



طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

ثورة يوليو

وأبعادها العربية والافريقية والدولية

وثائق تاريخية : النصوص الكاملة
لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العراقية

الفهـرس

العدد السابع – السنة الثانية – يوليو ١٩٦٦



طريق المنـاضلين الى الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أمين عز الدين
د. جمال العطيفي
د. رشدي سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف

سكرتارية التحرير :

ميشيل كامل
عبد المنعم القصاص

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفي اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها – مؤمنة بشعار الحـرية المجيد الذى أطلقه فولتير في القرن الثامن عشر ((قد أختلف معـك في الرأى ولـكني على استعداد لان أدفع حيـاتي ثمنا لحقك في الدفاع عن رأيك)) .

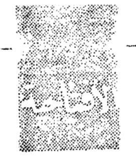
عنوان المراسلات .

((الطليعة))

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم القاهره تليفون : ٤٦٤٦٤ – ٤٤١٤٤

الاشتراكات :

لسنة بالبريد العادى ، ج٠ع٠م٠ ودول اتحـاد البـريد العربي ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .



حول .. مهام العام الخامس عشر لثورة يوليو

في هذا الشهر، تقتحم « **ثورة يوليو** » بتحالف قوى شعبها العاملة وقيادتها الاشتراكية ، عامها القومي الخامس عشر

هذه حقيقة واضحة . ولكنها مع ذلك حقيقة ناقصة .. **لماذا ؟** لان الثورة ـ كمبدأ عام ـ لا تقاس او توزن **ميكانيكيا** ، بعدد السنين فحسب ـ وانما ـ وبصورة اساسية ـ تقاس وتوزن، **ديناميكيا**، بطبيعة حركتها وتطور مراحلها ومضمونها الطبقي وما انجزته بالفعل من اهداف سياسية واقتصادية واجتماعية، ومدى شعبيتها، وطبيعة قيادتها ، وبالتالي حجم ونوعية تأثيرها على كل من المستوى القومي والمستوى العالمي على السواء . واخيرا حصيلة ما قدمته ، وما تزال قادرة على تقديمه ، من خبرات جديدة بامكانيات بناء الانسان ـ كفرد ـ وللانسانية ـ كمجموع ـ في سعيهما التاريخي الدائب نحو حياة افضل باستمرار .

ومن هنا فلكي تكتمل صورة الحقيقة الموضوعية « لثورة يوليو » ، فان علينا أن نستخدم المقياسين معا . وبذلك نربط بين « كم » الثورة و « كيفها » .. ونوازن حركة العمر الزمني للثورة مع حركة تقدمها المادي والمعنوي ، فنضمن بذلك الخروج بنتائج علمية واقعية متطهرة من الالوان والمشاعر الذاتية .

فمثلا .. يقودنا استخدام المقياس الميكانيكي **الى ظاهرة هامة** تميز « ثورة يوليو »، وهي انها بنظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي تعيش وتتنفس وتتطور في أحضان الشعب المصري العربي الافريقي ، طيلة اربعة عشر عاما متصلة بلا انقطاع . هذا في الوقت الذي اختنقت فيه أو أجهضت او صفيت ثورات وطنية تحررية تقدمية أخرى عاصرتها في افريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية .

عند هذا الحد يقف المقياس الميكانيكي في رؤيته لهذه الظاهرة ، ليبدأ عمل المقياس الديناميكي ، ليقدم أسباب ومضمون ومدلول هذه الظاهرة . فيكشف لنا مدى عمق جذور « ثورة يوليو » في شعبها وارضها وعصرها وقيادتها . وبالتالي استقرار ومناعة

مواقعها في مواجهة العدوان الخارجي والثورة المضادة . ومن ثم قدرتها على الاستمرار والتقدم في الحاضر والمستقبل .. والخطوط الاساسية لهذا الاستمرار والتقدم ، ونوعية الصعوبات والعوائق التي عليها أن تصطدم بها وتنتصر عليها الخ ..

وهذا النوع من القياس يسلحنا بالقدرة على معرفة انفسنا بدقة ، وعلى الرؤية الواضحة لنوافع ومداعاته والتنبؤ السيم بالمستقبل . فنسيطر بذلك واقعيا على اتجاهات الاحداث ونطوعها لاهدافنا .

وعلى هذا الاساس نرى ـ مثلا ـ ان كلمات المناضل جمال عبد الناصر في الاحتفال بعيد أول مايو في المحلة الكبرى هذا العام ، عن استمرار الثورة وطاقتها العظيمة على الصمود في وجه اعدائها وانجاز اهداف جديدة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ـ محليا وقوميا وعالميا ـ ليس من قبيل الحديث الحماسي ، وانما هو نتيجة موضوعية لقياس علمي وواقعي « لثوره يوليو وامكانياتها الباطنة » .

كذلك فان اجماع كل من كوسيجين ، وشواين لاي ، وسيكوتوري ، وانديرا غاندي، وموديبو كيتا ، وبومدين وغيرهم من زعماء حركات التحرر والتقدم في الوطن العربي وافريقيا وآسيا والعالم كله ـ رغم ما قد يكون هناك من خلافات بينهم ـ على أن الجمهورية العربية المتحدة بثورتها ، هي قاعدة اساسية من قواعد التحرر والتقدم في العالم المعاصر .. نقول ليس الاجماع على هذه النقطة بالذات الا نتيجة موضوعية لقياس ديناميكي لثورة يوليو وقدراتها ودورها التاريخي .

والواقع ان قياسنا « لثورة يوليو » يضع ايدينا على عدة نتائج جوهرية ومميزة .

فثورة يوليو ـ **أولا** ـ هي البداية التاريخية لسلسلة الثورات القومية التقدمية الجديدة لعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية والتي تجسد اليوم قوة جديدة على المسرح الدولي وهي القوة التي اصطلح على تسميتها سياسيا باسم «الدول النامية الجديدة» أو « العالم الثالث » . والتي تتميز عن الثورات التحررية القومية التقليدية لعالم ما قبل الحرب العالمية الثانية بأنها لا تستهدف الاستقلال السياسي فحسب وانما الاستقلال الاقتصادي أيضا جنبا الى جنب مع اعادة صياغة مجتمعاتها على أسس اشتراكية . ومن هنا فتاريخ يوليو ١٩٥٢ هو عالميا تاريخ الثورة المصرية العربية الافريقية وتاريخ ميلاد القوة الجديدة العالمية أيضا .

وثورة يوليو ـ **ثانيا** ـ استطاعت بقيادتها التقدمية وشعبيتها العارمة ـ محليا وقوميا وعالميا ـ أن تحقق بالفعل بعد أربع سنوات فحسب من قيامها ، استقلالها السياسي والاقتصادي الكاملين . فتطرد قوات الاحتلال البريطاني وتصفي قواعده العسكرية التي استمرت قابعة على صدر البلاد أكثر من ٨٠ عاما ، وتنتصر على العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، وتصفي السيطرة الاقتصادية للاحتكارات الاجنبية ، وتتحرر تماما ـ وتكاد تكون بذلك الدولة الوحيدة في العالم الثالث ـ من كل تبعية لمناطق الدولار والاسترليني والفرنك . وتبني اقتصادها القومي بعمليات تنمية جذرية متتابعة وخاصة في المجال الصناعي فتخرج فعليا من دائرة التخلف النسبي الى دائرة التقدم الاقتصادي الحديث .

كما كانت أول دولة جديدة تتحرك بحرية موضوعية في الميدان الدولي مغيرة جذريا من ميزان علاقات القوى التقليدي في العالم فتنشيء علاقات سياسية واقتصادية وثقافية حرة مع الاتحاد السوفيتي والصين وغيرهما من بلاد الكتلة الشرقية . وبذلك

جسدت امتن وارسخ نموذج للاستقلال الوطني والسيادة القومية والاستقلال الاقتصادى في العالم الثالث .

وثورة يوليو — **ثالثا** — كانت أول دولة في العالم الثالث بقاراته الثلاث : افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية ، انتهجت بحسم وجدية ووضوح نظرى علمي طريق التطور الاشتراكي وفقا لظروفها وواقعها . وقدمت بذلك خبرة عالمية جديدة للانسانية وهي امكانية تلاحم مرحلة التحرر الوطني مع مرحلة البناء الاشتراكي دون فواصل زمنية .

وثورة يوليو — **رابعا** — قدمت من خلال ممارستها الفكرية والعملية للنضال ضد الاستعمار القديم والجديد والتخلف والاقطاع والاستغلال الراسمالي صياغات وخبرات فكرية وعملية جديدة تثرى مجموع الخبرة الانسانية الثورية .

مثل هذه الصياغة الثورية للجيش كاداة ضاربة للثورة الوطنية التقدمية دون أن تقع كما وقعت غيرها من الثورات في هوة « الدكتاتوريات العسكرية وانقلاباتها » .

ومثل صياغة تحالف قوى الشعب العاملة من الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والراسمالية الوطنية كقاعدة شعبية للسلطة وكاطار سياسي اجتماعي لممارسة الصراع الطبقي سلميا في اتجاه تذويب الفوارق بين الطبقات والقضاء على كل استغلال الانسان للانسان .

ومثل صياغة التنظيم السياسي الثورى بشقيه الجماهيرى (الاتحاد الاشتراكي) والطليعي (الجهاز السياسى) ليتيح ارحب الفرص والامكانيات لابناء التحالف لممارسة حقوقهم وواجباتهم السياسية في جميع مواقع الفكر والعمل ديمقراطيا بقيادة طليعية اشتراكية منظمة .

ومثل صياغة سيطرة الشعب على جميع وسائل الانتاج في المجتمع عن طريق قطاع عام ضخم وقوى ومسيطر وموجه لقطاع خاص ينشط في اطار التخطيط الشامل وبحدود تحول بينه وبين النمو الى رسمالية كبيرة مستغلة ومعوقة للتطور الاشتراكي .

وثورة يوليو — **خامسا** — هي في مقدمة الثورات العالمية التى لم تتقوقع لحظة داخل حدودها الاقليمية الضيقة وانما راحت باستمرار تمارس بوعى وفاعلية مسئولياتها البناءة خارج الحدود .

فهي قد وعت منذ اللحظة الاولى انها جزء لا يتجزا من الثورة العربية الشاملة ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية الاقطاعية والراسمالية والتخلف . ومن هنا كان تفاعلها الايجابى — ماديا ومعنويا — باستمرار مع ثورات شعوب الجزائر وتونس ومراكش وليبيا واليمن والسودان وعدن والجنوب المحتل الخ .. واصبحت بذلك قاعدة وطليعة للجماهير العربية ونظمها التقدمية وقياداتها الثورية في النضال التاريخي لتصفية العدوان الصهيوني والاستعمارى والرجعية العربية والانفصال والتجزئة المفتتة لوحدة الوطن العربي .

وبنفس الوعي مارست مسئولياتها دون وهن لثورات التحرر في افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية وفي توحيد قواها في عمل موحد سواء للدفاع الشرعي أو للهجوم الثوري ، وللعمل من اجل السلام والتعاون الدولى في اطار الحياد الايجابي وعدم الانحياز .

واليوم تتاهب « ثورة يوليو » ، وهي تختزن كل هذا الرصيد من القدرة والامكانيات والخبرات ، لدخول عام جديد وسط ظروف محلية وقومية وعالمية جديدة ، تفرز

بالضرورة قضايا ومشاكل جديدة . وهى ظروف اهم ما يميزها هو اشتداد حدة الصراع الاجتماعي والسياسى بدرجة لم يسبق لها مثيل على جميع المستويات المحلية والقومية والعالمية . وذلك نتيجة لما سجلته القوى الثورية عالميا من انتصارات تاريخية خلال الاعوام الماضية فى جميع المجالات ، احدثت بتراكمها المتتابع تغييرا نوعيا فى ميزان علاقات القوى العالمى لصالح حركات التحرر والدول الثورية والنامية الجديدة . واسهم فى ذلك التقدم العلمى الهائل الجديد وانهاء احتكار اسرار الطاقة النووية، واتساع الحركة الجماهيرية فى كل انحاء العالم بما فى ذلك الدول الاستعمارية نفسها ضد انتاج واستخدام الاسحة النووية وضد العدوان على الشعوب وضد القواعد العسكرية وضد الاستغلال الاحتكارى وضد التفرقة العنصرية . وبدات القوى الاستعمارية والعنصرية والرجعية فى كل مكان تشعر بانها تتراجع عن مراكزها التقليدية وتفقد باستمرار أرضا ونفوذا امام هجوم وحصار القوى التحررية والثورية بفتوتها الجديدة . فلم يكن أمامها والحالة هذه مفر من أن تعود الى استعراض القوة المسلحة والتهديد بها بل واستخدامها فى عدوان دموى ساخن سواء فى شكل حروب صغيرة كالفيتنام أو فى شكل تصدير للثورات المضادة كغانا ، أو تمويل لمؤامرات التخريب المسلحة كالاخوان المسلمين فى مصر ، أو فى ممارسة الارهاب الدموى الفردى ضد المناضلين الثوريين كلومومبا والمهدى بن بركة .

ومن خلال هذا كله وقع بالضرورة ذلك الاستقطاب المركز للقوى المتصارعة بجميع منابعها وصورها وجنسياتها ودوافعها سواء على المستوى المحلى أو القومى او العالمى . ومن هنا تنبع وحدة المعركة وشمولها بالنسبة لكل قوة من هذه القوى المتصارعة . ويصبح ملحا بالتالى على كل قوة ثورية أن تحدد بدقة مواقع اقدامها على الطريق وطبيعة واتجاه حركتها واهدافها فى هذه المرحلة الدقيقة من الصراع الشامل ضد الاستعمار والرجعية ، وذلك تأمينا لمكاسبها الراهنة وسعيا وراء مزيد من المكاسب الجديدة فى وقت واحد .

ما هى اذن الخطوات التى على ثورة يوليو » كقوة تقدمية أن تقطعها والمهام التى عليها ان تنجزها خلال عامها القومى الخامس عشر ، وعامها الاشتراكى السادس سواء فى النطاق المحلى او القومى او العالمى ؟

ان **الواقع المحلى** يكشف عن ان الرجعية التى اسقطها تحالف قوى الشعب العاملة ما تزال تعشش فى جيوب معينة فى المجتمع ، تحاول التخريب والتآمر وعرقلة عمليات البناء الاشتراكى مستخدمة كل الوسائل ابتداء من التنظيم الارهابى المسلح او المغامر كالاخوان المسلمين ، الى الحد من فاعلية القطاع العام وقدراته عن طريق العناصر البيروقراطية ذات التكوين الرأسمالى ، الى محاولة عزل العمال والفلاحين الفقراء والمتوسطين عن مسار الثورة عن طريق فئة من الراسماليين الطفيليين وخاصة فى مجالات الريف والتجارة الداخلية والمقاولات والتشييد ، مستترة برداء الرأسمالية الوطنية .

وتدل على ذلك قضايا مؤامرات الاخوان ، وحادث كمشيش ، وبعض حوادث الاختلاسات للاموال العامة واستلاب طائفة من تجار الجملة ومقاولى الباطن لجانب كبير من فائض القيمة الذى تحققه بعض وحدات القطاع العام .

ومن هنا يصبح ملحا أن تصفى جذريا كل الانظمة والارضية الاجتماعية والسياسية التى تفرخ هذه القوى المعادية لمسار الثورة وتحالف قواها الشعبية من تنظيمات المتآمرين والبيروقراطيين والرأسماليين الطفيليين فى جميع المجالات . ان هذه التصفية ليست عملية ضرورية لتطهير الوحدة الثورية الوطنية لتحالف قوى الشعب العاملة من الشوائب والعناصر المعادية فحسب مما يدعم من قوتها وفاعليتها ووحدتها الفكرية والعملية فى النضال السياسى والاجتماعى . وانما هى أيضا ضرورة اقتصادية اجتماعية

لتمكين القطاع الاشتراكي من ممارسة مسئولياته وسلطاته بقدرات اعظم وكفاية اكثر استنارة وخاصة ونحن نبدأ مع هذا العام تنفيذ خطة التنمية السبعية الجديدة بحجمها الكبير الذى يصل الى ٣١٦٦ مليون جنيه وبنوعية مشروعاتها الهامة التى تتركز فى بناء الصناعة الثقيلة وكهربة البلاد الكاملة .

ولقد شرعت القيادة السياسيه فى مواجهة هذه الخطوات فعليا من خلال اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ولجنة تصفية جيوب الاقطاع .

ويبدو مجسدا امامنا بصورة محددة ، على ضوء حصيلة التجربة الثورية والدروس المستفادة منها التصدى للمهام الاربعة العاجلة التالية :

● اعاده النظر فى التحديد الاجتماعى « للراسمالية الوطنية » التى تدخل فى اطار تحالف قوى الشعب العاملة بحيث تتطهر من كل العناصر البيروقراطية والطفيلية وخاصه فى مجالات الريف والتجارة والمقاولات والتشييد والتى اثبتت التجربة عدائها للتطور الاشتراكى والوحدة الوطنيه الثورية .

● ترجمة مبدا الميثاق فى ضمان النقل السياسى والاجتماعى للفلاحين والعمال فى التنظيم السياسى والمؤسسات النيابية والشعبية ترجمة واقعية وذلك بتعديل التعريف الذى وضعته لجنة المائة للعامل والفلاح بحيث يصبح العامل هو كل من يعمل بيده ولا يملك وسيلة للعيش غير قوة عمله ، والفلاح هو من يزرع أرضا لا تزيد عن خمسة أفدنه .. ملكا او حيازه بالاجرة .

● التوسع فى انشاء مراكز تكنولوجية سياسية لتدريب كادر جديد من الخبراء والمديريين ومسئولى الانتاج فى وحدات القطاع العام ، يتوفر لديهم الوعى السياسى والاجتماعى بجانب الخبرة الفنية والكفاءة الادارية . وذلك لمواجهة البيروقراطية وتصفيتها .

● التركيز على تكوين الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى كحزب طليعى قيادى لتحالف قوى الشعب العاملة فى جميع مواقع النضال بالتزام صارم ومسئولية محددة، ليكون دينامو النشاط والحركة والحارس السياسى لمكاسب الجماهير ، والموجه لطاقاتها البناءة .

اما **الواقع العربى** فيكشف عن ان الاستعمار والصهيونية والرجعية قد تلاقت مخططاتها وحركتها فى اتجاه واحد ونحو هدف واحد هو محاولة تصفية تيار الحركة التحررية الاشتراكية الشاملة فى الوطن العربى وضرب قواعده وخاصة الجمهورية العربية المتحدة ، وذلك بأشكال وصور مختلفة ابتداء من الحلف الاسلامى الى العدوان الصهيونى الى تصدير الثورة المضادة فى اليمن الى تخريب حركة تحرير جنوب اليمن المحتل الى التآمر على الجزائر وسوريا الى قتل وارهاب المناضلين .

وهنا يبرز دور « ثورة يوليو » بطاقاتها الشعبية والمادية وقيادتها الثورية ووزنها القومى لتواجه هذا التجمع الاستعمارى الرجعى ومخططاته ، ببناء تجمع مضاد منظم وفعال من كل النظم والقوى القوميه التقدمية فى الوطن العربى ، لحماية الثورة العربية الشامله بأهدافها التحررية والاشتراكية معا ، ولضرب المراكز والقوى المعادية فى نفس الوقت .

ولعل هذا هو ما حفز المناضل جمال عبد الناصر ان يبادر الى رفع شعار وحدة القوى العربية الثورية فى نضالها ضد الاستعمار والرجعية والصهيونية . والمهم الان هو سرعة تجسيد هذا الشعار عمليا ووضعه موضع التنفيذ فى المعركة .

اما **الواقع العالمي** ، فيكشف عن ان الامبريالية قد عادت تحت وطأة الحصار العالمي للقوى الثورية الى استخدام كل من سلاح القوة العدوانية وسلاح الضغوط الاقتصادية بمختلف صورها ضد الشعوب الناضلة من أجل حريتها والدول المتمسكة باستقلالها بإصرار او عناد . ويظهر ذلك بوضوح في الفيتنام وعديد من مناطق افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية ، وفي احتكار السوق العالمي والتحكم في اسعاره وفي موازناته التجارية عن طريق الخفض المستمر لاسعار المواد الخام مقابل الزيادة المستمرة لاسعار المواد المصنوعة ، وفي فرض شروط سياسية واقتصادية على القروض والمعونات ، وفي شل فاعلية الامم المتحدة وتخريب دورها البناء وفي خلق واشاعة جو عدم الثقة والبلبلة ومنازعات الحدود الخ . بين الدول المستقلة والثورية وحركات التحرير بعضها وبعض .

وهنا ايضا يبرز دور « ثورة يوليو » كقوة من قوى النضال عالميا من اجل التحرر والتقدم الانساني والسلام ، تقوم في منطقة حيوية من خريطة العالم هي منطقة الشرق الاوسط وتمتد على قارتي أسيا وافريقيا معا باطلالة حضارية واسعة على البحر الابيض .

ان ثورة يوليو التي اسهمت ايجابيا في نسج خيوط التضامن الاسيوي الافريقي والوحدة الافريقية وتضامن القارات الثلاث وعدم الانحياز وسياسة التعايش السلمي ، ما برحت تملك المقدرة المتعاظمة على ان :

- تطور وتعمق من وحدة القوى التحررية والثورية عالميا باطاراتها المختلفة المتعددة للتصدي بحسم لعمليات التهديد الاستعماري بالقوة واستخدامها . وفي هذا السبيل تستطيع بوزنها ان تلعب دورا بناء في حصر آثار النزاع الصيني السوفيتي وفي تقوية وسائل الثقة والتعاون المادي والمعنوي بين كل القوى والنظم الثورية وصولا الى تكوين جبهة عريضة أكثر فاعلية واكثر قدرة على مواجهة التحديات الجديدة . وتحمي ممارسة سياسة التعايش السلمي البناءة من التخريب الاستعماري . وتزيد من امكانيات فرض السلام العالمي على تجار الحروب ، وتطهر العالم من الاستعمار والعنصرية .

- تواصل العمل على تطوير اجهزة الامم المتحدة كقوة معنوية ذات تأثير متعاظم بزيادة فاعلية ووزن تمثيل القوى الجديدة في أسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، وباحتلال الصين الشعبية لمقعدها الشرعي هذا العام في المنظمة الدولية .

- تجسيد وتطوير ما اسفر عنه مؤتمر جنيف للتجارة والتنمية في صيف عام ١٩٦٤ بأجهزة دولية قادرة على مواجهة الاحتكارات الدولية وتنسيق التعاون الداخلي بين القوى الجديدة ثم بينها وبين الدول الكبرى بما يحقق مصالح الشعوب ويعالج مشاكل التنمية والتجارة الدولية علاجا جذريا .

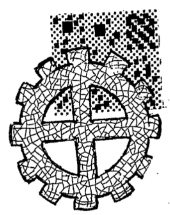
والواقع ان ميثاق « ثورة يوليو » الذي وضع موضع التطبيق العملي منذ اربع سنوات يلقي مع التجربة اضواء واضحة على اهمية انجاز هذه المهام العاجلة محليا وقوميا وعالميا . والمهم أن نحدد بدقة مضمون وأسلوب تحقيق هذه المهام في عامنا الجديد ، الذي يمثل امتدادا طبيعيا وتقدميا لتاريخ ونضال ثورتنا .

لطفي الخولي

يجرى الاعداد للخطة السبعية تمهيدا لطرحها لمناقشة جماهيرية على جميع المستويات الشعبية، مما جعل «الطليعة» تعتزم تخصيص جزء من دراساتها بصفة منتظمة وحتى اقرار الخطة ـ لتسليط الاضواء على مفهوم التخطيط بجوانبه المختلفة، بالاضافة الى تقييم الانجازات السابقة واستقاء الدروس منه للمستقبل ، فى محاولة لاستكشاف الحلول العملية للقضايا المثارة من واقع الخبرة النظرية والمكتسبة .

ويتضمن العدد الحالى بالاضافة الى هذا المقال دراسة عن حوافز الانتاج وتحليل لتطور حجم وسائل الدفع فى الخطة الخمسية الاولى .

دروس من الخطة الخمسية الأولى للتنمية



د. عبد الرازق حسن

نقوم اجهزة الدولة باستكمال البيانات الخاصة بالخطة السبعية التى دات بنهاية الخطة الخمسية الاولى ، وقد اعلن مبدئيا ان تكلفة الاستثمارات فى هذه الخطة تقدر بحوالى ٣١٦٥ مليون جنيه . ويتجه الاهتمام فى الدراسات القائمة الى تجنب ما يكون قد لابس الخطة الخمسية الاولى من صعوبات ، والى عرض الخطة الجديدة للمناقشة العامة ليشارك الكل فيها برايه ، ولتكون قوة مدركة لها ، عاملة لها عند وضعها موضع التنفيذ .

ويحفزنا مبدا المشاركة الجماعية فى وضع وتنفيذ الخطة باسترجاع الخطة الخمسية الماضية علنا نستفيد من دروسها فى وضع وتنفيذ الخطة الجديدة .

وقد كانت المواجهة الصريحة للحكومة لمشاكل الخطة فى ديسمبر الماضى امرا يثير الاهتمام بعد ان اتضح ان هناك الكثير من الاختناقات فى طريق التنمية لا مفر من معالجتها حتى يمكن تحقيق الهدف العام من الخطة ، وهو مضاعفة الدخل كل عشر سنوات ، وعدالة توزيعه بين المواطنين . وكان اقتصادنا القومى يمر بدوامات تضخمية يجب القضاء عليها حتى نضمن التوازن المنشود له . وكانت هذه الاختناقات والدوامات تتبلور فى شكل نقص او اختفاء بعض السلع ، بل وبعض مستلزمات الانتاج وارتفاع اسعارها بشكل محسوس .

وقد ثار جدل طويل حول اسباب تلك الاختناقات او المشاكل التى نمر بها ، فارجعها البعض الى عوامل اقتصادية بحتة ، كاختلال التوازن بين الانتاج والاستهلاك ، من ناحية ، وبين الادخار والاستثمار من ناحية اخرى ، وكذلك الى العجز الكبير فى ميزان مدفوعاتنا مع الخارج . وارجعها البعض الاخر الى عوامل اجتماعية كزيادة السكان بمعدلات كبيرة ، والاخذ بالنظام الاشتراكى ، وما ترتب عليه من تغيير فى العلاقات المادية فى المجتمع، وتقوية جانب الفئات العمالية التى تتميز بميلها الكبير للاستهلاك . وينسب البعض الاخر هذه المشاكل الى عوامل سياسية كالضغط الاستعمارى والرجعى الخارجى ، والاعباء التى اقتضتها نصرة قضايا التحرر وهكذا .

والواقع انه من الصعب ان ننسب الاختناقات او المشاكل الاقتصادية لعامل او آخر على انفراد، لان العوامل المختلفة فى تفاعلها تلعب دورا فى خلق المشكلة . ومع ذلك فالامر الذى يدعو الى التساؤل هو كيف نسنى لبعض العوامل ان تتفاعل بحرية لتحدث المشكلة فى ظل تخطيط اقتصـــادى عام ، يسيطر فيه المجتمع على مختلف عناصر الانتاج ، غير ان تحديد موطن الداء ليس بالامر اليسير ، وعلينا قبل ان نحدده ان ندرس الخطة الخمسية الاولى ، فمن خلال الدراسة يمكن ان تستكشف بعض ما يكون قد الم بها من نقص .

الثـــورة والتخطيط

كان انخفاض مستوى المعيشة وتعطل بعض طاقات المجتمع وسوء توزيع النــاتج القــومى ، والاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية هى السمات البارزة لاوضاعنا حتى سنة ١٩٥٢ . لهذا كان قيام الثورة امرا طبيعيا ، وكان نجاحها مرهون بتغيير هذه الاوضاع . وقد سارت الثورة لتحقيق اهدافها فى اتجاهين : الاول تنمية الموارد القومية والثانى القضاء على اختلال علاقات الانتـــاج . وكان الاصلاح الزراعي وانشـــاء المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومى اول خطوة فى هذا الاتجاه . واكدت الثورة هدفها بالنص فى دستور سنة ١٩٥٦ على ان ينظم الاقتصاد القومى وفقا لخطط مرسومة تراعى فيها مبادىء العدالة الاجتماعية وتهدف الى تنمية الانتاج ، ورفع مستوى المعيشة وقد تكشف الضغط الاستعمارى ، والاعتداء عن اهمية الحرص على تحقيق هذا الهدف لامكان مواجهة التحديات المختلفة التى يواجههـــا المجتمع ، فصـــدر قرار جمهورى فى منتصف يناير سنة ١٩٥٧ يقضى بوضع خطة قومية شاملة طويلة الاجل للنهوض الاقتصادى والاجتماعى للدولة ، تتضمن اهدافا رئيســـية ، وتعبأ لها جميع الجهود القومية العامة والخاصة .

وقد قامت لجنة التخطيـــط بتجميع البيـــانات والمعلومات الاقتصادية والمالية والاجتماعيـــة عن البنيان الاقتصادي والاجتماعي وامكانيات التطور فيه ، وعلى هدى ما تجمع لديها ، وضعت خطة مضاعفة الدخل القومى فى عشر ســـنوات ليبدا تنفيذها فى اول يوليو سنة ١٩٦٠ ، وقد اعتمدت الخطة اساسا على تنفيذ برنامج استثمارى يضمن احداث تنمية متوازنة لمختلف قطاعات الانتـــاج ، وتمكن من مقابلة احتياجات الاستهلاك التى يتطلبها مستوى افضل للمعيشة .

مشروع الخطة

كانت الاستثمارات المقدرة للخطة فى سنواتها العشر ٣٢٩٤ مليون جنيه، ٤٨٪ منها فى السنوات الخمس الاولى ٥٢٠٪ فى السنوات الخمس التالية . وتمول بنسبة ٦٤ ٪ بالعملات المحلية ، ٣٦ ٪ بالعملات الاجنبية .

ولم تكن مضاعفة الدخل فى عشر سنوات تعنى مضـــاعفته فى جميع القطاعات ، لان التــــوازن والتناسق المطلوب للاقتصـــاد كان يتطلب زيادة نصيب بعضها بالنسبة للبعض الاخر ، فيزيد الدخل المستمد من الصناعة من ٢١٫٣ ٪ فى سنة ٥٩/٦٠ الى ٣٠٫١ ٪ فى سنة ٦٤/٦٥ والى ٣١٫٣ ٪ فى سنة ٦٩/٧٠ وفى نفس الوقت ينخفض نصيب الزراعة من ٣١٫٢ ٪ الى ٢٨٫٥ ٪ والى ٢٤٫٥ ٪ على التوالى . اما عن القطاعات غير السلعية او الخدمات فقدر فى الاطار المرسوم ان تنخفض نسبتها فى الدخل فى المرحلة الاولى من ٤٣٫٤ ٪ الى ٣٨٫٦ ٪ فى نهاية السنوات الخمس الاولى ، لترتفع مرة اخرى الى ٤١٫٧ ٪ فى نهاية السنوات الخمس الثانية .

وقد اخذ فى الاعتبار عند وضع الخطة التغير فى حجم السكان ، وزيادة المشتغلين منهم بالتالى، كما لوحظت الزيادة النسبية فى الاجور والمرتبات

ولم يكن الاطار المرسوم للخطة جامدا كما قد يصور البعض ، لان طبيعة الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية هى الحركة ، وتعنى الحركة التغير المستمر للعلاقات المادية فى الاقتصـــاد القومى ، كنتيجة طبيعية لعدم امكان السيطرة الكاملة على كل العوامل المحدثة للتغير من ناحية ، ولصعوبة التنبؤ بمطالب الناس فى المدى الطويل من ناحية اخرى . ولهذا وضعت خطة مضاعفة الدخل على فترتين ، ولوحظ ان يتم التنفيذ على سنوات ، ويحدد المستهدف من كل سنة على اساس ما تكشف عنه المتابعة ، وما قد يحدث من تغير فى السنة السابقة، وما يتوقع حدوثه فى سنة التنفيذ . واذا رجعنـــا الى المستهدف فى سنة ٦٤/٦٥ عند وضع الخطـــة (سنة ١٩٦٠) ، والمستهدف تحقيقه فى تلك السنة فى نهاية السنة الرابعة من الخطة (سنة ١٩٦٤) لامكننا ان نتبين هذه المسألة من الجدول رقم (١)

الخطة فى التنفيذ

اذا رجعنا الى بيانات متابعة الخطة العـــامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى سنواتها الخمس،

جدول رقم (١)

التغير في المستهدف في سنة ٦٤/٦٥

(بمليون جنيه)

القطـــــاع	عند وضع الخطه سنة ١٩٦٠	في مرحلة التنفيذ سنة ١٩٦٤	التغير + او –
قيمـه الانتـــاج	٣٦٠١	٣٦٢٥	+ ٢٤
الدخــل المحــلى	١٧٩٥	١٨٠١	+ ٦
الدخل من الزراعه	٥١٢	٤٩٢	– ٢٠
الدخل من الصناعة والكهرباء	٥٤٠	٤٤٦	– ٩٤
الدخل من التشييد والبناء	٥١	٦٣	+ ١٢
الدخل من النقل والمواصلات والمرافق	٣١٦	٢٣٣	– ٨٣
الدخل من التجارة والمال	١٦٢	١٧٠	+ ٨
الدخل من الخدمات الاخرى	٢١٤	٣٩٧	+ ١٨٣
الاجــور والمرتبــات	٧٥٩	٨٦١	+ ١٠٢
التغير في العمــالة			(بالالف)
عـــدد المشـــتغلين	٧٠٠١	٧٢٣٧	+ ٢٣٦
في الزراعـــــه	٣٨٠٠	٣٦٢٨	– ١٧٢
في الصــناعه والــكهرباء	٨٤٧	٨٥٨	+ ١١
في التشـــييد	١٥٩	٣٥٨	+ ١٩٩
في الخـــدمات	٢١٩٥	٢٣٩٣	+ ١٩٨

لوجدنا انهاقد حققت الكثير مماكنا نرجوه. فتضاعف الاستثمار في السنة الخامسة للخطة وبلغ متوسطه حوالى ٣٠٣ مليون جنيه في العام مقابل ١٧١مليون جنيه فقط في سنة الاساس . وزاد كل من الناتج القومي والدخل المحلي بنسبة ٣٧٪ فيسنة٦٤/٦٥ عما كانا عليه في سنة ٥٩/٦٠ ، كما زادت العمالة في نفس المدة بنسبة ٢٢٪، وارتفع مخصص الاجور بشكل واضح اذ بلغ ارتفاعه حوالى ٦٠٪ وزاد نصيب المشتغل بحوالى ٣١٪ ، وذلك عدا ما عاد عليه من خدمات . والبيان الاتي يعطى صـــورة سريعة للوضع في السنة الخامسة للخطة مقـــارنا بسنة الاساس .

البند بالاسعار الثابتة)	٥٩/٦٠	٦٤/٦٥
الانتاج القومي (مليون جنيه)	٢٥٤٨	٣٧٣٨
الدخل المحلي (مليون جنيه)	١٢٨٥	١٧٦٢
الاســـتثمار (مليون جنيه)	١٧١	٣٦٤
مخصص الاجور (مليون جنيه)	٥٥٠	٨٧٩
عدد المشتغلين (بالالف)	٦٠٠٦	٧٣٣٣
متوسط اجر المشتغل (بالجنيه)	٨٥ر٥	١١٢ر٣

وقد بلغ معدل النمو السنوى للانتاج ٧ر٣٪ ، وهو معدل مرتفع اذا قيس بالبلاد النامية .

والجـــدير بالملاحظة ان متابعـــة التقـــديرات السنوية المستهدفة ، وما تحقق فعلا لايظهر اختلافا كبيرا فبالنسبة للدخل مثلا نجد أن نسبة المحقق الى المستهدف بلغت حـــوالى ٨٦٪ في المتوسط ، أما العمالة فقد زادت في بعض السنوات عن الارقام المقدرة لها نتيجة لخفض ساعات العمل منناحية، وللاهتمام بتشغيل المتعطلين من ناحية أخرى ، وقد أدى ذلك الى ارتفاع نسبة العمالة الى قوةالعمل المدنية من ٥ر٨٩٪ سنة ٥٩/٦٠ الى ٦ر٩٢٪ في سنة ٦٤/٦٥ . وبالرغم من زيادة عدد المشتغلين فان معدل اجورهم لم يرتفع عند التنفيذ عنه عند رسم الخطة السنوية بل بالعكس نجده قد انخفض ففى السنتين الاخيرتين مثلا نجد أن متوسط الاجر السنوى قدر بمبلغ ٣ر١١٣ جنيها في سنة ٦٣/٦٤، ١١٩ جنيها في سنة ٦٤/٦٥ (بالاسعار الجارية) وعند التنفيذ بلغ ٨ر١٠٣ جنيها ، ٣ر١١٢ جنيها في السنتين المذكورتين على الترتيب .

أما عن الأستثمارات فيظهر من بيانات المتابعة أن نسبة التنفيذ بلغت في المتوسط ٩ر٩٥٪ مما قدر لها ، ولو انه بالرجوع الى توزيع الاستثمارات نجد أن نسب التنفيذ تراوحت بين ٤ر٧٥٪ للرى والصرف ، ٣٩٠٪ للتجارة والمال مما يعطى صورة عن التغير في توزيع الأستثمارات اما نتيجة للتغير في الاسعار ، أو تغير الظروف الموضوعية .

والامر الجدير بالاهتمام هو العجز الـكبير في ميزان المدفوعات الذى ارتفع من ٥ر١٥ مليـــون جنيه في سنة ٦٠/٦١ الى ٦ر١٣٥ مليون جنيه في سنة ٦٣/٦٤ وأن كان قد انخفض الى ٩ر٧٥ مليون جنيه في سنة ٦٤/٦٥ ويبدو أن انخفاض نسب التبادل الخارجي قد لعبت دورا في هـــذا الامر اذ انخفضت من ٢ر١٠٠ الى ٨ر٨٧ والى ٦ر٨٩ على التوالى .

ويعنى العجز في ميزان المدفوعات مديونيتنا للخارج ، مما قد يعكس عدم التوازن بين الانتاج من ناحية، ومايجب انيكونعليه الاستهلاكلتكوين مدخرات تقابل الاستثمارات المطلوبة للتنمية من ناحية أخرى . واذا تجاهلنا أثر الاسعار نجـــد أن نسبة الادخار الى الناتج المحلى في السنوات الخمس الاولى للخطة بلغت ٨ر١٢٪ بينما بلغت نســـبة الاســــتثمار ٦ر١٧ ٪ اى بعجـز

نسبته ٨ر٤٪ من اجمالى الناتج المحلى حصلنا عليه عن طريق الاقتراض من الخارج . غير ان الاقتراض من الخارج لتغطية عجز الادخار عن الاستثمار كان متوقعا منذ المبدا ، بل انه برغم انخفاض رقم الاستثمار من ١٥٧٧ مليون جنيه فى المشروع الى ١٥١٣ مليون جنيه عند انتهاء الخطة فان رقم الادخار البالغ ١٠٩٦ مليون جنيه فى السنوات الخمس كان اعلى من الرقم المقدر للاستثمار المحلى فى المشروع والبالغ ٩٣١ مليون جنيه . ويعنى ذلك بشكل آخر أن الاستهلاك العام لم يزد عما كان مقدرا له .

اذا كان الامر كذلك علينا ان نبحث عن المشاكل الاساسية التى واجهت الخطة .

الاستثمار والانتاج

اعتمدت الخطة الخمسية الاولى لتحقيق هدف زيادة الدخل على تحديد الاستثمارات المرجوة فى مختلف المجالات زراعية وصناعية وخدمات ، وهنا قد تثور بعض الاشكالات لان حجم الاستثمار ليس كاف وحده لتحديد الدخل المنتظر ، فهناك نوع الاستثمار ، والمعدات المستخدمة ، وكفاية التشغيل ، واسعار سلع الاستثمار والسلع النهائية والاجور عوامل مهمة يجب ان تدخل فى الحسبان . لان الهدف فى النهاية هو زيادة حجم السلع والخدمات المنتجة لتحقيق زيادة الاستهلاك من ناحية ، ولتحويل قدر من الطاقة المنتجة الى سلع انتاجية من ناحية أخرى .

واذا كانت الاستثمارات التى تمت خلال سنوات الخطة الخمس قدرت بمبلغ ١٥١٣ مليون جنيه فليس من السهل نسبتها الى الرقم السابق تقريره فى الخطة وهو ١٥٧٧ مليون جنيه ، الا اذا فرضنا ثبات الاسعار ، وعدم تغير كفاية أدوات الانتاج عما كان مقدرا من قبل . اما اذا كانت الاسعار قد ارتفعت ، وكانت ادوات الانتاج اقل كفاية فان نسبة الاداء تكون أكثر انخفاضا مما تدل عليه الارقام . وقد لا يكون ارتفاع اسعار أدوات الانتاج مطلقا ، وانما يكفى ان يكون نسبيا اذا قيس بأسعار السلع النهائية ، وليس من الضرورى أن يكون انخفاض الكفاية بسبب عدم وجود الالات مثلا او نقص كفاية العمال ، وانما يمكن ان يحدث نتيجة عدم امكان التشغيل الكامل لتلك الالات نتيجة لنقص مستلزمات الانتاج (خامات وقطع غيار) .

ليس لدينا أرقام عن أسعار سلع الانتاج ، ولكن اذا عرفنا أننا نعتمد فى تصديرنا على المواد الزراعية وخاماتها والسلع النهائية ، ونستورد اساسا الالات وقطع الغيار وخامات الصناعة ، وكانت نسبة التبادل الخارجى منخفضة ، فيمكن ان نخرج من ذلك بأن أسعار سلع الانتاج اتجهت الى الارتفاع بدرجة اكبر من اسعار السلع النهائية خلال الخطة . ويشير تقرير متابعة الخطة عن السنة الخامسة (٦٤/٦٥) الى ان متوسط أسعار الواردات قد ارتفع بنسبة ٢ر٢٩٪ فى تلك السنة عنه فى سنة الاساس (٥٩/٦٠) أما أسعار الصادرات فلم تزد الا بنسبة ٨ر١٥٪ . وبلغت نسبة التبادل الخارجى ٦ر٨٩ ٪ .

وتثير مسالة السعر الكثير من الجدل عند حساب ارقام الانتاج ، والناتج المحلى ، والقيمة المضافة . والطريقة التى تجمع بها ارقام الانتاج لا تفيد كثيرا فى الدراسة لما تتضمنه من تكرار فضلا عما يؤدى اليه التغير فى هيكل الانتاج الى تغير فى موازين السلع التى تدخل فى الانتاج العام . أما عن ارقام الناتج المحلى فتتضمن القيمة المضافة مضافا اليها الضرائب غير المباشرة مطروحا منها اعانات الانتاج أما القيمة المضافة نفسها فتشمل عوائد عوامل الانتاج او الاجور وانصبة حقوق التملك (الريع والربح والفائدة) وتجميع الارقام بالاسعار الجارية قد يكون سهلا غير أن تحويل الارقام الى أسعار ثابتة يثير الكثير من المشاكل بالنسبة للاساس المستخدم . ومهما يكن من شىء فاذا تجاهلنا طريقة حساب السعر ، فان ارقام التغير فى الناتج المحلى او القيمة المضافة يمكن أن تفيد كمؤشر للنمو الاقتصادى الا انها لا تعكس ما قد يلم بالاقتصاد القومى من اختناقات ، لان الانتاج فى مجال ما يؤثر فى الانتاج فى مجال آخر ، ولهذا كان من الضرورى أن تتضمن الخطة بيان بالمدخلات والمخرجات ، وبمعنى آخر بيان كمى بالمنتجات فى مختلف المجالات والطريق الذى تنساب فيه هذه المنتجات والحاجة الى بيانات المدخلات والمخرجات اساسية لانها هى التى يمكن أن ندرك عن طريقها هل يتجه الانتاج الى سد حاجة كل من الاستهلاك وسلع الاستثمار ، أم أن هناك اختلال فى توازن ما ينتج لكل من المجالين .

الانتاج والاستهلاك

بالرغم من أن الاستهلاك لم يزد كما ذكرنا عما خطط له ، وأن الزيادة فى السكان كانت مقدرة فى نفس الحدود من قبل ، وان التغيرات الاشتراكية التى نسب اليها الزيادة فى الاستهلاك كانت مأخوذة او كان يجب أن تؤخذ فى الاعتبار عند اجراء التقديرات السنوية للخطة الا انه لا مفر من تحليل اتجاهات الاستهلاك حتى نكون على بينة من امرنا عند وضع الخطة الثانية ، واجراء التوازن بين ما يستهلك وما ينتج .

اذا رجعنا الى الزيادة السنوية فى النـــاتج المحلي وقارناها بالزيادة السنوية فى الاســـتهلاك للاحظنا ان الاستهلاك يمتص قدرا كبيرا من هذه الزيادة ، بل انه قد فاق الزيادة المتحققة فى احدى السنوات كما يتضح من الجدول رقم (٢) .

وتقدرمعدل الزيادةالسنوية فى الاستهلاكبنسبة ٨٪ مع أن المعدل السنوى للناتج المحلي كان فى حدود ٨ر٤٪ ، وهو فرق لا يكفى لمواجهة الزيادة المســـتمرة فى الســـــكان فى نفس الوقت الذى يرتفعفيه مستوى المعيشة بالمعدل المرجو .ومعدل الزيادة فى الاستهلاك البالغ ٨٪ يبلغ حوالى ثلاث أمثال معدل الزيادة السكانية البالغ ٨ر٢٪ .

وبالرغم من هذه الارقام التى تكشفها متـــابعة تنفيذ الخطة الا انها لا تكفى للدلالة علىاتجاهات الاســـتهلاك ، فيتطلب الامر اولا تثبيت اســـعار الاستهلاك ، وتوزيع الاستهلاك بين الاســـتهلاك الفردى والجماعى ، وحساب التغـــير فى نصيب الفرد . فاذا ثبتنا الاسعار بنفس الاساس الذى اتخذ فى تثبيت الدخل نجد ان الاستهلاك العـــام ارتفع من ١٢٠٠ مليون جنيه فى سنة ٦٠/٥٩ الى ١٧٠١ مليون جنيه سنة ٦٥/٦٤ . واذا عرفنا أن السكان قد زادوا فى نفس الفترة من ٦ر٢٥ مليون الى ٥ر٢٩ مليون نسمة فـكأن نصيب الفرد فى الاستهلاك قد زاد من حوالى ٤٧ جنيه فى السنة الى حوالى ٧ر٥٧ جنيها اى بنسبة ٦ر٢٠ ٪ .

ويخص الاستهلاك الفردى اقل من ٧٦٪ من الاستهلاك الكلى ، ويصيب الاستهلاك الجماعى حوالى ٢٤٪ . واذا نظرنا الى نصيب الفـــرد فى الاستهلاك الفردى نجده قد ارتفع من ٣٨ جنيها سنة ٦٠/٥٩ الى ٤٤ جنيها سنة ٦٥/٦٤ بنسبة ٨ر١٥ ٪ معان الزيادة فى الدخل بلغت حوالى ٢٠٪ .

واذا كان مجمل الاستهلاك الفردى قـــد زاد بحوالى ٣٤٪ خلال السنوات الخمس للخطـــة الا ان الاستهلاك الجماعى ارتفع خلال المدةبحوالى ٧٧٪ . ويمكن ارجاع ذلك لاكثر من سبب ، فكان يعنى التحول الاشتراكى زيادة المنفق علىالخدمات العامة كالتعليم والصحة والمرافق العامة ، غير أنه أدى فى نفس الوقت الى التوسع فى الاجهزةالادارية التى اصبحت تستنزف قدرا كبيرا من الدخلالقومى

والجدير بالملاحظة أن الاستهلاك سواء الفردى او الجماعى لا يسير على وتيرة منتظمة ، اذ يتراوح المتوسط بين الزيادة والنقص . واذا كانت عوامل الذبذبة يمكن تعليلها بالنسبة للاستهلاك الفردى، الا انها يجب الا تكون كذلك بالنسبة للاستهلاك الجماعى ، ولعل احد المشاكل الرئيسية فى هـــذا المجال عدم الربط المحكم بين تقـــديرات الميزانية السنوية للدولة ومشروع الخطة .

والبيان الاتى يوضح ــ تغيير نصيب الفرد فى الاستهلاك الفردى والجماعى بعد تثبيت الاسعار، ومنه يتضح أن الزيادة النسبية فى نصيب الفرد فى الاستهلاك الفردى بلغت فى السنة الاخيرة للخطة ٨ر١٥ ٪ عنها فى سنة الاساس مقابل ٥٤٪ لنصيب الفرد فى الاستهلاك الجماعى .

نصيب الفرد فى الاستهلاك الجماعى

(بالجنيه)

السنة	نصيب الفرد فى الاستهلاك الفردى	الجماعى
١٩٦٠/٥٩	٣٨ر٠	٨ر٩
٦١/٦٠	٣٧ر٦	٩ر٧
٦٢/٦١	٤٠ر٧	١ر٩
٦٣/٦٢	٤١ر٣	١١ر٢
٦٤/٦٣	٤١ر٠	١٣ر٤
٦٥/٦٤	٤٤ر٠	١٣ر٧

وبمراجعة نمط الاستهلاك نلاحظ ان استهلاك السلع الغذائية ارتفع فى السنوات الخمس الاولى بما يتراوح بين ١٤٪ للعدس ، ٤ر٢٩٪ للقمح ، ٩ر٤٠٪ للذرة الشامية ، أما السكر فقد ارتفع بنسبة ٦ر٤٧٪ وارتفعت المكيفات بنسبة ٢٥٪ للبن ، ٦ر٤٧٪ للشاى ، ٧ر٧٪ للسجاير . واذا نسبنا الزيادة الى عدد الافراد نجـــد ان النسب تنخفض عن ذلك ويبدو الارتفاع فى حدود معقولة (بالنسبة للسلع الضرورية كما يتضح من الجدول رقم (٣) :

والزيادة الواضحة فى الاستهلاك تظهرفى السلع المعمرة التى تكشف عن ظهور فئة كبيرة ذاتدخل مرتفع ويمكن أن تعلل لنا الاهتمام بزيادةالضرائب على هذه الفئة ، ورفع اسعار السلع التىتستهلكها فقد بلغت نسبة الارتفاع فى الاســـتهلاك مثلا فى الراديو خلال السنوات الخمس أكثر من ست مرات ونصف ، وفى السخانات حوالى ٤ر١٥، مرة . وزادت نسبة استهلاك التليفزيون فى السنة الخامسة بالنسبة للسنة الاولى للخطة اكثر من ٣ر٤ مرة .

جدول رقم (٢)

الزيادة فى الناتج المحلي والاستهلاك بالاســـعار الجـــارية

(مليـــون جنيـــه)

السنة	الزيادة فى الناتج المحلى	الزيادة فى الاستهلاك	النسبة ٪
١٩٦١/٦٠	٨٣	٤٩	٥٩
٦٢/٦١	٥٤	١٠٠	١٨٥
٦٣/٦٢	١٧٢	١٤٠	٨١
٦٤/٦٣	٢٠٣	١٦٢	٨٠
٦٥/٦٤	١٦٣	١٠٤	٦٤

جدول رقم (٣)

السلعة	الاستهلاك السنوى للفرد بالكيلو جرام ٦٠/٥٩	٦٥/٦٤	نسبة الزيادة ٪
قمح	١٠٧ر٧	١٢٠ر٩	١٢ر٣
ذرة شاميه	٦٢ر٧	٧٦ر٣	٢١ر٧
ذرة رفيعه	٢٤ر٨	٢٥ر١	١ر٢
سكر	١٢ر٩	١٥ر٦	٢٠ر٩
مسلى صناعى	٠ر٦٣	١ر٤٦	١٣١ر٨
زيوت نباتية	٤ر٢	٤ر٨	١٤ر٣
كيروسين	٢٨ر٧	٣٠ر٧	٧ر٠
شاى	٠ر٨٢	١ر٠٥	٢٨ر٠
بن	٠ر١٤	٠ر١٥	٧ر١

اما عن استهلاك القطاع العام فيمكن أن نستشفه من زيادة المصروفات الحكومية فى الخارج وتبينها ارقام ميزان المدفوعات فنجد أن هذه المصروفات ارتفعت من ٢٢ر٩ مليون جنيه سنة ٦٠/٥٩ الى ٣٥ر٣ مليون جنيه سنة ٦٥/٦٤ ، كما يمكن أن نستشف الزيادة من تضخم ارقام الميزانية فى بنود الصرف غير تلك الاستثمارية ، فاذا قارنا المرتبات والاجور فى ميزانية ٦٠/٥٩ بنفس البند فى ميزانية الخدمات سنة ٦٤/ ٦٥ للاحظنا أن الزيادة بلغت حوالى ثلاثة أمثالها ، وقدرت نسبة الزيادة فى المصروفات العمومية بحوالى ٤٤٪ كما قدرت نسبة الزيادة فى المصروفات التحويلية وغير المبوبة بحوالى ٤٦٪ . واذا رجعنا الى ميزانية الاعمال التى بدأت تأخذ شكلا بعد التشريعات الاشتراكية نلاحظ ان تقديرات الاجور والمرتبات زادت فى سنة ٦٥/٦٤ عنها فى سنة ٦٣/٦٢ بنسبة ٢٨٪ . وزادت المصروفات العمومية والتحويلية بنسبة ٤٧٪ .

وليس هناك شك فى ان الزيادة الكبيرة فى بنود الصرف السابقة قد ساعدت على زيادة الضغط على السلع المنتجة .

والتوازن بين الانتاج والاستهلاك امر ضرورى لضمان تحقيق التنمية بالمعدلات المرجوة فى المدى المحدد لها ، ولتخفيض الاعتماد على الخارج لما يؤدى اليه هذا الاعتماد على نطاق واسع من مشاكل اقتصادية .

والخطوة الاولى فى هذا المجال كما نعتقد هى التوازن بين الاجر والعمل ، وسد الثغرات التى يستغلها القطاع الخاص نتيجة للنقص بعض السلع لان عدم التوازن يؤدى الى ارتفاع تكاليف الانتاج ، كما يؤدى عدم تنظيم التوزيع الى السوق السوداء ، وما يرتبط بها من مشاكل . وقد ساد فى الخطة الماضية تياران لم يكونا فى صالح التنمية بشكل عام ، فالتيار الاول هو الاصرار على الحقوق المكتسبة لبعض كبار الموظفين الذين كانوا يحصلون على دخل اكبر من قيمة العمل الاجتماعى الذى يؤدونه ، والثانى استغلال دعوة الاشتراكية برفع الظلم القديم الى موجة ارتفاع فى الاجور ، واظهار ارباح لبعض المشروعات اكثر من حقيقتها .

ولمواجهة اختلال التوازن بين الانتاج والاستهلاك ، قد تصلح سياسة رفع الاسعار او ضغط الاجور فى الحد من هذا الاختلال فى الامد القصير ، غير أنها لايمكن ان تكون سياسة عامة للامد الطويل لان سلاح الاسعار سلاح ذو حدين ، فاذا كان يؤدى الى خفض الاستهلاك فقد يؤدى فى نفس الوقت الى القضاء على حوافز الادخار ، كما ان رفع الاسعار قد يثير بعض الاشكالات ، فرفع اسعار السلع الضرورية « ذات الطلب غير المرن » يؤدى الى زيادة اعباء اصحاب الدخول المنخفضة فى الوقت الذى يعمل على امتصاص قدر طيب من القوة الشرائية ، واذا رفعت الاسعار على السلع الكمالية (ذات الطلب المرن) فقد يؤدى ذلك الى انخفاض الطلب على هذه السلع ، وقد ينعكس الاثر فى زيادة الطلب على السلع الاخرى ، وقد لايفيد هذا الرفع اذا كانت السلع المطلوب تقليل استهلاكها مما لاتصلح للتصدير ، او مما لا يفيد الاقتصاد القومى لو خفض انتاجها .

اما عن ضغط الاجور فهو امر لايمكن الاخذ به بشكل مطلق ، فطالما ان هناك زيادة فى الانتاج فلا مفر من زيادة مخصص الاجور ، وانما المهم هو **ضغط الاجور فى مجال الخدمات الاستهلاكية ، او امتصاص جزء من الزيادة فى شكل ادخار او ضرائب .**

ومهما يكن من شيء فالامر الجدير بالرعاية هو تنظيم الاستهلاك بالرقابة على اجهزة التوزيع ، وتحديد القدر المخصص للاستهلاك مما ينتج المجتمع ، والرقابة على اجهزة توزيعه ، واستخدام وسيلة البطاقات اذا اقتضى الامر ، لضمان حسن التوزيع على الا يعنى ذلك تضخيم الاجهزة وضياع الفائدة المرجوة .

تعبئة الموارد والطاقات

تهدف اى خطة الى تعبئة الموارد والطاقات المادية والبشرية وحسن استغلالها ، والتخطيط ليس نشاطا فنيا أو تكنيكيا كما يتصور البعض ، ولكنه عملية اجتماعية وسياسية فى الدرجة الاولى فالكل يجب أن يشارك فى وضع الخطة وتنفيذها والرقابة عليها . والمشكلة الاساسية للخطة الاولى هى أنها تمت مكتبية ، ولم يسبقها حصر دقيق شامل للامكانيات العامة ، ولا تعبئة للجماهير لتكون على وعى بأهدافها ، ولتشارك فيها سواء بالانتاج ، أو حين استخدام الموارد ، او تنظيم الاستهلاك .

وكثيرا ما شكت أجهزة التخطيط من عدم دقة البيانات التى تأتيها من مصادر الانتاج المختلفة ، وتناقضها فى بعض الاحيان ، فظهر مثلا عند دراسة اتجاهات مستلزمات الانتاج فى مختلف الصناعات انها لاتسير على وتيرة واحدة ، فقد وجد أن الانتاج كان يزيد فى بعض المجالات ولا يقابل ذلك زيادة فى السلع الوسيطة المستخدمة كما لوحظ فى حالة الصناعات المعدنية والهندسية ، وكانت زيادة الانتاج أحيانا ترتبط بانخفاض فى السلع الوسيطة كما ظهر فى حالة الصناعات الكيماوية والوقود . .

ومشكلة دقة البيانات ليست عملية فنية فحسب ، ولكنها عملية سياسية أيضا ، ويمكن

تدارك العملية الفنية عن طريق التعليم والتدريب ، أما الناحية السياسية فتحتاج الى وعى بأهمية الدقة فيما يعطى من بيانات لما تعنيه هذه البيانات من أثر فى تشكيل الخطة وتحقيق أهدافها .

وقد قامت وزارة التخطيط أخيرا بتحليل بعض بيانات احصاءات استهلاك المواد الاولية فى سنة ١٩٦٠ فتبين لها وجود تفاوت بين الارقام المتوقعة والفعلية عند حسابها على اساس معاملات سنة ١٩٥٩ ، فاذا عرفنا ان سنة الاساس كانت ٥٩/٦٠ فمعنى ذلك أنه كان من الصعب اكتشاف الاختناقات فى الخطة الاولى الا فى المراحل الاخيرة لها .

وتقتضى الرقابة على الخطة اجراء محاسبة دقيقه لكل من يهمل فى اعطاء الصورة الحقيقية للبيانات ، سواء كان ذلك نتيجة جهل ، أو عن عمد ولعل العامل الاول فى ذلك هو محاسبة المشروعات على النتائج التى تحققها بناء على الميزانيات التقديرية التى تقدمها للتخطيط ، ويتطلب الامر أيضا تركيز الرقابة فى قطاع الاعمال على البنوك ، وفى قطاع الخدمات على ديوان المحاسبات

ويشكو بعض رجال القطاع العام من أن الخطة تصيبها تعديلات يفاجأون بها عند اقرارها ، ودون أن يكون لهم رأى فى ذلك ، وهذا الاعتراض له وجاهته ، ولكن فى نفس الوقت يحتاج الامر الى وضع قاعدة معينة للاولويات عند التنفيذ ، وعند حدوث اى تغيير فى الخطة

وقد أثير أخيرا ضرورة مشاركة الجماهير والتنظيمات السياسية فى مناقشة الخطة ، والواقع أن هذا امر هام ، غير أنه يتطلب أن توضع الخطة بشكل مبسط ، ويكون النقاش العام فى الاطار العام لها ، أما فى تفاصيل المشروعات فيمكن مناقشتها بمعرفة الوحدات الجماهيرية فى تلك المشروعات . وفى المجال الاول تبرز أهمية أجهزة الاعلام كالصحافة ، والاذاعة والتليفزيون .

ولايفوتنا فى مجال تعبئة الموارد أن نشير الى مسألة هامة ، وهى أسلوب تشغيل العاملين ، فتشكو أجهزة الانتاج بعدم تناسق الكفايات التى تقدمها معاهد التعليم مع احتياجات المشروعات الانتاجية ، مما اقتضى المناداة بضرورة تغييرمناهج الدراسة، وهناك اتجاه واضح منالدولة بالاهتمام بالتدريبفى جميع الاجهزة، وعلىمختلف المستويات من العمال الى المديرين . وقد نظمت وزارة التخطيط أخيرا مؤتمرا لمديرى الادارات المالية فى المؤسسات وشركات القطاع العام بهدف شرح مضمون الميزانيات التقديرية وأهميتها فى الخطة ، وضرورة التزام المشروعات بها ، ولاشك ان هذه الاجراءات ستحل الكثير من المشاكل التى واجهتنا فى الخطة الاولى .

غير أن المسألة يجب الا تقتصر عند حد التدريب، لان التخطيط كما ذكرنا مسألة سياسية ، ولهذا فان رفع مستوى الوعى السياسى للعاملين مسألة هامة، وهناعلينا أن نحدد دورالوحدات الجماهيرية فى المشروعات التى اختلط الامر فيها ، فتصور بعض مندوبى العاملين فى مجالس ادارةالشركات أن مهمتهم هى الدفاع عن مصالح العاملين ، واتجهت اللجان النقابية فى نفس الاتجاه ، وجرف التيار بعض لجان العشرين . وقد اتسمت الانتخابات فى هذه المجالات بمفهوم واحد وهو السعى فى الحصول للعاملين على أكبر قدر من المنافع دون مطالبتهم ببذل مجهود أكبر . ويحتاج الامر الى التأكيد والتذكير بأن زيادة الاجور دون ان تقابلها زيادة فى الانتاج ستؤدى لا محالة الى ارتفاع الاسعار ، واذا كنا سننتجه فى الخطةالقادمة الى التركيز على الصناعات الثقيلة ، فان الامر يقتضى منا مجهودا مضاعفا ، لان انتاج هذه الصناعات يحتاج الى وقت حتى يظهر ، هذا فى الوقت الذى يتعين علينا أن نوفر فيه المواد اللازمة لاقامة تلك الصناعات .

وتعبئة الموارد تقتضى ليس استغلالها بشكل طاقتها فحسب ، وانما خفض تكلفة الانتاج أيضا ، بضغط ما يمكن ضغطه من المصروفات الادارية ، والعمل على القضاء على ما قد يظهر من تبديد للموارد ، ويحضرنا فى هذا المجال اسرافمشروعات القطاع العام فى الدعاية فى الصحف فى مختلف المناسبات ، دون أن يكون هناك ارتباط بين هذه الدعاية وانتاج المشروعات . وفى الواقع ، وحتى بالنسبة للاعلانعن النشاطالاقتصادى للمشروعات علينا أن نتذكر أننا نمر بمرحلة نقص فى المعروض من السلع عن مواجهة كل المطالب ، وما معناه ان تصريف أغلب السلع لا يحتاج الى اى دعاية او اعلان .

وقد يحتاج الامر للعمل على ضغط المصروفات وضع نظام لتشجيع العاملين الذين يعاونوا ليس فى زيادة الانتاج فحسب ، وانما فى خفض التكاليف أيضا .

طريقة حساب الدخل القومى

ان ما نبذله من مجهود فى وضع الخطة والرقابة عليها قد يتبدد جزء كبير منه اذا لم نعد النظر فى طريقة حساب الدخل القومى ، فطريقة الحساب الحالية تقوم على جمع القيمة المضافة فى مختلف القطاعات السلعية والخدمات التى ينظر اليها بمعيار واحد ، مع ان بعض الخدمات لا تعطى دخلا ولكنها تمتص جزءا من الدخل . فهناك فرق مثلا بين خدمات التعليم والصحة والمرافق التى تؤدى الى المحافظة على مصدر الدخل واستمراره بل وزيادته ، والانفاق على خدمات الامن ، والقضاء وتحصيل الضرائب مثلا التى لا تنشىء دخلا بل تمتص قدرا منه .

وقد بدأ البعض يناقش ضرورة وجود توازن فى الانفاق على قطاعى الاعمال ، والخدمات ، على أساس أن القطاع الاول هو القطاع المنتج ، والثانى

هو المستهلك . واعتقد ان المناقشة يجب ان تبدأ في طريقة حساب الدخل القومي . فلا يحسب فيه مثلا الا الدخل الناشيء من عمليات ذات انتاج مادي ، اما الخدمات فيجب أن يجتزأ منها بتلك الخدمات التي تعين في عملية الانتاج . لان مايهمنا في النهاية هو السلع المادية التي نستهلكها والخدمات المتعلقة بها . فيضاف الى الدخل مثلا الجزء الخاص بنقل الخامات الى مجالات الانتاج ، ونقل السلع المصنوعة للسوق ، ولا تدخل فيه خدمات نقل المواطنين مثلا ، وكذلك علينا ان نجتزيء من القيمة المضافة في التجارة بذلك الجزء اللازم لتهيئة السلع لعرضها للاستهلاك. أما الخدمات الترويحية والتنظيمية ، وخدمات الامن والعدالة ، والخدمات الشخصية ، فمن الاسلم عدم حسابها في الدخل القومي ، وانما تؤخذ في الحسبان باعتبارها اعباء على الدخل ؛ وفي هذه الحال يمكن ضغطها في أضيق الحدود .

وفي الخاتمة لايمكننا انننكر انهناك مجهودات ضخمة قد بذلت خلال الخطة ، وان النتائج التي وصلنا اليها مشجعة على أي حال ، وللدلالة على ذلك سرعة تطور المجتمع في فترة قصيرة وقدرته على مواجهة الكثير من التحديات بالرغم من حداثة الاخذ بأسلوب التخطيط ، والعمل على تحقيق أهداف معينة في مرحلة اتخذت فيها الكثير من اجراءات التحول الاشتراكي .

وفي الجداول المرفقة ما يعطي صورة سريعة عن نتائج الخطة الخمسية الاولى .

جدول رقم ((١)) الناتج المحلي والا ستهلاك والادخار في الخطة بالاسعار الجارية

السنة	الناتج المحلي	الاستهلاك	الادخار	نسبة الادخار إلى الناتج المحلي ٪
٦٠/٥٩	١٣٧٦	١٢٠٠	١٧٦	١٢٫٨
٦١/٦٠	١٤٥٩	١٢٤٩	٢١٠	١٤٫٤
٦٢/٦١	١٥١٣	١٣٤٩	١٦٥	١٠٫٩
٦٣/٦٢	١٨٨٨	١٦٥١	٢٣٧	١٢٫٥
٦٥/٦٤	٢٠٥١	١٧٦٢	٢٨٨	١٤٫٠

جدول رقم ((٢))
الاستثمار والادخار في الخطة بالاسعار الجارية

((مليون جنيه))

السنة	الاستثمار	الادخار	العجز
٦١/٦٠	٢٢٦	٢١٠	١٦
٦٢/٦١	٢٥١	١٦٥	٨٦
٦٣/٦٢	٣٠٠	١٩٦	١٠٤
٦٤/٦٣	٣٧٢	٢٣٧	١٣٥
٦٥/٦٤	٣٦٤	٢٨٨	٧٦

جدول رقم " ٣ "
توزيع الاستثمار فى الخطة
بالأسعار الجارية

"مليون جنيه"

القطاع	٦٠/٥٩	٦٠ / ٦١ ٦٤ / ٦٥	التوزيع النسبى ٪
الزراعة	١٦,٧	١١٨,٤	٧,٨
الرى والصرف	٨,٦	١٣٨,٠	٩,١
السد العالى	٤,٢	٩٨,٦	٦,٥
الصناعة	٤٩,٣	٤٠٣,٩	٢٦,٧
الكهرباء	٦,٢	١١٢,٦	٧,٤
التشييد	—	١٣,٢	٠,٩
مجموع القطاعات السلعية	٨٥,٠	٨٨٤,٧	٥٨,٨
قطاعات الخدمات	٨٦,٤	٦٢٨,٣	٤١,٦
المجموع الكلى	١٧١,٤	١٥١٣,٠	١٠٠,٠

جدول رقم " ٤ "
توزيع الدخل القومى
بالأسعار الثابتة

"مليون جنيه"

القطاع	٦٠/٥٩	٦٥/٦٤	نسبة الزيادة ٪
الزراعة	٤٠٥,٠	٤٧٧,٠	١٧,٨
الصناعة	٢٥٦,٣	٣٨٥,٠	٥٠,٢
الكهرباء	٩,٨	٢٢,٤	١٢٨,٦
التشييد	٤٧,١	٩٢,٦	٩٦,٦
القطاعات السلعية	٧١٨,٢	٩٧٧,٠	٣٦,٠
قطاعات الخدمات	٥٦٧,٠	٧٨٥,٢	٣٨,٥
المجموع الكلى	١٢٨٥,٢	١٧٦٢,٢	٣٧,١

جدول رقم "٥"
التغير النسبي في الأجور

"النسبة في المائة"

القطاع	٥٩ / ٦٠	٦٤ / ٦٥
الزراعة	٢٤,٢	٣١,٧
الصناعة	٣٤,٦	٣٥,٣
الكهرباء	٢٤,٥	٢٠,٣
التشييد	٦٣,٥	٥٨,٠
القطاعات السلعية	٣٠,٥	٣٥,٢
قطاعات الخدمات	٥٨,٢	٦١,٨
المجموع	٤٢,٨	٤٦,٧

الفرق بين هذه الأرقام والمائة في كل سنة ، وكل قطاع تمثل نصيب عوائد التملك "الريع والربح والفائدة"

جدول رقم "٦"
تطور العمالة

"بالألف"

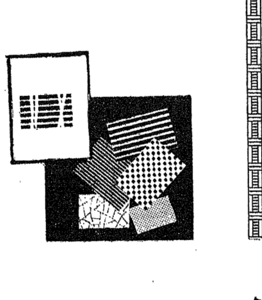
القطاع	٥٩ / ٦٠	٦٤ / ٦٥
الزراعة	٣٢٤٥	٣٧٨٠
الصناعة	٦٠٢	٨٢٥
الكهرباء	١٢	١٨
التشييد	١٨٥	٣٤٥
القطاعات السلعية	٤٠٤٤	٤٩٦٨
قطاعات الخدمات	١٩٦٢	٢٣٦٥
المجموع	٦٠٠٦	٧٣٣٣



ثورة يوليو وأبعادها العربية والافريقية والدولية

خصصت ((الطليعة)) عددها الخاص – يوليو ١٩٦٥ – لالقاء الاضواء على حركة العمل الثورى لشعب الجمهورية العربية المتحدة فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، منذ تفجرت ثورة ((يوليو ١٩٥٢)) وقد عالجت فى دراستها هذه واقع ومشاكل الثورة بمراحلها المختلفة مركزة بصورة خاصة على جوانب النطبيق المصرى للاشتراكية العلميـة ، التى تبناهـا شعبنا منهاجا للتطور وسبيلا للتقدم .

وقد تعهدت ((الطليعة)) حينئذ بتخصيص دراسة ترسم فيها صورة للابعاد العربيةوالافريقية والعالمية لثورة يوليو . ونحن اذ ننشر هذه الدراسة فى العدد الحالى ، راعينا ان نقدمها من وجهة نظر مناضلين من خارج الجمهورية العربية المتحدة ، يكافحون فى الوطن العربى وافريقيا وعالم عدم الانحياز ، يحسون بصدى الثورة المصرية ووقعها على الشعوب وحركات التحررالوطنى والسلام العالمى ، ويتفاعلون معها ويستندون الى تأييدها وتأثيرهـا فى تدعيم روح التضـامن والنضال المشترك من أجل تصفية بقايا النفوذ الاستعمارى ، وتبادل الخبرات فى مجـال القضاء على الاستغلال ومغالبة التخلف وبناء مستقبل مشرق للانسانية



رؤية قومية للواقع العربي

عبد الله الطريقى ، واحد من ابرز الخبراء الدوليين لشئون البترول ، وقد تخرج من كلية علوم القاهرة . ثم حصل على ماجستير من جامعة تكساس وشغل عدة مناصب فى شركات البترول حتى وصل الى منصب مدير عام للبترول فى السعودية ثم عين وزيرا للبترول. واثناء وزارته عقد اتفاقا مع الشركات اليابانية عرف باسم « اتفاق الطريقى » تحصل السعودية بموجبه على ٥٦ ٪ من العائد . وبذلك كسر قاعدة المناصفة لاول مرة. كما لعب دورا أساسيا فى تكوين منظمة الدول المصدرة للبترول « الاوبك »

وكان الطريقي قد كون مع زملائه من وزراء السعودية وبعض الامراء المتنورين ، مجلسا اعلى للتخطيط وضع لإصلاح الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية . ولكن فيصل ـ نائب الملك حينئذ ـ رفض هذه الاقتراحات بل ورفض التصويت عليها فى مجلس الوزراء . مما دفع الطريقى وأربعة من زملائه الوزراء الى الاستقالة . ثم [illegible] الطر[illegible] بيروت حيث انشأ مكتبا للاستشارات البترولية ،يقدم خبرته لكل الحكومات العربية

وينادى الطريقى بتأميم البترول العربى . وقد جعل شعار مجلة « البترول العربى » التى يصدرها فى لبنان ،« بترول العرب للعرب » .

عبدالله الطريقى

كان كل شيء فى الوطن العربى من محيطه الى خليجه معدا لقيام ثورة تقود جماهيره الى حياة افضل وتغسل عن الامة العربية عار الهزيمة فى فلسطين . وكانت الجماهير العربية فى كل مكان قد خدعت من الاستعمار أو البست العار نتيجة لتصرفات حكومات ، اما ضالعة مع الاستعمار فى اذلالها ، أو جاهلة ضعيفة لا تملك من امرها شيئا . وكانت الامة العربية قد خرجت من حربين عالميتين قدمت لها فيها الوعود بالاستقلال والحرية بعد مساهمة اقطارها فى مجهود الغرب لكسب حربين عالميتين . وكانت البحار والاجواء والاراضى والمدن العربية واقعة اثناء القتال تحت سيطرة الحلفاء الذين أثبتوا فى كل مرة انهم لا يقيمون وزنا لوعودهم . **فبعد الحرب العالمية الاولى** كانت البلاد العربية اما محتلة بالجيوش الاجنبية كما هى الحال فى الدول العربية فى شمال افريقيا ، أو شبه

مستقلة مع وجود الجيوش الاجنبية فى اراضيها ، كمصر والعراق وبعض دول المشرق العربى . **وبعد الحرب العالمية الثانية** حاول الغرب المحافظة على اوضاعه فى الاراضى العربية مع تغيير اسلوبه فى المعاملة . ولكن شعوب الامة العربية سواء اكانت فى المشرق العربى او فى مغربه كافحت كفاحا مريرا للتخلص من الاستعمار الغربى بجميع انواعه وللسيطرة التامة على جميع مقدرات الامور فى بلادها . وكانت القشة التى قصمت ظهر البعير هى هزيمة جيوش سبع دول عربية على ارض فلسطين وتشريد مليون انسان عربى والقائهم فى الصحراء واحتلال تلك الارض المقدسة بجيوش أتت من البحر مزودة باسلحة وتشجيع ومعاونة ساسة الغرب وحكوماتهم .

لقد كان واضحا أن الانسان العربى ، بعد أن خانه الساسة والحكام والملوك العملاء للغرب الضالعين فى خيانة امتهم والمتواطئين مع الاستعمار لبناء دولة اسرائيل والمساهمة فى اقتطاع نصيب من الاسلاب ، لن يقف مكتوف الايدى ، ولابد أن يثور لكرامته وعزته وشرفه الذى دنسه أولئك الجبناء من مشردى الافاق الاوربية والامريكية . وانتظر العرب والعالم ان يثور بركان الكرامة العربية فى أى وقت . ولحسن حظ الامة العربية وتوفيق الله لها ان ثار بركان الكرامة العربية فى القاهرة عاصمة العروبة الخالدة والتى لعبت فى الماضى اخطر الادوار التاريخية فى حياة العرب ، فمنها قام صلاح الدين الايوبى وحرر فلسطين ، ومنها قامت الجيوش التى اوقفت الزحف التتارى الذى كان يهدد افناء الحضارة العربية والاسلامية وقد كانت على الدوام بمثابة الرأس والقلب للامة العربية كلها ، وبدونها يفقد العرب فى مغربهم وفى مشرقهم الاتصال المباشر ببعضهم .

وثورة ٢٣ يوليو لايمكن اعتبارها مجرد ثورة مصرية قامت للقضاء على الحكم الملكى وتسلم ضباط الجيش مقاليد الحكم ، بل ثورة عالمية لانها لم تقلب الأوضاع رأسا على عقب فى مصر وحسب بل أثرت على مجرى الامور فى البلاد العربية سواء أكان ذلك فى شمال افريقيا أو فى آسيا . كما أنها أصبحت مثالا يحتذى به فى الدول الافريقية والاسيوية وبعض دول امريكا اللاتينية . انها ثورة مثقفة أصيلة ذات رسالة مصممة على تحقيقها بالعلم والصبر والعمل . وقد نجحت فى تحقيق جزء كبير من رسالتها فى الداخل وفى الخارج . وحتى لانتهم بالعاطفة والتحمس سنأتى الى لغة الوقائع والأرقام لنرى كيف استطاعت هذه الثورة أن تحقق من الانجازات فى الداخل وفى الخارج وفى فترة قصيرة ما لم تستطع الانظمة الاخرى تحقيقه فى عشرات السنين

لقد كان الشعب العربى فى مصر قبل الثورة ، يعيش فى حالة يأس . فالحالة الاقتصادية متدهورة والجيش البريطانى لايزال متمركزا فى منطقة القناة والجو السياسى ملبد بالغيوم والجماهير فقدت ثقتها بالاحزاب التقليدية وأخذت تبحث عن شئ جديد يغير معالم الحياة فى البلاد . فالوفد الذى كانت الاغلبية العظمى من الشعب تلتف حوله قد فقد ثقة واحترام المثقفين واهل الرأى لتسرب الفساد والانانية الى الصفوف الاولى من قادته ولسماحه لنفسه بأن يتسلم الحكم بأمر من الانجليز فى عام ١٩٤٢ عندما حاصر السير مايلز لامبسون قصر الملك فاروق بالدبابات وطلب منه تعيين مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد رئيسا لمجلس الوزراء .

كما ان الملك فاروق نفسه الذى كان موضع عطف عندما تولى الملك فى عام ١٩٣٦ (١) قد تحول الى انسان متوحش لا هم له الا اشباع نزواته وشهواته . وكان يقضى معظم اوقاته فى لعب الميسر محاطا بمجموعة من المنحلين الذين لاتربط معظمهم بالشعب المصرى اية رابطة مما زاد من غضب الشعب عليه فمنع عنه ثقته ولم يعد يوليه حبه واحترامه . ولما قامت حرب فلسطين بين العرب والصهاينة ، ظهر بكل جلاء أن الجيش المصرى لم يكن معدا للقتال بل للاستعراضات واداء التحية لفاروق وحمايته من الشعب فقط . وكانت الاسلحة التى دخل بها فلسطين ليحارب الصهاينة من النوع القديم الفاسد الذى اشترك بعض رجال حاشية الملك فى شرائها من الخارج . وهذا زاد من نقمة الشعب على الحكومة وعلى الملك . وقد حاول الشعب المصرى اظهار غضبه على الحكومة وعلى الانجليز الذين كانوا لايزالون يحتلون منطقة قناة السويس ، فبدأ حرب عصابات معهم بعد فشل حكومة الوفد ، التى أتت بعد هزيمة فلسطين فى اقناع الانجليز بالرحيل عن مصر مما اضطرها لاعتبار معاهدة ١٩٣٦ التى بموجبها يحتل الانجليز منطقة القناة باطلة . وهكذا نرى ان الشعب المصرى قد بدأ ثورته على الوضع ولكنه كان بحاجة الى قيادة منظمة توجه نشاطه وتنظم صفوفه . فلما قام ابطال ثورة ٢٣ يوليو لم يكونوا يمثلون فقط غضبة رجال الجيش الذين كانوا من أكثر فئات الشعب المصرى نقمة على الوضع بعد ان أظهرت لهم حرب فلسطين — بالرغم مما أبدوه من شجاعة فردية نادرة — انهم قد خدعوا وعرضوا لاهانات وهزائم كان يمكن الا تحدث

(١) جاء تولى فاروق الملك بعد مرحلة قاسية من الحكم الارهابى المقترن باعنف انواع السلطة المطلقة للملك فؤاد وحكومات الاقلية المعادية لابسط مقاييس الديمقراطية مثل توفيق نسيم واسماعيل صدقى ومحمد محمود ، مما حمل بعض فئات الشعب على عقد آمال — تحت تأثير دعاية واسعة أيضا — على توليه الحكم سرعان ما اتضحت حقيقته من واقع تصرفاته فانفض عنه الشعب بأجمعه حتى انه عندما أطاحت به الثورة فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ لم تترك مشاعر فرد واحد من ابناء الشعب تعاطفا معه .

لولا ما تعرض له الجيش من خداع وخيانة واهمال بل كانوا يعبرون عن رغبة شعبية عميقة . وهكذا التقت ارادة الجيش وارادة الشعب . فلما تحرك الجيش فى صباح يوم ٢٣ يوليو من عام ١٩٥٢ لم يجد امامه أية مقاومة وفتح الشعب له ذراعيه والتحمت ثورة الشعب بثورة الجيش وسارا يدا واحدة الى الامام لتحقيق الانجازات التى كانت تعتبر فيما مضى من المستحيلات كبناء السد العالى ، وتأميم قناة السويس ، وتنفيذ مشروع الاصلاح الزراعى ، واصدار قوانين التأميم فى عام ١٩٦١ ، ونجاح الخطة الخمسية الاولى ، وبناء الصناعات الثقيلة ، وزيادة الاراضى القابلة للزراعة ، والتوسع فى التعليم ومضاعفة الطاقة الكهربائية والتوسع فى وسائل العناية الصحية ، ومضاعفة عدد المستشفيات . هذا فى الداخل ، أما انجازات الثورة فى الوطن العربى كله ، فلا تقل جلالا عما فعلته للشعب المصرى . فالايدى التى هزت عرش فاروق واسقطته عنه ، هزت فى نفس الوقت عروشا أخرى . فبعضها سقط صاحبها وداست عليها الجماهير العربية الهادرة ، وبعضها الاخر تدحرج أصحابها وأصبحوا فى حكم الاموات . أما من بقى منهم فلم يعودوا ينظرون الى شعوبهم على اعتبار انهم جزء من ممتلكاتهم الخاصة بل اصبحوا يتنافسون فى اعطاء الوعود لهم بتحسين الاحوال . وطالما ان الثورة العربية قائمة فان هذه الحكومات لابد وأن تحقق وعودها وتسير مع التيارات الاصلاحية السائدة ويكون مصيرها مصير الذين أبوا أن يصدقوا ان ثورة ٢٣ يوليو ثورة عربية عارمة لا يستطيع مقاومة تأثيرها على الشعوب العربية الا الذين فى قلوبهم وقر .

وسأحاول فى الاسطر التالية بيان الانجازات التى حققتها الثورة فى مصر ، وفى المجال الخارجى لاسيما فى العالم العربى . وكذلك الصعوبات والعقبات التى اعترضت سبيل الثورة فى الداخل وفى الخارج وأراد الله لها النجاح فى التغلب عليها جميعها .

أثر الثورة فى المجال الداخلى

عندما تسلم الثوار الحكم كان فى الميزانية المصرية عجز قدره ٣٨ر٨ مليون جنيه مصرى . وكانت الحالة الاقتصادية فى وضع لا تحسد عليه ، ففتحت الثورة قلبها لجميع طبقات الشعب وارادت مخلصة التعاون معهم لتحسين الاحوال ورفع مستوى المعيشة . وكانت الحالة تحتاج الى اجراءات قوية وصارمة ، ولكن الثورة لم ترد اللجوء الى العنف وحاولت تحقيق أغراضها باللين واعطاء نفسها وقتا كافيا لدراسة الوضع الاقتصادى والاستفادة من الخبرة الداخلية والخارجية لتحسين الاحوال .

الاصلاح الزراعى

كان اول اجراء ثورى لجأت اليه الثورة اصدار قانون ٩ سبتمبر لعام ١٩٥٢ الخاص بالاصلاح الزراعى . وكان هذا القانون يعتبر اجراءا معتدلا جدا . فقد قرر القانون أن يحتفظ كل مالك من أصحاب الاملاك الكبيرة بـ ٢٠٠ فدان يضاف اليها ١٠٠ فدان أخرى اذا كان لديه ولدين أو أكثر بواقع خمسين فدانا لكل ولد . وفى عام ١٩٦١ عدل هذا القانون بحيث أصبح ما يملكه الفرد الواحد لايزيد عن مائة فدان ، على ان يكون هذا الحد شاملا للاسرة كلها أى للاب والام وأولادهما القصر قبل عام ١٩٧٠ .

كان طبيعيا ان تولى الثورة اهتمامها بالزراعة والمزارعين . فالزراعة كانت مصدر الثروة القومية . والمزارعون يشكلون اكثر من ٧٠٪ من عدد السكان . وكانت الارض موزعة بطريقة مجحفة بداها محمد على وأيدها الاستعمار الانجليزى . وكانت اية ثورة لا تولى هذه المسألة اهتمامها لا يمكن اعتبارها ثورة شعبية تشارك الشعب شعوره وتتحسس ما يعانيه من ظلم طال عليه الامد . فالارض القابلة للزراعة فى مصر لاتزيد مساحتها على ستة ملايين فدان كانت موزعة بحيث أن ١٠٠ر١٨ر٢ من الفلاحين يملك كل منهم اقل من فدان واحد ، وهؤلاء يمثلون ٧٢٪ من عدد ملاك الاراضى ، ومع ذلك فانهم لم يكونوا يملكوا اكثر من ١٣٪ من المساحة المزروعة . وكانت هناك ٥ر١ مليون عائلة يبلغ عدد افرادها ٨ ملايين شخص لا تملك أى شبر من الارض بينما كان يوجد ٢٨٠ شخصا يملكون فيما بينهم ٥٨٣٤٠٠ فدان ويخص افراد العائلة المالكة من هذه الاراضى ١٧٨٠٠٠ فدان .

ونتيجة لتطبيق قانون الاصلاح الزراعى الذى صدر فى ٩ سبتمبر عام ١٩٥٢ والتعديل الذى أدخل عليه فى عام ١٩٦١ ، فان مساحة من الارض المزروعة تقدر بحوالى مليون فدان أو ١٧٪ من مجموع الاراضى المزروعة تنتقل ملكيتها الى حوالى ٢٥٠ الف عائلة من الفلاحين ، هذا عدا الاراضى التى تم اصلاحها والاراضى التى يتم اصلاحها طبقا للخطط الخمسية وكذلك الاراضى التى سيمكن استثمارها بعد اتمام بناء السد العالى وتكوين بحيرة ناصر . وتقدر هذه كلها بحوالى مليونى فدان ، كما يقدر بعض الخبراء أنه سيكون فى الامكان فى مطلع عام ١٩٧٠ وما بعده ان تصبح مساحة الاراضى التى تزرع فى وادى النيل والوادى الجديد بالجمهورية العربية المتحدة عشرة ملايين فدان . كما يجب أن نلاحظ ان قيمة الاقساط السنوية التى يدفعها الفلاحون ثمنا لتملكهم أرضهم هى أقل مما كانوا يدفعونه ايجارا سنويا لاصحاب

الاراضى (٢) . وقد جنى الفلاح نتيجة لهذا الاجراء زيادة فى دخله قدرت بحوالى خمسين فى المائة (٥٠٪) من هذا الدخل .

السـد العـالى

ان بناء السد العالى وخزن كميات كبيـرة من مياه النيل التى كانت تذهب كل سنة الى البحر الابيض المتوسط وراء سد عال والتحكم بها ؛ وكذلك منع النيل أثناء فيضانه غير العادى من جرف الاراضى الزراعية واغراق المحصولات حلم راود مخيلة المهندسين المصريين منذ أواخر القرن التاسع عشر . وقد وضعت الدراسات اللازمة ونفذ جزء من الفكرة عندما اقيم سد اسوان ، ولكن ظلت فكرة السد العالى الذى سيزيد اراضى مصر الزراعية مليون فدان وسيضاعف الطاقة الكهربائية عدة مرات ، ويمكن بواسطته السيطرة التامة على مياه النهر العظيم ، ظلت الحلم الذى يجب ان يصبح حقيقة . وقبل الثورة كانت كل حكومة تريد زيادة شعبيتها تخرج ملف السد العالى وتبدأ بالكلام عنه لتلهب خيال المصريين وتزيد من لهفتهم . وقد ظل الحلم حلما حتى قامت فى مصر ثورة ٢٣ يوليو ، وكان من اول ما فكر به قادة الثورة ، بنـاء السد العالى بأى ثمن . وما كان للسد العالى ان يبدأ العمل به لولا تصميم قادة الثورة وايمانهم العميق بأن بناء السد ضرورة حتمية اذا ما أريد للاقتصاد المصرى ان ينمو نموا طبيعيا مستثمرا كل الامكانيات الطبيعية فى البلاد . ولم تكن حالة مصر المـالية تمكنها من بناء السد وحدها فلجأت الى الخارج لتطلب من الدول الصديقة المعاونة المادية والفنية وقد بدأ ساسة الغرب وعلى رأسـهم « جون فوستر دالاس » و « انطونى ايدن » سلسلة طويلة من المناورات وأسـاليب الخداع والوعود التى حنثوا بها كلها انتهت برفض امريكا وانجلترا والبنك الدولى تقديم المعاونات والقروض لمصر لبناء السد العالى بعد أن كانوا قد وعدوا بذلك كما سنرى . ولكن الثورة المؤمنة برسـالتها والتى لم تستطع أية عقبة أن تقف أمامها ، اتجهت الى مصدرين لتنفيذ مشروعها : **اولهما** تأميم قناة السـويس المصرية واستعادة ملكيتها من المستغلين الاجانب الذين استولوا عليها بأساليب لايمكن اعتبارها شريفة ، واستغلال موارد القناة فى بناء السـد العالى . **أما الجهة الاخرى** التى اتجهت اليهـا مصر فقد كانت الاتحاد السوفييتى الذى أظهـر استعداده التام للمعاونة . وفعلا تم الاتفاق بين الطرفين وبدأ تنفيذ السد . وفيما يلى ما يقدره الخبراء عن تكاليف السد وفوائده للاقتصـاد فى الجمهورية العربية المتحدة :

الزيادة المرتقبة فى الدخل القومى

مقدرة بملايين الجنيهـات المصرية

اولا	سيكون بالامكان بعد اتمام جميع مراحل بناء السد وتكوين بحيرة ناصر التى يقدر طولها بحوالى ٣٠٠ميل تخزين ١٣٠٫٠٠٠ مليون مترمكعب من الماء وستزيد مساحة الارض المزروعة بحوالى ٢٥٪ . كما يحول ٧٠٠ الف فدان منرى الحياض الى الرى المثمر	٦٣
ثانيا	ضمان وجود مياه كافية للرى حتى فى السنوات التى يكون الفيضان فيها منخفضا ، وهذا سيساعد على تحسين الصرف ويضـمن زراعة مليون فدان من الارز سنويا .	٥٦
ثالثا	حماية الاراضى الزراعيـة من الفيضانات	١٠
رابعا	تحسين المواصلات النهرية	٥
خامسا :	توليد ما يعـادل عشرة آلاف كيلووات ساعة	١٠٠
	المجموع	٢٣٤

وقد قدرت تكاليف بناء السد العالى وتركيب أجهزة توليد الكهرباء وبناء القنوات اللازمة لتحسين وسائل الرى بـ ٤٠٤ مليون جنيه مصرى . وهذا معناه أنه يمكن استرداد جميع ما صرف على السد من اموال فى اقل من سنتين بعد نهاية العمل وبداية الاستثمار . كما سيكون لدى الجمهورية العربية مولدات كهربائية طاقتها ١٦٫٥ بليون كيلووات ساعة . وبهذا يصبح معدل نصيب الفرد من الطاقة الكهربائية (٥٢٥) كيلوات ساعة بينما معدل نصيب الفرد فى العالم (٦٠٠) كيلوات ساعة .

تأميم قناة السويس

يقول الله تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » . لقد كان تراجع الغرب بأسلوب مشين عن المساعدة فى تمويل السد العالى بعد أن وعد بذلك دافعا لقيادة الثورة على أن تقدم على تأميم شركة قناة السويس واعادة الحق الى أهله . فقد بنى المصريون القناة ولكنهم خسروها نتيجة لعبث واستهتار حكامهم الاجانب . وقد أعطى « جون فوستر دالاس » بتصرفاته الرعناء الفرصة

(٢) بمقتضى القانون ١٢٨ لسنة ١٩٦١ خفض الى النصف مالم يؤد من ثمن الارض الموزعة او التى توزع على المنتفعين كما خفضت الفوائد المستحقة عليهم بمقدار النصف .

المناسبة لرجال الثورة لان يثبتوا للعالم بأنهم مصممون على استرجاع حقوق بلادهم المغتصبة، وانه لاتوجد صعوبات يمكنها ايقاف زحفهم لتحقيق أهدافهم .

كانت قناة السويس شريان الحياة لاوروبا وآسيا ، والمصريون لايكادون يشعرون بوجودها . ففوائدها للاجانب ، ووظائفها للاجانب ، وادارتها للاجانب ، ودخلها النقدى للاجانب ، وما كان دخل مصر السنوى منها يزيد عن خمسة ملايين جنيه مصرى . وكما نعلم وضعت مصر المستقلة يدها عليها فى يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ووعدت مالكى الاسهم بالتعويض العادل ونفذت مصر الحرة وعدها قبل المدة المقررة بسنة ، وادارت القناة بطريقة افضل من الطريقة التى كانت تدار بها قبل التأميم ، وذلك بفضل كفاءه رجالها وعلى راسهم المهندس محمود يونس . واصبح نجاح هيئة القناة مثار فخر لكل العرب. وفيما يلى بعض الارقام التى تدل على مدى نجاح الادارة العربية :

- فى عام ١٩٥٥ عبر القناة ١٤٫٤٦٦ باخرة ، اما فى عام ١٩٦٥ فان عدد البواخر التى عبرت القناه بلغ ١٩١٥٠ باخرة .
- قبل التأميم كانت اكبر ناقلة بترول يمكنها المرور فى القناة هى من النوع الذى لاتزيد حمولته عن ٣٠ الف طن ، اما الان فان الناقلات التى حمولتها ٧٠ الف طن يمكنها العبور بسهولة ، بعد تعميق وتوسيع مجرى القناة .
- يمكن للناقلات التى غاطسها ٣٨ قدما وطولها ١٠٠٠ قدم العبور بالقناة ، ومن المنتظر أن يتم تعميق القناة بحيث يصبح بالامكان استقبال ناقلات غاطسها ٤٠ قدما قبل عام ١٩٧٠، مع العلم بأن ٢٥٪ من طول القناة قد تم فعلا تعميقه الى ٤٠ قدما .
- بلغ دخل الدولة من واردات المرور بالقناة منذ عام ١٩٥٧ حوالى ٥٠٢ مليون جنيه مصرى ، صرف منها على التوسع فى تحسين القناة وانشاءاتها حوالى ٢٠٪ من هذا المبلغ .
- بعد عام ١٩٧٠ سيكون من الممكن مرور ناقلات تزيد حمولتها عن ١٠٠ الف طن بالقناة ، وربما اسفرت الدراسات التى تعمل الان عن امكانية توسيع وتعميق القناة بحيث تستقبل أكبر عدد من مختلف انواع الناقلات الجبارة .
- قامت الهيئة العامة للقناة ببناء حوضين لبناء السفن احدهما على شواطىء بحيرة التمساح والاخر فى بورسعيد ، كما قامت ببناء بعض المصانع كمصنعى البلاط الاسفلتى ومصنع المصابيح الكهربائية .
- بلغ عدد موظفى هيئة القناة حوالى ٤٠٠٠ موظف غالبيتهم العظمى من المصريين بينما كان الامر قبل التأميم العكس تماما .

التعليم

تؤمن الثورة انه لايمكن زيادة الانتاج ورفع مستوى المعيشة الا بنشر التعليم الى اوسع مدى ، فقامت ببناء المدارس بحيث اصبحت تبنى ما معدله مدرسة فى كل يوم من أيام السنة تقريبا . وقد زاد تبعا لذلك عدد التلاميذ الذين يؤمون المدارس وارتفع عددهم من ١٫٩٠٠٫٠٠٠ تلميذ فى عام ١٩٥١ الى ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ تلميذ فى عام ١٩٦١ وعددهم يقدر بحوالى ٤ ملايين تلميذ . كما ارتفع عدد طلاب الجامعات من ٣٨ الف طالب فى عام ١٩٥١ الى ٥٣ الف طالب فى عام ١٩٦١ وافتتحت جامعتان جديدتان هما جامعتا عين شمس واسيوط . كما ارتفع عدد طلاب المدارس المهنية من ١٥ الف طالب فى عام ١٩٥٣ الى حوالى ١٠٠ الف طالب فى الوقت الحاضر .

الصحة

فى الميزانية المصرية لعام ١٩٥١ — ١٩٥٢ كان البند المخصص لوزاره الصحة ١٫١٠ مليون جنيه مصرى ، اما فى عهد الثورة فكان فى عام ١٩٦٣ — ١٩٦٤ ، (٣١٫٢) مليون جنيه مصرى ، وفى عام ١٩٦٤ — ١٩٦٥ ارتفع الى ٤٤٫٣ مليون جنيه مصرى . وفى عام ١٩٥١ كان هناك ٥٢٠٠ طبيب أو بمعدل طبيب واحد لكل ٤٠٠٠ شخص ، اما فى عام ١٩٦٤ فكان هناك ١٣٠٠٠ طبيب أو بمعدل طبيب واحد لكل ٢٠٠٠ شخص .

وفى عام ١٩٥١ كانت نسبة الاسرة المتوفرة فى المستشفيات تعادل سريرا واحدا لكل ٦٠٠ شخص اما الان فيوجد فى المستشفيات ٥٧٠٠٠ سرير أى ما يعادل سرير واحد لكل ٤٨٢ شخص . كما يجب أن يلاحظ أن استهلاك المواد الغذائية فى الجمهورية العربية المتحدة زاد الى حوالى ١٠٪ فى العام بينما متوسط الزيادة السنوية فى عدد السكان تتراوح بين ٢٫٥٪ و ٢٫٨٪ .

الاقتصاد

عندما قامت الثورة كان كل شىء فى مصر يسير على أساس نظام الاقتصاد الحر بشكله المطلق مع جميع ما يرتبط بذلك من مساوىء : فالتجارة حرة وبيد الافراد . والصناعات الصغيرة التى كانت قائمة يملكها الافراد ، وكانت حصيلتها لا تمثل أكثر من عشرة فى المائة من الدخل القومى . اما الزراعة

فقد كانت تتمثل فيها الاقطاعية بأبشع صورها . وبعبارة اخرى كان نظام الغاب سائدا حيث يأكل القوى الضعيف . والضحية الكبرى فى هذا كله كان الانسان المصرى العادى سواء أكان فلاحا او عاملا . وقد اضطرت الثورة فى السنوات الاولى ان تعمل ببطء وبمالديها من امكانيات مادية وبشرية . ويرجع ذلك الى عدة اسباب منها : ان معظم من اعتمدت عليهم من المثقفين والخبراء هم ممن تأثروا بالراسمالية الغربية وابناء المدرسة التى قام على أكتافها الاقتصاد الراسمالى والاقطاع قبل الثورة . ولهذا فان تجاوبهم مع افكار رجال الثورة كان بطيئا نسبيا . وكان ما تحقق فى تلك الفترة من تقدم فى جميع المجالات الاقتصادية والعلمية والصناعية ما عدا قانون الاصلاح الزراعى شيئا عاديا . ولـــكن بعد ان رسخت أقدام الثورة واكتسب قادتهـــا خبرة أوسع بأحوال البلاد وفيما يجرى فى البـــلاد الاخرى ، وبعد ممارسة الضغط الغربى على الثورة (الذى انتهى بالاعتداء على بورسعيد) لتحويلها لصالح الغرب وجعلها تسير فى ركابه ــ قررت الثورة بأن تسير بخطى اوسع نحو تغيير معـــالم الحياة بمصر واحـــداث تغيير جذرى فى الاسس الاقتصادية التى سارت عليها البلاد . فبعد تأميم قناة السويس وتمصير جميع المصالح الاجنبية فى اعقاب الاعتداء على بورسعيد وتأميم المصالح الاجنبية والمصرية فى عام ١٩٦١ اصبحت الدولة هى المسيطرة على وسائل الانتاج الرئيسية فى البلاد ، كما اصبحت المهيمنة على وسائل الخدمات العامة كالصحة والتعليم والخدمات الاجتماعية الاخرى . وهـــكذا سارت الثورة بأسرع خطى ممكنة لتحقيق التطبيق العربى للاشتراكية الذى ساوى بين المواطنين فى الخدمات وقلل بشـــكل ملحوظ من الفوارق بين الطبقات ، وأخذ المصريون لاول مرة فى تاريخ وادى النيل يتجهون نحو حياة يصبح الناس فيها سواسية كأسنان المشط . وتدلجأت الثورة الى اتباع طريقة الخطة بحيث تحدد برنامجا للتنمية وتضع له مدة يتم فيها التنفيذ وتدبير المـــال اللازم لذلك عن طريق القروض الاجنبية والضرائب المحلية ومن ميزانية الدولة . وقد صمم رجال الثورة على تطبيق الخطة بحيث يتضاعف الدخل القومى فى عشر سنوات وأن تتحقق زيادة قدرها ٤٠٪ فى السنوات الخمس الاولى . وقد نجحت خطة التنميـــة الاولى التى بدأت فى عام ١٩٦٠ وانتهت فى يونيو من عام ١٩٦٥ نجاحا عظيما . ويبين الجدول رقم (١) قيمة الاستثمارات فى هذه الخطة الخمسية الاولى وتوزيعها بين القطاعات المختلفة . وقد قال الســـيد **على صبرى** رئيس الوزراء السابق فى خطابه امام مجلس الامة فى ١٧ نوفمبر عام ١٩٦٤ بأن قيمة الانتاج فى الســـنة الاولى للخطة (وهى سنة الاساس ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠ كانت مقدرة بـــ ٢٥٤٧ مليون جنيه . وقد بلغت قيمة الانتاج فى نهاية السنة الرابعة للخطة ٣٦٠٠ مليون جنيه مصرى . وهذا معناه على حد قول رئيس الوزراء أن ٩١ر٦ فى المائة من هدف الخطة الخمسية الاولى قد تحقق فى اربع سنوات فقط (') كما ذكر ان عدد العاملين فى الخطة كان عند بدايتها ٦ ملايين عامل . وكان من المنتظر ان يزيد هـــذا العدد فى نهاية الخطة الي ٧٫١٥٠٠٠٠ عامل ولكن عدد العاملين فى الخطة وصل فى نهاية الســـنة الرابعة منها الى ٧٫٨٥٠٠٠٠ عامل .

جدول رقم (١)

تقدير لتوزيع الاموال الموظفة فى القطاعات المختلفة لخطة التنمية الاولى ٥٩ــ٦٠ الى ٦٤ــ٦٥

القطـــاع	المبلغ الموظف مقدر بملايين الجنيهات المصريه	النسبة المئوية
الزراعـــة	٢٢٤ر٢	١٣ر٧
الرى والصرف	١١١ر٧	٦ر٨
السـد العـالى	٤٧ر٣	٢ر٩
الصـــناعة	٤٣٦ر٢	٢٦ر٧
الـــكهرباء	١٣٨ر٥	٨ر٥
النقل والمواصلات والتخزين	٢٣٤ر٢	١٤ر٣
مســـاكن	١٤٠	٨ر٦
قنـاة السـويس	١٤٠	٨ر٦
مؤسسات شـعبية	٤٧ر٦	٢ر٩
خـــدمات	١٠١ر٧	٦ر٢
تغيير فى قيمة الاسهم	١٢٠	٧ر٣
المجمـــوع	١٦٣٦ر٤	٪١٠٠

المرجع كتاب : (Nasser's Egypt) (ناصر مصر) لمؤلفه بيتر مانسفيلد ، ص ١٤٤

ولابد من ملاحظة التركيز على الصناعة حيث يشكل المبلغ المرصود لها فى الخطة ٤٣٦ر٢ مليون جنيه مصرى او ما يعـــادل ٢٦ر٧٪ من مجموع الاموال المقدر توظيفها فى خطة التنمية الاولى . واذا ما اضيفت اليها الاموال اللازمة للـــكهرباء والبالغ قدرها ١٣٨ر٥ مليون جنيه او ٨ر٥٪ ظهر بجلاء اهتمام الثورة بالصناعة وايمانها الراسخ بأنها الطريق الوحيد للخروج من حالة التخلف ورفع مستوى المعيشة لان مجال الزراعة قد اقترب من حالة التشبيع . وان اى زيادة فى مســـاحة الارض التى يمكن زرعها نتيجة لبرنامج استصلاح الاراضى الصحراوية أو للزيادة التى ستحدث نتيجة لبناء السد العالى لن تتمكن وحدها من احداث تغيير جذرى فى مستوى حياة الانسان فى مصر خصوصا وأنه ليس من المنتظر ان يحدث فى القريب العاجل تغيير كبير فى نفسية المواطن فى مصر ليجعله يعمل على ايقاف الزيادة الكبيرة فى النسل التى تعانى مصر منها الشيء الكثير . فزيادة السكان فى مصر معناها اضافة ٨٠٠ الف انسان الى عدد السكان

سنويا وقد تبلغ هذه الزيادة مليونا كل عام بعد سنة ١٩٧٠ .

وقد اعلنت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ارقام خطة التنمية السبعية الثانية ، والتى تبلغ استثماراتها ٣١٦٦ مليون جنيه خصص منها للصناعة ١١٠٢ مليون جنيه والكهرباء ٢٦٣ مليون جنيه والزراعة والرى ٥٥٦٫٨ مليون جنيه .

القوى العاملة

اهتمت الثورة بالحركة العمالية واولت العمال جل عنايتها لايمانها بأنهم السند الذى يعتمد عليه كنواه لتحويل البلد الذى حكم عليه الاستعمار بأن يكون بلدا زراعيا فقط الى بلد صناعى . وقد كانت حالة العمال قبل الثورة كحالة بقيه الطوائف الاخرى : تخلف فى الحالة الذهنية وقلة فى الرزق واهمال وعدم عناية فى أحوالهم الصحية والمعيشية .

وكان عدد العمال فى الصناعة والكهرباء فى عام ١٩٥٢ (٤٠١٫٠٠٠) عامل وأصبحوا فى عام ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤ (٨٠٨٫٠٠٠) كما زادت العمالة عامة الى ٧٫٢٤٠٫٠٠٠ من العاملين ارتفعت فى نهاية السنة الرابعة لخطة التنمية الخمسية الاولى الى ٧٫٠٨٥٫٠٠٠ . وعندما قامت الثورة كان مجموع أجور العاملين السنوى لايزيد عن ٣٤٩ مليون جنيه وأصبح فى العام المالى ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠ (٥٤٩٫٥) مليون جنيه مصرى . ويبلغ هذا الرقم الى ٧٧٠٫٣ مليون جنيه فى نهاية الخطة الخمسية الاولى . أما فى المصانع التى تملكها الدولة فيتقاضى العمال أجورا تزيد عن ذلك بكثير فيبلغ متوسط ما يأخذه العامل الفنى من ٣٠ الى ٣٥ جنيه مصرى فى الشهر ، وهناك عمال يتقاضون أجورا تصل الى ٦٠ أو ٧٠ جنيها مصريا فى الشهر الواحد . كما حددت ساعات العمل التى كانت قبل الثورة تصل فى بعض الحالات الى ١٢ ساعة فى اليوم الواحد الى سبع ساعات فقط . وأعطت قوانين التأميم التى تمت فى عام ١٩٦١ العمال الحق فى أن يكون لهم ممثلين فى مجلس ادارة المشروع الذى يعملون به والحق فى ترشيح عضوين عن الموظفين والعمال فى كل مجلس ادارة يبلغ اعضاؤه سبعة أعضاء . وفى اكتوبر ١٩٦٣ زيد عدد الاعضاء المنتخبين الى اربعة أعضاء دون تمييز بين عمال وموظفين وعلى أن يعين أربعة آخرون ورئيس للمجلس من قبل الدولة . كما اعطى لهم الحق بأن يأخذوا ٢٥٪ من صافى ارباح المشروع الذى يعملون فيه وهم يحصلون على عشرة فى المائة منها نقدا على أساس الراتب الذى يتقاضاه العامل بشرط أن لا يزيد ما يأخذه الواحد منهم عن خمسين جنيها . أما الباقى وقدره ١٥ فى المائة من الارباح فتحول الى الضمان الاجتماعى والخدمات الخاصة بالعاملين .

أثر الثورة فى المجال العربى

من اجل تسهيل رصيد اثر الثورة فى المجال العربى ، لابد أن نتطرق الى موقفها فى المجال الغربى ويشمل دول غرب اوروبا ، واهمها الدول الاستعمارية القديمة : انجلترا وفرنسا ، ومعهما الولايات المتحدة الامريكية ، التى تصوغ سياستها تجاه الجمهورية العربية المتحدة فى اطار السياسة العامة فيما يتعلق بالشرق العربى ككل .

عندما قامت الثورة فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت مفاجأة للدول الغربية . فلما صحت من المفاجأة تشاورت مع بعضها وقررت عدم التعرض لها على اعتبار ان ماحدث هو من الاعمال الداخلية، ولهذا لم يتحرك الجيش البريطاني الرابض فى منطقة القناة تلبية للدعوة الملحة التى وجهها اليه الملك فاروق لانقاذ العرش واخماد الثورة . ولكن الاستعمار الغربى الذى سلم قيادته بعد الحرب العالمية الثانية للولايات المتحدة الامريكية لا يمكنه أن يرضى عما تريده الثورة وهو يريد أن يتبناها ويطوعها لارادته لتسير فى الفلك الذى يريده لها كبعض دويلات المنطقة . وكانت نظرية امريكا هى أن الاحتلال العسكرى لاى بلد من البلاد لم يعد احسن الطرق لاستغلال ثروات الشعوب المتخلفة وتسخيرها لمصلحة الدول الصناعية الكبرى . فطبقا للنظرية الامريكية يمكن لانجلترا أن تنسحب من منطقة قناة السويس بعد أن ثبت أن المصريين مصممون على طردهم منها وان بالامكان حماية مصالح الغرب فى المنطقة باستخدام الاسلوب الامريكى الذى يتلخص بالتقرب الى الثورة والتظاهر بصداقتها وتقديم بعض المساعدات الفنية والاقتصادية لها فى الوقت الذى يتعمق رجال المخابرات الامريكية فى دراسة نفسية القائمين على الثورة ومحاولة التأثير عليهم وتوجيههم الوجهة التى تناسب المصالح الغربية . وكانت امريكا على ما يظهر تريد أن تحول الثورة المصرية الى ثورة « جنرالات » كما تفعل فى أمريكا اللاتينية وكما تفعل الان فى فيتنام الجنوبية . وتتلخص هذه الطريقة بأن تصادق امريكا مجموعة الضباط الذين قاموا بالانقلاب ثم تشجع أحدهم ليعمل انقلابا على زملائه وليحقق لها غرضا معينا أو يمنع تحقيق عمل جليل قد تكون الثورة تريد تحقيقه . وبعد أن تنتهى مهمته يعهد الى جنرال آخر بالتخلص منه لانها لاتريد تحقيق الوعود التى أعطتها له . وقد حاولت أمريكا فى عهد وزير الخارجية الامريكية **((دين انتشيسون))** الذى كان يعمل مع **((الرئيس ترومان))** التقرب من المصريين قبل الثورة وبعدها . وكان **((جيفرسون كافرى))** سفير أمريكا قبيل الثورة وفى فترة قصيرة

بعدها ، يلعب دورا مهما للتقريب بين حكومة الثوار المصريين وبين الولايات المتحدة الامريكية ، ولكن جهوده لم تؤد الى نتيجة مثمرة ، لان الحوار بينه وبين الثوار ، فهو يريد جلبهم لجانب امريكا ولو على حساب مصالحهم الوطنية وهم يريدون التخلص المطلق من اى نفوذ أجنبى فى بلادهم ويريدون التعامل مع جميع الدول سواء اكانت شرقية او غربية معاملة الند للند والصديق للصديق . وحتى نفهم الوضع الذى كان سائدا عند قيام الثورة ، لابد لنا أن نذكر المصالح الغربية فى المنطقة وبالتالى أهمية المنطقة بالنسبة للغرب :

- **تحوى المنطقة العربية على ٧٥٪ من احتياطى البترول العالمى .**

- **توجد بالمنطقة قناة السويس وهى اهم ممر مائى عالمى ، وتمر بها يوميا حوالى سدس تجارة العالم الخارجية .**

- **٧٥٪ من حاجيات اوروبا من البترول تاتى من منطقة الشرق العربى ومعظمها يمر بقناة السويس .**

- **اصبحت المنطقة بعد انتشار الطيران بين القارات ممرا هوائيا لا يقل أهمية عن كونه ممرا يربط القارات ببعضها .**

- **كون المنطقة متاخمة للاتحاد السوفيتى يجعل اقامة قواعد فيها ضروريا لنجاح الدفاع الغربى وهجومه .**

- **منع الاتحاد السوفييتى من أن يكون له أى علاقة أو وجود فى المنطقة وبالتالى حماية رواسب البترول التى يسيطر عليها الامريكان والاوروبيون من أن تفلت من أيديهم .**

- **تبلغ الاموال التى وظفتها امريكا فى صناعة البترول العربى حتى ذلك الوقت بحوالى ٥ر١ بليون دولار . تجمع أرباحا صافية من عملية الانتاج وحدها ألف مليون دولار سنويا .**

كانت أمريكا طبقا لخطتها التى أوضحنا خطوطها الرئيسية جاهدة فى استمالة الثورة المصرية . وقد كانت ثقتها بنجاح سياستها خصوصا بعد أن استلم وزارة الخارجية الامريكية « **فوستر دالاس** » عام ١٩٥٣ هى التى جعلتها تسعى لاقناع الانجليز بتوقيع الاتفاقية المصرية الانجليزية الخاصة بالجلاء عن مصر واخلاء منطقة القناة فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٤ . وتتلخص هذه الاتفاقية فى أن ينسحب الانجليز من منطقة القناة ويسلموا محتويات القاعدة العسكرية للمصريين على أن يبقى بعض المستشارين المدنيين الانجليز وأن يسمح للانجليز بالعودة فى فترة سبع سنوات فى حالة حدوث اى هجوم على احدى الدول العربية الاعضاء فى الجامعة أو على تركيا . وقد خرج الانجليز من المنطقة فى ١٣ يونيو سنة ١٩٥٦ .

منذ أن قامت الثورة والامريكان والانجليز يحاولون اقناع المصريين بعقد معاهدة دفاعية معهم ، فعرضوا عليهم ان يدخلوا مؤسسين فى حلف عن الشرق الاوسط يشترك فيه الانجليز والامريكان والفرنسيون والمصريون ، ولم ينجحوا . ولما يئسوا فكر « **دالاس** » فى حلف يجمع الدول المتاخمة للاتحاد السوفيتى على ان يضاف اليها العراق ، فتم عقد اتفاقية حلف بغداد فى اكتوبر من عام ١٩٥٥ ، ويضم هذا الحلف تركيا ، ايران ، باكستان ، العراق انجلترا . وتنضم امريكا الى بعض اللجان اذ لم تشأ ان تنضم عضوا أصيلا فى الحلف بعد ان ثبت ان العرب سيقاومون هذا الحلف . فالمصريون يقاومونه لانه ضد مبدئهم فى انهاء اى نفوذ اجنبى فى الوطن العربى . والسعوديون يقاومونه لانه قد يصبح سببا فى تقوية عدوتهم التقليدية وهى الاسرة الهاشمية الحاكمة فى العراق والاردن ، والامريكان يريدون أن يظلوا مالكين لقدرتهم على الحركة فى المنطقة بدون اى تقييد .

لجأ الغرب الى جميع وسائل الاغراء والتهديد لجعل مصر تصبح عضوا فى سلسلة أحلافهم التى عرضوها عليها . فقد قدم لها الامريكيون معاونات مالية بلغت ٤٠ مليون جنيه فى عام ١٩٥٤ . وساعدوها فى اقناع الانجليز بالخروج من منطقة القناة ولكنهم رفضوا بيعها الاسلحة اللازمة لدفاعها التى طلبتها مصر فى عام ١٩٥٤ الا بشروط مالية قاسية وشروط أخرى لايمكن للثورة قبولها كارسال بعثة تدريب أمريكية تشرف على استخدام الاسلحة

وليس من المستبعد ان يكون الهجوم الاسرائيلى على مصر فى شهر فبراير من عام ١٩٥٥ نوعا من الضغط على مصر لاشعارها بضعفها وعدم قدرتها على الدفاع عن نفسها بدون وجودهم . فقد كانوا ولايزالون يمدون اسرائيل بأحدث الاسلحة ويدربون رجالها على استخدامها وامتناعهم عن بيع الاسلحة لمصر ما هو الا لاذلالها وجعلها توافق على دخول الاحلاف التى يريدون تكبيل المنطقة بها .

عندما لم تجد الثورة تجاوبا من الغرب فى بيعها الاسلحة اللازمة خصوصا بعد ان انشىء حلف بغداد وثبت سوء نية الغرب ، وان اسرائيل ستستمر تهدد الكيان العربى فى مصر والبلاد العربية المجاورة ، فكرت الثورة فى الحصول على السلاح للدفاع عن كيانها من أى مصدر . وقد عرض الروس على مصر مدها بالسلاح فى شهر مايو من عام ١٦٥٥ .

وفى نفس الوقت الذى كانت تبحث فيه مصر عن سلاح لصد أى عدوان اسرائيلى وتكوين جيش وطنى قوى ، كانت تحاول الحصول على قروض ومساعدات فنية لبناء السد العالى الذى تعتبره الثورة من اهم المشاريع التى كانت مصممة على تحقيقها فاتصلت بالدول الغربية . ووافقت

الحكومة الامريكية فى ٦ نوفمبر ١٩٥٤ على تخصيص مبلغ من المال للمساعدة فى دراسة جديدة لمشروع السد العالى . وفى ١٦ ديسمبر من عام ١٩٥٥ أعلن **دالاس** انه قد تم الاتفاق بين الولايات المتحدة الامريكية والحكومة الانجليزية والبنك الدولى للتنمية والاعمار على المساهمة فى تمويل بناء السد العالى. وكان الاتفاق المبدئى يتلخص فى ان بناء السد سيكلف حوالى ١٣٠٠ مليون دولار يصرف على مراحل . وان المدة اللازمة لانهائه خمسة عشر عاما . وفى المرحلة الاولى التى قدر لها اربع سنوات تعطى فيها مصر سبعين مليون دولار كقرض (٥٦ مليون من امريكا و ١٥ مليون دولار من انجلترا) كما تعطى قرضا من البنك الدولى قدره ٢٠٠ مليون دولار ، ولكنه مرتبط ومشروط بمنح القرض الانجلو — امريكى وفى مرحلة تالية تعطى مصر قرضا من الولايات المتحدة الامريكية قدره ١٣٠ مليون دولار ، وقرضا ثانيا من المملكة المتحدة يساوى ٨٠ مليون دولار ، تقدم كل هذه القروض على شكل دفعات سنوية. اما المبلغ الباقى من الـ ٣ر١ بليون دولار وقدرها ٧٦٠ مليون دولار فتقوم مصر بتدبيرها من مواردها الخاصة على شكل مواد خام وخدمات وعمال . وهذه القروض مدتها اربعون سنة وفائدتها ٥٪ (خمسة فى المائة) .

هذه كانت الخطوط العريضة للقرض ولكن الدول الغربية التى كان يدير «دالاس» المفاوضات نيابة عنها كانت لا تريد فى قرارة نفسها بناء السد ومعاونة مصر الا اذا رضخت مصر لارادتها وسارت فى الطريق المراد لها . ولهذا لجأوا لوضع شروط صعبة . ولما امكن اقناع الحكومة المصرية بقبول هذه الشروط سحبوا فجأة عرضهم وكان السبب الذى تذرعوا به هو اقدام مصر على تسليح نفسها من المعسكر الشرقى بعد ان رفضوا طلب مصر بشراء الاسلحة من الغرب وهذا يظهر بكل جلاء سوء النية المبيتة ، فهم يمتنعون عن بيع الاسلحة ويشجعون اسرائيل على الهجوم على مصر لاقناعها بضعفها وحاجتها للحماية ، ولما لم تنجح كل هذه الوسائل يحاولون اغراءها بالمساعدة على بناء السد العالى ، ولكن لما عرفوا ان مصر لن تخضع وانها كسرت كل القيود التى حاولوا احكامها حولها ولما اعلن **«عبد الناصر»** فى يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥٥ عن صفقة الاسلحة مع الاتحاد السوفيتى قرر الغرب سحب عرضه لتمويل السد العالى .

كان اعلان مصر شراء الاسلحة من المعسكر الشرقى هو بمثابة بدء مرحلة الضغط الشديد على مصر . فقد أوفد ((**دالاس**)) وكيل وزارة الخارجية الامريكية ((**جورج آلن**)) لمقابلة ((**الرئيس عبد الناصر**)) واقناعه بالعدول عن الصفقة وابطالها وكذلك معرفة خطط الحكومة المصرية المستقبل. وكان رد مصر حازما وثوريا وذلك بأن اخبروه بأن مصر دولة مستقلة وهى تعتبر شراء الاسلحة من أى جهة من شئونها الخاصة ولاتسمح لاحد بأن يتدخل فى شئونها .

فى ٩ نوفمبر اقترح ((**انطونى ايدن**)) رئيس وزراء بريطانيا اجراء صلح بين اسرائيل والعرب على اساس تغيير فى الحدود ، وقد رفضته اسرائيل وفى ٦ فبراير ١٩٥٦ ذهب ((**ايدن**)) الى واشنطون لمقابلة ((**الرئيس ايزنهاور**)) و ((**دالاس**)) والاتفاق على ما يجب أن يعمل حيال المشكلة المصرية .

وكانت الحكومة المصرية فى هذا الوقت قد شعرت بان التفاهم مع الغرب هو من نوع العبث، فهم لا يريدون التعامل الا مع الاتباع . وعلى مصر ان تبدأ بمباشرة استقلالها وحريتها فى العمل الى ابعد مدى فعقدت مصر مع الصين الشعبية صفقة مقايضة باعت مصر فيها ٤٥٠٠٠ طن من القطن مقابل ستين الف طن من الصلب الصينى ، وقد تبع ذلك اعتراف مصر بالصين الشعبية .

كان شراء الاسلحة من الاتحاد السوفيتى والاعتراف بالصين الشعبية جريمة لا تغتفر فى نظر ((**دالاس**)) الذى كان يعتقد أن كل شىء يمكن حله بالضغط السياسى وبالدولار الامريكى ، فلما فشلت سياسته مع مصر أراد ان يثبت لبقية الدول العربية وللدول الصغيرة الاخرى ان لا أحد يستطيع أن يخرج على ارادة امريكا وحلفائها ويستطيع البقاء . فبدأ سلسلة من المؤامرات بدأت بسحب عرض الاشتراك فى تمويل السد العالى وانتهت بالهجوم الثلاثى على مصر . ففى يوم ١٩ يوليو ١٩٥٦ وهو اليوم الذى تقرر فيه أن يقابل ((**الدكتور احمد حسين**)) سفير مصر لدى الولايات المتحدة الامريكية ((**دالاس**)) ويخبره أن مصر قبلت العرض ، قرر **«دالاس»** ان يسحب العرض بعد ان استشار حلفاءه ونصحوه بالتريث ، فلما قابله ((**الدكتور أحمد حسين**)) قال له **«دالاس»** : تقولون ان عندكم عرضا من الروس للمساعدة فى بناء السد العالى ، فاذا كان الامر كذلك فاعتبروا اننا قد **سحبنا عرضنا واذهبوا الى الروس لاعطائكم النقود اللازمة** .

وهذا الموقف الذى اتخذه ((**دالاس**)) كان من حظ مصر والامة العربية ، **فالعرض الغربى كان قد قدم بطريقة تجعل الغربيين يعرقلون بناء السد فى أى وقت يشاؤون ، كما أن شروطهم نوع من الاشراف على الاقتصاد المصرى ومدة البناء طويلة بدون مبرر ولكن ذلك قصد به الاعجاز** ، وهذا دليل على عدم اخلاصهم ورغبتهم فى تضييع وقت مصر ومنعها من الاتجاه الى جهة غير اوروبا الغربية وامريكا ، وبالتالى فرض ما يشاءون من شروط . ولم يكن من المعقول ولا المقبول ان يطلب من مصر الثائرة على الاستعمار والاحتلال **الاجنبى ان تظل**

عزلاء من السلاح وان يطلق عليها الاستعمار جيوش اسرائيل فى اى وقت يريدون به تحقيق غرض من اغراضهم ، وبعد أن يرفضوا اعطاء مصر ما تريد للدفاع عن كرامتها يعاقبونها لانها تجرأت واشترت سلاحا من جهة اخرى .

لم تتقبل مصر هذه الاهانة راكعة على ركبتيها كما كانت تفعل الحكومات المصرية قبل الثورة والتى كانت تسقط بمجرد أن تنتقد احد تصرفاتها جريدة التايمس البريطانية، بل انها ردت الصفعة صفعتين على اساس السن بالسن والبادى اظلم . فأعلن ((عبد الناصر)) فى يوم ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦ فى خطابه بالاسكندرية امام الجماهير المحتشدة لسماع خطابه السنوى بهذه المناسبة : ((لقد اممنا شركة قناة السويس ، وفى هذا الوقت الذى اتكلم به امامكم يكون رجال ناقد احتلوا جميع منشآت الشركة، ومنذ الان فهى شركة مصرية قلبا وقالبا)) .

لقد هز تاميم شركة قناة السويس ضمير العالم كله واضطربت الاوساط المالية فى اوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية ، لا لان التاميم عملية غير نظامية ، فمن حق مصر ان تؤمم قناة السويس ولكن اقدام ثوار مصر على هذه الخطوة جرأة ما بعدها جرأة ، وقد تؤدى الى سلسلة من التاميمات خصوصا فى مجال صناعة البترول مما يفقد الغرب أهم ثرواته خارج بلاده . وقد تبع تاميم القناة الاعتداء الثلاثى واحتلال جزء من مدينة بورسعيد وسد القناة وتعطيل الملاحة فيها . وقد تجاوبت الجماهير فى كل البلاد العربية لنداء مصر بالتعاون فقامت الجماهير فى سوريا ونسفت خطوط انابيب البترول التى تنقل البترول العراقى الى موانى البحر الابيض المتوسط ووقفت جماهير الامة العربية كلها مع مصر تشاركها مأساتها دقيقة بدقيقة حتى تم النصر لمصر الشجاعة وانتصر الجيش المصرى والشعب المصرى على الغزاة الاثمين من اسرائيليين وبريطانيين وفرنسيين وانهزمت جيوشهم وخرجت من مدينة بورسعيد الخالدة بعد أن أثبت الشعب المصرى أنه وثورته جزء لايتجزأ . كما ثبت بدون أدنى شك أن الامة العربية اذا ما جد الجد كالجسم الواحد اذا شكا منه عضو تجاوبت معه جميع الاعضاء . فالهجوم الثلاثى اثبت بدون اى شك أن الامة العربية حقيقة واقعة وأن الملايين من المحيط الى الخليج تشعر بأن مصيرها واحد وأن مستقبلها متوقف بالدرجة الاولى على وقوفها صفا واحدا أمام الاحداث . وكان العمل البطولى الذى أقدمت عليه سوريا بنسف انابيب البترول الغربية ردا حاسما على المستعمرين وانهم لايستطيعون أن يرتكبوا جرائمهم بدون أن يعرضوا مصالحهم للخطر . وكان لتعطيل الملاحة فى القناة ولنسف الانابيب أسوأ الاثر على الاقتصاد الاوروبى . فاوروبا التى كانت تاتى بحوالى ٨٠ فى المائة من بترولها من منطقة الشرق العربى وجدت نفسها فجاة وبدون تموين كاف من المواد البترولية ، وهذا ايضا أعطى درسا قاسيا للشعوب الاوروبية واشعرها بشدة اعتمادها على تعاون وصداقة الشعوب العربية . كما أن موقف الاتحاد السوفيتى من هذه القضية فتح مجالا واسعا للتعاون بين العرب والروس ، فان الموقف النبيل الذى وقفوه معنا لايمكن لعربى يحترم نفسه أن ينساه ، ولا زال الروس يمدون يد الصداقة والمعاونة لنا، فبعد أن رفض الامريكان الاشتراك فى تمويل السد تقدم الروس جزاهم الله عنا خير الجزاء بعرض للمساهمة فى تمويل السد بطريقة سهلة مبسطة لا شروط فيها ولا ارهاق ولا عروض مهينة ، كما جاء فى العرض الامريكى . ولكن الروس عرضوا ونفذوا وتم حتى الان تحويل مجرى النيل ، وسيبدأ العرب فى مصر جني ثماره فى أواخر هذا العام حينما يبدأون باستخدام الكهرباء المولدة من السد ، وسينتهى قبل الموعد المقرر له بسنة على الاقل . ومن مميزات العرض الروسى أنه فتح المجال للخبرة المصرية والانسان المصرى ليعمل فى ارضه ويكتسب خبرة قد يصدرها فى المستقبل ، وتكون مصدر مورد رزق للجمهورية العربية المتحدة . فالجمهورية العربية المتحدة بعد اتمام السد العالى ستكون لديها الخبرة الكافية فى بناء السدود ، وستكون قادرة على الدخول فى اية مناقصة لبناء السدود فى أى مكان فى العالم . وأول ما استفادوه من خبرة تستخدم الان فى بناء سد المخيبة فى الاردن ، فان الشركة التى عهد اليها بناء هذا السد هى ((شركة المقاولين العرب)) التى كانت اكبر مقاول عمل فى بناء السد العالى .

وبخروج الغزاة من بورسعيد مندحرين ، تحررت مصر نهائيا من اى نفوذ أجنبى . وانطلقت الارادة المصرية العربية بكل طاقاتها نحو البناء فمصرت أوعربت جميع الممتلكات الاجنبية وطردت جميع الاجانب المشتغلين غير المرغوب فى وجودهم وأصبحت مصر للمصريين بكل ما تعنى هذه الكلمة من معان . فكم عانى عرب مصر من ظلم الاجانب فى الاسكندرية وبورسعيد ، وكانوا يشعرون بأنهم هم الاجانب فى بلادهم ، كما أن تحول الثروة العظيمة التى كان يملكها الاجانب لمصر زاد من ثروتها القومية وفتح مجالا للحكومة بأن تبدأ بنفسها مباشرة الاعمال العامة وعلى مستوى أكبر مما كانت تفعل قبل الاعتداء . وهنا بدأت عمليات التاميم وتطبيق السيطرة على وسائل الانتاج ، بعد أن أصبحت كل الممتلكات الاجنبية وعلى رأسها شركة قناة السويس ملكا للشعب المصرى .

الاضواء تسلط على الملك

بعد ان سلم المستعمرون بالهزيمة ووقف جميع

احرار العالم وعلى رأسهم الاتحاد السوفيتي والهند بجانب الامة العربية ، بدات مصر بالتعاون مع الامم المتحدة باعادة فتح قناة السويس لمرور السفن وكذلك أعيد بناء خطوط الانابيب وبدأ البترول العربي يصل الى أسواقه عن طريق قناة السويس وخطوط الانابيب. وتفرغت مصر الظافرة لاعادة الامور الى نصابها وبناء اقتصادها معتمدة على الله وعلى نفسها . **ولكن هل اعترف الغرب بالهزيمة ؟** لم يعترف أبدا وبدأ من جديد في وضع العراقيل امام مصر واخذ بطريقة جديدة يعمل على تقسيم الامة العربية الى معسكرات . ومباشرة الضغط الاقتصادي على مصر على امل اسقاط الثورة فيها. فبعد حرب السويس قاطع الغربيون مصر اقتصاديا واشتركت معهم أمريكا وجمدت الاموال المصرية فيها . وما فعلته أمريكا هنا يدل دلالة واضحة على انها ولو لم تشترك مع انجلترا وفرنسا واسرائيل في الهجوم على مصر وبالرغم من احتجاجاتها عليهم ، الا انها في قرارة نفسها تشاركهم شعورهم ورغبتهم في اذلال مصر وسقوط حكم الثوار فيها « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » فقد خرجت مصر من محنتها الاقتصادية بالتعاون مع المعسكر الشرقي حتى كتب لها الله النصر . ولكن الغرب لم يتركها لحظة واحدة ، فبدا يحيك الدسائس ضدها ويؤلب الاخوان والاشقاء عليها . وقرر « **الرئيس ايزنهاور** » ووزير خارجيته « **دالاس** » انه مادام « **الرئيس عبد الناصر** » قد نجا من كل المؤامرات التي قصد منها القضاء عليه وعلى نظامه ، فلابد من خلق منافس له في العالم العربي ، وقرر أن « **الملك سعود** » ملك المملكة العربية السعودية وحامي حمى الحرمين الشريفين اللذين يؤمهما مئات الالوف من المسلمين سنويا ويصلي باتجاه مكة ملايين المسلمين المنتشرين في جميع انحاء العالم . وبما ان **الملك سعود (!)** يتمتع بهذا الموقع فلابد من استخدام الاسلوب الامريكي في الدعاية لتسليط الاضواء على الملك وافهام العرب بأنه القائد الطبيعي لهم وانهم لا يحتاجون لثائر مثل «**عبد الناصر**» يتصل بالروس « الكفرة » ويعترف بالصين « الملحدة » ، ودعوا جلالته الى واشنطون في يناير سنة ١٩٥٧ اى بعد جلاء القوات المحتلة من بورسعيد ، وطلبوا من « **الامير عبد الاله** » ولى عهد العراق والقوة وراء العرش في بغداد الحضور الى واشنطون لتتم تصفية الخلافات بين العائلتين السعودية والهاشمية ليقفا صفا واحدا أمام مصر و « **عبدالناصر** » والروس والاتحاد الصيني (!) وقد اتفق على الخطة التي يجب أن نتبع وعاد الزعيمان العربيان (!) بعد ان رضيا بالعمل ضد زعيم عربي من طراز آخر .

وبدات حلقة جديدة من المؤامرات بالوطن العربي،

وهذه المرة ليست عمليات يقوم بها اجانب بل هي أخطر من ذلك ، عمليات يقوم بها رجال عرب ضد اخوانهم العرب الاخرين وتحول الضغط الشديد من مصر الى سوريا ، أليست سوريا قد تجرأت ونسفت أنابيب البترول وتعرضت للهيبة والمصالح الغربية ، وبدأوا يتهمون سوريا بأنها تتحول الى دولة شيوعية وأن الشيوعية تهدد المنطقة ولابد من ايقاف هذا التيار الالحادي واشتركت دول حلف بغداد في الضغط على سوريا والتهديد باحتلالها ، وبما ان « الملك سعود » هو المرشح العربي لزعامة العرب والمسلمين ، فقد قام جلالته بزيارة سوريا وحاول التوسط بينها وبين تركيا التي حشدت جيوشها على الحدود السورية التركية ، ولكن السوريين قالوا للملك اننا نعتبرك عربيا وجزءا منا ، ومن غير المعقول أن تكون وسيطا لانك لابد وان تاخذ جانبنا . ولم تنجح الوساطة الملكية ، ولكن الجيوش المصرية الباسلة نزلت في ميناء اللاذقيه في ١٣ أكتوبر سنة ١٩٥٧ لتثبت للعالم مره أخرى أن الامة العربية أمة واحدة وأن ما قامت به سوريا لنجده مصر اثناء الاعتداء الثلاثي عليها لم يذهب عبثا . وهكذا كان الرد المصري على دول حلف بغداد والاستعمار الغربي . وقد ادى استمرار الضغط لضم سوريا الى المعسكر العربي الجديد بقيادة سعود الى التقريب بين مصر وسوريا .

وفي أول فبراير من عام ١٩٥٨ قامت الوحدة بين مصر وسوريا وتكونت الجمهوريه العربية المتحدة وانتصرت اراده الامة العربية وانفتحت مجالات اوسع للوحدة الشاملة . ولكن الاستعمار وحلفاءه من الحكومات العربية كحكومة العراق حينذاك وحكومة الاردن والمملكة العربية السعودية اعتبرت أن تكوين الجمهورية العربية المتحدة خطر على كيانها وانه لابد من مواصلة الكفاح لفصم عرى الوحدة ولعزل القاهرة عن المشرق العربي وبدء عهد جديد من الكفاح المرير بين الامة العربية ممثلة بالجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) من جهة والاستعمار والدول ذات الحكومات التقليدية من الجهة الاخرى .

وقام اتحاد هاشمي بين طرفي العائلة : بغداد وعمان ، وكان يقصد به أن يكون مقدمة لاتحاد شامل يشمل العربية السعودية وبقية امارات شبه جزيرة العرب . ولكن العائلة السعودية ترددت في الدخول في الاتحاد المشترك . وقامت الثورة في العراق في ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ وأطاحت بالنظام الملكي ، وبهذا قضت على حلم الاتحاد الشامل للدول الملكية . وجن جنون الاستعمار واعتبر ان ما حدث في العراق مقدمة لثورات في جميع البلاد العربية الاخرى ، فطلب من

((الرئيس شمعون)) فى لبنان أن يطلب نزول البحارة الامريكان لحماية الكيان اللبنانى ، فنزلوا وطلبوا من صاحب الجلالة الهاشمية فى الاردن طلب النجدة من حلفاء العائلة التقليديين الانجليز . ونزلت القوات البريطانية فى الاردن لتمنع اشتعال الثورة العربية فى كل مكان وتحافظ على مصالح الغرب ممثلة بشركات احتكار البترول العربى . وقد استقرت الامور موقتا وكسب الاستعمار الجولة وانقلبت الثورة فى العراق على يد ((عبد الكريم قاسم)) من ثورة وحدوية الى ثورة انفصاليــة اقليمية مجنونة لا هدف لها . وتحولت العــراق الى مجزرة للاحرار وبسحق كبيــر للمناضــلين الوحدويين . واستمر الاستعمار فى دسائســه حتى استطاع فى سبتمبر سنة ١٩٦١ فصم عرى الوحدة، وانفصلت سوريا عن مصر. وكان واضحا الدور الذى لعبته الملكيات الباقية فى التعاون مع الاستعمار للقضاء على الوحــدة . وقــد رفعت قصور الرجعية الزينات احتفالا بالانفصال وظنت وظن معها الاستعمار أن مخطط عزل الجمهورية العربية المتحدة عن المشرق العربى كاد يكون وشيكا. ولكن سوريا الباسلة ولو أنها انفصلت عن الجمهورية العربية المتحدة الا أنها لم تشعر يوما بالاستقرار ولم يستطع الذين طعنوا الامة العربية بظهرها أن يقدموا سوريا للمعسكر الملكى الاستعمارى الجديد. ثم سقط نظام ((عبد الكريم قاسم)) فى ٩ فبراير عام ١٩٦٣ وسقط الانفصال فى ســوريا وقامت دولة البعث فى كل من سوريا والعــراق وحاول الاستعمــار استغــلال الموقف الجــديد بسعيه للاستفادة من الخلافات التى نشبت حينذاك بين عبد الناصر والبعثيين وبلورتها فى كتلتين متصارعتين لتقسيم المشرق العربى وعزل القــاهرة . الا أن الاحداث تتابعت سراعا فانهار حــكم المغــامرين فى العراق وقاد المغفور له ((الرئيس عبد الســلام عارف)) دفة العراق نحو التقارب من القــاهرة وتنسيق الخطط معها . وفشلت خطة الاستعمار فى ضرب الدول العربية المتحررة مع بعضها ، فعاد للمسرحية القديمة وهى تقسيم الامة العربية الى أمتين : أمة متحررة تريد تحقيق وحدة العــرب والسيطرة التامة على امكانيات الامــة العربيــة وتطبيق الاشتراكية فى الواقع العربى بحيث تتاح الفرصة للانسان العربى فى كل مكان لان يعيش عيشة كريمة تتناسب والثروات الضــخمة التى أودعها الله أرضه ، وحكومات أخرى تؤمن بأنهــا لا تستطيع البقاء بدون التحالف والتعــاون مــع القوى الاجنبية لانها نفسها تأبى الارتــكاز عــلى قاعدة شعبية واخذ قوتها من الداخل . والاستعمار الذى يعرف جيدا عمــق الخــلاف بين هــذين النوعين من الحكومات العربية لم يتردد فى استغلال الموقف واقتنع أن مسرحية خلق خلاف بين الدول المتحررة والدول الملكية العائلية هى خير ما يمكن عرضه ... العربى ... الى ... أى من أمانيهم .

وهكذا بدأت مسرحية الاحلاف مرة أخرى ، فعادت فكرة حلف بغداد التى ... حكومة بغداد العربية ... الاسلامى ، تقودها هذه المرة حكومة عربية أخرى هى حكومة المملكة العربية السعودية أو صاحب الجلالة الملك فيصل . فالغرب لا زال كما كان فى عام ١٩٥٧ يعتقد أن حامى الحرمين من الممكن استغلاله لتقسيم العرب الى معسكرين أكثر من أى ((زعيم)) آخر لانه سيستقطب الشعور العربى والشعور الاسلامى فى نفس الوقت . والحقيقــة المرة هى أن المعركة ليست بين فيصل ممثــلا للسعودية وعبد الناصر ممثلا للجمهورية العربية المتحدة وللانسان المتحرر فى كل مكــان فى الارض العربية بل هى بين الاستعمار الغربى والثــورة العربية فى مصر ممثلة لامانى العــرب الاحــرار فى كل مكان ، وقد استطاع الاستعمــار فى عام ١٩٥٧ ان يجلب ســعود الى المعــركة التى لا صالح له بها ، وها هو الآن يستغــل خــلاف السعودية مع الجمهورية العربية المتحدة بسبب حرب اليمن ليدخل الى الحلبة الملك فيصل وكلا الاثنين (سعود وفيصل) وقبلهما الشعب العربى فى المملكة العربية السعودية ليست لهم مصلحة فى هذا النزاع . ولو تبصر الملك فيصل قليلا لوجد أن عبد الناصر والجيش المصرى لم يذهبــا الى اليمن لاسقاط الملكية فى السعودية ولكن لحمــاية الثورة اليمنية من الاستعمار الانجليزى فى الجنوب العربى . ولن يستطيع احد اسقاط الملكية فى السعودية غير الشعــب العربى فى تلك البــلاد ، فلو حول الملك فيصل جهوده لتطوير الشــعب العربى فى مملكته واقامة حكم ديمقراطى من الشعب وللشعب لخدم تاريخه ولاطال من عمر عائلته أكثر بكثير مما يستطيع أن يجنيه من تصديه للدول العربية المتحررة والمساهمة بتقسيم الامة العربية وتفتيت قواها بالشكل الذى يثلج قلب الاستعمار . ان الاقدر والاقوى على الحفــاظ عــلى العــرش السعودى هو الشعب السعودى نفسه ، فلمــاذا لا تريد الملكيات أن تقوم دروس التاريخ وتتعظ بها ؟! .

ثورة ٢٣ يوليو والامة العربية

يصعب على الانسان ان يتصور أمة عربية بدون مصر ، فمنذ عرف الانسان العربى نفســه واقام من المناطق الواقعة بين المحيط الاطلسى والخليج العربى وطنا له وشمال وادى النيل هى النقطــة التى يلتقى فيها العرب فى طريقهم من المشرق الى الغرب ومن الغرب العربى الى الشرق . وقــد

ساعد ظهور الاسلام على استمرار وتقوية هذا الاتصال بين مشرق البلاد ومغربها. ولعبت القاهرة على مر العصور دور الشقيق العطوف المضياف. واستطاعت الاجيال المصرية المتعاقبة الوقوف امام كل الصعاب التى تعرضت لها الامة العربية فحافظت على الدين واللغة واصبحت ملجأ لاحرار العرب فى كل الازمنة وملجأ للهاربين بدينهم او بقوميتهم من نير الاستعمار والظلم والاستعباد . كما كانت القاهرة قبل الثورة مصدر الاشعاع الفكرى للانسان العربى وكانت مدارسها وجامعاتها وصحافتها وأدباؤها ووسائل الاذاعة فيها معلما ومثقفا وموجها للانسان العربى فى كل أوطانه . فلما قامت الثورة ضاعفت ما يبذل من جهود فى هذا السبيل . وعندما استقرت الامور للنظام الجديد فى مصر واعلن الثوار برنامجهم كان من اهم بنوده ان مصر جزء لا يتجزأ من الامة العربية وأنها لا تستطيع العيش بدون مجالها العربى ، كما ان واجبها الوقوف تحت جميع الظروف فى صف الشعوب والحكومات العربية التى تناضل فى سبيل تخليص نفسها من سيطرة الاستعمار والاستغلال ، وقد صدقت الثورة فى كل ما قالت .

فلما اعلن ابطال جبال اوراس فى **الجزائر** ثورتهم على الاستعمار الفرنسى فى نوفمبر عام ١٩٥٤ لم تتردد الثورة فى القاهرة فى ان تقف بكل ما تملك بجانب ثوار الجزائر حتى تم لهم النصر واستقلت الجزائر فى يوليو ١٩٦٢ . وقد اعلن « الرئيس احمد بن بللا » ، فى خطابه الذى القاه عندما كان الرئيس جمال عبد الناصر فى زيارة للجزائر فى مايو عام ١٩٦٤ هذه الحقيقة وقال : ان ثورة الجزائر مدينة بنجاحها الى درجة كبيرة الى العون المادى والادبى الذى قدمته لها القاهرة . وقد ظلت القاهرة ولا تزال تقف مع شعب الجزائر لتحقيق اهداف هذا الشعب العربى النبيل فى تحقيق حياة افضل واكرم للانسان الجزائرى .

كما كانت الثورة مع المناضلين فى **المغرب** للتخلص من الحماية والاحتلال العسكرى الفرنسى لبلادهم ، فقدمت لهم العون المادى والادبى واتخذ زعماؤهم من القاهرة مقرا لنشاطهم ، ولعب صوت العرب من القاهرة دورا كبيرا فى فضح الاستعمار وحث المواطنين على الالتفاف حول محرر المغرب المرحوم محمد الخامس حتى تم للشعب المغربى الانتصار على الاستعمار وعاد الملك الى بلاده من منفاه واعلن استقلال المغرب فى مارس عام ١٩٥٦ ، وكان ولا يزال المدرسون المصريون يعاونون على اتمام تعريب المغرب وازالة ما تركه الاستعمار من اثر على اللغة العربية .

ولم تنس الثورة **تونس** . فمنذ أن استقلت تونس فى مارس ١٩٥٦ والرئيس الحبيب بورقيبة يحاول التحرش بالثورة ورئيسها فى القاهرة لغير سبب واضح . فالقاهرة كانت المكان الذى اوسع صدره للمناضل الحبيب يوم كان بحاجة الى صديق واخ ولكنه ولسوء الحظ وبعد الاستقلال بدلا من ان يتعاون مع اخوانه العرب اخذ يردد ما يقوله اعداؤهم فيهم وركز هجومه على الذين ساعدوه اكثر من غيرهم . ولم تؤثر تصرفات الحبيب بورقيبة على شعور ثوار القاهرة نحو الشعب التونسى ، فعندما أراد الرئيس بورقيبة الظهور بمظهر البطل ودفع شباب تونس دون استعداد كاف لدخول معركة حربية مع الجيش الفرنسى فى « **قاعدة بنزرت** » ، ووجه القتلة الفرنسيون رصاصهم الى صدور شباب تونس وسقط كثير منهم ، وقفت القاهرة ذات القلب الكبير بجانبهم وتناست اساءات بورقيبة ، وأعلن الرئيس عبد الناصر ان شعب الجمهورية العربية المتحدة يقف مع شعب تونس فى محنته ومستعد للقيام بواجبه نحوه .

وعندما حصل خلاف الحدود بين الجزائر والمغرب لم تتردد القاهرة بعد ان فشلت الوساطة فى حل المشكلة سلميا من الوقوف مع الاحرار الجزائريين ضد العدوان المغربى وارسلت قوة من جيشها للاشتراك فى الدفاع عن المكاسب التى حققتها ثورة الجزائر .

اما **ليبيا** ولو ان حكومتها كانت من ضمن الدول التى احتجت لدى آمريكا كما تقول المصادر الامريكية على عزم الولايات المتحدة الامريكية تقديم قرض لبناء السد العالى ، فان الثورة كانت ولا تزال تعتبرها الشقيق الذى يستحق كل رعاية وحماية ، والاجيال الليبية المختلفة مدينة الى درجة كبيرة بتعليمها وتثقيفها للمجهود الذى يبذله ابناء الجمهورية العربية المتحدة من محامين وقضاة ومدرسين . ويجب ان يلاحظ ان الدولار والاسترلينى وجميع انواع الثروة المادية تعجز فى بعض الاحيان عن شراء أشياء مثل مدرس اللغة العربية ومدرس مادة الدين فى المدارس .

ويوجد فى الوقت الحاضر اكثر من خمسة الاف مدرس عربى مصرى فى جميع أنحاء الوطن العربى ، وهذه هى بعض الاعمال التى يقوم بها ابناء الجمهورية العربية المتحدة فى معظم البلاد العربية . هذا بعض ما ساهمت به الثورة لمساعدة الشعوب العربية فى المغرب العربى .

اما فى **المشرق العربى** وحيث كانت العلاقة أوثق مما هى مع المغرب العربى ، لوجود صحراء ليبيا والاستعمار الطليانى والفرنسى لمدة طويلة فى

تلك البلاد ، فان الغالبية العظمى من ابناء المشرق العربى يحسون يوميا بما يحدث فى القاهرة . وقد لعبت القاهرة خصوصا بعد الثورة دورا كبيرا فى حياة أبناء هذه المنطقة . فقد اقام ابناء مصر المعاهد العلمية فى السعودية والكويت ومناطق الخليج العربى . وكان للصحافة والادباء المصريون اكبر دور فى تثقيف الانسان فى المشرق العربى . وقبل اكتشاف البترول فى **المملكة العربية السعودية** كانت أوقاف الحرمين فى مصر تساعد عائلات كثيرة فى الاراضى المقدسة . أما بعد الثورة وتبلور فلسفة القومية العربية فان الثورة المصرية العربية استطاعت أن تلعب أهم واخطر الادوار فى حياة المنطقة . فالهجوم على قناة السويس ادى الى نسف خطوط الانابيب فى سوريا ونزول الجيش المصرى **فى سوريا** للمساهمة فى حماية حدودها من اعتداءات دول حلف بغداد . وعندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٨ **فى العراق** اعلنت حكومة الجمهورية العربية المتحدة وقوفها الى جانب ثورة العراق وان اى اعتداء على هذه الثورة هو اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا). وهذا معناه ان الجمهورية العربية المتحدة تتحدى الاستعمار الغربى واسرائيل وتضع امكانياتها العسكرية والاقتصادية فى خدمة الشعب العراقى. وقبل ذلك عندما تعرضت **الاردن** لضغط من الغرب للانضمام الى حلف بغداد أعلن ثوار القاهرة استعدادهم للمساهمة فى تقديم العون المادى للاردن لتتخلص من ضغط الغرب عليها . وعندما أعلن عبد الكريم قاسم تصميمه على ضم الكويت كانت القاهرة من أول من استنكر هذا العمل . **وأعلنت أن الوحدة العربية لا تعنى أن يضم بلد كبير بلدا صغيرا ، بل يجب أن تكون الوحدة برغبة وتقرير غالبية الشعب** . وعندما اعلن ثوار **اليمن** الاحرار ثورتهم الباسلة فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦٢ ضد حكم الائمة الذى يمثل أبشع صور الظلم والطغيان سارعت القاهرة بارسال جنودها الى اليمن ولازالوا هناك للمساهمة فى الدفاع عن ثورة اليمن وتمكينها من بناء حياة جديدة للانسان فى هذا الجزء من الوطن العربى . وعندما اعلن المرحوم الرئيس عبد السلام عارف ثورته الثالثة على الاوضاع فى العراق وبدأ الاستعمار واذنابه يقيمون العراقيل امام حكومة عبد السلام عارف ، وخشى ان يستغل الاستعمار انشغال حكومة العراق فى القضاء على المتمردين فى الشمال أرسلت قوات من الجمهورية العربية المتحدة الى العراق لحماية ظهر جيشها وعلى المساعدة فى خلق جو من الاستقرار فى ذلك البلد العربى الشقيق. وهكذا نرى الثورة ظلت ثورة داخل مصر وخارجها وأصبح الجيش العربى الثورى العقائدى عونا للاحرار فى كل أجزاء الوطن العربى بعد ان كان قبل الثورة مجموعة من الجنود والضباط الذين لم تكن لهم اية رسالة ، وكان المطلوب منهم حماية عرش الفسق والفساد . وسيظل جيش العروبة فى القاهرة حصنا وعونا لكل الحركات التحررية فى الوطن العربى وسيكون باذن الله راس الحرية لتحرير فلسطين المجاهدة .

لماذا نجحت الثورة فى مصر ؟

ولماذا آمنت بها الجماهير فى الوطن العربى ؟

لقد حققت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر نجاحا لم تحققه ثورة فى عصرنا الحديث . فقد قلبت الاوضاع راسا على عقب لا فى مصر وحدها ولكن فى الوطن العربى كله . وامتد تاثيرها الى بلاد آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . ولم يكن هذا النجاح مجرد صدفة او نتيجة لظروف خارجية بل كان نتيجة لعوامل داخلية مصرية وعربية وكذلك لشخصية قادة الثورة انفسهم . فثورة ٢٣ يوليو ما هى الا امتداد لثورة مصر الباسلة على النفوذ والطغيان الاجنبى الذى بدأ منذ بدأ الاحتلال الاوروبى لمصر فى عهد نابليون . وما كانت ثورة المغفور له **أحمد عرابى** الا تعبيرا عن نفس الشعور وهو أن تحكم مصر نفسها بنفسها وان تتخلص من الاجانب واذنابهم من الطبقة الحاكمة بوادى النيل. ولم تنجح ثورة عرابى لعوامل كثيرة ولكن الشعب المصرى بقيادة **سعد زغلول** واخوانه أعادوا الكرة مرة أخرى فى عام ١٩١٩ بعد أن ثبت لهم خداع الاستعمار الانجليزى وتصميمه على البقاء فى أرض الكنانة . ولم تنجح ثورة ١٩١٩ لنفس العامل الداخلى ولو أن العامل الخارجى لم يتغير . ولما قامت **ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢** كان قادتها يعرفون عن التاريخ وعى انفسهم وشعبهم اكثر مما كان يعرف عرابى وسعد زغلول ، ولهذا فقد حالفهم النجاح لوضوح فكرتهم ولتصميمهم على الوصول الى الهدف مهما كانت النتيجة . فالذين تركوا منازلهم صباح ٢٣ يوليو كانوا يعرفون جيدا أنهم قد لا يعودون احياء الى اولادهم ، وبهذا التصميم والشجاعة النادرة نجحوا فى مهمتهم وحققوا لمصر ولجميع البلاد العربية ما تتمتع به الان من عزة وكرامة . والذى لم يتحقق بعد وهو خلق امة قوية مهابة الجانب فى هذا الجزء من العالم الواقع بين المحيط الاطلسى والخليج العربى لاشك أن سير الثورة الحثيث ، معتمدة على العلم والتخطيط ويحدوها الاخلاص والمصلحة العربية العليا ، كفيل بتحقيقه . وكل آت قريب باذن الله . ولعل من أهم العوامل فى نجاح الثورة شخصية القادة ،

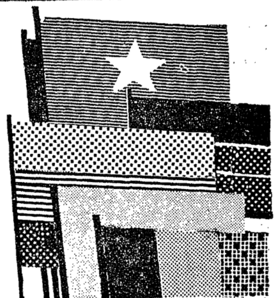
فلاشك ان ((عبد الناصر)) خلق ليكون قائدا ملهما، فمواقفه كلها تشير الى هذه الحقيقة . فيوم أن حطم حصار الغرب لوطننا واشترى السلاح من الشرق للدفاع عن كيان مصر وفلسطين والعروبة كانت هذه أول خطوة أعادت للعرب ثقتهم بأنفسهم ونبهت اعداءهم الى أن زعيما للعرب قد جاء به الزمان . ويوم أن أمم القناة ردا على تحديات الغرب ، كان قد أعاد للعرب حقا من حقوقهم المسلوبة وأعاد اليهم شيئا اثمن من هذا كله وهو اليقين بأن أصحاب الحق دائما منتصرون . ويوم ان هاجم الاستعمار ممثلا بانجلترا وفرنسا ومعهم اسرائيل منطقة قناة السويس للقضاء على جيش مصر وعلى زعمائها وعلى رأسهم عبد الناصر ، كانت اوامر عبد الناصر بالرغم من رأى العسكريين الانسحاب من سينا أوامر قائد موفق . ويوم أن ذهب السياسيون التقليديون الى مجلس الوزراء لمقابلة عبد الناصر والطلب منه أن يفاوض الانجليز الذين كانوا قد احتلوا مدينة بورسعيد ، ووقف عبد الناصر ينذرهم بالذهاب الى منازلهم وعدم الرجوع الى مثل هذا القول والا فانه سيأمر بشنقهم فى ساحة مجلس الوزراء ، كان هذا عمل قائد ملهم وموفق ، فالله وحده يعلم ماذا كانت ستكون النتيجة لو كان فى كرسى القيادة غير عبد الناصر . ويوم أن أعلن ايدن بأن قائد منطقة بورسعيد قد طلب من الجيش الانجليزى والفرنسى الدخول فى مفاوضات للتسليم ، ثم أعلن عبد الناصر عزل القائد وقال لا تسليم بل حرب الى النهاية كان هذا عمل قائد موفق . لقد أحب الناس الثورة المصرية ممثلة بعبد الناصر واعتبروها ثورة العرب اجمعين لان الرجل كان يعبر عن جميع ما كان يخالج نفس كل عربى فى كل مكان . لقد صفق الناس لعبد الناصر يوم أعلن شراء الاسلحة واستمع الناس لعبد الناصر يوم خطب فى الازهر، وبكى العرب أجمعين يوم خطب عبد الناصر يودع سوريا ويتمنى لها حياة طيبة بعد جريمة الانفصال . وهلل الناس وعجبوا للتضحيات الهائلة التى قدمها الجيش العربى فى اليمن ، ومن يومها أثبتت القومية العربية بقيادة عبد الناصر أنها مستعدة للتضحية فى أى مكان من الوطن العربى .

لقد أحب الناس عبد الناصر ورجال الثورة لانهم اثبتوا على مر الايام بأنهم قادة حقيقيون . فكل تصرفاتهم تدل على العقل والحكمة والتضحية . فلا خلافات شخصية ولا اراقة دماء ولا تماثيل تقام للقادة بدون سبب واضح ولا دعاية تهدف الى أن تجعل من قادة الثورة انصاف آلهة كما حدث فى افريقيا وآسيا . انهم زعماء حقيقيون ولهذا فقد أعجب بهم العرب وأحبوهم واحترموهم هذا على المستوى العربى ، أما على المستوى الدولى فقد ظهر عبد الناصر لاول مرة أمام رجال السياسة والعالم الثالث ، وذلك فى مؤتمر باندونج (ابريل عام ١٩٥٥) وأثبت أنه رجل دولة من الطراز الاول . وبعد ذلك وفى كل المؤتمرات الدولية التى حضرها ، كان عبد الناصر من أبرز المتكلمين ومن أكثرهم خصوبة فى التفكير ورجاحة فى العقل فأحبه الاجانب ورفع رأس العرب ، وكان طودا شامخا فى مؤتمر رؤساء الدول الافريقية الذى عقد فى القاهرة فى يوليو ١٩٦٤ .

لقد كان العالم يعرف عن العرب انهم اتباع لشيوخ يعيشون بعقلية القرون الوسطى، فأظهرهم عبد الناصر رجالا عصريين يحاربون ويموتون فى سبيل ما يعتقدون . وهذا بحد ذاته نصر لمصر وللامة العربية كلها .

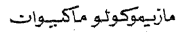
ان الامة العربية تعيش فى هذه الايام نفس الظروف التى كانت تعيشها فى عام ١٩٥٧ حيث اشتد ضغط الاستعمار لتقسيمها الى معسكرات وادخالها فى احلاف عسكرية . وقد أدى الضغط على مصر حينذاك الى شراء الاسلحة مما سبب سحب الوعود الغربية بالمساعدة لبناء السد العالى . وهذا العمل دفع مصر لتأميم قناة السويس ، مما دفع الاستعمار للهجوم على مصر، ووقفت معها الامة العربية كلها ونتج عن ذلك التعاون المصرى السورى الذى انتهى بالوحدة . وقد تسببت الوحدة بزيادة ضغط الغرب على العرب . ولسوء الحظ لم يستطع «بعض العرب» الصمود أمام اغراءات ودسائس الغرب وانفصمت عرى الوحدة ، ومن يومها والعرب يدورون حول انفسهم ولن يتحقق خير للعرب قبل اعادة الوحدة وتوسيع نطاقها . ولهذا فان ظاهرة التقارب بين الشام والقاهرة وبغداد تبعث فى النفوس ذكريات حلوة وجميلة وتعيد للنفس الامل . وان رجال البعث الجديد فى سوريا يستطيعون أن يلعبوا دورا عربيا قياديا لو انهم اتخذوا نفس السبيل الذى اتخذوه يوم اشتد الضغط على سوريا من الاستعمار واذنابه .

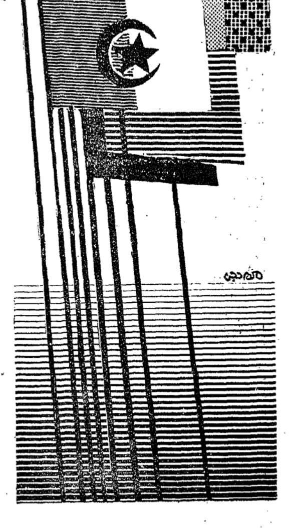
ان التحدث عن الوحدة فى سوريا والعراق وبعض البلاد العربية يذكر الانسان بالمرأة التى كانت تطبخ الحصى فى الماء لتوهم أولادها الصغار بأنها تعد لهم طعاما . حتى مر بها عمر بن الخطاب وسألها ما تفعل فأخبرته بالحقيقة ، فذهب الخليفة العظيم وأتى بالطعام واشترك بعملية الطبخ حتى أكل الاطفال وناموا . وان افراد الامة العربية فى جميع أوطانهم كالطفل تلك الامة وعمر العصر الحديث موجود فى القاهرة ممثلا بشعب الجمهورية العربية المتحدة وقائدها العظيم . فما على الذين يريدون الوحدة الا العمل على تحقيقها وتوفير جو صالح لاقامتها .



عن اثر ثورة يوليو على حركة التحرر الافريقية ، يكتب للطليعة مازيمكولو امبروس ماكيوان عضو اللجنة التنفيذية لحزب المؤتمر الوطنى الافريقى وممثل جنوب افريقيا فى السكرتارية الدائمة لمؤتمر التضامن الافريقى الاسيوى . وهو من مواليد مقاطعة رأس الرجاء الصالح وخريج كلية الاداب بجامعة رودس . اشتغل بالتدريس فى اوائل الخمسينيات ، الا انه فصل من عمله نتيجة ايقاف العمل بنظام البانتو التعليمى من جانب حكومة فيرفورد الفاشية . ويعمل حاليا عضوا بالوفد الخارجى لحزب المؤتمر الوطنى الافريقى

آفاق حركة التحرر الافريقى بعد ٢٣ يوليو





فى ٢٣ يوليو يحتفل شعب الجمهورية العربية المتحدة بالذكرى الرابعة عشر للثورة المصرية التى فجرتها الاقسام الوطنية البعيدة النظر من القوات المسلحة ، والتى قوبلت بالتأييد الحماسى الحار من جانب الشعب . وربما لم يتبين قادة الثورة حينذاك ان ذلك الحدث ستكون له كل هذه الاثار البعيدة المدى ، سواء فى داخل بلادهم او خارجها .

لقد كانت الثورة ، التى قادها الرئيس جمال عبد الناصر ، فاتحة عهد جديد من الاستقلال السياسى الحقيقى ، واصبحت مصر يحكمها رجال وطنيون مصريون . غير ان المتاعب سرعان ما تبدأ حين يسعى الشعب الى توطيد دعائم هذا الاستقلال . فعلى الرغم من ان الاستقلال السياسى يعد خطوة كبيرة فى سبيل الحرية والسيادة القومية ،

الا ان العماد الاساسي للاستقلال هو التحرر الاقتصادي .

ومن اهم الامور بالنسبة لافريقيا ذلك النموذج المصري الذي قدمته حكومة الرئيس عبد الناصر في مواجهته لمشكلة امداد الشعب المصري بحاجته المتزايدة الى المواد الغذائية والمواد الخام اللازمة للصناعات الاستهلاكية . ان مصر بلاد صحراوية واذا أريد للزراعة أن تتطور بنجاح فلابد من زيادة الاراضي التي تصلها مياه الري . لذلك احتلت مسألة بناء سد أسوان العالي مكان الصدارة في اذهان قادة الثورة . وكانت الحاجة ماسة لمبالغ هائلة من المال لتنفيذ مثل هذا العمل الجبار . وتقدمت الحكومة المصرية تطلب المساعدة من دول الغرب المتقدمة . واثناء المباحثات التي جرت في هذا الصدد ، بذلت الدول الغربية كل ما في وسعها للضغط على مصر وابتزازها . ومن ابلغ الامور دلالة واهمية ،بالنسبة لمصرولافريقيا كلها ،الرفض الحاسم الذي واجه به الرئيس عبد الناصر اية شروط سياسية يراد فرضها على مصر ، او اية انتقاص من سيادتها القومية . وكانت الخطوة التالية أكثر اهمية، ونعني بها تاميم قناة السويس. وساعد هذا مساعدة مباشرة في تمويل مشروع السد العالي . وما كان هذا ليمر دون أن تحاول الدول الاستعمارية الانتقام من جمال عبد الناصر، فهي ترى في أية محاولة تقوم بها أية دولة نامية لتحرير اقتصادها من سيطرة الاحتكار الاجنبي جريمة لا تغتفر . ولو ان هذا الإجراء مر دون رادع لاصبح مثلا يحتذيه القادة الوطنيون في البلاد النامية الاخرى . ومن ثم قام الاستعماريون بعدوانهم الثلاثي اليائس عام ١٩٥٦ . وكان ذلك درسا لا ينسى لكل افريقيا تعلمت منه كيف أن الاستعماريين لن يترددوا في الاقدام على اى جريمة للابقاء على الاستغلال الاستعماري ولحرمان شعوب البلاد النامية من مكاسبها التي حصلت عليها بعد نضال مرير .

وفي لحظات المحنة ، اعتبر الجيش المصري الفتي أن مهمته ورسالته الكبرى هي أن يرتفع الى مستوى الاحداث وينهض بعبء الدفاع عن المنجزات التي حققتها الثورة . وهكذا تمت هزيمة المعتدين. والفضل يرجع ايضا الى المعونة المنزهة من الغرض التي قدمها الاتحاد السوفييتي لمصر في تلك اللحظات العصيبة . فيالها من وقفة رائعة، ومهمة نبيلة ! . والمجد لمدينة بورسعيد الباسلة !. ألم يقل لنين ان « أي ثورة يكون لها قيمة بقدر ما تستطيع أن تدافع عن نفسها » ؟ هذه ، اذن ، ثورة أثارت أحقادا سوداء في قلوب الامبرياليين المستغلين ، ولكن هذا ايضا شعب عرف ضرورة اعداد نفسه اعدادا معنويا وماديا للرد على العدوان الامبريالي . وكان ذلك من اعظم الدروس التي تعلمتها افريقيا .

ومن العوامل الاخرى ذات الدلالة البالغة بالنسبة للثورة الافريقية كان هو اسهام الاتحاد السوفييتي في بناء السد العالي . ان السد ، الذي يبنى بمساعدة الاخصائيين والخبراء والمعونة المادية والفنية من الاتحاد السوفييتي — لهو مثل ناصع على نوع المعونة التي تسديها البلاد الاشتراكية للبلاد النامية ، وعلى نوع العلاقات فيما بينها ، وهي علاقات لا تستهدف الربح على حساب البلاد النامية ، ان المعونة التي تقدمها حكومات البلاد الاشتراكية الى البلاد النامية لا يحركها دافع الربح ولا تحكمها اعتبارات أنانية. وهي معونة لا ترتبط بأية شروط عسكرية أو اقتصادية تمس مصالح الدول النامية . وقد قال الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب القاه في أسوان ان السد العالي دليل حي ومعبر عن التضامن العربي السوفييتي المزدهر .

وعلى نقيض موقف البلاد الاشتراكية ، نرى موقف البلاد الغربية . فالمعونة التي تقدمها البلاد الامبريالية ، او غالبية هذه المعونة ، تهدف الى تدعيم مراكز رأس المال الاجنبي ، واحتضان الراسمالية المحلية وتقويتها ، كما تهدف الى دعم ومساندة أشد النظم رجعية وتخلفا في البلاد النامية .

ومن العوامل الاخرى ذات الاهمية الفائقة بالنسبة للثورة الافريقية ، هو ما قامت به الثورة المصرية من بناء قطاع الدولة في الاقتصاد وتنميته باطراد . ان ٩٠٪ من الصناعة في مصر بأيدي القطاع العام . وتلعب الدولة دورا قياديا في تصنيع البلاد واعادة بناء الاقتصاد القومي . وثمة قيود حازمة على القطاع الراسمالي. تملك الدولة كل الصناعات الاستخراجية ، كما أن تصدير القطن بيد الشركات المملوكة للدولة . وتبذل جهود جبارة لبناء الصناعة الثقيلة . وان نظرة على المنطقة الصناعية في حلوان لتدلنا على عظم الجهود التي تبذل لتصنيع البلاد . ان بناء الصناعة هي المهمة الاولى التي تجابه الشعب المصري والحكومة المصرية . كذلك تم تصفية المراكز الاساسية لرأس المال الاجنبي .

ومن العوامل الاساسية ذات التأثير العظيم على الثورة الافريقية ، هي علاقات الجمهورية

العربية المتحدة بالبلاد الاشتراكية . ان هذه العلاقات فيها مراعاة تامة لسيادة مصر القومية ، كما انطابعها هوالوضوح والصراحة والاستقامة. انها علاقاتالصداقة الحارة معالبلاد الاشتراكية. وهذه الصداقة تنمى بكل الوسائل . وقد تحدث الرئيس جمال عبد الناصر اخيرا فى حفل استقبال الوفد السوفييتى عن « هذه الصداقة التى تعد مثلا ناصعا لنوع جديد من العلاقات الدولية يقوم على الاحترام والفهم المتبادل » .

وموقف مصر الثابت من الامبريالية ابعد اثرا واكثر اهمية بالنسبة لافريقيا . فلم يفلح الضغط الاقتصادى ولا الابتزاز الامبريالى منصرف الثورة المصرية عن سياستها الحازمة المعادية للاستعمار والصهيونية . وقد رفضت مصر بثبات ان تنضم الى اى كتلة عسكرية ، كما انها تكشف القناع دائما عن اية محاولة استعمارية خبيثة لجر الدول الفتية الى مثل هذه التكتلات وقوت مصر منقدرتها الدفاعية لتحمى استقلالها واستقلال غيرها من الدول الفتية . وهى تلعب دورا هاما فىالمنظمات الدولية ، كالامم المتحدة ، فى النضال من اجل نزع السلاح وتخفيف حدة التوتر الدولى . ودافعت بشجاعة عن قضية التحرر الافريقى ، كما قامت بدور مشهود فىالتعجيل باستقلال البلاد الافريقية. ومنذ سنوات عديدة تعتبر القاهرة هى المنبر الذى يدافع من فوقه عن استقلال كثير من البلاد ، مثل الجزائر ، وكينيا ، والكاميرون ، والكونغو ، واوغندة ، وزامبيا ، وغينيا المسماة بالبرتغالية ، وغينيا الاستوائية، وانجولا، وموزمبيق، وروديسيا وافريقيا الجنوبية الغربية ، والمناطق الموضوعة تحت السيطرة البريطانية، وجنوب افريقيا .وبينما تلقى مصر بكل ثقلها لتدعيم سياسة التعايش السلمى بين البلاد ذات الانظمة الاجتماعيه المختلفة ، فى مجال العلاقات بين الحكومات ، فانها لم تعتبر ابدا ان هذا يعنى التعايش بينالمضطهدين والمضطهدين . وحيثما لجأت الشعوب الى الكفاح المسلح لانتزاع حريتها ، فان مصر كانت دائما سباقة الىتقديم المعونةللتعجيل بانتصار الشعوب المضطهدة .

ودافعت مصر دائما ، وبشجاعة ، عن قضية الوحدة الافريقية ، وكان رئيسها احد القادة المرموقين الذين اسسوا منظمة الوحدة الافريقية. وكانت مصر عضوا نشيطا فى مؤتمر الشعوب الافريقية الذى عمل الكثير من أجل الحركات التحريرية فى افريقيا . كما أن مصر عضو مؤسس فى منظمة تضامن الشعوب الافروآسيوية ، ويتولى أحد المصريين منصب السكرتارية العامة ، وهو اعلى منصب تنفيذى فى المنظمة . وعقد المؤتمر الاول لتضامن الشعوب الافروآسيوية فى القاهرة عام ١٩٥٧ ، وكان له اثره الكبير فى دعم القوى المناهضة للامبريالية فى كل من آسيا وافريقيا .

وربما كان الطريق الذىتنتهجه مصر فىصراعها الداخلى ضد الامبريالية ابعد اثرا فى ثورة افريقيا من كل ما سبق . لقد اختارت مصر طريق التطور غير الراسمالى فى طريقها نحو مجتمع اشتراكى . وعلى اية حال ، فان تجارب جميع البلاد تدل على ان الطريق الى الاشتراكية ليس سهلا . وهنا نجد الشعب العامل والفلاحين والقوات المسلحة تناضل بقوة لكسب كل الجماعات الوطنيه للتخلص من البرجوازية والاقطاع . وهم يجابهون مقاومة العناصر المتعفنة التى تلجا الى سلاح الاغتيال للقضاء علىالعناصر النشيطة فىالاتحاد الاشتراكى العربى ، الامر الذى اثار سخط العمال والفلاحين وغضبهم ،وهم يطالبون بمحاسبة القتلة وانزال العقاب بهم .

ومن الخطوات الاخرى ، ذات الاثر الكبير على الثورة الافريقية ، هو ان التعليم فى مصر مجانى واجبارى ، وهكذا يتمكن كل طفل من نيل حقه من التعليم بغض النظر عن اصله الطبقى .

ومع ذلك ، فان الجهود المضنية التى تبذل لبناء الاتحاد الاشتراكى العربى تعد اكثر من ذلك اهمية ،وهى جهود تهدف الىجعله منظمة سياسية جماهيرية فعالة . وخلق قاعدة شعبية للاتحاد الاشتراكى العربى ،لا يضمن سير الثورة المصرية قدماالى الامامفحسب ،وانما يضمن ايضا استحالة سلب الشعب المكاسب التى حققتها . كذلك ، فان تدريب الكادر الذى يجسرى على قدم وساق ، هو خطوة ثورية هامة ، تضمن الاسهام النشيط من جانب الفلاحين والعمال والمثقفين فى ادارة شئون الجمهورية العربية المتحدة .

من كل ماتقدم ،تثبت الثورة المصرية انالثورات الوطنية فى عصرنا هى ثورات معادية للامبريالية ، وأنها ثورات ديموقراطية من نوع جديد . ان هذه الثورات لاتهدفالىالتحرر السياسى للمستعمرات السابقة فحسب ، ولكنها تهدف ايضا الى تحررها الاقتصادى . لهذا كان للثورة المصرية هذه الاثار الهائلة علىالثورة الافريقيةكنموذج حىللامكانيات الجبارة التى تفتحت امامها والمساندة الحقيقية المنزهة المادية والادبية التى تلقاها حركة التحرر الافريقية من الثورة المصرية .



رصيد ثورة يوليو في حركة عدم الانحياز

جوزيب جيرجيا

فى منتصف الشهر الماضى انتخب جوزيب جيرجارئيسا للجنة العلاقات الدولية للتحالف الاشتراكى . وجوزيب جيرجا من مواليد عام ١٩١١ . بدأ نشاطه السياسى مبكرا مما تسبب فى اعتقاله ، وصدر حكم بسجنه . شارك فى حرب التحرير منذ عام ١٩٤١ ، وبعد ان تحررت يوغوسلافيا ، انتخب عضوا باللجنة المركزية للحزب الشيوعى بكرواتيا . ومثل بلاده سفيرا لها فى البانيا وبلغاريا والهند وبورما والجمهورية العربية المتحدة . وهو من أبرز الخبراء العالميين فى العلاقات الدولية ومن قادة حركة عدم الانحياز والحياد الايجابى .

أرى لزاما على أن أقول ـ بادىء ذى بدء ـ أنه ليس من اليسير على أن أوفى موضوع البحث حقه : هذا الموضوع هو تأثير الجمهورية العربية المتحدة وثورتها التى تفجرت فى يوليو على سياسة العالم غير المنحاز . وأقول « ليس من اليسير » لانه يتعين علينا قبل كل شىء ان نعود الى تلك الثورة التى حدثت فى يوليو ١٩٥٢ ، عندما شبت الجمهورية العربية المتحدة واقفة على قدميها كبلد مستقل ، وشرعت تطور مفهومها الخاص عن تحولها الداخلى ، وعن تنظيم علاقاتها على المستوى الدولى . ففى تلك الايام البعيدة نسبيا ، ألقيت البذرة ، فنبتت ، ثم ترعرعت لتصبح ظاهرة فريدة وفائقة فى أكثر من مجال : ظاهرة بلد مستقل ذو اتجاه اشتراكى ، ويقع فى صميم قلب منطقة هامة وحساسة كالشرق العربى أو « الشرق الادنى » كما يدعى عادة . ولربما تطلب التحليل السليم أن نعيد ترتيب واحياء عدد هائل من التفصيلات والجزئيات التى قد تبدو غير ذات أهمية ، من هذه الجزئيات وتلك التفصيلات التى تميز بها على الخصوص بزوغ الجمهورية العربية المتحدة وصياغة اتجاهها الراهن . بيد ان هذا من الامور المستحيلة فى عرض موجز من هذا القبيل . وثمة صعوبة أخرى تتمثل فى هذه الواقعة وهى أن المراقب الخارجى ليس فى الوضع الذى يمكنه من ان يدرك او يثمن بكيفية سليمة كل العناصر التى اثرت على التطور العام للبلاد وعلى تكون اتجاهها . ولن يكون فى مقدور هذا المراقب ايضا ان يحيط بكافة الجوانب الجوهرية لهذا الاتجاه الذى يستطيع أن يفهمه

— وفقا لطبيعة الاشياء — شخص فى المجال نفسه ويعيش فى غمرة هذه الاحداث .

تواريخ لها دلالتها

بودى اذن — بازاء هـذه الصـعوبات — أن أستعيد الى الذاكرة فى عيد الثورة تواريخ معينة لها اهميتها من وجهة نظرى . وبودى أن اشير الى بعض جوانب هذا الموضوع الذى تبرز اهميته الدائمة وذلك من خلال تتبع تكون الجمهورية العربية المتحدة وتطورها كعامل من اقوى العوامل الموضحة للتطور العام لعدم الانحياز كسياسة ، وكعامل يؤثر تأثيرا متزايدا على الكفاح من أجل هذه السياسة ذاتها .

ولست اظن انه من غير اللائق أن أقول ان لقاء تيتو وعبد الناصر يعد فى مقدمة هذه التـواريخ التى تؤذن بظهور الجمهورية العربية المتحدة على المسرح الدولى كبلد مستقل ، وهو اللقاء الـذى استتبعه بعد ذلك بشهور اشتراك مصر الجديدة فى **مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥** . ذلك انه بعد المرحلة الاولى واللازمة لوضع أسس الاستقرار الداخلى — وهى المرحلة التى امتدت من ١٩٥٢ — ١٩٥٥ — أصبح فى وسع هذه الدولة المستقلة الان ان تخطو خطواتها الاولى نحو العالم ، وأن تبدأ العمـل فى اتجاه دعم مركزها الـدولى . وكان لاشـتراكها الايجابى فى مؤتمر باندونج كأحدى الدول الـ ٢٩ التى استقلت حديثا فى أسيا وافريقيا ، تأثير قوى على مجريات الامور فى المؤتمر وعلى النتائج التى توصل اليها . وفى هذا المؤتمر برزت مصر الجديدة كما تجلت شخصية ناصر . ومن ناحيـة أخرى فقد عاد عبد الناصر وصـحبه من المؤتمـر وبين ايديهم ثروة من الروابط الدولية ، ومن المعـرفة الاضافية عن العالم ، خصوصا عن طبيعة الاحوال والعلاقات فى أسيا وافريقيا . اما عن اجتمـاعهم بتيتو (وهو الذى كان قد عاد وشيكا من جولة واسعة وسريعة فى أسيا) فقد ساعد هذا الاجتماع على أن يستكملوا صورتهم عن العـالم الاسيوى الافريقى وعن أوربا وعن بلاد أخرى ، الامر الـذى فتح آفاقا واسعة ، وشق طريقه لينعكس فيمـا بعد على تطـور سياسـة كل من يوغسـلافيـا والجمهورية العربية المتحدة كلها .

باندونج نقطة الانطلاق

ونحن حين نعلق مثل هذه الاهمية على اشتراك الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر باندونج ، وعلى اللقاء الذى تم بين ناصر وتيتو فى ١٩٥٥ ، فان لهذا ما يبرره وذلك اذا استرجعنا ببساطة الوضع العالمى القائم اذ ذاك والمشـكلات التى واجهت الجميع ، بل التى واجهت — بكيفية خاصة — الدول الصغرى والجديدة . كانت الحرب الباردة لا تزال تزحف فى اوربا ، وكانت تهدد بالانتشار فيما وراء حدود هذه القارة ، وتهدد بأن تجذب الى معمعانها جميع الدول الواقعـة فيمـا وراء البحار القديم منها والجديد على السـواء . ان السلم فى أوربا وفى العالم كان فى خطر مقيم . وكان صراع الكتل بما فيه من شد وجذب يلقى بظله على مناطق شاسعة فى أسيا وافريقيـا . وبزغ نظام من الاحلاف العسـكرية السياسيـة مثـل **حلف بغداد وحلف ((السياتو))** فى أسيا وجنوب المحيط الهادى ، هذان الحلفان اللذان يعتبـران مجرد امتداد لحلف شمال الاطلنطى الذى أقيم عام ١٩٤٩ .

وفى الوقت ذاته كانت كل من أسيا وافريقيـا تفور بثورة معادية للاستعمار عنيفة وعميقـة . وكانت الثورة تطيح بالموقع الاستعمـارى بعـد الاخر ، مبشرة ومنذرة بانهيار النظام الاستعمارى كله : هذا النظام الذى سيطر دهـرا طويلا على القارتين .

وفى ظل هذه الظروف كان أهم شىء بالنسبة لجميع البلاد المستقلة وبالنسبة لجميع البـلاد التى تطمح الى ان تعيش فى استقلال وسلام ، ان تختار الاتجاه السليم وأن تحدد موقفا من الحرب الباردة وسياسة الكتل ، ومن التغيرات التى كانت تجرى فى كل مكان من اسيـا وافريقيـا . أما باندونج التى جمعت شمل ٢٩ من الدول الافريقية والاسيوية الجديدة ، فقد اكدت على الثورة المعادية للاستعمار ، ودخلت التاريخ كمجهـود فـريد وجماعى يزيد تلك الثـورة سرعة على سرعة ، ويعمل على استكمالها حتى تخلص العـالم من منغصات السرطان الاستعمارى ، بـكل نتائجـه المشئومة وبكل مظاهره الملازمة . وفيما يتعلق بالحرب الباردة التى كانت أوربا المنقسمة تمثل بؤرتها فقد وجه مؤتمر باندونج جهوده الى الحيلولة دون امتدادها الى أسيا وافريقيا . ذلك أن شعوب آسيا وافريقيا كانت راغبة فى ان تنأى بنفسـها عن صراع الكتل ، هذا الصراع الـذى كان من نتائجه أن اشتد اتجاه الحياد بين هذه الشعوب واصطنعت نوعا من المقاومة يذكـرنا بالمقـاومة السلبية .

وكان من بين الاهداف التى استحثت تيتو فى ذلك الوقت على أن يرحل بعيدا عن حدود أوربا

وينطلق الى الفضاء الارحب للسياسة الدولية ، رغبته فى نقل قضية الكفاح ضد الاستعمار الى حلبة السياسة الدولية الاكثر اتساعا وذلك على اعتبار ان قضية الكفاح ضد الاستعمار تشكل واحدة من اهم قضيتين تشغلان العالم . وفى الوقت ذاته كان لابد من نقل قضية النضال ضد الحرب الباردة وسياسة الكتل الى الحلبة الدولية وذلك على اعتبار انها احدى المشكلات التى تمثل — اذا ما ربطت بقضية الاستعمار المعقدة — مصدر الكثير من الشرور والالام التى كانت تحيق بالعالم اذ ذاك .

ولقد بدأ مجموع هذه الاعمال يختمر عند التقاء تيتو وناصر عشية مؤتمر باندونج ، هذا الالتقاء الذى لم يكن مجرد اتفاق زمنى فحسب، بل كان اتفاقا فى الجوهر والفكرة لانه اعلن عن بداية السياسة الراهنة لعدم الانحياز كقوة عالمية.

بريونى نقطة التحول

وشهد صيف ١٩٥٦ الاجتماع الثلاثى المعروف بين **ناصر ونهرو وتيتو** فى جزيرة **بريونى** بيوغسلافيا، ذلك الاجتماع الذى نظر اليه فى حينه كظاهرة هامة للبلدان المستقلة . ولقد اثبت الزمن أن المحادثات والوثائق الصادرة عن الاجتماع كانت تمثل نقطة تحول فى تكون سياسة عدم الانحياز باعتبارها المفهوم الاساسى الذى يتبناه العالم التقدمى المعاصر . ذلك أن نهرو وناصر وتيتو انما يمثلون ثلاثة بلدان فى ثلاث من القارات ، ويرمزون بواقع اجتماعهم الى الوحدة التى تميز الآمال الحيوية للبلاد التى تقع فى تلك القارات . ولقد تم — لأول مرة — تحديد معالم السياسة المعادية للاستعمار والمناهضة للكتل باعتبارها وجهين لعملة واحدة ، وعنصرين اساسيين من عناصر نفس هذه السياسة التى عرفت رسميا بعدم الانحياز . ولو انها — فى واقع الامر — كانت تمثل ببساطة التزاما ايجابيا باستبعاد القوة والتسلط وعدم المساواة من حقل السياسة الدولية.

ان العمل الذى بدأ فى باندونج واستمر ابان اجتماع تيتو وناصر كان قد دخل مرحلة جديدة بالمحادثات الثلاثية فى جزيرة بريونى . وفى هذه المرحلة بدأت السياسات التى انتهجتها الدول المستقلة فى افريقيا وآسيا وأوربا تنصهر فى مجرى واحد ، كما بدأت تبزغ كمفهوم متكامل عن الجهود المبذولة من أجل تغيير هذه الاوضاع العالمية ، غير العادلة وغير المستقلة ، ومن أجل بناء نظام لم تلوثه الفكرة القائلة بأن « القوة هى الحق »

ولم تدنسه سياسة القوة فى اية صورة او فى اى شكل كائنا ما كان .

وفى مجال العلاقات الثنائية للجمهورية العربية المتحدة فان السنوات السابقة بل واللاحقة أيضا كانت مفعمة بالنشاط الذى استهدف تنظيم وتنسيق العلاقات التى كان قد شابها الاضطراب كما استهدف اقامة الجسور وذلك حيثما اقتضت المصالح القومية بناءها .

ان الجمهورية العربية المتحدة شانها فى ذلك شأن البلدان الاخرى غير المنحازة كانت تبذل جهودها فى الشئون القومية العملية وفى العلاقات الثنائية حتى تنسجم هذه الجهود مع السياسة العامة لعدم الانحياز واضعة أفكارها موضع التطبيق ، عاملة على استكمالها من خلال تنظيم العلاقات وتسوية المنازعات مع البلدان القريبة والبعيدة على السواء . وعلينا فى هذا المجال أن نؤكد تأكيدا خاصا على ما حققته الجمهورية العربية المتحدة من نجاح فى تنظيم علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى ومع بلدان شرق أوربا الاشتراكية . فهذا **عنصر جديد كيفيا** فى تطور السياسة المستقلة كما انتهجتها الجمهورية العربية المتحدة والعالم العربى . ذلك أن هذه السياسة مكنت الجمهورية العربية المتحدة من أن تضع حدا لهذا النمط الخاص من العزلة .. عزلة كانت قد وضعت العراقيل — حتى ذلك الوقت — وبدرجة خطيرة امام قدرة الجمهورية العربية المتحدة على الحركة . ولقد كان لهذا الاقتحام الباسل آثار تخطت بكيفية هائلة نطاق العلاقات بين مصر وبين بلدان أوربا الشرقية . والسبب هو أن نقطة البدء فيه انما هى موقف مستقل وتقدمى تماما . اما النتيجة فهى أن الاثار الايجابية لهذا الاقتحام هى فقط التى أصبح لها الوزن المحسوس فى حين ان الاثار المغايرة والتى تعتبر حتمية مع ذلك بسبب اختلاف وجهات النظر — قد هبطت الى الحد الادنى او امكن تجنبها جميعا .

حرب السويس تحدد

معالم عدم الانحياز

وبفضل أزمة السويس عام ١٩٥٦ تحددت سياسة الجمهورية العربية المتحدة فى عدم الانحياز واكتملت ملامحها . ان هذه الازمة قد حددت سيماء البلاد وسياستها الداخلية والخارجية على حد سواء . وان هذه المسيرة التى بدأتها

ثورة يوليو ١٩٥٢ والتى استمرت خلال أزمة السويس عام ١٩٥٦، يمكن أن توصف بأنها المرحلة التى غاصت فيها البلاد بعمق أكبر فى خضم تحولها الثورى . ففى غضون هذا الموقف الطارىء وفى الفترة التى تلت بعد ذلك ، حصلت الجمهورية العربية المتحدة على حريتها الحقيقية ، وتخلصت من القواعد الاجنبية وأكدت على سيادتها الكاملة فى جميع مجالات الحياة القومية . ثم تبع ذلك كله التحرر الاقتصادى كنتيجة منطقية للعدوان الفاشل ، وكضرورة ملحة فى الظروف الجديدة التى جعلت من استكمال عملية التحرر الوطنى أمرا لا مندوحة عنه .

على أن الدروس التى كان قد تم تحصيلها ، واحتياجات الحياة فى ظل الظروف الجديدة كانت مسئولة عن تخطيط اتجاهات جديدة فى سياسة الجمهورية العربية المتحدة وكان لابد وأن تدخل فى ثنايا هذه الاتجاهات تطورات اجتماعية واقتصادية بنوع خاص . ففى عالمنا المعاصر هناك ما يبرر النظر الى الاستقلال كجزء مكمل للتحول الذى يجرى بمقتضى المبادىء الاشتراكية العامة ، هذه المبادىء التى يتحدد تطبيقها وفقا للظروف النوعية فى البلد المعنى ، ووفقا لمحصلة العلاقات الخاصة فى المنطقة التى يحدث فيها التحول

دور الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر بلغراد

ان اول مؤتمر كبير عقد فى **بلغراد ١٩٦١** البلدان غير المنحازة ، أبرز بكيفية حادة دور الجمهورية العربية المتحدة ومكانتها فى بناء سياسة عدم الانحياز ، التى كانت قد وصلت فى ذلك الوقت الى أعلى حد من حدود تطورها . ولقد تمت الاستعدادات الخاصة بالمؤتمر فى نيويورك اواخر عام ١٩٦٠ ، عندما اجتمع فى تلك المدينة قادة من أمثال **ناصر وتيتو ونهرو وسوكارنو ونكروما** وغيرهم ليحضروا دورة الجمعية العامة للامم المتحدة . ولقد قاموا فيما بينهم بمشاورات ضافية حول ما ينبغى عمله وحول الوسائل التى تكفل للشئون الدولية أن تتجه الوجهة السليمة . ولقد ادت المشاورات بين تيتو وناصر على الفور الى الخطوات الخاصة بعقد أول مؤتمر كبير من نوعه . وقد مثل التصريح الذى تبناه المؤتمر معالجة شاملة لعدم الانحياز باعتباره البديل الوحيد لسياسة القوة والتسلط ، وباعتباره الاداة الاساسية للتعايش الايجابى ، هذا التعايش الذى كان على الدوام الهدف النهائى لعدم الانحياز . أما الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها احدى الدول الرئيسية المساهمة فى انجاح المؤتمر فقد لعبت دورا فى المرتبة الاولى من الاهمية وذلك فى التحضير للمؤتمر وفى الاجراءات الفعلية المتعلقة به .

ونظرا الى المكانة التى تحتلها الجمهورية العربية المتحدة فى عالم عدم الانحياز فقد قامت بدور البلد المضيف لاول مؤتمر تعقده البلدان النامية، كما استضافت – أخيرا فى عام ١٩٦٤ – المؤتمر الثانى – والاكثر اتساعا – للبلدان غير المنحازة.

ولما كانت الفكرة عن مؤتمر الـ٣٧ دولة من الدول النامية الذى عقد فى القاهرة أنه يمثل ارضية الالتقاء بين الدول النامية وانه يمهد الطريق أمام دعوة مؤتمر عالمى عام يبحث مشكلات التجارة والتنمية – فقد كان لهذا المؤتمر – على هذا الاساس – دور حاسم فى صياغة القضايا الاقتصادية الدولية ، خصوصا ما تعلق منها بقضايا التنمية باعتبارها فى مقدمة القضايا التى تشغل عالم اليوم . ومثل مؤتمر بلغراد الدافع الاول لهذه التطورات بتأكيده على أهمية مشكلات التجارة الدولية وتنمية البلدان الضعيفة فى تقدمها الصناعى . ولقد تم ذلك اعتقادا من المشتركين فى المؤتمر بأن حل هذه المشكلات انما يزود سياسة عدم الانحياز بأساس مادى ويقدم الشروط المسبقة والتى لا غنى عنها للتعايش الحقيقى . وقد مهد مؤتمر القاهرة الطريق ، وقام بدفعة حاسمة فى دعوة **مؤتمر التجارة العام** الذى انعقد اخيرا فى **جنيف** عام ١٩٦٤ . ولقد صاغ هذا المؤتمر بنجاح المبادىء والتوصيات المتعلقة بالسياسة الجديدة التى ينبغى أن تسود فى زمن يتطلب من البلدان الاقل نموا أن تسير على طريق التقدم المضطرد ، كما يتطلب المزيد من المساواة فى مجال التجارة الدولية . وتجرى الان الاستعدادات لعقد مؤتمر جديد عام ١٩٦٧ وفقا لهذه الخطوط . هذا المؤتمر المدعو الى أن يخطو خطوة أخرى فى هذا الاتجاه ، وأن يضغط من أجل أن توضع مبادىء وتوصيات جنيف موضع التطبيق . ولن يكون هذا من أجل أسباب انسانية أو متعلقة بالعدالة الاجتماعية ، بل من أجل أهداف تتعلق بتخليص تجارة العالم واقتصاده من الخلل وذلك لمصلحة جميع الاطراف سياسيا واقتصاديا بل وأيضا لمصلحة أكثر البلدان تقدما من الناحية الصناعية.

مؤتمر القاهرة يوسع آفاق عدم الانحياز

ان المؤتمر الثانى للبلدان غير المنحازة المنعقد فى القاهره فى اكتوبر ١٩٦٤ ،بعد ان أكد على اهمية السياسة الجديدة ، واهمية الجهود التى بذلت فى مجال التجارة الدولية والتعاون الاقتصادى ، كان من ثم فى وضع يمكنه من أن يدرس عن كثب وبتفصيل قضايا نزع السلاح وغيرها من الموضوعات السياسية مثل الاستعمار والمشكلات الناجمة من المساعى التى يبذلها الاستعمار الجديد من اجل اخضاع البلدان المتحررة . مستخدما فى ذلك اساليب جديدة من السيطرة . ومعلوم أن هذه المساعى انما تفسر وتكمن وراء الازمات المتواترة والنزاعات والصعوبات التى تعانى منها الدول الجديدة . ولابد وان نعلق اهمية خاصة على القرار الذى اتخذه مؤتمر القاهرة والخاص بالتنسيق بين مشاكل نزع السلاح وبين الخطوات المتصلة بالاقتصاد العالمى . وفى سبيل تحقيق هذه الغاية قرر مؤتمر القاهرة ان يعجل ببذل الجهود من خلال الامم المتحدة لدعوة مؤتمر عالمى عام . ولقد وضعت خطة شاملة نوعا ما فى القاهرة للعمل وفقا للخطوط التى تتصل بهذه المشكلات ، وذلك بعد أن وضح بجلاء أن وثائق مؤتمر القاهرة تمثل انعكاسا أمينا للسياسة التى تبناها هذا المؤتمر كما أنها تجسد هذه السياسة تجسيدا . أما القرار الخاص بدعوة مؤتمر عام لنزع السلاح يعقد فى غضون عام ١٩٦٧ فقد كان على أقصى درجة من الاهمية ، وهو القرار الذى تبنته الدورة العشرون للامم المتحدة . **وهكذا سارت الامور فى خطين : فى الخط الاول حيث تدور المعركة من أجل سياسة عدم الانحياز وفى الخط الثانى حيث تحتدم المعركة الحاسمة من اجل التقدم والسلم . ولم يعد هناك من يجادل فى ان التحرر وزيادة معدلات النمو فى البلدان المتخلفة من ناحية ، وان البدء فى عملية نزع السلاح من ناحية أخرى ، أنما تمثل الشروط المسبقة لكى يتحرك العالم على طريق الاستقلال وتخفيف حدة التوتر . وحول هذه المسائل التى لم تحسم بعد، تدور المعارك الرئيسية لتقرر مصير تخفيف حدة التوتر ، ومصير الاتجاهات التقدمية. ان هذه المعارك تدور اما على نطاق عام او فى صورة نزاعات محلية وصدامات محدودة .**

السياسة الداخلية تدعم عدم الانحياز

ترى ما هى العناصر الاخرى التى نحتاج اليها لكى نحدد موضع سياسة الجمهورية العربية المتحدة فى حركة عدم الانحياز ولنحدد أيضا تأثيرها على تلك الحركة. نقول ماهى هذه العناصر التى يمكن أن تضاف الى ما قدمه مقالنا الموجز من معلومات خاطفة (وان كنا نأمل مع ذلك أن تشكل هذه المعلومات عرضا متماسكا) ؟

ان الانطباع الذى لا سبيل الى الفكاك منه هو انه كلما مضت السنون شكلت الجمهورية العربية المتحدة نفسها كاحدى البلدان القيادية فى حركة عدم الانحياز ، الامر الذى يتلازم بالضرورة مع تدعيم مواقعها الداخلية ومع التحولات التى تجرى فيها . وكلما اندفعت الى الامام عملية التحول ادى ذلك الى اغناء عدم الانحياز بجوهر تقدمى ، والى التغلب على الصعوبات والمحن التى تحيق بالبلدان غير المنحازة فى نضالها من أجل سياسة عدم الانحياز ، فى هذا العالم المضطرب والملىء بالتعقيدات .

ومن المعتقد بوجه عام انه عندما كانت مصر فى قبضة الاجنبى كانت تمثل نقطة الوثوب التى تتم من خلالها اعمال السيطرة على منطقة واسعة محيطة بها ، أى على منطقة الشرق العربى قبل كل شىء وعلى المنطقة التى تشكل المدخل الى قسم كبير من أفريقيا . ان هذا صحيح . لكن من الصحيح أيضا أن هذا البلد وقد صار تقدميا وغير منحاز بثبات ، قد اصبح ايضا فى الشرق الادنى وفى أفريقيا عاملا يولد القوة الدافعة نحو الاتجاه المستقل ،ونحو التحول الديموقراطى وعدم الانحياز . وليس من قبيل الصدفة أن تكون أعظم التغييرات فى بلدان الشرق الادنى قد وقعت منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ . وليس من قبيل الصدفة أن تطبع التحولات العظمى التى لا تزال تمر بها الجمهورية العربية المتحدة منذ يوليو ١٩٥٢ بخاتمها وتؤثر على جميع التبدلات العميقة وعلى كل التغييرات الكبرى والمفاجئة وكذلك على الازمات التى عصفت بالاحلاف العسكرية وبالمواقع الاجنبية .

ان هذا التأثير ذاته يمكن أن يلاحظ ـ وان كان فى صورة مختلفة وبكيفية غير مباشرة ـ على جميع الاتجاهات فى داخل العلاقات بين الدول الافريقية ، وفى أسيا وافريقيا بوجه عام . فهنالك نجد التلازم بين نضج عدم الانحياز فى الجمهورية العربية المتحدة وبين الوجود المتعاظم لهذه الدولة فى جميع المناسبات التى مارست فيها سياستها الافريقية ، والافروآسيوية ، بل وفى جميع الاطوار

التى مرت بها هذه السياسة . وبعد أن قامت المجموعة المسماة بمجموعة الدار البيضاء بنشاط مرموق ورائد فى التأكيد على مواقف أفريقيا الجديدة ، هذه المواقف المعادية للاستعمار والمستقلة ، جاء زمن انضمت فيه غالبية الدول الافريقية الى حركة الاستقلال العالمية ، واختارت عدم الانحياز ، وهو الامر الذى يعكسه ميثاق عام ١٩٦٣ . على ان الذبذبات المؤقتة والانحرافات المتفرقة التى لوحظت أخيرا على طول الجبهة الافريقية ليس فى مقدورها أن تنال من قيمة هذه المنجزات لاسيما بعد أن وضعت الاسس التى ستساعد الامم الافريقية ـ فى المدى الطويل ـ على بعث وتنشيط العمل المستقل والمتكامل فى افريقيا ، فى تلك القارة التى طمس المستعمرون مشاكلها ـ مؤقتا ـ واخمدوا صوت آمالها وان كان ذلك للحظة فحسب ، وحجبوا رؤية الاهداف عن الانظار ولكن فى بعض الاماكن فقط .

مسئوليات متزايدة على الدوام

على أن تأثير سياسة الجمهورية العربية المتحدة ومسئوليتها لم تكن على هذا القدر من الجسامة مثلما كانت عليه خلال العام أو العامين الماضيين ، وذلك منذ أن بدأ سباق جديد لاستعراض القوى على نطاق عالمى ، ومنذ أن بدأت تتغير العلاقات بين الدول الكبرى ، وبين مجموعات من هذه الدول . بل ومنذ أن افلت زمام المبادرة من ايدى بلدان عدم الانحياز فى خلال هذه الفترة ذاتها ، وما صحب ذلك من ظهور علامات الارتباك وفقدان النشاط فى صفوفها . أضف الى ذلك أن سياسة الصين ازاء الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية ، وموقف الصين من حركة باندونج : كل هذا قد تسبب فى الحد من امكانيات الدول الاشتراكية فى العمل على نطاق جهة عالمية واسعة. وقد كان لهذا كله ايضا تأثير رئيسى على انهيار مؤتمر باندونج الثانى . ولقد وجدت قوى الاستعمار والاستعمار الجديد فى هذه التغييرات التى حدثت فى علاقات القوى ارضا خصبة للعمل الموجه . لكى تخطو خطواتها فى أوربا ، كتسلح المانيا الغربية بالسلاح الذرى وتضاعف قوى الحرب الباردة ، ولتبقى على المخلفات الاستعمارية فى افريقيا وأسيا ، وتتعدى على استقلال البلاد التى تحررت حديثا . وبحلول عام ١٩٦٥ تفاقمت وطأة التدخل فى مختلف صوره وفى العديد من الاماكن . واتخذ هذا التدخل صوره العمل المسلح فى فيتنام وفى جمهورية الدومينيكان على أن هذا العمل وان كان قد اختلف فى الصورة وفى الدرجة فحسب عن المؤامرات الدنيئة فى روديسيا الجنوبية ، الا انه يظل مع ذلك متطابقا معه من حيث الدوافع والاهداف . ويدخل فى غمار موجة المد الاستعمارية العالمية المحاولات المبذولة لاقناع الدول الاسلامية لكى تقوم ـ هى بنفسها ـ باضفاء صيغة شرعية مزعومة على مخططات الاستعمار وذلك حتى تبدو هذه البلدان العربية الاسلامية فى صورة من يقوم ـ من تلقاء ذاته ـ بمبادرات فى معارضة الميول التقدمية والصريحة للجمهورية العربية المتحدة ولكل الاتجاهات التقدمية فى المنطقة وفى داخل الدول المحيطة بالجمهورية العربية المتحدة.

حركة عدم الانحياز ضد الاستعمار الجديد ومن أجل نزع السلاح

على أن المشكلة الاساسية التى باتت تواجه حركة عدم الانحياز ككل ـ فى هذه الفترة ـ والقضية التى تشغل كل بلد على انفراد من البلدان غير المنحازة والتقدمية ، انما تتمثل فى وقف طوفان التدخل واحباط أفاعيل المستعمرين الجدد . لانه تحت تأثيرهم ردت الروح الى القوى الرجعية داخل بلاد معينة ، هناك حيث نجحت هذه القوى فى تدمير مختلف المواقع المستقلة (كما هو الحال فى غانا) كما نجحت فى انتزاع زمام المبادرة لنفسها.

وفى ظل هذه الظروف، وفى هذا الوقت بنوع خاص، تحتل الجمهورية العربية المتحدة موقفا رئيسيا ، وانطلاقا من هذا الموقع نراها تسعى الى البلاد غير المنحازة والتقدمية لتمدها بدفعة توسع من نطاق مقاومتها وتعيد نشاطها على خطوط أعرض.

ولعل من اكبر الجهود التى بذلت فى هذا الشأن المبادرة التى قام بها ناصر وتيتو فى اجتماعهما الأخير بالاسكندرية ، عندما وجها نداءا الى بدء العمل فى المهام الرئيسية التى تواجه دول عدم الانحياز ، ولتنظيم مؤتمر لنزع السلاح العام ، ولاجراء مباحثات عن التجارة والتنمية . وفى هذه المناسبة ايضا اعطى ناصر وتيتو اشارة البدء من أجل مشاورات ونشاطات ضيقة وواسعة تقوم بها البلدان غير المنحازة وذلك لحث حركة عدم الانحياز التى تباطئت نوعا على أن تخطو خطوات

اسرع . ان هذه الحركة هى وحدها التى توجد فى وضع يمكنها من الوصول بهذا العمل العظيم الى نهاية موفقة ، كما يمكنها من المساعدة على ايجاد حلول ديموقراطية وسياسية للمشكلات والصدامات (ومن قبيل هذا العدوان فى فيتنام) هذه الصدامات التى تغرق الامم الصغيرة فى حمامات الدم ، وتبقى العالم فى أسر خطر اشتباكات أكثر اتساعا واشد تدميرا .

والان وقد بدات التغييرات تطرا على العلاقات بين الدول الكبرى وفى العالم بوجه عام فأن صياغة الاتجاه السليم لدول عدم الانحياز لم تستكمل بعد ولسوف تتطلب فسحة من الوقت.

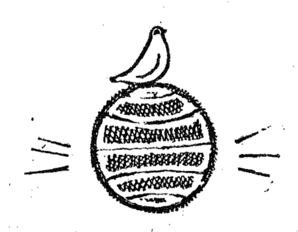
ولقد اصبحت مواقف الدول الكبرى بحيث يمكن القول بأن مفهوم الشرق والغرب قد فقد جانبا كبيرا من معناه . وفى ظل هذه الظروف المتغيرة بات لزاما على هؤلاء الذين يتمسكون بسياسة عدم الانحياز الايجابية أن يوضحوا مهامهم وأن يحددوا مكانهم بقوة أكبر مما فعلوا حتى الان ،

وعليهم أن يدللوا على دقة أعظم فى قياس مواقعهم وعلاقاتهم بأزاء العناصر القديمة والجديدة فى العلاقات الدولية . وان المجهود المبذول لانجاز نزع السلاح العام وتحرير البلدان الجديدة ، هذا المجهود الذى يتوقف عليه اليوم مصير السلم والتقدم سيكون خير مرآة من نوعها لجميع أنواع السياسات . ولسوف يكشف الغطاء عن دور كل الدول وعن مكانها كبيرة كانت أم صغيرة ،وبغض النظر عن الشعارات التى تعمل تحتها أو الحجج التى تستخدمها لاخفاء او تبرير مواقفها وانماط سلوكها .

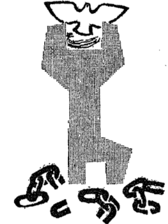
وعلى الطريق نحو تحقيق أهداف عدم الانحياز النهائية – والتى تتلخص فى التعايش بين بلدان حرة ومتساوية وآمنة – تتحدد المهام الاولى والرئيسية وهى : نزع السلاح العام ، والتقدم المضطرد السرعة، والتحرر الكامل. وان المؤتمرين الكبيرين اللذين اشرنا اليهما آنفا مدعوان الى أن يكونا بمثابة الروافع الوحيدة والممكنة لتنفيذ هذه المهام .

وفى ظل هذه الظروف الموجودة اليوم يندر أن تتوافر لبلد آخر هذه الفرصة التى تتوافر للجمهورية العربية المتحدة وذلك من حيث قدرتها على التأثير على الاتجاه السليم بهدف مساعدة الدول الجديدة وغير المنحازة على أن تكيف نفسها بطريقة اسرع مع العلاقات التى تتشكل فى عالم اليوم وانها لحقيقة ينبغى التأكيد عليها بمناسبة عيد الثورة ، كما أنها ملحوظة تدخل فى باب الثناء ينبغى التشديد عليها . ومع ذلك ، فمن هذه الحقيقة تنبثق مسئولية عظمى تقع على كاهل الجمهورية العربية المتحدة التى صارت خلال السنوات الأخيرة مناضلا بارزا من أجل السلم والتقدم .

ولسوف يؤدى هذا البلد التزاماته بنجاح وبقدر ما حمل من جانب غير هين من المسئولية فى جميع الخطوات والجهود التى تركت البلاد غير المنحازة من خلالها بصمات عميقة على فترة ما بعد الحرب الصعبة ، وذلك عندما اندفعت هذه البلدان تقدم مساعداتها الى العالم حتى يتمكن من التغلب على الصعوبات التى أرغم على أن يخوض غمراتها خلال العشرين عاما المنصرمة .



حوافز الانتاج بين الفهم الرأسمالى والفهم الاشتراكى



د. اسماعيل صبرى عبد الله

يحتل موضوع حوافز الانتاج محلاً بارزاً من اهتمامات كل المشتغلين بقضايا التنمية وتنظيم القطاع العام فى بلادنا . ويندر ان ينعقد اجتماع او يثور نقاش او ينشر مقال فى اى شأن من شئون الانتاج دون أن يرد فيه ذكر لتلك الحوافز .

ولكن هذا الحديث الذى يتوالى فى الحاح منذ عامين لم يبدد تماما ما يحيط بهذا الموضوع من غموض أو خلط . بل لعلنا لا نغالى اذا قلنا انه اذا كانت جميع الاطراف المعنية تسلم بأهمية حوافز الانتاج فانها ابعد ما تكون عن الاتفاق حول طبيعتها ودورها فى مجتمع يبنى الاشتراكية . كذلك فانه ليس من المغالاة فى شىء ان نقول انه رغم التسليم العام المشار اليه توجد معارضة لا يستهان بها للتوسع فى تطبيق الحوافز ، معارضة اساسها عدم التقدير السليم لدلالة النظام الاشتراكى او التوجس من ان يتوسل البعض باسم الحوافز الى تقويض القواعد التى يرسيها شعبنا لبناء الاشتراكية .

واليوم، ونحن نبدأ فى تنفيذ خطة التنمية الثانية ،لا بد من العمل على توضيح هذه القضية الاساسية لتلعب الحوافز دورها المطلوب فى انجاز اهداف تلك الخطة بل وتجاوزها . فاذا كان ثمة اجماع على اهمية ذلك الدور ، فانه يكون من الضرورى تحديده حتى يخرج من حيز الحديث الى حيز التنفيذ .

وقد تبدو الامور لاول وهلة على قدر عظيم من البساطة، لا تحتاج الى «فلسفة» او تعميق. واذا تساءلنا: ما المقصود بحوافز الانتاج؟ سارع الكثيرون بالاجابة : هى ان **يكون لدى كل مواطن ما يجعله يحرص على زيادة الانتاج وتحسين نوعه** .ولكن التأنى القليل يبين على الفور أن تلك الاجابة لا تغنى فى العمل شيئا. فهى تفسر الشىء بنفسه، ولا تخرج به من الغموض الى

الوضوح، بل انها تترك المجال رحبا لتفسيرات متناقضة ومن ثم لمفاهيم خاطئة .

مفاهيم خاطئة ...

ولعل اول تفسير تمليه فكرة أن يكون لدى المواطن دافع شخصي لزيادة الانتاج هو انهـا تؤدى عملا الى التفاوت الكبير فى دخول الافراد وتخل بذلك بعدالة التوزيع. وهذا التفسير هو الذى يثير على الفور معارضة واسعة قوامها الاصطدام **بفكرة المساواة** . ومن المعروف تاريخيا ان من بين الاتجاهات الاشتراكية الخياليه اتجاها يبنى الاشتراكية على فكرة المساواة المطلقه .ويقول مؤرخو الاشتراكية العلمية ان هذا الاتجاه يعبر فى الواقع عن آمال بعض الفئات الاجتماعية التى ترتبط باشكال انتاج قديمة مثل الصناعات الحرفية والزراعةالصغيرة والتى تمارس فى نفس الوقت الملكية الفرديـة والعمل والتى تحلم بمجتمع على صورتها يتكون كله من وحدات انتاجية صغيرة جدا متخلفة فنيا متساوية الحجم، يملكها اولئك الذين يعملـون فيها. وآمال تلك الفئات الاجتماعية ــ التى يطلق عليها الاشتراكيون اسم البورجوازية الصغيرة ــ تتناقض جذريا مع تطور الانتاج وتقدمه فنيا الذى يتمثل فىوحدات الانتاج الالية الكبرى المملوكة للشعب كلـه . ولذلك فاشتراكية البورجوازية الصغيرة اشتراكيـة **خيالية** بمعنى انها تتناقض مع الواقع ولا يمكن بالتالى ان تغـدو حقيقـة واقعـة . فالثابت ان البشر ليسوا متساوين من حيث قدراتهم البدنية ولا مواهبهم الذهنية. كما ان ما يمكن ان يكتسبه الفرد من قوة عضلية او مهارة فنية او معرفة علمية يتوقف على ما يبذله من جهد فى هـذا السبيل . ومحصـلة ذلك كله هـو ان ما يمكن ان يقدمه الفرد للمجتمع يختلف من شخص الى آخر. وكل ما ترمى اليه الاشتراكية هى انتزيل من طريق الفرد كل العوائق الاجتماعية التى يمكن ان تحول بينه وبين اكتساب ما يكون بوسعه اكتسـابه من قدرات . وهذاما عبر عنه **الميثـاق بمبدأ تكافؤ الفرص** . فالملكية الاقطـاعية او الرأسمالية الكبيرة تجعل وسائل الانتاج فى يد قلة من الافراد، وتحرم بالتالى اغلبية افـراد المجتمع من ادارة تلك الوسائل واستغلالها على افضل وجه. وذلك بالرغم من ان صفة الاقطاعى او الرأسمالى الكبير ليست فى ذاتها دليلا على تفوق هذا الفرد عن غيره من ابناء المجتمع .بل على العكس قد يوجد بين ابناء الشعب مـن لديه من القدرات ما يفوق قدرات المالك الكبير اضعافا مضاعفة. ومن ثم فان سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الاساسية يفتح السبيل امام ابناء الشعب جميعا ليبرزوا ما لديهم من طاقات اى انه يحقق تكافؤ الفرص. كذلك اذا كـان التعليم يتكلف الفرد نفقات كبيرة كان معنى ذلك حرمان السواد الاعظم من الناس من امكانيـة زيادة المهارة الفنية واكتساب المعرفة العلمية. ومجانية التعليم بقضائها على هذا الـوضـع تحقق تكافؤ الفرص. كذلك اذا كان الغذاءالكافى والمسكن الصحى والرياضة البدنية والعلاج الطبى امورا لا ينالها الا اصحاب الدخول العالية، كان معنى ذلك حرمان الاغلبية من امكانية صيـانة طاقاتها وتطويرها. والخدمات التى تقدمها الدولة فى مجالات التموين والاسكان والشباب والتأمين الصحى بازالتها لتلك العقبة تحقق مبدأ تكافـؤ الفرص .

فاذا ما تكافأت الفرص امام الجميـع يـكون شعار الاشتراكية **((من كل بحسب عملـهولكل بحسب عمله))** . فلا يمكن ان يستوى من يعملون ومن لا يعملون، لا يمكن ان يستوى العامـل والخامل ،لا يمكن ان يستوى فى نظر المجتمع من يقدم له الكثير مع من يضن عليه بالجهد ليعيش عالة على كد غيره. اذن لا مساواة فى الدخول، بل تكافؤ فى الفرص. ويضاف الى هذا الاساس الفلسفى، ان الاشتراكية تهدف قبل كل شىءالى زيادة الانتاج .ان النظم الاقتصادية القائمة على الاستغلال بالرغم من كل ما احرزته البشرية من تقدم، عجزت حتى الان عن ان تحقق سيطرة الانسان الكاملة على الطبيعة، تلك السيطـرة التى تمكن الناس من ان يحولوا ما تقدمه لهم الطبيعة الى فيض متزايد ابدا من السلع التى توفر لكل فرد مستوى من المعيشة يرتـفـع باستمرار. ولو اقتصرت الاشتراكية على اعادة توزيع الدخل القومى الحالى توزيعامتساويا فانها لن تؤدى الا الى المساواة فى الفقر. وقد يكون هذا النوع من « العـدالـة » مرضـيا لخيـال البورجوازيين الصـغار من انصـار المسـاواة المطلقة ، ولكنهم سيكونون اول من يضيق بـه لـو تصورنا أنه ممـكن فى التطبيق . ولهـذا كان **الشعار الذى رفعه الميثـاق هو شـعار الكفاية والعدل** اى زيادة الانتاج حتى تغطى حـاجات الناس المتزايدة، والعدل فى توزيع هذا الانتاج المتزايد .

ومـن الواضـح ان فكرة المسـاواة فـكرة **توزيعية** ،بمعنى انها لا ترى فى النشاط الاقتصادى الا جانبا واحدا منه هو التوزيع، وانها تهملتماما جانب الانتاج. ولذلك فهى تنعكس لدى مـن يعتنقها فى موقف المطالبة بالحقـوق واهـدار الواجبات، والنظر الى المال العام باعتباره وعاء له الحق فى ان يغترف منه دون ان يكون عليه ان يزيد من حجمه .فهو يجأر عاليا بحقه فى العمل والحصول على دخل، ولكنه يتناسى ما قالـه

الميثاق من العمل واجب كما انه حق. ويساعد على انتشار هذه الروح الخبيثة في بلادنا ميراث ثقيل من الماضي البغيض ،ميراث من ايام ان كانت الحكومة في بلادنا بيد حفنة من الغاصبين الاجانب يستغلون سلطتها في نهب منظم لعمل الشعب وعرقه بحيث أصبح الناس لا يرون في اخذ الفرد شيئا من المال العام — من «الميرى» كما كان يقال — الا نوعا من الاسترداد من مال مغتصب اولا عن آخر. وقد آن الاوان ان نجتث هذا التفكير من جذوره . ان القسم الاعظم من وسائل الانتاج اليوم ملك الشعب، والسلطة القائمة — رغم كل العوائق والعقبات والنشاط المضاد للميثاق — هي بحكم الميثاق والدستور سلطة قوى الشعب العاملة. ومن ثم فزيادة الانتاج، زيادة لثروة الشعب يستفيد منها كل ابنائه ،والمال العام ملكية الشعب يجب ان نصونها كما نصون حبات العيون ، والعدوان عليه او النيل منه بغير حق عدوان على الشعب كله. ان العامل الذي يتمسك بالنصر التاريخي للطبقة العاملة المصرية في الغاء الفصل التعسفي ثم يتجاهل ان هذا النصر لم يكن متصورا الا في اطار تغييرات اجتماعية ضخمة ادت الى ان تكون وسائل الانتاج الاساسية بيد قوى الشعب العاملة، فيندفع في سبيل الاستهتار وعدم المبالاة يخطىء خطأ جسيما في حق الطبقة العاملة والمجتمع الاشتراكي الذي نبنيه . واذا كانت الدولة لا تجعل من تشريد العمال اسلوبا مشروعا لضمان معدلات الانتاج، فان اهمال العاملين يرتفع الى مستوى الخطأ في حق المجتمع ويستدعي ان يتصدى المجتمع ممثلا في الاتحاد الاشتراكي الى مواجهته بالعمل السياسي الواعي والفعال . وخريج الجامعة الذي يرى انه من الطبيعي ان توفر له الدولة الوظيفة بمجرد تخرجه في حين كان اخوته الاكبر سنا يعانون الامرين في سبيل التوظف، يتعين عليه ان يعي ان عليه ان يؤدي في مقابل المرتب عملا جديا يخدم المجتمع ويزيد الانتاج وان يقبل بحماسة على كل عمليات التدريب والتأهيل التي ترمي لجعله صالحا للقيام بالعمل حيث يفتقد المجتمع العاملين .... ويمكن ان نعدد الامثلة لولا خشية الاستطراد .

واخيرا يرتبط بهذه المفاهيم البورجوازية الصغيرة المدسوسة على الاشتراكية **الفوضى الفردية** التي تتمثل في الاستخفاف بمقتضيات الانضباط اللازم لحسن اداء العمل في كافة ميادين الانتاج والخدمات. ان سلطة الرئيس في المصنع كانت في يد مصلحة طبقية محددة هي مصلحة الراسماليين الذين يستغلون العمال كما كانت في الادارات الحكومية تمثل مصالح تحالف الاقطاع والراسمالية الكبيرة والاستعمار ومن ثم كان مشروعا أن يتمرد الفرد عليها او يتحايل على اوامرها او ان يسخر منها ، ولكن حين يصبح الانتاج بيد القطاع العام وسلطة الدولة بيد تحالف قوى الشعب العاملة لا يمكن ان يكون التمرد والتحايل والاستخفاف بالانضباط اللازم الا مظاهر لاتجاهات فردية فوضوية تتنافى مع مصالح الشعب . اذ مصلحة الشعب العليا هي ان ينتظم الانتاج ويتزايد ، وان تؤدي مصالح الحكومة المختلفة الخدمات المطلوبة منها على أكمل وجه . وهذا كله لا يمكن ان يتحقق اذا ترك لكل فرد حرية التصرف على ما يهوى ، بل لابد من نظام مستقر وانضباط واع نابع من التزام الفرد بأداء واجبه على خير وجه . والاخلال بهذا الانضباط الضروري لا يمكن السكوت عنه ، بل لابد ان يقاومه المجتمع بكل ما تحت يديه من وسائل سياسية وتنظيمية وادارية.

... ومفاهيم رأسمالية

ولعل من اهم عوامل ذيوع المفاهيم الخاطئة السابقة، انتشار مجموعة من المفاهيم الراسمالية عن حوافز الانتاج لدى كبار الاداريين والفنيين. فتحت شعار حوافز الانتاج كثيرا ما يتبنى البعض **فكرة رأسمالية خالصة تتمثل في القول بأن الانسان تحركه مصلحته الخاصة وانه بقدر نجاحنا في تحريك تلك المصالح الخاصة يمكن ان نحقق مصالح المجتمع** .فالعامل لا ينتج خير انتاج ممكن الا اذا خشي الفصل عند الاهمال ونال زيادة في الاجر عند التفوق، والمدير في القطاع العام لايمكن ان يتفوق على زملائه الا اذا عاد عليه كسب مادي من هذا التفوق ، وشركة القطاع العام لا تعتبر ناجحة الا اذا تزايدت ارباحها وقبل قرنين من الزمان قال الاقتصاديون الكلاسيكيون في دعوتهم للنظام الراسمالي ان الانسان اناني بطبعه لا يسعى الا لتحقيق مصلحته الخاصة، وان مصلحة المجتمع تتحقق تلقائيا من هذا الصراع الذي لا يرحم بين المصالح الخاصة. فالمجتمع البشري كسائر الكائنات الحية يخضع لقوانين داروين التي تنص على ان الكائنات الحية يحكمها الصراع من اجل البقاء الذي ينتهي دائما ببقاء الاصلح، والذي يعمل بذلك على ارتقاء الانواع المختلفة من تلك الكائنات. وتاسيسا على هذا الفهم طالب الاقتصاديون الكلاسيكيون بما اسموه **«الحرية الاقتصادية»** ،اي امتناع الدولة عن التدخل لمساندة الضعيف ، لان مصلحة التقدم الاجتماعي ذاتها تقتضي أن يسحق القوى الضعيف ليبقى الاصلح ويتطور المجتمع.. ولا شك انه لا يوجد اليوم من يجرؤ على الدفاع عن هذا الفهم الفج الساذج الذي طالما تغنت به الراسمالية ابان انتصارها التاريخي. ولكن

يبدو ان الرأسمالية قد نجحت فى ان ترسب فى اعماق الكثيرين منا الفكرة القائمة على اعلاء شأن الانانية الفردية بحيث اصبحت تجد لنفسها تعبيرا واعيا او غير واع، حتى لدى اولئك الذين يتبرأون من كل ارتباط بالرأسمالية .

ان الاشتراكية تقف على طرف النقيض من هذه الفكرة الراسمالية . ان الاشتراكية تحيى اعظم قيم التراث البشرى حين تجدد القول بان الانسان **كائن اجتماعى بطبعه** ، لا يوجد الا فى المجتمع وبالمجتمع، وبالتالى ان وجود المجتمع وازدهاره شرط ضمنى لازدهار الفرد . والناس يدركون — بدرجات متفاوتة — اهمية ارتباطهم بالمجتمع ، ومن ثم يحترمون — بدرجات متفاوتة كذلك — القيم الاجتماعية الخالصة مثل العدالة والسلام والوطنية والتضامن الاجتماعى ... الخ ولو كان الانسان لا تحركه الا مصلحته الخاصة فكيف نفسر تضحية آلاف الشهداء فى كل عصر بحياتهم ذاتها فى سبيل قضايا البشرية الكبرى او قضايا بلادهم ومجتمعهم ؟ اللهم الا اذا التقينا فكريا بعملاء البورجوازية الذين يضعون التحليل النفسى الفرويدى فى خدمة الاستغلال الرأسمالى فيزعمون بأن كل ثورى يرفض مصلحته الخاصة باسم قيم عليا انما هو فرد شاذ لم ينجح فى التكيف وفقا لظروف حياته فأصبح مريضا يحق عليه ان يطرق باب المحلل النفسى ؟ان الاشتراكية تعتقد انه «ليس بالخبز وحده يحيا الانسان» وبأنه « ماالمستحق ان يولد من عاش لنفسه » انها امتداد طبيعى لتلك القيم الاجتماعية العليا التى صاغتها البشرية عبر الاجيال .

ومن الواضح ان انصار الفكرة الفردية عن المصلحة الخاصة كمحرك للمجتمع يتبنون فهما « انتاجيا خالصا » للعملية الاقتصادية . فهم لا يعنون على حد قولهم الا بما يزيد الانتاج . ولما لم يكن من سبيل الى زيادة الانتاج الا باذكاء «المصلحة الخاصة»، فهم يدعون الى احترام المصلحة الخاصة وارضائها كل الارضاء . ولكن الواقع ان العملية الاقتصادية انتاج وتوزيع فى نفس الوقت، ولحالة التوزيع اثرها البالغ على الانتاج . فالفلاح المستعبد الذى يحوله الاقطاعى الى قن للارض لايمكن ان يكون عامل تقدم ، والعامل المستغل استغلالا بشعا لا يمكن ان يزيد الانتاج. ان الامر الغريب حقا هو ان نرى اولئك الذين ينعون على الاشتراكية عادة انها «مذهب مادى» يحولون الانسان على هذا النحو الى مجرد كائن لا تحركه الا المصالح المادية ... ! وليس ادل على سوء هذا الفهم مما اثبته واقعنا، وواقع كل البلاد المتخلفة، من ان اطلاق «الحرية» للمصالح الفردية لم يخلق التقدم الاقتصادى والاجتماعى المنشود، وان السبيل الوحيد لتأمين ذلك التقدم هو الاشتراكية كما اوضح الميثاق حين تكلم عن حتمية الحل الاشتراكى .

ويرتبط بهذه المفاهيم كذلك فهم للانضباط اللازم فى العمل يعكس **استبداد الرأسمالى ويقوم على الاستخفاف بالشعب وحقوقه.** ويؤدى هذا الفهم الى موقف سلبى من كل ما يتعلق بمشاركة العمال فى ادارة الشركات او بالرقابة الشعبية. فهذه كلها اساليب تنال من هيبة الادارة وتخل بالنظام وتعطل الانتاج بالتالى . والحد من سلطة المدير فى العقاب والثواب وبالذات فى الفصل يعتبر فى نظر الكثيرين من اصحاب هذا الفهم هو اس البلاء، هو الذى يحل الفوضى محل النظام ولا يمكن ان يتقدم الانتاج فى ظل الفوضى وفقدان النظام. ومرة اخرى يقع اصحاب هذا الرأى فى تناقض صارخ. فهم لا يكفون عن الحديث عن الحوافز، **ولكنهم يرفضون اعظم هذه الحوافز وابعدها** اثرا الا وهو احساس العاملين بانهم — كجزء من الشعب — يملكون المصنع ويشتركون فى ادارته ويتحملون المسئولية كاملة عن نجاحه او اخفاقه.. ان الرأسمالية — باعتبارها نظاما استغلاليا — ليس بوسعها ان تعتمد على انضواء حر وواع من جانب من تستغلهم الى نظامها الاستغلالى، ليس بوسعها ان تفرض هذا الاستغلال على الجماهير على اساس من رضا الجماهير به وحماستها له واستماتتها فى الدفاع عنه . ومهما يكن ما تبذله الرأسمالية فى الدعاية والتضليل باسم الحرية والديمقراطية والتقدم فانها لا تنجح فى نهاية الامر فى منع العامل من ان يحس بحقيقة الاستغلال. ولذلك فانها فى السياسة كما فى الاقتصاد لا بد من ان تعتمد على الدكتاتورية والاستبداد. فالديمقراطية البرلمانية الرأسمالية هى فى النهاية سلطة الراسماليين وحدهم ، سلطة اولئك الذين يملكون وسائل الانتاج. وفى داخل الشركة سلطة صاحبها او ممثليه سلطة مطلقة لا تقبل الجدل وفى بلد مثل فرنسا ،احرزت فيه الطبقة العاملة انتصارات ضخمة، لم ينجح العمال حتى الان فى ان يفرضوا داخل المصنع ، وجود اللجنة النقابية. فأصحاب الاعمال ما زالوا يحظرون اى نشاط نقابى داخل المصانع . اما الاشتراكية فانها تعنى نقل السلطة والثروة جميعا الى الشعب، ومن ثم فانه من الطبيعى ان يعول على انضواء واع من كل قوى الشعب ، وان تستند الى حماسة الجماهير لدولتها ولاقتصادها القومى . ومن ثم

كان المفهوم الاشتراكى عن الانضباط الواعى كأساس لاحترام النظام اللازم لتقدم الانتاج. وفى ضوء هذا الفهم يصبح واضحا انه كلما زادت مشاركة الجماهير فى تصريف شئون الانتاج، زادت حماستها له ومسئوليتها عنه. وهكذ تصبح مشاركة العمال فى ادارة الشركات فى رأس حوافز الانتاج .

الحوافز الادبية

وهكذا تبرز حقيقة طالما نبه اليها الكتاب الاشتراكيون — وان لم تنل دائما كل ما تستحق من عناية من الناحية التطبيقية — الا وهى تنوع الحوافز التى تحمس الفرد لزيادة الانتاج ، فالانسان ليس كائنا خياليا يعيش على قيم مثالية مجردة غير متأثر بحال بظروف حياته المادية ، ولكنه ايضا ليس بهيما لا تحركه الا المصالح المادية. ان الانسان الحقيقى الذى تزخر به الحياة اكثر تعقيدا بكثير من الصورة المجردة التى يرسمها عنه مفكرو الرأسمالية فيما يسمونه «الانسان الاقتصادى» وكذلك من تلك التى ترسمها الاشتراكية الخيالية. ان هذا الانسان الحقيقى تحركه **حوافز ادبية واخرى مادية .**

ولا بد لنا ونحن نبنى الاشتراكية من ان نتمثل تماما الاهمية العظمى للحوافز الادبية وان نحلها محلها الطبيعى فى مجتمع اشتراكى، اى محل الصدارة .فلو اطلقنا العنان للحوافز المادية وحدها لكان معنى ذلك نسف الاسس الفكرية التى تقوم عليها الاشتراكية وتربية الجماهير على اساس الانانية الفردية والمصلحة الذاتية . ومن المستحيل ان تبنى الاشتراكية فى مجتمع لا يفكر ابناؤه الا فى المصالح الذاتية . لقد كانت المصلحة الفردية المادية هى الاساس الفلسفى للنظام الرأسمالى لانه نظام استغلالى ،اما الاشتراكية فانها تقوم على اعلاء مثل عليا اجتماعية وانسانية فى مقدمتها تصفية الاستغلال . وهى باعتباره اعظم حركة لتحرير الانسان من كافة انواع الاستغلال قادرة على ان تفجر فى قلبه اعلى درجات الحماسة وان تطلق لديه طاقات جبارة فى التكافل الاجتماعى والعمل البناء .

ولا شك ان اهم الحوافز الادبية **هو الوعى السياسى** الذى يجعل الفرد يدرك ابعاد التغير الاجتماعى الذى تعيشه البلاد ويحس بمسئوليته — مهما يكن دوره محدودا — عن بناء الاشتراكية ويفهم ان هذا البناء يضمن له مصالحه المادية ذاتها لاطول امد حتى ولو اقتضى منه فى الحال بعض التضحيات. والوعى السياسى لا يتأتى بالوعظ والارشاد، وانما بالتوعية التى تتم من خلال النضال السياسى ذاته. ومن ثم تبرز هنا مرة اخرى اهمية الدور الذى يجب أن يلعبه التنظيم السياسى وكافة التنظيمات الجماهيرية «النقابات، منظمات الشباب، المنظمات النسائية، منظمات المثقفين ... الخ » التى يجب ان نربط بين نشاطها اليومى فى مختلف المجالات وبين الشرح الدؤوب لاهداف المجتمع وشعاراته فى المرحلة الحالية . والهدف الحقيقى للتوعية السياسية ليس فى المقام الاول اقناع كل فرد على حدة، وانما **هو خلق رأى عام** ذى وعى سياسى. فمن المعروف ان الراى العام يلعب دورا حاسما فى تحديد سلوك الافراد. ان الموظف او العامل الذى يتحايل على مسئوليته ويتهرب من اداء واجبه ما زال يبدو فى نظر زملائه فى عديد من الحالات على انه «شاطر» ويجب ان يكون هدفنا ان يصبح مثل هذا الفرد محل سخط زملائه فى العمل ، ينظرون اليه شذرا بدلا ان يتخذوه مثلا .ولو نجحنا فى تحقيق هذا الهدف لاغنانا ذلك عن الكثير من اساليب الرقابة واشكال العقاب. ولا بد فى هذا الاطار من التنويه بدور **الكادر السياسى** الذى يتعين عليه ان يسعى ان مهمته ليست ان يكون وصيا على الجماهير ولا ان يكون واعظا ينطق بما حللته الاشتراكية او حرمته، وانما ان يكون قبل كل شىء قدوة ومثلا فى اداء عمله الانتاجى والتفانى فيه. ان الكادر السياسى يجب ان يعمل اكثر من غيره وان ينال من المزايا أقل من غيره . عندئذ يكتسب احترام الناس فيصغون اليه ويتقبلون قيادته ويؤمنون بجديته حين يتكلم عن التضحيات اللازمة لبناء الاشتراكية.

ثم يأتى بعد ذلك فى مجال الحوافز الادبية دور ديموقراطية الانتاج. ونعنى بديموقراطية الانتاج مشاركة العمال فى ادارة الشركات ومشاركة الفلاحين — عن طريق الجمعيات التعاونية — فى تسيير وتطوير الزراعة . لقد ذكر الميثاق ان الانسان يجب ان يصبح سيد الالة بعد ان كان عبدا لها. ولعل اعظم ما قدمته الاشتراكية للعامل هى انها ترد اليه انسانيته لقد جعل التقدم التكنيكى والتوسع فى استخدام الالات العامل بمضى سنوات طويلة يكرر كل يوم عملية جزئية بسيطة مما يقتل فى نفسه طاقات الخلق والابداع ويفقده كل اهتمام بالمصنع وانتاجه. وقد حاولت الرأسمالية المعاصرة عن طريق نشاط «العلاقات العامة» ان تثير اهتمام

العمال بالمصنع وتجعلهم يزورون وحداته المختلفة وتدبر لهم ما يجذبهم اليه ويربطهم به. ولكن كل ذلك لا يخفى طويلا حقيقة الاستغلال الراسمالى.

اما الاشتراكية فانها بنقلها المصانع الى ملكية الشعب وتصفيتها للاستغلال يمكنها ان تفسح المجال لاشتراك العاملين بالمصنع فى ادارته ، وعندئذ يحس العامل بأنه ليس مجرد «ترس» فى آلة ضخمة، بل انسان حر متكامل لا يعمل بيديه فحسب ولكن يفكر بعقله فى مشكلات المصنع ومستقبله وتطوره وتوسعاته . وبهذا يدرك العامل ان العملية الجزئية البسيطة التى يجريها كل يوم امر بالغ الاهمية بالنسبة للمجتمع كله ، انها ترتقى فى نظره من شىء آلى بغيض الى مستوى عمل سياسى ونضالى يلهب الحماسه ويبعث على الابداع .

كذلك يأتى فى مقدمة الحوافز الادبية **الديمقراطية السياسية** . فبقدر ما يشعر العامل بأنه يشترك بالفعل عن طريق منظماته السياسية فى تصريف شئون البلاد السياسية والاقتصادية، بقدر ما يحس ان الدولة حقا دولة الشعب العامل، وان المال العام لم يعد «الميرى» الذى يحل نهبه، وانما اصبح مال الشعب الذى يتعين صيانته . عندئذ يدرك افراد الشعب انهم يضحون لانفسهم وليس لغيرهم، وانهم حين يحرمون انفسهم طواعية واختيارا من القليل فى حاضرهم، انما يؤمنون لانفسهم ولاولادهم الكثير فى مقبل ايامهم . ان المنجزات الكبرى التى حققتها الدول الاشتراكية لا يمكن تفسيرها تكنيكيا بتحليل اقتصادى او ادارى صرف لان وراءها هذا الشعور الجارف لدى ابناء الشعب بأنهم يبنون بيتهم ويكدون لصالحهم ولا يوجد من يستأثر بثمرات كدهم وتضحياتهم .

واخيرا ، وليس آخرا كما يقال ، يقتضى اعمال الحوافز المادية اجراء تغيير عميق فى **القيم الاجتماعية السائدة** . ان مجتمعنا الذى يبنى الاشتراكية ما زال خاضعا لقيم رأسمالية. مازال العديد من الناس يقومون الفرد بثروته ، بالملكية او الدخل، او بمظاهرهما التى تبدو فى بسطة العيش وسعة الانفاق . والقيم الرأسمالية كما هو معروف اساسها جميعا **الملكية** . والغنى فى مجتمع رأسمالى انسان مرموق المكانة. والمثل الاعلى للفرد فى المجتمع الراسمالى هو ان يكون ثروة. وشعار الرأسمالية هو دائما تلك الكلمة المشهورة التى قالها جيزو رئيس وزراء فرنسا فى الثلاثينيات من القرن الماضى لوفود جاءته تعترض على نظام الانتخاب الذى يقصر حق التصويت على من يملكون : « ما عليكم الا ان تغتنوا . . . » اما الاشتراكية فان القيمة الاساسية التى يقوم عليها نظامها هى **العمل** . وفى نظام اشتراكى يكون المكان المرموق هو مكان ذلك الفرد الذى يبرز فى عمله، واعلى الالقاب التى يطمح فيها المتفوق هو لقب « **بطل العمل الاشتراكى** » . ولذلك فلا بد من ثورة فى نظام القيم السائد فى مجتمعنا ، لا بد من ان نعمل على اعلاء شأن العمل وتكريم العاملين بكافة اشكال التكريم . بذلك نجعل من التفوق فى العمل هدفا يسعى اليه ومكانة ترتجى ، هكذا يصبح التفوق فى العمل حافزا ادبيا على العمل .

الحوافز المادية

ولكن اذا كان صحيحا انه «ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » فانه من المؤكد ايضا انه لابد من الخبز لكى يحيا الانسان . ولهذا فانه لا بد الى جانب الحوافز الادبية التى اشرنا اليها من حوافز مادية كذلك . ومن المعروف ان الحوافز المادية نوعان : حوافز ايجابية واخرى سلبية . والاولى تتمثل فى مكافأة المجد ، فى حين تعنى الثانية معاقبة المقصر او المهمل . واعمال الحوافز المادية بنوعيها فى اطار اشتراكى ليس بالامر الهين، بل لا بد فيه من حلول مبتكرة تتفق والمبادىء الاشتراكية.

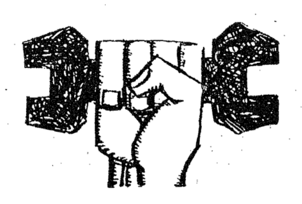
ولنبدأ **بالحوافز السلبية** . فمما لا شك فيه ان المجتمع الاشتراكى لا يستطيع ان يكتفى بفصل العامل المقصر او المهمل دون ان يبالى بمصيره كفرد وكرب اسرة بعد ان يفقد مورد دخله. ولهذا لا بد اولا من تدرج فى اشكال العقاب: الحرمان من علاوة او من ترقية، الخصم من المرتب فى حدود معينة، تخفيض المرتب ، التنزيل من العمل الى عمل اكثر مشقة او اقل اهمية ... الخ . فاذا استنفد المجتمع كل هذه الاشكال دون جدوى ولم تنصلح حال العامل المهمل فانه عندئذ يكون اما مخربا يستحق العقاب الجنائى واما مريضا يستحق العلاج النفسى، واما عنصرا غير اجتماعى يحتاج الى اعادة تربية كاملة فى معسكرات للعمل. وفى جميع الاحوال لا يمكن ان يكون موقف المجتمع سلبيا من المواطن السلبى. واذا تركنا جانبا الاحوال الشاذة التى يكون فيها الفرد مخربا او مريضا او متناقضا مع المجتمع وقيمه، فان الاغلبية العظمى من الافراد يكفى بالنسبة اليها استخدام اشكال الحوافز السلبية التى لا تصل الى حد فقدان

فرصة العمل المنتج ذاتها . ويكون « للتنزيل » في مستوى الموظف او العامل سواء اصطحب بتخفيض في المرتب ام لا اهمية خاصة باعتباره عقوبة صارمة. وغني عن الذكر ان توقيع كل تلك العقوبات يجب ان يلازمه استخدام الحوافز الادبية السلبية كنشر اسماء المقصرين في المصنع ومناقشة التقصير في وحدات الاتحاد الاشتراكي وفي اللجان النقابية... الخ .

فاذا انتقلنا الى مجال **الحوافز الايجابية** نجد بعض الامور التي لا ينبغي ان يطول حولها النقاش . فمثلا **مبدأ الترقية بالاقدمية المطلقة هو في الواقع مكافأة على الكسل** . اذ انه يجب ان يكون من الممكن للموظف او العامل المتفوق ان يحصل على الترقية قبل غيره وان يلغي بعمله قيود الزمن. حقا ان العامل الذي يؤدي عمله بصورة مرضية — وبدون تفوق — يجب ان يتحسن دخله كلما تقدمت به السن ، والا فقد الحافز المادي على الاستمرار في العمل بشكل مرض ولكن مرور السنوات وحده لا يكفي لترقية عامل كان مقصرا او مهملا خلال تلك السنوات. كذلك لا بد ان يتسع مجال **المكافآت التشجيعية** للعمال المبرزين . ومن المعلوم ان العقبة الاساسية في هذا السبيل هي خشية ان تسيء الادارة استخدام تلك المكافآت . وفي تقديرنا انه يمكن التغلب عليها بأن يتم منح المكافأة التشجيعية في اجتماع مشترك لمجلس الادارة ولجنة العشرين واللجنة النقابية. وهذا الاجراء له فائدة تربوية اذ لا بد ان يشهد مثل هذا الاجتماع دراسة لمعدلات العمل وكيف تمكن هذا العامل او ذاك من تجاوزها مما يمكن ان يحفز غيره على سلوك نفس السبيل. كما ان فيه علانية مرغوبا فيها اذ انها تعني اذاعة اسم العامل المتفوق بين زملائه مما يوفر له الحافز الادبي فضلا عن الحافز المادي .

ولكن تطبيق هذه القواعد العامة كثيرا ما يصطدم بمشكلات معقدة. فالانتاج الحديث انتاج جماعي. **وكثيرا ما يكون من المتعثر تحديد دور الفرد في تخطي المعدلات** . ومن ثم فلا بد من الاخذ بأسلوب **المكافآت الجماعية** «للوردية » او « للعنبر » عند اللزوم . كذلك يثير تقدير دور الرؤساء والمديرين صعوبات خاصة، اذ ان نجاحهم يتوقف على جهدهم الشخصي وعلى قدرتهم في تنشيط من يعملون تحت رئاستهم. ولكن التجربة العملية يمكن ان تؤدي الى وضع قواعد مرنة لمواجهة كل تلك الصعوبات .

واخيرا يبقى **دور الربح** كحافز من حوافز الانتاج المادية ، وهذا موضوع لدراسة مستقلة محورها في الواقع الشركة وليس العامل. وكل ما يعنينا في هذا المقام هو ان العمال يحصلون على حصة من الربح. وقد استقر الرأي على توزيع هذه الحصة على اساس كفاءة وجد كل عامل وليس بالتساوي المطلق. وهذا اتجاه سليم ولا شك. ولكن الربح ذاته يمكن ان يتوقف في الواقع على عوامل لا ترجع الى العاملين في المصنع ذاته. فالمصنع الحديث الذي يحقق درجة عالية من استخدام الالات يحقق ربحا كثيرا في حين انه لا يفرض على عماله المشقات التي يعانيها من يحفرون الترع مثلا ولذلك فقد يكون من المفيد تقدير عائد معقول على الاستثمارات الثابتة في المصنع ثم تزيد حصة العمال في الارباح كلما تجاوزت هذا الحد. ومن ناحية اخرى يجب ان يمثل الربح عائدا حقيقيا على المجتمع اي ان يعبر عن زيادة حقيقية في الانتاج. اما اذا كان الربح ثمرة لظروف استثنائية مثل رفع سعر سلعة ، او احتكار انتاجها او استيرادها فانه يكون قد تحقق على حساب المنتجين او المستهلكين وليس ثمرة لزيادة في جهد العاملين . وهكذا تمس مرة اخرى موضوع دلالة الربح في مجتمع اشتراكي. وهذا ما ليس مقامه هذا المقال .





تطور حجم وسائل الدفع في الخطة الخمسية الأولى

من المشاكل التى تواجه خطة العمل الثورى فى الداخل وفى مرحلة التحول الاشتراكى مشكلة الاسعار ،وهى المشكلة التى تحظى باهتمام بالغ ومستمر على كافة المستويات التشريعية والجماهيرية والتنفيذية ، ومشكلة تزايد الاسعار انما ترتبط وتعتمد الى حد كبير على وجود ما يعرف بالتوازن الاقتصادى ،ولتحقيق التوازن والاستقرار لمستويات الاسعار يوجد جانبين لهذه المشكلة : جانب عرض السلع والخدمات وجانب الطلب عليها.

فالجانب الاول يتوقف على امكانيات الانتاج فى الداخل للقطاعات السلعية والخدمات المباشرة والقدرة على زيادته كما وكيفا ، **اما الجانب الثانى** فيرتبط بمقياس هام متعارف عليه وهو حجم وسائل الدفع الى ما يتوافر فى حيازة المجتمع من نقد متداول وما يحتفظ به القطاع الخاص من ودائع مصرفية جارية لدى البنوك يمكن السحب عليها عند الطلب ، فبقدر مايوجد من وسائل دفع بقدر ما يتاح للافراد من قوى شرائية نقدية تؤتى بآثارها المعروفة على اتجاه مستويات الاسعار باتجاه الاخيرة نحو التزايد او النقصان ، فزيادة وسائل الدفع بدرجة تفوق الزيادة فى الانتاج والمعروض من السلع والخدمات تؤدى الى النتائج التوسعية المعروفة وابرزها ارتفاع مستويات الاسعار ، وذلك ما لم ترتبط الزيادة فى وسائل الدفع بزيادة فى الاستثمار تؤدى بدورها الى زيادة سريعة ومباشرة فى الانتاج والمعروض من السلع والخدمات بمختلف انواعها ، يستطاع بها مواجهة احتياجات الطلب الجديد الذى تمثله الزيادة فى وسائل الدفع وبالتالى الى جذب مستوى الاسعار الى اسفل ، **وهنا يكمن الارتباط الوثيق بين زيادة الاستثمار وزيادة وسائل الدفع من ناحية وزيادة مستويات الاسعار من ناحية اخرى .**

وفيما يلى نعرض لتطور حجم وسائل الدفع خلال سنوات الخطة الخمسية الاولى مقارنة بحجم الاستثمار ومعدل النمو للانتاج خلال نفس الفترة .

– بلغت الزيادة فى وسائل الدفع خلال سنوات الخطة الخمسية الاولى ٢٣٨ر٧ مليون جنيه وبزيادة نسبتها ٦٥٪ تقريبا مما كانت عليه فى اول يوليو ١٩٦٠ وهو تاريخ بداية العمل بالخطة الخمسية الاولى ، وقد اختص النقد المتداول من هذه الزيادة بـ ٢١٧ر٥ مليون جنيه (٩١ ٪) والودائع الجارية الخاصة بـ ٢١ر٢ مليون جنيه (٩ ٪)

ولتبيان التوزيع الزمنى للزيادة فى وسائل الدفع فى السنوات الخمس للخطة، نجد ان الثلاث سنوات الاولى ٦٠/٦١ ، ٦١/٦٢ ، ٦٢/٦٣ قد اختصت بـ ٨١ر٧ مليون جنيه اى ما يعادل ثلث الزيادة الاجمالية فى وسائل الدفع ، بينما اختصت السنتين الاخيرتين ٦٣/٦٤ ، ٦٤/٦٥ بالقدر الباقى وقدره ١٥٧ مليون جنيه اى مايعادل ثلثى الزيادة الاجمالية، ونتيجة لهذا تزايد المتوسط السنوى للزيادة فى وسائل الدفع فى الثلاث سنوات الاولى من ٧ ١/٢ ٪ الى ٢١ ١/٢ ٪ سنويا فى السنتين الرابعة والخامسة . وبخلاف ماتميز به العامين الاخيرين باستحواذهما على معظم الزيادة فى وسائل الدفع ، فقد صاحبت الزيادة الموسمية – خلال الشهور سبتمبر / ديسمبر من كل عام فى النقد المتداول وهى التى ترتبط عادة بالتمويل الموسمى لمحصولى القطن والارز، زيادة اخرى فى النقد المتداول خلال الشهور الباقية من السنة ، وهى التى يفترض اثناءها سحب قدر من وسائل الدفع التى زادت اثناء فترة التمويل الموسمى كما كان سائدا قبل تنفيذ الخطة ومن الطبيعى ان يرتبط هذا التغيير باختلاف نسب الاستثمارات المحققة خلال سنوات الخطة عن الاستثمارات المستهدفة عند وضع الخطة فى البداية ، فحيث بلغت الاستثمارات المحققة اثناء الخطة ١٥١٣ مليون جنيه ، منها ٤١٩ مليون جنيه بالنقد الاجنبى ، ١٠٩٤ مليون جنيه بالعملة الوطنية مقابل استثمارات مستهدفة قدرها ١٥٧٧ مليون جنيه ، منها ٦٤١ مليون جنيه بالنقد الاجنبى و٩٣٦ مليون جنيه بالعملة الوطنية ، فان نسبة الاستثمارات المحققة بالنقد الاجنبى بلغت ٦٥٪ والاستثمارات المحققة بالعملة الوطنية ١١٨ ٪ ، **لذلك فان النقص فى الاستثمارات بالنقد الاجنبى ادى الى التوسع فى الاستثمار بالعملات الوطنية – وهو ماادى بالتالى الى زيادة وسائل الدفع – خاصة فى استثمارات قطاع الخدمات .**

– بمقارنة الزيادة فى الناتج القومى بالزيادة فى وسائل الدفع ، نجد ان خطة التنمية قد حققت خلال ٥ سنوات زيادة فى الانتاج الصافى نسبتها ٣٦ ٪ اى بمتوسط ٧ر٢ ٪ سنويا (مقابل الزيادة المشار اليها من قبل فى وسائل الدفع ونسبتها ٦٥ ٪ منها ٢٢ ١/٢ ٪ فى ٣ سنوات ، ٤٢ ١/٢ ٪ فى سنتين) ولذلك لم يكن هناك – فى السنوات الثلاث الاولى – فارق ملحوظ بين معدل الزيادة فى حجم وسائل الدفع وبين معدل الزيادة فى الناتج القومى ، اما فى العامين الرابع والخامس واللذين فى خلال كل منهما بلغ معدل الزيادة فى كمية وسائل الدفع ثلاث اضعاف معدل الزيادة فى الناتج القومى ، فقد ظهرت مشكلة التزايد فى الاسعار بشكل ملحوظ يفوق ما كانت عليه فى الاعوام الثلاثة الاولى .والجدول

رقم (٣) يعرض لنسب الزيادة السنوية فى حجم وسائل الدفع مقارنة بنسب الزيادة السنوية خلال سنوات الخطة .

ـ ان الارقام الظاهرة والخاصة بتقديرات وسائل الدفع فى الثلاث سنوات الاخيرة من الخطة كما تظهر فى الجدول رقم ٢ تبدو اقل من حقيقتها ، فالنقص الرقمى الظاهرى فى عامى ٦١/٦٢ ، ٦٢/٦٣ ومقداره ٢ر١٧ مليون جنيه ، ٤ر١٨ مليون جنيه على التوالى انما يعزى سببه الى حدثين هامين ، **اولهما** : تاميم بعض المشروعات ذات الحسابات الدائنة لدى الجهاز المصرفى وبالتالى تحول ودائعها من القطاع الخاص الى القطاع العام ، واصبحت بالتالى خارجة ـ ظاهريا ـ عن عناصر ومكونات وسائل الدفع ، **ثانيهما** حرمان الودائع الجارية لدى الجهاز المصرفى ـ منذ يوليو ١٩٦٢ ـ من عائد الفائدة وزيادة سعر الفائدة للابداع الآجل ، وبالتالى تحول قدر ليس باليسير من الودائع الجارية الى الايداع الآجل سواء كانت مملوكة للقطاع العام او القطاع الخاص : وعلى هذا فالفروق بين معدلات الزيادة فى وسائل الدفع والزيادة فى الانتاج والتى يوضحها الجدول رقم (٣) تبدو اقل من حقيقتها .

ـ أن القدرة على الوصول الى التوازن العام تتوقف ليس فقط على انقاص معدل الزيادة فى الانفاق العام والخاص على سلع الاستهلاك والخدمات ، وانما يتوقف ايضا على امكان سحب او تخفيض اكبر قدر من النقد المتداول ، فبقدر مايوجد من وسائل دفع متاحة لدى الافراد اى بقدر مايتواجد لدى البعض منهم من نقد متداول مكتنز او يمارس الوساطة التجارية ، تكون القدرة على تخزين السلع والمضاربة عليها والتحكم فى اسعارها وبالتالى تتركز المزيد من الثروات فى يد القلة وتحت تصرفها باقتطاعها من الكثرة المستهلكة التى تعيش على اجرها وربما على حساب اى فرص لتكوين الادخار او المحافظة على الادخار الحالى

ونتيجة لهذا ولكى يستطاع جعل مستوى وسائل الدفع عند الحدود التى لا تسمح ببقاء اى مظاهر تضخمية تحدث آثارها الضارة : فانه يجب اولا ضبط حركة الاصدار النقدى ، ثم توافر دراسة دقيقة ـ بقدر الامكان ـ لتوزيع النقد المتداول فى المدينة والريف ، فى الزراعة والصناعة والخدمات ، وتوزيعه وفقا لمصادره بين عائد العمل او عوائد حقوق التملك ، حتى يتيسر تطبيق أفضل السبل لتحقيق الاهداف المرجوة فى المرحلة القادمة .

عبد العزيز المصبروت

جدول رقم (١)

تطور حجم وسائل الدفع فى سنوات الخطة الخمسية الاولى (★)

«القيمة بملايين الجنيهـات»

البيان		نقد متداول "١"		الودائع الخاصة الجارية "٢"		اجمالى وسائل الدفع	
		قيمة	٪	قيمة	٪	قيمة	٪
١٩٦٠	يونيو	١٩٢,٤	٥٢	١٧٧,٠	٤٨	٣٦٩,٤	١٠٠
	أغسطس	١٨٩,٣	٥٣	١٦٧,٣	٤٧	٣٥٦,٦	١٠٠
	ديسمبر	٢١٩,٨	٥٤	١٨٥,٠	٤٦	٤٠٤,٨	١٠٠
١٩٦١	يونيو	٢٠٧,٨	٥١	١٩٩,٧	٤٩	٤٠٧,٥	١٠٠
	أغسطس	٢٠٩,٢	٥١	١٩٩,٢	٤٩	٤٠٨,٤	١٠٠
	ديسمبر	٢٥٦,٤	٥٦	١٩٩,٠	٤٤	٤٥٥,٤	١٠٠
١٩٦٢	يونيو	٢٥٢,٩	٥٨	١٨٢,٥	٤٢	٤٣٥,٤	١٠٠
	أغسطس	٢٤٢,٩	٦٠	١٥٩,٥	٤٠	٤٠٢,٤	١٠٠
	ديسمبر	٢٧٦,٠	٦٢	١٦٦,٨	٣٨	٤٤٢,٨	١٠٠
١٩٦٣	يونيو	٢٨٧,٠	٦٤	١٦٤,١	٣٦	٤٥١,١	١٠٠
	أغسطس	٢٨٨,٣	٦٣	١٧٠,٣	٣٧	٤٥٨,٦	١٠٠
	ديسمبر	٣٤٥,٠	٦٧	١٧٠,٧	٣٣	٥١٥,٧	١٠٠
١٩٦٤	يونيو	٣٥٧,٩	٦٦	١٨٧,٥	٣٤	٥٤٥,٤	١٠٠
	أغسطس	٣٥٢,٤	٦٤	١٩٧,٥	٣٦	٥٤٩,٩	١٠٠
	ديسمبر	٤١٧,٢	٦٨	١٩٩,٢	٣٢	٦١٦,٤	١٠٠
	مايو	٤٠٩,٩	٦٧	١٩٨,٢	٣٣	٦٠٨,١	١٠٠

(★) المصدر : المجلة الاقتصادية ـ البنك المركزى المصرى ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء .
(١) النقد المتداول = البكلوت المصدر + العملة المساعدة مطروحا منهما البنكنوت والعملات المساعدة الموجودة فى خزائن الجهاز المصرفى .
(٢) الودائع الخاصة الجارية تمثل الودائع تحت الطلب التى يحتفظ بها القطاع الخاص لدى الجهاز المصرفى .

التغير فى حجم وسائل الدفع " ★ "
خلال سنوات الخطة الخمسية الأولى

جدول رقم (٢)

القيمة بملايين الجنيهات

البيان	التغير فى النقد المتداول	التغير فى الودائع الجارية	اجمالى التغير	التغير الموسمى "١"	التغير فى الشهور الباقية من السنة "٢"
السنة الأولى ٦٠ / ٦١	+ ١٥,٤	+ ٢٢,٧	+ ٣٨,١	+ ٤٨,٢	- ١٠,١
السنة الثانية ٦١/٦٢	+ ٤٥,١	- ١٧,٢	+ ٢٧,٩	+ ٤٧,٠	- ١٩,١
السنة الثالثة ٦٢/٦٣	+ ٣٤,١	- ١٨,٤	+ ١٥,٧	+ ٤٠,٤	- ٢٤,٧
السنة الرابعة ٦٣/٦٤	+ ٧٠,٩	+ ٢٣,٤	+ ٩٤,٣	+ ٥٧,١	+ ٣٧,٢
السنة الخامسة ٦٤/٦٥	+ ٥٢,٠	+ ١٠,٧	+ ٦٢,٧	+ ٦٦,٥	- ٣,٨
اجمالى التغير	+ ٢١٧,٥	+ ٢١,٢	+ ٢٣٨,٧	+ ٢٥٩,٢	+ ٢٠,٥

" ★ " مستنتج الجدول رقم " ١ "

" ١ " التغير الموسمى : الزيادة فى وسائل الدفع خلال الشهور أغسطس / ديسمبر من كل سنة وهى المرتبطة بالتمويل الموسمى لمحصولى القطن والأرز

"٢ " التغير فى الشهور الباقية : التغير السنوى مطروحا منه التغير الموسمى ، ويشير الى امكانيات السحب من النقد المصدر اثناء التمويل الموسمى .

متوسط النسب للزيادة السنوية لحجم
وسائل الدفع مقارنة بمتوسط نسب الزيادة السنوية للإنتاج القومى

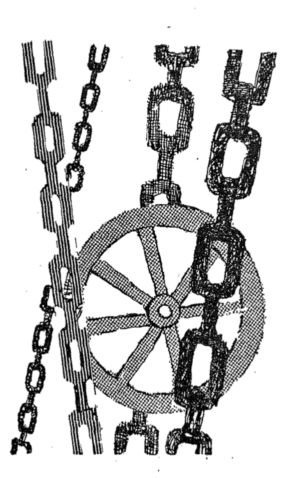
جدول رقم " ٣ "

القيمة بملايين الجنيهات

البيان	متوسط النسبة السنوية لزيادة وسائل الدفع "١"	متوسط النسبة السنوية لزيادة الإنتاج "٢"	الفرق بين نسبتى الزيادة "٣" - "١"
سنة ٦٠/٦١	٧,٥ ٪	٧,٢ ٪	- ٠,٣ ٪
٦١/٦٢	٧,٥ ٪	٧,٢ ٪	- ٠,٣ ٪
٦٢/٦٣	٧,٥ ٪	٧,٢ ٪	- ٠,٣ ٪
٦٣/٦٤	٢١,٥ ٪	٧,٢ ٪	- ١٤,٣ ٪
٦٤/٦٥	٢١,٥ ٪	٧,٢ ٪	- ١٤,٣ ٪

حركة التاريخ المصرى في إطار تحفظات فبراير ١٩٢٢

صلاح عيسى



ظلت تحفظات فبراير ١٩٢٢ تلعب دور البطل في سياسة مصر الداخلية والخارجية على امتداد المرحلة التى بدأت باعلان الاستقلال الذاتى عام ١٩٢٢ . وحتى القضاء على هذه التحفظات بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ التى نقلت العلاقات بين مصر وبريطانيا الى مرحلة جديدة نسبيا .

فاستنادا الى هذه التحفظات تدخلت بريطانيا في سياسة مصر الداخلية ، تدخلات عديدة ، اتخذ بعضها شكل العنف ، بينما كانت هناك أشكال أخرى من التدخل ، وأن لم تتسم به ، الا أنها كانت انعكاسا تلقائيا للتدخل العنيف ، وأثر من آثاره .

ويشير تعبير «التدخل العنيف» الى مطالب سياسية تتقدم بها دولة الاحتلال الى الحكومة المصرية مصحوبة بحالة تهديدية ــ كالحشود العسكرية مثلا ــ تفرض هذه المطالب وتؤكدها وتمنع الاختيار الحر بشأنها ، وعلى سبيل الحصر فان بريطانيا قد استخدمت هذا الشكل في التدخل ، ثلاث مرات في الفترة بين ١٩٢٢ ــ ١٩٣٦ ، واستندت في كل مرة على تحفظ أو اكثر من تحفظات فبراير .

● التدخل الاول في ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤ عقب مقتل السير لى ستاك سردار الجيش المصرى

وحاكم السودان وقد صيغ فى أنذارين قدمهما لورد اللنبى (Allenby) المندوب السامى البريطانى الى سعد زغلول (١٨٦٠ — ١٩٢٧) رئيس الوزراء، وقد تضمن سبعة مطالب هدد اللنبى بأنه « اذا لم تلب هذه المطالب فى الحال تتخذ حكومة حضرة صاحب الجلالة على الفور التدابير المناسبة لصيانة مصالحها فى مصر والسودان» وعندما رفضت الوزارة الزغلولية أربع من هذه المطالب لم يقم اللنبى وزنا لرفضها وأمر حكومة السودان مباشرة بتنفيذها ثم «صدرت التعليمات فى الحال الى جنود حضرة صاحب الجلالة البريطانيةباحتلال جمارك الاسكندرية» (١) كمظهر من مظاهر التهديد العسكرى للشعب اذا بدرت مقاومة ، واذا كان هذا التدخل يرتبط بمقتل السردار كسبب مباشر ، الا أن الدوافع التى ادت الى ارتكاب الجريمة نفسها تشير الى بروز حركة معارضةقوية لوجهة النظر التى كانت بريطانيا تعالج بها مسألة السودان ، ومن هنا وقع الاعتداء على السردار باعتباره حاملا لوظيفتين — كما يقول عبد الحميد عنايت احد المشتركين فى اغتياله — فهو «الى جانب كونه حاكم السودان ، كان سردارا للجيش المصرى ، الذى يهيمن على كل شىء فيه ، والذى يحرص على ابقاء الجيش كسيحا لاحول له ولاقوة ولاسلاح حديث فى يده » (٢)

● وكان التدخل الثانى فى ٢٩ مايو ١٩٢٧ ، على عهد حكومة عبد الخالق ثروت (— ١٩٢٨) الائتلافية ، وقد عرف بأزمة الجيش ، اذ قدمت الحكومة البريطانية مذكرة عن طريق دار المندوب السامى تعترض فيها على محاولة مجلس النواب تمصير المناصب الكبرى فى الجيش وأقصاء السيطرة البريطانية عنه ، ورات المذكرة البريطانية أنه «يجب على مصر أن تساعد بريطانيا العظمى على صيانة مصر من الأعتداء الاجنبى وعلى حماية المواصلات الامبراطورية» وأكدت بأندولة الاحتلال «ترغب فى أن يكون جيش مصر صالحا مستعدا للاشتراك فى الدفاع عن البلاد ، ولذلك فهى على استعداد لان تقدم لمصر كل مساعدة للعمل على أيجاد هذه القوة بشرط أن تكون مدربة طبقا للقواعد البريطانية» . وقد صحب المذكرة تحرك ثلاث بوارج بريطانية وصلت من مالطة واستقرت فى الاسكندرية وبورسعيد .

ومن الواضح أن هذين التدخلين قد استنداعلى تحفظين من تحفظات فبراير ، فان بريطانيا بموجب نص تصريح فبراير قد احتفظت بشكل مطلقبتولى أربع أمور ، منها موضوع السودان ، وموضوع الجيش الذى صيغ فى تحفظ يقول أن بريطانيا تتولى « **الدفاع عن مصر من كل اعتداء أو تداخل أجنبى بالذات أو بالواسطة** » .

● وارتبط التدخل الثالث ببعض الاعمال التشريعية التى أستهدفت أعطاء حقوق ديمقراطية للجماهير ، فقد لاحظت الحكومة البريطانية «بعين القلق بعض الاعمال التشريعية التى أقرها البرلمان والتى اذا عمل بها ، اضعفت أضعافا جديا منسلطة الهيئات الادارية المسئولة عن حفظ الامن ، وحماية الاشخاص والاموال» وانطلاقا من هذا القلقفانها تحتفظ لنفسها «بالحق فى أتخاذ أى أجراء ترى فى نظرها أن الحالة تقتضيه » . وبشكل تطبيقى أنفجرت هذه الازمة فى أعتراض الحكومة البريطانية على نظر قانون الاجتماعات فى مجلس النواب وطلبت مذكرة المندوب السامى البريطانى — ٤ مارس ١٩٢٨ — من مصطفى النحاس (١٨٧٩ — ١٩٦٥) رئيس الوزراء «أن يتخذ فى الحال الاجراءات اللازمة لمنع القانون المنظم للاجتماعات العامة والمظاهرات من أن يصبح قانونا ، وأنىمكلف بأنأطلب مندولتكم اعطائى تأكيدا كتابيا قاطعا بأنه لن يستمر فى نظر المشروع المذكور ، فاذا لميصلنى هذا التأكيد فان حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية تعد نفسها حرة فى أن تقوم بأى عمل ترى أن الحالة تستدعيه » . وقد ارتكن هذا التدخل على التحفظ الخاص بحماية المصالح الاجنبية فىمصر وحماية الاقليات، فقد رأتالحكومة البريطانية أن السماح بالتجمعات والمظاهرات السياسية يمكن أن يؤدى الى أختلال الامن العام ، مما دفعها الى تذكير الحكومة المصرية بأنه «ليس فى وسعها بأن تسمح بأن تتعرض مسئولياتها الناشئة عن تصريح ٢٨ فبراير للخطر ، سواء بتشريع شبيه بذلكالذى أشرنا اليه أو باى تصرف آخر »

أما بالنسبة للاشكال الاخرى من التدخل فان بعضها قد وقع قبل تولى الوزارة الزغلولية الدستورية الحكم ، فقد طلبت الحكومة البريطانية الغاء النص الذى وضعته لجنة الدستور ،والخاص بأن يلقب الملك بلقب «ملك مصر والسودان» على أساس أن «السودان» من المسائل المحتفظ بها بنص تصريح فبراير ، وأجابتها حكومة توفيق نسيم الى طلبها ، كذلك أتضح خلال الازمة الدستورية عام ١٩٣٥ أن لبريطانيا يدا فى منع دستور ١٩٢٣، من العودة . هذا فضلا عن لفت النظر المستمر الذى كان المندوبون الساميون يمارسون من خلاله سلطة الاحتلال طوال المرحلة .

---

(١) وزارة الخارجية المصرية — الكتاب الابيض « القضية المصرية ١٨٨٢ — ١٩٥٤ » ص ٢١٨ — ٢١٩.
(٢) عبد الحميد عنايت — قصة كفاح — الانجلو المصرية ص ٩٧

وأدى تدخل بريطانيا المنيف في سياسة مصر الداخلية ، لفرض تحفظات فبراير الى احداث تأثيرات شديدة في المبادرات السياسية للزعماء ، بحيث تشكلت بعض مواقفهم — بعد ذلك — على ضوء هذه التدخلات ومانتج عنها ، وقد لعبت هذه الحساسية دورها في الموقف السياسي لسعد زغلول الذي تعتبر السنوات التالية لعام ١٩٢٤ هي سنوات جذره النضالية . والذي ظهر فيها موقفه التهاوني واضحا ، وقد نقل عنه انه قال عقب تدخل نوفمبر ١٩٢٤ «كانت غلطتنا اننا صدقنا اننا مستقلون» كما انه — وهو رئيس مجلس النواب لم يعترض على تهاون حكومة ثروت وتراجعها في موضوع ازمة الجيش ، وقد حدث نفس الموقف بالنسبة لمصطفى النحاس ، الذي كان رئيس المجلس الوزراء ابان ازمة قانون الاجتماعات ولم يجد المجلس حلا للتدخل البريطاني سوى أن يطلب الى مجلس الشيوخ تأجيل نظر قانون الاجتماعات الى دورة تالية ، وبذلك يحقق أهداف التدخل البريطاني مع الاحتفاظ بشكلية السيادة المصرية ، وقد اطلق النحاس على هذا التصرف تصريحه المشهور «الحل الموفق السعيد»

وايضا فان تحفظات فبراير كانت ورقة للمساومة مع الحكومات المصرية لاجبارها على توقيع معاهدة تحالف ومن هنا فان التدخل لفرض هذه التحفظات كان يتم فقط في الظروف التي ترى السياسة البريطانية أن عدم تدخلها سيضر بمصالحها ، وتركت العديد من الامور التي كان من حقها ان تتدخل فيها اذ أن احتفاظها — بنص تصريح فبراير — بالحق المطلق في ممارسة الامور الاربع موضوع التحفظات يتيح لها فرصة التدخل في كل شيء باسم هذه التحفظات ، وقد قال سعد زغلول في معرض شرحه للتحفظ الخاص بحماية الاجانب والاقليات «ان مصالح الاجانب والاقليات ليست منفصلة عن مصالح الامة جميعها ، بل هي متصلة بها وممزوجة فيها .. اذن باسم هذه الحماية يمكن لانجلترا أن تتدخل في كل أمر من امور الادارة والتشريع » (٣) وقال في خطبة سابقة عند مناقشة مشروع ملنر «انيئوني . اي مصلحة خالية من المساس بالمصالح الاجنبية ، حتى الاوقاف ، حتى الازهر » (٤) وعلى الرغم من هذا فان تدخل بريطانيا لم يتم الا في ظروفه المحددة ، وارتبط غالبا بمحاولة بريطانيا الضغط على مصر لتوقيع المعاهدة ، فبالنسبة للتدخل الاول مثلا ، كان اساسه الفعلي فشل مفاوضات ماكدونالد — زغلول ، وخيبة الاماني البريطانية في عزل زغلول عن القمة التي يجلس عليها للوصول الى تسوية معه ، اذ تبين ان زغلول — كما يقول ويقل في كتابه «اللنبي في مصر» — «كان يعني باملاء مطالب مصر اكثر ممايقصد المفاوضة فيها » (٥) ، وكان رفض زغلول المفاوضة مع محاولاته المستمرة احداث شغب حول احداث السودان يؤشر الى ان نظامه بأجمعه لايمكن التفاهم معه ، ومن هنا كان التدخل لازالته بحجة ان الحكومة عجزت عن حفظ الامن والنظام وأصبحت «محل احتقار العالم المتمدين» ويؤكد ويقل في كتابه ان مطالب اللنبي لم تكن هي مطالب وزارة الخارجية البريطانية وان الوزارة ارسلت ردها اليه بما يفيد تعديل لهجة الانذار ومضمونه ، ولكن الرد وصل قبيل الموعد الذي كان اللنبي قد حدده لابلاغ سعد

لجنة ملنر

في مايو ١٩١٩ وعقب احداث ثورة ١٩١٩ التي جرت في شهري مارس وابريل ، اعلنت الحكومة البريطانية تشكيل لجنة برياسة اللورد ملنر وزير المستعمرات ، مهمتها السفر الى مصر لتحقيق اسباب الثورة ، ووضع تقرير عن « شكل القانون النظامي الذي يعد تحت الحماية خير دستور لترقية اسباب السلام واليسر والرخاء فيها ولتوسيع نطاق الحكم الذاتي فيها توسيعا دائم التقدم والرقي ، ولحماية المصالح الاجنبية » ووصلت اللجنة الى مصر في ديسمبر من نفس العام ، فجوبهت بحملة مقاطعة شاملة تزعمتها اللجنة المركزية للوفد، على اساس انها قادمة للمناقشة في وضع نظام في اطار الحماية ، وظلت اللجنة في مصر حتى مارس ١٩٢٠ ، حيث سافرت الى لندن. وسعى عدلي يكن حتى اجتمع سعد زغلول ومعه ممثلون للوفد المصري بلجنة ملنر في يونيو ١٩٢٠ ، حيث جرت بينه وبين اللجنة مفاوضات استمرت حتى اغسطس من نفس العام . وكانت اللجنة قد اعلنت في مواجهة المقاطعة التي قوبلت بها ، انها تقبل المناقشة بدون اى التزام بالحماية او تنظيمها . وقد انتهت مفاوضات اللجنة مع الوفد الى مشروعين ، قدمت احدهما اللجنة ، وقدم الوفد الاخر ، ولما اصرت اللجنة على مشروعها ، رأى الجناح المعتدل في الوفد قبوله ، ورأى الجناح الاخر بزعامة سعد زغلول عرض مشروع اللجنة على الامة لاخذ رايها فيه ، وكشفت المناقشة الشعبية عن تحفظات او اعتراضات وضعتها الامة على المشروع الملنري عرف بعد ذلك «بتحفظات الامة » .

(٣) خطبة سعد زغلول في ٢٠ سبتمبر ١٩٢٣ — مجموعة خطب سعد زغلول باشا الحديثة — جمعها محمود فؤاد — نشر يوسف البستاني ١٩٢٤

(٤) خطبة سعد زغلول في ١٦ ابريل ١٩٢١ — مجموعة خطب واحاديث سعد باشا زغلول — مطبعة مطر

(٥) ليس لهذه المحادثات محاضر رسمية في الكتاب الابيض المصري ، وقد اصدر ماكدونالد كتابا ابيض عنها ، ويقول محمود سليمان غنام في كتابه « المعاهدة المصرية البريطانية ودراستها من الوجهة النظرية والعملية » انه علم ان لها ثلاثة محاضر كتبها سعد زغلول ضمن مذكراته

انذاره ، فلم تتمكن دار المعتمد البريطانى من ترجمته بالشفرة فى وقت مناسب ، ثم تبين بعد ذلك ان وزارة الخارجية حذفت المطلب الخاص بالتعويض النقدى على اساس ان المطالبة بالدم امر مشين ، كذلك غيرت طلب رى منطقة غير محدودة من اراضى الجزيرة الى زيادة رى الجزيرة الى الحد الذى يمكن اعتباره غير ضار بمصر » مع بعض التعديلات الاخرى ، وعند حدوث الخلاف بينه وبين حكومته — الذى كان يعتقد انها غير ملمة بالواقع المصرى مثله — اكد انه تطرق فى مطالبه على اساس انه يمكن التنازل عن بعض تطرفها «لحكومة مصرية اكثر صداقة» !! . اما التدخل الخاص بازمة الجيش فهو وان جرى فى فترة لم تكن مسألة "التحالف" خلالها قد طرحت نفسها مرة ثانية ، ولكنها عبرت عن رغبة الحكومة البريطانية فى اثارة الازمات لفرض هذا التحالف . ويقول عبد الرحمن الرافعى ان انجلترا فى هذه الازمة «ارادت الضغط على الحكومة المصرية واكراهها على الدخول فى مفاوضات لعقد المعاهدة التى تربط مصر بانجلترا ، وانذارها بانها مالم تقبل هذه المعاهدة فستظل انجلترا على سياستها فى احراجها واثارة الازمات فى وجهها والتدخل فى شؤونها الداخلية » (٦) .

وبالنسبة للتدخل الثالث فقد تم فى اعقاب فشل مفاوضات ثروت — تشمبرلن ، وعدم قبول مجلس الوزراء لما اقترحه تشمبرلن كحل للمسألة المصرية وقد هدد تشمبرلن بالفعل اثناء المفاوضات بأنه «اذا رفضت الحكومة المصرية الان هذه التسوية اضطرت حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية ان تتشدد وتدقق فيما احتفظت به فى تصريح فبراير من حقوق » (٧) . وقد اشارت المذكرة البريطانية الخاصة بقانون الاجتماعات الى ان الحكومة البريطانية كان لديها « امل فى عقد محالفة بين البلدين تحدد مسئوليات وحقوق كل منهما » ولذلك « امسكت عن ابداء اى ملاحظة ، ولكن لما كانت هذه المحادثات مع الحكومة المصرية لم تنجح فى تحقيق غرضها فان حكومة جلالة الملك ليس فى وسعها ان تسمح بأن تتعرض مسئولياتها الناشئة عن تصريح فبراير للخطر » وقبيل مفاوضات ١٩٣٦ صدر التبليغ الشفوى الذى اشار الى ان «فشل المفاوضات فى الوصول الى اتفاق ستكون له عواقب خطيرة فقد يتعين على الحكومة البريطانية فى هذه الحالة تغيير النظر فى سياستها» وقال المندوب السامى «ليس هذا تهديد بل هو بسط للحقائق ، فان فشل المفاوضات سيجعلنا فى مصر امام حالة جديدة تماما » (٨) .

واذا كان التدخل لفرض هذه التحفظات قد استخدم للمساومة على اجبار مصر للتخلى عن بعض صلابتها فى شروط المحالفة ، فمن الطبيعى ان تكون هذه التحفظات الاربع هى الموضوع الاساسى للمفاوضات بين مصر وبريطانيا فى هذه المرحلة وهى على سبيل الحصر ، مفاوضات سعد — ماكدونالد (١٩٢٤) ، وثروت — تشمبرلن (١٩٢٧) ، ومحمد محمود — هندرسن (١٩٢٨) والنحاس — هندرسن (١٩٣٠) ، واخيرا مفاوضات لامبسون — النحاس التى انتهت بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ . وليس البعد الزمنى فحسب هو الذى يؤشر الى ضرورة حدوث اختلافات بين المفاوضين المصريين والبريطانيين بشأن موضوع التحفظات ، فاذا كان البعد الزمنى يؤشر الى حدوث تغيرات فى الموقف العالمى ، واختلاف الاتجاهات السياسية للمفاوضين نتيجة لتغير الموقف العالمى والمحلى من ناحية ، فان تباين القوى الاجتماعية التى مثلها هؤلاء المفاوضين قد شكلت منذ البداية اختلافا اساسيا فى تناول المسألة . لقد قامت المفاوضات بين مصر وبريطانيا حول تحفظات فبراير عبر ثلاثة عشر عاما وتغيرت الاحزاب المصرية والبريطانية التى قامت بالمفاوضة ، فقد كانت المفاوضات الاولى بين الوفد المصرى (سعد زغلول) وحزب العمال البريطانى (ماكدونالد) ، وكانت الثانية بين الحكومة المصرية الائتلافية (ثروت) وحزب المحافظين (تشمبرلن) ، اما الثالثة فقد تمت بين الاحرار الدستوريين فى مصر (محمد محمود) ، وحزب العمال البريطانى (هندرسن) ، ثم بقى الطرف البريطانى فى المفاوضات الرابعة على ماهو عليه ، وحل الوفد المصرى (مصطفى النحاس) مكان الاحرار . اما مفاوضات معاهدة ١٩٣٦ فقد مثل مصر فيها جبهة وطنية ضمت جميع الاحزاب ، ومثل بريطانيا المحافظون . وعلى الرغم من ان بعض التقارب فى تناول المسألة قد شمل المعبرين عن كل طرف الا ان الاختلاف كان موجودا . وينبغى محاولة تحليل مغزى كلا الموقفين .

وبشكل عام فان اهداف النضال الوطنى فى تلك المرحلة كانت فى تطور وتغير مستمرين ، ولايعنى هذا انها اضطردت فى نمو يتجه نحو التكامل ، فقد ادت بعض التدخلات العنيفة الى نشوء حالات جديدة طرحت اهدافا اقل مما طرح قبلها ، فقد ادى تدخل نوفمبر ١٩٢٤ مثلا الى نشوء حالة جديدة فى السودان ، يصفها ثروت فى بيانه عن محادثاته مع تشمبرلن بقوله «ان مركزنا فى السودان فى سنة ١٩٢٠ كان احسن كثيرا مما هو عليه الان — ١٩٢٧ — وحتى فى سنة ١٩٢٢ عند صدور تصريح ٢٨ فبراير لم يكن قد اعترى تلك المشكلة ادنى تغيير» ومن هنا اعتبر ثروت انه حصل على مكسب يحمل

---

(٦) عبد الرحمن الرافعى فى اعقاب الثورة المصرية ج ١ ط ١ ص ٢٧٦
(٧) رسالة تشمبرلن الى ثروت باشا فى ٦ فبراير ١٩٢٨ — الكتاب الابيض ص ٢٨٤
(٨) محمد حسين هيكل — مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ط ١ ص ٣٩٤

مفاوضات عدلي — كرزون

عقب رفض الوفد للمشروع الملنري ، قدمت بريطانيا تبليغا الى السلطان (الملك) فؤاد في فبراير ١٩٢١ باعتبار الحماية علاقةغير مرضية، مع دعوة مصر للدخول في مفاوضات رسمية لابدالها بعلاقة اخرى ، وتألفت وزارة عدلي بهذا الهدف ، ودعا عدلي الوفد الى الدخول في المفاوضات فاشترط عدة اشتراطات ،رفض عدلي بعضها ، وكان من نتيجة هذا ان حدث الانشقاق في هيئة الوفد ، اذ ايد بعض اعضائه عدلي . وسافر عدلي في يوليو ١٩٢١ الىلندن لمفاوضةكرزون — وزير الخارجية البريطانية — واستمرت المفاوضات حتى نوفمبر ١٩٢١ دون الوصول الى حل جذري .

وقد جرتحوادثداخلية هامةاثناء المفاوضات، اذ اشتدت المعركة بين الوفد والحكومة وجرت حوادث صدام متعددة ، وكانت الشروط التي عرضتها بريطانيا على عدلي اقل بكثير ممـا عرضه ملنر على زغلول .

واعلن عدلي فينوفمبر ١٩٢١ قطعالمفاوضات، واستقال بمجرد وصوله في ديسمبر من نفس العام .

انجلترا على الموافقة على اعادة الحالة في السودان الى ما كانت عليه قبل ١٩٢٤ . كذلك ظهر لاول مرة في هذه المفاوضات اتجاه بريطاني يرمي الى تحديد عدد الجيش المصري في زمن السلم بدعوى ان ازدياد عدد الجيش يمكن أن يعرض للخطـر سلامة المواصلات . ويرتبط هذا الاتجاه ارتباطا وثيقا بأزمة الجيش .

ويرتبط بهذا تمام الارتباط انعكاس الصراع بين مصر وبريطانيا على الوضع الداخلي في مصر ،وقد أصبح من الشائع عندنا الان القول بأن الصراع الحزبي كان صراعا حول المناصب ، ولكن هذا الصراع قد تم كله كجزء من حركة التاريخ المصري في أطار تحفظات فبراير ١٩٢٢ ، لقد أتخذ هذا الصراع شكل الانقلابات الدستورية المتوالية ، ووصل الى حد الغاء دستور ١٩٢٣ واحـــلال دستور آخر محله، وكان الهدف من احداث هذه الانقلابات هو عزل الجماهير عن اختيار القيادة الوفدية التي كانت — بحكم دفع الجماهير لها — أكثر تشددا من غيرها ، كما أن الارتباط بين قضيتي الدستور والاستقلال وثيق بطبعه ، فمن خـلال التشريع حاولت البرجوازية المصرية الناشئةفرض مصالحهاوالاستقلال بالسوق— فيحدود امكانياتها — ولكن هذا كان يصطدم غالبا بتحفظات فبراير ومن خلال عملية الصراع لفرض هذه المصالح ، كانت الانقلابات الدستورية تحدث .

انطلاقا من هذا التصور العام لدور تحفظات فبراير في التأثير على حركة التاريخ المصري ، بين مرحلتي نشوئها وانهيارها ، نحاول أننستكشف وضعية هذه التحفظات في الصراع بين البرجوازية المصرية والاستعمار ، ثم ننتقل الى تناول كلتحفظ على حدة ، في مساره التاريخي قبل المرحلة واثناءها وكيف انتهى اليه الوضع بمعاهدة ١٩٣٦ .

البرجوازية المصرية وثوريتها

من المتفق عليه — بين المؤرخين العلميين — أن ثورة ١٩١٩ هي مرحلة من مراحل محاولـــة البرجوازية المصرية تحقيق ثورتها ، وقد اتسمت هذه المرحلة بقيادة الممثلين السياسيين للبرجوازية التجارية والزراعية، اماالبرجوازية الصناعيةفكانت ضعيفة جدا ولم تنمو الا بعد ذلك وفي اطار بعض المحاولات لحمايتها جمركيا ، ويشير تشكيل الوفد الىانه قدتكون «من كبار أصحاب الاراضيالزراعية المعروفين باعتدالهم وتحفظهم وثوريتهم المحدودة وهذا موقف تنفرد به ثورة التحرر الوطني في ١٩١٩، فلم تكن في القيادة الوفدية برجوازية وطنيةتقدمية والسبب في ذلك يرجع الى سيطرة الرأسمالية الاجنبية في مجال التجارة والصناعة ، ولذلك لم توجـد ظروف موضوعية ابان الاحتـلال لظهور راسمالية وطنية واسعة النطاق على درجة من الثورية ترتفع الى مستوى المعركة الوطنية ضد الاستعمار ، على ان هذا لم يمنع من ان الرأسمالية المصرية التجارية على صغرها كانت قد بدأتتنشط قبل الحرب العالمية الاولى (٩) .

ويعتبر المحضر الذي دونه عبد العزيز فهمي للقاء القادة الثلاثة بالمندوب السامي البريطاني في ١٣ نوفمبر ١٩١٨ — وثيقة عن المطالب المتواضعة التي حملها الوفد عند نشأته ، لقد تبلور موقفه في أتجاهين :

● الاول محاولة التخلص من تبعة المعارضة الاكثر حدة للاستعمار والتي سار عليها الحزب الوطني بقيادة محمد فريد ، وادانة هذه الوسيلة في التعامل مع الاستعمار ، اذ قال عبد العزيزفهمي «أن طريقة الطلب التي سار عليها الحزب الوطني ربما كان فيها مايؤخذ علينا ، وذلك راجع الىطبيعة الشبان في كل جهة» ثم أشار الى الطريقة العاقلة التي كان يتبعها عقلاء الامة في «حزب الامة» وعلى صفحات «الجريدة»

(٩) راجع د. محمد انيس : دراسة في المجتمع المصري من الا قطاع الى الاشتراكية . « الكاتب » ١٩٦٥

● الثاني : التسليم بحق بريطانيا في مصر ، والموافقة على انشاء قاعدة لها في قناة السويس ، فقد قال زغلول «متى ساعدتنا انجلترا على الاستقلال التام فاننا نعطيها ضمانه في طريقها الى الهند وهي قناة السويس» ووافقه شعراوي على بقاء مستشار المالية الانجليزية ، بحيث تكون سلطته هي سلطة صندوق الدين

في هذه الفترة حيث كانت الجماهير الشعبية مازال بعيدة عن المعركة — حددت القيادة السياسية مطالبها المتواضعة التي كانت لاتخرج عن مطالب كبار ملاك الاراضي ، وهي المطالب التي عبر عنها لطفي السيد ١٨٧٢ — ١٩٦٣ قبل ذلك على صفحات «الجريدة» : استقلال ذاتي في اطار الحماية ، ويروى الدكتور هيكل في مذكراته انه ذهب ليسال لطفي السيد عن خطة الوفد في تلك الفترة فقال له «ان خطتنا أن نسافر الى باريس وان نطرح قضيتنا على مؤتمر السلام وأن نطلب تطبيق حق تقرير المصير على مصر والسودان ، فاذا اجبنا على مطالبنا كان ذلك ، والا ذهب رشدى وعدلي الى لندن للمفاوضة مع الحكومة البريطانية في تنظيم العلاقة بين مصر وبريطانيا في حدود الحماية، تنظيما أساسه قيام الحكم الدستوري السليم في البلاد» ويشير د . هيكل أيضا الى أن فكرة الوفد كانت تقوم على أساس أنه اذا «خذله الحلفاء فانه لايحسب أن الثورة أو النضال الشعبي يحقق للبلاد استقلالها وسيادتها كاملين » (١٠) .

وبدخول الجماهير الشعبية المعركة في ٩مارس ارتفع شعار الاستقلال التام أو الموت الزؤام ، الذي اطلقته القيادة الوفدية معبرا عن رفض كامل للحماية او تنظيمها ، وهي هذه المرة مستندة على الجماهير الشعبية . كانت هذه الجماهير منذ ضربة عرابي — التي عانت فيها من الخيانة وسوء التنظيم وفشل القيادة — تفتقد الى التنظيم الحقيقي القادر على قيادتها نحو أهداف مرحلية محددة وواضحة وكان الجهد الذي بذله الزعيم محمد فريد (١٨٦٨ — ١٩١٩) على ضآلته مركزا في شباب المدن —وخاصة شباب الطلاب والعمال— ومن هنا انعزل الفلاحون وهم قلب المعركة الحقيقي عن التنظيم الثوري الصحيح .

ولم يكن سعد زغلول يتوقع أن يثير اعتقاله هذه الهبة الثورية العنيفة ، وتؤثر خطبه التي القاها في مصر بعد عودته من المنفى الاول الى هذا بوضوح كما أن هذه الهبة التلقائية لم تكن — على الاقل في بدايتها . من تنظيم الوفد أو من عمله ، فمن المعروف أن عبد العزيز فهمي قد استقبل الطلبة يوم ٩ مارس ١٩١٩ وطلب منهم أن ينصرفوا في هدوء ولاداعي للتظاهر والاساءت العاقبة . ويبدو تأثير الجماهير على موقف الوفد واضحا عند مراجعة الرسائل السرية المتبادلة بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمي فقد نشر الاخير في صحف القاهرة أن الوفد اشترط للدخول في المفاوضة مع لجنة ملنر أن تعلن انجلترا استقلال مصر التام ، فجاء خطاب سعد في ٧ مارس ١٩٢٠ ، يقول «أن الوفد لم يشترط في الدخول في المفاوضة ان تعلن انجلترا استقلال مصر التام ،ولا يمكنه أن يشترط. ولكنكم بالجملة التي نشرتموها نسبتم اليه اشتراطه وقررتم ذلك في أذهان الكافة أن الوفد لايقبل المفاوضة الا به ، فاذا كان الانجليز قبلوا ما اشترطه وهو دون ذلك ، افلا يتعرض لسخط الجمهور اذ دخل في المفاوضة بغيره» (١١).

ان هذا الموقف يؤكد الدور المتزايد الذي لعبته الجماهير الشعبية في ثورة١٩١٩ ، وكيف استطاعت طاقتها الثورية أن تدفع بعض العناصر في القيادة الوفدية الى موقف ثوري يتجاوز طاقة هذه القيادة فعلا ، ويتجاوز أيضا الحجم الحقيقي لمواقعها الاقتصادية ، فاذا كان الاستقلال هو المفهوم السياسي للاستيلاء على السوق من الاستعمار ، فان حدة المطالبة به تتوقف تاريخيا على مدى النشاطات الاقتصادية للرأسمالية ونوعية هذه النشاطات . وبالتأكيد فان نمو الرأسمالية عندنا في تلك المرحلة كان محدودا ، فضلا عن هذا التزاوج بينها وبين الاستغلال الرأسمالي للارض ، بالاضافة الى البرجوازية المصرية في نموها ، لم تكن تشكل ثورة داخل معسكرها العالمي الذي كان قد داس من زمن شعارات الحرية والاخاء والمساواة بل تشكل ثورة — محدودة بضعفها — ضد هذا المعسكر .

ومن ناحية اخرى فان الجناح الاكثر يسارية الذي كان يمثل القطاع التجاري والزراعي المتحرر ومثقفيه والذي تبلورت اندفاعاته في اندفاعات سعد زغلول هذا القطاع كان مع اعتماده على الجماهير الشعبية يخشاها ويرفض تنظيمها ،وربما كانت تجربة النكسة العرابية عامل حاسم في هذا الصدد وعدم قدرة الجناح — وعدم رغبته — على تنظيم الجماهير الشعبية لتدخل بكل ثقلها في المعركة هو الذي جعل التحالف مع الرأسمالية العالمية في اطار التبعية للمعسكر الاستعماري يبدو قدرا على الثورة . لخص سعد زغلول الموقف بعد عودته من باريس قائلا «أننا نريد الاستقلال التام مع المحافظة على مصالح انجلترا ومصالح الاجانب في مصر» (١٢) . الا أن هذا الارتباط كان موضع عجب سعد أحيانا ، قال معلقا على التبليغ البريطاني بأن الحماية علاقة غير مرضية «ولكن صدر بعد ذلك من الحكومة الانجليزية تصريح قالت فيه أن نظام الحماية علاقة

---

(١٠) ج١ ص ٨٢
(١١) المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي نشرها د. محمد انيس ط، أولى ص ١٠٠
(١٢) خطب سعد زغلول

غير مرقسية ، كويس قوى ، ويجب السعى فى استبداله بعلاقة اخرى، عبارة علاقةهذه لاتعجبنى كانما يجب ان نرتبط بعلاقة ما » (١٣) . وقد افلتت من سعد كلمة فى جلسة مجلس النواب فى ١٧ مايو ١٩٢٤ تجيب على تساؤله السابق ، وهى عبارة غير واردة فى محضر الجلسة ، اذ يبدو انها حذفت بطلب من سعد نفسه ، ولكن صحف هذه الفترة — وخاصة السياسة — قد تناولتهابالتعليق المر ، كما رواها الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى مذكراته باعتباره بطلها ، فقد وجه سؤال الى المرحوم مرقص حنا باشا وزير الاشغال طالب فيه العمل على وقف المشروعات التى كان الانجليز يقيمونها فى الجزيرة بالسودان ، ولما اجابه الوزير اجابة غير مطمئنة احتد النقاش بينهما ، واصر الرافعى على ان تقف الحكومة هذه المشروعات ، وتدخل سعد فى المناقشة قائلا بحدة : ماذا نفعل .. هل عندكم تجريدة ؟ (يقصد حملة عسكرية) (١٤)

ان عدم وجود التجريدة كان هو السبب الرئيسى فى بقاء البرجوازية المصرية تدور فى فلك الاستعمار وتحاول حل تناقضها معه بوسيلة وحيدة هى المفاوضات ، وفى تحليل مكرم عبيد (— ١٩٦١ سكرتير الوفد بعد ذلك لهذا الاتجاه قال «ما من سبيل لاسترداد استقلال امة او استخلاص حق من حقوقها الا بواحد من امرين (اولهما) النضال الحربى وعماده قوة الجيش المسلحة و (ثانيهما) النضال السلبى وعماده قوة الحق غير المسلحة وهى تنحصر فى الاقناع بجميع وسائله والجهاد والتضحية فى سبيل هذا الاقناع . وعندما قامت الامة قومتها فى سنة ١٩١٩ تطالب بالغاء الحماية وبتحقيق استقلالها كان على سعد زعيم الثورة وعلى زملائه اعضاء الوفد ان يتخيروا احد السبيلين لتحقيق وكالتهم عن الامة — اما اعلان الحرب بقوة السلاح او اعلان الجهاد بقوة الحق ضد الدولة الحامية . ولم يكن فى مصر عاقل او مجنون يفكر فى اعلان الحرب لسبب بسيط ، وهو أنه لم يكن لنا من القوات المسلحة مايسمح بحرب ما . لم يكن اذن مناص من ان يختار سعد وزملاؤه والامة معهم طريق الجهاد للحق ، وعماده كما قلت الدعاية والاقناع بجميع وسائله » (١٥) . وتشير مراجعة مناقشات سعد زغلول فى مجلسى البرلمان الاول الى انه كان لا يرى ان هناك امكانيات اكبر من المفاوضة ، قال «أنا فى مقدمتكم فى كل ما فيه خير بلادى ، وعلى قدر فكرى ارى أن الطريق المفتوحة أمامى لتحقيق غرض الامة وغايتها هى المفاوضة . فان كان عندك أو عند غيرك طريق آخر لاستخلاص حقوق الامة فوضحه لى ، وانا اكون أول العاملين فى هذا السبيل » (١٦) .

ولاشك ان بريطانيا كانت تدرك بوضوح هذا العجز واشار اليه بالفعل اللورد كرزون فى حديثه مع عدلى — اثناء مفاوضاتهما — فقال ان المصريين يطلبون الاستقلال « ولكن بأى شىء كسبتموه — وقع حقيقة هياج وفتن وقتل بعض الاجانب . ولكن هل كسبتموه بالحرب والقتال » (١٧) .

من هذا الموقف عالجت البرجوازية تناقضها مع الاستعمار ، خلال الفترة التى اشتبكت فيها خيوطهما ، بادئة من اعتبار مسألة الاستقلال مسألة دولية تحل فى اطار التنافس الاستعمارى ، الى اعتباره مسألة ثنائية تحل فى اطار العلاقة بين مصر وبريطانيا وحدهما .

التنافس الاستعمارى

احتد الصراع بين الدول الاستعمارية التى كانت تبحث عن اسواق فوق ارض مصر ، مؤملا فى سوق بكر وأرض غنية بالمواد الخام ، وموقعا استراتيجيا هاما ، وكان ابرز اوجه هذا الصراع هو نجاح بريطانيا فى عزل نابليون فى القاهرة ، وابقائه سجينا فى السوق الذى ظن انه استولى عليها . وكان انسحاب كليهما من مصر ، ثم محاولة انجلترا العودة بعد ذلك وحدها — فريزر ١٨٠٧ — وفشل هذه المحاولة تأكيد بأن الراسمالية الاوربية رغم نموها المتعاظم كانت تحاول مجرد خلق حالة توازن عالمى حول الاسواق ، لا يعتمد على تقسيمها ، وانما على بقائها مفتوحة لكافة المنتجات من كل الدول ، تتنافس فى كل سوق ، وسلاح كل منها الثمن . وعندما أغلق محمد على السوق المصرى بنظام الاحتكار الذى انشأه ، تدخلت الدول الاوربية مجتمعة لتفرض عليه التخلص من هذا النظام وتشكيل الاقتصاد المصرى بحيث يتلاءم مع تطور الاقتصاد العالمى وذلك باتباع سياسة الباب المفتوح . واذا كانت الراسمالية الاوربية فى ذلك الوقت — خمسينات القرن الماضى — تمر فى مرحلة تصدير منتجاتها الصناعية مع كمية محدودة من فائض رأس المال ، ومن هنا كان شعار المنافسة التجارية الحرة هو الغالب وحده ، وهو العامل الحاسم فى منع وقوع مصر فى يد الدول الاوربية يومذاك .

وفى الفترة من ستينات القرن الماضى حتى الثمانينيات منه ، كان كيان البرجوازية الاوربية يتشكل شيئا فشيئا نحو تصدير الفائض فى الاموال أساسا ، ومن هنا أشتدت حدة التناقضات الاستعمارية داخل المعسكر الاوربى ، وبدت بصورة أوضح عبر المنافسة الحادة ، بين انجلترا

---

(١٣) خطبة سعد زغلول فى ١٦ ابريل ١٩٢١ المجموعة السابقة
(١٤ عبد الرحمن الرافعى : مذكراتى . دار الهلال ١٩٥٢ ص ٤٩
(١٥) مكرم عبيد . بحث مقارن تحليلى للمعاهدة المصرية الانجليزية (محاضرة القاها بالجامعة ونشرها اتحادها)ص٢٧
(١٦) محضر جلسة مجلس النواب الجلسة الاربعون —٧ يونية ١٩٢٤ .
(١٧) محضر الجلسة السادسة — الكتاب الابيض ص ١٤٢

وفرنسا حول الاستيلاء على السوق المصرى، وانهاء حالة التوازن . واخذ هذا التنافس صورا متنوعة مثل المنافسة على الاقراض ، وعلى شراء اسهم قناة السويس ، والمراقبة الثنائية . الا ان السبق فى هذا الصراع كان واضحا انه للراسمالية الانجليزية باعتبارها اكثر الرأسماليات الاوربية تطورا فى هذا الوقت ، ورغم هذا فان الراسمالية الاوربية — وخاصة فى بريطانيا — كانت تحاول بالاساليب الديبلوماسية تأخير هذا الانفجار المتوقع فى المعسكر الاستعمارى ، وذلك يخلق حالة توازن وهمية تثبطمن حدة التناقضات مؤقتا . وهذا ماجعل بريطانيا تدعو الى عقد مؤتمر الاستانة (يونيو ١٨٨٢) اثناء تدبيرها للتدخل العسكرى فى مصر للنظر فى المسألة المصرية ، ولبى الدعوة كلمن فرنسا والروسيا وايطاليا والمانيا والنمسا — ابرز الوجوه فى الحرب العالمية الاولى بعد ذلك — واجتمع المؤتمر ليوقع ميثاق النزاهة الذى تعهدت فيه كل واحدة من هذه الدول بالا تشترك فى تسوية للمسألة المصرية تعطى امتيازا لاحداها دون الاخرى ، وصحيح ان انجلترا قد نقضت مقررات الاستانة وتدخلت عسكريا فى مصر معتمدة على التناقض الحاد اذ ذاك بين فرنسا والمانيا فى اعقاب الحرب السبعينية، الا أنها ادعت أن تدخلها فى مصر بهدف تنظيم المالية المصرية وضمان تسديد القروض للدول كلها ، ومن هنا استطاعت فرنسا فى مؤتمر لندن (١٨٨٥) أن تستصدر قرارا بأنه اذا عجز اللورد كرومر عن اصلاح المالية المصرية خلال ثلاث سنوات حلت محله لجنة دولية تتولى ادارة مالية البلاد . وحاولت انجلترا فى مؤتمر الاستانة (١٨٨٧) أن تعقد اتفاقية ثنائية بينها وبين تركيا — التى كان لها السيادة الاسمية على مصر — تتيح للاحتكار الانجليزى سلطات متميزة فى مصر ، ولكن فرنسا والروسيا وقفتا لها بالمرصاد . وكانت آخر محاولة لفرنسا هى حملة فاشودة (١٨٩٨) التى جردتها لفتح هذه المنطقة من اعالى السودان لتتخذ منها مركزا للمطالبة بطرح المسألة المصرية للمفاوضة من جديد . وفى السنوات الاولى من القرن ومع تكشف المتناقضات بين الدول الاستعمارية التقليدية والقوى الاستعمارية الناشئة عن حدة ضارية، صفت انجلترا وفرنسا خلافاتهما الثانوية بالاتفاق الودى (١٩٠٤) الذى أطلق يد فرنسا فى تونس ويد انجلترا فى مصر .

واعتمادا على هذه الوضعية للمسألة الوطنية اتجهت حركة مصطفى كامل ، وخاصة فى مرحلة ماقبل الاتفاق الودى . الى طرح المسألة المصرية باعتبارها مسألة دولية . وهذا التحليل اوضح مايكون فى كتاب مصطفى كامل « المسألة الشرقية » (١٨) . فالمسألة المصرية عنده فصل من فصول المسألة الشرقية التى هى «مسألة النزاع القائم بين بعض دول اوربا وبين الدولة العلية — تركيا — بشأن البلاد الواقعة تحت سلطانها» وفى الفصل الذى عقده عن المسألة المصرية (١٩) حلل من وجهة نظره روافدها ورأى انها تنحصر اساسا فى تلك الديون التى اقترضها اسماعيل من الدول الاوربية ثم التخاذل الفرنسى أمام انجلترا الذى مكنها من الاستيلاء على أسهم قناة السويس اولا ، ثم مكنها حين رفضت فرنسا تدخل اسطولها مع اسطول انجلترا فى ضرب الاسكندرية (١٨٨٢) — من الاستيلاء على مصر ثانيا . وعلى المستوى الداخلى فان التفرقة التى حدثت بين الخديوى توفيق وعرابى وبين الجراكسة والمصريين هى التى فتتت الجبهة المصرية وسببت الاحتلال . وحدد مصطفى كامل اهداف هذا الاحتلال فى رأيه ، بأنها «هدم كل سلطة أوربية وقتل كل نفوذ اجنبى غير انكليزى فى مصر ، وقتل النفوذ المعنوى لجلالة السلطان الاعظم فى مصر — وقطع الروابط التى تربط مصر بالدولة العلية شيئا فشيئا ، وسلب الجناب الخديوى سلطته ، والاستيلاء على الادارات المصرية ، وطرد المصريين من الوظائف السياسية السامية وتعيين الانكليز مكانهم» ويصل

مفاوضات محمد محمود — هندرسن

تولى محمد محمود — وكيل ثم رئيس حزب الاحرار الدستوريين — رياسة الوزارة فى يونيو ١٩٢٨ على انقاض الائتلاف الحزبى الذى كان قائما منذ مايو ١٩٢٦ . وقد سعى الاحرار الدستوريين الى تحطيم الائتلاف فاستقالوا بالجملة من وزارة مصطفى النحاس الاولى ، ودعى محمد محمود لتأليف الوزارة فاعلن ايقاف الدستور لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد ، وحل البرلمان الائتلافى ، وحكم البلاد « بيد من حديد » على حد تعبيره ، وفى مايو ١٩٢٩ تولى حزب العمال الحكم فى بريطانيا ، وجرت مفاوضات بين هندرسن وزير الخارجية البريطانية، واسفرت عن مشروع معاهدة واقرت بقاء القوات البريطانية فى مصر ولكن فى منطقة قريبة من قناة السويس ، كما انه كان بينها وبين مشروع ثروت تشمبرلن بعض المتشابهات . واشترط هندرسن ان تناقش مقترحاته بواسطة حكومة نيابية تمثل الشعب المصرى ، وعلى اثر هذا ، استقال محمد محمود وسقط الانقلاب الدستورى الثانى ، والف عدلى يكن وزارة انتقالية اجرت انتخابات اسفرت عن اغلبية وفدية . وشكل مصطفى النحاس وزارته الثانية .

(١٨) مصطفى كامل : المسالة الشرقية الطبعة الاولى ١٨٩٨
(١٩) ص - ص ٢١٤ — ٢٨٠

مصطفى كامل الى أنه «لايمكن للدول الأوربية ان تأمن خطر استثناء الانكليز بقناة السويس الا اذا حررت مصر وسلمتها لابنائها وجعلت حياد قنال السويس وحرية المرور فيه لكل دولة وفى كل وقت ، تحت رعاية الحكومة المصرية الاهلية الحرة لاتحت رعاية حكومة مصرية زمامها بأيدى الانجليز» ومن هنا «فان تقدم المانيا فى الاستعمار وانتشار تجارتها فى الشرق الاقصى لمن الامور التى تحتم على هذه الدولة فى المستقبل ان تكون اول الدول اهتماما بمسألة مصر واكثرها عملا على تخليصها من الانكليز» ذلك لان «مستعمرات المانيا فى افريقيا وفى آسيا تقع تحت خطر عظيم ، اذا وقعت بلاد النيل فى قبضة انجلترا وصارت ملكا لها» ومن هذا التحليل يحدد مصطفى كامل شعار المرحلة فى ان «كل انسان له المام بسيط بالسياسة والتاريخ يعلم أن مسألة مصر كانت دائما (دولية) لان مركز مصر يقضى على الدول كلها الاهتمام بها واهتمام المصريين بالوجهة الدولية للمسألة المصرية أمر طبيعى وواجب (٢٠) .

ويتوازى مع هذا المفهوم للمسألة ، مفهوم كبار ملاك الاراضى الذين تكتلوا فى حزب الامة ، والذين كانوا — مع موافقتهم على ان المسألة المصرية مسألة دولية — يرون أن حل المسألة لن يكون باستفزاز الاحتلال الانجليزى لان هذا الاحتلال «قوة اتت بها ظروف سياسية مرتبة ، وتذهب بها ظروف سياسية مرتبة كذلك» . ومن هنا ، دعو الى سياسة المسالمة وليس سياسة المعاندة .

وقد اختلف نتيجة لهذا أسلوب الجناح الثورى من البرجوازية المصرية فى هذه المرحلة عن أسلوب الجناح المحافظ ، فقد كانت رحلات مصطفى كامل الى أوربا محاولة للاستفادة من التناقضات الاستعمارية العالمية فى الحصول على الاستقلال ، وكان عليه ان يمارس عدة تجارب قبل ان يعدل خطه السياسى فيعانى من خيانة فرنسا ، وحاول ايضا ان يستفيد من التناقضات الداخلية ، فالخديو الذى افتقده الاحتلال سلطته المطلقة كان يشجع العناصر المتطرفة ليتمكن من مساومة الاحتلال ، ومن هنا اتخذه مصطفى كامل حليفا واستعان بأمواله فى شن الغارة على انجلترا فى العالم . وفى ١٩٠٧ اتضحت الرؤية تماما امام مصطفى كامل ، بعد أن كشفت تجربته عن أن الاعتماد على التناقضات داخل المعسكر الاستعمارى لا ينبغى ان تكون وسيلته الوحيدة ، وبعد ان خانه الخديو بسياسة الوفاق مع خليفه كرومر . بدأ يتجه نحو تنظيم الشعب . فى مقدمة «المسألة الشرقية» قال ان الخديو هو رئيس الحزب الوطنى لانه رئيس الامة ، والحزب هو الامة كلها ، الا انه فى عام ١٩٠٧ ، يعود فيؤكد ان الحزب ليس الامة كلها ، فالخديو قد خان وملاك الاراضى قد تكتلوا فى حزب الامة ، ومن هنا يصبح الحزب الوطنى واقعا موضوعيا يضم الفئات الوطنية ، وتوضع له لائحة ، ويؤلف ناد للطلاب . ويعتبر محمد فريد (١٨٦٨—١٩١٩) المرحلة الناضجة من كفاح مصطفى كامل استفاد من تجاريب سلفه ، وادراك التغير فى القوى العالمية ، فباشر تنظيما اكثر دقة للجماهير — رغم انه ظل محدودا — وبدأ على المستوى النظرى — اكثر ادراكا — بضرورة تنظيم القوى الشعبية باعتبارها حليف ذوبأس شديد. واذا كانت المسألة فى تصوره مازالت مسألة دولية فانه يضيف اليها ثراء وفهما أعمق ، فهو من ناحية يحدد علاقة مصر بتركيا ، ويؤكد أن مصر بعد استقلالها لا تنوى الانضواءتحت الستار العثمانى ويرفض كل محاولة للتتريك ، وهو ينطلق الى آفاق الحركة الاشتراكية العالمية باعتبارها معبرة عن رؤية فئات اجتماعية تؤمن بحق تقرير المصير ، رغم تواجدها داخل دول استعمارية ، وبهذا يوجه جهده بادراك اقرب الى النضج نحو حلفائه .

واثناء الحرب الاولى انضم محمد فريد —وقواعد الحزب الوطنى — الى الالمان باعتبارهم الجناح المعادى لانجلترا ، وربما كان لديه اقتناع بما سبق ان اشار اليه مصطفى كامل حول مصلحة المانيا فى تحرر مصر . وواضح ان هذا تحليل خاطىء لطبيعة التناقضات الاستعمارية ، ولكن غياب المعسكر الدولى المعادى للاستعمار بشكل مطلق لا بشكل تنازع حول الاسواق كان هو الذى حدد خطواته على اى حال . أما جناح كبار ملاك الاراضى ، فقد أيد الحلفاء ، و «جرت محادثات بين رشدى باشا رئيس الوزارة وبين الانجليز لكى يصرحوا بأنهم متى انتصروا فى الحرب جلت انجلترا عن مصر واعترفت باستقلالها التام » (٢١) .

وانضمت « الجريدة » لسان حاله الى « المقطم » لسان حال الاحتلال — فى الترويج لفكرة تقول «ان مصر تريد الاستقلال فاذا لم يكن السبيل اليه ميسورا ، وكان لابد من ان تحكمها أمة اخرى، فانجلترا خير أمة ترضاها مصر » (٢٢) .

كان اعلان الحماية البريطانية على مصر أول اعلان رسمى يعلن صراحة انفراد بريطانيا بشئون مصر — خاصة بعد أن تفجرت ازمة الصراع بين دول الاستعمار حول الاسواق بالحرب . وانضمام تركيا الى المانيا وبهذا فرضت انجلترا نفسها على المسألة المصرية كطرف وحيد . وانتصر الاستعمار القديم فى الحرب وأصبح من المحتم ان يجتمع معسكره لتوزيع الاسلاب ، وفى الفترة الاخيرة لانتهاء الحرب

(٢٠) اللواء — ٢ مايو ١٩٠٦
(٢١) د. هيكل . مذكرات جا ص ٦٦
(٢٢) المصدر السابق ص ٦٧

دخلتها امريكا — وكان عليها — وقد كسرت ستار العزلة ان تقدم الاستعمار القديم بشكل يلائم تطور العصر — الذى انتصرت فيه الثورة الروسية وتعاظمت حركات النضال العمالى والوطنى — فكانت شروط ولسن الاربعة عشر ، ومنها حق تقرير المصير . ورغم ماقد يكون هناك من عوامل ذاتية عبر عنها ولسن ، فلا شك ان صيحته كانت تعبر عن ازمة المعسكر الامبريالى الذى كان عليه ان يقدم كتكتيك مرحلى — كل ما يمكنه من تنازلات صورية ومن هنا دخلت امريكا الحرب بوعود براقة بحق تقرير المصير لضمان اجتذاب شعوب المستعمرات اليها . ونحتت اسماء اكثر رقة للاحتلال والاستعمار فسمتها « الانتداب » و « الوصاية » . . ! !

وكان الطرف الاخر للقوى الدولية — فى نهاية الحرب الاولى — هو روسيا التى لم تشترك فى مؤتمر الصلح ، وانسحبت من الحرب بعد انتصار الثورة بها موقعة صلح بريست — ليتوفسك المنفرد مع المانيا . ثم دخلت مرحلة الحرب الاهلية الاستعمارية التى استهدفت القضاء على الثورة الاشتراكية ، ومن هنا فان البعد عن المسألة برمتها قد عزل روسيا عن ان تشترك براى فى المسألة المصرية ، الا ان الاساس النظرى للسياسة الروسية حول المسألة كان موجودا ، ففى المرحلة السابقة للحرب كان الفكر الماركسى يعتبر المسألة الوطنية جزءا لايتجزأ من المسألة العامة للثورة الديمقراطية البرجوازية ، اى أن الاستقلال القومى لايمكن أن يتحقق الابقيادة الطبقة العاملة، وان قيادة البرجوازية للثورات الوطنية هو وقوع بهذه الثورات فى قبضة الاستعمار العالمى ، ولكن بعد الحرب الاولى ، التى كشفت عن متناقضات النظام الرأسمالى فى مرحلته الاحتكارية ، وضح أن المسألة الوطنية جزء من الثورة الاشتراكية العالمية وان حركات التحرر الوطنى اصبحت حركات تخرب فى المعسكر الاستعمارى وتسعى الى تقويضه ، وفى عام ١٩٢٤ كتب ستالين ، فى كتابه «أسس اللينينية — موضحا الطابع المعادى للاستعمار الذى تتخذه الثورة المصرية «أن نضال التجار والمثقفين البرجوازيين المصريين فى سبيل استقلال مصر ، ثورى من الناحية الموضوعية رغم الاصل البرجوازى لزعماء الحركة الوطنية ورغم صفتهم البرجوازية ورغم كونهم ضد الاشتراكية ، فى حين أن نضال حكومة العمال الانجليز لابقاء مصر فى حالة التبعية هو للاسباب ذاتها رجعى رغم الاصل البروليتارى والصفة البروليتارية لاعضاء هذه الحكومة ورغم كونهم مؤيدين للاشتراكية»

المسألة المصرية من الدولية الى الثنائية

كان اعلان الحماية انهاء للصفة الدولية للمسألة المصرية كما ذكرنا ، رغم أن بقايا المسألة الدولية ظلت واضحة فى موضوعى الدين العام والامتيازات الاجنبية ، ولهذا اتجهت حركة الوفد فى مبدئها الى الاستعانة بانجلترا مباشرة،وفى مقابلة ١٣ نوفمبر قال سعد للمندوب السامى البريطانى «اننا نتكلم بهذه المطالب هنا معك بصفتك ممثلا لهذه الدولة العظيمة وعند الاقتضاء نسافر للتكلم فى شأنها مع ولاة الامور فى انجلترا فلا نلتجىء هنا لسواك ، ولا فى الخارج لغير رجال الدولة الانجليزية» ولما رفض المعتمد البريطانى السماح للوفد بالسفر أكد سعد زغلول فى خطاب للمندوب السامى «أن سفرنا لانجلترا لانريد منه الا ان نكون على اتصال برجال السياسة الممثلين للامة الانجليزية والاشخاص الذين يتولون توجيه الرأى العام الانجليزى الذى لا شك فى تأثيره على القرارات الحكومية» والواقع ان مختلف الصراعات التى حدثت بين ١٣ نوفمبر ١٩١٨ و ٩ مارس — يوم تفجر الثورة بعد اعتقال سعد ، قد دار اغلبها حول سفر الوفد الى لندن ، ولكن رفض المندوب السامى لذلك، ثم انعقاد مؤتمر الصلح فعلا مماجعل سفر الوفد الى لندن لاقيمة له ، طرح شعار عرض المسألة المصرية على مؤتمر الصلح للحصول على قرار لصالح مصر ، وكان هذا الاتجاه هو الوحيد الممكن ، رغم ان فائدته كانت معدومة . واتجه الوفد بعد وصوله الى باريس الى تقديم مذكرة للمؤتمر أوضح فيها ان مصر وان لم تدع اليه فانها تعتقد

مفاوضات النحاس — هندرسن

بدأت المفاوضات بين النحاس وهندرسن عقب سقوط الانقلاب الدستورى الثانى ، وكان هندرسن يأمل فى ان تقبل مصر المقترحات التى عرضها على محمد محمود باعتبارها اقصى مايمكن لبريطانيا ان تقدمه من تنازلات فى المسألة المصرية، ولكن الجانب المصرى فى المفاوضات اصر على ان قبول محمد محمود لمقترحات هندرسن كما هى ، لا يلزمه لأن الاحرار الدستوريين لايمثلون الشعب المصرى ،كما ان وزارتهم وزارة انقلابية.

وتعتبر هذه المفاوضات من اكثر المفاوضات المصرية البريطانية تعرضا للازمات اذ تمسك كل طرف فيها بوجهة نظره لفترة طويلة ، ثم بدأ الوفد يتنازل عن بعض طلباته ويولى اهمية لصياغة الفقرات وغيرها من الامور الشكلية، وكادت هذه المفاوضات تنجح لولا عدم اتفاق الطرفين حول موضوع السودان ، مما ادى الى قطعها . وبعد عودة النحاس من لندن ادلى بتصريحه المشهور « لقد خسرنا المعاهدة ولكننا كسبنا صداقة الانجليز » . وبفشل الوفد فى توقيع المعاهدة اتجهت القوى الرجعية نحو احداث انقلاب جديد ،وتحالفت السراى والاحرار الدستوريين ودار المندوب السامى فى افتعال الازمات التى انتهت باستقالة وزارة النحاس، وتولى صدقى الوزارة ، حيث تم فى عهده الانقلاب الدستورى الثالث .

انه هو «الهيئة الوحيدة المختصة بحل المسألة المصرية» ورغم هذا فقد خاب امل الوفد . اذ اعترف الرئيس ولسن بالحماية ، ثم ابرمت معاهدات الصلح وفيها اعتراف دولى بالحماية ، ومن هنا «تزعزعت الثقة فى نفوس أعضاء الوفد واضمحل الامل الى حد أن قيل صراحة فى جلسة ٢٦ مايو سنة ١٩١٩ أن مهمة الوفد قد انتهت وان الامل فى الحصول على الاستقلال لم يبق وأن كل قول عدا ذلك يعد مغالطة وان عملهم الان هو تنظيم الهزيمة »

وفى اطار المفهوم الدولى للمسألة استمر الوفد يدعو الى قضية مصر بالمحاضرات والمناظرات ، وكانت الجبهة الاستعمارية بشكل عام هى مطلبه ، وقد لعب الطلبة المصريون بباريس دورا هاما فى محاولة بلورة فكرة الوفد حول حلفاء جدد ، وربما يعود هذا الى ان الكثيرين منهم كانوا من الذين تابعوا نضال الزعيم محمد فريد ، يقول محمود ابو الفتح «أن الطلبة اقترحوا على الوفد ان يجيئوه بعون أحزاب اليسار وهى الاحزاب الاشتراكية ولكن الوفد كان يرى أن اتصاله باحزاب اليسار ينفر منه أنصار اليمين واحزابه ولا سيما انها كانت صاحبة الاغلبية . وقد رأى ان الاشتراكيين ليسوا من القوة بحيث يمكن الاستفادة منهم، فاهمل امرهم ، واخذ يدق أبواب زعماء اليمين واشباههم» وكانت وجهة نظر الطلاب — وقد تكتلوا اذ ذاك بالجمعية المصرية بباريس — «انه لارجاء فى احزاب اليمين لانها قبل كل شىء استعمارية المبدأ ، ولان للفرنسيين رءوس اموال فى مصر فاذا استقلت واخذت تسعى لرفع قيود الامتيازات خشى أن تفرض ضرائب على الثروات أو على حركة البيع والشراء » (٢٤). ورغم هذا فان اتجاه الوفد نحو المعسكر الاستعمارى ظل مستمرا فحاول انتهاز فرصة الخلاف الذى اشيع انه وقع بين ولسون والكونجرس حول معاهدة الصلح ، واستأجر المستر فولك — وهو عضو بالكونجرس ومستشار قضائى سابق لوزارة الخارجية الامريكية للدفاع عن القضية ، وأفلحت جهوده فى اكتساب بعض الاعضاء الى جانب مصر ، ولكن المحصلة النهائية كانت كما هو متوقع ، موافقة الكونجرس على معاهدة الصلح بما فيها النصوص الخاصة بالاعتراف بالحماية البريطانية على مصر .

كان تأليف لجنة ملنر اتجاه يهدف الى حصر المسألة المصرية بين مصر وبريطانيا وتأكيد الجانب الثنائى فى العلاقات بينهما ، ومن هنا كانت محاولات مقاطعتها منطلقة من ان تحويل المسألة عن صفتها الدولية سيفقد مصر الكثير ، فاحتج الوفد لدى الدول على تشكيلها ، وايد سعد خطة مقاطعتها على اساس ان «حياة مصر فى بقاء المسألة المصرية دولية والابتعاد بها كل البعد عن ان تكون مسألة داخلية بين بريطانيا ومصر » (٢٥) . وبعد فشل مهمة اللجنة فى مصر ، بنجاح المقاطعة ، اضطرت بريطانيا الى اعتبار اللجنة لجنة مفاوضة وليس لجنة تحقيق ، ومن هنا وافق الوفد على مفاوضتها وعلل سعد هذا بقوله «ربما التبس الامر على كثيرين فلم يفهموا قبولنا مفاوضة لجنة ملنر بعد ان أشرنا بمقاطعتها لكونها لجنة غير دولية، موضوعها البحث عن نظام حكومى فى دائرة الحماية» (٢٦) ولخص الموقف فى أن «مسألة مصر اما ان تحل بالتقاضى أو بالتراضى ، وأما بالتقاضى فلا يمكن حلها الا بطريقة دولية ، اى بمعرفة جميع الدول ذوات الشأن بواسطة قومسيون يتعين لهذه الغاية بواسطة عصبة الامم وأما بالتراضى فلا يكون ذلك الا بالمفاوضة بين انجلترا ومصر » (٢٧)

السياسة البريطانية وتفتيت الجبهة الوطنية

اتجهت السياسة البريطانية على النحو الذى رسمه ملنر فى تقريره الى تفتيت الجبهة الداخلية ، فقد أشار ملنر الى أن ابقاء الوضع على ماهو عليه مسألة غير ممكنة ، واستطاع ان يكتشف طبيعة القوى السياسية فى قيادة الثورة ، واكد أن التصور القائل بأن على بريطانيا « لاخيار لها امام هذا البنيان المرصوص الا ان تقلع عن مركزها فى مصر بالكلية أو أن تحافظ عليه قوة واقتدارا» تصور خاطىء ، لانه يمكن بالتعمق «ادراك أن علم الحركة الوطنية الضافى يخفق على اقوام متعددة الاراء مختلفة طبعا وقصدا » ذلك أن «الهيئة السياسية المستحقة الاعتبار المعروفة بالوفد والتى يرأسها سعد باشا زغلول والتى تسلطت على عقول المصريين تمام التسلط والتى تقول بأنها تنطق بلسان الامة ، مؤلفة من أعضاء اكثرهم ليسوا من الغلاة المتطرفين ، بل أصلهم من حزب الامة القديم الذى كان غرضه التقدم الدستورى تدريجيا ، بخلاف الحزب الوطنى الذى هو حزب الثورة ومعارضة البريطانيين »

واشار التقرير — وهو من أهم وثائق السياسة

---

(٢٤) نفس المرجع ص ٩٣ . ويقول ايضا ص ١٠٠ ان الوفد عاد فحاول الاستعانة بالاشتراكيين ، ودفع لجريدتهم ١٥٠٠٠ فرنك ولكنهم رفضوا المبلغ .

(٢٥) دكتور محمد انيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ص ٧٤

(٢٦) النص الكامل للتقرير — الكتاب الابيض من ص ٢٢—٩٢

(٢٧) نفس المرجع ص ٩٢

مفاوضات زغلول ــ ماكدونالد

هى اول مفاوضات تجرى بعد تصريح فبراير ١٩٢٢ الذى اعلن استقلال مصر اسميا .وكان من نتيجته تشكيل لجنة لوضع الدستور ، وإعلانه ، واجراء اول انتخابات نيابية بعد الثورة ، اتت باغلبية وفدية ساحقة ،وقد تولى سعيد تشكيل الوزارة فى فترة قريبة منتشكيل ماكدونالد زعيم حزب العمال الانجليزى لوزارة عمالية بعد سقوط وزارة المحافظين ، وقد استبشر سعد بهذا لانه كان يعتبر نفسه صديقا لمستر رامزى ماكدونالد ، ولحزب العمال ،كما ان الوفد كان قد استدعى فى سبتمبر ١٩٢١ بعثة من نواب حزب العمال البريطانى برياسة مستر سوان لتتعرف على مطالب الشعب المصرى ، وكانت تصريحات هذه البعثة وما كتبته ((الديلى هيرالد)) صحيفة حزب العمال تنبىء بان حزب العمال البريطانى سيستجيب للمطالب المصرية . وفى سبتمبر ١٩٢٤ ذهب سعد لمفاوضة ماكدونالد .ولمتستغرق المفاوضةسوى ثلاث جلسات . اذ طلب سعد ان تتنازلبريطانيا بلا قيد ولا شرط عن كل ما تدعيه من حقوقعلى مصر . ولم يقبلماكدونالد بالطبع هذه المطالب.

وليس لهذه المفاوضات محاضر رسمية ،وقد نشرت عنها وزارة الخارجية البريطانية كتابا أزرق ، ويقول محمود سليمان غنام ن محاضرها موجودة بمذكرات سعد زغلول .

البريطانية فى مرحلة مابعد الثورة ــ الى أن هذا الجناح المعتدل قد ظهرت فيه عناصر متطرفة نتيجة لخطأ فى السياسة البريطانية رنتيجة للتزمت فىرفض بعض المطاليب المتواضعة، مماأوقع العناصر المعتدلة فى هوة التطرف، وأكد بأن «زغلول باشا ورفاقه لما رأوا من خطتنا معهم مااوهمهم بأننا نرفض جميع آمالهم مالوا الى المعارضين، ومازالوا يدنون منهم شيئا فشيئا ، ولكن ظهر لنا بالاختبار أن الامر لايقتضى الا عناءا يسيرا لفهم رايهم وازالة ريبهم وشبهاتهم فى مقاصد بريطانيا العظمى جتى يستمال اكثرهم الى المناقشة فى الحال بتمام التعطل» . وعلى الرغم من هذا الاستعداد فان ملنر قد وجد نفسهازاء حالةجديدةفرضتها الجماهير جاعلة من المعتدلين الذين تطرفوا تحت تأثير تطرف الشعب غير مستطيعين العودة الى حالة تعطلهم الاولى ، «إنهم كانوا يرومون بكل اخلاص مثلنا انيجدوا مخرجامنمشاكل الحالومصاعبها، ولكنهم ونخص بالذكر زغلول باشا نفسه ، كانوا مقيدين بقيود الخطة التى اختطوها لانفسهم قبل ذلك بمدة حينكانوا يعتقدون ان بينأمانى المصريين وسياسة بريطانيا العظمى هوة لايمكن عبورها للتوفيق بينهما ، ولما رأوا انهم اخطأوا فهم تلك السياسة تعذر عليهم أن يعدلوا مراكزهم حتى يطابق رأيهم بعد تغييره فى مقاصد بريطانيا العظمى . فطالما قالوا المرة بعد المرة أنهم لايستطيعون قبول اقتراح عرضناه عليهم مععدم منازعتهم فى مطابقته للعدل والانصاف ، وماذلك الا لكونه لا يطابق التوكيل الذى اخذوه من الشعب المصرى، ولم نكن نجنى نفعا منقولنا لهم ان التوكيل الذىيدعونه هو البيان الذى وضعوه هم أنفسهم ، وأن الجمهور المصرى انما قبله منهم فليس ثم مايمنعهم من تعديل سياسة هى من بنات أفكارهم ، فكانوا يجيبوننا دائما أنه ليس لهم سلطة لان يحيدوا عن المطالب التى صادقت عليها الاكثرية الكبرى من اهل بلادهم والتى كانت فى الاصل قد عرضت منهم» . لقد كان القادة ــ بتعبير ملنر ــ دائما فى وجلمن أن أبناء وطنهم قد لايرون رأيهم فيعدونهم فى مصر خائنينللقضية الوطنية» . وحذرملنر من أنتستمر السياسة البريطانية فى تحديها لكل المطالب الوطنية داعيا الى بعض التنازل واجابة المشروع والمعقول من الامنيات البريطانية ، اذ لو لم تفعل «لكانت عاقبة ذلك سوق المعتدلين شيئا فشيئا الى احضان المتطرفين » هؤلاء المعتدلين الذين استنكروا فى مقابلاتهم للجنة «الالتجاء الى التعدى والمجاهرة بالثورة وقالوا أن ذلك جناية لاخير فيها . ويرى جمهورهم أن بريطانيا العظمى أقوىمن ان تعجز عن اخضاع مصر اخضاعا تاما »

ان المكاسب التى رأت انجلترا أن تعطيها مصر هى تلك التى ترضى الجناح المحافظ من البرجوازية جناح كبار ملاك الاراضى ، تطبيقا لمبدأ السياسة الملنرية الداعى الى «استمالة العناصر التى هى اكثر اعتدالا وميلا الينا من سواها بين عناصر الوطنية المصرية حتى تعود الينا وتنحاز الى جانبنا »

السعديون والعدليون

نجحت السياسة الانجليزية فى تفتيت جبهة الثورة ، ولم يكن هذا النجاح قائما على «الدسائس» ولكنه قام على تقديم تنازلات للجناح المعتدل حتى لايلقى بنفسه فى أحضان الجناح المتطرف ، ومن هنا أعلن هذا الجناح انسحابه وقبوله لما أعلنه ملنر من تسويات . وانقسم الوفد بذلك الى سعديين وعدليين .

على ان السياسة البريطانية كانت تظن أنها وقد نجحت فى تفتيت الجبهة ، ستنفرد تماما بالمعتدلين دون أن تدرك أنهناكجناح متطرف يقوم باثارة الجماهير ضد المعتدلين ، مما جعلهم هم أنفسهم يترددون فى قبول التسوية وسط هذا الجو العاصف ، وهذا واضح فى المحاضر الرسمية لمفاوضات عدلى ــ كرزون ، وهى اولى محاولات بريطانيا للتفاهم مع الجناح المعتدل وحده ؛ فبينما حاول كرزون الاشارة الى أنه لايعرف زغلول « ولكن يظهر لى انه على شىء من الغرور »

ذهب عدلي الى التأكيد بان «الخلاف لايرجع الا الى مسألة اشخاص » (٢٨) وطالب بوضع الاعتراضات التى اعلنتها الامة حول مقترحات ملنر فتساءل كرزون «بأي مقدار تعتبر الحكومة المصرية اعتراضات زغلول تعبر عن رايها وتريد ان تدافع عنها» فقال عدلي «هذه تحفظات الامة وليست تحفظات زغلول» وعند البدء بمناقشة تلك التحفظات قدم عدلي احدها بقوله «هذه هى الصورة التى قدم بها التحفظ من جانب زغلول باشا» فقال كرزون «لا نريد ان نتناقش فيما يراه زغلول وانما فيما ترونه انتم » (٢٩) وتشير يوميات الدكتور يوسف نحاس ــ وكان احد مستشارى عدلى فى تلك المفاوضات ــ الى ان الظل الزغلولى كان يسيطر عليها سيطرة كاملة ، حتى ان عدلي فكر فى أن «يستدعي جميع الاعضاء المنشقين على سعد رغبة منه فى تحملهم المسئولية معه » (٣٠) .

وكانت دعوة بريطانيا التى وجهتها لمفاوضة مصر قد تجاوزت المقترحات التى قدمها ملنر ، ولم تجعلها قاعدة للمفاوضة ، على ان المفهوم فى مصر ان هناك امكانية للحصول على مكاسب أخرى أفضل من هذا المشروع وبوضع الاعتراضات التى قدمتها الامة محل الاعتبار . ولكن المفاوض البريطانى الذى كان يعلم انه يتفاوض مع «المعتدلين» تمسك بأن ماوصل اليه ملنر لايلزم الحكومة البريطانية ولم يعرض عليها ، ولا شك أن هذا المفاوض كان يعلم أن ممثلى مصر ، هم نفس الاعضاء الذين قبلوا المشروع الملنرى عند عرضه بدون اعتراض ومن هنا فلم يكن هناك ــ فى رأيه ــ داع لتشددهم بل ولاداع لتمسكهم باعتراضات زغلول أومقترحات ملنر .

واذا كانت بريطانيا بعرضها المفاوضة ، لم تحدد الجناح الذى ستتفاوض معه ، فمن المؤكد انها كانت سترفض مفاوضة الوفد ، وهذا يدعو الى اعادة النظر فى الخلاف بين «سعد» و «عدلي» حول رئاسة وفد المفاوضات ، وهو الخلاف الذى يستند اليه عادة التحليل « الشخصى » لمسألة الخلاف بين جناحى البرجوازية ، بل ان الجناح المعتدل نفسه كان سيرفض بالتأكيد اشتراك سعد فى هذه المفاوضات ، وقد اشار مكرم عبيد فى احدى خطبه الى أن احد كبار الانجليز قد صرح له «بأن الدوائر السياسية فى لندن لا تنظر بعين الرضا الى دخول سعد باشا فى المفاوضات بعد أن هدم مشروع ملنر من اساسه فى كل خطبه التى القاها فى مصر . وقال رشدى باشا لوفد طنطا ان الانجليز لايقبلون أن يكون سعد باشا رئيسا للمفاوضات » وفى نفس الوقت فان الجناح المعتدل كان يرفض رئاسة سعد للوفد «لانهم يخشون أن يطول أمد المفاوضات الى عشر سنوات » (٣١) .

ومما يؤكد ماذهب اليه مكرم عبيد ان لويد جورج رئيس الوزراء البريطانى قد اشار ــ فى حديث له مع عدلي ــ الى ان «الهياج والشغب الذى يحدثه زغلول يزعج الوزارة البريطانية ، وهى لاترضى بحال ان تطأطىء راسها أمام زغلول ، أو ان تسلم مواصلات الامبراطورية الى بلد يقوده زعماء يصارحون انجلترا العداء» ثم اشار الى ضرورة اعتقاله وطلب تأجيل المفاوضات ، ولكن عدلى رفض «خصوصا اذا اريد بذلك التأجيل التمكن من نفى زغلول لتستأنف المفاوضات بعد نفيه » فأكد لويد جورج «بأن زغلول رجل لايحتمل ونحن نثق بك ، ولكن كيف نثق بوزارة يرأسها زغلول » وكانت آخر كلماته أنه يجب التخلص من زغلول وكان قد كرر هذه العبارة اكثر من مرة أثناء الحديث (٣٢) .

ويعتبر تصريح فبراير ١٩٢٢ اقصى ماكان يمكن لبريطانيا أن تتنازل به فى تلك المرحلة ، كما أنه يعبر عن جوهر المطالب «المعتدلة» . وقد كان من الممكن الوصول اليه باتفاقية ثنائية ــ وليس من طرف واحد ــ لولا أن الجناح «المعتدل» لم يستطع ان يتحمل مسئوليته أمام الجماهير ، فعرض على بريطانيا أن تقدم ماتستطيعه من تنازلات من جانبها، على أساس ألا يكون هذا حلا كاملا للمسألة المصرية . وتضمن التصريح الغاء الحماية، والاحكام العرفية ، مع احتفاظ بريطانيا بصورة مطلقة بتولى أربع أمور هى تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية فى مصر ــ والدفاع عن مصر من كل اعتداء اجنبى أو تداخل اجنبى بالذات أو بالواسطة وحماية المصالح الاجنبية فى مصر ، وحماية الاقليات ــ واخيرا السودان .

أسلوب المفاوضة

وأسلوب الانقلابات الدستورية

من طابعها الخاص ، اخذت البرجوازية المصرية اسلوب الكفاح المتهادن دائما . والمستسلم أحيانا للقوى السائدة فى عصر تحقيق ثورتها ، وهو

(٢٨) محضر الجلسة الاولى فى ١٢ يوليو ١٩٢١ . الكتاب الابيض ص ٩٤
(٢٩) محضر الجلسة الاولى فى ١٣ يوليو ص ٩٧
(٣٠) د. يوسف نحاس «صفحة من تاريخ مصر السياسى الحديث . مفاوضات عدلى ــ كرزون » ــ الانجلو ١٩٥١ ص ٢٠
(٣١) خطبة مكرم عبيد فى ٦ مايو ١٩٢١ . المكرميات . جمع ونشر :احمد قاسم جودة . ص ٣٦
(٣٢) الكتاب الابيض ص ١٨٥ ــ ١٨٦ ومذكرات يوسف نحاس ص ٩٦

الاستعمار الاحتكاري في مرحلة ضراوتة وخروجه من الحرب منتصرا ، والطابع العنيف للثورة ، الذي انعكس في ظهور عناصر متطرفة الى حد ما في القيادة الوفدية ، هو من صنع الجماهير الشعبية على أن الاتجاه الرئيسي ظل في اطار محاولة البرجوازية المصرية تحقيق ثورتها ، ومن هنا فقد دخلت معركة النضال ضد الاستعمار تدريجيا ، بتطور نموها ، وازدياد حاجتها الى السوق ، ودخلت في معارك عديدة من أجل الحصول على حقها في التشريع من خلال سيطرتها على البرلمان ومن اجل الوصول الى هذين الهدفين ظهرت الاحزاب السياسية كتعبير عن قوى اجتماعية تنقل النضال الاجتماعي الى المستوى السياسي ، ووضحت درجة ارتباط اكثر على المستوى العلوى بين الاحزاب والفئات الاجتماعية التي تعبر عنها ، وظهرت اساليب مميزة للصراع في هذه الفترة ، فالمفاوضة والانقلابات الدستورية والائتلاف الوزاري ... الخ .

فرض اسلوب المفاوضة نفسه على البرجوازية المصرية ، باعتباره أسلوب النضال الوحيد الذي تستطيعه لعجزها عن تنظيم الجماهير وعدم رغبتها في ذلك ايضا ، ولقد عبر سعد زغلول عن طبيعة هذا الاسلوب في خطابه في وليمة الهيئات النيابية (٣٣)، فقال « القاعدة عندنا أن كل كلام أو مخابرة أو مفاوضة لايترتب على الدخول فيها سقوط حق ، أو فوات حق ، فهي جائزة . في كل موطن . في كل فرصة . لايترتب على كلام المصري فيها – سواء كان وفدا أو وزارة أو صحافيا أو أي انسان – ضياع حق مصر – يجب عليه أن يتكلم» ذلك لانه «ليس عندي طريقة لادلي بحجتي ، ولاحافظ على حقوقي ، بل لازحزح خصمي عن مكانه الا بمناقشة ذلك الخصم ، ماذا اصنع اذا لم اتكلم معهم ولا اخاطبهم» (٣٤) . وبرر سعد ضرورة هذا الاتجاه بقوله «اننا ضعاف ولا تجريده عندنا ، ولا أسطول لنا ، ولكننا أقوياء بضعفنا ، أقوياء بحقنا ان الضعف سلاح قوى اذا كان معه الحق » (٣٥) .
وقد برر المعتدلون قبولهم لمشروع التسوية الملنرى باسباب اهمها « تغير ظروف الحال ، وعدم وجود النصير لنا في الخارج ، وانفراد الدولة الانجليزية بالقوة والسلطان وعدم قدرة الامة على متابعة المعارضة والمقاومة» . لقد كانت البرجوازية المصرية مطالبة بأن تعيد ترتيب قواها ، وأن تنتهج أسلوبا جديدا لنضالها يتلاءم مع ضعفها ، بعد أن أدت معاهدات الصلح الى هبوط التناقض بين الدول الاستعمارية مؤقتا عقب تقسيم الاسواق بينها ، وهو التناقض الذي كانت البرجوازية تعتمد عليه بشكل اساسي منذ حركة مصطفى كامل . ولكن منهج البرجوازية لحل قضيتها مع الاستعمار لم يتغير في جوهره، فقد كانت محاولتها الاولى – اثارة القضية دوليا – محاولة داخل الاطار الاستعماري – ثم أصبحت محاولتها الثانية – الحل بالمفاوضة – محدودة داخل اطار الجبهة البريطانية .

ولادراك بريطانيا لهذا الضعف ، ولتشتت المقاومة الشعبية وعدم انتظامها واضطرادها في نمو مستمر ، حاولت في البداية أن تطبق الخطة الملنرية الرامية الى احتضان الجناح المعتدل والاتفاق معه ، ولكن انعكاس المقاومة الشعبية جعلت هذا الجناح يجبن عن تحمل مسئولية التسوية وفي نفس الوقت فان الجناح المتطرف قد اصبح لا يستطيع مواجهة قواعده الشعبية – بعد ان تورط في الالتزام بمطالب ابعد مدى فعلا من طاقته بمطالب اقل مما التزم به ، ومن هنا بدأت المحاولات البريطانية الرامية الى تصفية آثار الثورة وما نتج عنها من شعور الجماهير بقوتها ، والقضاء على جذور المقاومة الشعبية ، وقد وضح أن النظام

مفاوضات ثروت – تشمبرلن

عقب مقتل السردار وقع الانقلاب الدستورى الاول ، وتولى زيور رياسة الوزارة فحل البرلمان ، ورفع شعار « انقاذ ما يمكن انقاذه» ليستجيب بمقتضاه لكل المطالب البريطانية . واجرت الوزارة انتخابات حاولت اقصاء الوفد عنها فلما تبين ان اغلبية مجلس النواب وفدية حلت البرلمان للمرة الثانية في نفس يوم انعقاده . وتكتلت الاحزاب في جبهة مؤتلفة تطالب باعادة الدستور – والبرلمان ، فاجريت انتخابات في مايو ١٩٢٦ ، على اساس ائتلاف بين الوفد والاحرار الدستوريين والحزب الوطني، فاستقالت وزارة زيور والف عدلي يكن الوزارة، ثم استقال ليخلفه عبد الخالق ثروت ، واحتفظ سعد زغلول برياسة مجلس النواب . وفي يوليو ١٩٢٧ صحب ثروت الملك فؤاد في رحلة الى لندن ، بدأ اثناءها اتصالات بالمستر اوستن تشمبرلن للمفاوضة حول القضية المصرية ، وتوفي سعد زغلول اثناء المفاوضات ، وتولى مصطفى النحاس رئاسة الوفد ، وكان مفاوضات ثروت تشمبرلن ثنائية ، قبل ثروت اثناءها ما عرضه عليه تشمبرلن من مقترحات ، ولكن الوفد رفض هذه المقترحات . وعلى اثر هذا استقال ثروت وتولى مصطفى النحاس رياسة الوزارة الائتلافية .

---

(٣٣) ١٦ ابريل ١٩٢١
(٣٤) محضر جلسة النواب – ٧ يونيو ١٩٢٤
(٣٥) محاضر مجلس النواب – جلسة ٢٨ يونيو ١٩٢٤

الزغلولى لا يمكن التفاهم معه ، كما ان بقاء النظام الدستورى – رغم شكليته – يؤدى الى اتاحة الفرصة للجماهير لاختيار الجناح المتطرف وتأييده مما يجعل التفاعل بين هذا النظام والجماهير متزايدا ويؤثر بالتالى فى تطرفه ، ومن هنا ظهر أسلوب « الانقلابات الدستورية » كوسيلة اساسية اتبعتها مجموعة الفئات الداعية الى التفاهم مع الاستعمار لتصفية بقية آثار الثورة لدى الجماهير . فالوزارة الدستورية الاولى هى ، وبرلمانها ، لم تمارس الحكم سوى تسعة اشهر ، انتهت بمقتل السردار ، وبتشكيل وزاره زيور «لانقاذ مايمكن انقاذه» فعطلت الدستور ثم حلت البرلمان فى يوم انعقاده لانتخابه سعد رئيسا له وبذلك ضرب الدستور فى صميمه اذ انه كان يمنع حل المجلس لنفس السبب أكثر من مرة ، وظل الدستور معطلا حتى عاد مع البرلمان الائتلافى فى عام ١٩٢٦ ، واستمر حوالى العامين حتى عطل محمد محمود الحياة النيابية عام ١٩٢٨ وعاد الدستور بعد ستة عشر شهراً ليستمر ثمانية شهور فقط ويقع الانقلاب الصدقى الذى يستمر حوالى خمسة سنوات . فالدستور طوال الفترة بين صدوره وتوقيع معاهدة ١٩٣٦ ، لم يطبق سوى حوالى ثلاث سنوات . ومماساهم فى بروز هذه الوسيلة النزعات الاستبدادية التى كانت تمثلها السراى الملكية، فقد كان الملك فؤاد يكره سعد زغلول والوفد بشكل عام ومن هنا أنتهزت السراى فرصة الانقلاب الدستورى الاول لكى تعيد انشاء حزب السراى تحت اسم حزب «الاتحاد» (٣٦) . ومن ناحية أخرى فان تدخلين من التدخلات العنيفة التى مارستها سلطة الاحتلال قد ارتبطا بقرارات ومناقشات مجلس النواب . ولم يكن الاستعمار بعيدا عن التدخل فى تعطيل الدستور متحالفا مع الجناح المعتدل والسراى ، فقد كان وراء كل الانقلابات الدستورية . بل ان دستور ١٩٢٣ لم يعد الا بعد التبليغ التليفونى من مايلز لامبسون الذى ابلغ نسيم «بأن الحكومة البريطانية لاتعارض فى اعادة دستور ١٩٢٣ » .

لقد استفادت الجماهير الشعبية فى اوربا من فترة المد الديمقراطى التى تسمح بها البرجوازية فى فترة صعودها ، فى تحقيق العديد من المكاسب لها، كما أنها استفادت منها – فى صورة أهم – فى تنظيم نفسها واكتشاف فكرها ، ثم الانفصال بتنظيماتها الطبقية الخاصة لكى تدافع عن مصالحها ، خلال هذه التنظيمات ، ومن هنا ظهرت النقابات والجمعيات والاحزاب السياسية المعبرة عن مصالح الطبقات الشعبية . واكتسبت حقوقا لم يكن من الممكن سلبها منها بسهولة . فى حين انعكست الظروف الديمقراطية السابقة على مصالح هذه القوى فى مصر ، فالمكاسب التى حققتها الطبقات الشعبية كلها مكاسب ضئيلة واغلبها حصلت عليه فى السنوات القليلة التى تولت فيها حكومة الاغلبية الحكم، اما الانفصال بتنظيمات طبقية سواء كان سياسيا او غيره ، فان هذا لم يحدث بشكل واسع ، وهو فى صورته التى حدث بها ولد مشوها ، بفعل الانعزال الكامل الذى كانت تعيشه هذه التنظيمات بعيدا عن جماهير تحت وطاة الحكم غير الدستورى ومن هنا نلاحظ أن الحركة النقابية ولدت ميتة وغلبت عليها العناصر الانتهازية العميلة ، اما التنظيمات السياسية فقد وقعت فى اخطاء فكرها المنعزل . وهذه النتيجة الهامة لتأثير الصراع بين البرجوازية واعدائها على الطبقات الشعبية ، تبلور السبب فى أن الجماهير قد استمرت تعمل فى اطار البرجوازية مدة أطول من الطاقة الثورية لتلك الطبقة .

على ان السياسة الانجليزية مع فشل السياسة الملنرية ، ومع فشلها اولا فى التغلب على خوف العناصر المعتدلة وثانيا لفشلها فى القضاء على المقاومة بتصفية آثار الهبة الثورية عام ١٩١٩، تماما . اتجهت الى محاولة اعادة تجميع الاجنحة المختلفة للبورجوازية فى مصر ، بما فى ذلك الجناح الذى يحتوى الجماهير الشعبية وتحتويه ، ورفضت اجراء تسوية مع الجناح المعتدل وحده ، سواء فى مفاوضات محمد محمد – هندرسون . حيث صورح بوضوح بأن الحكومة الانجليزية تفضل عقد المعاهدة مع حكومة لها صفة الاغلبية او خلال محاولات صدقى ان يعقد التسوية فى ظل نظامه . وقد ساهمت المقاومة الاستعمارية والانقلابات الدستورية فى الفت من عضد الوفد اذ راى نفسه مقصيا عن السلطة ، مما جعل غير قادر فعلا على تحقيق مكاسب للفئات التى يمثلها عن طريق التشريع . وقد نجحت هذه السياسة فى تكوين الجبهة الوطنية التى وقعت معاهدة ١٩٣٦ .

خاتمة

هذه هى الخطوط الرئيسية لحركة التاريخ المصرى فى اطار تحفظات فبراير ١٩٢٢ ، على أن التفاصيل الاخرى الهامة لوضعية التحفظات نفسها، والابعاد التى عولج بها كل منها من الأطراف المختلفة والظروف التاريخية التى ولدت هذه التحفظات .. تحتاج الى بحث مستقل .

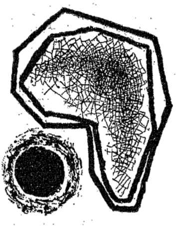
---

(٣٦) كان حزب السراى الأول هو حزب « الاصلاح على المبادىء الدستورية » الذى الفه الشيخ على يوسف عام ١٩٠٧ وكان مؤيدا للخديو عباس الثانى بعد خلافه مع مصطفى كامل

منذ نجاح الاستعمار والرجعية فى تصدير الثورة المضادة الى غانا ، والاضواء مسلطة على هذه « الظاهرة » فى واقعها المحلى وواقعها الافريقى والعالمى على السواء .

وهذا المقال الذى يكتبه « للطليعة » الكاتب السودانى التقدمى « منصور خالد » هو شعاع من هذه الاضواء . والكاتب فى هذا المقال لا يقدم فحسب دفاعا موضوعيا وحارا عن ثورة غانا وقائدها نكروما ازاء الهجمات الغربية التى لمسها من خلال موقفه فى أوربا حيث يعمل بالقسم العربى بهيئة اليونسكو بباريس ، وانما هو أيضا يقدم نظرة شاملة لمهام ومصاعب وانجازات واهداف الثورة فى افريقيا ككل .

أفريقيا بلا "نكروما": هاملت بدون أمير الدنمارك



منصور خالد

التفكير

فيما حدث فى غانا يجب ان لا ينتهى فالذى حدث انما هو رزء افريقيا العظيم ، وخطبها الفادح . واى رزء اعظم من خنق ثورة من اكبر الثورات الرائدة فى افريقيا . واى خطب افدح من اقصاء قائد بطل وهو فى قلب المعركة يحمل بنفسه رسالة التضامن الافريقى الى اهل المشرق الاقصى وامل السلام الهانىء الى اهل هذا الكوكب الارضى الظالم اهله .. ويحمل خلصاؤه — على قلتهم — خطط العمل الافريقى الموحد الى اديس ابابا ردا على الامتهان الابيض فى روديسيا للقارة السوداء واهليها .

والرزء ليس بعظيم لان غانا قد فقدت قائدها الذى لا يلين . والهول ليس بضاعق لان افريقيا قد سدت رائدها الذى لا يكذب . وانما الامر لاجل خطرا ، وابعد اثرا ... هذا ان نفذنا من وراء سقوط البطل الى ما وراءه من معنى وما خلفه من مضمون .. اذن فلن يكون حديثى بالرثاء لنكروما ولا بالعزاء لافريقيا .. مع ادراكى بان افريقيا التى نعرف والتى نريد ستصبح بدون نكروما كقصة هاملت بدون امير الدنمارك . والحقيقة بسيطة .. بسيطة كتحية الصباح . ولو وعى الناس هذه الحقيقة — على بساطتها — ووعوا معها واقع افريقيا الجديد لماراوا احداث غانا بمنظار «الديلى ميل» . والحقيقة البسيطة هذه تجلجل صارخة مدوية تعلن بان القارة الصاعدة تعيش اليوم ثورتها المضادة . وفى داخل هذا الاطار يجدر بنا ان نصدر الاحكام على «النكرومية» وفيلسوفها بعيدا عن الاكاذيب الشريرة التى تروجها وسائل الاعلام الغربية .. وبعيدا عن الاتهامات والاحكام الساذجة عن الدكتاتورية والطغيان التى يصدرها قائلوها وفق مقاييس نبذتها افريقيا الجديدة .

من هذه التقدمة اخلص الى ما اريد من حديث

والحديث الذى اود ان انفذ اليه يتناول موضوعات ثلاثة : **اولها** : الهيكل الدستورى ومحتواه العقائدى فى افريقيا الصاعدة ــ **وثانيها** ــ وارتباطه بالاول وثيق ــ هو فلسفة العودة الى الاصول . **وثالثها** : هو الكيان الاقتصادى الجديد .. وفى احاديثى الثلاثة هذه سأجعل من غانا محورا للبحث فهى كاحدى التجارب الثورية فى القارة .. وهى كاحدى النماذج الاشتراكية التى وثب فيها الاستعماريون والرجعيون وثب السفاه واخذوا ينهشون لجديرة بالدراسة والتحليل الموضوعيين .

هيكل الحكم وفلسفته فى افريقيا الجديدة

شهدت الستينات اخطر تحول فى الجغرافيا السياسية لافريقيا . فان كانت الخمسينات هى السنوات التى توج فيها النضال الوطنى بالاستقلال للغالبية الاعم من دول افريقيا فان الحقبة التى تبعتها قد شهدت مولد تشييد هيكل الحكم جديد . ومولد تطبيق فلسفة للحكم جديدة .. جديدوجديدة بالنسبة للافكار السائدة فى رؤوس الكثيرين من مثقفى افريقيا الذين مسحت الثقافة الغربية وعيهم الذاتى وخبلت ارادتهم بعقد النقص . وثورة الستينات هذه لاخطر بكثير من الثورة الوطنية لانها تعنى فى المقام الاول استرداد افريقيا لشخصيتها واستعادتها لطاقاتها وقدراتها . وقد كان اندلاع هذه الثورة انتصارا رائعا للقيادة الجديدة بعد انتصار ناصر بتفجير ثورة يوليو المصرية العربية الافريقية عام ١٩٥٢ .. كان انتصارا لافكار سيكوتورى وماديبو فى التجمع الديمقراطى السودانى . ولافكار كوامى نكروما ومدرسته شستر . ولافكار نيريرى واتحاد تنجانيقا الافريقى ... والمدارس هذه جميعاكانت تنادى بان طريق الخلاص لافريقيا لابد ان يستنبط من واقعها . ويستمد من تراثها . ولابدان يسترشد بتجارب الدول النامية التى سبقتها . وهذه المدارس جميعا كانت تنادى بان اقرب طريقلتنكب الطريق هو التقديس المذعن للمؤسسات والافكار التى خلفها الحكم الاجنبى الغربى . ولم يكن دافع اى من هؤلاء هو الرفض الاحمق الثقافة الغربية فقادة هذه المدارس جميعا قد درسوا هذه الثقافة فكرا بالعقل الحصيف الناقد . وعاشوها واقعيا مع احساسهم الكامن والكامل بذاتيتهم الافريقية . وجميع هؤلاء القادة يتعرضون اليوم لاتهام وسائل اعلام الغرب اياهم بالارتماء فى احضان الشيوعية بالرغم من تكوينهم الثقافى جميعا فى مناخ فكرى غربى ... **كوامى نكروما** استهل دراسته على ايدى مبشرى الكاثوليك واخذ افكاره السياسية الاولى من « الموركنج بوست » التى كان يصدرها الدكتور نامدى ازكوى فى ساحل الذهب ثم وعى بدراساته فى جامعتى لنكولن وبنسلفانيا لنيل درجة الاستاذية وجامعة لندن لنيل اجازة الدكتوراه .. **جوليوس نيريرى** استهل تعليمه فى معهد سانت ميرى الكاثوليكى للتبشير فى تابورا ثم تابعه فى كلية ماكيريرى بيوغندا وجامعة ادنبرا باسكتلندا ... **احمد سيكوتورى** عاش الجانب من سنى عمره وهى سنوات تكوينه السياسى ــ مع اليسار ــ الفرنسى يدرس افكاره واساليبه ويعود ليطبقها فى وطنه فيخرج للناس باقوى التنظيمات العمالية فى غرب افريقيا . ويرفض رفضا لا توسط فيه انضواء تنظيمه هذا فى الحزب الشيوعى ادراكا منه لان فلسفة صراع الطبقات التى اراد الحزب الشيوعى زجها قسرا فى حلاقيم الافارقة لا مكان لها فى الواقع الافريقى .. ويتهمسيكوتورى بعضها بالمروق والانحراف ولكن متهميه يعودون فى مؤتمر « كوتونو » الى الصف الافريقى فيؤيدونه كاشد ما يكون التأييد ويقفون من خلفه كاصمد ما يكون الوقوف .

كل هؤلاء القادة « عملاء للشيوعية » عند صحافة الغرب . وصحافة الغرب ووسائل اعلامه تعرف ان ما تردده انما هو افك وباطل . ولكن صحافة الغرب ووسائل اعلامه عندما تصور دعاة الفكر الجديد الجرىء هؤلاء بانهم مجالب « فرنكشتاين الاحمر » انما تعنى ان تقول ــ ولا تجرؤ على ان تقول ــ ان هذه القلة المثابرة من اولى العزم انما تدق المسمار الاخير فى نعش الاستعمار .. تفعل هذا بتدعيمها للشخصية الافريقية .. وبنائها للكيان الافريقى .. وبخلقها لقيادة جديدة تقف على قدميها لتلعب دورها جرة طليقة فى تكييف حياة اهليها ... قارة جديدة لا مكان فيها للاسواق الحبيسة . ولا للعقول الاسيرة . ولا للامساخ البشرية .

ما هى هذه الافكار ؟ .. وما هو هذا الكيان الجديد ؟

فى اختصار بلا ابتسار .. الوجدانية الجزبية فى تجمع شعبى واحد .. تأكيد الشخصيةالافريقية بالعودة الى الجذور .. ومنهاج اشتراكى فى الاقتصاد يضمن الكفاية العادلة .

كوامى نكروما .. والحزب الواحد

قلت اننى سأجعل من « النكرومية » محورا للبحث ..

ونكروما لا يختلف فى دعوته للحزب الواحد عن غيره من ساسة افريقيا الذين اسلفت الاشارة اليهم . والتفكير فى الحزب الواحد — عند نكروما كما عند غيره من اصحاب الفكر الجديد فى افريقيا — يعود الى سببين :

اولهما هو ان الدولة الجديدة انما تسعى لخلق كيان سياسى لم يكن موجودا فى الماضى ... كيان يتحول فيه الولاء من القبلية او الاقليمية او العنصرية الى سلطة مركزية ، شريطة ان تكون هذه السلطة قوة تقدمية تستهدف اشاعة الديمقراطية الصحيحة وتحقيق العدالة الاجتماعية الحقة ، والا فستصبح دكتاتورية شمولية رجعية ضارية .

وثانيهما هو ان معركة البناء والانماء انما هى معركة حقيقية يستلزم كسبها تحديد الهدف ، ورسم الخطة ، وتوزيع الطاقات ، وفرض التضحيات . وكل هذا لا يتوفر فى نظام ديمقراطى بالمفهوم الغربى يبيح الحرية حتى لاعداء الحرية . فالذى يعمل ضد وحدة القطر عدو للحرية ، والذى يعمل لاذكاء نار الفوارق العنصرية او الاقليمية عدو للحرية ، والذى يعوق سير الاقتصاد الوطنى فى الطريق الذى يحقق العيش الكريم للغالبية العامة من الشعب عدو للحرية .

وجميع هؤلاء يمثلون قوى تعيش فى مجتمعاتنا وتتمتع فى ظل المفاهيم الدستورية الغربية بحقوق هى فى واقع الامر لا تعنى اكثر من حق التخريب .. تخريب الكيان الجديد .

اذن فعلينا — فى داخل هذا الاطار — ان نعيد النظر فى كل المبادىء الدستورية التى ورثناها عن الغرب .. مبدأ الحرية الفردية .. مبدأ استقلال القضاء .. مبدأ استقلال الخدمة المدنية .. مبدأ الحريات النقابية .

النكرومية وحرية الفرد

القول بأن حكم نكروما كان يستهدف اهدار كرامة الفرد قول مردود .. **واجبنا ان نحدده فى المبتدأ ، من هو الفرد الذى يعنون ؟**

لكوامى نكروما راى فى مكان الفرد فى المجتمع ينافى المفاهيم الاساسية للفكر الماركسى ، ويجافى فكرة « الجماعية » التى قبلها وتبناها غيره من قادة افريقيا الصاعدة مثل ماديبوكيتا وسيكوتورى يقول نكروما فى كتابه قبل الاخير «الوعى بالذات» ، ان فلسفته تهدف الى معالجة كل فرد كنهاية فى ذاته وليس باعتباره وسيلة لتحقيق غير المجتمع . وعندما ينادى نكروما بهذا الراى يود ان يعلن للناس بان المبادىء التى تقول بها كتب اليسار شىء .. والواقع الافريقى المعاش شىء آخر . والحكمة تقضى اخضاع هذه الافكار للواقع دون اهدار للاسس الفكرية اليسارية .. اذن فالقضية قضية تطبيق واع رشيد .

ويقول قائل ولكن سجون نكروما الذى يؤمن ويدعو لكرامة الفرد كانت تعج بالسجناء ، والقول رددته وسائل اعلام الغرب دون ان تشير الى عدد سجناء الوضع الجديد من شباب غانا الصناديد ..

من هم سجناء نكروما ؟

لقد جاء نكروما للحكم فى انتخابات عام ١٩٥٤ باغلبية بلغت خمسة وسبعون فى المائة من اصوات اهل غانا . جاء ليجد امامه فى مجلس غانا النيابى اثنى عشر نائبا اسموا انفسهم المعارضة الشمالية كناية عن اقليم الشمال الذى يمثلونه ، والذى كان يرفض ساسته مبدأ وحدة التراب الغانى (صورة اخرى لما دار ويدور فى جنوب السودان) ووقف نكروما يومها ليعلن رئيس المجلس بانه لن يقبل ان يكون هنالك شيئا اسمه المعارضة الرسمية . وكان هذا اول ايذان رسمى من نكروما عن خط السير الذى سينتهجه .

وعندما اعلن نكروما هذا كان يلقى بنظره بعيدا الى المستقبل . كان ينظر الى السنوات القادمة التى ستشهد بداية تطبيق فلسفته الجديدة فى الحكم .. الفلسفة الاشتراكية . وكان يعرف ان ذلك التطبيق سيعنى فيما يعنيه ، ويقود فيما يقود اليه ، انهاء السيطرة الاجنبية على الاقتصاد الوطنى ، انهاء الامتيازات التى خلعتها الطبقة الجديدة من السياسيين وكبار الموظفين والزعماء القبليين على انفسهم . وكان يعرف — فهو قد قرأ التاريخ واستقرأ احكامه — ان اعداءه فى الداخل من الذين يتهدد الوضع الجديد مصالحهم لن تغمض لهم عين حتى يقوضوا دعائم دولته الجديدة بالدس والتخريب حينا ، والفتك والتدمير احيانا اخرى . وكان يعرف ان اعداءه فى الخارج لن يهدأ لهم بال وهم يرون غانا تنفك من اسارها وتقدم المثل فى افريقيا السوداء لبلاد اخرى مازال حكامها يسيرون معصوبى الاعين عن نور الحق .. ويسيرونها فى طريق التبعية والاذعان . وكان يعرف ان قرصنة الاستعمار لم تنته فى القرن الثامن عشر بانتهاء السير فرانسيس دريك .. التاريخ الاسود لم تجف صحائفه ... تأميم قناة السويس تبعته المحاولة الرجيمة لاحتلال القناة حماية لمصالح المنتفعين بها ... وانتخاب جاكوبو اربينيز فى جواتيمالا تبعه انقلاب عام ١٩٥١ المشهور حماية لمصالح شركة الفواكه المتحدة ... وكان نكروما

يعرف ان اليمين العالمي وحليفته الرجعية المحلية لقادران على اللجوء الى اكثر الاساليب غدرا للقضاء على الافكار الجديدة ودعاتها ... ودون الناس — على سبيل المثال — ما حدث لباتريس لومومبا والمهدي بن بركة .

وفي واقع الامر لم يكن نكروما بحاجة لان يقرأ التاريخ فالاحداث المعاصرة في غانا قدمت له الدليل الذي لا يرد .. **الدكتور بوسيا** ، خصمه الضاري ، الذي ذهب الى لندن قبل الاستقلال مطالبا بتأجيل اعلانه مالم يمنح الاشانتي لونا من الاستقلال الداخلي ... فعل هذا بالرغم من توصيات «لجنة بورن الاستشارية» حول وحدة القطر ... دكتور بوسيا هذا — وقد عاد اليوم مظفرا إلى غانا — لن ينسى له الناس تآمره وهو داخل غانا مع **اوليمبيو** رئيس التوجو لاغتيال نكروما . ولم ينس له الناس تآمره ، وهو خارج غانا ، مع **هكتور يو** — مساعد ((**قبدما**)) وزير المالية الاسبق للحصول على اسلحة الجيش ومفرقعاته لاشاعة الارهاب ابان زيارة الملكة اليزابيث — وبجانب بوسيا ومن ورائه نجد صفا طويلا من ساسة غانا وكبار موظفيها من الذين قضى النظام الجديد على مصالحهم ومطامحهم ... خاصة منذ ابريل ١٩٦١ عندما اعلن كوامي نكروما بداية عهد التقشف .. عندما اعلن بأن الاشتراكية الغانية ستتعايش مع نظام المبادرة الفردية الراسمالي الا انها لا تقبل من ساسة غانا وموظفيها الخلط بين المصالح المالية والعمل العام ... فالذي يريد ان يمتلك الضياع واسهم الشركات يجب عليه ان يترك العمل السياسي او الوظيفة الحكومية .. يجب عليه ان يختار بين امواله وبين الصالح العام والنقابيون الذين وعوا دورهم في الماضي بأنه الهدم والتخريب يجب عليهم ان يدركوا ان الحكومة الثوريه ليست كالنظام الاستعماري المباد . وقد كلفت حملة نكروما هذه الكثيرين مقاعدهم الوزارية والبرلمانية .. **قبدما** وزير المالية .. **بوتسيد** وزير الزراعة .. ومن بعدهم بعض الاقربين اليه مثل **كروبو ادوسي** .. وجميع هؤلاء قد انتهى بهم المطاف اما الى النفى ، او السجن ، او الاقصاء عن الحياة العامة لبعضهم دون حجر على حرياتهم وكان هذا هو خطأ نكروما الاكبر ... فسقوط نكروما لم يقع لان الرجل كان طاغية جبارا وانما لانه لم يكن بطاغية جبار .. ((**جريدة التايمس**)) اللندنية في عددها الصادر في ١٣ يونيو ١٩٦١ كتبت بعد انتصار نكروما على **دانكوه** بتسعين في المائة من الاصوات في الاستفتاء الشعبي الذي اجرى يومها . كتبت تقول « ان شعبية نكروما في القطر لتصل حد التأليه ، ولكنها تشبه ذلك اللون المحموم من الشعبية التي يمكن القضاء عليها بين عشية وضحاها » ... ومضت تقول بأن نكروما « لكيما يحقق سياسته الجديدة سيضطر الى التخلص من الكثيرين من مساعديه ورفاقه في السلاح من الذين يقبلون زعامته شريطة ان يسير وفق ما يرون ... وهؤلاء المرفوضون هم الذين سيقودون الثورة ضده غدا » ... وهذا القول حقيقة . فالتأييد المحموم هذا لا يمكن الاعتماد عليه ما لم يوجه نحو تنظيم شعبي قوي يقوده رجال يتملك الفكر الجديد كل حواسهم ومشاعرهم .... والمرفوضون — في مجتمع يعيش ثورة تغير وجه الحياة فيه — لايمكن معاملتهم بالتسامح والحسنى .

فالذي يقاسي منه زعماء افريقيا التقدميين والذي دفع ثمنه اليوم نكروما هو هذا التسامح الذي يبدونه نحو خصومهم .. بالرغم من كل الاتهامات التي تترى عن الدكتاتورية والطغيان . فالاشتراكية ما كانت لتقوم في روسيا لولا ارهاب جوزيف ستالين .. وفيدل كاسترو ما كان ليستطيع ان يقيم دعائم دولته ما لم يرق ما اراق من دماء ومن بين ضحاياه قلة من ابطال سيرا مايسترا الصناديد مثل سوري مارين وبالاس بطلي معركة قلعة مونكادا في سنتياقو دي كوبا ورونالدو كابيلا واميجيراس دلقادو .

ولكن زعامة افريقيا الجديدة لم ترد اهدار كرامة الفرد وكيانه في سبيل البناء الجديد ... لم ترد التضحية بجيل معاصر في سبيل الاجيال القادمة . صفحت صفح المقتدر ... وبفعلها هذا اكدت انسانيتها واصالتها . وبدلا من ان يكون هذا الصنيع مصدر التقدير والاشادة اخذت الاصوات ترتفع من كل مكان تحدثنا عن الطغيان والارهاب .

نكروما .. والخدمة المدنية

وهنا ايضا ارتفعت اصوات ووسائل اعلام الغرب لتتحدث عن تدخل نكروما في استقلال الخدمة المدنية .. استقلالها كما يفهم ذلك «رجال هوايستهول» . وفهم نكروما للخدمة العامة يحدده هو في اول كتبه .. يقول في مقدمته لكتابه عن تاريخ حياته : « ان النظام الراسمالي لنظام معقد بالنسبة لبلد ناشيء متخلف .. ولذا فلا سبيل الا انتهاج الطريق الاشتراكي .

بيد ان العدالة الاجتماعية والدستور الديمقراطي في حاجة الى حماية في الفترة التي تعقب الاستقلال بتطبيق اجراءات صارمة . فبلا نظام لا يمكن للحرية ان تزدهر . والاساس لتطبيق هذا سيكون هو الخدمة المدنية الامينة المخلصة العاملة ذات الولاء لحزب الاغلبية » .

اذن فالخدمة المدنية ليست بهيكل مقدس ... الخدمة المدنية ... « خدمة » وما لم يكن العاملون فيها امناء مخلصون ، ذوو ولاء للحزب الحاكم وايمان بفكره هذا الحزب فلا مكان لهم فى المجتمع الجديد ... ولا شك فى ان نكروما وغيره من زعماء افريقيا — الى حد كبير — يعانون من البيروقراطية الموروثة أكثر مما يعانون من الطبقات ذات المصالح — فهذه الاخيرة محدودة أمكن السيطرة عليها فى مصر ... ولا وجود لها فى غانا — واكثر مما يعانون من الاستعمار ؛ لان الاستعمار يعيش اليوم فى عالم تناهضه فيه قوى تفوقه او تماثله عدة وعديدا وهو لا يستطيع الا ان يحسب حسابها فى كل ما يقول وكل ما يدبر . فان لم تتوفر الصفات التى حددها نكروما فى الخدمة العامة فلا سبيل للحاكم الذى يريد ان يتم المجتمع الجديد بميسمه الآن يقصيها من ميدان العمل العام او يعمل ما تنصح به من رأى . وهذا اضعف الايمان .

وقد لعبت البيروقراطية هذه دورا اساسيا فى اعاقة النمو الاشتراكى . وفى هذا المعنى قرأت مقالين رائعين **اولهما** فى « النيوستيسمان » لجيمز فيربرن (٤ مارس ١٩٦٦) ، **وثانيهما** رسالة لايريك كلافرنج فى « الجارديان » ... بالاضافة الى **مقال ثالث** لباسيل ديفدسون (الاستيتسمان ١٠ مارس) والمقالات الثلاثة تشير الى ان من بين عوامل فشل التجربة الغانية « التخريب » الذى كان يقوم به بعض الذين يتصدرون الحياة العامة ضد النظام الجديد وهو نظام يتهدد ، فيما يتهدد ، مصالحهم ومطامحهم ... كان ذلك فى الخدمة المدنية او فى اجهزة الحزب الحاكم .

وصحافة الغرب عندما تتحدث عن الخدمة المدنية واستقلالها ، انها تريد ان تقول ان الوضع كان سيكون احسن حالاً لو ولى الامر **« الغلمان »** — فيما يقول الفرنجة « The boys » « والغلمان » هؤلاء جماعة نالت من العلم اوفره ... وفقهت « اسرار الديانات واللغة » . ولكنها اصيبت مع علمها الوافر بداء انفصام الشخصية ، بفقدان الوعى الذاتى ، وبانعدام الاصالة . ومصيبة غانا ان هذا النمط من « الغلمان » فيها كثير ... شأن الكثير من مستعمرات بريطانيا السابقة . واكبر حسنات الاستعمار البريطانى هى اكبر سيئاته . ونعنى به تركه من وراثه كيانا بيروقراطيا متينا . وفى بلد تريد ان تسلك السبيل التقليدى فى البناء سيضمن هذا الكيان سير الحياة وتسيير الدولاب . اما فى مجتمع يريد ان يقوض المفاهيم الموروثة جميعها يصبح الكيان البيروقراطى هذا اكبر العقبات فى الطريق بل اشدها عقدا ... وينطبق هذا بصورة اوضح على المستعمرات الافريقية غير المتلهنة ؛ اذ تتحالف الثقافة الاستعمارية مع التبشير المسيحى لخلق مثقفين ليسوا باكثر من صورة باهتة شائهة للرجل الانجليزى . اما فى حال المستعمرات البريطانية فى البلاد ذات الثقافة العربية كمصر والسودان او الاسلامية كالباكستان والصومال او ذات الحضارات العريقة كالهند وبورما فان تلك الثقافات قد اصبحت سياجا حال بين الغالبية من المثقفين وبين ذوبان الشخصية وفقدانها . فان جاء زعيم مثل نكروما يبشر بدعوة العودة الى الاصول ويؤكد معنى الكرامة الشخصية فان انتصاره ليعنى — فى نظر الاستعمار — القضاء على كل ما تبقى من جيوب للنفوذ الاجنبى . بل القضاء على اخطر انواع هذا النفوذ وهو النفوذ الثقافى . والغرب لا يريد فقط ان تكون اسواقنا حبيسة له .. بل يريد ان تكون رؤوسنا ايضا رهن الاشارة وطوع البنان . وقادة افريقيا الجدد لا يرفضون ثقافة الغرب — وكلهم وكلنا نتاجها — بل هم يدركونها ويعونها اكثر مما يعيها الامساخ الذين يقدسونها .. كل الذى يقول به القادة الجدد هو ان الفكر الاوروبى بل الفكر الانسانى كله يجب ان يطوع وفق متطلبات واقعنا المعاش .. ان تستمد الاحكام جذورها من التربة الافريقية لا من الافكار التى حشرت حشرا فى الرؤوس .

نكروما ... واستقلال القضاء

وفى نفس العرض .. يمضى الحديث عن اعتداء نكروما على استقلال القضاء باقصائه لقضاة لم يقبل احكامهم . والحديث عن الخدمة العامة ينطبق بكليته هنا . ولكن لا بأس من ان اولى الامر قليلا من التعليق الموجز . ففى رؤوس الكثيرين تئز بعض الافكار ، وتعربد بعض الاوهام عن مفهوم استقلال القضاء . وهنا ايضا نقع ضحية لايحاء وسائل الاعلام الغربى .

انا لا أعرف شيئا اسمه قدسية القضاء .. هنالك استقلال القضاء ... واستقلال القضاء هذا امر اعتبارى ... فى بلد مثل البلاد التى تقبل نمطا غربيا فى الحكم يفترض وجود العديد من الاحزاب المتنافرة .. والعديد من التيارات المتضاربة ينظر الناس الى القضاء كفيصل فيما يشتجر بينهم من خلاف فى امورهم العامة والخاصة حتى الذى يمس منها الكيان الدستورى نفسه . اما فى بلاد ارتضت « الوحدانية » فى الدستور وفى فلسفة الحكم لا مجال للقاضى بأن يصدر من الاحكام ما يهدد الكيان القائم أو ينتقص منه ... فالسيادة للامة والمعبر عنها هو حزبها الواحد .

فالبلد الذى يسعى لاقتلاع نظام قائم من جذوره ليبنى مكانه مجتمعا جديدا .. يبدل العلاقات

الاقتصادية والاجتماعية القائمة . يخطط للانسان الجديد فى مجتمع الغد ، لا يستطيع ان يعيش الا اذا ضمن الولاء المطلق من اجهـزته الادارية . فرئيس القضاء « **اركوكورسا** » الذى ينظر لمحاولة اغتيال نكروما لا كمحاوله لتقويض الدوله الجديده ولا كمؤامره — جسيمه لاغتيال حرية الامه وانما كجريمه عادية تفسرها كتب الاثبات وتستمد لها الاحكام من سوابق « الاولد بيلى » اما ان يكون جاهلا بكل الثوره التى وقعت فى غانا فلا مكان له اذن فى النظام الجديد .. واما ان يكون مدركا لكل هذا فيضحى متـآمرا يجب ان يلقى جـزاءه مع رصفائه من المتآمرين . وما حدث للسـير اركو كورسا يذكرنى بما حدث للدكتـور عبـد الرزاق السنهورى تلك القمة الشامخة من قمم التشريع العربى يوم ان اقصته ثورة مصر — وهو الرجل الشريف والعالم الجليل ... اقصته يوم ان وقف يحدث حكام مصر الجدد عن حرية الفرد وتعـدد الاحزاب ودستور ١٩٢٣ ... وكان الفـرق فى الحديث بين جيلين ... جيل ماانفك بصره ساهما فى مصر عدلى يكن وعبد الخالق ثروت ، وجيل آخر يريد ان يثب بوادى النيل وثبا نحو القرن الواحد والعشرين متخطيا حواجز المكان وابعاد الزمان .. وكان الخيار لعبد الناصر بين العـالم العـلامة عبد الرزاق السنهورى وبين مسـتقبل الاجيال القادمة فى مصر . واختيار عبد الناصر معروف ولو لم يفعل عبد الناصر ما فعل لما كان عبدالناصر ولكن دعونا من كل هذا فالذين يتحدثون اليوم من الغربيين وتابعيهم باحسـان الى يوم الدين عن قدسية القضاء لان غانا طردت رئيس قضائها .. من قال لهم ان العرب بحجه الديمقراطيه لايعتدى على حصن القضاء المكين يوم ان يصدر منه من احكام ما يهدد الكيان القائم .

اولا يذكر الناس ما فعله « **فرانكلين روزفلت** » ابان حركته الاجتماعية العظيمة «الصفقة الجديدة» او لا يذكرون ما فعله بالمحكمة العليا التى حاول قضاتها ان يعوقوا تطبيق التشريعات الاجتماعية الجديدة منددين بأنها تختصر حرية الافراد .. اولا يذكرون التشريع الذى تقدم به للكونجرس لرفع عدد اعضاء المحكمة الى ١٥ عضوا حتى يضمن الزج بأنصاره ويضمن لحكومته اغلبية فى اكبرجهاز قضائى فى الدولة ، بالرغم من ان القانون لم يصل آخر مراحل التشريع اذ شاء القدر ان يسـتقيل القضـــاة « **فان ديفـانتر** » فى عـام ١٩٣٧ ، و « **سذرلاند** » فى ١٩٣٨ ممـا مكن روزفلت من تعيين اثنين من انصار « الصـفقة الجـديدة » « **هيدتو بلاك** » — شـيخ ولاية الباما — واكثر قضاة المحكمة العليا تقدمية حتى اليوم وقد بلغ الثمانين ، و « **ستانلى ريد** » المحامى العمومى فى حكومة روزفلت . وهكذا استطاع تدعيم مايسميه الدستوريون الامريكيون بالجناح التقدمى فى المحكمة العليـا ... كوردوزو فرانكفرتر ... ورئيس القضاء ستون . وفى التـاريخ القريب اولا يذكر الناس ثورة العمال الضارية ضد المحاكم لاسرافها فى تقييد القوانين الاجتماعيه الجديدة التى جاءت بها حكومة العمال فى بريطانيا بعد الحرب ،والتى تهدد الحرية الفرديه فى مفهومها الكلاسـيكى . مثل « **قضية جيلمور** » « EX parte Guilmore » التى حاولت فيها محكمة انجلترا العليا اصـدار حكم يتعارض تعارضا اساسيا مع قوانين الضمان الاجتماعى الجديدة .. وهى القضية التى جعلت العالم الدسـتورى البريطانى المعروف السـير « **ايفور جننقز** » يكتب مقالا من اكثر ما قرأت وعيا فى مجله هارفرد للقانون (العدد رقم ٤٩) يدعو فيه لانشاء قضاء ادارى فى بريطانيا حماية لتشريعات الضمان الاجتماعى . وجاء فى مقـال جننقز بأن القضاء الادارى يضمن عدم تحريف القوانين ضد المصلحة العامة اذ ان القضاة التقليـديين بحكم تدريبهم وتكوينهم المهنى يعمدون الى المحافظة اكثر من التجديد .

اذن فحتى فى بريطانيا المحافظة — يوم ان ارادت ان تقوم بحركة اجتماعية متواضعة انعكست فى تشريعاتها ادرك الناس ان استقلال القضـاء لا يمكن ان يعنى منح القضاة سـلطات مطلقـة فى تفسير هذه التشريعات وتطبيقها بصورة تؤدى الى هدم كل الاسس التى يقوم عليها النظام الجديد .

وحتى فى الظروف العادية فان مبدا الاشراف السياسى على القضاء مقبول به ومعمول فى دول الغرب التى يراد منا اعتبـارها المرجـع الاول والاخير . فرئيس مجلس اللوردات الذى يجلس على قمة الهرم القضائى فى بريطانيا سياسى يختار من بين ساسة الحزب الحاكم . وبالرغم من ان حكومات بريطانيا المتعاقبة تعمـد الى اختيـار المرموقين من رجال القانون لشغل هذا المنصب الا ان بعضها قد استغل المنصب لفرض سيطرة حزبية او اتجاه سياسى معين . فماكميلان بالامس — فى تعديلـه الوزارى الاخير الكاسـح والذى اسمته صحافة بريطانيا بالمجزرة قد اخرج رئيس مجلس اللوردات « **اللورد كلموير** » ليضع مكانه اقرب الاقربين اليه فى حزب المحافظين (ابن عمته ووسيطه فى الاحداث الجسام) **السير ماننجهام بلر** الذى اصبح فيمـا بعد « **اللورد ديلهورن** » .. والسير بلر كان يومها محاميا عاما لا يعرف له رجال القانون فى بريطانيا من فضل ولا مكانة الا القربى لهارولد ماكميلان وعلائق ايتون واكسفورد والاندية الاجتماعيـة . بل ان زملاءه فى مجلس العموم كانوا يسمونه « Sir Bullying Manner » تحريفا لاسمه واستهزاء به .. وقد اراد ماكميلان بهذا التعيين ان يفرض سلطانه الشخصى فى كل مكان .. صديقه الايرل الرابع عشر لمقاطعة هيوم

فى ديوان الخارجية ... وابن عمته مانتجهام على راس القضاء .. وزوج ابنته **جوليان ايمرى** فى وزارة الحربية . والذى حدث فى بريطانيا يومها لم يكن فى تقدير صحف بريطانيا وتابعيها فى خارج بريطانيا اعتداء على المؤسسات المقدسة ، ولا محسوبية ولا استغلال نفوذ ، ولا نموذجا من نماذج السيطرة الشخصية .

نكروما ... وعبادة الفرد

وتكتمل الصورة السوداء التى تريد صحف الغرب رسمها « للطاغية نكروما » بالحديث عن تأليهه لنفسه ، ووصفه لها بالمنقذ والفادى . واهل غانا لم يطلقوا على نكروما اسم الاسياقيفو او « المنقذ » فحسب .. بل اسموه «بالكاتمانكو» اى المعصوم عن الضلال و « النوقينو » اى المنيع و « السكوكودوريني » اى الذى لا يقهر ، و « الاسوندويهين » اى « الموفق والمصلح » . ونكروما كان يعرف قبل غيره انه ليس بمعصوم عن الخطأ ، وليس بالقادر القهار ، وليس بالذى يحيى ويميت ، ان فهمنا لهذه المسميات يجب ان يكون فى نطاق التكوين السوسيولوجى للقارة الافريقية ، وفى مجتمعاتها البدائية التى تسيطر عليها الخرافة والسحر . وهذه قوى اجتماعية لا يمكن انكارها ولا اغفالها والى ان يتم القضاء عليها عن طريق الترشيد ونشر الوعى لا يملك الحاكم الا ان يستغلها ان اراد استغلال كل الطاقات الكامنة فى الامة وتوجيهها . ومثل هذه الافكار — ان استطعنا تسميتها بالافكار تتملك على الناس مشاعرهم . فالسحر مثلا هو الذى لعب دورا اساسيا فى حركة « **الماو ماو** » ، ولم تكن دعوة كينيا تادعوة من اجل الحرية والاستقلال — فالكيكويو ما كانوا ليفهموا ما يقول الرجل لو فعل هذا — وانما كانت دعوة لتحرير ارض السود من المغتصب الابيض ، دعوة غذوها بالقسم على اسنة الرماح وبتجرع الدماء الساخنة — مما اسمته صحافة الغرب يومها بالوحشية . و « جومو » كان يومها اعلم الناس بأن ما يفعله هذا أمر سخيف ولكنه ضرورى ان اراد تأليب مشاعر اهله وحثهم للوقوف صفا واحدا من ورائه فى سبيل تحرير كينيا .

ان كوامى نكروما وهو واحد من اكثر زعماء افريقيا ذكاء ، واغناهم ثقافة ، واوضحهم رؤية ، ما كان ليظن بأنه اله او نصف اله . ولكنه ككل قائد رشيد يعرف طاقات جنوده وقدراتهم ما كان له الا ان يحدثهم بالاسلوب الذى يعون ، ويخاطبهم باللسان الذى يدركون .

فلسفة الوعى بالذات ...

والعودة الى الاصول

قلت ان نكروما الذى تريد صحف الغرب ان تضفى عليه قسرا « رداء الشيوعية » استمد فلسفته من دراساته فى الغرب ومن استقرائه لتاريخ افريقيا ومن احساسه العميق بامجاد القارة فى ماضيها البعيد والقريب .. حضارة النوبة فى وادى النيل .. ودولة البربر فى شمال القارة .. ومجد الاسلام بعد الفتح العربى .. ودويلات مالى وغانا وغينيا فى الغرب والزامبيوى فى الوسط . ولخص كوامى لكل ذلك فى مؤلفه قبل الاخير الذى اسماه « **الوعى بالذات** » . والاساس الروحى للفلسفة النكرومية هو معالجة كل فرد كغاية ونهاية فى ذاته . وتحليله يقول بان القوى الكامنة الاصيلة فى افريقيا قد ادت الى ان تبتلع القارة وتهضم كل العناصر الوافدة الغريبة .. مسيحية كانت أم اسلامية .. سامية كانت ام حامية . ونتاج هذا الهضم خرجت للعالم الشخصية الافريقية .. كائن جديد ، واضح القسمات ، بارز المعالم .

واليوم والقارة الافريقية تخوض ثورتها الاجتماعية والاقتصادية لا يملك المرء ان ينسى هذه الخصائص الاصيلة الكامنة . بل لابد ان يأخذها بعين الاعتبار فى معركة تشييد المجتمع الاشتراكى الجديد . وقد توصل كوامى الى معادلة بسيطة لخص بها هذه الفلسفة والمعادلة التى اوردها نكروما فى كتابه « الوعى بالذات » تقول بأن :

ش = م + ذ + و

اذن فالتحليل الرياضى للاشتراكية الافريقية هو :

اشتراكية = مادية + وعى ذاتى + وحدة

وقد يختلف بعض الزعماء الافريقيين الاخرين مع نكروما فى العنصر الاول من الطرف الثانى للمعادلة .. المادية .. نكروما ينادى بها لانه ظل يعلن من ايام مانشستر عن ايمانه بالفكر الماركسى . ولكن هناك زعماء كثيرون ارتضوا الاشتراكية منهجا رافضين اساسها المادى ونابذين شمولها الفكرى ولكنهم يتفقون جميعا على العنصرين الثانى والثالث .. الوعى بالذات ... الكيان العربى عند اهل مصر وسوريا والجزائر .. والشخصية الافريقية عند اهل غانا وغينيا ومالى وتنزانيا . والعنصر الثالث يرتبط ارتباطا وثيقا بالثانى لان استرداد الشخصية القومية وصيانتها يتطلب من هذه الدول — وكلها ضعيف — التآزر والاتحاد

الوعى بالذات .. والتربة الوطنية

قلت ان ساسة افريقيا الصاعدة ادركوا ان الفلـ ـفه الجديدة لكيما تلقى القبول لابد ان تمتد جذورها ضاربه فى اعماق التربه الوطنيه . وقد شهدنا كيف ان الاسلام — بين الدول المسلمه — قد لعب دورا كبيرا فى تكييف النضـال الوطنى ، والهاب شعور المواطنين ، واستنهاض هممهم . وبين يدينا نماذج كلاسيكيه .. الثوره المهديه فى السودان فى القرن التاسع عشر والثورة الجزائرية فى هذا القرن .

وفى وطننا العربى نلتفت اليوم الى الدول الرائدة وهى تطبق المنهاج الاشتراكى .

فنرى ـ تتحدث فى ميثاقها عن ثورتها العظيمة التى لا تتحقق الا « بفكر مفتوح لكل التجـارب الانسانية » « وبايمان لا يتزعزع بالله وبرسـله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى » .

ونرى **الجزائر** تقول فى ميثاق طرابلس ومن بعده فى ميثاق الجزائر « ان الجوهر العربى الاسلامى قد شكل حصنا منيعا ضد تهديم الجزائر من طرف الاستعمار .. وعلى الثوره الجزائرية ان تعيد له وجهه الحقيقى .. وجه التقدم » ...

وعندما تفعل الاشتراكيه فى الوطن العربى هذا لا تفعله بدافع الحماس العنصرى الضـيق ولا الشعبية الرعناء وانما ادراكا منها بأن الفلسفات السياسيه التى لا تعترف فى تطبيقها بالواقع المعاشى فى مجتمع معين فى فتره معينه انما هى فلسفات لن يكتب لها البقاء . والفكر السياسى اليوم علم يخضع لكل ما ـع له العلوم البحتـه من مقاييس فى الافتراض وفى التحليل وفى التطبيق وفى الحكم . فبن بيللا مثلا عندما كان يتحدث الى وفد اتحـاد الصحافه الديمقراطى فى مؤتمرهم العالم ويقول « اتركوا لنا الله وسمصى معكم الى اى حد تريدون فى الاشتراكيه العلميه » كان يعنى شيئا ابعد ما يكون عن « الدروشة » السياسيه . وعندما كان يتحدث عن اشتراكية محمد وهو يوصى موظفيه بالتقشف كان ينصرف بذهنه الى قول الرسـول الكريم « اللهم اجعل عيش آل محمد كفافا » ...

وعندما كان يتحدث عن ابن خلدون كان يذكر بعض الناس بما فاتهم فى تاريخهم ... فابن خلدون لم يسمع بسان سيمون ولم يقرأ عن ماركس ولكنه جاء للفكر الاسلامى بل الانسانى بالرأى القائل « اعلم ان اختلاف الاجيال فى احوالهم انمـا هو باختلاف غلتهم من المعاش » — الباب الثانى من الفصل الاول ... وبغلتهم من المعاش اراد ابن خلدون ان يشير الى ما نسميه اليـوم بوسـائل الانتاج . ويمضى بنا المؤرخ العظيم للقول بأن مزاج الشعوب وعوائد حياتها انما تحدده علائق الانتاج هذه . وان هذا المزاج ليس بالامر النهائى لا يتبدل ولا يتغير وانما تغييره وتبدله رهين بقبول وسائل الانتاج وعلائقه ... نعم جاء ابن خلدون للفـكر العربى برأى لو نادى به مناد اليوم لما سلم من تهمة الارتماء فى احضـان « فرنكشتاين الاحمر »

الزنجية كقوة دافعة

اما فى قلب افريقيا فقد ارتبط الحـديث عن العوده للاصول بالحديث عن الزنجية . فنكروما قد استمد افكاره الاولى من فيلسوف من اكـبر فلاسفة الزنجية ... **((ماركوس جارفى))** فى امريكا وماركوس جارفى الزنجى الجاميكى كان يظن ان خلاص الزنج فى العالم الجديد لا يتم الا بتحرير افريقيا . وقد ظل جارفى وحواريوه يظنـون لامد طويل ان محجتهم فى العالم هى اثيوبيا .. لسببين : **اولهما** انها البلد الزنجى الوحيد المستقل . **وثانيهما** انها البلد الزنجى الوحيد الذى اقتص للزنج من الرجل الابيض بانتصار منليك الساحق ضد الايطاليين فى موقعه عدوه .

تصدر نكروما الدعوة وقبـل ان يكون راس الرمح فى حركه البعث الزنجى هذا بعد ان عاش الاذلال الابيض فى افريقيا وذاق مرارته فى امريكا ، وشهد وجه الكالح فى بريطانيا . واستقلت غانا لتفتح ابوابها لمرموقين من الزنج .. ((**جورج بادمور**)) جاء من بريطانيـا ليصبـح مستشارا سياسيا لنكروما ... **((وآرثر لويس))** جاء ليصبح مستشاره الاقتصـادى ... ((**وديبوا**)) جاء من امريكا ليؤرخ التطور الاجتماعى والسياسى لافريقيا الزنجية ... وتبعهم فى السنوات الاخيرة يساريو جنوب افريقيا الذين جاءوا ليسهموا فى نشر الوعى الاشتراكى فى معهد نكروما للدراسات الفكرية . وكان الرجل فى كل خطوة خطاها منطقيا مع دعوته التى بشر بها منذ ان كان يافعا يجوب الافاق الى ان اصبح الحاكم الذى يأمر فيطاع .

وواقع الامر ان اثر فلاسفة الزنج هؤلاء لم يكن بوقف على نكروما . فقد اثر مفكرو الزنج من امريكا والبحر الكاريبى تأثيرا واضحا على اغلب الحركات الوطنية الافريقية ... ((**ايمى سيزار**)) المارتنيكى هو الاب الروحى لدعوة الزنجية والانسانية التى يدعو لها ((**ليوبولد سنغور**)) . والنـواة الاولى للتفكير السياسى عند جبهة التحرير الجـزائرية استمدته من ((**فرانز فانون**)) المارتنيكى الذى ترك مستشفاه فى البليده لينضم الى صفوف المحاربين

الجزائريين يلهب حماسهم بما يكتب ويحدد معهم ملامح مجتمع الغد الجديد بما يحرز . ولا اجافى الواقع كثيراً ان قلت ان الادب الجـزائرى الذى اتحف القارىء بالاثار الفريدة فى علم الاجتمـاع **((المولود معمرى))** و **((محمد سهلى))** و **((مصطفى الاشرف))** .. وفى القصة **((محمد ديب))** و **((مولود فرعون))** **((وآسيا جبار))** ...وفى الشعر **((المالك حداد))** و **((كاتب ياسين))** ... لم يجـد بمفكر سـياسى واحد ـ خارج اطار ثالوث الزعمـاء التاريخيين (بن بيللا ـ بوضياف ـ آية احمد) .. والنظريات السياسية الوحيدة ـ واعنى بالنظرية النظرية الشاملة المتكاملة ـ التى صحبت تلك الثورة الماجدة قبل ميثاق طرابلس هى ما كتبه فرانز فانون الزنجى .

العودة للاصول .. والوحدة الافريقية

ارتباط الوحدة بالدعوة للعودة للاصول ارتباط وثيق . وحديث القوة فى الاتحاد حـديث قديم . وساسة افريقيا الجديدة ، وهم يسعون لخلق كيان سياسى جديد فى القارة ، لابد لهم من وضع حد لتلك ((البلقنة)) التى فرضتها الدول الاستعمارية فى مؤتمر برلين عام ١٨٨٥ . فقد ادى ذلك التقسيم الاعتباطى وادت معه سياسة اقتسـام مناطق النفوذ التى تبعتـه الى التفريق حتى بين افراد القبيلة الواحدة ... **((الاشانتى))** بين سـاحل العاج وغانا ... **((الايوى))** بين توجو والداهومى **((الهوسا))** بين شـمال نيجيريا والنيجر ... **((الزاندى))** بين السودان والكونجو وافريقيـا الوسطى ... **((اللندا))** بين انجولا والكونجو .

ولذا فقد كانت اولى الاولويات فى سياسـة نكروما عقب الاستقلال هى العمـل على تحرير القارة الافريقية بهدف توحيدها مستقبلا . فصيانة استقلال غانا لا يتم الا بتحرير جاراتها . ولم يكن هذا بالحديث الذى يردد فى المجالس ويعود الناس ليفعلوا من بعده الافاعيل . لقد قام نكروما اكثر من اى حاكم آخر فى افريقيا بالعمل الصارم الجاد من اجل تحقيق هذه الغـايات السـامية . يوم استقلال غينيا بعد ان خرج منها الفرنسيون ونزعوا عنها كل مظاهر الحياة الجديدة لم تجـد الدولة المنهوبة من عون فى اسبوعها الاول الا من نكروما الذى منحها ـ دون قيد او شرط او صك ـ ١٠ ملايين من الجنيهات لتسير بها دولاب الحياة .. ويوم وقف لومومبا يستثير الشـعور الوطنى فى الكونجو ـ واستقلال الكونجو فى ذلك الوقت كان وهما وحلما ـ لم يجد الرجل من يحتضنه ويقدمه للعالم غير نكروما فى اول اجتمـاع للحـكومات الافريقية فى اكرا عام ١٩٥٨ و **((هيستنقز باندا))** الذى يملا الدنيا ضجيجا اليوم ما كان ليصبح رئيسا لدولة لولا السنوات التى قضاها فى غانا يعيش هو وحزبه على ما اقتطعـه لهم نكروما من عون . واخراج جنوب افريقيا من الكمنولث ما كان ليتم لولا تهديد نكروما ونيريرى بتركهم لذلك النـدى الدولى ... وغير هذا من الامثال عديد .

ومرة اخرى كان الذى فعله نكروما فى سبيل تحقيق الوحدة الافريقية متمشيا مع منطق دعوته التى سار فيها بلا انحراف ولا انثناء ، حتى اصبح الرجل رمزا للدعوة ، وتمثالا للوحدة . لقد كان مظهرا رائعا فى الاسابيع التى تلت اسقاط نكروما ان يقود طلاب الداهومى والفولتا العليا فى جامعة داكار المظاهرات الصاخبة ضد اقصـاء نكروما الغانى وهم الذين لم يتحرك لهم ساكن بالامس القريب يوم ان اقصى عن الحكم رئيسهم موريس ياميوتو ... وبالامس البعيد يوم ان اقصى رئيسهم هيوبرت ماجا . وكان مظهرا اروع ان لا يجـد اقصاء نكروما من اشارات الابتهاج والاعجاب فى افريقيا الا عند سيرنانا فى مدغشقر .. وهوفوت بوانى فى ساحل العاج ... وليوبولد سنغور فى السنغال ... اى ثالث رجيم ... اعلمهم خدم ، واحزمهم وغد .

ان الذى كتبه رونالد سيقل وهو يؤرخ لنكروما فى كتابه ((ملامح شخصيات افريقية)) قبل بضع اعوام ليصدق اليوم اكثر منه فى اى يوم . ختم سيقل ـ وقد نقد نكروما بلا هـوادة ـ مقاله بالقول بأن فشل نكروما انما صدر عن خطأ التقدير وليس عن فقدان الخيال . ونعى نكروما اليـوم سابق لاوانه .. بيد ان الرجل قد ادى للقارة التى يهواها اكثر من اى من هؤلاء ـ فى داخل افريقيا وخارجها ـ من الذين يحاولون الانتقاص من قدره .

ثورة اقتصادية تبنى للمستقبل

اشرت من قبل الى الخطاب الرائع الذى ارسله **((ايريك كلافرنج))** الى جريدة ((الجارديان)) وقد راق لى وصفه للمحاولات التقليدية لمعالجة مشاكل افريقيا الاقتصادية بأنها محاولة للصعود على سلم كهربائى هابط . لقد حاول نكروما ـ كما يحاول غيره ـ كل الحلول .. تنويع المحاصيل .. مضاعفة الانتاج .. التوسع فى التصـدير .. التعـاون والامتيازات الجمركية مع جاراته . ولكن بدا له ـ بحق ـ ان كل هذه مسكنات . فزيادة الانتاج والتوسع فى التصدير الى الاسـواق التقليدية لا يعنى شيئا طالما ظلت هذه الاسـواق هى التى تتحكم فى الاسعار صعودا وهبوطا ، وعائد هذه

الصادرات لا يعني شيئا طالما ظللنا نعيش على استيراد كل بضائعنا المصنوعة من نفس هذه الاسواق .. واغلبها كمالى تفتعل الحاجة اليه افتعالا . وفى النهاية سيعنى هذا الانخفاض المفتعل فى اسعار الصادرات والازدياد المضطرد فى استيراد المصنوعات من نفس الاسواق .. سيعنى ان يزداد البائع الغربى ثراء على ثرائه .. وان يزداد العامل والفلاح الافريقى فقرا على فقره .

ومن هنا جاء التفكير فى انتهاج طريق فى الاقتصاد يضمن اول ما يضمن كسر هذا الطوق الذى يمنع الاقتصاد الوطنى من الانطلاق ويجعل من اوطاننا مستودعا للمواد الخام وسوقا رهينة لمصنوعات الغرب ، وبالتالى فريسة سهلة لـ انواع الضغط والسيطره . والمنهج الذى آثرت افريقيا سلوكه هو الطريق الاشتراكى الذى يمكن الشعب من استرداد ثروته المنهوبة .. من السيطرة على مقدراته الاقتصادية .. من ممارسة ارادته الكاملة على وسائل انتاجه .وبدون هذه السيطرة وبدون هذه الارادة لن يكون الشعب سيدا على ارضه . بل سيظل كما كان عبدا للاحتكارات الدولية ، واحلافها المحليين .. اقطاعا كانوا ام راسماليين .

ثورة فى الصناعة ... وثورة فى الزراعة

وفى غانا بدا نكروما تطبيقه الاشتراكى وفق سياسته « التجريبية » التى تؤمن بتطويع النظريات للواقع المحلى . **فما هى ملامح هذا التطبيق ؟**

لم يلجأ نكروما الى سياسة تأميم شاملة للمرافق الاقتصادية او اقصاء كامل للمبادرة الفردية فى الاقتصاد الوطنى . بل عمد الى خلق نظام يضمن السيطرة الشعبية على المشروعات ووسائل الانتاج الكبرى ويبيح لراس المال الوطنى حرية العمل فيما دون ذلك من المشروعات ، شريطة ان يلتزم بأهداف الخطة العامة . وفى واقع غانا الاقتصادى لم يكن امام الرجل ان يفعل غير ما فعل وهو فى اول الطريق والخصوم يتربصون به الدوائر .

ففى **الزراعة** — ميدان اكبر الانتصارات الاشتراكية الغانية — الغى نكروما نظام **((الابوزا))** الذى عرفته مزارع الكاكاو فى جنوب غانا . والكاكاو نبات كثير الجزاء ولا يكلف انتاجه كبير جهد . ونظام « الابوزا » كان يقضى بأن يحصل الفلاح على ثلث عائد المحصول على ان يذهب الثلثان الى مالك الارض . وكان من اولى القوانين التى اصدرها نكروما قانون الصندوق المشترك للانتاج القومى . ويقضى هذا القانون بأن لا ينال المالك غير ثلث العائد ، على ان يذهب الثلث الاخر الى هذا الصندوق لانفاقه على مشروعات التنمية سواء كان ذلك فى الجنوب حيث مزارع الكاكاو او فى اجزاء القطر الاخرى حسبما تتطلب خطة الانماء .

وبجانب هذا انشأ نكروما مزارع الدولة فى اراضى الملاك التى استولى عليها . وتركز هذه المزارع جهودها اليوم فى انتاج البقول والحبوب لسد احتياجات المراكز الحضرية . وبلغ عدد هذه المزارع فى عام ١٩٦٥ ما يزيد على المائة مزرعة ، تبلغ مساحتها حوالى الثمانين الفا من الافدنة وكان من المقرر ان ترتفع فى خطة التنمية الحالية الى مائتى الف فدان .

وفى المحيط الزراعى ايضا انشأ نكروما **((حقول التوطين))** ، وهى مزارع كبرى يشرف على ادارتها شباب الحزب ويتخذون منها مراكز للتربية الوطنية .. يعيشون مع اهل القرية .. ويعينونهم فى حياتهم الاجتماعية .. ويشتركون معهم فى الفلاحة والرى .. محاولين بكل هذا ومن خلال كل هذا اشاعة الفكر الاشتراكى الجديد ، بالقدوة الحسنة والترشيد الواعى .

اما فى **الصناعة** فقد فطن نكروما منذ البداية الى ان كسر الطوق لا يتم الا بالتصنيع ، فهو المنفذ الوحيد للتحرر من الاتكالية على اسواق اوروبا وبالتالى الخضوع لسيطرة دوائر المال فيها . وهكذا شهدت غانا فى خطتها الاولى مولد المشاريع الصناعية الكبرى .. صناعة الصلب .. صناعة تقطير البترول .. صناعة النسيج .. مشروع كهرباء الفولتا الذى سيسد عند اتمامه حاجة غانا وحاجات جاراتها فى الشمال من الكهرباء . وبهذه التجربة الثورية قلبت غانا احدى الاوهام الاقتصادية التى حاول الغرب غرسها فى رؤوس الافريقيين ، وهى ان بلادهم يجب ان تظل مستودعا للمواد الخام واسواقا اسيرة للبضائع الجاهزة من اوروبا . والانقلاب الكبير فى غانا اليوم هو ان صناعاتها الكبرى تعتمد على مواد خام ترد من البلاد المتقدمة صناعيا فالنفط الذى يقطر يرد من الاتحاد السوفييتى والقطن الذى ينسج يرد من امريكا .

ولكيما تتم هذه الثورة الاقتصادية فى الميدانين الزراعى والصناعى فتحت غانا ابوابها للاستثمار الذى يفد الى البلاد بهدف الربح الشريف والذى لا تتبعه سيطرة ولا يلحق به تسلط : ومن المذهل حقا ان يسمع المرء وسائل اعلام الغرب وهى تتحدث عن ارتباط الاشتراكية الغانية بالمعسكر الشرقى وما جره هذا الارتباط على القطر من خراب . ووسائل اعلام الغرب هذه تنسى او تتناسى ان تقول للناس بأن اقل الاستثمارات فى غانا

(وهذا هو احصاء البنك الدولى) هى استثمارات الكتلة الاشتراكية (١٥ مليون جنيه من الاتحاد السوفييتى و ١٠ ملايين من بولندا ومليونين من الصين) ... فى الوقت الذى تبلغفيه استثمارات بريطانيا ٨٠ مليونا من الجنيهات ، واستثمارات المانيا ٤٠ مليونا ، واستثمارات امريكا ٣٠ مليونا ووسائل اعلام الغرب تنسى او تتناسى ان تقول للناس بأن ٨٥ فى المائة من تبادل غانا التجارىيقع مع دول الغرب فى الوقت الذى لا يزيد فيه التبادل مع المعسكر الشرقى عن ١٣ فى المائة .

وفى معرض الحديث عن الاستثمار تتحدث وسائل الغرب عن الارصدة المالية ــ البالغ قدرها مليونى جنيه التى ورثها نكروما عن الحكم الاجنبى فبددها . ووسائل اعلام الغرب تنسى او تتناسى ان تقول للناس ان المليونين من الجنيهات التى ورثها نكروما قد انفقت فى انشاء المشروعات الاساسية اللازمة لاى خطة انماء اقتصادى كالطرق والموانى والمعاهد الفنية . وما كان فى مقدور غانا ان يستدين لعمل هذا . فالغرب لا يقدم من القروض الا ما يستخدم فى تمويل المشتروات من اسواقهم (الحقائق هنا استمدها من جيمز فيربرن فى النيوستسمان وليست من جريدة الازفستيا !) والكاتب الذى انقل عنه يمضى فى مقاله للقول بأن « كارثة » استهلاك الارصدة كان يمكن تفاديها لولا ان اسعار الكاكاو ــ محصول غانا النقدى الرئيسى ــ قد انخفضت من ٣٢٥ جنيها للطن فى عام ١٩٥٧ الى ١٠٠ جنيه للطن فى هذا العام .

الانماء الاشتراكى ... والتقشف

وتمضى صيحات المذعورين ــ انحقا وانكذبا ــ تتحدث عن فشل التجربة الاقتصادية الجديدة لان متاجر غانا تشكو الادقاع ، واسواقها قد اضحت بلقعا من فرط الاسراف فى قيود الاستيراد . ويصحب هذه الشكوى ذرف الدموع على « الأيام السعيدة الماضية » . ان الذين يرون فى مظاهر التقشف هذه انهيارا للاقتصاد هم اقل الناس ادراكا لمتطلبات الانماء الاقتصادى . فالتنمية الاقتصادية ــ حتى تحت ظل النظام الراسمالى ــ لتتطلب التضحيات وجلها يفرض فرضا .. والطريق الاشتراكى الذى لا يهدف فقط الى زيادة الانتاج بل يسعى الى اعادة النظر فى اسس توزيع الثروة ، وفى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التى تنبنى على هذه الاسس ، لتتطلب المزيد من التضحيات .

ولكن الحقيقة التى تسكت عنها وسائل اعلام الغرب هى ان سياسة التقشف فى غانا لم ينصح بها مستشارو نكروما « السوفييت » ــ فيمايحلو للغربيين ان يقولوا ــ وانما نصح بها (**نيكولاس كالدور**) استاذ الاقتصاد فى كامبردج واحداعضاء ما يسمونه « باركان حرب التخطيط الاقتصادى » فى حزب العمال البريطانى والذى يضم الثلاثى «كالدور ، ماكدوجال ، وتوماس بالوق » ... نعم ان كالدور هو اب سياسة التقشف وهو الذى اوصى بقانون الادخار الاجبارى الذى قضى باقتطاع ٥ فى المائة من رواتب الموظفين واجور العمال .

ان هذه الاصوات المبحوحة التى تردد ما تردد اليوم فى غانا قد سمعها الناس ــ ويسمعونها ــ فى مصر تتحدث عن انهيار الاقتصاد المصرى لان مقاصف مصر لا تقدم وجبات اللحم الطازج كل صباح .. ولان حوانيتها لا تتوفر فيها شفرات الناسيت ... ولان متاجر العقاقير فيها لا تمد الناس بأملاح الاندروز . ومثل هذاالحديث سخيف ممعن فى السخف . فلو صدق قائلوه مع انفسهم لقالوا بأن الموسرين من اهل مصر لا يأكلون اللحم كل صباح .. ولا يعثرون على شفرات الناست واملاح الاندروز ..والموسرون هؤلاء ــ اشتراكية او لا اشتراكية ــ لم تكن تجول بخواطرهم فى الماضى سانحة واحدة عن ما يقاسى الملايين من ادقاع فهم « مشغولون عن هذه الخواطر بجمع المال الى المال ، وضم الشراء الى الشراء ، وباللذات التى لا يفرغون من بعضها الا ليقبلوا على بعضها الاخر ، ولا يستريحون منها الا ليستأنفوا العكوف عليها والامعان فيها» والصورة الرائعة رسمها شيخ ادباء العربية **الدكتور طه حسين** فى سفره العظيم ((**المعذبون فى الارض**)) الذى كان يصور بحق وجه مصر الكالح ابان حكم الاقطاع والاذلال .

نعم هؤلاء هم الموسرون الذين يتباكون اليوم لا رافة بجمهرة الشعب فى مصر ولكن حزنا على نهاية وضع كان يوفر لهم وهم الاقلون العيش الرغد .. ويفرض على من بقى من اهل مصر ــ وهم الاكثرون ــ الفاقة والاملاق . فاهل مصر الذين تخطط وتبنى لهم ثورة مصر اليوم لم تكن السنتهم ــ فى عهد المتباكين هؤلاء ــ تذوق طعم اللحم الا فى المواسم .... هذا لمن قدر منهم ... هم من وصفهم يوما ((**يحيى حقى**)) كاتب من كتاب مصر فى ((**قنديل ام هاشم**)) بالكم المهمل ... « بولهم دم ، وبرازهم ديدان » ... وهؤلاء لن يطلب منهم احد التضحية فلم يبق لهم اقطاع القرون ما يضحون به . وزعماء مصر الجديدة رغم

ادراكهم بأن التضحية انما هى تضحية القلة من الموسرين لم يسعوا لانتهاج السبيل الدموى فى تطبيقهم الاشتراكى كما انتهجه غيرهم .. ولو فعلوا هذا لما ظلموا لان مروجى مثل هذا الحديث عن الرهق الاقتصادى انما هم — فى يقينى — اهل ضلال واهل الضلال هؤلاء لن يبلغ فيهم الحاكم الرشيد ما يريد حتى يخوض اليهم الباطل خوضا . ليس هذا فقط بل ان حكام مصر الجديدة قد آثروا كبح جماح الثورة الدموية العنيفة حتى يوفروا للموسرين شيئا من « البحبحة » .. ودون الناس خطاب ناصر مصر فى غرة مايو من هذا العام .

ان اهل مصر — كأهل كل البلاد النامية الجديدة — واعنى بذلك سواد الشعب العامل .. لن يرهقهم هذا التقشف المزعوم .. فهم يعيشون اليوم — لا كما كانوا يعيشون بالامس — ... يعيشون اليوم على امل فى الخير الذى تلوح بشائره فى الافق . يعيشون اليوم على امل فى لقاء فى الغد القريب مع القدر الواعد بالخير العميم . والذين يتحدثون عن سياسة التقشف والخراب الاقتصادى لا يذكرون ان فى مصر قناة قد اممت لتعود الى اهل مصر ملايينهم المنهوبة .. وان هناك سدا منيع البناء سيفيء فى الغد بالخير على الملايين المحرومة ... وان هناك صحارى جرداء تغتصب من يد الطبيعة بالبحث العلمى الهادف ، والجهد اليدوى المضنى لتجود فى الغد القريب بالزرع والضرع . والذين يتحدثون عن سياسة التقشف هذه لا يذكرون ان فى غانا سدا منيعا فى الفولتا انفقت فيه غانا من خزائنها وحدها ما يقارب المائة مليون من الدولارات .. وان هناك مصنعا للصلب يزحم انتاجه الاسواق .. وان هناك مشروعا للكهرباء سيقلب وجه الحياة فى ريف غانا .. وان هناك محاولة جادة لانهاء السيطرة الاجنبية على الاقتصاد الوطنى .

وفى اطار كهذا ... جهد عظيم وتسامح كريم كان يجب على الموسرين — وهم الاقلون — ان يقبلوا القليل من التقشف الذى اقتضته معركة الانماء . وفى اطار كهذا لا يملك المعسرون — وهم الاكثرون — الا ان يعزوا انفسهم بعظيم المنجزات التى تغير وجه الحياة فى بلادهم من بعد ان كادوا يفقدون الامل فى اى تغيير من فرط ما اوحى اليهم به الرجعيون والقدريون .. ولا يملكون الا ان يعزوا انفسهم بأن على رأسهم اليوم قيادات تعيش مشاكل شعوبها .. بل وتعيش كما يعيش اى فرد عادى من شعوبها ... فمثل كوامى نكروما الذى يعيب عليه الناهشون تشييده لقصر الوحدة الافريقية وهم الذين يمجدون بناة القلاع فى عبدان .. وتطوان متلفين بذلك المال والنشب فى سبيل ذواتهم الفانية لجدير بأن يوليه اهلوه الثقة ويمنحونه التأييد وقد راوا له الجزل من المواهب هذه . وناصر مصر الذى يعيش بين اهليه لا كما كان يعيش حكام مصر .. شتاؤهم فى كارلسباد وصيفهم فى اكس ليبان .. من حق اهل مصر ان يعلقوه الامال كما علقها النواسى بالامس على نصيب مصر

قد علقنا من الخصيب حبالا
آمنتنا طوارق الحدثان
حية تصرع الرجال اذا ما
ساوروا رايه على الاذقان
واذا ما جرى الجياد طواها
او مدى العنان يوم الرهان

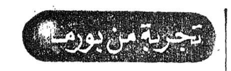
نعم من حقهم ان يولوه السند ، ويحبونه بالمؤازرة حتى يرد لهم كرامة سلبت ، وينزل منهم اهل الخوف فى كنف الامن .

وبعد ...

.. وبعد فان البهجة التى تطفح على وجوه الغربيين ، وتفيض بها صفحات صحفهم انما هى طعنة لكل افريقى واع بذاته . فسقوط نكروما — عندهم — ليس هو بسقوط رئيس دولة تعاديهم او سقوط نظام لايمالئهم .. وانما هو — عندهم — انهيار الكيان الافريقى المتحرر ولما ترتفع عمدانه . وانتهاء الوحدة الافريقية ولما ترسى قواعدها . ونهاية نكروما — عندهم — انما هى نهاية فارس المعركة الذى لا ينثنى وبطلها الذى ترمى الحروب به الحروبا .

والذين يبتهجون لا يقراون التاريخ ، ولا يعون عبرته . والتأريخ كتاب مفتوح لمن يقرا . وهو كتاب مفتوح لمن يعى . ولئن خسرت افريقيا المعركة بسقوط نكروما .. فقد كسبت الحرب بفتح الاعين للمكر الذى يعد الاستعمار وسدنته ضد الثورة الافريقية .





شعب بورما يبنى الاشتراكية

وديع أمين

عمل كبار الملاك الزراعيين والرأسماليين فى بورما ـ كعهدهما دائما ـ على الاستفادة من الاستقلال الوطنى ، باحتلال بعض المواقع الاستغلالية للمستعمرين ، ثم الارتباط بالاحتكارات الاجنبية كشريك صغير ، لتحقيق مصالحهما الخاصة على حساب الشعب . فبالرغم من أن الدستور الذى وضع على أثر استقلال بورما ـ فى يناير ١٩٤٨ ـ قد أعطى الدولة الحق فى تأميم الاراضى والمشروعات الاقتصادية الكبيرة وتحديد الملكية الزراعية وتوزيع الاراضى على الفلاحين ، وحرم تكوين الاحتكارات والسماح لرأس المال الخاص باستغلال الجماهير والاضرار بالصالح العام ، الا ان مواده تجمدت فى ظل سلطة الاقلية المستغلة .

كان حزب **حرية الشعب الديمقراطى** ـ المعادى للفاشية ـ والذى تكون أثناء الحرب التحريرية ضد اليابان خلال الحرب العالمية الثانية ـ بمثابة جبهة تضم كل الاحزاب الوطنيه والديمقراطية والشيوعية . الا أنه بعد استلامها سلطة الحكم بدأت العناصر الرأسمالية المحلية تتجه الى الاثراء على حساب الجماهير العاملة مما عرض الحزب لهزات عنيفة وخلافات بين التيارات اليمينية ـ التى رغبت فى السير بالبلاد فى الطريق الرأسمالى ـ والتيارات اليسارية ـ التى رأت حتمية نبذ الاسلوب الرأسمالى والعمل باخلاص لمصلحة الجماهير الشعبية عن طريق اتباع سبل التحول الاشتراكى ، وتفاقمت الخلافات واحتدم الصراع ، فانسحبت من الحزب القوى الاشتراكية والتقدمية واتسعت صفوف المعارضة للحكم القائم واشتعلت الحرب الأهلية المسلحة ، حتى تحول هذا الحزب فى سنوات حكمه الاخيرة الى اداة للدوائر الاستعمارية .

ان الاستقلال السياسى الذى حصلت عليه بورما وانسحابها من الكومنولث البريطانى فى يناير ١٩٤٨ ، لم يكن غير استقلال صورى ، بينما ظلت البلاد تفتقر الى المضمون الحقيقى لهذا الاستقلال وهو الاستقلال الاقتصادي ـ فلقد استمرت الاحتكارات الاستعمارية تمارس عملياتها الاستغلالية داخل بورما ، وتوجه سياستها الداخلية بما يضمن استمرار تدفق سيل الارباح الى جيوب الاحتكارات البريطانية والامريكية . ولقد كان الاستعمار البريطانى حريصا طوال فترة حكمه التى استمرت أكثر من ستين عاما ، على ربط اقتصاد بورما بعجلة الاقتصاد الاستعمارى .

من هنا كانت الظروف والمشاكل التى تواجهها بورما ، لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها من الدول

النامية والحديثة الاستقلال ، التى قاست طويلا من جراء النهب والسيطرة الاستعمارية ، وذلك من حيث كونها بلد زراعى ينتج محصولا رئيسيا نقديا واحدا هو الارز ، الذى يشغل زراعته حوالى ٦٥٪ من مجموع الاراضى الصالحة للزراعة. وبالرغم من أنها بلد غنى بالغابات والبترول والمعادن الثمينة المختلفة ، فقد كانت تعانى من التخلف الشديد فى الصناعة والزراعة ، وانخفاض مستوى المعيشة والصحة والتعليم وارتفاع نسبة البطالة وعلى الاخص بين العمال الزراعيين ، اذ أن الاقطاع والبورجوازية الكبيرة والبنوك والاحتكارات الاستعمارية كانوا يسيطرون تماما على الحياة الاقتصادية فى البلاد ويشتركون جميعا فى عملية نهب الشعب .

وفى مارس ١٩٦٢ قامت الطلائع الثورية للقوات المسلحة بالاستيلاء على السلطة فى البلاد ، وتكوين المجلس الثورى برئاسة **الجنرال نى وين** وهو من الضباط الوطنيين الثوريين القدامى الذين خاضوا معارك التحرير ضد الاستعمار البريطانى والغزو اليابانى .

وأصدر المجلس الثورى المعروف باسم « **طريق بورما الى الاشتراكية** » الذى يعلن فيه رفض الطريق الرأسمالى للتنمية الاقتصادية ، الذى أصبحت ترفضه الجماهير لطول ما قاست من الاستغلال ، كما يحدد فى ذلك البرنامج الخطوط الرئيسية لسياسته ، التى تهدف الى خلق مجتمع اشتراكى ، وتصفية اقتصاد المستعمرات ، والغاء تبعية بورما للرأسمال الاستعمارى والأجنبى ، وبناء اقتصاد مستقل على اساس الملكية العامة للدولة والمشروعات التعاونية ، واعادة تخطيط الاقتصاد من جديد لمصلحة الشعب العامل .

ومن اجل تحقيق ذلك قام المجلس الثورى بتأميم جميع البنوك فى بورما وعددها ٢٤ بنكا ، ثمانية منها يملكها كبار الراسماليين المحليين ، وشركات البترول والمشروعات الاقتصادية الاستعمارية والمزارع الكبرى التى يملكها الاجانب، وبذلك وضعت الحكومة الثورية نهاية لعهد سيطرة البنوك على العمليات الاقتصادية ومصادر التمويل فى الصناعة ، وقضت على الارباح الخيالية التى كانت تنهبها الاحتكارات الاستعمارية من وراء توظيف رؤوس أموالها فى البلاد .

وشملت قرارات التأميم ايضا عمليات استخراج المعادن والقطن، والدخان ، والنقل والمواصلات، ومصانع قطع الاخشاب ، ومضارب الارز وعددها حوالى ١٤٠٠ مضرب كذلك سائر فروع تجهيزه الاخرى، وقد جاءت هذه التأميمات ضربة موجهة للبورجوازية الكبيرة والعناصر شبه الاحتكارية ، التى اغتنمت فرصة الحكم للاثراء على حساب الجماهير .. وبذلك توفرت الاستثمارات الممكنة للمضي فى خطة التنمية ، وخلق قطاع عام تملكه الدولة وتشرف منه على تنظيم الاقتصاد القومى وتوجيهه فى خدمة أغراض التنمية ، كما يحفظ البلاد جهود أبنائها ومدخراتها فى خدمة المصالح الوطنية ، بدلا من تسربها الى الخارج مما يعجل بالبناء والتطور الاقتصادى الوطنى المستقل .

القطاع العام
فى معركة التنمية

وقد جاء فى تقرير المجلس الثورى ، أنه نتيجة لسياسة التأميم ، حقق القطاع العام زيادة فى الانتاج بلغت ٧٣٪ ، بينما لم تتعد نسبة الزيادة فى القطاع الخاص ١٠ ٪ ، وذلك عن السنة المالية ٦٢ ــ ٦٣ ، أى فى العام الاول للتأميم ، كما زاد معدل الناتج بالنسبة لاستخراج المعادن وبعض المنتجات الاخرى كالبترول والرصاص والاسمنت والخشب والمطاط والقطن والسكر ،وبلغت الزيادة فى محصول الارز ١٫٢٠٠٫٠٠٠ طن عن العام السابق للتأميم ، وهو يعد المحصول الرئيسى فى البلاد ، ويبلغ نسبة ٨٠ ٪ من حجم الصادرات ، وعن طريق تصديره تغطى البلاد حاجتها من العملات الاجنبية .

ان زيادة الانتاج أصبحت هى المهمة الاولى الصعبة التى تواجه الان البلدان حديثة التحرر وتنفيذ مشروعات التنمية وزيادة الانتاج على أساس التخطيط الشامل والسيطرة على وسائل الانتاج الرئيسية هى الوسيلة الوحيدة لتحسين أحوال البلاد وتشغيل العاطلين وزيادة الاجور ومواجهة الزيادة المستمرة فى عدد السكان ،والقيام بالمشروعات والخدمات الاجتماعية ، وتوفير حاجات المواطنين الى السلع الاستهلاكية ، فضلا عن الحاجة الى التصدير للحصول على المبادلات التجارية والعملات الاجنبية اللازمة ، وما سوف يتبع ذلك من ارتفاع مستوى المعيشة .

جشع الرأسمالية التجارية
والسوق السوداء

ان شرط بقاء الثورة وحمايتها هو فى حيويتها وتجددها ،وفى تلبيتها السريعة لمطالب واحتياجات الجماهير المتزايدة . ففى أوائل ابريل ١٩٦٤ ، ونزولا عند حاجات ومصالح الجماهير ، أصدر

المجلس الثورى فى بورما قراراته التاريخيةبتأميم تجارة الجملة ، والبورصات المالية ، ومكاتب السمسرة فى البلاد ، والاستيلاء على معظم المخازن والمؤسسات التجارية والمحلات الكبيرة والمتوسطة للبيع والشراء فى العاصمة رانجون وسائر المدن الاخرى ؛ وبلغ عددها حوالي ١٢٠٠٠ مؤسسة تمثل اكثر من نصف تعداد المخازن والمؤسسات التجارية والمحلات الكبيرة والمتوسطة فى البلاد ، وتحويلهاالىتعاونيات استهلاكية لخدمةالمواطنين .

وبعد ايام صدر قرار آخر بتأميم جميععمليات التصدير والاستيراد ، واعلنت الحكومة الثورية انها اصبحت المشترى الوحيد لكل الحاصلات الزراعية التى تنتجها البلاد - وكان قد سبق تأميم تجارة الصادرات فى عام ١٩٦٣ ، وسمح للتجار باستخدام ما فى حيازتهم من تراخيص ؛ ولكن القرار الجديد الغي ما تبقى من هذه التراخيص ، وبذلك أصبحت التجارة الخارجية وتجارة الجملة واكثر من نصف حجم التجارة الداخلية تحت اشراف القطاع العام للدولة .

وقد استهدفت هذه التأميمات ضرب اجزاء كبيرة من الطبقة البرجوازية ، وأدت الى تصفية بقايا ونفوذ الراسمالية الكبيرة فى الاقتصاد ، وعملت على استئصال شأفة العناصر الشاذة الطفيلية على الانتاج كالسماسرة والوسطاء وتجار الجملة .

وقد جاءت هذه القرارات المعبرة عن مصالح الجماهير ، رداً على الاعيب التجار والوسطاء وتهريب البضائعواختفاء السلع الضروريةوارتفاع الاسعار ونشاط السوق السوداء ، حتي جعلوا من حياة الجماهير جحيما لا يطاق ، وخلقوا جوا من البلبلة والشك حول نزاهة الثورة وقدرتها على حل المشاكل ، وكانت قد فشلت من قبل كل مساعى الحكومة لكي يعدل التجار عن موقفهم وحل تلك الازمة المفتعلة ، التى يهدفون منورائها للسيطرة على السوق الداخلىوالاثراء علىحساب القوت اليومى للشعب .

تجربة الاستعانة

بأصحاب المؤسسات المؤممة

وقد واجهت الحكومة فى الايام الاولى للتأميم مشكلة نقص العدد اللازم من الموظفين الاداريين والفنيين لادارة تلك المؤسسات التجارية المؤممة، وخاصة تلكالتى تركها اصحابها الاجانب وغادروا البلاد ، ولكنها سرعان ما تغلبت على هذا النقص بأن جمعت المتطوعين من اعضاء حزب البرنامج الاشتراكى ؛ ممن تتوفر فيهم الكفاءة والاخلاق لادارة تلك المؤسسات واكتساب الخبرة والمران الذىيؤهلها للاشراف علىعمليات البيع والشراء.

وكانت الحكومة قد أبقت على عدد كبير من أصحاب تلك المؤسسات والمحلاتمن الراسماليين المحليين ، وحولتهم الي موظفين تابعين للدولة ، للاستعانة بهم فى ادارة تلك الاعمال - ولكن هذه التجربة ثبت فشلها فى بورما . فلقد أخذ هؤلاء الراسماليون وعملاؤهم يعملون بشتى الطرق والوسائل لتخريب تلك المؤسسات ،حتي يثبت فشل التاميمات واحراج الحكومة بهدف أن تعود اليهم السلطة مرة اخرى ؛ لقد اساءوا الظن فى كرم وعطف الثورة نحوهم ، ولكن الحكومة لم تتركهم وشأنهم فقدمت عددا منهم للمحاكمة وطردت عددا آخر - وكان قد سبق ان اعلن الرئيس نى وين فى اجتماعه بممثلى التجارة والصناعة فى فبراير ١٩٦٣ « أن القطاع الخاص متناقض مع عملية بناء الاقتصاد الاشتراكى الذى يتم الان فى بورما ، وان كل المشروعات الصناعية سوف تؤمم فى الوقت المطلوب » .

وفى الوقتالحاضر تبدىالحكومة اهتماما كبيرا بالصناعة وخاصة انتاج السلع الاستهلاكية ، والمعروف ان معظم انتاج السلع الاستهلاكية ينتجها حتىالان القطاع الخاص- وقد بلغنصيب القطاع العام من أجل النهوض بخطة التنمية نسبة ١٨ ٪ من الميزانية لهذا العام ، وقد اتخذت الحكومة كثيرا من الاجراءات لتقييد سيطرةراس المال الخاص فى الصناعة ، بهدف تدعيم القطاع العام للدولة ، وفى نفس الوقت عمدت الىتشجيع الصناعات الصغيرة والحرف ومد اصحابها بالقروض لانعاشها والمحافظة عليها ؛ ومن المقرر أن تبلغ قيمة انتاج القطاع العام اكثر من ٦٠ ٪ من مجموع الانتاج الصناعى فى الدولة لهذا العام.

المسألة الزراعية

واجهت القوى الثورية بعد ذلك مشكلةالاقطاع وتصفية اقتصاد المستعمرات المتخلف فى مجال الزراعة ، والتى يتحكم فيها الى حد كبير ضيق المساحة الزراعية فى بلد يشكل ٨٠ ٪ من ابنائه من الفلاحين معظمهم من العمال الزراعيين والفلاحين المعدمين من بين ٢٤ مليونا هم مجموع سكان بورما .

وقد قام المجلس الثورى بمحاولة لحل المشكلة، وبدأ فىتطبيق الاصلاح الزراعى علىالمزارع الكبيرة المؤممه التى كانتفىحيازه الاجانب، وقامبتحويلها الى مزارع تعاونيه تملكها الدولة ، كذلك الحال بالنسبة للاراضى الجديدة التى تم استصلاحها.

ومن اجل تخفيف العبء عن الفلاحين قام المجلس الثورى بأصدار عدة قوانين بهدف أصلاح حالة صغار المزارعين وفقراء الفلاحين ، والغاء الديون المتأخرة على الفلاحين للدولة ، والغاء الفوائد المستحقة على ديون الارض ، وفك رهن

الحصص وتحرير الفلاحين من قبضة البنوك والمرابين . ومنع طرد المستأجر بواسطة مالك الارض ، وقانون بتخفيض ايجار الارض وتحديد ايجار الفدان الذى حدد امكانيات استغلال كبار الملاك لصغار الفلاحين ، وقانون يخول للدولة الحق فى الاشراف على عمليات تأجير الاراضى .
وتقوم الدولة بتشجيع صغار المزارعين على التجميع وتكوين الجمعيات التعاونية ، وفى سبيل ذلك تمدهم بكل ما يحتاجونه من آلات وبذور وأسمدة ، ويقوم الخبراء الزراعيون الاجانب والوطنيون بارشادهم وتدريبهم على اساليب الزراعة الحديثة ، كما تمنح الحكومة الفلاحين القروض بسخاء من اجل المحافظة على غلة الارض وزيادة الانتاج .

ان الاساس فى عملية انتقال البلدان النامية الى مرحلة متقدمة تمهد للانتقال السلمى الى الاشتراكية ، يتوقف دائما على حل المشكلة الزراعية وتحرير الفلاحين الذين يشكلون الغالبية العظمى من الشعب من استغلال الاقطاعيين وكبار الملاك .. ان علاقات الانتاج الاقطاعية فضلا عن انها تقوم على الاستغلال الرهيب البشع لجماهير الفلاحين ، فانها تعوق عملية التحرر والانطلاق وتقيدها بل وتشدها الى الوراء .

كما تولى الحكومة عناية خاصة للنهوض بالريف وتنمية وتطوير الزراعة على احدث الاساليب العلمية ، والمعروف ان حوالى ٥٥ ٪ من مساحة البلاد تغطيها الغابات والاحراش ، كما أن هناك مناطق كبيرة من الاراضى الصالحة للزراعة تعانى من الجفاف الشديد بسبب ندرة المياه وقلة الامطار ، اذ ان الامطار لا تسقط فى تلك المناطق غير اربعة او خمسة شهور خلال فصل الصيف ولذلك فأن معظم الزراعة هناك موسمية وتعتمد على الاساليب البدائية القديمة .

وفى اواخر عام ١٩٦٢ ، بدأت الحكومة الثورية فى تنفيذ مشروع انشاء سد وخزان **شيملتاو** لتوفير المياه ، كما تم انشاء سد وخزان آخر فى **وادى تنسون** وذلك بمساعدة الاتحاد السوفيتى ، وأمكن بذلك زيادة المساحة الزراعية فى البلاد حوالى ٤٨٢ر٠٠٠ فدان جديد ، وبفضل نظام الرى الجديد أصبح الفلاحون يجنون محصولين فى العام الواحد فى كثير من المناطق ، والعمل يتم الان فى تنفيذ كثير من المشروعات لتوسيع نظام الرى ، كما تجرى الابحاث على التربة فى كل انحاء البلاد لمعالجة الارض بالوسائل العلمية للاستفادة منها استفادة كاملة .

ولقد احدث استخدام الجرارات والالات الزراعية الحديثة ثورة جديدة فى حياة الريف البورمى ، وانتشرت فى كل مكان محطات الجرارات والالات الزراعية التابعة للحكومة ، وقد انشأت الحكومة لهذا الغرض مدارس خاصة لتدريب الفلاحين على استعمال الالات الزراعية واستخدام الجرارات وهى ملحقة بمحطات الجرارات فى المراكز الرئيسية فى الريف .

وكل الجرارات والالات المستخدمة فى بورما مملوكة للدولة من اجل تزويد التعاونيات التابعة لها ، او يسمح بتأجيرها للجمعيات التعاونية الاخرى فى نظير مبلغ زهيد ، كما أنه محظور بيع او تأجير تلك الالات والجرارات الزراعية الى الملاك الافراد واستغلالها لحسابهم ، وقد كان ذلك حافزا لصغار المزارعين على تكوين الجمعيات التعاونية والاستفادة من تلك الالات الحديثة .

ديمقراطية الشعب العامل

ان تجربة الثورة فى بورما مثل عديد من التجارب الثورية الجديدة فى أفريقيا ، لم تأت الى الحكم ومعها نظرية جاهزة لتطبيقها ، فقد شق قادة الثورة فى بورما طريقهم معتمدين على مبدأ التجربة والخطأ ، وذلك فى محاولة منهم لاكتشاف الصيغة والشكل الملائم للديمقراطية ، الذى يخدم حاجة البلاد ومضمون هذه التجربة .

ولقد رفض القادة البورميون منذ البداية الطريق الرأسمالى للتنمية ، مع ايمانهم العميق بأن الحل الاشتراكى هو الوسيلة الوحيدة للقضاء نهائيا على كل أسباب التخلف والفقر والاستغلال .. ثم اتضح لهم من خلال التجربة أن الديمقراطية الغربية لم تعد هى الاسلوب الذى يناسب احتياجات البلاد فى هذه المرحلة الانتقالية الحاسمة .. ثم حدث بعد ذلك شىء هام كان له تأثير كبير فى مجرى الاحداث وتحديد مضمون هذه التجربة ، وهو ان الرأسمالية الوسطى قد آثرت ان تختصر الطريق وتحدد موقفها بجانب اعداء الثورة فى البلاد .. وكان أن اهتدت بورما أخيرا الى الطريق الذى يخدم تجربتها ويؤمن استقلالها ، الا وهو طريق ديمقراطية الشعب العامل ، الذى يستند الى التحالف الطبيعى المتين بين العمال والفلاحين والمثقفين (على اختلاف مهنهم) والجنود ، أصحاب المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية .

هذه الديمقراطية التى وجدت شكلها الجديد فى مجالس العمال واشتراكهم فى ادارة المصانع ، وفى لجان الفلاحين فى القرى ، حيث يتولى المندوبون المنتخبون بواسطة زملائهم العمال المشاركة فى ادارة المصانع ومناقشة مشاكل وقضايا الانتاج ، والتحكم فى المشروعات الخاصة لمنع اصحابها من تعطيلها وتخريبها ، وحل مشاكل العمال وتوفير شروط حياتهم المادية ، كما تتولى لجان الفلاحين فى القرى تنظيم عملية تأجير الاراضى للفلاحين المعدمين ، وذلك لحمايتهم من الاعيب واستغلال الاقطاعيين وكبار الملاك أصحاب الاراضى .

نظام الحزب الواحد

والاحزاب السياسية ممنوعة الان فى بورما ، وذلك بموجب قرار المجلس الثورى الصادر ضمن قرارات ابريل ١٩٦٤ ، وقد شمل هذا القرار الاحزاب اليمينية واليسارية على السواء باستثناء — **حزب طريق بورما الى الاشتراكية** — وهو حزب الحكومة، وقد جاء تفسير لهذا الاجراء فى البيان الذى اذاعه الرئيس نى وين رئيس المجلس الثورى وهو « **ان كل الاحزاب السياسية البورجوازية ميتة الان .. وان الاقطاعيين والرأسماليين والاستعماريين والطبقة الوسطى ، قد تحالفوا جميعا ضد الثورة وقاوموا الاجراءات الاقتصادية الاشتراكية ومعارضة مصالح الشعب العامل — كما جاء فى البيان « ان جميع القوى الاشتراكية فى البلاد يجب أن تتحد داخل حزب طريق بورما الى الاشتراكية** » .

وليس غريبا ان تقود التجربة الخاصة دولة نامية مثل بورما الى نظام الحزب الواحد ، لقد أصبح الاخذ بنظام الحزب الواحد سمة مشتركة لمعظم البلدان النامية والوطنية الفتية التى تسلك طريق النموغير الرأسمالى وتتجه نحو الاشتراكية، فقد سبقتها من قبل دول عديدة مثل الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وغينيا ومالى ، من اجل تجميع كل القوى الاشتراكية والتقدمية فى تنظيم سياسى واحد، لمواجهة كل القوى اليمينية الرجعية والاستعمارية وتأمين البلاد ضد اخطار الثورة المضادة ، ومن اجل توحيد الجهود والتعجيل بالتطور والبناء الاقتصادى فى تلك البلدان .

ويتكون حزب طريق بورما الى الاشتراكية من المستويات الاتية : اللجنة المركزية (برئاسة نى وين) والمعهد المركزى للعلوم السياسية، ولجان الاقاليم، ولجان المناطق، ولجان المصانع والقرى والوحدات داخل القوات المسلحة — ويتم الانضمام الى الحزب على اساس ان يتقدم الفرد بطلب العضوية للحزب ، وبعد مضى فترة الاختبار (الترشيح) اللازمة ، يمنح بعدها عضوية الحزب .

وتقوم لجان الحزب فى كل مكان بشرح سياسة المجلس الثورى للقوى الشعبية ومناقشة المسائل الاقتصادية والسياسية التى تواجه البلاد ، والعمل على تربية الوعى الاشتراكى لدى الناس ، هذا بجانب الاتصال المباشر المستمر بين قادة الثورة وبين الجماهير عن طريق المؤتمرات لمناقشتها والتعرف على مشاكلها بأنفسهم ، والحزب يتجه الان ليصبح قوة سياسية كبيرة منظمة فى البلاد مسلحة بالافكار التقدمية .

وتلبية لنداء المجلس الثورى فى بورما قرر المكتب السياسى لحزب العمال المتحد الشيوعى — وذلك على اثر اجتماع **ساكين شيت** سكرتير الحزب بالرئيس نى وين فى مارس ١٩٦٤ — الالتحاق فورا بحزب الطريق البورماوى الى الاشتراكية ، وذلك من أجل توحيد الجهود والتعاون للقضاء على مؤامرات الاستعمار والرجعية ، والعمل على تحقيق البرنامج الاشتراكى الذى وضعه المجلس الثورى ، وتحقيق مصلحة الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين فى الاستقلال القومى والسلام والاشتراكية .

ويعنى هذا الموقف الجديد لحزب العمال المتحد الشيوعى ، وهو يعد من أقوى الاحزاب الشيوعية فى بورما ، انه قد تخلى عن فكرته القديمة عن الجبهة الوطنية التى كان يتمسك بها ، والتى تقضى بوجود منابر قيادية متعددة داخل اطار الجبهة ، وهى الفكرة التى مازالت تتمسك بها بعض التيارات الوطنية الديمقراطية والتروتسكية داخل بعض ولايات بورما ، الا انها لا تمثل وزنا كبيرا .

وفى الوقت الحالى تتجه جهود المجلس الثورى لتصفية كل آثار ومخلفات الحكم الرجعى السابق فى البلاد ، وفى مقدمتها مشكلة الحرب الاهلية التى استمرت حوالى ١٧ عاما ، والتى تعتبر نتيجة لاستبداد البورجوازية الكبيرة والعناصر الرجعية واضطهادها لسائر القوميات والاقليات المختلفة التى يتكون منها اتحاد ولايات بورما (الست) ، وكانت ان اغرقت البلاد فى سيل من الاضطرابات والمنازعات الحزبية والحركات الانفصالية للقوميات المختلفة . وتعمل القوى الثورية على اعادة الهدوء والطمأنينة والوحدة الوطنية الى البلاد — على اساس البرنامج الاشتراكى — ووحدة كل القوميات بدون تفرقة للجنس او العقيدة والمساواة فى التنمية الاقتصادية والاصلاحات لكل اجزاء الوطن ، والمحافظة على لغاتهم وثقافاتهم وأزيائهم واحترام عاداتهم وتقاليدهم الشعبية .

لقد توخى المجلس الثورى بسياسته الحكيمة ، أن يترك الباب مفتوحا فى المحادثات مع ممثلى الاحزاب والتنظيمات اليسارية والوطنية الديمقراطية الصغيرة فى بعض الولايات التى لم يصل معها الى حل وتسوية للموقف ، وذلك ايمانا عميقا منه بوحدة كل القوى التقدمية والمحافظة على اتحاد ولايات بورما .

ان شعب بورما يشق طريقه نحو الاشتراكية بسرعة وحماس ، ولقد تصدى المجلس الثورى برياسة الجنرال نى وين لتحقيق هذه المهمة التاريخية ، واخذ على عاتقه ان يقود بورما الى الاشتراكية من خلال حزب — طريق بورما الى الاشتراكية — بالرغم من كل العقبات والمؤامرات التى يضعها الاستعماريون والرجعيون والعملاء فى الداخل والخارج ، ولا شك انه سوف يتغلب عليها جميعا ، بفضل وعى الجماهير الشعبية ويقظتها الثورية ، ووحدة كل القوى الاشتراكية المناضلة فى بورما .

على طريق الحرية
من ايرلندا إلى فلسطين

ارسكين تشيلدرز كاتب ومعلق سياسى ايرلندى ، اكتسب عداءه للصهيونية والاستعمار ونمت صداقته وتعاطفه مع القومية العربية من خلال بحثه عن الحقيقة بعقل متفتح وعلى اسس موضوعية فى جو معبأ « بالمعلومات الخاطئة المتحيزة » على حد قوله. صدر له عام ١٩٦٠ كتاب « التقدير السليم للعالم العربى » ثم مؤلفه الشهير « الطريق الى السويس » .

ارسكين تشيلدرز

في ذلك الصباح منذ خمسين عاما مضت ، قاد مدرس عمره ٣٧ عاما يدعى **باتريك بيرس** ، مجموعة صغيرة من الرجال المسلحين عبر شوارع دبلن من ادارة النقابات الايرلندية الى مكتب البريد العام . كان اليوم هو الاثنين التالى لعيد الفصح عام ١٩١٦ وكانت المدينة تستمتع بالاجازة التقليدية ، وعدد كبير من الضباط البريطانيين ومن رجال كتائب دبلن قد ذهبوا الى ميادين سباق الخيل خارج المدينة، وعندما كان الناس يتطلعون الى الوجه المهيب للمدرس الذى قاد المجموعة تجاه المبنى الملكى بجانب عمود نلسون ، لم يكن فى استطاعة احد من المارة ان يتنبأ بأنه يرى اول رئيس لجمهورية ايرلنده ، او ان تكون تلك هى المرة الاخيرة التى يراه فيها .

واصطف الرجال ذوى الاردية الخضراء فى مكتب البريد ، وطلبوا من الكتبة ومن كل من بالمبنى مغادرته فورا وارتفع على سطح المبنى علم ذو الوان ثلاث خضراء وبيضاء وبرتقالية يحيى فجأة السماء الايرلندية المشرقة . وعلى الدرجات وقف الرجل المدعو **باتريك بيرس** مع رفاقه ، وقرأ وثيقة كان لها صداها الفورى عبر العالم وهى اعلان جمهورية ايرلندة :

« الى شعب ايرلندة :

ايها الايرلنديون والايرلنديات ..

« باسم الله والاجيال الراحلة التى استمدت منها

ايرلندة ، تراثها القديم كأمة تستدعى ايرلندة ابنائها تحت لواء علمها ، لتقاتل من اجل حريتها »

وبعيدا عبر نهر ليفى ، الذى يكاد يشبه النيل، ويجرى فى قلب دبلن ، قاد مدرس آخر للرياضيات عمره ٣٤ عاما فقط ، رجاله اعضاء الكتيبة الثالثة، من المتطوعين الايرلنديين الى المنافذ الهامة المشرفة على الخط الحديدى ، والطريق الرئيسى فى المدينة من ميناء دن لاوجهير حيث كان لابد وان ترسو هناك اى امدادات بريطانية . ووقف هذا القائد النحيف الطويل القامة ، فى انتظار هجوم القوات البريطانية الذى لم يك منه مفر . وكان اسمه **ايمون دى فاليرا** رئيس الجمهورية الايرلندية اليوم .

وبدا حينذاك اسبوع عيد الفصح الذى جرى فيه قتال انتحارى متعمد بواسطة عدد صغير جدا من الرجال الايرلنديين وقتل اثناءه عدد من النساء والاطفال الصغار ، لا يزيد عن ١٥٠٠ شخص . ولقد تأكد فشل هذه الحركة منذ اللحظة الاولى التى رفع فيها العلم المثلث الالوان على مركز البريد العام . لانها لم تكن ثورة الامة الشاملة التى دبرت واعد توقيتها بالدقيقة ، واختبرت خطتها فى سرية كبيرة ، منذ الحرب العالمية الاولى التى بدات سنة ١٩١٤ .

فعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى فى اوربا، تشكلت على الفور **مدرستان فكريتان** بين القادة الايرلنديين الوطنيين ، مجموعة قادها رجال مثل باتريك بيرس وايمون دى فاليرا احست بأن هذه الحرب فرصة ملائمة لايرلندة لكسب حريتها ، ينبغى ان تستغل بشكل عاجل ، والى اقصى حد، وبأى اسلحة يمكن ان يرسلها الالمان لهم دون السماح بالتدخل الالمانى فى ايرلندة ، ومجموعة اخرى من الوطنيين اتخذت الراى المضاد على اساس ان البريطانيين سيردون على اى تمرد بعنف وحدة ، وانه على الحركة الوطنية بدلا من ذلك ان تدرب نفسها ، وتقاوم التجنيد الاجبارى فى الخدمة البريطانية ، ولكن تنتظر الى نهاية الحرب . والبعض الاخر مثل جدى صدقوا ان الحرب ستصبح مثلما قال **اسكويث** رئيس وزراء بريطانيا: « من اجل حرية الامم الصغيرة » فالتحق بالخدمة البريطانية ليحارب من اجل هذا المثل الاعلى .

ويمكن ان نجسد القصتين فى ضوء موقف رجلين لعبا دورين مختلفين بين اوائل سنة ١٩١٤ وعيد الفصح لسنة ١٩١٦ . فى سنة ١٩١٢ ، سنة ١٩١٣ ترتب على محاولة اعلان « الحكم الذاتى » لايرلندة من خلال البرلمان البريطانى ، اعلان تحدى « اتحاديى اولستر » للاخطار ، وعزمهم على مقاومة اى انفصال لايرلندة عن انجلترا بالقوة وبالتقسيم . واشترى الاتحاديون البنادق من اوربا واحضروها الى شمال ايرلندة ، ولكن الحكومة البريطانية لم تفعل شيئا حتى عندما قرر البرلمان البريطانى بالفعل فى سنة ١٩١٤ اعلان الحكم الذاتى .

وردا على هذه القوة المسلحة الجديدة فى الشمال ضد اى اعلان ايرلندى بالحكم الذاتى ، صمم الايرلنديون الوطنيون على ان يظهروا للندن انه لا يمكن اعاقتهم او الوقوف فى طريق ما تعهدوا بتحقيقه لبلادهم . وفى يوليو سنة ١٩١٤ ابحر جدى بيخته الى بحر الشمال وشحنه بـ ٩٠٠ بندقية وذخائر من سفينة المانية . وابحر باليخت الصغير الذى حمل اكثر من طاقته عائدا الى دبلن ، بين سفن قافلة مدمرات بريطانية . وكان عدد من الرجال من المتطوعين الايرلنديين ينتظرون فى ميناء ((**هاوث**)) الصغير خارج دبلن ليستلموا الشحنة التى كانت تحتوى على اول اسلحة حديثة وبعيدة المدى ، تمتلكها الحركة الوطنية الايرلندية .

وسار نحو الف رجل تجاه دبلن ومعهم «بنادق هاوث » هذه ، وعندما اوقفتهم الفرق البريطانية ، وبينما تظاهر ضباطهم بالحديث مع الضباط البريطانيين ، كان الرجال قد تفرقوا فى شوارع المدينة وفى الحدائق ، ومعهم بنادقهم الثمينة .

لقد مر شهر واحد خطير ، قبل اندلاع الحرب الكبرى . وكان امين صندوق الاموال الوطنية التى اشتريت بها بنادق هاوث هو السير **روجر كيزمنت** الذى منح احدى رتب الشرف حينما كان يعمل فى السلك السياسى البريطانى لمشاركته فى كشف الاعمال البشعة التى ارتكبت ضد الافريقيين فى الكونجو البلجيكى

ثم جاءت الحرب الكبرى ، وفجأة اختلفت قصتا هذين الرجلين ، **روجر كيزمنت وارسكين تشيلدرز**، باتجاه كل منهما الى طريق مختلف عن الاخر ولو ان الاثنين نفذ فيهما حكم الاعدام قبل ان تمر على ذلك ثمانية اعوام . الحرب الكبرى بالنسبة لروجر كيزمنت ، لا تخص ايرلندة ، ولا ينبغى ان تسفك قطرة من الدم الايرلندى فى خدمة اى بلد آخر حتى تتحرر ايرلندة نفسها .

وذهب كيزمنت الى المانيا ليتفق على مزيد من الاسلحة التى تهرب الى ايرلندة . وذهب جدى ليخدم فى السلاح الجوى البريطانى ، متخذا الاتجاه الاخر ، وهو ان الذى ينبغى ان يوضع فى المقام الاول هو — حسبما كان يفكر حينذاك — هذه الحرب « من اجل حرية الامم الصغيرة » . ولقد خدم فى اماكن كثيرة من بينها الشرق الاوسط ، حيث صور صحراء سيناء جغرافيا ، وصور المراكز

التركية في فلسطين من الجو ، استعدادا لما اعتقد انه سيتم ، وهو تحرير فلسطين الامـــة الاخرى الصغيرة .

وفى سنة ١٩١٦ عندما كان تاريخ الثورة يقترب، كان روجر كيزمنت على ظهر سفينة المانية بعيدا عن ساحل ايرلندة الجنوبى الغربى ، ومعه دفعة جديدة من البنادق يضيفها الى التى كان جدى قد احضرها فى سنة ١٩١٤ . ولم يكن هنـــاك امل حقيقى فى هبة ناجحة ، ما لم تصل هذه البنادق الجديدة بامان الى الشاطىء ، وتوزع على وحدات المتطـــوعين المنتظرين ، والذين كانوا قد تدربوا سرا فى جميع مدن ايرلندة . ولكن كارثة وقعت اذ منع البريطانيون وصول البنادق واعتقل كيزمنت واخذ الى لندن وسرعان ما شنق بتهمة الخيانة . وفى دبلن ، اصـــدر قائد جميع قوات المتطوعين الايرلنديين اوامره ، بالغاء التمرد . وفى كل مكان بايرلندة — ما عدا فى دبلن نفسهاـــ اختفى اصحاب الاردية الخضراء الذين منوا بخيبة كبيرة .

ولكن فى دبلن ، قرر باتريك بيرس ورفاقه ، ان التراجع لم يعد ممكنا وانه سيكون من الافضـــل لايرلندة ، ان يهب ابناؤها ارواحهم فى حركة لن يستطيع احد ان يحيطها بالغموض والبلبلة او ان ينكرها ، وفى ٢٣ ابريل ســـنة ١٩١٦ ، فى قاعة الحرية القديمة الشهيرة بادارة النقابات ، صمموا بالاجماع على الاستمرار فى خطة دبلن للتمرد .ولم يكن هناك اى تســـاؤل حول ما اذا كان بيرس والقواد المرافقين له ، قد فكروا فيما كانوا مقدمين عليه . ولتجنب اى فرصة لحدوث تمرد مشتت وغير كامل فى مدن ايرلندة الاخرى ، اصدر بيرس بنفسه امرا مشددا لكل الوحدات الاخرى ، يؤكد عدم اقدامها على اى عمل فى يوم الاثنين التالى لعيد الفصح .

ان قصة الستة ايام التالية ، ستبعث فى ذاكرة كثير من الرجال والنساء المسنات فى ايرلندة هذا الاسبوع ، ويفكر فيها ابناؤهم وابنـــاء ابنائهم ، اولئك الذين لا تعد هذه الاحداث بالنسبة لهم سوى فصلا بطوليا من التاريخ الماضى . فطوال ســـتة ايام كاملة ، تفرقت كتائب المتطوعين القليلة العدد فى المدينة ،وقاومت فرق المشاة والخيالة والمدفعية البريطانية ، واطلقت القذائف من الزوارق المسلحة التى احضرت فى النهر على بعد عدة مئـــات من الياردات من ادارة البريد العامة للجمهورية .وهنا وهناك فى باقى ايرلندة ، شارك المتطوعون تلقائيا فى المعـــركة . الا ان تضـــارب الاوامر والاوامر المضادة — حتى قبل بداية تمرد دبلن ، وخيبـــة الامل نتيجة فقدان البنادق البعيـــدة المدى التى وصلت الى البر ، منعت حدوث اى عصيان قومى حقيقى .

ومن يوم الجمعة ٢٨ ابريل ، كان على باتريك بيرس ان يقر الامر الواقع فبعث رسالة من مكتب البريد المهدم بالقنابل والذى يتصاعد منه الدخان تقول : « اتمنى الان خشية الا تتاح لى فرصة فيما بعد ، ان احيى بسالة جنود الحرية الايرلندية ، الذين كانوا يكتبون خلال الاربعة ايام الماضـــية بالنار والحديد ، اكثر الفصول مجـــدا فى تاريخ ايرلندة فى الفترة الاخيرة » .

وفى اليوم التالى ، كان على المتطوعين ان يقبلوا مطلب البريطانيين بالتسليم غير المشروط ، كيـــلا يسبب استمرار القتال ، مزيدا من الضحايا بين اهل دبلن . وخرج باتريك بيرس من مكتب البريد وواجه البريجادير — جنرال البريطانى واعطـــاه اعلان التسليم ووصل الامر عبر المدينة الى ايمون دى فاليرا ورجاله الذين تحطمت قلوبهم لدرجة انهم فى غمرة اليأس حطمـــوا بنادقهم وخـــرجوا من مراكزهم .

ثم بعد اربعة ايام ، بدا اول تنفيذ لاحكام الاعدام باطلاق النـــار من فرقة للاعدام على بيرس بين الثلاثة الاول ، ثم على آخرين حتى اعدم ١٤ من القادة . كان الايرلنديون متعبين مثبطى الهمم ، وفقراء ، تحت تأثير نحو ٦٠٠ عام من الهزائم المتوالية وعندما خرج بعض المتطوعين متعثرين من مراكزهم المحصنة التى دمرت ليساقوا الى السجن ، سخر منهم بعض مواطنيهم المدنيين ورموهم بالخيانة .

وعندما اخذ ايمون دى فاليرا وكثير من المسجونين الاخرين على ظهور السفن لإرسالهم الى السجون فى انجلترا ، تركوا البلاد فى حالة قريبة من اليأس بسبب اللامبالاة المحزنة التى راوها على كثير من الوجوه الايرلندية التى كانت ترقبهم .

ولم يعلم باتريك بيرس ورفاقه الذين ماتوا ، اى تحولات غريبة بدات تسرى الان فى بلدهم المتعب المهدم ، المثقل بالفقر .

كان على صواب فى محاكمته ، اذ بدا يظهر بين الناس العاديين فى ايرلندة ، على حين فجاة ، نوع من الزهو والاعتداد بالكرامة بل واحساس عميق بالخزى من موقفهم من الرجال الذين واجهوا فرق الاعدام بشجاعة . ولم يســـجل الكاتب جيمس ستيفنس الذى شاهد الهبة ودهش لهامثل الاخرين، افكاره الا بعد حدوثها بعدة اسابيع ، وها هو ينقل احساسه بما كان يعتمل فى قلب الامة :

« ايرلندة ليست خائفة » انها مستثارة بعض الشىء . انها تشوى قليلا . لم تك مع الثورة ، ولكن فى غضون شهور قليلة ستكون معها . وقلبها الذى كان يذبل سيغمره الدفء عندما يعلم ان رجالا اعتبروا بلدهم جديرة بالاستشهاد فى سبيلها ولن يخيب هذا الاستشهاد قط » .

وسرعان ما تحقق ذلك . ففى سنة ١٩١٨ كان جدى قد سرح من الخدمة فى حرب عرف الان انها

لم تكن قط من اجل حرية الامم الصغيرة . وجاء الى ايرلندة ليلحق بما كان قد اصبح في خلال سنتين ثورة فوقية حقيقية ، واستمرت ثلاث سنين بعد ذلك ، واستمرت المأساة في حرب اهلية حول شروط الاستقلال الجزئي الذي كانت بريطانيا تأبى ان تمنح اكثر منه . وفي هذه الحرب الاهلية ، حارب جدي الى جوار دي فاليرا والجمهوريين واسر واعدم رميا بالرصاص . لقد ضحى روجر كيزمنت سنة ١٩١٦ ، والان ايضا الرجل الذي نقل البنادق بحرا سنة ١٩١٦ الى ايرلندة . وارسل جدي رسالة اخيرة من زنزانته الى اسرته ، كانت وستظل هامة بالنسبة لي طوال حياتي . لقد كان يسير الى الموت ، وكتب يقول « مثل نوم عميق » ينبغي عليه ان يموت محبا لكل من ايرلندة وانجلترا ، وطلب من اسرته الا تحمل حقدا قط تجاه اى انسان مسئول ولو مسئولية طفيفة . ثم في ذلك الفجر من عام ١٩٢٢ ، واجه الفرقة المكلفة باطلاق الرصاص عليه ، وشد على ايدي كل رجل ، وهداهم اخبرهم ان يقتربوا قليلا لان الضوء كان خافتا ، ومات ».

وعندما اقص هذه القصة في مجلة عربية الان في عام ١٩٦٦ ، فليس الامر بعيدا عن الحقد تجاه احد واخصهم الانجليز . اى ابن او حفيد لاى وطنى في اى مكان استطاع ان يحمل حقدا ، بينما المواطن المقتل نفسه ، لم يحمله قط بجيبيه لا . ان بريطانيا تتغير الان بشكل اسرع مما تم اثناء سنوات كثيرة . واذا كانت الدراسات القديمة لم تضع في نطاقها الصراعات المبكرة من اجل القومية ، والتى لم تدرس وتعرض تماما في العالم العربي . فهذا — على ما اعتقد مخلصا — يرجع الى التركة الحضيارية الخاصة من الكراهية والشك التى لا تزال بين العالم العربي والعالم الغربي من ١٢٠٠ عام من التوتر شبه المستمر . ولكن دعوى اكمن ما احاول ان اقوله عن نفسي في كلمة او كلمتين .

بينما اكتب هذا المقال في القاهرة ، تعود افكارى ثانية الى رجال سنة ١٩١٦ وبشكل لابد منه الى جدى . ولكنى الان اعيش في لندن ، وربما شعر جدى في سنة ١٩١٨ انه يستطيع ان يخدم قضية الحرية التى عرفها جيدا عندما انضم مباشرة الى صفوف الثورة الايرلندية التى سهرت بواسطة احداث سنة ١٩١٦ ، لذا اعتقد انى استطيع ان اقدم مساهمة بسيطة لاخفف من الالام الاخيرة لبعض جرحات الصراع القومي بمعيشتى في لندن . وعندما افكر في هذه الالام الاخيرة التى تخص الامة العربية اتذكر بعض الكلمات التى كتبها جدى في كتاب نشر سنة ١٩١١ — من مدة طويلة مضت ، ولكنها لا تزال مناسبة للغاية . كان يصف المعتقد الصحيح الجليل للثورة الامريكية ، والايرلندية ، ولكل حركة قومية في الحقيقة :

« انهم دائما « سوقة » و « رعاع » بوسطون الذين ثاروا من القهر الملكي ، ومثل فلاحى ايرلندة في القرن التاسع عشر هم دائما « الادوات » نصف العمياء « للمهيجين » الذين لا مبدا لهم ...

« ويبدو ان الاحساس التاريخى يتلاشى ، ويطرا نفس الانحراف العنصرى الهمجي ، ونفس الاتهامات بالدوافع الدنيئة البشعة ، توجه الى القادة »

واذا كان هناك للاسف حركة قومية واحدة ما تزال تعاني من نفس هذا الموقف الذى يتخذه بعض البريطانيون ، وبعد ان وصفه جدى بحمسة وخمسين عاما طوالا ، فان هذه الحركة القومية هي حركة العرب القومية وانى لاعتقد (وادع فلسطين جانبا) ، ان نهاية هذا العذاب الطويل على مرمى البصر . وفي ايام قريبة سينتهي التفكير في التغيرات الضرورية التى ينبغي ان تطرا على تفكير لندن لان الرجال والنساء الاصغر سنا يبداون بعقول اكثر تفتحا عن العرب ، في الاصرار على ان تعترف بريطانيا بهذه الحقيقة الاخيرة ، نافضة يدها من الامبراطورية القديمة انها مسألة صبر الان ، وعرض الدخول في حوار جليل وعلى قدم المساواة مع لندن ، مرة واخرى ، ومسألة الثقة في ان اى بريطاني سيسلم بصحتها **بمجرد ان يعرف الحقائق .**

وانى لارجو من الاصدقاء العرب ان يساعدوا في ايصال هذه الحقائق الى الشعب في بريطانيا لان العملية ستكون اكثر قصدا ، اذ اوثق العرب في ان الحقائق **تفعل ذلك** . لقد توصل رجال سنة ١٩١٦ في دبلن الى تلك النتيجة وهى انهم لم يستطيعوا الوصول بقوة كافية الى الراى العام البريطاني بمجرد الكلمات فحسب . بل بتضحياتهم وتضحيات الذين تبعوهم في ٢٠ بلدا في العالم اضحى الطريق اكثر سهولة .

وهناك عدد متزايد لا يحصى من الناس في بريطانيا يستطيع ان يستجيب بل هو يستجيب الى المعلومات الجديدة عن الحقائق التى لم يك يعرفونها .

وقريبا ، الان ، سيظهر افق جديد وسينتهي الصراع الطويل ، الذى لا معنى له ضد حق الرجال الانسانى الطبيعي في الحرية . وعندئذ يستطيع جميع رجال كل الثورات ان يرقدوا ، ليس فحسب مكرمين ، وانما ايضا مكافأين الى اقصى حد على تضحياتهم .

الوعي الطبقي عند فلوبير

جان بول سارتر

تم الاتفاق بين كلود لانزمان عن هيئة تحرير « الازمنة الحديثة » ولطفي الخولي عن « الطليعة » ، على أن تشترك المجلتان في تبادل نشر بعض أبحاثهما . وبمقتضى هذا الاتفاق تبدأ « الطليعة » في تقديم دراسة لجان بول سارتر عن الوعي الطبقي لفلوبير .

مدخل

جوستاف ابتداء من سنة ١٨٣٧ وفي الاربعينيات تجربة رئيسية تتعلق باتجاهاته في الحياة وبمضمون مؤلفاته ، فهو يشعر في ذاته وخارج ذاته ان البرجوازية طبقته الاصيلة . حقا لقد أصبح التهكم بالبرجوازية أمرا مألوفا ، فكتاب **هنري مونيين** (١) اكتسب شهرة واسعة وشخصية **جارسون** مزدوجة تشمل البرجوازي والمعادي للبرجوازي وتمثل ازدواجا عجيبا في شخص واحد فربط **المسيو برودوم** بـ **جارجونتوا** (٢) . ولكن اكتشاف فلوبير كان في انتمائه هو نفسه الى البرجوازية ، هذا النوع البغيض والمكروه . حتى هذا الوقت كان فلوبير لا يعرف سوى الوسط العائلي والمدرسة . والانسانية لا تأتي بعد ذلك كله الا بعيدا لتحيط تلك المجموعات الضيقة . أما الان ، فان شعوره بالنقمة وكبرياؤه واطلاعاته وعلاقاته بـ **الفريد** تحمله على اجراء تمييزات دقيقة في « الجنس البشري » ويتضح له في الافق

● نبذة من كتاب يعد للصدور . اشيل — كليوفاس كبير جراحي مستشفى مدينة روان هو والد جوستاف فلوبير . اما اشيل فشقيقه الاكبر بينما الفريد بواتفان ابن احد اصحاب مصانع مدينة روان فهو صديقه الحميم .

(١) كاتب ورسام كاريكاتوري اشتهر بخلقه لشخصية جوزيف برودوم التي تمثل البرجوازي الصغير محدود النباهة ومزهوا بنفسه (الطليعة) .

(٢) شخصية من تاليف الكاتب رابليه وهي تمثل الشجاعه والكرم (الطليعه) .

بجانب الفلاح والعامل والارستقراطي صورة مسخ معكرة الخطوط ، هذا المسخ هو **الانسان الاخر** وهو نفس شخصه ، هذا المسخ هو هذا **الشخص الاخر** فى نفسه وهو ذات نفسه فى **الشخص الاخر**، هذا المسخ هو شقيقه ، عدوه ، شـقيقه العدو . ويقتضينا الامر الان أن نتعقب تطور هذا الاكتشاف الهام بنتائجه .

عن البرجوازية باعتبارها نوع

لا يستطيع اى طفل برجوازى أن يتلمس طبقة بوعيه ليس لسبب الا لانه داخل هـذه الطبقة ، فالبرجوازية عند جوستاف الصغير هى هذا الوسط الملتصق بحياته ، تلك الامور التى تترك جانبا ، تلك العادات التى تصبح طبيعة اخرى ، تلك الاشارات التى تفسر بغير ان تلمح ، تلك القيم والمبادىء التى تبدو كالبديهيات العادية ، تلك الحقائق الموروثة التى حصلت على رضاء الجميع. فالبرجوازية عند جوستاف الصغير هى واقعه اللصيق به والغريب عنه ، هى مرض عمى الابصـار الذى يجعله عاجزا عن رؤية البرجوازية عند الاخرين . وأيا كان الامر فالناس يتصرفون حوله وكأنه لا وجود لتقسيمات اجتماعية ، فالبرجـوازية كانت تعتبر نفسها حتى سنة ١٨٣٠ الطبقة الجامعة الشاملة، فكان يقال أن من يجعل نفسه بورجوازيا يعلن فى الواقع انه انسان . وكان **اشيـل ـ كليوفاس** لا شك من هذا الراى مقتنعا أن مرتبته الاجتماعية لا تنفصم عن قدرته المهنية ، ويصبح امرا واحدا لهذا الريفى الذى يرى فى المعرفة الفضيلة الوحيدة ان يكون الشخص عالما وبورجوازيا وانسانا . اما جوستاف وقد اقتنـع أن ثروة والده جاءت نتيجة جدارته فهو لا يستسيغ انطلاقا من هذا المبدأ أن يكون للاميين اى زعم للتخلص من بؤسهم . واذا كان هذا الطبيب الفيلسوف قد ولد فقيرا فلا مفر لابن الرجل العصامى الا أن يميل بداهة بتفكيره ـ كما سوف يفعل فاليرى (٣) بأن المجتمع لا يملك « وسيلة لاخفاء انسان » فلا بد أن يكون اغبياء او بلداء هؤلاء الذين يقضون كل حياتهم فى العوز .

غير ان فلوبير اخذ مبكرا يبتعد عن ذلك المفهوم ويتخلص من تلك البساطة الحاجبة . فهذا الطفل المغبون الذى هزىء به وحرم من الرب الذى اراده اصبح يحس بشعور غامض خلال عائلته واصدقاء اقاربه وزملائه واساتذته بأنه ملفوظ من الـكيان الاجتماعى وهو لا يزال مع ذلك ينتمى الى هـذا الكيان. ولا ينقطع هذا الطفل عن المطالبة بالانخراط الشامل فى مواجهة هذا التفكك الذى يتهدده مطالبا بأن يكون له نفس وضع **اشيل** غير ان شـعوره بالنقمة المتولد عن الغبن المرتبط بجنسه والذى لحق به جعله فى ذات الوقت يحس بهذه الجماعة التى أنتجته وصارت تطعمه ثم تبعده عنها ، أدرك انها شيئا ناقصا تفضح عيوبه تدريجيا على ارضية تلك الخسة الجوهرية التى تتمثل بالذات فى الامتناع عن منحه الانخراط التام ، ويعيش فلوبير حياته هذه قلقا ليدفعه هذا التناقض الاول للحكم على وسطه بالقدر الذى يسلبه ذلك التناقض وسائل العيش فيه . ومن ذلك ان البرجوازية السوداء فى الولايات المتحدة لا تطالب فى الواقع سـوى الانخـراط فى البرجوازية الامريكية ، ومن هنا فهى رغم تأنيبها البيض على عنصريتهم تحرم نفسها من الوصول الى حقيقة أسباب تلك العنصرية وتمنع على نفسهـا نتيجة ذلك الكفاح حقا ضدها . فهذه البرجوازية السوداء « لا ترى » فى الواقع البنيانات التحتية التى تقوم العنصرية عليها اذ هى محكومة بعمق بتلك البنيانات ولا تنظر اليها الا شذرا . ومع ذلك فلقد قام جوستاف وهو فى الخامسة عشرة بمحاولة جادة للتخلص من هذا الوهن الاجتماعى ، فلا يرى أهمية علاقاته بـ **الفريد** فى الاحاديث التى كانت بينهما فى المستشفى فقط ، بل يعتبر تلك الاهمية فى جهده لبناء صداقة مستقرة تفتح له بما تتضمنه من شعور متبادل باب الوفاق بالانسان الذى يرى فيه اعلى مافى البشر ، الا ان تلك العـادات وهـذه الايديولوجية التى تمرسوها فى نفسه تعرقل فيه على الدوام المحاولات الكفيلة لاجراء تلك المشاركة. فموقف **الفريد** يبقى بلا مجاراة ، وهو يمثل الخطوة المانعة التى تفصل البرجـوازية الراسمالية عن الطبقات المتوسطة . وقد كان جوستاف يغوص تارة فى اعماق البرجوازية الصغيرة ويطفح تارة أخرى على سطحها فى حركة مستمرة ودائمة جعلته يكتشف فى الخارج ويشعر فى داخله بهـذا الذى أطلقنا عليه عبارة رجل الوسائل . ولـكن آماله وأوهامه المفقودة كانت تصطبغ آنذاك بطابع فردى مبالغ فيه ، **كان الامر يتعلق على وجه الخصوص بصداقة مفقودة** ، لا يستطيع به الالمام بدقة بهـذا الكيان الاجتماعى الذى يحيـط به ويتحـكم فيه ويرفضه فى ذات الوقت . فهـو يلقى فى الواقع

---

(٣) كاتب وشاعر فرنسى (١٨٧١ ـ ١٩٤٥) ـ (الطليعة) .

التبعة في كتاباته الاولى تارة على العائلة (الطاعون في فلورنسا) وتارة على الجماهير، « الشعب » (عطور ذكية) وتارة أخرى على الانسانية جمعاء من خلال المدرسة (الساعة الاخيرة). وكثيرا ما كان حتى السادسة عشرة يدين الحضارة الاقتصادية نتاج الرأسمالية البرجوازية او يدين «خسة» البقال الرامزة عنده الى عادات البرجوازية الصغيرة. ولكن مفهوم « البرجوازي »، هذا المفهوم الذي يعد وسيلة مردعة يكتشف بها فلوبير عصره ووسطه لم يظهر في الوجود بعد. ولا يرجع فضل وصوله الى هذا المفهوم الى **الفريد** اذ لا تكرار لكلمة بورجوازي سوى مرات ثلاثة في الخطابات التي يرسلها الفريد الى جوستاف بعد ذلك بمدة طويلة في الفترة بين ١٨٤٢ و ١٨٤٦، بل اكثر من ذلك يقتصر **الفريد** على استعجال تلك الكلمة مرتين للرد على ثلاث مرات من جوستاف، فيقول له مرة أولى:

« الا تزال تنزل اليأس في قلوب البرجوازيين في بلدة **نوجان** برفضك الحديث عن الادب ؟ ». ويقول له مرة ثانية « تحدثني عن البرجوازي الكريم .... ». لاشك ان فكرة البرجوازي قد نشأت باكتشاف الصديقين لها معا، غير ان جوستاف كان يستعملها بحماس لتجاوبها مع قلقه. اما **الفريد**، هذا الطائر المتهامل في السحاب، فلا ينوه عن هذه الكلمة الاشذرا وكان الامر لايعدو ان يكون لجوستاف تأكيدا على ان تلك النزوة تمثل الموضوع الرئيسي في علاقتهما الخاصة.

حقا لا يكفي ان يعاني الانسان من الواقع الاجتماعي ليكتشف هذا الواقع في نفسه وخارجها، بل عليه أن ينظر الى نفسه بنظرة الآخرين. وليس بمقدور فرد من افراد الطبقات الحاكمة على الأخص، الوقوف على الفرصة التي تتيح له ادراك الامور الا باكتشافه المفاجيء لحقيقته الموضوعية كما تبدو للطبقات المعادية. فالاختيار يبدو في الظاهر سهلا امام هذا الطفل، اذ تكافح البرجوازية في جبهتين، ذلك أن يعاقبة سنة ١٧٩٣ كانوا يناضلون ضد ارستقراطية الملاك العقاريين وفي الوقت ذاته ضد تلك « الجبهة الشعبية » التي كانت تطلق على نفسها عبارة « الشعب »، « المحرومين » او « السواعد العارية ». وقد استطاعت البرجوازية مع ذلك ان تعتبر تلك التمردات الشعبية زمنا طويلا تموجات تحدث في باطنها بفعل الخلافات الداخلية رافضة الصورة المعكوسة في تلك المرآة التي شهرتها طبقة النبلاء في وجهها. وقد عادت تلك الصورة للظهور مرة اخرى حين حاول المهاجرون المنتصرون فرضها

جوستاف فلوبير

جوستاف فلوبير، قصصي وروائي فرنسي ولد في روان ١٨٢١ وتوفي في ١٨٨٠. اثارت «مدام بوفاري» اشهر أعماله — والتي استغرقت كتابتها ستة سنوات كاملة بدأت في ١٨٥٠ — عاصفة من الجدل والنقاش وتسببت في رفع دعوى عليه وعلى الناشر واتهامهما باللااخلاقية. تناول البرجوازية الفرنسية بالنقد العنيف في كتابه « التربية العاطفية » مما سبب سخط البرجوازيين وحقدهم عليه، له عدة اعمال من اشهرها « سلامبو » و «اغراء القديس انطوان» هيروديا وغيرها. زار مصر واليونان وتاثر بهما كثيرا. ارتبط بعلاقات وثيقة بمعظم أدباء عصره، جورج صائد، زولا، ودوديه وتورجنيف مازالت اعماله تلاقي نجاحا كبيرا ويعد بعضها من عيون الادب الفرنسي والعالمي.

آنذاك. فكان لا مفر في ذلك الوقت من الاختيار بين أمرين، فاما ان يكون البرجوازي هو الانسان او ان يكون فردا من افراد تلك الطبقة الاخرى الثائرة الدموية والمزهوة بنفسها، التي ارجعها النظام العائد الى مكانها الصحيح. الا أن احداث يوليو التي أعدتها الاوساط المصرفية العليا من زمن طويل قد خلصت العائلات البرجوازية الحاكمة من هذا الاحتمال الموضوعي البغيض، واعتقد أرباب الصناعات والصيارفة انهم أصبحوا بزوال الطبقة الثالثة أسياد حقيقتهم الواقعة، فقد انفردوا بالعالم باستثناء المقهورين وايديولوجيتهم البالية وباستثناء الاشخاص الناقصين البؤساء الذين كانوا يتورعون بتواضع للانسانية.

الا ان تلك الامور لم تستمر طويلا، فالبروليتاريا منبعثة من الأرض اذهلت العالم سنة ١٨٣١ عندما اشهر عمال نسيج الحرير بليون الراية السوداء فكانت هناك لحظة من الوقت **عرفت** البرجوازية حقيقتها، اذ اتضح لها وجود قوة مستقلة مدركة بذلك ان الطبقة الجامعة الشاملة التي كانت تصورها لنفسها قد انكمشت في خصوصيتها. **لقد عبر سان مارك دي جيراردان** تعبيرا ساذجا وبسيطا عن الذعر الذي أصاب قلوب المحميين بالنظام، فكتب في « جريدة المجادلات » في عدد ٨ ديسمبر سنة ١٨٣١ يقول:

« لقد كشف عصيان ليون عن سر خطير ، عن المعركة الداخلية التي تدور في المجتمع بين الطبقة التي تملك وتلك التي لا تملك ... لا مصانع بغير عمال ولا راحـــة للمجتمع الذي تزداد جماهيره العمـــالية باضطراد ويزداد عوزهم . فاذا منعتم التجارة تشهدون مجتمعا يتراخى ثم يتوقف فيموت، واذا ما احييتموها فانكم بذلك تضـــاعفون عـــدد البروليتاريين الذين يعيشـــون اولا باول من رزق يومهم الذي قد يقضي عليه من اى حـــادث طارىء ... ان صاحب المصنع يعيش في مصـــنعه كما يعيش الزراع المســـتغلين في المســـتعمرات بين عبيدهم واحدا ضد مائة ، ومن هذا نرى ان التمرد الذي وقع في ليون من نفس طبيعة عصيان سان دومانج (٤) ... على الطبقة المتوسطة ان تعي تماما بمركزها اذ ان تحتها شعب من البروليتاريين هائج ويحتدم غضبا بغير ان يعرف الهـــدف الذي يرمى اليه ولا المصـــير الذي ينتظره ، فهو لا يهتم بكل هذا اذ انه في حالة سيئة ويتطلع الى تغييرها . وقد يخرج هـــذا الشعب البرابرة الذين ســـوف يقضون على تلك الطبقة المتوسطة » .

وينهى الكاتب مقـــاله بنداء من اجل الوحـــدة المقدسة مطالبا الملكيين والجمهوريين بالاتحـــاد معا ويتناسى خلافاتهم السياسية وبالوقوف طبقة ضد طبقـــه .

هذه العبارات الساذجة الســـاخرة انما هي بمثابة الادراك الضمني للامور اذ لا يبدى سان ماركدي جيراردان اى تعنت للاقـــرار بان حـــال العمال على قدر حالة العبيد من السوء ويعترف بصراحة ان « التجـــارة » او بتعبير آخـــر الربح تقتضي زيادة عدد البروليتاريين (او بعبارة اخرى تستدعي التركيز) كما يعترف ان التجـــارة تولد البؤس . ولاشك ان مقـــارنة العمـــال اليدويين بالبرابرة الموضحة باســـهاب تمثل هي الاخرى دلالتها الخاصـــة ، فالبـــرابرة ، اعنى البـــرابرة الحقيقيين ، حصلوا على النصر بانهيار الامبراطورية الرومانية وهم ايضا الذين كونوا فرنسا بعد ذلك ايا كان احتضار العالم القديم ماسويا . هـــذا ما يعلمه جيراردان خير علم ، يعلم ان كلمة «بربرية» التي توحي بالفوضى في مجتمع ما وبانحلال هـــذا المجتمع انما تثير في نفوسنا في ذات الوقت مستقبلا لمجتمع جديد وولادته الشاقة . ولسوف يوضح بلا غموض بعـــد ١٨ سنة من هـــذا التاريخ المعنى الضمني لهـــذا المفهوم ولسوف يتنبأ توكفيل (٥) بكل هدوء نهـــاية سيطرة البرجوازية . لـــم تكن الامور بهذا الوضوح في بداية عهد ملكية يوليو (٦) غير ان الطبقة الحاكمة تتعلم كيف ترى نفسها فهي لا تخرج عن كونها اقلية ضئيلة (واحد ضد مائة) ينازعها في الوجود هؤلاء الذين تحتاج اليهم بالذات وهي تجعلهم والبؤس شـــيئا واحدا ، وتعلم ان سلطانها محدد فلا تستطيع البقاء بغير اللجوء الى القوة هل فقدت تلك الطبقة « غطاءها » كما قال ماركس سنة ١٨٤٨ لا لم تفقده بعد ولكنها تشده اليها لتختفي من ورائه . ومن ذلك انها استفادت من تفكير عبر عنه مِاترنيخ وقلبته لصالحها ، حين قال : « لا تزال الطبقة المتوســـطة في المانيا تهاجم بشدة العرش والطبقات العليـــا . اما في فرنسا حيث تلاشى هـــذان العنصران تقـــريبا فالرعـــاع يتمردون الآن على الطبقة المتوسطة وهـــذا امر طبيعي ... (٧) » واذا كان هـــذا التسلسل في الافكار سليما فلاشك من مفاداة النتائج بتحوير المبادىء على النحو التالي : فليقترب المنتصرون من المقهورين السابقين وليحجموا عن الاستمرار في اهلاكهم وليعتمدوا عليهم لابقاء طبقة الفلاحين في الصراط المستقيم ، ولتتوقف اذ ذاك من القمة حركة التجرد من المسيحية وليستفيدوا من بقـــاء العـــامل على عقيدته الدينيـــة . وعندئذ يضـــع السادة الجدد انفسهم في حماية اسيادهم السابقين وحماية الملك . وتحتفظ تلك الملكيـــة البرجوازية ببعض المظـــاهر فاذا كانت الارستقراطية تتحلل غضبا فهي باقية على قوتها وامتدادها كما تتمشى الكنيسة مع الظروف الجديدة بل وتتقدم . حينئذ تظهر فجاة صورة الطبقة الاخرى ، صورة مشوهة ومازالت بغيضة ، الا انه يجب تحمل مسئوليتها واجترارها وتمثيلهـــا امام الشـــعب لانها تعني بالضرورة وجود مراتب طبقية . لقد كان للبرجوازي سنة ١٨٣٥ « حالتين موضوعيتين » يتلاعب بكل منهما على الاخرى فهو في كفاحه ضد البرابرة ينظر الى نفسه بعيون النبلاء وفي كفاحه ضد هؤلاء يتخذ لنفسه وجهة النظر البربرية ويعترف له في الحالة الاولى بحقه الالهي في ان يكون ثريا يلقى الاوامر على موظفيه على ان يحدد له مقابل ذلك المرتبة قبل الاخيرة من السلم الاجتماعي . اما في الحالة

(٤) وقع هذا العصيان في هذه المستعمرة الفرنسية وكان يطلق عليه اسم (هايتي) بين ١٧٩٦ — ١٨٠٢ (الطليعة) .
(٥) كاتب وسياسي (١٨٠٥ — ١٨٥٩) وضع مؤلف « عن الديمقراطية في امريكا وفي العصر القديم وعصر الثورة » — الطليعة .
(٦) العهد الذي اصبح فيه لويس فيليب سنة ١٨٣٠ ملكا على فرنسا ممثلا لنوع من المسلومة بين الملكية المعتدلة والبرجوازية المالية الكبيرة الناشئة كرد فعل لحكم الملكيين المتطرفين في عهد الملك شارل العاشر — الطليعة .
(٧) رسالة بتاريخ ١٠ ديسمبر سنة ١٨٣١ .

الثانية حيث يفقد النبلاء نبالتهم وحيث يولد الناس متساوين امام القانون يتعرف البرجوازى على نفسه انه من ابناء الطبقة المستغلة . وترتيبا على هذا التحول السريع والمستمر من صورة الى اخرى يستطيع هؤلاء الذين يحميهم النظام القائم التوارى عن حقيقتهم .

ولكن ما الذى سيفعله فلوبير ؟ فلقد اتضح على الفور ان احدى الصورتين قد غابت عليه ولم يكن عمره سوى تسع سنوات حين استولى عمال نسيج الحرير على ليون ، بل وقد يكون هذا الحادث قد اغفل عنه . فاذا ما افترضنا ان فلوبير ابن احد اصحاب المصانع لربما كان لهذا الحادث عليه تأثيرا بالغا وثابتا اذ كان لابد انه سيرتعب خوفا على ابيه وهو يتخيله فى المصنع «واحد ضد مائة» ولكن الفردية لم تتوفر لعائلة فلوبير التى تكرست فى المهن الحرة لتشعر بأن الكفاح الطبقى تناقضا عمليا . فقد كان **اشيل — كليوفاس** يحصل على قسطه فى « فائض القيمة » الا انه كان يرى من الطبيعى ان يدفع مرضاه اتعاب الخدمات التى يقدمها لهم، ولم يكن بينه وبين الفلاحين ، باعتباره مالكا يعيش من الربح العقارى اية علاقة مباشرة ويبدو ان هذا الطبيب كان كريما مع « الفقراء » حتى ان عمال الرصيف الحوا مطالبين عندما توفى « بشرف حمل عشه الى المدافن » ومن ثم كان لا يستطيع ان يرى فيهم بروليتاريين ، فهم فى نظره فقراء أتاحوا له فرصة ممارسة الاحسان عليهم ، وكان من شأن هذا العرفان بالجميل الذى عبر عنه بتواضع هؤلاء المتروكين لامرهم غير الواثقين من انفسهم القنوعين بدرجه ما بوضعهم ان اخفى التعارض الطبقى عن **اشيل — كليوفاس** وبصورة أشد عن ابنه فلوبير ، وأيا كان الامر فلا يرى هذا الطبيب — الذى وان كان « عفيفا بتكوينه » فقد هجر الاخلاق المسيحية — انه مدينا لهم بالتزامها، ولا يرى بينه وبينهم اى خلاف كما لا يرى محلا لاية علاقه ايضا اذ كل ما فى الامر عنده هو احسان بلا مقابل ، « امتنان » بالجميل وتحت كل هذا الحالة الظاهرية المجردة . وينظر جوستاف ابنه نظرة اعجاب محللا الامور مثلما يراها . ولا شك انه لو كان طبيبا لصار كابيه « محسنا » . اما وهو قانونى وكاتب فلم تتوفر له فرصة ووسائل ممارسة الاحسان عمليا . وكل ما يحس به هو شعور غامض بالتزام « الطبقات الدنيا » بالاعتراف بالجميل نحو عائلته قاطبة وهذا ما كرره بصور شتى خلال قضيته (٨) . وكان له بعبارة اخرى ادراك واضح ومحدد يرى فى العامل بكونه أمياً اى رجل ناقص انه ملتزم على الدوام للدكتور فلوبير. ويلاحظ عند ما شب الى السابعة عشرة : « إنى اكن اى حب للبروليتارى ولا اتعاطف معه فى بؤسه الا انى افهم تماما واشاركه الحقد على الغنى » . ان النص واضح كل الوضوح . فنظرة « الحقد » (٩) التى يلقيها العامل على الغنى واصفة بالبغض هذا الاخير لا يستشعرها جوستاف اطلاقا ، فهذا المنتفع بالريع العقارى كان لشفافيته غير مرئى للبروليتاريا . وأكثر من هذا لم يكن لديه اى فكرة عن الاستغلال فلن يدرك مصالحه الطبقية الا عندما تهدده بطريقة غير مباشرة عصيانا عماليا بامتداده الى الريف ويبدو انه كان حتى سنة ١٨٧١ اى حتى الكومون التى انتزعته لا يرى فى الخلافات الاجتماعية شيئا يخصه . ان الغنى بغيض فى نظره لثرائه الفاحش كما ان عدم المساواة تستثيره فمقته لهؤلاء الذين يحجبهم النظام القائم مرده بلا شك حسده لهم وليس ادل على ذلك من تلك العبارات العديدة التى نلحظها فى مراسلاته ناقدا بها العمال على « حسدهم » فهو يعتقد انه يشارك البروليتاريا فى تلك السمة السيكلوجية وهى الغيرة من المالكين . كيف يكون الامر بالنسبة له غير ذلك وهو المالك الصغير ، المثقف ابن المثقف، صاحب الدخل الثابت مستقبلا ، المستهلك غير المنتج المستهلك على اطلاقه . فلا يملك فلوبير الوسائل الحقيقية لاكتشاف البرجوازية باعتبارها طبقة استغلالية — فى نفسه وخارجها . وتبقى بالتالى **الطبقة الاخرى** ، الطبقة العلويه التى يميل فلوبير للتحول اليها نتيجه حياته الذاتيه ، يتوسل لنظرة الرئيس — بعد ان صعقته منذ الطفولة **نظرة الاب** — ليكشف له ماهيته . ويرجع الى هذا الميل فى النظر للامور تلك الحيره المروعه التى عانى منها طيلة حياته .

ولا شك ان فلوبير الصغير قد استرق سمعه منذ الطفوله كلمه « برجوازى » بمعناها المبغوض الا ان هذا المفهوم الذى كان لا يزال آنذاك غامضا لم يتضح مضمونه الا عندما نشرت فى فبراير ١٨٣٥ مسرحية «شاترتون» وان كان فلوبير لم يقرأها الا فى سنة ١٨٣٦ او سنة ١٨٣٧ (١٠) . ولقد احتفظ فى الواقع الى مابعد ٧ او ٨ سنوات من هذا التاريخ بأحسن الذكريات عن هذه القراءات فقال : « أنا

---

(٨) بشان كتاب « مدام بوفارى » وقد انتهت سنة ١٨٥٥ ببراءته (الطليعة) .
(٩) يكفى الاطلاع على « الورشة » أول صحيفة عماليه لنعرف ان العمال فى سنة ١٨٤٠ كانوا لايحقدون اطلاقا على أرباب الاعمال . (الطليعة)
(١٠) قرأ بين سنتى ١٨٣٧ و١٨٣٨ « اعترافات فتى العصر » وقد نشرت سنة ١٨٣٦ وقد كان تأثير موسيه شديدا على «مذكرات مجنون» فيتضح من الاطلاع عليها قراءة فلوبير حديثا لكتاب موسيه .

مدين الى فنيى للحماس الذى شعرت به قبلا عندما قرأت شاترتون (وقد كان للموضوع فضل كبير) » (١١)

وموضوع المسرحية كان بالذات التعارض بين البرجوازى والشاعر ، ويكشف هذا الطفل فجاه عن نفسه فى خضم هذا الكيان الاجتماعى ويرى تلك الكائنات الغامضه التى كانت تحيط به تبرز فجاة حوله فى وضح النهار ساطعة وواضحه ، واد اعتقد انه قد التقى بالمنقذ فهو يجعل نظره الارستقراطى الهازئه تستقر فيه حالطا هذه البطرات الساعقه بطراته ، وسوف يؤدى هدا الحلط الى غرسه ابديا فى طبقته . (١٢)

ونحن نعلم ان الجيل الذى بدا فى الكتابة حول سنه ١٨٢٠ كان قد عزم النيه على ربط مصيره بمستقبل النظام القائم، فعندما اغتيل **دوق ديبريه** (١٣) اسرع **الماركيز دى بونفان** (١٤)، **والماركيز دى بونفيل** وشاتوبريان بتاسيس « الجمعية الملكيه للادب الراقى » الذى يعبر عنوانها عن برنامج واضح شعورا منهم باهمية مضاعفه الدعايه الملكيه وكسب المثقفين الى دعوتهم ، فقد راينا كيف ان فيكتور هوجو واحيه **ابل** كان يلذ لهما قراءه قصائدهما حتى اطلقوا عليهما اسم « ابناء الشعر الملكى » . ولذلك فلقد رفض « هنرى لانوش » (١٥) الانخراط فى « كتيبة الملكيين المتطرفين » عندما قام فيكتور هوجو وغيره من الشعراء بتاسيس هيئة « الشعر الفرنسى » . ومن هذا القبيل فان كتاب « الاناشيد » تاليف « فكتور هوجو » كان مطبوعا بالروح المسيحيه رابطا العاطفة الشعريه بالعاطفه الدينية ، وتعيد مقدمة هذا الكتاب الى ذاكرتنا « الصليب الذى يصبغ به شاتوبريان كافة منجزات العقل الانسانى » . ويرى لامارتين مناسبا « ان يتواكب مع النظام القائم » مما يحمل الملك على قراءة « التأملات » ويهنئه عليه فيتقرب هذا الشاعر المسنود الى مجلة « المحافظ » التى تضم قادة الحزب الملكى بل يصل به الامر الى قبوله استبدال ابياته عن « بونابرت » بالرغم من قلة اهميتها والتى جاءت فى نهاية « التأملات الجديدة » بعبارات شديدة اللهجة عن الامبراطور . لقد اراد هؤلاء الشبان

من الشعراء العودة الى « الاصول الوطنية للوحى الفرنسى » . تلك ولا شك مناورة مفضوحة لا تهدف سوى محاربة شمولية القرن الثامن عشر البرجوازى وجعل شخصية فرنسا مطابقة تماما لعهد الملكية العائدة . وتبدا آنذاك بصورة اكثر طرافة وبمزيد من الدعاية « العودة الى العصور الوسطى » برعاية دوقه دى برى (١٦) التى تجعل من تلك العودة موضوع الحفلات الراقصة التنكرية التى تقيمها . لقد تمت العملية **كلها على حساب البرجوازية** التى اكتفت ، بعد ان اصابها الملل ونزلت بها الهزيمه فانكمشت فى نفسها — باتفاق هزيل مع الاستقراطيين سوف تقبله اذا كتب للنظام ان يعيش . ولكن الشبان الوصوليين فى عهد الملكية العائدة لا يرون فى هؤلاء الادغال المهورين جمهورا جديرا بهذا المعنى مفضلين خدمه دعايه الحكومه الجديده ليرتفعوا مقابل ذلك الى مستوى ارفع بفضل المزايا التى سوف يدرها عليهم النبلاء والملك . وملخص القول فهؤلاء الكتاب يريدون الاستفاده بوقاحه من النظام القائم وبالفعل استطاعوا الى حد ما استعادة وضعهم السابق .

فعندما اطلع طلبة مدينة **روان** على هذا الادب وكانوا بين العاشره والخامسه عشره احسوا فيها بجاذبية الماضى فان احداث يوليو التى اكتسحت البوربون حققت النصر النهائى للبرجوازيه . وكان يمكن حقا حتى ذلك الحين الاعجاب بهذه القصائد النقية المصبوغة كلها بصوفيه مجرده من اية مصلحة الا انه اصبح من العسير آنذاك كتابة مثلها .

لقد تأثر فلوبير تاثيرا عميقا بتلك الروحانية المتانقة الفاترة بغير ان يقدر على تمثلها اذ يلتقى فيها بشبح ايدولوجية الملكيين المتطرفين الجاثم على الانفاس .

الا انه ظهرت بعد ذلك مؤلفات اخرى — ثمارا مباشرا لسقوط البوربون — تعبر عن مرارة الارستقراطية المقهوره . وقد كان قادة تلك الحركة الادبية جميعا من النبلاء (١٧) . لقد اختار

---

(١١) رسالته الى لويز كوليه فى ٧ ابريل ١٨٥٤ — مراسلات الجزء الرابع — ص ٥٢ .
(١٢) لا ازعم انه كان بمقدوره التخلص من طبقته والوقوف ضدها اذا كان قد نظر اليها بابصار العاملين . فمن جهة اولى لم يكن لدى العاملين بعد ثورة عمال نسيج الحرير سوى مفهوم غامض عن طبقتهم وعن طبقة ارباب الاعمال وعن الاستغلال ويبقى الامر هكذا حتى سنة ١٨٤٠ حين بدات الافكار الاجتماعية فى الازدهار التى تولدت عنها « حركة المطالبين بالثمانى واربعين ساعة » ومن جهة اخرى لم يكن التجرد من الطبقة متيسرا سنة ١٨٣٠ على الاطلاق . ومع ذلك فليس من شك ان فهم البرجوازية باعتبارها طبقة مستقلة بوسعه ايا كان غامضا ان يسهل الامور لبرجوازى صغير فى الخامسة عشر . ولا شك عندنا ان فلوبير كان سيتلمس الامور فى المجتمع بشكل ادق اذا ما توفرت له آنذاك ولو للحظة واحدة سبل منازعة حق الملكية وتلمسه .
(١٣) ابن شارل العاشر قتل سنة ١٨٢٤ ويمثل اغتياله محاولة سافرة للقضاء على عهد الملكية المتطرفة . (الطليعة)
(١٤) عميد الجامعة وصديق شاتوبريان (١٧٥٧ — ١٨٢١) — (الطليعة) .
(١٥) روائى وشاعر فرنسى (١٧٨٥ — ١٨٥١) — (الطليعة) .
(١٦) زوجة دوق دى برى الذى اغتيل سنة ١٨٢٤ وقد حاولت سنة ١٨٣٢ حمل مقاطعة فانديه على الثورة ضد لويس فيليب . (الطليعة)
(١٧) عدا فكتور هوجو الذى كان يريد ان يكون نبيلا فاضاف الى اسمه (حرف النبالة) ولم يمتد اليه « قلق العصر » .

فينى العمل فى الجيش وكان موسين ساخطا سنة ١٨٣٠ على وضعه كموظف (١٨) . وسار هؤلاء الكتب يحقدون على عهد الملكية العائدة بعد ان فقدوا امل مساندها لهم فى اعاده ترونهم التى اطاحت بها الثوره . الا انهم صبوا الغضب كله على الطبقة الاخرى بعد وقوع احداث يوليو واذ ذاك يبرز البرجوازى فجأة فى كتاباتهم بوجهه القبيح ليصبح هذا العدو المنتصر موضوع حقدهم الطبيعى وقد استل السيف من ايدى هؤلاء الجنود بحكم المولد وحالهم الى ادباء . فليكن ان الادب سيدخل المعركه وسوف نصيب كلماته الجراح دما . ان صوره البرجوازى تلك التى فرضت فرضا على القرن التاسع عشر والتى نعثر عليها اليوم من حين لآخر فى كتابات المثقفين ذوى الميول الفوضويه هى تلك التى سبق وقدمها لنا الكتاب النبلاء وكتاب الملكيين المتطرفين المقهورين اذ لم يستطع حقا أحد من البرجوازيين او البوهيميين مسها بلمسة واحدة فان شخصيه شاترتون تشمل كل شيء فهى تجمع بين جوزيف برودوم وايبو ورلوشا .

ويهتم فلوبير فى المقام الاول بتلك الشخصية من مسرحية شاترتون فقال فى نفسه « هاأناذا » فقد وجد فلوبير فى تلك المسرحية مبررا لبعض الفشل فى دراساته ونعنى مقدمتها — التى أخذ فلوبير يلتهمها — بالتمييز بين الرجل العملى وبين الكاتب الكبير ثم الشاعر (١٩) . وقد كان هذا الشاعر صورة لجوستاف العاجز عن القيام بأى عمل من غير اعمال الفكر الراقى ، الذى ولدليكون عالة على الاخرين والذى يلتهم الخيال كل ذاته .

ويشهد هذا المأخوذ تقلبات وجدانه فتتدهور علاقاته الانسانيه لتتحطم فى النهاية . فليس من مفر « ان لا يفعل شيئا مفيدا وعاديا » بل يجب اعفاءه من « الصوت المزعج الذى ينبعث من العمل الايجابى الروتينى » . لقد شعر الطالب فلوبير بفرحة الانتقام تهزه هزا عندما أحس فى مصير شاترتون قدره المحتوم وينتهى الى الموت معه ضحية مواهبه المفجعة — على أثر حب غير معقول ونتيجة النفس الشريرة . من هذا التوحد الذاتى ينشأ الخلط والغلط .

لقد فهم فلوبير حتما ان شخصية شاترتون تمثل شاعر « المصائر » (٢٠) الا انه كان يتخيل ساذجا ان فى مقدور شاترتون — هذا الشاب السوقى اليائس والسامى فى نفس الوقت — تمثيل كل الشعراء التى نزلت اللعنة عليهم . ومثل هذا التفكير يعنى بلا شك عدم ادراك حقيقة هذا المؤلف فلا يمكن انيكون شاترتون سوى فينى كما ان عزلته وارستقراطيته الموروثة مجرد رمز الى كرم وعزلة النبلاء . فليس أدل على ذلك من تلك الصفحات فى كتاب « ستللو » (٢١) التى تشيد بهذه الطبقة (الضحية) حيث يقول : « تلك هى طبقة النبلاء التى خدع بها وحطمها اكبر الملوك فيها .. طبقة تعانى الطرد والنفى والتمزيق الا انها مخلصة على الدوام تارة للسيد الذى يعمل على افنائها ... وتارة للشعب الذى ينفى وجودها ... وهى تنزف على الدوام دماء ودائما مبتسمة كالشهداء جنس بشرى كهذا الجنس اليهودى وقد الغى اسمه من الوجود وينظر اليه شذرا (جماعة الشعراء — الجزء الاول صفحات ٧٩٧ — ٧٩٨) .

فالشاعر عند فينى هو ثمرة فشل الرجل العسكرى حيث يحل الطموح الادبى محل طموح الطبقات المضروبة ويصبح الكبرياء الارستقراطى مثاليا فى اللحظة التى تفقد الارستقراطية فيها امتيازاتها وكما سبق لى ان اوضحت فى مواقع اخرى من كتاباتى كيف يكون القديسون من اشباه الابطال فكذلك الامر ايضا عن هذا النوع من القديسين المقززين احيانا والمريدين دائما الذين ازدحم بهم عالم الادب بعد ثورة يوليو فالشاعر عند فينى وموسين هو ذلك النبيل يعيش وقد فقد سلطانه وهو يشرب كاس فشل طبقته حتى الثمالة . فليس سقوط شاترتون المطلق وهو ضحية النفعية سوى نهاية الملكية العقارية التى كتبت لها التصفية بيد البرجوازية المنتصرة . ان وحى الشاعر ودم النبيل لهو شيء واحد . هذا هو الكرم الذى يتحلون به وذلك هو مصيرهما المحتوم فكل منهما مكتوب له اليأس ثم الموت فالمجد وقد انكرته على السواء تلك البرجوازية الضارية التى افقدتهما انانيتها المقوقعة النظر لترى والرحمة لتفهم . ان شاترتون انسان وطبقة وينقلب فينى الفخور بتلك الطبقة والمتضامن معها ضد العدو ، ضد هذا الليبرالى الفولتيرى ليرد له الصاع صاعين . لقد

---

(١٨) يلاحظ ارتباط موسين عن طريق تلك المهنة بالشئون العسكرية فقد كان يعمل طرف السادة فيرديل وشركاه الذين كان منوط اليهم عمليات تكييف الهواء الساخن فى معسكرات الجيش .

(١٩) يقدم فلوبير فى « ذكريات » التى نشرت سنة ١٨٣٨ مقارنة بين الشاعر والفنان بوحى من فينى لاشك فى ذلك وقد جاءته بها العبارة التاليه :
« احدهما يشعر والاخر يعبر ، احدهما القلب والاخر هو العقل » . كان جوستاف يعتبر نفسه آنذاك شاعرا وليس فنانا فى اللغة كما يتبين ذلك من خطاباته ومن « مذكرات مجنون » .

(٢٠) ديوان شعر من وضع الفريد دى فينييه سنة ١٨٦٤ يعبر فيها الشاعر عن اليأس والحزن . (الطليعة)

(٢١) من مؤلفات الفريد دى فينييه — سنة ١٨٣٢ يبين فيه ان الشاعر ضحية المجتمع فى كل العهود . (الطليعة)

كانت فى الواقع نظرية المصلحة مقرونةبالترابطية السيكلوجية ميكانيكياسلاحا خطيرا فىيد الفلاسفة والانسكوبيديين (٢٢) الذين انكروا على النبالة بانكارهم الحرية والكرم والبطولة تلك الصفات الخاصة التى من شأنها تبرير امتيازاتها . ولا يقبل **فينيبى** شيئا سوى انه يعكس تلك الحجة فيقول انه يوجد هذا النوع من شاترتون بين الناس ومن هنا كان بالتالى ان اعتبر البرجوازيون الخسة اللصيقة بهم والمميزة لهم على انها الطابع العام للانسان . فاذا كان المنهج التحليلى وهو ذات منهج « الحساب المادى » قد سجل نجاحا على هذا المستوى فذلك لان البورجوازيون قد طبقوه على طبيعتهم الخاصة . وليس الشيء والمنهج فى راى **فينيبى** سوى أمر واحد فعقلية الماديين الحقيرة قد ابتدعت بغية ادراك كنهها تلك السيكولوجية الميكانيكية التى لا توائم سواها .

الا ان فيينى يسير فى الطريق الى ابعد من هذا اذ يجعل الحقد الامور تتضح له سهو الذى يفضح **جون بل** (٢٣) باعتباره مستغلا متبعا الاسلوب الذى كان الجنوبيون فى الولايات المتحدة الامريكية يفضحون به الشماليين قرابة حرب الانفصال فى استغلالهم الانسان للانسان . وأيا كانت شراسة المالك العقارى فهو فى وضع يتيح لهفضح « اعمال الواقع » فهو يرى « الحساب » والالة يحطمان العلاقات الانسانية وذلك بعكس الوضع بين سيد الارض وفلاحيه حيث تبقى العلاقةبينهما مباشرة ، علاقة بين انسان وآخر طالما لم تمسها بالتحطيم قوة الاندفاع الالى وترابط الاشياء ميكانيكيا . ويتهم شاترتون وهو صاحب الدخل الثابت الذى أفلس البورجوازية الصناعية لانها طبقة استغلالية (قارن المشهد الثانى من الفصل الثانى) . هل يمكن أن نقول ان **فينيبى** قد ادرك حقا علاقة الانتاج والمصالح الطبقية والحياة العمليةبالعقلية التحليلية وبـ(الخسةالبرجوازية)؟ كلا فهذا الاحتمال ضعيف جدا فهو وأن يرى أن **جون بل** انسان شرير لكونه صاحب مصنع الاانه **هو** صاحب مصنع لانهشرير . وتمثل تلكالقساوة وهذا الشر المتأصل فىرأى **فينيبى** السماتالخاصة بالطبقة الاخرى عندما لاتجد ما يحدها فىالسماحة الملكية والكرم الارستقراطى والاحسان الدينى ، وفى النهاية لا يتطرق التفكير الى ذهنه عندما يدين العلاقات الانسانية سوى باستبدالها باقطاع مجدد .

هذا هو الارستقراطى الذى يكتشف **فلوبير — شاترتون** البرجوازية من خلاله . فلا شك انهقد صفق بكلتا يديه عندما رأى **فينيبى** يوجهالسؤال التالى : «هل علم الارقامهوعلم العقل الوحيد؟». لقد اتضح له ان هناك عالم متسع الارجاء تتحكم فيه النفعية ويبالغ الادخار فيه حتى التقتير ، ويكتشف من الخارج — كالعيوب — تلكالصفات الخاصة بعائلته الكامنة فيه منذ زمن بعيد، ويبتهج فرحا طيلة لحظة قائلا لنفسه الست فى الحقيقة روحانى قد أخمده المجتمع المادى ؟ وهكذا نراه بلا ارتياب يجعل الحقد الذى يكنه النبلاء المفلسين لطبقته يستقر فى نفسه مزودا بشعور النقمة . وهنا يجدر بنا ان نلاحظ ان حالة **فينيبى** واضحة كل الوضوح اذ هو فى **الخارج** ويدين من داخل المجموعة التى ينتمى اليها مجموعة معادية ومنتصرة . أما حالة جوستاف فليس من شيء يستسيغها اذ هو فى الخارج وفى الداخل ، وهو عندما يتسلل الى شخصية شاترتون — الذى عنى فيينى باختياره من السوقة ذرا للرماد — يتقمص عندئذ شخصية النبيل ، فلا سبيللاحد سوى النبيل ليبتدع بعد سنة ١٨٣٠ عنصرية العبقرية وليس بمقدور احد ان يربط انتصاره بالفشل والموت سوى الملكى المتطرف المقهور . ولا شك ان فلوبير قد اتخذ لذلك موقف التراجع المنتظم ، فهذا الطالب قد منع على ذاته ان تتحقق ظنا منه انه قد تعرف عليها بنفسه وقد الصق احدى فضائل النبالة لنفسه وهى الكرم . هذا فى الوقت الذى كان يعتبر تلك الفضيلة منالخيال، فقد قال وكرر آنذاك ان الانسان يتصرف فى زهو وانانية ، بل لقد رأى هو نفسه بعد ذلك انه ليس أمامه اى سبب فى الحياة سوى الاعجاب بذاته . حقا لقد قال عن نفسه فى ذلك الوقت انه شاعر، غير انه لم يستطع اللحاق بتلك الوجدانيات السلبية الكبرىحيث « يغرق فيها » ، ولا اللحاق بالسيكلوجية التحليلية التى لقنه والده تعاليمها . أما ما هو ليس خيالا ، فاكتشافه لطبقته من خلال **فينيبى** أى اكتشاف تلك النفعية الدنيئة التى كان والده **اشيل — كليوفاس** يحمله على اعتبارها الطابع الشامل للجنس البشرى والتى يرى فيها الآن سمة خاصة بالبرجوازى . ومع ذلك فلا

---

(٢٢) العلماء والفلاسفة والاخصائيون من كافة المدارس الفكرية الذين اشتركوا فى كتابة الانسكلوبيديا الفرنسية فى القرن الثامن عشر (١٧٣١ — ١٧٧٢) ومنهم فولتير وموتسيكيو وروسو باشراف ديدرو ودالمبير ٥ (الطليعة)

(٢٣) شخصية فى مسرحية شاترتون • صاحب مصنع وثرى يعامل عماله وكذلك زوجته بطريقة سيئة — يتسم بالانانية الفظة وبالعدالة القانونية الشكلية • (الطليعة)

ينقطع فلوبية فى ذات الوقت عن مطالبـة تلك البرجوازية — حالة كونها تظهرلهعلى انهاوسطه العـائلى — **بالاعتراف به وبدمجه فيها** ، بحيث انه فى الوقت الذى يحكم عليها حكما مبرما يشعر واعيا بانتمائه اليها . وليس هـذا الانتماء حادثا بسيطا جـاء نتيجة حكم المولد ، فهو حق يطالب فلوبير باستعماله . وكان بمقدوره وهو عضوعاد من عائلة بورجوازية ان ينفصم ولو فى الخيال عن طبقته ويقول أنا لم أطلب ان اولد وارفض العادات التى تفرض على . ولكنه ان اراد ان يصل الى المعالى .. تعويضا عن انتصارات أشيل الظالمة. بيد هؤلاء الذين فرضوا عليه ابتداء مرتبة سفلى فى السلم الاجتماعى فليس امامه سوى ان يكون شريكا لهم وهو بذلك يجعل من نفسه بورجوازيا لحظة بعد اخرى بدفعة من كل شخصه .

ويتضح من ذلك ان جوستاف أصبح فى موقف حرج فليس أمامه سوى احتماليين ، فهو امايولى **فينيى** ثقته ولا مناص لحماسه حينئذ ان يسـاء فهمه اذ ان شاترتون المزيف برجوازى فى حقيقته، وعندما يحكم فلوبير على الوسط الذى يعيش فيه انما يحكم على نفسه ايضا . فالمشاعر النبيلـة موجودة والدليل عليها شاترتون ودليلها ايضـا الشـاعر فى « **موت الذئب** »(٢٤) الا ان هـذه المشاعر محظوره على البرجوازى الشاب فلوبير بفعل مولده ونتيجةلتناوله الامور تناولا جوهريا. واما ان الولد فلوبير لا يطالب بطله سوى انيكون حلما وهروبا مريحـا ومؤقتا فى اللاواقعى . وفى هذه الحالة ينقطع الطبيب — الفيلسوف المستقر فى جوستاف — منالتأكيد على الانانيةالعامة واذا زال النبلاء والبرجوازيون معـا فلا مفر من ان ينهار فجأة العرش الدى كان الطفل يستوى عليه هروبا من الزقاقية ، الامر الذى يعود بالشـاعر الى عالم الوضع الخارجى . هـذا التناقض بين ما هو أعلى وما هو ادنى ، بينالتحليق والسقوط، هذا التناقض الذى تتميز به علاقاته بـ «الفريد» نكتفى به لاسباب مشابهة فى مجالات أخرى . الا ان الامر لا يتعلق هذه المرة بزميل من نفسالطبقة وبمركز اجتماعى يعلو مركزه قليلا اذ ان النبالة باسرها هى التى تلفـه فى طيات معطفه لتلقى به مرة واحده كالبقة بعيدا عنها ولتضحك سـاخرة من سقوطه متدحرجا . ولحظة واحدة وليساكثر من لحظة جوستاف هوشاترتون يحكمخلالها على قيمة البرجوازى ، ثـم لا يفتأ ان يتلاشى فى ذهنه هذا الخيال لانه فىالواقع **لايريد أن يكونشاترتون** طـالبا الى طبقته وحدها ان تضـمد فيه جراح الكبرياء التى اصابته بها ، فالذى يظل محفورا فى قلبه هو هـذا الحكم بالادانة الذى قضى به على الآخرين والذى ينطبق اولا على نفسه . وما هو اخطر من ذلك بقاء هذا الحكم بغير فاعلية ، فليس من بد أن تسير الامور على هذا المنوال لان فشل الارستقراطيين يودى بهـم الى الجمود وعـدم الحركة . ان الامور قد انتهى بها المطـاف حيث اخذت المياه تلتهم النبالة وهى تلقى عبثا فى غرقها نظرة احتقار على « الطبقة الحاكمة » . الا ان عـدم الفاعليه هذه قيدتالبرجوازى الشـاب والصقته بالبرجوازية . لقد وقع فلوبير ضـحية عمل من أعمال السحر ، فلو كان قدر له ان يكون هدفا لعمل واقعى قام به « العامة » ، لو كان قد استشعر خطرا يهدد أمواله وحياته ، او اذا كان عكسا لذلك قدر له ان يشهد أعمال القمع البشعه التى وقعت سنة ١٨٤٨ او سنة ١٨٧١ (٢٥) ربما سنحت الفرصـة له حينئذ ليتحـرر اى ليدرك البرجوازى فى ذاته وخـارج ذاته نتاجا لفلسفته الخاصة به ... ولامكنه تعريف هذا البرجوازى على اسـاس التطبيق العملى الموضوعى وعلى اساس المصـالح العامة والعلاقات الشـامله والحيـه ببروليتارية المدن والريف . لقـد انكر البرجوازى هوجو بأعمالهبرجوازيتهفىالفترة بين سـنة ١٨٤٨ وسـنة ١٨٥١ ، ولا يعنى انكـار البرجوازيه القضاء عليها بل يعنى محاربتها بـلا هوادة فى الذات وعند الآخرين ... يعنى انيأخذ الانسان على اكتافه عمل الطبقة المعادية الهدام وان يجذر هذا العمل — ان حكم الادانة الذىينطق به « الاشخاص الناقصون » يحمل العـلاج فى طياته فهو وان كان يفضح الخصـوصية الا انه يوفر وسيله تحطيمها بالقـدر الذى اتاح لهؤلاء الاشخاص الناقصين المساس بها . لقد كان من سـوء حظ فلوبير ان اكتشف البرجوازية خـلال الحقد الذى يكنه بعض الارستقراطيين تماما كما يكتشف الطفل اليهودى « جنسه » من خلال نظرة عداء المعادين للسامية . وما يلقى **فينيى** التبعـة عليه هو تلك الطبقة الاخرى التى اوجدها الرب والتى تقود العالم الى الهلاك لتحطيمها القيـود التى فرضتها الحكمة الالهية عليهـا . واذا كان الاستغلال ليس الا جريمة من الجرائم فان خطأ التبع من النـاس غير المغتفر هو خروجهم على القوانين الالهية وحلهم محل المتبوعين . وصارت

---

(٢٤) احدى قصائد فينى الهامة كتبها سنة ١٨٣٨ وهى تعبير عن العزم بالبقاء حرا وان ادىهذا الى الانعزال الموحش وتعبير على الارتقاء فى صمت شجاع فوق الاقدار وفوق العذاب بل وفوق الموت . (الطليعة)

(٢٥) فى سنة ١٨٤٨ قمعت البرجوازية الكبيرة — وقد أولت الحكم الى نابليون الثالث — حركة العمال بزعامة لوى بلانكى . وفى سنة ١٨٧١ قمعت تلك البرجوازية الكبيرة حركة العمال ممثلة فى الكومون (الطليعة)

الارستقراطية ابتداء من **بولانفلييه** حتى **جوبينو** (٢٦) تخترع عنصريتها فاعتقد فلوبير ضحية وشريكا لهذه المؤامرة ان **طبقته هي نوع** .

فماذا يعني كل هذا القلق؟ وكيف يتفاعل فلوبير ؟ يقتضي الامر بنا ان ننقب مرة أخرى ليتضح الطريق أمامنا بالنسبة لحياة فلوبير من اليفاعة حتى الموت . وسوف نتناول بعد ذلك السنوات الحرجة من ١٨٣٨ الى ١٨٤٤ التي تحمل في طاقتها كافة سمات هذا المصير الاساسية . لن تكون البرجوازية أبدا موضوعا لجوستاف لانه بداخلها وهو الشخص العارف بها . ولن تكون ايضا مادة — على الرغم من انها كانت آنذاك مادة التاريخ — لان فلوبير يتشبث بمشاهدتها من الخارج محتفظا حتى النهاية على تأكيده العنيد في قوله : انا الفنان ، أنا الناسك ، اي اناشارترون ومع ذلك فلا يستطيع على الاطلاق خداع نفسه بشكل كامل ، ويتساقط من وقت لآخر اعترافا منه قال : «انا لست الا برجوازيا اعيش معتزلا في الريف مهتما بالادب (٢٧) او هذا القول الاخر : « انني اضيق احيانا من البرجوازي الذل احسه في نفسي (٢٨) ويظل فلوبير واعيا كل الوعي بالمعركة التي لا مخرج منها بين الايدولوجية العالمية للارستقراطية وبين ليبرالية طبقته ، ويقول في هذا السبيل : « هناك مجموعة من المسائل تزعجني على السواء أيا كانت طريقة تناولها (مما لاشك فيه انه يجب تناول الافكار من وسطها وليس من أطرافها) ذلك انني على السواء أهتاج غيظا مُن فولتير والمغناطيسية ونابليون والثورة الكاثوليكية، قيل عنهم سوءا وحسنا (٢٩) » .

ان فلوبير لهذا السبب بالذات لا يملك وسائل معرفة « النوع » البرجوازي لان شخصية الفنان فيه عندما يتسلل اليها تجعله يتمتع بوثبة واهمة الى الوراء ، فان نظرة الارستقراطي السامة تكشف له طبقته موضوعا لسواه بغير ان تجعلها موضوعا لنفسه . وفلوبير يحس هذه الطبقة ، فهي صورة هاربة منه ومن نياته الاصيلة معتقدا انه قد لمحها على وجوه اقاربه وزملائه وهي صورة تظل تهرب منه على الدوام . وبالتالي فليس عند فلوبير اي **خبرة** بالبرجوازية فكل ما حصل عليه لفظا من المعرفة عندما كان شابا في الخامسة عشر كما هو لا اضافة فيه حتى فراش الموت ، وهو امام احد ممثلي النوع يبصر بعينيه بغير ان يرى .

هذا ما يتكشف بوضوح من حدة تصريحاته — اذ يقول عن البرجوازي هازئا انه «ضد .. ضخم» «عظيم» . ويكفي ان يظهر هذا البرجوازي ليغوص فلوبير مندهلا في انخبال وليستغرق في وجوم من الغضب والفرح غير ان هذا الانهزال لا يمت الى « النظرة الجراحية » بصلة ، فالوجوم يعبر عن فكر حائر وعجز وقتي في الفحص . ثم امعانا في التفكير يبدو هذا الاضطراب الذهني مريعا ، اذ كيف لا تزول تلك الدهشة مع هذا التعود الدؤوب وتكرار نفس الانفعالات بانتظام ونفس «الكليشيهات » ؟ ان معرفة الشيء هو تحديده ، فاذا كان البرجوازي « ضد .. ضخم وعظيم » فلانه يضع نفسه بعيدا (او على جانب) اي تحديد ، او بعبارة أخرى لا يمكن معرفته . ويقتضينا اذن ان نعكس معطيات القضية لنقول ان « الضد .. ضخامة » تكمن في فلوبير نفسه . وهو انطباع ذاتي يحدد ابعاد دهشته . وليست تلك الدهشة نتيجة الفحص فهي تعكس على خلاف ذلك عدم المعرفة على الاطلاق وتعكس فقدان البصر تالقا . فعلى فلوبير ان يجعل موضوعه من هذه الشخصية التي ظهرت والتي هي في الواقع كائن حي ، رجل صناعة او طبيب ، رب عائلة ، حسن الوجه اوقبيحه ، شاب او كهل ... الخ وتلك كلها امور تشكل معطيات واقعية الا ان الامور كلها تضطرب حين يعزم جوستاف على ادراك تلك الشخصية على حقيقتها الخاصة كبرجوازي اي اذا اراد ان يربط مواقفها وسلوكها الى النوع الذي يشترك معها فيه لان التحديد يتفكك عندئذ ، فالموضوع يتحول الى شبه موضوع على القدر الذي تصبح فيه الذات عند فلوبير — مشارا اليها في مشاركتها الموضوعية بسلوك الشخص الذي تدركه — ليس سوى شبه شخص . ولايمكن بالتالي ربط **هذا** التصرف بالفكرة **المسبقة** التي صورها عن نفسه ، اذ يبرز على التو تناقضان اساسيان يفتتان تفكيره تماما .

(٢٦) كاتب فرنسي ١٨١٨ — ١٨٨٢ مؤلف كتاب « بحث في عدم المساواة الاجناس البشرية » وقد تأثر بنظرياته منظرى العنصرية الالمانية

(٢٧) رسالة الى ماكسيم دى كان في اوائل سنة ١٨٥٢ — الجزء الثاني ص ٤٥٢ — لاشك ان فلوبير وقد غاظه الاهتمام الطاغي الذي كان يبديه ماكسيم له — لم يقبل بشكل كامل كل مايقدمه هذا الاخير من وصف . ثم يصف نفسه مقدما بـ البرجوازي ليتفادى ردا لاذعا من دى كان الذي قال له « لست في حقيقة الامر سوى برجوازي الخ » وكان فلوبير مقتنع ان جدارته قد ارتفعت به فوق المستويات ، كما تدل تلك الرسالة على ذلك بل وأكثر منها الرسالة السابقة عليها .. وأيا كان الامر فهو يتعرف على ملامحه في الصورة التي رسمها عنه ماكسيم ويتحملها حانقا اذ هو هذه الصورة اولا وقد لايكون غير هذا .

(٢٨) رسالته الى جورج صاند — ٥ — صفحة ٢٢٨ .

(٢٩) رسالة الى لويز في ٣١ مارس سنة ١٨٥٣ — مراسلات — ٣ — صفحة ١٥٤ .



القضية اليمنية هى موضوع هذا المقال الذى بحاول اضاءة كل جوانبها منذ الثورة حتى الحلف الاسلامى .

وحتى تسهل المهمة . فانه لابد من ان نعود مع الحوادث رجعة دراسة لكل ظروف اليمن ابتداء من التخلف الذى فرضه بيت حميد الدين قسرا على اليمن وكان له فى ذلك خطتــه .

أضــواء عــلى القضيــة اليمنيــة من الثــورة .. حتى الحلف الإســلامى



مــكرم محــمد أحمــد

من خــلال الابقــاء على التخلف بكل صوره أفلح البيت الحميدى فى ان يطبق سيطرته على اليمن وان يسد عن شعبه كل طاقات النور الممكنة. بل لقد كان للامامة خطتها الخاصة فى ذلك .

الخطة الحميدية للتخلف

أبرز معالم هذه الخطة الرفض الكامل لكل ما يمكن ان يرفع من مستوى اليمن الحياتى تحت ستار سياسة العزلة خوفا من الاجبى .. وفى ظل هذا (الخراب) لم تكسب الحضارة اليمنية شيئا على الاطلاق ابعد مما خلفه البرك هناك قلاع وحصون على قمم الجبال وسجون بالحجارة عند مداخــل المدائن . وبضــع كتاتيب فى المدن الــكبرى .. ماتت المخا مينــاء اليمن العريقة . واصبحت ارض العربية السعيدة موات بور بينما يقول التاريخ انها علمت العالم خططا عبقرية فى الرى وغرق العلماء فى الملل والنحل وهم الذين ابتكروا الجبر والرياضيات واصبح الشعب لايلوك ســوى القات وهو الذى نقل الى الدنيا مزايا القهوة .

ابرز معالم هذه الخطة الحميدية ايضا الابقاء على اليمن اوصالا منعزلة متقطعة بفعل عدم وجود ما يربط بينها . كان الامام يستشعر الخطر الدائم من وجود طريق يحقق الاتصال بين الناس . ولم يكن فى اليمن كلها حتى تاريخ الثورة سوى طريق واحد هو الطريق الذى شيدته الصين ليربط ما بين الحديدة وصنعاء . ولقد كان الامام يقاوم فكرته

دائما . بل انه عاش العامين الاخيرين من عمره نادما على انه قد اصبح فى اليمن طريق مرصوف واحد .

من معالم هذه الخطة ثالثا ان البيت الحميدى كان يحكم اليمن بنوع من توازن القوى يتحقق لصالحه على حساب الوحدة الوطنية (اولا) فى الشمال الجبلى المتروك بلا وسائل تدبر رزقه سوى البندقية — عن طريق اثارة الخلافات بين القبائل وعمليات انحطاط باستباحة ذمار قبيلة لاخرى .. ثم كانت تحكمه ايضا بنوع اخر من التوازن بين اليمن الشمالى — مليون و٢٥٠ الف نسمه — واليمن الجنوبى — ٣ ملايين و٥٠٠ الف نسمه — حتى استطاعت ان تخلق على الارض اليمنية حياتين . حياة السهل الشافعى الذى يزرع وحياة الجبل الزيدى الذى يحكم ويسيطر . كان ظاهر الحكاية طائفى بينما كل الدوافع سياسية .

ان صورة الامامة كما قدم نموذجها بيت حميد الدين بكل ما فيها من بشاعة ومسوخ وغرابة عن العصر قد كشفتها الثورة للعالم كشفا نهائيا بعد ان كان النظام الحميدى قد اغلق كل الابواب على اليمن الى الحد الذى قال فيه مؤرخ مثل فشر فى مطلع ستينيات القرن العشرين .. مازال اليمن اقليما مغلقا لم تعرف طبيعته بعد وحتى طبيعة المناخ هناك لا يسهل البت فيها .

لم يكن بيت حميدالدين قد اعمل الفساد فى الامامة كنظام الا بعد ان اعمل فيها الفساد كفكرة . لم تكن هى الامامة التى انبثقت عن فرقة متحررة من فرق الشيعة . تشترط فى الامام شروطا اربعة عشر تبدأ بالعدل وتنتهى بالفروسية .. كانوا قد افقدوا الفكرة صدق محتواها النظرى بفعل الاحكام التى ادخلها البيت الحميدى .

لقد فجرت الثورة اليمنية ونقشت مأساة اليمن على عهد بيت حميد الدين وفجرت معها تفجيرا نهائيا أعتى صور النظم المتخلفة التى استطاعت ان تسجن التاريخ زمناطويلا فى مغارة . كان النظام الحميدى يتصور أن الابقاء على اليمن سجنا معزولا عن العالم هو الحل الوحيد لاطالة امد نظام كان فى طريق الانهيار بعد ما بلغ فساد محتواه الداخلى وتناقضه مع حركة التاريخ مبلغا يستحيل معه الا ان يسقط .

جذور تنبت فى ارض الثورة

ثمة عوامل ساعدت التاريخ على ان يعبر هوته فى ثورة .

اولها : ان البيت الحميدى عاش طوال حياته مؤرقا من الطريقة التى اقتنص بها الانجليز حدود اليمن مع الجنوب عام ١٩٣٤ على عهد الامام يحيى ابان ازمته مع السعودية . عندما كانت جيوشه تتراجع امام زحف اميرها فيصل من تهامة وسعود من نجران . ورغم المسرحية السخيفه التى كان يعن للامام احمد أن يمارسها مع الانجليز على حدود اليمن الجنوبية فان وجود هذه الحدود كان وجودا وهميا فى عقل الامام وخطط المستعمر .. لذلك لم ينقطع ابدا اتصال اليمن عن الجنوب المحتل ولا عن عدن المستعمرة . وعدن بحكم موقعها الجغرافى وبسبب ظروف تكوينها الحضارية ورغما عن الاستعمار القابع هناك كانت على درجة اهلتها لاستيعاب مضامين الثورة العربية والمشاركة عملا فى تعميقها .

هذا الوجود الوهمى للحدود هو الذى عزز التطور الحضارى الذى كان يجرى رغما عن الامام فى الجنوب الشافعى لليمن . بسبب ظروف الارض الزراعية هناك ولانه طريق الهجرة لالاف اليمنيين الذين يعملون فى الصومال والحبشة وعدن ، بل ان هذا التطور الحضارى الذى كان يقلق الامام هو الذى دفعه الى ان ينقل عاصمة اليمن الفعلية الى تعز ليرقب ما يجرى فى اليمن الاسفل كما كان يسميه .

هذا الوجود الوهمى هو الذى سهل دخول الترانزستور الى اليمن من اسواق عدن ولقد كان انتشار الترانزستور فى اليمن عاملا من اخطر العوامل التى فتحت اذان اليمنيين على كل ما يجرى فى العالم رغم الابواب الموصدة . بل ان راديو ترانستور وحيد نقل خبر الثورة فى صنعاء الى حجة قبل وصول البدر اليها بعد ان ضرب الثوار قصر البشائر كان سببا فى ان اغلقت المدينة ابوابها فى وجهه .

ثانيها : انه خلال الاربعينات من هذا القرن كانت قد تحققت لاول مرة فرص اتصال العسكريين النظاميين فى اليمن بالعالم الخارجى بعد ان ظل الجيش اليمنى طوال حياته تحت اداره بقية من العسكريين العثمانيين الذين آثروا البقاء فى اليمن تحت ظل الامام يحيى عقب خروج حملة الترك . تحققت هذه الفرصة من خلال البعثات النادرة التى خرجت الى معاهد بغداد والقاهرة العسكرية وكان اولها بعثة من ١٠ شبان خرجت الى بغداد عام ١٩٣٨ .. ثم من خلال بعثتين للتدريب جاءت الاولى من بغداد الى اليمن عام ١٩٣٨ وكان من بينها الضابط العراقى جمال جميل الذى اشترك مع الثوار فى ثورة ٤٨ . وجاءت الثانية من القاهرة

عام ١٩٦٠ ثم لم يطلق الامام احمد صبرا عليها فلم تمض هناك طويلا .

وبدون القصد كان الفارق بين اوضاع الجيش اليمنى ومارآه العسكريون اليمنيون فى بعثات التدريب القادمة يدعو بالضرورة الى التساؤل ولانه زمان راح وانتهى فاننى أعيد قول العسكريين اليمنيين دون غضاضة عن واقعهم ... كان واقعا مؤلما ومضحكا فى نفس الوقت . . !

ثالث هذه العوامل ان حجم التناقض بين الامام نفسه ومجموعة العلماء فى اليمن كان كبيرا . خصوصا ان هذه العناصر كانت قد اعلنت عصيانها على الامام يحيى وهاجرت الى عدن خلال عام ١٩٤٤ وقامت بنشاط سياسى هناك تحت اسم الاحرار اليمنيين يستهدف الحد من سلطة الامام . كما انها فضحت كثيرا مما كان يجرى فى اليمن واعلنت ضرورة منح الشعب حقوقه السياسية ورفعت مطلب الدستور ودعت الى الوحدة الوطنية

رابعا : كانت الامامة ايضا قد فقدت قدرا كبيرا من مهارتها فى لعبة توازن القوى بين القبائل .. كانت اللعبة قد فتشتت . وكان البيت الحميدى فى اواخر عهده على خصام مع خولان على حدود اليمن الشرقية وكان الانجليز يزكون هذا الخصام. وكان فى خصام ايضا مع قبائل اليمن الشمالية وكانت السعودية تزكى هذا الخصام . وكان فى خصام مع قبائل الزرانيق فى تهامة .. وكان قد خاصم اخيرا حاشد اقوى قبائل اليمن عندما قتل شيخها الاحمر .

لكل هـذه الاسباب لم تلق قبولا دعوة البدر الهارب من تحت ما تهدم من قصر البشائر ليلة السادس والعشرين من سبتمبر وصراخه على قبائل الاحجور والاهنوم وهو فى الطريق الى حجة وكان قد شق قميصه وخلع نعلاه وصاح على المدائن والقرى يستنهض الناس من اجل الامامة.

لم يكن فى الامكان ان يتكرر ما حدث مرة سابقة خلال عام ١٩٤٨ عقب مقتل الامام يحيى .. عندما هرب احمد حميد الدين الى حجة وجمع القبائل هناك حول قصر سعدان واباح لهم صنعاء العاصمة الكافرة فماتت الثورة بعد ان استقرت شهرا .

الامامة اذن شيء قد حكم عليه التاريخ بالفناء والثورة مستمرة واعلام الجمهورية فوق كل الدور وصنعاء العاصمة تموج كل يوم بالقبائل القادمة من كل مكان تمنح تأييدها للثورة .

نوايا الرجعية والاستعمار

لكن الاوضاع فى اقصى الشمال من الجزيرة وفى اقصى الجنوب منها لا تستطيع قبول ثورة فى اليمن

فى الشمال وعلى الرغم من الخلافات الطويلة بين البيت السعودى والبيت الحميدى وعلى الرغم من ان حربا قد اشتعلت على الحدود بينهما خلال عام ١٩٣٤ فرض البيت السعودى فى نهايتها صلحا مهينا على البيت الحميدى . الا ان احدا لم يكن يتوقع ان تختلف استجابة البيت السعودى لما حدث فى اليمن اخيرا عن استجابة للثورة التى نشبت هناك عام ١٩٤٨ عندما ذهب وفد من الثورة الى السعودية ينشد الامن لثورته من جارة الشمال لكن ابن السعود طردهم من هناك .. اكثر من هذا احتجز وفد الجامعة العربية اثناء هبوطه فى مطار مكه وكانت الثورة قد دعت الجامعة لان تشهد من خلال مندوبيها استقرار الاوضاع فى اليمن .. بالضرورة لابد ان يكون الصراع هذه المرة قاسيا . ذلك ان الرجعية العربية التى كانت تتصور واهمة عقب الانفصال انها قدوجهت ضربة نهائية الى فكرة القومية والوحدة فاذا باللغم ينفجر تحت اقدامها .

كان هناك ايضا موقف الاستعمار فى الجنوب . لقد كان نظام الامامة فى اليمن ووجوده على هذا النحو يشكل خط دفاع اساسى للحفاظ على المصالح البريطانية فى عدن والجنوب المحتل . ذلك لان صورة الواقع اليمنى البشعة على ايام حميد الدين كانت تكفى لان تحول كل القوى الوطنية وجهتها عنه ، ولقد حاول الانجليز ان يعمقوا هذا الخط الدفاعى بكل الوسائل ومن بينها مشروعات اراضى القطن التى اقاموها فى الامارات والسلطنات بهدف ان تظل صورة التخلف البشع الموجودة فى اليمن اسوارا يعيش خارجها العمل الوطنى فى عدن المستعمرة محاصرا لا يجد متنفسا له سوى العمل الاقتصادى من جانب نقابات العمال .. اما الجماهير فحسبها ان الشعارات القومية فى متناول ايديها .. على علب البسكوت واقلام الرصاص واغلفة الكراسات .. ان سقوط نظام الامامة فى اليمن سوف يفتح طريق العمل الثورى امام التيار الوطنى القومى المحتدم والمحاصر فى عدن المستعمرة

ماحدث فى اليمن يؤكد اذن انه لم يعد هناك مكان فى العالم العربى بمعزل عن تيار الثورة .. لابد من اجهاضها اذن

العدوان وخطته

من المؤكد ان اعداد قواعد العدوان على ثورة اليمن بدا على الفور بعد الايام الاولى للثورةوعلى وجه التحديد منذ ان وصل الحسن واولاده الى السعودية قادمين منامريكا وكانت تنتظرهم هناك اخبار فشل البدر فى دخول حجة ـ عندئذ ارسلوا اليه يطلبون منه ان يأخذ الطريق الى جيزان ، ومنذ هذا التاريخ وقواعد العدوان الثلاث على الحدود السعودية نجران وظهران الجنوبوجيزان تشهد نشاطا عسكريا واسع النطاق . حدثنفس الشىء فى امارة بيحان الواقعة على حدود اليمن الشرقية مع الجنوب المحتل .وكانت خطةالعدوان التى تستهدف الثورة ذات محاور ستة يشرف على كل محور منها واحد من افراد بيت حميد الدين . وكان العمل فى هذه المحاور يتم فىوقت واحد بهدف خلق مراكز للعصيان والتمرد على خطوط متصلة تغطى شمال اليمن وشرقه وسهله الساحلى وتهدف جميعا الى صنعاء

كان اخطر هذه المحاور المحور الشرقى الذى يبدأ من مارب الى صرواح الى راس العرقوب الى جيمانة ، وكان يعمل فى هذا المحور عبد الله بن الحسن . ثم المحور الاوسط الذى يقود العملفيه الحسن نفسه ويمضى من نجران الى جبل نهوقة وصعدة ثم محور الجوف الذى يقود العمل فيه محمد بن الحسن والذى كان عليه ان يقود جيش المتمردين من داخل الجوف حتى حران ورايده ثم صنعاء . ثم كان هناك ايضا المحور الذي يبدا من جيزان ويمضى مع سهل تهامه وسلسلة جباله حتى حرضفالحديدة . .وكانت معسكراتالتدريب قد ادت عملها فى نجران . بالقصر كان يجمعون اليمنيون الذين هاجروا من بلادهم الى السعودية وراء لقمة العيش ليلحقوهم بمراكز التدريب . .

على ان مدار الخطة الهام كان فى الحصول على بعض الاعوان الذين يستطيعون تجنيد رجال القبائل بأية وسيلة . بالذهب بالخديعة . بحرب الدجل والخرافات . بصكوك الغفران ووعود فى الجنة بل انهم فى محاولتهم من اجل اثارة القبائل ذهبوا الى حد الاتصال بالشيخ عبد الله الاحمر شيخ قبائل حاشد رغم ان الامام احمد كان قتل ابوه . . ورغم ان عبد الله نفسه كان قد قضىفترة طفولته وجزءا من شبابه فى سجن الرهائن .ضمن اولاد شيوخ القبائل الذين كانيأخذهم الامامرهائن حتى يضمن ولاء الشيوخ

عثروا فى صعدة على العوجرىالذى كانيسكن بقبائله جبل نهوجا المطل على السعودية ولقدوجد العوجرى فى الوقوف الى جوار بيت حميد الدين فرصة يحظى فيها برضىالرجعية وعطائها . عثروا فى الجوف على ناجى بنعلى الغادر وكان قدامضى السنوات الاخيرة من حكم الامامة فى بيحان واستخدمه الانجليز ضد الامام فى احدى مسرحياتها الهزلية علىالحدود عثروا ايضا فى المحورالساحلى على يحيى زكريا وكان يحيى زكريا يملك كلالارض والناس فى مساحة تطول الى ٢٠ كيلو مترا فى وادى تهامة ، وكان جده يحيى زكريا الذى كان يشغل منصب الصدر الاعظم فى بيت الادريسالذى حكم جيزان فترة من الزمان وحارب بيت حميد الدين. باختصارعثروا علىمجموعة منالاقطاعيين الذين عاشوا على تجارة الحرب فى اليمن ابان ازمة حدوده مع السعودية والانجليز .

وبالفعل استطاعت خطة العدوان ان تحقق بعض النجاح . سرعان ما تسللت الاسلحة الى القبائل التى استنهض شيوخها الذهب وريالات مارياتريزا الفضية . وكان معظمها من مدافع البازوكا الصاروخية والمدافع عديمة الارتداد والهاونات المتوسطة والكبيرة والرشاشات السريعة والمتوسطة . .

كل القوى تتكاتف

ولقد بدا هذا التطور واضحا فى المعركة ، ذلك انه فى الاشتباكات الاولية كانت كل الاسلحة الموجودة فى اليمن لا تعدو ان تكون بعضا من بقايا بنادق الحملة التركية على اليمن من بنادق الصابا والبشلى وبعض بنادق الانفيلد التىتسربت من المحميات ثم بقايا من بنادق الجرمان التىجاءت من الحبشة . . ولقد ظهر فى البداية ايضا انهناك عدمتحكم فىالاسلحةالثقيلة نتيجةفقدانالقدرةعلى توجيهها الى حد ان رجالنا كانوا فى دهشة من طيش هذه القذائف ومن اتجاهاتها غير المعقولة فى سماء المعركة غير ان ذلك لم يستمر طويلا . . سرعان ما بدت ظواهر عديدة تؤكد ان نظاميين ومحترفين قد دخلوا الى المعركة . كان هناك حبسا للنيران وقدرة على توجيهها فى الوقتنفسه. ثم تحسنت اجهزتهم الفنية ، وظهر ذلك فى حقول الالغام التى كانت تبدو مرصوصة فى تراكيب حديثة .

ولم يعد سرا بفعل ما انكشف من وثائقالحرب

اليمنية ان الذين دخلوا المعركة مجموعة من المغامرين البريطانيين والفرنسيين والبلجيك .. ومعظمهم من جنود الفرقة الاجنبية الذين سبق لهم ان حاربوا فى الكونجو لحساب شركة المناجم المتحدة فى كاتنجا او حاربوا فى الجزائر لحساب المنظمة السرية للجيش الفرنسى . اكثر من هذا كشفت الوثائق ان الذى نسق خدمة هؤلاء للرجعية مكتب المخابرات البريطانية فى عدن

اشتعلت النار فى صعده وما حولها وامضت المدينة اياما مضنية تحت وطأة الحصار ولقد كان لصعدة بريق فى عين العدو باعتبارها عاصمة الزيدين ، ومن فوق منارات جامعها الكبير تم تنصير اول امام فى اليمن . واشتعلت النيران فوق جبال المحور الشرقى على حدود مأرب ثم امتدت على طول جبال المحور حتى جيمانة عاصمة خولان واعاد البدر العائد من جيزان ضغطه على مدينة حجة يريد أن يدخلها بعد أن اشتعلت النار فى رؤوس جبال وشمة ورازح والمحابشه .

على ان هذا النجاح لم يتجاوز ابدا الشهور الثلاثة التي اعقبت الثورة عندما لم يكن هناك فى اليمن قوات عربية كافية ..

ولقينا ان حشد القوات العربية من اجل عملية اليمن يعتبر عملا عسكريا فائق النجاح . بل ليس هناك ادنى مغالاة اذا قلنا انها اسرع عمليات الحشود التى تمت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . ومنذ اللحظة الاولى كان واجب القوات العربية فى اليمن ينحصر فى اهداف ثلاثة .

اولا : تأمين الثورة اليمنية ومساعدتها على دعم وجودها

ثانيا : الوصول الى ابواب اليمن ومداخله بقصد اغلاقها فى وجه المتسللين بالسلاح والذهب

ثالثا : المساهمة مع الثورة اليمنية فى بناء جيش يمنى

وخلال مدة زمنية لم تتجاوز الشهور الاربعة كان الجنود العرب يقفون عند مداخل الحدود . وصلت القوات فى صعدة الى ما بعد مجز ونشور آخر قريتين على الحدود اليمنية السعودية وسدت كل المنافذ التى كانت تفتح مباشرة على هذه القواعد الثلاث ووصلت قوات الشمال بحركة الالتفاف الرائعة التى تمت داخل الجوف الى مأرب وقطعت من عند العنق طريق الامداد . ووصلت قوات الساحل الى الجهة آخر قرية على حدود تهامه وقطعت طريق الامداد الذى كان يأخذ طريقه الى حرض

ظروف المعركة الصعبة

لقد كان لمعركة الجيش فى اليمن ظروفها الصعبة اول هذه الظروف جاء من استخدام قواتنا فى اليمن لارض ذات طبيعة جبلية وعرة . لقد كانت تدريبات الجيش بحكم الظروف الطبيعية لبلادنا تدريبات على ارض من طبيعة المناطق الصحراوية . . لكن فى اليمن جبالا لا يصل البصر الى مداها وكان على الجنود والضباط ان يعدلوا من تكتيكهما فى الحرب ومن فنها فى القتال لمواجهة تلك الظروف

لقد لاقينا رجالنا هناك فوق قمم يغطيها الجليد ويتراكم تحتها سحابات منخفضة ثقيلة داكنة تنهى النهار فى قرى الجبل قبل اوانه بخمس ساعات ويرتدى الناس من حولهم ملابس من جلد الخاروف ويطول انهمار المطر فى بعض الاحيان الى ثلاثة ايام وتنام النسور فى اعشاش تحت مواطىء اقدامهم فى بلاد المحابشة حيث ترفض الحياة الجبلية كل وسائل الحضارة . حيث لا طريق للرجال واسلحتهم سوى مدقات معوجة ضيقة داخل مزارع القات وحيث لا وسيلة لنقل المؤن والذخائر سوى ظهور البغال

لاقيناهم ايضا عند الهضبة الشرقية فوق جبال السهمان والقهر والسواد والاعروش الجرداء وعلى ظهر راس العرقوب القاحلة وكلها اسماء دلالتها الوحيدة المناعة والقسوة

لاقيناهم فى منطقة ثالثة من اليمن فى ارض الجوف الكثيرة الوهاد القليلة العمران التى لم تطأها من قبل قدم محارب على طول تاريخ الحرب فى اليمن .

ولاقيناهم فى منطقة رابعة حيث حياة رابعة فى اليمن فى سهل تهامه حيث يمتد سهل اليمن العظيم على طول البحر الاحمر بعرض يقرب من ٥٠ كيلومترا وتمتد القرى على طول السهل اكواخا من الاغصان يلوكها الطين ويسكنها يمنيون نصف

عراة . سمر البشرة ويحس الانسان انه فى قطعة من قلب افريقيا

لقد واجه رجالنا هذه الظروف جميعا والى جوارها طبيعة العدو نفسه .. لكن القيادة السياسية للمعركة كانت قد اجابت على السؤال الشاق من هو العدو فى اليمن ؟ بادراك شامل عميق لمعنى الاخوة العربية . لحقيقة الظروف التى يحارب فيها هؤلاء المخدوعين .. بفهم انسانى لمعنى السلاح العربى واستخدامه . لذلك كانت وسائل السلام تسبق دائما طلقات الرصاص ، من هنا برز الدور السياسى الذى قام به الجيش فى اليمن . الجنود فوق الجرارات وعلى الحفارات يدقون الابار وداخل المستشفيات يداوون المرضى وفى فصول المدارس يعلمون النشء الجديد .

ان القيمة الحقيقية للعملية العسكرية فى اليمن لا تكمن فقط فى اثبات القدرة على تحريك قوات بهذا العدد بكامل اسلحتها ومعداتها فوق طبيعة عينية وبوسع العسكريين فقط ان يتصوروا مبلغ تعقيد هذا العمل فى بلد تنعدم فيه المطارات وتنعدم الخرائط الطبوغرافية ويعانى قلة فى الموارد الغذائية ويضطر فى اجواء ومناطق مختلفة فى طبيعتها الى قتال صغير .

ان قيمة العملية العسكرية لا تكمن فقط فى كونها عملية عسكرية واسعة تمت فى ظروف عالية صعبة او فى كونها اول صدام مسلح مع الرجعية التى تصورت بسبب ظروف الجزر الذى اعقب الانفصال انها قادرة على ان توجه ضربة نهائية لفكرة الثورة والتحويل الاجتماعى فاذا بالثورة اليمنية ومساندة الجيش لها تلزمها مواقع الدفاع انها لا تكمن فقط فى النتائج التى حدثت بعدها وكانت ضمن محصلات المد الثورى الجديدة سواء فى العراق او فى سوريا . ان قيمة المعركة بعد ذلك كله فى انها ساندت شعب اليمن على ان يعبر هوة زمان فى انها فتحت عيون الناس فى الجزيرة .

الموقف بعد فشل العدوان

مع بداية صيف عام ١٩٦٣ كانت القضية اليمنية تسلك دربا جديدا .

— لقد اغلقت القوات فوهات الامداد التى كانت تصب ذهب السعودية وسلاحها فى قلب اليمن وساءت الاحوال فى المعسكرات الملكية بفعل صرامة الحصار الذى فرضته القوات على مداخل اليمن وارتفعت اسعار الاذرة فى مناطقهم وشحت طلقات الرصاص وضبطت مكاتيب مذعورة من قيادات المحاور الملكية الى قيادة العملية فى جيزان تشرح سوء الحال وانهيار الموقف . ابرز هذه المكاتيب ما عثر عليه فى اوراق حمود الخاشب عندما اقتحمت القوات مكان قيادته . ابرزها ايضا ما عثر عليه فى وثائق القاضى السياغى احد وزراء الامام الذين لقوا حتفهم فى المعركة . بل اكثر من هذا لقد بدات رسل القبائل التى كان قد اغراها الذهب والسلاح تفد الى اليمن الجمهورى تطلب الوجه والامان والعودة لديارها وترك افراد بيت حميد الدين مواقعهم فى الجروف على حدود اليمن الى جيزان ونجران بعد ان اصبح موقفهم بسبب انقطاع الامدادات بالغ الحروجة .. ذلك ان ما كان يمكن ان يتسرب من داخل شعاب الجبل على ظهور الجمال لا يفى بمتطلبات الموقف العسكرى المنهار .

— فى السعودية كانت عودة الملك سعود المفاجئة من رحلته الى الرياض تؤكد ان صراع الاخوين على العرش الذى استمر ١١ عاما لم ينته بعد وان كان يقترب الان من نهاية حاسمة .

— فى الجنوب المحتل كانت الثورة المسلحة قد اثبتت للعالم انها ليست تمردا قبليا كما اشاع الاستعمار وكانت قد تمكنت من ان تكتل جماهير الشعب سواء فى عدن او فى الامارات المحيطة وراء جبهة التحرير وعملها العسكرى . وكانت قد افلحت ايضا فى أن تدفع أنصار العمل السياسى والعمل النقابى فى ان يعيدوا النظر فى موقفهم من الجبهة ويبداون حوارا من اجل توحيد الحركات الوطنية وكان الثوار قد وصلوا الى السيطرة على الطريق الذى يبدا من عدن الى لحج الى ميناء شقره فى امارة الفضلى حيث يتفرع من هناك الى طريقين . طريق الساحل وطريق الداخل اللذان يصبان معا فى امارة بيحان . نفس الطريق الذى كانت تمضى عليه الامدادات حتى حريب فى الجبهة الشرقية وراء مأرب

كان تيقن الفشل من اى امكانية فى نصر الصراع على العرش السعودى وانهيار الموقف فى المعسكرات الامامية والطور الذى بلغته الثورة فى الجنوب .ضمن مجموعة الدوافع التى فرضت على

الرجعية العربية خلال هذه الفترة قبولها لامكانية البحث عن حل سياسي للمشكلة اليمنية

في القاهرة .كانت زاوية الرؤية مختلفة .كانت الظروف التي تمر بها القضية الفلسطينية تفرض صيغة العمل العربي الموحد . وكانت مواجهة احتمالات الموقف على الحدود الاسرائيلية خصوصا بعد ان تسربت الاخبار عن نشاط مفاعل ديدمونه الذرى في صنع قنبلة اسرائيل الاولى وما يترتب عليها من ضروره اعادة النظر في مهمة السلاح العربي وتوفير جهده لمعركة قادمة.. وكان هناك ايضا نداء يوثانت بان الحرب الاهلية في اليمن يمكن ان تجد حلولا سياسية في المفاوضات المباشرة بين القاهرة وجدة ، وفي كل هذه الظروف اجتمع مؤتمر القمه العربي اجتماعه الاول والثاني خلال عام ١٩٦٤ وصدر اعلان الاسكندرية الذى وقعه الرئيس عبد الناصر والملك فيصل وما تلاه من مباحثات في اركويت بهدف ان تجتمع الاطراف المعنية جمهوريين وملكيين في مؤتمر وطنى من اجل وحدة اليمن يعقد في مدينة حرض .

اضواء على جبهة اليمن الوطنية

انه من المفيد حتى تتضح انعكاسات الطور الجديد للقضية اليمنية على قوى الجبهة الداخلية في اليمن ان نحاول القاء الضوء على ظروف هذه الجبهة ابان صيف ٦٣ وما تلاه

لم تكن الثورة اليمنية قد استطاعت ولم يكن في امكانها ان تزيل بالسحر كل المتناقضات التي كانت تعمل تأثيرها في الجبهة الداخلية لليمن وكثير من هذه المتناقضات كان بسبب تراكمات ظروف قديمة

كان قد ظهر على مسرح العمل السياسي في اليمن جيل جديد اخص ما يميزه الحيرة بين مراكز القوى السياسية الاخرى التي كان ثقلها مستمدا من عصبيتها القبلية او تاريخها السياسي ، بعض منه كان قد عاش طوال حياته في الخارج وجاء محتملا لافكار تلخص الرفض الكامل لكل ماهو قبلي بصرف النظر عن جذور المشكلة .؛ جانب آخر جاء وفي تصوره ان قطاف الثورة دانية وليس عليه سوى ان يمده ..

كان هناك بعد ذلك الزعماء السياسيون الذين عاشوا على ظهر تاريخ اليمن وتمثل تيارهم في الانتفاضات التي سبقت الثورة — كانوا قد طالبوا بحقوق الشعب السياسية وبالدستور وبالحد من سلطة الامام وعاشوا حياتهم سواء في المهجر او في السجن او حتى خلال فترات تصالحهم مع الامامة دلالات هامة للوحدة الوطنية

ثم كانت هناك بعد ذلك فئة جديدة من مشايخ القبائل — ولقد ساهمت الحرب القبلية التي دارت في الشمال في تعزيز نفوذهم . كثير من هؤلاء كانوا قد ربطوا مصيرهم ربطا نهائيا واخيرا بالثورة ومكاسبها . آخرون كانوا يرون في الحرب فرصة الاستفادة .

وكانت قيادة الثورة اليمنية ائتلافا بين هذه القوى ومجموعة العسكريين الذين قاموا بالثورة ودكوا قصر البشائر .

وحول هذه التيارات لا يعدم الامر من وجود بعض التجمعات الصغيرة . تجمع كل المتناقضات — عسيرة على الفهم لا تصبغ نفسها بلون معين وان كانت تصبغ نفسها بكل الالوان . تجمعات طبيعية التكوين في تلك الفترة — الدافع الاكبر لظهورها على هذا النحو انفجار القمقم الحميدى عن مفاهيم حادة لمعنى الحرية والديموقراطية في بلد متخلف بلا امكانيات خارج من حكم طاغوتى .

لقد كان العمل السياسي في احيان كثيرة من جانب هذه القوى خلطا بين متطلبات مرحلة تثبيت الثورة التي لم تنته بعد ومشاكل النزاع على السلطة — هذا الخلط نحسه بوضوح شديد خلال سلسلة المؤتمرات التي عرفت في داخل اليمن باسم مؤتمرات السلام والتي بدات من عمران الى خمر الى الجند . كان الواجب الاول لقوى الثورة الوطنية علماء وعسكريين وشبابا ومشايخ ان تضع بيضها في قفص واحد لان ظروف الثورة لا تكشف طريقا آخر اصلح من هذا الطريق لتثبيت الثورة ، لكن المؤتمرات لوت اعناقها الى الداخل بحثا عن مكان السلطة بينما خطر الانقضاض على الثورة من جانب قوى العدوان الخارجية لا يزال قائما

في مثل هذه الظروف يتوه العمل الوطني خلال اهداف وشعارات متداخلة .. الدستور — الاصلاح من الداخل — دفن السوابق — الجيرة والاخوة — القوة الثالثة .والمحصلة الاخيرة لذلك كله انفجارات في الصف الجمهوري خلال فترة هو في امس الحاجة فيها الى التماسك

وكانت الرجعية والاستعمار على استعداد لان

يغير اسلوبهما فى العمل ليلائم الموقف . كان عليهما ان يجربا العمل من الداخل بعد ان عجزا عن تحقيق اهدافهما من خلال العمل العسكرى على الحدود

ــ لقى القاضى الزبيرى مصرعه فى جبال برط وهو فى زيارة لقبائل بكيل

ــ تفجرت فى شوارع المدن اليمنية بعض الالغام

وكان الهدف من وراء ذلك كله تخريب الجبهة الداخلية واسقاط الفرص امام امكان تلاحمها .

لم يستطع مؤتمر حرض ان يجتمع فى موعده الاول ٢٣ نوفمبر ١٩٦٤ وهو الموعد الذى قررته المباحثات التمهيدية التى جرت فى اركويت بالسودان وحضرها مندوبون عن الجانبين ومراقبون عن المملكة السعودية والجمهورية العربية . ذلك لان وفد الجانب الاخر لم يحضر الى المؤتمر . وكانت معركة الصراع على العرش السعودى قد تم حسمها لصالح فيصل واعلن ملكا على العربية السعودية فى ٢ نوفمبر من نفس العام ..

ومع ذلك كانت القاهرة ما زالت على عهدها . ليس هناك ما يحول دون استنفاد كل فرص السلام الممكنة حقنا للدماء ما دامت مكاسب الثورة بعيدة عن الخطر وتعزيزا لوحدة العمل العربى التى احلت ضرورة مؤتمرات القمة وصهرا للارادة اليمنية حتى تستطيع ان تعزز مكاسبها الثورية بالوحدة الوطنية والعمل السياسى المثمر وكشفا نهائيا واخيرا لمخططات الرجعية والاستعمار ونواياهم

على ابواب حرض

فى ظل هذه الدوافع تم توقيع اتفاقية جدة .
ومع كل الترحيب الذى لقيته اتفاقية جدة فى العالم العربى كان للاتفاقية داخل اليمن صدى ابعد من ذلك .

كان المعنى الاخير فى الاتفاقية . ان المستقبل فى اليمن معلق على جهود القوى الوطنية المخلصة ووحدتها من اجل يمن حديث جمهورى لا يحكمه بيت حميد الدين . وكان على هذه القوى الوطنية ان توحد كيانها وجهدها وان تكتشف حتى فى داخلها كل المعوقات والاتجاهات السلبيه باعتبارها الثغرة التى يمكن ان ينفذ من خلالها عمل الرجعية لتحقيق برامجها خلال فترة البحث عن حل سياسى للمشكلة اليمنية

ذلك لانه على مستوى الشعب اليمنى نفسه وبالرغم من درجة التخلف التى يعانيها فان جماهير الشعب وقبائله كانت ذاقت وعرفت معنى الطغيان الحميدى . معنى ان تقيد فى القرن العشرين كل سيقان الناس بالسلاسل والاذرع والاثقال الحديدية .. حتى الرهائن حتى صغار التلاميذ . اما فى الجنوب فلم تنطلق رصاصة واحدة فى مواجهة الثورة وفشلت كل محاولات الاستعمار البريطانى من اجل ان يفقد الناس هناك ــ ٣ مليون ونصف ــ الثقة فى الثورة ومستقبلها من خلال ضرب المدن اليمنية بالطائرات على الحدود وعمليات التخريب التى كانت تجرى قريبا منها غيظا مما يجرى داخل الجنوب المحتل .

ان حوافز الحفاظ على الثورة اليمنية داخل جماهير الشعب اليمنى وضماناتها فى المستقبل لا تكمن فقط فى بشاعة صورة الطغيان الحميدى السابق ولا فى المنجزات التى حققتها الثورة بمساعدة عدد من دول العالم الذين اثارهم الوضع غير الانسانى الذى خلفته الامامة فى اليمن ولا حتى من مجرد ان هناك غالبية عظمى فى الجنوب يمنحون الجمهورية تأييدهم . بل تكمن ايضا فى رواسب العلاقة التاريخية ما بين الشعب اليمنى والبيت السعودى الحاكم فى اليمن . هذه العلاقة التى تشكل حادثة الحجاج اليمنيين عام ١٩٢٢ بؤرتها السوداء . عندما اعتدى جنود البيت السعودى على الحجاج اليمنيين فى وادى تنومة جنوب الحجاز ــ كانوا ٨ آلاف يمنى غير الفى حضرمى حصدهم البيت السعودى قتلا فى كمين داخل الوادى وهم جميعا عزلا من السلاح ولم ينج من هذه المذبحة التاريخية سوى خمسة اشخاص .

كان الحجاج قد ذهبوا برا من اليمن لتأدية فريضة الحج غير ان ابن السعود قتلهم جميعا ظنا منه انهم فى الطريق الى الشريف حسين وجيشه الحجازى اثناء صراعهما فى الجزيرة .. وحتى هذا التاريخ فان حادثة الحجاج تضع تأثيرها فى العلاقة ما بين الشعب اليمنى والبيت السعودى الحاكم ..

بل ان هذه العلاقة قد عبرت عن نفسها فى تلك المظاهرات الصاخبة التى احاطت بمهمة لجنة السلام فى اليمن — اثر شجار حدث فى صنعاء بين احد اليمنيين واحد جنود قوة السلام السعودية . . لقد اضطرت اللجنة ان تقوم ليلا بتهريب طابور القوات السعودية وعرباتها خارج صنعاء من حول مقر اللجنة لتكون فى حماية القيادة العربية من جماهير اليمنيين الغاضبة .

الطريق الى الوحدة الوطنية

اذن كانت كل المحاولات من اجل التقاء القوى الوطنية ووحدتها فى اليمن عقب اتفاقية جدة تجد ارضا خصبة خصوصا ان الادوار التى لعبتها بعض القوى الداخلية — خلال مرحلة البحث عن حل سلمى لقضية اليمن — كانت قد باتت مكشوفة لابعد مدى بل ان نار المناورة التى حاولوا ادخال القضية اليمنية خلالها كانت قد تمكنت من ان تضع عليهم علامات مميزة بين كل القوى الداخلية عرفوا بعدها بالمنشقين .

واستطرادا فى شرح كل معطيات الموقف فى اليمن وحتى نفهم المسرح السياسى للقضية اليمنية لابد ان نلقى الضوء على هؤلاء الذين عرفوا بالمنشقين

لقد سبق ان اوضحت انه كان من تأثير العملية العسكرية فى اليمن ومن نتائجها الطبيعية ان زادت من قوة شيوخ القبائل وتحت جنح البحث عن حل سياسى للقضية اليمنية وصل بعض من هؤلاء الشيوخ الى الطائف وعقدوا مؤتمرا هناك مع اعوان بيت حميد الدين . . ووقعوا معا اتفاقية الطائف قبل رحلة السلام الى جدة مباشرة وكانوا بذلك اول من وضع فكرة الحل الوسط بين اليمن الجمهورى واليمن الملكى . .

لكل هذه الظروف تغيرت مواقع القوى الوطنية فى اليمن فى الفترة التى يمكن ان نسميها من جدة الى حرض

★ التحمت قوى الجمهوريين الوطنية فى مواجهة الفصل الاخير من المعركة السياسية

★ كان على القوى السياسية الداخلية ان تحدد موقفها بوضوح قاطع وكانت فى البداية ما زالت تتأرجح بين باقى القوى الداخلية وعلى وجه اكثر دقة بين العسكريين وشيوخ القبائل

★ لم تعد كل القوى الداخلية تلوى اعناقها بعيدا عن الخطر الخارجى بحثا عن مكان السلطة كانت القضية الاولى هى الحفاظ على مكاسب الثورة خلال هذه الفترة نفسها كان حسن النية السعودى الذى لازم مهمة لجنة السلام فى اليمن قد تقطعت أنفاسه فجأة على أبواب مؤتمر حرض .

وبينما دخل الوفد الجمهورى متحررا من كل قيد الا من رغبته الاكيدة فى ان يجد مع (الاخوة القادمين) من الشمال حلا يكفل الوحدة الوطنية وان يدرسوا جميعا الامور من زاوية المصلحة العامة للشعب اليمنى والحفاظ على مكاسبه وليس من زاوية مصلحة اسرة او افراد معينين — دخل وفد الجانب الاخر تحدوه الرغبة فى التخريب — حتى مناقشة اللائحة التنظيمية للمؤتمر رفض الدخول فيها

فوجىء الجمهوريون بالموقف كله . لقد كانوا ينامون جميعا تحت سقف معسكر واحد فى حرض فاذا بالسعوديين يشدونهم الى معسكر خارجى بعيدا عن مقر المؤتمر .وكانت المحادثات الجانبية التى دارت فى كواليس المؤتمرين انصار الوفدين قد حققت تقدما بقى ان يطرح نتائجه على مائدة المؤتمر امام الاعضاء المراقبين فاذا بوفد الجانب الاخر يتراجع تحت ضغط زيارات مفاجئة من السعودية

وصل المؤتمر الى طريق مسدود لان الرجعية كانت تريد ذلك . كانت تتصور ان المد الذى حققته يمكن ان يمضى فى صالحها حتى النهاية وان ختام اللعبة يمكن حتى ان يجرى على المكشوف فالنتائج مضمونة .

انكشفت حكاية الاسلحة وحكايات الحلف الاسلامى . . وتبين من خلال المؤامرة الاستعمارية الرجعية على الثورة فى العالم كله ان الرجعية لم تتخل عن شىء من برامجها وهى تجرب الحل السلمى بعد ان فشلت فى الحل العسكرى . بل انها تحت شعار البحث عن الحل السلمى اطلقت لنفسها حرية العمل

لذلك كان على القضية اليمنية ان تعود فورا من الدرب الذى دخلته مع صيف عام ٦٣ .. ولقد كان ذلك هو المضمون الاخير من وراء استراتيجيه النفس الطويل التى اعلنها عبد الناصر

استراتيجية العمل الجديدة

وقبل ان يتم تطبيق خطوط الاستراتيجية الجديدة كان الموقف العسكرى على هذا النحو . القوات العربية تغلق كل حدود اليمن ومداخلها الرئيسية وترابط على محاور اساسية اربعة وكان انتشار القوات على هذا النحو واسعا غطى شمال اليمن من صعدة الى الجوف وشرقه من مأرب حتى جيحانة وساحله من الجهة حتى الحديدة .

تركت القوات العربية الان اغلب مناطق الشمال والمحاور الى مناطق تجمع فيها وكان وراء الخطة الجديدة عدة اهداف لعل اهمها :

اولا : ان لا تظل قوات كثيرة العدد مرابطة على مداخل الطرق انتظارا لكمين متسلل .. فتفقد بذلك قدرا كبيرا من حريتها فى الحركة وطاقتها على المناورة .. بل انه من تجميع هذه القوات يمكن توفير اكثر من قوة ضاربه سريعة الحركة قادره على مواجهة كل الظروف الطارئة تستطيع ملاحقة المتسللين الى داخل قواعد العدوان نفسها داخل نجران وجيزان .

ثانيا : ان تتحدد مسئولية قبائل الشمال ازاء ما يحدث فى زمامها وان تتولى هى بنفسها حراسة الثورة داخل اراضيها وبالفعل لقد نهضت قبائل الشمال بواجبها وافسدت كل محاولات تهريب السلاح الى داخل اراضيها .

ثالثا : ان يتوفر من هذه الاستراتيجية الجديدة خفض لاعداد القوات الموجودة فى اليمن مما يسمح بمواجهة سريعة وحازمة على حدود اسرائيل اذا ما تأزم الموقف .

والمعركة مضمونة النتائج ليس فقط لان التاريخ يسير فى صف القوى التقدمية . بل لان معطيات الموقف الايجابية الان تضمن هذه النتائج

من معطيات الموقف الايجابى انه خلال مرحلة البحث عن حل سياسى للقضية اليمنية تحددت ادوار كل القوى داخل جبهة اليمن الداخلية . كما تحددت ايضا ادوار كل القوى فى الجنوب المحتل .

فرزت الثورة فى الشمال عناصرها الايجابية عن عناصرها السلبية وعزت كثيرون ممن كان يضمهم الحساب خطأ ضمن قوى الثورة من كل الاقنعة

حدث نفس الشىء ايضا فى الجنوب المحتل .. قد حققت المعركة الدائرة مع الاستعمار وحدة لكل القوى الثورية وايمانا بالمعركة المسلحة واذا بالجبهة القومية لتحرير الجنوب المحتل تتسع لتشمل داخلها المؤتمر العمالى فى عدن وطليعته السياسية المتمثلة فى حزب الشعب الاشتراكى .. وعناصر كثيرة كانت تعمل فى الحقل السياسى للمعركة فاذا بها الان فى مقدمة قوى الكفاح المسلح .

لقد فرزت المعركة ايضا هناك عناصرها السلبية واقصى عن قوى الثورة حزب الرابطة الناور بعد ان وضح من المعركة السياسية وشائج انصالة القوية بالرجعية السعودية واقصى عن قوى الثورة ايضا افراد من السلاطين كانوا ايريدون ان يركبوا الموجبة .

ان هذا التحديد الواضح لقوى الثورة فى الشمال او فى الجنوب من شانه ان يقود العمل الثورى عبر طرق واضحة .. حتى لا يضيع فى المتاهات بحثا عن مواقع السلطة بينما خطر العدوان على الثورة لا يزال قائما .. بل ان هذا التحديد يلزم قوى الاستعمار فى الجنوب الان مواقع الدفاع .

من معطيات الموقف الايجابى ايضا العزم الصادق داخل القوى الجمهورية اليمنية على تحقيق وحدتها .. عسكريين وسياسيين وشيوخ قبائل ومثقفين . هذه الوحدة التى يتم تعميقها يوما وراء يوم من خلال العمل على حراسة مكاسب الثورة فى المناطق التى تركتها القوات العربية فى اقصى الشمال .

من معطيات الموقف الايجابى هذا الاحساس من جانب قوى التحرر والثورة فى العالم العربى باهمية توحيد جهودها فى معركة مصيرها .

وان على هذه القوى ان تعمل على تعميق احساس الجماهير العربية بقضاياها القومية ومن بينها قضية اليمن .

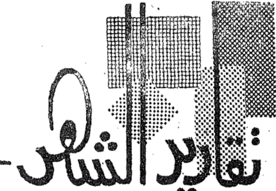
والحس القومى الثورى الذى بلغ ذراه عام ١٩٥٦ وطرح نتائجه فى النهاية ازدهارا للثورة العربية من بداية هذا التاريخ حتى يوم الانفصال كان لابد ان تؤثر فيه سياسة المهادنة والحلول

الوسطى والجماهير التى صدر عنها هذا الحس الثورى هى نفسها جماهير اليوم

ان عودة الثورة العربية عموما وليست القضية اليمنية وحدها الى ما قبل صيف عام ١٩٦٣ سوف يجلو عن الحس القومى للجماهير العربية ما ران عليه خلال فترة المهادنة ..

وكل المقولات تؤكد .. ان الثورة تكسب دائما بمعاركها الهجومية على كل الجبهات ..







من الاصلاح الزراعى .. الى الثورة الزراعية

زيارة فيصل وخطاب حسين .. وقضية فلسطين

موقع الامارة من استراتيجية السويس

وحدة أوغندا = مواجهة الاقطاع والسلبية

٥٠٠ مندوب للسلام فى جنيف

■ الاتحاد الاشتراكى العربى

ثورة حية ... ثورة مستمرة

أكد المناضل عبد الناصر فى خطابه فى دمنهور ، أن زيارته للبحيرة فى الوقت الذى يتم فيه تصفية بقايا الاقطاع ، لم تكن مجرد صدفة . فهذه المحافظة « تقدم لنا نموذجا حيا للقوى التى حاولت استغلالا وظلما أن تغتصب عمل الشعب المصرى وأرضه » فأرضها استصلحت بالسخرة وقسمت ملكيتها بين أفراد الاسرة المالكة والشركات والبنوك الاجنبية .

فقد أستولت شركة البحيرة لوحدها على ١٢٠ الف فدان وتزع بنك «الكريدى فرانسيز» ١٠٠ الف أخرى . وبقيام الثورة انتقلت «السلطة السياسية الى تحالف قوى الشعب العاملة » وصدر قانوني الاصلاح الزراعى الاول والثانى ومع ذلك فالاقطاع «لم يفهم ولم يستجب ولم يرتدع» وحاولت الثورة حل المشاكل سلميا ولكن «اعداء حكم الشعب اذا وجدوا الفرصة فلن يحاولوا أن يحلوا الامور بالطرق السلمية » فقد ظهرت «محاولات لتثبيت أوضاع اقتصادية ظالمة — وظهرت أيضا محاولات للف والدوران من حول السلطة السياسية لقوى الشعب العاملة وظهر تهريب الارض بحيل مبتكرة لمحاولة تخليد الاوضاع الاجتماعية القديمة ، والتى وصفها عبد الناصر فى خطابه بأنها مبنية على الاستغلال والتحكم ، وعلى الطبقية وفيها السادة والعبيد ، وتتمثل فى ملكية الارض ، وفى النفوذ الذى مازالت تتمتع به بعض العائلات رغم تقلص ملكياتها

وأكد قائد الثورة أن «العلاقات الاجتماعية مش بس نتيجة ملكية الارض بل ممكن أن تكون هناك علاقات أجتماعية مبنية على الاستبداد ومبنية على الاستغلال » وطريق التخلص من ذلك هو طريق العمل السياسى والنضال المستمر فى كل قرية وفى كل عزبة وفى كل كفر ، ولذا فان لجنة تصفية الاقطاع لن يقتصر عملها على البحث عن الارض المهربة ، بل ستبحث تكوين الاتحاد الاشتراكى ، وتتحرى وجود السيطرة الاقطاعية فيه أو فى الجمعيات التعاونية أو على جهاز الحكم فى القرية وستبحث كل العلاقات الاجتماعية وتتخذ الاجراءات ضد كافة أنواع السيطرة ، وسيتم ردع المنحرفين «والموضوع ماهواش جريمة وعقاب ، أبدا . العملية فى دلالتها الاجتماعية اوسع من ذلك واعمق ، العملية دلالتها الاجتماعية هى التأكيد الواعى والحازم على ضرورة استمرار الثورة » وفى هذا لاتكفى القوانين بل لابد من « ثورة حية ، ثورة مستمرة » فالاستغلال لايستسلم بسهولة ، فهو يحاول الخداع ، فان فشل ، أستعد للانقضاض . ولهذا «لابد أن يكون العمل السياسى مبنى فعلا على الاشتراكيين الحقيقيين على أصحاب المصلحة فى التغيير » فالرجعية يمكن أن تستخدم صاحب المصلحة فى بناء الاشتراكية ،ضد مصلحته « أما لنقص فى الوعى أو اما للسيطرة نتيجة للعلاقات الاجتماعية». ولذلك ليس أمامنا لتحقيق الكفاية والعدل والقضاء على التخلف سوى القضاء على العلاقات القائمة على الاستغلال والتمييز الطبقى سواء كانت موجودة قبل الثورة أو التى نشأت بعدها

وأوضح عبد الناصر أن مهمتنا لاتقتصر على البناء الداخلى ومقاومة الرجعية المحلية فالخطر يحيط بنا من كل جانب «لانه لا يريد للمنطقة التى نعيش فيها ان تخرج من مناطق النفوذ، ويريد الاستعمار منا آن ندخل داخل مناطق النفوذ الاستعمارى» والطريق أيضا الى مقاومة كل هذا «يبدا من هنا من ارضنا من قوتنا النابعة من قدرتنا على التحرك الاجتماعى الاقتصادى والسياسى ، من النموذج الذى نستطيع ان نقدمه للنضال الشعبى الشامل » ولذا لابد لنا من مواصلة التنمية وتعبئة امكانياتنا «ومن لايتقدم يتأخر»

وأكد عبد الناصر انه ليس أمامنا الا الصناعة ، فلا بديل لها ، لان أمكانيات الزراعة تتخلف يوما بعد يوم أمام الاحتياجات المتزايدة لعدد السكان المتنامى . ويتحقق هذا عن طريق زيادة الادخار والتقليل من الاستهلاك وبالطبع لن يتركنا الاقطاع وسيستغل كل فرصة أو مشكلة . ومن جانب آخر فان «قطاع الرأسمالية بيزيد» واذا أردنا السير «فى طريق الاشتراكية

لازم تجارة الجملة تنتقل للقطاع العام» وذلك خلال السنوات الثلاث القادمة ودون تأميم . وكذلك بالنسبة لقطاع المقاولات الذى لابد أن ينتقل ٨٠٪ منه الى القطاع العام

وربط المناضل عبد الناصر بين الاستغلال على المستوى القومى العربى والاستغلال على المستوى الوطنى فى الداخل كلاهما «يهادن ويخادع حتى يستعد وليتمكن ثم ينقض» فالرجعية العربية لايهمها «الخطر الخارجى — الاستغلال الرجعى العربى أو الرجعية العربية لايهمها غير مصلحتها لايهمها غير الاستغلال» ولذا حاولوا استغلال الدعوة لمؤتمرات القمة فى الخداع حتى يتمكنوا من خدمة الاستعمار بالتعاون مع عصابات الاخوان وغيرهم من القتلة المأجورين .والرجعية كما هى دائما «لا يمكن بأى حال من الاحوال أن تسير مع القوى التقدمية ولو كانت المسيرة نحو فلسطين » لانهم ينظرون الى القوى التقدمية على انها أخطر عليهم من اسرائيل . ولذا لايمكن «بأى حال من الاحوال أن نأمن لهم فى معركة من أجل فلسطين بعد ماالمسناه فى الثلاث سنين اللى فاتوا »

وفى ختام خطابه فضح عبد الناصر محاولات استغلال الاسلام فيما هو براء منه لخداع البسطاء من الناس. وفيما يتعلق بمؤتمرات القمة ووحدة الصف أوضح أننا لن «نمكنهم من خداعنا مرة أخرى زى ماخدعونا طوال السنين الثلاث اللى فاتت» فلا يمكن الاطمئنان ، تحت شعار وحدة الصف ، الى هؤلاء المخادعين ، المتاجرين باسم الدين «وهم ابعد الناس عن الاسلام وأبعد الناس عن الدين فالعملية عملية سياسية الغرض منها أن نوضع داخل مناطق النفوذ » والطريق لافساد كل هذا أن «تستمر الثورة» فى الداخل وعلى المستوى العربى على المستوى الوطنى ، والمستوى القومى .

الجمهورية العربية المتحدة

من الاصلاح الزراعى الى الثورة الزراعية

يؤكد المراقبون السياسيون ان تكوين « اللجنة العليا لتصفية الاقطاع » سوف يسجل فى تاريخ ثورة يوليو باعتباره عملا حاسما من اعمالها البارزة وقسمة من القسمات التى تبرهن على ان الذين يتولون السلطة فى البلاد انما هم ثوار وليسوا بأى حال ساسة محترفين .

ذلك أن المشير عبد الحكيم عامر النائب الاول لرئيس الجمهورية ورئيس اللجنة كان قد حدد ابعاد رد الفعل الثورى بازاء حركة الرجعية فى الريف حين اعلن فى خطابه الذى القاه على الجنود والضباط فى سيناء (٢٥ — ٥ — ٦٦) «ان سر قوة الجمهورية العربية المتحدة انما يكمن فى تقدمها الاجتماعى ». وان الثورة لن تسمح لقوى الرجعية بأن تهدد هذا التقدم .وان نظام الحكم سيظل نظاما ثوريا . وان هذا كله يتطلب من القيادة أن تواجه بقايا الاقطاع والرجعية ، بالاسلوب الثورى لانه الاسلوب الصحيح الذى يضمن دوام الحيوية والتقدم فى البلد»

وأكد المشير عامر على ان القيادة الثورية ستحترم الميثاق كاملا ، وانها ستلتزم جانب العدالة المطلقة لاجانب الانتقام من الاشخاص . وكان فى مقدمة الافكار الهامة التى تضمنها خطابه تأكده على ثقة الثورة فى « وعى الفلاحين الذى بدأيشتد وجوده» وعلى ثقتها ايضا فى أن الفلاحين قادرون على «أن يقفوا ضد الاقطاع مهما كانت اساليبه القذرة» وفى الوقت ذاته اهتم المشير أن يكشف خطابه عن الترابط المريب القائم بين حركة الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية فى الخارج وبين تحركات الرجعية المحلية فى الريف .

ووفقا لهذه الابعاد فان رصاصات الرجعيين والمستغلين التى انطلقت فى أكثر من مكان فى الريف قد بدأت ترتد الى صدورهم لان جميع الاجهزة الشعبية والتنفيذية هبت على الفور،وبتصميم وبدون هوادة لتصد مؤامرات الرجعية ولتدافع عن مصالح الجماهير «التى مازال امامها — كما ذكر المشير — طريق طويل لرفع مستوى المعيشة »

وهكذا كانت مناقشة حادث كمشيش فى مجلس الامة مناسبة تاريخية طالب فيها عدد من النواب باتخاذ اجراءات صارمة ورادعة ضد بقايا الاقطاع ، وضد العناصر الرجعية المتخفية فى الاجهزة الادارية ، كما طالبوا بسد كافة الثغرات الموجودة فى قوانين الاصلاح الزراعى ، كل هذا بهدف تمكين صغار الفلاحين وعمال الزراعة والتراحيل من أن يصبحوا فى الريف شركاء فى السلطة لبقية قوى الشعب العامل . وبالطبع اهتم النواب بأن يربطوا فى كلماتهم بين حركة الرجعية المحلية وبين مؤامرات الاستعمار العالمى والرجعية العربية العميلة .

وهذه الأفكار — ذاتها — قد برزت مرة اخرى بقوة فى بيان رئيس الوزراء كما برزت فى كلمة رئيس مجلس الامة وفى البيان الذى اصدره المجلس بعد انتهاء المناقشة مما يؤكد أن الاستفزازات الدموية التى صدرت من جانب الرجعية قد انقلبت عليها . وان المعركة ضد بقايا الاقطاع قد تفجرت فى ابعادها الحقيقية بربط النضال ضد الرجعية الداخلية بالنضال ضد العدو الخارجى وان هذا النضال يستهدف فى النهاية تسليم الحكم المحلى فى القرية لاصحاب المصلحة الحقيقية فى التغير الاجتماعى .

وبالفعل كشف النهج الثورى الذى سارت عليه « اللجنة العليا »عن حقائق مذهلة ، وعن الحيل الجهنمية التى لجأ اليها المستغلون لاجهاض قوانين الاصلاح الزراعى . فان هؤلاء المستغلين قد هربوا عشرات الالوف من الافدنة ، وتهربوا من دفع الضرائب ، واغتصبوا كثيرا من الاراضى التى تملكها الدولة واقترن هذا كله باساليب دنيئة وغير انسانية فى استغلال الفلاحين الصغار وعمال الزراعة . وعلى سبيل المثال فان لجان الحصر والجرد فى المنيا وجدت عند واحد من المتهربين ٣٤٥٥ عقد ايجار ، و٨٠٠ كمبيالة و٦٤٠ عقد تنازل عن ارض زراعية و٨٤٠ عقد بيع عرفيا وجميعها موقعة على بياض من مزارعين كما ضبطت ٦٠ ورقة بيضاء فى ذيل كل منها توقيع

وكان من المنطقى بعد ذلك أن تقترن هذه العمليات المعادية للثورة بحركة سياسة من جانب المستغلين استهدفت السيطرة على الاجهزة الشعبية والتنفيذية فى القرية لجان الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى والجمعيات التعاونية واجهزة الحكم المحلى ممثلة فى منصب العمودية .

أمام هذه الوقائع تقدمت اللجنة العليا بعدد من الاجراءات الحاسمة كان فى مقدمتها :

- فرض الحراسة على المتهربين من بقايا الاقطاع ومصادرة الاراضى الزائدة عن النصاب القانونى .
- توزيع هذه الارض على صغار الزراع بايجار سبعة امثال الضريبة .
- اتخاذ كافة الاجراءات حتى لاتنخفض انتاجية الارض الموضوعة تحت الحراسة
- ابعاد العناصر الرجعية التى قامت باعمال الارهاب ضد الفلاحين وتحديد اقامتها فى بعض المدن

ثم قررت اللجنة العليا أيضا تطبيق العزل السياسى على موظفى الاصلاح الزراعى والشهر العقارى وباقى الموظفين ورجال الادارة الذين تثبت التحقيقات تعاونهم مع الاقطاعيين فى تهريب الارض او تقديم خدمات غير قانونية لهم .

على أن ضرب المواقع الاقتصادية للمتهربين من بقايا الاقطاع كان لابد وان تستتبعه اجراءات ذات طابع سياسى بارز .وهنا

اتخذت اللجنة العليا فى اجتماعها الذى عقد فى ١١ يونيو عددا من القرارات الهامة فى مقدمتها :

- تشكيل لجنة برياسة السيد على صبرى امين الاتحاد الاشتراكى وعضوية السادة عباس رضوان وعبد المحسن ابو النور ويوسف حافظ تتولى بحث حالات العمد والمشايخ الذين شملتهم اجراءات تصفية الاقطاع أو شملت احد اقاربهم
- تبحث هذه اللجنة ايضا حالات موظفى الدولة والقطاع العام الذين شملتهم اجراءات تصفية الاقطاع .
- حل بعض مجالس القرى والجمعيات التعاونية ولجان الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى التى ثبت سيطرة المتهربين والاسر الاقطاعية عليها .

وفى الوقت ذاته كان من مهام اللجنة أن تناقش الثغرات المختلفة التى استطاع المستغلون من خلالها التحايل لطرد المستأجرين من اراضيهم .

ثم جاء دور السلطة التنفيذية وكانت عند الوعود التى قطعتها على نفسها فتقدمت الى مجلس الامة بمشروعات القوانين التالية :

- تعديل قانون تدابير أمن الدولة بحيث يتضمن نصا جديدا يقضى بجواز تطبيق احكامه على جميع الجرائم التى ترتكب من فئات معينة . واشارت الحكومة فى مذكرتها الايضاحية الى انها تطالب بهذا «خاصة بعد ماتبين فى الفترة الاخيرة من أن الرجعية مازالت تملك من المؤثرات ماقد يغريها بالتصدى للتيار الثورى الجارف ولما بدا من محاولات الانقضاض الرجعى على الثورة الاجتماعية باسلوب القتل والاغتيال ».
- ثم قدمت الحكومة تعديلات هامة فى قانون الاصلاح الزراعى وافق عليها مجلس الامة فى جلسة ٢٠ يونيو . وقد تضمن مشروع التعديل أحكاما جديدة وهامة فى تنظيم ايجار الارض وزراعتها وعلاقة ملاك الارض بالمستأجرين . وكان اخطر ماتضمنه التعديل النص على أن تأجير الارض يكون لمن يتولى زراعتها بنفسه ، ولا يجوز تأجيرها من الباطن او التنازل عن الاجارة للغير أو مشاركته فيها . ومن الواضح أن مثل هذا التعديل يسدد ضربة قوية الى عناصر الراسمالية الطفيلية التى لاتقوم بجهود فى الانتاج وزراعة الارض ومع ذلك تتدخل فى عمليات المضاربة على ايجارات الاراضى وتؤجرها للفلاحين بأكثر من سبعة امثال الضريبة .

ومن هذه الاجراءات يتضح أن القيادة السياسية فى جميع اعمالها الموجهة الى تصفية بقايا الاقطاع والرجعية فى الريف انما تواجه قضية دعم الجبهة الداخلية وذلك ببناء وتثبيت دعائم السلطة الشعبية فى الريف . فى اطار الالتزام بميثاق العمل الوطنى الذى دعا الى نقل السلطة السياسية بالتدريج الى المجالس الشعبية اى الى العمال والفلاحين وكل قوى الشعب العامل .

●

الثورة تواجه نظام العمد

أشارت الصحف مؤخرا الى أنه قد تقرر فصل ٢٣٩ عمدة وشيخا و ٦٥ من شيوخ الخفر فى جميع المحافظات ، وأن هؤلاء جميعا هم من الذين يمتون بصلة القرابة الى العائلات الاقطاعية اوالمعزولين السياسيين

كما ذكرت الصحف ايضا ان لجنة تصفية الاقطاع التى يرأسها المشير عبد الحكيم عامر لاتزال تولى عنايتها لهذا الموضوع بالاشتراك مع لجان الاتحاد الاشتراكى والاجهزة المختلفة وتواصل دراسته على ضوء الحقائق المؤسفة التى كشفت عنها فى الاونة الاخيرة تحركات الرجعية الداخلية فى ربوع الريف المصرى .

والواقع انه ليس غريبا ان يحتل موضوع العمد مكان الصدارة جنبا الى جنب مع القضايا الهامة التى تدرسها لجنة تصفية الاقطاع ، وهى تركز دراساتها على الرواسب والعلاقات الاجتماعية التى خلفتها فى المجتمع سيطرة الاقطاع ورأس المال

ويكفى فى هذا الصدد ان نعود الى الوراء قليلا لنرى ماذا كان يمثل العمدة واركان حربه من مشايخ الخفر والخفر فى القرية المصرية عندما كانت السلطة السياسية فى يد حلف الاقطاعيين والرأسماليين الكبار . لقد كان العمدة هو الممثل الرسمى فى القرية لسلطة الحزب الحاكم . وكان من المألوف والمتكرر أن تتخذ كل وزارة جديدة عقب توليها الحكم قرارات بفصل العمد والمشايخ المنتمية الى الاحزاب الاخرى ثم تنصب بدلا منهم عمدا ومشايخ من اعوانها وانصار حزبها ، وكان انتقال التليفون الحكومى وسلاح الخفراء من منزل العمدة القديم الى منزل العمدة الجديد هو رمز التغيير السياسى فى دائرة النفوذ الحزبى المتحكم فى القرية .

وكان العمدة ـ اذ ذاك ـ لابد وان يكون احد اثنين : فاذا كانت الاسرة الاقطاعية الموالية للحزب الحاكم تقيم فى القرية ففى هذه الحالة يكون العمدة فى الغالب هو أحد افراد هذه الاسرة . أما اذا كان معظم أفراد الاسرة يقيمون فى المدينة فانها تقوم فى هذه الحالة بتمليك احد اتباعها النصاب القانونى اللازم من الارض وتعينه عمدة وذلك بما لها من نفوذ فى دوائر الحكومة . ويستعين العمدة بمشايخ للبلد وبشيخ للخفراء من نفس عائلته او اقاربها او اصهارها وممن يدينون بولائهم له وللاسرة اوالاسر الاقطاعية المالكة للقرية . ثم يتدرج السلم حتى الخفر فيكونون فى العادة من خدم المنازل أو من مزارعيها الفقراء الذين يقضون سحابة يومهم فى مزرعة الاسرة أو فى خدمة دوارها ، وفى المساء يحملون البندقية ليحرسوا منازل الاسرة .

ولما كان العمدة من ابناء القرية ، فهو يعلم عنها كل مايعلمه ابناء القرية وسكانها ، انه يعرف الارض وحدودها واصحابها وتطورات ملكيتها وزراعها . وهو يعرف من الذى يدفع الضرائب لان الصراف انما يباشر اعماله فى منزله وتحت بصره وباشرافه ويعرف العمدة من الذى باع ومن الذى اشترى . بل انه يعرف من هو حى يرزق ومن هو من بين المتوفين صاحب الختم الذى يستخدمه بعض الاقطاعيين فى بصم عقود التهريب . ويعرف العمدة من هو المالك الصورى ومن هو المزارع الاجير المستعبد بالارهاب .

وفى غالبية القرى يكون العمدة أو أحد مشايخه هو المشرف على ادارة أو استغلال اراضى كبار الملاك الذين يعيشون بعيدا عن القرية .

وبهذا النفوذ وبهذه السلطات جميعا تمكن العمدة تحت حكم الاقطاع والرأسمالية الكبيرة من ان يملك رقاب الفلاحين وان يستعبدهم لمصلحة الطبقات المالكة المتميزة .

على أن مثل هذا النفوذ الضخم، بما ينطوى عليه من علاقات اقتصادية واجتماعية قوية ومتشابكة بل ومعقدة اشد التعقيد ـ نقول ان مثل هذا النفوذ لم يكن من السهل ان يقضى عليه تماما وتبتلع جذوره قوانين الاصلاح الزراعى . فالقوانين تصدرها السلطة القائمة لكن تنفيذها لمصلحة الجماهير العريضة من الفلاحين الفقراء المعدمين كان يصطدم ـ فى واقع الامر ـ بسلطة محلية هى سلطة العمدة ـ اى سلطة كبار الملاك ـ هذه السلطة اضطرت الى ان تتخفى بعد الثورة وان تتنكر فى صور شتى وان تتوارى تحت العديد من العلاقات العائلية ومن مظاهر العصبية المعروفة فى الريف المصرى .

لذلك كله لم يكن غريبا أن تضع «لجنة تصفية الاقطاع يدها» على حقائق مذهلة قدمت الصحافة طرفا منها لقرائها . فهذه عائلة من عائلات كبار الملاك المتهمين بتهريب الارض : العمدة من هذه العائلة ، ومن هذه العائلة ايضا نائب العمدة . و ٤ من شيوخ البلد وشيخ الخفراء ووكيل شيخ الخفراء ـ واستطاع احد العمد فى محافظة الشرقية ـ بعد فصله من منصب العمدية . أن ينصب شقيقه عمدة على البلد . وكان هذا

الشقيق أصم بل كان يقيم فى الزقازيق بصفة دائمة أى بعيدا عن مقر العمدية . وهكذا استمر العمدة المفصول يباشر مهام العمودية فعلا !

وفى قرية شباس الملح نجد أن العمدة ونائب العمدة وشيوخ البلد الثلاثة أيضا من نفس العائلة . ونجد أن شيخ الخفراء من مشترى اراضى الاسرة الاقطاعية واحد مؤجريها .ونجد ان وكيل شيخ الخفراء من مستأجرى أرض الاسرة الكبيرة والوكيل الدائم لاحد ملاكها الكبار . وفى البحيرة يتحدثون عن احد مشايخ الخفراء فى الاصلاح الزراعى . فقد ظهر انه يمتلك ٨٧ فدانا. وعليه ديون للاصلاح مقدارها ستة آلاف جنيه ولم يستطع أحد ان يطالبه بها . وجاء فى الصحف ان محكمة كفرالزيات اصدرت حكما بحبس احد العمد سنتين لانه اختلس ١١٥٠٠ر جنيه من مستحقات الفلاحين خلال توليه رئاسة الجمعية التعاونية الزراعية . ومن المعروف أن نفوذ العمد فى داخل الجمعيات التعاونية قوى للغاية ، لانه اذا لم يكن العمدة عضوا بالجمعية فهناك اخوه او ابن عمه او اى فرد من افراد اسرته .

ان هذه الوقائع التى كشفت عنها الصحف ، هى — بلا شك قليل من كثير تحت يد «لجنة تصفية الاقطاع» . لكن مثل هذه الوقائع هى الدليل الذى لاينقض على أن بقايا العلاقات الاجتماعية القديمة تشكل عائقا خطيرا فى سبيل تطبيق القوانين الثورية تطبيقا يتجاوب مع مصالح الغالبية العظمى من الفلاحين الصغار وعمال الزراعة . ذلك أن التحقيقات الاولية قد كشفت ان نظام العمد لايزال يشكل المصدر الاساسى لاستمرار العصبيات العمياء فى القرى .وان نظام العمد انما هو استمرار — بوجه عام — لنفوذ الطبقات المخلوعة والقديمة بكل قيمها البالية وبكل حرصها على التمسك بامتيازاتها واستغلالها للفلاحين .

ولقد بات من الواضح أن لم يعد ممكنا للثورة وهى تواجه التحركات المحمومة لاعدائها فى الخارج والداخل ان تترك هذه المراكز القوية من مراكز السلطة فى ايد تعاون — من الناحية الموضوعية — كل اصلاح زراعى يطبق لمصلحة جماهير الفلاحين الواسعة .

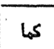
هذه الوقائع تشير الى ان «لجنة تصفية الاقطاع» ستواجه نظام العمد بما يستحقه من عناية . كما ان تعقد هذه المشكلة ، لن يحول بين القيادة الثورية وبين ان تتخذ الحلول الملائمة لتصفية العلاقات المتخلفة فى الريف . ومن الواضح ان «لجنة تصفية الاقطاع» انما تضع فى اعتبارها فعلا — وهى تباشر مهامها — الاعتماد على الطاقات الثورية الكامنة فى صفوف الفلاحين .

ومن الثابت أن نظام العمد لايمكن الغاؤه وتصفية آثاره بين يوم وليلة . ولكن من المؤكد أن البدء بتطهير المنحرفين من العمد والتوسع فى انشاء نقط للبوليس تتولى حفظ الامن ، كل هذا الى جانب الاسترشاد بما قاله الميثاق عن سلطة المجالس الشعبية المنتخبة ،هذا كله سيحد بلوسيصفى — على المدى — هذه المساوىء التى اقترنت تاريخيا بنظام العمد ونمت بل وتفاقمت فى ظله .

●

■ الجمهورية العربية المتحدة

حرب المخدرات والتعبئة الجماهيرية


كانت رصاصة الاقطاعى فى كمشيش اشارة بدء لاجتثاث جذور بقايا الاقطاع من الريف على حد قول المشير عامر، كانت رصاصات بلبيس التى اودت بحياة اربعة من رجال الشرطة ايذانا بحرب لا هوادة فيها ضد المخدرات .

ولاول مرة تربط عملية تهريب والاتجار فى المخدرات فى بلادنا بخطط الصهيونية والاستعمار فقد جاء فى تقرير للواء **عبد العزيز صفوت** خبير مكافحة المخدرات بالجامعة العربية ، أن حرب المخدرات التى تدور على أرض الشرق الاوسط تلعب فيها تركيا واسرائيل الدور الاول .. اذ تأخذ طريقها من تركيا التى تعتبر أكبر منتج للافيون حسب تقارير الامم المتحدة الى اسرائيل حيث تصنع ثم تبدأ عملية التهريب الى الجمهورية العربية المتحدة

كمايزرع الحشيش فلبنان حيثتلعب بعض العناصر الرجعية والنفعية دورا فى تهريبه من اجل المال دون اكتراث بما يصيب الشعوب العربية من اضرار ، الا أن القوى الوطنية اللبنانية تطالب بتحريم زراعته وفرض عقوبات رادعة ضد مروجيه . ويهرب الافيون عبر الحدود الاسرائيلية الى مصر كما أن اسرائيل بدأت فى زراعة المخدرات فى صحراء النقب على نطاق واسع .

ويكفى أن نعلم انه فوق الاضرار الاجتماعية والنفسية والاخلاقية التى تسببها المخدرات فانها تضر ضررا بالغا باقتصادنا القومى بتأثيرها الهدام على **مدمنيها من بين القوى العاملة** المنتجة .كما ان مصدرى المخدرات فى النهاية **يتسلمون ثمن السموم التى صدروها فى شكل عملات صعبة او سبائك ذهبية** .ومن ثم كان المخدرات وسيلة لتخريب الاقتصاد الوطنى .

وقد كشف زكريا محيى الدين رئيس الوزراء فى بيانه بمجلس الامة عن حقيقة مذهلة وهى أن كمية المخدرات التى تهرب الى داخل الجمهورية تبلغ نحو ٧٠ الف كيلوجرام يضبط منها فقط مايقرب من ١٥ ألف كيلو جرام أى بنسبة ٢٠٪ ومما هو جدير بالذكر أن رسل باشا حكمدار بوليس القاهرة أيام الاحتلال البريطانى كان يحدد هذه النسبة بعشرة فى المائة فقط .

ومعنى تهريب ٥٥ الف كيلوجرام الى داخل البلاد من المخدرات أننا « نستهلك » ماقيمته حوالى ١٥ مليون جنيه مخدرات فى العام بسعر التهريب !! وتبلغ جملة ماتنفقه الدولة فى أعمال مكافحة المخدرات والمحاكمة ونفقات اعالة المسجونين الذين يمثلون ٦٩٪ من مسجونى الجمهورية كلها **عشرة ملايين جنيه** حسب احصائيات عام ١٩٦٢ .

وقد قسم رئيس الوزراء فى بيانه المذكور مراحل تجارة المخدرات الى ثلاثة :

المرحلة الاولى : مرحلة الزراعة فى بلاد اخرى .

المرحلة الثانية : هى مرحلة التهريب والتجارة وتقوم على عصابات مسلحة تتمثل فيها ابشع صور الاقطاع الاجرامى وتحاربها أجهزة متعددة منها خفر السواحل ومصلحة الجمارك ومكتب مكافحة المخدرات .

المرحلة الثالثة : وهى مرحلة التعاطى .

وأعلن رئيس الوزراء أنه أمكن الاتفاق مع دولة عربية شقيقة تزرع الحشيش على منع زراعته والمأمول أن تتخذ اجراءات جدية لتنفيذ ذلك الاتفاق وكشف رئيس الوزراء عن ان عددا من السياح اصبحوا طرفا فى المشكلة اذ يهربون المخدرات لقاء نفقات باذخة لسياحتهم فى الجمهورية العربية المتحدة . وطالب رئيس الوزراء **بمجهود شعبى متكامل** للقضاء على آفة تعاطى المخدرات . واتخذت الحكومة عدة اجراءات حازمة مثل اعتقال نحو ١٥٠٠ من تجار المخدرات تمت تصفيتهم الى الف اودعوا معتقلات الطور والوادى الجديد وقنا . وتمت مصادرة ممتلكات كبار التجار والمهربين الذين اتضح انهم يملكون عمارات ومئات الافدنة وأساطيل للسيارات حتى أن جملة المواشى التى صادرتها مراكز الاصلاح الزراعى فى الشرقية مثلا بلغت قيمتها ٣٠ ألف جنيه !

ووافق مجلس الامة على تعديل قانون المخدرات بحيث اصبح ممكنا الحكم بالاعدام على تجار ومهربى المخدرات،واولئك الذين يقاومون سلطات البوليس عند القبض عليهم .

كما وافق المجلس على قانون تدابير الامن الذى يسمح للمحكمة بايداع من سبق الحكم عليه او محاكمته فى قضايا تجارة المخدرات فى أحد معسكرات العمل .

وعلاوة على ماتم اتخاذه من اجراءات للقضاء على تهريب المخدرات وتجارتها ، تقرر تعميم نظام علاج مدمنى المخدرات

فى اقسام متخصصة تلحق بالمستشفيات العامة ، بدلا من الحاقها بمستشفيات الامراض العصبية والعقلية ، الامر الذى كان ينفر كثيرا من الراغبين فى الشفاء ، وبذلك يجد كل من صح عزمه على التخلص من هذا الداء كل الوسائل لمساعدته من جانب الدولة .

ومهما كان من شأن هذه التدابير ومدى جدواها الحقيقى فى القضاء على تجارة وتعاطى المخدرات فان هناك وسيلة أساسية لذلك وهى التى دعا اليها رئيس الوزراء وهى التعبئة الجماهيرية .

وفى تقرير **للدكتور سيد عويس الخبير بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية الجنائية** يقول انه يجب أن نستفيد من تجربة الصين فى القضاء على ذلك «الوباء» اذ جند الحزب والحكومة كل الشبان المتحمسين والاخصائيين فى كل مكان ، ورسم دورا لكل متخصص حسب مجاله : رجل الاعلام له دوره ، ورجل الشرطة ورجل القانون وأعضاء الحزب ومنظمات الشباب .. الخ

وفى خلال ستة شهور اشتعلت الصين كلها حماسا وأدراكا لخطورة المخدرات على صحة ومستقبل وحياة الملايين وعلى كيان النظام الاشتراكى نفسه . والنتيجة أنه امكن القضاء على المخدرات فى الصين — ولكن ليس بالاجراءات البوليسية وحدها .

■ سوريا

تطورات سريعة

لم تتضارب تكهنات المراقبين وتوقعاتهم مثلما تضاربت فى اعقاب الحركة التى قام بها الجيش السورى فى ٢٣ فبراير الماضى لاسقاط **أمين الحافظ** ، وتنحية **البيطار** ، وانزال **عفلق** من قمة القيادة القومية للبعث . وانما ساعد على غموض الموقف حينذاك ما سبق الحركة من تعاقب الانقلابات ، وما ساد الجو من صراعات عقيمة بين الكتل والجماعات الحزبية المتنازعة ، وتمكن عدوى هذه الصراعات من صفوف الجيش ، بحيث ساده الانقسام والتمزق . كذلك كان هناك عدم التجانس الواضح بين جماعات الضباط الذين تحركوا فى ٢٣ فبراير ، الى ما وصفوا بأنهم يمينيون ، وآخرون يساريون ، وغير هؤلاء وأولئك ممن لا تعرف اتجاهاتهم .

لكل ذلك كاد **المراقبون** أن يجمعوا على أن تلك الحركة لم تكن الا حلقة فى سلسلة الانقلابات العقيمة المتعاقبة التى أخذت تترى على القطر الشقيق منذ الانفصال الرجعى عام ١٩٦١ . بل أن كثيرين منهم انهمك فى تكشف خفايا الصراعات الجديدة التى ولدت مع الحكم الجديد ، ليتكهنوا بطبيعة ، بل وموعد الانقلاب التالى !

ويبدو أن قادة الحركة كانوا يعرفون جيدا جو الشكوك والصعوبات التى احاطت بهم ، وتبينوا — من اليوم الاول — أن العمل ، والعمل السريع ، هو وحده الكفيل بتبديد هذا الجو ، وتخفيف التركة المثقلة التى ورثوها من سلسلة الانقلابات السابقة . وهكذا ، قبل أن يتبدد دخان المعارك التى اسقطت النظام السابق فى ٢٣ فبراير ، كانت قد تشكلت الحكومة فى ٢٥ فبراير ، ووقع أختيار قادة الحركة على نور الدين الاتاسى رئيسا للدولة ، ويوسف زعين رئيسا للوزراء ، وابراهيم ماخوس نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية . والثلاثة من الاطباء الشبان الذين كانوا زملاء أيام الدراسة . وزملاء ايام تطوعهم مع ثوار الجزائر ، أطباء عسكريون فى جيش التحرير الوطنى الجزائرى . حقيقة أنهم لم يكونوا من الوجوه المعروفة ذات الاسم والماضى والشعبية الكبيرة . ولعل هذا ايضا كان من العوامل التى دفعتهم الى العمل الحاسم السريع .

ويبدو ايضا أن المراقبين الذين كانوا يرقبون الموقف من الخارج تمكنوا — قبل غيرهم — من أن يكونوا فكرة أقرب الى الحقيقة ، ونعنى بها المراقبين الاجانب ، من غير العرب ، سواء فى الشرق الاشتراكى أو فى الغرب الاستعمارى .

فقد كانت جريدة النيويورك تايمز ، فى ٢١ — ٣ ، وبعد أقل من شهر واحد على الحركة ، هى أول من أشار الى جدية الحكومة الجديدة فى تنفيذ مشروع سد الفرات ، التى وصفته جريدة الاوبزرفر — بحق — بأنه حلم السوريين منذ الاستقلال ، أى منذ عشرين عاما .

كذلك نقلت وكالة انباء الشرق الاوسط من موسكو تحقيقا نشره مراسل جريدة **برافدا** السوفيتية ، يفجينى بريماكوف ، جاء فيه «بعد انقلاب ٢٣ فبراير ، تخلى مؤيدو حزب البعث من الجناح اليسارى لاول مرة عن شعار احتكار البعث للسلطة الذى رفعه عفلق والبيطار والذى ادى الى انعزالهما التام . فقد تشكلت حكومة اشترك فيها بجانب انصار الجناح اليسارى من حزب البعث كقوة رئيسية القادة التقدميون الاخرون» .

ان هذه الخطوة قوت نظام الحكم الجديد فى البلاد ودعمت مركزه فى الخارج كما كتب المراسل يقول : «يسود الاعتقاد فى سوريا بأن ايديولوجية تعتمد على الاشتراكية العملية هى الوسيلة الوحيدة للمحافظة على تقدم البلاد »

ونشرت **الازفستيا** أن نور الدين الاتاسى صرح (فى ٥ مارس) بأن « مهمتنا الاساسية هى تطبيق الاشتراكية على أسس علمية وفقا للظروف المعينة التى توجد فى العالم العربى » .

كما نشرت أن رئيس الوزراء يوسف زعين ، أعلن فى أول مؤتمر صحفى أن « القطاع العام سيكون هو القوة الرائدة فى اقتصاديات البلاد » . بل أن يوسف زعين صرح لمراسل البرافدا فى ٧ مارس ، أى بعد أقل من اسبوعين على الانقلاب بأن « أحد المبادىء الرئيسية للوزارة الجديدة هو التضامن والتحالف مع جميع العناصر التقدمية فى العالم العربى التى تعد الجمهورية العربية المتحدة القوة الرئيسية فيها»

غير أن الغبار الذى أثير فى وجه الحكومة الجديدة كان من جميع الالوان وجميع الاتجاهات :

* من فلول القيادة القومية لحزب البعث ، التى تكتل حولها اليمين فى الحزب .

* ومن كافة فرق اليسار الاخرى القوميين منهم والاشتراكيين بدافع من عناصر التمزق المزمنة فى اليسار السورى .

* ومن بعض الجماعات الدينية ذات الاتجاهات الرجعية الصريحة والتى تعمل فى تضامن واضح مع دعاة الحلف الاسلامى ذلك أنهم ظنوا الوضع ناضج — فى ظروف الهزة التى تصاحب التغيير — لاحداث انقلاب لصالح الاستعمار والرجعية .

وظلت الاوضاع على هذا النحو حتى كان يوم ١٨ أبريل ، وهو يوم الذكرى العشرين لاستقلال سوريا . وفى ذلك التاريخ وصل يوسف زعين ، رئيس الوزراء الى موسكو على رأس وفد يضم ابراهيم ماخوس ، وحافظ أسد ، وزير الدفاع لانهاء المباحثات وتوقيع الاتفاق الخاص بسد الفرات .

وكانت المباحثات التمهيدية قد تمت فى دمشق ، مع وفد سوفييتى زار العاصمة السورية قبل ذلك بحوالى شهر . اذن فقد تبين أن الحكومة الجديدة تعنى أكثر من مجرد الكلام . وفى ذلك التاريخ بالذات ، خرجت مجلة الحرية وجريدة المحرر البيروتية وكلاهما يعبر عن دوائر ذات نفوذ بين القوميين العرب وجانب من القوى الاشتراكية فى المشرق العربى بأخبار عن مؤامرة يدبرها الغرب للاطاحة بالحكم الجديد فى سوريا ، وان اطراف هذه المؤامرة هى : العناصر الرجعية الانفصالية فى سوريا ، جيش الاردن ، المخابرات الامريكية ، وأن الخطة تتلخص فى تدبير استفزاز صهيونى على حدود سوريا ، يعطى فرصة لحركة تمرد فى قوات الجبهة ، يكملها زحف عسكرى من الاردن .

واذن ، فمع اتضاح اتجاه دمشق ، وسيرها الحثيث لتنفيذ

برنامج عملى ايجابى بدأ التآمر الاستعمارى للقضاء على الحكم الجديد قبل أن يستقر كما اتسعت فى ذات الوقت دائرة القوى التقدمية العربية التى أخذت تتعاطف ، ولو بأشكال غير مباشرة، مع الجهود الجادة التى يبذلها الحكم الجديد .

وعاد يوسف زعين الى سوريا عشية اول مايو بعد ان وقع الاتفاق على القرض السوفيتى بتمويل سد الفرات . وقيمته ٦٠٠ مليون ليرة (١٥٠ مليون دولار) . وستتحمل سوريا ٤٠٠ مليون ليرة من جانبها فى المشروع . وسيبدأ العمل فى المشروع فى ربيع العام القادم بعد انتجرى الابحاث والدراسات والاعمال التمهيدية ، وينتهى العمل فيه فى اوائل السبعينات . ويهدف المشروع الى رى ٦٠٠ الف هكتار (حوالى ١ر٥ مليون فدان) وهذا يضاعف الارض المروية ، ويزيد محصول القطن الى ثلاثة امثاله ، وينتج ٨٠٠ الف كيلووات من الكهرباء .

وجدير بالذكر ان المانيا الغربية كانت قد تقدمت بعرضلتمويل هذا المشروع (٣٥٠ مليون مارك) ، ولكن الحكومة السورية صرفت النظر عن ذلك العرض لسببين :

● موقف المانيا الغربية العدوانى من العرب وتسليحها لاسرائيل ، وما اعقب ذلك من قطع عشر دول عربية للعلاقات الدبلوماسية معها .

● ان المانيا الغربية اشترطت حصول شركة كونكورديا الالمانية على امتياز للتنقيب عن البترول فى الاراضى السورية .

كذلك وقع يوسف زعين اتفاقية بعقد قرض مع حكومة بلغاريا — التى زارها بعد الاتحاد السوفييتى — مقداره ١٥ مليون دولار ، للمساهمة فى مشروعات التصنيع الجديدة .

غير أن الغبار عاد يثار من جديد فى وجه الحكومة السورية فى احتفالات عيد العمال فى اول مايو . فبينما ارادت الحكومة أن تكون الاحتفالات مناسبة لكسب مزيد من الشعبية بعد ما اتضح من جديتها ، ارادت القوى المعارضة ان تكون الاحتفالات مناسبة للضغط واستعراض العضلات . ومرة اخرى ظهر تفتت اليسار ، وكادت الجماعات اليمينية المتطرفة ان تملك الفرصة التى تحينها قوى الحلف الاسلامى المتربصة . غير ان اليوم مر بسلام .

ومنذ اوائل مايو نشطت الاتصالات التى يقوم بها المسئولون السوريون مع **الجمهورية العربية المتحدة والجزائر والعراق** . وفى الاسبوع الثالث من شهر مايو قام **نور الدين الاتاسى** بزيارة الجبهة حيث القى خطابا جاء فيه: «اننا نمد اليد صادقين الى كل القوى التقدمية فى العالم العربى ولقد بدانا الاتصال بكافة هذه القوى التقدمية ، وان النتائج الاولية التى حصلنا عليها متشجعة الى حد كبير » .

وفى الاسبوع الرابع من مايو كان وفد سورى برياسةابراهيم ماخوس يزور الجزائر حيث اجرى نائب رئيس الوزراء السورى مباحثات مع الرئيس **هوارى بومدين** وصفت بأنها تهدف الى (التقارب بين سوريا والجزائر والجمهورية العربية المتحدة)

وفى نفس الوقت كان هناك وفد برياسة وكيل وزارةالاقتصاد السورية يزور القاهرة لاجراء مباحثات اقتصادية . وهى المباحثات التى انتهت فى ٨ يونيو ، بتوقيع اتفاقين: احدهما لتنظيم التبادل التجارى والتعاون الاقتصادى والثانى لتنظيم المدفوعات بين البلدين . ونص البيان الختامى للمباحثات على أن المباحثات «دارت فى جو من الصداقة والتفاهم التام يعبر عن الروابط القومية والمصالح المشتركة بين البلدين» وانتهت المباحثات الى اعفاء بعض المنتجات الحيوانية والزراعية المتبادلة بين البلدين من الرسوم الجمركية ، وتخفيض الرسوم الجمركية على حوالى ٦٠ مادة صناعية . وينص الاتفاق كذلك على الاشتراك فى المعارض التى تقام فى كل من البلدين ، وتشجيع السياحة وتسيير الخطوط الجوية للبلدين،وقيامتعاون اقتصادى يهدف الى التكامل الاقتصادى فيما بينهما .. الخ

غير أن الاستعمار لم يكن غافلا . ففى يوم ١٠ مايو اذاعت ا . ش . ا ان الحكومة السورية استدعت سفراء الدول الكبرى ولفتت نظرهم الى الحشود الاسرائيلية على حدودها. كما أن العالم العربى كله كان مشغولا بالحديث عن صفقة الاسلحة الامريكية لاسرائيل .

وفى ٢٥ مايو ١٩٦٦ ، اذاعت وكالة تاس السوفيتية تحذيرا للدول الاستعمارية واسرائيل جاء فيه :

« ان ازدياد خطورة الموقف الواضحة حول سوريا والشرق الادنى تنطوى على أن الدوائر العدوانية فى بعض الدول الاستعمارية وعملاءها بدأوا فى وضوح ينسون دروس الفشل المشين الذى منى به العدوان وينسون هزائمهم فى الشرق الادنى »

« ان الاتحاد من جانبه لن يستطيع بالطبع ولن يظل غير بيال بمحاولات انتهاك السلام فى منطقة تقع فى الجوارالمباشر لحدود الاتحاد السوفييتى »

وبعد انتهاء زيارة الوفد الاقتصادى ، وصل الى القاهرة وفد برئاسة ابراهيم ماخوس نائب رئيس الوزراء ووزيرالخارجية وقد استقبل الوفد الرئيس جمال عبد الناصر ، كما قابل السيد زكريا محيى الدين رئيس الوزراء . وبعد مباحثات مع وفد من ج ع م برئاسة السيد محمود رياض وزير الخارجية صدر بيان مشترك ذو اهمية تاريخية جاء فيه :

● «أكد الجانبان أن تلاحم القوى الثورية ضرورة حتمية لا تمليها ظروف التآمر الاستعمارى الرجعى على الوطن العربى فحسب ، وانما يفرضها ايضا النضال فى سبيل تحقيق اهداف الامة العربية ..

● «وأكدا أن الحلف الاسلامى هو محاولة جديدة فاشلة من جانب الاستعمار والرجعية لوقف المد الثورى العربى . ويؤيد الطرفان نضال الشعب العربى فى اليمن من أجل المحافظة على مكاسبه الثورية .

● «ويعرب الوفد السورى عنتقديره الفائق للجهود والتضحيات التىتبذلها الجمهورية العربية المتحدة فىهذا السبيل

● « عبر الجانبان عن ايمانهما العميق بضرورة توحيد جميع الطاقات فى المعركة الرئيسية الحاسمة بين القوى التقدمية العربية من جهة والاستعمار والرجعية والصهيونية من جهة أخرى ، والعمل على توحيد جهود القوى الثورية الشعبية المناضلة فى الوطن العربى لتصفية الجيوب الاستعمارية والقواعد العسكرية والاحتكارات الاجنبية ..

● «كما يؤكدان انلقاء القوى التقدميةفى الوطن العربى يجب أن يتم من خلال المعركة المصيرية الواحدة التى تخوضها جماهير الشعب العربى ضد التجزئة والتخلف ،ومن أجل بناء الوطن العربى الاشتراكى الموحد . وان النضال الاشتراكى مرتبط بالنضال من أجل الوحدة .

● «يؤكد الجانبانانمعركةتحرير فلسطين هىالقضيةالاولى التى يجب أن تلتقى على ساحتها جميع جماهير الشعبالعربى المناضل فى كافة انحاء الوطن العربى

● سيقوموفد منالجمهورية العربيةالمتحدة بزيارةالجمهورية العربية السورية فى وقت قريب .

وبعد ، فان التضارب الذى أصاب تعليقات المراقبين وتكهناتهم فى أعقابحركة ٢٣فبراير مباشرة بدأ يخلىالسبيلاليوم لمزيد من الوضوح والاستقطاب ، وذلك مع كل يوم يثبت فيه الحكم الجديد فى سوريا جديته ، ويتخذ مزيدا من الخطوات نحو وحدة القوى الثورية التقدمية فى داخل سوريا وفى العالم العربى عامة ونحو مزيد من التعاون مع البلاد الاشتراكية والمتحررة ، ونحو مزيد من الخطوات التى تدعم الاقتصاد القومى فى سورياوتضعه على الطريق الاشتراكى

ولعل الاطباء الثوريين الثلاثة ينجحون فىعلاج ماظنهالمراقبون انه حالة ميئوس منها مثقلة باوزار اكثر من خمسة عشر انقلابا مقيما .

تعليق

من مراكز القوة وعلى طريق التحول الاشتراكى

فى عبارات حاسمة وواضحة طرح المناضل عبد الناصر فى خطاب دمنهور قضية التحديات التى تواجه الثورة كيف السبيل الى مواجهة هذه التحديات؟

لقد قدم الرئيس المنهج ، ثم قدم ايضا البرنامج الذى يضمن تنفيذه استمرار تقدم الثورة على النطاقين المحلى والعربى فيما يتعلق بالمنهج فان خطاب دمنهور قد عبر بكيفية عملية عن اهمية الالتحام واللقاء المباشر بين قيادة الثورة وبين الشعب العامل خصوصا فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الثورة . ومثل هذه اللقاءات هى ركيزة العمل السياسى ، وهى تزود الثوريين بمادة هذا العمل وشعاراته اليومية المتجددة . هنا يوضح الرئيس وفقا للتجربة الحية أن تصفية بقايا الاقطاع وضرب الاستغلال لايتطلب اصدار المزيد من القوانين فى المحل الاول بقدر ما يتطلب من الجماهير صاحبة المصلحة فى التغيير الاجتماعى أن تعى ابعاد المعركة وان تتحرك هى لتدافع عن مكتسبات الثورة .

وفى مثل هذه اللقاءات المباشرة التى تتم بين قيادة الثورة وبين جماهير الشعب العامل يتأكد أكثر فأكثر منهج القيادة السياسية فى مواجهة كل التحديات الخطيرة . ولن يكون هذا المنهج غير اتجاه القيادة الى الاعتماد على الجماهير والحرص على توعيتها .

وعندما يشرح المناضل عبد الناصر الموقف السياسى الراهن بوضوح وصراحة تامة ، فان هذا المنهج يعنى ان تثقيف الجماهير برأى القيادة وشعاراتها انما بتسليح الشعب باليقظة وهو ايضا اساس لدعوة الشعب عن طريق الاقناع الى بذل الجهد المطلوب وتقديم كل انواع التضحيات

أما البرنامج الذى قدمه الرئيس للتغلب على اهم التحديات فيمكن أن يلخص فى النقاط التالية :

● تصفية بقايا الاقطاع فى الريف وضرب كل انواع الاستغلال التى تحاول ان ترث نفوذ الاقطاعيين .

● تأميم تجارة الجملة ، وتمكين القطاع العام من ان يقبض على غالبية اعمال المقاولات .

● حث الجهود من أجل زيادة الانتاج الصناعى والزراعى على اساس أن هذا هو الاساس المادى والصلب للتقدم وللسير بالثورة وطنيا وقوميا .

والواقع ان لهذه الشعارات الرئيسية الثلاثة دلالة خطيرة بالنسبة لدعم مواقع الثورة وتأمين انطلاقها . ولننظر على سبيل المثال كيف شرعت الثورة تنفذ شعار تصفية بقايا الاقطاع . لقد ذكر الرئيس أن ((لجنة تصفية الاقطاع)) التى يرأسها المشير عامر ستقوم بما يلى :

ـ دراسة العلاقات الاجتماعية فى الريف فى كل قرية .

ـ دراسة تكوين الاتحاد الاشتراكى .

ـ دراسة الجمعية التعاونية لتطهيرها

ـ دراسة موضوعات الحكم داخل كل قرية .

من واقع هذه المهام ذاتها ، نرى أن لجنة تصفية الاقطاع ليست مكلفة بمجرد اعمال ((اصلاحية)) هنا او هناك ، وانما تواجه اخطر قضية فى حياة الريف المصرى وهى قضية السلطة وهل تترك فى ايدى اعداء حكم الشعب وغيرهم من المستغلين .

ثم تأتى بعد ذلك النقطة الثانية فى البرنامج .. فاذا كانت الثورة قد شرعت فى تصفية مخلفات الماضى فى الريف تصفية تامة ، فانها فى مجال تجارة الجملة والمقاولات تواجه ظاهرة جديدة هى اتساع قاعدة الرأسمالية بما يتضمنه هذا بالضرورة من نمو فئات اجتماعية تضعها الارباح الخيالية فى عداد الرأسمالية الكبيرة . فالوضع الحالى اذن فى قطاعى تجارة الجملة وقطاع المقاولات الخاص لايتعارض مع الاتجاه الصميم للدولة (وهو تصفية جيوب الرأسمالية الكبيرة فحسب) ولكنه اصبح يهدد بأشد الاضرار القطاع العام وهو الركيزة الاساسية للتحولات الاشتراكية .

لابد اذن من ان تنطلق الثورة فى اتخاذ التدابير المشروعة لحماية القطاع العام

اما النقطة الثالثة فى البرنامج فقد اكد عليها الرئيس مرارا وتكرارا فى اكثر من موضع من خطابه وقد منحها فى الواقع عناية خاصة . لقد اوضح الرئيس ان العمل الوطنى فى الداخل لبناء المصانع وزيادة الرقعة الزراعية ، هذا العمل الذى يعنى أن يكون اعتمادنا على انفسنا فى المحل الاول ، انما هو للضمان الاول والشرط المسبق واللازم ـ لا لحماية المنجزات الثورية فحسب بل للمحافظة على التقدم ، ولحماية الاستقلال ولمواصلة الثورة فى الداخل وعلى النطاق القومى العربى .

ذلك ان العدو (الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية) انما يواجه الجمهورية العربية المتحدة ـ بكل سلاح بهدف تدمير قاعدة التقدم الاجتماعى فيها . وردنا على العدو هو ان نبذل العرق والمزيد من العرق حتى لا نقع باى صورة تحت رحمة هؤلاء الاعداء . من هنا وضح عبد الناصر انه لا وسط بين التقدم والتخلف فاما ان نتقدم دوما واما ان نرتد ونتخلف . طريق التقدم هو طريق دفع عملية الانتاج بكل ما يفرضه هذا من تضحيات . لكن هذه التضحيات ـ بالغة ما بلغت ـ هى بلا شك اخف فى المدى القصير والطويل من تبعات التوقف عن تصنيع البلاد وتطوير الزراعة . ان التوقف يعنى ببساطة ان تغلق المصانع الكثيرة وتتفشى البطالة . انها تعنى فى التطبيق العملى الغاء مجانية التعليم وتدهور الخدمات الاجتماعية .

وعندما تحدث عن قضية النهوض بالانتاج كان يوجه حديثه بالطبع الى الشعب العامل كله . ولكننا نحس ايضا انه كان ينبه الحافز الوطنى فى نفوس قطاعات واسعة من الطبقات المتوسطة (بما فى ذلك المثقفين) . فالواقع ان يوجد فى صفوف هذه الطبقات من يحلم بمجتمع جديد وعدالة اجتماعية تمنحهم كل الامتيازات ولا تطالبهم باية تضحيات . من هنا قال عبد الناصر لهم انه لكى يتعلم ابناؤكم ولكى يجدوا فرص العمل التى التزمت الدولة بتيسيرها لهم ، لابد من ضغط الاستهلاك ومكافحة الاسراف وزيادة نسبة المدخرات .

وبعد فاذا كان المناضل عبد الناصر فى خطاب دمنهور قد ابرز الاخطار والتحديات والمعوقات التى تعترض سبيل الثورة . فقد حرص رغم هذا كله على ان يثبت ايمان الشعب بالنصر فى المعركة وذلك عندما قال ان الثورة انما تتحرك من مراكز القوة . اجل .! وفى مقدمة هذه المراكز وضوح الرؤية الثورية ، وتصميم القادة على بناء الاشتراكية . وفى مقدمتها الاتجاه الى الجماهير الشعبية للالتحام بها والاعتماد عليها عن طريق عمل سياسى عميق ومتصل . وفى مقدمة هذه المراكز الانتصارات العظيمة التى تحققت ، والخبرات التاريخية والكفاحية الثمينة التى توفرت للشعب عبر معاركه الشاقة والمجيدة . ان هذه الخبرات وتلك الانتصارات هى التى جعلت بلادنا تحتل مكانا مرموقا فى معركة التحرير الوطنى والتقدم الاجتماعى ، وهى التى تعبىء حول بلادنا جميع قوى التقدم الاجتماعى فى العالم كله ، وتحفزها على ان تتضامن باختبارها مع بلادنا فى جميع المعارك التى خاضتها بل فى جميع المعارك التى لاتزال على الطريق .

أبو سيف يوسف

■ **فلسطين**

زيارة فيصل وخطاب حسين وقضيـــــية فلســـــطين

فضحت المواقف المتخـاذلة التى اتخـذها ملك السعودية والملك حسين من قضية فلسطين، حقيقة موقفهما من الثورة العربية . وهو ما كشفت عنه الصحافة الغربية ولخصته **الديلى تلجراف** بقولها أن **فيصل** يعـرف أن عدوه هو عبد الناصر وليس اسرائيل وان التهديد الحقيقى لملكه لا يأتى من جانب اسرائيل وانما من جانب الجمهورية العربية المتحدة واكدت ان المحادثات مع الرئيس الامريكى جونسون فى واشنطن دارت حول هذا الموضوع .

وقد سارعت الدوائر الامريكية المسئولة بالدفاع عن الملك فيصل بعد الاهانة التى تلقاها — بصدر رحب ! — فى نيويورك نتيجة انه كان مضطرا مرغما لان يتزل « لعنة جبرية » على اسرائيل خشية أن يحدث له مثلما حدث للرئيس بورقيبة « الذى أصبح منبوذا » فى العالم العربى ، طبقا لما رددته الدوائر الامريكية .

وكشف السيد **احمد الشقيرى** رئيس منظمة تحرير فلسطين، فى اجتماع رؤساء الوحدات العمالية والطلابية الفلسطينية بالقـــاهرة عـــن الاســـباب الحقيقيـــة وراء **الازمة بين المنظمـــة والملك حســـين** . واوضح تركزها حـــول امرين : تنفيذ قرارات مؤتمر القمة العربية ، وتنفيذ خطط القيـــادة العربية الموحدة . واتهم الشقيرى حكومة الاردن بانها اول من طعن مؤتمر القمة وقراراته الخاصة بالمنظمة ، وان الملك حسين هو الذى رفض تنفيذ خطة القيادة العربية الموحدةالتى تقضى بان تدخل القوات السعودية والعراقية الى داخـل الحدود الاردنية . كما اوضح انخطاب الملك حسين فىعجلون، لم يكن مصادفة فى توقيته بل جاء كجزء من حملة امريكية مركزة على القومية العربية وقضية فلســطين . بدأها **هيـوبرت همفرى** نائب الرئيس الامريكى ثم السناتور الصهيونى الامريكى **ليونارد فاربنشتاين ، وماكلوسكى** المتحـدث الرسمى باسم وزارة الخارجية الامريكية .

وفضح الشقيرى محاولة الملك حسين استغلال الاسلام للدعوة للحلف « الاسلامى » الاستعمارى ، وللهجوم على الاشتراكية ، ومحاولة تصفية قضية فلسطين ، بدعوى ان « القضية قد زالت عنها صفتهـا الفلسطينية » . وتحدى الشقيرى الملك ليقوم باجراء استفتاء عام نزيه فى الاردن ، بينه وبين منظمة التحرير ، ليتضـح الجانب الذى يثق فيه الشعب الاردنى .

وقد انتهى الاجتماع باتخاذ عدةقرارات باستنكار تصريحات الملك حسين ، وحملة الارهاب والاعتقال ضـد العنـاصر الوطنية فى الاردن . كما طالب الشعب العربى فى الاردن بتحمل مسئوليته الكاملة فى القضـاء على حكم الانحـراف والخيانة فى عمان ، وطالب الوزراء الفلسطينيين فى حكومة الاردن بالاستقالة تضامنا مع اهـداف شعبهم فى شـجب الخيانة . كما ناشد القوى الثورية العربية ، الوقوف بكل قوة وراء المنظمة وشعب فلسطين .

وكان **المجلس الوطنى الفلسـطينى** فى اجتمـاعات دورته الثالثة ، قد اتخذ عددا من القـرارات الهـامة التى تخص مستقبل العمل التحررى . وقد عالجت اهم هذه القرارات، المشاكل التالية :

● حرية العمل الفلسطينى : اعتبرها المجلس ضرورة لابد منها لخوض معركة التحرير ، وطالب الدول العربية بمنح الفلسطينيين حريتهم فى شئون العمل والسفر والاقامة . كما طالب بالافراج فورا عن المعتقلين الوطنيين منهم ، ووقف اعمال الابعاد والتعسف ضد الفلسطينيين فى كل مكان .

● وعن وحدة العمل الثورى ، اوضح ان توحيد القـوى الثورية ، يشكل الدعامة الشعبية الراسخة لمنظمةالتحرير، ودعا جميع الفئات والتنظيمات الثورية الى الاشتراك الهادف للانصهار فى هذا العمل الموحد ، كما طلب انبثاق القيـادة الجماعية الثورية عن هذا العمل الثورى الموحد .

● وبالنسبة للعمل العربى الموحد ، طالب الدول العربية بان تلتزم بما قررته مؤتمرات القمة ، كحد ادنى للعمل العربى الموحد ، واشار الى ان منظمة التحرير ستظل باقية ، مهمـا كان مصير مؤتمرات القمة ومحلتها .

● وبالنسبة للخلافات العربية اوضح ان منظمة التحرير لا تستطيع ان تعزل نفسها عنها ، اذ يتحتم عليها ان تقف الموقف الذى يمليه هدف التحرير .

● وان الوقت قد حان للانتقال من مرحلة الاستعداد الى مرحلة التهيئة الفعلية النهائية ضمن الاستراتيجية العربية الثورية .

● وضرورة استخدام البترول العربى سلاحا اساسيا من اسلحة المعركة فى جميع مراحلها .

● كما اعلن فيما يتعلق بالسلاح الذرى ، ضرورة خوض الدول العربية للمعركة الاستباقية مع اسرائيل ، لمنعها مـن الحصول عليه ، واشاد المجلس بجهود الجمهورية العـربية المتحدة فى هذا المجال . واعلن استنكاره للحلف الاسلامى ولجميع المؤامرات الاستعمارية فى الوطن العربى .

● وطالب بدعم جميع الجهود لتصفية المحاولات الانفصالية فى بعض البلاد العربية ، واعتبـار منطقـة عربستان ولواء الاسكندرون ، اجزاء مغتصبة من الوطن العربى يجب اعادتها الى حظيرته .

● وحيا المجلس الوطنى ، الصين الشعبية واعرب عن تقديره لسياسة حكومتها التى قدمت جميع المساعدات الصادقة لتمكين الشعب الفلسطينى من الكفاح ضد الاستعمار وقاعدة اسرائيل ، واعرب عن تأييده لنضـال شعب الصـين ضد الاستعمار الامريكى ، وتحرير تايوان وفورموزا من عصابة شيان كاى شيك . وطلب من الحكومات العربية التى لم تعترف بعد بحكومة الصين الشعبية ان تعترف بها فورا .

● كذلك حيا المجلس شعب كوريا الشعبية الديموقراطية، واعرب عن تأييده لنضاله للتخلص من « عصابة الحكم الحالى فى سيول العميلة للاستعمار الامريكى » ، وناشـد الدول العربية التى لم تعترف بحكومة كوريا الشعبية ، الاعتراف بهافورا ، كما حيا سياسة الاتحاد السوفيتى ودول المعسكر الاشتراكى فى منع الهجرة اليهودية الى فلسطين وشكرهما على ذلك ونددت بحملة الصهيونية العالمية ضد الاتحادالسوفيتى



● الملك حسين

● الملك فيصل

وسياسته تجاه اليهود المقيمين فيه . كما اعتبر اللقاء الذى تم بين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى ، ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، استهلالا لجهود اخرى فى هذا السبيل تضمن تحقيق المزيد من التعاون المشترك فى سبيل تحرير فلسطين .

● وندد المجلس الوطنى بسياسة حكومة المانيا الغربية ، وطالب الدول العربية بمقاطعتها اقتصاديا لاستمرارها فى دعم العدوان الاسرائيلى بالمال والسلاح .

● وناشد الحكومة اللبنانية افساح المجال لمنظمة التحرير الفلسطينية لتعبئة ابناء فلسطين المقيمين فى لبنان ، تعبئة عسكرية كاملة ، وناشد الدول العربية الوفاء بالتزاماتها المالية تجاه القيادة العربية الموحدة لتستطيع بدورها الوفاء بالتزاماتها المالية لجيش التحرير الفلسطينى ، ودعا الحكومة الاردنية الى تطبيق قانون التجنيد الاجبارى والتدريب الشعبى، والسماح بانشاء وحدات لجيش التحرير الفلسطينى والاسراع فى تسليح وتدريب وتحصين القرى والخطوط الامامية .

●

■ البحرين

موقع الامارة من استراتيجية شرق السويس

فى اول يونيو ١٩٦٦ ، اذاعت وكالات الانباء ان الشيخ **خليفة بن سلمان آل خليفة** رئيس مالية حكومة الكويت وشقيق الامير عيسى امير الكويت ، وقع فى لندن اتفاقية جديدة تدفع بموجبها الحكومة البريطانية الى حكومة البحرين مبلغ مليون جنيه سنويا كأجر لقواعدها البرية والبحرية والجوية فى البحرين ، كما تدفع مبلغ نصف مليون جنيه سنويا كمساعدة .

وحاول الطرفان أظهار الاتفاق على أنه نصر لحكومة البحرين ولكن الحقيقة هى أن حكومة البحرين كانت تنفق على جهاز المخابرات البريطانى الموجود فيها مبلغا يساوى تماما مجموع المبلغين المتفق عليهما كمساعدة وكأجر للقواعد .

وقد أجمعت الدوائر المسئولة فى الاوساط القومية فى العالم العربى على ان تحمل بريطانيا لنفقات مخابراتها فى منطقة الخليج ، وأظهار الامر كما لو كان مساعدة تقدم للبحرين ، انما أريد به تهدئة الرأى العام الثائر فى الامارة ، وفى غيرها من امارات الخليج ، لما يجرى حاليا من توسيع للقواعد العسكرية الاستعمارية فى البحرين ، وتركيز للحشود والاساطيل الجوية والبحرية الانجليزية والامريكية فيها .

والحق أن البحرين تحتل مكانا خاصا فى استراتيجية شرقى السويس التى أعلنتها حكومة ويلسون قبيل الانتخابات البريطانية الاخيرة ، والتى كانت تهدف من ورائها الى حل المعادلة الاستعمارية الصعبة ، وهى تخفيض النفقات الدفاعية مع المحافظة على المصالح الاقتصادية الامبريالية فيما وراء البحار . وتتلخص الاعتبارات الاستراتيجية الجديدة فى :

● تضاؤل دور الاسلحة التقليدية ، وزيادة الاعتماد على الاسلحة النووية والصواريخ وسلاح الطيران .

● تصفية عدد من القواعد ، وبخاصة القواعد الموجودة فى اماكن تفور بحركات التحرر الوطنى ، مع تركيز قوات ضاربة اقل عددا ، وأكثر قدرة على الحركة ، فى مراكز محدودة بعيدة عن مخاطر الانفجارات الشعبية الكبيرة فى آسيا وأفريقيا .

● التنسيق ، بل الاعتماد والتبعية الكاملة للولايات المتحدة فى تنفيذ الاستراتيجية الجديدة ، سواء فى اقامة القواعد الجديدة أو فى الاعتماد على صناعة الاسلحة الامريكية — دون البريطانية — فى بعض ميادين الطيران والصواريخ .

وكان نصيب شبه الجزيرة العربية من الاستراتيجية الجديدة كما يلى :

● اعلان بريطانيا عزمها على الانسحاب ، عام ١٩٦٨ ، عن قاعدة عدن التى تكلفها ١٦٨ مليون دولار سنويا ، عدا الخسائر العسكرية التى تتزايد مع تعاظم المقاومة المسلحة . واعطاء جنوب اليمن المحتل استقلاله . وغنى عن القول أن ما اضطر بريطانيا الى ذلك كان هو نجاح الثورة اليمنية فى ١٩٦٢ ، ثم انفجار الثورة المسلحة فى الجنوب فى ١٩٦٣ ، كذلك تحاول بريطانيا أن تجعل من الاستقلال الموعود خدعة بتسليم البلاد الى حكومة اتحاد الجنوب ، التى يديرها عدد من عملائها ، والتى تتولى السعودية رعايته لصالح الغرب الاستعمارى . أو على أحسن الفروض لحزب رابطة الجنوب العربى التى تعد اليوم لتقوم بدور البديل اذا تعذر اسناد السلطة الى حكومة الاتحاد .

● تقررت بريطانيا تركيز قواتها فى البحرين وتهيئتها لتصبح المركز الاستراتيجى الاول ونقطة الوصل بين قواعدها الجوية فى ليبيا وقبرص والمحيط الهندى ، كما يمكن أن تكون قوة مهددة لكافة الحركات التحريرية فى المنطقة ، وهى ، بسبب موقعها الجغرافى يمكن أن تكون مركز حماية لكافة مناطق الخليج ، التى تشمل الكويت وقطر وامارات الساحل المتصالح .

وقد تم اتخاذ هذا القرار بعد أن أعلن حكام البحرين استعدادهم الكامل للتعاون مع بريطانيا فى هذا المجال . وكانت حكومة البحرين قد أعلنت تمسكها بالاتفاقات المعقودة بينها وبين بريطانيا ، والتى يحق لبريطانيا بموجبها استخدام أراضى البحرين فى اغراضها العسكرية والدبلوماسية . كذلك اعلنت أنه «اذا كان البريطانيون يريدون نقل قاعدتهم من عدن الى البحرين فانهم سيلاقون أشد عواطف الترحيب !»

وأعقب ذلك تقديم مناطق شاسعة من أراضى البحرين لاقامة قواعد جديدة عليها . وأهم هذه القواعد هى قاعدة الجفر البحرية . وحتى تكون هذه قادرة على الحركة السريعة تم ربطها بكافة امارات الخليج بمطارات وقواعد صغيرة منتشرة فى أمارات أبو ظبى وقطر ورأس الخيمة .

وأهم تطور حدث ، هو أشتراك الولايات المتحدة رسميا فى الاشراف على قسم من القواعد الجديدة فى البحرين ، والاسهام فى احتلالها بالاسلحة والجنود . كذلك تقرر أن تكون القواعد الامريكية مركز أعتماد فى تأمين المصالح البترولية فى المنطقة وبهذا تدخل قاعدة الظهران الموجودة فى السعودية وهى كبرى القواعد الامريكية فى الشرق الاوسط ، تدخل ضمن سياسة التنسيق المتفق عليها بين الطرفين .

أما الجانب السياسى فى المخطط الاستعمارى فيهدف الى اقامة اتحاد بين أمارات ومشيخات الخليج ، شبيه باتحاد الجنوب الحالى ، موضوع أيضا تحت رعاية السعودية .

هكذا يكشف المراقبون العرب حقيقة نوايا الدبلوماسية البريطانية التى تريد ان تضمن وضعا سياسيا يخدم الاستراتيجية الجديدة ، ويحمى المصالح الامريكية البريطانية تحت اشراف حكام يلبسون العباءة والعقال .

غير انه ، نظرا لاهمية البحرين الاقتصادية والاستراتيجية ، تلبس السياسة البريطانية ازاء الامارة وجها آخر تظهر به مع شاه أيران . فبريطانيا ، بعد هزيمتها فى السويس عام ١٩٥٦ وما صاحب ذلك من هبة ثورية فى الامارة ، شجعت ايران على أثارة بعض المطالب الاقليمية ، وعلى رأسها المطالبة بالبحرين . ومنذئذ ، تنفذ حكومة الشاه ، بالتعاون الخبيث مع المخابرات والسلطات البريطانية فى الامارة سياسة بعيدة الامد ، تهدف الى التآمر على عروبة البحرين ، وأنتزاعها من جسم الوطن العربى أن دعت الضرورة الاستعمارية الى ذلك وقد عنيت المنابر الوطنية فى العالم العربى فى الاونة الاخيرة بالكشف عن هذه المؤامرة التى تشبه فى أساليبها مالجأت اليه

الصهيونية فى التآمر على عروبة فلسطين والعمل على انتزاعها من جسم الوطن العربى . وتتلخص المؤامرة على عروبة البحرين فى الاتى :

● زيادة هجرة الايرانيين . وتدل الزيادة غير الطبيعية فى عدد السكان (٢٧ ٪ خلال السنوات الست من ١٩٥٩ ـ ١٩٦٥)على تفاقم هذه الظاهرة . وتحاول السلطات أن تتستر على الهجرة الايرانية بتزييف الاحصاءات الرسمية لتقول أن عدد الايرانيين لايزيد عن ٤ ٪ ، والحقيقة أن غالبية الذين يحملون جوازات من امارات الخليج الاخرى ، هم من الايرانيين . كذلك فان عددا متزايدا من المتسللين الايرانيين يحصلون على الجنسية البحرانية . وتقدير المراقبين أن عدد الايرانيين فى الامارة لايقل عن ربع عدد السكان !

● تدعيم القوة الاقتصادية والنفوذ الادارى للايرانيين فى الامارة ، بتمكينهم من السيطرة على التجارة ، والمراكز الهامة فى البريد والجمارك وبعض الوظائف فى البنوك وشركات البترول . وشراء الايرانيين لاكبر مساحة من العقارات والاراضى .

● بناء تنظيم عسكرى يتولى الدفاع عن الوجود الايرانى ضد اى تحرك عربى داخلى ، ثم الاستعداد لتنفيذ اى مخطط احتلال تضعه ايران . وبعد ١٩٦٤ بصفة خاصة تحتوى دفعات المتسللين على نسبة متزايدة من العسكريين . وكثيرا ماتتعرف سلطات الامن ، التى يشرف عليها الانجليز ، على هويات الايرانيين ، وتعرف أنهم ضباط وصف ضباط ثم تتستر عليهم . كذلك حدث انفجاران كبيران فى ميناء البحرين احدهما عام ١٩٦٢ ، والاخر عام ١٩٦٤ ، ثبت منهما أن شحنات كبيرة من الاسلحة تهرب الى الامارة من ايران ولاتحرك سلطات الامن ساكنا .

وبينما تشجع بريطانيا أحلام السعودية للسيطرة على امارات الخليج ، وتشجع ايران على المضى فى مطالبها الاقليمية فى البحرين وغيرها ، فان الانجليز يقومون بين حكام الرياض وحكام طهران بدور القرد بين القطتين ليفوزوا هم بالغنيمة . غير أن صاحب الحق الشرعى .. الشعب العربى فى البحرين ، وفى الامارات ، وفى العالم العربى كله ، يقف لهم بالمرصاد . فقد اذاع راديو القاهرة فى مساء ١٢ يونيو الماضى بيانا من جبهة **تحرير البحرين** يعلن فيه استنكار الجبهة لعملية بيع البلاد للمستعمرين نظير عدد من الجنيهات ، ويعلن مقاومته لنقل قاعدة عدن الى البحرين ، بما فى ذلك المقاومة المسلحة . كما يندد البيان بالتسلل الايرانى والتآمر على عروبة البحرين . ويدعو شعب البحرين الى النضال من أجل تحرره وعروبته واستخلاص ثرواته من أيدى المستعمرين

●

■ جنوب اليمن المحتل

لجنــة تصفيــة الاستعمار وادانة المخطط البريطــانى

شهدت قضية تحرير جنـــوب اليمن المحتل ، خلال الشهر الماضى ،تطورات هامة حققت للحركة الوطنية مكسبين كبيرين . ويتنبأ المراقبون ان تدخل القضية مرحلة حاسمة من مراحل تطورها خلال الشهور القليلة القادمة .

لقد اصبحت مشكلة تحرير جنوب اليمن المحتل ، مشكلة من المشاكل الدولية الهامة التى بات استمرار بقائها دون اتخاذ اجراء حازم من جانب هيئة الامم المتحـدة والقـوى المحبة للتحرر فى العالم ، يعنى تهديد السلام فى المنطقة . ويقول المعلقون للشئون العربية ان المشكلة قد احدثت فى شهر يونيو الماضى استقطابا واضحا داخل الامم المتحـدة ينبىء باحتمالات خطرة ما لم تسارع انجلترا الى الاستجابة الى قرارات لجنة تصفية الاســـتعمار (٢٢ عضوا) التابعة للمنظمة الدولية والتى عقدت فى القاهرة فى اوائل الشهر الماضى عدة اجتماعات لها ضمن برنامجها فى زيارة عدد مـن العواصم الافريقية .

وكانت لجنة تصفية الاستعمار قد اتخذت باغلبية ١٨ ضد ٢ (امريكا واستراليا) وامتناع ايطاليا والدانمرك ، عددا من القرارات الهامة بشأن جنوب اليمن المحتل تعتبر من اهم قرارات اللجنة فى تاريخ نشاطها . فقد اكدت عدم اعترافها بالاجتماع الذى تتبنى **بريطانيا** عقـده فى **عدن** فى اغسطس القادم بزعم « بحث تنفيذ قرارات الامم المتحدة » . ودعت اللجنة بريطانيا الى « اعلان قبولها صراحة لقرارات الامم المتحدة وبدء خطوات تنفيذها فورا وعدم الاختفاء وراء حكومات المحميات التى لا سلطان لها باعتبارها جهاز غير شرعى يتطلب الموقف الغاءه فورا » . كما دعت اللجنة الى تشكيل بعثة خاصة من الامم المتحدة من اعضاء اللجنة « لاتخاذ الخطوات العملية لتنفيذ قرارات الامم المتحدة وتتولى البعثة الاشراف على اجراء انتخابات عامة حرة » . ومن اهم قرارات اللجنة ، ذلك القرار الذى يقضى بادانة « اى ترتيبات او معاهدات دفاعية تعقدها بريطانيا مع حكومة اتحاد الجنوب العربى » . ومن المعروف ان حكومة المحميات هى التى سبق وطلبت عقد مثل هذه المعاهدة وخاصة فى المباحثات الاخيرة التى اجراها وفدها عندما سافر الى لندن فى مايو الماضى .

لقد اشارت **الصنداى تايمز** البريطانية ، الى ان حكومة **ويلسون** تعمل فى هذه الاونة ـ وقبل ان يحل ١٩٦٨ (عام الاستقلال) على الاحتفاظ ببعثة عسكرية بعد الاستقلال وابقاء عدد من الضباط البريطانيين كمرتزقة فى جيش حكومة الاتحاد . كما تعمل على خلق جهاز دفاعى جوى لحكومــة الاتحـــاد تسلمه لاحدى الشركات البريطانية الخاصة (كما هو الحال فى السعودية) . وتهدف فى النهاية الى ايجاد جهاز دفاعى موحد للسعودية وحكومة اتحاد الجنوب العربى .

ورغم ان القاهرة لم تكن من اعضاء لجنة تصفيـــة الاستعمار ، الا ان **احمد حسن الزيات** وكيل الخارجية العربية حضر اجتماعات اللجنة كمراقب ولعب دورا هاما من اجل تحقيق النتــائج التى وصلت اليهـا اللجنــة كمــا قــدم **عبد القوى مكاوى امين جبهة تحرير جنوب اليمن المحتــل**



● **عبد القوى مكاوى**

تقريرا الى اللجنة فضح فيه المخطط البريطاني واجاب على ٣٦ سؤالا وجهه اليه اعضاء اللجنة . وقدمت **الجامعة العربية** وثيقة اصدرها **معهد الدراسات الاستراتيجية** في لندن بعنوان « مصادر النزاع في الشرق الاوسط » تكشف نوايا بريطانيا ومطامعها وخططها . وجدير بالذكر ان المناضل **جمال عبد الناصر** قد قابل اعضاء اللجنة واعرب لهم عن « اهتمام شعب مصر وتقديره لاعمال اللجنة سواء خلال اجتماعاتها في القاهرة او في الجهود المعنوية التي تقوم بها لتصفية الاستعمار » . واكد الرئيس لاعضاء اللجنة « ان تصفية الاستعمار عمل غير سهل . وان شعوب العالم الحرة تساندكم وتقدر جهودكم » . ومعروف ان بريطانيا قاطعت اللجنة ورفضت السماح لها بدخول عدن والاستماع الى ممثلي الثوار هناك .

ويرى المراقبون ان هذه التطورات قد وضعت بريطانيا في مركز حرج يتعين عليها معه ان تواجه الرأى العام العالمي ككل . كما اخرجت قضية تحرير جنوب اليمن المحتل من اطار « المشكلة المحلية » (وهو ما حرصت بريطانيا ان تبقى عليها حتى الان) ، الى اطار « المشكلة الدولية » التي يتعين ايجاد حل عاجل لها . ويعدون ذلك مكسب هام وتحول خطير في تطورات المشكلة .

ومن جهة اخرى ، قام الوطنيون الذين يشنون كفاحا مسلحا تحت قيادة جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل ، بشن حملة من الاعمال الفدائية اقلقت امن جنود الاحتلال البريطاني . كما قاموا بنسف انابيب بترول عدن مما كبد بريطانيا خسائر فادحة .

وكشفت تطورات الاحداث خلال الفترة الاخيرة ، عن حقيقة حزب رابطة الجنوب العربي وموقفه التخريبي من القضية الوطنية وتعاونه الواضح مع مناورات بريطانيا وتعاونه مع حكام السعودية . ولهذا سارعت كل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية اليمنية باغلاق مكتبي حزب الرابطة في القاهرة وفي تعز . وتعد هذه الخطوة ، كشفا لحقيقة هذا الحزب الذى كان يدعى تمسكه واصراره على تحرير الجنوب المحتل . وبالتالي فان اية محاولة لاستخدام هذا الحزب في المستقبل من جانب بريطانيا — كما يتنبأ بعض المراقبين — سوف تمنى بالفشل .

●

■ نيجيريا

جمهورية موحدة ودستور جديد

لم تكد تمر اربعة أشهر على حكم الجنرال **جونسون ايجوى ايرونسى في نيجيريا** ، كانت الصحافة الغربية تبدى خلالها تعاطفها مع حكومته ، حتى اعلن ايرونسى عن تحول جديد في سياسته الداخلية .

ويلاحظ المراقبون ان الصحافة الغربية لم تعد تبدى تعاطفها السابق ، بل اصبحت تتناول الاوضاع في نيجيريا (٥٦ مليون نسمة) بالنقد المستتر وراء حديثها بالتفصيل عن مشاكل البطالة وارتفاع الاسعار الخ ..

فقد اعلن ايرونسى في اذاعة نيجيريا ان حكومته «ستستمر في الحكم لمدة ثلاث سنوات على الاقل » وكانت حكومة ايرونسى قد اتخذت خلال شهرى ابريل — مايو ، عددا من الاجراءات الهامة يبدو انها لم ترق في نظر الغرب . ففى ابريل اصدرت الحكومة قرارا بتخفيض ايجار المساكن بنسبة ١٠ ٪ الا انها وجدت من ملاك المساكن مقاومة شديدة في تنفيذ قرار التخفيض . وفى ٢٦ مايو الماضى اصدرت الحكومة قرارا بحل جميع الاحزاب السياسية في نيجيريا .. وقد شمل قرار الحل عشرات المنظمات السياسية التي كانت تعمل في البلاد على اساس قبلي . كما ينص القرار على حظر تكوين احزاب جديدة . وقد صرحت مصادر حكومة **ايرونسى** الرسمية انه « سيجرى التحقيق مع السياسيين السابقين في البلاد . وسوف يعامل المذنبين منهم وفقا للقانون . أما الابرياء فسيدعون للمشاركة في اعادة بناء البلاد اذا احسوا بمقدرتهم على الخدمة العامة » .

وفى ٢٨ — ٢٩ — ٣٠ — ٣١ مايو حركت العناصر السياسية القديمة وخاصة في شمال نيجيريا عدة مظاهرات قبلية عنيفة رفعت لافتات تحمل شعارات معادية للحكومة وتدعو الى الانفصال وقد استخدمت الحكومة وحدات من الجيش لاخماد الاضطرابات التي قتل فيها ٣٠٦ وجرح ٦٠٤ ، وقد استمرت هذه الاضطرابات حتى يوم ٦ يونيو الماضى .

وفى آخر مايو الغت حكومة ايرونسى النظام الاتحادى الذى كانت تقوم عليه نيجيريا حيث كانت تنقسم الى اربعة اقاليم تتبع حكومة فيدرالية واحدة وتحكم كل اقليم منها حكومة تتمتع باستقلال شبه ذاتى . واعلن ايرونسى في نفس الوقت « انه لن يشار بعد اليوم الى نيجيريا بكلمة اتحاد وانما ستصبح جمهورية نيجيريا » . كما اعلن ايرونسى عن « خطة اقتصادية للتنمية تستغرق خمس سنوات تبدأ عام ١٩٦٨ » . وصرح ان حكومته « ملتزمة بمهمة اعادة بناء نيجيريا وهى مصممة تماما على انجازها ولن تعوقها اية منظمة عن ذلك . ولن تتخلى عن الحكم قبل تحقيقها » . واضاف ايرونسى «ومن الان فصاعدا لن تذكر اية اشارة الى قبيلة ما أو اصل ما في وثيقة رسمية »

ويعد ايرونسى الان لاعلان دستور جديد للبلاد . وتقول **الايكونوميست** البريطانية ان افراد قبيلة **اليوروبا** في الغرب مترددين في قبول وحدة جمهورية نيجيريا . وأن أفراد قبيلة الفولانى (من اصل الهوسا) في الشمال يخشون ان تؤدى وحدة نيجيريا الى تولى افراد من قبيلة **الايبو** المناصب الرئيسية في جهاز الدولة الجديد باعتبارهم اكثر القبائل في اوغندا ثقافة وتعليما . **أما افراد قبيلة الايبو انفسهم** ، لا يبدو ارضاهم التام على ايرونسى لانهم لم يسيطروا على السلطة كما كان متصورا لهم عندما ايرونسى (من الايبو) الحكم في يناير الماضى .

وكانت **الشائعات قد ترددت فجأة** — دون أن يعرف مصدرها — في اثناء الاضطرابات وصدور قرار حل الاحزاب وقيام جمهورية نيجيريا الموحدة ، بأن ايرونسى قد مات . ولكنه تحدث بنفسه في اذاعة نيجيريا تكذيبا لهذه الشائعات .

●

■ اوغندا

وحدة اوغندا = مواجهة الاقطاع والقبلية

من المنتظر ان تشهد **اوغندا** بعض التغيرات الاقتصادية والسياسية الهامة . فقد صرح **ميلتون اوبوتى** رئيس الجمهورية لمراسل **الاوبزرفر** البريطانية « انني مقتنع تماما ان شيئا لن يعود الى الوراء في اوغندا ، وانه اذا لم نتخذ اجراءات حاسمة فسوف تسوء الاحوال . ان هيبة الدولة المركزية يجب الا يتحداها احد » . كما

شرح لمندوبى وكالات الانباء « يجب ان نؤكد وحدة اوغندا وندعمها » . وهذا مايفسر به المراقبون السياسيون تطور الاحداث الاخيرة فى اوغندا فى اوائل الشهر الماضى .

فقد تحركت قوات عسكرية تابعة لحكومة اوغندا تجاه تلال منجو فى **كمبالا** (العاصمة) ثم عبرت بحيرة فيكتوريا الى القصر ذى القباب الفضية الذى كان **فردريك موتيسا** كاباكا **بوجندا** يتخذه مقرا له . ومعروف ان بوجندا (٢ مليون نسمة) اكبر اقاليم اوغندا (٧ مليون نسمة) واغناها . وتتكون اوغندا من اقاليم اربعة هى : **بوجندا ، بورنيورو ، تورو ، انكول** واشتبكت القوات الحكومية مع ٢٠٠ جندى من حرس قصر الكاباكا الذين ابدوا مقاومة شديدة ، الا انها أخمدت واستولى على القصر . وتقول آخر الانباء ان الكاباكا قد هرب الى بوروندى ويعترف المراقبون ان صحة احتمالات الهروب تعنى امكانية تنظيم مقاومة ضد اوبوتى .

ويجمع المراقبون على ان اوبوتى قد بدأ بالفعل المعركة فى مواجهة الاقطاع الذى كان يمثله الكاباكا ورجال حزبه **(كاباكا يكا أى الكاباكا وحده)** ، ومواجهة الانقسامات القبلية بين قبيلتى **البانتو والنيلوتيك** اكبر قبيلتين فى اوغندا . ويتوقف نجاح اوبوتى فى هذه المعركة على ان تنجز حكومته بقيادة حزب مؤتمر شعب اوغندا الخطة الخمسية للتنمية (تنتهى ١٩٧١) التى تهدف الى مضاعفة الدخل القومى وتبلغ قيمة استثماراتها ٢٣٥ مليون جنيه . كما تهدف حكومة اوغندا الى الحد من سيطرة الاقليات الاسيوية والاوربية على التجارة الداخلية والخارجية وتسعى حكومة اوبوتى الى تصنيع البلاد لتحد من الطابع الزراعى لاقتصادها القومى . (تمثل الزراعة ٦٧٪ من الدخل القومى . وتبلغ نسبة المحاصيل الزراعية ٩٠٪ من الصادرات) .

ويبدى المراقبون تفاؤلهم فى ان تتخطى حكومة اوغندا والحزب المعركة ضد الاقطاع والقبلية . ويستشهدون بما حدث فى ابريل الماضى اذ وافقت غالبية الشعب — بما فيهم مثقفى اقليم بوجندا — على الدستور الذى وضعته الحكومة . ومن العوامل المساعدة على نجاح الحكومة والحزب ، ان الكاباكا ورجال حزبه لا يتمتعون بنفوذ جماهيرى يخشى منه

لقد تحركت قوات الحكومة بعد ان تلقى اوبوتى — كما تقول **النيوزويك** الامريكية — تقارير رسمية تفيد ان الكاباكا قام خلال الاشهر الاخيرة بتسليح رجاله تمهيدا للاشتباك مع الحكومة . وما ان طلب الكاباكا من الحكومة نقل مقرها من كمبالا بزعم انها تقع فى اقليم بوجندا الذى يسيطر عليه ، حتى أسرع اوبوتى بأعلان الطوارىء فى اواخر مايو واصدر اوامره بأن تتقدم قواته نحو قصر الكاباكا .

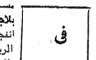
وتمتد جذور المعركة بين اوبوتى وبين الكاباكا الى تاريخ الاستقلال فى اكتوبر ١٩٦٣ عندما طالب الكاباكا بتشكيل حكومة ائتلافية من حزبه وحزب اوبوتى **(مؤتمر شعب اوغندا)** . وبدلا من ان يساند حزب الكاباكا برنامج حكومة اوبوتى الذى يدعو الى انتهاج سياسة عدم الانحياز فى المجال الخارجى ومعالجة الانقسامات القبلية فى الداخل والحد من نفوذ الاقطاع وبناء اقتصاد وطنى مستقل ، أصبح الكاباكا وحزبه يمثلان عقبة كاداء امام تنفيذ برنامج الحكومة . وكان كذلك أحد الاسباب الهامة التى دعت اوبوتى ان يعلن فى اغسطس ١٩٦٤ تطبيق نظام الحزب الواحد فى البلاد . فبدأ الصراع بين الكاباكا والحكومة . وتفجرت الازمة بشكل خطير فى فبراير ١٩٦٦ عندما كان اوبوتى يقوم برحلة سياسية فى شمال اوغندا . اذ تقدم رجال الكاباكا فى البرلمان باقتراح لسحب الثقة من حكومة اوبوتى بعد ان وجهوا اليه مع عدد من وزرائه تهمة **اختلاس مبلغ ٧٠٠ الف دولار زعموا انه قيمة ذهب هربه** الوطنيون الكونجوليون الى اوغندا .

لقد كان واضحا ان حملة الهجوم ضد اوبوتى جزءا من الاحداث التى شهدتها القارة الافريقية فى نوفمبر — مارس الماضيين حيث قامت انقلابات خمسة فى غرب افريقيا **(داهومى** ثم فى **جمهورية وسط افريقيا** ثم فى **فولتا العليا** ثم فى **نيجيريا** ثم فى **غانا**) ولهذا اسرع اوبوتى بايقاف العمل بالدستور وقدم دستورا جديدا وتولى سلطات رئيس الجمهورية بعد ان عزل الكاباكا .

●

■ سان دومنجو

واشنطن تكسب الجولة



مساء نفس اليوم ، الذى اعلن فيه فوز **بلاجوير** رئيسا لجمهورية الدومينيكان ، انفجرت مظاهرات صاخبة حاصرت قصر الرياسة تطالب بطرد القوات الامريكية من البلاد ، وتنادى بسقوط الرجل الذى لم يمض على فوزه سوى بضع ساعات .

وبذلك صدقت نبوءة **رافاييل بونلى** ، مرشح أقصى اليمين للرياسة عندما قال «ان انتخابات اول يونيو لن تجلب السلام الذى يرغب الجميع فيه ، بل ستؤدى الى ازمات قومية مروعة» وكل الدلائل تشير الى ان انتخاب بلاجوير سيكون فاتحة عهد من الاضطرابات التى قد تفوق فى دمويتها ما تعرضت له البلاد فى الفترة الماضية ، فقبيل أجراء الانتخابات صرح الكولونيل **كامانو** قائد ثورة ابريل ١٩٦٥ ، والذى يعمل حاليا ملحقا عسكريا بسفارة بلاده فى لندن ، صرح بأنه سواء جرت الانتخابات أو لم تجر ، وسواء فاز جوان بوش أو لم يفز فانه سيرجع الى بلاده فى بحر شهر وهو يستعد لذلك فعلا

والانتخابات التى تمت فى اليوم الاول من يونيو ، كان قد تحدد موعدها ، عندما تولى الرئيس المؤقت ، **هكتور جارسيا** جودوى رياسة الجمهورية فى سبتمبر من العام الماضى ، عقب الثورة التى عمت البلاد أثر تدخل القوات الامريكية فى البلاد للاطاحة بحكومة كامانو الدستورية الشرعية . ودارت الانتخابات بين ثلاثة مرشحين :

■ **بلاجوير** ، ويؤيده الحزب الديمقراطى المسيحى والحزب التقدمى الديمقراطى المسيحى ، والحزب الليبرالى المتطور . ويعد بلاجوير المرشح الرسمى للولايات المتحدة الذى راهنت عليه بكل قوتها وتاريخ الرجل ملىء بالمواقف التى يصعب الدفاع عنها ، اذ أنه عمل وزيرا فى حكومة تروجيللو ، دكتاتور الدومينكان الطاغية الذى حكمها لمدة ٣١ عاما ، ومن فرط ثقته به عينه رئيسا للجمهورية ونسب اليه اصدار عدة أوامر أدت الى قتل عديد من المناضلين ، بل فقد أشارت احدى المحاكم فى حكم أصدرته فى ١٩٦٢ بصدد بعض قضايا القتل والارهاب الى مسئولية بلاجوير عن أصدار تلك الاوامر وبعد أغتيال تروجيللو ، ظل بلاجوير فى منصبه بمساندة الولايات المتحدة . ولكن القوى الوطنية اطاحت به ليهرب الى الولايات المتحدة حيث كون هناك حزبا سياسيا . وفى يونيو من العام الماضى حل بلاجوير الى بلاده بناء على نصيحة أصدقائه الامريكيين ، ومنحته الحكومة المؤقتة تصريحا بالاقامة ٧٢ ساعة فقط ولكن صديقه السفير الامريكى حصل له على تصريح باقامة دائمة

وصار بينه وبين مقصد العسكريين وكل القوى اليمينية والمحافظة التى تخشى تزايد قوى اليسار والحركة الشعبية ومع عودته توالت النشرات واللافتات التى تشيد بمزايا الرجل ، واغدقت الاموال بغير حساب للدعاية له وكان لها أثرها اذ سحب الحزب اللبرالى تأييده ، لبونلى واعلن مساندته لبلاجوير .

■ **رافاييل بونلى** ، مرشح اليمين المتطرف ويؤيده حزب العمل الثورى ، الحزب الوطنى الثورى الديمقراطى ، حزب الطليعة الثورى الديمقراطى ، حزب الاتحاد المدنى القومى ، ولم يفز الا بنسبة لاتذكر من الاصوات

■ **جوان بوش** : ويؤيده الحزب الثورى الدومنكانى والحزب الثورى الاشتراكى المسيحى ، ويعد بوش رجل البرجوازية الوطنية ، التى ضربها تروجيللو وتأثرت مصالحها الاقتصادية بالسيطرة الامريكية . ويتبنى بوش اتجاها اصلاحيا ويدافع عن بعض المطالب الشعبية والديمقراطية ، التى لم يمنح فرصة لتحقيقها كاملة عندما تولى رياسة الجمهورية فى ١٩٦٣ ، فقد اطاحت به الولايات المتحدة . ويتميز موقفه بعدم الثبات والتردد فهو يطالب بانسحاب الولايات المتحدة ، واستقلال البلاد ، ويعلن عداءه للشيوعية ، ويهاجم الانظمة الدكتاتوريه المحلية وفى نفس الوقت يدعو القوى الثورية للهدوء والسكينة وقد رفض مساندة حركة ١٤ يونيو له فى الانتخابات الاخيرة وساعد على قسمة الصف الشعبى مما انزل الهزيمة به وبحزبه .

وعقب هزيمته صرح بأن الانتخابات قد تم تزويرها وأن لديه أدلة دامغة على ذلك ، ومع ذلك اعلن أن اعادة الانتخابات لن تكون مجدية ، وطالب الساخطين بالهدوء ، بل وسعى لمقابلة بلاجوير لمدة ساعتين ويقال أنه أتفق معه على تأليف حكومة مشتركة ، ولكنه لن يستطيع أن يعلن ذلك صراحة الان ، وانه سيقوم بتسريب الفكرة تدريجيا بين انصاره والمعروف أن كتلة الدستوريين من انصار كامانو ، قد قطعت علاقاتها بجوان بوش كما سبق أن اتهمته الاتحادات العمالية بالتهادن والمساومة .

وتختلف التقديرات حول الطريقة التى تمت بها الانتخابات ، ففى الوقت الذى تعلن فيه منظمة الدول الامريكية ، والسفير الامريكى بأن الانتخابات تمت بطريقة صحيحة وعادلة ، أندفعت

تعليق

.. فى بروز ظاهرة « الدولة » الموحدة

أن نظرة متأملة لتطور الاحداث فى افريقيا ، منذ اواخر العام الماضى وحتى هذه الايام ، تكشف عن بروز ظاهرة جديرة بالتأمل . فقد اتخذت اجراءات فى كثير من دول القارة ، خاصة فى أوغندا ونيجيريا والكونجو (ليوبولدفيل) ، تجرى خطوطها العريضة فى اطار ما يمكن تسميته بالعمل من اجل تأسيس او خلق «دولة» موحدة وممركزة لها قوانينها ونظمها ولوائحها . وتنتشر هذه الظاهرة فى معظم دول القارة — فى هذه المرحلة — بغض النظر عن طبيعة السلطة السياسية القائمة فيها سواء كانت وطنية او معتدلة او حتى رجعية وموالية للاستعمار الجديد

والعمل على خلق « دولة » موحدة حديثة ، أيا كانت طبيعة السلطة فيها ، خطوة تدفع بهذه المجتمعات — موضوعيا — الى الامام وتضعها على ابواب تحول هام . فاقبال قوة وطنية كتلك التى فى أوغندا نحو اقامة «سلطة» ممركزة وموحدة انما ينطلق من وعيها بالضرورة الاجتماعية لاهمية اقامة «دولة» كخطوة فى طريق نضال هذه السلطة من اجل بعث حياة بلادها من جديد على اسس تتخطى الاساليب الاقطاعية والقبلية القديمة .

اما اقبال سلطة موالية للاستعمار الجديد ، كتلك التى فى الكونجو ، على انجاز هذه الخطوة ، فينطلق من طموحها الى احكام قبضتها وسيطرتها ومواجهة كل اتجاه وطنى فى الداخل بجهاز «دولة» حديثة اكثر قدرة على القهر والبطش . ويتمشى هذا مع مخطط الاستعمار الجديد الذى كشفت عنه احداث الانقلابات العسكرية فى الكونغو وداهومى وفلتا العليا وجمهورية وسط افريقيا ، لخلق «نواة» حكم محلية موالية له تحكم سيطرتها على الجبهة الداخلية عن طريق اقامة «دولة» موحدة قوية

واذا كان من قبيل المبالغة القول بوجود طبقة رأسمالية ناضجة ومدعمة فى هذه المجتمعات الافريقية ، فانه من قبيل الخطأ أيضا الا نرد هذه الاتجاهات — بالوانها المختلفة — الى نمو طبقة جديدة تقف وراء هذه الاتجاهات تدعو اليها وتسندها .

وترجع نشأة هذه الطبقة الجديدة الى ظروف مجتمعات المستعمرات السابقة التى كانت تتمتع بنوع من الحكم الذاتى تقوم عليه حكومات محلية متعددة الاتجاهات بين مهادنة للاستعمار او معادية له . وقد تمثلت عديد من هذه الفئات — خلال دراستها او عملها أو تربيتها — الفكر الرأسمالى فى آخر تطوراته . وقد تهيأت لها مقومات حياة سياسية واجتماعية تتعارض مع مصالح غالبية الشعب ، واصبحت تتمتع بامتيازات الادارة الاستعمارية السابقة والملاحظ ان هذه الفئات تسيطر على قطاعات فى الاقتصاد القومى خاصة فى مجال التجارة وتوزيعها

وليس من قبيل الصدفة أن ينتشر الاتجاه نحو اقامة سلطة ممركزة ، فى نفس الوقت الذى تبرز فيه وتنتشر الصراعات الاجتماعية داخل هذه المجتمعات . فان قيام «الدولة» هنا يتم بهدف التحكم فى هذه الصراعات واتجاهاتها . تسعى الفئات المعادية للاستعمار والقائمة فى سلطة بعض هذه المجتمعات الى استخدام «الدولة» كجهاز لمواجهة التخلف والرجعية والاستعمار . وتسعى بعضها الاخر — الموالية للاستعمار الجديد الى مواجهة الفئات الشعبية والوطنية فى اطار التعاون مع الاستعمار

وسيواجه اتجاه خلق «دولة» ممركزة — بالضرورة وبغض النظر من طبيعة السلطة السياسية — قضية حتمية الاصطدام بالاقطاع والقبلية وضرورة تغيير العلاقات الاجتماعية القديمة .

واذا كانت الفئات الوطنية تسعى الى احداث هذا التغيير وعيا منها بضرورته الاجتماعية والتاريخية ، فان الفئات الموالية للاستعمار الجديد تعمل من أجل تدعيم سيطرتها وتحكمها دون أن تعى أنها تبذر بذلك بذور فنائها . فان قيام الدولة المركزية الواحدة يسهل على الحركة الوطنية والديمقراطية فى هذه المجتمعات التى يسيطر فيها العناصر الموالية للاستعمار الجديد ، امكانيات الحركة الواسعة . وهذه الخطوة نفسها يمكن ان تؤدى فى المدى الطويل الى تخطى الاوضاع القبلية والاقطاعية القديمة كما يمكن أن تؤدى الى تغليب شعور المواطن بالانتماء الى «الامة» الكبيرة بدلا من الاحساس الضيق الافق «بالقبيلة» .

وهنا يكمن الطابع المتقدم لهذه الخطوة وأيا كانت طبيعة السلطة التى اتخذت هذه الاجراءات .

حسين شعلان

جماهير الشعب تندد بتزوير الانتخابات وتطالب بطرد الامريكيين وملأت شوارع العاصمة المنشورات والملصقات التى تتهم السفير الامريكى بتزوير الانتخابات . وكانت وسيلة التزوير الاساسية هى منح النساء حق التصويت دون أن يكون لهن تذاكر انتخابية ، مما فتح الباب الى التلاعب والتزوير . واصدر الحزب الثورى الاشتراكى المسيحى بيانا اعلن فيه (أن رفاقنا الذين قتلوا فى الحرب الاهلية ، ضـاعت دماءهم هدرا ودعا انصار الحزب الى حمل السلاح وصرح رفاييل تاسيراس احد قادة حركة ١٤ يونيو الثورية ، أن الحزب لديه خطة للمقاومة المسلحة ستنفذ ابتداء من اليوم التالى للانتخابات وخوفا من هذا يقال أن بوش وبلاجوير فى مقابلتهما الانفرادية ، قد اتفقا على عدم المطالبة بجلاء القوات الامريكية ، حتى يسود الهدوء انحاء البلاد ، رغم أن كلا منهما كان قد تعهد بأن يجعل الجلاء المسألة الاولى فى برنامج حكومته . بل واعلن بلاجوير انه لن يعيد دستور ١٩٦٣ ، الذى تطالب به كل الهيئات الديمقراطية لانه فى حد زعمه ادى الى أثارة الاضطرابات والثورات .

وتواصل كل القوى تجميع صفوفها تمهيدا لشن صراع هائل ومرير فيما بينها ، يأمل الجميع أن يؤدى الى استقطاب حاسم ونهائى للوضع هناك

●

■ حلف الاطلنطى

أزمة مصير

أوردت مجلة **الايكونومست** البريطانية ، فى ٢٨ مايو الماضى ، فى معرض حديثها عن مشكلات حلف الاطلنطى ، تصريحا طريفا لاحـد المسئولين النرويجيين يقول فيه « لو قدر لحلف الاطلنطى أن يغرق ، فانه سيغرق تحت أكداس الاوراق التى تستخدم فى محاولات اعادة تنظيم الحلف » .

ولا نكاد نجد عبارة ابلغ من هـذه دلالة على ما انتهى اليه الحلف من شلل وارتباك ، ومايواجهه من مشكلات ترقى الى مستوى مناقشة وجوده ذاته .

وغنى عن القول ان ما يطفو اليوم على السطـح مـن مشكلات الحلف تتصدرها موقف فرنسا عموما، وانسحابها من القيادة العسكرية للحلف بصفة خاصة، وما تطلبه من اجلاءجميع القوات الامريكية والمتحالفة من الاراضى الفرنسية فى موعـد اقصاه اول ابريل عام ١٩٦٧. وقد وصفت جريدة **(يونيتـد ستيتس أند وورلد ريبورت)** الموقف بعبارة بليغة حين قالت : «هكذا اصبح على اوروبا ان تفكر فيما كان التفكير فيـه مستحيلا، وهو تحالف اطلنطى بغير فرنسا» .

وفى مقال نشرته مجلة **نيو تايمز السوفيتية** يلخص **جنرال الجو بوريس تبلنسكى** المشكلات الاستراتيجية التى يواجهها الحلف نتيجة لذلك تحت بابين كبيرين :

الاول : ان منطقة وسط اوروبا التابعة للحلف (وهى تشمل المانيا الغربية وفرنسا وهولندا وبلجيكا ولوكسومبورج) تنقسم الى قطاع للعمليات وقطاع للمواصلات .والقطاع الاخير يشمل فرنسا بصفة اساسية .

الثانى: ان الهيئات القيادية لقوات الحلف والقوات الامريكية فى اوروبا يجب ان تنقل كلها من فرنسا .

ولكى نأخذ فكرة من ضخامة المشكلة الاولى، نورد ـ بالرجوع الى الصحافة الغربية ـ بيانا بقوات الحلف المكدسة فى قطاع وسط اوروبا ،وهى خيرة قوات الحلف، واحدثها تسليحـا واحسنها تجهيزا :

● ٢٥ فرقة برية ملحق بها وحدات كثيرة للخـدمـات والامدادات .

● قوتان جويتان تكتيكيتان ، مجموع عدد طائراتهمايصل الى ٣٠٠٠ طائرة .

● غالبية وحدات الصواريخ التكتيكية التابعة للحلـف المجهزة بالرؤوس النووية، والموضوعة تحت الاشراف الامريكى.

ولخدمة هذا الجهاز العسكرى الجبار، وفيه ما لايقل عـن مليون من الجنود والضباط والخبراء، اقيمت فى المنطقة مئاتمن المطارات والقواعد البحرية وخطوط المواصلات، وخطوطانابيب البترول، والمخازن والمخابىء، وقواعد اطلاق الصواريـخ ، ومنشآت النقل، ومراكز القيادة ..الخ .

ولما كانت فرنسا تشكل الجانب الاكبر من قطاع المواصلات، فان مجلة **ريفى ميليتر جنرال**، وهى الجريدة الرسمية للحلف ، تحدد دور فرنسا فى الحلف كالاتى : « ان على فرنسا ان تستقبل وتنقل كل الامدادات اللازمة، ليس لقواتها المسلحة وسكانها المدنيين فحسب، ولكن ايضا الامدادات اللازمة للقوات العسكرية لحلفائها» . وتضيف قائلة: «ان موانى المانيا الاتحادية وهولندا وبلجيكا ذات قيمة عسكرية محدودة ويسهل النيل منها، وستجد هذه البلاد نفسها مضطرة لاستخدام الموانى ووسائل النقل الفرنسية» .

واراضى فرنسا مكتظة بالقواعد (وعددها ١٨٩) ومراكـز التموين والامدادات والمخازن ، فلاعجب ان قال وزير خارجيتها **كوف دى مورفيل** ، «لا يمكن ان ندعى اننا سادة فى بلادنـا وعلى اراضينا كل هذا العدد الهائل من القوات المسلحـة الاجنبية، وكل هذه المنشآت والقواعد والمراكز العسكرية» .

ولتزويد قوات الحلفاء بما يلزمها من وقود وزيوت تشحيم.. الخ، التى تتراوح ـ فى حالة قيام عمليات عسكرية بين ٦٠٠٠، ٢٥٠٠٠ طن فى اليوم ، أقام الحلف شبكة منالانابيب يقدرطولها فى منطقة وسط اوروبا وحدها ، بحوالى ٤٠٠٠ كيلومتر . ومن هذه الشبكة خطان اساسيان يعبران فرنسا ـ احدهمامنسان نازار على الاطلنطى الى المارن ،وطوله ٥٠٠ كم، والثانى من مرسيليا على البحر المتوسط الى ستراسبورج ثم كارلسروة ، وطوله ٧٥٥ كم .

اما عن الهيئات القيادية التى يجب نقلها من فرنسا، فان قائمتها كبيرة، والمشكلات المترتبة على نقلها يطول شرحها .واهم هذه القيادات هى: القيادة العليا لقوات الحلف اوروبا، وقيادة القوات المتحالفة فى وسط اوروبا، وقيادة القوات الامريكية فى اوروبا، وقيادة منطقة السين ـ وكلها فى اماكن متفرقة بالقرب من باريس، وقيادةخطوط مواصلات الجيش الامريكى لاوروبا، ومقرها فى اورليانز. هذا عدا قيادات القوات البرية والبحرية والجوية الامريكية والمتحالفة. ويخدم هذه القيادات شبكة من اقوى واحدث شبكات المواصلات السلكية واللاسلكية ،تعمل فى خدمتها آلاف الكيلو مترات من خطوط الكابلات الارضية ، ونظام قوى للارسال اللاسلكى العالى الذبذبة، ومئات مـن محطات التقوية ومراكز الاتصال، والعقول الالكترونية .هذا عدا نظام من المخابىء الذرية تحت الارض المخصصة للقيادة العليا للحلف فى **لوفرسيان** بالقرب من باريس، ولقيادة منطقـة وسط اوروبا فى **فونتنبلو** .

وتقدر مجلة الايكونومست خسائر الولايات المتحدة نتيجـة لنقل منشآت الحلف وقواعده وقياداته من فرنسا بحوالى الف مليون دولار .غير ان هذا ليس الا اهون الاضرار، فان استبعاد فرنسا من قطاع المواصلات والامدادات من شأنه ان يقلـب كل استراتيجية الحلف رأسا على عقب، ويهبط مـن قدرتـه العسكرية الى درجة تقرب من الشلل ،يقول جنرال الجوبوريس تبلنسكى فى مقاله المشار اليه فى مجلة نيو تايمز :

«ان عمق منطقة العمليات مسألة بالغة الاهمية من الناحية الاستراتيجية، ولا يقل اهمية عنها اقصى تشتيت ممكن للقوات

والاهداف العسكرية. والمانيا الغربية مكتظة بالقوات والقواعد وشبكات الامدادات.. الخ. والحقيقة ان الجيش الالمانى اقام منشآت لتسهيل امداداته فى فرنسا وايطاليا وبريطانيا، وحتى فى اسبانيا ، وهى ليست عضوا فى الحلف. وواضح ان القوات الامريكية والكندية فى اوروبا سيكون عليها ان تعتمد على امدادات تمر بموانى المانيا الغربية وهولندا وبلجيكا، وعبرطرق تمتد على مسافات قصيرة (بمقاييس الحرب الحديثة) من الحافة الامامية للحلف. وتعلق جريدة شتيرن الالمانية الغربية على ذلك بقولها ان ذلك لايعدو أن يكون كلاما فارغا من وجهة النظر الاستراتيجية .

«واخيرا وليس آخرا، فان التكامل الجغرافى لميدان عمل الحلف سيتمزق تماما، اذ ستوجد فجوة بين البلاد التابعة للحلف فى وسط اوروبا وتلك الواقعة فى جنوبها، دون وجود جسرجوى يربط بينها» .

ومن اجل هذا يفكرون فى عمل منطقتين استراتيجيتين منفصلتين: منطقة شمالية تضم المانيا الاتحادية وهولندا وبلجيكا ولوكسمبورج وبريطانيا، بمقر قيادة يرجح ان يكون فى لندن ، ومنطقة جنوبية تضم ايطاليا واليونان وتركيا ، بمقر قيادة فى نابولى .

أما مشكلة الساعة التى انهمك فى بحثها مجلس وزراء دول الحلف الذى انعقد اخيرا فى بروكسل (٦ — ٨ يونيو) دون ان يصل الى نتيجة فهى : ماهى صفة ودور القوات الفرنسية الموجودة فى المانيا الغربية بعد ان تنسحب فرنسا من قيادة الحلف فى اول يوليو ١٩٦٦؟ والحق ان الفرنسيين لم يكونوا راغبين فى مناقشة الموضوع، وحجتهم ان اتفاقيات لندن وباريس (١٩٥٤) تكفى لاعطاء التكييف القانونى لقواتهم فى المانيا.هذا، بينما يرى الالمان ان مثل هذا الموقف ينطوى على معنى بقاء القوات الفرنسية فى المانيا بصفتها قوات احتلال ، لا بصفتها قوات بلد حليف .كذلك،فان الدول الاربعةعشر الاخرى الاعضاء فى الحلف كانوا راغبين فى ان يحصلوا على اقرار من فرنسا بالتزام يضع قواتها تحت القيادة المشتركة «فى حالة الطوارىء» بينما اصر كوف دى مورفيل ان يكون ذلك «فى حالة الحرب» ، وفى رواية اخرى «فى حالة عدوان غير مترتب على استفزاز».

وعلى اية حال، فقد اجتمع مجلس الحلف وانفض دون ان ينتهى الى قرار فى هذا الموضوع او ذاك. والقرار الوحيد الذى اتخذ فى جو من الكآبة وخيبة الامل كان هو نقل مقر القيادة العليا لقوات الحلف فى اوروبا من باريس الى بروكسل.

وبعد ، فواضح ان متاهة ترقيع الحلف التى ولج فيها الحلفاء والتى تهدد باغراق الحلف فى اكداس الاوراق ، لن تخرج الحلف من ازمته. كذلك ، فان حصار الاربعة عشر عضوا لفرنسا لن يثنى الجنرال دى جول عن المضى فى التحدى ، وهو مايزال يشعر انه فى مركز القوى .

والاهم من كل هذا هو اعادة النظر فى الاساسيات السياسية والعسكرية التى قام عليها الحلف ، اى هى مشكلة وجود الحلف ذاته ، فى عالم يعاد فيه تشكيل المعسكرات والتحالفات التى انشئت فى اعقاب الحرب العالمية الثانية. وذلك، الان، هو الشغل الشاغل للحليفين الكبيرين، فى الغرب والشرق على السواء .

●

امريكا

الحرب ليست كسبا خالصا

قدم اكثر من مائة من المستشارين الاقتصاديين للحكومة الامريكية تقريرا حذروا فيه من آثر حرب فيتنام على الاقتصاد الامريكى . وفى نفس الوقت ظهرت فى بعض دوائر الراسمالية الامريكية دعوة متزايدة لوضع حد للصدام المسلح فى الشرق الاقصى .

وقد يبدو هذا الموقف غريبا من جانب الراسماليين ، لانه من المعروف ان النفقات العسكرية مصدر ربح ضخم للشركات الاحتكارية الكبرى. وقد حققت بالفعل العديد من هذه الشركات ارباحا طائلة. ولا يقتصر ذلك على شركات انتاج الاسلحة وانما يمتد الى شركات النقل البحرى وصناعة الاحذية والملابس، بل وشركات المقاولات التى تبنى المطارات والقواعد والاستحكامات فى ارض فيتنام المنكوبة. ولكن طول امد الحرب واتساع نطاق المشاركة الامريكية فيها قد اصبحا مصدر تهديد لاقتصاد الولايات المتحدة فى مجموعه. والمظهر الاساسى لهذا التهديد يبدو فى ظاهرة ارتفاع الاسعار، او بعبارة اخرى التضخم. حقا ان معدل ارتفاع الاسعار ما زال بطيئا (حوالى ١٫٤ ٪ فى الشهور الثلاثة الاخيرة)،ولكن هذا الارتفاع مستمر رغم كل الجهود الضخمة التى تبذلها الحكومة لمنعه .وللتضخم فى ظروف امريكا الحالية دلالة بالغة الخطورة .

فمن المعروف ان الدول الرأسمالية الكبرى تسعى باستمرار منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لتفادى ازمة مثل تلك التى شهدتها فى الثلاثينيات من القرن الحالى . فاذا مابدرت بوادر الكساد عمدت الحكومات الى الانفاق على نطاق واسع وخفضت الضرائب ليدب النشاط من جديد فى الحياة الاقتصادية حتى اذا ما نشط الانتاج وزادت المبيعات وقلت البطالة واخذت الاسعار فى الارتفاع لجأت الحكومات الى اجراءات انكماشية مثل زيادة الضرائب وتخفيض الانفاق الحكومى. ذلك انه من المعروف ان الارتفاع الكبير فى الاسعار وبما يحدثه من رواج زائف يمهد بالضرورة لرد فعل عنيف فى شكل ازمة. والولايات المتحدة تتمتع فى هذا الصدد بميزة عن غيرها من الدول الراسمالية الكبرى. فاستخدام الدولار كاحتياطى للعملات القوية فى عدد كبير من الدول يجعل الطلب الخارجى عليه كبيرا باستمرار ، وكل زيادة فى كمية الدولارات التى تصدرها الولايات المتحدة يغادر جزء منها امريكا الى العالم الخارجى ،وبالتالى يكون مفعول الزيادة التضخمى محدودا. وهكذا تستطيع حكومة واشنطون ان تمضى شوطا بعيدا فى التوسع النقدى وتنشيط الانتاج والمبيعات دون ان يظهر ضغط تضخمى واضح يرغمها على اتباع اساليب انكماشية وبالفعل نجحت الولايات المتحدة فى زيادة الانتاج الصناعى منذ الكساد النسبى الذى شهدته فى اوائل ١٩٥٨ بمعدل يقارب ٨ ٪ سنويا فى حين لم ترتفع اسعار التجزئة فى نفس الفترة بأكثر ٥ر١ ٪ سنويا. ولكن ميزان المدفوعات الامريكى سجل فى هذه الفترة عجزا متواليا بلغ اكثر من مرة حدا يثير القلق فى حين انخفض رصيد امريكا من الذهب من ١٩٤٨ الى ١٩٦٥ بما يقارب النصف. وفى مثل هذه الظروف لو استمر التضخم فى الولايات المتحدة لقادها الى ازمة نقدية كبرى، وربما الى تخفيض قيمة الدولار وما يعنيه ذلك من اضرار للاقتصاد الامريكى .

والحرب بطبيعتها مصدر مستمر للتضخم ، اذ انها تعنى الانفاق لا من اجل زيادة انتاج السلع الاستهلاكية وانما من اجل التخريب والاتلاف . فبينما تؤدى زيادة النفقات الحربية الى زيادة النقود المتداولة والقوة الشرائية لا تزيد السلع المطروحة فى الاسواق بنفس النسبة ،ومن ثم ترتفع الاسعار .والحرب تجذب من جهة اخرى ، استثمارات كبيرة كان يمكن ان تستخدم فى تطوير الانتاج الصناعى بما يضمن الصمود ازاء المنافسة الدولية . كما انها من ناحية اخرى بما تثيره من مشكلات سياسية تقفل بعض الاسواق فى وجه المنتجات الامريكية، وهى اخيرا تجذب عددا متزايدا من خيرة القوة العاملة الى ميدان القتال وتحرم منه الانتاج. والخبراء الامريكيون يقدرون ان استمرار الحرب فى فيتنام يعنى حرمان الاقتصاد الامريكى من نصف الزيادة فى الشباب فى سن ما بين ١٨ و ٢٧ سنة .

ويبدو ان الاقتصاديين الامريكيين يخشون ان تتورط الولايات المتحدة فى حرب طويلة كتلك التى خاضتها فرنسا فى الهند الصينية لمدة تسع سنوات والتى كان لها اثرها البالغ فى الاضرار بالاقتصاد الفرنسى. ومن المعروف ان من اهم عوامل انتعاش الاقتصاد الالمانى فى الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٥٥ رغم كل ما حلته

به الحرب العالمية من تخريب هو عدم تحمل المانيا الغربيةلاية نفقات عسكرية. ويمكن ان نقول ان عدم اشتراك ايطاليا فى أى حرب مستعمرات لعب نفس الدور فيما يسمى « بالمعجزة الايطالية» وان تأييد اقسام واسعة من البورجوازية الفرنسية لديجول فى الموافقة لاستقلال مستعمرات فرنسا فى افريقيا وفى انهاء حرب الجزائر كان مبعثه ادراكهم العميق لما تمثله حروب التحرير الطويلة من عبء ضخم على اقتصاد الدول الاستعمارية والواقع أن المستعمرة التى تنشب فيها حرب تحررية واسعة النطاق طويلة الامد تكف عن أن تكون مصدر ارباح استغلالية للدولة الاستعمارية وتصبح بالعكس عبئا على اقتصادها .

ولكل هذا لا ينبغى ان يندهش المرء اذا ما تزايدت الدعوة فى صفوف الرأسمالية الامريكية ذاتها لوضع حد للحرب. ولكن التعبئة النفسية والايديولوجية من أجل الحرب، وكذلك مصالح الاحتكارات المرتبطة مباشرة بالحرب. ومصالح المضاربين والغازين الذين يبنون ثروات طائلة من المضاربة على «المعونة الامريكية» او من نهبها او من الاتجار بالاعراض فى سايجون ، واخيرا الروح العسكرية التى يغذيها البنتاجون والتى اصبح اثرها واضحا فى الحياة الامريكية — كل ذلك يجعل الرئيس جونسون « اومن تدحل محله »فى وضع صبى الساحر الذى اطلق العفريت من القمقم ثم غدا عاجزا عن اعادته اليه .ومهما يكن من أمر فان حرب فيتنام لم تعد مغامرة عسكرية بعيدة لا اثر مباشر لها على حياة الامريكيين، بل غدت تعكس اثارها على الحياة الاقتصادية والسياسية فى الولايات المتحدة شكل متزايد وهذا أمر لابد أن يشدمن ساعد حركة مقاومة الحرب هناك

■ سويسرا

٥٠٠ مندوب للسلام فى جنيف

فى جنيف ، بمبنى عصبة الامم سابقا ، اجتمع ٥٠٠ مندوب عن حركات السلام من جميع القارات يمثلون ٨٠ بلدا ، ليناقشوا فى منتصف الشهر الماضى قضاياحماية السلام العالمى . وقد تضمن جدول اعمال اجتماع مؤتمر مجلس السلام العالمى ، أربع قضايا رئيسية هى : **أولا**: قضية تنشيط وتوسيع الحملة العالمية للدفاع عن شعب فيتنام ضد العدوان الامريكى على أراضيه . **ثانيا** قضية مساندة حركة التحرر الوطنى فى العالم ، فى نضالها من أجل تصفية الاستعمار كنظام . **ثالثا** : مناقشة قضايا الامن الاوربى وتطوراتها . والعمل من أجل نزع السلاح الشامل تحت رقابة دولية فعالة **رابعا** : اعادة تنظيم حركة السلام بما يتفق وظروف العالم الجديدة ، وزيادة نسبة تمثيل القوى الجديدة فى قارات آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

ويقول المراقبون الذين حضروا المؤتمر ، ان اجتماع جنيف الاخير قد ابرز بشكل واضح « عالمية وشمول » حركة السلام وأكد قوتها النامية ونشاطها الآخذ فى الاتساع . ومن المعروف أن السلطات السويسرية كانت تعارض من قبل انعقاد المؤتمر فى سويسرا ، متعللة بقولها « ان حركة السلام تخضع لسيطرة ونفوذ الشيوعيين » . ويقول المراقبون أن عوامل ثلاثة دعت السلطات السويسرية الى تغيير موقفها السابق والموافقة على عقد المؤتمر فى جنيف . فمن جهة أكدت حركة السلام العالمى فى نشاطها ومواقفها وتطوراتها انها تجمع يضم القوى المعادية للحرب فى العالم كله بقاراته الخمس وباتجاهاته السياسية المختلفة . ومن جهة ثانية يعتقد البعض « أن حياد سويسرا التقليدى صار مهددا وموضع نقد شديد بعد توالى رفضها لعقد مؤتمرات مجلس السلام فى جنيف خاصة بعد أن عقد المجلس عددا من مؤتمراته فى بلاد غربية مختلفة وذلك مثل **فنلندا والسويد** » . مما اضطر السلطات السويسرية الى الموافقة على اجتماع المجلس . ويعتقد بعض المراقبين من جهة ثالثة ان موافقة السلطات السويسرية تم بعد ضغط **الحزب الاشتراكى** السويسرى الذى يشارك فى الوزارة بعد أن أحرز نجاحا واضحا فى الانتخابات الاخيرة .

وقد شهدت اجتماعات المجلس مناقشات واسعة حول قضايا التحرر الوطنى والعمل من أجل تدعيم السلام ، دارت حول وجهتى نظر تقول احداها (من الدول المتحررة والاشتراكية) أن التحرر الوطنى لا يعنى فقط طرد الاستعمار وانما يعنى تحقيق الاستقلال الاقتصادى واحداث تغيير اجتماعى عميق لصالح الفئات الشعبية . أما وجهة النظر الاخرى فتعتقد بالاكتفاء بطرد الاستعمار حتى يمكن تجميع اكبر عدد ممكن من العناصر التى تختلف حول مضمون الاستقلال ومنها «الرأسمالية المستنيرة » ويقول المراقبون أن الاغلبية فى المؤتمر ساندت واقرت وجهة النظر الاولى .

وخلال مناقشة الاوضاع فى الشرق الاوسط ، أدان المؤتمر تحركات الاستعمار والصهيونية والرجعية فى شكل الحلف الاسلامى وموقف حكومة السعودية من اليمن وموقف حكومة الاردن من سريا وموقف بريطانيا فى عدن والجنوب المحتل وموقف الاستعمار والصهيونية من قضية فلسطين . كما أدان المؤتمر العدوان الامريكى على شعب فيتنام وطالب بوقف الغارات الامريكية على فيتنام الشمالية وسحب القوات الامريكية من فيتنام الجنوبية والاعتراف بجبهة تحرير فيتنام كممثل شرعى ووحيد لشعب فيتنام الجنوبية .

وجدير بالذكر أن المؤتمر قسم أعماله الى لجان أربعة . ترأس خالد محيى الدين رئيس الوفد العربى لجنة التحرر الوطنى وتولى رئيس الوفد البولندى رئاسة لجنة الامن الاوروبى .وقام رئيس الوفد الامريكى برئاسة لجنة الفيتنام . ورأس لجنة التنظيم رئيس الوفد الكندى كما انتخب المؤتمر **شاندا الهندى** كأول سكرتير عام لحركة السلام .

■ رومانيا

اخطاء الكومنترن وحل حلف وارسو

أثار موقف رومانيا الاخير من حلف وارسو ، اهتماما كبيرا فى الاوساط السياسية العالمية ، خاصة بعد ان دعا **نيكولاى شاوشيسكو** ،السكرتير العام للحزب الشيوعى الرومانى الى الغاء حلفى وارسو والاطلنطى، واقامة علاقات على اساس جديد بين الدول الاوربية .

ويعتبر عدد كبير من المراقبين السياسيين ، التفكك الذى طرأ اخيرا على حلف الاطلنطى بمثابة احد العوامل الهامة التى مهدت لرومانيا لاتخاذ موقفها الجديد . ويرون ان الشيوعيين الرومان هم اول من بدأ محاولة الاستفادة من الاوضاع الجديدة داخل حلف الاطلنطى لدعم سياستهم

المستقلة . فالاثنى عشر فرقة الالمانية الغربية المرابطة عند موانى بحر الشمال ، اصبحت بمثابة ذيل عسكرى اقل خطورة فى نظر الرومانيين ، بعد قرار فرنسا باجلاء القواعد الامريكية من اراضيها ، ذلك انه اذا طبق حظر التحليق فوق الاراضى الفرنسية ، فسوكون معنى ذلك ان الاسراب الجوية التابعة لحلف الاطلنطى والمرابطة فى ايطاليا ، لن تتمكن من الهبوط فى اى مطار بالمانيا ، الا اذا اخذت طريق جبل طارق وانجلترا ، طالما ان سويسرا والنمسا دولتان محايدتان .

واحدث هذا الموقف رد فعل مباشر من جانب كل من وارسو وموسكو وبراغ وبرلين الشرقية الذين اتخذوا موقفا مغايرا . اذ اعتبر البولنديون حلف وارسو : « سد فعال ضد التهديد الامبريالى المستمر » **واوضحوا لكوف دى مورفيل** وزير خارجية فرنسا اثناء زيارته لهم ، « انهم لا يتمنون البتة تصفية الكتل ، وانما يأملون ان يتم التوافق بينها » ، واعتبره التشيكوسلوفاك « درعا عظيما يضمن سلامة البلدان الاشتراكية » ، اما الالمان الشرقيون فاعربوا عن اعتقادهم — حسبما اوردت بعض المصادر الاوربية — بان الشيوعيين الرومان لا ياخذون الخطر الالمانى الغربى مأخذ الجد ، فى حين استحثت موسكو اعضاء الحلف لتقويته . وقد اوضح هؤلاء المراقبين ، ان الشيوعيين البلغار والمجريين قد بداوا يتفهمون هم ايضا وعلى حد ما ، الموقف الجديد داخل حلف الاطلنطى من زاوية اقرب الى الرؤية الرومانية عنها الى وجهة نظر موسكو — وارسو — براغ . برلين ، وان لم يتاكد هذا القول بمواقف محددة منهما . وهناك عامل اقتصادى يضعه هؤلاء المراقبون فى اعتبارهم ، وهو سعى الجمهورية الرومانية الى تنمية تبادلها التجارى مع المانيا الغربية بصفة خاصة ، كيما تنوع اقتصادها اكثر مما يمكنها ان تفعل فى اطار الكوميكون ، وهو ما استهدفته رحلة **جيورجى تشيوارا** وزير التجارة الخارجية الرومانى ، الذى صرح اخيرا فى هامبورج « بانه فى الامكان قيام علاقات كاملة وطبيعية بين رومانيا والمانيا الغربية » . وقد ربط عديد من المعلقين السياسيين بين موقف الرومان من المانيا الغربية، وبين ما اشارت اليه « اللوبتادى كلاسا » المجلة الشهرية للحزب الرومانى فى هجوم سابق لها على الاحلاف العسكرية، اذ اعتبرت انها « تجرد الدول الاعضاء من حريتها فى العمل فى مجال التبادل التجارى والتنمية الاقتصادية » .

وقد دأبت الصحافة الغربية على عقد مقارنات بين موقفى كل من رومانيا وفرنسا ازاء حلفى وارسو والاطلنطى على التوالى ، واطلقوا اسم « ديجوليسكو » على الزعيم الرومانى نيكولاى شاوشيسكو . الا ان الوقائع تدل على ان خط رومانيا الاستقلالى ، اسبق زمنيا من الخط الديجولى الجديد الذى بدأ منذ حوالى ٣ اعوام فقط . كما ان تأثير رومانيا على حلف وارسو هو اولا تأثير سياسى اكثر منه عسكرى مباشر (اذ ليس لبوخارست اية فرق تحت امرة الحلف كما لاتوجد برومانيا اى قوى عسكرية للحلف) فى حين ان للموقف الفرنسى تأثير عسكرى مباشر على استراتيجية الاطلنطى . كما انه فى حين كان موقف ديجول « مبادرة » فرنسية ، اضعفت بلا شك حلف الاطلنطى العدوانى ، جاء موقف رومانيا « رد فعل » لذلك يحاول الاستفادة من التفكك الغربى لصالح اقتصاد وسياسة جمهورية اشتراكية ، ولصالح ما يعتبره الرومانيون تهدئة للاوضاع داخل القارة الاوربية . ويرى عديد من المعلقين التقدميين ، انه لو كانت تدعمت كتلة الاطلنطى العدوانية بدلا من تفككها ، لما اقدم الشيوعيون الرومان على مطالبهم الاخيرة بالنسبة لحلف وارسو . هذا وقد ازدادت العلاقات الفرنسية الرومانية توثقا فى الفترة الاخيرة ، عقب زيارة **كوف دى مورفيل** « للاخوة اللاتينيين » الاخرين فى رومانيا بحسب تعبير جنرال ديجول واصبحت العلاقات احسن منها فى اى وقت مضى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، كما زاد التبادل التجارى بينها ٢٠ ضعفا عما كان عليه عام ١٩٥٤ ، ويدرس ٦٥٪ من طلبة رومانيا اليوم ، اللغة الفرنسية كلغة اجنبية اولى .

ومن اهم ما لفت انظار المراقبين اخيرا ، خطاب نيكولاى شاوشيسكو بمناسبة انقضاء ٤٥ عاما على تأسيس الحزب الشيوعى الرومانى . اذ وجه فيه عدة انتقادات للكومنترن « المنظمة الشيوعية الدولية » . وابرز الموقف الاستقلالى السليم للشيوعيين الرومان فى سنة ١٩٢٠ ، عندما اعترض الوفد الرومانى الذى اشترك فيه **جيورجى كريستيسكو وكونستانتين بوبوفيتش ، وايوجين روزفانى** ، على الاسلوب الخاطىء الذى كان يقدر به الكومنترن الوضع السائد فى رومانيا ، وتعيينه كوادر الحزب القيادية بما فى ذلك السكرتير العام من بين الذين كانوا يعيشون خارجها ولا يعرفون واقع حياة الشعب الرومانى « مما سبب اضرارا للنضال الثورى فى رومانيا » . كما لام شاوشيسكو الكومنترن على انتقاده للشيوعيين الرومان سنة ١٩٤٠ بسبب نشاطهم ضد العدوان النازى « ولموقفهم الخاص بالدفاع عن الاستقلال الوطنى لبلدهم» ذلك الموقف الذى صوره الكومنترن على انه «استمرار فى سياسة التقارب مع انجلترا وفرنسا والحرب ضد المانيا والاتحاد السوفيتى » . واكد على سلامة التقدير الخاص للشيوعيين الرومانيين وصحة موقفهم ضد المعتدين الهتلريين.

على انه بالرغم مما اعلنته رومانيا بشأن حلف وارسو ، الا انها اوضحت حتى كتابة هذا التقرير انها لن تنسحب من الحلف . **وردا** على الدعاوى الغربية التى تحاول وصف رومانيا بتزعم نوع جديد من « الشيوعية القومية » صوروه على انه « مناقض للماركسية اللينينية » ، اوضح شاوشيسكو فى خطابه انه « لا توجد شيوعية قومية وشيوعية دولية ، بل الشيوعية هى فى نفس الوقت قومية ودولية» . الا انه يبدو حتى انعقاد مؤتمر قمة لدول حلف وارسو فى يوليو القادم ، ان تغيرات اساسية لن تطرأ على وضع الحلف الذى يسانده محور متضامن فى موسكو — وارسو — براغ — برلين . وانما الامر الذى يمكن القول به ، هو ان دورا سياسيا نشطا ينتظر الشيوعيين الرومان عقب زيارة **ليونيد بريجنيف** الاخيرة ، والتى سبقتها مباحثات الزعيم الرومانى **اميل بودناراش** مع **هوشى منه** ، وتلتها زيارة **شوآين لاى** رئيس وزراء الصين الشعبية لرومانيا .

●

تشيكوسلوفاكيا

المؤتمر الـ ١٣ بين المشاكل الداخلية والقضايا الدولية

ثالث مسألة الاصلاح الاقتصادى الجديد ، ومسائل الايديولوجية والثقافة ، الاهتمام الاكبر فى جلسات المؤتمر الثالث عشر للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى . وقد اشترك فيه ٢٤٠٠ مندوب وضيف يمثلون الاحزاب الشيوعية والعمالية ، والاحزاب الوطنية الديموقراطية والتقدمية القادمة من ٨٠ بلدا . كما حضره ممثلو احزاب « الجبهة القومية » التشيكوسلوفاكية وهى الحزب الاشتراكى التشيكوسلوفاكى، وحزب الشعب التشيكوسلوفاكى ، وحزب الاحياء السلوفاكى وحزب الحرية السلوفاكى . ومثل الاتحاد الاشتراكى العربى فيه كل من السيدين ، **حسين ذو الفقار صبرى** امين العلاقات الخارجية بالاتحاد ، والدكتور **ابراهيم سعدالدين** عضو الامانة العامة لشئون المعهد الاشتراكى .

وقد اعيد انتخاب الرئيس التشيكى **انطون نوفوتنى** سكرتيرا اول للجنة المركزية للحزب الشيوعى ، كما اعيد انتخاب

معظم الطاقم السياسي الذى كان يعمل معه من قبل . واعفى مجلس الرئاسة (البريزيديوم) المكون من ١٠ اعضاء ، **زدينيك فيرلينجر** (٧٤ سنة) واحل محله **اولدريتش سيرنيك** (٤٣ سنة) ومعروف انه عضو نشيط بلجنة الدولة للتخطيط . كما اعفى ٣ من اعضاء اللجنة المركزية ،وزاد عدد اعضاء اللجنة المركزية من ٩٥ الى ١٠١ عضوا . واعطت وكالة جيتيكا الرسمية للانباء اهتماما خاصا بالرؤساء الجدد المنتخبين لمكاتب اللجنة المركزية الخمس .

وقد ركز **انتونين نوفوتنى** معظم خطابه على الاصلاح الاقتصادى الجديد ، وقدم تقريرا عن نشاط اللجنة المركزية للحزب . اوضح فيه النمو السريع للعمالة بسبب عملية البناء النشطة ، وتجاوز الحجم المخطط للانتاج الصناعى بنسبة ٢ر٢٪ منذ بداية سنة ١٩٦٦ حتى نهاية ابريل منها . كما اوضح الاتجاه الى زيادة الاستهلاك الشخصى حتى سنة ١٩٧٠ بنسبة ١٧ الى ١٧٪ والاستهلاك الاجتماعى بنسبة ١٩ الى ٢٠٪ وطالب لتغطية هذه النسب فى الاستهلاك ، ضرورة زيادة الدخل القومى من ٢٢ الى ٢٤٪ ونمو الانتاج الصناعى بين ٢٨٪ الى ٣٠٪ . ويقضى البرنامج الجديد للاصلاح الاقتصادى ، بالتركيز على الارباح والحوافز المادية للعمال ، والمنافسة، وزيادة الكفاية الانتاجية ، وتزويد المديرين بقدر اكبر من « الاستقلال الذاتى » . وقد وجه اهتماما كبيرا الى مسألة نقل السلطة الادارية من الوكالات المركزية الى الفروع الصناعية وفى بعض الحالات الى المصانع المنفردة ، كما طالب بالاهتمام بالحصول على مستويات افضل فى ارباح المبيعات بالاضافة الى الالتزام بانجاز الكميات التى تحدد مركزيا. وخطط لاجراء اصلاح كبير فى الاسعار ـ يعتبره كثير من الاقتصاديين من اكثر الخطوات حيوية .ويستهدف تحقيق اتساقها مع التقلبات فى الاسواق المحلية والخارجية وقد انتقد البروفيسور **اوتاسيك** الذى يعتبر ، الروح القائدة للاصلاح الاقتصادى الجديد ، « اولئك الذين اختلطت عليهم الامور لدرجة اعتبروا فيها الانتقال الى نظام الادارة الجديد ،اتجاها لالغاء التخطيط ، واشار **هندريتش** عضو البريزيديوم الى ان ارساء النظام الجديد « لن يتم بلا صراع » وينبغى توقع ظهور « اتجاهات معينة معادية للاشتراكية » « مثل الفردية وشهوة الكسب» التى تؤدى الى « تناقضات ذات طابع عدائى » . كما تكلم عدد من المراقبين الاجانب عن خوف عديد من العناصر الرسمية من الوقوع فى الاخطاء بسبب الاصلاح الجديد .

هذا وقد استجاب الرئيس نوفوتنى لعديد من مطالب المثقفين الشيوعيين الشبان من اجل مزيد من الديموقراطية فى الحياة الثقافية والادبية للبلاد ، خاصة وان قيادة الحزب فى السنوات الاربع الماضية قد حققت كثيرا من مطالب العناصر المضادة «للاتجاهات الستالينية » ، فظهرت عديد من المطبوعات التى كان الرقيب قد منعها من قبل ، واعيد تقييم الكاتب التشيكى الكبير **فرانز كافكا** . وبعض الكتاب المسرحيين الذين كانوا قد توقفوا بدأوا العمل من جديد ، وكذلك بعض مخرجى الافلام والناشرين ، كما عاد الى ميدان الحياة العامة ،عديد من ضحايا التطهير ذا الطابع «الستالينى» لعام ١٩٥٠ .

وقد اعرب **فلاديمير كوكى** سكرتير **اللجنة المركزية** عن تشاؤمه فيما يتعلق بالتعليم الشيوعى الحالى للشباب ، وذكر ان ١٦٪ فقط من اعضاء الحزب هم الذين تقل اعمارهم عن ٣٠ سنة ، وان النسبة المئوية للشيوعيين بين اعضاء اتحاد الشباب والتى كانت ٧ر١٠٪ هبطت الى ٧ر٢٪ سنة ١٩٦٥. واوضح ان الطلبة لا يشكلون سوى نسبة ٤ فى الالف من اعضاء الحزب ، كما يوجد بين كل ٤ اشخاص اتموا دراستهم الثانوية واحد فقط شيوعى . ومن بين ٩٤١ طالبا بمدرسة التربية فى برنو ممن سيعهد اليهم بتربية الجيل الجديد ، لا يوجد سوى ١٠ شيوعيين . ولم يزد عدد اعضاء الحزب التشيكوسلوفاكى طوال الاربع سنوات الماضية من ٩٨١ر٤٠ عضوا . ولذا طالب بدعم الدعوة الشيوعية فى صفوف الشباب.

وقد طالب انتونين نوفوتنى بتقوية حلف وارسو ، واشار للخطر الالمانى الغربى باعتباره تهديدا لاوربا الشرقية ،الا ان عددا من المراقبين لفتوا النظر الى تركه الباب مفتوحا مع المانيا الغربية فى اشارته لاستعداد تشيكوسلوفاكيا للتعامل فى أى وقت مع اولئك الذين يمكن ان يظهروا نوايا حسنة» مما يعد تلمسا واقعيا من جانب نوفوتنى وزملائه لمشكلات السياسة الخارجية التشيكوسلوفاكية . وقد شن ليونيد **بريجنيف** بشكل غير مباشر هجوما سياسيا على موقف رومانيا من حلف وارسو اشار فيه الى « سذاجة » الذين يدعون الى اتخاذ اجراءات عملية بالنسبة لحلف وارسو ، بينما « حلف الاطلنطى الذى خلقته الامبريالية الامريكية موجودا ، ويخدم سياسة دعاة الانتقام والعسكريين» ومن الجدير بالذكر انه طالب كل بلاد العائلة الاشتراكية بان تتبع فى التطبيق « خط مشترك فى كل المسائل الاساسية ، وهى الكفاح من اجل انجاز المهام الثورية الرئيسية فى **الوقت الحالى** » التى رتبها على النحو التالى « **الامن الاوروبى** ، ومشكلة الحرب الفيتنامية ، والاستعمار » . وقد ذهب **فلاديمير كوكى** احد سكرتيرى الحزب التشيكوسلوفاكى خطوة ابعد مما صرح به بروجنيف ضد رومانيا فقال : « ان التضامن المخلص مع الاتحاد السوفيتى لم ولن يكون مسألة تكتيكية ،وان كل جهد للابتعاد عن صفوف البلاد الاشتراكية ، لن يثمر شيئا سوى تشجيع الامبرياليين » . وقد رد **بيرلاديانو** مندوب رومانيا على ذلك بتأكيد « الصداقة والعلاقات الاخوية مع جميع البلاد الاشتراكية » وايضا تطور التعاون مع دول العالم الاخرى ، بغض النظر عن نظامها الاجتماعى » وبالاضافة لما ردده بريجينيف عن « التقسيم الاشتراكى للعمل » ، تكلم المندوب الرومانى عن « التقسيم العالمى للعمل » . ومن الاشياء التى استدعت الانتباه ان مندوب كوريا الشمالية استخدم نفس لغة المندوب الرومانى فى الكلام عن العلاقات بين الدول والاحزاب الشيوعية .

●

■ يوغوسلافيا

مؤتمر التحالف والاصلاح الجديد

أشاد الرئيس **تيتو** فى خطابه امام المؤتمر السادس للتحالف الاشتراكى للشعب العامل ، بالنتائج الضخمة التى حققها التحالف فى مجال التسيير الذاتى . . .

وطالب بضرورة أن يقوم التحالف بمراقبة اكثر احكاما للعمليات المتنوعة التى تجرى فى المجتمع اليوغوسلافى ،وبخاصة فى المشروعات وفى مجال التسيير الذاتى ، وان يحارب بشكل اكثر حسما مختلف الانحرافات واكد **لازار كوليسيفسكى** رئيس التحالف ضرورة «المواجهة بين الافكار والاراء المختلفة» وأوضح «ان كل الاراء ستجد لها صدى» «فى جو ديموقراطى متسامح » وقد وجه معظم المراقبين الانظار الى اهتمام **الرئيس** تيتو والقادة الشيوعيين اليوغوسلاف فى هذا المؤتمر بدعم العلاقة بين التحالف الاشتراكى وهو التنظيم الجماهيرى الذى يضم ٨ ملايين يوغوسلافى ، مختلفى الدين ،والقومية ،والموقف الفكرى، وبين عصبة الشيوعيين وهى الحزب الماركسى الحاكم . وبهذا الصدد قال الرئيس تيتو «انه لاتوجد ثنائية هنا . فمن المعروف

جردا ، بما هى عصبة الشيوعيين . انها الدليل الايديولوجى والسياسى الهادى لمجتمعنا . وان دورها القيادى ليتطور داخل التحالف الاشتراكى . كما أن عصبة الشيوعيين لاتتصرف هنا كمعلم ، لان الشيوعيين الاعضاء فى التحالف الاشتراكى ، انما يتعلمون هم انفسهم ،يوما بعد يوم ، فى النشاط العملى.مالدينا هنا ، ليس تنظيمين متعارضين وانما كيان واحد»

واكد الرئيس تيتو على أن سياسة عدم الانحياز قد ازداد نشاطها اخيرا بعد فترة السكون النسبية التى مرت بها ،وبعد الهجمات التى اثرت فى بادىءالامر تأثيرا كبيرا على بعض الدول الافريقية وأشار الى ان «شعوب هذه الدول ، بدأت اولا فى الاهتمام بمشكلاتها الداخلية مبتعدة بعض الشىء عن المسائل المتعلقة بالسياسة الخارجية . لكن هذه الفترة انتهت» . وأعرب عن ثقته بأن حلف وارسو لن يبقى اذا ماحل حلف الاطلنطى .

وطالب تيتو اعضاء التحالف بمتابعة تطور وتنفيذ الاصلاح الاقتصادى ، وتنفيذ قرارات المؤتمر الثامن للعصبة . واوضح زيادة الصادرات اليوغوسلافية منذ بدأ تنفيذ الاصلاح الاقتصادى وانضباط الميزان التجارى الخارجى بالنسبة للعام الماضى ، وتوقع ذلك بالنسبة لهذا العام . وكان هذا الاصلاح قد بدأ فى اغسطس سنة ١٩٦٥ بانشاء سعر موحد للدينار (١٢٥٠ دينار لكل دولار ، بدلا من السعر القديم ٧٥٠ دينار) وهو يعتبر أهم تغيير تم اخيرا فى النظام الاقتصادى اليوغوسلافى ، بعد ادخال نظام التسيير الذاتى للعمال . وترتب عنه تغيير فى الاسعار وارتبط تحقيق البرنامج الشامل للتطوير الاقتصادى والاجتماعى وخفض التعاريف الجمركية ، والغاء بعض الضرائب التى تدفعها التنظيمات الاقتصادية ، للمجتمع ، وفرض الالتزامات بشكل متساو على كل المشروعات ، كل ذلك قد ارتبط بالقرار الذى اتخذ بخفض قيمة الدينار واعادة تحديده بـ (١٠٠ دينار قديم لكل دينار جديد) وكذلك بالتغيير فى الاسعار والاجهزة الاقتصادية ويستهدف الاصلاح الاقتصادى اقرار المناقشة القومية ، وارساء وضع الدينار حتى سنة ١٩٧٠ ، وانشاء معيار اقتصادى موضوعى لتقييم عمل ونجاح كل تنظيم اقتصادى ولقياس فوائد الاستثمارات . كما يهدف الى توسيع الاسس المالية للتسيير الذاتى عن طريق الزيادة الكبيرة لنسبة العائد الذى يمكن للتنظيمات العمالية التصرف فيه ، وتحرير الاقتصاد من القيود الادارية ، لتسهيل قيام القوانين الاقتصادية بدورها كاملا فى ضبط وتنظيم الاتجاهات الاقتصادية ، وخلق مدد عمل متساوية لجميع اقسام الاقتصاد وفروعه لتحديد الدخل والربح وفقا لنجاح المشروع ولانتاجية العمل ، لاوفقا لظروف العمل التى تحددها الادارات المركزية او الجمهورية ، كما يستهدف تمويل الاقتصاد تمويلا حديثا بتشجيع التكامل والتخصص وبتطبيق الانجازات التكنيكية الجديدة وكذا الاساليب التكنولوجية . ويسعى من اجل مشاركة اكبر ليوغوسلافيا فى التقسيم العالمى للعمل والاهتمام بنوعية المنتجات لا كمها فحسب .

ويرى عديد من المراقبين الاقتصاديين ان تحقيق هذا البرنامج الذى يترك مجمل الدخل تحت تصرف التنظيمات العاملة ، يخلق الظروف التى تجعل باستطاعة التعاونيات العمل فى المستقبل (وللمنتجين انفسهم) ، البت فى مسألة طرق ووسائل العمل ، والبحث بالتالى فى مسألة الاستخدام المعقول لثمار عملهم. وبهذا توضع مسألة زيادة الانتاج وخلق مصادر للنمو الاقتصادى بين ايدى المنتجين انفسهم . كما ينتج عن اهتمام الاصلاح الجديد ، بشكل اكثر من ذى قبل ، بمصالح وحقوق الشعب العامل الى دعم العلاقات الاشتراكية . كما سيزيد من مسئولية الفئات العاملة بالنسبة لتحديد مصيرها الخاص ومستوى المعيشة عامة ، بما أن الدخول ستعتمد بشكل متزايد على النجاح فى العمل ، وعلى زيادة انتاجية تنظيمات العمل ، وليس على (اشاعة العدالة) فى توزيع الارباح عن طريق الاجهزة المركزية وسيحدث كل ذلك تأثيرا حاسما على كل التطور الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية عن طريق زيادة تداخل مصالح الفرد ، وتعاونيات العمل ، والشعب ، والمجتمع ، كل مع البعض الاخر .

وقد ترتب عن تطبيق الاصلاح فى المدة من اغسطس ١٩٦٥ حتى مايو ١٩٦٦ زيادة اجمالية فى العمالة بلغت ٢ ٪ . كما نتج عن التطوير الواسع للاقتصاد عامة ، هجرة ملموسة من الريف بلغت ٢٠٠ر٠٠٠ عامل جديد سنويا فى السنوات الاخيرة قدموا من الريف . وقد ادى هذا التشغيل السريع الى تغيير نسبة السكان الاجتماعى (فبينما كان ٧٥٪ من اليوغوسلاف عشية الحرب الثانية يعملون بالزراعة اصبح ٤٥٪ منهم الان يعمل بها) وبذا اعتبرت يوغوسلافيا بين البلاد ذات المعدلات العالية لهجرة العمل من الريف للمدن . وهذه النسبة المئوية للتحول السكانى الذى طرأ على يوغوسلافيا من الحرب الثانية فى اليوم (استغرقت فى الولايات المتحدة مثلا ١١٠ سنة ، وفى فرنسا ٧٥ سنة ، وفى الاتحاد السوفيتى ٤٣ سنة)وقد زادت الاستثمارات التى تقوم بها التنظيمات الاقتصادية بنسبة ١٤ ٪ وزادت استثمارات البنوك بنسبة ١٠٪ ، وقل الانفاق العام بعد الاصلاح الى ١٠٤ر٠٠٠ الف مليون دينار قديم ، بعد أن كان ١٦٠ر٦٠٠ المليون . وانخفضت حصة الانفاق العام من الدخل القومى من ٢٣ ٪ الى ٢١ر٨ ٪ .

هذا وقد اشار عدد من المراقبين الاقتصاديين الى ان عملية مواءمة التنظيمات العاملة مع الظروف الجديدة ، لم تسر فى اتجاه واحد فى كل مكان ، فبعض التنظيمات لم تكن فى وضع اقتصادى يمكنها من زيادة الاجور ، والبعض الاخر كان حذرا فى الاقدام على ذلك ، وفضل انتظار التقديرات الاولى ليتعرف على حقيقة وضعه . وقد ترتب على ذلك ، وبسبب زيادة التضخم السابق على الاصلاح ، انخفاض فى الدخل الفردى بلغ ٩٠ ٪ فى اغسطس (أول شهور الاصلاح) ، الا ان استمرار تطبيق الاصلاح ترتب عليه ارتفاع الدخل فى سبتمبر الى ٩٧ ٪ وفى اكتوبر الى ٩٨ ٪ ليصل الى ١٠٣ ٪ فى نوفمبر .

●

■ أدب

ادباء آسيا وأفريقيا بين القاهرة وكولومبو

تطبيقا للقرار التنظيمى للمؤتمر الثانى للكتاب الافريقيين الاسيويين (القاهرة ١٩٦٢) عقد اعضاء المكتب الدائم اجتماعا غير عادى فى القاهرة من ١٩ ــ ٢٠ يونيو ١٩٦٦ .

وكان المؤتمر الثانى قد اتخذ مجموعة من القرارات ثم اتضح انها قد حرفت اثناء التنفيذ أو انها لم تنفذ على الاطلاق. لهذا راى الاجتماع الطارىء للمكتب الدائم ان يدين التصرفات التى كان من شأنها ان تضعف من قوة هذه المنظمة الفكرية التقدمية فى المجال الدولى . فقد سبق ان قررت اللجنة التنفيذية للمؤتمر فى اجتماعها الذى عقد فى ١٨ و١٩ ابوليو سنة ١٩٦٣ عقد المؤتمر التالى فى جاكرتا عام ١٩٦٤ وكلف السكرتير العام بمهمة الاعداد للمؤتمر. ثم وجه المكتب الدائم فى اجتماعه الذى عقد فى كولومبو فى اكتوبر سنة ١٩٦٢ السكرتير العام لتنظيم ندوة شعرية فى الجزائر. ولم يهتم السكرتير العام بواحدة من هذه المهام . وفى شهرى مارس وابريل سنة ١٩٦٤ قامت وفود مختلفة بزيارة مختلف البلاد بوصفها وفود المكتب الدائم دون علم اعضاء المكتب او تفويضهم.وعلى ذلك «فنحن

اعضاء المكتب الدائم لم نعد على استعداد لقبول الاهانة التى تنعكس علينا جميعا من جراء الافعال التى يرتكبها السكرتير العام . اننا نشعر أن واجبنا يحتم علينا حماية حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين ومنظمهم من اى ضرر آخر بسبب عن السكرتير الحالى وسكرتاريته)) كما جاء فى الوثيقة رقم ٢ من القرار الذى اصدره المكتب الدائم فى القاهرة مساء ٢٠ يونيو وقد ذهب القرار يقول ان الهدف الرئيسى للمنظمة قد أهمل تماما — وهو تعبئة الكتاب فى افريقيا وآسيا لتأييد كفاح الشعوب الافريقية الاسيوية ضد الاستعمار القديم والجديد— ومما يزيد من خطورة المسئولية على عاتق ادباء القارتين ذلك الكفاح الباسل الذى يخوضه شعب فيتنام ضد العدوان الامريكى ، الامر الذى يتطلب عملا موحدا حازما من جانب جميع القوى المناهضة للاستعمار ، وخاصة الكتاب والمثقفين **((لذلك فاننا طبقا لمسئوليتنا الجماعية ونظرا للحقائق المشار اليها نقرر نقل المكتب الدائم مؤقتا من كولمبو الى القاهرة ، على ان يطلب من ترشحه اللجنة الوطنية فى الجمهورية العربية المتحدة القيام بوظيفة السكرتير العام ، بدلا من الشخص الحالى ، وذلك حتى يتخذ قرار نهائى فى الاجتماع القادم للجنة التنفيذية))** .

وقد اتخذ المكتب الدائم فى القاهرة قرارا فى الوثيقة رقم ٨ هذا نصه ((يضع اعضاء المكتب الدائم موضع الاعتبار المعلومات التى ادلى بها وفد الاتحاد السوفيتى بشأن قرار لجنة الاتصال السوفيتية للكتاب الافريقيين الاسيويين بعقد اجتماع للكتاب فى اغسطس من هذا العام فى مدينة باكو (أذربيجان) وباشتراك الكتاب الافريقيين الاسيويين ، لتأييد نضال شعب فيتنام ضد العدوان الامريكى)) .

كذلك اصدر المكتب بيانا بشأن فيتنام جاء فيه ((باسم كتاب آسيا وافريقيا **نستنكر** بكل قوة ، استمرار العدوان الامريكى على فيتنام والمحاولات الوحشية التى تبذلها الولايات المتحدة لاخضاع شعب هذا البلد . **ونؤيد** بكل قوة مطلب جبهة التحرير الوطنية **وندعو** الى تنفيذ اتفاقات جنيف سنة ١٩٥٤ بعد تحقيق الشروط التى لا بد من توفرها كى يمكن تنفيذها .

وتناشد الكتاب الافريقيين الاسيويين جميعهم وكل كتاب العالم ان يؤيدوا الكفاح العادل للشعب الفيتنامى ، بكل الوسائل التى فى ايديهم ، من أجل الحرية والاستقلال والسيادة))

هذا وقد دعا المكتب الدائم فى كولمبو — والذى ادانته قرارات القاهرة — الى عقد اجتماع عاجل فى بكين فى مواجهة مؤتمر القاهرة .

● ● ●

■ **سينما**

أفلام المهرجان بين الموضوع والاسلوب

وسط

دوامة الافكار ، والتجارب السينمائية التى تبحث عن الجديد فى الشكل الفنى والاسلوب والتى تنافست أكثر من ١٥ دولة فى تقديمها لمهرجان كان السينمائى العشرين .. لابد ان نتساءل : هل كان التقدم والتنافس فى تقديم الاطار الفنى الجديد على حساب الموضوع ؟! أم كان فى خدمته ؟!

ان أوضح آثار الموجة الجديدة ، والهواء الجديد الذى بعثته فى السينما تظهر فى فيلم **((رجل وامرأة))** الفرنسى للمخرج الشاب **كلود لالو** .. فلقد استفاد لالو من جرأة الموجة الجديدة فى طريقة القطع السريع .. ورمزيتها المباشرة فى اعطاء موضوع الفيلم حيوية متدفقة تشد المتفرج من مشهد الى مشهد .. وعمد الى ((صبغ)) كل مشهد له معنى درامى معين باللون المقابل له .. فاللون الوردى يلون بشاعريته مشاهد الغرام والازرق الداكن للمأساة بينما البنفسجى فى المواقف المثيرة للتوتر .

استعان **لالو** بكل هذه الاساليب الجديدة ليحكى قصة قديمة تتكرر كثيرا فى الحياة .. الارمل الحزين الذى يريد فرصة جديدة للحياة ، والارملة التى تعيش فى ذكريات زوج أحبته .. وترفض التصديق أنه ذهب **ولن يعود** ؟ .

وهو الموضوع ولا شىء غير الموضوع الذى شد **أورسون ويلز** الى اخراج **((فالستاف))** لشكسبير .. انجريه وراء منتج حتى اسبانيا لاكثر من ٢٥ عاما سببه الاساسى أعجابه بموضوع الصراع فى شخصية ((فالستاف)) المهرج السكير .. والانسان العميق .. وعندما اخرج ويلز فيلمه .. حشد له كل أمكانياته الفنية .. تطور فى أختيار اللقطات لتصبح تشكيلية تحمل كل ما فى اللوحة من قيم التجانس اللونى والتكوين المتزن فى العناصر الثابتة والمتحركة .

سألت ويلز .. هل يستطيع ان يقبل عملا سينمائيا متطورا بلا موضوع .. مثل التجارب الكثيرة التى قام بها شبان الموجة الجديدة الفرنسيين .

كان رد ويلز هو الرفض التام .. لابد أن يقول الفيلم شيئا .. ويكون هذا الشىء له قيمة .. أن الفن والاسلوب فى خدمة الموضوع وتأكيدا له ..

هذا المعنى نفسه كان **يتردد** فى حديث **ريفت** مخرج فيلم الراهبة .. **قال لى ريفت** : —

● لقد فضلت أن اعتمد على **تسجيل** الصوت المباشر عند تصوير الفيلم ، لاعطى واقعية الاقدام وهى تتحرك على البلاط وحتى ينبض الفيلم بالاصوات البعيدة الدخيلة والتى تعطى للمشاهد هذه الخلفية الواقعية التى تتسلل الى الاسماع ..

هذه الواقعية الشديدة **والصادقة** . هى التى اعطت فيلم الراهبة قوته واكسبت المشاهد صدقا . ينفذ الى الاحساس

وهى ايضا **السر** فى نجاح فيلم ((طيور صغيرة وكبيرة)) لان المسألة ليست الطرافة فى أختيار ((الغراب)) ليترك مع البطل ((توتو)) وبرفقته طوال الفيلم .. فالفكرة نفسها بعيدة جدا عن التصديق .. ولكن اداء توتو ولمحاته الطبيعية جدا ... ثم أختيار المشاهد الطبيعية كلها من الواقع ، بدون الاستعانة بديكورات ، كل ذلك تجمع ليجعل من غير المعقول معقولا .. يصدقه المشاهد على الاقل أثناء العرض !

ولكن .. انبهار بعض المخرجين بالتجارب الجديدة .. كان على حساب الفيلم نفسه ، وعلى حساب أقناعه للمتفرج .. مثل فيلم المخرج **جوزيف لوزى : مودستى بليز** .. لقد اهتم لوزى بالديكورات ((البوب آرت)) والملابس اللامعقولة ونسى جوهر الفيلم .. فى نفس الوقت وفى فيلم قصير مدته عشر دقائق .. أستعان فيه مخرج تشيكى شاب بعناصر تجريدية بسيطة ليحكى بها قصة درامية مثيرة .. ابطالها خط وحب دائرة .. ولكن الدائرة تحن للانطلاق وتعشق ((الشخبطة)) ولكى يقتنع الخط الدائرة بقيمته ، يرسم لها وجوده فى الحياة فى قضبان السكك الحديدية .. فى أساس العمارات .. فى خطوط الملاحة الجوية .. وفى كل شىء .. وهنا تؤمن الدائرة به وتعجب به . !

وفى فيلم **((بروجل))** يعتمد المخرج على اللقطات الذكية والتصوير الرائع .. وأسلوب جديد فى النقلات ليقدم فيلما ينبض بالحياة . يعتمد اساسا وبلا تعليق على لوحة واحدة كبيرة ((هى جنون الانسان)) لبروجل .. ولعلها ابلغ الامثلة وضوحا على خدمة الاساليب الفنية الجديدة للموضوعية والقيم الكلاسيكية فى الفن ..

تعليق

حول مسرحية النصابين : ماهكذا يجب أن يكون البطل !

المعلم رضوان ، فتوة حى البلاقسة (قبل يوليو ١٩٥٢) ، وبطل مسرحية النصابين رجل ضخم الجثة ، قوى البنية ، حاضر النكتة ، يجيد الحديث والانصات والاستهبال ، قادر على مخاطبة البسطاء ومجاراة المتحذلقين ومداراة الحكام والمديرين ، وهو رجل حسن النية والطوية ، وصاحب مزاج ، اى انه — وعلى حد تعبير رضوان نفسه — حشاش . ولا يملك غالبية المتفرجين انفسهم من التعاطف والاعجاب بالمعلم رضوان من اول المسرحية الى آخرها ، فالمؤلف بارع فى تقديم الشخصية وتحبيبها الى القلوب .

وبقدر ما يسعى المؤلف الى تحبيب المعلم رضوان الى قلوب النظارة ، نراه يسعى الى ان يخسف الارض بالشخصيات الثلاث الهامة الاخرى فى المسرحية : صحفى من محترفى السياسة ، متياسر يتشدق بالشعارات الثورية بينما يتناقض سلوكه مع كلامه ، ومشعوذ مشتغل بالفن ، يطنطن بعشق الفولكلور ليسلب مغنية من عوالم الحى الفقير حليها ومالها ، ودكتور فى الآثار والايجيبتولوجى يفتضح جهله ، ويلوك عبارات عن الديموقراطية وحرمة الجسم البشرى (هابيوس كوربوس) ، فاذا اصطدم ببعض صعاليك الحى من سكان خرائبه واطلاله انقلب الى سفاح لا يرحم ولا يصفح .

ومرة اخرى نجد المؤلف بارعا فى اختيار انماط مرضية مشوهة من جمهرة المثقفين الذين خاضوا ميادين السياسة والفن والعلم ، فافسدوا حيث يزعمون الاصلاح ، وكانوا عبئا على الناس البسطاء حيث يدعون انهم جاءوا للاخذ بايديهم ورفع مستواهم .

ولو ان المؤلف قصد من السخرية بتلك الانماط المرضية المشوهة من سواقط المثقفين الى تبييض صفحة انماط اخرى من المثقفين الجادين ، ممن رفعوا شعارات التقدم والثورة ، ووحدوا حياتهم مع افكارهم ، وناضلوا من اجلها وضحوا ، وغيرهم ممن خاضوا ميادين الفن والعلم بشرف ونجاح ، ووضع كل منهم لبنة فى صرح التراث العلمى والفنى لهذا البلد الزاخر بالكفاءات ، الملىء بالارادات القوية النظيفة — نقول لو ان المؤلف قصد الى هذا لجمع الى البراعة الفكاهية صحة الهدف وسلامة الاتجاه .

غير ان المقارنة التى يعقدها المتفرج ، جريا وراء المؤلف طبعا ، هى دائما بين هذه الانماط المرضية من المثقفين من جانب ، وبين المعلم رضوان وبتوع التلات ورقات من جانب آخر ، مع التحيز الواضح من جانب المؤلف ، والاثر الاكثر وضوحا فى جمهور المتفرجين . بل اننا نرى جمهور المتفرجين ، بعد شىء من التكرار والتشويه الفكه من جانب المعلم رضوان — نراهم يضجون بالضحك بمجرد ان ترد عبارة « اسقاط تحالف الاقطاع والبرجوازية » على لسان ذلك السياسى الصحفى ، او على لسان ذلك المعلم الفتوة . وهكذا تنتقل عدوى الضحك من ناطق الكلمات الى الضحك من الكلمات نفسها . ومتى ؟ فى وقت تعنى هذه الكلمات كثيرا من المعانى والاهداف التى يناضل من اجلها تحالف قوى الشعب العامل فى بلادنا ، فى وقت يحسن ان تكرس الكفاءات الفنية جهودها من اجل تقريب مدلولها الى اذهان اكبر عدد من المواطنين بدلا من اثارة السخرية حولها وتبديد معانيها بين اضاليل مثقف منحرف وفكاهات فتوة متفاصح ، ووسط سحب من دخان المكيفات والمخدرات .

ان الناس حين يضيقون بالسياسى المضلل او مدعى الفن المشعوذ او الدكتور المتعالم ، فلا يجب ان يكون الغذاء الذهنى والروحى الذى يقدم لهم هو الدعوة الى الرجوع الى الفطرة والبدائية ، حتى ولو كانت فطرة طيبة وذكية مثل فطرة المعلم رضوان وبتوع التلات ورقات . انها ، باختصار ، دعوة للتخلف لا يخفف « الظرف » من مسئوليتها . فالفطرة والبدائية لا تغنى صاحبهما شيئا فى زمن شديد التعقيد حافل بالتحديات مثل زماننا . والمعلم رضوان نفسه خير دليل على ذلك . فهذا الرجل ، الذى يستجلب له المؤلف كل العطف ويخلع عليه كل اردية البطولة ، لا يحتمل شهرا واحدا من سجون فاروق واضطهاد رجاله ، انه يعود مهدما مبتئسا بعد أيام محدودة يتحسس قفاه فى تخنث ، وينسحب من الحى فى مذلة ، داعيا الجميع الى التسليم والهزيمة ، ويستانف هوايته المفضلة الوحيدة ، وهى التوهان فى سحب الحشيش .

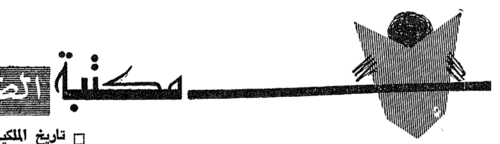
لا . ما هكذا يجب ان يكون البطل الذى تزين صفاته امام شعب يواجه كل تحديات العصر .

اما خاتمة المسرحية ، سواء انتفاضة المعلم رضوان وبتوع التلات ورقات على السلطة المستبدة ، او ظهور دبابات الجيش لتحاصر القصر ، فان كل من كتب قبلى عن المسرحية يغنينى عن التاكيد على انها خاتمة مفتعلة ملزوقة لا علاقة لايهما بتطور احداث المسرحية وحركة شخصياتها ، اللهم الا اذا كانت من قبيل النهاية السعيدة المفتعلة التى عانى منها الانتاج المسرحى والسينمائى فى بلادنا زمنا طويلا .

ومما يلفت النظر ان المؤلف ، ولا سبيل الى التقليل من طموح محاولته الفنية ومسعاه لرسم صورة للبانوراما الاجتماعية والفكرية ، بل انها اكبر محاولاته واكثرها دلالة حتى الان — نقول ان المؤلف حصر نفسه بين عدد من الانماط غير المنتجة ، سواء فى ميدانى القيم المادية او القيم الفكرية . ولعل هذه الانماط التى حصر المؤلف نفسه بينها ، هى الاصل فى الفكرة التى تملكته اثناء الكتابة ، والتى نقلها الى جمهور المتفرجين ، وهى ان كل الناس نصابون وان اختلفت الاساليب والادعاءات . ولو ان المؤلف عنى ان يرى فى ذلك الحى عاملا او صانعا او مدرسا او حتى موظفا صغيرا ، ولو انه عنى ان يقدم — بدلا من شخصية المصور الصحفى الباهتة التى لا تقنع احدا — ولو شخصية واحدة فحسب من الشباب الثورى الاصيل ، وما اكثرهم — لو انه عنى برؤية هذه الانماط وتقديمها لتبين ان الناس ليسوا — فى مجموعهم — نصابين كما حاول ان يصورهم . فالعامل والصانع والمدرس ليسوا نصابين ، وكذلك السياسى الثورى الجاد الذى يرفع شعار « اسقاط تحالف الاقطاع والبرجوازية » على الرغم من سخرية بطل النصابين بالكلمات . لو ان المؤلف راى هذه الانماط الاجتماعية المنتجة ، او بعضها ، اذن لكان ظهور ثوار يحاصرون قصر الملك بالدبابات نتيجة طبيعية لارادة هذه القوى الاجتماعية المنتجة ، ولما كانت خاتمة المسرحية مجرد عمل من اعمال التصب ، على حد تعبير احد النقاد .

ان مسرحية النصابين انحدرت ، فى معظمها ، الى حد تزيين اشكال من الجهل والتخلف تحت ستار الدفاع عن الناس البسطاء ضد اضاليل المثقفين المنحرفين المشوهين . والحق انهم ليسوا بسطاء ، اولئك الذين اخذت المسرحية على عاتقها مهمة استدرار العطف عليهم واظهارهم فى اثواب الابطال ، وانما هم جماعة من سواقط المجتمع ، وانماط غير منتجة ماديا وفكريا . وما هكذا يجب ان تكون رسالة الفن فى بلادنا .

سعد زهران



مكتبة الطليعة

- ☐ تاريخ الملكية الزراعية في مصر الحديثة ١٨٠٠ـ١٩٥٠
- تأليف : جبرائيل باير

- ☐ بنوك وباشوات
- تأليف : دافيدس. لاندز
- ترجمة : د. عبد العظيم أنيس

- ☐ من المجلات الفكرية العالمية
- مجلة ((الديمقراطية الجديدة))
- مجلة الاقتصاد والعلاقات الدولية

تاريخ الملكية الزراعية فى مصر الحديثة ١٨٠٠ ـ ١٩٥٠

- تأليف : جبرائيل باير

يبدأ تاريخ مصر الحديث مع بداية هذا القرن ، بانهيار النظام العثمانى ـ المملوكى، نظام العصور الوسطى ، وبظهور حركات المقاومة الشعبية ذات الوعى الديمقراطى الجنينى ، وبداية الاحتكاك الفعال بالحضارة الاوروبية والسوق الرأسمالى الاخذ فى النمو . وكان لحركات المقاومة الشعبية، وللحملة الفرنسية ، الاثر البالغ فى انهيار النظام القديم . ساهما فى ذلك على غير تحالف ، بل على صراع مرير . ثم عملت الحركة الشعبية وحدها بعد خروج الفرنسيين على تقويضه . واتى محمد على ليتم آخر حلقات الصراع ضد المماليك ، ثم ليبنى نظامه ضد مصلحة الشعب ومشيئته .

من هذه الفترة يبدأ المؤلف بحثه فى تطور الملكية الزراعية فى مصر . ويصحب تطورها الى منتصف القرن الحالى . وقد اعتمد فى بحثه على عيون مصادر التاريخ المصرى الحديث ووثائقه المتاحة . وجمع له مادة غزيرة . اشار فى عجالة الى تطور الملكية الخاصة للارض عبر القرن التاسع عشر حتى توافرت عناصرها جميعا قرب نهايته . ثم ركز همه فى بحث توزيع ملكية الارض فى القرن الماضى ، ثم فى النصف الاول من القرن الحالى . وتلى ذلك ببحث نظام الوقف وموضعه فى تاريخ الملكية الزراعية . ثم تكلم عن الاصلاح الزراعى ، عن الاراء التى اثيرت حوله قبل ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ وموقف الاحزاب المختلفة منه .

فى عصر الالتزام ، لم تكن الملكية الخاصة معروفة بمعناها الحقوقى ، وان مارس الملتزم على الارض واهلها سلطات المالك الاقطاعى فعلا ، فيما يتعلق بجمع فائض الانتاج من الفلاحين ، وتسخيرهم فى العمل لحسابه . كان المماليك ركيزة النظام السياسى . فكان قضاء محمد على عليهم قضاء على نظام لم يعد يسيغ التطور الاجتماعى والسياسى بقاءه (٥)

وبحمد على حاكم اقطاعى ، لكن نظامه يعتمد على تقوية سلطة الدولة المركزية والجيش . حفاظا على سلطته من الاطماع الخارجية ، وحفاظا على النظام من الحركة الشعبية الوليدة . واقتضى ذلك رصد فائض انتاج المجتمع لخدمة السلطة المركزية ، فى مواجهة الملتزمين الوسطاء الذين كانوا يبعثرون قسما كبيرا منه وفى مواجهة الشعب الطامح فى ان يستبد بناتج عمله . واتخذ سلسلة اجراءات اصبحت بها الدولة مالك الارض الوحيد ، واصبح هو الحاكم الاقطاعى الاوحد (٥)

ثم مسحت الارض ووزعت على الفلاحين مساحات تتراوح بين ثلاثة افدنة وخمسة . وكان مقتضى ذلك المساواة فى توزيع الارض ، ولكن صاحبه ما لجأ اليه محمد على سنة ١٨٢٩ من منح الابعاديات لكبار رجال الدولة والجيش لينشىء طبقة ارستقراطية تدعم حكمه كما يشير يعقوب ارتين . وفى هذا للحظ بداية نشوء طبقتى الفلاحين وكبار الملاك فى العصر الحديث . ووضع محمد على بهذه الاجراءات وبالقضاء على الملتزمين اساس التطور اللاحق للملكية الفردية بعد ان تقوضت النظم الاحتكارية التى انشأها ، كما يذكر المؤلف .

تتبع المؤلف نشوء طبقة كبار ملاك الاراضى التى بدأت فى الظهور من هذا الوقت وتميزت بشكل حاد عند نهاية القرن، على اساس دراسة الظروف التى ادت الى ظهورهم ، مع تحديد مصادر ثرواتهم ، ومنها نجد ان الدولة شاركت بشكل هام فى نشوئها ونموها .

لقد اضطر محمد على ازاء ما ترتب على كثرة تجنيد شباب القرى ، وقلة الايدى العاملة بالريف ، من تأخر سداد الضرائب ، الى ان يعهد بجمع الضرائب الى متعهدين يقومون بدفع الضرائب المتأخرة . وهو نظام يختلف عن نظام الالتزام الملغى فى انه لم يكن يجوز للمتعهد (نظريا) ان يتقاضى من الفلاحين اكثر من الضرائب المقررة . ولكنه يمنح نظير التحصيل ارضا معفاة من الضريبة (ارض الوسية) يسخر الفلاحون فى زراعتها . واختير المتعهدون من رجال الجيش وكبار الموظفين وبعض الاجانب او المتمتعين بالحماية الاجنبية (٥) واستمر النظام حتى عهد اسماعيل . واتسع حتى شمل حوالى ١٫٢٠٠٫٠٠٠ فدان . وفيه نجد مصدر الكثير من ثروات العائلات التى عاصرت منتصف القرن الحالى ، مثل السلحدار ،

الشواربى متعهد منطقة قليوب ، السيد اباظه ، البدراوى بسمنود . ولم يستطع المؤلف ان يتتبع عملية تملك المتعهدين اراضى العهدة ، ولكنه يشير الى ما كان ايام اسماعيل من انتزاع الارض من الفلاحين لمصلحة من يدفع الضرائب المتأخرة عليهم . ولاشك ان كان لدى المتعهدين ما يستطيعون به اتمام الصفقة لحسابهم كما اعترف اسماعيل لهم بالملكية الكاملة على ارضهم التى كانت تصل احيانا الى زمام قرية كاملا .

وكانت تمنح اراضى الابعاديات لكبار رجال الدولة والجيش، قاربت مساحتها ايام محمد على ٢٠٠ر٠٠٠ فدان . واستمر منحها حتى عهد اسماعيل — سيما فى المناطق الجديدة بشمال الدلتا والبحيرة . وكانت الشفالك تمنح لذات الحاكم وعائلته . وصل مجموع اراضى الشفالك والابعاديات سنة ١٨٤٠ ٦٣٥ر٠٠٠ فدان . وكان الحاكم هو المالك الاكبر للارض الزراعية ، وكان مصدر ملكية الاخرين .

ومع تطور الزراعة وزيادة مساحات الرى الدائم ذات المحاصيل الصيفية ، ومع ارتفاع انتاج القطن وسعره (سيما اثناء الحرب الاهلية الامريكية) لجأ اثرياء التجار الى الارض يجدون فى استغلالها ربحا يضاف الى ربح التجارة فعائله الهجين اضافت الى التجارة الواسعة — منذ عصر محمد على امتلاك الارض ، وكذلك عائلة الطرزى ، وبلغ وقف الطرزى سنة ١٩٥٠ ٢٣٧٩ فدانا .

وكان تعمير الارض الجديدة يتم لمصلحة كبار الملاك ، وهذا منشأ الملكيات الكبيرة فى البحيرة التى بدأت حركة تعميرها ايام اسماعيل وتمت فى التسعينات . بلغت نسبة من تزيد ملكيتهم فيها عن ٥٠ فدان ٦٧٪ من مجموع الملاك . كما بلغت هذه النسبة ٥٦٪ بالغربية (وكانت محافظة كفر الشيخ جزءا منها) .

واذا كان هذا هو وضع الملكيات الكبيرة ، تتوسع باطراد، وتساهم الدولة فى نشوئها ونموها . فقد كانت الصورة عكسية بالنسبة لملكيات صغار الفلاحين . اذ اثقل هؤلاء باعباء الضرائب الباهظة ، التى زادت ايام سعيد من ربع الانتاج الى ثلثه ، ثم الى نصفه ايام اسماعيل . وهرب الفلاحون من الارض ، تركوها تحت سيطرة الملاك الكبار ، لتصبح عهدا او شفالك ، او لتباع الى الذوات والاوروبيين ، او تمنح بدل معاش لكبار الموظفين . وساعد التجنيد والسخرة على انتشار حركة الهروب ، فقل عنصر العمل بارضهم ، وزاد بارض الملاك الكبار والمتمتعين بالامتيازات الاجنبية لعدم خضوع عمالهم للتجنيد او السخرة .

ومن لم يترك من الفلاحين ارضه ، تركته الارض ، اذ تنزع ملكيتها وفاء لباهظ الضرائب والديون . لقد صنفت معظم الملكيات الكبيرة فى ارض العشور ، وتضمنت الارض الخراجية اساسا الملكيات الصغيرة . كانت ضريبة ارض العشور لاتزيد عن ٣٥ قرشا للفدان ، بينما بلغت فى الارض الخراجية ١٠٠ قرش . كانت الارض الخراجية تمثل ٢ر٥ مرة ارض العشور ، ولكن ضريبتها تمثل ٩ر٥ مرة الارض العشورية .

والجدير بالملاحظة ، اثر النفوذ الرأسمالى الغربى فى تطور الملكية الخاصة وتكوين طبقة الملاك الكبار ، واملاق طبقة الفلاحين ، واتساع الهوة بينهما .

لقد ارتبط الانتاج المصرى بالسوق الرأسمالى ، ونما الانتاج السلعى فى الزراعة . والغيت الاحتكارات والمكوس الداخلية التى تعوق حرية التبادل . وظهرت الضرائب النقدية من عهد عباس الاول . وبدأ ظهور الملكية الخاصة . كانت تنمو بمقدار نمو السوق المصرى وتبعيته للسوق الرأسمالى .

وكانت الديون العامة المعروفة ، التى بدأها سعيد ، وبلغت ذروتها فى عهد اسماعيل . وزادت الضرائب النقدية على الفلاحين ، وزاد تسرب الرأسمال الربوى الاجنبى ، عمل غير طيب ، ولكى تنبت حبته سبع سنابل . وزادت الضرائب لسداد القروض العامة ، فاستدان الفلاح لوفائها قروضا اهلية من الاجانب وصلت فائدتها الى نحو نصف الدين فى السنة . ونمت الملكية الخاصة التى تبيح للفلاح التصرف فى الارض ورهنها وفاء للديون . منحت الملكية الخاصة للفلاح لمصلحة الاجنبى ، ولتضع الاساس القانونى لاستغلال المقرض الاجنبى له ، يقاسمه به استغلال الحكام والملاك المتمثل فى الضرائب والسخرة . منح الفلاح رقبة الارض ووضع عنقه رقبة ومنفعة فى اسبتاء الديون سيما بعد ان ظهرت المحاكم المختلطة واخترق بنظام الرهن العقارى . وقد زادت الديون المضمونة بالرهن من نصف مليون جنيه سنة ١٨٧٦ الى سبعة ملايين جنيه سنة ١٨٩٢ .

وكان هذا التغلغل الرأسمالى الاجنبى مصدر الخير على الملكيات الكبيرة ، ووبالا على الفلاحين الذين تم افقارهم ، فى عملية اجتماعية واحدة .

تتبع المؤلف اصحاب الملكيات الكبيرة فى القرن الماضى ، وهم يتمثلون اساسا فى كبار الموظفين والضباط والمتصلين بالحكم، يقطع الواحد منهم ما يصل الى ١٠٠٠ فدان ، وفئات الموظفين الاقل ما يصل الى ٤٠٠ فدان . كانت فئة الموظفين تتكون من الاتراك المتمصرين يعيشون فى المدن مثل شريف باشا والمنكلى وبهجت باشا . ويسمون الذوات . كما وجد مصريون اقطعوا اراضى كثيرة ودخلوا فى زمرة الحكام وحصلوا على المناصب البارزة مثل رفاعة الطهطاوى الذى امتلك ١٦٠٠ فدان والبدراوى ١٧٠٠ فدان . ثم من اغنياء القرى ذوى العصبيات والنفوذ العائلى الاجتماعى والدينى بالقرية . فى يدهم مناصب العمودية ومشيخة البلد ، يحصلون على مسموح المشايخ (٥٪ من زمام القرية الذى منح لهم ايام محمد على) وعن طريق صلتهم بالحكومة ، يخفون اخبار من يتوفى او يهرب من الفلاحين للسيطرة على ارضه . وباستخدام سلطتهم فى جمع الضرائب وتوزيعها على الفلاحين والاعفاء منها ، وحشد المجندين والمسخرين فى المشاريع العامة . كان استبدادهم سببا فى هروب الفلاحين من ارضهم وتركها لهم . واذا كان الذوات قد وهبوا الارض من الحاكم ، فقد حصل هؤلاء عليها نتيجة انشقاق المجتمع الريفى الى اغنياء وفقراء . وبدأوا بعد ذلك يدخلون سلك الوظائف ، يعين منهم المأمورون والنظار ثم المديرون . واصبحت معظم المجالس الاستشارية تشكل منهم على عهد اسماعيل .

كان الاجانب قد حصلوا على الارض اقطاعا من محمد على وخلفائه ، وبعد نشوء المحاكم المختلطة عن طريق نزع الملكية وفاء للديون او شرائها بالثمن البخس من الفلاحين . وبلغت ملكيتهم سنة ١٨٩٧ ١١٪ من مجموع الاراضى المملوكة (٥٥٠ الف فدان) تمثل ٢٣٪ من مجموع الملكيات الاكثر من ٥٠ فدانا .

ويصل المؤلف ببحثه الى مستهل هذا القرن . فيتعرض للتغير الذى حدث فى الملكيات القائمة . ان للميراث اثرا فى تفتيت الملكية الصغيرة تظهر الاحصاءات ازدياد تفتيتها بازدياد عدد السكان .. كما ان الازمات كانت عاملا هاما فى افلاس الفلاح وبيعه ارضه سنة ١٩٠٧ وسنة ١٩٣٠ .

ولكن لم يكن للميراث مثل هذا الاثر بالنسبة للملكيات الكبيرة . ينتهى المؤلف من رصد الاحصاءات الى ان اثر الميراث فى تجزئة الملكية الاقل من خمسة افدنة اكثر منه فى تجزئة الملكية المتوسطة (من ٥ — ٥٠ فدان) والكبيرة (اكثر من خمسين فدان) وفى هذا رد كاف على ادعاء نظرية ان الميراث يستطيع اعادة توزيع الثروة الزراعية . ان الملاك الكبار يجدون من ارض الحكومة التى تمنح لهم واراضى الشركات والفلاحين المفلسين التى يشترونها ، ما يعوضهم عن اثر الميراث . وهم يحفظون ملكيتهم بالوقف الذى لم يمارسه الفلاح الصغير .

كما ان اثر الازمات الاقتصادية عليهم اقل كثيرا منه على الفلاحين ، لقد لجأت البنوك العقارية فى ازمة سنة ١٩٠٧ الى الاقتراض من الخارج حتى لا تنزع ملكية كبار الملاك المدينين، فى حين نزعت الملكيات الصغيرة . وخلال ازمة ١٩٣٠ تدخلت الحكومة لحماية الملاك الكبار من تهديد البنوك ، ولضمان حصول البنوك على ديونها ، حلت محل الاولين فى السداد واشترت الارض المنزوعة لتعيدها لاصحابها ، ومدت آجال السداد وخفضت الفائدة .

استمدت الملكية الخاصة مصادر نموها فى النصف الاول من هذا القرن مع بيع ارض الدائرة السنية واراضى الدولة . اذ

بيع من الدائرة السنية من سنة ١٩٠١ الى ١٩٠٦ حوالى ٣٢٢٫٠٠٠ فدان حصل كبار الملاك منها على ٢٥٩٫٠٠٠ فدان. ونشأت شركة الشيخ فضل ، والشركة المصرية الجديدة ونمت ملكية عائلات عمرو ، لطف الله ، سلطان ، يوسف كمال ، بشرى حنا . وبيع من اراضى الدولة بعد الحرب الاولى ١١٤٫٠٠٠ فدان ، واثناء الحرب الثانية وبعدها ٢٠٠٫٠٠٠ فدان . وتدل الاحصاءات على وقوع اغلبيةهذه الاراضى في يد كبار الملاك الموجودين والجدد . واذ تعتبر سنة ١٩٤٧ سنة الذروة فيبيع أرض الحكومة ، فقد بيع فيها ٤٠٫٠٠٠ فدان لمن يملكون اكثر من ٥٠ فدانا ، ٥٩٫٠٠٠ فدان لمن يملكون اكثر من مائتين . ولم يحصل صغار الزراع على اكثر من ٣٠٠٠ فدان بكفر سعد .

وبالنسبة لاثر نشاط البنوك العقارية على صغار الملاك وكبارهم ، فان البنك الزراعى المصرى الذى انشأه كرومر بهدف « الابقاء على طبقة الفلاحين المالكين وزيادتها ، وبالتالى خلق عنصر محافظ فى البلد يعمل على استقراره » . لم يحقق غايته الاساسية بخلق ملاك صغار جدد . وكان تأثيره ضعيفا فى حماية الموجودين فعلا ، أضطر الى نزع ملكياتهم فى ازمة سنة ١٩٠٧ . وبنك التسليف الذى انشىء سنة ١٩٣١ لمصلحة صغار الفلاحين ومتوسطيهم (اقل من ٤٠ فدان) شمل نشاطه فيما بعد من يملكون ٢٠٠ فدان . وجذب بفائدته القليلة على عملياتهكبار الملاك . ولم يستطع قانون عدم جواز الحجز على الملكية الاقل من خمسة افدنة، الذى وضعه كيتشنر سنة ١٩١٢ ان يحمى صغار الفلاحين. فلم تكن البنوك تتعامل معهم ، سيما بعد افلاس البنك الزراعى المصرى . وكان الفلاحون يعتمدون فى الاقتراض على المرابين المحليين ، وكان لهؤلاء فى نظام بيع الوفاء الذى يجيزه القانون مخرج من حكم قانون الخمسة افدنة . فلما انشىء بنك التسليف استثنى من احكام هذا القانون صراحة .

وبالمقابل ، يلاحظ ان نشاط البنوك العقارية — وكانت اجنبية اساسا — كان يمثل اساس تمويل الملكيات الكبيرة وتوسعها لقد مول بنك الكريدىفونسيير معظم عمليات شراء ارض الدائرة السنية . وتظهر الاحصاءات التناسب الطردى بين ما يقدمه هذا البنك من قروض زادت من ٢ر٣ مليون جنيه سنة ١٨٩٠ الى ٢٣ مليون جنيه سنة ١٩٠٧ وبين الزيادة الحاصلة فى الملكية الزراعية الكبيرة التى زادت ٢٦٥٠٠٠ فدان من سنة ١٨٩٤ الى سنة ١٩٠٢ ، ٢٥٩٠٠٠ فدان فى المدة من ١٩٠١ الى ١٩٠٨ . كانت القروض تستغل فى شراء الارض لا فى اصلاحها وزيادة انتاجها . ولم يكن لهذه الطبقة الطفيلية فضل فى زيادة الانتاج وتطويره .

وكان رأسمال البنوك العقارية يمثل ٥٠٪ من مجموع رأسمال الشركات المستثمر . وكانت الديون على الارض الزراعية تمثل ٨٠٪ من نشاط بنك الكريدى فونسيير سنة ١٩٣٤ ، ٨٥٪ سنة ١٩٤٨ ، ٩١٪ من نشاط بنك الاراضى العربى سنة ١٩٤٨ . لقد كان الرأسمال الاستعمارى احد الاسس الهامة لدعم الملكية الكبيرة ونموها . مما يكشف عن الارتباط العميق بين المصلحة الاستعمارية والمصالح الاقطاعية المحلية .

وكان موقف الاجانب من امتلاك الارض الزراعية مرتبطا بالموقف السياسى العام ، وبمدى ما يحقق الاستثمار فيها من ربح . زادت ملكياتهم فى مستهل هذا القرن فى ظل الاحتلال البريطانى . وبلغ رأسمال الشركات الزراعية ١٩ مليون سنة ١٩٠٧ . ثم توقفت نتيجة نمو الحركة الوطنية وازدياد السخط الشعبى ،سيما بعد حادث دنشواى . وهبطت نسبة ملكيتهم من ١٣٪ الى ١٠٪ بعد الحرب العالمية الاولى. وهبط الرأسمال المستثمر فى الشركات الزراعية من ١٨ مليون جنيه الى ١٤ مليون جنيه ، ولجأت هذه الى بيع الكثير من ارضها . ثم هبطت ملكيتهم ٧٠٠٠٠ فدان بعد ابرام معاهدة سنة ١٩٣٦ والغاء الامتيازات . ثم منعوا امتلاك الارض بالقانون سنة ١٩٥١ .

ويشير المؤلف الى ظاهرة كان لها اعمق الاثر فى تاريخنا هذا القرن ،سيما فى العشرينات وبعدها . وهى ظاهرة التزاوج الذى حدث بين كبار الرأسماليين وبين كبار ملاك الارض . اذ وجد التجار والصناع فى الارض استثمارا مضمونا دائما ، فاتجهوا اليها ، وكونوا الملكيات الزراعية الكبيرة . كما اتجه ملاك الارض القدامى الى حقول النشاط الصناعى والمالى ، سيما خلال الازمات الزراعية . فعلى امين يحيى والمغازى وسيدناوى والوكيل بدأوا بالتجارة ، ثم جمعوا اليها الملكية الزراعية . واحمد عبود بدأ مهندسا مقاولا فى سكة حديد فلسطين وسوريا وفى تعلية خزان اسوان ثم امتلك المساحات الشاسعة ، وكذا محمد حسن العبد .

واذا كانت عادة كبار ملاك الارض ان يستغلوا فائض دخلهم فى شراء المزيد ، فانه بعد ازمة سنة ١٩٣٠ ، وبعد فرض الحماية الجمركية على الصناعة الوطنية فى الثلاثينات، وجدوا فى مشاريع الصناعة كسبا مغريا دفعهم للمساهمة فيها. وتأكدت هذه الظاهرة اثناء الحرب الثانية وبعدها (البدراوى، سراج الدين ، بشرى حنا ، دوس ، اندراوس وبعض افراد العائلة المالكة) .

لم يوضح المؤلف الاسباب السياسية والاجتماعية لهذه الظاهرة وآثارها ، على نحو كاف . واكتفى بان ذكر ان ذلك أدى بكبار الملاك الى العيش فى المدن (القاهرة والاسكندرية خاصة) غائبين عن أرضهم . والى أن هذا التزاوج أدى الى عدم وجود كيان حزبى مستقل لكبار الملاك ، ولا لارباب الصناعة والمال . اذ وجدوا معا فى سائر الاحزاب ، عدا الصغير منها . ويبدو انه لا يعتبر الحزب السعدى او حزب الاحرار من الاحزاب الصغيرة !

كان كبار الملاك عصب حزب الامة ونواته . ووجدوا ايضا فى الحزب الوطنى . ثم دخلوا أول تشكيل للوفد ، ثم كونوا لانفسهم حزب الاحرار الدستوريين سنة ١٩٢٢ ، وابقوا على صلتهم بالوفد . والحزب السعدى الذى انشق عن الوفد ليمثل مصالح الصناعيين تمتع بتأييد عناصر منهم . ثم بعد ابرام معاهدة سنة ١٩٣٦ ،وبسبب توقع ظهور المشاكل الداخلية على سطح الحياة السياسية ، قفز كبار الملاك الى قيادة حزب الوفد : الوكيل ، والمغازى ، بشرى حنا ، الطرزى، احمد مصطفى عمر وفؤاد سراج الدين الذى صار سكرتيره.

ونظام الوقف الذى وجد من قديم ، وعرف ايام المماليك بنوعيه الخيرى والاهلى ، وجد ايام محمد على ، اذ لجأ اليه المتعهدون ليثبتوا حيازتهم على ارض لم يكفل النظام القائم لهم ملكية تامة عليها . ثم زادت الارض الموقوفة فى النصف الثانى من القرن الماضى . لقد عرفنا ان الملكية الخاصة لم تكمل عناصر نشوئها الا فى مختتم ذلك القرن . وهى ليست بذات جذور اجتماعية قوية . وقد عرفنا ان كان المصدر الاساسى للملكية الكبيرة ، اقطاع الحاكم لكبار رجال الدولة والسياسة . وقد كان استمرارها ايضا منوطا برضاء صاحب الامر ، ومرتبط بوضعهم السياسى . وما كان ايسر ان يصادر الحاكم ملكية من يشاء ان تغير موقفه السياسى او الشخصى منه . ولم يجد اصحاب الاراضى فى ذات الملكية الخاصة ، ولا فى تقاليد المجتمع نفسه ، ولا فى مدى الاحترام الذى يحوطها كمؤسسة اجتماعية ، ما يضمن لهم استمرار حيازة الارض . فلجأوا لنظام الوقف . وهو نظام شرعى تكفل له التقاليد من الاحترام ما يجعله إمانا لهم عند تغير الاحوال لقد صودرت املاك قادة الثورة العرابية ، كما صودرت من قبل املاك اسماعيل المفتش الا ما كان موقوفا . واذا كانت المصالح المادية المشتركة لطبقة ما ، مما يعتبر قيما تقدسها هذه الطبقة فى علاقاتها الداخلية ، وتعمل على اقرارها كمبادىء مثالية سائدة فى المجتمع كله . وبرغم ان الملكية الخاصة تمثل الشكل الامثل لهذه المصالح المادية المشتركة بالنسبة لكبار ملاك الارض فى ظروف التاريخ الحديث . فلم يكن لها عندهم هذا التقييم المثالى . وجاء العدوان عليها عرفا مستقرا ، لا من جانب طبقات اخرى تتخطى القيم الضارة بها ، ولكن من صميم الطبقة المستفيدة ، من الحاكم جزئها ورأسها ، والممثل السياسى لها ، وهذا يكشف عن مدى وهن الاساس التاريخى الذى ترتكز عليه فى ضميرهم وضمير المجتمع كله . لقد كثرت الاوقاف من جانب الخديو ، وافراد

العائلة المالكة خشية اثر المنازعات مع الحاكم ، وكبار الموظفين .. الخ .

ثم زادت الارض الموقوفة فى خلال الخمس والثلاثين سنة الاولى من هذا القرن — سيما بعد الحرب الاولى. محافظة على وحدة الارض وبقائها فى حيازة الاسرة . وكمحاولة من جانب طبقةكبار الملاك لاستدامةمركزها الاجتماعيوالاقتصادى، بعد ان عظمت طفيليتها ،وانعكس ذلك على افرادها ،فاتسموا بالانحلال والاسراف الشديد ، وعدم المقدرة على انماء الانتاج مع استهلاك مصدر الثروة .ويعرض المؤلف من اسباب زيادة الاوقاف ، حتى بلغت ٧٠٠،٠٠٠ فدان ، محاولةالملاك تضييق نطاق الارث الشرعى حذر تفتيت الملكية . ويذكر ان ذلك ادى الى ان حصص الاوقاف بعد اجيال تقابلمساحات من الارض تزيد عن حصص الورثة على فرض عدم حصول الوقف وتفتيت الملكية على نحو اوسع . ولكنه ينسى هنـــا ان حبس ارض الوقف عن التعامل ، لم يمنع التفتت اصـــلا عبر السنين ، ولكنه منع تكون ملكيات كبيرة مركزة جديدة من اشلائها . وهذا مما ادى بالمفكرين الراسماليين من العشرينات الى المطالبة بالغاء الوقف الاهلى .ولاشك انهم بحكممصالحهم وتفكيرهم لم يكونوا من انصار التفتت الاكثر للملكية . وقـــد ذكر ان يوسف الجندى تقدم بمثل هذا المشروع سنة ١٩٢٧. واضطردت المطالبة به من بعد فكان اصحاب المصـــالح فى الابقاء على الارقاف وانشائها يعارضونه . حتى صدر قانون الغاء الوقف الاهلى فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٥٢ .

وفى النهاية يعرض المؤلف للاصلاح الزراعى فى مصر . انه رغم اعاقة طريقة توزيع الملكية للتطور الاقتصادى ،لم يرتبط الرأى العام فى مصر بالاصلاح الزراعى ، الا بشكل ضعيف قبل الاربعينات من هذا القرن . ولم يكن الاصـــلاح مجال مناقشة عامة عدا الاقتراح الذى تقدم به الحـــزب الشيوعى فى بداية العشرينات للحد من الملكيات الكبيرة .وكان كبار الملاك يسيطرون على الاجهزة التمثيلية . وقد منحدستور سنة ١٩٢٣ الملك — اكبر الملاك — سلطات تشريعيـــــة وتنفيذية واسعة . وكانت البرجوازية الصناعية ضعيفة قبل فرض الحماية الجمركية فى الثلاثينات . ثم ان الصراع من اجل المطالب الوطنية طمس بشكل عام المشاكل الاجتماعيـــة والاقتصادية الداخلية . وقد تجاهل حزب الوفد المشكلة بشكل كامل فى برنامجه الزراعى سنة ١٩٣٥ .

وبعد ابرام معاهدة سنة ١٩٣٦ وظهور المشاكل الاجتماعية على السطح ، تغير الموقف تماما فى الاربعينات خاصةوظهر سنة ١٩٤٥ ثلاثة كتب تعالج المشكلة . كتاب صادق سعد من الشيوعيين عن « مشكلة الفلاح » طالب فيه بمصادرة ملكية الافراد والشركات التى تزيد على خمسين فدان ،وتوزيع الزائد على المعدمين والعمـــال الزراعيين وانشـــاء المزارع الجماعية منهم . وكتاب راشد البراوى « تطور الاقتصاد فى مصر » طالب فيه بوضع حد اعلى للملكية . وكتاب مريت غالى «الاصلاح الزراعى» الذى طالب فيه بمنع الملاك من الحصول على ما يزيد على ١٠٠ فدان دون مساس بالملكيات الموجودة الا حالة التهديد بثورة اجتماعية . وتقدم محمد خطـــاب الى البرلمان بمشروعه عن تحديد الملكية بخمسين فدانا .

ويلاحظ المؤلف ، بالنســـبة لموقف الاحزاب السياسية من الاصلاح الزراعى ، ان كانت ثمة معارضة عامة لاى اصلاح يمس توزيع الارض . تمثل الاصلاح لديهم فى بيع ارض الحكومة لصغار الزراع . كان حزب الاحرار الدستوريين يعارض الفكرة عامة ، ولم يقبل بعد ثورة سنة ١٩٥٢ الا نقل ملكية ارض الدولة الى الفلاحين لزيادة عدد الملاك الصغار ، وذهب الى ان الزكاة الاسلامية يمكن ان تحل محل الاصلاح المقترح، وامتنع قادة السعديين عن الافصاح عن رأيهم لما طالبهم النظام الجديد بذلك . ولكن فى عهد حكومتهم سنة ١٩٤٧ رفض البرلمان مشروع محمد خطاب ، وعارض الحزب حتى سنة ١٩٥٢ اى اجراء عدا توزيع ارض الدولة . وكذلك الشـــأن بالنسبة لحزب الكتلة، اذ عارض المتحدث باسمه — طه السباعى — مشروع الاصلاح الزراعى سنة ١٩٥٢ واقترح فرض ضريبة تصاعدية .

اما عن حزب الوفد ، فمع ان النحاس سنة ١٩٤٤ القى اللوم فى انتشار وباء الملاريا على الفقر وتركز الملكيات الكبيرة، فقد كان فرض الضريبة التصاعدية على الملاك الكبار ، ومنع تفتت الملكية الصغيرة ، هما غاية الاراء المتطرفة التى اثارها احد اجنحة الحزب . ولكن قيادة الحزب لم تتخذ اية خطوة لمنع تفتت الملكية الصغيرة . وكان الاتجاه السائد فيه ضد اى مساس بالملكيات الزراعية الكبيرة ووضع اليساريون والشيوعيون برنامجا زراعيا لالغاء الملكيات الكبيرة .

وفى سنة ١٩٥١ ، كانت هبات الفلاحين ضد الاقطاعيين بالريف ، فى بهوت حيث ارض البدراوى ، وكفور نجم حيث ارض الامير محمد على وفى السرو بين زارعى ارض الحكومة. وكان لذلك اثره المباشر فى الاحداث التى ادت الى ثورة سنة ١٩٥٢ . ان الاضطراب نفسه لم يهز اركان الحكومة وقتها ، ولكنه مع الهيجان الشديد فى المدن كشف عن مدى الاضطراب الذى حدث فى توازن المجتمع المصرى .

●

بنوك وباشوات

- **تأليـــف : دافيـــدس. لاندز**
- **ترجمة : د. عبد العظيم أنيس**

من اين بدأت القصة التى ظلت مصر ترسف فى قيودها حتى بعد الحرب العالمية الثانية؟.. قصة الديون الاجنبية التى كانت السبب المباشر للاحتلال البريطانى الذى استمر اكثر من ثلاثة ارباع القرن ؟ .

ربما بدأت القصة مدة **عهد محمد على** حينما بدا ان الحكومة تعانى نقصا فى الاموال ، وغطى ذلك النقص حينذاك من تجار وشركات اجنبية معينة فى القاهرة والاسكندرية مثل **البنيسمولا والاورينتال** فى مقابل سندات اذنية اسمية .

ولكنها على اى حال كانت قروضا محدودة لم تتجاوز بضع ملايين قليلة من الفرنكات ولكن بتولى سعيد الحكم أصبحت الحاجة الى الاموال اكثر الحاحا ، وكان من نتيجة قبـول التزامات هامة ازاء شركة قناة السويس ان اضطر الخديوى فى عام ١٨٥٨ — بناء على اقتراح **فرديناند دلسبس** — الى اصدار سندات لحامله بآجال قصيرة للسداد . وبهذه الطريقة لم يتغلب سعيد على حرص دائنيه المنتظمين فحسب (الحـد الوحيد على اصدار تلك السندات كان ثقة الجمهور) ولكن تغلب سعيد ايضا بذلك على ضرورة استئذان الباب العالى فى القسطنطينية بشأن اى قرض رسمى .

ووجد سعيد — المعدم — فى سند الخزانة هبة من السماء ، فقبل نهاية ١٨٥٩ كانت تتداول فى البلاد اوراق مالية قيمتها مليونى جنيه . وبعد ستة شهور — ٣١/٢ مليون جنيه . الا ان مرتبات الموظفين كانت متأخرةعن مواعيد صرفها شهرا مما أشاع حالة من التذمر فى البلاد .

وكانت تلك السندات لحامله التى أصدرها سعيد تباع فى عام ١٨٦٠ بخصم ١٤ و١٨ ٪ كأنما ليتخلص حاملوها منها بعد اذ كان واضحا ان خزانة الدولة خاوية .

وحاول سعيد مواجهة المشكلة بعدة اجراءات مثل خفض نفقات السكة الحديد التى كانت قد انشئت فى عهد عباس . وفصل عددا من رجال البوليس الذين اتجهوا سعيا وراء لقمة العيش الى الجريمة ! .. وباع بشروط بائسة الغطاء الذهبى والتحف التى كان قد دفع فيها من قبل اثمانا جنونية. وفى الوقت ذاته كان سعيد ينفق ملايين الجنيهـــات لتمويل قناة السويس . ليس هذا فحسب بل انه كان يشترى مدافع لا قيمة لها لتسليح تحصينات القناطر الكبرى . ولم ينس خلال ذلك كله ان يبذل مزيدا من الجهود لمضاعفة املاكه وتسجيلها باسم ابنه .

فى تلك الفترة امتدت يده الى السوق المالية فى اوربا لاول مرة .. وجاءت « النجدة » فى احدى الاواخر فى ١١ سبتمبر ١٨٦٠ فى تسلم اول قسط من قرض الكونتسوار دى كومت وشارلى داغبت وشركاه فى باريس . وكانت قيمة القرض ٢٨ مليون فرنك لم يسلم منها فى الواقع الا ٢١ مليونا ! ..

ومن الطريف انه ما كاد الخبر يشيع حتى حاصر القصر ونظارة المالية المطالبون بحقوقهم فى السندات قصيرة الاجل التى حل موعدها .. ولم يكن ممكنا ان تكفى الـ ٢١ مليون فرنك لتغطية سندات قيمتها ١٠٠ مليون فرنك !

وكان طبيعيا ان تستمر عجلة القروض فى الدوران .. مادامت قد بدات .. فكلما ازدادت مطالبة الدائنين كلما اسرع سعيد بارسال رسل الى اوربا بالتفاوض فى قرض آخر وهرب الى يخته يعتكف ويعتزل الناس .

وازدادت شروط المقرضين الاوربيين اجحافا حتى ان بنك الكونتوار دى كومت ودافيت وافق على تقديم قرض بمائة وخمسين مليون فرنك ترد ٦٧٠ مليونا فى مدى تسع وعشرين سنة ! ..

حكاية مغامر

وفى تلك السنوات ظهر **ادوارد ديرفيو** الذى كتب الرسائل المتبادلة بينه وبين صديقه **الفريد اندريه** تلك القصة التاريخية الرائعة « بنوك وباشوات » وهى ليست مؤامرتهما فحسب بل مؤامرات كافة الممولين الاوربيين ضد شعب مصر حتى تم تكبيله بالقروض التى مكنت للنفوذ الاجنبى ومن ثم الاحتلال البريطانى بعد ضرب الحركة الوطنية بقيادة عرابى فيما بعد .

وادوارد ديرفيو يرجع فى الاصل الى احدى اسر رجال الاعمال الصغار الفرنسيين ، قذفت به الرياح الى مدينة الاسكندرية وكيلا لشركة المساجيرى الفرنسية وبرز كشخصية فرنسية هامة فى المدينة حتى اصبح عضوا فى المحكمة القنصلية ووطد صلاته ببلاط الوالى المصرى فتزوج بنت كوينج بك الذى كان معلما لسعيد باشا واصبح سكرتيره الخاص .

ولذلك عندما عرض عليه الوالى منصب مدير الشركة الملاحية المجيدية لم يتردد فى ترك منصبه بالمساجيرى .ولكن المجيدية لم تنجح وسرعان ما احس ديرفيو بقرب انهيارها فتركها فى عام ١٨٦٠ لينشىء مصرفا خاصا به برأسمال متواضع ٤٠٠ الف فرنك .

وبدا ان ديرفيو قادر على تحقيق النجاح رغم « صغر » بنكه .. فقد كانت له ميزتان هامتان تعوضان ضآلة رأس المال: اولهما صلته بالبلاط المصرى وثانيهما صداقته لالفريد اندريه احد رجال المصارف والممولين الدوليين فى باريس .. وكانت تلك الصداقة قد نشأت منذ ان التقى الاثنان فى عام ١٨٥٤ فى سوريا ومصر .

وتبادل الاثنان الرسائل حول مشاريع طموحة لديرفيو .. باركها اندريه **حتى عين ديرفيو وكيلا لشركة اندرية المالية الكبيرة « ادوارد ماركوارد وشركاه » ثم اصبح ذلك البيت المالى نفسه ممثلا لديرفيو بباريس** ! وفى ميدان التجارة والمضاربة .. فى مدى ثلاثة عشر شهرا فقط .. زاد رأسمال بنك ديرفيو من ٤٠٠ الف الى مليون فرنك !

وبدأ بنك ديرفيو يدخل فى عمليات مالية لاقراض الحكومة المصرية والامراء المصريين مثل مصطفى باشا بالتعاون مع بيوت المال الاجنبية مثل اتحاد فرانكفورت ومثل اوبنهايم وشابير بفوائد ١٠ و ١٢٪ .. حتى قفز رأس المال من جديد فى عام ١٩٦٢ الى ثلاثة ملايين فرنك !

المصرفى الملكى

ولكن ذلك لم يكن كل شىء .. فما جاء عام ١٨٦٣ حتى توفى محمد سعيد باشا والى مصر واعلنت ولاية ابن اخيه اسماعيل. وتقدم بذلك ديرفيو خطوات واسعة الى الامام ليكون «المصرفى الملكى » .. فانه اذا كان فى عهد سعيد يتعامل مع تلميذ سابق لحميه .. فانه « فى عهد اسماعيل كان يتعامل مع صديق قديم وفى ظل ملكية مطلقة حيث يعتمد كل شىء على حسن نية الحاكم ، وحيث تخضع منافسة السوق للخطوة السياسية . وكانت مثل تلك الرابطة لا تقدر بثمن حتى ان ديرفيو نسى آمال الامس الهادئة المتواضعة واصبحت السماء هى حد آماله ! »

وبرهنت الاحداث فى عهد الخديوى اسماعيل ان ديرفيو كان محقا فى طموحه وآماله الواسعة ، ففى عهده ارتفع الدين القومى فى مصر من ٢ر٢٠٠ر٠٠٠ الى ٩١ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه استرلينى !! حتى جاء عام ١٨٧٦ حاملا الافلاس لمصر ! !

وفى فصل طويل ممتع يفسر لنا المؤلف دافيد . س .لاندز استاذ الاقتصاد بجامعة كولومبيا اسباب ارتفاع الدين ذلك الارتفاع الفاحش .. فى عهد اسماعيل .

الخديوى اسماعيل والتاريخ

ويعرض وجهتى نظر للمؤرخين فى تلك المشكلة :

رأى يقول ان اسماعيل كان دائما هو اسماعيل المبذر المسرف ، اخذ الحكم وبلاده غنية مزدهرة وتركها فقيرة مستعبدة لطموحه واسرافه الطائش وانه كان رجلا لا يصلح لشىء وانما يسعى وراء ملذاته ..

ورأى ثان يقول ان الخديوى اسماعيل كان رجلا عظيما يعرف طريقه وذو بصيرة واخلاص وانه لم يكن يسعى الا الى سعادة وعظمة شعبه ، فاذا كان قد اقترض فانما كان ذلك لاسباب مثل بناء المرافق العامة أو مساعدة رعاياه فى مصائبهم (مثل تقديم ١٢ الف فرنك لمدام اسكالون الفرنسية وعشرة آلاف اخرى للمسيو كونسيل كتعويض عن ضرب الجنود المصريين له !) ..

والغريب ان المؤلف الذى فضح التآمر الاجنبى والتخاذل المحلى من الولاة المصريين من اسرة محمد على فى كتابه القيم يميل الى وجهة النظر الثانية فى « انصاف » الخديوى اسماعيل اذ يقول بالحرف الواحد « فى الجوهر كان اسماعيل مستبدا خيرا بكل ما يحمله هذا الموقف المتناقض من مزايا وعيوب ، وكان يحمل فى مخيلته خططا كبيرة لمصر واهتماما مخلصا برفاهية وعظمة شعبه ... الا انه كان خياليا وافتقد حاسة التناسب ! »

وفى هذا الفصل نرى ان ديرفيو قد انتعش ومن ورائه كل بيوت المال الفرنسية والالمانية والانجليزية .. وان الخديوى اسماعيل طلب منه ان يزيد رأسمال مصرفه من ثلاثة الى عشرة ملايين جنيه حتى يحتل المركز الاول فى البلاد ويقوم بكل الاعمال التى تنشأ عن رغبة جلالته فى تنمية الزراعة والتجارة والصناعة فى مصر « على حد تعبير ديرفيو فى رسالة له لاندريه صديقه ووكيله فى باريس .. وفى تلك الرسالة يقول ديرفيو ان اسماعيل وعده بالمساهمة فى البنك الجديد بمليونى فرنك على الاقل كشريك مستتر !

وشكل البنك .. وتلا تشكيله تأسيس شركة بحرية جديدة ساهم فيها اتحاد من اقوى نبلاء مصر مع **ديرفيو واوبنهيم وسكاكينى باشا** صاحب بنك مصرى ومنحها الخديوى احتكارا للملاحة فى البحرين الابيض والاحمر لمدة ثلاثين عاما بضمان فائدة ٦٪ على اسهمها .

وزير بلا وزارة

وتلا ذلك شركات اخرى للتجارة بالقطن وغيره من المحاصيل كان بطلها ديرفيو ايضا .. وعين فى تلك الفترة سكرتيرا خاصا للخديوى اسماعيل .

لقد اصبح ديرفيو الكل فى الكل وتربع على قمة عالم الاعمال المالية التجارية المصرية .. وبوصفه مصرفا ملكيا كان فى الواقع رجل دولة ووزيرا بدون وزارة ومستشارا للحكومة فى المشاكل ذات الاهمية القومية او الدولية مثل الميزانيات والقروض وقناة السويس وسياسة مصر الخارجية » ..

وعلى حد قوله فى رسالة منه الى اندريه «لقد اخذت مكان نوبار باشا لدى الوالى ، ويمكنك ان تتصور مدى الصداقة الحميمة بينى وبين فخامته من خلال عملى كسكرتير خاص له .. ومع ان هذا يضاعف عملى ولا يترك لى لحظة واحدة من الراحة الا اننى سعيد تماما بذلك اذ ان هذا يضاعف من **رصيدى وسمعتى** ! » ..

ولكن قروض اسماعيل لا تتوقف حتى جاء آخر سبتمبر ١٨٦٤ وديرفيو يكاد يكون مفلسا .. انه على الورق غنى فعلا .. والمصرفى الاول فى مصر .. ودفاتر حساباته تعبر عن فائض كبير فاسماعيل وحده كان مدينا لديرفيو بأكثر من التزاماته بكثير . لكن ثمة فرق بين دين ودين . فبينما كان مقرضو ديرفيو بنوك اوربية تتمسك بمواعيد الدفع كانت مسحوبات اسماعيل بلا ميعاد على الاطلاق . والخديوى عاجز عن الدفع حتى لو اراد فقد استهلك منذ زمن ايراد محصول القطن لعام ١٨٦٣ وامتص كلا من ديرفيو واوبنهايم حتى الثمالة اذ كان مدينا لهما فى سبتمبر بمبلغ ٤٠ مليون فرنك .

ولم يكن امام ديرفيو الذى كان صدرته اندريه فى باريس يلح عليه ان يدفع ما عليه هو وشركائه الا ان يعقد قرضا عاما او يتولى عقد قرض عام لاسماعيل يسدد له منه مسحوباته ..

لكن حتى القرض لم ينقذ ديرفيو .. وظل يتأرجح بين الانهيار والانقاذ المؤقت حتى انتهت المسرحية ، مسرحية النشاط المالى الغربى فى مصر والصراعات الدائرة بينها وبين بعضها .. وبينها وبين الخزانة المصرية حتى انتهبتها وتركتها خاوية خربة .

نهاية المسرحية

واذا كان **ديرفيو** من ابرز واذكى التجار والمولين الغربيين لمصرف تلك الفترة فانه انتهى نهاية تراجيدية .. اذ انهار بنك الاتحاد العام فى فرنسا الذى كان قد اودع فيه معظم امواله عام ١٨٨٢ واختلس احد اصدقائه منه مليون فرنك .. حتى جاء ١٨٨٧ فاضطر الى التوقف عن اعماله واستهلك باقى ثروته فى سداد ديونه .

ولم يعد الى النشاط المالى بعد ذلك ابدا حتى مات فى عام ١٩٠٥ فى ظروف متواضعة وانعمت عليه الكنيسة الكاثوليكية بلقب كونت رومانى .

اما **اندريه** فقد استمر نشاطه المصرفى قائما حتى انه ساهم فى اقراض اسماعيل ستة ملايين جنيه فى عام ١٨٧٢ مع البنك العثمانى الامبراطورى واوبنهايم . الا انه فشل فى اغراء اسماعيل على ان يبيع اسهمه فى القناة اذ اشارت بريطانيا — التى كان نفوذها قد اصبح الاقوى — على الخديوى برفض الصفقة ..

اما ثالث الممثلين فى المسرحية اسماعيل فقد اصبح يقترض بفائدة ٣٠٪ واصبح هناك وزير انجليزى يشرف على الايرادات وآخر فرنسى على المصروفات ، ودولت السكة الحديدية وميناء الاسكندرية ! .. ووضعت الدائرة السنية ايد اوربية فى عام ١٨٧٨ .

وبلغ التذمر بين المصريين مداه .. وفى ابريل ١٨٧٩ حاول اسماعيل ان يفعل شيئا لارضاء الروح القومية فحل مجلس وزرائه وشكل مجلسا من المصريين فحسب . فقررت انجلترا وفرنسا ان تتخلصا منه نهائيا بعد اذ اصبح ورقة محروقة ..

هذه باختصار **ملامح قصة غارات المولين الانجليز والفرنسيين والالمان والنمسويين واليونانيين على خزانة مصر** وتاريخها ودفعهم للبلاد خطوة فخطوة بالاساليب الماكرة الى هاوية الافلاس ، وما تلا ذلك من الرقابة الثنائية من جانب انجلترا وفرنسا ..

وهى قصة كما يقول **مترجم الكتاب الدكتور عبد العظيم انيس استاذ الاحصاء بجامعة عين شمس** .. لا تعتمد على التقدير الصحيح للتاريخ او استقرائه .. وانما هى قصة واقعية مستمدة من مراسلات سرية صريحة بين اثنين من المولين الفرنسيين احدهما صاحب بنك كبير فى باريس « اندريه » ، والاخر ممول فرنسى فى الاسكندرية حظى بصداقة الخديوى اسماعيل وعمل سكرتيرا خاصا له « ديرفيو » .

ولما كان المؤلف بطبيعة دراسة الاكاديمية قد التزم المنهج العلمى فى كثير من اجزاء الكتاب فانه **رأى ان تلك المراسلات الخاصة بين المولين لن يتم فهمها الا بدراسة تاريخ الحياة المصرفية والنشاط المالى والاقتصادى للمؤسسات الاوربية الكبيرة آنذاك** ، وتطور الاوضاع الاقتصادية فى عديد من بلدان اوربا (انجلترا وفرنسا خصوصا) وهى تتحول تدريجيا من مرحلة الرأسمالية الحرة الى مرحلة الامبريالية والاستعمار بما يترتب على ذلك من زهد الرأسماليين تدريجيا فى الاستثمار فى داخل بلادهم والاتجاه شيئا فشيئا الى التركيز على تصدير رءوس الاموال الى البلدان المتخلفة سعيا وراء الارباح الخيالية فى مقدارها ، السهلة فى تحقيقها .

ونرى ان المؤلف قد احسن برسم «ارضية» الموقف السياسى والمالى من داخل اوربا اولا ، حتى تتضح حقيقة المؤثرات الخارجية التى كان لها رأى حاسم على تطور الحياة الاقتصادية والمالية فى مصر ، ثم على تطور الحياة السياسية ذاتها والتى توجت بالاحتلال البريطانى لمصر .

والحقيقة ان ترجمة ذلك الكتاب جهد مشكور للدكتور عبد العظيم انيس ، فهى قد اضافت شيئا هاما للمكتبة العربية لا من وجهة نظر الدراسة التاريخية فحسب ، وانما من وجهة نظر الصراع السياسى الحاد القائم اليوم ضد الاستعمار الجديد باشكاله غير التقليدية ، التى ترتكز فى المحل الاول على السيطرة الاقتصادية كأساس للتوجيه السياسى قبل ان ترتكز على الاحتلال العسكرى .

عندئذ لن يكون لهذا الكتاب قيمته الاكاديمية فحسب ، بل ستكون له قيمته الكبيرة فى النضال السياسى الراهن فى الوطن العربى كله كذلك ، بما يمنحه للمناضلين العرب من اسلحة فكرية وتاريخية جديدة .



الانسحاب من الاطلنطى ودور فرنسا العالمى

■ مجلة ((الديمقراطية الجديدة)) الفرنسية

تتضمن

آخر عدد وصل لدينا من مجلة «الديموقراطية الجديدة» الفرنسية على مقالين عن الاوضاع الاوربية ، ناقش الاول مشكلة انسحاب فرنسا من حلف الاطلنطى ، ودورها العالمى فى الفترة الراهنة ، وقدم الثانى دراسة سياسية عن آخر تطورات الاوضاع داخل احزاب جمهورية المانيا الغربية ، سواء الحاكمة او المعارضة ، كما احتوى على رسالة من هانوى بعنوان «العجز الامريكى» كشف فيها عجز التكتيك العسكرى الامريكى عن هزيمة قوات جبهة التحرير التى تستخدم بمهارة تكتيكات عسكرية ناجحة تعتمد على تفهم واستغلال طبيعة الاوضاع الجغرافية ، وبالمثال بعض الامثلة لتكتيكات الفيت كونج . وقدم دراسة عن الثورة المضادة فى غانا ، تعرض فيها للعوامل الاقتصادية وراء الثورة المضادة وهى الحلقة الثانية من هذه الدراسة التى بدأتها المجلة بتقديم العوامل السياسية فى العدد السابق منها ، وقد تعرض الكاتب فى مقالة العدد الجديد للتناقضات الخاصة بالتطور الاقتصادى فى غانا ، ولاوضاع البورجوازية الوطنية هناك ،

والبيروقراطية ، والفقر ، وتخلف الزراعة ، والميزان التجارى لعام ١٩٦٥ محللا اثر هذه العوامل فى الازمة الاقتصادية للثورة المضادة هناك . واحتوى العدد ايضا على مقال لادوارد كاردبليه عن «دور النقد الاجتماعى فى يوغوسلافيا» تعرض فيه لمسألة النقد والمسئولية الانسانية ، ولدور البيروقراطية بالنسبة للنقد ومنابع هذه البيروقراطية كما تعرض بالدراسة الموجزة ، للدور الاجتماعى لعصبة الشيوعيين اليوغوسلاف . وتلاه مقال عن سوريا وازمة حزب البعث منذ استتباب الاستيلاء على السلطة فيها وفى العراق . وآخر عن مفهوم النقابة الجماهيرية فى بولنده . وعرض العدد دراسة قام بها الحزب الشيوعى المراكشى عن مشاكل الوحدة النقابية والعلاقات بين الاحزاب التقدمية والحركة النقابية المراكشية . تلتها مناقشة بين عدد من اساتذة كلية اللاهوت البروتستانتية فى باريس ، واثنين من الرعاة الكاثوليك الدومينيكان ، وبين **روجيه جارودى** عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى الفرنسى ، ومعه المؤرخ **جان جاسون** . واختتمت المجلة بعدد من التعليقات السياسية عن الاوضاع فى الجزائر ، وكفاح الطلبة الاسبان من اجل الديموقراطية ، والوضع فى كل من اكوادور واندونيسيا وموزمبيق .

ويعتبر المقال المخصص لانسحاب فرنسا من الاطلنطى ، ولدورها العالمى ، أهم مقالات هذا العدد . وقد قام بكتابته الكاتب الفرنسى **بول نوارو** مساعد رئيس تحرير المجلة . أشار فيه الى ان النجاح الذى حققه ديجول بأثارة المشكلة الاطلنطية لن يكون سوى نجاحا قصير المدى . لان الظروف مهيأة لتقارب اكثر عمقا بين كل قوى اليسار الفرنسى التى تزداد قوة ونضوجا بشكل مطرد . الا انه اقتصر فى دراسة هذا العدد على توضيح التحصين الذى يستند اليه قرار الرئيس ديجول بانسحاب فرنسا من الاطلنطى ونتائج هذا القرار ، والظروف الاقتصادية والسياسية التى تحدد تطور الموقف العالمى . ليخرج من ذلك كله فى دراسة قادمة ، بالفهم الذى يراه عن الدور العالمى لفرنسا يحكمها اليسار .

وفى جزء من المقال خصصه الكاتب عن « حلف الاطلنطى والسلاح النووى» اوضح ان معاهدة شمال الاطلنطى الموقعة فى واشنطون فى ٤ أبريل ١٩٤٩ لاتحتوى على اى ضمانات رسمية ولا يوجد فى نصها سوى ذلك الجزء الذى يعتبر أى هجوم على احدى بلدان الحلف «هجوما على اعضائه الاخرين ، «الذين يتفقون على مساعدة الجزء أو الاجزاء المهاجمة ، باتخاذ الاجراء الذى يراه (كل عضو) ضروريا ، بما فيه استخدام القوة المسلحة» . ولما كانت تلك الفترة ، هى فترة الاحتكار النووى الامريكى والتفوق المطلق للولايات المتحدة فى هذا السبيل ، فان استراتيجية «الردع الشامل» العزيزة على **جون فوستر دالاس** اعتبرت الاستراتيجية العامة لحلف الاطلنطى وهى تقوم على اساس ، سحق الاتحاد السوفيتى بالقنابل الذرية فورا فى حالة الحرب . وبفعل التطور ، والتحولات فى الموقف العالمى ، أصبحت العقيدة الاستراتيجية الامريكية اليوم تقوم على «الرد الجوابى المرن» الذى حدده **ماكنمارا** وزير الحرب الامريكى منذ سنة ١٩٦٢ بانه استخدام القوى العسكرية الامريكية بطرق متعددة ، سواء فى هجوم موحد شامل أو باستخدام قواهم الرادعة لتقليل الخسائر التى تلحق بهم وبحلفائهم ، وذلك بتحطيم قواعد «العدو» ، قبل ان تقوم بهجوم ثان ، او بوضع حد للصراع باستخدام قواهم كأداة للمساومة عن طريق تهديد «العدو» بهجوم آخر . وفى كل الاحوال سيدفع احتياطيهم النووى الضخم والمحمى جيدا ، «بالعدو المحتمل» الى تجنب الهجوم على مدنهم وانهاء الحرب . ويرى ماكنمارا ان هذه السياسة الجديدة مرنة بشكل كاف يتيح لهم الاختيار بين عدة خطط للعمل ، «ولا تفرض علينا الالتزام بتعهدات خاصة بالاهداف» . ونتائج هذه الاستراتيجية التى يفرضها التوازن النووى بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى هى ان البلدين اقتنعا بوجوب تجنب المواجهة المباشرة بينهما .

الا ان ذلك الحرص منهما لايدع المجال حرا فحسب للحروب المحدودة وللاسلحة التقليدية وللصراعات السياسية لان الخطر الاكبر الذى يهدد العالم اليوم ، هو أن تتغير طبيعة احد هذه الصراعات فى اتجاه قيام مجزرة نووية . كما ان استخدام الاسلحة التقليدية بالاضافة الى اهمية الاستراتيجية لهاهمية سياسية ايضا . ففى حالة قيام صراع نووى يهدد بالموت ملايين الناس حتى فى البلد الذى يقوم بالهجوم ، من الوجهة الدبلوماسية يعتبر التهديد الذى ليس فى الحقيقة سوى خدعة ، يأخذها العدو مأخذ الجد ، اكثر نفعا وفائدة من تهديد حقيقى يفسره العدو على انه خدعة . وتؤدى الاستراتيجية الجديدة ايضا الى تركيز الوسائل العسكرية الحاسمة فى يد الولايات المتحدة.

ولما كانت قيمة الهدف ، تتوقف بوضوح على رأى من يقيمه ، فان مايمكن ان تعتبره حكومة ما حيويا ، يمكن ان تراه الولايات المتحدة ثانويا لايستحق المخاطرة بمواجهة نووية . ولما كان الاصطدام النووى الشامل لايمكن توقعه الا بين القوتين النوويتين الضخمتين ، الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، فان الاستراتيجية الامريكية تقوم على وجوب السيادة الامريكية المطلقة على السلاح النووى ، والعداء لكل القوى «الضاربة» القومية . وبالتالى تحدث هذه النظرة تغييرا عميقا فى طبيعة كل انظمة التحالف التى تشارك فيها الولايات المتحدة . ولا يصبح هناك تبادل فى المصالح أو ضمانات مقبولة ، بل يصبح كل حليف متأكدا من ان الضمانات الامريكية ــ اذا ما اعطيت له فى حالة طلبه لها ــ لن تستخدم الا اذا كانت مصالح الولايات المتحدة هى المهددة بالفعل . كما أن وجود الحلف ، والحلفاء يقدم للولايات المتحدة وسيلة مقاومة أقل احداثا للكوارث الرهيبة ، من الحرب الشاملة .

وفى الجزء المعنون «التحالف أو الحياد» استند الكاتب الى رأى البروفيسور الامريكى **هنرى .أ. كيسينجر** ، ليدلل على ان الاخطار الضخمة التى يمكن ان تترتب على أى صراع نووى ، تضع مسألة الضمانات الرسمية التقليدية بالمساعدة لوضع تساؤل . واشار الى «ان المحايدين يستفيدون اكثر من الحماية التى يهيئها المتحالفون ، فى حين ان المتحالفين يتمنون حرية الحركة التى يتمتع بها المحايدون» . تلك هى الاسس التى دفعت بديجول الى هذا الموقف الذى اتخذه فى مواجهة الولايات المتحدة .

كما دفعه الى هذا الموقف أيضا احساسه بتورط الولايات المتحدة فى آسيا وامريكا اللاتينية وخطورة استعمالتها بالحلف بهذا الصدد . وأوضح رئيس الوزراء الفرنسى ، كيف اتخذت القوات الامريكية فى فرنسا اثناء الازمة الكوبية ــ وضع الاستعداد الكامل للعمل الفورى ، دون حتى مجرد ان تخطر السلطات الفرنسية بذلك . ويبين الكاتب كيف أضر بسياسة باريس ، تدخل الطائرات الامريكية التى اقلعت من القواعد الفرنسية متجهة الى الكونغو لاخماد ثورتها . وتحت عنوان «اداة للتسلل» اشار الكاتب الى انه لما كان التكامل فى التجهيز العسكرى يؤدى الى فرض الاسلحة الامريكية التى يتوجب على بلاد حلف الاطلنطى شرائها من الولايات المتحدة ، لذا يصبح نظام الحلف للامن الجماعى اداة للتسلل الاقتصادى ، وبالتالى فان كل أجراء يعيد العلاقات طبيعية بين الشرق والغرب ، سيقلل من تبعية أوربا للولايات المتحدة .

أن مايهدف اليه جنرال ديجول هو الحلم القديم لاوربا تقودها فرنسا ، أوربا من الاطلنطى الى الاورال . وبموجب هذه الفكرة يتعين على فرنسا ان تساعد فى جعل أوربا الغربية اتحاد منظم لمجموعة من الدول ، بهدف تأسيس «اكثر التجمعات السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية قوة ، ورفاهية

وتأثيرا في العالم» . وبانشاء هذا التجمع الغربي الحر الذي يتساوى مع مثيله في الشرق ، يصبح في الامكان تحقيق الوفاق الاوربي بين الاطلنطي والاورال ، ويتلاشى الانقسام الاوربي الى قسمين وتصبح اوربا هي المقر الرئيسي للحضارة .

●

اسـهام أفريقيا في تطوير الفـكر الانسـانى

● مجـلة الاقتصاد العالمى والعلاقات الدولية

«الاقتصاد العالمى والعلاقات الدولية» — مجلة سوفيتية

شهرية تصدر باللغة الروسية عن أكاديمية العلوم السوفيتية وهي كما يدل عليها اسمها تعالج مشاكل اقتصادية وسياسية دولية ومشاكل البلاد المختلفة سواء أكانت اشتراكيـة أو رأسمالية او بلاد العالم الثالث .

والعدد الاخير من المجلة به العديد من المقالات والدراسات ومن ابرزهـا دراسـة تقع في ١٠ صـفحات بقلم أ . اليتنيف وعنوانها «المستعمرون الجدد في دور مفسرى الاشتراكية» .

يتعرض الكاتب في مقاله للاتجاهات الاشتراكية في البـلاد الافريقية ودور بعض المفكرين في الغرب في تفسير هذه الافكار الاشتراكية تفسيرا يبعدها ويعزلها عن الاشتراكية العلمية .

يقول كاتب المقال ان الثورة ضد الامبريالية في افريقيا قد ترجمت كلمة «الاشتراكية» الى اللغات الافريقية . ومهما اختلفت مفاهيم الافريقيين حول الاشتراكية فهي في نهاية الامر تتفـق في صفة واحدة هي رفضها للرأسمالية . وان اختلاف المفاهيم الاشتراكية عند الافريقيين امر طبيعي نظرا لاختلاف التكوين الاجتماعي والفئات الاجتماعية التي دخلت الحياة السياسية . وان كثيرا من النظريات الاشتراكية التى تظهر في افريقيا تعكس تنوع الخصائص القومية والاجتماعية والروحية وغيرها في تلك البلاد . وهي ليست نظريات نهائية ولكنها تختبر في التطبيق وتعمق وتستكمل في اتجاه الاشتراكية العلمية . وكثير مـن الزعماء الافريقيين يتفقون باخلاص مع الاشتراكية . ويختلفون مع الماركسيين اللينينيين في بعض المسائل النظرية ولكن ذلك لا يعنى وجود حائط عازل بينهم .

وفي السنين الاخيرة عمد مفكرو الغرب الى تقديم تحليلات للاتجاهات الاشتراكية الافريقية تهدف الى عزلها عن الاشتراكية العلمية . وتسير تلك التحليلات في اتجاهات ثلاث :

اولا — المبالغة في ابراز الخصائص الافريقية وذلك للتدليل على أن الماركسية تتناقض مع ظروف افريقيا ، وأنها نظريـة أوروبية خالصة لاعلاقة لها بالقارات الاخرى .

ويرد الكاتب على تلك الفكرة قائلا أن الماركسيين لاينكرون الخصائص الافريقية ولكنهم لا يضعونها في تعارض مع الاشتراكية العلمية .. فجوهر الاشتراكية واحد ولكن تختلف الطرق اليها باختلاف الظروف والخصائص المحلية والتاريخية . ولهذا فليس من الغريب أن نلحظ انتعاش الفكر الخلاق في الدول الافريقية الجديدة ، ومحاولة المثقفين فيها أن يخلقوا نظرياتهم الاصيلة ، وأن يقدموا مساهمتهم في تطور الفكر الانساني .

ويعتبر الكاتب أن تصوير المفكرين البورجوازيين للماركسية كأنها ترفض ذلك الفكر الاصيل الخلاق ، وأنها لاتقبل غـير نموذج واحد لا يمكن الخروج عنه ، انما هو افتراء على الحقيقة وتزوير لها .

ثانيا — تحريف النظرية الاشتراكية . وهنا يقول الكاتـب انه اذا كان من الصعب على المفكرين البورجوازيين ان يحولوا الافريقيين عن الاشتراكية التى ثبت أنها الطريق الوحيد للتحرر والتقدم ، فليبذلوا اذن اقصى جهدهم لابعادهم عن الاشتراكية الحقيقية .

وطرق تحريف الاشتراكية عديدة ، ولكن أهم طريق هو اخفاء المسائل الجوهرية في الاشتراكية مثل ملكية المجتمع لوسائل الانتاج الاساسية والقضاء على استغلال الانسان لأخيه الانسان، واغراقها في مسائل أخرى غير أساسية . ومثال عـلى ذلك تعريف الاشتراكي الفرنسي اندريه بيريه الذي يقول فيه :«ان الاشتراكية هي حالة نفسية ، هي أسلوب للمعيشة ، ومنهج في التفكير والاحساس ، وثورة العقل والشعور ، ومجموعـة الاحاسيس والافكار والقيم الناتجة عن الوعى الانسانى » .

وقد انتشرت في افريقيا في السنين الاخيرة نظريات تقـول ان المجتمع الافريقى اشتراكي بالسليقة ، وانه كان اشتراكيا قبل مجيء المستعمرين ، وبذلك تكون المهمة هي استكمال تلك الاشتراكية وليس خلقها .

ويرد كاتب المقال على ذلك قائلا ان الاشتراكية تتطلب ثورة في قوى الانتاج وتغيير جذري في العلاقات الانتاجية . وتحتاج الى دور الشعب العامل التنظيمي وتضحياته لبناء المجتمـع الجديد . فبناء الاشتراكية ليس مجرد شعارات حماسـية كما يحاولون أن يصوروا ، وانما هي عمل ضخم يحتاج الى جهد وفكر الملايين .

ثالثا — توجيه الاتهامات ضد التطبيق الاشتراكي — وهنا يورد الكاتب مايردده المفكرون البورجوازيون من أن التطبيـق الاشتراكي العلمي يقتضي التضحية بجيل أو اثنين أو ثلاثة ، وذلك لتنفير الشعوب الافريقية من الاشتراكية . ويذكر كاتب المقال هنا ملاحظة عابرة بأن «اهتمام» ممثلى الغرب الرأسمالي بالاجيال العديدة من الافريقيين قد تأخر لعدة قرون التى ساد فيها الغرب في افريقيا .

ويستند المفكرون البورجوازيون — كما يقول الكاتب — في نظرياتهم على الصعوبات التى لاقاها الاتحاد السوفيتي كأول دولة اشتراكية . وهم يتناسون أن لتلك الصعوبات ظـروف تاريخية موضوعية . أما اليوم فان بناء الاشتراكية قد أصبح أسهل كثيرا بسبب وجود عالم اشتراكي ضخم ، فلا يقتـضي الامر الان التضحية بالاجيال .

ويحاول المفكرون البورجوازيون أيضا أن ينشروا في بلاد «العالم الثالث» فكرة التناقض بين البلاد «الغنية» و «الفقيرة» ولا يفرقون في البلاد الغنية بين البلاد الرأسمالية والاشتراكية محاولين بذلك اخفاء مسئولية المستعمرين عن نهب افريقيا .

وفي نهاية المقال يقول الكاتب أن الاشتراكية هي مسـتقبل الانسانية الاكيد . وستصل اليها الشعوب الافريقية بطرقها الخاصة ، مقدمة أشكالا جديدة من التحول الاشـتراكى ، ومستخدمة في ذلك أفضل تقاليدها وعاداتها .

والغرب يصور الماركسيين كأنهم لايؤمنون بأصالة الاتجاهات الاشتراكية الموجودة في افريقيا . ويقيم النظريات التى تختلق العداء بين الافكار الاشتراكية الافريقية والماركسية اللينينية .

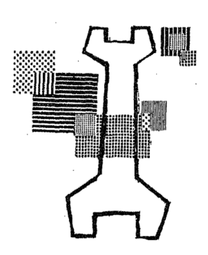
ويختتم الكاتب مقاله قائلا : ان الديمقراطيين الافريقيـين المقتنعين برفض الطريق الرأسمالي والهادفين باخلاص الـى الاشتراكية يمكنهم أن يثقوا في التأييد المادي والمعنوى من جانب الشيوعيين في جميع انحاء العالم .

كتابات جديدة

يكتب المواطنان حامد رمضان والسيد فايد، عضوا اللجنة النقابية فى شركة مصر — حلوان للغزل والنسيج ، عن قضية زيادة الانتاج من خلال التنظيمات النقابية .

ثم يناقش نزار عبد الرءوف ، احد الطلبة العرب الذين يدرسون فى كليـة الطب بجامعة الاسكندرية ، قضية وحدة قوى الثورة فى الوطن العربى .

كيف نحقق زيادة الإنتاج من خلال التنظيمات النقابية ؟



• حامد رمضان
• السيد فايد

اصبح للحركة النقابية العمالية دورا جديدا فى مرحلة التحول الى الاشتراكية . فبعد أن تغير موقع العمال فى المجتمع المصرى بعد عام ١٩٦١ لم يعد من الممكن استمرار التيار النقابى التقليدى كحركة سائدة فى التنظيم النقابى العمالى فى الجمهورية العربية المتحدة .

فقبل عام ١٩٦١ كانت مهمة الحركة النقابية ككل هى اثارة العامل وشحنه بالعداء الطبقى ضد المالكين لأدوات الانتاج وذلك لكى يحصل من خلال تنظيمه النقابى على اكبر اجـر مقابل أقل ساعات عمل . وبعد أن بدات مرحلة التحول الى الاشتراكية ووضع ميثاق العمل الوطنى الطبقة العاملة فى مكان القيادة السياسية مع الفلاحين فى كافة الاجهزة السياسية والشعبية تغير بذلك مفهوم النقابية فى المجتمع، **واصبح الان ينصب على توعية العامل وشحنه بكل ما يجعله يشعر بأنه مالك للآلة وليس اجيرا امامها ، بجانب المحافظة على حقوقه ومكاسبه .**

وبذلك دخلت الحركة النقابية المصرية فى مرحلة تعد من اعقد المراحل التى تمر بها اى حركة نقابية فى اى بقعة من العالم . لانها دخلت فى صلب عملية الانتاج الاشتراكية. واصبحـت شريكة فى التحدى ضد التخلف الذى تحاول التغلب عليه .. شريكة فى القضاء على الاستغلال .. شريكة فى القضـاء على البيروقراطية .. شريكة فى القضاء على الثغرات التى يمكن ان تنفذ منها الرأسمالية المستغلة للسيطرة او الاثراء على حساب القطاع العام .. ولذلك فهى شريكة فى البناء الاشتراكى .

واصبح دور الحركة النقابية فى البلاد لا ينحصر فى انها طرفا فى الصراع الطبقى الحاد فى المجتمع المصرى. ولكنه تعدى ذلك الى مرحلة العمل مع مراقبة الصراع ودفعـه للحل السلمى داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى .

ولذلك اصبح لزاما على النقابيين فى المرحلة الحالية ان يكونوا طرفا جادا فى بناء الاشتراكية. وان يعملوا جاديـن ومخلصين من اجل هذا الشعار برفع الانتاج والعمل على زيادته .

وحقيقة الامر ان هذا الشعار الجاد هو الشـعار الملائم لمرحلة التحول ولكن كيف نضعه كخطة امام اللجان النقابية فى الوحدات الانتاجية وهى فى الاساس الخلايا الحية للتنظيم النقابى والتى يقع عليها كل العبء فى العمل والمبادرة والخلق لانها الهياكل المنظمة للعمال .

لا شك اذن ان كل النقابيين يتفقون على زيادة الانتـاج ولكنهم فى الحقيقة لم يتحدوا مرة واحدة على خطة يمكن **ان**

تكون دستورا للعمل النقابى لان فكرة زيادة الانتاج اذا ما تناولنها العقول بالتحليل خرجت منها الف مدلول ومدلول .

ان زيادة الانتاج المطلوبة لاترمى القيادة السياسية من ورائها كميات متزايدة من الامتار المنسوجة تضاف سنويا الى انتاج كل شركة فحسب.. لان اى مدير شركة فى امكانه تحقيق هذه الزيادة لفترة ما اذا ما مارس بعض انواع الضغوط على العمال .

ولكن زيادة الانتاج هنا تعنى زيادة الانتاج بناء على وعى من جانب العامل الواقف امام الالة . فهى اذا زيادة بشكل واع وليست زيادة بشكل آلى او ميكانيكى . ولذلك نرى اننا كأعضاء فى لجان نقابية نحاول ان نحافظ على مكاسب العمال وامتيازاتهم وذلك لاشعارهم ان مرحلة التحول تعنى اولا واخيرا ملكيتهم للالة وانهم تعدوا مرحلة العمل المأجور بما يشمله من استغلال وانتقلوا الى مرحلة ملكية الشعب – والعمال جزء من الشعب – لوسائل الانتاج.. ومن هنا يرتفع الانتاج تلقائيا .

لكن ملكية العامل لوسائل الانتاج لا تكفى وحدها لاقناع جمهور العمال بأنهم اصحاب وملاك الالة، اذ قد تتسبب بعض التصرفات الخاطئة من جانب الادارات والمنظمات الى عدم رؤية هذه الحقيقة الواقعة .

ولكن كيف يشعر العامل بملكية ادوات الانتاج داخل الوحدة الانتاجية؟ وكيف نحوله الى حارس لهذه الملكية ؟

اولا لا بد للنقابة ان تحافظ على حقوق العمال وامتيازاتهم على ان تفهم العمال ان هذه الحقوق وتلك الامتيازات هى رهن باستمرار المجتمع الاشتراكى، وزيادتها والتوسع فيها متوقف على زيادة نشاطهم الانتاجى .

ثانيا ان العامل الغير كفء لا يمكن ان يطور الانتاج مهما بلغ حماسه النقابى او السياسى .ولذلك كان لا بد للحركة النقابية ان تتبنى كافة الوسائل التعليمية التى تكتشف مهارة العامل وتنميها سواء كانت هذه الوسائل مهنية او سياسية او ثقافية .

ثالثا لا بد ان تقوم اللجان النقابية بدراسة البيئة الصناعية التى يعيش فيها العامل.. وذلك سواء كانت بيئة العمل او المعيشة. مثلا من نظام العمل وظروفه الداخلية وعلاقة العمال مع الرؤساء والامن الصناعى والعلاج الطبى فى الوحدة. ثم من حيث سكن العمال ومواصلاتهم والخدمات الاجتماعية التى تقدم لهم على ان تجرى دراسات علمية لمشاكلهم لانها سوف تفتح امام العمل النقابى الاسلوب السليم لاكتشاف الطريق الى حلها .

رابعا محاولة الربط المستمر بين الوحدة الانتاجية والمجتمع ككل من حيث الخطة الصناعية والمشاكل العامة والخط السياسى الداخلى والخارجى .

فاذا كان ذلك هو مفهومنا عن دور النقابة العمالية فى مرحلة التحول فلماذا لم نقم بها نحن العضويين فى لجنة نقابية عمالية فى مصنع يضم ١٤ الف عامل .

لقد مس مقال **الدكتور عبد الرؤوف ابو علم** الذى نشرته الطليعة فى عددها الاخير كثير من القضايا التى تقف دون قيام هذا الفكر النقابى الجديد بدوره كاملا فى التنظيم النقابى ولذلك نحن نسوق القضايا التالية مضافة الى التحليل من واقع خبرتنا العملية .

تمت اول انتخابات نقابية بعد قوانين يوليو الاشتراكية فى النصف الاول من عام ١٩٦٤. وكانت هذه الانتخابات كمرحلة انتقال بين النقابية القديمة والنقابية الجديدة التى لم تكن قد تبلورت بعد كتيار اساسى فى الحركة النقابية . فهذا التيار الجديد كان لديه الدليل النظرى للعمل النقابى ولكن لم تكن لديه التجربة الكاملة على الواقع الجديد. ولذلك لا نستطيع ان نقول ان هذا التيار الجديد كان قد تبلور وبرز فى المجال النقابى لانه كان يحتاج الى وضوح فى الرؤيا وتجربة فى العمل .

بالاضافة الى ان هذه الانتخابات تمت فى جو سادته النقابية القديمة. فمثلا كنا نقرأ كل صباح مقالات عمالية فى بعض الصحف اليومية تنادى اساسا باحترام الخبرة القديمة وكيف انها لابد ان تمثل فى الانتخابات الجديدة بما لا يقل عن الثلث وكيف اننا نحن العمال الناخبين لا بد ان نستفيد من خبرة النقابيين القدامى لانهم يتمتعون بالعمل التطبيقى فى مجال الاجور والنشاط الدولى الخ.. ولذلك اعدت المدرسة القديمة بقيادة مثقفيها من المحررين العماليين – الذين كانوا على اتصال وثيق بالنقابيين القدامى – لهذه الانتخابات بالدعايات اللازمة .ونحن لا ننكر دور الخبرة القديمة على ان تساير الزمن وتخدم المرحلة الاشتراكية.

كما اننا لاحظنا خلال معركة الانتخابات ان الادارة فى الوحدات الانتاجية كانت تقوم بدور ملموس فى تغيير نتيجة الانتخابات لانها اولا واخيرا كانت المولة لتنظيم عملية الانتخاب .ففى احدى شركات الغزل والنسج كان لدينا ١٤ لجنة انتخابية تعمل لمدة ٢٤ ساعة فى اليوم . احتاجت الى ٤٢ موظفا لادارة عملية الاقتراع والتصويت. لم ترسل وزارة العمل الى هذه اللجان الاربعة عشر الا عشرة موظفين فقط، فى حين ارسلت ادارة الشركة ٣٢ موظفا من اداراتها المختلفة لادارة وتنظيم عمليتى الاقتراع والفرز .

ولما كانت ادارات القطاع العام لا تستطيع الان ان تعمل داخل الوحدة الانتاجية فى ظروف متعارضة مع اللجان النقابية – لانها على الاقل لا تريد «الشوشرة» – فان الافضل لديها ان تأتى نتيجة الانتخابات مريحة لها فى العمل والتعامل.ولذلك رأيناها تتدخل مباشرة فى عملية التصويت فى حالات عديدة.

مثلا انها فى انتخابات مجلس الادارة تنزل منشورا يحمل اسماء المرشحين وارقامهم مسلسلة لتساعد الناخب على اختيار المرشح بوضع علامة الاختيار ، اما فى المعركة الانتخابية للنقابة فانها اعطت الناخب ورقة بيضاء وطلبت منه كتابة ١١ اسما من المرشحين على الورقة. وذلك يعنى ان الادارات اتبعت الاساليب الصعبة امام الناخب البسيط. فاذا علمنا مثلا ان نسبة عالية من العمال اميين ولذلك يلجأون الى رؤساء اللجان ليدونوا الاسماء عنهم استطعنا ان نلمس مدى الحرية التى حصلت عليها ادارات الشركات فى التدخل. وعملية تدخل الادارة فى الانتخابات ليست عملية جانبية او غير معروفة لان بعض الادارات تعلنها صراحة . ويبررون لها بمختلف الادعاءات .. هذه العملية فى حد ذاتها تقلل من اهتمام العامل بالنقابة لانه يعلم جيدا ان الافراد المرشحين الذين يرغب فى انتخابهم ليسوا هم الافراد الناجحين فى الانتخابات.. وهنا تحدث الفجوة بين العمال وتنظيمهم النقابى .

والغريب أن بعض المسئولين فى وزارة العمل يقفون مع الادارات فى تصرفاتها هذه ..

والغريب أن معظم الادارات اتبعت نفس الخط مع اختلاف فى الاسلوب . وكثيرا مايحدث الالتقاء بين الحملات الصحفية والادارات فى الشركات مع بعض مكيباتب العمل .. وجيبات

النتيجة العامة لانتخابات عام ١٩٦٤ كما شاهدناها وهى ان النقابية القديمة هى القائدة فى الحركة النقابية .

والذى حدث بعد ذلك ان استطاعت كافة القيادات القديمة ان تقفز الى المستويات العليا من التنظيم النقابى وان تسيطر على مراكز سياسية وادارية حساسة . وبذلك استغلت نفوذها فى الضغط على كل الاتجاهات النقابية التى لاتسايرها . فمثلا فى اجتماع الجمعية العمومية لعمال النسيج الذى تم فيه الترشيح وانتخابات النقابة العامة اتفق المجتمعون على ضرورة عقد جمعية عمومية بعد ثلاثة شهور من ذلك اليوم ، لفتح صفحة جديدة فى العمل النقابى يتسم بالديمقراطية والمحاسبة من القاعدة للقمة . والذى حدث انه مر عامان ونصف ولم تجتمع مرة اخرى .. والسبب فى ذلك واضح . لاننا اذا ما اجتمعنا فى جمعية عمومية اخرى فان العمال سيحاسبون على كل الاخطاء .

ولذلك ترى القيادة النقابية دائما أن الافضل هو عدم الاجتماع بدعوى انها مشغولة فى مسئوليات كثيرة وليس لديها الوقت اللازم .

والواقع ان تنظيم تكوين النقابات العامة فى حاجة الى تعديل وامكانية عقد اى جمعية عمومية . لانها هى التى تقوم بارسال خطابات التفرغ للادارات وصرف بدل السفر وتحديد اليوم .. ولا يوجد عامل واحد نقابى يستطيع أن يترك عمله ويسافر من القاهرة الى الاقاليم المختلفة داعيا لعقد جمعية عمومية لعمال الغزل والنسيج مثلا .

والواقع ان تنظيم تكوين النقابات العامة فى حاجة الى تعديل جذرى ليلائم المرحلة الحالية ولكى يساعد على ابراز الجديد الملائم لهذه المرحلة . فالذى يحدث اننا نجتمع كمندوبين عن اللجان النقابية من جميع أنحاء الجمهورية لننتخب مجلس ادارة النقابة العامة ورئيسها . القادم منقبلى مع القادم من الاسكندرية وبور سعيد . مجموعة من العمال النقابيين لا يعرفون بعضهم البعض على اساس العمل . ولذلك فترشيح اعضاء المجلس يكون على اساس الاسماء المعروفة للكل بمعنى آخر على اساس الاسماء التى تنشر فى الصحف . ويسبق هذا الاجتماع عادة مناقشات جانبية يقوم بها اكثرنا سلطة ونفوذا فى فترة الانتخاب . وهم عادة اعضاء النقابة العامة القديمة انفسهم لانهم اصحاب الحركة الحقيقية ، ويحدث الترشيح ثم الانتخاب ، وتأتى النتيجة كما رسم لها أن تكون

ولكن الافضل فى مثل ظروفنا الحالية ، هو ان نصفى الترشيحات فى مناطق عملها .. مثلا محافظة الاسكندرية تصفى مرشحى النقابة العامة بها . وكذلك بور سعيد والقاهرة وقنا . وبذلك نضمن أن العمل النقابى السليم هو (الغربال) الذى يأتى منه المرشح الى القاهرة ثم الى مستوى الجمهورية وبعد ذلك تأتى مرحلة اختيار او انتخاب مرشحى الجمهورية بعد تصفية المناطق .

هذا الراى يلقى معارضة لامثيل لها من القيادات التقليدية . لان هذه القيادات ليست هى المحرك الاساسى للعمل النقابى فى مناطقها وهى تأتى الى المراكز العليا بدفع وبقوة الشهرة . اما اذا تمت تصفية فى مناطق عملها الأساسية فلن تأتى على فلان .

وقد ثبت فعلا فى انتخابات ١٩٦٤ أن مندوبى الاسكندرية لم ينتخبوا مرشحيها وانما الذين ساندوا هؤلاء المرشحين هم مندوبو المناطق الاخرى الذين يعرفونهم من الصحف ، لا من العمل اليومى واحتكاكاته وكذلك فى القاهرة وبورسعيد والجيزة وشبرا الخيمة .

والاجراء الاخر الذى نرى ان يتغير هو انتخاب رئيس النقابة العامة . فالذى يحدث حاليا أن الانتخاب يتم فى الجمعية العمومية . ولذلك يعتبر رئيس النقابة نفسه مفوضا من مجموع العمال للعمال ولادارة النقابة العامة . ولذلك فهو يتصرف كفرد داخل مجلس ادارة النقابة العامة مما يؤدى فى نهاية الامر أنه يكون صاحب الامر والنهى فيه وفى التنظيم النقابى لصناعته .فهو اذن يستطيع ان يرفع من يشاء من اعضاء اللجان النقابية ثم يستطيع ان يخفض من يشاء بلا رقيب او محاسب الا فى الجمعية العمومية التالية وهى لاتعقد فى اغلب الاحوال الا لاجراء الانتخابات .

اما فى المحاسبة العامة فلا يكون هو المسئول وحده . وانما متضامنا مع مجلس الادارة. .ولذلك نجد الامور تسير كما يلى.. تصرف فردى من رئيس النقابة يستتبعه محاسبة جماعية لمجلس لم يشترك حقيقة فى هذا التصرف . فاذا اردنا ان نحاسب مجلس الادارة فى آخر الدورة علينا ان نعطيه مسئوليات اختيار رئيسه وبذلك تخلق قيادات جماعية متقدمة لدفع العمل النقابى ثوريا .

ولذلك قدمنا فى عدد من المناسبات اقتراحا بأن يكون انتخاب رئيس النقابة من قبل مجلس ادارتها .. وذلك ليعلم انه فرد من مجموعة وأن عليه أن يدير النقابة بقيادة جماعية تسمح بتوزيع الاختصاص ثم المحاسبة عليها .. وليعلم أن أى انحراف سيحاسب عليه فى الاجتماع التالى . وبذلك نقضى على الفردية فى العمل ونسمح بديمقراطية النقابة وعملها .

وقد وجه ضد هذا الاقتراح عدد من الانتقادات : منها مثلا أن مايجرى فى النقابات العامة العمالية يجرى ايضا فى النقابات المهنية ، ولا بد من وجود تنسيق .. ولكن الحقيقة هى أن النقابات العمالية لها اعماق بين الجماهير أبعد من اعماق النقابات المهنية . كما أن هذه النقابات العمالية هى المثل الذى يتبع وهى التى ستستمر فى حين أن النقابات المهنية ماهى الا تنظيمات فئوية ، ولذلك لايمكن ان تكون هى المثل الذى يحتذى به ، بل ويتعارض وجودها مع طبيعة ومصلحة عملية البناء الاشتراكى ، اذ يجب أن يندمج فى تجمعات العاملين جميعا دون تفرقة .

كما يرد على ذلك الاقتراح بأنه قد يخلق تكتلات داخل المجلس نفسه بما يسمح بأن تتكتل مجموعة لفرد ويكون تكتلها على اساس شخصى بحت. والرد على ذلك هو أن هذه التكتلات موجودة الان لان رئيس النقابة العامة عادة يخلق له تكتل داخل الحركة النقابية وتنظيمها على كل المستويات ، واذا كان هذا المنطق هو السائد فالافضل أن نحصر التكتل داخل المجلس عن اطلاقه على كافة المستويات التنظيمية مقابل ذلك ان نخلق جماعية القيادة يقضى على فردية التصرف . خاصة وان رئيس النقابة حينما يكتل أو يتكتل مع افراد آخرين على كافة المستويات فانه فى الحقيقة يتكتل لصالح اتجاه وضد اتجاه . والملاحظ حاليا أن التكتل يكون ضد التيار الجديد بمعنى أن التفرغ لايكون الا لعناصر قديمة ، وحرية الحركة لاتكون الا لعناصر قديمة . تحت شعار الخبرة والتمرين .

اما اذا خرج عن النظام اى عنصر من عناصر القيادة الجديدة ففى الحال يرفع شعار آخر وهو الانتاج اولا ثم العمل النقابى ثانيا ثم نحاسب على اساس اننا تركنا الالة ، والالة فى احتياج الينا ، لان الانتاج فى حاجة الى تشغيلنا لهذه الالة .

نخلص من ذلك ان الحركة النقابية تضم تيارين نقابيين . اولهما التيار القديم الذى عمل فى مرحلة قبل التحول بمفهوم النقابية البحتة والذى يحاول ان يمد سلطانه على هذه الحركة بعد مرحلة التحول فى طريق الاشتراكية . ثم تيار ثان مقتنع ان العمل النقابى لاينفصل عن العمل السياسى فى اى شىء . وهو السبيل الى الموقف المسئول الواعى تجاه عملية الانتاج لرفع انتاجية العمل ومستواه . كما ان له دور فى كشف ملامح الصراع الطبقى ودفعة الى الحل السلمى داخل الاتحاد الاشتراكى العربى .

ولكن الواقع الحالى للحركة السياسية بدأت تحمل ظروف عمل مواتية وذلك بعد أن دخلنا فى معركة البناء الاقتصادى للاشتراكية واكتشفت القيادات السياسية (الغير عمالية) فى الاتحاد الاشتراكى العربى وفى المكاتب التنفيذية أن المرحلة القادمة تحتاج الى تعبئة كل الجهود . وبدأت بالفعل تنشأ كافة العناصر الواعية فى الحركة النقابية لتعمل معها فى معركة بناء الهيكل الرئيسى للصناعة الثقيلة . ولا شك أن العمل فى مرحلة السنوات السبع القادمة تحمل تباشير النجاح ..



وجهة نظر حول وحدة القوى الثورية فى الوطن العربى



نزار عبد الرؤوف

ينشط الحوار الجاد على الصعيدين الفكرى والعملى بين قوى الثورة العربية نحو ايجاد وحدة اداة الثورة والتى يطالبهم بها التاريخ كرد عملى على تحرك القوى الرجعية والبرجوازية فى الوطن العربى متعاونة مع قوى الامبريالية العالمية ومحاولة الاستفادة من تناقضات هذه القوى الثورية من جهة ومن هذا الانتعاش العالمى الذى تحياه القوى الاستعمارية والرجعية من جهة اخرى .

ومنذ فترة ، ليست بالقصيرة وليست بالطويلة ، تصدى عدد من المفكرين القوميين لهذا الحوار معمقين ومحللين هذا الشعار من جميع زواياه ، بل لقد انعكس هذا الحوار على الصعيد العملى . حيث تم تشكيل الاتحاد الاشتراكى العربى فى كل من سوريا والعراق بين عدد من القوى القومية الثورية وتم تشكيل جبهة الاحزاب والشخصيات اليسارية فى لبنان ولابد لكل هذه التجارب مزيدا من التقييم الجاد ومزيدا من الحوار حتى يخرج الشعار التى رفعته الجماهير العربية الى أرض الواقع والتطبيق .

وقبل الخوض فى أى موضوع عن وحدة قوى الثورة العربية لابد أن نسجل بعض النقاط والتى أعتبرها بديهية قبل الخوض فى هذه المواضيع : —

أولا : لم يعد مجالا للشك أن حركة الجماهير العريضة المؤمنة بعبد الناصر قائدا ومفكرا ، قد سبقت كافة الحركات القومية الاخرى وتخطتها ، وأى قوة تدعى التقدمية تعمل خارج

نطاق الجماهير الناصرية فى الوطن العربى محكوم عليها بالعزلة والفشل ، وهذا الايمان الجماهيرى بعبد الناصر ليس بالايمان العاطفى العفوى الذى لا يلبث أن يتمزق أمام صخور التجربة ابدا بل هو ايمان عميق تأصل عبر مراحل نضالية قاد عبد الناصر كل هذه الجماهير وحشدها وعمل من أجلها . ولازالت التجربة المصرية هى التجربة الرائدة العملية لتغيير المجتمع العربى .

ثانيا : ان مفهوم الوحدة ارتبط بذهن الجماهير العربية « الناصرية » (والتى اتفقنا أنها هى الارضية لتنظيمنا الثورى المنشود) ، ارتبط بمفهوم الاشتراكية ، وهذا الالتحام بين المفهومين ، أنما تم عبر مراحل نضالية قاتل فيها أعداءالاشتراكية من البرجوازيين العرب جنبا الى جنب مع حلفائهم الطبيعيين من الاقليميين الذين وجدوا فى الاقليمية مستقبلهم فى استمرار أمتصاص قوت الشعب .

بل لقد حاولت القوى الرجعية متعاونة مع قوى الاستعمار أمتصاص طموح الجماهير العربية بالوحدة بخلق أنواع من الوحدات بين الانظمة الرجعية الرأسمالية . ولقد اثبتالتاريخ مرة أخرى رفض الجماهير لهذه الوحدات المزيفة الغير أصيلة لانها لاتنطلق من مصلحة الشعب ولا من اجله (مشاريعالهلال الخصيب ، سوريا الكبرى ، الاتحاد الهاشمى ، اتحاد المحميات والمشيخات) لقد تعمق مفهوم الوحدة لدى الجماهير وأصبحيضم المحتوى الاجتماعى والسياسى القومى وليس المعنى المجرد لها .. أو لنخلق جبهة أقدر على مجابهة الاحتلال الاستعمارى فى الوطن العربى ودعما للحركة الوطنية العربية ، كما كان شائعا فى الفكر القومى فى الاربعينات والخمسينات .

وبالتالى فان أى قوة تطرح الاشتراكية بمعزل عن الوحدة . أو تتخذ الوحدة سبيلا لماجهة الاشتراكية .. هى قوىمستبعدة من الساحة الشعبية أصلا .

ثالثا : أن وحدة قوى الثورة العربية ليس الهدف فى حد ذاته .. فان تعدد هذه القوى أنما هو فقط أحد أسباب تناقضها ، والسبب الاكثر أهمية هو عدم قدرة أى من هذه القوى على أستيعاب الجماهير الواسعة وتضمها وجها لوجه أمام معركتهم الحقيقية ، أى أنتقارها فى تبعيتها البشرية والفكرية والاستراتيجية لنظرية العمل الشعبى الجماهيرى .

وهدف الجماهير بلاشك هو خلق التنظيم الثورى القادر على أستيعابهم وقيادتهم متجاوزا واقع التعدد أولا وواقع العجز الذاتى فى الادوات الحالية ثانيا .

ولاشك أن التقاء جميع قوى الثورة قد يكون خطوة أيجابية نحو تحقيق هذا الهدف ، الا أنه لايجب أن يغيب عنالبال .. أن مجرد الالتقاء فى غرف مقفلة بين قوى معينة ليس هو الحل السحرى لتجاوز جميع هذه التناقضات أن الحل الحقيقى يكمن فى خلق التنظيم الثورى العربى الجديد وهذا لايمكن أن يتم الا من خلال معركة تجند لها الجماهير العربية حول برنامج نضالى يومى . وبالتالى يجب أن يكون التقاء قوى الثورة على أرض المعركة وحول برنامج شامل .

وأن التقييم الحقيقى لهذا التنظيم الجديد يجب أن ينطلق بمقدار ما يستطيع أن يقدمه للشعارات التى يرفع لواءها ، وليس بمقدار عدد القوى التى يتألف منها .

طريقنا الى التنظيم الثورى

وفى الطريق لايجاد هذا التنظيم على أرض الواقع،متخطيا جميع المؤسسات السياسية الراهنة لايجب الا نتخلى عن ضرورة مواصلة القتال حتى لاتتفاقم الظروف الموضوعية التى أدت بالقوى الثورية الى هذا المصير . ومن خلال هذا القتال يجب أن تتكامل استراتيجية التنظيم الثورى العربى الجديدة . أن أى محاولة لايجاد هذه الاستراتيجية وبناء هذا التنظيم خارج ساحات النضال سيضيف أزمة أخرى تجد طريقها الى جانب الازمات التى تعانى منها قوى الثورة وخاصة فى المشرق العربى .

ومن الخطأ الفادح الذى يجب أن نحذر الانزلاق فيه ، أن نعزو الازمة الراهنة الى وجود العجز الذاتى فى اداةالثورة العربية عامة .. لان هذه الادوات كانت مواقع الاحتكاك الوحيدة مع قوى الاستعمار فى ساحات عديدة ولفترة ليست بالقصيرة .وان كنا نطالب بايجاد التنظيم الثورى العربى جديدا فى بنيته البشرية والفكرية متخطيا كل أزمات الواقع ، الا أن هذا لايعنى أن نفرط بادوات الثورة القديمة لانه باستمرار حركتها وفعلها عمليا يمكن خلق هذا التنظيم المنشود .

أن الانتقال من واقع الحركة الوطنية الثورية الراهنة الى الوضع الاكثر ثورية يتطلب أول ما يتطلب اداة منظمة تكافح فى سبيل تحقيق الصورة الجديدة من خلال معارك نضالية على جميع المستويات ومن خلال هذه المعارك فقط يتم تكوين هذا التنظيم الثورى العربى الجديد ، وبالتالى يجب أن لايتسلل الى ذهننا أنه يمكن خلق هذه الحركة الجديدة منطلقين من الفراغ المطلق أو بطلبات أنتساب جديدة لتنظيم جديد ، عازلين حاضر هذه الحركة الثورية عن ماضيها النضالى

المعركة ومتطلباتها

أن محاولة تطبيق هذا التحليل على مختلف ساحات الوطن العربى يتطلب فى الواقع أن تتخذ المعركة المطلوبة فى كل قطر طابعا خاصا يتلاءم مع طبيعة الحكم فى هذا البلد وكذلك مع مدى النضج الاجتماعى والاقتصادى فيه ، ومدى قوة قوى الثورة والقوى المعادية وطبيعة العلاقة السياسية فى هذا البلد أو ذاك .

ذلك أن الوضع القطرى الراهن الذى كرس له الاستعمار ونفذه منذ عشرات السنين خلق ، بلاشك ، أوضاعا غيرمتشابهة إقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، وهذا بالتالى يتطلب معالجات محلية من خلال أطر ثورية يساهم فى تشكيلها ظروف ذلك القطر ومطالب جماهيره . وهنا يجب أن نؤكد ضرورة وجود قيادة واحدة لهذا التنظيم الثورى العربى الممتد عبر جميع الاقطار ، هذه القيادة التى تخطط وتشرف على تنفيذ السياساتالمتعددة التى تتطلبها الساحات المختلفة لئلا تقع فى منزلق الاقليمية ونكوس الظروف الموضوعية لتعميق هذا الاتجاه فى ظل الاستراتيجية الواحدة .

أن ضرورة الوحدة الفكرية والقيادة المركزية فى التنظيم الثورى العربى الجديد هو صمام الامان الوحيد والذى يقينا من الانزلاق الى مهاوى الاقليمية . وتصبح الوحدة مجرد مسالة ضمنية تتوه وسط معارك تعميق العمل الوطنى الاشتراكى فى كل قطر وما يصاحب ذلك من مشاكل ومعارك .

ضمانات الوحدة

ان نظرة واحدة الى المفاهيم الفكرية لمعظم القوى الثورية سواء فى المشرق أو المغرب العربيين .. تطالعنا عبارات حتمية الوحدة وضرورتها للخلاص من الواقع العربى الراهن المجزأ والمتخلف ، دونما أى محاولة تحليلية جادة لايجاد ضمانات حقيقية بهذه الوحدة وكيفية انمائها وابرازها الى ارض الوجود.

ففى ميثاق العمل الوطنى للاتحاد الاشتراكى العربى فى الجمهورية العربية المتحدة بابا خاصا للوحدة العربية حيث جاء فيه «أن أى حكومة وطنية فى العالم العربى تمثل ارادة شعبها ونضاله فى اطار من الاستقلال الوطنى هى خطوة نحو الوحدة من حيث أنها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الامال النهائية فى الوحدة » ص ١١٠

وما الضمان بعد ذلك لتحقيق الوحدة بين هذه الحكومات الوطنية . يقول الميثاق «أن قيام اتحاد للحركات الشعبية والوطنية التقدمية فى العالم العربى أمر سوف يفرض نفسه على المراحل القادمة من النضال » ص ١١٢ وهو كما نرى ضمان لايتعدى الشعور بهذه الحتمية .

وفى مراكش .. يؤكد التقرير المذهبى للاتحاد الوطنى للقوى الشعبية (ص ١٩) «أن وحدة المغرب فى العاجل تمتزج بالتيار العربى العام نحو الوحدة وتشكل أحدى مراحلها الهامة بأن الروابط التى تربط بعضنا ببعض لا تنفصم »

وكذلك نجد افكارا مشابهة فى ميثاق جبهة التحرير الوطنى الجزائرية . اذ يقول «رغم تجزئة العالم العربى الى وحدات جغرافية واقتصادية متميزة فان عوامل الوحدة المكونة من تاريخ وثقافة ولغة مشتركة ظلت تحتل المقام الاول» ص ٣٥ أما عن كيفية ابراز هذه العوامل لخلق الوحدة من جديد فلا شيء جديد .

وفى الجنوب اليمنى المحتل جاء عن الجبهة القومية لتحرير الجنوب «أن الالتحام والتقارب الفكرى بين التنظيمات العربية القائدة للنضال الثورى العربى ، تفرضه متطلبات الوحدة العربية الثورية» ص ٩١

وفى المشرق العربى ، جاء فى ميثاق الاتحاد الاشتراكى العربى العراقى «أن قيام حركة ثورية عربية واحدة فى جميع أرجاء الوطن العربى ستفتح الطريق لممارسة أسلوب ثورى جديد لتحقيق الوحدة» ص ٢٦ .

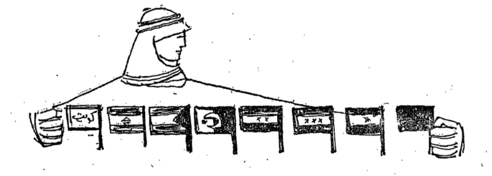
نصوص مشابهة أخرى كثيرة فى المضامين الفكرية للقوى القومية الاخرى فى المشرق العربى . ومن هذه النماذج جميعها نرى أن قوى الثورة العربية متفقة على ضرورة تحقيق الوحدة بمفهومها التقدمى والاجتماعى ، دون أن ترسم اى طريق محدد ولا أى ضمان فى أن ينتهى العمل القطرى الى هذه الوحدة المنشودة .

ان الضمان الوحيد — فى تقديرى — هو مركزية التخطيط ومركزية القيادة وضرورة الوحدة الفكرية لكل هذه التنظيمات ، حتى على أدق التفاصيل ومن الان .

أن مجرد الزيارات وتبادل الاراء والتنسيق لمعارك محددة لا يمكن أن يعطى الضمان الكافى لالتقاء الحركات الثورية الاشتراكية فى الوطن العربى . .. فمثلا كان هناك تنسيق وتعاون فى الماضى بين حزب البعث فى المشرق العربى وبين الجمهورية العربية المتحدة ، دون وجود الوحدة الفكرية ولا القيادة الموحدة .ثم جاء حزب البعث الى الحكم وجلب معه انحرافه .. وهذا الوضع الغير طبيعى لا يزال يعانى منه بعض قوى الثورة فى الوطن العربى .. سواء التى وصلت منها الحكم أو التى ما زالت تعمل شعبيا تحت الارض .. فان أقصى علاقة بين أى منها والاخرى لاتتعدى حدود التنسيق وتبادل الاراء .. وهذا سيوسع فعلا شقة الخلاف الفكرى فى النهاية

واذا حاولنا تحديد خارطة قوى الثورة فى الوطن العربى ، فاننا نجد أن بعضها منظمات شعبية تعمل تحت الارض ملاحقة ومطاردة ، وبعضها الاخر وصل الى الحكم . ثم هناك بعض آخر له وجود علنى فى أقطار أخرى . أن ضرورة الاتفاق على كيفية العلاقة بين هذه القوى جميعها أمر ضرورى لبقاء هذه العلاقة واستمرارها على أسس سليمة .

أن العلاقة بين بعض قوى الثورة التى تعمل تحت الارض وبين بعض قوى الثورة التى فى الحكم هى علاقة تفاعل متبادل كل يؤثر فى الاخر ويتأثر به . ومن هذا الفهم لطبيعة هذه العلاقة ، فانه بالقدر التى تتحمل القاهرة مسئوليتها التاريخية فى دعم هذه القوى الثورية وقيادتها وجمعها فان مسئولية تاريخية تقع على عاتق هذه القوى الثورية لحل تناقضاتها الداخلية وتجاوز أزماتها الحالية وتحرك ساحاتها النضالية . حيث تستطيع أن تشكل اداة ضاغطة وتمثل مواقع صدام دائم مع قوى الرجعية والتخلف فى الوطن العربى ويشل حركتها مما يفتح المجال أمام قوى الثورة ويمكنها من الحركة الحرة السريعة القادرة على أجابة متطلبات النضال العربى وحاجاته





صوت من القاعدة

... ولجنة لتصفية جيوب الرأسمالية المستغلة

يكتبه هذا العدد المواطن
طه مصطفى خفاجى
عامل بطنطا

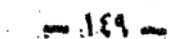
كان لوقع الحادثين اللذين حدثا فى كمشيش والمنيا ، واوديا بحياة شهيدين عظيمين من الطلائع الجديدة من اعضاء الاتحاد الاشتراكى ، اثر كبير فى نفس كل مواطن شريف . والقيادة السياسية والجهات المسئولة ، بمواجهتها الثورية لهذا العدوان الوحشى من جانب القوى الرجعية قد اجابت بصورة عملية على اسئلة كانت قد بدأت تطفو وتتطلب الاجابة عليها .

ان اول ما تكشف عنه هذه الجرائم البشعة ، ان جيوب الاقطاع ورأس المال المستغل ، لا يمكن ان تسلم بسهولة ، بل انها جرؤت على تدبير وتنفيذ هذه الجرائم ، رغم ان السلطة فى مجتمعنا سلطة ثورية وقيادة اشتراكية . ويبين ذلك ان هذه العناصر على استعداد لفعل اى شىء من شأنه ان يطيل من بقائهم المدنس . كما تبين هذا الجرائم بوضوح الارتباط الوثيق بين ما يلجأ اليه الاستعماريون على المستوى العالمى وبين ما تلجأ اليه الجيوب الرجعية من الاقطاعيين والراسماليين المستغلين على المستوى الداخلى . ذلك فى وقت تمر فيه بلادنا بأخطر مرحلة فى تاريخها وهى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية .

واذا كان ميثاق العمل الوطنى قد نص على ان يحل الصراع الطبقى سلميا وفى اطار الوحدة الوطنية ، واذا كان العمال والفلاحون والمثقفون قد قبلوا هذا وعملوا على تحقيقه ، فان جيوب الاقطاع وبقايا الراسمالية المستغلة تريد ـ وتحت شعار الاشتراكية نفسه ـ ان تحارب الاشتراكية والاشتراكيين وكل من يرتفع صوته بها .

واذا كانت جيوب الاقطاع قد استعملت سلاح الاغتيال ، فان بقايا الراسمالية المستغلة تستعمل سلاحا اشد خطرا واشد ذكاء وخبثا . فهى تستعمل اسلحة كثيرة كالتشكيك فى الاوضاع واهمال التفرقة ، والنقل الى اماكن بعيدة بقصد اسكات اى صوت يريد ان يأخذ المعركة بجدية . واخطر هذه الاسلحة ، سلاح التجويع .

وفى سطور قليلة سأحاول ان اعطى صورة لبعض مايجرى من صراع بين القديم والجديد . حيث ما يزال يملك القديم المال والعلاقات المتشعبة التى



تمكنه من تنفيذ ما يريد . بينما لايملك الجديد سوى صوته وايمانه بأن فى بلدنا ثورة اجتماعية . ويعمل القديم على ابعاد الجديد عن مراكز الانتاج الرئيسية ووضعه فى ظروف صعبة تجهده وتبدد طاقته حتى لا يستغلها فى المساهمة فى بناء العمل الوطنى الثورى فى بلادنا . ان ماتريده الرجعية هو عزل القيادة عن القاعدة حتى يسهل لها ان تصطاد فى الماء العكر .

ولكن كان لما قامت به القيادة الثورية فى مواجهة الجيوب الاقطاعية ، ما احيا الامل فى نفوس الكثيرين ممن يؤمنون بالاشتراكية وبقيادة المناضل عبدالناصر وبوضع كلمات الميثاق الثورية موضع التنفيذ ليحمى الطلائع الثورية الجديدة .

واذا كانت القيادة الثورية قد شكلت لجنة لتصفية الاقطاع وبقايا جيوبه فى الريف ، فانى اقترح ان تشكل لجنة ـ او ان تضاف الى اعمال لجنة تصفية الاقطاع ـ تبحث كل ما يرد اليها من أعمال بعض الرأسماليين المستغلين الذين زادت ارباحهم فى الفترة الماضية نتيجة لعوامل كثيرة استغلالية . وان تبحث هذه الاعمال بالاسلوب الثورى الذى يربط السياسة بالعمل . لانه لا يخفى على احد ان الجيوب الاقطاعية والراسمالية المستغلة ، تجد فى علاقاتنا القديمة ، كما تجد فى قوانين صيغت فى عهد تحكم الاقطاع وراس المال المستغل ، من الواجهات ما تستطيع دائما ان تختفى وراءها وان تخدم مصالحها ووجودها . على ان تتأكد اللجنة دائما من أن كل ما يرد اليها صحيحا وان يجرى بحثه فى هدوء وبروح ثورية حتى لا يكون هناك مجال لشكاوى كيدية او لعبث من لا يقدرون المسئولية . فهناك وبدون شك ، كثير من المشاكل التى لا يجد اصحابها الى من يتوجهون بها ويكاد اليأس ان يدركهم لولا انهم يدركون جيدا تناقضات المرحلة الراهنة التى تمر بها بلادنا اليوم ـ اى مرحلة الانتقال ـ التى تتشعب كثيرا وتحتاج الى يقظة ثورية دائمة .

ان النظر الى جرائم الاقطاع الاخيرة، باعتبارها نتيجة لصراع طبقى وربطها بالظروف السياسية المحيطة ببلادنا، قد اعطى املا جديدا لكل المؤمنين بالاشتراكية ويتحملون نصيبهم فى الدفاع عنها وفى بنائها . ان شمس الاشتراكية مرتفعة ابدا فوق ارضنا الثورية وبقيادة المناضل عبد الناصر ، رغم تامر الرجعية والاستعمار ».

دروس مستفادة وأسئلة مثارة .. من كمشيش

ومن كمشيش ايضا ،كتب للطليعة المواطن صلاح الدين اسماعيل من الجهاز المركزى للتنظيم والادارة يقول :

هل كانت الرجعية تتحرك فى الريف والاقاليم فقط ؟

ابدا لقد كانت الرجعية تتحرك فى المدن بنفس العنف وبنفس القسوة ،ولكن من غير رصاص ولا دماء ، فاذا حاولنا أن نلتفت الى بداية تشكيل الاتحاد الاشتراكى على مستوى الوحدات فسوف تذهلنا صورا لشهداء آخرين رغم انهم ما زالوا احياء يتنفسون على قارعة الطريق لانهم أصروا على ان يقولوا كلمتهم الصادقة . ولانهم صمموا على حتمية الحل الاشتراكى الكامل فكرا وعملا ـ سلوكا وتطبيقا .

ولا فرق كبير بين التشريد وضرب الناس فى ارزاقهم بفصلهم او ايقافهم من العمل . وبين قتلهم ، فقد شهدت ساحات المحاكم العمالية قصصا تروى فى كتاب المناضلين من اجل نصرة الاشتراكية فى الاتحاد الاشتراكى بل هناك احكام دمغت الرجعية بان الفصل كان بسبب نشاط العضو فى العمل السياسى وما دمنا نعيد النظر فى تصرفات الاقطاع والرجعية ، فانه من المهم كذلك ان نعيد النظر فى امر الذين وقع عليهم ظلم الرجعية المكتبى . وكانوا المقدمة التى تلقت طعناتها .

واذا كان لنا ان نستخلص من كمشيش دروسا مفيدة فلقد كانت هذه المأساة التى راح ضحيتها البطل الشجاع المناسبة التى عجلت بظهورها ، وأصبحنا معه فى موقف يحتم علينا السعى لانهاء مثل هذه الاوضاع ،كيلا نواجه بطلقات الرصاص المجنونة بمثل ما ووجهنا به فى اعماق الريف .

وهناك سؤالان اطرحهما لانهما واقعيا وموضوعيا عصب القضية الحساس الان انهما فى الواقع قضيتان اساسيتان تعيشهما الحياة التنظيمية السياسية وتعانى منها حتى الان :

السؤال الاول : اين كانت حماية التنظيم السياسى لصلاح حسين وأمثاله وهم يناضلون ضد الاقطاع ! وأغلب ظنى ان صلاح حسين كما أكدته الحوادث وأخبار المأساة التى عاشها وانتهت باغتياله كان على صلة دائمة بالاتحاد الاشتراكى على جميع مستوياته حتى آخر لحظة من حياته . من المسئول اذن عن عدم حمايته ؟ ».

السؤال الثانى : وكما ابرزت الصحف قصته فى ١٤ عاما من الكفاح والنضال البطولى فى حياة صلاح حسين اذن لماذا لم يستقطب واحد كصلاح حسين ؟ لماذا ظل فى كمشيش لا يخرج منها وخصوصا فى الترشيحات الاخيرة ؟ وقد اثبت جدارته وتفانيه لمكافح وقائد سياسى .

وهناك عدة تساؤلات فرعية تنبع من هذا السؤال هنا لعل ابرزها عن مصير تقارير الوحدات وكذلك التوصيات والقرارات التى كانت تصعد للمستويات الاعلى . وهل كانت محل نظر أم انها تركن على « الرف » . ولا اريد ان انتهى من هذين السؤالين الا بتساؤل محدد هو الى متى نترك العناصر الاشتراكية الثورية تصفى او يقضى عليها ؟

ان مسح قرى الجمهورية من اقصاها الى ادناها بالطول والعرض بحثا عن اراضى مهربة من قوانين الاصلاح الزراعى ، وشهداء مغموريين سواء أحياء أو أمواتا ، لابد ستظهر حقيقة الذين لعبوا ادوارا فى محنة التحدى الاشتراكى ، لان اغلب الاجهزة الحكومية لم تكن ـ بكل صراحة ووضوح وبلا تجن ـ فى مستوى الموقف الثورى ، بل كانت تجامل الاسر الاقطاعية، من خلال ترسباتها فى هذه الاجهزة ، وتؤثر من بعيد رتمييع مواقف خالدة كانت تستحق الاهتمام والتبكير فى تفجيرها على مستوى عال وبشكل جدى حقيقى .

لقد قلت من قبل ان الاشتراكيين لم يفاجأوا بما حدث فى كمشيش ومن يتتبع ما ورد بعد ذلك من احداث يقطع بان القوى الإشتراكية والتقدمية كانت باستشهادها تمثل علامات تضىء على الطريق وتلفت النظر الى خطورة ما ينتظرها من اخطار تهدد مستقبل التقدم . ولذلك فان المواجهة الحاسمة هى التى ستحدد بالضبط ابعاد هذا المستقبل ».

رأى فى قضية الارض

كما كتب المواطن محمد شريف اللبودى بالثانوية العامة — القاهرة ، تعليقا يقول فيه .

من الملاحظ ان قانون الاصلاح الزراعى عندما حددمستقبل الملكية بمائة فدان للاسرة (على مدى ثمانى سنوات حتىعام ١٩٧٠) أعطى فرصة كبيرة للاقطاعيين ان يوزعوا أرضهم صوريا أو حقيقيا على الاولاد والاخوة وبذلك بقى الاقطاع عائليا بعد أن كان فرديا . وتكونت هذه الفئة التى لاعلاقة لها بالارض استنزاف دماء الاجراء كل موسم . وقد أوجدت فئة من الاتباع والمحاسيب التى تمارس ارهابها مستمدةالقوة من سيطرة الاقطاعيين ماديا وفكريا . ولذلك فانى اقترح :

● اما أن يطبق قانون العمل الواحد للرجل الواحد على ملكية الارض ، بمعنى أن الفرد بعد اتمام تعليمهوتقدمهللعمل او عند وراثته لاحد اقربائه ، يخير بين امتلاك الارض والتفرغ لزراعتها أو بيعها والتفرغ لعمله الاخر .

● أو يعدل قانون الاصلاح الزراعى بحيث يفرق بين من يملك الارض وزراعتها كحرفة وحيدة ، وبين من يعمل عملا آخر ويمتلك أرضا ، فنحدد للاول مثلا بمائة فدان والثانى بثلاثين فدانا كحد أقصى . والحكمة من الثلاثين فدانا هى أن يظل خارج نطاق تمثيل الفلاحين فى الاتحاد الاشتراكى . أو يعدل مفهوم الفلاح الذى تقبل عضويته .

●

لماذا ننتظر الى أن يفرض العقاب نفسه ؟

بعث الى الطليعة المواطن كمال حليم مدير الادارة القانونية بشركة الحديد والصلب ومحام بالنقض ، برسالة كتب فيها :
لو لم تقع جناية كمشيش لاستمرت جيوب الاقطاعبرواسبها العفنة سنين طوالا ، ولو لم تقع جناية تجارالمخدرات القتلة مافكرنا فى فرض عقوبة الاعدام فى الحالات التى ذكرتها الحكومة أخيرا . فلماذا ننتظر الى أن يصبح فرض العقاب الرادع أمرا حتميا حتى تقوم بفرضه ؟ .

ان الجريمة قائمة ويجب الضرب على أيدى مرتكبيها بيد من حديد — نحن فى سباق مع الزمن — فلماذا نتركه يسبقنا؟ واذا امكن استئصال ميكروب خبيث الان ، فلماذا نتركه يستشرى ولا نقتلعه الا بعد أن يبدأ الجسم فى التداعى ؟.

ان الانحراف فى القطاع العام متمثل فى الجنايات التى تكدست ملفاتها واحصائياتها فى النيابة بفروعها المختلفة — فلماذا لاتشدد العقوبة حتى تصل الى درجة الردع العنيف ؟. وكذا فان الانحراف عن أهداف الاشتراكية فى المجالات الانتاجية جناية تفوق الخيانة العظمى — فلماذا نترك السبيل مفتوحا أمامه فنتعرض مكاسبنا الغالية لانتكاس أو جمود ؟ .

لقد بدأت ثورة تشريعية تهدف الى تعديل القوانين بحيث تتواءم مع الاهداف الاشتراكية — ونرى انه مالم يكن التعديل جذريا وعنيفا فلن يحقق أهدافه ، وان حققها فيبطء شديد. ان الالغاء اكثر فائدة من التعديل — وخير الف مرة أن تلغى القوانين التى اثبتت التجربة الحديثة أن بها عوارا ، من أن ندخل عليها تعديلا ثم نعدل التعديل وهكذا ..

ان الخطوط العريضة فى العيوب وضحت — والدولةعامرة برجال القانون الثوريين القادرين على وضع تشريعات محكمة تحقق بصورة عاجلة ورصينة ، ارساء قواعد الاشتراكية فى المجتمع السياسى والانتاجى لجمهوريتنا الفتية .. فليفتحالباب لتكليف من يتطوع منهم لحمل هذه الرسالة الوطنية ولتتبع الافكار والمقترحات من القواعد الاولى للانتاج وهى الشركات ومن المراكز السياسية المتصلة بالقواعد الشعبية اتصالا يوميا مباشرا — وليكن رائد من يكلف منهم الجرأةوالصراحة فى مواجهة الحقائق — ولتقم نخبة مختارة من هؤلاء المشرعين الثوريين بعرض مقترحاتهم وآرائهم على مجلس الامة فى دورته القادمة لاصدارها فى صورة تشريعات تكفل بحق ان نسابق الزمن وان نسبقه

حول مقال « الحركة العمالية من المفهوم الاقتصادى الى المفهوم السياسى »

حول مقال الدكتور عبد الرءوف أبو علم — «الحركة العمالية من المفهوم الاقتصادى الىالمفهومالسياسى» — بعث كثير من المواطنين بتعليقاتهم وتعقيباتهمللطليعة. وتنشر مناقشات مفتوحة فى هذا العدد بعضا من هذه الاراء التى وصلتها ، ملتزمة بما سبق وحددته من قبل بنشر هذه الاراء بغض النظر عن اتفاقها او اختلافها معها حرصا على استمرار الحوار — المثمر والعميق والحر — بين المناضلين .

بين المفــروض .. والواقع

كتب المواطن ابراهيم على — القاهرة ... يقول :

لقد كان لمقال الدكتور عبد الرؤوف أبو علم عن الحركة العمالية من المفهوم الاقتصادى الى المفهوم السياسىالمنشور بعدد يونيو سنة ١٩٦٦ مايعد بحق تحليلا شافيا معبرا عن صادق مشاعرنا كعمال أولا وكممثلين للعمال ثانيا ، اذ ان الكثير من النقابات العامة فعلا ووضعها بهذه الصورةتعنى فرض وصايات على اللجان النقابية بالرغم من ان المفروض أن اللجان النقابية هى التى تتصل بالجماهير وتلتحم معها التحاما مباشرا . وكان المفروض أن تعطى سلطات أكبر وامكانيات اكثر واوسع وان تشارك فى التخطيطالنقابىللاهداف النقابية السياسية .

غير ان الذى حدث فعلا هو تجميد للحركة العماليةوضعف للتنظيم العمالى — نتيجة سلطات كبيرة سحبت من اللجان النقابية ونتيجة ادماج كثير من النقابات بعضها مع البعضدون اى اتصال سابق . والمفروض اننا نؤمن بالادماج ولكن هذا الادماج أو الاندماج كان من الواجب أن ينبع من القاعدة نفسها ، ولنضرب مثلا لذلك فهناك نقابة عمال الصناعات الغذائية التى تمثل ١٣ مهنة مختلفة والمندمج بها ٩ نقابات عامة مرة واحدة دون اى ارتباط بينها وهى تشمل نحو ٢٤٠ لجنة نقابية معظم ممثليهم جدد على الحركة النقابية ومعظمها نقابات صغيرة لايزيد عدد اعضائها عن المائة نصيب كل لجنة على أحسن الفروض فيها لايتعدى ثلاثة جنيهات شهريا لاتكفى لسد المائة واحدة وبالتالى لاتكفى اية لجنة لعمل أى نشاط ثقافى أو اجتماعى — الامر الذى يجعل القاعدة تكفر بالحركة

العمالية اذ أن أبسط سؤال يردده العامل العادى « النقابة عملت لنا [illegible] أو هى فين النقابة ؟ » .

السيارات واللمبات الحمراء

ويقول المواطن علی عبد الهادى . القاهرة :

نشكركم نحن العمال على المقال الذى نشرته الطليعة هذا الشهر عن الحركة العمالية . وان نظرة واحدة لما صارت عليه الحركة العمالية فى الوقت الحاضر يجعلنا نحن العمال آسفين جدا لهذا المصير فهل تعلمون أن أعضاء النقابات العامة أصبحوا يضعون على أبواب مكاتبهم لمبات حمراء . وان بعضهم أصبح لايتواجد فى النقابة أكثر من دقائق وان أحد رؤساء النقابات العامة لم يجد سوى سيارة عبد الله الفيصل آل سعود ليشتريها ويستغلها باسم النقابة العامة.

ثم لو نظرنا الى النقابيين الذين يشغلون مراكز قيادية فنجد أن بعضهم لم يسبق له الاشتراك فى نقابة من قبل وبعضهم لايمت الى العمال بصلة اللهم الا أنه رئيس نقابة عامة أو نائب رئيس ومنهم من يشغل مركزا رئيسيا وهوطبيب ثم ان هناك نقابيين يشغلون اكثر من منصبين فى وقت واحد كأنه اقطاع نقابى وما جعل الله للرجل من قلبين فى جوف واحد

النقابات ومرحلة التحول الاشتراكى

كتب المواطن السيد على هلال ــ براد بشركة الدلتا التجارية يقول :

ان النقابات تنظيمات شعبية والفلسفة التى أرسى الميثاق اسسها اوضحت ان الاجهزة الشعبية هى الاجهزة العليا فى المجتمع ولا يصح مطلقا أن تسيطر عليها الاجهزة الادارية..من هنا فان الدعوة التى انطلقت تطالب بتصفية وزارة العمل دعوة صادقة فليس من المعقول أن تقوم وزارة للعمل فى مجتمع اشتراكى .وثمة مشكلة اخرى نواجهها ليس فى مجال النقابات وحده ولكن فى كافة المجالات اولئك الذين ارتبطوا بمجتمع ماقبل يوليو سنة ١٩٦١ . ان هؤلاء الناس أصبحوا الان بالضرورة وبلا اختيار منهم ولسكنه التطور الحضارى والتاريخى وتغيير وسائل الانتاج وعلاقاته يجعلهم عقبة فى سبيل بناء مجتمعنا الجديد . ان احدا لايقول انهم لم يقوموا بدورهم ولكنا نطلب منهم باخلاص وامل وقوة ان يتركوا مكانهم للطلائع المؤمنة بالاشتراكية العلمية التى نادى بها الميثاق او أن يتطوروا ليسايروا عقلية ومنطق ومطالب مرحلة البناء الاشتراكى فالمجتمع الجديد يتطلب قيادات جديدة لم تؤثرفيها الضغوط والعلل التى عانى منها مجتمعنا زمانا طويلا . ان القيادات النقابية البحتة لامكان لها فى مجتمعنا . ان هذه القيادات تسببت فى الفترة التى مضت وبمفهومها الخاطىء فى تعطيل النقابات عن القيام بدورها الطليعى ومن ثم يلزم بالضرورة اعطاء الفرصة كاملة للنقابية السياسية فى هذه المرحلة الهامة من مراحل تطور؟

بعد كل ذلك نعود الى ما أكده الميثاق وأوضحه من دور النقابات فى المجتمع الجديد انها « تستطيع ممارسة مسئولياتها القيادية عن طريق الاسهام الجدى فى رفع الكفاية الفكرية والفنية ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال . كذلك هى تستطيع ممارسة مسئولياتها عن طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ورفع مستواهم المادى والثقافى ويدخل فى ذلك اهتمامها بمشروعات الاسكان التعاونى والاستهلاك التعاونى وتنظيم الاستفادة المجدية صحيا ونفسيا وفكريا من أوقات الفراغ والاجازات بما يساهم فى تحقيق الرفاهية للجموع العاملة »

هذا هو دورها نضعه مرة اخرى أمام قياداتها ونلفت الانظار اليه بعد ما وضعه [illegible] وأعلنه منقبل منذ اربعة أعوام

ملاحظات ثلاث حول الحركة العمالية

ومن المواطن ابراهيم عبد الرحمن احمد على رئيس اللجنة النقابية رقم ٤ وعضو مجلس ادارة النقابة العامة للعاملين بالسكك الحديدية ، كتب يقول :

أود أن أثير بعض النقاط باختصار ، حول موضوع الحركة العمالية الذى كتبه الدكتور عبد الرؤوف ابو علم :

اولا : دور الاتحاد العام كقمة للتنظيم النقابى ، فالملاحظ أن الاتحاد لايقوم بأى دور يذكر لقيادة التنظيمات النقابية لاتساع الفجوة بينه وبين قاعدته النقابية . علاوة على مايتخذه هذا الاتحاد من قرارات تؤدى الى التفرقة بين القادة النقابيين فى النقابة العامة الواحدة ، باحتضان العناصر الانتهازية واستخدام امكانيات الاتحاد لتدعيم ذلك مثل ترشيح السفر الى الخارج والتعيين فى مجالس ادارات المؤسسات والهيئات التى للاتحاد العام تمثيل فيها .

ثانيا : أن سياسة المجاملات والشلل والمحاسيب ترتب عليها شغل هذه القلة الانتهازية لكثير من المناصب النقابية وغير النقابية وانتهى الامر أن بعضهم يشغل أكثر من خمس مناصب نقابية وسياسية مثل أجهزة الاتحاد الاشتراكى ، وادارية مثل مجالس ادارة الهيئات والشركات . الامر الذى انتهى بعدم قيامهم بمسئولياتهم فى أى من هذه المناصب على الوجه الاكمل .

وفى بعض هذه الحالات يحتل بعض هؤلاء الاشخاص اكثر من منصبين فى أكثر من تشكيلين نقابيين (بعضهم رئيس لجنة نقابية ورئيس نقابة عامة وعضو فى المجلس التنفيذى للاتحاد العام) وفى ذلك مخالفة صريحة لنص قانون العمل وللاسف لم تتحرك وزارة العمل أو أجهزة التفتيش الخاصة بها . وقد ترتب على هذا كله ظاهرة واضحة داخل الحركة النقابية وهى احتكار المناصب النقابية لقلة تسند بعضها ، وتمنع بكل الطرق الممكنة وهى عديدة ظهور قيادات جديدة داخل الحركةالنقابية.

ثالثا : كان لى الشرف أن أرشح بواسطة نقابة العاملين بالسكك الحديدية التى انتمى اليها لحضور الدورةالافريقية الثالثة للدراسات النقابية ، وفى هذه الدورة بذلت ادارة الدورة متحدة مع الدارسين المصريين السبق جهودا جبارة ومتواصلة لانجاحها والوصول بها الى مستوى الدورات التى يعقدها المعهد المقام فى اسرائيل والمعاهد الثقافية للاتحادات الدولية الاستعمارية . ولكن لشد ماكانت دهشتى من مسلك قيادة الاتحاد العام . اذ حرصت هذه القيادة بصفة دائمة على سلب الدورة كل امكانيات النجاح ووضع العراقيل أمامها الى الحد الذى يمكننى أن أقول أن ادارة الاتحاد قامت بعمليات تخريبية تهدم كل جهود ادارة الدورة والدارسين المصريين.وقدامنت بعد انتهاء الدورة أن الاتحاد العام قمة التنظيم النقابى لايرغب حقا فى تدعيم نشاطه الدولى بل يهدف فقط الى استخدام بعض اللافتات والمظاهر كى يخدع الدولة بأن يقوم بنشاط دولى وأنا أعتبر هذا جريمة لان الدولة فى تخطيطها لسياستها الخارجية ربما اطمأنت الى مايردده الاتحاد العام عن نشاطه . وهو فى حقيقته نشاط وهمى والدليل على ذلك أن حفل ختام الدورة عقد فى نفس اليوم والموعد الذىتم فيه افتتاح الاتحاد العام للعمال للمكتب الاقليمى لاتحاد نقاباتجميع عمال افريقيا ووقف رئيس الاتحاد فى خطاب مكتوب طويل رنان يوضح أهمية هذا

المكتب الاقليمى وانه سيكون خلية لنشاط نقابى افريقى خصوصا بعد تجميد سكرتارية الاتحاد الافريقى فى اكرا بعد الانقلاب الرجعى فى غانا . ورغم أن هذا الافتتاح تم اليوم الثامن من شهر مايو الماضى فان الشقة المفروض أن تكون مقرا لهذا المكتب مغلقة من يومها دون اى جهاز فنى او ادارى بل ودون اثاث .

●

التنظيم النقابى ليس وحده هو المسئول

اما المواطن جاد رضوان كمالى رئيس النقابة العامة للعاملين بالخدمات الاجتماعية والمستشار القانونى للاتحاد العام للعمال ، فقد كتب يقول :

ليس من شك فى أن الدكتور عبد الرؤوف ابو علم فى نقده الموضوعى للتنظيم النقابى قد وفق فى أن يضع يده على موطن العلة فيه ، والتى تضعف خطواته نحو الوفاء بمسئولياته التى حددها ميثاقنا الوطنى ، وتعوق تقدمه نحو تأدية الدور الطليعى الذى رسمه دليل عملنا للعمال والفلاحين فى فترة تحولنا الاشتراكى وذلك بالنجاح المطلوب .

وانى وان كنت اتفق مع السيد الكاتب فى تشخيصه للعلة الا اننى اختلف معه فى مسبباتها ذلك انه فى بعض النواحى ، قد القى المسئولية على التنظيم النقابى وقيادته ولكننى اخلاصا للحقيقة — وليس دفاعا عن التنظيم وقيادته — اقول ان التنظيم النقابى ليس هو وحده المسئول من هذا القصور واضرب على ذلك مثلا ببعض المسائل التى مسها المقال :

اولا : فيما يتعلق بالعضوية النقابية ، فان ضعف هذه العضوية وان كانت ترجع الى اسباب من داخل التنظيم النقابى نفسه ، الا ان هناك اسبابا اكثر اهمية وتأثيرا تأتى من خارج التنظيم لعل اظهرها هو استمرار نشاط الروابط العمالية بالرغم من انتهاء مبررات قيامها بعد ان اتسع نطاق عضوية التنظيم النقابى ليشمل كل من يعمل بأجر بما فى ذلك العاملين بالحكومة والمؤسسات والهيئات العامة .. وبالرغم من ذوبان كل المفاهيم التى تقوم عليها فكرة الروابط بعد ان حدد ميثاقنا الوطنى دور التنظيم النقابى ومسئولياته سواء من حيث رفع الكفاية الفكرية والفنية والاسهام فى التطوير الصناعى أو من حيث توفير الخدمات الاجتماعية بمختلف صورها واشكالها لاعضائه .. وبالرغم من صراحة نصوص القانون فى عدم جواز قيام اعضاء المنظمات النقابية العمالية أو من لهم الحق فى عضويتها بانشاء أو الاشتراك فى جمعية أو رابطة لممارسة نشاط تختص أو تقوم به تلك المنظمات .

ولقد تعاونت الرجعية على استمرار نشاط الروابط العمالية بالرغم من كل ذلك مما حرم التنظيم النقابى من مجموع العاملين الذين ظلوا على عضويتهم بالروابط وانعكس ذلك بالتالى على حجم العضوية .

ولقد بذلت بعض النقابات جهودا فى هذا الشأن ودخلت المعركة مع الروابط دفاعا عن وحدة التنظيم النقابى وتدعيما لكيانه الا انه واعمالا لمبدأ النقد الذاتى فان القيادات النقابية العمالية لم تتعاون على بذل جهد مثمر لتصفية هذه الروابط خاصة وانه كان فى استطاعة القيادات العمالية الممثلة فى مجلس الامة ان تحسم هذا الامر منذ بدايته .

ثانيا : فيما يتعلق بما اثاره الكاتب من حيث جماهيرية الحركة العمالية وعدم التحام القيادة النقابية بالقاعدة العمالية فان ذلك فى نظرى يتصل بموضوع التفرغ النقابى .. والذى لازال حتى الان مشكلة بالنسبة للنقابات ، وان انشغال القيادات النقابية الغير متفرغة للعمل النقابى بعملها الاصلى وتحملها عبء تيسير الاعمال اليومية النقابية لايتيح لها الفرصة فى الالتحام بالجماهير العمالية . ومما يؤكد اهمية التفرغ بالنسبة لاى تنظيم شعبى هو الاجراءات التى اتخذها الاتحاد الاشتراكى العربى بالنسبة لتفرغ اعضاء المكاتب التنفيذية لها .

هذا فضلا عن اننى اتفق مع السيد الكاتب فى ان من اسباب ضعف نشاط القيادات النقابية فى الالتحام بجماهير العمال هو شغلها لعدة مراكز نقابية وسياسية وادارية فى نفس الوقت مما لايتيح لها فرصة القيام بواجباتها على الوجه الاكمل .

ثالثا : وفيما يختص بقصور التنظيم النقابى عن الوفاء بمسئولياته فى مجال الخدمات الاجتماعية لاعضائه فمرده ضعف المورد المالى الرئيسى للنقابات وهو الاشتراكات نتيجة ضعف العضوية فضلا عما تقوم به بعض الاجهزة الادارية من وضع القيود والعراقيل والتعقيدات المكتبية لمنع تحصيل الاشتراكات ، وليس ادل على ذلك من أنه بالرغم من مرور حوالى سنتين على قيام التنظيم النقابى فان هناك بعض الادارات الحكومية لم تتعاون مع النقابات فى استقطاع اشتراكات اعضائها وسدادها للنقابات حتى الان .

وليس من شك فى أن عدم قيام النقابات بتوفير الخدمات الاجتماعية لاعضائها يؤثر على حجم العضوية ونموها حيث انه من المعروف ان قوة الجاذبية النقابية فى المجتمعات الاشتراكية تعتمد على ماتقدمه النقابات لاعضائها من خدمات .

تعقيب .. حول الصراع العربى الاسرائيلى

وكتب أحد شبان فلسطين وهو على محمد على حسن الذى يدرس بآداب الاسكندرية ، تعقيبا على دراسة الصراع العربى الاسرائيلى التى نشرتها الطليعة فى عددها الخامس (١٩٦٦) يقول فى التعقيب :

أحسست وأنا اقرأ موضوع الصراع العربى الاسرائيلى ، ان الصورة مازالت مبتورة امام انظار شعبنا ، وما تزال بعض جوانبها يحوطها الغموض والابهام . وانى اطالب اجهزة الاعلام أن تتصدى لذلك بكل ماتملك من امكانيات للتوضيح . وسأستعرض هنا بعض أمثلة الصورة المبتورة غير الواضحة فيتصور البعض ان الفلسطينيين قد باعوا ارضهم للصهاينة ، ولا أتصور احساس ذلك الشاب الذى يقذف فى وجه صديقه بتلك التهمة الشنعاء وكأنه لم يفعل شيئا (سيبك ياعم .. انتو بعتو أرضكم لليهود) ، يرددها وكأنها حقيقة مؤكدة . ولست ادرى عن قصد أو غير قصد ، انى لا انكر ان هناك جوانب سلبية فى النضال الفلسطينى الا اننى لا استطيع كذلك ان انكر الجوانب الايجابية وهى فى تقديرى الاهم والاشمل .

ويحس البعض الآخر ان مشكلة فلسطين هى مشكلة الفلسطينيين وحدهم . ولكن يجب ان يعلم الجميع ان فلسطين ماهى الا نموذج لما يمكن أن يحدث للعديد من الدول العربية . واذا كان خطر التشريد خطر واقع بالنسبة للشعب العربى فى فلسطين ، فهو خطر محتمل بالنسبة لنا جميعا .

وفى معرض حديث الطليعة عن دور الشعب الفلسطينى فى معركة العودة ، تعرضت لمنظمة التحرير ، واود ان اشير

الى ان الكثير من الشباب الفلسطيني ينظر الى المنظمة على اساس انها اداة نضال غير ثورية تؤثر عمل المكاتب والاذاعات عن العمل المسلح ، ويرجعون ذلك الى طبيعة تكوين المنظمة والقوى المسيطرة عليها بحكم واقعهم التاريخي والطبقي في بعض الاحيان ، واني لاحس في هؤلاء الشباب تلهفا على حمل السلاح لا مجرد التدريب فقط .»

ويعتقد البعض ان كثيرا من الشباب الفلسطيني قد حل مشكلته على اساس فردي . فبمجرد حصوله على شهادة جامعية والتحاقه بعمل في (العادة في دول البترول او الخارج) يتفرغ لحياته الجديدة . انا لا اتهم شباب فلسطين بالخيانة ابدا ولكني احس ذلك في احاديث القلة .»

●

الشعلة .. والقضايا العربية الهامة

بعثت هيئة تحرير مجلة **الشعلة** ،الطليعة بعددها الثالث الصادر في مايو الماضي .والشعلة مجلة تصدرها **جمعية الطلبة العرب** بجامعة كاليفورنيا — بيركلي — كاليفورنيا — امريكا . وتعرض الطليعة في مناقشاتها المفتوحة للشعلة، كنموذج طيب لاهتمامات ونشاط الطلبة العرب الذين يدرسون خارج بلادهم دون ان يشغلهم ذلك من الاهتمام الجاد بقضايا وطنهم .

تصدر هيئة التحرير المكونة من «العيسوي ابو عماشة، حسن الشريف ، بهي الدين ابو دنيا ، فتحي سالم ، فوزي كشك،محمد عامر» ، هذا العدد الثالث بافتتاحية «اليمن ..معركة التقدميين العرب» . توضح فيها اهمية حماية ثورة اليمن . وتطالب «جميع التقدميين العرب بأن يعلنوا موقفهم تجاه هذه المعركة بوضوح وقوة ، وتطالب بان تسمح الجمهورية اليمنية والعربية المتحدة للمتطوعين من كافة القوى الثورية بالدخول الى اليمن والكفاح من اجل المحافظة على الثورة واستمرارها . اننا نطالب بتشكيل جبهة ثورية قومية باليمن تقوم بحماية الثورة والجمهورية وتمكن جميع الثوريين من المشاركة في الكفاح والنضال وبذا يصبح من الممكن في المستقبل القريب سحب قوات الجمهورية العربية واعادتها الى مكانها الضروري لمواجهة التحدي الذري الاسرائيلي»

ويناقش بعد ذلك العيسوي ابوعماشة، اهمية **مؤتمر المبعوثين** مطالبا بأن يعد الطلبة العرب في الخارج له حتى لا يتحول الى مؤتمر «للمطالب الشخصية وبحث مطالب المبعوثين مثل الجمارك وزيادة المرتبات ومد مدة البعثات ..الخ» ثم يضيف «ولا يكفي ابدا ان يكون دور المسافرين في هذا الطريق (اى طريق المؤتمر) دور السائح الذى يرى ويبتسم اعجابا او سخرية » . وانما يدعو الى «النرى كل شيء ونناقش كل شيء من مشروع الدستور حتى الجمعيات التعاونية مارا بالجامعات والاتحاد الاشتراكي والتنظيم السياسي ومنظمة الشباب واجهزة الاعلام والتطبيق الاشتراكي والحكم المحلي ومشروع السنوات السبع» ووجهت الشعلة الدعوة للطلبة مرحبة بكل مقترحاتهم وآرائهم التى يعتقدون في اهمية مناقشتها .

ثم تعرضت لقضية **وحدة القوى الثورية في الوطن العربي** موضحة اهمية ان تجد طريقها الى التطبيق .**وعالجت بعد ذلك** قضية **الاشتراكية وتطبيقاتها في العالم العربي** ضمن حلقات البحث التى تعقدها الشعلة حول هذا الموضوع. وقد تحدث في الندوة اربعة من الطلبة العرب موضحين وجهة نظرهم في هذه القضية .

وتحت عنوان **«الاشتراكية العربية او التطبيق العربي للاشتراكية»** عرض **فوزي كشك** لكيفية نشوء الفكر الاشتراكي وتطوره كنتيجة لتناقضات النظام الرأسمالي ومحاولات ايجاد احسن الطرق للعلاج. واوضح ان المناقشات الفكرية حول هذه القضية اكدت انه من اللازم للقضاء على عيوب الرأسمالية توفر بعض الاسس التى عرفت فيما بعد بالاسس الرئيسية للمجتمع الاشتراكي التى اصبحت مقبولة من جميع المجتمعات الاشتراكية كقواعد عامة وان اختلفت فيما بينها حول الكيفية التى تطبق بها هذه القواعد العامة التى تقوم على اسس اربعة هي: سيطرة الشعب على وسائل الانتاج عن طريق الملكية العامة لها. وتوزيع الناتج بين افراد المجتمع على اساس مشاركة كل منهم في عملية الانتاج فالعمل اساس التوزيع.ثم التخطيط الشامل للنشاط الاقتصادي. كذلك السيطرة السياسية للطبقات صاحبة المصلحة في اجراء التغيير المذكور. ثم ناقش فوزي كشك الاختلاف حول ايجاد تفسير واحد لكل من الاسس الاربعة ،عن طريق الاجابة على اسئلة ثلاثة .

وفي الاجابة على السؤال الاول **«هل تتطلب الاشتراكية ان يتم انتقال كافة وسائل الانتاج الى المجتمع ؟ »** وخلال اجابته اوضح فوزي كشك من وجهة نظره انه يرى «ان وجود القطاع الخاص او الرأسمالية الوطنية تحت رقابة المجتمع وسيطرته يمكن ان يؤدي الى كثير من الميزات. فلا شك انه سوف يقلل من تبعات القطاع العام والتى قد يعجز عن القيام بها . » وضرب امثلة لذلك بالتجارة الداخلية والمساكن. واوضح ان وجود مثل هذا القطاع الخاص يسبب نوعا من الاطمئنان المرغوب الذى يتمشى مع نواحي نفسية وبعض المعتقدات الدينية .

وعلى السؤال الثاني: **«من هم اصحاب المصلحة في التغيير؟»** اجاب فوزي كشك «بأن التطبيق الاشتراكي العربي يقيم تحالف قوى الشعب العاملة من فلاحين وعمال وجنود وحرفيين ورأسمالية وطنية على انقاض تحالف الرجعية ورأس المال المستغل بدلا من فرض دكتاتورية الطبقة الواحدة . كما ضمن الميثاق للعمال والفلاحين عدالة التمثيل ـ ٥٠٪ على الاقل في جميع الهيئات السياسية ومجلس الامة» .

وفي اجابته على السؤال الثالث: **«هل تتنافى الاشتراكية مع القومية والدين ؟ »** اوضح «ان التطبيق العربي للاشتراكية يعتقد ان القومية العربية هي من اسس المجتمع العربي ولا يمكن التخلي عنها» . كما يرى «أن الدين دافع للتقدم وليس معوقا له» . ومن هنا يختم بحثه بالقول «ان النظرية العلمية للاشتراكية قد استعملت في التطبيق العربي للاشتراكية الا ان بعض اركان هذه النظرية لم يثبت صلاحيتها للتطبيق وبالتالي خالفت الاشتراكية العربية الفكر العالمي في بعض هذه النقاط» .

وفي البحث الثاني المقدم من **محمد عامر** تحت عنوان **«هل هناك اشتراكية عربية واشتراكية غير عربية»** ــ يقول «ان وضع (استيراد) النظرية كمقابل (لنبوع) النظرية من الواقع المحلي صياغة خاطئة للقضية .فالنظرية لا تنبع من الواقع المحلي فقط كما انها لا تستورد من الخارج. انها تنبع من واقعنا وواقع غيرنا. من تاريخنا وتجربتنا ومن تاريخ وتجارب العالم كافة. وهي بذلك ملك مشاع للجميع» . ثم يقول محمد عامر بعد ذلك «انا عندما ننظر الى واقعنا العربي بغرض دراسته وتحليله حتى نعرف طريقنا نحو الاشتراكية ،نجد انفسنا ــ الى جانب المعلومات الخاصة بهذا الواقع بحاجة الى : ١ ــ دراسة ظواهر كثيرة لا يمكن وصفها بأنها عربية مثل الاستعمار والرأسمالية والنازية والصهيونية. ٢ ــ اطار فكري تدور هذه الدراسة من خلاله .وانهى بحثه مؤكدا «ان دراستنا لواقعنا على ضوء النظرية سيساعدنا على فهم هذا الواقع وفي نفس الوقت سيظهر النقص ونقاط الضعف في النظرية .وعلى المفكرين العرب ان يبرزوا هذه النقاط ويبحثوا عن حلول لها » .

ودخولا في قضايا تفصيلية عرض **سليمان بوجرة** لبحث بعنوان **«التطبيق الاشتراكي في الجزائر»** ثم عرض **حسن الشريف** لبحث بعنوان **«الاشتراكية عند حزب البعث العربي الاشتراكي »** .

وثائق

وثائق تاريخية عن :

الثورة العرابية

٧

النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات

مع : يعقوب سامى

تواصل « الطليعة » نشر النصوص الكاملة لمحاضر التحقيق المتعلقة برجال الثورة العرابية . وتقدم فى هذا العدد نص محضر التحقيق مع يعقوب « باشا » سامى الذى كان يعمل ناظرا لقلم ادارة العسكرية ، ثم عين بعد ذلك وكيلا لنظارة (وزارة) الجهادية خلال وزارة أحمد عرابى لها .

محضر استجواب يعقوب سامى

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم السبت ٢٤ ذا سنة ١٢٩٩ ، الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٨٨٢ ، صار استحضار يعقوب ((باشا)) سامى من السجن ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة اللازمة ، فأجاب عنها كما يأتى) :

س : متى نلت رتبة الميرالاى ؟

ج : نلتها فى الروسيا فى سنة ١٢٩٠ فى زمن الخديوى السابق .

س : ما كانت وظيفتك قبلها ؟

ج : ياور حسين باشا .

س : وبعد ذلك تعينت بأى وظيفة ؟

ج : ناظر قلم ادارة العسكرية .

س : ومتى تعينت وكيل الجهادية ؟

ج : فى نظارة احمد عرابى .

س : ومتى نلت رتبة اللواء ؟

ج : بعد ذلك .

س : بناء على طلب من ؟

ج : لا اعلم ، انما لابد ان يكون ذلك بناء على طلب احمد عرابى .

س : لما حصلت مسألة قصر النيل كنت هناك ، فماذا حصل ؟

ج : صار احضار الثلاثة ميرالايات وحبسوا ، وبعدها بساعة لما كنت مع عثمان رفقى باشا مشتغلا معه فى امور المصلحة ، حضر جاويش وقال ان اورطة من ١ جى الاى حضرت وتريد الدخول ، فقلت له يلزم ان نشوف ، قال انا نبهت على ٢ جى الاى يمنعهم ، ثم خرجنا الى البالكون فرأينا الاورطة حضرت ، فهرب عثمان باشا والتجأ الى ورشة الترزية ، فنصحت العساكر ولم يسمعوا منى ، والبعض منهم ضربنى بالكرنافة ، والبعض بالسنجة فى فخذى ، واستون باشا كان حاضراً ، وبعد ذلك اخذوا الميرالايات وخرجوا .

س : الم تعلم انه كان حاصلا هيجان قبل ذلك ؟

ج : كنت ملتزما بيتى مدة سنة ، لان احمد عرابى اتهمنى فى اوضة شوقى بك ، بأخذ خمسة الاف جنيه من الحضرة الخديوية لجمع ارورام للفتك بهم واخبرنى بذلك راشد باشا حسنى ، ثم لما حضرت الى المجلس الذى انعقد هناك لتعديل الايات السواحل ، سألته كيف تقول انى اخذت خمسة الاف جنيه لجمع ارورام والفتك بكم ، قال لى بلغنى . فقلت له ، لو كنت اريد قتلك ، لكنت اقتلك واقتل نفسى ، وزيادة على ذلك لم اكن قواسا ولا مشاعلى ، وحاشا ان الحضرة الخديوية تفعل أمرا مثل هذا .

س : قبل حصول هذه الواقعة ، الم تعلم باجتماعاتهم وهياجهم ؟

ج : لم اعلم ولم اختلط بهم .

س : هل تعلم اسباب واقعة عابدين ؟

ج : بلغنى فى الساعة ١١ ، حصول هياج العساكر فتوجهت لاوضة التشريفات ، وبقيت هناك حتى الزموهم بسقوط الوزارة .

س : هل حصلت اجتماعات فى منزل احمد عرابى ، بعد سقوط الوزارة ؟

ج : كانت لى مصلحة ، فكنت مشتغلا بمأموريتى .

س : الم تر ضباطا عنده ؟

ج : رأيت الجميع .

س : الم يبلغك حصول الاجتماعات بمنزل احمد عرابى ؟

ج : هذا معلوم عموما ولكننى لم اعلم لماذا هذه الاجتماعات .

س : لما استعفت وزارة محمود سامى ، طلبت الحضرة الخديوية الضباط للاسماعيلية وتوجهوا ، فماذا حصل هناك ؟

ج : طلبتهم الحضرة الخديوية منى ، ودعتهم للحضور فى الساعة ٩ وحضروا وتوجهوا وانا بالجملة .

س : ماذا حصل هناك ؟

ج : لما توجهنا ، كان الجناب الخديوى هناك فى محفل عظيم من علماء واعيان وذوات ، ثم اخذ ورقة كانت موجودة وتلاها ، وكان مذكورا فيها قبول استعفاء الوزارة ، انما قبل تلاوتها خرج طلبة وقال ، انه لا يقبل سقوط الوزارة وتنفيذ القانون ، وكذلك على فهمى ، ولما نظرت اشتداد الحركة ، وان هذا مخل بمقام الحضرة الخديوية ، امرتهم بالخروج .

س : الم تقل شيئا ؟

ج : لا .

س : الم تسمع شيئا غير ذلك ؟

ج : لم اسمع لانى خرجت ، انما بلغنى ان عبيد تكلم .

س : بعد خروجكم انعقدت جمعية من الضباط ، فماذا حصل فيها ؟

ج : بعد خروجهم ، توجهوا لعابدين ، وبالنظر لعدم وجود ناظر جهادية ، توجهت لهناك لنظر الحالة ، وكان هناك احمد عرابى ومحمود سامى وعبد العال وجميع حكمدارية الالايات وحضر الشيخ البكرى وبعض العلماء وبعض الذوات . واخبروهم ان الاحسن الاجتماع مع بعضنا لننظر فى الحالة ، فان اردتم نبقى بالقشلاق او نتوجه لمنزل سلطان باشا (وكان عرابى يقول للضباط فى القشلاق انه تنازل عن نظارة الجهادية ، ولم يتنازل عن رياسة الحزب) ، فلما وصل الضباط لمنزل سلطان باشا ، قالوا ان لنا وكيلا وهو احمد عرابى ، فارسل له اثنان ، فحضر وتلى عبارة متضمنة الحكاية من الابتداء للنهاية ، ومن ضمنها حبسهم ، وختم هذه العبارة بقوله ، ان هذا الظالم لا يصح ان يكون خديويا ، فانه مخلوع فمن يقبل خلعه معنا يقف ، ونبه على **خليل كامل** باحضار الايه فخرجت خلفه وقلت له ، لا تحرك الالاى وفى ذلك الوقت كان موجودا عبيد وكثير من الضباط ، فهاجوا وحصلت غوغاء فقام اناس كثيرون وانا قمت وخرجت .

س : الم تعلم لماذا نبه على خليل كامل باحضار الالاى ، وان كان خليل كامل لما قلت له بعدم تحريك الالاى امتثل ؟

ج : لم اعلم ، ولكن ربما للمحاصرة على الاسماعيلية ، ولو انه لم يفصح فان هذا التنبيه ، اعقب القول بالخلع . وقلت لخليل كامل بانه لا يحرك الالاى عندما خرج فاجابنى انه نبه كذلك ، اعنى بعدم احضار الالاى .

س : لما قال عرابى ان الجناب الخديوى معزول ، هل انتظر حتى رأى من قام ومن لم يقم ، ثم نبه على خليل كامل باحضار الايه ؟

ج : قال ان الخديوى معزول ، ثم نبهه بالحال على خليل كامل .

س : الم تحصل جمعية بعد ذلك بمنزل احمد عرابى لعزل الخديوى ؟

ج : لم يبلغنى حصول جمعية مخصوصة بذلك ولكن معلوم تردد العلماء والاعيان والضباط عليه .

س : الم يحصل كلام فى اعادة احمد عرابى ؟

ج : فى ثانى يوم حضر امر باعادته .

س : الم يبلغك بناء على اى شىء صدر هذا الامر . ؟

ج : لم يبلغنى انما اتذكر انه حضر الى منزله اثنان من القناصل ، وهما قنصلا ايطاليا والمانيا ، وطلبا منه التأمين على رعاياهم ، فأجابهم انه لايمكنه ذلك مادام معزولا .

س : حصل بعد ذلك واقعة ١١ يونيو التى قتل فيها كثير من الاوروباويين وقيل انه قبل حصولها ، توجه نديم وهيج الافكار ضد الاوروباويين ،وكذلك حسن موسى احضر نبابيت .وبعد ذلك حصلت الواقعة وتوجه الجناب الخديوى لهناك ، وعمل قومسيون للتحقيق وكنت احد اعضائه ، فقل لنا معلوماتك ، واذا كنت تعلم تداخل العساكر او عبد الله نديم او حسن موسى ، فبين ذلك ؟

ج : فى الساعة ١ ليلا فى يوم الاحد الذى حصلت فيه المقتلة ، طلبتنى الحضرة الخديوية ، ونبهت على بالتوجه للاسكندرية مع احد ياوران درويش باشا ، واحد ياورانه وبطرس باشا لتسكين الافكار وتحقيق هذه المسألة .

س : حيث انه فى ذلك الوقت كان احمد عرابى ناظر الجهادية وانت وكيله ، فهل تقابلت معه قبل سفرك واخبرته بتعيينك وتنبيه الحضرة الخديوية ؟

ج : لم اقابله ولم اخبره

س : ماذا جرى بعد صدور التنبيه عليك من الحضرة الخديوية بالتوجه الى الاسكندرية . ؟

ج : لما وصلنا الى المحطة ، ركبنا معا نحن الاربعة ،ورأينا الاسواق فى سكون تام ، وبعض العساكر واسلحتها ملقاة على الارض ، وعند وصولنا لمحل الحقانية ، رأيت المحافظ والفريق والاثنين ميرالايات الموجودين هناك ، فاستفهمت من المحافظ عن المسألة ، وعما اذا كانت القوة الموجودة كفاية ام لا ، فأجابنى انها كفاية ، حيث ان المسألة انتهت ، فقلت له ان الاحسن زيادتها ، وحررت تلغرافا بارسال اورطتين وبطارية طوبجية ولم اتمم التحقيق .

س : فى اثناء وجودك هل حضرت لك تعليمات من ناظر الجهادية لاتباعها فى التحقيق والاهتمام بعدم مس طرف العسكرية ونفى الهيئة عنهم . ؟

ج : لم يحضر لى منه انما اشيع هناك ان اغلب من قتل كان امام الضبطية ، وان وكيل الضبطية رفع الاموات وغسل الدم ، كى يقال انهم اخرجوهم من البحر ، فاتفقنا مع البعض تحت رئاسة عمر باشا لاستجواب المجاريح اولا ، فابتدانا وبعد ذلك صدر امر بتعيين قومسيون آخر .

س : فى اثناء الاستجواب الم يقل احد من المجاريح ، انه مضروب من العساكر او من الاهالى . ؟

ج : قيل من بعضهم انه مضروب من العساكر .

س : موجود جواب صادر لك من احمد عرابى فيه تعليمات ، فاطلع عليها ، وقل لنا اذا كان وصل اليك ام لا ، وماذا فهمت منه وصورته مرفوقة بهذا المحضر ؟

ج : اتذكر انه وصل الى مذ كنت باسكندرية ، وفهمت منه ان انظر التحقيق بالحق ولا انحرف على الامة ولا العسكر ، حيث ان الفاعل الاصلى مالطى كان مستخدما بقنصلاتو الانجليز

س : نحن فهمنا منه انه يريد نفى الشبهة عن العساكر والاهالى ، فهل فهمت انت منه هذا المعنى ايضا . ؟

ج : نعم فهمت انا ايضا كذلك ، حيث قيل منه ، ان الفاعل الاصلى مالطى ، اعنى انه ارانى ان اصل الفاعل مالطى وكان مستخدما بالقنصلاتو ، وربما ينسبون المسألة للاهالى فاجتهد فى عدم مس طرف العسكرية .

س : لما حضر احمد عرابى الى الاسكندرية هل سألك عما جرى ؟

ج : نعم سألنى واجبته .

س : الم يعط لك تعليمات . ؟

ج : لا

س : حصل كلام مع درويش باشا وبلغنا انك كنت واسطة ، فهل هذا حقيقى . ؟

ج : لم اكن واسطة انما اجتمعت مع بعض الضباط الموجودين بالاسكندرية ، وقلت لهم ان امورهم لاتصح ويلزم خضوعهم للجناب الخديوى ؛ واخذتهم وتوجهنا للاعتاب السنية .

س : ماذا تلم . ؟

ج : لم نقل شيئا ، فاننا توجهنا يوم الخميس فى المقابلة المعتادة كباقى الناس ، وبعد ذلك ذهبت معهم لطرف درويش باشا ، وترجيته ان يتوسط فى حصول الضباط على الصفح من الحضرة الخديوية ، وتوجه درويش باشا بمفرده .

س : متى ابتدأ اصلاح الطوابى ؟

ج : قبل الضرب عليها بشهرين او ثلاثة

س : بناء على امر من . ؟

ج : أمر ناظر الجهادية ، فانى كنت وقتها ناظر قلم

س : من كان الناظر ، هل أحمد عرابى أو غيره ؟

ج : أحمد عرابى كان وكيلا

س : هل استمروا على اصلاحها ؟

ج : نعم حتى صدر امر الخديو الفخم بابقائها فحررت بابطالها

س : هل تعلم بوضع مدافع زيادة ؟

ج : لم أعلم

س : هل تعلم ان أمر ناظر الجهادية باصلاح الطوابى ، كان بناء على امر الحضرة الخديوية أم لا ؟

ج : لا أعلم

س : متى عدت من الاسكندرية ؟

ج : قبل الضرب بتسعة أيام أو خمسة

س : هل قابلت ناظر الجهادية قبل حضورك ؟

ج : لم اقابله الا فى المساء

س : هل نبه عليك بشىء ؟

ج : لم يعطنى تعليمات

س : لما حصل الضرب على الاسكندرية ، ما هى الاوامر التى وردت اليك من ناظر الجهادية ؟

ج : حضر الى تلغراف من راغب باشا قيل فيه أن الحرب انتشبت بين الحكومة المصرية وبين حكومة الانجليز وفى ذلك الوقت لم أجمع مجلسا عسكريا ، بل جمعت وكلاء الدواوين وأظهرت لهم التلغراف ، وقلت لهم ان المخازن لم يكن فيها شىء ،ووزعوا على المديريات لجمع مؤونة ستين الف عسكرى مدة ستة اشهر

س : هل صدر لك ايضا تلغراف من ناظر الجهادية مثل تلغراف راغب باشا ؟

ج : نعم صدر لى مثل ذلك التلغراف من ناظر الجهادية

س : هل جمعت وكلاء الدواوين من تلقاء نفسك أو بناء على أمر ؟

ج : من تلقاء نفسي ، حيث رأيت لو أني جمعت مجلسا عسكريا لزاد نفوذ العسكرية ، ولذلك طلبت وكلاء الدواوين لاستشارتهم

س : هل من وقتها تلقب هذا المجلس بالمجلس العرفي ؟

ج : في ثاني يوم أو في ثالث يوم ورد تلغراف من رئيس النظار وارادةسنية بأن تعود الادارة كما كانت ويصير ارسال مهاجري الاسكندرية ، فنبهت على مأمور الضبطية بارسال المهاجرين وارسلوا بقطارين صار تحضيرهما من مصلحة السكة الحديدية ، بناء على كتابة مني ووصلوا الى كفر الدوار، فصار ارجاعهم من هناك وورد لي تلغراف من ناظر الجهادية ، بأن الصلح مصطنع والخديوي والنظار انحازوا للانكليز فيجب الاستمرار على التجهيزات .

س : هل كان التلغراف الذي أرسله اليك أحمد عرابي بالاستمرار على التجهيزات متضمنا ايضا التنبيه عليك بتشكيل المجلس أم مكتفيا بالاستمرار على التجهيزات ؟

ج : كان مكتفيا بالاستمرار على التجهيزات .

س : هل توجهت لاسكندرية يوم الضرب عليها ؟

ج : لم أتوجه للاسكندرية بل كنت في مصر قبلها بخمسة أيام .

س : ماذا حصل بعد ورود تلغراف أحمد عرابي ؟

ج : لما ورد تلغراف الحضرة الخديوية ، وتلغراف أحمد عرابي ، أشار وكلاء الدواوين وهم وكيل الداخلية حسين باشا ووكيل الحقانية بطرس باشا ووكيل توكيل المالية ، ووكيل الاوقاف ووكيل نظارة السودان بتشكيل مجلس كبير عرفي بواسطة تعيين أناس آخرين معهم ، فتعين جعفر باشا رئيس مجلس الاحكام واسماعيل باشا أبو جبل ، وابراهيم سامي باشا ، وابراهيم باشا خليل ، وأحمد باشا نشأت ، وأحمد بك شكري ، وحافظ بك رمضان ، وأحمد بك دفعت ناظر المطبوعات ، وأحمد باشا حسنين ، وراشد باشا حسني ، وخالد باشا ، وعلى فهمي باشا ، وعلى بك يوسف ، وحسن باشا مظهر ورضا باشا

س : هل كان معكم ابراهيم باشا البرنس والشيخ محمد عبده ؟

ج : لم يكونا معنا .

س : في ماذا تذاكرتم في هذا المجلس؟

ج : في مسالة حصول الصلح وعدمه ، ولم يصر الوقوف على الحقيقة لغياب الحضرة الخديوية والنظار وانقطاع المواصلات ، فقر رأيهم على عقد جمعية عمومية بالداخلية من رتبة الميرالاي للحكم في هذه المسألة ، ولم أعلم الطلب للداخلية كان بواسطة من ، بل لما اجتمعوا هناك سألهم وكيل الداخلية عن رأيهم ، فأجابوا أنه مادامت المراكب الانكليزية بالمياه المصرية ، لابد من الاستمرار على التجهيزات ، أما قول أحمد عرابي بانحياز النظار والحضرة الخديوية مع الانكليز ، فهذا يلزم اثباته ، وتعينت لذلك لجنة .

س : من تلا التلغرافين ؟

ج : الكاتب الذي تعين لذلك ، وهو الشيخ محمد عبده ، بناء على أمر وكيل الداخلية .

س : هل الختم على المحضر الذي تحرر بذلك ، كان بالداخلية أم بالخارج ؟

ج : تركتهم وذهبت انما أرسل الي حسين باشا بعد ذلك ، المحضر وحضر للجهادية من كان ختمه غير موجود معه في وقت الاجتماع في الداخلية، وختم عليه .

س : هل ختمت انت أيضا ؟

ج : نعم .

س : لماذا ختمت ؟

ج : كباقي الناس .

س : هل ختمته رغبة واستحسانا منك، أو ميلا لناظر الجهادية ، ومراعاة لخاطره ؟

ج : ختمت بناء على أن العالم جميعهم قر رأيهم على ذلك ، فضلا عن انه ختم أناس كثيرون /بدون حصول تهديد ، فالاحرى أن أختم أنا الذي هددت وضربت ، وهل يخفى عليكم انه لولا وجود هذا المجلس لما بقيت مصر كما هي ، فانه ترتب على وجوده حفظ البلد ، وقد اجتهدت غاية الاجتهاد ، حتى لم يحصل أدنى قتل أو سرقة ، وأحضرت الاوروباويين لقصر النيل ، وسفرتهم للاسماعيلية مع المحافظين اللازمين .

س : لو امتنعت من الختم كان يلحق بك ضرر ؟

ج : نعم ، لو امتنعت لحصل ضرر من الجهادية ، كما حصل لي في قصر النيل ، ومع ذلك اني عبد الحضرة الخديوية ودمي مباح لها .

س : ماذا صار لما حضر تلغراف بعزل أحمد عرابي ؟

ج : تلوناه بالمجلس العرفي وقلنا ، هل نعزله ام لا ، فقيل انه لم يكن ذلك في امكاننا وقر الرأي على أعمال جمعية عمومية يحضر فيها المديرون .

س : هل كان الجميع بمعرفة الداخلية؟

ج : لست متذكرا .

س : هل حصل تهديدات من الضباط في الجمعية الاولى ؟

ج : حصل هياج من الضباط مع عكوش باشا ، فانه فهم أن الغرض عزل الخديوي ، مع أن الغرض كان التكلم في شأن التجهيزات فقط .

س : لما اجتمع المجلس في الدفعة الثانية، كيف كان التختيم ؟

ج : في الداخلية

س : حصل تهديد ؟

ج : طبعا

س : هل احتاط العساكر بالسراي التي بها الداخلية ؟

ج : لم أر ذلك

س : ألم يتكلم على الروبي بعبارة فيها يانصاري ، يا يهود ، وغير ذلك ؟

ج : كنت جالسا بالبعد فلم أصغ

س : ألم يهدد المجلس ؟

ج : لم أعلم انما لو كان هدد المجلس لقال له المجلس لايصح ذلك

س : ألم تعلم أن الختم كان خوفا ؟

ج : نعم طبعا ، فانه لم يمكن عزل أحمد عرابي قبل ذلك بأربع وعشرين ساعة، فكيف يمكن عزله في الوقت المذكور ، ويظهر لي أنه لو امتنعت الناس من الختم وبما كان يحصل لهم ضرر

س : كان مشاعا في ذلك الوقت أنه كان حصل اجتهاد زائد منك في جمع العساكر وتنفيذ الطلبات ، فهل كان ذلك خوفا أو ميلا للحزب ؟

ج : لا يوجد في ذلك الوقت حرب ، فأن جميع العالم على حالة واحدة ، فضلا عن أن المديرين كان يعطى لهم اوامر من الحضرة الخديوية ولم يمكنهم تنفيذها .

س : لو سألنا المديرين ، لقالوا خوفا ؟

ج : وانا كذلك

س : لو استعفيت ، ماذا كان يجرى ؟

ج : وبما كانوا يعاقبونني ويحاكمونني بالقانون العسكري ويطلقون علي الرصاص

س : لما كنت معينا بالاسكندرية لتحقيق واقعة ١١ جونيو استصوب أغلب الاعضاء تفتيش منازل المستحفظين ؟ فامتنعت من ذلك ، فلماذا ؟

ج : لم امتنع بل قلت لهم أنهم لو فتشوا حالا منازل العساكر لظنوا أنهم مشبوهون ، وتحصل فتنة أخرى، وقلت لمندوب فرنسا ، اذا كنت ترغب مع ذلك ، اجراء تفتيش ، فلا بأس،

وطلبنا وكيل الضبطية لمرافقته ، فامتنع .

س : يعلم من ذلك أن العساكر كانت في غاية الهياج ، فهل كان للرؤساء في ذلك الوقت سلطة عليهم ام لا ؟

ج : كانوا جميعهم متحدين

س : بلغنا من حسين واصف انه نظر بعينه بعض العساكر تضرب بعض الناس ، فهل تعلم ذلك ؟

ج : لم أعلم ذلك بل يعلم الميرالايات والضباط ، فانهم كانوا متحدين ومتفقين

س : هل كان يمكنك منع حصول فتنة أخرى ام لا ؟

ج : لم يمكني

س : قلت أنك اجتهدت وحفظت مصر حتى لم يحصل فيها شيء ، فمن كان يخشى عليها ؟

ج : من الذين حصل الخوف منهم في الاسكندرية

س : معلوم أن الحرق والنهب في اسكندرية ، كان بمعرفة العساكر ، فهل أمرهم الضباط بذلك ؟

ج : سمعت بالاشاعة ، أن سليمان سامي أمر آلايه بالنهب والحرق ولكني لم أعرف أن كان ذلك من تلقاء نفسه او بناء على امر

س : هل رأيت سليمان سامي في يوم ١١ جونيو ؟

ج : لم أره

س : هل رأيته بعد ذلك ؟

ج : رأيته بعد مدة

س : علم أن محمود سامي ، كان يحضر في جلساتكم ، مع انه لم يكن له صفة فكيف ذلك ؟

ج : لم يحضر بالمجلس ، ولكنه كان يحضر في النهار ، وحضر بالمجلس قبل تعيينه بالصالحية ببضعة أيام ، ولكن لم يكن له رأى معدود

س : من رئيس هذا المجلس ؟

ج : أنا

س : ولماذا سمحت له بالحضور ؟

ج : لم يحضر وقت انعقاد المجلس

س : من عين محمود سامي للصالحية ؟

ج : أحمد عرابي

س : هل اوسل أمرا بذلك ؟

ج : نعم أوسل أمرا لي وله

س : هل امتنع ؟

ج : لم يمتنع

س : قال أنه امتنع ، وأنت هددته وجبرته ؟

ج : حاشا

س : أثبت لنا عدم صحة كلامه ، فانه قال انك قبل ذلك اردت تعيينه لمربوط ورشيد ، وأمتنع وفي ثالث مرة هددته ؟

ج : لم أهدده ، بل بلغته امر احمد عرابي بتعيينه للصالحية وهو توجه أما مسألة رشيد ومربوط فلم أعلمها

س : قلت انك امتثلت لاوامر عرابي خوفا منه ، فماذا حصل منه حتى يوجد هذا الخوف ؟

ج : قلت آنفا أن العساكر لما حضروا لقصر النيل ، ضربوني بالكرنافة وبالسنجة في نخذي ، وبعد ذلك توجه أحمد عرابي لاوضة شوقي وقال ، اني أخذت خمسة الاف جنيه من الحضرة الخديوية لاجل جمع أروام وخلافه للفتك بالثلاث ميرالايات ، فان كان حصل لي ضرب وتهديد ، طبعا أخاف .

س : هذا ما يختص بشخصك . فالم تتذكر او تنظر حصول تهديدات منه بنهب البلد أو حرقها أو بقتل من يخالفه ؟

ج : اذا كان أخذ العساكر بمدافعهم وتوجه الى عابدين ، واسقط وزارة رياض باشا في ساعتين فهذا تهديد . اما مسألة قتل او حرق ، فلم أسمع

س : ألم يبلغك أن محمود سامي ، سافر لتحريض أحمد عرابي على حرق البلد وتخريبها ، وعدم تسليمها للانجليز ؟

ج : لم اعلم بوقت سفره ، ولا بوقت عودته .

س : لما كنت في الجمعية الثانية ، ألم يحصل كلام منك ؟

ج : نعم تكلمت وقلت أنه حضر او من الحضرة الخديوية بعزل أحمد عرابي ، فما رأيكم ، فلم يقبل أحد بعزله ، ولما قلت أن هذا أمر من الحضرة الخديوية فهل ينفذ أم لا ، فقيل بعدم تنفيذه

س : ماذا كان رايك الخصوصي في هذه المسألة ؟

ج : رأيي سماع أمر الجناب الخديوي ، ولكني كنت أخاف ، لان ناظر الجهادية الجديد الذي تعين بدلا من أحمد عرابي ، كان يلزم حضوره لتنفيذه

س : بلغنا ان عمر باشا لطفي حرر لك كتابة بتعيينه ، فهل انفذت ماكتب به اليك ؟

ج : لم يمكن تنفيذها

س : لو قصدت التوجه للخديوي ، فهل كان يمكنك ؟

ج : لا يمكن فاني كنت بمفردي ، وكان العساكر كثيرين محتاطين بي في الديوان ومتفرقين في جميع النقط

س : لما حضر اليك التلغراف الاول من الخديوي ، بحصول الصلح جمعت وكلاء الدواوين وتذاكرتم في ذلك ، قال بعضهم يلزم الاستمرار ، والبعض قال بخلاف ذلك ، فقل لنا من طلب الاستمرار ومن طلب الايقاف ؟

ج : قر رأيهم جميعا على أنهم لا يمكنهم حل هذه المسألة ، بل يلزم عرض المسألة على جمعية عمومية

س : ماذا دعاكم لعقد الجمعية العمومية ، حيث انه ورد لكم تلغراف بحصول الصلح

س : هل كانت حياة الخديوي على خطر ؟

ج : دعانا لذلك الخوف

س : هل انت أحد ورثاء سليم باشا السلحدار ؟

ج : ليس أنا بل زوج ابنتي الموكل عنه .

س : كان لموكلك المذكور مبلغ عشرين ألف جنيه ، لم يكن صرفها في وقت الوزارات الاخرى ، ولما تعينت انت هنا منفردا أرسلت أمرا للمالية بالصرف .؟

ج : لم أرسل أمرا للمالية ، بل بيت المال حرر للمالية أنه صدر حكم من مجلس الاحكام باستلام المبلغ وتوزيعه لاربابه ، والمالية كتبت لنا وقالت انه مطلوب منهم لقلم المبيوعات ١٣٠٠٠ جنيه فحجزته ، وأرسلت الباقي لبيت المال ولم أعلم بتوزيعه

س : هل انت الذي كتبت للمالية بارسال ذلك المبلغ لبيت المال أم لا .

ج : نعم بناء على ما تحرر لي منها

س : ألم تحبس أمين بيت المال لاجل هذه القضية ؟

ج : لم احبسه

س : هل كنتم تنظرون الجرائد قبل طبعها ؟

ج : نعم بناء على قرار المجلس أولا ثم لما لم يمكن ذلك فيما بعد ، تحول على المطبوعات للاطلاع عليها .

س : هل كنتم تفتحون المراسلات التي تحضر بواسطة البوسطة .؟

ج : ناظر الجهادية أمر بتعيين أناس مخصوصين لفتح هذه المراسلات ، وحجز ما يكون فيه دسائس منها

س : ألم يتكلم الشيخ العدوي والشيخ عليش بعزل الحضرة الخديوية في أحد الجمعيات ؟

ج : صاحوا . زعقوا . ولكني لم اتذكر ماذا قالوا

س : المحضر الاول والثاني ، ختم عليه من الحاضرين في الداخلية ، والباقي كيف ختموا ؟

ج : في الجهادية

س : بناء على طلب أم لا ؟

ج : لا أعلم فاني كنت اراهم يحضرون ويطلبون الختم على المحاضر ويختمون

س : ألم تأمر الضبطية بالتوسط في احضارهم ؟

ج : لم امر بذلك .

س : في عهدة من ، كانت المحاضر ؟

ج : كانت عندي في الترابيزة ، ولما قمت تركتها هناك

س : قيل انك أخذتها لمنزلك ؟

ج : حاشا ، بل لما سافرت لبنها ، تركتها في الديوان

س : هل احرقت أوراقا قبل سفرك لبنها ؟

ج : لم أحرق شيئا

(بعد ذلك أعيد للسجن في ٢٤ ذا سنة ١٢٩٩)

(حسب ماتقرر بجلسة يوم ٢٥ ذا سنة ١٢٩٩ ، صار استحضار يعقوب باشا سامي من السجن وسئل فأجاب كما هو موضح) .

س : انت تقول ان ختمك فى المجلس راعمال التجهيزات كان خوفا من العسكرية ، والحال انه من التحقيق تظاهر انك أحد المتهورين ، خصوصا وان أحد المسئولين معكم وهو رفعت بك ، لما سئل عن سبب انضمامه لحزب العصاة اجاب بأنه بسبب التهديد الواقع منك حيث فى احد الايام قلت له ان كان زمرة الملكية لا يوافقون الجهادية ،ولا يكونون يدا واحدة معهم، فأنتم تأخذون العساكر والبوليس الموجودين بمصر ، وتتوجهون للحرب ، وعندها يكون الملكية مكلفين بخفارة وحراسة انفسهم ، ومتى صار الملكية أعداء لكم من الخلف ، والعدو الاخر من الامام ، فتهلكوا العدو الداخلي قبل الخارجي ؟

ج : كذاب ، فان اتحاد المذكور مع محمود باشا سامى ، هو قديم

س : احمد رفعت ذكر اسماء شهود ، فلو حضروا وشهدوا ماذا تقول ؟

ج : ان حضر شهود فلى عليهم اليمين

س : جملة اشخاص من الخاتمين على المحضر قالوا أيضا أنهم مهددين من العسكرية وبالاخص منيك ، فأفد الحقيقة ؟

ج : هذا لا أصل له ، فانهم كانوا يختمون بالداخلية بدون جبر وان كانوا يريدون تحميل أثقالهم على فهذا أمر يكون ظاهر

س : الاوامر التى أصدرتها بالتجهيزات مذكور فيها ان من يتأخر ، يحاكم بقانون عسكرى وغير ذلك من التأكيد والتشريد والتخويف ؟

ج : هذا بناء على أوامر عرابى

س : الذى صدر لك من عرابى باجراء التجهيزات لم يذكر فيه عن جمع وكلاء الدواوين ، فلم أجريت جمعهم ؟

ج : لاجل الاتحاد معهم وعدم انفراد السلطة العسكرية

س : لماذا أطعتم أمر عرابى ، ولم تمتنعوا من التجهيزات ، حسب ما صدر من الحضرة الخديوية ؟

ج : ما أمكنا ذلك ، خصوصا عندما شرعنا فى ارسال المهاجرين ، وأجرى اعادتهم احمد عرابى

س : قد اطلع المجلس على بعض مكاتباتك التى كانت تصدر للمديريات وعلم منها انك كنت تجتهد اجتهادا خصوصيا من نفسك يفيد نشاطك وعدم مجبوريتك . خصوصا ما حررته فى الوقائع المصرية (التى كنتم معتبرينها رسمية) نمره ١٤٧١ ؟

ج : كل ذلك بناء على اوامر عرابى

س : قد أجريتم سجن جملة أشخاص بالطوبخانة مثل احمد بك كمال وخلافه، من مستخدمى المصالح وغيرهم ، فما هى الاسباب ؟

ج : هى بناء على أوامر ناظر الجهادية التى كانت ترد بأنهم جواسيس ، والجاسوس يحبس

س : كل هؤلاء كان سجنهم بأمر ناظر الجهادية ؟

ج : البعض كان بناء على تبليغ ابراهيم بك فوزى مأمور الضبطيه بأنهم مجرون جمعيات ويحشون على البلد من حصول شىء فيها

س : الجمعية التى عقدت بالداخلية ما كيفيتها ؟

ج : كيفيتها أن العرابى ارسل مكاتبات للزوم أجراها

س : قد وجدت قطعه فى ورقة تكملة لتلغراف وارد لك من عرابى ، لكن أوله ليس موجود فاطلع عليه ، وافد عن كل ما كان يشتمل عليه وصورة تلك الورقة هى كما يأتى ؟

(الرأى يصدر به القرار اللازم بحيث يكون عاما شاملا لمن سبق انحيازهم للعدو والذين سبق طوينهم بوجهم للانحياز فى المستقبل ، والذين تركوا أوطانهم وأموالهم وأملاكهم فرارا من مقابلة العدو .

ج : لست متذكرا باقية ، والغالب أنه كان يريد اعمال مجلس ليقرر مصادرة أموال انواع الاشخاص المذكورة فيه انما لم أقدمه للمجلس .

س : هل فقط يقصد مصادرة أموالهم ، ولم يذكر فيه عن قتلهم ، أو اجراء شىء آخر معهم ؟

ج : هو كان يريد تقديمه للمجلس والمجلس يقرر بما يراه .

س : حينئذ لو كان نظر بالمجلس وحكم بقتلهم لاجريتم قتلهم ؟

ج : العرابى هو الذى كان ينفذ مثل هذه الاحكام ، لان القوة عنده ، والقرارات كانت ترسل اليه

س : أما كنت تكلمت فيه مع أحد من ارباب المجلس ؟

ج . لست متذكرا

س : هل المكاتبات التى حررتها بطلب التجهيزات وجمع الاعانات خصوصا الذى فيه بطلب ٢٥،٠٠٠ نفر من حمراء البلاد ، كانت ترد من ناظر الجهادية ، كما نشرها حرفيا بما فيها معافاة الحفر المذكورين من الخدمات العسكرية بعد الحرب ؟

ج : ناظر الجهادية هو الذى كان يامرنى بذلك جميعه بواسطه مخابراتنا بالتلغراف شفاها

س : مقدمة تلك المكاتبة والتحريض الذى فيها على الجهاد والموافقة وما أشبه كيف كتبت ، لم يكن من شخص محب لذلك مجتهد فيه وليس مجبورا عليه ؟

ج : طبعا يلزم ان يكتب ذلك للترغيب ، ومن المعلوم ان الحرب يوجب ان اكتب زياده عما ذكر

س : قد ورد تلغراف بمكاتبه من الداخلية صادر اليك من عرابى بتاريخه بخصوص عدم ارسال المهاجرين للاسكندريه ، لكن فيه بعض كلمات بالشيفر ، فما هى تلك الكلمات ؟

ج : لا ادرى لان مفتاح الشيفر كان بطرف حسن بك حسنى كاتب سرى ديوان الجهاديه

س : قد وجد ضمن اوراقك التلغراف المحرره صورته ادناه ، فما هو سبب تحريره بهذه الصفه ؟

(تلغراف نمره ١٢٤٢ فى ليله ١٦ ذا سنه ٩٩٠)

لسعادة محافظ السويس :

اخبروا جناب قنصل الانجليز بان لا يكون بمصر حكومتين كما يزعمون ، وانما حكومة الخديوى واحده والجيش تحت امرها ، والخديوى ووكلاء حكومة الامة بمقتضى قرار من عموم رؤساء البلاد وأعيانها وعامتها على اختلاف مذاهبها ... السلطانية وان المحافظ خادم لعموم الامة ، لا لشخص الخديوى، فهذا يكون جوابكم

ج : هذا ورد لى بالتلغراف من عرابى ، وأنا أجريت تبليغه ، والسبب أنه كان ورد تلغراف من محافظ السويس لنا والى عرابى ، بمضمون أن الاميرال الانجليزى الذى حضر للسويس سأله عما اذا كان مطيعا لاوامر الجناب

الخديوى ، أو منقادا لعرابى ، فأرسل لى عرابى التلغراف المذكور وأنا أبلغته لمحافظ السويس

س : ان كان الامر كما تقول فكان يجب ان تقول فيه انه بناء على ما ورد لك من ناظر الجهادية ، خصوصا وان هذا تلغراف مهم ؟

ج : ما قلت ذلك وان التلغرافات التى صدرت منه لمحافظة بورسعيد وغيرها تثبت ان كل ذلك كان بأوامره

س : رؤساء العسكرية سبق تحالفوا انهم يكونون يدا واحدة وعرابى رئيسا لهم ، فما الذى تم فى ذلك ؟

ج : ذات يوم كنا معزومين فى فرح بمنزل عمر بك رشدى ، وبعد العشاء طلعنا فقالوا اننا نتوجه الى القشلاق ولا أعلم السبب ، فتوجهنا ووجدت فيه جمعية كاملة من جملة ضباط لحد البكباشى من الالايا التىكانت فى مصر ، ومنهم محمود سامى باشا ، ومحمود فهمى باشا وقالوا انهم يحلفون يمينا بأنهم لا يضروا بعضهم وحلفوا وأنا أيضا حلفت معهم

س : ما هو تاريخ ذلك ؟

ج : كان فى مدة وزارة محمود باشاسامى ، ولستمتذكر التاريخ

س : من الذى كان يحلفكم وحلفتم على مصحف وسيف أم كيف ؟

ج : الذى كان يحلفنا الشيخ محمد عبده وكان على المصحف ، ولم أر سيفا ، وغالبا انه ما كان موجودا سيف

س : من الذى أجرى جمع هذه الجمعية ؟

ج : طبعا يكون رئيس النظار

س : من هم الذين كانوا [illegible] بالعزومة وطلعوا معك وأخذوك بعدها الى القشلاق ؟

ج : عرابى وجملة ضباط نحو العشرة لست متذكرا أسماءهم .

س : ما هى طريقة الحلف ، والفاظ اليمين ؟

ج : الطريقة هو انه صار وضع المصحف وكل من الحاضرين وضع يده عليه ، والجميع فى آن واحد والشيخ محمد عبده ، كان يلقنهم اليمين ، ولست متذكرا الفاظه لانه يمين ماسونى طويل جدا

س : انت قلت ان اليمين هو بعدم ضرر بعضكم ، لكن الان قلت انه طويل ، فأفد الكيفية ؟

ج : اليمين طويل ومؤداه عدم ضرر بعضنا ، ومن يضر صاحبه ، يستحق شق لسانه ويستحق القتل وما أشبه ذلك

س : هل كان بينكم أحد من الملكية غير الشيخ محمد عبده ؟

ج : لست متذكرا

س : هل عمر رحمى ، وابراهيم فوزى مأمور الضبطية وعبد الوهاب قومندان البوليس ، وأحمد رفعت ، كانوا موجودين ؟

ج : عمر رحمى وابراهيم فوزى مأمور الضبطية ، كانا موجودين ، أما عبد الوهاب وأحمد رفعت ، فلست متذكرا وجودهما فوقت اليمين وعدمه ، وانما أحمد رفعت كان يتردد كثيرا على الضباط ، وعلى محمود باشا سامى

س : محرر جرنال الطائف كان يطبع فى جرناله جملة اقوال فيها اهانةللذات الخديوية فضلا عن التهييجات وغيرها ، فاما كنت تطلع عليها ما دام كانتحرير الجرائد ونشر ما ينشر فيها تحت اذن من ديوان الجهادية ؟

ج : نديم محرر الطائف كان دائما مقيممع عرابى فى مركز الجيش ، وما كنتأنظر ما يطبعه ، لكونه هو مصاحب العرابى والجرنال منسوب لعرابى

س : محمود سامى باشا قال انه جبر معك على السفر أخيرا للصالحية ، فأفد عن الكيفية ، وهل حقيقة لميأخذ ماهية على ذلك ؟

ج : انه توجه بالرضا ، ولم أجبره بشىء كليا وسافر ممنونا ، ومن جهة الماهية فانه هو الذى لم يقبل ربط ماهيةاليه ، انما قبل أن تصرف اليه مصاريف سفرية صرف اليه مبلغ مائة جنيهمقيد بالديوان

(أعيد للسجن فى ٢٥ ذا سنة ١٢٩٩)

(بنـاء على ما تقـرر بجلسة يوم الخميس ١٩ محرم سنة ١٣٠٠ ، طلب يعقوب سامى من السجن ، رحضر معه مسيو نابيه الافوكاتو الموكل عنـه ، وسئل فأجاب كما يأتى).

س : قال عثمان باشافوزى انه فىاليوم الذى انعقدت فيـه الجمعية بديوان الداخلية ، ناديته وأخبرته أنه وردت اليك بشرى ، ولما استفهم منك عنها قلت له انكم قدمتم محضرين للباب العالى وقبلا ، وانه سيحضر حليم باشا ، وأعطيته ورقة مضمونها انه تم الامر ومنع حضور الباشا المشار اليه عن قريب ، فهل هذا حقيقى أم لا ؟

ج : حاشا ان يكون ذلك حقيقيا ، انما فى اليوم المذكور حضرتمن ضمن البوسطة ورقة فى طى ظرف مفتوح وعليها ختم زينب هانم ، متضمنة اهداء السلام ، وأما ما يختص بمجىء حليم باشا وغير ذلك ، فلم يحصل

(بناء على هذا الجواب ، استصوب طلب عثمان باشا لمواجهة يعقوب باشا ، فحضر وسئل فأجاب كما يأتى)

س : قلت فى هذا الصباح ان يعقوب باشا أخبرك انهم قدموا محضرين ، وانحليم باشاسيحضر قريباوباحضاره واستجوابه الان عن ذلك ، قال انهلم يخبرك بشىء مما ذكر ، انما فى ذلك اليوم حضرت ورقة بالبوسطة منزينب هانم وكانت متضمنة السلام فقط ، وأعطاها اليك وها هو الان حاضر أمامك ، فهل انت لم تزل مصرا على قولك ومتحققا صحته أم لا ؟

ج : نعم انه فى اليوم الذى انعقدت فيه الجمعية بديوان الداخلية ، خرج من أوضة كان فيها ، وقال بشرى سيحضر حليم باشا ، وأعطانى الورقة المذكورة ، ومضمونها أنه تم شغل الباشا المشار اليه ومنع حضوره قريبا ، وأعطاها لى بدون الظرف ، ولما سألته عنه قال لى انه مزقه

س : (الى يعقوب باشا سامى) قد سمعت ما قاله عثمان باشا بحضورك ، فماذا تقول ؟

ج : ان ما قاله عثمان باشا لم يكن حقيقيا وما قلته انا هو الحقيقى

س : هل حضرت على يدك جوابات الى عثمان باشا أو الى حسن موسى العقاد خلاف الورقة التى أخبرت عنها ؟

ج : لم أر جوابات خلاف الورقة المذكورة

(أعيد بعد ذلك عثمان باشا الى السجن وسئل يعقوب باشا كما يأتى)

س : موجود بالقومسيون رسالة مطبوعة بمطبعة الحجر معنونة (الجنة تحت ظلال السيوف) ضبطت فى منزل حسن موسى العقاد ، ولما سئل عنها قال انها أرسلت اليه من طرفك ، فاطلع عليها وقل لنا هل ما قاله حسن موسى حقيقى أم لا ؟

ج : انى لم ارسل نسخ هذه الرسالة الى السيد حسن موسى ، انما فى ذلك الوقت حضر من البوستة مظروف باسم حسن موسى المذكور ، وحضر واحد من طرفه لم أعرفه وطلب منى تسليم ذلك المظروف فبحث عنه أحد كتاب ديوان الجهادية لم أكن متذكرا اسمه ، فوجده وأعطاه للمحضر من طرف حسن

موسى بعد فتحه ووجود نسخ هذه الرسالة فى داخله ، ولم اطلع علىما اشتملت عليه تلك الرسالة

(بناء على هذا الجواب ، استصوب طلب حسن موسى لمواجهته بيعقوب سامى فحضر وسئل ، فاجاب كما يأتى) :

س : لما سئلت اولا عن نسخ الرسالة التى وجدت بمنزلك ، قلت ان وكيل الجهادية أرسلها اليك ، وبالاستفهام من الوكيل الموما اليه ، قال انه لم يرسلها اليك ، بل حضر مظروف من البوستة باسمك ، وأرسلت واحد من طرفك واستلم المظروف المذكور وكان داخله نسخ تلك الرسالة ، وها هو يعقوب باشا سامى حاضر الان أمامك، فماذا تقول ؟

ج : لم اكن متذكرا انى ارسلت احدا لديوان الجهادية لاستلام المظروف الذى كان داخله نسخ تلك الرسالة ،انما فى ذات يوم وجدت نسخ هذه الرسالة فى منزلى ، وبالاستفهام عنها قيل لى انه احضرها واحد من طرف ديوان الجهادية.

س : (الى يعقوب باشا) باحضار حسن موسى أمامك ، والاستفهام منه عن نسخ الرسالة التى اطلعت عليها قال انه لم يرسل أحدا لديوان الجهادية لاستلامها ، بل أرسلت اليه برفقة شخص من طرف ديوان الجهادية ، فماذا تقول ؟

ج : لم أكن متذكرا أنى أرسلت احدا لديوان الجهادية لاستلام المظروف الذى كان داخله نسخ تلك الرسالة ، انما فى ذات يوم وجدت نسخ هذه الرسالة فى منزلى ، وبالاستفهام عنها قيل لى أنه أحضرها واحد من طرف ديوان الجهادية

س : (الى يعقوب باشا) ، باحضار حسن موسى أمامك ، والاستفهام منه عن نسخ الرسالة التى اطلعت عليها قال انه لم يرسل احدا لديوان الجهادية لاستلامها ، بل أرسلت اليه برفقة شخص من طرف ديوان الجهادية فماذا تقول ؟

ج : الحقيقة هى كما أوضحت فى جوابى الاول

س : قال حسن موسى أيضا بلغه انه حضر لديوان الجهادية نسخ كثيرة من هذه الرسالة خلاف النسخ التى ارسلت اليه ، فهل هذا حقيقى ؟

ج : انى لم ار غير المظروف الذى حضر باسم حسن موسى

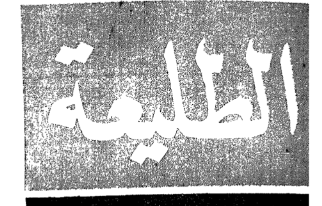
(اعيد للسجن بعد ذلك يعقوب باشا)

اعضاء	**اعضاء**
محمد مختار	**مصطفى خلوصى**
اعضاء	**اعضاء**
سليمان يسرى	**مصطفى راغب**
اعضاء	**اعضاء**
محمد حمدى	**سعد الدين**
اعضاء	**اعضاء**
محمد زكى	**يوسف شهدى**
اعضاء	
على غالب	

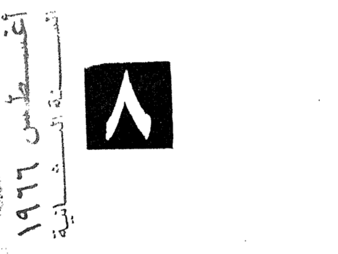
رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

تواصل الطليعة نشر النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابية





طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر



أغسطس ١٩٦٦

السنة الثانية

قضايا التنمية والتخطيط فى مصر

(ندوة الطليعة فى الاتحاد الاشتراكى مع "شارل بتلهايم")

وثائق تاريخية: النصوص الكاملة

لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابية



طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أمين عز الدين
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف

سكرتارية التحرير :

ميشيل كامل
عبد المنعم القصاص

الفهرس

العدد الثامن – السنة الثانية – أغسطس ١٩٦٦

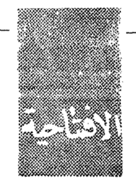
عنوان المراسلات :

« الطليعة »

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ – ٤٤١٤٤
الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ، ج.ع.م. ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها – مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك » .



"وحدة القوى العربية الثورية"
تخرج من دائرة الشعارات
الى دائرة الواقع الحى

أتاحت فرصة الاحتفال القومى بالعيد الرابع عشر لثورة يوليو ، قيام لقاءات مثمرة فى القاهرة بين عدد من المناضلين العرب الذين يمثلون التنظيمات والحركات الثورية فى مناطق متعددة من الوطن العربى

وتركزت نقطة اللقاء الجوهرية حول العمل الجماعى المسئول ، لبناء وحدة النضال لجميع القوى الثورية العربية بلا استثناء . وذلك كضرورة تاريخية موضوعية — لا بديل لها — من أجل تأمين استمرار مسار الثورة العربية التقدمية المعاصرة بأهدافها التحررية والاشتراكية معا ودون انفصال ، مع ما يتضمنه ذلك من تصفيات جذرية للقوى الاستعمارية والرجعية فى المنطقة .

واصبح يقينا من خلال المناقشات الصريحة والمفتوحة بين احضان هذه اللقاءات ، ان

وحدة العمل العربي النضالي اليوم ، هي المحور الاساسي لفكريات ونشـاطات كل الحركات او التنظيمات أو الاحزاب العربية الثورية . وذلك رغم ما قد يكون هناك بينها من اختلافات ايدلوجية ، من الخطأ تغافلها او انكارها أيا كانت درجاتها . بيد أن هذه « الاختلافات الايدولوجية » لم تعد ــ كماكان يحدث في الماضي ــ تشكل عقبات امام قيام « اتفاق موضوعي » من حول وحدة العمل الثوري .. لماذا ؟

ان القوى الثورية العربية على اختلاف تنظيماتها وأحزابهـا قد أنضـجتها الخبرة الهائلـة المكتسـبة من المعارك الوطنيـة والاجتماعية التي خاضتها خلال تلك المراحل القلقة ، الصعبة والمعقدة التي تلت تفجر الثورة المصرية العربية عام ١٩٥٢ وما تلاها من احداث جسام .وراحت الحياة المتجددة دائما ابدا تطرح أمام هذه القوى ظواهر وقضايا ومشاكل جديدة لم يسبق معالجتها نظريا أو ممارستها عمليا ، وأصـبح من مسئولياتها أن تتسلح بالشـجاعة الادبية والنضالية لمواجهتها مواجهة واقعية علمية، لتصل بها ومعها من خلال التجربة والمعاناة، المد والجـذر ، التأصـيل والابتكار ، الى اكتشافات جديدة للواقع وفهم أعمق لحركته وما صاحبها من تطورات كمية وكيفية .

ونستطيع هنا أن نعدد امثلة متنوعة لهذه الظواهر والقضايا والمشاكل الجديدة :

مثلا ظاهرة امكانية تلاحم مرحلتي ثورة التحرر الوطني بالثورة الاجتماعيـة ذات الافاق الاشتراكيه وذلك بعكس الواقـع والنظرة التقليدية في الشـورة من تعـاقب المرحلتين وما يتبع ذلك تحديد وترتيب لقوى الثورة وحلفائها بمعايير خاصة لكل مرحلة. نلمس هذا بوضوح في الشـورتين المصرية والجزائرية .

ومثل قضية التطور على الطريق الاشتراكي في بلد زراعي متخلف لم تتبلور به طبقة عاملة ذات وزن اجتماعي وسياسي فعال ومؤثر .

ومثل مشاكل تكوين تنظيم ثوري او حزب طليعي يقود النضال من اجل البناء الاشتراكي بعد ان تم استيلاء القيادة الثورية على قمة السلطة في المجتمع .

وهذا كله قاد الفكر والنشاط الثوري الى الاعتراف بواقع جديد يفرض وجـوده عمليا لاول مره في تاريخ التطور الانساني ونعني به ان حركه التحرر الوطني بقياداتها القومية التقدمية تشـق ــ في مواجهتها الصعبة للامبرياليه والرجعيـه المحليـة والتخلف الاقتصادي والاجتماعي ــ طريقها نحو الاشتراكيه . وتجذب خلال ذلك فئات اجتماعية واسعة من غير الطبقة العاملة نحو الافاق الاشتراكية . وبذلك لم تعـد قضية الاشتراكية هي قضية البروليتاريا وحدها ــ كما حدث فيما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ واختيارها الحاسم للاشتراكية عام ١٩٦١ ــ وانما اصـبحت قضية فئـات اجتماعية أخرى من غير البروليتاريا ،وخاصة في عصر الثورة التكنيكية والعلمية الباهرة وشمول حركات التحرر الوطني والانتصارات المتوالية للاشتراكيه كنظم اجتماعية انسانية بديلة من النظم الرأسمالية .

وهذا النضوج عكسي يتفاعله مع الواقع ظاهرتين اجتماعيتين هامتين :

اولهما : امكانية قيام نظم تقدمية تسير على الطريق الاشتراكى دون ان تكون عضوا بالمعسكر الاشتراكى . وان كانت تربطه به اوثق روابط الصداقة والتعاون القائمة على الاختيار الحر وعدم التدخل فى الشـئون الداخلية او المساس بالسيادة القومية .»

وثانيهما : ان هذه النظم التقدمية الجديدة وان كانت غير شيوعية ، الا انها لا تنهج سياسة معاداة للشيوعية وذلك وعيا منها بحكم التجربة، ان الخطر الذى يحدق بها ويتربص من حولها لا ينبع من المصادر الشيوعية وانما ينبع اساسا من مصادر العدوان للقوى الامبريالية .»

ولقد صاحب هذا النضوج وآثاره البناءة للقوى الثورية ــ وهذا طبيعي وحتمي ــ استقطاب شديد ومركز على صعيد العالم كله عامة والوطن العربى خاصة لجانبى « المعركة التاريخية الفاصلة » بين القوى الاستعمارية والرجعية المحلية فى جانب والقوى الشعبية التقدمية فى جانب آخر . وامام استمرار كسب القوى الشعبية التقدمية لارض وجماهير جديدة على الدوام، اعادت القوى الاستعمارية والرجعية ، بسرعة لم تكن متوقعة ــ وهذا ما يجب الاعتراف به ــ مستغلة بعض ظروف التفكك والاختلافات فى الجبهة الثورية .واخذت تمارس نوعا من المد الاستعمارى الرجعى العنيف مستخدمة كل الادوات والاساليب من العدوان المسلح الى تصدير الثورات المضادة الى اقامة تحالفات عدوانية تحت ستار الدين الى افتعال المعارك الداخلية المفتتة للوحدة الوطنية التقدمية بين العسكريين والمدنيين تارة وبين الدين والاشتراكية تارة اخرى . ونلمس هذا بوضوح فى العدوان الامريكى على الفيتنام وفى احداث اندونيسيا وفى التدخل فى الدومينكان فى امريكا اللاتينية وفى انقلاب غانا وفى الحلف الاسلامى الخ .....

ومن الواضح ان هذا المد الاستعمارى الرجعى يركز هجومه الصريح والخفى اليوم ضد الوطن العربى عامة والجمهورية العربية المتحدة بصفة خاصة باعتبارها ــ تاريخيا وموضوعيا ــ قاعدة التجمع الثورى الصامدة منذ ١٤ عاما متوالية بلا انقطاع فى هذه المنطقة الحيوية من العالم .»

ويمكن القول باطمئنان ان الخطوط الرئيسية لهذا التحليل هى موضع الاتفاق من جانب القوى الثورية على اختلاف احزابها وتنظيماتها اليوم فى الوطن العربى ، لا لشيء الا لانها معطية الواقع الحى الملموس .»

ومن هنا كان لتلاؤمها الواقعى والموضوعى واضعة فى عين الاعتبار عدة ملاحظات هامة تفيد فى بناء وحدة فعلية وقادرة لوحدتها النضالية :

اولا : انه لابديل موضوعى لوحدة القوى الثورية العربية على اختلاف تنظيماتها واحزابها بلا استثناء .»

ثانيا : ان هذه الوحدة ليست اندماجا موحدا لجميع التنظيمات والاحزاب الثورية

فى البلاد العربية فى كيان تنظيمى واحد ، وانما هى وحدة نضال مشترك ملتزم ببرنامج سياسى واضح ومحدد الاهداف .

ثالثا : ان هذه الوحدة وان كانت تعتمد فى الاساس على الوحدة الثورية الداخلية للتنظيمات والاحزاب فى البلاد العربية اما على اساس بناء تنظيمى واحد أو جبهة وطنية تقدمية — وفقا لظروف كل بلد — الا انها لايجب ان تنتظر الانتهاء من قيام هذا البناء التنظيمى الواحد أو الجبهة فى كل بلد عربى، وانما يمكن للتنظيم او الحزب الثورى فى اى بلد عربى ان يشارك على الفور فى بناء وحدة القوى الثورية على نطاق الوطن العربى فى نفس الوقت الذى تبنى فيه وحدة القوى الثورية على نطاق البلد العربى الواحد — فالعدو لن يتوقف عن حركته وعدوانه حتى ننتهى من قيام وحدات القوى الثورية الداخلية فى كل بلد عربى .

رابعا : ان هذه الوحدة ليست بوحدة علوية بين قيادات فردية أو مجرد حكومات وانما هى وحدة قاعدية جماهيرية تحتضن جميع الطبقات والفئات الاجتماعية — فى الوطن العربى كله — ذات المصلحة الحقيقية فى التحرر الكامل من التبعية الاستعمارية بجميع صورها واشكالها وأبعادها وفى التقدم الاقتصادى والاجتماعى على الطريق الاشتراكى .

خامسا : ان هذه الوحدة لاتفرض انماطا محددة مسبقة لحركة التطور والصياغة الاشتراكية للمجتمع بالنسبة لكل البلاد العربية . فذلك امر داخلى تقرره وفقا لظروفها وامكانياتها القوى الشعبية التقدمية المناضلة فى احضان كل بلد عربى مستفيدة بالتجارب العربية والانسانية . ودور الوحدة هنا هو تقوية الاتجاه الشعبى التقدمى وتدعيمه وحمايته بكل الوسائل والامكانيات .

سادسا : ان هذه الوحدة لا تتم على صعيد ايدلوجى بحت وانما تتم اساسا وفقا لاختيارات اجتماعية وسياسية محددة تتصل بواقع وابعاد المعركة المعاصرة وآفاقها . وذلك بما يحقق الاهداف القومية والتقدمية الحيوية فى تصفية الامبريالية واحتكاراتها وقواعدها واحلافها العسكرية والصهيونية فى الوطن العربى ككل . وفى حماية وتدعيم النظم العربية الثورية وحركات التحرر الوطنى المشتعله فى اجزاء من الوطن العربى . وفى دحر الحلف المتستر بالاسلام وتصفية الاقطاع والراسمالية الكبيرة تصفية جذرية . وفى معالجة التخلف الاقتصادى والاجتماعى على اساس المبادىء الاشتراكية والتخطيط الشامل محليا وقوميا .

وبهذا تكون الوحدة واقعية تواجه مهمات محددة وملموسة ، لا تعوقها الخلافات الايدلوجية وصراعاتها . بل على العكس فان هذه الخلافات سوف تصل ايدلوجيا الى حلول نظرية من خلال الممارسة اليومية للنضال الملتزم بالبرنامج .

سابعا : ان جميع القوى العربية الثورية تنضوى فى اطار وحدتها النضالية الجديدة وقد طرحت ما كان بينها من شكوك وريب نتيجة تعقد مسالك النضال خلال المراحل السابقة وحداثة التجربة . مؤمنة بان مسئوليات الاخطاء التى وقعت وان تفاوتت درجاتها الا انها مسئوليات مشتركة بين الجميع . وان مهمتها اليوم ليست فى تصفية حساب الاخطاء ، وانما هى فى تحديدها وتشخيصها بدقة حتى يصير تجنبها من الجميع دون ما حساسية ذاتية نحو تنظيم معين او حزب معين .

ثامنا : ان ثمة مناخ صحى للغاية يسود الان محيط القوى الثورية ويساعد على بناء وحدتها النضالية بجماع قدراتها وباسرع وقت ممكن وذلك نتيجة لتوافر عدة ظروف موضوعية اهمها :

- اللقاءات المثمرة التى وقعت على مستوى القيادات والحكومات بين كل من الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا .

- الاعلان الواضح لسياسة الجمهورية العربية المتحدة القومية فى الوطن العربى خلال خطاب المناضل جمال عبد الناصر فى عشية الاحتفال القومى بالعيد الرابع عشر لثورة يوليو . بما تضمنه من عدم مشاركة القاهرة لمؤتمر القمة العربى الرابع فى الجزائر وطلب تأجيله الى اجل غير مسمى حتى تقطع الطريق على القوى الرجعية لاستغلاله لمصالحها غير القومية . والمعادية للشعوب العربية .

- صمود التجربة المصرية العربية بانجازاتها المادية والمعنوية ـ سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا ـ كقاعدة اساسية وقادرة فى خدمة الوطن العربى من اجل التحرير الوطنى وتصفية العدوان الصهيونى والتقدم الاجتماعى على الطريق الاشتراكى .

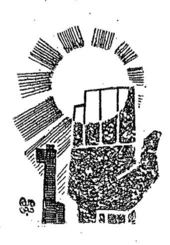
- معاداة الشعوب العربية الاجماعية للحلف الاسلامى ودعاته من الاستعماريين والرجعيين وفضح استخدامهم لسلاح الدين .

وبعد .. فليس من شك فى ان هذه اللقاءات التى احتضنتها القاهرة خلال الاحتفال القومى بالعيد الرابع عشر لثورة يوليو ، هى بداية العمل الفعلى للخروج بوحدة القوى الثورية العربية من نطاق الشعارات الى نطاق الواقع الحى النابض بحياة وعمل وفكر المناضلين العرب من اجل حياة افضل .

لطفى الخولى

فى اطار المناقشات المفتوحة بين مختلف وجهات النظر حول قضية وحدة القوى الثورية العربية يعرض خيرى حماد من وجهة نظره فى هذا الموضوع

الجبهة التقدمية الثورية
طريقنا إلى الحركة العربية الواحدة



خيرى حماد

تمثل الاوضاع التى يواجهها الوطن العربى فى هذه الايام، تجربة تاريخية فريدة. قد لا يصح بالنسبة اليها تطبيق التجارب التاريخية التى مرت بها اجزاء اخرى من العالم. أو التمسك تمسكا مطلقا بالنظريات والقواعد العلمية المستمدة من هذه التجارب، دون اى تكييف أو تحوير لانها قد لا تتلاءم مع أوضاعنا التى اصر على القول بأنها فريدة فى نوعها.

وقد حسرت المعركة الضارية التى نقف فى هذه الاونة على ابوابها ، والتى توشك على النشوب فى كل لحظة . بعد ان كشر الاستعمار بشكليه القديم والجديد عن انيابه ، مستخدما كل ادواته وعملائه فى المنطقة العربية محاولا ضرب الثورة العربية التى تؤلف الخطر المباشر على مصالحه واهدافه ومخططاته . النقاب ، عن الطبيعة الفريدة والغريبة لتجربتنا التاريخية الجديدة .

أسباب الغرابة والتفرد

ولعل من اهم اسباب هذا التفرد وعوامله ، اننا نخوض ثلاث معارك متلاحمة ومتشابكة فى آن واحد ، وهى معارك التحرر الوطنى والتحول الاجتماعى والوحدة القومية . فهناك اجزاء من الوطن العربى تحررت على صعيدها الوطنى تحررا كاملا ، واصبحت حرة فى ارادتها السياسية ، وتقرير سياساتها ، ولكنها لا تحس بعد بالتحرر لاعلى صعيدها القومى ، ولا على صعيدها الاجتماعى ، ولا حتى على صعيدها الاقتصادى . بينما هناك اجزاء اخرى من هذا الوطن تحررت على صعيدها السياسى الوطنى ، وتحررت على صعيدها الاقتصادى ، وقطعت خطوات طويلة وجادة فى طريق تحررها الاجتماعى ، ولكنها مازالت تحس بالنقص فى التحرر على الصعيد القومى . وهناك اجزاء ثالثة من الوطن العربى ، تحمل صورة التحرر الشكلى على صعيدها الوطنى

ولكنها مفتقرة فى الواقع الى اية صورة من صور التحرر على مختلف الصعدان السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقومية، لانها تسير فى ركاب الاستعمار الجديد الذى يفرض ارادته عليها ، ويسيرها فى المخططات التى يريدها ، متعاونا فى ذلك مع القوى الرجعية المسيطرة عليها ، نظرا لما بينه وبينها من تلاحم عضوى فى المصالح والوجود والاهداف . وهناك اجزاء رابعة أخرى، ما زالت تخضع لحكم الاستعمار المباشر فى شكله القديم المألوف . بالاضافة الى جزء اخير خامس ، هو فلسطين التى تعانى من ابشع صورة من صور المزج الكامل بين الاستعمار الاستيطانى والاستعمار الامبريالى الهادف للتوسع والعدوان .

ولعل هذا التداخل الغريب والتلاحم الفريد بين الاوضاع العربيه . اى بين اهداف التحرر الوطنى والتحرر الاجتماعى والاقتصادى . والوحدة القومية واستعادة الوطن السليب هو الذى يضفى هذا الشكل الفريد على تجربتنا الثورية العربيه لانه يجعل منها ثوره واحدة على الاستعمار بشكليه القديم والجديد . من اجل التحرر الوطنى والسياسى والاقتصادى ، وعلى الرجعية الممثلة بالاقطاع واستبداد راس المال واستغلاله من اجل التحرر الاجتماعى ، وعلى الانتهاز والمصالح الفردية ، واطماع الحكم وشهوات السلطات الممثلة فى التجزئه العربيه من اجل تحقيق الوحدة العربية ، وعلى التلاحم الكامل بين الامبرياليه العالمية والصهيونيه العنصرية العدوانيه من اجل تحرير الوطن السليب . ويتضح من هذا ، ان على الثورة العربيه ، بما ترتب على هذه الاوضاع من تداخل وترابط بين مضامينها السياسية والاقتصاديه والاجتماعيه والعسكريه ، ان تواجه تجمعا ضخما من القوى المعاديه لها ، التى لابد وان تقف فى صف واحد ضدها . وان تظاهرت بالعداء لبعضها البعض . ولاريب فى ان قائمة هذه القوى تضم دول الاستعماريين القديم والجديد والصهيونية ، والرجعية العربية العميلة ، والانتهازيه التى تعمل لتكريس الانفصال والفئات التى تعمل ضد وحده الوطن العربى .

وهكذا اصبح على الثوره العربية ، وهى تخوض هذه المعارك التى تواجهها ضمن اطار الاوضاع العربيه ان تضرب هذه القوى المعادية لها فى وقت واحد ، وان تهزمها معا ، وهذا يتطلب قبل كل شىء ، وحدة القوى التقدمية الشعبية التى تؤمن بالوحدة القومية كضرورة حياتية ووجودية ومصيرية فى كل مكان من اجزاء الوطن العربى ، لضرب التجمع الذى تقوم به العناصر الرجعية والانتهازية فى الوطن العربى ، متحالفة تحالفا وجوديا ومصيريا مع الاستعمار لان « التقاء القوى التقدمية الشعبية على الامل الواحد فى كل مكان من الارض العربية » كما يقول الميثاق ، و « تجمع القوى الرجعية على المصالح المتحدة فى كل مكان من الارض العربية ، هو فى حد ذاته دليل على الوحدة أكثر مما هو دليل على التفرقة » .

وكان الاستعمار قد أفلح فى الحقب المتتالية التى اعقبت الحرب العالمية الاولى ، فى تفتيت ما يختلج فى صدور أبناء الامة العربية من مشاعر الثورة القومية العارمة على السيطرة الاستعمارية الى ثورات وطنية متعددة ومتلاحقة فى مختلف اجزاء الوطن العربى من مشرقها الى مغربها ليسهل عليه ضربها ، واحدة اثر اخرى ، والقضاء عليها بأعمال القمع العسكرى ومن هنا كان الفشل الذى رافق الثورات المتعددة فى أجزاء الوطن العربى فى تحقيق أهدافها طيلة العشرينات والثلاثينات والاربعينات، الى ان تفجرت الثورة العربية العارمة والواحدة ، من القاهرة فى الثالث والعشرين من يوليو من عام ١٩٥٢ ، لتكون انطلاقة الثورة العربية القومية الواحدة التى ما لبثت أن حددت أهدافها لا فى وادى النيل وحده ، بل وعلى صعيد الوطن العربى كله ، والتى مالبثت ان ربطت عضويا ومصيريا ، بين مفهوم التحرر الوطنى من الوجود العسكرى والسياسى الاستعمارى ، وبين مفهوم التحرر الاجتماعى والاقتصادى من سيطرة التحالف القائم بين الاقطاع المستبد والرأسمالية المستغلة وبينهما وبين مفهوم التحرر القومى ، من سيطرة التجزئة العربية التى تمثلها القوى الرجعية والانتهازية ، المتحالفة بصورة مباشرة أو لامباشرة مع الاستعمار ، فى طريق فرض التجزئة على الامة الواحدة والوطن الواحد .

ولسنا فى معرض الحديث هنا عن بدهيات الوحدة القومية وحتميتها كضرورة سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية ، فقد تجاوز الوعى الجماهيرى بها ، وبحتميتها هذه ، سواء على الصعيد التاريخى ، أم على الصعيد الوجودى والمصيرى، مرحلة الحديث عن البدهيات، اذ ان الامة العربية لم تعد فى حاجة ، كما يقول الميثاق ، الى ان تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها وذلك لانها أى الوحدة اصبحت تمثل حقيقة الوجود العربى ذاته ، وتجاوزت النطاق الذى كان يفرض التقاء حكام الامة العربية ، ليكون من لقائهم صورة للتضامن بين الحكومات ، الى مرحلة وحدة الهدف التى اصبحت تمثل حقيقة قائمة عند القواعد الشعبية فى الامة العربية كلها .

طبيعة المعركة

ولو اننا كنا نخوض معركتنا مع الاستعمار ، الذى كشر عن انيابه . واخذ يتهيأ ، مستخدما

كل مايتوافر لديه من السبل والوسائل ، من داخلية وخارجية ، على اساس التحرر الوطنى ليس الا من الوجود الاستعمارى المباشر ، لتحتم علينا ، طبقا لمنطق المفهوم العلمى ، ان نقيم جبهة وطنية ، نعبىء فيها قوى الشعب كلها . على اختلاف الطبقات التى تنتمى اليها . لمحاربة الاستعمار المباشر والانتصار عليه ، لتحقيق التحرر السياسى . ولكن معركتنا كما قلت قبل قليل ، تشمل اكثرمن جانب وصورة ، بل تشمل اكثرمن ميدان التحرر السياسى من الاستعمار المباشر ، وان وجد هذا الميدان فى اكثر من جزء من وطننا العربى الكبير ، فقد اختفى الاستعمار وراء التجزئة العربية التى فرضها والتى خطط لها من قبل ، واصبح يقوم وراء العديد من الكيانات الوهمية الزائفة التى اقامها ، ليسهل عليه استخدامها فى تحقيق اهدافه واغراضه ، واختفى الاستعمار ايضا فى قصور الرجعية العربية ، ووراء النظم الاقطاعية المستبدة والراسمالية المستغلة . ومن هنا ، اصبحت المعركة حتى ولو كانت ى اساس التحرر الوطنى ، ملتحمة التحاما وجوديا وكليا مع الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والوحدوية من مفهوم التحرر الكامل وبات خوضها يتطلب العمل فى وقت واحد فى اكثر من ميدان من الميادين ، ولم يعد مجرد قيام الجبهة الوطنية الخالية من كل مضمون اجتماعى او وحدوى . يمثل السبيل السوى لخوض هذه المعركة التى تواجهنا الان فى شتى ارجاء الوطن العربى ».

«فلقد غير الاستعمار مكانه ومواقعه بعد ان عجز عن مواجهة الشعوب والتصدى لها بصورة مباشرة ، ولذا فقد غير مكانه ومواقعه على الارض العربية واصبح المكان الطبيعى الذى يختفى وراءه ، ممثلا فى قصور الرجعية والاقطاع ، وفى قلاع الراسمالية الكبيرة المستغلة وفى حصون الانفصالية الانتهازية التى تعمل على تكريس التجزئة فى الوطن العربى . ومن هنا ، كان لابد ان يرتبط مدلول الثورة ومضمونها . نظرا لطبيعة معاركها مع الاستعمار فى صورته الجديدة بالمفهوم الاجتماعى والوحدوى ، وان يعدل عن مرحلة الثورة السياسية ضد الاستعمار المباشر وهى المرحلة التى تتطلب قيام الجبهة الوطنية المجردة الى مرحلة الثورة الاجتماعية والوحدوية التى تتخذت بمفهوم التحرر التخطى الى مفاهيم اعمق ، تتمثل فى الوحدة العضوية لاهداف الثورة وهى الحرية والاشتراكية والوحدة ».

ولقد وعى الميثاق طبيعة هذه المرحلة الجديدة فأكد ضرورة قيام الحركات الشعبية الوطنية فى الاجزاء التى لم تتحرر بعد من الوطن العربى مع التاكيد على ضرورة مساندتها ، ضمن اطار المبادىء الاساسية للنضال القومى . ولكنه فى الوقت نفسه اكد ضرورة التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية على صعيد الوطن العربى لتتفاعل فكريا من اجل التجربة المشتركة فى التحرر وصنع التقدم والوحدة . كما اعرب عن ايمانه بحتمية وحدة القوى الشعبية التقدمية فى الوطن العربى ، فى المراحل القادمة من النضال ».

اجل مرت التجربة العربية الثورية منذ بدئها فى الثالث والعشرين من يوليو فى عام ١٩٥٢ ، بمراحل عدة فى طريق بلورة الاسلوب الثورى الذى تتطلبه طبيعة معركتنا العربية ، واختلافها عن المعارك الاخرى . وقد تجسد هذا الاسلوب النظرى فى ثلاثة اهداف متلاحمة ، لاانفصام بينها ، ولا يمكن التمييز بين مراحل تطبيقها ، وهى التحرر والاشتراكية والوحدة . وتقوم هذه النظرية على مقولات منطقية ، استمدت من حقيقة المبدأ القومى الوجودى والمصيرى ، وواقع الظرف العربى . ولعل اهم هذه المقولات ، ان القومية العربية كمبدأ لاكتطبيق ، قائمة رغم الحدود الزائفة المصطنعة التى تفصل بين اجزاء الوطن العربى ، والتى اقامها الاستعمار ، لتولد نزعات اقليمية وانفصالية على مر السنين ، تدعمها وقائع مادية مصطنعة لااصيلة ، وان وحدة الوطن العربى وحر متلازمتان تلازما واقعيا ملموسا وان تحرره من الاستعمار وعملائه ، يؤدى بصورة واقعية الى الوحدة . كما ان تحرره من الاستغلال الذى يفرضه هؤلاء العملاء يؤمن تحرر ارادة الفرد العربى التى تمثل الدعامة الاساسية فى بناء الوحدة ».

وهكذا اتضح سبيل الثورة العربية من هذه المقولات المنطقية ، فقيام الوحدة يتطلب العمل على التحرر من الاستعمار وعملائه ، كما يتطلب مساندة حركات التحرر فى كل جزء من الارض

العربية . وضمان الحرية الاجتماعية هو الاساس فى بقاء الحرية السياسية ووجودها ، لانها تعنى القضاء على الاستغلال ، وخلق الفرص المتكافئة وانهاء سيطرة الطبقة المستغلة ، وازالة الوجود الطبقى . ومن هنا كان لابد للاسلوب الثورى ان يرتكز على اساس من الاشتراكية العلمية الاصيلة ، التى تهدف الى بناء المجتمع الحر الذى يستطيع ان يؤدى دوره كاملا فى معركة الوحدة . وبالتالى فى بناء المجتمع الانسانى الصحيح

الحركة العربية الواحدة

وانطلاقا من هذه المفاهيم ، كان لابد من قيام وحده تمثل الفكر التقدمى ، والاشتراكى والوحدوى فى الوطن العربى ، لانها السبيل المذهبى السليم لتحويل المعركة التحررية الى واقعها الاشتراكى والوحدوى . فقيام هذه الوحده التى تجسدها حركة عربية واحدة . هو المنطلق الثورى الذى يقع على عاتقه ، استكمال الثورة العربية من اجل الحرية والاشتراكية والوحدة ، ويتركز عليه الامل . من اجل تحرير الاجزاء السلبية من وطننا العربى ، ويعبر عن ارادة جماهيرنا العربية فى كل مكان ، تعبيرا صادقا وامينا .

ولا شك فى ان هذه الوحدة التقدمية التى نعبر عنها بالحركة العربية الواحدة ، تعتبر اكثر من مجرد عمل تنظيمى ، اذانها المجال العملى الذى تتعلق به الجماهير العربية فى كل مكان للسير فى طريقها الثورى الصحيح ، بعد ان اثبتت التجارب المتلاحقة ، احتمال الردات والانحرافات والانتكاسات ، ولذا فأن عملية تحويل الحركة العربية الواحدة ، من مجرد شعار نظرى ، الى عمل تطبيقى لاتحتمل حتى وجود التجربة والخطأ والصواب ، لانها لاتقل فى خطورتها عن خطورة اللعب بالنار .

ويتطلب قيام الحركة وجود عقائدية كاملة ومتكاملة ، تجد الحل لكل مشكلة والرد على كل سؤال سابق ولاحق . لابالنسبة الى الوطن العربى كمجموع فحسب . بل وبالنسبة الى اجزاء هذا الوطن فى المراحل الانتقالية فى طريق الوحدة الانصهارية الكاملة . ولا بد ان تضمن هذه العقائدية . الدفاع عن تطلعات الجماهير عن طريق تحقيقها وتطويرها ودفعها الى الامام فى غد ثورى متلاحق .

وعلى الحركة ان تعتمد فى كادراتها الطليعية على الكيف قبل الكم ، وعلى النوعية قبل العدد اذ يجب ان تخلو من الطفيليات التى تعودت التسلق على الحركات الوطنية لاشباع انتهازيتها والانقضاض عليها ، وان تخلو ايضا من العناصر الرجعية المتسترة ، وراء الشعارات الوحدوية ومن العناصر البورجوازية التى تحمل زيفا واصطناعا ، شعارات التقدمية والاشتراكية .

وقد تحمل الحركة فى مراحلها الاولى ، الطابع السرى فى بعض الاجزاء التى تتحكم فيها القوى الرجعية أو الانفصالية بكل ما يعنيه هذا الطابع من ثورية عملية ، لكنها يجب ان تعتمد على الاجزاء المتحررة والتقدمية فى الوطن العربى وفى مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة ، بوصفها القاعدة الحصينة للثورة العربية . وعلى هذه الحركة واجبات ضخمة تتمثل فى قطع الطريق على الانتكاسات والمناورات ، وحماية الانتصارات والمكاسب الثورية على المستوى القومى من اجل تحقيق الاهداف العربية الواحدة .

وعلى الحركة ان تكون على اساس الانتماء لا الالتقاء ، أى ان تكون صورة التحول من جبهة القوى الثورية التقدمية القومية الى وحدة العمل الثورى التقدمى القومى ، وذلك عن طريق الانصهار الكامل للعواطف والاتجاهات الثورية فى بوتقة واحدة ينبثق منها عمل ثورى واحد ، يجسد الانطلاقات الثورية من نظرية وتطبيقية ، ومن هنا يجب على الحركة ان تقوم على اسس فكرية وتنظيمية ثابتة ومتينة ، نابعة من الدراسات النقدية والموضوعية للتجارب الثورية التى مربها الوطن العربى ، وعن النظريات الاشتراكية العلمية التى تحدد ظروف ثورتنا وآفاقها ، ومجالاتها والمهمات والواجبات المترتبة عليها على اساس استراتيجية ثورية ، وتكتيك ثورى .

ومن الضرورى ان تستمد الحركة وجودها من الجماهير ، وان تنبع منها ، لتتولى القيادة الطليعية لهذه الجماهير ، وتعبئة قواها لمراحل النضال القادمة فى الطريق الثورى الاشتراكى والوحدوى ، على ان تتولى القيادة العربية

المؤمنة والواعية ، والعاكسة لتطلعات الجماهير العربية [illegible]صدق انعكاس ، والتي اثبتت التجربة الثورية .وماحققته من انتصارات [illegible] صلابة عودها ، ومتين ايمانها باهداف الامة العربية ... الخطوات التنظيمية الاولى اللازمة لقيامها . وهنا لابد من القول ان هذه الحركة نظرا لضخامة مهماتها ، ونتيجة الازمات المعقدة التي يمر بها الفكر العربي الثوري في هذه الايام ، تتطلب الدرس العميق للمفاهيم الثورية ، والنقد الذاتي للتجارب الثورية العديدة في اجزاء الوطن العربي . وسيكون في الامكان عن طريق التفاعل الفكري ، بلورة النظرية الشاملة والمدروسة للوطن العربي كله .

فقيام الحركة العربية الواحدة ، ضرورة قومية ورسالة تاريخية ، اذ انها وحدها الاداه القادرة على [illegible]اية مكاسبنا الثورية ، وتحقيق انتصارات جديدة في طريق الحرية والاشتراكية والوحدة ولا ريب في ان قيام مثل هذا التنظيم العقائدي الثوري المرتكز على تفاعل الجماهير العربية مع بعضها البعض ، والمتطور حركيا نتيجة تأثره بالتجارب التي يخوضها الشعب العربي ، والمعارك والصراعات التي يلتحم فيها مع اعدائه في الداخل والخارج ، هو الضمان الفعلي لثورية الحركة ونجاحها على اساس الالتحام بين مفاهيمها التحررية والاشتراكية والوحدوية .

الطريق السريع

ولكن قيام الحركة العربية الواحدة ، بالرغم من هذه الضرورة القومية ، مازال يمثل امنية او هدفا على الاصح . ومازال تحقيق هذه الامنية يتطلب جهودا ضخمة من سائر القوى والعناصر الثورية في شتى ارجاء الوطن العربي الكبير وتخلصا سريعا وفوريا من الانانية الفردية او غير الفردية على صعيد بعض الاجزاء المتحررة من وطننا العربي الكبير ، ومبادرة قيادية حاسمة من القيادة العربية المؤمنة التي عكست تطلعات الجماهير العربية في كل مكان ، وانتصارا على الاشواك التي تزرعها مخلفات الرجعية والعملاء المستترون في هذه الاجزاء المتحررة ، ووعيا كاملا من الجماهير لضرورة هذه الحركة التي تجسد اطار العمل التقدمي على صعيد الوطن العربي . ويتطلب تأمين هذه المتطلبات بعض الوقت الذي

قد يطول أو يقصر ، تبعا لتطورات هذه العوامل الجذرية نفسها . وان كانت الحركة كما سلف وقلنا ، في حاجة الى ان تكون بعيدة عن الارتجال مخافة النكسة التي لم يعد الشعب العربي قادرا على تحمل نتائجها . لان هذه الحركة باتت تمثل تطلعه الاخير لتحقيق اهدافه القومية .

وعامل الزمن ، لم يعد في صالحنا على الاطلاق ولم يعد في وسعنا أن ننتظر لان القوى العدوة التي تواجهنا ، لاتريد الانتظار . ادراكا منها لاهميه هذا العامل . فنحن نواجه ، واعني بنحن ، كافة القوى العربية الثورية المتحررة في الوطن العربي التي تمثل القاهرة قلعتها الحصينة المنيعة ، وقاعدتها القوية العنيدة ، مؤامرة واسعة النطاق متعددة الجوانب والاطراف ، يحوكها الاستعمار ساندا اياها ، بكل مالديه من طاقات وقوى ومسخرا في تحقيقها القوى الرجعية والعميلة في الوطن العربي ، التي طالما اعتمد عليها ، في تنفيذ مخططاته واهدافه . ونحن نواجه بالاضافة الى هذه المؤامرات والمخططات التي تهدف الى استعادة السيطرة الاستعمارية الفعلية على الاجزاء المتحررة من الارض العربية . بعد ضرب الثورة العربية فيها ولا سيما في قاعدتها وبعد القضاء على تحولها في طريق بناء الاشتراكية والقوة الذاتية العربية ، قاعدة استعمارية قوية ، هي اسرائيل ، التي اقامها الاستعمار والصهيونية على ارضنا الطيبة في فلسطين ، لتكون منطلقة لتحقيق هذه الاهداف العدوانية . ونحن نعرف ان هذه القاعدة الاستعمارية ، هي في طريق الوصول فعلا الى السلاح الذرى . وفي ذلك مافيه من خطوره على الوطن العربي كله ، مما يفرض علينا خوض المعركة الوقائية معها ، دفاعا عن النفس والذات ، وعن الوجود والمصير .

ومن هنا تتبين الحاجة الماسة الى مبادرة سريعة ، لمواجهة هذه الاوضاع الجديده ومجابهتها بقوة وتصميم وايمان ، لدفع القوى الاستعمارية والرجعية والصهيونية الى الوراء ، واجبارها على التزام جانب الدفاع ، تمهيدا لتصفيتها في المنطقة العربية ، وذلك عن طريق تاليف جبهة قوية ومتماسكة للقوى التقدمية العربية ، المؤمنة بالاهداف القومية الواحدة ، واذا كانت القوى الاستعمارية والرجعية قد وحدت صفوفها في جبهة واحدة مع الصهيونية ، بالرغم من وجود التناقضات بين القوى الاستعمارية نفسها . فان من واجب القوى التقدمية في جميع اجزاء الوطن

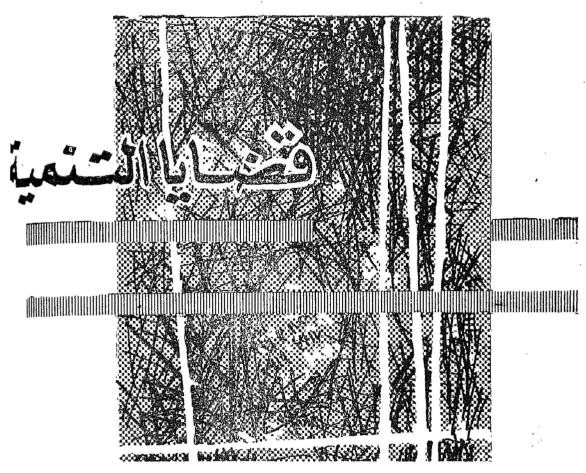
العربى ، ان تنسى تناقضاتها الاسلوبية والمنهجية وان تتغلب على خلافاتها الماضية ، وان ترتبط وتتحد فى جبهة واحدة ، وتقف صفا واحدا ، لمواجهة هذا المخطط الاستعمارى — الرجعى — الصهيونى ، والانتصار عليه ، تمهيدا لتصفيته وتصفية مايدعمه من قوى فى داخل الوطن العربى وخارجه

وتتم هذه المبادرات السريعة . على مرحلتين تتمثل أولاهما فى وحدة القوى التقدمية الثورية فى كل جزء من الاجزاء المتحررة من الوطن العربى على اساس الجبهة الوطنية التقدمية ، وفى وحدة القوى الوطنية الثورية فى الاجزاء غير المتحررة من الوطن العربى لاستكمال تحررها ، وتتمثل ثانيتهما فى وحدة عمل واسلوب مرحلية بين هذه الاجزاء المتحررة . تتولى دعم حركات التحرر فى الاجزاء الاخرى واسنادها ، كما تقوم بتمهيد الجو الثورى التقدمى للقاء الكامل ، كخطوة اولى فى طريق الانصهار والوحدة ، على اسس سليمة واصيلة من المبادىء الاشتراكية المتفتحة التى لاوجود فيها لاية عنصرية منغلقة على نفسها. وهناك نقطة لابد من الاصرار عليها ، وهى ان تتمثل وحدة القوى التقدمية الثورية فى الاجزاء المتحررة ، فى حكم جبهة وطنية تسمو على الاحقاد والحزازات السابقة، وان تضع هذه الوحدة فى منهاجها ، كهدف عاجل ، وجوب العمل المشترك على صعيد الوطن العربى ، لتحقيق الاهداف القومية للامة العربية المجسدة فى الحرية والاشتراكية والوحدة واستعادة الوطن السليب .

ويعتمد تحقيق الخطوة الثانية على تحقيق الخطوة الاولى ، وهى قيام الوحدات التقدمية الثورية فى الاجزاء المتحررة من الوطن العربى . وفى وسعها ان تتخذ اما شكل اللقاءات الثنائية التى تبلور الاهداف المشتركة بعد قيام مرحلة من التفاهم والتقارب والتفاعل . أو عن طريق اللقاء الجماعى بعقد مؤتمر عام للقوى والعناصر التقدمية المؤمنة بالاهداف القومية . وسواء اوقع الاختيار على الطريقة الاولى أو على الطريقة الثانية ، أو على اسلوب يجمع بينهما بحيث تكون اللقاءات الثنائية مرحلة الى اللقاء الجماعى ، فان النضال العملى اللاحق . ومايتميز به من اشتراك عضوى فى المعارك المتعددة مع العدد الواحد فى صوره المختلفة ، سيخلق التلاحم الكامل والتفاعل المستمر ، وهما شرطان اساسيان لقيام الانصهار العضوى والجذرى ، اذ ان التجارب الفعلية ستحسر النقاب عن مدى جدية هذه القوى واخلاصها فى العمل النضالى الثورى ، الذى لابد من ان يتفق على ميثاق للعمل الثورى العربى الواحد ولا بد هنا من القول بان هذا الميثاق يجب ان ينص على عدة مبادىء اساسية وأولية ، منها الوحدة فى السياسة العربية والدولية على اساس التقدمية كخطوة فى طريق الوحدة الشاملة ، والوحدة فى السياسات الاقتصادية والعسكرية ، لتحقيق حرية الوطن العربى ، ودعم حركات التحرر فى شتى ربوعه . والسير فى طريق التحول الاشتراكى باسلوب جاد وعملى ، يتفق مع الاسس العلمية ويراعى الظروف الوضعية والمحلية لاجزاء الوطن العربى . ولا شك فى ان التجربة العملية فى تطبيق هذا الميثاق . ستبقى على القوى الجادة فى سير الركب الثورى العربى . وتخرج القوى التى تصطنع التقدمية ، أو تزيف الشعارات من هذا الركب الذى لن يضير من خروجها على الاطلاق . بل يزداد قوة ومناعة وتلاحما .

واذا كانت مؤتمرات القمة التى اثبتت فشلها والتى لانجد داعيا للمزيد منها . وان كنا لانستطيع ان ننكر انها حققت مكسبا ثوريا واحدا ، وهو قيام منظمة تحرير فلسطين وجيش تحريرها ، قد انطلقت من منطق الدعوة الى العمل العربى الموحد . فان قيام الجبهة العربية التقدمية الثورية التى تمثل الدول المتحررة ، احق واولى ، بل واسهل على التطبيق ، لوجود الارض المشتركة بين هذه الدول ، وانعدامها فى مؤتمرات القمة . ولا ريب فى ان وجود هذه الارض المشتركة سيذلل العقبات التى تعترض الطريق ، ويمهد السبيل لظهور عمل عربى ثورى تقدمى موحد ، يهدف الى احباط المؤامرات الاستعمارية الراهنة ، وتحرير الاجزاء غير المتحررة من الوطن العربى ، وعدا السير فى طريق التحول الاشتراكى على اسس جادة ، والتقريب من الوحدة العربية التقدمية الشاملة ، بعد ان اصبحت حقيقة واقعة على مستوى الجماهير العربية ، واستعادة وطننا السليب فى فلسطين ، بعد القضاء على القاعدة الاستعمارية التى تمثلها اسرائيل

وهنا ، وقبل النهاية ، لابد من التاكيد على حقيقة واقعة ، وهى ان قيام هذه الجبهة ، يجب ان لايعتبر البديل عن الحركة العربية الواحدة التى افضنا فى الحديث عنها ، بل يجب ان يكون الممهد لها ، اذ ان التفاعل النظرى والتطبيقى الذى سيتيحه العمل المشترك عن طريق الجبهة ، هو خير سبيل لاستعجال قيام هذه الحركة ، بعد انتزاع كافة العقد والحزازات التى مازالت تحول دون قيامها ، وبعد توفير السبل العملية لبنائها على اسس سليمة وغير مرتجلة ، لتمثل المنطلق المذهبى ، للامة العربية فى طريق بناء الاشتراكية فى الوطن العربى ودعم السلام العالمى ، وقضايا التحرر فى كل جزء من اجزاء العالم .



انتهزت ((الطليعة)) فرصة زيارة الاستاذ شارل بتلهايم للجمهورية العربية المتحدة ، فدعته الى ندوة لمناقشة بعض قضايا التخطيط والتنمية فى بلادنا ، بعد ان أصبحت عمليات التنمية تمثل جوهر العمل السياسى الثورى للجماهير فى جميع المجالات السياسية والانتاجية والديمقراطية وارتبطت بمصالح قوى الشعب العاملة ، فاستحوذت على اهتمامهم واستثارت حماس قطاع كبير من العاملين ، سواء من ناحية الاسهام فى التخطيط لها أو انجاز اهدافها . ويدور اليوم حوار على نطاق واسع يتناول تقييم الخطة الخمسية الاولى والاعداد للخطة السبعية الحالية والتى ستطرح على جميع المستويات لمناقشتها واقرارها .

وقد وافق السيد على صبرى الامين العام للاتحاد الاشتراكى العربى على عقد الندوة بمقر الامانة العامة .

واشترك فى الندوة .

- السيد على السيد
- محمد عبد الفتاح ابو الفضل
- الدكتور ابراهيم سعد الدين

أعضاء الامانة العامة

- الدكتور سيد جاب الله — وكيل وزارة التخطيط
- عبد المنعم النجار — سفير الجمهورية العربية فى فرنسا
- الدكتور محمد زكى شافعى — عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية

- لطفى الخولى
- الدكتور عبد الرازق حسن
- الدكتور فؤاد مرسى
- الدكتور اسماعيل صبرى
- محمد سيد احمد

من محررى الطليعة

والتخطيط فى مصر

ندوة « الطليعة » مع الاستاذ شارل بتلهايم
فى الاتحاد الاشتراكى العربى

على السيد على : يسعدنى ويشرفنى باسم الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى ان ارحب بالبروفيسير شارل بتلهايم فهو من اكبر خبراء التخطيط فى عالمنا ، واستاذ الاقتصاد والتخطيط فى السوربون ، ومستشار التخطيط فى الهند وكوبا وغينيا ومالى ، درس تجارب التخطيط فى الاتحاد السوفيتى وفى الصين ومصر ، ويسعدنى انه يتابع تجربتنا فى مصر ويعتبر من اصدقاء الجمهورية العربية المتحدة ومن اصدقاء الثورة المصرية .

وانى اعتذر من عدم حضور السيد / الامين العام لارتباطه باجتماع مفاجىء ، وفى الواقع ان الاتحاد الاشتراكى يحاول ان يستفيد من خبرة البروفيسير شارل بتلهايم فى تجربتنا فى الجمهورية العربية المتحدة ، وارتباط التنظيم السياسى بالتخطيط وعلاقته بالعمال من حيث ارتباطهم به وكيفية مشاركتهم فى تحقيق اهداف الخطة واحساسهم بالفوائد التى تعود عليهم من عملية التخطيط . فيسعدنى ان اقدم البروفيسير شارل بتلهايم .

شارل بتلهايم : اشكر السيد على السيد والامانة العامة للاتحاد الاشتراكى على ترحيبها بى واعبر عن شعورى بالسعادة لوجودى فى مصر بين اصدقاء اعرف الكثيرين منهم ، اذ ان اول مرة حضرت لمصر ترجع الى سنة ١٩٥٤ وقد زرت هذه البلاد اكثر من مرة فى هذه الفترة ، وانى اهتم دائما بمتابعة جهودكم ومشاكلكم واتاثر دائما بالجو الودى والترحيب الذى اجده من الاصدقاء المصريين والصراحة فى مناقشة المشاكل المطروحة امامنا .

على السيد على : يسعدنى ان اقدم الاخ الزميل لطفى الخولى للابتداء فى الندوة وتحديد المواضيع .

لطفى الخولى : يسعدنا ان الاتحاد الاشتراكى وقيادته فى الامانة العامة تحتضن الندوة التى تنظمها « الطليعة » مع البروفيسير شارل بتلهايم ، ولا شك — كما قرر السيد / على السيد — ان هذا الاحتضان يدل على اهتمام الاتحاد

الاشتراكى كتنظيم شعبى وسياسى بعملية التخطيط ، باعتبارها عملا اقتصاديا ونضالا ضد التخلف ومن اجل التنمية اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا . والحقيقة ان لهذه الندوة ٣ مدلولات :

اولا : اهتمام التنظيم السياسى بخطة التنمية وربط العمل السياسى بعمل التنمية باعتبار انه عمل قومى يهم جماهير الشعب العاملة ، وتوفير المناخ السياسى اللازم لعملية الخطة ، باعتبار ان الخطة ليست عملا تكنيكيا فنيا فحسب ، وانما هى عمل سياسى فى المقام الاول .

ثانيا : تقدير اهمية الاستفادة من وجود الاستاذ شارل بتلهايم وهو مانعرف من استاذيته الكبيرة فى ميدان التخطيط علميا ونظريا وخبراته المتعددة فى هذا المجال .

ثالثا : ان احتضان الاتحاد الاشتراكى لهذه الندوة على هذا المستوى يدل على مدى التقدير الذى يكنه شعبنا وقيادتنا للاستاذ شارل بتلهايم كصديق عزيز لبلادنا وثورتها.

وطبقا لما تم الاتفاق عليه بين السيد على صبرى الامين العام للاتحاد الاشتراكى والبروفيسير شارل بتلهايم تتناول هذه الندوة المواضيع الاتية :

الموضوع الاول : **قضايا ومشاكل التنمية والتخطيط فى مصر** وذلك على ضوء ماتم تنفيذه فى الخطة الاولى الخمسية وبداية تنفيذ الخطة الخمسية الثانية ، مع التركيز اساسا على قضايا التصنيع الثقيل والخفيف والموازنة بينهما باعتبار ان الخطة الخمسية الاولى قد بدأت بالصناعات الخفيفة والخطة الخمسية الثانية مركزة على الصناعات الثقيلة .

الموضوع الثانى : التكنيك والتنظيم فى ادارة القطاع العام الذى يسيطر الان على اكثر من ٨٥٪ من وسائل الانتاج باستثناء الارض ، باعتبار انه الاداة الرئيسية المادية للتنمية وما يتصل بادخال التكنيك الحديث من قضايا خاصة بالعمالة وغيرها من المشاكل.

الموضوع الثالث : مشاكل تحقيق النمو السريع للتراكم القومى ، وما يتصل بذلك من تنمية الانتاج وعلاقة معدلات الاستهلاك بالنسبة لمعدلات الانتاج،وكيفية معالجة عادات الاستهلاك الموروثة عن المجتمع القديم ، وما يتصل بذلك من عوامل اخرى خاصة بتحديد النسل الى آخره من القضايا التى تواجهنا الان .

الموضوع الرابع : دور التنظيم السياسى وكوادره بالنسبة لخطة التنمية سواء من ناحية المشاركة فى وضعها مع الفنيين ام من ناحية التنفيذ والمتابعة وتقدير المبادرات الشعبية فى هذا المجال .

وهناك اسلوبان مقترحان للمناقشة ، لحضراتكم اختيار احدهما :

الاسلوب الاول : هو ان يقوم الجانب المصرى فى الندوة بعرض عام للمشاكل الخاصة بكل موضوع ، ثم بعد ذلك يقدم البروفيسير شارل بتلهايم ملاحظاته ونقده وعرضه لهذه المشاكل ، بناء على ماسمعه ثم بناء على متابعته ودراساته لخطة التنمية فى مصر ، ثم بعد ذلك نبدأ المناقشة بناء على هذا العرض المتبادل .

الاسلوب الثانى : هو ان يقوم البروفيسير شارل بتلهايم ابتداء بعرض ملاحظاته ونقده على ضوء متابعته لخطة التنمية فى هذه الزيارة وفى الزيارات السابقة ، ثم بعد ذلك تبدأ المناقشة .

البروفيسير بتلهايم : بالنسبة لاى الطريقتين او اى الاسلوبين يناسبنى ،اترك الامر لمجموع الحاضرين، واستجابة لرأى المجموعة يشرفنى ان ابدأ الحديث، وسوف استهل هذا الحديث ببعض الملاحظات العامة المستمدة من خبرتى بصفة عامة ، ومن الطبيعى انكم ادرى بمشاكلكم اكثر من درايتى انا بها ، وهناك نقطة هامة جدا فى هذا الموضوع سبق الاشارة اليها الان ولكنى اود ان اعود واشرحها واؤكدها مرة اخرى ، وهذه النقطة هى ان التخطيط ليس نشاطا تكنيكيا خالصا فى المقام الاول، ولكنه فى نفس الوقت نشاطا اجتماعيا وسياسيا ، والتخطيط الاشتراكى على الاقل يفترض اجراء تغيير جذرى فى العلاقات الاجتماعية وفى الهيكل الاقتصادى للبلد ،ومثل هذه العملية لايمكن ان تتم باجراءات ادارية، وانما هى تفترض المساهمة الايجابية من جانب كل المواطنين ، وهكذا يكون التخطيط نشاطا مركبا يستدعى تدخل عديد من الهيئات المتفاوتة الطبيعة ، من هيئات تكنيكية خالصة الى بناء التنظيم السياسى .

واقسم كلامى الى قسمين :

القسم الاول : **ملاحظات عن بعض الجوانب الاقتصادية فى التخطيط** ، وهى ملاحظات اساسية تمهد للانتقال الى القسم الثانى من الكلام الذى اعتبره الجزء الاهم، وهو الجانب الذى يتعلق بالمشاكل التنظيمية، ودور التنظيم

السياسى فى عملية التخطيط ، والمستوى السياسى والاجتماعى فى عملية التخطيط، ومن ثم سأعرض لبعض الجوانب الاقتصادية العامة التى تتعلق بصفة عامة بعملية التخطيط، ويمكن البدء من هذه الحقيقة ، وهى انه فى **جميع البلاد التى تريد التعجيل بتنميتها الاقتصادية توجد أولوية او اسبقية لزيادة السرعة الخاصة بالتراكم القومى ، (١)** وذلك من أجل تعبئة الفائض الاقتصادى (٢) الفعلى ، بل وتعبئة الفائض الاقتصادى المحتمل من اجل وضعه فى خدمة التنمية . ان هذه التعبئة للفائض الاقتصادى الفعلى او المحتمل تتطلب عددا من الاجراءات ، بعضها قد اتخذ بالفعل فى مصر مثل اقصاء راس المال الاجنبى وتأميم عدد من القطاعات الاقتصادية كان يتكون بداخلها جزء من هذا الفائض ، فان من المهم ان تتحقق للمجتمع السيطرة المباشرة على اغلب الفائض المتاح، ومن الواضح ان هذا العمل له حدوده ، وهى حدود سياسية واقتصادية ، فاذا ماأردنا ان نبحث حدوده الاقتصادية ، **فيجب القول بأنه توجد قطاعات لايكون فعالا اومفيدا تأميمها، ومن المهم عندئذ ان تتخذ ازاءها سياسة تخطيط فى عدة ميادين ، ميدان الائتمان وميدان الضرائب وميدان الدخول ، لنضمن لهذه القطاعات اقصى مايمكن من الفاعلية ، بحيث تساهم فى التراكم القومى لاغراض التنمية .**

ان هذه الاجراءات تعتبر اجراءات اولية ، يجب البدء بها ابتداء من اللحظة التى توضع اسسها ، فان المشاكل الحقيقية للتنمية والتخطيط تبدأ من هذا الوقت ، ان تجربة عدد كبير من البلاد التى قامت بالتأميم وتوسيع قطاعها العام ، تدل على ان **ادارة فعالة لهذا القطاع العام تتطلب مجهودات مثابرة وتبسيطا للاجراءات الادارية ، ونضالا ضد الاسراف وضد اتجاهات نمو الجهاز الادارى على حساب التنمية ، وتلك ملحوظة عامة تصدق بالنسبة لاغلب البلاد التى مرت بهذه التجربة، وبهذا الشرط فقط ، فان الفائض الاقتصادى الذى يتكون داخل القطاع العام يمكن عندئذ ان يتكاثر وان ينمو ويدخل فى خدمة الامة ككل ،** وهذا يعنى ان التنمية الاقتصادية بعد ان توضع اسسها تصبح ليس فقط مسألة تخطيط ، وانما مسألة يقظة دائبة ازاء كافة النفقات غير المجدية ، من اجل تحقيق كفاءة اقتصادية عالية ، وهذا جانب هام جدا عند طرح مشكلة تحقيق وفورات فى التجارة الخارجية . فكل بلد يبدأ فى التنمية يواجه بالضرورة مشكلات هامة فى التجارة الخارجية ، ومن السهل جدا ان تتحول التجارة الخارجية الى اهم عنق زجاجة فى عملية التنمية ، وهذا يقتضى ايضا من جانب آخر اعمال نظام دقيق للاولويات يراعى عند اختيار الاستثمارات ، وان يكون نظام تحديد الاولويات هذا ، يشكل جزءا لايتجزأ من خطة تنمية شاملة ، وسأتحدث فى هذه النقطة بالذات . والسيد/ لطفى الخولى تكلم عن المشكلات التى يثيرها اعداد الخطة الثانية، وبالذات دور الصناعات الثقيلة وما يتصل بها من مشكلة اختيار الاساليب التكنيكية الاكثر مناسبة ، وهاتان المشكلتان حاسمتان يجب حلهما فى اطار تخطيط شامل .

والقضية الاولى التى تطرح فى هذا الشأن هى قضية **ضرورة تحقيق تنمية متكاملة ، اى خلق مجموعة من المشروعات الانتاجية المترابطة فيما بينها الى ابعد حد ، والتى تملك قاعدة لنموها التكنيكى المقبل يزيد اتساعها بالتدريج .** واهمية هذه القاعدة للنمو التكنيكى المقبل هى التى تضفى اهمية على انشاء الصناعات الثقيلة والصناعات الهندسية والصناعات الكيماوية التى توفر العناصر اللازمة للنمو التكنيكى المقبل، مثلا الصناعات الكيماوية فيما يتعلق بتوريد الاسمدة للتوسع الزراعى، فكلما نمت هذه القاعدة كلما قل اعتماد الاقتصاد القومى على الاستيراد من الخارج فى عملية النمو المقبل ، ويترتب على هذا نقطة هامة جدا **وهى ان الحكم على كفاءة استثمار معين فى مشروع معين لايمكن أن تتم فى اطار هذا المشروع وحده بأن يكون ذا كفاية انتاجية فى ذاته ، وانما يجب ان ينظر اليه فى اطار الخطة كلها ، اى ان تقاس كفاءة المشروع بمقدار خدمته لاغراض تحقيق الخطة كاملة ،** ومن ناحية تكنيك التخطيط ، هذا الاعتبار يفرض ضرورة استخدام مايسمى بالموازين المادية ، وجداول العلاقات بين القطاعات المختلفة ، وهذا يسمح بالحكم بالذات على مدى كفاءة المشروعات من زاوية التجارة الخارجية عن طريق بحث سلسلة ردود الافعال التى تترتب على تنفيذ مشروع منها، ويترتب على ذلك ايضا فيما يتعلق بمشكلة الاختيار بين الاساليب التكنيكية المختلفة فى تنفيذ مشروع معين، اننا لايمكن ان نعتمد على معايير منفصلة خاصة بهذا المشروع، فتجربة كل الدول التى تمر بظروف مماثلة لكم تثبت

---

(١) التراكم هو تجميع الموارد سنة بعد آخرى بقصد استخدامها فى توسيع الانتاج
(٢) الفائض الاقتصادى هومقدار الفائض من الدخل القومى عن الاستهلاك الفعلى للافراد وللدولة .

ان هذا الاعتماد على معايير خاصة بكل مشروع على حدة غير مناسبة ، **والحكم على الكفاءة الانتاجية لمجموعةمعينة من المشروعات، يجب ان يكون الاساس فيه هوتقدير اجتماعى لتأثير هذه المجموعة على حجم العمالة وعلى حجم الفائض المتاح للاستثمار المقبل .**
فمثلا اذا كنا بصدد مشروع تكنيكي يقتضى استثمارات ضخمة ، ولا يخلق عمالة ضخمة فى الحال ، فهذا لايكفى لرفضه لانه يجب ان ننظر اليه من حيث الاثار التى لابد ان تترتب عليه فى حركة التصنيع المقبلة ، ويمكن عندئذ ان نقدر انه مستقبلا بمجموعة الاثار التى سيولدها سيصبح مصدرا للعمالة المتزايدة، ولزيادة الدخل أيضا ، ولهذا فالحكم دائما على المشروع ، يجب ان يكون على آثاره بالنسبة لمجموع الاقتصاد القومى ، وهذايعنى فى مجال تكنيك التخطيط اهمية استخدام ادوات التحليل التى تدرس الانشطة الاقتصادية المختلفة وتبين العلاقات المتداخلة فيما بينها مع الاهتمام بتحسين ادوات التحليل هذه باستمرار ، واهمها الموازين المادية وجداول العلاقات بين القطاعات .

ولكن ادوات التحليل لاتقتصر فقط على جداول العلاقة بين القطاعات ، وانما تشمل أيضا المحاسبة القومية بكل الكميات الاجمالية التى تتضمنها هذه المحاسبة وباقسام هذه الكميات الاجمالية، فباستخدام هذه الادوات فى التحليل يمكن اختبار الاتساق الداخلى للمشروعات المختلفة وعلاقة بعضها ببعض ، وهذا التحليل بادواته المختلفة يجب ان يشمل تحليل الكفاءة الانتاجية ، ثم تحليل اتساق المشروعات مع بعضها البعض ، والتحليل من ناحية الحجم الامثل للانتاج وللمشروع ،وكل هذه الشبكة من التحليلات يجب ان تمارس لافيما يتعلق بالاستثمار وحده — وانما بالخطط التنفيذية للانتاج .

وللان كان يطغى على الحديث الاعتبارات الاقتصادية والتكنيكية ، وقد آن الاوان لان نهتم بعرض الجانب الثانى من موضوع التخطيط .

وانه لمن الخطير ان نفهم ان عملية اعداد الخطة تتم فى انعزال داخل المكاتب وبعيدا عن الحقائق العملية للحياة ، فاننا هنا نلمس الجانب الخطير الخاص بالنشاط الاجتماعى للخطة او للتخطيط ، والامر لكم فى ان تقرروا ما اذا كنا نعالج بعض النقاط مما عرض سلفا او ان نستمر فى العرض . **واعتقد ان هذا الجانب الاجتماعى والسياسى للتخطيط هو الجانب الحاسم** ، وقد يبدو من قبيل المغالطة القول بأن اهمية الجانب السياسى والاجتماعى — باعتباره عاملا حاسما — ترجع قبل كل شىء الى سبب تكنيكي،ولكن التخطيط والمشروعات التى تعد فى المكاتب بعيدا عن حقائق الانتاج تغامر بأن تكون تخطيطا ومشروعات غير عملية. ونفس الشىء يمكن ان يقال عما يمكن ان يعد اجمل عمل تكنيكي او اجمل حساب اقتصادى ، ان اجمل عمل تكنيكي استخدمت فيه الاساليب الرياضية العالية اذا كان مطبقا على مشروعات لم تمر بيوتقة النقد من اولئك الذين سينفذونها ، يمكن ان يظل حبرا على ورق . والامثلة عديدة على برامج استثمار لاقت صعوبات فى التنفيذ ، لانها عند اعدادها مثلا لم تأخذ فى اعتبارها بعض الاستثمارات الثانوية المتصلة بالاستثمار الرئيسى ، مثل مشاكل تسكين العمال الذين سيشتغلون فى هذا المصنع ، او مشاكل توصيل المياه او الكهرباء له .... الخ والى جانب هذا السبب التكنيكي الذى يجعل الجانب السياسى والاجتماعى هو الحاسم فى عملية التخطيط والذى يكفى وحده لاعتباره كذلك ، هناك اسباب اجتماعية وسياسية مباشرة لتأكيد اهميته .ان خطة التنمية فى الاقتصاد القومى تقتضى تعبئة واسعة وبذل اكبر جهد قومى ، ولا يمكن ان تنفذ الا اذا كان اولئك الذين سينفذونها واعين تماما باهدافها ومتقبلين لها ، وهذا الوعى بمضمون الخطة وباهدافها وباهمية هذا المضمون وتلك الاهداف لايمكن ان تتوافر الا عن طريق المشاركة المباشرة من جانب اولئك الذين يعنيهم تنفيذ الخطة والذين يمسهم تنفيذ الخطة ، فى عملية اعداد الخطة ومناقشتها .وهنا يكون على التنظيم السياسى والتنظيمات النقابية ان تلعب دورا فى المحل الاول من الاهمية، وهذا الدور يطرح فى كافة المستويات ابتداء من المستوى القومى للنشاط داخل التنظيم السياسى والنقابى الى مستوى النشاط داخل كل وحدة من وحدات الانتاج. وتلك هى الوسيلة الوحيدة لمشاركة الجماهير فى تحقيق الاهداف المرسومة فى الخطة، ولتوفير الفهم الكامل لدى الجماهير للمشاكل التى يتعين حلها ، ولاتاحة الفرصة للمبادرة الجماهيرية لمواجهة هذه المشاكل، وهذا يعنى ان التخطيط الاشتراكى لايمكن ان يتطور الا فى اطار مناقشات عامة وواسعة تشمل فى نفس الوقت التخطيط لاجل طويل ، وكذلك الخطط القصيرة الاجل . فتلك ضرورة اجتماعية وسياسية وتكنيكية فى نفس الوقت، وهى فى النهاية الوسيلة الوحيدة لتوفير اعظم استخدام للفائض الاقتصادى .وفى هذا العمل السياسى والاجتماعى الحاسم ، تلعب الصحافة والاذاعة دورا هاما ولكنه غير كاف، **فليس يكفى ان ننقل الى الجماهير مضمون الخطة واهدافها وان نشرحها لهم ، وانما**

المشكلة هى ان نحصل من الجماهير نفسها على آرائها وافكارها ومبادرتها. وهناتصبح المشكلة — كما يقال احيانا — تنظيم حوار حقيقى مع الجماهير . وهذا الحوار — لكى يكون جديا ومفيدا — يجب ان يتم بشكل اجتماعات محلية يحضرها عدد محدود بحيث يحس كل مشترك فى الاجتماع بأن لديه الفرصة الكاملة لتقديم مالديه من اقتراحات ومن افكار ومن انتقادات ، وان يكون جو الاجتماع ملائما لابداء مثل هذه الاراء . ففى اقتصاد اشتراكى لاتهبط الخطة جاهزة من فوق ، ولكنها يجب ان تكون ثمرة اعداد جماعى ، وقد يكون من المجدى فى هذا المجال ان ابدى بعض الملاحظات حول التخطيط المزعوم فى فرنسا او مايسمى « التخطيط التأشيرى » .

فالخبراء التكنيكيون للتخطيط فى فرنسا فخورون جدا — ككل الخبراء فى العادة بمعرفتهم التكنيكية . وانا لا اعنى بهذا ان عملهم من الناحية التكنيكية مشوب بعيوب اساسية ، ولكن العيب هو ان هذا التخطيط يتم فى اطار رأسمالية احتكارية ، وهذا يعنى اننا لسنا بصدد تخطيط بالمعنى الحقيقى ، وانما بصدد اعداد برامج للاستثمار ، اوبعبارة ادق ان المشكلة هى اعداد « توليف » معين بين استثمارات متنوعة ، واجراء توقعات لامد متوسط او طويل . وبالطبع فى مثل هذا العمل ، لا اهمية مطلقا لمشاركة الجماهير ، بل يكون من غير المرغوب فيه ان تشترك . فأصحاب المصلحة الحقيقية هم الاحتكاريون ، وهؤلاء تتم استشارتهم فى التخطيط فى فرنسا ، وهم يستشارون رسميا عن طريق هيئاتهم بهذه الصفة ، وهم ممثلون باشخاصهم او بمندوبيهم فى اللجان المختلفة المتفرعة عن ادارة التخطيط . وهناك عدة آلاف من ممثلى الشركات الكبرى يعملون فى هذه اللجان التى تشتغل فى التخطيط ، وهم ممثلون بالطبع لمن يملكون وسائل الانتاج ، والخطة التى تنشر فى نهاية الامر على الجمهور هى حصيلة هذه المناقشات العديدة التى تظل سرا .

والتخطيط الاشتراكى ايضا يقتضى ان يستشار من يملكون وسائل الانتاج ، وهم هنا الجماهير الشعبية . وهذه الاستشارة اكثر فاعلية بكثير من مشاركة الاحتكاريين . ودور التنظيم السياسى والتنظيمات النقابية وعملها بين الجماهير والجهود التى تبذلها فى تتبع اقتراحات ومبادرات وانتقادات الجماهير لايقتصر على مرحلة اعداد الخطة ، بل انه يستمر طول مرحلة اعمال الخطة ، وبهذا الشكل تتوافر الرقابة الفعالة على تنفيذ الخطة . فلا يمكن بأى حال من الاحوال ان تنظم رقابة فعالة على تنفيذ الخطة بالاعتماد فقط على التقارير الصادرة من مديرى المشروعات المنفذة للخطة ، فأيا كان اخلاص مدير المشروع فانه محمول بطبيعته على ان يقدم الامور من الزاوية التى تكون مواتية لنشاطه ولدوره فى الانتاج .

وقد اتيحت لى الفرصة ان اناقش هذا الموضوع فى كوبا قبل اقامة المنظمات الشعبية الحالية فيها . ففى كوبا فى هذه الفترة بالرغم من جو الحماس الثورى الضخم السائد وبالرغم من التفانى الثورى لكل مديرى المشروعات المؤممة — وكلهم كانوا من المناضلين الذين اشتركوا فى القيام بالثورة — كل هذا لم يمنع من وجود اتجاه الى تقديم صورة زاهية عن الانجازات تخالف الحقيقة . وعملية التزويق للحقائق يكون لديها دائما اتجاه للتزايد كلما ارتفع التقرير الادارى من المستوى الادنى الى المؤسسة ثم الى الوزارة وينتهى بهذا الشكل الى ما اسماه البعض «السراب البيروقراطى» .

وفى كوبا استفادوا من فترة السنتين الماضيتين . وهم الان يخضعون كل خطط الانتاج لمناقشة عامة تتم فى اطار الجمعية العمومية للعاملين فى كل مركز من مراكز الانتاج ، وبهذه الطريقة وحدها يكون من الممكن ان نأخذ فكرة دقيقة عن الانجازات وان نلم ايضا بالعيوب وبالنواقص وبالاخطاء ونعرف نواحى الضغط ونواحى الضعف والمصاعب والاخطاء . وليست المعرفة ضرورة نفسية ، ولكنها ضرورة تكنيكية واقتصادية لتحسين اساليب التخطيط . وهى ايضا فى رأيى ضرورة اجتماعية وسياسية ، **فثقة الجماهير فى مستقبل التنمية تتزايد بقدر ماتتم مناقشتها بصراحة فى كل حالة من حالات الفشل مع شرح اسباب الفشل ، لانه اذا لم يتم ذلك فان الجماهير ستواجه احد امرين:**

اما ان تحس بالفشل وتعزوه لاسباب غير حقيقية او اسباب مجهولة فتفقد الثقة ، وأما ان تقع ضحية للاشاعات التى تبالغ فى مقدار الفشل وابعاده .

وفى ختام هذا الحديث — وانى آسف لانه طال عما كنت اريد — اقول ان تقدم التخطيط امر لامفر منه لتحقيق التقدم الاقتصادى بسرعة متزايدة ، ولكن تقدم التخطيط بدوره يقتضى تقدما مستمرا فى السير نحو الاشتراكية ، ليس فقط من الناحية الشكلية اى تحقيق ملكية اجتماعية بقوة القانون ، وانما من الناحية الفعلية اى من ناحية حقيقية

الطابع الاجتماعي لهذه الملكية عن طريق اخضاعها لرقابة الجماهير ».

د. زكي شافعي : انه لشرف ان يشترك المرء في مناقشة تسهم فيها يا بروفيسير بتلهايم . لقد كنا نتطلع لرؤيتك والالتقاء بك ومعرفة انطباعاتك عن كثيرمن المصاعب التي نجدها في تنمية اقتصادنا، وانني لاود اناعرف رأيك في اربع من الصعوبات الكبرى التي تواجهها التنمية الاقتصادية في بلادنا . الصعوبة الاولى تتعلق براس المال البشري ، بالموارد البشرية، فالعنصرالبشري لم يكنءوائما تماما سواء فيمستوىالتخطيط القومي امفي مستوى ادارة المشروعات ، ولقد كانت تلك الصعوبة احد مراكز الاختناق عندنا . وانني لاعلم انه لابد من مرور الزمن حتى نكتسب الخبرة والمعرفة والمهارة في التخطيط وفي انشاء وادارة المشروعات الجديدة ، ولكن الصعوبة قائمة حاليا ».

والصعوبة الثانية تتعلق بالانتقال من تخطيط الاستثمارات الى التخطيط الشامل. وما قمنا به حتى الان كان تخطيطا للاستثمارات ، والسؤال الان كيف ننتقل الى التخطيط الشامل عقب تحديد اهداف للانتاج فيمختلف وحدات الانتاجاو على الاقل في مختلف قطاعات الانتاج ».

والصعوبة الثالثة تتعلق بالكمية المتاحة من النقد الاجنبي ، فكما اوضحت بشكلرائع مازالت ظروف التجارة الخارجية تشكل قيدا مركز اختناق في طريق التنمية الاقتصادية ، ونحن نحس بذلك لاسباب ثلاثة : فالنقد الاجنبي المتاح ، اولا ، لايكفي لمواجهة برامج الاستثمار ، وهناك ثانيا ، استيراد الاغذية، وهناك ثالثا ، ما اشرت اليه عند الحديث عن الصناعة الثقيلة ، فمعظم مشروعات الخطة الاولى تعتمد على سلع وسيطة مستوردة ، وما يحدثالان هو ان ذلكالوضع يقلل لا من معدل الاستثمار فحسب بلمن معدل الانتاج ذاته .ويمكن في هذا الصدد ان تعتبر الاغذية من السلع الوسيطة ، ويضاف الى ذلكعبء تسديد الديون خلال السنوات الثلاث القادمة.

والصعوبة الرابعة هي كيف نحافظ على حجم الطلب الاجمالي في حدود العرض المتاح باسعار مستقرة وتعذر المحافظة علىالتوازن الداخلي تظهر في ثلاثة امور هي : ارتفاع الاسعار ، ونقص المعروض من السلع ، والضغط المستمر على ميزان المدفوعات .

تلك هي فيرايي الصعوبات الاربع الكبرى التي يهمنا ان نعرف رأيك بشأنها ».

البروفيسير بتلهايم : المشكلة الاولى هي **مشكلة الكادر المؤهللادارة الاقتصاد،** وهذه المشكلة يجب ان تدخل في اطار التخطيط نفسه ولهذه المشكلة حلان يجب بصفة عامة الربط بينهما، الحل الاول حل قصير الاجل ومباشر ، والحل الثاني حل طويل الاجل .

الحل القصير الاجل ينحصر في ان نمنح ثقتنا للرجال المخلصينللمثل الاعلى للثورة . وقد رايت بنفسي ، وبصفة خاصة في كوبا ، وحدات انتاج زراعي او انتاج صناعي اشتغلتجيدا بعد ان غادر البلاد كلالخبراء الامريكيين الذين كان يقال بأنه لاغنى عنهم لسيرهذه المشروعات .وبعض هذهالمشروعات كان معقدا من الناحية التكنيكية ، وخاصة على سبيلالمثال فيكوبا مصنع لتكرير الكروم الخام وهو اول مصنع من نوعه في العالم انشأه الامريكان ، وبعد ان غادر البلاد كل الخبراء الامريكان تولى العمال ورؤساؤهم والكادر الفني المتوسط للمصنع وهم من الكوبيين ، ادارة المشروع بطريقة مرضية تماما ».

والحل الثاني الطويل الاجل ، **هو التكوين على نطاق واسع لعدد كبير من الفنيين ، متوسطين وفنيين ذوىالخبرة العالية .وعلى سبيل المثال اذكر ضرورة وجود تعليم فني في داخل المصانع نفسها ، اى ان نطلب من المهندسين والفنيين المتوسطين في المصانع الا يقتصر نشاطهم على الناحية الانتاجية فحسب ، وانما يقومون بنشاط تعليمي الى جانب هذا النشاط في داخل المصنع .** وكذلك انشاء مراكز تاهيل مهني سريعة . وفي كوبا لجأوا الى هذا الحل عندما ارادوا زراعة قصب السكر في كوبا بالطريقة الالية، والزراعة الالية لقصب السكر كانت حديثة تماما وجديدة في كوبا ، حيث كانت هناك قبل الثورة بطالة على نطاق واسع ، وكان في موسم كسر القصبيجدون عمالاكما يريدون فلم يكن هناك اى داع لاستخدام الالات . اما بعد الثورة فان الاصلاح الزراعي حول العمال الزراعيين الى اعضاء في الجمعيات التعاونية الزراعية والى ملاك ، ومن ناحية اخرى امتصت حركة التصنيع فائض الايدي العاملة ، وهذا هو السبب او احد الاسباب التي ترتب عليها انخفاض محصول السكرفي كسوبا لمدة سنتين متتاليتين ، وكان الحل الوحيد هو تطبيق الزراعة الالية لانه لا توجد ايد عاملة كافية ، وقد كانت هذه تجربة جديدة في كوبا فلجأوا في حلها الى تكوين مراكز تأهيل مهني سريع جيسدا في مناطق الزراعة



نفسها لتكوين الخبرة الفنية الكافية لعملية الزراعة الآلية .

وفي المدى الطويل لابد ان يتم تخطيط التعليم في اطار الخطة الشاملة كلها ، بحيث انه في كل مرة نجرى استثمارات لانشاء مصنع جديد يكون عندنا في نفس الخطة الاجراءات اللازمة لكي يجد هذا المصنع عند بدء تشغيله المهندسين ورؤساء العمال والعمال الفنيين اللازمين له.

علي السيد علي : بالنسبة لعملية التدريب فقد مررنا بتجربه مماثلة لتجربة كوبا ، فعندما حدث الاعتداء الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ كان هناك بعض الخبراء في بعض الصناعات وخاصة في القنال او في الحديد او في البترول بالذات لقد كان ... عاملا من عمال البترول ، وكان عندنا خبراء من الخارج ، ونتيجة اعتداء سنة ١٩٥٦ خرجوا من البلد ، وما احب التنويه به هو ان خبراءنا نجحوا في ادارة هذه المشاريع افضل من الاجانب ، اداروا العمل في حقول البترول ... ات ، وفي قنال السويس وفي الحديد والصلب وفي بعض الصناعات ،اداروها ونجحوا فيما فشل فيه الخبراء الاجانب . بجانب ذلك يوجد في غالبية الصناعات الكبيرة مراكز تدريب داخلية بخلاف مراكز التدريب السريع الموجودة على مستوى كل المحافظات .

البروفيسير بتلهايم : المشكلة الثانية هي مشكلة الانتقال من تخطيط الاستثمارات فحسب ،الى عمليه التخطيط الشامل ، واعتقد ان الانتقال من تخطيط الاستثمارات الى التخطيط الشامل، لا يمكن ان يتم فجأة دون الماو شامل بظروف البلد لان مثل هذه العمليه قد تتم في فترة سنتين او ثلاث ، وان المنهج العملي هو التركيز على القطاعات رئيسية ، والبدء بعمل خطط انتاج للقطاعات التي تحكم بقية الاقتصاد .

وقبل ان انصرف للوسائل الفنية لتحقيق هذا التخطيط احب ان ابرز اهمية التخطيط الشامل وانه مسالة اساسية بالذات فيما يتعلق بمشكلة التجارة الدولية .

وهناك طرق مختلفة اتبعت في البلاد الاشتراكية المختلفه لاعداد خطط سنوية ، ففي اطار الخطة السنوية يمكن تكوين الاساليب اللازمة للتخطيط الشامل . والطريقة الاولى في هذا المجال التي استخدمت وما زالت تستخدم في عدد من البلاد الاشتراكية ، تبدا بأن يحدد مركزيا للقطاعات الرئيسية خطة سنوية لكل قطاع تبين الانتاج واحتياجاته من المواد الاولية والمواد الوسيطة والعمالة التي تلزمه وحجم الاجور والمخزون اللازم . وطبعا تم اعداد هذه الخطط السنوية مع الاخذ في الحسبان بالحدود التي تفرضها الاولويات ، والحدود التي تفرضها ظروف التجارة الدولية ، وهذا المشروع الاولى لخطة كل قطاع من القطاعات الرئيسية ، بعد أن يعد مركزيا ، يحول على الوزارات المختصة التي تنزلها بدورها للمستويات الادنى الى ان تصل المشروعات الى الجهة التي ستتولى التنفيذ بنفسها ، وكل مشروع يصل بهذا الشكل الى وحدة الانتاج نفسها ، وفي وحدة الانتاج تتم مناقشة المشروع تكنيكيا ، وكذلك يناقش مناقشة شاملة يشترك فيها كل عمال المصنع مع الاهتمام بالنقط الثلاث الاتية :

اولا : مدى قابلية المشروع للتنفيذ .

ثانيا : امكانيات تجاوز الاهداف المرسومة في المشروع ، لاسيما اذا كانت هذه الاهداف مرتبطه بالتصدير .

ثالثا : امكانية الوفورات التي يمكن ان تتم في المواد الخام وقطع الغيار ولاسيما اذا كانت تستورد . وفي هذه النقطة الاخيره بالذات ، نلاحظ ان المبادرات الجماهيرية تجد حلولا رائعة جدا .

وفي ذهني مثالان على الحلول الجماهيرية لمشاكل من هذا النوع ،مثل من فيتنام الديمقراطية ومثل من كوبا .

ففي كوبا مثلا كان ١٠٠ ٪ تقريبا من كل المعدات وقطع الغيار تستورد من امريكا ، ٨٠ ٪ من المواد الاوليه تستورد من امريكا وانقطع هذا كله بين يوم وليلة ، فاضطروا الى الاعتماد على امدادات من الاتحاد السوفييتي وصلت بعد فتره ولم تكن تغطي تماما كل انواع المواد الاولية وقطع الغيار والمعدات التي كانت تأتي من امريكا . وهنا في هذا المجال لعبت المبادرات الجماهيريه لحل هذا النقص دورا حاسما في تطور صناعة كوبا ـ وبعبارة اخرى المطلوب من هذه المناقشه التي تتم في المصنع هو ان تصل لتنفيذ أكبر قدر ممكن من الانتاج بأقل طلبات ممكنة يطلبها المصنع من الدولة أو تضطر الدولة الى استيرادها ، هذا هو اهم شيء يمكن ان نخرج به من عملية المناقشة.

والنتائج التي يتوصل اليها لا تتم بشكل تلقائي ،ولكنها تعتمد بشكل اساسي على تحريكها من جانب الحزب أي من جانب الاتحاد الاشتراكي عندكم مثلا ، او من جانب المنظمات النقابية . فعندما تبذل فيها المنظمات السياسية والنقابية الجهد اللازم ، يترتب على ذلك مزايا

اقتصادية ضخمة تشكل جزءا اساسيا من تفوق النظام الاشتراكى على النظام الراسمالى

وبعد هذه المناقشة ترفع المشروعات المعدلة والاقتراحات الى الجهاز المركزى للتخطيط مره اخرى ، وعندئذ سيعتمد هذا الجهاز على ارقام واقعية حية مستمدة من الواقع نفسه ومن الناس المشتغلين بالانتاج ، وبالتالى يمكنه ان يصنع منها شيئا فعالا ومفيدا . والجهاز المركزى للتخطيط هنا يجرى على هذه البيانات الوارده له من القاعده كل الابحاث التحليلية ، وعمل ما يسمى موازين المواد وموازين العمالة ... الخ ومن واقع هذه التجربه التى تتم اول الامر على القطاعات الرئيسيه والوارده من الواقع يتكون التكنيك اللازم لاجراء نفس العمليه على نطاق الاقتصاد القومى كله .

محمد سيد أحمد : الخطة فى مصر هى فى الاساس خطه فى مرحله الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكيه ، ولذلك يكون هناك بعض التعقيد فى الخطه ، وتعقد العلاقه بين الجانب التكنيكى والفنى وبين الجانب الجماهيرى يعنى مثلا كان موضوعا للخطة الاولى اطار معين عندما أعدت وبعد ذلك اتخذت سلسله من الاجراءات فى الفتره اللاحقه لم تكن متوقعه او مرسومه عندما وضعت الخطه فى الاصل ، ويترتب على ذلك تعقيدات ليست التعقيدات التقليدية فى ظل الخطط الاشتراكيه بالمعنى المالوف ، وتجعل مشكلة تعبئة الجماهير ليس مجرد مشكله فنيه كما قال البروفيسير بتلهايم وليس مجرد اشراك الجماهير وحماسهم فى العملية ، ولكن فيه ايضا نوع من المتابعة للتغير الاجتماعى مع الخطة ومن خلال تنفيذ الخطه ، وكنت ارى من المفيد ان يتناول البروفيسير بتلهايم هذه الزاويه التى هى زاوية متميزة وخاصة بنا وقد تهمنا علاوة على النقط التى قيلت كلها .

لطفى الخولى : أفضل توجيه هذا السؤال فى القسم الاخير الخاص بدور التنظيم لانه يخيل لى الآن اننا نناقش النقطة الاولى .

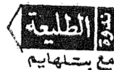
محمد سيد أحمد : ولكن لها زاوية فنية فى الاصل .

البروفيسير بتلهايم : النقطة الثالثة أو السؤال الثالث كان متعلقا **بمشكلة العملات الاجنبية التى يشكل نقصها مشكلة عظمى من مشاكل التنمية** ، وهذه المشكلة تعرضت لها عدة مرات وفى الواقع هذه المشكلة تواجهها كل الدول التى تمر بالمرحلة الاولى من مراحل التنمية ، ليس لها حل واحد عام ، ولكن هناك مجموعة من الحلول الجزئية لمواجهتها ، ومعنى ذلك أن الحلول التى تصاغ بصيغة عامة ليس لها اى دلالة جدية ، الا اذا طبقت على واقع محدد وارتبطت بمشاكل محددة فى البلد المحدد .

وبالطبع أول جانب من جوانب هذه المشكلة هو تحقيق اقصى وفر ممكن فى الاستيراد ، وهذا يعنى عمليا فى كل الاحوال التى تتواجد فيها مشكلة تجارة دولية ، ان نقبل سياسة التقشف ومن الناحية العملية لا مفر من سياسة التقشف للبدء فى عملية التنمية فى كل البلاد التى كانت ضحيه للاستغلال الاستعمارى .

ومشكلة التقشف يجب ان تحدد فى كل بلد على حسب ظروفها ، وهذه الظروف متعددة ومتنوعة ، فهى تشمل العلاقات الطبقية والنشاط السياسى ووسائل الاقناع والتوعية المتاحة ، أى تشمل عديدا من النواحى التى تختلط فيها الجوانب التكنيكيه بالجوانب السياسيه ، والتجربه الدوليه اثبتت بعكس ما ظن الاستعماريون ان البلاد التى فرض عليها سياسة مقاطعه كاملة من جانب الاستعمار ، أى تعطيل وارداتها كلها تمكنت من ان تقف على قدميها وتواجه الموقف ، فمن باب اولى ان الدول التى ليست فى وضع حاد بهذه الدرجه سيكون عندها امكانيه اكثر لتكيف وارداتها وفقا لاحتياجات التنميه ، وتحدد اختيار ما تقدر على استيراده ، وما لا تقدر على استيرادة . وهذه المساله يجب ان تعالج بجساره ولو ادى الامر الى تعطيل بعض المصانع التى تقوم بانتاج سلع كمالية تحتاج الى مواد وسيطة مستورده من الخارج ، فاذا لم نستطع الاستعاضة عنها باستخدام خامات محليه وانتاج محلى فيكون الافضل من وجهة نظر الاقتصاد القومى ان تتعطل نهائيا من ان تكون عبئا على التجارة الخارجيه . وبالدقة يمكن الوصول الى هذه العملية بأفضل وسيلة عن طريق المناقشات العامة فى مشروعات خطط الانتاج السنوية ، لانه من خلال هذه المناقشات يستطاع تقليل الحاجة للاستيراد الى أقصى حد ممكن ، بحيث انها تقتصر على الاستهلاك الضرورى وعلى أقل قدر من المواد اللازمة للانتاج ، وفى المدى الطويل يكون الحل هو احلال المنتجات القومية المحلية محل المنتجات المستوردة ، وهذا يقتضى فى المرحلة التالية من التخطيط مراعاة ان تغنى المشروعات الجديدة عن استيراد عدد كبير من المواد الاولية ومن السلع الوسيطة .

والوجه الاخر للقضية هو الجهد المتواصل لزيادة الصادرات وهذا يرتبط بالسؤال الرابع الذى سأتعرض له الان ، فاذا كانت مشكلة التجارة الخارجية ستضطرنا الى ان نحد من



مع بتلهايم

استيراد السلع التي تعتبر نسبيا كمالية ، وليست كمالية بشكل مطلق ، انما نسبيا نظرا لظروفنا ، وتدفعنا في نفس الوقت الى تصدير سلع كانت تستهلك محليا ،ولكن نرى لمقتضيات التنمية ان نصدرها ونحرم انفسنا من استهلاكها فهذا يطرح فورا علينا مشكلة بحث التوازن بين العرض والطلب ، اى مشكلة الاثمان .

وفي تقديري **ان مشكلة التوازن بين العرض والطلب لا تتعلق الا جزئيا بالاثمان ، وفي رأيي انه من الخطر دائما الالتجاء الى رفع الاسعار لان هذا يساعد على تضخم المشكلة ،لانه يخلق جوا عند المستهلكين ان يتوقعوا ارتفاعات مقبلة، وهذا ما يزيد رغبتهم في الشراء ويتسبب في زيادة الطلب بالنسبة للعرض ، ومن الاصح ان نركز على التأثير على الحجم الاجمالي للدخول النقدية الموزعة .**

والتأثير في حجم الدخول النقدية الموزعة يمكن ان يتم تكنيكيا بطرق كثيرة مختلفة ضريبية أو تنظيمية ، وهذه مسالة متروكة للظروف المحددة لكل بلد ، وفي كل حالة للاعتبارات السياسية التي تحكمها والظروف الاجتماعية .. الخ ولكن على كل حال من المهم جدا طرح هذه المشكلة والاستعداد لها مقدما ، لان الاجراءات التي ستتخذ لمعالجة وضع التجارة الخارجية يمكن ان تؤدي — اذا تركت وشأنها — الى نقص شديد في بعض السلع في السوق ، او الى اندفاع في ارتفاع الاسعار ، **وأرى ان مناسبة بدء الخطة الخمسية الثانية ان تكون مناسبة مواتية جدا لرسم سياسة للدخول ، تكون جزءا لا يتجزأ من هذه الخطة ، ويمكن أن تقبل على أساس انها جزء من ضرورات تنفيذ الخطة الثانية** ، لان الواقع ان الخطة ليست مجرد اهداف ، ولكنها ايضا وسائل لتحقيق هذه الأهداف ، وفي اطار هذه الوسائل يجب ان تطرح سياسة الدخول .

والمدى الذي يمكن ان نصل اليه في مجال سياسة الدخول لا يتحدد تكنيكيا لانه في النهاية يتوقف على عوامل سياسية ، اساسها كلها مدى النفاذ الى الجماهير ومدى اقتناعها بضرورة بناء الاشتراكية وتبنيها لها .

لى السيد علي : بالنسبة لما جاء في حديث البروفيسير بتلهايم عن الحكم على المشاريع بفائض الاستثمار ، لانه في الخطة الاولى اضطرت الدولة الى تشغيل ٣٠٠ الف عامل زيادة عن الخطة مما أثر على الاستهلاك والاجور ، وقد يحدث تناقض بين الناحية الفنية والناحية الاجتماعية على أساس أن هدف الاشتراكية هو ايجاد فرص عمل لكل عامل ، فأرجو التوضيح .

البروفيسير بتلهايم : هذا التناقض حقيقي وموجود فعلا ، وهدف الدولة يجب أن يكون العمالة الكاملة ، ولكن **هذه العمالة يجب أن تكون مفيدة اقتصاديا ، وفي الواقع اننا حين نخلق فرص عمل لا تعبر عن ضرورات الانتاج نكون بصدد حالات بطالة مقنعة ، وتكون فرص العمل فرصا وهمية .** وقد نصل في تطبيق هذه السياسة الى اوضاع غريبة جدا ،مثلا الاوضاع في صناعة النسيج في الهند . ففي مرحلة اولى ـات الحكومة الهندية لزيادة العمالة في صناعة النسيج بان حظرت استخدام الانوال الميكانيكية ، وبهذا الشكل جمد كل تقدم تكتيكي في صناعة النسيج ، وأجريت استثمارات جديدة في وسائل تكتيكية متخلفة جدا ، وقد ترتب على ذلك ان صناعة النسيج الهندية فقدت بعض اسواقها الخارجية . ووجد حل آخر اكثر تخلفا من الناحية الاقتصادية ، بل وفي نهاية الامر من الناحية الاجتماعية نفسها ، وهي محاولة اعادة تطوير الغزل اليدوي ، ووصل الوضع الى ان مجهود الرجال أو النساء الذين كانوا يشتغلون على المغازل اليدوية لم يكن يوفر لهم الحد الادنى الذي يسمح لهم بالمعيشة ، وكانت الدولة تعطى لهم اعانة علاوة على ذلك ولما كنت في الهند أمكنني اجراء عملية حسابية على المبالغ التي تدفع بهذا الشكل كاعانات ، ووجدت أن مجموعها لو كان استخدم في مشروعات صناعية جديدة لخلق في خلال أربع أو خمس سنوات فرص عمالة حقيقية وليست وهمية ، بالنسبة لكل العمال هناك ، **وبالتالي في رأيي أنه يجب فصل مشكلة العمالة عن مشكلة بحث أفضل تكتيك للانتاج .**

وفيما يتعلق باليد العاملة الزائدة ، فيمكن الالتجاء الى مشروعات مثل مشروعات الاشغال العامة كمد الطرق وشق الترع والمصارف التي لا تؤدى الى تجميد رؤوس أموال ضخمة في معدات أو في آلات وبالتالي لا تربط مستقبل الاقتصاد . هذا حل مؤقت يواجه المشكلة الى أن تتم تنمية الصناعة وتستوعب الفائض ، اذ لا يمكن ان نضحي بالمستقبل التكتيكي للصناعة باسم استيعاب البطالة حاليا لان معنى ذلك أن نخلق البطالة مستقبلا .

د. سيد جاب الله : الاتجاهات التي سرنا فيها في الخطة — خصوصا من ناحية وضع الخطة — في اعتقادي أن معظمها سليمة . فالخطة ليست مجرد مجموعة مشروعات استثمارية ،ولكن الخطة خطة انتاج للقطاعات

وبعض الارقام التى أعطيتها للاستاذ بتلهايم كانت تمثل ارقام الانتاج وارقام مستلزمات الانتاج وأرقام الدخل او القيمة المضافة خاصة بالاقتصاد القومى وبقطاعات مختلفة مثل الزراعة والصناعة . وربما كنا نحتاج الى ان تتسع الخطة فى اطارها لتشمل قطاعات اخرى مثل تخطيط الاسعار . ويمكن للاستاذ بتلهايم ان يوضحها لنا اكثر لكى يسير عليها تخطيط الانتاج بالنسبة لكل قطاع او بالنسبة للاقتصاد القومى ، ويبين دور هذه الاسعار فى تحقيق الكفايه الاقتصاديه للانتاج فى مختلف الانشطه والخدمات .فعملية الترابط المتداخله فى العملية الاقتصادية تحتاج لاستيضاح العلاقات الاقتصادية الانتاجيه والسعرية والتراكمية للنمو وخصوصا وان اقتصادنا اقتصاد مفتوح، فيه تجاره خارجيه وداخلية . من ناحية تجارتنا الخارجية فهى محطمة ونحن نبذل جهدنا على أساس الحد من الواردات وزياده الصادرات انما يلزم ايضا ان نحسن الكفاءه الاقتصاديه للتجارة الخارجية او تعطى لنا المعايير اللازمة لهذا التحسين ، وفى هذا الصدد نجد ان الصعوبات احيانا مفروضة علينا لان نسب التبادل دائما تسير ضدنا ،فرغم مانبذل من جهد ورغم زيادتنا لصادراتنا نجد أن المشكلة تفرض علينا من الخارج فى صورة نسب تبادل متدهورة

لطفى الخولى : أعطينا امثلة يا دكتور جاب الله لو سمحت .

د. سيد جاب الله : هبوط نسب التبادل بالنسبة للقطن ، لو سمحتم لى اوضح هذه النقطة اننا نجد ان المواد الخام التى تنتج فى الدول المتقدمة كلها تحكمها اجراءات استقرار للاسعار . فلا يتعرض المنتجون للهزات العنيفة من ناحية ولا للهبوط المستمر من ناحية أخرى فى نسب التبادل ، اما الدول النامية فهى فى مهب الريح من هذه الناحية ومفروض عليها المشكلة فرضا

نقطة اخيرة اريد الاشارة اليها وهى مسألة الارتباط بين العمل الاقتصادى الفنى من جهة والعمل السياسى فيما يختص بمستويات الاسعار ، ربما يكون من المحتوم سياسيا وبالتالى فنيا ان يكون هناك بعض الارتفاع فى المستوى العام للاسعار فى خطة التنمية ؛ باعتبار زيادة معدل التراكم ضرورة ، وهذه تتطلب اعادة توزيع الاستهلاك بين اكبر عدد من المستهلكين الجدد اى العمال الذين يزيدون كمية العمل فى ظروف اعمال التنمية، وبعبارة اخرى انه اذا كانت كميات سلع الاستهلاك المتاحة فى وقت معين معطاة ، فالامر يتطلب توزيعها على عدد اكبر من المشتغلين ، وبالتالى ربما يصبح رفع الاسعار ضرورة سياسية يقوم فيها الجهاز السياسى بدور فعال ، ولا اقصد بذلك التضخم ، انما اقصد بذلك تيسير توزيع العبء بالاسلوب السياسى.

على السيد على : الاخ عبد المنعم النجار يريد اضافة بعض التعليق قبل ان يجيب الدكتور/ بتلهايم على الاسئلة .

عبد المنعم النجار : كنت اريد ان اعلق على الكلام الذى قاله الاستاذ بالنسبة لما تفرضه الدول المتقدمة علينا.فرنسا كانت قد تقدمت فى مؤتمر جنيف باقتراح عمل صندوق لاعانة المواد الخام التى ظهر ان اسعارها كانت تتناقص بنسبة كبيرة ، وقد ابتدأنا نحاول مع فرنسا حل مشكلة العجز فى الميزان التجارى ، يوجد جزء بدأت فرنسا تحله ، جزء آخر يجب ان نحله من الداخل ، بعد ما اعترضنا على هذه النقطة من ناحية زيادة الواردات وضعف الصادرات، فرنسا خرجت لنا بنظرية او باقتراح جديد وهو الاشتراك فى تسويق الانتاج ، لتخفف علينا العبء فى المدفوعات التى ندفعها ثمنا لهذه المشاريع الصناعية ، على سبيل المثال .. مقترح فى الوقت الحاضر مشروع الثروة المائية فطلبت انها تشترك فى تسويق انتاج السمك حتى يخف علينا العبء .

النقطة الثانية : مسألة الحصص التى تعطيها لنا لكى نصدر المواد الخام او المواد الزراعية ، فقد طلبت زيادة هذه الحصص ، على سبيل المثال ايضا ، حصص البصل من ثلاثة آلاف طن الى ١٤ الف طن فى السنة الماضية ،ومن جهة اخرى مشكلة القطن وعدم قدرة فرنسا على استيعاب كميات اكثر .

النقطة التى قالها الاستاذ هى ان هناك صعوبات خاصة بالصناعة الفرنسية بالنسبة لمنافسة الالياف الصناعية ، فاقترحت انها تصدر لنا الغزل الاقل درجة ونصدر بدلا منه غزلا « اشمونى » ونستفيد بفارق الاسعار وقد وافقنا مبدئيا على هذا الاقتراح كما فعلنا من قبل مع الهند ، ومن جهة اخرى ابدت استعدادها وزادت فعلا حصص التصدير للخضار .

اود بعد ما اكمل الجزء الثانى ان يقول لنا الاستاذ رايه فيما اذا كانت هناك وسائل جديدة لهذه التنمية فى التجارة الخارجية لان هذا سيؤثر علينا فى الخطة العامة. من جهة اخرى ، من جهتنا ، اعتقد ان هناك بعض الاخطاء يجب ان نعجل بعلاجها على ضوء الماضى حتى نسهل او نطور من صادراتنا الخارجية وانا اؤيد الكلام الذى قاله الاستاذ بالنسبة للمثل الذى قاله عن كوبا بأنه ليس هناك مستحيل والمثل الفرنسى الذى يشير

الى عدم وجود مستحيل ، هذا المثل اعتقد انــه يجب ان يكــون مصريــا بعد هــذه الاقتراحات .

توجد نقطتان يمكن ان ننمى بها التجارة الخارجية بسرعة فى الحلول القريبة ، وهى التخصص فى التجارة الخارجية وفصلهافصلا كاملا عن التجارة الداخلية حتى نصـل الى درجة عاليـــة من التخصص ، لان الواقع ان الشركات القائمة بالتجارة الخارجيـــة تقوم بنشاط داخلى فقد لاتصل الى درجة عاليـــة من التخصص، ولهذا اثره فىتسويق التجارة نفسها، ويتبع هذا اننا نوصل البحث العلمى على اقل المستويات فى كل مايخص او يتعلق بالتجارة الخارجية ، على سبيل المثـــال انا كنت فى الفيوم امس ورأيت تصدير الطماطم الى فرنســـا ، فوجدت او لمست المجهــود الملموس فى تطوير التصــدير ولكن عمليـــة البحث فيما يحتاجــه مستهلكو فرنسا غــير ملموس فى المستوى الادنى ، وهو مستوى الحقل او مستوى محطة التعبئة، وكان معى المحــافظ والدكتور/استينو ولمســوا وجوب الاهتمام فيما يختصبالبحوث، لا ادرى ماهو النظام العلمى لنتبادل البحوثعلى المستويات العـــليا حتى نصل الى التخصص فى التجارة الخارجية .

وكلمـــة اخــــيرة ايضـــا اذا سمحت ، البروفسير بتلهايم تكلم عن مراقبـــة الخطة من الجماهير الشعبية ، الواقع لى ملحوظة صـــغيرة ، هى انه يجب ان نبشر بالتخطيط للمســتويات كلها حتى تنفذها مســتويات مختلفة ، لان كلمة التخطيط كلمة نستخدمها، لكن الناس لازالت لم تفهمها ، فيجب انننزل للمستوى الجماهيرى بالناحية العلميـــة مثلا كما عملنا فى الميثاق ، فنفهم النـــاس ما هو التخطيط حتى يكونوا قادرين على التعليـــق عندما نعرضهذه المسائل، فهى عملية تكميلية للكلام الذىقاله وارجو من البروفسير بتلهايم ان يعلق لنا علىبعض المقترحات التى قلتها.

د. عبد الـــرازق حسن : لى تعليق بسيط او فى الواقع اثارة لبعض المشاكل التى واجهتنا فى الخطة الاولى ، واعتقـــد ان من المصـــلحة وضوحها والا نكونكاننا نغالطانفسنا بالنسبة للاجراءات التى اتخذت فى المرحلة الاخيرة .

المسالة الاولىهى **ظروف وضـــع الخطة الاولى ،** الظـــروف التى كان فيها المجتمـــع المصرى فى ذلك الوقت يختلف اختلافا جذريا عن الظروف الحالية من الناحية الاقتصادية او من الناحية الاجتماعية، التغير الاشتراكى حدث بعد السنة الاولى ، وابتدا ياخذ شكلا متغيرا خلال الخطة ، ونســتطيع القول انه ابتدأ يثبت فى السنة الاخيرة للخطة ١٩٦٤ ، فقد ابتدا التغيرمن بعد السنة الاولى للخطة واستمر بردود فعلمختلفة اثرت فيهاقتصاديا واجتماعيا الاوضاع السياســية والاجتماعية سواء الداخلية او المحيطة بالمجتمع المصرى التى تغــيرت فى هذه الفترة بشكل واضح ، فمثلا الدور الذى اخذناه معالدول الافريقية وخصــوصا الدول المتحــــررة منها اخــذ شكلا جديا بعد موجة الاســتقلال فى الدول الافريقية بعد سنة ١٩٦٠ ، وهناك التغيرات الاساسية التى حصلت فى المجتمع العربى ، مثلا ظروف الجزائر ، ثورة اليمن ، ثورة فى العراق ، انفصال سوريا ، كل هذه تغيرات لم يدخلها فى الحســبان القائمون بالتخطيط فى ذلك الوقت ، هذا فضلا عن ان القائمين بالخطة لم يكونوا بدرجة الوعى الســياسى التى تمكنهم ان يدركوا هذه التغييرات، واذا نظــرنا للقطاعـــات المختلفـــة او التوقعات المنتظرة فيها ، نجد ان بعض هذه التوقعات اما كان مبالغا فيها او كانت متغيرة لظروف ما . فمثلا الزراعة حصل فيها تغــير وتأثر كبير جدا فى سنتى ١٩٦١ ، ١٩٦٢ وبالتالى اثرت فى التجـــارة الخارجيـــــة واثرت فى الصناعة واثرت بشكل كبير فى نواح كثيرة ، ولم يبد انه كان هناك استجابة سريعة لهذا الاثر فى مشروعات الخطة فىالسنوات التالية لذلك ، لان البعض اراد ان يخفف من اثــر هـــذه التغييرات او التأثــــيرات . وبعض المشروعات الصناعية كانت تواجه بمشكلتين متناقضـــتين : الاولى هى التفاؤل اكثر مما يجب بالنسبة للمشروع وامكانيـــاته ، بمعنى آخر تصوير المشروع بصورة ضخمة منفردا، او عملية عكســـية وهى محاولـــة تصـــوير احتياجات المشروع اقل مما يجب ، وبالتالى عدم وضوح الاولوياتامام المخطط حينما تصل اليه هذه المشروعات ، هذه المشكلة اثارت لنا مشكلة مهمة جدا وهى مدى الترابط بين المشروعـــات وبعضـــها ، واهميـــة التقدير التكتيكى الخاص بالمدخلات والمخرجات .

والمشكلة الثانية ، **هى مشكلـــة حساب الدخل القـــومى ،** فالطريقـــة التى اتبعت فى تقديره مستمدة من الطريقة الراسمالية ،واذا كانت احتمالات الخطأ فىهذه الطريقة بسيطة فى النظام الراسمالى وذلك يرجـــع الى ان القطاع العام فيه قطاع صغير ودور الدولة فيه ضئيل ، فان ذلك يختلف عن دور الدولة فى المجتمع الاشتراكى ودور الخدمـــات التى تصبح كبيرة ، وبالتـــالى الحساب بالطريقة التى اتخذت وجعلت قطاع السلع الانتاجية لايظهر دوره ، وانما بعد مدة نفاجأ بأن ارقام

القيمة المضافة زادت والانتاج زاد وفى نفس الوقت الاسعار ترتفع ».

مرتبط بهذه المسالة مشكلة ثانية وهى **حساب الاستهلاك الذى لم يفصل بدقة بين الاستهلاك الفردى والاستهلاك الحكومى** او استهلاك الجماعة، فمثلا ترك للدعايات انها تصور ان الاستهلاك الفردى تزايد وبشكل ضخم فى مرحلة التحول الاشتراكى ، مع ان من الارقام التى خرجت من التخطيط، العكس هو الصحيح ، فمثلا الملاحظ ان فى سنتى ١٩٦٣/٦٢ ، ١٩٦٤/٦٣، نجد ان الزيادة فى استهلاك القطاع الفردى كانت فى حدود ٥ر١٪ سنويا ، وكانت فى السنة التى قبلها ١ر٢٪ وفى السنة التى بعدها كانت اقل بـ ٦ر٪ ، يقابل هذا زيادة فى القطاع الحكومى بمقدار ٦ر٢٣، ٥ر١٩٪، ولو اخذنا الخمس سنوات كوحدة نجد ان الزيادة فى استهلاك قطاع الافراد ٢ر١٧٪ مقابل ٢ر٥٥٪ فى القطاع الحكومى ، هذه المسالة فى الواقع تحولنا الى اهمية المسالة السياسية التى أثارها البروفسير بتلهايم فى الاول ، وهى ان قضية التخطيط ليست قضية تكنيكية وليست قضية اقتصادية ، وانما هى قضية سياسية اجتماعية من الدرجة الاولى ،وتظهر هذه المسالة بصراحة وبوضوح فيما يثار من اشكالات حول الرقابة بشكل عام ، سواء اكانت الرقابة على القطاع العام الرقابة التكنيكية او الادارية او الفنية، هذا بالاضافة للرقابة الشعبية،نجد مقاومة شديدة فى مختلف القطاعات ، فتؤدى فى النهاية الى مشاكل كبيرة للخطة، وبشكل عام يصور لنا ايضا ان مشكلة الرقابة ومشكلة الحساب ومشكلة الانتاج هى فى الواقع مشكلة الخطة نفسها والتخطيط ، التى هى على اساس اشتراكى وبمعنى آخر ضرورة اشتراك جميع العاملين فى الخطة فى وضعها والرقابة عليها وتنفيذها، ولا شك ان وجودهم واشتراكهم فيها يساعد كثيرا جدا فى انهم يقومون بدور جذرى فى العملية، وهذا ايضا هو الذى يوضح لنا الفرق بين المشكلة التى كنا نعيشها ، والمشكلة كانت عملية التحول الاشتراكى والصعوبة التى تواجهها بلدنا ، قد تختلف عن كوبا وكثيرا من البلاد الاخرى لان التحول تم والاجهزة العاملة هى هى ، سواء كانت بالشركات أو فى الاداة الحكومية فى اساسها ، لا اقصد بذلك المديرين او من هم فى مستواهم ، انما اقصد ايضا العقلية التى تحكم الانسان فى العمل حتى ولو كان فى مستوى العامل ، وهذه المواجهة فى مشكلة الاجور وتصور البعض ان العملية عملية فردية ورغبة كل واحد بعد القوانين الاشتراكية فى الحصول على اكبر قدر من الكسب واحسن مركز ادارى بغض النظر عن دوره فى عملية التحول ، البلاد الثورية التى يكون فيها تنظيم سياسى يختار افرادا من المؤمنين بالتنظيم السياسى ويوضعون فى هذه الاماكن ، فيكون احتمالات الخطأ تنشأ من احتمالات الخطأ الفنى ، وهذا الخطأ الفنى يمكن ان يأتى عن طريق الخبرة والتجربة ، اما العملية الاخرى فهى عملية التغيير السيكولوجى او الناحية النفسية للشخص فى تحويله من مجتمع بمفاهيم الى مفاهيم اخرى عملية اصعب بكثير جدا من ذلك ».

د. ابراهيم سعد الدين : اريد ان اؤيد بعض الكلام الذى قاله الدكتور / عبد الرازق واعمم بعض التفصيلات التى جاءت فيه ، المشكلة الاساسية التى تصادفنا فى المرحلة الحالية ليست هى فقط فى المعرفة الاساسية للمفاهيم النظرية للتخطيط بقدر ما هى مشاكل خاصة بامكانيات نقل هذه المفاهيم الى تنفيذ فعلى فى الواقع الذى نعيش فيه ، فمن الواضح مثلا نظريا للاغلبية من الناس ، ضرورة تحويل الفائض الاقتصادى الى عملية التنمية وخصوصا بعد اجراء التأميمات ولكن هذا لم يمنع فى كثير من الاحيان ان جزءا كبيرا من ذلك الفائض قد تحول ، او هو يتحول الى مصروفات ادارية عالية للقطاع العام فى حد ذاته ، وبهذه الطريقة فان جزءا من هذا الفائض — الذى كان يجب ان يوجه للتنمية — يوجه لانواع من المصروفات لا تؤدى الى زيادة القدرة الانتاجية ، وفى اعتقادى ان هذا المثال ممكن تكراره لنقط كثيرة اخرى من النقط التى اثيرت اليوم ».

ومن هذه النقط بالذات يرتبط الجزء الاول من المناقشة اليوم بالجزء الثانى الذى لم يبدا بعد ، لان وضع المفاهيم النظرية موضع التطبيق يتطلب فى الاساس وجود الجهاز القادر على التعبئة الجماهيرية والقادر على الرقابة الشعبية والقادر على نقل هذه المفاهيم الى واقع ،وهذه هى المهمة التى يحاول الاتحاد الاشتراكى فى هذه المرحلة القيام بها ، ولكن هذا لا يعنى ان المشكلة قد حلت فى الواقع ، بل هناك ما يمكن ان نسميه سباق بين الضرورات الموضوعية لايجاد الرقابة الشعبية والتنظيم السياسى من ناحية وامكانيات هذا التحقيق فى الواقع من ناحية اخرى ، فمرور ١٣ سنة من العمل الثورى القائم على الاساس الادارى يجعل هناك صعوبات موضوعية حقيقية عند الانتقال من اسلوب العمل الادارى الى العمل السياسى والشعبى وهى صعوبات تتعلق فى الاساس بمدى اقبال الناس حتى ولو اتيحت لهم الفرصة على المشاركة الحقيقية وفى قيادة العمل

الاقتصادى والاجتماعى ، وعلى الاخص وقد تعودت الجماهير فى خلال مرحلة العمل الادارى الحصول على مكاسب متوالية عن طريق الحكومة ، مما يجعل هناك توقع باستمرار لحالة من حالات الكسب فى المستقبل ، وهذا فى الواقع كان عقبة اساسية فى طريق الاتحاد الاشتراكى ، بمعنى انه فى المرحلة الاولى للاتحاد الاشتراكى كان النشاط الاساسى للجماهير هو نشاط من نوع المطالبة بزيادات ومطالب جديده وفى اعتقادى ان حل هذه المشكلة من الناحية السياسيه هو اساس لحل المشكلات الاخرى من الناحية الاقتصاديه جميعها ، ولكن لا اعنى بهذا ان تنتظر المشاكل الاقتصادية الى حين حل مشكله التنظيم السياسى ، بل على العكس من ذلك فان التنظيم السياسى نفسه لابد ان يتكون فى مواجهة المشاكل الاقتصاديه وفى حالة صراع من اجل تحقيق التنمية المطلوبة .

محمد عبد الفتاح ابو الفضل : الواقع ان ما اثاره الدكتور سعد الدين تسعر به فعلا كخلل موجود ومشكله موجوده او من خلال العمل السياسى فى مختلف القطاعات الاجتماعية فى الجمهورية وجد انه فعلا يوجد فائض طاقة بنسبه كبيره فى قطاع المثقفين ، وهى فعلا غير مستغلة وفى بعض الاحيان نعبر عنها تقريبا بالسلبية ، ويجوز انتكون هذه السلبيهموجودة او غير موجوده ، انما ممكن من وجهة نظرى ان اركزها فى مسالة واحدة وهى التمثيل المهنى او التنظيم الخاص لقطاع مهمجدا وهوالنقابات المهنية .

فيما قبل الثورة كانهذا التنظيم يعتبرتنظيما اجتماعيا سياسيا ، وكان هذا القطاع يمثل محور عمل سياسى يبحث عن مصالح هذا القطاع الاجتماعى . فيما بعد الثورة مفروض أن هذا القطاع الكبير وهو قطاع المثقفين وهم التكنوقراطيين الذين تولوا الاعمال الادارية والتنفيذية فى المشاريع سواء كانت انتاجية او خدمات وكان مفروضا ان يذوب فى التنظيمات الجماهيرية والشعبية ويؤدى دوره كما يشعر الجماهير وكما اشار له الدكتور « بتلهايم » ، وشعرنا من بعد الثورة الى الان انهم لميتناولوا مشاكل الانتاج ولا مشاكل التخطيط الكبيرة فى داخل تنظيماتهم المهنية ، يجوز من وجهةنظرى ان هذا يرجع الى التركيب الراسمالى لهذا القطاع الكبير من الناحية العلمية ، يعنى ثقافته العلمية نفسها راجعة للتركيب الراسمالى نفسه وللدفاع عن مصالح قطاعات راسمالية ، ولى سؤال هنا : ما هو الحل التخطيطى الامثل للاستفادة من فائض طاقات التكنوقراطيين او المهنيين ؟ هل هو بحل هذه النقابات المهنية وتذويبها فى التنظيمات الشعبية ؟ او تغيير مفاهيمهم فى داخل التنظيم المهنى نفسه ؟ هذه مشكلة موجودة فعلا لان الذى اثارنى فعلا فى هذه الجلسة وهو كلام الدكتور عبد الرزاق حسن أن هؤلاء كانوا هم المسئولون عن التخطيط فى هذا الوقت ، وكيف اغفلوا هذه الاخطاء والارقام الواضحة فى داخل تنظيمهم المهنى او فى داخل قطاعاتهم الانتاجية نفسها او فى قمة التنظيم التخطيطى ، حتى ان قطاع الاعلام الذى كان يتبع التخطيط كان يثير الجمهور نفسه بعد رفع الاسعار وكان يؤاخذ الجمهور على شدة الاستهلاك فى حين انا لما سمعت الارقام الان وجدت ان الجمهور كان اقل استهلاكا من المثقفين انفسهم او المسئولين عن هذه الناحية فى قطاع الحكومة .

والواقع فى كلمة الدكتور « بتلهايم » عن الكادرات السياسية نجد انه اوضح حلا فوريا او حلا قصير الاجل ، وحلا طويل الاجل وقال عن الحل القصير الاجل انه ايمان هؤلاء الناس بالثورة او بالتغيير الثورى ، فهل نحل النقابات المهنيه فى تخطيطنا او نستمر فى وجودها ؟ وهل وجودها لازمة لاشتراكية او يخدم الاشتراكية او ضد الاشتراكية ؟

لطفى الخولى : الحقيقة توجد عدة مشاكل فقد بدانا ندخل فى المشاكل الواقعية للتخطيط عندنا فى مصر ، والحقيقة أن هذه هى الفرصة التى نستفيد فيها من الاحتكاك المباشر مع البروفسير بتلهايم ، وكما قلنا نحن نتحدث بصراحة تقديرا منا لصداقته لثورتنا ، واى نقد يمكن ان يوجه هو نقد صديق يريد للتجربه ان تتدعم ، فمن الواضح ان ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ قامت فى مجتمع شبه راسمالى شبه اقطاعى ومتخلف اقتصاديا ومعتمد اساسا على الزراعة ، فقد كانت الاستثمارات فى الصناعة سنة ١٩٥٢، مثلا حوالى ٢ مليون جنيه ، وامام الضرورة الاقتصاديه لتطوير قوى الانتاج ومحاربة التخلف ، كان لابد من قيام برامج محددة للاستثمار والتركيز بالذات على مجال الصناعة ومن خلال المعركة الوطنية ، ومن خلال هذه الجهود للنضال ضد التخلف ببرامج الاستثمار تحقق مناخ هام جدا لعملية التنمية والتخطيط أو التحضير لها ، وهو الاستقلال السياسى والاقتصادى الكاملين ، واعتقد ان هذه هى الظاهرة الجديدة لاى بلد من البلاد النامية الموجودة حاليا ، وتكاد تكون غير متحققة بهذه الدرجة بالنسبة لاى بلد آخر ، لكن المشكلة كانت فى الاتى : هو اننا ــ نتيجة للظروف الموضوعية ــ بدانا فى وضع خطة التنمية الاولى (الخطة الخمسية الاولى) داخل اطار الخطة العشرية ، بهدف مضاعفة الدخل القومى كل عشر سنوات وفى ذلك الوقت

كانت القيم والمناخ الرأسمالي مسيطرة على العلاقات الاجتماعية ، وفي نفس الوقت ، استدعت الظروف الموضوعية وضرورة ضرب وتصفية التبعية الاستعمارية الاقتصادية والسياسية ، استدعت ان توضع هذه الخطة على اساس التصنيع الخفيف كمحور اساسي لها ، وذلك لمعالجة قضية الاستيراد من الخارج وتوفير الطاقات الاستثمارية في الداخل والحد من استيراد هذه السلع ، وهذه ظاهرة ايضا جديدة

وفي الواقع ان الاخذ بالتخطيط بالنسبة للتجارب الاخرى كان البدء باستمرار تقليديا بالصناعات الثقيلة وبالتالي تضع امامنا مشاكل جديدة ، اعتقد أن بعضها لم يسبق التعرض له في تجارب اخرى .»

ايضا خلال الخطة الخمسية الاولى بدا او حسم اجتماعيا وقياديا عملية التحول الاشتراكي في يوليو سنة ١٩٦١ ، وعلى هذا الاساس كان لابد ان تتغير العلاقات في النظم ولابد ان ينعكس هذا على الخطة ايضا ، ومن هنا قرر الرئيس جمال عبد الناصر كقيادة — أول شعار، وهو أن وقت العمل الادارى المركزي قد انتهى وانه يجب الاعتماد اساسا على العمل السياسي الثوري المنظم ، وهنا تثور مشكلتان :

المشكلة الاولى : هى انه للاسف ونتيجة للظروف الموروثة ونتيجة لان الطبقة العاملة لم تكن على المستوى المطلوب من الوعي السياسي الاشتراكي ، وكان معظم عملها هو عمل نقابي اى من خلال الصراع المحدود بالعقلية الاقتصادية والنقابية بينها وبين رب العمل في المشروع ، اصبحت هذه العقلية هي العقلية المسيطرة ، اى الاقتصادية الضيقة ، وليست العقلية السياسية الشاملة للمجتمع ككل .

المشكلة الثانية : هى مشكلة التكنوقراطيين التي تحدث عنها الان الاستاذ عبد الفتاح ابو الفضل ، وهي مشكلة معقدة ، لاننا في نفس الوقت الذى تحتم فيه الضرورة الاقتصادية وضرورة تسيير التخطيط والتنمية ، ضرورة وجودهم وضرورة استمرارهم في العمل ،يحدث في نفس الوقت أن بعضهم حتى الان ان لم يكن معاديا للاشتراكية فهو على الاقل سلبي بالنسبة لها ، هذه هي بعض المشاكل التي تعنى بها تماما الان وهي موضوع بحث في الاتحاد الاشتراكي ومنظماته ،وهناك اتفاق تام على ضرورة دور التنظيم السياسي في عملية التخطيط ، وهناك ايضا بعض تجارب سواء بمبادرات العمال الخاصة او عن طريق التحليل لهذه المبادرات وتنظيمها ، واظن الاستاذ على السيد سيعطينا فكرة عن بعض هذه التجارب، لكن المشكلة اننا نطلب مشاركة التنظيم السياسي في جميع مراحل الخطة ، والقضية الان هي كيف ان نترجم هذه المشاركة واقعيا ، ومن هنا نرجو من البروفسير بتلهايم ان يعطينا بعض الخبرات الخاصة من خلال دراساته لهذه القضية .»

والطلب الاخر ايضا ، اننا نرجو من الاستاذ بتلهايم بناء على اتصاله ومتابعته لتجربة التخطيط والتنمية في بلادنا ورؤيته لجميع الاجهزة والتطورات التي حدثت ان يعطي لنا بصراحة وبدون اى حساسية نقده لما رآه ولاحظه خلال هذه الدراسة من نقص ومن عيوب ، وان يقدم لنا من وجهة نظره حصيلته بمدى التطورات السلبية والايجابية التي لاحظها منذ اول زيارة حتى هذه الزيارة .»

على السيد على : في الواقع قد اختلف مع بعض الزملاء في انى اعتقد ان الخطة الاولى — بالرغم انها كانت لاول مره — حققت انجازات وحققت حوالى ٩٥ ٪ من الخطة ، بالرغم من انها كانت اول خطة توضع ،وبالرغم من ان الاحصائيات كانت غير كافية ، وبالرغم من التحول الاجتماعي الذى حصل سنة ١٩٦١، وبالرغم من العجز الذى حصل او الكارثة التي حصلت في محصول القطن ، وبالرغم من الدور القيادي الذى تحملت مسئوليته الجمهورية العربية سواء في افريقيا اوفى الجزائر اوفى اليمن بالرغم من كل هذا اعتقد اننا حققنا انجازات في تقديرى ربما كانت اكثر من تجارب الدول الاخرى ، لسبب ان ثوره ٢٣ يولية اختلفت عن الثورات الثانية ، فمثلا الفرق بين ثوره ٢٣ يوليه وثورة كوبا ان ثورة ٢٣ يولية لم تحرم الجيل الحالى ، بل بالعكس في خلال فترة التنمية اعطيت امتيازات لقوى الشعب العاملة ، فلم يحدث تقشف في الفتره الماضية كما حدث في كوبا بالرغم ان الارض الزراعية في الجمهورية العربية المتحدة مقارنة بالارض الزراعية في كوبا وتعداد السكان وزيادة نسبة زيادة النسل سنويا تختلف بيننا وبينها ، وبالرغم من ان تجربة الديمقراطية الكاملة في الجمهورية العربية تختلف عن البلاد اللى حصل فيها التحول الاشتراكي ، بالرغم من كل هذا اعتقد ان الخطة الاولى حققت انجازات كبيرة ، هذا بالاضافة الى الضغط الاقتصادى الذى حدث من بعض الدول ، وكأمثلة من العام الماضي بالنسبة لاتفاقية فائض الاغذية مع الولايات المتحدة .

في فترة الخطة الاولى حصل تحول اجتماعي، ولكن لم يحدث التحول الفكرى ، واعتقد ان من



المشاكل التي واجهت الخطة الاولى هي عملية التحول الاجتماعي والتحول الاقتصادي قبل التحول الفكري .

بالنسبة لدور التنظيم السياسي والشعبي في الخطة ، في الخطة الاولى كان هناك تجربتان ، التجربة الاولى هي مشاركه العمال في مجال الادارة حوالي ٥٠ ٪ ، التجربة الثانيه طبقت في بعض الصناعات ولم تطبق في باقي الصناعات بعد وهي عباره عن تشكيل مجالس انتاج في كل مصنع من المصانع ، مجلس الانتاج في كل مصنع من المصانع يتشكل من حوالي ١٥ عضوا ويشترك فيه التنظيم السياسي والنقابات داخل المصنع والادارة الفنيه وهي مجلس الاداره او المشرفين على الانتاج ، واختصاص المجلس هو اقتراح الخطط التي تكفل تطور الانتاج واحكام الرقابه على جودته وحسن استخدام الموارد المتاحه استخداما اقتصاديا سليما وكل ما من شانه زياده وكفايه الانتاج ووضع البرامج الكفيله بزياده الصادرات ووضع السياسه للعماله بمراعاة الاداره الاقتصادية ، ورفع الكفاية الانتاجيه للعاملين بوضع سياسة للتدريب وتوفير حوافز العمل المادية المعنوية، ومراقبة تكاليف الانتاج داخل المصنع ، واقتراح معايير ومعدلات الاداء وتقييمها ومحاضر جلسات هذه المجالس ترسل شهريا الى التنظيم السياسي والى التنظيم النقابي والى المؤسسات المختصه على اساس ان هذه المجالس تجتمع في مستوى الصناعة الواحدة كل ستة اشهر لمناقشة المشاكل التي وجهتها في تحقيق الاهداف، هذه التجربة جديدة على اساس اننا نهدف في آخر السنة انهم يستطيعون ان يضعوا الخطة بعد تجربة السنه الخاصة بالمصنع والخاصة بالقطاع الذي يعملون فيه .

الخطة الخمسية الثانية ينزلها التنظيم السياسي الى جميع المستويات لمناقشتها قبل اعتمادها ، ويعمل بهذه المجالس دورات سياسية واقتصاديه بحيث انها تكون مقتنعة وعلى مستوى المسئوليه في المناقشة ، هذه في الواقع هي التجربة في عملية دور التنظيم السياسي والشعبي في الخطة .

د. جمال العطيفي : اشار الأستاذ بتلهايم الى اهميه الطابع الشعبي للتخطيط فيما يتعلق باعداد الخطة وفيما يتعلق برقابتها ،هذه الفكرة تثير ثلاثة اسئلة :

السؤال الاول :

كيف يمكن من الناحية العملية تحقيق مشاركة الجماهير في اعداد الخطة ؟ وهل يكتفى بتعرف حاجات مشكلات الجماهير ام انه يجب ايضا اخذ راى الجماهير في الخطوط العريضة للخطة وان ندع جانبا التفصيلات الفنية ؟ وهل من الافضل ان ناخذ راى الجماهير قبل اعداد الخطة فنيا او بعد اتمام هذا الاعداد ؟

السؤال الثاني :

كيف يمكن التوفيق بين الطابع الشعبي للتخطيط وبين مبدا مركزيه التخطيط ؟ وهل يختلف هذا الطابع الشعبي للتخطيط في نظام يقوم على الاداره الذاتية كما هو الامر في يوغوسلافيا عن نظام يقوم على اقتصاد مركزى ؟

السؤال الثالث :

ان الرقابة الشعبية تقتضى الالمام بعديد من الاحصاءات اللازمه حتى يمكن الحكم على مدى كفايه التنفيذ فما هو القدر الادنى من المعلومات التي يجب ان نضعها تحت تصرف الجماهير ؟

د. فؤاد مرسي : في الحقيقة سؤالي انا يتعلق بنقطة فرعيه خاصة بالتجارة الخارجية اوجهه للاستاذ بتلهايم وهو ان لدى تقرير صادر من مؤسسة التجاره المصريه يتكلم عن نقد اساسي موجه لسياسه التجاره ، هذا النقد يتعلق بان الاوضاع القائمة للتجاره الخارجية ما زالت تحول دون تنفيذ خطه الدوله بالنسبة لها نظرا لعدم تحديد الجهاز الذى يختص بالاشراف على عمل هذا القطاع ، ايضا فان بعض قطاعات الدوله وهي قطاعات انتاجيه اساسا تخرج عن مبدا التخصص النوعي بحيث اننا نجد مشروعات ومصانع تتولى التصدير او الاستيراد مباشرة دون المرور بمؤسسه التجارة — يحدث هذا داخل قطاعي الدخان والنسيج مثلا — بل اننا نجد اكثر من هذا ان شركات التجارة الخارجية تدخل فيما بينها في منافسة غريبة من اجل تصدير نفس السلعة او استيراد نفس السلعة الامر الذي يصل بنا الى ان التخطيط ليس سيئا فحسب ولكن الى القول بانعدام التخطيط اساساً . هذا في ميدان التجارة الخارجية اكثر من اي ميدان آخر نجد ان التخطيط غير موجود لان التجارة الخارجية في الواقع تتم على هوى كسبنا للعملة الصعبة او على مدى وصولنا الى اتفاقيات ثنائية مع الدول الاخرى ،وبالتالي فلا يمكن الكلام الا عن سياسة خارجية خاصة بالتجارة مرتجلة تماما ، ففي السؤال الموضوع الى اى مدى يمكن في ظل هذه الظروف نفسها تخطيط ادنى للتجارة الخارجية ؟

د. اسماعيل صبري عبد الله : انا اقول ان اخواننا الذين تكلموا اثاروا عددا كبيرا جدا من القضايا غطت نواحي عملية ونظرية . وفي حدود احساسي

بدرجة الوعى بمشاكل التخطيط ارى ان هناك عددا معينا من المشاكل يحتاج لكثير من التوضيح اول هذه المشاكل **مفهوم الاتساق الداخلى للخطة** ، كيف تكون الخطة متسقة ؟ وكيف لا تكون متسقة ؟ لان هذا الموضوع بالدقة الذى سيعطى لنا معيار الفصل بين برنامج الاستثمار وبين الخطة .

الامر الثانى هو **مدى تاثير تنظيم القطاع العام وطرق ادارته** ومدى ارتباطه بفعالية التخطيط سواء فى مرحلة اعداد الخطة او فى مرحلة تنفيذها .

الامر الثالث هى **معنى كلمة تقشف** والى اى حد هذا المعنى يشمل مفهوم **التبديد فى الاستثمار** فأعتقد ان هذه المفاهيم الثلاثة اساسية وتوضيحها يساعد كثيرا فى فهم كثير من مشاكل التخطيط العملية .

محمد عجلان : الواقع فعلا انا شاعر بأن كلام الاخوان الكثير قد غطى العديد من النقط ، لكن ربما احاول الخص نقطة للبروفسير بتلهايم وارجو الرد عليها . . نحن دولة فى طور التنمية ويقابلنا عديد جدا من المشاكل تفوق الحصر مثل نقص فى الافراد ، ومشاكل تكتيكية فى عملنا مثل مشاكل التخطيط المتكامل ليس فقط من الناحية الفنية ولكن من الناحية الجماهيرية ، فتوجد مطالب شعبية ، وتوجد مطالب سياسية ، يوجد انخفاض فى اسعار خامات نصدرها ونعتمد عليها اساسا ، توجد مشكلة خاصة بنا ونؤمن بها جدا وهى نظرية الثورة المتطورة لتذويب الطبقات ، ومن مشاكلها انها تترك جيوبا من الطبقات المعارضة للثورة ، وفى نفس الوقت تضم قوى فى نفس اتجاه الثورة ، مشاكل مثل عدم وجود قوة سياسية منظمة منذ بداية التغيير الثورى ، مشاكل مثل نقص راس المال المتاح ، فأنا اصور هذه الاوضاع بخيط متشابك وكله عقد ، لكن بالتأكيد هذا الخيط المتشابك لو امسكنا بالعقدة الجوهرية داخله فقد يكون فى حلها ما يساعد على حل باقى العقد .

فأنا ارجو ان استطيع ان اصل الى رد من وسط هذه المشاكل الكثيرة التى تقابل دولة نامية . نبحث عن المشكلة الرئيسية التى لو امسكناها حلت باقى المشاكل بسهولة . هذه هى **النقطة الاولى** .

النقطة الثانية : انا متفق مع السيد / على السيد انه بالرغم من كل المشاكل التى قابلناها ، لا اعتقد الا اننا حققنا نجاحا فعلا فى الخطة الخمسية الاولى ، فى هذا النجاح نقائص لكن لا ينفى ان هناك نجاحا ، فاستطاعتنا تحقيق ٩٥ ٪ من الخطة بكل هذه المشاكل التى قابلتنا يعتبر نجاح ، ولكن اعتقد ان مشكلتنا الرئيسية الان قد تكون فى ان نخطط بالاستفادة من خبراتنا فى الخطة الخمسية الاولى ، بمعنى قد نكون حققنا ٩٥ ٪ لكن بأى ثمن وعلى حساب اى حاجات ؟ فى هذا الصدد انا اريد ان اعلق على نقطتين بالذات لى فيهما خبرة خاصة وضخمة واحب ان اعطى فكرة عن المتاعب التى يمكن ان تنجم عنها ، نقطتان اثارهما السيد / على السيد ، الاولى مشاركة العاملين فى مجلس الادارة والثانية تكوين مجالس الانتاج ، ولا شك ان خبرة شهور مايو ويونية ويولية من السنة الماضية فى الدعاية القوية التى ركزها السيد / على السيد ، والسيد / سمير حلمى على مجالس الانتاج وعلى مشاركة العاملين فى مجالس الادارة ابرزت فعلا لغير المؤمنين بقدرة القوى الشعبية على التفاعل مع الاتجاهات السياسية الامكانيات العميقة جدا الموجودة لدى الجماهير الشعبية وسأضرب لذلك مثلين ، الحقيقة لا اعتقد انه حتى فى الدول الاشتراكية المتقدمة جدا وجدوا وتحققوا ان عمالا يعملون سويا فى منطقة صناعية واحدة يتنازل بعضهم عن قدر من استحقاقاتهم واجورهم لزملاء لهم آخرين يرون ان اجورهم اضعف من الجهد الذى يقدموه فى العملية الانتاجية ، اعتقد ان هذه قيمة اشتراكية لم يصل اليها احد بعد ، ولاول مرة نجد العاملين يتبنون خطة العمل ويزيدونها ٢٥ ٪ ويكونون منهم الاجهزة التى تتابع باقى العاملين لتحقيق هذا الهدف لمنع اى اسراف ولمنع اى استهلاك زائد عن الحد ، مثل هذه الامثلة عندما تبناها العاملون انفسهم ، اعتقد انها تعطى فكرة عن الامكانيات المتاحة لدى الناس ، وعندى واقعة مادية حصلت فعلا وهى ان العمال الذين ينتجون الزجاج المسطح عددهم ٧٠٠ ، منهم جزء يتمتع بنظام اسمه مكافآت الانتاج وجزء آخر لا يتمتع ، فوضعوا جهدهم مع بعض وارتفع الانتاج الى ما لم يحدث فى تاريخ هذه الصناعة .

المثل الثانى تبنى العاملين انفسهم للخطة وتلقائيا يضيفوا عليها ٢٥ ٪ ويقولون سنحقق هذا ، ولم يتركوها على عبء الفنيين وانما كونوا هم انفسهم لجنة شعبية خاصة بهم للمتابعة فتمر على كل الاجزاء فى المصنع وترى مدى تحقيق الخطة يوميا وبدون اسراف وبدون عمالة زيادة ... الخ .

مثل ثالث : لما قال الرئيس فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٤ ان السفير الامريكى قال لوزير التموين انه لايوجد قمح لنا لان سياستنا لا تعجبهم ، كان هناك ماكينتان فى المصنع مهملتين منذ ٦ سنوات ، جمعت عمال الورشة واثرت حماستهم بخطاب الرئيس وطلبت منهم

تشغيل هاتين الماكينتين ووعدتهم بأي مكافاة يطلبونها .

وبعد اسبوعين وجدتهم قد اتموا العمل فلما طلبت منهم تحديد المكافأة التى وعدتهم بها ، رفضوا قبول اية مكافاة معلنين ان هذا هو ردهم العملى على السفير الامريكى .

ولكن تأتى مشكلة الاندفاع،هذه الاندفاعات طيبة وموجودة ولكن المشكلة هى ان هذه الاندفاعات لاتستمر حين لايتفق مستوى الفهم لهذه الاندفاعات عند الناس القائمين على الاشراف عليها، انا رأيتها اندفاعات بناءفعلى للاشتراكية ، غيرى رآها انحرافات يسارية خطيرة جدا فى البلد ان العمال توفر عملة اجنبية، أن العمال ترد على السفير الامريكانى ان العمال تتابع هى الانتاج ، هذا هو الواقع وهو مشكلة عدم توازى الفهم السياسى لدى القائمين على مقدرات عمليات التخطيط وخلافه الذى يربط العملية السياسية مع العملية الاقتصادية والانتاجية ، وهذا تعقيب على النقطتين التى اثارهما السيد / على السيد ، لكنى اعتقد ان المشكلة الرئيسية والجوهرية عندنا الان هى مشكلة تخطيط الاستفادة من الخبرات فى الخطة الخمسية الاولى، وكيف يمكن للاستاذ بتلهايم انيعطينا من واقع تجربة اخرى من شىء كهذا ، كيف يمكن ترجمةهذه الامور خلال الخطةالخمسية الثانية وتطور العمل بعد ذلك .

النقطة الثالثة : هى ماذا نعنى بكلمة التنظيم السياسى ؟ هل نعنى بهذا اننا نعمل مجموعة من الناس تأتى لهم تقارير من المصانع ومن الجهات الانتاجية فيراقبوها ويرسلوا لهم بمدى ما حققوه او لم يحققوه فى الخطة، ام ان التنظيم السياسى هواساسا وضرورة ، التحام مابين الرقابة والتنفيذ ام هو مجموعات ثلاثة او اربعة نفرغهم داخل مصنع معين او فىوحدة انتاجية معينة لمراقبة العمل وارسال تقارير لقيادة اعلى منهم وهكذا ... الخ ام هى عملية التحام فعلى. التنظيم السياسى شىء مستقل ام هو شىء داخل عملية التنمية نفسها ، ارجو توضيح هذه النقط .

النقطة الرابعة : وهى انه بحكم العمل فى التخطيط قبل ذلك لفت نظرى فى كلام الاستاذ / بتلهايم انه وضع اسسا جميلة وطيبة جدا لنجاح عملية التخطيط ، ووضع الخطة المتكاملة التى طلبت سيادتك تحديد لها ، اتباع وسائل معينة علميا مثل الموازين السلعية والمدخلات والمدخراتوغيرها لضبط الخطة ... الخ .

ولكنى اريد أن اسمع منه بالنسبة لدولة نامية مثلا ، عن المعايير التى يجب ان تكون موجودة لقياس مدى التقدم ، لانى اهتمبهذه النقطة ، واعتقد — نتيجة مناقشات كثيرة هذه الايام — انهذه المعايير تختلف كثيرا جدا من دول متطورة ونامية الى دول متخلفة او دول تبنى نفسها .

اريد ان اشير فى هذا الى امر واطلب فيه خبرة البروفسير بتلهايم فتوجد ظاهرة عامة قد اتيح لى الفرصة ان اتناولها بالتحليل فى بلدنا وان كنتاعتقد انها ظاهرة عامة لجميع الدول التى عانت من استعمار او تحكم فيها الاستعمار مدة طويلة ، وهى ان يوجدداخلها وداخل — الطاقات القائمة فيها فعلا حتى قبل عملية التنمية قدر كبيرمن القوة المختفية او الطاقات الغير مستغلة استغلالا كاملا والتى لو وجه النظر اليها توجيها كافيا فقد تحقق فعلا امكانيات انتاجية دون احتياجات الى استثمارات ضخمة او كبيرة كما هو شأن المشروعات الجديدة المتضخمة .

لطفى الخولى : طاقات مادية ام بشرية ؟

محمد عجلان : الاثنين معا ، طاقات مادية وبشرية ، من بعض الدراسات الصغيرة التى اجريت هنا مثلا من واقعنا ، عندمااتيح لى ان اقيس بالنسبة لعدد من الصناعات القائمة انتاجية العامل فى المصنع الذى يعمل وردية واحدة وانتاجية العامل فىالمصنع الذى يشتغل ثلاث ورديات ، وجدت ان الانتاجية كانت الضعف لنفس العامل على الاقل مثلا، المشكلة ان وجود العامل فى العمل تعنى طاقات اخرى تشتغل معه، الطاقات الاخرى عندما تشغلها ٨ ساعات وتتركها ١٦ ساعة لاتستفيد منها الاستفادة الكاملة ، هذا جانب من الجوانب التى اريد رأى وخبرة الاستاذ بتلهايم فيها ، هل هى ظاهرة عامة بالنسبة للدول المتخلفة ؟ وهل يمكن من طاقات قائمة ان تستغل بحيثان تزيد الانتاجدون احتياجات الاستثمار ، لانى اخشى ان من متاعبنا فى الخطة الخمسية الاولى اننا وضعنا ضغطا كبيرا جدا على الاستثمار دون الاستفادة المقابلة له ، فربما يكون احد معايير القياس لمدى نجاحنا من عدمه ، هو عائد كلاستثمار بالتالى مدى نجاح القيادات المختلفة فى ان تجذب الى العملية الانتاجية استثمارات وقوة انتاجية قائمة ومعطلة .

البروفسير بتلهايم : اشكركم جدا على هذه المعلومات التى اخذتها من خلال هذا الحديث وسأحاول الاجابة على جميع الاسئلة بقدر

ما استطيع ليس كخبير في هذه الموضوعات فقط وانما كصديق ، لانى اعتز بهذه الصفة التى نيلت ، واشكركم مرة اخرى ».

لطفي السيد : فى الواقع باسم الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي نسجل الشكر للبروفيسير بتلهايم ، وفى الواقع اذا كنا قد تكلمنا معه بالصراحة الكاملة لاعتزازنا بالصداقة التى بيننا وبينه وهى الاساس فى المناقشة اكثر من اى شىء آخر ، ونعتذر اذا كنا قد اخرناه طوال هذه الفترة ».

واشكر جميع الاخوة الذين شاركوا فى هذه الندوة واسجل شكرى للاخ لطفى الخولى على اتاحة هذه الفرصة ، « وللطليعة » كذلك اسجل لها الشكر بالنيابة عن كل الاخوان ونأمل اننا نرى البروفيسور بتلهايم فى القاهرة باستمرار ويزورنا دائما كصديق وفى نفس الوقت يتيح لنا الفرصة بأن نستفيد من خبراته التى مارسها وخاصة فى كل الدول النامية الاشتراكية ».

تعقيب " شارل بتلهايم "

اود اولا ان اشكر جميع المتكلمين لانتقاد القضايا التى اثاروها ولصراحتهم التامة فى كلماتهم . وقد احاطنى هذا التوسع فى المناقشة بجو من الصداقة اثر فى نفسى بعمق مما سيدفعنى بالتاكيد الى ان افصح بدورى عن آرائى ووجهات نظرى فى صراحة تامة وصداقة كاملة ».

ويخيل لى انى استطيع ان اميز فى مجموع الكلمات والاسئلة بعض نواحى التناقض التى تظهر فى كثير من الاحوال فى كلمات شخص واحد. فهناك من ناحية تقدير سليم للنتائج الايجابية المحققة ورضاء مشروع عن كل ما انجز، وهو ضخم ولا شك بالنظر الى الظروف التى ميزت المرحلة المنصرمة، وبالمقارنة ايضا بكل تجارب التحول الاجتماعى وكل الجهود المبذولة فى بلدان مختلفة من اجل زيادة التنمية والانتاج. وقد حققت ج.ع.م من كل وجهات النظر هذه، تقدما ملحوظا يستحق أن يكون مصدر فخر ورضاء مشروعين. ومن جهة اخرى بدا من خلال مختلف الكلمات الملقاة اهتماما مشروعا وسليما ايضا بضخامة المهام المطلوب انجازها لضمان تنمية سريعة ومتوازنة فى البلاد وللسير بها فى طريق البناء الاشتراكى. واذا كان هذان الجانبان لهما ما يبررهما، الا انى سأقول من ناحيتى بصراحة ان الجانب الثانى ، جانب الاهتمامات المتعلقة بالمستقبل اكثر الجانبين ايجابية وبناء. فلكى يتحقق التقدم، لا بد من اخذ نواحى الضعف والقصور فى الاعتبار لانها الوسيلة الوحيدة للتغلب على ذلك الضعف او القصور ، ولانها ايضا فى حالتنا هذه الطريقة الوحيدة لاجراء تحسين اساسى فى التخطيط واساليبه وفاعليته ولادماجه فى نشاط الجماهير. وهذه الجوانب كلها لا غنى عنها فى المرحلة العليا من التخطيط التى يجب أن تتلائم مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية العميقة التى شهدتها ج.ع.م. فى السنوات الاخيرة، وان تتمشى ايضا مع تغيرات اخرى لا تقل عنها عمقا ستحدث خلال الانتقال الى الاشتراكية. وقد قطعت ج.ع.م. مرحلة كبيرة فى بضع سنوات ولكن لازال الطريق امامها طويلا لكى تحقق البناء الاشتراكى وهو شرط لا غنى عنه لتحقيق تنمية اقتصادية سريعة ومنتظمة ومتوازنة.

واود ، بعد هذه الافكار العامة التى اوحت لى بها الكلمات والاسئلة المختلفة ان ابدى رايى فى بعض القضايا المثارة وان ارد فى حدود امكانياتي وبقدر المعلومات المتاحة لى على الاسئلة الموجهة لى :

اولا: جاء فى احدى الكلمات الاولى ،فى كلمة الدكتور جاب الله على ما اظن ،ان الاتجاه الغالب فى وضع الخطة كان يتمثل فى وضع خطط للانتاج والاستثمار. وبالفعل فقد اعدت خطط من النوعين



على مستوى وزارة التخطيط، غير انى عندما تكلمت عن ضرورة التخطيط الشامل لم اقصد التعبير عن ضرورة وضع اهداف عامة للانتاج ولكن عن ضرورة وضع خطط كاملة فعلا، ومبنية فى آن واحد على الانتاج والتكاليف والامدادات والواردات والصادرات وان مثل هذه الخطط لازمة لا على المستوى المركزى فقط ولكن على مستوى كل منشأة ايضا. غير ان الامور لاتجرى على هذا النحو حاليا حسب معلوماتى وحسب ما عرفت من خلال الاحاديث التى تمت معى ومن خلال زياراتى للمنشآت.فهذه المنشآت تعمل اساسا استنادا على الطلبيات التى تتلقاها ، ومعنى هذا ان نظام السوق لازالت له الغلبة فى الوقت الراهن على نظام التخطيط مما لا يسمح بتخطيط شامل حقيقى ،لا يمكن ان نضمن بدونه تنميه اسرع. ويجب بالطبع ان تتمشى الاساليب التى تستخدم فى وضع خطط المنشآت مع الظروف الخاصه بالبلاد ومع الظروف التى ستتواجد فيها المنشآت حتى تكون هذه الخطط واقعيه وحتى تنفذ بالمرونه الكافيه. ولا ينفى ذلك بالطبع ضرورة الخوض فى تفاصيل خطط الانتاج والاستثمار والتوقعات فى مجالات الامداد والتسويق والتجاره الخارجيه ..الخ. والواقع ان اساليب التخطيط لم تتطور فى ج.ع.م. بقدر ما تطورت الاوضاع الاقتصاديه والاجتماعية والسياسية فيها. وقد تأكد هذا المعنى من خلال كلمات مختلفه ولذا يبدو لى انه ليس من الضرورى ان استطرد فى هذه المسأله .غير انى سأعود اليها بعد قليل عند التعرض لبعض القضايا الخاصة بالاساليب الفنية.

ثانيا: اثيرت مسألة ادماج تخطيط الاسعار والتدفقات المالية فى التخطيط الشامل. وقد اشرت من قبل لهذه المسأله ولذا فانى اؤيد تماما مثل هذا الدمج. ففى رايى ان التخطيط الشامل يجب الا يكون فقط تخطيطا لاهداف الاستثمار والانتاج واهداف الامداد والتعريف بالمقادير العينية بل يجب ان يشمل ايضا مشاكل الاسعار والدخول.

واود ان اضيف بهذا الصدد ملحوظة تتصل بقضية تناولتها فى احدى اجاباتى السابقة فى الجزء الاول من هذه المناقشة: اعتقد ان مشكلة الدخول على مستوى الدخول الفردية، اصبحت اليوم احدى المشاكل الاساسية .وقد اكدت عده جوانب ان من بين القضايا الملحة خلال السنوات الاخيرة والتى ما زالت مثاره حتى الان: قضية عدم التوازن الصريح او الكامن بين حصيلة الدخول الموزعة والعرض المتاح فى مستوى الاسعار الحالية . وهناك عدة اجراءات فى السياسة الاقتصادية من الممكن اتخاذها لمواجهة مثل هذا الوضع ،من بينها محاولة اعاده التوازن برفع الاسعار حتى تمتص الى حد ما فائض القدرة الشرائية. وقد اتبعت مثل هذه الاجراءات مؤخرا،ولكنى اعتقد ان الامكانيات فى هذا الاتجاه محدودة للغاية وانه من الخطورة بمكان تخطى النقطة التى وصلت اليها. والواقع ان الالتجاء الى رفع الاسعار، وخصوصا رفعها عدة مرات متتالية يهدد بتقويض الثقة فى النقد ؛ اذ يخشى المشترون مزيدا من رفع الاسعار فيهرعون الى المحلات لتحويل امكانياتهم النقدية الى منتجات فى اسرع وقت ممكن. وهكذا تزداد سرعة الاستهلاك بدلا من ان تقل. واعتقد انه من الافضل بكثير التأثير على مجموع الدخول الموزعة واظن ان ذلك اضحى من الممكن اليوم فى الوضع الراهن فى ج.ع.م. حيث ارتفعت بشكل كبير حصيلة الدخل النقدى لكثير من الفئات الاجتماعية. واعتقد انه من المهم وضع سياسة للدخول تتجه نحو المزيد من المساواة ونحو الحد من الدخول المرتفعة ، وتميل الى القضاء على الدخول العالية الغير ناتجة عن تقاضى اجر والتى يصعب مراقبتها بمجرد اتخاذ اجراءات ضرائبية. وانى اعنى بشكل خاص الدخول العالية التى يمكن سحبها من تجارة الجملة وما لا يزال متبقيا من شركات التشييد والمقاولات العامة فى القطاع الخاص. وقد استفادت ايضا الفئات العليا من الفلاحين بشكل كبير من الرخاء العام وجنت بلا منازع ثروات فى السنوات الاخيرة بحيث اصبحت قادرة اليوم على المشاركه بشكل اوسع فى جهود التنمية القومية عن طريق الضرائب والرسوم . ولا شك ان هذه المسألة تعتبر هى ايضا من القضايا السياسية وان الاطلاع بهذا الدور السياسى من صميم عمل تنظيم مثل الاتحاد الاشتراكى العربى، فيساهم فى حل هذه المشاكل السياسية التى تفتح الطريق لحل مشاكل اقتصادية اساسية.

واريد ان اذكر عابرا، بخصوص ما قيل حول سياسة الاسعار والدخول، ملاحظة خاصة بالفكرة التى تقول انه من الممكن الحكم على مدى الفعالية الاقتصادية لبعض مشاريع الاستثمار وضمان توجيه الاستثمارات بحيث تتلائم بشكل افضل مع ظروف اقتصاد مفتوح مثل اقتصاد ج.ع.م. عن طريق هيكل جديد للاسعار .ويتعين على ان اقول من جانبى بكل صراحة انى لا اعتقد انه من الممكن ايجاد نظام للاسعار يسمح بالحكم على الفعالية الاقتصادية لمختلف المشاريع بهذا الاسلوب المنعزل. وقد سبق ان قلت انه لايمكن الحكم على الفعالية الاقتصادية والاجتماعية لمختلف مشاريع الاستثمار الا فى الاطار العام للاقتصاد القومى. ولا يعنى كون هذا المشروع او ذاك قليل الغلة انه يشكل بالضرورة استثمارا يتعين استبعاده اذ ان ادخال مثل هذا المشروع ضمن مجموعة من الاستثمارات الاخرى قد يجعله يساهم فى نهاية الامر فى زيادة الدخل القومى وفى رفع امكانات التصدير الكامنة فى اكثر من مشروع آخر قد يبدو افضل منه اذا نظرنا اليه بشكل

منعزل. وليس لدى بالطبع متسع من الوقت للافاضة فى هذه المسألة ولكن يبدو لى انه من الضرورى الاشارة اليها .

واود على كل ان اضيف ملحوظتين بخصوص مشكلة سياسة الاسعار :

١ - لا اعتقد انه من الممكن فى ظل المستوى الحالى للاحصائيات ومع افتقاد المعرفة العميقة بالعلاقات بين القطاعات الصناعية وضع نظام اسعار له مغزى كامل من وجهة النظر الاقتصادية. ولا شك ان هذه المهمة ضرورية لضمان الادارة الاقتصادية الفعالة ولكنه لن يكون من الممكن تحقيقها الا على اثر معرفة افضل بالعلاقات بين قطاعات الصناعة ويشكل ذلك هدفا نظريا له اولوية الحل .

٢ - اعتقد انه لا يمكن على اى حال الحكم على مدى اهمية مختلف مشاريع الاستثمار على اساس التكاليف النسبية المستخرجة من نظم المحاسبة المالية فى ظل اقتصاد يتطور فيه التكنيك بسرعة. ولا يمكن اتخاذ قرارات ذات مغزى اقتصادى الا بتبين ابعاد الاوضاع مع الاخذ فى الاعتبار التطورات التكنيكية التى قد تطرأ على مختلف قطاعات الاقتصاد. ومن وجهة النظر هذه لا يستطيع اى نظام للاسعار ،يعكس او يجب ان يعكس الوضع الراهن للاقتصاد، ان يوفر الوسائل الكافية لحل مشاكل التخطيط او مشاكل توجيه الاستثمارات .

ثالثا: اود ان انتقل الان الى بعض القضايا المثارة بخصوص التجارة الخارجية. وقد ابديت بهذا الصدد وجهتى نظر مختلفتين. فمن جهة قال لنا الدكتور جاب الله ان التجارة الخارجية مخططةبالفعل وانها حددت اهداف زيادةالواردات وتخفيض الصادرات ولكنه اضاف مع ذلك انما يجب تحسينه هو الاساليب التى تسمح بزيادة الفعالية الاقتصادية للتجارة الخارجية .

غير انه جاء فى كلمة اخرى ذكر لتقرير وارد من الاجهزة المختصة يلقى الضوء بوضوح على ضعف التخطيط الحالى للتجارة الخارجية. واعتقد من ناحيتى ،من خلال الاحاديث التى تمت معى، ان الرأى الاخير يتفق اكثر مع الواقع. فمن الجلى بالفعل انه لا يكفى تحديد اهداف عامة لزيادة الصادرات وتخفيض الواردات، بل ان خطة التجارة الخارجية تعنى تحديد الاهداف التفصيلية لمختلف المنتجات والمبادلات مع البلدان المختلفة .

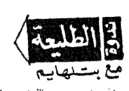
ولا توجد فى حدود علمى، مثل هذه الخطة التفصيلية،وعلى اى حال فقد اوضحت عدة كلمات ان هذا الوضع يشكل ثغرة حقيقية لها عيوبها الخطيرة. ومن جهة اخرى،فى حدود الحديث عن التجارة الخارجية وغياب التخطيط ،ظهر من خلال الكلمات المختلفة انمن بين المشاكل الجوهرية القائمة هنا انه لا توجد مشكلة تخطيط فقط بل ومشكلة تنظيم ايضا للتجارة الخارجية. ولا شك ان المشكلتين مرتبطتين ارتباطا وثيقا لان التخطيط الصحيح يستحيل عمليا فى ظل عدم وجود تنظيم راسخ للتجارة الخارجية .

ويتضح مما قيل انه يوجد فى الوقت الراهن عدد كبير من الاجهزة المصرية المتنافسة فى مجال التجارة الخارجية سواء فى التصدير او الاستيراد. ولا يمكن ان تترتب على ذلك سوى آثار سلبية سواء من وجهة نظر الاسعار التى يدفعها المستوردون المصريون او من وجهة نظر الاسعار التى يستطيع ان يحصل عليها المستوردون فىحدود المنافسة القائمة بينهم. وهذا يعنى انه يبدو من الضرورى الاتجاه اليوم نحو خلق او تطوير اجهزة متخصصة فى التجارة الخارجية او تطوير الاجهزة المختصة بتسويق منتجات معينة .

وقد يكون من المجدى التعرض فى هذا الخصوص لبعض الملاحظات التكميلية :

اولا: اريد ان اؤكد انه يجب الا يكون تدخل الجهاز المختص بالتجارة الخارجية قاعدة مطلقة وصارمة . فهناك فى الواقع حالات تكون فيها العلاقات المباشرة بين شركات الانتاج المصرية وقريناتها فى البلدان الاجنبيةاكثر فعالية من العلاقة عن طريق جهاز متخصص. وهذه الحالات استثنائية بالطبع ويجب دراسة كل منها على حدة ويسمح لهذه الشركات المصرية بأن تستمر فى قيامها ببعض عمليات الاستيراد والتصدير على ان تفرض رقابة شديدة على تلك العمليات . بيد ان هذه الحالات استثنائية بصفة عامة .

ثانيا: فيما يختص بتسيير الاجهزة المتخصصة فى عمليات الاستيراد والتصدير يجب ان يكون العمل خاضعا لقواعد خاصة واعتقد بالاخص انه ليس سليما ان تعمل كل هذه الاجهزة بمقياس الغلة. وقد قيل لى بالفعل ان من بين اسباب ميل الشركات الوطنية المصرية المنتجة الى الاستغناء عن خدمات التجارة الخارجية ان هذه الاجهزة تعمل على اساس الغلة فتفرض على الشركات فى حالات كثيرة زيادة كبيرة جدا فى الاسعار حتى انها تجد ان من صالحها من وجهة نظرها الاستغناء عن خدمات تلك الاجهزة. غير ان هذا الوضع لا يعكس بالضرورة التكاليف الاضافية لتدخل الشركات المتخصصة ولكنه يعكس رغبة هذه الشركات فى تحقيق غلة اكبر . كما ان شركات التصدير تضطر لنفس الاسباب ان توافق على اسعار مجزية فى مثل هذه الحالات عن المنافسة



الاجنبية لكى تضع قدمها فى بعض الاسواق ولذا يبدو لى انه لا غنى من اعطاء هذه الشركات شروطا مختلفة عن تلك التى تنظم الشركات الوطنية المقصور نشاطها على داخل البلاد فقط. وعلى كل يجب ان يعاد النظر بالضرورة فى قواعد عمل هذه الشركات مع تغيير مضمون التخطيط ومع نمو الدور الذى يقوم به التخطيط وتقلص الدور الذى تلعبه السوق.

وبخصوص تدخل الاجهزة المتخصصة فى التجارة الخارجية اعتقد ان هناك نقطة يجب التعرض لها ، الا وهى ان هذا التدخل قد يكون هاما للغاية ايضا من وجهة نظر المحافظة على مستوى الجودة لان الشركات المتخصصة فى التصدير لاتستطيع ان تمارس رقابتها على المنتجات المصدرة وان تدرس الاسواق الخارجية لكى تطمئن على المواصفات او بالاحرى على المميزات الخاصة بالمنتجات المطلوبة فى الخارج. كما انها تستطيع ان تقوم بمهمة مفيدة للغاية لايسع شركات الانتاج ان تتولاها وحدها دون ان تنحرف عن مهامها الاساسية .

رابعا : اثيرت اكثر من مرة خلال المناقشة مشكلة تهابط نسب التبادل بين ج.ع.م. والدول الاجنبية. ولا شك انه يتعين على كل الدول التى دخلت طور التنمية الاقتصادية وتعمل من اجل تغيير هيكلها الزراعى اساسا الى هيكل صناعى فى الجوهر ، ان تواجه هذه المشكلة الخطيرة .

واود قبل ان اتكلم بشكل خاص فى هذه المشكلة ان الاحظ عابرا ان الاتجاه نحو هبوط نسب التبادل بين البلدان الصناعية والبلدان غير الصناعية يقدم لنا مثالا واضحا عن ضرورة عدم حساب غلة التجارة الخارجية اعتمادا على نظام الاسعار الحالى لان ما يكون مربحا اليوم قد لا يكون كذلك فى الغد. والواقع انه يجب ان يكون توجيه الاستثمارات فى هذا الصدد متوقفا على اختيار قطاعات يمكن ان يظهر فيها فى مرحلة مقبلة «وفورات الحجم» اى قطاعات يكون اتجاه الاسعار فيها مجزيا فى المدى الطويل وايضا القطاعات التى قد يحدث فيها تقدم تكنيكى كبير قد يستدعى بالطبع الاعداد لها بتطوير البحث التكنولوجى الوطنى .

وقد اثيرت مسالة تثبيت اسعار بعض المنتجات على النطاق الدولى فى كلمة السفير عبد المنعم النجار بالذات. واعتقد ان هذا التثبيت حل جزئى للمشاكل التى تواجهها الدول النامية ، وانه ذو اثر محدود لان الرفع المصطنع لمستوى اسعار بعض المنتجات المصدرة من جانب الدول النامية سيؤدى الى التوسع فى انتاجها بما يزيد عن الاحتياجات الدولية كما انه سيترتب عليه تخصص هذه الدول فى منتجات غير مجزية نسبيا ما دام الاتجاه العميق والحقيقى الخاص بها يتمثل فى تهابط نسب التبادل حتى ولو تخفى هذا التهابط وراء بعض الاجراءات التنظيمية ذات الطابع المصطنع والمؤقت بالضرورة. وفى رايى ان الحل الحقيقى لمشكلة تهابط نسب التبادل التى تشار منها حاليا البلاد الضعيفة التصنيع يتمثل فى تصنيع هذه البلدان نفسها، ذلك ان التصنيع يؤدى الى توفر ظاهرتين ستساهمان فى حل المشكلة التى نتناولها الان . فأولا سيزداد الطلب الداخلى على المنتجات المصدرة حاليا من جانب الدول التى تعانى من تهابط نسب التبادل ، وبالتالى سيزيد العرض الدولى لهذه المنتجات بسرعة تقل عن السرعة السابقة. ومن جهة اخرى تتحكم فى نهاية الامر فى الاتجاه نحو تهابط نسب التبادل، قوانين تكوين الاسعار السائدة فى الاقتصاد الراسمالى الدولى حيث يتحدد المستوى النسبى للاسعار بمستوى سعر الانتاج. غير ان الاجور المنخفضة السارية فى البلدان الضعيفة التصنيع والاجور العالية السارية فى البلدان الصناعية، والحركة النسبية لهاتين الفئتين من الاجور ، تؤدى آليا الى تحديد نسب التبادل. وقد عولجت هذه القضية بتعمق فى مختلف الدراسات المنشورة فى المجموعة التى اراسها تحت عنوان « مشاكل التخطيط » وعلى اساس هذا التحليل يتضح لنا ان تهابط نسب التبادل سيتلاشى مع تطور البلدان الضعيفة التصنيع حاليا، ومع زيادة الطلب الداخلى وبالاخص مع الارتفاع التدريجى للاجور السارية ومع تقليل الفارق بين هذه الاجور وتلك السارية فى البلدان الصناعية .

ولايعنى هذا بالطبع انه لايمكن أو لايجب التصرف الى ان يتحقق المطلوب . فمن المفهوم بالطبع انه يجب السعى الى عقد اتفاقيات طويلة الاجل تحصل بمقتضاها الدول النامية على اسعار ثابتة ومجزية أكثر مما هى اليوم فى مقابل تصدير بعض منتجاتها . ومن الامثلة على هذا النوع من الاتفاقيات تلك المعقودة بين كوبا والاتحاد السوفيتى والتى تنص على تعهد الاتحاد السوفيتى لعدة سنوات قادمة بشراء كميات كبيرة من السكر ، المنتج الاساسى المعد للتصدير فى كوبا ، باسعار ثابتة تزيد عن الاسعار السارية حاليا فى الاسواق العالمية . ومن الممكن عقد اتفاقات ثنائية من نفس النوع مع دول أخرى بما فى ذلك الدول الراسمالية ان أمكن . غير أننا يجب الا نخدع انفسنا حول مدى فعالية هذا العلاج . انه مجرد مسكن يسمح لنا بمواجهة المصاعب الجذرية الخاصة بمرحلة التصنيع . واقول مرة أخرى أن العلاج الحقيقى لايتمثل فى عقد الاتفاقيات الدولية الثنائية ولكن فى تصنيع البلاد التى تعانى تهابط نسب التبادل وفى تنمية الصادر من المنتجات التى لاتعانى فى الوقت الحالى من ذلك التهابط .

خامسا : اود ان انتقل الان الى مشكلة ورد ذكرها عدة مرات فى مختلف الكلمات الا وهى المشكلة الخاصة بانجازات الخطة الخمسية الاولى فى ج . ع . م . وقد أبديت تقديرات مختلفة بهذا الخصوص ولا يمكننى بالطبع ان أتناول عن قرب كل القضايا التى يثيرها انجاز الخطة الخمسية الاولى فى ج . ع . م . فهذا العمل متسع للغاية ويتطلب تقدير حقيقى للنتائج التى حققها كل قطاع على حدة وكل فرع صناعى على حده ، ولايمكن ان يكون الا نتاج عمل جماعى طويل المدى ومتعمق للغاية ، واود أن اضيف هنا فورا ان هذا العمل لاغنى عنه ولايمكن ان يكلف به ، فى راى ، الجهاز المسئول عن تنفيذ الخطة . ففى هذا المجال ، كما هو الحال فى اى مجال آخر ، لايمكن ان يكون الشخص حكم وطرف فى آن واحد . وهناك عدة حلول تنظيمية ممكنة كتكوين لجنة لتقرير نتائج الخطة الخمسية الاولى او تكليف المعهد القومى للتخطيط ، تحت قيادة واشراف الاجهزة القيادية للاتحاد الاشتراكى العربى بمهمة التقييم هذه ، للبحث عن كل نواحى الضعف او القصور فى التنفيذ غير ان هذا التقييم لا يجب ان يستفاد منه فى معرفة الماضى فقط بل يجب ان يهدف الى ايضاح المستقبل بتسليط الضوء على نواحى الضعف والقصور التى واجهتها الخطة فى التنفيذ .

ولذا ساكتفى هنا بعدد محدود من الملاحظات حول بعض النقاط التى تبدو لى هامة بنوع خاص . واود ان اقول اولا بخصوص المسألة الاساسية المتعلقة بتقييم نتائج الخطة الخمسية الاولى انه يتعين دراسة المسائل بأقصى قدر من الصراحة . ويجب ان نتفادى بشكل خاص الاوهام التى قد تنشأ عن الاعتماد على الارقام الاجمالية . فقد اشار البعض مثلا الى تنفيذ الخطة الخمسية الاول بنسبة ٩٥ ٪ . غير ان مثل هذا الرقم الاجمالى لايعنى شيئا من وجهة نظر التقدير الصحيح لنتائج هذه الخطة الاولى واثارها على خطة المستقبل فالواقع ان هذه النسبة تمثل متوسطا تخطى اهداف الخطة فى بعض المجالات التى قد لا تكون بالضرورة مجالات تحتل المقام الاول من الاهمية مثل الخدمات التى تخطت فيها اهداف الزيادة فى الانتاج الاجمالى بالاسعار الثابتة نسبة ١٣٥ ٪ مع عدم تنفيذ خطة الانتاج نفسه ، اذ ان الزيادة المقدرة لم تتحقق الا بنسبة ٦٣ر١ ٪ من حجم الانتاج فى الزراعة وبنسبة ٥٥ر٤ ٪ من حجم الانتاج فى الصناعة (اما على اساس المنتجات الاولية فان الوضع يصبح على الوجه التالى : ٦٧ر٣ ٪ من الزيادة المقدرة للزراعة و ٤٩ر٥ ٪ من الزياده المقدره للصناعة) . وهذه الارقام الخاصة بالقطاعات هى الوحيدة التى يمكن ان يكون لها مغزى حقيقى . فالارقام الاجمالية ليست لها اذن سوى اهمية محدودة من وجهة نظر التحليل الاقتصادى . ومما يؤكد ذلك ايضا ماقاله البعض ، وساعود اليه فيما

بعد ، ان ارقام الانتاج الداخلى تدخل فى حسابها الخدمات مما يتناقى مع مقتضيات المحاسبة القومية ذات الدلالة الحقيقية فى ظروف الاشتراكية . وينطبق نفس الامر ايضا على زيادة الاستهلاك . فالارقام لن يصبح لها دلالة كبيرة عندما تكون اجمالية ، ولابد من التمييز بين مختلف انواع الاستهلاك . وكما لاحظ البعض فى الندوة فقد زاد استهلاك الدولة بنسبة ٥٥ ٪ بينما لم يزد الاستهلاك الفردى الا بنسبة ١٧ر٢ ٪ ويقتضى التحليل الاقتصادى والاجتماعى ذو الدلالة الحقيقية مزيدا من التعمق فيحلل تطور الاستهلاك لدى مختلف الفئات الاجتماعية لاتطور الاستهلاك الاجمالى فقط .

وهذه الملاحظات هامة للغاية لا لنقد الخطة الخمسيه الاولى ونتائجها فقط ولكن لنتقدم على ارض راسخة ومضمونة فى طريق المستقبل ولرسم الخطط القادمة . ولايجب ان ندهش لتنفيذ بعض الجوانب الهامة من الخطة بمعدلات ضعيفة نسبيا او حتى ضعيفة للغايه مثل الـ ٤٩ر٥ ٪ من تنفيذ اهداف تنمية الناتج الاولى فى الصناعة كما يجب الا يكون ذلك سببا فى اى شعور بالنقص . فالواقع ان مثل هذه المفارقات تكون شائعة عند وضع خطة خمسية اولى للتنميه كما انها ليست غريبة على الاطلاق اذا اخذنا فى اعتبارنا التغيرات العميقة التى شهدتها ج . ع . م . فى هذه الفترة . والواقع ان الثورة المصرية قطعت فى نهاية الخطة الخمسية الاولى شوطا كبيرا كما حدثت تغيرات اجتماعية وتنظيميه ذات اهمية خاصة ، ولذا فلا عجب أن يحدث تخط كبير او عدم تحقيق للاهداف التى رسمت فى ظروف مغايرة تماما . غير ان هذا لاينفى بالطبع ضرورة ادراك حقيقة عدم الانجاز او التخطى لكى يؤخذ فى الاعتبار عند وضع خطط المستقبل . ومرة اخرى اعتقد ان التحليل الموضوعى العميق لنتائج الخطة الخمسية الاولى دون التخوف من النقد ، له اهميه مطلقة من اجل الاعداد السليم لخطط المستقبل ومن اجل خلق ظروف اكثر ملاءمة للشروع فى تنفيذ الخطط التى ستنجز بشكل افضل . وعلى كل حال لايمكن ان يكون تحليل النتائج او وضع الخطط عملا بيروقراطيا بل يجب ان يكون ثمرة مجهود جماعى . يجب ان تدرس فى كل منشأة على حده المصاعب التى صادفتها والاختناقات وايضا العقبات الخارجيه التى تواجهها احيانا المنشأة . وتحول دون بلوغها للهدف المحدد لها . وهكذا يصبح من الممكن التصرف فى المستقبل بفعالية اكبر عن طريق مثل هذا التقييم وحده . واود ان اشير بهذا الصدد الى ملاحظة لاتتعلق بتلك القضية مباشرة وان كانت تقدم اجابة على بعض ردود الافعال التى عبرت عنها الكلمات السابقة . فقد قال البعض بوجه خاص ان الاشارة الى تجارب اجنبية اخرى ، وبالاخص التجربة الكوبية ليست لها اى دلالة بالنسبة لمصر نظرا



للفروق الكبيرة بين تجربة الثورة المصرية وتجربة الثورة الكوبية . وهذه الفروق واضحة ولاتحتاج الى تأكيدها ، غير أن ذلك لاينفى فى رايى ان دراسة كل التجارب الثورية لا يقلل من ضرورة دراسة التجربة الخاصة بالثورة المصرية لكى تتاح امكانية الاستفادة من ترسانة المعلومات اللازمة لتحسين التخطيط شيئا فشيئا ولزيادة سرعة التنمية الاقتصادية .

سادسا : أود أن اتناول الان بعض القضايا المثارة بخصوص تكنيك التخطيط . ويستحيل على بالطبع أن أخوض فى تفاصيل المشاكل التكنيكية فى اطار مناقشة محدودة مثل مناقشة اليوم لان المجال لن يسمح . غير أنى اريد ان اشير فقط الى نقاط هامة فى رايى ، جاءت فى الكلمات المختلفة وان أجيب على بعض الاسئلة المطروحة.

اريد ان اقول اولا ، كما سبق ان ذكرت منذ لحظات ، انى اوافق تماما على ضرورة اجراء حساب قومى يعتمد على الاساليب الاشتراكية فى تقدير الدخل القومى ، اى الاساليب التى تدخل فى حساب الناتج القومى والدخل القومى النشاط الانتاجى فقط وتستبعد حساب الخدمات فايا كانت فائدة الخدمات بالنسبة للتقدم الاقتصادى فى المستقبل فانها لا تساهم بشكل مباشر فى الانتاج بل تستهلك المنتجات الواردة من قطاع الانتاج ، ولذا لابد من حساب الدخل القومى والناتج القومى على أساس الانتاج العينى كما هو متبع فى كل البلدان الاشتراكية . واعتقد ان هذا التغيير فى الحساب الاقتصادى القومى لايمكن الاستغناء عنه وانه لا بد من اجراء هذا التغيير فى نفس الوقت الذى سيتم فيه استكمال الحساب القومى الذى لازال متخلفا نسبيا فى الوقت الحالى ، اذ أن بعض عناصر هذا الحساب يتم التعرف عليها عن طريق التقدير الغير مباشر بدلا من أن يكون مجالا للاحصاء المباشر الذى لايمكن الاستغناء عنه ابدا . وانى أعنى بشكل خاص فى هذا المجال الدراسات المباشرة على الاستهلاك والادخار ووضع جداول للعلاقات بين القطاعات الصناعية داخل المحاسبة القومية لان هذه الجداول ضرورية للتعرف الصحيح على التركيب الحالى لهيكل اقتصاد ج.ع.م .

ثانيا ، أود أن أوكد مرة اخرى وبخصوص نفس المشكلة ان استخدام اختبارات الانسان يمثل ضرورة من أجل التخطيط الفعال الا ان هذه الاختبارات لا يمكن أن تحقق الغرض منها على وجه مرضى الا بتوفر جداول العلاقات بين القطاعات الصناعية. غير أنه من الممكن اجراء اختبارات محدودة حتى فى حالة عدم وجود مثل هذه الجداول . وبهذا الصدد أود أن أجيب بشكل خاص على السؤال التالى : ماهى الخطة المنسقة ؟ اعتقد انه من الممكن الاجابة على هذا السؤال على الوجه التالى ، مع تبسيط الامور لكى لاأخوض فى التفاصيل التكنيكية: «الخطة المنسقة خطة تكفل التوازن بين الموارد والاستخدامات داخل مختلف القطاعات والتوازن فى التدفقات بين القطاعات » . فالخطة المنسقة هى الخطة التى تضمن الحصول بالفعل على كل الانتاج الصناعى المقدر لسنة معينة مع الاخذ فى الاعتبار كمية الكهرباء المنتجة فى نفس السنة والاحتياجات من اليد العاملة المدربة التى تلزم لذلك الانتاج والواردات التى يحتاجها .. الخ .. واذا لم يتحقق هذا التوازن بالشكل المتوقع ، لافتقدنا الانسان ولما امكن حتى تحقيق بعض الاهداف واذا لم نتعرف مقدما على الاختلال فى التوازن فستبرز بشكل عفوى القطاعات التى لم تحقق هدفها بدلا من أن تكون مجالا للانتخاب اى للتخفيض الاختيارى فى أهدافها حسب الاولويات القومية ».

وقد اثيرت أيضا فى مجال قضايا تكنيك التخطيط مشكلة معايير الفعالية فى البلدان النامية . ومن الاسئلة الموجهة فى هذا الخصوص : هل يمكن قياس الفعالية الاقتصادية فى البلدان النامية بنفس المعايير المستخدمة فى البلدان الصناعية ؟ أى هل يمكن استخدام نفس المعاملات ؟ وتلك أيضا قضية واسعة للغاية لا يمكننى فى حدود هذه المناقشة ، ان أقدم بخصوصها سوى أجابات عامة دون الخوض فى التفاصيل . وسأقول بشكل عام : أن معايير الفعالية واحدة فى كل البلدان الاشتراكية ايا كانت درجة نموها ، هذا اذا اخذنا المسائل فى أعلى مستويات تجريدها . غير أن المضمون العملى لهذه المعايير يختلف بالطبع حسب الظروف الخاصة بهذه البلدان ومنها بالذات وضعها من وجهة نظر توفر أو عدم توفر اليد العاملة ، أو من وجهة نظر الاختناقات السائدة . فعلى سبيل المثال تكون كفاءة بعض المشروعات أو بعض الخطط الخاصة بالحد من العجز فى ميزان المدفوعات فى فترة معقولة ، من المعايير الاساسية على النطاق الاجتماعى بالنسبة لبلد تقوم فيه التجارة الخارجية وعجز ميزان المدفوعات بدور كبير . وأود أن أذكر هنا مرة أخرى فكرة اساسية الا وهى انه ليس من الممكن تحديد معايير تسمح بالحكم بشكل منعزل على مدى فعالية هذا المشروع أو ذاك . فهذه المعايير لا تستطيع أن تقوم بدور التابع بالنسبة للمعايير العامة على مستوى الجدول المتوقع لتطور الاقتصاد فمن الممكن الحكم من خلال هذا الجدول على مدى تأثير هذا المشروع أو ذاك فى التطور المستقبل لميزان المدفوعات واستهلاك الطاقة والحاجة الى اليد العاملة .. الخ .. ويسوقنى هذا الى قضية ثالثة فى مجال تكنيكات التخطيط الا وهى مسألة ضرورة وضع تخطيط طويل المدى . فهناك فى الواقع مشاريع استثمار كثيرة قد تبدو اهميتها ثانوية بالنسبة للاحتياجات الحالية للاقتصاد . ولكنها قد تصبح ذات دلالة حاسمة عندما نفحص احتياجات الاقتصاد على

مرحلة تمتد من ٥ الى ٢٠ سنوات . غير أن هذه الاحتياجات لايمكن معرفتها بشكل مستقل عنوضع خطة طويلة المدى . وقد وضعت بالفعل من قبل خطة عشريةعندما كانت الجمهورية العربية المتحدة فى ظروف مختلفة تماما عن الظروف القائمة اليوم فى وقت لم يكن قد تم فيهاختيار الطريق الاشتراكى.

اما اليوم فقد اصبح من المتعين مراجعة هذا العمل مع الاخذ فى الاعتبار التغيرات التى حدثت منذ وضع الخطة العشرية السابقة والخبرة المكتسبة والابعاد السياسية الجديدة وايضا كل المعلومات الجديدة الخاصة بثروات البلاد الطبيعية وهى جديرة بكل اهتمام . ولذا اعتقد ان من المهام الاساسية وضع خطة مؤقتة للسنوات العشر القادمة . ومن الممكن تكليف معهد التخطيط القومى بمثل هذه المهمة تحت قيادة الاتحاد الاشتراكى العربى نظرا لتعدد الاختيارات السياسية التى ستتدخل فى وضع خطة طويلة المدى . وستتاح لى فرصة الرجوع الى هذه المسألة بخصوص مواضيع أخرى .

سابعا : اثيرت عدة قضايا خاصة بتكنيك التخطيط لاتختص به مباشرة ولكن تتعلق بمشاكل تنظيم القطاع المؤمم . ولايمكننى بالطبع أن اتناول هذه القضية الواسعة فى تفاصيلها غير أنى أعتقد أنه يتعين على تقديم الملحوظة التالية : الهيكل الحالى للقطاع العام نتاج تاريخى ولكنه لايعكس فى الاساس الهيكل السابق للمنشآت الخاصة الموجودة . وقد نتج عن ذلك نوع من عدم الاتساق وازدواج وتدرج هرمى فى الاختصاصات ومصاعب كبيرة لاستيضاح حركة المنتجات بين القطاعات مما يعرقل التخطيط بلا ادنى شك .

وبناء عليه أعتقد أنه من الضرورى فى المرحلة الحالية التى بلغتها الثورة ، أن يبسط تنظيم القطاع المؤمم لتحسين سير العمل فيه وللحد من عدد العاملين فى الجهاز الادارى لهذا القطاع . ومن جهة أخرى فان وجود نظام هرمى مكون من وحدات انتاج ومنشآت وطنية ومؤسسات ووزارات يخلق سلسلة من الاجهزة الوسيطة تجعل الرقابة عسيرة وتعطل نقل التعليمات الخاصة بالتخطيط . ولكل هذه الاعتبارات مجتمعة اعتقد أنه من الضرورى تبسيط التنظيم الحالى واقرار بعض العلاقات المباشرة بين وزارة التخطيط ووحدات الانتاج . وبالطبع لن تكون الاشكال العملية لهذا التغيير سوى نتاج دراسة دقيقة للوضع الحالى وللمقتضيات العملية فى المرحلة الحالية من ثورة ج . ع . م .

ثامنا : أود أن أنتقل الان لدراسة القضايا التى احتلت مركز الصدارة فى كلمتى الاولى الا وهى ضرورة ضمان أكبر مشاركة من جانب الجماهير فى أعداد وتنفيذ الخطط . وقد اتضح من المناقشة أن الاجراءات المتخذة تتفق فى ذهن بعض المتكلمين مع مقتضيات التخطيط التى ذكرتها فى كلمتى الاولى ، قيل بالاخص ان العاملين اصبحوا ممثلين فى مجالس الادارات . ولاشك أن هذا الاجراء هام للغاية ويمثل خطوة فى الاتجاه الذى يجب أتباعه لاشراك الجماهير فى التخطيط . غير أنه يبدو لى من الضرورى أن اوكد أن تلك ليست الا خطوة اولية لان المطلوب ليس فقط اشراك ممثلى العاملين فى وضع الخطة وتنفيذها والرقابة عليها ولكن اشراكهم أيضا بشكل مباشر دون أى وساطة . وهذا يعنى بالاخص انه من الضرورى اجراء مناقشات للخطة واهدافها فى الجمعيات العمومية للعاملين . ويبدو ان تلك من أهم مهام المرحلة الحالية من نشاط الاتحاد الاشتراكى ، وفى رأيى كما اكد أبراهيم سعد الدين عن حق ، أنه من الضرورى أن ينتقل الاتحاد الاشتراكى من الشكل الاول لنشاطه ، وهو نشاط تقديم المطالب ، الى مرحلة ثانية ستكون كفاحا من أجل حل المشاكل الاقتصادية . ويصاحب هذا الكفاح أيضا نشاط من أجل النقد والنقد الذاتى للتغلب على كل العيوب التى قد تتكشف من خلال التطبيق ولتنمية فعالية الاقتصاد بهذه الطريقة .

واعتمادا على الكلمات السابقة اريد أن ابدى ايضا بعض ملاحظات أخرى . ويبدو لى أن البحث عن الحد الادنى من المشاركة من جانب العاملين فى أعداد الخطط وتنفيذها والرقابة عليها يستدعى لاعقد الجمعيات العمومية للعاملين فقط بتشجيع من جانب المسئولين فى الاتحاد الاشتراكى العربى بل يجب ايضا التوسع فى مشاركة العاملين فى مجالس الادارات . ويمثل العاملون فى الوقت الراهن أربع أعضاء فى مجلس الادارة المكون من ٩ أعضاء منهم ٤ معينين وكذلك رئيس مجلس الادارة . أما الان وقد بدأت مرحلة الانتقال الى الاشتراكية فقد يكون من المرغوب فيه توفير الاغلبية للعاملين فى مجلس الادارة اى أن يضاف اليهم عضو منتخب من بينهم ومن جهة أخرى يستحسن أن يرتبط تعريف العاملين فى شركات الانتاج بالمشاركة فى الانتاج وبذلك نضمن مشاركة العاملين فى الورش واقسام الانتاج التابعة للوحدات الانتاجية فى مجلس الادارة نظرا للدور الحاسم الذى يؤديه الانتاج فى حل مشاكل التنمية ونظرا لاختيار الثورة طريق الاشتراكية .

وظهر من مختلف الكلمات أيضا أن هناك شكلا جديدا وهاما قد تطور فى عدد من الحالات ، وهذا الشكل الجديد هو مجالس الانتاج . واعتقد ان هذا الشكل مستحب وملائم جدا ولا بد ان يسمح ببعض التحسن فى التخطيط خاصة مع تحول التخطيط من تخطيط للاستثمارات اساسا الى تخطيط شامل يتم على مستوى المنشآت . غير انى اعتقد ان مجالس الانتاج لا يمكن ان تحل محل الجمعيات العمومية للعاملين بالرغم من اهميتها لانه يجب اشراك العاملين فى مجموعهم فى تنفيذ الخطة والاشراف على انجازها .



ومرة أخرى يبدو لى ان هذا النشاط يجب أن يكون فى مركز نشاطات الاتحاد الاشتراكى العربى

وقد ظهر من خلال الندوة ان المشاكل التى ناقشها اليوم واضحة تماما من الناحية النظرية ومن حيث ادراك الاتجاه الذى تسير فيه الثورة ولكن تنفيذ هذه المتطلبات عسير من الناحية العملية سواء بسبب الضعف الشديد الحالى فى الاجهزة السياسية الجديدة الوليدة او بسبب العادات المكتسبة خلال الماضى حيث اعتادت الجماهير على توقع المبادرات من اعلى بدلا من ان تأخذ هى بزمامها. غير أن هناك امثلة ورد ذكرها يتضح منها ان الجماهير قادرة تماما على المبادرة بتقديم اقتراحات مفيدة للغاية تسمح بزيادة الانتاج الى حد كبير ويتضح لنا مدى ما يمكن القيام به من المثل الخاص بمصنع الزجاج المسطح الذى قام فيه العاملون بوضع برنامج لتحطى الخطة بنسبة ٢٥٪ وبمراقبة تنفيذها . غير ان هذه الامثلة يجب الا تظل حالات معزولة بل يتعين على العكس ان تتحول تدريجيا الى قاعدة عامة ، وتلك احد المشاكل الاساسية للتخطيط فى المرحلة الحالية على الاقل من وجهة نظر المنظمات النقابية والسياسية اعتقد انه من الممكن ايجاد حل لاحد القضايا المثارة فى كثير من الكلمات لارتباطها بعدد من القضايا السابقة فقد اكد الكثيرون أنه من الواضح لدى القادة أنه من الضرورى استخدام الفائض الى اقصى حد ممكن من أجل التنمية وان كان هذا لم يحل دون حدوث تضخم كبير فى النفقات الادارية وغيرها . والواقع اننا هنا بصدد ظاهرة مألوفة فى المرحلة الاولى من تطوير القطاع العام المتسع يجب ان تكون هدفا للصراع فى كل لحظة ضد أخطار التضخم البيرقراطى لان ذلك التضخم قد يهدد بالتهام الفائض الذى لاغنى عنه من أجل التنمية الاقتصادية . فالمطلوب فى المرحلة القادمة ضغط الجهاز البيرقراطى المتضخم نظرا لضرورة زيادة جهود الاستثمار للوصول الى معدلات تتمشى مع احتياجات التطوير الاقتصادى والاجتماعى السريع وتعتبر مشاركة الجماهير بتقديم اقتراحات عملية مسألة اساسية فى هذا الكفاح الموجه ضد التضخم البيروقراطى . ومن المسائل التى سأتناولها أيضا بعد قليل قضية إعادة استخدام فائض أفراد الجهاز الادارى المتراكم سواء فى الشركات المؤممة او فى الجهاز الادارى التقليدى فى مهام اجدى لعملية التنمية الاقتصادية .

وتسوقنا هذه المشكلة الى مناقشة قضية المثقفين . وقد افصحت عدة كلمات عن طبيعة القضايا المثارة اليوم بالنظر الى اصول الانتلجينسيا المالية وارتباطها بالكادر البيرقراطى واتجاهاته السياسية . وقد اثيرت بالاخص قضية التنظيمات المهنية التقليدية الخاصة بجزء من الانتلجينسيا وهل يجب الحفاظ عليها أم حلها .

ومن العسير جدا بالطبع على شخص لم يمض فى ج . ع . م . سوى مدة محدودة ان يجيب على مثل هذا السؤال المتشعب الجوانب . غير انه يبدو بصفة عامة اننا نستطيع أن نقول أن هذه التنظيمات التى كانت تحتل مكانها فى اطار الاقتصاد الراسمالى ستفقد شيئا فشيئا مركزها مع السير قدما فى طريق الاشتراكية . وعليه فسيحين الوقت ان آجلا او عاجلا لتزول مثل هذه التنظيمات المهنية التى تعزل المثقفين عن الجماهير وتميل الى الحفاظ على مطالب نوعية خاصة بفئة محدودة .

وترتبط بهذه القضية ايضا المسألة التى اشرت اليها منذ لحظات وهى اعادة توجيه جزء من الجهاز الادارى المتضخم او الكادر الادارى الذى لا حاجة اليه فى الواقع ، لحسن سير العمل فى الادارة او الذى يعرقله بسبب وجود فائض من الاداريين الذين يعطلون سير العمل بدلا من تحسينه . ولا شك ان هذه المسألة معقدة للغاية كما ان طبيعتها السياسية واضحة تماما فلا يمكن حلها هى ايضا الا بمعاونة تنظيم مثل الاتحاد الاشتراكى العربى غير أنه من الجلى ، من الناحية الاقتصادية ، أنه يجب بذل أقصى جهد من اجل اعادة تدريب الاداريين الحاليين الفائضين عن الحاجة لتوجيههم الى وظائف انتاجية بالحاقهم بالاخص بمعاهد تدريبية عليا يستطيع ان يتتبعها بسهولة هؤلاء الاداريين نظرا لمستوى الثقافة الذى بلغوه . وقد بذلت مثل هذه الجهود فى عدد كبير من البلدان وبالاخص منذ السنة الماضية فى كوبا حيث تقرر اجراء تخفيض منظم فى عدد الموظفين مع الاحتفاظ للذين سحبوا من الادارة بمرتباتهم الاصلية على ان يواصلوا بعض الدراسات التكنيكية التى تسمح لهم بالمشاركة بعد ذلك فى انواع من الانشطة الاكثر انتاجية . واعتقد انه يجب البدء فى معالجة هذه القضية فى القريب العاجل .

وترتبط فى نهاية الامر قضية المثقفين واشراكهم فى مهام الثورة ارتباطا وثيقا بظهور الاجيال الجديدة التى يتم تربيتها فى الظروف الجديدة . واعتقد أنه من الضرورى ، كما اشار الى ذلك عن حق السيد لطفى الخولى ، أن تتلقى الاجيال الجديدة تربية اشتراكية لتشارك على نطاق واسع فى المسئوليات وفى قيادة الشركات . وهكذا يمكن بث روح جديدة فى القطاع العام وفى الاجهزة الادارية بصفة عامة ولن تنشأ بالطبع هذه الروح الجديدة مع ظهور الاجيال الجديدة فقط . فمن المعروف أن الاجيال الجديدة قد تكتفى احيانا بأن تكون استمرارا للاجيال السابقة سواء من وجهة نظر الوظائف التى تشغلها أو من وجهة نظر عيوبها ، ولذا يقوم الاتحاد الاشتراكى العربى ومنظمات الشباب التابعة له بدور حاسم فى هذا المجال لان المطلوب

هو اعداد الاجيال الجديدة وبالاخص المثقفين الجدد للعمل بروح من التضحية والاخلاص الكامل لقضية الثورة والبناء الوطني . وبهذه الطريقة فقط تستطيع الاجيال الصاعدة ان تبث روحا جديدة حقا في ادارة الشركات المؤممة والاجهزة الادارية . وتثور من وجهة النظر هذه ، عدة قضايا منها بالاخص قضية الاجور التي تتقاضاها الاجيال الجديدة . ولاشك ان حل هذه المشكلة يصادف في التطبيق عقبات كثيرة خاصة في اتجاه الحد من عدم التساوي في الاجور . فمن المرغوب فيه ان تتقبل الاجيال الجديدة فروقا في الاجور تقل عن الفروق المطبقة حاليا . وقد يتخذ هذا التطبيق في بداية الامر شكل التنازل الاختياري عن جزء من الاجور المرتفعة حاليا (هذا بمعزل عن الحد الاعلى للاجور الذي يجب ان يقرر ، كما سبق ان نوهت ، في المرحلة القادمة للحد من الضغط على الاستهلاك وللحد من الفروق الاجتماعية) ومن الممكن ان تتحول فيما بعد هذه التنازلات الاختيارية عن جزء من الاجور المرتفعة الى امثلة يمكن تعميمها تدريجيا للوصول الى تركيب للاجور اقرب الى المساواة . وليست لهذه المسالة اهمية اقتصادية فقط بل اهمية سياسية واجتماعية ايضا . فمن المفروض ان تقل الفروق في مستوى الحياة بين الجماهير والكادر لكي يتحقق بعض التجانس في الهيكل الانتاجي، ولتنشأ علاقات انسانية جديدة .

وقد اثير سؤال هام بخصوص قضية مشاركة الجماهير في التخطيط ، اذ وجه الى سؤال بخصوص استشارة الجماهير، وهل ستنصب فقط على الخطوط العريضة للتنمية ام انه من الانسب استشارتها بعد الاعداد التكنيكي للخطة. وفي رايي ان هذه الاستشارة الجماهيرية يجب ان تتم في كلا المرحلتين.

وبعبارة اخرى يجب ان تعد في المرحلة الاولى توجيهات وضع الخطة وتحدد هذه التوجيهات عددا من الخطوط الاساسية مثل الدور الذي ستطلع به كل من الصناعة والزراعة ، والصناعة الثقيلة والصناعة الاستهلاكية ونصيب كل من الزيادة في الاستهلاك والاستثمار ... الخ .

ويجب عرض هذه الخطوط العريضة على الجماهير بهدف التوضيح والشرح والاستشارة. وبالطبع تكون الاقتراحات العملية على هذا المستوى محدودة للغاية والواقع ان المطلوب في الحقيقة هو جس نبض الجماهير اكثر مما هو الحصول منها على اقتراحات حقيقية نظرا للطابع المجرد والعام لهذه المسائل. غير انه من الممكن ان نلاحظ من خلال عملية جس النبض هذه ان بعض الحلول الاقتصادية التي وقع الاختيار عليها كانت اما طموحة للغاية واما غير كافية يحتاج الامر الى تغييرها .

وعلى اثر استشارة الجماهير وبعد مراجعة التوجيهات يبدا الاعداد التكنيكي التمهيدي للخطة. وبعد قطع مرحلة معينة من هذا الاعداد ، اى عندما يكون من الممكن الوصول الى مستوى من التحديد الواقعي الكافي لاستشارة الجماهير على مستوى وحدات الانتاج والمصانع والقرى ..الخ ويبدا الشكل الثاني من الاستشارة الذي يمكن ان ينبثق منه عدد كبير من المبادرات والاقتراحات والملاحظات النقدية التي تسمح بادخال تحسينات اساسية في مضمون الخطة وحتى يكون لهذه الاستشارة اثرها يجب ان تتم لااثناء وضع الخطة الطويلة المدى فقط ولكن خلال الخطط السنوية بالاخص . ومن جهة اخرى يجب ان تتم هذه الاستشارة ايضا اثناء السنة لاستيضاح ظروف تنفيذ الخطة وللالقاء الضوء على المصاعب التي قد تظهر حتى يمكن ايجاد حلول لها .

تاسعا : اكدت في رايي عن حق كلمات كثيرة الطابع النوعي الخاص للقضايا التي يثيرها حاليا التخطيط في ج.ع.م. والواقع ان نظام ج.ع.م. القائم حاليا ليس نظاما اشتراكيا بعد بل نظام يتميز بتعايش قطاع خاص لازال كبيرا مع القطاع العام . فنحن اذن بصدد اقتصاد انتقالي الى الاشتراكي، ويجب ان تضع هذه الخطط في اعتبارها تلك السمات الخاصة التي تثير قضايا نظرية وتكنيكية كثيرة لايمكننا ان نركز عليها الان بل يجب ان تكون مجالا للبحث والتقدير لانها ستكون مفيدة للغاية في المستقبل .

واود ان اؤكد هنا بخصوص الطابع الخاص لهذا النوع من الاقتصاد الذي لم يصبح بعد اقتصاد انتقالي بالمعنى الدقيق والتقليدي للكلمة ، ان هذا الوضع الانتقالي تترتب عليه سلسلة من النتائج :

اولا : انه لا بد من مواجهة تغيرات ليست اقتصادية فقط بل تغيرات اجتماعية ايضا ، طوال مرحلة الانتقال . ولابد من الاخذ في الاعتبار طبيعة هذه التغيرات الاجتماعية المتوقعة ومداها عند اعداد الخطة .

ثانيا : ان طبيعة هذه التغيرات الاجتماعية وطابعها يصعب التنبؤ به عند توقع التغيرات الاقتصادية ذلك ان التغيرات الاجتماعية تخضع لايقاع خاص طابعه سياسي ، وقد تتدخل فيها احداث السياسة العالمية ولذا يجب ان تكون الخطة مستعدة لادخال التعديلات اللازمة في اثناء تنفيذها، ومن المهم تاكيد هذه النقطة التي لم تؤخذ في الاعتبار بالقدر الكافي اثناء الخطة الخمسية الاولى . وهذا يعني ضرورة مراجعة اهداف الخطة الخمسية

أثناء تنفيذها عن طريق التخطيط السنوى . وهذا مايسمى احيانا «التخطيط المتواصل»

واود أن أؤكد أيضا بخصوص الطابع الخاص بمرحلة الانتقال أنها تستدعي بشكل خاص اتباع سياسة تقشف نظرا لوجود فئات اجتماعية أخرى غير العاملين والفلاحين المنتجين اى فئات التجار والفلاحين الاغنياء . فهذه الفئات بالذات مصدر زيادة كبيرة فى الطلب بالنسبة للعرض .

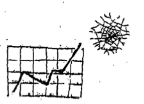
وأعتقد انه من المناسب أن أجيب هنا على السؤال الخاص بتعريف التقشف . أن التقشف اللازم للتنمية السريعة لتحقيق الاشتراكية ليس بالضرورة تقشفا يقع عبؤه على الجماهير . ذلك أن مستوى معيشة جماهير العاملين فى مجموعها ضعيف ولايصح فى رأيى أن يخفض عن ذلك كما أن مثل هذا الاجراء غير مرغوب فيه سواء من وجهة النظر السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية (وبالاخص من وجهة نظر الانتاج) . ولذا يجب الا يشمل هذا التقشف بالطبع سوى الفئات ذات الدخل المرتفع نسبيا ، ويتعين بالتالى زيادة مشاركتها فى جهود التنمية الاقتصادية القومية ، بحيث يمكن أن يؤدى ذلك الى زوال بعض الفئات وانى اعنى بالاخص تجارة الجملة واعمال المقاولات العمومية .

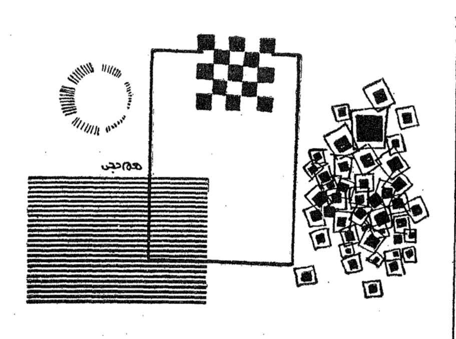
وقد أثير أيضا سؤال حول شمول التقشف الاستثمارات من عدمه . وأعتقد انه يجب أن أقول أن مفهوم التقشف لابد وأن يشمل الاستثمارات وبالاخص الاستثمارات الغير منتجة . وهذا يستدعى أن تخفض الى أقصى حد ممكن كل الانشاءات التى لاتخدم بشكل مباشر عملية البناء أو العمل المنتج . ويدخل ذلك فى نطاق سياسة توجيه الاستثمارات التى يتعين اخضاعها لضرورات سياسة التقشف المتوقفة هى أيضا على مقتضيات الحفاظ على التوازن بين العرض والطلب على المنتجات ومقتضيات تشجيع التوسع فى التصدير والحد من الاستيراد .

عاشرا : وفى الختام أود أن أحاول تقديم ردى على سؤال أثير حول قضية تعتبر من أصعب القضايا . فقد أكد أحد المتكلمين أنه من خلال التطور المستمر للثورة فى اتجاه القضاء على الفروق الاجتماعية ومن أجل الاشتراكية ، تنشأ تناقضات لاداخل المجتمع وحده بل داخل التنظيم السياسى نفسه . وأعتقد أن هذه الملحوظة لها أهميتها الجوهرية وهى تثير بالتالى السؤال الذى تقدم به أحد المتكلمين الا وهو : «من بين سلسلة المشاكل القائمة ، كيف نستخلص الحلقة الاساسية؟ وماهى الحلقة الاساسية التى يتوقف عليها حل المشاكل الاخرى ؟ »

وأعتقد اننا لانستطيع أن نعثر على بداية الاجابة على هذه السلسلة من الاسئلة الا من خلال نظرتنا الى المستقبل . فالمرحلة التى تجتازها الثورة الان هى مرحلة الانتقال الى الاشتراكية أى مرحلة بناء قواعد الاشتراكية سواء من وجهة النظر الاقتصادية أو الاجتماعية أو من وجهة نظر التنظيم السياسى . ولذا يبدو لى أن الاجابة على هذا السؤال يجب أن تكون على الوجه التالى : «أن الحلقة الرئيسية التى سيتوقف عليها حل جميع القضايا الاخرى هى التوسع أولا فى القاعدة العمالية والفلاحية الفقيرة فى الاتحاد الاشتراكى العربى ، كما تتمثل هذه الحلقة أيضا فى التوسع بشكل كبير فى الكادر النابع من أصل عمالى أو فلاحى فقير» وسيثبت هذا الكادر الذى صهرته تجربة الكفاح روح التضحية والقدرة على البذل كما سيحصل أيضا على التكوين النظرى اللازم لاستيعاب مفاهيم الاشتراكية العلمية .

وللاجابة على هذا السؤال الذى قد يكون أهم الاسئلة المثارة ، يبدو لى أنه من الضرورى أن يبنى فى الوقت الحالى تنظيم سياسى يقوده المزيد من الرجال النابعين من القاعدة العمالية والفلاحية والمتفهمين للافكار الاشتراكية العلمية . ويجب بالطبع الا يعزل هؤلاء الرجال عن الجماهير فيكونون جهازا يعمل بعيدا عنها بل يجب أن يتحولوا الى كادر يعيش بين الجماهير ليتولى قيادتها وليساعدها على حل المشاكل العديدة التى يثيرها كل من الانتقال الى الاشتراكية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية .





المضمون الاجتماعي لحق الملكية

فؤاد الدهان

مالك الشيء وحده فى حدود القانون حق استعماله واستغلاله والتصرف فيه ، ومالك الشيء يملك كل ما يعد من عناصره الجوهرية وله الحق فى كل ثماره ومنتجاته وملحقاته ما لم يوجد نص او اتفاق يخالف ذلك . بهذه العبارات حدد القانون المدنى نطاق حق الملكية . ومن هذا التحديد يظهر بوضوح ان القانون لا يعرف الا نوعا واحدا من الملكية له طبيعة لا تختلف . فهذا الحق وفقا للتعبير القانونى عبارة عن سلطة يتمتع بها شخص على شيء ما ، اى انه علاقة تقوم بين الشخص والشيء ، وعلى اساس هذا التصوير عرف حق الملكية فى الفقه القانونى بأنه حق عينى اى حق ينصب على الشيء ويتعلق به .

اما مالك الشيء ـ ذلك الشخص الذى يتمتع بهذه السلطة ـ فهو بالنسبة الى القانون شخص

مجرد تنشأ اهميته عن كونه مالكا لا باعتباره فردا من افراد مجتمع معين ، فهذا الشخص لا ينتمى الى اى مجتمع ، ولا شأن للقانون بما تربطه بغيره من الافراد من علاقات اجتماعية . فالقانون يجعل من الملكية نظاما قائما بذاته وكأنه خارج المجتمع ولا يتدخل الا ليقرر الحق ثم ليفرض على جميع الافراد احترام قدسيته وعدم الاتيان بما يمس به . والقانون يعتبر ان المالك يباشر حقه ويستعمله بالكامل ، سواء ازرع ارضه ، او تركها دون زراعة ، ونظام الملكية لا يختلف سواء اكان موضوعه قطعة من الارض او مصنعا او رغيفا من الخبز فحجم الملكية ووسائل استغلالها وما ينشأ عنها بالضرورة من علاقات متباينة كلها مسائل تخرج عن نطاق قانون الملكية ولا تأثير لها فى احكامه المجردة ، وعلى الناس ان يخضعوا لاحكامه المطلقة كحقائق مسلم بها دون اعتبار لاى مدلولات اقتصادية او اجتماعية .

فى حدود هذه الفكرة القانونية المجردة عن الملكية والمالك صيغت النصوص المتعلقة بحق الملكية فى القانون المدنى ، وكلها نصوص تقوم معتمدة على مبدا اقوى من القانون نفسه وهو مبدا سلطان الارادة الفردية ، لان القانون لا يسرى فى هذا المجال اذا شاءت ارادة الملاك الاتفاق على مخالفته .
وجميع النصوص تنصب على تنظيم العلاقات بين الملاك . فاحكام الشيوع وملكية الطبقات واسباب كسب الملكية والحقوق المتفرعة عن حق الملكية لا مكان فيها لغير المالك ، حتى الفصل المتعلق « بالقيود التى ترد على حق الملكية » فهو لم يتعرض الا للقيود المفروضة على مالك معين حماية لمصالح مالك آخر . واذا كان القانون قد اطلق عليها لفظ « القيود » فهى فى حقيقتها حقوق وامتيازات بالنسبة للملكية بصفة عامة ، لان كل قيد منها يمثل حقا للمالك المجاور . (حقوق المسقى والصرف والمرور والمطل والحائط المشترك .. الخ) وحرية التملك حق مقرر للجميع ولكل فرد ان يستفيد منه . اما اذا جرد شخص من ملكيته فهو اجراء صحيح طالما بنى على سبب صحيح قانونا ، اما البواعث والمطامع والاستغلال فهى مسائل اجتماعية اى تخرج عن نطاق القانون القائم على العدالة المطلقة التى لا تفرق بين فرد وآخر .

ولكن هل صحيح ان حكم القانون واحكامه المجردة والعامة لا تتأثر بمختلف المصالح الاجتماعية الخاصة ولا تؤثر فيها ؟ هل نجح المشرع فى ان يجعل من قانون الملكية تنظيما لحق عام من حقوق الانسان ام هل تحول هذا القانون الى اداة لخدمة مصالح فئة دون فئة فى المجتمع ؟ هل كان اصدار القانون المدنى القائم حاليا منذ سنة ١٩٤٨ عملا فنيا خالصا استهدف مجرد الاستفادة من التطورات التشريعية الحديثة ام ان احكامه المجردة المصاغة ببراعة وحنكة لتبدو بعيدة عن ان تعبر عن اى مصالح محددة كانت فى الحقيقة وليدة لمجتمع معين ونابعة من احشائه لتعكس باخلاص كافة المصالح التى كانت سائدة فيه ؟

كيف يرتبط قانون الملكية بالواقع ؟

القاعدة القانونية تهدف بالضرورة الى تنظيم واقع اجتماعى مع ما يتضمنه من علاقات محددة تقوم بين افراده . فاذا كان هذا الواقع من النوع الذى تتصارع فيه مصالح مختلفة متناقضة ويقوم نظامه الاقتصادى على اساس سيادة المصالح الطبقية لطبقة او طبقات ضد مصالح طبقة او طبقات اخرى فان سلطة الدولة بكافة اجهزتها السياسية والتشريعية والتنفيذية تصبح اداة لحماية المصالح السائدة فى المجتمع وهى تتخذ من الانظمة القانونية التى تشرعها وتصوغها فى قوالب جامدة سياجا تحيط به المجتمع لتضمن استقراره على النحو الذى تشاؤه وفقا للمصالح الطبقية السائدة .

واهم هذه الانظمة القانونية هو النظام القانونى للملكية ، وتنشأ اهميته فى ان الملكية هى التى تحدد نوع المصالح التى ترتبط بها كل فئة فى المجتمع .
ففى المجتمعات الطبقية يكون الناس الذين يمتلكون وسائل الانتاج طبقة وتصبح مصالحها هى المصالح الغالبة التى تسعى الى حمايتها عن طريق سيادتها على جميع مظاهر الحياة الاجتماعية . وشكل الملكية لم يكن واحدا فى جميع المجتمعات الانسانية ، اذ كان وضعها دائما يتشكل وفقا لنوع العلاقات التى تقوم فى المجتمع بين الناس ، وقد كانت طريقة التعبير عن هذه المصالح تختلف ايضا بين مجتمع وآخر .

ففى المجتمع الرومانى القديم مثلا كانت المصالح الرئيسية فى المجتمع هى مصالح ملاك العبيد ، فقد كان النظام الاقتصادى قائما على عمل العبيد وعلى العلاقة بين السادة والعبيد ، لان العبد — فى ظل قوى الانتاج المتأخرة — كان يمثل قوة الانتاج الرئيسية مما بلور هذه العلاقة فى شكل حقوق الملكية التى يتمتع بها السادة على العبيد . ومع زيادة عدد العبيد وتطور العلاقات التجارية بين روما ومختلف انحاء امبراطوريتها تطور القانون الرومانى تطورا كبيرا حتى نجح فى صياغة مختلف العلاقات الانسانية فى صياغة قانونية بارعة ، واصبحت احكامه وقوالبه اساسا استمدت منه التشريعات الحديثة كثيرا من مبادئها . كيف كان

يحمى القانون الرومانى المتطور مصالح السادة ؟ كانت حمايته لها صريحة ومباشرة فنص صراحة على استبعاد العبيد من نطاق الاستفادة من الاحكام المنظمة لحقوق الافراد وللعلاقات الاجتماعية واعتبر العبد شيئا من ضمن الاشياء التى تنصب عليها الحقوق ونفى عنه صفة الشخص . فالعبد فى القانون الرومانى مال يمكن ان يصبح محلا للحق ولا يمكن ان يتحول الى صاحب للحق ، اى انه وضع فى القانون صراحة فى نفس الوضع الذى يحتله فى الحياة الاقتصادية . فالعبد من الناحية الفعلية معدوم الارادة لا حقوق له وهو كذلك ايضا من الناحية القانونية . اما كافة الاحكام المتطورة المنظمة للارادة ولسلطانها وللعلاقات القانونية والحقوق فهى قاصرة فى تطبيقها على الاسياد ملاك العبيد .

وفى مجتمعات العصور الوسطى التى كانت تسود فيها العلاقات الاقطاعية كان الاقطاعى يتمتع بالسيادة المطلقة على كل من الارض التابعة له والفلاحين العاملين فيها وله ان يتصرف فى الارض وفلاحيها كما يشاء . وان لم يعد الفلاح عبدا مملوكا بل ويتملك بعض وسائل الانتاج ملكية فردية بما فى ذلك قطعة من الارض يزرعها بنفسه الا ان استمرار تمتعه بهذه الحقوق كان مرهونا بأن يقدم للاقطاعى جانبا من انتاجه او ان يعمل فى ارضه دون مقابل ، وهذه العلاقات اعطت للملكية الاقطاعية شكلها وحدودها التى وان كانت تختلف فى بعض المظاهر من بلد الى آخر ، انه كانت تجمع بينها صفات مشتركة . وتميزت هذه المجتمعات بضعف سلطة الدولة المركزية نتيجة لتأخر التجارة وعدم الانتاج للسوق الا فى اضيق الحدود . وسيطرة الاقطاعى المطلقة فى اقطاعيته على الحياة الانتاجية تمثلت ايضا فى سلطته المطلقة على الحياة الاجتماعية ضمانا لمصالحه المباشرة فأصبحت ارادته هى القانون وهى المنفذة له ، اى كانت ارادته النابعة من حقوق ملكيته هى نفسها ارادته السياسية والتشريعية والتنفيذية ، وفى مصر نجد نموذجا واضحا لهذه العلاقات فى نظام الالتزام الذى كان قائما قبل حكم محمد على . كان الملتزم يصدر له مرسوم موجه الى البلد التى التزم بها يفرض عليها الطاعة له والخضوع لاحكامه وسداد الضرائب التى يحددها وفقا لمشيئته . وفى مقابل المبلغ الذى يدفعه الملتزم الى الخزانة مقدما كان يتمتع بالسيادة المطلقة على الجهة الممنوحة له كما كان يمنح ارضا كبيرة فى الجهة لا يدفع عنها اى ضريبة ويلتزم الفلاحون بزراعتها سخرة وكانت اراضى الملتزمين تعرف بالوسايا فى حين تعرف اراضى الفلاحين بالاراضى الخراجية . وكان للملتزم ان يستخدم ما يراه من الوسائل التى تكفل له الحصول على الجانب الذى يحدده من الانتاج كما تكفل اكراه الفلاح على العمل فى ارضه ، وكانت ارادة الملتزم هى القانون النافذ وهى الحماية القانونية المباشرة لحقوقه .

وبالرغم من ان المجتمعات الاقطاعية تميزت باختفاء القواعد القانونية العامة المصاغة فى قوالب محددة لتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية كنتيجة لضعف سلطات الدولة المركزية مما يختلف عن الوضع فى الدول العبودية القديمة المجتمع الاقطاعى والمجتمع العبودى يتفقان من حيث ان الاساليب القانونية السائدة فيهما كانت تمنح حماية مباشرة للطبقة المالكة لوسائل الانتاج . فسواء اتخذ القانون شكل القواعد المقننة فى المجتمع العبودى او شكل الارادة المطلقة للمالك الاقطاعى ففى الحالتين كانت المصالح والحقوق الوحيدة المعترف بها هى حقوق السادة ملاك العبيد والاقطاعيين .

ولقد اختلف الوضع بعد ان نجحت الطبقات الراسمالية فى تحطيم العلاقات الاقطاعية . فلقد استندت الثورات الراسمالية — كما هو الشأن بالثورة الفرنسية التى اندلعت عام ١٧٨٩ — على مبادىء الحرية والاخاء والمساواة ، وعلى المناداة بحقوق الانسان وبسلطان ارادته الفردية وخاصة بحريته فى التملك وفى التصرف فى ملكه كما يشاء وقد تضمنت كافة المجاميع القانونية الحديثة التى شرعت بعد نجاح الثورات الراسمالية لهذه المبادىء الاساسية واختفت من هذه التشريعات التقسيمات الطبقية الصريحة التى كانت الانظمة القانونية السابقة تجعلها اساسا لكل من المجتمع والنظام القانونى . ومن المعروف تاريخيا انه مع انهيار القيود الاقطاعية التى كانت تحيط بالملكية الفردية ومع تأكيد حرية التصرف فقد تمكنت الطبقات الراسمالية الصاعدة من السيطرة على وسائل الانتاج وترجمت حرية التملك فى الحياة الواقعية الى طرد الفلاحين من اراضيهم بالجملة لتحويلهم الى اجراء لصالح راس المال ، وانقسم المجتمع الراسمالى ايضا الى طبقتين رئيسيتين هما الطبقة الراسمالية وتتركز فيها ملكية وسائل الانتاج وطبقة العمال المحرومة من جميع اشكال الملكية . وكانت هذه الملكية هى الاساس الذى سمح للطبقة الراسمالية بالسيطرة على اجهزة الدولة وتحويل الانظمة الديمقراطية الى ادوات لخدمة مصالحها الخاصة . ولكن القانون الفرنسى الصادر بعد انتصار الثورة وهو المعروف باسم قانون نابليون بالرغم من انه استمد معظم احكامه فى الملكية ومختلف التصرفات عن القانون الرومانى الا انه لم ينص صراحة مثله على اية تحديدات طبقية صريحة ، واصبحت الاحكام والقوالب القانونية الواردة فيه مبادىء وقواعد عامة مشرعة لكى يستفيد منها جميع افراد المجتمع

دون تمييز صريح لطبقة على اخرى . وقد اصبح القانون المدنى الفرنسى الحديث الصادر فى اثر الثورة الفرنسية نموذجا لكافة المجاميع القانونية الحديثة التى قامت فى مختلف الدول بعد انتصارها على القيود الاقطاعيه ، وكان هذا القانون بالمثل هو المصدر الاساسى للقانون المدنى المصرى الاول الصادر فى ١٨٨٣ كما كان احد المصادر الاساسية للقانون المدنى الجديد الصادر فى ١٩٤٨ .

وقد اصبحت الطريقة التى تعبر بها القوانين الحديثة عن المصالح الاجتماعية السائدة وتؤثر فيها ، عملية معقدة غير بسيطة . فهذه القوانين لا تقرر فى نصوصها صراحة الدفاع عن مصالح اجتماعية معينة ولكنها تصاغ فى شكل القواعد العامة التى يخضع لها جميع افراد المجتمع بغير تمييز والتى لا تنظر الا الى المصلحة العامة والى العدالة المطلقة . فحق الملكية مقرر فيها للجميع ، ولكل فرد الحق فى ان يصبح مالكا وفى ان يستفيد من المبادىء والاحكام المنظمة لهذا الحق والقانون غير مسئول اذا فقد فرد ملكيته او عجز آخر عن التملك . واحكام البيع والشراء والايجار والشركة والقرض ـ وكلها تصرفات تستند مباشرة الى حق الملكية ـ مشرعه من اجل الكافة وغير قاصرة على فئة اجتماعية محدده . والقانون ينظر الى طرفى العقد نظره واحدة واراده المتعاقد حرة فى ان تقبل ما تشاء او لا تقبل ، وفكره العدالة فى القانون فكرة مجرده مطلقة لا تربط بفرد محدد او بمجتمع معين . فكيف ينتهى القانون فى ظل هذه الاحكام والنصوص العامة المطلقة الى التعبير عن واقع اجتماعى معين والى التأثير فيه ؟

المصالح الطبقية فى ظل قانون الملكية

اذا استعرضنا مختلف الاحكام القانونية الواردة فى باب الملكية فى قانوننا المدنى فى المواد من ٨٠٢ الى ١٠٢٩ نجد انها على الوجه الاتى :

- نطاق الملكية : لمالك الشىء وحده حق استعماله واستغلاله والتصرف فيه وهو الذى يمتلك وحده ما يعد من عناصره الجوهرية وكل ثماره ومنتجاته وملحقاته

- القيود التى ترد على الملكية : وهى تنظم حقوق المالك الجار فى ملك جاره .

- الملكية الشائعة وملكية الطبقات : وهى تنظم استغلال المال الذى يشترك فى ملكيته اكثر من فرد .

- اسباب كسب الملكية : وهى الاستيلاء والميراث والوصية وطرح النهر واكلسه والعقد والشفعة والحيازة .

- الحقوق المتفرعة عن حق الملكية : وهى الانتفاع والاستعمال والسكنى والحكر والارتفاق .

من الواضح بعد استعراض هذه الاحكام ان الجانب الاكبر منها لا يمكن ان يكون له معنى أو مدلولا الا من حيث ارتباطه بنوع من الاشياء له طابع محدد وهو ان يكون استخدام حق الملكية فيه من شأنه تحقيق ثمرة او منتج جديد يضاف الى ملكية صاحب الشىء الاصلى . فالعمال والفلاحون الذين كانت تربطهم بوسائل الانتاج علاقة عمل وليست علاقة ملكية كانوا يمتلكون ما يتحصلون عليه مقابل عملهم من حاجيات استعمالهم اليومى ، ولكنهم لا يكادون يحسون بما لهم من سلطة الملكية حتى تكون هذه الملكية قد زالت وانقضت بالاستهلاك ، واهتماماتهم ومصالحهم لابد وان تنصب بالتالى ـ على الصراع من اجل العمل ومن اجل تغيير الظروف التى تمنع حصولهم على ناتج عملهم . وبالتالى فبالرغم من عدم وجود نص صريح فهم يخرجون تماما عن نطاق المصالح التى ينظمها قانون الملكية ، لانهم لا يمتلكون ما يمكن ان تصبح له عناصر جوهرية وثمار وملحقات ، وتنظيم الملكية الشائعة وكيفية ادارتها لا قيمة له ، الا اذا كانت تغل لاصحابها شيئا بالاضافة اليها ، كما ان التحديد القانونى للحقوق المتفرعة عن حق الملكية لا يعنى شيئا الا اذا كان الهدف تنظيم تنازل المالك عن احدها مقابل ريع يحصل عليه .

وفى الظروف الاجتماعية التى صدر فى ظلها القانون المدنى ، من الذى كان يملك الاموال ذات الثمرات والمنتجات والملحقات ؟ دون حاجة الى ايراد احصاءات تفصيلية مسلم بها فمن الواضح ان اغلبية الشعب المصرى كانت بعيدة عن هذه الدائرة كل البعد ، ومن وجد من افراده خارج نطاقها كان محكوما عليه ان يظل كذلك جيلا بعد جيل . والاقلية الباقيه كانت تتدرج كالهرم من حيث حجم الملكية ، بحيث لا تحتل قمة الهرم الا الاقلية التافهة المكونة لتحالف الاقطاع ورأس المال الكبير . وفى داخل هذا الاطار الاجتماعى للملكية لم يكن تأثير قانون الملكية واحدا فقد كان الغالب ان يحتل المالك الكبير الجانب الايجابى بالنسبة لوسائل اكتساب الملكية اى الجانب الذى يضيف الى ماديه اموالا جديدة باستمرار ، لان ناتج ماله كان يتيح له تخصيص جانب منه للاضافة اليه . اما المالك الصغير فكان يمثل بالضرورة الجانب السلبى فى مختلف التصرفات القانونية . فالظروف الاجتماعية

كانت تحكم عليه في الغالب ان يصبح هو البائع لا المشترى والراهن لا المرتهن ، وحتى بالنسبة للميراث كان الملاحظ فى الملكيات الصغيرة انها تتناقض جيلا بعد جيل بعكس الملكيات الكبيرة التى كانت تتزايد جيلا بعد جيل . ومالك الخمسة افدنة الذى تجاور ارضه مالك الالف فدان كان يخضع لاحكام الجوار مثله مثل المالك الاخر ، ولكن من السهل ان نتصور ايا من المالكين ستكون عليه كل القيود المقررة وايهما ستكون له كل الحقوق .

وكان من النادر ان يصبح المالك الصغير شفيعا فى مواجهة المالك الكبير ولكن المؤكد ان المالك الكبير هوالذى كان يستفيد مناحكام الشفعة كلمااضطر المالك الصغير الى البيع مما كان يسمح للمالك الكبير على الاستحواذ على مال بعد مال من حقوق صغار الملاك .

فى ظل هذه الظروف كان التطبيق الفعلى لقانون الملكية يستبعد تماما المبدا القائل بأن الجميع فى مواجهة القانون سواء ، مما يوضح ان النظرة القانونية للمساواة كانت بعيدة كل البعد عن الواقع الاجتماعى ،وان حرية التملك المقررةقانونا كانت خرافة وان التنظيم القانونى للملكية المقرر لمصلحة الكافة كان قاصرا فى اثره على مصالح طبقية محددة . وانه حتى فى حدود ذوى الملكية كان التطبيق القانونى غير متساوى الاثر فالجانب الاكبر يمتثل للقانون بحكم تخليه عن الملكيةوالجانب الضئيل لا يحتكم الى القانون الا لكى يضيف الى ثرائه وقدراته .

الحيل القانونية فى حماية الملكية الاستغلالية

لا يقتصر اثر القانون فى حماية المصالح الطبقية للملكية الاستغلالية على طبيعة الواقع الذىيجرى فيه التطبيق القانونى . فان تطور هذه المصالح الطبقية واتساع نطاقها قد اثر من ناحية اخرى فى القوالب القانونية وفى صياغتها تأثيرا مباشرا .ولما كان الاساس الذى تقوم عليه التشريعات الحديثة انها مبادىء مشرعة للكافة دون تمييز فى حين كان الاساس الذى تقوم عليه المصالح الطبقية انها تستبعد من نطاقها اغلبية افراد المجتمع فكيفنجح القانون فى حل هذا التناقض وفى تنظيم وحماية المصالح المباشرة للطبقات المستغلة دون ان يخرج من ناحية الشكل عن الطبيعة العامة للقاعدة القانونية ؟ لقد لعبت الحيل القانونية دورا اساسيا فى هذا المجال .

ان ملكية وسائل الانتاج من الناحية الاقتصادية ليست مجرد سلطة للفرد على الشىء ، اذ ان هذه السلطة لا تعنى فى ذاتها شيئا فى ظل التطور الذى حققته وسائل الانتاج والذى جعل من عمليةالانتاج عملية اجتماعية يشترك فيها عدد كبير من العمال بدون عملهم الجماعى تصبح هذه الوسائل لا قيمة لها . فالجوهر الاساسى للملكية — اقتصاديا — هو انها علاقة اجتماعية . فى المجتمع الراسمالى تحدد هذه العلاقة طريقة توزيع ناتج العمل بين العمال المحرومين من حق الملكيةوبين الراسماليين المتمتعين بذلك الحق . ولذلك فان مباشرة حق الملكية تختلف فى المدلول القانونى عن المدلول الاقتصادى . من الناحية القانونية فالصورة فردية مطلقة ومباشرة المالك لحقه تتم سواء زرع ارضه او تركها بدون زراعه وهى لا تفترض الا احترام الكافة لهذا الحق ومنع تعرضهم لصاحبه . امامن الناحية الاقتصادية فحق الملكية يفترض اساسا قيام علاقة بين العمال المنتجين وبين المالك ،علاقة مزدوجة الجانب بدونها لا يكون للملكية وجود . وبموجب هذه العلاقة يعمل العمال فى وسائل الانتاجوينتجون ناتجا ،ثميقسمهذا الناتج فيحصلون هم على جزء ويحصل المالك على الجزء الاخر .

كيف نجح القانون فى تنظيم هذه العلاقة ؟ لقد كان من غير المقبول ان ينص صراحة على تنظيم المصالح الطبقية للراسماليين وان يدافع عن استغلال العمال ويبرره . ولقد كان القانون الرومانى يبرر استغلال العاملين على اساس افتراض انهم من الاموال التى لا يجوز ان تصبح صاحبة لحق . وكان النظام الاقطاعى يحمى هذا الاستغلال على اساس منحالمالك المستغلالسلطة القانونية والاجتماعية المطلقة ليفرض بها ما يشاء من احكام وقواعد . ولكن الراسمالية اتت الى السلطة على اساس الصراع ضد هذه السلطة المطلقة فكيف توفق فى صيغة قانونية عامة بين الحريةللجميع وبينمصالحها الاستغلالية المباشرة؟

لقد اوجدالقانون الراسمالى للعلاقةالاقتصادية الواحدة التى تقوم بين المالك الراسمالى وبين العمال نظامين قانونيين مختلفين ومنفصلين عن بعضهما تمام الانفصال ،نظام الملكية ونظامالعقد. وكل منهما مقرر لكافة ولكنه مخصص لخدمةعلاقة الملكية الراسمالية فى كل وجه من وجهيها .

فبالنسبة لاوجه النشاط التى يقوم بها الراسمالى فى هذه العلاقة فالقانون يعتبرها مجرد مظاهر لمباشرته حقه الفردى على الشىء وليس على الناس الا ان يمتنعوا عن التعرض له فى مباشرته لحقه . اما بالنسبة للجانب الاخر من العلاقة فان العمال يباشرون عملهم تنفيذا لالتزام تعاقدى بين كل منهم وبين الراسمالى . وبموجب النظام الاول يكون للمالك بمقتضى حقه فى الملكية ان يتملك ثمار

الشيء ومنتجاته ، وبهذا ايضا تفقد هذه المنتجات اى مدلول اجتماعي وتصبح مجرد ناتج للشيء ومقطوعة الصلة قانونا بالعمل الانساني الذى اوجدها ، وارتباط حق الراسمالي بهما نتيجة طبيعية لمباشرة حق من حقوقه الفردية . وبموجب النظام الثاني يرتبط كل عامل بمفرده مع الراسمالي بموجب عقد من العقود المدنية ، ولقد ارتضى كل من الطرفين على قدم التساوى بأحكام ذلك العقد بموجب سلطان ارادته وبمطلق حريته . وبما ان العقد شريعة المتعاقدين وهو وحده المحدد لحقوق طرفيه والتزاماتهما ، فان اجر العامل مصدره العقد وهو مقطوع الصلة قانونا بمدى مساهمته اجتماعيا فى عملية الإنتاج . ولما كان الانتاج فنيا يستلزم اشتراك عدد كبير من العمال بحيث يصبح المنتج ثمرة اجتماعية لعملهم المشترك فان ادراك العمال لهذه الحقيقة او اقرارها قانونا من شأنه ان يهدد مصالح الطبقة المالكة لوسائل الانتاج ، ونظرية العقد كفيلة بأن تلقى غطاء كثيفا على هذه الحقيقة الاقتصادية اذ تتحول فى ظلها العلاقة الاقتصادية التى تكفل لطبقة مالكة ان تتملك ثمرة عمل طبقة غير مالكة الى علاقة تعاقدية قانونية بين افراد تلزم طرفيها ولا يتمتع احدهما على الاخر قانونا بأى ميزة . وهكذا يؤدى هذا التصوير القانونى المزدوج لعلاقة الملكية الى تحقيق الطريقة التى يهدف اليها فى توزيع ثمرة العمل الانتاجى بما يكفل استغلال العمال ، ويغطى حقيقة التناقض بين الملكية الفردية لوسائل الانتاج وبين الصفة الاجتماعية للعمل .

وقد ادى التطور الراسمالى الى استغلال انظمة مدنية اخرى من اجل حماية الملكية الراسمالية وتوسيع نطاق نفوذها . فالنظرة القانونية للملكية باعتبارها سلطة مباشرة للفرد على الشيء تفترض قيام الحيازة بمعناها القانونى . فالمالك المؤجر حائز للشيء بالرغم من انتقال الشيء ماديا الى المستأجر . وفى بداية التطور الراسمالى كان الراسمالى بالفعل هو الحائز للمشروع الذى يمتلكه ويقوم فيه بدور المنظم لعملية الانتاج والمشرف عليها . وقد اقترن اتجاه الراسمالية نحو الاحتكار بالاختفاء التدريجى لهذا الطابع وحل محله مظهر آخر مختلف للسيطرة الراسمالية على ادوات الانتاج . تحولت الراسمالية فى مرحلة الاحتكار الى مجرد قوة مالية تفرض سيطرتها على جميع مظاهر النشاط الاقتصادى فى المجتمع لصالح حفنة من الافراد . وهذه الحفنة تملك وسائل الانتاج فى المجتمع ملكية فردية اقتصاديا ، ولكن ملكيتها تتخذ اشكالا قانونية جديدة . فان سيطرة الراسمالية الاحتكارية على وسائل الانتاج لا تقوم — بعد ان فقدت دورها الفنى فى عملية الانتاج — على اساس الحيازة القانونية المميزة لحق الملكية . فقد كان احمد عبود مثلا يمتلك صناعة السكر وصناعة الاسمدة والنقل البحرى وغيرها من مجالات النشاط الاقتصادى ويسيطر عليها سيطرة مباشرة مطلقة لا تختلف عن الحق الذى يتمتع به المالك على الشيء المملوك له . فكيف كانت تتمثل هذه الملكية الاقتصادية من الناحية القانونية ؟ كانت تتمثل فى عدد من الاسهم التى تحدد مدى حقوقه الشخصية فى مواجهة الشركات المنتجة . اى ان التصوير القانونى هنا انتقل من مجال الحق العينى الذى تقوم عليه فكرة الملكية الى مجال الحق الشخصى الذى ينظم العلاقات بين الافراد . فالمبالغ النقدية التى دفعها عبود ثمنا لاسهمه قد خرجت من حيازته وفقد حقه العينى عليها وانتقلت ملكيتها قانونا الى شخصية اخرى هى الشركة المنتجة ، الا انها مع تمتعها بالملكية فهى مدينة بقيمة راس المال . وعلاقة الشركة هنا حلت محل الملكية القانونية المباشرة كمصدر للسلطة على ادوات الانتاج . وبهذه الطريقة اصبح من الممكن للراسمالى ان يفرض نفوذه وسيطرته على نطاق اوسع بكثير من نطاق القيمة المحدودة لملكيته الخاصة . وكذلك استغلت الراسمالية عقد القرض لاستكمال سيطرتها على وسائل الانتاج . فبالرغم من ان المقرض قانونا يفقد ملكية الشيء الذى يقرضه ويكتسب المقترض هذه الملكية بحيث لا يلتزم الا برد مثله ، ولكن يتناقض هذا التصوير القانونى مع الواقع عندما تلجأ البنوك الى اقراض ملايين الجنيهات لالاف المشروعات الانتاجية مقابل الضمانات المعهودة التى تتضمنها صيغ هذه العقود . فتصوير هذه العلاقة على اساس من احكام الالتزامات الشخصية التى تربط الافراد لا تتفق مع السلطة الفعلية التى تكتسبها الجهات المالية المقرضة على المشروعات المقترضة . فان الراسمالية المالية تستغل هذه القوة لكى تحصل اولا على جانب هام من ناتج العمل الانتاجى ، كما تستغلها ثانيا لفرض سيطرتها على اوجه النشاط الاقتصادى بما يكفل تسييرها فى الاتجاه الذى يحقق مصالحها . فهذه العلاقة تحول المنتجين المدنيين الى ادوات لتحقيق المصالح الاحتكارية فى المجتمع ، كما ان اى اخلال بتعهداتهم يؤدى الى ان يفقدوا ملكياتهم قانونا عن طريق التنفيذ الجبرى بعد ان كانوا قد فقدوا من الناحية الفعلية جانبا كبيرا من حقوقهم عليها .

وهذا التحول الذى ادى الى ابراز الجوهر الحقيقى للملكية الاستغلالية باعتبارها علاقة انتاجية فى اساسها وذلك حتى على نطاق التصوير القانونى لها ، قد ادى الى ظهور محاولة من جانب الراسماليين لتبرير نظامهم واخفاء جوهره الاحتكارى عن طريق فكرة الراسمالية الشعبية ، وهذه الفكرة تدعى أن الراسمالية فى تطورها لم تعد تقوم على علاقات الملكية ، لان الراسمالى لم

يعد مالكا وان الاجهـزة الادارية في الشركات قد حلت محـل الملكية الراسـمالية ،وان المديرين شـانهم شـان جميع العمـال تربطهم بالشركة لا بالراسـمالى عـلاقة عمـل ، وان هذا التحول من قبل المديرين يمكن ان يصحبه فى نفس الوقت تحويل العمال الى راسـماليين عن طريق توزيع بعض الاسـهم عليهم . والمغالطـة الرئيسية التى تستند اليها هـذه النظرية هى ان الراسـمالى لم يفقـد ملكيته ولكن الذى تغير هو التصوير القانونى لها ،والراسمالى الذى يستحوذ على نسبة هامة من اسهم شركة يمكنه ان يسيطر عليها لصالحه سواء توزعت بقية الاسـهم على العمال او غير العمال . والراسمالى الذى يتولى الادارة لا يغير المرتب الذى يحصل عليه منطبيعته بل ان مرتبه الخيالى يصبح فىذاته ثمرة من ثمرات ملكيته الاستغلالية . كما ان العامل الذى يحصل على عدد ضئيل من الاسهم لا يتحول الى راسمالى لان ما يحصل عليه من ربح يكون على حساباجره فى الواقع الذى يقل فى مجموعه عن ناتج عمله ، ولا تؤدى هذه المظاهر الخـداعة الا الى زيادة استغلال العامل لصـالح الاحتكاريين . وكل ما ادت اليه هذه النظرية هو تأكيد الصفة الطفيلية للراسمالية الاحتكارية بدلا من تبريرها .

فالصـفة الطفيلية للراسـماليه الاحتكاية قد اصبحت حقيقة واضحة على النطاق الاقتصادى بعد ان فقدت اى دور ايجابى فى عملية الانتاج ، وقد انعكست هذه الحقيقة فى التنظيم القـانونى لصالحها وعلاقاتها فى المجتمع . ففى سعيها من اجل توسيع نفوذها وسيطرتها استغلت القوالب القانونية التى تكفل الاستحواز على ثمرات اموالها الخاصـة وثمرات اموال الملاك الاخرين فى نفس الوقت ، واستغلال العمل المأجور على نطاقاوسع كثيرا مما يمكن ان يحدث فى ظل العلاقة بين المالك الراسمالى والعمـال التابعين له . وقد حطمت السيطرة الاحتكارية فى تطورها الاصنام التى كانت التشريعات الراسمالية قداقامتها فىاعقاب الاطاحة بالاقطاع . فمركز الثقل فى حقوق الملكية الفردية قد تحول الى مصالح احتكارية اخضعت لنفوذها واستغلالها جانباكبيرا منالملاك الفرديين انفسهم، واختفت حتىالمظاهر الشكليةللحريات الاقتصادية والحقوق الانسـانية التى تضـمنتها القـوانين الراسمالية .

تطور الملكية مع بنـاء الاشتراكية

لقد تخلى مجتمعنا عنطريق التطور الراسمالى وانطلق فى مرحلة بناء الاشتراكية بعد ان نجحت ورثها مجتمعنا عن تاريخه السابق على الثورة ، وبالتالى حققت تغييرا جذريا فى اهم هذه العلاقات وهى علاقة الملكية . فى مجال الزراعه رتب على تصفية بقايا الاقطاع انساع طاق الملحه الصغيرة وفى مجالات النشاط الاقتصادى الاحرى ترتب على تصفية المصالح الاجنبيه والراسمالية الكبيرةتملك الدولة لجانب كبير من وسائل الانتاج . وبالقضاء على نفـوذ الاقطاع وراس المال الـكبير تحررت الملكيات الصغيره من عدو كبيركان يهددهاويخضعها لصالحه ، وفى ظل الاطار العـام للمجتمع الذى يرفض تطور اى اشكال استغلاليه ويسعى الى حل التناقضات سلميا ، اصبح الطريق المفتـوح امام القطاع الخاص هو الارتباط بالتنظيم التعاونى لنشاطها مما يؤدى فى تطوره الى ايجاد شـكل جديد من اشكال الملكية هو الملكية التعاونية .

• ان هذا التطور فى ذاته يؤدى الى تغيير فىجوهر كثير من الاحكام القانونية العامة فى الملكية شأنها فى ذلك شأن جميع المبادىء الخاصـة بالحقوق الاساسية للانسان . فكثير من هذه الاحكام كانت تستمد طبيعتها الرجعيه لا من صياغتها ولا كنتيجة لمجال تطبيقها الذى تسوده المصالح الرجعيه . ولا يمكن ان يستوى تطبيق قانون الملكيه قبل الاصلاح الزراعى مع تطبيقه بعد ان ظهر فى الريف اكثرمن نصف مليون مالك جديد وبعد ان اختفى منه كبار الملاك الاقطاعيين . الا ان هذا الانعكاس القانونى التلقائى للتطور الاجتماعى لا يكفى اذ بالاضافةالى بعض الاحكام التى بطلت صلاحيتها فانه قد نشأت علاقات جديدة تقتضى ان يتضمن القانون الاحكام الناشئة عنها مباشرة .

والقانون المدنى الحالى بعيد كل البعـد عن التعبير عن الاسس الجديدة لمجتمعنا لا فى صياغته ولا فى روحه . وبالنسبة لباب الملكية بالذات نجده بعيدا عن مستوى الواقع . وحتى يبرز مدى هذا التناقض بين الواقع والقانون يكفى أن نقرا احكام الباب الثانى من الدسـتور المتضـمن للمقومات الاساسية للمجتمع . فهـو ينص على ان النظام الاشتراكى الذى يحظر اى شـكل من اشـكال الاستغلال هو الاساس الاقتصادى للدولة وعلى ان يتم توجيه الاقتصاد القومى بأكمله وفقا لخطة التنمية التى تضـعها الدولة وعلى ان الثـروات الطبيعيـة ملك للدولة وهى التى تكفـل حسن استغلالها وعلى ان الشعب هو الذى يسـيطر على كل ادوات الانتاج وعلى توجيه فائضـها ، وبالاضافة الى ذلك حدد الدستور اشكال الملكية فى المجتمع والمبادىء الرئيسية التى يجب ان تقوم عليها كل منها وذلك على الوجه الاتى :

● ملكية الدولة ـ اى ملكية الشعب التىيجب

الثورة في تصفية بقايا الاقطاع والقضاء على المصالح الاستعمارية الاجنبية ومصالح الاحتكار وراس المال الكبير . وكل هذه الاجراءات الثورية حققت تغييرات جذرية في مختلف العلاقات الانتاجية التى ان تكون قوية وقادرة على قيادة التقدم في جميع المجالات وعلى ان تتحمل المسئولية الرئيسية في خطة التنمية وعلى ان تكون لها حرمة بحيث تصبح حمايتها واجبا على كل مواطن باعتبارها اساسا للنظام الاشتراكى ومصدرا لرفاهية الشعب العامل .

● ملكية تعاونية اى ملكية كل المشتركين في الجمعية التعاونية ونص الدستور على ان الدولة تشجع التعاون وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها .

● ملكية خاصة تشترك في اطار الخطة الشاملة من غير استغلال ، ونص على ان راس المال يجب ان يستخدم في خدمة الاقتصاد القومى ولا يجوز ان يتعارض في طرق استخدامه مع الخير العام للشعب وان على القانون ان يحدد الحد الاقصى للملكية الزراعية وان يحدد وسائل حماية الملكية الزراعية الصغيرة .

وقرر الدستور بوضوح ان تكون رقابة الشعب شاملة للاشكال الثلاثة للملكية مسيطرة عليها كلها .

وهذه المبادىء بحكم ورودها في القانون الاساسى للدولة لا ترمى الى التنظيم القانونى المباشر للعلاقات الاجتماعية ولكنها احكام واوامر موجهة الى السلطة التشريعية تطلب منها ان تترجمها الى نصوص تفصيلية وان تلغى من القوانين كل ما يتناقض معها حتى يمكن ان تتحول الى احكام آمرة يلتزم بها المواطنون ويخضعون لها كما يستفيدون منها في تصرفاتهم اليومية . وهذا بدرجة كبيرة — ما زال على المشرع ان يستوفيه .

واعادة النظر في القانون المدنى على هذه الاسس ليست مجرد احلال نص محل نص آخر او الغاء بعض النصوص واضافة بعض النصوص الاخرى ، ولكنه يجب ان يقوم على اساس نظرة قانونية اجتماعية جديدة تبتعد عن الاساس التقليدى الفقهى للقانون الذى يقوم على مبادىء سلطان الادارة وحرية التصرفات وسيادة الحيل القانونية الهادفة الى اخفاء الطابع الاجتماعى الحقيقى للقانون . يجب ان تحل محل هذه المبادىء الاساسية مبادىء اساسية اخرى تقوم على مبادىء سيطرة الشعب على ادوات الانتاج ومعارضة استغلال الانسان للانسان وحماية الملكية الصغيرة وضمان عدم تحولها الى ملكية استغلالية وتشجيع التعاون .

وبهذا يمكن ان يتخلص قانون الملكية من قوالبه المصاغة بطريقة تبدو معها منفصلة عن الحياة الواقعية للمجتمع الذى شرعت لخدمته ، ويتحول الى اداة صريحة ومباشرة لخدمة الاهداف الاجتماعية فباختفاء المصالح الطبقية الرجعية التى كانت تفتن في اخفاء مراميها الاجتماعية الحقيقية فانه لا يعود هناك مبرر لكى يخفى القانون — اى قانون — اهدافه النبيلة في سبيل بناء المجتمع الاشتراكى تحقيقا لمصالح القوى العاملة للشعب . وحق الملكية بصفة خاصة يجب ان يتخلص في تصويره القانونى من مختلف الحيل التى كانت تتستر وراءها المصالح الطبقية الرجعية ، ليس فقط في القانون المدنى ولكن في جميع القوانين الاخرى التى تتعلق باساليب مباشرة ذلك الحق مثل قانون العمل وقانون الشركات .

ومن المفيد ان تتضمن الصياغة القانونية نفسها تحديدا لهذه المبادىء فيشير القانون — بل وكل باب منه — الى المبادىء الاساسية التى قام عليها والاهداف التى يسعى الى تحقيقها . وقد يبدو هذا متعارضا مع الاسس المتبعة في الصياغة القانونية اذ يرى كثير من رجال الفقه ان بحث المبادىء ليس مجاله النصوص القانونية ، ولا شك ان موقفهم يتفق مع الاساليب التى تتبعها قوانين المجتمع الراسمالى في صياغتها اذ تقوم على احكام مجردة مطلقة لاخفاء الطابع الاستغلالى للقانون . اما في مرحلة البناء الاشتراكى فان وضوح المبادىء والاهداف يلعب دورا اساسيا في دفع عجلة التقدم . ولصياغة المبادىء اهمية كبيرة ايضا في التطبيق لانها تحدد الطريقة التى يتعين ان تفسر على اساسها النصوص في واقع الحياة العملية . ومن المسلم به ان المشرع لا يستطيع ان ينظم في القانون جميع العلاقات المتشابكة التى تنشأ في الواقع لان الحياة لا تلتزم القوالب القانونية المحددة . فعند غياب النص يمكن القاضى ان يسترشد بالمبادىء الاساسية المصاغة حتى يأتى تطبيقه متفقا مع اهداف المجتمع ومحققا للوظيفة الاجتماعية التى يسعى النظام القانونى الى تحقيقها .

الوظيفة الاجتماعية لعلاقات الملكية

ان التصوير القانونى لحق الملكية على انه سلطة للفرد على شيء ، يقابله في الواقع الاجتماعى علاقة تهدف الى تحقيق مصالح اجتماعية محددة تختلف باختلاف نوع المجتمع . فللملكية دائما وفى كل الظروف وظيفة اجتماعية ولكن الذى يختلف هو نوع هذه الوظيفة . ففى ظل العلاقات الاقطاعية

يكون الشكل المحدد للملكية منهما هو الذى يسمح للطبقة الاقطاعية فى استغلال الفلاحين وكذلك فقد راينا كيف تؤدى الملكية الراسمالية الى استئثار الطبقة الراسمالية بجانب كبير من ناتج عمل الاجراء ، وبالمثل فان الملكية الاشتراكية هي التى تسمح بأن يعود ناتج العمل كله الى القوى العاملة دون استغلال .

ومع وضوح هذه الحقيقة بالنسبة لكل المجتمعات ، فلقد نتج عن ازدياد الضغوط الثورية فى البلدان الراسمالية ضد اساليب الاستغلال الراسمالى ان ظهرت فيها **نظرية قانونية** مؤداها ان الملكية ليست حقا ولكنها وظيفة اجتماعية على الحائز لها ان يضطلع بها بحكم حيازته وان القانون لا يحمى استعمال الحائز للثروة الا اذا التزم بحدود هذه الوظيفة الاجتماعية . وبالرغم من استناد هذه النظرية فى الظاهر على الفكرة الاجتماعية الا انها فى الواقع تعزل الملكية عن الواقع الاجتماعي . فان مجرد النص فى القانون على ان للملكية وظيفة اجتماعية لا يؤدى فى ذاته الى اى تغيير فى نوع المصالح الطبقية التى تسعى الى تحقيقها ، وفى ظل سيادة الملكية الفردية لادوات الانتاج فان الاستغلال الراسمالي سيظل قائما مهما تفنن الفقهاء فى ابتكار القيود القانونية العامة التى تحيط بالملكية ، بل ولن تؤدى هذه القيود فى النهاية إلا الى خدمة المصالح الاحتكارية على حساب مصالح صغار المنتجين ، الذين لن يتحملون عبئها مما ستتحول معه هذه القيود الى عنصر مساعد للمصالح القوية فى المنافسة غير المتكافئة التى تقوم بين المصالح المتعارضة فى المجتمع . ولقد طبقت الفاشية فى المانيا وايطاليا قبل الحرب الاخيرة فكرة الوظيفة الاجتماعية للملكية لكى تبرر اجراءات تهدف الى حماية المصالح الاحتكارية والاهداف العدوانية الاستعمارية وتحميل الطبقات العاملة والراسمالية الصغيرة اقسى انواع التضحيات .

ان التطور التشريعي للقانون المدني المصري يوضح ان فكرة الوظيفة الاجتماعية للملكية لا يمكن ان تؤدى فى ظل الاستغلال الراسمالى الاقطاعى الا الى خدمة هذا الاستغلال . فالقانون المدنى القديم الذى صدر فى ١٨٨٣ اقتصر فى تصويره لحق الملكية على النزعة الفردية المطلقة ، ولكن القضاء فى تطبيقه للقانون تأثر بفكرة الوظيفة الاجتماعية التى ادت الى قيام نظرية جديدة فى فقه القانون تعرف باسم « اساءة استعمال الحقوق » وطبقها من اجل تحديد الالتزامات التى يلتزم بها كل مالك فى مواجهة المالك الجار . وقد اورد القانون المدنى الصادر فى ١٩٤٨ التزامات الجوار فى باب « القيود التى ترد على حق الملكية » ، ولكن كل هذه القيود انما ترد على مالك لصالح مالك آخر اى بعبارة اخرى حقوق لمالك ضد مالك آخر . فلماذا لم يتجه المشرع عندئذ الى حماية كافة المصالح الاجتماعية التى كانت تدوس عليها حقوق الملكية حتى ولو كان المضرور غير مالك ، ولماذا اقتصر فى حمايته على المصالح التى كانت بالذات حقوق ملكية ايضا ؟

ولقد اتى القانون المدنى الصادر فى ١٩٤٨ ايضا بنص قرر فيه ان استعمال الحق يكون غير مشروع اذا لم يقصد به سوى الاضرار بالغير ، واذا كانت المصالح التى يرمى الى تحقيقها قليلة الاهمية بحيث لا تتناسب مع ما يصيب الغير من ضرر بسببها ، واذا كانت المصالح التى يرمى الى تحقيقها غير مشروعة . وهذا النص هو من النصوص النادرة التى كانت تربط الحق بالعلاقات الاجتماعية . ولكن كيف كان يطبق وهل كان يستخدم فى خدمة الجانب الضعيف ام الجانب القوى من العلاقة ؟ بالنسبة للشرط الاول — وهو قصد الاضرار بالغير — فان القانون لم يكن يعترف بأنه يصيب العمال والفلاحين اى ضرر من جراء الاستغلال الراسمالى الاقطاعى ولو حدث ضرر فهو غير مقصود ، وبالنسبة للشرط الثانى فهو يقوم على عملية موازنة بين المصالح والاضرار وطالما اننا فى مجال الموازنة فان مصلحة المالك الصغير لا يمكن ان توازن مصلحة المالك الكبير ، ومصلحة العامل الفرد لا تصبح شيئا بجانب مصلحة الراسمالى لا من الناحية المادية ولا من ناحية القيم الاجتماعية . وطالما ان هذه الموازنة لا تدخل فى اعتبارها المصلحة العامة لمجموع القوى العاملة فهى لن تفيد الا الطبقات المستغلة . وبالنسبة للشرط الثالث فان اعتبار الحق غير مشروع اذا كانت المصلحة غير مشروعة هو من قبيل تحصيل الحاصل ، وطالما ان القانون هو الذى يحدد المصالح المشروعة وغير المشروعة فلقد كان القانون فى فروعه المختلفة مخصصا لخدمة المصالح الاستغلالية فى المجتمع ، بل ولقد كانت المصالح الحقيقية للقوى العاملة هي غير المشروعة .

ان الاهمية التى يعلقها الفقهاء الراسماليون على نظرية الوظيفة الاجتماعية لحق الملكية لا تساوى شيئا لان الذى يحدد مضمون هذه الوظيفة هو وجود الملكية الاستغلالية او عدم وجودها فى المجتمع ، وان الثورة الاجتماعية ضد اشكال الاستغلال هي وحدها التى يمكن ان تقضى على الاشكال الاستغلالية للملكية .

اما فى مرحلة البناء الاشتراكى فان الوضع يختلف تماما . فالوظيفة الاجتماعية للملكية تعمل آثارها لصالح القوى العاملة ، لا عن طريق تقييد الملكية ولكن عن طريق تحريرها . فملكية الدولة هى ملكية الشعب العامل وبهذا اصبح لكل فرد من افراد الشعب العامل حق فى ملكيتها . واهم عنصر من عناصر الملكية يكمن فيما تعود به على صاحبها من حقوق وامتيازات فان ملكية الشعب العامل تعود على كل فرد فيه بحق مباشر فى ناتجها بارباح وخدمات واستثمارات جديدة وبحق مباشر فى ادارتها والاشراف عليها . اى ان القضاء على الملكية الفردية الاستغلالية يوسع من نطاق الملكية ويجعل الملايين ملاكا . وبالقضاء على الملكية الاقطاعية تحررت الملكيات الصغيرة فى الريف واضيف اليها اكثر من نصف مليون مالك جديد ، وبالقضاء على المصالح الاحتكارية والراسمالية الكبيرة تحرر صغار المنتجين من اهم قيد يعوق تحقيق مصالحهم المشروعة . وبتشجيع التعاون وبتطور الملكيات التعاونية تتحرر الملكية من المنافسة المدمرة وتتمتع بحماية جديدة تزيد من ثمراتها ومنتجاتها . ولقد اورد الدستور الاسس التى تعتمد عليها الوظيفة الاجتماعية للملكية فى اشكالها الثلاثة واصبحت هذه الوظيفة محددة المضمون مفصلة الاهداف .

تطوير قانون الملكية

ليس هنا مجال تحديد التعديلات التفصيلية التى يمكن اجراؤها فى الاحكام المنظمة للملكية وفقا لاشكالها الجديدة فى مرحلة بناء الاشتراكية اذ مجال هذا فى الدراسات الفنية المتخصصة .ولكن المهم هو تحديد الاتجاهات الرئيسية فى هذه التعديلات حتى يصبح القانون ملتزما للاطار الذى يعيش ويتطور فيه المجتمع .

قرر الدستور ضرورة حماية ودعم ملكية الشعب باعتبارها اساسا للنظام الاشتراكى ومصدرا لرفاهية الشعب العامل وقوة الوطن . فلابد بالتالى ان يتبلور هذا المبدا العام فى اطار القانون الخاص بما يضعه موضع التطبيق وان تلغى جميع النصوص التى تتعارض معه ، ويتحقق هذا فى الاتجاهات الرئيسية الاتية :

● تقرير الصفة العامة لاموال القطاع العام كلها حتى يمكن الاستفادة من مبادىء الحماية التى يتمتع بها المال العام بالنسبة لملكية الشعب كلها.

فان الاقتصار فى هذه الصفة على اموال الادارة العامة وحدها كان يتفق مع الافكار التقليدية التى تقصر حق الدولة فى التدخل الاقتصادى على المرافق العامة . ولكن التفرقة التقليدية بين المرفق العام الذى يقوم بخدمة عامة وبين الاموال الخاصة للدولة لم يعد لها سند ، اذ ان ملكية الشعب وهى تشمل جميع اموال الدولة واجهزتها ومؤسساتها والشركات التابعة لها تقوم كلها بالخدمة العامة اذ تقود التقدم فى جميع المجالات وتتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية التى تضعها الدولة لزيادة الثروة وللنهوض المستمر بمستوى المعيشة. ويترتب على هذا ان يتقرر للاموال العامة كلها حق امتياز عام على جميع اموال المدين تستوفى بمقتضاه الحقوق العامة قبل اى حق آخر ولو كان ممتازا او مضمونا برهن رسمى. ويوفر هذا الحق للاموال العامة ضمانا كافيا يغنى عن اللجوء الى طريق الرهن الرسمى وهو طريق معقد الاجراءات تستند الاولوية فيه على اسبقية التسجيل مما لا يتفق مع ما يجب ان يتمتع به المال العام من حماية ودعم.

● تقرير منع التصرف فى الاموال العامة المكونة لراس المال الثابت (الاراضى المصانع الالات .. الخ) وقصر حق الجهات التى تتولى ادارتها فى استعمالها واستغلالها ،وذلك ضمانا لعدم خروج مثل هذه الاموال عن نطاق ملكية الشعب بعد ان دخلت فيه ولعدم تحول ملكيتها الى ملكية استغلالية. وتقرير ان الشخصية الاعتبارية المستقلة لكل جهة من جهات القطاع العام لا تتعارض مع حق الدولة فى اعادة تخصيص المال العام دون مقابل وفقا لاحتياجات خطة التنمية ، وتقرير عدم جواز اتخاذ اجراءات الحجز والتنفيذ على اى مال من الاموال العامة التى تدخل ضمن راس المال الثابت اياكان نوع الدين ، وتقرير عدم جواز الحجز والتنفيذ على الاموال النقدية السائلة الا بالنسبة لانواع محددة من الديون (حقوق العمال — دين النفقة فى حجز ما للمدين لدى الغير) ، وذلك ضمانا لاستمرار اداء المال العام للوظيفة التى خصص لها .

● تقرير الالتزامات الاساسية التى يتعين على كل من له علاقة مباشرة بالمال العام ان يقوم بها . مثل ان ادارة المال العام يجب ان تخضع لاحكام اللوائح وتتفق مع اهداف الخطة وفقا لما هو مخصص له المال العام . وان على القائمين بالعمل فى المال العام ان يحسنوا معاملة المواطنين واحترام حقوقهم ومساعدتهم وان يبذلوا كل طاقاتهم من اجل حماية المال العام والعمل على دعمه وتطويره وانجاح المهام التى خصص لها . واهمية تحديد هذه الالتزامات انه فى حالة الاخلال بها تسرى بالاضافة الى الاجراءات التأديبية الالتزام بالتعويض

المناسب وفقا لاجراءات مبسطة سريعة يمكن ان ينص عليها قانون العمل وعن طريق لجان يمثل فيها العاملون انفسهم ».

والدستور يقضي بان كل الثروات الطبيعية وجميع مواردها وقواها ملك للدولة وهي التي تكفل حسن استغلالها . وانه لما يتناقض معهذا النص الاحكام الوارده في القانون المدني في المواد المتعلقة بالاستيلاء كسبب من اسباب كسب الملكية فوفقا لهذه المواد كل من وضع يده على منقول لا مالك له بنية تملكه ملكه . وأنه اذا زرع مصري ارضا غير مزروعة او بنى عليها تملك في الحال الجزء المزروع او المبني ولو بغير ترخيص من الدولة . وطالما ان الاصل المقرر هو انالدولة هي المالكة لكل الثروات الطبيعية سواء اكانت منقولا او عقارا وهذه الثروات تشمل كل ما ليس له مالك فانه يجب الغاء الاستيلاء من القانون كسبب من اسباب كسب الملكية .

وتحقيقا للحماية التي يجب ان تتمتع بها ملكية القطاع العام ومن اجل دعمها يجب منع الاخذ بالشفعة ، اذا كان البيع حاصلا لجهة من الجهات التابعة للقطاع العام .كما انالحماية التييقررها القانون للمالك حسن النية لا يجدر ان تنطبق على اى مال من أموال القطاع العام لانه لا يجوز اقرار التصرفات التي تؤدي الى ان يفقد القطاع العام ملكيته بغير رضائه حتى ولو كان الحائز حسن النية .

وبالنسبة للملكية التعاونية التي نص الدستور على وجوب تشجيعها ورعاية المنشآت التعاونية بمختلف صورها فانه يجب على القانون المدني ان يتضمن تعريفا لها ويحدد الاسس التي تقوم عليها ومختلف الحقوق والالتزامات التي تترتب على قيامها سواء فيمابين اعضائها اوفي مواجهةالدولة والغير . ومن أهم شروطها أن تجمع بين اعضائها وحدة العمل او وحدة المصلحة اذ التعاون اساسه ان تحل المساعدة المتبادلة محل الفردية والانانية في المجال الواحد ، ومن شروطه ايضا ان يجتمع الاعضاء ويتحدوا بحرية وبمحض ارادتهم وان تشكل الهيئات المشرفة على الادارة عن طريق الانتخاب وانيكون لجميعالاعضاء حقوقمتساوية، مع ضرورة تحديد انواع الحماية التي يجب ان تتمتع بها أموالها كأن تخضع فيهذا الشأن للاحكام المتعلقة بأموال القطاع العام ، وان يرتبط نشاطها مع أحكام خطة التنمية التي تضعها الدولة .

وفي نطاق الملكية الخاصة فمن الاهمية بمكان ان يتضمن القانون المدني احكاما جديدة تطبيقا للمبادىء الاساسية التي أوردها الدستور في هذا الشان وتكفل ان يكون استخدام راس المال في خدمة الاقتصاد القومي دون ان يتعارض في طرق استخدامه مع الخير العام للشعب وان تسيطر رقابة الشعب على الملكية الخاصة وان يضمن القانون حماية الملكية الصغيرة .

واول ما يقال في هذا الشان ان تضاف الى الحالات التييعتبر استخدام الحقفيها غيرمشروع حالة ما اذا كانت المصالح التي يرمي اليتحقيقها لا تتفق مع الاساس الاشتراكي للدولة كان يكون من شأنها تعطيل اهداف خطة التنمية . ويجبان ينص القانون على أنه في حالة استخدام المال استخداما غير مشروع يجوز فرض الحراسة عليه بحكم مستعجل من القضاء على ان تتولى جهة عامة مسئولية الحراسة لضمان استغلاله لصالح الشعب . ومع اقرار هذا المبدا العام فانه تصبح المادة ٣ من القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ حالة خاصة من حالات تطبيقه . وهذهالمادة تجيز بقرار من رئيس الجمهورية فرض الحراسة على أموال وممتلكات الاشخاص ن يأتون اعمالا بقصد ايقاف العمل بالمنشآت اوالاضرار بمصالح العمال او تتعارض المصالح القومية للدولة . الا انه يتعين انيتضمن القانونتنظيما لاختصاصالحراسة في هذا الشان وخاصة حقها في تصفية الاموال الموضوعة تحت الحراسة وبيعها الى القطاع العام ، حتى لا تعود مرة اخرى مصدرا للاضرار بمصالح الاقتصاد القومي .

وعقد العمل وعقد الايجار هما اهم ما ينشأ عن حق الملكية من علاقات بالغير . ولقد تضمنت قوانين العمل والايجار احكاما تضمن الا يتعارض استخدام حق الملكية مع الخير العام للشعب . الا ان أهم ما يجب ان يتعرض له المشرعهو اعادة النظر فيفكرة العقد كاساس لعلاقةالعمل ،واعتبار ان للعامل حقا في المال بحكم عملة منعا لجميع حالات فصل العامل التي لا تكون معتمدة على اجراء تاديبي متخذ من لجان لا تخضع لسيطرة صاحب العمل . وبالنسبة للايجار يتعين منعالمالك من اساءة استخدام حقه في التأجير مقابل مبالغ لا حق له فيها عن طريق تنظيم عملية التأجير بواسطة لجان مختصة ولا يضار المالك الشريفمن هذا الاجراء لأن حقه قاصر على اقتضاء الاجرة المحددة قانونا .

والمادة ٨٠٧ مدني تقرر ان على المالك الا يغلو في استعمال حقه الى حد يضر بملك الجار ثمتحدد المواد التالية التزامات الجوار التي تقومبين الملاك

ولكن هذه المادة يجب ان تنص على ان المالك لا يجوز ان يضر بحقوق الغير بصفة عامة سواء اكانوا جيرانا او عمالا او مستأجرين او مستهلكين او دولة . وتطبيقا لهذا يتعين النص على الامتداد القانونى لجميع عقود الايجار حتى فى الاراضى الزراعية . وطالما انه تقرر للمستأجر حق البقاء فى الارض التى يزرعها فانه لا يعود هناك اى معنى لنظام الحكر مما يتعين الغاءه من القانون خاصة وانه من بقايا العلاقات التى كانت قائمة فى ظل الاقطاع . ونظرا لان مصلحة الاقتصاد القومى ومستلزمات خطة التنمية تقتضى ضرورة استغلال جميع امكانيات الثروة القومية فيجب ان ينص القانون على حق الدولة — فى حالة عدم استعمال المالك لملكه — فى ان تنزع ملكيتها جبرا مع تقسيط ثمنها على مدة وبفائدة معقولة . ونظرا انه منغير المشروع ان يلجأ صاحب عمل الى حرمان اىعامل من حق من حقوقه فانه يتعين تعديل المادة ١١٤١ مدنى التى تجعل للعمال حق امتياز بالنسبة لاجورهم عن الستة الاشهر الاخيرة بحيث يمتد نطاق الامتياز حتى يشمل جميع حقوق العمال فى مواجهة صاحب العمل دون تحديد .

وان حماية الملكية الصغيرة وخاصة الزراعية تقتضى تعديل احكام الشفعة ، وذلك بالغاء شفعة الجار ، فحق الجار فى الاخذ فى الشفعة كانت اداة تؤدى الى اتساع الملكيات الكبيرة وتركيزها على حساب الملكيات الصغيرة ، واحكام الشفعة بصفة عامة لا تعترف الا بذوى الحقوق العينية اى الحقوق المعتمدة والمترتبة على حق الملكية مثل مالك الرقبة ومالك الانتفاع والشريك فى الشيوع وصاحب حق الارتفاق وللجار المالك . فكأن اساس هذه الاحكام هو الاقرار بأن المصلحة الوحيدة المعترف بها فى الاستغلال العقارى هى مصلحة اصحاب الحقوق المتفرعة عنحق الملكية. وهذا الاتجاه لا يتفق مع الاساس الاجتماعى الذى يتعين ان تقوم عليه الملكية الفردية فى ظل مرحلة البناء الاشتراكى ، ويتعين بالتالى الاقرار بحق الشفعة لكل من تربطهم بالعقار مصلحة ناشئة عن العمل او الايجار ،مع اشتراط انيتم استغلال العقار فى هذه الحالة تعاونيا ، تشجيعا وتدعيما للاتجاه التعاونى .

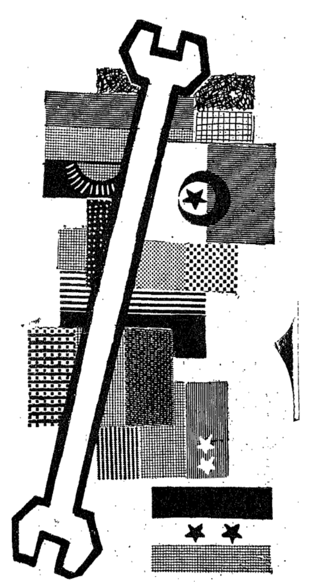
ومن اهم الانظمة القانونية القائمة التى يتعين اعادة النظر فيها هو نظام الحقوق العينية التبعية التى تتقرر حماية لحقوق الدائنين قبل الملاك العقاريين . فنظام الاختصاص ونظام الرهن الرسمى كان بصفة اساسية اداة لتحقيق مصالح البنوك الاجنبية والراسمالية الكبيرة بصفة عامة ووسيلة لابتزاز متوسطى الملاك وصغارهم باستغلالحاجتهم للاموال اللازمة للانتفاع بأملاكهم . ولا شك انه بالقضاء على مثل هذه المصالح فلقد اختفت الحاجة الى هذه الحماية المبالغ فيها التى تؤدىالى انتزاع الارض من مالكها عندما يعجز عن وفاء مبلغ الدين وما يضاف اليه منفوائد وملحقات كانت كثيرا ما تصل به الى ضعفه ، بالاضافة الى ما يحدث كثيرا من الناحية العملية من ان يكون الدين المقيد غير متفق مع حقيقه المبلغ الذىحصل عليه المدين . وان تفضيل الدائن الذى قيد حقه مستندا الى ما يتمتع به من قوة وثراء على بقية الدائنين هو تفضيل لا يتفق مع العدالة ولا مع ما يجب ان يتمتع به الجميع من حماية متكافئة من القانون دون تفرقة بين غنى وفقير . ولقد اصبحت الان المؤسسات التى تقوم بالتسليف اللازم لاحتياجات الانتاج تابعة كلها للقطاع العام وهى لا تهدف الى استغلال المالك الصغير ولكن الى مساعدته . وحق الامتياز العام الذى يمكن ان يقرر لها كاف لحماية حقوقها بالاضافة الى ضمان المحاصيل . لذلك فانه من غير المقبول ان يبقى الاختصاص والرهن الرسمى قائما وهو لن يخدم اى مصلحة الا اذا كانت مصلحة استغلالية لا يقرها مجتمعنا . ويمكن فىحالة الغاءهذه الحقوق الاستغلالية ان يتم الغاؤها دون مساس بالقيود القائمة حاليا .

وهذه كلها ليست الا خطوطا عريضة مطروحة للبحث والمناقشة حتى يمكن ان نصل الى تطوير احكام الملكية بما يتفق مع مضمونها الاجتماعى الذى يحدده الاطار العام للمجتمع والذى عبر عنه الدستور فى المبادىء الاساسية التى وردت فيه.



تطور مهام الحركة النقابية في افريقيا

عبدالمنعم الغزالي



للطبقة العاملة الافريقية دوربالغ الاهمية فى نضال القارة من اجل التحرر الوطنى ـ وكل نضالاتها كانت موجهة دائماضد الامبرياليةوكانت عنصرا فعالا فى جذب فئات واسعة من المجتمعات الافريقية الى حومة الكفاح الوطنى . ولقد ناضل العمال ضد كل الوان القهر والاذلال والاستهانة بالكرامة القومية ، وكافحوا ضد الاشكال المختلفة للاستغلال الامبريالى .

وخلال هذا النضال التاريخى لحركة الطبقة العاملة تكونت ونشأت الحركة العمالية الافريقية ومارست دورا طليعيا فى حركة التحرر الوطنى وفى العمل من أجل تحقيق الثورة الاجتماعية ، وهو دور فرضته ظروف تطورها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى .

والحركة النقابية الافريقية حديثة التكوين فى مجموعها ، وان كانت بعض قطاعاتها ذات ماض وتاريخ طويلين ، وأقدم الحركات النقابية الافريقية

ظهورا تلك التي نشأت مبكرة في مصر وفي جنوب افريقيا منذ نهاية القرن التاسع عشر . وارتبطت نشأة الحركة النقابية فى هذين البلدين بحركة الكفاح الواسعة ضد الاحتكارات الاجنبية والقهر الاستعماري والتمييز العنصري .

تاريخ حافل بالنضال

شهدت القارة الافريقية منذ نهاية الحرب العالميه الاولى نضالا متزايدا متسعا ضد الامبريالية ، وشارك العمال الافارقة فى هذا النضال بتنظيماتهم حديثة التكوين ، فاشتركت الطبقة العامله المصرية فى الثورة الوطنية (١٩١٩) ضد الاستعمار البريطاني واعلنت النقابات ولجان المصانع الثورية الاضراب العام الذى استمر لعدة شهور وفى ١٩١٩ اعلن عمال السكك الحديدية الاضراب فى سيراليون . وشهد جنوب افريقيا سلسلة من الاضرابات المتتالية فى ١٩١٩ ، ١٩٢٠. ضد الاستغلال الراسمالي الاجنبي ومن اجل الحقوق والحريات النقابية ، وفى ١٩٢١ اضرب عمال نيجيريا . وفى ١٩٢١ — ١٩٢٢ كان للعمال الكينيين دور بارز فى الحركة التى تزعمتها ((جمعيه كيكيو الفتاة)) ، وفى ١٩٢٤ نظم اتحاد العمال المصرى اضرابا عاما فى مدينة الاسكندرية اتخذ طابعا سياسيا يساريا ولم يعمر طويلا بعد ان وجهت اليه السلطات الاستعمارية والحكومة البورجوازيه ضربه شديدة ، وفى ١٩٢٨ شهدت الاقاليم الفرنسية الاستوائية ثورة عريضة بدات شرارتها الاولى بين العمال الذين كانوا يقيمون خط السكك الحديديه (برازافيل — بوبيت — نوار) وبمبادرة من عمال الموانيء الذين نظموا اضرابا عاما فى انجولا قامت حركة ثورية قوية ضد الاستعمار البرتغالي استمرت من ١٩٢٨ الى ١٩٣٠. وفى عام ١٩٢٩ نظم عمال البحر فى جامبيا اضرابا عاما استمر ٦٢ يوما وساند هذا الاضراب اضراب تضامني عام استمر ٢٦ يوما ، وفى ١٩٣٠ اضرب عمال المناجم فى ساحل الذهب وفى ١٩٣٥ شهدت روديسيا الشمالية اضرابا مماثلا . وفى ١٩٣٠ وما تلاها من أعوام هزت الاضرابات العمالية الواسعة فى مصر حكم الرجعية المصرية ونظام الحكم الاستعماري ، ثم كان للعمال المصريين دور بارز وطليعى فى هبة ١٩٣٥ .

ولقد كانت الحركة الافريقية طيلة هذه الفترة في مرحلة التنظيم والبناء ولم تكن قد نضجت وتطورت الى الدرجة التى يكون فى امكانها أن توجه ضربات حاسمه للنظام الاستعماري وشركائه . وفى عديد من البلدان الافريقية كان التنظيم النقابي محرما ومعظم المنظمات النقابية كانت سرية أو شبه سرية ، ولم تكن هناك اى تشريعات او حقوق عمالية .

وخلال الحرب العالمية الثانية وبعدها نمت حركة الطبقة العاملة وتطورت مع تطور التحرر الوطني في القارة وازداد عدد العمال الافارقة زيادة كبيرة ويوضح الجدول التالى هذا النمو العددى :

البلد	١٩٣٨	١٩٦٣
انجولا	٣١٥ر٥٠٠	٨٠٠ر٠٠٠
غانا	٦٣ر٨٠٠	٣٥٠ر٠٠٠
كينيا	١٧٢ر٨٠٠	٥٦٠ر٩٠٠
كنغو (ليوبولدفيل)	٥٢٢ر٥٠٠	١ر٢٠٠ر٠٠٠
نيجيريا	٢٢٧ر٤٠٠	٧٠٠ر٠٠٠
روديسيا الشمالية	١٥٢ر٢٠٠	٢٦٨ر٨٠٠
تنجانيقا	٢٠٧ر١٠٠	٤٢٩ر١٠٠
اوغنده	٧٢ر١٠٠	٢١٠ر٠٠٠
روديسيا الجنوبيه	١٠٧ر٥٠٠	٧٠٠ر٠٠٠ *

ولم يقتصر نمو الطبقة العاملة الافريقية(١) على الزيادة العددية فلقد صاحب هذه الزيادة تطور فى حركتها وتنظيمها وفى الاهداف التى تناضل من اجلها وفى اتساع قاعدة حلفائها . وأمام نمو نضال الحركة العمالية بدات السلطات الاستعمارية والرجعيهوالبورجوازية تعترف بحق الطبقة العاملة فى التنظيم فى عدد من البلدان الافريقية — ففى ١٩٣٩. سمح بتكوين النقابات فى نيجيريا وفى سيراليون عام ١٩٤٠ وفى تنجانيقا وساحل الذهب فى ١٩٤١ وفىمصر عام ١٩٤٢ وفى كينيا فى ١٩٤٣ ، ومع نهاية الحرب اصدرت الحكومة الفرنسية عددا من التشريعات التي سمحت بحرية النشاط النقابي ولكن هذه التشريعات لم تصبح نافذة المفعول الا بعد الاضراب العام الكبير الذىشهدته افريقيا الغربية الفرنسية فى الثالث من نوفمبر ١٩٥٢ .

وفى هذه الفترة اشتد ساعد الحركة العمالية وتنظيمها النقابي واتسع نطاق نشاطها ليمتد الى المجال السياسي فى النضال ضد الامبريالية والاستعمار . وشهدت مصر حركة عمالية قوية

---

* — مصدر الاحصائية الكتاب السنوى لاحصائيات العمل — مكتب العمل الدولى — ١٩٦٢ .
١ — خلاصةتاريخ افريقيا — منمطبوعات ((دار التقدم)) — موسكو —

اتجهت الى الاستقلال عن الاحزاب السياسية البورجوازية . ولقد اكد ذلك نضال الحركة العماليه المصرية بعد الحرب فى كفاح الحركة النقابية من اجل الوحدة والحرية وضد الاستعمار والرجعية ، فكانت مشاركة النقابات المصرية واللجان الوطنية للعمال فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة (١٩٤٦) والتى قادت يوم ٢١ فبراير بالقاهرة والاقاليم و ٤ مارس بالاسكندرية ، لها آثارها وانعكاساتها على مجموع حركة التحرر الوطنى فى مصر وفى بعض البلدان الافريقية ، وفى هذه الفترة شهدت مصر سلسلة من الاضرابات الواسعة فى اعوام ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ كما شاركت النقابات مشاركة طليعية فى حركة الكفاح من اجل الغاء معاهدة ١٩٣٦ وفى حركة الكفاح المسلح ١٩٥١ — ١٩٥٢ .

ولقد امتد اثر الكفاح العمالى المصرى الى السودان — وكان عاملا مساعدا فى بلورة الحركه العمالية السودانية والتى نشأت بعد الحرب العالمية الثانية ، فتأسس اتحاد عمال السودان بعد أن خاض عماله وفى مقدمتهم عمال السكك الحديدية عددا من الاضرابات الواسعة وشاركوا فى النضال ضد السلطات الانجليزية ، ويعتبر اتحاد عمال السودان اليوم من اقوى اتحادات القارة تنظيما ونضالية ، واثرا فى حركة الكفاح ضد الاستعمار .

وفى ١٩٤٥ تأسس المؤتمر النقابى لغانا وتأسس فى افريقيا الجنوبية مجلس النقابات الافريقية والذى خلف مؤتمر جنوب افريقيا ، كما تأسست نقابة عمال المناجم الافريقيين فى ١٩٤٧

وبعد الحرب تأسس التنظيم النقابى فى كينيا واوغندة وتنجانيقا والسنغال وبعض البلدان الافريقية الاخرى وتحددت هذه التنظيمات النقابية منذ البدايه للكفاح السياسى ضد الامبريالية — فمثلا تحولت مظاهرة العاطلين والمحاربين القدماء فى غانا فى ١٩٤٨ الى حركة سياسية عامة وانتهى الاضراب العام الذى شهدته غانا فى ١٩٥٠ الى تقوية وتدعيم حزب ميثاق الشعب وحركة النضال الغانية من أجل الاستقلال . وفى نيجيريا ادى نضال عمال المناجم فى انيجو فى ١٩٤٩ والاضرابين العامين فى ١٩٤٥ ، ١٩٥٠ الى تقوية وتدعيم المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون والمجموع حركة التحرر الوطنى . ولقد كانت اضرابات الحزام النحاسى الهائلة فى ١٩٤٠ وفى ١٩٥٦ عاملا هاما من عوامل تطور حركة التحرر الوطنى فى روديسيا الشمالية ونياسالاند وفى البلدان الافريقية التى تقع جنوبى الصحراء والتى لايوجد فيها تشكيلات سياسية ذات وزن يعتد به فكانت المنظمات النقابية تباشر مهاما سياسية .

عناصر الضعف فى التنظيم النقابى

وفى افريقيا اليوم حوالى ٢٠ مليون أجير (عامل ومستخدم) ويبلغ مجموعهم بالنسبة للسكان من ٧ الى ٨٪ والعمال الصناعيون وهم اكثر العمال وعيا ونشاطا وفعالية بحكم تركزهم وتجمعهم وثباتهم وارتباطهم باحدث الالات الا انهم إقلية ويبلغ عددهم حوالى اربعة ملايين ، منهم ٢ر٤ مليون فى الصناعات الكبيرة والمتوسطة وبصفة خاصة فى الصناعات الاستخراجية والتحويلية ، والباقى فى المؤسسات والمشروعات والورش الصغيرة . إن ٧٠٪ تقريبا من العمال الافارقة عمال زراعيين وخدم منازل وفئات اخرى متناثرة مبعثرة لايسهل تنظيمها . . ويوجد فى افريقيا عدد كبير من العمال الرحل وخاصة فى قلب القارة وجنوبها — ففى افريقيا الاستوائية يوجد حوالى خمسة ملايين عامل رحال،واوضاع هؤلاء العمال الاجتماعية ومستوى وعيهم السياسى يجعلهم فى وضع لايساعد على تنظيمهم ويمكن اعتبار هؤلاء اشباه عمال فهم يعملون جزءا من العام فى المناجم وبعض الصناعات الاخرى ويقضون الجزء الباقى من السنة كمزارعين فى قراهم بعد ان يعودوا من مناطق العمل الى مواطنهم ، ولهذا فانه من الصعب تنظيم هؤلاء العمال فى نقابات مما يدفع الراسماليين الاجانب واحتكاراتهم للعمل على سيادة اشكال العمل الموسمية .

وتوجد تنظيمات نقابية فى حوالى ٤٥ دولة افريقية منها ٣٧ دولة مستقلة . وعضوية التنظيم النقابى فى القارة الافريقية تعتبر أقل نسبةعضوية فى العالم . وتتركز العضوية النقابية فى عدد صغير من الدول الافريقية هى اكثر هذه الدول تقدما من ناحية البناء الاقتصادى والاجتماعى ، وقد اخذت العضوية تزداد فى السنين الاخيرة فى البلدان التى حصلت على استقلالها وخاصة تلك التى اخذت تشق طريقها نحو الاشتراكية مثل الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وغانا وغينيا ومالى .

والجدول التالى يوضح لنا تركز العضوية النقابية فى عدد محدود من بلدان القارة :

البلد	مجموع العضوية النقابية
الجمهورية العربية المتحدة	اكثر من ١ر٥٠٠ر٠٠٠
مراكش	١ر٠٠٠ر٠٠٠
غانا	٦٠٠ر٠٠٠
الجزائر	٥٠٠ر٠٠٠
نيجيريا	٥٠٠ر٠٠٠
اتحاد جنوب افريقيا	٥٠٠ر٠٠٠
تنجانيقا	٤٠٠ر٠٠٠
السودان	٥٠٠ر٠٠٠
تونس	٤٠٠ر٠٠٠ ★

ويوضح لنا هذا الجدول أن العضوية النقابية تتركز في بلدان الشمال الافريقي .

وفي اغلب البلدان الافريقية تنتشر النقابات الصغيرة المفككة والتي يتراوح عدد المنضمين اليها بين ٢٠٠ ، ٣٠٠ وفي بعض الحالات نجد النقابة تتكون من ٥٠ عاملا ، فأغلب القوانين في معظم هذه البلدان تشرع لهذا الضعف في التكوين — فهي تشريعات وضعها المستعمرون أو موروثة عن عهد سيطرتهم — ومثل هذه التنظيمات النقابية الصغيرة المحدودة العضوية تضعف التنظيم النقابي كيانا وفعالية وتجعلة غير قادر على القيام بمهامه واعبائه في الدفاع بشكل جدي عن حقوق العمال الذين يمثلهم ، ان ضعف هذه النقابات يمكن الراسماليين والمستثمرين الاجانب من افتراسها أو السيطرة عليها وعلى قادتها بسهولة ويسر . كما انها تصبح عاملا رئيسيا في سيادة الاوضاع الانقسامية في الحركة العمالية وسيادة الروح الحرفية وضيق الافق وضعف الوعي السياسي .

ومن عوامل الضعف التي تؤثر على التنظيم النقابي فيافريقيا عنصر الخلافاتاللغوية والدينية والقبلية الذي يعرقل قيام تنظيمات نقابية موحدة على أساس وحدة كل الكادحين — ففي افريقيا الاستوائية مثلا تنتشر لغات ولهجات عديدة واوضاع قبلية متباينة وتسود العادات القبلية التي تكون عنصرا من عناصر الانفصال بين المجموعات الوطنية حتى في المدن الكبيرة . ويستفيد الاستعماريون واحتكاراتهم من هذا الوضع الى ابعد مدى في شل فعالية ونضالية التنظيم النقابي في هذه البلدان .

سياسة الاستعمار والحركة العمالية

ومنذ أن برز الدور الطليعي للطبقة العاملة الافريقية في شئون القارة السياسية والاجتماعية سعى الاستعماريون للتدخل في الحركة العمالية والسيطرة عليها .

ولقد تزايد اهتمام الاستعماريين في السنين الاخيرة بصفة خاصة ، بالحركة العمالية الافريقية وازداد نشاطهم بعد ثورة ٢٣ يوليو وانعكاس آثارها على القارة وبعد مؤتمر باندونج ومؤتمرات التضامن الافريقي والآسيوي ، وبعد النجاحات الكبيرة التي تحققت من اجل الوحدة الافريقية وبروز منظمة الوحدة الافريقية وانتصار الثورة الوطنية والاجتماعية في عديد من بلدان القارة وتبني بعض هذهالبلدان البناءالاشتراكي باعتباره الطريق الوحيد لحل مشاكلها ./

وبتتبعنا لهذا النشاط — سواء تاريخيا أو اليوم — نجد الاستعمار الامريكي في مقدمة القوى الاستعمارية الزاحفة على الحركة العمالية الافريقية . .ولقد اشار **ريتشارد نيكسون** فيتقريره المقدم للرئيس ايزنهاور في ١٩٥٧ عن زيارته لافريقيا الى ضرورة الاهتمام بصفة خاصة بالحركة النقابية ، قال في تقريره :

« انه لمن الحيوي أن تتبع حكومة الولايات المتحدة حركة النقابات العمالية الناشئة في القارة الافريقية ، ويجب على ممثلينا الديبلوماسيين والقنصليين ان يتعرفوا على قادة النقابات في تلك البلاد بصفة ودية ، كما أعتقد بضرورة متابعة نقابات عمال الولايات المتحدة لسياسة انماء العلاقات الاخوية بينهم وبين الحركة النقابية الحرة حتى يتمكن كل منهما من الافادة بحكمة الاخر وخبرته » .

والنقابية الحرة التي تحدث عنها ريتشارد نيكسون هي النقابية التي تقصدها احدى فقرات المادة ٥١٦ من قانون الامن المتبادل وتحدد هدفها بأنه : « ازالة العوائق التي تعرقل حرية المؤسسة الخاصة وايجاد الظروف التي تساعد تلك الحرية باستمرار على مساهمتها المتزايدة في تطوير مواردها » . والقوى الاستعمارية لا تقتصر في تنفيذ سياستها حيال الحركة العمالية على ممثليها الديبلوماسيين والقنصليين ، بل تستخدم عملائها والتنظيمات النقابية الدولية الخاضعة لنفوذها وسيطرتها ، مثل الاتحاد الدولي للنقابات الحرة والاتحاد الدولي للنقابات المسيحية ، وبصفة خاصة قادة الاتحاد الاول المنتمين الى«اتحاد العمل ومؤتمر المنظمات الصناعية»اي اتحاد عمال أمريكا ويعمل هؤلاء القادة على افساد القيادات الثورية والترويج لافكار الوفاق الطبقي ومعاداةالاشتراكية

★ — مصدر الاحصائية : وثائق المؤتمر الثالث للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب — ١٩٦٥ —

ويلجأون الى المؤامرات السياسية لاضعاف الحركة النقابية ولاجبار النقابات للتخلي عن الكفاح من اجل المصالح الوطنية للعمال والشعب .

ويهدف هذا النشاط الاستعماري في الحركة النقابية الى تحطيم وحدة الكفاح الوطني بالترويج لشعارات تصر الكفاح النقابي على الكفاح الاقتصادي والعمالي البحت — وذلك لابعاد العمال وتنظيماتهم عن كفاح باقي فئات الشعب ، ولعزل حركة الطبقة العاملة عن الثورة الوطنية تمهيدا لضرب الحركة الثورية وهي منقسمة على نفسها ولمنع قيام التحالف والوحدة بين العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، هذا التحالف وتلك الوحدة التي بدونها لا يمكن للثورة الوطنية والديمقراطية والاجتماعية ان تحرز نجاحا .

والمستعمرون لا يهدفون فقط الى ابعاد الحركة العمالية عن حركة الطبقات الاخرى ولكنهم يسعون كذلك الى تقسيم حركة الطبقة العاملة نفسها لاضعاف قدرتها النضالية ضد الاحتكارات الاستعمارية ..

ولقد كان الاستعماريون خلف كل العناصر التي خانت قضية العمال في افريقيا وشقت عصا الطاعة على الحركة الوطنية — لقد كانوا خلف **جاك يخوم** عندما تخلى عن الحركة الوطنية في الكمرون في (١٩٥٨) . وهم خلف كل المحاولات التي بذلت وما زالت تبذل لاحداث الانقسام في الحركة العمالية السودانية ، وهم خلف **توم مبويا** في كينيا بكل اتجاهاته للانحراف بالحركة العمالية في الاتجاه الاصلاحي البورجوازي وهم وراء بعض القادة الاصلاحيين في السنغال،واندولا في الكونجو ، وجامالا في روديسيا (عندما كشف اتجاهات جامالا الانتهازية وخيانته انسحب مالايكي وسواكا من الاتحاد العام للنقابات الذي يتزعمه جامالا والمنضم للاتحاد الحر وكونا اتحاد روديسيا الجنوبية الافريقي) . كما أنهم السبب في الحركة الانقسامية في افريقيا الجنوبية لتكوين تنظيمات نقابية خاصة بالعمال البيض مثل المجلس النقابي في جنوب افريقيا ويحاربون بشدة مؤتمر نقابات جنوب افريقيا (والذى تاسس في ١٩٥٥ بهدف تنظيم كل العمال بغض النظر عن الجنس او اللون او العقيدة) والذى يربط بين نضال العمال من اجل مطالبهم الاقتصادية ونضالهم من اجل حقهم في الحرية السياسية والتحرر الوطني . وفي جزر الموريشان ، بعد أن تأسس اتحاد العمال الموريشاني في ١٩٦٠ موحدا لثلاثة عشر نقابة في الجزيرة ، افتتح الاتحاد الدولي للنقابات الحرة مكتبا بمساعدة السلطات الاستعمارية يشرف عليه موظف اجنبي ويديره اصحاب الاعمال الامريكيين بهدف تخريب الحركة العمالية الناشئة والتي تكافح في ظروف صعبة وقاسية ضد الاستغلال البشع وضد القواعد العسكرية الاجنبية في بلادها .

ورغم ان القوى الاستعمارية تعمل كلها من خلال الاتحاد الدولي للنقابات الحرة والاتحاد الدولي للنقابات المسيحية ، فان الامريكيين يعملون الى جانب ذلك منفردين منذ مدة طويلة . فالملحقون العماليون الامريكان يعملون مباشرة من داخل سفاراتهم ، والى جانب هؤلاء الملحقين الديبلوماسيين يوجد نوع آخر من رجال الديبلوماسية الامريكية يطلق عليهم المجندون العماليون وهم منتشرون في كثير من بلدان القارة الافريقية ويتم توزيعهم بصفة خاصة على الاقاليم التي يوجد بها قواعد عسكرية امريكية او ذات الاهمية الاستراتيجية او الغنية بالمواد الاولية المستخدمة في الصناعات الحربية .

ولقد كشفت الديبلوماسية العمالية الامريكية القناع عن وجهها دون حياء في فبراير ١٩٥٧ عندما اصدر المجلس التنفيذي لاتحاد العمل الامريكي — ومؤتمر المنظمات الصناعية — بيانا اعلن فيه موافقته الكاملة على مشروع ايزنهاور واعتبره مشروعا لحماية السلام والاستقلال الوطني للشعوب ولرفع مستواها الاقتصادي ! .

وفي المؤتمر الاخير للاتحاد الدولي للنقابات الحرة اصطدم قادة الاتحادات الامريكية مع قادة الاتحاد الاوروبيين ، ولقد انتهى هذا الصدام بأن اتخذت النقابات الامريكية قرارا بالعمل وحدها وبصورة مباشرة في افريقيا . واعلنت الاتحادات الامريكية تأسيس مركز افريقي — امريكي للعمال برئاسة **ايرفنج برون** — وهذا المركز الافريقي الامريكي قام فعلا بتأسيس مدرسة لتدريب السائقين في نيجيريا ومعهدا لعمال صناعة الملابس في نيروبي بكينيا وهو يخطط اليوم ليؤسس تعاونيات وبنوك عمالية ولفتح معاهد نقابية .. وليس ادل على الطبيعة الاستعمارية لهذه المعاهد من المعهد الافرآسيوى للدراسات النقابية في اسرائيل والذى اقيم هناك في ١٩٦٠ وانفقت على تأسيسه اتحادات للعمال الامريكية والمنظمة العبرية بجمهورية المانيا الغربية . وهذا المعهد يعمل بنفس الطريقة التي تعكس اهداف سياسة الاستعمار الجديد في المنظمات النقابية ، ورغم ان هذه المعاهد التي تقوم بأعمال ضارة بتطور الحركة النقابية التقدمية تواجه معارضة مضطردة من العمال ومنظماتهم في البلدان النامية، فان عددا من القادة العماليين الافارقة لم يكتشف بعد طبيعتها الاستعمارية الضارة .

وحدة الحركة النقابية الأفريقية

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية طرحت قضية

وحدة الحركة النقابية الافريقية باعتبارها أهم قضية تواجه النقابية الافريقية في نضالها التحريري . ولقد نوقشت القضية في ١٩٤٧ في المؤتمر النقابي المنعقد في داكار ، وفي ١٩٥١ في المؤتمر المنعقد في باماكو والذى اشترك فيه مندوبون يمثلون التنظيمات النقابية في المستعمرات الفرنسية .

ولقد ادى النضال من أجل توحيد عمال افريقيا الى تأسيس **الاتحاد العام لعمال أفريقيا** السوداء **في كوتونو في يناير ١٩٥٧** وبعد عامين من تأسيس هذا الاتحاد اتخذ مؤتمره الاول قرارا بالعمل على عقد مؤتمر لجميع النقابات الافريقية .

وفي ديسمبر ١٩٥٨ أوصى مؤتمر الشعوب الافريقية المنعقد في اكرا بضرورة العمل على تحقيق وحدة عمال افريقيا .

وفي المدة من ٢٥ الى ٣٠ مايو ١٩٦١ انعقد في **الدار البيضاء** المؤتمر التاريخي لتأسيس **اتحاد نقابات عموم افريقيا** . ولقد تم انعقاد هذا المؤتمر بعد ان جرت اتصالات ولقاءات عديدة بين أطراف الحركة النقابية الافريقية . واشترك في هذا المؤتمر التأسيسي ٣٠٠ مندوب عن ٤٥ منظمة نقابية من ٣٨ بلد افريقي . وانتهى المؤتمر الى تأسيس الاتحاد الذى وحد عندئذ مايقرب من ٢، مليون عامل منظم في نقابات . وأعلن هذا الاتحاد الجديد انه لتحقيق الوحدة النقابية الافريقية لا بد من الاستقلال عن اى تنظيم دولى وأوصى النقابات الافريقية المشتركة فيه بالانسحاب من المنظمات النقابية الدولية خلال عشرة أشهر . وبهذا القرار فتح الاتجاه الثورى في الحركة النقابية الافريقية بقيادة غانا وغينيا والجمهورية العربية المتحدة «طريقا» داعيا الى تجنب عناصر الخلاف والانقسام كنتيجة للانقسام القائم في الحركة العمالية الدولية . وأعلن الاتحاد انه لايوجد اى تعارض بين مصالح العمال الافارقة وبين وحدتهم في اتحاد عام على أساس افريقي ، معتبرا أن هذا هو السبيل الى الانتصار في معركة الاستقلال والتحرر من جميع انواع الاستغلال — وأعلن الاتحاد أن باب عضويته مفتوح لعضوية أية منظمة عمالية هدفها تحرير الطبقة العاملة سياسيا واجتماعيا . وانه يخدم الاتحادات الوطنية ويعمل في المجال الدولى على ايجاد علاقات ودية مع جميع الاتحادات العمالية الدولية ، وأن مهمته الرئيسية هي مكافحة نظام الحكم الاستعمارى والامبريالية والاحتكارات الراسمالية العالمية . وأعلن عزمه على النضال من أجل انتزاع وتوطيد الاستقلال الوطنى للبلدان الافريقية والكفاح ضد الاشكال الجديدة لنظم الحكم الاستعمارى وضد خضوع افريقيا لأى تكتلات غير افريقية والدفاع عن الحريات الديمقراطية والنقابية .

لقد كان تكوين اتحاد نقابات عموم افريقيا كسبا كبيرا للقوى الديمقراطية في افريقيا ولقد دعمته الحركة العمالية الدولية الديمقراطية والتقدمية — وكان موقف الاتحاد العالمي للنقابات وهو اكبر الاتحادات العمالية الدولية عضوية — اذ يضم حوالى ١٤٠ مليون عامل من ٢٠٥ ملايين عامل منظم في العالم — هو موقف المساندة والتأييد لهذا الاتحاد الجديد. بينما عارض الاتحادان الدوليان الاخران — المسيحى والحر والاتحادات العمالية الامريكية — قيام هذا الاتحاد . اذ وجدت في شعارات الكفاح ضد الاستعمار والاحتكارات التى رفعها تهديدا لمصالح سادتها الامبرياليين في القارة . ولقد بدأت هذه القوى معارضتها لقيام اتحاد نقابات عموم افريقيا من داخل المؤتمر في الدار البيضاء ووقفوا ضد المبدأ الذى دعت اليه اللجنة التحضيرية للمؤتمر اى مبدأ الاستقلال عن المنظمات الدولية غير الافريقية،وقاد هذه المعارضة ممثلو نقابات كينيا وتونس ونيجيريا وأيدهم عدد كبير من المنظمات النقابية المنضمة الى الاتحاد الدولى للنقابات الحرة .

لقد كانت خطة الاتحاد الدولى للنقابات الحرة والمنظمات الامريكية تهدف اولا الى منع قيام مثل هذا الاتحاد بتخريب المؤتمر التأسيسى من الداخل، وفي حالة الاخفاق في تحقيق هذا الهدف فانه يعمل على تكوين اتحاد افريقي آخر يعتمد على الاتحادات العمالية الاعضاء به من الدول الافريقية وبذلك يمنع تحقيق الوحدة ويحدث الانشقاق المضعف للحركة العمالية ، كما عمل الاتحاد الحر على أن يحقق هدفا ثالثا ان تطورت الظروف وتحققت الوحدة الشاملة لكل القوى النقابية الافريقية، وهذا الهدف هو تكوين كتلة موالية له داخل الاتحاد الموحد من الاتحادات العمالية الافريقية العضوة فيه وفي الاتحاد المسيحى .

وفي يناير ١٩٦٢ نجح الاتحاد الحر في احداث الانقسام حيث تكتل عدد كبير من الاتحادات الافريقية الاعضاء فيه واجتمعوا في داكار عاصمة السنغال في يناير ١٩٦٢ وكونوا **الاتحاد النقابى الافريقى** . وقد حضر مؤتمر داكار ممثلو ٢١ منظمة منتسبة الى الاتحاد الدولى للنقابات الحرة و ١٢ منظمة منتسبة الى الاتحاد الدولى للنقابات المسيحية . وبذلك تمكنت الدوائر الاستعمارية أن تشق وحدة الكادحين التى تحققت في الدار البيضاء بأن اوجدت مركزا انقساميا يوحد النقابات «المسيحية» والنقابات التى «لا تشتغل بالسياسة» . وأعلن هذا الاتحاد ليغطى موقفه الانقسامى انه تأسس ليحارب كلا من النظامين «الراسمالى» و«الشيوعى» وكان ينطق بلسانه توم مبويا من كينيا والتايلى من تونس ، وهما من ابرز أعضاء الاتحاد الحر بأفريقيا والمروجين لاستمرار العضوية به ولهم علاقات وثيقة

بالهستدروت الاسرائيلى وبالمعهد الافروآسيوى النقابى باسرائيل .

وبعد شهور من تأسيس هذا المركز الانقسامى وجهت سكرتارية اتحاد نقابات عموم افريقيا تحذيرا الى الاتحاد الدولى للنقابات الحرة بعدم التدخل فى الشئون الداخلية لنيجيريا حتى تتمكن النقابات من اعادة وحدتها فى البلاد . وفى مارس ١٩٦٣ وجه عدد من قادة النقابات نداء الى قيادة اتحاد نقابات عموم افريقيا ليعمل من اجل وحدة الحركة النقابية الافريقية . واعلنت النقابات الوطنية لعمال السنغال وهى عضو باتحاد نقابات عموم افريقيا) انها تطالب : « بتكوين مركز افريقى متحد ، يكون مركزا ديمقراطيا ومعاديا للامبريالية ويعمل من اجل الاستقلال الاقتصادى ومن اجل التحرر الكامل للقارة » . وازداد النضال من اجل تحقيق الوحدة الشاملة حدة بعد مؤتمر الـ ٣٢ دولة افريقية المستقلة الذى انعقد فى اديس ابابا ١٩٦٣ .

وفى اكتوبر ١٩٦٣ تم اللقاء بين ممثلى اتحاد نقابات عموم افريقيا والاتحاد النقابى الافريقى فى داكار . وفى هذا اللقاء تقرر دمج الاتحادين وخلق اتحاد واحد على نطاق القارة — وتم الاتفاق على خلق اتحاد معاد للاستعمار وللامبريالية ومعاد لكافة نظم الحكم الاستعمارى فى افريقيا على أن يكون اتحادا ديمقراطيا ومستقلا عن كل مركز نقابى دولى آخر .

وجاء المؤتمر الثانى لاتحاد نقابات عموم افريقيا الذى انعقد فى باماكو من ١٠ — ١٤ (يونيو) ١٩٦٤ تعبيرا عن نجاح النضال من اجل تحقيق الوحدة النقابية الافريقية وتدعيمها ورغم كل الجهود الانقسامية التى بذلها بعض القادة الافارقة العملاء للاتحادات الاستعمارية فان ٣٧ منظمة من ٣٦ بلد افريقى اشتركت فى اعمال المؤتمر — واجمع اعضاء المؤتمر الثانى على الاهداف التى يناضل من اجلها اتحاد نقابات عموم افريقيا .. استقلال ووحدة الحركة النقابية سواء على الصعيد الوطنى أو على نطاق القارة ، كما وافق المؤتمر بالاجماع على القرار الخاص بالتاييد المطلق للمنظمات النقابية التى مازالت تخوض النضال ضد نظام الحكم الاستعمارى وضد الاضطهاد العنصرى وفى سبيل الاستقلال والحرية ودعا المؤتمر المنظمات النقابية ان تبذل كل جهدها من اجل رفع وعى الجماهير وربط نضالها فى سبيل التحرر بالمحتوى الاجتماعى للثورة الوطنية . كما اعلن المؤتمر إن مهام النقابات فى البلدان التى انتزعت استقلالها السياسى هى المشاركة الفعالة الطليعية فى العمل القومى . واعلن المؤتمر انه يؤيد المنظمات النقابية فى هذه البلدان وهى تعمل فى خدمة الدولة وخدمة منظمات العمال والفلاحين والتى تتفق مع الجهاز السياسى الثورى للقيام بمسئولياتها فى مجالات التسيير الاقتصادى والتحسين المستمر للانتاج وتكوين كوادر سياسية واقتصادية واجتماعية . ودعا المؤتمر فى بياناته كل العاملين الى اليقظة والحذر من المؤامرات الاستعمارية ، وضرورة الرد بحزم على القادة الرجعيين والانتهازيين الذين يحاولون استخدام الطبقة العاملة لخدمة اغراضهم الذاتية .

ورغم اصرار اتحاد نقابات عموم افريقيا على موقفه من ضرورة الاستقلال عن المراكز الدولية فانه رد بحسم فى مؤتمره الثانى على الاتجاه الذى يحاول ان يستفيد من هذا الموقف لاضعاف الوضع الدولى للاتحاد . واكد عزمه على النضال من اجل تحقيق الوحدة مع عمال العالم ، ولقد اعلن **بو بكر ديالو** السكرتير العام للاتحاد الوطنى لعمال مالى فى المؤتمر : « ان اتحاد نقابات عموم افريقيا لايعتزم ان يعزل نفسه عن بقية شغيلة العالم ، بل سيتعاون فى اطار التضامن والاخوة البروليتارية مع جميع شغيلة العالم، ومع المنظمات النقابية العالمية . ان كل روح انعزالية على صعيد نضالنا الافريقى ، ستكون فى الواقع روحا زائفة وانعزالية كما جاء فى دستور اتحاد نقابات عموم افريقيا . ان نضالنا هو نضال جميع الديمقراطيين فى العالم ، وكما ان قوى الاضطهاد والاستثمار لا تعرف حدودا أو اوطانا ، كذلك فان اهدافنا هى اهداف جميع عمال العالم مهما كان عرقهم او جنسهم » .

ورغم اللقاء بين ممثلى الاتحادين الافريقيين فى داكار وفى باماكو فى المؤتمر الثانى لاتحاد نقابات عموم افريقيا ، فان عددا من المشاكل الخاصة بتحقيق الوحدة الشاملة الافريقية لم يحل بعد بسبب استمرار بعض المراكز الافريقية المنضمة للاتحاد الدولى للنقابات الحرة وللاتحاد المسيحى فى موقفها الانقسامى ورفضها قطع علاقاتها مع هذه الاتحادات التى تعتبر قنوات لنشاط الاستعمار الجديد فى القارة .

ولهذا اعلن المكتب التنفيذى لاتحاد نقابات عموم افريقيا ، فى الاجتماع الذى عقده فى فبراير ١٩٦٥ :

«ان المكتب يؤكد مرة اخرى ان استقلال المنظمات النقابية الوطنية فى افريقيا عن المنظمات النقابية الدولية شرط ضرورى لتحقيق الوحدة النقابية الافريقية وشرط لان تفى الحركة النقابية الافريقية بالتزامها لشن نضال فعال لتحرير الشعوب المقهورة ، وللقضاء على الامبريالية ،

والاستعمار ، ولتطوير الشعوب الافريقيــــة اقتصاديا وسياسيا» .

كما اعلن عن عزم الاتحاد على : «مساعدة المنظمات النقابية فى البلدان التى تشن صراعا مسلحا ضد السيطرة الاجنبية ؛ وزيادة التضامن والتعاون بين المنظمات النقابية الوطنية وتبادل الخبرة والوفود . وزيادة التعاون الدولى واقامة لجنة نقابية دولية واحدة للتضامن الدولى لمصلحة الجماهير العاملة والشعوب الافريقية المكافحة ضد السيطرة الاجنبية . وزيادة الصراع ضد الاتحاد الدولى للنقابات الحرة والاتحاد الدولى للنقابات المسيحية والمنظمات التى يستخدمها الامبرياليون للتأثير على صفوف الشعب العامل والتى تقوم بدور نشط فى تقسيم صفوفه» .

واجبــات ومهــام

يجدر بنا ــ ونحن نحاول تحديد الواجبات والمهام التى تواجه الحركة النقابية الافريقية اليوم ــ ان نضع فى اعتبارنا اختلاف ظــروف البلدان الافريقية وفقا لدرجة تطورها وتحررها ــ فمنها بلاد تسير فى طريق بناء الاشتراكية اليوم مثل الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وغينيا ومالى مثلا ، ومنها بلاد حصلت على الاستقلال السياسى ولكنها ما زالت خاضعة و تابعة لاشكال مختلفة من السيطرة الاستعمارية او للاستعمار الجديد.ومنها بلاد ما زالت واقعة تماما تحت السيطرة الكاملة للمستعمرين وتخوض نضالا عنيدا من اجل انهاء هذه السيطرة مثل انجولا وموزمبيق.

النضــال من اجل التنظيم والوحدة

ان قطاعات كبيرة من العمال الافريقيين مازالت غير منظمة ، ان اكثر من ٨٠ ٪ من عمال افريقيا لم ينضموا الى نقابات اما لضعف القدرة التنظيمية والنضالية للتنظيمات الحالية او لانهم مازالــوا محرومين من حق الوجود فى تنظيمات تحـميهم وتقودهم فى المعارك المختلفة سواء معارك البناء الجديد لقارتهم بعد التحرر اومعارك تحريـــر اوطانهم التى لم تتحرر بعد . ولن تتحقق وحدة حقيقية وفعالة للحركة العمالية الافريقية الا بعد تنظيم الجماهير العريضة للعمال والمستخدمين فى الصناعة والتجارة والزراعة .. ولتنظيم العمال الزراعيين فى افريقيا اهمية خاصة حيث انهم مازالوا يكونون اكبر قطاع فى قوة العمل المأجور وحيث تسود اشكال متخلفة وبدائية فى كثير من البلدان تحول دون قيامهم بدورهم الهام فى النضال . ان احداث تغيير جذرى فى حياة الريف الافريقى تتطلب فى الدرجة الاولى توحيد وتنظيم العمال الزراعيين وتوحيدهم مع عمال المدن والصناعة .

ويرتبط بهذا ــ ضرورة العمل للقضاء على الاشكال المتخلفة للتنظيم النقابى . هذه الاشكال التى تساعد على تفتت وتفكك الحركة العمالية . ان عهد النقابية الحرفية والمهنية قد انتهى ولذلك يجب ان تصبح النقابة الصناعية العامة هى المحور الرئيسى للتنظيم النقابى فى كافة البلدان الافريقية. ان بلدان افريقيا كلها ــ ســواء تلك التى تبنى الاشتراكية او تلك التى بدات تدخل طريق الاستقلال وتريد ان تدعمه او تلك التى مازالت تحمل السلاح فى وجه المستعمرين ــ فى حاجة الى نقابات قوية موحدة ــ وعلى رأسها قيادات قوية واعية تعبر عن ارادة الالوف ــ الامر الذى لا يمكن ان يتحقق مع وجود نقابات صغيرة مبعثرة ليس فى امكانها أن ترفع صوتها الى ابعد من جدران حجرة اجتماعاتها ان وجدت .

وتنظيم القوى العمالية الغير منظمة ، وخلق منظمات قوية على نطاق الصناعات والمهن المختلفة لا بد من العمل على ان يكون للحركة النقابية مركز قيادى واحد فى كل قطر يضم كل الكادحين بغض النظر عن جنسهم ولونهم وعقائدهم الدينية والسياسية . ان راس المال الاحتكارى الاستعمارى عندما يستغل عمال افريقيا ليحصل على بترولها وماسها ونحاسها وعلى خيراتها الوفيرة لا يفرق بين العامل الهندى والافريقى ولا بين العامل الابيض والاسود ولا بين العامل المسلم والمسيحى والوثنى ــ كلهم عنده مادة للحصول على الربح .

وتحقيق الوحدة على النطاق الوطنى ــ تعنى ضرورة تشديد النضال من اجل تدعيم الوحدة على نطاق القارة كلها وفق مبادىء اتحاد نقابات عموم افريقيا ــ فمثل هذه الوحدة شرط ضرورى ولازم لتحقيق نضال ناجح من اجل تصفية النظام الاستعمارى فى القارة كلها ومن اجل مواجهة الاستعمار الجديد بكافة اشكاله واساليبه ومناهجه ومن اجل تبادل الخبرة والمعرفة . ان عهد المعارك المنعزلة والمبعثرة فى القارة قد انتهى بقيــام منظمة الوحدة الافريقية وهو عهد يجب وأن ينتهى فى مجال الحركة العمالية والنقابية بالضرورة . ان الراسماليين الاجانب يتحدون اليوم لحماية مصالح الغرب الاستعمارى ، وهم من اجل ذلك يعملون على ايجاد نظم للاستثمار المشترك ، مثل

مساهمة رؤوس الاموال الالمانية والفرنسية لاستغلال بترول الشمال الافريقى ، والاحتكار الدولى لاستغلال مناجم موريتانيا ، وشركة الالمونيوم المتحدة — والاستثمار المشترك لمناجم الماس فى تنجانيقا . الخ ومن اجل ذلك فان الوحدة النقابية على النطاق الافريقى تفرضها المصالح المشتركة مصالح النضال الذى تشنه شعوب القارة من القاهرة حتى راس الرجاء الصالح .

المشاركة فى البناء السياسى والاقتصادى والنضال من اجل انهاء الاستعمار

اولا : تختلف واجبات الحركة النقابية فى البلدان التى تحررت وتتجه الى الاشتراكية مثل الجمهورية العربية المتحدة وغينيا ومالى والجزائر عنها قبل التحرر اختلافا جوهريا مجذريا .حيث تعمل الثورة فى هذه البلدان على قهر التخلف الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والثقافى وكل مخلفات سيطرة الاستعمار وظلاله وسحق مؤامراته ضد البناء الجديد وان تتخلص من كل بصمات القوى الرجعية وآثارها على طريق الحرية . والكفاح فى هذه البلدان ولا شك معقد وملىء بالعقبات والمشاكل .

ان الحركة النقابية فى هذه البلدان مطالبة بأن ترتقى الى مستوى هذا العمل كقوة طليعية ، عليها ان تعى اولا ان النضال من اجل رفع مستوى معيشة الجماهير انما يسير جنبا الى جنب مع النضال من اجل الاستقلال الاقتصادى ، ومن اجل تصنيع البلاد والقيام باصلاح زراعى جذرى . ان مهمة تطوير الانتاج والبناء الثورى للمجتمع الجديد لم تعد فى هذه البلدان مهمة اجهزة الدولة والمؤسسات الاقتصادية والسياسية وحدها انما هى مهمة كل الشعب ، وهى مهمة رئيسية من مهام الحركة النقابية .

ومن الاخطار التى تتعرض لها الحركة النقابية مع تزايد مهامها الجديدة ، خطر وجود قيادات بيروقراطية داخل التنظيم الامر الذى يتطلب المزيد من تدعيم الديمقراطية داخل هذه التنظيمات واشراك جماهير العاملين فى العمل النقابى .

ومن اهم المشاكل التى تواجه الحركة النقابية فى هذه البلدان ، مشكلة القضاء على التخلف العلمى والثقافى بين جماهير العاملين العريضة . فهذا التخلف مازال يمثل نقطة ضعف بالنسبة للتنظيم النقابى نفسه . كما انه ثغرة كبيرة تنفذ منها القوى الرجعية والانتهازية الى الصفوف العريضة من الكادحين صاحبة المصلحة الحقيقية فى انتصار الثورة الاشتراكية . لذا يجب ان تبذل الحركة النقابية فى هذه البلدان جهدا فائقا من اجل التعليم الشعبى ونشر الثقافة ومحو الامية — ومن الممكن للنقابات ان تقوم بهذا الدور على أساس تحقيق تحالف وثيق بين العمال اليدويين والفلاحين والمثقفين .

ثانيا : وفى البلدان التى حصلت على الاستقلال ومايزال اقتصادها فى قبضة الاحتكارات الراسمالية الدولية ، فانه على الحركة النقابية فى هذه البلدان أن تناضل من أجل ان تقطع بلادها علاقاتها نهائيا مع القوى الاستعمارية القديمة وان تكشف وتفضح الاستعمار الجديد الذى يتسلل على هيئة رؤوس اموال ومساعدات مشروطة لمشروعات غير انتاجية — ان الاستعمار الجديد يزحف من مسالك امريكية والمانية غربية واسرائيلية . وعلى الحركة النقابية فى هذه البلدان ان تقف بحسم ضد كافة المشاريع والخطط المسمومة لفرض طريق التطور الراسمالى على هذه البلدان وهى بذلك مطالبة بأن تتنبه الى الاجهزة والمنظمات النقابية الدولية الخاضعة للدوائر الامبريالية الغربية والتى تعتبر من وسائل الاستعمار الجديد فى التغلغل الى القارة وبصفة خاصة النشاط الامريكى العمالى فى القارة والنشاط الاسرائيلى المغلف . لهذا فان الحركة النقابية مطالبة بالكفاح ضد القيادات الاصلاحية والانتهازية والتى تسعى الى عزل الحركة النقابية عن العمل السياسى وعن جبهة الشعب .

ثالثا : وفى البلدان التى مازالت تخضع للقهر الاستعمارى والرجعى ، فان الحركة النقابية تشق طريقها فى هذه البلدان فى ظروف غاية فى الصعوبة ، ومن ثم فانها مطالبة بان تحقق وحدتها وتحافظ عليها وأن تتحد مع مجموع قوى الجبهة الوطنية — وهى فى مسيس الحاجة الى تلقى العون والمساعدة من شقيقاتها من الحركات النقابية فى البلدان الاخرى حتى تتمكن من مواجهة الاستعماريين الامريكان — والبرتغاليين فى انجولا وموزمبيق وحكومة جنوب افريقيا الفاشية وحكومة العنصريين البيض فى روديسيا المستندة الى الدوائر الامبريالية العالمية .

ان الحركة النقابية الافريقية مواجهة بمشاكل معقدة ومتشابكة . والطريق لحل هذه المشاكل صعب ووعر وملىء بالتعرجات — وعبور هـذا الطريق يحتاج اساسا الى وحدة الصف الافريقى فهو الضمان الوحيد لتخطى كل هذه العقبات بروح الاخوة والتضامن وتبادل الخبرات والمساعدات . وينبغى ان تسعى الحركة النقابية فى افريقيا الى تدعيم وحدتها وتضامنها مع عمال العالم وان تفتح صدرها لتقبل التجارب والخبرات التى سبقتها لتفيد منها فى بناء بلادها وكما يقول ميثاق العمل الوطنى فى الجمهورية العربية المتحدة : « فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية ، يأخذ منها ويعطيها ، لا يبعدها عنه بالتعصب ولا يصد نفسه عنها بالعقد » .

التنظيمات العمالية الافريقية

● **الجمهورية العربية المتحدة** : تأسس الاتحاد العام للعمال فى جمهورية مصر فى ٣١ يناير ١٩٥٧ واصبح الاتحاد العام للعمال فى ج.ع.م بعد الوحدة المصرية السورية فى ١٩٦٠ . يضم الاتحاد اليوم جميع النقابات فى ج.ع.م وعددها ٢٧ نقابة عامة تضم حوالى ١٫٧٥٠٫٠٠٠ عامل منظم من ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ عامل . الاتحاد عضو بالاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب وعضو باتحاد جميع نقابات افريقيا . الاتحاد ملتزم بميثاق العمل الوطنى وبالعمل من اجل بناء الاشتراكية . رئيس الاتحاد ، احمد فهيم .

● **الجمهورية الجزائرية** : تأسس « الاتحاد العام للعمال الجزائريين فى ١٩٥٦ يضم اربعة عشر نقابة تزيد عضويتها على ٦٠٠ الف . وفى مؤتمره الثانى فى ١٩٦٥ اقر برنامجا جديدا حدد فيه هدفه بانه يسعى « لتوحيد الشعب لانجاز مهام جبهة التحرير الوطنى لتحقيق الخطوط الاشتراكية » . واعلن الاتحاد فى يوليو ١٩٦٣ انفصاله عن الاتحاد الدولى للنقابات الحرة ، وهو عضو بالاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب وباتحاد جميع نقابات افريقيا ، وله علاقات صداقة مع الاتحاد العالمى للنقابات .

● **جمهورية السودان** : تأسس اتحاد نقابات السودان فى ١٩٤٩ وتبلغ عضويته حوالى ٣٠٠٫٠٠٠ الف . واعلن الاتحاد فى مؤتمره الخامس ميثاقا اعلن ان الاتحاد يكافح من اجل اقامة حكومة وطنية ديمقراطية تنهى السيطرة الاستعمارية على الاقتصاد وتطور البلاد مباشرة وفق خطوط اشتراكية والاتحاد عضو بالاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب وباتحاد جميع نقابات افريقيا وبالاتحاد العالمى للنقابات . السكرتير العام الشفيع احمد الشيخ وهو نائب رئيس الاتحاد العالمى للنقابات .

وفى ١٩٦٤ تأسس اتحاد المزارعين، ويضم مجموعة من نقابات الفلاحين والعمال الزراعيين وتبلغ عضويته حوالى ٢٥٠٫٠٠٠ الف . اشترك مع اتحاد النقابات فى اصدار ميثاق مشترك فى ١٩٦٤ ناشد كل الاحزاب والمنظمات السياسية فى البلاد للعمل من اجل الاشتراكية .

● **المملكة الليبية** : تأسس الاتحاد الليبى للنقابات فى ١٩٥٢ وتبلغ عضويته ٤٠ الف وهو عضو فى اتحاد النقابات الافريقية وعضو بالاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب وعلاقته وثيقة بالاتحاد الدولى للنقابات الحرة . السكرتير العام سالم شيتا .

● **المملكة المراكشية** : تأسس فى ١٩٥٥ الاتحاد المراكشى للشغل والنفوذ الرئيسى فى الاتحاد للجناح اليسارى بحزب الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية، وطالب فى مؤتمره الثالث بتأميم القطاعات الرئيسية فى الاقتصاد والقيام باصلاح زراعى على اساس « الارض لمن يفلحها » . عضو باتحاد جميع نقابات افريقيا . السكرتير العام محجوب بن صديق . ويوجد مركز نقابى ثان هو الاتحاد العام لعمال مراكش وليس له نفوذ كبير وتأسس فى ١٩٦٠ بنفوذ حزب الاستقلال .

● **الجمهورية التونسية** : يوجد بها « الاتحاد العام للعمال التونسيين » وتبلغ عضويته حوالى ٢٠٠ الف وهو منضم للحزب الدستورى الاشتراكى وعضو اساسى بالاتحاد الدولى للنقابات الحرة واشترك بدور اساسى فى تأسيس اتحاد نقابات افريقيا الكونفدرالى .

الاتحادات العمالية فى بلدان غرب افريقيا

● **انجولا** : لا يوجد بانجولا نقابات معترف بها قانونا ، فالسلطات الاستعمارية تحرم النشاط النقابى ، ولكن يوجد بالبلاد منظمتان نقابيتان كبيرتان — هما ، الاتحاد الوطنى لعمال انجولا وتأسس فى ١٩٥٤ وهو عضو باتحاد جميع نقابات افريقيا وهو متحد مع حركة الشعب لتحرير انجولا . وهدفه الرئيسى القضاء على النظام الاستعمارى والرابطة العامة للعمال الانجوليين ، وهى تعمل اساسيا بين العمال الانجوليين الذين يعملون فى الكونجو ، وهى عضو بالاتحاد الدولى للنقابات الحرة ومنضمة لاتحاد النقابات الافريقية الكونفدرالى .

● **جمهورية ساحل العاج** : يوجد بها « النقابة العامة لعمال ساحل العاج » ، تأسست فى ١٩٦٢ موحدة لكل النقابات القانونية فى البلاد وعدد اعضائها حوالى ١٥٠٫٠٠٠ الف وهى خاضعة للاشراف الادارى للحكومة وهو اتحاد النقابات الافريقية الكونفدرالى .

● **جمهورية فولتا العليا** : بعد اضراب يناير الكبير فى ١٩٦٦ والذى انتهى بمظاهرات معادية للحكومة قام فى البلاد انقلاب عسكرى واعلنت الاحكام العرفية . وقبل الانقلاب كان يوجد بالبلاد عدد من المراكز النقابية اقواها واكثرها تقدما « الجماعة الوطنية لعمال فولتا العليا » وهى عضو باتحاد

جميع نقابات افريقيا . وفى ١٩٦٤ كانت الجمعية الوطنية قد اصدرت قانونا يحرم على النقابات الارتباط باى اتحاد نقابى دولى .

● جمهورية جابون : ظهرت النقابات الاولى فى جابون بعد الحرب العالمية الثانية . وللاتحاد العام للعمال الفرنسى دور كبير فى تاسيسها . واذ احست السلطات الاستعمارية بخطورة وجودها ونفوذها بين العمال انتهجت سياسة لتقسيم النقابات ، فيوجد بالبلاد مركزين نقابيين الان هما : الاتحاد العام للعمال ، واتحاد جابون للعمال المتدينين .

● جامبيا : يوجد بها مركزان نقابيان، نقابة عمال جامبيا وهى تضم حوالى ٩٠٪ من العمال المنظمين بالبلاد ومرتبطة باتحاد نقابات افريقيا الكونفدرالى ، ونقابة جامبيا للعمال وهى نقابة ضئيلة النفوذ .

● جمهورية غانا : يوجد مركز نقابى واحد يضم كل العمال المنظمين ، وهو مؤتمر النقابات الغانية وتأسس فى عام ١٩٥٧ وتبلغ عضويته حوالى ٣٨٦٫٧٥٤ الفا ، ووفق برنامجه فالاتحاد جزء من حزب الشعب . وهو عضو باتحاد جميع نقابات افريقيا . وبعد الانقلاب الاستعمارى الاخير اعتقل معظم قادته .

● جمهورية غينيا : يوجد مركز نقابى واحد – وهو الاتحاد الوطنى لعمال غينيا – وقد تأسس فى ١٩٦٠ وتزيد عضويته على ٢٠٠٠ الف واهدافه ، تعليم الطبقة العاملة وتثقيفها ، ومساندتها لتحسين مهارتها وحثها على انجاز سياسة الحزب الحاكم (الحزب الديمقراطى) . وفى المؤتمر الرابع للاتحاد فى اكتوبر ١٩٦٥ اعلن سيكوتورى رئيس الجمهورية ان الحركة النقابيه اصبحت جزءا من النضال الثورى للشعب الذى سلك طريق التطور المستقل . والاتحاد عضو باتحاد جميع نقابات افريقيا .

● غانا البرتغالية : توجد بها نقابة تقدمية وحيدة وهى نقابة سرية « النقابة الوطنية لعمال غانا » واشتركت فى المؤتمر الثانى لاتحاد جميع نقابات افريقيا .

● جمهوريه داهومى : المركز النقابى القائد للحركة النقابية بالبلاد هو « النقابة العامة لعمال داهومى » تاسس فى ١٩٦١ وتبلغ عضويته حوالى ٥ آلاف . وقد اعلن قادتها ان مواجهة الصعوبات الاقتصادية التى تعانى منها داهومى هى بالعمل على انهاء السيطرة الاجنبية . والنقابة عضو باتحاد جميع نقابات افريقيا .

● جمهورية ليبريا : المركز النقابى الرئيسى فيها هو مؤتمر « المنظمات الصناعية » وتبلغ عضويته حوالى سبعة آلاف وهو عضو بالاتحاد الدولى للنقابات الحرة .

● جمهوريه موريتانا الاسلامية : يوجد بها مركز نقابى واحد هو « اتحاد عمال موريتانيا » تاسس فى ١٩٦١ وتبلغ عضويته حوالى ١٠ آلاف عضو وهو عضو باتحاد نقابات افريقيا الكونفدرالى .

● جمهوريه مالى : الحركة النقابية موحدة فى « الاتحاد الوطنى لعمال مالى » وقد تاسس فى ١٩٦٠ وتبلغ عضويته حوالى ٥٠ الف ، واتخذ المؤتمر الاول للاتحاد قرارا اعلن « ان النقابات المالية تؤيد تأييدا كاملا اختيار الاتحاد السودانى ، الحزب الحاكم) طريق الاشتراكية ، فهو يعبر عن نضال الشعب العامل من اجل التقدم الاجتماعى والعدالة » . والاتحاد عضو باتحاد جميع نقابات افريقيا .

● الاتحاد النيجيرى : الحركة النقابية النيجيرية منقسمة على نفسها الى مجموعات ومراكز مختلفة . فبعض النقابات يؤيد « مؤتمر النقابات النيجيرية » – التقدمى – وجبهة « وحدة العمل » وكلا المركزين يعمل من اجل التحرير الكامل للبلاد والاشتراكية ومؤتمر النقابات النيجيرية عضو « باتحاد جميع نقابات افريقيا » .

ويضم « مؤتمر العمل المتحد النيجيرى » – الجناح اليمينى – عددا من النقابات وهو عضو بالاتحاد الدولى للنقابات الحرة .

ويضم « مجلس العمال النيجيرى » عددا آخر من النقابات وهو عضو بالاتحاد الدولى لنقابات المسيحيه .

وفى ١٩٦٥ خرج انقسام من الاتحادين الاخيرين وكون « المجلس النقابى الاعلى » .

● جمهوريه السنغال : تاسس فى ١٩٦٢ « الاتحاد الوطنى لعمال السنغال » نتيجه لاندماج الجهازين النقابيين فى البلاد والحكومة تسانده وهو عضو مؤسس فى اتحاد نقابات افريقيا الكونفدرالى . والى جانب هذا الاتحاد توجد بعض النقابات اليسارية .

● سيراليون : تاسس « اتحاد العمال بسيراليون » فى ١٩٦٤ موحدا فى « مجلس العمل بسيراليون » و « مؤتمر النقابات » وتبلغ عضويته حوالى ٢٨ الفا وهو ليس عضوا باى منظمة دولية، واشترك فى المؤتمر الثانى لاتحاد جميع نقابات افريقيا .

● جمهوريه التوجو : المركز النقابى الرئيسى هو « الاتحاد الوطنى لعمال التوجو » وتبلغ عضويته حوالى عشرة آلاف ويتعاون مع الحكومة وعضو باتحاد نقابات افريقيا الكونفدرالى .

الاتحادات العمالية بجنوب وجنوب غرب وجنوب شرق افريقيا

● جمهورية مدغشقر (مالاجاش) : الجهاز النقابى الرئيسى بالبلاد هو « اتحاد نقابات مدغشقر » تاسس فى ١٩٥٦ وتبلغ عضويته حوالى ٣٠ الفا وهو مرتبط بحزب المؤتمر لاستقلال مدغشقر وهو عضو باتحاد جميع نقابات افريقيا .

ويوجد اتحاد آخر بالبلاد هو اتحاد عمال مدغشقر والكرموزو تديره الكنيسة الكاثوليكية وتتركز عضويته اساسا بين مستخدمى البنوك والخدمات المدنية .

● بوتشوانالاند : يوجد بها مركز نقابى واحد هو اتحاد عمال بوتشوانالاند وتأسس فى ١٩٦١ وعضو باتحاد جميع نقابات افريقيا .

● جمهورية زامبيا : يوجد بها « المؤتمر النقابى بزامبيا » ، وقد تأسس فى ١٩٦٥ بمبادرة من الحكومة ، وهو مرتبط بحزب الاستقلال الوطنى المتحد، والنقابات فى زامبيا . محرم عليها بحكم القانون تلقى اى مساعدات من الخارج وعدم الارتباط باى منظمة نقابية غير افريقية .

● روديسيا الجنوبية : تتحد النقابات التى تعارض الحكومة الاستعمارية العنصرية فى مؤتمر نقابات زيمبالوى الافريقية وهى تضم عمالا من جميع الاجناس والعناصر ومرتبطة بحزب

« الزابو » . كما توجد بالبلاد كذلك بعض النقابات الموالية للحكومة وعضويتها من البيض .

● سوازيلاند : يوجد بها مركز نقابي قوى « اتحاد نقابات سوازيلاند » وهو عضو باتحاد جميع نقابات افريقيا .

● جمهورية جنوب افريقيا : القانون في هذه البلاد يسمح بالتفرقة العنصرية في الحركة النقابية .ولكن توجد نقابات لا تطبق ذلك ! من بينها « مؤتمر نقابات جنوب افريقيا » والذى اعلن انه يكافح للقضاء على الاضطهاد العنصرى ، وقد تأسس هذا الاتحاد في ١٩٥٥ وهو يضم عمالا من كل الاجناس وتبلغ عضويته حوالى ٥٠ الفا وله تأثير كبير بين العمال الافارقة وعضو باتحاد جميع نقابات افريقيا .

وينضم بعض العمال الافارقة الى اتحاد النقابات الافريقية الحرة بجنوب افريقيا وقد اشترك في المؤتمر الثانى لاتحاد جميع نقابات افريقيا .

ويوجد مركز نقابى كبير في البلاد هو « مجلس العمال بجنوب افريقيا » . وقد تأسس في ١٩٥١ ويمثل حوالى ١٨٠ الف عامل اساسا من البيض .

الاتحادات العمالية في بلدان جنوب الصحراء ووسط أفريقيا

● مملكة بوروندى : الجهاز النقابى الرئيسى بالبلاد هو « اتحاد عمال بوروندى » وهو يعارض الاحتكارات الاجنبية ويطالب بالاستقلال التام . ومنعته الحكومة من ممارسة نشاطه وهو عضو باتحاد جميع نقابات افريقيا .

● جمهورية الكاميرون الاتحادية : يوجد بها مركزان قوميان وهما اتحاد نقابات الكاميرون بالكاميرون الشرقية وتأسس في ١٩٦٣ . والمركز القومى الان وهو مركز سرى « الاتحاد العام لعمال الكاميرون » .

● جمهورية افريقيا الوسطى : يوجد بها مركز نقابى واحد ينظم العمال والمستخدمين في القطاع الدولى والقطاع الخاص وهو الاتحاد العام للعمل وهو عضو باتحاد جميع نقابات افريقيا .

● جمهورية الكونغو برازافيل : اتحدت النقابات في ١٩٦٤ في مركز قومى واحد هو الاتحاد الكونفدرالى للنقابات الكونغولية وانضم بعد تأسيسه لاتحاد جميع نقابات افريقيا وتقدر عضويته بـ ٥٠ الفا . ويعتبر الاتحاد مهمته الرئيسية هى الكفاح من اجل تحرير البلاد سياسيا واقتصاديا والكفاح من اجل مزيد من الحقوق للشعب العامل ورفع مستوى معيشتها .

● جمهورية الكونغو الديمقراطية (ليوبولدفيل) : يوجد بها مراكز نقابية قومية عديدة منها الاتحاد العام للعمال (الكونغو) وهو اتحاد تقدمى ، عضويته حوالى ٥٠ الف وعضو باتحاد جميع نقابات افريقيا وبالاتحاد العالمى للنقابات . والمركز الثانى وهو « الاتحاد الكونغولى للنقابات الحرة » وهو موال للحكومة ومرتبط بالاتحاد الدولى للنقابات الحرة ، ويؤيده ويدعمه الاتحادات العمالية الامريكية وعضو باتحاد نقابات افريقيا الكونفدرالى .

● جمهورية النيجر : يوجد بها « الاتحاد الوطنى لعمال النيجر » وتأسس في ١٩٥٩ وعضويته حوالى ٢٠ الفا وتديره الحكومة وعضو باتحاد نقابات افريقيا الكونفدرالى .

● جمهورية اوغنده الاتحادية : يوجد بها مركزان نقابيان قوميان ، اتحاد نقابات اوغنده ومؤتمر نقابات اوغنده . والاول انقسام من مؤتمر نقابات اوغنده ويديره الاتحاد الحر . وتحاول الحكومة توحيد الاتحادين في اتحاد واحد .

● جمهورية تشاد : المركز النقابى القوى هو الاتحاد الوطنى لعمال تشاد وهو عضو باتحاد جميع نقابات افريقا .

الاتحادات العمالية في بلدان شرق أفريقيا

● الجمهورية الصومالية : يوجد بها اتحادان ــ الاول « اتحاد عمال الصومال الكونفدرالى » وقد تأسس في ١٩٤٩ وهو عضو بالاتحاد الدولى للنقابات الحرة . والاتحاد الثانى « اتحاد عمال الصومال » وقد تأسس في ١٩٥٧ وله ارتباط وثيق بالاتحاد العالمى للنقابات . وشارك في المؤتمر الاخير للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب .

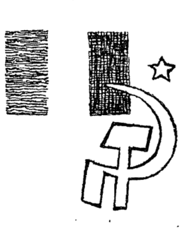
● اثيوبيا : يوجد بها ٤٨ نقابة محلية وهى عضوة باتحاد نقابات العمال الاثيوبى . وعدد الاعضاء المسجلين بالاتحاد حوالى ١٥ الفا ، بينما تتراوح عضوية النقابات المحلية بين ٤٠ و ٥٠ الفا والاتحاد مرتبط بالاتحاد الدولى للنقابات الحرة .

● جمهورية كينيا : يوجد مركزان نقابيان متنافسان اتحاد عمال كينيا ومؤتمر العمال الافريقيين بكينيا ، وقد حلتهما الحكومة بقانون في نهاية ١٩٦٥ . وحل محلهما المنظمة المركزية للنقابات بكينيا . ويعين رئيس الجمهورية المسئولين القياديين الثلاثة عن المنظمة من بين الاسماء المنتخبة بواسطة اعضاء المنظمة .

● جمهورية تنزانيا المتحدة : اولا : « الاتحاد الوطنى لعمال تنجانيقا » وتأسس في ١٩٦٤ موحدا لكل النقابات في الجمهورية ، خاضع لادارة الحكومة وسكرتيره العام هو وزير العمل في الحكومة وتبلغ عضويته ٣٠٠ الف وهو عضو باتحاد جميع نقابات افريقيا . ثانيا : « اتحاد النقابات الثورية في زنزبار ــ تأسس بعد الثورة في يناير ١٩٦٤ موحدا الحركة النقابية في البلاد . وتبلغ عضويته حوالى ٢٥ الف وهو يؤيد سياسة الحزب « الافروشيرازى » وسياسة الحكومة وهو عضو باتحاد جميع نقابات افريقيا .

● موزمبيق : يوجد بها اتحاد سرى هو اتحاد النقابات الموزمبيقى وهو عضو باتحاد جميع نقابات افريقيا ويؤيد حزب « فريليمون » .

التقارب الفرنسي - السوفيتي وأبعاده الدولية



خيري عزيز

لقد تميزت العلاقات الفرنسية ــ السوفيتية، باتساع تأثيرها الاوربي والدولي اكثر من أي علاقات ثنائية اخرى تقوم على مستوى القارة الاوربية . وحتى العلاقات الفرنسية ــ البريطانية، بالرغم من الاهمية الكبرى التى تمتعت بها بريطانيا فى الشئون العالمية منذ اواخر القرن التاسع عشر الا انها لاتزال تحتفظ بشكل او بآخر بطابع « محلى » فى تأثيرها . وربما يكون للعلاقات الفرنسية ــ الالمانية بالذات، اهمية اوربية اوسع، وتكاد ترقى الى مستوى تأثير العلاقات الفرنسية ــ السوفيتية .

اتجاه اطلنطى متطرف

على انه اذا كانت العلاقات الفرنسية ــ السوفيتية قد تمتعت بهذه الاهمية غير العادية فى الشئون الاوربية والدولية، يصبح من الضرورى بمكان دراسة الطابع العام لهذه العلاقات فى الفترة التى سبقت التقارب الديجولى الاخير .

وبهذا الصدد نجد ان فرنسا ــ وعلى الاخص فى الفترة التالية لزيارة رئيس الوزراء السوفيتى **نيكيتا خروشوف** لها سنة ١٩٦٠ ــ كانت تبدو اكثر دول اوربا الغربية « ارثوذكسية » وعنادا فى اتجاهها الاطلنطى المعادى للسوفييت . ففى اكتوبر سنة ١٩٦٠ رددت الانباء عزم فرنسا قطع علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى، اذا اعترف بحكومة الجزائر المؤقتة . وفى اواخر مارس سنة ١٩٦٢ استدعت فرنسا فعلا سفيرها فى موسكو، احتجاجا على اعتراف الاتحاد السوفيتى بحكومة الجزائر الوطنية، وفى ابريل سحب الاتحاد السوفيتى سفيره فى باريس . وكان ديجول قد حذر الرئيس السوفيتى نيكيتا خروشوف قبل ذلك، من القيام بأية محاولة « لاغراء » فرنسا بالانفصال عن حلف الاطلنطى . وبينما كان خروشوف يحذر الفرنسيين اثناء زيارته لباريس، من الاتجاه الواضح الى احياء الروح العسكرية والاتجاهات الانتقامية لالمانيا الغربية، ويدعو لانشاء تحالف سوفيتى ــ فرنسى لحفظ السلام، كانت فرنسا توقع بموافقتها على قيام الالمان الغربيين بانشاء قواعد عسكرية تدريبية لهم فى الاراضى الفرنسية . واعلنت فرنسا فى بيان اصدره **ميشيل دبريه** بعد ذلك، رفض

ديجول الباب ، لوجهة نظر الرئيس السوفيتي القائلة بان اعادة تسليح المانيا الغربية يهدد الامن الدولي . وفي فبراير سنة ١٩٦١ تقوم احدى طائرات سلاح الطيران الفرنسي بحماقة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العلاقات الدولية ، وذلك باطلاق نيرانها « خطأ » (حسبما قيل من الجانب الفرنسي حينذاك) على طائرة **ليونيد بريجنيف** رئيس الاتحاد السوفيتي . مما كان يمكن ان يؤدي الى « كارثة دولية خطيرة » .

والامر الذي يدعو الى الانتباه في تلك الفترة ، انه في الوقت الذي كانت مساعي الولايات المتحدة وبريطانيا تتجه فيه بعد توقيع معاهدة حظر التجارب النووية سنة ١٩٦١ الى تضييق شقة الخلاف مع الاتحاد السوفيتي ، كانت فرنسا تعترض باستمرار على تلك المساعي . وفي اثناء ازمة برلين سنة ١٩٦١ عارض ديجول ، الرئيس **جون كيندي** عندما اقترح الاخير دعوة الاتحاد السوفيتي الى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاربع الكبرى . كما عارض ديجول ايضا أي تنازل من جانب الغرب في برلين . وهكذا نجد ان موقف فرنسا تجاه السوفيت في تلك الفترة ، كان استمرارا متطرفا للاتجاه الاطلنطي التقليدي .

بداية سياسة واقعية

غير ان نهاية عام ١٩٦٣ وبداية عام ١٩٦٤ ، كانت تحمل لفرنسا بداية التغير الواضح في اتجاه سياستها الخارجية . وبدأ ما يسميه ديجول ((**بفتح الابواب من ناحية الشرق**)) . وتدفق التيار الواقعي لسياسة فرنسا الخارجية باعترافها بالصين الشعبية (يناير سنة ١٩٦٤) وايفاد **فاليري جيسكار ديستان** وزير مالية فرنسا الى موسكو لاجراء محادثات تجارية ، ثم تقديم فرنسا لمشروعها الخاص بتحييد منطقة جنوب شرقي آسيا وسحب القوات الامريكية منها، ومطالبتها بمنع الاسلحة الذرية من الانتشار الى المانيا الغربية ، ودعوتها لاعتبار حدود اودر — نيس ، حدود دائمة وشرعية بين المانيا وبولنده ، ثم اتجهت لتحسين العلاقات مع العالم العربي . وعقب ذلك الانفتاح قام وفد من كبار المسئولين السوفيت بزيارة فرنسا ، بينهم ٦ اعضاء في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، وعلى رأسهم سكرتير الحزب حينذاك **نيكولاي بودجورني** ، كما توالت زيارات وزراء خارجية يوجوسلافيا ، وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ، ومدير عام وزارة الخارجية بالمانيا الشرقية ، ورئيس وزراء رومانيا .. الخ الى باريس .

وحدد الجنرال ديجول سياسته الاوربية الجديدة على اساس ان الوقت قد حان للعمل من اجل عهد جديد من التفاهم بين دول اوربا الغربية والشرقية ، وانه اذا كانت الولايات المتحدة تلعب دورا في الشئون العالمية ، فان المشاكل الاوربية ينبغي ان تحل بواسطة الاوربيين انفسهم ودون تدخل من جانبها ، وانه على فرنسا والاتحاد السوفيتي ، البدء فورا لتحقيق هذه الاهداف ريثما تتمكن سائر الدول الاوربية من تنسيق جهودها في هذا السبيل .

والحقيقة ان نمو الاقتصاد القومي الفرنسي ، وتطور الاحتكارات الفرنسية الى الدرجة التي اصبح بامكانها فيها ، الاستغناء عن معونة ودعم الراسمال الاحتكاري الامريكي حسبما كان الوضع ايام مشروع مارشال) ، هو الذي شكل الارضية الاقتصادية للسياسة الديجولية المستقلة . وبالفعل بدأ تنفيذ هذه السياسة ، وأجرى **اندريه جروميكو** وزير الخارجية السوفيتي محادثات هامة في باريس مع الجنرال ديجول ووزير الخارجية **كوف دي موروفيل** وصفها بأنها نقطة تحول في العلاقات السوفيتية الفرنسية . ووافقت فرنسا في نفس الشهر على الاعتراف دبلوماسيا بمنغوليا . وجاءت زيارة كوف دي مورفيل للاتحاد السوفيتي بعد ذلك لتدفع العلاقات الفرنسية — السوفيتية قدما أخرى في اتجاه التقارب .

والامر الملاحظ في هذه الفترة ، وعلى عكس المرحلة السابقة ، ان الحكومة السوفيتية دأبت خلالها على توجيه اللوم للانجلو — امريكيين الذين بدأوا يدفعون الموقف الدولي الى التوتر في اكثر من منطقة من مناطق العالم (قبرص مثلا حيث كانوا يحاولون تكليف حلف الاطلنطي بمهمة «ارجاع الامن » الى الجزيرة) الخ ، هذا في حين كانت فرنسا اكثر اقترابا من السوفييت (ورفضت بوضوح المشاركة في تدبير تدخل اطلنطي في قبرص) . وهكذا اتضح الانسلاخ الفرنسي عن التجمع والخط الاطلنطي التقليدي .

التهيئة الطبيعية تدعم التقارب

والحقيقة انه كان لفرنسا صلات ودية وصراعات عدائية مع كل من روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتي ، خلال القرن التاسع عشر والفترة المنصرمة من هذا القرن . ومما سهل الالتقاء الودي الفرنسي — الروسي ، والفرنسي — السوفيتي ، انه لم توجد بين البلدين بحكم وضعيهما الجغرافي أي صراعات حدود مشتركة ، أو أية أراض موضع جدل او اي تناقض في المصالح الاستعمارية يمكن أن يضرب فرنسا بروسيا القيصرية ، أو أي صراع اقتصادي ضخم يمكن ان يبرر وجودا طبيعيا لهما في معسكرين دوليين متصارعين . الا ان هذه التهيئة الطبيعية لهما، لم تنف على كل حال انه في فترات معينة في تاريخ العلاقات بين البلدين ، قامت بينهما الحروب ، بسبب تدخل عوامل طارئة مثل

التوسع النابليوني في اوربا سنة ١٨٠٧ ، والمحالفة المقدسة سنة ١٨١٥ التي جمعت العروش الاقطاعية الرجعية في اوربا ضد القوى الثورية في القارة ، وكذلك في فترة التدخل الاوربي ضد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، وفي فترة الجمهورية الفرنسية الرابعة .

الدور التاريخي

للعامل الالماني في التقارب

على اننا لو تساءلنا عن الظروف التي يتم فيها اليوم التقارب الفرنسي — السوفيتي ، لوجدنا انه لا يحدث في ظروف علاقات فرنسية — امريكية والمانية غربية طيبة او حتى عادية ، بل على العكس يتم في ظروف دخلت فيها فرنسا في صراع حاد للاستقلال عن النفوذ الامريكي في اوربا وعن حلف شمال الاطلنطي . وبالتالي دخلت ايضا وبطريق غير مباشر في صراع مع اخلص انصار الامريكيين في القارة وهم الالمان الغربيون . كما ان فرنسا يتزايد احساسها يوما بعد يوم بالقوة الاقتصادية المتزايدة لالمانيا الغربية ، ومطامعها السياسية المتزايدة . خاصة وان انسحاب فرنسا من المنظمة العسكرية لحلف الاطلنطي ، زاد من قيمة ووزن المانيا الغربية كحليف للولايات المتحدة ، ينبغي تقويته ودعمه بكل الوسائل من جانب الولايات المتحدة . كل ذلك دفع فرنسا الى مزيد من التمسك بسياسة تقارب مع الاتحاد السوفيتي باعتباره ثقلا مواجها للقوى المضادة لفرنسا في الحلف الغربي .

ونحن اذا كنا قد اوضحنا من قبل ، قيام صلات ودية فرنسية — روسية وفرنسية — سوفيتية ، نحب ان نشير هنا الى حقيقة تاريخية هامة وهي انه بعد توحيد المانيا بشكل خاص ، لعب العامل الالماني دورا كبيرا في تطور العلاقات الفرنسية — الروسية ، والفرنسية — السوفيتية . ذلك ان ظهور المانيا كقوة اوربية تشكل خطورة حقيقية على امن كلا البلدين ، دفعهما للبحث عن سياسة تضامن وتحالف مشترك ضدها . صحيح ان هذا التحالف كثيرا ما نحي جانبا تحت تأثير اعتبارات اخرى ، الا انه كان يعود دائما في الظروف العصيبة التي تواجه الدفاع القومي الفرنسي او الروسي او السوفيتي .

والمصالح الدفاعية المشتركة الفرنسية والروسية ، في مواجهة خطر المانيا الموحدة ، عبر عنها لاول مرة في التاريخ الحديث في الاتفاق الروسي لسنة ١٨٩١ ، وذلك عندما استغل الفرنسيون رفض الامبراطور الالماني وليم الثاني تجديد التحالف الالماني — الروسي المنعقد سنة ١٨٨١ واندفعوا هم ليحلوا محله متحالفين مع روسيا القيصرية . وكان ذلك الاتفاق الروسي — الفرنسي اول ثغرة في سلسلة المحالفات البسماركية — التي قصد بها المستشار الالماني بسمارك عزل فرنسا ، عدو المانيا التقليدي . وفي سنة ١٨٩٤ عقدت فرنسا وروسيا معاهدة عسكرية للمساعدة المتبادلة في حالة حدوث هجوم الماني او من اي بلد متحالف معها . وهذه المعاهدة التي عقدت كرد فعل لتجديد المحور الايطالي الالماني ، تدعمت بعد سنوات قليلة منذ ذلك التاريخ ، بانضمام انجلترا لها واصبحت تسمى بالاتفاق الثلاثي (انجلترا — فرنسا — روسيا) . ومثل هذين التحالفين الكبيرين في حقيقتهما ، المجموعتين المتعاديتين المستقطبتين اللتين جمعتا تحت لواءيهما كل القوى الكبرى في القارة الاوربية .

وبعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، لم تكن العلاقات الفرنسية — السوفيتية مرضية ، بسبب التناقض الحاد في النظامين الاجتماعيين ، الرأسمالي الفرنسي ، والاشتراكي السوفيتي ، وبسبب هجوم البورجوازية الفرنسية على الاتحاد السوفيتي والاشتراكية في محاولة تحطيمه لخنق المثل الاشتراكي الذي يقدم للشعوب الاوربية . وهكذا بعد حوالي ما يزيد عن مائة عام من دخول روسيا القيصرية في المحالفة المقدسة ضد فرنسا الثورية ، نجد فرنسا الجمهورية تدخل محالفة مقدسة جديدة ضد روسيا الثورية .

وقبل ان يصل **هتلر** الى السلطة ، لم تغير

بسمارك :

(عاش من ١٨١٥ — ١٨٩٨) عمل وزيرا لغليوم الاول ملك بروسيا في سنة ١٨٦٢ . استطاع ان يؤسس الوحدة الالمانية ، والامبراطورية الالمانية الاولى بفضل مساندة البرجوازية البروسية بصفة خاصة ، والالمانية بصفة عامة غير انه لما كانت هذه الامبراطورية قد اقيمت على حساب انتزاع الالزاس واللورين من فرنسا لذا كان بسمارك يخشى نجاح فرنسا في تكوين تحالف دولي يمكنها من استرداد اراضيها ، لذا اتجه المحور الرئيسي لسياسته لعزل فرنسا دبلوماسيا عن طريق تكوين شبكة محالفات ضدها وبالفعل في ١٨٧٣ تكونت ما تسمى « بعصبة الاباطرة الثلاث » (المانيا — النمسا — روسيا) للاتفاق على تنسيق عملهم العسكري معا في حالة اي هجوم خارجي ، كما عقد بسمارك محالفات اخرى مع ايطاليا ورومانيا . وقد ادى انحياز المانيا الى جانب النفوذ النمسوي في صراعه مع النفوذ الروسي في البلقان لتوتر العلاقات بين المانيا وروسيا ، ودفع روسيا في النهاية الى التحالف المضاد لالمانيا . وقد كان بسمارك مثله ، مثل هتلر يفضل ان يكون التوسع الالماني في اوربا لا خارجها .

فرنسا موقفها تجاه الاتحاد السوفيتي ، ولكن عندما انسحبت المانيا من عصبة الامم ، ورفضت شروط فرساى ، واصبح الخطر الهتلرى واضحا ، هنا دفعت فرنسا بالخوف من الاشتراكية السوفيتية جانبا تحت تأثير الخوف من الخطر العاجل للنازية والعسكرية الالمانية . ووقعت فرنسا مع الاتحاد السوفيتى اتفاق اخر للمساعدة المتبادلة فى سنة ١٩٣٥ (وكان قد سبقه فى سنة ١٩٣١ ميثاق عدم اعتداء بينهما)

عنصر تـــوازن تجاه الانجلو ساكسون

وخلال معظم سنوات الحرب العالمية الثانية ، لم يجد التحالف الفرنسي السوفيتى متنفسا للتعبير عنه ، بسبب الاتجاه المتعاون مع النازى لنظام بيتان الحاكم فى فرنسا . وبالرغم من ان حركة الفرنسيين الاحرار التى رأسها الجنرال ديجول كانت تمثل فرنسا من وجهة نظر الحلفاء ، الا انها لم تشرك فى أى من مؤتمراتهم الهامة خلال وبعد الحرب . ولم يستطع الجنرال ديجول ان يغفر بسهولة لحلفائه وخاصة الولايات المتحدة تحت رئاسة روزفلت ، رفضها اشراكه فى مؤتمر يالتا .

وعلى اى الاحوال ، فان واحدا من اول العوامل المساعدة لتأسيس الجنرال ديجول لحكومته المؤقتة سنة ١٩٤٤ كان توقيع اتفاق جديد للمساعدة المتبادلةبين فرنسا والاتحاد السوفيتي سنة ١٩٤٤ . ويكشف لنا ديجول عن خطته بهذا الصدد فى مذكراته التى نشرت صحيفة جورنال دى جنيف مقتطفات منها فى ١٩٦٥/٤/٢٥ يقول ديجول :

« علمت فى ٢٣ يونيو سنة ١٩٤١ نبأ بداية الحرب بين الروس والالمان ، وكنت فى دمشق ، فأرسلت فى يوم ٢٤ برقية الى وفد لندن تحوى التعليمات التالية : « ان علينا ان نعلن — مثل تشرشل — اننا مع الروس صراحة ماداموا يحاربون الالمان . . ليس الروس هم الذين يسحقون فرنسا ويحتلون باريس وريم وستراسبورج . واننى ادعو وفدنا ان يقول بإسمى لمسيو « **مايسكى** » سفير السوفيت فى لندن : « ان الشعب الفرنسى مع الروس ضد المانيا ، واننا نأمل لنتيجة لذلك فى تنظيم علاقات عسكرية مع موسكو » . . وقد ابدى مسيو « مايسكي » فى الحال افضل الاستعدادات . وقمت فى ٢ اغسطس من بيروت بدعوة « **كاسان** » و « **دى جان** » (المندوبين الفرنسيين) الى ان يطلبا من مسيو « مايسكى » « ما اذا كانت روسيا على استعداد لاقامة علاقات صحيحة معنا ، وما اذا كانت تنوى توجيه بيان لنا بشأن نيتها فى اعادة قيام استقلال فرنسا ومجدها مع اضافة وحدة اراضيها ان امكن » ويستنتج بوضوح من هذه الفترة ان الجنرال ديجول كان يعمل على استخدام الظروف الدبلوماسية المحيطة الجديدة للسير قدما بمصالح « فرنسا الحرة » ، ورأى فى العلاقات الطيبة مع الاتحاد السوفيتى « عنصر توازن » تجاه الانجلو ساكسون كما جاء بعد ذلك فى مذكراته.

وقد قابل ستالين فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ بهذه الروح . وتم الاتفاق الفرنسى — السوفيتى فى مساء ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٤ وينص على ان « تتعهد الدولتان بحماية كل منهما بالتبادل ضد المانيا ، وعلى عدم الاشتراك فى أى ائتلاف موجه ضد اي من الدولتين » .

وهكذا كان الاتفاق مع الاتحاد السوفيتى اول اتفاق دولى لتجديد فرنسا تحت زعامة ديجول . وباعادة النظر فيما تم ، على ضوء سياسة ديجول الاخيرة ، نجد ان ذلك الاتفاق يكتسب اليوم اهمية اكبر مما بدأ انه يحظى بها عند توقيعه .

الا ان هذا الاتجاه ، لم يتبع من قبل الجمهورية الرابعة بعد الفترة القصيرة التي حكمها ديجول ، اذ انه تحت ضغط الحاجة للمساعدات الاقتصادية ولعديد من العوامل الاخرى ، اتجهت فرنسا الى الدخول فى حظيرة السياسة الامريكية التى خلقت تحالفا غربيا جديدا معاديا للسوفيت تمثل فى حلف شمال الاطلنطى الذى ضمت اليه المانيا الغربية ولما كانت فرنسا قد صدقت فى ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٥٤ على اتفاقات باريس الخاصة باعادة تسليح المانيا الغربية ، لذا قام مجلس السوفيت الاعلى فى مايو سنة ١٩٥٥ بالغاء التحالف السوفيتي — الفرنسى . وهكذا كانت المانيا اساسا لنجاح ثم فشل التحالف الفرنسي — السوفيتى .

عنصر توازن تجاه المحور الالماني الغربى — الامريكي

على انه ينبغي الاعتراف اليوم ، بأن العامل الالمانى منفردا ، لم يعد يمثل فى حد ذاته الخطر العسكرى الضخم على الاتحاد السوفيتي والذى كانت تمثله المانيا فى الماضي ، هذا برغم كون الجيش الالمانى الغربى لايزال يمثل للآن رأس الحربة الهجومية للتحالف الغربي الموجهة ضد الاتحاد السوفيتى . ولا مجال للمقارنة الجادة من الناحية العسكرية بين القوة الالمانية الغربية ، وبين القوة العسكرية السوفيتية القادرة وحدها على الدحر التام لاي عدوان المانى غربى منفرد دون الحاجة لعون الفرنسيين العسكرى . لذا لا يمكن القول اذن ان التقارب الفرنسى — السوفيتي الاخير يتم تحت مجرد تأثير العامل الكلاسيكى القديم ، وانما ينبغى الاعتراف بأنه يتم تحت تأثير مجموعة من العوامل المركبة التى تعمل معا . فبقدر ما يتم

التقارب الفرنسي – السوفيتي كعنصر توازن تجاه المحور الالماني الغربي ، والامريكي في القارة الاوربية ، فانه يتم ايضا من اجل اهداف ايجابية عامة على مستوى القارة ، من اجل الوحدة الاوربية والامن الاوربي العام ، تلك المسائل التي لم تبرز قط ، وما كان بوسعها ان تبرز في اي تقارب فرنسي – روسي او فرنسي – سوفيتي سابق .

من اجل الوحدة الاوربية

واحدى العوامل التي دفعت ديجول الى التقارب مع الاتحاد السوفيتي ، هي فكرته عن الوحدة السياسية الاوربية . فالجنرال ديجول عندما يفكر في تحقيق هذه الوحدة ويؤكد ضرورة الاسراع بوضع اساسها ، فهو يعتقد ايضا ان المانيا هي مركز اوربا ، وانها تمسك بمفتاح الوحدة السياسية للقارة . فلابد اذن لحل مشكلة الوحدة العامة على نطاق القارة ، ان تحل اولا مشكلة الوحدة الخاصة بالمانيا ، مشكلة اعادة توحيدها مرة ثانية . وهذا التوحيد لا يمكن الوصول اليه في نظر ديجول ، الا اذا كان مؤيدا من جانب اوربا المتحدة ، والا اذا حصل على موافقة الاتحاد السوفيتي . ولذا فان محادثات ديجول مع الزعماء السوفيت في موسكو ، وضعت نصب عينيها هذه الحقيقة . كما ان ديجول بذهابه الى موسكو وتقاربه معها يريد من ناحية ثانية ايضا ان يكون المتحدث الاول باسم اوربا لدى السوفيت ، وهو يقدم نفسه ضمنا على انه المتحدث باسم اوربا محررة من التبعية الامريكية ، اوربا لا تصبح فيها المانيا الغربية الحليف المحظوظ للولايات المتحدة . ومن اجل تحقيق هذا الامل الديجولي ، من اجل فصل المانيا الغربية عن الحلف الامريكي ، من اجل تحييدها واعترافها بدور فرنسا القيادي ، يحتاج ديجول الى جذبها ناحيته عن طريق تقديم حل عملي لمشكلة وحدتها تلك التي بيد موسكو مفتاحها اكثر من واشنطون . الا ان مصدر الصعوبة التي تواجه ديجول بهذا الصدد تكمن فيما اعتبره عديد من المعلقين السياسيين الاوربيين بالنظرة « الاكثر واقعية » للسياسة السوفيتية ، التي تضع المشكلة الالمانية في اطار اكثر اتساعا . ووفق هذه النظرة ، لا يمكن ان تحل مشكلة الوحدة الالمانية باتفاق قمة فرنسي – سوفيتي بأي حال من الاحوال ، وانما يجب اشراك كل الدول الاوربية بما فيها جمهورية المانيا الديموقراطية ، وكذلك الولايات المتحدة الامريكية في تحديد هذا الحل . وديجول بمحاولة استبعاده الولايات المتحدة من اية تسوية جديدة للاوضاع في اوربا يبدو في نظر كثير من المعلقين السياسيين وكأنه يحاول رد الضربة التي كالتها له الولايات المتحدة عندما استبعدته من مؤتمر يالتا في اعقاب الحرب العالمية الثانية .

الحزام الحيادي

كما ان التقارب مع السوفيت ، والانسلاخ من « التحالف » العسكري الغربي ، يهيئان الظروف السياسية والاوضاع العسكرية الملائمة لتحقيق نظرية ديجول عن الحزام الحيادي . ويعتزم ديجول وفق هذه النظرية ، تكوين حزام حيادي يخترق كل دول اوربا ، وتشترك فيه الى جانب **فرنسا ، فنلندة والسويد واسبانيا وسويسرا والنمسا ويوجوسلافيا** . وهذه الدول سيكون عليها طبقا لخطة ديجول ان توقع اتفاقات فيما بينها تتعهد بمقتضاها بالتزام الحياد في حالة وقوع أي احتكاك عسكري في اوربا . وستتحول فرنسا وفق هذه الخطة ، وحسبما اوضح **دي مورفيل** لوزير الخارجية الروماني **مانيسكو** : الى سد كبير قوي مسلح ذري ومحايد ، وبذا تتمكن من منع اي احتكاك عسكري في اوربا .

اما الدول التي لن تدخل في هذا الاتحاد الحيادي مثل المانيا الغربية ، فستجد نفسها مضطرة الى اتباع سياسة اكثر واقعية تجاه دول المعسكر الاشتراكي وهذا هو ما كان ديجول يحاول اقناع ساسة بون به منذ عام ١٩٦٤ ، على اساس انه السبيل الوحيد لاعادة توحيد المانيا . وتقارب فرنسا مع موسكو يخدم سياسة الحزام الحيادي أيضا من ناحية انه يستخدم من جانب فرنسا ، كضاغط غير مباشر تجاه المانيا الغربية ، يمكن ان يجبرها مع

وليم الثاني :

امبراطور المانيا ، خلف الامبراطور فردريك الثالث ١٨٨٨ . دخل في صراع مع المستشار بسمارك ، انتهى باقالة بسمارك . كانت نقطة التوسع الاستعماري هي النقطة الرئيسية في الخلاف بين الرجلين . احدث تحولا واضحا تجاه كل من روسيا وبريطانيا . فرفض تجديد التحالف الالماني الروسي ١٨٩٠ . الصراع الاستعماري وتاييده لثورة البوير افقده صداقة بريطانيا ايضا . في اتجاهه للتوسع الاستعماري عمد الى محاولة استغلال التناقضات بين انجلترا وفرنسا وروسيا القيصرية . وهو صاحب فكرة « الاتجاه الى الشرق » التي تركزت في مشروع سكة حديد برلين – بغداد الذي توقف العمل فيه بسبب الحرب العالمية الاولى. سياسته ادت الى توسيع رقعة الامبراطورية الالمانية والى بسط نفوذها السياسي والاقتصادي في وسط اوروبا والشرق الاوسط . اتجاهه الى تكوين بحرية المانية قوية ، دفع بريطانيا الى التقارب مع روسيا وفرنسا وتحدد بشكل نهائي المعسكر المعادي لالمانيا في الحرب العالمية الاولى .

عوامل اخرى طبعا على الدخول مع فرنسا فى حوار سياسى .

من اجل سلام أوربى

عـــام .. لا اقليمى

والتقارب الفرنسى ـــ السوفيتى يشكل مساهمة ايجابية فعالة ايضا لتحقيق فكرة السلام الاوربى العام ، التى تميل فرنسا الى الايمان بها وتسعى لتحقيقها . بالاضـــافة الى اســـتهداف الاتحـــاد السوفيتى الطبيعى لها ايضا .

هذه الفكرة ترى ان السلام الحقيقى والصحيح فى اوربا ، الضرورى والمفيد لكل من الغرب والشرق على حد سواء ، لايمكن الا ان يكون سلاما اوربيا عاما ، ولا يمكن كسبه او احرازه بسياسات سلام اقليمية ، ولا بميكا نيزم اقليمى يعتمد على القوة ، وانما بتعاون اوربى عام وبمساهمة اوربية عامة على اساس من الاحساس بالمسئولية بين كل الامم المعنية سواء فى شرق القارة او غربها . كما ترى هذه الفكرة ان اوربا ليست سوى منطقة من مناطق السياسة العـــالمية ، وان لها بحكم اوضاعهـــا وتناقضاتها الداخلية الخاصة ، مصالحها الخاصة ايضا فى سلام اوربى يخصها ، وليس من المحتم ان قيام هذا السلام ونشوء علاقات طبيعية بين الدول الاوربية وتحسين الظروف لتطوير التعاون بينها ، ليس من المحتم أن يرتبط كل ذلك ميكانيكيا بالمشاكل العالمية الكبرى التى تخص قوى اخرى خارج القارة . وعلى وجه التحديد الولايات المتحدة . لذا كانت تلك النظرة احد العوامل التى دفعت ديجول الى الاصطدام بنفوذ الولايات المتحدة فى اوربا . وترى فرنسا ان مواقفها الخاصة فقط لاتكفى لتحقيق احتياجات السلام الاوربى العام ،كما تعتقد انهذه المواقف لاتشكل فحسب سوى مبادرة فرنسية ضيقة يتعين على دول اوربا الغربية الاخرى ان تحتذيها ، معيدة النظر فى موقفها جميعا من مشاكل العلاقات الاوربية الداخلية بشكل خاص . ومن اجل هذا الغرض ايضا ، يرغب ديجول جادا فى القضاء على الانفصال الحاد فى اوربا الى شرق وغرب ، وهو يفضل التعامل مع « الشيوعيات الاوربية » (أى الدول الشيوعية المستقلة) كل على حدة على التعامل مع « الشـــيوعية الاوربيـــة » مجتمعة . ويرى ان الاتصالات الاوربية الثنائية تخدم فكرته عن « اوربا الجديدة » اكثر من السمات التقليدية للعلاقات الاوربيـــة فى فترة الحـــرب الباردة . ولذا فان بدء حوار ودى ، فرنسى ـــ سوفيتى يمكن ان يكون مبادرة طيبة لبداية حوارات غربية ـــ شرقية اخرى تخدم مفهوم السلام العام .

استراتيجية « الهجوم المرن »

وضرورة التقـــارب

كما ان التغير فى الاســـتراتيجية العســـكرية للولايات المتحدة بعد ظهور التوازن النووى ، من استراتيجية « الردع الشامل » التى تقوم على ضرب الاتحاد السوفيتى بالقنابل الذرية فورا فى حالة الحرب ، الى استراتيجية « الهجوم المرن » التى تطرح امكانية استخدام الاسلحة التقليدية ، هذا التغير زاد من خطورة استخدام القارة الاوربية استخداما فعليا كميدان لقتال « ممكن » بالاسلحة التقليدية ، مادام القتال النووى الشديد الخطر اصبح « مستبعدا » بشكل عام . لذا يبغى ديجول بانشاء علاقات صداقية مع الاتحاد السوفيتى ودول شرق اوربا زيادة الوعى **«الاوربى»** العام بخطورة استخدام الشعوب الاوربية كوقود ممكن لمعارك تخص اســـتراتيجيات غريبة عن القارة . هـــذه الدوافع جميعها ، يفهمها ويقدرها الاتحاد السوفيتى حق الفهم ، كما انه يشكل مع دول اوربا الشرقية الاخـــرى القوة الاوربية الثابتة فى دفاعهـــا عن السلام داخل القارة أو خارجها .

موقف الجانب السوفيتى

ويرجع اهتمام وترحيب السوفيت بالتقارب مع فرنسا ، وسعيهم الدائب من اجله الى تقديرهم لاهمية الدور الدولى لها وللرئيس ديجول . فبصرف النظر عن المركز الاستراتيجى لفرنسا كارض خلفية لالمانيا الغربية ، وعن دورها القيادى فى الاندماج الاوربى ، فان لفرنسا اعتبارا اخر بصفتها احدى اصحاب الحق الرئيسيين فى الحديث عن المشكلة الالمانية . كما ان الاسلوب الواقعى الذى انتهجه ديجول ، فيما يتعلق بارائه عن نشر الحياد فى فيتنام الجنوبية وفى جنوب شرقى آســـيا عامة ، نبه موسكو الى اهمية فرنسا كعامل جديد له ثقل اشد من ذى قبل فى مضمار السياسة الدولية . وقد كتب **يورى زوكوف** كبير معلقى البرافدا موضحا موقف السوفيت تجاه وجهة النظر الفرنسية ، فقال على صفحاتها : « ان الرأى العام السوفيتى يعطف على الخطة الفرنسية المظفرة المبدئية التى تهدف الى تحقيق حياد فيتنام الجنوبية . لقد اظهرت السياسة الفرنسية تفهما واقعيا للموقف .. » ومن العوامل التى دفعت الاتحاد السوفيتى للترحيب الشديد بالتقارب الفرنسى فى هذه الفترة بالذات ، ما اصاب العلاقات السوفيتية الامريكية من فتور وتوتر بسبب نقض جونسون لكثير من سياسات سلفه كيندى ، وبسبب خطة الشديد العدوانيه فى فيتنام . هذا الموقف المتوتر مع الولايات المتحدة زادمن اهتمام موسكو للتقارب مع باريس باعتبارها احد المفاتيح الهامة للموقف الدولى المتفاقم . كما

ان السوفيت يهتمون اهتماما حيويا بالاضافة لكل ذلك ، بعقد اتفاق ثنائى فرنسى — سوفيتى ، كخطوة اولى فى اتجاه معاهدة امن جماعية تضم القارة الاوربية كلها .»

العــــامل الاقتصـــادى

ويمنح التقارب الفرنسي — السوفيتى فرصا افضل للصناعة الفرنسية . وبرغم صغر حجم التبادل التجارى بين فرنسا والاتحاد السوفيتى ، الا ان الدوائر المصرفية والصـناعية والتجـارية بفرنسا قد أبدت اهتماما ملحوظا بتوسيع ذلك التبادل .فصناعة السلع الفرنسية اصبحت تعانى من ندرة الاسواق وبالتالى تعـانى مـن تناقص صـادراتها تناقصا مستمرا . ولما كانت صادرات فرنسا من السلع الاستثمارية تشكل ٣/١ تجارتها مع الاتحاد السوفيتى ، لذا كان من الطبيعى ان يهتم الفرنسيون بزيادتها اهتماما كبيرا ،ليتمكنوا من تغيير الوضع فى علاقاتهم الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتى وسد العجز فى ميزانهم التجارى ازاءه . كما انه لما كان النشـاط الزراعى فى الاتحـاد السوفيتى يحتاج لاقامة صناعة كيماوية جديدة ، لذا سيتيح ذلك بعض الزيادة فى التبادل التجارى بينهما(فيما لو قدمت الشركات الفرنسية عروضا افضل للاتحاد السوفيتى) وذلك لان فرنسا احدى البلدان التى تستطيع بيع مثل هذه التجهيزات التى يحتاجها السوفيت . ويســتهدف الاقتصــاديون الفرنسيون من التقارب مع السوفيت ايضا الى تحقيق مميزات لهم فى مواجهة منافسيهم الانجليز واليابان والالمان الغربيين . وقد لاحظ الفرنسيون بهذا الصدد ان شركة كروب الالمانية الغربية التى كانت تمثل فى وقت ما رمز القوة العدوانية الالمانية، قد اقامت الان توكيلا دائما لها فى موســكو . والفرنسيون لايريدون ان يكونوا اقل من ناحية النفوذ التجارى من غيرهم . كما لاحظت فرنسا ، انه بينما التزمت هى باتفاقيات بيرن (التى تنص على الا تقوم الدول الغربية بمنح قروض للدول الاشتراكية لمدد لا تزيد عن الخمس سنوات) ، بينما التزمت هى بهذه الاتفاقات ، قامت انجلترا باعتماد قرض للاتحاد السوفيتى بلغ امده ١٥ عاما لشراء مصانع كيماوية ، كما أجرت نفس الشىء بصدد صفقات اخرى مع موسكو وبراغ . كما تجاوزت اليابان هى الاخرى شرط الـ ٥ سنوات اكثر من مرة . ولا تحب فرنسا ان تســتبعدها انجلترا واليابان من السوق الســوفيتية لمجرد احترامها لنصوص اتفاقية بيرن . لذا قامت فرنسا فى اكتوبر ١٩٦٤ بتقديم اعتمادات مالية للاتحاد السوفيتى لمدة ٧ سنوات بموجب اتفاقية تجارية جديدة رفعت التبادل التجارى بين البلدين بنسبة ٥٠ ٪ ، كما وقعت اتفاقات اخرى بعدها زادت بها المبادلات كذلك ، اذ بيعت مصانع باكملها للاسمدة والمنتجات الكيماوية والنسيج والورق للاتحـاد السوفيتى كما زادت واردات فرنســا من الزيت الروسى .

وسوق الســيارات الســوفيتية واســواق السيارات فى اوربا الشرقية تعتبر اسواقا هامة بالنسبة لصناعة السيارات الفرنسية، خاصةوهى تواجهمع صناعات السيارات الاوربية الاخرى ، اخطار تضخم الانتاجوالمنافسة الامريكية.فالاتجاه الناجح الى اسواق البلاد الاشتراكية هو احد العوامل الجديدة التى يمكن ان تؤمن مستقبل صناعة السيارات الفرنسية فى مواجهــة هــذه الاخطار . ولاشك ان نجاح **فيات** الايطالى فى الحصول على العقد السوفيتى الذى كانت تتمناه شركة رينو ، قد اثارحفيظة صناعة السيارات الفرنسية . والامر الذى لوحظ بالنسبة لحجم التجارة المتبادلة بين فرنسا والاتحاد السوفيتى فى السنوات الاخيرة هو انه بينما اتجه الى التناقص باضطراد من ٦٨٢ مليون فرنك سنة ١٩٦٢ ، الى ٣٠٧ مليونا من الفرنكات سنة١٩٦٣ الى١٥٣مليون فرنكفى الشهور السبعة الاولى من سنة ١٩٦٤، الا انه عادوسجل ارتفاعا جديدامع عام١٩٦٥فبلغ ٣٥٦ مليون فرنك(١). ويبغى المصدرون الفرنسيون ان يتيح لهم التقارب مع السوفيت ظروفا افضل بعد ان ازدادت شكواهم اخيرا من « ان منافسينا، حتى اولئك الاشد ارثوذكسية فى « اطلنطيتهم » يعاملون افضل منا فى موسكو » حسبما اوضحت مجلة النوفيل اوبزرفاتير الفرنســية فى عــددها الصادر فى ٥ يوليو الماضى . وسيترتب ايضا على تحسين العلاقات الفرنسية — السوفيتية تشجيع رجال الاعمال الفرنسيين على التوسع فى معاملاتهم مع دول اوربا الشرقية .

كما فتح توقيع الاتفاقية الفرنسية — السوفيتية للتليفزيون الملون والتى يلتزم الاتحاد السوفيتى بموجبهـا بالطريقــة الفرنســية S. E. C. A. M آفاقا ساطعة امام الصناعة الاليكترونية الفرنسية، اذ سيترتب على ذلك ان ملايين الاجهزة الباهظة التكاليف) سيتم صنعها وتركيبها اما فى فرنسا او فى بلاداوربا الشرقية،على ان الامرالذى ينبغى ملاحظته فيمايتعلق بالعلاقات الاوربية هو ان ذلك الاتفاق لا ينطوى فحســب على مــزايا تكنيكية واقتصادية ، ذلك ان الاتحاد السوفيتى باختياره للنظام الفرنسى فى مواجهة النظامين المنافسين وهما الامريكى من طراز N. T. S. C. والالمانى الغربى

---

١ — مجلة فرانكفورتر الجمينى تسايتونج٦/١٠/١٩٦٦ .

من طراز P. A. L. ، انما يقوى التعاون الفرنسي السوفيتي ويوسع بشكل من الاشكال، الشقة التى تفصل فرنسا عن الولايات المتحدة والمانيا الغربية . كما ان توقيع هذا الاتفاق قبل ٤٨ ساعة من انعقاد مؤتمر اللجنة الاستشارية الدولية للاذاعة ، والتى عليها ان تختار لاوربا كلها نظاما من النظم الثلاث المشار اليها ، قد وضع هذه اللجنة امام الامر الواقع وافسح المجال امام بقية الدول لاتباع نفس سبيل موسكو — باريس

الحصيلة : بداية دفن الحرب الباردة

ولقد اتت زيارة ديجول للاتحاد السوفيتي ، باعتبارها ابرز علامة فى خط التقارب الفرنسي السوفيتي . وقد عالجتها الحكومة السوفيتية — حسبما رددت وكالات الانباء — باعتبارها اكبر حدث فى تاريخ الدبلوماسية السوفيتية منذ نهاية الحرب الثانية . أما الرسميون الفرنسيون فقد اعتبروها ، اعظم مهمة دبلوماسية قام بها ديجول خلال تاريخه السياسي الطويل ، نظرا لانها تمثل بداية ذوبان ثلوج الحرب الباردة بين شطرى اوربا . وقد تم خلال الزيارة الاتفاق على عقد مشاورات منظمة بشأن المشاكل العالمية ومنها فيتنام ، وانشاء خط تليفونى مباشر من الكرملين الىالاليزيه للمناقشة فىالظروف الاستثنائية العاجلة حفظا للسلام ، واتفق على انشاء لجنة مشتركة من البلدين تجتمع دوريا لمتابعة تنفيذ اتفاقات التعاون العلمى والفنى والاقتصادى . ووقع ديجول مع السوفيت ايضا اتفاقا اصبحت فرنسا بمقتضاه ، اول دولة غير شيوعية تشارك الاتحاد السوفيتي فى استكشاف الفضاء ونص الاتفاق على اطلاق قمر فرنسي للفضاء بصاروخ سوفيتى،وهو أهم ما عقد من اتفاقات لدعم التعاون بين البلدين، كما يعتبر خطوة هامة فى تنظيم التعاون العلمى والتكنيكى الاوربى . واعتبرت الحكومتان فى تصريحهما المشترك ان اتفاقيات جنيف لسنة ١٩٥٤ هى المخرج الوحيد للمشكلة الفيتنامية . كما اتضح خلال المحادثات تماثل وجهات نظر البلدين بشأن عدد كبير من المسائل الدولية .

غير أنه فيما يتعلق بالمسألة الالمانية ، لم تؤد محادثات موسكو الى نتائج ملموسة مباشرة ، ولم يوضح التصريح المشترك شيئا عن نقاط الخلاف أو نقاط الاتفاق بين الجانبين حول هذه القضية . بيد ان المباحثات قد اتاحت الفرصة على كل حال لتبادل وجهات النظر بشأنها . وقد رفض ديجول خلالها الاعتراف بالمانيا الشرقية على اساس ان ذلك « سيؤخر ساعة تخفيف التوتر الدولى » وهو ما يتعارض مع سياسته . مما حدا بحكومة المانيا الاتحادية الى أن تحمد لديجول اتخاذه هذا الموقف

ومما تجدر الاشارة اليه انه بينما كان ديجول يؤكد على الحاجة للوفاق لحل المشكلة الالمانية كان السوفيت يركزون على ضمان الامن اولا . وقد طالب بريجنيف بأن يضع الغرب « الحصان امام العربة ويقبل اولا اطارا يضمن الامن الاوربى » .

واذا كان الجانب السوفيتي قد عبر عن رغبتهم فى عقد مؤتمر اوربى على مستوى القمة لبحث مشاكل الامن الاوربى ، الا ان ديجول اوضح انه لا بد من اتخاذ استعدادات كبيرة قبل عقد هذا المؤتمر وطالب باتباع سياسة مرحلية تدريجية .

وفيما يتعلق بعقد معاهدة تحالف فرنسية سوفيتية، تقوم وجهة نظر ديجول على اساس انه لا يرى اية ضرورة لتجديد التحالف الفرنسي — السوفيتي لعام ١٩٤٤، ولا يؤيد فكرة اقامة تحالف بين حلف الاطلنطى وحلف وارسو مادام قد اقيما كحلفين متعادين ، ويفضل عن ذلك كله ، تدعيم العلاقات بين الاتحاد السوفيتي ودول شرق اوربا من جانب وبين الدول الغربية من جانب اخر ، على ان يتم هذا التقارب على اساس فردى عن طريق التوسع فى العلاقات الاقتصادية والاتصالات الشخصية ، ولكن دون ارتباطات سياسية جماعية .

وفى الحقيقة ، تكمن اهمية زيارة ديجول لموسكو اليوم فى انها ستكون ، بوجه من الوجوه ، تحذيرا لبون حتى لا تجازف بعلاقاتها مع فرنسا عن طريق استرسالها فى مطامعها النووية، وتعقيدها لمسألة بقاء القوات الفرنسية فى المانيا . لانه اذا تم ذلك فسيؤدى الى عودة القوات الفرنسية الى بلادها ويتجدد العداء التقليدى بين البلدين وتنقطع آخر صلة عسكرية ملموسة تربط فرنسا بالغرب . كما ستكون هذه الزيارة من ناحية اخرى تحذيرا لواشنطون ايضا حتى لاتخاطر بروابطها مع فرنسا والدول الاوربية عن طريق تشجيعها للمطامع الالمانية النووية .

ان زيارة ديجول للاتحاد السوفيتي ستقوى برغم اى شئ ، مشاعر الثقة المتبادلة فى اوربا ، وهى تؤكد « بما اتسمت به من ود وحرارة » ان الدول الاوربية تدخل طورا جديدا فى علاقاتها المتبادلة ، تولى فيه ظهرها للحرب الباردة . واذا كانت الشعوب والحركات التقدمية عبر بلاد العالم قد اشادت بالتقارب الفرنسي — السوفيتي ، فذلك لانه يخدم الهدف العظيم الذى يرمى الى تدعيم السلام ومنع قيام الحرب . ولا نعتقد نحن بهذا الصدد أن وزير خارجية فرنسا قد جانبه الصواب عندما أعلن أخيرا أمام الجمعية الوطنية الفرنسية:

« انه لايوجد احد من خلفائنا ، يشاركنا آراءنا، ولكن اراءنا هذه انما هى تجسيد لصورة المستقبل، اننا نسبح الان فى الاتجاه الحقيقى لتيار تاريخ العالم » .

يناقش عبد الفتاح أبو الفضل ، عضو الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى لشئون الاعضاء ، فى هذا المقال — من وجهة نظره — قضية الاشكال الجديدة للاستغلال .

الأشكال الجديدة للاستغلال

محمد عبد الفتاح أبو الفضل

عندما يتحدث الاشتراكيون عن الغاء استغلال الانسان لاخيه الانسان فهم يعنون بذلك عزمهم على ادخال الجنس البشرى ،مرحلة جديدة من تاريخه على هذا الكوكب، ذلك ان التاريخ البشرى منذ أن كان للناس تاريخ ، انما يقوم على استغلال الانسان لاخيه الانسان .

ولست أدرى اذا كانت فكرة الانسان عن المجتمع السعيد اللااستغلالى نابعة حقا من ذكريات مجتمع حقيقى عاشه الانسان بغير استغلال ، أم هى مجرد تصور بسيط ومنطقى جدا للعالم السعيد اذ ليس أسهل من أن نتخيل عالما ليس فيه آفة هذا العالم ، أى عالم يعمل فيه الجميع ثم ينال كل انسان جزاء عمله أو ما يشتهى ان تكون له .

من هنا كان فى ضمير البشرية منذ ان وعت بنفسها ، احساس بكراهية الاستغلال وأمل فى القضاء عليه ، وكل ثورات الجنس البشرى انما كانت ضد الشكل السائد من أشكال الاستغلال . ومن هنا كانت كل حركات التاريخ تبشر بزوال



الاستغلال القائم ، حتى جاءت الاشتراكية التى بشرت بالقضاء الابدى على الاستغلال ، ورأت أنها قد وصلت الى تحديد طبيعة الاستغلال ومبعثه ، ومن ثم اصبح لديها وحدها القدرة على اقتلاعه، اذ أن فهم قوانين الظاهرة هو السبيل الى التغلب عليها .

والاستغلال هو ثمرة علاقة التحدى بين الانسان والطبيعة ، تلك العلاقة التى حتمت أن يعمل الانسان فى شكل جماعة ، اى ان يصاحب حتى ابسط المجتمعات الانسانية لون من تقسيم العمل ، فلا وجود لروبنسن كروزو ، او الاصل العربى له « حى بن يقظان » بل حتى روبنسن كروزو الراسمالى الغربى منحه المؤلف عبدا مسلما ملونا يستغله فى جزيرته النائية !!

وعبر التاريخ الثورى للانسان اختلف تعريف الاستغلال باختلاف الطبقة الثائرة وباختلاف شكل الاستغلال السائد . ولكن ما من تعريف منهما يستحق أن نخلع عليه صفة الخلود لاننا بذلك ننسى طبيعته السياسية المتغيرة .

ومن ثم فانى اقترح كتعريف للاستغلال يناسب بحثنا هذا .. اقترح ان نعرف الاستغلال بأنه الحصول على جانب من انتاج المجتمع دون مجهود يساويه .. لان ثروة المجتمع هى ثمرة جهود الشعب العامل ومن ثم فالحصول على جانب منها دون مجهود يساويها يعنى الحصول على جهد انسان آخر .. وهو الاستغلال مهما يكن اسم هذه العملية والشكل القانونى الذى تتستر وراءه .

ولن اتطرق هنا الى الوسائل التى مكنت الاقلية المستغلة عبر التاريخ من ان تفرض قسمتها الجائرة للانتاج على الاغلبية المستغلة .. ولعلى اكتفى بأن أشير الى سبب واحد هو فى اعتقادى السبب الاول .. وهو قابلية واقتناع المستغلين (بالفتح) بالاستغلال اذ لا تقوى اقلية ابدا على ان تفرض نظامها بلا استعداد لدى الاغلبية لقبول هذا الظلم والرضى به والدفاع عنه والمثل المصرى يقول :

« قالوا يا فرعون ايه اللى فرعنك .. قال لم أجد من يردنى » .

ومن ثم أجد واجبا على بعد ان ذكرت كلمة التاريخ الثورى للانسان أن أعرف الثورة لمسبباتها الوثيقة بالاستغلال ، بأنها ضرورة اجتماعية تفرضها ظروف خاصة من الانحراف والظلم واستغلال الاقلية المحدودة للاكثرية الساحقة مما يخلف مرارا فى النفس وتقوى شقة الخلاف بين الافراد ويزيد من التناقض بين طبقات المجتمع الواحد والثورة يحتمها الوصول بالاغلبية الساحقة الى درجة الرقى العقلى والجنسى فى المجتمع بحيث يستطيع هذا المجتمع ان يحس بطغيان الاستغلال والظلم ومرارة الحرمان .

وبنفس القدر يمكننا تعريف الاستمرار الثورى بأنه شعور القيادة أولا بأول بأسلوبها الديموقراطى ، بالتناقضات المؤكدة عن الاستغلال والعمل ثوريا على القضاء عليه فى الحال بما لها من صلاحيات ثورية أو تجاوب القيادة مع شعور الجماهير بما يقع عليها من استغلال أولا بأول وازالة أسبابه فى الحال .

واذا تأملنا التعريف الذى نطرحه نجد انه يفسر لنا معنى ان تكون الطبقة فى مرحلة من المراحل قوة تقدمية ثم تصبح قوة رجعية يتحتم ازاحتها ليتحقق النمو الاجتماعى والعدل الاجتماعى ..

ان الطبقة فى المرحلة الاولى تمثل قوى دافعة للمجتمع قائدة العملية التطور . ومن ثم فحصولها على جانب من انتاج الجماهير لا يشكل استغلالا لانها تقدم بالفعل مقابل له بالدور القيادى الذى تلعبه للمجتمع .

فمثلا ..

الطبقة الراسمالية ..لقد كانت من بدايتها الى نهايتها طبقة مستغلة ، ولكن الدور التقدمى الذى لعبته من البداية فى تطوير الانتاج وتصفية الاقطاع، كان يبرر هذا الاستغلال . فلما تحولت الى قوى معطلة للتطور الاجتماعى وللتقدم ..فقد استغلالها مبررة ..لانها كفت عن ان تقدم مقابلا له للمجتمع .

اشكال الاستغلال

جوهر الاستغلال اذن هو الحصول على جهد الاخرين بغير مقابل ، ولكن أشكاله تتغير ، أو بمعنى اصح الصيغ القانونية التى يتم باسمها ، او العلاقات الاجتماعية التى تمكن الاقلية من الحصول على جهد الاغلبية فى تطور مستمر لان وعى الجماهير بأشكال الاستغلال وكراهيتها لها ، ومن ثم ثورتها على هذه الاشكال تحتم على المستغلين أن يتخلوا عن الاشكال المفضوحة وان يقدموا اشكالا جديدة اكثر خبثا واشد تعقيدا . وعندما تنهار الطبقة المستغلة تنهار معها علاقات اجتماعية لتقوم علاقات جديدة واشكال جديدة ومنتفعين او مستغلين جدد .

ذلك هو تاريخ الاستغلال قبل الاشتراكية ،ربما

لان ثورة الجماهير كانت تقف عند حد فضح أشكال الاستغلال لا جوهره ،وربما لانه كما يقول البعض، لم يكن المجتمع قد وصل من الناحية المادية البحتة الى الدرجة التى تمكنه من اعطاء الجميع ، فكان لابد من الظلم اى الاستغلال .

اما فى ظل الاشتراكية فانها تبدأ من اقرار عدالة التوزيع ولو تقاسم الجميع الحرمان ، لتنتهى بالكفاية للجميع من خلال التنمية الانتاجية ، والاشتراكية تواجه الاستغلال بكشف حقيقته وجوهره لا بمجرد الوقوف عند معاداة شكل من أشكاله .

الاستغلال الخارجى والداخلى

وينقسم الاستغلال تاريخيا الى نوعين ، الاستغلال الخارجى ،وهو استغلال قومية لقومية سواء كان هذا الاستغلال يتم لصالح القومية الأقوى أو لصالح طبقة منها ، الا أن فائض القيمة المنتزع هنا تأخذه فئة مستغلة من خارج الوطن .

اما الاستغلال الداخلى ، فيعود فائض القيمة المنتزع الى طبقات من نفس أبناء الوطن (لنقل أن فائض القيمة الاجتماعى هو الفرق بين قيمة عوامل الانتاج للمجتمع كله وبين القيمة المنتجة)

والاستغلال الخارجى هو الابشع والاكثر اثارة لانه استنزاف لثورة مجتمع لحساب قوى أجنبية عنه ، ولانه يقترن بمنع تقدم المجتمع المستغل وفرض التخلف عليه،بينما يكون الاستغلال الداخلى فى مرحلة من المراحل من عوامل التقدم المادى للمجتمع .

أشكال الاستغلال الخارجى

والاستغلال الاجنبى هو ما اتفق على تسميته بالاستعمار،ولو أن اصطلاح استعمار(كولونيلزم أو امبريالزم) هو اصطلاح حديث ، الا انه يمكن بتجاوز أن نطلق صفة الاستعمار على عمليات الاستغلال التى تتم لحساب الاجنبى .

وكانت أبسط صور هذا الاستغلال هى النهب الصريح بحق الفتح ، تلك التى بدأت منذ أول حرب بين مجتمعين ، عندما كانت جيوش المنتصرين تعود بكل ما تستطيع حمله حتى النساء والاطفال .

ولعل آخر صور هذا النهب الساذج الواضح هى ما فعلته جيوش البرتغال والاسبان فى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية او ما نقله حسين فوزى عن ابن اياس فى حديثه عن عودة السلطان الظافر سليم بعد فتح مصر حيث قال « ونزل رخام القلعة ووضع فى صناديق وحمل الى المراكب .. وحملت مراكب سليم بن عثمان حتى الشبابيك الحديد والطبقان والابواب والسقوف وحمل معه بطريق البر ، على الف جمل احمالا من الذهب والفضة والتحف والسلاح والصينى حتى الشراب والسكر والنسيج !

وطوال حكم العثمانيين لمصر كان على البلد المقهور أن يقدم الطعام والكساء والمكيفات الشاذة الى جنود الاحتلال (يقول ابن اياس انه أعدت لهم دنان بها بوظة واجفان بها حشيش ، وخيام بها بغايا وأخرى صبيان مرد لاجل المحارفة كعاداتهم فى بلادهم) ..

ولكن التطور فى النظام الراسمالى بغرب أوربا ادخل شكلا جديدا للاستغلال وهو الصورة الاولى من الاستعمار الحديث ،اعنى نهب خامات البلدان المستعمرة وتحويلها الى سوق مقفول لسلع البلد الاستعمارى .وبالطبع فان ربح الدول الاستعمارية يتضاعف بقدر ما تجبر الدول المستعمرة على أن تبيع لها خاماتها بأرخص الاسعار وتشترى منها سلعها بأغلى الاسعار .ولايتحقق ذلك الا باحتكارها لسوق المستعمرة وسيطرتها على تجارتها وبالتالى منعها من الصناعة التى تستهلك خاماتها وتغنى سوقها عن بضائع أوروبا وأهم من ذلك كله فان الصناعة تمكن الدولة المستعمرة من صنع الاسلحة التى تواجه بها أساطيل الدول الاوربية.

ولم يكن ثمة سبيل لاجبار دول الشرق على قبول هذا الاستغلال المهين الا بالقوة ، بالاحتلال والحماية والضم .

وتحت تعبيرات غريبة شاذة مثل « الممتلكات المستقلة » تمت سيطرة دول الغرب الصناعية على بقية دول العالم الزراعية ، وجرى نهبها ومنعها من التقدم .

لم يكن الاستعمار البريطانى يهاجم الحقول ولا يسرق المحصول أو ينهبه من الفلاحين . أبدا العملية كانت تتم قانونية تماما ... بيع وشراء ، وأسعار وبورصة ، وهبوط وصعود ، ثم يتمخض ذلك كله عن سرقة تفوق كل سرقات السلطان ، ونهب منظم لثورة البلد .. استغلال امة بأكملها

لصالح الدولة الاستعمارية . ومن هذا الاستغلال يتحقق التقدم والرخاء والرفاهية فى الدول الاستعمارية .

ولا شك ان نقل الخامات من المنجم أو الغابة أو الحقل .. فى العالم الثالث الى المصنع فى أوروبا يحتاج الى ميناء تصدير والى طريق تسير فيه وسائل النقل ولو اشدها بدائية ، ثم الى طبقة من الموظفين تقوم بالعمليات الصغيرة وغير النظيفة عند الحقل أو فى أعماق الغابة .

وصاحب هذه التطورات فى المستعمرة ، تطورات أخرى فى البلدان الاستعمارية نقلتنا الى المرحلة الجديدة من مراحل الاستعمار وهى الامبريالية وقد لخص لينين صفات هذه المرحلة ولعلى أركز هنا على صفتين :

● تصدير رؤوس الاموال الى المستعمرات لتنفيذ مشروعات مثل السكك الحديدية والتلغراف والطرق والموانى ... وتجميل الحياة فى المستعمرات حتى يقضى المستعمرون وقتا طيبا خلال ممارستهم لعملية الاستغلال والحكم ...

● والصفة الثانية هى اعادة تشكيل المستعمرات اقتصاديا ونفسيا وفكريا بحيث تصبح جزءاً لا ينفصل من اقتصاد الدول الاستعمارية جزءا تابعا ومتمما ، ومن ثم تنشأ علاقة كتلك التى تربط الانسان بحيواناته الاليفة ، صحيح أنه يستغلها أبشع استغلال ولكنها لا تستطيع الحياة من دونه انها تأكل ما يريدها ان تأكله وتعيش كما يخطط لها وتتخصص فى انتاج ما يحتاج اليه ، بل يعيد تشكيل خصائصها البيولوجية وتوجيه غرائزها .

وكما توجد فى المزارع البريطانية أنواع من الاغنام تنتج صوفا فقط حتى لكأنها شجرة صوف ، وأنواعا أخرى توصف بأنها مصنع يحول البروتين النباتى الى بروتين حيوانى ، ولان الانسان لايحتاج لحركتها فقد تقاصرت أرجل هذا النوع من الخراف الى درجة العجز عن القيام ، وانحصر دورها فى تكوين طبقات اللحم والشحم .

كذلك — وللاسف — وجدت فى الأمبراطورية البريطانية دولا تخصصت فى خامة واحدة تحتاجها مصانع بريطانيا . ٦٠ ٪ من صادرات ساحل العاج من البن ، ٦٠ ٪ من صادرات غانا كاكاو ، وصادرات نيجيريا والسنغال كلها تقريبا من الفول السودانى وزيت الفول السودانى والقطن ٥٤ ٪ من صادرات السودان والنحاس ٨٠ ٪ من صادرات زامبيا (١)

فى مرحلة الامبريالية قام الاقتصاد العالمى المتكامل والسوق العالمى الموحد ولكنه كان كتكامل الرجل والحصان أو الرجل والخراف ، منتهى التخصص فى جانب لحساب الجانب الاقوى .

الاستعمار الجديد

ان عملية التحول هذه التى تمت فى ظل الامبريالية هى التى مكنت لظهور الاستعمار الجديد وهو موضوع بحثنا رغم هذه المقدمة التى ارجو الا تكون قد طالت اكثر مما ينبغى .

ويجب القول ان ظهور شكل جديد من اشكال الاستغلال لا يعنى الاختفاء الحتمى والمطلق للاشكال القديمة ، فما زلنا نرى الاستعمار فى اقدم صورة فى المستعمرات البرتغالية ، وما زالت بلدان عديدة تعيش تحت وطأة الامبريالية .

اما الاستعمار الجديد فهو الشكل الجديد للاستغلال الاجنبى ، انه الشكل الذى تتعرض له حتى الدول المستقلة سياسيا ، بل حتى الدول التى تمضى جادة فى طريق تحرير اقتصادياتها الداخلية . بل وأيضا انه لون من الاستغلال تخضع له الدول الاشتراكية ويتردد انه يهدد نفس العلاقات الاقتصادية بين الدول الاشتراكية وبعضها البعض .

انه ميراث عملية التشويه الاجرامية التى تمت فى ظل الامبريالية ، هذا التشويه الذى جمع التقدم التكنولوجى فى جانب والتخلف فى جانب آخر ، ومكن الدول الاستعمارية من أن تجنى الان ثمرة هذا التفوق الساحق .

انه استغلال التفوق التكنولوجى والسيطرة المطلقة على السوق العالمية والتحكم فى اقتصاديات البلدان المتخلفة من خلال هذه السوق وما يسمى بالسعر العالمى ، أو معدل التبادل غير العادل وغير المستقر بين السلع المصنوعة والخامات .

« من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٦٠ ارتفع الرقم القياسى لاسعار السلع الصناعية فى الاسواق العالمية من ١٠٠ الى ١٢٤ اى بنسبة ٢٤ ٪ فى حين انخفض سعر البن والكاكاو والفول السودانى بمقدار ٣٠ ٪ أى أصبح على الدول الافريقية أن تدفع ١٣٠ ٪ مما كانت تدفعه منذ عشر سنوات

---

(١) مشكلات افريقيا الاقتصادية

لتحصل على ٧٦ ٪ مما كانت تحصل عليه من السلع الصناعية »

ومنذ سنة ١٩٥٧ ظلت افريقيا تخسر نحو ٢ ٪ في المتوسط من دخلها السنوى من الصادرات حتى بلغت خسارتها الان ٢٠٠٠ مليون من الدولارات(٢).

« ربحت المانيا الغربية في عام ١٩٦١ (١٣٠٠ مليون مارك) في تجارتها مع افريقيا نتيجة هبوط اسعار الحاصلات الافريقية ..

وخسرت البلاد النامية خلال العام الماضي وحده ١٤ الف بليون دولار نتيجة انخفاض اسعار الخامات « اذا أخذ بأسعار ١٩٥١ كأساس نجد أن دول القارات الثلاث المتخلفة قد خسرت نتيجة ارتفاع اسعار الصناعة وانخفاض اسعار الخامات حوالى ٤١ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار وهبط نصيب الدول النامية من التجارة العالمية من ١/٣ التجارة العالمية في سنة ١٩٥٠ الى اقل من ١/٥ في سنة ١٩٦٢ وهذه النسبة لا تعطى حتى معدل التنمية العادى المتواضع وهو ٥ ٪ وتقدر الامم المتحدة العجز بين صادرات الدول النامية ووارداتها في سنة ١٩٧٠ بحوالى ٢٠ر٠٠٠ مليون جنيه ..

في سنة ١٩٥٥/٥٤ كان انتاج غانا من الكاكاو ٢١٠ر٠٠٠ طنا وكان ايرادها من هذا المحصول ٨٥ ١/٢ مليونا من الجنيهات . أما في عام ٦٤/ ١٩٦٥ عندما بلغ محصولها ٥٩٠ر٠٠٠ طن قدر ايرادها بمبلغ ٧٧ مليونا من الجنيهات ..

فهذا المعدل الظالم اصلا ينهار باستمرار لحساب الدول الغنية الصناعية لتزداد ثراء وتزداد الدول المتخلفة فقرا .

ويمكن ان نحدد خصائص الاستعمار الجديد في:

● استغلال التخلف الموروث الذى فرض على دول العالم الثالث بحيث أصبح ميزان العلاقات مختلا ويميل بالحتمية لصالح الدول الصناعية .

يبلغ الانتاج الصناعي في إفريقيا بالنسبة للفرد الواحد ٤ ٪ بالقياس الى أوربا وامريكا والقيمة الاجمالية للانتاج الصناعي السنوى في جميع الدول الافريقية ما عدا جنوب افريقيا زهاء ٣٠٠٠ مليون دولار .. وهذه القيمة اقل من قيمة الانتاج في السويد وحدها .

أظن أن هذه المقارنة تصلح أن تكون صدمة صادقة تفيق على هولها ، وندرك اى هوة ساحقة من التخلف قد تردت فيها افريقيا بفعل الحكم الامبريالي ، وأى خطورة تكمن في هذا التخلف ، لان الثراء والقوة يقترنا بالصناعة ودولة واحدة مثل السويد تنتج أكثر من كل مصانع أفريقيا .

ارتفع انتاج الفرد في العشرين سنة الاخيرة بمقدار يتراوح ما بين ١٠ الى ٢٠ في المائة ولكن انتاج الفرد في البلاد الصناعية قد ارتفع في نفس المدة بمقدار ٦٠ ٪

● تزايد الهوة بين الدول المتخلفة والمتقدمة نظرا لبطء عملية التنمية في الدول المتخلفة (تحتاج الى ٥٠ سنة بمعدل ٨ ٪ لتصل الى المستوى الحالى لدول أوروبا) وأيضا دخول الدول المتقدمة في عصر الثورة الصناعية الثانية ، القائمة على الالكترونيات والذرة واحتمالات السيطرة على الفضاء .

وقد تضمن الميثاق أول اشارة واعية لهذا الخطر عندما قال : « الثورة هي الوسيلة الوحيدة لمقابلة التحدى الكبير الذى ينتظر الامة العربية وغيرها من الامم التي لم تستكمل نموها ذلك التحدى الذى تسببه الاكتشافات العلمية الهائلة التي تساعد على مضاعفة الفوارق ما بين التقدم والتخلف فانها — بما توصلت اليه من المعارف تيسر للمتقدمين ان يكونوا اكثر تقدما ، وتفرض على الذين تخلفوا ان يكونوا بالنسبة اليهم أكثر تخلفا

● ولان الدول المتخلفة فقيرة الى حد مذهل في الصناعة فان وسيلتها الوحيدة لشراء التكنولوجيا وتحقيق التنمية ،هي دفع ثمنها بالخامات ،وبالتالي فان انخفاض سعر الخامات أوتدهور نسبة التبادل بين الخامات والسلع الصناعية يؤخر عملية التنمية . والثابت أن أسعار الخامات في تدهور مستمر ، وأن معدل التبادل يسير لغير صالح الدول المتخلفة — اى أن مواردها لا تفي بتمويل احتياجات التنمية ..

● والسبيل الاخر هو التمويل الخارجي اى القروض ، ولكن الطبيعة الاستغلالية للدول الاستعمارية لا يمكن أن توجه القروض لصالح الدول المتخلفة بل نرى أنها تتجه في اتجاهين :

١ — اتجاه بعيد عن الصناعة الثقيلة التي تعد المخرج الوحيد من أسر التخلف الى التقدم . وقد أورد كتاب مشاكل افريقيا الاقتصادية احصائية تقول بأن نصيب المعدات اللازمة للتنمية الصناعية

---

(٢) مشكلات افريقيا الاقتصادية

فى معظم البلاد التى تتلقى معونة من الدول الاستعمارية لا يتجاوز ٥ ٪ أو ١٠ ٪ من مجموع المعونات المقدمة ».

وتوزع بنود المعونة التى يقدمها صندوق التنمية الاوروبى فى سنة ١٩٦٢ على النحو التالى :ـ

- ـ النقل والمواصلات ٤٢ ٪
- ـ الزراعة والرى ٢٤ر٩ ٪
- ـ الخدمات الاجتماعية ٣٠ر٦ ٪
- ـ متنوعات ٥ر٥ ٪

وواضح انها جميعا تخدم احتياجات النمو فى البلدان الاستعمارية من ناحية نقل الخامات واستيراد المصنوعات واستثمار القروض ، وبعيدة تماما عن خدمة الهدف الحقيقى لاى محاولة جادة للتنمية وهى التصنيع والصناعة الثقيلة بالذات .

٢ ـ ان عملية التمويل الاجنبى قد انقلبت بفعل التخلف الى تمويل البلدان المتخلفة للدول المتقدمة أى تصدير رأس المال من الدول المتخلفة الى الدول المتقدمة وليس العكس كما يظن .

ان تقدير العجز المتوقع بين صادرات الدول النامية ووارداتها فى سنة ١٩٧٠ ، وفقا لاحصائيات الامم المتحدة بـ ٢٠ر٠٠٠ مليون جنيه معناه ان الدول المتخلفة ستدفع ٢٠ر٠٠٠ مليون جنيه للدول المتقدمة . وقد نشرت أكثر من احصائية توضح ان مجموع أقساط القروض وفوائدها المدفوعة من الدول المتخلفة للدول المتقدمة المقرضة سنويا يفوق مجموع المعونات والقروض المقدمة من الدول المتقدمة فى نفس السنة .

صدرت الولايات المتحدة من رأس المال الخاص من سنة ١٩٥٣ الى ١٩٦٢ ما قيمته ٤ر٥٠٠ مليون دولار للاستثمار المباشر فى الدول النامية .. وفى نفس هذه المدة أرسلت الاحتكارات الامريكية الى الوطن ١٤ر٠٠٠ مليون دولار قيمة الارباح الخاصة باستثماراتها فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية والفرق هو ١٠ر٠٠٠ ملايين دولار ... بمعدل ١٠٠٠ مليون دولار تدفعها الدول المتخلفة سنويا لامريكا وحدها (٣)

يقول نكروما : ان جملة ما سحب من الدول المعانة فى ١٩٦١ هو ١١ر٨٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار بينما جملة ما أعطى هو ٦ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار .

ويوضح خطورة الاعتماد على التمويل الاجنبى وحده ما ذكرته مجلة « الاسبوع الاقتصادى »

انه بينما حصلت الهند على مساعدات اقتصادية تفوق بكثير ما حصلت عليه الصين تنتج الصين اليوم ١٥ مليون طن من الصلب بينما تنتج الهند ٤ ملايين فقط مع ان انتاج الصين عام ١٩٥٣ كان أقل من انتاج الهند فى نفس السنة وتنتج الصين ٣٥٠ مليون طن من الفحم الحجرى بينما تنتج الهند ٦ مليونا فقط (٤) .

من هنا فنحن لا نقر تلك العبارة المتسرعة التى وردت فى كتاب « مشكلات افريقيا الاقتصادية » التى تقول : والبلاد الافريقية تحتاج فى المرحلة الراهنة من تطورها الى رأس المال الاجنبى ولا يمكنها الاستغناء عنه اطلاقا وان كان كثير من الاحصاءات الافريقية العامة تشير الى آثاره الضارة فى تنميتها القومية (٥)

ان هذا الاعلان بصيغته الاطلاقية لا يساعد على حل المشكلة حلا جذريا والمشكلة التى تواجهنا هى استعمار جديد لا يستند أساسا الى الاحتلال العسكرى ولا الى السيطرة المباشرة السياسية ولا الى فرض سياسة اقتصادية بالقوة (وان لجأ لذلك كله فى بعض الاحيان أو أن أثمر ذلك كله) بل يستغل فارقا أصبح كأحد قوانين الطبيعة ، وهو فارق التقدم والتخلف .

ومن ثم فلابد ان تكون المواجهة لهذا الاستعمار الجديد منبثقة من نفس هذه التحديات التى يفرضها .

بمعنى ..

● أن تعى الدول المتخلفة ان سبيلها الوحيد للتحرر من الاستعمار الجديد هو تحقيق الصناعة الثقيلة .. هو تخطى جميع معدلات التنمية المفروضة عليها هو السباق مع الزمن من اجل التنمية . ان الدول التى ستقنع بمعدل تنمية ٨٪ يشك كثيرا فى انها ستلحق بالدول المتقدمة حتى ولا بعد نصف قرن لان الهوة تتسع باستمرار . وقد قررت لجنة المعونة الخاصة بالتنمية أنه اذا استمرت الدول الصناعية فى زيادة انتاجها بمقدار ٣ ٪ فى العام واذا استمرت الدول غير الصناعية تزيد انتاجها السنوى بمقدار ٥ ٪ احتاجت الدول المتخلفة الى ٢٠٠ سنة كى تلحق بالدول المتقدمة (٦)

---

(٣) مشكلات افريقيا الاقتصادية
(٤) دراسات عربية
(٥) مشكلات افريقيا الاقتصادية ـ د.ب.ل.الكسندر رونسكايا . ف . ريباكوف .
(٦) نكروماه .. الاستعمار الجديد

٢ — ان الدول المتخلفة يجب ان تحطم الشكل المشوه الذى فرض عليها فى مرحلة الامبريالية ، بأن تتخلص منسياسة المحصول الواحد وتتخلص من التفتت الذى رسم خريطتها ليبقيها معزولة ممزقة فى دائرة الدول الاستعمارية ، فى أفريقيا ٥٥ بلدا منها ثلاث بلاد فقط هى الجمهورية العربية المتحدة ونيجيريا والحبشة يزيد تعداد سكانها عن ٢٠ مليونا و ٢٥ بلدا يقل سكانها عن ٥ ملايين نسمة و ١٣ دولة أقل من مليون نسمة .

متوسط عدد سكان افريقيا الغربيــة ما عدا نيجيريا ٢ر٣٠٠ر٠٠٠ نسمة لكل دولة .

ان مثل‌هذه الشرائح لاتشكل دولا حقيقيةولاأمل لها فى اى سباق من أجل التنمية .

ان الوحدة العربيةلا تعدومجرد أمل ،بل ضرورة وجود ، لان وجود الوحدة هى السبيل الحقيقى والوحيد لقيام مجتمع قادر على تحقيق الرفاهية.

ومعارضة الوحدة العربية وتشجيع اوهام النمو الذاتى فى الشرائح العربية التى لايصل تعدادها لعشرة ملايين نسمة . انما تخدم أهداف الاستعمار الجديد وتعمل على ابقاء هذه الشرائح فى قبضته وتمكنه من استغلالها .

ان البترول العربى لاقيمة حقيقية له الا اذا امتزج بالطاقة البشرية العربية كلها وبالامكانيات الزراعية والصناعية والفنية الهائلة فى الوطن العربى كله ، والا تحول الى اداة افساد اجتماعية وسياسية .

كذلك فان العمل الافريقى المشترك ، ومن خلفه تحرك دول القارات الثلاث ضرورى لمواجهة الاحتكارات العالمية لانه رغم‌وجود الخامات بصفة اساسية فى دول العالم الثالث ، الا انه لاتوجد دولة واحدة من دول هذا العالم الثالث فى مركز احتكارى مطلق بالنسبة لخامة بعينها يمكنها من فرض شروطها على الدول المتقدمة فلابد من اتحاد الدول المصدرة للخامات ولفرض تعديل‌فى الاسعار العالمية وفى نسب التبادل لصالح هذه الدول .

رفع شعار الاعتماد على النفس وان يكون التمويل الداخلى هو الاساس والتمويل الخارجى عاملا مساعدا . ان نجاح الصين فى مواجهة مشاكل التنمية رغم انعدام التمويل الخارجى يجب ان يكون قدوة لجميع الدول النامية ،واضعين فى الاعتبار حجم الصين الذى يؤهلها لخوض السباق الذى اشرنا اليه . ومع ذلك فليس الحجم وحده هو العامل الحاسم بل الارادة الذاتية ، ارادة النصر التى تلهب حماس الشعب الصينى وتدفعه الى تحقيق المستحيل منطلقا من شعار التنمية الذاتية والاعتماد على النفس ولعله ليس مصادفة ان تكون الصين اكثر الدول الحاحا على تعبير الاستعمار الجديد هى اكثر الدول تحقيقا للتنمية الذاتية ونجاحا فى مضمار التنمية بمعدلات نموتثير اعجاب الأصدقاء وذهول الاعداء .

● فى مواجهة الاستعمار الجديد ، فان التعاون الوثيق مع الدول الاشتراكية وبالذات مع الاتحاد السوفيتى بامكانياته الصناعية والتمويلية الهائلة يشكل دعامة اساسية لحركة التحرر من الاستعمار الجديدفان قروضه‌السخية واستعداده لتمويل الصناعة الثقيلة تحطم الاحتكار الاستعمارى ، وتدعيم كفاح الشعوب ضد الضغوط الاحتكارية .

الا ان العلاقات الاقتصادية بين الدول الاشتراكية تحتاج الى مراجعة ثورية .. ذلك ان بعض الدول الاشتراكية المتقدمة صناعيا ، والتى لاترتبط كما يرتبط الاتحاد السوفيتى بتاريخ عريق فى مكافحة الاستعمار ، تغريها لعبة السعر العالمى ، وتحاول استغلال تفوقها الصناعى بان تبيع سلعها كما يبيع الرأسماليون وتشترى‌خامات الدول النامية بسعر الشراء الذى تشترى به الدول الاستعمارية .

ان هذا الاغراء يشكل انحرافا خطيرا يهدد العلاقات الاشتراكية ، بل يهدد التطور الاشتراكى داخل هذه البلدان ذاتها .

وفى لقاء مع الحزب الشيوعى الفرنسى اثيرت قضية السعر العالمى ، وطالبت القوى الاشتراكية فى العالم كله بان تتدخل لكى تفرض على العالم السعر الاشتراكى الجديد،محطمة السعر الكاذب الذى تفرضه الاحتكارات العالمية . وقال ممثل الحزب الشيوعى الفرنسى ان هذه القضية تناقش فعلا وان نمو وتقدم‌الدول الاشتراكيةكفيل بتحطيم الاحتكار الرأسمالى .

هذه هى الخطوط العريضة للشكل الجديد من الاستغلال الخارجى .. اى الاستعمار الجديد .

يبقى بعد ذلك الحديث عن الاشكال الجديدة للاستغلال الداخلى مكتفين الان بان نقرر انه فى ظل الاشتراكية قامت أشكال جديدة للاستغلال داخل المجتمع الاشتراكى . ومهمتنا كاشتراكيين ان نتعرف عليها ونستأصلها سيرا نحو الهدف الدائم وهو القضاء على كل اشكال استغلال الانسان لاخيه الانسان .

نشأة السلطة في المجتمع



د. علي عبد القادر

أعمل كثير من المفكرين في انحاء العالم المختلفة وعلى مر العصور قدراتهم على تفهم كيفية نشوء المجتمع البشرى وأسباب ذلك ، والصور المختلفة التى عاشت فيها المجتمعات الانسانية ومقوماتها . ويهتم الفكر الحديث بمثل هذه الدراسات لتفهم ظواهر الاجتماع هذه ،ومحاولة التوصل الى أفضل السبل وأوفق النظم التى تحقق المزايا الكفيلة باسعاد الانسان .

وموضوع علاقة الفرد بالسلطة الحاكمة يكاد أن يكون من أهم تلك الدروس المستفادة من معالجة الموضوعات المتصلة بنشوء المجتمع البشرى وتطوره . وسواء تم هذا الاجتماع بين الانسان واخيه الانسان وتكونت تلك الصلات بين البشر بعضهم وبعض عن طريق التعاون أو عن طريق القوة والاجبار ، وسواء تم الترابط بين الناس عن طريق الاتفاق والتعاقد على تكوين مجتمع منظم أو كان هذا بطريق الارغام والتحكم كما يذهب فى ذلك فلاسفة السياسة مذاهب شتى ، فأن الحقيقة البسيطة التى لا يكاد يختلف فيها احد هى أن التقاء رجل بامرأة أدى الى تكوين رابطة من نوع معين ، وأوجد صلة لها ظروفها الخاصة بهاتحت تأثير عوامل داخلية كالدوافع الجنسية أوالتفوق فى القوة الجثمانية أو القدرة العقلية مثلا ،وتحت تأثير عوامل خارجية تحكمها أحوال البيئةالزمنية والمكانية .

المجتمع البشرى الاول

اذا تصورنا شكل المجتمع البشرى الاول على هذا الاساس مثلا وجدنا مجتمعا صغيرا محدودا من ذكر وأنثى وعدد من الابناء ، وسواء كانت هذه الاسرة أموية أو أبوية فقد كان رب الاسرة (رجلا أو امرأة) يذهب لجمع الطعام أو صيده أو قنصه ليعود به الى ذويه . وفى هذه الصورة نجد الام أو الاب الذى يكد ويشقى لجمع القوت ليعطيه لافراد أسرته فيكفى حاجته وحاجاتهم ،

وهو (أو هي) بمعنى آخر يمد ذويه بأسباب حياتهم واهم اسس بقائهم : الطعام والمأوى .

فى هذه الصورة الصغيرة يكمن المعنى الاول من معانى السلطة . فمما لا شك فيه ان ((المعطى)) يسأل عما يعطى بصورة أو بأخرى ــ بطريق مباشر أو غير مباشر . من هنا تنشأ علاقة ((المعطى)) ومن يتلقى العطاء ، أو بمعنى آخر صورة السلطة المانحة ومن يعيش فى كنفها ورعايتها . وكما حصلت الرعية على اسباب معيشتها وبقائها من رئيس الاسرة ، كان عليهم واجب طاعته وتنفيذ أوامره ومراعاة البعد عن نواهيه بقدر امكانهم .

وبمرور الزمن واتساع نطاق الاسرة وتعدد افرادها احتاجت الى حيز أكبر من الارض المحيطة بها تزاول عليها مهمة جمع الطعام أو صيده وقنصه . فاذا تداخلت مجالات نشاط تلك الاسر فى مزاولة عملية الحصول على الرزق هذه تحت تأثير الضغط العددى لافراد تلك الاسر أو بسبب دوافع نفسية اخرى كحب السيطرة والتفرد أو بسبب الغيرة على الجنس الاخر مثلا ، اضطرت هذه الاسر الى الدخول فى صراع مع بعضها البعض لبلوغ الهدف المنشود ايا كان ذلك الهدف. وكنتيجة لذلك الصراع ، تتفوق قوة (أو أسرة) على القوة الاخرى المتصارعة معها . ولما كانت الاهداف المنشودة فى تلك الحياة الاولية محدودة الى درجة كبيرة وتتلخص فى الحصول على شيء معين أو التخلص من شيء أو من منافسة معينة ، ولما كان غرض المنتصر فى ذلك الصراع يتحقق تماما بانتصاره : فقد حرص المنتصر آنذاك على القضاء قضاء مبرما على عدوه المنهار ، عملا على تأكيد سلامة حصوله على رزقه ولتأمين ذويه وما يملكون او يبسطون نفوذهم عليه من المصادر الطبيعية للرزق مثلا . والمنتصر هنا لا يبقى على حياة من تبقى من أعدائه المنهزمين لانعدام الحاجة اليهم من جانب ولتوفير اعالتهم واعاشتهم من جانب آخر ، وللتخلص نهائيا من امكانية منافستهم له فى الامد البعيد بعد ذلك .

ولكن اتساع حجم الاسرة وتطورها الى الشكل القبلى نتيجة للتدرج الزمنى فى مجالات التاريخ البشرى ، وتحت تأثير الظروف الاقتصادية والحضارية والنفسية على تنوعها : أدى بالفكر الانسانى كذلك الى مراجعة الطريقة التى كان المنتصر يتبعها مع عدوه ، وبدلا من أن يقضى عليه تماما ــ اكتفى بهزيمته مع الابقاء على حياته لاستخدامه فى أغراضه ولاداء بعض المهام الدنيا التى كان يحتاج اليها المنتصر فى حياة أكثر تشعبا وتشابكا عن الحياة السابقة لها ــ خاصة عندما انتقل الانسان من مرحلة جمع الطعام وصيده الى مرحلة انتاج ذلك الطعام مما أدى به الى شيء من الاستقرار والى درجة أكثر تقدما من التنظيم الاجتماعى .

مرحلة المشاعة البدائية

فاذا نظرنا مرة أخرى الى المرحلة الاولى لحياة الانسان على هذه الارض وجدنا ما يمكن أن يطلق عليه ((**المشاعة البدائية**)) حيث كان عدد السكان محدودا بينما كانت المنافع والخيرات تملأ الارض جميعا على صورتها البدائية سواء كانت فاكهة على شجرة أو أسماكا تجرى فى مياه بحر أو نهر أو بحيرة ، أو كانت طائرا فى السماء . وكان الحصول على هذا الرزق يستلزم جهدا وعملا لاستخلاصه من حالته الطبيعية تلك .

ولما كان وجود ذلك الرزق ووفرته متاحة للجميع أصبح للجهد البشرى الذى يبذل فى الحصول على الفرض شأن كبير . فمتى اقتنص الفرد فريسته أو حصل على عدد من الثمار نتيجة لبذل جهده وعمله ، حول هذه الفريسة أو تلك الثمار من حالة الشيوع الكامل التى كانت عليها الى حالة الملكية الخاصة أو بمعنى آخر تحول ذلك الشيء الذى كان شائعا الى شيء جديد مختلف الى حد بعيد عن سابقه : فالغزال الذى تمكن الانسان من اصطياده ليس كبقية الغزلان الاخرى التى كانت تملأ الغابة ، وثمرة الفاكهة مثلا ليست كبقية الثمار على نفس الشجرة أو الاشجار المماثلة ، وكذلك السمك والطيور ونحوها عندما يحصل عليها الانسان بطريقة أو بأخرى ــ كل شيء يتحول الى مفهوم جديد ومعنى مختلف عن طبيعته البدائية التى كان عليها : انه ذلك الشيء القديم مضافا اليه جهد الانسان وعمله الذى نقله من حالة الشيوع الكامل الى حالة الملكية الخاصة .

الملكية الخاصة ونشأة السلطة

مع انتقال هذه الاشياء الى حالة الملكية الخاصة تبدأ بوادر السلطة فى الظهور فى المجتمع البشرى كما قدمنا ــ سلطة المنح والعطاء الى أولئك الذين يتلقون هذا العطاء من أفراد الاسرة . أو اننا نستطيع ان نستعمل اصطلاحا سياسيا فنقول أنه كانت هناك سلطة صاحبة سيادة واتباع لتلك السلطة . وكما كان للاتباع حق الحصول على أسباب المعيشة قبل صاحب السيادة فى ذلك المجتمع الشبه بدائى ، كان على الرعية واجب طاعة صاحب السيادة هذا وتنفيذ اراداته على قدر طاقتها .

بداية ظهور الرق

وكما شهد الانتقال بداية حياة الاستقرار وانتاج الطعام معاملة الاعداء بطريقة جديدة تحفظ حياة من يتبقى منهم بعد الصراع ، فقد شهدت ايضا بداية ظهور المعانى الاولى للرق والعبودية . فالمنتصر لا يلتزم بشيء ما أو بواجبات على أية درجة بالنسبة لهؤلاء الاسرى والسبايا بل على العكس من ذلك فهم مدينون له ببقائهم ذاته على قيد الحياة . ومن ثم مثلت هذه الفئة من الاعداء المنهزمين طبقة تدين بالولاء والطاعة لصاحب السيادة وذويه . وعليها أن تؤدى ما يطلب اليها عمله ، دون أية حقوق معينة لها قبل صاحب السلطة فى ذلك المجتمع ورعيته من أبنائه وذويه سوى تقبل ما تمنح اياه من مأكل ومأوى وملبس .

وكأننا بهذا الصراع البدائى على أسباب الحياة والمعيشة سواء كان ماديا اقتصاديا أو معنويا نفسيا قد ادى بصورة أو بأخرى الى الشعور بالملكية الخاصة واكتشاف الدوافع المؤدية لها كمكونات رئيسية فى شخصية الانسان وذاتيته . وهو فى سبيل تأكيد وجودها والاستزادة منها دائما يعمل جهده ويفنى عمره . وما الاسرة فىحد ذاتها الا استشعارا لهذه الملكية الخاصة بدرجات متفاوتة ومتنوعة بالاضافة الى مشاعر ومكونات عاطفية وجنسية أخرى .

ولكن كيف مارست السلطة وظيفتها فى تنظيم مجتمعها ؟ .

سؤال حاول المفكرون السياسيون والفلاسفة الاجابة عنه منذ أزمنة بعيدة : فنجد أن ((أرسطو)) مثلاً يجمع بينهذه الدرجات من الاجتماعالبشرى على أساس أن الدوافع الجنسية هى التى أدت الى تكوين الاسرة ، بينما استدعت كفايةالحاجات المعيشية الى تعاون هذه الاسر مع بعضها البعض، أو بمعنى آخر كانت هناك سلطة لرب الاسرة على ذويه، بينما كانهناك اجتماع وترابط لاربابالاسر مع بعضهم البعض لادارة شئون قريتهم ولتنظيم اتصالهم كوحدة مع الوحدات الاخرى المماثلة بدافع الكفاية الذاتية .

ويكاد ((**فيلمر**)) Bishop Filmer أن يتفق مع هذا الاتجاهحيث أوضحأن أبناء يعقوب كماتحدثت منهم التوراة قد « عاشوا سويا وكونوا شعبا » . وعندما نمت الاسر وتحولت الى أمم أصبحرؤساء تلك الاسر ملوكا على هذه الامم (١) .

ولكن ((**فيكو**)) Vico **يعارض هذا الرأى** ،ويذهب الى أن الاباء فى العصور الاولى للبشرية ، والتى اتسمت بالبطولة والمغامرة كانوا حكاما مطلقين فى اسرهم ، فى الوقت الذى كان يقف فيه كل منهم على مستوى متكافىء مع أقرانهم من آباء الاسر الاخرى مكونين هيئة عامة نابعة من « شعور غريزى » بالحفاظ على بقائهم . **واصبحت تلك** الهيئة بمثابةالدولة التى تجمع بينهذه الاهتمامات والمصالح الخاصة لكل أسرة فى وحدة مترابطة(٢)

شكل السلطة فى نشأتها

من هذين الرأيين يتضح أن السلطة العليا فى تلك المجتمعات الشبه بدائية كانت اما على شكل حكومة ملكية (**فيلمر**) أو حكومة بيد مجلس للكبار او الشيوخ (**فيكو**) . وسواء كان هذا الرأى او ذاك أقرب الى الاقناع المنطقى أوالبرهنة التاريخية فان الواضح أن السلطة كانت تمارس فى تلك المجتمعات على مستويين مختلفين نوعيا ، هما : سلطة رئيس الاسرة المطلقة على كل من كان داخلا فى محيط أسرته ومجال اختصاصاتها ، وسلطة مجلس الشيوخ أو رؤساء الاسر الذين كانوا يتخذون قراراتهم فى توافق وتراض فيما بينهم ليلزموا بها أتباعهم بعد ذلك .

ومما يوضح صحة هذا المذهب الى حد كبير تلك القرائن المعاصرة والتى تشهد حتى يومنا هذا بوجود مثل تلك النظمفى مجتمعات ((**السامو**)) Samos فى منطقة ياتنجا Yatenga الافريقية ، و ((**السيلمى موسيز**)) Silmi-Mossis وهى تعيش فى نفس المنطقة .

ففى **مجتمع السامو** نجد أسرا تزيد على المائة نسمة تعيش سويا فى مساكن متصلة حول جد مشترك لهم جميعا ، وهو الذى يفرض عليهم حمايته ويوزع العمل ويقسم الرزق بينهم ،وعند زيادة حجم هذه الاسرة تنقسم الى أجزاء تتبع حكم شيوخهم (أو أجدادهم) الذين يتمتعون بسلطة مقررةمحددة ومعترف بها علىكل من يدخل فى رعايته ، ولكنه لا ينتقص من السلطة الدينية للرئيس والجد الاكبر للعائلة الشاملة الكبرى .

---

(١) Patriarcha, or the Natural Rights of Kings (London 1684)

(٢) La Science nouvelle (Paris: 1844)

أما مجتمع « السيلمى ـ موسيز » الذى يبلغ تعداده حوالى ٥٦٢٧ نسمة فنجده مقسما الى اثنى عشر أسرة كبيرة، ينقسمون داخليا الى تفرعات وتشعبات أصغر ، ويعيشون فى مساكن يطلق عليها لفظ « زيكا » Zaka ويضم كل واحد منها ١١ ـ ١٢ نفسا ، ويطلق على ربه اسم زيكازوبا Zakazoba هذا وتملك الاسرة فى هذا المجتمع مزارع مشتركة كما يتمتع بعض أفرادها بملكيات زراعية خاصة صغيرة . ويقوم نظام الحكم على تعاقب الاخوة الذكور فى الملك مدى حياتهم بترتيب السن تنازليا ، ثم الابن الاكبر لاخيه الاصغر منه مباشرة وهكذا .

ولعلنا لن نعدم بعض أوجه الشبه بين هذه المجتمعات الشبه بدائية وبين بعض التقاليد المتوارثة عبر الاجيال فى بعض القرى المصرية خاصة فى صعيد مصر حيث يتمتع اكبر أعضاء الاسرة الكبيرة بسلطات اجتماعية على أبناء أسرته الممتدة حتى ولو كانوا فى مدن وبلاد غير قرية الأسرة الاصلية . فلعميد الاسرة رأى فى زواج أبنائها وبناتها ـ ولو شكليا على الاقل ـ كما أن له من المكانة والاحترام مايتيح له الفصل فى ما قد ينشب من منازعات بين أعضاء الاسرة بعضهم وبعض أو بينهم وبين الاسر الاخرى فيما اصطلح على تسميته « بمجالس الصلح » . بل ان هذه السلطة قد تعدت وما زالت تتعدى الحيز الاجتماعى للتأثير فى نظم التمثيل النيابى للدولة كلها مع ما يستتبعه ذلك من آثار فى نظم الحكم عموما .

مقومات السلطة فى نشأتها

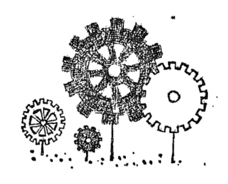
لا تقوم السلطة قائمة الا بطاعة تابعى هذه السلطة لها ، سواء كانت تلك الطاعة مبنية على أساس الرضا أم كانت مفروضة بحكم القوة والاجبار والتسلط فى شكله المادى أو المعنوى أو الاقتصادى أو الحربى .. ومن الممكن اعتبار قيام السلطة فى نشأتها مبنيا على الرضا بحكم الصلة الاسرية التى تنشأ بين الاب والأم والابناء . ثم تنتقل بعد ذلك الى اعتبار القهر والاجبار من مقوماتها بانتصار الاسرة القوية على أعدائها ـ كما قدمنا ـ ويكون ذلك بالنسبة للعدو المهزوم على وجه الخصوص .

الارتباط بين « السلطة » و « الغيبية »

ربطت العقلية البدائية فى بساطتها وسطحيتها بين ظواهر الطبيعة المحيطة وبين تأثير تلك الظواهر على الحياة فى خصوصياتها وعمومياتها على السواء . والانسان عموما يحترم بل يخاف ويرهب أوحتى يقدس ما يقصر فهمه وادراكه عن التعرف عليه . وكلما اقتربت العقلية البشرية من البداءة كلما ارتبط تفسيره لظواهر الحياة من حوله بالغيبيات التى لايملك لها تفسيرا ولايستطيع بصددها حولا ولا قوة . فراى الانسان الاول مثلا أن الشمس فى اشراقها تمنحه الدفء وتنمى مزروعاته وتضىء له سبيله وفى نفس الوقت قد تصيبه بأمراض وصداع وحروق، ثم تغيب تلك الشمس فيركن الى الراحة تحت سماء يزينها قمر ونجوم ، وحاول أن يجد ويروى الاساطير عما يحيط به من أسرار ذلك الكون العظيم ، ورأى أن السماء قد تصفو وقد تمطر وقد يصيبه الخير من ذلك أو العكس ، كما أن النهر قد يفيض أو ينحسر فيمنح الارض حياة أو يكون كالطوفان يغرقها ويقضى على الرزق المنشود .. وهكذا . وعجز الانسان الاول عن تفسير كل هذه الظواهر وغيرها فعبدها وقدم لها القرابين ، حبا وخوفا ، وحاول أن يرجح من الجانب الخير المفيد فى طبيعة تلك القوى ، فبرضائها يعم خير وسلام ومحبة .

فلا غرو اذن أن يربط الحاكم بين قدراته المادية ـ سواء كانت تابعة عن مكانته بين قومه بحكم صلة القربى أو لمركزه الاقتصادى مثلا أو لقوته الجثمانية أو لذكائه أو نحو ذلك ـ وبين قدرته الروحية المبنية على تجسد القوى الطبيعية فى كيانه ، أو قدرته على مخاطبتها والتفاهم معها واستدرار رحمتها على قومه أو استنزال سخطها على عدوه مستعينا بكهنته وسحرته . ويدخل فى نطاق ذلك تقديس السلف **والعبادات الطوطمية** التى تتخذ من حيوان أو نبات معين رمزا مقدسا للقبيلة تستنصره وتعبده وترفع شعائره فى كل أوجه حياتها ومعاملاتها مع الاخرين ، حتى اننا نستطيع أن نقول أن عبادات الانسان فى فجر تاريخه كانت تمثل ذلك المحور الذى دارت حوله جميع أوجه حياته ، أو بمعنى آخر يمكننا أن نفترض ازدياد الارتباط والخضوع للسلطة القائمة على أسس روحية غيبية كلما انخفضت درجة الرقى الحضارى والثقافى للجماعة البشرية ـ أى أن هناك تناسبا عكسيا بين درجة الرقى الحضارى والوعى الثقافى والعلمى وبين درجة الطاعة للسلطة الحاكمة المبنية على أسس روحية وغيبية لمجتمع بشرى .

تطوير التنظيم الاقتصادى الاشتراكى في اوروبا الشرقية



فؤاد شبل

تمر الكتلة الاشتراكية الأوربية بمرحلة انتقال تتناول الاوضاع الاقتصادية بصفة خاصة . فثمة فى الوقت الحاضر اتجاه قوى لتلافى الاخطاء التى ابرزتها التجارب ، وأسفر عنها تطبيق النظريات طوال الاعوام التى اعتنقت فيها طائفة من بلاد أوروبا الوسطى والشرقية ، الاشتراكية مذهبا فى الحكم والادارة .

وتأتى البيروقراطية فى طليعة النقائص التى تعانى منها الاشتراكية فى الدول الاشتراكية الاوربية ، فلقد تعقدت مناحى الاقتصاد القومى ، حتى بات يستحيل توجيهه توجيها مركزيا بحتا بما ... الكفاية ، الامر الذى جعل البيروقراطية تستشرى فى أوصال اجهزة الدولة . واذا كانت الدول الاشتراكية الاوربية قد وجهت طاقاتها ومواردها للنهوض بالصناعات الثقيلة بحسبانها قطب رحى التقدم الاقتصادى ، فما كان فى وسع القائمين على الحكم ، تجاهل رغبات الشعب فى رفع مستوى معيشته بزيادة نصيبه فى الدخل القومى على صورة زيادة فى السلع الاستهلاكية والخدمات .

وفى هذا القطاع من الاقتصاد القومى ، تجلت البيروقراطية بأبشع صورها ، اذ تبين قصور بعض فروع الانتاج عن تلبية احتياجات الجماهير وهى دائمة التغير متعددة النواحى .

ففى خلال تنفيذ مشروعات التنمية للحاق بالغرب صناعيا ، بذل الاتحاد السوفييتى عناية خاصة للسلع الانتاجية وبخاصة الالات الثقيلة . بينما لم يساير هذا الانتاج ، انتاج السلع الاستهلاكية . وهذا ما تنبئ عنه الاحصاءات . فلقد ارتفع الانتاج

الصناعى — عامة — خلال فترة الثلاثين سنة ١٩٢٨—١٩٥٨، حوالى سبع مرات ونصف مرة (١) لكن بينما ارتفع انتاج الالات بنحو ٢ر٢٧ مرة ارتفع انتاج السلع الانتاجية ٧ر٩ مرة ، ازداد انتاج السلع الاستهلاكية بنحو ٨ر٣ مرة ليس الا .

وفى عام ١٩٥٦ لفتت انظار الاقتصاديين مقالة نشرت بصحيفة « الشيوعى » السوفيتية بتوقيع « **افسى ليبرمان** » قرر فيها ان التركيز على عامل الربح يكفل الكفاية وتحسين نوع الانتاج .

وقد ولد افسى ليبرمان عام ١٨٩٧ باوكرانيا، وحصل على درجة فى القانون من جامعة كييف . ثم التحق بمعهد هندسى بمدينة خاركوف . وظل خمسة عشر عاما يعمل بمصانع متعددة ، منها ستة أعوام شغل خلالها منصب رئيس مكتب التخطيط بمصنع كبير لصناعة الالات . وأمضى بموسكو سنوات الحرب ، وبعدها عاد الى مدينة خاركوف للتدريس بالمعهد الهندسى . وفى عام ١٩٥٦ ،حصل على درجة الدكتوراه فى الاقتصاد ولقب بروفسور عام ١٩٥٩، .

ولم تجد آراء ليبرمان عند نشرها — للمرة الاولى — صدى عمليا لدى المسئولين فى الاتحاد السوفييتى الى أن أستبان أستفحال مشكلات البيروقراطية ، وأجتاحت الخسائر الفادحة الاقتصاد القومى . فكان أن أجاز المسئولون له عرض آرائه فى البرافدا — صحيفة الحزب — فنشرتها فى ٦ فبراير سنة ١٩٦٢ تحت عنوان « الخطة والارباح والحافز » فكان أن ثارت المناقشات وأحتدم الجدل حول صحة هذه الاراء وجدوى تطبيقها ومدى أتفاقها مع التعاليم الاشتراكية السليمة .

وأنتهى المطاف بأن أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى خلال أجتماعاتها فى شهرى مارس وسبتمبر ١٩٦٥ قراراتها بتطوير الاقتصاد الاشتراكى . وجاء بقرارات اللجنة ما يلى :

أولا — يتيح الاصلاح الاقتصادى الحالى تعزيز القاعدة الاقتصادية لتعاون الاتحاد السوفييتى مع الامم الاخرى .

ثانيا — يكفل الاصلاح الاقتصادى هدف الاشتراكية الجوهرى وهو الفوز فى معركة التنافس الاقتصادى مع الرأسمالية .

ولقد علقت جريدة النيويورك تايمس فى ٥ أكتوبر سنة ١٩٦٥ على قرارات اللجنة بقولها « لا يعنى سلوك الكرملين هذا السبيل الغير الاعتيادى انحيازه الى الغرب . فلاشبهة فى انه يهيىء للغرب فرصا جديدة لتوسيع نطاق التجارة ، والاسهام فى منافسة اقتصادية سلمية » .

الخطوط الاساسية

لنظريات ليبرمان

يطالب ليبرمان بالسعى الدائب للارتفاع بكفاية التوجيه الاقتصادى وتشجيع العاملين على بذل أقصى الجهود لزيادة الانتاج بوساطة المكافآت على أختلاف أنواعها ، وتباين أشكالها .

ويرسم ليبرمان ثلاثة اهداف رئيسية نوعية :

الاول — ترغيب المشروعات والمؤسسات السوفيتية فى أن تتولى — ذاتها — رسم أهدافها الانتاجية . وكان الحاصل قيام المنظمات القائمة على رسم الخطة العامة ،باعداد نصيب كل مشروع وكل مؤسسة من الخطة العامة ، وتفرض انجازه واذ كانت مكافأة المؤسسة والعاملين فيها تعتمد اساسا على درجة انجاز نصيبهم من الخطة العامة، كان مدير المؤسسة يحرص الحرص كله على خفض نصيب مؤسسته من الخطة العامة . اذ كلما قل هذا النصيب ، كلما عظمت قدرة المؤسسة على انجاز الاهداف التى اناطت بها الخطة العامة تنفيذها الامر الذى يتيح للعاملين مزيدا من المكافآت التشجيعية والاجور الاضافية .

فليس العمل المثمر سبيل النجاح ، بل تسلك المؤسسة سبيلا ايسر وطريقا أقصر للفوز بتقدير الدولة المادى والمعنوى ، يتمثل — كما يقول ليبرمان — فى أن يعهد اليها بانجاز اقل قدر ممكن من أهداف الخطة العامة . ومما يصد مدير المؤسسة عن السعى لانجاز قدر من أهداف الخطة العامة أعظم ، علمه بأن توفيقه فى هذا المجال ، يلقى عليه عبء انجاز مقادير من أهداف الخطة تتزايد سنة بعد اخرى مما يعرضه للتقصير وتبعاته . فلابدع وان يجاهد جهاد اليائس ليجعل سنة الاساس — أى رقم تقدير أنتاج المؤسسة — أقل مما يستطيع انجازه فعلا

الثانى — التوسع فى تطبيق الاساليب الفنية المستحدثة فى عمليات الانتاج ، ومسايرة روح العصر

---

(١) وهى الفترة التى تخللتها الحرب العالمية الثانية وتسببت فى دمار الجزء الاكبر من المنجزات السوفيتية — الطليعة

فى انتاج السلع التى يقبل عليها المستهلكون ». فلقد لوحظ أن المدير ، غالبا ما يصدف عن ادخال تعديلات على انماط الانتاج . خشية ما تؤدى اليه التغييرات من عرقلة انجاز نصيب المشروع من الخطة العامة . كما يتطلب أنتاج المبتكرات المستحدثة ، اذن رؤسائه الذين يتعرضون — بدورهم — للمسئولية أمام رؤسائهم ».

الثالث — تحسين نوع الانتاج . واذا كانت كمية الانتاج هى التى تتحكم فى الحوافز وتدفع العاملين الى الانتاج ، فليس ثمة سبب مادى يقلق بال العامل فيما يتصل بنوع الانتاج . فغالبا ما تعرقل معايير الكفاية ، ماترسمه الخطة من أهداف تتصل بالكم والمقدار . ويصر ليبرمان على التخلص مما يدعوه بـ « القوامة التافهة » . ويقصد بها اقحام الرؤساء أنفسهم فى أعمال مديرى المشروعات ، وتغاليهم فى التدخل فى كل صغيرة وكبيرة ».

دور الربح فى نظريات ليبرمان

يتبلور اصلاح ليبرمان فى الاقلال من التعويل على الاهداف التى ترسمها الخطة وزيادة الاعتماد على حافز الربح . ويأمل من وراء تنفيذ فكرته ، كفالة حرية العمل لمدير المشروع ، وحسن استخدام الموارد، ورفع مستوى الكفاية الانتاجية بالتبعية.

ويعرف ليبرمان طاقة الربح فى المشروعات السوفييتية بقدرتها على ان تدر عائدا صافيا للمجتمع . فهو يجعل من هذه الطاقة — او القدرة على اجتناء الارباح — **مقياسا وصفيا ذا قيمة نسبية محضة** . لأن مقدار الربح لايكفى — فى حد ذاته — لاظهار قدرة المشروعات على ادرار أرباح من وراء تشغيلها ، نظرا لاستناد القدرة على نوع العمل المستخدم فى الانتاج . فلا يعنى الربح — عنده — الفكرة الشائعة بيننا (أى الدخل مطروحا منه التكلفة) . فان معدل الربح هو **(مجموع ربح المشروع) مقيسا الى رأسماله الاصلى** والى الاموال المستغلة فى عمليات الانتاج بالفعل ».

فالربح — والحالة هذه — يقاس على أساس الموارد التى تضعها الدولة الاشتراكية تحت تصرف مشروع معين ليتولى انتاج سلع محدودة . والربح يعبر — هنا — عما يحققه المشروع من زيادة فى القيمة . وطبيعى أن تنطبق هذه الزيادة على جميع الموارد ، سواء ماكان منها ثابتا أو متحركا. واذا كانت كل صناعة تضم بين ثناياها مشروعات تقوم على انتاج عدة أنواع من السلع فلكي يعكس الثمن نسبة الربح المرجوة وموارد الانتاج ، يجب أن نولى وجوهنا شطر تلك النسبة من الموارد التى تستعمل فى انتاج السلعة ، عوضا عن النظر الى ثمن التكلفة فحسب ».

فان ليبرمان لينتقد أولئك الاقتصاديين الذين يرتأون حساب الاثمان على اساس الاجور فقط ، ولا يلقون بالا الى عناصر تكاليف السلعة الاخرى ويقول فى هذا الشأن «أن تقدير الاثمان وفقا للاجور فقط ، قد يعرقل تأدية العمل دوره فى الانتاج ويفسد التعاون القائم بين المشروعات » ».

ويتأتى الارتفاع بمعدل الربح عن أحد طريقين ، أو كليهما :

● زيادة الارباح — زيادة مطلقة — باستخدام مقادير اضافية من العمل والمواد الاولية — وغير ذلك من الموارد — أستخداما أعظم فعالية ».

● خفض حجم الاموال المستخدمة فى الانتاج سواء ما كان منها ثابتا أو يستعمل فى عمليات الانتاج . ويتم ذلك عن طريق طلب المدير اموالا أقل وحرصه على الانتفاع الكامل بما تحت يده منها ».

ويحذر ليبرمان من اتخاذ ما يسميه « طاقة الربح» (أى قدرة المشروع على تحقيق الارباح) حكما على كفاية المشروع — أى مشروع — واهليته للانطلاق لانجاز اهداف التخطيط . ويفسر وجهة نظره هذه بوجود تنوع — غير عادى — فى طاقة ربح مختلف السلع والمشروعات ، حتى داخل نطاق فروع الصناعة الواحدة . فثمة مصانع للحديد والصلب تعمل بالات عتيقة قد يرجع العهد ببعضها الى القرن الثامن عشر ، بينما ثمة مصانع — فى ماجنيتوجورسك وكوزنتسك ودنيبروبتروفسك — تستخدم أحدث ما ابتكرته العقول البشرية من معدات الصناعة وأدواتها وبالاحرى تختلف تكلفة انتاج الحديد الزهر والصلب المسبوك فى كل مصنع عن الاخر أختلافا كبيرا ، واذا كانت أسعار المعدن موحدة، تتباين معدلات الارباح تباينا واسع المدى».

وليبرمان وان سلم بالتباين الشديد فى معدلات الارباح — وفقا للحالة السالفة الذكر — الا أنه يؤكد دور الربح فى التعرف على كفاية المشروعات واهليتها — وينطلق من هذه النقطة الى ذكر أسباب تفاضل مؤسسة عن أخرى فى تحقيق الربح ، ومدارها :

● حصول المؤسسة (أو المشروع) على ميزة خاصة مثل الموقع والظروف الطبيعية المواتية (رواسب معدنية غنية مثلا) . وهذا يمكن المؤسسة من الحصول على عائد أضخم من غيرها عائد لايتفق مع نشاطها الحقيقى . ويرى الاستاذ

ليبرمان أن فى مكنة الدولة الحد من التمايز بطريق أو بآخر ، لتصبح المنافسة بين مؤسسة وأخرى، أقرب الى العدالة .

● اختلاف مصنع عن آخر فى حظه من الحصول على أحدث المعدات . واذا كانت تكاليف الالات الحديثة — فى بداية العهد بالتشغيل — أكثر من تكاليف المعدات القديمة التى قاربت على الاستهلاك لكن الطاقة الانتاجية للالات الحديثة ، أعظم كثيرا ، مما يعوض ارتفاع تكاليفها ، فيرتفع عائدها . ويقر ليبرمان أن فائدة الربح هنا ، تكمن فى أظهاره مدى أهلية المصنع من ناحية العمل والالات والادارة ، الامر الذى يحدو بالدولة الى تزويد المصانع المماثلة بأحدث المعدات والعمال المدربين ، وبذل الجهود لتلافى العيوب وأصلاح خلل الاوضاع .

● انتاج سلع لاتغرى بالاقبال عليها بحكم طبيعتها ، وقد تخسر المصانع . ومن رأى ليبرمان ضرورة تولى الدولة توفير عائد لهذه المصانع يتناسب مع أهميتها القومية .

ويعرف ليبرمان معدل الربح بأنه ما يحققه المشروع من الارباح فعلا . وهذا غير ما يطلق عليه «حصة الربح» التىهى عبارة عن رقم الربح الذى ترسمه الخطة العامة للمصنع أو المؤسسة ويتوقفحجم التسهيلاتالتى تبذلها الدولةللمشروع على مقارنة معدل ربحه (أى أرباحه الفعلية) بحصة ربحه (أى رقم الربح الذى تحدده الخطة العامة للمشروع نفسه) . ويتأتى قياس كفاية المصنع عن طريق عقد مقارنات بين معدلات الربح منسوبة الى حصص الربح « معدل الربح » فى المشروعات ذات الظروف المتشابهة .

ويحتم ليبرمان على واضعى خطة التنمية العامة مراعاة تشجيعالمشروعات لانتاج منتجاتمستحدثة فلا مناص من اختلاف الارباح التى تطلب الخطة من المشروعات تحقيقها (أى حصص الارباح) وفقا لنسبة المنتجات المستحدثة التى يسعى المشروع الى تقديمها للمستهلكين . واذا كان تقديم منتجات مستحدثة يتطلب — عادة — أنفاقتكاليف أولية ، ويستلزم الحال بذل جهود لحل المشكلات التى تنشأ عن أجراء تعديلات فى أنماط الانتاج ، فلا مناص والحالة هذه — كما يقول ليبرمان — من خفض حصص الارباح التى تحكم بها ادارة الخطة على نجاح المشروع عند تقديمه — أى المشروع — منتجات مستحدثة . وعلى النقيض ، اذا تقاعس المشروع عن تقديم منتجات مستحدثة تزيد الدولة «حصة الربح» أى المقدار الذىتفرض الخطة العامة للتنمية على المشروع تحقيقه) . والقصد من هذا الاجراء أستمالة المشروعات الى الابتكار وترغيبها فى التجديد،وحثها على الاستعانة بالوسائل الفنية الحديثة . ولتلافى انتاج المشروعات سلعا رديئة النوع لا تحظى باقبال المستهلكين فتتكدس فى المخازن — من ثم — بالمنتجات البائرة تحتسب الدولة الارباح على السلع المستهلكة فعلا ، وتستقطع السلع المرتجعة والمختزنة من جملة الايرادات الحاصلة .

الحوافز

يرى ليبرمان ضرورة رفع سعر السلعة المستهلكة اذا ما تحسن نوعها ، لسببين :

الاول — تعويض المشروع عن مقادير العمل والمواد الاضافية التى يبذلها للنهوض بنوع المنتجات

الثانى — استقطاع جانب من الزيادة الحادثة فى الاسعار ، لتكوين أحتياطى خاص يستخدمه المشروع لمكافأة العاملين المجدين ، وحث العمال — عامة — على بذل المزيد من الجهدلتحسين الانتاج . ويتوقف مقدار ما يحتجز من الارباح لتكوين أحتياطيات الحوافز ، على النسبة المئوية لما ينتجه المشروع من السلع المستحدثة من مجموع برنامج أنتاجه .

والحق ، أن ليبرمان لتهفو نفسه الى أيجادنظام يغرى جميع وحدات المشروع بأنتبذل قصارى جهدها فى العمل،وأن تتسامى بطموحها وتطلعاتها، فاذا ما عبأ المشروع طاقاته لبلوغ معدل أرباح أعلى من مستواها الذى أنجز بالفعل ، يصبح معدل ربح المشروع — عندئذ — هو المعدل الذى يجنيه فعلا . فاذا ما تغالى المشروع فى خفض نصيبه من الخطة العامة للتنمية ، يصبح «معدل الارباح» مجرد المتوسط الواقع بينالهدف الادنىالذى تصور أصلا ، ومعدل الارباح الاعلى الذى اجتنى بالفعل .

ولضمان توحيد الجهود ابان الاندفاع لاجتناء الربح ، يقترح ليبرمان أستناد العلاوات التشجيعية التى يمنحها المشروع على مستوى «معدل الارباح» اطلاقا . ويطالب فى نظرياته بمنح مدير المصنع أعظم قدر ممكن من السلطة ، الاذن له باستخدام أحتياطى علاوات التشجيع لتنشيط الانتاج الى أبعد الحدود الممكنة . ويمكن الاغتراف من هذا الاحتياطى لمنح العاملين أجورا اضافية وبناء مساكن لهم ، أو تزويد المؤسسة بمعدات جديدة .

وبينما يعترف ليبرمان بوجود طائفة من النقائص فى برنامجه ، لكن ينصب أهتمامه على المنجزات الاصلاحية التى تتيحها مقترحاته . فلن يكون ثمة

ما يدفع مديرى المشروعات للكفاح لخفض انصبتهم من الخطة العامة . كذلك يتوافر لهم جميع اسباب التشجيع لخفض التكاليف وتفادى الاسراف فى الاموال العامة ، واتقاء تبديد الجهود فيما لاطائل وراءه . فمادام معدل طاقة الربح يتوقف على التكاليف ورأس المال ــ كليهما ــ تتحقق للمصنع منفعة اكيدة من القصد فى الباعثين كليهما .

الانتقادات الموجهة لاراء ليبرمان

تتبلور **الانتقادات** الموجهة الى اراء ليبرمان فيما يلى :

● تغاليه فى تقدير فكرة الارباح ، الامر الذى يضفى على تنفيذ آرائه تعقيدات فائقة .

● يؤدى تنفيذ مقترحاته الى وضع الاقتصاد الاشتراكى تحت رحمة السوق . بما يعنيه هذا من التخلى عن مبدأ توجيه المجتمع وتجريده ــ أى المجتمع ــ من الهيمنة على عملية التخطيط القومى ــ وهى سمة الاشتراكية ــ بجعل يد الاداريين هى العليا ، وقولهم فاصلا .

● يبدى البعض خشيته من شيوع البطالة فى صفوف العاملين ، وتعطيل الافادة بموارد البلاد ، وتعريض الاقتصاد الاشتراكى لتأرجح الاسعار وتقلباتها . اذ سيجعل مديرو المشروعات نصب أعينهم تحقيق اقصى قدر من الارباح ، فيندفعون الى انتاج السلع الاجزل عائدا ، ويهرعون بحثا عن وسيلة تقود الى رفع أسعار منتجاتهم الى أعلى عليين . فلا مناص ــ كما يقول نقاد ليبرمان ــ من تحول أسعار السلع الاستهلاكية واسعار منتجات الصناعات الثقيلة تحولا جذريا . والنتيجة ــ كما يقولون ــ شيــوع الاضطراب والتقلقل فى محيط الاقتصاد القومى ، ويحتمل كثيرا استفحال نزعة التضخم ، مما يقود الى الفوضى السيكلوجية ، بل والواقعية .

● ينبنى على التمسك بتطبيق فكرة الارباح ــ كما يشير نقاد ليبرمان ــ عدول الدولة عن أعانة الصناعة الثقيلة . فلم تكن الحكومة السوفييتية لتهتم بعامل الربح ــ فى قليل أو كثير ــ بالنسبة لانتاج الالات والمعدات الصناعية الثقيلة . اذ كان يكفى لتقرير انتاج سلعة ــ اية سلعة ــ ان يتأكد المسئولون من فائدتها للاتحاد السوفييتى على طول المدى . ويعنى هذا ، اتجاه الصناعة الى سد احتياجات المستهلكين . فالصناعات الاستهلاكية أجزل ربحا واعظم عائدا ، من الصناعات الثقيلة التى تعتبر قطب رحى التقدم الاقتصادى السوفييتى وفى هذا نهاية عهد الاقتصاد الموجه الذى تضعه وترسم خطوطه وتشرف على تنفيذه هيئة مركزية .

● تطلع العاملين الى الاجور الاضافيــــة والمــكافآت التشجيعيــة ، يصرفهم عن التفــكير فى واجباتهم تجاه المجتمع . اذ ينصرف تفكيرهم الى مايحصلون عليه من الدولة من ميزات عاجلة تشبع رغباتهم الذاتية ، وهم بدافع الانانية يسعون للاستزادة منها بشتى الوسائل . وهكذا يتطلع العامل الى ما تستطيع الدولة أن تبذله له ، ولا يلقى بالا ــ فى الغالب ــ الى ما يستطيع أن يؤديه للدولة . وبالاحرى تذوى القيم المعنوية ، أما المبادىء السامية فتذروها رياح الاطماع الخاصة .

ولقد اتجه الكتاب السوفييت فى دفاعهم عن اجراءات أصلاح التنظيم الاقتصادى السوفييتى وجهتين :

الاولى ــ أظهار أن الاشتراكية عملية متطورة وليست وضعا ثابتا وجامدا .

الثانية ــ بيان أن الطرائق الاقتصادية لاتنفصل عن عناصر الاصلاح النوعية الاخرى .

اذ يتهم الكتاب السوفييت النقاد الغربيين بسوء النية ، لاصرارهم على أن عملية تنظيم جوانب الاقتصاد الاشتراكى هى ــ بالضرورة ــ حصيلة مجموعة من العلاقات ذات الطابع البيروقراطى المفروضة تعسفيا . فثمة فارق واضح بين ماهو تحكمى وما هو ضرورة موضوعية فى النظــــام الاقتصادى الذى يجرى تعديله .

ولايخفى ــ كما يقول الكتاب السوفييت ــ أن تطور العصر ، يحتم على الاتحاد السوفييتى وطائفة من الدول الاشتراكية الاخرى ، تعديل نظام الادارة الاقتصادية فيها بما يكفل تطبيق الوسائل الفنية المستحدثة فى التوجيه والادارة . فالاقتصاد الاشتراكى ، قد مر بمرحلة انتقال من الرأسمالية الى

الاشتراكية ، وهذه المرحلة تتبدى فيها الظواهر التالية : الافتقار الى المديرين الاشتراكيين ، العوز الى السلع الاستهلاكية،الافتقار الى المواد الاولية المختلفة والى الادوات ، ضعف الكفاية الادارية ».

فهذه الظواهر وغيرها،يرثها المجتمع الاشتراكى من المجتمع السابق.كما لا يخفى التباين الحاصل بين وضع المنتجين الاجتماعى . ويقابل هذا من الناحية الاخرى ، تلك المطالب التى تجعل الدولة الاشتراكية لها الصدارة فى تحقيقها بحكم ظروفها واوضاعها الداخلية والخارجية ».

ومن شأن هذه العوامل — كما يقر الكتاب السوفييت — اعتناق أساليب خاصة لمواجهة الموقف الذى فرضت الظروف والملابسات على الدولة الاشتراكية مجابهته . ويضاف الى تلك العوامل أعباء ما صدعته الحرب من بنيان كثير من الدول الاشتراكية . ولقد تطلبت هذه العوامل الوقتية الموضوعية ايجاد نظام معقد جعلتهالدولة والحزب اساسا للهيمنة المطلقة على مجريات الاقتصاد القومى ، بوساطة نظام ادارى يتفق مع غاية الدولة والحزب . وتعمد هذا النظام نقض بعض قوانين الاقتصاد الاشتراكى الموضوعية مثل قانون التقدم الاقتصادى الموجه ، وقانون القيمة وغيرها من القوانين . وتطلبت مقتضيات السياسة العامة — خلال مرحلة الصراع الطبقى وتحت ضغط الموقف الدولى — التحكم فى الاوضاع الاقتصادية تحكما لاتقره القوانين الاقتصادية الاشتراكية فى ظل الظروف العادية ».

واذ تستقر أوضاع البلاد الاشتراكية — كما يقول الاقتصادى السوفيتى « سينين » . فمن الطبيعى أن تتدفق السلع الجيدة على الاسواق وأن تزداد كفاية الموظفين وأهليتهم ، وأن تتعاظم أهمية العلم فى التقدم الاقتصادى . . وعندئذ تمس الحاجة الى تغيير طرائق الادارة الاقتصادية الموجهة لتتفق مع ارتقاء المجتمع الاشتراكى . ولقد ابطلت الثورة العلمية والتكنية استعمال طائفةمن معدات العمل ، وتتغير اسواق اذواق المستهلكين أسرع كثيرا من تغيرها فى الماضى ، الامر الذى غدا يحتم استخدام العلم فى التنبؤ بالتغيرات التى تطرأ على ميزان الناتج الاجتماعى وبنيانه . ولم يسفر العلم والتكنولوجيا عن ضرورة اجراء دراسةعميقة للاسواق الداخلية والخارجية فحسب ، بل يدفعان سوى الشأن الى اجراء تقديرات لاحتياجات السوق على طول المدى ، وبعبارة أوضح ، تخطيط العلاقات بين المستهلك والمنتج . وهذا يقتضى اعتناق سياسة أعظم مرونة لتشجيع العاملين ، بمنحهم المكافآت المادية والادبية على السواء ».

ويستخلص الاستاذ سينين من فكرته السالفة الذكر نتيجة معناها ان التغيرات النوعية التى تطرأ على المجتمع الاشتراكى ابان ارتقائه ، تجعل من نظام التوجيه والادارة الاقتصاديين السائدين ابان مرحلة الانتقال ، عائقا للتقدم الاقتصادى وفقا لعلاقات الانتاج الجديدة التى انبعثت بعد الحرب الاخيرة ، فيقتضى الحرص على مواصلة المجتمع الاشتراكى ارتقاءه : احداث تعديلاتفىتنظيمهالاقتصادىتتوافر فيهاالاشتراطات التالية :

- اشراف على اجهزة الاقتصاد القومى يتسم بالمرونة والسلاسة .

- تقسيم أهداف الخطة الاقتصادية الى قصيرة المدى وطويلته .

- تحديد وسائلتنشيط اجهزةالاقتصاد القومى وترغيبها فى انجاز اهداف الخطة . وتعتبر المكافآت والعائدات المادية والمعنوية التى تبذل للمجدين ، ضرورة مأسة للارتفاع بمستوى الانتاج كمية ونوعا

- الارتفاع بمستوى الوعى الاجتماعى لدى القائمين على شئون الانتاج ، وأن يبث فى نفوسهم الشعور بمسئولياتهم تجاه المجتمع الاشتراكى ».

تأثير الاصلاح الاقتصادى السوفيتى على العالم الاشتراكى

اقتنع اقتصاديو العالم الاشتراكى بفكرة ليبرمان ومشايعيه ، فأخذوا يشجبون — الواحد بعد الاخر — ما اطلقوا عليه اصطلاحا « تقديس الخطة » . اذ كان مدار التقدم الاشتراكى فى الدول الاشتراكية ، انجاز أهداف الخطة التىتتمثل

فى انتاج مقادير محددة من سلع وخدمات ، دون اعتبار — ذى شأن — للنوع ، او سدها لاحتياجات المجتمع الحقيقية والمتعددة ، أو قابليتها لمنافسة السلع الاجنبية فى الاسواق العالمية . فكان قدر كبير من الصناعات يعانى خسائر فادحة تتحملها الدولة وتجبيها من المستهلك على هيئة ارتفاع فى أسعار السلع التى يقبل عليها . وأبان هؤلاء الاقتصاديون ان اقالة اقتصاديات البلاد الاشتراكية من عثراتهـا ، يتطلب منـح مديرى المشروعات استقلالا ذاتيا أوسع نطاقا . فلا تتقيد حريتهم فى العمل بذلك الحشد من الاوامر والتوجيهات الادارية التى يتلقونها من واضعى خطة التنمية العامة ، وهم لايحتكون بمشكلات العمل احتكاك مديرى المشروعات . وان يحل محل عقود الخطة عقود تبرم بين المشروعات والحكومة .

ويجمع اقتصاديو البلاد الاشتراكية على ضرورة اعتناق مبدأ الادارة المركزية فى بداية العهد بالنظام الاشتراكى . اذ يتيح تطبيق هذا المبدأ ، التعجيل باعادة تشييد الجانبين المادى والاجتماعى مـن الاقتصاد القومى ، ويكفل له التقدم وفقا للخطوط الاشتراكية ، كما يسهل توازن المستويـات الاقتصادية فى مختلف جوانب البلاد . بيد أن اشتداد التوسع فى التنمية الاقتصادية قد اظهر بجلاء — كما يقرر عالم الاقتصاد التشيكى أوتاسيك Otasik خطورة المركزية — فى التخطيط والادارة — على الاهلية والكفاية . فلقد انصرفت الجهود الى التوسع فى عمليات الانتاج بتشييد مصانع جديدة أو اضافة معدات الى القائم منها ، من غير أن تعنى بالتمشى مع المبتكرات والتجديدات التكنية .

ولقد اسفر تحليـل الاقتصـاديين فى الدول الاشتراكية عن نتـائج تتفق مع آراء ليبرمان — عامة — ومدارها :

اولا — وجود ترابط متبادل بين التخطيـط الاشتراكى والسوق الاشتراكية . وكان الاعتقاد السائد عند الاقتصاديين الاشتراكيين ان التخطيط هو دعامة الاقتصاد الاشتراكى ، بينما أن السوق هو عماد الاقتصاد الراسمالى .

ثانيا — يجب أن يهدف الانتاج الاشتراكى الى سد احتياجات السوق ، ويجب أن تكون مبيعات السلع فى السوق هى القاعدة الاساسية للافادة من العمل الاشتراكى المبذول فى عملية الانتاج .

ثالثا — ضرورة اعتبار وسائط الانتـاج سلعا تبتاعها وتبيعها المشروعات الاشتراكية . وبالأحرى ، لايمكن اعتبار الانتاج الذى يقصر عن اشباع حاجة فعلية ، أنتاجا ضروريا للمجتمع الاشتراكى ، حتى وان اتفق الانتاج — من الناحية الفنية — مع اهداف التخطيط العام .

رابعا — اقتلاع البيروقراطية من محيط الادارة الاقتصادية ، والحيلولة دون عودتها . وازالة العقبات التى تحول دون انطلاق المشروعات فى طريق التجديد والابتكار .

خامسا — ترغيب العاملين فى الابتكار ، وتكريس اقصى جهودهم للانتاج . ويتم ذلك عن طريق ايجاد نظام متقن للحوافز المادية والمعنوية .

سادسا — اعتبار دخل المشروع من مبيعـاته هو العامل الحاسم فى تحديد دخله الاجمالى ، الذى يعين — بدوره — مكافآت العاملين ودخولهم .

سابعا — يجب أن يتسم تحديد الاسعـار بالمرونة . فأسعار السلع والمنتجات الجديـدة والمستحدثة والمنتجات التى يشتد الطلب عليها ، يجب أن تكون اعلى من غيرها . وتنشىء الدولة جهازا مركزيا لتحديد اسعار المواد الاولية والوقود والطاقة الـكهربية والموارد الغـذائية والسلع الاستهلاكية الجوهرية والآلات الاساسية !

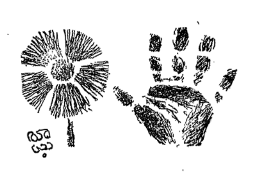
وفى الحق ، مناط تطوير التنظيم الاقتصادى الاشتراكى فى أوروبا الشرقية : اعادة تنظيـم اقتصاديات البلاد الاشتراكية تنظيما يتيح لها الفوز فى معركة المنافسة الاقتصادية العالمية . اذ يتبين من احصاءات ١٩٦٥ أن نصيب البلاد الاوربية الاشتراكية يبلغ الثلث تقريبا من الانتاج الصناعى العالمى ، فى حين يكاد نصيبها من التجارة العالمية لا يجاوز ١٠٪ . ومعنى هـذا استئثـار العالم الراسمالى بحركة المبادلات الدولية ، وما يتضمنه هذا بين ثناياه من أثار سياسية وإجتماعية لاشبهة فى خطورتها .

وبالاضافة الى عملية تطوير التنظيم الاقتصادى الاشتراكى التى تتخذ سبيلها فى اوروبا الشرقية فى الوقت الحاضر ، تقبل هذه الدول على بذل المساعدات الاقتصادية للدول النامية ، كما تعمل على الافادة من تقسيم العمل الدولى بوساطة تخصص كل منها فى انتاج السلع التى تتفوق فى انتاجهـا بفضـل ميزات طبيعية او نتيجة توطن صناعى أصيل .

ولاشك أن اتجاه الحكم الاشتراكى الى اجراء تعديلات فى تنظيماته — من حين لاخر — قرينة على سلامة بنيان الاشتراكية . ودليل على نزعتهـا الديناميكية صوب التقدم والارتقاء . كما أنه برهان على ترابط اجزاء العالم بأسرها واستحالة ان يعيش جزء منه — بالتالى — بمعزل عن الاخر .

وهذه حقيقة تدفع الاشتراكية الى مناشدة العالم الرأسمالى الحفاظ على السلام والى الذود عن مبدأ التعايش السلمى .

ماذا تعني الواقعية الحديثة والفن التشكيلي



داود عزيز

حركة

الفن التشكيلي في بلادنا حركة نشطة، فالمعارض تتتابع ، والصحف تبادر الى التعليق على أعمال الفنانين والى نشر صور معروضاتهم . ويقبل جمهور أوسع على ملاحقة هذه المعروضات والمقالات ، ويهتم المثقفون اهتماما ملحوظا بالتعرف على الاتجاهات الفنية في هذه الحركة .

ولا ريب في هذا، فالصلة وثيقة بين الفن التشكيلي وبين غيره من الفنون ، والصلة وثيقة أيضا بين النظريات الفنية وبين غيرها من النظريات في شتى مجالات المعرفة . والتأثير المتبادل بين أشكال النشاط الثقافي والفني يجعل من الاهتمام بالفن التشكيلي في دوائر المثقفين بوجه خاص أمرا شائعا .

وفي غمار هذه الحركة النشطة تبرز التفسيرات العديدة التي تتناول اتجاهات الفن المتنوعة .. شديدة التنوع . وفي كثير من الاحيان تشهد الحيرة وهي تأخذ المشاهد للاعمال الفنية والمتذوق لها . ولن نعجب اذا وقع بعض المشتغلين بهذا الفن ذاته فريسة الحيرة هم أيضا .

قضية الواقعية

ولعل من أكثر القضايا التي تحظى باهتمام الفنانين هي قضية الواقعية في الفن . فحول هذه القضية يدور جدل كثير، وخطورة الامر في هذه القضية أنها تتخذ في كثير من الاحيان مقياسا لقبول هذا الاتجاه أو رفضه .

فما هي الواقعية في الفن ؟

ربما كان من المناسب أن نتساءل هل كل ما كان فنا تشخيصيا هو فن واقعي ؟ وهل كل ما كان بعيدا عن الرؤية المألوفة يعتبر فنا غير واقعي ؟

أن نقطة البداية في هذه القضية تأتي من مشكلة فلسفية ، فثمة نظرة تنكر الوجود المادي للاشياء وتنسب الى الحواس دور المعرفة النسبية غير اليقينية . وهذه النظرة لاتقتصر على أنها تتناول الكون والوجود فحسب بل أنها تنعكس أيضا على مجال الرؤية الفنية .

ويقابل هذه النظرة اتجاه آخر . هذا الاتجاه يعترف بالوجود المادى للاشياء ويسلم بالواقع الموضوعى الذى ينتقل الى الانسان عن طريق وسائل من بينها الحواس . وبين هاتين النظرتين تتراوح تيارات الفن الحديث بين منكر للوجود والاشياء ، وبين مسلم بحقيقة الاشياء ووجودها .

الحركة التجريدية

من المعروف أن كاندنسكى كان له دور رئيسى فى تحديد النظرة التجريدية فى الفن . فقد رفض بعد مرحلة معينة من حياته الفنية الاعتراف بأن الطبيعة والوجود المادى للاشياء يمكن أن يكون مصدرا لعمل الفنان . وعلى العكس من ذلك أعتبر ان مخيلة الفنان الفرد هى المصدر الحقيقى للعمل الفنى

يقول شيلدون شينى :

«لقد ذهب كاندنسكى حقا الى ماهو أبعد مما ذهب اليه جميع الفنانين الحديثين . فجميع الفنانين المجددين والطليعيين منذ زمن سيزان قد بحثوا عن قيم داخلية وعن قيم شكلية غير متماثلة أو قيم مجردة ولكن لم يحدث أن أستبعد الطبيعة نهائيا أحد قبله »

لقد أعتمد كاندنسكى فى رؤيته الفنية على استبعاد الطبيعة نهائيا . والحقيقة أن الحركة الفنية قبل كاندنسكى كانت تحاول أن تكتشف فى الطبيعة قوانينها وتكتشف العلاقات التى تحكم وجود الاشياء وهى فى الفراغ . حتى حركة التكعيبيين فلم تكن سوى المسار الطبيعى لعملية البحث عن العلاقات الكامنة والتى تسيطر على وجود الاشياء . وقد كانت المحاولة على أيدى سيزان محاولة من أجل فهم معنى الوجود ثم ما لبثت أن انتهت الى أتجاه تحليلى لمثل هذه العلاقات الشكلية التى تسيطر على الاشياء . وعندما وصل التكعيبيون فى محاولتهم الى نتائج مجردة فانهم لم يفقدوا الصلة بالطبيعة والاشياء المادية بل ان حركتهم فى جوهرها كانت تعنى البحث عن الارتباطات المجردة فى علاقات الاشياء بعضها ببعض ، ومن ثم فالحركة التكعيبية لم تفقد صلتها بالطبيعة وكان براك وبيكاسو فى مرحلة من حياتهما قبلا هذا الاتجاه

أما كاندنسكى فانه قد بنى مفهومه ومن خلفه كل المدرسة التجريدية على النبذ الكامل للطبيعة . وسار على درب كاندنسكى عدد كبير من الفنانين وطرقوا كافة المحاولات مثل (التلقائية عند شفيدر واللاداعية عند بولوك والهندسية عند موندريان) وانكار الفنانين التجريديين للوجود المادى للعالم الخارجى (الطبيعة والمجتمع على السواء) يفسر الى حد كبير تسمياتهم للوحاتهم بأنها مجرد تكوينات أو أرقام من هذه التكوينات . ولاريب أن تناقضات الحضارة الاوربية وما ادت اليه من عزلة للفنان وأعلاء لنزعاته الفردية قد ادى بدوره الى تعزيز هذا التيار فى الفن الحديث وأن كان اليوم موضع مراجعة عامة من الحركة الفنية فى بلدان الغرب .

ومن هنا يجب التمييز بين اتجاهات التكعيبيين والتجريديين فى الفن على الرغم من أن هناك تشابها مظهريا بين أعمال هذه المدرسة وتلك . فالخلاف بين النظرتين كبير . وكل نظرة منهما تنبع من أصل يختلف عن النظرة الاخرى بل انهما ينبعثان من نظرتين متضادتين .

ولاشك أن لكثير من الاعمال التجريدية قيمة تجريبية . فالاثر الجمالى الذى تتركه يمكن أن يلعب دورا تطبيقيا هاما فى تلوين الحياة . ولكن اذا تجاوزنا عن هذه القيمة فان هناك مخاطر تؤدى اليها هذه الحركة ينبغى الاتفوتنا .

● كل أعمال التجريديين قد نبذت (مع نبذها حقيقة الوجود) فكرة الكتلة والفراغ والابعاد التى تفرضها وجود الاجسام . وقد أدى ذلك الى تسطيح كامل للعمل الفنى . وبذلك أفقدت هذه الحركة لغة التصوير أبعادا وأغوارا تساعد لغة التعبير الجمالية . وتاريخ فن التصوير يؤكد أن العصور التى أختفت فيها الاشكال أو ضمرت وأصبحت شيئا أقرب الى الرموز هى عصور اضمحلال وليست عصور ازدهار . وان عالم الرؤية والرغبة فى التجسيد والتجسيم قد صحبت عصور النهضة . ولذلك كانت الفنون فى العصور الوسيطة تعتمد فى أغلبها على التسطيح والنمطية . ولم يكن ذلك غريبا فى ظروف وصلت فيها عناصر التحريم الدينية الى درجة لم تترك فيها للفنون الا هذه الوسائل تعتمد عليها لكى تعيش وتنتشر . ولقد كان الفنانون يحاولون شتى المحاولات لكى ينبثق مع أعمالهم اشارات للاشياء من خلال النمطيات المتعددة والمكررة .

● من الاخطاء الشائعة أن أعمال التجريديين هى محاولات فى الدراسات الشكلية البحتة . والحقيقة أن هذا يمكن أن ينطبق على المدرسة التكعيبية الى حد كبير فمعالجة الفورمات وعلاقاتها المتداخلة يمثل شكلا من الدراسات الشكلية . ومعالجة المدرسة المستقبلية للحركة والفراغ هى أيضا نوع من الدراسات الشكلية . ولكن المدرسة التجريدية لاتعالج شيئا من ذلك . فمعالجتها محصورة فى النظر الى المشكلات التى تخلقها «البالتيه » (الالوان .. البقع .. الخطوط) أى العلاقات المجردة الناشئة عن مشكلات الوسيلة المستخدمة «Medium» ، والوسائل كانت دائما تحمل للفنان

بعض المشكلات عليه أن يعالجها بتطوير هذه الوسائل وطرق استخدامها . ولكنها لم تكن هدفا فى ذاتها الا عند المدرسة التجريدية .

والفنان التجـريدى بانـكبابه على معـالجة المشـكلات الفنيـة من وحى البالتـه ، وملمس الصورة فانه يحصر نفسه فى اطار البحث عن حيل تكتيكية . وبذلك يضع الفنان نفسه فى عزلة كاملة عن كل ما يحيط به . فليس الفن فى نظره انعكاسا لمعنى الوجود (الطبيعة والمجتمع) وبالتالى فليس هناك وظيفة اجتماعية للفن . وكثيرا ما يقع الفنان التجريدى فريسة حياة المدنية الحديثة الكبيرة حيث لايحظى بأكثر من ركن ضئيل يعيش فيه وهويعانى الغربة يجتر نفسه ويزدره ذاته ولا يجد سلوى سوى اصباغه وادوات عمله . والحصيلة فن غير مألوف للناس يستند الى فلسفة ذاتية ونظرة مبتورة للحياة .

الواقعية ومصدر العمل الفنى

ان مصدر العمل الفنى عند الفنان التجريدى ليس له اهمية تذكر . بل أن الفنان التجريدى ينكره تماما . ولكن الفنان الواقعى على العكس منذلك يبدأ فكرته عن العمل الفنى من خارج ذات الفنان . الفنان الواقعى يدرك أن الاشياء موجودة من حوله سواء ادرك الانسان حقيقة هذه الاشياء او عجز عن ادراكها .

ولكن هل معنى ذلك أن الواقعية فى الفن تعنى بالتحديد استلهام الفنان للواقع الذى يحيط به ؟

الحقيقة أن هنـاك العديد من المدارس الفنية (واقعية وغير واقعية) تستلهم العالم الخارجى كمصدر للعمل الفنى .

والمشكلة الاكثر اهمية هى الكيفية التى يتناول بها الفنان مصادر عمله . كيف يشكل الفنان هذا الواقع المادى الذى يحيط به ؟ وليس هذا الواقع الا مادة خام فكيف يمكن للفنان أن يصقل هذه المادة الخام ؟ كيف يعيد تشكيلها وصياغتها ؟

يسىء البعض الى الواقعيـة فيصورونهـا شيئا ميتا سقيما ، انهم يصورونها شيئا اقرب الى الرؤية الحرفية والنظرة التسجيلية والتصـوير الفوتوغرافى الآلى . وفن التصـوير بالذات اكثر من غيره من الفنون عرضة لان يقع فريسـة هذا الفهم الساذج نظرا لانه يخاطب حاسة البصر ونظرا لان هناك من الفنون ما ينافس هذا الفن فى تقديم عروضه الالية الخطيرة . كما أن تاريخ هذا الفن به كثير من المحاولات التى كانت تهدف بالفعل الى البراعة فى التسجيل والحرفية فى الاداء . وهذا كله يوقع ولا شك الكثيرين فى مفاهيم غثة ومبتسرة حول ماهية الواقعية .

ان مايميز الاعمال الخالدة فى تاريخ فن التصوير هو انها لم تكن تقصر دورها على مجرد المهمة التسجيلية البحتة . فاقتصار دور الفنان على هذه المهمة انما يجعل منه مجرد عدسة غير قادرة على التمييز بين ماهو جوهرى وماهو عرضى ، بين ماهو عام وماهو خاص بين ماهو جزئى وماهو كلى وليست هذه مهمة الفنان ، اى فنان واقعيا كان أم غير واقعى .

حقا أن الفنان يترجم فى عمله مهارات فنيـة مكتسبة ، ولكنه ايضا فى عمله شحنة حسية لا تتوفر لغيره ، وهو يترجم فوق ذلك فكرا . وليس اى فكر انما يترجم فكرا له من الاحاطة الواعية بهموم عصره ما يجعله فكرا شاملا .

وبهذا فقط يمكنأن ترتفع مهمةالفنانالىمستوى عملية الخلق الفنى . وعملية الخلق عند الفنان الواقعى أكثر من غيره لاتكمن فى حيلة تكنيكية او نظرة جمالية ذاتية او تجربة لونية انما هى عملية شاقة . تتطلب من الفنان معايشة للواقع والانبهار بما يحويه من جوانب متعددة ومتنوعة بل شديدة التنوع (هـذا التنوع خاصـية فريدة للواقـع) وعلى الفنان ان يقوم بعملية امتصاص لما اشتمل عليه الواقع من صراعات خفية وظاهرة وأن يدرك فيه عناصر التغيير والحركة ومسار هذه الحركة. وكل هذا لن يتم ادراكه الا **بتحطيم المظهر الشكلى الذى يدل مجرد دلالة سطحية على وجود الاشياء**

لابد اذن من تمزيق هذا الغلاف الخارجى الذى يغطى الحقائق الكامنة وذلك بالكشف عن القوانين التى تحكم حركة الاشياء ثم التعبير عنها بطريقة ما (لتكن فيضا من الجيشان أو ارهافا فى الشاعرية او احكاما فى البناء أو أعتمادا على التحليل والتركيب)

وهذه العملية المعقدة عند الفنان هى ما ينعتها البعض بالجنون . وهى ليست جنونا انما هى عملية أشبه بعملية الولادة .. أنها عملية خلق . انها عملية تتطلب بالضرورة تخطى القيود المعرقلة والانطلاق نحو الحرية .

وفى هذا المجال تلعب ذاتية الفنان دورا هاما واساسيا . فالعالم الموضوعى وعناصره تنصهر داخل ذات الفنان ـــ داخل بوتقة الشعور (الالم .. الفرح .. الزهو .. الاعجاب . .اللذة .. القدرة .. العجز .. وهكذا) وتمتزج الاحاسيس المختلفة عند الفنان بمهاراته المكتسبة والمكتشفة معا ، كما تمتزج ايضا بوعى الفنان وادراكه . ومن كل هذه العملية المعقدة تتشكل الرؤية الفنية

الجديدة وتمنح العمل الفنى طابعه الخاص . فموضوعية الواقع لابد أن تختلط اختلاطا خاصا بذاتية الفنان . وبهذا وحده يمكن أن يخرج العمل الفنى فى أطار من النضج .. فالواقعية تجسيد للوجود المادى للاشياء ولكنه تجسيد جديد من خلال ذاتية الفنان . وذاتية الفنان بدورها نتاج للواقع الاجتماعى . وهى خلاصة تجربة انسانية واقعية . وهذا الامتزاج ، امتزاج الواقع بالذات هو السبيل الحى لان يصطبغ الفن فى مرحلة معينة بصبغة خاصة. وهذا السبيل الى التنوع اللانهائى لاشكال الانتاج الفنى هو سبيل الخروج على النمطية البليدة والانطلاق نحو عالم فسيح من عوالم الرؤية المتجددة .

الواقعية والطبيعية

الواقعية فى الفن لاتعنى التعقيد الحرفى بالاشكال فمثل هذا المفهوم انما يقود غالبا الى الجمـــود ويؤدى الى العجز عن تبين الحقيقة الكامنة فى أعماق الاشياء وعن تبين العلاقات المسيطرة على الاشياء فى ترابطها . وهذا العجز ينتهى بدوره الى سطحية سقيمة واحساس مريض بالعالم . انه ينتهى الى السقوط فى أحضان النظرة المألوفة العادية .. وهى نظرة متخلفة ، قاصرة عن أن تحقق للفن دوره المنشود فى شحذ القوى الروحية لدى الانسان وانطلاقه الى عالم التخيل والاحلام .

وهذا السقوط لايقود قط الى النظرة الواقعية انما يقود الى نظرة أخرى . أنه يقود الى الطبيعية والطبيعية شىء غير الواقعية .

وهكذا يمكن أن نتبين كيف أنه كثيرا ما يقع الخلط بين الواقعية والطبيعية. وحتى اذا لم يكن هذا الخلط مقصودا فانه يؤدى الى الاساءة الى الواقعية وتشويهها .

فالذين ينكـــرون جـــدوى النظرة الواقعيـــة يسيرون الى الطبيعية ويعتبرونهـــا نموذجا للفن الواقعى، وآية ذلك أنهم يذكرون الاسلوب الاكاديمى المفتعل باعتباره فنا واقعيا ! ! وهم يستشهدون أحيانا باشكال للانتاج الفنى المنتشرة فى البلدان الاشتراكية ويقدمونها كنماذج للفن الواقعـــى الاشتراكى . والحقيقة أن غالبية الانتاج الفنى من هذا النوع لا تمثل الا محاولات اكاديمية لتصوير موضوعات دعائية . والغريب أن هذا النوع من الانتاج لاتحس فيه بأثر الثورات المكتشفـــة والمستحدثة من جانب الفنانين التشكيليين العالميين

أصحاب الاتجاهات الواقعية سواء فى مجـــال الدراسات الشكلية او فى مجـــال التعبير وسياق المضمون .. ففى مجال الدراسات الشكلية لن تجد اثرا لبحث سيزان فى وجود الاشياء ولا لرؤية بيكاسو للعلاقات الشكلية التى تحكم الاشياء وفى مجال التعبير عن مضمون لن تجد اثرا للمسات الانســـانية التى تسجلها ريشـــة روو فى قوة أو ريفيرا فى بساطة .

ونهاية الامر فان النظرة الواقعية تشوه على أيدى محاولات اكاديمية ساذجة أو على ايدى هجمات تقدم الفن الطبيعى باعتبارها فنا واقعيا .

ويعمد آخرون الى الدفاع عن الواقعية وهم فى صميم دفاعهم أنما يدافعون عن الاتجاهات الطبيعيـــة . وهـــؤلاء تنقصهم المعـــرفة بتطوير الحركات الفنية المعاصرة وفلسفاتها . ولذلك تجمد نظرتهم عند حدود الدراسات الاكاديمية الميتة أو تجمد عند حدود التطلع الى بعض القوالب الفنية عند بعض الاعمال المعروفة فى مدارس التصوير فى القرون الماضية فى اوروبا .

وكلا الاتجاهين .. الاتجاه المهاجم والاتجاه المدافع يلتقى مع الاخـــر فى العمـــل على دحض الواقعية ومحاولة اخفاء معالمها .

●● واذا كانت **الواقعية تعنى اكتشاف قوانين البناء الفني وعناصر التشكيل الضرورية** والتى بدونها لاتقوم لاى عمل فنى قائمة فان الطبيعية لاتلتفت الى هذه العناصر وهى فقط مشغولة بالرؤية الحرفية التى تؤدى الى تحطيم البناء الفنى وتحويل الاشكال الى عنـــاصر مهلهلة تفتقر الى التماسك والبصيرة الفنية .

●● واذا كانت النظرة الواقعية فى رؤيتها للعالم **تضع يدها على عناصر التباين والتضاد التى تخلق جوا دراميا** يميز الاعمال الفنية الاصيلة فان النظرة الطبيعية لا ترى الا الجمود وبرودة الموت وفقدان الحياة فنظرتها من جانب واحـــد لا ترى صراعا ولا تلمح حركة .

●● واذا كانت الواقعية **قد تصل فى بحثها عن قوانين العمل الفنى الى الرؤية المجردة** ذلك أن القانون العام طابعه **التجريد** (التجريد يصل اليه الفنان من خلال نظرته **الفاحصة** للطبيعية كما ترى فى بعض الاعمـــال **لدى المدرســـة التابعية**) فان المدرسة الطبيعية **تعجز عن الوصول** الى هذه الرؤية اكتفاء بالمشاهدة السطحية .

عناصر الواقعية الحديثة

وتاريخ الفن مليء باتجاهات ونماذج تمثل النزوع نحو اتجاهات واقعية . غير أن مثل هذه اللمحات التى تلمسها وهى تحاول محاولات بدائية فى هذا العصر أو ذاك لم تكن تستطيع أن تصل الى ما وصلت اليه الواقعية بمفهومها الحديث .. ولقد كانت مثل هذه المحاولات تعبر عن نضوج مبكر لدى بعض الفنانين العباقرة تدفعهم الى ذلك بصيرة ووعى وذكاء . ونحن نشهد ذلك فى بعض أعمال دافنشى وهو يتحسس وجود الانسان محاولا تخليصه من القيود التى فرضتها الاثار المتخلفة عن القرون الوسطى . فالانسان عند دافنشى ابن للطبيعة ولذلك نراه وهو ينزع عنه هالات القداسة .

وفى أعمال رامبرانت نراه وهو يكاد يدفع كائناته الى الحركة على الارض لتفعل شيئا رغم سيادة جو المدرسة الرومانسية الغامض .

فان جوج نراه فى أعماله وهو يسعى الى اثبات الحياة وهى تنبثق من كل شيء حوله فى جو درامى لايتكرر .

غير أن هذه الاتجاهات أو تلك فى العصور المتوالية ما كانت لتتبلور فى مفهوم عام جديد أكثر وضوحا يؤذن بميلاد الاتجاهات الواقعية الحديثة الا بتوفر عناصر أساسية جديدة .

●● لقد ساعده الانتصارات التى تحققت مع الاكتشافات والدراسات الشكلية البحتة على بلورة اتجاهات الواقعية الجديدة .. فمهدت محاولات التأثيريين فى دراسة الضوء واللون الطريق الى مناهج جديدة فى الرؤية . وصاغ سيزان ومن بعده بيكاسو ملامح «الفورمات» صياغة جديدة — بعيدة عن عناصر الطلاء والزيف الاكاديمية صياغة عاونت الفنانين على الاقتراب من جوهر الاشياء .

●● مع وضوح التناقضات الاجتماعية الطاحنة منذ أواخر القرن الماضى وأوائل القرن العشرين وبروز الدور الاجتماعى الهام للناس العاديين وبسطاء العاملين وبعد أن وضح مقدار ما يتحملونه من وطأة الحياة الحديثة وما يعانون منه من آثار اجتماعية خطيرة كل ذلك جذب الفنانين الى الاهتمام بالتعبير عن ابسط مظاهر الحياة الاجتماعية وما تشتمل عليه من مأساة للانسان .

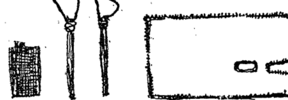
وأخذت النزعات التعبيرية تكون جانبا هاما من الاتجاهات الواقعية فتسجل فى لوحات فان جوج ولوترك وروو وربكمان وجروز وجرومير عناصر هامة من السعى الى الالتحام بمشاكل الحياة المعاصرة .

●● مع الاهتمام بالانسان ومحاولات الكشف عن أغوار النفس الانسانية وبما حوت من تعقيدات وغموض أو بساطة ووضوح أخذت الدراسة فى هذا المجال تفتح للفنانين معين جديد يعمل على تشكيل جوانب جديدة فى الرؤية الفنية قوامها أسرار النفس الانسانية فظهرت فى أعمال شجال سعى لمعايشة الانسان فى أحلامه وفى «صرخة» موتشى انكشفت الرعدة التى تصيب الانسان فى خوفه من المجهول .

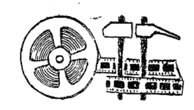
أن الاكتشافات الشكلية الحديثة والعلوم الاجتماعية الحديثة والدراسات النفسية الحديثة مذ شكلت فى مجموعها أو فى عناصر منها مقومات الاتجاهات الواقعية الحديثة . فالواقعية الحديثة فى جوهرها نزول الى أرض الانسان .. الواقعية الحديثة نظرة متحررة فى الاسلوب متطورة فى الرؤية الشكلية وهى تعبير ذكى عن واقع ليس كله جميلا بل ان القبح يظلل أركانا فيه لمعنى بحث مستمر يفضى دائما الى اكتشافات جديدة ولا ينتهى أبدا الى قوانين أكاديمية جديدة والواقعية الحديثة عرض جديد فى متاهات النفس البشرية .. انها محاولة جديدة لادراك الحقيقة .

ان محاولات الفنانين الواقعيين فى الفنون التشكيلية وفى السينما وفى الادب لا زالت رغم كل شيء محاولات وليدة تبحث وتكتشف وتبذل الجهد العظيم لارساء مفاهيم أرقى عن الواقعية . مفاهيم أرقى من مجرد تصور الفلاحين وهم يسوقون جراراتهم أو العمال وهم يديرون آلاتهم ، مفاهيم أرقى من مجرد الالتصاق بدنيا شكلية بحته ولوحات فيها الانسان مسحوقا .





مستقبل الفيلم العربي
والمستوى الفنى.. والتذوق الجماهيرى



صلاح أبو سيف

منذ أكثر من عشرين سنة والسخط على سوء حالة السينما المصرية قائم ومتزايد حتى ان النقد أصبح اليوم من العادات الروتينية بين فئات المثقفين من الرواد أو على صفحات الجرائد اليومية والفنية .

ذلك ان الكل قد أصبحوا ينظرون الى السينما باعتبارها فنا ميئوسا منه نتيجة ما شاهدوه من محاولات الاصلاح التى انتهت بالفشل أو التى لم تتعد أكثر من كونها صيحات تدوى بالشكوى وتدعو الى الاصلاح والنهوض بأمر هذا الفن دون أن تنطوى على وسائل علاجية فعالة . وطوال ثلاثين عاما وتاريخ السينما فى بلادنا هو عبارة عن مزيد من الانتاج الردىء مع مزيد من النقد والتجريح وبينهما تسقط المحاولات الجادة شهيدة هذا الصراع الذى لا ينتهى ولا تترك فى الطريق الا علامات تقدم تنتظر من يواليها .

ولا شك أن انشاء مؤسسة السينما هو خطوة هامة وتاريخية فى سبيل الاصلاح ذلك أنه خطوة عملية مؤيدة من الدولة وتحددها سياسة واعية رشيدة . لذلك يتحتم علينا اليوم أن نواجه الوضع بصورة حاسمة وفعالة حتى نحقق نهضة حقيقية ونعيد خلق فن السينما من جديد فى بلادنا .

ولا يتأتى ذلك الا بدراسة شاملة لطبيعة العمل السينمائى مع اجراءات حاسمة لتغييره وتطويره فيما يتعلق بالقوى البشرية المرتبطة به والامكانيات التكنيكية والتنظيمية المتاحة له .

القوى البشرية

والقوى البشرية التى تمثل العماد الرئيسى الاول للانتاج السينمائى تتكون من مجموعة الفنانين والفنيين العاملين به ، وهم المخرجون ، وكتاب السيناريو ، والممثلون ، وفئات الفنيين الاخرى . وسوف نركز حديثنا على فئة المخرجين لا لأن

المخرجين هم قادة العمل السينمائى المسئولين عن نتيجته فقط ولكن باعتبارهم مثلا يحتذى به فى اصلاح الفئات الاخرى من الفنيين . وينقسم المخرجون الى عدة فئات :

الفئة الاولى : وهم مجموعة المخرجين الذين يكونون الصف الاول . وهم من حيث العدد لا يزيدون عن اصابع اليد الواحدة . والملاحظ انهم رغم ما استحدثوا من طفرات فى الاخراج السينمائى وما تحقق على ايديهم من تقدم فنى ، الا ان الجمود قد بدأ يزحف على انتاجهم مما يهدد بأضعاف قدراتهم الابتكارية . الامر الذى يستلزم سرعة مواجهتهم بهذه الحقيقة حتى يجددون طاقاتهم ويواصلون تقدمهم . لذلك لا بد من تثقيفهم بطريقة تحقق للمؤسسة الاشراف على هذا التثقيف . ويتم ذلك بالصورة التالية :

● القاء محاضرات ذات مستوى فنى خاص يقوم بها متخصصون مصريون او اساتذة زائرون من الاجانب ويختار الاساتذة الاجانب اختيارا دقيقا بحيث يستبعد ذوى الميول الصهيونية او ذوى الاتجاهات الرجعية المعادية لبلادنا . على ان يختاروا ايضا على اساس من احتياجاتنا فى المرحلة الحالية وهى مرحلة الانطلاق العظيم ، وذلك من حيث قيمتهم الفكرية . اما من حيث قيمتهم الفنية فيختارون على اساس انهم افضل من يمثلون فرع تخصصهم .

● عرض افلام التجارب الهامة فى العالم سواء من الناحية الكلاسيكية او من الانتاج المعاصر من المدارس والمذاهب الفنية المختلفة . مع دراسة تفصيلية لهذه الافلام .

● ارسال بعثات قصيرة لمختلف المهن الى البلدان ذات التقدم التكنيكى والفنى . على ان تكون هذه البعثات تحت اشراف دقيق من قبل المؤسسة ومن قبل الملحقين الثقافيين . ويلزم كل مبعوث عند عودته بكتابة تقرير مفصل والقاء محاضرات تكنيكية تفصيلية لبقية زملائه حتى يتبادل الجميع الخبرات .

● استحضار خبراء فى نواحى الاخراج الخاصة (وباقى فروع المهنة المختلفة) للمعاونة والتدريب والتعليم على ان يخضعوا لنفس اسس الاختيار الخاصة بالاساتذة الاجانب .

● اقامة مركز تدريب مهنى وتجريبى للسينمائيين بحيث يحصلون على أعلى خبرة تكنيكية فيه تؤهلهم لتحقيق التجارب الجديدة وتطلق قدراتهم الابداعية .

الفئة الثانية : وهم مجموعة المخرجين الذين يكونون الصف الثانى . وهم من حيث العدد اكثر نسبيا ومنهم ما هو مستعد للتطور ويرغب فيه وهذه الفئة يجب ان تمنح الامكانيات لصقل مواهبها وفتح السبل للدراسة والتمرين على ان يكون ذلك تحت اشراف المؤسسة الفعال بان يوضعوا فى حلقات دراسية وتدريبية مماثلة لزملائهم من الفئة الاولى . على ان توجه الدراسة لهم حسب طاقاتهم الخاصة مع مراعاة ميولهم التكنيكية وقدراتهم الابداعية وتاريخهم . حتى اذا ثبتت صلاحيتهم نقلوا الى الفئة الاولى بعد امتحانات علمية دقيقة .

الفئة الثالثة : وهم يشكلون عددا كبيرا من المخرجين المقيدين رسميا بالجداول ولقد وصلت اسماؤهم الى تلك الجداول دون كفاءة حقيقية ودون عمل حقيقى . وهم يمثلون عبئا شديدا على كاهل السينما المصرية فهم فوق أنهم لا يمارسون عملية الاخراج منذ سنوات طويلة فقد أثبتت الظروف انهم لا يتمتعون بالقدرة التى تؤهلهم لذلك . لقد فتحت الطرق امامهم أكثر من مرة وهم لا يصنعون شيئا الا تأكيد عجزهم عن السير فيها .

ونظرا لكونهم يشكلون عددا كبيرا ونظرا لكونهم عاجزين عجزا فنيا عن العمل فانهم يكونون بطبيعة هذه الظروف خميرة للتفسخ والتعفن داخل مجالات المخرجين . فهم لا يكفون عن المطالبة بحقوقهم كمخرجين لا يتجاهلون عجزهم فحسب بل ويثيرون ايضا الشكوك والبلبلة فى الوسط الفنى كله الامر الذى يمنع عجلة التقدم بل ويدفعها الى الوراء .

لذلك فنحن ازاء وضع شاذ يتطلب منا اجراء حاسما قبلهم وذلك برفع اسمائهم من قائمة المشتغلين بالاخراج مع اعتقادى ان اى حل آخر غير هذا سيكون نتيجته الدائرة المفرغة التى يسير فيها فن السينما منذ ثلاثين عاما .

وقد يحتجون بالبطالة وقطع العيش ، ولكننا بازاء احياء فن وسمعة دولة ، ومع هذا فمن الممكن تيسير اى عمل لهذه الفئة بشرط الا يوضعوا ابدا فى مراكز تمكنهم من السيطرة على زملاء مخرجين لهم سابقين . حتى لا ندع الفرصة لاثارة الاحقاد الامر الذى يصيب الانتاج نفسه بعملية تدمير وتخريب جديدة . فلا شك أن من أهم المخاطر التى تتعرض لها السينما ان يسيطر على الفنانين اداريون عاجزون ذاقوا مرارة الفشل فى العمل الفنى . فى الوقت الذى نحن احوج مانكون فيه الى نوع ممتاز من الاداريين الاكفاء ذوى الموهبة الادارية الحقة .

الفئة الرابعة : وهؤلاء هم خريجو المعاهد الفنية ، وهم فى حاجة الى أن تمتحن مواهبهم التطبيقية فى مجال الانتاج العملى حتى لا يصبحوا عبئا على كاهل عملية الانتاج ذاتها فيشكلون خطرا شديدا قوامه الفصل بين النظرية والتطبيق .

ولا شك ان الظروف تحتم بالنسبة لهـؤلاء بالذات ، باعتبارهم ممثلى الجيل القادم من الفنيين الذى يجب ان يظهر الى الوجود على اسـس تختلف عن زملائهم السابقين ، الذين ساعدتهم مواهبهم وحدها وحبهم وجهادهم فى العمل على اثبات كيانهم — لا شك انهم يجب ان يجتـازوا أول خطوات حياتهم العملية وهم مؤهلين تأهيلا صحيحا . لذلك فانه من المفروض نتيجة اهمية الدور الذى سيلعبونه فى حياة السينما فى الفترة المقبلة ان لا يحصلوا على اجازاتهم الدراسـية الا بعد فترة تمرين عملية فى الاستديوهات التابعة للمؤسسة وتحت اشراف خبرائها واسـاتذتها وبذلك يخرجون الى الحياة دون حاجة الـى ان نكرر معهم نفس الدور الذى نواجهه ازاء بقية المخرجين السابقين .

ان هذا الاجراء ضرورى ونابع من احتياجات ظروفنا نحن ، بصرف النظر عن أية صورة أخرى لاى معهد سينمائى آخر فى العالم ، والى ان يتم هذا الاجراء فاننا يجب أن نلحقهم فور تخـرجهم بحلقات التدريب والمشاهدة والتجريب حـتى يحققوا المستوى اللازم لتشغيلهم . هذا الى جانب ضرورة تطوير برامج الدراسة وصبغها بالجدية حتى تتمشى مع الدور الذى يجب أن يؤديه المعهد فى حياتنا السينمائية .

الامكانيات التكنيكية والتنظيمية

لا شك ان التنظيم هو العماد الاساسى لعملية الانتاج السينمائى وبغيره تتكبد قوى الانتاج اعباء ضياع الوقت والمال الامر الذى يحيط النتائج دائما بعوامل الفشل والضعف . على أن الوسـائل التنظيمية التى نقترحها والتى اصبحت لازمة اليوم اكثر من اية فترة اخرى لدفع عجلة الانتاج الى الامام والى رفع مستواه يجب أن تكون فى اساسها مدعمة بروح الانتاج الاشتراكى حتى تحقق الهدف المرجو منها وهو خدمة الشعب والدولة .

وهكذا نرى ان التنسيق بين جميع الهـيئات الانتاجية التابعة للمؤسسة هو قلب عملية التنظيم ذلك ان التنسيق هو وحده القادر على محو جميع آثار ومتناقضات الانتاج الفردى التى تنوء بأعبائها صناعة وفن السينما الآن فى بلادنا .

اما عملية تنظيم الانتاج ذاتها فيجب ان تشمل جميع المراحل التى يمر بها الفيلم منذ بداية تحضيره الى أن تتم عملية التنفيذ التى تؤهله بعد ذلك لان يكون صالحا للعرض على الجمهور .

مرحلة التحضير

القصـــة :

● فى هذه المرحلة يجب ان نختار الاعمال الروائية الصالحة للانتاج بناء على خطة مدروسة قبلا تراعى اهـداف الشعب والدولة . مع تأكيـدنا بضرورة التنسيق بين الاجهزة الانتاجية الاخرى .

● يجب الا تخضع الافكار والروايات المختارة لقاعدة الاسماء التجارية او المشهورة فقط بل يتم اختيارها بناء على قاعدة الاصلح من حيث التعبير عن حياة الشعب فى مراحله المختلفة سـواء من الناحية التاريخية او المعاصرة او المقبلة .

● على ان يكون الاختيار ايضا متحـررا من الاهواء الشخصية او دوافع الصداقة والمعرفة أو متأثرا باتجاهات الصحفيين او المنتفعين او ذوى القدرات الكاذبة . ذلك ان السينما هى أوسـع الفنون تأثيرا على حياة الشعوب ومن الخـطر ان تكون الافكار التى تعبر عنها أو تصورهـا خاضعة لاتجاهات ذاتية أو مؤثرات فاسدة .

● ويتم الاختيار بناء على تقارير مستوفاة تشمل توضيح القصة واهدافها وامـكانياتها السينمائية مع بيان اهميتها للمرحلة الحالية .

● يتم الاختيار والانتاج بناء على خطة تفصيلية شاملة لكل سنة ، تدرس دراسة كافية ويراعى فيها حقيقة الامكانيات البشرية والتـكنيكية على ضوء اهداف الشعب والدولة .

السيناريو :

● يعطى كتاب السيناريو الوقت الكافى لتنفيذ التزاماتهم حتى نقضى على مظاهر الكلفتة والتعجل، ولسنا فى حاجة الى التوضيح اننا لا نستطيع ان ننتج فيلما جيدا بغير سيناريو جيد . بل ان تدهور صناعة السينما فى بلادنا يرجع فى المحل الاول الى عدم وجود سيناريو سليم من الوجهتين الفـكرية والفنية . كما ان العيب الاكبر فى جميع السيناريوهات التى تقدم الآن هو انها تكتب فى ظروف تعجـل وتسرع فلا يمنح الكتاب الفرصة الكافية لانضاج افكارهم او لمراجعتها او حتى اصلاحها . لذلك فان الوقت الكافى هو احد العوامل الهامة التى تساعد على رفع مستوى السيناريو بالاضافة الى عوامل اخرى لا تقل عنه اهمية .

● المساعدة على خلق جيـل جديد من كتاب السيناريو مع اعطائهم الفرصة المناسبة للعمـل تحت اشراف من سبقوهم من كتاب السيناريـو ذوى الخبرة والكفاءة حتى نتمكن من الاعتماد عليهم كلية بعد ذلك .

● يناقش كل سيناريو مناقشة تفصيلية كاملة (وقد وضعنا للشركة نظاما يقضى بمراجعة كل سيناريو بواسطة اثنين من كبار المخرجين أو المؤلفين لقاء مكافأة مالية مناسبة) .

● ولا يبدا فى تنفيذ السيناريو الا بعد التأكد الكامل من صلاحيته من الوجهتين الفكرية والفنية ويمنع منعا باتا أى شروع فى أى اجراء تنفيذى قبل صلاحية السيناريو من الوجهة التنفيذية توفيرا للطاقة البشرية والمال .

● يحظر على كل مخرج دخول الاستوديو لبدء عملية التنفيذ قبل التأكد التام بالوسائل القانونية والتنظيمية من انه قام بدراسة السيناريو دراسة واعية وتفصيلية وشاملة .

● لا يبدا المخرج فى التنفيذ ايضا الا بعد اجراء عدد كاف من البروفات اللازمة قبل دخول الاستوديو (وهو مالا يحدث ابدا هنا نظرا لضيق الوقت وتهرب الممثلين والفنيين) .

● توقع عقوبات رادعة على المتخلفين أو المستهترين من الفنانين أو الفنيين اللازمين لهذه البروفات ولا يستثنى من ذلك النجوم أو المخرج نفسه .

● قبل البدء فى التنفيذ يراعى استكمال جميع الاحتياجات الماديةوالالية والتصريحات والدراسات التى يؤدى نقصها الى تأخير العمل واضاعة المال والجهد .

مرحلة التنفيذ

● اننا فى حاجة الى مواجهة ضرورات هذه المرحلة مواجهة صريحة وحاسمة ، فنحن اذا تمكنا منتحقيق الاجراءاتاللازمة بتنظيم مرحلة التحضير ورفع مستواها الفكرى والفنى ، سنظل نواجه بالعقبات الوافرة التى تشتمل عليها مرحلة التنفيذ . ذلك انه بغيرها يتعذر علينا تحقيق فن جيد فهى تشمل كلمايتعلق بعملية الاخراج من تمثيل وتصوير ومونتاج ومعامل وما الى ذلك .

فمع افتراض امكان ارتفاع قدرات المرحلة التحضيرية – بعد الاجراءات السابقة – وهى قدرات بشرية صرفة سيظل التخلف التكنيكى عائقا قويا وحاجزا يحول دون تحقيق اهدافنا الفنية . ولسنا فى حاجة الى التوضيح بل الشئ وصف القدرة الضعيفة للاستوديوهات . فجميع الاتها ومعاملها فى حالة مزرية فهى قديمة وبالية بالاضافة الى كونها غير كافية .

وهى فى وضعها الحالى لاتساعد على انتاج مشرف ، كما انها لا تمكن العاملين فيها من تلبية احتياجاتهم التى وضعت بناء على ابسط الامكانيات الالية . ولا مجال هنا للمقارنة بين امكانية هذه الاستوديوهات الضئيلة مع الامكانيات الوفيرة التى تتمتع بها بعض الاستوديوهات فى البلدان ذات الظروف المماثلة ونحن نستبعد من الاذهان استوديوهات الولايات المتحدة الامريكية بالطبع . على ان المقارنة لا يجب ان تكون قيدا بقدر مايجب ان تكون مثلا يحتذى . فلا شك ان صناعة السينما ترتكز فى جميع البلدان على مايقدمه الخبراء يوما بعد يوم من وسائل التقدم التكنيكى والحرفى الذى يمكن الفنانين من تحقيق أهدافهم وخيالاتهم .

لهذا يجب ان تسير عملية التحسين الالى للاستوديوهات حسب اتجاهين :

● استكمال النقص الحالى بآلات ومعدات حديثة من كاميرات واجهزة صوت ومعامل .

● متابعة عملية التجديد الآلى بحيث تكون الاستوديوهات دائما على احدث طراز وحتى لا تتعرض بعد فترة قصيرة من الزمن لمثل الازمة التى تتعرض لها حاليا .

هذا بالاضافة الى الاهتمام بعملية/الصيانة وهى فى رأينا من أخطر المراحل التى تتعرض للاستوديوهات . ذلك انها تمثل احتياجا دائما يتطلب تنظيما دقيقا ومتابعة مستمرة .

كما ان من الضرورى تنفيذ نظام «التحكم النوعى » الذى سبق أن أقره مجلس الادارة ولكنه للاسف لم ينفذ حتى الان ، وذلك لان هذا النظام قادر على تحسين المستوى الصناعى للفيلم .

ولا شكان تحسين ظروفالعمل للطاقةالبشرية داخل الاستوديوهات وخارجها من اهم العوامل التى تدفع بعملية الانتاج الى التقدم والسرعة . كما انها فى النهاية تخفف تكاليف الانتاج على عكس ما يتصور البعض انها عبء مضاعف على انتاج الافلام . فمن المؤكد ان الوقت ورفع الكفاية الانتاجية للعاملين تحت ظروف ملائمة كفيل مع بقية الاجراءات الاخرى بتعويض تكاليف تلك التحسينات الضرورية . لذا يجب ان نوفر الظروف الملائمة للممثلين سواء اثناء التصوير داخل الاستوديوهات او خارجها ويستلزم تزويد الاستوديوهات بآلات تكييف الهواء .

كما انه من الضرورى ايضا الاهتمام بحجرات

الملابس والراحة مع تزويد الاستوديوهات بوحدات طبية ذات قدرة فعالة .

ولقد تبين لنا من واقع التقارير الخاصة بالافلام التى انتجناها فى الفترة السابقة ان كثيرا من الممثلين والممثلات وبعض الفنيين لا يؤدون اعمالهم بدافع الحرص والاتقان . بل انهم كثيرا ما يستهترون ويعرضون اوامر الاعمال وعملية الانتاج للعبث والفشل .

لذلك يجب ان توقع عقوبات رادعة على الممثلين كبارا او صغارا من الذين يستهترون بالعمل او الذين يهملون فيه أو الذين يتهاونون فى تحقيق المطلوب منهم او الذين يتلكأون بدافع غرورهم . ويجب ان تصل العقوبات مع الغرامات المضاعفة الى حد الوقف عن التعامل مع الهيئات التابعة للمؤسسة . على ان ينفذ قانون واحد بالنسبة للجميع .

مرحلة العرض

لا شك ان دور العرض المناسبة قليلة جدا ، ويتكثف اغلبها فى القاهرة والاسكندرية ولسنا فى حاجة الى القول بان ذلك قد اصبح وضعا شائنا ومهينا للرواد بجانب كونه عاملا معرقلا لانتشار الافلام . لذلك يجب :

- الاهتمام بدور السينما الحالية وتحسين اثاثها ووضع نظام صارم لنظافتها وادخال آلات التكييف بها حتى يتمكن الرواد فى الصيف الحار من دخولها واحتمالها .

- انشاء عدد آخر من الدور النظيفة المكيفة بالقاهرة والعواصم .

- انشاء دور سينما فى جميع القرى . وهناك تجارب كهذه فى بلاد مختلفة يمكن الاستفادة بها بحيث نوفر لسكان كل قرية دارا صغيرة ونظيفة ومريحة بأسعار تتناسب مع دخولهم .

الجمهور

ان خلق جمهور واع بفن السينما يرفع مطالب الناس الفنية الامر الذى سوف يساعد تدريجيا على محو الفرق بين ما يعرف باسم جمهور الدرجة الثالثة او الثانية او الاولى . ويتم ذلك بطريقتين اساسيتين الى جانب عدد آخر من الوسائل الهامة .

اولا : الاكثار من انشاء جمعيات الفيلم بحيث تمتلىء البلاد كلها بمثل هذه الجمعيات فتشتمل كل قرية على جمعية خاصة بها .

- تسهيل الامكانيات لتوفير الافلام ذات الاهمية الخاصة من الناحية الفكرية والفنية والتاريخية حتى تحصل عليها هذه الجمعيات بسهولة .

- توفير عدد من المحاضرين لتعريف اعضاء هذه الجمعيات بالاهمية الفكرية والفنية لهذه الافلام .

ثانيا : ادخال فن تذوق الفيلم فى المدارس

— على ان يكون هذا الفن مادة اساسية من مواد الدراسة تماما كالادب والشعر والدراما . وذلك لما للفيلم من اثر خطير وهام على الانسان فى جميع مراحل سنه وتطوره

— وحتى يتم ذلك تقوم المؤسسة بالتعاون مع الهيئات المختصة على ادخال فن تذوق الفيلم تدريجيا بالمحاضرات التى يلقيها كبار المخرجين والمؤلفين السينمائيين على الطلبة بالمدارس المختلفة .

— الاتفاق مع هيئات الجامعات المختلفة على توفير السبل لنشر الوعى السينمائى وفن تذوق الفيلم بين طلبتها سواء بالرحلات الداخلية للاستوديوهات او بالمحاضرات او بالافلام الهامة او بمساعدة جمعيات الفيلم التى تنشأ فى الكليات

ثالثا : نشر الثقافة السينمائية

— انشاء مجلة سينمائية علمية متخصصة تنقد الافلام نقدا موضوعيا بالاضافة الى ما تقدمه من مواد تحليلية او تاريخية على ان يمنع نشر اخبار النجوم بها او التحدث عن حياتهم الخاصة او العامة منعا باتا على صفحاتها .

— العمل على توفير مساحات معقولة للنقد السينمائى بالصحف والمجلات يشرف عليها مختصون موضوعيون .

الـوعى الطبـقى عند فلوبير

تتابع الطليعة نشر دراسة الوعى الطبقى عند فلوبير ويتناول سارتر فى هذا المقال ، مجموعة التناقضات التى شاركت فى صنع شخصية فلوبير كفنان برجوازى . ويضع سارتر بذلك منهجا متكاملا فى الدراسة الادبية يطابق فيه بين الحياة الخاصة للاديب وما ينتجه من أدب ، وعلاقة كل من الاديب وادبه بالطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها .

جان بول سارتر

التناقض الاول

أن فضول المراقب ، بما ينطوى عليه من دهاء ، يصطدم ويتعطل بسبب خوفه من ان يتعرف على نفسه . وبقدر ما يصمم فلوبير فى قرارة نفسه على الاندماج فى الفئات العليا من البرجوازية فان هذا البرجوازى ـ خاصة اذا كان ذا مركز مرموق ـ هو فلوبير ذاته وقد غدا موضوعا لتحليل نفسه .

وخير مثال لذلك هو اشيل ... ان جوستاف لايرحمه عندما يتزوج «ان أشيل فى باريس لنيل شهادته الدراسية وليؤثث منزله . انه على وشك أن يصبح رجلا مستقرا وسوف يشبه الشعبة المرجانية المستقرة على الصخور»(١) . ولئن استطاع أن يسخر من شقيقه الاكبر دون أن يصيبه من ذلك اذى فانما السبب فى ذلك هو تصميمه على أن يظل اعزب (وهو اصرار متأصل فى نفسه ويرجع لايام طفولته، وسببه لعنة صبها ابوه على راسه فى ارتباط بفزعه من الانجاب) . غير أن الامور تتدهور اذ يتضح أن الابن الاصغر يحلم هو الاخر بأن يعيش عيشة الناسك فى رحاب أسرته ولا يتمنى سوى أن يصبح خاملا أحمق، وأن اشيل بوجه عام يضرب له المثل لما يجب ان يكون هو جوستاف عليه . هكذا يتولد الازدراء من الحقد ويتداعى امام الجسد . وكل شىء يجرى كما لو كان جوستاف يفكر على النحو التالى لو لم يكن العالم جحيما لكان اشيل هو أنا، مع فارق بسيط هو أن مسلكى كان سيفضل مسلكه وانى ما كنت لاتزوج . فكيف يمكن اذن الحكم عليه أن لم يكن على كل حادث عرضى على حدة ؟

ولهذا السبب ذاته فان البرجوازيين فى بيئته يخيفونه ومن الغريب انه اذا غضب منهم فانه يسقطهم من طبقتهم ويجعل منهم برجوازيين صغارا . وهو يفعل ذلك من باب الحرص ، انه

---

(١) مراسلات ـ ١٠ ـ ٤٧ .

يبعدهم ويحط من مركزهم لانهم يثيرون الشبهات حوله . ان احدا لا يأخذ عليه انه يكره بيرانجيه(٢) . لكن لماذا يكتب قائلا «انه فتى من فتيان المكاتب والحوانيت انه برجوازى بمعنى الكلمة» لا هل فتى المكاتب هو النموذج الامثل للبرجوازى لا لقد كان بيرانجيه برجوازيا بكل تأكيد ولكنه كان برجوازيا بطريقته الخاصة . والبرجوازى الصغير صاحب الحانوت برجوازى بطريقته الخاصة هو الاخر . ان مؤلف الاغانى ينتمى بحكم مهنته ومستوى معيشته الى الفئات العليا من الطبقة الوسطى ، بينما ينتمى الاخر الى الفئات الدنيا . وان قيل أن الاول يغنى للثانى فان هذا غير دقيق ذلك ان أغانيه تعكس الروح الطبقية البرجوازية ككل وما ينتج عن ذلك من تحديدات سياسية . ولهذا السبب كتب سنة ١٨٣٥ يقول :

« بدأت خلال المائة يوم (٣) أتبين ما يمكن أن يعود بالنفع على قضية الحرية من الشعر المصطبغ بصبغة قومية حقا ». والواقع انه مثل فلوبير كاتب برجوازى الا انه كاتب سيىء ولكن عندما يريد فلوبير أن يرتقى فوق مستوى أقرانه فانه يجعلهم دونه فى السلم الاجتماعى .

وهذه الطريقة تلفت النظر فى رسائله التى يرجع تاريخها الى ربيع ١٨٤٥ . ان كارولين وهامار فى شهر العسل وكل العائلة فى صحبتهم عند أشيل . لم يعد جوستاف يفيق من الغضب . انه يبث الفريد شكواه قائلا «هذه ثانى مرة ازور فيها البحر الابيض كالبقال» . نعم مرتين . ففى المرة الاولى كان بصحبة الدكتور كلوكيه . فماذا يقصد بذلك انه يقصد أن زملاءه لايحبون مايحب وانه يكره مايعجبهم . ومن هم زملاؤه هؤلاء لا انهم بورجوازيون صغار بكل تأكيد ، يزاولون المهن الحرة . ولكن اذا قاموا برحلات كالبرجوازيين واذا فضلوا فى المتاحف «محارى المياه الصغيرة على المحيط» فهل فى هذا مايدعو لوصفهم بانهم بقالون ان البقال ليس افضل ولا أسوأ منهم . انه فقط مختلف عنهم وليس على شاكلتهم . فهل نعتبر أنه يمثل النموذج الامثل لذلك النوع من البشر وانه يركز فى نفسه كل رذائل طبقة تضم فى نظر فلوبير الطبقات الوسطى والبرجوازية العليا الصناعية اذا كان الدكتور فلوبير قد أظهر عدم تأثره بفن التصوير واذا كان قد تثاءب أمام المناظر الطبيعية فانما السبب هو أنه عالم وفيلسوف . وهذا هو نوع اللامبالاة الذى كان ينبغى تشخيصه ووصفه . ان وقوف العالم فى مواجهة الجمال موضوع زاخر بالمفاجآت ولم يخش توبفر مواجهة نفسه فيه . وليس البقال هو الذى يثير اهتمام فينى وشاتوبريان ولا مارتين انهم يحقدون على سادة عالم الغد اى رجل البنوك ورجل الاعمال ورجل الصناعة . أما البقال فانه على العكس من ذلك بعبع البرجوازية المثقفة : نهى مازالت تذكر مدارج صعودها ويخيل اليها انها تنطوى على هوة سحيقة وتخشى من التردى فيها من جديد حتى مستوى الحانوت . ويكفى لسقوطها أن ترتكب بعض الاخطاء او أن تعانى من آثار تربية سيئة . وسنجد بعد عشرين عاما عند مالارميه(٤)، وكان أبوه وجده من صغار الموظفين،نفس الشعور بالتقزز من صغار التجار . فهؤلاء العاملون « غير المنتجين » فخورون بمهنهم الحرة ويعتبرون أنفسهم ارستقراطيين ، لقد تخلصوا من الحساب المزدوج حساب (منه) و (له) وهم لا يشترون من أجل اعادة البيع بل من أجل الامتلاك . لكن تربطهم بالتجارة وشائج كثيرة وهذا ما يجذبهم ، انهم يحددون بالقياس اليها حريتهم المعرضة للزوال . ان فلوبير يفضح أصله بما يتفوه به من شتائم ، انه ينتمى الى البرجوازية الليبرالية . ولهذا السبب بالتحديد يخفق فى وصف هذا الوسط من العلماء ورجال الاعمال والفنانين والموظفين الميسورى الحال . وعندما يسبهم فهو يتظاهر بالاعتقاد بأن مخاوفهم تحققت ــ وهو يشاطرهم هذه المخاوف بالضرورة ــ وبانهم وقعوا من جديد فى المدارج السفلى . والواقع أنه لوقدر له أن يكشف النقاب عن «رذائل» الطبيب الفيلسوف بارجاعها الى وضعها البرجوازى لطعن نفسه بنفسه ولكنه يفضل أن يرى فيه واحدا من سدنة العلم يخرج على الاصول ، او كبيرا للجراحين يتصرف فى المتاحف كطبيب بيطرى . والنتيجة هى ان كلامه لاذع بدرجة غير معقولة .

ويزيد من هذا ان فلوبير يندمج فى طبقته بنفس الطريقة التى يفضح بها عيوبها . مثال ذلك حكمه على هامار وهو حكم ذو مغزى كبير حيث يقول ان (اميل) هو السوقية بعينها (٤) . وقد يدهشنا هذا التقييم من ناحية معينة : فمن وجهة نظر جوستاف لابد أن يكون البرجوازى سوقيا . ولكن هل هذه قسمة ثابتة لذلك الجنس اللعين أم انها متغيرة مستقلة ؟ وعلام تتوقف فى الحالة الثانية ؟ هل هناك سوقية خفية منهكة عند الدكتور فلوبير ام ان علمه وعمق أفكاره قد حصناه الى الابد ؟ هذا ما لم نعرفه ... ولا يجب

---

(٢) الطليعة : مؤلف اغانى (١٧٨٠ ــ ١٨٥٧) كان فى بادىء الامر يحب الملذات والتمتع بالحياة ثم اصبح وطنيا وسياسيا . ومن اغانيه الشعبية الشهيرة « الصول العجوز » ــ « الجدة » .

(٣) الطليعة : الفترة التاريخية فى فرنسا من ٢٠ مارس ١٨١٥ حين دخل نابليون باريس حتى ٢٢ يونيو من نفس السنة وهو تاريخ تنازله الثانى عن العرش . وقد اتسمت هذه الفترة بمحاولة لقيام حكومة أكثر ليبرالية .

(٤) الطليعة : شاعر ١٨٤٢ ــ ١٨٩٨ قائد الحركة الرمزية .

أن تتصور أن فى الاستطاعة العثور على عناصر اجابة عن هذا السؤال فى شخصية الدكتور لاريفيير . صحيح ان هذا العلامة يتحلى « بالعظمة وبدماثة الاخلاق» ، ولكنه يجد لذة مشبوهة فى الاستماع لثرثرة الصيدلى وتفاهاته . وما حال جوستاف ؟ اليس سوقيا فى نظر الاخرين ؟ (٥) ان جان بيير ريشار (٦) يلاحظ بحق أن«مرح» فلوبير « يحتفظ » (بشىء) من الابتذال بل ومن السوقية» الاصيلة . ويتحدث الاخوة جونكور (٧) عن جانب «البائع الجوال» فيه ويربطون هذا الجانب «بهوايته للتدريبات العنيفة» وبميله الى ارتداء الملابس المهملة وتبنى الافكار المفككة .... وبنفس اللهجة التى يتذوق بها مقدما مع ارنست شيفاليه متعة الوجبات التى سيتناولانها سويا فانه يعاهد نفسه فى ابريل ١٨٤٦ على «سكره مع اليونان وصقلية» . انه «يتخم نفسه » بالشعراء اللاتين . اما الالوان فهو يريد «ان يملأ بها احشاءه الخ الخ (٨) » .

ومع ذلك فان هذه الفظاظة مقصودة . لكن فى نفس الوقت الذى يدين فيه هامار بهذه الصرامة الا يحصر كل «البقالة» فى فكرته النبيلة عن حياة الفنان ؟ «كم يكون جميلا ان تتشكل حلقة من الصبية المرحين ، جميعهم من أهل الفن ، يعيشون سويا ويجتمعون مرتين أو ثلاثا فى الاسبوع لاكل مالذ وطاب واحتساء كأس من النبيذ الطيبة مع تذوق انتاج شاعر ممتع » (٩) . ان استخدام الشعر فى أغراض الاكل على هذا النحو يثير التقزز . وسوف يتحقق هذا الحلم فى مآدب العشاء الشهيرة التى كان يتقيأ تاين (١٠) على نفسه بينما تتقيأ جورج صاند (١١) تحت مقعدها .

وليس هذا أسوأ مافى الامر . ان الاخطر من ذلك أن جوستاف مضطر من أجل ادانة سوقية اميل الى تبنى احدى المقولات الرئيسية للحساسية البرجوازية وهى التميز . ولقد أصاب اللفظ والمعنى تغيير جذرى . ففى ظل النظام القديم تشير هذه الكلمة الى فوارق موضوعية بين الناس لا تجعل بعضهم حتما متفوقا على البعض الاخر أو الى عمل صادر من الله أو من الملك يميز مخلوقا أو فردا لتكليفه بعمل جليل . ففى نظر البرجوازى الانجليزى الذى يحسده البرجوازيون فى بلادنا فى القرن الثامن عشر ، فان التميز هو اولا عملية ارتقاء الى مستوى النبلاء بسبب خدمات أداها الشخص للامة . اما عندنا بعد ثورة يوليو (١٢) فان طبقة النبلاء تلفظ أنفاسها الاخيرة والملك يتبرجز . ولئن كف التميز عن ان يمنح من فوق من قبل الحاكم ، فقد غدا صفة للطبقة صاحبة الامتيازات ومبرر التمتع بالامتيازات وينعكس معنى اللفظ ويتحول الى السلب : لقد كان النبيل واثقا من منبته ، وكانت نعمة الحياة تسمح له بأن يتميز عن الطبقات الوضيعة بالدم أى بحكم الطبيعة ذاتها . أما برجوازى القرن التاسع عشر ، فانه يشبه بطبيعته ، أى بمولده وجسمه ، العمال الذين يستغلهم . وسوف يتميز عنهم أيضا باخفاء جسمه وبكبح احتياجاته وبانكار الطبيعة فى شخصه . وباختصار ترفض طبقة المستغلين أن تتقاسم الوجود المادى مع المستغلين ويمكنها أن تتخيل احيانا أنها نجحت فى ذلك لمجرد أنها تكتم احتياجاتها باشباعها . ولكن «التميز » هو الذى خلق «السوقية» — كما أن القانون هو الذى انشأ الخطيئة على حد قول القديس بولس — واخيرا فان كليهما أمر واحد كالطهارة والفساد سواء بسواء . ذلك ان التميز ، اذ يفرض الحظر على الاحتياجات فانه يصمها بالسوقية والابتذال فى شخص من يحظرها ذاته ، وبما انه يتعذر اخفاء الاحتياجات على الدوام فانها تعود الى الظهور وينتصر التبذل ويصيب التميز فى ذاته باجباره على البحث عن مهادنات مع الجسد ، ليس هناك ما هو ابشع من منظر سيدة متميزة وهى تأكل : انه الرمز المعكوس لذلك التميز الاسمى وهو الامساك .

ولقد سبق أن التقينا بهذه الكراهية للاحتياجات وهذا الاصرار على انكارها ، عند جوستاف ،

---

(٥) وتحور الدائرة — وهذا ما يثير ثائرته — فتصفه احدى الجرائد فى شتاء ٧١—١٨٧٢ بانه تافه ويعلق « باربى دورفيلى» على كتاب « التربية العاطفية » قائلا : «« ان الطابع الرئيسى للرواية .. هو السوقية. وفى راينا انه يوجد عدد كاف من السوقة ومن النفوس السوقية والعقول السوقية والامور السوقية ولا داعى لاثقال العالم الغارق فى التفاهات المؤلمة بالمزيد منها »

(٦) ان استخدام فلوبير لكلمة « سوقى » تتطلب دراسة على حدة . انظر خطابه غير المؤرخ الى لويز عام ١٨٥٢ حيث يقول « .. اسلوب المسرحية الهزلية التى كتبتها ورأيى انه اسلوب سوقى . وانا اعرف تماما انه ليس من السهل ان تسرد باسلوب لائق امور الحياة المبتذلة ، وليس هناك سبب آخر لما يعتريلى من موجات الضجر الهستيرية » . مراسلات جـ ٢ ص ٣٨٧ . يا لها من نظرة غريبة للامور : الحياة مبتذلة ويجب اظهار ذلك بصورة لائقة . وسنعود الى هذه النقطة .

(٧) الطليعة : ادمون جونكور (١٨٢٢ — ١٨٩٦) واخيه جول (١٨٣٠ — ١٨٧٠) كتاب ينتمون الى المدرسة الطبيعية وقصصيين

(٨) جان بيير ريشارد : الادب والاحساس ص ١٢١

(٩) الى لويس دى كورنفان ، ٧ يونية ١٨٤٤

(١٠) الطليعة : فيلسوف ، مؤرخ وناقد (١٨٢٨ — ١٨٩٣) وقد حاول تفسير المؤلفات الفنية والادبية والاحداث التاريخية استنادا الى تاثير الوسط ، والزمن ، والاصل الجنسى . ومن مؤلفاته تاريخ الادب الانجليزى — فلسفة الفن .

(١١) الطليعة : قصصية (١٨٠٤ — ١٨٧٦) ومؤلفاتها منبعثة من العاطفة ومن الوحى الاجتماعى ومن الطبيعة .

(١٢) الطليعة : تمت فى يولية ١٨٣٠ ضد شارل العاشر وكان سببها المباشر ، القوانين الثلاثة الذى اصدرها الوزير (جوليلياك) التى كانت تحد من الحرية وانتهت تلك الثورة باقصاء شارل العاشر وتبوأ لويس — فيليب العرش ممثلا للراسمالية الكبيرة والمصاريف .

فهو يستمر عدة أيام منقطعا عن الطعام ، وقد فكر مرة فى خصى نفسه.وكتب حوالى عام ١٨٣٩ فى كراسته يقول (١٣) « انى ادرك تماما أن من يصومون يشبعون بجوعهم ويتمتعون بالحرمان ، وهذه لذة حسية أرق بكثير من الاخرى» . ولا يتوته ابدا ان يضحك وهو يحلق ذقنه : انه يرى شعيرات الذقن تنمو على وجهه الطبيعى الى حد الابتذال . وباختصار فان تقززه من الجسم الذى سوف يصير جثة هامدة هو ايضا رفض برجوازى لطبيعته ذاتها . وهو يلف ويدور باستمرار ، ويؤدى به الحقد الى ادانة الابتذال عند الاخرين وهذا الاخير بحيله على ابتذاله هو الذى يثير اشمئزازه . وفى الحال يتشبث بتميزه فيتبرجز لهذا ، أى أنه يزايد على اصراره العميق على الاندماج . هكذا ، عندما يعتقد أنه ينحنى من عل كارستقراطى على طبقته ، فان الاحتقار الذى يحمله فى نفسه — وهذا احتقار برجوازى — يشده بالاغلال الى عبوديته . ومع ذلك عندما يكتشف التميز عند الغير ، وهذا نادر ما يحدث ، فان حقده يكشف مايبعث على السخرية فى هذا التميز . وبحركة أصبحنا نألفها الان ، يلقى بنفسه ضد التميز — فى الرذيلة « ذلك السمو فى العالم السفلى » ويتقمص شخصية « الصبى » ريهدد بالتبرز فى مكتب ارنست ، ويدافع عن الاحتياجات فى مواجهة السمو الروحى الذى ينادى به لامارتين : «هل يضاجعها أم لا ؟ كم هى جميلة تلك القصص الغرامية التى ... يدفع فيها الاتصال الجنسى الى الوراء كالاكل والشرب والتبول الخ (١٤) أو أنه يمثل دور جارجانتوا ويقلد الطبيعة بأسرها وما تنطوى عليه من أعمال العنف لاضفاء التبل على وظائفها الطبيعيه . غير أن جارجانتوا و «الصبى» مجرد دورين وعندما يمثلهما جوستاف فانه يهرب فى الخيال من الدوامة المرهقة للابتذال والتميز . ثم يعود ليقع فيها من جديد وليتحدث بأسلوب التميز البرجوازى وبأسلوب هامار السوقى ، او ليحلم بشكل مبتذل احلام التميز (حلقة من الصبية المرحين ، جميعهم من أهل الفن ... يجتمعون لاكل ما لذ وطاب الخ) .والنتيجة هى انه لا يستطيع معرفة الاخرين ولا نفسه لان هذا الانقسام البرجوازى ، بالرغم مما يبذله من جهد للنظر الى العالم نظرة « الارستقراطى » يجعله يتبنى وجهة نظر برجوازية فى البرجوازية .

لهذا فان مايقوله عن البرجوازى لايتغير وليس بذى أهمية . أنه يلوك بغير اكتراث كلاما معادا من قديم (تعارض الصناعة مع الحرق ، والمدينة مع الريف ، والحضارة مع الطبيعة) وكلاما معادا يكثر تداوله فى بيئته (احتقار البرجوازية المثقفة للافكار المنقولة اليها ، واحتقار الفنان للجاهل بشئون الفن ، واحتقار النفعية وروح الجدية باسم تشاؤم منشؤه الارتداد عن المسيحية ، واحتقار المتعة باسم مثل أعلى من الزهد ، واحتقار القيم الروحية باسم احتياجاتنا) . وفى النهاية ينتظم كل شىء تحت تأثير دافع نعرفه جيدا ويستمد أصله من فشله الاول وهو عدم اشباع احتياجاته وهذا نفى مثالى لوضع الانسان . وابتداء من هذه النقطة يمكننا أن نتصور أن البرجوازى قنع (ارضيت احتياجاته) : فهذا اشيل الاخ الاكبر تكسوه اكاليل الغار ، وهذا وريث شاب يسعد بميراث لايستحقه ، وهذا طبيب ذو مظهر جاد يقلب الامور أمام مريض على فراش الموت يعجز عن انقاذه ، وهذا شخص طموح يتطلع الى تولى السلطة ولكنه يقنع بوسام لجيون دونير . انه باختصار الرجل العملى المستغرق كله فى مشروعات واقعية وملموسة ، يرضى بنفسه ويتحدد كيانه بالحدود الضيقة التى يفرضها عليه الدهر . هكذا يصبح هنرى فى نهاية « التربية » الاولى (١٥) . وانى احيل على وصف فلوبير له فى الفصل السابع والعشرين ويختتم بالكلمات الاتية : « ان المستقبل له ، فأولئك هم الذين يصيرون عظماء » . والكاتب الشاب الذى يكتب فى سن التاسعة عشر : « انى اتصور كل الموبقات وكل الجرائم ... ان الدناءة وحدها هى التى تثير ثائرتى .. هذا الكاتب الشاب سوف ينتهى فيما بعد الى النتيجة الاتية : «كل من يفكر تفكيرا دنيئا اسميه برجوازيا» .

التناقض الثانى

هذا التناقض ذهنى وتحيلنا عليه الفقرة السابقة . يقول فلوبير فى السابعة عشر : «اننى لاأتوقع خيرا من جانب الناس ولن تدهشنى اية خيانة او اى فعل دنىء . (١٦) » وبعد ذلك بكثير عندما يصير رجلا فانه يجعل من الخسة والدناءة تعريفا للبرجوازى ففى أى الحالين كان على حق ؟ انه لايعرف هو ذاته . والواقع انه اذا كان ينبغى — كما يريد هو — اعتبار البرجوازى نوعا فان الجنس الذى ينتمى اليه هو البشرية . بيد أن البيانات التى تقدمها له تجربته لاتحدد

---

(١٣) (ذكريات) ص ٦١ . والفقرة المقتبسة مسبوقة بمقدمة بها تاملات عن التصوف والقداسة . وبالرغم من ان هذا السباق يضفى عليها معنى مختلفا بعض الشىء فان الموضوع الغالب فيها هو الغاء الاحتياجات . ويقرر فلوبير فى كل مراسلاته ان هذا الالغاء ممكن بالنسبة للاغنياء عندما يفقدهم التمتع بالفائض ذاتيتهم بانتزاعهم من الضروريات .

(١٤) الى لوبيز جـ ٢ ص ٣٩٧

(١٥) الطليعة : كتب فلوبير سنة ١٨٤٥ « التربية العاطفيه » (الاولى) ثم كتب سنة ١٨٦٩ « التربية العاطفية » الثانية

(١٦) « ذكريات » ص ٤٦

بذاتها مستوى التعميم . فعندما يتحدث فلوبير عن مسيو لبواتفان الذى يغلق ادراجه بالمفاتيح عند سفره ، كيف نقرر ان كان هذا الشح الوضيع صفة فردية أم من صفات النوع او الجنس ؟ هل النفعية من قسمات الانسان أم من قسمات البرجوازى اننا نلتقى بالايدولوجيتين اللتين تتصارعان فى ظل جوستاف ، احداهما ليبرالية تذيب الواقع الطبقة فى الواقع الانسانى فى حين ان الاخرى مبناها السلطة الالهية وتقسم البشرية الى مجموعات غير متجانسة ومتعددة الدرجات والمراتب فهل هذا تحليل أم تركيب ؟ ان جوستاف يوفق منذ صباه توفيقا أعرج بين فكرة الانتماء العضوى للارستقراطيين وبين التشتت الجزيئى الذى يشكل دعامة مذاهب الليبراليين : ان افراد الطبقة البرجوازية كيانات مطلقة ولكنهم مرتبطون ارتباطا فرديا (تصوريا) فى ظل التشتت ذاته بحكم قابلية طبائعهم لان تحل محل بعضها بعضا انهم برجوازيون بالمولد وكل منهم هو نللاخر : هكذا تتساوى المحارات فيما بينها باعتبارها محارات . لقد أحل فلوبير محل الوحدة التركيبية للشكل هوية الصفات النوعية . وهو متأثر فى هذا بعصره ، فقد سادت موضة المدارس **(الفسيولوجية) التى تدعى وصف المنتمين الى بعض الجماعات المهنية والاجتماعية كما كان بوفون(١٧) يصف القرد او العنكبوت . وهم يقصدون دون** افصاح ـ ان من الممكن تصنيف الانواع الاجتماعية وان الجنس البشرى سوف يرزق يوما بمن يقوم له بما قام به لينيه ، (١٨) **بالنسبة** لملكة الحيوان . والى أن يتحقق هذا توصف الانماط الجارية والمعروفة اكثر من غيرها : البواب صاحب الحانوت ، الموظف . وتتميز هذه الكتب وهى ذات مستوى ردىء على العموم ، بأنها تأبى التمييز بين المتطلبات الموضوعية للمهنة وبين قسمات الطبع . فتعالج عادات الموظف كما تعالج عادات القندس (١٩) . وليس هذا خطأ محض ان كان المقصود ابراز الفرد كنتاج للانشطة الاجتماعية . ولكن هدف هؤلاء الكتاب هو بالتحديد عكس ذلك : انهم يستخدمون التفاصيل والاسلوب خاصة بهدف الايحاء بوجود تكيف خفى مسبق للمهنى مع مهنته لقد خلق لها كما خلقت له . وما كان المرء ليتصرف بشكل آخر لو انه كان يريد تهيئة الرأى العام لعودة نظام الطوائف على حين غرة . صحيح أن (الفسيولوجيين) لا يذهبون الى هذا المدى ، انهم يتلهون وينشرون تحت عناوين براقة كتيبات اكثر منها دراسات . بقى أن نلاحظ مع ذلك أن بلزاك أخذ هذا اللون من الكتابة مأخذ الجد وساهم بقوة فى نشره ، وهذا يكفى للتدليل على ان هذه الكتابات تستوحى فى المقام الاول نزعة الملكيين والمتطرفين اليمينيين الى تطبيق علم البيولوجيا (الحياه) على المجتمع ثم انها ليست صدفة بالتأكيد ان يهتموا فى المقام الاول بابراز بشاعة ودمامة البرجوازيين . وبالرغم من كل شىء فان المنحنى العضوى للمذهب الملكى ليس خالصا ، فقد تلوث علماء الفسيولوجيا عندنا بالاتجاه الذرى الليبرالى . وعندما يصفون (الموظف) فانهم يجعلون منه بدورهم الممثل النموذجى لمفهوم ما ، اكثر منه العضو النشط فى جماعة ما ومصداقا لذلك كتب فلوبير سنة ١٨٣٦ دراسة فسيولوجية نشرت بعدها بعام فى صحيفة قائلا انها : «درس فى التاريخ الطبيعى» . وهذا بالطبع تهريج . يقول : «منذ ارسطو حتى كوفييه خطى الناس خطوات هائلة فى علوم الطبيعة .. الخ ». ومع ذلك فالقصد لا يخفى : انه وصف الانسان كما لو كان سرطانا (٢٠) وابراز السلوك الذى يفرضه عليه المجتمع كما لو كان سلوكا حيوانيا (سلوكا مفروضا عليه بحكم طبيعته الحيوانية) . وهذا الاستناد الى علم الحيوان لايصمد امام التجربة : فهو متجدد أبدا وينهار باستمرار . والواقع ان افول الارستقراطية يسمح لبعض البرجوازيين ومنهم فلوبير على وجه التحديد بان يعود الى اعتبار البرجوازية الطبقة الشاملة . فتارة يقصرها فلوبير على فئة المستخدمين والبقالين وتارة يوسع نطاقها لتشمل الانسانية بأسرها . ولقد كتب سنة ١٩٥٤ يقول :

«ان البرجوازى ، اى الجنس البشرى بأسره الان بما فى ذلك الشعب .... »

أيكون العامل قدر تبرجز اذن ؟ نعم ، والدليل على ذلك كلمة «الان» : فالبرجوازى هو رجل العصر الحديث . وفى خطاب الى جورج صاند فى مايو سنة ١٨٦٧ يقرر فلوبير مرة أخرى : « ان هذه الكلمة تشمل عندى البرجوازى ذى الجلباب كما تشمل البرجوازى ذى الريد نجوت» .

ومع ذلك تنقلب الامور كلها راسا على عقب فى فقرات أخرى ، وتصبح البرجوازية من جديد طبقة اجتماعية، لكن سرعان مايتبين انها فى سبيلها الى الزوال : «بل ان البرجوازى لم يعد برجوازيا

---

(١٧) الطليعة : عالم فى الطبيعة وكاتب (١٧٠٧ ــ ١٧٨٩) من مؤلفاته « تاريخ الطبيعة » « عصور الطبيعة » عالم متسع الافاق جعل العلم فى متناول الجميع . صاحب نظرية عن تكوين العالم وتطوره .

(١٨) الطليعة : تخصص فى علم الحيوان والاشجار القديمة (١٧٦٩ ــ ١٨٣٢)

(١٩) من القوارض (الطليعة) .

(٢٠) السرطان بمعنى الكابوريا (الطليعة) .

اذ ان البرجوازية ماتت منذ اكتشافة عـربات الركوب . نعم لقد جلست على الدكة مـع الشعب وما زالت جالسة عليها شأنها شأن اسافل الناس فى الروح والمظهر والملبس : انظر الاقمشة الانيقة ، واختراع المعطف ، واردية النوتية ، والسترات الزرقاء التى يرتدونها فى الصيد الخ» . فى تلك اللحظات ليست عربة الركوب هى التى تضايق جوستاف بل الاختراع العام . ففى السنوات ١٨٦٠ نظرا لان الاقلية الحاكمة ابعدت البرجوازية الصغيرة عن السلطة فقد اعتمدت هذه الاخيرة على البروليتاريــا للمطالبة بالغاء النصاب المالى . وهذا التفاهـم بين الجمهوريين والعمال يضايق فلوبير . انـه يخطب مهاجما الاشتراكية ولكن دون حماس .

وعلى العكس عندما ينصرف ذهنه الى الاقتراع العام فانه يفقد صوابه . فالجمهورية تهديـد أشد خطرا مما يسميه «الاجتماعية» (٢١) . ان الذى يثور فيه هو أولا الابن الثانى للطبيب الفيلسوف واحد الصفوة المختارة ، سخطا على ماسوف يطلق عليه فيما بعد «المساواة مـن تحت» . ياللمصيبة ! الن يزيد مركزه عن الامى ؟ «اننى اساوى عشرين ناخبا ! » ولم عشرين ؟ انه لمتواضع ، فالواقع انه يساوى كل الناخبين الفرنسيين مجتمعين طالما ان الاغلبية الحقيقية «لاتستند الى الارقام» . ولكن ثمة شيىء آخر ان الغاء النصاب المالى للناخبين يجعل هـذا المالك من ابناء تروفيل يخشى تحسن أحـوال العامل اليدوى . ماالعمل اذن . اسـتخدم الدهماء تذكرة الانتخاب للحد من حق الارث او حتى من حق الامتلاك ؟ انه لايخشى ماقد يقـوم به بروليتاريا المدن من عمل مباشر بل يخشى جنون هـؤلاء البرجـوازيون الصـغار الذين يخونون طبقتهم والذين سيضعون فى يد العامة الحمقى سلاحا مدمرا . انه مضطر فى هذه المرة ان يحس بتناقض هذه البرجوازية الصاعدة التى تحارب فى جبهتين ، ولكنه يحس به بوضع معكوس .

فهو عندما ينظر الى طبقته بمنظار طبقة النبـلاء فانه يرى فيها شيئا غريبا ، وعندما يقاوم المطالب السياسية والاجتماعية للجمهوريين والعمـال فانه يرى فى «الصفوة» البرجوازية الانسـان العالى معرضا للخطر وسط أنصاف البشر . ان طبيعة «الشعب» تتغير مرة أخرى ويـعتبره فلوبير الآن هو الجماهير ، وبعبارة أخرى فانـه يجزؤه : « ان الجماهير لن تكون ذكية أبدا .... لن ترفعوا أبدا من شأن الاجزاء السفلى من جسم المجتمع . وان كف الشعب عن الايمان بالسيدة العذراء فانه سوف يؤمن بالسحر (٢٢) » وها هو ينهال مرة أخرى على طبقته : لقد سـقطت فهل كان من الممكن ان تسقط هذه الفئة المخذية ؟ نعم بكل تأكيد . وفجأة يكشف لنا النقاب عـن مصدر كل ذنوبها : لقد فشلت فى الاحتفاظ بمركزها وفى خلق طبقة برجوازية مغلقة كما خـلقت الارستقراطية الاقطاعية طبقة من الفرسان ، انها تذوب فى الغوغاء بدلا من ان تتميز عنـهم بخلق صفوة مختارة . «ان الشعب قاصر الى الابد ... ولا يهم ان يلم كثير من الفـلاحين بالقراءة وان ينصرفوا عن القسيس ، لكن الاهم بكثير ان يستطيع كثير من الناس امثال ليتريه (٢٣)، وريـنـان (٢٤) ان يعيشـوا وان تكون كلمتهم مسموعة . ان خلاصنا يرتهن الان بوجود ارستقراطية شرعية» فما الـذى يقترحه فى التحليل الاخير ؟ انه يقترح الغـاء الاقتراع العام وسيادة دكتاتورية الذوق اى نوع من التكنوقراطية بحكومة قوية تستعين بجمع من أهل الفكر من العلماء والفنانين والمشـتغلين بالمسائل العلمية .

ولقد كتب ذات مرة فى ثورة غضب جامحة (٢٥) «رسالة مفتوحة الى بلدية روان » ونجد فيها نفس الافكار التى تضمنتها الرسالة الخاصة بعربات الركوب والمكتوبة قبل ذلك بربع قرن : «... لقد أضاعت طبقة النبلاء الفرنسيين نفسها لانها تبنت خلال قرنين من الزمن أحاسيس الخدم ولقد بدت البرجوازية تشرف على نهايتها لانها تبنت أحاسيس الغوغاء . انى لا أرى انها تقرأ صحفا أخرى أو تتمتع بموسيقى مختلفة أو بمباهج اكثر رقيا . اننا نجد عند هذه وتلك حب المـال على حد سواء ، ونفس الاحترام للامر الواقع ، ونفس الحاجة الى أصنام لتحطيمها ، ونفـس الكراهية لكل تفوق ونفس روح التحقير (٢٦) .. لكى تحظوا باحترام من هم دونكم، احترموا من هم أعلى منكم .. أيتها الطبقات المسـتنيرة تنوروا . »

ان العبارة قبل الاخيرة تذكرنا بحجة مترنيخ

---

(٢١) الطليعة : يقصد الثورة الاجتماعية او الجمهورية الاجتماعية .
(٢٢) ٢٥ يناير ١٨٦٦
(٢٣) الطليعة : عالم فى فقه اللغة والالفاظ (١٨٠١ ــ ١٨٩١) . من انصار المدرسة الوضعية مستقلا عن اوجست كونت وقد اشتهر مؤلفه « قاموس اللغة الفرنسية (١٨٦٣ ــ ١٨٧٣)
(٢٤) الطليعة : كاتب (١٨٢٣ ــ ١٨٩٢) ترك الكنيسة ليتكرس فى تاريخ اللغات والاديان ومن مؤلفاته « مستقبل العالم » « تاريخ اصول المسيحيين »
(٢٥) لم يكن المجلس البلدى قد صرح للجنة اصدقاء لويس بوييه بانشاء نافورة احياء لذكرى الشاعر . وقد نشرت الرسالة فى جريدة الطان بتاريخ ٢٦ يناير ١٨٧٢ .
(٢٦) كان يعتبر هذه الرذائل يختص بها البرجوازى . وها هى تصبح طبائع الغوغاء ولم يتاثر بها البرجوازى الا لانه ترك العدوى تسرى فيه .

لقد كانت تلك الحجة الارستقراطية فى محلهـا سنة ١٨٣١ فى النمسا ، فهل مازال لها معنى سنة ١٨٧٢ ؟ نعم اذ يرى فلوبير ان « ماهو فوق » البرجوازية الراسمالية هو الصفوة المجردة من المصالح التي خلقتها هذه البرجوازية . وكل ما يأخذه عليها فلوبير هو عدم وضع مصيرها بين أيدى هذه الصفوة وخاصة عدم القدرة على التعرف عليها . ان عبارة«ايتها الطبقات المستنيرة تنوروا ! » معناها : جندوا من بينكم خياركم .

ويبدو ان شاتريتون قد انتهى تماما : لقد امحى شعور الازدراء الذى يكنه كارستقراطي وترك مكانه شعور الحقد القديم والمتوقد ابدا لطالب يتجاهله الناس . ولايعدو بوييه ان يكون مناسبة ينتهزها جوستاف للافصاح عما بصدره ، ويوجه اللوم الي اساتذة مدينة روان الذين لم يكتشفوا مواهبه الفتية ، والى «الجهابذة» الذين كانوا يترددون على اشيل وأمثاله ويعرضون عنه ، الي صحف روان التى اساءت اليه دائما ، الى كافة مواطنيه الذي طالما حلم بأن يبهرهم لكن مجده ذاته لايبهرهم ، الى تلك المدينة التى تفضل عليه شقيقه الاكبر الذى سلبه ميراثه عن ابيه والذي يمثل فى نظره نوعا من التقمص الجماعي للطبيب الفيلسوف الذي عاهد نفسه في شبابه على القضاء عليه ثم لم يستطع ابدا ان يحيد عنه قيد أنملة . ان عبارة «تنوروا» معناها : تعلموا ان تجندوا الصفوة منكم ، اخضعوا لحكم المتعلمين ولكنها تعنى ايضا : اندموا لانكم تجاهلتمونى ! ان البرجوازية محكوم عليها بالفناء لانها لم تعترف بتفوق فلوبير .

لقد قضي الامر هذه المرة . ويستأنف الابن المضي في المشروع الذي بدأه أبوه وكل البرجوازيين الصغار الذين حرمهم النظام المنبثق من ثورة يوليو من حق الانتخاب وكان احتقارهم «بالاميين »أقوى من ان يسمح لهم بالايمان بالنظام الجمهوري . انه يطلب تسنم الكفاءات الذهنية قمة الحكم ، ولو اطاعوه لاستأنفت عائلة فلوبير صعودها فى شخص جوستاف ، ولتخطى هذا الاخير شقيقه الاكبر والغزالين النورمنديين وقفز خطوة ليصل الى التخوم العليا لطبقته . فهل انتهى الامر بفلوبير الي ان يقبل «بالنوع» البرجوازى ؟ لاشك ان خوفه من ثوار الكوميونة يضطره الي التزام المواقف العامةلطبقته . ولكنهيؤمن كما قلت بنفس الاراء التي كان يؤمن بها من قبل ذلك بربع قرن . انه يدين الفئة الاجتماعية التى ينتمى اليها ، ولكنه رضى بها دائما فى حقيقة الامر . ان حقده ليس سوى رد فعل ـ سلبى على أى حال ـ لفتى تجاهله قومه . ولايزال النفى الرومانتيكى (الادانة ، اللعنة) الذى يضاف الى هذا الرد الدفاعي ، مستعارا وطفيليا ومثاليا . ان الشقة التي تباعد بينه وبين بيئته ، يحياها فلوبير فى قلب هذه البيئة كأنها وعكة تروح وتجيء ، كأنها تفكك وتحلل يجرى ابدا فى الاندماج والتكامل . انه مستبعد ومتهم فى نفس الوقت ، وضحية وشريك فى آن واحد ، لذا فهو يعانى فى وقت واحد من استبعاده ومن مشاركته فى الجرم . وفى الوقت الذى يستمطر اللعنات على البرجوازية ، فانه يعيد تشكيلها فى شخصه بأساليب برجوازية ، طالما ان اعراضه عن الاحتياجات وزهده كفنان ليسا سوى الصور المتطرفة لرفض «المصير المشترك» الذى تعلن به الصفوة عداءها «للجماهير» . وحتى عندما يعلن تخليه عن البرجوازية فانه يتبرجز طالما ان البرجوازى يزعم انه هو الانسان فى مواجهة الطبقات المستغلة والارستقراطيين . ان البرجوازية ـ وهى فى نظر فلوبير ذلك الجمع المكون من الطبقات الوسطى والراسماليين (رجال الصناعة والبنوك) ـ تعرض عنده تارة كنوع حيواني ، وتارة كالجنس البشرى بأسره ، وتارة ككائن اجتماعي يتهاوى بسبب عدم اعترافه وتكريمه للارستقراطية التى يولدها . وليس هناك ترتيب زمنى لنشوء هذه الاتجاهات المختلفة . ان فكرة«البرجوازية»تبدأ فى التحلل باستمرار بمجرد ظهورها عنده ، وتعرض دفعة واحدة كل الصور المتقلبة للبرجوازى كما يتصوره فلوبير ، وتبرز الظروف هذه الصورة او تلك ولكن للحظة وعلى أرضية من اللاتميز المتناقض . انه يقف فى سن السابعة عشرة وفى سن الخمسين على السواء ضد الانسانية بأسرها مع هذه الكوكبة من المختارين الذين يمثلهم تارة كمخلوقات فوق البشر وهداة ، وتارة « كمنارات » ، « كومضات من الضمير الانساني» . وفى سن الرابعة والعشرين كما فى سن الخامسة والخمسين يعيب على البرجوازيين انهم لم يتشكلوا طبقة ذات امتيازات ان الشعب فى عام ١٨٤٥ هو فى نفس الوقت جماعات من الاوغاد وشيء هائل وعميق كالمحيط ، وفى ١٨٧٦ يؤكد أيضا بأن الطبقات الوضيعة مخدرة بخزعبلات مشيّئة ويكتب قصة ليبين عظمة التفانى الشعبى وتلك الحاجة الى الله

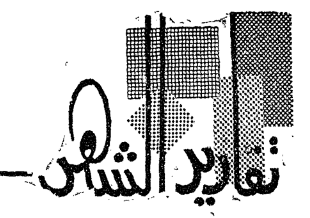
التى هى زينة النفوس (٢٧) ولو تجلت فى العبادة الصبيانية التى تكنها خادمة لبفبفان محنط .

ويمكن بالكاد القول بان كراهيته «للاوغاد» تتجلى بصورة اشد عنفا عند اثارة مسالة الاقتراع العام — فى عام ١٨٤٨ فى ظل الامبراطورية «الليبرالية» ، وبعد ١٨٧١ — وبأن رغبته فى التميز تتحدد وتكتسب معناها الحقيقى تحت تأثير تين وربنان الى حد جعله يتجرأ بأن يحلم «بحكومة من المتعلمين» . لكنه فى الوقت ذاته يؤكد من جديد ان السلطة ، ايا كانت وأينما تجلت ، تولد الفوضى . لقد كف عن الذهاب الى مآدب العشاء عند مانى لان الحديث فى السياسة فيها كان زائدا عن الحد . انه يريد مثل رينان وضع مصير الانسان فى يد العلم — اى انه اصبح وضعيا شأنه شأن البرجوازيين «المستنيرين» من أهل عصره ، وفى الوقت نفسه فانه يستنزف قواه فى وضع قائمة اتهام سخيفة وهائلة ضد العلم لن يتمكن ابدا من انجازها . انه يسب طبقته واصفا اياها بأنها جذام ابتليت به الانسانية ، ولا يمنعه هذا من التظاهر بالعزلة والانطواء : انه لايدرك انه يحد من فعالية حملاته ضد النوع بزعمه ان الجنس بأسره مصاب بالفساد . اوربما كان يدرك ذلك . وعلى كل فهو سيىء النية ، ولن يكف ابدا عن ادانة البرجوازية ، لن يسلم فى هدوء قائلا : «انا بورجوازى على اى حال» كما فعل جوزيف سولارى الذى اكتسب من وراء ذلك سمعة سيئة لكنه لن يتمنى كذلك تحطيمها حقا او الاطاحة بها . انه يريد فقط ان تدفع به قوى داخلية الى القمة كى يحس بنفسه فى داخلها متفوقا على كافة البرجوازيين الاخرين . وحتى فى رغبته الجنونية فى الارتقاء الى مستوى النبلاء كانت البرجوازية هى شغله الشاغل ، وطالما ان النبلاء زالوا من الوجود فهى التى سترفعه الى مصاف النبلاء . تلك هى أمنية فلوبير الدفينة : ان يتحول عن طبقته بكفاءته وبمساعدة طبقته ذاتها . وطالما انها ترفض مساعدته فانه يحقد عليها أكثر من ذى قبل . ذلك انه يحس تماما ان هروبه عملية ذهنية وانه لايزال تائها وغارقا فى الوسط الذى ينتمى اليه . وهو يعلم أن كل بورجوازى يلتقى به يعرضه للشبهات ، ليس فقط لانه يعكس له صورته هو ووضعه بل أيضا لانه اذ يتعرف عليه كل واحد على انه مشابه له واذ ينشىء ارتباطات ويتواطأ معه ، فانه يشكل منه موضوعيا بورجوازيا آخر ومازالت البرجوازية تحيا فيه وبه ، حتمية ومستغلقة ، كأنها احساس بشع بقرب انهيار شخصيته انهيارا تاما . وعلى هذا يكون الفشل الذى أصاب الفرد العارض انتصارا للفرد المنتمى الى طبقة انه يتوه ، ولا شىء يسجل انتماء فلوبير الذى لافكاك منه الى الوسط الذى نشأ فيه خيرا من الشعور المؤلم بالدهشة الذى يعتريه : ذلك انه يستحيل على البورجوازيين سنة ١٨٥٠ أن يظنوا أنفسهم كذلك.





(٢٧) خطاب الى جورج ساند فى ٤ اكتوبر ١٨٧١ وقد حاول اجراء تحليل جديد لا يقل سخافة عن سابقه فيقول «لن يؤدى التعليم المجانى والالزامى سوى زيادة عدد البلهاء .. والاقتراع العام بالوضع الذى عليه الان اكثر سخافة من الحق الالهى . الا انه يجب احترام الجماهير ايا كان غباؤها لان عوامل الخصوبة فيها كثيرة . اعطوا الجماهير الحرية ولكن لا تعطوها السلطة . ولا يعد هذا القول مسئولا اذ كيف يمكن منح الحرية للجماهير فى الوقت الذى يمنع التعليم عنها . وبينما تكون السلطة فى أيدي الاخرين ؟ ولكن اية حرية تلك ؟ واذا كانت الجماهير غبية فكيف يمكن ان تنمى عوامل من الخصوبة لا حد لها ؟ ولا شك ان تلك زاوية قاصرة (زاوية تشكلت سريعا للرد على الحجج التى قدمها جورج ساند) بين مفهوم الشعب باعتباره «مستودع لكل الطاقات ومفهوم الجماهير باعتبارها «دائما قاصرة» .



* اللجنة مستمرة وستنشر نتائج عملها على الشـــعب
* حركة النضـــــــال ضـــد الحرب لا تتجـزأ
* طـريق الغــرب أم طـريق « العـــودة » ؟
* الادب في معــــــركة التحـــــــرير

■ **الاتحاد الاشتراكي العربي**

لابديل للبشر ولاللحماس البشر

كان العيد الرابع عشر لثورة يوليو ، هو ايضا العيد العاشر لتأميم قناة السويس . الامر الذى سمح باعطاء تقييم مسئول وجاد للتجربة المصرية بعد ان ظهرت نتائجهـا واضحة فى كثير من المجالات . ولذا استهل المناضل جمال عبد الناصر خطابه بعرض الاهتمام العالمى بالتجربة المصرية واستعرض نواحيها الايجابية ، وجوانبها السلبية ، بما يؤكد ان الايجابية هى طابعها العام فالامال « تسير جنبا الى جنب مع المشاكل » . فالثورة بدأت وعدد سكان الجمهورية/١٩ مليونا ، وبعد ١٤ عاما بلغوا ٣٠ مليونا، وهى أعلى نسبة لتزايد السكان فى العالم بعد الباكستان ، الامر الذى ترتب عليه مشاكل ومصاعب ، نجحت الثورة فى القضاء على الجانب المهم منها . وهو تصفية الظلم الاجتماعى. ولكن كما قال الرئيس « هل اصبح مستوى المعيشة فى البلد مستوى واحد ؟ بالطبع لا ... لسه فيه ناس بتقاسى من اثار الماضى .. والاشتراكية لن تستطيع فى يوم وليلة ان تقضى على الظلم الاجتماعى اللى قاسينا منه الاف السنين » . واكد الرئيس أن العمل الذى يتم فى بلادنا يمثل تجربة رائدة . ففى عشر سنوات استثمر ١٠٠٠ مليون جنيه غير السد العالى ومشاريع اخرى . واننا « بنعمل عمل اكبر من قدرتنا وبنصرف اكثر من طاقتنا والسبب اننا مستعجلين ، بنعمل على ان نتحول من دولة متخلفة الى دولة متقدمة »

واستطرد الرئيس مؤكدا ان « وضوح الهدف » واحد من اهم شروط النصر ، والنصر ذاته « عمل شاق ـ عمل علمى ما ننتصرش لما كل واحد يقف فى مكتبه ويتكلم اى كلام : اى واحد يعقد فى مكتبه ويصور نفسه على انه قادر على اصلاح الكون ، وانه يقول مش عاجبنى ده ومش عاجبنى ده الممارسة هى السبيل الوحيد والممارسة عايزة عمل شاق وتضحية » .

واستخلص القائد عبد الناصر الخبرة المستقاة من أهم تجربة الثورة المصرية والتى ستكون هى العامل الحاسم فى المرحلة القادمة ، فالثورة ليست عملا فرديا وان اى مجموعة مهما بلغ اخلاصها وحماسها وصدق رؤياها لن تستطيع ان تنهض وحدها بكل العبء « مش واحد بس اللى يناضل الجماهير هى اللى تناضل » . وضرب الرئيس عدة امثلة ففى بورسعيد

« طلعت قيادات اثناء احتلال الانجليز وكانوا بيعملوا مجلات ومنشورات وكانوا بيهاجموا الانجليز ويقتلوا العساكر . ناس من صميم الشعب » واكد عبد الناصر ان تدعيم العمل الشعبى هو اهم واجب فى المرحلة الحاضرة باستكمال الاتحاد الاشتراكى، وخلق قيادات جديدة وشابه .

واستعرض الرئيس محاولات الضغط الامريكى . ورفضهم بيع القمح لنا . الامر الذى سيكلفنا ١٠٠ مليون دولار من العملة الصعبة فى وقت نحن فى امس الحاجة اليه لكل مليم منها . ولكن « ماحناش مستعدين نخضع ولا نستسلم ورأينا حنقوله بصراحة وحريتنا سنحافظ عليها بالدماء والحرية التى اشتريناها بالدم لن نبيعها بقمح ولا رز ولا دره ولا حاجة ابدا »

واهم ما نحتاجه كما قال الرئيس هو « وضوح الرؤية ونحتاج الى عمل فكرى يرتفع الى مستوى التحديات نحتاج الى نضال وعمل قادر متحرر يملك الفعل ورد الفعل ... مفيش بديل للبشر وحماسة البشر لازم نحرك حوافز البشر المادية والمعنوية . الناس مهياش طوب مهياش آلات . الناس عايزه الكلمة والتوجيه والمكافأة » فالحوافز اكثر فاعلية من الروادع

وفى المجال العربى فضح محاولات الرجعية للافادة من مؤتمرات القمة لتنفيذ مخططها فى محاصرة الثورة العربية . واعلن اننا لن نحضر مؤتمر القمة وان كنا سنتعاون فى نطاق الجامعة . وخارجها مع الذين يشتركون معنا فى وحدة الهدف . وان الجمهورية العربية مستعدة لردع العدوان على اى بلد عربى . وفى سبيل هذا فنحن « مستعدين لتنسيق العمل اكثر مع سوريا » . واختتم الرئيس خطابه باستنكار العدوان على فيتنام وتاكيد اهمية السلام للبناء الداخلى فى الدول النامية .

وفى الخطاب الذى القاه ، المشير عبد الحكيم عامر بمناسبة الاستعراض العسكرى ، اكد وحدة الشعب وجيشه وولاء القوات المسلحة ولاء كاملا غير محدود وغير مقيد لاهداف النضال الشعبية . وان « امامنا الان مجموعة من النقاط تصل صلابتها الى حد يكاد يجعل منها قوانين لحركتنا :

اولا : الثورة للشعب وبالشعب

ثانيا : القوات المسلحة درع الجماهير واداتها الضاربة .

ثالثا : وحدة الامة العربية حقيقة طبيعية .

واوضح المشير « ان وحدة عمق النضال العربى ينبغى ان يعزز ، ويعزز كل يوم حقيقة ان القوات المسلحة العربية قوة اجتماعية وليست اداة قمع ارهابية وذلك يفرض عليها ان تعيش وان تتفاعل مع التطور البناء فى اوطانها الصغيرة وفى وطنها الكبير وان تجعل من نفسها اداة للتطوير وتحاذر من ان تتحول الى عبء عليه » .

واكد انه على القوات المسلحة « ان تكون جاهزة فى كل وقت لمتابعة مطاردة بقايا الوجود الاستعمارى فى المنطقة وتنظيف الارض العربية من مظاهرها وعليها ايضا ان تكون يقظة مدركة لدورها الاجتماعى على المستوى القومى وعلى المستوى الوطنى» وقال ان قواتنا المسلحة فى اليمن اعطت حركة القومية مضمونا ايجابيا حقيقيا وعلى القومية العربية « ان تضرب وتحطم كل عناصر الثورة المضادة تحطيما كاملا » .

واعلن المشير استعداد القوات المسلحة فى الجمهورية العربية للدفاع عن اى ارض عربية وان « اى خلافات فى الخط السياسى او العقائد الاجتماعية ينتهى اثرها تماما قبل خط القتال مع العدو الواحد للامة العربية »

وفى خطابه فى الاسكندرية فى ٢٦ يوليو ، اكد الرئيس جمال عبد الناصر اننا مازلنا فى معركة اقتصادية معركة حرب باردة وتحفز من اسرائيل وتحفز من الاستعمار » ولكننا فى وضع افضل بكثير عما كنا عليه من قبل . لقد اقيمت قاعدة صناعية وزراعية ضخمة ، وتم بناء جيش قوى وقادر ، ومجهز باحدث المعدات ، ومواردنا اكبر بكثير فقناة السويس لوحدها حصلنا منها فى العشر سنوات الماضية على ٧٠٠ مليون جنيه بدلا من ١٠ ملايين جنيه كانت كل نصيبنا من الشركة الاجنبية ، كما حققنا وضعا جماهيريا على اساس الثورة الاجتماعية،واصبحت لنا سمعة دولية وتأثير دولى ، ممارسة وتجربة وتطور اكمل عن ذى قبل ووضعنا خطة للعمل واضحة ، مما يجعل الانتصار امرا محتما وختم الرئيس خطابه بقوله « ان العمل الثورى هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين ، وانا اومن بالعمل الثورى ، وهو عمل الشعوب العربية لانى اعتبر الشعوب العربية فى كل بلد عربى تمثل الثورة والنضال العربى واقصد الثوار فى كل مكان من انحاء الامة العربية ، واننا سننسق الجهود مع الثوار العرب — لا الرجعيين العرب — لتحرير فلسطين بالحل الثورى .

●

مرحلة جديدة .. معركة الانتاج اولا

باسم الله

وعنايته وتوفيقه .. وباسم نضال الشباب العربى على طريق الزمن والاجيال .. وباسم كفاح الشباب الحر اينما كان .. وباسم الاتحاد الاشتراكى العربى المعبر عن تحالف قوى الشعب العاملة . وباسم قائد الثورة ومعلمها العظيم اعلن قيام منظمة الشباب الاشتراكى .

بهذه الكلمات الموجزة المركزة اعلن **على صبرى** فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة — التى شهدت اعنف معارك الشباب امجل من اجل التحرر السياسى والاجتماعى — ميلاد أخطر منظمة سياسية للاتحاد الاشتراكى العربى .. وهى منظمة الشباب .. التى تضم الان ثلاثين الف وثلاثمائة وخمس وثلاثين عضوا . هم نواة لمنظمة تجمع اربعة ملايين شاب وتمثل مثل سائر منظمات الشباب فى البلاد الاشتراكية فى العالم مكانا مرموقا فى معركة الانتاج والتطوير الاشتراكى .

وقد اعلن **حسين كامل بهاء الدين** أمين الشباب قانون المنظمة الاساسى ولائحتها بين التصفيق الحاد لخمسة الاف شاب من اعضاء المنظمة وممثلو الشباب من بلاد كثير واعضاء اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلبة العالمى ..

وقد جاء فى قانون المنظمة انها التنظيم الشبابى الثورى الذى يضم شباب الجمهورية العربية المتحدة والذى يعمل لتنمية قدرات الشباب عقائديا وفكريا ونضاليا وتوجيه قواهم للنضال والمشاركة فى معركة بناء المجتمع الاشتراكى .. وان اهم اهدافها هو تمكين الجيل القادم من تحمل المسئولية لتحمل الثورة واستمرارها . وذلك تطبيقا لما اشار اليه المناضل **جمال عبد الناصر** فى خطاب ترشيحه لرياسة الجمهورية فى عام ١٩٦٥ عندما قال « ان المهمة الاساسية التى يجب ان نضعها نصب عيوننا فى المرحلة القادمة هى ان نمهد الطريق لجيل

جديد يقود الثورة فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية .. ان الامل الحقيقى هو فى استمرار النضال ويتأكد باستمرار حين يكون هناك فى كل وقت جيل جديد على اتم استعداد للقيادة ولحمل الامانة ومواصلة التقدم بها اكثر وعيا من جيل سبق ، اكثر صلابة من جيل سبق .. اكثر طموحا من جيل سبق » .

والحقيقة ان تاريخ العناية بتنظيم الشباب يعود الى عام ١٩٦٣ عندما شكل **زكريا محيى الدين** نائب رئيس الجمهورية والمسئول عن الادارة المركزية للشباب بالاتحاد الاشتراكى حينذاك لجنة كلفهم ببحث الوسائل اللازمة لتنظيم الشباب تمهيدا لتشكيل منظمة تابعة للاتحاد الاشتراكى .

وقد وضعت تلك اللجنة اسس العمل حينذاك وافتتح فعلا اول معسكر لتدريب الشباب فى يوليو ١٩٦٤ .

وبتشكيل امانة الشباب فى الاتحاد الاشتراكى بدأت العملية تأخذ شكلا منظما ودؤوبا وشاملا ، ووضعت خطة طموحة وضعت موضع التنفيذ على الفور ..

وكانت زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لمعسكر الشباب فى حلوان فى ١٨ نوفمبر ١٩٦٥ اول اعلان رسمى عن ذلك النشاط الصامت الدءوب لتربية الشباب وتنظيمه ..

وفى لقاء عبد الناصر بألف شاب وشابه فى ذلك المعسكر دارت مناقشة سياسية مفتوحة شملت مختلف قضايا الساعة فى الشئون الداخلية والخارجية وكانت تلك الزيارة ايضا بداية الانطلاق الشامل فى طريق تنظيم الشباب بعد ان تبين خطورة الفراغ السياسى عليه ووضعت خطة لتقسيم العمل الى مرحلتين :

الاولى من اكتوبر ١٩٦٥ الى يوليو ١٩٦٦ ويتم خلالها تكوين اكبر عدد من الكادر السياسى للمنظمة .

الثانية من يوليو ١٩٦٦ وتبدأ باعلان قيام المنظمة وممارستها للنشاط .. وعملية تكوين الكادر السياسى كانت تتم فى معاهد للتثقيف السياسى من الاشتراكية بدأت بمعهدين فى حلوان وعين شمس ، وصلت الى ٢٥ معهدا فى كل انحاء القطر من بينها معهد مركزى هو معهد الشباب بالهرم وهذا يخرج روادا موجهين بمعاهد المنظمة الفرعية . وفعلا اصبح لدى المنظمة ٢٢٠ موجها من هذا الفرع . استطاعوا تثقيف ثلاثين الف عضو .

وكما صرح الدكتور حسين كامل بهاء الدين أمين الشباب بأن المرحلة الاولى لتدريب الشباب كانت مرحلة تثقيفية بالدرجة الاولى ، أما المرحلة الثانية فهى المشاركة فى عملية الانتاج اهم معارك مجتمعنا الجديد ، وان مساهمة الشباب فى الانتاج تساعد على ارساء قيمة العمل فى نفوس الشباب باعتبارها اسمى قيمة فى المجتمع الاشتراكى .

والحقيقة ان اعضاء منظمة الشباب حتى قبل اعلانها قد ساهموا فى عملية الانتاج بعض الشىء ففى معركة مكافحة دودة القطن قام خمسة آلاف من الاعضاء واصدقائهم السياسيين بدورهم فى تلك المعركة على امتداد الريف المصرى بل وقاموا بتجنيد عدد من الاصدقاء السياسيين من خلال عمليات المقاومة ذاتها .

كما كان لخمسمائة شاب من اعضاء المنظمة فى الدقهلية دورهم فى اعادة بناء قرية **درين** التى احترقت فى حريق تحت شعار « درين فى عشرين يوما » وكذلك فى قرية **السماحية** .

واعلن امين الشباب ان اعضاء المنظمة يساهمون مساهمة ايجابية فى التنبيه الى بقايا الاقطاع وان تقاريرهم اتسمت بالموضوعية والجدية ، وقد رفعت كلها الى لجنة تصفية الاقطاع .

هذا وباعلان تشكيل اللجنة المركزية المؤقتة لمنظمة الشباب الاشتراكى التى ضمت ٥٢ عضوا معظمهم من رواد الشباب انفسهم ومن بينهم خمسة فتيات هن . فريدة حامد عبد الله وهدى **احمد صلاح الدين ورجاء عبد الحميد الحبشى** ونائله **عبد السلام رجب** وعزه وهبه عبد المنعم يمكن القول ان المنظمة ستبدا خطواتها العملية الجديدة فى دخول المرحلة الثانية المرسومة لها ، مرحلة الاشتراك العملى فى معركة الانتاج ، شأن سائر منظمات الشباب فى العالم ، تلك المنظمات التى حضر ممثلون لها الاحتفال بالاعلان عن ميلاد المنظمة ، وقد أكد أمين الشباب ان المنظمة ستوطد علاقاتها الودية مع منظمات الشباب الصديقة فى العالم .

●

المبعوثون بين التوعية والترضية

منذ يومين بدأت فى قاعة كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية جلسات مؤتمر المبعوثين المصريين الذين يتلقون العلم فى جامعات اوربا وآسيا وأمريكا . ويضم المؤتمر ثلاثمائة مندوب من بينهم سبع عشرة فتاة يمثلون ستة آلاف من طلبة البعثات يعيشون فى حوالى ستين دولة أجنبية .

وقد ظهرت فكرة عقد هذا المؤتمر فى اكتوبر من عام ١٩٦٥ عندما زار **المشير عبد الحكيم عامر** النائب الاول لرئيس الجمهورية فرنساء واجتمع بالطلبة العرب هناك اجتماعا طويلا وصريحا تحدث فيه الطلبة بصراحة عن مشاكلهم وعن رأيهم فى مشاكل الوطن وفى ذلك الاجتماع اثار الطلبة مسائل هامة استرعت انتباه كبار المسئولين فى الدولة فأوفدوا مبعوثين خصوصيين يطوفون بسائر بلاد اوربا وامريكا يجتمعون بالطلبة ويبحثون مشاكلهم ، وعاد هؤلاء المندوبون وقدموا تقارير صريحة بما شاهدوه وما سمعوه .

وفى عيد العلم اعلن **الرئيس جمال عبد الناصر** عن الدعوة لعقد مؤتمر يمثل كل طلبتنا الذين يتلقون العلم فى الخارج .. ليتدارسوا بصراحة مع المسئولين فى الجمهورية العربية كل مشاكلهم .. وينتهزوا فرصة انعقاد المؤتمر فيشاهدوا معالم التطور الثورى الذى شمل البلاد فى سنوات غيابهم عن الوطن ومنذ ديسمبر ١٩٦٥ يجرى التحضير لذلك المؤتمر على قدم وساق وقد اخذت امانة الشباب بالاتحاد الاشتراكى على عاتقها عملية التحضير ، وشكلت لجنة تحضيرية للمؤتمر برئاسة الدكتور **حسين كامل بهاء الدين** امين الشباب وعضوية الدكتور **محمود شريف** امين مساعد الشباب ووكيل وزارة التعليم العالى وآخرين كما تقرر ان يرأس السيد كمال رفعت عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى وامين الدعوة والفكر المؤتمر ، ويتحدث فيه السيد **على صبرى الامين العام** وعدد من الوزراء واعضاء الامانة العامة كل فى القطاع الذى يختص به

ومنذ اللحظة الاولى قررت اللجنة ان عضوية المؤتمر **بطريقة ديمقراطية** بمعنى الا تتدخل مكاتب البعثات فى الخارج فى مسألة اختيار المندوبين للمؤتمر وانما ينتخب الطلبة فى كل بلد من يرونهم اصلح لتمثيلهم بواقع مندوب عن كل عشرين طالبا .

وفعلا تم انتخاب المندوبين ، ثم حدد مشروع جدول للاعمال يتضمن بحث مشاكل المبعوثين ، ثم الدور الذى يمكن ان يقوم به هؤلاء المبعوثون فى خدمة التطور الجديد فى بلادهم سواء وهم خارج الوطن او بعد عودتهم .ولم يتخلف طلبة البعثات عن المساهمة بنشاط فى التحضير للمؤتمر فبعثوا بمئات الرسائل يتحدثون فيها بصراحة عن مشاكلهم، وجمعت اللجنة التحضيرية هذه المشاكل بعد مراجعة ودراسة لتقارير المندوبين الذين سافروا الى الخارج والتقوا بمشاكل الطلبة على الطبيعة، وبدراسة رسائل المبعوثين انفسهم .وقدمت اللجنة تقريرا رفعته الى السيد على صبرى الامين العام للاتحاد الاشتراكى.. ووزعت نسخا على اعضاء المؤتمر قبل انعقاده لدراسته .

ويتضح من ذلك التقرير ان مشاكل المبعوثين ليست واحدة لان فئاتهم تتعدد وتختلف. فبعض المبعوثين اوفدته الدولةعلى نفقتها ووفق نظام البعثات للحصول على الدرجات العملية. وبعضهم سافر الى الخارج للدراسة على نفقته الخاصةوخاصة اولئك الذين يسمون «طلبة الاشراف» ..وهم الذين حصلوا على التوجيهية عام ١٩٥٧ وسافروا لدخول جامعات المانيا والنمسا بعد ان رفضت الجامعات المصرية قبولهم لضعف درجاتهم واغلبهم فشل فى استكمال دراستهم وهم اكثر من ١٢٠٠ طالب .ثم هناك فئة ثالثة من طلبة البعثات وهم الذين سافروا وفقا لنظام المنح الدراسية او اوفدته بعض المؤسسات للاستفادة من الخبرة الاجنبية .ثم هناك طلبة التدريب المهنى الذين يتدربون فى المصانع والشركات بالدول الاوربية .

وكل فئة من تلك الفئات لها مشاكلها الخاصة .وبعضها يتعلق بطبيعة البلد الذى يتدربون فيه .وبعضها يتعلق بمشاكل التجنيد والمشكلات المالية والرعاية الصحية .ولكن المشكلة الكبرى التى تواجه جميع ابنائنا فى الخارج رغما عن اختلاف فئاتهم هى مشكلة كيفية ربطهم باستمرار بالاحداث والتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تجرى فى الجمهورية العربية المتحدة لمواجهة موجات الدعاية المضادة فى بعض البلاد الاجنبية وتعريفهم على منجزات الثورة والدخول معهم فى حوار مفتوح للوصول الى وحدة فكرية .

وكان المتوقع ان يركز المؤتمر على هذه المشاكل لتحظى بالاهتمام الاول، الا أنه ظهر اتجاه لاثارة وتقديم واغداق الامتيازات .اثارت اعتراضا من عدد من المبعوثين انفسهم على اساس الاهتمام يجب ان ينصب على المشاكل العامةلا الخاصة .

ومن المسائل التى اثيرت للترضية :

● الرسوم الجمركية على الادوات التى يعود بها المبعوث بعد استكمال دراسته وهى غالبا ادوات مثل الثلاجات والسيارات .ووجهة نظر المبعوثين فى تلك المسألة انهم يقومون بضغط مصروفاتهم الى اقصى حد لتوفير جزء من مرتباتهم المحدودة للحصول على مثل تلك الادوات المنزلية التى تسهل عليهم الحياة. وتقدمت اللجنة التحضيرية للمؤتمر باقتراح بمساواة المبعوثين العائدين برجال السلك الدبلوماسى من حيث الاعفاءات الجمركية أو على الاقل اعفاءهم من الزيادات الجمركية الجديدة

● تجنيد المبعوثين الذين تجاوزوا سن الثامنة والعشرين الذى نص عليه قانون التجنيد، وعدد كبير من المبعوثين قد تجاوز تلك السن دون انهاء دراسته ولذلك فهم يجمعون على العودة الى البلاد .وكان المشير عامر قد قرر تأجيل تجنيدعدد كبير من هؤلاء المبعوثين .واقترحت اللجنة ان يشمل قرارالمشير جميع المبعوثين الباقين .

وثمة مشكلة اخرى مشتركة هى احجام عدد كبير من المبعوثين عن العودة للبلاد بعد انتهاء دراستهم لضعف المرتبات اولتفاوتها بين الوزارات والمؤسسات والجامعات . فالحاصل على الدكتوراه الموفد من قبل اى وزارة ليس بها قسم للبحوث يحصل على ستة جنيهات فقط بدل دكتوراه بالاضافة الى مرتبه الاصلى الذى لا يزيد عن ٢٥ جنيها بينما الحاصل على الدكتوراه لحساب الجامعة او مؤسسة الطاقة الذرية يتقاضى مرتبا قدره خمسة واربعون جنيها .

واقترحت اللجنة ان تساوى مرتبات جميع الحاصلين على درجات علمية من الخارج وان يطبق على الجميع كادر مؤسسة الطاقة الذرية والجامعات .

وهناك مشكلة طلبة الاشراف الذين يرفع عنهم اشرافادارة البعثات بسبب رسوبهم المستمر او سوء سلوكهم ومعنى رفع الاشراف عنهم توقف تحويل النقود التى يبعث بها ذووهم اليهم مباشرة .واقترحت اللجنة اعطاء فرصة اخرى لمن يتعثروا فى دراستهم .وان ينذر مقدما لمدة ستة شهور فاذا استمر تعثره الدراسى نفذ قرار انهاء الاشراف من الناحية المالية بعد ٣ شهور من تاريخ صدور القرار النهائى .

وهناك مشاكل اخرى متعددة مثل مشكلة الزواج باجنبية ومشكلة زوجات المبعوثين الى الاتحاد السوفيتى ،ومشكلة تأخر صرف المرتبات، ومشكلة تيسير زيارة الوطن.. الخ المسائل المعروفة امام المؤتمر ولجانه المتعددة التى شكلها.. بعد ان افتتحه رئيس المؤتمر كمال رفعت امين الدعوة والفكرة بالاتحاد الاشتراكى .

ويقول الدكتور محمود شريف سكرتير عام المؤتمر اننا نعتقد ان المؤتمر سيضع حدا نهائيا لاى ثغرات يتوهم وجودها المبعوث بينه وبين الوطن الذى يعلق عليه آمالا عريضة،وايضا سيضع حدا لاية اخطاء تقع فيها بعض الاجهزة الادارية بحيث تعوق المبعوثين عن ان يكونوا خير سفراء لبلادنا فوق دورهم فى تحصيل العلم ونقل الخبرة الاجنبية فى التطوير الصناعى والزراعى اللازمين لثورتنا الشاملة .

وينتظر ان تصدر قرارات المؤتمر وتوصياته فى نهاية الاسبوع الاول من هذا الشهر. وقد عبر عدد من المعلقين السياسيين عن املهم فى ان يضع جميع المبعوثين نصب اعينهم المصلحة العليا للوطن قبل اى اعتبارات اخرى، فالمسائل الفردية يمكن دائما حلها وتعتبر ثانوية .

●

■ الجمهورية العربية المتحدة

اللجنة مستمرة وستنشر نتائج عملها على الشعب

فى خطابه التاريخى ـ بمناسبة العيد الرابع عشر للثورة ـ اكد المناضل جمال عبد الناصر ما سبق ان اعلنه من قبل ـ من انلجنة تصفية الاقطاع سوف تستمر فى عملها من اجل تصفية الاقطاع تصفية كاملة ـ ليس فقط فى حالاتتهريب الارض والتحايل على قوانين الاصلاح الزراعى وانما ستصفى النفوذ الاقطاعى والسيطرة الاقطاعية حيثما وجدت ـ فى لجان الاتحاد



• عبد الحكيم عامر

الاشتراكي – في المنظمات الشعبية – في الجمعيات التعاونية – وفي كل مكان .

وكانت اللجنة العليا لتصفية الاقطاع برئاسة المشير عامر قد واصلت اجتماعاتها طوال الاسابيع الماضية وانتقلت بعملها من مجال تحديد الاطار العام لاتجاه وحدود اجراءاتها الى مجال التطبيق العملي ومواجهة الحالات على الطبيعة .

ولقد ادت الجهود المضنية التي بذلتها الخمس واربعون لجنة حصر التي شكلتها اللجنة العليا – الى الانتهاء من دراسة عشرات من حالات الاقطاعيين الذين هربوا ارضهم من الاصلاح الزراعي وتحايلوا على القوانين ، او الذين ينشرون الفزع والارهاب في الريف بقصد التمكين لسيطرتهم ومضاعفة ثرواتهم .

وقد اخذت اللجنة في نشر نتائج عملها تباعا على الشعب – وقد ثبت للجنة ان بعض الاقطاعيين كانوا يمارسون سيطرتهم وارهابهم وتحايلهم على القوانين عن طريق بعض من رجال الادارة والموظفين « من ضعاف النفوس والمنحرفين » – فاتخذهم الاقطاعيون « ادوات لتنفيذ اغراضهم الغير مشروعة والتستر على نشاطهم الاجرامي » .

كما اتضح من البحث ان عائلات هؤلاء الاقطاعيين تمثل مركز ثقل في بعض المناطق حيث يسيطر افرادها او اعوانهم على المجالس المحلية ولجان التنظيمات الشعبية ومجالس ادارة الجمعيات التعاونية الزراعية .

كما تبين للجنة ان الاقطاعيين لم يتورعوا عن الاستعانة بمعتادي الاجرام في فرض ارهابهم وسيطرتهم على الاهالي. ولقد قررت اللجنة العليا برئاسة المشير عامر اعتقال كل من يثبت في حقه نشاط اجرامي سواء كان من الاقطاعيين او غيرهم من الاعوان وتطهير الريف من جرائمهم – كما قررت اللجنة حل لجان الاتحاد الاشتراكي ومجالس ادارة الجمعيات التعاونية او اية منظمة شعبية « سيطر عليها الاقطاعيون » – ورأت اللجنة ان تتولى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي تعيين « مسئولين سياسيين » من بعض العناصر ذات الكفاية والوعي السياسي لتحل محل لجان الاتحاد الاشتراكي التي حلت .

وقد اكد السيد علي صبري الامين العام للاتحاد الاشتراكي وعضو اللجنة العليا ان اللجنة « قد اقرت الاجراءات اللازمة لمنع الذين طبقت عليهم اجراءات الحراسة او اقاربهم من تولي مناصب حساسة سواء في الادارة او في اجهزة الدولة والحيلولة دون سيطرة هؤلاء الافراد واستغلالهم لنفوذهم او تأثيرهم الاداري والسياسي والاجتماعي المستمد من مناصبهم والمراكز التي يسيطرون عليها » – كما قررت اللجنة العليا « ايقاف كل موظف يثبت في حقه الانحراف تمهيدا لاتخاذ الاجراءات ضده »

وجدير بالذكر ان وزير الداخلية قد قرر وقف جميع الانتخابات التي كانت تتجه النية الى اجرائها لاختيار العمد في الريف وذلك « الى حين الانتهاء من بحث حالة كل عمدة على ضوء الاجراءات التي اتخذت لتصفية الاقطاع »، كما تفرغ ستة من وكلاء النائب العام برئاسة مستشار لتحقيق الجرائم التي تكشف عنها اجهزة لجنة تصفية الاقطاع في الريف . كما ستجرى اعادة بحث الجرائم التي كان الاقطاعيون قد ارتكبوها بانفسهم او بمساعدة المجرمين المحترفين ثم حفظت لعدم كفاية الادلة او لان احدا من الفلاحين لم يتقدم للشهادة ضد الاقطاعيين بسبب الخوف من البطش.

ولقد حرصت اللجنة العليا في عملها – على ان تعلن للشعب كل التفاصيل التي تجمعت لديها عن كل حالة والوقائع التي بنت احكامها على اساسها . وكانت حريصة على ان تشمل دراستها نشأة ملكية كل اسرة بطريقة حصولها على الارض وتطور نموها والطرق التي لجأت اليها في استغلال الفلاحين ثم وسائل التهريب والاشخاص الذين عاونوها في جرائمها سواء كانوا من اتباعها او من بين الموظفين والعمد والمنحرفين وتحديد دور كل منهم .

وقد ثبت للجنة ان من بين الاقطاعيين من كان اصلا من جباة الاموال ايام المماليك واستطاعوا بعد ذلك ان يتملكوا نصف القرية وان يرتكبوا اثنى عشر جريمة قتل غير جرائم هتك العرض والاغتصاب والحريق العمد وان البعض الاخر نشأ من بين صفوف الخدم في قصور الاقطاعيين وبعضهم كان يعمل خفيرا لماكينة الري وكان البعض الاخر موردي انفار من العمال الزراعيين وعدد منهم له نشاط كبير في الاتجار بالمخدرات او تهريب مواد التموين او التعاون مع جيوش الاحتلال . وفي سبيل تجميع ثرواتهم سلك عدد منهم طريق الاجرام بنفسه وبافراد عائلته واستعان البعض الاخر بالقتلة المحترفين .

كما كشفت اللجنة عن وسائل الاثراء السريع التي حققها بعضهم بحيث ارتفعت ملكيته من ٦٠ فدانا عام ١٩٥٤ الى ١٤١٣ فدانا عام ١٩٦٦ وعن طريق اغتصاب اراضي طرح النهر وتكبيل الفلاحين بالكمبيالات على بياض والاستيلاء على المحاصيل كلها ثم طردهم من الارض وارغامهم على بيعها بابخس الاثمان وكان بعضهم يفرض الاتاوات تحت اسم « الخفارة الاجبارية » بواقع جنيهان الى ثلاثة عن كل فدان ليشتري هو ثلاثمائة فدان . وحسب نظام « المشاركة الاقطاعي » كان الاقطاعي يستولي على محصول القطن كله ثم يأخذ نصف الشتوي والصيفي بعد خصم المصروفات . وفي كل الحالات يأخذ المحصول جميعه الى مخازنه ثم يحاسب الفلاح بعد ذلك .

كما كشفت اللجنة ايضا عن استغلالهم لنفوذهم وسيطرتهم

على البنك العقارى الزراعى وعلى الجمعيات التعاونية الزراعية بحيث حصل احدهم لنفسه ولاسرته على ٨٥ ٪ من القروض التى قدمتها الجمعية — وتمكن احدهم وكان يشغل منصب مدير البنك العقارى استطاع ان يحصل من البنك على سلفة مقدارها ٢٤ الف جنيه ليشترى بها ٥٢٣ فدانا كانت مرهونة لدى البنك واستغل مركزه فى الحصول على موافقة امين الشهر العقارى ثم وكيل الوزارة فى ذلك الوقت فى نفس اليوم وان يسافر موظف من القاهرة لانجاز الاجراءات الخاصة بالصفقة فى محافظتى الغربية والدقهلية فى نفس اليوم التالى — كما تبين للجنة العليا ان قيمة السلف التى حصل عليها الاقطاعيون الذين وضعوا حتى الان تحت الحراسة — بلغت ١٣١ الف جنيه — حصلوا عليها من بنك التسليف الزراعى بضمانة المؤسسة التعاونية الزراعية

ولم تتوقف اللجنة فى عملها امام اية اعتبارات يمكن ان يتحصن وراءها مستغل او منحرف — فقد فرضت اللجنة الحراسة على اموال عضوين من اعضاء مجلس الامة ثبت للجنة قيامهم « بتهريب الارض واستغلال النفوذ والحصول على سلف والنصب على الفلاحين بمشروعات وهمية ».

وقد طلب السيد على صبرى رفع الحصانة البرلمانية من العضوين تمهيدا لاتخاذ الاجراءات القانونية ضدهما

ويرى المراقبون ان الاجراءات التى اتخذتها اللجنة والتى تواصل عملها على اساسها هى اجراءات خاصة بمخالفات قانون الاصلاح الزراعى الاول والثانى وممارسة الارهاب والتحكم فى الريف وليس لها علاقة بحدود الميثاق المقررة ولا بحق الملكية فى حد ذاته — وكان المشير عامر قد اكد هذه المبادىء من قبل واكدها الرئيس عبد الناصر مرة اخرى فى خطاب عيد الثورة كما اكدتها اللجنة فى قراراتها واجراءاتها

●

دستور من صنع الشعب

انتهت المرحلة الاولى من عمل اللجنة التحضيرية لاعداد الدستور وذلك عندما حددت اللجنة الاطار العام لخطة عملها . وكان محمد ابو نصير عضو الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى ورئيس اللجنة التحضيرية قد اعلن فى مؤتمر صحفى هذا الاطار العام والمبادىء المشكلة له ، كما اعلن ان اللجنة سوف تبدأ المرحلة الثانية من عملها فى اول سبتمبر القادم بعقد جلسات استماع مفتوحة فى قاعة مجلس الشيوخ بمبنى مجلس الامة للاستماع الى آراء واتجاهات مختلف المستويات الفكرية . وسوف يراعى — فى هذا — ان يكون نصف الحاضرين فى هذه الجلسات من العمال والفلاحين — وان يحضرها ايضا عدد من الفنيين والمتخصصين فى الشئون الدستورية وكل من يطلب حضورها من ابناء الشعب .

وكان مجلس الامة قد شكل اللجنة التحضيرية من ثمانية من اعضائه وذلك عند نهاية المناقشة التى دارت فى اعقاب الخطاب الذى القاه المناضل عبد الناصر فى المحلة الكبرى احتفالا بعيد العمال : عندما وجه قائد الثورة دعوة صريحة الى اعضاء مجلس الامة لكى يشرعوا فورا فى وضع الدستور الدائم للبلاد .

ان اقامة الحياة الدستورية السليمة كان باستمرار احد الشعارات الرئيسية لثورة يوليو . وقد التزم قادتها بوضع هذا الشعار موضع التنفيذ وذلك منذ فجر انطلاق هذه الثورة ، وهكذا ظلت قضية الدستور مطروحة على الدوام فى جدول اعمال الثورة . وقدمت قيادة الثورة حلولا تمشت وارتبطت بالمراحل التاريخية المختلفة : بمعنى انه فى خلال تقدم الثورة من موقع الى موقع ، ومن واقع المهام والانجازات التى حققتها الثورة والمعارك التى دخلتها ، ظلت تقدم ملامح جديدة للفكر الدستورى . وهى ملامح كانت تتنوع لتلائم الظروف التاريخية المحددة التى وضعت فيها .

وبعد صدور قوانين يوليو التاريخية قدم قائد الثورة «ميثاق العمل الوطنى » الى مؤتمر القوى الشعبية كوثيقة تجسد التجربة التى اجتازتها الثورة ، والقيم التى ارستها والاهداف الطموحة التى تسعى الى تحقيقها بعد ان اختارت الثورة طريق الاشتراكية . وكان من الطبيعى اذن ان يحدد الميثاق المبادىء الاساسية التى ينبغى مراعاتها عند وضع الدستور الدائم لبلد تبنى الاشتراكية هدفا واسلوبا فى الحياة . ليس هذا فحسب ، بل اشار الميثاق ايضا الى الضمانات الديموقراطية التى ينبغى ان يتضمنها الدستور وذلك عند مانص الميثاق على :

● ان التنظيمات الشعبية السياسية التى تقوم بالانتخاب الى المباشر لابد لها من ان تمثل بحق وبعدل القوى المكونة لاغلبية الشعب . وان الدستور الجديد يجب ان يضمن للعمال والفلاحين نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها .

● ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب ان تتأكد باستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية ، وان الحكم المحلى يجب ان ينقل سلطة الدولة تدريجيا الى ايدى السلطة الشعبية .

والواقع ان اللجنة التحضيرية التى شكلها مجلس الامة لاتبدأ عملها من فراغ ، وانما تنطلق من ركائز قوية محددة توضح معالم الطريق . فالمبادىء التى تضمنها الميثاق والدستور المؤقت وخطب قائد الثورة والممارسة الفعلية للعمل الثورى خلال السنوات الماضية ، والافاق التى انطلق اليها العمل الوطنى والاجتماعى فى بلادنا ، كلها كانت علامات مضيئة تنير طريق اللجنة نحو الدستور .

وقد اوضح البيان الذى اصدرته اللجنة فى نهاية المرحلة الاولى من عملها ان الشعب لن يجد فى دستوره الجديد القسمات التى طالما وجدها فى دساتير ماقبل الثورة . اى ان الدستور الجديد لن يكون بحال من الاحوال مجرد وثيقة توزع الاختصاصات بين السلطات التقليدية المتعارف عليها . كما انه لن يكون ايضا الوثيقة التى تعكس وتكرس امتيازات طبقة من الطبقات المخلوعة ، بل سيكون الدستور القادم — كما قال انور السادات رئيس مجلس الامة — « الوثيقة » التى ترسم الاهداف وتقيم المؤسسات القادرة على تحقيق الاهداف وتحديد الوسائل الكفيلة بالوصول الى تحقيق البناء الاشتراكى ! ! .

ولقد اكدت « اللجنة » بالفعل فى بيانها على بعض المبادىء الاساسية التى استقرت فى وجدان الشعب من خلال معاركه وتجاربه الثورية . وفى مقدمة هذه المبادىء ان الجمهورية العربية المتحدة دولة ديموقراطية اشتراكية — وان النظام الاشتراكى اساس اقتصادى للدولة يمنع استغلال الانسان للانسان — وحددت الملكية بانواع ثلاث : عامة وتعاونية

وخاصة واكدت على حماية الملكية العامة ودعمها باعتبارها اساسا للنظام الاشتراكى — ونصت على ضرورة سيطرة الشعب على ادوات الانتاج ورقابة الشعب على القطاعين العام والخاص — وضرورة تطوير الديموقراطية — ».

وابرزت اللجنة دور تحالف قوى الشعب العامل ودور الاتحاد الاشتراكى العربى فى وضع السياسة العامة للدولة ومراقبة تنفيذها وكتنظيم يمارس الشعب السلطة من خلاله — وضرورة ادارة الحكومة لوظيفتها عن طريق التخصص واللامركزية والتوسع فى الوظيفة الاقتصادية للحكومة ودون تعقيدات مكتبية او ادارية وضرورة التوسع فى استقلال القضاء كهيئة ضمانا لسيادة القانون . والتأكيد على دور القوات المسلحة فى حماية مكاسب النضال الشعبى .

ومن الناحية الاجتماعية اكيدت اللجنة على ان الدين طاقة روحية للشعب تعمل على تحقيق المثل العليا للمجتمع — وان السلوك الفردى من ناحية الاخلاق والقيم الاشتراكية والمساهمة فى الخدمة العامة والارتباط بالجماهير اساس تقدير المجتمع — واكدت على مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات — وعلى ان العمل حق وواجب وشرف — وعلى كفالة خدمات التأمينات الاجتماعية وحق المعونة فى حالة الشيخوخة والمرض والعجز عن العمل والبطالة — واكدت على الدور السياسى للقيادات الشعبية وعلى حرية الصحافة والنشر ووسائل الاعلام ».

ومن اجل ان يخرج الدستور عملا من صنع الشعب نفسه، ومن اجل ان يجد فيه كل مواطن انعكاسا لآماله ورغباته دعت اللجنة جميع المواطنين الى ارسال ما يعن لهم من آراء وملاحظات وافكار واقتراحات فى الموضوعات التى حددتها اللجنة او فى غيرها مما يراه الشعب جديرا بالاضافة والبحث لدعم نظامه السياسى او حماية مكاسبه الثورية ، وهكذا تؤكد لجنة الدستور انها تريد ان يساهم كل مواطن فى النقاش والبحث الدائر حول الدستور الجديد، حتى لا يقف دور المواطن البسيط عند حد التصويت فى الاستفتاء على الدستور وانما يتعداه الى نوع من المساهمة الايجابية فى وضع الدستور واقراره ».

●

الاصلاح الادارى بمفهومات جديدة

اصدر مجلس الوزراء مجموعة هامة من القرارات التى اعدتها « اللجنة العليا للاصلاح الادارى » . وتضمنت المجموعة الاولى من القرارات انشاء هيئة هامة لميناء الاسكندرية ومشروعا لتنظيم العمل بميناء القاهرة الدولى ، ثم مشروعا لتطوير الادارة المحلية ولنقل اجهزة الخدمات الى المحافظات .

وجاءت هذه القرارات الهامة باكورة نتائج العمل الكبير الذى يتم اليوم فى مجال الاصلاح الادارى ، وانتقالها من مرحلة الدراسات التاريخية والميدانية لوسائل الاصلاح العملية وهز الجهاز الحكومى، بعد ان تعثرت سنوات طويلة اثناء وضعها موضع التنفيذ، امام مقاومة ولا مبالاة الاجهزة الادارية ذاتها.

ان نقطة البدء فى انجاز اصلاح ادارى حقيقى هى الاعتراف بأنه قد حدثت فى بلادنا خلال ١٤ عاما تغيرات عميقة وكثيرة فى حين ان الجهاز الادارى ظل فى معظم اجزائه على حاله من التخلف غارقا فى البيروقراطية والعزلة والتعالى على جماهير الشعب. ولعلنا نذكر ان المناضل جمال عبد الناصر كان قد اعلن فى ١٧ اكتوبر ١٩٦١ — اى بعد شهور ثلاثة من قرارات يوليو المجيدة — «ان الجهاز الحكومى لم يستطع ان ينقل الى الجماهير احساسا جديدا بأنه مجرد خادم لمصالحها . وانما اصبحت الجماهير هى المسخرة لخدمة الجهاز الحكومى بكل ما فيه من خلل، وبهذا لم تعد فى الجهاز الحكومى القدرة الكاملة على ان يكون من ادوات الثورة بل تحول فى بعض الظروف ليكون عبئا على الثورة» . ثم جاء ميثاق العمل الوطنى ليعلن «ان اللوائح الحكومية يجب ان تتغير تغيرا جذريا من الاعماق لقد وضعت كلها او معظمها فى ظلال حكم الطبقة الواحدة . ولا بد من تحويلها بأسرع ما يمكن لتكون قادرة على خدمة ديموقراطية الشعب كله» .

والحديث عن الاصلاح الادارى اليوم لا ينفصل عن التطبيق الاشتراكى الذى احدث تحولات عميقة فى الدور الذى اعتادت الحكومة ان تؤديه. ذلك لان الملايين الذين يستفيدون من اوجه النشاط العام للحكومة قد باتوا يشكلون فى نفس الوقت قوى ضاغطة جديدة ترتبط مصالحها القريبة والبعيدة برفع الكفاية الانتاجية، وسرعة اداء الخدمات، وعدالة التوزيع .

وفى كلمة زكريا محيى الدين امام مجلس الامة عن مسئوليات الخطة اعلن فى بيانه : « لقد ترتب على التغيرات الثورية الضخمة التى حدثت فى السنوات الاخيرة ان انتقلت قطاعات واسعة من الاقتصاد القومى تحت سيطرة الراسمالية المستغلة الى سيطرة الشعب داخل القطاع العام . ومعنى ذلك انها انتقلت من التنظيم الراسمالى التلقائى الى حيث يسود التنظيم الاشتراكى الدقيق المحكم الذى يحقق الحد الاقصى من الكفاءة فى الادارة ، ثم قال ان هذا التنظيم لازم لكى تتفرغ الوحدات الانتاجية لمهمتها الرئيسية وهى الانتاج . ويجب الا يسبب تعقدات مكتبية او ادارية تعطل تدفق الانتاج » .

والنظرة الجديدة الى قضايا الاصلاح الادارى تعتبر انها فى جوهرها ليست قضايا ومشاكل متفرقة ، وانما هى وثيقة الارتباط والتأثير فى بعضها كما اوضح السيد زكريا محى الدين فى خطابه امام مؤتمر الانتاج عندما قال : «كل مجهود تبذله الادارة الحكومية لتبسيط الاجراءات وسرعة تأدية الخدمات وكفايتها انما يؤثر بالتالى على حجم الانتاج وكفايته .فادارة الجوازات التى يطلب منها تصريحات السفر وادارة الكيمياء التى يطلب منها اختيار عينة والمستشفى الذى يعالج العاملين والمدرسة معهد التدريب وادارة الاستيراد والجمارك والموانى التى يتصل عملها بسرعة ورود السلع او تصديرها.كل هذه الاجهزة الادارية تؤثر تاثيرا مباشرا على كفاءة قطاع الانتاج يمكنها ان تكون اداة تعطيل ويمكنها ان تكون اداة دفع وتعزيز»

ولقد كشفت الدراسات التى تمت على الطبيعة عن حقائق مؤسفة عن آثار التخلف الادارى والتعقيدات المكتبية، وعن مدى ما تلحقه من اضرار بخطة التنمية وبمصالح الشعب .
لقد تبين — مثلا — انه لم يتكون لدينا جهاز قوى متوفر على دراسة الاسواق الخارجية وامكانياتها.وان هناك — على سبيل المثال ايضا — ١٣ مصلحة وهيئة وظيفتها الرقابة على التصدير وتتم عملية المراجعة الجمركية على خمس مراحل كاملة. وقد ثبت ان كميات من السلع المصدرة قد اعدمت فور وصولها الى الاسواق الاجنبية ولم تتمكن النيابة الادارية من تحديد المسئولية بسبب شيوع المسئولية على جهات متعددة تتبع وزارات مختلفة .

وعلى سبيل المثال ايضا فانه فى مطار القاهرة الدولى تمر

عملية التخليص على الطرد الواحد بـ ٣٢ خطوة تستغرق من يوم الى ثلاثة. وتتقاسم عشر جهات حكومية السلطة في المطار. ويحكم مكتب مراقبة الاغذية بجمرك الاسكندرية ٥٥ قانونا بالاضافة الى عشرات القرارات واللوائح الصحية .وينظم العمل في الجمرك ٢٦ قانونا وقرارا . اما شهادة اتمام الاجراءات فانها تتم في ٢٣ خطوة تضم بدورها مائة اجراء ! والنماذج التى تستعمل حتى اليوم هي التى صممت تنفيذا للائحة الجمركية التى صدرت عام ١٨٨٤ ولم تعدل طبقا لاحكام قانون الجمارك الذى صدر منذ ثلاث سنوات ..وهكذا

والواقع ان ما يقال من الجمارك يمكن ان نجد له شبيها في اكثر من مكان من المحاكم الى هيئات البريد والتليفون الى الجمعيات التعاونية الاستهلاكية .

كان لا بد اذن من اجراءات شاملة تقتلع هذه الاوضاع من جذورها . ومن هنا كان طبيعيا ان يتولى زكريا محيى الدين بنفسه رئاسة اللجنة العليا للاصلاح الادارى، الامر الذى لا يمكن تجاهل مغزاه السياسى، ونحن نذكر ان قضية الاصلاح الادارى كانت في مقدمة العناصر الاساسية في البرنامج الذى تقدم به رئيس الوزراء الى الشعب غداة تشكيله للوزارة في اكتوبر ١٩٦٥ .وفى مستهل عمله بالوزارة عقد مؤتمرا للادارة، وفى خطابه امام المؤتمر حدد اطارا عاما لفهم قيادة الثورة لمشكلة الاصلاح الادارى حين اكد على النقاط التالية :

- خطة الاصلاح الادارى عملية مستمرة مع وجود الجهاز كما ان الحاجة الى الاصلاح تتطور مع تطوير المجتمع
- تعديل القوانين واللوائح لا يكفى وحده بل لا بد من بذل الجهود لتغيير المفاهيم الاجتماعية وما يتصل بها من الشعور بالواجب ومصلحة الجماعة .
- تحديد مسئولية كل وظيفة بما يمكنها من سرعة التصرف.
- المحاسبة على اساس كمية العمل الذى ينجز وليس على اساس ساعات العمل .
- حل مشكلة تعدد اجهزة الرقابة .

هذه هى اهم المبادىء الرئيسية التي تحكم عملية الاصلاح الادارى. وقد اجرى مؤتمر الادارة تقييما حقيقيا لوحدات التنظيم في كل اجهزة الدولة . وقرر المؤتمر تطوير هذه الوحدات واعداد دليل للتنظيم الادارى ثم تبسيط الاجراءات وتعديل القوانين وتدريب الموظفين واعداد القادة وخلق وعى ثورى بين العاملين . واقر المؤتمر خطة قصيرة المدى للاصلاح الادارى واخرى طويلة المدى. اما القصيرة فتقوم اساسا على تبسيط الاجراءات. واما الخطة الطويلة فتتناول المشاكل الادارية والوصول الى الحلول التى تؤدى الى رفع الكفاية الانتاجية .

ثم عقد مؤتمر للادارة المحلية شارك في اعماله نواب رئيس الوزراء والمحافظون واصدر مجموعة من التوصيات الهامة اعلن رئيس الوزراء موافقته عليها وتستهدف اتاحة الفرصة لان يكون الحكم المحلى سبيلا لمزيد من الممارسة الديموقراطية عن طريق المشاركة الفعلية للشعب في الحكم المحلى وتحسين الخدمات ، وحل مشاكل المواطنين . وحدد المؤتمر حدودا واضحة لمهمة الحكومة المركزية وقصرها على التخطيط والتفتيش . اما المجالس المحلية فتختص بادارة كافة المرافق المحلية وفق السياسة العامة التى تضعها الوزارة. ويجب ان تصاحب عملية الاصلاح الادارى عملية توسع في اللامركزية الادارية ، ولهذا سوف تزيد اختصاصات المحافظين وتزداد سلطاتهم ، وفى نفس الوقت تتطور الادارة المحلية عموما في الاتجاه الذى رسمه الميثاق وهو نقل السلطات الى المجالس الشعبية كهدف نهائى. وقد قرر المؤتمر الاخذ بنظام تقسيم القطر الى مناطق، واقامة مجالس تنفيذية للمناطق تقابلها مجالس شعبية تمارس الرقابة التنفيذية على المستوى المحلى بما يكفل تحقيق سلطة الشعب في المراقبة التنفيذية على المجالس المحلية في حين يختص مجلس الامة بممارسة سلطة الشعب في رقابة الاجهزة التنفيذية على المستوى القومى .

لقد انطلق العمل من اجل تطويع الاجهزة الادارية لمتطلبات العمل السياسى الثورى في كافة نواحيه. ويتوقع المختصون ان يلقى المسئولون صعوبات وعقبات جمة، ولكن ايا كانت الصعوبات فان الحكومة تهتدى في مهمتها الصعبة بمبادىء ثورية هى اساس كل تغيير في الاجهزة الادارية وبدونها يصعب احداث اى تغيير .وفى مقدمة هذه المبادىء :

- توعية العاملين بفلسفة الدولة اى بمفهوماتها الاجتماعية الاساسية والثورية .
- اشاعة الديموقراطية في كل مراتب الادارة الحكومية،
- العمل لكي توضع الاجهزة الادارية في نهاية الامر تحت رقابة المجالس الشعبية تنفيذا لما جاء في ميثاق العمل الوطنى .

●

حركة النضال ضد الحرب لا تتجزأ

عقد المجلس القومى للسلام في القاهرة، مؤتمرا في منتصف يوليو الماضى بحث فيه موضوع العدوان الامريكى على فيتنام الديمقراطية وقد ارسل **خالد محيى الدين** سكرتير المجلس ، برقية باسم المؤتمر الى الرئيس **جمال عبد الناصر** اعرب فيها من تقدير المؤتمرون « لموقف حكومتنا الثورية العظيم من مشكلة فيتنام . ويؤيدون جهودكم المستمرة لوقف العدوان على شعبها وتحقيق السلام على ارضها » .

كما ارسل المؤتمر برقية الى الرئيس **هوشى منه** تحيي كفاح شعب فيتنام. وبرقية الى الرئيس الامريكى **جونسون** تطالبه بوقف العدوان الامريكى فورا. وبرقية الى **اوثانت** تطالبه بالتدخل لانقاذ السلام .

وقد تحدث في المؤتمر كل من **حسين فهمي** الذى استعرض نضال مجلس السلام العالمى من اجل تحقيق السلام على ارض فيتنام. ثم تحدث سفير فيتنام الديمقراطية الذى قوبل بحماس ملحوظ من الحاضرين والذي اكد اصرار شعب بلاده على هزيمة المعتدين الامريكيين. واعقبه ممثل جبهة تحرير جنوب فيتنام، وقد اوضح الهزائم التى تلقاها القوات الامريكية والتابعة لحكومة سايجون على ايدي قوات جبهة التحرير .

ثم تحدث **عبد الفتاح ابو الفضل** امين شئون الاعضاء بالاتحاد الاشتراكى حيث طالب الراى العام العالمى والدوائر التقدمية باتخاذ موقف اكثر ايجابية من مجرد الاحتجاجات. واختتم **خالد محى الدين** اعمال المؤتمر بكلمة اكد فيها «ان الشعب العربي يعتبر نفسه جزءا لا يتجزأ من حركة النضال العالمى ضد الحروب والعدوان والاستعمار» .كما اوضح ان حفظ

السلام فى فيتنام «يقتضى تنفيذ اتفاقيات جنيف عام ١٩٥٤ تنفيذا كاملا بالنص والروح» . وقد اصدر المؤتمر قرارا باستنكار العدوان الامريكى باسم ممثلى الهيئات العمالية والنسائية والشباب واساتذة الجامعات والفلاحين والموظفين والفنانين والكتاب والصحفيين وانصار السلام والتضامن الاسيوى الافريقى الذى ضمهم الاجتماع الذى دام ثلاث ساعات .

هذا ويتوقع المراقبون ان تشهد حرب فيتنام سلسلة من التطورات الهامة، بعد ان انذرت الولايات المتحدة «بالنتائج الخطيرة» التى ستترتب على ممارسة حكومة هانوى لحقها فى محاكمة الاسرى من الطيارين الامريكيين — الذين اسقطتهم مدفعية فيتنام الشمالية اثناء قيامهم بالغارات الجوية ضد شعب فيتنام — «كمجرمى حرب» . كما اعلنت الصين الشعبية انها ستكون «القاعدة الخلفية لقوات فيتنام الشمالية» . وصرح المسئولون الامريكيون ان الطائرات الامريكية «ستتعقب طائرات الصين اذا تعرضت لها فوق اراضى فيتنام الشمالية» .

ورغم خطورة الموقف الذى يهدد السلام العالمى على اثر قرار ليندون جونسون فى آخر يونيو بضرب هانوى وهايفونج فى فيتنام الشمالية، الا ان الصحافة الغربية تلمح الى ان الغارات الامريكية يمكن ان تمتد لتشمل «مناطق أخرى لها اهميتها الاستراتيجية الحيوية فى فيتنام الشمالية» . ويشير جافين يونج مراسل الاوبزرفر البريطانية الى ان السفن التى ترسو فى ميناء هايفونج وكذلك المطارات والسدود المقامة على نهر الوادى الاحمر «يمكن، اذا ضربت، ان تكبد فيتنام الشمالية خسائر فادحة تصل الى حد تهديد البلاد بالغرق». ويزيد من احتمالات تفاقم سياسة جونسون فى «تصعيد الحرب» تصريحات المسئولين الامريكيين بأنهم لا يرون «نهاية قريبة لحرب فيتنام» . ويذهب كبار القادة العسكريين الامريكيين فى سايجون الى حد الاعتقاد بأن «الغزو البرى لفيتنام الشمالية هو الخطوة التالية» . وتقول النيوزويك الامريكية ان امريكا ستزيد قواتها الى نصف مليون جندى فى الخريف من هذا العام.

فاذا كان معروفا ان القوات الامريكية وقوات حكومة سايجون تسيطر على ثلث فيتنام الجنوبية (باعتراف المسئولين الامريكيين) و خمس البلاد (كمايعلن قادة قوات جبهة التحرير) ، فان المراقبين يتساءلون عن الاراضى التى تستوعب هذا العدد الضخم من الجنود (بالاضافة الى قوات كوريا الجنوبية واستراليا التى تعمل الى جانب قوات حكومة سايجون) ولهذا يسود الاعتقاد بين المراقبين بأن فى نية امريكا توسيع نطاق رقعة الاشتباكات العسكرية لتشمل حدود بعض الدول المجاورة لفيتنام وخاصة بعد توارد الانباء عن الغارات الامريكية فوق حدود كل من لاوس وكمبوديا .

ورغم الامدادات الضخمة من الجنود والعتاد الحربى ، التى تبعثها امريكا، الا ان قواتها تلقى باستمرار — وباعتراف العسكريين الامريكيين — خسائر ضخمة فقد اعلن مندوب جبهة تحرير فيتنام الجنوبية فى المؤتمر الذى عقده المجلس القومى للسلام فى القاهرة لاستنكار العدوان الامريكى، انه قد تم فى فصل الجفاف الاخير اصابة ٤٥ الف عسكرى تابعين لامريكا وكوريا الجنوبية واستراليا بين قتيل وجريح .كما اصيب ٧٠ الف جندى لحكومة سايجون. ودمرت ١١٤٠ طائرة امريكية و ١٣١٠ سيارة حربية امريكية. واعلنت حكومة هانوى انها اسقطت ١١٩٨ طائرة امريكية منذ بداية حرب فيتنام حتى الان .

وقد اضطرت حكومة هانوى، على اثر قرار جونسون بتصعيد الحرب، الى اعلان حالة «التعبئة الجزئية» فى البلاد واجلاء المدنيين من المناطق الاستراتيجية. وصرح هوتشى منه رئيس جمهورية فيتنام الديمقراطية بأن شعب بلاده لن يرهب الامريكيين وسيستمر فى القتال حتى لو استمرت الحرب عشرين عاما .وتقول المصادر المطلعة ان شعب فيتنام الشمالية متراص خلف حكومته ضد العدوان الامريكى. وقد بلغ حماسه حدا دفع العمال فى المصانع الى احضار « اسرة ميدان » للنوم فى المصانع اذا اضطرتهم الغارات الامريكية لذلك. وقرروا العمل ١٠ دقائق اضافية تعويضا عن كل دقيقة تضيع بسبب الغارات. ونجح العمال الفيتناميين بذلك فى زيادة الانتاج ١٥٪ رغم حدة الغارات .

وتقول النيويورك تايمز الامريكية ان جونسون قد اتخذ قراره بضرب هانوى وهايفونج، لمواجهة معارضة الرأى العام الامريكى لسياسة استمرار الحرب « دون نتائج حاسمة » وكمحاولة لرفع معنويات الجنود الامريكيين فى فيتنام الجنوبية بعد ان وصلت الى درجة سيئة. وتضيف النيوزويك ان جونسون وضع فى اعتباره — عند اتخاذ القرار — ظروف الخلاف الصينى السوفيتى وكذلك انشغال الصين فى الاونة الاخيرة ببعض القضايا الداخلية الهامة . ويرى المراقبون السياسيون ان توقيت ضرب هانوى وهايفونج بزيارة ديجول الى موسكو لم يأت صدفة. ويعد المراقبون توقيت خطوة جونسون هذه تحديا لمساعى ديجول والمسئولين السوفييت من اجل خلق تفاهم فرنسى سوفيتى. ويعد المراقبون هذه الخطوة — من بعض وجوهها — ردا على تصريحات ديجول فى موسكو بشأن حرب فيتنام واستنكاره لها .

وقد اثار قرار جونسون بضرب هانوى وهايفونج موجة من استنكار واستياء الرأى العام العالمى بمختلف اتجاهاته السياسية. فبالاضافة الى تصريحات المسئولين فى الاتحاد السوفيتى والصين وسائر حكومات حلف وارسو بمضاعفة مساعداتهم لشعب فيتنام، والاعراب عن استعدادهم «لارسال متطوعين الى فيتنام الشمالية اذا طلبت حكومتها ذلك» ، نددت به دول عدم الانحياز وخاصة فى كل من القاهرة وبلجراد ودلهى .

ويقول بعض المراقبين ان الحكومة الامريكية كانت على دراية تامة بالظروف المحيطة بالعلاقات السوفيتية الصينية ، مما دفع وزير الدفاع مكنمارا الى التصريح بأنه لا يتوقع كرد فعل لخطوة تصعيد الحرب، سوى «الاحتجاجات الصاخبة» ويخشى كثير من المراقبين ان يتمادى الامريكيون فى عدوانهم ما لم يواجهوا بموقف حازم وموحد من قبل حلفاء فيتنام الشمالية

هذا وقد اعلن وزير الاستعلامات الفرنسى ان حكومته «تدين قصف هانوى وهايفونج بالقنابل وتعد ذلك حجرة عثرة فى سبيل الوصول الى حل ممكن» وقد وصف برتراند راسل المفكر البريطانى وداعية السلام ، جونسون بأنه «هتلر جديد» كما صرح السناتور الامريكى واين موريس ان امريكا «اصبحت اكبر خطرا يهدد السلام العالمى » .

اما حكومة ويلسون البريطانية، فرغم عدم اتخاذها موقفا واضحا بشأن ضرب هانوى وهايفونج ،الا ان موافقتها على بيع قاذفات القنابل البريطانية وصواريخ البحرية الى الجيش الامريكى بدون قيد بعد ان كانت تشترط عدم استخدامها فى فيتنام، اكد مساندتها وتأييدها لسياسة جونسون فى فيتنام . وذلك رغم معارضة بعض النواب العمال فى مجلس العموم البريطانى لموقف ويلسون .وجدير بالذكر ان زيارة ويلسون للاتحاد السوفيتى والتى تعرض فيها لقضية فيتنام، قد منيت بالفشل كما يقول ويلسون نفسه الذى صرح بأنه «لم يطرأ اى تغيير على المواقف المتعارضة التى تتخذها كل من بريطانيا والاتحاد السوفيتى من حرب فيتنام» .

وإذا كانت حكومة كاوكى فى سايجون قد نجحت خلال الاسابيع الماضية فى اخماد تمرد البوذيين، فان قضية الانتخابات مازالت مطلبا يثار بين يوم وآخر من طوائف شعب فيتنام الجنوبية. ويعنى هذا انه حتى لو اجريت الانتخابات فان ٦٠٪ فقط من الناخبين (اى الذين يقيمون فى المناطق التى تسيطر عليها قوات الحكومة) هم الذين قد يدلون بأصواتهم. وتقول الايكونوميست البريطانية ان مجلس الجنرالات الذى يحكم فيتنام الجنوبية برئاسة كاوكى منقسم على نفسه. وتضيف ان الاسعار فى سايجون قد ارتفعت بنسبة ٦٠٪ عن مثيلاتها فى العام الماضى. وتقول الايكونوميست ان فيتنام الجنوبية قد تحولت الى بارات تغص بفتيات الليل فى المناطق التى ينزل فيها الجنود الامريكيون .

ويرى المراقبون انه لولا الانقسامات الطائفية الحادة فيما بين البوذيين والكاثوليك والهواهاو والكاوداى فى فيتنام الجنوبية، لما امكن لامريكا او الكاوكى — حيث تستغل هذه الانقسامات — البقاء فى فيتنام الجنوبية. وجدير بالذكر ان الاحصائيات الدولية الرسمية تقول ان الارباح التى دخلت جيوب «رجال المال والاعمال الامريكيين» نتيجة لحرب فيتنام، فى عام ١٩٦٤ وحدها — اى قبل اتساع الحرب — قد بلغت ٣١٩٠٠ مليون دولار، وارتفعت ارباح شركة لوكهيد (اكبر متعهد للانتاج الحربى) ٣٤ مرة وارباح شركة جنرال دانياميكس ٢٥ مرة .

وفى احصائية ذكرها **ايميت جون هيوفر فى النيوزويك** الامريكية، ان التكاليف التى تتكبدها امريكا فى حرب فيتنام والتى تزيد على ٢٠ بليون دولار فى السنة الواحدة :

— يمكن ان تمول — كل شهر — تكاليف برامج تدريب سبع سنوات لـ ٧٠ الف عالم .

— ويمكن ان تضاعف — كل شهر — مصادر وكالة التنمية الدولية لبرنامج عام اقتصادى كامل فى ٣٨ دولة .

— ويمكن ان تخلق — كل شهر — ٣ من امثال مؤسسى مؤسسات روكفلر .

— ويمكن ان تغطى — كل شهر — تكاليف جهاز دولة وقوات بوليس فى ٥٠ دولة .

— ويمكن ان تمول برامج هيئة اليونيسيف الدولية للصحة والتعليم لـ ٨٠٠ مليون طفل فى ١١٨ بلدا ■

●

■ الوطن العربى

عودة المبادرة للقوى الثورية

لم يكن اعلان المناضل عبد الناصر عن طلب الجمهورية العربية المتحدة لارجاء عقد مؤتمر القمة العربى الى اجل غير مسمى مفاجأة للمراقبين المعنيين. وقد لخص كشف حساب مؤتمرات القمة بأنها سمحت للقوى الرجعية العربية بالانتقال من الدفاع الى الهجوم وهو حساب يكفى لاملاء الموقف الذى تتخذه الجمهورية العربية المتحدة اليوم ■

كانت مبررات دعوة مؤتمر القمة الاول تتلخص فى الاتى :

● ان تجابه الامة العربية بعمل موحد الاخطار المحدقة بالقضية الفلسطينية فى اخطر مراحلها .

● ان يكون هذا التضامن العربى حول فلسطين سبيلا الى حل بعض المشكلات العربية التى تتخذ الصراع حولها طابعا عسكريا يبقى جزءا من الطاقة العربية بعيدا عن فلسطين .

وكان الامل فى نجاح سياسة القمة يستند الى افتراض ان التناقض العربى الاسرائيلى يمكن ان يدفع العمل العربى المشترك بالنسبة لقضية فلسطين برغم التناقض الكبير بين قوى التقدم والرجعية على الارض العربية .

والآن، ما هى الحصيلة العملية لمؤتمرات القمة الثلاث التى انعقدت حتى الان، على ضوء المشكلات التى طرحت والقرارات التى اتخذت :

اولا : تحويل الروافد العربية لنهر الاردن : كانت مؤامرة اسرائيل لتحويل نهر الاردن بهدف تعمير منطقة النقب لاغراض اقتصادية وعسكرية هى اولى المشكلات التى تصدى لها مؤتمر القمة الاول، ولمواجهة الخطة الصهيونية فى ادنى حدود المخاطرة تقرر تحويل الروافد العربية لنهر الاردن فى اراضى البلاد العربية المتاخمة . الا انه بعد حوالى ثلاثة اعوام من اتخاذ هذا القرار، مايزال التنفيذ يتعثر فى سلسلة لا تنتهى من الدراسات واللجان والتحفظات المتبادلة ليصبح احدى مشاريع الجامعة العربية الكثيرة التى لاتتاح لها الفرصة لكى تخرج الى حيز التنفيذ .

ثانيا : القيادة العربية الموحدة : لكفالة حرية البلاد العربية المتاخمة لاسرائيل فى القيام بعمليات التحويل، برزت منذ البداية مشكلات التأمين العسكرى لهذه البلاد ضد العدوان الاسرائيلى المحتمل . من اجل ذلك كانت ميزانية التسليح العربى الجديدة والقيادة العربية الموحدة التى انشئت للاشراف على تعزيز الدفاع العربى وتنسيق خططه، وكخطوة اولى فى سبيل الاستعداد للعمل العسكرى الهجومى فى المستقبل .

وفى مؤتمر القمة الثالث، ومع بروز خطر التسلح الذرى الاسرائيلى لم يعد الجانب العسكرى قاصرا على محاولة تعزيز الدفاع العربى بل انتقل البحث الى دراسة كل الاحتمالات بما فيها وضع خطة هجومية لتحرير فلسطين، واصبح ينظر الى القيادة الموحدة كنواة لمؤسسة عسكرية عربية تضطلع بمهمة سحق الخطر الصهيونى، اى بمهمة شن حرب وقائية ضد اسرائيل فى حالة التأكد من انها فى طريقها الى امتلاك السلاح الذرى ■

هذا هو ما اتفق عليه : فماذا حدث فى التطبيق ؟

بالنسبة لميزانية الدفاع المشترك والقيادة الموحدة اخلت الدول الرجعية، وبخاصة المنتجة للبترول، بالتزاماتها، بينما اندفعت الاردن والسعودية فى طريق التسلح المنفرد الذى جرى على ايدى خبراء امريكيين وبريطانيين جاءوا ليدربوا قوات البلدين، لا على مواجهة الخطر الصهيونى، ولكن لمواجهة « الاخطار الصادرة عن الجمهورية العربية المتحدة وحلفائها الثوريين فى المنطقة » . وبدا واضحا ان الدول الرجعية العربية انماتتسلح للوقوف فى وجه الدول العربية التقدمية وافتعال المعارك معها، واتقاء المخاطر التى قد تهب على العروش والرجعيات فى اية لحظة ومن اية جبهة .

بل ان امريكا اتخذت من صفقتها الهزيلة مع السعودية ستارا لصفقتها الضخمة من الاسلحة الهجومية لاسرائيل ■

وحين كشفت الجمهورية العربية عن صفقة السلاح الامريكى لاسرائيل ، صمتت الدول الرجعية العربية ، ولم تصدر عنها كلمة استنكار واحدة للسياسة الامريكية التى تبسط حمايتها على اسرائيل .

ثالثا : العلاقات العربية الدولية ، على ضوء الموقف من فلسطين : نصت قرارات مؤتمرات القمة الثلاث على ان الدول العربية سوف تحدد علاقاتها مع دول العالم على ضوء مواقف هذه الدول من القضية الفلسطينية . وكانت السنوات الثلاث الماضية فرصة لوضع هذه القرارات موضع التنفيذ . فبعد صفقة الاسلحة الالمانية لاسرائيل تخلفت مجموعة من الدول العربية عن قرار قطع العلاقات مع المانيا الغربية .

واليوم ، وبينما تتقدم امريكا لتقوم بدور مورد السلاح الاول لاسرائيل ، تطلب السعودية حماية وشنطن ضد الجمهورية العربية المتحدة .

ان الدول العربية الرجعية حولت قرار تحديد علاقاتها الدولية على ضوء الموقف من فلسطين الى مجرد حبر على ورق .

رابعا : الكيان الفلسطينى : اتفق الملوك والرؤساء على انشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، متمتعة — نظريا — بكافة الحقوق التى تيسر لها تنظيم الشعب الفلسطينى وتعبئته سياسيا وعسكريا من أجل تحرير ارضه المحتلة . وكان هذا القرار من ابرز الثمار الايجابية التى انتهت اليها سياسة القمة عام ١٩٦٤ . ولكن الرجعية فى الاردن ، وهى البلد التى تضم غالبية الشعب الفلسطينى ، ضربت بهذا القرار عرض الحائط . فحكومة الاردن رفضت الالتزام بقرارات انشاء جيش التحرير الفلسطينى ، ورفضت اعطاء منظمة التحرير ايا من حقوقها السياسية ، ورفضت الاعتراف بحق الفلسطينيين فى انتخاب ممثليهم ، ورفضت اخيرا ان تتعايش مع منظمة التحرير وقيادتها ومطالبها .

تعليق

العدوان الاسرائيلى والمخطط الرجعى فى المنطقة

العدوان الاسرائيلى الاخير على مواقع التحويل فى سوريا تم بشكل وفى ظروف تختلف بدرجة كبيرة عن عمليات الاعتداءات المستمرة والمتعمدة التى دابت عليها الدولة العنصرية طوال السنوات الماضية على الحدود العربية المشتركة معها.

فاختيار سوريا بالذات، واستخدام أسلوب الغارات الجوية، ومذكرة الاعتراف المتبجحة التى قدمتها اسرائيل للامم المتحدة، كل ذلك يجعلنا نميل الى التاكيد بان هذا العدوان ليس مجرد عمل انتقامى ردا على نشاط الفدائيين داخل اسرائيل كما تزعم هى، بل انه لا شك نقطة بدء فى التحرك الاستعمارى والرجعى فى المنطقة والذى يستهدف ارهاب ومحاصرة المد التحررى العربى. والغارة واهدافها ابعد بكثير من مجرد وقف او تخريب عمليات تحويل مياه نهر الاردن وروافده ، وانه لشىء له دلالته ان تضرب اسرائيل موقع التحويل فى البلد العربى الوحيد الذى قبل قرارات القيادة العربية الموحدة ووافق على دخول قوات عربية فى ارضه .

والظروف التى سبقت وصاحبت الاعتداء الاسرائيلى على سوريا تربط هذا الاعتداء بكثير من التحركات والاحداث فى العالم العربى وتجعل منه حلقة فى مخطط رجعى استعمارى .

● فالعدوان يتم وهناك محاولة واسعة النطاق تقوم بها الرجعية العربية لصرف الانظار عن الخطر الاساسى الذى يهدد المنطقة متمثلا فى الاستعمار وراس حربته اسرائيل ، وذلك باختلاق خطر وهمى هو ما يسمى «بالخطر الشيوعى» والدعاية الواسعة الصريحة تحت شعار «الصهيونية ارحم من الشيوعية » ويرتبط بهذا الهجوم على الدول العربية المتحررة وعلى راسها الجمهورية العربية المتحدة وسوريا .

واستكمالا لهذا المنطق، وتسترا تحت ستار الدين تبشر الرجعية العربية بما يسمى «بالحلف الاسلامى» وتجرى اتصالات واسعة تنتقل به من مرحلة تبادل الرأى والمشورة الى مرحلة التدشين .

● والعدوان يتم وهناك بعض الدول العربية — وهى تلك التى يقف على راسها حكام رجعيون — تتحلل من التزاماتها ازاء منظمة جبهة تحرير فلسطين، بل وتعمل بشكل مباشر على تحطيم المنظمة بدعوى انها واقعة تحت تأثير الشيوعية الدولية .

● ويتم العدوان فى اعقاب زيارة الملك فيصل ملك العربية السعودية لامريكا حامية وراعية اسرائيل واكتنفت محادثاته مع المسئولين الامريكيين بجو غير عادى من السرية والتكتم ، فلم ينشر البيت الابيض كعادته تلخيصا يوميا للمحادثات، كما ان البيان المشترك الذى صدر لم يتعرض لاى مشكلة محددة فى العالم، وبصفة خاصة فى العالم العربى، ولم يتعرض من قريب او بعيد لقضية فلسطين ، وكان الشىء الوحيد الذى تحدث عنه البيان بوضوح هو تأكيد ما وصف بخطر الشيوعية الدولية، وان كانت الصحف الغربية قد اجمعت على ان الموضوع الرئيسى الذى تناوله فيصل فى محادثاته مع جونسون هو — مثلما قالت الديلى تلجراف «ان فيصل يعتبر ان التهديد الحقيقى على مملكته لا يجىء من اسرائيل ،بل من الرئيس جمال عبد الناصر» .

واذا اضفنا الى ذلك التحركات العسكرية الامريكية فى المنطقة وتدعيم قواعدها فى المغرب وليبيا وايضا التصريح المفضوح الذى اعلنته وزارة الخارجية الامريكية فى اعقاب العدوان الاسرائيلى من ان الولايات المتحدة لن توقف مد اسرائيل بالاسلحة .

كل هذا يجعل الدوائر التقدمية العربية تجمع على ضرورة التحام قوى وفعال بين جميع القوى الاشتراكية العربية لمواجهة محاصرة ما يتوقعونه من تصاعد فى التحركات الرجعية المنظمة فى المنطقة تساعدها الشركات الاجنبية ذات المصلحة والنفوذ الواسع. وعدم اعطاء الرجعية العربية يساندها الاستعمار فرصة المبادرة فى اى عمل تخريبى فى المنطقة ويتطلب هذا فوق كشف وفضح الرجعية العربية ،تنظيم القوى الثورية العربية، والوصول الى مخطط واضح للعمل الثورى المشترك ضد الاستعمار واسرائيل والرجعية العربية

فتحى عبد الفتاح

خامسا : حل المشكلات التى تتخذ طابعا عسكريا يعطل جزءا من الطاقة العربية : وكانت مشكلة اليمن هى ابرز هذه المشكلات واكثرها تعقيدا . وقد سارت الجمهورية العربية المتحدة خطوات بعيدة فى طريق توفير المناخ الملائم لحل سلمى للمشكلة ، يحفظ لشعب اليمن حقه فى تقرير مصيره ويعيد القوى العسكرية العربية الى حيث يجب لها ان تكون ، اى حول فلسطين وعلى مشارفها . ولكن الرجعية السعودية رأت فى سياسة مؤتمرات القمة فرصة مناسبة لتعقيد القضية اليمنية والقيام بكل عمليات التخريب محتمية بالهدوء العربى الذى ساد بعد مؤتمر القمة الاول . واليوم ، وبعد ثلاث سنوات ، مازال القضية اليمنية عند نقطة التهابها الاولى ، ومازال قابلة لمزيد من الاشتعال ، بل والانفجار .

هكذا يرى المعلقون التقدميون العرب ان الرجعية العربية قد اسقطت ، بسلوكها التخريبى وتواطئها مع الاستعمار ، المبررات التى قامت على اساسها سياسة القمة . واثبتت ان تناقضها مع القوى التحريرية اقوى من تناقضها مع اسرائيل وحماتها المستعمرين .

وكان المراقبون السياسيون يدعمون تأكيداتهم بحتمية هذا الموقف من جانب الجمهورية العربية المتحدة قبل الاعلان عنه بان التآمر الرجعى لم يقف عند هذا الحد ، بل ذهب الى ما هو ابعد من ذلك ، اذ جددت الرجعية ـــ محتمية بسياسة القمة ـــ مبادراتها الهجومية بعد الهدوء الرسمى الذى ساد المنطقة العربية مع نهاية ١٩٦٣ . وانتقلت الى سياسة هجومية خلال العام الاخير بمبادرتها فى احياء سياسة الاحلاف تحت شعار الحلف الاسلامى . والحلف الاسلامى محاولة للانتقال بتحركات الرجعية من التشتت الى التنظيم لكى تصبح للثورة المضادة قيادة فى المنطقة العربية ، تخطط وتمول وتضع للمعارك توقيتها وخططها . وان اخشى ما تخشاه الرجعية العربية اليوم هى ان تمضى القاهرة فى مبادرتها لتجميع القوى الثورية فى مواجهة الحلف الاسلامى ، وان تستانف المعركة الوطنية والاجتماعية على الارض العربية بعيدا عن القيود التى كانت تفرضها سياسة القمة .

●

■ الكونجو برازافيل

ليس هناك مايدعــو للقلق

خطيت انبـــاء تمـــرد بعض وحـــدات الجيش (قـــوته ١٨٠٠ جنـــدى) فى الــكونجو برازافيل (مليون نسـمة) باهتمـام الراى العـام العالمى والصحافة العالميـة . فقـد اذيعت فى اواخر يونيو واوائل الشهر الماضى ، انباء قيام عدد من المظاهرات التى هاجمت مقر المكتب السياسى لحزب الحركة الوطنية الثورية الحاكم وبعض دور الحكومة فى برازافيل العاصمة . وعلى اثرهـا انتقل الوزراء ـــ وبينهم امبـرواز نومـالازى رئيس الوزراء ـ واعضاء المكتب السياسى للحزب وبعض المسئولين فى الدولة الى الاستاد الرياضى وقامت الكتيبتان المتمردتان فى الجيش بمحاصرة الاستاد واحتلال العاصمة .

ويلاحظ المراقبون ان الصحافة الغربية قد بالغت فى رسم صورة التمرد فى برازافيل وابرزته كما لو كان انقلابا عسكريا ضد نظام الحكم الحالى بقيادة ماسيمبا ديبا رئيس الجمهورية وزعيم الحزب . كما يلاحظ المراقبون ان الصحافة الغربية قد نقلت انباء التمرد دون ان تبدى اى مظهر للتعاطف معه غير انها انتهزت الفرصـة لتهاجم نظـام ماسيمبا ديبا ، ويعزو المراقبون هذا ، الى المواقف المتعددة التى اتخذها حزب الحركة الثورية الحاكم ضد نشاط الدول الغربية وسياستها فى افريقيا بشكل عام وفى الكونجو ـ برازافيل وغرب افريقيا بشكل خاص ، وقد بلغت العلاقات السياسية بين حكومة برازافيل وبين الحكومات الغربية حدا من التوتر قامت معه حكومة برازافيل فى الشهور القليلة الماضية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة الامريكية .

وقد تفجرت الازمة السياسية فى برازافيل ، خلال الايام القليلة التى قضـاها ماسيمبا ديبا فى تاناناريف (عاصمة مالاجاش) لحضور مؤتمر منظمة دول افريقيـا ومالاجاش وعلى اثر قرار امبـرواز رئيس الوزراء والسـكرتير الاول للمكتب السياسى للحزب بنقل ماريان نجوبى قائد الجيش (سابقا) الى موقع بعيد عن العاصمة على المحيط الاطلنطى كما اتخذت الحـكومة قرارا باقامة قيـادة جماعية للجيش يراسها دافيـد مونتسـاكا وتأسيس مكتب خاص ، يتبـع الحزب ، داخل الجيش للتثقيف السياسى . وقد أثار هذا القرار غضب نجوبى ومسـاعديه فى الجيش بالاضـافة الى افراد قبيلته حيث يشغل عدد منهم بعض المناصب فى جهاز الدولة . كمـا ان نجوبى لم يكن راضيا عن قرار المكتب السياسى الذى اتخـذه فى الشهور الاخيـرة والذى يقضى بانشاء حرس جمهورى من شباب الحزب والمنظمات العمالية قوامه الفين ويتبع الحزب . كما ان المكتب السياسى كان قـد استـدعى ١٠٠ زنجى كوبى ذوى خبـرة فى التنظيم العسـكرى لتدريب اعضاء الحرس الجمهـورى الذى برزت أهمية انشائه منـذ اكتشاف مؤامرة لقلب نظام الحـكم فى ديسمبر الماضى . وبعد نجاح الانقلاب الرجعى فى غانا واعتبر نجوبى وبعض قادة الجيش ، هذا القرار ، خطوة لانتقـال النفوذ العسكرى للجيش الى الحرس الجمهورى الجديد والحزب . ومن المعروف ان نجوبى كان يتهم حكومة امبرواز بأنها تضم « عناصر متطرفة اليسارية » وانها متأثرة باتجاه الصين الفكرى .

ورغم النداءات المتكررة التى اذاعها امبرواز بنفسه من اذاعة الاستاد ، والتى طلب فيها من الـكتيبتين المتمردتين انهاء الحصار والعودة الى الثكنات ، الا ان الحصار لم ينته الا بعد ان اذاع امبرواز وعدا بان حكومته لن تعاقب المتمردين اذا انتهى الحصار ، كما اذاع قرارا بتعيين مجلس جديد لقيادة الجيش برئاسة ايدا ديب ، واوضح ان المكتب السياسى للحزب سوف يعيد النظر فى وضع نجوبى .

وكان مـاسيمبا ديبا قـد بلغته انباء التمرد وهـو فى تاناناريف . ولكنه صرح لمندوبى الصحف ووكالات الانبـاء بانه « مطمئن الى الحالة فى بلادى، وانا على اتصال برئيس الوزراء . وليس هناك ما يدعو الى القلق » . ومن الجدير بالذكر ان ديبا لم يعد الى برازافيل الا بعد انتهاء المؤتمر واحتفـالات الاستقـلال فى مالاجاش ، ممـا دفع الدوائر السياسية التقدمية الى التشكك فى تفسير بعض المعلقين للشئون الافريقية لاحداث برازافيل على انها مؤامرة موالية للاستعمار على غرار انقلابات غرب افريقيا الاخيرة . وتنظر هـذه الدوائر الى حادثة التمرد باعتبـارها قضية صراع

داخلية اساسها الاختلاف فى وجهات النظر بين قادة الجيش وبين الحكومة فى ظل اطار من الاوضاع القبلية المتخلفة .

ويتوقع المراقبون السياسيون ان تتخذ حكومة برازافيل خلال الفترة القادمة بعض الاجراءات على المستوى الاجتماعى والادارى لمعالجة بقايا العلاقات القبليـة ، وعلى المستوى السياسى وداخل الجيش والدولة لتـدعيم اجهزة الدولة والجيش على اساس متين من الوحدة الفكرية .

وكان الكونجو برازافيل (١٣٩٠ الف ميل مربع وينتج الرصاص والذهب والصفيح) قد حصل على استقلاله فى ١٥ اغسطس ١٩٦٠ فى ظل حكومة **فولبرت يولو** التى قامت على تحـالف حزب **الاتحـاد الديمقراطى لحمـاية المصالح** الافريقية برئاسة يولو وحزب **الحركة الاشتراكية الافريقية** برئاسـة **جاكو ادبا نجـدلت** . وكانت الشركات الفرنسية تحتكر ــ فى ظل حكومة يولو ــ كل الاراضى الزراعية والمناجم والتجارة واسواق المال . كمـا كانت الادارة والوظـائف الحكومية مقصورة تقريبا على الموظفين الفرنسيين .

وكانت حكومة يولو ترتبط بمعاهدات واتفاقات عسكرية واقتصادية ، شلت قدرتها عن ممارسة اى شكل من اشكال سيادة الحكومة المستقلة وكانت علاقات الكونجو برازافيل الدبلوماسية تقتصر على ٧ دول هى **فرنسا وبريطانيا والمانيا الغربيـة وبلجيـكا وامريـكا واسرائيل وفرموزا وفيتنـام الجنوبية** . وفى ١٣ اغسطس ١٩٦٣ قام العمـال والشباب باضرابات ضخمة طالبوا فيها بتعديل الاجور والافراج عن الزعماء الديمقراطيين والتقدميين المعتقلين ، وفى ١٤ اغسطس استقال ١٣ وزيرا من ١٦ يشكلون مجلس وزراء يولو . وفى ١٥ اغسطس بلغت المظـاهرات والاضرابات قمتهـا وقادت الاتحادات العمالية مع اتحـادات الشباب معركة اسقـاط يولو الذى قبض عليه ثم تمكن من الفرار بعد ذلك ولجأ الى **الكونجو ــ ليوبولدفيل** (**اثناء حكم تشومبى**) .

وقام حزب **الحركة الثورية** وله نفوذ ضخم على الاتحادات العمالية واتحادات الشباب ، بتشكيل الحـكومة الجديدة واعلن عن رفضـه للمعاهدات العسـكرية والاقتصادية مع فرنسا ، واعادة تنظيم **الزراعة** « على اسس اشتراكية » ، **وتحويل** وسائل الانتاج « الى الملكية الاشتراكية العامة » ، **واعداد** خطة للتنمية فى ٥ سنوات « لتحويل المجتمع طبقا لما تتطلبه الاشتراكية العلمية . » .

■ **كينيا**

٩ مقـاعد للمعارضـة

رغم

فوز حزب الاتحاد الوطنى الافريقى (الكانو) الحاكم فى الانتخابات الفرعية التى اجريت اخير فى كينيا ، حيث حصل على ٢١ مقعدا (من ٣٠) ، الا ان الصحافة الغربية ــ كما يلاحظ المراقبون ــ لم تبد الحماس والمديح الذى كانت تبديه من قبل للحزب وزعيمه جومو كينياتا خلال معركته الاخيرة مع **اوجينجا اودينجا** الذى انشق على الحزب وكون حزبا معارضا هو **اتحاد شعب كينيا** الذى نافس حزب الكانو فى الانتخابات الفرعية وحصل على ٩ مقاعد .

ويقر المراقبون موقف الصحافة الغربية هذا ، بان كينياتا لم يتخذ من الاجراءات فى الفترة ما بين نزاعه مع اودينجا وبين اجراء الانتخابات ، ما يفيد انه على استعداد لتغيير اتجاهه والارتباط بالغرب . مما يدفع الصحافة الغربية الى اتخـاذ موقف المتحفظ .

ويلاحظ المراقبون ان كينياتا قد القى بثقله شخصيا فى الحملة الانتخابية الاخيرة الى جانب اعضاء حزبه فى مواجهة منافسة اعضاء حزب اتحاد الشعب . وكان لذلك اثره الواضح فى نتائج الانتخابات حيث يتمتع كينياتا بشعبية كبيرة فى البلاد .

وتقول **النيويورك تايمز الامريكية** ، انه على الرغم من فوز حزب الكانو بـ ٢١ مقعدا من ٣٠ ، الا ان الانتخابات قد اثبتت ان اودينجا يتمتع بنفوذ شعبى واضح وخاصة بين قبيلة الليوا (قبيلة اودنجا) فى **نيانزا** التى اضطر كنياتا ان يذهب اليها بنفسه ويلقى عدة خطابات جماهيرية حذر فيها من محاولة التمادى فى **تأييد اودينجا** . وجدير بالذكر ان اودينجا قد فاز على منافسه من الكانو باغلبية ١٥ الف صوت ، كما ان حزب اتحاد الشعب قد حصل على ٣ مقاعد خارج قبيلة الليوا .

وكان حـزب الشعب قد اعلن ان نتائج الانتخـابات التى اجريت اخيرا « نتائج مزورة » . ووصفها بانها «من نوع تلك الانتخابات التى ادت الى وقوع الاضطرابات فى **نيجيريا** » . ومن المعروف ان **كاجيا واونيكو** (من زعماء حزب اتحاد الشعب) قد سقطوا فى الانتخابات . ويخشى بعض المراقبين ان تسفر اثارة حزب اتحاد الشعب لما يسميه بتزوير الانتخابات ، عن بعض الاضطرابات التى قد تدفع بجناح توم **مبويا** المعروف بميوله اليمينية الى الضغط على كينياتا من أجل الجنوح نحو سياسة اكثر يمينية .

■ **الهنـد**

هل حققت الرحلـة شيئا ؟

عقب

عودتها من موسكو ، عقدت **انديرا غاندى** رئيسة وزراء الهند مؤتمرا صحفيا ، اعلنت فيه انه ليس فى الامكان عقد مؤتمر جنيف قبل وقف الغارات الامريكية على فيتنام الشمالية .

وكانت انديرا قبل بداية رحلتها الى **الجمهورية العـربية المتحدة ويوغسلافيا والاتحاد السوفيتى** قد وجهت الدعوة لعقد المؤتمر وارسلت مندوبا لها الى هانوى لاقناع حكومتها به . وبدات انديرا جولتها بالجمهورية العربية المتحدة لمناقشة الموقف الدولى بوجه عام والمشاكل الحادة ــ وفى مقدمتها مشكلة فيتنام ــ بشكل خاص . ولبحث دور دول عدم الانحياز ، بعد التغييرات التى طرات على صفوفها ، وما يمكن ان تقوم به ليعيد لها المبادرة التى كانت لها من قبل . وفى محاولة لاسترجاع



أنديرا غاندي

مكانة الهند التي أصابها الكثير بعد وفاة نهرو والتناقضات الداخلية التي زادت حدتها بعد اختفاء الرجل القادر على تحقيق نوع من التوازن بين مختلف القوى الاجتماعية . وهذا ما جعل البعض يرجع جولة أنديرا ، الى الانتخابات التي ستتم في فبراير القادم . ورغبة رئيسة الوزراء في تدعيم مركزها بعد الهزات العنيفة التي تعرضت لها ونتجت عنها موجة عنيفة من النقد بين صفوف اليمين واليسار . فالى جانب محاولات موراجي ديساى ، منافس أنديرا في الرياسة، تحطيم مكانتها، يقال ان بعضا من كبار مؤيديها على اثر رد الفعل الناشىء عن المجاعات التي اجتاحت انحاء عديدة من الهند بدأ يراجع موقفه منها بالاضافة الى مشاكل أخرى اقل اثرا مثل ثورات بعض القبائل الانفصالية ، وتفاقم مشكلة اللغة وخمود روح طشقند ، وزيادة التقارب مع الغرب الامر الذى اثار أصدقاء الهند في الخارج ، وسبب تذمر كثير من القوى السياسية المعارضة في الداخل .

وقد بدأت محاولات أنديرا لاستعادة مركز الهند في المجال الدولي بتأكيدها لاخلاصها لمبادىء ابيها في عدم الانحياز ، فهى على حد تعبيرها لاترى «العالم شرقا وغربا ، فأغلبنا يقف في الوسط» وهى ترى أن هناك ثلاثة شروط لبناء عالم أكثر أمنا هى السلام وانهاء التفرقة العنصرية والاستعمار ومضاعفة الجهد لتضييق الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة . وبدأت في السعى للالتقاء بأقطاب عدم الانحياز ، عبد الناصر وتيتو لعقد مؤتمر ثلاثى في الهند وحمل وزير الدولة دعوة بذلك الى الرئيسين ، وتحدد ٢١ أكتوبر القادم موعدا لانعقاده في نيودلهى .

وفي القاهرة أجرت أنديرا مباحثات مثمرة ، حول ترتيبات عقد المؤتمر الثلاثى . كما بحثت العلاقة بين البلدين وتقررت اجراءات شكلت لجان مشتركة لتنفيذها ، وجرى حوار حول الاشتراكية وتجربة كل من البلدين ، وتم الاتفاق حول الخطوط العامة لقضية فيتنام . ومحاولة أنديرا القيام بدور طليعى في التوصل الى حل لمشكلة فيتنام لم تكن ناجحة فنتائج الرحلة في هذه النقطة بالتحديد لم تصل الى شىء فقد قبل أن حكومة هانوى ارسلت الى القاهرة وبلغرادترجو منهما عدم القيام بأى مجهود حاليا لعقد المؤتمر قبل انسحاب القوات الامريكية وأعلن الاتحاد السوفيتى رفضه لعقد المؤتمر قبل وقف الغارات وانسحاب الامريكيين . وأن أى مبادرة لحل المشكلة يجب أن توافق عليها فيتنام الشمالية . وبهذا تغيرت اللهجة ، ودرجة الحماس في دعوة أنديرا للمؤتمر قبل بدء الزيارة وبعد انتهائها . وقد جدد ويلسون أثناء زيارته لموسكو ، الدعوة لعقد مؤتمر جنيف ولكن الاتحاد السوفيتى رفض بحزم وفي يوغسلافيا دارت المباحثات حول نفس الموضوعات ولم تخرج النتائج كثيرا عما تم في القاهرة . وأن كانت جريدة «بوليتكا» قد ذكرت أنه بحث موضـوع عقد مؤتمر جديد لدول عـدم الانحياز .

ويرى المراقبون أن الرحلة قد حققت نجاحا في مجموعها ، وأن لم تحقق نتائج حاسمة في موضوع فيتنام . فقد اعيدت صلات الهند بأقطاب عدم الانحياز وتدعمت بدرجة أو بأخرى مكانتها ومكانة رئيسة وزرائها ، وتم التعرف على الخط العام الذى يحكم موقف القاهرة ويوغسلافيا وموسكو من المشاكل الدولية بما يعين الهند في تحديد موقفها الذى اهتز في الفترة الاخيرة، نتيجة للتقارب مع الغرب . كما حصلت الهند على مساعدات اقتصادية ضخمة من الاتحاد السوفيتى . وعقدت بعض الاتفاقيات الاقتصادية مع القاهرة .

●

■ أندونيسيا

طريق الغرب أم طريق « العودة » ؟

بعد استعراض القوة الذى قامت خلاله قوات الجيش المناصرة للجنرال سوهارتو والمجلس الثلاثى الحاكم بحصار المؤتمر الاستشارى الشعبى جاءت قرارات هذا المؤتمر لتمثل من الناحية الرسمية ، دعما « دستوريا » للسياسة التى انتهجها سوهارتو والمجلس الثلاثى الحاكم منذ بداية تشكيله . وتتضمن هذه القرارات ، تجريد الرئيس سوكارنو من لقبه كرئيس لدى الحياة ، واحتفاظه نحسب برياسة الجمهورية حتى موعد الانتخابات القـادمة في يوليو ١٩٦٨ ، ومطالبته بتقرير عن التطورات الاقتصادية في البلاد ، وتشكيل لجنة لاعادة النظر في تعاليمه ، واختيار الجنرال سوهارتو للقيام بأعمال نائب رئيس الجمهورية وتكليفه بتشكيل وزارة جديدة ، والموافقة على اتفاقية بانجكوك لتسوية الخلافات مع ماليزيا ، والمطالبة بعودة أندونيسيا الى الامم المتحدة والمنظمات الدولية التى انسحبت منها ، واتباعها لسياسة خارجية مستقلة .

وهكذا انتقلت مقاليد السلطة التنفيذية « دستوريا » الى أيدى الجنرال سوهارتو الذى يرجح كثير من المراقبين ، قيامه بتشكيل حكومة قوية تستطيع مواجهة النفوذ الشعبى للرئيس سوكارنو بل وتفوقه . وقد أوضح الرئيس سوكارنو امام المؤتمر

انه سيتصرف « حسبما يرى سوهارتو وناسوتيون كى لاتعتقدوا انى انتصر لافكارى الشخصية » و « سأكون شغوفا فى الوقت نفسه بالاطلاع على المواطف الحقيقية للشعب الاندونيسى ».
ويرى عديد من المراقبين أن سوكارنو سوف يعمد الى اتباع الطريق الدستورى فى محاولة لاستعادة نفوذه السياسى ، وذلك بتشكيله لحزب سياسى جديد يخوض معركة الانتخابات القادمة فى سنة ١٩٦٨ . ومما هو جدير بالذكر أن مؤتمر جبهات العمل فى غرب جاوة قد أعلن اسم مرشحيه للرئاسة وللمنصب نائب الرئيس الذى ظل شاغرا لمدة طويلة ، وشمل الترشيح الدكتور محمد حتة ، وسلطان جوكجاكرتا ، والجنرال ناسوتيون ، الا أن اسم الرئيس سوكارنو لم يرد أطلاقا بين المرشحين . ويلقى ذلك الضوء على مدى الامكانيات التى تهيئها منذ الان القوى المعارضة للرئيس الاندونيسى فيما لو حاول استعادة نفوذه بالطريق الدستورى .

ويعتبر الجنرال سوهارتو معالجة الوضع الاقتصادى المتدهور بمثابة الهدف الرئيسى لحكومته فى الفترة الحالية ذلك أن رصيد البلاد من العملة الاجنبية قد انخفض الى ٨ مليون دولار ؛ فى نفس الوقت الذى تبلغ ديون أندونيسيا فيه للولايات المتحدة واليابان والاتحاد السوفييتى والمانيا الغربية وهولندة ٢٣٥٥ مليون دولار ، ينبغى أن يدفع منها هذا العام ٥٣٠ مليون دولار . والصعوبة التى تواجه حكومة سوهارتو هى انها لن تستطيع تدبير سداد هذه الديون عن طريق الاكتتاب ، فبعد أن نقص انتاج المطاط والصفيح والفحم فان العائد من الصادرات ومدفوعات البترول لن يزيد بحال من ٤٥٠ مليون دولار هذا العام ولن يكون فى الامكان انقاص الواردات نظرا للظروف الاقتصادية الصعبة التى تعيش فى ظلها الجماهير الاندونيسية اليوم والتى ليس باستطاعتها تحمل المزيد من الاعباء كما أن الصناعة الاندونيسية تعمل الان بـ ٣٠ ٪ من انتاجها الطبيعى ولا تتوفر لدى الخزينة العملات الكفيلة باستيراد المواد الاولية اللازمة لتشغيل المصانع .وتسود اندونيسيا حالة من الاضطراب والفوضى الاقتصادية والاجتماعية حتى الان ، فالموظفين الحكوميين لا يذهبون لمحال اعمالهم الا للتوقيع ، وبعضهم يقضى أوقاته فى أعمال أخرى ، وسائقو السيارات العامة يسرقون التموينات المخصصة لسياراتهم ويبيعونها فى السوق السوداء ، والجنود فى مراكز الطرق الهامة يحصلون بضع روبيات من أى سيارة تمر دون سند قانونى ، وعمال مخازن الموانى يفكون الالات والماكينات المستوردة ويبيعونها قطعا للتجار متفرقين ، كما اغلقت المدارس تماما واصيبت دواوين الحكومة بالشلل ولا تمثل هذه الاوضاع سوى صورا جزئية لما تعيش عليه أندونيسيا اليوم .

وتحاول الحكومة الاندونيسية علاج الوضع الاقتصادى بطلب المعونات والقروض من الغرب والشرق على السواء . وبذا تركت الحكومة الجديدة سياسة سوكارنو فى التقارب مع الصين الشعبية وتحطيم العلاقات مع الغرب الى سياسة أكثر ودا نحو الغرب ، كما هجرت فى الميدان الاقتصادى سياسة «الاعتماد على النفس » التى كان سوكارنو ينادى باتباعها . وحصلت الحكومة الجديدة على أرز أمريكى بـ ٨ر٢ مليون دولار ، وعلى قطن أمريكى خام بـ ١٠ مليون دولار ، لتموين صناعة النسيج التى تعمل فى هذه الفترة بـ ١٥ ٪ من طاقتها الحقيقية ؛ كما الغت أندونيسيا فى نفس الوقت ، القرار الذى كان يحرم على الطلبة الاندونيسيين السفر الى الولايات المتحدة الامريكية .
وقد قام سلطان جوكجاكرتا المسئول عن الاوضاع الاقتصادية فى البلاد بزيارة اليابان بحثا عن المعونات وقوبل مقابلة طيبة
وتعمل الحكومة الاندونيسية فى نفس الوقت على الحصول على معونات اقتصادية من الكتلة الشرقية كذلك ، ويعول كثير من المراقبين الاقتصاديين على رحلة آدم مالك الى اوربا الشرقية والاتحاد السوفييتى والتى سيحاول خلالها الحصول على معونات جديدة خاصة وان الاتحاد السوفييتى يعتبر أكبر دائن لاندونيسيا . وقد أعرب بعض أعضاء المؤتمر الاستشارى الشعبى عن رأيهم بأن دول أوربا الشرقية وخاصة الاتحاد السوفييتى لها أهمية حيوية بالنسبة لمستقبل أندونيسيا الاقتصادى ولذا فان « سحق الايديولوجيات الشيوعية بشدة قد يؤدى الى التطاحن مع هذه الدول » . ويلقى هذا الاتجاه الضوء على خط الحكومة الادونيسية المقبل فيما لو اتبعت فى حل مشاكلها الاقتصادية والسياسية خطا قوميا واقعيا .
ومع ذلك فرغم عمليات الانقاذ العاجلة التى تجرى حاليا ، فان تزويد اندونيسيا بالطعام الكافى وبخيوط الغزل والمعدات لتعبيد الطرق ، وقطع الغيار لا يزال يحتاج الى ملايين الدولارات التى تجد الحكومة الاندونيسية أن سبيل الحصول عليها فى الفترة القريبة صعبا . ويعتقد بعض الخبراء الاقتصاديين أن أندونيسيا ستظل تحتاج لعدة سنوات قادمة الى تدبير ٤٠٠ مليون دولار سنويا لكى توقف الارتفاع المتزايد فى الاسعار ، وبعدها يمكن لها أن تنفق على تطورها الصناعى الذى تحتاجه ايما احتياج .

وعلى الرغم من أن الجنرال سوهارتو قد أعلن اخيرا : «انه لن المأمول فيه الا تحاول الولايات المتحدة ضمنا فى فلكها كتوابع أمريكيين » ، الا أن مناقشات تدور فى الدوائر الخاضعة للنفوذ الامريكى فى جنوب شرقى آسيا حول تشكيل مجموعة اقتصادية اقليمية تضم تايلاند ، وماليزيا ، والفلبين ، وأندونيسيا وبورما ، كما بدأ الحديث فى سيول كوريا الجنوبية فى الفترة الاخيرة ، حول تكوين سوق آسيوية مشتركة .

ويفسر عديد من المعلقين السياسيين ، اتخاذ اندونيسيا لخطوات هامة نحو انهاء سياسة مواجهتها مع ماليزيا ، واتباعها لسياسة تقوم على الود تجاه جيرانها ، وابتعادها عن مواكبة سياسة الصين الشعبية فى الشرق الاقصى وعامة ، ومطالبتها بالعودة الى الامم المتحدة والى صندوق النقد الدولى يفسرون كل ذلك باعتباره بداية واقعية « لعودة » اندونيسيا الى سياسة « الاعتدال » . الا ان آخرين يعبرون عن خشيتهم من اتباعها لسياسة جانحة نحو اليمين ومتعاونة مع الغرب فى جنوب شرقى آسيا .



• سوهارتو

وترى مجلة انترناشيونال افيرز اليوجوسلافية انه «استنادا الى الحقيقة التى تقول بأن السياسة الخارجية لها بعض التاثير على السياسة الداخلية ، فانه من المتوقع فيما لو اختار ساسة أندونيسيا الحاليون سياسة عدم انحياز وتعاون دولى واسع ، ان تنعكس هذه السياسة فى الخط الداخلى ، فى خلق وضع يسود فيه بشكل ما ، تعاون جميع القوى السياسية والاجتماعية القادرة على المساهمة فى تطور اكثر سرعة واستقرارا لاندونيسيا ، ويمكن أن يصبح عاملا حاسما فى حل مشكلة الدراما الاندونيسية » (*)

●

■ **الصين الشعبية**

التطهير فى الصين

لاتزال عملية التطهير السياسية مستمرة فى الصين الشعبية . وقد طرد أخيرا **لويتنج بى** نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة من لجنة الحزب الشيوعى المركزية (*) كما نددت الصحف بنائب رئيس اللجنة الرياضية العامة للصين واتهمته بانه « رجل عصابات معاد للحزب » ، وادخل الصينيون اخيرا تغييرا شاملا فى نظم التعليم الجامعى قصر مدة دراسة الاداب بها الى سنتين ينتقل الطالب الجامعى الى التدريب العملى وسط العمال والمزارعين والجنود ، لاكتساب الخبرة العملية الثورية . وقد فسرت صحيفة « **جينمن جيهباو** » الصينية الدوافع وراء حملة التطهير الاخيرة داخل الحزب الشيوعى الصينى على اساس : « ان حفنة من العناصر المناهضة للحزب وللاشتراكية استطاعت ان تستولى على مراكز قيادية فى بعض الوحدات والقطاعات فى الحزب الشيوعى الصينى » وأكدت ان ليس فى هذا ما يدعو لدهشة الماركسيين اللينينين : « لان الزعيم ماوتسى تونج اكد ان هذا الصراع الطبقى يستمر اثناء البناء الاشتراكى » (*)

وبرغم استمرار حملة التطهير التى تعرض لها عديد من الشخصيات التى وصفت بانها « معادية للحزب » ، الا ان ابرز شخصية لفتت انظار المعلقين على هذه الحملة حتى الان ، لا تزال هى شخصية **بنج شن** ، سكرتير اول لجنة بكين الحزبية ، وعمدة بكين والعضو البارز فى المكتب السياسى للجنة الحزب المركزية ، ومع ذلك لم يستطع معظمهم — لعدم نشر تفصيلات كافية — ان يلموا بحقيقة الدور « المضاد للحزب» الذى قام به ، الا ان عددا من المراقبين يرى ان تطور الاوضاع داخل لجنة بكين الحزبية ، يلقى ضوءا على الموقف من هذه الزاوية . فالعناصر التى وصفتها الدوائر الرسمية الصينية بانها « معادية للحزب وللاشتراكية » ، استطاعت ان تلعب دورا نشطا فى صفوف لجنة بكين بالذات ومنذ امد غير قصير ، حتى ان صحيفة الجيش الصينى دعت افراد الشعب فى اوائل مايو الماضى الى اعلان الحرب « على زعماء النشاط المعادى للحزب وللاشتراكية ، الذين خلقوا انقساما خطيرا داخل فرع الحزب الشيوعى الصينى فى بكين » . كما ان العناصر التى استطاعت استغلال جريدة « الشعب » ، و « اخبار المساء » ، ومجلة « الجبهة الامامية » لترويج — ما اسمته الدوائر الرسمية الصينية — «بالاراء التحريفية التى تهدف لاعادة الراسمالية» ،

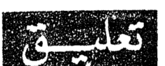


● **ماوتسى تونج**

هذه العناصر لم تكن سوى بعض الاعضاء القياديين الرئيسيين فى لجنة بكين الحزبية . وعدد من ابرز العناصر التى ظهرت ، كانوا تابعين لمنطقة بكين مثل **شانج وان سونج** رئيس المكتب الثقافى للجنة بكين الحزبية ، والبروفيسور **ووهان** نائب رئيس لجنة الحزب فى بكين والاستاذ بجامعة بكين ، و **يو بينج** سكرتير لجنة الحزب فى جامعة بكين ، ومدير الجامعة ، و**سونج شاو** مساعد رئيس لجنة الحزب فى الجامعة ، و**بينج باى فون** نائب سكرتير لجنة الحزب بالجامعة ، والبروفيسور **يانج هسيان شن** الرئيس السابق للمعهد الشيوعى العالى ببكين والعضو السابق باللجنة المركزية ... الخ .

ويرى عديد من المراقبين ان تقصى بيانات الصحافة الصينية ومتابعة تصريحات المسئولين الصينيين ، يمكن ان يلقيا ضوءا على الطابع الجوهرى العام لحركة التطهير التى اوضحت صحيفة الجيش الصينى ان الزعيم **ماوتسى تونج** شخصيا هو الذى امر ببدئها . ففى منتصف مايو الماضى هاجم راديو بكين العناصر المعادية للحزب « التى تهدف لمعارضة خطه العام والعمل على استعادة الراسمالية عن طريق استغلال الكوارث الطبيعية التى تعرضت لها البلاد » . وفى اوائل يوليو كتبت مجلة « **العلم الاحمر** » تقول : « ان طبقة ملاك الارض والطبقة البورجوازية لا تزالان تتمتعان بقوة كبيرة ، فافراد الطبقتين يمتلكون المال ، ولهم اتصالات اجتماعية واسعة النطاق واتصالات دولية ، كما ان لهم خبرة فى الثورة المضادة ، ولا تزال ايديولوجية الطبقات المستغلة تلقى رواجا كبيرا ، وبعض العناصر غير الصلبة فى صفوف الثوريين ، معرضة لان تجذبها هذه الايديولوجية ، فتصبح بذلك عناصر مناهضة للثورة » وكتبت بعد ذلك بشكل اكثر تحديدا عن « ان هناك حفنة من الناس داخل الحزب يؤيدون الخط الرجعى فى الصين ، ومعهم بعض طوائف المثقفين وملاك الاراضى ، والمزارعين الاثرياء » ، وحذر راديو بكين من احتمال قيام حركة تماثل ما حدث فى المجر سنة ١٩٥٦ وقال : « ان البورجوازية الصينية لا تزال ترى ان فى امكانها القيام بالتخريب فى الداخل » ، ووصف وزير الخارجية **شن يى** الموقف بقوله : « انه صراع موت خاضته حفنة من الطبقة الحاكمة الصينية السابقة ضمن العناصر الثورية » ، وصرح شواين لاى فى

بوخارست ، ان ما يحدث فى الصين الان هو « ثورة اشتراكية ثقافية كبرى ، ضد العناصر المناهضة للحزب والاشتراكية وهى تمثل مدى امكانية تثبيت ديكتاتورية البروليتاريا والاساس الاقتصادى للاشتراكية فى الصين » . ومن الاتهامات الموجهة للعناصر التى يجرى ضدها التطهير ، دعوة بعضهم الى الاسواق الحرة ، وزيادة عدد المؤسسات الصغيرة المستقلة بارباحها وخسائرها ، واستغلال الكونفوشيوسية لترويج عدد من الافكار الراسمالية والمطالبة بعودة الملكيات الصغيرة على نحو ماالخ.



أزمة الاسترلينى .. وضرب هانوى

توالت الانباء مرة اخرى عن تدهور سعر الجنيه الاسترلينى الى حد اقترب من سعر يوم الاربعاء الاسود (٢٥ نوفمبر ١٩٦٤) . وكانت عوامل الهبوط واضحة . فحكومة ويلسون لم تستطع ان تعالج العجز فى الميزان التجارى . وقد اصاب اضراب البحارة الذى استمر ٤٥ يوما كل خططها فى هذا الصدد . فمن ناحية شل الاضراب حركة التصدير ، ومن ناحية ساعدت قلة الواردات الموجة التضخمية التى يشهدها الاقتصاد البريطانى فارتفعت الاسعار بسرعة . وفى نفس الوقت اهتزت منطقة الاسترلينى فى مجموعها فى علاقاتها بالمناطق النقدية الاخرى على اثر ازمة نقدية اصابت عضوا من اهم اعضائها وهو الهند التى خفضت مؤخرا سعر الروبية

وقد لجا بنك انجلترا للمرة الثالثة للبنوك المركزية فى الدول الرأسمالية الكبرى يطلب منها المعونة العاجلة .. ولكن بنوك القارة الاوروبية لم تكن مستعدة لمساعدة بريطانيا على الابقاء على اوضاع اقتصادية ونقدية تراها سليمة . ولذلك فهى تنفض يدها هذه المرة . ومن المعروف ان البنوك المركزية كانت قد وضعت تحت تصرف بنك انجلترا فى خريف ١٩٦٤ ثلاثة الاف مليون دولار دفعة واحدة . اما فى هذه المرة فلم يزد ما تعهدت به عن تسعمائة مليون وهذا المبلغ على اهميته لا يعدو ان يكون مسكنا بسيطا ، فبريطانيا يتعين عليها ان تسدد لصندوق النقد الدولي قبل نهاية العام الحالى ٢٥٠٠ مليون دولار

ولكن الصورة تتضح اكثر اذا ما تذكرنا ان البنوك الامريكية وحدها قد قدمت لبريطانيا ٧٥٠ مليونا من التسعمائة مليون ، اى بعبارة اخرى ان امريكا هى التى انقذت وحدها عمليا الجنيه من عثرته الحالية ، ومن ثم فلم تكن حكومة ويلسون فى وضع يسمح لها بالاعتراض جديا على توسيع نطاق الحرب فى فيتنام بل انه يبدو كما لو كانت ازمة الاسترلينى احد العوامل التى ساهمت فى توقيت المغامرة الامريكية الجديدة . وقد واجه ويلسون تمردا فى الهيئة البرلمانية لحزب العمال بسبب موقفه من العدوان الامريكى ، ولكنه سرعان ما امسك بزمام الموقف بحصوله على الاغلبية فى اجتماع مغلق للهيئة فاصبحت الاقلية المتحررة ملزمة حزبيا بالتصويت على الثقة بالوزارة فى نهاية منافسة مجلس العموم للسياسة الخارجية . وفى هذه الاثناء زار جورج بومبيدو رئيس وزراء فرنسا لندن . وقد توهم البعض ان ديجول فى رغبته فى تاكيد دوره المستقل فى اوروبا دون عزل فرنسا عن بقية العالم الغربى سيحاول اجتذاب بريطانيا كتعويض عن فتور علاقاته بالمانيا والولايات المتحدة ولكن رئيس الوزراء الفرنسي قد افهم زميله البريطانى فى انه يتعين على بريطانيا ان تعالج ازمتها النقدية والاقتصادية علاجا اساسيا قبل ان تدخل السوق الاوروبية المشتركة . ولعل الحديث الديبلوماسى فى – صالون – ١٠ داونتج ستريت كان مناسبة مواتية ليشرح فيها بومبيدو لويلسون ان فرنسا لم تستطع ان تحسن اوضاعها الاقتصادية والنقدية وبالتالى تسترد حريتها فى التصرف ازاء واشنطون ، الا بعد ان صفت حروبها الاستعمارية وخفضت نفقاتها العسكرية فى الخارج . فالواقع ان تشبث بريطانيا بوضعها الاستعمارى بعد ان فقدت اقتصاديا وسياسيا القدرة على تامينه يدفعها الى الانفاق على العديد من القواعد العسكرية فى الخارج والاحتفاظ بجيوش – بعضها فى حالة حرب – فى عديد من الدول ، فضلا عما تقدمه من (معونات) للحكومات التى تخضع لتوجيهات لندن وكل هذه النفقات تشكل عبئا ثقيلا على ميزان المدفوعات البريطانى . ولكى تواجه بريطانيا تلك الاعباء وما تؤدى اليه من ازمات تضطر اكثر فاكثر الى الاعتماد على واشنطون ، ومن ثم تفقد حرية حركتها ازاء سياسة امريكا الخارجية

على ان متاعب ويلسون الحقيقية لم تكن تمرد المثقفين من اعضاء البرلمان ضد سياسة التبعية لواشنطون فى القضايا الدولية . فتكوين حزب العمال الذى يمنح عضوية الحزب لكل عضو نقابة ، يجعل الوزن الاساسى داخل الحزب للنقابات . وقادة الحركة النقابية فى بريطانيا اقل حساسية من رجال السياسة لمشكلات السياسة الدولية وقد عمل ويلسون على تدعيم سلطته بالاعتماد على قادة النقابات وتعيين عدد منهم فى المناصب الوزارية . ولكن تدهور الاوضاع الاقتصادية والنقدية قد حمل ويلسون الى تبين سياسة رجعية تصيب مصالح العمال بشكل مباشر . فهو يقول ان التضخم وارتفاع الاسعار يؤديان الى ضعف الصادرات ، ولذلك فلابد من الحد من ذلك الارتفاع . وباسم هذا الاعتبار يدعو ويلسون الى تجميد الاجور . ولما كان العمال بخبرتهم يدركون انه لا توجد حكومة راسمالية تستطيع فعلا تثبيت الاسعار ، فانهم يرون ان تجميد الاجور معناه ان يتحملوا وحدهم آثار الازمة الحالية . واستجابة لهذا السخط فى القواعد النقابية قدم فرانك كازنيز وزير التكنولوجيا استقالته من حكومة ويلسون وعاد ليقود نقابة عمال النقل التى تضم حوالى ١,٥ مليون عامل . وهو بهذا يسترد حريته فى التصرف ويتصدى لقيادة الجناح اليسارى فى حزب العمال ، وليشكل التهديد الجدى لمركز ويلسون ، كما هدد من قبل مركز جيتسكل

لقد انتخب ويلسون خلفا لجيتسكل باعتباره ممثل اليسار فى مواجهة جورج براون ممثل اليمين . ولكن شهورا معدودة من السلطة تدفعه دفعا الى اقصى اليمين ، وتلك كانت دائما سنة قادة حزب العمال ، كما ان من طبيعة ذلك الحزب توالى افراز قادة جدد للجناح اليسارى حتى لا ينشا حزب عمالى يسارى حقا ، بعيدا عن اولئك الذين الفوا خدمة مصالح الاحتكارات البريطانية باعتبارها فى نظرهم لا تنفصل عن مصالح بريطانيا والشعب البريطانى

د . اسماعيل صبرى

ويتزعم البروفيسور يانج هسيين تشين وهو من الخبراء المذهبيين في الحزب مبدأ تصفية المواجهة العنيفة بين الصين والاستعمار ، ومبدأ التقليل من المساعدات التى تقدمها الصين الشعبية للحركات التحررية . كما شن هو واتباعه هجوما فلسفيا على كتابات ماوتسى تونج ومنع نشر كتابات فلسفية الفها عمال وفلاحون وجنود صينيون . كما ان هناك مجموعة اخرى من الكتاب برأسهم الكاتب التاريخى وو هان وينج تو ، وماو شسا دابوا على نشر كتابات رمزية تاريخية هادفة الى هجوم غير مباشر على الحزب الصينى والاشتراكية وتعاليم ماوتسى تونج ، كتابات ذكر انها تمجد القيم الاقطاعية والملكية البورجوازية القديمة وتثير خواطر الشبان والفلاحين والعمال والجنود وتتناول احداث التاريخ «بأسلوب رجعى بورجوازى» .

وقد وجه عديد من المعلقين الانظار الى زيادة بروز دور القوات المسلحة فى حفظ الجبهة الداخلية الصينية ، فصحيفة الجيش هى التى تتولى منذ عدة اسابيع قيادة حملة التطهير ، وهى اول من نبه من قبل لخطورة الاوضاع داخل لجنة بكين الحزبية ، ويعزون ذلك الى احساس العسكريين اكثر ، بخطورة التحديات التى تواجهها الصين الشعبية من قبل الامبرياليين الامريكيين ، وضرورة توافر جبهة داخلية صلبة على اهبة الاستعداد . كما لاحظ هؤلاء ايضا ، زيادة بروز دور المارشال لين بياو وزير الدفاع الذى تردد اسمه كثيرا فى الحملة الراهنة ، وذكر مرارا الى جوار اسم ماوتسى تونج . وقد انشأ لين بياو اخيرا حركة جديدة لدراسة اعمال ماوتسى تونج وتدور انباء غير مؤكدة عن قيامه باستبدال عدد كبير من القادة العسكريين ، وضباط الاتصال السياسيين فى الجيش فى منطقتى بكين وتيينتشين ، برجال من الفرقة الرابعة فى الجيش التى كان يقودها بنفسه من قبل . والانباء التى تتردد عنه تقول انه من اشد العسكريين الصينيين حماسة لزعامة الحزب الشيوعى فى كل المجالات بما فيها الجيش ، كما انه صاحب النظرية الاستراتيجية الجديدة عن الثورة العالمية التى تقول : « انه اذا امكن اعتبار امريكا الشمالية واوروبا الغربية مدن العالم ، فان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية تشكل المناطق الزراعية فى العالم ، وان الثورة العالمية المعاصرة تمثل ايضا صورة من حصار المناطق الزراعية للمدن » . و « ان الجماهير الثورية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، ستسحق الغرب فى الوقت المناسب » .

●

■ بوخارست

الحفاظ على وضع الحلف الراهن

كشفت النتائج الاخيرة لاجتماع دول حلف وارسو — الذى انعقد اخيرا دون حضور البانيا — عن مستويين متباينين فى موقف دول هذا الحلف من المسائل التى واجهتها . فبينما اتخذت موقفا موحدا تجاه المشكلة الفيتنامية ، اتخذت موقفا اقل وحدة تجاه الامن الاوربى وطريقة تنظيم الحلف . وقد اعتبر عديد من المراقبين ذلك ، انعكاسا للمستويين المتباينين فى الاوضاع السياسية العالمية الراهنة ، مستوى التوتر الدولى العام بسبب مشكلة فيتنام ، ومستوى التهدئة الاوربية الخاصة ، بعد زيارة الرئيس ديجول لموسكو وبداية واد الحرب الباردة .

وقد اثرت طبيعة الموقف الدولى فى الحالين، على طبيعة مواجهة دول حلف وارسو لهما . فبالنسبة للمشكلة الفيتنامية اتخذت هذه الدول موقفا حازما فى مواجهة عدوان الولايات المتحدة منذ انذار سنة ١٩٥٦ ضد العدوان الثلاثى على مصر عبارات استخدمتها دول شرق اوربا فى مواجهة الولايات المتحدة منذ انذار سنة ١٩٥٦ ضد العدوان الثلاثى على مصر، ووصف المعتدين الامريكيين بانهم «يقتفون اثر مجرمى الحرب الهتلريين»واخطر مافى هذا البيان هو انذاره لحكومة الولايات المتحدة بكل شدة «بالمسئولية التى تتحملها امام البشرية بمواصلة هذه الحرب وتوسيع رقعتها وعن جميع الاثار غير المتوقعة التى تترتب على ذلك شاملة الولايات المتحدة نفسها بين آخرين » كما انذر ايضا الدول التى تساعد الولايات المتحدة فى عدوانها، واوضح ان مواصلة الحرب وتوسيع رقعتها قد يؤديان الى موقف «يصبح فيه توجيه الضربات الى الولايات المتحدة نفسها مع آخرين من المشتركين معها فى العدوان،امرا مفروضه ».وقد اتفقت دول الحلفجميعا على ارسال متطوعين الى فيتنام فيما لو طلبت حكومة هانوى ذلك، كما اعلنت التزامها بزيادة تأييدها السياسى والمعنوى وجميع الوان مساعداتها الاقتصادية ووسائل الدفاع والعتاد والمعدات و «الخبراء» لمساعدة الشعب الفيتنامى «لكسب الحرب» وتعتبر الاشارة الى ايفاد «الخبراء» اول مشاركة بالرجال من بعض دول المعسكر الاشتراكى، فى سبيل دعم القوة الدفاعية للشعب الفيتنامى .

اما فيما يتعلق بالموقف الاوربى، فقد تباينت وجهات النظر داخل الحلف .فبينما دعا السوفيت الى تقوية حلف وارسو على اساس ان العدوانية المتزايدة للامبريالية الامريكية تتطلب تراص الصفوف الاشتراكية ، مالت رومانيا الى نظرة اوربية داخلية للموقف، الى ثقة اكبر فى الامكانيات التى يطرحها الاهتمام المتزايد للرأى العام الاوربى (بما فيه بعض الاوساط الغربية الحاكمة) بمسألة الامن الاوربى، ويرى الرومانيون ان اللحظة مناسبة لاذابة الجليد فى الموقف الاوربى، ولذا فمن غير المفيد الان — فى الوقت الذى يتحلل فيه حلف الاطلنطى — تدعيم دول حلف وارسو لمراكز القوة العسكرية والاستعراض العسكرى فى شرق القارة، لان هذا يتعارض من وجهة نظرهم حتى مع «روح» الحلف الشرقى نفسه، كما اوضحت الانباء التى تواردت اثناء انعقاد المؤتمر، تأكيد الرومانيين على مطالبهم السابقة بشأن تعديل «ميكانيزم» العمل فى الحلف، وتنظيم القيادة العليا على اساس دورى، وعدم قصرها على قائد سوفيتى، وتعديل نظم الاستشارات والامدادات وبقاء القوات السوفيتية فى البلاد الاخرى، كما ظهر التباين ايضا فى موقف دول الحلف من تقدير خطورة المانيا الغربية واهدافها الانتقامية اذ اتمت موسكو — على وجه خاص — تساندها وارسو — براج — برلين بسياسة اشد تجاه خطورة المانيا الغربية من بودابست وبوخارست وصوفيا . الا ان دول الحلف جميعا اتفقت على مطالبة المانيا الغربية بان تضع فى حسابها الموقف الواقعى فى اوربا ، وتعرف «ان هناك دولتان المانيتان» وان تتخلى من مسألة تعديل الحدود الاوربية» ، وطالبت «بالتقارب التدريجى للدولتين الالمانيتين» وبتخفيض القوات المسلحة فى كليهما كطريق مفضى الى توحيدهما .ودعا البيان الى تخفيف حدة التوتر العسكرى وتصفية الاحلاف العسكرية . وخاصة (وارسو والاطلنطى) ،لكنه اضاف ان حلف وارسو سيظل قويا ويقظا طالما ظل حلف الاطلنطى موجودا : كما دعا الى تصفية القواعد الاجنبية وانسحاب القوات الاجنبية واقامة مناطق مجردة من الاسلحة النووية، وقد أعلنت دول الحلف

ان ليس لها اية مطالب اقليمية فى اية دولة اوربية. كما دعت الى عقد مؤتمر اوربى عام لبحث المسائل المتعلقة بالامن والتعاون الاوربى، تشترك فيه الدول الاعضاء فى حلف وارسو وشمال الاطلنطى والدول الاوربية المحايدة، وطالبت بتسوية المشاكل الاوربية «دون اى تدخل خارجى» واوضحت ان «الخطر المباشر على امن البلاد الاوربية يتمثل فى السياسة الحالية للولايات المتحدة التى تهدف الى تعميق الانقسام بشكل دائم ومتزايد فى اوربا» وانه «لايوجد شىء مشترك بين السياسة الامريكية وبين المصالح الحيوية للشعوب الاوربية والمهام المتعلقة بتحقيق الامن فى اوربا». ويرى بعض المعلقين ان الدول الاوربية المحايدة، تستطيع ان تلعب دورا ايجابيا فى الدعوة لهذا المؤتمر الاوربى العام .

هذا وقد اكد البيان الخاص بالكوميكون على «المساواة التامة فى الحقوق واحترام السيادة والمصالح القومية»، وقد اشترك فيه عضو جديد هو مسيو تسينبيال زعيم الحزب المنغولى ورئيس حكومة منغوليا. ومن الامور الجديرة بالملاحظة ان هناك انخفاض ملحوظ فى التبادل التجارى بين رومانيا والبلاد الاشتراكية، واتجاه متواصل لتقليل استيرادها من هذه البلاد وبخاصة الاتحاد السوفيتى والمجر وتشيكوسلوفاكيا علما بأن الاتحاد السوفيتى لا يزال حتى الان المتعامل الاول مع رومانيا ويشكل تبادله معها ٣٨٪ من حجم التبادل التجارى الرومانى، بينما زادت فى الوقت نفسه مبيعات المانيا الغربية الى رومانيا واصبحت تشكل ٢٥٪ من حجم التبادل التجارى الرومانى، واحتلت المركز الثانى فى التبادل التجارى مع رومانيا. كما حققت التجارة ــ وهى رمزية عادة ــ تقدما مع الصين والبانيا ويوغوسلافيا . اما البلاد الاخرى فهى مستمرة حتى الان فى اعطاء الاولوية للتجارة داخل «العائلة» الاشتراكية، هذا فى الوقت الذى تواجهها فى هذا المجال، مشاكل اكثر دقة، خاصة لو نفذ السوفييت مشروعهم الخاص بطلب اسعار اعلى «واكثر تناسبا» مع المنتجات التى يبيعونها ،فاذا تم ذلك ستكون النتائج ذات اهمية كبيرة بالنسبة للبلاد التى تعتمد صناعاتها بشكل كبير على الواردات السوفييتية مثل المانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا والمجر. ومما يلقى ضوءا على الاوضاع الحالية فى الكوميكون من ناحية ثانية، ما كتبته مجلة الغرفة التجارية المجرية من قبل حول « ان اسعار المواد الاولية لم تعد داخل الكوميكون ، بل اتجهت للانخفاض بالنسبة للاسواق العالمية، كما كتبت جريدة «الموند» الفرنسية ان التجارة الخارجية لدول شرق اوربا لا تتبع ايقاع الانتاج فيها. واوضح الاقتصادى المجرى امرى فاجدا ، تدهور حجم التجارة الخارجية للدول الاشتراكية بالمقارنة مع التقدم العام فى التبادل التجارى العالمى. اذ بينما كانت تجارة بلاد الكوميكون تمثل ١١,١٪ من التجارة العالمية فى ١٩٦٢، اصبحت تمثل ١١٪ منها فى ١٩٦٣ ،ثم انخفضت الى ١٠,٧٪ فقط فى سنة ١٩٦٤ .هذا وقد اشتكى السيد «سيمونيك» نائب رئيس الحكومة التشيكية فى جريدة «براندا» السوفيتية .من انشراء دول الكوميكون للماكينات من تشيكوسلوفاكيا، ظل ساكنا طوال العشر سنوات الاخيرة، فى حين ان تشيكوسلوفاكيا نفسها زادت من مشترواتها من البلاد الاعضاء. وقد تصد بذلك الاشارة الى الدول التى اتجهت للشراء من الغرب دون المنتجات التشيكية .ويرى عديد من المراقبين ان هذه المصاعب داخل الكوميكون تحتاج الى وقت اكبر لحلها مما اتاحته الجلسة الاخيرة له فى بوخارست .

وهناك عدة ملاحظات فيما يتعلق بالبيانات الختامية لمؤتمر الحلف .

● هو ان صياغاتها المتعلقة بوجود الكتل العسكرية ، اقتربت من التصريحات الرومانية التى صدرت طوال الشهور الاخيرة .

● انها لم تشر بأى شىء الى التطورات الاخيرة فى حلف الاطلنطى، والى الظاهرة الجديدة التى تمثلها السياسة الفرنسية .

● انها لم تشر بشىء عن رحلة ديجول الى موسكو واثرها على الحرب الباردة. (وربما يرجع الحذر هنا الى الخوف من الاتهام بالتدخل فى شئون الاخرين، او عدم الرغبة فى الاشادة باعمال ديجول التى يمكن ان تكون مثلا سيئا فى نظر البعض على الجانب الاخر من الحدود خاصة بالنسبة لارائه عن حلف الاطلنطى والاحلاف عامة) .

● ان التقدم الوحيد الذى سجله الموقعون ،يتعلق بنجاح البلاد المهتمة بالسلام فى تاخير انشاء القوة الاطلنطية المتعددة الاطراف التى كانت النقطة الرئيسية فى اعمال مؤتمر الحلف فى يناير سنة ١٩٦٥ فى وارسو .

وعلى اى حال، فالاعتقاد السائد فى دوائر حلف وارسو المتباينة الاراء عامة، ان حلف الاطلنطى سيستمر موجودا لمدة طويلة. ولذا لا بد من زيادة يقظة دول الحلف وقدرتها الدفاعية بيد انه اذا كانت زيارة ديجول للاتحاد السوفيتى قد دعمت الرأى القائل بالتهدئة الاوربية ، وضرب هانوى وهايفونج قد دعم الرأى الداعى الى تقوية ودعم الحلف، فان الصورة التى يغلب الاتفاق عليها وسط هذا التوازن ،هى فى الاساس الحفاظ على الوضع الراهن فى الحلف، خاصة وان موقف الرومانيين لا يحول دون ذلك، فبرغم تأكيدهم على الطابع المؤقت للحلف وانتظارهم بل دعوتهم الى حله، الا انهم يخلصون له مادام باقيا ، اخلاصا عده بعض المراقبين «ارثوذكسيا»

●

■ هولندا

الثائرون علــى الازدهــار

عقب الاضطرابات العنيفة التى اجتاحت امستردام ، وادت الى مصرع احد عمال البناء ، استدعت الملكة جوليانا كبار علماء الاجتماع لتفسير ظاهرة التمرد العام الذى تملك الشباب الهولندى ، وجعله ثائرا على كل شىء ، غير مبال بأى شىء ، سريع الاتجاه الى العنف ، ينادى بافكار مشوشة ومضطربة ، وان كانت الفوضوية هى الطابع المميز لها . وبعد عدة اجتماعات اعلن العلماء ان هؤلاء الشبان « ثائرون ضد الازدهار » فعلى حد قولهم تعتبر هولندا من اغنى بلاد اوربا ، واتسعت دائرة المستفيدين من ثروات مستعمراتها منه فى البلاد الاستعمارية الاخرى ثم نقدت هولندا مستعمراتها ، مما ادى الى تحويل اقتصادها التجارى الى التصنيع والخدمات التى تقدم الى الدول المجاورة ، وهذا بدوره ادى من ناحية الى انتشار الازدهار والرخاء فى انحاء البلاد وادى من ناحية اخرى الى تضخم مؤسسات الحكم والادارة السياسية الاقتصادية (*)

ونمو الاحتياجات التكنيكية ، وتعقد العلاقات الاجتماعية واحاطتها بهالة من الغموض والابهام جعلت ادراكها مستعصيا على الانهام بشكل عام . مما عرض ثقة الفرد بنفسه للاهتزاز ، ونال فعلا من قدرته على التأثير على تلك المؤسسات العملاقة ، السياسية ، والاقتصادية ، والعلمية، والاجتماعية . وانتهى به اما الى نوع من الاغتراب والعزلة عن كل ما يحيطه فكما يقولون « اننا نخرج من ظلمة الرحم الى ظلمة القبر مارين بظلمة الحياة .. لا احد يأتى لا شىء يحدث وهذا فظيع» ، او الى نوع من الكراهية والحقد الايجابى لكل ما حوله ، اتخذ شكل تمرد اهوج فوضوى تمثل فى هولندا فى حركة الـ Provos اى « الاستفزازين » . وهذا الاسم اطلقه البروفسير بوخسين فى جامعة جرونن‍ج على تلك الحركة التى بداها روبرت جاسبر احد الموسيقيين المغمورين ، الذى كان يتمتع بقدرة خارقة على تدبير وقيادة المظاهرات فى سبيل اى شىء ، كابطال التدخين مثلها ، وبعده تولى آخرون الامر واعطو الحركة مظهرا ثقافيا مثل رول فان دمون (٢٥ سنة) وهو طالب فلسفة « مفكر الحركة » وغيرهم . وتدعمت حركة الاستفزازيين عند زواج الاميرة بياتريس ولية العهد من احد النازيين السابقين ، فثارت ثائرة الجماهير لما كانت قبد عانته على ايدى المانيا النازية . والقوا قنابل الدخان على الموكب ودسوا مخدرا للخيل التى تجر العربة . وبعد هذه الحوادث اشتد ساعد الحركة حتى وصل عدد اعضائها الى ١٠ آلاف شاب . اخذوا يعقدون اجتماعات دورية صاخبة فى الاماكن العامة تلقى بها الاشعار والخطب وترتفع الشعارات الصاخبة وتنشد الاناشيد والاغانى والصيحات والعويل والبكاء ويختلط اى شىء باى شىء ، ومع أن عدد من يشتركون فى هذه الاجتماعات لا يتعدى ٤٠ شخصا الا ان المشاهدين المتعاطفين معهم يبلغون المئات ويصل البوليس وتحدث صدامات واعتقالات حتى اصبح هذا روتينا دوريا ، ويقدم المقبوض عليهم للمحاكمة ، مما مد نطاق الثورة ليشمل المحاكم والقضاء .

ويسمى المتمردون انفسهم « بحزب المرح » وهم جمهوريون لا يريدون الملكية ، وينادون باقامة حضارة « التيوليب » ويعلنون انهم ضد الاسلحة الذرية وضد الحرب فى فيتنام، ويحملون فى مظاهراتهم تمثالا للمسيح يخترق العلم الامريكى قلبه رمزا لما يحدث هناك . وما يريدونه أمرا غامضا غير محدد . انهم يعلنون عن رغبتهم فى تغيير الناس والمجتمع البرجوازى الذى يعيشونه وهم من انصار الثورة ، ولكنها ثورة « لطيفة مبتسمة » على حد تعبيرهم ، وخططهم بيضاء ؛ وهم يريدون الطرق « البيضاء » اى حرية الانتقال ، وضد تسميم الهواء « الابيض » بالغبار الذرى ، ويحبون « المرأة البيضاء » اى الحرية الجنسية ويريدون من البوليس ان يصبح « فراخا بيضاء » اى يقتصر علر خدمة الشعب. ويزداد التعاطف مع هذه الحركة ، حتى لقد اصدرت جريدة عنوانها، الاستفزازيون وتمكنوا من ادخال واحد منهم ، برنارد دى فارى ، الى عضوية مجلس المدينة فى امستردام وحصل على ١٣٥٠٠٠ صوت . وبدأت الاحزاب والجرائد تهتم بهم بل وتخطب ودهم .

وظاهرة الاستفزازين تكاد تصبح ظاهرة شاملة ، فى بلاد متعددة وان كانت تختلف اشكال ظهورها . فمختلف فرق « الخنافس » ، واشباههم تنتشر فى معظم البلاد الغربية، ففى فرنسا يتكالب الشباب حول « انطوان » وهو شاب فى معهد التكنولوجى يرتدى « بلوزة مشجرة » وشعره طويل كالنساء يتنقل بعربته الفاخرة يغنى ويرقص ويثير الاضطراب والصجيج . والغريب فى الامران الظاهرة لم تقتصر على البلاد الرأسمالية ، بل انتقلت بعض مظاهرها وعدواها الى البلاد الاشتراكية ، خصوصا بولندا ، وتشيكوسلوفاكيا ففى الاخيرة تجمع ٤٥ الف شاب وفتاة حول «جون هوليداى » ، الذى يغنى ويأتى بحركات غريبة بكل اجزاء جسمه بل ويتدحرج على ذلك بان الخنافس فى الفلبين لم يرحب بهم بل وضربوا تشيكوسلوفاكيا ن حفلة واحدة ٢٥ اغنية متعاقبة ، رغم ان رقمه القياسى فى الحفلة الواحدة لم يتعد ١١ اغنية فى فرنسا، وعندما تدخل البوليس وقوميسارى الشعب لتهدئة المشاعر الملتهبة وصفوا بانهم « قتله » . وعقدت وزارة الثقافة التشيكية مؤتمرا لهوليداى فى الوزارة حضره عشرون صحفيا فى قاعة يوجد بها تمثال للينين . ويلفت البعض النظر الى حدوث هذه الظواهر فى المجتمعات المتقدمة عموما ، بغض النظر عن النظام الاجتماعى السائد ، ويستشهدون على ذلك بان الخنافس فى الفلبين لم يرحب بهم بل وضربوا واهينو ، كذلك الصين الشعبية لم تعرف بعد هذا النوع من التعبير عن طاقة الشباب وعن الهوة التى تفصله احيانا عن المؤسسات القائمة ، فى الوقت الذى انتشرت فيه تلك الظاهرة فى معظم المجتمعات الراسمالية المتقدمة ، وبعض المجتمعات الاشتراكية النامية وان كان بصورة اقل كثيرا منها فى الاولى، والمعروف ان تشيكوسلوفاكيا تقص شعور الخنافس المتسكعين اما العاملون فنتركهم وشأنهم .

الارجنتين

عودة الجنرال الصامت

من جامعة بيونس ايرس ، ارتفع الاحتجاج الوحيد ضد الانقلاب العسكرى الذى اطاح بأرتورو ايليا ، رئيس الجمهورية المنتخب فى ١٩٦٣ ، وغير هذا لم يكن هناك اى رد فعل سوى الشعور بمزيد من الامتعاض ، من لعبة الكراسى الموسيقية المملة التى لا يسأم العسكريون فى امريكا اللاتينية تكرارها . ويرجع عدم وجود رد فعل داخلى لطرد ايليا الى ضعف شعبيته ، وتدهور نفوذ حزبه « الراديكالى الشعبى » والمتاعب الاقتصادية التى لم ينجح فى تخليص البلاد منها كالتضخم والعجز عن سداد الديون وارتفاع الاسعار .. والبطالة (٧٠٠٠٠٠ عاطل منذ الربيع) وغيرها .

ومع ذلك فالعاملين الرئيسين المباشرين فى الاطاحة بأيليا هما اولا تأميم البترول مما اوغر صدر الاحتكارات الاجنبية ضده رغم انه صناعة ثانوية فى الارجنتين ويكفى الاستهلاك المحلى بالكاد وتم تحت ضغط شعبى وفى محاولة فاشلة لانقاذ الاقتصاد، والعامل الثانى هو زيادة نفوذ الجماعات البيرونية، رغم الخلافات المريرة بين قادتها ، فقد كسبت هذه الجماعات معظم الانتخابات الحزبية واحتلت عددا كبيرا من مقاعد البرلمان (اكثر من ربع مقاعده) الامر الذى كان يهدد باكتساحها الانتخابات المقرر اجراؤها فى العام القادم ، بل وانتخابات الرياسة التى كانت ستتم فى ١٩٦٩ . ولما كان العسكريون خاصة الكبار منهم ، لا يرغبون فى عودة بيرون بأى ثمن فقد وجهوا ضربتهم قبل ان يستفحل الخطر . والعداء بين الجيش والبيرونية قديم فى الارجنتين فعقب الاطاحة ببيرون فى ١٩٥٥،

داب العسكريون على الاطاحة باية حكومة تتهاون معهم، وذلك ما سبق ان فعلوه مع فرونديزى فى ١٩٦٢ عندما اشتد ساعد البيرونيين فى عهده .

وكأى حركة انتهازية، سارعت اقسام عريضة من البيرونية، خاصة قادة الاتحاد العام للعمال بتأييد النظام الجديد ، تحت وهم انه مضطر فى النهاية الى التعاون معهم ، بل وكرد ان بيرون لايمانع فى ذلك ، وفى مقابل هذا اعلن النظام الجديد انه لن يحل النقابات بل وعين وزيرا يرضى عنه الاتحاد وذلك رغم انه لم يترك هيئة واحدة لم يحلها ، فقد حل البرلمان والاحزاب السياسية ، واقال قضاة المحكمة العليا ، واخذ يطارد الديمقراطيين والشيوعيين واضطهد الطلبة والمثقفين وبذا يكرر الاتحاد لعبته القديمة، فعقب الاطاحة بالرئيس بيرون

تعليق

انحراف الشباب فى السينما العالمية

اتجهت السينما العالمية فى الوقت الأخير بانظارها الى الشباب ، تحاول بالأفلام الطويلة، والقصيرة على حد سواء ، رسم صورة حية لما يشغل تفكير الشباب ويملا القلوب النضرة من هموم وقلق وانحرافات.. وهى ليست مصادفة التى جعلت معظم افلام مهرجان «كان» مثلا تدور حول الشباب ـ احيانا فى صورة مباشرة مكبرة وحية. تعرضه مشكلة محددة، وتعالجها فى اطار من الصراحة التامة، مثل الفيلم الالمانى « ايشىء » الذى يعرض مشكلة الاجهاض ، والاثار النفسية السيئة التى تتساقط فى نفس الشابة التى تلقى بنفسها بدون تحفظ فى احضان الحرية الجسدية.. والشباب الذى تشغله حياته ومحاولاته لتاكيد انانيته فى البعد عن تحمل المسئولية الحقيقية عندما يواجهها . وهى مشكلة ولدت فى اوربا فى أعقاب الحرب وظهرت فى اكثر من وجه، لقد تنبه كتاب الروايات السينمائية لهذا الجيل الغريب من الشباب الضائع، فحاولوا اولا تقديم حياته، كشىء جديد غريب فى مجموعة من الأفلام لم تقدم جديدا ولم تقترح حلا للمشكلة بقدر ما استفادت من الظاهرة الجديدة . كارضية سينمائية جديدة ، تغزو الاسواق ببضاعتها المثيرة .!

ولكن من حسن الحظ ان محاولات اكثر جدية، واكثر صدقا، هدفها تقويم الانحراف ظهرت فى مجموعة من الأفلام الجادة. فنرى مثلا كيف يؤدى الفهم الخطأ للحرية الفردية الى الدمار فى فيلم جون لوك جودار «بيرو المجنون» . ونرى يأس الشاب السويدى الذى يقضى حياته «بالمايوه» على سطح قاربا ، يقوده بنفسه فى بحث عن المتعة بكل صورها الجنسية .. فينتهى به المطاف خاسرا للمجتمع الذى يلفظه خاسرا لنفسه الضائعة ، تحاول ان تحدد لنفسها هدفا فلا تستطيع، ويخرج المتفرج من الفيلم وهو يرثى بطله .

الحاجز بين الاباء والأبناء الذى أخذ يتلاشى تدريجيا مع مر السنوات ورفع الكلفة بين البنت وابيها. تجرى وراء متعتها علانية وتنتهز فرصة عملها لتعيش فى حجرة وحدها، هاربة من كل رقابة عائلية. نراها فى صورتها القاسية فى فيلم «الانحراف» ان ضعف الاب وانشغاله واللامبالاه التى تعالج بها الام مشاكل ابنتها لا تثمر فى النهاية سوى المرارة والالم .. ان الفيلم فى مضمونه يريد ان يسترجع للاسرة هذا الرباط من الاحترام والصداقة الذى بدأت اوربا تفتقده فى الاسرة فى السنوات الاخيرة. انه يدعو الاهل الى التجمع حول مائدة الافطار من جديد، يدعو الاب الى استرداد شخصيته، ويحفز الام ان تهتم بابنتها . تختار لها وتوجهها الى الطريق الصواب.. فى امريكا تقدم السينما « ميشيل كان » فى شخصية « الفى » الشاب الانانى لعام ٢٠٠٠ الذى يريد ان يتحرر من كل القيود الاجتماعية محققا ذاته، وذاته فقط. ان الحياة بالنسبة له حضن كبير من المتعة، وكأس من الملذات يحطمه بعد ان ينهل مافيه حتى الثمالة، قبل ان تقوم حرب ذرية جديدة! والفيلم يرافق البطل فى رحلة الحياة ، ويجسم لنا الاضرار التى تفرزها شخصية مثل «الفى» الذى لا يرعى الصداقة ، ولا يحترم شريكته فى الحياة والكفاح ، فالحرب تهدده من بعيد ، وهو لا يترك بدوره الخير والجمال يولدان حسيست يسير ، وانما قدماه تقتلعان فى سباقهما الحاد كل نبت لامل فى الفسد .. ان «الفى» فى النهاية ، يقف وحيدا عاجزا ينظر فى حزن الى الحياة التى ضاعت منه، ويرى رجل غيره عنده من القسوة والجراة والشجاعة القدر الذى يواجه به الحياة ويتقبلها .

« لوليتا » لها اليوم زميلات فى كل مكان فى العالم. ان مقلدات برجيت باردو وقارئات ساجان والمسافرات من بلد الى بلد بحثا عن المغامرة كثيرات والمشكلة تزايدت الى الدرجة التى كان لابد لها من الانفجار وفى كل يوم تحمل الصحف والمجلات الاجنبية عشرات الحوادث ، بطلاتها فى الخامسة عشر او السادسة عشر، ويظهر فيلم جديد اسمه «لوليبوب» بطلته شيطانة فى الخامسة عشر، تعرف اسوأ ما فى الدنيا من فساد، جريئة بنفسها ، فهى تكذب، تسرق خطيب صديقتها وتدعوه الى فراشها ومع ذلك لا تفقد ابتسامتها ولا تعرف الدموع الطريق الى عينيها !! . ان الفيلم بطريقة عرضه يجعل المتفرج يواجه «لوليبوب» لاكبنت شقية سيئة الخلق.. ولكن كحالة مرضية متأزمة فى حاجة الى تحليل وعلاج طويل.

والمحاولة الحقيقية لعلاج مشاكل الشباب ، هى اصطيادها عند فترة المراهقة ـ او ما قبلها ـ فهى فترة النمو للعواطف والتكوين الاجتماعى، بعدها يصعب علاج النفوس عندما تتعقد فيها العواطف، وتنمو فى اتجاهات خاطئة .. وفى فيلم «راكب السكيتر» نتابع البطل الذى لا يتجاوز الثالثة عشر فى رحلة مع اصدقائه .. ويتعرف ببنت تقاربه فى السن، ويتحدثان، ثم يبتسمان، وتدعوه الى ترك المجموعة ويهربان معا الى اطراف الغابة، انهما يتحدثان وتتماسك ايديهما وتتشابك اصابعهما، والحب يستيقظ وهما لا يدريان. والمشكلة الحقيقية تنبع من مواجهتهما بالمجتمع الذى يضيق عليهما الخناق، ويحلل العلاقة البريئة تحليلات قاسية، تعقد نفس «الرجل الصغير» الذى يحارب اصدقاءه مدافعا عن صديقته. مدافعا عن نفسه وكرامته، وهنا يتعلم درسا قاسيا .. ويواجه الحياة بنظرة مريرة جدا .

انها ليست مصادفة هذه المجموعة من الافلام كلها تدور حول الشباب ومشاكله، لانه مع مرور كل يوم تأتى مجموعة جديدة من الافلام تدخل فى نفس الاطار، وترسم نفس الصورة ولكن فى ملامح جديدة !.

يوسف فرنسيس

فى ١٩٥٥ ، وكان الاتحاد – ومازال – من اشد انصاره سارع رئيس الاتحاد بتأييد حكومة الانقلاب ، معلنا انه سيوقف نشـاطه كمنظمة سياسية وسيقصر عمله على الدفـاع عن المصالح المهنية للعمال ومع ان ذلك لم يجدهم نفعا الا انهم يحاولون مرة اخرى ، كما يعود هذا الموقف المتخاذل الى حدة الانقسـام فى صفوف البـيرونيين . فيوما بعد يـوم يزداد التعارض بين الاتجاهين الرئيسيين،يقود اولهما **اجستوفا ندور** ويطالب « **بيرونيه دون بيرون** » – او البيرونية الجديدة ، والثانى تقوده **ايزابيل بيرون** زوجة الزعيم المنفى ، **وجوزيه الونزو** سكرتير اتحاد العمال السابق . ومعظـم المراقبين السياسيين يتوقعون فشل لعبة المهادنة فاما ارتماء كامل فى احضان العسكريين بكل مايمثلونه،وهذا ينتهى بتصفية القادة المتهادنين وانفضاض القاعدة (٣ مليون) من حولهم ، واما الاتجاه الى صدام محقق مع النظام الجديد،وهذا هو الاتجاه الغالب رغم محاولات المساومة .

وتاريخ انصار بيرون ملىء بالمتناقضات ، النابعة اساسا من طبيعة حركتهم ، ومحاولتها اقامة «العدالة» بالتوفيق بين مصالح العمال وبين راس المال ، وسعيها لتحطيم اليسار خاصة الحزب الشيوعى ، الذى داب على فضح وكشف عقم هذا الموقف . وفى فترات الارهاب ، غيرت البيرونية موقفها وسعت الى قيام تعاون مع اليسار لمواجهة العدو المشترك، ولكنها سرعان ماتتوهم انها قادرة بمفردها على السـيطرة على مصير البلاد فتتنكر لحلفاء الامس.وآخر محاولاتهافى هذا الصدد هو التشدق برطانه يساريه متطرفة فى محاولة لتهدئة جماهير قاعدتها وارضاء ميولها فى العدالة الاجتماعيـة من ناحية ومن ناحية اخرى لمحاولة سحب الارض من تحت اقدام اليسار الحقيقى بالدخول معه فى مزايدات ، مادام الامر قاصر فى النهاية على كلمات وخطب وبرامج .

ومنذ ثلاثين عاما قال احد المؤرخين « ان تاريخ الارجنتين هو تاريخ عسكرى » . وقد تتابعت الانقلابات فوقع انقلاب ١٩٣٠ ، ثم ١٩٣٤ ، وتبعه آخر فى ١٩٤٦ ، واطيح ببيرون فى ١٩٥٥ ، وبفرونديزى فى ١٩٦٢ ، واخيرا ايليافى١٩٦٦ . وفئة العسكريين التى تتحكم فى مصائر بلاد امريكا اللاتينية بما فيها الارجنتين نشأت وتدعمت اثناء حروب الاستقلال الاولى ضد اسبانيا والبرتغال ، وبعد الاستقلال ساعدت هذه الفئة ، الطبقات الرجعية المالكة فى اقامة دكتاتورياتها وحكمت باسمها، مقابل ما تغدقه عليها من ميزات (لهم فى بعض البلاد نسبة معينة على مشتريات الجيش) وباخضـاع الارجنتين لنفـوذ الاستعمار الامريكى وضع العسكريون انفسهم فى خدمة القادم الجديد لان نفوذه اعظم وقدرته على الدفع اكبر . وعمات الولايات المتحدة بكل مافى وسعها واستخدمت كل امكانياتها لربط هذه الفئة بها ماديا وفكريا .

والرئيس الجديد الجنرال كارلوس ، يعد خبيرا فى الحرب النفسية والانقلابات وهو كما تقول عنه « نوفل اوبزرفاتير فاشى ، واع ، منظم يتمتع بثقـة الاوسـاط الامريكية ومن انصار سياسة « التشدد » وكان قد عارض قيام دكتاتورية عسكرية ، وقرر ان الـرئيس ايليا يكفى لتحقيق الاهـداف المشتركة ، وهى بالدرجة الاولى «القضاء على الشيوعية» التى يكن لها كارلوس عداءا شـديدا ، وتدمير البيرونيـة واشرف بنفسه على انتخابات ١٩٦٣ التى فاز فيها ايليا ، وبذل كل جهده فى سبيل انجاحه . ولكن ايليـا رأى بعد انتخابه ان تكون الخطة هى اثارة الفرقة والانقسام، بالطرق الديمقراطية طبعا وتجنب الارهاب ، فى صفوف البيرونية والحق يقال ان الرجل نجح فى ذلك الى حدما . بل وعين بعضا ممن عرفوا بولائهم للبـيرونية فى مناصب عسـكرية هامة ، ففى نوفمبر الماضى نصب **ادوارد وكاسترو سانشيز ، منساعدا** لكارلوس القـائد العـام فاسـتقال الاخير من منصـبه لهذا السبب ، ولسبب آخر هو سخطه على قرار الرئيس ايليـا بعدم ارسال قوات ارجنتينية الى الدومنكان كطلب الولايات المتحدة كما لم يكن كارلوس راضيا من سياسة ايليا فى فرض الرقابة الحالية ، وتنظيم التبادل التجارى ، وتحديد الاجور ، والغاء العقود الاجنبية لشركات البترول . وخلف كارلوس بعد استقالته ، الجنرال **بستارينى** الذى بدأ منذ اليوم الاول تحدياته واستفزازاته للحكومة ، التى لم تستطع ازالته شيئا حتى اطاح بها ، ونصب كارلوس رئيسا للجمهورية .

واعلنت الحكومة الجديدة انها ستفـسـح خطة عشرية للنهوض باقتصاد البلاد ، وبذلك نفت اى احتمال لـكونها حكومة مؤقتة او انتوائها اجراء انتخابات جديدة ، كما اعلنت انها ستتبع سياسـة حرية التبادل . وفى الخـارج ستكون سياستها موالية للغـرب . وان التأميم سيلغى وستـمنح امتيازات التعدين ، خصوصا البترول للشركة الامريكيـة ، وتخفيض التوظف فى الصناعة والخدمات والغى الدسـتور الذى كان موجودا فى عهد الرئيس السـابق . ووضـعت « دستورا ثوريا » ، نصت فيه على انه فى حالة وفاة الرئيس يعيد الجيش خلفـه ، والا تتعارض تصرفات الحـكومة مع ميثاق الثورة ، واحترام المواثيق الدولية ، واعطاء الرئيس سلطات تشريعية وان يكون له الحق فى دعوة هيئات استشارية دائمة او مؤقتة . والحكومة الجديدة تواجه اعباء ضخمة متمثلة فى البطالة وارتفاع الاسعار ، التضـخم ، اضرابات العمال ، الفساد وضعف الاداة الحكومية ، ومقاومة البيرونية (التى لايسهل القضاء عليها رغم محاولات تادتها للمصالحة) ومقاومة اليسار الارجنتينى . فهل ينجح «الجنرال الصامت» بحكومته التى يقول انه سيشكلها من المثقفين والتكنوقراط فى كل هذا ؟ الامل يبدو ضعيفا للغاية .

ويعد الانقلاب الجديد نصرا لسياسة الولايات المتحدة، بعد الانقلابات المماثلة فى البرازيل وبيرو وبوليفيا وكولومبيـا وبراجواى . وينتصر تكوين محور من الارجنتين والبرازيل لمقاومة « التخريب الشيوعى » و « العدوان الايديولوجى » ، يكفى الولايات المتحدة مؤونة التدخل مباشرة عندما تريد تأديب من يشق عصا الطاعة .

●

■ ادب

الادب .. فى معركة التحرير

بدعوة من **محافظة السويس** قام فريق من اعضاء **جمعية الادباء** بزيارتها والتعرف على معالم الثورة الصناعية فيها . ثم أقام الادباء ندوة فكرية لمناقشة موضوع « **الادب فى معركة التحرير** » اشترك فيهـا شـباب السويس من المثقفين .

وقد بدأ الندوة يوسف السباعى رئيس الوفد الزائر بكلمة قال فيها ان سؤالا هاما يطرح نفسه كلما أثيرت قضية الادب والمعارك الثورية هو ما الذى يسبق الاخر فى التأثير : الفن أم المعركة اى هل الفن يؤثر فى المعركة أم ان المعركة تؤثر فى الفن ؟ يتلو هذا السؤال سؤال آخر هو هل يرتبط الاديب بالنضال الثورى ارتباطا عفويا أم أنه يلتزم التزاما واعيا ؟

وحتى لاتفرق المناقشات فى فيض من التعميمات فقد انقسم اعضاء الوفد الى اربع مجموعات رئيسية : مجموعة الشعر وتكونت من السيدة ملك عبد العزيز والانسة روحية القلينى والشاعرين احمد عبد المعطى حجازى وعبده بدوى . وكانت نقطة الانطلاق فى حديث الشعراء ان الفن الادبى يؤثر فى معارك الثورة ، كما تؤثر الثورة فى الفن الادبى ، فكلاهما يتبادلان التأثير والتفاعل المستمر . وقدم حجازى نماذج شعرية فى صدر الاسلام تؤكد دور الشعر العربى فى اخطر مراحل

تطور المجتمع العربي، وكيف انتبادل التأثير والتأثر مع المرحلة الثورية التى كان يجتازها الوطن العربي والحضارة العربية آنذاك .

وكانت المجموعة الثانية هى مجموعة القصة التى تكونت من عباس خضر وتوفيق حنا لقال الاول ان تاريخ القصة العربية فى مصر يؤكد اقترانها بالمسار الثورى لحركة المجتمع منذ كتب المويلحى « حديث عيسى بن هشام » الى ان كتب الحكيم «عودة الروح» الى أن كتب نجيب محفوظ ثلاثية «بين القصرين» وأكمل توفيق حنا قائلا : ان الثورة بدورها أسهمت فى تطوير الرواية المصرية كما نلاحظ فى أنتاج نجيب محفوظ الاخير .

وتحدثت المجموعة الثالثة عن المسرح ، وقد تكونت من على احمد باكثير والفريد فرج وغالى شكرى . وقد استشهد ثلاثتهم بمجهود الرائد توفيق الحكيم الذى تمكن بمسرحه ان يشارك فى التمهيد للكثير من القيم الثورية التى استقرت فى المجتمع الان وقد تأثر هذا المسرح بدوره بالكثير من القيم الجديدة التى استحدثتها الثورة خلال تفاعلها مع الواقع . وقال غالى شكرى أن الجيل الجديد من كتاب المسرح المصرى بعد الثورة هو الدليل الاكبر على مدى ما يمكن أن تؤثر به الثورة فى الفن اذ أن مسرحنا الحديث بغير شك هو فى مجموعه من الثمار الواضحة لثورة يوليو فى مختلف مراحل تطورها .

وقد طرح جمهور الحاضرين بعض التساؤلات حول المشاكل التفصيلية التى تواجه الفنان الملتزم سواء فى عملية الخلق الفنى او فى عملية معايشة الواقع الثورى . وانتهت الندوة باقتراحات محددة استجاب لها السيد حامد محمود محافظ السويس كانشاء مكتبة ضخمة تضم كل ما كتب فى جميع اللغات عن السويس وكذلك تاسيس جمعية أدبية للشباب المثقف ممن يأنس فى نفسه الموهبة الادبية . على أن تكون هناك زيارات متبادلة بين جمعية الادباء فى القاهرة ، وجمعية الادباء فى السويس .

●

رسالة من يوغوسلافيا

أبعاد مشكلة رانكو فيتش

بذلت الدوائر الصحفية والسياسية العالمية جهودا واضحة لمحاولة وضع اجراءات التطهير الاخيرة فى يوغوسلافيا فى اطارها الحقيقى. وهى الاجراءات التى سبقت وأعقبت استقالة الكسندر رانكوفيتش من جميع مناصبه ، كنائب لرئيس الجمهورية واحد سكرتيرى اللجنة المركزية للحزب والمسئول عن جهاز الامن . وقد فصل بموجب هذه الاجراءات ايضا ، سفيتسلاف ستيفانوفتش وزير الداخلية السابق والذى يتولى ادارة اجهزة الأمن منذ سنوات طويلة ، وتم عزله من جميع الاجهزة القيادية ، ومن عضوية الحزب (رابطة الشيوعيين) ومن منصبه الحكومى. وانتخب كوتشا بوبوفيتش وزير الخارجية السابق وعضو اللجنة المركزية للحزب ، نائبا لرئيس الجمهورية خلفا لرانكوفيتش . وعين ميالكو تودوروفيتش نائب رئيس المجلس الوطنى. والسكرتير المسئول عن المسائل الاقتصادية فى اللجنة المركزية ، خلفا له ايضا فى سكرتارية اللجنة المركزية . كما عين ميلانتيا بوبوفيتش سكرتير عام التحالف الاشتراكى ، عضوا فى المكتب السياسى وجميعهم من الصرب. وقد نظر معظم المراقبين المدققين الى هذه الاجراءات ، لا باعتبارها عملية استبعاد شخصية من بعض المناصب الهامة ، وانما كاجراءات ذات دلالة عامة ، ترجع فى اساسها النهائى وبوجه من الوجوه ، الى الضرورات التى تفرضها تضية معدلات السرعة التى ينبغى ان يتطور بموجبها الاقتصاد اليوغوسلافى وهو يتقدم . فيوغوسلافيا ، كما اوضح مسيو ميالكو تودوروفيتش السكرتير المسئول عن المسائل الاقتصادية فى لجنة الحزب المركزية ، تعيش اليوم قريبة من المستوى الذى كانت عليه البلاد الصناعية المتطورة قبل الحرب العالمية الثانية . ولذا فان عليها انجاز هدفين رئيسيين : هما اللحاق بما انجزته البلاد الصناعية المتطورة فى فترة ما بعد الحرب، ثم اللحاق بالثورة الصناعية الجديدة التى بدأت فى البلاد المتطورة . ولانجاز هذه « القفزة الكبرى الى الامام » ينبغى التخلى ، ليس فحسب عن وصاية الدولة المركزية « صاحبة المشروعات » ، وانما أيضا عن الضمانات المركزية « لدولة الرعاية » ايضا ، ينبغى تحقيق درجة عالية من اللامركزية وازالة اى عقبة يمكن ان تعترض هذا الاتجاه .

ولفهم العقبات والعوائق التى اعترضت طريق اللامركزية والاصلاح الاقتصادى اليوغوسلافى اخيرا ينبغى تتبع تطور اسلوب التنمية اليوغوسلافى منذ بداية التحرر حتى الان ، لذلك يضع ايدينا على مصادر الاعتراض الحالية واسبابها. وبهذا الصدد نجد ان المراحل الاولى من التنمية الاقتصادية فى يوجوسلافيا قد قامت على أساس مركزى ، وتم الاعتماد اعتمادا تاما على الادارة بواسطة اجهزة الدولة وعلى مركزية التخطيط والتنفيذ الى حد بعيد ، وتولت الدولة كل النشاطات الاقتصادية وادارتها بالقرارات والاوامر واللوائح ، واصبح هناك ميل شديد نحو استمرار المركزية الاقتصادية والاجتماعية، فظهرت فى المدى الطويل فئات البيروقراطيين والتكنوقراطيين التى تكونت من قدماء المناضلين ومديرى المؤسسات وكبار الموظفين الذين يستخدمون فى التوجيه ، الاسلوب الادارى لا الاقناعى .

وقد اتخذت القيادة اليوغوسلافية فى ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٠ عدة اجراءات تستهدف تدعيم التطبيق الاشتراكى اليوغوسلافى ، ومواجهة ذلك الوضع . وكان اهم هذه الاجراءات التسيير الذاتى ، وتقرر تطوير هذا النظام تدريجيا ليصبح العاملون فى الوحدات الانتاجية ، هم الذين يملكون فعلا تلك الوحدات الانتاجية ، ويمتلكون التصرف الحر فى عائدها . وقد اصبح للعاملين اليوم بالفعل ، حق التصرف فى نسبة نحو ٧٠٪ من دخل المؤسسة وللدولة نسبة الـ ٣٠٪ الباقية . واصبح لمجالس العمال الحق فى تحديد الاجور والدخول الفردية وحصة الاستثمارات الجديدة .

غير انه لما كان انفتاح يوغوسلافيا على السوق الدولية، قد اكد الحاجة الى مؤسسات متجمعة اوسع نطاقا ، واظهر ضرورة دفع عملية دمج المؤسسات نحو ابعاد جديدة ، فقد بدأ الحديث مرة اخرى عن المركزية ، ولما كان قد حدث ايضا فى ظروف التسيير الذاتى ان زاد التضخم النقدى ، وارتفاع الاسعار ، واختلال ميزان المدفوعات ، فقد تجدد الصراع القديم بين انصار المركزية واللامركزية فى قيادة الحزب فى سنة ١٩٦٢ . فلما اتخذت اللجنة المركزية جانب اللامركزيين، وتدعم هذا الاتجاه فى المؤتمر الثامن للحزب (رابطة الشيوعيين)، وبدأ فعلا التوسع فى اللامركزية فى ادارة المصانع ، وبدأت القيادة تجربة جديدة أساسها اقتصاد يقوم على قوانين السوق، صمم البيروقراطيون من انصار المركزية على مقاومة هذا الاتجاه و «فرملة» تطور البلاد الاقتصادى نحوه والاتجاه ضد تدعيم نظام التسيير الذاتى ، وقد اكد المارشال تيتو ان الكفاح الانقسامى (وهى التهمة الموجهة لانصار رانكوفتش وستيفانوفتش عامة) قد بدأ فى سنة ١٩٦٢ منذ هذا الخلاف فى اللجنة المركزية .

وقد ادت مقاومة العناصر المعارضة للاصلاح بالاضافة الى بعض العوامل الاقتصادية الاخرى الى تفاقم المشاكل

الاقتصادية فى البلاد .وترتب على سوء اساليب البيروقراطيين فى ادارة الانتاج والدولة ، حالة من السخط فى صفوف العاملين فى يوغوسلافيا . فلما ارتفع سعر الخبز فى اغسطس ١٩٦٥ بنسبة ٧٠٪ والفحم بـ ٤٠٪ والطاقة الكهربائية بـ ٨٦٪ والايجارات بنسبة ١١٦٪ وثمن المياه بنسبة ١٧٥٪ ،واخذ عدد كبير من العمال يطبقون نظام العمل المزدوج حفاظا على مستواهم ، واخذ البعض الاخر يغادرون البلاد (وبلغوا فى المصانع الالمانية والسكندينافية والفرنسية ٢٥٠٫٠٠٠ عامل) وانتشرت حـالات التوقف عن العمل ، وشهدت جمهورية سلوفينيا وحدها خلال السنوات الاخيرة ٧٨ حالة توقف من العمل ، وتصاعدت حدة الخلاف بين مختلف الجمهوريات . لكل ذلك بدأت تنمو بشكل اكبر فى صفوف البيروقراطيين القائمين على الاقتصاد ، وبعض كادرات الحزب حركة خلفية تؤيد ما يسمونه «بتقوية الدور الادارى والمركزى». وهاجمت مجلة « بواكسيس » التى تصدرها مجموعة من اساتذة الفلسفة بجامعة زغرب مبدأ التسيير الذاتى كما يطبق فى البلاد .

وقد حذر **بلجيك فياهوفيتش** ، وهو احد كبار المفكرين اليوغوسلاف منذ يناير الماضى ، من ان كثيرا من الاعضاء « المحافظين » فى الحزب بدأوا يعرقلون الاصلاحات . كما نبه المارشال **تيتو** فى فبراير ايضا ، الى ان بعض الشيوعيين يؤيدون الاصلاحات على الورق ، اما فى الواقع فيتصرفون بطريقة تتعارض مع تنفيذ هذه الاصلاحات . وكان من الواضح فى اجتماع اللجنة المركزية فى اول يوليو ، ان الكسندر رانكوفيتش احد اصحاب هذا الاتجاه . فبينما ادان رانكوفتش فى خطاباته امام الرابطة من قبل ، البيروقراطيين والقوى المحافظة والانحراف عن سياسة الحزب ، الا انه ظل حوالى ٦ اشهر لا يبدى اى ميل لوضع قرارات المؤتمر الثامن موضع التنفيذ عملا . كما لوحظ فى اجتماع فبراير ـ مارس سنة ١٩٦٦ الذى اكد الاصلاح الجديد ، أن رانكوفتش قد تكلم عن كل شىء ماعدا هذا الاصلاح . والحقيقة ان مقاومة الزعيم الكبير « للجهاز » ، لما اكدته قيادة الحزب من اصلاحات ، لم يكن بسبب مجرد خلاف يقوم على تباين فى النظرة الايديولوجية ، وانما لانها مست وتمس اوضاعا ذات اهمية من وجهة نظره . فالاصلاح يمس اولا الاقتصاد ،وفى نهاية الامر الحياة السياسية للبلاد وبشكل خاص الامتيازات التى كان يتمتع بها عديد من اعضاء الحزب وكادراته منذ ٢٠ سنة وعلى رأسهم اجهزة الامن التى تمتعت بسلطات استثنائية غير عادية فبموجب الاصلاحات الجديدة سيتعين على العديد من هؤلاء ان يتخلوا عمليا عما تبقى لهم من اشراف على المشروعات والوصول اليها يسميه كارديلج بـ « لا تسييس الاقتصاد » . لذا عمد انصار رانكوفيتش وستيفانوفتش وخاصة فى الفترة الاخيرة الى استغلال اجهزة الامن من اجل الضغط والارهاب فى محاولة لابقاء الوضع كما هو عليه ، والحفاظ على المصالح والاوضاع المعينة التى وصلوا اليها وللبقاء فى السلطة . وهكذا كان التنفيذ العملى لقرارات المؤتمر الثامن هو المسألة التى احتدم حولها الصراع بين الرابطة وبين العناصر المنحرفة فى اجهزة الامن والذين ساندهم البيروقراطيون . ولما كان تيتو قد اشار الى ان هذا الموقف قد ادى الى حالة من الركود والى عرقلة تنفيذ قرارات المؤتمر الثامن والى خلق صعوبات عديدة فى كافة المجالات . لذا كان لابد من التصدى لهذه المجموعة وتنحيتها، تخلصا مما تخلقه من عراقيل فى وجه التقدم الاقتصادى .وقد كتبت جريدة « بوربا » تعليقا على الاجراءات الاخيرة تقول: « ان الحزب والشعب كله يزيلان الان عقبة اخرى كبيرة ويحطمان محاولة القوى الستالينية والرجعية والبيروقراطية البوليسية وقوى التخلف التى تريد اشاعة البطء فى خطوات يوغوسلافيا ».

كما ان موقفا بعض عناصر اجهزة الامن ، وعناصر الرابطة من مسألة التحول السياسى الهام الذى يتم فى يوغوسلافيا اليوم ، وبالنسبة لدور رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف كحزب حاكم ، كان عاملا هاما من عوامل التطهير الاخير . فقيادة عصبة الشيوعيين اليوغوسلاف تعمل اليوم ـ بهدف اتساق العمل السياسى فى يوغوسلافيا ، مع متطلبات التقدم الاقتصادى ـ الى تحويل دور عصبة الشيوعيين « القيادى» الى دور « توجيهى ايديولوجى » ، اى تحويل الحزب من اداة « سلطة » الى اداة « توجيه » ، اداة « لتوجيه تطورنا الاشتراكى فكريا » كما اوضح تيتو . والغاية من الفصل بين الدولة والحزب فى هذا الاجراء ، هو توسيع قاعدة الحكم اليوغوسلافى بالافادة من العناصر النشيطة غير الحزبية ودفعها الى السلطة عن طريق المجالس الفيدرالية والجمهورية والمحلية من خلال التحالف الاشتراكى . وسيترتب على ذلك، ان المشرفين على المصانع والمؤسسات سيتم اختيارهم بحكم كفاءتهم الفنية وليس استنادا الى اوضاع سياسية حزبية وهو المبدأ الجديد فى « لا تسييس الاقتصاد » . هذه الخطوة، كان لابد ان تلقى معارضة نوعين من الاتجاهات ، الاول يعتبرها بمثابة تراجع عن الماركسية ، والثانى لانه يخشى ان تؤدى الى تضاؤل نفوذهم الشخصى . وكان رانكوفتش اقرب الى النوع الثانى . والحقيقة ان السلطات الجديدة التى اعطيت للمنتجين ، وللبلديات المحلية والاقليمية ، اكدت بالفعل بداية تنازل العصبة عن دورها « القيادى » واقتناعها « بتحديد الاتجاه السياسى للبلاد » واكد **كارديلج** اخيرا فى هامبورج « اننا ضد تعدد الاحزاب وضد الحزب الواحد ، نحن نناصر نظام سياسى بلا احزاب » .

الا ان عددا من كبار المسئولين فى اجهزة الامن لم يسيروا فى اتساق مع خط العصبة ، واستغلوا ما تحت ايديهم من روافع خاصة « ليديروا الحياة السياسية فى البلاد من اعلى الى اسفل » ضاربين عرض الحائط بالتزامات التطور الجديد ومتطلباته واصبحوا نوعا من الدولة داخل دولة ومما هو جدير بالذكر ان رانكوفيتش بالذات كان من آخر من تكلموا فى اتجاه مضاد للتطورات ، عن الدور « القيادى » للعصبة وذلك فى خطابه بالمؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى . كما اتهمه بعض اعضاء اللجنة المركزية بانه اوقف ومنع المناقشات حول دور الحزب فى التسيير الذاتى فى قطاعات واسعة بالعصبة . ثم ان قيام عديد من عناصر اجهزة الامن ، ومن رجال رانكوفيتش وستيفانوفتش (اللذين اسندا اغلب المراكز الهامة فى ادارات الامن الى اصدقاء شخصيين لهما) قيامهم باجراءات كبت ضد الشعب اليوغوسلافى ، واتجاه مراقبتهم الى كوادر الحزب والمسئولين والعاملين لا نحو اعداء البلاد ، ثم ميكروفونات الاستماع الخ، كل ذلك نشر جوا من التشكك وعدم الثقة فى البلاد ، وجاء متعارضا مع انجاح الاصلاح الجديد الذى يتطلب بشكل اساسى وقبل كل شىء ديمقراطية شاملة للحياة العامة ، وجوا يتيح المناقشات الحرة على كل المستويات .

وقد لفت **جوفان فيسيلينوف** : رجل الحزب الاول فى صربيا الانظار الى مسألة اخرى تخص رانكوفيتش ، وهى انه كانت توجد فى النشاطات الخلفية لاجهزة الامن ، مسألة الكفاح من اجل خلافة تيتو ،واعلن **سفجيتان ميجاتوفيتش** رجل الحزب الاول فى البوسنة ان : « رانكوفيتش كان لابد على علم بالدسائس والثرثرات المتصلة بمسألة خلافة تيتو ، وتوجد اسباب للاعتقاد بان ذلك لم يكن يضايقه ، ان لم يكن يوافقه بشكل اكبر » .

ومن الاخطار التى يخشى تفاقمها بفعل اجراءات التطهير الاخيرة ، مسألة نقل هذه الاجراءات بفعل العناصر القومية المتعصبة من ارضيتها الحقيقية الاقتصادية والسياسية الى ارضية التعصب القومى . وقد عمدت هذه العناصر اخيرا، الى ترويج الاشاعات فى بلجراد خاصة ، بان قضية رانكوفيتش

وهو ابرز الاعضاء الصربيين فى القيادة اليوغوسلافية ، هى تضية تصفية الكوادر الصربية ، ولما كانت السيطرة على جهاز امن الدول قد ظلت تقريبا منذ الحرب العالمية الثانية فى ايدى رجال من الصرب فى الغالب ، لذا حاولت هذه العناصر تصوير المسألة على انها ضربة موجهة الى الصرب والى مصالحها. والحقيقة ان اللجنة المركزية الصربية بالذات كانت متنبهة منذ امد الى خطورة بروز النزعات القومية من جديد وقد حذرت منها فى يناير الماضى . كما اعلن مسيو باكاييتش الزعيم الشيوعى الكرواتى عشية اجتماع العصبة فى فبراير ومارس الماضيين انه « اذا لم يسر الاصلاح قدما ، فان مشكلة القوميات التى هى حاليا المشكلة رقم ٢ ، يمكن ان تصبح المشكلة رقم ١ » .

والحقيقة ان البيروقراطيين المنحرفين فى مواجهتهم للتذمر الذى سبق الاشارة اليه فى صفوف العاملين ، عمدوا الى اثارة النعرات القومية للتغطية على اخطائهم وانحرافهم. ولم يكن بمحض الصدفة ان اشار تيتو الى ان تنشئ النوازع القومية قد بدا ملحوظا منذ تاريخ النزاع حول المركزية واللامركزية فى ١٩٦٢ . ولذا قامت اللجنة التنفيذية للعصبة فى مارس ١٩٦٢ بالاجتماع لعدة ايام لفحص مظاهر التعصب القومى التى بدأت تتسع فى كل مكان تقريبا وفى بلجراد بشكل خاص . واثار تيتو فى ذلك الوقت مشكلة العلاقات غير المرضية فى اللجنة المركزية والعناصر السيونيتية التى تسللت داخل الحزب . ولكن بعد مناقشات حادة ومثمرة بهذا الشأن داخل القيادة ، بدأ التوتر حول هذه المسائل وكأنه قد خف .

الا انه بمجرد بدء الاصلاح الاقتصادى والاتجاه نحو تدعيم اللامركزية بدأ العراك ثانية . ولما كان تيتو قد اكد استمرار وجود عديد من العناصر المتعصبة مثل (التشيتنيك وهم الانصار القدماء للجنرال المعادى دراجا ميهيلوفيتش فى صربيا ، والاوستاشى المعادين فى كرواتيا ، و « الحرس الابيض » فى سلوفينيا) ، لذا ركز على ضرورة بذل جهود يقظة ضد النشاط الضار لهذه الفئات . واكد اخيرا فى خطابه فى بريونى ، ان على اللجنة التنفيذية للعصبة فى صربيا « ان تمنع فهم قراراتنا على اساس قومى » واوضح ان الشيوعيين اليوجوسلاف « لن يظهروا اية ليبرالية او تساهل نحو العناصر الانفصالية والداعية للقومية الضيقة » .ومما يكشف عن اهمية العامل القومى وخطورته ، ان تيتو قد عبر عن تقديره لرانكوفيتش بسبب « تعبيره من رغبته فى مساعدتنا ، كيلا تنتقل الازمة الى ارضية القومية » .

ومما يزيد من اهمية وخطورة تقدير مسألة القوميات عقب الاصلاح الجديد عامة ، وعقب تنحية رانكوفيتش وستيفانوفتش الخ خاصة . أن هناك عناصر موضوعية حقيقية تلعب دورها كأساس فى وجود تناقضات بين القوميات المختلفة فى يوغوسلافيا ، وتتطلب درجة عالية من اليقظة والوعى من جانب رجال الرابطة فى معالجتهم لها . واهم هذه العناصر، هى التباين الواضح فى التقدم الاقتصادى بين جمهوريات يوغوسلافيا . ونجد للتدليل على ذلك انه ، اذا اخذنا دخل الفرد من السكان فى سلوفينيا كقاعدة (وهى اغنى الجمهوريات) ، نجده اعلى بنسبة مرتين من المتوسط العام فى يوغوسلافيا كلها ، ولوجدنا دخل الفرد من الصرب يقل عن سلوفينيا بنسبة مرتين ، وفى مقدونيا يقل بنسبة ٣ مرات، اما المواطن فى كوسوفو — ميتوهى فدخله اقل بحوالى ٦ مرات . كما انه بينما يستهلك المواطن السلوفينى ، ٢١٧ كيلووات ساعة من الطاقة الكهربائية فى منزله فى السنة ، يستهلك المواطن فى كوسوفو — ميتوهى ٢٥ فقط ، وبينما يوجد ١ر٨٪ من الاميين بين السكان الذين يزيدون على ١٠ سنوات فى سلوفينيا ، يوجد ٢١٪ منهم فى مونتينيجرو ، ٣٢٪ فى بوسنه هرزيجوفين ، واكثر من ٤٠٪ فى كوسوفو — ميتوهى . وبينما يوجد راديو واحد لكل ٣٢ من السكان فى المنطقة الاخيرة ، يوجد راديو واحد لكل ٩ فى المتوسط العام بالنسبة ليوغوسلافيا كلها . ومما يزيد المسألة تعقيدا ان التفاوت يزداد بين المناطق الغنية والمناطق الفقيرة باضطراد ولوجدنا ان قيمة الاستثمارات العامة حتى سنة ١٩٥٦ بالنسبة لكل فرد من السكان (لو جعلنا الاساس ١٠٠ بالنسبة لكل يوجوسلافيا) ، لوجدناها تبلغ ١ر٩٧٪ بالنسبة للمناطق المتطورة ، ٤ر١٠٨٪ بالنسبة للمناطق الفقيرة ، اما بعد ١٩٥٦ فنجد الاولى ترتفع الى ٤ر١٠١٪ والثانية تهبط الى ٤ر٧٩٪. وعلى الرغم من أن الدولة قد حاولت علاج هذا الوضع عن طريق قيامها باستثمارات تبلغ ٣٧٪ من قيمة الانتاج الاجتماعى الكلى فى المناطق المتخلفة ، ٢٧٪ فى المناطق المتقدمة . الا ان هذه النسبة اعتبرها كثير من المراقبين الاقتصاديين غير كافية بسبب التفاوت الكبير بين قيمة الانتاج الاجتماعى فى المناطق الغنية وقيمته فى المناطق الفقيرة .

هذا التفاوت يفسر بوجه من الوجوه ، بعض جوانب الخلاف فى الرأى بين الجمهوريات اليوغوسلافية بازاء الاصلاح الجديد . فقادة الجمهوريات المتخلفة لديهم اتجاه ليس فقط (كما اكد تيتو فى مؤتمر ١٩٦٤) لربط تطور بلادهم المتزايد بالحفاظ على نظام التخطيط القديم ، وانما اعربوا ايضا وبشكل اكثر عمومية عن اتجاه وصف بانه محافظ . ومن ناحية اخرى يمكن القول ، بانه لم يكن من الصدفة انه من جمهوريات متقدمة مثل سلوفينيا وكرواتيا ، أن هبت وتهب الرياح القوية للاصلاح الجديد . الا انه ينبغى بحال الوصول بالمسألة الى حد المبالغة التى ترى ان قادة المناطق المتخلفة يمثلون بالضرورة القوى المعارضة للاصلاح الجديد والعكس. ذلك لان عوامل الوعى تلعب دورا فى تفادى مثل ذلك الانقسام الحاد الى معارضين ومؤيدين للاصلاح .

لقد دافع تيتو عن حركة التطهير واوضح انه لم يكن سهلا بالنسبة له ان يقيل رانكوفيتش وهو من أوثق اصدقائه وزميل الكفاح القديم ، لكنه اكد كذلك ان هذه الحركة كانت ضرورية « لانقاذ وطننا وحفظ صورتنا فى التاريخ » وقد انحصرت مشكلة جهاز الامن الان ، فى اعادة تشكيله كجهاز سياسى للامن يخضع لرقابة شعبية كباقى الاجهزة فى الدولة .واذا كان المراقبون الاقتصاديون قد اوضحوا ان حدة التضخم النقدى قد خفت الان ، وتم الوصول الى نوع من الاستقرار فى هذا المجال ، وانه لاول مرة منذ ٢٠ عاما استعاد ميزان المدفوعات توازنه ، بفضل السياحة والمبالغ المرسلة من العمال المهاجرين (وتبلغ حوالى ٣٠ مليون دولار سنويا) ، واذا كان الانفتاح نحو السوق الدولية قد خلق فى يوغوسلافيا الحاجة الى دمج المؤسسات اكثر فأكثر لتستطيع الوفاء باحتياجاته ، فان المسئولين اليوغوسلاف يرون ان ذلك لن يعدم او يغير من مبدأ التسيير الذاتى ،اذ يمكن لمندوبى المصنع المنتخبين ان يحددوا بدورهم اسماء اعضاء اللجان التى ستتحمل مسئولية عمل المؤسسات المندمجة الجديدة ونشاطها. وهكذا سيحافظ على مبدأ ادارة الشغيلة للاقتصاد .

ان اقصاء رانكوفيتش وستيفانوفيتش وتحرير الاجهزة السياسية والتنظيمات الاقتصادية ،المعبرة عن ارادة ومصالح الشعب اليوغوسلافى من نفوذ جماعة وصفت بانها تضع نفسها فوق الحزب وفوق المجتمع ، قد اوضح لكثير من المراقبين السياسيين ، ان القادة الاشتراكيين اليوغوسلاف ، انما يضعون فى المقدمة وفوق اى اعتبار آخر ، تنفيذ السياسة التى يؤمنون بانها افضل سياسة تكفل للبلاد تنمية اقتصادية سريعة وسليمة وتكفل للعاملين اليوغوسلاف مشاركة حقيقية وفعالة فى تقرير مصير واتجاه يوغوسلافيا .





- دراســـات نقــــدية في ضوء المنهج الواقعي
- تاليف : حسين مــروة

- الاشتراكية والانسان في كـــــــوبا
- تشي جيفــــــــارا

- من المجـلات الفـكرية العالمية
- مجلة قضايا السلم والاشتراكية
- مجلة الحـركة النقـابية العالمية

دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي

● تاليف : حسين مــروة

منــذ صدر الكتاب الرائد « في الثقافة المصرية » للأستاذين محمود أمين العالم وعبد العظيم انيس ، عام ١٩٥٤ لم تعرف المكتبة العربية امتدادا متطورا لمعنى الواقعية في الأدب الا حين صدر كتاب « دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي » للاستاذ حسين مروة عام ١٩٦٥ .

وكان الأستاذ مروة قد قدم كتاب « في الثقافة المصرية » بدراسة ضافية حول المفهوم الواقعي في الادب . هذا بخلاف المقالات العديدة التي نشرتها له الصحافة الادبية منذ ذلك الحين .

ومعنى هذا أن الأستاذ المؤلف قد تمرس على اتخاذ المنهج الواقعي في مختلف مراحله تمرسا يجعل من كتابه الجديد وثيقة هامة تدل على طول المسافة التي قطعتها المفاهيم الواقعية في ادبنا العربي الحديث . فالحق انه ليس ثمة مفهوم واقعي واحد متفق عليه من الجميع ، وانما هناك أكثر من تحديد نظري ، كما ان هناك اكثر من مادة تطبيقية ، وربما كان الحوار الذي اجراه حسين مروة مع الدكتور لويس عوض هو المثال الناصع لهذا التعدد في الآراء حول الأدب الواقعي ، فقد صدر للدكتور لويس منذ سنوات قلائل كتاب عنوانه « الاشتراكية والأدب » هو مجموعة المقالات التي نشرتها له جريدة الجمهورية عام ١٩٦١ . وهي المقالات التي تعد امتدادا لمقاله « الانسانية الجديدة » الذي نشر بمجلة الرسالة الجديدة عام ١٩٥٤ كما تعد تمهيدا لما قال بـــه بعد ذلك من ان موجة الواقعيـــة انحسرت عن « الاحياء الرومانسي » الذي نشاهد معالمه الان .

ويبدأ حوار حسين مروة مع لويس عوض من نقطة انطلاق نظرية واضحة وهي ان شعار « الادب للمجتمع » لا يطرح الفرد من حسابنا لان التفكير في المجتمع على نحو تجريدي ليلتغي منه حساب الفرد انما يرجع الى طريقة في التفكير المثالي ويتدرج النقاش الى مدرسة الواقعية الاشتراكية التي تعارض بطبيعة مفهومها الحقيقي عبادة الفرد وعبادة الجماعة معـــا بقدر ما تعارض جعل الأدب والفن والعلم مجرد أدوات لخدمة الحياة المادية وحدها . ان الواقعية ـــ يقول مروة ـــ تريد من الادب والفن والعلم ان يكون كل منها في خدمة الانسان ، اي في خدمة طاقاته المادية والروحية جميعا ، وان يكون كل منها حافزا حركيا وحيويا يحفز هذه الطاقات المادية والروحية معا في الانسان لابداع اقصى ما يمكنها ابداعه من جمالات وخيرات ولرؤية اعمق ما يمكنها رؤيته من كنوز الخير والجمال في الحياة والسكون .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى انه ينبغي ان يكون واضحا ان تعبير الواقعية الاشتراكية لا ينطبق على غير الأدب الذي تنشئه بلدان اشتراكية ، ولا يرى من الدقة العلمية ان نسمي الواقعية التي يأخذ بها الادباء المنتمون الى بلدان غير اشتراكية ، باسم « الواقعية الاشتراكية » لان الصفة « الاشتراكية » هذه تدخل في صلب المحتوى الادبي من حيث كونها انعكاسا وجدانيا عن حياة اشتراكية يمارسها الناس بالفعل ممارســـة عملية . ويختار حسين مروة تعبير «الواقعية الجديدة» لوصف ذلك اللون من الكتابات الفنية التي يكتبها الاشتراكيون في بلدان غير اشتراكية .

ثم يبدأ حسين مروة نقاشه مع لويس عوض حول ظاهرة « الاحياء الرومانسي » التي يقول بها في السنوات الاخيـــرة فيؤكد المؤلف ان الرومانسية احتوت في صلبها على جنين الحركة الواقعية في الادب والفن والتفكير التي جاءت بعـــد الرومانسية كوليدة لها ، او كرد فعل لنتائجها ، وهذا ما يناقض الصفة التي يريد الدكتور عوض ان يخلعها على حركة الاحياء الرومانسي في ادبنا الحديث ، اذ يراها قائمة « على انقاض المدرســـة الواقعية » التي يقول انها « انتكست حول عام ١٩٦٠ او قبل ذلك بقليل » .

والسؤال الذى يطرحه الاستاذ مروة هو : عما تعبر حركة الاحياء الرومانسى هذه ؟ هل تعبر عن « ثورة المثال على الواقع » ؟ ويجيب : كلا ... لاننا اليوم فى زمن انهار فيه المثال انهيارا طبيعيا حتى الاساس ، وبقى فيه الواقع وحده « فارس الميدان » غير منازع لانه هو الحقيقة العلمية والكونية الاولى فى زماننا ، ولانه هو ذاته الذى يفجر طاقات الاديب العربى وثوريته وهو ذاته الذى يحرك ديناميكية الانسان العربى ويعبىء مواهبه لمعركة المصير .. ثم لان فكرة «المثال» فى التاريخ كانت اكثر الاحيان سلاحا مسلطا على حركة تطور المجتمع وتقدمه وقلما كانت مصدر خصب خلاق الا بالنسبة للمتنفعين بالافكار « المثالية » لحماية مصالحهم وامتيازاتهم فى المجتمع ... وقد تغير الزمان وتحطم السلاح . اذن ، هل تعبر « حركة الاحياء الرومانسى » الجديدة فى مصر عن ثورة الروح على المادة ؟ ويجيب المؤلف ثانية : كلا .. لاننا اليوم فى عصر تتفجر فيه المادة ذاتها بالطاقات الخارقة التى تفوق كل ما حدثتنا عنه ميثولوجيا العصور الغابرة كلها من طاقات نسبتها الى الروح عجزا عن فهم مصادرها المادية الحقيقية .. ثم لاننا اليوم فى عصر لا يعرف للروح وجودا منفصلا مستقلا عن المادة ، بل يعرفهما وحدة كيانية لا تقبل التجزئة والانفصام . فهل يعبر الاحياء الرومانسى الجديد عن ثورة الحرية على القيود ؟ . كلا ... لاننا اليوم فى مرحلة من تاريخنا يعرف فيها الثائرون الحقيقيون للحرية على القيود ان للثورة سبيلا غير الانكفاء الى الذات ، اى الى المشاعر الذاتية الانعزالية المجترة آلامها واحلامها بعيدا عن معترك الحرية . فاذا جاءت الرومانسية تغزو ادبنا — يقول المؤلف — فانما تجىء وتغزو بقصد اشاعة « الفردية » « الانطوائية » ، واشاعة فلسفة « اللامعقول » التى تتنكر لكل حقيقة موضوعية وتدفع مجتمعنا الى متاهات المثالية وغيبياتها والى الغرق فى خضم لا قرار له من التلقائية والعفوية والفوضوية ... فهى — اذن — تحاول غزوا ثقافيا فكريا وفنيا وادبيا يخدم مطامع اعدائنا . لذلك تصبح الواقعية الجديدة فى المجالين الابداعى والنقدى ، اكثر ارتباطا بحياتنا العربية وحركتها النضالية فى سبيل التحرر الوطنى والفكرى والاجتماعى . كذلك فان الاساس الاجتماعى الذى تقوم عليه هذه الواقعية هو — فى الوقت نفسه — اساسها الفنى . ويصبح الفن الواقعى هو الفن الذى ينظر الى الحقيقة الموضوعية ويشحذ طاقته لرؤيتها فى حركتها الحية المتطورة ، ثم يكتشف جوهر هذه الحركة ، ويتعرف على اتجاهها ومرمى تطورها ، ويستوعب ابعاد طاقاتها وهى تتمخض بالانبثاقات المرتقبة وراء الظواهر ، وحينذاك يحدد موقفه الانسانى تجاهها ..

وتصبح عملية الخلق الفنى — على هذا النحو — بمثابة اتصال وجدانى واع بين ذات الكاتب والواقع الموضوعى بحيث يتحول الواقع اثناءها من مناخه الزمانى والمكانى خارج الذات ، الى مناخ الموقف الانسانى داخل الذات . ومنه يتخذ الواقع صورته الفنية الجديدة التى يبدو بها كائنا جديدا يختلف فى اتساقه وانتظامه وتركيزه وحرارته الوجدانية عما كان عليه فى الطبيعة او فى الحياة الاجتماعية اليومية ... « وبهذه الحقيقة الجديدة التى يكتسبها الواقع الموضوعى بعد عملية الخلق ، يصبح واقعا فنيا يمارس تاثيره الجمالى والاجتماعى بين الناس » .

ويختتم حسين مروة دراسته القيمة بقوله انه من العسير فى الفن ان تضع اصبعك على جانب منه وتقول : هذا واقعى .. ثم تضعها على جانب آخر وتقول : هذا رومانسى .. « انما الفن اعظم تعقيدا وتركيبا من ان يخضع لمثل هذا التحليل الساذج .. حسبك ان تستوعب العمل الفنى بوحدته الكاملة الحية المتشابكة ، معتمدا سلامة الحس ، ناقضا عنك احكاما سابقة جاهزة مهما كان مصدر هذه الاحكام » .. وهكذا يصبح «الجيشان الرومانسى» الذى تحدث عنه الدكتور لويس عوض احد عناصر طبيعة الواقعية الجديدة لا من طبيعة خارجية عنها او مناقضة لها .

الاشتراكية والانسان فى كوبا

● شى جيفـــــارا

صدر

فى بداية هـذا العام كتاب « **الاشتراكية والانسان فى كوبا** » للثائر شى جيفارا ، فى سلسلة « **كراسات حرة** » التى تنشرها دار ماسبيرو فى فرنسا .

ومع أن الكتيب لا تزيد عدد صفحاته عن الستين الا انه يعتبر بمثابة « وصية روحية » للقائد الذى يجوب انحاء امريكا اللاتينية مناضلا ضد الاستعمار .

ويتضمن الكتاب ثلاث فقرات :

— آخر موضوع كتبه جيفارا قبل اختفائه ردا على الاسئلة التى وجهتها له صحيفة «مونتفيديو مارشى» من كبريات الصحف التقدمية فى امريكا اللاتينية . وهو موجه الى جميع قواد امريكا اللاتينية وقد اثار ضجة عند نشره فى هافانا .

— خطاب الجزائر ، وهو آخر حديث لجيفارا فى مناسبة عامة وقد القاه فى المؤتمر الاقتصادى لدول آسيا وافريقيا الذى عقد فى الجزائر فى شتاء ١٩٦٥ .

— ويسبق هذان الموضوعان الاستقالة التى كتبها الزعيم الكوبى وقراها فيدل كاسترو على الجماهير فى يوليو ١٩٦٥ .

ويقول جيفارا فى هذه الاستقالة: «لقد خف اليوم الطابع الدرامى لكل شىء لاننا اصبحنا اكثر نضجا ولان الاحداث تتكرر واشعر انى حققت من جانبى نصيبى من الواجب تجاه الثورة الكوبية فى ارضها . وانى استأذن منك ومن الرفاق ومن شعبك الذى اصبح شعبى انا ايضا» .

«انى اتنازل بالكامل عن مسئولياتى فى قيادة الحزب وعن منصبى كوزير وعن رتبتى ككومندان وعن وضعى ككوبى . لا توجد اى صلات شرعية تربطنى بكوبا اللهم الا صلات ذات طابع آخر لا تستطيع أن تفصمها المناصب او الالقاب » .

« عندما أستعرض ماضى حياتى أعتقد أنى عملت بقدر كاف من الصدق والاخلاص من اجل تدعيم انتصار الثورة . وخطئى الوحيد الذى قد تكون له بعض الخطورة هو انى لم اثق بك منذ اللحظات الاولى فى «سييرا مايسترا» وانى لم اتبين للتو كفاءاتك كقائد وثورى . لقد عشت اياما عجيبة وشعرت بجانبك بالفخار لانتمائى الى شعبنا فى الايام المضيئة والحزينة لازمة الكاريبى» .

«هناك مناطق اخرى من العالم تطالب بحقها فى مساهمتى بجهودى المتواضعة . واعتقد انى استطيع ان اقوم بما تأباه عليك مسئولياتك على راس الدولة الكوبية ، وقد حان الوقت لكى ننفصل» .

«ساحمل معى فى ساحات كفاح جديدة الايمان الذى تعلمته منكم والفكر الثورى لشعبى واحساسى بانجاز اقدس واجباتى : الكفاح ضد الاستعمار اينما كان. واينما ساحل سأشعر بمسئوليتى كثائر كوبى وسأتصرف على هذا الاساس . وانى لا اترك (غير آسف) اى شىء لابنائى وزوجتى بل انى لسعيد بذلك ولا اطلب لهم اى شىء مادامت الدولة ستوفر لهم ما يكفيهم ليعيشوا ويتعلموا . وهناك اشياء كثيرة اريد ان اقولها لك ولشعبك ولكن يخيل لى انه لا داعى لذلك ، لان الكلمات لا تكفى للتعبير» .

ويقول جيفارا فى مقاله «الاشتراكية والانسان فى كوبا» ، وهو صلب الكتيب :

كثيراً ما نسمع على لسان دعاة الرأسمالية أن مرحلة البناء الاشتراكي تتميز بالتضحية بالانسان على محراب الدولة ولن احاول ان ارد على هذا الادعاء بكلام نظري ولكن بالاستناد الى الاحداث كما جرت في كوبا مع اضافة بعض التعليقات ذات الطابع العام .

لقد بدأ الكفاح الثوري عندنا في ٢٦ يوليو ١٩٥٣ وتحققت الثورة في اول يناير ١٩٥٩ .ففي فجر هذا اليوم هاجمت جماعة من الرجال بقيادة **فيدل كاسترو** قلعة **مونكادا** في الاقليم الشرقي وقد فشل الهجوم فتحول الى كارثة، واودع الذين نجوا في السجون ولكنهم استأنفوا كفاحهم بمجرد العفو عنهم .

لم تكن الاشتراكية خلال هذه العملية سوى قوة فكرية اما الانسان فكان العامل الاساسي الذي يتوقف على جهوده انتصار المعركة او فشلها .وجاءت بعد ذلك مرحلة حرب العصابات وقد خضناها في وسطين مختلفين : الوسط الشعبي، اي الجماهير التي كان يجب تجنيدها وطليعتها من رجال العصابات الذين استحثوا الضمير الثوري والحماس النضالي . كانت الطليعة بمثابة العامل المساعد الذي خلق الظروف الذاتية اللازمة لتحقيق النصر .

كنا نتنافس خلال هذه المرحلة البطولية الاولى من اجل القيام بالمهام التي تتضمن اكبر المسئوليات والمخاطر دون اي مقابل سوى الرضا بالقيام بالواجب .كان هذا الموقف من جانب المناضلين نموذجا لانسان المستقبل .

ومن واجباتنا الاساسية من الناحية الايديولوجية ايجاد الصيغة التي تسمح بمواصلة هذا الموقف الثوري في الحياة اليومية .

وتكونت الحكومة الثورية في يناير ١٩٥٩ باشتراك عدد من ممثلي البرجوازية الرجعية. كان وجود الجيش المتمرد عامل قوة يضمن استقرار الحكم. وسرعان ما ظهرت تناقضات خطيرة لم نتغلب عليها الا في فبراير من نفس العام فتولى فيدل قيادة الدولة بوصفه رئيسا للوزراء. وكان لا بد وأن تؤدي هذه الاحداث الى استقالة الرئيس اورويتا في يوليو من نفس السنة تحت ضغط الجماهير. وهكذا ظهر في تاريخ الثورة الكوبية بوضوح وشكل منتظم عنصرا جديدا الا وهو الجماهير !!

تعرف حقيقي على رغبات الشعب

وهذا الكائن ليس حاصل جمع عناصر متشابهة تماما تعمل كما لو كانت قطيعا طيعا (وان كانت بعض النظم تجعله كذلك) ولا شك ان الجماهير تسير بلا تردد وراء قادتها وفيدل كاسترو اساسا ولكن درجة الثقة التي حصل عليها كاسترو تتمشى بالضبط مع تفسيره السليم لرغبات الشعب وآماله .

لقد شاركت الجماهير في الاصلاح الزراعي وفي ادارة مؤسسات الدولة .وواجهت لحظات من اهم لحظات التاريخ الحديث خلال ازمة اكتوبر (البحر الكاريبي) وهي تواصل اليوم عملها من اجل بناء الاشتراكية.

وقد يبدو من اول وهلة ان الذين يتكلمون عن اخضاع الفرد للدولة محقين في زعمهم لان الجماهير تنفذ المهام التي حددتها الدولة بكل حماس وانضباط سواء اكانت هذه المهام اقتصادية او ثقافية او دفاعية او رياضية .. الخ .

وقد نبعت المبادرة بصفة عامة من جانب فيدل والقيادة العليا للثورة ..وفي حالات اخرى اجرى الحزب والدولة تجاربا محلية عمما فيما بعد .

غير ان الدولة تخطيء احيانا ويتضح ذلك من انحسار حماس الجماهير وتقلص النشاط حتى ان العمل يكاد يتوقف: ولا بد حينئذ من تغيير اسلوب العمل .وهذا ما حدث في مارس ١٩٦٢ لمواجهة السياسة الانعزالية التي فرضها **جانيبال اسكالنتي** .

قوانين الرأسمالية الغير مرئية

تؤثر القوانين العمياء للرأسمالية على الفرد دون ان يلحظها لانها تخفى عليه في اغلب الاحوال. انه لا يرى الا افقا واسعا يبدو لا نهائيا وتزعم الدعاية الرأسمالية ان روكفلر مثال لامكانيات النجاح .غير انه يخفى على القوى الشعبية ان تحقيق هذا النموذج يستدعي تراكم البؤس وكمية من النذالة لجمع مثل هذه الثروات .

وعلى اي حال فان اجتياز العقبات في مثل هذا المجتمع لا يتحقق الا لفرد يتحلى بصفات خاصة، ومن جهة اخرى فان القانون الساري هنا هو قانون الغابة: فالنجاح لا يتم الا على حساب فشل الاخرين .

الحوافز المادية والمعنوية

والسلعة هي النواة الاقتصادية للمجتمع الرأسمالي وستظل تؤثر على تنظيم الانتاج وعلى الوعي ما دامت ستبقى قائمة.

ولازال الطريق طويلا أمام البلدان المتخلفة من اجل بلوغ مستوى كاف من النمو الاقتصادي ولذا فالاغراء شديد للسير في الطريق المرسوم وللالتجاء الى الحافز المادي كمحرك للتنمية الاقتصادية السريعة .

ولذا فهناك دائما خطر الدخول في طريق مسدود بمحاولة تحقيق الاشتراكية باستخدام اسلحة عفنة ورثناها عن الرأسمالية (السلعة بوصفها وحدة اقتصادية ، الربحية ، المصلحة المادية الفردية كحافز ..الخ) .والواقع اننا ننتهي الى هذا المأزق بعد قطع مسافة طويلة تتشابك فيها الطرق الفرعية حتى اننا لا ندري في اي لحظة اخطأنا الطريق. وعندئذ تكون القاعدة الاقتصادية قد قامت بدورها في تخريب عملية تطوير الوعي. ان بناء الشيوعية يستدعي تغيير الفرد نفسه مع تغيير القاعدة الاقتصادية .

ومن هنا لابد من اختيار سليم لاداة تجنيد الجماهير. يجب ان تكون هذه الاداة في جوهرها اداة معنوية دون تجاهل الاستخدام السليم للحافز المادي ذي الطابع الاجتماعي اساسا.

لا شك انه من السهل اللجوء الى الحوافز المعنوية في لحظات اشتداد الخطر ولكن الحفاظ على هذه الحوافز يستدعي تنمية قيم جديدة في المجتمع .يجب ان يتحول المجتمع في مجموعه الى مدرسة كبيرة. وقد استخدمت الرأسمالية القوة ولكنها نجحت أيضا في تلقين ايديولوجيتها كطبقة سائدة . تقول الدعاية المباشرة للرأسمالية ان النظام الطبقي ناموس ابدي تفرضه الطبيعة بشكل ميكانيكي مما يثبط همم الجماهير التي تجد انه لا فكاك لها من هذا الوضع. ولكن الرأسمالية اتت ايضا بالامل، وهي تختلف في ذلك عن المجتمعات السابقة لها: فاذا كان التقسيم الطبقي حتميا الا ان الفرد يستطيع ان ينتقل الى الطبقة الارقى بالعمل والمبادرة.

اما بالنسبة لنا فان التربية المباشرة تلعب دورا اكبر فافكارنا مقنعة لانها صحيحة لا تحتاج الى حيل او خدع. وتتم هذه التربية عن طريق الجهاز التربوي للدولة بواسطة وزارة التربية وجهاز الدعاية الحزبي. وهكذا تتغلغل التربية في الجماهير وتميل العادات الجديدة الى التحول الى تقاليد، وتتبنى الجماهير الجديد تضغط على الذين لم يتعلموا بعد .ولا تقل فعالية هذا الاسلوب غير المباشر في تربية الجماهير عن الاسلوب الاول .

ونعيش فى هذه المرحلة من بناء الاشتراكية ميلاد الانسان الجديد .واهم ما فى الامر ان الانسان يكتسب كل يوم مزيدا من الاحساس بضرورة اندماجه فى المجتمع وبدوره فى تحقيق ذلك الاندماج .

طريق طويل ملىء بالصعاب

والطريق طويل وشاق وقد نضطر احيانا الى التراجع عندما نسير فى طريق مسدود. وفى حالات اخرى نبتعد عن الجماهير لاننا سبقناها بكثير او لاننا نحس بأنفاسها بسبب بطىء خطواتنا

لم نتمكن بعد من اقرار مؤسسات الثورة. نحن نبحث عن جديد يحقق الاندماج الكامل بين الحكومة والمجتمع فى مجموعه (مؤسسات تتمشى مع الظروف الخاصة بالبناء الاشتراكى ، ابعد ما تكون عن الديمقراطية البرجوازية المنقولة الى مجتمع يبنى نفسه، ومثال ذلك المجالس التشريعية) .

ولكى يسترد الانسان طبيعته يجب أن ينتهى « الانسان — السلعة » وأن تقدم له الدولة مقابلا لقيامه بواجباته الاجتماعية عندئذ يتحرر فكر الانسان من القلق الناجم عن ضرورة اشباع حاجاته الملحة بالعمل، ويتعرف على نفسه بعمله فيدرك عظمته كانسان من طريق الخلق والعمل. وعندئذ لن يكون عمله عبارة عن تخلى عن جزء من كيانه على شكل قوة عمل يبيعها بل اسهاما منه فى الحياة المشتركة ».

الضرورة المادية والضرورة المعنوية

يمكننا ان نفرق بسهولة بين الضرورة المادية والضرورة المعنوية فى مجال النشاطات غير المنتجة. منذ امد طويل والانسان يحاول ان يحرر نفسه من الانسلاخ بواسطة الثقافة والفن . انه يموت كل يوم خلال الساعات الثمانية التى يقوم فيها بدوره كسلعة. ولكن العلاج يتضمن فى داخله بذور المرض نفسه: فالباحث عن التفاهم مع الطبيعة كائن معزول، يدافع عن فرديته المهدرة فى الوسط الذى يعيش فيه وينفعل بالافكار الجمالية ككائن منعزل يريد أن يبقى بلا خطيئة .ولكن الهيكل العلوى للمجتمع يفرض طرازا من الفن يستلزم عملية تربية واسعة للفنان .

دفعة جديدة للبحث الفنى

عندما وصلت الثورة للحكم هاجر الذين استأنستهم البرجوازية، اما الثوار وغيرهم فقد تبينوا الطريق الجديد ولكن مفهومات الهروب تخفت تحت شعار «الحرية» وقد استمر هذا الموقف فى احوال كثيرة عند الثوريين لانه انعكاس للمثالية البرجوازية فى وعيهم .

وقد اراد البعض، فى بلدان مرت بنفس ظروفنا ، أن يحاربوا هذه الاتجاهات بالعقائدية الجامدة ،فتحولت الثقافة العامة الى «تابو» مقدس واعلنوا ان قمة الطموح الثقافى تتمثل فى المحاكاة الكاملة للطبيعة. وتحولت هذه المحاكاة فيما بعد الى تصور آلى للواقع الاجتماعى المطلوب، اى تصور مجتمع مثالى خال تماما من التناقضات والصراعات .

ولما كانت الاشتراكية لا تزال حديثة العهد فقد ارتكبت أخطاء. وكثيرا ما نفتقر نحن الثوريون الى المعارف والجسارة اللازمة للقيام بواجب تنمية الانسان الجديد باستخدام اساليب مختلفة عن الاساليب التقليدية الموسومة بطابع المجتمع الذى اوجدها. ولا يوجد لدينا فنانون كبار يتمتعون فى نفس الوقت بنفوذ ثورى واسع. وعلى اعضاء الحزب الاضطلاع بهذه المهمة فيحاولوا بلوغ الهدف الاساسى الا وهو تربية الشعب.

الواقعية الاشتراكية تقوم على فن القرن الماضى

وهكذا نلجأ الى التبسيط لكى نكون فى مستوى يفهمه الجميع اى يفهمه الموظفون ، فينعدم البحث الفنى الحقيقى وتتحول قضية الثقافة العامة الى مجرد استيعاب للحاضر الاشتراكى وللماضى المنتهى (الذى لم يعد خطرا) . وهكذا تنشأ الواقعية الاشتراكية على اسس من القرن الماضى .

ولكن الفن الواقعى فى القرن التاسع عشر هو ايضا فن طبقي رأسمالى خالص، تماما كما هو الحال بالنسبة للفن الهابط للقرن العشرين الذى يفصح عن قلق الانسان المنسلخ. لقد بذلت الرأسمالية كل ما فى طاقتها فى المجال الفنى ولم يعد لديها سوى جثة هامدة تزكم الانوف فى شكل فن فى طريقه الى الافول .ولكن لماذا نزعم ان الواقعية الاشتراكية بقوالبها الجامدة هى الصيغة الوحيدة الصالحة ؟

لا يمكننا ان نضع الحرية فى مقابل الواقعية الاشتراكية لان هذه «الحرية» لن تتواجد طالما لم يتحقق التطور الكامل للمجتمع الجديد. ولا داعى لان ندين كل اشكال الفن السابقة للنصف الاول للقرن التاسع عشر من اعلى المنصة الكهنوتية للواقعية المسرفة، لاننا بهذه الطريقة نضع التعبير الفنى للانسان الذى ينمو وينشأ اليوم فى قميص الاكتاف ».

اننا فى حاجة الى تنمية ميكانزم ايديولوجى ثقافى يفتح المجال للبحث وينزع الحشائش الضارة التى تتكاثر بسرعة فى حقل المعونة الحكومية الخصب .

الخطيئة الاولى عند المثقفين

لم نقع فى بلادنا فى خطأ الواقعية الدارجة ولكننا وقعنا فى الخطأ العكسى ذلك اننا لم ندرك ضرورة خلق انسان جديد غير انسان القرن التاسع عشر او القرن الحالى الفاسد الهابط. علينا ان نخلق انسان القرن الحادى والعشرين .

أن الخطيئة الاولى للمثقفين عندنا هى انهم ليسوا ثوريين حقيقيين .من الممكن ان يطعم الانسان شجرة الدردار لكى تعطى ثمار الكمثرى ولكن يجب أن نزرع فى نفس الوقت اشجار كمثرى. وستولد الاجيال الجديدة متخلصة من هذه الخطيئة الاولى ،وكلما اتسع مجال الثقافة وانتشرت امكانيات التعبير زادت فرص ظهور فنانين ممتازين. وتتمثل مهمتنا فى الحيلولة دون فساد الجيل الحالى الذى تمزقه التناقضات حتى لاتفسد الاجيال القادمة. يجب الا نخلق مأجورين يخضعون للفكر الرسمى ولا اصحاب منح يعيشون فى ظل المنحة التى حصلوا عليها ويمارسون «حرية» وهمية . وسيظهر الثوار الذين سيتغنون بالشعب بصوت الشعب الحقيقى، انها مسألة وقت .

الشباب والحزب

وللشباب دور هام بشكل خاص لانه الخامة اللينة التى يمكن تشكيلها لبناء الانسان الجديد المتخلص من كل رواسب الماضى .

اما الحزب فهو تنظيم الطليعة. وقد يكون اقلية ولكنه يتمتع بنفوذ كبير بسبب معدن رجاله. ونحن نعمل من اجل تحويل هذا الحزب الى حزب جماهيرى .ولكن لن يتحقق ذلك الا عندما تصل الجماهير الى مستوى تطور الطليعة . وتنصب جهودنا فى هذا الاتجاه، فالحزب هو النموذج الحى، وعلى اعضائه ان يقدموا المثل على الحماس فى العمل وعلى التضحية .

حتى تزداد شخصية الفرد ثراء

لا اقصد بذلك عدد كيلوجرامات اللحم التى يأكلها الفرد او عدد المرات التى يستطيع ان يترددها على «البلاج» ولا

تدن أدوات الرفاهية المستوردة التي يمكنه أن يشتريها بالأجور الحالية، انما اقصد احساس الانسان في دخيلة نفسه بأنه اكثر ثراء وادراكا للمسئولية .

ولا شك ان المرحلة الحالية تتضمن كثيرا من المخاطر ، لا مخاطر الجمود الذى قد يحجر علاقاتنا بالجماهير ولكن مخاطر الضعف ايضا . فالرجل الذى يكرس حياته من اجل الثورة لا يصح ان يلهيه ما ينقص ابنه او الضرورات التى تحتاجها عائلته او حذاءه البالى. ولو انه استسلم لهذه المشاغل لمهد الارض لانتشار الفساد.

لقد طالبنا دائما بأن يحصل ابناؤنا بما يحصل عليه غيرهم من الاطفال، ولكن يجب ان يحرموا ايضا مما يحرم منه ابناء الاخرين. يجب ان تفهم ذلك عائلاتنا وان تكافح من اجله. فالثورة لا تتحقق الا من خلال الانسان، وعلى الرجل ان يصقل عقليته الثورية يوما بعد يوم ».

بهذه الطريقة نستطيع ان نتقدم فى طابور طويل من الرجال يكافحون للخروج من عالم العوز الى عالم الحرية، وعلى رأس هذا الطابور يسير فيدل ،ونحن لا نخجل من ان نقول ذلك ومن ورائه افضل كادر الحزب ثم وراءهم مباشرة الشعب الذى يشق طريقه بعزم نحو الهدف المشترك .

وبالرغم من تقادم الزمن بعض الشىء على خطاب جيفارا فى مؤتمر الشعوب الافروآسيوية المنعقد فى مدينة الجزائر فى عام ١٩٦٥، الا انه يتضمن فقرات تتميز بجرأتها فى تحديد العلاقة الاقتصادية بين دول المعسكر الاشتراكى، والدول النامية. وهى جديرة بأن ننقلها هنا خاصة وانها تلقى الضوء على موقف كوبا من امتناع الصين الشعبية عن تنفيذ اتفاقية التبادل التجارى كما حدث فيما بعد. يقول جيفارا فى هذا الخطاب : «نحن نقول دون ان تكون فى نيتنا الابتزاز او الإثارة او ان يكون غرضنا البحث عن وسيلة سهلة للتقرب من شعوب آسيا وافريقيا، ولكن لاننا مقتنعين بذلك تماما: ان الاشتراكية لن تقوم لها قائمة الا اذا حدث تحول فى الضمائر يترتب عليه موقف اخوى جديد تجاه الانسانية سواء على المستوى الفردى فى المجتمع الذى يبنى الاشتراكية او على المستوى الدولى تجاه الشعوب التى تعانى من الاضطهاد الاستعمارى» .

«نحن نؤمن بأن مسئولية مسايرة البلاد التابعة يجب ان تؤخذ بهذه الروح،وانه لا يمكن تنمية التجارة «للصالح المتبادل» كما يقولون، على اساس اسعار مغلوطة وعلى حساب الدول المتخلفة باستخدام قانون القيمة وعلاقات التبادل الدولية غير المتساوية الناجمة عن هذا القانون .كيف يمكننا ان نسمى تبادلا « للصالح المشترك » بيع منتجات خام تكلف الدول المتخلفة جهودا وآلاما لا حدود لها بأسعار السوق الدولية فى مقابل شراء آلات تنتجها مصانع ضخمة تعمل بالاتوميشن؟»

«لو اننا اقمنا علاقات من هذا الطراز بين الدول الاشتراكية والدول النامية لتعين علينا ان نقول ان الدول الاشتراكية تتواطأ الى حد ما مع الاستغلال الاستعمارى» .

«يجب على الدول الاشتراكية ان تلتزم معنويا بتصفية هذا التواطؤ الضمنى مع الدول المستغلة فى الغرب. لقد باعت كوبا عرضا فى عام ١٩٥٩ انتاجها من السكر الى دولة من المعسكر الاشتراكى عن طريق سماسرة انجليز ومن قوميات اخرى. اما اليوم فان ٨٠٪ من تجارتها تتم مع المعسكر الاشتراكى وهى تحصل على المنتجات الاساسية من هذا المعسكر فأصبحت جزءا منه» .

« لايوجد اى تعريف آخر للاشتراكية سوى الغاء استغلال الانسان لاخيه الانسان.وطالما لم يتحقق ذلك بالكامل نكون فى مرحلة بناء الاشتراكية فقط. ولو توقف العمل من اجل الغاء استغلال الانسان للانسان او تراجع هذا الالغاء لما استطعنا ان نقول اننا فى مرحلة بناء الاشتراكية» .

«يجب ان نهىء لاخواننا الظروف التى تسمح لهم بشق الطريق نحو التخلص النهائى من الاستغلال،ولكننا لا نستطيع ان نطلب منهم ذلك بينما نتواطأ نحن مع هذا الاستغلال. ولو سألونا ما هى الاساليب التى يجب اتباعها لاقرار اسعار عادلة لما امكننا الاجابة على هذا السؤال لاننا غير ملمين بالجوانب العملية للمشكلة . كل ما نعرفه فقط انه على اثر مناقشات سياسية وقع الاتحاد السوفيتى وكوبا اتفاقية مجزية بالنسبة لنا تسمح لنا ببيع خمسة ملايين طن من السكر بسعر ثابت يزيد عن سعر السوق العالمية «الحرة» كما يزعمون . وتدفع لنا جمهورية الصين الشعبية نفس السعر» .

«يجب ان يسود مفهوم جديد تماما لتغيير نظام العلاقات الدولية . يجب الا تتحدد السياسة على اساس التجارة الخارجية بل العكس، اى ان تخضع التجارة الخارجية لسياسة اخوة تجاه الشعوب» .

«ان مجموع الاجراءات التى نقترحها على الدول النامية للنهضة باقتصادها لا يمكن ان تتخذ من جانب واحد. يجب ان يكون مفهوما انه يتعين على الدول الاشتراكية ان تشارك فى دفع تكاليف التنمية فى الدول المتخلفة.. يجب ان تسود بين مجموعتى الدول الاشتراكية والنامية علاقات مبنية على سياسة جديدة جادة تماما» .



الاشـــتراكية فى أفريقيا الاستوائية

● مجلة قضايا السلم والاشتراكية

يندر ان يخلو عدد من اعداد المجلات الفكرية التقدمية ، من مناقشة الاشتراكية فى الدول النامية كظاهرة مازالت مجالا لحوار عميق بين الاتجاهات الفكرية المختلفة .

وفى العدد الاخير لمجلة قضايا السلم والاشتراكية التى تصدر فى براغ يناقش فاكلاف اوبلوستيل قضية الاشتراكية فى افريقيا الاستوائية . هذا بالاضافة للمقالات الاخرى التى تعرضت للتطورات السياسية فى الدول الراسمالية كالانتخابات العامة فى فنلندا وهزيمة المحافظين فى بريطانيا ، والقضايا المعاصرة للدول النامية وتصفية الحرب فى فيتنام . كما يتضمن العدد عرضا « لبرنامج الكفاح من اجل الديمقراطية وضد حكم الاحتكارات» للحزب الشيوعى الامريكى .

يوضح اوبلوستيل فى مناقشته للافكار الاشتراكية فى افريقيا الاستوائية التى عمت مناطق كثيرة من القارة فى السنوات الخمس الاخيرة ، انه عند تقييم هذه الايديولوجيات وبرامجها الاشتراكية

ينبغى الا نخلط بين هذه الايديولوجيات وبعضها البعض . اذ يتحدث بعض القادة الافريقيين عن «الاشتراكية الافريقية» كسنجور فى السنغال مثلا . بينما يتحدث البعض الاخر عن «الاشتراكية العلمية» كما جاء فى برنامج حزب الاتحاد السودانى فى مالى كمثال آخر . ويوضح الكاتب ضرورة التفرقة بين ايديولوجيات الاحزاب الافريقية وزعمائها الذين ينادون بالاشتراكية ويقول ان الدوائر الغربية الحاكمة نفسها تتخذ موقفا من سيكوتورى مثلا يختلف عن ذلك الموقف الذى تتخذه من سنجور فى السنغال أو توم مبويا فى كينيا رغم أنهم جميعا يتحدثون عن الاشتراكية .

ويدعو الكاتب الى ضرورة قيام حوار بين كل من يدعو للاشتراكية فى افريقيا وبين الماركسيين اللينينيين «بهدف خلق علاقات فكرية أوثق وتفاهم متبادل أكثر » .

ويشبه الكاتب أفكار ايديولوجيات بعض زعماء افريقيا ، بأفكار «الشعبيين الروس» فى أوائل القرن العشرين . ويقول ان تحقيق الاهداف الاشتراكية هو المقياس الهام للحكم على صدق تبنى هذه الايديولوجيات لمصالح الفئات الشعبية الكادحة . وتبقى بعد ذلك قضايا العقائد الدينية ودور الفلاحين فى الثورة ودور الطبقة العاملة ، لتصبح مثار الحوار الذى يدعو الى قيامه .

ويقسم اوبلوستيل برامج الاحزاب التى تقول بالاشتراكية فى افريقيا الاستوائية ، الى خمسة أنواع :

١ - برامج تتبنى افكار الماركسية فى الاشتراكية العلمية كبرامج حزب الميثاق الشعبى فى غانا (قبل الانقلاب) والاتحاد السودانى فى مالى .

٢ - برامج تقول باختلافها عن الاشتراكية العلمية ولكنها تسعى لان تحقق بالفعل تغيرات اجتماعية هامة فى الاسس الاقتصادية للمجتمع وابنيته العلوية كبرنامج الحزب الديمقراطى فى غينيا .

٣ - ايديولوجيات تعارض الماركسية اللينينية ولكنها تعمل حقيقة ضد السيطرة والاستغلال الاجنبى وتتخذ بعض الاجراءات التى تتفق عمليا مع الاشتراكية العلمية كبرنامج حزب التانونى تنزانيا بزعامة نيريرى .

٤ - ايديولوجيات تعارض الماركسية اللينينية وتعلن أنها تبنى الاشتراكية فى نفس الوقت الذى تهدف فيه الى تجميد حركة التحرر الوطنى فى بلادها عند حدود وطنية كايديولوجية الحزب الحاكم فى الكاميرون وجابون وجمهورية مالاجاش .

٥ - ايديولوجيات تتخفى وراء فكرة الجامعة الافريقية وتهدف فى الواقع الى الدفاع عن الرأسمالية فى مواجهة منافسة الاشتراكية لها كايديولوجية الحزب الحاكم فى ساحل العاج وزعيمه هوفييه بوانييه .

ثم يقول الكاتب ، ان قادة افريقيا التقدميين يواجهون - كما تدل التجربة - ظروفا معقدة فى صراعهم ضد عوامل التخلف التى نتجت عن الحكم الاستعمارى السابق ، ومن أجل تقدم بلادهم اجتماعيا . مما يضطرهم الى الاحتفاظ ببعض أوجه التعاون مع الدول الرأسمالية - كما انهم لايستطيعون مواجهة أعباء ومشاكل التطور دون الابقاء على القطاع الخاص الى جنب القطاع العام والقطاع التعاونى .

ويرى اوبلوستيل ان تحطيم اسلوب الانتاج التقليدى السائد فى افريقيا الاستوائية ، هو المشكلة الاولى والهامة التى تواجه المجتمع الافريقى اليوم .

ويدعو كاتب المقال الى ضرورة الفهم العميق «للاصطلاحات» المختلفة التى يستخدمها بعض زعماء افريقيا وهم يتحدثون عن الاشتراكية . فنيريرى (تنزانيا) يستخدم اصطلاح «**أوجاما**» الذى يعنى بلغة السواحيلى الاخوة والمشاركة والعائلية . بينما يستخدم كينياتا (كينيا) اصطلاح «**جارامبى**» الذى يعنى بلغة الكيكويو المجهود المشترك . ويرى الكاتب أن مضمون هذه الاصطلاحات يتفق بعض الشىء مع مضمون كلمة الاشتراكية كما يفهمها الماركسيون اللينينيون .

ويعتقد الكاتب ان ايديولوجية « الاشتراكية الافريقية » عند بعض القادة الافريقيين ، تقوم على أسس فلسفية - كما عند سنجور - مستمدة من نظريات سان سيمون ومفكرو الجذويت اما جانبها الاقتصادى فيقوم على اسس مستمدة من أفكار مارشال وبيروكس . وتستمد أسسها الاجتماعية من افكار ماكس ويبر . ويفسر الكاتب ذلك ، بأن فترة تعليم هؤلاء القادة فى الغرب قد تركت آثارها الواضحة على تكوينهم الايديولوجى خاصة اذا أخذنا فى الاعتبار الدور الهام الذى يقوم به الخبراء الغربيون الذين يحيطون بهؤلاء القادة الذين يستعينون بهم .

ويرى فاكلاف اوبلوستيل ان معركة البناء الاشتراكى فى افريقيا هى بالتحديد معركة ايجاد دعامات مادية وتكنولوجية لمجتمع حديث وانتهاج أساليب فعالة من أجل رفع مستوى معيشة الجماهير اجتماعيا وثقافيا الى مستوى معيشة العصر الذى نعيش فيه اليوم .

●

انهاء الحرب الباردة فى الحركة النقابية الدولية

● مجلة الحركة النقابية العالمية

تضمن آخر عدد وصل الينا من مجلة « **الحركة النقابية العالمية** » مجموعة من المقالات عن الحركة العمالية النقابية فى ارجاء العالم ، ومن بين المقالات المنشورة بهذا العدد مقال افتتاحى بقلم **لويس سابان** سكرتير الاتحاد العالمى للنقابات عن وحدة الحركة النقابية الدولية ، والمقال الاخر عن الدروس المستخلصة من انتصار اضراب عمال النقل بنيويورك .

ومقال لويس سابان يرى ضرورة انتهاج اسلوب النقاش والحوار بين المنظمات النقابية الدولية المختلفة لتحقيق الوحدة الدولية ويعلن ان ثمة تغييرات حدثت فى موقف الاتحاد الدولى للنقابات الحرة بالنسبة لقضية الوحدة الدولية .

ولقد تأسس الاتحاد العالمى للنقابات نفسه من خلال المناقشات واللقاءات التى تمت خلال الفترة الاخيرة من الحرب العالمية الثانية فى لندن وموسكو وبلاك بول وباريس وواشنطون وروما وسان فرنسيسكو واماكن اخرى .

ولكن فى ١٩٤٩ واجه الاتحاد العالمى للنقابات انقساما قام به عدد قليل من المراكز النقابية القومية - حيث قررت هذه المراكز العودة الى اوضاع ١٩٣٨ برفضها الاستمرار فى التعاون مع المجلس المركزى للنقابات السوفيتية ومعارضتها للوحدة النقابية الدولية . ولكن رغم هذا الانقسام فقد استمر الاتحاد العالمى فى الوجود ، وهكذا لم يتحقق امل المنقسمين فى العودة الى الوضع الى مكان عليه فى سنة ١٩٤٨ .

وفى ديسمبر ١٩٤٩ تأسس الاتحاد الدولى للنقابات الحرة ، وكان دوره هو اثارة الحرب الباردة بين المراكز النقابية القومية المختلفة الاتجاه وازاحة الاتحاد العالمى للنقابات من المجال الدولى . ولقد مر على ذلك سبعة عشر عاما ورغم ذلك تدعم بناء الاتحاد العالمى للنقابات فى الحياة الاجتماعية الدولية وبين العمال ونقاباتهم وفى وكالات هيئة الامم المتحدة الداخلية والمتخصصة فى المسائل الاقتصادية والاجتماعية .

ويجيب لويس سابان على التساؤل عما اذا كان الاتحاد الدولى للنقابات الحرة مستمر فى القيام بدوره فى اثارة الحرب الباردة ، وبانه من الملاحظ أن ثمة تغيرات حدثت داخل هذا الاتحاد بخصوص هذه المسألة ، وان كانت تغيرات سطحية .

فالمكتب التنفيذى للاتحاد الدولى للنقابات الحرة عندما اجتمع فى فبراير من هذا العام خصص البند الثالث والعشرين من جدول اعماله التقرير عن مؤتمر وارسو للاتحاد العالمى للنقابات ، ولئن كان هذا التقرير تشوب تنقص فى بعض اجزائه ولا يخلو من الغرض والهوى فى اجزاء اخرى فان المكتب التنفيذى للاتحاد الحر محق فى رغبته لدراسة نشاط الاتحـاد العالمى ووضعه الداخلى ، وعليه ان يقوم بهذه الدراسـة بشكل جدى وموضوعى . وحيث تكون الوثائق لديه غير كافية — وهى كذلك — يمكن تنظيم نوع من الحوار — ومن الممكن تحديد اشكاله — على اساس التبادل الصـادق والنزيه للمعلومات عن خطط عمل الاتحاد العالمى للنقابات والاتحاد الدولى للنقابات الحرة فى عامى ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ . وهكذا يتجنب المكتب التنفيذى للاتحاد الحر الاخطاء التى وقعت فيه لجنة الاتحاد الدولى للنقابات فى ١٩٣٨ عند تقديرها الخاطىء لقوة النقابات السوفيتية ومسئولياتها الدولية .

ولا شك ان هؤلاء الذين يريدون الابقاء على الحرب الباردة فى الحركة النقابية الدولية سيواجهون صعابا هائلة — وخاصة وان حوارا ونقاشا مستمرا ودائما يتحقق اليوم بين المنظمات النقابية باتجاهات واشكال جديدة متباينة . ففى المكسيك وبعد عشرين عاما من الانقسام اوشكت وحدة الحركة النقابية ان تتحقق ، وفى اوروجواى دخلت عملية تحقيق الوحدة النقابية القومية مرحلة حاسمة ، وفى لكسمبورج تحققت الوحدة النقابية فى بداية هذا العام بين المركز المنضم للاتحاد الدولى للنقابات الحرة وبين المركز الاخر المنضم للاتحاد العالمى للنقابات .وكما ان العمل الموحد بين المراكز النقابية المختلفة آخذ فى الازدهار ولقد اصبح دستورا للعمل بين الاتحاد العام الفرنسى للعمل وبين الاتحاد الديمقراطى الفرنسى للعمل والاخير عضو فى الاتحاد الدولى للنقابات المسيحية ، ويحدث ذلك فى عدد كبير من البلدان . وفى مجال العلاقات الدولية فقد اعلن اخيرا ان وفدا من مؤتمر النقابات البريطانى برئاسة سكرتيره العام سيزور المجلس المركزى للنقابات السوفيتية فى موسكو ، وفى مؤتمر العمل الدولى (جنيف — يونيو ١٩٦٦) قامت علاقات جديدة بين المراكز القومية المستقلة وذات العضوية الدولية المختلفة ، ونفس الشىء الذى يحدث فى منظمة العمل الدولية يحدث فى اليونسكو .

ان ظروف الحياة تدفع الحوار المشترك الى الامام ومن ثم العمل المشترك بين المنظمات النقابية . وقضية السـلام واهتمام العمل بها تؤدى الى تحقيق ذلك . وسيساهم الاتحاد العالمى للنقابات فى تطوير هذه الاحداث كمسئول وباعتبار ان ذلك هو خطه .

ولكن هل يعنى ذلك ان العمل من اجل الوحدة اصبـح بسيطا وسهلا ؟ يجيئ سايان على ذلك ، بانه يجب الا نغرق فى التفاؤل ، فمازالت هناك تحديات عديدة ، فان طرق الوحدة لا تسير فى خط مستقيم خال من العقبات والصعاب والتى نشأت منذ سنوات عديدة . واذ اوجبت المرحلة التى دخلتها المراكز النقابية القومية والاتحادات النقابية الدولية (المهنية) التابعة للاتحاد العالمى والسكرتاريات النقابية الدولية التابعة للاتحاد الدولى للنقابات الحرة ضرورة الاختيار بين استمرار الحرب الباردة وبين استمرار الحوار والنقاش فى الحيـاة النقابية الدولية فان المؤتمر النقـابى العـالمى السـادس اختار أسلوب الحوار اختيارا واعيا .

ويناقش « جون دير »-فى مقـاله — « دروس من انتصار اضراب عمال النقل بنيويورك » ، الظروف التى قام فيهـا هذا الاضراب باعتباره علامة طريق جديدة من علامات تطور الصراع الطبقى ضد النظام الرأسمالى فى الولايات المتحدة .

واوضح المقال ان تغيرا عميقا يحدث فى الرأى العـام الامريكى اليوم ، فقبل قيام الاضراب بشهور وخلال الاضراب شنت الصحافة ووسائل الاعلام الاخرى هجـوما شـديدا على ميشيل ج . كويل رئيس نقابة عمال النقل بنيويورك وعلى النقابة ، وشاركت الحكومة والمحاكم والاحتكارات فى هـذا الهجـوم بهـدف تحطيم روح العمـال المعنـوية وكسب الرأى العـام ضـد عمـال النقـل . ولكنـه رغم هذه الحملة المسعورة فان الاضراب كسب تأييد الرأى العام وتضامنه ، فالمجلس المركزى للعمال بنيويورك — والذى تبلغ عضويته حوالى المليون أيد الاضراب بلا تحفظ ونظم اجتماعات للتضامن مع المضربين ، كما قدم مجلس اتحاد العمل الامريكى ومؤتمر المنظمات الصناعية لمدينة نيويورك (عضويته ٢ر٥ مليون) المساعدات الادبيـة والمالية للمضربيـن . ووقفت الى جانب المضربين منظمات الشباب التى تناضل من اجل حقوق الزنوج وضد الحرب فى فيتنام ونظموا العديد مـن المظاهرات للتضامن معهم .

كما كشف هذا الاضراب استمرار القيادات النقابيـة العليا فى الولايات المتحدة فى انتهازيتها وخيانتها . فان جورج مينى رئيس الاتحاد الامريكى للعمل — ومؤتمر المنظمـات الصناعية (والذى يدفع له الاتحاد ٧٠ الف دولار سنويا) ودافيد دوبنيسكى رئيس نقابة عمال ملابس السيدات وزملائهم عارضوا الاضراب . وعندما سئل « مينى » عن سجن كويل ورفاقه الثمانية من قادة الاضراب اجاب بقوله « ان ميك صديق قديم لى ، وانا اتمنى دائما لاصدقائى ان يحققوا رغباتهم ، وهو يريد ان يذهب الى السجن ولذا فلن افعـل اى شىء لاحرمه سعادته » .

وانتصر عمال النقل بفضل صلابتهم ووقوف الرأى العام الى جانبهم وحصلوا على اتفاقية جديدة تعتبر احسن اتفاقيـة توصلت اليها النقابة منذ تأسيسها . وسيكون لهـذا الانتصار اثار عميقة فى الحركة النقابية الامريكية . فلقد اثبت عمـال النقل انه من الممكن تحدى القوانين المعادية للنشاط النقابى والمحاكم الامريكية الخاضعة لنفوذ الاحتكارات ، وانه من الممكن لاى مجموعة من العمال اذا ما اتحدت وكسبت الرأى العام ان تنتصر على الراسمالية ودعايتها المضادة ، وكمـا اكد هذا الاضراب ان الصراع الطبقى لم ينته بعد فى الولايات المتحدة الامريكية كما يدعى الراسماليون وأبواقهم هناك ، بل على العكس فانه لم يفقد شيئا من حدته كما تشير الى ذلك احصائيات وزارة العمل الامريكية ففى عام ١٩٦٥ شهدت الولايات المتحدة ٣٨٦٠ اضرابا بزيادة ٥ر٦٪ عن العام السابق ، وهو اعلى مستوى بلغته الحركة الاضرابية فى الولايات المتحدة منذ سبع سنوات .

وكما ان انتصار عمال النقل كان تحديا لخطة جونسون لتجميد اجور العمال لمواجهة الحرب الفيتنامية .

وانتصار عمال النقل فى نيويورك يؤكد ان المعركة مـع الاحتكارات وجونسون ومع القيادة العمالية الانتهازية — جورج مينى وزملاءه — لم تنته بل ازدادت حدة .

ولقد توفى مايك كويل قائد الاضراب الكبير بالمرض القلبى الذى دهمه وهو فى السجن ، وكان هذا هو مصيره كقائد نقابى كبير رفض مخطط جونسون ، مخطط اراقة الدماء فى فيتنام وبلاد اخرى . فلتقييد عارض الرئيس جونسـون الاتفاقية التى توصل اليها عمال النقل اذ اعتبر انها اعطت العمال كثيرا وعرقلت خطته عن الاجور ، بينما صمت تماما عن الـ ٤٥ الف مليون دولار التى حصلت عليها الاحتكارات كارباح فى ١٩٦٥ وعن ارتفاع اسعار ضروريات الحياة اليومية وعن تخصيص ٢/٣ الميزانية الامريكية للحرب . ومازال الهجوم مستمرا على نقابة عمال النقل ولقد تقدم عدد كبير من اصحاب الاعمال الى المحاكم مطالبين بالتعويض عن الخسائر التى سببتها نقابة النقل — بلغت جملة المطالبات امام المحـاكم ٢٧ مليون دولار — وتقدر الدوائر الرجعية الخسائر بالف مليون دولار . وهدف هذه المطالبات هو حرمان العمال من الاستفادة من زيادة اجورهم والتوصل الى استصدار قوانين جـديدة لفرض قيود اكثر على النشاط النقابى الشرعى للنقـابات الامريكية .

كتابات جديدة

يناقش المواطن محمد بلال امين لجنة الاتحاد الاشتراكى بوحدة ادارة شركة الدلتا الصناعية ، احدى القضايا الهامة ذات الصلة الوثيقة بمعركة الانتاج والبناء الاشتراكى — وهى قضية المناخ الفكرى فى مجال الانتاج .

ثم يعالج المواطن محمود سيد فهمى مدرس فلسفة وموجه بمعهد الدراسات الاشتراكية بالشرقية ، قضية الواقع الثقافى والفنى فى مجتمعنا ..

المناخ الفكرى ومعركة البناء الاشتراكى



محمد بلال

سادت منذ فترة فى بعض المجالات « نغمة » تقول بعدم تقدير العمال للمسئولية الملقاة على عاتقهم . ولكننى أستطيع أن أؤكد أن أولئك الذين يطلقون هذه النغمة لايناقشون القضية الا من جانب واحد من الصورة فقط وهو الجانب السلبى .

ويحتم علينا الواقع ، أن نلتزم الموضوعية عند التعرض لمناقشة هذه القضية حتى تتضح الرؤيا عند وضع اى تخطيط سياسى أو ثقافى فى مجال الانتاج خاصة فى وحدات القطاع العام الذى يقود الاقتصاد القومى ويهيمن عليه فى مرحلة التحول الى الاشتراكية .

واول ملامح هذه القضية — فى تصورى — هو التوسع السريع والضرورى فى مجال التصنيع ، واعتماد هذا التوسع على العمال الزراعيين باعتبار انهم المصدر الوحيد لنمو القوى العاملة الصناعية فى المرحلة الحالية .ولهذا تستوعب عمليات البناء الصناعى ، أعداد من العمال غير المدربين على الاعمال الصناعية الفنية أو حتى التنظيمية . ولذلك يدخل هؤلاء العمال الحياة الصناعية بكل تقاليد البيئة الزراعية ومظاهرها المتخلفة فى كثير من أوجه النشاط الانتاجى والنقابى والسياسى وينعكس هذا التخلف بالتالى بشكل مباشر على جموع العمال وتنظيماتهم .

أما الملمح الثانى لهذه القضية ، فيتلخص فى أن جموع العمال فى وحدات الانتاج واجهت نوعين من القيادات : قيادات فنية وبعض آخر من القيادات السياسية أو النقابية او الادارية عن طريق الانتخاب .

القيادات الادارية والفنية

وصلت هذه القيادات الى المناصب الإدارية العليا فى وحدات الانتاج عن طرق ثلاثة : اما لانها كانت صاحبة رأس المال قبل يوليو ١٩٦١ . وأما لانها كانت تعمل فى ادارة الوحدة الانتاجية قبل تأميمها . أو لانها عينت من قبل القيادة الثورية للدولة .

لقد أدارت القيادات من النوع الاول والثانى ، الوحدة المؤممة باسلوب رأسمالى بحت . وذلك رغم التغير الكبير الذى طرأ على ظاهرة الملكية وعلاقات العمل وطبيعة النظام الاجتماعى فى البلاد . ومن ثم أستمر التناقض بين هذه القيادات من ناحية وبين عمال هذه الوحدات من ناحية أخرى .

اما القيادات المعنية ، فلم تتعرف فى بداية الامر على طبيعة العمل فى هذه الوحدات وظروفه بشكل كاف ، بالاضافة الى انها لم تكن تتمتع بالخبرة الفنية اللازمة لادارة هذه الوحدات بشكل يتفق مع متطلبات المرحلة . وللاسف سعى بعض أفراد هذه القيادات الى تحقيق تطلعات طبقية غير مشروعة . وأعتمد هؤلاء على أسلوب أصدار الاوامر الادارية دون الالتصاق بالعمال والاعتماد عليهم لزيادة الانتاج وتطويره . ولهذا وجدت بعض هذه القيادات نفسها تلقائيا — وبدون قصد — فى موقع آخر غير موقع العمال فى حين أنه كان من المفروض أن تكون — وهى الاكثر وعيا وباعتبارها تحمل أفكار القيادة الثورية الى المستوى القاعدى — فى موقع واحد مع العمال تساندهم فى صراعهم ضد التخلف عن طريق دفعهم بوعى الى الانتاج وتعبئتهم حول التنظيم السياسى ومعاونتهم ليصبحوا قوة مؤمنة بشكل علمى بالتحول الاشتراكى .

ان للعمال مصلحة اكيدة فى بناء الاشتراكية . وهم يدركون ذلك عن وعى نتيجة لخبرتهم السابقة وارتباط المكاسب التى تحققت لهم بمصالحهم الاجتماعية والاقتصادية . ومن ثم فقد كان على هذه القيادات أن تعمل على تطوير هذا الموقف من مجرد تأييد الى اقتناع علمى بالحتمية الاشتراكية .

القيادات الشعبية — السياسية والنقابية

كان من المحظور على العمال — قبل عام ١٩٦١ — القيام بأى عمل سياسى داخل الوحدة الانتاجية يزعم أن العمل السياسى يتعارض مع طبيعة الملكية الرأسمالية لهذه الوحدات

ودخل العمال — بعد عام ١٩٦١ — مجال العمل السياسى

والادارى بعد أن تغير وضعهم فى المجتمع وأصبحوا يشكلون مع الفلاحين قيادة الاتحاد الاشتراكى .

وقد ارتبط بهذا التحول الهام ، عدة عوامل كان لها تأثير مباشر على الاوضاع الجماهيرية فى وحدات الانتاج

● منها أن قرارات يوليو الاشتراكية جاءت دون تمهيدسياسى كاف ، رغم اتفاقها التام مع آمال قوى الشعب العاملة .

● عدم فاعلية الاتحاد الاشتراكى بشكل يجعله غير قادر على القيام بمسئوليات مرحلة التحول الى الاشتراكية .

وبهذا ، دخل العمال المعارك الانتخابية لعام ٦١ — ٦٢ تحت قيادات متخلفة تحمل الافكار الرأسمالية وتستخدم الاساليب الرأسمالية فى العمل الادارى والنقابى . وكان هذا هو السبب المباشر فى أن يلتف العمال حول كل مرشح يطالب بتحقيق مزيد من المكاسب الخاصة لهم . وهكذا اهتم كثير من العمال بالقضايا الخاصة الضيقة بعيدا عن القضايا العامة الشاملة لصالح المجتمع ككل . ولذلك سيطرت القيادات ذات المفهوم النقابى القديم علىمعظمالاجهزة والتنظيمات النقابية .

ولكن هذه الصورة العامة ، لاتنفى واقع أنه فى بعض مجالات الانتاج — وخاصة فى المجالات الصناعية — استطاعت بعض القيادات أن تكسب المعركة لتقود العمل السياسىوالنقابى وترتبط بجماهير العمال فى اطار الصالح العام وربط قضايا ومطالب العمال بقضايا ومطالب الاقتصاد القومى ككل .

ولهذا نستطيع أن نقول أنه يوجد الان تياران اساسيان فى الحركة النقابية :

● تيار يقوم على أساس من المفاهيم القديمة للادارةوالعمل الجماهيرى سواء كان عملا سياسيا أو نقابيا .

● وتيار آخر تدعمه حركة المجتمع الى الاشتراكية ويحمل الفكر الجديد فى المجالين السياسى والنقابى معا . ولابد من تقوية هذا التيار ومساندته وتدعيمه من القيادة الثورية للبلاد عن طريق تهيئة الظروف والمناخ الملائمين له من أجل تحقيق هدفين :

● ضرب مثل نموذجى امام التيار القديم

● تنمية قدرات هذا التيار وتخليصه من اى تأثيرات قد تنفذ اليه من التيار القديم .

وهناك ايضا محاولة اخرى تعمل على اظهار العمال كطبقة حصلت على مكاسب عديدة وسريعة لاتتناسب مع ماتامتبتحقيقه فى مجال الانتاج . وتلك محاولة منحرفة وخاطئة تقوم على أساس من عدم الثقة بهذه الطبقة التى تقوم بالدور الاساسى فى معركة التنمية والتطور . كما تتضمن تجاهلا تاما لكثير مما أعطته الطبقة العاملة وما تعطيه للمجتمع ، ليس فقط خلال معركة الانتاج وانما على طول تاريخ المعركة الوطنية .

ونستطيع أن نلمس — من واقع العمل الميدانى — مدى تعاظم الطاقة الخلاقة للطبقة العاملة التى لاينقص انطلاقها الكبير سوى استكمال توفير المناخ الانتاجى والسياسى الملائمين فى الوحدات الانتاجية بالاضافة الى توفير وسائل التدريب والتعليم والتربية الفنية والثقافية والسياسية السليمة لهم .

ولهذا فاننى اتفق مع الدكتور عبد الرءوف أبو علم فى مطالبته بتخليص الحركة العمالية من تيار النقابية البحتة حتى تنفتح الحركة العمالية على عالمها الجديد الاشتراكى .

الأدب والفن فى واقعنا المتطور

محمود سيد فهمى

لاشك ان المجتمع فى تغيره يسير فى اتجاه ذى شقين متكاملين ومتصلين ببعضهما اشد الاتصال وهما الجانب المادى وجانب العلاقات الاجتماعية الذى يتناول الحياة الخاصةبالافراد ومايتصل بها من معتقدات، وقيم وتقاليد متوارثة اكتسبت لبعد جذورها التاريخية ، صفة الاستمرار والانتشار .

ولهذا نستطيع أن نقرر أن الجانب الفكرى متخلف نسبيا عن التطور المادى الذى يتطور بسرعة حسب ماتمكن الظروف الاجتماعية والاقتصادية للانسان ، فمن السهل على الانسان أن يغير حرفته وأن يتعلم حرفة جديدة بعكس الحال بالنسبة لموقف الانسان من عادة أو تقليد وتحرجه من الاقلاع عنها رغم ماقد تسببه له من متاعب

الثورة والتغيير

اذا كانت الثورة هى حالة يستهدف بها المجتمع الانتقال من وضع لايحقق اهداف الشعب وآماله الى حالة جديدة تحقق ماتصبو اليه الملايين عن طريق احداث تغيير شامل وجذرى فى مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فالتغيير هنا ذا طابعين أو جانبين هما : الجانب المادى والجانب الفكرى.

أن حركة التغيير السريعة التى يمكن أن يتصف بها تغيير المجتمع فى مرحلة الثورة تدخل فى حياة المجتمع كل يوم ظواهر

ووسائل جديدة تسعى الثورة من ورائها الى الاخذ بأساليب التقدم حتى يمكن أن تستجيب لمطالب الجماهير ، فتغير ملكية وسائل الانتاج وادواته لابد أن يستتبعه تغيير فى حياة الافراد من حيث القيم التى تحكمهم والعادات التى تكون فى مجموعها العلاقات الاجتماعية

ومن هنا نرى ضرورة أن يسبق الانتقال الى الجديد من مراحل التطور الثورى مجهودات جدية لتمهيد الاذهان لاستساغة هذا الجديد والتعامل معه باطمئنان وثقة ، والالتزام بما يتناسب معه من قيم وعادات وعرف . ويلحق التغيير أيضا جهد مواز لضمان الاستمرار فى التقدم وحماية مكاسبه . وهذا لايتحقق الا بتوافر القدرات الثلاث للثورة : ١ ــ الوعى القائم على الاقتناع ٢ ــ وضوح الرؤيا بالنسبة لاهداف التغيير ٣ ــ الحركة السريعة ، ليس بالنسبة لقادة الثورة او الطليعة السياسية فقط ـ ل لكل القيادات الادبية والفنية والاجتماعية فلا يتصور أن تتبع الثورة اسلوبا واحدا فى التغيير المادى والمعنوى معا .

ومن هنا يبرز دور الوعى والاقتناع من جانب الجماهير للالتزام بما يتناسب مع الواقع الجديد ويتوقف مستوى ونضج هذا الوعى على مستوى التربية فى البيت والدور الذى يقوم به التنظيم السياسى وأجهزة الاعلام التى تعتمد أساسا على الاعمال الادبية والفنية المتنوعة بما يحقق تهيئة الواقع النفسى والثقافى لمسايرة الواقع المادى المتطور .

ولاشك أن وسائل الاعلام لما تتصف به من تنوع فى أهدافها الاعلامية والثقافية والترويحية تتميز بمقدرتها على ارضاء مختلف الميول والاذواق ولما تخلقه من آثار فى المشاهد للتليفزيون والسينما والمسرح والمستمع للراديو ــ لاشك أنها قادرة على أن تنهض بقطاع كبير من الذين حرموا من الثقافة والتعليم

ومن هنا يجب الاهتمام بمضمون ما تقدمه اجهزة الاعلام بما يتناسب مع المجتمع الجديد ويتمشى مع متطلباته من قيم جديدة يجب أن تسود بدلا من القيم القديمة التى لم تعد تتناسب معه .

الالتزام فى الادب والفن

الاديب والفنان قائدان لابد أن يتميزا بما يجب أن تتميز به القيادة السياسية من قدرة على رؤية الاهداف البعيدة وترجمتها باساليبهما المختلفة لقيادة حركة تغيير العلاقات القديمة لتدعيم ما يتطلبه المجتمع من قيم جديدة تتناسب مع تقدمه المادى وتحميه . وعلى هذا يجب أن يكون الاديب والفنان ملتزمان بمتطلبات المجتمع الذى ننشده

الاديب والفنان ــ والهدم والبناء فى القيم

حتى تنمو القيم بصورة تقارب أو تمكن الافراد من التواؤم مع المجتمع الجديد حتى لايصاب الافراد بالقلق النفسى الذى يصاب المرء به عندما يعجز عن مسايرة التغيير فى المجتمع لسيطرة القيم والعادات والتقاليد القديمة لابد أن يكون للاديب وللفنان دورا متفوقا عن دور أى وسيلة من وسائل التغيير فى المجتمع الثورى . لذا نجد أن طبيعة هذه المسئولية تتطلب منه أن يعايش المجتمع وينقد علاقاته الاجتماعية التى تشده الى الوراء ــ ومن هنا يجب أن تفهم عملية الهدم بمعنى العمل للقضاء على القيم والثقافات القديمة المتخلفة التى لم تعد تتناسب مع الواقع المادى الجديد التقدمى ، مع الحرص الكامل على أن يوجد بديل جديد يتمشى مع هذا الواقع الجديد والا أصيب المجتمع بفراغ ثقافى وعاش بلا قيم قديمة أو جديدة ،

القيمة والاعمال الادبية والفنية فى مجتمعنا

فى رأيى أن قيمة أى عمل أدبى أو فنى تتحدد بمدى مايحدثه هذا العمل من تأثير ــ ذلك لانه لاقيمة على الاطلاق لفكر لايعبر الا عن ذات كاتبه مهما ارتفع مستواه . كما أن العمل الادبى والفنى لايجب أن يتقيد بتقرير الواقع بدقة يذكره بشوائبه . فليس هذا هو المقصود من الانفعال بالواقع وليست هذه هى الغاية من وراء الادب أو الفن وانما الانفعال بالواقع فى حد ذاته ثورة يقودها الاديب أو الفنان من خلال ادراكه الفطن والذكى لمتناقضات الواقع ، الى جديد من القيم والعلاقات فيصبح عمله بذلك تعبيرا أو ترجمة دقيقة لما يعتمل فى صدور أفراد الشعب .

على أن دعوة الاديب أو الفنان فى عملهما الجديد لابد أن تكون محددة لمعالم هذا الجديد ، وأن يكون هذا التجديد مرتبطا بالواقع عاكسا لاحتياجاته ومتطلباته والا لو كانت هذه الدعوى للجديد سابقة لتطلعات الجماهير ومتناقضة مع كل مقومات المجتمع ومعتقداته لكان هدما بلا هواده ، تقضى على كل أمل فى ثقة الافراد بما حققه التقدم الثورى من تطور مادى .

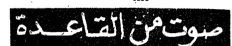
ومن هنا يجب أن نميز بين أنواع التراثات فليس كل ماهو شائع سائد بين الناس فى المجتمع القديم يجب أن يهدم . ولهذا كان يجب أن تتم دراسة علمية تحدد مصادر ماهو سائد فى المجتمع سواء علاقات أجتماعية أو فلكلور شعبى ، وذلك لانه لوسارت عملية الهدم بطريقة عفوية غير علمية لتعرضت لمقومات يرتبط بها المجتمع .فهناك قيم عربية أصيلة يجب أن تنمى مع شىء كثير من التشذيب ذلك لانها تحدد معالم شخصية المجتمع بطابعها العربى والدعوة للتطور فيها يجب أن تكون مدعمة لاصولها التى تمثل الجذور القومية والتى تحقق الشعور بالانتماء الى المجتمع طالما أن جذوره القومية بارزة وواضحة . أما الذى يجب أن يهدم تماما ، فهى تلك التراثات التى يثبت بالدراسة انها دخيلة على حياة مجتمعنا

أما أن تقتصر مجهودات الادباء والفنانين على مجرد عملية هدم للقيم القديمة أو التسابق فى هذا المجال ، فذلك عمل قاصر ، وهو الصفة التى تتميز بها معظم الاعمال الادبية او الفنية فى هذه المرحلة التى يعيشها مجتمعنا رغم أهميتها ، والتى تتبناها بعض وسائل الاعلام فاذا هى خاوية من المضمون الذى يتطلع له المجتمع الجديد . أما الاعمال التى يمكن أن توصف بالجرأة فاننا نجدها لا تقدم حلولا بل تؤدى الى القلق او الخوف . والدور الحقيقى الذى ينبغى أن يتميز به أدبنا وفننا هو الاجتهاد فى تقديم الجديد الذى يتناسب مع ماتحققه الثورة باجراءاتها الاقتصادية على أنه يجب أن يوضع فى اعتبار الذين يعملون فى الميادين الادبية والفنية مراعاة أن تكون الحلول التى يقدمونها تقدمية ونابعة من واقع التطور الاجتماعى القومى ومن هنا لانخاف أن نزج بأنفسنا فى قضية مشهورة كقضية الفن للفن أم الفن للحياة أو الادب للادب أو الادب للحياة . وأرانى مضطرا لان أقول ان الذين يتشاغلون من احتياجات المجتمع بمشاكل من هذا النوع قاصرين رغم تفوقهم الثقافى . وأقول أنهم متقوقعون اذ لامجال اليوم لمثل هذه المناقشات بينما المجتمع يحتاج الى كل الجهود المخلصة لان تقدم له زادا فكريا جديدا مليئا بالمضمون الجاد المتطور .

من هنا يجب أن يندمج الفنان والاديب فى مجتمعه ويذوب فيه ليتفاعل معه ويحس باحساسه المرهف وتطلعاته ، اذلابد أن يجد الادباء والفنانون لخدمة المجتمع وتطويره وهذا لايتم الا باختيار العلاقات وممارسة الحياة ذاتها . على ان تصور المشاكل العامة لا حالات فردية شاذة ، كما يجب أن يفهم أن العمل من أجل أن يرتفع مستوى الاديب أو الفنان لايبرره أنعزاله عن المجتمع الذى يعيش فيه حتى برغم ما يمكن أن يتصنعه هذا النوع من الكتاب من افتعال الكتابة عن الواقع فتبدو هذه الاعمال مبتورة أو مهزوزة لبعدها عن الواقع الحقيقى وذلك لان قيمة العمل الفنى والادبى تتحدد بمدى ادراك الواقع والتأثر به .

فالمقدرة الادبية والفنية ليست فى التأليف أو الاختراع وأنما فى القدرة على استشفاف الواقع واكتشاف حاجاته وهذا لايتوفر الا اذا طرحت الانانية والذاتية جانبا بترك الفرصة للكفاءات النامية التى تعالج المجتمع وتنفعل بالتجربة بتبنيها وصقلها بواسطة من وثقت فيهم الدولة ووضعتهم فى الصفوف الاولى وأوكلت اليهم باسم الشعب الذى صمم على أن يعيد الحياة على أرضه أن يتولوا القيادة فى هذه المجالات .





موسم مباريات إنفاق الميزانيات

يكتبه هـذا العدد
المواطن سليمان التونسي
مفتش بمديرية العمل
بمرسى مطروح

من المفيد أن نتابع باستمرار قضايا التخطيط ودراسة منجزات الخطة الخمسية الاولى للاستفادة منها كتجربة ونحن على أبواب تنيذ الخطة الثانيـة للتنمية من أجل تحقيق مجتمع الكناية والعدل ، واذا كان من المهم تعبئـة الموارد بكل طاقاتها ، فانه من الاكثر اهميـة العمل على خفض تكلفة الانتاج ايضـا بضغط مايمكن ضـغطه من المصروفات الادارية والقضاء على مظاهر تبديد هذه الموارد.

والذى يدعو الى تاكيد اهمية هـذه النقطة ، ان تقـدير احتيـاجات معظم الوحدات الادارية من المصروفات الادارية اللازمة لها خلال العـام المـالى ، يتم بطريقـة ارتجالية غير مدروسة ، بحيث يصـبح اجمـالى التقـديرات لمختلف بنود الباب الثانى يفوق ضعف الاحتياجات الحقيقية ويترتب على اقرار هذه التقديرات وادراجها فعلا بميزانيات هـذه الوحدات أن كثيرا من المصالح الحكومية والقطاع العام تلجأ الى استهلاك كل هذه البنود واسـتنفادها فى شراء أدوات ليست فى حاجة اليهاتملا ، والانفاق فى أمور لاتدعو الحاجة الى انفاقها . اذ يكون الهـدف هو استهلاك هذه البنود بأى طريقة !!

ونظرة على ماحدث فى الشهر الماضى ، على مستوى جميع الوحدات الادارية ، سواء المصالح الحكوميـة او القطـاع العام ، نجد أنها قـد عمدت فى هـذا الشـهر نقط الى انفـاق المتبقى من ميزانياتهـا كله فى أمور غير ضرورية ، وشراء أدوات غير لازمة ، باعتبـار أن شهر يونية هو نهاية السنة المـالية ، وأعرف مصلحة من المصـالح الصغيرة ادرجت ضمن ميزانيتها مبلغ ٥٠ جنيهـا للموازين والمكاييل لا لشىء الا لان هناك بندا فى الميزانية باسم الموازين والمكاييل بالرغم من أن عملها لايمت بصلة لـكيل أو ميزان .

ان هـذه التقديرات المبـالغ فيها ، تمتص جزءا كبيرا مما قد يأتينا من زيادة الانتاج ، وما يترتب على ذلك من مخاطر

لابد أن تكون معلومة على مدى أوسع واعمق مما عندى ».

لهذا فان الامر يحتاج الى وضع نظام دقيق يضمن عدم المبالغة فى تقدير احتياجات الوحدات الادارية من المصروفات الادارية ، والتى قد ترجع الى رغبة ساذجة من القائمين على هذه الوحدات بتضخيم ميزانياتها للاحساس بالفخر والابهام بضخامة المسئولية ، ولن أقول ان ذلك قد يعطى فرصة لبعض صور الانحراف ».

فى يقينى انه لو تمت مراجعة جادة وعملية لميزانية كل الوحدات التابعة للوزارات المختلفة من واقع احتياجاتها الفعلية التى يجب تقديرها على اسس مدروسة وليست ارتجالية فانه سوف يتكشف لنا فائضا قد يفوق مانتصور .

وارى ان تتم مراجعة على الطبيعة لهذه الميزانيات يقوم بها الجهاز المركزى للمحاسبات،ومستويات الاتحادالاشتراكى العربى ، وأن يواجه بعد ذلك الامر الواقع بتخفيض ميزانية هذه الوحدات وتحويل الفائض الى المشروعات الانتاجية

واعتقد انه لو تبنت الطليعة مشروعا لتشجيع القائمين على هذه الوحدات بالتخفيض التلقائى لميزانياتهم من واقع احتياجاتهم الفعلية ، فقد ترى مباريات بين هؤلاء « المديرين » على خفض هذه الميزانيات كما كانت بينهم مباريات على تضخيمها نتيجة لعدم الوعى .

لكى ينجح مؤتمر المبعوثين

تحت هذا العنوان، ارسل الوفد المنتخب عن الدارسين بفرنسا ، وجهة نظره للطليعة ، حول مؤتمر المبعوثين الذى يلقى اهتمام الدوائر الثقافية والعلمية. وقد جاء به :

لمؤتمر المبعوثين اهمية خاصة حيث يجمع من ارسلتهم الجمهورية الى الخارج لكى يتسلموا فيما بعد مسئولية الثقافة والعلم . ومسئولية تربية جيل ستقع على عاتقه مهمة تاريخية كبرى الا وهى تعميق تطورنا الاقتصادى وارساء قواعده .

واهم الاسئلة الان هى: كيف ينجح المؤتمر ؟

ولا نعنى بنجاح المؤتمر اخذ قرارات بالاغلبية المطلقة او النسبية ينفض بعدها دون ان يكون لكل هذه القرارات ادنى الاثر لا فى السياسة العامة ازاء المبعوثين ولا فى سلوك المبعوثين انفسهم. ولن يقاس نجاح المؤتمر ايضا بعدد المحاضرات التى سيستمع اليها هؤلاء المبعوثون والتى نرى انه كلما زاد عددها قلت الاذان الصاغية لها .

اننا نرى بحق أن نجاح المؤتمر الحقيقى سيكون بمحاولة طرح بعض المشاكل حتى ولو لم تؤخذ فيها قرارات. ولكن اى المشاكل نعنى ؟

طريقان للمؤتمر: مشاكل عامة ومشاكل خاصة

اولا: ان ينقلب المؤتمر الى ساحة يحاول فيها المبعوثون المطالبة باكثر الامتيازات الممكنة دون ما اعتبار لمصالح الشعب الحقيقية من تطوير اقتصادى، وما يتطلبه من تجميع للمدخرات. والحجة فى هذا ان قواعد الادخار تخضع لاستثناءات متعددة، يراها من ينظر فى سياستنا للاجور بشكل عام. كما يلمسها المقيم فى الخارج من طريق المعالجين والمتنزهين واعضاء السلك الديبلوماسى. الخ. وبناء عليه فمن المحتمل ان يجذب اغراء المساواة فى الامتيازات الكثير من المبعوثين الى الخوض فى هذا الطريق . أن لهذا الاتجاه — الذى لايتفق وهذه المرحلة — اسبابا اخرى اهمها ان هذا الجيل من المبعوثين قد ربى فى السلبية السياسية وفى فترة تعقدت فيها علاقة الثورة مع المثقفين عموما والملتزمين منهم خصوصا. ومع ضعف الشعور السياسى عند البعض زاد الاهتمام بالمصالح الذاتية المباشرة، ومن ثم فبدلا من عرض المشاكل الخاصة بحسب اهميتها ومساهمتها فى حل المشاكل القومية العامة (ونعنى بها مشكلة تجميع راس المال ومشكلة البعث الثقافى) ، يتحول الامر الى عرض المشاكل الخاصة اساسا. وهنا ينقلب المؤتمر الى مساومة كبيرة للاستئثار ببعض المزايا او لمناصفة المزايا مع من يتمتعون بها من قبل. وهنا سيكون امام الدولة اما ان ترضخ لسياسة ارضاء الفئات او الا تحقق شيئا من هذه المزايا، وفى كلتا الحالتين سينتهى المؤتمر بالفشل .

ثانيا: لكى نضع اقدامنا على الطريق الصحيح المؤدى الى نجاح المؤتمر لا بد ان تكون نقطة البداية فيه هى مناقشة المشاكل العامة، مشكلة المساهمة فى التطوير الاقتصادى ، مشكلة البعث الثقافى والعلمى. ومن خلال ذلك سوف تبرز لنا المشاكل الخاصة بفئة المبعوثين والتى تلمس الحلول لها بالاجابة على السؤال **«ما هى انجح الوسائل الممكنة لبلوغ الغاية التى من اجلها ارسلوا للخارج ؟ »**

قبل التعرض لهذا الامر والذى سينقلب به المؤتمر من مؤتمر للمبعوثين الى مؤتمر للمواطنين نريد ان نبين ان البداية بالمشاكل العامة يتطلب التوعية لا الدعاية .

توعية ام دعاية ؟

غالبا ما يختلط الامر على الكثير من المنظمين والذين لا يمتلكون الخبرة او الثقافة السياسية الكافيتين ولا يبقون من عمل التوعية الا الدعاية. والمقصود بالتوعية لا يعنى ابدا سياسة اولياء الامور، سياسة ايضاح الصواب والخطأ للاخرين. ولكن المقصود هو ترك هؤلاء الاخرين — دون خوف او تردد — ليناقشوا المشاكل الحقيقية للبلاد. والمبعوثين بحكم اقامتهم بالخارج — طالت ام قصرت هذه الاقامة — قد اتيحت لهم الفرصة لرؤية ابعاد جديدة للعمل الوطنى فى مصر من المحتمل الا يراها المقيم فى الداخل. ولا ننفى هنا تاثير المجتمعات المختلفة التى يعيشون داخلها على رؤيتهم لهذه الابعاد والتى قد ينتج عنها حلول متناقضة او حتى خيالية لبعض المشكلات التى تعرض لمصر حاليا. اننا نرى ان يستفيد المسئولون عن المؤتمر من هذا التعدد والاختلاف بالدخول معهم فى مناقشة حرة جادة بعد العرض الموضوعى للمشاكل، تاركين للمؤتمرين مناقشتها وتقديم الحلول الممكنة لها . وبهذا سوف تكون المناقشة ديمقراطية — فان لم تكن نافعة للوصول الى قرارات هى بمثابة اقتراحات للحلول المطلوبة — فانها مما لاشك فيه ستزيد من الوعى السياسى للحاضرين. كما انه من المحتمل ان تفيد المسئولين انفسهم اذا ما اخذنا فى الاعتبار تعدد التخصص وتنوع التكوين للمبعوثين .

يتضح ان كل هذا يختلف تماما عن تحويل المناقشة الى دعاية منظمة يكون الغرض منها هو التاثير على الوافد بأسرع الطرق،

وكما تعرف جميعا فان اقصر الطرق فى هذا المجال هو اكثرها سطحية واقلها نفعا .وعلى هذا الوضع لن يتبقى من المناقشة الا شكل صورى تبرر فى اطاره المحاسن وتغفل الاخطاء .

اننا نرى ان التوعية المقصودة ،التوعية الحقيقية، هى عدم فرض الوصاية بل مطالبة المواطن وتمكينه من الاسهام الايجابى بالرأى والعمل فى حل المشكلات وتصحيح الاخطاء .

مؤتمر للمواطنين لا للمبعوثين

نجاح المؤتمر اذن هو ان ينقلب كما يتضح من العرض السابق من مؤتمر فئة الى مؤتمر للمواطنين كان لهم فرصة الثقافة وحظ العلم. فى هذا الوضع فقط سوف يرون مشاكلهم الخاصة من خلال طرح المشاكل العامة كما يدركون ان نجاحهم وتفتحهم ووصولهم الى اهدافهم العلمية لا يمكن أن يكون الا مع مساهمتهم بشكل او بآخر فى سياسة التصنيع . (اى أن سياسة تفتح الازهار لا يمكن ان تنفصل عن سياسة ارساء قواعد التصنيع. من هنا لا بد من ان تطرح مشكلة الثورة بمنتهى الوضوح فاذا كان التاريخ سيحكم فيما بعد على جيلنا الحالى وعلى قيادته بمقدار نجاحه الحقيقى فى حل مشكلة تجميع رأس المال، فان مؤتمرا للمواطنين اذن لا بد ان يجد نقطة بدايته فى محاولة تقديره الذاتى للحلول التى يأخذها المجتمع لهذا التجميع قد يختلف بعض المؤتمرين حول معنى الاشتراكية او مدى نجاح التطبيق ولكن هذه مشكلة اخرى. فاذا كنا لا نستطيع ان نتكلم عن الاشتراكية الا مع الوفرة) فان مسئولية مجتمعنا الحالى الحقيقية هى نجاحه فى اتمام مهمته التاريخية الا وهى توفير رأس المال وزيادة معدل نموه حتى نتمكن من الخروج من التخلف لهذا لا بد من التعرض مباشرة الى هذه المشكلة والى كل العوائق التى تعترضها من بقايا اقطاع تحاول الثورة تصفيته او من طبقة جديدة استهلاكية لها الاثر على التخطيط والاولوية فيه، ومن ثم فهى تحاول دائما تفسير الميثاق بما يبرر وجودها بل وحق استمرار هذا الوجود .

كمؤتمر للمواطنين اذن — بالتعرض لهذا النوع من المشاكل — سوف تكتشف المشاكل الخاصة حول التعليم — حول تخطيط البعثات — حول المساواة بين المواطنين فى الخارج — حول مشكلة الجامعات المصرية — وحول التفاهم مع من هجروهم غالبا من احسن المتخصصين والذين من الخطأ تفسير هجرتهم لاسباب مادية فقط. ان المعنى الشامل لكل هذا هو كيفية تجميع الطاقات والاستفادة من كل الخبرات .

مؤتمر للمثقفين ومشكلة البعث الثقافى

اذا ما رجعنا قليلا الى الوراء نرى هزيمة البعث الثقافى فى مصر قد ارتبطت بهزيمة التصنيع فى عهد محمد على ثم بهزيمة الثورة العرابية ثم اخيرا بهزيمة ثورة ١٩١٩ .كل هذا قد ادى الى ان يأخذ المثقف المصرى طريق الاصلاح النسبى وعدم القدرة على ارساء القواعد لنهضة حقيقية، طريق اكسبه صفات متناقضة نستطيع تحديدها بشكل سريع فى :

١ — ثورية وانهزام
٢ — اصالة وترجمة
٣ — دينية وعلمانية
٤ — شمول القرن ١٨ وتخصص القرن العشرين .

ولا نذكر انه قد ظهرت محاولات عديدة لحل هذا التناقض ولكنها كانت كلها توفيقية سريعة وغير جذرية . ولا نعنى ايضا ان ارساء قواعد ثقافة اصيلة هو فى الانعزال عن التيارات الفكرية الخارجية. فان اصالة العرب القدماء لم تكن بحسان فى اغفالهم اليونان ولكن بتطويرهم — وعلى طريقتهم — فكر اليونان وعلمهم فى مجالات عدة لم تكن قد خطرت على بال اليونانيين انفسهم .

على اية حال يمكننا وصف محاولات البعث الثقافى فى مصر بأنها كانت اصلاحية ولم تكن ابدا ثورية، بمعنى ان اصحابها كانوا يريدون التجديد ولكنهم وقعوا رأسا فى التوفيق او وضع برامج لم تحقق وفى حالات كثيرة الا مجرد الترجمة المستترة . وهكذا انقلب دائما المثقف المصرى من خالق الى ناقل تماما كما انقلب قرينه فى السياسة من ثورى الى مهادن .

نحن لا نريد الافاضة فى هذا الموضوع نظرا لضيق المجال ولكن فيما يخص المؤتمر نستطيع ان نقول انه كمؤتمر للمثقفين لا بد فى رأينا أن يتعرض لمشكلة البعث الثقافى فى وقت بدأ فيه أمل تملك وسائل النجاح الا وهو بداية تطور المجتمع الى مجتمع صناعى، ولكن الخطر على هذا البعث نفسه يبرز من تسارع البعض او الكثير من المثقفين — وحتى ممن كانوا يؤكدون من قبل التزامهم — الى دخول الطبقة الجديدة. لهذا فان هذا البعث يتطلب ان تكون كيفية الانتاج العلمى هى اساس التقييم لهذا العمل. من أجل ذلك كله لابد ان يناقش المؤتمر الضمانات الكفيلة بخلق هؤلاء المتخصصين بالتكوين والحرية الحقيقيين، ومن ثم فلا بد من ابعاد العناصر الانتهازية التى تريد الوصول او الانتماء الى الطبقة الجديدة والتى تشكل بوجودها خطرا على تكوين الثقافة. وفى نفس الوقت لا بد من تجنب منزلق الموظف الايدولوجى والذى وقعت فيه كثير من البلدان والذى لا نرى اية حتمية للوقوع فيه ، فوجوده خطر على الثقافة لانه فى العادة سيجعل من مستواه — المتوسط احيانا والضحل فى اغلب الاحيان — معيارا لمستوى الاخرين، وبما ان له بعض السلطة فبدلا من الصعود الى مستوى اعلى سيحاول انزال الاخرين الى مستواه. ومن جهة اخرى لا بد من ضمان ان الذين يسيطرون ويوجهون الاجهزة الثقافية فى المجتمع لا يفرضون وصايتهم لاعاقة نشأة وتطور كل فكر تقدمى فى البلاد .

هذا فيما نرى بعض النقاط الاساسية لانجاح المؤتمر كمؤتمر للمواطنين والمثقفين ومن الممكن ان يكون المؤتمر بهذا الشكل — بضمانات تعطى وحرية تحقق — مرحلة جديدة للتعاون بين الثورة والمثقفين اولئك الذين عليهم واجب البناء ولهم حق النقد .

ونحن لا نريد بهذه النقاط الا الاصرار على الروح التى نرى من الافضل ان تسود المؤتمر. فكل مثقف واع يدرك بلا شك ان مصيره كمتخصص مرتبط ارتباطا وثيقا بنهضة علمية وثقافية شاملة وبالتالى بمعركة التطوير الاقتصادى اننا ندرك كذلك ان الثقافة للنخبة هى وبال حتى على النخبة نفسها والا فلن نستطيع تفسير انخفاض المستوى العلمى والثقافى عندنا مع ايفادنا للبعثات منذ قرن ونصف ومع وجود بعض المعاهد والجامعات منذ هذا التاريخ .

●

فى مجال النقل

كتب للطليعة، المواطن **عطية الصيرفى** ،عامل بشركة اتوبيس وسط الدلتا، يقول فى رسالته :

فات الاستاذ **عادل غنيم** فى مقاله بالطليعة عن **اتجاهات الراسمالية الوطنية** ان يتعرض لها فى مجال نقل البضائع بالسيارات حيث هجر الكثيرون منها اموالهم فى هذا المجال نظرا

للربح الجنونى الذى بحثته بتسبب الاحتياجات الشديدة لاعمال النقل التى اوجدتها اتساع حركة التصنيع وزيادة النشاط الاقتصادى والتجارى فى بلادنا.

ونتيجة تزايد هجرة اموال بعض اجنحة الراسمالية الوطنية صوب هذا المجال فقد ارتفع سعر سيارات النقل (اللورى) بشكل غير معقول بحيث اصبح سعر السيارة الواحدة يتراوح ما بين ٩ آلاف الى ١٢ الف من الجنيهات، رغم ان السعر الرسمى للسيارة نصر الجديدة لا تزيد على ٤٥٠٠ جنيه . وتبين هذه الهجرة بوضوح ان بعض اجنحة الراسمالية الوطنية فى بلادنا ليس لديها النية بأن تلتزم بدورها فى خطة التنمية ولكن لديها فقط نية الالتزام باتجاهها نحو تحقيق الربح ولو على حساب مصالح بلادنا وشعبنا .

وهذه الاجنحة من الراسمالية الوطنية تعتبر صاحبة السيادة فى هذا المجال حيث يملك افرادها قرابة ٢٠ الف سيارة . بينما لا يملك القطاع العام فى هذا المجال نفسه غير نسبة ٥٪ تقريبا من عدد السيارات النقل (اللورى) الشغالة — ولذلك فهى تحقق ربحا فاحشا للغاية على حساب حركة التصنيع وخطة التنمية — **ومن الغريب انه لا توجد تعريفة رسمية لنقل البضائع حتى الان فى مصر رغم ان القطاع العام حاليا يمثل الزبون الاساسى والرئيسى لمجال نقل البضائع بالسيارات فى هذه المرحلة .**

ولقد صرح مسئول بمؤسسة النقل الداخلى بأن الايراد الشهرى للسيارة النقل (اللورى) هو ٥٠٠ جنيه ، وفى تقديرى ان هذا الايراد يصل الى ٧٥٠ جنيها شهريا بدليل ان اجر السائق الذى يتقاضى اجره على شكل عمولة قدرها ١٢٪ من الايراد العام للسيارة، يصل الى ٩٠ جنيها فى الشهر وعلى اساس هذا التقدير فان الربح الصافى للسيارة الواحدة شهريا يصل الى ٥٠٠ جنيه. وبما أن متوسط التشغيل السنوى للسيارة عشرة اشهر فانها تحقق ربحا قدره ٥ آلاف جنيه سنويا. وهذا الربح السنوى التقريبى يفوق ثمن السيارة الجديدة . وعلى هذا فان هذه الاجنحة من الرأسمالية الوطنية تحقق ربحا سنويا يقارب ١٠٠ مليون جنيه تنتزع من اقتصاد بلادنا لتختفى فى سراديب الاختزان المظلمة .

وقد لجا اصحاب هذه السيارات الى توزيع ملكيات ورخص سياراتهم الى الاقارب الذين يقومون بوظيفة «شيالى الملكية» كما يقومون من وقت لاخر بتحريك ملكية سياراتهم بالبيع الصورى والشراء الصورى حتى لا تستطيع الضرائب أن تتعقب هؤلاء الملاك الوهميين .

وبواسطة هذا التلاعب تعمل هذه الاجنحة على اضعاف حركة المدخرات القومية ، فغالبية اصحاب السيارات النقل يتلاعبون فى تعاملهم مع مؤسسة التأمينات الاجتماعية. حيث يتم محاسبتها عند دفع حصة السائق وصاحب السيارة على اساس أن الاجر الشهرى للسائق لا يزيد على ١٠ جنيهات رغم أن الحد الادنى للاجر الشهرى لسائق السيارة اللورى ٤٠ جنيها ، ويضر هذا بمستقبل السائق واسرته ، وبحركة زيادة المدخرات القومية ايضا لانه يضيع عليها المبالغ التى تتمثل فى حصة التأمينات بالنسبة للعامل ورب العمل وهى مبلغ ٢٧ قرشا عن كل جنيه من الاجور الفعلية لعمال هذا المجال .

ونظرا لاهمية هذا المجال لارتباطه الوثيق ببرامج التنمية ، حاولت الحكومة تنظيمه بواسطة قيام جمعيات تعاونية . وقد صاحب قيام هذه الجمعيات بعض الجوانب السلبية التى اضعفت من دورها مثل :

● قيام هذه الجمعيات على نطاق المحافظات رغم ان هذه الجمعيات تمثل تجربة جديدة على بلادنا وكان الأوفق انشائها على نطاق اضيق .

● ان هذه الجمعيات من الناحية الفعلية قد ابعدت العمال عن عضويتها رغم انهم احد عنصرى العمل والانتاج ولقد كان ابعادهم عن هذه الجمعيات عاملا فى اضعاف الرقابة الشعبية عليها .

● لقد استطاع كبار اصحاب السيارات من السيطرة على قيادة هذه الجمعيات وحولوها الى مجرد لافتة تعاونية لشركة رأسمالية .

● عدم تواجد الاساس الاقتصادى للملكية التعاونية فى هذه الجمعيات باستثناء مكاتبها ولهذا لم تصبح هذه الجمعيات مالكة لعدد من السيارات بحيث تمثل نقله فى مجال الملكية من الملكية الفردية الرأسمالية الى الملكية التعاونية .

● ان نشاط هذه الجمعيات قد انحصر فى عملية التشغيل فى بعض المواسم وانحصر ايضا فى بعض الاعمال التجارية غير السليمة ولم يصل الى مستوى الاشراف الفعلى على السيارات النقل المملوكة للاعضاء .

هذه هى العيوب التى قد اضعفت هذه الجمعيات والتى سببت عددا من الانحرافات فى بعضها حتى ان الجهات المسئولة اصدرت قرارا بحل مجالس ادارات بعض هذه الجمعيات. ولذلك ففى يقينى أن التأميم هو الحل الحاسم لمشاكل هذا المجال الهام كما جاء فى الميثاق عن ضرورة تواجد وسائل النقل البرى والجوى والبحرى فى اطار الملكية العامة . وحتى يتم التأميم فلا بد من وجود جمعيات تعاونية تمثل الفهم الاشتراكى السليم وتضم فى عضويتها وقيادتها سائقى وعمال السيارات وان تشرف اشرافا فعليا على مجال نقل البضائع بالسيارات خدمة لتحولنا الاشتراكى العظيم بقيادة المناضل جمال عبد الناصر .

●

حول تسرب الاسئلة واعادة الامتحانات

ارسل المواطن **السيد عرفان راشد** مهندس بهيئة التحكيم واختبارات القطن وعضو بأمانة الشباب بالاسكندرية ، خطابا للطليعة يعلن فيه على ظاهرة تسرب الاسئلة واعادة الامتحانات ويقول :

انتشرت هذه الايام ظاهرة غريبة بوزارة التربية والتعليم تدعو الى القلق، وهى ظاهرة اعادة الامتحانات فى عدة مناطق تعليمية منها الفيوم والمنصورة واخيرا الاسكندرية. والقلق هنا انتشار هذه الظاهرة وتكرارها فى عام واحد بالذات فى وزارة مسئولة عن بناء جيل جديد. وموضوع اعادة الامتحانات ليست بالعملية السهلة او البسيطة. اذ كيف نتصور شعور تلميذ تقرر اعادة امتحانه لا لسبب الا لان هناك انحراف لا دخل له به؟ ثم ما معنى اعادة الامتحان مرة ثانية؟ معناه زيادة المصروفات والتكاليف على الدولة من اجور المراقبة والتصحيح والادوات. وخلافه، ثم تعطيل جهد المدرسين فى اعمال كان المفروض انهم انتهوا منها. ولسوف يؤدى هذا الى تأخير انتظام ظهور

نتائج الشهادات العامة مما يترتب عليه تأخر انتظام التلاميذ في المراحل الدراسية التالية »

ولنا ان نتساءل عن تسرب اسئلة الامتحانات، ان معناها الاكيد هو اهمال الجهات المسئولة عن وضع تنظيم صحيح لهذه العملية، فان افترضنا صحة التنظيم، كان علينا ان ننتقل الى نقطة اخرى وهي انحراف التنفيذ . ومثل هذا الانحراف جريمة في حق المجتمع .

لذلك اتمنى الا تنتهي المشكلة بالحلول البسيطة . فاذا كان الانحراف جريمة فان التسامح في عقوبة المنحرف اكثر من جريمة. ان مشكلة تسرب اسئلة الامتحانات يجب بحثها على مستوى اكبر، لانها في نظري جريمة فادحة.

●

نداء الى الرأى العام العالمى

جاءنا من **الاتحاد الوطني لطلبة الكاميرون — باريس**، النداء التالي :

دلت الاحداث منذ فبراير الماضي، على الطبيعة الرجعية المالئة للاستعمار، التي اتسم بها انقلاب اكرا، الذي قاده الجنرال **انكراه** ضد الحركة الثورية الافريقية كلها، ضد غانا والرئيس **كوامي نكروما** رمزها الحي. واكدت الاجراءات الاخيرة للنظام الجديد هذه الحقيقة المحزنة.

لقد داست «حكومة» الجنرال انكراه بالاقدام، على نص وروح القوانين الدولية وعلى وجه التحديد «المادة ١٤» من الاعلان العالمي لحقوق الانسان، وكذلك «القرار الخاص باللاجئين السياسيين» الذي اتخذه مؤتمر القمة الافريقي الثالث المنعقد في اكتوبر سنة ١٩٦٥ في اكرا. فقبضت على اغلب اللاجئين السياسيين الذين وجدوا بداخل غانا ،وسلمتهم للحكومات الرجعية والفاشية، ومن بين هؤلاء ١٥ مواطنا كاميرونيا، من المعروفين بمعارضتهم لنظام يوندي التابع للاستعمار الجديد، سلموا موثقي الايدي ، كأنهم قتلة ومجرمون الى **م. اهيدجو** ، «رئيس جمهورية الكميرون الاتحادية»

وسنذكر منهم، بكل فخر، اسمين يتذكرهما جيدا كل الطلبة الافريقيين، لانهما اسمى اثنين من المناضلين والمسئولين القدامى لاتحاد طلبة افريقيا السوداء في فرنسا .

اولهما : **ندوة ميشيل** ، ٣٠ عاما، عضو اللجنة الثورية لاتحاد شعب الكميرون ،عمل من قبل نائبا للرئيس مكلفا بشئون الصحافة في اللجنة التنفيذية «لاتحاد طلبة افريقيا السوداء في فرنسا» وأدى تعليمه كحقوقي في كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية بتولوز .

وثانيهما : **جان مارتن تشابتشيه** الحائز على الليسانس في التاريخ والجغرافيا. ادى تعليمه في كلية الاداب في كليرمون فران، حيث ترأس لعدة سنوات، القسم الاكاديمي للاتحاد . وهو يعمل حاليا رئيسا لتحرير «صوت الكميرون» لسان الحال المركزي لشعب الكميرون، وعضو السكرتارية الادارية لهذا التنظيم .

وقد وقع ،مثله مثل ندوة ميشيل وعدد كبير آخر من الطلبة الكميرونيين والافريقيين من بينهم **وونجلي ــ ماساجا** رئيس الاتحاد الوطني لطلبة الكميرون ،وقعوا ضحية قرار اتخذته الحكومة الفرنسية بطردهم من البلاد في سنة ١٩٦٠. الا انها تركت لهم حينئذ حرية اختيار الجهة التي يودون الالتجاء اليها، وفق القوانين الدولية .

ونستطيع ان نفهم جيدا الحركة المجرمة التي قامت بها «سلطات» اكرا، اذا علمنا انه لا توجد اية اتفاقات بين «حكومات» غانا والكميرون فيما يتعلق بتسليم اللاجئين السياسيين . واذا علمنا ايضا ان الجريمة التي يعاقب عليها المسئولين الكميرونيين عقابا صارما، لا تعدو «جريمة» الوطنية، ومعارضة نظام م. اهيدجو .

وعندما نعلم بالاضافة الى ذلك، اية ظروف تسود الكميرون، حيث يستمر في الحكم بعد ٧ سنوات من الاستقلال، النظام الارهابي البوليسي والعسكري الذي اقامته واحتضنته السلطات الاستعمارية، وحيث لا توجد اية ضمانات قانونية، وتجري محاكمات عاجلة صورية ، وحيث لا تشكل سوى المحاكم العسكرية، ولا يمكن لاي مسجون تحت التحقيق ان يطمئن الى سير قضيته وفق القوانين واللوائح، علما بأنه لا توجد ايضا حقوق الدفاع. وادراكنا لجميع هذه الظروف يجعلنا نخشى على مصير هؤلاء الرفاق الذين يتعرضون لخطر الموت، في سجون اهيدجو .

انه لمن الاهمية بمكان، ان يرفع الرأي العام العالمي صوته لمنع اهيدجو من ارتكاب هذه الجريمة الجديدة. ومن الضروري ان ترتفع اصوات كل الديموقراطيين في العالم لشل يد الجلاد.

اننا نتوجه بندائنا هذا الى كل الرجال والنساء، الى المنظمات السياسية والنقابية والجماهيرية، الى الشخصيات من مختلف الاتجاهات، والى كل الذين يهمهم احترام الكرامة الانسانية، واحترام حرية المواطن الفردية، وحقوق الانسان الطبيعية، اننا نطالبهم بأن يضاعفوا احتجاجاتهم ونداءاتهم وبرقياتهم، وحتى مسيراتهم ايضا، في مواجهة «حكومة» يوندي، كي تقوم بالافراج العاجل عن رفاقنا وتأمين سلامتهم، والافراج عن الالاف الاخرين من المواطنين الكميرونيين .

●

نداء الى التقدميين العرب

جاءنا البيان التالي من الطلبة العرب بفرنسا . ومن الواضح ان البيان قد صدر قبل اتفاقية السلام بين الحكومة العراقية والاكراد . والطليعة اذ تهتم بنشره كاملا انما تؤكد ايمانها العميق بأهمية الدور الذي تستطيع قوى المثقفين الثوريين من مبعوثي البلاد العربية في الخارج ان تقوم به لخدمة قضايا الثورة في وطنها .

ان الهجوم الامبريالي في العالم الثالث الذي لم يبق على اندونيسيا ولا فيتنام ولا غانا يمتد حاليا الى قلب الشرق العربي ان الشرق الاوسط الان وقد اضعفته الحرب بين الحكومة العراقية والشعب الكردي للحصول على حقوقه الشرعية وذاتيته القومية ، نقول ان الشرق الاوسط اليوم يتعرض لاضطرابات جديدة فبالاضافة الى المساعدات الضخمة الممنوحة لاسرائيل تحاول الامبريالية تجميع القوى الرجعية والتخلف لاقامة حلف يقال انه اسلامي . وهو في الحقيقة

ليس الا صورة جديدة من الاحلاف التقليدية الموجهة اساسا لتأخير الحركة القومية العربية .

ولدينا من الاسباب ما يجعلنا نعتقد ان هذا الهجوم الشامل يهدف اساسا الى ضرب البلاد المتقدمة كالجمهورية العربية المتحدة وسوريا . والحقيقة ان الجمهورية العربية قد برزت في المجال الداخلي من خلال الاجراءات الشعبية في الميدان الاقتصادي والاجتماعي، وفي الخارج بانتصاراتها التي دمرت قواعد الامبريالية في هذا الجزء من العالم .

ونحن نحيي منجزات التجربة المصرية التي لا سبيل الى انكارها، مدركين تماما ان مستقبل العالم العربي يتوقف الى حد كبير على هذه المنجزات. ونعتقد ايضا ان خير وسيلة لكشف المغامرات بكافة انواعها التي تدبرها الامبريالية والحركة المعادية للقوى التقدمية، — وبالذات الجمهورية العربية — هي ان نوضح هذه المواقف وان نستخرج منها كل النتائج التي تفرض نفسها على واقعنا . لذلك ،وعلى وجه الخصوص ، ينبغي ما يلي :

١ — تكوين مصر لحزب طليعي قادر على تعبئة الجماهير الشعبية والسماح لها بالمساهمة الفعالة في التوجيه السياسي للدولة وفي ادارة الشئون العامة .

٢ — ان يوكل الى التقدميين مهمة التوجيه الايديولوجي والسياسي وعدم السماح لقوى اليمين بالتأثير في اتجاه الدولة او الحزب .

٣ — تأصيل المواقف الاشتراكية وبالذات بواسطة تعميم الاصلاح الزراعي والتصفية النهائية للاقطاع .

٤ — تقوية العلاقات بين الدول العربية المتقدمة كسوريا والدول الاشتراكية والتقدمية وذلك على المستوى الخارجي .

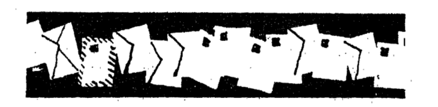
٥ — ارساء حجر اساس لجبهة تجمع كل القوى التقدمية والمعادية للامبريالية في العالم العربي .

ان المجموع العام لهذه التوصيات يكفل انتصار التجربة المصرية وتقوية النظم التقدمية العربية كما ان مثل هذه الاجراءات تسمح بمقاومة الهجمات المتكررة للرجعية والامبريالية بل والانتصار عليها .

لذلك، فان نظم الحكم التي سلكت هذا الطريق تستطيع الاعتماد على مساندة الطلبة والمثقفين العرب، ونحن اذ نعي مسئولياتنا كمناضلين تقدميين نناشد الطلبة والمثقفين العرب

واصدقاء التقدم في العالم كله ان يتنبهوا الى حقيقة الاخطار التي تهدد بلادنا وان يساندوا جبهة الدول والقوى التقدمية العملية في كفاحها ضد الامبريالية والرجعية من اجل الديموقراطية والاشتراكية .

— الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين .
— رابطة الطلاب المسلمين بشمال افريقيا
— الاتحاد الوطني للطلبة المغاربة
— الاتحاد العام لطلبة فلسطين «القسم الفرنسي»
— الطلبة التونسيين الشيوعيين
— مجموعة دراسة وتطبيق الاشتراكية في تونس
— الاتحاد الوطني للطلبة السوريين
— رابطة الطلاب العراقيين في فرنسا
— الاتحاد العام لطلبة الجمهورية العربية السورية في الخارج .
— رابطة الطلبة الاكراد في اوروبا
— الطلبة الليبيين في فرنسا
— طلاب الجمهورية العربية المتحدة في فرنسا .



وثائق

وثائق تاريخية عن:

الثورة العرابية

٧

النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع محمود "باشا" فهمى

تواصل « الطليعة » نشر محاضر التحقيق مع رجال الثورة العرابية وتقدم فى هذا العدد النص الكامل للتحقيقات مع محمود باشا فهمي الذى عمل مهندسا للاستحكامات فى وزارة محمود سامى البارودى ، ثم ناظرا للاشغال ، ثم باشمهندسا لعموم الاستحكامات ، وقد كان المسئول اثناء الحرب عن بناء الاستحكامات فى كفر الدوار وسد ترعتى المحمودية والاسماعيلية .

محضر استجواب محمود باشا فهمى

(بناء على ماتقرر بجلسة يوم تاريخه ، صار طلب محمود باشا فهمى من السجن وسئل ، فاجاب كما ياتى):

س : ما كانت وظيفتك بالجيش قبل ان يقبض عليك جيش الانكليز بزمن يسير، وبأمر من ؟

ج : كنت رئيس اركان حرب بامر ناظر الجهادية .

س : قبلها كنت بأى وظيفة ؟

ج : كنت رئيس هندسة اقاليم وسطى اصيلا ، وبعدها محمود باشا البارودى عندما كان ناظر الجهادية طلبنى بواسطة نظارة الاشــــغال ، وصار تعيينى باشمهندس الاستحكامات ، وهذا كان فيه وفر للحكومة ، لكون ماهية الباشمهندس السابق كانت ١٠٠ جنيه، فترتب لى ٦٥ جنيها فقط .

س : ما كانت رتبتك ؟

ج : ميرالاى جهادى .

س : ماذا اجريته من الاعمال الخاصة بوظيفتك فى الاستحكامات ؟

ج : امرنى محمود باشا سامى ووكيل الجهادية احمد عرابى ، وباقى الضباط بان استلم الاستحكامات واكتب عنها تقريرا فتوجهت الى الاسكندرية وابى قير ورشيد وحررت تقارير بما رأيته فيها .

وبعدها توجهت الى البرلس ونظرت طوابيها ، وقبل وصولى لدمياط طلبنى وكيل الجهادية احمد عرابى بواسطة تلغراف اوصله لى مهندس يسمى ابراهيم حمدى ، وكان ذلك فى اول فبراير سنة ١٨٨٢ ،وحضرت فعلا الى مصر ، فقيل لى انى تعينت ناظر الاشغال وقد حصل ، وكانت مأمورية الاستحكامات باقية تحت عهدتى ايضا .

س : ما هى الاشغال التى كانت تجرى فى الطوابى وقتها ؟

ج : هى عبارة عن مرمات فى دوشامات او فى محاجر وما اشبه .

س : فى مدة وجودك ناظر الاشغال فى عهد وزارة محمود سامى باشا ،حصلت بعض ارتباكات خصوصا بشــأن مسألة الجراكسة التى كان حكم عليهم مجلس حربى والجناب الخديوى توقف فى تنفيذه ، وانتم النظار طلبتم النواب دون رئيسهم لينظروا فى الخلاف الواقع .؟

ج : جمع النواب كان لاجل النوتة، وليس لاجل مسألة الجراكسة .

س : ما هى تلك النوتة . ؟

ج : هى ان قنصلى الانكليز وفرنسا قدما نوتة لرئيس النظار بثـلاثة اشياء الاولى طلوع احمد عرابى من البلد بمرتباته ، والثانية ان عبد العال وعلى فهمى يتوجهان للصعيد بمرتبـاتهم ، والثالثة هى سقوط الوزارة ،فالوزارة لم تقبل تلك النوتة وحصل بينهما الارتباك .

س : حضرتك ممن لم يقبلوها . ؟

ج : بالطبع ، لانى كنت منهم ووزيرا وقتها، ولما اخبرنا الجناب الخديوى بذلك وقال انه قبل النوتة ، صار اسـتعفاء الوزارة .

س : انتم طلبتم النــواب قبل سقوط الوزارة بدون امــر مــن الحضرة الخديوية ، فكيف يحصل ذلك من نظار مثلكم عارفـين بالاصـول والاوامر المقررة . ؟

ج : نعم طلبناهم ولكون طلبهم لم يكن بامر الجناب الخديوى ، فلم يتم ذلك .

س : لو كانوا حضروا ، ماذا كان يحصل .؟

ج : كان يحصل ما يقررونه .

س : مادام ان طلب النــواب وانعقاد المجلس لا يكون بامر الحضرة الخديوية، فكيف طلبتموه وهل هذا خطأ منكم أم لا . ؟

ج : مجلس النواب يطلب عادة فى الاحوال المهمة .

س : بأمر من . ؟

ج : بأمر الخديوى .

س : كيف طلبتموه انتم حينئذ .؟

ج : بأمر المجلس .

س : ماذا قررت فى شأنه . ؟

ج : تبعا للاغلبيـة وبالضرورة ان رأى الاغلبية ينفذ ولا يثمر بشىء ما يكون حصل منى من الخلاف ، ولا كان يمكنى الانفـراد عنهم ، ولا اوافـق على المخالفات .

س : كنت تستعفى . ؟

ج : ماكنت توليت وزارة من قبل ، حتى كنت اعرف هذه القواعد .

س : الذى علم للمجلس من التحقيقات انك انت الذى اصريت على احضار النواب ، وقويت همة باقى النظار على ذلك وقلت ان الضرورات تبيــح المحظورات ، وعند ذلك طلبتموهم ؟

ج : ان لذلك محضر جلسة بمجلس النظار، فعلى حسب ما يكون موضـح فيـه يعتبر .

س : بلغ القومسيون انك قلت ان الجناب الخديوى ليس له شىء بمصر ، وليس عنده سوى كونه يأخذ شنطة ويتوجه يقيم باللوكاندة ؟

ج : هذه المسألة لا اصل لها ، وسبق انها بلغتنى من سعادة سلطان باشا، وفهمت انها بلغت الجناب الخديوى وحصل لى كدر من ذلك ، وتوجهت سألت الحضرة الخديوية عمن قال له ذلك ، فلم يصرح لى باسم من قال واستسمحت الجنـاب الخـديوى ،

فتسامحتى وبعدها ابراهيم بك فوزى مأمور الضبطية ، اخبرنى ان افندينا مازال متكدرا من هذه العبارة ، وان الذى نقل له ذلك هو سلامة باشا والحمد لله سعادتكم تعلمون حالة سلامة باشا .

س : ما هى حالته التى تقول عنها .؟
ج : لما كنت ناظر الاشغال ماكنت ممكنه من الامر والنهى ، ولذلك اغتاظ منى وافترى على .
س : هل بقيت فى عهدتك الاستحكامات بعد سقوط الوزارة وطلوعك من الاشغال . ؟
ج : ورد لى امر من عرابى بعد رجوعه لنظارة الجهادية بابقائها فى عهدتى .
س : هل كان بناء على امر عال ، ام كيف ؟
ج : لا اعلم .
س : اما توجهت للتشكر من الحضرة الخديوية ؟
ج : لا ، لم اتوجه .
س : لما حضر بعض مراكب من دولتى فرنسا والانكليز ، شرعتم فى تعمير وتصليح الطوابى ، فقل لنا كان الابتداء بها من اى وقت ؟
ج : لم يكن بمعرفتى ولا اعلم ، وانما اعلم ان وكيل الاستحكامات كان ارسل خريطة الى عرابى باشا بقصد تجديد ثلاث طوابى وارانيها ، فقلت له ، لا لزوم لذلك .
س : لا يصح ان تكون تلك التصليحات جرت واخذت اخبارها بالاستانة ووردت عنها اوامر سلطانية بابطالها وانت لا تعلم بها ، مع كونها كانت فى عهدتك؟
ج : كان موجودا خمسة مدافع بطابية راس التين ، وكان تحتهم فرش خشب حصل به تسويس ، والمدافع تزلزلت ووقعت من محلها ، وكان عمل مقايسة لوضع حجر فى الارضية بدل الخشب ، وتركبت المدافع ثانية كما كانت .
س : وباقى الطوابى ، اما كان فيهما شغل ؟
ج : كانوا اشتغلوا بطابية العجمى .
س : ورشيد وابو قير ، ما كان فيهما شغل ؟
ج : رشيد لم يكن فيها شىء من التصليح ، وابو قير صار تركيب مدفعين فيها .
س : اما كان ذلك برأيك واطلاعك ؟
ج : لا . وانما جميعه بأوامر تصدر من الجهادية لوكيل الاستحكامات مباشرة . الا المسألة الثانية .

س : ما هى المسألة الثانية ؟

ج : فى ٢٣ شعبان سنة ١٢٩٩ ورد لى تلغراف من احمد عرابى ، يطلبنى لاسكندرية ، فتوجهت ولا اعلم سبب الطلب ، ولم يخبرنى ناظر الجهادية . وفى ثانى يوم طلعت لراس التين فوجدت هناك جمعية من جملة ذوات مستودعين والنظار وغيرهم ، وبعد الاجتماع دخلنا عند افندينا وصارت المداولة فيما ورد من الجنرال سيمور بانه صار تصليح ثلاث طوابى ووضع مدافع هددت الدونغا ، وانه يطلب نزولهم .
س : هل حقيقة كان حصل ، كما قال الجنرال سيمور ؟

ج : لم يحصل قط لا تصليح ولا وضع مدافع ، وفى المداولة فى اسكندرية ، سألنى عن ذلك الجناب الخديوى واجبته بما ذكر ، وقال اذا انزلنا ولو مدفعا واحدا منهم ماذا يصير ، قلت انا لا يصح لانه يعد كسر شرف لمصر ، وبعدها قال سعادة درويش باشا ، انه يلزم انزال الثلاثة مدافع المشيار الى تركيبهم ، فطلبه ، وعرابى عارضا ايضا وكذلك المرعشلى ، وبعدها سئلت عن مقاومة الاستحكامات فقلت انها تقاوم من ساعة لثلاثة ، ومن يوم لثلاثة ، ومن اسبوع لثلاثة ، ومن شهر لثلاثة ، بحسب استعداد العدو .

س : اما كنت تعلم قوة دونتمة الانكليز؟

ج : ما كنت اعلمها قبل ، ومع ذلك الطوابى ما جرى فيها شىء ، والعساكر هى التى ما قاومت ، وبعد ذلك استقر راى المجلس جميعه ، على انزال ثلاثة مدافع ، وانه اذا رضى بها الجنرال سيمور فلا بأس ، وان كان لا يرضى بها ويضرب على الطوابى فنجاوب بالضرب بعد خمس كلل ، وانصرفنا على ذلك ، وفى الصباح حصل ضرب المدافع .

س : كنت فى اى جهة وقت ضرب المدافع .؟
ج : كنت فى راس التين مع الزبير باشا ، وحسن باشا حلمى ، وراغب باشا ، وفى الظهر توجهت الى ديوان الاستحكامات وفى وقت العصر نزلت .
س : اما توجهت تمر على الطوابى ، حسب واجبات وظيفتك ؟
ج : وظيفتى لا تقضى على بان اتوجه فى وقت ضرب الكلل .
س : لما نزلت من ديوان الاستحكامات ، كان فى اى وقت وتوجهت لاى جهة ؟
ج : كان بعد الظهر ، وتوجهت الى طابية كوم الديماس ، فوجدت عرابى ، وطلبه ، وعمر رحمى .
س : ما هى وظيفة طلبة باسكندرية فى ذاك الوقت . ؟
ج : كان قومندان اسكندرية
س : ماذا اجريت مع عرابى وطلبه ، وما كانت مكالماتكم ، وما هى حالتهم التى شاهدتها عند مقابلتهم ؟
ج : لم اتكلم معهم ، وانما كنت اسمع المعاونين يقولون لعرابى ، الطابية الفلانية جرى فيها كذا ، والفلانية كذا ، وطلبة يقول ان عساكرنا ماهرون وهكذا . وكانت حالة عرابى تدل على انه مفتكر كانه تايه ، وبعدها نزلت لجهة المنشية ورجعت للطابية فما وجدتهم وقيل انهم توجهوا الى منزل راغب باشا ، فتوجهت ووجدت هناك سلطان باشا ، وشريعى باشا ، وسليمان باشا اباظة ، والزبير باشا ، والعرابى ، وعمر رحمى ، وطلبة باشا ، وشكرى بك .
س : هل كان باسكندرية حريقة يوم الضرب ؟
ج : لا لم يكن فيها حريقة مطلقا سوى فى سراى الحريم برأس التين .
س : هل تكلمتم بشىء فى منزل راغب باشا ؟

ج : هناك قام احمد عرابى يصلى ، وسلطان باشا سألنى عما جرى فى الحرب ، فقلت له انى كنت فى رأس التين ، واظن ان عساكرنا لا تنفع ، وكذلك الزبير باشا قال مثلى ، فطلع طلبه فى الزبير وزعق معه بامتداح العساكر المصرية وان نفس الجنرال سيمور امتدح الطوبجية ، ثم دخل وقت الغروب فانصرفنا ، وتوجهت انا مع شكرى بك لديوان الاستحكامات ونمت فيه .

س : ماذا جرى فى ثانى يوم ؟

ج : فى ثانى يوم اقمت بديوان الاستحكامات لحد الظهر ، ونزلت ماشيا لحد المنشوة ثم كوم الديماس ، فسألت عن العرابى ، فقيل لى انه فى باب شرقى .

س : هل لم يحصل ضرب مدافع فى هذا اليوم من الانكليز او من الطوابى ، وان كان حصل ففى اى وقت ، وكم مدفع .؟
ج : سمعت ضرب مدافع ، واظن انها فى وقت الضحى ، ولست متذكرا عددهم ولا هم من اى طرف .
س : بعدها توجهت لاى جهة ؟

ج : الى باب شرقى ، ولم اجد العرابى فرجعت الى الديوان . وفى وقت العصر نزلت ثانية لحد المنشية ، فوجدت سليمان سامى بعساكر الآلاى فى المنشية ، وكان قاعدا على كرسى يقول انهبها واحرقها قبل ان يدخلها احد ، والعساكر تكسر الدكاكين وتنهبها ، فتوجهت الى باب شرقى ، فوجدت العرابى قاعدا فى اوضة عبيد بك مع عمر رحمى وطلبة باشا ومحمود باشا البارودى ، فسلمت على محمود سامى لكونى ما كنت نظرته باسكندرية قبل ذلك ، وقلت لهم ان سليمان سامى آخذ فى احراق البلد ، فالعرابى قال ، انه ارسل لهم رسولين واخبرا ابراهيم فوزى بك ، وترجانى العرابى ان اتوجه انا واحضر سليمان سامى ، وبتوجهى كذلك صادفته حاضرا فى عربية مع ابراهيم بك فوزى بالقرب من ميدان باب شرقى ، فرجعت خلفهم ، فوجدنا العرابى فى ميدان باب شرقى واقفا ، وبمقابلته مع سليمان سامى قال له العرابى ، انى برىء منها

قتلته ، فصمم على قتله ، وقال : لابد من الحرق والنهب .

س : مادام ان الحريق ما كان ابتدأ في ذلك الوقت ، فهل لم تقل انت للعرابي يرسل الايا لمنع النهب والحريق ؟

ج : لم اقل شيئا ، وانما عرابي من نفسه نبه على عيد بك باخذ اورطة لاجل منع النهب ، لان الحريق ما كان ابتدأ حقيقة .

س : انت اجبت انك اخبرت العرابي في باب شرقي ، بان سليمان سامي آخذ في حرق البلد ؟

ج : الذى اخبرت به ان سليمان سامي يقول انه سيحرقها والعساكر آخذة في النهب .

س : هل توجه عيد بك بالاورطة كما نبه عليه العرابي ؟

ج : لا وانما طلب من عرابي ان يكتب له بوصلة بانه اذا كان احد من العساكر الاخذين في النهب لا يمتنع ، فيضربه بالرصاص ، فالعرابي حول وجهه وتوجه بمفرده ، ولا ادرى الى اى جهة ، ونحن بقينا والاى عيد بك واقف تحت السلاح لحد وقت الغروب ، فجاء الينا عرابي واخبر عيد بك بان رئيس مجلس النظار اصدر امره بانه من حيث المراكب حضرت بمقابلة باب شرقي وستضرب عليه فيقتضى انسحاب العساكر الى ضواحي اسكندرية ، وان افندينا امر بتحضير وابورات وسيتوجه الى مصر ، فاخذ عيد بك الالاى ومشى ، وكان في الاثناء عساكر سليمان سامي وعساكر مصطفى عبد الرحيم محضرين مع الاهالي بحالة لخبطة ، ومعهم منهوبات وطالعين من البلد ، وبعدها انا ومحمود باشا سامي ، وعمر رحمي ، وشكرى بك ، واثنين افندية مع محمود سامي احدهم اسمر لا اعرف اسمهما ، توجهنا الى سراى نمرة ٣ وبتنا فيها .

س : كيف دخلتم الى السراى المذكورة ، وبأمر من ، وماذا تحدثتم فيها ؟

ج : محمود باشا سامي قال انه يعرف الخدامين ، ونادى احدهم ، وفتح الباب ودخلنا الى السلاملك ونمنا ، ولم نتكلم في شيء ، وفي الصباح توجهنا لحد حجر النواتية ، فوجدنا عرابي باشا مقيما بروماس ، فنزلنا عنده ، وسأله محمود باشا سامي عن العسكر متوجه لاى جهة ، قال لكفر الدوار ، وولع الوابور وتوجهنا لمحل يسمى بعزبة خورشيد ، وجمع العساكر هناك ، وفي تالي يوم توجهت للاسكندرية انا ومصطفى بك نجدى ، وسعد بك ابو جبل ، وبوصولنا تركت مصطفى النجدى في نمرة ٣ وسعد ابو جبل توجه لمحل البوليس ، وانا استمريت في السير بالعربية ، فوجدت المنشية مشتعلة بالنار ، فتوجهت للترسانة فوجدت بابها مقفولا ، فرجعت لجهة القبطية فقابلت عربتين فيهما رجال من المعية السنية كان بينهم ذو الفقار بك وابراهيم بك كامل ، وصادفت بعدهم عساكر الموسيقى الخديوية في شارع المسلة ، فسألت بعضهم فقالوا ان افندينا امرنا بالدخول الى راس التين وانه سيحضر اليها ، وبعدها قابلت حرم السراى الخديوى داخلين ايضا ، فتوجهت بالعربية لطرف عرابي باشا .

س : قد علمت حينئذ ان الحضرة الخديوية ستتوجه الى راس التين ؟

ج : نعم علمت ذلك وبعدها توجهت للعرابي واخبرته عما كان قاله من ان الجناب الخديوى سيسافر الى مصر ، فاجابني بان الجناب الخديوى سيسافر الى مصر حقيقة ، وطلبة باشا قال انى كذاب ، وانى لم انظر احدا متوجها لاسكندرية من رجال المعية السنية ، فبت معهم . وفي الصباح وجدنا عساكر الانكليز دخلت الى الاسكندرية .

س : هل نظرتموهم ؟

ج : لا ، وانما تسالت لنا العساكر التى كانت متواردة واخبروا بانهم وضعوا ديادبة في القوة قولات وعلى الاسوار .

س : وبعدها ماذا اجريتم ؟

ج : بعد ذلك قال عرابي باشا ، ان هذا الموقع لا ينفع لنا ويلزم اتخاذ محل احسن منه .

س : لاى سبب اجراه ؟

ج : للمحاربة .

س : هل كان حصل التصميم على اجراء الضرب ؟

ج : ان العرابي متمسك بالقرار الذى صدر عن ضرب اول يوم ، وما صدر له بعدها من رئيس مجلس النظار بطلوع العساكر للضواحي ومسك النقط .

س : لما اخبرك عرابي بان الموقع المذكور ليس موافقا ، فما كان جوابك ؟

ج : قلت له ننتقل الى المحل الذى يوافقك

س : لا يتصور انك تكون رئيس اركان حرب وتقول ذلك ، ولا تجرى تعيين النقطة التى تناسبكم ؟

ج : ما قلت غير ذلك ، وهو امر بتوليع الوابور ومشينا .

س : بعد ذلك ماذا جرى ؟

ج : توجهنا الى كفر الدوار وطلعنا الى المحطة ، ومنها الى كنج عثمان ، وكان تقابل معنا حسن بك ابن كنج عثمان فوجدنا هناك تلا قديما ، فسأل عرابي عن اسم هذا التل ، فقال له حسن بك اسمه تل الشاعر ، فالتفت لى عرابي وقال ان ابتداء استحكاماتنا يكون هنا ، وأمرني بانشاء استحكامات وحرر بطلب العساكر ، وطلب الانفار للعملية ، وقبل خلاص الخط المذكور طلبني يعقوب باشا لمصر .

س : كان هناك ثلاثة خطوط ، ليس خط واحد ، فمن الذى كان رسمهم ؟

ج : الذى كان رسمهم شكرى بك ، وقبل الخلاص طلبني يعقوب باشا وكيل الديوان بشأن الخط الشرقي ، وبحضوري وجدت تقريرا بشأن ذلك ، ويوجد هذا التقرير بالمجلس العرفي ومضمونه ان تعمل جملة نقط للمدافعة ونقط لمراقبة الانكليز في جهة القنال ، وارسلوه لراشد باشا واعطوني منه صورة من غير ختم .

س : ما الذى تقرر في ذلك التقرير بشأن القنال ، وما جرى بينك وبين دولسبس ؟

ج : لم يتقرر في التقرير شيء عن القنال ، وبعد ذلك توجهت للتل الكبير « المركز العمومى » وبتوجهي ركبت الى نفيشة فوجدت العالم متهيجة ، فسألت عن السبب ، قيل لى ان الاسماعيلية فيها اعلانات ان الذين مع الجناب الخديوى يبقون في الاسماعيلية ، والذين مع عرابي يتوجهون منها ، وبعدها تقابلت مع موسيو دولسبس وسألته عن القنال فافاد ان القنال لا يمكن حصول شيء فيه قط ما دامت العساكر المصرية لا تتعدى نقطها .

س : هل كنت بمفردك ؟

ج : كان معى محمد عبيد بك ، ومحمد رحمى اركان حرب ، وكان معه عساكر جاويشية نحو اربعة نقط ، وبعدها توجهنا الى نفيشة .

س : هل لم تبلغ العرابي ما قاله دولسبس ؟

ج : بلغته اليه بتلغراف .

س : لما حضرت الى مصر وتعينت للتل الكبير ، هل العرابي اقر على ذلك ، وما هى التعليمات التى يكون اعطاها اليك ؟

ج : نعم اقر عليه ، والتعليمات قال انها تؤخذ من المجلس الذى في ديوان الجهادية .

س : المهم معرفته الان هو ما كان حاصل به التصميم من سد القنال ، حيث ان الشائع انه كان مصمم على ذلك فافد عن الكيفية ؟

ج : ورد لى تلغراف من عرابي قبيل واقعة المحسمة بيوم ، رغب فيه الاتحاد مع عربان الطحاوية ومشايخ عربان الشرقية ويصير سد القنال .

س : الم يكونوا مصممين على ذلك من قبل ؟

ج : لا ، بل العرابي كان مطمئنا على سد القنال

س : الم يكونوا مصممين على ذلك من قبل ؟

ج : لا . بل العرابي كان مطمئنا على كون القنال في الحيادة ، ولم يأمر بسده الا في اليوم الذى اوضحت عنه لما علم بحضور عساكر انجليز لبور سعيد

س : ان العربان لم يكن من عادتهم اجراء مثل هذه التعليمات ، بل الاهالى هى المعتادة ان تعمل ذلك ، والمعلوم انكم طلبتم انفارا من الاهالى لهذه العملية، فاند عن الحقيقة ؟

ج : ان مجاوبتى للمجلس هى بالترتيب، ولم يأت الكلام من ذكر سد القنال والانفار ، وسأذكر ذلك فى محله عند الوصول اليه ، ثم توجهت الى جهة دمياط ومنها الى كفر الدوار

س : القصد أن تذكر الاشياء المفيدة ؟

ج : فى يوم ٥ شوال سنة ١٢٩٩ ، ورد تلغراف من عبد الرازق نظمى ، لوكيل الجهادية ومثله الى وانا فى كفر الدوار ، بأنه يريد جمع النقط ،اعنى انه يريد تأخير وجمع النقط كلها الى جهة تسمى السبع ابيار وان العدو مجر اعمالا بجهة القنال ووكيل الجهادية بلغ ماورد اليه للناظروهو أراه لى وسألته كيف فعل فى ذلك فقال انه كتب للقومندان راشد باشا بأن العساكر لا تتأخر وتثبت فىنقطها ثم امرنى بعد ذلك بالتوجه للتل الكبير فتوجهت ، فوجدت راشدباشا فاخبرنى انهاستقررأى المجلس الذى بطرفه على عدم تأخير العساكر ، وان خالد باشا وعلى بك يوسف هناك ، فتوجهت الى نفيشة ومنها الىجنيفة وجدتهما وعبد الرازق أفندى وكثير من أركان حربه معهما ، فأخذتهم وتوجهت للشلوفة لاجل نظر الكيفية ورجعت منها الساعة ٧ الى محطة فايد ، فاخبرتنا العساكر أن المدافع تطلق فى الاسماعيلية ، ولما وصلنا محطة سرابيومسمعنا المدافع بنفسنا، وفى الصباح نزلت عساكر الانجليز فى الاسماعيلية وتشاورنا فى الامر ، فقلت لهم ان اردتم فاهجموا وانزلوا العساكر الانجليزية للبحر بالثانى ، فلم يقبلوا ذلك وسألونى عما يفعلونه غير ماذكر ، فقلت أن هناك تلالاكبيرة توضع مدافع عليها لاجل الحفظ ، فقال شيخ العرب محمد حسنالبقلى الذى كان موجودا هناك ، انه هو يقوم ويجرى ذلك ، فقلت ان عبد الرازق افندى أركانحربهاهوموجود، فهو يجرى ذلك ، وعندها عبدالرازق أفندى أخذ من معه من اركان حرب وتوجهوا لجهة الانجليز ، وقبل عمل شىء ، أطلقت علينا مدافع الانكليز ، فانتقلنا الى المحسمة فورد لىتلغراف من عرابى باشا يأمرنى فيه بسد الترعة الحلوة ، فتوجهت مع علىبك يوسف بأورطة عساكر وسديناها من جهة المسخوطة ، وبعدها ورد لى تلغراف من عرابى يلومنى على عدم جمع عساكر الاى محمد عيد الموزع على النقط ، وبعدها ورد لىتلغراف بأنه سيرد الى خمسة الآف رجل من مديريتى الشرقية والقليوبية لانشاء الاستحكامات ـ وورد لى تلغراف بعده ، بأن أعمل الطريقة اللازمة مع العرب فى سد القنال فتحيرت فى أمرى ثم توارد الانفار فى يوم الاربعاء .

س : فى أى شىء أجريت تشغيلهم

ج : فى تلين احدهما شرقى والثانى غربى الترعة الحلوة ؟

س : هل جاوبت عرابى على التلغراف الوارد لك بسد القنال ، وقلت انك تحيرت فيه ؟

ج : لم اجاوبه لانى أعلم ان طلب اجراء السد وقتها لا يفيد شيئا ، وكان معى على بك يوسف أيضا

س : بعد نهو النفطتين التى كانت فيهما الانفار ، ماذا فعلتم ؟

ج : ثانى يوم الخميس حصلت محاربة فى المسخوطة بين راشد باشا وعساكر الانجليز بالمدافع منالساعة نصف عربى صباحا لحد الساعة واحدة ونصف ليلا ، وحررتبالواقعة تلغرافا لوكيل الجهادية ، وفى ثانى يوم ابتدأ الضرب ، فمن أول كله هربت انفار العملية جميعها ، وكان عندى وابوران مخصوصان فأمرت احدهما وهو وابور السكة الحديد أن يتوجه للتل الكبير ، والثانىوهو وابور بحرى برناص أمرته أنيتوجه الى محله الاصلى حيث لم يبق له لزوم وذلك لكونى لما استيقظت من النوم يومها ، وجدت مدافعنا ابتدأت بالضرب ، فتوجهت لطرف راشدباشا بالمحل الواقف فيه ، لانظر الكيفية ، فوجدت الانجليز يحاولون قطع خط الرجعة وعساكرنا تهرب شيئافشيئا وراشد باشا ايضا شرع أن يعبر الترعة ويتوجه لجهة التل من البر القبلى ، أما أنا وخادمى مسكناضفة الترعة البحرية قاصدين المحسمة ، فسألنى خادمى عن قصدى ، فقلت له إننا سنتوجه لطرف الانجليز ، وامرته بقطع غابة وتعليق منديلأبيض فيها ، وحصل ذلك وتوجهنا ودخلنا عند الانجليز فى مقدمةجيشهم فقابلنى ضابط انجليزى يعرف فرنساوى ، ولما رآنى لابس ملابس ملكية قال لى انت شيخ البلد ، قلت له نعم

س : لماذا كنت لابسا ملابس ملكية ؟

ج : لانى ماكنت اريد أحارب ، فانى لو كنت أريد المحاربة ، كنت لبست كسوتى الرسمية وطبنجتى وحاربت

س : كيف بعدها عرفوا حقيقة أمرك بمعسكر الانجليز ؟

ج : بعدها حضر الجنرال روسل فقابلته واخبرته بالكيفية ، فسلمنى لاميرالاى سوارى آخر ، ولكونى لابسا ملابس ملكية ، قالوا انى جاسوس وما صدقونى ، وقالوا لى اختر لنفسك احدى الميتتين ، اما الشنق ، واما الضرب بالرصاص ، فما قبلت وكررت عليهم تفهيم الحقيقة ، وتصادف وجود عساكر مصرية شهدوا بحقيقة اسمى وشخصى ، فحصلت مخابرة بين الجنرالات الانجليز ، وبين الجنرال ولسلى ، وأصلونى للاسماعيلية ، ومنها للاسكندرية ، وهذا آخر ما صار .

« أعيد الى السجن »

(بناء على ماتقرربجلسة يوم الاثنين ٢٦ القعدةسنة ٩٩صار استحضار محمود باشا فهمى المذكور من السجن وسئل فاجاب كما هو موضح) :

س : الامر الصادر بعزل عرابى بلغك حال صدوره ام لا ؟

ج : بلغنى

س : كيف قبلت أن تبقى معه بعد ذلك؟

ج : لما صدر الامر اوسل لوكيل الجهادية، وصار عقد مجلس عمومى منالمديرين والاعيان والرؤساء الروحانيينوغيرهم نحو ٨٠٠ نفر وقرروا بقاءه وعدم سماع اوامر الخديوى والنظار .

س : هل تعلم ان رأى مجلس مثلهذا ينفذ على أمرالخديوىصاحبالسلطة المطلقة بمقتضى الفرمانات الشاهانية الصادرة من الحضرة الشاهانية ؟

ج : انا كباقى العالم

س : انت كنت مشيرا أى ناظر ديوان عموم وتعرف زيادة عن غيرك ، بحقوق الحضرة الخديوية ؟

ج : هذا مجلس امة

س : لا . هذا لا يكون مجلس أمةمطلقة فان الامر فى الادارة العمومية هو للحضرة الخديوية ، ولا يكون فىبلادنا مجلس امة قط مثل هذا ، فافدنا عن سبب اتباعك لعرابى ؟

ج : اتبعت الناس الذين ختموا

س : هل تعلم أن ختم المذكورين يسرى فوق امر الحضرة الخديوية ؟

ج : لا ، وانما انا اتبعت أمر ناظر الجهادية

س : ناظر الجهادية كان معزولا ، وعلم لك امر عزله ، فكيف تتبعه ؟

ج : نعم انه كان معزولا ، وانما لقلة الحيلة اتبعت امره حتى وجدت الفرصة وتوجهت لمعسكر الانجليز .

س : من يوم عزله كان الواجب عليك عدم اتباع امره ، اما اذا كان ذلك اختياراً منك ، فانك صريحاً ؟

ج : كان بالجبر عنى .

س : هل امتنعت وجبرك بشيء ؟

ج : لا . لم امتنع .

س : لما كنت باسكندرية ونظرت عائلة ومعية الحضرة الخديوية ، حضرت الى راس التين كان يمكنك تبقى هناك لو اردت ؟

ج : قال لي سعد بك ابو جبل لا تبقى لئلا يقتلونا .

س : من هم الذين كانوا يقتلونك ؟

ج : هم عسكر الانجليز .

س : لو كنت غير مطيع ولا متفق مع العرابى بقلب سليم ، لكنت توجهت الى طرف الخديوى عندما توجهت الى الاسماعيلية وقابلت مسيو دولسبس او كنت تبقى عنده ولا تنضم مع العصاة ؟

ج : لم افعل ذلك .

س : هل عدم امكان منك او برضاك ؟

ج : موسيو دولسبس كان متحداً مع العرابى بواسطة مخابرات بينهما ولذلك لم اتمنه

س : متى كانت هذه المخابرات واستمرت لاى وقت .

ج : ابتداء المخابرات كان بعد خروج العرابى من اسكندرية واستمرت لحد قطع سكة حديد الاسماعيلية ، ولا اعلم المخابرات بينهما من قبل ، انما بعد قطع السكة اوسل له جوابات من يعقوب باشا سامى مع مخصوص .

س : لما توجه عبد الرازق افندى ومن معه من اركان حرب ، فلم لم تتوجه معهم أن كنت تريد ذلك ؟

ج : انا كنت مع على بك يوسف وخالد باشا ، وما أمكننى التوجه مع أركان حرب المذكور ، لان توجههم كان بكيفية انهم سيجرون اعمال استكشافات وتمكنوا بعد ذلك من التوجه .

س : من التحقيقات علم انكم فى مدة وزارة محمود سامى كنتم فى فرح بمنزل عمر بك رشدى ، فهل كنت معهم فى الفرح حقيقة ؟

ج : لا . ولا أعرف منزل عمر بك المذكور

س : بعد الخروج من الفرح ، توجه الضباط لقشلاق عابدين وكان فيه محمود باشا سامى وتحالفوا فهل كنت معهم ؟

ج : لا . ولم اتحالف معهم قط ولا كنت اجتمع مع احد ، انما بالنسبة لعدم تجمع الناس عندى ، كنت اتوجه لمنزل محمود باشا سامى غالبا واسهر فيه

س : اما كنت تتوجه الى منزل عرابى ايضا ؟

ج : كنت أتوجه أحياناً وفى ذات يوم توجهت صباحاً ، وتصادف حضور عبد الله بك فوزى ياور الحضرة الخديوية ومعه أمر عال أعطاه لعرابى فقراه فوجده مختصا بابطال الاشغال الجارية بالاستحكامات ، ولما تداول فيه مع عبد العال ، وطلبه ، وعمر رحمى ، وعلى فهمى استقر رأيهم على عدم التوقيف ، ثم سألونى فقلت أنه يلزم التوقيف حسب أمر الدولة ، ووافقوا على ذلك ، وتقدمت مكاتبة بما ذكر للحضرة الخديوية ، وطلبوا فيها انصراف المراكب الانجليزية ، وحرروا بتوقيف الاشغال الى سليمان سامى بك القائمقام حيث كانت الاشغال جارية بمعرفته

س : فى أثناء وزارة محمود سامى لما حصل بينكم وبين الجناب الخديوى خلاف بسبب مسألة الجراكسة صرتم تجتمعون فى منزل محمود سامى ليلا ونهارا ، ولم تتوجهوا حتى ولا الى الدواوين ، فما كانت الاسباب ، وما هى نتيجة تلك الاجتماعات ؟

ج : لا أعلم لها سببا سوى المداولة فى مسألة النوتة التى تقدمت من دولتى فرنسا والانكليز ، وأنا لم انقطع عن التوجه لنظارتى ، أما باقى النظار علمت منهم أنهم ماكانوا يتوجهون الى دواوينهم

س : هل وقتها قطعتم الصلات بين الحضرة الخديوية وبينكم ؟

ج : انا لم انقطع عن التوجه للحضرة الخديوية ، وكنت أتردد كثيرا ، وكان يتوجه ايضا شريف باشا

س : فى الجمعية التى حصلت بمنزل سعادة سلطان باشا توجهت ام لا ؟

ج : لم اتوجه وسلطان باشا يعلم

س : ألم يبلغك كيفيتها ؟

ج : بلغنى ان عرابى وباقى الضباط توجهوا الى هناك والعرابى خطب خطبة طويلة جدا وأخيرا نادى بعزل الخديوى

س : الم توجد فى الجمعيات التى كانت تحصل بمنازل المستخدمين مع الجهادية ويتلون خطبا فيها ؟

ج : لم اتوجه الا الى وليمة كان اعدها محمد الصدر ، ولكونه جارا لى فى السكن ، فتوجهت لمنزله بعد العشاء واقمت لحد الساعة ثلاثة ونصف عربى وانصرفت

س : تليت هناك جملة خطب ومقالات ، لمن الذى تلاها ؟

ج : عبد الله نديم والشيخ محمد عبده ، ثم قمت وبلغنى أن ابراهيم اللقانى وأديب اسحق من الاسكندرية وغيرهم لا أعرفهم قاموا وتلوا خطبا ايضا

س : هل لم يكن موسيو بلانت موجودا هناك ؟

ج : لا أعرفه ، وانما كنت اسمع اسمه من عرابى فى بعض الاحيان

س : ما معنى خطبة عبد الله نديم ؟

ج : التقدم

س : محمود سامى والعرابى وباقى الضباط ، كانوا موجودين فهل كانوا ممنونين من تلك الخطب ؟

ج : كانوا موجودين وكانوا مسرورين ويصفقون بأيديهم استحسانا

س : انت أما كنت مثلهم تصفق بيديك ؟

ج : لا . انا لا اعرف التصفيق حتى ولا فى التياترو

س : كان بلغ القومسيون انكم اجتهدتم بسد الترعة المالحة بواسطة قطع الترعة الحلوة لكى تنزل مياهها فى الترعة المالحة والرمال تنهال فيهما فتسدها . فما هى الحقيقة ؟

ج : نعم ، هذا الامر حصل فعلا بأمر عرابى لنا ونحن بلغناه الى محمد بك عبيد ، وقد فتح الترعة الحلوة ونزلت مياهها الى جهة القنال ، ولم يتم شيء لمناسبة هجوم الانكليز وتدارك الامر

س : افدنا عن مسألة ابراهيم حليم اليوزباشى الذى كان بالاسماعيلية على المستحفظين ، ورزق افندى الذى كان معه أيضا ؟

ج : أن هناك يوزباشى على الملاحات حضر لنا هو وبعض عساكر حال توجهنا الى دولسبس ، واخبرونا ان يوزباشى المستحفظين ، والملازم المذكورين غير صادقين ، وان العساكر لاترغب الاقامة معهم فحررت تلغرافا الى يعقوب باشا سامى وهو امر برفع اليوزباشى والملازم من هناك

س : لما كنت فى خط التل الكبير ، لماذا توجهت الى دمياط ثم الى كفر الدوار كما قلت ؟

ج : أن ابنى مستخدم بديوان الاشغال وكان تعين برفقة بليغ بك لدمياط ، فتوجهت لاجله ولمعاينة الاعمال الجارية ايضا بدمياط .

س : محمود سامى وعرابى وعبد العال وعلى فهمى ومن معهم ، لما كانوا يتذاكرون فى رفع الجناب الخديوى ، فما كيفية مذاكراتهم ؟

ج : لا أعلم ولا حضرت مذاكراتهم قط ، وانما بلغنى فى ذات يوم أن محمود سامى وعرابى كانا يحرران جوابات للاستانة ويرسلونها برفقة قبطان كنت نظرته بمنزل محمود سامى فى ذلك الوقت ، وهو الان مسجون باسكندرية وعلمت ان اسمه على بك راغب —

س : من الذى كان يكتب تلك الجوابات

ج : طبعا احمد بك رفعت .

س : هل لم يخبرك على راغب عن اسم من كان يوصل له تلك الجوابات ؟

ج : اخبرنى انه هو الذى كان يوصلها الى بسيم بك ، والشيخ احمد ظافر ، والشيخ احمد اسعد

س : لما كان الشيخ احمد اسعد يحضر لمصر ، كان يجتمع مع من ؟

ج : لا اعلم

س : اما علمت من على بك راغب بورود اجوبة على المكاتيب التى اوصلها ؟.

ج : علمت منه انه حضر تقرير عما كان حصل منه فى الباب العالى واعطاه الى محمود سامى او احمد عرابى لست متذكرا

س : ما الذى تعلمه من الاشاعات والاجتماعات التى كانت تحصل عن تنصيب حليم باشا ، وأين كانت تحصل تلك الجمعيات ؟

ج : تلك الجمعيات كانت تحصل احيانا فى منزل عرابى ، واحيانا فى منزل محمود سامى ، وكان يحضر فيهما عثمان باشا فوزى ، وحسن موسى العقاد ، ووجدت يوما عند عرابى ، فأخرج تصويرة من جيبه اعطاها لى فما عرفت ذات الشخص المصور فيها ، وبعدها قال لى احمد عرابى أنها صورة حليم باشا ، فوجدت اسمه مكتوبا على ظهرها

س : أما سمعت مذكرات فى طلب تعيين حليم باشا ، وممن كانت تلك المذاكرات ؟

ج : لا . وانما كنت ارى عثمان باشا يكلم دائما محمود باشا سامى وعرابى باشا ويذم الحضرة الخديوية ، ويمتدح حليم باشا وكان يوجد معهم حسن موسى العقاد وظلبة باشا وعبد العال باشا

س : أما كان عند أحد غير عرابى صورة ؟

ج : لا أدرى وانما أحمد عرابى أخبرنى ، أن الذى ورد هو صورتان ، أحداهما اليه ، والثانية لمحمود سامى ، وان كتابة الاسم التى على ظهر الصورة هى بخط حليم باشا

س : كانت حصلت اشاعات ان حسن موسى العقاد ، ورد اليه مبلغ ثلاثين الف جنيه ليصرفها فى استمالة قلوب بعض الناس ، وترغيب العالم فى حضور حليم باشا ، فما هى الحقيقة ؟

ج : لا اعلم

س : أما ختمت على المحاضر التى كان جاريا تختيمها بعزل الجناب الخديوى ؟

ج : لا . لم اختم ، وانما سمعت عنها انها كانت ترسل بجملة جهات وبالمديريات واحضروها الى العرابى بعد ختمها ومضمونها عزل الخديوى

س : ما الذى علمته او تلاحظ اليك من مساعى ومفاسد محمود سامى وعرابى ومن معهم ، حيث انك ضرورة اطلعت على اسرارهم ؟

ج : الذى فهمته انهما كانا يرغبان عزل الخديوى وتولية حليم باشا ولا أعلم السبب

س : كان اشيع أنهم كانوا يريدون انشاء جمهورية ، وان شيخها يكون محمود سامى ؟

ج : لا اعلم ذلك ، ولا سمعت به

س : فى مذكرات المذكورين ، ما الذى كانوا يقولونه ويصممون على عمله فى مصر ، لو غلبتهم عساكر الانكليز ؟

ج : ما سمعت شيئا من ذلك

(اعيد الى السجن)

(فى جلسة يوم الثلاثاء ٢٧ ذا سنة ١٢٩٩، صار استحضار المذكور من السجن ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة اللازمة فأجاب عنها كالموضح ادناه) :

س : قلت لنا انك خرجت من اسكندرية فى يوم ١٢ يوليو ثم عدت اليها وبقيت فيها فى يومى ١٣ ، ١٤ يوليو سنة ١٨٨٢ ، فماذا اجريت فى هذين اليومين ؟

ج : لم ابق فى الاسكندرية الا يوما واحدا ، وتوجهت فى الصباح لانظر الحالة ، وخرجت مساء وكنت مع مصطفى بك النجدى ، وسعد ابو جبل

س : ماهو اليوم الذى بقيته بالاسكندرية ؟

ج : يوم الجمعة

س : لماذا رجعت لاسكندرية ؟

ج : لانظر ماذا حصل فيها ، مثل حريق وخلافه

س : هل توجهت بصفة رئيس أركان حرب ، أو بصفة متفرج ؟

ج : للفرجة فقط

س : لما توجهت للاسكندرية ، قلت انك رأيت رهراب بك والجاويشية ، فهل هذا كان فى اليوم نفسه ، وفى اى وقت ؟

ج : رأيتهم فى اليوم عينه ، وكان ذلك بين الظهر والعصر

س : قلت انك لم تبق باسكندرية خوفا من اطلاق الرصاص عليك من عساكر الانكليز ، فلماذا لم تخف من ذلك ايضا فى التل الكبير ؟

ج : حيث انى رأيت منشورا من الحضرة الخديوية مآله أن من يحضر لاسكندرية يكون فى أمان

س : حيث انك على حسب هذا المنشور اردت ترك معسكر العصاة والالتجاء للانكليز ، فهل كنت تعرف حينئذ انهم عصاة ، وان الحكومة القانونية هى حكومة الخديوى ؟

ج : نعم كنت أعرف أن الخديوى هو الحكومة القانونية ، انما لما انقطعت المواصلات لم يتمكن احد من الوصول لاسكندرية ، وبعد ذلك لما علمت انه يمكن الوصول ، التجأت للعساكر الانكليزية بالاسماعيلية ، ولم اعرف عرابى ومن معه عصاة الا بعد صدور الامر بعزل عرابى

س : الم يبلغك هذا الامر الا فى القصاصين ؟

ج : كنت اعلم به من قبل ، ولكن لم اتمكن من الهروب الا فى المسخوطة

س : حيث انك كنت فى الاسماعيلية وتقابلت مع موسيو دولسيس وكنت تعلم بذلك ، فلماذا لم تأخذ مركبا وتسافر لطرف الحضرة الخديوية ؟

ج : كان معى عيد بك وضباط آخرون فخفت منهم

س : قلت أن احمد عرابى امر عيد بك بأخذ اورطة والتوجه لمنع النهب ، ففى اى ساعة كان ذلك ؟

ج : كان فى الساعة عشرة عربى من يوم الاربعاء

س : فى اى وقت نبه احمد عرابى على عيد بك بالخروج الى النقط بضواحى اسكندرية ؟

ج : كان فى وقت الغروب

س : هل كان موجودا عساكر فى البلد فى يوم الجمعة ؟

ج : كان موجـــودا عساكر قليلين من البوليس

س : هل امرتهم بشيء ؟
ج : لم آمرهم بشيء

س : متى خرجت من اسكندرية ؟

ج : العصر

س : من ادار أشغال سد المحمودية ؟

ج : ناظر الجهادية

س : ناظر الجهادية لم يكن مهندسا حتى يدير هذه الاشغال ؟

ج : أنا من ضمن المهنـدسين وأمرني فاشتغلت بذلك

س : هل المجلس الذى كان يصـــدر الاوامر والتنبيهـــات بشأن عمـوم الحركات العسكرية او احمد عرابى الذى كان يصدر هذه الاوامر ؟

ج : الاجراءات العسكرية فى جهةالتل الكبير ، كانت بناء على امر المجلس العرفى

س : قلت انك توجهت من كفر الدوار لدمياط والتـل الكبير وجنيفـــة والاسماعيلية وجملة جهات اخرى فهل هذه التنقلات كانت مثل توجهـــك لاسكندرية للفرجــة فقط او لادارة الاشغال بصفة رئيس اركان حرب ؟

ج : لاجل نظر اشغال الاوردى وانتهاز فرصة للتوجه لطرف الاعتاب السنية

س : هل جميع ما اجريته كان برغبتك ام بالجبر ؟

ج : ليس برغبتى ، بل خوفا من احمد عرابى والمجلس

(اعيد الى السجن)

(بناء على ماتقرر بجلسة يوم ٥ ذى سنة ٩٩ ،قد استحضر محمـــود فهمى من السجن ، وساله سعادة الرئيس ، فاجـــاب كمـــا يأتى):

س : قلت باجوبتك السابقة ، انك لم تتوجه الى كفر الدوار الا بعد أيام من الضرب على طوابى الاسكندرية ، وكنت مرافقاً للعرابى ، مع انه من اقوال خليل كامل اتضح انك توجهت معه فى يوم الاربعاء ثانى يوم الضرب صباحا الى كفر الدوار لانتخـاب موقع حربى ، فأفد عن ذلك ؟

ج : يوم الاربعاء كنت باسكندرية ، ولم انتقل منها

س : هل تريد احضار خليـل كامـل ليواجهك ويذكرك ؟

ج : لا مانع

« صار استحضار خليل كامل وساله سعادة الرئيس ، فاجاب كما يأتى »

س : ثانى يوم ضرب اسكندرية الذى هو يوم الاربعاء ، توجهت لاى جهة ؟

ج : ليلة الاربعاء ، كان طلبنى سليمان سامى وامرنى بارســال بعض الاورط لجهات ، ولعدم وجود أمر رسـمى معه ، توجهت لطرف عرابى ليلا ، فوجدته بالرملة فتقابلت معه ، ولما ان عدنا لباب شرقى ، طلب العرابى محمود فهمى ليلا ، ونبه عليه بانه فى الصباح يتوجه معى الى كـفر الدوار لاجل انتخاب موقع حربى ، وقد حصل وتوجهنا صباحا لـكفر الدوار .

« سال سعادة الرئيس محمود فهمى فاجاب » :

س : ها أنت سمعت كلام خليل كامل ، فماذا تقول ؟

ج : لم أتوجه معه وان كنت توجهت فى ذاك اليوم كما يقول ، فلا احتيــاج لاخذ ميرالاى مثل هذا معى لا يدرى عمل الاستحكامات . لانى أنا رئيس اركان حرب .

« سئل خليل كامل فاجاب كما ادناه»

س : هل عندك دليل على محمود فهمي؟

ج : نعم رزق أفندى البكباشى المسـجون بالاسكندرية ، يعلم ذلك ، وبكير أفندى يوزباشى الســوارى المســتخدم بالمســتحفظين باسكندرية هــو الذى أعطانا الخيــول التى ركبنــاها فى الذهاب .

« سؤال الى محمود فهمى »

س : ماذا تقول ؟

ج : لست متذكرا

س : قلت انك توجهت للاسكندرية يوم الجمعة تتفرج ، مع ان سعد ابوجبل قائمقام البوليس ، أوضح انك توجهت معه بأمر عرابى فى يوم الجمعة لاجل مناظرة الحالة ومعرفة المحلات المشتعلة بالحريق والغير مشتعلة ؟

ج : لا صحة لذلك ، فانى توجهت مـن نفسى وسعد أبو جبل حضر برفقتى لينظر تشلاق عساكر البوليس وتوجه فعلا لهذا الفرض .

« طلب سعادة الرئيس سعد ابو جبل لمواجهته مع محمــود فهمى ، فحضر وساله سعادة الرئيس ان كان حقيقة توجه محمود فهمى للاسكندرية بامر عرابى كما قال اولا ، فيكرر القول امامه بذلك ، فكرره أمامه وذكره بقوله (الم يامرك عرابى بالتوجه معى لمناظرة الحريق وتوجهنا سويا فى الرفاص ورجعنا سويا) .

« سئل من محمود فهمى »

س : ها هو سعد ابو جبل قال امامك ان توجهكم كان بأمر عرابى ؟

ج : كل ذلك غير حقيقى لانى توجهت بدون امر ناظر الجهادية ، وكنت اردت المبيت بالاسكندرية وهو الذى خوفنى كما اوضحت اولا .

« سئل سعد ابو جبل »

س : هل حصل ذلك ؟

ج : حاشا ، وانا لا أقول الا الحق وان كنت أصغر فى الرتبة .

« سئل محمود فهمى كما سياتى بعد اعادة سعد أبو جبل للسجن »

س : هل أبراهيم بك فوزى بات معكم فى نمرة ٣ ؟

ج : لست متذكرا

س : هل سليمان سامى والآيه ، حضروا الى نمرة ٣ ليلة مبيتك فيها ؟

ج : نعم حضر ثم طلبه محمود سامى وطلب منه خفراء .

س : اين توجه بعدها سليمان سامى ؟

ج : بات ليلتها هناك مع الآيه فى الطريق

س : من اين علم لك مبيته هناك ؟

ج : علمت ذلك لانى وجدته فى الصباح هنـــاك .

س : لما حضر سليمان سامى ليلا ، اما تكلمتم فى مسالة الحريقة . وما الذى قاله له محمود سامى وهو ماذا قال ؟

ج : لم تحصل مذاكرة فى مادة الحريق

س : فى تلك الليلة لما نظرتم من الشبابيك وعاينتم نـيران الحـريق تشــتعل بالاسكندرية صرتم تضحكون وتقولون ان الانجليز لو طلعت الى البلد لاتجد شيئا ، ولا طريقا تمرمنه ، فافد عن ذلك ؟

ج : بعد دخولى معهم فى نمرة ٣ ، اكلت ونمت والباقون استمروا سهرانين . ولم انظر الحريقة ولاتكلمت بشىء من ذلك ولا سمعت من كان يقول ذلك .

((طلب سعدابوجبل ثانية ليبدى اقواله الاخرى ، فاستحضر وسئل فأجاب كما ادناه)) .

س : ماذا تريد ان تقول ؟

ج : تذكرت انه كان معنيا واحد من اركان حرب لا اعرف اسمه ورافقنا فى الذهاب الى اسكندرية مع محمود فهمى وفى العودة بدون انفصال .

((سأل سعادة الرئيس محمود فهمى فاجاب بما يأتى)) .

س : ماذا تقول فيما أوضحه سعدابوجبل

ج : انا لم انكر توجهنا وعودتنا سويا وانما هذا لم يكن بأمر عرابى .

((وبعد ذلك اعيد الاثنان للسجن فى ذى سنة ١٢٩٩)) .

(بناء على ماتقرر بجلسة يوم الاثنين ٢ محرم سنة ١٣٠٠ ،طلب محمود فهمى من السجن ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة أدناه فأجاب عنها بما يأتى) :

س : لما سألناك عما يتعلق بتعيينك رئيس عموم اركان حرب ، انكرت ذلك ، وقد وجدت الان جملة اوراق عليها ختمك بصفة كونك رئيس عموم اركان الحرب فافد عن كيفية تعيينك بهذه الوظيفة ، وعمن عينك فيها ؟

ج : الذى عينني بهذه الوظيفة هو ناظر الجهادية

س : هل عندك مكاتبة منه بذلك ؟

ج : لم يكن عندى مكاتبة منه فى هذا الشأن ، وجميع الاوامر التى كانت تصدر منه لى فقدت فى كفر الدوار

س : هل صدر لك امر رسمى بتعيينك بتلك الوظيفة ؟

ج : لم يصدر لى امر رسمى بذلك ، انما الاوامر التى كانت ترد لى من طرفه بخصوص الاجراءات اللازمة ، كانت بهذا العنوان ، اعنى بعنوان رئيس عموم اركان حرب .

س : لما سألناك عن الاجراءات التى اجريتها ، جاوبت ان ذلك كان جبرا ، فما هى كيفية الجبر ؟

ج : حيث ان مستخدمى الجهادية عموما تحت ادارة واحدة ، فجميعهم يجرون مايكلفون به على حسب ما يصدر لهم من نظارة الجهادية

س : اين تعينت بعد استعفائك من نظارة الاشغال ؟

ج : بقيت فى منزلى حتى طلبت لطرف ناظر الجهادية بعد توجه الحضرة الخديوية لاسكندرية وتعينت بأمر الناظر المذكور بوظيفة باشمهندس عموم الاستحكامات ، أعنى الوظيفة التى كنت فيها قبل تقليدى لنظارة الاشغال .

س : فى بعض اجوبتك السابقة قلت ان مستخدمى الجهادية عموما تحت امر ناظر الجهادية ، وانه هو الذى عينك باشمهندس عموم الاستحكامات ، فكيف تقبل بهذه الوظيفة بدون صدور امر من الحضرة الخديوية ، بل بمجرد صدور امر اليك من الناظر المذكور ، مع أنه كان مساويا لك فى الدرجة منذ كنت فى نظارة الاشغال ؟

ج : الذى أعلمه هو ان ناظر كل ديوان يعين من يريده فى الوظائف التى تكون تحت ادارته ، والوظيفة التى عينني فيها ، كانت وظيفتى من قبل

س : المعلوم والجارى ان ناظر الديوان ينتخب فقط من يريده ، ولابد من صدور امر من الحضرة الخديوية بالتعيين ، خصوصا فيما يتعلق بوظيفة مثل الوظيفة التى تعينت بها ؟

ج : فى ذلك الوقت ، كانت الحضرة الخديوية باسكندرية ، وكان عند احمد عرابى امر منها بان القطر كله يكون تحت اوامره ، ولم يتيسر الحصول على امر .

س : ادعيت قبل الان ، انك لم تكن متحدا مع العصاة ، فلو كان ذلك حقيقيا ، لما كنت تصمم على الاجراءات الجبرية كما وجد ذلك بالقومسيون بختمك ، فها هو التصميم المذكور ، اطلع عليه وقل لنا هل هو بختمك ام لا ؟

ج : لما كنا فى كفر الدوار احضر لطرفى محمد مختار بك ، وعمر رشدى بك من اركان الحرب واخذا هذه التصميمات المحررة بختمى بحيث ان لنا علما باجراءات السواحل ، وهذا لا يدل على انى مع العصاة قلبا ولسانا ، وكان ذلك قبل حصول الاعلان بعزل احمد عرابى .

س : علم من بعض اقوال محمد شكرى بك ، انك ما كنت تتوجه للطوابى لنظارة التجهيزات ، واعمال التقارير اللازمة منها ، كنت تجمع العساكر وتحثهم على تعضيد احمد عرابى والميل اليه ، وتلقى عليهم مقالات بهذا المعنى وتبلغهم سلامه ، واجريت ذلك ايضا فى تفتيشات العساكر الموجودة باسكندرية فهذا يؤيد انك كنت متحدا مع زمرة العصاة ؟

ج : لا اعرف احدا يقال له عاصى ، بل انى لما نقلت من ديوان الاشغال فى ابتداء سنة ١٨٨٢ ما كنت وليس الهندسة ، وتعينت بالجهادية بوظيفة باشمهندس عموم الاستحكامات ، وتوجهت لرؤية الطوابى والاستحكامات واستلامها من السلف ، ذهبت وكشفت من عموم الطوابى والابنية العسكرية فى جهات اسكندرية ورشيد ودمياط ومن المعلوم ان كل ضابط عسكرى يتوجه للكشف فى جهات عسكرية لابد ان يسلم على العساكر والضباط الموجودين فيها ، وفى الواقع بلغت الضباط والعساكر سلام محمود سامى واحمد عرابى لانه كان احدهما ناظر الجهادية والثانى وكيلها ، وفى ذلك الوقت ، لم يكن لى علم بانهم عصاة كى احترس من مثل هذه الاجراءات ، وقدمت وقتها التقارير اللازمة فيما يتعلق بالطوابى .

س : هل محمود سامى واحمد عرابى كلفاك بتبليغ سلامهما الى الضباط والعساكر ، أم اجريت ذلك من تلقاء نفسك ؟

ج : هما اللذان كلفانى بتبليغ سلامهما للضباط والعساكر وحثهم على الالتفات لاشغالهم .

س : قيل عن محمد شكرى بك ، ان جميع ما اجراه هو وخلافه من المهندسين فى كفر الدوار والجهات الاخرى نحو بناء الاستحكامات وسد المحمودية وسد الاسماعيلية ، كان بناء على تعليمات وأوامر منك ، أحقيقى ذلك ؟

ج : نعم حقيقى ، ولكن كنا جميعا تحت اوامر احمد عرابى .

س : لما توجهت لنمرة ٣ فى مساء ١٢ يوليو مع محمود سامى وعلى رحمى وأنيه وغيرهم ، ماذا جرى ؟

ج : لم يجر شىء بل لما وصلنا هناك رأى محمود سامى ناظر السراى وطلب منه ان يسمح لنا بالمبيت هناك ، ففتح له السلاملك ، وقضينا الليلة فيه .

س : الم ينبه محمود سامى على ناظر السراى ، بأخذ الاشياء ذات القيمة منها وحرقها فيما بعد . وهل فتح باب السلاملك ، كان بواسطة الكسر أو بواسطة مفتاح ؟

ج : لم أسمع تنبيها بشيء مما ذكر ، ولم يحصل كسر ولا خلافه ، بل فتح ناظر السراى باب السلاملك بدون كسر ، وقضينا فيه الليلة كما قلت آنفا .

س : الم تنظروا مذ كنتم فى سراى نمرة ٣ ، حريق اسكندرية من الشبابيك وصرتم تضحكون وتقولون انه اذا خرجوا الانجليز الى البلد لايجدون شيئا ولا يجدون طريقا يمرون منه ؟

ج : هذا لم يحصل منى ولا رايته من احد ، ولم انظر حريق اسكندرية الا صباح الليلة التى قضيناها فى تلك السراى ، ولما توجهت لاسكندرية فى يوم الجمعة بعد انسحاب العساكر منها وتوجههم لعزبة خورشيد ، وكما قلت فى جوابى الاول ، كان سليمان سامى قاعدا على كرسى فى جهة المنشية فى ثانى يوم الضرب على الطوابى ، وسمعته يقول ، انه لايخرج من اسكندرية الا بعد نهبها وحرقها ورايت عساكر ٦ جى بيادة حكمدارية سليمان سامى المذكور ، وعساكر ٥ جى بيادة حكمدارية مصطفى عبد الرحيم ، يكسرون ابواب الدكاكين وينهبون ما فيها .

س : حيث انك سمعت سليمان سامى يقول انه لا يترك البلد الا بعد حرقها ونهبها وكان ذلك قبيل حصول الحرق ورايت ايضا كسر الدكاكين وسلب ما فيها بواسطة العساكر وحصل فى الواقع فيما بعد الحريق والنهب فيعلم من ذلك ، ان سليمان سامى هو الذى فعل ما ذكر ، فهل تعلم او رأيت ذلك انت ايضا ام لا ؟

ج : لم اعلم اذا كان سليمان سامى هو الذى حرق اسكندرية أو خلافه ، انما رايى انه هو الذى فعل ذلك .

س : حيث ان رايك هو ان سليمان سامى الذى فعل ذلك ، فهل تظن انه فعل هذا الامر من تلقاء نفسه ، أو بناء على امر من احد ؟

ج : حسب التهور الذى رايته من المذكور ، اظن ان هذه الاجراءات فعلها من تلقاء نفسه .

س : علم من اقوال عبد الحليم افندى عاصم البكباشى ، انه فى يوم ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ ، اعنى ثانى يوم الضرب على الطوابى باسكندرية ، توجه لطرف احمد عرابى لباب شرقى وسأله بناء على امر الحضرة الخديوية عن سبب حرق البلد ونهبها ، مع وجوده هو والعساكر فيها ، فأجابه انه لم يكن للمسلمين فى البلد سوى العشش ، واما الابنية والامتعة وغيرها فهى ملك الاوروباويين فدعها تحرق وتنهب وتترك لهم قاعا صفصفا لا ينتفع بها الانجليز ، وكنت انت وخلافك حاضرين فى ذلك الوقت ، فهل سمعت ما ذكر ام لا ؟

ج : نظرت عبد الحليم افندى عند حضوره فى باب شرقى ، ولكنى لم اسمع ما قاله لا احمد عرابى ، ولا ما جاوبه به المذكور فانى لم اكن فى ذلك الوقت معه .

س : كيف تقول انك لم تكن فى ذلك الوقت مع احمد عرابى ، مع انه من ضمن اقوال عبد الحليم افندى ، ان احمد عرابى بعد مجاوبته بما ذكر ، التفت اليك وسألك عما اذا كان يوجد موانع فى الطريق من اسكندرية لحد حجر النواتية أم لا ، فأجبته بعد نظر خريطة اخرجتها من جيبك انه لا يوجد موانع ، فالم يحصل ذلك حقيقة ؟

ج : لم يحصل ذلك

س : حيث انه تحقق نهب وحرق الاسكندرية بواسطة العساكر مع وجود ناظر الجهادية فيها ، ووجودكم ووجود عساكر آخرين وتوزيع نقط من العساكر للمحافظة عليها ، فافد صراحة ممن ارتكب ذلك ، والا تعتبر من المسئولين ، بما انك كنت رئيس عموم اركان حرب ولا يمكن حصول شيء من الجيش بدون علم رئيس عموم اركان حرب اتباعا للقانون ؟

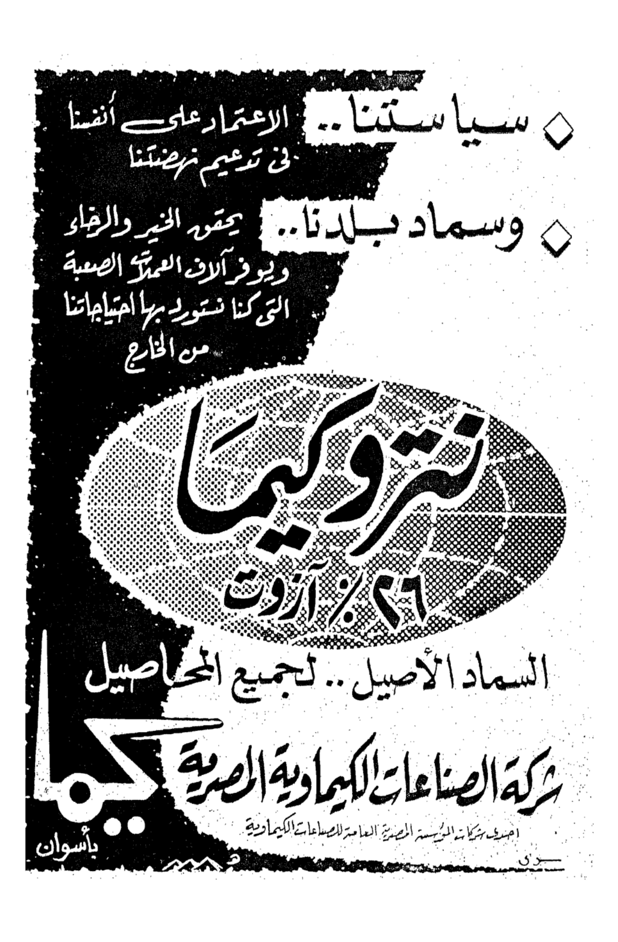
ج : لم القب برئيس عموم اركان حرب الا بعد انسحاب العساكر من اسكندرية وتوطنها فى كفر الدوار وفى ذلك الوقت ، ما كنت مسئولا عن شيء سوى استحكامات اسكندرية

((اعيد الى السجن))

أعضاء	أعضاء
محمد مختار	سليمان يسرى
مصطفى راغب	سعد الدين
محمد زكى	على غالب
مصطفى خلوصى	محمد حمدى
يوسف شهدى	

رئيس القومسيون
اسماعيل أيوب

تواصل الطليعة نشر النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابية



سياستنا..
الاعتماد على أنفسنا
في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا..
يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

٩

سبتمبر ١٩٦٦
السنة الثانية

شهادات وتقارير واقعية عن الريف المصري

■ وحدة "استراتيجية".. لاوحدة "تكتيكية"

■ وثائق تاريخية: النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابية



طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أمين عز الدين
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف

سكرتارية التحرير :

ميشيل كامل
عبد المنعم القصاص

الفهرس

العدد التاسع ــ السنة الثانية ــ سبتمبر ١٩٦٦

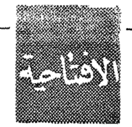
عنوان المراسلات .

((الطليعة))

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ــ ٤٤١٤٤
الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ، ج.ع.م. ودول اتحـاد البـريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعـــار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد اختلف معـك فى الراى ولـكنى على استعداد لان ادفع حيـــاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك)) .



وحدة "استراتيجية" .. لا وحدة "تكتيكية"

أسفرت اللقاءات التى وقعت حتى الآن فى اطار العمل على بناء وحدة القوى الثورية العربية عن نتائج ايجابية، تلقى بالفعل اضواء هامة على طريق واسلوب ومضمون الوحدة .. هذه الوحدة التى غدت مطلبا جماهيريا ملحا ، سواء على مستوى البلد الواحد او على مستوى الوطن العربى ككل . وذلك منذ رفع المناضل جمال عبد الناصر شعارها قوميا .

ولعل من اهم النقاط التى تعرضت لها اللقاءات ، تلك التى تتعلق بتحديد طبيعة الوحدة المطلوب بنائها .. هل هى من قبيل الوحدات السياسية «التكتيكية» الموقوتة بزمن قصير الاجل والمرتبطة بهدف حال ومحدود .. او هى وحدة ((**استراتيجية**)) تغطى مرحلة عريضة وكاملة من مراحل الثورة العربية التقدمية باهدافها القومية التحررية ، والاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية ؟

وبتعبير آخر ، هل هى مجرد ((**رد فعل**)) للتحرك الاستعمارى الرجعى المعاصر فى المنطقة .. او هى فى الاساس وحدة ((**فعل ثورى**))تحتمه ضرورات وموضوعيات حركة الثورة العربية ذاتها المستهدفة تغيير اوضاع الوطن العربى جذريا لصالح الجماهير الشعبية العاملة ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ؟

وبتعبير ثالث ، هل هى وحدة ((**دفاع**)) ضد الهجوم الاستعمارى الرجعى .. او هى فى جوهرها وحدة ((**مبادرة وهجوم مشروع**)) فى اتجاه حركة التاريخ والثورة لتحرير مقدرات الوطن العربى من الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية المتمثلة فى الاقطاع والرأسمالية الكبيرة معا ؟

ان ثمة قناعة عميقة ومشتركة تجلت بوضوح خلال اللقاءات التى تمت ، تجيب على كل هذه الاسئلة التى اثيرت بصراحة ، بأن الوحدة المستهدفة هى فى الاساس وحدة استراتيجية .. وحدة فعل .. وحدة مبادرة وهجوم ثورى مشروع ضد القوى الاستعمارية والرجعية والتخلف .

وليست هذه القناعة وليدة الرغبات والمشاعر والافكار الذاتية ، وانما هى نتاج الواقع الموضوعى بالفعل، ذلك ان النضال الشعبى العربى اليوم قد بلغ من النضج والعمق

والشمول — فيمواجهته للتحديات — بحيث اصبح يتحرك ، سياسيا واجتماعيا فينفس الوقت . وهكذا تبلورت المعركة فى الوطن العربى ككيل عن صراع تاريخى بين جهتين محددتين :

اولهما : جبهة محدودة النطاق من النظم الرجعية الشبه مستقلة والقوى الاقطاعية والراسمالية الكبيرة ذات المصالح الوثيقة مع الاستعمار وقواعده — بما فى ذلك اسرائيل — واحتكاراته .

وثانيهما : جبهة واسعة ونامية باستمرار من النظم الثورية والمتحررة وقوى الجماهير الشعبية العاملة ذات المصالح الحقيقية فى التحرر الكامل سياسيا واقتصاديا، وفى تطوير المجتمع وصياغته علميا صياسة اشتراكية تنهي استغلال الانسان للانسان على الارض العربية .

وهذا الاستقطاب المركز لقطبى المعركة فى هذه المرحلة التاريخية من الثورة العربية ، هو المنبع الاساسى لوحدة القوى الثورية العربية ، فى جبهتها التى تحتضن تنظيماتها واحزابها . وذلك بوزن مركز وفعال يمكنها من التوجيه والسيطرة على ميدان المعركة وحركتها فى اتجاه التقدم ،باقصر وقت واقل تضحية ممكنة .

صحيح ان شعار القوى الثورية العربية قد ارتفع فى توافق زمنى مع كل من ظاهرة فشل قيام وحدة عمل قومية بين القوى الثورية والقوى الرجعية من حول قضية العدوان الاسرائيلى وتحرير فلسطين ، والتحرك الاستعمارى الرجعى الذى يتجسد فى بناء حلف عدوانى جديد تحت اسم الحلف الاسلامى، وفى المحاولات العسكرية المستمرة لتصدير الثورة المضادة الى اليمن ، وفى المقاومة الضارية لثورة شعب الجنوب اليمنى المحتل ، وفى التآمر على عروبة الخليج ، وفى تسليح الدول الاستعمارية لاسرائيل والسعودية والاردن كمراكز عدوان ضد حركة التحرر والاشتراكية والوحدة ، وفى ممارسة الضغوط السياسية والاقتصادية العنيفة والمتعددة الاشكال ضد النظم التحررية والثورية .

بيد ان هذه العوامل كلها فى الحقيقة ليست الا عوامل مساعدة وظواهر خارجية اسهمت فى بلورة وانضاج الشعار وسرعة تقارب القوى الثورية العربية بعضها من بعض وتكتلها لتحقيق الوحدة .

ولعل ما يؤكد الطبيعة الاستراتيجية لهذه الوحدة ابراز اساسيان كشفت عنهما اللقاءات :

اولهما : ان الوحدة تبنى من حول نواة استراتيجية صلبة وهى تنظيمات واحزاب القوى ذات المسار الثورى العربى الذى يجمع فى خطواته بترابط عميق وشامل بين التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى بآفاقه الاشتراكية . الامر الذى يضمن للوحدة ، جسدا وفكرا وحركة ، طاقة ثورية متجددة ومتفاعلة مع خط التطور التاريخى للوطن العربى كجزء لا يتجزأ من الانسانية الجديدة المعادية للحرب والعدوان والعنصرية والتخلف والاستغلال الراسمالى .

وثانيهما : ان الاهداف المقترحة لوحدة القوى الثورية العربية لا تتجمد عند حدود آنية او عابرة ، وانما تمتد فى وعى ورحابة الى مشارف المستقبل القريب والبعيد من اجل ان يكون وطن العرب للعرب ، متحررا واشتراكيا .

ومن هنا توصلت اللقاءات الثورية الى مشروع برنامج للوحدة يضع فى الصدارة الاهداف التالية :

● مواصلة النضال ضد الاستعمار القديم والجديد بجميع اشكالهما واحلافهما .

وقواعدهما العسكرية والاقتصادية المتمثلة اساسا في الاحتكارات البترولية والتجارية والمصرفية بما يتضمن المشاركة الايجابية بكل الطاقات المادية والمعنوية في حركة تحرير شاملة ، وتصفية جميع القواعد العسكرية في الوطن العربي والدفاع عن الثورة اليمنية وتحرير فلسطين والجنوب العربي وشعب الخليج .

● الارتباط الفعال بجميع حركات التحرر الوطني في القارات الثلاث .. افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية ، والدفاع عن السلام العالمي القائم على العدل وذلك عن طريق الممارسة البناءة لسياسه التعايش السلمي التي لاتعني بالطبع التعايش مع الاستعمار ومع الايدلوجيات الرجعيه . والنضال من اجل نزع السلاح الكامل الشامل تحت رقابة دولية فعالة .

● مساندة وحماية كل النظم الثورية والمتحررة في البلاد العربية وخلق المناخ الصحي لقيام تضامن فعال ومنتج بينها في جميع المجالات .

● مساندة وتاييد القوى الوطنية والتقدمية في البلاد العربية غير المتحررة في كفاحها المشروع من اجل تطوير الاوضاع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وذلك في اطار العلاقات التنظيميه السياسية بما يكفل لها حرية العمل والنضال من اجل قضايا الشعب .

● الوقوف بكل الطاقة الموحدة للقوى الثورية ضد مؤامرات التخريب الذى تمارسه الرجعية العربية بالتعاون مع الاستعمار ، وتحديد الرجعية بأنها الاقطاع والراسمالية الكبيرة .

● حل مشكلات الاقليات القومية في البلاد العربية بالطرق السلمية بما يحفظ للقوميه العربية مضمونها الديمقراطي والتقدمي وبما يحفظ لكل بلد وحدة اراضيه وسيادته الوطنية .

● بغض النظر عن المصير الذى تنتهي اليه سياسة مؤتمرات القمة العربية التى تعمد الرجعيه الى استخدامها لتغطية مؤامراتها فانه يجب المحافظة على تدعيم وتطوير المؤسسات القومية التى انبثقت عنها وهى :

١ — منظمة التحرير الفلسطينية .
٢ — القيادة العربية الموحدة .
٣ — صندوق الدعم العربي .
٤ — مؤسسات استثمار روافد نهر الاردن .

● دراسة وممارسة العمل على قيام اقتصاد عربي متكامل بين اجزاء الوطن العربي بما يتيح للشعوب العربية استثمار مواردها خير استثمار وتبادل الخبرات فيما بينها والمواجهة الفعالة للضغوط الاقتصادية من القوى الامبريالية والاحتكارية.

● العمل على توفير الظروف الموضوعية لبناء الوحده العربية بمضمونها الديمقراطي التحرري والتقدمي لصالح الجماهير الشعبية وذلك بانتهاج الطريق الاشتراكي ، مع الوعي العميق بأن الثورة العربية هي جزء من الثورة التقدمية الانسانية الشاملة المعاصرة .

ولقد كان امام هذه اللقاءات المبدئية اختيار احد طريقين للنقاش والعمل :

اولهما : البدء بمناقشة ما قد يكون هناك من عقبات وعقد وظلال بين القوى الثورية العربية حال دون لقائها من قبل في وحدة نضالية .

وثانيهما : الالتحام المباشر بالواقع وقضاياه كأساس للوحدة ، والعزوف عن مناقشة

العقبات بصورة مجردة أو بأسلوب تصفية حسابات الاخطاء وذلك لعدم جدوى هـذا كله بحكم الخبرة . وليس معنى هذا هو تجاهل ما قد يكون هناك من عقبات وانما معناه أن تبحث هذه العقبات وحلولها من خلال ارتباطها بواقع العمل نفسه وطبيعـة الوحدة المطلوبة .

وقد اختارت اللقاءات الطريق الثانى ، وأثبتت التجربة صحةوواقعية هذا الاختيار. واكتشفت بالفعل خلال المناقشات ان ما كان متصورا انه عقبات ــ بحكم تجارب سابقة تخطاها العصر والنضوج النضالى ــ لم يعد كذلك فى الواقع الحى الراهن ».

بل ان هذا المنهج قد أفلح فى تخطى الخلافات الايدلوجية القائمة بين مختلف ممثلى التنظيمات والاحزاب فى هذه اللقاءات ، والوصول الى تحديد واضح الابعاد لفكرية وحركة وأهداف وحدة القوى الثورية العربية كما اوضحنا . وذلك على أساس أن الممارسة العملية للوحدة النضالية من شأنها ان تعالج أولا بأول وبطريقة طبيعية هذه الخلافات من خلال امتحانها فى اطار حركة التاريخ الواقعية .

وساعد هذا المنهج ايضا على توضيح الرؤية بالنسبة لسؤالين كانا يطرحان دائمـا بأساليب مختلفة بحثا عن جواب :

أولهما : ماهى الصياغة المقترحة لوحدةالقوى الثورية العربية ، هل هى تنظيـم تذوب فيه جميع التنظيمات والاحزاب الوطنية والتقدمية فى كيان واحد .. أو هى تنظيم عضوى لجبهة ثورية من نوع جديد توحد من نضال جميع هذه الاحزاب والتنظيمات فى خط واحد وأهداف واحدة ؟ ».

وكانت الاجابة التى انبثقت عن هذه اللقاءات ان الظروف الحالية لا تستطيع أن تقدم صياغة لهذه الوحدة غير صياغة الجبهة مع الوعى المتفتح بامكانية الوصول ــ فكريا وعمليا ــ من خلال تطور الظروف ونضجها الى بناء التنظيم الواحد لجميع القوى الثورية فى المستقبل ».

وأما السؤال الثانى : فهو هل يشترط لبناء وحدة القوى الثورية ، تعميم التجربة المصرية الثورية التى اقدمت معها التنظيمات الشيوعية وغيرها من التنظيمات الوطنية والتقدمية على انهاء كياناتها المستقلة وتقدم اعضائها ــ كأفراد ــ لعضوية الاتحـاد الاشتراكى ، على جميع البلاد العربية التى لا تتوافر فيها الظروف الواقعية الثورية التى تتميز بها الجمهورية العربية المتحدة ؟ ».

وكانت الاجابة التى أسفرت عنها هذه اللقاءات ان التجربة الثورية المصرية تسير فى خطواتها وفى نظرتها للواقع بمنهاج علمى يزن موضوعيا وباستمرار نوعية الظروف الخاصة بكل بلد وطبيعة العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فيه . وبالتالى فانه من غير المتصور ، علميا وعمليا ، وبحكم المنهاج العلمى للعمل الثورى العـربى المصرى أن تعمم تجربة التنظيم الثورى الواحد ــ الاتحاد الاشتراكى العربى ــ على بلاد أخرى لم تتوافر فيها ظروف الحركة الثورية كما توافرت فى مصر ».

وهكذا تمضى ــ وحدة القوى الثورية العربية ــ بوضوح اكثر وخطوات عمليـة أرسخ نحو بناء جبهتها التاريخية العظيمة . واثقة من أن الجمهورية العربية المتحدة شعبا وقيادة ، لا تضن ــ وعيا منها لمسئولياتها ودورها ــ بكل ما تملك من طـاقة وجهد وخبرة من أجل انتصار الثورة العربية التقدمية بأهدافها التحررية والاشتراكية ».

لطفى الخولى

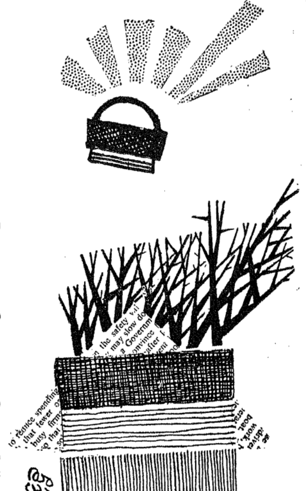
يكتب هذا المقال للطليعة الكاتب السوداني التقدمي حسن الطاهر زروق . وقد خاض زروق مع شعبه باستمرار معاركه من اجل التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعي ، وكان رئيسا للجبهة المعادية للاستعمار ، وقام بدور بارز خلال ثورة اكتوبر .

أضواء على الوضع السياسي في السودان

حسن الطاهر زروق

هناك اكثر من سبب يجعلنا نقدم هذا المقال المكرس لتوضيح الظروف السياسية التي يعيش فيها الشعب السوداني والمرحلة التاريخية التي يمر بها هذا القطر . ولعلنا في هذه الكلمة نحاول ان نعني اكثر ونركز على المرحلة التاريخية باعتبارها مفتاح فهمنا للظروف السياسية التي يمارسها السودانيون. ونرجو ان يساعد ذلك في استجلاء وفهم مستقبل الكفاح السياسي في هذا القطر العربي الافريقي . فالسودان اول قطر افريقي نال استقلاله السياسي بعد الحرب العالمية الثانية ، وتم ذلك بعد صراع ونضال ضد الاستعمار البريطاني اشترك فيه اغلب السكان .

ولم يات الاستقلال — كما حدث في بعض البلدان الافريقية — باتفاق مع الدولة المستعمرة ورضاها ومباركتها . ولعل موقع السودان الجغرافي في شمال شرق القارة الافريقية يعطيه اهمية سياسية تجعله معبرا بين العالم العربي وافريقيا السوداء — كما يقولون — ولهذا فهو في موضع يجعله قادرا على تدعيم وتوثيق الصلات العربية الافريقية ، وهي صلات لها مستقبل اعظم بكثير من حاضرها ويجب الا يغيب



عنا ان اكثر من سبعين مليون عربى يعيشون الان فى القارة الافريقية .

ومما له دلالته ايضا ان السودان تلتحم حدوده بحدود البلدان الاتية : الجمهورية العربية المتحدة، ليبيا ، تشاد ، الكونغو (ليوبولدفيل) اوغندا ، تنزانيا ، اثيوبيا . ولذا فان الوضع السياسى فى السودان يؤثر ويتأثر تماما بما يجرى فى البلدان المحيطة به — فعلى سبيل المثال نذكر ان حكومة **((لوممبا))** وثورة الشعب الكونغولى كان يمكن ان تصلهما امدادات وعون الدول والشعوب الصديقة عبر جمهورية السودان .. كان يمكن انقاذ وانجاح ثورة الكونغو من السودان .ولكن حال دون ذلك قيام حكومة رجعية عميلة برئاسة الجنرال ابراهيم عبود . وينطبق نفس الشىء بالنسبة لثورة الشعب الارترى فى شرق السودان . ومن الناحية الايجابية نستطيع ان نقول ان الشعب السودانى يتأثر كثيرا بالتغيرات الثورية التى تجرى الان فى الجمهورية العربية المتحدة التى تقع عند حدوده الشمالية .

ويتألف سكان السودان من عنصرين رئيسيين : هما **العنصر العربى** الذى يشكل اغلبية السودان ، **والعنصر الزنجى الافريقى** الذى يمثل ثلث سكان السودان . وكما هو معروف فأن الفشل حتى اللحظة فى حل مشكلة تعايش هذين العنصرين قد خلق ازمة حادة تهدد وحدة البلاد وتعطل تطورها الاقتصادى والسياسى . وبنفس القدر نستطيع ان نقول ان النجاح فى حل **مشكلة جنوب السودان** بالطرق السلمية والديمقراطية سيفتح آفاق مشرقة لحل المشاكل المشابهة فى عدد من البلدان الافريقية التى تكتوى بنار الخلافات والاختلافات القومية والقبلية . ومعروف تماما ان الزحف الاستعمارى للاستيلاء على القارة الافريقية كان يسير بصورة تجهل او تتجاهل الفوارق والحدود الاثنولوجية بين منطقة افريقية واخرى . سارت الدول الاستعمارية فى سباق محموم لتقسيم القارة الافريقية ، فكل منها كانت تحاول ان تحوز اكبر قدر من الاراضى والخيرات الافريقية بغير ادنى اعتبار لوضع السكان . ونشأت عن ذلك بالطبع مشاكل مازالت تعانى منها الدول الافريقية المستقلة .

ومهم مرة اخرى ان نتعرف على احوال وظروف السودان لسبب آخر يختلف عما سبق ان اشرنا اليه . فالسودان اول قطر افريقى حدث فيه انقلاب عسكرى رجعى فى يوم ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ . حدث ذلك ولم تمض ثلاثة اعوام على نيل الاستقلال السياسى . ومايهمنا هنا هو ان الانقلاب الرجعى فى السودان الذى قامت به القيادة العليا للجيش كان (بروفة بالملابس) لكل الانقلابات الرجعية التى جرت فى القارة الافريقية فى نهاية العام الماضى واوائل هذا العام . ففى كل هذه الاحوال سطت القيادة العليا للجيش على السلطة ، فعطلت الدستور، والغت الاحزاب ، وقيدت الحريات ، واقامت علاقات مع الدول الاستعمارية معادية للامانى والمطامح الوطنية .

واذا كان السودان هو اول بلد افريقى مستقل امتحن بالانقلابات العسكرية الرجعية ، فأنه قد تميز ايضا بأنه قد استطاع ان يطيح بذلك الحكم المدجج بالسلاح ولما تمض من عمره ستة اعوام. فقد هب الشعب السودانى فى **٢١ اكتوبر ١٩٦٤** وما اعقبه من ايام خمس .. هب فى ثورة عارمة على حكومته غير الشرعية فأطاحبها وهو الاعزل من السلاح . فبأشهار سلاح الاضراب السياسى العام والمظاهرات فى كل المدن الكبيرة اضطر « الجنرال عبود » وزمرته الى التسليم. فاقصوا عن الحكم . ولا شك ان هذه تجربة فريدة رائدة تستحق أن تسجل وان تدرس .

لكل ماتقدم من اسباب يصبح الحديث عن المرحلة التاريخية التى يعيشها الشعب السودانى امرا ضروريا ليس فقط فى نطاقه المحلى بل لان هذه الدراسة تعطينا صورة وتجربة من صور كفاح الشعوب الافريقية والاسيوية فى مرحلة التحرر الوطنى كما تعطينا صورة من صور اشكال التطور بعد اعلان الاستقلال السياسى. وتعتبر هذه المرحلة — مرحلة مابعد الاستقلال — من ابرز القضايا السياسية والاجتماعية فى عصرنا .

الثورة الوطنية الديمقراطية

فى اول يوم من عام ١٩٥٦ توج نضال الشعب السودانى ضد الاستعمار البريطانى باعلان استقلال السودان . ومنذ ذلك اليوم دخلت الحركة الوطنية فى مرحلة جديدة وواجهت مهام جديدة اهمها اكمال التحرر الوطنى والتحرر الاقتصادى والاجتماعى . وبعد تحقيق الاستقلال السياسى فان اهداف الشعب تصبح هى تدعيم الاستقلال وحمايته من كل تآمر استعمارى . كما ان الاستقلال السياسى يجب ان يكون وسيلة للتحرر من التحكم الاقتصادى الاستعمارى كما يكون وسيلة لبناء الوطن بصورة مستقلة تنهض بالبلاد بعد ان كانت ترزح وتتعثر فى اطار علاقات اجتماعية متخلفة فرضها علينا الاستعمار . كما

ان هذه المرحلة يجب ان تحمل ازدهارا لثقافتنا الوطنية .

مما سبق يتضح ان السودان مازال يعيش في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية . وان الاستقلال السياسى يمثل الانتصار الاول لتلك الثورة التى يتحتم مواصلتها باشكال جديدة حتى يتم وضع الاسس لتطور بلادنا فى طريق الاشتراكية كهدف لاسبيل غيره لخلق السودان الجديد المزدهر والمتطور .

فى اعقاب الحرب العالمية الثانية وعلى وجه التحديد فى الربع الاول من عام ١٩٤٦ ، نشطت الحركة الوطنية فى السودان واشتركت فيها الجماهير الواسعة والاحزاب التقليدية والعمال والمزارعون والمثقفون والطلبة . وبالطبع فان هذه الجماهير والجماعات والفئات كانت تتلاقى وتتعاون فى المعارك المباشرة ضد الاستعمار وتقف متساندة فى القضايا الكبرى كقضية الاستقلال وجلاء القوات البريطانية العسكرية .

ولكن على الرغم من قيام ذلك التعاون بين مختلف الطبقات والفئات فى مرحلة ما قبل الاستقلال ، الا انه كان واضحا وجود **اتجاهين وتيارين** فى داخل المجتمع السودانى .

فهناك **اتجاه الاحزاب التقليدية** التى كانت تسعى وراء حرية وطنية واستقلال يقف عند الشكل فقط . فهم يفكرون فى سودان يكون له علمه الخاص ونشيده الوطنى وتقوم فيه وزارة سودانية يتولونها هم .... سودان يجلو عنه العسكريون البريطانيون ورجال الادارة البريطانيون فيحل محلهم سودانيون فى الوظائف الكبيرة المدنية والعسكرية .

ولكن فى نفس الوقت كان هناك ايضا **الاتجاه الديمقراطى الثورى** الذى شارك فى معركة الاستقلال جنبا الى جنب مع الاحزاب التقليدية واحيانا كان ذلك التيار اكثر جراة ومبادرة من قيادات الاحزاب التقليدية . هذا التيار يتمثل فى العمال والمزارعين والمثقفين والطلاب . دخلت هذه الطبقات وجموعها معركة تحقيق الاستقلال وهم منتظمون فى اتحاداتهم ونقاباتهم . وقد استطاعت هذه الطبقات والفئات الثورية الجديدة ان تعطى النضال الوطنى محتوى اجتماعيا فى وقت مبكر . فهى التى اكسبت الحركة الوطنية طابعا ديمقراطيا . فلم تعد الحرية الوطنية وحدها هى المطلب ، بل اصبحت الجماهير الشعبية ترى فى الحرية الوطنية فرصة وسبيلا لنيل حقوقها فى حياة اسعد ، تؤمن فيها الحقوق الديمقراطية الواسعة وتحقق العدالة الاجتماعية التى لا مكان فيها لاضطهاد او استغلال .

ان عملية التحرر واعلان الاستقلال وعدم ارتباط جمهوريتنا بمعاهدة او حلف هى من المنجزات الرئيسية فى حياتنا . ولكن الاحزاب التقليدية لم تذهب ابعد من ذلك فى اكمال التحرر الوطنى فى جهاز الحكم وفى اقتصاديات البلاد وفى ثقافتها . بل ان هذه الاحزاب التى كانت تتحالف مع العمال مثلا فى بعض مراحل الحركة الوطنية الحاسمة .... نفس هذه الاحزاب عندما جاءت الى الحكم ناصبت الجماهير الكادحة العداء وحاولت اضعاف نقاباتهم واتحاداتهم وابعادها عن المشاركة فى توجيه سياسة البلاد . كما ان هذه الاحزاب لم توثق علاقاتنا مع اصدقائنا الحقيقيين فى البلدان الاشتراكية على الصعيد الدولى وفى البلدان العربية الشقيقة وبصفة خاصة مع الجمهورية العربية المتحدة . كما لم توثق علائقنا مع البلدان الافريقية المعادية للاستعمار . ان هذا الموقف الخاطىء قد ادى الى تفتيت الوحدة الوطنية والى عزلة السودان عن اصدقائه وكان لهذا اثر بعيد حصدنا ثمره المر فى ايام الحكم الرجعى (١٩٥٨ — ١٩٦٤) .

بعد ثورة أكتوبر

ان ثورة الحادى والعشرين من اكتوبر (١٩٦٤) كانت معلما هاما فى تاريخ السودان الحديث . فهى بطبيعة واجباتها التاريخية والقوات الاجتماعية التى اشتركت فيها ثورة وطنية ديمقراطية . انها استمرار لنضال شعبنا منذ الحرب العالمية الثانية من اجل التحرر الوطنى التام وبناء اقتصاد وطنى منيع ، وتوفير الحد الاقصى من الديمقراطية للجماهير العاملة وحل مشكلة القوميات حلا ديمقراطيا وبعث الثقافة الوطنية .

هذه هى الواجبات الوطنية الاساسية الان ومهما تبدلت او تغيرت الحكومات فأن هذه القضايا هى المحور الاساسى والمقياس الصادق لكل مايجرى فى السودان . ومهما صنعت الرجعية السودانية فأنها لن تستطيع ان تغير من سير التاريخ وان كانت تملك ان تعطل تطور الثورة السودانية بعض الوقت ولكنها تعجز تماما عن تغيير حكم التاريخ المحتوم .

ان الطريق الرأسمالى الذى سارت فيه كل الحكومات المتعاقبة بعد عهد الاستقلال قد ادى الى سيطرة الاحتكارات الامريكية والغربية على اقتصاديات البلاد باشكال مختلفة كالمعونات والقروض والاتجار غير المتكافىء فاستمر نهب ثروات البلاد منذ عهد الاستعمار المباشر حتى هذه اللحظة . واثرت على حساب شعبنا حفنة من كبار رجال الدولة وكبار اصحاب المشاريع الزراعية والمغامرين عن طريق الفساد والرشوة. وحصد الشعب مزيدا من الافقار فانخفضت اجور العاملين المنتجين . وفى نفس الوقت ارتفعت اجور الفئات غير المنتجة . وتفشت البطالة وارتفعت اسعار الحاجيات الضرورية . كما تدهورت اسعار المنتجات الزراعية وتراكمت الديون وضاقت الخدمات العامة من صحية وتعليمية وغيرها .

ان الطريق الرأسمالى هو السبب الاول فى تخلف بلادنا اقتصاديا باعتباره استمرارا لعهد الاستعمار . وبذلك فقد الاستقلال السياسى مضمونه الحقيقى . ان نضال القوى الديمقراطية من عمال ومزارعين ومثقفين وطنيين منذ اعلان الاستقلال وبصفة خاصة خلال سنوات الحكم الدكتاتورى الرجعى (٥٨ ــ ٦٤) كان فى الاساس موجها ضد الاسس الرأسمالية وعلاقات شبه الاقطاع وسيطرة الاحتكارات الاجنبية. والطريق الاشتراكى هو الطريق الوحيد امام القوى الديمقراطية . والخطوة الاولى لفتح الطريق للتحولات الاشتراكية المرتقبة ووضع الشروط الممكنة واللازمة لها انما تبدأ بالسير فى طريق التطور الوطنى الديمقراطى . ان طريق التطور غير الرأسمالى لايقضى على العلاقات الرأسمالية فى الانتاج ويستبدلها بعلاقات اشتراكية بضربة واحدة ولكنه يسير عبر خطوات ثورية تمهد الطريق للانتقال للاشتراكية واهم تلك الخطوات:

● تحرير كافة قطاعات الاقتصاد الوطنى من قبضة الاحتكارات الاجنبية والمعونات والقروض المشروطة الاستعمارية .

● اجراء اصلاح زراعى عميق لمصلحة جماهير المزارعين والعمال الزراعيين . وذلك بتصفية العلاقات شبه الاقطاعية وتحرير الانتاج الزراعى من تسلط الممولين ومن كافة اشكال الربا .

● توسيع قطاع الدولة القائم على اسس ديمقراطية حتى يصبح الاداة والعامل الحاسم فى بناء صناعة وطنية وزراعة متقدمة واقتصاد وطنى مستقل .

وفى هذه المرحلة من تاريخ البشرية وبعد قيام معسكر اشتراكى عالمى وبعد انتصارات حركات التحرر الوطنى .... بعد كل هذا يصبح من الممكن للقوات الوطنية الديمقراطية فى السودان ان تنجز كل هذه المهام . ان السير بالبلاد فى طريق التطور الوطنى الديمقراطى نحو الاشتراكية يضع الواجبات الاتية على عاتق القوى الثورية :

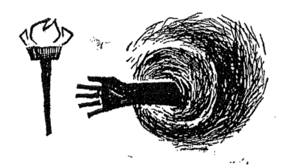
● بناء الحلف الوثيق بين جماهير الطبقة العاملة والمزارعين .

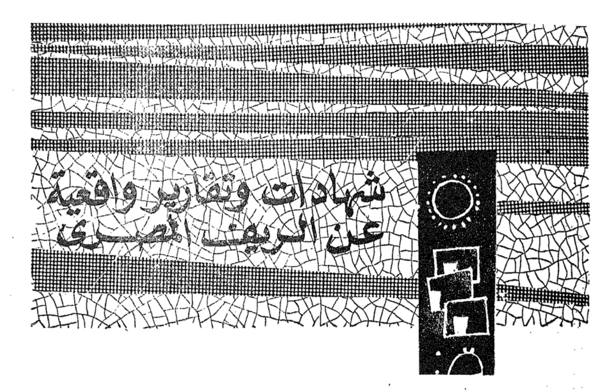
● تقوية الحلف الوطنى الديمقراطى مع المثقفين الثوريين والقوى الوطنية من البورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية المعادية للاستعمار ورأس المال الاجنبى .

● التضامن والتآزر مع قوى التحرر والاشتراكية فى العالم العربى والقارة الافريقية وعلى نطاق العالم اجمع .

● النضال المستقيم ضد الاستعمار باشكاله القديمة والحديثة وضد القوى الرجعية وعملاء الاستعمار الحاقدين على ثورة ٢١ اكتوبر .

● اليقظة الدائمة ضد مؤامرات وتخريب الرجعية والاستعمار واعمال الدس لاحداث الانقسامات فى صفوف القوى الوطنية .





منذ حوالى ثلاث سنوات بادر الفلاحون والعمال الزراعيون فى بلادنا الى اعلان شهر سبتمبر من كل عام عيدا قوميا واجتماعيا للفلاح والارض والثورة الزراعية. ففى التاسع من سبتمبر عام ١٩٥٢ — العام الاول لثورة يوليو — صدر القانون الاول للاصلاح الزراعى على الرغم من كل المحاولات والعقبات الرجعية التى وضعت فى طريقه .

ومنذ ذلك التاريخ والفلاح والعامل الزراعى فى ارتباطهما بمسار الثورة فى حركتها التحررية والاشتراكية يخوضان المعركة بلا هوادة بقيادة جمال عبد الناصر جنبا الى جنب مع عمال المدن والمثقفين والجنود . وذلك من أجل تطهير المجتمع من الرواسب الاقطاعية والاستغلال الرأسمالى من ناحية ، وتنمية الانتاج وتنظيمه وفق احدث الوسائل والاساليب الحديثة المتاحة وتطوير العلاقات الاجتماعية فى الريف لصالح الفلاح الصغير والعامل الزراعى وصولا الى الهدف الاستراتيجى . المساواة بين الريف والمدينة فى مجتمع اشتراكى .

وككل معركة اجتماعية وسياسية .. تراوحت الحركة فيها بين المد والجذر ، ولكن من الملاحظ تاريخيا عند كل مرحلة من مراحل هذه الحركة سجلت قوى الثورة بقيادتها انتصارات وكسبت باستمرار مواقع جديدة تغنى من فاعليتها وتزيد من قدرتها على اعادة خلق ريف جديد . ويكشف عن ذلك عدد من الظواهر من بينها التعديلات المتلاحقة لقانون الاصلاح الزراعى فى اتجاه مزيد من الحقوق للفلاح الصغير والعامل الزراعى ، والتنظيم الزراعى ، وديمقراطية الجمعيات التعاونية الخ .. وكان آخرها ذلك الاجراء التاريخى الذى اتخذته القيادة بتكوين اللجنة العليا لتصفية الاقطاع برياسة المشير عبد الحكيم عامر عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى والنائب الاول لرئيس الجمهورية ، وذلك بعد حادث كمشيش الشهير.

ولقد اهتمت الطليعة منذ صدورها بقضية الفلاح والارض فى مصر اهتماما عميقا وعيا منها بأهمية هذه القضية وحيويتها بالنسبة للتطور الاشتراكى عموما فى مجتمعنا . ومنذ ان خصصت « الطليعة » دراستها الرئيسية فى عددها الاول (يناير ١٩٦٥) عن الارضية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذه القضية وهى توالى باستمرار تتبعها من زوايا مختلفة .

وفى هذا العدد الذى يواكب الاحتفال القومى والاجتماعى بعيد الفلاحين تعرض الطليعة للقضية وتطوراتها التاريخية بأسلوب جديد . تطرحه فى نفس الوقت للنقاش بين المناضلين بهدف امكانية ممارسته فى القطاعات والمشاكل الاخرى فى مجتمعنا .

والهدف من هذا الاسلوب هو تقديم شهادات واقعية عن نماذج من الريف المصرى تتبعها بتقارير دراسية من الزوايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية عن الريف ككل .

والجدير بالذكر أن « الطليعة » قد مارست هذا الاسلوب الذى يستلزم بطبيعته وقتا غير يسير ، قبل تكوين اللجنة العليا للاصلاح الزراعى والاجراءات التى اتخذتها . ولعل هذه الشهادات تمثل المذكرة التفسيرية الواقعية لهذه الاجراءات .

ويتلخص الاسلوب الجديد فى الاعتماد — خلال الدراسة — على مصدرين رئيسيين فى الحصول على مادة واقعية تستند اليها فى تحديد مسار حركة التطور فى القطاع الزراعى وما طرأ من تغيرات على مراكز القوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعلى وضع القوى المتصارعة فى القرية ، لتستخلص منها اقتراحات بحلول عملية تطرحها للمناقشة . هذه المصادر هى :

● الشهادات الواقعية التى يدلى بها العاملون فى المجالات موضع الدراسة ، تعبيرا عن آرائهم الخاصة حول ما يدور فيها ومشاكل العمل والصراعات القائمة بها ، لاعطاء أقرب صورة عن الواقع ، دون تدخل من جانب كاتبها فى تحليل هذا الواقع .

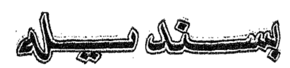
والدراسات الميدانية التى قام بها الدارسون بالمعهد العالى للدراسات الاشتراكية ، أثناء تدريبهم على العمل الميدانى بين الجماهير ، وتتضمن الانطباعات التى خرجوا بها فى احتكاكهم بالواقع الريفى .

● الوقائع التى نشرت عن نتائج نشاط لجنة تصفية الاقطاع .

وسوف تعمل على التوسع فى تطبيق وتعميم تجربة الشهادات الواقعية فى مجالات مختلفة .

والطليعة مرة أخرى اذ تقدم هذا النموذج من الدراسات يهمها ان تتعرف على رأى الاصدقاء من قرائها فى التجربة التى تهدف بها الى التعمق فى بحث مشاكلنا على أسس واقعية وبأسلوب جماعى .





محافظة الدقهلية

لقاءات مع التنظيمات السياسية والإدارية والنقابية

لجنة الاتحاد الاشتراكى

(١) — اللقاء الاول

كان اول لقاء لنا مع اهالى بسنديلة هو اللقاء الذى تم مع اعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى بالقرية، اذ تم هذا اللقاء فى مساء نفس يوم وصولنا، يوم السبت ١١ — ١٢ — ١٩٦٥، وكان هدفنا من هذا اللقاء :

اولا : ان نتفهم عقلية العناصر القيادية المنتخبة فى القرية واسلوبها فى المناقشة ومجابهة المشاكل

ثانيا : ان يكون لقاؤنا معهم وسيلة للالتقاء الطبيعى مع الجماهير فى القرية.

ولقد بدأ هذا اللقاء بكثير من التحفظ من جانب اعضاء اللجنة، ومع اننا حاولنا ان نوضح لهم بكل صراحة، طبيعة مهمتنا فى القرية، وهدفنا من لقائنا معهم، الا ان الجو المتحفظ استمر يسيطر على الاجتماع لفترة طويلة تميزت باتجاهين :

الاتجاه الاول لغة المدح والثناء علينا بشكل مبالغ فيه وبدون مبرر .

والاتجاه الثانى : الرغبة فى عدم الخوض فى اية مشاكل أساسية فى القرية بحجة انه ليست هناك مشاكل وان لجنة الاتحاد الاشتراكى تقوم بعملها بكل كفاءة ممكنة، وعلى حد تعبير بعضهم، لو أن كل لجان الاتحاد كانت بهذا المستوى لكان الاتحاد الاشتراكى الآن على اكمل صورة مرجوة .

ولكن هذا الجو لم يسيطر على الاجتماع الى النهاية فان بعض المشاكل التى طرحت والتى كان فى تصور اعضاء اللجنة ان مهمتنا الاساسية (رغم التأكيد الشديد على طبيعة مهمتنا) هو حلها، هذه المشاكل، فتحت المجال امام مناقشات

حيوية ادت الى انفتاحهم علينا. وبدأ التحفظ يتلاشى تدريجيا. وتحول الاجتماع من شكله الاول شبه الرسمى الى مجموعة من الحلقات. كل منها تشمل بعض الدارسين وبعض اعضاء اللجنة مما ادى الى شىء كثير من التفاهم .

ولعله مما ساعد على نجاح هذا الاجتماع اننا لم نجلس فى مواجهتهم عندما حضروا وانما كان الاجتماع عبارة عن حلقة تتكون من الدارسين واعضاء اللجنة معا بحيث كان عضو اللجنة بجوار احد الدارسين وهكذا ، ولقد تم هذا الوضع بصورة تبدو غير مقصودة وبمجرد حضورهم ، مما ساعد على بدء المناقشات الجانبية بين الدارسين واعضاء اللجنة، تلك المناقشات التى انتهت الى الحلقات المختلطة من الطرفين .

ولقد اتضح لنا من خلال هذا الاجتماع طبيعة تكوين لجنة الاتحاد الاشتراكى ، فقد كانت تتكون على الوجه التالى :

الامين : ويحمل مؤهلا زراعيا ، ولم يحضر اى اجتماع للجنة منذ انتخابه ؛ ولقد اتضح أنه انتخب نتيجة لانه وعد الفلاحين ببناء مدرسة بمجرد نجاحه ، وبالطبع لم يتحقق هذا الوعد .

زوجة الامين : وهى عضو بلجنة العشرين ، لم تحضر اى اجتماع للجنة ، وانتخبت لنفس السبب السابق وتقيم مع زوجها بالقاهرة بصفة مستمرة .

ولم يحضر ايهما الى اجتماعنا ولم نرهما اطلاقا طيلة وجودنا فى بسنديلة .

- كما ان باللجنة عضوين من التجار الصغار بالقرية (بقالين) وعضو آخر تاجر حبوب

- وباللجنة عضوين من مقاولى الانفار احدهما يشغل فى نفس الوقت منصب رئيس نقابة العمال الزراعيين ويعمل ايضا قياسا للارض .

- بقية اعضاء اللجنة فلاحون وتتراوح ملكياتهم من نصف فدان الى خمسة افدنة ومن بينهم ثلاثة ممن وزعت عليهم اراضى الاصلاح من اراضى خارج زمام القرية وامين مساعد اللجنة ينتمى الى هذه الفئة .

- هناك سبعة اعضاء فى اللجنة لايعرفون القراءة والكتابة والبقية بدون مؤهلات ما عدا الامين وزوجته ، والامين المساعد (وهو حاصل على الابتدائية) وهو يعمل شيخ بلد ايضا .

- اصغر سن فى اللجنة هو ٣٥ سنة وهناك ثمانية اعضاء فوق الخمسين .

٢ ــ اللقاء الثانى :

انتهى الاجتماع الاول بالاتفاق على ان نلتقى فى اليوم التالى فى الصباح مع اللجنة ومع **اللجنة النقابية لعمال الزراعة واعضاء مجلس القرية** ولقد أعددنا لهذا الاجتماع فى فناء الوحدة المجمعة، فوضعنا الدكك على شكل مربع يجلس فى احد اضلاعه بعض الدارسين ، ويتوزع بقية الدارسين بين المدعوين. وحضر الاجتماع معظم اعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى واللجنة النقابية وشرحنا فيه طبيعة مهمتنا واوضحنا كيفية مساهمتهم فى تيسيرها ، ولم نناقش فى الاجتماع مشاكل عامة، وكان الاجتماع يتسم بالنظام ولو انه تأخر عن موعده نظرا لوقوع حادثة عربة السماد (١) ؛ وقد انتهى هذا الاجتماع باتفاق اعضاء لجنة الاتحادالاشتراكى على تقسيم انفسهم الى مجموعات ترافق كل منها مجموعة من الدارسين فى اتصالهم بالفلاحين .

ولقد اكتشف الدارسون بعد ذلك ان هذا الوضع يغلق الباب تماما امام اى اتصال ايجابى ومنتج وصريح بيننا وبين الفلاحين ، فقد شعرنا ان الفلاحين لا يستريحون كثيرا لهذا الوضع . كما لاحظنا ان آراءهم فى لجنة الاتحاد تتجه نحو المديح والثناء المباشر دون ان يبدو فى بقية الاجابات ان لجنة الاتحاد ساهمت فى اى عمل ايجابى فى القرية، ومن هنا بدا الدارسون يهربون من حصار اعضاء اللجنة (كما كنا نسميه) لنحاول الاتصال بالفلاحين مباشرة بدون وساطة، ولقد اكتشفنا جميعا ان هذا الاسلوب افضل بكثير ، فبرغم حساسية الفلاح تجاه الافندية والغرباء عموما ، ورغما عن ان بعض أعضاء اللجنة اشاعوا اننا جئنا الى القرية بناء على طلبهم، مما كان يجعلهم اكثر حذرا ، الا ان عدم وجود أعضاء اللجنة ؛ ومحاولتنا ان نكون بسطاء وعاديين مع الفلاحين، واصرارنا على تشجيعهم على الحديث الصريح، كل ذلك افاد الى حد كبير فى ان ينفتح الفلاحون معنا بدرجة كبيرة أعطتنا صورة سليمة عن الوضع فى القرية عامة وعن وضع لجنة الاتحاد الاشتراكى بصفة خاصة .

ولقد اتضح من هذه الاجابات ان لجنة الاتحاد الاشتراكى عديمة الفاعلية تماما وان فهم الفلاحين لنشاطها ينحصر فى تقديم الشكاوى والمصالحات بين الناس وانهم يشعرون أنها غير ذات فاعلية حتى فى هذا المجال .

---

(١) والتى أشار اليها د. كمبيبة فى عرضه لعلاقات الانتاج .

اجتماعات التوعية والعمل

ولقد تم فى هذا المجال اجتماعان يومى الاثنين والثلاثاء ١٢/١٣ ، ١٢/١٤ . وكانت اهدافهما الاساسية تنحصر فى توعية اعضاء اللجنة بأساليب العمل السياسى والتنظيمى والجماهيرى. وكانت هذه الاجتماعات تتم فى المقر الذى ننزل فيه،وقد تم من خلال هذه الاجتماعات توضيح اسلوب التفكير فى مشاكل الجماهير، وكيفية تنظيم الوصول الى حلول لها وتوضيح ضرورة مشاركة الجماهير فى دراسة المشكلة وحلها، كما تم توضيح بعض النواحى التنظيمية للاجتماعات. وقد تم فى اثناء هذه الاجتماعات التصدى لبعض مشاكل القرية ودراستها ومحاولة حلها ،ومنها موضوع انشاء جمعية تعاونية استهلاكية ،وقد تم تشكيل مجلس ادارتها المؤقت واختيار مقرها وتحويل رأسمالها المؤقت واخطار المركز للتنفيذ. كما نوقش موضوع انارة القرية والمشاكل التى تعترضه .واتفق فى هذه الاجتماعات على ضرورة الارتباط بالجماهير وتنظيم الاتصال بهم، كما اتفق على عقد ندوة مفتوحة مع المواطنين مساء الاربعاء.

ولقد كشفت لنا هذه اللقاءات عن اسلوب تناول قيادات القرية لمشاكل الجماهير وعن نظرتها للعمل السياسى ومدى وعيها بمرحلة التحول.

الندوة المفتوحة

● اسلوب التحضير سوء :

تم التخطيط لهذه الندوة على اساس ان تكون بداية للقاءات المفتوحة بين لجنة الاتحاد الاشتراكى وبين الجماهير ،وكنا نستهدف ان نجعلها ندوة مفتوحة بحيث تتاح الفرصة لكل من يرغب فى الحديث ان يأخذ حقه فيه، وبحيث ندفع الجماهير الى طرح مشاكلها بصراحة فى اجتماع عام ثم ندفعها الى التفكير من اجل محاولة الوصول الى حلولها. واجتمعنا قبل الندوة مع امين مساعد الاتحاد الاشتراكى وناقشناه فى المواضيع التى يجب ان يتناولها فى حديثه وكان يبدو متهيبا وقلقا، وحاول عدة مرات ان يدفعنا الى الحديث بدلا عنه ، وازاء اصرارنا ،ومع الخوف والتردد اللذين ظهرا عليه قبل الندوة مباشرة، اضطررنا الى كتابة النقاط الاساسية له فى ورقة لكى يتناولها هو بالتفصيل اثناء الحديث ،وكان المقرر الا يتحدث احد سواه لكى تتاح الفرصة للجماهير لكى تناقش وتقول رأيها .واعددنا للندوة بحيث وضعنا منصة فى الواجهة يجلس خلفها اعضاء اللجنة وصففنا الدكك فى مواجهتها فى صفوف متتالية، وهو نفس الشكل الذى كان متبعا فى مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى. ولم نستعمل مكبر صوت.

● كيف سارت الندوة :

رغم توضيحنا لاسلوب عقد الندوة فلقد اتخذت فى بدايتها اسلوبا مغايرا للشكل الذى استهدفناه والذى سبق شرحه،فلقد فوجئنا بعد القرآن الكريم بأن عريف الندوة، وهو احد اعضاء اللجنة ورئيس نقابة العمال الزراعيين يطلب من المواطنين قراءة الفاتحة لامين لجنة الاتحاد الاشتراكى (الذى كان قد حضر الى القرية قبلها مريضا بمرض خطير) ان يشفيه الله اذا كان لا يزال حيا، وان يرحمه اذا كان قد توفى، ثم اعطى الكلمة لرئيس مجلس القرية الذى كان قد حضر الاجتماع دون تخطيط منا، اذ اننا استهدفنا الا نضع له كلمة ضمن البرنامج كى نؤكد صورة الاتحاد الاشتراكى امام الجماهير كمؤسسة قيادية.

ولقد كان رئيس مجلس القرية المديح لنا بأسلوب خطابى كان يقاطع بالتصفيق من الجماهير باستمرار مما جعلنا نخشى ان تتحول الندوة الى صورة مهزوزة للمؤتمرات التى كان يعقدها الاتحاد الاشتراكى قبل ذلك والتى كانت تتحدد مهمة الجماهير فيها بالتصفيق وترديد الهتافات ،دون اى محاولة جدية لمناقشة مشاكلها ودراستها وقد تأكد لنا هذا التصور عندما بدأ امين مساعد اللجنة فى الحديث بقصيدة شعرية من ذاكرته ، يبدو انها معدة لاى زائر يزور القرية، وتتابع التصفيق بصورة مزعجة، وبدأت الهتافات تتوالى باستمرار ،وعندما خرج احد الدارسين من مكانه حيث كنا نجلس بين الجماهير ليحاول ان ينصح الامين المساعد بايقاف القصيدة والدخول فى موضوع الندوة نهائيا . وحين انتهى الامين المساعد من عدة مرات ليردد المواطنون خلفه الهتاف، وانسحب الزميل الى مكانه وقد تأكد عندنا الاحساس بفشل الندوة نهائيا. وحين انتهى الامين المساعد من قصيدته بدأ يتحدث عن منجزات اللجنة. وكان من المزعج ان نراه يقرأ النقاط التى كتبناها له فقط دون اى تفصيل وبأسلوب خطابى يدفع المواطنين الى التصفيق المتتالى اثر كل فقرة يقرأها .

● كيف تحول الفشل الى نجاح ؟ :

اثناء عرض الامين المساعد لما حققته اللجنة، بدأت الجماهير الجالسة معنا تهمهم بأنه لم يتعرض لاى مشكلة اساسية تهم القرية واخذت الهمهمة فى الارتفاع مما دعانا الى التقاط الخيط لنقول

للمواطنين اننا سنفتح المجال بعد انتهاء كلمته لكل من يريد ان يتحدث، وبالفعل بمجرد انتهاء الامين المساعد من حديثه اضطررنا الى التوجه الى المنصة لنطلب من كل من يريد الحديث ان ينتقل الى المنصة ليتحدث. ويبدو ان هذا الاسلوب كان جديدا على المواطنين فى القرية اذ ان كلا منهم كان قد بدأ يتحدث الى من حوله دون اية محاولة للتوجه للمنصة. وساد الاضطراب والفوضى والضوضاء الفترة اضطررنا خلالها ان نناشدهم الهدوء وان نؤكد لهم اننا سنعطى كلا منهم الفرصة لكى يتحدث كما يريد فقط، بنظام ،حتى يتمكن الجميع من ان يسمعوا كل من يريد ان يتحدث ومع ذلك فان الهدوء لم يتحقق الا عندما تدخلنا لكى ندفع احد الذين كانوا يتحدثون مع من حولهم بصوت مرتفع، الى المنصة ليتحدث أمام الجميع ولكنه بدلا من ان يتجه بحديثه الى الجماهير ،اتجه بحديثه الينا بصوت منخفض ،واضطررنا الى لفته بالكلمات وباليد الى الحديث فى مواجهة الجماهير وليس فى مواجهتنا، ولقد اضطررنا لتكرار ذلك مع كل المتحدثين. وامكننا بهذه البداية ان ندفع العديد الى المنصة لنسمع منهم مشاكلهم، ثم قمنا بترتيب المشاكل امامهم. وبدانا نسالهم عن آرائهم فى حل كل مشكلة على حدة، وعدنا ندفعهم الى المنصة ليتولوا آراءهم .ورغم فقدان النظام ورغم الضجيج المستمر الذى كان يضطرنا الى التدخل باستمرار لنطلب الهدوء والنظام، فلقد شعرنا ان الجماهير قالت كل ما عندها باقصى حد من الصراحة والصدق ، وانها وضعت حلولها لشاكلها ببساطة وسهولة ودون تعقيد، وشعرنا اكثر من ذلك انها تعرف مشاكلها بوضوح وان كانت لاتجيد التعبير عنها ، وانها تعرف حلولها فى نفس الوقت. ولقد كانت ابرز المظاهر التى بدت فى الندوة هو وقوف احد الفلاحين ليتحدث باعلى صوته عن استغلال كبار الملاك للفلاحين. ويذكر احدهم بالاسم فى حضور خولى هذا المالك، ثم تأييد بقية الفلاحين لكلامه، الشيء الذى كان من المستحيل ان يحدث لولا ثقة الفلاحين فى انهم يستطيعون ان يتحدثوا بحرية دون ان يخافوا شيئا والذى تولد نتيجة لاصرارنا على دفعهم الى الحديث بصراحة والى اقصى حد ممكن. ولقد شعرنا وقتها ان الندوة قد نجحت فى ان تؤدى مهمتها وبالشكل الذى حددناه لها فى البداية رغم الاضطراب والضجيج الذى سادها عدة مرات .

النهاية الفاشلة

فى الوقت الذى تأكدنا فيه من نجاح الندوة حضر امين المكتب التنفيذى وبعض اعضاء المكتب بالدقهلية وانقلبت الندوة فى الحال الى صورة سيئة جدا تميزت بالضجيج الحاد والاصرار على اعادة طرح المواضيع التى سبق طرحها ومناقشة حلولها مما جعل من العسير تماما على الامين ان يسمع او يتحدث ، وكان ابرز ما حدث فى هذه الفترة هو وقوف احد الشباب ليتهم اعضاء مجلس ادارة الجمعية التعاونيه الزراعية بالسرقة والمحاباة ولكننا لم نتمكن من استكمال النقاش من اجل معرفة الحقيقة نظرا للفوضى التى سادت تلك الفترة ،واستمر الوضع بهذا الشكل حتى امكن فى النهاية ان ندفعهم الى الصمت لمدة دقائق. قال خلالها الامين كلمة صغيرة ثم انتهت الندوة .

دلالات النـــدوة

لقد اكتشفنا اثناء الندوة اننا اخطأنا فى تنظيم الاجتماع فان وضع منصة فى مواجهة الفلاحين يعطيهم بالضرورة صورة الحاكم والمحكوم . الحاكم الذى يجلس على المنصة والمحكوم الذى يجلس فى مواجهته وبالتالى يلتزم الفلاحون مباشرة بالصمت المطبق والسلبية التامة فيما عدا التصفيق وترديد الهتافات .

كما اكتشفنا ان طريقتنا فى صف الدكك فى صفوف متراصة خلف بعضها كانت لاتعطى الفرصة لمن يريد التحدث فى الخروج من بين الصفوف الى المنصة بسهولة مما كان يجعل معظمهم يفضلون الحديث وهم وقوف فى اماكنهم. كما ان هذا الوضع كان يسهل تداخل الصفوف فى بعضها، ويدفع من يجلسون فى المؤخرة الى الوقوف على ارجلهم او الوقوف على الدكك ليروا المنصة، وقد جعل هذا الوضع نفسه مهمتنا فى حفظ النظام عسيرة جدا بل مستحيلة، ومما جعلنا نلجأ فى الاجتماع الذى عقدناه فى اليوم التالى للشباب الى تغيير نظام الجلوس بحيث صففنا الدكك فى صورة مربع واسع جدا خال من الوسط وقد افاد ذلك فى تنظيم الاجتماع بشكل مذهل .

كما ان هذه الندوة وضحت نهائيا وضع لجنة نضع فى حسابنا احتمال اختلال النظام لاى سبب من الاسباب وبالتالى لم نحاول ان ندعو بعض شباب القرية الذين ارتبطوا بنا من خلال عملنا معهم، الى المحافظة على النظام مع انهم كان فى امكانهم ان يساهموا بشكل كبير فى الموضوع ، على الاقل فى ابعاد الاطفال الذين ساهموا الى حد كبير فى خلق الفوضى والضوضاء .

لقد كشفت لنا الندوة ان اسلوب المؤتمرات المعدة وانعدام العمل السياسى الجدى بين الجماهير فى القرية قد ادى الى فقدان جماهير

الفلاحين فى القرية للقدرة على تنظيم انفسهم ، وعدم قدرتهم على التعبير عن مشاكلهم بوضوح، وعدم استعدادهم للاعتماد على انفسهم فى حل مشاكلهم، ذلك الذى ظهر باستمرار فى محاولتهم القاء عبء الحل على الدولة فى مشاكل يمكن ان يساهموا فى حلها بأنفسهم .

كما ان هذه الندوة وضحت نهائيا وضع لجنة الاتحاد الاشتراكى فى القرية، فقد كان واضحا ان هذه اللجنة ليست لديها اية فكرة عن طبيعة عملها لا من حيث الهدف ولا من حيث خطة العمل واذا كان ذلك انعكاس طبيعى للمستوى الفكرى والتنظيمى والقيادى لاعضاء اللجنة فان استمراره على مدى ثلاث سنوات هو نتاج حتمى لانعدام اتصالهم بالمستويات الاعلى فى التنظيم وهى مسئولية تتحملها المستويات الاعلى بنفس القدر ان لم يكن بقدر اكبر مما تتحملها لجنة القرية. لقد كان واضحا ان اللجنة تفهم مهمتها على انها شكاوى ومصالحات ولا شىء خلاف ذلك، فضلا عن ان الشكاوى كانت تذهب باستمرار دون ان يأتى عنها رد. ان انعدام التفاعل ،بل وفقدان وسائل الاتصال بين المستويات فى الاتحاد الاشتراكى هو احد الاسباب الاساسية فى هذا المستوى الذى تعيشه لجان القرى من حيث تدنى المستوى الفكرى والتنظيمى الذى يبلغ حد الجهل التام بالتغييرات التى طرأت على الاتحاد الاشتراكى ، ناهيك عن التطورات السياسية وعن الوضع الداخلى والخارجى. اننا يجب ان ندرك ان معظم القيادات التى افرزتها الانتخابات فى الاتحاد الاشتراكى فى القرى هى مجرد امكانيات قيادية تحتاج الى الصقل والتنمية والتدريب، وربما اعادة البناء ».

لقد كان من الواضح ان اغلبية اعضاء اللجنة (اذا استثنينا امين اللجنة وزوجته) هى عناصر كان فى الامكان اختبارها ثم تنمية العناصر الصالحة منها وبناءها. ولكن فقدان الاتصال المنظم بعناصر واعية، ادى بهم الى تلك الحالة من السلبية التامة والجهل الكامل بطبيعة مسئوليتهم . فضلا عن ذلك فلقد ساهم هذا الوضع فى تكريس المفهوم الخاطىء من القيادة على انها تعالى عن الجماهير وابتعاد عنها، لديهم .ولقد تمثل ذلك فى احتقارهم للعمل اليدوى وعدم رغبتهم فى مشاركة الجماهير فيه. ذلك المظهر الذى بدا واضحا فى اليوم التالى للندوة اثناء ردم البركة، فقد كانوا يقفون بجوار موقع العمل يدخنون ويشربون الشاى ويأمرون وينهون دون اى محاولة للمشاركة ودون اى تصور لما يعنيه اشتراكهم لدى الشباب والفلاحين عموما، ودون ادراك لما قد يعكسه عدم اشتراكهم على الجماهير من مفاهيم ».

اللجنة النقابية لعمال الزراعة

بدأ احتكاكنا باللجنة النقابيه للعمال الزراعيين فى بسنديلة منذ اليوم الاول لوصولنا القرية، اذ ان رئيسها هو احد اعضاء لجنة العشرين الذى حضروا معنا الاجتماع الاول فور وصولنا. ولكن الذى ادهشنا هو ان رئيس اللجنة النقابية لا يعرف عنها اكثر من انه قد تم تشكيلها منذ عامين بناء على امر من مندوب منطقة العمل بالمحافظة، وتمت الانتخابات وتسلم عددا من الدفاتر ،وانتهى الوضع منذ ذلك الوقت الى لا شىء. فاذا علمنا ان هذه القرية بها عدد كبير من العمال الزراعيين يجاوز الخمسمائة، وانهم لا يجدون عملا فى داخل القرية الا فى مواسم ضغط العمل وهى لا تتجاوز شهرين فى السنة حيث يبلغ اجر الفرد فيهم من خمسة وعشرين الى اربعين قرشا يوميا، وانهم يضطرون فى بقية الفترات الى العمل بأجور بخسة الى اقصى حد تتراوح بين سبعة قروش واثنا عشر قرشا ، وان مقاولى الانفار لا زالوا حتى الان هم المتحكمون فيهم، وان كبار الملاك يستغلون هذا الوضع بأبشع صورة ممكنة بحيث انهم وجدوا انه من الاربح لهم ان يخرجوا المستأجرين من اراضيهم وان يزرعوها لحسابهم مباشرة بواسطة العمال الزراعيين، ولقد ساهم هذا التصرف فى حد ذاته فى زيادة عدد العمال الزراعيين ولم يساهم فى رفع اجورهم .اذا علمنا ذلك كله ادركنا مدى الاختلال والزيف المتمثل فى هذا الوضع ».

ان العمال الذين اشتركوا فى النقابة عند تأسيسها بلغوا ١٦٨، عاملا، واما نسبة تسديد الاشتراكات طيلة عام ١٩٦٥ هى ٢٥ عاملا فقط. وهو وضع طبيعى جدا ما دامت النقابة لم تقم لهم بأى عمل ايجابى ولم تساهم على الاطلاق فى تنظيم فرص العمل لهم او حمايتهم من استغلال كبار المزارعين لهم. بل ان الصورة تبدو اكثر سوءا حين نعلم ان عددا كبيرا من العمال الزراعيين الذين سألناهم عن النقابة تبين انهم لا يعلمون عنها شيئا ».

اما اللجنة النقابية فتتشكل من احد عشر عضوا بينهم مقاول انفار واحد هو الرئيس وبينهم اربعة لا يعرفون القراءة والكتابة واصغرهم سنا كان فى الخامسة والثلاثين عند تشكيلها وقد توفى احد الاعضاء ولم ينتخب مكانه شخص آخر .

واعضاء اللجنة يعترفون بعجزهم التام عن تقديم اى مساعدة للعمال ويعزون ذلك الى كونهم لا يعرفون كيف يمكن ان يفعلوا ذلك، ولقد عرفنا منهم ان احدا لم يزرهم او يسألهم عن عملهم سواء من النقابة العامة او من مكتب العمل

منذ يوم تشكيل اللجنة فضلا عن ان احدا منهم لم يتلق اى تدريب نقابى .

لقد كان واضحا ان تكوين النقابة تم بناء على امر صادر من اعلى وانه تم خلال ايام، وعلى الورق فقط، وبدون ان يعلم به عدد كبير من العمال الزراعيين ،وحين انتهى التشكيل، تركت اللجان دون اى محاولة لتوضيح طبيعة دورها ودون اى تنظيم يمنع استخدام العمال الزراعيين الا من خلالها مما ادى الى انعدام الوعى عند اللجنة النقابية وفقدان امكانية فرض شروطهم فى تشغيل العمال او فى البحث لهم عن عمل .

لقد انشئت فى القرية محطة تفريخ دواجن ومصنع صغير لتجفيف البرسيم كان بالامكان ان يساهموا فى حل ازمة عدد من العمال الزراعيين عن طريق تعيينهم كعمال غير فنيين بهما ولكن اساليب التعيين الروتينية التى تفترض ان يتم التعيين من خلال مسابقة تمت فى حالة محطة تفريخ الدواجن فى القاهرة !! ادى الى تعيين عدد كبير من العمال من خارج القرية بالرغم من البطالة المفزعة السائدة فيها .

من الواضح ان اللجنة النقابية فى القرية هى فى حكم العدم وليس هناك اى داع للاستمرار فى الحديث عنها .

مجلس القرية

لقد كان اول شخص قابلناه فى بسنديلة هو رئيس مجلس القرية بها وهو ناظر مدرسة الوحدة المجمعة بالقرية. ولقد لازمنا رئيس المجلس طوال اقامتنا فى بسنديلة

وبعيدا عن محاولة التقييم الشخصى لرئيس المجلس فان مجلس القرية الذى يتشكل من رئيس واثنا عشر عضوا من اعضاء الاتحاد الاشتراكى وعضوين بالتعيين وممثلى وزارات الخدمات بالقرية ، هو مجرد مجلس شكلى على الورق فقط فالمجلس يجتمع لمجرد انه من المفروض ان يجتمع والعدد القانونى لايكتمل الا نادرا . واذا كان عمل المجلس لايتعدى حدود الاجتماع الشهرى فان المجلس لا يحاول ان يتصدى لمشاكل الجماهير حتى خلال هذا الاجتماع .

لقد كان واضحا ان المجلس ليس له اى تاثير على واقع القرية ، وانه لم يحاول ان يقوم باى عمل يستهدف حل المشاكل العديدة التى تجابه جماهير الفلاحين فيها ، وانه لايقوم باى اشراف فعلى او شكلى على مرافق الخدمات فى القرية مما يفسر انخفاض مستوى الخدمة فيها وسوء معاملة الجمهور ، واستغلاله باستمرار وفى جميع مرافق الخدمة سواء الصحية او التعليمية او الاجتماعية .

ولقد انعكس اثر ذلك على الجماهير بوضوح فهى لاتعرف عن المجلس شيئا سوى اسمه ولا تعلم شيئا عن طبيعة تكوينه ولا عن اعضائه ولا عن جلساته ولا عن طبيعة دوره ، كما ان هذا الوضع قد ادى الى ابتعاد جماهير الفلاحين فى القرية عن مرافق الخدمات ايضا ، ولعله من الامور التى تحمل دلالة عميقة ان الوحدة المجمعة وهى مركز كل الخدمات التى تقدم للقرية ومركز مجلس القرية هى باستمرار خالية من جماهير الفلاحين ، وانهم لايقصدونها الا للضرورة القصوى .

ولعلنا لانعجب لهذا الموقف اذا علمنا ان رئيس المجلس لايحتك بجماهير الفلاحين فى القرية ولا يعرف طبيعة مشاكلهم ، بل لقد كان باستمرار غير راغب فى ان يحاول ذلك بدليل انه لم يفكر فى ان يمر فى القرية ويسير فيها ولو مرة واحدة لكى يتعرف على احوالها حتى من الناحية الشكلية . وانه قابع باستمرار فى مبنى الوحدة المجمعة . فضلا عن ان معرفته بالناس فى القرية تقتصر على بعض اعضاء الاتحاد الاشتراكى (ربما لمجرد كونهم اعضاء فى مجلس القرية ايضا) وبعض كبار الملاك وانه يحاول باستمرار ان يبرر موقف امين لجنة الاتحاد الاشتراكى فى عدم حضوره اجتماعات اللجنة او نزوله للقرية ، بل لقد حاول عدة مرات ان يعطينا عنه انطباعا بانه رجل طيب وممتاز . لقد بلغت سلبية رئيس مجلس القرية الى الدرجة التى جعلته يتهرب من ملء استمارة البحث التى كان الدارسون يستطلعون من خلالها اراء المواطنين فى القرية ، ولقد كان من الواضح ان السبب فى تهربه هو خشيته من ان ينكشف موقفه ومستواه الفكرى ومدى وعيه السياسى امام الدارسين .

ان انعدام فاعلية مجلس القرية والاتحاد الاشتراكى ونقابة العمال الزراعيين ، يعكس نفسه على جماهير الفلاحين فى القرية فى فقدان الايمان بكل المؤسسات الجماهيرية والقيادية وانعزالهم عنها وعن المثقفين الذين يعملون فى بعضها وسلبيتهم تجاه كل هذا الواقع .

مؤسسات الخدمات

قرية بسنديلة بها وحدة مجمعة تشمل مدرسة ابتدائية ناظرها هو رئيس مجلس القرية ، ووحدة صحية ، بها قسم داخلى يحوى حوالى عشرين سريرا ، ووحدة زراعية ، ومركز اجتماعى . كما

ان بالقرية مدرسة إبتدائية اخرى بخلاف المدرسة الموجودة في الوحدة .

ولسنا نريد ان ندخل فى تفصيلات عمل كل مؤسسة من هذه المؤسسات التي اقيمت لخدمة المواطنين فى قرية بسنديلة والقرى المجاورة ، ولكننا سنكتفي بعرض انطباعات الجماهير وانطباعاتنا عن الواقع الذى رأيناه .

ان عدم اقامة المدرسين بالقرية يمنع وجود اى علاقة اجتماعية بينهم وبين الفلاحين فضلا عن محاولة تحسين واقع الحياة اليومى فى القرية وحل مشاكلها ذاتية وقد اكتشفنا انه ليس هناك مدرس واحد يقيم بالقرية ، وهذا فضلا عما سبق ذكره ، يؤدى باستمرار الى حضور المدرسين بعد ميعاد بدء الدراسة وخروجهم قبل ميعاد الانصراف حرصا على مواعيد المواصلات .

ان النشاط الاجتماعي والثقافي الذي يمكن ان تخلقه مجموعة من المثقفين الذين يعيشون بين الفلاحين والذى كان من الممكن ان يتم لوكان المدرسون مقيمين بالقرية تفتقده بسنديلة تماما ، وينعكس هذا الوضع نفسه على القرية عموما وعلى شبابها بصفة خاصة .

ان نتائج القبول فى الاعدادى تكشف مدى كفاءة التعليم فى القرية . واذا كانت نسبة النجاح تنخفض باستمرار الى اقل من ٢٥ ٪ فاننا نستطيع ان نستنتج فى سهولة ويسر الى اى مدى يمكن للفلاحين ان يؤمنوا بجدوى التعليم الابتدائي كما اننا نستطيع ان ندرك السبب الذى يدفع الفلاحين الى الاهمال فى ارسال ابنائهم الى المدرسة .

واذا كان هذا هو الوضع فى المدرستين الموجودتين فى بسنديلة ، فاننا نستطيع ان نفهم لماذا كان الفلاحون يرددون باستمرار حسرتهم على نقل احد المدرسين من القرية لمجرد انه كان مقيما بالقرية وكان يعطى دروسا خصوصية ياخذ عليها اجرا لايتناسب مع امكانيات اغلبية الفلاحين .

ان شعورهم بعدم جدوى الخدمات المجانية يدفعهم الى البحث عنها ولو دفعوا ثمنا من المفروض الا يدفعوه . وهذا الوضع لايحدث فى المدرسة فقط بل انه يحدث بالنسبة لكل الخدمات . فلقد سمعنا باستمرار الشكوى المرة من انهم لايحصلون على العلاج او الدواء الا بالثمن وان الخدمة المجانية فى الوحدة الصحية تقتصر على الاهمال والاهانة وازدياد حدة المرض .

ان كل الخدمات فى القرية هى خدمات مجانية فى نظر القانون فقط ، ولكنها فى الواقع والحقيقة خدمة غالية الثمن لاتقدم الا لمن يقدرون على دفع تكاليفها ، ولادرى بعد ذلك ، هل يحق لنا ان نتساءل عن اسباب ريبة الفلاح وشكه فى كل مؤسسات الخدمة القائمة فى القرية، وفى كل الافندية الذين ينزلونها .

د. احمد توفيق

لمصلحة من ؟ وضد من ؟ تطورت علاقات الانتاج



علاقات الانتاج

عندما دخلنا قرية بسنديلة والهدوء يخيم على حقولها ، تبادر الى اذهاننا اسئلة عديدة وذلك مثل التساؤل عما اذا كانت علاقات الانتاج السائدة قد تطورت ؟ وفى اى إتجاه ؟ بمعنى ضد من ولمصلحة من ؟ خصوصا وان هذه القرية لم يشملها تنفيذ قانون الاصلاح الزراعى ولم يستفد اهلها من الاراضى المجاورة التى وزعت على الفلاحين اي لم يحدث فيها تغيير جذرى فى الملكية وبالتالي

كان التساؤل عن مدى تأثر القوى المتصارعة فى القرية باتجاه التحول الاشتراكى واى القوى مع او ضد التحول ؟

وباستعراض خريطة الملكية فى القرية يمكن ان نتبين الشكل العام لتوزيع القوى الاقتصادية داخل هذا المجتمع الصغير . ويبلغ زمام القرية حوالى ٢٣٥٠ فدانا موزعة ملكيتها كما هى مبينة فى الجدول الاتى طبقا للبيانات المتاحة :

حجم الحيازة بالفدان	١ــ١٠	١١ــ٢٥	٢٦ــ٥٠	٥١ــ١٠٠
عدد الافدنة	٤٠٠	٤٥٨	٥١٠	٩٨٢
عدد المالكين	٢٥٠	٣٠	١٢	١٠

ويتضح مما سبق ان ٢٨٠ مالكا ، يملكون فقط ٣٦٪ من اجمالى المساحة . بينما يستحوذ ٢٢ مالكا فقط على ٦٤٪ من جملة المساحة المنزرعة بالقرية ، وذلك من بين عدد سكان القرية البالغ عددهم ٤٩٢٧ شخصا . ويترتب على هذا الشكل من الملكية سمات مميزة لعلاقات الانتاج بالقرية اهمها :

● **غياب اصحاب الملكيات الكبيرة عن الارض :**

ويتضح هذا من ان معظم اصحاب الملكيات التى تزيد عن ٥٠ فدانا لا يسكنون بالقرية . بل يوكل مهمة مباشرة الاشراف على الزراعة لاحد الاقرباء الذى غالبا مايقوم ايضا بالنيابة عن اخرين فى الاشراف على زراعتهم . وبالتالى تتجمع مساحات كبيرة من الارض (اكثر من ١٠٠ فدان) تحت سيطرة وادارة واحدة .

وقد تمكن كبار الملاك فى زمام القرية خلال السنوات الماضية وبمساعدات (مشبوهة) من موظفى الادارة من التخلص تماما من مجموع الفلاحين المستاجرين . ولكن حيث ان الملاك لايقيمون على الارض ، ونظرا لارتفاع اجر العامل الزراعى نسبيا ، ولعدم رغبتهم فى تاجير الارض بسبعة امثال الضريبة طبقا للقانون فان الشكل السائد لعلاقات الانتاج فى القرية اصبح هو نظام **((النايب))** .

● **نظام الزراعة بالمشاركة او ((النايب)) :**

على الرغم من ان ضرب الاقطاع فى الريف المصرى كان احد المطالب والاهداف الاساسية لثورة يوليو الا ان تحديد حجم الملكية حتى بما لايزيد عن ١٠٠ فدان **لم يمنع من استمرار العلاقات الاقطاعية فى شكل الزراعة بالمشاركة دون أى حائل قانونى .**

وفى ظل هذا النظام المتخلف للانتاج يتم التعاقد شفويا على اساس أن يقدم الفلاح جهد عمله هو واسرته واقاربه لزراعة الارض تحت رحمة المالك على ان يتولى الاخير تزويده بالبذور والسماد ثم يقتسم المحصول مناصفة بين المالك والمشارك بعد خصم جميع المصاريف .

الا ان مايحدث يختلف تماما عما يتم التعاقد عليه وبما ان الحيازة مسجلة تحت اسم المالك بالجمعية التعاونية فان جميع السلفيات والبذور والسماد تخرج من الجمعية باسم المالك وليس باسم المشارك وهنا يتولى المالك تسليم التقاوى للفلاح ثم يحسبها عليه بثمن اكبر وكذلك الحال فى السماد ، فانه يعطيه جزء منه فحسب ويبيع الجزء الاخر فى السوق السوداء . اما السلفيات النقدية فانها تذهب راسا الى جيب المالك وتحتسب على حساب الفلاح . هذا ايضا خلاف مايزور من كمبيالات على الفلاح تكتب وتختم بختم الفلاح ، دون ان يكون له ادنى علم بها الا ساعة الحساب ، حيث ان غالبية الملاك يستولون على اختام الفلاحين الذين تجهل غالبيتهم مبادىء القراءة والكتابة .

كل هذا الحمل الكبير على الفلاح لا يمنع ايضا اقارب المالك واعوانه وموظفى الادارة فى القرية من السطو من حين لاخر لاستنزاف آخر ما يتبقى لديه . وتكون النتيجة انه لكى يستطيع ان يبقى على حياته وحياة أولاده فانه يضطر بالاضافة الى عمله اليومى فى الارض «المشارك عليها» ان يعمل فى ارض الغير بالاجر حيث انه ــ على حد قول الكثيرين منهم ــ اضمن مما ينتظره من محصول .

ولقد ساعد على زيادة بؤس هؤلاء الفلاحين ان التسويق التعاونى للقطن والارز يستلزم ان يتولى المالك تسليم المحصول الى شون البنك ويتقاضى المالك (صاحب الحيازة) الثمن وبذلك اصبح الفلاح المشارك تحت رحمة المالك لانه سلمه المحصول ولم يستلم حقه فيه . ومن هنا اصبح مجال التهديد والتلاعب والسرقة مفتوحا على مصراعيه امام الملاك لارهاب الفلاحين دون اى حائل قانونى كما ان الفلاح لايستطيع التقدم بالشكوى لاسترداد حقه . ويقف الفلاحون حيرى امام هذا الظلم .

وتستغل الرجعية وكبار الملاك اسنابيا هذا الوضع للعمل فى وسط الفلاحين بجرأة ضد مصلحة التحول الاشتراكى ، كبيئة صالحة لهم للعمل بعيدا عن اعين الدولة وفى غيبة الجهاز السياسى . وتحت هذه الظروف تتدهور انتاجية الارض وتنخفض غلة المحصول اذ ان المالك المستغل لايهمه الا الحصول على اكبر قدر من النقود الان مستنزفا خيرات الارض . وبذلك يصبح هذا النظام المتخلف للانتاج عقبة اساسية تؤثر تاثيرا مباشرا على شكل المجتمع الريفى وعلاقات الانتاج فيه وتحول دون تطورها وتحولها الى تحقيق المجتمع الاشتراكى

الذى نتطلع اليه ، هذا فضلا عن تأثيرها السياسى والاجتماعى فى القرية .

العمل الزراعى المأجور

من الظواهر التى استرعت انتباهنا فى بسندلية ــ وهى ظاهرة جديرة بالدراسة ــ نمو العمل الزراعى المأجور . فكافة المصادر تؤكد أن عدد العمال الزراعيين الذين يعملون بأجر فى نمو مستمر وتفسير هذه الظـاهرة على الارجح يرجع الى عاملين اساسيين :

١ ــ النمو المطرد فى عدد السكان مع ثبات مساحة الرقعة الزراعية وانخفاض معدل الهجرة بين الاهالى وشكل الملكية السائد حيث لايزيد عدد من يملكون عن ٢١٪ من مجموع عدد الذكور البالغين الذين يعملون فى الارض ، ويساعد على ذلك عدم وجود مدارس اعدادية تستوعب التلاميذ (وخاصة الفقراء) وتدفعهم الى مرحلة الدراسة الاعدادية وبالتالى الى فرص العمل التى تؤهلها لهم هذه المرحلة .

ولهذا فان الغالبية العظمى من التلاميذ (وخاصة الفقراء) يتوقفون عن الدراسة بعد المرحلة الابتدائية ويضافون ــ بطبيعة الحال ــ الى القوى العاملة النامية فى القرية .

٢ ــ أن نظام الانتاج السائد هو نظام اقطاعى تنعدم فيه ظاهرة العمل المأجور (الزراعة بالنايب او بالمشاركة) . فالفلاح المشارك لايستأجر عمالا ولكنه يقوم بالعمل هو واسرته ويتبادل الاسر العمل فى المواسم مع بعض دون اجر .

بهذين العاملين الأساسيين ، اصبح نمو العمل الزراعى المأجور حتميا فى قرية بسندلية . وبهذا ايضا اخذت القرية تعانى شكلا واضحا من البطالة بين العمال الزراعيين من ابنائها ، وقد شعرنا بوطأة هذه الظاهرة بين جماهير القرية ، خصوصا وانها اصبحت عاملا ضاغطا على مستوى الأجور اذ اصبح الأجر الحالى عشرة قروش يوميا . ويزيد هذا المعدل فى المواسم فمثلا فى موسم الضم (٤٥ يوما فقط) يرتفع معدل الأجر الى أربعين قرشا فى اليوم . وقد بذلت بعض الجهود المحلية لمواجهة مشكلة البطالة بتهجير حوالى ٢٥ أسرة الى منطقة مجاورة . ويقترح الفلاحون احالة أعمال التطهير اللازمة للترع والمصارف فى القرية الى لنقابة الخاصة بالعمال الزراعيين او الى الجمعية التعاونية لتنظيم مورد رزق لهم .

الوعى بالسوق لدى الفلاحين

كانت احدى الصفات السائدة فى مجتمع القرية فى ظل الاقطاع هو الانتاج للاستهلاك . ولكن بتعميم نظام التسويق التعاونى لبعض المحاصيل ابتدأ نمو الوعى بالسوق . واقبل الفلاحون على هذا النظام الجديد بحماس بالغ . الا أنه لوحظ ان هناك ثغرات فى القانون تحتاج الى عــلاج سريع وحاسم . وفى الواقع أن هذه الثغرات انما تنتج من انعزال اجهزة التخطيط ، وبعدها عن واقع الريف وعدم فهمها للقوى المختلفة المتصارعة فيه حتى يمكن أن يخدم القانون قضية التحول الاشتراكى لا ان يكون عائقا فى سبيلها .

وقد وجدنظام التسويق التعاونى اساسا لمصلحة الفلاح والدولة وابعاد تدخل عناصر الاستغلال من التجار والمرابين وكبار الملاك . ولــكن نظام التسويق التعاونى للارز حيث اوجب ضرورة تسليم ٥ر١ ضريبة عن كل فدان ، اوجد متناقضات ليست فى مصلحة المزارع الصغيرة او الدولة وانما تخدم فقط كبار الملاك والتجار منها :

١ ــ فى حالة الفلاح المالك أو المستاجر لحيازة صغيرة (فدان مثلا او أقل) :

يضطر الفلاح ان يسلم معظم المحصول دون ان يتمكن من حجز فائض لاستهلاكه الشخصى او لتسديد ديونه . فى حين ان كبار الملاك الحائزين على (٢٥ فدان مثلا او اكثر) اصبح فى امكانهم حجز فائض كبير ، والمثال التالى يبين ذلك :

حجم الحيازة	متوسط انتاج الفدان	جمع الانتاج	جملة المطلوب تسليمه للبنك	الفائض
١ـ فدان واحد	٢ ضريبة	٢ ضريبة	٥ر١ ضريبة	٥ر٠ ضريبة
٢ـ ٢٥ فدان	٢ ضريبة	٥٠ ضريبة	٥ر٣٧ ضريبة	٥ر١٢ ضريبة

وفى هذه الحالة يتولى كبار الملاك تسويق هذا الفائض الكبير فى السوق السوداء وباسعار بلغت ٣٠ جنيها للضريبة فى حين أن السعر الرسمى لها لايزيد عن ١٨ جنيها فقط ، مما ادى الى تسهيل امكانية حصول كبار الملاك على ارباح خاصة واستغلال صغار الفلاحين خصوصا من يحتاج منهم الى الارز سواء للاستهلاك او لتسديد الحصة المطلوبة منه لبنك التسليف فى حالة عجز انتاجه ، وهذا يتنافى تماما مع طبيعة مرحلة التحول والتى يجب أن يسهم كل قانون جديد فيها الى زيادة الدفع نحو تحقيق العدالة ومنع الاستغلال .

٢ ــ فى حالة الفلاح المشارك (نظام الزراعة بالمشاركة سبق الاشارة اليه) : يتم تسليم المحصول

كله للمالك (حيث ان الحيازة مقيدة باسمه) وبعد تسليم الحصة المطلوبة (٥ر١ ضريبة) للبنك يخصم من ثمنها قيمة القروض النقدية (التى لم يتسلمها الفلاح) والعينية (التى يحسبها المالك باسعار خيالية على الفلاحين)

وبالتالى يكون الحساب كما يلى على سبيل المثال :

مالك يملك ٢٥ فدانا يزرع بالمشاركة مع ٢٥ مزارع كل منهم فى فدان واحد .

فبالنسبة للفلاح يكون : الانتاج : ٢ ضريبة

الحصة المطلوبة : ٥ر١ ضريبة

الفائض ٥ر. ضريبة

نصيب الفلاح منها ٥٠٪ = ١/٤ ضريبة

يخصم منها ومن الثمن جميع المصاريف المزيفة على الفلاح وبالتالى لايتبقى له الا الفتات، ولايوجد فى القانون مايحميه من هذا الاستغلال .

اما بالنسبة للمالك : فان الفائض وحده خلاف ماسبق ان تحصل عليه زورا من الفلاحين يكون ١/٤ ضريبة × ٢٥ فدان = ٦ ضرائب يتولى بيعها فى السوق السوداء للفلاحين او للتجار .

ونتيجة لهذه الثغرات فى القانون توجد كميات كبيرة من الارز خارج أطار بنك التسليف وتباع فى السوق السوداء وخارج حصة الاستهلاك المحلى مما يؤدى الى عجز الحكومة عن تخصيص حصة اكبر للتصدير للحصول على العملات الصعبة اللازمة للتنمية . **ويتساءل الفلاحون لماذا لاتتسلم الحكومة المحصول بنسبة تصاعدية تبعا لحجم الحيازة** ويرون انه من الممكن ان يكون بالشكل التالى :

فدان او اقل = نصف ضريبة عن الفدان — اكثر من فدان الى فدانين = ضريبة عن الفدان — من اكثر من فدانين الى خمسة = ضريبة ونصف عن كل فدان — ثم أكثر من خمسة افدنة = ضريبتان . ويطالب الفلاحون بتعميم التسويق التعاونى لكافة المحاصيل فى جميع المحافظات لحماية الفلاحين من كبار الملاك والتجار .

العلاقات الائتمانية

الأصل فى قيام الدولة بتمويل عملية الانتاج الزراعى هى لمنع استغلال المرابين وكبار الملاك للفلاحين ولعدم ارهاقهم بفوائد الديون وحرصا على استمرار زيادة الانتاج . الا اننا نجد فى قرية بتسنديلة — وهى مثل باقى قرى الجمهورية — عدة ظواهر غريبة منها :

١ — ان كبار الملاك هم الاكثر استفادة من عملية التمويل دون فوائد التى يقدمها بنك التسليف . وكما اتضح فى حالة الزراعة بالمشاركة فان هذه **المبالغ لاتوجه للانتاج ولكن تستثمر فى أغراض اخرى** كما ظهر أيضا ان هذه الفئة هى التى تمتنع عن سداد مديوناتها لبنك التسليف وتطالب الدولة باعفاءات فى حين ان صغار المزارعين مسددين لكافة مديوناتهم . وهنا يبرز التساؤل **لماذا تتحمل الدولة تمويل انتاج مالك يملك ١٠٠ فدان بدون ان تحصل منه على فوائد لهذه القروض ؟!** هل هو عاجز عن ذلك ؟ ؟ ولماذا يتحمل الشعب بعماله وفلاحيه عبء تسديد فوائد هذه الديون ؟ اليس من الانسب أن تستثمر هذه المبالغ فى التنمية لصالح طبقات الشعب الكادحة ؟

٢ — ان جهاز مؤسسة الائتمان الزراعى يحتاج الى مراجعة شاملة لكافة اجهزته وتخطيطه خصوصا مايتعلق منها بالنواحى الخاصة بالتحصيل نظرا لما يتعرض له كل الفلاحين من استغلال موظفى المؤسسة ومطالبة بعضهم الفلاحين بدفع مقابل لتحقيق الخدمة المطلوبة . وقد ساعد على ذلك توسيع نطاق المعاملات عن طريق البنك فى غيبة اجهزة الرقابة الشعبية والسياسية الى توسيع اطار الاستغلال أيضا مما يسىء الى سمعة الدولة لدى الفلاحين ومدى استفادتهم من النظم الجديدة لزيادة الانتاج الزراعى ومن أمثلة ذلك :

● **الصراف** لا يوجد الا صراف واحد بالمركز وعلى كافة الفلاحين الانتقال اليه من اقصى القرى ويطالب كل فلاح بمبلغ معين حتى يوقع له على بطاقته بتمام سداد ديونه المستحقة وذلك حتى يتمكن من استلام ثمن المحصول . فى حين انه كان من الممكن الاستعاضة عن هذا الصراف بالجمعية التعاونية التى الغت دور الصراف نهائيا فيما عدا توقيعه على البطاقات بالسداد .

● **المشرف الزراعى :** وهو المثقف المسئول عن عملية التغير الثورى لنظام الانتاج الزراعى الا أن انعدام الوعى السياسى لدى غالبية المشرفين الزراعيين يجعلهم بعيدين عن القيام بهذا الدور المطلوب . بل أصبح معظمهم يشكل عوائق ضد التحول وهذا يجرنا الى اهمية التربية السياسية للطلبة فى الجامعات والمعاهد والمدارس والتى بدونها لن نستطيع النهوض بالانتاج ضد التخلف ونحو مزيد من التقدم والرفاهية . ومن ضمن الحوادث المؤسفة التى عشناها فى بتسنديلة كانت عند وصول عربة محملة بالسماد للجمعية التعاونية وتجمع الفلاحون حولها كل يطالب بحصته فى السماد التى طال انتظارها الا ان سائق العربة رفض تسليم

الشحنة قبل ان يقبض «الرشاوة» وعرض الفلاحون عليه مبلغا من المال استطاعوا جمعه لكنه اصر على مبلغ اكبر وهنا استنجد بنا الفلاحون وبعد محاولات عديدة تم تفريغ الشحنة فى الجمعية دون رشوة . الا انه من الغريب ان المشرف الزراعى كان فى صف السائق وضد الفلاحين فى حين ان واجبه الاول هو خدمة الفلاحين . كما حدثنا كثير من الفلاحين ان المشرف الزراعى يتولى بالاستعانة مع بعض اعضاء الجمعية التعاونية فى فرض ضريبة على كل خدمة تؤديها الجمعية للفلاح .

وفى اعتقادى ان احد الاسباب الرئيسية لمثل هذه المآسى هو بالاضافة الى قصور اجهزة الرقابة الشعبية والسياسية انعدام اشراف ورقابة الاجهزة المركزية للمؤسسة وتمركز كبار الموظفين فى مكاتبهم واعتمادهم على الاساليب البيروقراطية للرقابة والاشراف وانفصالهم تماما عن مشاكل الفلاح وبعدهم عن واقع الريف تماما .

الجمعية التعاونية الزراعية

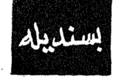
هذه المنظمة لازالت بعيدة عن الدور الحقيقى لها كما جاء فى الميثاق ، ونامل فى قانون التعاون الجديد تعديلات جوهرية تحقق دفعة جديدة لهذه المنظمة . الا ان الجمعية التعاونية دون الامكانيات الالية لاتستطيع ان تحقق الكثير من الخدمات للفلاحين ونظرا لان تعميم نظام « تنظيم الانتاج » الزراعى سوف يحتاج الى وقت طويل فانه قد يكون من الانسب ان تقوم الجمعيات التعاونية بالاستيلاء على الالات الزراعية الموجودة لدى كبار الملاك حيث انهم جميعا يمتنعون عن تاجيرها لخدمة الفلاحين بدعوى المحافظة عليها الامر الذى يؤدى الى وجود طاقات معطلة كان من الممكن ان تحقق دفعة اكبر للانتاج الا ان كبار الملاك لا يهمهم تحقيق مثل هذه الزيادة بل يهمهم افقار الفلاحين وتعبئتهم بذلك ضد عملية التحول الاشتراكى .

كما ان تطبيق قانون الاصلاح الزراعى بعدم جواز تاجير الارض باكثر من ٧ امثال الضريبة غير مطبق اطلاقا فى هذه المناطق . وكان المفروض ان الجمعية التعاونية هى التى تنظم تنفيذ هذا القانون لصالح الفلاحين المستاجرين ولحمايتهم من استغلال الملاك .

نستنتج من كل ماسبق انه لابد من اتخاذ خطوات ثورية جديدة نحو مزيد من التحول حتى نتمكن من توفير الظروف الممكنة لتحقيق انطلاقة الانتاج التى هى الدعامة الاساسية لتحقيق المجتمع الاشتراكى ، مجتمع الكفاية والعدل .

د. عباس كسيبة

كيف نحرك مبادرات الشباب ونطلق طاقاته الكامنة الثورية



العمل فى قطاع الشباب

ان اول مالفت نظرنا خلال الايام الثلاثة الاولى من اقامتنا فى بسنديله كان غياب الشباب وانعزالهم عنا وعدم ترددهم على مقرنا فى الوحدة المجمعة حيث كنا نقيم .

وكان من العوامل المساعدة على عدم لقائنا بالشباب بالاضافة الى عزلتهم التى عرفنا فيما بعد اسبابها ان اعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى حاولوا فى الايام الاولى لوجودنا ان يضربوا حصارا حولنا وأن يتحكموا فى تحديد من نقابلهم من الاهالى وأن يرافقونا فى جولاتنا — وقد اتضح لنا فيما بعد انهم مسئولون عن ابعادنا عن الشباب وانهم كانوا محقين فى ذلك لان اقسى الانتقادات واشد الاتهامات التى وجهت لهم .. جاءت بعد ذلك من الشباب .

وفى مساء اليوم الثالث لاقامتنا بالقرية ، قابلت بالصدفة اربعة من شباب القرية ، وكانوا واقفين يتحدثون معا عند الطريق الزراعي الرئيسي . وبعد تبادل التحية علمت ان احدهم فلاح ، والاخر يدرس بالقاهرة فى معهد التلفزيون ، والثالث فى احدى المدارس الثانوية ببلقاس ، والاخير خريج زراعة متوسطة ومتعطل عن العمل . وبدأت اسألهم عن سر عدم زيارتهم لنا وعدم ترددهم مثل باقي اهل القرية على مقرنا فى الوحدة ، ثم حاولت أن أسألهم عن موضوع النادى وسر عدم مطالبتهم بانشائه بدلا من تسكعهم فى طرقات القرية .

وهنا يجب ان اسجل ان كل محاولاتى لفتح حديث مثمر معهم كانت فاشلة واننى طوال ساعة كاملة لم احظ منهم الا بموقف سلبي يرفض المناقشة او الاجابة بل ويتهرب من الاسئلة ويعطى ردودا مائعة من نوع ان شاء الله سوف نحضر للوحدة ياريت عندنا نادى

وحاولت ان اطور معهم الحديث وبدأت أركزا على دورهم كشباب فى بناء القرية وحل مشاكلها وعن دورهم كمثقفين فى التعاون مع الإتحـــاد الاشتراكى وتحريكه لخدمة المواطنين وهنا بدأ التحول الاول فى موقفهم فى شكل أنفجار عنيف وموجة من السخط والغضب واليأس استمرت طويلا ولم اسمع خلالها الا قصصا متتالية ، لايربط بينها الا كونها كلها تعبر عن الاتهامات بالفساد الموجود فى القرية والرشاوى التى يأخذها الموظفين بل وبعض اعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكـــي والسرقات فى الجمعية التعاونية والوصايا التي يفرضها كل المسئولين عن هذه المؤسسات على الناس واحتكارهم العمل وعدم سماحهم لاى شخص بالتدخل خاصة اذا كان من الشباب فهؤلاء فى نظرهم مجرد اطفال لاحق لهم فى التدخل فى هذه الامور .

ومرة اخرى حاولت أن انقل الحديث الى مناقشة مفيدة وان أقول انكم تستطيعون كسب هـــؤلاء الناس ، أو فرض انفسكم عليهم ، أو ايجاد علاقة سليمة معهم .. ومرة أخرى كنت اقاطع بالقصص التى تدلل على ان العلاقة الوحيدة الموجودة ، هى نظرة الاستهانة والاستهتار بالشباب ، التى وصلت أحيانا الى حد الاهانة والاعتداء على من يتجرأ منهم فى التدخل فى شئون «الكبار»

وحاولت ان افتح موضوع النادى بوصفـــه موضوعا يخصهم ولايستطيع أحد أن ينكر عليهم حقهم في مناقشته ومرة أخري كانت الاجابـــات اليائسة والساخطة تسد الطريق علي كل مناقشة ولم اسمع الا « مافيش فايدة حاولنا قبل كده ؟ دفعنا اشتراكات ونصبوا علينا .. سمعنا الكلام ده ميت مره قبل كده ثم مزيد من القصص عن تجاربهم ومحاولاتهم وما اصطدموا به من ركود وتلاعب وخداع الخ ..

وكان يجب أن ياتي دورى لاثور عليهم ، ولاقول لهم انكم مسئولون عن كل هذا لانكم تحصرون نشاطكم وطاقتكم فى اليأس والشــكوى ، وانني احاول أن اعرض عليكم أن نتعاون فى عمل جدى ايجابى ولكنكم ترفضون إعطائي فرصة للتفاهم معكم . أن هذه القصص القديمة التي تلوكونها معروفة ومفهومة ، ولست فى حاجة لان تخبروني أن الاتحاد الاشتراكي فيه بعض من الركود والجمود ولايتحرك فهذا اعرفه . ولكنى فى حاجة أن تتعاونوا معي وأن تثبتوا انكم جادين فى رغبتكم فى العمل . واذا فرضنا انني اخدعكم كما خدعتم من قبل . فلن تخسروا شيئا لان حالتكم لن تصبح أسوأمما هي عليه الان ، ولكن جربوا أن نتعاون وأن نلتقى فى عمل هادف بناء ، حاولوا أن نترك كل التجربة الماضية وأن نناقش المستقبل ، وكلنا ثقة أن الصورة التي تعرضونها لن تستمر ولايمكن أن تستمر .

وبعد حوالى ساعتين من هذا النقاش ، بدأنا لاول مرة نلتقى ، وصحبونى الى مقرنا فى الوحدة وبقينا هناك نتناقش حتى الواحدة صباحا ، بعد أن اتفقنا على عدم العودة الى القصص الماضية والي روح اليأس والسخط السلبى ، وبعد أن اتفقنا على أن نستبعد مؤقتا المشاكل الفردية ، كحالة الشاب المتعطل ، وحالة الذى فصـــل والده من عمله كخفير الخ ..

وانتهت الجلسة بعد أن حصلت منهم علـــى معلومات كثيرة عن مشكلة النادى ، واتفقنا على لقاء ظهر اليوم التالى يصحبون فيه معهم أكبر عدد ممكن من الشباب

وكانت المشكلة تتلخص فى انه منذ حوالي خمس سنوات قد انشيء نادي فى القرية وتم اشهاره وجمعت الاشتراكات ، ولكن لم يمض شهر واحد حتى دب الخلاف بين اعضائه المسئولين عنه ، وتم اغلاقه قبل أن يقوم باي نشاط . ومن يومها ونادي بسنديله مجرد كلمة على الورق ، واوقفت وزارة الشـــئون صرف الاعانة المخصصة له وقدرهـــا مائة جنيه سنويا . اما المبلغ الموجود في صندوق النادي وقدره سبعة وعشرون جنيها فقد ظل أحد الاعضـــاء محتفظا به الى أن اضطر بعد تكرار مطالبته الى ايداعه فى صندوق التوفير حيث تحول الى حساب الامانات .

واتضح ان احياء النادى من جديد يحتاج الى ايجاد مقر له ، ثم استكمال ما يحتاجه هذا المقر من مرافق وادوات رياضية ثم ايجاد هيئة جديدة تشرف على النادى واخيرا اقناع مديرية رعاية الشباب بصرف الاعانة من جديد للنادى .

وبالفعل ، اتفقنا مع رئيس مجلس القرية على أن تخصص فى الوحدة المجمعة غرفة لادارة النادى وأخرى لخلع الملابس . وكذلك ان تخصص الساحة الشعبية والارض الفضاء المحيطة بها لتكون ملاعب للنادى وقد اتضح أنها تتسع لملعب قانونى لكره القدم وآخر لكرة السلة وثالث للكرة الطائرة كذلك أمكن الاتفاق على شراء مائدة للبنج بنج بالاضافة لتلك الموجودة من قبل .

ثم اتصلنا بمديرية رعاية الشباب التى وافقت على صرف مبلغ المائة جنيه كاعانة للنادى موعود بمضاعفة المبلغ الى مائتى جنيه سنويا اذا اثبت هذا النادى وجوده ونشاطه . وحضر الينا شاب ممتاز من هذه المديرية ، تحمس للمشروع ، ووعد بتوفير كافة الادوات الرياضية والملابس اللازمة من مخازن المديرية . كما وعد بانشاء أربعة « ادشاش » تخصص لاستحمام اللاعبين بالنادى .

كذلك اتفقنا معه على أعتبار مجلس الادارة القديم منحلا لتوقفه عن النشاط طوال هذه السنوات وقررنا فتح باب العضوية من جديد للنادى ، ثم انتخاب رئيس وأعضاء لمجلس ادارة جديد

كذلك تقرر تخصيص المكتبة الموجودة بالوحدة المجمعة وجهاز التلفزيون الموجود بها لخدمة النادى

وأخيرا قررنا تعيين مشرف رياضى دائم فى النادى وأخترنا أحد المدرسين الرياضيين للقيام بهذه المهمة والاشراف على تدريب الشباب وعلى نشاطهم وقررنا له مكافأة شهرية قدرها أربعة جنيهات . وبالاضافة الى هذا فقد تطوع مندوب رعاية الشباب وهو مقيم فى بلقاس بالحضور الى النادى مرة كل أسبوع للاشراف عليه ولتنظيم برامج رياضية وتدريبات خاصة للمشتركين .

وعندما حضر عشرة شبان فى ظهر اليوم التالى كانت عملية الاقناع سهلة جدا ، لانهم من ناحية لمسوا أن هناك عملا جديا يتم ، ولان زملاء اللقاء الاول كانوا يتولون بانفسهم أقناع الشباب الجدد

وطلبت منهم أن يخرجوا الى القرية ويجتمعوا بشبابها ويقنعوهم جميعا بضرورة المعاونة فى انجاح هذا العمل وأن يجمعوا منهم الاشتراكات وقدرها خمسة قروش شهريا وأن يحضروهم الى الوحدة لنتناقش معا فى سياسة النادى المقبلة ولنستعد لاجراء الانتخابات الجديدة .

وتدريجيا تحول مقرنا بالوحدة الى خلية من النحل وبدأت طاقات الشباب الحقيقية تظهر وبداوا يقسمون أنفسهم الى مجموعات تزور باقى الشباب وتقنعهم وتحضر معها من تفشل فى أقناعه ليلتقى بنا وتجمع منهم الاشتراكات

وفى المساء كان هناك خمس وتسعون شابا قد تم دفع اشتراكاتهم وتم تسجيلهم كاعضاء فى النادى وقررنا اجراء الانتخابات فورا وتحت اشرافنا وتم أنتخاب مجلس ادارة النادى الجديد فى هدوء ونظام شهدت لهم صادقا باننى لم أره فى أى انتخابات سابقة اشتركت فيها .

ففى حضور حوالى اربعمائة شخص من أهالى القرية ، جلس المرشحون فى صدر القاعة والتف الحاضرون فى مربع كبير حولهم ووزعت على الاعضاء اوراق بيضاء للانتخاب ثم جاء كل منهم الى مائدة فى وسط الصالة الكبيرة وكتب أمامنا أسم الرئيس الذى ينتخبه ثم أسماء الاعضاء الستة للمجلس ، أو قام باملائنا هذه الاسماء اذا كان لايعرف الكتابة . ثم فرزنا الاصوات وأعلنا النتيجة كل هذا والشباب يقومون بانفسهم بحفظ النظام شاعرين أن العمل عملهم والمسئولية مسئوليتهم فتمت كل هذه العملية التى استغرقت حوالى ثلاث ساعات فى هدوء كامل ونظام دقيق وحرية مطلقة

وقد ختمنا عملية الانتخابات بان عرضنا على مجلس الادارة الجديد قبول مجموعة الدارسين كاعضاء بنادى بسنديله وقمنا بدفع اشتراكاتنا

ولايسعنى اليوم الا أن اعبر عن سعادتى وقد علمت أخيرا من بعض اصدقائنا من أهالى بسنديله الذين جاءوا لزيارتنا فى المعهد الاشتراكى أنه قد تمت مباراة بين فريق نادى بسنديله لكرة القدم وفريق مركز شربين وانتصر فريق بسنديله ١/٣ تلتها مباريات اخرى ونشاط رياضى .

وبانتهاء عملية الانتخاب وبشعور الشباب أنهم نجحوا فى تحقيق عمل كبير وفى حل مشكلة مستعصية كان واضحا أنهم تحولوا فعلا الى طاقة ثورية هائلة وأنهم مستعدون وراغبون فى القيام باعمال اخرى أكبر وأهم . وخلال المناقشة معهم بدأت اقتراحاتهم تتوالى أقترحوا تنظيف شوارع القرية

من اكوام « السباخ » المنتشرة امام المنازل .. واقترحوا اقامة الاعمدة اللازمة لتوصيل الكهرباء الى القرية ثم اقترحوا تجفيف البركة الاسنة الواقعة على رأس القرية على الطريق الزراعى والتى تشوه مدخل القرية وتخلق مستودعا ضخما للقذارة والميكروبات . وكانت طاقات الشباب وحماسه الهائل كفيلة بأن تدفع أى انسان لان يتحمس لافكارهم ومن هنا بدأ مشروع تجفيف البركة الذى اطلقنا عليه «اخدم قريتك» والذى قمنا به باسم « شباب نادى بسنديله»

وعندما استقر الراى على القيام بمشروع ردم البركة باعتبارها مشكلة اساسية تشوه القرية وتضرها وطالت الشكوى منها سنين طويلة دون جدوى اجتمعنا بالشباب وقلنا لهم صراحة ان الفكرة صعبة وشاقة واننا اذا اردنا ان نتصدى لتنفيذها فيجب ان نكون واثقين من قدرتنا على ذلك ، لقد حققنا انتصارا كبيرا فى حل مشكلة النادى واحيائه من جديد ومازال فى امكاننا ان نكتفى بذلك فالحديث عن ردم البركة وغيره من الافكار مازال محصورا بيننا ونستطيع ان نتراجع فيه دون ان يلومنا احد، أما اذا أعلنا فى القرية اننا سنردم البركة فنحن مطالبون ان ننفذ ذلك ، اذا اردنا حقا ان تحترم القرية كلها الشباب

وكان حماس الشباب كفيلا بالقضاء على اى تردد . وكان اصرارهم على ردم البركة بل وعلى تطهير شوارع القرية من اكوام السباخ الموجودة فيها واستعمالها فى عملية الردم حاسما ومشجعا لدرجة اننا اعلنا فى القرية عن طريق مكيروفون سيارة قافلة مصلحة الاستعلامات التى اتينا بها لجمع اهالى القرية اننا سنبدأ فى ردم البركة من صباح اليوم التالى واننا سنرفع جميع اكوام « السباخ » الموجودة داخل القرية وان من يحتاج شيئا منها عليه ان ينقله الى حقله لاننا سنقوم بتنظيف القرية من كل ما يتبقى منها .

وفعلا بدأنا العمل وكانت الخطة الاولى هى توفير معدات الردم وقداستطاع صديقنا مندوب مديرية الشباب ان يحضر لنا الفؤوس والمقاطف وملابس العمل اللازمة للشباب .

ثم اتصلنا بالمنطقة التعليميةوحصلنا علىتصريح باجازة من المدارس لكل طلبة بسنديلة فى بلقاس وشربين ..

ثم قمنا بحصر اسماء الشباب جميعا وحتى من كان منهم مرتبطا بموعد امتحان فى المدرسة فانه عاد بعد الامتحان فورا ليرتدى ملابس العمل ويشارك اخوانه فى المشروع .

وتطوع بعض العمال بالتغيب عن أعمالهم حتى يخصم منهم أجر اليوم ، كما تعهد شباب الفلاحين بتركحقولهم والتضحية باجرهمللمشاركة فى العمل .

واتصلنا بالاصلاح الزراعى ثم بمحطة تربية الدواجن وحصلنا من كل منهما على جرارلاستعماله فى نقل القش والسباخ وفى ردم البركة .

وطوال هذا الوقت كان الشباب رغم حماسهم الهائل ينقلون لنا سخرية اهل القرية وبعضرجال الاتحاد الاشتراكى من كل هذا النشاط وقولهم .. سنرى كيف ستردمون البركة ؟! واتفقنا على ان العمل والنجاح فى هذا العمل هما الرد الوحيد على هذه السخرية وعلى محاولات التشكيك

وارسلنا احد الشباب الى المنصورة فقام بطبع ثلاثمائة شهادة تقرير ، باسم «مشروع اخدم قريتك لنادى شباب بسنديله» وذلك لتوزيعها على كل المشتركين فى المشروع .

كذلك كنا قد اتفقنا مع احد الملاك على الحصول على ماكينة لاستعمالها فى رفع المياه من البركة وقررنا ان نقوم بهذه العملية فى مساء نفس اليوم حتى نبدأ الردم مباشرة منذ الصباح الباكر وكان موقف الملاك عجيبا اذ اصروا على الرفض وعدم موافقتهم على استعمال الماكينة الا انه مالبث ان همس أحد اعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى فىاذنه ببعض كلمات عن أن هذا الموقف قد يضره فتراجع عن الاصرار وفتح مخازنه واخذنا ماكينة الشفط

وفى المساء ... وعلى ضوء الكلوبات ، قام الشباب بحفر قناة توصل البركة الى اقرب مصرف ثم وضعنا الماكينة وتجمعت القرية ترقب بدء المشروع وبدأ القلق على الجميع عندما اتضح ان بالماكينة عطب واجتمع كل الفنيين والميكانيكيين بالقرية لاصلاحها وعندما سمعنا صوت الماكينة بعد حوالى ساعتين من الاصلاح وعندما ارتفع الماء الآسن من البركة الى القناة ثم الى المصرف وارتفعت

زغاريد وهتافات الشباب وطوال هذه الليلةكانت الماكينة ترفع المياه الراكدة وكان الشباب يغوصون فى وحل البركة لتطهير الطريق امام الماكينة ولرفع المياه اليها وفى نفس الوقت كان جميع اهالى البلدة وقد ايقنوا اننا جادين فى المشروع يقومون بنقل اكوام السباخ من امام منازلهم الى الحقول .

وفى الصباح الباكر اجتمع الشباب بمقر الوحدة وتم تعيين مسئولين عن توزيع الملابس والادوات وتحرك الجميع الى البركة وبدا العمل . بدات الجرارات فى نقل القش «والشرب» واستعنا بعربات كارو تساعدها وبدا الشباب بفؤوسهم ومقاطفهم فى نقل اكوام السباخ المرتفعة الى البركة وبدا اهالى القرية يعبرون عن استعدادهم للمشاركة والمعاونة ، خوفا من أن تتم العملية كلها بعيدا عنهم

وتدريجيا بدات تتلاشى رائحة العفن المنتشرة حول البركة من كثرة ما فيها من قاذورات وجثث حيوانات وبدأت تتحول الى ارض صلبة ويتحرك فوقها الجرار لتمهيدها ورفعها الى مستوى الطريق العام والارض المحيطة بها

وكلما مضى العمل ، كلما استبد الحماس بالشباب وباهل القرية وبمجموعة الدارسين الذين شاركوا مع الشباب فى هذا العمل . فمن ناحية طلب سائقو الجرارين ان نحصل لهما على اذن لعدم العودة فى مواعيدهما وللاستمرار فى العمل معنا وفعلا تم هذا ، واستمرا فى العمل بشكل متواصل وبلا توقف او راحة حتى مغيب الشمس .

ومن ناحية أخرى بدا جميع الاهالى يقدمون معونتهم ، فتبرع احدهم بالكيروسين للجرارات وتبرع آخرون باكوام من القش للردم .

ومن ناحية ثالثة قرر الدارسين تاجيل سفرهم الى اليوم التالى حتى يشهدوا اتمام المشروع .

ومن ناحية رابعة اضطررنا اكثر من مرة الى وقف بعض الشباب من العمل واجبارهم على الاستراحة عندما رايناهم يواصلون العمل ساعات طويلة بشكل جعلنا نشعر فعلا بالقلق عليهم .

ويكفى هنا ان نقول ان جرارا « غرز » فى ارض البركة التى كانت لا زالت رخوة ورغم ان السائقين قرروا بحكم خبرتهم انه يستحيل رفعه وانه فى حاجة الى جرار اكبر منه والى سلسلة حديدية لسحبه ، الا اننا قررنا ان نحاول رفعه واوقفنا كل العمل .. وتجمع كل الشباب حول الجرار وفى بضع لحظات ، ارتفع الجرار الى الارض الصلبة وعاد يسوى الارض بين تهليل الموجودين جميعا وقد تكررت هذه المشكلة عده مرات .. ولكننا فى كل مره كنا نرفعه بعد ان وثق الجميع انه لا توجد عقبة تستطيع ان توقف العمل

وفى صباح اليوم التالى كانت البركة كلها والتى يبلغ طولها حوالى سبعين مترا وعرضها حوالى خمسة وثلاثين ، والتى كان عمق الماء الراكد فيها اكثر من متر والتى كان انخفاضها عن الارض القريبة منها يزيد عن خمسة امتار كانت هذه البركة كلها . . والارض الواسعة المحيطة بها والتى ازيلت اكوام السباخ والقاذورات من عليها وتمت تسويتها كلها كانت قد اصبحت ارضا صلبة يقطعها الجرار طولا وعرضا .

وقد تحول موقع البركة الى سوق عمومى للقرية يستفيد منه جميع الاهالى

وهكذا اثبت شباب ببسنديله قدرته واظهر طاقاته الهائلة التى لا تحتاج لشىء سوى **قيادة مخلصة** تستطيع ان تخلص هذا الشباب من آثار اليأس والسلبية وأن تساعده على تنظيم نفسه وان تشاركه فى تحقيق ما اثبت انه قادر على تحقيقه من اعمال .

امين اسكندر





محافظة الشرقية

نظام "المخامسة" والتهرب من قانون الإيجارات

قرية بنى هلال زمامها ٦٠٠٠ فدان (٭) ومجموع سكانها ٤٨٠٠ نسمة تضمها ٧٧٢ أسرة .

وهذه الافدنة المنزرعة مقسمة الى قسمين رئيسيين :

٤ ملاك يملكون ٢٠٠٠ فدان (الثلث)

٦٠ مالكا يملكون ٤٠٠٠ فدان

علاوة على ١٠٠ مستأجر

ولا يوجد احصاء بعدد العمال الزراعيين (٭)

وتضم القرية عددا من أجهزة الخدمات الحديثة على القرية المصرية والتى ادخلت بعد ثورة ١٩٥٢ وهى :

وحدة مجمعة ، وهى أول وحدة مجمعة تنشأ فى الجمهورية العربية المتحدة . وكان ذلك فى ٣ يوليو عام ١٩٥٤ . وتضم هذه الوحدة مدرسة ومجموعة صحية ووحدة اجتماعية ومركز رعاية الطفل ومستشفى وناد ريفى (٭)

وحدة مكافحة الافات

وحدة بيطرية

مركز تجميع الالبان

وحدة زراعية

جمعية تعاونية زراعية

نقابة عمال زراعة

وذلك بالاضافة الى :

مجلس قرية وعلى رأسه عمدة

لجنة اتحاد اشتراكى

واول ملاحظة على هذه القرية هى ان عضو مجلس الامة والعمدة ورئيس مجلس القرية ، وسكرتير الجمعية التعاونية ، ومعاون الوحدة المجمعة ، وأمين لجنة الاتحاد الاشتراكى ، من أسرة واحدة ، وهى الاسرة صاحبة اكبر ملكية فى قرية بنى هلال .

ولسنا هنا فى مجال مناقشة اتجاه الافراد فى هذه المراكز .. ولكنه الوضع فى القرية

والملاحظة **الثانية** فى القرية خاصة بالعلاقة بين الملاك والمستأجرين ، والملاك والارض .

فقانون الايجارات لا يسمح بايجار الارض بأكثر من سبعة امثال الضريبة .. وبما ان عدد المعدمين فى القرية كبير وعدد سكانها يفوق مساحة الارض من حيث اشباع احتياج العمل فى الزراعة . فقد نشأت علاقات ايجارية تعتبر تهربا من القانون ، وهى الايجار بالمزارعة و « الايجار بالخمس » او « المخامسة » كما يسميها اهالى بنى هلال .

الاولى : أن يؤجر المالك ارضه للفلاح مقابل مبلغ محدد للزرعة الواحدة . ويقول الفلاحون أن هذا النظام يرفع ايجار الفدان فى العام الواحد الى مائة جنيه .

والثانية : وهى « المخامسة » ان يوزع الفلاح الارض بدون ايجار محدد او مسبق ولكن على ان يسلم ٤/٥ المحصول مهما كان الى صاحب الارض . ويستبقى لنفسه ١/٥ المحصول . معنى ذلك انه يحصل على ٢٠ ٪ من انتاج الارض مع دفع ثمن السماد والتقاوى والتكاليف الاخرى مثل ثمن نقاوة الدودة والمبيدات فى حالة القطن مثلا .

أما اذا أراد المالك تجنب اخطار التهرب من القانون فانه يلجأ الى تغيير نوع المحاصيل .. فمن محاصيل حقلية الى محاصيل فواكه وجناين الموالح والمانجو . وهو ما يستلزم ان ينفق المالك على الارض مبالغ مدخرة تدر ربحا اكبر بعد فترة نمو الاشجار وبدء المحصول . وفى هذه الحالة يكون هو الرابح . لان ضريبة الفدان واحدة فى كل الحالات . وربحه اكبر فى الحالة الثانية . كما ان الدولة الى الان لم تأخذ بنظام ضرائب الاستغلال الزراعى .

والملاحظة **الثالثة** .. هو النظام المتبع فى التأمين على الماشية والذى يخدم اولا واخيرا الطبقة المتوسطة من سكان الريف المصرى .

ففى قرية بنى هلال .. يوجد ٧٨٧ جاموسة منها ٢٥٠ جاموسة مؤمن عليها . والاحصاء المبدئى الذى جمع يبين مايلى :

٢٠٠ جاموسة يملكها فرد
٧٠ جاموسة يملكها فرد آخر .

وقانون التأمين على الماشية يقرر ان الذى يملك ٥ مواش فأكثر هو صاحب الحق فى التأمين على ماشيته .. وله فى هذه الحالة ايضا ان يحصل شهريا على ١٥٠ كيلو جراما من العلف الجاف لكل رأس ، هذا غير التعويض اذا نفقت الماشية ، بينما نجد ان معظم فلاحى بنى هلال وهم المستأجرون وعمال الزراعة وصغار الملاك لا يملكون الا اقل من ٥ مواش . ومعنى ذلك ان المستفيد م[illegible] انون هو المالك الكبير الذى يمثل الطبقة المتوس[illegible] الكبيرة فى الريف المصرى . رغم ان توفير التأمين لصغار الفلاحين كفيل بتشجيعهم على التربية وبالتالى على المساهمة فى بناء الثروة الحيوانية .

ونتيجة لهذا القانون نجد ان المالك الكبير يتمتع بافضل الشروط فى تربية مواشيه اما المالك الصغير الذى يحرم من شراء العلف الجاف من الجمعية التعاونية فانه يلجأ عادة الى السوق السوداء التى يتحكم فيها من يملك العلف الجاف .

والملاحظة **الرابعة** خاصة بالجمعية التعاونية ، ففلاحو بنى هلال رغم انهم يقرون برضائهم عن الجمعية التعاونية من حيث الخدمات التى تقدمها الا أنهم يتهمون مجلس الاداره بالتلاعب فى الخدمات او تأخيرها ، ويطالبون بتعيين مشرف من القاهرة والغاء مجلس الادارة .

وبمقارنة جمعية بنى هلال التعاونية بجمعية اخرى فى تلبانه .. وهى جمعية اصلاح زراعى ، يتساوى اعضاؤها تقريبا فى حجم الملكية ، نجد ان الاخيرة تحصل على التأييد الكامل من اعضائها ، لان الرئاسة بالدور ، ولابد لكل عضو ان يترأسها يوما ، ولان الاشراف محكم ، ولان الكل متساوون فى الحقوق ، والكل يعرف هذه الحقوق وديمقراطية التعاون تسير بخطى واسعة .

كما ان هناك اوجه اخرى للمقارنة لابد من التحدث عنها وهى وحدة الاتحاد الاشتراكى فى القرية .. بنى هلال وامينها احد اعضاء العائلة الثرية بالقرية وتلبانه وامينها عمدة القرية الذى يملك مساحة فى القرية لا تزيد عن عدد من القراريط .

ففى بنى هلال لا يشعر الفلاحون بفاعلية العمل السياسى ، اما فى تلبانه فقد جمع الفلاحون ١٠٠٠ ج واشتروا محطة كهرباء ، ورصفوا طريقا طوله ٦ كيلو مترات من الشارع الريفى واوصلوه الى القرية وتنازل الملاك عن المساحة التى دخلت فيه .

نخلص من ذلك بالتالى :

- ان ملكيات القرية المتفاوتة تعطى الغلبة فى السيطرة على مفاتيح الاجهزة الادارية للعائلة صاحبة الملكية الكبرى .
- ان الملكيات المتقاربة تعطى فرصة اوسع

لبناء العمل الديمقراطى فى مجـال الخدمات فى الريف .

● ان الملكيات المتقاربة تعطى فرصة اوسع لبناء العمل الديمقراطى فى مجال الخـدمات فى الريف . كما إنهـا تحقق الاحسـاس ليس فقط بالمساواة امام القـانون والإدارة وانمـا امام الخدمات التى تقدم من الاجهزة الادارية والتعاونية فى القرية .

مثلا اتضح ان ٧٣ر٥٪ من المنتفعين بالاصلاح الزراعى راضون عن نشاط الجمعية التعاونية وسير العمل بها .

فى حين ان نسبة الغير راضـين عن نشـاط الجمعية التعاونية من صغار الفلاحين (خمسـة افدنة فاقل) تبلغ ٣٨ر٥ ٪ .

والملاحظ ان غالبية صغار الفلاحين فى القرية سواء كانوا من صغار الملاك او المسـتاجرين لحيازات صغيرة يطالبون باستمرار والحاح فى مناقشاتهم بضرورة ان يدير الجمعية التعاونية موظف ادارى من القاهـرة على اسـاس ان الجمعية التعاونية فى وضعها الحالى يتحكم فيها نفوذ ومصالح الطبقات العليا من سكان وملاك القرية .

رغم تعارض ذلك مع الطبيعـة الديمقراطية للتعاون وابعادها المختلفة من حيث توفير الارضية الملائمـة لتدريب وتنظيم الفـلاحين فى اعمـال جمـاهيرية ديمقراطية تتعلق بحياتهم اليومية فى القرية .

● ان اعادة النظـر فى قـانون التأمين على الماشية واجب وضرورى ليخرج من نطاق الطبقية الى خدمة جماهير الفلاحين .

● ان الاحساس بنفوذ العمدة او العائلات المالكة الكبرى فى الريف يختلف من منطقة اصلاح زراعى عنها فى منطقة لم يمسها قانون الاصلاح . وذلك يرجع اسـاسـا الى انعدام وجـود قوة اقتصادية كبيرة لها نفوذ غير عادى وسط منتفعين متقاربين فى الملكيات الزراعية وبالتالى فى الحقوق والواجبات .

فـ ٥ ٪ فقط من منتفعى الاصلاح يشعرون بوجود نفوذ عائلى فى قريتهم فى حين ان ٤٧٪ ممن يملكون فدانين فاقل يعترفون ان لنفوذ العائلات اكثر على القرية وانشطتها .

● طالما ان الملكية الخاصة اصبحت وظيفة اجتماعية فلابد ان ينظر بعين الاعتبار فى مساحات الارض التى تتحول من نظام الإنتاج الحقلى الى جناين الفواكه . خاصة وان ضريبة الاستغلال الزراعى لم تناقش بعد .

● اذا كانت عقود الإيجار تسـجل اليوم فى الجمعية التعاونية . وثبت فعلا ان التهرب من قانون الايجارات مازال قائما بـين جـانب كبار ومتوسطى الملاك ، فالنظرة الجديدة لدور التعاون الزراعى للتدخل المباشر بين المالك والمسـتاجر اصبح امرا ملحا .

والفكر السائد فى الريف حول النظام الاشتراكى لايزال غير واضح فى اذهان الفلاحين والكثير يخلطون بين الاشـتراكية وبين دفع اشـتراك الاتحـاد الاشتراكى العربى والبعض لا يدرى شيئا عن الاشتراكية الا انهم يتجاوبون مع مفهوم الاشتراكية بشكل غير مباشر ويقدرون عن محبتهم لها ممثلة فى العدالة والمساواة والمشاركة والتعاون والحرية .

وقد اثبت البحث ان احساس الفلاح بدور الاتحاد الاشتراكى فى القرية وقدرته على التفاعل معه والاستفادة منه تكاد تكون معدومة ، فحتى الاراء التى اجابت بالرضاء عن الاتحاد الاشتراكى كانت تجيب عندما تسأل تفصيلا بانه لم يعمـل شيئا . وتتباين آراء الملاك والمستأجرين حول ما يفعله الاتحاد الاشتراكى فنجد ان ٧٥ ٪ ممن يملكون من ٥ الى ٢٥ فدانا يجيبون بأنه مفيد ، بينما ايد هذا الرأى من المستأجرين ٥ ٪ فقط .

ويبدو ان عدم رضاء هذه النسبة الكبيرة من صغار الملاك عن نشاط لجنة العشرين للاتحاد الاشتراكى العربى فى القرية يرجع الى عدم اثارة مشاكل علاقات الانتاج — من ايجار ومزارعة — داخل اللجنة مما جعل صغار الملاك يشعرون ان لجنة الاتحاد الاشتراكى تعيش على هامش حياتهم اليومية . بالإضافة الى ان المراكز القيادية فى اللجنة فى يد العائلة ذات الملكية الكبيرة .

وقد دلت الاجابات على تمتع العمدة بالنفوذ الاكبر كذلك العائلات الكبيرة ، وكانت نسبة الاجابة فى هذا الاطار مرتفعة بين صغار الملاك (فدانين فاقل) والحرمين عنها بين متوسطى الملاك لقدرة الفئة الاخيرة على التحلل نسـبيا من نفوذهم ، فتبلغ النسبة بين الفئة الاولى حـوالى ٦٥ ٪ للعمدة و٢٣ ٪ لنفوذ العائلات بينما تبلغ فى ملاك من ٢ — ١٠ أفدنة ٥، ٪ للعمدة وحوالى ٣٧ ٪ هذا بينما لم يعترف بنفوذ الاتحاد الاشـتراكى سوى ٧ ٪ فقط من جميع الطوائف . ولعل ذلك راجع الى ان اغلبية اعضاء الاتحاد الاشتراكى من العائلات صاحبة النفوذ بالقرية .

امينة شفيق





محافظة المنوفية

"الاحتكار" العائلى والانفراد بالمزايا

الواقع الاجتماعى

كان ميدان البحث الذى توجهت اليه مع مجموعة من الباحثين ، هو قرية ميت خلف بمحافظة المنوفية ، وتقع هذه القرية على الطريق الزراعى قويسنا ـ شبين الكوم وهو طريق مرصوف ، وتفصلها عن مدينة شبين الكوم اربعة كيلومترات الى الشرق . ويتبع هذه القرية عزبتين احداهما جنوبها والثانية شمالها ، الاولى على بعد كيلو متر منها والثانية على بعد نصف كيلو متر .

عدد سكان هذه البلدة والعزب الخاصة بها ٣٢١٥ نسمة منهم ١٦١٤ ذكور ، ١٦٠١ اناث ، وعدد الاعضاء العاملين بالاتحاد الاشتراكى العربى بها ٥٩٧ عضوا ذكورا واناثا ، والمساحة المنزرعة بالقرية ٣٠٠٠ فدان كانت اصلها ملك « البرنسيسة » **امينة هانم** حرم الخديو توفيق ، ثم اصبحت وقفا للورثة بعد الوفاة وكان الامير محمد على توفيق ناظرا لهذا الوقف . ولم يكن هناك ملكية فردية على الاطلاق لاهالى البلد الحقيقيين .

ويتبع هذه الاراضى بلدة اخرى هى سلكا على بعد ٢ كيلو متر شرقى ميت خلف ويتبع سلكا عزبة اخرى على بعد ١/٢ كيلو متر . وبعد صدور قانون الاصلاح الزراعى ، وزعت الارض على البلدتين ، اى ميت خلف وسلكا على ٨٥٠ اسرة من اهالى البلدتين . ويوجد بالقرية عمدة ، وشيخان للبلد ، وخمسة عشر خفيرا وعامل للتليفون كذا مجلس قرية يضم ١٥ عضوا ولجنة اتحاد اشتراكى بها ٢٠ عضوا ولجنة نقابية للعاملين بالزراعة . كما يوجد بها وحدة صحية بها دكتور مقيم واربعة موظفين وخمسة عمال ، ومركز لرعاية الطفولة والامومة بـه ٣ مساعدات و ٤ عاملات . ويوجد بها ايضا مدرسة ابتدائية واحدة ، تعمل على فترتين صباحية ومسائية بها ١٢ فصلا، وعدد التلاميذ ٨٧٨ منهم

٦٨٧ ذكورا ، ١٩١ اناثا ، وبعض تلاميذ هذه المدرسة من بلدة الصلحة القريبة من ميت خلف وبها ٢٤ مدرسا ومدرسة وناظر وسكرتيروستة عمال ، ومرفق بها مركز لرعاية الشباب . وبالقرية جمعية تعاونية ، عدد اعضاء مجلس ادارتها ١٥ عضوا تقوم بالخدمات الزراعية .

ويوجد بالقرية ثلاثة حلاقين، ومكوجي واحد، واربعة تجار ، ومولدة ، وعجلاتي ، و ٣ محال للبقالة ، ومسجدان ، ويوجد بها ايضا مشروع المياه النقية والكهرباء .

وقد لاحظت ، وكذا زملائي ، ان اهالي الريف مازالوا الى حد ملحوظ يجاملون على حساب مصلحتهم العامة ، ويكتفون بالاجابات التعميمية، ولقد تاكدت اهمية الاسئلة التعمقية المباشرة ، اذ هي التي اوصلت المجموعة الى حقيقة الاتجاهات والاراء . كما لاحظت ان ثاني ايام الزيارة لنفس المكان ، اعطى نتائج اقرب الى الواقع ، اذ استفادت مجموعتنا من نتيجةمقابلات ومعايشات اليوم الاول ... وذابت كل المخاوف من الطرفين ، الباحث والمبحوث .

ومما استلفت نظرنا في قرية « ميت خلف » هو ان الفلاحين المتجمعين في الجمعيه التعاونية اول ايام الزيارة للقريه : كانوا يجاملسون فيما يخص بالجمعيه . بل ان عددا لاباس به من موظفي الجمعية ، اسهموا بالادلاء بآرائهم في البحث ، بطريقة لم تكن تمثل الواقع تماما ، وقد التقت المجموعة بعدد من المبحوثين ، وهم على قلتهم ، انما يمثلون عناصر ثورية صالحة للعمل عن وعي وادراك فتحليلاتهم للامور والاوضاع علمية الاسلوب والمنهج . الا ان المجموعة لمست عدم التوحيد في فكرية فئات القوى في الريف نحو المشاكل العامة للقرية ، وذلك في غيبة تنظيم شعبي سياسي فعال .

ولوحظ ان درجة الوعي والايجابية في الادلاء بالآراء ، والشجاعة اعلى نسبيا في مناطق الاصلاح ، منها في المناطق الاخرى .

والايمان والالتحام بشخص الرئيس **جمال عبد الناصر** ظاهرة قوية تفرض نفسها في كل المواضيع ، وهم يؤمنون به بشدة ، وبانه سيحقق لهم كافة الامال .

وبالنسبة للاتحاد الاشتراكي ، ليس له وجود فعال في حياة الجماهير ، وحتى نشساطه في حل المنازعات والمشاكل العامة ، ياتي في الدرجة التالية بالنسبة لنشاط العمدة والفرق بينهما في الدور شاسع في هذا المجال ،وهناك رضاء كبير عن العمدة الذى يمثل في هذه القريه ، مركز النفوذ الاجتماعي ، لابحكم سطوته ، ولكن بحكم احترام الناس له .

للدين والقيم المعنوية ، تاثيرها في حياة اهالي القرية ، ومما يؤسف له ، ان الفهم الخاطىء لبعض القيم الدينية (وخاصة فيما يتعلق بتنظيم النسل بالذات) مازال ذا تاثير وفعالية، والقناعة بالواقع مازالت سمة من سمات اهل الريف ومطالبهم الاقتصادية والاجتماعية ليست مستعصية الحل ، ويمكن للحلول الذاتية ان تؤتي ثمارها بتضافر جهود الفئات المختلفة في القرية. كما ان مدى الايجابية والاستجابة من العناصر الشابة في الريف ، ابعد اثرا واعلى درجة من العناصر المسنة ، ويلاحظ ايضا انتشار اجهزة الراديو الترانزستور بشكل واضح ، بخلاف ذلك لاحظت المجموعة ، ان ادخال النور اليها لا يحتل مركز الصدارة بين مشاكل القرية فهناك مشكلة اولى بالاهمية هي حل مشكلة الاسكان في هذه القريه ، وهي مشكلة تلح على الاهالي ، وحلها يكمن فيتوزيع الارض المخصصة للتوسع السكني من ارض الاصلاح والتي لم توزع حتى الان ، وتخضع لاستغلال بعض الافراد من المهيمنين على الجمعية التعاونية والاصلاح . كما لاحظنا ايضا ان شباب القرية المثقف لم يتطوع للخدمة العامة بالقرية ، وان كان مستعدا لذلك الا انه لم يقم بعمل ايجابي ويفتقد العناصر القيادية التي تنظمه وتقوده .

الوضع الاقتصادى

اظهر سكان القرية وعيا بالمنجزات التي حققها المجتمع الجديد ، الا ان الكثيرين منهم حرصوا في نفس الوقت على نقد مايرونه معوقا للمكاسب التي تحققت لهم . وقد ابدوا ادراكا بالتضحيات الواجبة في معركة البناء ، مادامت لصالح البلد في نهاية الامر . وبالنسبة للمستقبل ترى اغلبيتهم ان الجمهورية ستتقدم وسيكون ذلك بفضل التصنيع ، وهم يرجعون كل هذه المكاسب الى شخصية الرئيس جمال عبد الناصر وهم يثقون به الى ابعد الحدود فهو تجسيد لكل معاني التقدم والعدل ولكل القيم المرتبطة بالاشتراكية .

وفي الاستقراءات الخاصة بزيادة المحاصيل ، اجمع ٥٤ من الملاك على انه هناك زيادة في

المحاصيل ، وقد سالنا ايضا جماعة من التجار والموظفين والحرفيين والطلاب والعمال والفئات الاخرى اجابت بزيادة المحاصيل ، فيما عدا نسبة ضئيلة ٩ من مجموع ٥٦ ، كانت اجاباتهم « لا اعرف » وغالبا تعود عدم المعرفة الى ان الموضوع لايخصهم مباشرة .

أما من اجابوا بعدم زيادة المحاصيل فينحصرون فى عدد صغير من المنتفعين والمستأجرين وهمقلة تتمثل فى ٧ من ٩٧ . والاتجاه العام هو التسليم بأن المحاصيل زادت هذه الايام ٢,١٣ الى ٢٣٣ .

انعدام الشكوى فى فئات الملاك يرجع الى ان بعض المنتفعين الذين اشتكوا ، مرد شكواهم الى ان الارض الضعيفة كانت من نصيبهم فى حين ان الملاك وهم من خارج منطقة الاصلاح الزراعى اختصوا انفسهم بأخصب الاراضى ولديهم من الامكانيات المالية ما يهيء لهم الاعتناء بها .

عن الجمعيات التعاونية

فيما يتعلق بالجمعيات التعاونية ، فالاتجاه العام هو الرضاء عن الجمعية (١٩٦ شخصا راضيا من ٢٣٤) ، وان كان ٥٠ من الراضين قد اعلنوا رضاءهم بتحفظات ، الا ان هناك شكوى من سير العمل بالجمعيات التعاونية تعود الى نوعين من الاسباب الرئيسية :

اسباب تختص بالقائمين على امور الجمعية تتمثل فى رأى ١٠٦ شخصا من ٢٤٧ .

واسباب تختص بتوفير الخدمات وتعديل الاثمان والكميات تتمثل فى رأى ٤٧ شخصا من ٢٤٧ .

ومجمل الشكوى للسببين معا ١٥٣ من ٢٤٧ .

والاسباب التى تتعلق بالقائمين على امور الجمعية تجمل فى :

- الرغبة فى تعيين موظفين متفرغين .
- الرغبة فى انتخاب اعضاء مجلس ادارة جديد .
- المطالبة بعدالة المعاملة .
- المطالبة بمراقبة اعضاء الادارة .

والاسباب التى تتعلق بالخدمات وتعديل كمياتها واثمانها هى :

- المطالبة بتوفير الخدمات على نطاق اوسع .
- المطالبة بتعديل الاثمان والكميات .

والشكاوى من الجمعية التعاونية تتنوع ... منها ما يرده البعض من ان فيه فى بلدنا قطع ارض مخصصة للتوسع السكنى لا توزع ولا احد يستفيد منها .. » وفى حالة فردية عبر احد الملاك (٢. فدان) عن ضيق الفلاحين من الجمعية التعاونية ، على اساس خوف الناس من ان تأخذ الحكومة ديونها المستحقة لدى الفلاحين . وتخصم هذه الديون من ثمن القطن .

ويعود عدم رضاء بعض الفئات الاخرى (عامل زراعى) من ان بعض الاراضى التى يموت المنتفعون بها لاتوزع على اساس عادل . ويجب ان تعطى للعمال الزراعيين فى المنطقة .. ولاتعطى للموظفين من اهالى المنطقة . وبعد تتبع حالات عديدة اشتكت من سكرتير الجمعية والموظفين بها وطالبت بمشاركة الاهالى فى مراقبة الجمعية (لان ماسكينها بيأكلوها) (ولان الناس اللى موجودين كان منهم اقطاعى سابق ، وكان يحصل على ٥٠ فدانا فى عهد الدايرة) (ولان ناظر الجمعية غايب بقاله عشرة او خمسة عشر يوما ومصالحنا متعطلة . والمهندس الموجود بداله لايقدر يفتح الخزنة ولا يدينا فلوس .. ولم اصرف كل باقى ثمن القطن ـ واخذت كسب ٣ مرات وباقى لى مرتين) . ولقد ترتب على ذلك محاولة لدفع الفلاحين لحديث اكثر صراحة .. قال فيه احد المنتفعين : ان الجمعية تمثل اقطاعا عائليا من نوع جديد ، فتركيبها يتمثل كالاتى :

١ ـ **احمد محمد الوكيل** : خال سكرتير الجمعية وصراف فى نفس الوقت بالجمعية التعاونية وينتفع بـ ٣ فدادين .

٢ ـ **مصطفى محمد الوكيل**: خال سكرتير الجمعية وخفير بالجمعية بمرتب ٥ ج وينتفع بـ ٢ فدان .

٣ ـ **فريد سلمان قاسم** : زوج اخت سكرتير الجمعية ، خفير بالاصلاح الزراعى وينتفع بـ ٢. فدان .

٤ ـ **عبده حمزه الوكيل** : خفير بالجمعية وابن خال سكرتير الجمعية وينتفع من الاصلاح بـ ٢. فدان ومرتبه ٥ ج .

٥ ــ **عبد الحليم على الوكيل** : ابن خال سكرتير الجمعية ومنتفع بـ ٣ افدنة وعامل بساتين بالاصلاح بمرتب ٦ ج .

٦ ــ **عبده سيد احمد الوكيل** : عامل تليفون ومنتفع بفدانين .

٧ ــ **يونس بدر الوكيل** : ابن خال سكرتير الجمعية . وميكانيكى بالجمعية .

٨ ــ **عبد الفتاح سابق الوكيل** : خفيربالجمعية

٩ ــ **عبد الهادى سابق الوكيل** : خفير بالاصلاح الزراعى .

وخلاصة ذلك ان سكرتير الجمعية (**محمد حلمى محمد هلال**) قد الحق « قرايبه خفراء وموظفين بالجمعية » .. وهم فى نفس الوقت منتفعون بالاصلاح الزراعى وهى مخالفةواضحة للعدالة الاجتماعية ..

وسكرتير الجمعية يملك ١٠٠ خلية نحل افرنجى .. يهدى منها موظفىالمنطقة من انتاجية العسل . وكذلك يمتلك هذا السكرتير ٥ افدنة خارج ارض الاصلاح فى زمام (ميت مسعود) .

وتثار شكوى من الجمعية على اساس مبالغتها فى تكاليف التسويق . اما بخصوص الكسب فاوضحوا انها لا تصرف كل الكمية التى تخص الفلاحين وانما يتسرب جزء كبير منها الى التجار الذين تباع اليهم .

التسويق التعاونى

الغالبية العظمى راضية عن نظام التسويق بنسبة ١٧٦ الى ١٨٦ ، اى ٩٤٪ . وذلك عند مقارنة النظام القائم بالنظام القديم الذى كان يقوم فيه التجار بعملية التسويق .

وتعود اسباب تفضيل التسويقالتعاونى الى :

- عدم الاستغلال ١٨٠/١٦٧ ٩٣٪ .
- زيادة العائد . ١٨٠/١٣ ٧٪ .

وفيما يتعلق بتحديد درجة الرضاء كانت الاجابات كالتالى :

١ ــ الذين لايرون اية عيوب فى التسويق ١٥٣ من ١٨٠ اى بنسبة ٧٤٪ .

٢ ــ الذين يرون فى التسويق عيوبا ٢٥ من ١٨٠ اى بنسبة ١٦٪ .

وهناك مجموعات عددت العيوب فيما يلى :

- عدم الفرز محليا ١٨٠/٦ .
- الاسعار منخفضة . ١٨٠/١٢ .
- عدم الدفع الفورى . ١٨٠/١ .
- التلاعب فى العملية والفرز . ١٨٠/٥ .
- التلاعب فى الدفاتر . ١٨٠/١ .

ومن هذه الاحصاءات جميعا يتضح ان النسبه التى تمثل الرضاء عنالتسويق هى ٧٤٪ والذين يرون تحسين التسويق عن طريق علاج محدد هم ١٦٪ .

التجميع الزراعى

الغالبية راضية عن التجميع الزراعى (تنظيم الدوره) ١٨٥ الى ٢٣٢ ، غير ان هناك قلة ترى انه ليكتمل رضاها لابد من تلافى بعض العيوب .

وتتركز هذه العيوب فى ان نظام التجميع وان كان نظاما مرضيا عنه ، ويؤدى الى زيادة الانتاج وسرعة اداء الخدمات ، وخفض معدلات ادائها ، الا انه فى نفس الوقت لايسمح للفلاح بزراعة المحصول الذى يحتاج اليه الا فى الاطار العام للتجميع ، فقد تكون حصته فى ارض مزروعه قطنا ، وهو يرغب كذلك فى زراعة الذرة ، او قد تكون ارضه وحصته مزروعة قمحا وهويرغب كذلك فى زراعة البرسيم . وبالطبع فلابد للفلاح من الحصول على حاجته باية وسيلة . وهنا يقع تحت وطاة استغلال جديد (تاجير الارض من زميل لزرعة واحدة مثلا) او شراء احتياجاته من المحصول بثمن مرتفع ولحل ذلك هناك اقتراح بان تحل المشكلة داخل النظام ويعمل بنظام المبادلة .

الوحدة البيطرية

نالت الخدمة البيطرية ــ نظاما واداء ــ رضاء تاما ١٠٠٪ : ٢٢٤/٢٢٤ . ويبدو ان الطبيب يهتم بعمله رغم انه مثقل بهذا العمل ،

والدليل ان ٨٣٪ اى ١٨٠ من ٢١٥ ليس لديهم شكوى ضد الوحدة البيطرية . والشكوى تنحصر فى عدم حضور الطبيب ١٥٪ ٢١٥/٣٤ . وهو لايدل على اهمال الطبيب بقدر مايدل على زيادة الاعبـاء عليه .

غير انه بخصوص « التأمين على المواشى » وهو مرتبط بالخدمة البيطرية ، فلقد افادتنسبة ٤١٪ بوجود التأمين ٢٣٣/٩٦ بينما ظلتنسبة ٥٢٪ محرومة منه .

والحقيقة ان القواعد التى يطبق بها التأمين على المواشى حاليا قد حددت خمسة مسواشى ينبغى ان تكون عند من يحق له التأمين، ولما كان التأمين يصاحبه دائما خدمات اقتصادية مثـل التمتع بكميات اكبر من الكسب والاعلاف ياخذها الفلاح المؤمن بصفة دورية ودائمة ، فان هـذا يجعل الفلاح الذى يملك اقل من ٥ مواش ، يشعر باختلاف المعاملة والتمييز فى الخدمات المقدمـة من جانب المجتمع ، وهذا له خطورته علىفكرية الفلاح نحو المجتمع الاشتراكى .

وان عدم انتظام ورود كميات الكسب والاعلاف وعدم الدقة والعدالة فى التوزيع اوجدت « سوق سوداء » لمصلحة القادرين سـواء من الملاك أو الرأسمالية الوطنية أو المشرفين على العملية . وسيادة هذا الشكل الاستغلالى وبقاؤه يفقد من غير شك ثقة الجماهير بالمجتمع .

ويضعف ايمانها بقيم المجتمـع الجديد ويؤدى الى سلبية فئات وقوى هى صاحبـة مصلحة فى الثورة ، بل والمفروض ان تكسب كعناصر ثورية .

والعلاج يتطلب الهبوط بحد ملكية المواشى الذى يعطى الحق فى التأمين بل الغاء هذا الحد .

نقابة العمال الزراعيين

فيما يتعلق بالاسئلة حول :

- الرأى فى النقابة .
- بيان اعضائها . (وهل فيها ملاك أو مقاولو انفار) .
- وماذا تعمل .

اتضح ان الغالبية العظمى لا تعرف شيئا عن نقابة العمال الزراعيين ، ٢٣٨/١٧١ هى نسبة اجابات (لاعرف) فيمايتعلق بالسؤال (أ) ١٧٥/ ٢٢٩ هى نسبة اجابات (لا اعرف) فى السؤال (ب) ٢٣٣/١٧٥ هى نسبة اجابات (لا اعرف) فى البند (ج) .

أما العامل الايجابى الوحيد فى صالح النقابة فيستخلص من الاجابة على السؤال جـ بأنها (ترعى مصالح العمال) ونسبة ضئيلة ٢٣٣/١٢ .

هذهالظاهرة تدل على عدموجود الوحدة الفكرية والاحساس بمشاكل المجموع داخل القرية ، فكل فئة تهتم بمشاكلها فقط ، كما انه برغم ان المشكلة تخص العمال الزراعيين وان درجة اهتمامهم بها اعلا من بقية الفئات الا انهم لا يحسون بفاعليـة النقابة .

وتدل هذه الظاهرة على ان القوى المختلفة فى الريف والفئات المختلفة فيه تحتاج الى القيـادة السياسيه الثوريه التى تعمل على توحيد فكريتهم قدر الامكان ... بحيث يهتم الجميع بمشـاكل المجتمع داخل التحالف الشعبى ، وتدل الارقـام الخاصه بالعمال ان ٩٧ ٪ لا يحسون على الاطلاق بفاعلية نقابة العمال الزراعيين . وتدل الارقـام المتعلقة بالسؤال (ب) على ان ٧ من ٣١ افادوا بأن من بين اعضاء نقابة العمال الزراعيين مقـاولى انفار .

والخلاصة ان التنظيم النقابى الزراعى لا اثر يذكر له ، وليس له فاعلية ، وانه لم يلق العناية ولم يدفع بخطوات الى الامام . ولابد من اعـادة النظر فى هذا الخصوص .

امكانيـة الادخـار

فيما يتعلق بالادخار ، اوضحت الاحصائيات ان ٢٧٧/١٢٨ اى ٥٦ ٪ من الاهالى يقررون ان الفلاحين يمكن ان يقبلوا الادخار وتدل الاحصائيات ايضـا على ان نسبة ٢٣٣/١٢٤ اى ٥٣ ٪ يوافقون على أن يدخروا .

اى أن الاتجاه السائد هو الموافقة على امكانية الادخار والاسهام فيه قدر استطاعتهم .

حسن معاذ رميح

لجــان شــرفيــة لحــل المنــازعــات



التنظيمات السياسية والجماهيرية

لم نقم بمعايشة المنظمات السياسية والجماهيرية فى ميت خلف وحدها ، بل قمنا بمعايشتها فى ثلاث قرى من ريف المنوفية ايضا وتحتل هذه القرى الاربع منطقتين تختلف علاقات الانتاج فى كل منهما عن الاخرى ، فاحدى هذه المناطق وان لم تكن لقبضة الاقطاع عليها قدر كبير من النفوذ ، الا انها نموذج من نماذج ريف ما قبل الثورة ، فعلاقات الانتاج فيها تتخذ شكلا اساسيا محددا بوضعية فئتين رئيسيتين ملاك واجراء تتوسطهما فئة ثانوية هى المستأجرون ، وثانيتهما منطقة من مناطق الاصلاح الزراعى علاقات الانتاج فيها تتمثل فى غالبية تكاد تكون مطلقة من المنتفعين بالاصلاح ، ثم قلة لا تكاد تذكر او تعدم من عمال — اغلبهم فنيون — بادارة الاصلاح . واختلاف علاقات الانتاج فى كل من المنطقتين كان من الطبيعى حسبما تقدم ان يعطى نموذجين مختلفين للبناء الاجتماعى ، ولكنه وذلك طبيعى ايضا ، وان أعطى نموذجين مختلفين لوضعية التنظيم الاقتصادى فى المنطقتين الا اننا وجدنا التنظيمات السياسية والجماهيرية واحدة فى المنطقتين .

ومن الطبيعى أن تكون التنظيمات السياسية والجماهيرية فى المجتمع الريفى متمثلة فى لجان العشرين للاتحاد الاشتراكى ، واللجان النقابية لنقابة العمال الزراعيين ، فعلى اى صورة وجدنا هذه التنظيمات ؟ .

ان الرد على هذا التساؤل يقتضى منا من واقع المعايشة وعلى اساسها أن نحدد كيف تكونت ؟ وما هو نشاطها ؟ وما هى نظرة الجماهير اليها ؟

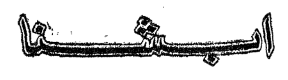
ولنبدأ بلجان العشرين فنرى انه على الرغم مما هو معروف للجميع من ان تكوينها قد تم بالانتخاب، فان غالبية من الجماهير التى عايشناها قالت بأن هذا التكوين قد تم بالاتفاق وصورة الاتفاق كما روتها الجماهير هى ان الصفوة وفقا للمفاهيم والتقاليد السائدة قد اجتمعت واستقرت على مجموعة لجنة العشرين ، ثم عملت على انجاحها بحيث لم يكن الانتخاب سوى شكلا تأكدت به الصورة المتفق عليها ، وسواء تكونت اللجان بالاتفاق كما ترى الغالبية من الجماهير ، ام بانتخاب خلا من عامل الاتفاق كما ترى القلة ، فان هذا التكوين قدجاء انعكاسا لواقع البناء الاجتماعى الذى ما زالت اليد الطولى فى تحديده للعادات والمفاهيم القديمة الراسخة والتى — رغم مرحلة التحول نحو مجتمع جديد وما تحدثه من تفاعلات فى عديد من النواحى الاساسية — ما زالت سائدة بدرجة تسمح لها بتشكيل كافة نواحى المجتمع ومنها لجان العشرين . فتكوينها احتواء لعناصر الصفوة كما تحددها المفاهيم القديمة ، وبذلك فهى خليط من رجال السلطة ومن ذوى العزوة ، وممن يشغلون مواقع ممتازة كالمدرسين ، او مواقع تحكم كالتجار والمأذون والعاملين بالجمعية الزراعية وما الى ذلك ، ثم عدد من المنتفعين بمنطقة الاصلاح . أو عدد من المستأجرين بالمنطقة الاخرى ، روعى فى اختيارهم القلة العددية حتى لا يكون لهم تأثير كما روعى الحرص فقط على التكامل الشكلى ، أما عن نشاطها فمن الطبيعى ان يكون انعكاس لطبيعة تكوينها لصفة خاصة ، وطبيعة الاتحاد وما نتج عنها من تحديد للمسئوليات بصورة عامة . ومن ثم فنشاطها يكاد يكون غير موجود اللهم الا مجرد أعمال ضئيلة معدودة ، تدور حول أمور تتعلق بمشاكل سطحية لاتهتم بمصالح الجماهير الحقيقية، ذلك ان عددا كبيرا من الجماهير يقرر أن لجان العشرين لا تفعل شيئا ولا وجود لها ، وهى أشبه ما تكون بلجان شرفية ، وعدد قليل يقول انها فعلت بعض الشىء اذ اشتركت فى فض المنازعات وسعت الى التوفيق بين الاهالى ، اما بقية الجماهير فواقع وعيها يقطع بعدم فعالية هذه اللجان ، اذ هى لا يربطها بلجان العشرين سوى ما تدفعه اليها من قيمة الاشتراك الشهرى ، حتى اختلط عليها الامر فظنت أن تسمية الاتحاد الاشتراكى جاءت من دفع الاشتراكات ، وهى ايضا — ومن بينها أعضاء بلجان العشرين — لا تدرى ما هو الميثاق وماذا يعنى ؟ بل ان ادراكها لمفهوم الاشتراكية ادراك غير واع ، فكل ما تدريه عنها انها من صنع

الرئيس ، ولارتباطها بشخص الرئيس واسمه فانها تحب ما يفعله وتؤيده . ومن الجدير بالذكر ان ما قررته الجماهير حول نشاط اللجان العشرينية سواء بالقول او من واقع وعيها ، قد قرره اعضاء اللجان أنفسهم ، فهم يعترفون بعدم الفاعلية وبالجمود ويلقون تبعات ذلك على لجنة المركز التى يتبعونها وفقاللتسلسل التنظيمى بالاتحاد ،فيقولون أنهم كثيرا ما اجتمعوا وناقشوا بعض المشاكل وقرروا بخصوصها التوصيات ، ثم رفعوها الى لجنة المركز فكان مصيرها الاغفال والتجاهل ، أما عن الحلول الذاتية فهو امر لا قبل لهم به ولا دراية لهم عنه .

ونظرة الجماهير الى اللجان العشرينية ، امتداد لرأيها حول نشاطها ، فالقلة التى انقسمت الى فريقين ، فريق يرى ان هذه اللجان لجان شرفية ولا تفعل شيئا وفريق يرى أنها قامت ببعض الاعمال فى حدود ضيقة وذات ابعاد أضيق . هذه القلة ترى انه من الممكن للجان العشرين ان تفعل الكثير وما عليها الا ان تطلق الجمود وتبدأ فى التحرك بالجماهير ومن أجلها ودون الاستناد الى سلطة وانما بالاعتماد على الجماهير بتنظيمها وتوجيهها الى ما يحقق صالحها ، أما الكثرة فقد أدى عدم وعيها الى التباعد بينها وبين هذه اللجان وأدى عدم فعالية اللجان وجمودها الى تعميق هذا التباعد فاصبحت هذه الغالبية من الجماهير لا تهتم باللجان العشرينية ولا تدرى عنها شيئا ، ومن ثم فنظرتها اليها نظرة التسليم بما هو كائن ، دون الاهتمام به رضاء أم اعتراضا . هذا عن لجان العشرين ولعل فيه قدر ابرز وجودها مهما كانت نوعيته وابرز الاهتمام بها مهما كان قدره ، وكذلك الاحساس بأهمية الدور الواجب عليها ان تلعبه فى ميدان يتحرق شوقا لتحركها . أما اللجان النقابية لنقابة العمال الزراعيين ، فالامر بالنسبة اليها يختلف ، فهى كمنظمة جماهيرية تلعب دورا اقتصاديا من أجل فئة معينة كان طبيعيا ان لا يثير اهتمام غير هذه الفئة ، والامر الملاحظ ان المجتمع الريفى الذى عايشناه فى هذه القرى الاربع بالمنوفية يشكل بناء اجتماعيا يكاد يخلو — كما سبق العرض — من فئة العمال الزراعيين ، اللهم الا قلة معدودة ومن هذا الواقع ، تبين لنا أن هذه المنظمة الجماهيرية ليس لها اى وجود مادى ونشاطها معدوم ، حتى الاحساس الذهنى بها يكاد يكون منتفيا ، فالغالبية لم تسمع عنها ، ولا تعرف بالتالى عنها شيئا . وعن اهميتها جاءت اقوال قليلة متناثرة تبدى من التعاطف اكثر من الاهتمام والتفاعل ، فترى اهميتها فى العمل على تحقيق مصالح العمال الزراعيين ، وبالتعرف على اصحاب هذه الاقوال المتناثرة نجدهم قلة من المنتفعين بالاصلاح والمستأجرين ،وعدد من العمال الزراعيين أما ما عدا ذلك فلم يشغل باله بعناء البحث عن راى يبديه حول أهمية هذه المنظمة ، فذلك موضوع لا يهمه . وبالرغم من عدم وجود اللجان النقابية ، او الاحساس بامكانية وجودها لدى الجماهير حرصنا على استطلاع الراى حول نوعية الاعضاء الذين تتكون منهم هذه اللجان . وجاءت الاراء متضاربة تعكس فكرية القائلين بها ، فئة الملاك ترى أن تتكون هذه اللجان من عمال زراعيين وملاك ومقاولى انفار . اما المنتفعون والمستأجرون والعمال الزراعيون فيرون ان تتكون من العمال بصفة اساسية ، ولا بأس من ان يكون بينهم غير العمال ، بشرط الا يكونوا من الملاك . ومن هذا الواقع الذى عايشناه ، خرجنا نتساءل حول هذه المنظمة الجماهيرية والسؤال هو : ايهما نصدق القول بوجود نقابة عامة للعمال الزراعيين لها كيان ويمثلها نقيب والصحافة تحدثنا كل يوم عن تحركها وانجازاتها ؟ . ام الواقع الذى يقطع بانتفاء وجودها ، وانعدام اى صدى لنشاطها ؟ . من الطبيعى ان نصدق الواقع ،ولكن ذلك ليس مايعنينا وانما ما يعنينا من خلال الواقع ، ومن أجله ، هو ان نقرر ان التنظيم النقابى الزراعى لا اثر له فى المجتمع الريفى الذى عشنا فيه حتى الفعالية الفكرية المتعلقة به معدومة ، فلا وعى به ، ولا ادراك لاهميته ، ومن ثم فهو بحاجة الى اعادة النظر فى بنائه التنظيمى وفى خطوات تحركه ، بما يكفل له اداء رسالته .

عادل حبيب





محافظة بني سويف

الواقع الاجتماعي أساس تقييم الأمور

العلاقات الاجتماعية والتغيير الاجتماعي

فيما يتصل بتكافؤ الفرص والاحساس بالتفرقة فى المعاملة اوبالمساواة من خلال الاحتكاك بالسلطة الادارية ممثلة فى النقطة، والعمدة وفى عملية الحصول على الخدمات بالقرية. فقد اجاب ٦ر٥٠٪ صوتا من المتحدثين بأنه لاتفرقة او تمييز بين الغنى والفقير اثناء التعامل فى النقطة. وابدى ٦ر٤٧٪ صوتا ان هناك تمييزا فى المعاملة. والمجموعة الاولى التى ايدت انه لا تمييز ولا تفرقة فى نقطة الشرطة تنتمى الى فئات ذات ثقل اقتصادى ومركز اجتماعى متميز فى القرية (تجار — موظفين — ملاك).

اما الفئات التى طالما عانت من الحرمان والتفرقة فى المعاملة فما زالت النسبة الكبيرة منها ترى ان هناك فروقا فى المعاملة مع الجهة الادارية الرسمية فى القرية (نقطة الشرطة). وايضا اوضحت الاجابات ان العمدة لا يميز فى المعاملة بين الغنى والفقير بنسبة ١ر٤٠٪ صوتا بينما يرى ١٧٪ صوتا انه يميز فى المعاملة بينهم، على ان هناك ١ر٤١٪ صوت يقول بأنه (كويس) وهى اجابة غير محددة وقد تكون مجرد تعبير عن الخوف منه بوصفه السلطة الادارية المباشرة المحتكة بهم كل يوم. بالاضافة الى انه من الاسرة الكبيرة فى القرية وعضو لجنة الاتحاد الاشتراكى.

بالنسبة للخدمات

وضمت نسبة ٨٤٪ صوتها بانه ليس هناك تمييز فى تلقى الخدمات بالقرية. بينما قال ٣ر١٥٪ صوت بأنه يوجد تمييز بين الناس فى الحصول على الخدمات فى القرية.

الا ان الامر الملفت للنظر ان اكثر الفئات شكوى من التمييز فى المعاملة هم من يملكون من

فدانين الى خمسة ،يليهم التجار ، بينما فئات الموظفين ثم المستأجرين الذين لا يملكون او عندهم اقل من فدان واحد . والعمال الزراعيون يقولون بأنه لا تمييز فى المعاملة وهذا يوضح ان الفئات التى لم تكن تحصل بالفعل على خدمات من قبل وكانت محرومة منها اصلا رأت انه لا تمييز بعد حصولها عليهاأسوة بمن كان يستأثر بها منباقى الفئات. بينما نرى الفئات التى كانت تحصل على الخدمات نتيجة وضعها الاقتصادى او مركزها الاجتماعى وجدت انه يوجد تمييز خصوصا بعد ان شملت الخدمات الفئات الادنى منهم وذلكلعدم انسجام ذلك مع طبيعة مطامحهم المتزايدة .

بالنسبة لاصحاب النفوذ

والكلمة المسموعة فى القرية

اتضح من الاجابات ان العمدة اولا هو صاحب الكلمة المسموعة يليه فى الترتيب نفوذ العائلات اما الاتحاد الاشتراكى ففى المرتبة الثالثة .

ودلالة هذا الوضع ترتبط اساسا بالمركز الاقتصادى للعمدة وعائلته الكبرى. وبعض العائلات الكبيرة التى تدور فى فلكها. وهم جميعا يملكونمعظم الاراضى المزروعةكما يتمتعون بمعظم المراكز الادارية والسياسية والاجتماعيةالمرموقة فى القرية .

بينما لم تستطع القوى الشعبية فى القرية ان يكون لها ثقلا داخل الاتحاد الاشتراكى نتيجة لسيطرة العمدة والمشايخ على قيادته فى القرية. كما لم يستطع العمال الزراعيون وهم يشكلون نحو ٢٠٠٠ من سكان القرية (٦٠٠٠ نسمة) ان يتكتلوا داخل نقابتهم حتى تصبح احدى الجهات ذات الكلمة المسموعة والنفوذ بالنسبة لمصالحهم .بسبب ان هذه النقابة لم تولد بعد ولم تتكون حتى الان. ففى تكوينها تهديد لمصالح العمدة وكبار الملاك الذين يستخدمون بالتالى العمال الزراعيين فى حقولهم بما لا يزيد عن العشرةقروش فى اليوم ،مخالفين بذلك الحد الادنى للاجور .

بالنسبة لزواج الولد ومبرراته

وبالنسبة لزواج البنتومبرراته

كانت فكرة تحمل المسئولية هى المبرر من وجهة نظر الذين فضلوا السن القانونية وما بعدها لزواج الولد ونسبتها ٧١ر٩٪ من مجموع الاصوات .

ثم فكرة النضج وتحمل المسئولية من وجهة نظر الذين قالوا بزواج البنت فى السن القانونية او اكبرمنها ونسبتهم ٦٦ر٥٪ منمجموع الاصوات

بينما نسبة قليلة قالت بأن الزواج اقل من السن القانونية بسبب فكرة الشرف والعرض . ولا يمكن بالطبع فصل هذا الراى عن تقاليد الريف وبوجه خاص فى صعيد مصر .

وتشير المقارنة فى اكثر من موضع بأن مركز المرأة فى المجتمع الريفى لا يزال فى درجة ادنىمن مركز الرجل بشكل واضح. وبالذات لدى الفئات المحرومة من التعليم والثقافة، الى جانب انخفاض مستوى معيشتها وذلك من واقع التوزيعالفئوى للاصوات .

وبالنسبة لتعليم البنت

تبين ان اكثر الفئات تبنيا لتعليم البنت مثل الولد هى فئة التجار ومالكى فدانين الى خمسة افدنة وفئة الموظفين ،وهى تمثل بوضعها القائم مجموعة الفئات التى تعتمد الى حد كبير على التعليم كوسيلة تمكنها من زيادة مكانتها ورفع مستواها داخل القرية .بينما الفئات التى قدم اليها التعليم بالمجان كانت تقف فى نهاية الترتيب التنازلى للفئات من حيث امكان تعليم بناتها وابنائها الى أعلى المستويات . وهم فئة المستأجرين وفئة مالكى اقل من فدان واحد الى اثنين .

كما يظهر من ترتيب الفئات ان اكثر الفئات التى تعطى حق التعليم (اصلا) للفتاة مثل الولد ، هى فئة الحرفيين فالموظفين فالتجار فمالكى فدانين فما فوق ثم العمال الزراعيين والمستأجرين

نشاط الخدمات

المنظمة الوحيدة التى اثنى عليها الجميع هى **الوحدة الصحية** وهذا يرجع الى اخلاص الطبيب المقيم بها فى عمله وايمانه برسالته وبخدمة المجتمع .وهذا بالتالى ابرز الفارق بين هذه المنظمة وبين المنظمات الاخرى التى تتبع اساليب بيروقراطية احيانا ومتعالية وسلبية احيانا اخرى

مع اهمال يكاد يرقى الى مرتبة المسئولية الكاملة لما يحدث للفلاحين نتيجة ذلك من اضرار .

بل ان بعض المسئولية فى هذه المنظمات — والمفروض ان تؤدى خدماتها بالمجان للأهالى — اصبح يطالب بأجر نظير هذه الخدمات رغم علمه بالحالة الاقتصادية للفلاحين .وعلى سبيل المثال الطبيب البيطرى الذى يرفض الانتقال لاغاثة ماشية الفلاحين المريضة بالمنزل الا نظير مقابل، رغم ان حالة هذا الفلاح لا تسمح بأن يؤدى هذا المقابل . ورغم ان مرض هذه الماشية قد يودى بحياتها وهى عماد الفلاح اقتصاديا وسند هام له فى عملية الزراعة .

ويستتبع ذلك ضرورة التعرض لقانون التأمين على المواشى «ومشروع ناصر» لتوزيع المواشى ، فهذان النظامان اللذان وجدا اساسا لخدمة الفلاحين تبين أن المستفيدين بهما هم افراد العائلات ذوى النفوذ والسلطة بالقرية ، وان الفلاحين فى بعض الأحيان لا يعلمون عنها شيئا .ولا شك ان تخلف الوعى لدى الفلاحين هنا كان نتيجة متعمدة لابقائهم خارج الانتفاع بمزايا هذين النظامين .

على اننا لو اخذنا الطبيب البيطرى كمثال لموظف لا يقوم بواجبه ومسئول عن عمله فى القرية، لوجدنا ان كبار الملاك فى القرية يشجعونه على ذلك ويدفعونه اليه بما يقدمونه له شهريا فى مقابل نقدى وعينى بصفة منتظمة لكى يؤثرهم على غيرهم بالخدمات .

والملاحظ بصفة عامة على نشاط اجهزة الخدمات :—

١ — عدم احساس معظم المسئولين فى هذه المنظمات بواجبهم وعدم تقديرهم لامانة العمل الذى يتقاضون فى مقابله مرتباتهم من الدولة .

٢ — تعاليهم على الاهالى — وارتمائهم فى احضان كبار الملاك مما زاد من التخلف الموروث فى القرية وذلك لما للخدمات من آثار . وما للقوانين ومن يطبقونها هناك من نتائج تؤثر على دخول الفلاحين .

٣ — ان الخدمات منتشرة فى القرية حقا، لكن العبرة دائما بأسلوب تأدية هذه الخدمات لاصحابها الحقيقيين وبطريقة الافادة العادلة من مؤسسات الخدمات التى انشئت .

لطفى محمد حسن

نفـــــوذ العـــــمدة فى المـــرتبة الاولى

علاقات الانتاج السائدة فى القرية

تحدد الظروف التالية علاقات الانتاج السائدة فى قرية ابشنا :

أولا : ملكية الأرض الزراعية

يمتلك الاهالى فى القرية ٢,١٥٧ فدانا موزعة على النحو التالى :

٥٣٥ حائزا لمساحة من فدان الى خمسة افدنة

٥٢ حائزا لمساحة من خمسة افدنة الى عشرة افدنة

١٠ حائزين لمساحة من عشرة افدنة الى ٢٥ فدانا

١٢ حائزا لمساحة من خمسة وعشرين فما فوق

مجموع الحائزين للارض الزراعية بما فيهم من يملك او يستأجر اقل من فدان يبلغ ٩٠٠ حائز، من بينهم :

٢٣ حائزا يزرعون ٦٥٠ فدانا

٣٢ مالكا يملكون ٧٩٥ فدانا
وهناك ايضا ٢٢ شخصا يمتلكون حوالى ٥٠٠ فدان،وهؤلاء ينتمون الى اسرة واحدة تقريبا طبقت قوانين الاصلاح الزراعى على عدد من أفرادها ، لكنهم لا يزالون يسيطرون على المراكز الادارية والسياسية والاجتماعية ويتحكمون فى النشاط الاقتصادى فى القرية وفى الافادة من مؤسسات الخدمات بما يحقق مصالحهم فى الدرجة الاولى .

ثانيا : العمل الزراعى المأجور

يبلغ عدد العمال الزراعيين الذين يكسبون قوتهم اليومى من العمل المأجور فى زراعة الارض نحو الفين . ومتوسط الاجر اليومى للعامل فى مدة لا تقل عن ١٠ ساعات هو ١٠ قروش فقط . وهم يعانون من البطالة المقنعة ومن استغلال كبار الملاك لعملهم فى الارض وفقا لمقتضيات العرض والطلب .

وينخفض مستوى الوعى بين هؤلاء العمال لدرجة كبيرة حتى ان الغالبية العظمى منهم لم تسمع ابدا عن نقابة العمال الزراعيين او عن نص قانون الاصلاح الزراعى الذى وضع حدا ادنى لاجر العامل الزراعى .

ثالثا : الجمعية التعاونية الزراعية

تؤدى الجمعيه دورا هاما وبارزا فى الحياة الزراعية فى القرية . وتبلغ نسبة الرضاء عن خدماتها ٧٨٪ بين اهل القرية. وتتزايد هده النسبة لدى صغار الملاك .ويؤيد التسويق التعاونى ٩٤٪ من سكان الريف مستندين فى ذلك الى احساسهم بعدم استغلال التجار كما كان فى الماضى وبزيادة العائد من تسويق محاصيلهم عن طريق الجمعية، التى ابدى ٩٢٪ من الزراع ان زيادة المحاصيل تعود الى خدماتها.

وقد وافق على نظام التسويق بوضعه الراهن ٧٦٪ ، وأبدى ٢٤٪ ضرورة تشديد الرقابة على التسويق وفرز القطن بحضور الفلاح وضبط الحسابات واعلانها وعدم تأخير الصرف .

هناك نسبة ضئيلة اظهرت عدم رضائها عن الجمعية وعللت ذلك بسوء تصرفات بعض الموظفين او التفرقة فى المعاملة .

وقد لوحظ مثلا ان كبار الملاك كان لديهم جرارات وماكينات قبل انشاء الجمعية. وهم الان يحرصون على ان يستخدموا جرارات الجمعية وماكيناتها قبل غيرهم من صغار الملاك .وعندما يشتد ضغط العمل فى المواسم الزراعية يؤجرون جراراتهم وماكيناتهم لصغار الزراع بمبالغ تزيد كثيرا عن المبالغ المقررة .

رابعا : التنظيم الزراعى

بلغت نسبة الرضاء عن التنظيم الزراعى ٧٦٪ (والمعروف أن بنى سويف وكفر الشيخ هما اول محافظتين طبق فيهما التنظيم الزراعى) . ومما يلفت النظر ان غالبية المعترضين هم من الذين يرون ان تطبيق هذا النظام يؤثر على زراعة البرسيم سنويا بصفة دورية لاجل مواشيهم، مما يدفع بعض الزراع الى شراء البرسيم بثمن مرتفع فى السنوات التى يحتم فيها التنظيم ان يزرعوا ارضهم بمحاصيل أخرى ، هذا بالاضافة الى ما يشيعه كبار الملاك وفلول الاقطاعيين عن مشروع التنظيم الزراعى .

على ان الدراسة قد اظهرت ان الفلاح المصرى يتقبل فى رضا التطور الميكانيكى للزراعة ويشعر ان الدولة تعمل على زيادة الانتاج الزراعى بالتنظيم « لمنفعة الفلاح وتقدم البلد » .

وقد تبين باللقاء مع الفلاحين فى القرية ان نسبة وعيهم بالمسائل الزراعية مرتفعة . وان تقديم الخدمات الزراعية لهم يقابل من جانبهم بالتقدير وانه سبب رئيسى فى زيادة المحاصيل وتحسينها وتسويقها تعاونيا لصلحتهم .

ومع هذه الصورة الايجابية نجد كبار الملاك الذين ينتمون الى اسرة واحدة كبيرة بالاصل او بالنسب يحاولون التشبث بعلاقات الانتاج القائمة على الاستغلال والاستئثار بخيرات الارض الزراعية التى يستحوذون على مساحات كبيرة منها بالتملك او بالايجار كما يفرضون من مركزهم الاقتصادى القوى اجرا للعامل الزراعى يهبط الى اقل من ١٠ قروش فى اليوم . ويعملون على واد نقابة العمال الزراعيين قبل ان تولد حتى لاترعى حقوق هؤلاء العمال الذين يقعون تحت وطأة الاستغلال وسوء مستوى المعيشة والبطالة المقنعة .

اما بالنسبة للمزارعين فهناك مشكلة خاصة

بالرى تحتل اكبر نصيب من اهتمامهم. فزمـام القرية يقع فى منطقة تنتهى عندها قنوات الرى وتمتلىء الزواريق والمصارف بالطمى والاعشاب مما يؤثر على كفاءتها، وبالتالى على مستـوى الانتاج الزراعى فى القرية .

وامام تقصير اجهزة الرى ولجنة الاتحـاد الاشتراكى فى مواجهة هذه المشكلة على مستوى القرية يلجأ كبار الملاك الى حلها جزئيا بتطهير الزواريق الموصلة الى اراضيهم فقط، ويعانـى صغار الزراع من عدم وصول الماء ، وجفـاف مزروعاتهم .

هناك صورة اخرى تظهر تفوق موقف كبـار الملاك فى القرية عند الافاده من القوانين الثورية والخدمات فى الريف، فقد اتضح مثلا ان قانون التأمين على المواشى لا يطبق الا على من يملكون خمسة رءوس (وهم بالطبع ليسوا من العمـال الزراعيين او صغار الملاك) وان الخدمات البيطرية لا تقدم الا نظير اجرة معينة يفرضها طبيب الوحدة البيطرية .وقد اتضح ـ بتقصى الحقيقة ـ ان كبار الملاك يقدمون للطبيب البيطرى مبلغا ثابتا كل شهر لقاء الرعاية الصحية لمواشيهم وصرف الادوية اللازمة. وقد ادى هذا التحريض علـى الرشوة واستمرار الدفع للطبيب الى حرمـان صغار الملاك من الخدمات البيطرية امام عجزهم عن ان يدفعوا مثل كبار الملاك فى القرية .

المنظمات السياسية والجماهيرية

اذا كان من بديهيات العصر ان الاوضـاع السياسية والاجتماعية هى انعكاس للاوضـاع الاقتصادية فقد وجدنا فى قرية ابشنا تطبيقا صادقا لهذه البديهية .فالعمدة على راس الجهاز الادارى من العائلة الكبيرة التى تهيمن على ما يقرب من ٨٠٠ فدان من الارض المنزرعة فى القريةملكا او ايجارا .

واعضاء المجلس القروى من نفس العائلـة باستثناء الموظفين الذين يدخلون المجلس بحكـم وظائفهم .

لجنة الاتحاد الاشتراكى

اعضاء لجنة العشرين معظمهم من هذه الاسرة وقد حدث هذا بالاتفاق ولم تتكون اللجنة بالانتخاب وفقا لما قرره ٣٧٫٢٪ من العينةالتى اجـرى معها البحث وتتكون من ٣٠٠ شخص من اهـل القرية .

ويرتبط اتجاه الرضا عن اللجنة بتزايد الملكيةاو القدرة الاقتصادية فالتجار والملاك (من ٢ ـ ٥ أفدنة) هم الذين اظهروا رضاهم عن اللجنة بينما الفئات الادنى كصغار الملاك (اقل من فدان) ، والعمال الزراعيين غير راضين عن اللجنة .

ويلاحظ ايضا ان فئة العمال الزراعيين هى اكثر الفئات التى لا تدرى عن كيفية تكوين اللجنة شيئا وتليهم فى هذا الملاك لاقل من فدان .

وقد تبين ان لجنة الاتحاد الإشتراكى فى القرية لا تعمل شيئـا وفقا لما قرره ٤١٪ **تقريبـا ممن سألناهم واكثر الناس احساسا بذلك هم عمـال الزراعة ومالكو اقل من فدان .**

وتدل باقى الاجابات على ان نشاط اللجنـة الاساسى هو حل المنازعات بين اهل القريـة والصلح بين الناس .

وقد تبين ايضا ان هذه اللجنة معزولة عن جماهير العاملين فى القرية غير مرتبطة بمشاكلهم، ولا تتخذ اى موقف ايجابى لحل هذه المشكلات لان فى هذا الحل القضاء على امتيازات اعضائها الذين يؤمنون بفكرية تسيطر عليها المفاهيم الاقطاعية المختلطة بالقيم الرأسمالية .

وقد انعكس هذا الوضع على موقف هذه اللجنة من التنظيم النقابى فى القرية فنقابة العمال الزراعيين غير قائمة. وهناك ٨٥٪ من العينة التى التقينا بها لا تعرف عنها شيئا . معظم هذه النسبة من فئة العمال الزراعيين انفسهم. واللجنة لم تبذل اى جهد لتكوين النقابة لان اعضاء هذه اللجنـة يستفيدون من عدم انشائها حتى لا يؤثر وجودها فى موقف العمال الزراعيين بشأن الاجور الـتى اخضعوها لقانون العرض والطلب وفقا لمـا صرح به امين اللجنة (وهو العمدة السابق ومن كبار الملاك) فى الندوة العامة لاهل القرية .

النشاط السياسى فى القرية

وقد لوحظ ان القوى البشرية الهائلة مـن العمال الزراعيين الذين كان يمكن ان يتجمعوا فى النقابة اصبحوا مشتتين ، عرضة للاستغـلال وفريسـة للجهل . وهم يشـكلون اكبر نسـبة

عددية غير واعية بتطور المجتمع وبالمبادىء التى يسير عليها وبالمجلس النيابى الذى يمثل الامة وبمجريات الامور فى سياستنا الداخلية والخارجية.

وبالنسبة لفكرة الناس عن الاشتراكية تبين ان اكثر الفئات قدرة من الناحية الاقتصادية واعلاهم ثقافة هم وحدهم لديهم فكرة ما عن الاشتراكية ولديهم قدرة على بيان الاسباب التى تؤدى الى أن يتعلق الناس بها، وتوضح الاجابات التى حصلنا عليها ان هذه الفئة هى ايضا التى استفادت من تطبيق الاشتراكية مباشرة ، وهى نفس الفئة التى سمعت عن الميثاق اكثر من غيرها وتعرف لماذا وضع.

ان الفئات الشعبية والفقيرة فى القرية لا تتيح لها ظروفها الاقتصادية فرصة لمزيد من الوعى او الثقافة والواضح ان لجنة الاتحاد الاشتراكى لم تبذل اى جهد فى هذا السبيل منذ انشائها حتى الان. ولهذا اعتبر الناس فى القرية ان وجودنا والمسائل التى ناقشناها معهم والندوة العامة التى حضرناها فى اليوم الاخير لزيارتنا حدثا لم يسبق له مثيل فى القرية.

الوعى بمجلس الامة ومهمته

اما الوعى بدور مجلس الامة ومهمته واعضاء الدائرة فى هذا المجلس فقد اتضح ان اعلى نسبة من الاجابات المعبرة عن فهم لهذه المسائل هى من الفئات المتعلمة فى القرية والفئات التى تتمتع بمركز اقتصادى متميز. وهى ايضا الفئات التى تطالب بكثير من الخدمات الفردية باعتبار ان تأدية هذه الخدمات هى المهمة الرئيسية لاعضاء مجلس الامة.

لقد بينت الدراسة ان الوعى الانتخابى العام وفهم التمثيل النيابى على مستوى الامة لازال ضئيلا فى القرية وقد يكون تخلف الوعى عموما هدفا متعمدا من جانب اللجنة العشرينية للابقاء على الاوضاع المتخلفة كما كانت فى الماضى حماية لمصالح اعضاء اللجنة واستمرارا لمركزهم الممتاز فى القرية الناتج عن سيطرتهم الاقتصادية.

أصحاب المركز السياسى والاجتماعى فى القرية

وقد تبين هذا بسؤال الناس عن اصحاب النفوذ والكلمة المسموعة فى القرية وكانت النتيجة :

ان العمدة فى المرتبة الاولى يحظى بتأييد نسبى يبلغ ٥٣٫٨٪

بينما يأتى النفوذ العائلى فى المرتبة الثانية بنسبة ٢٠٫٦٪

اما الاتحاد الاشتراكى فيأتى فى المرتبة الثالثة وله ١٠٫٨٪ من مجموع الاصوات.

وتوضح هذه الصورة ان المركز الاقتصادى للعمدة وعائلته الكبيرة عامل اساسى فى تكوين النفوذ والكلمة المسموعة. وان للعمدة — اساسا — وللعائلات الكبيرة، نفوذ اكبر مما يتمتع به اعضاء الاتحاد الاشتراكى فى القرية.

ولهذا فان ٧٩٫٥٪ من مجموع الاصوات اتجه الى اخذ الرأى فى اى مشكلة من العمدة والعائلات الكبيرة كما يؤكد ٦٦٪ من مجموع الذين استجابوا لهذا السؤال انهم (شخصيا) يفضلون العمدة وكبار العائلات عند البحث عمن يحل مشاكلهم.

محمود عبد المجيد





محافظة المنوفية

تغيير أساليب الاستغلال مع تطور العلاقات الاجتماعية

تطور علاقات الانتاج

بالاضافة الى ١٠٠٠ فدان تملكها عائلة الفقى فى الدراجيل وشباريس ، فان الاسرة البالغ عدد افرادها ٧ تملك اكثر من ٥٠٠ فدان فى كمشيش (٣٧٥ لصلاح الفقى و ١٨٥ يملكها محمد عبد الله الفقى) ، بينما يبلغ زمام القرية نحو ٢٠٠٠ فدان وبها ٧٠٠٠ نسمة .

ونتيجة لامتلاك عائلة الفقى للارض والنفوذ ، وعن طريق العمودية وعضوية مجلس النواب والنفوذ الادارى الذى كان يمثله السيد الفقى مأمور ضبط منوف ، استطاعوا ان يفرضوا على القرية علاقات العمل التى تخدم مصالحهم ، ففرضت اسرتهم على الفلاحين نظام السخرة بحيث كان على كل مالك ان يرسل احد ابنائه للعمل بالمجان فى ارض « الوسية » وفرضوا على العمال الزراعيين شبه سخرة بحيث كان اجر العامل الزراعى ٣ قروش صاغ وهكذا كان العمل غير المدفوع يمثل مصدرا خصبا لثروتهم

وعن طريق العمودية استطاع الفقى ان يكون جهاز القهر اللازم لممارسة استغلاله للفلاحين ، فشيخ الخفر والخفراء مسخرين بالكامل لحراسة ارضه وممتلكاته وضرب وجلد الهاربين من السخرة ، وتلفيق التهم لكل من يجرؤ على التمرد ثم تهيئة الجو امام المجرمين الذين كانت تستعين بهم العائلة لسرقة ممتلكات الفلاحين وبعض الملاك من كمشيش والبلاد المجاورة .

وقد تأسست فى القرية عام ١٩٣٦ جمعية تعاونية زراعية ، كان مقرها احدى حجرات السلاملك فى قصر الفقى وكان راسمال الجمعية فى ذلك الوقت ١٣٢ جنيها وعدد المؤسسين ٢٥ فردا . وعن طريق هذه الجمعية التعاونية الزراعية وسيطرة اسرة الفقى عليها وعلى مجلس ادارتها بالكامل راحوا يتاجرون فى كافة انواع السلع كالتموين والبذور والاسمدة بالاضافة الى حصولهم على السلف وحرمان الفلاحين من كافة خدمات الجمعية .

ونظرا لتفتت الملكية فى القرية بحيث يبلغ متوسط نصيب الفرد من الارض بعد استبعاد ملكية عائلة الفقى حوالى ١/٢ فدان فان الملاك الصغار كانوا يزرعون الارض بقصد استهلاك منتجاتها فى الحفاظ على حياتهم (القمح — الذرة) وكانت زرعة القطن هى الزرعة الوحيدة التى يستخدمها فى المبادلة للحصول على احتياجاته الاخرى كالاقمشة والبذور والكيماوى وتعليم اولاده — ولكن عائلة الفقى لم تترك هذا المصدر حرا للفلاح فقد فرضت على جميع الفلاحين ان يوردوا اقطانهم الى « الوسيه » مقابل السعر الذى يفرضونه هم بصرف النظر عن السعر السوقى فى ذلك الوقت ، وهكذا نرى ان اسرة الفقى استطاعت ان تحول القرية كلها الى شبه مزرعة خاصة لهم جزء يزرعونه هم باستخدام الالات والايدى العاملة المجانية او الرخيصة من القرية وجزء يقوم الفلاحون بزراعته بالقطن لتوريده لهم مقابل حصولهم على قوت يومهم من الزراعات الاخرى .

وفى النهاية توصلت عائلة الفقى الى اعجب وسيلة يتصورها العقل لاستنزاف عرق الفلاحين وهى بيع مياه الترعة الحكومية لهم بواقع عشرة قروش لرى القيراط الواحد من الارض وذلك فى فترات التحاريق ، باقامة سد لحجز المياه عن اراضى الفلاحين .

اما علاقات الانتاج بين الملاك الصغار والعمال الزراعيين فى القرية فكانت تجرى على اساس النظام المعروف « بالمقنن » وهو عبارة عن ان يعطى المالك للعامل الزراعى ١٦ قيراطا بالمجان مقابل عمله عنده طوال السنة بالاضافة الى امداده بأدوات الانتاج كالفأس والمحراث والبهيمه وفى حالة قيام المالك باطعام العامل الزراعى على اساس ثلاث وجبات يوميا تنخفض هذه المساحة الى ثمانية قراريط مع التكفل بكسائه بجلباب وقميص وسروال خلال العام الواحد .

وفى عام ١٩٦٤ افتتح بنك مصر مصنعا لتعطين وتشميط الكتان فى القرية على مساحة تبلغ ٤٠ فدانا ، ويستوعب نحو ٢٠٠ عامل ، لكن اسرة الفقى احست بخطورة وجود المصنع نظرا لما يترتب عليه من امتصاص للايدى العاملة وبالتالى رفع اجور العمال الزراعيين . وعن طريق اعوانها من المجرمين قامت بحرق المصنع وسرقة بعض الالات والسيور الجلدية منه فتوقف عن العمل .

وقد استطاع الفلاحون نتيجة لقيام ثورة ٢٣ يوليو المجيدة وبفضل نضالهم السياسى ان يحدثوا اول تغيير فى علاقات الانتاج رغم عدم حدوث اى تغيير فى قوى الانتاج ، فرغم بقاء ملكية اسرة الفقى كما هى دون ان تمس بعد صدور قانون الاصلاح الزراعى لتهربهم منه ورغم استمرارهم فى مركز العمودية والسيطرة على جهاز الامن فى القرية فقد استطاع الفلاحون الغاء عمليات السخرة كلية مع استمرار بعض الاجراء الزراعيين مجبرين على العمل فى حقول الاقطاع مع تحسين بسيط فى اجورهم اليومية . وفى عام ١٩٥٥ استطاعت القرية اعادة تشغيل مصنع الكتان واتجهت الايدى العاملة الى العمل فيه وارتفع اجر العامل تبعا لذلك، الا ان اسرة الفقى اعادت حرق المصنع وتخريبه وهو مازال معطلا حتى اليوم، بالاضافة الى انهاء احتكار اسرة الفقى لتجارة القطن وبالتالى تحرير طاقة الفلاحين الاقتصادية وانتعاش الحركة التجارية فى القرية فبدأ عدد من الاهالى يتجه الى فتح دكاكين صغيرة لمزاولة التجارة فى الحبوب والسكر والشاى والاقمشه الشعبية .

واستمرت عائلة الفقى فى العمودية حتى سنة ١٩٥٥ ، حيث استبدلت العمودية بنقطة شرطة ولكن استمرت الاسرة تسيطر على جهاز الخفراء عن طريق قريبهم البسيونى الفقى شيخ الخفراء بالاضافة الى استقطابهم بصورة مستمرة لضباط البوليس فى ذلك الوقت الا فى حالات استثنائية .

وفى عام ١٩٦٢ ونتيجة لاستمرار نضال الفلاحين تمت مصادرة اراضى اسرة الفقى بعد ان ثبت تهربهم من قانون الاصلاح الزراعى مدة ٩ سنوات وتم توزيع الارض على الفلاحين فأصبحت قوى الانتاج فى القرية موزعة كالاتى : —

١٩٩ منتفع من الاصلاح الزراعى يمتلكون ٤٠٠ فدان .
٤٠٠ عامل زراعى (اجراء) لايملكون اى ملكية
٧٨ مستأجر زراعى لايملكون اى ملكية
٢٩٦ مالك حائزين لاقل من فدان (انصاف اجراء)
٣٧٧ مالك حائزين من ١ الى ٥ افدنة
٢٢ مالك حائزين من ٥ الى ١٠ افدنة
١٢ مالك حائزين لاكثر من ١٠ افدنة بحد اقصى ١٥ فدان

وهنا نزحت عائلة الفقى من القرية الى الاسكندرية بعد ان استطاعت تهريب كل اموالها السائلة من الحراسة مستفيدة بالفترة التى اتاحتها لهم العلاقات مع الجهات الادارية لتأجيل اعلانهم بالقرار حتى يهربوا كل ممتلكاتهم

المنقولة وراحت تمارس عمليات تجارية وصناعية جديدة تحت اسماء مستعارة .

كما تم للفلاحين في العام نفسه الاستيلاء الكامل علي الجمعية الزراعية واصبحت طاقات الفلاحين في القرية محررة تماما من كافة القيود الاقطاعية وقد صاحب هذا التحرر انشاء مصنع نبين الكوم للغزل والنسيج وتزوج عدد من العمال الزراعيين الى العمل الصناعي وبالتالي ارتفاع اجر العامل الزراعي في القرية حتي وصل حوالي ٢٥ قرشا يوميا وقد ادي ذلك الي زيادة مطالب عمال « المقنن » بحقوق جديدة من حيث المساحة المعطاة لهم .

وبذلك نشأ تناقض جديد بين الملاك المتوسطين والصغار وبين العمال الزراعيين ، وانتقلت شرائح من الملاك من قيادة المعركة الي وضع متردد اذ اعتبروا ان مكاسب حركة الفلاحين في القرية منذ ١٩٥٢ ذهبت كلها الى الاجراء ، في حين ان الواقع هو ان اول مكسب تحقق من هذه الحركة كان الغاء العمل الاجباري في ارض الاقطاعي والذى كان يقوم به اساسا صغار الملاك .

وفي هذه الفترة وجدت اسرة الفقي التى كانت قد نزحت من القرية تماما فرصتها للعودة مستغلة هذا الانشقاق في صفوف الفلاحين فبدأ تردد صلاح الفقي علي القرية ومساعدته لبعض صغار الملاك من اعوانه السابقين ثم انشاء علاقات انتاجية جديدة معهم علي اساس مشاركتهم علي بهائم واغنام والاستعانة ببعضهم للعمل في حظيرة بهائمه في « ابيس » ثم استخدام ١٨ منتفعا من قانون الاصلاح الزراعي وخاصة الذين كانوا من اجرائه من قبل عن طريق سفرهم للعمل معه في مزرعة العجول بأبيس وترك زوجاتهم واولادهم يزرعون الارض بالبرسيم لحساب صلاح الفقي وبذلك كان يسيطر علي حوالي ٥٠ فدانا من الارض الزراعية مرة اخري في كمشيش وبلغ حجم نشاطه الاقتصادي في ذلك الوقت ٦٢ — ٦٦ كما يلي :

٥٠ فدانا من الاراضي الموزعة على المنتفعين بقانون الاصلاح الزراعي .

٥٠ جاموسة شرك

١٥٠ رأس غنم

بالاضافة الي مزرعة بهائم ابيس وبها ٢٠٠ بقرة فريزيان لانتاج الالبان ومصنع البان بالاسكندرية وقد بلغت قيمة منتجاته الشهرية من الالبان وحدها حوالى ٢٠٠٠ جنيه .

وبذلك اصبح لعائلة الفقي بعد عام ٦٢ وفرض الحراسة عليهم وعلي اموالهم وحرمانهم من مزاولة اي نشاط اقتصادي اصبح لهم مصالح اساسية في القرية .

وبلغت ممتلكاتهم من الماشية في مايو ١٩٦٦ :

٢٠٠ جاموسة في ابيس

٥٠ جاموسة في كمشيش

١٥٠ رأس غنم في كمشيش

هذا بالاضافة الى معمل البان بالاسكندرية

وكانت عائلة الفقي تشترى البهيمة ليقوم الفلاح بتربيتها وتشغيلها في العمل الزراعي مقابل ان تحصل عائلة الفقي علي المولود . اما اذا مرضت البهيمة وبيعت فيتقاسم الفلاح مع العائلة ثمن البيع .

وفي اثناء تشغيل البهيمة وولادتها يحصل الفلاح المشارك على اللبن الذى تشتريه منه عائلة الفقي التي تمتلك مصنع الالبان .

وبذلك اصبح لعائلة الفقي بعد عام ١٩٦٢ وبعد فرض الحراسة على اموالها ، مصالح اساسية في القرية تتبلور في ضرورة توفير علف الماشية اللازم لمزرعتي المواشي سواء كان ذلك في محصول البرسيم او التبن .

مما ادى في النهاية وخلال الفترة بين ٦٢ و ٦٦ الى ان ٦٩ فدانا من الموزعة علي منتفعى الاصلاح في كمشيش تستثمر موسميا لصالح مزارع الماشية التى تملكها عائلة الفقي داخل وخارج كمشيش .

والذي ساعدهم على ابقاء نفوذهم علي مناطق الاصلاح انه لم تتكون جمعية تعاونية للاصلاح الزراعي من منتفعى القرية وانما كانوا يتبعون جمعية اخري خارج زمام القرية . ولذلك كان اشراف وزارة الاصلاح الزراعى علي منطقة اصلاح كمشيش غير محكم .

ويمكننا الآن ان نلخص المراحل التى مرت بها علاقات الانتاج في قرية كمشيش في المراحل الاتية :

● ماقبل عام ١٩٣٥ .. وفي طول تلك المرحلة كان صراع النفوذ بين الاسر في القرية لا تسمح بأن تنفرد اسرة واحدة بالسيطرة على القرية . وبسبب

تعدد الملكيات فلم تكن المعركة بين الاقطاع والفلاحين سافرة .

● بعد ان استتب الامر لعائلة الفقى ولم يعد فى القرية من نفوذ لغيرها من العائلات بعد عام ١٩٣٥ وقع الغبن على القرية بكاملها ، اى بكافة طبقاتها من صغار ملاك ومستأجرين واجرية وعانوا من اقسى انواع الاستغلال الاقطاعى ومن سوء شروط العمل والسخرة والتحكم فى المياه وبيعها واحتكار المواد التموينية وتجارة القطن والسماد والتقاوى .

● منذ عام ١٩٥٢ شهدت القرية نوعا جديدا من الصراع .. وهو الصراع الاجتماعى الذى دار حول تطبيق قانون الاصلاح الزراعى تطبيقا سليما . وانقسمت القرية الى جناحين اساسيين :

اولهما الاقطاع وجهازه الادارى فى القرية وكان يحاول دائما الابقاء على شروط العمل القديمة مثل الايجار والشراء والبيع ، والثانى صغار الملاك والاجرية والمستأجرين الذين ارادوا الاستفادة من تطبيق قانون الاصلاح الزراعى ثم من تتبع نموطبقةالاقطاعيين الاقتصادية خارج كمشيش فى شكل استغلالى جديد وهو مزارع الماشية ومصانع اللبن .

● اليوم بدأ بعض صغارالملاكالقدامىينظرون للاجراء على اساس انهم المستفيدون الوحيدون من المعركة التى دامت ١٤ عاما .. لانهم – اى الاجراء – الذين استفادوا من توزيع الملكية،كما ان اجورهم فى زيادة مستمرة ، فبعد أن كانت عام ٥١ – ٥٢ لاتتعدى الخمسة قروش .. اصبحت الان تصل الى ٢٥ قرشا فى ايام العمل ، وذلك يزيد من تكاليف انتاج الارض بالاضافة الى ان سعر الانتاج الزراعية ثابت ، مما يقلل نسبة الربح المستقطع لهم .

احمد رجب حرحش

كمشيش

تجربة العمل الثورى

لم تكن انتفاضة الفلاحين فى كمشيش حدثا فريدا فى تاريخنا القومى بل كانت حلقةفى سلسلة طويلة من الانتفاضات الشعبية للفلاحين فى مختلف قرى مصر وعلى الفترات المتعاقبة كانت انتفاضة كمشيش هى الثمرة الناضجة الواعية للصراع العميق المرير الذى خاضه الفلاحون فى مصر ضد الاستعمار والاقطاع ، ولقد كان واقع قرية كمشيشفى اوائلالقرن التاسععشر يتمثلفى ملكيات متقاربة موزعة بين عدد بسيط من العائلات تتزعمها عائلة عيسى التى كان عميدها هو الملتزم فى ذلك الوقت .

ولما كان هذا الشخص يجهل القراءة والكتابة فقد استعان فى ادارة شئونه بالسيد الفقى (الجد الاكبر للاسرة الاقطاعية) الذى كان على دراية بشئون الحساب .

ووجد السيد الفقى الفرصة سانحة ليكون ثروة مستغلاجهل هذا الملتزم فمضى يورد الاموال الى الوالى باسمه شخصيا وتزوج من اختعميد عائلة عيسى ليدعم نفوذه وعندما صدر الامر العالى بتمليك الارض لمن يدفع الضريبة من المصريين استولى السيد الفقى على ملكية عائلة عيسى بكاملها . ومن يومها اخذ يدعم نفوذه بالمال وبالسلطة فارسل ابنه الاكبر (السيد الفقى) للدراسة فى الازهر ولما عاد بعد انهاء دراسته استطاع ان يشغل منصب مأمور ضبط مركز منوف (عاصمة المنوفية فى ذلك الوقت) ومضت العائلة مستندة الى الملكية والنفوذ تصفى كافة القوى الموجودة بالقرية ، خاصة بعد ان اقطعه الخديوى مساحات كبيرة من الارضنتيجة خياناتهم للزعيم عرابى ولم يبق بالقرية منمصدر للخطر عليهم سوى قوة العلم التى تمثلتحينذاك

فى الشيخ على مقلد ابن قاضى القرية والذى كان قدتلقى العلم بالازهر . ولكن الشيخ على مقلد ادرك انه لن يستطيع وحده ان يقدر على مواجهة سطوة عائلة الفقى الا بالعلم فلجأ الى ارسال ابنائه الثلاثة عشر لتلقى العلم وحذى عدد من الفلاحين من الملاك الصغار حذوه . ولقد كانت ظاهرة الاتجاه نحو تعليم الابناء وعدم ربطهم بملكية الارض احدى الظواهر الايجابية لحركة الفلاحين الثورية التى اندلعت بعد ذلك على ارض كمشيش . وصاحبتها ظاهرة اخرى سلبية تتمثل فى الهجرة حيث هاجر من القرية حوالى ٢٠٠ اسرة هربا من الطغيان والسخرة وقد تركزت هذه الاسر فى كفر الدوار والاسكندرية وكفر الشيخ والفيوم .

وهنا نقف لنحدد موقف الفلاحين من هذا الصراع الدائر بين عائلة الفقى من ناحية، وملاك القرية من ناحية اخرى . فنجد انه رغم كون هذا الصراع يستهدف السيطرة عليهم اولا واخيرا وانهم سقطوا جميعا تحت قسوة الملاك ، فلقد تردد وقع الحركة الوطنية فى مصر من ثورة عرابى الى مأساة دنشواى وحتى ثورة ١٩١٩ واحدث اثره داخل القريه فتمثلت بوادر حركة الفلاحين فى الخطوات الاتية .

● اشتراك بعض فلاحى كمشيش مع جنود عرابى فى معركة كفر الدوار ضد جنود الاحتلال .

● خروج وفد من الفلاحين لزيارة قرية دنشواى اثناء محاكمة ابنائها كرمز للتضامن بين جميع الفلاحين . ولقد رفض جزارو قرية كمشيش امداد الجنود الانجليز الذين عسكروا على ترعة الباجورية بجوار القرية باللحم والمؤن (التى امدهم بها بعد ذلك الاقطاعى) .

● اشتراك بعض ابناء الفلاحين فى مظاهرات ثورة سنة ١٩١٩ فى طنطا .

● بدا انحياز بعض الفلاحين الى جانب القوى المتصارعة ضد عائلة الفقى رغم ضعف هذه القوى وشدة بطش عائلة الفقى .

● حدوث انتفاضات قروية متفرقة وئدت فى مهدها تزعمتها عائلات من فقراء الفلاحين مثل عائلات ابولين وعبد الخالق وغانم .

وفى هذا الوقت الذى بدات فيه حركة الفلاحين تتلمس خطاها سقط آخر معقل من معاقل المقاومة من ملاك الارض سنة ١٩٣٥ وهو الشيخ على مقلد نتيجة لبلوغه سن التسعين فى ذلك الوقت ، ولزوال ملكيته التى استنفدت بالبيع فى تعليم ابنائه الذين انطلقوا الى وظائفهم فى انحاء متفرقة — ولقد كان ذلك الصراع بين العائلات يؤثر سلبيا لمصلحة حركة الفلاحين بدليل ان الفترة من سنة ٣٥ حتى سنة ٥٢ قد تميزت بقهر اقطاعى لامثيل له استخدمت فيه اساليب العصور الوسطى لاستنزاف جهد الفلاحين وعرقهم . تمثل ذلك فى الاتى : —

● تحول مابقى من ملاك صغار الى عبيد لدى الاقطاع يسخرهم فى ارضه .

● اغتصاب الارض بالقوة (٧٠ فدان فى حوض الاثمان) من العائلات التى رفضت بيع ارضها .

● اجبار الفلاحين على تبادل الارض الخصبة بأرض الاقطاع الرديئة .

● اجبار الفلاحين على بيع الارض بالثمن الذى يفرضونه عليهم .

● بيع مياه النيل للفلاحين نظير اجر محدد للقيراط .

● محاربة التعليم باغلاق المدرسة الابتدائية التى فتحتها وزارة المعارف وتحويل المدرسين الى كتبه فى دائرتهم .

● السيطرة على الجمعية التعاونية واحتكار مواد التموين .

● حرق مصنع الكتان بكمشيش .

● احتكار شراء الحاصلات الزراعية من الفلاحين وخصوصا محصول القطن .

ولقد استحكمت قبضتهم على رقاب الفلاحين طوال هذه الفترة وارتبطت السيطرة الاقتصادية على مقدرات القرية بالسيطرة التامة من حيث النفوذ والسلطة بحيث اصبحت اسرة الفقى : الملاك والتجار والحكام ، وممثلى الرجعية فى المنطقة بالبرلمان فى ظل كافة الحكومات ، وفى سجون الاقطاع التى كانت تمتلىء كل مساء بالهاربين من السخرة من العمال والفلاحين نساء ورجالا . فأدرك الثوريون ان لاسبيل للخلاص من هذا القهر الا بالثورة وان تحالفهم هو القوة القائدة لهذا النضال فمضوا يحشدون قواهم سرا الى ان قامت ثورة ٢٣ يوليو . وفى اللحظة التى اعلنت فيها الثورة مبادئها الستة وبالذات القضاء على الاقطاع وسيطرة راس المال على الحكم ، ادرك الثوريون بأن ثورة يوليو هى ثورتهم .

وفي البداية ظنت قيادة الفلاحين ان مجرد اعلان الثورة كفيل بالغاء المظالم التي يئنون تحتها . الا ان ظروف النضال الوطني ضد الاستعمار وعدم وجود تنظيم شعبي فعال للثورة حال دون احداث الاثر الثوري للثورة في قلب الريف وظل الاقطاع يمارس نفس اساليبه الوحشية من قمع واستغلال للفلاحين غير عابيء بالثورة وهنا تبرز قدرة قيادة الفلاحين على الرؤية الصحيحة وهم الذين اكتسبوا نظرتهم الثورية وايمانهم بالاشتراكية من خلال ايمانهم ببلدهم وعبر ثقتهم في القدرة على تحليل الظروف السائدة في مجتمعهم بالفعل والتي تحتم عليهم تحطيم كافة المعوقات امام تطبيق المبادىء التي اعلنتها الثورة الام وتطبيقا لهذا فقد عقدوا تحالفا بين الملاك الصغار وفقراء الفلاحين والعمال الزراعيين والمثقفين ابناء الفلاحين ودارت معارك رهيبة فوق ارضنا الخضراء أثر النداء الذي اطلقه الشهيد / صلاح حسين في ٥٢/٩/٤ في مأتم للعزاء « ايها الفلاحون ان ثورة ٢٣ يوليو هي ثورتكم وان اراضيكم المغتصبة سترد لكم . ارفضوا السخرة وعيشوا احرارا فوق ارضكم » ولقد كان هذا النداء هو اشارة البدء الى هذه المسيرة الثورية .واوردهنا موجزا لبعض ملامح هذه المسيرة :

٥٢/٩/٤ اعلان ثورة الفلاحين والقبض على متزعمي حركتهم وايداعهم سجن الاقطاع الخاص (حظيرة المواشي) .

٥٢/٩/٥ تحرك البوليس وبدأ التحقيق في النيابة افرج فيه عن الاقطاعيين .

١٩٥٢/٩/٢٤ القاء القبض على الاقطاعيين بتهمة احراز سلاح ومخدرات والافراج عنهم بعد اربعة ايام .

١٩٥٣/١/١٦ معركة الملاك — سقط فيها ١٦ فلاحا وفلاحة برصاص الاقطاع جرحا وقبض على صلاح الفقي ثم افرج عنه في نفس اليوم .

٥٣/٢/٧ اعيدت السلطة الى الاقطاعي باعادته عمدة للقرية وكانت هذه ضربة مني بها الفلاحون وتأكد لهم بان الاجهزة الادارية لاتزال واقعة تحت سيطرة الاقطاعيين ولقد الزمهم ذلك الاعتماد على انفسهم .

٥٣/٢/٨ خرجت القرية كلها في مظاهرة تستنكر اعادة صلاح الفقي عمدة للقرية وتوجهت المظاهرة الى نقطة البوليس المؤقتة معلنة عدم اعترافها بصلاح الفقي كعمدة لهم وبأن الفلاحين هم مصدر السلطات ومن يومها تحول العمدة الاقطاعي الى عمدة بلا فلاحين وبهذا سقطت العمودية فعلا اى قبل ان تسقطها اجهزة الامن رسميا بعامين وعقب هذه المعارك ومن هذه المعركة بالذات تحددت تماما قوى الثورة والقوى المضادة لها على النحو التالي : —

١ — قوى الثورة : تحالف الفلاحين والعمال والمثقفين الثوريين في حماية القيادة الثورية بالقاهرة .

٢ — القوى المضادة : تحالف الاقطاع مع بقايا اجهزة الحكم الرجعي الغابر محتميا بالتيار الاصلاحي الانتهازي الذي مكنه ولمدة طويلة من عزل ثورة الفلاحين بكمشيش عن الثورة الام محاولا تحطيم ثقتهم في الثورة ذاتها .

واستمرت المعارك

يونيه / ١٩٥٣ معركة السد والتي خرج فيها الفلاحون لفتح سد المياه الذي اقامه الاقطاعي على الترعة ليبيع مياهه الى الفلاحين .

يوليو / ١٩٥٣ معركة العربان الذين احضرتهم عائلة الفقي للفلاحين من مجرمين هاربين من احكام واطلقوا النيران للارهاب واستفزاز الاهالي .

اغسطس سنة ١٩٥٣ تحديد اقامة الشهيد صلاح حسين بشبين الكوم واحمد الفقي بالاسكندرية .

٥٣/١/٢٢ اعتقال عشرين فلاحا واستمرار صلاح الفقي عمدة للقرية اسما .

٥٤/٥/١٥ تم اعتقال ثلاثة فلاحين , مع استمرار صلاح الفقي عمدة .

٥٥/٥/٢٧ اغتيال الشهيد ابو زيد ابورواش برصاص الاقطاع .

٥٥/٧/٣٠ اطلاق صلاح الفقي النار على احد صغار الفلاحين وسرقة مواشيه .

٥٥/٧/٣١ اوقف الاقطاعي عن العمودية وحددت اقامة ثلاثة من ثوار الفلاحين .

٥٦/١٠/٢٩ لحظة اعلان العدوان الثلاثي الغادر على مصر ارتفعت معنويات الاقطاع فقام بالاتي : —

ا — تقليع الزراعة

ب — اشعال حرائق في المنازل .

جـ — سرقة المواشي .

د — اطلاق النار في وضح النهار على بعض الطلبة .

وكان يستهدف بذلك جر الفلاحين الى معركة جانبية ولكن يقظتهم الثورية حالت دون ذلك بل انهم وجهوا الى الاقطاعى رسالة عن طريق مأمور المركز مخاطبونه فيها بأخى المواطن مناشدين وطنيته بالاقلاع عن الاستفزاز حتى لا تتشتت قوى حكومتنا الوطنية فى معارك داخلية ولكنه لم يستجب لذلك النداء واستمر فى استفزازاته الى ان انتصر الشعب وخرج المعتدون .

٥٧/٧/٩ استشهد برصاص الاقطاع المناضل عبد الحميد عنتر .

٥٧/٧/١٩ لاول مرة حددت اقامة صلاح الفقى ومعه احد ثوار الفلاحين .

وبعودة بعض الاراضى المغتصبة والغاء العمودية والغاء السخرة يكون النصر المرحلى للفلاحين قد تحقق وخلال هذه المعارك وعشية الغاء السخرة نسى بعض الملاك ان المصدر الرئيسى لقوة الاقطاعى تمثل دائما فى ملكيته للارض (كان حتى هذه اللحظة متهربا من قانون الاصلاح الزراعى) فحاولوا فض الثورة ذلك بأن عقدوا عدة مصالحات مع الاقطاعى .

وتحددت معالم معركة جديدة هى تعقب الاقطاعى المتهرب من قانون الاصلاح الزراعى وصاحب هذه المرحلة بداية تشكيل الاتحاد القومى ودخل الفلاحون بكمشيش معركة الانتخابات بجبهة متحدة وبرنامج محدد اهم مافيه : ـــ

١ ـــ التبليغ عن الارض المهربة .
٢ ـــ المطالبة باجراء انتخابات الجمعية التعاونية
٣ ـــ تشغيل مصنع الكتان الذى احرقته اسرة الفقى .
٤ ـــ تكوين نقابة للعمال الزراعيين .

وفى نفس الوقت دخل الاقطاعى واعوانه بجبهة متحدة وكان ان زيف اصحاب نظرية توازن القوى كل الانتخابات بانجاح خمسة من الفلاحين وخمسة من عملاء الاقطاع . وبذلك ولد الاتحاد القومى بكمشيش ميتا لاستحالة اللقاء بين الفلاحين ومستغليهم .

وحمل ممثلو الفلاحين امانة الكشف والتبليغ عن الاراضى المهربة ، لاجئين اولا الى ارسال الشكاوى الا ان الايدى العاملة كانت تتلقف كل هذه الشكاوى لتقذف بها الى سلة المهملات . وتأكد فشل هذا الاسلوب . وتطور الى ضرورة اثارة القضية جماهيريا وتم ذلك فى اول مؤتمر شعبى للاتحاد القومى بشبين الكوم سنة ١٩٥٩ وبحضور رئيس الاتحاد القومى وبعض الوزراء ، وانبثقت منه لجنة للتحقيق وثبت التهريب الا ان تقارير هذه اللجنة نامت فى غياهب الملفات .

والفلاحون من ورائها يقتطعون من اقواتهم ثمن البرقيات والشكاوى .

وجاء الانفصال الرجعى فى سوريا صفعة لدعاة الوحدة الوطنية بمدلولها الرجعى . وتحرك الاقطاع مبتهجا موزعا الشربات على عملائه وانطلقت زبانيته تجوب دروب القرية حاملة اجهزة الراديو على محطات لندن واسرائيل واذاعة الانفصال فى سوريا مؤكدة للفلاحين تحالف الرجعية المصرية مع الرجعية العربية والرجعية العالمية وتصدى لهم الفلاحون بصلابة وانهالت برقياتهم لزعيم الثورة بالتأييد وتجديد البيعة .

ثم فرضت حراسة الثورة على ارض الاقطاعيين فى اوائل سنة ١٩٦٢ ولقد تم هذا بفضل نضالنا وبفضل الارادة الثورية لزعيمنا جمال .

وفى مؤتمر شعبى للفلاحين وتأكيدا لاستمرار المسيرة الثورية للفلاحين اصدر الفلاحون القرارات الثورية التالية : ـــ

● اعلان التعبئة العامة للجماهير للالتفاف حول ثورتنا ومكاسبنا الاشتراكية استعدادا للتحرك كتلة حية صلبة وقوة ضاربة لسحق اى رجعية عميلة ، تحاول ان تجرب حظها الاخير فى محاولة العودة بنا الى الوراء .

● تأييد اجراءات فرض الحراسة على الاقطاعيين والتأييد المطلق لكل مزيد من هذه القرارات التى تشل الرجعية واذناب الاستعمار وتعيد للشعب حقوقه المسلوبة وتؤمن لثورتنا طريقها .

● المطالبة بمصادرة كافة اموال اسرة احمد والسيد الفقى الاقطاعية بكمشيش والذين صدرت بشأنهم قرارات فرض الحراسة وذلك لان هذه الاموال آلت اليهم اولا عن طريق خيانتهم للوطن والجيش والزعيم عرابى وثانيا عن طريق السرقة والنهب وثالثا عن طريق تنمية هذه الثروة ومضاعفتها بتسخير الفلاحين فيها .

● محاكمة الاقطاعى صلاح احمد الفقى عن كل الجرائم التى ارتكبها فى حق الثورة والفلاحين وخاصة التهرب من قانون الاصلاح الزراعى طوال تسع سنوات وجرائم القتل والسرقة وتشريد عائلات الفلاحين بالقرية بالجملة ولاتزال حتى الان دماء الفلاحين شهداء معركة الاشتراكية لم تجف بعد ماثلة فى اذهان الجميع .

وحمل الفلاحون هذه القرارات الى محافظ المنوفية (محمد متولى فى ذلك الوقت) فأمر باحتجازهم فى البندر ثم افرج عنهم فى اليوم التالى .

وبفرض الحراسة سقطت الارض السلاح الرئيسى للاقطاع فى ايدى الفلاحين وفى مقابل ذلك النصر عزل قادة الفلاحين جنائيا وسياسيا نتيجة لنفوذ الاقطاعى خلال معارك تحرير الارض ،ولكن ايجابية ثوار الفلاحين بكمشيش تخطت المفاهيم التقليدية للعزل لان الانسان يعزل نفسه اولا اذا ما حاول ان يكون سلبيا ، ولقد اثبت المعزولون السياسيون بكمشيش انهم اكثر ايجابية من كثيرين تسللوا الى داخل التنظيم وان شعار المطالبة برفع العزل السياسى الذى كان - ولايزال - مطلبهم العادل لم يرفع كهدف فى حد ذاته ، بل رفع كوسيلة لتحرير طاقاتهم المدركة لمسئولياتها فى معركة البناء السياسى والاجتماعى .

وبما ان كل تغيير اقتصادى يصاحبه تغيير فى القوى المتصارعة فان واقع القرية بعد فرض الحراسة كان ولابد ان يعكس بالضرورة تغييرا فى قوى الثورة والقوى المضادة على ارضهاعلاوة على الظروف العامة المصاحبة لبناء الاشتراكية فى كافة الدول النامية والتى تتم فى ظل ظروف سيطرة الاستعمار على السوق الدولية وتحكمه فى اسعار المواد الخام وخفضه لها ، وما عكسه ذلك على الواقع المصرى عموما والفلاحين بصفة خاصة نتيجة لان معدل التبادل بين السلع المصنعة والسلع الزراعية فى غير مصلحة الفلاحين . فى ظل هذا الواقع تمكن الاقطاعى من ان يجتذب بعضا من الملاك الصغار ذوى التطلعات الطبقية . كما وان الاقطاع استغلهم فى معاونته على مزاولة نشاطه التجارى الذى تحول اليه بعد تهريب امواله ، مقابل مجازاتهم بفتات ارباحه الطائلة . ويمكن تلخيص هذه الفترة :

- فرض الحراسة على الاقطاعى
- تهريبه كافة امواله السائلة
- تحوله من الاستثمار الزراعى الى الاستثمار التجارى المرتبط بالزراعة مما حقق له ارباحا طائلة تفوق بمراحل عائد الارض
- انعكاس الظروف العالمية والداخلية للبناء الاشتراكى على واقع الريف المصرى

وبذا يكون واقع حساب القوى المتصارعة داخل القرية هو انسلاخ بعض من الملاك عن التحالف الثورى للفلاحين والعمال وتحولهم الى رصيد للثورة المضادة

خلال هذه الظروف العصيبة وفق الفلاحون الى منجزات هامة منها : استخلاص الجمعية التعاونية من بين براثن الاقطاع وعملائه نهائيا وتكوين لجنة العشرين للاتحاد الاشتراكى من الفلاحين .

وجدير بالذكر ان اعضاء الجمعية والاتحاد الاشتراكى لاتزيد ملكية اى منهم عن خمسة افدنة

وفى ١٩٦٥/٣/١٢ واثنــاء زيارة الرئيس الشعبين الكوم اشاد سيادته بثورة الفلاحين بكمشيش واعتبر ثوار الفلاحين هذه الاشادة هى بمثابة رفع العزل السياسى عنهم والى الفلاحين وجه الشهيد صلاح حسين رسالته التالية :

« ان اشادة السيد الرئيس بثورة الفلاحين بكمشيش وتصديهم للاقطاع هو بمثابة احتضان الثورة الأم لفتاها البكر وبالتالى اسقاط نصف الستار الحديدى الذى طوقنا زمنا طويلا والذى كان يهدف الى الاتى :

- الحيلولة دون قيامنا بالدور الطليعى بين الفلاحين على نطاق المنطقة فالقطر والذى اهلتنا له تجارب طويلة لمعارك عنيفة .
- تغطية الرجعية والانتهازية بوقفها اثناء شنها للحملة المضادة علينا بهدف تشويه محتوى ثورة كمشيش التقدمى والذى وصل الى حد وصفنا بالفوضويين .
- حرماننا من تجارب الفلاحين الآخرين فى مناطق اخرى من الجمهورية .
- حرماننا من الطاقة والحماية التى يولدها اتحاد الفلاحين الذى هو ارقى فى فاعليته من اى قوة اخرى .
- حرماننا لفترة طويلة من الدخول فى معركة البناء المحتدم بها مجتمعنا الساعى للاشتراكية .

اما النصف الثانى من الستار الحديدى الواجب اسقاطه حتى تتم انطلاقاتنا الثورية البناءة فهو موكول الينا ومرهون بتصرفاتنا ، لذا يجب مراعاة الاتى بكل حزم فى اية خطوة مستقبلة :

- عدم نسيان تجارب الماضى ، وفى مقدمتها

انه لولا تضامن اخواننا الفلاحين معنا لما امكننا ان نواصل المعركة البالغة الشراسة، فالرأى العام كان وسيظل قوة سحرية دافعة ومشجعة .

● الاقتداء بتواضع القادة وانكار الذات ضد عقدة الانتصار

● الاعتراف بحاجتنا المستمرة لتجارب الاخرين وبالذات فى طرق البناء .

● الاهتمام اكثر بالحاضر لنا وللبلدان المجاورة بدرجة واحدة والعمل الدائب الموحد والمبرمج للمستقبل .

● احترام انتصار الفلاحين فى قريتنا بوضعه فى مكانه الصحيح وهو انه انتصار لكل الفلاحين وليس اطلاقا لكمشيش فقط .

● لما كان النصر الذى تحقق هو لكل الفلاحين فيجب ان نصفح تماما عن كل فلاح لم يعرف الطريق فى الماضى ايا كان موقفه .

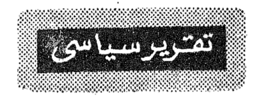
وختاما اننى اخاف ان تنقدوا حب الناس بل وان تكسبوا كراهيتهم مالم تنفذوا هذه التوصيات بكل دقة .

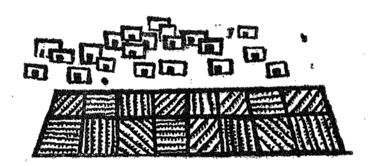
تلك كانت توجيهات الشهيد صلاح نفذها الفلاحون بأمانة ، وانطلق العمل الثورى داخل الاتحاد الاشتراكى مكتسبا دفعة ثورية جديدة .

وتحركت قوى الرجعية المحلية وتحت ستار العزاء فى وفاة والدة صلاح الفقى عقدت مؤتمرها بكمشيش وانطلقت بعده قوى العملاء داخل القرية مستعملة نفس الاساليب التى يستخدمها الاستعمار من اشاعات وتشكيك ، وفى خارج القرية كانت الانتهازية التى تسللت الى داخل الاتحاد الاشتراكى قد اصابها الهلع من قرب وصول اصحاب المصلحة الحقيقية الى السلطة الشعبية فمضت تعوق انضمام ثوار الفلاحين الى التنظيم خشية على مراكزها متعاونة فى ذلك مع بقايا مخلفات الاجهزة الرجعية التى وصل بها الامر الى حد اخفاء القرار الجمهورى الخاص برفع العزل السياسى عن الشهيد صلاح حسين والذى صدر فى ١٩٦٣/١/٧ ولم يعلم به الشهيد الا فى ١٩٦٥/١١/١٤ . ولقد استنفدت هذه الفترة من طاقة وجهد الفلاحين والشهيد الكثير فكتب الشهيد ست تقارير يطلب رفع وصمة العزل السياسى عنه وعن ثوار الفلاحين) .

وفى ظل الطمأنينة التى اعطتها الانتهازية والرجعية للاقطاع انقض ليغتال فى ليلة عيد العمال مناضلا صلبا وشريفا ومن هنا فان اليد الاثمة التى اغتالت الشهيد صلاح حسين ليست هى يد الاقطاع فحسب وانما هو تحالف القوى المضادة للثورة التى حالت بينه وبين حماية التنظيم وهو الذى قاد ثورة من اروع ثورات الفلاحين المصريين .

شاهنده مقلد





حول حركة واتجاهات الصراع الطبقى فى الريف

ميشيل كامل

من استقراء الوقائع التى وردت فى الشهادات الواقعية وبيانات لجنة تصفية الاقطاع يتضح ان بقايا ورواسب العلاقات الاقتصادية الاقطاعية مازالت منتشرة فى الريف . واهم مظاهر هذه العلاقات واكثرها دلالة هى :

١ ــ استمرار قطاع كبير من مساحة الارض الزراعية فى أيدى كبار الملاك . وبسبب ضيق الرقعة الزراعية وفقر الغالبية العظمى من سكان الريف يعجز هؤلاء عن شراء الارض ، ويجبرون على ايجارها من اصحابها بشروط تعسفية تقارب السخرة .

وقد ترتب على تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى انخفاض نسبة المساحة لمن يملكون اكثر من ٥٠ فدانا من ٢ر٣٤ ٪ الى ٢ر١٥ ٪ من جملة الاراضى المنزرعة ، الا ان نسبة هؤلاء الملاك ــ ٠٠٠ر١١ عائلة ــ ويمثلون ٤ر٠٠ ٪ من عدد المالكين ظلت ثابتة كقوة اجتماعية لها وزنها وفاعليتها ، مما اتاح لها متابعة التسلط فى الريف ، والسيطرة اقتصاديا بحكم تحكمها فى الملكية الكبيرة فى كل قرية على حدة .

وليس من الضرورى ان تمتلك العائلة اكثر من ٥٠ ٪ من زمام القرية ليكون لها النفوذ المتفوق ، فان امتلاك او حيازة شريحة كبيرة لها وزنها كوحدة اقتصادية يكفى لممارسة سيطرة مطلقة على الفلاحين . هذا بالاضافة الى الاراضى المهربة التى لم تدخل فى حساب ممتلكاتهم ، ولقد بلغت مساحة الارض التى هربها واحد منهم ٢٣٢٠ فدانا ، ومما زاد الضغط على الارض الزراعية ان عددا من كبار الملاك كان يؤجر مساحات واسعة .. محمود ابو سيف يستأجر ٧ عزب فى المنوفية مساحتها ١٢٠٠ فدان ، وعبد القادر المكباتى يستأجر ٤٣٣ فدانا حدائق ، والاول يملك ٣٠٤ افدنة ، والثانى بلغت ملكيته مع ابنائه واحفاده ٥٤٩ فدانا .

وتبلغ نسبة الارض لمن يملكون اكثر من ٥ افدنة ٤٧٫٤ ٪ من مساحة الارض المنزرعة ، اكثر من ٥٠ ٪ منها مؤجر للغير . وبسبب وجود نحو ١٤ مليون فلاح من المعدمين فان التنافس على استئجار الارض وضخامة الطلب عليها والافتقار الى الرقابة المحكمة على تطبيق قوانين الايجار لسيطرة كبار ومتوسطي الفلاحين على المؤسسات السياسية والاقتصادية ، ترتفع الايجارات بنسبة تزيد كثيرا عن سبعة امثال الضريبة ، بل ويكاد هذا النص القانوني ان يكون غير مطبق او معترف به عمليا فى أى مكان من ريفنا .

وهناك اساليب عديدة للتحايل على هذا القانون منها الايجار الموسمي لكل زراعة على حدة ، زراعة الربيع ثم زراعة الحبوب او القطن ... وهكذا يغل الفدان قرابة مائة جنيه فى العام . والبعض يحسب مساحة الفدان بالنسبة للفلاح المستأجر ١٩ قيراطا — بدلا من ٢٤ قيراطا

وقد كشفت لجنة تصفية الاقطاع عن الاساليب التعسفية التى تتبع مع الفلاحين ، كأن يأخذوا كمبيالات ومستندات مديونية موقعة على بياض والاستيلاء على اختام المستأجرين وارغامهم على توقيع عقود ايجار من صورة واحدة تحفظ لدى المالك والامتناع عن تسليمهم مخالصات . وقد وجدت لجنة الحصر والجرد عند احد المتهربين بالمنيا ٣٤٥٤ عقد ايجار و٨٠٠ كمبياله و٦٤٠ عقد تنازل من ارض زراعية و٨٤٠ عقد بيع عرفيا وجميعها موقعة على بياض من مزارعين كما ضبطت ٦٠ ورقة بيضاء فى ذيل كل منها توقيع .

٢ — دفع ايجار عينى — جزء من المحصول — وبذلك يستحوذ الملاك على النصيب الاكبر من انتاج الارض ويسلب الفلاح جهده ، وهو النظام المسمى بالمزارعة او « التأبيب » او « الزراعة بالمشاركة » ويطبق على نطاق واسع فى جميع انحاء الجمهورية . وقد اقر قانون الاصلاح الزراعى هذا النظام الا انه حدد نصيب الشريك على الا يقل عن النصف بعد خصم المصاريف . وتختلف صور تطبيق هذا النظام .. منه ما يعرف بالخامسة « بسنديلة » ، أى ان الفلاح يقوم بزراعة الارض وخدمتها بجهده وعرقه وله فى النهاية مقابل عمله ١/٥ المحصول ولصاحب الارض ٤/٥ هذا المحصول .. ومنه ما كان يتبعه عبد المجيد اسماعيل بركات فى الجيزة باستيلائه على محصول القطن جميعه ونصف الشتوى والصيفى بعد خصم النفقات .. وهو فى ابشع صورة ما كان منه مطبقا فى كمشيش والمسمى « بالمقنن » حيث يستقطع المالك ١٦ قيراطا للفلاح بالاضافة الى المحراث والفأس مقابل ان يعمل الفلاح فى ارض الاقطاعى هو وعائلته ، أما اذا تولى اطعامه — ٣ وجبات يوميا — واعطاؤه جلبابا وقميصين وسروالا كل عام فتنخفض المساحة الى ٧٫٥ قيراط .

وهذا الاسلوب من الاستغلال بكل بشاعته لا يقتصر على الجوانب المذكورة ، بل يتعداه الى النصب والسرقة ، فالارض مسجلة باسم المالك وبطاقة الحيازة تحت تصرفه وبذلك يستولى على احتياجاته من الجمعية التعاونية بالسعر الرسمى ليبيع جزءا منها فى السوق السوداء ويحسب ما استخدم منها باسعار مرتفعه يفرضها على الشريك ! . أما السلفيات النقدية المعفاة من الفوائد فيستخدمها لخدمة ارضه او فى التجارة واوجه الاستغلال الاخرى . ثم ان المالك هو الذى يتسلم المحصول ويزنه ويقدره .. وباب التلاعب مفتوح على مصراعيه .

٣ — نظام العمل فى خدمة ارض كبار الملاك شبيه بالسخرة ، فالحد الادنى للاجور غير مطبق وظروف العمل سيئة للغاية ، فساعات العمل غير محددة ، والالات بدائية منهكة كالفأس والمحراث اليدوى والشادوف والطنبور ، والمرأة العاملة تحاسب بنصف الاجر كالصبية ، وهو وضع اقرب الى السخرة يستنزف العامل الزراعى تماما .

٤ — ايقاع الفلاحين فى شبكة من الديون الثقيلة تجعلهم دائما فى حالة تبعية وتقيدهم بصورة لافكاك لهم من نفوذ كبار الملاك وتسلطهم وتعسفهم .. والالاف من اختام الفلاحين وتوقيعاتهم وبصماتهم على صكوك استعباد بيضاء التى ضبطت لدى كبار الملاك تكشف عن القيود الثقيلة التى يرسف فيها الفلاح فى حالة من التبعية والخضوع .

٥ — اساليب متنوعة من السخرة خارج الاطار الاقتصادى يقع الفلاح فيها تحت رحمة الارهاب، فحياته وعرضه مهددان.وقد ازاح حادث كمشيش الستار عن حوادث عديدة مماثلة راح ضحيتها مناضلين اشداء شرفاء ، ونشرت الصحف بعض ما كشفت عن تحقيقات لجنة تصفية الاقطاع .. ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، احمد حسين عبدون بالشرقية الذى اتهم فى سبع جرائم قتل وشروع فى قتل ، ولم يجرؤ انسان على الشهادة ضده خشية بطشه ، وعائلة غراب بالجيزة والتى اتهمت بقتل ٧ من عائلة واحدة و٨ من عائلات اخرى ، ومحمد شتات بالشرقية المتهم فى خمس جنايات قتل وجريمتى اعتداء على النفس واغتصاب

اراضى الفلاحين ، وجلال حسن هريدى باسيوط الذى اتهم فى ٣٠ جريمة تحريض على قتل والاعتداء على الممتلكات،وعلى منشاوى وكان متخصصا فى فرض خفارته بالقوة مقابل ضريبة يدفعها الفلاحون،ويحقق منها ايرادا بلغ نحو ثلاثة آلاف جنيه سنويا ، حتى تمكن من شراء ٣٠٠ فدان ، فكانت العـــلاقات الاجتماعية فى الريف تقوم على القهر والارهاب . وقد ثبت تواطؤ بعض رجال الادارة والموظفين من ضعاف النفوس والمنحرفين مع كبار الملاك ،وخوف البعض الاخر من نفوذهم وايثار السلامة بالتغاضى عن أعمالهم الاجرامية .

وهذا الاستهتار والجرأة البالغة فى تحـــدى سلطة الدولة واستعراض العضلات فى وضـــح النهار لادخال الفزع على قلوب القوى العـــاملة والالتجاء الى الاساليب الاجرامية فى التخلص من أى شخص يتصدى لتعسفهم ، دليل على مدى عزلة الريف عن المدينة والفراغ الذى يسوده ، مما هيأ للقوى الرجعية التمادى فى نزواتها وتشديد قبضتها على الفلاحين .

وهكذا اوضحت الاحـــداث الاخـــيرة ان جذور الاقطاع فى تربتنا لم تقتلع بعد وان العلاقات الاقطاعية ما زالت قائمة رغم ما كالته لها الثورة من ضربات ، وهى اقوى مما كنا نتصور او نتوقع بعد المسيرة الطويلة التى قطعناها فى طريق التحول الاشتراكى .لقد ازداد جشع هذه الطبقة واكسبها احساسها باقتراب اجلها وحتمية مصــيرها ــ بوجود القيادة الاشتراكية فى السلطة ــ ضراوة وعنفا متزايدا ، سعيا وراء استخلاص اعظم قدر واكبر حجم من الارباح فى مسابقة مع الزمن .

هذا الواقع يضع فى مقدمة اهدافنا مضاعفة الجهد للتخلص من هذه العقبـــة وتصفية بقـــايا ورواسب العلاقات الاقطاعية ،وهى مهمة اساسية وتاتى فى مقدمة مهام عملية التحول ، ولا تنبـــع من اقتناع بانها الاحتياطى الرئيسى الذى تستند اليه القوى المضادة للثورة ، ولا يفرضها الضرر البالغ على مصالح الفلاحين الذين يمثلون الغالبية العظمى من قوى الشعب العاملة . ليس هــذا فحسب ، بل لان استمرار التخلف الاقتصـــادى واساليب الزراعة البدائيـــة المرتبطة بالعـــلاقات الاقطاعية ، يؤدى الى عرقلة التنمية الزراعية على أساس المشروعات التعاونيـــة الانتاجية الـــكبيرة الممكنة ، وله اثر بالغ على اضعاف السوق الداخلى والافتقار الى موارد التمويل للاستثمار فى تصنيع البلاد .

الا أن استمرار بقايا العـــلاقات الاقتصـــادية والاجتماعية الاقطاعيـــة لا تعنى ان الاجـــراءات الثورية لقوانين الاصلاح الزراعى لم تـــكن ذات فاعلية ، فقد حددت من حجم وقـــوة العـــلاقات الاقطاعية ، ودفعت الى تدعيم علاقات الانتاج فى اتجاهين آخرين .

فقد خلقت نواة العلاقات الاشتراكية فى الريف المصرى لاول مرة ، والتى تتمثل فى القطاع العـــام الزراعى ،وهى تلك الاراضى التى تديرها وتزرعها الدولة ، وما يجد منها نتيجة التوسع الافقى فى استصلاح الاراضى ، فمن الاهمية بمكان ان تتحول الاراضى المستخلصة من الصحراء الى وحـــدات ومشروعات للقطاع العام تديرها الدولة باستخدام احدث الاساليب العلمية . وهناك ايضا النـــظام التعاونى لجمعيات الاصـــلاح الزراعى للـــكيات لا تزيد عن خمسة افدنة ، مما يضمن عدم تحول الارض الى طريق للاثراء او الاستغلال ، فهو حجم من الملكية يمكن الفلاح وعائلته من زراعته دون الاستعانة بالاجراء ، وقد تطورت صور التعاون فى هذا القطاع من ابسط اشـــكاله القـــائم على الخدمات فالتسويق الى ارقى مستوى لها عندما تتحول الى **تعاونيات انتاجيـــة** تدخل فى اطـــار العلاقات الاشتراكية .

وقد شجعت قوانين الاصلاح الزراعى ايضـــا على نمية علاقات راسماليه فى القطاع الزراعى ، اذ ان كبار ومتوسطى الملاك فى تنقيبهم عن مصادر استثمار تدر دخلا اكبر ، لم يعد يرضيهم العائد المتحقق من تأجير الارض ، فاقدم عدد كبير منهم على استثمارها بانفسهم باستخدام الالات والعمل الماجور على نطاق واسع فى مشروعات كبيرة وتوسعوا فى زراعـــة البســـاتين والحـــدائق والخضروات وتربية الماشية والاغنـــام وصناعة الالبان وتاجير آلات الرى والجرارات ، ويحققون من وراء ذلك ارباحا خيالية فيبلغ الدخل المتحقق من ايجار الجرار من ٨ ــ ١٨ جنيهـــا فى اليوم وموتورات رفع المياه البحارى بين ٥ ــ ١٠ جنيهات فى اليوم تبعا للموســـم ، هـــذا بالاضـــافة الى الانشطة الراسمالية الاخرى مثل التجارة والنقل.

وهناك ايضا الانتاج السلعى الصغير ، وهو رغم اعتماده على السوق وشكل الملكية الفردية الذى يميزه ، وبعض السمات المشتركة بينه وبين القطاع الراسمالى ، الا انه أقرب الى الصورة الاشتراكية والعاملين به اشـــبه بالعمـــال منهم بالملاك .. وعملية تنظيم الاستغلال الزراعى التى تجرى اليوم على قدم وساق كفيلة بتحويلها الى الطريق الاشتراكى .

وهكذا تتعدد اشكال العلاقات الانتاجية وتتباين اذ يتعايش جنبا الى جنب مع العلاقات الاشتراكية هياكل اقتصادية رأسمالية وشبه اقطاعية بالاضافة الى الانتاج السلعي الصغير . والدور الرئيسي للدولة الاشتراكية هو التخلص التدريجي من هذا التعدد لمصلحة علاقات الانتاج الاشتراكية بتدعيمها والتوسع في الملكية الاشتراكية ـ الملكية العامة والملكية التعاونية ..

دعم التبادل بين القرية والمدينة

ورفع انتاجية وعائد العمل الزراعي

والملكية العامة لادوات الانتاج هي الشكل السائد في القطاع الصناعي ويغلب الطابع الاشتراكي على المدينة ، فالقطاع العام يسيطر على رأس المال المالي ـ البنوك وشركات التأمين ـ والصناعات الثقيلة والمناجم والمحاجر والنقل البري والبحري والتجارة الخارجية ويتحكم في معظم الصناعات المتوسطة والخفيفة ، كما تقرر اخيرا انتقال تجارة الجملة و ٨٠٪ من قطاع المقاولات الى القطاع العام خلال السنوات الثلاث القادمة . هذا بينما يستمر القطاع الزراعي متخلفا ، والتخطيط الاشتراكي السليم يتوخى النمو المتوازن والتقريب التدريجي للفوارق بين المدينة والريف بتدعيم التبادل بينهما ، ونجاح التنمية في اتجاه اشتراكي رهن بانجاز هذه المهمة الصعبة ، لان الريف هو السوق الرئيسي للمنتجات الصناعية وفي مقدمتها ادوات الانتاج الزراعي . وعلى الصناعة ان تقدم للفلاح احتياجاته من الالات والمعدات الزراعية والاسمدة والمبيدات مقابل ما تحصل عليه من محاصيل زراعية ، وذلك بهدف زيادة انتاجية العمل في الريف ووضع الاسس لتصنيعه . كما ان ارتفاع انتاجية العمل الصناعي مع بقائها على تخلفها في المجال الزراعي يقلل من قيمة الانتاج الزراعي بالنسبة الى الانتاج الصناعي مما يعوق التطور الصناعي ذاته ، بحكم ترابط البنيان الاقتصادي القومي وتكامله .

والزراعة لايمكن تحويلها اشتراكيا الا بعد نضج الظروف الضرورية لامكانية استخدام الالات على نطاق واسع في عمليات الانتاج الزراعي . والتخطيط على النطاق القومي مترابط ، فالزيادة التي تستهدفها خطة السنوات السبع الحالية للتنمية في المجال الزراعي سواء راسيا او افقيا ، لا يمكن تحقيقها الا عن طريق زيادة كبيرة مخططة في انتاج الجرارات وآلات رفع المياه والاسمدة بدرجة تسمح بجعل الاهداف الطموحة للخطة أهدافا عملية يمكن انجازها ، وتتيح فرصة تدعيم مشروع تنظيم الاستثمار الزراعي على نطاق وحدات كبيرة في تعاونيات انتاجية وباستخدام احدث الاساليب العلمية والالات الزراعية ، وبذلك تقيم الصخرة التي سوف تتحطم عليها موضوعيا علاقات الانتاج شبه الاقطاعية والرأسمالية المستغلة ..

هذه السياسة هي السبيل الوحيد الى سد الثغرة التي تزداد اتساعا بين دخل الفلاح ودخل العامل ، اذ لا يجب ان نتركها للعوامل التلقائية التي تفاقم من حدة هذا التفاوت بكل ما يترتب عليه من آثار ضارة على تطوير القطاع الزراعي وتصريف المنتجات الصناعية التي يعتبر الريف سوقها الطبيعي ، مما يؤثر بالتبعية على مستقبل التطور الصناعي . لقد كان مقررا طبقا لخطة السنوات العشر لمضاعفة الدخل القومي ان يرتفع دخل المشتغلين بالزراعة من ١٢٣ جنيها الى ١٤١ جنيها ـ حوالي ١٥٪ ـ بينما يرتفع متوسط دخل المشتغلين بالصناعة من ٤٣٢ جنيها في سنة الاساس الى ٧٩٧ جنيها عام ٧٠/٦٩ ـ حوالي ٨٥٪ ـ وميكنة الزراعة هي الحل الجذري لتلافي الخلل في توزيع الدخول بين المدينة والريف ، وتجنب تفاقم هذه الحالة .

ان حجر الزاوية في عملية التحول الاشتراكي هو زيادة انتاجية العمل ، ولذلك لا يمكن ان نحقق هذا التحول في القطاع الزراعي مادام الفلاح المصري يستخدم نفس المحراث والفاس والشادوف التي استخدمت من ايام الفراعنة فهو يستغرق اكثر من يومين لحرث الفدان الواحد ، اذ ان مقدرته لا تتعدى فك تربة ٢/٣ فدان وثلثي فدان واحد وتزحيف ٣ ـ ٤ فدان في اليوم الواحد ، بينما نستطيع بجهد اقل كثيرا ان يتم هذه العمليات جميعا ويحرث اكثر من ٦ افدنة في اليوم باستخدام جرار المحراث الالي ، كما ان دراس محصول الفدان الواحد من القمح او الشعير يستهلك من وقته اربعة ايام بينما يمكن عن طريق الدراس الالي « درس » اكثر من محصول خمسة افدنة في اليوم ، مع توفير القدر الكبير من جهد الفلاح ، والتخفيف عن الماشية المستخدمة في كلا من المحراث والدراس .

ولا شك ان الثورة الصناعية التي عمت البلاد عمقت وعي الفلاحين بأهمية التصنيع وآثاره البالغة على الحياة . والشهادات الواقعية تكشف عن هذا الوعي الذي برز من خلال مطالبتهم باقامة المشروعات الصناعية والصناعات الريفية وتوزيعها

بعدالة فى انحاء الجمهورية ، وهو مطلب يستحق الدراسة فى الاعداد للخطة السبعية اذ يخلق جزر متقدمة ومراكز جذب تؤدى بالاضافة الى الانتعاش المادى واستيعاب الايدى العاملة الى تطوير فكرى بعيد الاثر .. وذلك مع مراعاة الظروف التى تكفل نجاح المشروعات الصناعية فى اختيار المكان المناسب لها .

ومن الشكايات التى تقدم بها الفلاحون والجديرة بالبحث ، الشكوى من « ثبات سعر القطن منذ عام ١٩٥٢ حتى اليوم بالرغم من الزيادة المستمرة فى تكاليف الرش والمبيدات » ، وذلك لان رفع سعر المحاصيل الزراعية ومن ثم مستوى معيشة الفلاحين كفيل بالتأثير على اساليب ومستوى الانتاج .

ان الاسراع بميكنة الزراعة وتدعيم التبادل بين الريف والمدينة والسير قدما فى تحويل التعاونيات الى مؤسسات انتاجية ورفع مستوى معيشة الفلاح برفع اسعار الحاصلات الزراعية والتوزيع المخطط للصناعات الجديدة ، .. كلها عوامل اساسية فى تقوية الروابط بين المدينة والقرية وتدعيم الحلف السياسى بين العمال والفلاحين وتوفير المناخ المناسب للقضاء على الاقطاع وراس المال المستغل ونجاح عملية البناء الاشتراكى .

الملكية والتعاونيات الانتاجية

ان مايزيد عن نصف الاراضى الزراعية ٥٢٫١٪ موزعة على وحدات تقل عن ٥ افدنة ، يملكها نحو ثلاثة ملايين فلاح ، منها ٩٧٠٫٠٠٠ فدان يمتلكها المنتفعون بالاصلاح الزراعى (١٦٪ من المساحة الكلية) ، ويلزمهم القانون بالانضمام للجمعيات التعاونية . ولا شك ان لتفتيت الملكية اثره المباشر على مستوى الانتاج (حوالى ٣٠٪) ، ومن هنا لم تتجمد الحركة التعاونية فى صورة محددة ، فقد تطور دورها من مجرد الاقراض وتوفير الاسمدة والبذور والمبيدات الى التسويق والتدخل فى العمليات الانتاجية . ولو امكن تحويل هذه التعاونيات الى مؤسسات انتاجية يتزايد فيها عائد العمل تدريجيا على حساب عائد الملكية ، فاننا نحقق بذلك اهم خطوات التحول الاشتراكى فى الريف ونضمن عن طريق تنظيم الاستغلال الزراعى توسيع رقعة الوحدات الانتاجية (١٥٠٠ فدان) وزراعتها آليا (جراران ومجموعتا رش نقالى وماكينتا دراس و ١٠ موتورات رش ومائة رشاشة لمساحة كل وحدة) .

والحركة التعاونية تواجهها صعاب عديدة اولها ان الارض الموزعة على المنتفعين مبعثره وليست مجمعة فى مساحات كبيرة متجاورة ، مما يضعف من قدرتها على العمل واثبات وجودها بين الفلاحين كنموذج حى رائد يثير الرغبة للاقتداء به .. ففى كمشيش على سبيل المثال كانت المساحة الصغيرة من زمام القرية التى وزعت على المنتفعين فى مواجهة عائلة الفقى عاملا على اضعاف نفوذ هذا القطاع وفاعليته ، بل والادهى من ذلك انها تحولت الى خدمة مصالح العائلة المسيطرة ، عندما استخدمت المنتفعين فى حظيرة مواشيها بأبيس واستغلت الارض فى امداد قطعانها بالعلف .

الا ان هناك فى مقابل هذه الصورة ، صورة مشرقة يقدمها نموذج تلبانة ، فمن الملاحظ ان هناك فروقا جذرية بين القرى التى خضعت لقوانين الاصلاح الزراعى وبين تلك التى لم يقربها او التى كانت المساحات الخاضعة للقانون فيها اصغر من ان تؤثر فى الهيكل التقليدى لتوزيع الملكية . والجمعية التعاونية فى الحالات المشابهه لنموذج تلبانة ، تضم ملكيات جميعها فى احجام لا تسمح بالاستغلال ويتساوى الاعضاء فى الحقوق ... مساواة لا تستند الى نص قانونى بل بتأثير العوامل المادية المتمثلة فى علاقات الانتاج . وهنا تصبح عملية التراكم الراسمالى التى تفرخ عناصر الاستغلال غير قائمة . العمدة وجميع اعضاء المؤسسات فى القرية من صغار الملاك مما يخلق روح الجماعة التى برزت فى المبادرات الخلاقة من جانب المنتفعين عندما جمعوا الف جنيه لاقامة محطة كهربائية واعمدة الانارة بالشوارع ورصفوا طريقا زراعيا يربط قريتهم بالطريق الرئيسى ، وهو مناخ تختنق فيه عناصر الاستغلال الطفيلى .

وهكذا فان هذا الشكل المميز للملكية وسيادته هو الضمان ضد تفريخ الاتجاهات الاستغلالية ، بينما نجد هيكل توزيع الملكية فى مجالات اخرى يحدد مسار نمو علاقات الانتاج فى اتجاه راسمالى وقد ترتب على الانعزال عن التفاعل التلقائى بين القوى الاجتماعية المتناقضة فى الريف ، وتخلف التنظيم السياسى وتراخى يقظته وتسرب كبار ومتوسطى الملاك الى مراكز القيادة ، ازدياد فرص التراكم الراسمالى لمصلحة المستغلين . كما ان هناك عوامل اخرى اساسية شجعت هذا الاتجاه وتتركز فى عدم اكتمال النضج السياسى فى النظرة الطبقية للواقع فى الريف والتى تتمثل فى :

أولا : النظرة الى نفوذ الاقطاع والراسمالية الريفية ووزنهما الاقتصادى والاجتماعى كأفراد ، لان الفرد مهما كانت سطوته لا يمثل قوة بالغة الخطورة اذا اخذ كل على حدة ، اما اذا كان التقييم على اساس العائلة — اى تجمع من كبار ومتوسطى الملاك فى منطقة محددة — لاكتسب وزنها السياسى والاقتصادى وزنا يختلف كيفيا . هذا بالاضافةالى القوة المستمدةمن المصاهرةالتى تربط بين العائلات الاقطاعية بعضها البعضوبينها وبين بعض المسئولين فى الاجهزة المحلية والمركزية

ثانيا : عدم التفرقة فى المعاملة بين كبار الملاك وصغارهم والتسهيلات التى اغدقها عليهم هذا الوضع فيما يتعلق بالخدمات حتى لقد احتكر كبار ومتوسطى الملاك القدر الاكبر من القروض الزراعية المعفاة منالفوائد واستحوذوا علىمعظم الخدمات الاخرى وبذلك استغلوا القطاع العام فى تحقيق ارباح مضاعفة . ويجدر بنا الان ان نعيد النظر فى هذه الامتيازات لتحميل أثرياء الريف نصيبا فى عمليات البناء الاشتراكى بفرض فوائد على السلف ورسوما على الخدمات التى تقدم لهم تتدرج على حسب حجم حيازاتهم وبصورة تصاعدية .

ثالثا : تعريف لجنة المائة للفلاح انتزع احدى الدعامات الرئيسية للمضمون الثورى لمفهوم الميثاق عن تحالف قوى الشعب العاملة ، فالغى بذلك الضمان الطبقىوالذى كانيهدف منتخصيص « نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها للعمال والفلاحين » (١) اصحاب المصلحة الحقيقيه الاصيلة فى الثورة ، أن يضمن « حماية المكاسب التى حققناها ، وبذلك نحيى الثورة ونبنى بلادنا بناء سليما ، على اسس ثابتة ودعائم قوية من الحرية والعدل والاشتراكية » (٢) وقد سمح هذا التعريف بتسرب فئة من المزارعين الراسماليين (حتى ٢٥ فدان) لاحتلال النسبة المخصصة للعمال والفلاحين ، وخاصة اولئك الذين ينتمون او يرتبطون بالعائلة صاحبة النفوذ فى القرية . ويكفي للدلالة على استشراء سلطة العائلات الرجعية فى الريف . ان نشير الى مثال واحد جاء فى بيانات لجنةتصفية الاقطاع وتجسده عائلة سويلم بالدقهلية التى كانت تحتل المراكز التالية :

- « ادارية — العمدة ونائبه و ٤ شيوخبلد وشيخ الخفر ووكيل شيخ الحفر .

- الاتحاد الاشتراكى — امين اللجنة والامين المساعد و ١٨ عضوا جميعهم من عائلة سويلم .

- المجلس القروى — رئيس المجلس وسكرتيره و ١٠ اعضاء من الاسرة .

- الجمعية التعاونية — رئيس الجمعية وكاتبها واحد اعضائها .

ولا شك انه يمكن كسب هذه الفئة من الملاك (من ٥ افدنة — ٢٥ فدان) بين صفوف تحالف قوى الشعب العاملة ، الا ان واقع تسلط كبار الملاك وتراخي قبضة الدولة على الريف وسلبية التنظيم السياسى يستقطبها الى جانبهم .

والاكثر من هذا أن هناك امتيازات كانت تمنح لاثرياء الفلاحين بحكم القوانين والتشريعات الخاصة بالقطاع الزراعى ويحرم منهافقراء الريف مثل نظام التامين على الماشية الذى كفلت وزارة الزراعة بمقتضاه لكل مؤمن الحصول على ١٥٠ كيلوجرام من العلف الجاف (الكسب) شهريا ، وقصرت هذا الحق على من يملك ٥ مواش على الاقل ، بما يلجىء صغار الفلاحين الى الحصول على العلف الجاف من السوق السوداء ويمنع عنهم مزايا التامين الخاصة بالتعويض فى حالة ما اذا نفقت الماشية ، والنص الخاص بحرمان من يملك اقل من ١٥ فدانا من البذور المنتقاة التى تنتج محصولا وفيرا يحقق ربحا اكبر ، ويلقى نظام التامين على الماشية استنكارا عاما اجمعت عليه كل الدراسات ، وعبر عنه الفلاحون فى جميع المناسبات ، ورغم ذلك لم يعدل هذا النظام لصالحتهم .

ومن الامور التى تدعو للدهشة ان الانتاج الزراعى ما زال غير خاضع للضريبة النوعية (ضريبة الاستغلال الزراعى والارباح التجارية) رغم ان اى محل تجارى متواضع — حتى كشك بيع السجاير — تفرض عليه هذه الضريبة ، بينما توجد حدائق ، وبساتين تدر عشرات الالاف من الجنيهات لا يستقطع منها الا اقل القليل .

(١) الميثاق الوطنى .
(٢) خطاب المناضل عبد الناصر فىاحتفالتحويل مجرى النيل فى اسوان مايو ١٩٦٤ .

كل هذه العوامل ومجموعة هذه الميزات تتيح فرص التراكم الراسمالي لمصلحة كبار ومتوسطي الملاك ، لذلك كان طبيعيا ان تنعكس هذه الظاهرة في زيادة ملكية متوسطي الملاك (من ٢٠ ــ ٥٠ فدان) ٢٤٪ عما كانت عليه بعد قيام الثورة .

وهناك صور مذهلة قد لا تكون ذات طابع عام الا ان لها دلالتها ..

محمود ابو يوسف الذى كان يدير جمعية منتجي البطاطس وبدأ حياته العملية متعهدا لتوريد خضروات للقوات البريطانية ، لم تزد ملكيته عن ٣٠ فدانا ، عام ١٩٥٢ ، وارتفعت الى ٣٠٤ افدنة بالاضافة الى حيازته ١٢٠٠ فدان يزرعها بطاطس ، وقد كون مجموعة احتكارية لاستيراد التقاوى وتصدير المحصول وانشأ ثلاجة ضخمة للتخزين يتحكم عن طريقها في السوق ويفتعل الازمات .

وهناك عبد القادر المكباتى الذى كان يملك ٦٠ فدانا عام ١٩٥٤ ، بلغت عام ١٩٦١ ــ ١٣٧ فدانا ، بجانب ٥٤٩ فدانا اخرى اشتراها بأسماء ابنائه واحفاده ، وبذلك اصبح ما يملكه ويحوزه عن طريق مباشر اوغيرمباشر ١٤١٣ فدانا . واستغل منصبه كمدير لادارة اسواق الفاكهة ليحصل على قروض قيمتها ٥١٫٧٤٦ جنيه واستخدم نفوذه على الجمعية التعاونية الزراعية بناحية كوم الفرقانة مركز كفرالدوار ليقترض ٧٤٫١٧٨ جنيها ، فأصبحت جملة ديونه نحو ١٢٥٫٠٠٠ جنيه يستخدمها في الاثراء على حساب القطاع العام .

والتعاون الزراعى بوضعه الراهن والصورة التى تحول اليها على ايدى القوى الرجعية في الريف ، قد يوحى بالتحفظ تجاهه والانفضاض من حوله وادانته من جانب صغار الفلاحين والعمال الزراعيين (والعمال محرومون من دخول الجمعيات التعاونية) ويغذى روح السلبية ويورث اليأس ، فقد تحولت نسبة كبيرة من التعاونيات الى مؤسسات طبقية لكبار الملاك ومتوسطيهم يسيطرون عليها ويوجهونها في خدمة مصالحهم .. الا أن غالبية الفلاحين اكتسبوا وعيا بأن الفساد ليس كامنا في النظام نفسه بل في القائمين عليه ، وهو الراى السائد الذى يمكن استخلاصه من الاجابات الواردة بالدراسات الميدانية .

والواقع ان الحركة التعاونية ليست بالضرورة نظاما اشتراكيا فقد بدا التعاون وتطور وتعايش في اطار المجتمعات الرأسمالية ، حتى ان عدد الجمعيات التعاونية عام ١٩٤٥ بلغ ٢٠١٨ جمعية تضم ٨١٨٫١٩٠ عضوا ، منها ١٦٤١ جمعية زراعية تضم ٥٤٥٫٨١٠ عضوا .

والجمعيات التعاونية الزراعية العادية هى استمرار لهذه الحركة التى نشأت ابان الحرب العالمية الثانية ، وكان هدفها توفير بعض الخدمات الائتمانية والبذور والاسمدة وغيرها من احتياجات الفلاح . وقد جاءت الثورة لتطورها وتحولها الى مؤسسات نشطة تمد الزراع بالقروض والخدمات ، واصبحت المصدر الوحيد للتمويل بعد تحويل بنك التسليف الزراعى التعاونى الى مؤسسة عامة ، وتقرر ان تقدم القروض بدون فوائد ابتداء من ١٩٦١ . وتوسعت الدولة في الخدمات وباشرت عملية التسويق التعاونى وفرضت حق الاشراف عليها عن طريق مؤسساتها العامة .

وقد أبقى القانون هذه الجمعيات مفتوحة لجميع المزارعين بصرف النظر عن حجم ملكياتهم ، ولم يميز في خدماته بين كبار الملاك وصغارهم ، الا انه حاول ان يجعل السيطرة لصغار المزارعين عندما نص على أن يكون ثمانية اعضاء من بين العشرة الذين يكونون مجلس الادارة ممن لايزيد ملكيتهم عن خمسة افدنة ، وهو نص ثورى دار حوله صراع ضار للتراجع عنه ، ثم نزعت عنه قيمته العملية نتيجة الفراغ السياسى السائد في الريف وبذلك ظلت معظم مجالس الادارة تحت سيطرة كبار الملاك .

وجمعيات الاصلاح الزراعى تختلف جذريا عن النوع الاول ، اذ ان العضوية الاجبارية قاصرة على من يملكون اقل من خمسة افدنة ، وهكذا فان تكوينها الطبقى واتساع نطاق التعاون فيها ليشمل الجوانب الانتاجية يجعلها النواة الحقيقية للتعاونيات الانتاجية وهى اقرب الاشكال الى التنظيم الاشتراكى . وتعاونيات الاصلاح الزراعى يجب أن تحظى بالقدر الاكبر من الاهتمام وان تميز على غيرها من ناحية الخدمات في الحجم والنوع والمقابل النقدى ، تليها الجمعيات التى تطبق خطة تنظيم الاستغلال الزراعى التى تجرى فيها عمليات ميكنة الزراعة والاستثمار على نطاق المشروع الكبير والاشراف الفنى والعلمى ، لزيادة انتاجية العمل ، وتتميز بالملكية العامة لادوات الانتاج الزراعى رغم بقاء الارض كوسيلة للانتاج في اطار الملكية الخاصة ، الا ان الالات في حركتها الثورية بالمشروع الكبير تقتلع في طريقها النزعات الفردية وتطمس معالم الحدود المرسومة والتجزئة وتضفى على العاملين روح الجماعة .

وفى هذا المجال يقول الميثاق « انما الافاق التعاونية في الزراعة تمتد على جبهة واسعة ، انها

تبدأ من عملية تجميع الاستغلال الزراعى الذى اثبتت التجارب نجاحه الكبير ، وتساير عملية التحول التى تحمى الفلاح وتحرره من المرابين ومن الوسطاء الذين يحصلون على الجزء الاكبر من ناتج عمله . وتصل به الى الحد الذى يمكنه من استعمال احدث الالات والوسائل العلمية لزيادة الانتاج ، ثم هى معه حتى التسويق الذى يمكن الفلاح من الحصول على الفائدة العادلة تعويضا عن عمله وجهده وكده المتواصل »

ان تدعيم اشكال الملكية الاشتراكية والتوسع فيها هو سبيلنا الى تطوير العلاقات الاجتماعية فى الريف ، حتى تلحق بالنموذج الاكثر تقدما فى المدينة ، مع العلم بأن الشكل الاساسى للملكية الاشتراكية هو الملكية العامة . والابقاء على المساحات المستصلحة وغير الموزعة حتى الان فى اطار الملكية العامة ، ليس من قبيل النقل الحرفى لتجارب الغير ولا تمليه اعتبارات فكرية مجردة او اتجاهات نظرية جامدة ــ كما يحاول البعض تصويره ، فهو نابع من واقعنا ، اذ انه حتى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر وعلى امتداد تاريخ مصر ، ظلت الارض ملكا للدولة ، كما أن الطبيعة الصحراوية لبلادنا والحجم المحدد للمياه ونظام الرى والصرف الصناعى ، الذى يضيق من امكانيات التوسع الافقى فى استزراع الارض وضرورة الاتجاه الى زيادة انتاجية العمل مما يتناقض مع التجزئة والتفتيت .. كلها عوامل موضوعية مصرية خالصة تفرض علينا التفكير جديا فى الابقاء على هذه الاراضى قطاعا عاما تديره الدولة او ملكية تعاونية مشتركة بين العاملين على تلك المزارع .

وقد كان توزيع الارض على المعدمين ضرورة أملتها الظروف السياسية والاجتماعية فى حينها ، الا اننا نسير اليوم بخطوات واسعة فى مجال تطوير اقتصادنا القومى على أسس اشتراكية ، مما يجعل توزيع المزيد منها يتحول الى عقبة فى سبيل التقدم ، ويتعارض مع سياسة تحويل التعاونيات الى مؤسسات انتاجية تستخدم احدث الاساليب الفنية والتكنيكية . ثم وان التوزيع لن يحل مشكلة الفلاح المصرى ، بل على العكس من ذلك سيزيدها تفاقما واستعصاء . وقد سبق أن أشار السيد على صبرى الى هذه الحقيقة فى خطاب له بمعهد التوعية الاشتراكية بمدينة السويس ، عندما اكد « ان القوانين الاشتراكية وقوانين الاصلاح الزراعى مهما حققت فلن تكفى لتوزيع الارض على الفلاحين الذين لهم حق الملكية، فالرقعة محدودة ومشروع السد العالى مهما بلغ ايضا فستزيد الرقعة الزراعية بمقدار الثلث . واذا جمعنا كل هذا بالاضافة الى ابحاث المياه الجوفية فى الوادى الجديد ، نجد أنه لن يكفى لحل المشكلة الزراعية حلا كاملا » .

ويمكن تجسيد هذه الصورة بالارقام ، فقد بلغ عدد سكان الريف ١٦٫١١٨٫٠٠٠ نسمة حسب احصاء ١٩٦٠ اى ان متوسط الملكية بالنسبة للفرد كان ٠٫٤ من الفدان ومن المتوقع ان يبلغ سكان الريف عام ١٩٨٦ ما يربو على ٣٠ مليونا .. أى أنه حتى فى حالة زيادة الرقعة المنزرعة الى ثمانية ملايين فدان فان متوسط ملكية الفرد ستنخفض الى أقل من ٠٫٣ من الفدان .

ان اشكال الملكية فى المجتمع الاشتراكى ... الملكية العامة والملكية التعاونية هى الصور التى يجب تأكيدها وتدعيمها ، لتصبح نموذجا للتطبيق ومركز جذب للفلاحين لاقناعهم بالتوسع فى التعاون الانتاجى من خلال تجربتهم الذاتية ، وحتى تصبح هى القطب النامى المتطور الذى يكسب شرائح متزايدة الحجم من الاشكال الراسمالية والسلعية الصغيرة . كما ان الملكية الاشتراكية هى المصل الواقى ضد جرثومة الاستغلال .

وتدعيما للقطاع الاشتراكى فى الانتاج الزراعى نقترح ان تدار الاراضى التى وضعت تحت الحراسة بمقتضى قرارات لجنة تصفية الاقطاع كقطاع عام فى مشروعات كبيرة على أسس ديمقراطية بواسطة العمال الزراعيين وفقراء الفلاحين مع اتباع نظام الحوافز المجزية مقابل العمل المبذول فى مختلف الاعمال الادارية والانتاجية

بين النفوذ العائلى والسلطة الشعبية

والقوى الرجعية المستغلة لا تنسحب من الميدان او تستسلم لمصيرها ، بل تقاتل بضراوة حتى الرمق الاخير من أجل الابقاء على مصالحها وامتيازاتها . وهى رغم استخدامها أبشع أساليب الكبت والارهاب ولجوئها الى النهب والقتل والاعتداء على الاعراض والممتلكات والنصب والاحتيال ، لا تتورع عن أى عمل اجرامى لمضاعفة ثرواتها وارباحها على حساب شقاء وحرمان الغالبية العظمى من جماهير شعبنا .. وهى تبادر الى الصراخ والعويل اذا ما اتجهت السلطة الثورية الى ردعها حماية للقوى العاملة ، وحينئذ تسارع

الرجعية برفع شعار الصراع السلمي بمفهومها الخاص ، اى أن يترك لها حرية التسلط الدموى على حقوق الشعب وحرياته ، وهو فهم متناقض لما جاء بالميثاق بأن «سلمية الصراع الطبقي لايمكن ان تتحقق الا بتجريد الرجعية اولا وقبل كل شيء من جميع اسلحتها » والملكية هي السلاح الرئيسي للقوى الرجعية ، كما انه يمثل ايضا الذخيرة التي تعبيء بها نفوذها الاجتماعي ».

وقد نص الميثاق على أن المنظمات الشعبية السياسية التي تقوم بالانتخاب الحر المباشر لابد لها ان تمثل بحق وبعدل القوى المكونة للاغلبية، وهي القوى التي طال استغلالها والتي هي صاحبة مصلحة عميقة في الثورة . لكن ما هي الصورة التي تستخلصها من الشهادات الواقعية ومن بيانات لجنة تصفية الاقطاع ؟ .. ان وزن قلة من العائلات المالكة للارض ، يفوق الوزن العددي والقوى المكونة لاغلبية السكان ، ففي جميع العينات الواردة — فيما عدا القرى التي خضعت للاصلاح الزراعي — تستحوذ العائلة المسيطرة اقتصاديا على جميع المؤسسات السياسية والديمقراطية وتحتل كافة المناصب والمراكز الرئيسية ابتداء من لجان الاتحاد الاشتراكي والمجلس القروى أو مجالس المدينة والعمودية وشياخة البلاد وشياخة الخفر والجمعيات التعاونية ونقابة العمال الزراعيين ».

وتكاد الاراء تجمع على أن تسلسل القوى المؤثرة في القرية يتدرج من العمدة فالنفوذ العائلي .. وفي المؤخرة يأتي نفوذ لجنة الاتحاد الاشتراكي».

بالسؤال عن أصحاب النفوذ والكلمة المسموعة في قرية ابشنا كانت النتيجة كالاتي ».

العمدة ٥٣٫٨٪
النفوذ العائلي ٢٠٫٦٪
الاتحاد الاشتراكي ١٠٫٨٪

وتدل الاجابات في قرية بني هلال على ان ٦٥٫٥٪ من ملاك اقل من فدانين و ٦٠٪ من العمال الفنيين و ٥٨٪ من منتفعي الاصلاح الزراعي يعتبرون مركز النفوذ الاساسي هو العمدة بينما يرى ٢٤٫٥٪ ممن يملكون من ٥ — ٢٠ فدان و ٣٠٪ من العمال الفنيين والفئات الاخرى و ٥٪ من المنتفعين بالاصلاح الزراعي ان النفوذ الرئيسي للعائلات الكبيرة . ولم يعترف بنفوذ الاتحاد الاشتراكي سوى ١٢ فردا بنسبة ٧٪ فقط من جميع الطوائف ».

ودلالة هذه الارقام واضحة ، فالنفوذ الادارى هو العنصر الاصيل لمراكز القوة في القرية ، مع مراعاة أن العمدة عادة ينتمي الى العائلة المسيطرة على القرية وبذلك يعبر عن اندماج السلطة الادارية مع السيطرة الاقتصادية والنفوذ العائلي، كما ان الاعتراف ببعض النفوذ للاتحاد الاشتراكي راجع الى ان غالبية اعضائه من العائلات صاحبة النفوذ في القرية ، وجميع المنظمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمواقع الادارية تخضع لنفوذ كبار الملاك الزراعيين وتتحكم فيها المصالح الطبقية ».

والاهتمام بالعمودية يرجع الى انها حلقة الاتصال بالسلطة ، ويملك العمدة كتيبة مسلحة من شيوخ الخفر والخفراء معظمهم من الاقارب والاصهار والاتباع ».

والانخفاض الملموس في الاقرار بنفوذ العمدة ٥٨٪ والعائلات ٥٪ بين منتفعى الاصلاح الزراعي في تلبانة يؤكد التحرر النسبي لهذه الفئة من نفوذ العائلات وسلطة العمدة .

الدولة تخلى المواقع والقوى الشعبية تتحصن بها

وقد توخت لجنة تصفية الاقطاع بجانب تجريد الرجعية من سلاحها الرئيسي — الملكية — ، أن تقتلعهم من مواطن تأثيرهم ونفوذهم بابعادهم عن الريف ، وان تجليهم عن تحصيناتهم في المواقع التي احتلوها بالتنظيمات السياسية والاقتصادية والادارية ،ففي يونيو الماضي تقرر فصل ٢٣٩ عمدة وشيخا و ٦٥ من شيوخ الخفر من جميع المحافظات وهؤلاء جميعا من الذين ينتمون بصلة القرابة الى العائلات الاقطاعية او المعزولين السياسيين . وفصل وابعد عدد كبير من أعضاء هذه المؤسسات وحلت بعض لجان الاتحاد الاشتراكي ومجالس القرى والجمعيات التعاونية ».

ولا شك أن القرارات الثورية المركزية والاجراءات الادارية والدور المجيد الذى تقوم به لجنة تصفية الاقطاع والتي تبلغ في خطورتها وآثارها مستوى يقارب — ويكمل — الانطلاقة الضخمة لقرارات يوليو ١٩٦١ ، تمثل ضرورة وتعتبر السلاح المباشر في مواجهة القوى المعادية للثورة ، الا أن الواقع أثبت بصورة قاطعة ما سبق

أن ردده المناضل عبد الناصر المرة تلو المرة من ان النشاط الاداري والقرارات الثورية العلوية وحدها لا تكفي ، بل يجب ان يرتكز على العمل السياسي ويستند الى التنظيم الديمقراطي الجماهيري الواسع و « لا يمكن الانتقال من الرأسمالية المستغلة والاقطاع الى الاشتراكية الا عن طريق العمل السياسي للشعب العامل ، ونضال الطبقة العاملة والفلاحين لاستخلاص السلطة من الرجعية ، ثم الاستفادة من السلطة لتغيير العلاقات الاجتماعية الرجعية تغييرا كاملا » و « أن الديمقراطية الاشتراكية معناها مشاركة الجماهير في القضايا السياسية ، والديمقراطية الاشتراكية تعتمد أساسا على اللامركزية والادارة الذاتية . وطبعا كلما دخلنا في المركزية دخلنا في البيروقراطية ، وكلما جعلناها لامركزية وادارة ذاتية كلما تحولنا الى الديمقراطية » (٣) .

وقد اكدت الشهادات الواقعية وتحقيقات لجنة تصفية الاقطاع ان الديمقراطية ليست مجرد اعلان حقوق وتحديد علاقات واصدار قرارات عادلة واتخاذ اجراءات ثورية لمصلحة الجماهير الشعبية ، فهي أولا وقبل أي شيء آخر ضمانات لتحويل هذه الحقوق الى واقع حي يمارس وينمو ، وكفالة الامكانيات المادية لتطبيق القواعد الثورية وخلق الظروف المناسبة للدفاع عنها وحمايتها . فقد أمكن للقوى الرجعية ان تجمد نصوصا قانونية شرعت لمصلحة القوى العاملة ، وان تحتل مواقع وتتحصن فيها وتزاول منها نشاطها الاستغلالي وهي المواقع التي خصصت للكادحين من أبناء الشعب .

ومن هنا تبدو ضرورة اعادة صياغة الحياة في الريف صياغة ديمقراطية .

والجمعيات التعاونية فضلا عن دورها الانتاجي هي منظمات ديمقراطية (٤) ، والتعامل معها يعتبر ضرورة معيشية ومصيرية ولذلك تواجهنا مهمة عاجلة وأساسية هي العمل على تحويل هذه التنظيمات من مؤسسات بيروقراطية الى مؤسسات ديمقراطية تسهم فيها الجماهير العاملة بدور ايجابي في قيادتها وتشارك فعليا في ادارتها وتوجيه نشاطها . وقد يبدو الاتحاد الاشتراكي كتنظيم مجرد (لجمع الاشتراكات على حد تعبيرهم) بالنسبة لعدد كبير من سكان الريف يصعب عليه أن يكتسب اهتمامهم على نطاق واسع في المراحل الاولى من نشاطه ، اما الجمعيات التعاونية فهي العمود الفقري لحياتها ، بعد ان اصبحت تهيمن على النشاط الانتاجي وبعض اوجه النشاط الاجتماعي في القرية .

ان كل اجراء حاسم يصحبه مد ثوري وانتعاش للنشاط الجماهيري ، ودور القيادات السياسية في هذا الجو المواتي ان تبادر الى الاستفادة منه لتدعيم التنظيمات السياسية والديمقراطية وتعبئة قوى الشعب العاملة . والقرارات الثورية الاخيرة تتيح فرصة الارتكاز عليها لاستثارة المبادرة الجماهيرية وتنشيط الطاقات الخلاقة لاشراك القوى الشعبية بصورة فعالة في حركة التغيير الثوري . أليس الوضع الراهن هو أنسب وقت لاعادة الانتخابات في المواقع التي عزلت فيها القوى الرجعية ؟ . ان دخول الجماهير الشعبية معركة جديدة في مناخ صحي وبعد تأمين الريف من ارهاب العائلات الاقطاعية باعادة الانتخابات حيثما عزلت العناصر المستغلة ولجميع المراكز التي خلت بعزلها سواء في لجان الاتحاد الاشتراكي او المجالس القروية أو الجمعيات التعاونية كفيل باحياء النشاط السياسي والديمقراطي والكشف عن قيادات ثورية جديدة وتدعيم المواقع التي أجليت عنها القوى المضادة للثورة . ان التوعية السياسية لا تتحقق عن طريق المحاضرات والندوات وحدها . واستكشاف وتدريب وتربية الكادر القيادي لا يتم بالاختبار او الاختيار الشخصي . وتنشيط الاتحاد الاشتراكي والتنظيمات الجماهيرية لاينجز بالاقناع الفكري وحده . وتكوين الجهاز السياسي ، او الحزب الاشتراكي القائد ليس مجرد عملية انتقاء عناصر مخلصة ملتزمة .. فالسبيل الى انجاز جميع هذه المهام الاساسية في مرحلة البناء الاشتراكي تتحقق عبر الدخول في مئات من المعارك النضالية اليومية الرئيسية منها والثانوية . والطفرات الثورية هي انسب الظروف للتوعية والتنظيم ، لذلك يجب العمل على الاستفادة منها باعادة الانتخابات في المواقع التي عزلت منها القوى الرجعية ، وبتكليف لجان مشتركة من مجالس ادارة الجمعيات التعاونية ونقابات العمال الزراعيين بادارة الاراضي والممتلكات التي وضعت تحت الحراسة .

والشواهد المستخلصة من الشهادات الواقعية

---

(٣) خطاب جمال عبد الناصر في افتتاح مجلس الامة في ١٢/١١/١٩٦٤

(٤) بلغ عدد الجمعيات التعاونية عام ١٩٦٤ بـ ٤١١٢ جمعية تعاونية زراعية لا تضم نحو ٢٥٠,٠٠٠,١ مالك ومستأجر *

تؤكد ان الفــلاحين لا ينقصهم الوعى بأشـــكال الاســتغلال المتباينة التى يعـــانون من وطأتهـــا ويرزحون تحت عبئها . كما انهم لا يعجزون عن تقديم الحلول الثورية الجذرية لكافة مشـــاكلهم الاقتصادية والاجتماعية (التأمين على الماشية ــ البذور المنتقاة (٥) ــ التصنيع ونشر الصناعات الريفية ــ احالة اعمال التطهير اللازمـــة للترع والمصارف فى القرية على نقابة العمال الزراعيين للقضاء على البطالة ... الخ) والفلاحون ايضـــا لا يفتقرون الى المبادرة والاســتجابة الجمـــاعية للعمل البناء (تجربة بسنديلة لردم البركة الاسنة واقامة عواميد الاضـــاءة ونادى الشـــــباب . وتجربة تبانة ــ محطـــة كهرباء ورصف طـــريق طوله ٦ كيلومترات .. الخ) وكذلك فان كفاحهم البطولى ضد القوى الرجعية وعناصر الاستغلال فى ظروف شديدة القسوة ، يشهد عليه نضـــال كمشيش ومن قبله انتفاضات بالهوت وكفر نجم وآلاف الضحايا من الفلاحين الذين استشهدوا دفاعا عن قضيتهم العادلة .

واذا استشف الفلاحون اى بادرة لان يثمر نشـــاطهم الديمقراطى والسياسى ، لاقبـــلوا بكل طاقاتهم الـــكامنة الجبارة على تنظيم صـــفوفهم ليكونوا جيشـــا للثورة يستحيل على اى قوة ان تقهره ، الا ان تواجـــدهم فى شبـــه جزر مغلقـــة منعزلة تحت وطأة ارهاب وعنف دموى ، بعيدا عن سلطـــة الدولة المركزية ، ومشـــاهدتهم لعقم بعض اجهزتها المحلية ، بل وانحياز البعض منها الى كبار المـــلاك اورثهم اليـــأس واشـــاع بينهم السلبية وافقدهم الثقة فى جدوى العمل النضالى

لقد كان مركز الثقل فى الصراع الطبقى يكمن فى المدن وخلاصة العاصمة ، وذلك عنـــدما كانت قيادة العمليات المضـــادة للثورة فى ايدى كبـــار الاقطـــاعيين والمـــلاك الرأسماليين ، الذين كالت لهم الثورة ضربات قاصمة على اثر قانون الاصلاح الزراعى الاول والثـــانى . وهؤلاء كان معظمهم يقيمون بالمدن ولهم علاقات وثيقة بجهاز الدولة والقوى السياسية التقليدية والمؤسسات المركزية فعملوا على محاصرة الثورة بالتسرب الى المجالس النيابية وقيـــادة التنظيمات السياسية (هيئـــة التحرير والاتحاد القومى) ودعموا صلتهم بالاجهزة المركزية كالمؤســـسة المصرية التعاونية الزراعيـــة العـــامة والمؤسســـة المصرية للائتمـــان الزراعى والتعاونى ، وعملوا على السيطرة على الصحافة الفلاحية التى تصدر من القاهرة (٦) ودبروا المؤامرات الانقلابية ولجأوا الى التخريب واثارة الشائعات وعرقلة التشريعـــات الثورية ... الخ لاسترجاع نفوذهم واستعادة مصالحهم . الا ان السمة المميزة للمرحلة الاخيرة تبدو فى انتقـــال مركز الثقل فى النشاط المعادى للثورة الى الصف الثـــانى من المـــلاك الزراعيين ، الذين تخصـــنوا بقواعدهم فى الريف وعملوا على تدعيم مراكزهم الاقتصادية والسياسية ، مستنـــدين الى الفراغ السياسى والبعد عن السلطة المركزية ، مستخدمين ابشع اســـاليب الارهاب للاستيـــلاء على المواقع الحساسة فى المنظمات السياسية والاقتصـــادية على النطاق المحلى ، كنقطة ارتكاز ثم انطلاق ضد الثورة .

وهذا الواقع الجديد يؤكد ضرورة ان نتـــابع الشق الاول من العمـــــل الثورى ــ الذى ازاح القوى الرجعية عن هذه المراكز ــ بالشق الثانى الذى يتضـــمن تســـليم هذه المواقع الى القوى الثورية العـــاملة ، فالارض التى كسبتها قيـــادة الثورة اصبحت ممهدة لاحتلالها من جانب القوى الرئيسية للثورة ، كما ان المواجهة الثورية لا يجب ان تقتصر على تصدى الدولة للقوى الرجعية بل الصراع الطبقى الموجه من جـــانب قوى الشعب العامله ضد القوى المعادية للثورة .

ان العلاقة بين الفلاح والسلطة تتمثل بصورة مباشرة فى احتكاكه بالعمدة (الذى يعتبر صاحب النفوذ الاكبر طبقا للشهادات الواقعية) وضابط الشرطـــة والمشرف الزراعى ومهنـــدس الرى ثم برئيس الجمعيـــة التعاونيـــــة والمجلس القروى والاتحاد الاشتراكى . وتقييمه لموقف الثورة منه يستخلصه من تصرفات هؤلاء المسئولين . ومما يثير البلبلة فى صفوفهم ايمـــانهم الذى لا يتزعزع بالقيـــادة السياسية وعلى راسها المناضـــل عبد الناصر (من واقع الدراسات الميدانيـــة) الا ان الطاقة الثورية تحملها اسلاك رديئة التوصيل ،

(٥) طالب فقراء الفلاحين فى احـــدى المؤتمرات باسيوط بتوزيع البذور المنقاة عليهم ، وعندما احتج المهندس الزراعى بنص القانون الذى يمنع اعطائها لمن تقل ملكيته من ١٥ فدانا ، اعلن الفلاحون عن استعدادهم لتجميع بعض الملكيات الصغيرة لتزيد عن هذا الحد على ان تمدهم الوزارة بالبذور المنتقاة .

(٦) احتضنت مجلة التعاون التى كانت توزع اجباريا على الجمعيات التعاونيـــة الدعوة الى التخلى عن القانون الثورى الذى ينص على ان يكون ثمانية من العشرة اعضاء لمجلس ادارة الجمعية التعـــاونية ممـــن تقـــل ملكيتـــهم عـــن ولتصبح العضوية كلها مفتوحة للملاك حتى ٢٥ فدانا .

تقل حساسيتها وفاعليتها بامتدادها الى اعماق الريف . وقد ادانت لجنة تصفية الاقطاع هؤلاء الموظفين باعلانها ان « الاقطاعيين يمارسون سيطرتهم وارهابهم وتحايلهم على القوانين عن طريق افراد من رجال الادارة والموظفين من صغار النفوس والمنحرفين ، فاتخذهم الاقطاعيون ادوات لتنفيذ اغراضهم غير المشروعة والتستر على نشاطهم الاجرامي » وقررت اللجنة ايقاف كل من يثبت في حقه الانحراف واتخاذ اجراءات رادعة ضدهم تتناسب مع ما ارتكبوه .

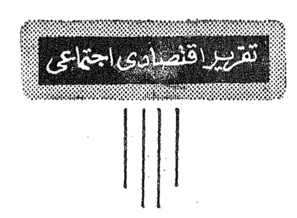
لقد استخدم جهاز الدولة طوال اجيال عديدة كأداة لاضطهاد الشعب وكبته ، وهو ميراث حملت به الثورة . الا انه وضع ينطبق على جميع الثورات في مراحل التحول الحاسمة فتقوم قمة هذا الجهاز — حيث السلطات مركزة في ايدي القيادة — بدور فعال في العمليات الثورية ، بينما يباشر الموظفون .. هناك في القاعدة .. ادارة العمل بطريقة كثيرا ما تتناقض مع السياسة العامة للقيادة الثورية . وفي لقائه يوم ٢٨ يوليو الماضي بأساتذة جامعة الاسكندرية تحدث المناضل عبد الناصر عن مشكلة الجهاز الادارى الحكومي فقال « الاعداء طبعا في بعض الحالات يلبسوا الاقنعة ويتصلوا بأصحاب الشان ، ويتصلوا بالاجهزة البيروقراطية وتجد طبعا عندهم الفرصة انهم ، الجهاز الحكومي يمشوه معاهم . وعلى هذا الاساس ايضا لازم البيروقراطية في الجهاز الحكومي نتابعها على اساس انها تمثل عنصرا من عناصر اعداء الثورة » .. « احنا في الريف احنا مع الطبقة المحرومة ، احنا عاوزين نطلع الفلاح اللي كان محروم من حقوقه وندى له حقوقه .. » « طب احنا حنباشر هذا بايه ؟ ما هو بالجهاز الادارى بالحكومة . اذا كان الجهاز الادارى بيروح الريف حايروح حايقعد مع مين ؟ ما هو الريف معروف ، الطبقة اللي تملك واللي عندها النفوذ والجاه واللي عندها البيوت والقصور والفلاحين ، الناس اللي بيتعشوا فراخ والناس اللي بيتعشوا عيش وجبنة او عيش بس .. » « اذن يجب ان نتتبع هذه العناصر في الجهاز الادارى ونقضي عليها لانها تكون بهذا عناصر معوقة للثورة »

والواقع ان الصورة بالنسبة لموظفي الدولة ليست قاتمة في جميع الاحوال ، فهناك قوى مخلصة ، رفضت التستر على عناصر الاستغلال في محاولة التهرب والتسلط ، وهناك نماذج مشرفة عديدة لعبت دورا اساسيا في الكشف والتصدى للقوى الرجعية . ومما لا شك فيه ان الغالبية العظمى من العاملين بجهاز الدولة من اصحاب المصلحة في التحول الاشتراكي ، الا ان قطاعا كبيرا منهم يفتقر الى الوعي .

وهذه الاوضاع تفرض علينا مهمة تطعيم القاعدة الثورية في الريف بكادر سياسي واع يعايش الفلاحين ، يعطيهم من خبرته ويزودهم بوعيه ويكتسب ثقتهم باخلاصه ، يتعلم منهم ويتزود من تجاربهم والمامهم بواقعهم بالقدرة على المزج بين الواقع العملي والمعرفة النظرية فتستخلص اساليب حل مشاكلهم وتوجيه نضالهم في اطار السياسة العامة للثورة على النطاق القومي ، ويكتشف القيادات المحلية ويرعاها ويطورها لمواصلة النضال بالاعتماد على القوى الذاتية للريف المصري . وكما ان الكادر السياسي مطالب بان يتعلم شئون الادارة والانتاج والتنظيم ، فان علينا ان نتيح للكادر الفني كل فرص التزود بالثقافة الاشتراكية والادراك السياسي السليم ، فالتنمية ليست نشاطا اقتصاديا خالصا ، بل وعمل سياسي ايضا . ويقع عبء هذه المهام على الجهاز السياسي الطليعي ، ثم ان هذا الجهاز نفسه لن يتطور الى مستوى تحمل مسئوليات البناء الاشتراكي الا من خلال الممارسة الثورية للعمل النضالي بين الجماهير ، وفي مجالات النشاط الانتاجي بالدرجة الاولى .

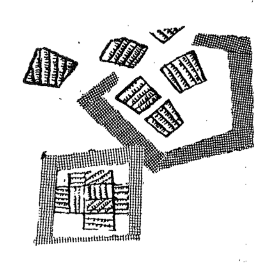
ولا شك ان هناك عدد كبير من العناصر الاشتراكية الواعية على استعداد للانتقال الى الريف وتكريس كل وقتهم وجهدهم وخبرتهم في خدمة النضال الفلاحي ضد بقايا الاقطاع والاستغلال الراسمالي ، فهناك مجالات مكتظة بهم ، والبعض منهم لا تتاح له فرص العمل السياسي المجدى ، فطاقاتهم مضيعة في وقت نحتاج فيه الى كل طاقة ثورية .

ويمكن — حتى لا نبعثر قوانا وجهدنا — ان نختار مناطق معينة لها ظروف مواتية ، كأن ننتقي محافظتين نبدأ العمل بهما ويركز فيهما النشاط ويتفرغ عدد كاف من الكادر السياسي والفني والادارى المختار ، للاقامة بين الجماهير العاملة لتنشيط العمل السياسي والدفع بعجلة التنمية واحياء المنظمات السياسية والديمقراطية والاقتصادية من خلال النضال ضد العناصر الرجعية والصراع ضد الافكار والقيم والعادات الاقطاعية والتصدى للانحرافات البيروقراطية للاجهزة الادارية ، على ان تدرس العلاقات الانتاجية والاجتماعية ويقيم النشاط بين حين وآخر بجوانبه السلبية والايجابية ، لتطوير اساليب العمل ، بهدف تحويل هذه المواقع الى مراكز اشعاع ونقاط جذب وموارد خبرة للاستناد اليها في التخطيط للزحف الى مناطق اخرى



ملاحظات حول تطور العلاقات الاقتصادية والطبقية فى الريف

عادل غنيم



تتميز صورة العلاقات الاقتصادية والطبقيــة فى الريف بالتنوع والتعقيد الشديدين . فالتركيب الطبقى وعلاقات الانتاج تختلف فى قرية من قرى الاصلاح الزراعى عنها فى قرية اخرى لم يدخلها الاصلاح الزراعى اصلا .

وهناك قرى يسودها نظام الايجار التقليدى واخرى يغلب عليها نظام الزراعة على الذمة كما ان نظام المزارعة قائم فى كثير من القرى بل اننا كثيرا ما نجد العلاقات الراسمالية (الزراعة على الذمة) جنبا الى جنب مع العلاقات الاقطاعية (نظام الايجار والمزارعة)

وعلينا ان ناخذ هذا التنوع الشديد بعين الاعتبار عند وضع خطنا السياسى فى الريف

وايضا عند رسم سياستنا الزراعية فى مختلف المجالات (فى الاصلاح الزراعى والتسويق التعاونى والتنظيم الزراعى — السياسة الضريبية — سياسة الاسعار وسياسة الائتمان الزراعى الخ ..)

غير ان هذا التنوع فى اوضاع الريف الاقتصادية والطبقية لا ينبغى ان يحجب عن اعيننا الاتجاه العام لحركة تطورها . ويمكننا ان نستخلص من مجموع الشهادات الواقعية ومن استقرار التطور الاقتصادى والسياسى الذى شهده الريف خلال السنوات الاخيرة بعض الملاحظات التى تشير الى الاتجاه العام للتطور :

● فمن ناحية وجهت قوانين الاصلاح الزراعى ضربات قوية ومتلاحقة للملكية الاقطاعية الكبيرة ولاحتكار الارض . ونشأ لاول مرة فى الزراعة قطاع عام — تعاونى واسع (اراضى الاصلاح الزراعى) ويضم ٩٧٠ر٤٣٥ فدانا اى ١٦ ٪ من مجموع الاراضى الزراعية .

● ومن ناحية اخرى شهدت السنوات الاخيرة نمو الراسماليه الزراعية (اولئك الذين يزرعون الارض التى يحوزونها ملكا او ايجارا من ١٠ — ٥٠ فدانا زراعة راسمالية واستغلال العمل الماجور) واتساعها وتزايد وزنها فى الانتاج وفى المجتمع .

ولعل ابرز مظاهر نمو الراسمالية الريفية :

● ارتفاع عدد من يملكون من ٢٠ — ٥٠ فدانا من ٠٠٠ر٢٢ مالك سنة ١٩٥٢ الى ٢٩٠٠٠ مالك سنة ١٩٦٤ وزاد نصيبهم من ملكية الاطيان الزراعية خلال تلك الفترة من ٦٥٤٠٠ فدان الى ٨١٢٠٠٠ فدان اى من ٩ر١٠٪ الى ٣ر١٣٪ من مجموع الاراضى الزراعية .

● ان المساحة التى تغطيها الحدائق والبساتين وهى زراعة راسمالية من الدرجة الاولى قد تضاعفت تقريبا خلال الفترة ٥٢ — ٦٤ فارتفعت من ٩٤٠٠٠ فدان سنة ١٩٥٢ الى ١٧١٠٠٠ فدان سنة ١٩٦٤ واتسعت كذلك المزارع الحيوانية .

● ارتفاع عوائد التمليك المحققة فى الزراعة (اى فائض القيمة الذى يشمل الريع الزراعى + الربح الزراعى + الفائدة على راس المال المستثمرة فى الزراعة) خلال السنوات الخمس الماضية (٦٠/٦٥) من ٣٠٧ مليون جنيه سنة ٦٠ الى ٩ر٣٦٠ مليون جنيه سنة ١٩٦٥ اى بزيادة قدرها ٩ر٥٣ مليون جنيه وبنسبة زيادة قدرها ٦ر١٧٪ وكانت الزيادة المحققة فى عوائد التمليك خلال تلك الفترة من نصيب راس المال الزراعى فى صورة ارباح زراعية آلت اساسا الى الراسمالية الزراعية ذلك ان حجم الريع العقارى الزراعى (دخل ملاك الاراضى من ايجار الاطيان الزراعية) ظل ثابتا طوال تلك الفترة فهو محدد بحكم القانون ومن ناحية اخرى لايحصل راس المال المصرفى (القروض التى تقدم للزراعة) على عوائد تمليك تذكر فى ظل نظام الائتمان الرخيص والمجانى (قروض بنك التسليف الزراعى) .

ويرجع نمو واتساع الراسمالية الريفية لعدة عوامل هامة :

● فقد دفع التحديد المطرد للملكية والحيازة الزراعية وتحديد الريع العقارى (القيمة الايجارية) كبار الملاك الى احلال اسلوب الانتاج الراسمالى محل اسلوب الانتاج الاقطاعى القائم على الايجار والمزارعة لتعويض ما طرا على دخولهم من انخفاض فالزراعة على الذمة اوفر دخلا واكسب للمالك الكبير من الايجار بعد ان انخفضت قيمته . ولهذا تحول عدد كبير من كبار الملاك من مصاف الاقطاعيين الى صفوف الراسماليين . . ومن ناحية اخرى تحول عدد كبير من المستاجرين فى اراضى هؤلاء الملاك الى عمال زراعيين ولقد كشفت الحراسة التى فرضتها لجنة تصفية الاقطاع عن حقيقة اقتصادية واجتماعية هامة وهى ان عدد كبيرا ممن فرضت عليهم الحراسة من كبار الملاك كانوا يزرعون اطيانهم زراعة راسمالية تعتمد على استغلال العمل الماجور واذا اخذنا عائلة الفقى فى كمشيش على سبيل المثال فاننا نجد انها بعد الاصلاح الزراعى الثانى وحتى بعد الحراسة التى فرضت عليها سنة ١٩٦١ قد تحولت بالفعل من الاستغلال الاقطاعى الى الاستغلال الراسمالى فى ارقى صوره ، فقد كانت تملك وتدير مزرعة لتربية الماشية وانتاج الالبان فى ابيس وتشتغل بالاعمال التجارية ، وتحصل من المزرعة وحدها على دخل شهرى يزيد على الالف جنيه .

● كما اجاز قانون الاصلاح الزراعى الاول لكبار الملاك التصرف فى الاطيان الزائدة عن القدر الحائز تملكه قانونا الى الفلاحين الذين يملكون اقل من عشرة افدنة وبلغت المساحة المتصرف منها ٠٠٠ر١٤٥ فدان كان معظمها من نصيب اغنياء الريف فهم وحدهم القادرون على دفع الثمن .

● استفاد اغنياء الفلاحين من المستأجرين (من ١٠ — ٥٠ فدان) من تخفيض القيمة الايجارية للاطيان الزراعية وتحديدها بسبعة امثال الضريبة فانخفض الريع العقارى الذى يدفعونه الى ملاك الاراضي بنسبة تصل الى ٥٠٪ وقد مكنهم هذا التخفيض من توسيع استثماراتهم الرأسمالية في الزراعة .

● وايضا تمكن اغنياء الفلاحين بالتحالف مع كبار الملاك (قبل ١٩٦١) من السيطرة على الجمعيات التعاونية الزراعية ومن وضعها في خدمة الاستغلال الراسمالي في الزراعة وذلك على حساب غالبية الفلاحين الساحقة . ولقد تصدت الدولة لهذا الاتجاه فاصدرت سنة ١٩٦١ قانونا يجعل اربعة اخماس المقاعد في مجالس ادارات الجمعيات التعاونية من نصيب الفلاحين الذين لاتزيد حيازتهم عن خمسة افدنة غير انه في ظروف غيبة التنظيم الثورى الطليعي في الريف تمكن اغنياء الفلاحين بالتحالف مع كبار الملاك من تمويل هذا المكسب الثورى الى مجرد مكسب شكلى فقد نجحوا في وضع رجالهم في مجالس ادارات الجمعيات التعاونية ضمن نسبة الـ ٤/٥ المخصصة لصغار الفلاحين .

● ولقد اتسم النشاط الراسمالي في الزراعة بطابع طفيلى لعل ابرز مظاهره استغلال البرجوازية الريفية لنظام الائتمان الزراعي فلقد بلغ رصيد الديون المتأخرة على المزارعين الرأسماليين (اكثر من ٢٥ فدان) ويكونون ١ر٢٪ من مجموع الحائزين لحساب مؤسسة الاستثمار الزراعي والتعاني ٦٠ مليون جنيه اى ٧٥٪ من اجمالي المتأخرات التى بلغت ٨٠مليون جنيه ومعنى هذا ببساطة ان الرأسمالية الزراعية تحول بهذه الطريقة راس المال العام المملوك للدولة (القروض التى تقدمها المؤسسة) الى رأس مال خاص اى انها تستخدم القطاع العام في التنمية الرأسمالية في الزراعة . ويضيع نظام التسويق التعاوني للمحاصيل الزراعية سلاحا هاما في يد الدولة لتصفية هذا الاتجاه الطفيلى عن طريق حجز مستحقاتها عند المنبع بالخصم من اصل ثمن المحاصيل الخاضعة للتسويق وقد شرعت الدولة في تطبيق هذه السياسة بحزم .

● كما يتمثل الاستغلال الرأسمالي الطفيلى في الزراعة في الايام الخيالية التى يحصل عليها الرأسماليون الزراعيون من تأجير آلاتهم الزراعية لصغار الفلاحين بالاجرة الفاحشة فسعر حرث الفدان الواحد ٣٠٠ قرش في حين ان سعر التكلفة لايتجاوز ١٣٠ قرشا وهم في هذا يستغلون مركزهم الاحتكارى ، اذ تملك الرأسمالية الريفية ١٢٦٧٢ جرارا اى حوالى ٨٣٪ من مجموع الجرارات العاملة في الزراعة المصرية والتى يقدر عددها بـ ١٣٧٥٢ جرارا في حين ان الجمعيات التعاونية الزراعية لاتملك غير ٨٪ من مجموع الجرارات (١٠٨٠ جرار) وما يحدث في الحرث يحدث ايضا بالنسبة لالات الرى ومن ناحية اخرى تحاول الرأسمالية الريفية تخريب التجارب الرائدة في التنظيم الزراعى والتى تهدف خلق زراعة اليسة حديثة في بلادنا . فعن طريق عملائهم في الجمعيات التعاونية يستغلون جراراتها في زراعاتهم مستفيدين بالسعر الرخيص (سعر التكلفة) ويلجأون الى تعطيل جرارات الجمعية اذ انها نافست جراراتهم . والجمعية التعاونية في ابشنا مركز بنى سويف تقدم نموذجا واضحا لهذه الظاهرة .

ولقد ادى تزايد الوزن الاقتصادي والاجتماعي للراسمالية الريفية الى اتساع ونمو نفوذهـا السياسي على حساب جماهير الفلاحين فهى اليوم وفى ظروف غيبة التنظيم السياسي الطليعي في الريف تحتل مكان القيادة والصدارة داخل مختلف المؤسسات والمنظمات الجماهيرية القائمة في الريف (لجان الاتحاد الاشتراكي والجمعيات التعاونية والمجالس القروية فضلا عن تسربها الى المنظمات النقابية في الريف) .

● واذا كان التطور الراسمالي ونمو الرأسمالية في الريف يشكل الظاهرة الرئيسية والاتجاه العام الا ان هذا لاينفي وجود واستمرار العلاقات الاقتصادية والاجتماعية الاقطاعية بل ان بعض المناطق الريفية تشهد ازدهارها من جديد (لكن في اطار جديد وفى ظل ظروف نوعية جديدة بنظام (النسايب) او المزارعة وهو اسلوب انتاج شبه اقطاعى متخلف لم يتحطم نتيجة لنمو الرأسمالية في الريف بل ازدهر في العديد من القرى ، ففى قرية بسندبلة على سبيل المثال نجد ان ٩٨٣ فدانا اي ٤٢٪ من زمام القرية البالغ مساحتها ٢٣٥٠ فدانا مملوكة لعشرة ملاك يزرعونها بالمزارعة وكلهم ملاك غائبون يديرون اطيانهم بواسطة وكلائهم .

ويمكن نظام المزارعة المالك الكبير الغائب عن القرية من نهب واستنزاف واستغلال الفلاحين .

● فالحيازة مسجلة باسم المالك في الجمعية التعاونية ولذلك فهو الذى يستولى على كافة السلفيات النقدية والعينية فهى تخرج باسمه

وهو الذى يتصرف فيها كيفما شاء بغير حساب وبلا رقابة وبغير علم الفلاح المشارك وهى تقيد فى النهاية تحت بند مصاريف زراعيـــة يتحملها الفلاح الصغير .

● ان المالك بصفته صاحب الحيازة يقوم فى ظل نظام التسويق التعاونى بتسليم المحصـــول الى شونة بنك التسليف وهو الـــذى يقبض ثمن المحصـــول وبهـــذا يضـــع نظام المــزارعـــة تحت رحمة كبار المـــلاك ويفتح نظام المزارعـــة الباب على مصراعيه للتلاعب بحقوق الفلاحـــين واستنزاف ونهب ثمار عملهم . وبفضل كبـــار الملاك الغائبين هذا النمط المتخلف من الاستغلال على الايجار التقليدى لانه مكنهم من الاحتفـــاظ بحيازتهم للارض وبالتالى من استمرار سيطرتهم على الفلاحين وهم ايضا يفضلونه على الزراعة الراسمالية وخاصة فى ظروف ارتفاع اجر اليد العاملة وكذلك لان الزراعة على الذمـــة تقتضى الاقامة فى القرية .

● ولقد شرعت الثورة فى مواجهـــة هـــذه التطورات السلبية فشكلت « لجنة تصـــفية الاقطـــاع » التى لاتقتصر مهمتهـــا على ضرب الملكية الاقطاعية الكبيرة انما ايضا تصفية نفوذ القوى الرجعية فى الاتحاد الاشتراكى وفى الجهاز الادارى العامل فى الريف، وتطوير « العـــلاقات الاجتماعية» فى الريف. غير ان السياسة الزراعية لاتزال متخلفة عن هذه الخطوات الثورية وذلك من عدة وجوه :

● ففى ميدان الائتمان الزراعى لابد من اعادة النظر فى نظام الائتمان المجانى الذى تســـتخدمه الراسمالية الزراعية فى تدعيم التطور الراسمالى فى الزراعة وهذا يقتضى ان يكون اقراض اغنياء الفلاحين بالفائدة .

● وفى مجال التنظيم الزراعى ينبغى اعـــادة النظر فى نظام تقديم الخدمة الالية لاغنياء الفلاحين باسعار التكلفة وانما يكون تقديمها وفقا لنظـــام تعريفة تصاعدية .

● ولابد ايضـــا من سد الثغـــرات وحل التناقضات القائمة فى نظام التســـويق التعاونى وخاصة تسويق الارز اذ ان النظام المعمول به حاليا لايميز بين الفلاح الصغير والحائز الـــكبير فالفلاح الصغير الذى يزرع فدان ارز يلزم بتسليم ١,٥ ضريبة فى حين ان انتاج الفـــدان من الارز فى المتوسط لايزيد على ضريبتين فلايتبقى له الانصف ضريبة وهى لا تكفى لاستهلاكه الشخصى ولسداد التزاماته . اماحائز الـــ ٢٥ فدانا مثلا فيلزم بتوريد ٣٧,٥ ضريبة ويحتفظ بفائض يصـــل الى ١٢,٥ ضريبة وهذا النظام فضلا عن منافاته للعـــدالة يضع فى ايدى البرجوازية الريفية جانبا هامـــا من فائض انتاج الارز تستخدمه فى المضاربة وفى خلق السوق السوداء فضلا عن عدم الاستفادة بجانب من المحصول فى التوســـع فى التصـــدير للحصول على العملة الصعبة اللازمة للتنميـــة الاقتصادية .

● وفى ميدان التنظيم التعاونى : تطوير وتدعيم الجمعيات التعاونية الزراعيـــة بعد ان اتســـع نشاطها واصبحت تلعب دورا متزايدا فى اعـــادة صياغة القاعدة الجادة والتكتيكية للزراعة فى اطار مشروع « التنظيم الزراعى » الذى يجرى الان تطبيقه على نطاق واسع .

وهذا يقتضى ان يكون للجمعيـــة التعاونيـــة الزراعية السيطرة على العلاقات الاجتماعية ـــ الاقتصادية فى القرية فتكون الجمعية التعاونيـــة طرفا فى كل علاقة تأجيرية ولا يترك الامر لرغبة الملاك واختيارهم والا تحولت الجمعيـــة الى محصل يحصل الاجرة للمالك .

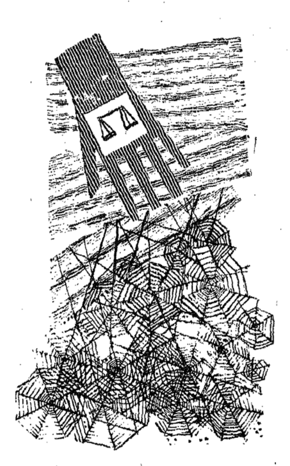
ومن ناحية اخرى يقتضى تدعيـــم الجمعيـــات التعاونية الزراعية ضرورة تمثيل العمال الزراعيين فى مجالس اداراتها بعد ان اتسع اســـتخدام العمل المأجور فى الزراعة .

● واخيرا لقد آن الاوان لتطوير السياســـة الضريبية بالنسبة للزراعة فمن المعـــروف ان الزراعة هى النشاط الاقتصادى الوحيـــد الذى لايخضع لاى ضريبة نوعية .

ومن هذا كله يتضح ان الدولة تستطيع عن طريق سياسة الائتمان وسياسة الاسعار والسياسة الضريبية امتصـــاص جانب هـــام من الفـــائض الاقتصادى المتولد فى القطاع الراسمالى فى الزراعة تستخدمه فى البناء الاقتصادى وفى التنمية .

قانون الاصلاح الزراعي بين الثورة وكبار الملاك

طارق البشري



عند صدور قانون الاصلاح الزراعي لم يقابل بمقاومة سافرة من كبار الملاك . لقد ضرب القانون المصالح الاقتصادية ، وقيد ملكية نحو الفين ممن كانوا الطبقة الحاكمة ، وأخضع للاستيلاء نحو ستمائة ألف فدان — قرابة عشر الاراضي المنزرعة في مصر ، ومع ذلك لايكاد يذكر الا حادث عدلي لملوم — الشاب الاقطاعي المغامر — الذي شهر في سذاجة راية العصيان على تحديد الملكية ، فحكم عليه بالاشغال الشاقة ، وانتهى الامر سريعا وجرى تنفيذ القانون في سلام ، وتقدمت الغالبية من الملاك باقرارات ملكيتهم للاستيلاء على الزائد منها انصياعا لحكم القانون .

واذا كان ذلك يكشف عن ضعف هذه الطبقة فان **حادثة كمشيش** وما كشفت عنه اللجنة العليا لتصفية الاقطاع بعد أربعة عشر عاما من **« حادث لملوم »** ، يظهر مدى ماتميزت به هذه الطبقة من قدرة على البقاء ومن مجاهدة للاحتفاظ باكبر قدر ممكن من السلطة والنفوذ .

عدلي لملوم سنة ١٩٥٢ ، وصلاح الفقي سنة ١٩٦٦ ، علامتان على ضعف الرجعية وقوتها في نفس الوقت ، على هزيمتها وعلى قدرتها

على الاحتفاظ بالوجود معا ، على الخضوع وعلى التمرد المستتر والقدرة على الالتفاف سـواء بسواء . وبين هذين الحادثين جرت قصة الصراع على الارض بين الثورة وأعدائها .

وان دراسة تشريع الاصلاح الزراعي وتعديلاته خلال الاربعة عشر عاما الماضية تعكس الصراع الطبقي في الريف ، وتصور الاسلوب الذي دار به هذا الصراع ، وتظهر اساليب المقاومة الرجعية وبحثها الدؤوب المتلصص عن لثغرات والفجوات ، واستفادتها من رصيد نفوذها في الماضي على الاجهزة الادارية ومن روابطها الفكرية والعائلية ببعض العاملين فيها . كما تؤكد الدراسة صلابة الحركة الثورية وعنادها وتصديها الواعي لمشاكل التطبيق .

وتظهر دراسة هذا التشريع ، موقف الثورة من الراسمالية المحلية في الزراعة ، وهو الموقف الذي بدأ بالتشجيع وفتح امكانيات التطور امامها لتقوم بدورها في تنمية الانتاج الزراعي ، ثم انتهى الى تصدى الثورة لتقليمها ، بعد اذ ظهر افلاس الفئات ذات النفوذ منها عن ان تقوم بالتنمية واستصلاح الاراضي ، وبعد اذ ظهر ان لها من الروابط بالاقطاع ما مكنه من الاستفادة مما اتيح لها من امكانيات .

ويعكس هذا التقرير ، الظروف السياسية التى حكمت تنفيذ الاصلاح الزراعي ، وهي الظروف التى استخدمتها قيادة الثورة ببراعة وحققت بها الكثير ، ولكنها اوجبت عليها خلال السنين الماضية أن تأخذ على عاتقها عبء تنفيذ القانون قبل استكمال التشكيلات الجماهيرية والسياسية ذات الاثر الحاسم في تصفية الاقطاع

واذا كان هذا التقرير يتسم بطابع التحليل النقدي ، فان ذلك لايعنى التقليل من اهمية وخطورة ماتم انجازه فعلا . والاصلاح الزراعي من أهم مكاسب الشعب ومن اخطر ماعرف تاريخ مجتمعنا من تغيير . والقصد هنا ليس تقييم الاصلاح الزراعي في عمومه، ولكن محاولة الاجابة على التساؤل : **ماهي ثغرات التشريع والتنفيذ في الاصلاح الزراعي؟ وكيف تمكن الاقطاع من التحايل عليه ، بالنسبة لتحديد الملكية ، وبالنسبة لنظام الايجار ؟**

تحديد الملكية

حدد قانون الاصلاح الزراعي الملكية سنة ١٩٥٢ بمائتي فدان واوجب **الاستيلاء على ما يزيد** لدى كل مالك عن هذا القدر خلال خمس سنوات من صدوره ، وان يبدأ بالاستيلاء على اكبر الملكيات الزراعية سواء تجمعت في يد فرد أو اسرة . وفي نوفمبر ١٩٥٢ بدىء بالاستيلاء على ملكيات الفئات العليا من الاقطاعيين .. العائلة المالكة البدراوى ، سراج الدين ، ويصا .. الخ .

واستثنى القانون من تحديد الملكية الاراضي البور المملوكة للافراد لمدة خمسة وعشرين عاما من وقت التملك ، والاراضي التي تستصلحها الشركات ، واراضي البناء ، والاراضي الزراعية المملوكة للشركات الصناعية القائمة بالقدر اللازم لاستغلالها الصناعي ، وكذلك ما تملكه الجمعيات الزراعية العلمية القائمة ، والجمعيات الخيرية لمدة عشر سنوات . كما اجاز لاى فرد ان يمتلك مايزيد عن مائتي فدان اذا كانت الزيادة قد آلت اليه بعد صدور القانون بالميراث او الوصية او يرسو مزاد مدينه عليه وذلك لمدة سنة واحدة يتصرف في الارض خلالها أو تستولي الحكومة عليها .

ونص القانون على الا يستبعد من الاستيلاء ماسبق للمالك ان باعه الا اذا ثبت ان البيع قد تم قبل ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ، فان كان البيع لاولاده أو زوجته أو حفدته وجب ان يثبت تمام البيع قبل أول يناير ١٩٤٤ .

وبالنسبة للارض الخاضعة للاستيلاء ، اجاز القانون للمالك خلال خمس سنوات من صدوره — وقبل الاستيلاء على الارض — ان يبيع ٥٠ فدانا لكل من أولاده بحد اقصى ١٠٠ فدان ، وان يبيع اية كمية الى صغار الزراع ممن لايملك أى منهم اكثر من عشرة افدنة ، بشرط الا يزيد المبيع لكل منهم عن خمسة افدنة وان يكون المشتري محترفا للزراعة . كما اجاز له ان يبيع ارض الحدائق الى خريجي المعاهد الزراعية في حدود ٢٠ فدانا لكل مشتر .

وفى ١٤ سبتمبر ١٩٥٢ صدر قانون بالغاء الوقف الاهلى . ونص على ان تنتقل ملكية الاراضي الموقوفة الى الواقف ان كان حيا أو الى المستحقين الحاليين . وتحسب الارض في ملكيتهم وتخضع لقانون الاصلاح الزراعي (٥) .

والملاحظ على ذلك :

١ — ان أهم الاستثناءات يتعلق بالاراضي البور المملوكة للافراد أو الشركات . وقد قصد به تشجيع الراسمالية في مجال الزراعة على التنمية ثم ظهر بعد ذلك عجزها عن القيام بهذا الدور ،

فحددت ملكية الاراضي البور بمائتى فدان بالقانون ١٤٨ ــ ١٩٥٧ ، ثم الغى الاستثناء كلية بالقانون ١٢٧ ــ ١٩٦١ ، وأممت معظم شركات الاستصلاح وتولت الدولة عملية استصلاح الاراضي برمتها . ولكن استفاد الملاك من هذا الاستثناء خــلال الفترة الاولى واخرجوا من الاستيلاء اراض يشهد لها بالخصب ووفرة المحصول ، فلما قيدت ملكية الاراضي البور ثم الغيت كانوا قد تصرفوا فى جزء كبير منها لاولادهم او لغيرهم .

٢ ــ اجاز القانون للملاك بيع اراضيهم لصغار الزراع ، وفرض على الارض الخاضعة للاستيلاء ضريبة اضافية تبلغ خمسة امثال الضريبة الاصلية ليبادروا ببيعها . وسمى هذا البيع وقتها «التوزيع الاختيارى» الذى يجريه المالك تخفيفــا للعبء الملقى على اجهزة الاصلاح الزراعى فى الاستيلاء والتوزيع . وقد استغل الملاك هذا الحكم اسوا استغلال وكثرت البيوع الصورية مما ادى الى تدخل الدولة ووقف هذه البيوع اعتبارا مــن اكتوبر سنة ١٩٥٣ ، ولكن كان قد بيع فقط نحو ١٤٥ الف فدان ــ قرابة ربع الارض الخاضعة للاستيلاء .

٣ ــ استبعد القانون من الاستيلاء ماســبق للمالك ان باعه من ارضه بشرط ان يثبت حصول البيع قبل ٢٣ يوليه ١٩٥٢ أو اول يناير ١٩٤٤ . وكان هذا البحث من صور التطبيق الادارى للقانون وكان من اخطر الثغرات فيه .

اجراءات الاستيلاء

رسمت اجراءات الاستيلاء بالقانون ولائحته التنفيذية .ومؤداها ان تنشأ اللجنة العليا للاصلاح الزراعى لتتولى عمليات الاستيلاء والتوزيع . وانه يجب على كل من تزيد ملكيته عن مائتى فدان ان يقدم الى اللجنة العليا اقرارا يبين به مســاحة الارض التى يملكها ، ويحدد المائتى فدان التى يريد الاحتفاظ بها ، والمساحات التى يتركها للاستيلاء وذلك خلال موعد لايتجاوز ٣١ يناير ١٩٥٣ . وان يبلغ اللجنة العليا بكل تصرف يجريه فى ارضــه لاولاده او لصغار الزراع . ثم تصدر اللجنــة العليا قرارا بالاســتيلاء الابتدائى على الارض الزائدة على المائتى فدان ويبلغ القرار للمــالك ويرسل الى مصلحة المساحة لتحديد الارض بوضع الحدايد ورفعها على الخرائط حســب ارشــاد ذوى الشأن (الملاك او وكلاؤهم) » ورجــال الادارة المحلية (العمدة .. الخ) ثم تشكل لجنة فرعية لتسلم الارض وحصر ماتتسلمه عليها من منشآت واشجار وتقدير قيمتها . ويخطر المالك بموعد انتقال اللجنة الى ارضه لتسلمها ويحرر محضر بالاستلام .

وبعد ذلك يبدأ دور اللجان ، فتشكل لجــنة لنظر معارضات الملاك فى تقدير قيمة المنشــآت ولجنة لمعاينة الاراضي البور ، ولجنة لبحث طلبات الشركات لاستثنائها من تطبيق القانون ، ولجنة لقسمة الاراضي المشاع المستولى على جزء منها ولكل من هذه اللجان جهة يتظلم اليها المالك من قراراتها .

وبالنسبة للمنازعات القانونية ، تشكل لجنة قضائية برئاسة مستشار من محكمة الاستئناف ، يقدم اليها المالك ــ او من يدعى ملكية الارض ــ طلباتهم لاستبعاد الارض من الاستيلاء لعــدم خضوعها للقانون اما بسبب بيعها ، أو بســبب امتلاك الغير لها ، وتصدر اللجنة قرارها بعــد البحث ، ثم يحال القرار الى ادارة الفتوى بمجلس الدولة لابداء الراى فيه ، وقد يحال الى اللجان الرئاسية بمجلس الدولة ، ثم يرسل الراى الى اللجنة العليا . كما تبحث اللجنة اعليا ــ والادارات الملحقة بها تصرفات الملاك لتحــدد مايخرج من الاستيلاء طبقا لها . وفى كل هذه المراحل يمكن للمالك ان يقدم تظلماته فتبحث وتحقق مما اقتضى سنوات طويلة . ثم بعد ذلك يصدر قرار الاستيلاء النهائى الذى يحدد ملكية الارض للحكومة ، ثم تجرى اجراءات التوزيع وبحث حالة الفلاحين الذين ستوزع عليهم .

والملاحظ على ذلك :

١ ــ ان تنفيذ القانون يعتمد على جهاز اللجنة العليا وحده ، دون اعتماد على الفلاحين ، ودون ان تكون ثمة مؤسسات جماهيرية تساهم فى التنفيذ . واستتبع ذلك ان يعتمد فى بحث ملكية الملاك على « تحقيق المستندات » لاعلى التنقيب الفعلى على الطبيعة . واصبح معرفة مايملكه اى فرد ، عملية قانونية ومكتبية فحسب ، بعيده عن العمل السياسى ، وهذا مــادى الى ان يلجأ القانون الى بحث تصرفات المالك السابقة والتأكد من صحتها لا عن طريق خروجها من حيازته فعلا ولكن عن طريق البحث المستندى لثبوت تاريخ التصرف مما فتح سبيل التلاعب .

٢ ــ ان تحديد ملكية الملاك يعتمد اساسا على الاقرار الذى يتقدم به المالك نفسه ، ويدرج به

المساحات التى يملكها . واذا كان الملاك قد قدموا هذه الاقرارات بشكل عام وبينوا بها مايمتلكون خشية العقاب الذى فرضه القانون ، فقد مكن ذلك بعضهم ان يسقط جزءا من اراضيه، ان استطاع «تغطية» الامر من الناحية القانونية كما لو اشتراها بعقد عرفى لم يسجل ، او لم ينقل تكليفها باسمه او كانت ارضا مشاعا أو غير ذلك مما يشك فى امكان اكتشاف الجهات الادارية للتهريب بطريق بحث المستندات . والحاصل ان كثيرا من الاراضى غير مكلف باسماء حائزيها الفعليين اليوم أو شائعة فى اراض اخرى لن تشهر قسمتها .

٣ — يظهر من متابعة الاجراءات السابقة ان التصور القائم فى التشريع هو ان الاستيلاء عملية تتم بين جهاز الاصلاح الزراعى والملاك وجميع الاجراءات دائرة فى هذا المجال .

٤ — أدى الاعتماد فى التنفيذ على الجهاز الادارى وحده ، وعلى المستندات وحدها الى تعقيد الاجراءات وتشعبها والى البطء فى التنفيذ حتى استغرق سنوات طويلة. وكان من اثر ذلك ان افتقد الفلاحون الاحساس بالطابع الثورى للعملية ، والاحساس بالصلة المباشرة بين تجريد الملاك من املاكهم وتوزيعها عليهم ، ومن شأن ذلك ان يضعف حماسهم ومبادرتهم . ومن شأن التعقيد والابطاء فى التنفيذ ان يمكن الملاك من فرص التدبر فى شئونهم وكشف ثغرات التنفيذ والتشريع واصطناع الاوراق التى تفيد فى اخراج الارض من الاستيلاء. وطبع البطء العملية بطابع الروتينية طابع طرق الحديد باردا . واشاع ذلك فى المنفذين عدم الاحساس بالجانب الثورى والسياسى فى العمل ، واتاح للمفاهيم المتخلفة ان تبقى ، وللقوى المحافظة ان تؤثر فى التطبيق تاثيرها الهام .

جهاز الاصلاح الزراعى

نص القانون على انشاء اللجنة العليا للاصلاح الزراعى التى تتولى عمليات الاستيلاء والتوزيع والفصل فى الاعتراضات المتعلقة بالاستيلاء، وادارة الارض حتى يتم توزيعها .

وقد كان انشاء لجنة عليا لها هذه الصلاحيات الكبيرة ، ومستقلة فى عملها عن جهاز الادارة التقليدى بتقاليده الراسخة وروتينيات عمله، كان ذلك حسنا فى ذاته ، وكفل فى التنفيذ تيسيرات هامة وجوهرية . ولكن الاعتماد على هذا الجهاز وحده فى تنفيذ القانون ،دون مشاركة جماهير الفلاحين أضفى على التنفيذ طابع العمليات الادارية وافتقدت فيه روح المعارك السياسية .

والحاصل ان ثورة ٢٣ يولية قامت من خلال الحالة الثورية الشعبية المتفجرة وقتها ، وبفضل حركة الضباط الاحرار واستيلائها على السلطة السياسية وامساكها بزمام الدولة . وصدر الاصلاح الزراعى اعتمادا على القوة الثورية الموجودة باعلى السلطة وعلى التأييد الشعبى الواسع . ولكن لم يكن لتنظيم الضباط الاحرار امتدادات تنظيمية بين الجماهير ، كما ادت ظروف سياسية وتاريخية معقدة الى عزلة التنظيمات الثورية العاملة بين الجماهير عن الثورة خلال هذه الفترة . فكان فقدان وجود التنظيم السياسى الذى يخوض مع الجماهير معارك تنفيذ القانون مما اضطر قيادة الثورة الى ان تعتمد فى تنفيذه على جهاز الدولة القائم (بعد ان صفت العناصر ذات العداء الصريح لاهدافها وذات الولاء السافر للنظام القديم) وساهم الاعتماد على جهاز الادارة فى ان يطبع التنفيذ بالنزعة المكتبية وبعادات العمل الحكومى التقليدى وبعدم الوعى الكامل بالاهداف الاجتماعية للقانون وبالبعد عن الفلاحين والحذر منهم . وانسم التنفيذ على نحو عام بالخضوع غير الواعى لقيادة الثورة، مما ضمن نجاحه بشكل عام، ولكنه مكن للاتجاهات المحافظة داخل الجهاز لان تعمل فى حرية نسبية فى العمل اليومى والتفصيلى .

وعند أول تشكيل هذا الجهاز ، ضم بعض العناصر ذات الاتجاهات الراسمالية المحافظة، التى نظرت الى الاصلاح الزراعى كاجراء — وان استلزمته الظروف الاقتصادية — فلا ينبغى ان تصل آثاره الاجتماعية الى اعماقها ، والواجب ان يخضع للمصالح الراسمالية ومفاهيمها التى تقدس الملكية الخاصة والمشروع الفردى . كما كان لهذه العناصر من الروابط الاجتماعية والسياسية التاريخية بالطبقات المالكة الكبيرة ، ماحاولت به ان تلجم القانون فى التنفيذ ، وان تهىء للخاضعين له من كبار الملاك فرص الاستفادة الكاملة من فجواته . ويظهر نفوذ هذا الاتجاه واضحا خلال السنوات الاولى من الاصلاح الزراعى ، منعكسا فى بعض القوانين التى صدرت وبعض التفسيرات التشريعية التى كانت تصدرها اللجنة العليا .

وفى ذات الوقت جند للعمل بالوظائف الرئيسية فى جهاز الاصلاح الزراعى ، بعض كبار الموظفين الذين كانوا يعملون فى مزارع الملك السابق «الخاصة الملكية» ووزارة الاوقاف . وكان للكثير من هؤلاء — بحكم قضائهم مراحل طويلة من

حياتهم بهذه الجهات . من عادات العمل ووجهات النظر مايتعارض مع الهدف الرئيسى للقانـون وهو ضرب الاقطاع والانحياز للفلاحين . وتتسم نظرتهم بتمجيد العائلات الكبيرة وازدراء الفلاح والحذر منه ، وبانها مزيج من نظرة المالك الكبير والبيروقراطى الكبير .

وكانت الاجهزة القانونية العاملة فى هـذا المجال يسيطر عليهـا الفكر القانونى السـائد الذى يؤكد على قداسة الملكية الخاصة ، وسلطان الادارة الفردية ، ويعتبر الاستيلاء عدوانا على هذين المفهومين فينبغى حصره فى اضيق نطاق ؛ ويدعم ذلك كله اضطرار العمل القانونى الـى الاعتماد على القوانين القائمة وهى تصدر عـن هذه النظرة وتحميها . وكل ذلك يحد من تطبيق الاصلاح الزراعى . كما ان الوظائف الرئيسية فى هذه الاجهزة تتكون من عناصر محافظة مرتبطة من الناحية الطبقية بكبار الملاك والراسماليين ، وكانت الرجعية فى الماضى تحرص على جعـل جهاز القضاء وقفا على ابنائها لتضمن السيطرة عليه . ويكفى لتقدير خطورة هذا الوضـــع ان احد رؤساء هذه الاجهزة انطبق عليه قانون الاصلاح الزراعى ١٩٦١ ، وانه واحد خلفائـــه يرتبطون بعائلات خضعت للقانونين الاول والثانى وخضع بعضها للحراسة اخيرا بسبب تهريـب الارض . وان احد رؤساء اللجنة القضائيـــة للاصلاح الزراعى خضع للحراسة كذلك بسبب تهريب الارض ، وكان لذلك اثره الهام فى تنفيذ القانون .

وكان ما يضمن سلامة التنفيذ فى عمومه ، هو هيبة النظام الثورى ، وحرص قيادة الثورة على التنفيذ ، والانضباط الوظيفى لاوامر قيادة الدولة ومن جهة ثانية ، فقد كانت المهمة الموكولة لهذا الجهاز تؤكد طابعه مع الايام وذلك مادام مدفوعا للعمل قائما بتحقيق هدفه . والكثير من العاملين فيه فى المستويات الادنى ، ذوى اصول طبقيـــة شعبية وهم فى عملهم اليومى يصطدمون بالاقطاع ومصالحه . وادى ذلك الى ان هؤلاء العاملين وان لم يتلقوا التوعية السياسية الواجبة ، وجدوا انفسهم فى موقف الصدام مع مصالح الاقطاعيين واكتسبوا بذلك وعيا باساليبه والتواءاته ، فكان الاســتيلاء فى ارض الاقطـاعيين بالنسبة لهـم وظيفة وتخصصا فنيا . وذلك يوضح اهمية العمل على رفع هذه الخبرة العملية الى مستوياتـــها السياسية ، وخصوبة هذا العمل بين من ساهموا فى انجاز المهام الثورية الخطيرة دون استيعاب كامل لابعادها السياسية)

والخلاصة من ذلك ، ان اجهزة الاصـــلاح الزراعى وان حققت الكثير من النتائج الايجابية فقد كانماا عترى الجهاز عند تشكيله منسلبيات سببا فى افتقاد عمله روح المعركة السياســية فى واحدة من اهم معارك ثورتنا ، فغاض حـماس الجماهير ، ولم ينظر الفلاحون لجهاز الاصلاح الزراعى كقيادة ثورية لهم فى معركتهم هم ضـد الاقطاع وتشكلت علاقتهم به كعلاقتهم بالاجهزة الاخرى كبنك التسليف او وزارة الاشغال . وكان وجود هذهالسلبيات المجالالذىفتح الثغرةالثالثة التى مكنت الملاك من تهريب جزء من اراضيهم

الملاك والقانون

توافرت اذن ثلاثة عوامل مكنت الملاك مـن تهريب بعض اراضيهم :ثغرات فى القانون ذاته منشؤها ماشمله من استثناءات وترخيص للملاك بالبيع واعتماد على الحقائق المكتبية ، واجراءات طويلة معقدة تتم بمعزل عن الجماهير ولا تعترف الا بجهة الاستيلاء والمالك ، وجهاز منفذ تفتقد بعض قياداته الوعى وتتسم بعضها بالانتماء الفكرى أو الطبقى للاتجاهات المحافظة ومصالحها .

وعندما صدر القانون اراد الملاك اقتحامه من الخارج . وعرف عام ١٩٥٣ قضايا هامة طعن بها الملاك فى دستورية الاصلاح الزراعى والغاء الوقف . ولكنالطعن فىدستورية هذين القانونين كان يعنى من الناحية السياسية الطعن فى شرعية النظام الثورى الذى تؤيده الجماهير وتدعمــه سلطة القيادة الثورية ، ففشل الهجوم . فحاولوا اخراج المساحات الشاسعة مستغلين بعـض نواقص الصـــياغة التشريعية للقانون ومجندين لذلكمهارات كبارالمحامين، فطلب الامير محمد على اخراج مساحة كبيرة يملكها يكردون مدينة القاهرة بدعوى انها ارض بناء ، وكذلك فعل احمد عبود فى ارمنت ومجمد سلطان فى المنيا ، ولكن صدرت تفسيرات تشريعية تسد هذه الثغرات ، ولـم ينجحوا الا فى اخراج مساحات قليلة نسـبيا . كذلك حاولوا الاستفادة من تشريع الغاء الوقف الذى كان يجيز للواقف ان يصدر اقرارا بـان الوقف على المستحقين التاليين له كان نـظير عوض مالى ، فاصدر الواقفون الخاضـــــعون للاصلاح الزراعى هذه الاقرارات لتؤول الارض الى المستحقين ويتجزأ ملكيتها عليهم فتخرج من الاستيلاء ، ولكن صدر تفسير تشريعى بمنع ذلك فطعنوا فى دستوريته وفشلوا .

وباءت بالفشل محاولات الملاك لهدم القانون من خارجه او من داخله . وعرفوا ان القانون

محمى بسلطة قيادة الدولة وتأييد الشعب ، وان ركائزهم لن تفيد فى هذه المهمة ، انما تفيد فى العمل اليومى ومن خلال المسائل الجزئيـــة والاحـــكام التفصيلية وبالتفاف ومناورة وبغير مواجهة صريحة فبداوا صراعهم الطويل الدؤوب يتحسسون الثغرات ويصطنعونها .

وقد استجابت ركائزهم داخل الاجهزة لهذا الاسلوب ، وليس من رقابة شعبية على الجزئيات وليس فى مقدور القيادة متابعة التفصيلات اليومية وتمثلت هذه الاستجابة فى بعض التعـــديلات والتفسيرات التشريعية التى ادخلت على القانون فى سنواته الاولى ، وبما استقر من قــــرارات وتفسيرات ومعاينة للاراضى ، وتركزت الثغرات اساسا فى حكم استثناء الاراضى البور الذى مكن من اخراج مساحات منزرعة فعلا كما سبقت الاشارة . وحكم اجازة البيع للاولاد وصـغار الزراع (المادة٤) . وحكم اثبات تواريخ التصرفات السابقة (المادة ٣) :

١ ـ تصرفات الاولاد : اجاز القانون للمالك ان يتصرف الى اولاده خـــلال خمس سنوات فى حدود مائة فدان ، واشترط ان يتم التصرف قبل الاستيلاء على الارض . ولكن صدر قانون سنة ١٩٥٦ يجيز للمالك التصرف لمن يرزقهم من الاولاد اذا ولدوا خلال ٢٧٠ يوما بعد الاستيلاء عــلى الارض ، اى كان نطفـــــة فى الارحـــــام وقت الاستيلاء ولا شك ان كان هذا التعديل لمصـلحة من تسابق من شباب الاقطاعيين فى الزواج وانجاب المال والبنين ، فراعى القانون لهفتهم وقدر جهدهم وشمل ذات التعديل حكما بان من يتوفى قبل ان يتصرف لاولاده فى المائة فدان يعتبر انه تصرف فعلا وتخرج الارض من الاستيلاء .

واجازت اللجنة العليا سنة ١٩٥٢ للمالك ان يتصرف الى اولاده ولو كان قاصرا (اى ناقص الاهلية أو فاقدها مما يمتنع عليه نفسه التصرف) او كان الاولاد من الاجانب « برغم منع القانون منذ ١٩٥٠ شراء الاجـــانب للارض الزراعية) . وأسمت اللجنة العليا التصرف للاولاد « الميراث المعجل » لتضفى عليه حصانة الميراث وتلقائيته وحتميته ، وهو فهم لم يسبق اليه احد .

واضطردت تفسيرات القانون على هذا المنوال فبرغم ان المادة الرابعة توجب ان يتم التصرف للاولاد «بنقل الملكية» ونقل الملكية لايكون قانونا الا بتسجيل العقد ، اضطرد العمل بغير استثناء على كفاية العقد العرفى دون تسجيل تســهيلا للملاك واستلزم ذلك ان يصدر قانون ٢٤٥ ـــ ١٩٥٤، موجبا تسجيل هذه التصرفات قبل اكتوبر ١٩٥٦ ثم مد الميعاد بتشريعات لاحقة حتى ١٩٥٩ .

كما اضطرد تفسير القانون على انه قد قرر الاستيلاء فقط على الارض الزائدة عن مائتى فدان وقت صدوره . اما الملكيات التى تزيد عن ذلك بالميراث او الوصية بعد صدور القانون فلا يستولى عليها ولا تخضع لتحديد الملكية ، واستند هذا التفسير لاسباب شكلية تتعلق ببعض العبارات الواردة بالقانون والتى لاتقطع فى هذا المعنى غير المقصود بالبداهة.واستلزم ذلك اصدار القانون ٢٦٧ ـــ ١٩٥٦ الذى يوجب على الملاك التصرف فى هذه الزيادة خلال سنة من تاريخ تلقيها بالميراث او الوصية والا استولت عليها الحكومة.ومع ان النص اعاد لحكم تحديد الملكية دوامه وشموله ، فقد كانت امكانية بيع الاراضى الزائدة خـــلال سنة مكسب للملاك لارتفاع اسعار البيع عـــن مبلغ التعـــويض الذى يؤدى عنـــد الاســـتيلاء ، ولامكانية بيع الارض للاولاد والاقارب واحتفـــاظ المالك بها عملا . ثم صدر تفسير للنص الجديد بانه لايلتزم الملاك بتسجيل عقود البيع خلال هذه السنة وذلك رغم ان النص يشترط ان يكـــون التصرف خلالها «بنقل الملكية» . وجرى العمـــل بذلك « تيسيرا على الملاك » والحق ان ليس فى قانون الاصلاح الزراعى حكم استغلت جميـــع امكانياته مثل هذا الحكم ، وكان ذلك لمصلحـــة الملاك .

٢ ـ تصرفات صغار الفلاحين : اجاز القانون عند اول صـــدوره للمالك ان يبيع الارض الزائدة لديه الى صغار الزراع ممن يحترفون الزراعة ولا يملك الواحد منهم اكثر من عشرة افدنة بشرط الا يزيد البيع لكل منهم عن خمسة افدنة وحرصا على ان يتم البيع بشروط القانون ، اشترط ان يصدق على البيع من المحكمة الجزئية ومراعاة لان المحكمة لاتستطيع عملا انتتأكد من توافر هذه الشروط ، اكتفى القانون بان يقدم اليها طـــلب التصديق وان يقر المشترى امامها بتوافر شروط البيع فيه حتى اذا ظهر فيما بعد عدم صدقه خضع لجريمة التزوير فى الاوراق الرسمية . والاجراء بذلك يضمن بالردع والتخويف من العقوبة توافر الشروط ، ولكنه لايقطع بذلك عملا طالما ان ليس من وسيلة منظمة للكشف عن المخالفات .

والحاصل ان الملاك تسابقوا فى بيع اراضيهم وفقا لهذا الحكم، اما بسبب ان ثمن البيع يزيد عن التعويض الذى يدفع حالة الاستيلاء على الارض واما وهذا هو الغالب ـــ بسبب امكان ابرام العقود الصورية واستمرار حيازة الارض . وقد استلفت نظر الثورة بعد قليل كثرة البيوع التى تمت وتلاعب

الملاك بابرام العقود الصورية واستبقائهم حيازة الارض برغم العقوبة الواردة بالمادة ١٧ . فصدر القانون ٣٠٠ ــ ١٩٥٣ بوقف العمل بهذا الحكم ومنع البيع اعتبارا من اكتوبر ١٩٥٣ . ولكن كان قد تم خلال عام واحد بيع ١٤٥ الف فدان أى قرابة ١/٤ الارض الخاضعة للاستيلاء .ثمصدر القانون ٤٩٤ ــ ١٩٥٣ بانشاء محكمة تختص بتحقيق هذه المخالفات وتقرير بطلان العقود المخالفة وتوقيع العقوبة . وكان يظهر للمحكمة كثيرا ان المشترين ليسوا من صغار الزراع ولكنها لم تستطيع المضي في عملها نظرا لصعوبة تحقيق الوقائع وصعوبة اكتشاف المخالفات وتراكم العمل وتداخل الشكاوى الجدية والكيدية وتضارب الاقوال والشهادات المثبتة للوقائع وكان يستحيل لمثل هذا العمل ان تجدى فيه الشهادات او المستندات ويســتحيل انجازه بغير العمل الشعبى المحلى . ومالبثت المحكمة ان الغيت ، وكان انشاؤها دليلا علىسعة هذه الفجوة فى القانون ، وكان الغاؤها دليلا على عدم نجاح التحقيق المكتبى وحده فى معرفة الواقع واكتشافه .

واستند الملاك فى التحايل على نفوذهمالاجتماعى والاقتصادى على الفلاحين ، يختارون من بينهم الاتباع ومن يمكن السيطرة عليهم ويبيعون لهم الارض «طبقا للقانون» ويحصلون منهم على سند بدين للمالك او احد اقاربه ، او على عقد بايجار الارضمدة طويلة مع مخالصة بالاجرة عن المدة كلها (او على بياض) او يضمنون العقد اتفاقا بانه اذا لم يؤد المشترى احد الاقساط فى موعده عين البائع حارسا اتفاقيا على الارض يديرها حصولا على الثمن وفوائده ، او يدخل فى العقد احد اقارب البائع كدافع للثمن عن المشترى الفقير ويحتفظ لنفسهبحق الامتياز على الارض وحق ادارتها ان تراخى المشترى فى سداد الثمن اليه ، وبهذه الوسائل وامثالها تخرج الارض من الاستيلاء بدعوى بيعها الى صغار الزراع ثم تعود للملاكهامن جديد على طريقة المحلل فىالزواج .

٣ ــ البيوع الصادرة قبل القانون : عند بحث مايملكه كل مالك ، تعرض القانون لما سبق للمالك ان باعه قبل صدوره ، فقرر انه يعتد بهذه البيوع اى تخرج المساحات المبيعة من الاستيلاء اذا ثبت التحقيق انها صدرت فعلا (اى ثبتتاريخها) طبقا للقانون المدنى قبل ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، او قبل اول يناير ١٩٤٤ اذا كان البيع لزوجة المالك او اولاده وحفدته اوزوجاتهم . ويثبت قيامالعقد قبل احد هذين الطرفين وفقالطرق رسمهاالقانون المدنى ، من امثلتها ان يكون قد وقع على العقد انسان توفى او ختم بختمه عليه ، او اشرعلى العقد موظف عام ، او ورد بيان عنه فى ورقة اخرى رسمية ، فيكون تاريخ الوفاة او تأشيرة الموظف او تاريخ الورقة الرسمية هو مايثبت انالعقد قدتم قبله ، والا لاســتحال ان يوقع من توفى او ان يؤشرالموظف علىالعقد، ان لم يكنقد نشامن قبل.

وقد استطاع الملاك ان يصطنعوا الكثير من العقود يدعون بها الارض لم تعد ملكهم وانهاخرجت من ملكيتهم قبل القانون ، واستطاعوا ان يصطنعوا مثل الادلة السابقة . ويسهل الحصول علىختم انسان توفى قبل القانون ووضع بصمته علىالعقد كشاهد اومشترِ مثلا . واختامالمتوفين لايثبترسميا تكسيرها بعد وفاتهم الا اذا وجدت له تركةوورثة قصر ، فتتولى النيابة العامة كسر الختم ، والغالب ان يلجأ الملاك فى اثبات كسر الختم الى شهادة العمدة ، وهى عملا محل شبهة . وحتى لوكسر الختم لامكن اصطناع مثله بسهولة . وتوقيعات المتوفين ، جرى العمل على ارسالها للطب الشرعى للتاكد من صحتها وتبحثها المصلحة على اساس مقارنتها بامضاء للمتوفى على ورقة رسمية يقدمها صاحب المصلحة والتاكد من صحة التوقيعوالمقارنة يتم على اساس الخبرة العملية وهى ليست علمية قاطعة فى نتيجتها .

وبالنسبة لتاشير احد الموظفين على العقد ، يفترض القانون صدق الموظف وسلامة تاشيرته وتاريخها ولكن قضية الاقطاع بكفر الشيخ سنة ١٩٦٢ ، والتحقيقات التى اجرتها اخيرا اللجنة العليا لتصفية الاقطاع ، توضح كيف يمكناستحالة الموظفين واصطناع الاوراق الرسمية عن طريقهم بما يثبت حصول البيع قبل التاريخ الذى حدده القانون . كما امكن تضمين اقرارات ضريبة الايراد العام المقدمة قبل القانون بيانات عن العقود المصطنعة ، وتضمين القضايا التى فصل فيها قبل القانون حوافظ مستندات يرد بها بيان عن العقود المصطنعة ، ويستخرج من هذه الاوراق الملفقة شهادات رسمية تثبت تواريخ العقــود وتخرج الاراضى من الاستيلاء . وكذلك بالنسبة لمحاضر البوليس وغيرها مما لايقع تحت حصر .

الثورة والقانون

لم تقف الثورة مكتوفة الايدى ، بل عملت فى عناء لضمان تنفيذ القانون واظهرت فى كل مناسبة تصميمها واصرارها على حمايته ، فكان تاريختطور تشريع الاصلاح الزراعى ، هو تاريخ مابذل من جهود لضمان جدية تنفيذه فى حدود الامكانيات السياسية المتاحة .

واذا كانت فترة السنوات الاولى هى الفترة التى استطاعت فيها الاتجاهات المحــافظة ان تستصدر بعض التعديلات لمصلحة الملاك ، فقد

كان ذلك فى ظروف انشغال قيادة الثورة بحل المسالة الوطنية اساسا . وقد سبقت الاشارة الى ماتخذته الثورة من اجراءات لتقف التلاعب فى اراضى الوقف وبيوع صغار الزراع . وبعد الانتصار فى المعركة الوطنية ضد الاستعمار سنة ١٩٥٦ وتمصير الكثير من المؤسسات الاقتصادية الاجنبية وانشاء المؤسسة الاقتصادية — نواة القطاع العام — اصدرت القانونين ٨٤ ، ١٤٨ — ١٩٥٧ بالنسبة للاراضى البور . وفرض القانون الاول رقابةهيئة الاصلاح الزراعىعلى ماتستصلحه الشركاتمن اراض وماتبيعه منها واوجب تخصيص نسبة من اراضيها تباع لصغار الفلاحين . وحدد القانون الثانى ملكية الاراضى البور بالنسبة للافراد بمائتى فدان . وفى١٩٥٨ خفضتفوائد التعويضات التى يستحقها الملاك من ٣٪ الى ٥ر١٪ وزادت مدة استهلاك سندات التعويض من ٣٠ سنة الى ٤٠ سنة .

وصدر القانون ٢٤ — ١٩٥٨ الذى يجعلالحد الاقصى لملكية الاسرة — الزوج والزوجة والاولاد القصر — ٣٠٠ فدان ، ولكنــه حصر حكمه فى المستقبل دون مساس بالزيادات الموجودة وقت صدوره . كما جعل حد الحيازة الزراعية للاسرة ٣٠٠ فدان .

وفى ١٩٦١ صدر قانون الاصلاح الزراعىالثانى مع القرارات الاشتراكية ، وحدد الملكية بمائة فدان للفرد . والحيازة الزراعية بخمسين فدانللاسرة. وكان اهم ماشتمله منتعديلات، انهالغىالاستثناء الخاص بالاراضى البور كلية ، ومنع بيع اى مساحة للاولاد او لصغار الزراع . ثم أعلن قائد الثورة فى ١٣ ديسمبر ١٩٦١ النية فى الاستيلاء علىاراضى الاجانب كلها وصدر القانون بذلك فى يناير ١٩٦٣ واجريتتعديلات بالمناصبالرئيسية بجهازالاصلاح الزراعى .

على ان منهج القانون فى الاعتماد على العمل الادارى وحده بقى كما هو . وبقيت فى القانون ثغرة هامة تتعلق بتحقيق بيوع الملاك الصادرة قبل القانون لاخراج الارض المبيعة من الاستيلاء . (قاعدة ثبوت التاريخ) فقد ازداد خطرها على سلامة التنفيذ .

والحاصل انه خلال الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٦١ كثرت بيوع الملاك فى اراضيهم بشكل صورى الى اولادهم واقاربهم، وسعوا لان يكسبوا هذهالبيوع تاريخا ثابتا بوجه رسمى يفيد مستقبلا انه صدر تحديد تال للملكية ، وذلك بتقديم طلبات عنها للشهر العقارى دون اتمام اجراءات التسجيل او بايراد بيان عنها بالانذارات الرسمية او غير ذلك من الاوراق . وحثهم على ذلك شعورهم العميق بان دولة الثورة ليست دولتهــم ، وان ضمان بقاء ملكياتهم الكبيرة غير مكفول من الناحية السياسية . كما حثهم عليها زيادة الضرائب التصــاعدية على التركات والايراد العام ممــا يجعل بيع الارض وتوزيعها على افراد عديدين من الاولاد والاقارب كفيلا بخفضها والهروب من شرائحها المرتفعة . وكان المتعين ان ياخذ قانون ١٩٦١ بقاعدة اخرى غير قاعدة ثبوت التاريخ التى الفها الملاك ومهروا فى التعامل مع الدولة على اساسها وفى اصطناع وسائلها . وقد بلغت عقود البيع التى طلب الى الاصلاح الزراعى تحقيقها واخراج المساحات المبيعة بها من الاستيلاء حوالى ٨٠٠٠ عقد بالنسبة لقانون ١٩٦١ ،ومثل هذا العدد ايضا بالنسبة لقانون الاستيلاء على ارض الاجانب الذى صدر سنة ١٩٦٣ .واستمر التحقيق للان ، وفشت اسباب الاصطناع والتحايل على نحو لم يعرف من قبل .

وقد قامت الاجهزة القانونية والادارية بدور هام واخرجت اراض كثيرةمن الاستيلاء . وفتحت فى القانون ثغرات جديدة كان اهمها تصرفات الاولاد السابقة على القانون ، ووضع الشركات والجمعيات ، وتصرفات الاجانب المسجلة :

● فقد اوجب قانون ١٩٦١ لاخــراج الارض من الاستيلاء ان يثبت بيعها قبل العمل به فى ٢٥ يولية ١٩٦١ . ولم يشر الى البيوع الصادرة الى الاولاد . وكان المفهوم ان يعمل فى ذلك بالنص الوارد بقانون ١٩٥٢ الذى لم يلغ والذى يوجب بالنسبة لهذه البيوع ان تكون قد صدرت (ثابتة التاريخ) قبل اول يناير ١٩٤٤ . وذلك طالما ان هذا الحكم باق لم يلغ ولم يعدل ، وطالما ان حكمة تقريره سنة ١٩٥٢ هو ان ضريبة التركات قد فرضت اعتبارا من ذلك التــاريخ (١٩٤٤) وبدأ من يومها بيع الملاك اراضيهم صوريا لاولادهم تهربا من الضريبة ، والحاصل ان هذه الحكمة اشد توافرا سنة ١٩٦١ اذ زادت الضرائب المختلفة على الثروات بعد قيام الثورة كما حددت الملكية ومن شان ذلك ان يقطع بصورية هذه البيوع وان القصد منهــا فحسب التهرب من الضرائب او من اى تحديد تال للملكيه . ويؤكد هذا الفهم انالملكية لن تكون محددة بمائة فدان فقط الا اذا اصدرت هــذه البيوع ، وانها اذا لم تهــدر اصبح حد الملكية مائة فدان فقط بالنسبة لغير المتهرب ، وهى مائتين يقينا بالنسبة لمن خضــع لقانون ١٩٥٢ وباع لاولاده مائة فدان طبقا للمادة الرابعة . وهى اكثر من ذلك او اقل بالنسبة لغير ذلك منالحالات .

على انه قد استبعد هذا الفهم وفسر القانون بما يوجب اخراج هذه الاراضى من الاستيلاء ، وهى مساحات شاسعة هدت فى التطبيق ركنا من القانون .

● وتمت محاولة لاخراج الشركات والجمعيات كلية من نطاق الخضوع لحكم تحديد الملكية ١٩٦١ ، بدعوى ان القانون يحدد ملكية «الفرد» لا «الشخص» وان اللفظ الاول لايصدق على الشركات والجمعيات وكان مؤدى ذلك فتح السبيل امام هذه المؤسسات لتمتلك ماتشاء بغير قيد . ولكن عدل عن هذا الراى اخيرا نتيجة التوجيه السياسى .

● وبالنسبة لتصرفات الاجانب ، نص القانون ١٥ – ١٩٦٣ على وجوب ان تكون الارض التى تستبعد قد سبق بيعها قبل ٢٣ ديسمبر ١٩٦١ وهو التاريخ الذى اعلن فيه قائد الثورة العزم على الاستيلاء على اراضى الاجانب ، فباع هؤلاء الكثير من ارضهم تهربا من القانون المرتقب . ولكن اضطرد التفسير على انه اذا كان العقد قد سجل قبل صدور القانون فى يناير ١٩٦٣ فلا يشترط التثبت من سبق صدور العقد على ٢٣ ديسمبر ١٩٦١ ، وتخرج الارض من الاستيلاء ، وذلك برغم صراحة نص القانون ، وبرغم ماهو معروف من ان التسجيل لايدرأ عن اى تصرف وصمة الصورية المقررة ، وحرصا على الاتعارض القيادة الثورية بالاصلاح الزراعى فى هذا التفسير فسرت احكام القانون بما يجعل قرارات اللجنة القضائية فى هذا الشان نهائية وقاطعة .

الخلاصة

يظهر من العرض السابق ، ان الفجوة الاساسية فى القانون ترتبت على الاسلوب الادارى الذى نفذ به . والعلاج الاساسى لايتأتى بشكل كامل الا بالاعتماد فى تحديد الارض الخاضعة للاستيلاء على جماهير الفلاحين فى القرى من خلال التنظيمات الشعبية والسياسية ، فيكون لهم من فرص المشاركة الايجابية فى تنفيذ القانون ، ومن الوعى السياسى والمعرفة الحية بملكيات الاقطاعيين واساليب تهربهم مايمنع اى تلاعب . وان انجاز مهام القانون ينبغى ان يتم بشكل ثورى . ولاشك ان قيام اللجنة العليا لتصفية الاقطاع ، لمجلس جديد لقيادة الثورة بالنسبة للمسالة الزراعية خطوة ثورية اصيلة فى هذا المجال . ولاشك انها بشروعها فى تحقيق الهدف الكبير ، هدف تصفية الاقطاع والعلاقات الاجتماعية المتخلفة على الطبيعة لاعلى الورق ، وباسلوبها الثورى فى عزل الاقطاع عزلا حاسما ، ستستفيد من كل تجارب الماضى .

واذا كان قائد الثورة قد اعلن استمرار وجود اللجنة وبقائها ، فان مما يكمل الصورة ويحقق الهدف ، المزيد من الاعتماد على جماهير الفلاحين من خلال وحدات الاتحاد الاشتراكى . ولهذا اثره المزدوج من جهة تصفية الاقطاع ، ومن جهة تكوين التنظيم السياسى فى الريف من خلال المعركة الاجتماعية ضد الاقطاع والاستغلال والعلاقات المتخلفة .

ومن جهة التشريع فيمكن ان يصدر من مجلس ادارة هيئة الاصلاح الزراعى تفسير تشريعى يرد للقانون دلالته الحقة من جهة وجوب الاستيلاء على الاراضى التى سبق للملاك ان باعوها الى اولادهم بعد اول يناير ١٩٤٤ .

كما يمكن ان يعدل القانون بالنسبة لقاعدة ثبوت التاريخ ، فلا يستبعد من الاستيلاء الا ماسجل من هذه العقود ، وذلك مع استثناء العقود التى صدرت فى حدود خمسة افدنة الى صغار الفلاحين فيكفى فيها ثبوت التاريخ حماية لهذه الفئة التى لم تعتد على تسجيل عقود شرائها .

نظام الايجار

تنظيم العلاقة بين المالك والمستاجر فى الاراضى الزراعية ، هو ثانى ركائز الاصلاح الزراعى . وكان مع تحديد الملكية هدف جماهير الشعب فى صراعها ضد الاقطاع . واتت ثورة ٢٣ يولية لتقر الهدفين ضربا للاقطاع وانحيازا للفلاح . وبهذين الهدفين بدات الثورة طريقها المبارك فى التغيير الاجتماعى لوجه الحياة فى مصر .

وقد حدد قانون الاصلاح الزراعى ايجار الاراضى الزراعية بسبعة امثال الضريبة المفروضة على الفدان . واوجب الا تقل مدة الايجار عن ثلاث سنوات ضمانا لاستقرار الفلاح . ومنع الايجار من الباطن قضاء على فئة الوسطاء الطفيليين فى الريف . واوجب الا تقل حصة الفلاح فى الايجار بطريق المزارعة عن نصف المحصول بعد خصم المصروفات ، واوجب ان يثبت عقد الايجار بالكتابة من اصلين يكون للمستاجر احدهما .

ولاشك ان القانون قد فرض نفوذه السياسى والاجتماعى على علاقات التاجير ، فانخفضت

الاجور وضمن الفلاح الاستقرار فى الارض وازداد وعيه بحقوقه ، وبما كفله التشريع والثورة له من حماية .

على ان الوضع بالنسبة لتنظيم علاقات التاجير يخالف الوضع بالنسبة لتحديد الملكية . فقد حدد القانون نظام الايجار — على طريقة القانون المدنى والقوانين الخاصة — كبيان عام ان التزم به جمهور المستاجرين والملاك ، فلم ينشىء جهازا خاصا ثوريا للاشراف على تطبيق احكامه . ولم يخول هيئة الاصلاح الزراعى ولاغيرها سلطة الرقابة والاشراف التفصيلى لها ، وذلك فيما خولته الهيئة من اصدار التفسيرات التشريعية لاحكامه ومعنى ذلك ان القانون لم ينشىء مؤسسة محلية او مركزية للاشراف على علاقات التاجير . وترك التنفيذ بين المالك والمستاجر يتفقون بشانه ويختلفون كافراد ويحتكمون اذا اختلفوا للاجهزة التقليدية من جهات الادارة والمحاكم .

ولم تكن المشكلة فى تطبيق نظام الايجار الجديد مجرد وجود ثغرات فى القانون يتحايل عليه الملاك من خلالها ، ويبحث عن وسيلة سدها ، ولكنها كانت فى ان الكثير من الملاك لم ينفذ احكام القانون اصلا . كما كانت المشكلة فى ان العلاقة بين المالك والمستاجر بقيت من الناحية الاقتصادية والاجتماعية كما هى فى جوهرها ، تتخذ من الناحية القانونية شكل العلاقة المباشرة بين مالك فرد ومستاجر فرد . ويصطدم التنظيم الجديد بقوة المالك وسطوته الاجتماعية وبضعف المستاجر كما يصطدم بقانون العرض والطلب بالنسبة لقلة الاراضى الزراعية واحتكار الملاك للكثير منها وبالنسبة للكثرة الوفيرة لجماهير الفلاحين المتطلعين لقطعة ارض يزرعونها .

الملاك ونظام الايجار

● وقد استطاع بعض الملاك بنفوذهم ان يخرجوا المستاجرين من اراضيهم على خلاف القانون وان يلجئوهم الى دفع ايجار يزيد عن الحد الاقصى المحدد بالقانون ، وامتنعوا من اعطاء المخالصات للفلاحين عما يؤدونه من اقساط الايجار ليحصلوه ثانية او ليستطيعوا طردهم بدعوى عدم الوفاء بالاجرة ، كما بالغوا فى تقدير المصروفات الاضافية التى يتحملها المستاجر كاجور الخفر والرى وتطهير القنوات وفى اضافة المنافع للارض انقاصا للمساحة المسلمة للمستاجر . وسار الكثير منهم وقتا على تحرير العقد ايجارا ومزارعة معا .

● وكان نظام المزارعة ثغرة هامة فى القانون لجا اليه الكثير من الملاك ليتمكنوا من الافلات من الحد الاقصى للاجرة فى الايجار النقدى ، لانه يكفل لهم نصيبا اوفر ، ولانه يمكنهم من استدامة سيطرتهم المباشرة واستبقاء نفوذهم الاقتصادى والاجتماعى على المزارعين . واذا كان القانون قد اوجب الا تقل حصة المستاجر فى المزارعة عن النصف بعد خصم المصروفات ، فالحاصل ان المالك هو عماد تمويل الزراعة ، وهو من تحرر باسمه الحيازة ويتعامل مع الجمعية التعاونية فيبالغ فى حساب مصاريف الزراعة على الفلاح ويحصل على القروض من الجمعية لنفسه وعلى الاسمدة والبذور ليسلم بعضها الى المزارع باسعار مرتفعة ، ويستفيد من الباقى فى ارض اخرى او يبيعه فى السوق السوداء . ثم يضم المحصول فى مخازنه . وكل ذلك يؤدى الى حصوله على نصيب الاسد من المزارعة ، والى استبقاء استغلاله للمستاجرين وبقاء سيطرته عليهم . ومايجب ملاحظته ان المزارعة كاسلوب اقطاعى متخلف للاستغلال لاتتم غالبا الا بين الملاك المقيمين بالقرى وبين صغار الفلاحين خاصة .

● وكان من اثار وضع حد اقصى للايجار — دون وجود الجهاز الثورى الذى يشرف على التاجير وينظمه وفق سياسة الثورة ، ان لجأ كثير من اغنياء الريف الى استئجار المساحات الواسعة يستعيضون بها عن زيادة ملكياتهم المحددة بالقانون . وساعد على ذلك ان من التزم من الملاك بالاجرة القانونية اصبح يفضل تاجير الارض لاغنياء الريف فيضمن الوفاء بالاجرة مقدما . وبذلك نمت طبقة الراسمالية الزراعية نموا واضحا .

الثورة ونظام الايجار

ولم يكف تدخل الثورة لاصلاح هذه العيوب ولضمان تنفيذ القانون حماية للمستاجرين . واذ اراد الملاك عقب صدور القانون طرد المستاجرين من الارض ، احتجاجا ورفضا لتحديد الايجار ورغبة فى زراعتها على الذمة ، بادرت الثورة باصدار القانون ١٩٧ — ١٩٥٢ بمد عقود الايجار التى تنتهى مدتها لسنة قادمة . ثم اصدرت القانون ٤٠٦ — ١٩٥٣ بمد الايجارات فى نصف المساحة المؤجرة ، ثم اطرد صدور القوانين التى تمد الايجار حتى اليوم .

وبالقانون ٢٤ — ١٩٥٨ قررت عقوبة الحبس على من يتقاضى من الملاك اكثر من الاجرة القانونية ولما اعيد تقدير الضرائب على الارض صدر القانون ١٤ — ١٩٦١ يمنع زيادة الاجرة بسبب الزيادة فى الضريبة الا بمقدار الضريبة فقط (لا سبعة امثالها) كما اوجب القانون ٢٤ — ١٩٥٨ الا تزيد

المساحة المؤجرة للاسرة عن ٣٠٠ فدان وفرض عقوبة الحبس على من يخالف هذا الحكم . ثم صدر الاصلاح الزراعى الثانى ١٩٦١ جاعلا الحد الاقصى لما تستاجره الاسرة خمسين فدانا . ونص القانونان على ان تنتهى عقود الايجار بالنسبة لما يزيد عن الحد . اما الزيادات التى تنشا مستقبلا فتستولى هيئة الاصلاح الزراعى عليها لتوزعها بالايجار على صغار الفلاحين . كما ابطل قانون ١٩٦١ عقود الوكالة التى كان المستاجرون يسترون ايجاراتهم بها تهربا من الحد الاقصى الذى فرضه قانون ١٩٥٨ .

ثم صدر القانون ١٧ — ١٩٦٣ مدخلا تغييرا جديدا على علاقات التاجير لما اوجبه من ايداع صورة عقد الايجار بالجمعية التعاونية وان تقوم هى بتحرير العقد ان امتنع المالك ، وان تحصل الاجـرة للمالك ان طلب اليهـا ذلك ، وان يودع المستأجر لديها الايجار ان امتنع المالك من اعطائه مخالصة به .

سلبيات التنظيم

والحقيقة انجميع هذه التعديلات ،برغم اهميتها واثرها، لم تنجح نجاحا كاملا فى ضمان تحقيق اهداف القانون ،وفى منع خروج الملاك على احكامه. والدراسات المنشورة بهذا العدد من « الطليعة » تكشف نفوذ الملاك وتحايلهم بالمزارعة ، وسلبية الجمعيات التعاونية لسيطرتهم عليها .

وبالنسبة للحد الاقصى المقرر لاستئجار الارض، لم يلق حظا من النجاح فى التطبيق ، وسبب ذلك ان تحديد الحيازة ينبغى ان يكون اقل مما هــو قضاء على النفوذ الذى يمكن هؤلاء من التحايل. وذلك فضلا عن الاجراءات التى رسمها القانون لتنفيذه لا تعتمد على الفلاحين فى كشف المخالفات ولا تحفزهم على ذلك، اذ كان النص على انتهاء عقود الايجار بالنسبة للمساحات الزائدة يعنى ارتدادها الى المالك بما لا يجعل للفلاح مصلحة فى الامر، وبما يجعل تنفيذ القانون متوقفا عــلى مصلحة المــالك فى ان ينهى عقد الايجــار بكشف المخالفة او لا ينهيه، اما بالنسبة للعقود المستقبلة فان النص على ان تتولى هيئة الاصلاح الزراعى اجراءات الاستيلاء والتوزيع بالتأجير على صغار الزراع يخضع عملية الاستيلاء لاجراءات معقــدة كثيرة التشعب، وتكفى قراءة المادة ٣٧ للدلالةعلى ذلك ،والهيئة بحكم طبيعتها الادارية غير قادرةعلى التحقيق فى المخالفات او حصرها او الفصل فيها.

والامر يختلف بالنسبة لتحديد الملكية الذى يكفل ثبوت الملكية بالاوراق الرسمية نوعا من الانضباط فضلا عن تقديم الملاك لاقراراتهم .

وبرغم ان القانون ١٧ — ١٩٦٣ حدد التزامات كل من المالك والمستأجر فى الزراعة فلم يلمس اثر لهذا التحديد فى منع التلاعب والتعديل الخاص بالجمعيات التعاونية فى نفس القانون، وان كان خطوة هامة من حيث انه ارسى مبدا جديدا هــو تدخل الجمعية فى علاقات التأجير، فلم يكن حكم هذا القانون كافيا لتحقيق الاثار المرجوة عمليا. وكان المأمول دفعه للامام فى ذات الطريق.

القانون الجديد هل قضى على السلبيات ؟

وقد وافق مجلس الامة اخيرا على قانون جديد بتعديل العلاقة بين المالك والمستأجر. تم ذلك فى اعقاب حادثة كمشيش وبعد تكوين اللجنة العليا لتصفية الاقطاع ممثلة لاعلى مستويات السلطة الثورية، وتحديد اهدافها بالقضاء على صــور الاستغلال وتغيير العلاقات الاجتماعية فى الريف. وبعد انكشف نشاطها اشكال التلاعب واساليبه.

واعد القانون بعد ان اعلن قائد الثورة العزم والتصميم على تصفية العلاقات الاجتماعية البالية واقتلاع الاستغلال من جذوره .

وكان المأمول فى قانون يعيد تنظيم هذه العلاقة فى هذا الظرف السياسى، ان يكون على مستوى المسئولية الثورية التى حددها قائد الثورة ،والتى تسير على هديها فى اصرار اللجنة العليا لتصفية الاقطاع. ومعنى ذلك ان يدرك العوامل الاصلية لوجود العلاقات الاقطاعية ولبقاء التحايل على القانون واستغلال الفلاحين،وان يعمل على اقتلاعها وان يضع من القواعد ما يؤدى الى ذلك عــلى الطبيعة لا على الورق .

ولكن القانون اتى خلوا من اى اصلاح جذرى لعلاقات التأجير، واقتصر على بعض الاصلاحات الجزئية بالنسبة للمستأجرين ،اتبع اسلوب الحلول الادارية للمشاكل الاساسية .وكان اهم ما اورده من تعديلات مما يتمخض عن ضمان مصلحة المالك دون المستأجر :

● ابقى القانون على نظام المزارعــة ، اكثر النظم الاجتماعية تخلفا فى مجتمعنا الجديد، وهو مصدر اساسى لبقاء نفوذ كبار الملاك واستغلال الفلاحين. كما ابقى على الاحكام الخاصة بالحد

الاقصى للمساحة المؤجرة، بذات الحدود والاجراءات وبغير تعديل .

● اتى ببعض الاصلاحات الجزئية مثل النص على عدم انتهاء الايجار بتجنيد المستأجر او وفاته وفرض ضريبة ٤٠٪ على ايجار الحدائق بالنسبة لما يزيد من ايجارها عن الحد الاقصى .

على انه لا يوجد ما يضمن تنفيذ هذه الاحكام ما دام القانون لم يعالج اساس العلاقة التى تمكن للمالك بنفوذه ان تخرج عليه . واذا كان الملاك قد نجحوا خلال السنوات الماضيـــة فى طرد المستأجرين برغم قوانين مد الايجارات ونجحوا فى الحصول على اجرة تزيد على ما قرره القانون برغم العقاب المفروض على ذلك ، فان مثل هذه الاحكام لا تصبح بذاتها ضمانا للمستأجرين الصغار ما بقيت علاقتهم بالملاك علاقة مباشرة، وما بقى للملاك من النفوذ ما يستطيعون به الضغط عليهم .

● نص القانون الجديد على عدم جواز اخراج المستأجر من الارض الا اذا اخل بالتزام جوهرى يقضى به العقد او القانون . كما نص على انه يمكن للمستأجر اداء الاجرة خلال ثلاثة اشهر بعد انتهاء السنة الزراعية، كما يمكنه اداؤها اذا رفعت دعوى الطرد عليه قبل ان يقفل باب المرافعـــة فيها امام لجنة الفصل فى المنازعات الزراعية ثم اجاز للمالك الذى لا يملك هو واسرته اكثر من خمسة افدنة ولا يحـــوز مســـاحة اخـــرى ، ويحترف الزراعة، ان يطلب اخراج المستأجر من الارض اذا كان للمستأجر واسرته ملكية تزيد على فدانين او حيازة تزيد على خمسة افدنة . وذكر ان طرد المستأجر فى هذه الحالة يلزم المالك ان يزرع الارض بنفسه خمس سنوات على الاقل والا حرمته لجنة الفصل فى المنازعات من حيازتها وعهدت الى الجمعية التعاونية بتأجيرها لصغار الزراع .

وتعليقا على هذا الحكم ،يمكن القول بان تقرير عدم اخراج المستأجر من الارض وحماية المالك الصغير من المستأجر الكبير هدف سليم . الا ان تقرير عدم اخراج المستأجرين بشكل عام مـــع وجود فئة كبار المستأجرين، وبغير تحديد جدى لما يؤجرون يكسب هؤلاء ضمانة استقرار فى الارض لا على حساب الملاك ولكن على حساب من يمكن ان تنتقل اليهم هذه الارض بالايجار من صغـــار الفلاحين، وهو يؤدى الى دعم الرأسمالية الزراعية فى الريف. فاذا عرف ان قدرة المالك على طرد المستأجرين على خلاف القانون، امر يتعلق فقط بصغارهم، تبين ان هذه الضمانة ستفيد عمليـــا المستأجر الكبير وحده الذى يستطيع بمقدرتـــه الوقوف فى وجه نفوذ المالك .

ومن ناحية اخرى فان نصوص امتداد عقـــود الايجار السابقة كانت تكتفى لامتداد العقد وفاء المستأجر بالاجرة لا عن السنة المنتهية ولكن عن السنة السابقة عليها . اى انها توجب وفاء الاجرة خلال السنة اللاحقـــة على استحقاقها لا خـــلال ثلاثة اشهر فقط كما نص القانون الجديد. وكانت بذلك اكثر مراعاة للمســـتأجرين .وكان الواجب ان يحـــدد القانون نوع الالتزامات الجوهـــرية التى يؤدى الاخلال بها الى طرد المستأجر، لا ان تترك لما ينص عليه العقد ،وذلك حتى لا يتعسف الملاك فى تحديد الالتزامات بالعقود ليرتكن الى مخالفتها فى طرد المستأجر.

ومن جهة حق المالك الصغير فى طرد المستأجر، فقد قيد هذا الحق بشروط معقولة، ولكن التأكد من استيفاء هذه الشروط عرضة للتحايل والاصطناع الشهادات التى يمكن أن تزيف الواقع. وليس ذلك افتراض غير واقعى ،بل هو ما تفيده تجربة العمل باحكام الاصلاح الزراعى بالنسبة لبيوع صغار الزراع والتصرفات ثابتة التـــاريخ وغير ذلك — وبالنسبة لما كشفه الواقع من اصطناع الاوراق والعقود والشهادات الرسمية .

ولا شك ان هذا الحكم سيفيد خاصة فئـــة الملاك الغائبين عن قراهم، الراغبين فى بيـــع اراضيهم بثمن مرتفع بعد «تحريرها» من حقوق المستأجرين عليها .وما من مشتر يقبل الشراء اليوم الا اذا ضمن خلو الارض من المستأجرين .

واخيرا فان الزام المالك بزراعة الارض بنفسه بعد اخراج المستأجر لا يتضمن جـــزاء يضـــمن احترامه ،والقول بامكانية حرمان اللجنة المالك من حيازة الارض لا ينطوى على جزاء جدى .

● واذ كان من اســـاليب تحـــايل الملاك على الحد الاقصى للايجار ان يحصلوا من المستأجرين على كميات او ايصالات بمبالغ كبيرة فقد حاول القانون الجديد ان يعالج هذه الحالة، فنص على وجوب تقديم الكمبيالات الموجودة حاليا للجنـــة الفصل فى المنازعات لتحقيقها .وبالنسبة للمستقبل يجب توثيق هذه الكمبيالات بالشهر العقارى . والرجاء ان تنجح اللجنة فى تحقيق الكمبيـــالات الموجودة الان وان تعتمد فى هذا التحقيق على ســـائر اساليب الاستطلاع والاحتكاك بالجماهير ولكن بالنسبة للحكم المستقبل الخاص بالتوثيـــق فمن المعروف ان خبرة الاعوام السابقة تقطع فى ان التوثيق لا يعصم الاوراق من التحايل والاصطناع وقد اعتمد تهريب الارض كثيرا على العقود المسجلة وليس ما يمنع الملاك من ان يستبدلوا بوسيلة

الحصول على الكمبيالات وسيلة اخرى، كالحصول على عقد من المستأجر بشراء مواشيه او بيته. وليس مصدر التحايل ان المالك يزور امضـــــاء المستأجر او بصمه ختمه حتى يكون التوثيق علاجا لذلك، ولكن مصدر التحايل هو نفوذ المالك الذى يمكنه من الحصول على اختام المستأجرين ليبصم بها على ما يشاء. ونفوذ المالك هو ما يجب الاهتمام به ومحاصرته. وليس غير الجمعيـــات التعاونية واشرافها الكامل على نظام الايجار ما يقضى على هذا النفوذ .

● وبالنسبة للجمعيات التعاونية فقد اوجب القانون ان تودع صـــورة العقد بها والا عوقب المالك بالحبس. واذا كان هذا الحكم سيحفـــز الملاك على ايداع صور العقود، فان الايداع وحده لا يمنع التحايل، كما ان تسجيل عقود البيع لـــم يمنع صوريتها .والتحايل باق ما بقيت العـــلاقة المباشرة بين المالك والمستأجر، وهو يتخذ صورا لا يمكن حصرها او التنبؤ بها .وقد كان القـــانون ١٧ — ١٩٦٣ يمكن المستأجر من ايداع الاجرة بالجمعية اذا امتنع المالك عن اعطائه المخالصة، ومع ذلك بقى المستأجرون يدفعون الايجار بغير مخالصات مادام ان للمالك نفوذه المباشر عليهم. كما ان العقوبة وحدها ليست اجراءا رادعـــا لان الجريمة لا تكتشف رسميا الا فى حالات نادرة ولان ما يضمن للمالك ان يحصل على اكثر من حقه يضمن له اخفاء جرمه .

وقد اجاز القانون للمالك ان ينيب عنه الجمعية التعاونية فى ادارة ارضه او تأجيرها مقابل نسبة مئوية تحصل عليها منه .ويوحى النص بان الجمعية ملتزم اصيل باداء الاجرة للمالك، وقد اجيز لها توقيع الحجز الادارى على المســـتأجر اســـتيفاء للاجرة .

وقد يكون لهـــذا الحـــكم اهميتـــه وخطورته فى تغيير العلاقات الاجتماعية بالريف اذا كان قد عهد الى الجمعية بالاشراف الكامل على جميع علاقات التأجير الزراعية بحيث تستطيع رفـــع نفوذ الملاك الضار عن المستأجرين وعنها، وضبط العلاقات غير المشروعة حماية للمستأجرين مـــن الملاك المتلاعبين مع ضمان اداء الاجرة للمالك.

ولكن حصر اختصاص الجمعية فى حدود رغبة الملاك، يؤدى الى قصر مهمتها على حماية الملاك الغائبين عن الريف الذين يرغبون فى ضمان حصولهم على الاجرة القانونية وهم بعيدون عن قـــراهم. ومهمة الجمعية بذلك لا تمتد الى علاقات التأجير غير المشروعة لتحمى المستأجرين من استغلال الملاك .وذلك يفقد الجمعية طابعها الشعبـــى ويجعلها من خلال هذه المهمة مجرد وكيل عن الملاك فى تحصيل الاجرة ،تستخدم الحجز الادارى وسلطة الدولة فى التحصيل لحسابهم او تدفع الاجر لهم من مالها (كما يوحى نص القـــانون) وذلك دون تقرير حماية مماثلة للمستأجرين .

والمعروف ان اية مؤسسة تنمو وتكتســب طابعها من خلال المهام التى تخول القيام بهـــا . ومن شأن قيام الجمعيات بهذه المهمة وحدها ،ان يزيد نفوذ الملاك عليها وينصرف عنها جمهـــور المستأجرين الصغار باعتبارها مجرد « محصل » للملاك .واذا كان مصدر ضعف الجمعيات الان سيطرة كبار الملاك ومتوسطوهم عليها، فلا شك ان ذلك سيزيدها ضعفا ويحرمهـــا من القيـــام بالمهمة المرجوة كمؤسسة جماهيرية تصون حقوق الفلاحين وتشرف على انتاجهم وعلى العلاقات الاجتماعية فى الريف .

الخلاصة

من كل ما سبق ، يظهر ان مصدر الخلل فى نظام التأجير ،ليس فى بعض احكامه او ثغراته التشريعية ولكن فى العلاقة الاجتماعية التى تمكن للمالك من النفوذ ما يستطيع به الخروج على القانون . وفى عدم وجود الجهاز الثورى الذى يشرف على هذه العلاقات ويراقبها ويلزم اطرافهـــا حـــدود القانون فى تعاملهم المستمر. ويمكن ان يتأتى ذلك :

اولا : الغاء نظام المزارعة ،فهو ثغرة اساسية فى نظام الايجار ، ومهما حددت التزامات كل مـــن المالك والمزارع بالقانون، فلن تكون هناك وسيلة لمراقبة الالتزام بها وهى تقتضى جهدا فى رقابة التعامل خلال عملية الانتاج الزراعى لا يقدر على القيام بها اى جهاز. وسيكون الطرف القـــوى (المالك) دائما هو صاحب اوفر السهام .والمزارعة تمكن الملاك من التحايل على الايجار النقدى ما استطاعوا ان يحولوا عقود الايجار اليها، كمـــا تؤكد نفوذهم الاجتماعى وهيمنتهم المباشرة عـــلى المزارعين .

ثانيا : تحديد الحد الاقصى لايجـــار الاراضى الزراعية بالنسبة للفرد فى حدود خمسة افدنة او عشرة ،وان تتولى الجمعية التعاونية توزيع

الاراضى التى تزيد عن هذا الحد لدى المستأجرين الكبار. والواقع يؤكد ان كبار المستأجرين فى العموم على ارتباط عضوى وثيق بكبار الملاك ، وان هؤلاء الاخيرين يستعيضون عن تحديد ملكياتهم باستئجار الاراضى الواسعة، وفى ذلك ما يبقى على نفوذهم الاجتماعى والاقتصادى، وهذا، ما فعلته عائلة الفقى فى كمشيش من فرض الحراسة عليها، اذ تحولت الى الاستثمار الرأسمالى فى تربية المواشى وضمنت بقاء نفوذها. وبهذا النفوذ يتمكنون من السيطرة على المؤسسات العاملة فى القرية كالجمعية التعاونية ولجنة الاتحاد الاشتراكى ، ويضمنون بذلك سيادتهم .وتظهر الدراسات الميدانية المنشورة فى هذا العدد من «الطليعة» مدى ارتباط كبار المستأجرين بمن حددت ملكياتهم ،وان كثيرا منهم من ذات العائلات الاقطاعية القديمة.

ثالثا: اشراف الجمعية التعاونية بالقرية اشرافا كاملا على جميع علاقات التأجير، وذلك سيرا فى ذات الطريق الذى رسمه القانون ١٧ — ١٩٦٣ . وهذا يقتضى ان تكون الجمعية وسيطا قانونيا اجباريا بين المالك والمستأجر فلا يتم التأجير الا عن طريقها ، ولا يدفع المستأجر الاجر الا لها ، ولا يحصل عليه المؤجر الا منها ،ولا يطرد المستأجر من الارض الا بناء على طلبها .

ان ذلك يعزل النفوذ الضار للملاك فى ذات الوقت الذى يضمن لهم ريع الارض المحدد بالقانون وتصبح الجمعية التعاونية هى جهاز تنفيذ نظام الايجار، وتصبح بذلك مؤسسة جماهيرية تقوم بدور رائد فى اعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية فى الريف. ومن شأن قيامها بهذه المهمة ان يندفع الفلاحون الى الارتباط بها وتأكيد نفوذهم عليها ، ويمكنها من خلال هذه المهمة وبارتباط الفلاحين بها ان تؤكد دورها كمشرف على الانتاج الزراعى وتحقيق اهداف الخطة وان تكون نقطة الاتصال بين المنتجين من الفلاحين وبين الاهداف المرسومة للانتاج القومى . ومزيتها على غيرها فى اداء هذه المهمة ، تكوينها الذى ينمو طابعه الديمقراطى وارتباط الفلاحين بها .

واذا كان التنظيم السياسى هو مجال التجمع السياسى لجماهير الفلاحين،فان هذا التجمع يصبح اشمل وافعل ما يكون، ان مارس مهامه من خلال التجمعات الاقتصادية ذات النفوذ الفعال بين الجماهير ذات الاثر فى الدفاع عن مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية . والجمعية التعاونية فى القرية هى الخليق بالقيام بهذه المهمة .

ولا ينبغى القول بان ضمان تنفيذ نظام الايجار مرتبط بمجرد ازدياد وعى الفلاح بحقوقه، فليس الوعى وحده كافيا لتحقيق هذه المهمة ، وان مستأجرى المساكن بالمدن بكل وعيهم بحقوقهم قبل الملاك يضطرون لدفع «خلو الرجل» مخالفين القانون الموضوع لحمايتهم. وان كفالة تطبيق نظام الايجار ان توجد المؤسسة الثورية القادرة على فرضه والاشراف عليه والتى تقوى بدعم الدولة لها والتفاف الفلاحين حولها .

وقد يكون الاعتراض الاساسى على هذا الاقتراح أن الجمعيات الان اضعف من القيام بهذه المهمة.

ولكن الحاصل ان وجود الجمعيات التعاونية وجود حقيقى، وهى تقوم بمهام كبيرة الان فى الاشراف على تمويل الزراعة وتسويقها وان مصدر ضعفها الاساسى يكمن فى سيطرة اغنياء القرية عليها، وهى سيطرة يكفلها لهم نفوذهم الاجتماعى واقتصار مهمة الجمعية على التمويل والتسويق ،وقد تزيد هذه السيطرة مستقبلا ان اقتصرت مهمة التأجير على تحصيل الايجار لبعض فئاتهم .

وتقوية الجمعيات يكون بعزل هذه العناصر عنها، وذلك يتأتى باضعاف نفوذهم الاجتماعى ، وهذا ما يسهم فيه التنظيم المقترح، وكذا بارتباط الفلاحين بها باعتبارها مؤسسة تدافع عن حقوقهم وان اية مؤسسة تكتسب طابعها من خلال المهام الموكولة اليها ومن خلال دفعها للعمل لتحقيق هذه المهام فتجذب العناصر والجماعات ذات المصلحة فيها.

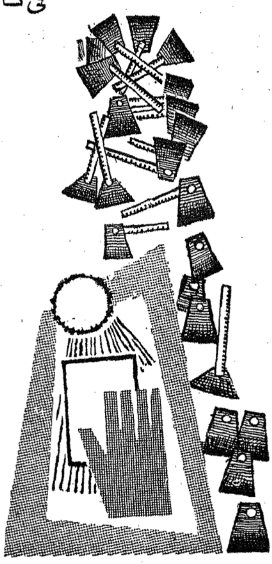
وعندما حددت الملكية لم يكن ثمة جهاز يتولى عمليات الاستيلاء والتوزيع ،وقد تشكل هذا الجهاز خلال العمل ،وبرغم ما اعترى تشكيله الاول من سلبيات مكنت من تهريب الارض، فلا شك ان مهمة الاستيلاء انجزت فى اساسها وكان لرقابة قيادة الثورة وتأييد الجماهير اثره الحاسم فى ذلك. ووضع الجمعيات التعاونية من حيث امكان تحقيقها لمهمة تنظيم الايجار اكثر مواتاة، باعتبار قربها من الفلاحين وارتباطها الضرورى بهم ، وحصانتها النسبية من الاسلوب الادارى وبملاحظة النمو الملموس للحركة السياسية والتنظيمات الشعبية فى الفترة الاخيرة والوضوح الفكرى الثورى الذى يشق طريقه بين الجماهير الان.

والامل ان تستفيد حركة الجماهير والتنظيمات السياسية فى بنائها الداخلى من هذا التنظيم ومن تجمع الفلاحين فى هذه المؤسسة .

تقرير نقابي

مسيرة "العمال الزراعيين"

في تاريخ مصر من ١٨٨٢ الى ١٩٦٦



عبد المنعم الغزالي

ان نشأة العمل الزراعي — طبقة العمال الزراعيين — الذين لايملكون اى شيء الا قوة سواعدهم على العمل في الارض ، بدأت في مصر منذ نهاية القرن التاسع عشر ومع بداية الاحتلال البريطاني لمصر .

وحتى نهاية القرن التاسع عشر كانت السخرة هي سمة من السمات الرئيسية للنظام الاقطاعي في مصر ، فكان للدولة الاقطاعية سواء قبل عصر محمد علي او بعده حق جمع الفلاحين للعمل بالسخرة في المشروعات العامة كبناء الجسور وحفر الترع .. الخ وجميع مشروعات محمد على في الري وانشاء الطرق والجسور — انجزت بالسخرة ، وفي عصر سعيد واسماعيل حفر اكثر من ٨٤٠٠ ك . م من القنوات ، كما ان عمليات تطهيرها وتجديدها كانت تتم بالسخرة — وحفرت قناة السويس ايضا بنفس الاسلوب .

وحق تسخير الفلاحين لم يكن قاصرا على الدولة الاقطاعية وحدها بل كان كذلك للاقطاعيين وللملتزمين حق اجبار الفلاحين على العمل في ارض الوسية جزءا من الاسبوع او من ايام مواسم العمل الزراعي دون اجر .

ولقد كانت السخرة مصدرا من مصادرحصول الملاك الاقطاعيين على فائض القيمة (**عمل بلا اجر**) من العمل الزراعى الى جانب الوسائل الأخرى — كالضرائب . وظلت كذلك وسيلة للحصول على هذا الفائض حتى بعد ان وجد حق الملكية فى عصر سعيد (اللائحة السعيدية ١٨٥٨) وفى عصر اسماعيل (قانون المقابلة) ، وفى هذه الفترة شاركت طبقة كبار الملاك الاجانب والشركات الزراعية الاجنبية ، الملاك المصريين فى الحصول على هذا الفائض عن هذا الطريق .

ولكن مع مجىء الاحتلال البريطانى ، ومع نشأة طبقة من كبار الملاك الجدد من الاجانب وكبار الموظفين بدأت عمليتين هامتين اديتا الى نشأة العمل الزراعى « الحر » — طبقة العمال الزراعيين — .

العملية الاولى هى الغاء السخرة الغاء رسميا فى ١٨٨٩ (١) . وقد سبق عملية الغاء السخرة من قبل الادارة البريطانية ان بدأ كبار ملاك الارض (ملاك الابعديات الكبيرة) يدخلون العمل المأجور فى بعض الاعمال الزراعية — مثل زراعة القطن والبساتين — والتى تحتاج الى عناية خاصة . ولقد تم ذلك لان كبار الملاك هؤلاء وجدوا ان استمرار العمل الاجبارى يتعارض مع مصلحتهم فى الحصول على العمل المطلوب . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الادارة الاستعمارية البريطانية وجدت نفسها مضطرة الى الغاء العمل الاجبارى فى حفر الترع وشق الطرق واصلاحها لتجذب قوة العمل ولتحول بينها وبين هجرة الارض للعمل فى المدن — **فكان الالغاء الرسمى للسخرة فى عام ١٨٨٩** . ولقد حاولت الادارة البريطانية ان تضفى على هذا الالغاء صفة العمل الانسانى والاصلاحى ،رغم ان الدافع الحقيقى له هو التنظيم الاقتصادى الخاص بالعمل الزراعى نفسه ، وضمانا لنجاح « مزرعة القطن » فى خدمة مصالحهم .

ولقد اعتمدت سلطات الاحتلال البريطانى لالغاء السخرة ٤٠٠ الف جنيه فى العام على اساس ان متوسط ايام العمل فى العام هى مائة يوم ، وان عدد العمال المطلوبين هو ٢٣٤ر١٤٣ الف عامل ، ويعنى ذلك ان اجر العامل اليومى سيكون ثمانية عشر مليما — يصل منها جزء الى سائق الانفار والمقاول والوسطاء الاخرين — . ولكن ما حدث بالفعل بعد الغاء السخرة وكما قرر **كرومر** فى كتابه مصر الحديثة — ان المبلغ الذى صرف بالفعل على العمل الزراعى المأجور بلغ فى السنة الاولى من تطبيق النظام ٢٥٠ الف جنيه وانخفض عدد العمال المطلوبين الى ٢٠٢ الف عامل ، وانخفض اجر العامل الزراعى عن الاجر المحدد فى المشروع ليتراوح بين اثنى عشر وثلاثة عشرة مليما فى اليوم (٢) .

اما **العملية الثانية** ، والتى ادت الى ظهور العمل المأجور فى الزراعة فهى عملية تجريد صغار الفلاحين من ملكياتهم ، او تحول صغار الفلاحين هؤلاء ، الى ملاك فقراء يبيعون قوة عملهم جزءا من العام للغير ، ولقد ساعد على عملية التجريد تلك قانون المحاكم المختلطة الذى كان يسقط حق المالك الجديد فى ملكيته اذا اهمل زراعتها ، كما ان قوانين هذه المحاكم كانت تنص على ان يدفع الفلاح ديونه نقدا بعد ان كان يدفعها عينا ، مما اضطر الفلاحون الى رهن اراضيهم لكبار الملاك من المصريين والاجانب — وفى الفترة بين ١٨٧٦ و ١٨٨٢ زادت الرهون العقارية من نصف مليون جنيه الى ٧ ملايين من الجنيهات واستمرت عملية تجريد الفلاحين من ارضهم لصالح المرابين والبنوك الاجنبية حتى اضطرت الادارة البريطانية الى اصدار قانون الخمسة افدنة والذى قضي بتحريم نزع ملكية ما هو اقل من خمسة افدنة وفاء لدين — ولكن قانون الخمسة افدنة لم يمنع المرابين من الاستمرار فى استغلال حاجة الفلاح الى المال بواسطة استرداد المبيع والبيع غير القانونى ومن العبث بقانون الخمسة افدنة . وهكذا لم تتوقف عملية تجريد الفلاحين من ملكياتهم وتحويلهم الى عمل « حر » مأجور .

وادى ذلك كله الى نشأة طبقة العمال الزراعيين فى مصر مجردة تماما من كل شىء الا قوة عملها الرخيصة غاية الرخص ، وامتدادا لها وجدت طبقة فقراء الفلاحين — اشباه العمال الزراعيين — والذين يملكون اقل من نصف فدان فهم شبه مجردين من الملكية ومجبرين على العمل جزءا من الوقت لدى الملاك والمقاولين والشركات .

---

(١) فى عصر سعيد ، اعفى سعيد الفلاحين الذين يعملون فى الابعديات والجفالك وعند كبار الملاك من السخرة ، الامر الذى ادى باعداد كبيرة من الفلاحين الى تفضيل العمل عند كبار الملاك ، على الملكية والسخرة .
(٢) الاستعمار البريطانى فى مصر — تاليف اليتوربيرنز ، ترجمة أحمد رشدى صالح .

وفى الفترة بين ١٩٠٧ و ١٩١٧ زادت النسبة المئوية للعمال الزراعيين الى مجموع المشتغلين بالزراعة من ٣ر٣٦٪ الى٤ر٥٠٪ (٣) .وسجلت السنوات التالية زيادة مضطردة فى عدد العمال الزراعيين . واصبح عدد الاجراء الزراعيين فى ١٩٢٧ اكثر من ٦٦٠ الفا ، وفى ١٩٣٧ حوالى ٢٦٧ر٤٥٧ر١ مليون اجير زراعى ، وفى ١٩٤٥ اصبح حوالى ٢ مليون اجير زراعى .

وفى نفس الوقت فان طبقة فقراء الفلاحين ـ اشباه العمال الزراعيين ـ وهم بحكم وضعهم داخلين فى قوة العمل الزراعى المأجور اخذت تزداد عددا وفقرا ، ففى ١٩١٦ كان هناك مليون فلاح فقير متوسط ملكية كل منهم ٤٢ر٠ من الفدان ، وفى ١٩٢٧ كان هناك حوالى ٥ر١ مليون يملكون اقل من نصف فدان ، وفى ١٩٣٦ كان هناك ٠٠٠ر٦٧٧ر١ متوسط ملكية كل منهم ٤١٪ من الفدان منهم ٠٠٠ر٣٠٠ر١ لايزيد متوسط ملكية كل منهم عن ٣٠ر٠ من الفدان . وفى ١٩٥٠ زاد عددهم ليصبح ٣٣٩ر٩٨١ر١ مليون يملك كل منهم ٣٩٪ من الفدان .

ظروف العمل الزراعى

وهكذا يتضح لنا ان طبقة العمال الزراعيين فى مصر نشأت منذ الغاء السخرة بقطاعين اساسيين : **قطاع** كله عمال اجراء لايملكون الا قوة سواعدهم ، أى لايملكون أى وسيلة من وسائل الانتاج الزراعى . **والقطاع الاخر** وهو اشباه العمال الزراعيين والذين يملكون وسائل انتاج زراعيه فقيرة وغاية فى الضآلة (اقل من نصف الفدان) ومرغمين على بيع قوة عملهم ليستكملوا وسائل معيشتهم .

ولقد استخدمت هذه الطبقة فى ظل اوضاع بالغة القسوة ـ وكما يقول **الميثاق** : « كذلك فان الملايين من العمال الزراعيين عاشوا فى ظروف اقرب ما تكون الى السخرة ، تحت مستوى من الاجور يهبط كثيرا ليقترب من حد الجوع . كما ان عملهم كان يجرى من غير اى ضمان للمستقبل ، ولم يكن فى طاقتهم الا ان يعيشوا سنى حياتهم خلال بؤس الساعات وقسوتها الرهيبة » .

وسنجد وصفا لحال العامل الزراعى وتحديدا لاجره فى عشرينيات **القرن فى مقال نشر فى جريدة** الحساب (٤) : « وهكذا نرى ان الفرق بين طبقات الشعب المصرى كبير جدا وبين وظاهر واضح . فمن فلاح مسكين يملك من الارض لاشىء ويعمل فى ارض سواه بما لا يسد له رمقا ولا يقيه من جوع او برد ، الى مالك غنى يحوز الف فدان او اكثر . ومن فلاح فقير يملك بعض الفدان او فدانا او اثنين او ثلاثة على الاكثر الى ثرى من كبار المالكين قد تتجاوز الفدادين التى يملكها العشرة آلاف او أزيد . **ومن ابن فلاح يعمل طول اليوم فى الحقل لقاء قرشين او قرش ونصف القرش فى الايام العادية، ولقاء خمسة قروش فى ايام موسم القطن** الى ابن غنى يصرف بلا حساب ويرمى الجنيهات كيفما اتفق » .

وظل اجر العامل الزراعى على حاله هذه حتى الحرب العالمية الثانية وزاد خلالها قليلا ليصل الى **ثلاثين مليما** ـ وليصبح فى السنين التى تلت الحرب **٥٠ مليما** ، ولقد قدرت احصائيات ١٩٥٠ متوسط اجر العامل الزراعى فى العام بما لايزيد عن اربعة عشر جنيها .

وفى نفس الوقت نشأت داخل قطاع العمل الزراعى علاقات اجتماعية ونظم خاصة ونشأت فئات من المستفيدين من العمل الزراعى ، فئات طفيلية تجمع ثروتها من اجر العامل الزراعى . وهكذا يمكننا رسم صورة للاوضاع داخل قطاع العمل الزراعى على النحو التالى :

- ارتباط العامل الزراعى الموسمى بمالك الارض وعامل الترحيلة بالمقاول ، ارتباط التابع بالمتبوع ونشوء علاقة تبعية وانعدام العلاقة التعاقدية التى ميزت ارتباط العمل الحر الصناعى والتجارى بالرأسمالى . ولقد سمح ذلك بزيادة حدة استغلال العامل الزراعى الى ابعد حد متصور .

(٣) المشتغلون بالزراعة هم الملاك الذين يزرعون ارضهم او المستاجرون ، وكان عددهم فى ١٩٠٧ حوالى ٠٠٥ر٢٥٧ر٢ مليون وفى ١٩١٧ حوالى ١٨٣ر٣٨٧ر٢ مليون . (البينوربيرنز الاستعمار البريطانى فى مصر) .
(٤) جريدة الحساب ، العدد ١١ بـ ٦مارس ١٩٢٥ .

● نشوء فئة مقاولى ومتعهدى الانفار وانواع الوسطاء الاخرين والتى تقوم بالتحكم فى سوق العمل الزراعى وتورد العمل الى الاماكن المطلوب لها وتنقله من مديرية الى مديرية فى ظل اسوأ وابشع ظروف للتهجير والحياة .

ولقد ادت هذه الاوضاع السيئة الى :

١ ـ سيادة اوضاع فكرية واجتماعية متخلفة بين العمال الزراعيين . ومما ساعد على ذلك موقف الفئات المستغلة للعمل الزراعى المأجور، التى تشجع التعصبات الاقليمية ، والتى تضعف من نمو وتطور الوعى الاجتماعى داخل العمال الزراعيين ، فيفقدون ذاتهم بينما طاحونة الاستغلال تطحنهم حتى آخر قطرة من دم يملكونها .

٢ ـ ولقد ادى الوضع السابق الى ـ ضعف الوعى الاجتماعى ـ الى صعوبة تنظيم عمال الزراعة ، الى جانب اسباب أخرى ادت الى هذا الوضع مثل بعثرتهم وعدم تجمعهم فى مراكز او وحدات انتاجية محددة مثلما يحدث فى المشروع الصناعى .

٣ ـ بدائية وسائل العمل الزراعى ، مما زاد من ارهاق العامل الزراعى بالعمل وخاصة فى اعمال حفر الترع والمصارف . ومن ناحية اخرى ترتب على بدائية وسائل العمل تخلف الوعى الاجتماعى والافتقار الى التطلع الى آفاق ارحب فى الحياة .

٤ ـ ادت ظروف العمل البالغة فى السوء الى هجرة العمل الزراعى الى العمل فى اعمال تافهة وحقيرة او الى الالتحاق بقطاع الخدمات وبعض الصناعات التى لا تحتاج الى تدريب طويل .

تنظيم العمال الزراعيين

قبل الثورة (١٩٥٢)

واذا اردنا ان نؤرخ لتنظيم العمال الزراعيين، اى اتحادهم فى النضال ضد القوى المستغلة لهم ، فاننا يجب ان نفرق بين هؤلاء الذين يعملون فى شركات زراعية ـ مثل عمال شركة السكر بكوم امبو (عمال التفتيش الزراعى) ـ والعمال الذين يعملون فى الزراعة (الموسميين) وعمال التراحيل .

وطيلة السنين الماضية وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو لم يتمكن غير بعض العمال الزراعيين بالشركات من تنظيم صفوفهم وتوحيد قواهم لمقاومة الشركات. **ولقد تأسست أول نقابة لعمال زراعيين فى اكتوبر ١٩١٩ (للعمال بتفتيش كوم امبو التابع لشركة السكر) ، وفى نفس الفترة تكونت نقابة لعمال تفتيش المطاعنة . . .** وقد حوربت حركة تكوين نقابات لعمال الزراعيين حربا عنيفة من قبل الشركات الرأسمالية الاجنبية ومن قبل كبار ملاك الارض وحكوماتهم واحزابهم السياسية .

وفى الفترة بين الحربين لم يطالب بتكوين نقابات للعمال الزراعيين فى مصر الا القوى ذات الاتجاهات الاشتراكية الوليدة . فطالب الحزب الاشتراكى فى برنامجه المنشور عام ١٩٢١ بـ : « تمثيل العمال وفقراء الفلاحين تمثيلا صحيحا فى البرلمان . » و « بتنظيم فقراء الفلاحين فى نقابات وايجاد صلات بينها وبين نقابات العمال مع العمل على ربطها باتحادات الفلاحين الدولية. » وطالبت جريدة الحساب ذات الاتجاهات الاشتراكية فى ١٩٢٥ (العدد ١٤ ـ ١٧ ابريل) بتكوين : « نقابة عمال الزراعة ، ولا نعنى بهم الفلاحين بل العمال المأجورين الذين يشتغلون فى الارض لحساب سواهم مثل « الجناينية » والذين يزرعون الخضار والاشجار والذين يلتقطون القطن وكل عامل يعمل فى الارض لحساب سواه دون ان يكون فلاحا يعمل فى ارضه الخاصة » وذلك من ضمن التسعة عشر نقابة صناعية ومهنية المقترح تنظيمها حينئذ .

وفى الجانب الاخر سكتت كل القوى « البورجوازية » التى نشطت فى الحركة العمالية عن المطالبة بتنظيم العمال الزراعيين . بل وقفت فى كثير من الاحيان ضد هذه التنظيمات ، فلائحة اتحاد العمال الذى اسسه الوفد فى ١٩٢٤ استبعدت عمال الزراعة واتحاد العمال الذى كونه « النبيل » عباس حليم استبعدهم كذلك . وعندما صدر اول قانون للنقابات فى مصر فى ١٩٤٢ القانون رقم ٨٥ لسنة ١٩٤٢ حرم تكوين نقابات للعمال الزراعيين ـ ولقد عبر ذلك عن التحالف الوثيق بين احزاب البورجوازية والاقطاع ـ ان الموقف المعادى لتنظيم العمال الزراعيين انما كان الهدف منه منع تنظيم الكتلة الكبيرة المحرومة ،

والتى ان نظمت ستكون محور العمل الثورى فى الريف ».

وبعد الحرب العالمية الثانية — نشطت الدعوة فى الاربعينيات والخمسينيات لتكوين نقابات للعمال الزراعيين — من قبل التقدميين والعناصر الاصلاحية والنقابيين الداعين الى توحيد الحركة العمالية المصرية بكل قطاعاتها — ولكن العمل اقتصر على الدعوة ولم يتعداها للتطبيق العملى الا على نطاق ضيق فى بعض المديريات (ساحل سليم فى اسيوط وبعض قرى الدقهلية والشرقية).

تنظيم العمال الزراعيين بعد الثورة

وما ان قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى صدر لاول مرة فى تاريخ الحركة العمالية المصرية — بل وفى تاريخ الحركة الثورية المصرية اعتراف قانونى بحق العمال الزراعيين فى التنظيم — وقد جاء هذا الاعتراف القانونى ضمن قانون من قوانين الثورة ذات الطابع الاجتماعى — **قانون الاصلاح الزراعى الاول ٩ سبتمبر ١٩٥٢** — حيث نص على تحديد حد ادنى لاجر العامل الزراعى ، كما نص على جواز تأليف نقابات من العمال الزراعيين .

والواقع انه من وجهة النظر الثورية ، فان النظرة الى قضية تنظيم العمال الزراعيين يجب ان لاتكون على اساس انها مجرد قضية نقابية بحته انما على اساس انها فى الجوهر قضية من القضايا الرئيسية للثورة — حيث تكون جماهير العمال الزراعيين وفقراء الفلاحين (اشباه العمال الزراعيين) عمودا فقريا للثورة فى الريف . ومن هنا فانه كى تحقق الثورة اهدافها الديمقراطية والاجتماعية فى الريف يجب ان تعتمد اساسا على العمال الزراعيين وفقراء الفلاحين .

ولكن اجازة قانون الاصلاح الزراعى الاول لتكوين نقابات للعمال الزراعيين ، وكذلك اعتراف القانون ٣١٩ لسنة ١٩٥٢ لتنظيم النقابات بنقابات عمال الزراعة اصطدم فى الريف بمقاومة شديدة علنية حينا وخفية حينا آخر ، فان القوى المنتمية الى المجتمع القديم كانت لاتزال تحتفظ بمراكز قوتها .

وكان معنى ذلك ان هذه القوى — وهى واعية تماما بخطورة تنظيم العمال الزراعيين — قد منعت قيام هذا التنظيم ، هادفة بذلك الى منع الاجراءات الثورية من النفاذ الى العلاقات الاجتماعية فى الريف ».

وفى هذه الفترة — لم تتكون نقابات حقيقية للعمال الزراعيين فى القرى ، وتكونت نقابات للعمال الزراعيين فى الشركات الزراعية والمصالح الحكومية . فبلغ عدد نقابات عمال الزراعة حوالى ٣٨ نقابة بعضوية تتراوح بين ١٦٫٤٠٠ الف و١٨ الف عامل . وتكون اتحاد نقابات عمال ومستخدمى الزراعة (بجمهورية مصر) وكان اتحادا علويا تتكون قيادته من عناصر لا علاقة لها بالعمل الزراعى ، رغم ذلك فقد كان مجرد قيامه عملا دعائيا كبيرا مهد الارض للمستقبل بالنسبة لتنظيم العمال الزراعيين ».

وفى ١٩٥٨ اصبح عدد نقابات عمال الزراعة ٩٤ نقابة بعضوية ١٩٤٤٣ واستمر هذا الوضع من ناحية « كم » التنظيم و « نوعه » حتى بعد القانون ٩١ لسنة ١٩٥٩ .

ولكن جاء **ميثاق العمل الوطنى** ليعلن ان « نقابات العمال الزراعيين سوف تكون قادرة على تجنيد جهود الملايين الذين ضيعتهم البطالة واهدرت بالسلبية طاقاتهم . »

« ان هذه القوى هى الخلايا التى تستطيع ان تنسج خيوط الحياة فى الريف من جديد وتصنع منها قماشا حضاريا يقرب القرية الى مستوى المدينة » .

الوضع بعد الميثاق

وبعد اعلان الثورة الاجتماعية — باجراءات يوليو ١٩٦١ — اكدت قيادة الثورة الدور الطليعى للطبقة العاملة فى بناء البلاد . وجاء اول قانون عمالى خاص بالتنظيم النقابى بعد اجراءات يوليو الثورية وبعد دستور مارس ١٩٦٤ ، ونعنى به القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ مبديا اهتماما خاصا بتكوين نقابات عمال الزراعة فى القرى فنصت المادة ٦٩ على : « ويجوز بالنسبة الى عمال الزراعة ومن فى حكمهم الذين يصدر بتحديدهم قرار من وزير العمل تشكيل لجان نقابية مهنية فى القرى بشرط ان يبلغ طالبو الاشتراك فى القرية الواحدة ٣٠ عاملا على الاقل . »

وما ان نفذ هذا القانون والذى اعيد على اساسه تشكيل النقابة العامة لعمال الزراعة بالجمهورية العربية المتحدة حتى تكونت لجان نقابية فى معظم انحاء قرى الجمهورية فبلغ عدد اللجان النقابية للعمال الزراعيين بما فيها حوالى ١٠٠ لجنة نقابية لعمال الشركات والمؤسسات والمصالح الحكومية اكثر من ٤٠٦٠ لجنة نقابية .

المهم انه لاول مرة فى تاريخ التنظيم النقابى اعلن عن تشكيل لجان نقابية فى القرى . ولقد شكلت هذه اللجان على عجل واشرف على تشكيلها الهيئات الادارية والسلطات المحلية بمافيها العمدة . ولذلك جاء التشكيل الاول لهذه اللجان محملا بكثير من الجوانب السلبية :

● تسلل الى اغلب لجان القرى مقاولو الانفار ومساعديهم وعمدوا الى سلب هذا التنظيم الهام مقومات حياته .

● تم تشكيل اغلب اللجان تنفيذا لتوجيهات ادارية من وزارة العمل فجاءت معظمها لجان شكلية (دفترية) — لا تضم الا عددا يزيد قليلا عن الحد الادنى المنصوص عليه فى القانون (٣٠ عاملا) .

● تكونت اللجان وليس لها من مقر يلتقى فيه الاعضاء وتمارس منه نشاطها .

● استفادت القوى الانتهازية وكبار الملاك من كافة الجوانب السلبية الموروثة من الماضى وسيطروا بواسطة عملائهم على كثير من اللجان .

ولكن اهتمام قيادة الثورة بعملية تنظيم العمال الزراعيين كشف بسرعة عن هذه العيوب، فجاء شعار تطهير اللجان النقابية للعمال الزراعيين من المتسللين . ولكن حركة التطهير هذه فى غالبيتها تمت كذلك بطريقة ادارية فلم تؤت النتائج المرجوة منها (٥) والحقيقة ان القضية هى قضية البناء الديمقراطى للجان النقابية فى القرى ، ويتم ذلك عن طريق عقد جمعيات عمومية (مؤتمرات) حقيقية للعمال الزراعيين باشراف التنظيم السياسى للاتحاد الاشتراكى والنقابة العامة . يقوم العمال الزراعيون فيها بانتخاب قياداتهم من بينهم .

كيف نطور بناء تنظيم العمال الزراعيين ؟

القضية الان بالنسبة لتنظيم العمال الزراعيين — ان الشبكة التنظيمية النقابية لهم قد قامت من الناحية الشكلية والقانونية .ورغم الجهود التى بذلتها النقابة العامة لعمال الزراعة لاعطاء هذه الشبكة الحياة والفعالية بعقدها لعديد من المؤتمرات فى المحافظات والمراكز والقرى وبأنشائها مركزا ثقافيا بالقاهرة بمقر النقابة العامة لتوعية رؤساء اللجان النقابية وامناء الصندوق وسكرتيرى اللجان — فان عملية البناء الحقيقى لتنظيم العمال الزراعيين بالقرى وعلى نطاق القطر كله مازالت توجه العمل الثورى كعملية ضرورية وحتمية لاقامة قواعد شعبية ديمقراطية لاكثر الطبقات الريفية ارتباطا من ناحية المصلحة والثورية بالعمل الثورى فى الريف المستهدف بناء الاشتراكية .

فاولا : لابد من حل مشكلة تكوين الكادر النقابى الزراعى ،فمعظم اللجان النقابية فى القرى تفتقر الى العناصر الواعية وحتى نصف الواعية والتى يكون فى امكانها تنشيط اللجنة النقابية ووضع برنامج عمل لها ودفع العمال غير المنظمين للانضمام اليها — ومشروع النقابة العامة لتكوين هذه الكوادر ليس فى امكانه ان يغطى هذه العملية الا بمرور عدد من السنين ، فعدد اعضاء مجالس ادارات اللجان المفروض توعيتهم وتدريبهم على العمل النقابى الذى لم يمارسوه من قبل يبلغ حوالى ٤٤ الفا ، والدورة التى تستمر لمدة ١٠ ايام تخرج فى المتوسط ٤٠ دارسا — ان حل هذه المشكلة يجب ان ينتقل بكل ثقله الى التنظيم السياسى وان تتعاون معه النقابة العامة ، فان الاتحاد الاشتراكى يجب وان يجعل من هذه القضية قضية جماهيرية فينظم عن طريق معاهده الاشتراكية بالمحافظات دورات خاصة باللجان النقابية للعمال الزراعيين — وان ينتقل المحاضرون والمدربون الى القرى للقيام بهذا العمل ، كما ان التوعية ذاتها يجب ان

(٥) تقدر النقابة العامة للعمال عدد اللجان التى اجرى فيها تطهير بـ ٤٠٠ لجنة وجدبها مستاجرين وصغار ملاك ومقاولى الانفار .

تبنى على اساس المشاكل الواقعية للعمال الزراعيين فى مجالات عملهم وخلال اتصالهم اليومى . على ان تشارك فى العملية مراكز مؤسسة الثقافة العمالية . ان قضية نشر الوعى بين العمال الزراعيين لايمكن ان يتم ببرامج دراسية تستغرق عشره ايام وان تتحقق هنا « بالقاهرة » لانه لايمكن نقل الـ ٤٤ الف قائد نقابى الى القاهرة بنفس السهولة التى تنتقل بها القوى المدربة والمعلمة — هذا كما ان هذا العدد الكبير من القادة النقابيين من المفروض ان يتغير مع كل انتخابات نقابية (الدورة كل عامين) . ومن المهم كذلك لتحقيق الارتباط بين العمل الصناعى والعمل الزراعى ان تساهم النقابات العامة الصناعية فى عملية تدريب وتوعية العمال الزراعيين . ان الالتحام بين عمال الزراعة وعمال الصناعة سيساعد على « صنع القماش الحضارى الذى يقرب القرية من المدينة » .

ثانيا : ان نظام مقاولى الانفار يجب ان يلغى قانونيا وواقعيا ، فمازال قانون العمل يعترف به — المادة ٢٢ من القانون ٩١ لسنة ١٩٥٩ ، وان تنتقل عملية تشغيل العمال الزراعيين الى نقابات العمال — فان التنظيم النقابى وفق المفهوم العلمى الاشتراكى هو التشكيل القاعدى العامل لدفع عملية الانتاج الى الامام وللربط بين حقوق العامل وواجباته ، ان الاتجاه لانشاء مؤسسات جديدة لتشغيل عمال الزراعة انما هو انشاء لاجهزة خدمات جديدة ذات طابع ادارى بينما من الممكن ان تعطى هذه المهمة للتنظيم النقابى مباشرة فنوفر الكثير من الوقت والجهد البشرى .

ثالثا : ان نقابات العمال الزراعيين كما ذكرنا غير قائمة فى اغلب القرى الا فى سجلات العضوية ان كانت قد سجلت — فهذه اللجان لاتمارس اى نشاط جماهيرى وديمقراطى مع العمال الزراعيين بالقرية — وبعث الحياة الحقيقية فى هذه اللجان لن يتحقق بمجرد تكوين عدد من الكوادر — فلا فائدة من وجود هذه الكوادر ان لم يكن هناك وجود جماهيرى للتنظيم نفسه . والمسألة الشكلية الاولى — ولكنها مسألة هامة لوجود التنظيم — ان يكون له مقر وان يكون مكانا غير دوار العمدة .. الخ بمعنى ان يكون مكانا خاصا بالنقابة مستقلا عن الاماكن الاخرى . والمسألة الثانية هى ان وجود التنظيم النقابى لعمال الزراعة فى القرية يعتبر عملية سياسيه وليس مجرد عملية نقابية بحتة ، لذلك يجب ان تصبح من مسئولية المكاتب التنفيذية والوحدات القيادية للاتحاد الاشتراكى الاهتمام بهذا العمل باعتباره واجبا رئيسيا يجب انجازه .

رابعا : يجب ان تدعم النقابة العامة لعمال الزراعة باجهزة فنية متخصصة . وان تنتقل هذه الاجهزه للعمل فى القرى لتسهم فى عمليه تنظيم العمال الزراعيين . ويرتبط بذلك ضروره احداث تقييم بالنسبه لتشكيل مجلس اداره النقابه العامه لعمال الزراعة — فالتكوين القانونى للمجلس على اساس ٢١ عضوا . لايسمح بان يكون هناك مستوى قياديا اوسع حتى يمكنه تحمل المسئوليات العملية والنضالية على نطاق ٤٠٩٠ لجنة نقابية تضم حاليا ٣٦٨٫٠٣٧ الف عامل ومن المفروض ان تضم حوالى ٣ ملايين عامل .

خامسا : انه لحل مشاكل التخلف فى العمل الزراعى ، وحل مشاكل فائض العمل الزراعى، لابد من احداث تغيير فى وسائل واساليب العمل القديمة المتخلفة ، لذلك يجب وان يقوم التنظيم النقابى بمهمة انشاء مراكز تدريبيه للعمال الزراعيين تعلمهم العمل على الالات والجرارات ولرفع مستواهم الفنى والعلمى ، ومحو الامية بينهم .

سادسا : ان الاتحاد العام للعمال يجب ان يشارك بكل امكانياته المادية والفنية فى عملية بناء تنظيم العمال الزراعيين فى القرى، فان مهمة الاتحاد العام لايمكن ان تظل محصوره فى نطاق العمل المكتبى والادارى العلوى — انها يجب ان تمتد الى ابعد مدى للمشاركه فى البناء الجماهيرى الديمقراطى العريض لحركة النقابية .

ان التنظيم النقابى للعمال الزراعيين لم يكتمل بناؤه حتى اليوم — الامر الذى مازال يحرم العمل الثورى فى الريف من قوة هامة طليعية ورئيسية فى عملية بناء الاشتراكية وتحويل الريف تحويلا ثوريا .

حرب أم سلام

هل يمكن إعادة تشكيل خريطة العالم دون صدام دولى شامل ؟!



سعد زهران

اصبحت التقسيمات الدولية التى تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية غير صالحة للتعبير عن علاقات القوى فى عالم اليوم . وليست الفورة السياسية والاجتماعية الشاملة ، وعوامل القلق والتوتر والشذوذ التى تسود العلاقات الدولية ، الا تعبيرا عن بحث العالم عن أشكال من التقسيمات والمؤسسات الجديدة التى تتلاءم والتغيرات التى طرأت على علاقات القوى فى أكثر من عشرين عاما التى انقضت منذ انتهاء الحرب .

ومعروف ان هزيمة الفاشية فى الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ تمخضت عن معسكرين كبيرين متجابهين سياسيا وعقائديا : معسكر راسمالى أستعمارى بزعامة الولايات المتحدة ، ومعسكر اشتراكى شيوعى بزعامة الاتحاد السوفييتى ، وكان **دالاس** من ناحية ، **وستالين** من ناحية أخرى هما التعبير الفكرى الاكمل عن هذا التقسيم الواضح للمجتمع الدولى . كما كان كل من **حلف الاطلنطى ووارسو** هما النتاج الطبيعى لهذا التقسيم فى الميدان العسكرى .

الى أن كان **مؤتمر باندونج فى ١٩٥٥** الذى شهد بروز قوة دولية جديدة هى الجماعة الاسيوية الافريقية حديثة الاستقلال . وفى عام ١٩٥٦ ، اعلن خروشوف نقد الشيوعيين السوفييت لتعاليم ستالين ، واعلى مبدأ التعايش السلمى والتنافس بين النظامين العالميين ، وبذلت القيادة السوفيتية الجديدة جهدا واعيا لافساح المجال لبلاد العالم الثالث ، وبدأت سلسلة محاولات جديدة لخلق تفاهم مباشر مع قادة الولايات المتحدة . وكان **انتصار السويس** تعبيرا حاسما عن المكانة التى اخذت تحتلها قوى التحرر الوطنى ، وعن الانهيار السريع الذى اصاب قوى الإستعمار القديم .

اى ان أواسط الخمسينات شهدت أول محاولة كبيرة لاعادة تشكيل خريطة عالم مابعد الحرب . وكان طبيعيا أن تلعب قوى الاستعمار القديم ،

وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا حينذاك ، الدور الاول فى محاولة ايقاف هذا التغيير الكبير . حقيقة ان جميع المعارك التي خاضها المستعمرون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كانت تتم تحت الرعاية الامريكية ، غير أن الولايات المتحدة لم تشترك بقواتها مباشرة فى محاولةالقوى الاستعمارية القديمة الاحتفاظ بمراكزها المزعزعة فى اواسط الخمسينات . وكانت هزيمة المستعمرين فى السويس علامة هامة فى تاريخ العالم . كانت نهاية لامبراطوريات الاستعمار القديم وبداية لتحديات جديدة تواجهها شعوب البلاد الفتية فى آسيا وافريقيا، واهمهاتحقيق الاستقلال الاقتصادى بعد الاستقلال السياسى ، واجراء أصلاحات أجتماعية جذرية ، ورفع مستوى معيشة الجماهير العاملة ، وأقامة العلاقات الدولية على أسس جديدة تهتدى بمبادىء باندونج العشرة .

وكان **نهرو وعبد الناصر وتيتو** هم القيادة الروحية والسياسية لعملية التغيير الكبيرة التى تمت فى اواسط الخمسينات ، كما كان كل من **خروشوف وكيندى** هما أكبر محاولتين فى الشرق والغرب لتفهم مغزى دخول هذه القوى الفتية فى الحلبة الدولية ، ولتعديل سياسات كل من الكتلتين الدوليتين الكبيرتين بما يتلاءم مع ذلك التغيير .

ولعلنا نقرر حقيقة سيثبتها تاريخ السنوات القليلة القادمة حين نقول أن أواسط الستينات تشهد ثاني محاولة كبرى لاعادة تشكيل الخريطة السياسية لعالم مابعد الحرب العالمية الثانية

ورياح التغيير فى هذه المرة تهب — اساسا — من داخل الكتلتين ، وليس من خارجهما . ويحاول ساسة الغرب أن يثبتوا أن السبب فى أرهاصات التغيير الجديد يرجع الى بروز قوتين دوليتين ، هما الصين وفرنسا ، تسعيان لاثبات حقهما فى الصعود الى مصاف الدولتين العظيمتين التقليديتين ، ونعنى بهما روسيا وأمريكا . تقول الايكونومست فى افتتاحية لهانشرت فى مستهل عام١٩٦٦ «انماحدث هو أن العالم المنسق الذى الفناه منذ ١٩٤٥ ، وهو عالم لم يكن فيه سوى دولتين عظيمتين حقيقيتين هما أمريكا وروسيا .. أن هذا العالم قد أنتهى أخيرا ، أنتهى لان ثمة مشروع دولة عظمى ، هى الصين ، تشق طريقها وسط الزحام وتصرعلى أن تلعب دورا مستقلا فى الشئون الدولية ، كما ان هناك دولة عظمى سابقة ، هى فرنسا ، تقوم بنفس المحاولة والارجح أن المحاولة الصينية ستنجح بينما ستفشل المحاولة الفرنسية » ..

والحق أن هذا نموذج للتفكير الاستعمارى الذى يرجع كل التغييرات الدولية الى سياسات القوة والتوازنات بين الدول الكبرى « وتابعاتها » . فالاستعماريون لايرون خارج نادى الدول الكبرى عدد يزيد او يقل من «الاتباع» ، ومن ثم يحاولون ان يتلمسوا حلولا فى اطار المساومات والصفقات بين هذه الدول .

ونحن لانختلف على أن بروز قوى تسعى الى الصعود الى مصاف الدول الكبرى أمر يدعو الى أعادة النظر فى تشكيل المعسكرات الدولية . ومنذ خمسين عاما تحدث لينين عن النمو غير المتكافىء بين الدول الامبريالية ، وفى هذا مايساعدنا على فهم عناصر التناقض ، ليس فقط بين فرنسا وأمريكا، وأنما أيضا بين أوروبا الغربية فى مجموعها من جانب ، وبين الولايات المتحدة من جانب آخر . كذلك فان لدينا اليوم «معسكرا اشتراكيا» يضم أربعة عشر بلدا . ولا شك أن تفاوت درجات النمو الاقتصادى والاجتماعى بين أفراد هذه المجموعة يخلق أساسا ماديا لتناقضات تصل الى ماوصلت اليه الخلافات السوفييتية الصينية من خطورة . وأن كان الطرفان لاينكران هذا التفاوت الا أن كلا منهما لايسلم بانه هو الاساس فى الخلاف المتفاقم ، انما يعزوه السوفييت الى جموديستارى من القيادة الصينية ، بينما يرى الصينيون أن القيادة السوفييتية انتهت الى الردة الكاملة ، وأنهاتعيد الراسمالية الى الاتحاد السوفييتي ومن نهج نهجه من بلاد أوروبا الشرقية .

على اية حال فان تزايد القوة الاقتصادية والعسكرية لدول أوروبا الغربية ، والصعود المطرد للصين الى مرتبة الدولة العظمى التى تأخذ بأسباب القوة الاقتصادية والعسكرية — أن هذا وذاك من دواعى أعادة النظر فى الخريطة السياسية للعالم

عقدة الصين

يحاول ساسة الغرب أن يضخموا من الجانب السوفييتى فى المشكلة الصينية ليجعلوه هوالجانب الغالب ، وليوهموا العالم أن قادة الصين من التعنت والعناد بحيث يستحيل حتى على زملائهم فى العقيدة ان يتعاملوا معهم . بل أنهم يحاولون أيهام العالم أن القادة السوفييت موافقون موافقة صامتة على سياسة «الاحتواء» التى تنفذها الولايات المتحدة ضد الصين . وفى هذا مغالطة كبرى . فلاشك ان المشكلة الصينية هى من صنع الولايات المتحدة التى ماتزال — بنفوذها — تحرم ٧٠٠ مليون صينى من حقهم الطبيعى فى التمثيل فى هيئة الامم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية . كما أن الهدف من كل سياستها الاسيوية هى عزل الصين وحصارها وأنهاكها فى بسلسلة لاتنتهى من المناوشات وأعمال الاستفزاز والحروب الصغيرة

بل ان حكام وشنطن يداعب خيالهم اغراء قاتل بالهجوم الخاطف على الصين والانتهاء منها فى ضربة ذرية قاصمة .

والحق ان الامريكيين فى فزع حقيقى من نهضة الصين. فانجميع المراقبين الغربيين يجمعون على ان الصين قد أخذت ، بعد ثورتها ، بأسباب النهوض الاقتصادى والثقافى ، وانه — بغض النظر عن أخطاء التخطيط أو الصعوبات الناجمة عن الحصار الامريكى أو الخلاف مع السوفييت ، فان الصين ستصبح القوة الاقتصادية والعسكرية الاولى فى العالم عند نهاية القرن الحالى . وباقتراب عصر التفوق الصينى تقترب نهاية النفوذ الامريكى فى آسيا ، ومعه نفوذ الغرب الراسمالى بأسره . ولن يكون ذلك بفعل المنافسة الاقتصادية فحسب ، وانما أيضا بقوة المثل الذى ستضربه الصين للجماعات البشرية الغفيرة التى لاتجدى معها العلاجات الجزئية أو انصاف الحلول ، والتى تضربها المجاعة وتمزقها المنازعات والحروب الداخلية، وينخر فى كيانها بقايا النوذ الاستعمارى، مثل شعوب شبه القارة الهندية والجزر الاندونسية مع ما يصحب صعود نجم الصين من جاذبية لشعوب الشرق الاقصى عموما ، وللشعب اليابانى بصفة خاصة .

حصار ريف العالم لمدنه

وليست محاولة منع الصين من الصعود الى مكانها الطبيعى فى المجتمع الدولى الا جانبا من عقدة الصين التى تعانى منها الدوائر الامريكية الحاكمة . والجانب الاخر هو استراتيجية الصين الدولية . وعلى الرغم من قلة المراجع الصينية فى هذا الصدد ، واعتمادنا أساسا على مايكتبه المعلقون الغربيون ، وما ينقلونه عن القادة الصينيين ، فاننا نستطيع ان نقول ان القيادة الصينية تحاول تعميم الخبرة الخاصة بالثورة الصينية على العالم كله . فوفقا لنظرية **لين بياو** العقل الاستراتيجى الاول فى الصين بعد ماوتسى تونج تعتبر بلاد آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينيةهى ريف العالم ، بينما البلاد المتقدمة فى الغرب الراسمالى هى المدن . وكما نجحت ثورة الشعب الصينى على الاستبداد والفقر بحصار الريف الصينى الثائر لمدنه الواقعة فى قبضة القوى الاستعمارية الاجنبية والطبقات الرجعية المحلية باتباع تكتيك الحرب الثورية ، كذلك فان الطريق الوحيد ، فى نظر القيادة الصينية ، لنجاح ثورة شعوب هذه البلاد على التخلف والاستبداد الامبريالى انما يكون بحصار ريف العالم لمدنه ، اى حصار القلاع الرأسمالية فى الغرب بواسطة سلسلة من الثورات المسلحة فى القارات الثلاث .

والاعتبار ، فى نظر القيادة الصينية ، لمايقال عن التفوق العسكرى للامبرياليين . فان الفلاحين الصينيين الذين بدأوا باستخدام العصى والفؤوس والبنادق البدائية تمكنوا من التغلب على القوة العسكرية الجبارةللامبريالية اليابانية، ثم من سحق جيوش كاى شيك البالغ عددهاسبعة ملايين ونصف مليون مقاتل،والمسلحة بأحدث الاسلحة الامريكية. وفى نظر القيادة الصينية ان **القوة الاساسية التى تحدد مصير كل شىء هى الطاقات البشرية المسلحة بالفكر الثورى** (وهو فى زماننا فكر ماوتسى تونج ولاشىء سواه) ، اما الامبرياليون فهم ليسوا الا نمورا من ورق لاتخيفالثوريين الحقيقيين .

الوحدة من خلال التنوع

وفى ذلك المخطط العالمى لايذكر القادة الصينيون اين يضعون الاتحاد السوفييتى والجمهوريات الاشتراكية فى اوروبا الشرقية . هذا ، بينما يقول القادة السوفييت أن هذا التعميم الصينى ضار . فاللعب بالحركات المسلحة والحروب الاهلية فى كل الظروف وباى ثمن مسالة خطيرة لاتقبل هذا التعميم البسيط ، وذلك خشية ان تتخذ الاولى شكل المؤامرات الانقلابية المعزولة عن الشعب والتى يمكن أن تؤدى الى انتكاسات يمينية معادية للثورة ، وخشية ان تؤدى الثانية الى الاتساع لتصبح حربا محلية ثم حربا شاملة ، لايستبعد فيها الالتجاء الىالاسلحة النووية. وهنا لامجالللحديث عن نمور الورق ، فان هذه النمور — على حد تعبير خروشوف — ذات انياب ذرية . ومعروف ان الاتحاد السوفييتى هو الذى مايزال يملكوحده القوة النووية الرادعة التى تستطيع أن تواجه القوة الامريكية . وامريكا هى القوة التى تهدد بتحويل حروب التحرير الى حروب صغيرة ، وتوسيع نطاق الحروب الصغيرة لتصبح حربا شاملة . فاذا كانت هذه هى احدى حقائق الوضع الدولى ، واذ كان لامجال لاغفال القوة السوفييتية الاقتصادية والسياسية والعسكرية فى أى مخطط عالمى لمواجهة الاستعمار وتصفيته، فما بالنا بوضع الاتحاد السوفييتى فى صف امريكا كقوة معادية لحركات التحرر وللاشتراكية ؟ وهو ماانتهى اليه القادة الصينيون .

ان القيادة السوفيتية تؤمن بتنوع طرق النضال من اجل التحرر الوطنى ومن اجل الاشتراكية وذلك وفقا لما تمليه الظروف الخاصة لكل بلد . كذلك يرى القادة السوفييت امكان «الوحدة من خلال التنوع»، اىوحدةكلقوى التحرروالاشتراكية على اختلاف الطرق التى تنتهجها فى النضال ضد قوى الامبريالية والرجعية والتخلف . كما يرون ايضا ان القوى المناضلة من اجل الاشتراكية

تتسع اليوم لاكثر من الطبقة العاملة ، وان التطبيق الاشتراكي يتسع لاشكال من تنظيم الدولة تختلف عن الشكل التقليدي المألوف لدكتاتورية البروليتاريا ... الخ .»

الاستعمار الجديد يعود الى سياسات القوة

هكذا تنشغل القيادتان الصينية والسوفييتية بخلافاتهما وتنافسهما على كسب هذا الفريق او ذاك من الحركة الشيوعية العالمية ، او تعاطف هذا الجانب او ذاك من حركة التحرر الوطني .
وينتهز الامريكيون الفرصة ليضربوا ضرباتهم في جنوب شرق آسيا . ويحاولون تبرير حرب الابادة التي يشنونها ضد شعب فييتنام بانهم يعملون على اثبات فشل تكتيك حروب التحرير الذي تروجه الصين . ومرة اخرى نصادف مغالطة امريكية صارخة ، فحروب التحرير ليست ابتداعا صينيا ، كما انها ليست وقفا على الصين «ومن يسير في فلكها » على حد زعم الامبرياليين . فحركات التحرير في الجزائر وكوبا والجنوب العربي وانجولا وموزمبيق واماكن عديدة في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، اهتدت الى اسلوب حرب العصابات التحريرية ومارسته من واقع تجربتها المريرة مع قوى الاستعمار والتخلف .

وانما يعلق الامبرياليون الامريكيون كل هذه الاهمية على الحرب الدائرة في فييتنام لانها اول حرب تخوضها قوى الاستعمار الجديد ضد شعب يريد ان ينفض عن كاهله نير القهر والتسلط الاجنبي الذي يتخفى وراء ستار مهلهل من استقلال صوري وحكام محليين من الخونة والعملاء .
ان مايميز الاستعمار الجديد هو انه اهتدى الى اساليب من الضغط الاقتصادي واعمال التجسس والتخريب والانقلاب الداخلي لكي يحول استقلال البلاد النامية الى خرافة ويعيدها الى حظيرة التبعية الاستعمارية . غير ان الوعي المتعاظم لشعوب القارات الثلاث سرعان ماكشف وسائله وكشفت حركة التضامن من اساليبه . وهكذا يلجأ الاستعمار الجديد اليوم الى اشكال من القمع والوحشية لم يعرفها اشد الاستعماريين القدامى ضراوة . وليست حرب فييتنام الا تعبيرا عمايضمره المستعمرون الجدد من نوايا اجرامية ضد حروب التحرر التي تهدف الى اقتلاع نفوذهم .

ومنذ وصل جونسون الى كرسي الرئاسة في الولايات المتحدة وهو يعلن ان تلك هي السياسة الرسمية للدولة الامريكية . هكذا خاضت امريكا حربا غير معلنة ضد شعب الكونغو في الحملة الامريكية البلجيكية ضد ثوار ستانليفيل في اكتوبر ١٩٦٤ ، وحربا اخرى لاسقاط الحكومة الدستورية في الدومينيكان واحلال حكومة من العملاء مكانها في ١٩٦٥ . وهكذا ايضا توسع امريكا نطاق الحرب ضد شعب فييتنام الجنوبية بالغارات الوحشية على فييتنام الشمالية ، بل وتمدها الى لاوس وكمبوديا المحايدتين . وهكذا ايضا تهدد الولايات المتحدة باحباط اية محاولة لاقتلاع قوى الاستعمار الجديد بقوة السلاح ، دون اعتبار لقانون دولي او مراعاة لاية اعتبارات انسانية ، او رضوخ لقوة الراي العام ، سواء في داخل امريكا او في كل ارجاء العالم .

الشرق الشيوعي والجنوب الفقير

وان كانت جريدة الايكونومست وغيرها من منابر الاستعمار لاترى من سبب يدعو الى اعادة النظر في الخريطة السياسية للعالم سوى مايمليه الصعود او الهبوط في مراتب الدول العظمى من دواع ، فاننا نرى دواعي اخرى ، لعل اهمها هو ضرورة تخلي قوى الاستعمار العالمي عامة ، والاستعمار الجديد بصفة خاصة ، عن مسعاها لاحكام قبضتها على مصائر شعوب القارات الثلاث ان اهم مصدر من مصادر التوتر الدولي هو ذلك الاصرار الوحشي ، من جانب قوى الاستعمار الجديد ، على اعادة البلاد حديثة الاستقلال الى حظيرة التبعية الامبريالية في صور جديدة . ومايزال امضى سلاح في ايدي المستعمرين الجدد هو السلاح الاقتصادي . ولعل التجارة الدولية هي الميدان الاساسي الذي تمارس من خلاله اشكال من الاستغلال والاذلال ضد البلاد الفقيرة . ان الاسعار التي تفرضها الاحتكارات العالمية على منتجات البلاد المتخلفة من ناحية ، وعلى منتجات البلاد المتقدمة من ناحية اخرى ، تؤدي الى استنزاف لايرحم لموارد الاولى لحساب الثانية .
كما انها تهدف الى افساد كل محاولة تقوم بهسا البلاد النامية لبناء اقتصاد مستقل يقوم على صناعة حديثة . ولايتصور اعادة تشكيل خريطة العالم دون مراعاة لحق هذه البلاد في النهوض الاقتصادي والثقافي . وان اي تعديل للمعسكرات الدولية ينطوي على تجاهل لهذا الحق سيضع الجماعات البشرية الفقيرة في القارات الثلاث ، وبخاصة في آسيا ، الى اوضاع ميئوس منها ، تؤدي الى اوخم العواقب — محليا وعالميا .

ومرة اخرى نعود الى ذلك المقال الذي نشرته الايكونومست في مستهل العام . والذي نعتبره على كثرة مانشر عن تلمس عناصر استراتيجية جديدة للغرب ، من اهم ماكتب في هذا الصدد ومن اكثره وضوحا وتركيزا . ان المجلة تشير على طريقتها الخاصة الى بعض هذه المعاني حيث تقول : « ان

شكل العالم في ١٩٤٥ لم يكن يدعو الى الرضا لانه كان دائما ينطوى على خطر التحالف بين الشرق الشيوعي والجنوب المتخلف ضد غرب معزول . ومهمة اواسط الستينات ان تصل الى توازن جديد للقوى. وانها فرصة لا يجب أن تمر» .

والمعانى التى توحى بها هذه الفقرة كثيرة . واذا وضعت فيها النقط فوق الحروف فان ماتقصده المجلة هو ان الغرب الراسمالى ظل طيلة السنوات العشرين الماضية يخشى ان يربط الشرق الشيوعى (والمقصود هنا هو الاتحاد السوفييتى واوروبا الشرقية) — ان يربط نفسه بتحالف مصيرى مع البلاد الفقيرة فى العالم الثالث .

مشروع استعمارى طموح

أما الفرصة التى ترى الايكونومست انها لايجب أن تمر فهى تتلخص فى الخلاف الصينى السوفييتى من جانب ، والوضع فى أوروبا من جانب آخر . ونسمح لانفسنا هنا أن نقتبس فقرة طويلة نسبيا من ذلك المقال الفريد ، لنرى كيف يفكر الغرب ؟ . تقول الايكونومست :

« لخص المارشال لين بياو الموقف فى عبارة موجزة بليغة عندما قال أن آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية هى ريف العالم ، وأن أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية هى مدنه. وتركت خريطة المارشال روسيا واوروبا الشرقية مساحات بيضاء . والان أيها الرفاق ، لكم أن تختاروا .

«وسيختار الروس حتما . وسيتوقف أختيارهم جزئيا على ما سيفعل الغرب . والحق أن هناك قسما هاما من الرأى العام فى الغرب يذهب الى أن الروس سيختارون التعاون مع العالم الغربى ويديرون ظهورهم للصينيين ، سواء قدم الغرب ما يشجعهم على ذلك أو لم يقدم . ويقول أصحاب هذا الرأى أن المصالح الاقتصادية الخاصة ، والثقافة المشتركة وروابط التاريخ تشد روسيا بشكل لايقاوم نحو قطيعة مع الصين . وربما تثبت صحة هذا الرأى. ولكن أحداث العام الماضى برهنت على أنه من الارجح أن القادة الروس يجدون أنفسهم ممزقين بين الاتجاهين . انهم يحسون قوة جذب الغرب ، ولكن مرور نصف قرن من الزمان فحسب على الثورة الروسية ليس كافيا لجعلهم قادرين على صم آذانهم عن نداءات التضامن الشيوعي والثورة العالمية . ومن ثم شهدنا هذا التردد الروسى الذى استمر العام بأسره . ان المحافظين الروس ، وهم أولئك الذين مايزالون يتشبثون بحلم ١٩١٧ سيشتد ساعدهم اذا خسر الامريكيون الحرب الفيتنامية . سيقولون ان الصين أثبتت نجاح فكرة الحروب التحريرية، وان الامريكيين حقا نمور من ورق . ولكن ، حتى اذا لم يخسر الامريكيون الحرب الفيتنامية، فان الروس سيطالبون بثمن تخليهم عن الصينيين . والثمن الذى يريده الروس معروف الان . اذا تخلى الروس عن الصين فانهم سيقولون أن الغرب يجب أن يعدل سياسته الى حد ما تجاه الدولة التى يعلن الروس — بحق أو بغير حق — انهم يخشونها أكثر من أى شىء آخر ، وهى المانيا » .

أنتهى كلام الايكونومست .

ومع مرور أشهر عام ١٩٦٦ ترتفع نفس النغمة فى كثير من المنابر المسئولة فى الغرب . فابتداء من ٢٩مايو نشرت الاوبزرفر البريطانية سلسلة مقالات اسبوعية تحت عنوان «فييتنام — المانيا . أساس ممكن لصفقة» ، جاء فيها : «أن النفوذ المشترك لروسيا وامريكا هو الذى يستطيع وحده أن يضع الاساس اللازم لتسويات مستقرة فى كل من فييتنام والمانيا ، وهما مفتاحا السلام فى آسيا وأوروبا . واذا كانت امريكا بحاجة الى مساعدة الروس فى فييتنام ، فان روسيا بحاجة الى تأمين من أمريكا فى المانيا » .

هكذا تريد الدبلوماسية الاستعمارية الخبيثة أن تحول الهزائم شبه المحققة فى كل من آسيا وأوروبا الى انتصارات كاملة .

وكيف ؟

بالائتلاف مع الاتحاد السوفييتى ضد الصين !!
هذا هو المشروع الاستعمارى الطموح المستحيل التحقيق . ولكى نزيد الامر وضوحا نلقى نظرة سريعة على الموقف فى أوروبا .

أزمة حلف الاطلنطى

أن المانيا هى قلب المشكلة الاوروبية ، وأزمة حلف الاطلنطى هى العنوان العريض لمشكلات التحالف الغربى برمتها ، كما أن تناقض فرنسا مع الحلف ، وانسحابها من قيادته العسكرية هو مفتاح الموقف اليوم .

وأزمة حلف الاطلنطى هى فى حقيقتها أزمة السياسة والاستراتيجية الامريكية فى أوروبا ، ومردها هو أن الظروف التى انشىء فى ظلها الحلف فى أبريل ١٩٤٩ ، تختلف اختلافا جوهريا عن ظروف أواسط الستينات : عند تأسيس الحلف ، كانت أوروبا قد خرجت لتوها من الحرب مهزومة

جائعة مهدمة ، تعيش يوما بيوم على ماتقدمه أمريكا من اغذية ومعونات وفق مشروع مارشال . وكان التهويل من الخطر الشيوعي وافتعال عـــدوان سوفييتي محتمل هو الغذاء الفكري الذى قدم لاوروبا الجائعة مع المعونات الامريكية . وهذا لم يكن طبعا الا التبرير الفكرى لاحكام قبضة النفوذ الامريكى على أوروبا الغربية . وكان أبعاد الشيوعيين عن الاشتراك فى حكومات أيطاليا وفرنسا وبلجيكا من جانب ، وانشاء حلف الاطلنطى من جانب آخر، هما الثمن السياسى والعسكرى الذى تقاضته أمريكا .

ادعت الولايات المتحدة حينذاك أن الهدف من أنشاء الحلف هدف دفاعي ضد خطر عـــدوان سوفييتي محقق . أما الحقيقة فهي أن الحلف أنشىء لمراجعة نتائج الانتصار على الفاشية فى الحرب العالمية الثانية التى اقرها مؤتمرا يالتا وبوتسدام . كان هدف السياسة الامريكية هو تجنيد أوروبا الغربية للقضاء على النظم الاشتراكية الوليدة فى أوروبا الشرقية ، واعادة الحصار حول الاتحاد السوفييتى ، وأحياء العسكرية الالمانية ، واعادة النظر فى خط النيس ــ أودر كالحدود الشرقية لالمانيا ، أى عودة الحدود الالمانية الى ما كانت عليه عام ١٩٣٧ .

كذلك كانت الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة التى تملك السلاح الذرى ، وكانت استراتيجية الحلف تقوم على مبدأ «الردع الشامل» الذى وضعه دالاس ، والذى يتلخص فى الاسراع الى سحق الاتحاد السوفييتى بالقنابل الذرية فورا فى حالة الحرب .

كان ذلك فى ١٩٤٩ .

والان ، لنستمع الى **جورج كينان** السفـــير الامريكى الاســبق فى موسكو ، واحد واضـعى استراتيجية الحرب الباردة ومخططى السياسة الخارجية الامريكية منذ نهـاية الحرب العـالمية الثانية ، لنستمع اليه يعترف فى ١٩٦٥ ان حلف الاطلنطى انشىء « للدفاع ضد هجوم لم يكن هناك من يدبره » ، ويقول : « ان حـلف الاطلنطى كان سىء الطالع لانه لم يكن ضروريا على الاطلاق » .

ولنستمع الى **ديجول** يعلن فى مؤتمر صحفى فى فبراير ١٩٦٦ : «بينما تتبدد أحتمالات حرب عالمية تبدأ فى أوروبا تظهر نزاعات تشترك فيها أمريكا فى أماكن أخرى من العالم ، كما حدث أول امس فى كوريا ، وأمس فى كوبا ، واليوم فى فييتنام . وهذه النزاعات ، مع سياسة التوسع البغيضة ، تهدد بالوصول الى حد صدام عالمى شامل . وفى هذه الحالة ، فان أوروبا ــ التى ليس لها استراتيجية فى حلف الاطلنطى سوى الاستراتيجية الامريكية ــ ستجد نفسها مشتركة فى الحرب حتى لو لم تكن موافقة عليها . وكذلك الحال بالنسبة لفرنسا وذلك اذا ظلت اراضيها ومواصلاتها وجزء مــن قواتها المسلحة ، وعدد من موانيهــا وقواعدها الجوية جــزءا من نظام عســكرى تحت القيادة الامريكية » .

ولنستمع أيضا الى **جورج بومبيدو** رئيس وزراء فرنسا ، يقول فى خطاب له أمام الجمعية الوطنية الفرنسية فى ١٣ ابريل ١٩٦٦ : «أن ما نريده ليس هو العودة بفرنسا الى طريق القومية العقيم ، ولكننا نريد ــ فحسب ــ أن نختط سياسة مستقلة . ولايتعارض الاستقلال مع التضامن ، ولكنه يقويه بل أضيف أن الاستقلال هو الذى يخلق التضامن ونحن بذلك نقدم خدمة كبيرة لاوروبا . ونهيئهـــا للعودة الى القيام بدورها » .

ولانعتقد أن جورج كينان يقول ما قاله عـــام ١٩٦٥ جريا وراء المثل القائل بأن الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل . انما يدرك مخططو السياسة الامريكية اليوم قبل غيرهم ان الاسس التى قام عليها الحلف لم تعد صالحة للاستمرار ولذلك فان عددا متزايدا منهم يسارع الى مثل هذه الاعترافات لابداء أستعدادهم لتعديل الاوضـــاع بدلا من أن تفرض عليهم ، ولكى يكون التعديل فى صالح امريكا .

كذلك ، ماالذى جعل فرنسا تشترك مع أمريكا فى حرب كوريا . أول امس ، وديجول يسكت عن كيندى ايام الكاريبى بالامس ، بينما نراه يتحول الى الهجوم على العدوان الامريكى فى فييتنام اليوم ؟

أن هذه التحولات الكبيرة فى الافكار والمواقف تعبير عن تغييرات فى علاقات القوى فى داخـل المعسكر الغربى . لقد استعادت اوروبا الغربية قوتها الاقتصـــادية وزادت خطوات « التـكامل الاقتصادى» فى ظل السوق المشتركة من احساسها بقوتها فى مواجهة الولايات المتحدة . كذلك لم تعد أمريكا هى وحدها التى تحتكر السلاح الذرى ، بل ان أطلاق القمر الصناعى الروسى الاول ، وتفوق الاتحاد السوفييتى فى سباق الفضاء ، (وهو دليل حاسم على تفوق سلاح الصواريخ السوفييتى) انهى مناعة الولايات المتحدة فى حالة قيـام حرب على أرض القارة الاوروبية . وفى ١٩٥٩ ، يقول **الجنرال الفرنسى جالوا** : «لقد تغير الموقف تغييرا تاما . فان حربا فى أوروبا يمكن أن يترتب عليها تدمير الولايات المتحدة ، وعلى الامريكيين أن يأخذوا هذا فى الاعتبار ويعدلوا سياستهم » .

وليس صدفة ان يكون عام ١٩٥٩ هو العام الذى بدأ فيه المسئولون الفرنسيون يدلون بمثل هذه التصريحات . ففى ذلك العام كان قد بدأ

تنفيذ اتفاقية روما للسوق المشتركة ، كما انه العام الذى دخلت فيه فرنسا النادى الذرى ، اى اصبحت فى عداد الدول التى تملك اسلحة ذرية . والحق ان ديجول كان اول القادة الاوروبيين الذين بدأوا يدركون التغيير فى علاقات القوى . وسارع الجنرال الى الاستفادة من ذلك التغيير لصالح اوروبا عامة ولصالح فرنسا بصفة خاصة .

« أوروبا الاوروبية » و « الجماعة الاطلنطية »

كان ديجول قد وصل الى رئاسة فرنسا عام ١٩٥٨ ، وفى العام التالى بدأ الجنرال فى تنفيذ مشروعه الكبير ، مشروع «أوروبا الاوروبية» ، اى اوروبا الموحدة من المحيط الاطلسى الى الاورال (؟!) المستقلة عن كل من امريكا والاتحاد السوفييتى ، التى تستطيع ان تكون القوة الدولية العظيمة الثالثة ، الى جوار كل من روسيا وامريكا وعلى قدم المساواة معهما . ويستند هذا المشروع الى الاقتصاد المتكامل لدول السوق الاوروبية الست ، كما يستند — عسكريا — الى القوة الذرية الضاربة لفرنسا . ويرتكز المشروع كله الى تحالف وثيق بين بون وباريس .

وسار اديناور شوطا بعيدا مع ديجول فى هذا الاتجاه . الى ان بدأ مشروع كبير آخر يصطدم مع مشروع الجنرال ، ونعنى به مشروع كيندى . وكان كيندى أيضا شديد الوعى بالتغيرات التى طرأت على علاقات القوى . وحاول الرجل أن يستفيد من حركة الوحدة الاوروبية لصالح الولايات المتحدة ، وذلك باستخدام المظلة الكبيرة «للجماعة الاطلنطية» . وكانت نقط البدء فى مشروع كيندى تتلخص فى دفع بريطانيا الى الانضمام الى السوق المشتركة ، وتنفيذ مشروع القوة الذرية المتعددة الاطراف ، وتخفيف قيود التجارة بين امريكا الشمالية وأوروبا الغربية . بهذه المحاولات كان كيندى يرمى الى عرقلة المساعى المبذولة لبناء قوة أوروبا بعيدا عن الولايات المتحدة وذلك بالاعتماد على بريطانيا كحصان طروادة داخل السوق المشتركة ، والقضاء على انفراد فرنسا الديجولية — دون بقية دول غرب اوروبا — بتملك السلاح الذرى ، وذلك بتقريب حكام بون من الزناد الذرى عن طريق القوة الذرية المتعددة الاطراف .

غير انه فى يوم ١٤ يناير ١٩٦٣ ، وهو يوم حاسم فى تاريخ التحالف الغربى ، اعترض ديجول على انضمام بريطانيا الى السوق المشتركة . وكشف **بول هنرى سباك** عن خفايا الموقف حين اعلن ان عدم رضاء الجنرال عن مشروع القوة الذرية المتعددة الاطراف كان سببا اساسيا من اسباب تفجير الأزمة فى السوق المشتركة . كذلك تعثرت المباحثات فى «حلقة كيندى» التى كانت تهدف الى تخفيف قيود التجارة بين أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية . وباختصار ، فقد أدى تصادم المشروعين، «أوروبا الاوروبية» و «الجماعة الاطلنطية» الى تعثر كليهما .

ومنذ ١٩٦٣ ، بدأت العلاقات بين بون وباريس تفتر لتنمو العلاقات بين بون ووشنطون وليحدث تقارب من نوع آخر بين باريس وموسكو فلم يكن من السهل على بون مقاومة الاغراء الامريكى بتمرير السلاح الذرى الى دعاة الانتقام فى المانيا الغربية تحت ستار القوة الذرية المتعددة الاطراف . كذلك كانت الاحتكارات الالمانية تستنفد اغراضها بسرعة من شهر العسل الفرنسى بعد أن أصبحت هى القوة الاقتصادية الاولى فى أوروبا الغربية، والثانية فى العالم الراسمالى ، بعد أمريكا . وساعد على الاصطفاف الجديد للقوى تنحى كل من اديناور وستراوس عن مركزى الصدارة فى حكومة بون ، وهما اللذان يعتبران شريكين مؤسسين — الى درجة معينة — فى مشروع ديجول الكبير . وفى نفس الوقت بدأ الجنرال فى محاولة لاحياء السياسة التقليدية لفرنسا فى أوروبا ، سياسة الالتقاء مع روسيا لمحاصرة خطر العسكرية الالمانية ، وهى السياسة التى يضع لها عنوان «فرنسا من المحيط الاطلسى الى الاورال» وتلك سياسة فرنسية تقليدية لم يكن يفسدها — خلال قرن من الزمان — الا الاصابع الانجلو امريكية التى تمتد الى فرنسا من الغرب .

عناصر تفجير الازمة

وكان وصول جونسون الى رئاسة الولايات المتحدة ، بما صاحب ذلك من تغييرات واضحة فى استراتيجيتها وسياستها الخارجية ، من العوامل التى عجلت بتفجير أزمة الحلف . والتغييرات التى تهمنا فى هذا الصدد هى :

- تفضيل المانيا الغربية على فرنسا فى التحالف الغربى بل أن المانيا الغربية تزحف بسرعة الى مركز الحليف الاول للولايات المتحدة ، وهو مركز ظل مقتصرا على بريطانيا منذ تخلت عن زعامة النادى الامبريالى الى امريكا . كذلك اصبحت السياسة الرسمية لحكومة جونسون هى فرض نوع من الحصار حول فرنسا الديجولية بهدف عزلها ومنع تسرب عدوى الديجولية الى بقية اجزاء اوروبا الغربية

- مع اطراد السباق النووى بين أمريكا والاتحاد السوفييتى وخوف الاولى من رد نووى ساحق يدمرها فى حالة بدء حرب على أرض القارة

الاوروبية تقدم ماكنمارا باستراتيجية جديدةأختار لها عنوان «**الرد الجوابى المرن**» ، وذلك بدلا من استراتيجية الردع الشامل التى سبق ان وضعها دالاس . وتتلخص الاستراتيجية الجديدة فى انه يمكن الاكتفاء بالاسلحة الذرية التكتيكية فى المراحل الاولى لنشوب حرب اوروبية ، والفكرة فى هذه الاستراتيجية «المرنة» واضحة ، وهى انالامبريالية الامريكية يمكنها — خدمة لاغراضها الخاصة — ان تبدا حربا على أرض اوروبا ، ثم تحصر الحرب هناك ، بعيدا عن اراضى الولايات فى حدود ما تسمح به الضربات الذرية التكتيكية المتبادلة ، وبذلك تضمن خدمة اهدافها الخاصة على حساب تدمير البلاد الاوروبية وقتل عشرات الملايين من الاوروبيين .

● الاتجـاه العدوانى الصريح الذى اتخـذته السياسة الامريكية على أيدى جونسون ، وبخاصة تجاه بلاد العالم الثالث . وقد أعلن المسئولون الفرنسيون استنكارهم للحملات العسكرية الامريكية ضـد شعوب الكونغو (اكتوبر ١٩٦٤) والدومينيكان (ابريل ١٩٦٥) ولسياسة تصعيد الحرب الفيتنامية . أن ديجول يرى فى الذيلية لسياسة امريكا تجاه العالم الثالث تهديدا للمركز الخاص الذى بدأت تحتله فرنسا الديجولية نتيجة لانتهاجها سياسة اكثر واقعية فى هذا الصدد . كذلك يرى الجنرال ان سياسة تصعيد الحرب الفيتنامية قد تؤدى الى اشتباك عالمى شامل تجر اليه فرنسا ، بل واوروبا كلها ، دون أن تكون لها مصلحة فيها .

هذههى الاسباب التىفجرت أزمةحلف الاطلنطى وأدت أخيرا الى انسحاب فرنسا من القيـادة العسكرية للحلف،ويثير هذا الانسحاب الف سؤال وسؤال . وللتعبير عن المتاهة التى يدور فيهاقادة الحلف ، لانجد أبلغ مما ورد على لسان احـد المسئولين النرويجيين حين قال : «اذا قدر لحلف الاطلنطى أن يغرق فانه سيغـرق تحت أكداس الاوراق التى تستخدم لاعادة تنظيمه » .

على اية حال ، ليس ثمة مجال للخوض فى النتائج التفصيلية المباشرة المترتبة على انسحاب فرنسا منالقيادةالعسكرية(١) .اما عن الاتجاهات العامة فان الراى ينقسم بين واضعى الاستراتيجية الامريكية الى اتجاهين :

● الاول يدعو اليه غلاةالمتطرفين والعسكريين فى الولايات المتحدة ، يتجاوب معهم امثالهم فى المانيا الغربية ، ويرمى الى الامعان فى تحدى ديجول اعتمادا على كل من ويلسون وايرهارد . ويذهب البعض الى ان ثلاثى وشنطن — لندن — بون غير مضمون ، نظرا لما تتسم به سياسة ويلسون من ميوعة ، ولذلك فالنهاية المنطقية لهذا الاتجاه هو تدعيم محور بون وشنطن ، وتمرير السلاح الذرى الى دعاةالانتقام فىالمانياالغربية،والمضى فى سياسة الابتزاز النووى الى نهايتها — وليكن ما يكون .

● والثانى يدعو اليه فريق قـوى النفوذ من السياسيين المخضرمين ، من امثال جورج كينان ودين أتشيسون وكريستيان هرتر .. الخ . ويبدو ان له الغلبة حتى كتابة هذه السطور . وهؤلاء يرون الا جدوى من تجاهل رغبة دول الحلف جميعا فى تعديل الاوضاع بما يتفق وعلاقات القوى الجديدة ، كما انه لاجدوى من تجاهل اوروبا عموما — شرقها وغربها على السواء — فى تلمس اسس جديدة للامن الاوروبى تختلف جـذريا عن فـكرة توازن الرعب النووى بين روسيا وأمريكا .ويرى هذا الفريق تحويل الحلف الى «اداة للتقارب بين الشرق والغرب» . وهذه العبارة العامة ، البراقة فى الظاهر ، الغامضة ، تعيدنا الى اقتراحات الايكونومست والاوبزرفـر ، والتى تتلخص فى السعى لشراء سكوت الاتحـاد السوفييتى تجاه المشكلات الاسيوية ، وطمأنته هو وبلاد اوروبا الشرقية وقسم هام من الراى العام فى اوروبـا الغربية — وذلك بارجاء تسليح المانيا الغربيـة بالاسلحة النووية فى الوقت الراهن ، والبدء فى سلسلة طويلة من المناقشات حول الامن الاوروبى يكون موضوعها اتفاقية لمنع انتشار الاسلحـة النووية ، أو مناطق منزوعة السلاح الذرى هنا او هناك ، وما اشبه ذلك .

ومرة اخرى ، واخيرة نعود الى ذلك المقـال الشهير لمجلة الايكونومست التى تقول ، استطرادا لآخر فقرة اقتبسناها :

«**لقد ابلغ الرئيس جونسون المستشار ايرهارد** أن الالمان لايمكن أن يأخذوا مكانا فى القوة الذرية المتعددة الاطراف — وهى اهم مايخيف الروس من المانيا — فى الوقت الذى تحاول فيهالولاياتالمتحدة أن تتبين ان كان الروس راغبين فى الاتفاق . اما الموضوع الذى يمكن أن يتفق عليه مع الروسفهو مايزال غير معروف .

ربما يكون موضوع الاتفاق هو معاهدة لمنع انتشار الاسلحة النووية . هذا ، اذا شعـر الامريكيون والروس أن يكون مثل هذا العمـل الكبير هو خطوتهم التالية . (وهو عمل كبير لان

---

(١) انظر فى هذا الصدد ، الطليعة — عدد يوليو ١٩٦٦ — ص ١٢٧ — ١٢٨ .

هذا الاتفاق يستدعى ضمانا أمريكيا روسيا مشتركا لحماية الهند ، وهو أمر يصل فى الواقع الى سياسة مشتركة تجاه آسيا) . »

هكذا يفكر الابالسة .

ويبدو أن من بين الالمان الغربيين فريق قوى فى الدوائر الحاكمة ذاتها يضارب على هذا النوع من التقارب المرغوب بين حلفى الاطلنطى ووارسو وعلى هذا الضوء يمكن تفسير قبول ويلى براندت عمدة برلين الغربية ورئيس الحزب الاشتراكى الديمقراطى لفكره تبادل الراى علنا مع قادة المانيا الشرقية حول اعادة توحيد المانيا بما ينطوى عليه هـذا من اعتراف ضـمنى بجمهـورية المـانيا الديمقراطية . وأهم من خطوة براندت ـ الاقتراح الذى تقدم به **راينر بارزيل** لتوحيد المانيا . وبارزيل هو زعيم الاغلبية المسيحيه الديموقراطية فى برلمان المانيا الغربية ، وهو الرجل الثانى فى الحزب بعد أيرهارد . ويتضمن اقتراحه السماح للقـوات السوفييتية بالبقاء فى المانيا الشرقية ، كضمان لبقاء قوات الغرب فى المانيا الغربية ، حتى بعد التوحيد(؟!) كما يتضمن الاقتراح السماح بقيام حزب شيوعى مشروع فى المانيا الغربية .

موقف اليسار الاوروبى

اما موقف اليسار الاوروبى المتقدم (ولا نقول المتطرف ، لانه لايوجد فى اوروبا اليوم يسـار متطرف له وزن سياسى يذكر) فيعبر عنه السنيور **لويجى لونجو** السكرتير العام للحزب الشيوعى الايطالى ، وهو حزب عرف عنه الاعتدال والمرونة وطول الباع والقدرة على الدخول فى ائتلافات واتفاقات واسعه ومنوعه . يقول لويجى لونجو فى رد له على سؤال لمندوب مجلة ريناشيتا عن موقف الحزب من حلف الاطلنطى وأزمته الحالية حيث يبدأ حديثه بداية معتدلة ، ثم يوفى الموضوع بعبارات موجزة : «نحن ننتقد النظام الحـالى لحلف الاطلنطى الذى يبقى ايطاليا اسيرة ويعرضها لاخطار جسيمة ، ولكننا لا ندعو الى سياسـة عزلة قومية . لاشىء من هذا على الاطلاق ..

«ان موقفنا يمليه ايماننا بان ثمة بديل يسارى لاوروبا . اننا مقتنعون بأن ثمة برنامج لتوحيـد كل القوى الديموقراطية . تبين هـذا بوضـوح أثناء مباحثات الدائرة المستديرة التى جرت منذ قليل فى باريس ، والتى حضرها ممثلون من مختلف البلاد . ومختلف الاتجاهات السياسية ـ من الديجوليين الى انصار ميتران ، ومن الناطقين بلسان الاغلبية العمالية فى بريطانيا الى الشيوعيين الفرنسيين والايطاليين ، ومن ممثلى الاحـزاب الحكومية فى بريطانيا وبلجيكا والنرويج والسويد والدانمرك ، الى ممثلى الاحزاب المعارضة ، ومن الشخصيات السياسية فى دول حلف الاطلنطى الى نظرائهم من بلاد حلف وارسو .»

«ومن الامور ذات الاهمية الخاصة ماانتهوا اليه بالاجماع الى المطالبة بوقف العمليات العسكرية فى فيتنام فورا ، ومعارضة تملك ألمانيا الغربية للاسلحة النووية وسعيها الى مراجعة الحدود . ولم يدافع أى واحد من الحاضرين عن حلف الاطلنطى .»

« وعلى الرغم من أن الاقتراحات التى قدمت كانت شديدة التباين ، الا ان الخط العام الذى كان يحكمها هو السعى لاكتشاف الطرق التى توصل الى اتفاق أوروبى شـامل ، وحل كل من حلفى الاطلنطى ووارسو » .

«... كانت ثمة اقتراحات بعقد معاهـدات لعدم الاعتداء ، وحل المشكلات المعلقة بين حلفى الاطلنطى ووارسو بالوسائل السلمية ، والاتفاق على مناطق منزوعة السلاح النووى فى أوروبا مع الاتفاق على نظام ملائم للامن الجماعى» .

وابدى السنيور لونجو موافقته على العمل ـ مع بقية الاتجاهات السياسية الاوروبية ـ على الوحدة الاوروبية ، وان كان قد عنى بتأكيـد «أن الوحدة الاوروبية لايمكن أن تتحقق الا داخل اطار من نزع السلاح الشامل ، مع الرقابة الدولية الفعالة على ذلك ، واعادة توحيد ألمانيا عن طريق الاتفاق بين الدولتين الالمانيتين ، واحترام الحدود الحالية .. »

ولايختلف موقف الاتحاد السوفيتى ، فى عمومياته عن هذا الموقف الذى عبر عنه السنيور لونجو . وانما يحذر الاتحاد السوفييتى بعض حـلفائه الاوروبيين ـ وبخاصة الشيوعيين الرومانيين ـ من التسرع فى حل حلف وارسو أو اضعافه ، فى وقت ماتزال فيه احتمالات وفاق أوروبى شامل بعيدة المنال .

مكان الشرق العربى

وقبل أن نختتم هذه الجولة الدولية السريعة ، سعيا وراء تفهم أسباب التوتر وسبل التخفيف ، نشير بكلمة وجيزة الى مكان شرقنا العربى وسط هذه الغابة الدولية المتشابكة الجذوع والفروع .

ان سياسة القوة التى تنتهجها الولايات المتحدة وتتفاقم على أيدى جونسون ومكنمارا ، لـبـها منطقها الذاتى الخبيث . وهى ـ فى زماننا هذا ـ

من دلائل الغباء وقصر النظر » . ولم تكن السياسة الامريكية في المنطقة العربية في الاونة الاخيرة الا امتدادا طبيعيا لخطها العالمي الواضح . ولما كانت السياسة الامريكية — على الرغم من استعراض العضلات وبعض الانتصارات الجزئية تعاني عجزا مزمنا ، ويهددها خطر انهيار مفاجيء في كل من آسيا واوروبا نتيجة للاستنزاف الهمجي لرصيدها المادي والادبي ، فان سادة وشنطن كانوا يتعجلون نصرا من أي نوع في منطقة الشرق الاوسط ، ومن ثم اتسمت تكتيكاتهم اخيرا بالتسرع وسوء التقدير . ان حركة عملائهم في الشرق العربي من ناحية ، وحركة اسرائيل وايران من ناحية أخرى ، تعبير واضح عن ذلك . ان هدف أمريكا هو ارهاب الدول العربية المتحررة بخطر التسلح الذرى لاسرائيل ، وتأهبها لتدبير عدوان مسلح على سوريا ، مع استنزاف قواهـا في نزاع داخلي مع العملاء من دعاة الحلف الاسلامي كل ذلك تمهيدا لقلب الحكومات التي لاتسير في الركب الامريكي ، وبخاصة في الجمهورية العربية المتحدة » .

غير أن حركة أمريكا ، ومن خلفها بريطانيا والمانيا الغربية ، وحركة العملاء واسرائيل وايران وهي كلها تحركات تتسم بالتسرع والاستهتار وما صاحب هذه التحركات من احياء مخاطر عودة الاحلاف المشبوهة الى المنطقة العربية وتجدد العدوان الاستعماري عليها — كل ذلك كان عاملا اضافيا ساعد على تعبئة قوى جديدة ضد الاخطار المحدقة ، ودفع حركة توحيد القوى الثورية في العالم العربي خطوات كبيرة الى الامام على الرغم من الصعوبات التي تفوق التصور والحصر » .

ووسط هذه الانواء الدولية العنيفة يقود جمال عبد الناصر سفينة الثورة التحريرية والاجتماعية العربية ، ويحتفظ بجبهة القوى الثورية سليمة تسير نحو مزيد من الوحدة والتماسك . بل انه ينجح في توحيد القوى الثورية العالمية في الموقف تجاه مشكلات المنطقة العربية ، وتلك مقدرة فريدة من نوعها في عالم اليوم .

لكي نواجه الابتزاز النووي

والخلاصة :

ان أواسط الستينات تشهد ثاني محاولة كبرى لاعادة تشكيل الخريطة السياسية لعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وأن العوامل التي تفرض ضرورة التغيير هي أن الاوضاع الدولية أصبحت ناضجة للاتي :

أولا : أن تأخذ بلاد العالم الثالث مكانها متحررة من قوى الاستعمار الجديد وضغوطه — في عداد البلاد المستقلة استقلالا حقيقيا : أي استقلالا اقتصاديا يقوم على صناعة قومية متطورة ، وعلى وحدات اقليمية قومية واسعة . ولا سبيل الى ذلك الا بأن يرفع عنها كابوس العدوان العسكري والتدخل غير المشروع في شئونها الداخلية والاعمال الانقلابية وتخريب المخابرات الاستعمارية ، وشرور التجزئة والتفرقة العنصرية ، والضغط الاقتصادي الخانق — وبخاصة في ميدان التجارة الدولية .

ثانيا : وأن تأخذ الصين مكانها الطبيعي في العالم ، بأن يرفع عنها كابوس الحصار السياسي والاقتصادي ، وألا تحل أي مشكلة آسيوية أو عالمية مع افتراض عدم وجودها أو بما يتضمن اهدارا لحقوقها الطبيعية المشروعة .

ثالثا : وان تأخذ اوروبا هي الاخرى مكانها — مستقلة عن النفوذ الامريكي ، وأن تضع قدمها على الطريق الموصل الى أمن جماعي حقيقي ووحدة صحية لاتعزل دولها القومية عن بعضها البعض فحسب ، وانما لاتعزلها في مجموعها عن مشكلات شعوب القارات الثلاث الساعية الى استكمال نهضتها الاقتصادية والثقافية » .

ويشهد تاريخ العالم في ظل سيادة الرأسمالية والامبريالية بأن القوى التي تسعى الى تغيير خريطة العالم كانت هي أقوى الرأسمالية الاسرع نموا والاشد عدوانية ، ومن ثم فما كان أسهل أن تبادر الى الغزوات الاستعمارية والحروب العالمية لتنفيذ مآربها . غير ان التاريخ في عصر انهيار الرأسمالية والامبريالية يشهد بأن القوى التي تسعى الى التغيير هي قوى الشعوب المحبة للتحرر والسلام ، المناضلة من أجل الاشتراكية . ومن ثم فانها لاتلجأ الى السلاح — أثناء خوض ثوراتها التحريرية والاجتماعية — الا مضطرة مدافعة كارهة . فالتغيير الثوري اليوم يهدف أولا وأخيرا الى اقرار حق الانسان في الحرية والرفاهية ، فما بالنا بحقه في الحياة . وتلك قاعدة تسري على الوحدات القومية كما تسري على النطاق العالمي . ومن ثم فان القوى القائدة للتغيير الثوري العالمي حريصة على السلام حرصها على تحقيق الحرية والتقدم للشعوب . وعملية الموازنة بين الضرورتين شاقة دقيقة . وتلك هي «نقطة الضعف» التي يدركها الذين يريدون ايقاف عجلة التاريخ ابقاء على امتيازاتهم الاستعمارية . ومن ثم فان الابتزاز عن طريق التلويح باثارة حرب عالمية هو من أهم أسلحتهم . هذا ما لجأ اليه هتلر وموسوليني في الثلاثينات أثناء الازمة الاوروبية والحرب الاسبانية . وهذا مالجأ اليه ايدن ومولييه أثناء ازمة الاستعمار القديم وحرب السويس . وهذا مايلجأ اليه اليوم

جونسون وويلسون وايرهارد فى أزمة الاستعمار الجديد وحرب فيتنام . حقيقة أن الابتزاز اليوم ابتزاز نووى يهدد البشرية كلها بالفنـــاء . ولكن لاخوف . الميكن الابتزازنوويا اثناءحرب السويس؟ وماتزال اواسط الخمسينات وهزيمة الاستعمار القديم فى حرب السويس هى الدرس الكبير الذى يجب أن تستلهمه الشعوب ، وهى تجابه الاستعمار الجديد فى عنفوان سعارة .

وربما لايكاد يختلف اثنان على أن طريـــق النجاة هو فى وحدة القوى الثورية على النطاق العالمى . وانما السؤال المحير هو : كيف ؟

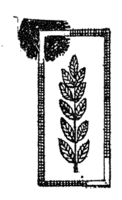
وفى راينا ــ وبالها من مسئولية أن يدلى أى انسان برأى فى هذا ــ أن الوحدة لن تتحقق الا اذا وضعت كل قوة من قوى الثورة العالميـــــة الضرورات الثلاث التى اشرنا اليها على نفـــس الدرجة من الاهمية .

فلا يتصور ان يثمر جهد الصين فى اثبات كيانها الدولى وتحريك قوى الثورة فى الريف العالمـــى (هذا اذا فرضنا جدلا أنها تمكنت من ذلك) بينما يضعقادتها الاتحاد السوفيتى وبلاداوروبا الشرقية فى منطقة فراغ ثورى ، ويعلنون أن قادة هـــذه البلاد وقادة الاحزاب الشيوعية الاوربية عامة قد خانوا قضية الثورة الى غير رجعة . ان على قادة الصين ان يعودوا الى الاعتراف باحـــدى بديهيات الموقف الدولى ، وهى أن الاتحـــــاد السوفيتى هو القوة الوحيدة التى تملك الرادع النووى فى مواجهة الابتزاز النووى الامريكى ، وان يرتبوا على هذه البديهية الالتزامات الدولية الواجبة .

كذلك ، لايمكن أن يولى الاتحاد الســـوفيتى كل هذه العناية لقضية الامن الاوروبى ، ولمشكلات السلام فى الشرق الاوسط والكاريبى وغيرهما ، بينما تكاد كلمة الصين لاترد فى الصحافة العالمية السوفيتية ، وينعقد المؤتمر الثالث والعشريـــن للحزب الشيوعى السوفيتى وينفض ولا يقـــول كلمته فى أهم مشكلات العصر . ونحن نسلم بأنه لكى تبذل القيادة السوفيتية جهدا أكثر ايجابية لحل المشكلة الصينية مسألة تحتاج لصفات فوق طاقة البشر ، ولكن ليس أمام القادة الســـوفييت أى مجال للاختيار . ان للعدوان منطقه الخبيث . واذا تركت امريكا حتى تبدأ عدوانها التى تبيته على الصين، فان العدوان سيمتد حتما الى الاتحاد السوفيتى مهما كان موقفه اليوم أو غدا أو بعد غد ، وأيا كان الحديث الخبيث الذى تسوقـــه المنابر الاستعمارية عن امكانية تهدئة الاتحـــاد السوفيتى أو الاتفاق معه .

كذلك فى العالم الثالث ، فان النفسية الدفاعية التى تقابل بها كثير من القيادات الثورية تحديات الاستعمار الجديد فى عصر ما بعد الاســـــتقلال وعدم انطلاقها قدما فى طريق الثورة الاجتمـــاعية والتعبئة السياسية لجماهير شعوبهاالعاملة،وعدم تفتحها لفهم حقيقة المشكلتين الاوروبية والصينية كل هذا لايجدد طاقاتها الثورية ولا يجـــعلها على نفس المستوى من الفاعلية التى كانت عليه منذ عشر سنوات . ومرة أخرى ليس امــــــام القيادات الثورية فى هذه البلاد من خيار .

هل بقيت للبشرية التقدمية طاقة لكل هذا ؟ اذن فقد نجت .



الـــوعى الطبـــقى
عنـــد فــلوبــير

في هذا الجزء الجديد من مقال سارتر حول الوعى الطبقى عند فلوبير ، يدرس الكاتب الكبير ملامح البناء الاجتماعى الذى استقطب الفنان الروائى جانبه البرجوازى فى امانة وصدق .

ويبرز سارتر فى هذا البحث مدى التناقض بين واقع فلوبير وتفكيره الفنى فى هذا الواقع . وقد حصلت « الطليعة » على اصول بقية البحث من الكاتب الفرنسى الكبير حيث يستكمل فيها معالجة القضايا التى طرحتها البرجوازية فى القرن الماضى على فلوبير .

جان بـــول ســـارتر

تقشعر البرجوازية فى فلوبـــير من ذاتها وتحس كأنها شرك بغير ان ترى نفسها فالكاتب يستنجد بسلطة عليا فى بحث عن نظرة انسانيـــة يفاجىء بها الفئران التى تحوم حوله ، واذا بـــه يستشعر ان **تلك النظرة الاخرى** تراه فأرا لايختلف موضوعيا عن الاخرين ، وغير قادر على الالمام بوضعه . لقداسرته البرجوازية ولوثته ودنسته . فهذا الوعى العجيب الذى يتلاشى فى اللحظة التى يظن فيها انه قد حصل عليه يلقى باليأس فى قلبه ، مع عجزه عن ادانة نفسه ، اذ لا مكان فى ذاتـــه العارفة لمطهر ، فليس من شىء يفصح عن قلقه بقدر موقفه الغريب ازاء الغباوة .

والبرجوازى غبى لايستمتع بالادبيات وتتسم افكـــاره بالابتذال . لقـــد اجمع كافـــة المثقفين البرجوازيين فى القرن التاسع عشر (او على الاقل النصف الاول منه) على هذا الراى ، واصـــبحت شـــخصية جوزيف برودوم تتسلط — منذ صدور «المشاهد الشعبية» (١) ســـنة ١٨٣٠ — على احاديثهم ومراسلاتهم تتارجح عندهم جميعا وعند فلوبير ايضا بين شمول الاسطورة الخارق وبين دقة المفهوم المجرد ، فتارة يقال « يتكلم مثل جوزيف برودوم » وتارة اخرى يقال «انه برودوم» فتطبع تلك الشخصية الاسطورية بما يتراءى لكل من هؤلاء المثقفين البرجوازيين . الا ان هؤلاء الكتاب الذين يكونون فيما بينهم هيئة منظمـــة فى كثير او قليل ، ويتعرفون على بعضهم فى المحافل الادبية ، يشعرون بلذة التفوق حين يفضـــحون بلاهـــة البرجوازية ، ظنا منهم — سواء كانوا من شباب النبلاء او من « البوهيميين » او من البرجوازيين الخياليين الذين افتقدوا وعيهم الطبقى — ان فى تهكمهم وخطبهم الطنانة الناقمة ، مايكفى للتدليل على عدم انتمائهم لذات نوع انصاف البشر محل هجومهم ، ويشتعل سخطهم فى فرحة ملتهبـــة سريعة الانتقال والعدوى . واذا كانت الغباوة

(١) الطليعة : جوزيف برودوم شخصية من ابتكار الكاتب والرسام الكاريكاتورى هنرى فونييه (١٨٠٥ — ١٨٧٧) وقد تحقق نجاحها فى مؤلفه «المشاهد الشعبية» ويمثل برودوم شخصية البرجوازى ضيق الافق المزهو بنفسه الذى يؤكد فى هدوء وصفاء صحة ابشع السخافات .

« جيشا جرارا » تحوز على العالم لنفسها ، الا انها تظل فى نظرهم حرمان وغفلة تصيب بضرر هام من تكبدها الكثر مما يعتبر هو مضرا . لقد عبر جوهاندو (٢) فيما بعد عن تلك الفكرة فى عبارة موجزة حيث قال « لا يحمل الابله سمات الظلم التى تليق به » . اما عن فلوبير فالغباوة تمثل عنده وحدة قوة ايجابية ويصبح الابله فى نظره ظالما ، اذ يرى ان هذا الامتلاء البغيض قد انتصر ، بل وانتصر من زمن ، ويقف النفاق موقف الدفاع ، غير ان المعركة ليست متكافئة ، اذ يشعر ازاء هذا الوجود الكثيف والشامل بانتفائه العاجز والمتقلص ، اى بعدم الوجود . الا انه ينبغى علينا رغم ذلك الفحص وامعان النظر عن كثب لان فلوبير يطلق نفس العبارة على نوعين متناقضين من الغباوة ، يمثل احدهما الجوهر الاساسى ، بينما يشكل الاخر الحامض الذى ينخر فى هذا الجوهر . وتستمر المعركة سجالا بينهما لتنتهى المباراة بالتعادل . الا ان الامر الوحيد الذى لاشك فيه يتمثل فى انتصار الغباوة على طول الخط ايا كانت زاويتها مما يوحى به عن قصد هذا المنظر البشع الذى يمثل الاب بورنبزيان والسيد هوميه (٣) يغطان بخليط شخيرهما فى نوم عميق على فراش تلك السيدة التى فارقت الحياة دون ان يستطيعا شفائها من المرض او انقاذها من الجحيم .

١ — الغباوة باعتبارها جوهر

اكتشف فلوبير الغباوة — وكان لايزال فى التاسعة من عمره — على انها وجهان من عملة واحدة ، اكتشفها فى المراسم والكلام ، اذ كان له ان ارسل الى صديقه ارنست خطابا فى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٣٠ يقول فيه : « انت على حق حين تقول ان يوم رأس السنة سخيف» مضيفا العبارة التالية فى نهاية هذا الخطاب « تزور سيدة والدى تقص باستمرار علينا السخافات وسوف ادونها » .

٢ — المراسم

تقدم يوم رأس السنة الهدايا ويجرى فيه تبادل التحيات والزيارات والقبلات والتمنيات ، ويصبح الاطفال فى ذلك اليوم ضحايا وشركاء فى ذات الوقت يرتدون الملابس الانيقة موجهين التحيات وينوهون بالكلام المناسب للمقام **فيكتشف** فلوبير غباوة تلك المراسم وان كان ارنست قد سبقه الى اكتشافها على الرغم من اندماجه اكثر منه فى تلك البيئة ، الا ان اكتشاف فلوبير لتلك الغباوة قد استقر على الدوام فى نفسه مسترشدا بتلك الملاحظة العابرة التى ابداها صديقه واقفا على مبعدة قصيرة من هذا الشىء اهله لها حرمانه الخفيف . ويحسن بنا القول ان فلوبير كان اقرب الى التنبأ من الخبرة اذ تقع ملاحظته عن غباوة عيد اول يناير عشية ذلك اليوم ، لانه يعرف قبلا احداث الغد . امرا ما يضايقه ويقلقه اذ قد يكون اشيل الذى سوف يحضر هذا الحفل محل عناية واهتمام خاص . والواقع ان فلوبير تخلص — وقد نبذ فى قلب الحفل — مما يدور حوله فيكف عن اخذ هذا الحفل بعين الاعتبار مكتشفا طابعه الاصطلاحى المتواضع عليه . ولا يعنى ذلك انه قد الغى الحفل واذابه ، بل تمتلىء الاضافة الموضوعية غموضا ولا تتلاشى فى الاشخاص ويتضح له سخفها لعدم تأسيسها على عقيدة دينية ، اذ يلاحظ ان اعياد الميلاد وقداس نصف الليل لا يثيران فى هذا الطفل تلك الريبة المحقرة واذ ذاك يتكشف يوم رأس السنة هذا العيد العلمانى لجوستاف الحاقد على البشر على انه سلسلة تمنيات خالية المعنى والمضمون توجد لفترة وجيزة من الزمن اشخاصا قد افتقدوا او كادوا يفتقدوا كل ود بينهم ، بل والادهى ان المشاعر بمناسبة هذا اليوم تلقن ويدرب الانسان على حب الناس اى يتخطى الاحقاد . وتخفى الانفعالات المبتذلة برهة من الوقت عن الاشخاص انفسهم حقيقة شعورهم . هذا ما لا ينساه فلوبير يوما من الايام ، فكثيرا ما يجىء بالدليل على تلقى شخصياته من الخارج، وعلى الاخص من الادبيات « مجردات انفعالية » تستبق زاعمة الانفعالات الحقيقية . ومن هنا نلاحظ ان **المعجم** وقد قضى طيلة ثلاثين سنة على اعداده لايقيم اى تمييز بين الافكار المبتسرة التى سوف نعالجها وبين المشاعر المتوارثة ، فعلى سبيل المثال نقرأ الاتى فى هذا المعجم : « **الرطانة** » اسلوب الحديث مع الاجانب **التهكم على الدوام** من الاجنبى الذى لايجيد الكلام بالفرنسية ، الطلاء : فى الكنائس . التهجم عليه بشدة . ولتلك **القضية الفنية** مايبررها لا افتعال فى تلك الابتسامة على الاطلاق وليس فى هذا الغضب تصنع ما ، فتلك مراسم انفعالية

(٢) الطليعة : كاتب فرنسى ولد سنة ١٨٨٨ ولايزال على قيد الحياة تتسم مؤلفاته بخليط عجيب من الصوفية والسخرية

(٣) الطليعة : شخصيتان من كتاب «مدام بوفارى» تاليف فلوبير يقوم الاب بورنيزيان بدور قسيس القرية بينما يعمل السيد هومبيه صيدليا بها .

الطابع نحتفى بها ظاهريا وان كان من الداخل تعتقد فيها . تلك هى الغباوة العاطفية .

وتشكل فى ذات الوقت تلك الايماءات والعواطف الملقنة طقوس الاندماج اذ يشعر الطفل بقدرته فى عيد اول يناير على المشاركة بحق فى الحفل اذا ماتبع العادات فى جد ولايستطيع ذلك الطفل ان يقرر اذا كان اكتشافه لغباوة المراسم جاء نتيجة نظرته للامور او انه قد وجد باكتشافها . فلم يكن جوستاف على اية حال ، ولم يتعد التاسعة من عمره ، **الساذج** او **ميكروميجاس** (٤) ، فهو يؤدى مع عائلته واجبات الزيارة بمناسبة رأس السنة ، ونراه كتب رسالته الاولى الى ارنست فى ٣١ ديسمبر كما وانه ارسل فى العشية خطابا الى جده املى عليه (٥) يقول فيه : « اسارع بتأدية الواجبات نحوك متمنيا لك سنة سعيدة ». وهناك ما هو اهم من ذلك اذ يخضع طواعية وتلقائيا لسخف تلك العادة وقد فضحها فى نفس الرسالة حيث يقول لصديقه : « ارجو لك سنة سعيدة واقبل من الاعماق عائلتك الكريمة » . هل نفهم من ذلك ان تمنيات السنة الجديدة تكون ذات مضمون اذا كانت موجهة الى الاصدقاء الحميمين . لاشك عندنا ان الطفل لايقدر ذلك غير متيقن من سلوكه المتناقض وقد تسلطت العادات عليه ، فليس بوسع احد الا اذا كان شابا متمردا النظر من الخارج فى نزاهة الى تلك العادة او الاخرى مع رفض الاذعان لها . ويتردد جوستاف مستشفا ما لتلك العادات من غرابة وهى عاداته لعدم مشاركته اهدافها الجمعية مشاركة تامة . قد يحسن الحديث فى هذا المجال عن نزاهة مشوهة وعن تثاقل فى السلوك ، اذ يصبح الاشخاص مجردين وغير جوهريين ولا يبقى جوهريا الا تلك المسرحية التى يمثلونها **ويعتقدون فيها** . ويعنى ذلك ان الموقف الجماعى يستوعب الافراد ليسخرهم فى خدمته مؤكدا وجوده اللا معقول كواقع مادى يقضى عليهم لصالحه . ان رقصة الباليه قد استقامت لنفسها لا احد يعمل على ضبطها ، بل هى التى اضفت النظام على نفسها ، هنا تنقلب رأسا على عقب تلك الاضافة الكلاسيكية التى مؤداها ان **الروح تحرك المادة** (٦) لتصبح المادة محركة للروح . فالحفل يطفو من اغوار الماضى أشد كثافة واكثر جحودا وسخفا سنة بعد اخرى مخضخضا بسلسلة طقوسه الميكانيكية جماعة البشر الحى بين احضانه . ويظل جوستاف محتفظا، حتى يتوارى فى التراب ، بنفس الرأى عن المواقف الجماعية غير متصور البتة انها تتعدى فى اهدافها توحيد كائنات تأبى بطبيعتها النفاذ والاحتراق او انها قد تكون انعكاسا لحركة دفاعية او هجومية تصدر عن طبقته ، اى عن الاوساط الحاكمة . ونلاحظ ان فلوبير قد استعان عندما اراد سنة ١٨٦٦ الحديث عن الشيك بمعنى الطرافة « هذا الجيل الجديد » بذات الالفاظ التى استخدمها فى خطاب الى شفالييه (٧) اذ يكتب : «الاراء الشيك او الطريفة (او الرخوة) (٨) تعنى الانتماء للكاثوليكية (رغم عدم الانتفاع بها على الاطلاق) كما تعنى تأييد الرق ومؤازرة البيت المالك فى النمسا ، ومؤداها ايضا الحزن على الملكة اميلى والاعجاب بارنيوس فى رحلته الى الجحيم ، وكذلك الاهتمام باللجان الزراعية والحديث عن الرياضة كما تعنى التظاهر بالاتزان والتأسف فى غباء على معاهدات سنة ١٨١٥ : انها حقا امور جديدة » (٩).

---

(٤) الطليعة : قصتان من تاليف فولتير ، الاولى منهما قصة هجائية (١٧٦٧) تحكى الاخطاب التى لحقت ببطلها وافكاره لاتتمشى مع الافكار المسبقة والمتواضع عليها . اما الثانية فهى قصة فلسفية (١٧٥٢) تحكى رحلة العملاق ميكروميجاس الى الكوكب زحل ثم عودته باصطحاب احد سكان هذا الكوكب .

(٥) ليس فى هذا الخطاب اى خطا املائى .

(٦) الطليعة : تاتى هذه العبارة فى مستهل بيت شعر من ونسع فرجيل (الانياذة ـ ٦ ـ ٧٢٧) تفسر العالم تفسيرا آحاديا ورواقيا بمعنى أن مبدءا روحيا يحرك العالم .

(٧) الطليعة : اقتصادى فرنسى (١٨٠٦ـ١٨٧٩) من أنصار حرية التجارة

(٨) الطليعة : يهمنا أن نعطى بعض المعانى المختلفة لكمة أو لعبارة (شيك) منعا لكل لبس نظرا لاستعمالها الخاص فى لغتنا العامية المألوفة . فكلمة شيك فى اللغة الفرنسية تعنى احذق والمهارة كما تعنى ايضا الاناقة وتعنى اخيرا الكرم والظرف اما استعمال كلمة (شيك) عند فلوبير فهى تعنى كل هذا مرة واحدة الا مع الميل الشديد الى التهكم على اعتبار أن اهل عصره من البرجوازيين كانو يتشدقون بوجوب الاتصاف بتلك الصفات مرة واحدة تظاهرا ولجلب الانتباه كشىء جديد .
اما كلمة (الرخوة) المستعملة فى المتن لمعناها الفرنسى ذات نطق معنى طرافة (اى شيك) وان كان التركيب اللفظى مختلف فى الحالتين .

(٩) خطاب الى جورج صاند فى ٩ ـ ٩ ١٨٦٦ ـ مراسلات الجزء الخامس ـ صفحة ٢٤١ ـ الطليعة : هذه الامور التى يذكرها فلوبير فى خطابه كانت محور كل حديث فى ذلك الوقت حيث كانت العلاقات بين الكاثوليكية والبابوية من جهة وجهاز الدولة من جهة أخرى على نزاع شديد وتميزت هذه الحقبة (١٨٦٦) بالحملة الفكرية على نظام الرق بمناسبة حرب الانفصال التى كانت دائرة فى الولايات المتحدة الامريكية كما كان بسمارك يحاول فى نفس الفترة ابعاد العائلة المالكة النمساوية عن اية سيطرة او نفوذ على بعض المقاطعات الالمانية .

ولا يرى فلوبير فى هذه الامور ضربا من الدعاية الرجعية او محاولة منها لمواجهة القوى الليبرالية الصاعدة ، فهى ليست فى نظره سوى مجموعة من السخافات المبتذلة تسلطت على الجيل الناشيء لانها سبق وان فرضت نفسهـا على الاجيـال السابقة (انها حقا أمور جديدة) ، مجموعة من السخافات بعثت بهاحركة الازمنة الغابرة محكومة فى برانيتها كما تحكم المحركات فى ميكانيكية نيوتن .

ويفضح اذا ما للغباوة من طبيعة لا انتهائيـة لانبعاثها من زمان آخر ومكان آخر ، وهى ايضـا جامدة وكثيفة لانها تفرض نفسها بثقلها لا تقبـل اى مساس بقوانينها،وهى فى النهاية شيء لمايمتنع على الطبيعة من التأثير عليها واختراقها ، فالالية تلتصق بالاحياء وتقضى العمومية على ما للتجارب الفريدة من اصالة وتحل الرجعية السابقتكوينها محل الممارسة الحية ، وعندئذ نقع فى عهد « المبنى للمجهول » ويقال : اقوم بزيارة عمى لما تستدعيه العادات من زيارة الاعمام بمناسبة عيـد رأس السنة الا ان هذا الوضع يمثل من زاوية اخرى **الشيئية** الخاصة بالمجتمع البرجوازى المبنية على مشاركة ورفض البرجوازى الجاهل لذاته ، فـلا تقوم تلك الشيئية سـوى بفضح محـاولة ربط الاشياء ميكانيكيا بقوة اندفاعها الالىبذات الوسيلة التى تعمل بها على مجاهدة تلك الشيئية ظاهريا او على الاقل اخفائها وذلك بالقدر الذى تفقد تلك المراسم « البراقة » ما لها من مضمون مسيحى وتبدو على انها مجرد عـادات متواضع عليـها وبالقدر الذى يتضح للشاب فلوبير عجزالبرجوازية فى ابتداع مقدساتها واقامة علاقات انسانية .

واذا كانت الغباوة شيء ، فيمكن للاشـياء أن تكون غبية . لذلك نرى جوستاف يبغض الثياب بأجمعها ويمقت اية اداة من الادوات التى لها اى استعمال فى جسمه وشخصه ، نذكر فىهذا الصدد هجماته العنيفة التى سار يشنها على الاحذية والسكك الحديدية « وعربات الامنيبوس » (١٠) ونستمع اليه حين يقول : «يالها من حزينة غرفة الفندق تلك التى استعملّ الناس جميعا أثاثهـا الجديد فاصبح تالفا » . فالمادة هنا تؤكد نفسها مشيرة الى ما للنزلاء من طبيعة استبداليـة اى فقدانهم لكل جوهر واساس . ويستمر فلوبير فى ذات الاتجاه ليقول « لا شيء عدا الفن يعطيـك الجاذبية ... فلا يهيم الانسان بالمرأة بل بثيابها ... ولا تفتنه قدميها بل الحذاء الذى تلبسه، واذا افتقدت الحرير والموشى والقطيفة وجلد المـاعز والاحجار الكريمة المتانقة والالوان التى تحلين بها وجهك فلن يرضى بك المتوحشون انفسهم اذ لهم زوجات قـد وضعن الوشـمة على وجوههن . والثياب على أية حال باعتبارها رمز العفة تعد جزءا من الفضيلة بل الفضيلة بأكملها ... وبقدر ما تكون الملابس لابسة اى مخالفة للطبيعة وقبيحة المنظر ، بقدر ما تكون بالتالى جميلة و ... انيقة على وجه الخصوص » (١١) . ينزل فلوبير بالمرأة الى مجرد الزينة التى تتحلى بها وهى ليست فى نظرهسوى (الجيب) أىالازار والصدار والادهان.

ويشهد فلوبير على خلاف ذلك فى ذهول اى شيء مادى يثير فى ذهنه الغريب مادية صاحبه فنعلم الاهتمام البالغ الذى كان يبديه فلوبير ب « الخف الصغير الاسمر اللون » الذى كانت تضعه لويز كوليه فى قدميها (« عندما القى بنظرى على هذا الخف كنت اتخيل حركة قدميك مزودة بدفئها »)او اهتمامه بعد وفاة والدته بما كانت ترتديه من ثياب . فلنتذكر بوجه خاص قبعة «شاربوفارى» وماتمثلهفىصاحبهامنبلاهة بحيثيصبحشارل (١٢) ذاته محولا الى قبعـة . فالحركة المزدوجة التى تجعل من المتأنقة شيئا وترفع بالقبعـة القديمة الى مستوى الانسان تبدو فى هذا المجال مظهرا لما اطلقت عليه الممارسة الجامدة اذ يصبح الاستبدال ممكنا آنذاك بين البشر .

وقد امتصتهم المادية وبين الاشياء المسحورة بالنشاط الملتصق بها ، فوحدة الالتصاق الجامدة المفروضة على الاشخاص من الخارج تتحد ذاتيا

---

(١٠) الطليعة : ماكان يطلق عليه فى بلادنا عبارة عربات سوارس ، اى عربات النقل العامة التى تجرها الدواب .
(١١) قصر القلوب . مسرح (دار النشر كونراد) صفحات ٢٤٢ ـــ ٢٤٣ . سوف ترى بدراسة أخلاقيات فلوبير المنبعثة من تكوينه الجنسى ان التميمية الجنسية من اسباب هذا الهبوط الى المادية ومن آثاره كما تفصح تلك المادية أيضا عن نيات سـادية وماذخيـة .
(١٢) الطليعة : "شاربو فارى"و"شارل" شخصية مصضية واحدة فى كتاب «مدام بوفارى» لفلوبير . ولاتعدو كلمة «شاربو فارى» سوى ادماج كلمة شارل فى بوفارى بحذف اللام . ويلعب شارل بوفارى فى تلك القصة دور الطبيب الخسيس وهو زوج «ايما بوفارى» التى تقودها الظروف المختلفة وطباعها الى الضيق والـكذب والخيانة الزوجية .

بالعملية التنفيذية الايجابية في المادة المصنوعة التى تنحط بذات انتصارها ولا تظل باقية الا بقوة الاندفاع والاستمرار ، ومع ذلك فالممارسة الجامدة من طبيعة لا تمثل الغباوة فيها ، كما يراها فلوبير ، سوى نوع . وليس الامر هنا فى الحقيقة الحط بالانتاج بل يتعلق بالحط من الاستعمال ، ففى حركة التملك والانتفاع المركبة وفى المراسم المقترنة بها يتم بين الشىء الجامد وشخص الانسان تبادلا مستمرا فى وظائفهما ووضعيتهما بغير أن يكون الشىء الجامد قد تمخض عن الشخصية الانسانية.

كل انسان له طريقته الخاصة فى استيعاب واصداره لقوة الدفع الموضوعية . فان مبادىء الكاثوليكية التى اتخذت عند الاب بورنيزيان طابع الكتلة الصماء الجامدة كالرصاص قد انتهى بها الامر للانحدار الى الحضيض ، وآية ذلك ان ايمان هذا الاب انحط فى غباء وبافراط عقادى الى مستوى الحاجة المادية ، واصبح هذا الايمان جسديا فى الوقت الذى كان مفروض عليه فيه انكار الجسد ، (١٣) فالموقف الجامد غير المتسامح الذى يقفه هذا القسيس انما يشكل قوت حياته ورزق يومه ، ليس بينه وبين الشهوانية من فارق. وعكسا لذلك ، فالنساء المتأنقات سوف يتحولن الى أجهزة ميكانيكية خفيفة، ففى قصر القلوب(١٤) تقدم لنا ملكة الحوريات تفسيرا لتلك العملية الشيطانية التى لجأت اليها الجنيات لتضع الخارجي مكان الداخلى فتقول : « تسلب الجنيات افئدة البشر لتأكلها واضعة مكانها احدى الاجهزة الميكانيكية من اختراعها التى تقلد بدقة حركات الطبيعة .. ويتقبل البشر هذا الوضع على غير مضض منهم بل ويستلذ البعض منه ... فالبشر يستسلمون لمقتضيات الطبيعة . وانتقلت روح الجنيات (المادية) فى نخاع عظام البشر مغلفة اياها وتخفى عنهم كالضباب روعة الحقيقة وشمس المثل الاعلى » (١٥) . واذ تمضى تلك المسرحية بعملية التحول الى الذروة ، فهى تقدم لنا فتاة تحاول تقليد حركات انسانين ميكانيكيين وكلاهما حتى تستطيع « التجرؤ على الثرثرة فى اى مكان توجد فيه عن الطبيعة والادب والاطفال الشقر وسباق الخيل وعن اشياء اخرى» .ونلتقى فى هذا المشهد بتلك الحركة المزدوجة التى سُبق لنا الاشارة اليها اذ يتحرك المانيكان بمجرد الضغط على أحد الازرار ليصبحوا بشرا ، وعندئذ تفزع الفتاة مفتونة بذلك المنظر وهذا التحول وتحاول أن تصبح مانيكان غير أن مادية التفانى الالى تبقى محدودة فى الفضاء المحيط بهما وعندما يهم بالرقص كل من « السيد والسيدة » تستولى الحركة المتلقاة على الثنائى وتوحده ميكانيكا وما يبقى بعد ذلك صورة فضائية حية من حركة ميكانيكية ، اى دوران جسم متعدد الجوانب يأخذ الوضع التالى :
« السيد مرفوع الراس ملقيا بذراعيه فى الفضاء ، والسيدة مستقيمة كالالف تتجه بأنفها الى أسفل وكلاهما بزاويتهما الحادة يخترقان الفضاء على شكل هندسى يستهوى العقل حقا » (١٦) .

٣ ــ الكلام

فالغباوة الاولى ايا كان الحال هى الفكر الذى اصبح مادة او المادة فى تقليدها الفكر مما يجعلنا نتناولها من زاويتها الاخرى لعلها الاهم ، فتارة يتحول الفكر بذاته الى جهاز ميكانيكى وتارة أخرى تقتحم **الروح** بالاجهزة الميكانيكية . اذا كان يوم راس السنة سخيفا الا أنه يوجد ايضا عند آل فلوبير « سيدة تقول السخافات » وهى جمل مستقرة فى ذهنها تخرج فجاة من فمها جامدة كالالة لا علاقة لها بالحالة والمواقع او حتى بالجمل السابقة عليها مما يستتبع وجود اجهزة جامدة ومعزولة فى ضمير الانسان . لقد كان الشىء فى الخارج حتى الان : قبعة شارل ــ سبحة الاب بورنيزيان ــ ثياب المتأنقة وقفازها ، والان تدخل تلك الاشياء فى جانبينا وتعشش فى عقولنا والبداية تقتحم حياتنا الداخلية-مفجرة الفكر . سوف يطلق الطفل كلمة « السخافات » على الاشياء التى فى الروح كما يطلق عبارة « الافكار المتوارثة » على الانسان ، فما يعرض علينا هنا هو الكلام العارى أى مادة ذات رنين تدخل من الاذن لتستقر فى المخ. يتم فى كل لحظة أيا كان المكان كما يتم فى المجهول صنع جهاز كلامى ينتقل من الفم الى الاذن وهلم جرا من فم انسان الى أذن انسان آخر ليستقر فى النهاية حتما فى نفسى . ويمثل معنى كل كلمة وحدة مادته الجامدة كما يؤدى التجمع الكلامى الجامد الى

(١٣) يوضح لنا فلوبير فى «مذكرات مجنون» الطابع الروحانى فى عقيدة قسيس قضت عليها شراهته واهلكتها . وكما نرى ، اهتم فلوبير بهذا الموضوع منذ زمن بعيد .
(١٤) الطليعة : مسرحية من تاليف فلوبير بالتعاون مع صديقه الشاعر لوى بوييه وشارل دسموا (١٨٧٩)
(١٥) مسرح ــ دار نشر ادوار كونراد ــ ص ١٦٢ .
(١٦) المسرح : الناشر ادوار كونراد ــ صفحات ٢٥٣ ــ ٢٥٤ .

تلويث المعانى الاخرى سلبيا ، وعندئذ تستقر شبه فكرة فى ذهنى يعجز معناها الظاهر عن اخفاء مالها من عبث شديد اذ لا غاية لها سوى توحيد البشر وطمأنتهم باتاحة الفرصة لهم ليؤدوا ايماءات الاتفاق واشاراته ، الا ان تلك الكائنات الجامدة الصماء ذات المصالح المختلفة لا تستطيع الاتفاق فيما بينها على شيء ، « فالجريمة الغامضة » بما تتسم به من كثافة مادية تصطحب بغياب وعدم ليس سوى المعنى ذاته . وما ابلغ خطرا ان الفكرة المتوارثة تولد فينا شبه ضمير اذا كانت شبه فكر فليس ما نعبر عنه بكلمة تفكير سوى انعكاس الكلام على نفسه اى انعطاف فى الجهاز الكلامى . فالانسانين الاليين يستعرضان فى قصر القلوب الحياة الداخلية فى شبه زيف مما يعنى ان الافكار المتوارثة تصاغ خصيصا من اجل النفس النفيسة كما لا تختلف تلك الافكار المتوارثة عن غيرها من الافكار الا أنها لا تصدم الهواء الخارجي بل تطنطن فى الجمجمة . اليكم على سبيل المثال ما جاء فى تلك المسرحية .

— السيد
فى خدمتكم

(جانبا) هذا خيال ... انها تغترف فرحا (بصوت مرتفع) سيدتى ، هل تسمحين ان أقدم اليك نصيحة ، فأنا على أتم استعداد لاقوم على مسئوليتى باستثمار أموالك (١٧) .

وحديث السيد مع نفسه زاخر كما رأينا بالتفاهات المعادة الكاشفة عن أصله ، فما من أحد سوى البرجوازى يستطيع أن يقول للناس او ان يقول لنفسه (والامر هنا يتساوى فالظاهر موجود فى الباطن) ان أمرأة تنفرج اساريرها خيالا . يقضى فلوبير طيلة حياته فى ترديد الافكار الجمعية المعادة التى نقولها للاخرين كما نقولها لانفسنا ونقرا له عشية وفاته فى مؤلفه « بوفار وبيكوشيه » (١٨) العبارة التالية : « ان اشياء تافهة كانت تحزنهما مثل اعلانات الجرائد وصورة البرجوازى والملاحظات السخيفة التى استمعا اليها بمحض الصدفة .

فعندما تسترجع الذاكرة مستوى الحديث فى قريتهما وعندما يتصوران اشخاصا آخرين من نوع كولون ومارسكو (١٩) يمرحون فى البسيطة ويعيشون عليها بطولها وعرضها يشعران اذ ذاك على التو وكأن « بالارض تثقل كاهلهما » .

وتثور فى الذهن على الفور العجيب من الاسئلة . من أين استمد فلوبير بما وصفه دوفييل (٢٠) فى بساطة عن «قدرته الخارقة على ادراك الحماقات» وما سبب اطلاقه العنان عليها ، ثم ما الذى جعل من غباوة الاخرين عبئا عليه لا يحتمل ؟

بوسعنا تقديم اجابات اولية على تلك الاسئلة اذا ما تركنا جانبا تلك الفكرة الجمعية المعادة التى تزعم بضرورة الذكاء لاكتشاف الغباوة، مؤكدا على الفور عدم جدوى الذكاء فى مثل تلك العمليات ، بل وكثيرا ما يعوقها الذكاء فى مسيرها . ما من كاتب الا وعلى بينة من تلك الحقيقة ، اذ نعلم أن أخطاء الطباعة تفوت علينا عندما نقوم بتصحيح التجربة اذا نظرنا الى النص فى معناه أو اسلوبه اذ يقتضينا التيقن من نقص او زيادة حرف او حرفين من الكلمة ان نضع انفسنا على مستوى الكلمة المطبوعة بمعنى تفرغ ذهننا من كل شيء مع تركنا فى سلبيه حروف الطباعة تتكون لتزول عن بصرنا . وبمقولة احرى ، يقتضينا اكتشاف الافكار الجمعية المعادة تقبلها وعدم تخطيها بما تستعمل فيه ، فاذا كانت الافكار المسبقة قد أثقلت كاهل فلوبير فما من سبب الا أنه قد تكيف بحيث يتلقى الكلام على مستواها .

اليكم هذا المثل الذى يوضح تحيزه بجلاء . اليكم فى مجمعه ما جاء تحت عبارة « السكك الحديدية » « الافتتان بهذا الاختراع والقول : انا يا سيدى الذى أحدثك الان كنت صباح اليوم فى مدينة (م) وعدت منها بقطار الساعة (م) حيث قمت بقضاء بعض اعمالى وكنت قد عدت الى هنا الساعة (x) » . كانت تلك العبارات بلا شك فى متناول جميع المسافرين وهى ذات العبارات التى استعملت فيما بعد مع قليل من التغيير عندما ظهرت السيارة على الوجود ، بل وتستعمل تلك العبارات حتى اليوم مع تغيير بعض الكلمات فى حديث بعض المسافرين عند تنقلاتهم بالطائرة . وهذا يدل على وجود نوع من أسلوب الحديث دائما على نفس النمط يلجأ اليه الناس جميعا للتعبير بمناسبة ظهور وسيلة جديدة من وسائل النقل عن سرعة تلك الوسيلة . اين الغباوة فى هذا المجال واين الفكرة المتوارثة فيه ، ان الرد على هذا التساؤل محكوم ، ولا ريب بوجهة النظر التى

---

(١٧) قصر القلوب ص ٢٥١ .
(١٨) الطليعة : تأليف . بدأ فى كتابته ١٨٧٢ ولم ينته منه . وهذا الكتاب يحكى قصة موظفين (بوفار وبيكوشيه) عبارة عن هجوم على البورجوازيين بسخافاتهم وعباداتهم وأفكارهم المتوارثة ويتميز الكتاب بدقة المراجع والفحص الطبى «وكان من المفروض ان ينتهى الكتاب بباب يتضمن» « معجم الافكار المتوارثة » .
(١٩) الطليعة : يؤدى كولون فى كتاب «بوفار وبوكوشيه» دور قاضى المصالحات بينما يمثل ماريسكو شخصية موثق العقود
(٢٠) — الطليعة : ناقد وعالم (١٨٧٩) كتب رسالته فى الطب عن «فلوبير» وراثته ، بيئته ومنهجه . وكتب أيضا «صدور كتاب مدام بوفارى» (١٩٢٨) كماله مؤلفات عن كتاب آخرين من الطبيعيين .

نتبناها وليس من شك ايضا اننا ازاء قضية بينة اذ لا وجهة للاستغراب ان الطائرة نقلتنا في ساعتين على بعد ١٦ر٠٠٠ كيلومتر من محطة الذهاب اذا كان من المعلوم قبلا أن سرعة الطائرة تسير بمعدل ٨٠٠ كيلومتر في الساعة . أما وضع هذه العبارات على مستوى البديهيات فلا يعني الا اننا قد قرنا مبدئيا التقوقع في المعاني المجردة بينما يختلف الامر كل الاختلاف اذا نظرنا للامور من زاوية الانفعالات . واذا كان الانبهار بالتواجد في موسكو بعد اربع ساعات منترك باريس لايشكل شعورا عميقا الا انه شعور ولا شك ساذج وتلقائي ، فتلك الساعات الاربع التي قضيناها فوق الغيوم وفي نوع من الوسط اللاغي ونوع من الفضاء غير المميز تبدو كأنها لا شيء في حياتنا ، وكأننا ننتقل مباشرة من عالم الى آخر . نرى الناس يفرحون في ذهول ازاء اي تحسين يطرأ على الالة مثل ما حدث عندما حلت الطائرة النفاثة محل الطائرة ذات المحركات الاربعة فتبدو لهم الارض وكأنها ملك ايديهم . ويولد التفاوت الكبير بين باريس وموسكو في نفوسنا المتلذذة نوع من أحلام اليقظة لا تمت الى العقل في شيء الا أن صدق انفعالاتها حقيقي فنقول مثلا ان موسكو اقرب الى باريس عن هذه الى ليون . لا شك أن **هذا قول « غبي » لاختلاف وسيلة النقل في كل من** الحالتين وتبدو الجملة التالية السليمة المنطق تافهة من زاوية القدرة على الفهم : « اذا ما ذهبنا الى موسكو بالطائرة فهي اقرب الى باريس عن ليون اذا ما ذهبنا الى تلك المدينة بالقطار » . الا ان تلك الجملة تأخذ معناها الكامل اذا كان المسافر ينتقل بانتظام بالقطار اليليون وبالطائرة الى موسكو مما يعني ان دهشة هذا المسافر تعود الى القياس العملي بين سرعتين مطلقتين فالضربة تزيد أوتنقص عنذات فترةالزمن «المفقود» (اربع ساعات) .

وليس السبب في ترديد ذات الجمل من الناس جميعا اختراقها اذنهم بل مرد ذلك انهم يعبرون بغباوة عن رد فعل جمعي الا انه شعور تلقائي وسليم بل ويتمشى عقلا مع حالة متساوية للجميع عدا فلوبير الذي كان السفر بالقطار يسبب آلاما شديدة (٢١) متمثلا السكك الحديدية رمزا للحضارة الصناعية البغيضة على نفسه ورمزا التقدم الاجتماعي الذي لايعتقد فيه . ولما كان فلوبير لايشارك باقي المسافرين في غاياتهم وقيمهم نراه لايتعرف من ثمة على الاحاسيس التي تعبر بها الجمل التي ينطقونها ، مرتابا منذ اللحظة الاولى من فرحتهم فيقول عنهم في سخرية « انهم مفتونون » ، فليس عجيبا بالتالي ان يبدو له مجموع الكلام المنطوق مفصول عن الانفعالية المعبرة فيه نتاجا آليا لانعكاسات مكيفة . لقد كان فلوبير منذ طفولته يتميز بـ « قدرة فائقة » على التقاط الافكار الجمعية المعادة والتقاط السخافات لانه كان يترقبها مستمعا الى الكلام والحديث في غير اهتمام بما يجريه محدثه من النشاط التركيبي وما يبديه من نوايا حقيقية .

واذا اردنا ان نعرف ما الذي جعل فلوبير بهذا الوضع يكفي ان نقول انه على ماكونوه ، فقدكان معزولا في السلبية منذ نعومة اظافره مما يعني عجزه آنذاك عن القيام بعمل ايجابي . سبق ان بينت جهله عن التفاعل الذي يعد ضمان الحقيقة وكنفها واوضحت ما كان لعدم مبالاة والدته الحزينة من الحكم عليه بالبقاء على ارضية مجرد العقيدة . وتأسيسا على ذلك لم يتلق فلوبير الكلام على اعتبار انه يشكل مجموعة مركبة من الادوات يتم تجميعها وتفكيكها لتؤدي المعنى المطلوب بل تلقى الكلام على انه افكار جمعية معادة لا تنتهي لا صلة لها ببنية الابصار ولا بالشيء المطلوب توضيحه ، وهي باحتفاظه على نوع من التماسك الذاتي تشغله وتناجيه بل وتعرفه وتشير اليه ولا يستطيع طفل مع ذلك استخدامها .

لقد عاني فلوبير الامرين ليحدث التغيير فيه اذ كان عليه ان يتعلم كيف يصدر الاحكام غير ان القطار قد فاته ونراه منغمسا في عالم حيث الحقيقة فيه هي **الاخر** ويتوقف ايمانه عندما صار يصدر الاحكام عاجزا رغم ذلك عن ايجاد التفاعل وكل مايخرج به ان **الاخر** قد فقد سلطانه . وبعبارة اخرى لا يعتقد فلوبير ابدا فيما يقوله او ما يقال له غير انه في الوقت نفسه لايعتقد في عكسه غير صادق مع نفسه ومرتاب في محدثه ونراه يلهو في اصدار الأحكام لفقدانه الفطرة اي لفقدانه الاستكشاف التطبيقي . ويشكل الفعل الحكمي عنده في جزء منه اشارة او ايماءه او حركة فلا يختار الكلمات بل ينتقي من الافكار المتوارثة ما يتمشى منها مع الوضع ، وهي افكار مسبقة اي الالفاظ المكونة لها وترتيب تلك الالفاظ قد سبق اعداده، ينطق الجملة المعدة فبلا مندهشا باستماعه لها ويحس بالتفاوت بين ما يسمعه في حياته من اصوات حزينة وغامضة وتلك الاحجار الصغيرة الرنانة اي الكلمات . واذ ذاك يتلقى الجمل التي يقولها الاخرون على انها تحديدات مسبقة للحديث ولا مناص من ذلك الا اذا اخذ فلوبير تلك الجمل على انها احكام (خاطئة او سليمة) اي اذا انحاز اليها او ضدها . فالفكر ممارسة جمعية وكاشفة ليس لها ادوات سوى الكلمات التي تتوارى لصالح الشيء الذي قيل بمجرد تأدية الفكر عملية التفاعل . وعندما يتوقف عن الظهور هذا النشاط بما يتضمنه من معان والذي

---

(٢١) كان مصابا بما يطلق عليه «مرض الفزع من التركيبات الحديدية» .

يتعدى نحو العالم الاداة التى يستخدمها نجد الكلمة تظهر عندئذ مرة اخرى بكثافتها المادية لمجرد انتفاء للمعنى المقصود . والدليل على ذلك ان كلمة «بقرة» وسيلة الوصول للقطيع الحقيقى عندما تكون تلك الكلمة جزء من اشارة مركبة مرتبطة بواقع عملى او بنشاط ما (البقرة مريضة وينبغى العودة بالقطيع) الا ان تلك الكلمة تتوارى على الفور ولا يلحظ احد انه قد نطق بها وعندما تبرز مرة اخرى من اغوار الماضى السلبى نجدها تطرح نفسها لنفسها وتظهر كانتفاء للبقرة او بمقولة اخرى على انها تحديد صوتى ومرئى لا ينعكس سوى على تحديدات من ذات النوع .

ولكن فلوبير **لايفكر** ابدا اذ يفتقد هذا المدافع عن « الموضوعية » الى اى قدر من النزاهة . مما يعنى انه لايتخذ الابعاد **الحقيقية** نحو نفسه ونحو العالم ، وهذا مايجعل الكلام يعود للظهور مرة اخرى فى ذاته وخارجها على انه مادية لحوحة . الا ان هذا الكلام لايفقد معذلك جوهره اى معناه بل تستقر المعانى فى الكلمات فلا انعكاس آخر الامر الا على فلوبير نفسه ، فهو بمثابة **الفكر الاخر** اى المادية مقلدة الفكر او اذا اردت الفكرة متسلطة على المادة مع عجزها عن التخلص منها . واذ ينتظم الكلام فى نفسه بما له من روابط خاصة يسلب على الفور فكرته (الذى يعوزها الوضوح لتتحكم فى الكلمات) وتملى عليه اشباه افكار وهى « الافكار المتوارثة » التى ليست ملكا لاحد لانها على حد قول جوستاف كامنة فى كل من الاخرين وليست كامنة فيه . والى هذا المستوى لايعتقد فلوبير ان **احدا يتكلم** بل **ان الانسان موضوعه** ، فالكلام باعتباره جهاز من الممارسة الجامدة والمركبة نظامه المادى الخاص به ، فهو اذ يرن بمفرده فينا اى تبعا للطابع المفروض على قوة اندفاعه واستمراره يصيبنا بفكرة معكوسة (غير متحكمة فى الكلام بل جاءت نتيجته) ليست سوى نتاج عملية ما توفر له الكلمات او بمقولة اخرى ما هو عكس غايتها . والكلام فى رأى فلوبير ليس شيئا سوى الغباوة باعتبارها متروكة لنفسها اى انتظام المادية اللفظية الى شبه برانية التى تتمخض عنها الفكرة ، المادة .

ليس فلوبير مخطئا كل الخطأ فى هذا الشأن، فنحن اغبياء جميعا بقدر ما تتضمن كل كلمة منطوقة عكس غايتها التى تلتهمها ، أو ان اردت فكلنا يعبر على الدوام باستعمال الافكار الجمعية المعادة . ان الكلمة فى حد ذاتها فكرة مسبقة لانها تتحد خارجنا ، يميزها فى الجهاز اللفظى عن الكلمات الاخرى الا اننا جميعا اذكياء بمعنى ان الافكار الجمعية المعادة كلمات نتخطاها بقدر استعمالنا لها نحو فكرة جديدة على الدوام . ولا اعنى بذلك ان الكلمات لاتسلب فكرتنا فهى لاتنقطع عن امتصاصها وصرفها . لقد اوضحت فى مكان آخر ان كلمة **طبيعة** وهى احدى الافكار الجمعية المعادة فى القرن الثامن عشر حددت فكرا ساد (٢٢) وحرفته كما قلت انه لا يمكن ادراك السادية وهى مصادية الطبيعة الا باعتبارها دهرية ، الا ان الذكاء عبارة عن علاقة النية اللفظية بالكلمات جدليا . فالفكرة بتحريفها المستمر وبتكرارها وقيدها على الدوام ثم بحرفها مرة اخرى وهلم جرا الى ما لا نهاية تقع فى شرك الافكار الجمعية المعادة حين تعتقد انها تستخدمهم كما ان الفكرة عكسا لذلك وقد ظن انها قد وقعت فى الشرك ، تتعدى هذه الافكار الجمعية المشاعة وتخضعها لنيتها الاولى والاصيلة . وتنتهى تلك المعركة غير متكافئة بنتائج متفاوتة الا انها عملية مستمرة فى كل لحظة وكل دقيقة . يواجه فلوبير الكلمات وهو فى حالة من **الاستغراب** ليفلت من تلك المعركة المضنية، فالخارج قد انتقل الى الداخل وادرك الجوانى على انه البرانى ، واذ ذلك نرى فلوبير يكتب ويكتشف ان قلمه قد سطر بغير علمه فكرة جمعية معادة . ومن هنا نفهم تحرزه فى الكتابة، فكم من مرة قد اضاف الى كلامه الجمل العارضة التالية «كما يقول البقال» ــ «محدثا كالبقال» ــ «انا كالسيد برودوم الذى ...» (٢٣) ــ «كما كان برودوم يقول ...» ٢٤ ــ «اقرر ..... كالسيد برودوم» ٢٥ « ويأتى لها هذا التشبيه بطريقة تلقائية اذ يكفى ان تكتسب الكلمة ويراها فلوبير حتى لايتعرف عليها ، فلا شك عنده ان بورجوازيا قد سرق القلم منه ، ولكن الحقيقة ان بورجوازيته تقبل عليه كالغريبة فيتعجل بالتنكر لها ويحاول حملنا على الاعتقاد انه يلهو وانه لايفعل سوى تقليد كتبة المكاتب واصحاب الحوانيت ، الا اننا نتساءل عما وراء ذلك ولماذا يقوم بالتقليد **فى هذا الموضع على وجه التحديد ــ اذ تبدو** تلك الجمل العارضة التى اضافها على عجل بعيدة عن كل منطق خاصة

---

(٢٢) الطليعة : كاتب فرنسى (١٧٤٩ ــ ١٨١٤)من مؤلفاته «بؤس الفضيلة» ، «قصة جولييت» و «أزهار الرزيلة» وتتميز شخصيات تلك القصص بالانفعال القهرى لتحقيق اللذة بتعذيب الاخرين ، غير ان أهمية مؤلفاته ترجع الى استعراض تمرد الرجل الحر ازاء المجتمع والخالق . وقد تعمد بعض الكتاب تشويه فكرة الانسانية وحرفها بحيث أصبحت اليوم كلمة «السادية» رمزا للانحراف الخلقى .

(٢٣) مراسلات ــ الجزء الخامس ــ ٢

(٢٤) مراسلات ــ الجزء الخامس ص ١٥٣ والجزء السادس ص ٢٨٨ .

(٢٥) مراسلات ــ الجزء السادس ــ ص ٤٥٠

فى رسالة جادة بليغة وشديدة اللهجة حيث ينقطع فيها الفكر فجأة نتيجة تلك الاضافات الغريبة . لا يعبر فلوبير فى الواقع عن فكرة **مثل** البرجوازى بل يتكلم **باسلوب البرجوازى لانه برجوازى** ، فلم يضف تلك الجملة العارضة ليهزأ بطبقته بل جاءت تلقائية على قلمه ، وعلى الفور يريد — وقد لاحظ ذلك فجأة — التخلص بحذق ومهارة من هذا المازق الذي وقع فيه فيقول : نعم اعلم اننى اتكلم كالبقال بينما يوجه الكلام لمحدثه ليتفادى تهكمه ويقول له : انت تتكلم مثل جوزيف برودوم ، الم تدرك انى تعمدت كل هذا ؟

الا ان الغباوة تنفجر بالمعنى الذى يقصده خاصة اذا تخلى هذا التيقن عن الحدوث فى وقته وترك الجملة تمر بلا تعقيب . هذا ما جعل من مراسلاته ذخرا بالافكار الجمعية المسبقة والبرودوميات (٢٦)

لاشك ان برودوم كان سيقول عن الاشتراكية انها خيال محفوف بالاخطار . فلنستمع الان الى فلوبير الذى قال : « تلك الخيالات البغيضة تلقى الاضطراب فى مجتمعنا وتهدده بالفناء « اما عن السفريات والرحلات التى يعتبرها بطل هنرى مونييه (٢٧) مكونة للشباب نجد فلوبير يتفق معه كل الاتفاقات فى هذا الرأى اذ يقول عنها « انها تجعل الانسان يلتقى بعديد من مختلف الاشخاص بحيث نستطيع فى النهاية الالمام بالعالم بعضا ما (من كثرة التجول حول العالم) . نفس الشىء فى مجال العواطف والمشاعر ، فبينما يلقى جوزيف برودوم بالعبارة التالية « لا ورد بلا اشواك » نرى فلوبير يسطر فى كتاباته ان « فى اعماق احلى المشاعر بعض المرارة » . وقد اشتهر جوزيف (برودوم) بقوله « تسبح سفينة الدولة

على بركان » و « هذا السيف هو اجمل يوم فى حياتى » . اما جوستاف فنجده قد اخذ ذات الاتجاه ونفس المعانى حين قال « الكبرياء دابة كاسرة تعيش فى الكهوف والصحارى بينما يتنقل الزهو والتظاهر كالببغاء من شجرة لاخرى فى وضح النهار » و « تجد العبقرية وراءها كحصان شديد المراس الانسانية باسرها على طريق الفكر » . و « ان الانسانية — هذا الكهل الازلى — تحقن نفسها بجرعات من الدماء فى احتضاراتها الدورية (٢٨) .

اليس فلوبير — ولا البقال — الذى كتب « ان هذا العضو التناسلى اساس كل العواطف الانسانية » او يعلن فى اسف « هذا مايقود اليه حب الخمر فى بافراط » . بل وكان يمكن لفلوبير ان يكتب فى معجمه « **اليونان** » الاعجاب بالمعجزة اليونانية — **تماثيل** : عندما تكون جميلة نقول انها متأهبة للسير (اوللحياة) . على ان فلوبيركتب من اثينا يقول : «كنت اناجى نفسى فى ذهول واعجاب عندما شاهدت تلك البقعة الصغيرة من الارض تحيطها جبال عالية ويستمر : « لقد بزغ من هنا اغبياء متعجرفين واشياء صلبة « كما قال بمناسبة تمثال تهشم» : «كأن الثدى ينتفخ وكأن الرئتان من خلفه تمتلىء هواء وتتنفس (٢٩)

ولابد وان فلوبير كان واعيا بتلك الامور بدرجة او اخرى . حقا كانت تعوزه المعرفة الكافية بكل التفاهات التى تفوت عليه غير انه لايعتريه اى شك فيما يشكل الكلام فى نفسه وفى الاخرين على انه « حصيرة متدحرجة » من التفاهات . هذا هو فلوبير فى واقع الامر بشرط الا يستعمل تلك التفاهات فنستطيع اذ ذاك ان نفهم موقف جوستاف المزدوج ازاء الغباوة فتارة تسحره وتارة أخرى يشمئز منها : هوة سحيقة تسبب له الدوار وتلقى الارض على اكتافه بأثقالها .

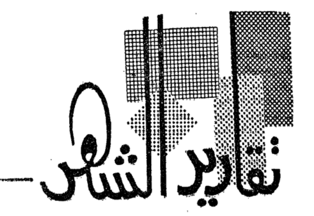
---

٢٦ — الطليعة : نسبة الى كلام وملاحظات جوزيف برودوم .

٢٧ — الطليعة : كاتب ورسام كاريكاتورى (١٨٠٥ — ١٨٧٧) ابتدع شخصية جوزيف برودوم .

(٢٨) مما يلاحظ ان تلك الجملة الاخيرة لاتعنى شيئا على الاطلاق اذ تستنزف الانسانية دماءها فى الثورات والحروب بغي ان تحصل على دم جديد . واليكم فقرة من رسالة الى آلهة الشعر تبين المستوى الذى وصل اليه بالوقوع فى الافكار الجمعية المعادة المبتذلة بينما يحاول الفكاك منها . فبعد ان كتب « يشمل التوفيق امام النساء نوع من الركاكة الا ان جميع الرجال يتمنوله» حاول وصف «الجنس اللطيف» فى حقيقته واليكم ماقال ; «حكم متناثرة ;» ليست النساء صادقة مع نفسها فهى لاتعترف بحواسها لتظن ان فؤادهن فى افراجهن معتقدة ان القمر قد خلق ليغشى غرفتهن . « تعوزهن الوقاحة وهى سخرية الذيلة » . «قلبهن كالبيانو يلعب عليه الانسان فلانا انانيا الانغام التى تجعله يتالق الخ» الى لويز كوليه ١٥ ابريل سنة ١٩٥٢ — مراسلات — الجزء الثانى صفحة ٣٩١ .

(٢٩) رسالة الى لوى بوييه — ٩ ديسمبر ١٨٥٠ — مراسلات — الجزء الثانى — ص ٢٣٧ — ١٠ فبراير سنة ١٨٩١ صفحة ٢٩٨ .



- الاتجـــاهات الفـــكرية فى مؤتمـــر المبعـــوثين
- المهــــدى بن بركــة .. وســــتار الصـــمت
- الوفد الصحفى اللبنانى يشارك فى أعياد ثورة يوليو
- مواجهــــة نشـــيطة للرجعيـــة والصــــهيونية
- اجتمـــاع ذو اهميـــة تاريخيـــة فى الصـــين

الاتحاد الاشتراكي العربي

صيغة موحدة للعمل الثوري

في شهر يوليو ، اثناء احتفالات الجزائر وبغداد والقاهرة ، باعيادها ، تعددت لقاءات القوى الثورية العربية . «التجديد الروح الثورية» كما تقول جريدة « الثورة الافريقية » ــ وهي الجـــريدة المركزية لحــزب جبهــة التحرير ــ فقد زار دمشق وفد من الجزائر برياسة بوتفليقة ، ورد السوريون الزيارة اثناء احتفالات ٥ يوليو وكان ١٤ يوليو مناسبة لالتقاء القوى الثورية فى بغداد وتبادلت الوفود المصرية والسورية الزيارات . وفى عيد ٢٣ يوليو زار القاهرة وفد من جبهة التحرير الجزائرية للاشتراك فى عيد الثورة الرابع عشر ، واجرى مباحثات مع الاتحاد الإشتراكي ، وهــذا اللقاء كمــا تقول جريدة « المجاهد » الجزائرية « يجسم رغبة كل من جبهة التحرير والاتحاد الاشتراكى فى تمتين العلاقات التى ما انفكت تربط بين ثورة يوليو وثورة نوفمبر » .

وفى القـــاهرة والاســـــكندرية ، تمت لقاءات « على كافة المستويات » بين ممثلى التنظيمين ، وعرض كل منهما خبراته وتجاربه . فالعالم العربي كما تقول جريدة « الثورة » « يعيش فترة تجارب واسعة وعنيفة تساهم فى اعطاء فكرة العروبة محتوى تقدميا ، وفى تحديد تطلعات الانسان العربى الحديث ، وان كانت هذه الخبرات لم تطل ، ولم تحدد فلسفة واضحة ، تضم الاسس الايديولوجية ، التى تشكل قاعدة للثورة العربية »

وحول نفس المعنى تقول جريدة « المجاهد » « ان الاحزاب التقدمية فى المنطقة العربية لم تصل فى مجموعها بعد من حيث نضج التجربة واكتمال ثمارها الى الدرجة التى تسمح بتحقيق وحدة فكرية ، لكن ذلك لا يمنع وجود مثل هذه اللقاءات ، بل ان هذا الوضع بالضبط هو الذى يحتم مثل هذه اللقاءات ويحتم تكررها لان ذلك هو الطريق الوحيد الى الوحدة الفكرية المنشودة ، والوحدة الفكرية بين التقدميين العرب لن تحدث بمحض الصدفة او بسحر ساحر ولكنها ستكون نتيجة جهود مضنية متواصـــلة تتناول دراســـة الظروف العربية المختلفة وتجارب العرب المتعددة لاســـتخلاص الاســـاليب والنتائج الايجابية هنا وهناك حتى يمكن ضبط اطـــار فـــكري موحد وواضح »

وهذه اللقاءات ، ضرورة تحتمها ظروف المرحلة الراهنة فالاســـتعمار يركز كل جهوده لخلق كتلة رجعية فى العـــالم العربى ، يمدها بكل مقومات وامكانيات التآمر ، وتتم حركتها فى ارتباط كامل مع باقى اجزاء خطته ، من التحركات الاسرائيلية وتدفق احدث الاسلحة عليها ، الى الضغط الاقتصـــادي والســــياسي ، الى الاتجار باســــم الدين وتنظيم واستغلال

الجماعات العميلة ، الامر الذى يجعل تراص الصف التقدمى والوصول « الى صيغة موحدة للعمل الثورى ، القائم على استراتيجية قومية شعبية للنضال ، لاتاحة الفرصة للشعب لخوض المعركة التى يتوقف عليها مصيره » كما تقول جريدة « البعث » السورية امرا هاما الى اقصى حد . وبغض النظر من اية خلافات جزئية ، او حتى اية تحفظات تاريخية ، فقد ارتقمت القوى الثورية العربية الى مستوى المسئولية ، وجرت حركة نشطة من الاتصالات واللقاءات على كافة المستويات الرسمية والشعبية لعبت فيها القاهرة دورا اساسيا ، لتجميع كل من يؤمن بالاشتراكية ومقاومة الاستعمار ، وتحطيم الرجعية المحلية وفشل مؤامراتها . والحركة الثورية العربية كما تقول جريدة الثورة « قد تخطت مرحلة الرومانسية الى مرحلة الموضوعية » . ولقد كان صدور قرارات يوليو والميثاق الوطنى فى مصر ، وميثاق الجزائر ، « بداية لمرحلة جديدة ، تجاوزت مرحلة التضامن ضد العدوان الخارجى ، الى تضامن جديد لا يقوم على اساس من المشاعر المبهمة ، بل على اساس من مصالح القوى الشعبية العاملة » .

واكد البيان الصادر « الايمان العميق بحتمية العمل العربى الثورى حلا وطريقا وحيدا لمواجهة المشاكل العربية » . وضرورة « مواجهة المخططات الاستعمارية والامبريالية والرجعية المتحالفة مع الصهيونية التى تهدد مسيرة القوى الثورية العربية فى تحقيق الحرية والاشتراكية والوحدة واعلن الجانبان ، تضامنهما التام مع الشعب السورى ، وادانة العدوان الامريكى على فيتنام . واعلنا اتفاقهما حول النقاط التالية :

- ان دعامتى المجتمع هما الايمان والعمل .
- ان التحول الى الاشتراكية يستدعى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج تأكيدا للملكية الجماعية لقوى الشعب العامل .
- ايمانهما بدور الفرد فى بناء المجتمع .
- التنظيمات لابد وان تعكس مصالح الجماهير .

واتفقا على تبادل الخبرات والزيارات واللقاءات الدورية بين الجهازين السياسيين . وبذا يكون لقاء القاهرة قد أكد ان المهمة الصعبة ، لايجاد صيغة موحدة للعمل الثورى العربى ، ممكنة ، بل وواجبة التحقيق . وان اية بدايات مهما كانت متواضعة ، هى خطوة ضرورية على الطريق الصحيح .

●

الاتجاهات الفكرية فى مؤتمر المبعوثين

أن المناقشات والمحاضرات التى دارت فى المؤتمر أضاءت جوانب متعددة لتجربتنا الاشتراكية الرائدة وأخرست كل دعاية رجعية ، ولقد كان التقاء المناضل جمال عبد الناصر بالمبعوثين تعميقا لقيادة هذا القائد وتأكيدا لثوريته ، ففى سعة صدر وروح أبوية صادقة حلت غالبية المشاكل التى كانت تؤرق المبعوثين ..

فى هاتين العبارتين السابقتين اللتين وردتا فى البيان السياسى لمؤتمر المبعوثين الصادر فى ١١ أغسطس الماضى .. يمكن أن تلخص أهداف المؤتمر فى : التوعية .. وحل المشاكل المادية للمبعوثين ..

فواقع الامر أن الـ ٣٤٠ مبعوثا الذين حضروا اجتماع المؤتمر منذ ٢٩ يوليو الماضى ، كانوا مجموعة من المواطنين يحملون أفكارا شتى ومتناقضة . ولقد ظل الصراع طوال معظم جلسات المؤتمر حول تلك الافكار المتناقضة ..

واليمين واليسار هو التسميات التى كانت تطلق صراحة على الاتجاهات المختلفة فى المؤتمر ، واتجاه اليسار مثلا كان يعنى تلك المجموعة من المبعوثين التى تؤيد فى حماس وقوة السياسة الداخلية والخارجية للجمهورية العربية المتحدة . وهؤلاء أساسا كان يمثلهم معظم أعضاء وفدى فرنسا وبريطانيا والمبعوثون الى البلاد الاشتراكية كالاتحاد السوفييتى ويوغوسلافيا وبولنده والمانيا الديمقراطية وبين الاتجاهين المتصارعين كان هناك أكثر من نصف أعضاء المؤتمر كان الصراع فى الحقيقة يدور بين اليمين واليسار لكسبهم .

ومر المؤتمر بمرحلتين .. مرحلة ما قبل لقاء الرئيس عبد الناصر بالمبعوثين والمرحلة التالية لذلك وفى المرحلة الاولى بدا كما لو أن عددا من المتكلمين فى قاعة كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية قد تحولوا الى مراسلين لوكالات الانباء الغربية يرددون ترهاتها وتشكيكاتها فى كل معالم سياستنا الثورية ، واستفاد هؤلاء المتكلمون من الجو الديمقراطى الذي ميز المؤتمر حتى منذ اللحظة التى بدا التحضير له فيها .

كانت هناك تساؤلات متشككة :

ألا يهدد بلادنا الخطر الشيوعى ؟ ..

أليست هناك مؤامرة ضد استقلالنا يدبرها « الاستعمار الشيوعى » ؟ ..

أليست المساعدات من البلاد الاشتراكية ذات أهداف خفية ورفض بعض المبعوثين تسمية البلاد الشيوعية بأنها بلاد اشتراكية .. بل هى بلاد استعمارية ذات مخطط خاص ؟

ألا توجد قواعد عسكرية سوفييتية فى بلادنا ؟

هل اشتراكيتنا مرحلة نحو الشيوعية ؟ ..

الا يعنى قولنا أننا نطبق الاشتراكية أننا نطبق الماركسية اللينينية ؟ ..

وبالنسبة لسياستنا العربية ، شكك مبعوثون من الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية فى مساعدتنا لثورة اليمن ، وشبه بعضهم صراحة وجود القوات المصرية التحريرية فى اليمن بوجود القوات الامريكية المعتدية فى فيتنام

وانتقد البعض الاخر قطع علاقتنا الدبلوماسية مع المانيا الغربية قائلا أن ذلك يتركها — أى المانيا — فريسة للدعاية الصهيونية والضغط الامريكى .

وأسئلة وتساؤلات أخرى كثيرة تصدر عن مبعوثين للعناية الالهية على حد تعليق المتتبعين للمؤتمر ، سقطوا فريسة للدعاية الاستعمارية . ففى أمريكا مثلا يعيش مبعوثونا فى فى هيستيريا الشيوعية ، وفى بريطانيا والمانيا الغربية يعيشون وسط أعداء الجمهورية من عملاء سعيد رمضان وحلف بغداد ، دون أن يكونوا مسلحين بنظرية ثورية على حد قول كمال الحناوى أمين الوجه البحرى بالاتحاد الاشتراكى .

ولم يكن المؤتمر فى أيامه الاولى مجالا انفرد به فرسان اليمين من المبعوثين ، بل أن كل تلك الحجج والادعاءات الغربية ، كانت تجد الرد والتفسير سواء من جانب بعض أعضاء المؤتمر أو من جانب المحاضرين

والحقيقة أنه الى جانب الافكار الخاطئة كان يوجد الفهم العميق لمشاكلنا والرد السريع الحاسم على تلك الافكار سواء فيما يتعلق بالاشتراكية او علاقتنا بالمعسكر الاشتراكى أو باليمين .. الخ .

وفى المؤتمر قيلت أفكار جادة وهامة .

فحدثت مناقشات واسعة حول الطبقة الجديدة والادخار وأنماط الاستهلاك وخطة التنمية وتعريف العامل والفلاح والحد الادنى للملكية الزراعية وتفاوت الاجور .

وسيظل لصيقا بمؤتمر المبعوثين القرار الثورى الخاص بتحويل مهام لجنة تصفية الاقطاع الى القطاع العام .. فقد كانت خديجة صدقى عضو وفد انجلترا أول من اقترحته فى أيام المؤتمر الاولى

وكان أنشط الوفود فى دحر الافكار الخاطئة والدفاع عن كل

جديد فى بلادنا هو الوفد الفرنسى الذى لفت الانظار بجدية الابحاث التى قدمها ورصانة الافكار التى عرضها بعض اعضائه فى المؤتمر . وان كان بعض أعضائه قد تطرق عندما وصف حل مشاكل المبعوثين الماديه المتعلقة بالاعفاءات الجمركية واعادة الاشراف ، بأنها نوع من المساومة وكانت وفود البعثات الى البلاد الاشتراكية بشكل عام هى التى تقدم التنازلات المادية سواء من مرتباتهم كمساهمة فى خطة التنمية أو الاعفاءات الجمركية .

والمرحلة الثانية للمؤتمر هى المرحله التى بدأت بلقاء المناضل جمال عبد الناصر بالمبعوثين ومن ثم تميزت بوضعه النقط على الحروف حول معظم المسائل السياسيه والفكرية المثارة بأسلوب منطقى مقنع وبصورة حاسمه لا تقبل التنازلات فى هذا المجال، بل تتمسك بموقف مبدئى واضح المعالم محدد الابعاد

كما وضع الرئيس حلولا لكل مشاكل المبعوثين المادية .. وخلال ذلك اللقاء الذى استمر أحد عشر ساعة .. اشيعت الروح الديمقراطيه الى مستوى نادر بين القاعدة والقيادة السياسيه العليا ، مما كان له أعمق الاثر فى كسر حدة توتر العناصر اليمينيه ، بل فى زعزعه افكارها بين صفوفها ؛ حتى أنه يمكن القول أن المؤتمر فى أيامه الاخيرة قد أزال الكثير من الافكار المشوشه فى أذهان الكثيرين . وان كان ذلك لا ينفى وجود أقليه ما زالت تقف عند خطوط اليمين التى كانت عليها منذ اللحظه الاولى لانعقاد المؤتمر .

الا أن الشىء المهم أن أغلبيــه « البين بين » قد كسبت الاتجاه الصحيح ؛ وربما كان من أهم نتائج مؤتمر المبعوثين هو اعادة النظر فى سياستنا للبعثات ، فقد كشف المؤتمر مثلا عن حقيقة غريبه أن معظم مبعوثينا لدراسه العلوم الاجتماعية مثل الاقتصاد والتخطيط يوفدون الى البلاد الغربيه كالولايات المتحدة بالمئات بينما يوجد أربعة فقط يدرسون تلك المواد فى البلاد الاشتراكية .

ويعكف حسين سعيد وزير التعليم العالى حاليا على وضع السياسة الجديدة للبعثات التى ستطبق خلال الخطه الثانية للتنمية ، وفى خطوطها الاولى يمكن القول انه سيمنع سفر حملة الثانوية العامة للدراسة فى الخارج لتنوع الدراسات فى الجامعات والمعاهد المصريه . وسيوفد فقط مبعوثون لدراسة الماجستير والدكتوراه ، ويقدر العدد الذى سيرسل بحوالى ٢٥٢٥ مبعوثا ..

كما تقرر امتداد تنظيم الاتحاد الاشتراكى الى خارج البلاد بحيث يكون طلبه البعثات تحت اشراف وتوجيه التنظيم السياسى من خلال مكتب خاص للمبعوثين هنا فى أمانه الاتحاد الاشتراكى كما ستجرى تعديلات فى مكاتب البعثات فى الخارج حيث يكون المسئولون عنها مسئولين سياسيين على قدر من الوعى والفهم لتطورات بلادنا ولا يكونون قدوة سيئة لطلابنا فى الخارج .

■ الجمهورية العربية المتحدة

الجهود الذاتية للجماهير فى اعادة بناء القرية

من المقرر بناء ستمائه الف مسكن فى خطة التنمية الثانية ، منها ثلاثمائة الف فى المدن ، وثلاثمائة الف فى الريف . واذا كان متوسط عدد البيوت فى الاربعة آلاف قرية التى يتكون منها الريف المصرى هو ستمائة مسكن ، فان معنى ذلك ان الثلاثمائة الف مسكن تساوى بناء خمسمائة قرية جديدة — اى ثمن عدد القرى المصرية .

وبعملية حسابية بسيطة يمكن ان نكتشف انه لاعادة بناء القرى المصرية بهذا المعدل يلزمنا ثمانى خطط للتنمية اى حوالى اربعين عاما على الاقل .

ولكن مجلس الوزراء بعد دراسة لمشاكل القرية المصرية اعلن عن مشروع ثورى جديد يستهدف اعادة بناء كل قرى الجمهورية . وسيصبح بموجب هذا المشروع تحقيق هذا الهدف الكبير فى فترة اقل مما تفرضه الارقام السابقة ؛ لانه ادخل لاول مرة فى مشروع بنائى تتبناه الدولة عامل الاستناد الى الجهود الذاتية للجماهير . وهى الجهود التى يرتبط استخدامها وتوجيهها وتطويرها بالتنظيم السياسى نفسه ومدى فاعليته ونشاطه بين الجماهير .

وقد اعتبرت عملية البناء التى تمت فى قرية « نزلة الاشطر » بمحافظة الجيزة نموذجا لاعادة التعمير بواسطة الجهود الذاتية .. ففى بناء تلك القرية قدمت اجهزة الاسكان الحكومية خبراتها الفنية ، ثم قام الفلاحون انفسهم بعملية البناء ، ونظموا من بينهم — تحت اشراف الاتحاد الاشتراكى — عملية التطوع للمشاركة فى البناء بواقع ثلاث ساعات يوميا لكل فلاح .

وقبل نزلة الاشطر كانت هناك تجربة فى اعادة بناء قرية « الابعادية » فى محافظة البحيرة التى بناها الفلاحون بعد ان احترقت فى اقل من ٤٠ يوما وبنصف التكاليف العادية .

وهناك ايضا قرية ميت عساس بمحافظة الغربية .. وأمثلة اخرى كثيرة يحفل بها النشاط فى الريف طوال العام الماضى بالذات وهو العام الذى ظهرت فيه فاعلية الاتحاد الاشتراكى وبعض تنظيماته مثل منظمة الشباب .

وينص المشروع الذى اقره مجلس الوزراء لاعادة بناء القرية المصرية ، على تشكيل لجنة فى كل محافظة برئاسة المحافظ تتحمل مسئولية اعادة تخطيط القرى التى تقع فى نطاقها مستعينة بالامكانيات والوسائل المحلية .

وقد وضع المشروع على اساس ان الاستثمارات المنتظرة للاسكان الريفى فى الخطة الثانية ستصل الى حوالى ٣٠ مليون جنيه . تقرر أن يستخدم منها عشرة ملايين فى البداية لبناء مساكن بواسطة الجهود الذاتية للفلاحين .

وسيكون تمويل المشروع شاملا ثمن الأرض على الوجه التالى : ١٠ ٪ من قيمة المسكن يدفعها المنتفع مقدما . وعشرة فى المائة تساهم بها الدولة فى تكاليف الانشاء ثم عشرين فى المائة قيمة الجهود الذاتية التى يبذلها المنتفع دون مقابل . واخيرا ٦٠ ٪ قرض من الدولة للمنتفع لاكمال البناء تسدد على اقساط سنوية لمدة ٢٥ سنة وبفائدة واحد ونصف فى المائة فقط .

وستتحمل الدولة الفرق فى سعر الفائدة بين ما يدفعه المنتفع وما تستحقه الجهة التى اقرضته التى غالبا ما ستكون البنوك وخاصة بنك التسليف .

وسيكون المنتفعون فى البداية مجموعات عمل بالاختيار بواسطة الجمعية التعاونية الزراعية ، التى ستقوم فى نفس الوقت بتدريبهم على عمليات البناء للاستفادة الى اقصى حد من طاقتهم تحت اشراف وتوجيه الاتحاد الاشتراكى والاجهزة التنفيذية . وقد اعدت نماذج لمساكن مختلفة فى القرية يستخدم فى بعضها الطوب الاسمنتى المفرغ والبعض الآخر من طوب الطين المثبت بالاسمنت . وروعى طبعا ان كمية الطمى ستقل فى مياه النيل كثيرا بعد تخزين المياه وراء السد العالى مما يقلل من الاعتماد على الطوب اللبن او الاحمر .

ويتكون المسكن المقترح من حجرتين ودورة مياه ومطبخ

وحظيرة للمواشى وملحقاتها .. ومن المتوقع ان تتخذ الخطوات العاجلة لتحقيق هذا المشروع الثورى الكبير .. كما ان تخطيط المسكن والقرية يجب ان يعتمد على مشورة الاجهزة الشعبية ، التى تمثل الفلاحين حتى تكون المساكن والقرى الجديدة معبرة فضلا عن احتياجات الفلاحين وتسهيل حياتهم كمكان الاجران والسوق وحل مشكلة الوقود فوق اسطح البيوت ..

وسيكون اعادة بناء القرية المصرية مرتبطا بعهد كهربة الريف المصرى بعد سريان كهرباء السد العالى بعد عامين .



: تقاليد ثورية يجب ان تتأكد

تعرض مؤتمر المبعوثين لطائفة من القضايا النظرية والعملية هى من التنوع والشمول بحيث يصعب على المرء ان يوفيها حقها من العرض والتحليل فى تعليق هو — بطبيعته — موجز وسريع .. لهذا سأكتفى من كل تلك المناقشات الهامة والخصبة بالتأكيد على بعض التقاليد الثورية التى تعمل القيادة السياسية على ارسائها وهى تقود الشعب على طريق التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وسوف اقصر حديثى هنا على نقطتين :

الاولى : اهمية الكفاح على الجبهة الفكرية ،

والثانية : رفض المساومة على المبادىء والتمسك الحازم بها ..

● **عن النقطة الاولى** : اصبح كفاح القيادة السياسية على الجبهة الفكرية من تقاليد ثورتنا .. ولم يكن صدفة ان يتنى جمال عبد الناصر الساعات الطويلة مع المبعوثين ، يستمع اليهم فى صبر ، ثم يناقشهم مطورا ومؤيدا بعض افكارهم ، وناقدا ومصححا البعض الاخر شارحا باستمرار الخط العام للتطور الثورى فى البلاد ..

والواقع ان قائد الثورة قد رفع شعار « الكفاح على الجبهة الفكرية » منذ زمن ، واكد على اهمية هذا الشعار عندما رأى البلاد مقبلة على معركتها الضاربة ضد الحزب الرجعى . ففى عام ١٩٦٤ وفى حديثه الى مجلس الامة دعا عبد الناصر القوى التقدمية الى ان تتحد لتقوم بصدام على الجبهة الفكرية مع الفكر الرجعى ..

فى ذلك الوقت بدأ أن دعوة قائد الثورة انما تستجيب لمتطلبات عملية ومباشرة الا وهى مواجهة النشاط الرجعى المحموم الذى كان ينفث سمومه بين صفوف الشعب العامل كلها .. ولكن اذا صح ان الكفاح على الجبهة الفكرية يحقق نتائج مباشرة وملموسة لكسب هذه المعركة أو تلك ، الا ان الملاحظ ان القيادة السياسية قد عالجت باستمرار قضية « الكفاح على الجبهة الفكرية » بهدف ان يصبح هذا الكفاح ركيزة وتقليدا ثابتا من تقاليد العمل الثورى ، يسير جنبا الى جنب مع الكفاح على الجبهات السياسية والاقتصادية . ولقد رأى جمال عبد الناصر ان هذا الكفاح يجب ان يحكم خط سير الثورة ويضىء طريقها حتى لا تتخبط ولا تنتكس . من هنا دعوته فى خطاب ٢٣ يوليو الماضى الى اننا « نحتاج دائما الى وضوح الرؤية ، ونحتاج الى عمل فكرى مستمر يرتفع الى مستوى التحديات »

لكن عندما يكون مطلوبا من « العمل الفكرى » ان يرتفع لمواجهة كل التحديات فمعنى هذا ان « الكفاح على الجبهة الفكرية » مطالب بتوضيح مبادىء الثورة وتعميقها ، وبصياغات نظرية تنير مسيرتها وبتصحيح الاراء الخاطئة ! وبدحر الفكر الرجعى والتصدى له فى كافة صوره الظاهرة والمستترة ..

هنا يصبح « الكفاح على الجبهة الفكرية » مرادفا للتعبئة الشاملة أو مرادفا للثورة الثقافية التى دعا اليها عبد الناصر فى بعض أحاديثه : فلا يعود كفاح مناسبة من المناسبات بل عملا متعدد المستويات ، موجها ومخططا : يبدأ من برامج التعليم وتجند له معاهد العلم ويصبح الشغل الشاغل لكافة اجهزة الاعلام ..

بمثل هذا الكفاح على الجبهة الفكرية يرسى تقليد أو ركن اساسى من اركان العمل الثورى فى فترة من اصعب الفترات : فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ..

● عن النقطة الثانية .. فان بعض الاراء التى رددها عدد من المبعوثين قد وضحت ان بعض مواطنينا فى الخارج ليسوا معصومين من الوقوع فى حبائل الفكر الاستعمارى والرجعى . وهكذا حول قضايا مثل طبيعة الثورة واهدافها وموقفها من الاقطاع وعلاقة الرأسمالية الوطنية بقوى الشعب العامل . وحول قضايا تمس الكفاح ضد الاستعمار الجديد والموقف فى اليمن ... نقول حول هذه القضايا وغيرها خيل الى قراء الصحف احيانا انهم يكادون يسمعون آراء صريحة تطالب بتجميد الثورة ، والتحول عن اهداف البناء الاشتراكى ووقف العمل من اجل رفع مستوى العمال والفلاحين ، وانه قد آن الاوان لكى يأخذ المثقفون نصيبهم « الطبيعى والمشروع » من « الامتيازات الطبقية »

غير ان جمال عبد الناصر لم يواجه هذه الفكرية « بموقف دفاعى » بل قاد الحوار منطلقا من « موقف هجومى » هو الاصرار المطلق على المبادىء والاهداف الرئيسية للثورة .. ان الثورة اذ تستوحى فى الاساس مصالح العمال والفلاحين والشعب الكادح كله ستواصل سيرتها من اجل التقدم الاجتماعى ، والتحرر الوطنى ، والوحدة العربية متضامنة مع البشرية التقدمية ضد الاستعمار القديم والجديد ودفاعا عن السلم العالمى .

ولو اننا تابعنا اسلوب الرئيس فى تأكيده الحازم على الطابع الشعبى والتقدمى للثورة لرأينا انه تفادى ان يواجه السامعين بكلام فى العموميات المجردة وانه التزم بالخطوات التالية ..

اولا : ادار حوارا جادا بهدف الاقناع وكسب المستمعين الى فكرته ..

ثانيا : انه رفض فى كل مراحل المناقشة المصالحة مع الافكار الخاطئة والمنحرفة

ثالثا : وضع المثقفين فى اطار التجربة المصرية ووضع ايديهم على نبضات العمل الثورى ..

رابعا : وضع المثقفين فى مكانهم الحقيقى : لم يقلل من شأنهم ولم يدفعهم الى الغرور والاستعلاء موضحا ان الشعب يقدرهم ويحتاج اليهم وذلك بقدر التزامهم بقضايا الشعب وولائهم لاهداف الثورة ..

على هذه الارضية ! ارضية التمسك الحازم بأهداف الثورة ! والرفض القاطع للتفريط فيها تقدم عبد الناصر ليحل المشكلات المادية لمبعوثين فجاءت الحلول خادمة للمبادىء العامة ومدعمة لها ولم تنحرف — بحال من الاحوال — لتصبح نوعا من التهدئة والتراجع ..

وبعد ، فان مثل هذه التقاليد الثورية فى حاجة الى ان تتأكد وتثبت اقدامها وقد علمتنا الحياة ان هذا لا يتم على الورق بل على ارض المعركة ، وفى غمرة اللقاء المثمر مع القوى صاحبة المصلحة فى تقدم الثورة وانتصارها .

أبو سيف يوسف

سوق غرباوى

لعبت صحافة القاهرة دورا كبيرا فى تسليط الضوء على مصدر جديد من مصادر الخطر ، التى يتهدد عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى بلادنا . ففى سلسلة من المقالات والتحقيقات حول السوق السوداء كشفت الصحف ضخامة تلك الشبكة من خالقى هذه السوق والمستفيدين منها وكيف أن مخزنا واحدا من مخازن أحد التجار حوى بضاعة قيمتها نصف مليون جنيه ، كثيرا منها تم نقله من الجمارك الى هذه المخازن مباشرة . رغم أن المستورد لهذه الاصناف هو القطاع العام ، وانها مستوردة لسد حاجة شركات ومصانع القطاع العام

وليس ادل على جبروت تجار السوق السوداء من ان رفله غرباوى ، استطاع بعد فرض الحراسة عليه وعلى عدد كبير من أسرته فى ١٩٦١ ، أن يبدأ من جديد وأن يجمع ثروة هائلة ، مستخدما أبشع الاساليب وأخبثها فى تحقيق أرباح هائلة بغض النظر عن نتائج ذلك على كل ماتسعى البلد فى سبيله فباستخدام مجموعة من ضعاف النفوس فى شركات القطاع العام ، استطاع الرجل أن يستولى على كل الواردات من عدد كبير من السلع ، وخلق سوقا سوداء واعاد بيعها مرة اخرى لشركات القطاع العام محققا ارباح تصل الى ٦٠٠ ٪ ، فسلك البوبينات يكلف الطن منه ٥٠٠ جنيه ، ومع ذلك يبيعه بمبلغ ٣٥٠٠ جنيه .. وغرباوى ليس وحده فى ذلك ، ففى النصف الاول من سبتمبر ١٩٦٥ قبض على ٣٠٠ تاجر فى السوق السوداء

ومع وجود تلك السوق فى بلادنا منذ مدة ليست بالقصيرة ، الا ان سعار تجارها قد ارتفعت حدته بعد ان اعلن الرئيس جمال عبد الناصر نقل تجارة الجملة الى القطاع العام فى مدى سنوات ثلاث .. والسبب الرئيسى فى نشوء السوق السوداء ، هو أن الدولة تقوم من جانب بالاستثمارات الرئيسية ، كما تحدد من جانب آخر حصة رأس المال الخاص فى كثير من المجالات بما يمنع سيطرته على مقدرات البلاد كما أن طبيعة رأس المال ذاته ، تجعله أميل الى الاعمال الطفيلية ، غير المنتجة ، والتى تتم فيها دورته بسرعة ، بل وقد لا تتم اطلاقا ، ومع ذلك تحقق أعلى عائد ممكن ، كالمضاربات والمزايدات والسمسرة والسوق السوداء .. ومن هنا كان اقبال كل من ملك نقودا من التجار على شراء سلع وتخزينها مؤقتا واعادة بيعها فى السوق السوداء. وبالاضافة الى هذا السبب الرئيسى تجمعت عدة أسباب ثانوية ساعدت على خلق السوق السوداء واتساع نطاقها حتى شملت كل أنواع البضائع (أكثر من ٥٠٠ سلعة) بل والخدمات ، فكثيرا مثلا من الاستمارات المطلوبة فى أعمال معينة تباع فى السوق السوداء ، وتذاكر السكك الحديدية والسينما بل ومباريات الاهلى والزمالك . وأهم هذه الاسباب هو عدم وجود تخطيط علمى ودقيق لاحتياجات البلاد من سلع معينة ، واحتياج كل منطقة منها . فكثيرا من التقديرات تتم ارتجالا ودون متابعة لاحتياجات سوق شديدة التنوع والتغير ونقص العمل الجماهيرى فى هذا الصدد ، اذ أن تقدير الاحتياجات ليست ارقاما يضعها موظفون فى مكاتبهم حيثما اتفق .

ومما ضاعف من خطورة هذا الوضع أن حجم الاستهلاك قفز قفزات هائلة بسبب التعديل الذى طرأ على توزيع الدخل مما أدخل قطاعات كبيرة من المستهلكين لاول مرة فى سوق كثير من السلع .. فاذا ما أضفنا الى ذلك ضخامة العمل الانشائى الذى تقوم به الدولة مما يحدد قدرتها على الاستيراد من جانب ويضطرها الى التصدير من جانب آخر ، علاوة على الحصار الاستعمارى ـ لتبينا جزءا من معالم الصورة . ومع كل هذا فالكتلة الاساسية من حاجات الاستهلاك المحلى متوافرة بكميات تكفى الاستهلاك ، كما فى القمح والذرة ، ولكن التجار يخزنون السلع ويخلقون حالة مفتعلة من الندرة ، ترفع السعر الى الضعف أو ما يزيد فى بعض الاحيان .. يضاف الى ذلك قصور وسائل النقل مما خلق حالة من التكدس فى الجمارك ومنع كثيرا من السلع من الوصول الى أيدى المستهلك .. وهناك أيضا عدم كفاية أجهزة التوزيع .

وساعد أيضا على قيام السوق السوداء ، كما يقول السيد المغربى وكيل وزارة التموين ، أن بعضا من مسئولى القطاع العام ، هم نفسهم مديرو الشركات فى ظل الملكية الفردية ، وهم ان لم يخربوا عن وعى ، فاضعف الايمان أن العقلية التى درجوا عليها تجعل منهم أداة فى يد المتلاعبين . الذين يستغلون كثرة عدد التجار الصغار فى بلادنا (اذ يوجد ٥٥٧ ألف تاجر تجزئة ، ١٩٥ الف بائع جوال) فى الحصول على السلع من مصادر توزيعها والتحكم فى أسعارها بعد سحب الكتلة الاساسية منها من السوق ، وانشاء مصانع وهمية تحصل على حصص بحجة تصنيعها فمثلا تحصل المصانع على طن الصاج بمبلغ ستين جنيها ، ويباع فى السوق السوداء بمائة وعشرين جنيها .

ويضيف الدكتور عبد الرازق حسن الى ما تقدم من أسباب ، أن عادات الاستهلاك ما زالت عادات رأسمالية ، بمعنى أن المستهلك لا يبحث عن سلعة بديلة بل يتكالب على السلعة التى تقل حتى وان كانت غير ضرورية لاعتبارات غير جوهرية فى أغلبها . واذا ما استطردنا فى تعداد الاسباب فلن ننتهى ، وهى تكمن كلها فى أمر واحد هو أن أجهزة التقدير والتوزيع ، هى من نتاج المجتمع السابق والتغييرات التى تمت فيها لا تتناسب مع مرحلة التحول

والسوق السوداء ، تهدد كل محاولات رفع مستوى المعيشة بذلك الارتفاع المصطنع فى الاسعار الذى يلتهم أى زيادة فى الدخول فضلا عن أنها تستهدف خلق حالة من القلق والضيق لدى الجماهير ويصيب خطط التنمية بالعجز ، فاخفاء قطع الغيار والسلع الوسيطة او رفع ثمنها يعطل الانتاج ويرفع من تكلفته كما يستهدف تجار السوق السوداء النيل من سمعة القطاع العام وتخريبه ، وتدمير خطة التنمية وجعلها عاجزة عن تحقيق أهدافها . وهذا العمل يكمل محاولات الضغط والحصار الاقتصادى الاستعمارى بأساليب غاية فى الدهاء وصلت الى حد اخفاء الفكة والاتجار فيها

وتدور أغلب الحلول حول القضاء على ذلك العدد الهائل من الوسطاء ، واحكام نظام التوزيع ، وأعمال المتابعة . وفى هذا يلعب التنظيم السياسى دورا تتسع أبعاده ، فهو من جانب يساعد على وضع تقديرات سليمة للاحتياجات ، كما يكشف أى محاولة للتلاعب ، واذا استدعى الامر يخلق عادات استهلاكية جديدة ويقطع الطريق على كل محاولات بذور الشك والقلق والضيق .

●

الوفد الصحفى اللبنانى يشارك فى أعياد ثورة يوليو

كانت الطليعة قد دعت كل من الاستاذ حسين مروة رئيس تحرير « الطريق » اللبنانية ، والاستاذ أمين الاعور رئيس تحرير النداء اللبنانية الى زيارة القاهرة لمشاركة الشعب الاحتفال بأعياد ثورة يوليو المجيدة .

والضيفان اللبنانيان من ابرز الشخصيات الصحفية والادبية فى لبنان الشقيق والوطن العربى كله . فالاستاذ مروة اديب وناقد مرموق . كما ان الاستاذ الاعور كاتب سياسى يعرفه القراء العرب بمقالاته وتعليقاته التى تنشرها النداء .

وقد بدأت زيارة الضيفين من ٢١ يوليو وانتهت فى ٦ أغسطس .

وقد أتيح لهما أن يشاركا الشعب العربى فى مصر أعياد يوليو وكانا حريصين فى الوقت ذاته على التعرف على منجزات الثورة فزارا أسوان ومديرية التحرير وبعض الصناعات فى الاسكندرية

وفوق هذا كله فقد أتيحت للضيفين فرصة لقاء عدد من الساسة ومن الصحفيين والادباء والفنانين

ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا أن زيارة الضيفين للجمهورية العربية المتحدة قد نمت فى ظل الشعار الرائد الذى رفعته القاهرة : **شعار وحدة كل القوى الثورية فى الوطن العربى .**

والحق ان هذا الشعار كان محل حوار مفيد وجاد بين الضيفين وبين أسرة تحرير الطليعة ، بل بينهما وبين كل الشخصيات التى اتيح لهما فرص اللقاء وتبادل الرأى معهما .

وزاد من أهمية هذه اللقاءات أن القاهرة كانت تستضيف فى احتفالات يوليو أكثر من مناضل وطنى وتقدمى من أكثر من بلد عربى . وبالفعل أتيح للضيفين أن يلتقوا مع اسرة الطليعة بالاستاذ حسن الطاهر زروق الشخصية السودانية المعروفة ، والاستاذ نورى عبد الرازق وعدد من المناضلين العرب .

ومن خلال تبادل وجهات النظر بين الضيوف وبين أسرة تحرير الطليعة وضعت بعض الافكار أو القضايا التى يمثل التأكيد عليها – فى حد ذاته – ضمانات موضوعية لوضع شعار وحدة القوى الثورية موضع التنفيذ .

لقد دار الحوار مثلا حول بعض النقاط التالية :

أولا : أن الوطن العربى يجتاز مرحلة يتلاحم فيها النضال الوطنى والاجتماعى . وهذا التلاحم يضع قضية وحدة القوى الثورية وضعا جديدا يتخطى اطار الجهات الوطنيه التقليدية التى كانت تتشكل فيما مضى لمواجهة هذا الموقف المؤقت أو ذاك ، او هذه المرحلة التاكتيكية او تلك .

ان الشعور كان يتزايد بأن القوى الثورية العربيه قد اجتازت مرحلة الاتفاقات التاكتيكية ودخلت مرحلة اللقاء على أسس استراتيجية وثابتة .

ثانيا : أن القوى المؤمنة بالاشتراكية العلمية (وذلك مهما اختلفت المدارس التى تنتمى اليها) – هذه القوى مدعوة الى أن تكون النواة الصلبة لكل لقاء ولكل وحدة بين الثوريين العرب . وان تراص صفوف كل المدارس المؤمنة بالاشتراكية العلمية هو الذى يؤمن استمرار الوحدة بين القوى الثورية لان الاشتراكية فى البلاد العربية قد أصبحت الحلقة الرئيسية التى تجمع الطلائع الثورية حول شعارات طويلة الامد .

ثالثا : ولقد ساد اقتناع اثناء اللقاءات بأن قضية بناء الاشتراكية فى الجمهورية العربية المتحدة قد أصبحت الشغل الشاغل لاوسع الجماهير من عمال وفلاحين وثوريين مثقفين . وانه قد بات واضحا كل الوضوح أن هذه الجماهير التى تلتف حول قيادة الرئيس عبد الناصر الثورية انما تناضل فى جميع الميادين لتفتح بحسم طريق الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وهذا كله – كما عبر الضيوف العرب – انما يلقى على الجمهورية العربية المتحدة – بحكم وضعها الثورى – مسئوليات مضاعفة فى المبادرة من أجل أن تستقطب اللقاءات بين القوى الثورية فى الوطن العربى .

رابعا : ولقد كانت اللقاءات فرصة ثمينة للتعرف على ملامح النضال الشاق والعنيد الذى تخوضه القوى الثورية داخل عدد من البلدان العربية فى مواجهة الاستعمار العالمى وعملائه ومن أجل اجراء تحولات اجتماعية جذرية . وعلى سبيل المثال فقد عرض الضيوف اللبنانيون تجارب القوى الوطنية والتقدمية فى بناء « جبهة الاحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية والتقدمية » .

ومن البديهى أن هذه التجربة التى تتعلق أساسا بظروف لبنان السياسية والاجتماعية الخاصة لا يمكن أن تعمم على بقية البلدان العربية أو تنقل اليها نقلا آليا . لكن هذه التجربة تقدم – مع ذلك – خبرات هامة ودروسا مفيدة من حيث المنهج والاسلوب الذى استقرت عليه القوى الوطنية والتقدمية من أجل رص صفوفها وحل التناقضات والخلافات بينها الحل الذى يؤدى الى الوحدة والى المزيد من الوحدة لقد نما العمل فى توحيد القوى الثورية على اختلافها من خلال البدء بنقاط الالتقاء ، والعمل المشترك فى المعارك النضالية . وبفضل استجابة اطراف الجبهة وتفاعلها مع احداث الوطن العربى الكبير ، وعن طريق الحوار المتسم بالصبر والاناة نمت الجبهة وتوطدت أركانها وأصبحت لها فاعلية واضحة فى حياة لبنان السياسية .

هكذا وحول عدد من القضايا الاخرى اكدت اللقاءات ان القوى الوطنية والتقدمية فى البلاد العربية انما تستجيب بعمق وحماس لشعار وحدة القوى الثورية فى كل الوطن العربى .

ويمكننا ان نقول ان زيارة الضيوف اللبنانيين قد دعمت احساسهم بالاهمية وبالدور الذى يمكن أن تلعبه القاهرة فى النضال من أجل توحيد كل القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى . وان احتكاكهم عن قرب بالتجربة الثورية فى الجمهورية العربية المتحدة قد ملأتهم بأكثر الانطباعات ايجابية الامر الذى عبرت عنه بحسم وتركيز هذه البرقية التى أرسلها الى الرئيس جمال عبد الناصر الاستاذ مروة والاستاذ الاعور ، وذلك قبل مغادرتهم القاهرة . واذا جاز لنا أن نلخصها فى كلمات قلنا انها انما تعبر عن انفعال خلاق ومخلص بمنجزات ثورة يوليو وتجاوب خلاق ومخلص أيضا للشعار الذى رفعته القاهرة شعار وحدة كل القوى الثورية فى الوطن العربى .

اجتماع اللجنة التنفيذية
لاتحاد الطلبة الدولى بالقاهرة

فى يوليو ١٩٦٦ عقدت اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلبة الدولى اجتماعها فى القاهرة بدعوة من الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين كما لبى الدعوة كذلك اتحاد الطلبة الكويتيين بالقاهرة .

ولقد شهد هذا الاجتماع ممثلون من أغلبية المنظمات الطلابية فى البلدان العربية والافريقية وقطاع كبير من منظمات الطلبة بأوروبا وأمريكا اللاتينية وآسيا .

وجاء انعقاد هذا الاجتماع فى القاهرة تقديرا لدورها البارز فى حركة التحرر الوطنى للشعوب الافريقية وشعوب الشرقين الاوسط والادنى .

ولقد عقد الاجتماع فى وقت يحتدم فيه الصراع العالمى بين قوى الاشتراكية والسلام والتقدم من ناحية وقوى الامبريالية والقهر والعدوان من ناحية اخرى ، فى وقت تصطدم فيه قوى الحرية والاستقلال بعنف مع قوى الاستعمار والاستعمار الجديد .

ناقش الاجتماع ثلاث تقارير رئيسية . تقرير عن فيتنام مقدم من المنظمات الطلابية الفيتنامية فى جنوب فيتنام وفى جمهورية فيتنام الديمقراطية ، وتقرير عن خبرة حركة الطلبة الدولية خلال عشرين عاما ودور الاتحاد الدولى فى تطوير وتدعيم تضامن طلاب العالم ووحدتهم – وتقرير عن نضال شعوب وطلاب افريقيا وبلدان الشرق الاوسط والبلدان العربية ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد بزعامة الامبريالية الامريكية ومن أجل تحقيق التحرر الكامل والتقدم الاجتماعى .

وفى هذا الاجتماع عبر المجتمعون عن تقدير خاص للثورة المصرية باعتبارها حلقة رئيسية فى حركة التحرر الوطنى بقيادة جمال عبد الناصر القائد البارز فى حركة التحرر الوطنى العالمية . واستعرض المؤتمر بتفصيل الوضع فى البلاد العربية والافريقية ، والكفاح التاريخى لشعوب وشباب هذه البلدان ضد الامبريالية والرجعية .

وادان المؤتمر اسرائيل كقاعدة للامبريالية وكسلاح من أسلحة الاستعمار الجديد ــ فمنذ قيامها والولايات المتحده تقدم لها سنويا ١٥٠ مليون دولار عدا ما تقدمه اليها الهيئات الامريكية الاخرى كالنقطة الرابعه وهيئة المعونة المتبادلة .. الخ وقدمت اليها المانيا الغربية ٢٥٠٠٠ر٢٥ مليون مارك المانى وفى السنين من ١٩٤٨ الى ١٩٦٢ أصبح رأس المال الاجنبى المستثمر فى اسرائيل اربعة الاف مليون دولار . ولذا أعلن المؤتمــر أن اسرائيل ليست الا واحه زائفة للديمقراطية العربيــة ؛ وان نضال الشعب الفلسطينى عادل لانه جزء من الحركه العامة المعاديه للامبرياليه . واعلنت وثائق الاجتماع :

« ان الامبرياليين يريدون تصفيه المسالة الفلسطينية بطريقة تتعارض مع مصالح الشعب الفلسطينى . ولكن الشــعب والطلبه الفلسطينيين ملتفون حول منظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد العام لطلبه فلسطين يواجهون خطط اسرائيل . ولقد أيد اتحاد الطلبه العالمى دائما كفاح الشعب الفلسطينى فى نضاله من أجل حقوقه الشرعيــة ، وهو لم يعتبر المشــكلة الفلسطينية أبدا مشكلة مهاجرين أو مشكلة تقديم احسان ، ولكنه اعتبرها مسألة صراع ضد الامبريالية . ولقد كان الاتحاد الدولى للطلبه هو المنظمة الدولية الاولى التى اعترفت بالاتحاد العام للطلبه الفلسطينيين وهو الاتحاد الدولى الوحيد الذى يحتفل بيوم ١٥ مايو كيوم دولى للتضامن مع شــعب وطلاب فلسطين » .

وفى الاجتماع أعلن مجلس الطلبة السوفييت تقديمــه هدية الى الطلبة الفلسطينيين كرمز للتضامن معهم ولتأييد نضالهم العادل ــ فقدم اليهم مواد لبناء مدرسة تسع خمسة آلاف طفل من أبناء المهاجرين .

وأعلن الاجتماع ــ أن الاستعمار وبصفة خاصة الاستعمار الامريكى يسعى لمد نفوذ الحلف المركزى « السنتو » تحت ستار الدين بمحاولته اقامة حلف اسلامى تسعى السعودية وايران لاقامته . وهدف هذا التجمع الرجعى هو مواجهة نمو وانتصارات حركة التحرر الوطنى المعادية للامبريالية فى البلدان العربية وبعض البلدان الافريقية وخاصة فى الجمهورية العربية المتحدة ان هذه المحاوله تهدف الى القضاء على النظم التقــدمية فى البلدان العربية بالتآمر ، بما فيه العدوان العسكرى ومساندة النظم الرجعية والحفاظ على المصالح الاحتكارية الامبريالية والاستمرار فى نهب بترول العرب والمواد الطبيعية الاخرى وتدعيم القواعد العسكرية الامبريالية فى عدن والبحرين وليبيا والبلدان الاخرى . ويهدف هذا التجمع الى تدعيم سياســة اسرائيل العدوانية فى المنطقة كقاعدة رئيســية للامبريالية ، والتى تستخدم كمركز لتهديد حركة التحرر العربية الوطنيــة ولتوسيع سياسة الاستعمار الجديد فى افريقيا . وأعلن الاجتماع شجبه للحلف الاسلامى والذى يعتبر حلقة من حلقات هجوم الاستعمار الجديد على قوى التحرر والثورة الاجتماعية والذى تعارضه بحسم الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وسوريا واليمن .

وأعلن الاجتماع ان حلف « السنتو » يعبىء بصفة خاصة القوى الرجعية والعملاء ضد الجمهورية العربية المتحدة ويدبر المؤامرات لاغتيال قادتها وذلك لانها تقوم بدور بارز وطليعى فى مساعدة ومساندة كل نضال معاد للامبريالية فى البلدان العربية والافريقية ولانها وقادتها يدعمون بجدية التطور التقدمى فى بلادهم .

وحيا الاجتماع الدولى الدور التحريرى العظيم للجمهورية العربية المتحدة فى اليمن وهى تواجه التدخل الملكى الرجعى والامبريالى . وأيد المجتمعون النشاط الايجابى فى المجال العربى لتجميع وتوحيد كل القوى التقدميــة فى النضــال من أجل الديمقراطية والاستقلال الاقتصادى والسياسى الكامل وضد خطط الامبريالية لاقامة احلاف عسكرية عدوانية وضد الرجعية ومن أجل التقدم الاجتماعى .

وأعلن الاجتماع بعد دراسة للوضع فى افريقيا تضامن الاتحاد الدولى للطلبة مع شعوب افريقيا فى نضالها الصعب ضــد الاستعمار والاستعمار الجديد وبصفة خاصة ضد مشروعات ومؤامرات الولايات المتحدة الامريكية وضد موجة الانقلابات المدبرة ضد حركة التحرر وضد الثورات الاجتماعية ؛ وأدان الاجتماع النشاط الاسرائيلى ــ باعتباره سلاح من أســلحة الاستعمار الجديد ــ فى القارة .

وأعلن الاجتماع أن الاتحــاد الدولى للطلبــة اذ يركز كل مساعداته لافريقيا على أساس الكفاح ضد الامبريالية وضــد الاستعمار فانه يقترح برنامجا لنشاطه فى القارة فى المستقبل يتضمن :

● عقد ندوة عن الاستعمار الجديد فى افريقيا ووســائله والكفاح ضدها .

● تنظيم نقاش عن المشاكل الجامعية الافريقية .

● تنظيم ندوة عن الوحدة الافريقية .

● فتح مركز دولى فى القارة بالتضــامن مع منظمــة من المنظمات العضوة فى اتحاد الطلبة الدولى لمحو الامية فى القارة

● زيادة الاهتمام بالدعاية للمشاكل الافريقية بين طلبــة أوروبا الغربية .

● تقديم المزيد من المساعدات لشـــعوب المستعمرات البرتغالية وتكوين لجنة للتضــامن الدولى مع شــعوب هذه المستعمرات المناضلة .

● تنظيم ندوة لتدريب كوادر افريقية طلابية .

● اقامة ندوة متخصصة عن مشاكل التعاون بين الاتحادات الاوروبية والافريقية .

لقد كان اجتماع القاهرة ــ مكسبا دوليا ضــخما لاتحاد الطلبة الدولى فى نضاله من أجل وحدة طلاب العالم ومكســبا دوليا هاما لكفاح الشعوب العربية ضد الاستعمار والرجعيــة وتأييدا بالغ الاهمية لشعب فلسطين فى نضاله العادل من أجل استرداد الوطن الســليب

●

■ سوريا

مواجهة نشيطة للرجعية والصهيونية

مانزال سوريا مسرحا لاحداث متتابعــة ، مثــيرة وخطيرة :

● ففى ١٤ يوليو الماضى حدث العدوان الاسرائيلى على مواقع العمــل فى مشروع استثمار روافد نهر الاردن .

● وفى ٢٠ يوليو استيقظت دمشق والمدن السورية على اكبر عملية اعتقالات للعناصر الرجعية والمتآمرة منذ حركة الجيش السورى الاخيرة فى ٢٣ فبراير .

● وفى ١٥ اغسطس حدث العدوان الاسرائيلى الثــانى خلال شهر ، بدأ عدوانا بحريا قامت به الزوارق الحربيــة الاسرائيلية فى بحيرة طبرية ، ثم تحول الى معركة بحرية جوية كبيرة بين الجانبين .

وطيلة هــذه المدة ومجلس الامن الدولى مشغول تارة بشكوى تتقدم بها سوريا ، وتارة اخرى بشكوى تتقدم بهــا اسرائيل .

وتميزت المرحلة الاخيرة بان معظم الاخبار عن القطــر الشقيق كانت تدور حول التآمر الرجعى الاستعمارى المحموم عليه ، بعد ان اتضحت الاتجاهات التقدمية الجادة للحــكم الجديد فى دمشق وفيما يتعلق بالمؤامرة الرجعية .

بلغ عدد المعتقلين فى الساعات الاولى من صباح يوم ٢٠ يوليو حوالى ثلاثمائة . وقد اعلنت قيادة الحكومــــة ان الاعتقالات احبطت عملية مسلحة كانت تسعى الى قلب نظام



د. ابراهيم ماخوس

الحكم وفرض نظام يمينى على سوريا . وتلخص الدوائر المطلعة حلقات العملية التى احبطت فى الاتى :

- اتخاذ مدينة طرابلس اللبنانية ، ومناطق الحدود الاردنية ، قواعد لاعمال تسلل ضد سوريا ، يقوم بها عدد من رجال العشائر ، وفلول من حزب الشعب والحزب الوطنى المنحلين .
- تحريض بعض العناصر الرجعية لعمل ترد فى جبل الدروز .
- استمالة بعض العناصر الرجعية المغامرة فى الجيش السورى ، وبخاصة فى لواء حمص .
- اتصالات واسعة بالتجار بهدف تدبير اضراب للتجار السوريين .

والتمويل الاساسى لهذه العمليات يأتى من السعودية ، وتوقيت جميعا لتتم فى وقت يتزايد فيه الضغط العسكرى على سوريا من جانب اسرائيل .

اما عن العدوان الاسرائيلى ، فان مجلة **دافار الاسرائيلية** شبه الرسمية تلخص الاستراتيجية الصهيونية تجاه سوريا فى احد ملاحقها الاسبوعية الاخيرة حيث تقول : «ان السوريين يتمتعون بتفوق طوبوغرافى . فمراكزهم المرتفعة محصنة جيدا فى وجه النيران المضادة ، واسكات هذه المراكز يتطلب استخدام اسلحة ثقيلة تفوق الاسلحة التى تستخدمها هذه المراكز » . وتستطرد المجلة ، ممهدة لاعمال العدوان الاخيرة: « فى عام ١٩٦٤ تم توجيه ضربة انتقامية لهم بواسطة الطيران حتى نقنعهم بان التفوق الجغرافى نسبى فقط . ومنذ ذلك الوقت لم يقذف السوريون اية مستعمرة ، الا انهم لم يمنعوا حوادث التسلل » .

فى هذه العبارات الموجزة تسفر الصهيونية عما كانت تبيته من عدوان وشيك . فالحكومة السورية تمضى بشجاعة فى النهوض بالتزاماتها ازاء تنفيذ المشروعات العربية لاستثمار روافد نهر الاردن — ردا على المشروع الصهيونى لتحويل مياه النهر . كذلك اصبحت سوريا — بعد العداء الذى كشفت عنه السلطات الاردنية لمنظمة التحرير الفلسطينية — اصبحت سوريا مصدر خطر على الكيان الصهيونى . لذلك دبر الصهيونيون عدوانهم فى ١٤ يوليو على مواقع العمل فى مشروع استثمار نهر الاردن ، باستخدام الطائرات . وكانت القوات السورية على اهبة الاستعداد وتمكنت بالفعل من اسقاط طائرتين من طراز ميراج . وتقدمت سوريا بشكواها الى مجلس الامن . وعلى الرغم من ان احدا من المندوبين فى المجلس لم ينف حدوث العدوان الاسرائيلى بل ان اسرائيل ذاتها تقدمت بمذكرة تقر فيها بالاعتداء وتعلنه صراحة ، الا ان المجلس (فى جلسة ٤ اغسطس) عجز عن اتخاذ قرار بادانة العدوان الاسرائيلى ، وذلك لان تسعة من اعضائه امتنعوا عن التصويت بادانة المعتدين (امريكا ، بريطانيا ، فرنسا ، فرموزا ، اليابان ، اورجواى ، نيوزيلاندا ، الارجنتين) . وهكذا نجح المستعمرون واتباعهم فى دعم العدوان الإسرائيلى وتشجيعه . ولم يفت على حكام تل أبيب ان يتباهوا بهذه النتيجة «المشجعة» ، وتحريض انصارهم من رجعيى البلاد العربية على مواصلة جهودهم الانهزامية . فصرح احد وزراء اسرائيل « ان الغارة الاخيرة على سوريا ساعدت على تدعيم موقف الحبيب بورقيبة من قضية فلسطين » .

واذ فشل العدوان الاسرائيلى فى النيل من معنويات دمشق ، وفشل التآمر الداخلى من قلب الحكومة ، وفشل الرجعيون حلفاء اسرائيل فى كسب جديد من الدعم الاستعمارى للعدوان ، عاودت اسرائيل استفزازاتها بعد شهر واحد. ففى ١٥ اغسطس جاءت زوارق اسرائيلية مسلحة تعتدي على الشواطىء الشمالية الشرقية لبحيرة طبرية . وقد اذاع راديو دمشق تصريحا لمسئول فى وزارة الخارجية السورية جاء فيه : « ان سوريا كانت تنتظر الفرصة بعد العدوان الاسرائيلى الاخير الذى وقع يوم ١٤ يوليو الماضى على مواقع العمل فى مشروع نهر الاردن داخل الاراضى السورية لتلقن اسرائيل درسا لن تنساه ابدا . وقد سنحت الفرصة ودمرت جميع الزوارق الاسرائيلية التى انطلقت للعدوان فى بحيرة طبرية » .

وجاء من مراسل الاهرام فى نيويورك ان مصادر الامم المتحدة ترى ان هناك دافعين وراء العدوان الاسرائيلى الجديد : اولهما ان الاجتماع الاخير لمجلس الامن قد شجع الاسرائيليين اذ ان الدول الغربية لم تستنكر هذا العدوان، والدافع الثانى ان اشكول يسعى لتحويل انتباه الاسرائيليين الى الخارج بعيدا عن تطورات الازمة الاقتصادية » .

ومن دمشق ، وجه الدكتور **ابراهيم ماخوس** ،وزير خارجية سوريا ونائب رئيس وزرائها ، انذارا الى اسرائيل بان سوريا سترد فى داخل اسرائيل على كل اعتداء اسرائيلى يقع عليها، ولن ترجع فى ذلك الى الامم المتحدة . كما اذاع راديو دمشق ان سياسة سوريا تجاه اى استفزاز اسرائيلى ستنفذها دون تقديم شكوى تمهيدية الى الامم المتحدة ، وانها لن تكون بعد اليوم فى موقف الدفاع بل ستكون اسرائيل هى الجانب الذى يلتزم الدفاع ويلجأ الى الامم المتحدة اعتبارا من الان . وان حكومة سوريا ماضية فى استراتيجيتها الخاصة بحرب التحرير الشعبية ، وانها مستعدة دائما لمواجهة العدوان ومطاردته الى قواعده ، وان على اسرائيل ان تعرف ان استراتيجية سوريا هى الانتقال من الحرب الدفاعية الى الحرب الهجومية لوضع حد لتفاخر اسرائيل بالتفوق المزعوم .

وابدت دوائر الجامعة العربية اهتمامها الكبير بتطورات الاحداث وواصلت لجان استثمار مياه الاردن اعمالها بهمة مضاعفة وجاء من معظم عواصم البلاد العربية تأييدات على جميع المستويات للموقف الذى تتخذه الحكومة السورية ، وان كانت دمشق لا يفوتها ان تميز بين الحقيقى وغير الحقيقى فى هذه التأييدات . فأكد الدكتور الاتاسى ان سوريا تتخذ الخطوات اللازمة لتنسق دفاعها مع الجمهورية العربية المتحدة . ومما يذكر ان حكومة الاردن قد عرضت على سوريا استعدادها لاى مساهمة تطلبها فى خلال الاشتباك السابق فى شهر يوليو الماضى ، ولكن مسئولا سوريا كبيرا صرح فيما بعد بان سوريا ليست فى حاجة الى هذه المساعدة ، وتساءل عن الدوافع وراء العرض الاردنى ، بل واتهم رئيس الدولة فى سوريا

حكومة الاردن بالتعاون مع اسرائيل وقال ان الاوساط الاسرائيلية التي اسقطت الطائرة السورية جاءت من ناحية الاردن » ولم يتخذ الاردنيون محاولة واحدة لوقفها » .

■ العراق

حكومة جديدة وتركة مثقلة

في ٦ اغسطس ١٩٦٦ طلب عبد الرحمن عارف ، رئيس جمهورية العراق ، من **عبد الرحمن البزاز** ان يقدم استقالته من رئاسة الحكومة العراقية . ولم تكن استقالة البزاز مفاجأة بالنسبة لكثير من المعلقين المتتبعين لاحداث القطر الشقيق . وبعد استقالة البزاز افاضت كثير من الصحف القومية والتقدمية في العالم العربي في ذكر الاسباب التي أدت الى دفعه الى الاستقالة في النهاية . ومن هذه الصحف صوت العروبة البغدادية ، والحرية البيروتية ، وروز اليوسف القاهرية وغيرها كثير .

ويمكن تلخيص الملاحظات التي ابديت على حكم البزاز الذي استمر حوالي عام ، في النقاط الاتية :

في الميدان الاقتصادي :

● على الرغم من أن اجراءات التأميم التي اتخذت في صيف ١٩٦٤ كانت محدودة لم تتجاوز مجموع رؤوس أموال الشركات المؤممة ٣٠ مليون دينار الا أن البزاز أعلن أن حكومته ستعيد النظر فيها

● خفض المدة المقررة لدفع تعويضات لمن طبق عليهم **قانون الاصلاح الزراعي** من ٤٠ الى ٢٠ سنة ، واجرى على هذه التعويضات فوائد لم تكن موجودة في القانون الاصلي . وزاد من قيمة السلف المعطاة للاقطاعيين من ١٥ الف الى ٣٠ الف دينار .

وباختصار ، وعلى حد تعبير مجلة الايكونوميست البريطانية ، فقد رفع البزاز شعار « **الاشتراكية الرشيدة** » ، تمييزا لها من « الاشتراكيات الاخرى » وتغطية لتراجعات عن اجراءات كثيرة كانت قد اتخذت قبل توليه رئاسة الوزارة .

● اتجه نحو شركة النفط ساعيا لتحسين علاقته معها ، ومقاتلا من اجل توقيع اتفاقية جديدة . وكان عبد العزيز الوتاري ، وزير النفط في حكومة طاهر يحيى ، قد اجرى مفاوضات سرية مع شركات النفط أهم بنودها هو **الغاء القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ او تعديله بما يهدر مضمونه** . وينص هذا القانون على الغاء امتياز شركة النفط عن ٩٩٫٥٦٪ من جميع اراضي العراق ، والابقاء على امتيازها في ٠٫٤٤٪ الباقية ، اي ٧٠٥ ميلا مربعا ، هي المساحة التي تستغلها الشركة فعلا . اي ان هذا القانون حرر الاراضي غير المستغلة من ربقة الشركة ، وفتح المجال امام صناعة بترول عربية في العراق .

في السياسة الداخلية :

● في سعيه من أجل العودة الى نمط « الديموقراطية الغربية » حاول البزاز ان يثبت ان كافة المؤسسات التي حكمت العراق منذ ثورة ١٤ تموز مؤسسات عاجزة ، وقد ادخله هذا في معركة مع القوى العسكرية

● اعتقد البزاز ان فشل انقلاب ٣٠ يونيو ، الذي قاده لواء الجو عارف عبد الرزاق ، اعطاه الفرصة لتدعيم حكمه ، فبدأ عملية مطاردة واسعة النطاق للقوى العسكرية والشعبية التي اعتبرها ملتقية مع عارف عبد الرزاق . ولكن يبدو ان نتيجة هذا كانت عكسية تماما .

في السياسة الخارجية :

● رفع البزاز **شعار تحسين علاقات العراق مع جارتيها** تركيا وايران وراى البعض وجهة النظر هذه تجعل مستقبل العراق رهن بموافقة كل من البلدين ، أي بموافقة تيارات السياسة الغربية التي توجه خطوات الحكم فيهما والتي تعمل بمخطط واحد مع السعودية لمحاصرة المد التحرري في المنطقة ومحاولة القضاء عليه .

وتواجه حكومة **ناجي طالب** مهمات كثيرة ، ويتطلع اليها الجميع لتصفية التركة المثقلة . وعلى رأس المهمات التي تواجهها :

● المحافظة على السلام في الشمال بتنفيذ الاتفاقية التي تمت مع الاكراد في ٢٩ يونيو الماضي .

● علاج المشكلات الاجتماعية ـ الاقتصادية وفي مقدمتها الاصلاح الزراعي والتأميمات والتنمية .

● العلاقة مع شركة النفط .

● توسيع الحقوق الديمقراطية للقوى الوطنية والتقدمية .

وتقول مجلة الحرية البيروتية : « **ان الموضوع الاساسي الذي يطرح نفسه هو لقاء كل القوى الوطنية والتقدمية في العراق داخل جبهة تأخذ على عاتقها مهمة خوض معركة العراق الوطنية ودعم اتجاهاته التحريرية في الداخل والخارج . ولكن هذه الجبهة لا يمكن ان تنشأ في الفراغ ، ولابد من ان يوفر الحكم العراقي لها مناخ الوجود من خلال سياسة تقدمية واضحة ترد على سياسة البزاز في كافة الميادين** » .

وقد أعلن ناجي طالب منهاج وزارته وأبرز ما جاء فيه :

● ان حكومته « ستولي اهتماما لثلاث قطاعات هي القطاع العام والخاص والمصرفي » ، وستعبيء الجهود لتحقيق الخطة الخمسية للتنمية ، ودعا الى التقشف الشديد في الانفاق .

● « تحقيق الوحدة الوطنية وتدعيمها ومنح الاكراد حقوقهم في داخل الوطن العراقي ، واعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكي بالتعاون مع جميع القوى القومية » .

● اعادة النظر في بعض القوانين العسكرية قبيل قانون الدفاع الوطني والخدمة العامة حتى لا تنصرف القوات المسلحة عن العمل في غير واجباتها الدفاعية .

● في السياسة العربية تعمل الحكومة على ان الوطن العربي واحد والعراق جزء منه . واكد تأييد الحكومة لمنظمة التحرير الفلسطينية حتى تستعيد الجزء المحتل من الوطن العربي .

● رفض العراق للحلف الاسلامي وكل التكتلات الاستعمارية .

● فيما يختص بتركيا وايران فسياسة العراق معهما قائمة على اساس حسن الجوار مع الحفاظ على مصالح العراق ضمن المخطط العربي .

■ المغرب

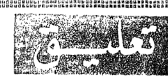
بن بركة وستار الصمت

طلب زعماء حزب التجمع الوطني للقوى الشعبية الذي كان يتزعمه المهدي بن بركة ، الى عدد من الشخصيات البارزة التي ربطتها علاقة بالزعيم المغربي المخطوف ، ان يتقدموا الى محكمة الجنايات الفرنسية للادلاء بشهادتهم في القضية عند ما يبدأ نظرها يوم ٥ سبتمبر المقبل وذلك حتى توضع القضية في مضمونها السياسي الذي ابعدت عنه طوال الاشهر الاخيرة .

وقد لاحظ المراقبون المتابعون للقضية انه برغم تصريح **دي لونكل** وزير الدولة الفرنسي بأن الحكومة الفرنسية مهتمة بالقضية وتقوم بواجبها فيما يتعلق بها ، الا ان الصحافة الفرنسية التي اظهرت اهتماما واضحا بالقضية طوال الشهور الماضية ، تميل في الفترة الاخيرة الى اسدال ستار من الصمت حولها . وقد ذكرت مجلة **الاكسبريس** الفرنسية اخيرا ، ان هناك ضغطا متزايدا على رئيس محكمة الجنايات الفرنسية ،

والمدعى الفرنسى العام لتأجيل النظر الى اجل غير مسمى فى اتهام الجنرال محمد اوفقير وزير الداخلية المغربى فى قضية اختطاف زعيم المعارضة المغربى :

الا ان المصادر المغربية المسئولة التى افصحت عن اجراء محادثات سرية فرنسية مغربية فى جنوب فرنسا بشأن هذه القضية اشارت فى نفس الوقت الى ان الفرنسيين رفضوا فى هذه المحادثات اقتراحا من الحكومة المغربية بتأجيل المحاكمة لاتاحة الوقت الكافى للملك الحسن ليجد لاوفقير منصبا آخر ودون ان يفقد ماء وجهه . ولذا أعلنت المصادر المغربية المسئولة ، ان حكومة المغرب وجهت تحذيرا وصفته « بالهدوء » الى الحكومة الفرنسية اشارت فيه الى أن الروابط الدبلوماسية والثقافية والتجارية بين البلدين قد تصاب « بتدمير لا يمكن اصلاحه » نتيجة لمحاكمة ٥ سبتمبر .



النقابية الادارية

ادلى السيدان سعد محمد احمد رئيس النقابة العامة للصناعات الغذائية وحسن الفيومى نائب الرئيس بحديث لمجلة العمل (العدد ٢٩ — أغسطس ١٩٦٦) عرضا فيه ميزانية هذه النقابة العامة والتى تبلغ عضويتها وفق تصريحهم مائة الف عضو وعدد لجانها ٢٥٠ لجنة

وأرقام الميزانية التى عرضاها تقول ان ايرادات النقابة العامة فى العام الماضى حتى ١٩٦٦/٥/٣١ بلغ ٧٥٦٢٥ جنيه وحوالى ٢٠٠ مليم وبلغت المصروفات حتى هذا التاريخ ٦٤٨٢٣ جنيها و٥٨١ مليما .

وبيان هذه المصروفات :

- مصروفات اجتماعية ٢٧٣ ج و٧٩٠ مليم
- مصروفات متنوعة ١٦٠٥ ج و٤٩٣ مليم
- مصروفات مركزية ٥٨٤٦ ج و٣٣٧ مليم
- مصروفات ادارية ٣٤٢٢٤ ج و٤٤ مليم
- حصص لجان ٣٠ ، ١٩٨٧٩ ج و٤١١ مليم
- حصص لجان من الارصدة ٥٠ ٪ ٢٩٩٤ ج و٥٠٦ مليم

ونتبين من ذلك اولا : ان نسبة المصروفات تخالف المادة ١٦٥ من القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ والتى حددت أوجه الصرف النقابى على النحو التالى — :

٣٠ ٪ مصروفات ادارية للنقابة العامة ولجانها النقابية و٣٠ ٪ للجان لتنفق منها على شئون العمال الصحية والاجتماعية والثقافية والمهنية و١٠ ٪ قيمة الاشتراك فى الاتحاد العام و٢٥ ٪ تخصص للخدمات الاجتماعية والثقافية والصحية والمهنية المشتركة التى ينتفع بها معظم أعضاء النقابة العامة والـ ٥ ٪ الباقية يحتفظ بها احتياطيا .

ثانيا : ان المصروفات الادارية قد تعدت النسبة المحددة قانونا بحوالى ١٠٠ ٪ بل وتزيد على ذلك اذا أضفنا اليهما المصروفات المركزية والمتنوعة وطبيعتها فى الغالب ادارية . هذا غير نسبة المصروفات الادارية المتضمنة فى القدر الممنوح للجان — ١٠ ٪ من الـ ١٩٨٧٩ ألف جنيه —

ماذا يعنى ذلك ؟ أنه يعنى ببساطة ان اتجاه نشاط مثل هذه القيادة اتجاه ادارى بحت ، نشاط قمة ، لايحقق أى خدمات للعاملين المشتركين فى التنظيم — لايحقق دورا فى عملية مشاركة التنظيم النقابى المشاركة الطليعية فى بناء الوطن وبناء الانسان العامل الذى سيبنى هذا الوطن . ان هذا الاتجاه الادارى فى التنظيم النقابى يعنى بعدا عن القاعدة العمالية — وعن مشاكلها وحياتها .

حقا ! هنا مخالفة للقانون ولكن الشىء الاخطر والاهم مخالفة ميثاق العمل الوطنى — حيث يقول محددا للنقابات مهمتها :« أن النقابات تستطيع ممارسة مسئولياتها القيادية عن طريق الاسهام الجدى فى رفع الكفاية الفكرية والفنية ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال.. كذلك هى تستطيع ممارسة مسئولياتها القيادية عن طريق صيانة حقوق العمال ومصالحهم ورفع مستواهم المادى والثقافى — ويدخل فى ذلك اهتمامها بمشروعات الاسكان التعاونى والاستهلاك التعاونى وتنظيم الاستفادة المجدية صحيا ونفسيا وفكريا من اوقات الفراغ والاجازات مما يساهم فى تحقيق الرفاهية للجموع العاملة . « ان ذلك الدور الجديد لاينهى دور التنظيمات العمالية، وانما هو يزيد من أهمية دورها ، انه يمد هذا الدور ويوسعه من مجرد كونها طرفا مقابلا لطرف الادارة فى عملية الانتاج الى الحد الذى يجعل منها قاعدة طليعية فى عملية التطوير » .

وان المثال الذى قدمناه من ميزانية النقابة العامة للصناعات الغذائية والذى نجده متكررا فى عدد من النقابات العامة يؤكد ان مثل هذه النقابات العامة لم تقم بدورها كقيادات ملتزمة فى هذا المجتمع الثورى ، مجتمع ميثاق العمل الوطنى . وانه يدل فى الحقيقة على نمو قيادة بيروقراطية ادارية تهتم بالنشاط الدفترى والموسمى والحديث المنمق عن المشروعات والشعارات الاشتراكية اكثر من اهتمامها بالنشاط الواقعى لحل مشاكل القاعدة العمالية .

وهنا نحب ان نوضح ان عملية توعية الجماهير العريضة للعمال لايمكن ان تتم دون ارتباط بحل مشاكلهم كما ان اى محاولة من قيادة ادارية الاسلوب والمنهج لنشر الوعى ستقابل من الجماهير فى القاعدة بالاستخفاف .الامر الذى يحيل عملية التوعية الثورية الضرورية فى مجتمع نام يتحول الى الاشتراكية الى مجرد شعارات تردد وتستخدم فى المناسبات ولا تتحول الى حقيقة واقعة وعمل مادى ملموس .

ان مجلس ادارة نقابة عامة ينفق كما قدمنا ٢٧٣ جنيها على النشاط الاجتماعى و٣٤٢٢٤ ألف جنيه على العمل الادارى لايمكن ان يكون قدوة للجماهير العريضة فى المعركة التى تخوضها ثورتنا اليوم، معركة زيادة الانتاج — وهى معركة تحتاج الى القدوة والمثل المحتذى من جانب القيادات الجماهيرية .

ان التنظيم النقابى فى الجمهورية العربية المتحدة قد تطور ثوريا من الناحية القانونية بتطبيق مبدأ التنظيم الصناعى والقضاء على التفتت النقابى — ولكنه فى التطبيق فى حاجة الى عملية ثورية تهز القيادات البيروقراطية والتى أحالت النشاط والعمل النقابى الديمقراطى والجماهيرى بطبيعته الى نشاط ادارى مكتبى دفترى . ان هذه العملية ستكشف عن قيادات جديدة تقدمها الى الصف الاول — وهى قيادات صنعتها الاجراءات الثورية لثورة ٢٣ يوليو . ولكن القيادات البيروقراطية المكتبية تحول بينها وبين تحمل المسئولية التاريخية ، والتى هى بتحملها جديرة، بالتعاون مع القيادات القديمة الثورية والتى يحاول البيروقراطيون عزلهم عن المراكز القيادية تحت شعار محاربة القديم — كل القديم ، دون تمييز

عبد المنعم الغزالى

الا أنه لم يطرأ — حتى كتابة هذا التقرير — اى تغيير على ما سبق ان قررته غرفة الاتهام بمحكمة باريس بشأن تقديم الجنرال أوفقير الى محكمة الجنايات لمحاكمته غيابيا لصلته بقضية الاختطاف . كما لم تعدل الغرفة عن طلب المحاكمة الغيابية **لاحمد الدليمى** مساعد مدير الامن المغربى ، **ومولور شتوكى** رجل البوليس المغربى ، و ٤ من رجال العصابات الفرنسيين المتهمين ، بالاضافة لمحاكمة رجال المخابرات والبوليس الفرنسيين المتهمين .

هذا وقد اعرب السيد **عبد القادر بن بركة** شقيق زعيم المعارضة المغربى خلال زيارته الاخيرة الى دمشق ، عن اعتقاده بأن شقيقه الذى اختطف فى باريس فى العام الماضى ما زال على قيد الحياة . واوضح انه بحث مع المسئولين السوريين امكانية ارسال صحفيين ومراقبين لمتابعة محاكمة خاطفى الزعيم المغربى التى ستبدأ قريبا فى باريس . كما ذكر انه اجرى اتصالات مع المسئولين السوريين فى نطاق الاتصالات التى يجريها الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية بالمغرب لحشد القوى التقدمية العربية اثناء نظر القضية .

■ **نيجيريا**

احتمالات الموقف ... الاربعة

مازال الغموض يحيط بعدد من الامور المتعلقة بالانقلاب الذى وقع فى نيجيريا فى ٢٩ يوليو الماضى . فما هو دور **يعقوب جوون** الذى تولى السلطة ، فى هذا الانقلاب ؟ ومن المعروف ان جوون كان رئيسا لاركان حرب الجيش فى عهد سلفه **ايرونسى** الذى اختاره بنفسه لهذا المنصب . ورغم ما تردد من انه لم يشارك فى الانقلاب — الا انه تفاوض مع الحكومة العسكرية التى كان يرأسها ايرونسى باسم الذين قاموا بالانقلاب . كما ان الغموض ما زال محيطا بمصير ايرونسى . ومن الملفت للنظر ان اعضاء حكومة ايرونسى رحبوا بمفاوضة جوون وسلموه السلطة بشكل يدعو للتساؤل .

وتدور تفسيرات المراقبين السياسيين لانقلاب نيجيريا الاخير حول احتمالات اربعة . حيث يرى بعضهم ان الانقلاب تعبير عن الاتجاه الى تسليم السلطة لصغار الضباط الذين قاموا بانقلاب يناير ضد حكومة **باليوا** السابقة ، وكان ايرونسى قد اوقف هذا الاتجاه وتولى هو السلطة . ولكن متابعة احداث نيجيريا ترجح استبعاد هذا الاحتمال . حيث لم يرد اسم اى من الضباط الذين قاموا بانقلاب يناير ، فى اى حدث من الاحداث الاخيرة حتى اليوم ، بل لا يعرف مصيرهم بالضبط . ومن جهة اخرى فان محركى الانقلاب الاخير من الاقليم الشمالى بينما كان ضباط انقلاب يناير من قبيلة **الايبو** فى الشرق .

ويرى عدد آخر من المراقبين ان الانقلاب الاخير ، انقلاب انتقامى على اساس قبلى . ويستندون فى تفسيرهم هذا الى ان قبائل الهوسا فى الشمال هى التى قامت بالانقلاب . لكن لم تكشف الاحداث — عن حوادث قتل انتقامية ضد زعماء قبيلة الايبو ردا على مقتل **باليوا واحمد بيللو** فى يناير الماضى وهما اكبر زعماء قبائل الهوسا . كما ان جوون نفسه لا ينتمى لقبائل الهوسا رغم انه من الاقليم الشمالى ، فأبوه من قبيلة **بيروم** ، وهى قبيلة صغيرة — كما انه لم ترد اية انباء حول تغييرات جوهرية فى الحكومة العسكرية السابقة التى كان يرأسها ايرونسى والتى قيل ان معظم اعضائها ينتمون لقبيلة الايبو . كذلك قام جوون بالافراج عن **اوكبارا** من زعماء جبهة التحالف التقدمى السابقة وهو من قبيلة الايبو .

بقى تفسيران .. ستكشف الاسابيع القليلة القادمة عن صحة احدهما . يرى الاول ان حكومة جوون تتبنى نفس اهداف حكومة ايرونسى السابقة ولكنها تختلف معها فى تكتيكات تحقيق هذه الاهداف . فقد اعلن جوون ان المسئولين فى الحكومة السابقة والمنظمات سيبقون كما هم وستبقى جميع القوانين التى سنها ايرونسى نافذة المفعول كما ستظل الاحزاب محظورة . وتعتبر **الايكونوميست البريطانية** ان جوون بافراجه عن اولوو زعيم **حزب جماعة العمل** وهو من قبيلة **اليوروبا** ، **واوكبارا** زعيم جبهة التحالف التقدمى وهو من الايبو ، « يريد ان يؤكد ان نظامه لا يعنى سيطرة الشماليين او قهرهم . » كما صرح جوون ان المجلس التنفيذى المركزى « سيضم بعض العناصر المدنية » (كان مقصورا على العسكريين) ، ويبدو ان جوون يسعى بذلك الى اقامة وحدة وطنية فى البلاد . ويؤكد هذا الاتجاه الاجتماع الهام الذى نجح جوون فى عقده لاول مرة فى **لاجوس** (العاصمة) منذ ان حصلت نيجيريا على استقلالها (١٩٦٠) ، حيث ضم الاجتماع زعماء اقاليم نيجيريا الاربعة كمحاولة لتخفيف حدة المنازعات القبلية والاقليمية . وقد عاد الزعماء الى اقاليمهم تمهيدا لعقد مؤتمر عام لبحث هذه القضية على مستوى شعبى كما تقول انباء راديو لاجوس . وذلك رغم ان بعض الظواهر تشير الى غير ذلك مثل قيام حكومة جوون باعادة نظام الحكم الفيدرالى الذى يقسم نيجيريا الى اقاليم اربعة . بينما كانت حكومة ايرونسى قد اتخذت قرارا قبل قيام الانقلاب الاخير باقامة جمهورية موحدة مركزية . وقد اجمعت الدوائر الوطنية يومها على « تقدمية » هذه الخطوة .

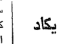
أما التفسير الاخير الذى يتبناه بعض المراقبين وخاصة الافريقيين ، فيقول بأن الانقلاب الاخير يعد بمثابة « خطوة الى الخلف » فى حياة شعوب نيجيريا . وتتركز وجهة نظر هؤلاء بشكل اساسى على توقيت وقوع الانقلاب بعد الاجراءات التى كانت حكومة ايرونسى قد اتخذتها وفى مقدمتها قيام جمهورية موحدة مركزية فى البلاد ثم الغاء الاحزاب على اساس انها تستند الى اسس قبلية وطائفية بينما تهدف الحكومة الى الغاء الحزازات القبلية والطائفية التى كلفت نيجيريا الكثير من استقرارها وتطورها . وكانت حكومة ايرونسى قد اتخذت قرارا آخر قبل الانقلاب الاخير بأسبوعين ، يخول الحكومة سلطة « التحرى عن مصدر ثراء من تولوا المناصب الحكومية فى الدولة خلال العشر سنوات الماضية . ومصادرة اموال او ممتلكات من يثبت انه قد اكتسبها عن طريق استغلال النفوذ » . ويقول هؤلاء المراقبون ، انه لو صح ان كثيرا من اعضاء حكومة ايرونسى والعسكريين الجدد الذين شكلوا معهم الحكومة الجديدة ، كانوا يختلفون مع ايرونسى وبعض مساعديه المقربين حول وسائل تحقيق نفس الاهداف ، لكان ممكنا ان يحل هذا الخلاف بطرق الصراع الفكرى او بشكل سلمى على الاقل ، لا بانقلاب ما زال مصير ايرونسى فيه محفوفا بالغموض كما تحملت البلاد كثيرا من الاضطرابات التى أودت بحياة مئات من المواطنين .

ورغم ان المراقبين الافريقيين التقدميين قد ايدو اجراءات حكومة ايرونسى ووصفوها بالجرأة والشجاعة ، الا انهم يعتقدون بتسرع ايرونسى فى قرار الغاء الاحزاب فى البلاد . ويرون ان قرار قيام جمهورية موحدة كان يمكن — اذا استمر — ان يؤدى الى تخفيف حدة الخلافات والنزاعات القبلية بتذويب الحدود بين القبائل . وكان من الممكن ان يترتب على ذلك تخفيف حدة نزاع هذه الاحزاب التى تقوم على اسس قبلية مما كان يمكن ان يسهل توجيه ضربة الى القوى الرجعية فيها كخطوة فى سبيل قيام تنظيم موحد للقوى الوطنية والتقدمية . ولهذا يعتقد هؤلاء المراقبون ان الغاء الاحزاب — بهذا الشكل المبكر — كان السبب المباشر لاثارة الاضطرابات فى نيجيريا .

وجدير بالذكر ان قرار الغاء الاحزاب نص على تحريمها باعتبارها تقوم على اسس قبلية . ولكن هذا القرار لم ينطبق — من الناحية القانونية — على **حزب العمال والفلاحين** لانه يقوم على اسس قومية لا قبلية او اقليمية . ولكن اعلان حكومة ايرونسى حالة الطوارىء والغاء الاجتماعات ، اوقف نشاط هذا الحزب الذى يتزعمه **الدكتور اوتيجبى** .

■ اندونيسيا

تأجيل الاعتراف بماليزيا بعد توقيع الاتفاقيـة



يكاد يجمع المراقبون على ان الاتفاق على انهاء سياسة المواجهة بين اندونيسيا وماليزيا ، كان ضربة واضحة اخرى لنفوذ الرئيس احمد سوكارنو ، فهو واضع هذه السياسة ومنفذها منذ سنة ١٩٦٣ ضد ماليزيا باعتبارها اداة للاستعمار الجديد فى جنوب شرقى آسيا . الا ان هذا الاتفاق لن يسفر فى نظر عديد من المراقبين عن نتائج عسكرية ذات اهمية ، اذ كانت « المواجهة » العسكرية العملية قد اضمحلت او تلاشت تقريبا منذ القضاء على انقلاب ٣٠ سبتمبر الماضى ، عندما جنح القادة العسكريون الجدد الى سياسة تهدئة وتقارب مع ماليزيا ، واصبحت « المواجهة » اسمية فحسب .

وقد كشف القرار الاندونيسى بتأجيل الاعتراف رسميا بماليزيا الى العام القادم ، برغم ان المادة الثانية من الاتفاق الجديد تنص على « ضرورة اقامة العلاقات الدبلوماسية فورا بين البلدين » ، كشف عن رد فعل الاتفاق فى اوساط الرأى العام الاندونيسى ومدى الحساسية التى تتسم بها قضية ماليزيا داخل اندونيسيا ، خاصة وقد قامت بعد هذا الاتفاق اول مظاهرة علنية من انصار سوكارنو فى باندونج التى يعتبرها المراقبون منطقة « مناهضة » للرئيس الاندونيسى . كما القى القرار الضوء على مدى النفوذ الواقعى الذى يتمتع به القادة الجدد حاليا لاملاء ما يريدونه .

ومما يزيد من توجس الكثيرين سواء داخل اندونيسيا او خارجها من محتويات الاتفاق الجديد ، الطابع السرى الذى احيط به ، كذلك حدوث المباحثات الخاصة به فى تايلاند المقر الرئيسى لحلف جنوب شرقى آسيا . وتعتبر تصريحات آدم مالك وزير الخارجية الاندونيسى الاخيرة ذات مغزى بهذا الشأن . اذ اعلن : ان اندونيسيا وماليزيا ستتعاونان فى تسيير داوريات مشتركة فى مناطق حدود بورينو . وهى مناطق يعتصم بها حوالى ٧٠٠ شيوعى ماليزى حسبما اوضحت بعض المصادر الغربية ، كما تعتصم بغابات بورينو مجموعات عديدة من الفدائيين الاندونيسيين الشيوعيين الذين تطوعوا لدى حكومة بلادهم لقتال البريطانيين وانصار الاستعمار الجديد فى ماليزيا ،

وبذا اصبحت مجموعات المتطوعين الاندونيسيين هذه ، تواجه خطر الاطباق عليها سواء من القوات الاندونيسية ، او الفرق الماليزية . الا ان المصادر العسكرية الاندونيسية قد اعلنت فى جاكرتا اخيرا أن الفدائيين فى مناطق الحدود الجبلية سيكون من الصعب اقتلاعهم وسيكونون « مصدرا لدقلاقل » بالنسبة لكل من ماليزيا واندونيسيا ، وبهذا الصدد قال آدم مالك للوفد الماليزى بوضوح « نحن نأمل ان نتعاون معا فى ابعاد الشيوعيين ، ولقد اجرينا مناقشات عامة بهذا الخصوص » .

وبالرغم مما لاحظه المراقبون من ان الرئيس سوكارنو تحدث فى خطابه بمناسبة الذكرى السنوية الحادية والعشرين لاستقلال اندونيسيا قد انتقد لاول مرة انقلاب ٣٠ سبتمبر الماضى ، كما اثنى على الجهود الطيبة التى يبذلها الجنرال سوهارتو فى سبيل اقرار الاوضاع فى اندونيسيا ، الا ان عددا منهم يميل الى الاقرار باحتفاظ الرئيس سوكارنو بمعنويات مرتفعة فى مواجهة القوى اليمينية والاستعمارية . اذ اكد سوكارنو فى هذا الخطاب آراءه السابقة حول مواصلته النضال لاعادة تنظيم الامم المتحدة ، وحول رغبته فى عقد مؤتمر « القوى الجديدة الناشئة » ، واوضح ان اندونيسيا « تنفذ استراتيجية دولية فى نضالها ضد الاستعمار » ووجه كلامه للامريكيين فى فيتنام قائلا « ستمنون انتم بالهزيمة » وستكونون مسئولين عن اية كارثة تحل بالعالم » وحاول أيضا الدفاع عن نفسه فيما يتعلق بازمة اندونيسيا الاقتصادية واوضح « ان التضخم الذى تعانى منه اندونيسيا ليس نتيجة سياستى » ، وانما مرجعه الى نفقات القوات المسلحة الاندونيسية التى قامت لتحرير ايريان الغربية من قبضة الهولنديين . اذ ان تلك النفقات ابتلعت ٨٠٪ من الميزانية » .

وتقول بعض المصادر الصحفية الغربية : ان سوكارنو رغم ابعاده عن السلطة الفعلية ، الا انه لا يزال يتمتع بنفوذ شعبى فى شرق ووسط جاوة ، لذلك فان امكانية قيامه بضربة جديدة من أجل السلطة « غير مستبعدة كلية » .

هذا وقد اشار بعض المراقبين الى ان انتهاء سياسة المواجهة قد اتى عقب تصدع اتحاد ماليزيا بسبب انفصال سنغافورة عن الاتحاد منذ عام ، كما اتى فى وقت تسير فيه علاقاتهما نحو الاسوأ وينحصر رجاء المسئولين فى كليهما فى الا تزداد خطورة الوضع بينهما . كما أن قيام بريطانيا بالسحب التدريجى لـ ٥٠٫٠٠٠ جندى بريطانى ومن جنود دول الكومنولث فى ماليزيا ، سيزيد العبء على الاقتصاد العسكرى الماليزى . وان كان استئناف العلاقات التجارية مع اندونيسيا سيساعد على انهاض هذا الاقتصاد . كذلك فقد اعلنت حكومة سنغافورة أيضا أن البضائع التجارية الاندونيسية سيسمح بدخولها الى السوق فى منطقة ثغرية حرة تقام لهذا الغرض خصيصا .

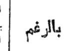
ويميل عدد كبير من المراقبين الى الاعتقاد بأن المدى الحقيقى للصلح الاندونيسى ـ الماليزى انما يتوقف على سلوك كلا الدولتين ازاء الاخرى فى الفترة الزمنية القادمة .

ومما هو جدير بالذكر ان بريطانيا استقبلت الاتفاق برضاء . فى حين اتجهت موسكو على صفحات جريدة « برافدا » الى تحذير القادة الاندونيسيين الحاليين من نوايا دائنى اندونيسيا الغربيين « المجتمعين حاليا فى طوكيو » ، ونبهت هؤلاء القادة « الى ضرورة الحفاظ والدفاع عن بلادهم ضد محاولة « الغاء » الاستقلال ، الذى كسبه الشعب الاندونيسى بدمائه منذ ٢٠ عاما » .

●

■ الصين الشعبية

اجتماع ذو اهميـة تاريخيـة



بالرغم من ان الاجتماع الكامل الحادى عشر للجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ، لم يأت بجديد فى قضية الصراع الصينى ـ السوفيتى ، الا ان عديدا من المراقبين يجمعون على الاهمية التاريخية التى ستسجل لهذا الاجتماع . فاعادة تأكيده للقطيعة الايديولوجية مع القادة السوفيت ، تعتبر اول تأكيد رسمى لهذه القطيعة من جانب اول اجتماع كامل للجنة المركزية للحزب الصينى ، خاصة بعد تنحية رئيس الوزراء السوفييتى نيكيتا خروشيف .

واذا كان البيان النهائى لهذا الاجتماع لم يحوى ـ فيما يتعلق بالهجوم على « المراجعين الجدد » ـ عبارات لم تذكر من قبل من جانب المسئولين الصينيين ، فان المقارنة التحليلية بين هذا الاجتماع ، وبين الاجتماع الكامل العاشر المنعقد فى سبتمبر عام ١٩٦٢ هى التى يمكن أن تكشف عن أهميته التاريخية بالنسبة لتطوير الحركة الشيوعية الدولية .

أثناء الاجتماع العاشر ، لم يكن هناك هجوم مباشر متبادل صينى ـ سوفيتى ، وانما وجهت بكين هجومها الى موسكو بشكل غير مباشر ، عن طريق هجومها على يوجوسلافيا ، ولجأت موسكو الى هجومها على بكين بشكل غير مباشر ، عن طريق هجومها على البانيا . وبينما كان الاجتماع العاشر يعتبر ان « المراجعين الجدد يمثلهم النقد التيتوى » ، نجد أن تعبير المراجعين الجدد لا يكتب اليوم فى الصين الا وتتبعه

تلك العبارة : « وعلى رأسهم المجموعة القائدة فى الحزب الشيوعى السوفيتى » .

وقد كان الخط العام للسياسة الخارجية الصينية فى الاجتماع العاشر يقوم على « تطوير علاقات الصداقة والمساعدة المتبادلة ، والتعاون مع الاتحاد السوفيتى » والمطالبة بتكوين « اوسع جبهة متحدة ممكنة ضد الامبريالية الامريكية » والاشادة بالاممية البروليتارية ، والمطالبة باحترام المبادىء المتفق عليها فى بيانات موسكو سنة ١٩٥٧ ، سنة ١٩٦٠ ، الا اننا نجد فى هذا الاجتماع ان البيان النهائى مع الاشادة بالاممية البروليتارية ، لم يذكر شيئا عن هذين البيانين .

واذا كان الاجتماع الكامل العاشر قد انتخب ٣ سكرتيرين جدد فى سكرتارية اللجنة المركزية وهم **كانج شن** ، **ولو تنج يى** ، **ولو جوى شينج** ، فلم يذكر الاجتماع الحادى عشر فى بيانه شيئا عن تنحية السيد **لو تينج يى** ، الذى فقد منصبه كوزير ثقافة ورئيس للدعاية ، والسيد لو **جوى شينج** الذى تردد ما يفيد اعفائه من منصب رئيس الاركان العامة للجيش ،خاصة وكانا قد عينا فى سكرتارية اللجنة المركزية باعتبارهما حارسين لا يكلان للفكر الماركسى اللينينى الذى هدده « المهنيون المحترفون » امثال **بنج ته هواى** وزير الدفاع السابق .

كما انه بينما اعقب الاجتماع العاشر الذى تم فى سنة ١٩٦٢ ، السنوات الصعبة التى مر بها الاقتصاد الصينى ، وكان اجتماعا متسما بالتواضع . وحوى بيانه ملاحظات حول الاخطاء المرتكبة ، نجد ان الاجتماع الحادى عشر يعقد فى ظروف افضل من الوجهة الداخلية ، اذ تم بعد ٤ سنوات ارتفع خلالها مستوى المعيشة ، واجريت فيها بنجاح ٣ تجارب نووية .

هذا وقد وافقت اللجنة المركزية على عملية التطهير الشاملة التى تجرى فى أنحاء البلاد . وجاء فى بيانها : « ان احياء الجو الثورى يسود البلاد كلها ، وان الموقف هو الان موقف ظهور انطلاقة جديدة شاملة الى الامام » وان « الاقتصاد القومى الصينى ينمو باطراد وعلى نحو سليم » وان نجاح التجارب النووية الثلاث للصين انما هو « تعبير مركز عن المستوى الجديد الذى بلغته الصين فى تنمية العلم والتكنولوجيا والصناعة » وانه « برغم الانتكاسات والعوائق الحتمية فى الموقف الدولى ، فان الاتجاه العام للامبريالية يسير نحو الانهيار التام ، وتقدم الاشتراكية نحو النصر على نطاق عالمى لا يمكن تغييره » .

اما عن الانطلاقة الجديدة الى الامام فهى تختلف هذه المرة عن مدلول الشعار الاقتصادى « القفزة الكبرى الى الامام » ، اذ هى تتعلق هذه المرة بما عده بعض المراقبين محاولة من جانب الزعيم ماوتسى تونج لاحياء روح يبيان سنة ١٩٣٠ حيث كان يكافح هو ورفاقه من كهوف الجبال ، وحيث عمل المثقفون هناك كفلاحين ، والفلاحين كعمال ، والعمال كجنود . ويرى ماوتسى تونج وفق هذه الروح ، انه بينما يظل العمل الرئيسى للعمال فى المصانع ، الا انه يدعوهم لدراسة الشئون العسكرية والثقافية وان يقوموا حيثما كان ذلك ممكنا ببعض الانتاج الزراعى ، كما انه بينما تظل المهمة الرئيسية للفلاحين فى الحقل ، الا انه يجب عليهم ايضا دراسة الشئون العسكرية والسياسية والثقافية ، كما انه لكى يكون الجيش معلما ، فانه يمكن ان يقوم ببعض الاعمال الزراعية وادارة بعض المصانع الصغيرة او المتوسطة . وبهذا الصدد اشاد البيان فى عبارات من التمجيد ، بالطابع النموذجى لمصنع تكرير البترول فى لاسشينج ، حيث قام المهندسون أنفسهم بزراعة الارض لغذائهم ، كما اشاد بالفرقة العسكرية فى تاشاى . ويرى بعض المراقبين الاقتصاديين انه وفق نموذج هذين المشروعين ، اللذين لا مثيل لهما ، تأمل الصين فى ان تصبح بلدا صناعيا عظيما ، بسرعة اكبر مما لو طبقت « الاساليب الاجنبية » .

على ان الامر الذى ازداد تأكيده عقب الاجتماع الحادى عشر ، هو زيادة نفوذ المارشال **لين بياو** وزير الدفاع لدرجة اعتبره فيها بعض المراقبين اقوى رجل فى الصين اليوم بعد الزعيم ماوتسى تونج . ذلك انه الشخص الوحيد الذى ورد اسمه الى جانب ماوتسى تونج فى الوثيقة الختامية لاجتماع اللجنة المركزية . كما اثنت عليه هذه الوثيقة اكثر من مرة باعتباره : « خالق وحامى سياسة ذات اهمية حاسمة لمستقبل الصين والحركات الثورية فى العالم عامة » . كما ذكرت وكالة تانيوج اليوجوسلافية — دون ان توضح مصادرها — أنه منح الى جانب منصبه كوزير للدفاع منصبين هامين آخرين، وهما رئيس اللجنة العسكرية للجنة المركزية للحزب ، وهو منصب كان يشغله ماوتسى تونج خلال الثلاثين عاما الاخيرة ، ومنصب النائب الاول لرئيس اللجنة المركزية والذى كان يشغله **ليو شاو شى** رئيس الجمهورية — الا ان مصدرا آخر من مصادر الانباء لم يؤكد ذلك — حتى كتابة هذا التقرير .

هذا وقد كشفت الجريدة اليومية لجيش التحرير اخيرا عن طابع « الصراع » الاخير فى الجيش ، واوضحت انه مثل طابع الصراع فى قضية **بنج ته هواى** وزير الدفاع السابق . فكما ان معارضة استخدام الجيش فى الاغراض الاقتصادية ، كانت احد العوامل التى تسببت فى تطهير قيادة القمة فى الجيش سنة ١٩٥٩ ، فان الاعلان عن العمل الجديد للجيش اخيرا ، قد تطابق مع ظهورعملية تطهير أخرى فيه. كذلكفان «الصراع» الاخير يتركز ايضا مثله مثل قضية بنج ته هواى ، حول الصراع بين السياسة والعمل المحترف . وقد ذكرت صحيفة الجيش بهذا الصدد : « ان ممثلى البورجوازية الذين تولوا مناصب هامة فى الجيش » « اعطوا فى الواقع ، الاعتبار الاول للشئون العسكرية والتكنيكية ، والعمل المتخصص . وعارضوا اتجاه الرفيق لينى بياو لوضع السياسة فى المقدمة » .

●

■ **بريطانيا**

الافتقاد لقيادة ذكية جريئة !

الامر الذى يجمع عليه معظم المراقبين هو ان اقدام حكومة **هارولد ويلسون** العمالية على تنفيذ برنامج التقشف الذى اعلنته ، لن يؤدى الى مزيد من التدهور لنفوذ وشعبية حزب العمال البريطانى ، والى تفاقم خطر الانقسام داخل هذا الحزب فحسب ، وانما ايضا الى مزيد من تعقيد الازمة الاقتصادية فى بريطانيا عامة ورفعها الى مستوى أشد تعقيدا فى المستقبل ، كما أن مناقشة هذا البرنامج أدت بكثير من الساسة البريطانيين الى اعادة النظر بالنسبة للسبيل الذى تسلكه بريطانيا فى علاقاتها الاوربية والامريكية والدولية واثار ذلك على مستقبل بلدهم الاقتصادى .

وقد كشف الاحصاء الذى نشرته جريدة **« ديلى تلجراف »** البريطانية وقام به معهد جالوب للاحصاء ، ان حزب المحافظين قد احرز لاول مرة منذ الانتخابات العامة فى مارس الماضى تقدما على حزب العمال بلغت نسبته ٥ر٠٪ وهذا التقدم يعكس أهم تغير فى اتجاه الرأى العام سجله معهد جالوب منذ ٢٠ عاما بالنسبة لمدة زمنية قصيرة كهذه . ففى مايو الماضى كان حزب العمال متقدما بنسبة ١٨٪ من الاصوات ، الا ان تقدمه هبط فى يونيو الى ٥ر١٢٪ ، وفى يوليو الى ٥ر٧٪ منها . وتقدم المحافظين بنسبة ٥ر٠٪ يعنى حدوث انتقال فى الاصوات يبلغ ٢٥ر٩٪ فى مدة ٣ شهور . وقد أوضح المعهد انه من المحتمل ان ضعف ثقة الرأى العام فى الحكومة سيتزايد عندما تحدث الاجراءات الجديدة اثرها . وقد جاءت النتائج الاخيرة للتصويت كما يلى : المحافظين ٥ر٤٤٪ من الاصوات (مقابل ٤١٪ فى يوليو ، ٥ر٣٩٪ فى يونيه ، ٥ر٣٥٪ فى مايو) . العمال ٤٤٪ من الاصوات (مقابل ٥ر٤٨٪ فى يولية ، ٥٢٪ فى يونية ، ٥ر٥٣ فى مايو) . الاحرار ٥ر١٠٪ من الاصوات (مقابل ٥ر٨٪ فى يولية ، ١٠٪ فى يونية) . احزاب متنوعة ١٪ (مقابل

٢٪ في يولية ، ١٪ في يونية ، ٢٪ في مايو) •

وتواجه حكومة العمال السخط من مصادر سياسية عديدة، **فحزب المحافظين** يعارض الطابع الاجبارى لتثبيت الاسعار والاجور وهو اساس برنامج ويلسون ويهاجم الموقف العام للحكومة ويعتبر عدم مهارتها هو السبب الرئيسى فى الازمة • **وحزب الاحرار** يرى أن الحكومة تواجه تحللا تاما ، وان عنصر عدم الكفاية اخذ يحتل كل جزء فى جهازها ، **والمعارضة العمالية** التى يشكلها حوالى ٥٠ نائبا عماليا ، ترى أن العجز فى ميزان المدفوعات لا يعالج باجراءات داخلية ، ولكن عن طريق حلول خارجية كالقروض والمعونات التى تصاحبها سياسة حكومية للتوسع الاقتصادى وهى اجراءات غير جذرية فى حقيقتها مثل أساليب الحكومة العمالية نفسها • ومعظم **الاتحادات النقابية العمالية** تتخذ موقف المعارضة للاجراءات الحكومية ، ذلك انها تلقى كل التضحيات على عاتق الشعب البريطانى ولا سيما الطبقة العاملة • ومن اكبر ستة اتحادات فى بريطانيا ، تتخذ ٤ منها موقفا معارضا للاجراءات ، على راسها اتحاد النقل الذى يراسه **فرانك كوزين** ، واتحاد عمال المناجم ، واتحاد عمال السكك الحديدية ، واتحاد مستخدمى الاعمال التجارية • كما انصب السخط على الحكومة ايضـا من جانب من طوائف **الرأسماليين البريطانيين** فى ميدانى الصناعة والتجارة ، اذ القت الحكومة عليهم مسئولية تدبير الامـوال اللازمة لعملية التمويل ، وذلك بحظرها على البنوك تقديم قروض لهم • كما يقوم الاختلاف بشأن هذه السياسة بين **وزراء الحكومة العمالية نفسها** • فبينما يميل **جورج براون** نائب رئيس الوزراء والمسئول عن الشئون الاقتصادية ، الى السياسة النقدية والى اشتراك بريطانيا فى السـوق المشتركة ويتسم بميوله الاوربية ويرى ضرورة تحقيق ذلك حتى ولو كلف بريطانيا خفض قيمة الجنيه الاسترلينى ، يفضل **تونى كروسلاند** وزير التعليم **وروى جنكنز** وزير الداخلية وهما معارضان ايضا لاجراءات التقشف ، يفضلان ان يكون الادخار من النفقات الاجتماعية كخفض المعونات التى تتلقاها المدارس بدلا من خفض الاستثمارات وهو ما يعتقد ويلسون ان الحزب لن يوافق عليه •

ويرى عديد من المعلقين الاقتصاديين ، ان حل مشـكلة الاقتصاد البريطانى واقامة دعائمه على أسس اكثر استقرارا انما تتطلب فى الاونة الحاضرة حلولا جذرية ، كالتخلى عن فكرة الامبراطورية البريطانية العظمى ، وتخفيض النفقات العسكرية فى الخارج ، واتباع بريطانيا لسياسة مستقلة عن الولايات المتحدة ، ولجوئها الى تخفيض قيمة الاسترلينى • وقد كتبت « **الاوبزرفر** » البريطانية بهذا الصدد تقول : « ان اصرارنا على الالتزامات العسكرية المالية ، واصرارنا على البقاء كقـوة عسكرية عالمية ، يجعلنا مرغمين على الاقتراض فى كل مرة يتأزم فيها موقف الاسترلينى ، الامر الذى يجعل قروضنا المتراكمة تقف كعقبة فى سبيل نمونا الاقتصادى وتوسعنا الصناعى • ومن هذه الزاوية كشف المستر **مايكل ستيوارت وزير خارجية بريطانيا** الاسبق فى حديثه لمجلة « **دير شبيجل** » الالمانية الغربية ، عن ان الحكومة العمالية لا تنظر نظرة واقعية الى مسألة التخلى عن افكار الامبراطورية العظمى ، كما انها تعتبر مسـألة خفض النفقات العسكرية فى الخارج أمرا ثانويا وتركز ثقلها حول طلب التضحيات من الشعب والطبقة العاملة البريطانيـة أما فيما يتعلق بالسياسة المستقلة ، فيرى ويلسون ان التحالف الانجلو ـ امريكى (اى تبعية بريطانيا للولايات المتحدة) يجب أن تظل فى المقدمة ، وهو يتجه حاليا نحو مزيد من الارتماء فى احضانها • كما ان اجراءات التقشف الاخيرة تأتى فى حقيقتها لصالح الدول الدائنة لبريطانيا فى المحل الاول • اما فيما يتعلق بتخفيض قيمة الجنيه الاسترلينى ، فقد ترددت فى صفوف حزبى العمال والمحافظين آراء عديدة بشأن تخفيضه بشرط ان يوافق ديجول على دخول بريطانيا السوق المشتركة ، الا انه بينمـا أبدت فرنسا التخفيض ، عارضته الولايات المتحدة بشدة ، ذلك ان التخفيض يعنى بصورة او بأخرى او هو يؤدى تدريجيا الى ابتعاد بريطانيا عن سياسة التبعية للولايات المتحدة ، كما أن تخفيض الاسترلينى قد يؤدى الآن او فيما بعد الى تخفيض الدولار الامر الذى ترفضه الولايات المتحدة •

وقد عزفت حكومة ويلسون العمالية عن اتخاذ هذه الخطوات او بعضها وتابعت سياسة المحافظين فى تقديم حلول جزئيـة كتعديل سعر الفائدة (الذى رفعه ويلسون الى ٧٪) او فئات الضرائب او ضغط النفقات • مما سيجعل المشكلة الاقتصادية مستمرة • وسيؤدى برنامج التقشف بالضرورة ـ حسبما اوضح الخبراء الاقتصاديون ـ الى زيادة نسبة البطالة بسبب ضغط الاستثمارات • كما أن الحد المفاجىء من الانفاق والاستهلاك بسبب تثبيت الاسعار ، من شأنه ان يعرقل التقدم الصناعى والوصول الى مجتمع الرفاهية الذى وعد به ويلسون ، كما ان حرمان رجال الصناعة والتجارة من قروض التمويل ، من شأنه أن يؤدى الى ضغط التكاليف مما سيؤثر على الانتاج كما وكيفا • ويرى المراقبون الاقتصاديون ان اجراءات حكومة ويلسون غير المتناسقة ، من شأنها ان تفضى الى ان تواجه بريطانيا خلال هذا العام والعام القادم ازمة من أشد ازماتها الاقتصادية • خاصة وقد أعلن اتحاد الصناعات البريطانية ان الازمة قد تتطور الى مستوى ازمة الكساد سنة ١٩٣١ •

وهكذا اوضحت هذه الاجراءات فى ميدان التطبيق العملى ان حزب العمال الذى كان يقدم الوعود للناخبين بأنه لن يلجأ الى وسائل « فرملة » الاقتصاد التى اتبعها المحافظون من قبل ، قد ضغط على « الفرملة » اكثر منهم واتخذ اجراءات لم تتخذها اية حكومة بريطانية سابقة ولا حتى وقت الحرب •

وبالنسبة لمستقبل حزب العمال السياسى يرى عديد من المراقبين ان النقابات العمالية لن تؤيده • كما كان الحال فى سنوات حكم **آتلى** ، كما ان المثل التمردى الذى قدمه كل من **فرانك كوزين ومايكل فوت** المتحدث باسم الجناح العمالى اليسارى ، يمكن ان يكون خميرة لاثارة تمردات اخرى فى وسط الاقسام المحلية لحزب العمال التى اصبحت اكثر حساسية لسخط العناصر الشعبية التى تساند الحزب •

ان المشكلة الحقيقية التى طرحتها الازمة الاقتصادية والتى تواجه بريطانيا اليوم ، تكمن فى نظر عديد من المراقبين السياسيين فى افتقادها للقيادة الواقعية الجريئة القادرة على تحقيـق الانسجام بين خط السياسة البريطانية ومعطيات الموقف العالمى الجديد • خاصة وان حزب المحافظين يتسم بنظرة سياسية جامدة وضيقة الافق ، وقيادة ويلسون العمالية ، تتجه فى نفس الاطر التقليدية القديمة ، وحتى المعارضة العمالية اليسارية لا تزال حتى الان تائهة فى اطار حلول جزئية • ويشبه عديد من هؤلاء المراقبين ، وضع بريطانيا اليوم ، بوضع فرنسا فى الفترة الاخيرة لحكم الجمهورية الفرنسية الرابعة بما صحبها من مظاهر اجتماعية ومغامرات اقتصادية وسياسية وعسكرية • الا انهم يرون انه اذا كان الجنرال **شارل ديجول** قد قيض لتوجيه فرنسا وجهة جديدة ، فلا يبدو انه يتوافر فى انجلترا فى الفترة الحالية ، «ديجول انجليزى» يمكن ان يقوم بنجاح بنفس المهمة •

●

■ الولايات المتحدة الامريكية

انقسام فى صفوف القيادة الزنجية

فى التقرير السنوى الذى القاه القس **مارتن لوثر كنج** امام «مؤتمر القيادة المسيحية للجنوب» قال الزعيم الزنجى الامريكى : « ان اهم احداث العام دلالة هو انتشار ثورة الزنوج من مزارع المسيسيبى والاباما الشاسعة فى الجنوب ، الى احياء الزنوج الموحشة فى مدن الشمال » •

ومارتن لوثر كنج هو اشهر قادة حركة « الحقوق المدنية » فى الولايات المتحدة ، وأوسعهم شعبية ، واكثرهم تمسـكا

بمبدأ اللاعنف والسعي الى الغاء التفرقة العنصرية والاندماج في المجتمع الامريكي عن طريق الاقناع ، وبالتعاون مع البيض الذين يعطفون على مطالب الزنوج . يقـــول كنج : «ان المظاهرات ، والعصيان المدني ، والمقاطعـــة ، والاعمـــال السياسية التي تجري كلها بتوحيد جهود الزنوج والبيض ـــ قد حققت انتصارات محسوسة .وفي اعتقادنا انها مازال الوسيلة التي تستطيع ان تحقق النجاح » .

ولقد تمكن القسيس الامريكي من توحيد نضال التنظيمات الزنجية ، عمليا ، طيلة السنوات الثلاث الماضية . غير ان جيلا جديدا من القادة برز خلال الاصطدامات العنصرية العنيفه التي حفل بها صيف ١٩٦٦ ، جيل يشكك في قيمة ما تحقق من مكاسب ويدعو الى تغيير الاساليب التي يصر عليها مارتن لوثر كنج ، ويرفع شعارا جديدا لحركة الزنوج الامريكيين هو « القوة السوداء » . وفي مقدمة هؤلاء القادة يقف الشاب ستوكلي كارمايكل (٢٥ سنة) زعيم « لجنة اللاعنف لتنسيق حركة الطلبة » ، وفلويد ماكيسيك ، رئيس « مؤتمر المساواة العنصرية » ،وجيمس ميريديث ، زعيم مسيرة المسيسيبي الذي اطلق عليه احد المتعصبين البيض ، في ٦ يونيو الماضي ،ثلاث رصاصات اثناء قيادته للمسيرة فاصيب بجراح خطيرة وكانت هذه الرصاصات هي اشارة البدء لموجة اعمـــال العنف التي تتابعت ، والتي مازال تعصف في انحاء عديدة من الولايات المتحدة . والرأي السائد بين القيادات الجديدة انالهوة تتزايد بين المساواة الاسمية التي تكفلها قوانين الحقـــوق المدنية ، وبين النزر اليسير من هذه القوانين الذي يطبق بالفعل ، من خلال نضال وجهود مضنية ، وباساليب فيهــا من التحقير والاهانة ما يربو كثيرا على رد اعتبار الزنوج وصيانة كرامتهم كمواطنين كاملي الاهلية . ويدلل هؤلاء القادة على ذلك بحقائق كثيرة منها :

● ما تزال نسبة الطلاب السود في مدارس البيض ،بعد مرور ١٢ عاما على قرار المحكمة العليا القاضي بتحقق الاندماج في التعليم ، هي طالب واحد اسود مقابل ١٦ طالبا ابيض.

● متوسط اجر العامل الاسود هي الان ٥٩٪ فقط من اجر العامل الابيض ، بعد ان كانت عام ١٩٥٠ تقدر بـــ ٦٠٪ . ولما كانت نسبة العمالة بين السود اقل منها بين البيض،فان متوسط دخل الاسرة الزنجية لا يزيد على ٥٥٪ من متوسط دخل الاسرة البيضاء .

● في الوقت الذي يبلغ فيه عدد السود ٩ر١٠٪ من مجموع سكان الولايات المتحدة ، نجد ان نسبة الزنوج ترتفع الى ٥ر١٧٪ من مجموع العاطلين عن العمل ، ٨ر٢٧٪ من نزلاء السجون ، ٢ر٥٥٪ من المتهمين بجرائم قتل .

● زادت نسبة الاطفال غير الشرعيين من ٨ر١٦٪ عام ١٩٤٩ الى ٦ر٢٣٪ عام ١٩٦٣ ، بينما النسبة بين البيض لم تزد على ١ر٣٪ .

● ٣٦٪ من اسر الزنوج يقل متوسط دخلها عن حـــد الفقر في الولايات المتحدة (٢٥٠ دولار شهريا) ، بينمـــا النسبة بين الاسر البيضاء هي ١٤٪ فقط . ومن المعروف ان الاعانة الاجتماعية التي تصرف للاسر التي يهجرها عائلها تصل غالبا الى ٢٥٠ دولار شهريا ، فان عددا كبـــيرا من الرجال السود يهجرون اسرهم من اجل الحصول على الاعانة . وهذا من اهم اسباب تحطيم الاسر الزنجية بحيث ان اكثر من ٥٠٪ من الشباب الزنجي في سن ١٨ سنة لا ينشأ في اسر متكاملة .

● في حرب فيتنام يتمتع الزنوج الامريكيون بنوع مـــن المساواة ، بل بما هو اعظم . فعلى الرغم من ان الزنوج يشكلون ٩ر١٠٪ من مجموع السكان ، الا ان نسبتهم في صفوف المحاربين في فيتنام تصل الى ٥ر١٢٪ ، وترتفع نسبة الزنوج بين القتلى لتصل الى ٦ر١٤٪ .

● يضاف الى هذا ، ان نصيب الاحياء الزنجية من الخدمات البلدية والتعليمية والصحية ضئيل جدا اذا قيس بنظيره للاحياء المحظوظ سكانها على الزنوج . والملاحظ انه على كثرة ما تكتب الصحف الامريكية التي تصل الى ايدينـــا (وهي كلها صحافة بيضاء بطبيعة الحال) فانهـــا لا تورد بيانات تفصيلية في هذا المجال ، وتكتفي بعموميات مبهمـــة لا تخفي بشاعة ظروف المعيشة والسكنى في احياء الزنوج ، اذا قيست بنظيرتها في احياء البيض .

تلك هي بعض الحقائق التي جعلت جيلا جديدا من قـــادة الزنوج يشكك في قيمة ما حققته الحركة من انتصارات حتى اليوم . يضاف الى ذلك ان اللاعنف (المظاهرات والمواكب السلمية والاجتماعات والاحتجاجات واقامة الصلوات في الكنائس والطرق والشوارع) يقابل بضراوة متزايدة سواء من جانب السلطات البوليسية او من جانب الجماعات العنصرية البيضاء المتعصبة (مثل الحزب النازي الامريكي ، وعصابة كوكلوكس كلان) ، وعشرات من الجماعات الصغيرة المحلية التي تتخـذ اسماء مختلفة من نوع : جماعة منع الزنوج من الاســـتيلاء على كل شيء ! ...) وعلى الرغم من ان القسيس مارتن لوثر كنج يقول : « نحن لا نملك قنـــابل او ســـكاكين او مسدسات ، وليس لدينا شيء سوى قوة ابداننا وارواحنا » ـــ الا اننا نقرأ كل يوم في الصحف اخبارا كالاتي : « تظاهر ٦٠ زنجيا في الاحياء المحظور دخولهـا على الزنوج في مدينـــة شيكاغو احتجاجا على قوانين التفرقة العنصرية في الاسكان . وقد استقبلهم نحو ٨٠٠ من البيض بوابل من الاحجـــار والالعاب النارية ، وشنقوا دمية تمثل الدكتور مارتن لوثر كنج الزعيم الزنجي الحائز على جائزة نوبل ، وظلوا يركلونها الى ان تمزقت » . (عن جريدة الاهرام في ١٨ اغسطس ١٩٦٦) . وقد اصيب القسيس كنج نفسه في احد المظاهرات في هذا الصيف ، وقضى في المستشفى اياما عديدة . كذلك اصيب ميريديث بجراح كادت تودي بحياته . ولا يفوت يوم الا وتاتينا اخبار جديدة عن اعمال العنف التي ترتكب ضد مواكب الزنوج المسالمين ، او عن هجمات وحشـــية تشن على اجتمـــاعاتهم وكنائسهم ، وحتى على مخادعهم وهم نائمون (تحـــرص الصحافة الامريكية على عدم ايراد احصاءات كاملة عن عدد القتلى والجرحى والمقبوض عليهم .. على الرغم من كثرة « البحوث والاحصاءات » التي نشرت اخيرا في الموضوع) .

وقد ادى هذا الى ردود فعل عنيفة من جانب جمـــاهير السود اتخذت شكل انفجارات تدميرية تحرق الســـيارات وتنهب المحال ، وتدمر المباني ، وتصطدم بالبوليس . وكان اكبر هذه الانفجارات ما حدث في صيف ١٩٦٥ ، في حي واتس بمدينة لوس انجيلوس ، والذي تكرر مرات عديدة هذا الصيف ـــ بدرجات تتفاوت عنفا ـــ في حي هارلم بنيويورك ، وفي شيكاغو وبلتيمور وغـــيرها كثير . ووسط هـــذا الصدام العنصري المتفاقم ارتفع شعار « القوة السوداء » ، وفعل فعله في الهاب مشاعر جماهير السود الغاضبين من جهة ،وفي قسم صفوف قياداتهم ـــ من جهة اخرى . وحتى الان مازال هذا الشعار ـــ بحسب ما تقول الصحف الامريكية البيضاء ـــ غير محدد المدلول . وهو يفسر تفسيرات متباينة تختلف من جماعة لاخرى ، ومن شخص لاخر . ويفسره البعض، ولعلهم من خصومه ، بانه يعني فصل مجتمع الزنوج الامريكيين عن مجتمع البيض فصلا تاما ، ونبـذ فكرة الاندماج نبـذا نهائيا ، والوصول الى حد اقامة مناطق سوداء كاملة يتولى فيها السود ادارة شئونهم بعيدا عن اي تدخل او مشاركة مع البيض ، وبما يضمن نصيبهم العادل من الدخل والمكانة الادبية . اي ان هذا التفسير يذهب الى ان « القوة السوداء » تعني حق السود في تقرير مصيرهم والعيش في ظل نظـــام مستقل ذاتيا .

ويقول القسيس كنج ومن يذهب مذهبه من التمسك بسياسة اللاعنف والاقناع من اجل الاندماج ، ان « القوة السوداء » هي طريق الهلاك المحقق . فهذا الفريق لا يرى من وســيلة لتحقيق اهداف حركة الحقوق المدنية الا الاعتماد على تأييد البيض

المناهضين للتفرقة العنصرية ، ومن ثم يرى ان الشعار الجديد لن ينتهى الا الى اضعاف جهود البيض العاطفين على مطالب الزنوج وتقوية الجانب العنصرى المتعصب بين البيض.

هذا ، بينما يقول **ستوكلى كارمايكل** ، ابرز دعاة « القوة السوداء » فى معرض الحديث عن هذا الشعار :

« القوة السوداء تعنى انه اذا انتخب زنجى مأمور ضرائب لمقاطعة لاوندز فانه يتمكن من تطبيق المساواة الضريبية بان يخصص اعتمادات اكبر لبناء طرق افضل ومدارس احسن لخدمة الزنوج . واذا انتخب زنجى شريفا (اى قائد شرطة) فانه يستطيع ان يضع حدا لوحشية البوليس فى معاملة الزنوج ... اما على مستوى الولاية ، وعلى المستوى القومى للولايات المتحدة كلها ، فان القوة السوداء تعنى ان السود يستطيعون ان يقولوا للسلطات البيضاء : نحن بحاجة الى كذا مليون دولار لاصلاح طرقنا ، فان وراءنا كذا مليونا من الاصوات تسندنا . وبدون ان تكون بيدنا سلطة فليس لنا الا ان نقول : نرجوكم ان تراعوا حاجتنا الى ... »

ويستطرد كارمايكل : « ان الاندماج غالبا ما يقوم على القبول المطلق لحقيقة انه لكى يحصل الزنجى على مسكن مريح او تعليم مناسب يتعين عليه ان ينتقل الى حى من احياء البيض او الى مدرسة من مدارسهم ، فما معنى هذا ؟ ان هذا ، فى المقام الاول ، يقوى الاعتقاد عند كل الزنوج والبيض ان كل ما هو ابيض متفوق ، وكل ما هو اسود منحط بطبيعته .... وهذا الوضع لن يتغير الا اذا حصل الزنوج على السلطة السياسية التى تمكنهم — على سبيل المثال — من السيطرة على مجالس ادارات مدارسهم . ان تحقيق هذه السيطرة هى التى تشعر الزنوج بالمساواة الحقيقية ، وحينذاك يصبح للاندماج معنى .

« ان الدفاع عن مصالح الزنوج لا يعنى الوقوف ضد البيض — الا اذا اوصل البيض الامور الى هذا الحد . ونحن على اعتقادنا الذى تمسكنا به دائما ، وهو ان قيادة **لجنة اللاعنف لتنسيق حركة الطلبة** يجب ان تكون بأيدى الزنوج وحدهم ... فالزنوج قادرون على عمل الكثير لتحقيق اهدافهم ... كذلك نحن بحاجة الى تأييد الجميع . ونرحب بهذا التأييد سواء من جانب البيض ، وسواء من الشمال او من الجنوب » .

وتلقى تصريحات **جيمس ميرديث** الاخيرة ، بعد شفائه من جراح الطلقات النارية الثلاث ، بعض الضوء على جانب آخر مما يعنيه شعار القوة السوداء . ان ميرديث ، فى حديث تليفزيونى اذيع فى ٢٢ اغسطس ، يدعو الزنوج الى التسلح للدفاع عن النفس ضد القتلة العنصريين اذا فشل القانون فى معاقبتهم ، ويقول : ان اللاعنف لا يتلاءم مع افكار الامريكيين ، هذه امة يسيطر عليها التفكير العسكرى » .

وتمتزج حركة الزنوج بالحركة الداعية لوقف الحرب ضد شعب فيتنام ، ويتوقع المراقبون ان تسهم الحركتان ، مع الاتجاهات الليبرالية اليسارية ، فى بناء ما يسمى باليسار الامريكى الجديد . وعلى الرغم من ان الزنوج يشعرون بانهم مطلوبون فى القوات المسلحة اكثر من اى مكان آخر (وهذا طبيعى ، وبخاصة مع اشتداد القتال فى فيتنام) ، وعلى الرغم من ان فرص (العمل) فى الجيش افضل منها خارجه ، الا ان نسبة المعارضة للحرب الفيتنامية بين الزنوج تصل الى حوالى ثلاثة امثالها بين البيض . وتزداد هذه النسبة بين القيادات الزنجية المسئولة ، وبخاصة بين دعاة «القوة السوداء » . وقد اوردت مجلة نيوزويك الامريكية (٢٢ اغسطس) طرفا من حديث مع امرأة زنجية من سان فرانسسكو قالت فيه : « لماذا نحارب فى فيتنام ؟ لست ادرى . هل نحارب الشيوعيين ؟ الاجدر بنا ان نحارب العنصريين البيض فى المسيسيبى » .

وفى حديث تليفزيونى مع كارمايكل فى ٢٢ اغسطس ، يدعو الزعيم الشاب اخوانه من الزنوج الى عدم الاشتراك فى الحرب الفيتنامية ، ويقول : « ان الجنود الزنوج فى فيتنام يعدون مرتزقة » .

ومهما بلغ من نشاط دعاة « القوة السوداء « فان مارتن لوثر كنج ما يزال هو اقوى القادة الزنوج واوسعهم نفوذا، وان كان قد فقد الكثير من معمعان هذا التحدى الجديد . وفى ذلك يقول الكاتب الزنجى اوليفر كيلنز : « لقد خنقت الدموع ابنتى وهى تستمع الى مارتن لوثر كنج يخاطب البيض بالراديو قائلا : دوسوا على جسدى باقدامكم ، وابصقوا على وجهى، ومع ذلك سأحبكم دائما » . ويضيف كيلنز قائلا : « لقد كنت صديقا للوثر كنج منذ عام ١٩٥٧ ، ولكنه فقد صداقتى وصداقة الملايين من السود الامريكيين عندما دعانا الى محبة جلادينا» .

وواضح انه لولا التأثير الروحى للقيادات الجديدة لما وصلت خسارة القسيس كنج الى هذا الحد ، فالمعانى الذى يعبر عنها هنا ليست جديدة ، انما الجديد هو روح السخط والنضال المتأججة فى صدور عدد متزايد من الزنوج .

وعلى الرغم من ان دعاة « القوة السوداء » لم يحددوا افكارهم بشكل متكامل بعد ، ولا يحظون الا على تأييد اقلية من الزنوج الامريكيين ، الا ان مجلة النيوزويك تنبه قراءها الى انه كثيرا ما تتمكن اقلية مناضلة نشيطة من التحكم فى مسار حركة اجتماعية باكملها .

هذا ، ولا يخفى عدد من المراقبين العاطفين على حركة الزنوج الامريكيين تخوفهم من ان يؤدى هذا الانقسام فى صفوف القيادات الزنجية الى اضعاف الحركة فى مجموعها فلا يكسب منها الا المتعصبون البيض ، ومن خلفهم الاحتكاريون واصحاب المزارع الكبرى فى الجنوب ، وهم المستفيدون الاول من تدهور اجور الزنوج الامريكيين وتدهور مستوى معيشتهم .

●

العنف طابع السياسة الخارجية والقتل الجماعى ظاهرة داخلية

فى خطابه امام الكونجرس ، ادلى جونسون بمعلومات غريبة عن الجريمة فى الولايات المتحدة ، اذ قال ان هناك حادث اغتصاب يتم كل ٢٦ دقيقة ، وحادث سرقة كل ٢٥ دقيقة ، وجريمة سرقة سيارة كل دقيقة، وحادث سطو على المنازل فى كل ٢٨ ثانية ، وقال ان هذه الحوادث تكلف الدولة ٩٥٠٠ مليون جنيه استرلينى سنويا. وفى احصاء آخر ان الجرائم زادت فى ١٩٦٥ بنسبة ١٣٪ عنها فى ١٩٦٤ ، وبلغت جرائم القتل ٩٨٥٠ جريمة وقع فى نيويورك وحدها ٦٣٤ حادث قتل ، اى بمعدل جريمتين فى اليوم . واذا استعرضنا الجرائم ، التى تمت حتى الان ، فى فترة تقل عن العام ، لتبينا مدى بشاعة ما يتم هناك ، فقد وصل الامر ان استخدم اللصوص مدفعا مضادا للدبابات فى سرقة ٤٠٠ الف دولار ، واستخدمت مجموعة اخرى طائرة فى سرقة بنك حكومى . وادعى احدهم انه عالم ذرى ، وسيقوم بنسف بنك بقنبلة صغيرة ، وحصل على مبلغ كبير وهرب. اما جرائم القتل — وهى التى تعبر بعمق عن طبيعة المجتمع الامريكى المعاصر فقد تضمنت بعض الحقائق المذهلة منها :

احرق احد الشبان بارا وتسبب فى وفاة ١٣ شخصا . وخنق لى سنجلتون زوجته بعد الافراج عنه بعد ٥ سنوات سجن لقتل ابيه « تلبية لنداءات غامضة » . وفى ابريل الماضى قتل احد المراهقين امه واخته وجدته « مستخدما مطرقة » . وفى يونيو قتل « واعظ » اطفاله الاربعة وانتحر ، وفى يوليو قتل « سفاح شيكاجو » ثمانية ممرضات ، وذبح مجرم فى نيويورك شخصين ، ووجد فى نيوآرك (نيوجرسى) ٥ اشخاص مقتولين فى مسكن واحد . وفى اغسطس ، قتل احدهم عمدة المدينة واطلق النار على القاضى والبوليس ، واطلقت سيدة فى

كاليفورنيا النار على زوجها واطفالها الثلاثة فقتلتهم وانتحرت وقتل احد الطيارين زوجته وابنته ، وفى كونتيكات ذبح رجل زوجته وابنته وانتحر ، وطارد آخر افراد عائلته فى الشوارع بالرصاص واطلق جوزيف ديفير النار على ثمانية اشخاص فى كافتيريا وفى سان لويس قتل اهسلر زوجته وابنيه وانتحر، وفى كاليفورنيا قتل مخبول اربع سيدات .

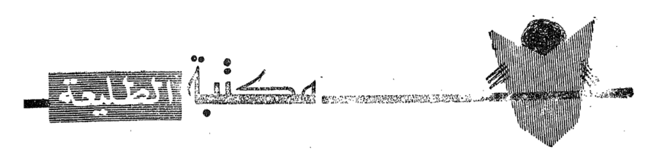
وكما هى العادة استغل البعض هذه الحوادث البشعة للاثراء، واستخدمت لتغذية جو القلق والشعور بالعجز والانسحاق، نقد جنى مؤلف كتاب In Cold Blood ٢ مليون دولار ومثلت عشرات الافلام والمسلسلات والكتب والروايات التى تحكى فى تفاصيل مذهلة هذه الجرائم . وطبعت جريدة « التايم » صورة « هويتمان » مجنون البرج الذى قتل ١٥ شخصا (فيهم امه وامرأته) وجرح ٣١ آخرين ، كما سبق ان طبعت صورة كاريل تشسمان فى ١٩٦٠ ، وصورة لى هارفى اوزالد. والمؤسف ، او المضحك ، انه فى الوقت الذى صعد فيه هويتمان الى البرج « لقتل بعض الخنازير » كما يقول فى مذكراته ؛ كان التليفزيون يعرض فيلما مرعبا . ومن عجائب الصدف ، ان رواية فورد كلارك «الميدان المكشوف» التى ظهرت فى ١٩٦٢ يتسلق بطلها برج فى ميدان ميدوسترن حاملا ، اسلحة ومأكولات ، كالتى حملها هويتمان ، ويبدأ فى قتل المارة . والغريب ان هويتمان لم يقرأ هذه الرواية، مما يجعل الاخصائيون الاجتماعيون يؤكدون ان المجتمع يفرخ الحقائق والخيالات المتطابقة الى حد مفزع ، وان فاقت الحقيقة هذا الخيال . فهذه الاحداث ليست غريبة على امة احترفت العنف منذ مولدها ، فالمستوطنون الاول اغتصبوا اراضيهم بقوة السلاح ، وابادوا ملايين الهنود الحمر ، ثم درجوا على استخدام السلاح منذ ذلك الحين فى الداخل فى جرائم التفرقة العنصرية ، والجرائم الاجتماعية وفى الخارج ومما له دلالته ان هويتمان كان جنديا امريكيا فى قاعدة جوانتانامو فى كوبا .

والمجتمع الامريكى ، كما يقول الدكتور فردريك فيهام ، المحلل النفسانى الشهير ، لا يستفظع العنف وتعاطفه مع ضحاياه تقصر الاجل ينتهى بالتعاطف مع مسببى العنف ذاته ونسيان الضحايا . والاطفال يتعلمون كيف يغرمون بالعنف فى الكتب والتليفزيون والسينما ، والمجتمع ، كما يستطرد نفس الدكتور يلتمس اسبابا لهذه الجرائم فى التحليل النفسى، وعلم النفس دون ان يبحث عن اسبابها الاجتماعية ففى فيلم هتشكوك « نفوس معقدة » ، يصور المخرج الذى تخصص فى الضرب على عقد التوتر ، ودغدغة احاسيس القلق فى المجتمعات الصناعية الراقية ، فى هذا الفيلم يصور المخرج، شابا شاذا يتعلق بامه التى تموت هى وعشيقها ، فى ظروف مريبة وينشأ عند الفتى ازدواجا فى شخصيته يحتل حبه لامه جزءا منه مما يجعله يقتل حتى الفتاة التى يستلطفها وينطلق فى سلسلة من جرائم القتل لا تنتهى الا مع نهاية الفيلم .وفى سهولة ويسر ينقل هتشكوك كل ما يريد ان يقول الى المتفرج الذى يبقى طوال الفيلم مشدود الاعصاب متيقظ الذهن.

وارجاع كافة الاسباب الى العقد والاضطرابات النفسية، دون ارجاع هذه بدورها الى اسبابها الاجتماعية ، ليس قصرا على هتشكوك ، فكل الاجهزة العامة والخاصة والرأى العام فى امريكا عموما يشترك فى مثل هذا الاعتقاد . فالجرائم الاجتماعية تتحول ، بقدرة قادر الى قصص وحكايات ، ترضى الاحساسات المريضة السائدة ، وتسهم من جديد فى تغذية هذا المرض النفسى الجماعى الذى يعانيه المجتمع الامريكى، وتتستر على الاسباب الحقيقية لهذه الاعمال المروعة ،والتى تكمن فى طبيعة هذا المجتمع ، ونوع العلاقات الاجتماعية السائدة فيه ، والتى تولد جرائم القتل الجماعى ، على المستوى الدولى (وابشع صوره ما يحدث فى فيتنام) وعلى المستوى الامريكى ذاته (جرائم القتل الجماعى والتفرقة العنصرية) وتولد مجموعة هائلة من التمايزات تقسم المجتمع الامريكى الى امم متباينة تباينا كاملا فيما بينها . فعلاقة الفرد بغيره فى المجتمع الامريكى ، تمتاز بدرجة هائلة من التعقد والغموض ولا طاقة للفرد الاعزل الوحيد بمواجهة او حتى بفهم هذه العلاقات المتشابكة المتعددة التى تخضع لالاف القواعد والقيود ، وتتدرج فيها مراكز السيطرة . كل ما يحسه ، او يدركه ، هو انه ليس سيد نفسه ،وانه لا يختار ولا يقرر حتى ابسط الامور المتعلقة بشخصه ، وان عليه ان يسلم امره للاخرين يسيرونه كما يريدون ، ومن هم هؤلاء الاخرون ، حتى ذلك لايدرى عنه شيئا ،وتتكاتف اجهزة الاعلام، وهى قوية وقادرة و لى درجة عالية من الكفاءة ، فى تضخيم شعور الفرد بالانسحاق وبالتفاهة والضياع ، وانه لا طاقة له بمقاومة او تحد ، او حتى محاولة فهم تلك القوة الهائلة التى تسيطر على كل شىء وتسير كل شىء وتسحق كل ما يعترضها ، وتولد عنده نوعا من الغربة والعزلة عن اقرب الناس اليه وتضع فى ذهنه اعتقادا راسخا انه لا مجال للاتصال بالغير او التفاهم معه ،وحتى لغاتنا المشتركة عاجزة عن تحقيق ذلك ، وان الخير كل الخير ان ينغلق الانسان على ذاته والا يحاول التفاهم مع غيره «فالاخرين جحيمنا» . وتكون النتيجة ان تلك الانفعالات والمخاوف ، تتفاعل وتتشابك حتى تنفجر فى صورة مفاجئة ممن لا يتوقع الناس منهم شرا .

وقد بلغ عدد المرضى الذين يترددون على مصحات نفسية ٥ر٢ مليون فما بالك بمن لا يقدرون على ذلك، وكما تقول احصائية امريكية (فى التايم) يصل عدد الافراد الذين لديهم استعداد كامل للقتل الجماعى ، واحد فى الالف ، اى ٢٠٠ر٠٠٠ امريكى . وكما يقول احد المحللين النفسيين فان الناس الذين قد ينقلبون الى قتلة «يوجدون» فى كل مكان فى هذه الايام ، يقودون السيارات ، يذهبون معك الى الكنائس ويعملون معك ولا تعرفهم الا عندما ينقلبون فجأة ، وفى نفس الاتجاه تصرح التايم « انك لا تعرف من يكون جارك » . وكل هذا يرجع الى سيطرة قلة من المالكين (٢٠٠ عائلة كما يقولون) على كل موارد الولايات المتحدة وامكانياتها ،وما اضخمها وادارة هذه الموارد بطرق علمية وتكنيكية على غاية من الاتقان والدقة ، وبواسطة مؤسسات واجهزة عملاقة ذات امكانيات هائلة تكاد تحدد للفرد دوره ، حتى قبل ان يولد ، وترسم له الخط الذى يسير فيه حتى تشيعه الى القبر ، وتضيق الى حد العدم فرص وامكانيات للرفض او التحدى او حتى التنفيس الصحى . والمكننة الهائلة التى تشمل كل شىء ، وتمتد الى كل شىء ، وسد كل منافذ الاتصال بالغير كل ذلك يؤدى الى نوع من الهروب الى داخل الذات والانغلاق فيها ، وهنا تتشابك الظروف العامة للمجتمع مع الظروف الخاصة للافراد فتخلق امثال تلك المصاعب ، والتى تحول المجتمع الامريكى الى مجتمع دموى ، وليس ادل على طبيعة هذا المجتمع من ان عدد قطع الاسلحة النارية المملوكة ملكية خاصة وصلت هناك الى ١٠٠ مليون قطعة ، ويباع سنويا من الناتج المحلى مليون قطعة ، ويستورد من الخارج مليونا اخرى ، مما جعل نسبة جرائم القتل التى استخدمت فيها الاسلحة النارية تصل الى ٧٢٪ من عدد الجرائم فى ١٩٦٥ (٩٨٥٠ جريمة) ويلاحظ ان ٧٠٪ من هذه الجرائم يرتكبها شبان اقل من ٢٥ سنة .

وهذه الظاهرة الى جانب غيرها من ظواهر تحلل المجتمع وتدهور النظام ، كالتضخم ، والتفرقة العنصرية ،وارتفاع صوت ما يسمى « باليسار الامريكى الجديد » ، وهو حركة للمثقفين التقدميين فى مواجهة حرب فيتنام وغيرها من اعمال العدوان ، تؤذن بان التفوق الامريكى الذى فرض نفسه على العالم وسخر لخدمته قد بدأ يتعرض لمتاعب جديدة وليس ادل على ذلك من ان المعدل السنوى لزيادة الجرائم يفوق معدل زيادة السكان .



■ سنوات التحول الاشتراكى وتقييم الخطة الخمسية الاولى
● تأليف : على صبرى

■ من حلف بغداد الى الحلف الاسلامى
● تأليف : د. راشد البراوى

□ من المجلات الفكرية العالمية
● المجلة المجرية الفصلية الجديدة
● مجلة « بارتيزان » الفرنسية

سنوات التحول الاشتراكى وتقييم الخطة الخمسية الاولى

● تأليف : على صبرى

يقدم على صبرى فى هذا الكتاب الذى نشرته دار المعارف بمصر ،بحثا شاملاعن ملامح وسمات تجربة التحول الاشتراكى فى مصر ،ودراسة تحليلية استقصائية ونقدية لتجربة البناء الاشتراكى فى سنواتها الخمس الاولى ،ثم توجيهات مفصلة لدور التنظيم السياسى فى البناء الاقتصادى بالاستفادة من خبرات التطبيق وأخطائه .

وانها مبادرة جديرة بالتحية ، ان يقوم على صبرى الذى لعب الدور الرئيسى فى تنفيذ الخطة بشرح الجوانب السلبية من التجربة الى جانب نواحيها الايجابية ، وان يقدم هذا النقد والنقد الذاتى .

« ليس هذا الكتاب مجرد سرد احصائى ، لما حققته الخطة الخمسية الاولى بالارقام ، ولكنه الى جانب ذلك وأهم بكثير ، القاء المزيد من الضوء على جوانب الثورة الاجتماعية ،وصلتها المباشرة بالنجاح الاقتصادى مع تحليل لاهمية هذه الثورة الاجتماعية ، بل ضرورتها الحتمية ، لتنفيذ أول خطة شاملة وطموحة للتنمية فى بلادنا ، تتحقق فى ظل ثورة انسانية ،وتشكل فى الوقت نفسه قاعدة أساسية تنطلق بعدها خطط للتنمية والتطور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ».

بهذه الكلمات يقدم على صبرى لكتابه الهام الذى يضع الاساس النظرى لمرحلة التحول ، ثم يناقش فى المستوى التطبيقى الخطة الخمسية الاولى وتشتمل المقدمة فى سطورها الاولى على مبدأين هما :

أن النمو الاقتصادى الذى لا يرافقه تخطيط علمى شامل ومدروس يخلق نوعا من عدم التوازن بين القطاعات المختلفة مما يؤدى الى تهديد مكتسبات الثورة بالانتكاس ويغرى كتائبها المناضلة فى طليعة العمل الثورى النكوص . والمبدا الثانى تخصيص للمبدأ الاول العام ؛ فالاقدام الشجاع على تنفيذ التخطيط العلمى الشامل يعتمد أساسا على الثقة الكبيرة فى قدرة الشعب المصرى وطاقاته الكامنة وارادته الثورية .

أن التحليل والفهم الصحيح — يقول المؤلف — يحدد لنا الصعوبات والمشكلات التى يمكن بالضرورة أن تواجه فترة النمو والتحول من مجتمع رأسمالى اقطاعى متخلف ومستغل الى مجتمع اشتراكى متقدم له مكانته وظروفه ،له قيمه الروحية والقومية ، وله صلاته بالمنطقة التى يعيش فيها وبالعالم كله ولا يمكن لمجتمع ايا كان موقعه ، وأيا كانت التطورات الجارية على أرضه أن ينعزل عن الاحداث الدولية وتياراتها ، ولا أن ينسلخ عن شخصيته وعن قيمه وطبيعته وظروفه ..

وينتقل على صبرى الى ان الثورة الاشتراكية لابد لها أن تقطع مرحلتين رئيسيتين أولاهما مرحلة اسقاط النظام السياسى القديم المعبر عن مصالح الاستغلال سواء كان اقطاعيا أم رأسماليا أم تحكما أجنبيا ، وسيطرة طليعة ثورية معبرة عن مصالح قوى الشعب العاملة . وهذه المرحلة يستغرق التحضير والاعداد لها وقتا طويلا لكن تنفيذها وتحقيق الانتصار قد لا يأخذ أياما او ساعات قليلة . أما المرحلة الثانية وهى مرحلة اقامة بناء المجتمع الاشتراكى الذى يتحقق بعد هدم قلاع الطبقية القديمة وازالة صور الاستغلال حتى تنتقل ملكية أدوات الانتاج الى الشعب وتتم سيطرته عليها . ومن هذا المنطلق تندفع قوى الشعب العاملة فى تنمية ادوات الانتاج وهياكله ومضاعفة هذا الانتاج وتزايده ، لكى يقدم عائدا يوفر للقوى العاملة مستوى من الرفاهية المتزايدة وبذلك تجنى هذه القوى ثمرة انتاجها

وعملها وجهدها المبذول وهى مرحلة تحتاج الى وقت طويل من أجل استكمالها ، قد يمتد جيلا أو أجيالا كثيرة ».

على ان هناك اختلافا واضحا آخر بين طبيعةكل من المرحلتين هو أنه بينما تحتاج المرحلة الاولى الى طليعة ثورية محدودة العدد ، فان المرحلة الثانية لا سبيل الى انجازها الا بالنضال الجماهيرى الواسع والمستمر « .. فان الثورة الاشتراكية فى مهدها ، تعتمد أولا وأخيرا — فى عملها الفنى وفى جهدها المتزايد فى كل القطاعات — على الاعداد القليلة المتوفرة منذ البداية . وعليها اذن أن تحمل وحدها الاعباء التى تحتاج فى الظروف الطبيعية الى أضعاف هذا العدد من الفنيين والقياديين فى المجالات المتعددة ».

وهنا يبرز السؤال الهام : هل يمكن أن تبذل الجموع التى طال حرمانها من الجهد والتمرس على مواصلة الكفاح ، دون ان يكون هناك حافز ثورى يدفع القوى العاملة ، وما هى طبيعة هذا الحافز واهميته ؟

لقد أجاب الميثاق بوضوح وعمق حين قال « ان الجماهير لا تطالب بالتغيير ولا تسعى اليه وتفرضه ، لمجرد التغيير نفسه خلاصا من الملل ، وانما تطلبه وتسعى اليه وتفرضه تحقيقا لحياة أفضل ، تحاول بها أن ترتفع بواقعها الى مستوى امانيها » ولا يكفى الجيل الذى يتولى تنفيذ الخطوات الاولى فى اقامة الاشتراكية — كما يقول السيد على صبرى — ويعبر بالثورة جسر التحول العظيم ، أن يستمع الى شعارات تقول له ان الحافز لمضاعفة البذل والعطاء يكمن فى أن السلطة السياسية أصبحت فى أيد وطنية ، تصدر قراراتها لمصلحته فاذا لم يلمسها ويعيشها هو ، فسوف يراها ويحسها جيلقادم فى الغيب « لا يكفى هذا الجيل أنيستمع الىهذا الشعار لمجرد الاستمتاع المعنوى ثم نطالبه بمضاعفة البذل وحسب » .ولقد فرضت التطورات الدولية الحديثة والظروف العالمية الحالية ضرورة الالتزام بخلق هذا الحافز فى أى مجتمع يقوم بثورة اشتراكية . وذلك بسبب الاتصال بين دول العالم المختلفة اليوم ، فان أجهزة الاتصال تحاول دائما أن تنقل أفضل ما لديها لتشهد العالم على مدى تقدمها وارتفاع مستوى حياة شعوبها . واذن فليس من المقبول أن تبقى الشعوب النامية — وهى تحفر للتحول الاشتراكى فى مجتمعها طريقه بالعرق والجهد — على نفس المستوى الذى كانت تعيشه تحت السيطرة الاستغلالية ، ولم تكن حينئذ مطالبة وملتزمة بمضاعفة الجهد للبناء والتنمية .

كذلك فان القوى الاستعمارية والرجعية لا تطيق أن ترى شعوبا تكسر من حولها قيود السيطرة ، مصممة على تحقيق التقدم الاشتراكى . ولذلك فان القوى المعادية لاى ثورة اشتراكية ، تشن حربا نفسية لعلها تزعزع ايمان الشعوب واستمساكها بثوراتها وطريقها الاشتراكى وكثيرا ماتعمد تقديم المقارنات غير المتكافئة لاظهار الاختلاف بين مستويات الحياة عندها وفى الدول النامية الاخذة فى بناء مجتمعها من جديد على أساس الكفاية والعدل وعدم الاستغلال « .. ومهما كانت درجة وعى الشعوب فان مثل هذه الحملات الدعائية تحدث على الاقل تساؤلات وتترك علامات استفسار قد تصل الى حد البلبلة الفكرية التى تؤثر على الجهد والاخلاص والعزم ، فى حصيلة عمل الجيل الذى يتولى مهمةالتحول والبناء الاشتراكى، اذا لم يلمس تحسنا ملموسا ومطردا فى مستوى معيشته » ذلك ان القوى المعادية للتطور الاشتراكى تحاول أن تثير الشكوك فىقدرة الدول الصغيرة علىتحقيق واقامة المشروعات الكبيرة .. « لان هذا النمو الاقتصادى يكسر احتكارها فى الانتاج الصناعى ، ويقفل أمامها أسواقا كانت مفتوحة للاستغلال والتحكم والاحتكار » فان الرد العملى الذى يزيد من حصانة أفكار الشعوب النامية ويدعمايمانها بالطريقالاشتراكى الذى تشكله هو الارتفاع التدريجى والمتميز فى مستوى معيشة هذه الشعوب وهى تبنى ، وتتحمل أعباء التحول والبناء ، وتصارع التحديات ، وتواجه الحرب النفسية وتضليل القوى المعادية لحرية الشعوب وتقدمها ».

نتيجة لهذا كله ؛ يستخلص على صبرى ، أنه فى ظل التطور الدولى الحديث ومع الظروف العالمية المعاصرة ، ولاسباب سياسية بصفة خاصة ، لا يمكن خلق حافز ثورى لزيادةالانتاج لدى شعوب البلاد التى تبنى اشتراكيتها ، الا بخلق المناخ المناسب للعنصر البشرى الذى يتحمل أعباء هذه التنمية دون تجاهل لمطالبه واحتياجاته وشعوره بارتفاع ملموس فىمستوى معيشته .. وذلك يتأتى بأنيلمس جيلالتحول والبناء الحاضر، هذا التغيير الى الافضل .. وذلك هو الذى يشعر قوىالشعب العاملة عمليا وماديا وواقعيا بأن النظام السياسى قد تغير لمصلحتها ، بعد أن كان لمصلحة طبقة تمثل قلة من الاقطاعيين والاحتكاريين والراسماليين « وهذا الاحساس الواقعى عند القوى العاملة للشعب يزيدها استمساكا وايمانا بالطريق الذى عبدته ثم أخذت تبنيه ، ويحصنها ضد محاولات البلبلة والتشكيك التىتثيرها وتختلقها الابواقالاستعمارية والدعايات الرجعية ».

ويعرض السيد المؤلف لاراء الاقتصاديين النظرية فى هذا الصدد ، فيقول : ان رجال الاقتصاد يرون انه يجب عدماحداث اى ارتفاع مبدئى فى المستوى المعيشى للجموع العامله ، بهدف الاسراع فى عمليه التنميه الاشتراكيه على نطاق واسع لكى يتوافر اكبر قدر من المدخرات اللازمة لهذه التنمية السريعه ، ويرون ان اى رفع فى مستوى معيشه الملايين فيه انتقاص لهذه المدخرات عن حدها الاقصى ، وبالتالى وفى رأيهم أيضا ، فان ذلك اضعاف لسرعه التنميه وهكذا انكشف أن هناك تعارضا بين رايين : الرأى السياسى الذى يعطى الشعوب حقها العادل اثناء التغيير الاجتماعى . والرأى الاقتصادى الذى يقدم عمليه الانتاج تقديما احصائيا على التنميه الاجتماعيه فى مرحله التحول . والحل العلمى لهذا التعارض كما يراه على صبرى يتمثل فى حصر هذا التعارض بينالاعتبارات السياسيه والاعتبارات الاقتصاديه فىفترةمحدودة ومبدئيه مع دوام توضيح الرؤية أمام الجماهير والتوعية الاشتراكيه ، ثم التوفيق والتلاقى تدريجيا — بعد هذه الفترة التدريجيه — بين الاعتبارين المتعارضين « وتلك هى أصعب الفترات فى مرحله بناء الاشتراكية .. بفرضها أسباب جوهرية لا يمكناغفالها بتعويض للجماهير عنتخلفها السحيق ومعاناتها المريرة طوال عهود سبقت ، وتاكيدا ماديا ملموسا بأن النظام الاشتراكى فى مصلحتها منذ بداية وجوده ، وتحصينا للشعوب التى تبنى وتبذل وتعمل ، من النكسات التى تهدف اليها دعاوى الدعاية والحرب النفسية ومحاولات التشكيك مما تثيره القوى الاستعمارية والرجعية بكل السبل أملا فى العودة الى مواقعها القديمة حيث السيطرة والتحكم ، وعداء منها ضد كل ارادة للتغيير الاشتراكى ، الذى هو أمل الشعوب المتطلعة الىحياة أفضل .. وبعد هذه الفترة الاولى والحرجة من البناء بعد تحقيق التحول الاشتراكى ، وعندما تندفع الجماهير بالحماس، والايمان بتوقف درجة سعادتها على مستوى انتاجها وجهدها، يتم تنظيم تزايد مستوى معيشة الجماهير على نحو يربطها بتزايد الانتاج .. وهنا تلتقى الاعتبارات الانسانية والسياسية والمعنوية مع القواعد الاقتصادية » . وهذا يحدد لنا فترتين متباينتين فى مرحلة بناء الاشتراكيه فى الدول النامية خلالالعصر الحالى : فى الفترة الاولى يجب أن يرتفع مستوى معيشة الجماهير العاملة ، بالرغم من تعارض الاعتبارات السياسيةمع القواعد الاقتصادية المجردة « وهذه الفترة هى دون شكأحرج فترات البناء الاشتراكى » .. أما الفترة الثانية فيتم فيها التلاقى والتوافق بين جميع الاعتبارات والقواعد اذ يرتبط ارتفاع مستوىمعيشة الجماهير — التىتعمل وتبنىالاشتراكية على أرضها — بارتفاع الانتاج قيمة وقدرا . ومما ييسر هذا

التوفيق والتلاقى أن رفع المستوى المعيشى للجماهير العاملة فى الفترة الاولى والحرجة من شأنه أن يرفع مستوى الانتاج وكميته فى الفترة الثانية وما بعدها ». كذلك فان الفترة الاولى تكون ميدانا أمام القوى العاملة لتتزود بالدراية المهنية والخبرة العملية التى تستند اليها الفترة الثانية فى قوة الدفع والانطلاق وفى الارتفاع بمستوى الانتاج . ويختتم على صبرى هذا الجانب النظرى بقوله « أن زمن الفترة الاولى وتجربتها كفيلة بأن تضع الرؤية أمام الجماهير وتبدد ما قد يكون هناك من غموض فكرى أمامها ويستطيع وعى الجماهير المتزايد ، وتعميق الفكرة الاشتراكية فى اذهانها ، أن يزيل البلبلة التى يحاول دعاة الاستعمار اثارتها واختلاقها ».

وعلى ضوء هذا التحليل يمكن القول بأن فترة الخطة الخمسية الاولى فى مصر كانت الفترة الحرجة فى بناء اشتراكيتنا . ذلك أن هذه الخطة قد تمت صياغتها بعد العديد من المعارك السياسية مع الاستعمار ، معارك التحرير والتمصير والتأميم التى بلغت ذروتها فى معركة السويس . وقد تمت صياغة الخطة فى اطار الاعتبارات السياسية التى تمثلت فى مجانية التعليم بكل مراحله وتخفيض ايجارات المساكن ووضع حد أدنى للاجور وتحديد ساعات العمل ، واشتراك العاملين فى الارباح والادارة . ولا يفوت المؤلف ان يضيف ان فترة الخطة الخمسية الاولى واجهت كذلك ظروف التربص الخارجى الخطير ، والتى تتمثل فى مواجهة نكسة الانفصال والتجمع الرجعى فى المنطقة فى محاولة مرسومة للضغط على مكاسب الثورة . كما تتمثل فى زيادة حدة المؤامرات الاستعمارية والرجعية العالمية التى تطلبت تعزيز قواتنا الدفاعية « ولقد شكلت هذه الاجراءات الانسانية والاجتماعية والسياسية التى اتخذت خلال الخطة الخمسية الاولى حافزا ثوريا للانتاج، وظهرت كذلك آثار هذا الحافز الثورى القوى فى مواجهة الشعب لكل شتى الصور من التربص والتحديات والتآمر وساعدت على انتصار الشعب على اعدائه ».

ويفرد على صبرى الفصل الثانى من كتابه لاستعراض «مشاكل الخطة الخمسية الاولى وصعوباتها ». وفى هذا الفصل دراسة استقصائية نقدية لاول واهم تجربة من نوعها فى تاريخ بلادنا الاقتصادى والاجتماعى ، تجربة تسيير اقتصادنا أخذا بأساليب التخطيط العلمى الذى تقوم الدولة على تنفيذه ، وبهدف السير بمجتمعنا نحو الاشتراكية . وهذه الدراسة لا غنى عنها لكل من يريد ان يتعلم من الخبرة العديدة التى جمعتها بلادنا فى هذه الفترة ، ومن يناضل بعزم من اجل تلافى أخطاء التطبيق الاشتراكى الذى ظهرت اثناء تلك التجربة الرائدة .

ويستهل على صبرى هذا الفصل بكلمة بالغة الدلالة يقول فيهـا :

« ويقتضى الامانة ان القى مزيدا من الضوء على الجوانب السلبية فى الخطة الاولى — بغير مواربة وفى صراحة تامة — حتى نتبين خطانا ، ونستزيد خبرة وتجربة ونحن نمضى بعون من الله ، وبفضل القيادة الرائدة ، وبقدرة هذا الشعب العظيم — لتحقيق المزيد من الانتصارات وتنفيذ من خطط التنمية الشاملة الطموحة ... »

ويحدد « أهم النواحى السلبية فى الخطة الخمسية الاولى فى عشر نقاط :

١ — ضعف معدل النمو فى السنتين الاولى والثانية من الخطة:

ويقول الكتاب : « وكان من الطبيعى أن تأتى معدلات السنة الاولى من الخطة أقل من المستوى المقدر لها ، فتلك نتيجة واجهتها كل الدول التى مارست او تمارس التخطيط الشامل لاول مرة . لكن السنة الثانية فى تطبيق الخطة جاءت ومعها تحديات قاسية لارادة التصميم ».

ذلك أنه فى عام ١٩٦١ — ٦٢ انخفض الانتاج الزراعى بمقدار ٧ر٤ ٪ نظرا لاصابة القطن — وهو المحصول الاساسى — بالآفات التى فتكت بجزء كبير من المحصول بلغ حوالى الثلث . وتابع البحث أثر هذا فى تجارتنا الخارجية ، والمدخرات المحلية وآثار ذلك فى السنوات اللاحقة . الى أن يخلص الى النتيجة الهامة التالية : « هذا كله ينبهنا الى أهمية الانتاج الزراعى فى تمكين التطور ، ويبين كذلك أن أى جهد لمنع تدهور الانتاج الزراعى فى أى سنة من السنين ، مهما كان الجهد كبيرا ، لا يقارن بالآثار الضارة على التنمية بسبب تدهور الانتاج الزراعى مما يمتد الى سنوات بعد السنة التى يقع فيها التدهور ».

ثانيا : التأخير فى تنفيذ بعض المشروعات الرئيسية فى بداية الخطة :

فعلى سبيل المثال :

● كانت معدلات التنفيذ فى مشروع السد العالى متخلفة بما يعادل سنة كاملة حتى خريف عام ١٩٦٢ .

● ولحق التأخير مشروعات الرى الحوضى وتحويلها الى رى دائم الى جانب مشروعات استصلاح الاراضى ، ففى السنة الاولى لم يستصلح الا حوالى ٢٨ ألف فدان ، وفى السنة الثانية الا حوالى ٨٩ ألف فدان .

وتأخير انجاز مثل هذه المشروعات الكبرى شهرا واحدا عن الموعد المحدد يعنى خسارة محسوبة بنصيب الدخل القومى تبلغ قيمتها ملايين الجنيهات ، علاوة على ما لمثل هذا التأخير من آثار سلبية يمكن أن يستغلها أعداء الثورة من مستعمرين ورجعيين فى حربهم النفسية المشبوبة ضد شعبنا .

لذلك تحملت السنوات الثلاث الاخيرة عبء تعويض هذا التخلف وعبء الهبوط فى الانتاج الزراعى فى السنتين الاوليين . ففى السنوات الثلاث الاخيرة من الخطة تم استصلاح ٤١٩ الف فدان متجاوزة أرقام الخطة . كذلك قفز التنفيذ فى السد العالى بحيث عوض التأخير وحقق تقدما عن المواعيد المحددة .

وقد استلزم انجاز عملية تحويل أراضى الحياض الى رى مستديم فى موعده — على سبيل المثال — استلزم انشاء شبكة من الترع الرئيسية والفرعية تبلغ أطوالها ٣١ كيلو مترا ، الى جانب القناطر والكبارى والطلمبات وغير ذلك ... وكان هذا يقتضى تشغيل ٣٠٠ الف عامل يوميا .

وقد كان لتحمل السنوات الثلاث الاخيرة لعبء التأخير بعض الآثار غير المواتية على بعض فروع الانتاج الاخرى ، وعلى الخدمات .

٣ — عدم تحقيق التنسيق والتكامل بين القطاعات :

ذلك أن مجتمعنا ورث من رواسب الماضى أن كل جهاز يهمل النظر بالقدر الكافى لما يرتبط بهذا القطاع من مشروعات أخرى وقطاعات غيره فى المجتمع . ومن أمثلة ذلك : كان المصنع يقام ، ويتم تركيب الاجهزة قبل توصيل القوى الكهربائية . أو كانت آلات المصنع تصل قبل أن تستكمل مبانيه أو قبل تمهيد الطرق الموصلة اليه .. الخ . وقد ظهر خلال المقاومة السنوية أن بعض المشروعات نفذت ، دون أن تتأكد الجهة المعينة من سير التنفيذ بواسطة الجهات الاخرى المرتبطة بها أو المعتمدة عليها بنفس المعدلات .

أما الوجه الاخر من عدم تحقيق التنسيق والتكامل بين القطاعات فكان أيضا من ميراث المجتمع القديم ، حين كانت هناك أجهزة ومؤسسات متشابهة فى الانتاج ، لكن كلا منها كانت تعمل بطريقتها وأسلوبها وأهدافها الخاصة .

٤ ـ عدم استكمال اجهزة القطاع العام :

وقال الكاتب ان الثوره كانت مواجهه باحد امرين : اما تأجيل قيام القطاع العام نفسه فترة من الزمن حتى يتمكن من اعداد وتوفير القيادات الفنية الكاملة اللازمة له .. واما البدء بخلق هذا القطاع بالقيادات الممكنة ، مع العمل على تحسين هذه القيادات ، كفاية وعددا ».

وكان لابد من اختيار الطريق الثانى ، والا فالبديل هو ترك المجتمع نهبا لاستغلال القطاع الخاص المستغل سنوات قد تطول .كما اشار الى أن هذه المشكلة التى لا تجد حلها السوى الا بالتكوين السياسى القوى لقيادات القطاع العام ، بحيث تنظر الى الامور بالمفهوم السياسى ، وتحس بالمسئولية السياسية بالاضافة الى خبرتها الفنية والعلمية ، وتلك هى مسئولية التنظيم السياسى .

٥ ـ الظواهر الاستغلالية للقطاع الخاص :

وهنا يشرح الكاتب كيف ان القطاع الخاص انتهز فرص عدد من الاختناقات التى تصاحب بالضروره كل عملية تنمية سريعة، وفرصة عدم استكمال أجهزة القطاع العام ونقص كفاية قياداته وقصور وعيهم ـ كيف انتهز القطاع الخاص ذلك واعمل أساليب متنوعة من الاستغلال ضاعفت من ثرواته ، وبخاصة فى قطاعى المقاولات وتجارة الجملة ، وزادت من المشكلات التى تجابهها خطة التنمية ، سواء عن طريق اخفاء بعض السلع الاساسية أو رفع الاسعار أو افساد بعض القائمين على التنفيذ او حجب المدخرات عن أوجه الاستثمار المفيدة وتوجيهها الى الاستهلاك المبدد ».

٦ ـ العجز فى ميزان المدفوعات

وهنا يبين المؤلف ان الاستثمارات التى نفذتها الخطة الخمسية الاولى بلغت قيمتها ١٥١٣ مليون جنيه ، مولنا منها بالمدخرات المحلية ماقيمته ١٠٩٦ مليونا ،ومولنا منها بالاقتراض من العالم الخارجى ما قيمته ٤١٧ مليونا ».

وبدراسة مقارنة ، واضحة ومركزة ، يبين على صبرى أن هذه من سمات كل اقتصاد يسعى الى التنميه السريعة ـ دون الالتجاء الى ضغط الاستهلاك الشعبى ضغطا شديدا .ويضرب مثلا بالولايات المتحدة نفسها خلال القرن التاسع عشر ، وأوروبا الغربية لمدة تتجاوز عشر سنوات فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . وان كان يتدارك قائلا : « واذا سمحنا بمبدأ امكان حدوث عجز فى ميزان المدفوعات من أجل تحقيق التنمية، فليس معنى ذلك أن يكون استخدامه بغير حدود وبدون تحفظات المهم والاساس فى هذه الحدود والتحفظات جميعا ان يكون استخدامه مقترنا بزيادة الطاقة الانتاجية للاقتصاد القومى حتى ينمو الانتاج ... ويتولد من هذا الانتاج النامى فى المستقبل فائض تصدير يسد العجز »».

ثم يستطرد ليبين أن مشروعات التنمية تضمن هذا بالفعل. وينتقل الى النقطة التالية التى تشير الى امكانية زيادة طاقتنا ، المبادلات التجارية مع العالم الخارجى ـ وهى :

٧ ـ عدم الاستفادة بمزايا بعض السلع المصرية فى التصدير عند وضع الخطة :

واكد هنا على ضرورة الاهتمام ببعض الصناعات التى أصبحت تنافس ـ عن جدارة ـ أحسن المنتجات العالمية ،مثل المنسوجات والاسمنت والسكر والجلود والملابس الجاهزة . كما أكد على ضرورة العناية بتنمية صناعة الاسمدة والبتروكيماويات ،كذلك أشار الى ضرورة تنويع صادراتها الزراعية بحيث لا تعتمد كل هذا الاعتماد على القطن وحده ، وبين أهمية الارز والخضروات والفاكهة والزهور .. الخ . وامكانية أن تجد لها اسواقا نامية فى البلاد المتقدمة ».

٨ ـ المركزية الموروثة من النظام المتخلف المستغل والنقص فى بعض نواحى التخصص الفنى والادارى :

عدد هنا الجهود التى بذلت فى هذا الصدد ، وقال : « ان التقدم خلال الخطة الاولى دون تردد أو خوف والمضى بالتجربة والخطأ وبالاعداد القليلة من الخبرات الفنية والادارية هو الذى صنع لمجتمعنا اليوم ذخيرة عالية ومتجددة من الخبرة العلمية والكفاية الفنية والاعداد الهائلة من ذوى الدراية فى المجالات المختلفة »».

واخيرا يورد المؤلف النقطة الاخيرة فى النواقص التى واجهت خطة التنمية ـ وهى :

٩ ـ بعض نواحى الاسراف فى الانفاق وعمليات الانتاج:

وهنا يشرح على صبرى نوعين من الاسراف ـ الاول : الناتج عن الاهتمام بالشكل الخارجى أكثر من الاهتمام بكفاية الانتاج . والثانى ناتج عن عدم رفع الكفاية الانتاجية بالقدر المطلوب ، وعدم الاستفادة المرجوة من البحث والاساليب العلمية .ويركز المؤلف هنا على مسئولية العاملين فى رفع الكفاية الانتاجية ونوعية الانتاج ».

وبعد هذه الدراسة البالغة الاهمية ، ينتقل الكتاب فى الفصل الثالث والاخير الى موضوع لا يقل أهمية ، هو دور الاتحاد الاشتراكى فى تحقيق خطة التنمية ».

والحق أن على صبرى ، الذى قاد أجهزة تنفيذ الخطة الخمسية الاولى ، ثم انتقل الى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى هو الذى يستطيع أن يقدم الدروس اللازمة لكى ينهض الكادر الفنى والجهاز الادارى بمهماته بروح الوعى والمسئولية السياسية، والدروس اللازمة لكى ينهض الكادر السياسى والتنظيم الطليعى بمهماته بروح الفهم لاعباء العمل الادارى والتقدير لدور الكفاءات الفنية ».

ويقدم على صبرى لهذا الفصل بدراسة عامة لدور التنظيمات السياسية فى تعبئة الجماهير من أجل النهوض بالاهداف الثورية الكبرى ،ثم ينتقل الى دراسة دور التنظيمات الوطنية والشعبية فى مصر فى مرحلتى الثورة السياسية التحريرية ثم الثورة الاجتماعية ذات المضمون الاشتراكى ».

وينتقل الكتاب بعد ذلك الى شرح مفصل لدور الاتحاد الاشتراكى فى عملية البناء الاقتصادى فى توجيهات واضحة مباشرة ذات قيمة كبرى بالنسبة لكل المناضلين فى مجالات الانتاج ».

هكذا تغتنى تجربتنا الاشتراكية الرائدة بدراسة بالغة الاهمية، تعتمد على لغة الارقام حقا ، ولكن فى أطار من التحليلات السياسية والامثلة العملية بحيث تصبح هذه اللغة المعقدة فى مستوى الادراك والفهم الكامل

من حلف بغداد الى الحلف الاسـلامى

● تاليف : د. راشد البراوى

ما من شك فى ان كل فرد يؤمن بالاخوة بين البشر ويرحب بكل الوان التعاون بين الشعوب فى شتى المجـالات . والاسـلام ككل الاديان السماوية يدعو الى هذا التعاون ، ولكن تقرير هذه المبادىء شيء ـ وتحديد الصورة الواقعية لتنظيم هذا التعاون شيء آخر . فهل هنالك ظروف موضوعية تسمح بأن يتكون حلف مفروض فيه ان يضم البلاد الاسلامية جمعاء ..؟

ما هى الظروف الخطيرة التى جدت فى الاونة الاخيرة بحيث تهدد الشعوب الاسلامية وتسـتدعى التضـامن فيما بينها لدمغها .. ؟

ثم ـ وهذا سـؤال حيوى ـ هل اوضـاع بعض البلاد الاسلامية على الصعيد الدولى ، اى ارتباطاتها وانحيازاتها الدولية ، تسمح ـ او يمكن ان تسمح لها بأن تسير فى خط يتعارض مع هذا الارتباطات والانحيازات ان كان ذلك يحقق مصلحة شعوب اسلامية اخرى .. وبتعبير صريح ـ هل يمكن لهـذا الحلف الاسـلامى ان يحمل تركيا على قطع العلاقات الديلوماسـية مع اسرائيل او ايران بالخـروج من الحلف المركزى ..

ولماذا بدا الحديث عن الموضوع بعد التحولات الاشـتراكية فى اجزاء من المنطقة العربية ، وبعد مساندة الجمهورية العربية المتحدة لثورة اليمن .. وفى وقت يشتد الحديث فيه عن سياسة بريطانيا شرقى السويس ..

هذه هى التساؤلات التى يطرحهـا مؤلف الكتاب الدكتور راشد البراوى فى بداية دراسته الجديدة : « من حلف بغداد الى الحلف الاسلامى » التى يبدأها بعرض تاريخى للفكرة منذ القرن التاسع عشر . اذ لم يكد ينتصف هذا القرن الا وكان الجزء الاكبر من العالم السلامى قد خضع للدول الغربية. وهنا بدأ الحديث يتردد عن الحاجة الى رابطة اسلامية كأداة للمقاومة وحدثت ثورات فى الجزائر والصين والسودان ، وظهر العديد من الذين يدعي الواحد منهم انه « المهدى » المنتظر لتخليص العالم الإسلامى وتحريره وتوحيده .

ويقرر المؤلف ان الدعوات التى شهدها المجتمع الاسلامى فى هذا القرن قد اخفقت ـ وكان لابد ان تخفق ـ لانهـا كانت تنطوى على قصور ذاتى بتجاهلها روح العصر واغفالها ثمار التقدم الذى حققته الانسانية على مر العصور . فمن المستحيل على حركة ان تنجح او تحقق الخير اذا كانت تريد فى القرن التاسـع عشر مثلا ان تعود بالمجتمع الى ما كان عليـه من اوضاع قبل ذلك بعدة قرون . وهنا نستطيع ان نلمس الفارق الكبير بين امثال تلك الحركات الخيالية والرجعية وبين المفـكر الاسلامى **جمال الدين الافغانى** الذى كان يفكر فى الاصـلاح ويدعو اليه بعقل يعيش فى العصر الذى وجد فيه صاحبه .

يقول الافغانى : « ان الدين لا يصح ان يخالف الحقائق العلمية ، فان كان ظاهره المخالفة وجب تأويله » . فاذا كان الاقطاع عقبة فى وجه التقدم وجب ان يزول الاقطاع ، وان كان راس المال المستغل مؤديا الى التفرقة الطبقية الصـارخة وجب اتخاذ التدابير التى تمنع الاستغلال . واذا كان نظـام الحكم لا يفسح المجال للجماهير ان تعبر عن ارادتها ومصالحها وجب اشراكها فى هذا الحكم ابتداء من القواعد الشعبية وهذه هي الشوري التى ينص عليها الاسلام .

وفى الوقت نفسه كان الافغانى يرى ضرورة التعاون بين المجتمعات الاسلامية لمقاومة النير الاستعمارى ـ وهـكذا اصبح ينظر اليه على انه اكبر داعية فى القرن التاسع عشر للجامعة الاسلامية ، ولكن غايته كانت قيام جامعة من بلدان تحررت فعلا بحيث تستطيع ان تؤدي رسالتها لخير أعضائها .

ولقد كان لدعوة الرجل التقدمية صداها واراد السـلطان عبد الحميد الثانى ان يستغلها لدعم سـلطانه ازاء الدول الاوروبية . ومال العرب الى الفكرة وتوقعوا ان تعترف لهم الثورة التركية التى نشبت عام ١٩٠٨ بقدر من الاستقلال ولكن امالهم خابت لان رجال الترك كانت تملك عليهم فكرة الجامعة الطورانية ومن هنا بدأت القومية العربية تنمو واخذت فكرة الجامعة الاسلامية فى التضاؤل .

بعد هذا يعرض الدكتور راشد البراوى لجهود بريطانيا قبيل الحرب العالمية الاولي لتكوين تحالف بين البلاد الاسـلامية . اختار الانجليز لهذه المهمة زعيما دينيا هو اغاخان الذى اخذ يتجول في العالم الاسلامى داعيا للفكرة وتمكن من اقناع خديو مصر آنذاك بالتوجه الى لندن ليباحث حكومتها فى الموضوع . ولكن هذه المجهودات لم يقدر لها النجاح . ثم جاء الغاء نظام الخلافة على ايدى الكماليين فكان ضربة لامثال هذه الدعوات . ولكن المحـاولات لم تتوقف برغم ذلك فاجتمع فى مكة مؤتمر العالم الاسلامى كان واضحا انه يهـدف الى تحقيق اغراض بريطانيا فى الشرق الاوسط العربى خصوصا وان وعد بلفور لم يكن قد مضى على صدوره اكثر من تسع سنوات ولابد من ربط المنطقة بعجلة الغرب ضمانا لتنفيذ الوعد وللاحتفاظ بالبترول . وفى عام ١٩٣٧ خلق حلف سعد آباد ومن اعضائه تركيا وايران والعراق .

وفى اثناء الحرب العالمية الثانية عقد مؤتمر عام ١٩٤١ فى الولايات المتحدة الامريـكية وتحدث فيه عدد من المحـافرين الامريكيين والبريطانيين واليهود ودعوا الى قيام حلف انسلامى للوقوف ضد دول المحور خلال الحرب ولتمهيد الطريق امام قيام التعاون بين العرب واليهود بعد الحرب . ولما انتهت الحرب نشطت دعوات سوريا الكبري ولكن هذه المشروعات فشـلت ، وبظهور دولة باكستان عاد الحديث يتردد عن اتحاد اسلامى وانبعثت الدعوة من الدولة الجـديدة . فدعت الى مؤتمـر اقتصـادى اسلامى عقد فى كراتشى يوم ٤ نوفمبر ١٩٤٩ . ترددت فيه الدعوة الى هذا الاتحاد . وشهد العام التـالي انعقاد المؤتمر الاقتصادى الثانى فى طهران .

وكانت اجتماعات « **مؤتمر العالم الاسلامى** » قد بدأ عقدها فى فبراير عام ١٩٤٩ وهذا المؤتمر مؤسـسة ثقافيـة وغـير رسمية . وفى عام ١٩٥١ عقد اجتماع المؤتمر الثانى وخطب فيه الحاج امين الحسينى داعيا الى الوحدة الاسـلامية . وتحدثت الانباء عن نشاط ومساع دبلوماسية قام بها السـيد ظفر الله خان فى باريس اثناء دور الانعقاد السادس للجمعية العمومية للامم المتحدة وبعدها عاد الى القاهرة حيث صرح فى فبراير ١٩٥٢ ان السـياسـة الخـارجية للباكسـتان تقوم على اساس الوحدة الاسلامية وهذه الوحدة هدف تسعى تلك الدولة الى تحقيقه . والسبيل لتحقيق هذا الاتحاد او الحلف يكون بعقد المعاهدات السـياسية والتجـارية وانشـاء هيئة استشارية بصدد المسائل المشتركة بين الدول الاسـلامية ، ثم بدا السعي بصفة رسمية لانشاء هذه الهيئة وكان مقررا عقد الاجتماع الخاص بذلك فى ١٨ ابريل ١٩٥٢ ولكن تقرر تأجيله .

وهنا يضع المؤلف السؤال الاتى : لماذا نشطت الدعوة الى هذا التكتل الاسلامى فى تلك الاونة بالذات ، التى اعقبت الغاء مصر لمعاهدة ١٩٣٦ وعند ما اصطدمت مقترحات الدول الاربعة بشان انشاء نظام دفاعى للشرق الاوسط بالمعارضة فى بعض البلاد العربية ؟

ويجيب بانه كان من المقرر ان تجتمع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية فى القاهرة لتقرر خطة موحدة تاييدا لمصر فى الالغاء — واذا بالاجتماع يؤجل ويتحول الى باريس وفيها توالت الاجتماعات بين الوفود العربية ولكن لم تسفر عن بلاغ يوضح ما تم الاتفاق عليه . ثم وردت الانباء عن وساطة باكستانية للتوفيق بين مطالب مصر والسودان القومية وبين اعتبارات الدفاع عن الشرق الاوسط . وتقدم نورى السعيد بمقترحاته على اساس هذه الوساطة . ثم حضر وزير الخارجية الباكستانى ظفر الله خان وادلى بالتصريحات التى سلفت الاشارة اليها . وبدات اجتماعات المؤتمر الاسلامى فى كراتشى (٥) وتأجل دور الانعقاد العادى للجامعة العربية .

وهكذا يتضح ان الحديث من هذا الحلف كان مصاحبا للدعوة الى الدفاع المشترك الذى تضمنه مشروع صدقى بيفن ومعاهدة بورتسموث بالنسبة للعراق ، ولمقترحات انشاء قيادة الدفاع عن الشرق الاوسط التى قدمتها الى مصر الدول الاربع ، بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا .. وفى هذه الظروف حدثت الوساطات الباكستانية والسعودية والعراقية لايجاد مخرج فيه اجابة لطلبات مصر مع مراعاة الاعتبارات الدفاعية العامة . واقترح ظفر الله خان ان يشمل مشروع الدفاع عن الشرق الاوسط البلاد الواقعة شرق المنطقة — دون ان يشير الى بقية الدول الاسلامية — اندونيسيا وبلدان الشمال الافريقى . واستخلص المراقبون من ذلك ان الحديث من الوحدة الاسلامية ليس الا محاولة لاقامة النظام الدفاعى الذى كانت الدول الاربع تسعى الى تحقيقه .

ثم قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فقبرت هذه الدعوات والمشروعات . اذ ظهر على المسرح العربى والاسلامى عامل جديد له شانه واعلن عبد الناصر منذ الايام المبكرة للثورة معارضة احلاف لا هدف لها سوى الابقاء على السيطرة الاجنبية بصورة اخرى وقال ان الدفاع عن الشرق الاوسط امر خاص بشعوبه يتولونه بارادتهم الحرة .

وفى مواجهة هذا العامل الجديد بدا التفكير من اجل هجوم مضاد ، وقع الاختيار على بغداد لتكون المبادرة به . ففى ٢٤ فبراير عام ١٩٥٥ وقع نورى السعيد مع تركيا ميثاق بغداد . ثم انحازت اليه بريطانيا وانضمت اليه ايران وباكستان وكان الهدف هو فصل الكتلة السوفيتية عن المناطق الاستراتيجية بالشرق الاوسط . وبرغم ان الولايات المتحدة لم تنضم الى الميثاق الا انها ارسلت البعثات العسكرية الى المنطقة وقدمت المعدات العسكرية للدول الاعضاء وارتبطت رسميا بلجان الميثاق العسكرية والاقتصادية . ويقول المؤلف ان هذا الحلف الجديد هو حلف سعد آباد القديم وهو محاولة مشوهة لاقامة الحلف الاسلامى . واخفقت محاولة اجتذاب الدول الاخرى فى المنطقة العربية للانضمام اليه ويرجع هذا بالدرجة الاولى الى موقف جمال عبد الناصر الذى تناول الحلف بالتحليل فكشف عن الاهداف الحقيقية له .

ولقد جاءت الضربة القاصمة للحلف حين وقع العدوان الثلاثى على مصر ، ثم قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بالعراق — وانفصلت بغداد عن الحلف المسمى باسمها . فتحول الحلف الى « الحلف المركزى » .

ويورد الكاتب محاولة لبعث الحياة فى مشروع الحلف الاسلامى ، اذ قامت ايران فى ديسمبر ١٩٥٦ بتوجيه الدعوة الى حكومات البلاد الاسلامية للاجتماع فى طهران او مكة بقصد البحث فى المشاكل التى تواجه البلاد الاسلامية وفى العدوان الذى وقع على مصر .. ويتساءل المؤلف عن احقية ايران فى الحديث عن العدوان الاسرائيلى وهى التى ترتبط مع اسرائيل بعلاقات وثيقة .. ولهذا تحولت الانظار الى المملكة العربية السعودية فى شخص ملكها السابق سعود .

واوضح الدكتور البراوى اسباب اختيار سعود لهذا الدور ، واشار الى زيارة هذا الاخير للولايات المتحدة وما جاء فى مذكرات ايزنهاور بخصوصها .

وقال ان سعود القى خطبة فى حفل عشاء رسمى اقيم له فى امريكا وقال « اننى ممنون لفخامة الرئيس (ايزنهاور) ان شرح لى مشروعه الجليل لحماية العالم العربى والاسلامى من خطر الشيوعية » .

ثم اشار الى مشروع ايزنهاور لملء الفراغ فى المنطقة ، ثم العدول عنه . ويبدو ان المسئولين الامريكيين اعتبروا عرض هذا المشروع خطأ ما كان ينبغى ان يرتكب . ولذلك عدل عنه واشتد ساعد الذين يؤيدون فكرة قيام تحالف اسلامى . وهنا اورد الكاتب راى الوزير البريطانى انتونى ناتنج الذى قام بجولة فى الشرق الاوسط بعد اخفاق العدوان وكتب سلسلة من المقالات قال فيها ان الوسيلة الفعالة للتفاهم مع القومية العربيه يجب ان تكون عن طريق اقامة جامعة اسلامية فى المنطقه وعندئذ تخرج هذه البلاد من حيز القومية العربية الضيق الى حيز العقيدة الاسلامية الواسع حيث ينسى التركى والعربى والايرانى والباكستانى جنسياتهم ولا يفكرون الا فى الاسلام وعندئذ يمكن التفاهم مع الغرب وحتى مع اسرائيل ويبدو ان هذه الاراء التى ابداها ناتنج عام ١٩٥٧ كانت ايحاء للعمل على وضعها موضع التنفيذ . اذ اقترحت ايران فى مايو من نفس العام على حلفائها السابقين فى حلف سعد آباد احياء الفكرة باقامة اتحاد من الدول الاسلامية فى المنطقة . ولكن هذا الحلف المقترح لم يقدر له النجاح . وفى مطلع عام ١٩٦٢ وجه ملك الاردن الى الوفود التى جاءت الى القدس للاحتفال بذكرى الاسراء والمعراج دعوة بشأن عقد مؤتمر اسلامى . وفى العام نفسه دعا الملك سعود الى مؤتمر مماثل لانشاء ما يدعى باسم الرابطة الاسلامية . بل ان عبد الكريم قاسم بعد ان صار فى عزلة عن الشعوب العربية دعا الى مؤتمر اسلامى يعقد فى بغداد وانعقد المؤتمر بالفعل وتولى رئاسته **الحاج امين الحسينى** .

بعد هذا شرح المؤلف الملابسات التى تصاحب الدعوة الجديدة للحلف الاسلامى وفى مقدمتها اجراءات التحول الاشتراكى التى اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة فى عام ١٩٦١ . فهذه القوانين لم تكن مجرد عملية تأميم وانما كانت علامة مميزة على الطريق الذى ينبغى للشعوب ان تسير فيه من اجل تطورها وقد اثار هذا الطريق هزة عنيفة فى الصروح الرجعية واصبحت الاشتراكية خطرا يهدد هذه الصروح بالانهيار . ولهذا كان من المنطقى ان ينشأ التحالف بين الرجعية العربية والمصالح الاجنبية ورأى الحليفان او هكذا خيل اليهما ان ايسر سبيل لمهاجمة المد الاشتراكى هو الدين — فى اتجاهين : احدهما وصم الاشتراكية بأنها تتعارض مع الدين والاخر تشكيل حلف يوصف بأنه اسلامى يضم بلاد منطقة الشرق الاوسط بوجه خاص . واذن فالحلف الذى يقال له الاسلامى هو رد الفعل الناجم من **الزحف الاشتراكى الذى** بدأ من القاهرة .

وقد تاكد الفعل ورد الفعل بما جرى فى خريف ١٩٦٢ فى اليمن : قامت الثورة ضد نظام متخلف وساندتها الجمهورية

العربية المتحدة . وكان رد الفعل اعنف ما يكون فى السعودية ــ جار اليمن . وهناك شبه كبير بين نظامها السياسى والاجتماعى وما كان فى اليمن قبل الثورة . لقد اثبت ايزنهاور فى مذكراته ان الملك سعود اثناء زيارته لامريكا « كان يشير بصورة متكررة الى مطالب شعبه والى قوة الرأى العام . كان يتحدث عن امثال هذه المسائل باكثر مما يتوقع المرء من حاكم يفترض فيه الجميع انه حاكم مطلق » جرى هذا الحديث سنة ١٩٥٧ ولا ريب ان قوة الرأى العام فى السعودية زادت حدة بعد التطورات التى حدثت فى مصر وفى اليمن .

واشـار المؤلف الى مخطط بريطانيا فى الخليج العربى ، والتقارب بين بريطانيا والسعودية وكذلك التقارب بين السعودية وايران ، الذى اسفر عن تسوية ما كان بين البلدين من خلاف حول مناطق الخليج العربى . ولقد اصبح واضحا ان هناك خطرا مؤكدا يهدد نظام الحكم القائم فى كل من السعودية وايران من ناحية القومية العربية والاشتراكية . والسبيل الى حصر الخطرين هو اقامة تنظيم واسع النطاق . ولقد اسفرت زيارة الملك فيصل الى ايران عن بيان مشترك اعلن اتفاق العاهلين على توجيه دعوة لعقد مؤتمر قمة اسلامى يكون فرصة للبحث فيما يهم الدول الاسلامية ومنطلقا لها نحو وحدتها . ولابد هنا من الاشارة الى ان السفير الايرانى فى بون صرح بأن مسألة اسرائيل لا تهم البلاد التى تنضم الى الحلف الاسلامى وان شاه ايران يمكنه عن طريق هذا الحلف ان يستمر فى صداقته لاسرائيل بنفس القوة التى تربطه بها الان .

ثم قام الملك فيصل بزيارة الاردن وتضمن البيان الذى صدر فى نهايتها حديثا عن هدف آخر من اهداف الحلف المقترح هو محاربة نوازع الضلال والالحاد فى بلديهما . وتوجه فيصل الى باكستان ولم يخرج البيان الذى صدر فى اعقابها الا بعبارات عامة وصرح الرئيس ايوب خان بأن مسألة مؤتمر القمة الاسلامى اصبحت خلافية وان باكستان تتجنب ما من شأنه بث الفرقة فى العالم الاسلامى ، وانها ستشترك فى التعاون الاقتصادى والاجتماعى تاركة القضايا السياسية والعسكرية .

اما زيارة فيصل للسودان فقد كانت مدعاة لخيبة كبيرة . وهكذا ايضا كانت زيارته للكويت .

ثم ناقش الكاتب الحجج التى تقدم لتأييد الحلف المقترح ، واوضح حقيقة اهدافه . وذكر ان ما يلفت النظر هو ان الدعوة الى هذا الحلف اقترنت دائما بمسائل حساسة تتصل بالشرق الاوسط على وجه الخصوص . والهدف منه هو مقاومة مد القومية العربية واحياء حلف بغداد ووضع نظام جديد ذى ثوب اسلامى للدفاع عن الشرق الاوسط والدفاع عن المصالح الاجنبية وبخاصة المصالح البترولية فى المنطقة واستخدامه وسيلة لمقاومة موجة القومية والحياد فى افريقيا والمحافظة على الاوضاع الاجتماعية التقليدية باتخاذ الدين سلاحا لمقاومة اتجاهات الاصلاح الاجتماعى والسياسى وايهام الملك فيصل انه الوريث الطبيعى لبريطانيا بعد خروجها من عدن والجنوب العربى .

ان قيمة هذه الدراسة الموجزة هى فى ربطها بين الظروف الدولية التى صاحبت ــ منذ منتصف القرن التاسع عشر الى الان ــ كل دعوة الى حلف ينسب للاسلام . ولقد اوضح الكاتب ان هذه الدعوات كان هدفها دائما ابعد ما يكون عن مضمون الشعارات والبيانات التى رفعت لتأييدها .



ثورات عارمة ونتائج هزيلة

● مجلـة « بارتيزان » الفرنسية

فى العـدد الواحد والثلاثين من مجلة « بارتيزان » الفرنسية التى تصدرها مجموعة من المثقفين اليساريين ، الذين لا يرتبطون بتنظيم بعينه ، مجموعة متنوعة من المقالات الجادة ، تمتاز بجرأة أسلوب المعالجة وتحررها من أية أحكام مسبقة ، وباتساع دائرة الموضوعات التى تعالجها ، فالمقالة الاولى عن **روجيه جاروديه** الفيلسوف والمفكر الفرنسى بقلم **اوسكار تيران** عضو لجنة تحرير « **روزا بلينادا** » المجلة الماركسية فى بوينس ايرس ، وفيها يبين ان اعمال جاروديه فى الارجنتين لها شهرة وذيوع لا تعادلها الا اعمال ماوتسى تونج والقادة الكوبيين ، وذلك لانها تقدم ، كما يقول الكاتب ، امكانية ادراك الجديد ، وفى مقال حول « ما يحدث فى بوروندى » يتحدث كاتبه عن التركيب الاجتماعى لبوروندى «تنازع الاسر »التنازع القبلى والتناقضات بين الامبريالية وهو السبب الاساسى فيما يحدث هناك الان من مذابح . وفى هذا العدد تنشر المجلة تقريرا قدمه الاتحاد العام للعمال الجزائريين يضع كثيرا من النقط فوق الحروف . هذا غير مقالات عن المسرح الشعبى فى الولايات المتحدة ، والابواب الثابتة من الكتب والوثائق .

وفى مقال عن « الثورة » ، الهيئة المسلحة ، وعن حرب العصابات فى بيرو » يعرض اميركو بيماوينا تجربة النضال المسلح فى بيرو ، وتأثره بالمثل الكوبى ، وانتشار الرأى القائل بامكان تكرار تجربة السيراماييسترا فى اى بلد وباى عدد من الثوريين . انطلاقا من فكرة قال بها جيفارا فى كتابه عن حرب العصابات من انه « ليس من الضرورى ان تكتمل كل الشروط لبدء الصراع المسلح » ومن فكرة أن «الثورة الكوبية ذات طابع عام ».

ويروى اميركو قصة التمرد المسلح الذى بدأ فى جوجا فى ١٩٦٢ وكيف ان احد التروتسكيين ، وهم قوة لها شأنها فى معظم بلاد امريكا اللاتينية ، اقنع احد ضباط الصف المسئول عن احد السجون بالقيام بتمرد ، وانضم اليهما عدد من قادة الفلاحين ، وبدأ فى اثارة الاضطرابات ، وحرب العصابات ولما كانت الحركة معزولة عن جماهير الفلاحين ، وغير مرتبطة باى تنظيم سياسى ، وتتم فى معزل عن باقى اجزاء البلاد ، فان اجهزة القهر الطبقى لم تجد اى صعوبة فى القضاء عليها .

ولم يكن التمرد اللاحق الذى نشب فى بويتو سالدونادو فى

مايو ١٩٦٣ اتسعد خطا وغم انه حاول ربط العمل الثورى بالجماهير . وبعد ذلك هبت حركة ١٥ مايو ، بقيادة جيش التحرر القومى . ونجحت فى الارتباط بالجماهير ، وارتبطت بعلاقات دولية هامة وكونت جهازا سياسيا ، وآخر عسكريا ونشبت حركة اضرابات قوية وهرب ملاك الارض امام هـذا المد الثورى ولم تستطع قوى القمع ، رغم كل امكانياتها ان تنال من الحركة . ولكن سرعان ما نشب الخلاف بين القيادة العسكرية ، والقيادة السياسية ، وتعارضت خططهما وبدأت عمليات غير ناضجة ، قتل فى احداها ٤٦ فلاحا ، مما دفـع الجماهير للانفضاض من حولهـا وسهل للدولة ، مستخدمة ابشع انواع القتل الجماعى والتدمير للقضاء عليها .

وتوالت هبات الفلاحين حتى اصبحت ظاهرة عامة ، حتى ان نصف مليون فلاح اشتركوا فى احداها ، وقتل ١٧ منهم ، وهزت هذه الاحداث البلاد ، وكانت مفاجأة لاحزاب اليسار ، بل وتجاوزتها فلم تتمكن من قيادتها .

والملاحظات العامة على كل الهبات التى جرت هنـاك هى :

ا ـ ان التنظيمات البروليتارية لم تبد اهتماما جديا بحركة الفلاحين وكان رد الفعل بين صفوفها فرديا . كما ان الحركات الثورية نفسها حاولت ان تقتصر على الفلاحين بل وتطرف بعضها الى حد قطع كل اتصال بالمدن .

ب ـ موقف اللامبالاة من الاحزاب اليسارية ، بل والجماهير بشكل عام وذلك لنقص العمل الدعائى ، والصلات التنظيمية الملائمة .

ج ـ بدأت الاحزاب البرجوازية حملة مكارثية مسـعورة ضد المتمردين واليسار عموما والاصلاحيين والتقدميين .

د ـ اقليمية الهبات ، وعدم وجود قيادة على النطـاق القومى ، تضم كل المضطهدين ـ اساسا العمال والفلاحين ـ فى حركة واحدة .

هـ ـ انقسام الحركة الثورية ، وامتداد الخلاف السوفييتى والصينى الى هناك . وسيادة بعض عوامل السلبية كالحلقية والاعتقاد فى قدرات خارقة لبعض القادة ، وعدم الوضوح النظرى .

نالت تلك النواقص ، كثيرا من الحركة الثورية ، ولكن قوى التقدم بدأت فى الوعى بها ، وشرعت فى اتخاذ الخطـوات اللازمة لتلافيها ومحاولة تجميع الحركة الثورية فى كل واحد قـادر .

وفى مقال عن « الطبقة المتوسطة والسينما فى البرازيل » تتحدث المجلة عن حركة السينما الجديدة . وهى تيار يقوده السـينمائيون الشـبان المثقفون . وتحـاول أن تعـرض وان تناقش المشاكل الملحة للجماهير وان تتخذ منها موقفا . وهذا التيار الذى تحددت معالمه فى ١٩٦٠ ، سبقته محاولات رائدة ، كمحاولة نلسون بريرادوس سانتوس فى ١٩٥٤ ، عندما اخرج فيلم « ريو ٤٠ درجة » وفيه يستعرض يوما فى حياة ريو دى جانيرو وينقد عدم التوازن السائد فى المجتمـع ، ومحاولة روبرتوسانتو « اللحظة الكبيرة » ، وتجرى احداثه فى حى عمالى فى ساو باولو ، ويدين فيه الحياة التى تسيطر عليها النقود .

وانصار السينما الجديدة ينادون بسينما رخيصة ، ومعدات خفيفة راقية . وبعد ٥ أو ٦ سـنوات من العمـل ، أخرج خلالها ما يقرب من الثلاثين فيلما ، وبعد الانقلابات التى توالت من ١٩٦٤ السياسية والعسكرية يمكن تحليل محتوى هـذه الافلام ، التى كانت فى البدء تدور فى معظمها فى الضواحى او فى الريف ، تتعرض للكادحين اصحاب « **الحد الادنى** » لمستوى المعيشة ، ومشاكل المجتمع ، تبحث وراء الاسباب ويرجعها الى انانية الطبقات الممتازة اصحاب « **الحد الاقصى** » . وكان اختيار الانماط مثاليا سواء نماذج اعلى السلم الاجتماعى او ادناه . والطابع الواضح للاختيـار هو انه يتم بين قطبى المجتمع ، ومع اهمال كل ما بينهما ، اهمال البروليتاريا ، الطبقة الوسطى ، انطلاقا من تحليل نلسون فيرينك سودرى عن ان البرازيل تتكون من مجموعة شعبية واحدة ، فى مواجهة الاستعمار وعملائه المباشرين ، وباسم مواجهة الاستعمار يجب اخفاء كل التناقضات الداخلية بين الطبقات الاجتماعية وهذا هو موقف السينما الجديدة . وان كانت بدأت تعكس ، بوعى او بغير وعى موقف الطبقة المتوسطة من قطبى النضال الاجتماعى . ففى فيلم « السوق الكبير » الذى تدور احداثه فى مدينة فى بسلفادور ، تصور عالما كاملا صغيرا تظهر به كافة المشاكل الموجودة فى البرازيل ، وفيه يدور الصراع بين شركة عقارية تحاول طرد صغار التجار من السوق لتقيم فوقه عمارات سكنية ، ويبدو هؤلاء التجار فى منتهى البؤس والفقر ، بل ويظهر بعضهم كقتلة وشحاذين ولصوص وقوادين ويبـدأ الفيلم بنـزول بحـار برازيلى الاصيل الى المدينة . ويهتم بكفاح التجار ويقف الى جانبهم (شفويا) ويكتفى بموقف المتفرج وعندما يغادر البلد فى نهاية الفيلم يقول لو كان هؤلاء الناس قد قاموا بثورة لبقيت معهم ، وهذا هو موقف الطبقة الوسطى تريد التغيير على الا تقوم بالمبادرة ـ او بتحمـل المسئولية .

وهذا التطور ليس قاصرا على السينما بل امتد للادب والمسرح وبدأ ذلك منذ ١٩٦٤ بعد ان شاركت الطبقة المتوسطة فى الاحداث السياسية والعسكرية . وهذه المحاولات الجديدة فى السينما البرازيلية تستهدف تحويل السينما هنـاك الى سينما شعبية والنتيجة هى خلق سينما للطبقـــة الوسطى ، ومع ذلك فهذه الطبقة لا ترحب بهذه السينما لانها لا تقـدم صورة لصعودها الاجتماعى ، والنتيجة ان هذه السينما معزولة عن الجميع ، الا قلة من المثقفين .

●

لم يعد الانسان مركز الكون

● المجلة المجرية الفصلية الجديدة

تعـد هذه المجلة من اهم المجلات الثقافية العامة التى تصدر فى محيط الدول الاشتراكية ، ذلك أنها لا تستهدف تقديم الادب المجرى الحديث فحسب ، وانما هى تقيم همـزة وصل بين الثقافة الاشتراكية فى المجر ، والثقافة الانسانية فى كافة أنحاء العالم . وهى تصـدر مرة واحدة كل ثلاثة أشهر فى بودابست .

والعدد الجديد يحمل رقم ٢٢ من المجلد السابع فى صـيف ١٩٦٦ . وهو يحتوى على مجموعة من الموضـوعات والقضـايا والمناقشات فى الفكر والسياسة والفن والاقتصاد يربط بينها جميعا هذه الرغبة الاساسية التى تشكل تخطيط المجلة ككل ، فى اقامة حوار ناضج ومثمر بين المثقف المجرى الاشـتراكى المعاصر ، وبقية المثقفين فى مختلف أرجاء العالم . فالموضوع

الاول فى العدد عن اقرب ما يكون الى تحقيق صحفى عنوانه « **لقاءات شرقية وغربية بين المثقفين** » يستهله الكاتب **ايفان بولديزار** قائلا انه سوف يكتب عن هذه اللقاءات الدولية التى اسعده الحظ بمشاهدتها ابان الشهور الثمانية الاخيرة . وهى اللقاءات التى ضمت بين صفوفها مثقفى شرق أوروبا مع مثقفى غربها كما ضمت مثقفى الولايات المتحدة مع مثقفى أمريكا اللاتينية وآسيا وافريقيا . وقد عقد جانب من هذه الاجتماعات فى بودابست ، وجانب آخر فى فيينا ولمست المناقشات قضيتين رئيسيتين تشغلان المثقفين فى أجزاء عديدة من أوروبا وأمريكا وهما قضيتا « التقاليد الادبية » و « الانسانية فى الادب » .

أما التقاليد الادبية فقد اختلف الكثيرون بشأن تحديد دورها وفعاليتها فى تجميع الصف الادبى اذ يرى بعض المثقفين الانجليز على سبيل المثال أن التقاليد الانجلوسكسونية فى الادب الروائى تمتد فى شرايين الأدب الامريكى بصورة يصعب معها القول أنها أداة تجميع بقدر ماهى أداة تمييز بين آداب الناطقين بالانجليزية وآداب غيرهم . بينما رأى بعض أدباء الدول الاشتراكية كيوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا أن التقاليد الادبية ليست مجموعة من المقولات الحرفية الجامدة ، وانما هى نتاج التفاعل التاريخى بين الاداب والفنون والواقع الاجتماعى الذى ينتجها بحيث يمكن لبعض التقاليد التى يرسخها اتجاه اجتماعى كالاشتراكية أن تصبح أداة تجميع بين الشعوب وآدابها .

وأما قضية « الانسانية فى الادب » فقد حاول بعض المثقفين من غرب أوروبا أن يجردوها من أى اطار تاريخى محدد بحيث يصبح لها مدلولها الواقعى ، وانما راحوا يتلمسون لها معان خارج الزمان والمكان ، أى معان تجريدية تصلح فى رأيهم لكل زمان ومكان ، وقد رأى معظم مثقفى الدول الاشتراكية أن الانسانية فى تطور ، وانها شىء مجسد له أبعاده الواقعية المستقاة من تجربة البشر فى حياتهم اليومية وصراعاتهم الفكرية . وبالتالى فان الموقف من الحرب فى فيتنام ، يصبح فى عصرنا هو المحك المثالى لانسانية الفنان أولا انسانيته . وحينئذ نوقشت الفكرة التالية : هل هناك أدب انسانى وآخر غير انسانى ، أم أن هناك أدب جيد وآخر ردىء . وكاد الشمل يجتمع على أن الادب العظيم هو أدب انسانى ، وان غياب عنصر الانسانية من الادب لابد وأن يصيبه بخلل جمالى يجعل منه أدبا رديئا .

ينتقل بنا العدد بعد ذلك الى مقال عنوانه « نظام البنك الاشتراكى والبنوك المجرية » يتلوه مقال آخر عن « التنمية الاقتصادية والرؤيا الدولية للعمل » يستهله الكاتب **أمرى فاجدا** بقوله ان « التنمية الاقتصادية بغير شك هى تصور جديد وهام للعمل ، وهى وليدة عصرنا المتحرك » ولقد واجهت بعض البلدان المتقدمة فى الماضى ، العديد من الازمات الاقتصادية فى الانتاج والاستهلاك ، وانتهت بدورها الى ضرورة « التخطيط النسبى » الذى يتفاوت من بلد الى آخر ومن نظام الى آخر حتى يصبح ثمة انسجام معقول بين الانتاج والاستهلاك وخاصة بعد المشكلات الطاحنة التى واجهت العالم بعد الحرب العالمية الثانية .

غير أن للتنمية الاقتصادية فى العالم المعاصر معنى آخر أكثر شمولا وتحديدا من هذا المعنى العام الذى قد لا تعارضه الدول الرأسمالية نفسها ولا تضع أمامه العقبات الامبريالية التى طال استعمارها ولم تنل استقلالها الا منذ وقت قريب . ومن هنا يصبح عقد المؤتمرات الدولية ووضع البرامج الوطنية فى الدول النامية أمرا شبه محتم ، وظاهرة عالمية تستحق التسجيل والتحليل . على أن التفاوت الكمى والكيفى فى مستوى التقدم بين مجتمع وآخر ، يوازيه فى نفس الوقت تفاوت تاريخى واجتماعى يغير من مضمون « التنمية الاقتصادية » فى بلد ما عن البلد الآخر . ويناقش المقال تساؤل مجلة « الكاونتر » الانجليزية فى عدد يونيو ١٩٦٥ : « هل نجحت الرأسمالية ؟ »

ليجيب اندروسكو نفيلد على السؤال بالايجاب مؤكدا أن دون التنمية فى البلدان المتخلفة أن تدفعها الى اجتياز الام الرأسمالية ولكنها تمنحها ايجابيات النظام الرأسمالى ، وقد تجاهل الكاتب بهذا التسرع فى اصدار الاحكام أن ميزانيات التسلح والاستعداد للحرب وغيرها من أعباء الاقتصاد الرأسمالى الضعيف حين يعيش فى ظل رأسماليات استعمارية كبرى ، تحول هذه العناصر جميعها دون التطور التقليدى للرأسمالية فى البلدان النامية ، فهى اما أن ترتبط بالاستعمار الجديد مباشرة فيزيدها افتقارا ، واما أن تختار الحل الاشتراكى فتطور من مفهومها عن التنمية الاقتصادية بحيث أنها تخدم أهداف أوسع القطاعات جماهيرية ، كما تخدم أكثر الاغراض تقدما ، وتجتاز بذلك الآم الراسمالية الى الابد .

وتنتقل بنا المجلة بعد ذلك الى مقال عنوانه « اسلوب الحقيقة وحقيقة الاسلوب » ومقال آخر عن « الذاتية والموضوعية فى الرقابة الجديدة » وهو نص المحاضرة التى ألقاها الروائى الفرنسى **آلان روب جرييه** فى أكتوبر من العام الماضى بالمعهد الفرنسى ببودابست . ويستهل جرييه محاضرته بقوله أن الرواية الجديدة هى « رؤيا » جديدة أولا وقبل كل شىء ، رؤيا جديدة للانسان ورؤيا جديدة للعالم .

ثم يقول أن « الانسان مركز العالم » ومحوره هو التصور القديم فى الادب السابق على ظهور الرواية الجديدة فقد كان جميع الروائيين يصوغون انسانهم ومشكلاته على أنه الحقيقة الوحيدة فى هذا الكون . بينما الانسان ليس الا احدى الظواهر التى لا حصر لها فى العالم ، وبالتالى فان الاقتصار عليه يؤدى الى تضخيم مزيف ومبالغة من شأنها ترسيخ « عمى الالوان » و « داء الكذب » عند المتسلقين من القراء .

كذلك فان هذا التصور قد ادى الى « انسنة الاشياء » من حولنا بحيث أننا نرى من خلال الروائى التقليدى أى شىء ممزوجا بانسانيتنا ، أى من وجهه نظرنا ، من ذاتيتنا . وهذا من شأنه أن يفقدنا « البصيره الموضوعية » التى تباعد بين الشعور الانسانى و « الشىء الكائن » مباعدة تمنح كافة الكائنات ذاتيتها المستقلة هى الاخرى .

من هنا يمكن القول بأن الرواية الجديدة « لا رواية » بمعنى أنها لا تخضع للتصور التقليدى عند الروائيين السابقين ، كما يمكن القول بأنها رواية « لا انسانية » بمعنى انها تنكر محورية مركز الانسان من الكون ، وتنكر انسانية الكون فى نفس الوقت . لهذا يتغير « البناء » الروائى فى الرواية الجديدة تغيرا جذريا ، ولا يعود المونولوج الداخلى هو أحدث منجزات التكنيك كما عرفناه عند جويس ، ولا يعود الزمن الداخلى شريحة موضوعية فى قطاع بشرى كما عرفناه عند بروست ، ولا يعود الوجود غير المبرر والمنفى الاضطرارى والسجن الذى لا نهاية له هو رؤيا الفنان كما عرفناها عند كافكا وكامى . ان الرواية الحديثة عند هؤلاء شىء مختلف كل الاختلاف عن « الرواية الجديدة » لان الرواية الحديثة فى حقيقتها تطوير للرواية التقليدية وليست ثورة عليها ، هى تطور يستفيد كثيرا من معطيات العلم الحديث ، ولكن من أجل فهم أعمق « للانسان » أما الرواية الجديدة فتضع الانسان فى مكانه الصحيح من أجل فهم أعمق « للكون » . وهكذا يصبح الاغتراب فى الرواية الحديثة شيئا مختلفا كل الاختلاف عن الغربة فى الرواية الجديدة لان الاغتراب عند الروائى الحديث هو الاحساس بعبثية الوجود « الانسانى » أما « الغربة » عند الروائى الجديد فهى الاحساس بعزلة وانفصال الانسان عن بقية العناصر اللاانسانية فى الكون . معنى هذا أننا لن نجد فى الرواية الجديدة ما كان يدعوه النقاد بالموقف والحدث والشخصيات وغير ذلك ، بل قد لا نجد « البناء » اذا تصورنا الامر تصورا تقليديا . ولكننا سنجد « وصفا » موضوعيا أمينا « للاشياء » من خارجها بلا أية محاولات « للتدخل » فيما يشغل مناطق « الغيب » والبحث عن المجهول .

كتابات جديدة

حول تناقضات مرحلة التحول

ابراهيم الشناوى

يرى البعض الان أن التناقض الرئيسي فى المجتمع المصرى هو **التناقض بين العمل ورأس المال.** والواقع ان هذا الرأى فى الظروف الراهنة لابد ان يثار ولابد ان يجد له انصارا بين صفوف المثقفين الذين تعـوزهم الرؤية الشاملة والمنهاج العلمى فى قياس قضايا التحول الاجتماعى. وخطورة هذا الرأى انه بسيادته لابد ان يؤدى الى حصر العمل الثورى فى قضايا التحول والبناء الاقتصادى مما لابد ان تحتل معه قضية الصراع ضد الاستعمار كعدو رئيسى المركز الثانى، انه يهمل قضية النضال ضد قوى الاستعمار وركائزه التى تدير بدأب طريقا لضرب كل المنجزات والمكاسب التى احرزها شعبنا متسترة تارة خلف الرجعية والعملاء فى الداخل وتارة خلف الرجعية العربيـة وبالمناورات والمؤامرات المكشوفة والضغط الاقتصادى وتجميع قوى الثورة المضادة .

ان الجمهورية العربية المتحدة ستظل مطمعا غاليا وعزيزا من مطامع الاستعمار القديم والجديد والواقع ان الاستعمار لابد ان يرى فى الجمهورية العربية المتحدة عدوا وان يسعى للقضاء عليه . فالجمهورية العربية المتحدة بتجربتها الثورية فى التخلص من الاستعمار وبناء الاقتصاد الوطنى المستقل وشق الطريق نحو البناء الاشتراكى ، تقدم نموذجا قياديا للبلدان الحديثة الاستقلال والتى تناضل ضد الاستعمار فى كافة مجالاته . انها قاعدة قوية من قواعد التحرر فى العالم العربى وافريقيا . ولقد اكتسبت مكانتها الدولية المرموقة من حيث انها تفتح ذراعيها للحركات التحررية فى العـالم كله . والاستعمار العالمى يرى فى الجمهورية العربية المتحدة موقفا ثوريا يتربص به ويكتل جهوده لضربه والاطاحة به . ومن هنا ، ومن واقع اننا ما نزال — رغم النجاحات الساحقة فى مجالات التنمية الاقتصادية — بلدا متخلفا ، يرى فيه الاستعمار سوقا للاستثمار ، تأتى ضرورة اليقظـة الى **ان تناقضنا الرئيسى مازال مع قوى الاستعمار العالمى وركائزه الاجتماعية فى الداخل من القوى الاجتماعية المنهارة والمضروبة.**

ليس معنى ذلك ان هناك فاصلا او سورا قائمـا بين قضية النضال ضد الاستعمار باعتباره عدوا رئيسيا وبين قضية البناء الاشتراكى . بل العكس هو الصحيح . اذ ان الربط السليم بين القضيتين هو الهدف ، فليس بناء الاشتراكيـة فى بلادنا شيئا يقابله الاستعمار بالتصفيق وليس ضرب ركائزه الاجتماعية فى الداخل شيئا يقابله بالرضا او حتى بالصمت. وما اهدف اليه هو فى الحقيقـة ابراز ان **الاستعمار ومن** لا مصلحة لهم فى البناء الاشتراكى هم جانب واحد من جانبى التناقض الرئيسى الذى يحكم فترة التحول الاجتماعى الراهنة، والذى يسعى المجتمع تحت قيادته الثورية الى الوصول الى نهايتها بحل كل تناقضاتها . ان فهم قضية التناقض الرئيسى على هذا النحو هو الذى يجعلنا فى الوقت الذى نسير فيه بثبات فى طريق البناء الاشتراكى ، نسير بثبات ايضا فى طريق مساندة حركات التحرر فى العالم كله وفى المجالين العـربى والافريقى حماية لظهورنا وتوكيدا لدورنا العالمى فى القضاء على وصمة الاستعمار . هو الذى يجعلنا على حذر دائم من المؤامرات الاستعمارية ، وان تقدم لقوى التحالف الثورى فى الداخل كافة الامكانيات المادية والتنظيمية لتلعب دور الدفاع من مصالحها ومكاسبها ضد الاستعمار وضد عملائه وركائزه واعدائها فى آن واحد ■

لابد ان ينشأ هنا سؤال : **اذا كان تناقضنا الرئيسى مازال مع الاستعمار ، فكيف يمكن ان نبنى الاشتراكية ؟ . وهل معنى ان تناقضنا الرئيسى مازال مع الاستعمار ان نؤجل قضية بناء الاشتراكية حتى يحل هذا التناقض ؟** . والواقع ان كلا السؤالين يهمل حقيقة ان قضية بناء الاشتراكيـة لا يمكن انجازها بمعزل عن الصراع ضد اعدائها . بل تدعم قواها من خلال هذا الصراع . ولقد عبر الميثاق بوعى عن هـذه الحقيقة حيثما اعلن ان البناء الاشتراكى حل حتمى لقضايا التخلف الاجتماعى المتراكمة من سنوات النهب الاستعمارى والاستغلالى البشعة ، وان الحل الاشتراكى هو الحـل الحتمى لاطلاق قوى الانتاج على طريق البناء الاقتصادى من ناحية وعلى طريق النضال ضد الاستعمار من اجل حماية وتدعيم هذا البناء من ناحية اخرى . ومحاولة الفصـل بين قضية البناء الاشتراكى وقضية النضال ضد الاستعمار هى فى الواقع العملى تسليم لمنجزات البناء الثورى لقمة سائغة للاستعمار وعملائه ، هى انتكاس بقضية الشعب كله فى الخلاص من الاستعمار والاستغلال بكافة صوره .

طرفا التناقض الرئيسى الذى يحكم المجتمع وقضية بنائه الداخلى الان هما : **التحالف الثورى بين العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والجنود والراسمالية التى مازال لهـا دور ايجابى فى البناء الوطنى من جانب والاستعمار وبقايا الطبقات المخلوعة (من اقطاع وراسمالية احتكارية وكبيرة) مع الجيوب الراسمالية الطفيلية من الجـانب الاخـر .**
ولان السلطة ـ بحكم التشريع ـ هى سلطة قوى الشعب العاملة فان الطرف السائد فى هذا التناقض والذى يحـل التناقض لصالحه هو التحالف الثورى . ولكن هل معنى هذا ان خطر الانتكاس وانعكاس ميزان العلاقات الطبقية اصبح مستبعدا او حتى خطرا غير مباشر ؟ . طبعا . لا . فمازالت قوى الثورة المضادة تعيش فى داخل المجتمع . ومازال الامـل يدفع بها الى محاولة الانقضاض على السلطة تارة بالمؤامرات وتارة بمحاولة الاغتيال الفردى والارهاب ونشر الشائعات وهى لم تكف عن تشويه المناضلين من ابناء الشعب ومحاصرتهم باسوار الشك والريبة ، ومازالت تجد صدى قويا لها فى بعض اجهزة الحكم القائمة . ان القوى المضادة للثورة لم تيأس بعد وليس لنا ان نتوقع لها اليـأس من محـاولة الانتكاس بالبلاد خاصة ومشاكل بناء التنظيم الثورى وفترة التحول، يمكن ان تتحول على ايديها الى مواقع للهجوم .

التناقضات الثانوية

اثبتت تجربة السنوات التى انقضت من عمر الثورة ان الراسمالية المصرية عجزت عن تقديم الحلول الصحيحة لمشاكل ما بعد الاستقلال السياسى . كما اثبتت ان البناء الراسمالى ليس طريق الخلاص للشعب ولا هو ما سعى الشعب من اجله . ولقد احست الراسمالية المصرية ذلك منذ عام ١٩٥٢ فأحجمت فى كثير من الاحيان عن المزيد من الاستثمارات وتكوين راس المال . وتهربت من العمل فى المجالات الاكثر اهميـة فى بناء الاقتصاد مؤثرة الابقاء على رؤوس اموالها فى التجارة والعقارات والنقل وبعض الصناعات الاستهلاكية والخفيفة . ثم وقفت تطالب بتملك راس المال الاجنبى الذى تم تمصيره او تأميمه . تتآمر على المؤسسة الاقتصادية (نواة القطاع العام) وتتهرب من أى رقابة . يحكمها قانون الوصول الى الحد الاقصى للربح ضاربة عرض الحائط بضرورات البنـاء الاقتصادى بعد الاستقلال . حتى ان بعض الشركات المساهمة قبل اجراءات يوليه ٦١ كانت تحقق نسبة من الربح تصل الى ٤٠٪ من اجمالى راس المال فى كثير من الاحيان . لقد لجأت الراسمالية المصرية الى استخدام كل الاسـاليب للوقوف بالقطاع العام وبتدخل الدولة عند حدود المجالات الاقتصادية الجديدة وذات المخاطرة العالية . حاولت ان تربط القطاع العام بمصلحتها الانانية الضيقة . واتخذت من الخطة موقف المتفرج الذى ينتظر ان تسقط الثمار فى يديه وحده . واحجمت عن الاشتراك فى تمويلها مؤثرة الابتعاد عن كل مجـالات الاستثمار الذى لا ترى فيه ربحا مضمونا عاليا وسريعا .

وكان لابد للثورة ان تتحول الى اهدافها الاجتماعية فتم تأميم بنك مصر والبنك الاهلى والبنك البلجيكى الدولى وشركات التأمين وعبود وابورجيلة ثم كانت اجراءات يوليـو ١٩٦١ حسما لقضية ضرورة سيطرة الشعب على وسائل الانتاج . فاصبحت الدولة مسـيطرة على ٨٥٪ من وسائل الانتـاج فى الصناعة و ٢٥٪ من التجارة الداخلية بالاضافة الى كل التجارة الخارجية وقطاعات التمـويل وحـوالى ١٢٪ من مساحة الارض الزراعية . وقد ادت تلك الاجراءات الاقتصادية وما تلاها من اجراءات حتى آخر عام ١٩٦٣ الى تغيير ميزان علاقات القوى الطبقية واتخذت فئات راسمالية اخـرى (بالاضافة الى الراسمالية الاحتكارية والكبيرة) موقفها خارج التحالف الثورى . وامدت حلف العمال والفلاحين بزاد ثورى وواقع اجتماعى جديدين دفعا به الى الوضوح والى التبلور النسبيين .

وكما ان حل المسألة الوطنيـة فى جوهرها عام ١٩٥٧ قد أخرج من التحالف الوطنى قوى راسمالية اتخذت موقعها خارجه، فان بداية شق الطريق نحو البناء الاشتراكى قد عمق من تناقض هذه القوى مع الحلف الثورى ، كما انه خلق تناقضا ثانويا بين الحلف الثورى للعمال والفلاحين ، أصحاب المصلحة الحقيقية فى البناء الاشتراكى وبين فئات راسمالية أخرى لم تحدد موقعها خارج التحالف الثورى وما زال لها دور ايجابى فى التنمية وفى توسيع قاعدة الانتاج ولها طاقات لا يستهان بها فى النضال ضد الاستعمار وضد التخلف ، ولكنها فى نفس الوقت ترغب فى الحصول على أعلى ربح وفى تأمين طريق نموها الراسـمالى الخاص الى النهاية . وهى فى ازمتها الاجتماعية تحاول بالخداع وبالتضليل ان تبقى على وضعها الاجتماعى وعلى نفوذها فى اجهزة الدولة وفى مواقع قيادة بعض المجالات . وتتمثل تلك الفئات الراسمالية فى كبار تجار التجزئة وفى الراسمالية الحديثة النمو فى الريف وفى مجالات الملكية العقارية وقطاعات من متوسطى المقاولين والمستثمرين فى النقل الذين لم تحـل الاجـراءات الاقتصادية دون نموهم فى السنوات الاربع الماضية . فقد ادت قوانين الاصلاح الزراعى الاول والثانى مع خفض القيمة الايجارية للارض الزراعية الى توجيه جزء من راس المال الى الاستغلال الراسمالى فى الارض الزراعية والى انتشار مشروعات تربية الحيوان وامتلاك الالات الزراعية بهـدف تأجـيرها . ويقول المناضل جمال عبدالناصر «الراسمـالية الوطنية ، وقطـاع الراسمالية الوطنية كبر من سنة ١٩٦٠ أكبر مما نتصور ... ازاى ... كل التنمية ... وكل التجارة وكل الخطـة ... قطاع الراسمالية الوطنية بيزيد وبيترك فى ايده فلوس كتير». « لابد أن تظهر جيوب ، وهذه الجيوب الراسمالية ليسـت فى الواقع ضخمة ولكنها كبيرة بالنسبة لاقتصادنا الاشتراكى وتمثل اتجاها خطرا لانها تؤدى الى الفساد والى شرور أخرى كثيرة ولهذا لابد أن نبقى دائما على يقظة ».

كل تلك الفئات وما تمخضت عنه ظروف العمل السياسى فى السنوات القليلة المـاضية من خلق طبقة من المديرين الفنيين البيروقراطيين ، الذين يعايشون القوى الاجتماعية المخلـوعة ويتقربون من القوى الاستغلالية الصاعدة ، يشكلون طرفا من طرفى التناقض الثانوى فى مرحلة التحول الثورى الراهنة فى مواجهة الحلف الثورى للعمال والفلاحين . ان ما أطلق عليه الميثاق بوعى « الطبقة الجـديدة » قد تكونت بالفعـل « ان

القيادات الجديدة لابد أن تعى دورها الاجتماعي ، وان أخطر ما يمكن ان تتعرض له فى هذه المرحلة هو ان تنحرف متصورة انها تمثل طبقة جديدة حلت محل الطبقة القديمة وانتقلت اليها امتيازاتها »

لقد استطاعت هذه الطبقة الجديدة بالفعل أن تصل الى مواقع هامة فى الاجهزة الادارية والفنية وفى ادارة الاقتصاد ثم اتجهت الغالبية منهم لتكوين ملكيات سواء بالتخريب او الافساد او التعاون مع العناصر الاستغلالية .» وأن تتشكل لها مصالح اقتصادية متميزة يرتبط تحقيقها بابقاء الوضع القائم دون خطوة واحدة الى الامام .» ان مصالحهم الاقتصادية مرتبطة بتوقف الثورة وتلك قضية هامة لابد أن تثار وأن نعثر لها على الحلول لقد استطاعت تلك الطبقة الجديدة أن تسد القنوات بين القيادة الثورية والقاعدة بل دأبت على اتخاذ موقف العداء من كل ما ترى فيه تهديدا لمستوياتها فى مواقع القيادة معلنة عن هذا العداء حيال العناصر الثورية من القاعدة بشتى الصور ، بالتهديد وبالاقصاء والعقوبات والعزل عن مجالات التأثير .» ان الميزة الخاصة بهذه الطبقة دون بقية الطبقات الاستغلالية أنها تحصل على ما يمكن اعتباره « فائض قيمة » دون أن تملك رأس المال ، ذلك هو ما يجعلها تقف من الاشتراكية موقف الحرباء المتلونة ، وهذا هو ما يجعل الوصول الى كشفها بالامر السهل .» ولعل من أهم الظروف المساعدة لاستمرار وجود هذه الطبقة ان البلاد تعيش فترة التحول دون تنظيم سياسى شعبى قوى وقادر تجمعه وحدة الفكر والارادة ووضوح الرؤية الاجتماعية .» وهذا ما تعتبره القيادة الثورية منذ فترة واجبها المباشر والعاجل .»

ان حل هذا التناقض مرتهن باطلاق القوى الشابة الجديدة فى مجالات العمل السياسى ووحدات الانتاج مع تدريب كادر فنى تدريبا سياسيا شاملا واعداده للدخول فى مجالات التأثير الفعال تحت رقابة وبمساندة تنظيم سياسى شعبى متماسك تحكم عمله النظرة والفكر الثوريين ويتدعم فيه مبدأ القيادة الجماعية والنقد والنقد الذاتى .» وتلك هى مهمة الجهاز السياسى باعتباره يضم طلائع الحلف الثورى للعمال والفلاحين .»

ان القوى المضادة للثورة التى تشكل الجانب الاضعف من جانب التناقض الرئيسى مكشوفة وواضحة ولم يعد الامر يتطلب بالنسبة لها سوى اليقظة الدائمة وقطع الطريق عليها فى التسلل الى المواقع الهامة فى أجهزة الدولة والقطاع العام حتى تختنق تماما ، ولكن ما يحتاج الى كشفه والسير فى اتجاه تصفيته هو ذلك التناقض بين الحلف الثورى وبعض ذوى النفوذ والتأثير الكبيرين بحكم مواقعهم فى أجهزة الدولة ، والقطاع العام من المصالح العاجلة والاجلة بجماهير الشعب العاملة ومن معدلات السير بالبناء الاشتراكى نحو غاياته .»

وعلى الحلف الثورى أن يأخذ فى اعتباره أن تصفية تلك المعوقات مرتهنة بصلابته ووضوح رؤيته وعمله الدائب على توضيح أفكاره وتنقيتها من كل الشوائب . وأن يأخذ الموقف حيال تلك المعوقات بروح اعادة التربية وبروح الاعداد المتواصل للكادر السياسى المدرب وتقديمه الى مراكز التأثير مع مساندته ومراقبته .» اى عليه أن يأخذ على عاتقه حل هذا التناقض بروح الوحدة والصراع من أجل مزيد من الوحدة ومن أجل مزيد من الوضوح .»

ومن التناقضات التى تلعب دورا هاما فى التشكيل الاجتماعى الحالى التناقض بين صغار التجار ومتوسطيهم من ناحية وكبار التجار من الناحية الاخرى ، والتناقض بين صغار التجار ومتوسطيهم من ناحية والقطاع العام من الناحية الاخرى .» فبينما يعانى صغار التجار وهم الاغلبية الساحقة من العاملين فى المجال التجارى من استغلال كبار التجار لهم فهم فى نفس الوقت يخشون القطاع العام وينظرون اليه باعتباره الوريث الشرعى لمجالات نشاطهم رغم أن ٧٥ ٪ أو أكثر من التجارة الداخلية ما يزال بيد القطاع الخاص .» ورغم أن القطاع العام فى سنوات خطة التنمية قد دفع ٢٠٠ مليون جنيه توريدات للقطاع الخاص .» وبينما القطاع العام هو المستورد والمصدر الوحيد نجد أنه يقوم بتوزيع ما يستورده من مواد صناعية أو استهلاكية على القطاع الخاص ثم يعود لشرائها منه مرة أخرى محققا له فى كلتا الحركتين فائضا لا يستهان به فضلا عن أنه يقع فريسة للسوق السوداء فى نفس المواد فى كثير من الاحيان .» والقطاع العام سواء بالخديعة أو بحسن النية يسهم فى توسيع مجالات الربح أمام القطاع الخاص فى مجالات التجارة المختلفة

وينشأ هذا التناقض لان الراسمالية التجارية طبقية غير متجانسة من ناحية الواقع العملى وبالتالى من حيث مجالات النشاط وملكية رأس المال .» الا أن التحديد النظرى لها لم يكن بهذا الوضوح قبل عدة سنوات .» وعلى الحلف الثورى أن يحل التناقض بين كبار التجار من ناحية ومتوسطيهم وصغارهم من الناحية الاخرى بتأميم تجارة الجملة وبتكوين تعاونيات لصغار التجار .» وستكون هذه التعاونيات بمثابة تأكيد لدور صغار التجار فى خارطة الاقتصاد وستكون تجميعا للوحدات الاقتصادية الصغيرة المتفككة فى وحدات أكبر مما يسمح بالقيام بدورها بطريقة أفضل وأكثر اقتصادية .»

تناقضات خاصة

بالاضافة الى التناقضات السابقة مع غيرها من التناقضات الجزئية الاخرى أورثت ظروف تطور الثورة المصرية مرحلية التحول التى يعيشها المجتمع الان بعض التناقضات الخاصة .» فالثورة المصرية بدأت بانطلاقة علوية أطاحت بالسلطة الرجعية التى كانت قائمة وحققت استقلال البلاد السياسى والاقتصادى دون الاعتماد على تنظيم شعبى متمرس بالعمل السياسى وسط الجماهير ضمانا لخلق دم جديد متدفق وضمانا لخلق كادر تنفيذى على نفس المستوى . ولكن لان تلك الانطلاقة العلوية كانت نتيجة مطلوبة لحل تناقضات الوضع الذى كان قائما ابان وقوعها ، فسرعان ما أعلنت الجماهير تمسكها بها والتفت من حولها تطلب تدعيمها وتوطيد أركانها .» ولم تستطع التنظيمات التى قدمتها القيادة الثورية وقتنذاك فى أن تتحول الى خطوط وضوابط تحكم تدفق هذا الالتفاف الجماهيرى وتوجيهه حيث يكون أكثر جدوى وأكثر تنظيما . فقد أدى ذلك الى انتقاد الوسيلة الفعالة فى يد القيادة الثورية التى تأخذ بها من الجماهير قادتها تصقلهم وترفعهم الى مجال التأثير والرؤية الاعمق .» نتيجة كل ذلك انفصل الفكر الثورى عن التطبيق الثورى .» انفصل التخطيط عن التنفيذ لان القيادة الثورية لم يكن أمامها سوى الاعتماد على الجهاز القائم الذى لم يتكون بديله بعد فى وضع كل خططها موضع التنفيذ .» ولكى يصل هذا الجهاز — ولابد أن يصل — الى مستوى التنفيذ المطلوب فانه يحتاج الى ثورة لا تقل أهمية عن تحول الفكر الثورى نحو الاهداف الاجتماعية للثورة معبرا عن نفسه بالميثاق دليلا ومرشدا للعمل الوطنى ، وقد يرى البعض ان انفصال التطبيق عن التخطيط مسألة جدلية وأنه لا يمكن الوصول بهما الى الوحدة الكاملة اى الانطباق وهذا صحيح لكن ما يمكن اعتباره تناقضا خاصا هو الانفصال الفكرى بين القيادة المخططة التى استطاعت أن تدرك متطلبات المجتمع برغم معظم القائمين على التنفيذ الذين لم يتغيروا كثيرا عما كانوا عليه ، ولا شك أيضا أن الصراع بين الفكر وبين تطبيقه هو مصدر هام من مصادر تطوير ذلك الفكر وضمان استمرار تجدده

لكن ما يعتبر تناقضا خاصا بمرحلة التحول الحالية هو عدم التمكين لهذا الصراع من أن يحدث لتخلف التنفيذ وبعد الشوط بينه وبين التخطيط . ولعل الاهتمام الزائد من القيادة الثورية ومن الجماهير باعادة تشكيل اجهزة الاتحاد الاشتراكى وترتيب البرامج التدريبية فى مختلف المجالات انما يعكس الاهتمام بحل هذا التناقض وادراكه .

والتناقض الخاص الثانى فى مرحلة التحول الراهنة هو التناقض بين التشريع النظرى والقانونى للسلطة فى مرحلة التحول وبين جهاز الدولة القائم . فبينما يرى الميثاق والدستور المؤقت وكافة التشريعات الاخرى ان السلطة كل السلطة للشعب ولا سلطة لاعداء الشعب أى ان السلطة للعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والجنود والرأسمالية الوطنية نجد أن جهاز الدولة ما زال فى أيدى الطبقات الاقل ثورية داخل هذا التحالف بل نجده فى يد الرجعية فى بعض وحداته . ولابد اذن من السعى من اجل أن يعبر جهاز الدولة عن هذه السلطة كما رسمها الميثاق ، ويتطلب ذلك بالاضافة الى الوصول بالجهاز السياسى والاتحاد الاشتراكى الى مستوى القدرة الحركية والسياسية المرجوة ، بعث الحياة الديموقراطية فى أجهزة الحكم المختلفة وتمكين العناصر الجديدة فى كلا المجالين من الحركة .

ان ما قدمته الان ليس سوى بداية ، ولاشك ان هذه التناقضات تقدم نفسها على مسرح الفكر حتى تجد لها حلا تنطلق بعده الى آفاق أرحب وأبعد فى التطبيق الثورى بالخلاص من كل عوائقه . والمواجهة الواضحة الصريحة لهذه المتناقضات تمثل أولى الضمانات لحلها .

أزمة القيم فى السينما المصرية

أحمد فؤاد درويش

علينا أن نبحث واقع السينما المصرية باعتبارها « أهم الفنون جميعا » — على ضوء الشعار الذى رفعه المناضل جمال عبد الناصر ، حيث حدد مهمتنا الفكرية فى المرحلة الحالية فى : « التمكين لقيم المجتمع الاشتراكى حتى تستقر فى حياتنا الجديدة وترسخ » . فهل السينما المصرية قادرة على تلبية هذا النداء الثورى ؟ ام ان قدرات السينمائيين المصريين والظروف المهيمنة على الصناعة السينمائية تجعل القدرات والطاقات تنحصر — موضوعيا — فى تدعيم القيم المضادة للثورة الاشتراكية ؟

واذا كانت الدولة قد اهتدت فى ١٩٦١ الى ان القطاع العام هو اكثر الوسائل ملاءمة لبناء الاشتراكية ، الا ان سيطرة الدولة على اقتصاديات الفيلم المصرى ليست الا سيطرة جزئية ، مما يقف حجر عثرة فى سبيل افساح المجال للمضمون التقدمى . ومن العوائق التى تعترض مهمة القطاع العام فى ان يقوم بدوره فى السينما :

● ان غالبية المسيطرين والمحركين الحقيقيين — لا الظاهرين — لهذا القطاع ما تزال قوى ذات ماض رأسمالى ، وتتفق مصالحهم فى عدم القضاء على الفكر الرجعى ، بل فى استمراره .

● .. واننا ما زلنا مضطرين الى التسليم لهؤلاء بادارة هذا القطاع الحيوى فى التوجيه الجماهيرى بحكم « ندرة » خبراتهم المتخصصة .

● ان مجرد تغطية التكاليف الكلية للانتاج السينمائى المصرى ليس من طاقة السوق المصرية كلها . فتغطية تكاليف هذا الانتاج ، وما يزيد على هذه التكاليف من ارباح ، انما

يتحقق من السوق المصرى بنسبة ٤٠ ٪ فقط ، ومن الاسواق الخارجية بنسبة ٦٠ ٪ . وغالبية هذه الاسواق عربية . وبالتالى ، فان عددا محدودا من الموزعين العرب ، (ويدين غالبيتهم بالولاء للقيم الراسمالية ولقوانين العرض والطلب والربح .. الخ) ، هؤلاء هم الذين يفرضون منذ البداية شروطهم على الموضوعات التى يقومون بشرائها وتسويقها ، وهم بذلك يحددون النوعية الفكرية للفيلم المصرى .

● ان غالبية السينمائيين المصريين لا يؤهلهم تكوينهم الفكرى والعقائدى الا للتعبير عن الايديولوجية الراسمالية التقليدية . هذا من ناحية المضمون ، اما من ناحية الشكل فان افلام السينمائيين المصريين انما هى بعيدة كل البعد عن الخاصية الحركية ، كنوعية سينمائية .

ولتأمين الواقع الاقتصادى الذى ترتكز اليها القيم التقدمية التى نسعى الى ترسيخها فى الانتاج السينمائى ، فان ذلك يتحقق — فى رأيى — على مرحلتين :

مرحلة اولى مؤقتة : يجب العمل فيها على التوسع فى اقامة دور للعرض فى مختلف المحافظات ، وفى اكبر عدد ممكن من القرى والكفور . وعلى الرغم من ان اسعار الدخول ستكون زهيدة الا ان تراكمها يمكن ان يرفع نسبة الـ ٤٠ ٪ التى يسهم بها السوق المصرى الى ٦٠ او ٧٠ ٪ . وهذا سيساعد على دعم الارضية الاقتصادية للفيلم المصرى ويقلل من الاعتماد على ذلك النفر من الموزعين العرب . كذلك لا يخفى ما يمكن ان يكون لزيادة عدد رواد السينما من ابناء الريف من اثر ثقافى وترويحى ايجابى ، وهم اصحاب المصلحة الاولى فى الثورة الاجتماعية والثقافية .

اما المرحلة الثانية : والتى نأمل ان تشهد الحل الكامل للمشكلة فترهن بتغيير نظرة الدولة الى الفن السينمائى ، لا باعتباره «سلعة» تجنى من ورائها الارباح ، وانما باعتبارها « خدمة ثقافية » تؤديها الدولة الاشتراكية . ان الدولة الثورية ، وبخاصة فى مرحلة الانتقال ، تعمل على اقتلاع جذور قيم رجعية واحلال اخرى تقدمية مكانها . واذ تضحى الدولة بالكسب المادى مؤقتا فى بعض المجالات انما تعوضه بكسب « قيمى » ابعد اثرا واعظم قدرا . ان التعبئة الروحية التى فى مقدور السينما ان تقوم بها — اذا وفرنا لها الضمانات الاقتصادية — ستسهم اسهاما عظيما فى تعبئة الجماهير لتحقيق مكاسب اقتصادية ذات شأن ، مثل زيادة الانتاج وحماية الملكية العامة والملكية التعاونية .. الخ .

وعلى ذلك يجب اعتبار السينما خدمة وعدم اعتبار المؤسسة المصرية العامة للسينما مؤسسة ذات طابع اقتصادى وتمارس نشاطا ذا طبيعة اقتصادية ، ولا تعد ميزانيات شركاتها على نمط الميزانيات التجارية ، على ان يتم ذلك بالتدريج .

ولكن ، لنفترض ان الدولة يسرت الجانب الاقتصادى لانطلاق المضامين التقدمية ، فهل يستطيع الجيل الحالى من السينمائيين تقديم افلام تقدمية المضمون ؟

ان غالبية هؤلاء السينمائيين ، نتيجة لتكوينهم الفكرى وعدم تمثلهم للفكر التقدمى ، اذا حاولوا ذلك فانهم سيقعون حتما فى شباك السينما الدعائية التى تجهر بالمضمون الاشتراكى بينما تقدم الافكار فى شكل سطحى ممجوج ، لا يخدم المضمون التقدمى بقدر ما يخلق النفور الجماهيرى . ومن ثم لا نجنى من وراء هذه « الدعائية » الا تدعيما غير مباشر للقيم الرجعية .

وعلى هذا الاساس ، فان الجهود التى تبذل لتأمين الارضية الاقتصادية يجب ان تسير جنبا الى جنب مع جهود مخططة مدروسة لتأهيل المعهد العالى للسينما لتخريج اجيال جديدة من السينمائيين يعبر عن تطلعات وقيم مجتمع يبنى الاشتراكية ، ويتطلب هذا :

● قيام مناهج التدريس والتدريب فى المعهد على اساس « الفكرية التقدمية » ، التى تخدم طريقنا المصرى الى الاشتراكية ، بروح المفاهيم والقيم الواردة فى الميثاق والتى يوضحها المناضل جمال عبد الناصر فى كل خطبه وأحاديثه .

● توفير هيئة التدريس المتفرغة المؤهلة فكريا وفنيا والقادرة على النهوض بمهمة تثقيف هذا الجيل وتدريبه .

● الاستعانة بأساتذة زائرين من المعاهد السينمائية فى البلاد الاشتراكية التى اثبتت معاهدها نجاحا كبيرا يفوق نظيره فى معظم معاهد العالم — مثل « معهد الدولة للسينما » فى بولندا . ويجب ان نراعى ونحن نستقدم هؤلاء الاساتذة الخبراء ان يلتزموا باحترام المنهاج او الطريق المصرى الى الاشتراكية كما يحدده الميثاق الوطنى . والحق ان كل الدول الاشتراكية التقدمية تحترم طريقنا المصرى الى الاشتراكية العلمية احتراما كاملا غير خاف على احد فى العالم كله .

● علينا ان نجتهد لارسال اكبر عدد من الخريجين الى بعثات فى الخارج ، وان نفضل « المنح » المقدمة من البلاد التقدمية . وعلينا الا نخاف على شبابنا السينمائى من كوننا نختلف مع الدول الاشتراكية فى بعض القضايا الفكرية ، لان الشباب السينمائى سيغنى فكرة بتجربة اشتراكية جديدة تثبت نجاحها بجانب تجربتنا الفريدة والرائدة والتى سيكون قد درس ميثاقها الثورى ابان التحاقه بالمعهد .

● ومن المهم ان نؤكد ان حماسنا للمضمون التقدمى فى اعداد الاجيال السينمائية القادمة يجب الا ينسينا التركيز ، بنفس القدر ، على الدراسات الشكلية والجمالية ، لان اهمال ذلك سيؤدى الى خطر تقديم سينما دعائية لا نجنى منها الا النفور الجماهيرى .

وحين توضع هذه الاقتراحات موضع التنفيذ يمكن ان نطالب السينما المصرية — موضوعيا — بأن تعبر عن آمال الجماهير وآلامها ، وان تكون مستعدة لتلبية نداء المناضل جمال عبد الناصر بضرورة التمكين لقيم المجتمع الاشتراكى .



صوت من القاعدة

دروس فى العمل الجماهيرى من مؤتمر المبعوثين

يكتبه هذا العدد
المواطن سليمان التونسى
مفتش بمديرية العمل
وعضو لجنة الدعوة
والفكر .. مرسى مطروح

فى الشهر الماضى، عاشت بلادنا تجربة فعلية ، لممارسة الديمقراطية المباشرة. وذلك أثناء فترة انعقاد مؤتمر المبعوثين، من طريق اللقاء المباشر بين قائد الثورة وأعضاء المؤتمر الذين يمثلون قطاعا من المثقفين ، وعن طريق الجدل الصريح والمناقشة المفتوحة بين القائد وبينهم، انصهر فيها فكر القيادة مع افكار المبعوثين فى كل أمر من الامور التى تمت مناقشتها ، سواء كانت المسائل العامة التى تتعلق برسم سياستنا الخارجية والداخلية ، وأبعادهما الفكرية والتطبيقية او الامور الخاصة بالمبعوثين ، العامة منها أو الفردية .

لقد نجح المؤتمر وحقق كثيرا من أهدافه ويدعو هذا النجاح لان نتوقف عنده لنتعرف على أسبابه ، ونتخذ من هذه الاسباب نموذجا يتحقق على أساسها نجاح كل عمل جماهيرى ، ويمكن تلخيص بعض من هذه الاسباب فيما يأتى :

● أثبت المؤتمر وما تم فيه من جدل مفتوح لكل قضايانا الداخلية والخارجية بين المناضل جمال عبد الناصر والمبعوثين، ان ما ترددهالرجعية من ان هناك من الامور مالايسمح بمناقشتها ، قاصدة بث روح السلبية والانعزالية بين صفوف الجماهير وتعطيلها عن زحفها الثورى للقضاء على اشكال الاستغلال التى تمارسها ، اثبت ان ذلك ابطلت مفعوله المناقشات الصريحة بين قائد الثورة والمبعوثين .

بل ان المؤتمر من هذه الزاوية قد أثبت ان القيادة الثورية الممثلة فى قائد الشعب كانت تفتح أذهان المؤتمرين وتضعهم على ابواب الجدل العريض ، فلم تحاول ان تغلق بابا او توصده دون ان تفتح صدرها لكل كلمة فى اى موضوع من الموضوعات ، تجلى ذلك أيضا فى مواقف رئيس المؤتمروامين الدعوةوالفكر الاشتراكى بما يؤكد ان الطريق الى الديمقراطية هو ممارسة الديمقراطيةفعلا دون أن نلقى بالا لما تحاول الرجعية اثارته ، ففى ذلك ضربة قاضيةلادعاءاتها

● اثبت المؤتمر أن الجدل المفتوح

هو الطريق الذى يصل الى وحدة الفكر كعامل اساسى وهام لوضوح الرؤية امام الجماهير العريضة ، واستكشافها طريق الحرية والاشتراكية والوحدة والسير نحوه بخطوات تتحدى كل الحواجز الموضوعة فى هذا الطريق ».

● أثبت المؤتمر ان الحسم فى اتخاذ القرارات النابعة من صميم الجماهير واعماقها ، والحسم فى تنفيذ هذه القرارات هو الطريق الذى ترتبط به اعماق هذه الجماهير ، ومن ثم فهو يدفعها لبذل كل جهد ، وكل تضحية مطلوبة لانجاح برامج التنمية ».

● أثبت المؤتمر ان القاعدة الجماهيرية قاعدة ايجابية فى ثوريتها ، وعلى مستوى وعى عميق للاهداف ، والاساليب التى تحقق هذه الاهداف ، وانها عندما تلتحم بالقيادة التى تثق فيها تصب كل فكرها البناء وتجدد طاقاتها للعمل الخلاق ».

ان اسباب نجاح مؤتمر المبعوثين ، يمكن ان تعتبر دليلا لاسباب نجاح كل عمل جماهيرى ، ولو لم اكن أعلم بالمشقة فى تكرار مثل هذا المؤتمر على مستوى اللقاء المباشر بين قائد الثورة وقطاعات جماهيرية اخرى ، لناشدت المناضل عبد الناصر ان تتكرر معه مثل هذه اللقاءات

فهى — بجانب ماتقدمه من نجاح موضوعى — تعطى لنا دروسا فكرية وتطبيقية متعددة الجوانب .

ان صورة هذا اللقاء ، يجب ان تنتقل باستمرار — وبصفة دورية منتظمة — على المستويات التى لاتشكل فيها هذه اللقاءات المباشرة صعوبة كبيرة ، كأمناء الاتحاد الاشتراكى العربى ، والمحافظين ، او الوزراء وقطاعات من الجماهير ، انها دعوة لكل هؤلاء .. بل ودعوة لكل من يقود جماعة على طريق الثورة ، ان يتخذ من اسباب نجاح هذا المؤتمر اسلوبا للعمل .

امريكا كما يراها احد رجالها

كتب المواطن **جوزيف نادر** من **الاسكندرية** ، للطليعة ، يقول فى رسالته حول السياسة الامريكية :

فى بداية عام ١٩٦٠ كان جون كيندى يستعد لخوض معركة انتخابات الرياسة التى جرت فى نوفمبر من ذلك العام ، وقد نشر لجون كيندى آنذاك كتاب « **استراتيجية السلام** » وهو يتضمن آراء كيندى وتعليقاته حول عدد من القضايا الهامة فى ذلك الحين .

وفى هجومه على حكومة ايزنهاور ، قال كيندى ان الولايات المتحدة ليس لديها سياسات او برامج جديدة ، وان سياستها ينقصها التخطيط . وان الرئيس القادم (١٩٦٠) سوف يجد تركة مثقلة : فامريكا عضو فى عدة احلاف غير مستقرة وفى منظمات دولية عفا عليها الزمن . سوف يجد البرامج التى يخططها رجال قصيرو النظر ، لا يهمهم شيئا سوى العودة الى اعمالهم الخاصة ، ولهذا فهم ليس لديهم القدرة على تفهم احتياجات وطنهم ولا احتياجات العالم . وسوف يواجه الرئيس القادم (١٩٦٠) عالم يموج بالثورات ، غير مسلح الا بسياسات تهدف فقط ان تعيد الى الوراء موجات التغيير الحتمية . ويمضى كيندى قائلا : اننا نعتمد فقط على برامج استنفدت اغراضها وسياسات قديمة وشعارات بلا معنى . وان سباق التسلح والحرب الباردة يشكلان استراتيجية الولايات المتحدة . وان المبعوثين الامريكيين فى المؤتمرات يذهبون اليها بلا خطط ولا استعدادات .

وكان كيندى ينادى برسم سياسة جديدة تجاه امريكا اللاتينية لان التصرف كاوصياء على شعوب هذه البلدان ليس بالشىء الكافى . كما يعترف كيندى انه لم يكن لدى الامريكيين الاستعداد للتقدم بخطة جدية لنزع السلاح .

تلك هو رأى جون كيندى فى سياسة الولايات المتحدة سنة ١٩٦٠ ، والان هل جد جديد فى سياسة الولايات المتحدة بعد هذه الاعوام الست ؟

هل كفت امريكا من محاولة العودة بالعالم الى الوراء وان توقف بالقوة محاولات التغيير الحتمية ؟

هل يبين موقفها من احداث الدومينيكان فى العام الماضى وانقلاب الارجنتين الاخير .. انها تخلت عن سياستها كوصية على بلدان امريكا اللاتينية ؟

ان احدا فى العالم لا يحس باى نوع من الجدية من الولايات المتحدة الامريكية تجاه موضوع نزع السلاح ، وخاصة ان موقفها من وقف التجارب الذرية تحت الارض معروف . اما استراتيجيتها التى يعترف كيندى بانها مبنية على سباق التسلح والحرب الباردة ، فذلك هو الموقف الذى يبدو فيه التغيير . انها تعمل الان على الانتقال بالعالم من سياسة الحرب الباردة الى الحرب الساخنة . ان توسيع رقعة الحرب فى فيتنام ثم ضرب هانوى وهايفونج يهدد باقتراب العالم من كارثة نووية .

ومن سخرية الاقدار ان بكتاب « استراتيجية السلام » المذكور ، حاشية بقلم آلان نيفنز الذى كتب مقدمته يقول فيها انه كانت هناك فكرة فى سنة ١٩٥٤ لارسال بعض القوات الامريكية لتساعد القوات الفرنسية فى حربها فى الهند الصينية ولكن الرأى العام الامريكى رفض هذه الفكرة بشدة ».

●

الاستغلال ... وافريقيا

كتب المواطن **عزت عبد العزيز مصطفى** ، مراجع حسابات ، يعلق على مقال **محمد عبد الفتاح ابو الفضل** امين شئون الاعضاء بالاتحاد الاشتراكى فى العدد الماضى حول « **الاشكال الجديدة للاستغلال** » . فيقول :

ليس من شك بان السيد عبد الفتاح ابو الفضل عضو الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى لشئون الاعضاء قد وفق فى مناقشته لقضية الاشكال الجديدة للاستغلال ».

الا اننى ارى للمفساء على ابشع انواع الاستغلال الموجود

رسالة من عمال السودان الى المناضل جمال عبد الناصر



حضر الى القاهرة في أوائل شهر اغسطس الماضي النقابي السوداني محجوب سيد أحمد يحمل رسالة من اتحاد نقابات عمال السودان موجهة للرئيس جمال عبدالناصر بمناسبة الذكرى الرابعة عشر لثورة يوليو .

وتنشر الطليعة نص الرسالة :

مكتب اتحاد نقابات عمال السودان
الخرطوم في ٣٠ يوليو ١٩٦٦ .
السيد الرئيس جمال عبد الناصر
رئيس الجمهورية العربية المتحدة

تحيـة طيبـة تليق بمقامكم الرفيع

اسمحوا لنا يا سيادة الرئيس ان نحييكم باسم اتحاد نقابات عمال السودان وان نرفع لكم احر التهاني بمناسبة الذكرى الرابعة عشر لثورتكم المجيدة التي انطلقت بالشعب المصري الشقيق من قيود عبودية راس المال الى رحاب الاشتراكية الوضاء متمنين لكم وللطبقة العاملة المصرية وللشعب المصري البطل اعظم النجاحات فيما تستقبلون من معارك .

ان عمال وشعب السودان يتتبعون باهتمام بالغ وفرح عظيم الانتصارات المتلاحقة التي تحرزها الجمهورية العربية المتحدة في مجالات البناء وارساء قواعد المجتمع الاشتراكي وفي نضالها الحي ضد الاستعمار ومساندتها الصادقة وتضامنها مع الشعوب التي تناضل في سبيل استرداد حريتها .

لقد ربطنا مع شعب وعمال جمهوريتكم الفتية علاقات نادرة وقوية استمدت جذورها من النضال المشترك عبر اجيال طويلة ضد الاستعمار الاجنبي ، وشعبنا الذي يحفظ لكم ودا خالصا لن ينسى المساعدات الاخوية القيمة التي قدمها له شعب الجمهورية العربية المتحدة في معركته ضد الاستعمار الاجنبي حتى نال استقلاله واسترد حريته بفضل مؤازرتكم وبذلكم العظيم ، ان اياديكم البيضاء التي طوقتم بها عنق شعبنا ستظل رمزا خالدا للتضامن بين الشعوب المناضلة .

وقد تقدمت تلك العلاقات والوشائج وازدادت قوة ومتانة على مر الايام ؛ فزيادة على العلاقات الخاصة بيننا نحن عمال السودان وعمال الجمهورية العربية المتحدة ، تربطنا صلات العمل الموحد والنضال المشترك تحت راية تنظيمنا الكفاحي العملاق اتحاد العمال العرب .فنحن في السودان نعتبر نفسنا فرعا لذلك الاتحاد الذي نامل ان يصبح في مستقبل النضال ركيزة من ركائز الثورة العربية في كل أجزاء الوطن العربي . ونحن من جانبنا نسعى أن يصبح هذا الاتحاد تنظيما فعالا يوحد وينظم معارك العمال العرب .

ان الطبقة العاملة السودانية وهي تناضل من اجل حياة اسعد لكل فئات الشعب السوداني العاملة تتطلع الى الجمهورية العربية المتحدة التي فجرت ثورة رائدة واختطت طريقا جديدا في العمل لتحقيق الاشتراكية وتنظر لتجربتكم الفريدة باعجاب واعزاز وتستمد منها القوة والالهام .

لقد ألهمتم الشعوب العربيه وفتحتم أمامها آفاقا عظيمة انارت الطريق وسهلت المسير لتحقيق المجتمع الاشتراكي الذي تتطلع جميع الشعوب اليه .

لقد تعلمنا يا سيدي الرئيس العديد من الدروس القيمة التي تصلح نبراسا لكل المناضلين في سبيل رفعة شعوبهم . علمتنا ثورتكم ان راس المال الاجنبي الذي يستغل العمال ويمتص دماءهم هو العدو الاول للشعب وانه دون القضاء على سلطته وجبروته لن يتحرر الانسان ولن يتحرر العمل .

علمتنا ثورتكم أن النضال القوي الصريح ضد الاستعمار الاجنبي هو حجر الزاوية في كفاح الشعوب التي تريد أن تنفك من آثار الماضي وعقابيل التبعية .

علمتنا ثورتكم ان الديمقراطيه الحقه هي الديمقراطية التي تمكن العاملين من أن تكون لهم الكلمة الاولى والاخيرة في شئون بلادهم ، وان سلطة العاملين هي الضمان الوحيد للقضاء على الاستغلال والتأخر .

اخيرا وليس آخرا علمتنا ان الشعوب لا تقهر ان هي عقدت العزم على التحرر ، ان طاقاتها الدفاقة لا تحدها حدود وان هذه الدروس القيمة التي علمتنا اياها ثورتكم ومعلمنا اياه الشعب المصري وطبقته العاملة قد افادت شعبنا وغيره من الشعوب العربيه والافريقيه في نضالها من اجل التحرر فهي تتطلع لكم ولانتصاراتكم .

انه يا سيدي الرئيس مما يثلج صدورنا ويملؤها غبطة أن نرى الطبقة العاملة المصرية تتقدم الصفوف وتأخذ مكانها في قيادة المجتمع ومعركة البناء بعد أن حرمتها الطبقات المتملكة من الاقطاعيين والرأسماليين من حقها الطبيعي .

لقد ادرك المجتمع المصري مكانة الطبقات العاملة وسلمها القيادة وأفسح أمامها الطريق بعد أن عركتها التجارب المرة وأثبتت جدارتها ، فالطبقة العاملة في أي مكان وزمان هي العمود الفقري للمجتمع الاشتراكي .

ان الاشتراكية التي تبنون صرحها ببطولة نادرة هي المخرج الوحيد للشعوب التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار والتأخر والتي خربت القوى الاستعمارية حياتها ، وهذا ما ادركه شعبنا وما دعمته تجربتكم بالثمار العملي .

ختاما يا سيدي تقبلوا تمنياتنا الطيبة ولكم ولشعبكم المجد والفخار .

المخلص
الشفيع احمد الشيخ
السكرتير العام لاتحاد نقابات عمال السودان

بالقارة الافريقية ـ التي دائما ما تكون مثل واضح لاقسى انواع امتصاص خيرات الشعوب ـ ان العمل الافريقي المشترك ـ وحده على حد تعبير الكاتب ـ لا يكفي بل لابد له ان يأخذ صورة حكومة افريقية واحدة لهذه الدويلات الصغيرة التي تشملها القارة . ولو اتيح لهذه الحكومة ان تقوم لاستمدت قوتها من شعوب القارة » وإلا فكيف نفسر موافقة ١٨ دولة افريقية مستقلة على الاقتراح الذي قدمه كوامى نكروما لمؤتمر اكرا في اكتوبر الماضي لاقامة حكومة افريقية موحدة ؟ وهناك دليل آخر على شعبية هذا الاقتراح وذلك انه في ٢٥ مايو ١٩٦٣ وفي مؤتمر اديس ابابا وافقت بالاجماع ٣٢ دولة افريقية مستقلة على ميثاق الوحدة الافريقية ■

وهذه الحكومة الافريقية الموحدة مع انتهاجهما الطريق الثورى المعتمد على التخطيط العلمى هى المنفذ الوحيد لتضييق المسافة الكبيرة بين التقدم التكنيكى فى الدول المتقدمة وهذا التقدم فى القارة الافريقية .

وبالحكومة الافريقية الموحدة وحدها يمكن ان تتحول افريقيا بفضل ثرواتها الطائلة الى قارة صناعية من الطراز الاول . ويمكن الاعتماد على هذه الحكومة فى تنسيق جهود شعوبها بالاضافة الى استعانتها بالدول الصديقة التى تقدم قروضا بفائدة حوالى ٢٪ اذا كان لا مفر من هذه القروض كما ورد بكتاب (مشكلات افريقيا الاقتصادية) مع ملاحظة ان الدول الرأسمالية المستغلة لا تعطى قروضا باقل من ٥٪ فائدة بل قد تصل الفائدة الى اكثر من ٨٪ بالاضافة الى بعض الشروط التى تضر باستقلال البلد المقترض .

واذا كانت الحكومة الافريقية الموحدة قد فقدت داعيها كوامى نكروما — ان جاز هذا التعبير — فلن تفقد شعبيتها وقوة دفع الجماهير الافريقية لتحقيقها املا فى تحقيق الحرية السياسية والاجتماعية والاقتصادية الكاملة لهذه الشعوب المستغلة .

قضية آرتيريا

ارسلت جبهة التحرير الارتيرية للطليعة ، عددا من مطبوعاتها الاخيرة . وتتضمن هذه المطبوعات عددا من الكتيبات: « **مذكرة وفدى الباكستان وجواتيمالا** » التى قدمها الوفدان فى لجنة التحقيق التابعة للامم المتحدة وناصرا فيها قضية تحرير واستقلال ارتيريا . وكذلك كتيب من « **تجربة الاتحاد الفيدرالى والثورة الارتيرية** » يكشف من حقائق عن الوضع فى ارتيريا وثورتها . ثم كتيب يتضمن « **دستور أرتيريا** » الذى اقرته « **الجمعية التمثيلية الارتيرية** » .

كما بعثت الجبهة بالعدد الاخير من المجلة الدورية التى تصدرها تحت اسم « **الثورة** » . وتصدر المجلة صفحتها الاولى بمانشيت عريض عن « حرب السموم فى آرتيريا » توضح فيه ان طائرات من سلاح الطيران الامبراطورى الاثيوبى قام باسقاط كميات كبيرة من الحلوى فى منطقة (حشيشاى) فى المديرية الغربية من ارتيريا . وان هذه الحلوى كانت مسمومة وادت الى وفاة بعض المواطنين . واذ تستنكر « الثورة » هذا الاسلوب فانها تختم مقالها فتقول : « لقد صمم شعب ارتيريا على انتزاع حقه فى الحرية والاستقلال » . وبالاضافة الى عدد من انباء مقاومة ابناء ارتيريا للحكم الاثيوبى التى قامت باعدام مواطنين ارتريين فى الفترة الاخيرة ، تتخطى « الثورة » قضايا ارتيريا الخاصة الى مناقشة بعض القضايا الافريقية الاخرى الهامة كقضية « روديسيا .. انفجار يهدد منظمة الوحدة الافريقية » . ثم تفرد صفحة كاملة من صفحاتها الثمانية لتوضيح خطورة « القاعدة العسكرية الامريكية فى ارتيريا » وتتعرض لها « الثورة » بالهجوم باعتبارها « تهديد للثورات الافريقية والعربية » . وتفرد « الثورة » صفحتها الاخيرة لبيانات حربية عن اشتباكات « جيش التحرير الارتيرى » مع وحدات من جيش اثيوبيا . وتفضح خلال هذه البيانات « جرائم الجيش الاثيوبى » فى عدد من مديريات أرتيريا . كما تقدم تعريفا ببعض مناضلى جبهة تحرير ارتيريا .

ومن اهم الكتب التى اصدرتها جبهة التحرير الارتيرية ، كتاب « **كفاح ارتيريا** » الذى يوضح بالتفصيل تطورات قضية ارتيريا والاوضاع القائمة والظروف المحيطة بها . وفى احد فصول « كفاح ارتيريا » تعرض الجبهة لاهداف ومبادىء الثورة الارتيرية ، فتقول « ان ثورتنا هى انتفاضة وطنية شعبية يسهم فيها جميع المواطنين من فلاحين وعمال وتجار وطنيين ومثقفين وطلبة . ويغذونها جميعا بالمال والرجال . وهى تستمد عقيدتها وروحها وخطتها من التحليل العقلى والادراك الموضوعى الواعى والتنظيم العلمى والعملى والنظرة المتكاملة للاوضاع والظروف . واما جنودها فهم مواطنون متطوعون للقتال دفاعا عن وطنهم » . ثم تضيف الجبهة « وتشرف على تنظيم الثورة اطارات جبهة التحرير الارتيرية واجهزتها التى يقودها فريق من المناضلين الاكفاء الواسعى الادراك . وهى اجهزة تقوم على بناء هرمى قاعدته الخلايا الثورية وقمته المجلس الاعلى وبينهما الاجهزة المتدرجة المسئولية . ويتجسد عمله فى جيش جبهة التحرير الارتيرية الذى تشرف عليه القيادة الثورية الشعبية » .

واذ يتعرض « كفاح ارتيريا » لاهداف الجبهة على الصعيد القومى ، يقول « ان عمل جبهة التحرير الارتيرية موجه بصورة تامة ضد الاستعمار الاثيوبى الذى تمارسه حفنة من الاقطاعيين ، وانه سوف يستهدف الاستقلال الوطنى وبناء الدولة الارتيرية الديمقراطية ذات السيادة التى تحترم جميع الحريات الاساسية دون تمييز فى العنصر او الدين ، والتى تستمد قوانينها من ارادة الشعب وتهيىء الفرص المتساوية والعدالة لكل فرد .. واما لجوؤنا الى العنف فلم يكن الا لادراكنا التام بان الاستعمار — ايا كان نوعه — لن يرفع يده الا اذا جعلت السكين فى عنقه . فاذا تحقق التحرر الوطنى وانبعثت الدولة الارتيرية شرعنا فى تنفيذ اهدافنا المشروعة الرامية الى اقامة دولة ديمقراطية ورفع المستوى الاقتصادى باقرار مبدأ التخطيط الشامل وتنسيق مناهج التطوير الاقتصادى . ويتطلب ذلك تمليك الارض للفلاح واستصلاح المراعى لرفع مستوى معيشة الفلاحين الذين يؤلفون ٧٨٪ من السكان . كما تهدف الى تطوير الصناعة الشاملة الوجوه . كذلك تهدف الى رفع المستوى العلمى والثقافى لابناء الشعب الارتيرى » .

ويتناول « كفاح ارتيريا » موقف الجبهة من الوحدة الافريقية فيؤكد « لن نسمح لعقيدتنا عن الوطن ارتيريا وما تنطوى عليه من احاسيس نبيلة وكريمة بالانحطاط الى مستوى الوطنية المتعصبة (الشوفينية) الضيقة العمياء . فنحن ندرك ان للشعوب المتجاورة مصلحة مشتركة فى التعاون والتضامن الاقتصادى والسياسى مع احترام السيادة التامة لكل قطر من اقطار المنطقة» . ثم يضيف «وينبثق مبدؤنا حول الوحدة الافريقية من هذا الادراك الموضوعى الواعى . وهو الاستقلال الوطنى التام اولا . ثم منح الشعب الفرصة ليقرر مصير الوحدة بكامل ارادته الحرة تحت اشراف حكومته الوطنية المنبثقة من ارادته » . ويستطرد « كفاح ارتيريا » فيقول « ومن حق شعوب افريقيا ان تسعى لتحقيق وحدات مصيرية بينها تؤمن بقاءها واستمرار تقدمها فى وجه التيارات الاستعمارية المتصارعة كما تجعلها اكثر قدرة لمواجهة مسئولياتها تجاه السلم العالمى ومصير الانسانية » .

حول مؤامرة بورقيبة وامريكا على الحدود الجزائرية

جاءنا من « المعارضة الوطنية التونسية » بيانا جاء فيه:

ان الاوساط الامبريالية الامريكية تستعد حاليا مع حلفائها فى المغرب العربى للقيام بهجوم يستهدف الحصول على مواقع جديدة فى العالم الثالث .

لقد وردت الى المعارضة التونسية اخبار فحواها ان الحكم التونسى يستعد حاليا بالتعاون مع جهات امريكية لخلق حالة خطيرة على الحدود التونسية الجزائرية . اما تفاصيل هذه الاستعدادات فسوف تعلن عنها فى الوقت المناسب وعندما تقتضى الظروف الملائمة ولكن يمكن القول الان ان هدف هذه الخطة سيكون محاصرة الثورة الجزائرية وتصفية مكاسب جماهيرها ، وتدعيم الحكم الرجعى القائم فى تونس اليوم ، وحين يصل صدام الحدود الى درجة عالية من التأزم فان الخطة تقضى بان تطلب تونس تدخل امريكا لمساندتها حيث تكون امريكا آنذاك مستعدة بشكل كامل ومالكة ايضا « شرعية » التدخل .

وان هذه « الشرعية » موجودة فى الاتفاق السرى الذى عقد منذ مدة بين تونس والولايات المتحدة ، والذى كشفت المعارضة النقاب عنه ويقضى هذا الاتفاق بانشاء قاعدتين عسكريتين فى شمال وجنوب تونس ، مع تنشيط قاعدة بنزرت الحربية لايواء الاسطول السادس عند الحاجة .

وقد باشر الحكم فى تونس مؤيدا من البانتجون وقلم المخابرات الامريكية فى تنفيذ خطته ، فقد عين بورقيبة السيد احمد المستيرى سفيره السابق فى الجزائر وزيرا للدفاع .

ان هذا التعيين فى هذا المنصب بالذات لم يتم نتيجة لرغبة الحكم فى ترقية السيد المستيرى او منحه مركزا هاما فى البلاد ، اكراما له ولخدماته ، بل تم تعيينه للعاملين التاليين :

١ — معروف ان السيد المستيرى من العناصر التى لم تفتأ تردد باستمرار ان هناك مشكلة حدود بين الجزائر وتونس . وقد ظل طوال فترة اقامته فى الجزائر يردد هذه الفكرة ويعمل لها بدون اى غموض . وقد اعلن هناك اكثر من مرة ان « الصعوبات » التى تعترض حاليا مشكلة الحدود لا تسمح باتباع الطرق الدبلوماسية لحلها ، ولابد من اللجوء الى الحرب الوقائية كأسلوب محبب له . وقد ثبت وجهات نظره هذه فى تقاريره التى ارسلها للحكومة التونسية فى (٢٧ جوان ١٩٦٤ — ٤ فبراير ١٩٦٦ — ٨ مايو ١٩٦٦) .

٢ — ان السيد المستيرى وهو معروف بعدائه للجزائر والاشتراكية قد قضى مدة طويلة فى الجزائر استطاع خلالها ان يطلع على تفاصيل الاوضاع ، وان يعرف انواع الرجال الحاكمين وهو من ثم يستطيع بناء على هذه المعرفة ان يلعب دورا حاسما فى اية عملية ، تقرر الحكومة التونسية القيام بها ضد الجزائر .

هذا يقتضى طبعا ، ان يقاوم الحكم كل تطور فى صفوفه من شأنه ان يعارض المصالح الامريكية وهو من جهة اخرى يريد ان يستخلص الضمانات من امريكا لمواجهة الموقف الداخلى .

وما من شك ان توجيه الانظار نحو ازمة خارجية مثل ازمة الحدود مع الجزائر كفيلة باشغال الرأى العام التونسى وهو ما يريده الحكم وما تسهله له امريكا .

ان اهداف الخطة الامريكية البورقيبية فى المغرب العربى تتلخص فيما يلى : —

١ — عرقلة نشاط الثورة الجزائرية التى تواجه مشاكل عديدة ناتجة عن الفترة الاستعمارية وتريد حلا عاجلا لها .

٢ — الضغط على الثورة الجزائرية لكى تتراجع عن منجزاتها الاشتراكية ومناهضة الاستعمار ولكى تدفعها نحو قبول الامر الواقع . والتعامل مع الانظمة الرجعية فى المغرب العربى .

٣ — اخراج الحكومة التونسية من العزلة الماحقة التى تعيش فيها ، وجعلها شريكا مباشرا فى كل القضايا التى تمس المغرب ، وابراز دورها فى الحياة السياسية للمغرب العربى .

٤ — منع تطور الحركات التقدمية فى المغرب وتونس لكى تتجمد ولا تلتحم بحركة الثورة العربية والجزائرية وبالحركات الافريقية التقدمية .

٥ — عزل الاقطار الثورية وايجاد حواجز تمنع التقائها فى تجمعات ديناميكية قادرة على الحركة والعمل فى العالم العربى وافريقيا .

ان المعارضة الوطنية التونسية تعلن ان الجماهير الشعبية فى اقطار المغرب تعرف جيدا ان حل مشاكلها لا يمكن تحقيقه الا فى اطار العمل من اجل توفير الشروط الموضوعية اللازمة لاقامة وحدة المغرب العربى ومواجهة متطلبات تطوره وفق اسس ثورية تقدمية . وهذا يستدعى ان تفضح الجماهير سياسة الحكام الرجعيين الهادفة الى الانحراف ، واصطناع مشاكل لا تخدم الا مصالحهم .

ان المعارضة التونسية وقد اخذت على عاتقها مسئولية النضال ضد الحكم الرجعى العميل فى تونس ، تشعر ان من واجبها تنبيه الرأى العام العربى والتونسى ، الى خطورة المؤامرة التى يعدها الحكم بالتعاون مع الاوساط الرأسمالية الامريكية . والمعارضة التونسية على يقين ، من ان الرأى العام التونسى سيهب الى فضح قادة الحكم واعوانهم وكشف مؤامرتهم ومنعهم من ارتكاب جريمتهم . ونحن متأكدون من يقظة الشعب ووعيه وقدرته على النضال ضد محاولات الاستعمار الامريكى الرامية لتحويل تونس الى قاعدة تآمر ضد الثورة الجزائرية الشقيقة اما على المستوى العربى العام . ان هذه المرحلة الخطيرة التى تشهد هجوما امبرياليا واسع النطاق تستوجب ان تبادر كافة القوى التقدمية العربية لتوحيد صفوفها والرد على هذا الهجوم بجبهة شعبية منظمة تعتمد على قوى الجماهير المناضلة فى كل مكان من الوطن العربى .

ابراهيم طوبال

رئيس الوفد الخارجى للمعارضة الوطنية التونسية

مذكرة اللجنة التحضيرية للاتحاد العام لطلبة البحرين

بعثت سكرتارية اللجنة التحضيرية للاتحاد العام لطلبة البحرين ، بمذكرتها التى ارسلتها الى مؤتمر اتحاد الطلاب العالمى الذى عقد فى القاهرة فى يوليو الماضى . وهذا هو نص المذكرة .

ايها الاصدقاء الاعزاء :

انها لفرصة عظيمة ان يعقد اجتماعكم فى القاهرة لنتقدم باسم طلاب البحرين فى العالم بترحيبنا بكم فى الارض العربية ولنتقدم بتمنياتنا فى ان ينجح هذا الاجتماع فى تعزيز دور الشبيبة العالمية لخدمة قضايا الحرية والتقدم والسلام .

وايمانا من اللجنة التحضيرية لاتحاد طلاب البحرين بالدور التقدمى الذى يمارسه اتحادكم العالمى فى تجنيد القدرات الطلابية الى جانب القضايا التقدمية فى العالم ، كان لزاما علينا ان نحرص على اقامة علاقات التعاون مع منظمتكم العالمية كتجسيد عملى لما اسس عليه فهمنا للدور الملقى على عاتقنا ضمن قضيتنا الاقليمية وضمن الحركة الطلابية العالمية .

ولما كنا بصدد عمل تحضيرى لانشاء اتحاد عام للطلبة البحرانيين فى جميع انحاء العالم فانه من المناسب ان نعرض عليكم ما تعلق بهذه القضية مع رجاء فى التوصل الى دعمكم لهذا العمل .

وقد يكون من الانسب فى تناول العرض ان نبدأ فى شرح للدوافع المباشرة التى اوصلت جهودنا الى عتبة المبادرة فى حشد ما يملكه طلابنا من امكانيات وتوجيهها الى احداث هذه النقلة فى تاريخ الحركة الطلابية البحرانية ، ولعل هذه الدوافع تتلخص فى ثلاث نقاط هى : —

١ — الدافع الاول هو الوضع السياسى والاجتماعى الذى تعيشه البحرين والذى يستلزم تجنيدا للطاقات الطلابية ضمن الحركة الوطنية فى مواجهة التسلط الاستعمارى والرجعى .

وقضية البحرين السياسية والاجتماعية قضية كنا نود عرضها فى هذه المذكرة تفصيلا لولا خشيتنا من ضيق المجال مع عزمنا على وضع دراسات تفصيلية عن هذه القضية نعرضها على المؤتمر التأسيسى للاتحاد الذى نحن بصدد التحضير اليه .

الا انه لا يخفى عليكم ما يعانيه بلدنا من استغلال استعمارى رجعى متمثل فى الاستعمار البريطانى فى المنطقة والمقنع بمعاهدة حماية بين حاكم البحرين والحكومة البريطانية وقعت تحت التهديد عام ١٨٨٠ لاستغلال ثروات البحرين البترولية فيما بعد واستغلالها لموقعها الاستراتيجى عسكريا اضافة الى الاستغلال الاقتصادى للسوق المحلية بحيث تحولت المنطقة الى مركز نفوذ عسكرى واقتصادى لبريطانيا ترتب عليه وضع اجتماعى سىء للمواطنين من الناحية المعيشية، عدا الجو الارهابى الذى خيم على المنطقة طيلة فترة التحكم الاستعمارى المستمر حتى اليوم ، ذلك الارهاب الذى تعرضت له كل التحركات الشعبية المطالبة بالتحرر والاصلاح .

واليوم اذ يمضى الاستعمار البريطانى فى دعم عدوانه على المنطقة بنقل القاعدة العسكرية البريطانية من عدن الى البحرين لتصبح نقطة الثقل الرئيسية فى الاستراتيجية العسكرية البريطانية لمنطقة شرقى السويس ، يزداد عبء النضال الشعبى فى البحرين اذ يواجه هذه القوة الضخمة التى عززت بها بريطانيا جبهة الاستعمار العالمى فى المنطقة لمواجهة حركات التحرر .

وايمانا منا بالدور الطليعى لطلبة البحرين فى التصدى للمعركة ضد الاستعمار البريطانى ، وجد الدافع لايجاد الشكل المناسب الذى يمكن ان يضمن المجهودات الطلابية وتجنيدها فى المعركة كجزء من الحركة الوطنية ، وكان هدف انشاء الاتحاد العام لطلبة البحرين هدفا يحقق هذا المجال فى حشد الامكانيات الطلابية وتفجيرها فى المعركة مع الاستعمار .

٢ — والدافع الثانى الذى كان وراء عملنا التحضيرى للاتحاد هو الشعور بالحاجة الماسة الى تبنى قضية الطالب البحرانى نقابيا وعلى اوسع المستويات وخصوصا فى ظل الاوضاع السياسية التى تعيشها البحرين والتى حرمت الطلاب من الرعاية التى تمهد لهم سبل التعليم حيث ان السياسة التعليمية التى تمارسها حكومة البحرين سياسة تنطوى على اهداف استعمارية فى الحد من الاقبال على التعليم وتضييق الخناق على الطلبة الذين يتلقون دراستهم فى الخارج ، لذلك كانت عملية تأسيس اتحاد عام للطلاب البحرانيين تعنى بناء المؤسسة التى تساعد الطلبة البحرانيين على مواصلة تعليمهم وفى تبنى ومتابعة قضاياهم المتعلقة بدراساتهم ومواقفهم النقابية .

٣ — الدافع الثالث هو ايماننا بدور لا بد وان نضطلع به على مستويين :

الاول مستوى الحركة الطلابية العربية ، فاننا نعتقد بان القطاع الطلابى العربى يحتل موقعا طليعيا فى المعركة ضد الاستعمار والرجعية ومتى تعزز دور الحركة الطلابية العربية فى هذه المعركة عمليا فانما يشكل ذلك دفعا عظيما لقضية الحرية والوحدة والاشتراكية فى الوطن العربى ، لذلك فان اتحاد طلبة البحرين المنشود سيعمل بكل طاقته فى تعزيز الحركة الطلابية العربية ضمن مجراها التقدمى .

والمستوى الثانى الذى نعتقد بانه لابد وان نضطلع ازاءه بدور يستحق كل امكانيات نقدمها من خلال الاتحاد المزمع انشاؤه .. هو الحركة الطلابية العالمية .. والذى نعتقد ايضا بضرورة تعزيز توجهها ضمن اهدافها التقدمية .

ان هذه الدوافع الثلاث كانت بمثابة المحرك الذى ترتب عليه تدارس الروابط البحرانية الطلابية لفكرة الاتحاد والتى كلفت رابطة طلبة البحرين فى القاهرة بتشكيل اللجنة التحضيرية لمؤتمر تأسيسى ينبثق عنه كيان الاتحاد .

واننا اذ نمضى فى اعمالنا التحضيرية نود ان نعبر عن تفاؤلنا بنجاح كل خطواتنا العملية التى زاولناها منذ تشكلت اللجنة التحضيرية فى الشهر الماضى ، بحيث امكننا ان نحدد شهر ديسمبر المقبل موعدا لعقد المؤتمر التأسيسى الاول .

الا اننا نشعر بحاجتنا الى الدعم المادى والمعنوى من قبل الاتحادات الطلابية العالمية ، وهذا مادفعنا الى عرض هذه المذكرة على اجتماعكم الموقر راجين دراسة المطالب التالية :—

١ — نرجو ان يخرج اجتماعكم بقرار تأييد اعمالنا التحضيرية للاتحاد العام لطلبة البحرين .

٢ — نرجو دراسة ما يمكن ان يقدمه اتحاد الطلاب العالمى من مساعدات مادية نحتاج اليها فى اعمال المؤتمر .

وان رجاءنا لعظيم فى ان ينجح تعاوننا من اجل قضايا الحرية والتقدم والسلام .

عاشت الحركة الطلابية العالمية .

وعاش الاتحاد العام لطلبة البحرين .

سكرتارية اللجنة التحضيرية

وثائق



النصوص الكاملة لمحاضر التحقيق مع عبد الله باشا فكرى ، وأحمد باشا نشأت وحسن باشا الشريعى • واسماعيل باشا محمد ، وعثمان باشا فوزى ، وحسين باشا الدرملى ، وحسين باشا فهمى ، وعلى باشا الروبى

وكان **عبد الله باشا فكرى** يعمل ناظرا للمعارف ابان الثورة ، واستقال مع باقى الوزراء فى وزارة محمود سامى البارودى، احتجاجا على قبول الخديو توفيق للائحة التى قدمتها انجلترا وفرنسا . اما **احمد باشا نشأت** : فهو احد الاعيان المصريين ، قدم الى القومسيون الذى

شكل المحاكمة العرابيين ، تقريرا مضادا لهم ، اوضح فيه خشيته من قيامهم بحرق القاهرة ، مثلما حرقت الاسكندرية ، وقد كان ما ورد بالتقرير موضع استجواب اثناء التحقيق معهم. اما **حسن باشا الشريعي** فهو احد وزراء وزارة راغب باشا ، وعمل وزيرا للاوقاف في وزارة محمود سامي البارودي . وكان **اسماعيل باشا محمد** عضوا بالمجلس العرفي ، كما عمل **عثمان باشا فوزي** وكيلا لدائرة اولاد اسماعيل بك بن محمد علي الصغير ، ووكيلا لدائرة زينب هانم افندي ، وانجه هانم افندي ، وتوفيده هانم وهم من الاسرة الخديوية . اما **حسنين باشا الدرملي** فكان عضوا بالمجلس العرفي ووكيلا للداخلية ، اما **حسين باشا فهمي** ، فعمل وكيلا لوزارة الاوقاف وعضوا بالمجلس العرفي ، بناء على اشارة وزارة الجهادية التي كان يتولاها عرابي، بذلك .وكان **علي باشا الروبي** يعمل قبل انضمامه للجيش برتبة لواء، وكيلا لنظارة السودان، وقبلها عمل رئيسا لمجلس مصر ورئيسا لمجلس المنصورة. وقد عين اثناء القتال سنة ١٨٨٢ قومندانا في مريوط ، ثم قومندانا في خط الشرق (التل الكبير) وذلك في اليوم السابق مباشرة ، لمعركة التل الكبير .

●●●

محضر استجواب عبدالله « باشا » فكري (في يوم السبت ٢١ محرم سنة ١٣٠٠)

(بناء على ماتقرر بجلسة هذا اليوم،طلب **عبد الله باشا فكري** من السجن ، فحضر وسئل فأجاب بما يأتي) :

س ماكانت وظيفتك اخيرا ؟

ج كنت ناظر المعارف .

س قيل عنك انك كنت من ضمن زمرة العصاه ، وكنت تجتمع كثيرا عليهم في منازلهم . ؟

ج اعرض للقومسيون مسالتي فاقول انه من المعلوم قديما اني محسوب الجناب الخديوي، وكنت دائما اخشى على نفسي من تلك الزمرة، ومع ذلك لما انعقد مجلس النظار ، الذين كنت من ضمنهم وقر رايه على طلب النواب عارضت في ذلك ، وقلت ان طلبهم مخالف للقانون ، وان من رأيي ان لايصير جمعهم الا بارادة سنية خديوية، وطلبت ذكر معارضتي في المحضر ، واظن انها ادرجت ، ولكن قر رأيي الاغلبيه على طلبهم، فطلبوا ، وعند حضورهم اخبرهم الخديو ، بأن جمعهم بالكيفية التي جمعوا بها مخالف ، فكان راى الخديوي موافقا لرايي ، ولذلك زاد خوفي ، أماتوجهي لطرفهم ، فكان كباقي الناس لاجل الوقوف على حقيقة مايقع ، وانتهاز فرصة لابداء نصايح ... ومما يؤيد ذلك انه في يوم انعقاد الجمعية بالداخلية ، خطب كثيرون ولم افه بكلمة ، وفي ليلة سفر علي باشا مبارك رافقته من منزله الى قصر النيل ، والحيت عليه بأن ينضم لعرابي ويعرض للجناب الخديوي وجوب حل هذه المسألة بالسلم ؛ وقد توقفت عن ختم قرار تلك الجمعية ، واحتجيت بفقد ختمي والتزمت بعد تكرار الطلب بوضع امضائي عليه ؛ وفي الجمعية الثانية لم اتوجه ولم احضر، انما تكرر طلبي بعد ذلك للختم على القرار فالتزمت بالتوجه والختم وبلغني اني اتهمت بعدم الحضور ، وكذلك في مدة العصيان لم اتوجه لديوان الجهادية الا دفعة او دفعتين لتقديم الرجاه في شأن **ابراهيم باشا ادهم** ، ولو كنت متحدا معهم لكنت استمريت على الذهاب .هذا فضلا عن اني لم ادفع اعانة حربية

س هل انت متحقق من ان معارضتك في طلب النواب ذكرت بمحضر الجلسة . ؟

ج اني متذكر جيدا حصول المعارضة مني في ذلك ، ومتذكر ايضا اني طلبت ادراج المعارضة في محضر الجلسة ، ولكني لم اكن متحققا ادراجها او عدمه ولكن عند تلاوة المحضر سمعت ذكرها .

س من الذي كان معارضا في ذلك معك من النظار ؟

ج لم اكن متذكرا لهم كما يجب . انما يغلب ظني، انه وافقني على ذلك سعادة **مصطفى باشا فهمي** وسعادة **علي باشا صادق**

س نشر بعدد (٥٦) من جريدة المفيد عبارة معنونة (الوازع والامة) وقيل ان هذه العبارة من قلمك ، فهل هذا حقيقي ام لا ؟

ج اني لم اكتب عبارات مطلقا بالجرائد، في مدة العصيان ولم اطلع على العبارة المحكى عنها لاقبل طبعها ولا بعده .

س : في وقت المداولة في مجلس النظار في مسألة الجراكسة ، حصل تهور واصرار على عدم تنفيذ ما صدر به أمر الحضرة الخديوية فهل تعلم بذلك ؟

ج في اثناء المداولة في المسالة المذكورة بالمجلس ، قال احد النظار ولست اتذكر من هو بما ان الامر الذي صدر من الجناب الخديوي صدر الى الداخلية ، مع انه كان يلزم اصداره للجهادية ، ولم يرفق به كشف اسماء المحكوم عليهم ، فيبقى بالداخلية بصفة اشعار ، فيطلب من الحضرة الخديوية اصدار امر آخر للجهادية بتنفيذ الحكم، وفي الواقع، توجه **محمود باشا سامي** للاعتاب السنية ولم اعلم ماقاله انما بلغنا فيما بعد أنه حصل منه تهور ..

س علم من جوابك الاول ، انك ختمت على القرارين اللذين صدرا من الجمعية التى عقدت اولا وثانيا فى ديوان الداخلية، فهل كان ختمك بالنظر لموافقة ما اشتملت عليه القرارات المذكورة لافكارك ، أم لسبب آخر ؟

ج انى لم اختم على القرارين المذكورين، بناء على موافقة ما اشتمل عليه لافكارى، ولا سيما انى لم احضر فى الجمعية الثانية، ومما يثبت مخالفة ذلك لافكارى، تمنعى عن الختم كما قلت آنفا ، وتكلمى مع **على باشا مبارك** عن توجهه الى الاسكندرية فى الصلح ، ويدل على ذلك ايضا، انى لم انطق بكلمة مما كتب فى قرار الجمعية الاول التى حضرت فيها، كما يعلم ذلك من كان حاضرا وختمت بعد تكرار الطلب والالحاح، حيث ان الحالة الراهنة لم يمكن حقها التوقيف بالكلية »

س قلت اولا انك عارضت فى طلب النواب وجمعهم بكيفية مخالفة للقوانين ، وان الاغلبية قر رأيها مع ذلك على جمعهم ، فكان يجب عليك الاستعفاء لما رأيته من باقى النظار من مخالفة القوانين ومخالفة الحضرة الخديوية ؟

ج ما كان يمكننى الاستعفاء فانه كان يؤكد الاشتباه فى .

س لما قدمت دولة الانكليز وحكومة فرنسا نوتة بطلب ابعاد بعض رؤساء الجهادية ، قبلها الجناب الخديوى ، فلماذا لم تقبلوها انتم ايضا ، واصريتم على رفضها حتى انكم استعفيتم بسببها ؟

ج انى من قبل مسألة النوتة اشرت مرارا بالاستعفاء لما رأيته من الخلاف الواقع، ولما تقدمت النوتة المذكورة ، ورأيت انه مطلوب من ضمنها استعفاء الوزارة، فلم اعارض فيها للتمكن من الاستعفاء والحصول على ما كنت ارغبه ، والذى اتذكره هو انه فى ذلك الوقت توجه محمود سامى باشا لطرف الحضرة الخديوية، وبعودته اخبرنا انه تكلم مع جنابه الرفيع فى مسألة النوتة فصدر له النطق الشريف بتحرير رد عليها، وتحرر فى الواقع . ثم حضر فيما بعد محمود باشا واخبرنا ان الخديوى قبل النوتة ولا يسعنا اذن الا ان سوى الاستعفاء ، وبنـــاء على ذلك استعفينا .»

(اعيد بعد ذلك الى السجن فى ٢١ محرم سنة ١٣٠٠) .

(بنـاء على ماتقـرر بجلسة يوم الثـلاثاء ٢٤ محرم سنة ١٣٠٠ ، طلب عبد الله «باشا» فكرى من السجن فحضر ووجه اليه سعادة الرئيس الاسـئلة المحررة أدناه) فأجاب بما يأتى :

س لما تمثلت اولا من سبب رفضكم للنوتة مع قبولها لدى الحضرة الخديوية قلت انك ، لم تعارض فيها انما وجدتها فرصة للاستعفاء الذى كنت ترغب فيه رغبة تامة، وبمراجعة صورة الاستعفاء الذى قدمتموه ، وجد بخلاف ما ابديت فانــه مبنى على قبول تلك النوتة لدى الحضرة الخديوية وعدم موافقتكم على ذلك بالاجماع ؟

ج انى بالحقيقة كنت ارغبه ، رغبة تامة فى الاستعفاء قبل تقديم النوتة المذكورة واشرت بذلك مرارا ، لما رأيت من عدم ممنونية الحضرة الخديوية من سير الوزارة ، ولـم تجد اشارتى نفعا حتى تقدمت النوتة وحصل الاستعفاء بالكيفية التى تقدم بها ، وعلمت ان المعارضة لا يحصل منها فائدة فضلا عن معرفتى الاستعفاء بهذه الكيفية مقدم للحضرة الخديوية بطريقة خصوصية ، لا عمومية اعلانية .

(اعيد بعد ذلك للسجن فى ٢٤ محرم سنة ١٣٠٠) .

اعضـــــــاء	اعضـــــــاء
محمـد مختـار	مصطفى خلـوصى
سليمان يسرى	محمـد حمـدى
مصـطفى راغب	على غـــالب
سـعد الـدين	يوسف شهدى
محمـــد زكى	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب احمد باشا نشأت (فى ١٦ الحجة سنة ٩٩)

(بناء على ماتقرر بجلسة يوم تاريخه، طلب سعادة المشار اليه فحضر ، ووجهت اليه الاسئلة اللازمة فأجاب عنها كمايأتى):

س قيل فى التقرير الذى تقدم منكم انكم كنتم تخشون ان يحصل فى مصر مثل ما حصل فى اسكندرية ، فبين لنا ماتعلمه مما حصل فى اسكندرية ، من الحرق والنهب وإن كان ذلك بمقتضى اوامر ام لا، وهل علمت بحصول استعداد لاجراء شىء من هذا القبيل فى مصر ؟

ج الذى علم لى مما حصل فى اسكندرية بلغنى من بعض الضباط ومن بعض المهاجرين ، فقيل من الضباط ، ان الحرق كان من الانجليز ، وقيل من المهاجرين ، انه كان من العساكر المصرية، ولم اعلم ان كان ذلك بمقتضى اوامر ام لا ، انما قيل من اناس كثيرين ان **سليمان سامى** هو الفاعل ، اما مايختص بمصر ، ففى يوم حضور **احمد عرابى** تكلمنا بما تكلمنا به لعلمنا بانهزامه وضعف قوته، وتحرر اذن خطـاب منه بالامتثـال وطلب العفو ، وبعد ذلك بلغنى ان الخطاب المذكور قد تغير وتحرر خطاب آخر بدلا منه ، فخشيت ان رؤســاء الجهادية، ربما يجتمعون ويقر رأيهم، على عمل شىء بمصر من مثل ما حصل فى الاسكندرية .

س قلت فى تقريرك انك كنت تخشى من حصول شىء من الجهادية فى مصر، فممن كنت تخشى ، هل من الرؤساء او من الناس مخصوصين ؟

ج انى كنت اخشى من حزب الجهادية على وجه العمـوم ، فانــه لايمكن لبعضهم اجراء شىء الا باتحاد الجميع، والدليل على ذلك ان ما اجروه فى اسكندرية كان باطلاع الرؤساء الذين لم يمنعوا احدا مما اجراه .

(اذن له بالانصراف فى ١٦ ذى سنة ٩٩) .

اعضـــــــاء	اعضـــــــاء
محمد مختـار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمـد حمـدى	سـعد الـدين
محمـــد زكى	يوسف شهدى
على غـــالب	

اسماعيل ايوب
رئيس القومسيون

محضر استجواب حسن باشا الشريعي (فى يوم الثلاثاء ١٠ محرم سنة ١٣٠٠)

(بناء على ماتقرر بجلسة هذا اليوم ،طلب حسن باشا الشريعي من السجن وسئل فأجاب بما يأتى) :

س حيث انك كنت من ضمن الوزارة التى تشكلت تحت رئاسة راغب باشا، وعلم للقومسيون انك كنت فى طابية الديماس فى يوم الضرب على الطوابى مع بعض الذوات والنظار ، وحضر فى وقت وجودك عسكرى من البوليس واخبر احمد عرابى انه قتل واحد أوروباوى تلغرافجى فهل سمعت ماقاله ، هذا العسكرى وما اجابه به احمد عرابى ؟

ج نعم فى اثناء وجودى فى طابية الديماس بينما كنت جالساً مع بعض اقرانى بعيداً قليلا عن احمد عرابى ، اذ حضر عسكرى ملطخة يده بالدم ، وتكلم مع احمد عرابى ولم اسمع ماقاله لاحمد عرابى المذكور ، ولا ما اجابه به لبعدى عنه .

س لما حصلت المذاكرة فى مسألة تطلب الانجليز بعض الطوابى وقبل حصولها، الم تسمع احمد عرابى يقول انه ، لايسلم البلد وانه اذا وجد ان فى العزم النزول اليها احرق البلاد ودمرها ؟

ج لم اسمع ذكر حرق أو تدمير ، انما سمعت احمد عرابى يقول انه لابد من المحاربة حتى نفنى .

س هل توجهت مع سلطان باشا واباظة باشا الى جسيانب احمد عرابى للتكليم معه فى شأن الكردون » ؟

ج نعم

س ماذا سمعت منه ؟

ج لما توجهت انا وسعادة سلطان باشا ، وسليمان باشا اباظة ، وحسين بك ترك ياوران الحضرة الخديوية، واحد ياوران درويش باشا لم اعرف اسمه ، قلنا له ان العساكر الموجودين فى الرمل عملوا كردونا حول السراى المقيم فيها الخديوى ، فما سبب ذلك ؟ فأجابنا ان قد بلغه ان الجناب الخديوى احضر عربانا ليخفروه ، ولا يصح هذا مع وجود العساكر ، فقلنا له ان الخفارة لا توجب عمل كردون خصوصا وان بعض الناس حمل هذا الامر على غرض آخر ، فقال ربما ان الضباط فهموه خطأ فاجبناه انه لايمكن وقوع خطأ مثل هذا والحينا عليه ، حتى اخذنا طلبه باشا معنا ليرفع الكردون ، وعدنا الى الرمل .

س هل رأيت خروج العساكر ومعهم منهوبات ؟

ج نعم رأيته عساكر وعربانا وأهالى مزدحمين فى الطرق من محطة سيدى جابر الى بابشرقى ومعهم منهوبات من ابسطة كراسى واقمشة وغير ذلك .

س هل بلغك حصول الحريق ؟

ج نعم

س الم تعلم من اجراه

ج لم أعلم

س علم للقومسيون ان مجلس النظار قرر رايه على عدم خروج العساكر من البلد ، فكيف خرجوا فيما بعد؟

ج ان الذى اعلمه ، هو ان الجناب الخديوى امر احمد عرابى باخذ العساكر والتوجه لطابية العجمى وطابية المكس فامتنع من ذلك قائلا ان الطابيتين المذكورتين مكشوفتان .

س كيف خرج اذن احمد عرابى مع العساكر ، هل بناء على قرار من مجلس النظار ؟ ام من تلقاء نفسه؟

ج خرج من تلقاء نفسه بدون قرار » .

(اعيد بعد ذلك الى السجن)

بعد اعادته الى السجن، طلب من القومسيون بواسطة البكباشى مأمور السجن ، ان يؤذن له بالحضور ، فاذن له بذلك وحضر فقال :

تذكرت انى لما توجهت الى بابشرقى مع سلطان باشا وباقى من ذكرتهم للتكلم مع عرابى فى شأن الكردون رأيت عمر رحمى واقفا ، وقال ان الذى حصل من سليمان سامى لم يكن مستحسنا وكان سليمان المذكور راكبا حصانه أمامنا ، ولما سألته عن غرضه بقوله ماحصل من سليمان بك ، أجابنى أن غرضه بذلك هو ماكنت مشاهده ، ورأيت احمد عرابى ياخذ من الناس منهوبات ويلقيها فى نيران أشعلها هناك : ثم تركته اجابة لنداء اخوانى وتوجهت للتكلم مع احمد عرابى المذكور فيما حضرت لباب شرقى من أجله » .

(اعيد بعد ذلك الى السجن)

(بناء على ماتقرر بجلسة هذا اليوم (٢٤ محرم) طلب حسن باشا الشريعى من السجن وسئل فأجاب بمايأتى) :

س : قيل عنك انك كنت متشيعا لزمرة العصاة وكنت تجتمع عليهم كثيرا فى منازلهم ، فهل هذا حقيقى أم لا ؟

ج : لم اكن من زمرة العصاة ، بل لم اجتمع عليهم الا منذ عينتى الجناب الخديوى فى الوزارة التى كانت تحت رئاسة محمود سامى وكان من ضمنها احمد عرابى ، اما قبل ذلك فما كنت اعرف المذكورين الا كباقى الناس، ولم ازل لغاية الآن محافظا على شرفى ، وعلى الواجبات المفروضة على للحكومة » .

س : ان الوزارة المذكورة قر رأيها يوم حصول مسألة الجراكسة ، على طلب النواب ، وفى الواقع صار طلبهم بكيفية غير قانونية ، فهل كنت موافقا على ذلك أم لا ؟ »

ج : انى لم اوافق على ذلك لا انا ولا ناظر المعارف ولا ناظر المالية اعنى سعادة عبد الله باشا فكرى وسعادة على باشا صادق ، وقلنا يلزم اصدار دكريتو من الحضرة الخديوية ، فقر رأى الاغلبية على طلبهم بالكيفية التى طلبوا بها ، كما يعلم من محضر الجلسة التى حصلت فيها المذاكرة فى هذه المادة

س : علم من جوابك المتقدم انك لم توافق على طلب النواب وجمعهم بصفة غير قانونية ، وان الاغلبية قر رأيها مع ذلك على طلبهم ، فلماذا لم تستعف من الوزارة لما رأيت من سيرها المخالف ما رأيت ؟

ج : ماكان يلزمنى الاستعفاء بناءعلى ان الاغلبية قر رأيهاعلىأمرماخلافا لرأيى ، بل الذى يجبعلىكالجارى عادة بالمجالس ، هو ابداء رأيى وفى الواقع اشرت بما رأيته .

س : فى اثناء وجود وزارة محمود سامى قدمت دولة أنكلترا وحكومة فرنسا نوتة بطلب ابعاد رؤساء الجهادية ، ومع قبولها لدى الجناب الخديوى رفضتها الوزارة المذكورة حتى استعفت وتمحلت أسبابا وهمية فهل كنت من ضمن الموقعين على ذلك ؟ .

ج : انى استعفيت مع باقى النظار لهذا السبب المبين بالاستعفاء ، ولو كان لي رأى مخالف للباقى ما كان يحرز ذلك نفعا اذ ان الاغلبية كانت تتوفر مع الباقى .

س : هل تحولت نقود من نظارة الاوقاف حين كنت بها لنظارة الجهادية ؟

ج : لم تتحول نقود للجهادية من النظارة المذكورة حين كنت بها

(اعيد بعد ذلك الى السجن) .

اعضاء	اعضاء	اعضاء
سعد الدين	محمد حمدى	محمد مختار
رئيس	على غالب	يوسف شهدى

القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب اسماعيل باشا محمد

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الخميس ٢٢ ذا سنة ١٢٩٩ و ٥ اكتوبر سنة ١٨٨٢ عن طلب سعادة اسماعيل باشا محمد لسؤاله عمايلزم، فحضر ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة اللازمة ، فاجاب عنها بما يأتى) :

س : كنت عضوا فى المجلس العرفى فبأمر من تعينت فيه ؟

ج : بأمر وكيل الجهادية .

س : هل امرك وكيل الجهادية من تلقاء نفسه او بناء على تعليمات صدرت اليه ؟

ج : لم اعلم ذلك ، انما كان يرسل لنا بوصلات يدعونا فيها للحضور ، وكنا بناء عليها نتوجه للمجلس .

س : حصلت جمعيات بالداخلية من الاعيان والعمد والرؤساء الروحانيين، فهل كان انعقادها بناء على قرار من المجلس العرفى ؟

ج : لم يقر رأى المجلس العرفى على ذلك ، وانما كان هذا بأمر وكيل الجهادية .

س : وجدت اعراضات مقدمة من المجلس العرفى للباب العالى ، فأفدنا عن كيفية تحريرها وارسالها للباب العالى وكيف وقعتم عليها ؟

ج : الاعراضات التى أرسلت للباب العالى حررها يعقوب باشا ومن معه من الجهادية ، ولم اختم الا على واحد وكان بالجبر

س : من كان بالمجلس من الجهادية .

ج : احمد فرج وعلى فهمى ، وحسن بك جاد .

س : هل هددوكم هؤلاء الاشخاص ؟

ج : نعم

س : هل كان على الروبى موجودا بالمجلس ؟

ج : نعم

س : هل وجد غير هؤلاء ممن هددوكم؟

ج : لم يوجد غيرهم .

س : لو لم يحصل تهديد ، هل كنت مع ذلك توقع على تلك الاعراضات؟

ج : حاشا ولا كنت توجهتلذلك المجلس

س : هل وجدتبالداخلية ، بالجمعيات التى عقدت بها ام لا ؟
وفى حالة الايجاب ، هل كان ذلك بناء على طلب يعقوب سامى ام بناء على طلب من ؟

ج : نعم وجدت . فانه حضر لىعسكرى واخذنى ، فتوجهت معه

س : هل ختمت محاضر تلك الجمعيات برضاك ام بالجبر ؟

ج : يعقوب باشا كان متوليا تختيم الناس

س : هل امتنع احد من الختم وحصل له تهديدات او اهانة ؟

ج : نعم فى علم الجميع انه لما تكلم عكوش باشا بما تكلم ، هدده محمد عبيد

س : هل تكلم بشىء على الروبى فى الجمعيات المذكورة ؟ .

ج : القى مقالة طويلة وحرض فيهاعلى القتال لانحياز الخديوى مع الانجليز على زعمه ، حتى انه خاطبناقائلا يايهود يانصارى الم تختموا على اعراضكم الخ .. وخطب ايضا يعقوب باشا بهذا المعنى .

س : هل ماقلته حصل بالجمعية الاولى أو الثانية ؟

ج : فى الثانية

س : هل حصل تهديد فى الجمعية الاولى ؟

ج : نعم للتختيم فقط ، اما المقالات فلم يحصل .

س : هل دعوك للحضور فى الجمعية الاولى ؟

ج : نعم وارسلوا لى عسكريا من الداخلية اما فى الدفعة الثانية فارسلوا لى عسكريا من الجهادية

س : ممن كان المجلس العرفى مركبا ؟

ج : من جعفر باشا واسماعيل باشا ابو جبل واحمد باشا حسنين . وعلى بك فهمى ، وحسين باشا فهمى ، وسامى باشا ، واحمد باشا نشأت ، وبطرس باشا وعريان بك ، وأحمد بك رفعت ، وأحمد بك شكرى ، وحافظ بك رمضان ، وابراهيم باشا خليل ، وحسين باشا الدرملى ، هؤلاء من الملكية ، اما من اعرفهم من الجهادية فهم يعقوب باشا رئيس المجلس وعلى باشا الروبى، واحمد بك فرج ، وكل من رضا باشا ، وعلى بك يوسف قبل سفره

س : الم يكن محمود سامى من اعضاء المجلس ؟

ج : لم يكن من اعضاء المجلس ،ولكنه كان يحضر ويعطيهم تعليمات .

س : لماذا عقدت الجمعية الاولى ولماذا عقدت الثانية ؟

ج : لما ابتدأ الضرب على الطوابى بالاسكندرية ، صدر تلغراف من راغب باشا بان الادارة تكون عسكرية ، بسبب انتشاب الحرب بين الحكومة المصرية ، وبين حكومة الانجليز وبعد ذلك صدر تلغراف آخر منه ، انه بالنظر لحصول الصلح تعود الادارة كما كانت ، ويبطل جمع العساكر ، فعقدوا فعقدوا الجمعية ، وتلوا التلغراف الاول والثانى ، وقالوا حيث انه لم تعلم كيفية الصلح ، ولا يصح ان يكون بمعرفة راغب باشا ، بل بمعرفة الخديوى الافخم ، او بمعرفة الباب العالى، فقر رايهم على استمرار التجهيزات وعلى تعيين وفد للتوجه للاسكندرية ونظر حقيقة الحال هناك

س : هل كان التختيم على ذلك القرار بالرضا أو الجبر ؟

ج : يظهر لى انه كان بالجبر ، فانه لم يحصل شىء فى وقتها فى مصر بالرغبة .

س : هل ارسل ذلك القرار للخديوى ، او حفظ او ارسل للباب العالى؟

ج : اخذه الوفد لتقديمه للحضرة الخديوية .

س : ماذا حصل فى الجمعية الثانية ولماذا عقدت ؟

ج : صدر امر من الخديوى بعزل احمد عرابى فعقدت الجمعية وقيل فيها ، انه يلزم بقاء عرابى والاستمرار على التجهيزات

س : ماذا عملوا فى القرار الثانى هل ارسلوه للباب العالى أم حفظوه؟

ج : بلغنى انهم ارسلوه للباب العالى

س : هل قرروا فى المجلس العرفى ارساله للباب العالى ؟

ج : لم يقرروا ذلك بالمجلس المذكور

س : هل تلا احد فى الجمعية خطبا غير على الروبى ويعقوب سامى ؟

ج : لم يقل احد خطبا غيرهما ، انما وجد محمد عبده وخلافه خلفهم كانوا يلقنونهم

س : هل تراءى لك ان حسين الدرملى وكيل الداخلية كان متحدا معهم اتحادا صادقا باطنه كظاهره ؟

ج : لم أر الا اتحاد الجهادية فقط .

س : الم يعلم لك من كان من اعضاء المجلس العرفى متحدا معهم اتحادا ظاهره كخافيه ؟

ج : لم أعلم ذلك بالنظر لعدم اختلاطى بباقى الاعضاء ، انما كان كل من **الشيخ محمد عبده والشيخ العدوى وحسين الدرملى يجتمع مع الجهادية** فى جمعياتهم السرية ، ولكن اجتماع حسين الدرملى فيها كان احيانا لا دائما .

س : هل كان محمود سامى يحضر فى الجمعيات السرية ؟

ج : عند حضور محمود سامى كان تارة يدخل مع يعقوب باشا فى الخزينة ويتكلمان معا لم يخرجان تارة وتارة يبقى معنا .

س : هل تعلم بالدقة انه من العصبية أم لا ؟

ج : يظهر لى انه من رؤوسها .

(بعد ذلك انصرف فى ٢٢ القعدة سنة ١٢٩٩)

اعضاء	اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى	سليمان سرى
مصطفى راغب	محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى	على غالب

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب عثمان باشا فوزى (فى يوم السبت ٧ محرم سنة ١٣٠٠)

(بناء على ما تقرر بجلسة هذا اليوم طلب عثمان باشا من السجن وسئل ، فأجاب كما يأتى) :

س : ما وظيفتك ؟

ج : وظيفتى وكيل دائرة دولتلو زينب هانم افندى ووكيل دائرة انجه هانم افندى ووكيل دائرة توفيده هانم واولاد اسماعيل بك ابن محمد على الصغير

س : هل كان لك اختلاط بحسن موسى العقاد ؟ وهل حصلت مكاتبة بينك وبينه ؟

ج : لم يكن لى اختلاط معه ولم تحصل مكاتبة بينى وبينه .

س : موجود هنا جوابان من حسن موسى العقاد احدهما تاريخه ١٥ رمضان سنة ١٢٩٩ ، والثانى تاريخه ١٧ منه .

وها هى صورتها ..

افندم

بلغنى انه حضر لسعادتكم تلغراف من الاستانة خلاف الجواب الاخير، فاذا كان ذلك صحيحا فنرجو ارسال التلغراف المذكور اوصورته الينا عن يد رافعه ،للاطلاع عليه، وبعدها نرسله لسعادتكم بالثانى فندم . ١٥ ن سنة ٩٩

امضاء

ولدكم حسن موسى

افندم

اذا ورد لسعادتكم تلغرافات من الاستانة ، فلا تطلعوا عليها احدا قبلى بل لابدفى الاول من مقابلتنا مع سعادتكم للمداولة فى شانه، حيث ذلك ضرورى افندم ١٧ رمضان .

امضاء

حسن موسى العقاد

فهل ورد اليك هذان الجوابان ام لا؟

ج : لم يردا لى ولم أرهما الا الان .

س : باستجواب حسن موسى عن هذين الجوابين : قال انه ارسلهما اليك ، فكيف تنكر اطلاعك عليهما ، مع انهما ضبطا فى منزلك ؟

ج : انى لم ار هذين الجوابين ابدا .

س : موجود ورقة اخرى ضبطت فى منزلك ومؤرخة فى ٥ جونيو سنة ٨٢ فاطلع عليها وقل لنا ، ممن هذه الورقة وما كيفيتها ؟

وها هى صورتها :

من الاستانة فى ٥ جونيو سنة ١٨٨٢

فى ليلة الاربعاء الماضى ، انعقد مجلس النظار بهذا الطرف ومن بعد المداولة ، اقر رأى جميعهم على وجوب

بخلع الخديوي محمد توفيق باشا ، وتولية البرنس حليم باشا بدلا عنه، وعمل القرار بهذا الخصوص ، وفى اليوم الثانى الموافق غرة جونيو ، ورد تعريف بأن فرنسا ترغب افتتاح مؤتمر بالاستانة . يصير تشكيله من سفراء الدول لتسوية المسألةالمصرية، وان دولة انكلترا وافقت على هذا الطلب ، واما السلطان فلا يريدمطلقا افتتاح المؤتمر المذكور ، ولهذا السبب ، ومن بعد اخذ رأى ومشورة سفير المانيا ، ارسل الوفد العثمانى لمصر لنهو المسألة ، ومنع أفتتاح المؤتمر ، وجل مأموريته على ما يقال ظاهر بالاجتهاد ، وبحفظ الحالة الراهنة ، وتأييد سلطة توفيق باشا انما املنا بالمصريين ان لا يضعف عزمهم ، ويظهروا للوفد ارادتهم ورغبتهم بالكيفية التى اعرضوا عنها للسلطان ، وعندما لا يتأخر جلالته من ان يعرف الدول عن عدم لزوم اجتماع المؤتمر وان الواسطةالوحيدة لايجاد الهدوء والراحة العمومية بمصر تكون لقبول طلبات الشعب التى اعرض عنها الامر المصمم السلطان على تنفيذه .

ومن كل جهة يؤكدون لنا بأن هذه هى الطريقه الوحيدة التى يريد اتخاذها السلطان ليمنع انعقاد المؤتمر ، لانه يخشى بأسه للغاية ، وعلى حسب التعليمات الاكيدة التى بلغنا أياها احد الرجال السياسيين هنا ، المطلع كل الاطلاع على كل ما حصل الان فى مجلس باريس ولوندرة لايلزم لنا ابدا الالتفات لما تعهد به كل من الخواجات ديلك وغلادستون فى هذه الايام الاخيرة حيثبالطبيعة ان مقصد الحكومة الاجليزية تاييد توفيق باشا بصفة رسمية ولكن ممكن ان هذا التأييد يكون فقط بصفة وقتية لا غير ، ويمكن ايضا ان رأى باقى الدول لايطابقرأىدولة انكلترة . وعندها تلتزم هذه الدولة ان تغير رأيها .

ثم بلغنى بحال ارسال هذا ، انه قد طرأ على مولانا السلطان امر آخر كدره زيادة على انعقاد المؤتمرالذى لا يريد مطلقا ان يسمع ذكره ، وهى تلك الاجابة التى اجابها عرابى باشا لجلالتهبانه لا يهمه اذا كان يصير تولية ابن توفيق باشا ، او حليم باشا عوضا عن الخديوى، اذان غاية قصده هو تثبيت وتأييد الامور والاعمال التى صار احداثها .

ولا عجب اذا كان السلطانيتكدر من اجابه مثل هذا ، ولهذا اهم مأمورية الوفد ، اتخاذ الطرقالقوية بقصد الحصول على حيادة المصريين عن هذه الاجابه .

ففكر حليم باشا أن المصريين لا يشددون ولو بالوقت الحاضر على هذه الاجابة خوفا من تكدر السلطان، حيث ان أهم الامور هو الحصول بالابتداء علىخلع توفيق ، واماالاعمال التى صار احداثها فيكونون مطمئنين ان غاية قصد حليم باشا ان يحفظها ويؤيدها وان يهتم ويشتغل بها بالاتحاد معهم .

ج : احلف انى لم ار هذه الورقة ايضا ولم اعلم بها .

« بناء على هذا الجواب استصوب طلب حسن موسى من السجن لمواجهته بعثمان باشا فحضر وسئل ، فاجاب بما يأتي» :

س : بالاستفهام من عثمان باشا عن الجوابين المؤرخينفى١٥ و ١٧رمضان سنة ١٢٩٩اللذين اعترفت بارسالهما اليه ، انكر فقل بحضوره هلكتبتهما وارسلتهما اليه ام لا ؟

ج : نعم كتبتهما وارسلتهما اليه ومما **يثبت ذلك انه صار ضبطهمافىمنزله.**

س : (الى عثمان باشا) سمعت ما قاله حسن موسى امامك ، فماذا تقولهل **انت لم تزل مصرا على الانكار ؟**

ج : لم اكن متذكرا ورودهما الى

« اعيد بعد ذلك حسن موسى للسجن، وصار الاستمرار على استجواب عثمان باشا » .

س : الم تكن متذكرا ايضا ورود الورقة المؤرخه فى ٥ جونيو سنة تاريخه **ومكتوب عليها انها من الاستانة** واطلعت عليها ايضا .

ج : اتذكر ان هذه الورقة اعطاها لى حسن موسى فى ديوان الداخلية ، وسبب ذلك انه لما استفهم منى عن **ورود تلغرافات او جوابات لى من الآستانةام لا جاوبتهسلبا فاعطانى** الورقةالمذكورة

« بناءعلىهذا الجواباستصوب طلب حسن موسى ثانية من السجن فحضر وسئل ، فاجاب بما ياتى »

س : يوجد هنا ورقة مؤرخة فى٥جونيو سنة ٨٢ ومكتوبعليها انها منالاستانة وضبطت فى منزل عثمان باشا وباستجوابه عليها قال انك اعطيتها اليه فى ديوانالداخلية ، فها هى اطلع عليها ، وقل لنا هل حقيقة اعطيتها لعثمان باشا ام لا ؟

ج : انى لم ار هذه الورقة ولا اعرفها ولم اعطها اليه

س : (الى عثمان باشا) باحضار حسن موسى والاستفهام منه عما قلته انه اعطاك هذه الورقة ، أجاب بعدمرؤيته اياها فى هذا الوقت وعدم اعطائها اليك فماذا تقول ؟

ج : سأفكر فى هذه الورقة لانى متذكر انها لم تحضر لى من الاستانة،بل أعطاها لى واحد من مصر فمتىتذكرت أفيد .

س : موجود جواب محرر اليك من حسن موسى ردا على ما كتبته اليه ،فاطلع عليه وقللنا هلورد اليكهذا الجواب **ايضا أم لا ؟**

وها هي صورته :

افنـدم

تشرفنا برقيمالسيادة وتجاوب بان عبد العال باشا كان موجودا بمنزله أمس تاريخه ، فاذا كان الامر كما ذكر فمتى سافر ومتى حضر . يوم تاريخه سمعنا بان الاميرال الانكليزى أعلن الحكومة بتنفيذ اللائحة القديمة فى برهة ٢٤ ساعة وكذا بلغنا ان الحضرة الشاهانية رفضت ماقرره المؤتمر، وكذلك ارادت دولة الانكليز ان تفعل بنفسها . بلغنا أنه صار منعالتوجهمنمصر الىالاسكندرية، ومنها الى مصر منعا لنقلالاخبار، وبلغنا أنه صار طلب عساكر بكثرة من جهة المديريات ، فيا افندمهذه الاخبارالتىسمعناهافى هذا اليوم ،ولابد ان يكون بعضها صحيحا والبعض تقولات لزم الاخطار افندم

الامضاء

ولدكم مفهوم

ج : نعم ورد لى هذا الجواب وسببذلك أنه كانت تبلغنا أخبار كثيرة مثل سيعتلون الاتراك وسيقتلون الجراكسة وما أشبه ذلك ، وبالجملة بلغنىحضور عبد العال باشا فاستفهمت منه ، فأجابنى بهذا الجواب

س : موجود جواب اخر تاريخه ٣ مايو وعليه بدل الامضا لفظه معلوم فاطلع عليه وقل لنا ممن هو ، وما هو المظروف المذكور ، ومن هو السيد المحكى عنه ؟

وها هى صورته :

فى ٢ مايو سنة ٨٢

مرسل معه مظروف للسيد صاحبنا نترجى الاعتناء بتسليمه ليده ويفاد .

الامضاء

معلوم

ج : نعم هذا الجواب من الاستانة من محمد افندى كاتب حليم باشا ، وكان معه المظروف المذكور بعنوان السيد حسن موسى ،فأرسلته اليه مع الساعى وسلمه له

س : من أين يعرف حسن موسى هذا الكاتب ؟

ج : الكاتب المذكور حضر لمصر منذ سنتين، وتقابل مع حسن موسى وعرفه من ذلك الوقت .

س : هل وردت اليك جوابات اخرى من الاستانة لتوصيلها لحسن موسى ؟

ج : لم يرد لى جوابات اخرى

س : موجود جواب ايضا تاريخه ٧ جونيو سنة ٨٢ بدل الامضاء لفظة معلوم فاطلع عليه ، وقل لنا من هو ، وهل المظروف الذى كان معه ومكلف بتوصيله للمحكى عنه السيد صاحبنا كان للسيد حسن موسى ايضا ام لا ؟

وهاهى صورته :

فى ٧ جونيو سنة ٨٢

جواباتكم كلها وصلت ، ومن خصوص الاشغال هنا على الغاية على حد التمام ، انما فاضلة على جهتكم فى كون الوفد يرجع الى هنا ومعه حل المسالة من هناك، وهو اعلان صراحة من الامة بطلبها، ولا تسلموا مطلقا فى الاجابة من الجميع هذا ومظروف معه للسيد صاحبنا ،وتعملوا معروف وتعطوه له بحال الوصول

الامضا
المعلوم

ج : هذا الجواب من كاتب حليم باشا ايضا بالاستانة ، والمظروف الذى كان مرفوقا به كان لحسن موسى

س : فسر لنا هذا الجواب ، اعنى افدعن الجوابات التى ارسلتها وقيل لك أنها وصلت ، وما هى الاشغال التى قيل لك انها تمت هناك على الغاية على حد التمام وفاضلة جهتكم فى كون الوفد يرجع الى الاستانة ومعه حل المسألة من هنا ، وهو اعلان صراحة من الامة بطلبها وما هو هذا الطلب ؟

ج : الجوابات المذكور أنها وصلت كانت جوابات زينب هانم افندى بخصوص مصالحها وأخبار فامليتها والمقصود من أن الاشغال تمت هناك ، وباقية على رجوع الوفد وطلب الامة ، هو أن الدولة العلية راضية عن حليم باشا ، فاذا سار الوفد ومعه التماس من الامة بخلع الجناب الخديوى لعدم كفاءته ، وقبلت الدول بذلك يصير عزله وينصب حليم باشا بدلا عنه .

س : موجود ايضا جواب تاريخه ١٠ ابريل عليه بدلا من الامضا ، لفظة معلوم فاطلع عليه ، وقل لنا هل هذا الجواب ورد اليك أم لا ، وهل هو من كاتب حليم باشا أيضا ، وما الذى حررته اليه حتى أنه جاوبك به ، وما سبب تنبيهه لك عن الاستعجال فى الامر ، وما هى أعمال أحمد عرابى التى قيل لك بعدم الخوف منها ، ومن هو السيد صاحبكم المكلف بتوصيل مظروف اليه ؟

وما هى صورة الجواب المذكور فى ١٠ ابريل سنة ٨٢ :

جوابكم وصل ولا تستعجلوا الامر فمن تأنى ، نال ما تمنى ، والاشياء مرهونة لاوقاتها ، ولا تخافوا من شىء تأتى به اعمال احمد عرابى بما يغاير أمل الناس فيه ويخل بالراحة والاصلاح ، فانه من مند سعى هو واخوانه فى الاصلاح لحد الان وهو سائر بالتدبير بالعقل والحكمة ، ومثل هذا الرجل العاقل ، يلزم ان لا يفتكر فى نتيجة اعماله الا الخير والاصلاح لوطنه. ومرسل بمظروف للسيد صاحبنا ، فاعملوا معروف واعطوه له بواسطة أمينة .واما عن ارسال عساكر من هنا ،فليس ظاهر تشبث ولا حركة تدل على ذلك ، والاغلب ان لا ترضى بذلك او ربما الا اذا حصل (معاذ الله) شىء مهول مخل بالراحة العمومية بالقطر

الامضا
المعلوم

ج : نعم ورد لى الجواب من كاتب حليم باشا ، وأما ما حررته اليه ، فهو انه كانت اشيعت اخبار عن مجىء حليم باشا لمصر ، فاستفهمت منه وجاوبنى بهذا الجواب ونهانى عن الاستعجال فى هذه المسألة ، وأعمال عرابى التى كنت خائفا منها ، هى ما أشيع من أنه عازم على قتل الاتراك والجراكسة والمظروف الذى ورد لى كان لحسن موسى .

س : هنا جواب آخر تاريخه ٣ أبريل بتكليفك بتوصيل مظروف للسيد صاحبكم فاطلع عليه وقل لنا هو من كاتب حليم باشا أيضا أو من غيره ، وهل المظروف كان ايضا للسيد حسن موسى وأرسلته اليه أم لا ؟

وما هى صورته :
فى ٣ ابريل سنة ٨٢
اعملوا معروف وسلموا المظروف الذى معه الى السيد حسن صاحبنا ويفاد

الامضا
المعلوم

ج : هذا الجواب ورد لى من كاتب حليم باشا أيضا ، والمظروف الذى كان معه، كان لحسن موسى وقد أرسلته اليه.

س : قد اطلعناك على جملة جوابات وردت اليك ، وقلت انها وردت من كاتب حليم باشا فأفد عن اسباب ورود هذه الجوابات اليك ؟

ج : من منذ زمن كانوا الجهادية يقولون اقوالا كثيرة فى حق الخديوى مثل عدم كفاءته لادارة الحكومة ، وعدم اتصافه فى اعطاء الرتب للاتراك ، وحرمان الاهالى من الترقى ، وكان يقول بعضهم انه يلزم خلعه وتنصيب حليم باشا بدلا منه والبعض الاخر يقول غير ذلك ، وبلغنى أنهم قدموا لعلى باشا نظامى عندما قدم لمصر تقريرا بهذا المعنى ، وبلغنا حصول اشاعات فى هذا الشأن أيضا فى الاستانة ، فكنت اكتب لزينب هانم افندى بما يشاع هنا ، كما أنى كنت استفهم عن الجارى ويشاع فى الاستانة عن الاحوال بمصر ، ولهذا السبب وجدت الجوابات التى اطلعتمونى عليها الان .

(اعيد بعد ذلك الى السجن)

(فى يوم الاربعاء ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٨٢ ، ١٨ محرم سنة ٣٠٠ ، تقرر طلب عثمان باشا فوزى المذكور، فصار استحضاره من السجن وسئل ،فأجاب بما يأتى) :

س : من التحقيقات التى صارت من القومسيون ، علم انك اعطيت صورة حليم باشا الى بعض الضباط ، فيلزم تفيدنا عن مقدار الصور التى أعطيتها والى من ومن واسباب اعطاء الصور المذكورة .؟

ج : يوم كنت فى بيت محمود باشا البارودى حسب طلبه بمنزله الكائن بعابدين ، سألنى عن سن حليم باشا ، فأخبرته انه مثل سن اسماعيل باشا الخديوى السابق اعنى نحو خمسين سنة ،فقال لى هل يوجد له صورة ،فقلت له موجود فطلب منى صورته ، وبعد بضعة أيام دخلت بيت البارودى فوجدت عرابى قاعدا هناك وجملة ضباط ، فأعطيت محمود سامى ثلاث رسومات ، وغير ذلك ما اعطيت أحدا .

س : فى اى تاريخ اعطيت تلك الصور ؟

ج : لم أكن متذكرا أن كان فى شهر رمضان او شوال سنة تاريخه .

س : هل محمود سامى أعطى الصور لاحد بحضورك ؟

ج : نعم أعطى عرابي صورة ، وهو أخذ الثانية ، والثالثة أخذها ضابط لاأعرفه

س : من أين استحصلت على الصور المذكورة ؟

ج : الصور المذكورة كانت موجودة عندى وارسلها لنا محمد افندى الذى كان ارسل لنا الجوابات من الاستانة .

س : بناء على أى شيء أرسل لكم الصور محمد افندى ؟

ج : لما طلب منى محمود سامى صورة حليم باشا ، أرسلت الى محمد افندى اطلبها منه ، فارسل لى الثلاث صور التي سلمتها الى محمود سامي .

س : وجد فى أوراق حسن موسى جواب صورته :

جناب الاجل الاكرم ، حضرة السيد ، بعد وفور الاشواق وسؤال عزيز الخاطر الفاخر ، نعرفكم أن الشغل انتهى من هنا على وجه ما يرام ، ويقينا على همة الحضور لطرفكم فأبشروا بالخير ، وبلغوا الاحباب واخوانكم وهنئوهم بذلك ، ١٩ يوليو سنة ١٨٨٢ .

فاطلع عليه ، وإذا كنت أعطيت الجواب بعده الى حسن موسى كما قال ، يلزم الافادة .؟

ج : انى لم أعط هذا الجواب الى حسن العقاد ، ولا نظرته ، ولا أعلم مطلقا

(اعيد بعد ذلك الى السجن).

(بناء على ماتقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٢٣ محرم سنة ١٣٠٠ ، طلب عثمان باشا فوزى من السجن فحضر وسئل ، فاجاب كما يأتى) :

س : علم للقومسيون ، انك حولت الى حسن موسى العقاد كمبيالات على البنك العثمانى الملوكى بلوندره بمبلغ عشرة آلاف جنيه ، وهذه الكمبيالات كانت باسم شخص يسمى **دافيد جلافانى** وحولها اليك ، فهل انت معترف بذلك؟

ج : من منذ عشرة شهور تقريبا ، قدمت شراقات حليم باشا ، شكوى لزينب هانم افندى كى تتوسط فى صرف مرتباتهم المتأخرة طرف الباشا المشار اليه ، ففى شهر رمضان سنة ٩٩ أحضر لى حسن موسى مظروفا عليه اسمى باللغة الافرنكية ، وبفضه وجدت فيه كمبيالات محولة باسمى بمبلغ عشرة آلاف جنيه ، ولم يكن معها جواب ، وطلب منى حسن موسى تحويلها اليه لتحصيلها ، فحولتها اليه واخذت وصلا منه .

س : من طرف من ارسلت اليك هذه الكمبيالات ، وكيف حولتها الى حسن موسى ، وهل ورد لك جواب من مرسلها ، بتحويلها اليه ام لا . ؟

ج : لما احضر لى حسن موسى ذلك المظروف الذي كان داخله تلك الكمبيالات اخبرني انه ورد اليه جواب من العقاد وضع لفظة معلوم بدل اسمه ، اعنى حليم باشا ، بأن احول الكمبيالات اليه ، وبناء على ذلك حولتها للمذكور .

س : هل رأيت الجواب المذكور ام لا .؟

ج : ان حسن موسى لم يسلمه لى فى يدى ، انما تلاه على ، وعاينته بنظرى وكان مذكورا فيه انه صار ارسال كمبيالات بمبلغ عشرة آلاف جنيه باسم عثمان باشا ، فاطلب منه وضع أمضاء عليها واستلمها منه .

س : هل حولت كمبيالات او سندات اخرى لحسن موسى . ؟

ج : لم احول اليه شيئا غير ما ذكر آنفا .

س : هل تعلم باسباب تحويل المبلغ المحكى عنه من حليم باشا الى حسن موسى ام لا . ؟

ج : لا اعلم اسباب ذلك .

س : قلت ان الجواب الذى حضر من حليم باشا بلزوم تحويل تلك الكمبيالات منك ، كان حضوره لحسن موسى مباشرة ، وهو الذى اخبرك به ، مع ان الجوابات التى حضرت لحسن موسى من حليم باشا ، واخبرت بها القومسيون ، كانت بواسطتك ؛ فيعلم من ذلك ان الجواب المحكى عنه حضر اليك ايضا ، لا لحسن موسى ، وبناء عليه ، حولت الكمبيالات للمذكور .

ج : ان حسن موسى هو الذى احضر المظروف الذى كان فيه الكمبيالات ، واخرج من جيبه جوابا قال لى انه من حليم باشا بلزوم تحويل الكمبيالات منى للمذكور .

(اعيد بعد ذلك الى السجن)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب .

محضر استجواب حسين باشا الدرملى (فى يوم السبت ٢٢ الحجة سنة ٩٩)

(بناء على ماتقرر بجلسة هذا اليوم ، طلب حسين باشا الدرملى من السجن وسئل ، فأجاب كما يأتى) :

س : علم انه فى ثالث يوم حرق الاسكندرية توجه لطرفك عبد الله نديم ، واخبرك بتفاصيل ضرب الطوابى وحرق الاسكندرية فما الذى اخبرك به ، وهل علمت بأمر من اجرى ذلك ؟

ج : نعم حضر نديم الى الداخلية بعد الضرب على الطوابى ، انما لم اكن متذكرا فى اى يوم ، واخبرنى بكيفية الضرب على الطوابى والحرق والنهب ، وتفوه بالفاظ تهور كثيرة جدا لا اتذكرها ، وانما اتذكر قوله لى بمعانه بالنظر لما اجروه الانكليز من تخريب الطوابى ، احرقنا البلد ونهبتها العساكر كى عندما يأتوهم لايجدون شيئا .

(بعد ذلك اعيد الى السجن فى ٢٢ ذى سنة ٩٩)

(بناء على ماتقرر بجلسة يوم الاحد ٢٣ الحجة سنة ٩٩ ، طلب حسين باشا الدرملى من السجن وسئل ، فأجاب كما يأتى) :

س : هل كان احد موجودا بطرفك فى الداخلية ، منذ حضر عبد الله نديم ، ومن هم الذين كانوا حاضرين ؟

ج : كانوا حاضرين بعض الناس ، ولم اكن متذكرا من هم ، وقال ما قاله للجميع ليس لى خاصة ، فانه رجل معلوم تهوره ، خصوصا بالنظر لما نشره مرارا فى جريدته فى حق الذات السنية ، وكان كاتب احمد عرابى ، وكان دائما ملازمه .

س : الم تكن متذكرا ما جرى فى

الجمعيتين اللتين عقدتا فى الداخلية؟

ج : نعم متذكر ، وكان عقد الجمعيتين المذكورتين بناء على قرار من المجلس العرفى الذى كان مشكلا فى الجهادية من ضباط الجهادية ووكلاء الدواوين وبعض مأمورى المصالح والذوات ، وكان آلة فى يد احمد عرابى ويعقوب سامى وباقى رؤساء الجهادية .

س : هل القرارات التى صدرت من الجمعيتين المذكورتين كان صدورها والختم عليها برضا الجميع ورضاكم بالجملة ام بالجبر ؟

ج : بالجبر والتهديد ، لان العساكر كانوا واقفين فى الابواب حول الديوان، وقال يعقوب باشا سامى فى احد الايام فى المجلس العرفى المذكور آنفا ، انه اذا كان الملكيون لايكونون يدا واحدة مع الجهادية ، يأخذون العساكر الموجودين فى مصر، ويترك البلاد بمن فيها بدون خفراء، وان ظهر من الملكيين شيء يخالف اغراض الجهادية ، يصير اعدامهم اولا ، ثم يصير الالتفات والتفرغ للعدو الخارجى وقالوا انهم حلفوا يمينا على المصحف والسيف بالاتحاد ، وبلغنى انهم حرروا كشفا بجملة ذوات من المخالفين لافكارهم لاعدامهم ، وكشفا ببيوت عديدة من املاكهم لحرقها ، فجميع هذه التهديدات وخلافها ، الزمتنا بالختم على المحاضر ، وخصوصا انه فى الجمعية الثانية قام **على الروبى** والقى خطبة طويلة بالقدح فى حق الحضرة الخديوية وسلطان باشا والانكليز وفعلهم فى اسكندرية، وقال انه لايصح عزل عرابى ، بل يلزم الاستمرار على المحاربة وكانت مشتملة على تهورات كثيرة لم اكن متذكرها ، انما اتذكر انه خاطب الحاضرين قائلا : يامسلمين يايهود، يانصارى ، يادروز ، اختاروا لكم مينة ، وغير ذلك ، صار حبس ماينوف عن الالف نفس فى الطوبخانة، ومن ضمن ما حصل فى الجمعية الاولى ، انه لدى التكلم فى مسألة التجهيزات ، قام الشيخ **عليش** ونادى بخلع الجناب الخديوى ، فجاوبته انه لايصح كلام مثل هذا ، وكذلك لما تكلم **عبد اللطيف باشا ، وعكوش باشا وعلى باشا مبارك** واحد الرؤساء الروحانيين بكلام مخالف لاغراض الجهادية ، تطاول عليهم **يعقوب باشا ومحمد عبيد** وضباط آخرون ، فاضطرت العالم الى الختم تجنبا لهذه الرزائل ومنعا لما يلحقهم من الضرر الذى تهوروا به ، وفى ذلك الوقت لم يكن لى امر نافذ فى الداخلية ، لا فى تنقلات مستخدمين، ولا تعيين احد ، ولا فى باقى الاجراءات ، بل كانت السلطة للجهادية على الداخلية ، وعلى باقى الدواوين .

س : هل كانت اجراءات يعقوب باشا سامى من تلقاء نفسه ، ام بأمر احمد عرابى .. ؟

ج : كانا الاثنين متحدين ، ومخالفين ومتهورين ، ومتممين لاغراض بعضهما ، حتى اذا نسى احدهم شيئا ، فكره به الاخر .

س : ماذا حصل فى نظارة الجهادية فى يوم حضور احمد عرابى لمصر ، بعد انهزامه فى التل الكبير ؟

ج : لم اكن حاضرا فى ذلك اليوم ، بل كنت مريضا .

(اعيد بعد ذلك الى السجن)

اعضـــاء　　　　اعضـــاء
محمد مختار　　　　مصطفى خلوصى
سليمان يسرى　　　　مصطفى راغب
محمد حمدى　　　　سعد الدين
محمد زكى　　　　يوسف شهدى
على غالب

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب .

محضر مسئولية سعادة حسين باشا فهمى وكيل الاوقاف

(بناء على ماتقرر بجلسة يوم الخميس ٢٢ ذا سنة ٩٩ (٥ اكتوبر سنة ١٨٨٢)، من طلب سعادة **حسين باشا فهمى** وكيل الاوقاف وسؤاله عما يلزم ، حضر ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة اللازمة فأجاب عنها كما يأتى) :

س : كنت عضوا بالمجلس العسرفى ، فبأمر من تعينت فيه ؟

ج : الذى اتذكره ، انه تحرر لى خطاب من الجهادية بذلك، والخطاب موجود عندى .

س : تعلم بعزل ناظر الجهادية ، وانه هو ووكيله عاصيان على الحضرة الخديوية، فكيف تزعن لاوامرهما .؟

ج : اجاوب عن ذلك غدا ، اذ لاتخفى عليكم صعوبة هذا السؤال .

س : حررتم اعراضات وختمتم عليها وارسلتموها للباب العالى ، مع ان هذا من خصائص الحضرة الخديوية التى هى حرة فى الاجراءات الداخلية، فما اسباب ذلك .. ؟

ج : اجاوب عن ذلك غدا ايضا .

س : صدر تلغراف من راغب باشا انه نظرا لحصول الصلح ، تعود الادارة ملكية كما كانت ، وتصرف العساكر ، فعقدت جمعية بالداخلية، وتقرر فيها الاستمرار على التجهيزات ، فكيف عقدت هذه الجمعية ، وماذا حصل فيها ، وكيف ختم على محاضرها .

ج هذا يحتاج لكلام كثير ، فغدا اقدم جوابى عن هذا السؤال كباقى الاسئلة المتقدمة .

س : كذلك حصلت جمعية ثانية بالداخلية عقب صدور امر من الحضرة الخديوية بعزل احمد عرابى، وتقرر فيها ابقاء المذكور فى وظيفته، فوضح لنا ما تعلمه فى هذا الشأن ايضا .

ج : هذه المسائل مهمة جدا ، فان وافق تعطى لى صورة الاسئلة لاجاوب عنها كتابة .

(فبناء على ذلك ، اعطيت له صورة الاسئلة المذكورة ووعد بتقديم الجواب اللازم عنها **واستأذن بالانصراف ، فاذن له وانصرف)** .

اعضـــاء　　　　اعضـــاء
محمد مختار　　　　مصطفى خلوصى
سليمان يسرى　　　　مصطفى راغب
محمد حمدى　　　　سعد الدين
محمد زكى　　　　يوسف شهدى
على غالب .

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب على باشا الروبى (فى يوم الثلاثاء ٢٧ القعدة سنة ٩٩)

(بناء على ما تقرر بجلسة هذا اليوم ،طلب على باشا الروبى من السجن، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة ادناه،فاجاب عنها بما يأتى) :

س : فى اثناء نظارة محمود سامى ، اجتمع فى احدى الليالى الضباط من رتبة بكباشى بقشلاق عابدين ، وصار احضار الشيخ محمد عبده ومصحف ووضعتم عليه ايديكم ، وحلفتم عليه يمينا بتلقين الشيخ عبده ، وكنت من ضمن من حلفوا ، فقل لنا كيف حصل ذلك ؟

ج : فى تلك الليلة كانت عزومة بطرف شخص يسمى **حسن بك جاد** ، وقال لنا احمد عرابى، قوموا بنا لقشلاق عابدين فتوجهنا ، ووجدنا هناك محمودباشا سامى فى أوضةعلى باشا فهمى .

س : هل كان محمود باشا سامى فى ذلك الوقت رئيس مجلس النظار . ؟

ج : لم اتذكر اذا كان فى ذلك الوقت رئيس النظار او استعفى .

س : ماذا جرى بعد وصولكم لقشلاق عابدين ؟

ج : وجدنا محمود باشا والشيخ محمد عبده ، وقالا انه فى هذا اليوم دخلت مراكب الانجليز الى الاسكندرية للحرب ، والمقصود من جمعيتنا حلف يمين بأنه اذا حصل حرب نكون جميعنا يدا واحدة فى الحرب ، واحضروا ورقة واستمر الشيخ محمد عبده يقول كلاما طويلا ونحن نتبعه فيما يقول ، وكان مفاد اليمين ، انه اذا حصل حرب من المراكب نكون يدا واحدة وندافع عن وطننا .

س الم يقل أنه لا يصير سماع أمر الا باتفاق الجميع ؟

ج : لم اتذكر ذلك

س : هل قيل ان من يخالف اليمين يعاقب بشىء ؟

ج : قيل ان من يخالف يطلع من دينه ، وكلام كثير غير ذلك مثل انه لايكون فيه حمية ولا غيره الخ .

س : هل كنت فى الاسكندرية يوم الضرب عليها ؟

ج : لم اوجد فى الاسكندرية فى ذلك اليوم .

(ثم اذن له بالانصراف واعيد الى السجن)

(ثم تقرر استحضاره من السجن، فاستحضر يوم تاريخه، وساله سعادة الرئيس فاجاب كما ياتى :

س : قبل الحاقك بجيش العصاة ، كنت باى جهة ؟

ج : كنت وكيل ديوان السودان .

س : قبلها كنت بأى جهة ؟

ج : رئيس مجلس مصر .

س : مكثت به كم شهر ؟

ج : ثلاثة وثلاثين يوما .

س : وقبل ذلك كنت باى جهة ؟

ج : كنت رئيس مجلس المنصورة .

س مكثت فيه قد ايه ؟

ج : ثلاث سنين تقريبا .

س : ماهى مقادير ماهيتك فى كل جهة ؟

ج : بمجلس المنصورة ومصر اربعين جنيها شهريا ، وفى توكيل السودان كانت اولا ٧٥ جنيها وبعده صارت ١٠٠ جنيه كباقى وكلاء النظارات .

س : اين تحصلت على رتبة لواء .

ج : فى اثناء وجودى بديوان السودان .

س : من التحقيقات علم للقومسيون ، انه فى اثناء وجودك بمجلس المنصورة، كنت تحضر لمصر وتجتمع مع الضباط فى اوائل حصول التهور والعصيان من زمرة العسكرية ؟

ج : حاشا ، لم اجتمع معهم قط مدتها .

س : لما كنت بمجلس مصر كنت تجتمع معهم ايضا ؟

ج : لا . وانما فى بعض الاوقات ربما كان يتصادف اجتماعى مع واحد منهم فى محل يتصادف وجودى فيه .

س : من الذى كنت تتصادف معه ؟

ج : طلبه وغيره .

س : عرابى ماكنت تجتمع معه ؟

ج : لم اقابله الا لما تعين ناظرا للجهادية ، وتوجهت لابارك له ، وبعدها بسبب وجودى فى توكيل ديوان السودان ، كنت اتقابل معه كثيرا هو ومحمود سامى واعرض لهما اشغالا تخص المصلحة لمناسبة غياب سعادة **عبد القادر باشا** ناظر الديوان .

س : فى اى وقت اخذت رتبة اللواء ؟

ج : ليلة سفر عبد القادر باشا الموافق ١٣ مارس سنة ١٨٨٢ ، طلب لى الرتبة من الحضرة الخديوية فأحسن على بها .

س : من الذى انتخبك لتوكيل السودان ؟

ج : الذى انتخبنى لتوكيل السودان هو سعادة عبد القادر باشا .

س : انت تعينت قومندان فرقة مريوط. فكان بأمر من . ؟

ج : صدر من ذلك امر من عرابى تلغرافيا لوكيل الجهادية، ولى رسميا مكاتبة ، ويوجد الان ما صدر لى بديوان السودان .

س : مادام سوابق استخدامك التى اوضحتها ، كانت بمصالح ملكية فكيف تستخدم بالجهادية بعد ذلك ؟

ج : ان أصلى ضابط جهادى سوارى وترقيت بالعسكرية فنلت رتبة ميرالاى مذ كنت فى حرب الحبشة .

س : تعلم ان عرابى كان معزولا بأمر الحضرة الخديوية ، فكيف تطيع اوامره وتتوجه لمريوط . ؟

ج : بناء على القرار الذى عمل بالداخلية ونشر عموما .

س : هل تعلم أن هناك امرا أعلى من أمر الجناب الخديوى ؟

ج : ان الجناب الخديوى كان محجورا عليه بطرف الانجليز حسب التبليغات التى أعلنها لنا عرابى ، وبنى عليها صدور هذا القرار .

س : الامر الذى صدر من الجناب الخديوى بعزل عرابى ، ذكر فيه ان لايكون هناك حرب ، وان الصلح قام ، وان الضرب الذى حصل على الطوابى من مراكب الانكليز كان بناء على التهديدات التى حصلت للدونانمة ، فلماذا لم تتبعه ؟

ج : أنا أحد الناس الذين ختموا على القرار .

س : هل ختمت على القرار باعتقادك صحة ماتقرر فيه ، وانه فى محله او جبرك أحد على ذلك ؟

ج : في يوم الجمعية المذكورة ، عرض علينا صورة مطبوعة ، وقيل انها صورة الامر الصادر بعزل عرابي، وكانت بدون ختم من الجناب الخديوي ومعها جواب من عرابي بانحياز الحضرة الخديوية للانكليز ، ولذلك ختمت على القرار برضائي بدون مجبورية ».

س : من التحقيقات متضح انك انت في ذلك اليوم هددت الاشخاص الذين صار جمعهم بالداخلية ، وتشبثت بحملهم على التختيم بانك قلت لهم يانصاري يايهود يادروز اختاروا لكم ميتة اذا لم تدافعوا عن وطنكم » ؟

ج : لما تلا الشيخ محمد عبده الاوراق التي كانت عقدت بسببها الجمعية كما ذكر ، وجميع المجتمعين قرروا توقيف الامر الصادر بعزل عرابي واستمرار المدافعة والتجهيزات ، فقمت انا وقلت للحاضرين الان تحقق لنا ان مسألة حزب عرابي وحزب الخديوي كانت دسائس فقط ، والمقصود هو ايقاع فشل لاجل استيلاء الانكليز على البلاد، والحال من هذه الافادات ، اتضح ان الخديوي ليس له حزب مخصوص ولا عرابي ايضا وان الانكليز من مدة ، يرومون الاستيلاء على مصر ، اما قولي للجمهور يايهود يانصارى كما نسب لي من بعض الذين يريدون تخليص انفسهم من ورطة الختم ، فهذا لم يحصل مني ابدا ولا يعقل حصوله ، لان المحفل كان مؤلفا من برنسات وعلماء وبطارقة وحاخامات ، واغلب ذوات البلد المعتبرين ، وكافة المديرين والاعيان ، فكيف اخاطب هؤلاء بهذا اللفظ ».

س : هل لم تقل للجمعية اختاروا لكم ميتة ؟

ج : لم اقل هذه الاقوال ، ولا يعقل انى همها فضلا من قولها .

س : اذا حضر اشخاص ممن كانوا موجودين يومها وختموا معكم وشهدوا بانكم هددتموهم بقولكم يانصارى يايهود يادروز اختاروا لكم ميتة ، فماذا تقول . ؟

ج : اذا حضر العلماء والبطارقة والحاخامات الخاتمون ، وبعد تحليف كل منهم يمينا على قاعدة دينه يشهد باني قلت هذه الالفاظ ، فاكون مدانا

س : هل تعلم انه في اثناء وجود الحضرة الخديوية باسكندرية ، كان يتوجه اليها بعض ضباط ممن كانوا مع جيش العصاة ويقيمون هناك أم لا ؟ »

ج : انا كنت في مريوط ، ولا اعلم ذلك »

س : ألم يكن توجهك لمريوط ، ووجودك في الاستعداد للمحاربة مع الجيش مضادا للحضرة الخديوية الفخيمة؟

ج : قد اتبعت القرار الذي صدر بالداخلية ، ومع ذلك فاني كنت خائفا من مجلس العسكرية الذي كان أصدر قرارا بعد يوم الحرب بقليل ، بأن الادارة صارت عرفية ومن يخالف مايصدر من ديوان الجهادية ، فيعامل بالقانون العسكرى »

س : في مدة وجودك في مريوط ، كنت تميل بضميرك للحضرة الخديوية أو لرأى العرابي ؟

ج : أنا لا أميل لرأى عرابي لانه شخص مثلي »

س : اذا كان كذلك ، فكان معك جملة عربان وعساكر ، وكان يمكنك التوجه لاسكندرية بسهولة »

ج : لو كنت علمت وقتها الحقيقة ،وانه ممكن ذلك ، وتيسر دخولي للاسكندرية بدون أذى من عساكر الانكليز ، كنت توجهت »

س : علم من التحقيق ، انك كنت تعلم الحقيقة ولذلك فانك تشكيت في حق ضباط اركان حرب ، وترتب على ذلك سجنهم بالطوبخانة »

ج : لم يحصل ذلك ، ولم اشتك [illegible] احد سوى شخص يوزباشي يسمى مصطفى افندي ر.ز. من اركان حرب كان يتغيب كثيرا ، ولماسألته عن السبب مرارا ، فما كان يقول الحقيقة ، وأخيرا صرح لي بانه جاسوس من طرف عرابي يستخبر له عن أحوال الانكليز ، وأن غيابه بسبب ماذكر ، وبعد ذلك أمرته بتخطيط طابية فتوجه خططها في محل منحط ، فحررت في حقه جوابا بالكيفية ، وانه من ذلك يعلم انه جاسوس على عرابي لا من طرفه »

س : جاسوس على عرابي من طرف من ؟

ج : من طرف الانكليز الذين كانوا يحاربونه »

س : انت تعينت بعد ذلك للتل الكبير ، فكان ذلك بأمر من ، وفي اي وظيفة ؟

ج : ورد لي تلغراف من يعقوب سامي وكيل الجهادية يقول لي فيه ، بما انك تعينت قومندانا بخط الشرق، فتم توجه الى هناك ، وبناء عليه قمت وتوجهت الى التل الكبير ، وتقابلت هناك مع عرابي ،فوجدته مستحضرا على أمر لي بهذا المضمون ، فبت عنده ليلة وصولي، وفي الصباح مررت على الخط »

س : مكثت هناك كم يوم قبل واقعة التل الكبير التي انهزم فيها جيش العصاة ؟

ج : اقمت يوم واحد فقط ، وفي فجر اليوم الثاني ، انهزم الجيش ، وصرت اعطى نصائح بعدم الحرب، وعدم انشاء خطوط بجهات مثل بلبيس او غيرها حتى احضرته الى مصر »

س : قلت قبل هذا انك ماكنت تجتمع على رؤساء العساكر مدة وجودك، في مجلس مصر ، والمنصورة ، وفي توكيل السودان ، وانما بعد الحاقك في توكيل السودان ، كنت تجتمع معهم حسب واجبات وظيفتك ، لداعي ان احمد عرابي وقتها كان ناظر جهادية ومحمود سامي رئيس النظار ، لكن من أجوبتك السابقة علم انه صار تحليفك بقشلاق عابدين على المصحف من يد الشيخ محمد عبده مع الضباط ورؤساء عصبة الجهادية ، كما اقريت بذلك،فكيف تكون وقتها من زمرة الملكية ويدعوك للتحالف معهم ، أن هذا دليل على انك من رؤساء حزب العسكرية من ابتداء ظهوره كما هو معلوم للقومسيون من التحقيق ؟ »

ج : انى لم اكن معهم ، ومسألة وجودي في التحليف هي ، انه في ذات ليلة كنت في عزومة بطرف حسن بك جادو وبطلوعي من هناك مع عرابي وطلبه وعلى فهمي وغيرهم من الضباط ، كلفوني بالتوجه معهم الى جهة لم يعينوها ، فاعتذرت لهم لانه كان عندى ضيوف ولم يقبلوا ، وبعدها ركبنا سويا حتى دخلوا القشلاق ودخلت معهم ، وبالصعود الى الاوضة المعدة لاقامة اللوا ، وجدنا فيها جملة اناس من الضباط غير من كانوا

معنا ، ومن ضمنهم محمود سامى والشيخ محمد عبده ، وبعدبرهة قال محمود سامى ، ان المراكب حضرت الى الاسكندرية لمحاربتنا، والقصد من اجتماعنا هنا ، هو ان نحلف يمينا على انيه اذا حصل حرب ، نكون يدا واحدة مع بعضنا ، وكلفونى بالحلف معهم ، فقلت لهم أنا لست عسكريا ولا عندى عساكر ، فلماذا احلف، فزعقوا فى وجهى جميعا بقولهم أفلا تحلف عن نفسك خاصة ، او لست من اهل الوطن ويجب عليك الحرب عند النفير العام ، فحلف معهم على ذلك كما اوضحت اولا

س : هل كان فى هذا الحلف احدغيركم من الملكية ؟

ج : لست متذكرا احدا لازدحام الاوضة من الناس.

(اعيد الى السجن) .

(بناء على ماتقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٣محرم سنة ١٣٠٠ طلب على الروبى من السجن،وسئل فأجاب بما يأتى) :

س علم للقومسيون انك لما توجهت لجهة مريوط ، اخذت من خزينة نظارة السودان ، مبلغ ثلثمائة جنيه ، مع ان السبب الذى توجهت من اجله للجيش فى الجهة المذكورة ، لم يكن من خصائص تلك النظارة ، حتى انجه لما راوا انك اخذت هذا المبلغ من خزينة نظارة السودان بدون حق ، صار تحصيله ، فأفد من اسباب ذلك :

ج : بالحقيقة اخذت هذا المبلغ من خزينة نظارة السودان ، ولكننى أخذته من اصل ماهيتى ، حيث ان الجارى بالنظارة المذكورة هو صرف ترحيلة لكل من تعين فى مأمورية ، ومما يثبت ذلك ان عبارة الاذن الذى تحرر بالصرف صريحة بهذا المعنى

س : الجهة التى توجهت اليها ، لم تكن تابعة لنظارة السودان حتى إنك ترتكن على الجارى بالنظارة المذكورة من جهة صرف ترحيلة لكل من يتعين فى مأمورية منها .

ج : انى كنت معينا لجهة مريوط، وحيث ان هذه الجهة منقطعة ، وكان لازما لى مصاريف ، فأخذت هذا المبلغ من اصل مرتباتى كما ذكر ذلك صريحا بالاذن .

س : حيث انك كنت مستخدما بنظارة السودان ، فلماذا تركت وظيفتك والتحقت بالعصاة ، وقبلت قومندانية جهة مريوط ؟ .

ج : قبلت بذلك بناء على اوامر صدرت لى وقبل صدورها لى ، صدر غيرها لبعض اشخاص آخرين ، ولتوانيهم صار معاقبتهم ، وبعد ذلك لم يتأخر احد ، حتى اقتدى به، والدليل على انى جبرت على ذلك هو انه لايظن ان احدا يترك برضاه منزله فى شهر رمضان ،ويتوجه لجهة مثل مريوط .

س لماذا لم تحتج بامر ما وتتخلص من هذه الاوامر المخالفة ، بأن تتمارض مثلا او تعتذر بأهمية اشغالك المتعلقة بوظيفتك ؟ .

ج : الحق انى لم احتج بشىء مما ذكر.

س : الم تأخذ من الجهادية مبلغا غير الثلاثمائة جنيه المذكورة قبله؟.

ج : بعد اخذ مبلغ الثلاثمائة جنيه،صدر امر من الجهادية بصرف خمسين جنيها شهريا لكل قومندان لاجل المصاريف ، وفى الواقع صرف لى ولباقى القومندانات مرتب شهرين اعنى مائة جنيه .

س : علم ايضا للقومسيون ، انك عينت معك كاتبا فى جهة مريوط يسمى على علوى وربطت له ماهية على نظارة السودان ، فبكر تقيد الكاتب المذكور باشغال غير اشغال تلك النظارة ، وتجعل ماهيته عليها .

ج : انى قيدت الكاتب المذكور للمساعدة فى اشغال الجيش ، بناء على تشكى الكتاب الذين كانوا موجودين هناك من كثرة الاشغال ، وكان موجود مثله كثيرون فى ديوان الجهادية ، فان النظارات جميعها ارسلت للجهادية بعض كتابها للمساعدة .

س علم ايضا انك مذ كنت رئيس مجلس المنصورة ، كنت تحضر مرارا عديدة لمصر ، فهل كان ذلك برخصة او بدون رخصة . ؟

ج : نعم كنت احضر فى اوائل كل شهر ، فى وقت التفرغ من القضايا والاشتغال بتحرير الكشوفة ، وامكث فى مصر يومين او ثلاثة ، وكان ذلك بناء على اذن شفاهى من ناظر الحقانية سعادة فخرى باشا وبعده سعادة قدرى باشا .

س : الم تمكث فى هذه الدفعية زيادة عن ثلاثة ايام ؟

ج : مكثت احيانا نحو اربعة ايام وقضيت شهر رمضان سنة ٩٨ هنا فى اجازة عادية ، ولما انقضى هذا الشهر واردت اعمال فرع ، طلبت الاذن خمسة عشر يوما ايضا ، وترخص لى بذلك .

س : علم ايضا انك لما توجهت لمريوط اخذت معك محمد خطاب ، مع انه كاتب اول مجلس المنصورة ، ولم يكن له دخل فى الجهادية ، فما اسباب ذلك ؟

ج : هذا الكاتب لم آخذه معى ، بل لما توجهت لكفر الدوار وجدته بطرف احمد عرابى، فقال لى احمد عرابى ان هذا الشخص يرغب التطوع بصفة كاتب ، وبناء على ذلك اخذته معى الى مريوط .

س : زعمت انك لم تكن من زمرة العصاة، ولم تكن متحدا معهم ولا من رؤسائهم، فمما يثبت عدم صحة ذلك ، انه مع انك كنت مستخدما بوظيفة وكيل نظارة السودان بمصر ، التى هى وظيفة ملكية ، وليس لها تعلق بالجيش وموجود خلافك كثير من الضباط الجهادية ، صار تعيينك عضوا فى المجلس العسكرى الذى تشكل للحكم فى مسألة الجراكسة، فأما كان يمكنك الامتناع ايضا فى ذلك الوقت ، مع وجود الحضرة الخديوية ؟

ج : فى ليلة التعيين حضر لمنزل خليل بك كامل فى الساعة ٦ليلا بعد نومى وقال لى تعال كليم فى عابدين ، فتوجهت معه ، ومن بعد دخولنا الى القشلاق ، وجدت جمعية كبيرة منعقدة فى اوضة على باشا فهمى ومن ضمنها ناظر الجهادية احمد عرابى ، وطلبة باشا ، وعلى باشا فهمى ، وكثير من الضباط، واخبرنى ناظر الجهادية ، انى تعينت فى قومسيون لتحقيق دعوى حصلت وقص لى قصتها ، فأجبته بانه لم يكن لى صفة فى ذلك بما انى مستخدم فى الملكية، وهذا القومسيون عسكرى ، فلم يقبل منى ، وفى الصباح لما حضر محمود سامى رجوته ورجوت احمد عرابى اقالتى من هذه الوظيفة ، ولم يقبلا وقال لى ان اسمك كتب فى الامر وانت اصلك عسكرى ، وادخلانى بالجبر فى هذا القومسيون .

س : ان كان محمود سامى واحمد عرابى عيناك فى ذلك القومسيون بغير رغبتك وجبرا عنك ، فلماذا

لم تتوجه للحضرة الخديوية، وتعرض لها ما حصل لك من الجبر ؟

ج : لما عيننى لذلك احمد عرابى الذى كان ناظر الجهادية ، ومحمود سامى الذى هو رئيس مجلس النظار، وجبرانى على القول ، لم ار من حدودى التشكى منهما للحضرة الخديوية .

س : جميع الرعايا على اختلاف درجاتهم، لهم الحق فى التشكى للحضرة الخديوية فيما يختص بهم ، ويمكنهم ذلك فى كل وقت ، فهل كنت تجهل ذلك ؟

ج : لم اعلم ذلك ، ولكننى رأيت انى اقبل تعيينى فى هذه المأمورية بضد رغبتى ، اولى من وجود نفور بينى وبين الشخصين المذكورين آنفا .

س : زعمت انك لم تجتمع برؤساء حزب الجهادية مذ كنت فى مجلس المنصورة ، مع انه علم للقومسيون من التحقيق ، انك اجتمعت بهم فى منزلك فى ذلك الوقت ، فى ليلة المذاكرة فى مسألة قاسم باشا البحرى ، وكان موجودا احمد عرابى ، وعبد العال ، وابراهيم فوزى ، وعبد الوهاب، وعمر رحمى، وغيرهم .

ج : ان الذى طلب حضور هؤلاء لمنزلى، هو قاسم باشا ، فانه حضر لطرفى من اسكندرية فى احدى ليالى شهر رمضان سنة ٩٨، وارسل لهم خبرا للحضور ، فحضروا فى الواقع ، وبحضورهم تكلم معهم سرا وهم تهوروا عليه بسبب انه اعتبر رياض باشا واراد ضرب الموسيقى اجلالا له ، وجاوبهم انه كان يجب عليه ذلك بما ان المشار اليه رتبة مشير ، ولم يرد له امر بتجريده من هذه الرتبة ، وانه لو حضر له فى هذا الوقت لفعل هذا الامر ايضا .، وانصرفوا بعد ذلك على غير رضاء منهم ، وتوجهت انا وقاسم باشا لاداء رسوم المباركة لداود باشا على تعيينه فى نظارة الجهادية .

س : هل كنت فى ذلك الوقت رئيس مجلس المنصورة ؟

ج : نعم كنت رئيس المجلس المذكور ، وكنت حضرت لمصر بالاجازة .

س : لما كنت فى المجلس العرفى ، هل ختمت تلغرافات للباب العالى ؟

ج : نعم ختمت مع اعضاء المجلس العرفى على ثلاث تلغرافات لبسيم بك احدهما بتبليغ ما بالجمعية الثانية التى انعقدت بالداخلية ، والثانى بالاخبار باخذ السويس ، والثالث بالاخبار بأخذ الاسماعيلية .

س : هل تعلم انه مع وجود الجناب الخديوى لا حق لاحد فى المخابرة مع رجال الباب العالى فى مسائل مهمة مثل هذه ؟ .

ج : ان طرق المواصلة كانت منقطعة بيننا وبين الحضرة الخديوية ، وختمى على هذه التلغرافات كان من ضمن مجلس كبير .

س : موجود تلغراف صادر منك لوكيل الجهادية فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٢، وها هى صورته :

الانجليز الذين باسكندرية نزل عليهم الخزى والكدر من خمسة ايام ، فاخذوا فى نهب اغلب البيوت والسرايات وانزال ما ينهبونه لمراكبهم بالسرعة ، وكذا اخذوا الذخائر الحربية من الطوابى وانزالها للمراكب ، وان حالتهم تغيرت فى اسكندرية لانهم صاروا يعاملون من فيها بالمضايقة ، فهل صدر منك حقيقة هذا التلغراف ، ومن الذى اخبرك بهذه الحوادث ؟

ج : نعم صدر منى هذا التلغراف بناء على اخبارى بما فيه من يونس البقوشى الذى كان شيخ عربان نقطة ام زغيب .

(اعيد الى السجن بسبب حلول وقت الظهر ، وطلب فى الساعة ثلاثة ونصف بعد الظهر من السجن ، وسئل فاجاب كما يأتى) :

س : بعد انهزامكم من التل الكبير ، كنت توجهت برفقة كل من سعادة رؤوف باشا ، وسعادة بطرس باشا، من المحروسة لاسكندرية ومعكم عريضة من احمد عرابى للاعتاب السنية بالتماس العفو من لدنها ، وفى اثناء الطريق تذاكرتم فى امور شتى، وبالجملة حصل التكلم عن راغب باشا ، فأخبرتهم ان السبب فيما حصل جميعه هو راغب باشا ، فان فى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ بعد انتهاء ماجرى بعابدين ، توجه لطرفه احمد عرابى ومن معه ، واخبروه بما وقع ، فجاوبهم قائلا انكم لم تتموا المقصود ، بل كان يلزم (والعياذ بالله) اعدام الخديوى لنوال المرغوب .

ج : انى فى يوم من الايام ، كنت مجتمعا مع طلبة باشا واناس آخرين لم اكن متذكرا من هم ، كما انى لست متذكرا اين كان هذا الاجتماع، وسمعت طلبة باشا المذكور يقول انه هو الذى ينتخب النظار ، فقال له احد الحاضرين ، ان راغب باشا رجل بلغ سن الشيخوخة وضعف ذهنه ، فلماذا صار تعيينه رئيس النظار، فأجابه طلبة باشا ان راغب باشا رجل متحد معنا وحر الافكار، فانى فى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ ، لما انتهت واقعة عابدين توجهت لطرفه واخبرته بما حصل ، فأجابنى اننا لم نتم المقصود بل كان يلزم اعدام الخديوى .

(اعيد بعد ذلك الى السجن)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون :
اسماعيل ايوب

تواصل الطليعة نشر النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابية



فى الاسكندرية
بعد القاهرة ..
ألذ مشروب
فى أجمل مصيف
مصر كولا
أجمل
تحية
مصرية ١٠٠٪
شركة القاهرة لتعبئة الزجاجات
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية



سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء ويوفر آلاف العملات الصعبة التي كنا نستورد بها احتياجاتنا من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل .. لجميع المحاصيل
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية
كيما
بأسوان

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

١٠

أكتوبر ١٩٦٦

السنة الثانية

التيارات الفكرية في الواقع المصري

- وثائق تاريخية: النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابية



طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

الفهرس

العدد العاشر ـ السنة الثانية ـ أكتوبر ١٩٦٦

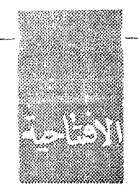
ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد أختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك)) .

عنوان المراسلات :

((الطليعة))

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ـ ٤٤١٤٤
الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ، ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .



حوار بين قوى الثورة الافريقية فى القاهرة

تحتضن القاهرة العربية الافريقية خلال هذا الشهر (٢٤ ـ ٢٩ اكتوبر) ندوة دراسية عن مشاكل ومهام ثورة التحرر الوطنى والاشتراكية فى افريقيا . وهى الندوة التى تنظمها « الطليعة » بالاشتراك مع « المجلة الدولية الجديدة لقضايا السلم والحرية والاشتراكية » ، ودعت اليها حوالى اربعين حزبا ثوريا وحركة تحرير تمثل فى مجموعها ٢٨ بلدا افريقيا .

والواقع ان هذه البلاد ـ رغم الهدف المشترك الذى يجمعها فى وحدة نضالية ونعنى به التحرر الوطنى الكامل سياسيا واقتصاديا واعادة صياغة المجتمع وتنميته فى اتجاه اشتراكى ـ تختلف فيما بينها من حيث طبيعة مراحل التطور ، وظروف الواقع الاجتماعى ، واساليب وطرق النضال . **فمنها** ما استطاع ان يحقق بالفعل استقلاله السياسى والاقتصادى وقطع شوطا كبيرا وناجحا ـ بدرجات متفاوتة ـ فى عملية التنمية الاقتصادية وانتهاج الطريق الاشتراكى مثل الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وغينيا ومالى وتانزانيا ، **ومنها** مابرح يناضل ببطولة من اجل تدعيم استقلاله الوليد الذى استطاع ان يفوز به بعد تضحيات هائلة مثل الكونجو برازافيل والصومال ، وزامبيا ، **ومنها** مايزال يخوض ببسالة معركة التحرير

القاسية المريرة ضد القوى الاستعمارية العالمية والعنصرية مثل انجولا وموزمبيق وغينيا المسماة بالبرتغالية وجزيرة الرينيون وروديسيا وجنوب افريقيا . **ومنها** مايعمد الى تجميع قواه الثورية من جديد ليواجه النكسات والانقلابات التى نجحت بدرجات متفاوتة فى الانقضاض على المكاسب الشعبية الوطنية والاجتماعية مثل غانا والكونجو وغيرهما .

وهناك ايضا من هذه البلاد ما استطاع ان يصل الى بلورة وحدته القومية مثل الجمهورية العربية المتحدة وغيرها ، واخرى ماتزال تسير على الطريق نحو هذه الوحدة القومية فى مواجهة القبلية والطائفية .

ومن هذه البلاد ايضا ما اتاحت له ظروفه الموضوعية ومراحل تطوره وطبيعة قيادته الثورية من ان يجسد العمل السياسى فى تنظيم ثورى واحد مثل الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وغينيا ومالى والكونجو برازافيل ، **ومنها** ماتحتم ظروفه وطبيعة علاقات القوى ان تتعدد فيه التنظيمات والاحزاب السياسية التى تعبر كل منها عن طبقة اجتماعية اوجزء من طبقة من الطبقات الثورية مثل المغرب والسودان ونيجيريا وجنوب افريقيا .

وكان لابد لكى تعكس الندوة واقعيا وباسلوب علمى وديمقراطى حقيقة الثورة الافريقية المعاصرة بوجوهها الثورية المتنوعة من ان يتم اللقاء والتفاعل فى اطارها بين فكريات ونشاطات وخبرات جميع هذه البلاد بجميع احزابها الثورية بلا استثناء .. حركات التحرير المسلحة، الاحزاب والتنظيمات التقدمية الجديدة ، الاحزاب الشيوعية . وذلك بهدف تنظيم حوار شامل وعميق حول مشاكل وقضايا الثورة الافريقية ومهامها التحريرية والقومية والاجتماعية ، وصولا الى وحدة عمل ثورى على الرغم من اختلاف المنابع الاجتماعية والايديولوجية لجميع هذه الاحزاب والتنظيمات المشتركة فى الندوة . بل لقد انعكس هذا الواقع الموضوعى نفسه على المنظمين والداعين للندوة فهناك ((**الطليعة**)) التى تنتمى الى الثورة المصرية العربية الافريقية وتنظيمها السياسى الواحد الاتحاد الاشتراكى ، وهى بهذا تمثل الثورات الوطنية التقدمية الجديدة ذات الافاق الاشتراكية . وهناك ايضا مجلة **قضايا السلم والحرية والاشتراكية** التى تمثل مجموعة الاحزاب الشيوعية والعمالية .

ويأتى احتضان القاهرة شعبيا لهذه الندوة نابعا ومجسدا للشعار الذى رفعته وتمارسه — شعبا وتنظيما وقيادة — من اجل وحدة جميع القوى الثورية فى عالمنا ضد الاستعمار القديم والجديد والقوى الرجعية الاقطاعية والرأسمالية الكبيرة .

وهو شعار تبذل القاهرة كل طاقاتها اليوم لتحقيقه فى مجال الوطن العربى الذى

ينتسب ٧٢٪ منه جغرافيا وسياسيا واقتصاديا ومصيرا الى القارة الافريقية وثورتها المعاصرة . ووعيا من القاهرةبمسئولياتها الثورية ولوحدة النضال ضد الاستعمار والرجعية والاستغلال على النطاق الانسانى الشامل ككل ، فانها تعمد كقوة عربية افريقية فى نفس الوقت الى ربط وحدة القوى الثورية العربية بوحدة القوى الثورية الافريقية . الامر الذى يزيد ويعمق من فاعلية الثورة العربية ووزنها من ناحية . ويكسب الثورة الافريقية من ناحية اخرى ، قوة عظيمة وهامة يمتد نشاطها البناء فى بقعة من اهم بقاع العالم فى استراتيجية الثورة الانسانية وهى الشرق الاوسط . هذا الشرق الذى يشكل بحق « جسر الثورة » بين شعوب القارتين العظيمتين آسيا وافريقيا . ولعل هذا مايفسر ضراوة المعركة المحتدمة على ارضه بين قوى التقدم وقوى الاستعمار والرجعية على جميع المستويات وفى مختلف الميادين .

وتنعقد هذه الندوة بجميع احزابها وتنظيماتها الثورية فى وقت تمر فيه الثورة الافريقية بمرحلة من اخطر مراحل تاريخها، تشهد فيها محاولة القوى الاستعمارية والرجعية — بعد الضربات التاريخية التى اصابتها اخيرا وخاصة منذ حرب السويس واستقلال الجزائر وغيرها من البلاد الافريقية ووحدة تنجانيقا وزنزبار فى دولة تانزانيا — الى اعادة ترتيب قواها وتنسيق خططها العدوانية من جديد . وذلك بهدف استعادة زمام المبادرة . وقد اصابت فى ذلك بالفعل بعض النجاحات من حيث تمكنها من ممارسة العدوان المسلح حينا كما وقع فى الكونجو وتصدير الثورات المضادة حينا آخر كما حدث فى غانا .

واذا كانت القوى الاستعمارية والرجعية قد حققت هذه النجاحات — التى نؤمن بأنها موقوتة لانها ضد مسار التاريخ وارادة الشعوب وواقع التطور الموضوعى — كنتيجة لتوحيد خططها فى نسق عدوانى جديد . الا اننا نخدع انفسنا اولا واخيرا اذا استسلمنا لهذه النتيجة واعتبرناها السبب الوحيد لهذا المد الاستعمارى الرجعى الراهن ، ولم نسلط الضوء على ماشاب قوانا الثورية من تفكك وخططنا الثورية من قصور عن مواجهة قضايا الواقع وتحدياته بصورة علمية .

ومن هنا فان هذه الندوة — وهى على هذا الحجم الكبير المتنوع الخبرات والطبيعة الثورية المميزة لقواها — تمثل فى الحقيقة اكبر مواجهة على المستوى الشعبى — التنظيمى والايدلوجى — لمتطلبات هذه المرحلة المعاصرة من تاريخ الثورة الافريقية التى ينشط فيها المد الاستعمارى الرجعى . وتستهدف أول ماتستهدف تحليل طبيعة هذه المرحلة ونوعية القوى المتصارعة فيها وتناقضاتها الرئيسية والثانوية ومعالجة ما ظهر من تفكك فى الجبهة الثورية وماشاب نضالها من قصور . وليس القصد من ذلك الوقوف عند حد شل فاعلية هذا المد الاستعمارى الرجعى بل مواصلة الثورة التحررية التقدمية الافريقية نحو تحقيق اهدافها فى

التحرر السياسى والاقتصادى وبناء المجتمعات الاشتراكية على ارضها وفقا للمناخ والظروف المميزة لكل اقليم ».

ولهذا فان هذه الندوة مطالبة امام شعوبها خاصة وامام الانسانية التقدمية عامة بأن تواجه بصراحة موضوعية وصدر رحب ومنهاج علمى ، واقع الثورة الافريقية بجميع جوانبه الايجابية والسلبية ، وان تتسلح بالشجاعة الادبية الثورية للتصدى — فكريا وعمليا — للظواهر الجديدة التى تطرحها الحياة الجديدة خلال مسار الثورة ». محاولة الوصول الى تحديد موضوعى لقوانين الحركة العامة لهذه الثورة من ناحية وقوانين الحركة الخاصة بكل اقليم طبقا لظروفه من ناحية اخرى .

ان من الظواهر الجديدة مثلا هذا الازدواج الجدلى المعقد فى الثورة الافريقية حيث تلتحم — على خلاف الصورة التقليدية — مرحلة التحرر الوطنى بمرحلة الثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية ».

ومثل ان المبادىء الاشتراكية فى الثورة الافريقية ليست — على خلاف الصورة التقليدية ايضا — طعام وشراب وهدف الطبقة العاملة فحسب بل اصبحت فى نفس الوقت وبدرجات متفاوتة طعام وشراب وهدف طبقات شعبية اخرى من فئات واسعة من البرجوازية الوطنية والصغيرة.

ومثل ان البرجوازية عامة وبدرجات متفاوتة فى البلاد الاشتراكية تتسم بالضعف الاقتصادى ولكنها فى نفس الوقت النبع الاجتماعى والفكرى لمعظم الفنيين والكادرات والخبراء فى حقول البناء الاقتصادى الاجتماعى .. هذا البناء الذى تستهدف الثورة صياغته فى نظام وعلاقات اشتراكية .

واذن ماهى قوانين الحركة العامة بالنسبة لكل هذه المظاهر الجديدة ، وماهى قوانين الحركة الخاصة — فى اطار القوانين العامة — بالنسبة لظروف كل مجتمع افريقى ». فلا شك انها تختلف فى مجتمع ماتزال النظم القبلية مسيطرة فيه عنه فى مجتمع موحد قوميا ، كما تختلف فى مجتمع مابرح زراعيا فى المقام الاول عنه فى مجتمع ولج بالفعل ميدان التصنيع الخ ».

وليس من شك فى ان تبادل الافكار والخبرات بين مختلف تجارب التنظيمات والاحزاب الثورية فى افريقيا سوف يسهم الى حد كبير فى بلورة حصيلة التراث الفكرى والعمل للثورة الافريقية واغنائها وتمهيد الارضية الفكرية والعملية لوحدة قواها ووحدة عملها النضالى ».

ولعل هذا هو ما حدى بمنظمى الندوة والمشتركين فيها الى الاصرار الواعى على

ان لا تسجن الجهود فى مناقشات نظريــة اكاديمية بحتة او اتباع اسلوب محلك سر من حول الشعارات الثورية وانما التصدى اولا واخيرا لواقع المشاكل والقضايا التى تثيرها بالفعل اليوم حركة الثوره فى مدها وجذرها على السواء وفى مختلف ميادينها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

واتفق الراى بين المشاركين فى الندوة على ان يقسم العمل سواء بالنسبة للتقارير الدراسيه المقدمه او الحــوار فيما بـين التنظيمات والاحــزاب الى موضـــوعين اساسيين :

اولهما : الكفاح المعادى للامبريالية فى المرحلة الراهنة من الثورة الافريقية .

وثانيهما : طــرق وظــروف التطــور الاجتماعى التقدمى للبلدان الافريقية .

ويشمل الموضــــوع **الاول** على النقاط الاتية بشكل محدد :

- **الاستعمار الجديد فى افريقيا .**
- **الاستثمارات الرأسمالية الامبريالية فى افريقيا .**
- **اساليب التغلغل الاســتعمارى فى البلدان الافريقية .**
- **تحليل اسباب وطبيعة الانقــلابات العسكرية فى افريقيا .**
- **حماية وتدعيم الانظمة التقدمية فى البلدان المتحررة فى افريقيا .**
- **الحاجة الى وحدة القوى الثــورية فى افريقيا .**
- **حركة التحرر لشــعوب البلـــدان المستعمرة فى افريقيا .**
- **النضال ضد الانظمة العنصريــة فى افريقيا .**
- **الثورة الافريقية كجزء لا ينفصم عن العملية الثورية العالمية .**

اما الموضوع **الثانى** فيغطى النقاط التالية على وجه التحديد :

- **تحليل التركيب الطبقى للمجتمــع الافريقى ، ودور القوى الاجتماعية المتباينة .**
- **ديمقراطية الحياة السياسية كشرط ضرورى للتطور التقدمى .**
- **قضايا تكوين الطليعة الثورية ووحدة القوى الوطنية .**
- **المشكلة الزراعية .**

● مشاكل التصنيع .

● التخطيط ومصادر التراكم المالى .

● مهام واحتمالات التعاون الاقتصادى بين الدول الافريقية .

● اهمية التعاون بين البلدان الافريقية والدول الاشتراكية .

ان هذا الحوار الذى سيدور فى اطار اخوة النضال بين ممثلى تنظيمات واحزاب الثورة الافريقية ، وباحتكاك مستمر ووثيق مع قضايا الواقع معطيات الحياة الجديدة، من شأنه ان يغنى اصالة الفكر الثورى الافريقى بزاد جديد ، يضاعف بدوره من فاعلية العمل الثورى فى مواجهة الامبريالية والتخلف والاستغلال .

واذا كان الحوار يتم اساسا فى دائرة الثورة الافريقية، الا انه فى النهاية، وبحكم عالمية الثورة ضد الاستعمار والتخلف والاستغلال من ناحية ووزن شعوب القارة فى النضال الانسانى من ناحية اخرى موضع اهتمام من كل القوى الثورية فى العالم .

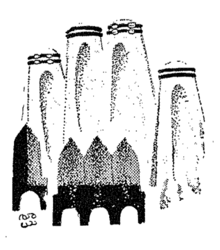
وبنفس الفهم فان هذا الحوار يهم الى اعمق درجة قوى الثورة العربية ، ففضلا عن انها جزء لا يتجزأ من القوى الثورية العالمية فان ٧٢٪ منها افريقى فى نفس الوقت وبنفس الدرجة . واذا كانت القوى الثورية العربية الافريقية تشارك مشاركة ايجابية ومباشرة فى هذا الحوار فان بقية القوى العربية الثورية فى آسيا مدعوة بلا استثناء الى المشاركة والمساهمة كأعضاء مراقبين .

وبعد .. فان « الطليعة » تعتز بدورها فى المشاركة فى الاعداد والدعوة لهذه الندوة ، وباختيار «القاهرة» موطنا ومنبرا لهذا الحوار العظيم البناء بين قوى الثورة الافريقية . وانه لشرف كبير ان نستقبل بكل الاذرع المفتوحة رجال الثورة الافريقية فى « قاهرتنا » الثورية .

لطفى الخولى

العباءة والعقال

لإخفاء معالم استراتيجية شرق السويس



مصطفى طيبه

السياسة الجديدة لبريطانيا والتى بدأت معالمها مع تولى حزب العمال الحكم ، والتى تبلورت فى «الكتاب الابيض» ، هى بالدقة تحديد دور بريطانيا فى ستراتيجية شرق السويس باعتبارها استراتيجية الاستعمار الجديد فى منطقة الشرق الاوسط .

فلقد استمرت سياسة بريطانيا حتى عام ١٩٦٤ ، تقوم على تخطيط الاستعمار القديم — باعداد الجنوب المحتل للاستقلال عام ١٩٦٨ — على أن تولى الحكم لقوى السلاطين والاقطاعيين ، وحماية وجود القاعدة البريطانية فى عدن بعقد معاهدة مع الحكومة المحلية بعد اعلان استقلال مزيف . وكانت مشاريع صاروخ سكاى بولت ، والقنبلة الذرية تتفق مع تلك السياسة ، وبفشلها ، ومع بوادر الازمة الاقتصادية جاءت حكومة العمال لترى اهتزاز المصالح البترولية لبريطانيا فى المنطقة بتدعم النظام الجمهورى فى اليمن ، وانفجار ثورة الجنوب المحتل فى اكتوبر سنة ١٩٦٤ .

لقد أصبحت القواعد البريطانية على وجه العموم وبصفة خاصة فى عدن المنوط بها حماية المصالح البترولية فى الخليج العربى والشرق الاوسط بوجه عام ، عاجزة عن ذلك ، ولم يعد أمامها سوى حماية نفسها . فالتكاليف المتصاعدة للبقاء فى عدن والتى لا تتحملها الميزانية البريطانية ، والمعارضة المستمرة لوجود بريطانيا هناك ، وانتهاء احلام بريطانيا فى عودة الامامة لليمن ، شكل كل ذلك ظروفا جديدة تفرض سياسة جديدة .

دور بريطانيا فى استراتيجية الاستعمار الجديد

والكتاب الابيض الذى صاغته دراسات ومشاورات بين لندن وواشنطن وبون ، كان قد وضع موضع التنفيذ ، فقد تحدد موقع بريطانيا فى استراتيجية الاستعمار الجديد بموقفها التبعى الكامل للولايات المتحدة ، فى فيتنام الديموقراطية ، ومن خلف الاطلنطى ، وجاء الكتاب الابيض ليحدد موقع بريطانيا من استراتيجية شرق السويس ، ويحدد دورها فى منطقة الشرق الاوسط عامة ،

والخليج العربى والجنوب المحتل خاصة . وكان اعلان حزب العمال عن الكتاب الابيض ، محاولة منه لكسب أصوات الناخب البريطانى الذى أخذت الازمة بخناقه . والمعلومات القليلة المعروفة عن الكتاب الابيض ، تبين انه يحاول حل المعادلة الصعبة للسياسة البريطانية بتخفيض نفقات الدفاع من جهة ، والمحافظة على المصالح البريطانية من جهة أخرى، وذلك بالاعتماد على قوى محلية والتبعية الكاملة للولايات المتحدة . ودور بريطانيا فى استراتيجية شرق السويس حدده الكتاب الابيض فى :

● تخفيض القوات البرية والبحرية ، وزيادة الاعتماد على الاسلحة النووية وسلاح الطيران ، وتنفيذا لذلك يجرى اجلاء المشاة من ليبيا مع بقاء قاعدتها الجوية .

● أن تتخلى بريطانيا عن صناعة الاسلحة التقليدية ، وتشترى أسلحة متطورة تكنيكيا من الولايات المتحدة ، ويؤدى ذلك الى تخفيض ميزانية دفاعها بنسبة تصل الى ١٦٪ .

● تنسيق الخطط الدفاعية مع الولايات المتحدة لضمان مصالحها فى جنوب شرق آسيا وفى الخليج العربى .

● الانسحاب من قاعدة عدن عام ١٩٦٨ ونقلها الى البحرين .

● الانسحاب من مناطق شرقى السويس باستثناء جزر المحيط الهندى ، مع ضمان تأخر هذا الانسحاب فى حالة موافقة أمريكا على اقتسام نفقات القواعد العسكرية فى هذه المناطق :

● أن يتحول مركز الثقل العسكرى البريطانى فى منطقتى الخليج العربى وعدن حيث تزداد احتمالات حركات معادية الى جزر المحيط الهندى.

وقد علق وزير مالية بريطانيا مبررا دور بريطانيا الجديد فقال « لقد كانت النفقات الدفاعية تجرى كقطار أفلت زمامه ، وقد رأت الحكومة أن تبحث هذا الموضوع من وجهتين ، الاولى كيف تحصل على أفضل أنواع الاسلحة مع العلم بأن ذلك يدعو الى التخلى عن أسلحة أخرى قد تكون مرغوبة ولكنها باهظة التكاليف ، والثانية كيف تخفض بريطانيا نفقات الدفاع فى شتى مناطق العالم فى الوقت الذى تعلن فيه بالتزاماتها الدفاعية » . لكن استقالة وزير البحرية البريطانية وقائد الاسطول البحرى البريطانى ، وعدد من كبار ضباط الاسطول البريطانى ، كشفت عن حقيقة الدور الذى تحدد لبريطانيا فى الاستراتيجية الجديدة . وقد عبر وزير البحرية عن ذلك بقوله « انى اقدم استقالتى من حكومة السيد ولسون لانى افضل أن أكون نائبا فى دولة عسكرية من الدرجة الخامسة على أن أتولى شئون دفاعها البحرى . ان السياسة الجديدة تعنى أن نعتمد على أمريكا فى كل شيء وبصورة غير معقولة » .

ان دور بريطانيا التابع للولايات المتحدة والذى يمثل أساس استراتيجية شرق السويس قد حدده :

● معاناة الاقتصاد البريطانى لازمة خانقة لا يستطيع التغلب عليها بغير مساعدة الولايات المتحدة. فقد فرضت هذه الازمة على حزب العمال ان يفتش عن الوسائل التى تكفل تخفيض النفقات . وتحقق فى نفس الوقت كسبا داخليا يمكن استغلاله فى كسب عطف الناخبين والبقاء فى الحكم مدة طويلة.

● تحرر غالبية المستعمرات البريطانية السابقة فى آسيا وافريقيا ، وبالتالى فقدان سياسة نشر القواعد العسكرية فى هاتين القارتين لمبرر وجودها . فقاعدة عدن فقدت قيمتها الاساسية ، وانحصرت هذه القيمة فى حماية المصالح البترولية القريبة منها فقط .

● تضاؤل قيمة الجيوش التقليدية ببروز قيمة السلاح النووى بمختلف درجاته . وصنع مثل هذا السلاح ، يكلف مبالغ طائلة لايستطيع الاقتصاد البريطانى تحملها ، ويمكن توفيره بتبعية بريطانيا لامريكا .

لقد كانت بريطانيا تتحكم فى جميع منافذ المحيط الهندى وأبوابه ، من قناة السويس الى عدن وباب المندب ، الى رأس الرجاء الصالح ، الى سنغافوره. وتغير الامر الان ، فقد تحررت الهند ، وأممت قناة السويس ، وضعفت قيمة قاعدة سنغافوره بعد أن انفصلت عن ماليزيا ، ونالت كل من بورما وسيلان استقلالهما ، ولم تبق غير عدن التى قررت بريطانيا الانسحاب منها . وقد انحصر دور بريطانيا فى خطة للاستخدام المشترك بين بريطانيا والولايات المتحدة لعدد من الجزر فى المحيط الهندى . وفى هذا تقول الاوبزرفر فى عددها الصادر فى ١٨ ابريل سنة ١٩٦٥ « ويعتقد ان المشروع كله بحث خلال زيارة ويلسون الاخيرة لواشنطن فى الاسبوع الماضى ، وهو يفسر اشارة الوزراء البريطانيين الاخيرة الى التحالف للتعاون شرقى السويس » . وقد اختار المشروع جزر كوكس جنوب سومطرا المدارة من قبل استراليا، وديجو جارسيا فى ارخبيل شاجوس فى منتصف الطريق بين اندونيسيا وافريقيا، ومنطقة فى جزر سيشل الواقعة على بعد الف ميل شرقى زنجبار، وجزيرة الدبارا على بعد ثلاثمائة ميل شمال مدغشقر. وهذه الجزر تقيم جسرا يملأ الفراغ بين سلسلة قاعدتى الاتصال الامريكية فى اسمرا بأريتريا ، والقاعدة الامريكية التالية فى الفلبين ، البعيدة عن الاولى بحوالى ستة آلاف

ميل الى الشرق . هذه الجزر وكلها ما عدا « كوكس » واقعة تحت ادارة وزارة المستعمرات البريطانية، لنتكون قواعدبالمعنى المفهومالبريطانى للقاعدة ، ولكنها ستكون على وجه التقريب مطار ومرسى ومخازن وقود . تقول الاوبزرفر « وفى اعتقاد رجال الدفاع الامريكيين والبريطانيين أن المنطقة ذات ضرورة استراتيجية للحلفاء الغربيين اذا كان عليهم الاحتفاظ بقدرتهم للتدخل ضد العدوان فى جنوب شرقى آسيا . وبوسع غواصات بولاريس فى المنطقة أن تغطى أهدافها فى الشرق الاوسط والمنطقة الجنوبية من الاتحاد السوفيتى والمنطقة الغربية من الصين وخطوط التدخل الى الهند وبورما » .

وطبقا لهذا المخططالاستعمارى بزعامة الولايات المتحدة تصبح البحرين المركز الاستراتيجى الاول ونقطة الوصل بين القواعد الجوية فى ليبيا وقبرص والمحيط الهندى . وتتحول البحرين لتكون القوة الرادعة لكافة الحركات التحريرية فى المنطقة ، وهى بسبب موقعها الجغرافى تكون مركز حماية لكافة مناطق الخليج التى تشمل الكويت وقطر وامارات الساحل المتصالحة .

هكذا تقوم سياسة بريطانيا الجديدة لا على مجرد التنسيق ، بل على أساس التبعية الكاملة للولايات المتحدة ، سواء فى اقامة القواعد الجديدة، أو فى الاعتماد على صناعة الاسلحة الامريكية — دون البريطانية — فى بعض ميادين الطيران والصواريخ، فتقول جريدة التايمز فىعدد اغسطس سنة ١٩٦٦ « والذى تود بريطانيا أن تراه — من الناحية النظرية — أن يتقارب حكام ولايات ساحل الصلح بينهم وبين بعضهم أولا ، ثم بينهم وبين امارات الخليج الاخرى— قطروالبحرين والكويت— والفكرة المثالية أن يقوم نوع من الرابطة أو الاتحاد الفيدرالى الذى يضم حالات التفاوت الضخم العدد فى الدخول . وينبغى أيضا أن تقوم علاقات مع الجارة الكبرى لهذه الامارات وهى السعودية» وحين تكون السياسة البريطانية فى المنطقةالعربية امتدادا لسياسةالاستعمار الجديدبزعامة الولايات المتحدة، لاتصبح القضيةهى قوة أوضعفالسياسة البريطانية ، وانما تصبح سياسة الاستعمارالجديد فى الخليج والجنوب المحتل ، القائمة على أساس دور التابع لبريطانيا ، والزعامة للولاياتالمتحدة. فهذا التحديد له أهميته الكبيرة فى توجيه النضال ضد استراتيجية الاستعمار الجديد، محليا، وعالميا، وبصفة خاصة فى تعميق الانقسام داخل حزب العمال ، فلقد وصلت مهانة بريطانيا الى حد اجبارها على عزل الشيخ شخبوط ، لانه رفض أن ينهج نهج السعودية ، ورفض استخدام العملة السعودية !!

موقع امارة البحرين

من استراتيجية شرق السويس

والاستعمار الجديد مستفيدا من تجربته القديمة فى فلسطين ، يعمل منذ وقت طويل على الاستفادة من هذه التجربة . فبريطانيا بعد هزيمتها فى السويس عام ١٩٥٦ ، وما صاحب ذلك من هبة ثورية فى الامارة ، شجعت ايران على اثارة بعض المطالب الاقليمية ، وعلى رأسها المطالبة بالبحرين. ومنذئذ ، تنفذ حكومة الشاه بالتعاون مع المخابرات والسلطات البريطانية فى الامارة سياسة تتضح معالمها الان، تهدف الىالتآمر على عروبة البحرين، وانتزاعها من جسم الوطن العربى ، وتسير هذه المؤامرة فى اتجاهين :

الاتجاه الاول : تحويلامارات الخليج وسلطناته الى كائن غريب عن الوطن العربى ، لا وطن له ، ولايعيش بغير الارتباط المصيرى بالاستعمار ، تماما كاسرائيل .

ففى اكتوبر ١٩٦٤ ، تبين لبعثة الجامعة العربية ومبعوثو الامم المتحدة الى منطقة الخليج أنه :

- فى البحرين ، ١٥٠ ألف نسمة أكثر مننصفهم اجانب ، أغلبهم من الايرانيين ودول الكومنولث .

- فى قطر ، ٥٠ الف نسمة منهم ٢٠ الف عربى والباقى من الاجانب .

- فى أبو ظبى، ٢٠ألف نسمة ثلثهم منالايرانيين والاجانب اليهود .

- فى دبى ، ١٠ آلاف عربى من بين ٥٠ الف نسمة يسكنونها .

- فى الشارقة ، السكان ٢٠ الفا ، ربعهم من الاجانب .

- فى عجمان ، ٤آلافنسمة، ثلثهم منالايرانيين

- فى أم القوين ، ٥ آلاف نسمة ، ربعهم أعجام.

- فى رأس الخيمة، ٥٠ الف نسمة، أغلبهم من العرب لفقر الارض .

- فى العجيرة ، لا احصاء ، والاكثرية منالعرب للفقر المسيطر .

وبعد عام ١٩٦٤ ، احتوت دفعات المتسللين على نسبة متزايدة من العسكريين . وكثيرا ما تتعرف سلطات الامن التى يشرف عليها الانجليز على هويات الايرانيين وتتعرف أنهم ضباطا وصف ضباط ثم تتستر عليهم .

والاتجاه الثانى ، تدعيم القوة الاقتصادية والنفوذ الادارى للايرانيين فى الامارة ، بتمكينهم من السيطرة على التجارة والمراكز الهامة فى البريد والجمارك وبعض الوظائف فى البنوك وشركات البترول . كذلك بشراء الايرانيين لاكبر قدر من العقارات والاراضى . وفى نفس الوقت بناء تنظيم عسكرى يتولى الدفاع عن هذا الوجود الايرانى ضد اى تحرك عربى داخلى ، ثم الاستعداد لاى مخطط احتلال يضعه الاستعمار وتنفذه ايران . وقدجاءت الانباء الاخيرة تحمل مد الولايات المتحدة ايران بالصواريخ لمواجهة الوضع فى الخليج العربى . وهدف هذا المخطط الاستعمارى خلق قضية نزاع قومى بين العرب والاجانب يحرف الحركة الوطنية عن الوجود الاستعمارى فى المنطقة باعتباره القضية الاساسية .

ان اقتصاد البحرين واقع بشكل كامل تحت سيطرة الاستعمار الانجلو امريكى . ووفقا للتقرير الرسمى لعام ١٩٥٩ ، يشكل الكتبة والاداريون الاجانب ٤٢ر٢١٪ من المجموع ، يجرى تربيتهم كقوى اجتماعية تعتمد عليهـا المخططات الاستعمارية باستخدامها لحرف الحركة الوطنية .

العميل الاول لاستراتيجية شرق السويس

وتحتل السعودية دور العميل الاول فى تنفيذ استراتيجية الاستعمار الجديد ، بشقيها السياسى والعسكرى . فهدف المخطط الاستعمارى اقامة اتحاد بين امارات ومشيخات الخليج ، شبيه باتحاد الجنوب المحتل الحالى ، يوضع ايضا تحت رعاية السعودية . فخطة الاستعمار الجديد تسير فى اتجاه خلق وضع سياسى يخدم استراتيجيته الجديدة، يحمى المصالح الامريكية البريطانية بواسطة حكام يلبسون العباءة والعقال . وتقوم خطة الاستعمار على أساس تولى بريطانيا تنفيذ الجزء الاول منها ، وهو خلق القوى المحلية العميلة فى الجنوب وفى الخليج ، فى نفس الوقت التعاون مع السعودية ، وجهات أخرى على تنفيذ الجزء الثانى منها لفرض سيطرة السعودية على المنطقتين . والسعودية تقوم بهذا الدور لتوافق مصالحها البترولية الكاملة مع المصالح الاستعمارية . فالسعودية راغبة فى جعل منطقة الجزيرة العربية بأكملها مجالا لنفوذها السياسى لتلعب الدور القيادى فى احتضان الرجعية العربية والدفاع عنها، ووضعها فى خدمة خطة الاستعمار الجديد . يدفعها الى ذلك الرغبة فى توسيع نطاق ثروتها البترولية بالسيطرة على بترول حضرموت الذى تم اكتشافه مؤخرا فى منطقة ثمود التى تعتبرها السعودية امتدادا لاراضيها وتطالب بها على هذا الاساس. كذلك بدخول قاعدة الظهران ـ حسب الاستراتيجية الجديدة ـ باستخدام القواعد الامريكية لتأمين المصالح البترولية للولايات المتحدة وبريطانيا من جانب ، ووضع قاعدة الجفير البحرية قرب جزيرة المنامة تحت الاشراف المباشر المشترك بين بريطانيا والولايات المتحدة، تتضح السيطرة الكاملة للولايات المتحدة ، وبالتالى الدور الكبير الذى تقوم به السعودية . فقاعدة الظهران هى احدى القواعد الرئيسية التي تعتمد عليها الاستراتيجية الامريكية فى سلسلة قواعدها الذرية التى تطوق العالم من « أوكيناوا » فى الشرق الاقصى الى الظهران وهوليس بليبيا ونواصر بالمغرب ، وبقية قواعد حلف شمال الاطلنطى فى اوروبا . ان دور السعودية كالعميل المباشر فى منطقة الشرق الاوسط عامة ، ومنطقتى الجنوب المحتل والخليج العربى خاصة ، لتنفيذ استراتيجية شرق السويس ، يسنده دور ايران كالاحتياطى المستعد للتحرك اذا تطلب الامر ، وتعاونه القوى المحلية ، ان جريدة التايمز البريطانية فى عدد يوليو ١٩٦٦ تقول : « ويمكن للحبشة أن تلعب دورا « مهما » بالنسبة لافريقيا ، لان لديها قوة مسلحة تتمتع بعتاد حربى حديث كاف ، وبسبب وجود مركز للمواصلات أمريكى فى أسمرا ، فان على الحبشة أن تلعب دورا هاما فى تقرير أحداث مناطق البحر الاحمر وشرق افريقيا » . ان الجريدة فى نفس العدد تقول « يوجد فى الحبشة اليوم كما هو موجود فى الشرق الاوسط حالة رعب وغضب حول الاثار المرعبة التى لابد وأن تنتج من جراء انسحاب بريطانيا غير المناسب حاليا عن عدن ، على الاقل الى حين انسحاب ناصر من اليمن » فماذا يكون هناك ؟ والى اى حد يصدق قول الجريدة البريطانية هذا ، وهى التى قالت فى عددها الصادر فى اكتوبر ١٩٦٥ ، فى مجمل دفاعها عن خطة بريطانيا للانسحاب من الجنوب الى الخليج « ويدفع أحد الاراء المحلية ، بأن النفوذ البريطانى سوف يتقوض اذا حدث انسحاب من الجنوب العربى ، كما أن مصر ستمنح فرصة أخرى للحصول على نقطة ارتكاز فى شبه الجزيرة العربية » . هذا ما ستكشف عنه الايام القادمة ، بغير اتهام ، ويأمل أن يكون قول التايمز ليس الا محاولة خبيثة .

موقع استراتيجية الاستعمار الجديد من عالمنا المعاصر

لكن ، اين تقع استراتيجية شرق السويس من عالمنا المعاصر ؟ هل تعبر عن تغير ميزان القوى لصالح الاستعمار العالمى ؟ وبمعنى آخر هل هى مرحلة هجوم استراتيجى على حركة التقدم والتحرير ؟

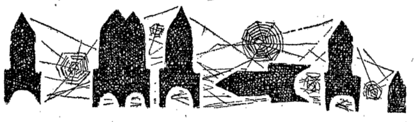
ان تبعية بريطانيا للولايات المتحدة وفقدانهـا لتوازنها فى آسيا وافريقيا ، الى جانب ازمتهـا الاقتصادية الطاحنة ، تدخل الشعب البريطانى بسرعة فى مرحلة يبحث فيها عن تغير جذرى فى السياسة الداخلية والخارجية لبريطانيا . وأمريكا نفسها ، ونتيجة لموقف ديجول ، وافتضاح ايرهارد، لم تعد القوة الوحيـدة ، وان كانت الاقوى فى العالم الراسمالى . ومشاكل امريكا الداخلية ذاتها الناتجة عن انفاقها كل خزائن دولتها جريا وراء مركز القوة العالمى ، تدفع الصراع الطبقى فى صالح القوى الشعبية . بل ان حرب فيتنام ليست دليلا على قوة امريكا ، بقدر ما هى محاولة لاستعراض عضلاتها . وقبل هذا كله وفوقه قوة الشـعوب ونضالها الباسل ، واتسـاع جبهـة الاشتراكية والتقدم والحرية .

غير أنه حين تجىء استراتيجية الاستعمار الجديد تتويجا لسلسلة الانقلابات التى صنعها الاستعمار فى آسيا وافريقيا ، والتى بدأت مع مقتل لومومبا ، فان الامر هنا لايكون معياره التشاؤم او التفاؤل ، وانما يكون المعيار هو البحث عن أسباب ذلك . فالثقة فى عجلة التاريخ ، وحتمية انتصار الاشتراكية لم تعد موضع جدل ، وانما الجدل حول الطريق الى دفع التطور فى اتجاه التاريخ . ونقطة الانطلاق على طريق عالمنا الذى ينتقل من الراسمالية الى الاشتراكية ، هى على وجه التحديد ، تثبيت وتدعيم وحماية الخطوة التى يخطوها عالم الاشـتراكية والتقدم . هنـا يصبـح السؤال هو هل نجحت القوى التقدمية العالمية فى حماية انتصاراتها التى بلغت أوجها فى الاعوام السابقة على مقتل لومومبا؟ ليس من شك فى أن قوى التقدم تعيش منذ مايقرب من أربع سنوات فى حالة جذر . والامر الذى لاشك فيه كذلك ان الراسمالية كظاهرة تشـهد مرحلتها الاخيرة ، غير أن هذه المرحلة تطول او تقصر بقدر وعى القوى التقدمية ، قوى العالم الجديد . من هنا ، وحين ظلت قوى الاشتراكية والتحرر فى موقف رد الفعل ، وكان عليها أن تتخطاه الى موقف الفعل على ارض انتصاراتها الضخمة منذ سنوات ، استعاد الاستعمار العالمى موقع الفعل الذى كان قد بدأ يفقده . ان الموقف العالمى التقدمى العام اذن ، هو بالتحديد ، يبدأ من حيث كان يجب أن يكون منذ سنوات . يبدأ من الوعى بحقيقة موقعه فى عالمنا المعاصر ، باعتباره موقع الهجوم النهائى لتصفية الراسـمالية ومراكزها الاستعمارية . ان جريدة التايمز تتعجل تنفيـذ استراتيجية الاستعمار الجديد فتقول « لقد أضعنا سدى ١٣٠ عاما من السيطرة البريطانية .. ولم يعد هناك سوى عدد قليل آخر من الاعوام يمكننا اضاعتها فى جنوب الجزيرة العربية .. وعدد ضئيل جدا بحيث لايكفى لعملية تحول الى الرسالة الاستعمارية الحقيقية » وترد الجريدة الاستعمارية على من يقول بأن ذلك « سيمنح مصر فرصة اخرى للحصول على نقطة ارتكاز فى شبه الجزيرة العربية » بقولها « من الناحية الجغرافية فان مصر لاتحتاج الى هذا النوع من نقط الارتكاز — على اى حال — وذلك لان اذاعة القاهرة تجد جميع المنافذ التى تحتاجها فى اجهـزة الترانزستور المنتشرة فى كل مكان » .

ان الجريدة البريطانية الاستعمارية ، حتى وهى تتحدث عن « الرسـالة الاستعمارية الحقيقية » تعى حقيقة أن موقع استراتيجية الاستعمار الجديد هو موقع الدفاع بلغة عالمنا المعاصر ، لكنها لاتألو جهدا لاحتلال موقع الهجوم فى محاولة يائسة لتاخير نهاية الاستعمار والراسـمالية الحتمية . وحين تتخذ استراتيجية الاستعمار الجديد من منطقـة الشرق الاوسط عامة ، ومن منطقتى الخليج العربى والجنوب المحتل بصفة خاصة معقـلا أساسيا لمحاولتها اليائسة ، يمكن ادراك ضخامة الاعباء الملقاة على عاتق الشعب العربى فى وطنه الكبير ، بصفة عامة ، وفى الخليج والجنوب بصفة خاصة .

اود ان اقول « ان الحقيقة التى يتحتم مواجهتها بشجاعة هى ان الثورية العربية أضافت بقصورها الى أسباب أزمتها مضاعفات لا تقل عما الحقه بها كل خصومها مجتمعين » (١) تنسحب أيضا على الثورية العالمية ، فلقد سبب قصورها عن ادراك حقيقى للعالم المعاصر ، انقسـاما بين قواها ، فتمكن الاستعمار منها ونجح على الاقل — حتى اليوم — فى تأخير نهايته المحتومة .

فهل تعى الثورية العالمية حقيقة عالمنا المعاصر؟ الى أن تعيه ، طال بها الزمن أو قصر ، فان الشعب العربى فى الخليج والجنوب المحتل ، وفى كل اجزاء الوطن العربى ، سوف يقدم من البطولة والتضحيات ما يقدمه شعب فيتنام الباسل .



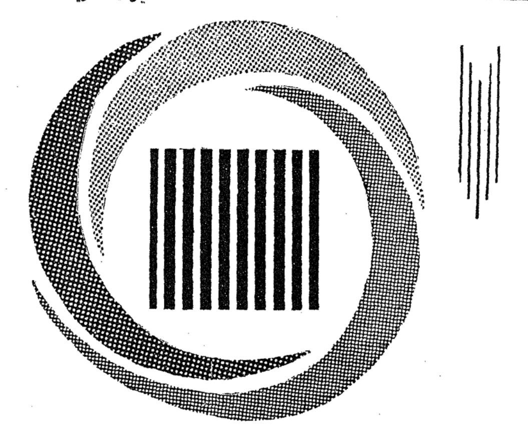
(١) محمد حسنين هيكل — اهرام ١٢/٨/١٩٦٦.



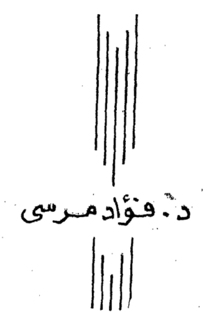
((الصراع الاجتماعى)) يتشكل فى صور مختلفة، وفى مقدمتها الصراع الفكرى. فتستخدم الرجعية سلاح الفكر، لتمهد به الارض للانتقال الى أشكال للصراع أكثر عنفا وأشد ضراوة، حين تتحرك لاستعادة مراكزها والاستحواذ على السلطة. الا أنها فى ظل السلطة الشعبية لا تجرؤ على الاعلان صراحة عن اتجاهاتها، فتقدمها مغلفة فى نصوص من ((الميثاق)) وترفع عليها لافتات اشتراكية وتستعير لها الشعارات التقدمية، تتستر وراءها لتروج أفكارها بعد أن تعيد صياغتها فى اطار نظرى وفلسفى وايديولوجى متناقض مع الفكر الاشتراكى.

ونحن لا نستطيع أن نعزو كل فكر معاد للاشتراكية الى تآمر مبيت أو قصد مريب، فكثيرا ما يجتهد البعض للخروج من القوالب الفكرية الرجعية، الا أنهم يتعثرون ويتخبطون فى أغلال الماضى. وهنا لا تكون العبرة بالنيات، فانهم يخدمون – موضوعيا – مصالح القوى المعادية. كما أن هناك التناقضات غير العدائية بين قوى الشعب العامل والتى يجرى العمل على حلها سلميا فى اطار الاتحاد الاشتراكى العربى. ومن هنا جاء توجيه المناضل جمال عبد الناصر الى ((القوى الاشتراكية فى مصر كى تفتح أوسع الآفاق للفكر الاشتراكى، والتيار الاشتراكى يجب أن يساهم فى تحطيم بقايا الافكار الرجعية)).

و ((الطليعة)) فى دراستها التالية، تناقش بعض التيارات الفكرية المتصارعة والمنتشرة فى مجتمعنا المصرى خاصة والعربى عامة بهدف كشف المناهج التى تتبعها والمصالح التى تنتمى اليها. فالفكر عامل ايجابى ومؤثر فى تطور المجتمع على طريق البناء الاشتراكى. ومقاومة التيارات المعادية وتحطيم بقايا الافكار الرجعية، لا يلعب دورا حاسما فى تأمين النظام فحسب، بل ويرسى القاعدة الفكرية للمجتمع الجديد.



انعكاسات الصراع الاجتماعى فى الفكر الاشتراكى



د. فؤاد مرسى

لا يوجد اشتراكي اصيل لايتمنى ان يصبح جميع الناس اشتراكيين . وفى عصرنا الراهن حيث تتبدى للجميع قوة جاذبية الافكار الاشتراكية وروعة انجازاتها فى صنع الحياة الجديدة للشعوب ، تنجذب الناس زرافات ووحدانا للمثل العليا الاشتراكية . هذا شىء مفهوم .

لكن ان تصبح الاشتراكية ستارا لكافة القوى المعادية للاشتراكية ، فذلك شىء آخر تماما . فمنذ اكد الميثاق ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم ، اصبح الجميع اشتراكيين ـ فجأة وبلا مقدمات : من عملاء المخابرات المركزية ، والاقطاعيين العتاة ، والراسماليين الطفيليين ، الى المثقفين المتعالين الذين لاتؤرقهم آلام الكادحين ولا معاناة المناضلين . جميع قوى الثورة المضادة ، ومن ورائها الاستعمار

الجديد ، ترفع عقيرتها بأنشودة الاشتراكية ، فى حرب مستميتة للالتفاف حول مفهوم الاشتراكية ولتخريب تطبيقاتها فى حياتنا اليومية .

وكما نسمع عن اشتراكية دستورية واشتراكية رشيدة واشتراكية معتدلة ، نسمع ايضا عن اشتراكية عربية — لكن من قوى اجتماعية مختلفة هى فى العادة قوى الثورة ذاتها . هذه القوى حريصة علىتمييز اشتراكيتها وتخصيصها حتى لاتختلط بالماركسية . وانطلاقا من هذا الحرص يمكن ان تصل فىالتمايز والتباعد الى آماد لا يمكن التنبؤ بها مقدما . بل لم يلبث أنصار الثورة المضادة انفسهم أن انسلوا تحت عباءة الاشتراكية العربية الفضفاضة ، فأصبح من الصعب أحيانا تمييزهم عن الثوريين المخلصين لقضية الاشتراكية .

اشتراكية عربية
أم تطبيق عربى ؟

ولقد كانت هذه المعركة الفكرية من براعة التنظيم والتوجيه بحيث كان يخيل لنا فى وقت من الاوقات ان المعركة الفكرية تنحصر كلها فىالاجابة على هذا السؤال : اشتراكية عربية ام تطبيق عربى للاشتراكية . وكان هذا خطأ مبينا . فلم تكن المعركة فى الحقيقة تدور حول تلك القضية الوهمية ، وانما كانت ومازال تدور حول السؤال التالى : اشتراكية علمية ام اشتراكية عربية ؟

فأنا لا اذكر ان كتابا واحدا الف منذ صدر الميثاق حول اشتراكيتنا العلمية . ولكن كم كتابا دفع للنشر حول الاشتراكية العربية ؟ وتحت هذه التسمية جرى الترويج لكل شىء حتى للراسمالية .

وليس الخلاف حول الاسماء . لكنه فى النهاية خلاف حول مستقبل بلادنا بالتحديد : المحافظةعلى جيوب الراسمالية ام الاندفاع القادر فى بناء الاشتراكية . فلم يقل أحد أن اشتراكيتنا ماركسية، لكن من المتفق عليه أنها اشتراكية علمية ، والاشتراكية العلمية نظرية متطورة لاتتوقف ولن تتوقف عند نص او تجربة . وكما انالثورى الحق انما يبدأ من معرفة سليمة بالواقع ، نجد ان المعرفة بالواقع على اهميتها لايمكن ان تكفى. بل يمكن ان تبدد موارد مادية هائلة ، ويمكن ان تدمر طاقات معنوية لامثيل لها ، كما يمكن ان تضيع فرص مواتية لا حصر لها ، وذلك بغير المعرفة بالنظرية معرفة واضحة ، واقعية ،ذكية. ان خطورة استمرار الميوعة الفكرية انما تكمن فى خطر الاساءة الى التطبيق اليومى للاشتراكية عندما تختلف القوى الثورية حول مفهوم الاشتراكية بينما تتخذه بعض القوى ستارا للمحافظة على جيوب الرأسمالية .

مستويان للمناقشة

من هنا تبدو الحاجة الى مناقشة على مستويين ، مستوى استخدام قوى الثورة المضادة لشعار الاشتراكية ، ومستوى استخدام قوى الثورة لشعار الاشتراكية العربية .ولست بحاجة هنا للمناقشة فى مستواها الاول مع قوى الثورة المضادة . فلقد فضحها قائدنا المناضل جمال عبد الناصر منذ زمن بعيد — فى اعياد الثورة عقب اجراءات يوليو المجيدة ، وفى داخل اللجنة التحضيرية لمؤتمر القوى الشعبية حيث قال بصفة خاصة :

« الرجعية المعاصرة او الرأسمالية المعاصرة ذكية جدا ، لانها تؤقلم نفسها وفقا لطبيعة العصر . فبعد سنة ١٩٥٧ رفع الرجعيون لافتات اشتراكية ، وكان ذلك فعلا لانهم يكسبون من زيادة الانتاج . وطالما أن الاشتراكية شعارات لا غير فلماذا يغضبون ؟ فى الواقع انهم يريدون ذلك وعلى استعداد لان يرفعوا شعارات فى الاشتراكية اضعاف مانقوله فيها بشرط الا توضع الاشتراكية موضع التنفيذ او يتم تطبيقها » .

فلما بدأ التنفيذ والتطبيق منذ عام١٩٦١ تكاتفت الرجعية الذكية لتخريب التنفيذ والتطبيق ، حتى تكفر جماهير الكادحين بهذه الاشتراكية او بالتالى حتى يجرى الترويج الذكى فكرا وفعلا لاسلوب الحياة الرأسمالية وطريق التطور الرأسمالى .

حوارنا كله ليس اذن مع قوى الثورة المضادة التى يسهل فى النهاية اخراجها من مخابئها . لكن حوارنا يجرى مع قوى الثورة التى تصر على مفهوم الاشتراكية العربية وتتجاهل مفهوم الاشتراكية العلمية . نريده حوارا صريحا ، مفتوح القلب، عميقا، يبدد كثيرا من الحساسيات ويساعد على وحدة الفكر والعمل فى صفوف الاشتراكيين .

تعقيدات المرحلة الانتقالية

يقول الرئيس جمال عبد الناصر : « بعد تراجع الاستعمار عام ١٩٥٧ كان من الواضح ان دور الثورة الاجتماعية قد جاء . بعد النصر فى المعركة السياسية كان من الطبيعى ان ننتقل الى المرحلة الثانية ، الى الثورة الاجتماعية .. لقد بدأنا فى سنة ٥٧ نتكلم فى الاشتراكية وندعو للاشتراكية . قد نكون بدأنا فى عام ٥٦ اول مرة، ولكن فى سنة ٥٧بدأنا نركز على هذا الشعار ».

ولم يوضع الشعار فى التطبيق الا ابتداء من يوليو ٦١ . هنالك بدأنا بالفعل مرحلة الثورة الاجتماعية . بدأ الانتقال من الثورة الوطنية الى الثورة الاجتماعية . وفى مايو ١٩٦٢ اعلنت الاشتراكية العلمية منهجا للتقدم فى مرحلة الانتقال .

— وبوصفها مرحلة انتقالية ، فهى مرحلة حرجة يتواجد فيها القديم والجديد جنبا الى جنب من غير ان يحسم الصراع بينهما . انهما يتعايشان الى حد ما . ومن خلال هذا التواجد يعاد تشكيل الطبقات الاجتماعية من جديد .

— وبوصفها مرحلة انتقال سلمى ، فان طبيعتها تفرض على كثير من الشعارات الثورية ان تمر بعدة مراحل قبل ان تجد لها مستقرا فى ارض الواقع الخصبة .

— وبوصفها مرحلة انتقال فريدة من الثورة الوطنية التى قادتها الرأسمالية الوطنية اساسا الى الثورة الاجتماعية ، فانها تنطوى بالضرورة على حلقات اصيلة من التطور ، سواء من حيث شكل التطور او من حيث تسلسل حلقاته .

من هنا نفهم لماذا يؤكد الميثاق انه صيغة قابلة للنقاش والتفاعل مع الواقع والفكر . انه يدرك حتمية التغيير ، بل حتمية تغييره هو نفسه. وهو يحدد من عام ٧٠ موعدا لهذا التغيير . بعبارة اخرى ، نفهم لماذا يضطرم الان الصراع الفكرى حول الاشتراكية العربية والاشتراكية العلمية . فنحن نقترب من موعدنا المضروب بل نحن فى الحقيقة نقترب من نهاية مرحلة الانتقال كلها.

كل هذه التعقيدات تنعكس فى صورة تيارات فكرية معقدة ، بل شديدة التعقيد . والمهم فيها انها جميعا تنتسب للاشتراكية ، حتى لم تعد كلمة الاشتراكية بحد ذاتها تعنى شيئا كثيرا . وانما يجب البحث فيما تغطيه هذه اللافتة من افكار . وصحيح اننا نجد انفسنا امام خصوبة فكرية نادرة ، تثرى تجربتنا الثورية حتما . وعلينا دائما ان نحرص عليها ، ان نحرص على حرية فكرنا ، وان نرفض تجميده فى قوالب من حجر . لكن علينا ايضا ان نميز بين ماهو فكر اشتراكى وما هو فكر غير اشتراكى . وتلك مهمة فكرية دائمة ، لا ولن تتوقف عند اى مرحلة .

هل هناك اشتراكيات عديدة ؟

وتجربة البشرية قبلنا لابد ان تكون نافعة لنا. فلقد كانت افكار الاشتراكية تراود احلام الكادحين وعقول المفكرين منذ اقدم العصور . لكنها لم تتخذ لها كيانا فكريا متميزا الا بعد انهيار الاقطاع ومنذ انتصار الرأسمالية . فقد وضعت الالة لاول مرة امكانية اشباع حاجات البشر المتزايدة. وقدمت العلوم الطبيعية انجازات حاسمة فى ميادين الطاقة الميكانيكية والخلية الحية واصل الانواع . بحيث اشتد الشغف بالبحث العلمى لتحويل المعرفة الانسانية المتجمعة عن الحياة الاجتماعية ذاتها الى ميدان القوانين العلمية .

هنالك تطورت افكار الاشتراكية . فى مرحلة اولى ، كانت الرأسمالية لم يكتمل نضجها بعد، وكانت الطبقة العاملة ضعيفة ، غير منظمة ، لم تتضح معالمها بعد ، هنالك كان المفكرون يشيدون فى الخيال نظاما افضل من الرأسمالية ، مدفوعين باعتبارات الخير والعدالة ، ومحاولين فرض افكارهم من الخارج ، معتمدين لا على قوة الكادحين بل على قوة الدعاية او على قوة المثل المستمد من بعض التجارب . فى هذه المرحلة توارت فئات اجتماعية مختلفة خلف شعارات الاشتراكية دفاعا عن مصالحها هى . حتى لقد كانت هناك اشتراكيات متعددة : اقطاعية ، ورأسمالية ، ورأسمالية صغيرة . بل كانت الاشتراكية حتى عام ١٨٤٧ مجرد حركة بورجوازية، سعى الاشتراكيون الحقيقيون لتمييز انفسهم عنها .

وفى مرحلة تاريخية تالية ، نضجت الرأسمالية، ونمت الطبقة العاملة، فتحولت الافكار الاشتراكية بفضل الصقل العلمى من نطاق الخيل والتمنى الى نطاق العلم والحقيقة . وغدت بدورها علما للاشتراكية هو مايسمى بالاشتراكية العلمية . وكان من الطبيعى ان تنهض الاشتراكية العلمية على اكتاف الاشتراكية الخيالية ، فهى تطوير لافكارها بطريقة ثورية . ومن ثم فهى ارقى منها،

بل هي كعلم تقف على النقيض منهـا ، وتعتبر نفيا لها .

ولهذا فقد حلت محلها فكريا وعمليا . ولم تعد توجد سوى اشتراكية واحدة .

علم الاشـــــتراكية

أو الاشتراكية العلمية ؟

وهذا ما حسمه قائدنا عندما أوجز للمبعوثين مفهومنا عن الاشتراكية قائلا : « الاشـتراكية عموما هي القضاء على اسـتغلال الانسـان للانسان ، ولكن التطبيق الاشتراكي في كل بلـد قد يختلف عن البلد الاخر . وفيـه ناس تحب تسميها الاشتراكية العربية على اساس أن دي اشتراكية لها طابع خاص . أنا رايي هي تطبيق عربي للاشتراكية مش هيه اشتراكية عربية . اعتقد ان فيه اشتراكية واحدة وفيه مبـادىء للاشتراكية » .

فليس هناك في الحقيقة سوى اشـتراكية واحدة لان هناك علما واحدا للاشتراكية . ولهذه الاشتراكية مبادىء ، لان لعلم الاشتراكية قوانينه العلمية .

وليس معنى كون الاشتراكية علما انها كهنوت غامض لا يفهمه سـوى العلمـاء . فلم تخـرج الاشتراكية أبدا من الجامعـات ، بل من صميم الحياة في المصانع والحقول . ولكنها علم بالمعنى التالي :

اولا — ان الحياة الاجتماعية لها قوانين علمية تحكمها . وهذا هو المفهوم العلمي للتـاريخ او قانون الصراع الطبقي .

ثانيا — ان الحياة الراسمالية حلقة عابرة من حلقات تطور الحياة الاجتماعية ولابد ان تعقبها الاشتراكية . هذه الراسمالية تحكمها قوانين علمية خاصة بها . وهذا هو المفهوم العلمي للاستغلال الراسمالي او قانون فائض القيمة .

ثالثا — ان بناء الاشتراكية له قوانين علميـة تحكمه ، اهمها قانون الاشباع المتزايد لحاجات الشعب .

رابعا — ان النضال من أجل بناء الاشتراكيـة له قوانين علمية تحكمه ، وهذا هو المفهوم العلمي للتنظيم السياسي او قواعد المركزية الديمقراطية .

وصحيح ان الاشتراكية العلميـة قـد ظهرت تاريخيا كنتاج مبـاشر للاعتراف بالصراع الطبقي في المجتمـع الراسمالي بين الملاك الراسماليين والعمال الاجـراء ، والاعتراف بفوضى الانتـاج الراسمالي وحتمية ان يحل محله انتاج واع مخطط هو الانتاج الاشتراكي . تاريخيا ظهرت الاشتراكية تعبيرا نظريا عن حركة الطبقة العاملة .

ولكن ، كالحياة ذاتها ، فان الاشتراكية العلمية لا تقف ساكنة جامدة ، بل تتطور وتغتني بتغـير الظروف التاريخية وبزوغ مهام جديدة امام قـوى التقدم في المجتمع . انها كاي علم يعيد صـياغة قوانينه عند كل كشف علمي فاصل . وفي عصرنا الراهن تتفتح الاشتراكية على تجـارب البـلدان المستقلة حديثا حيث تتقبل افكار الاشتراكية فئات اجتماعية اوسع بكثير من الطبقة العاملة ، وحيث يتم الانتقال الى الاشتراكية انطلاقا من مجتمعات متخلفة عن الراسمالية .

وفي بلادنا يؤكد جمال عبد الناصر على صياغة المفهومات الاساسية للاشتراكية . وبالاضافة الى الافكار المنهجية التي اعلنها الميثاق وبخاصة مفهومه العلمي للتاريخ ، يؤكد جمال عبـد النـاصر على المفهومات التالية :

اولا — ان هدف الاشتراكية عموما هو القضاء على استغلال الانسان للانسان .

ثانيا — ان وسيلة الاشتراكية هي اقامة الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج الرئيسية .

ثالثا — ان الاشتراكية تبنى بنقل السلطة الى تحالف الشعب العامل ، فهذه السلطة اداة الشعب في احداث التغييرات الاجتماعية المرموقة .

رابعا — ان المركز القيادي في المجتمع الاشتراكي هو للطبقة العاملة .

خامسا — ان التخطيط الشامل للاقتصاد هو اطار تطوير اقتصادنا على اسس اشتراكية .

سادسا — ان الانتقال الى الاشتراكية يقتضي منا مرحلة انتقال يتحول فيها المجتمع من الراسمالية وبقايا الاقطاع الى الاشتراكية .

بعبارة اخـرى ، فان المحتوى الاقتصـادي للاشتراكية العلمية هو تطوير الملكية الاجتماعية لصالح الشعب العامل ، اما محتواها السـياسي فهو نقل السلطة للشعب العـامل . فلن تهـزم الراسمالية ولن تنتصر الاشتراكية قبل ان يعيـد الشعب العامل صاحب السلطة تنظيم الاقتصـاد على اسس جديدة من التخطيط وينتج منتجات اكثر

واجود وارخص ممــا فعل الراسماليون ــ وذلك بفضل انتاجية ارقى للعمل الاجتماعى اعلا بكثير مما حققه الرأسماليون ،أساسها الانضباط الواعى من قبل العاملين بأنهم اصحاب المصلحة فى تطوير الانتاج ».

محاولات تحريف الاشتراكية العلمية

هذه الاشتراكية العلميــة تصطدم فى حياتنــا اليومية بمحاولات شتى لتحريفهــا ، تأتيــها من اعدائها الراغبين فى تخريبها كما تأتيها من انصارها الذين يحملون اليها أفكارا دخيلة عليها .

فهناك اولئك الذين يختصرون الطريق ويدافعون عن اشتراكية قومية الطراز ، ذات طابع خاص ، ليتحللوا اصلا من التزامهم بالاشتراكية العلمية . وهم لذلك يبالغون فى ابراز الخصائص الوطنيــة والقومية لبلادنا . ومصــيبة هؤلاء جميعــا ان خصائصنا القومية هى مصدر لاثراء الاشتراكية العملية اثراء لم تعرفه من قبل .

وهناك اولئك الذين يبدأون من الاشتراكيــة العلمية بطرف اللســان ثم لا يلبثون ان يتباروا فى اخفاء جوهرها وهو القضاء على استغلال الانسان للانسان عن طريق الملكية الاجتــماعية لوســائل الانتاج الرئيسية ، ومن ثم تحرير الانسان الفــرد فى المجتمع الحر . وهؤلاء يتورطون بالضرورة فى قضايا فكرية عويصة . فهم تارة يحاولون انــكار القوانين العلمية ، وتارة يحاولون انكار الصراع الطبقى ، وتارة أخرى يحاولون انكار حقيقة نضج بلادنا للاشتراكية .

وهناك أخيرا اولئك الذين يبرعون فى اصطياد اخطاء التجارب الاشتراكيــة ، ويجعلون مهمتهم هى تعميم الخبرة السلبية لهذه التجارب واغفال الخبرة الايجابية ذات الاهمية الحقيقية . وهؤلاء يتورطون فى محاولات التشويه والافتراء ، ومن ثم تصعب مناقشتهم بل قد تستحيل . كيف نناقش مثلا من يقول : اذا أمكن القضــاء على استغلال الانسان للانسان ، فاننا نشك فى امكانية القضاء على استغلال امة لامة ؟ .

وانما يعنينا فقط اولئك الذين ينفون الاشتراكية العلمية اصلا او يحاولون نفى بعض جوانبها . ويجب الاعتراف بأن الامر ليس واضحا هــذا الوضوح كله لدى سائر الكتاب والمفكرين . بل ان الكاتب الواحد ليعرض احيانا فكره الاشتراكى فكأنه يعرض قاموسا لكافة التحريفات الممكنة .

وليسمح لنا هنــا بمثل واحــد بالغ الدلالة . فالدكتور **طلعت عيسى** يروج بالحاح للاشتراكيــة العربيــة . بل هو يكتب عمــا يسميــه (نظرية الاشتراكية العربية) . وهذا من حقه تماما . بل انه يحاول العــودة بالاشتراكية كلهــا وحتى باشتراكيته العربية الى سان سيمون . وهــذا من حقه ايضا . فهذا رأى يناقش . لكن الذى ليس من حقه ابدا أن يقدم لنا خصائص اشتراكيتنا فاذا هى خصائص رأسمالية مناقضة للاشتراكية .

فهو يقول مثلا : « يمكننا من واقــع التجريب الاشتراكى العربى ان نستدل على الدعائم الثابتة فى التطبيق العربى للاشتراكية فيما يلى :

« ١ ــ الفرد الحر اساس المجتمع الحر » ــ وهذا فكر رأسمالى بحت . واشتراكيتنا تقول أن المجتمع الحر اساس الفرد الحر .

« ٢ ــ الدين ضرورة انسانيــة والمشــكلة الاجتماعية تحل داخل اطار الاديان» ــ واشتركيتنا قد أعادت الاديان داخل اطار المجتمع .

« ٣ ــ تجنب الصراع الطبقى .. فان اصلاح النظم الاجتماعية يحقق التعــايش السلمى بين الطبقات » ــ واشتراكيتنا لا تنفى الصراع الطبقى ولا تتجنبه ، وتتخطى الاصلاح الى الثورة ، ولا تقيم تعايشا بين الطبقات بل تسعى لالغاء الطبقات .

« ٤ ــ ان للملكية بأشكالها المختلفة وظيفــة اجتماعية » ــ وتلك نظرية الاحتكارات الرأسمالية التى تبرر نزع الملكيات الصغيرة ، أما اشتراكيتنا فتسلم بوضع وسائل الانتاج تحت سيطرة الشعب، وأساسا عن طريق الملكية الاجتماعية .

« ٥ ــ ان الوحدة القومية هى الطــريق الى وحدة الهدف » ــ واشتراكيتنا تجعل وحــدة الهدف طريقنا الى الوحدة القومية .

وعلى هذا النحو يواصل الكاتب سرد **افكاره هو** على أنها اشتراكيتنا ، فاذا هو فى نهاية الامر من أشد أنصار المذهب الفردى فى ظل مــا يسمونه بالرأسمالية المهذبة . وهذا بالتحديد ما كان يجب أن تفضى اليه تعاليم سان سيمون فى النهاية .

محاولة انكار القوانين العلمية

لم تظهر الاشتراكية العلمية الا بفضل تقــدم العلوم الطبيعية ،وكان من نتائجها اخضاع المجتمع للبحث العلمى وتحويل التاريخ الى علم ، وأصبحت الاشتراكية علما له قوانينه الموضوعية المستقلة

عن ارادة البشر ، حتى عن ارادة الاشتراكيين انفسهم . وجرى الكشف عن قوانين التطور الاجتماعي ، وقوانين الاستغلال الرأسمالي ، وقوانين البناء الاشتراكي ، وقوانين النضال من أجل الاشتراكية ».

هذه الطبيعة العلمية للاشتراكية تعنى الكثير بالنسبة لنا . فهى تعنى اولا ان نتعلم وان نتعلم ايضا وان نتعلم دائما . وهى تعنى ثانيا الا يبقى العلم حرفا ميتا ، معزولا عن المجتمع ، بل يدخل حقا فى عاداتنا ويصبح جزءا لا يتجزأ من حياتنا اليومية . وهى تعنى ثالثا تمجيد الانسان وقدرته على المشاركة بوعى فى الاحداث ، ورفض ان يكون تحت رحمتها ،بل امكانية السيطرة عليها وتطويرها بامكانية التنبؤ العلمى بها . وهى تعنى رابعا موضوعية الواقع من حولنا ، وبالتالى فهو قائم شئنا أم ابينا ، لا نتحكم فيه الا بقدر ما نعرف عنه. ومن ثم تنفى الاشتراكية العلمية تماما الارتجال والتلقائية والتفسيرات الذاتية .وهى تعنى خامسا نسبية افكارنا ومعرفتنا ، وضرورة تطورها مع تغيرات الزمان والمكان . ومن ثمفان اعتبار افكارنا ثابتة هو ابتعاد كامل عن الروح العلمية . فلا شىء يجمد عن التطور . وهى سادسا تعنى حتمية الاشتراكية حتمية موضوعية بعيدة عن ارادة حتى الثوريين المناضلين مناجلها والقادة الذين اطلقوها انها تفرض نفسها لا من وحى الاخلاق ولا باسم العدالة ، وهما اعتباران رفيعان — ولكن باسم التاريخ والضرورة الموضوعية . وعندنا فان الاشتراكية تبنى طبقا لقوانين بنائها . فمثلا من يريد توزيعا اشتراكيا عليه أن يبدأ بانتاج اشتراكى .. فلا توزيع اشتراكى بلا انتاج اشتراكى .

هكذا نفهم علمية الاشتراكية . لكن هناك من يشككون فى هذا الفهم . بل هناك من يعارضونه. فى مقال للدكتور **صلاح مخيمر** بعنوان (النظرة العلمية للاشتراكية) يتساءل عن معنى هذه العلمية . ثم يجيب بتعداد ثلاثة انواع من العلمية!!

١ — فالبعض يرى انها علمية تستند استناد كل علم من العلوم الى قوانين حتمية . ٢ — هذه القوانين عند البعض هى القوانين التى تسند الحتمية الماركسية . ٣ — بعض ثالث يرى أن الحتمية تختلف عن الحتمية الماركسية كل الاختلاف .. فالعلمية هى الاستناد الى العلوم واستخدام العلم من أجل المجتمع ! .

وفى الحق ، يجب أن اعترف بأنى لم أفهم شيئا من كل هذا التصنيف . وانى لاتهم نفسى بالعجز عن ادراك المقصود منه ؛ خاصة وهو يقول فى النهاية : « الاشتراكية العربية انما هى علمية فى مواجهة الاشتراكيات الخيالية وان اختلفت فى علميتها عن العلمية المادية الماركسية ».

وهناك كتاب لا حصر لهم يتورطون فى محاولات منافية للعلم . يفعلون مثلما كان يفعل **برودون** . كان كثير الكلام عن العلم . لكنه كان يضع صيغا مسبقة لحل المشكلة الاجتماعية ، وذلك بدل ان يقوم باستخلاص العلم من المعرفة النقدية لحركة التاريخ التى انجبت الظروف الماديةلقيام الاشتراكية

وتتدهور المحاولة احيانا عندما يحاول البعض ان يوقف حركة التاريخ تحت ستار حجة ما ولتكن الميثاق . فالميثاق يتحول عند البعض الى وثيقة مقدسة لا تمس ولو بالحوار العميق . **عبد المغنى سعيد** لا يخفى عداءه للشيوعية . لكنه يتمسح فى الميثاق ليستطيع النيل من الشيوعيين . ويتخذ من عيد الميثاق مناسبة لا تضيع .

يقول تحت عنوان (كيف نعيش الميثاق) : « ان بعض المناهج كانت لا تسير فى مجرى الميثاق تماما ، وكادت تنحرف عن هذا المجرى ، واذاأخذنا فى الاعتبار ان الامر لم يكن ليقف عند حد النزوع الى عدم الارتباط الكامل بالميثاق ومحاولة تبرير ذلك بالمرونة وحرية الحركة ، بلتعداه الىالتشكيك غير المباشر فى الميثاق بدعوى المرحلية وان كل ما جاء فى الميثاق مرحلى ولابد ان يتغير .. ليعلم من لا يحب ان يعلم ان الميثاق كل لا يتجزأ وان الذى يلتزم بهانما يلتزم بهككل وبدون تحفظات لانستطيع مع افتراض حسن النية ان نقول انها بريئة » .

ومع ذلك فهو لا يمكن ان يتجاهل ان قائدنا يؤكد فى اكثر من مناسبة ان الميثاق ليس سجنا للثورة وهو يدعو الاشتراكيين لادارة حوار عميق حول الميثاق .

ومن ثم يكتب عبدالمغنىسعيد مناقضا نفسه : « ان فى الميثاق ابعاد تطبيق مرحلية سوف يعاد النظر فيها عام ١٩٧٠ كما أشار الميثاق نفسه الى هذا فى بعض المواضع . ولكن هل هناك ضرورة عاجلة فى استباق الحوادث والمطالبة الان بتطوير الميثاق ؟ » .

وهو سؤال لا يستحق ردا بعد كل ما كتب ، فالقافلة نفسها تسير للامام .

محاولة انكار الصراع الطبقى

تعترف اشتراكيتنا فى الميثاق بصراع الطبقات وتضع له تحليلا علميا من ارقى ما عرف من تحليلات . وهى تتطلب حل الصراع الطبقى حلا سلميا وتناضل من اجله . لكنها تضع له شروطه الموضوعية والا فرضت على المجتمع اساليب غير سلمية للصراع ».

ومع ذلك فهناك من يعلن بشكل بساطة ان اشتراكيتنا (تتجنب) الصراع الطبقي ! . واذا كان البعض يتورط في صراحته الى هذا الحد ، فان هناك من لا يكشف بسهولة عن حقيقة رأيه .

فباسم سلمية الصراع الطبقي ، وباسم تحالف قوى الشعب العاملة العريض ، يصل البعض الى القول بالتعايش السلمي بين الطبقات ، وبتأبيد وجود الطبقات ، حتى تلك الطبقات الرجعية .

ويجد البعض في التعاون كلمة السر المطلوبة . كتب **عبد الكريم احمد** سلسلة مقالات شديدة الاضطراب الفكرى عن التعاون بين الطبقات في مواجهة الصراع الطبقي . كتب يقول : « جاء الاتجاه نحو المادية كرد فعل مبالغ فيه لسيطرة الدوجما الدينية والكنيسة على الحياة الاوربية طوال العصور الوسطى . وكما كان الدين قد ارتبط في اذهان الناس بالدعوة الى التعاون ، فقد هيأ ذلك الجو لان ترتبط المادية بالصراع » !! .

ويقول : « ان مبدأ صراع الطبقات بوصفه حقيقة جدلية لابد ان تتولد داخله نقيضة تتمثل في نمو بذور التضامن داخل الطبقة نفسها » . وكل هذا خلط مزعج . فهو يخلط بين الفلسفة المادية وبين الصراع الطبقي ، والمعروف ان تاريخ البشرية كله هو تاريخ الصراع الطبقي . وهو يخلط بين تضامن افراد الطبقة الواحدة وبين التعاون بين طبقات مختلفة . بل هو يخلط بين هذا التعاون وبين التحالف فيما بينها . فهو كما يقول « ينبذ مبدأ تحالف الطبقات بقيادة اية طبقة او فئة بذاتها » . ولم يقل أحد من الاشتراكيين بمثل هذه المساواة الوهمية بين الطبقات ، لانه في داخل اى تحالف بين الطبقات الاجتماعية توجد حتما قوة اجتماعية قائدة . وهو يخلط خلطا ذريعا بين الصراع الطبقي وبين الصراع من اجل البقاء في عالم الحيوان . وهو في النهاية يجعل التعاون هدف الاشتراكية كلها . بل انه يعتبر الجبهات والتحالفات التي ينادى بها الاشتراكيون اعترافا منهم بخطأ مذهب الصراع الطبقي . والمصيبة أن يختتم هذا كله مستدركا ، فيعدل عن كل ما كتبه ويرد على نفسه ويقول : « ان التعاون فشل كمفهوم بديل لصراع الطبقات فشلا تاما في تحقيق التغييرات الجذرية التي يتطلبها حل المشكلة الاجتماعية . ولم يساعد حتى على الاقتراب من المجتمع الاشتراكى طوال تاريخ نضال العمال » .

ان الاشتراكية انحياز طبقي . وليس باسم تحالف قوى الشعب العاملة يمكن للبعض ان ينكر على الاشتراكية اتباع سياسة طبقية . ان الاشتراكية موقف اجتماعي لمصلحة طبقات معينة وعلى حساب طبقات معينة اخرى . ولا يمكن تمييع هذا الموقف الطبقي والا صارت الاشتراكية لا طبقية ، صارت اشتراكية لجميع الطبقات ، اى لم تعد اشتراكية . والى هذا يدعونا مثلا **صلاح مخيمر** حين يقول : « ان الثورية الاشتراكية الجديدة غالبا ما تقنع باستئصال الوظيفة القديمة للملكية خالعة عليها وظائف جديدة وفارضة عليها من الوان الاشراف والتوجيه ما يجردها من كل حرية استغلالية » .

وتلك دعوة فيما يبدو للابقاء على الملكية لاصحابها ، مع تغيير وظيفتها فحسب . وهو كلام يذكرنا باولئك الذين كانوا يعلنون عداوتهم للراسمالية ويحتفظون بصداقتهم للرأسماليين . فكيف يمكن الفصل بين الملكية الرأسمالية والملاك الرأسماليين ؟ .

الا ما أصدق الكاتب العربى **محمد كشلى في تعليقه** على تجربتنا الاشتراكية فيقول : « الجبهة الفكرية تريد افراغ الاشتراكية من الصراع الطبقي . فاشتراكيتنا عربية ، صميمة ، مؤمنة ، أما اشتراكية الصراع الطبقي فهى مبادىء مستوردة والحاد ! وعدم الصراع الطبقي معناه الوحيد ابقاء سيطرة الرأسمالية والاقطاع » .

محاولة انكار نضج مصر للاشتراكية

هنا نلتقى بأرقى محاولة لتحريف اشتراكيتنا . وخلاصتها ان مصر لم تبلغ من حيث تطور القوى المنتجة تلك الدرجة الضرورية التي تجعل الاشتراكية امرا ممكنا . وبالتالى فاننا لم ننضج بعد موضوعيا للاشتراكية . ولذلك فعندما يقبلون الاشتراكية فانما يقبلونها بهذا التحفظ .

فالبعض باختصار يرفض نظرية الاستغلال الرأسمالى . وباسم اننا بلد اقطاعى او شبه اقطاعى ، خضنا نضالا معاديا للاستعمار من أجل التحرر الوطنى ، يصبح التحول الاشتراكى عديم الصلة بالعداء للرأسمالية . وينسى هذا البعض أن الاستعمار هو أعلا درجات الرأسمالية ، وان البلدان التي نكبت بالاستعمار قد انتقلت اليها بالضرورة تلك الرأسمالية في آخر كلمة لها ، فعندما خاضت النضال ضد الاستعمار قد خاضت من ثم نضالا ضد الرأسمالية في أعتى صورها .

والبعض باسم النضال ضد الاقطاع يبرىء الرأسمالية من العيوب . فهى على أى حال ارقى من الاقطاع . انها تنشىء الصناعة الحديثة ، وتنشر المعرفة بفنون الانتاج المتقدمة . وبالتالى فان قليلا من الرأسمالية يصلح حالنا حتى تنمو

قوى الانتاج المتخلفة . وعندئذ تتوفر الظروف للانتقال الى الاشتراكية .

ومنذ سنة ١٩٥٧ عبر **وهيب مسيحة** عن هذا الرأى فى كتيب بعنوان : « التنمية الاقتصادية فى ظل الرأسمالية » . كتب ناقدا بدء القادة عندئذ دعوتهم من أجل الاشتراكية . قال « ان الاندفاع نحو حماية الطبقات العاملة من استغلال اصحاب رءوس الاموال قد يهزم الاغراض النبيلة التى تحث الداعين الى هذه السياسة . اننا نؤمن بالاشتراكية على أن تكون اشتراكية تشيع الرغد والرفاهية لا اشتراكية الفقر والجوع ، لا اشتراكية الطوابير التى تقفتنتظر نصيبهامن الخبز.وهذه الاشتراكية التى نؤمن بها هى الاشتراكية التى يتعين علينا ان نظفر بها اذا بلغ مستوى الانتاج الى الاوج . وبمعنى آخر نؤمن بالاشتراكية عندما نملك جهازا انتاجيا ضخما ينوء السوق بانتاجه لان ثمة قصورا فى الاستهلاك يحول دون ان تجد المنتجات مصرفا لها »

ومعنى هذا انه كان على قادة الثورة فى عام ٦١ انيمتنعوا عن بدءعملية التحولنحوالاشتراكيه، كان عليهم ان يتجاهلوا الصراع الطبقى المحتدم وتخريب الرأسمالية الكبيرة للتنمية الاقتصادية واحتياجات التطوير الملحة للاقتصاد القومى وانخفاض مستوى معيشة الشعب العامل باطراد — ما دام « الانتاج لم يبلغ الاوج » .

ومعنى هذا ببساطة انه كان على قادة الثورة أن يقفوا بالثورة فى منتصف الطريق، بل انينتكسوا بها للوراء . وهذا تفكير راسمالى محض . معناه الوحيد انه كان على قادة الثورة ان يسلموا زمامها للرأسمالية .

والرأسمالية المصرية التى يكتب كاتبها هذا الكلام هى التى رأت ان خطة مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات خطة مغالى فيها ، ان تمت فسوف تتم على حساب ارباحها المحتجزة .

ومن ثم قاومت بشراسة قانون عام ١٩٥٩ الخاص بتحديد الارباح ، وشنت على التنمية الاقتصادية حربا تحت شعار : عدم التضحية بهذا الجيل فى سبيل الاجيال القادمة . فلم تلبث مع التحول الاشتراكى ان حولت هذا الشعار الرأسمالى الى شعار اشتراكى يحد من عزم قادة الثورة على التطوير . وعندما يكتب **يحيى الجمل** عن الاشتراكية العربية فسرعان ما يميزها فى رأيه بموقف « يرفض ان يتصور الفرد وجودا بغير معنى ، ويرفض أن يتصور التضحية الكاملة بالفرد وبحرياته بوهم ان الفرد وحرياته ليست قيما اساسية ، وان القيمة الاساسية الوحيدة هى الوجود الاجتماعى » .. فهنا نلمس فردية الرأسمالية العتيدة ، تضعها فى خدمة التشهير بالاشتراكية . حقا ان البعض يعلن عن اشتراكيته لمجرد تغطية نضاله لمنع الثورة الوطنية من التحول الى ثورة اشتراكية .

المهم ان البعض متذرعا بحجة تخلف قوانا المنتجة ، يتجاهل نضج علاقات الانتاج فى بلادنا ، وينكر علينا الاشتراكية او على احسن الفروض يفرض على اشتراكيتنا وجودا رأسماليا .

وكل هذا يمكن ان يكون طبيعيا . ولكن غير الطبيعى ان تلقى هذه الحجة الراسمالية صدى واسعا لدى الاشتراكيين انفسهم . فانطلاقا من حقيقة تخلف قوى الانتاج ونضج علاقات الانتاج ، يجرى الترويج لنظرية مؤداها أن اشتراكيتنا قد جاءت من اعلا ، من خارج الطبقات الكادحة . والواقع انه نتيجة لظروف سياسية خاصة جدا ، وبصفة خاصة نتيجة لتحول القادة الوطنيين الى المواقع الاشتراكيه وهم فى قمة الحكم ، ونتيجة لتحطيم التنظيمات الاشتراكية بين الجماهير قبل بدء التحول الى الاشتراكية — نتيجة لهذا كله فان الاشتراكية تبدو وكأنها جاءت من اعلا . وهنا يخيل للبعض انه يكفى لفرض الاشتراكية توفر الارادة الخيرة والمناضلة لبعض القاده المخلصين لقضية الاشتراكية ، على أن تكون مهمة اولئك القادة هى خلق الحافز الثورى لدى الجماهير . وتلك كلها افكار الاشتراكيه الخياليه لا الاشتراكية العلمية . وهى افكار خاطئة وضارة . فهى خاطئة لانها تنكرنضال الجماهيرطويلا منأجل الاشتراكية، وهى ضارة لانها تغفل ان الاشتراكية هى الشىء الوحيد الذى لا تصنعه سوى الجماهير وعملها المبدع.كما أنهابانكار دور الجماهير تبرر بالضرورة للانتكاس على الثورة. فمادامت الاشتراكيه عملية علوية ، فمن السهل اقتلاعها .وعندئذ فمنالاسهل القاء اللوم على الجماهير .

ان الاشتراكية لا يمكن ان تتحقق بغير النضال الثورى لجماهير الشعب . انها لا تظهر من تلقاء نفسها . كما أنها ليست من صنع اى صفوة . بل تصنعها الجماهير التى هى المعين الوحيد الذى لا ينضب للطاقة الثورية . ولذلك لا يمكن السير فى الاشتراكية بشكل تلقائى ، بل لابد من تصميم عملية البناء من أجل توجيه القوى المنتجة عن وعى وتنظيم .

وتتخذ هذه النظرية صيغة رفيعة فى بعض كتابات **مصطفى طيبة** .

فهو يلح كثيرا على فكرة خلاصتها ان عصرنا هو « عصر تعاظم دور الوعى وتحرره المتناهى من قوانين الضرورة الاجتماعية واكتساب الانسان قدرة متعاظمة علىتخطيط مستقبله وتقرير مصيره

بدون أن يكون عبدا للقوانين الاجتماعية وبصورة تعجزه عن توجيهها فى اتجاه يخدم مصالحه بل ومصالح البشرية جمعاء » .

فهنا نجد صيغة رائعة وجذابة لكنها للاسف صيغة خيالية ، غير علمية بالمرة . انها تستند الى فكرتين غريبتين عن الفهم العلمى للتاريخ هما :

ــ عصرنا هو عصر تعاظم دور الوعى وتحرره المتناهى من قوانين الضرورة الاجتماعية .

ــ عصرنا هو عصر قدرة الانسان على الا يكون عبدا للقوانين الاجتماعية .

بعبارة اخرى تقول تلك الصيغة ان التطور الاجتماعى فى عصرنا اصبح يحكم اكثر فاكثر بالوعى الذاتى لا بالقوانين الموضوعية ، وتلك قضية لا يستطيع ان يزعمها بعد حتى اولئك الذين فى أسبق الاوطان الى الاشتراكية قد قطعوا فى بنائها اشواطا مذهلة ومضوا فى شجاعة الى غزو الطبيعة والفضاء تعبيرا فذا عن اعجاز الانسان ، بل هى صيغة لا تفيد الانسان المناضل فى فهم تطورات الاحداث فى اجزاء كثيرة من العالم : مثلا المجزرة الاستعمارية المنصوبة فى فيتنام ، والمذبحة الاخوية فى اندونيسيا ، والمأساة من فصل واحد فى غانا . وهى صيغة لابد ان تسخر منها كثيرا جميع قوى الاشتراكية فى غرب اوربا . ولربما لم تجد لها نصيرا الا فى اعماق الصين .

فهل تمثل عودة بنا الى متاهات الاشتراكية الخيالية لا الى حقائق الاشتراكية العلمية . وهنا يجب أن نوضح الافكار الاولية التالية :

اولا ــ ان الحرية ليست الغاء للضرورة الموضوعية ، بل هى فهمها اى اكتشاف القوانين التى تحكمها . أما الضرورة فتبقى ، ولسوف تبقى دائما .

ثانيا ــ ان الانسان لا يتحرر من القوانين الاجتماعية الا بمقدار ما يعرفها ، بمقدار ما يكشف منها . وبالتالى فان الحرية ازاء القوانين الاجتماعية ليست الغاء لهذه القوانين ، ليست ابتعادا عن هذه القوانين . لكنها على العكس اقتراب ومزيد من الاقتراب منها .

ثالثا ــ ليست علمية بالمرة دعوة الانسان (الا يكون عبدا للقوانين الاجتماعية) . فنحن ضد بعض القوانين الاجتماعية ، لكننا مع بعض القوانين الاجتماعية الاخرى . وبينما نريد مثلا ان نتحرر من مفعول القوانين الاجتماعية للراسمالية نريد أن نخضع للقوانين الاجتماعية للاشتراكية .

صحيح ان البشرية التقدمية تحرز انتصارات هائلة على الاستغلال الاجتماعى وعلى أسرار الطبيعة . ولكن هذا لا يعنى انتهاء عصر القوانين الاجتماعية أو القوانين الطبيعية . بل يعنى ازدهار عصرها .

ان كل ظواهر المجتمع تخضع لسيطرة الانسان بمقدار اكتشافه للقوانين التى تسيطر عليها . وليس العكس . ولذلك فان شعارنا يجب ان يكون دائما : مزيدا من الكشف عن قوانين المجتمع ، فان فيه حريتنا .

الترويج لاشتراكية خاصة

وتتخذ محاولات نفى الاشتراكية العلمية صورة الترويج لاشتراكية قومية الطراز ، ذات طابع خاص ، اشتراكية وسط ، هى الاشتراكية العربية باختصار . هنا يختلط الاصرار على التمايز عن الاشتراكية العلمية بالرغبة فى التشهير بالماركسية والبلدان الاشتراكية الاخرى بل بالعداء للشيوعية بالتعصب القومى الاعمى الذى يقدس كل ما هو محلى او قومى .

حسين فوزى النجار يكتب : « الاشتراكية العربية نمط جديد من انماط الفكر الاشتراكى الا انها لا تسلم بالمادية الجدلية وتقوم على تفسير جديد للتاريخ » .

صلاح مخيمر يقول : « نحن حين ننظر الى ميثاق العمل الوطنى لنستخلص منه هنا وهناك ما عساه ان تكون نظريتنا العلمية فى التطور وموقفنا من الحتمية المطلقة والنسبية الاجتماعية ، فاننا نجد انفسنا فى البداية موزعين مابين الحتمية والنسبية ، ما بين العلية الواحدة الاتجاه والعلية الشبكية بتأثيراتها المتبادلة وتفاعلاتها النسبية » .

رفعت المحجوب يكتب : « ان القول بالتطبيق العربى للاشتراكية يقتضى التسليم باحدى مقدمتين غير متوافرتين هنا : ١ ــ التسليم بأن الفكر الاشتراكى ينتهى كله الى نظرية واحدة ٢ ــ او التسليم مع تعدد النظريات الاشتراكية بأن الاشتراكية المطبقة فى مصر ان هى الا تطبيق لنظرية اشتراكية معينة وموجودة سلفا » .

طعيمة الجرف يقول : « نحن ننكر الماركسية من اساسها باعتبارها فلسفة مادية بحتة » .

عبد المغنى سعيد ينبه الى ان « الطريق الى وحدة الفكر المنشودة لا يكون بتوحيد مصطلحات مذهبية توطئة لصب الاشتراكيين فى قوالب فكرية »

وهكذا يبدون جميعا من الرغبة فى التمايز

ويصلون الى الحساسية الخاصة من الماركسية بل والعداء للشيوعية . وعندما يكتب **رفعت المحجوب** قائلا « اننا نذهب على العكس من النظام الشيوعى الذى يتلخص فى (تجريد الذين يملكون) الى (تمليك الذين لا يملكون) » — فاننا نتبين على الفور كيف يدفعه العداء للشيوعية الى أن يطعن تجربتنا من حيث لا يدرى . فلقد قامت تجربتنا — عن حق — بتجريد كثير من الذين يملكون مثلما قامت بتمليك كثير من الذين لا يملكون . فكيف يمكن تمليك المعدمين بغير تجريد المالكين ؟ ! .

ان الدعوة لاشتراكية خاصة نفى لحقيقة ان الاشتراكية واحدة ، ولكن تطبيقاتها متنوعة . وهى دعوة ذات جانبين : جانب جدى حين تريد وقف التطور الاجتماعى والمحافظة على جيوب الاستغلال الرأسمالى ، وجانب وهمى ، خيالى ، حين تريد بناء الاشتراكية فعلا فلا تلبث ان تنتج نتائج ضارة حقا .

ولقد قام اخيرا كاتبان مرموقان ببيان فساد هذه الدعوة ، وانه ليشرفنى ان أترك الكلمة لهما .

يقول **يحيى هويدى** فى مقال بمجلة الفكر المعاصر : « هل هذه النظرية الفلسفية التى قدمها لنا الميثاق نظرية للاشتراكية العربية اى لاشتراكية قائمة بذاتها مستقلة عن كل النظريات الاشتراكية التى ظهرت فى العالم ومنفصلة عن الخط الاشتراكى العام ؟ . أم أن هذه النظرية تمثل رجها من وجوه النظرية الاشتراكية العالمية واضافة لها فى الوقت نفسه ؟ اننى اميل الى الاخذ بهذا الطرف الاخير ، لان الحياد الفلسفى لا ينفع هنا . فاذا كان بوسعنا ان نتحدث عن حياد فلسفى بين المثالية والمادية لنجنب انفسنا شطط الاتجاهين من الناحية النظرية المذهبية ، فليس من حقنا فى مجال الاشتراكية ان ننفصل عن الخط الاشتراكى العالمى ، لان الانفصال عنه معناه المهادنة مع الرأسمالية وفلسفتها المثالية » .

وهذا كلام واضح . ويضيف « ان الحديث عن اشتراكية عربية بقصد الانسلاخ عن الاشتراكية العالمية يصبح لا معنى له الا التراجع عن الالتزام بالاشتراكية ، ويوحى بأننا نستعمل الاشتراكية كواجهة فقط ، ويفتح المجال أمام اعدائنا أن يتهمونا بأننا لسنا جادين فى الاخذ بالاشتراكية . مع ان اشتراكيتنا لاتختلف عن جوهر اية اشتراكية اخرى فى انها تقوم على منع استغلال الانسان للانسان » .

ويقول أخيرا « هل يراد بنا أن نرجع القهقرى ونتشبث بجدل آخر غير جدل الطبيعة والمجتمع ، متوجسين خيفة من أن الاعتراف به سيوقعنا فى الالحاد ؟ ! » .

اما **فؤاد زكريا** فيكتب تحت عنوان (القومية والعالمية فى الفكر الفلسفى) . ويقول : « فى بلادنا العربية وفى مرحلتنا التاريخية الراهنة يعتقد الكثيرون أن الفكر لكى يكون قوميا بالمعنى السليم ينبغى ان يكون (مختلفا) . فهم يتعمدون تأكيد العناصر المتنافرة مع الفلسفات الاخرى ، ظانين أن هذه العناصر هى التى تتمثل فيها روح الامة وتقاليدها الحقة .. والخطر الاكبر فى هذا النوع من التفكير هو انه يؤدى الى نوع من الانعزالية والى ضياع كثير من فرص الاستفادة بالتجارب المفيدة التى يشترك معنا فيها غيرنا من الامم ، بحجة أن فى الاسترشاد بهذه التجارب قضاء على قوميتنا . وكثيرا ما يترتب على التطرف فى هذا الموقف الاتجاه الى المخالفة والعناد لذاتهما » .

هذا ما كتبه الكاتبان اخيرا فى عام ١٩٦٦ . لكن فى ٣ فبراير عام ١٩٦٠ كان قائدنا يقول فى حديث بجريدة الاهرام :

« سمعت عمن يرى ان نظامنا نظام وسط بين الانظمة ، وبما اننا فى موقف وسط بين الشرق والغرب ، فكذلك يجب ان يكون نظامنا وسطا بين الشيوعية والرأسمالية . ثم سمعت عمن يرى انه نظام ابتكرناه واننا نؤمن به لاننا لا نقلد به احدا . ولست أتصور ما هو اكثر بعدا عن الحقيقة من هذه التعليلات .

فالحياد السياسى ليس موقفا وسطا بين الشرق والغرب . ثم ان اتخاذ موقف وسط فى مجالات العقائد الاجتماعية امر مستحيل . كذلك ليس موقفنا اختراعا نفرد به ، وانما هو التعبير الاصيل عن ظروفنا الخاصة » .

فكيف تم تجاهل هذا الحديث المحكم طوال السنوات الماضية ؟ لقد عنيت بالاشارة الى هذا الحديث بالذات ، ليس فقط لتاريخه البعيد ، بل لبيان أصالة هذا الفكر عند قائد الثورة . فهو منذ عام ١٩٦٠ يعلن بوضوح انه لا توجد اشتراكية وسط فالموقف الوسط مستحيل فى العقائد الاجتماعية ، وان اشتراكيتنا ليست اختراعا ننفرد به وانما هى التعبير الاصيل عن ظروفنا الخاصة .

وفى الميثاق عام ٦٢ يعلن القائد بوضوح ان اشتراكيتنا هى الاشتراكية العلمية . ثم يعلن

بوضوح ايضا ان الاشتراكية واحدة ، وانما الذى يختلف هو تطبيقها احتراما للظروف الخاصة بكل شعب .

ومن هذه الزاوية الارقى يعالج القائد قضية الخلاف مع الشيوعيين . فيقول للمبعوثين بلغة العالم المعلم : « قد يكون هناك خلاف بيننا وبين الشيوعيين . ماعندناش دكتاتورية البرولتاريا ولكن بنقول ديمقراطية الشعب العامل كله .

وبعدين بنعترف بالاديان . وبعدين لانؤمن بأن دموية الصراع الطبقى فى القضاء على الطبقة بالعنف أو بالقوة . وفيه حاجات اخرى يمكن تكون تفصيلية . انا فى رأيى ان الاشتراكية واحدة ، ولكن يختلف التطبيق فيها باختلاف المكان » .

الاشتراكية واحدة لكن متطورة

هكذا يحرص القادة المخلصون على وحدة الاشتراكية ، لكن يجب ان نتفق على ما نعنيه بهذه الوحدة .

فأولا — انوحدة الاشتراكية لاتعنيابدا وحدة او تماثل التجارب الاشتراكية. فكل تجربة اشتراكية تتم فى ظروف مختلفة موضوعيا وذاتيا . وكل شعب بثورته الاشتراكية يضيف الى التاريخكما يضيف الى النظرية . ولم توجد ولن توجد ثورة نقية ، تسير بالمواصفات الموضوعة سلفا .

فالاشتراكية واحدة ، لكن تطبيقها محكوم عندنا بالواقع الوطنى والقومى لبلادنا العربية وبخصائصها التاريخية وبتقاليدها الثورية وايضا باحترام القيم الدينية والاسلامية الثورية . فليس هناك مايننفى ان يكون الانسان مناضلا اشتراكيا ومؤمنا متدينا فى الوقت ذاته .

وثانيا — ان وحدة الاشتراكية لاتعنى ابدا جمود الفكر الاشتراكى عند صيغوقوالب معينة. ان الاشتراكية واحدة حقا ، لكنها متطورة ايضا.

ففى عصرنا الراهن ، عصر الانتصار العالمى للاشتراكية ، وبعد ان اجتاز المجتمع البشرى العالمى كل طرق الانتاج حتى الاشتراكية ، فى عصرنا هذا لم تعد هناك ضرورة لان يجتاز كل بلد كل مراحل التطور البشرى ليصل فى النهاية الى الاشتراكية . فى هذا العصر لايكتفى الاشتراكيون بحفظ علومهم القديمة فحسب ، ولا باعادة النظر فيما تعلموه من قبل فحسب ، بل لقد بداوا يتعلمون من جديد . ولسوفيتعلمون من جديد .

اضرب مثلا لذلك . فمن المعروفان دكتاتورية البروليتاريا مبدأ اصيل فى الماركسية . ومع ذلك يعكف الماركسيون اليوم على اعادة النظر فى هذا المبدأ ، لابقصد الغائه ، ولكن بقصد تطويره ، بقصد البحث عن انسب الاشكال العصرية له . ولقد توصلت اغلبية المفكرين الماركسيين فى عصرنا الى هذه النتيجة الهامة وهى : امكانية تعدد المراحل الانتقالية الى الاشتراكية وتنوع الاشكال التى تتخذها بالتالى سلطة الشعب العامل . فقد دلت التجربة التاريخية على ان الثورة الاشتراكية يمكن ان (تنمو) من خلال ثورة ديمقراطية او من خلال نضال معاد للفاشية والاستعمار او من خلال حركة للتحرر الوطنى .

فدكتاتورية البروليتاريا هى فى النهاية سيطرة البروليتاريا على البورجوازيه وهذا ضرورى لانجاز التحول الى الاشتراكية . ان الاشتراكية لاتظهر من تلقاء نفسها بدون انتقال السلطة الى المنتجين انفسهم . والسبب فى ذلك ان الملكية الجماعية لايمكن ان تظهر ابدا بصورة عفوية فى احشاء المجتمع القديم . ان هذه الملكية لا تظهر الا فى المجتمع الجديد ، بقوة السلطة التى يتمتع بها المنتجون . انها مرحلة انتقالية ضرورية ، تطول او تقصر ، لكنها حتمية لظهور الملكية الاشتراكية والانتاج الاشتراكى وليكون هناك نموذج للاقتصاد الاشتراكى يلعب الدور الرئيسى فى عملية البناء الاشتراكى ، بفضل مايتميز به من مستوى اعلا من انتاجية العمل .

لذلك ليست دكتاتورية البروليتاريا هى حكم القوة التى لاتحدها القوانين ضد البورجوازية ، ولا هى هذا الحكم فقط،بل هى اساسا استخدام سلطة الدولة لانجاز عملية البناء الاشتراكى .

ومن ثم يعرفها لنين بأنها « التحالف الطبقى بين البروليتاريا والجماهير الكادحة من الفلاحين بهدف قلب سيطرة رأس المال ، من اجل انجاز النصر النهائى للاشتراكية ، وبشرط ان تكون القوة القائدة فى هذا التحالف هى البرولتاريا » .

وحتى وفاته كان لنين يؤكد على هذه الحقيقة : « ان حزبنا يعتمد على طبقتين » .

ومع ذلك تغير العالم عما كانفىعام ١٩١٧ . فى بداية القرن كانت الثورة الاشتراكية واقامة دكتاتورية البروليتاريا هما المقدمتان الضروريتان لبدء الفترة الانتقالية فى روسيا الى الاشتراكية ، وبعد الحرب العالمية الثانية اضافت التجربة الثورية كثيرا من الملامح والخصائص الجديدة على كيفية بناء الاشتراكية . وكان اهمها ان الثورة التى حدثت كانت ثورة ديمقراطية شعبية

لا ثورة اشتراكية وان اشكالا عديدة للدولة اقيمت قبل دكتاتورية البرولتاريا .

واليوم تجرى تجربة اشتراكية جديدة تماما . ففى بعض البلاد المستقلة حديثا ، وبعد النصر فى المعركة الوطنية ، وانطلاقا من تأميم مواقع راس المال الاستعمارى فى البنوك والتأمين والتجارة الخارجية والنقل والصناعة ، تبدأ هذه البلدان فى التحول من الثورة الوطنية الى الاشتراكية بغير اقامة دكتاتورية البرولتاريا ولكن باتخاذ اشكال جديدة لسلطة الشعب العامل .

فما هى الاسس الموضوعية التى تستند اليها هذه الامكانية التاريخية الجديدة لا اعتقد انها مايلى :

اولا — انها تستند الى وجود تحالفات اجتماعية واسعة تضم طبقات غير الطبقة العاملة، طبقات تستطيع فى عالم اليوم ان تستوعب فكر الاشتراكية العلمية . ومن ثم تستند السلطة الى اساس طبقى عريض .

ثانيا — انها تستند بالتالى الى تضييق نطاق القهر الذى يمارسه التحالف الطبقى الثورى ضد طبقات اجتماعية اقل عن ذى قبل . ومن ثم فان الديمقراطية تتاح لفئات اجتماعية اوسع من ذى قبل .

ثالثا — انها تستند الى قطاع عام يتخذ صفة اشتراكية او شبه اشتراكية تبعا لنوعية السلطة . لكنه النموذج الارقى للبناء الاقتصادى، يلعب الدور القيادى فى التنمية ، ويبدا فى تنظيم قطاع الانتاج الصغير وهو الانتاج الغالب، ساعيا لاقرار معدلات انتاجية للعمل تفوق معدلات نمو الدخول الفعلية للعاملين ، والا كان المجتمع ياكل راسماله ويدمر مصدر التراكم وتوسيع الانتاج.

هذا هو الشكل الجديد الذى ابدعته الشعوب المستقلة لسلطة الدولة لبدء مرحلة الانتقال الى الاشتراكية ، وهى بذاتها مراحل عديدة . انها سلطة قوى الشعب العاملة ، تحالف جديد من الطبقات المنتجة بهدف انجاز مرحلة الانتقال ، يقوده تنظيم ثورى طليعى يهتدى بفكر الاشتراكية العلمية .

جذور التحريف الفكرى

يبقى سؤال اخير يلح علينا فى النهاية : لماذا تحظى بلادنا بهذه الوفرة النادرة من المحاولات الشديدة التنوع لتحريف الاشتراكية العلمية ؟ ومن الضرورى ان نعيد التذكير باننا نقصد تلك الاجتهادات الفكرية التى يصوغها اشتراكيون ، وان استخدمها اعداء الاشتراكية من الرجعيين والراسماليين ، او احتضنها الاستعمار الجديد من اجل الترويج لحتمية تطوير بلادنا طبقا للانماط الراسمالية من الملكية الخاصة وحرية الاستغلال. ويكفى هنا ان نذكر بقول جمال عبد الناصر فى اللجنة التحضيرية لمؤتمر القوى الشعبية :

« الطبقة الرجعية والراسمالية تحاول ان تبلبل وتجذب اليها الطبقة المتوسطة حتى تستخدمها فى ضرب الثورة الاجتماعية . ونحن نقول ونوضح لهذه الطبقة المتوسطة ان مصالحها مرتبطة مع مصالح الشعب ومصالح العمال والفلاحين اكثر مما هى مرتبطة مع مصالح الطبقة الاقطاعية الراسمالية » .

فالذى يعنينا هنا هو تلك الاجتهادات الفكرية التى توضع باسم الاشتراكية ودفاعا عنها ، لكنها فى النهاية تقف على طرفى نقيض مع الاشتراكية العلمية . فما هى الجذور الموضوعية لهذا الفكر المنحرف ؟

باختصار تكمن جذور الانحراف فى تخلف قوى الانتاج، فى انتشار الانتاج الصغير بغلته الصغيرة فى المدينة والريف ، فى غلبة الفلاحين فى تكوين المجتمع . ومن ثم تبدو الاشتراكية للكثيرين كتجمع للفقراء ، نصيبه محدود من الخيرات المادية والروحية ، بل التوزيع فيه متساو بشكل صارم بمستوى محدود ومتقشف من الاستهلاك . وتنبت هذه التربة الاجتماعية كل الافكار الفوضوية والاشتراكية الخيالية .

— مثل الخوف من السلطة ، كل سلطة ، والشك فيها حتى لو كانت بايدى الشعب .

— ومثل العجز عن التنظيم ، والضيق بقواعده واشكاله ، وتحويل التنظيم السياسى الى منتدى للنقاش .

— ومثل المطالبة بالمساواة المطلقة ، مع ان المساواة انما تعنى فرصا متكافئة للجميع لا انصبة واحدة .

— ومثل الترويج لنشر الملكية الصغيرة والتحصن فى مواقع الانتاج الصغير المتخلفة بطبيعتها ، مع ان النفوذ الرئيسى للراسمالية الكبيرة المخلوعة

انما يكمن فى انها تجد تربة صالحة لها ولمدةطويلة فى صورة هذا الانتاج الصغير المنتشر بشكلواسع والقادر على ان يلد بأستمرار عناصر راسمالية جديدة . انهم ينسون ان الرأسمالى الكبير يكمن قابعا داخل كل راسمالى صغير . فهم لايبغون القضاء على الاستغلال الراسمالى ، لكنهميسعون لنشر الملكية الصغيرة ولتحويل العمال الى ملاك. وهم بهذا يغفلون عن الاتجاه التلقائى الكامن فى اقتصادنا لحق الراسمالية . الم تثبت احداث كمشيش وما بعدها كيف اشتد الاتجاه فى الريف لانقسام الفلاحين الى اغنياء وفقراء ، وكيف ازداد الميل لتطوير الاشكال الرأسمالية للزراعة ؟ .

فى هذه الظروف يبرز المثقفون كممثلين اساسيين للراسمالية الصغيرة فى الريف والمدن. ويلعب هؤلاء المثقفون فى المدن دورا اساسيا كقيادة فكرية وسياسية وادارية . وبينما يعتنق عدد منهم قضية الاشتراكية العلمية باخلاص وامانة ، ينزلق متحذلقوهم الى مواقع اصلاحية بحيث يخشون الانفصال عن الراسمالية ،يقفون عند حدود الثورة الوطنية او حركة الفلاحين ، ويغطون اصلاحيتهم او نفاد ثوريتهم باستخدام العبارات الطنانة الرنانة التى لاتعنى شيئا .

وينتقل هذا الفكر بالعدوى الى صفوف الطبقة العاملة ذاتها . فهى تتلقى كل يوم بين صفوفها اعدادا لاتنتهى من الفلاحين ، وهى تتلقى قوتها الفكرى على/ايدى المثقفين ابناء الراسمالية الصغيرة وحملة افكارها . واخطر ما تسربه الراسمالية الصغيرة فى صفوف الطبقة العاملة ليس هو عبادة الملكية الفردية، لكنه تأليه الطبقة العاملة ، وتقديس كل ماهو عمالى . حتى لتصبح الاشتراكية هى العمال ، هى تعميم وضع الطبقة العاملة على جميع السكان ، هى الحقد المجرد على المالكين او هى تدمير الملكيات الخاصة بل والعامة أحيانا .

وليس هذا كله من الطبقة العاملة فى شىء . فالطبقة العاملة كما يقول قائدنا عبد الناصر « هى التى تعمل بأجر ، لا حقد فى الطبقة العاملة التى تعيش على اجرها . كل واحد ياخد اجره وفقا لعمله ، وفقا لكفايته ولتجربته طبعا . فالقطاع العام ملك لكل واحد منا » . ويقولفى مكانة الطبقة العاملة : «كان لابد منتكريم الطبقة العاملة ووضعها فى مكانها الحقيقى الذى تستطيع منه متمتعة بكل حقوقها ان تؤدى دورها العظيم فى عملية التطوير » .

وهذا هو التحديد العلمى لمكانة الطبقة العاملة . انها تحتل مكانتها التاريخية لا كافراد وانما كطبقة بحكم دورها المتقدم فى تطوير الانتاج ونتيجة تحقيق معدلات فى انتاجية العمل تفوق معدلات الراسمالية . انها الطبقة الوحيدة التى لاترتبط ادنى ارتباط بالملكية الراسمالية ،والتى ترتبط على العكس بأكثر اشكال الانتاج تقدما. ومن اجل هذا تحتل مكانتها .

وانما يساعد على استفحال الفكر الراسمالى الصغير ظروف خاصة ببلادنا هى :

اولا — التخلف العام فى الوعى الطبقى والسياسى لدى الجماهير وبخاصة جماهير الطبقة العاملة ، حتى لتبدو الاشتراكية احيانا وكأنها ليست حتمية تاريخية مفهومة بلتحولا نبيلا اوجبته اعتبارات العدالة .

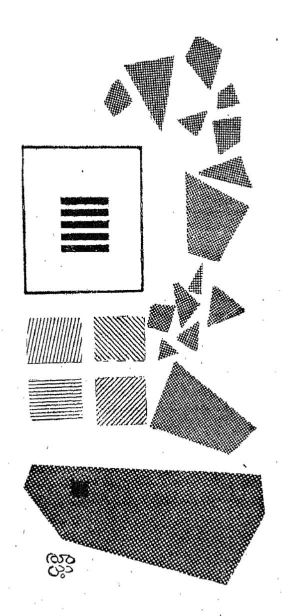
ثانيا — انتشار الافكار الاشتراكية قد تم نتيجة تحول القادة الوطنيين وهم فى قمة الحكم الى الاشتراكية ، ومن ثمفما زال الدفاع عنالاشتراكية يعتبر نشاطا علويا يطلقه القادة والحكام .

ثالثا — تنوع القوى المؤمنة بالاشتراكية العلمية تنوعا شديدا بحسب مدارسها الفكرية وبحسب تقاليدها السياسية وبحسب اصولها الطبقية .

كلمة اخيرة ، ليست هناك طقوس مألوفة ولا وصفات محفوظة لكى يكون الانسان اشتراكيا. وليس من الضرورى ابدا ان يصبح الانسان اشتراكيا من خلال الماركسية اومنطلقا من افكار الصراع الطبقى للبرولتاريا . ومن الممكن جدا ان يصبح اشد الناس راسمالية اشتراكيا حينما يتخلى عن اوهامه الرأسمالية وينتقل ولو تدريجيا الى وجهة النظر الاشتراكية . لكن لكى يكون الانسان اشتراكيا حقا يجب شرط واحد : ان يربط حياته بحياة الشعب بأمانة وبساطة . يكفى هذا كبداية اما الباقى فسوف يأتى بأمانة وبساطة ايضا من خلال الطريق .ونحن نريدهذا الاشتراكى لكى نصل سريعا الى تلك اللحظة التى يقول عندها كل مواطن : اجل ، الاشتراكية خير من النظام البائد .

الاتجاهات الفكرية

فى مفهوم الملكية



طارق البشرى

من المسائل الاساسية التى يدور حولها الصراع الفكرى اليوم فى مصر ، مسألة الملكية . وهو مجال تصطرع فيه المصالح المتعارضة والاتجاهات الفكرية المختلفة . وقد يكون من المفيد محاولة استعراض هذه الاتجاهات ، وتحديد دلالاتها الاجتماعية والسياسية . ويرتبط بمسألة الملكية تحديد مفهوم الاستغلال وأسلوب توزيع عائد الانتاج فى المجتمع واستعراض الاتجاهات الفكرية المتعلقة به . والموضوع يستوجب التعرض للمفاهيم المختلفة المتعلقة بالملكية الفردية وحدودها ووظيفتها وبالملكية العامة وطبيعتها ، والملكية التعاونية . ونظرا لاتساع الموضوع تقتصر هذه الدراسة على تحديد الاتجاهات المتعلقة بالملكية الفردية وبالاستغلال ، وذلك خلال الفترة التالية لصدور الميثاق بصفة خاصة ، والحاصل أن الحديث عن الملكية الفردية والاستغلال يشغل الجزء الاهم من كتابات الكتاب عن الملكية عموما .

والملاحظ من تتبع هذه الاتجاهات ، ان الحدود الفاصلة بين كل اتجاه وآخر تغمض بدرجات

متفاوتة ، ومنشأ ذلك انكلا منها لايظهر بذاته ولكن من خلال الحديث عن التجربة الاشتراكية فى مصر وعن سمات «الاشتراكية العربية» . وان الاتجاهات التى تتعارض مع الميثاق لاتظهر سافرة وانما تحاول أن تستظل به ويلزمها ذلك ترديد بعض مبادئه الثورية . وتتميز طريقة تعبير كل اتجاه عن نفسه بما يؤكده من مبادىء الميثاق ويزيد تأكيده ، وبما تحاول بعض الاتجاهات ادخاله على الميثاق من قيم ومفاهيم غريبة عنه ، أو بما تشرحه الاخرى من قيم حقيقية مرتبطة به .

والامر يحتاج الى توضيح ماأورده الميثاق متعلقا بالملكية ، ثم باستعراض الاتجاهات المختلفة بشأنها ، ثم التعرض بصفة خاصة لاتجاهين اساسيين ظهرا بالنسبة لملكية الارض الزراعية ، ثم بعض الاتجاهات التى تحاول أن تستند الى الاسلام لابسبب ان لها موقفا دينيا أو اجتماعيا خاصا فهى متعارضة فيما بينهما ، ولكن بسبب انها تحاول جميعا الاستناد الى الاسلام فى تأكيد مفاهيمها وذلك لتحديد مبلغ صدقها فى هذا الاستناد .

الميثاق

تكلم الميثاق عن الملكية فى البابين السادس والسابع منه . وأوضح رفضه الجازم للطريق الراسمالى باعتبار ارتباط التجربة الراسمالية فى التقدم بالاستعمار ونهب ثروات الشعوب واستغلال الشعب العامل . وذكر ان «الذين ينادون بترك الحرية لرأس المال ويتصورون ذلك طريقا الى التقدم يقعون فى خطأ فادح » وانه بعد نمو الاحتكارات العالمية لم يبق للرأسمالية المحلية فى البلاد المتطلعة للتقدم الاسبيلين : **أولهما** النمو تحت ظلال الحماية الجمركية التى تدفع الجماهير ثمنها ، **وثانيهما** الارتباط بحركة الاحتكارات العالمية والتحول الى ذيل لها وان « تجر اوطانها وراءها الى هذه الهاوية الخطيرة» . وان الحل الاشتراكى بالعكس من ذلك — يعنى من جهة زيادة الانتاج تجميع المدخرات الوطنية والاستفادة من خبرات العلم الحديث ، ووضع التخطيط الشامل لعملية الانتاج ، ويعنى من جهة العدالة توزيع فائض العمل الوطنى «على أساس من العدل لايمكن ان يتم بالتطوع القائم على حسن النية مهما صدقت» . وان هذا الهدف بشقيه لايمكن الوصول اليه بغير التسليم «بضرورة سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج وعلى توجيه فائضها طبقا لخطة محددة» .

واذا كان التخطيط الاشتراكى هو الطريقة الوحيدة التى تضمن استخدام جميع الموارد الوطنية بطريقة عملية وعلمية وانسانية « فان الجزء الاكبر من الخطة نتيجة لذلك كله يجب أن يقع على القطاع العام الذى يملكه الشعب بمجموعه» . والقطاع العام الذى يقوم بهذه المهمة ، مملوك للشعب بمجموعه . والنضال الوطنى هو الذى صنعه . وكان تأميم المصالح الاحتكارية الاجنبية اعادة لها «الى مكانها الطبيعى والشرعى وهو الملكية العامة للشعب كله» . وكان صدور قوانين يوليه ١٩٦١ التى ضمت الى القطاع العام الجزء الاكبر من أدوات الانتاج اقتحاما لكل مراكز الاستغلال الطبقى سعيا الى الحرية الاجتماعية .

فى هذا الاطار من الملكية الشعبية للجزء الاكبر من أدوات الانتاج ، ومن السيطرة الكاملة على كل ادوات الانتاج وهيمنة الخطة على التنمية ، رسم الميثاق حدود نشاط القطاع الخاص ومفهومه ودوره فاذا كانت سيطرة الشعب لاتستلزم تأميم كل وسائل الانتاج ولا تلغى الملكية الخاصة ، فانه يمكن الوصول اليها بطريقين . «أولهما ، خلق قطاع عام قادر يقود التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية وثانيهما وجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال . على ان تكون رقابة الشعب شاملة القطاعين مسيطرة عليهما معا» . وعلق الميثاق على هذا الحل بانه «الطريق الوحيد الذى يمكن ان تتلاقى عليه جميع العناصر فى عملية الانتاج» .

وقد استبعد الميثاق القطاع الخاص تماما من العمل فى الهياكل الاساسية لعملية الانتاج وفى مجال المصارف والتأمين والاستيراد ، وحدد نطاق نشاطه فى المجالات الاخرى مع التصريح المتكرر بوجوب ان يبقى تحت سيطرة القطاع العام المملوك للشعب وان يعمل فى ظله وبتوجيه منه ، ومع الحذر من احتمالات نموه الاحتكارى واحتمالات تلاعبه واحتمالات انحرافه ومع اشتراط عدم الاستغلال . وفى المجال العقارى ارضا وبناء اوجب اجراء تفرقة واضحة بين الملكية المستغلة أو التى تفتح الطريق للاستغلال والملكية غير المستغلة . وفى الباب السابع تكلم عن الملكية فى الزراعة «ان التطبيق العربى للاشتراكية فى مجال الزراعة لايؤمن بتأميم الارض وتحويلها الى مجال الملكية العامة ، وانما هو يؤمن — استنادا الى الدراسة والى التجربة — بالملكية الفردية للارض

فى حدود لاتسمح بالاقطاع» . وحرص بذلك على تأكيد ان الامر هنا مصدره « الدراسة والتجربة » لا الصدور عن الانماط الفكرية المسبقة التى تدافع عن الملكية الخاصة فى ذاتها ، وتعلوابها عن ان تكون مجرد وسيلة فى يد الشعب . كما حرص على بيان ان هذا الموقف ليس انسياقا «مع حنين الفلاحين العاطفى الطويل الى ملكية الارض» ، وانما ايمانا بقدرة الفلاح على العمل وتقديرا لان الزراعة فى مصر قد وصلت من قبل «الى حلول اشتراكية صحيحة لاعقد مشاكلها وفى مقدمتها الرى والصرف وهى فى مصر الان ومنذ زمان طويل فى اطار الخدمات العامة» . ونلاحظ هنا التفرقة التى اوجب الميثاق اجراءها بين الملكية المستغلة والملكية غير المستغلة . كما يلاحظ تأكيده على وجوب دعم الملكية الزراعية« بالتعاون الزراعى على امتداد مراحل عملية الانتاج فى الزراعة من بدايتها الى نهايتها . وذكر ان نجاح المواجهة الثورية لمشكلة الارض «هذه المواجهة القائمة على زيادة عدد الملاك ، لايمكن تعزيزه الا بالتعاون الزراعى والا بالتوسع فى مجالاته الى الحد الذى يكفل للملكيات الصغيرة للارض اقتصادا قويا ونشيطا» .

والواضح ان الصيغة التى وضعها الميثاق للعمل الثورى ، تؤكد رفضه الجازم للنظام الراسمالى وطريقه ، وانحيازه للاشتراكية وقواها الشعبية وتؤكد وجوب سيطرة الشعب على جميع وسائل الانتاج وتحدد للقطاع الخاص دورا تابعا للقطاع العام ، وثانويا ، ومشروطا بعدم التلاعب او الاستغلال او الانحراف . ولا يصدر ذلك عن الالتزام بسمات جامدة وعن قيم تعلو بالوسائل الى مصاف الغايات ، ولكن عن بلورة لخبرة العمل الثورى بتحديد المشاكل التى يواجهها وتقرير الحلول لها وصولا للهدفين المقررين ، التنمية والتقدم ، الكفاية والعدل .

ويذكر الميثاق «ان راس المال الفردى فى دوره الجديد يجب ان يعرف انه خاضع لتوجيه السلطة الشعبية شأنه فى ذلك شأن راس المال العام ، وان هذه السلطة هى التى تشرع له وهى التى توجهه على ضوء احتياجات الشعب . وانها قادرة على مصادرة نشاطه اذا ما حاول ان يستغل او ينحرف» . ثم يذكر «انها على استعداد ان تحميه ولكن حماية الشعب واجبها الاول» .

ثم يؤكد على ان الهدف : «الطريق الاشتراكى — بمايتيحه من فرص لحل الصراع الطبقى سليما وبما يتيحه من امكانية تذويب الفوارق بين الطبقات يوزع عائد العمل على كل الشعب طبقا لمبدا تكافؤ الفرص» .

الاتجاهات العامة فى الملكية الان

باستعراض الكتابات المختلفة حول هذا الموضوع ، يمكن تقسيم هذه الاتجاهات الى ثلاثة اتجاه يتعارض فى اسسه تماما مع تجربتنا الاشتراكية واتجاه يؤكد لها من السمات مايجمدها فى التطبيق واتجاه ينفتح على آفاق تطورها .

اولا :

فمثلا نجد فى كتاب **الدكتور طلعت عيسى** « الاشتراكية العربية والاشتراكيات العالمية » (سنة ١٩٦٥) ، دفاعا حارا عن الملكية الخاصة كهدف انسانى . واول مقومات الاشتراكية العربية عنده «التعايش السلمى بين الطبقات» وثانيها وجود الملكية الخاصة ، ويذكر ان مايميز الانسان عن الحيوان هو ظاهرة الملكية وانه لوحظ لدى بعض الحيوانات الراقية مايمكن ان يكون ملكية خاصة ، وان الملكية الفردية تتفق مع هدف الانسان وهو تجميع الثروة وهى ليست وسيلة مؤقتة «وانما فلسفة اصيلة فى حل المشكلة الاجتماعية وفقا لنظرة الاشتراكية العربية» . وكل مايمكن ان يتجه اليه العمل هو تجريدها من الانحراف ، ولا يوضح ماهية الانحراف . ويذكر ان فلسفتنا تستوجب «التعايش بين اشكال الملكية المختلفة» . ويذكر ان من وسائل تذويب الفوارق بين الطبقات «اتاحة الفرصة للملكية الفردية لكى تسير جنبا الى جنب مع ملكية الشعب لوسائل الانتاج» . ثم يستعرض قوانين المجتمع ومن بينها عنده ان «**الملكية والاديان** والطبقات جميعها ظواهر اجتماعية ليست من صنع الافراد وانما من خلق المجتمع وتتصف **بالتلقائية والشمول والعمومية**» .

ويذكر ان للتطبيق العربى للاشتراكية دعائم ثابتة «اولا : اذا كانت الاشتراكية فى ابسط مفاهيمها هى الحرية ، فان هذه الحرية فى التطبيق الاشتراكي العربى تتسع لتضم كافة معانى الحرية الاجتماعية بما فيها الحرية السياسية **وحرية التملك** والحرية الدينية وحرية الثقافة» . ويقول «ان حرية الفرد فى ظل الاشتراكية العربية مكفولة عن طريق **حريته فى التملك** وعن طريق حريته فى

الادخار لتوريث ابنائه واحفاده» . ويعلق على قوانين يولية ١٩٦١ بانها « استمرار لفسلفة واحدة تقوم على الدعائم الاتية : ١ — الملكيه الخاصة العادلة ضرورة اجتماعية وحق انساني لايمكن الغاؤه او تجريده من المجتمع ولهذا ينبغي على الدولة حماية الملكية الخاصة بتشجيعها مادامت تمارس وظيفتها الاجتماعية دون استغلال» . (هذا عند المؤلف اول دلالات قوانين يولية التى علق عليها الميثاق بأنها اقتحام لمراكز الاستغلال الطبقي وتعبير عن اردة التغيير الشامل فى مصر) .

وهو فى تأكيده على خلود الملكية الخاصة ، ينكر حتمية الصراع الطبقي ، ويري ان طريقتنا هو التعايش السلمى بين الطبقات وتكافل الطبقات (وذلك برغم ان الميثاق يؤكد حتمية الصراع الطبقي معامكانية حله سلميا بتجريد الرجعية من اسلحتها) ويرفع شعار «السلام» وبالتحول الاجتماعى «دون الالتجاء الى العنف او الثورات» . ويذكر ان تطبيقنا الاشتراكى اثبت «ان الاقطاعيين والراسماليين القدامى .. اذا تجردوا من الانانية وتحرروا من التسلط وتخلصوا من الاستغلال واتيحت لهم فرص التعايش فى اطار مجتمع رحيم متكامل — ان يخلدوا الى الدعة والرضا بعدالة النظم الجديدة التي لم تسحقهم ولم تقطع رقابهم او تدفعهم الى التسول والمذلة» . وذلك برغم ان الميثاق يقول «ان الرجعية مازالت تملك من المؤثرات المادية والفكرية ماقديغريهابالتصدىللتيار الثورى الجارف خصوصا فىاعتمادها على الفلول الرجعية فى العالم العربي المستوردة من جانب قوي الاستعمار» .

ومن جهة ثانية نجد الدكتور **علي البارودى** فى كتاب « دروس فى الاشتراكية العربية » (سنة ١٩٦٦) يقدم الدفاع الاقتصادى عن الملكية الراسمالية . فيقول ان بقاء القطاع الخاص الي جانب القطاع العام «مبدا مقصود لذاته» (وهذا يخالفالميثاق) . وانهاساس من اسس الاشتراكية العربية . وان حق المبادرة الفردية (المبرر التقليدي فى الراسمالية للملكية الخاصة) هو عنصر مستقر من عناصر الحرية الاشتراكية التي يتميز بها التطبيق العربي ، وهو ليس حق ملكية ينصب علي الاشياء « بل هو قبل ذلك وفوق ذلك حرية من الحريات الاشتراكية العامة يقرها الميثاق فيجدد لنفسه بتقريرها موقفا حاسما من مختلف التطبيقات الاشتراكية » ، «حق المبادرة الفردية يهيء للفرد فى المجتمع ان يستخدم ملكتين من الملكات المتصلة **بحريته وكرامته** كانسان ملكه ابتكار الفكرة الاساسية الجديدة التى تصلح **اساسا للمشروع الخاص الجديد** ثم المقدره فى تنفيذ هذه الفكرة وتحويلها الي **دافع هى يستند الى العمل والى الملكيه الخاصة ..** » ويعلق على صدور الميثاق بقوله «جاء الميثاق من الناحية التاريخية لينهي مرحلة ذعر كان قد اصاب راس المال الخاص بعد التاميمات المتوالية منذ عام ١٩٥٦ الى ١٩٦١» .

وهو يدافع عن الراسمالية المحلية بقوله «ان راس المال الوطنى المصرى الخاص لم يأخذ فرصته حتى الان» . « ان ظروف الراسمالية الوطنية حتى بعد الثورة الاشتراكية وبعد التحرر من الاستعمار الاجنبى مازالت سيئة فهى اضعف ماتكون من الناحية المادية بعد عمليات التطهير والاستئصال اللازمة ، وهي من الناحية النفسية مازالت تواجه رد الفعل المرحلى» .. ثم يقول «اننا مطالبون بان نصل سريعا الى مستوى النضج الذى يسمح برؤية الحقائق والتصرف على اساسها ، . يجب ان يقدم للراسمالية الوطنية كل اسباب الامن الحقيقى والثقة فى المستقبل حتى تتشجع» . وانه اذا كانت مصر قد انجبت طلعت حرب من قبل فلا يصعب بعد التحرر والاشتراكية «ان تنجب رجالاعصاميينشرفاء يقدرون المصالح الاشتراكية العليا ويرعونها على الاقل الى جانب المصلحة الخاصة» . وهو يطالب بالتعايش بين القطاعين الخاص والعام بان توضع القواعد التى « تسمح بهذا التعايش كوضع مستقر فلا تؤدى فى المدى القريب الى اختلال التوازن على نحو تقضي على المبادرة الفردية من الناحية الفعلية او يرغم القطاع الخاص على الانسحاب من الميدان» .

والمؤلف هنا يحمل الدولة مسئولية انحراف القطاع الخاص وزيادة ارتباكه واحساسه الضار بالخوف وذلك « بسيل من اللوائح والقرارات والتهديدات بالعقوبات الرادعة» برغم ان الميثاق ينبه القطاع الخاص الى وجوب الخضوع للسلطة الشعبية التى تشرع له وتوجهه وتصادر نشاطه ان انحرف) كما يقول أن الخطة تكون هى «المخطئة اذا هى فرضتعليه — عن عمد او عن غير عمد — عزلة قاتلة» لانها تكون مسئولة عن انحرافات العزلة . اما ضمان اكتفاء القطاع الخاص بربح مشروع فهو يعتذر عنه بان الامر مرتبط بتغلغل القيم الاشتراكية الجديدة « وبديهى ان ذلك لايمكن ان يتم بين يوم وليلة» . ثم هو يستبعد انحراف القطاع الخاص لانه يسير فى اطار الخطة .

ويستبعد أن يستغل العمال لانه « لم يعد من الممكن ان نتصور ان تكون العلاقة بين مالك وسائل الانتاج وبين العامل الاجير علاقة استغلال الانسان للانسان كما كان يقول كارل ماركس . بل هي علاقة تعاون عادل وشركة في الربح وفي الادارة» . كما يستبعد ان يكون الربح بطبيعته دافعا راسماليا لان الراسماليين في امريكا تجذبهم الدوافع المعنوية . (وهو يقصد الدوافع المعنوية السامية .. ضرب فيتنام مثلا) .

وعند الكلام حول القطاع العام يذكر ان الملكية الشعبية من الناحية العملية يديرها «موظفون» ، ويحمل على سوء الادارة الحكومية ، ثم يتكلم عن «الاسس اللازمة لازدهار القطاع الخاص» فيقول ان جوهر المشكلة واحد اذ سبق لابن خلدون ان تعرض لها واستخلص النتائج منها «فيبدو ان ظاهرة مباشرة السلطان للتجارة كانت منتشرة على عهد ابن خلدون وقبل ذلك العهد ... فقد كان الغرض الاول للسلطان هو ان يواجه تكاليف الدولة وان يزيد من ثرائه وقوته .. (وكانت) ذات آثار ضارة على الرعايا وعلى السلطان ذاته» ثم يورد عبارة ابن خلدون التي يذكر فيها «ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد» . ثم يذكر المؤلف أن « هذا هو تحليل ابن خلدون لاضرار التعايش بين تجارة السلطان وبين انتاج الرعايا وتجارتهم ، وهي اضرار يمكن تلافيها بتجنب اسبابها » واسبابها عنده اختلال التوازن الفعلي في ميدان المنافسة بين القطاعين ، واختلال التوازن القانوني بينهما «لان السلطان» يملك اصدار القوانين» .

وينتهي المؤلف الى أن الميثاق وان حدد للقطاع العام دورا ضئيلا حتى سنة ١٩٧٠ ، فلا بد ان يزيد هذا الدور بعد ذلك على ان يبقى بالقطاع العام المرافق وطاقات القوى والمصارف والتأمين .

وفي ذات الاتجاه نجد الدكتور **محمد على عرفه** في مقاله « الملكية في ظل الاشتراكية العربية » (مجلة ادارة قضايا الحكومة يونيه ١٩٦٣) يدافع عن الملكية (حسب الاسس الواردة في القانون المدني ـ وهي الملكية الرأسمالية) ويتخلل بحثه تأكيد القول وتكراره بان الاشتراكية العربية لاتنكر الملكية الخاصة ولا تتنكر لها بل تقرها «كأصل من اصولها لاكمرحلة من مراحل تطورها» ويذكران العيب ليس في نظام الملكية الخاصة بل في تطبيقه ، وان النسواة الاساسية لا تتعلق بعلاقاتها بل بأن «كبار الملاك الزراعيين .. الفوا العيش بعقلية اقطاعية» ... ان اشتراكيتنا العربية التي تقف وسطا بين الشيوعية والراسمالية المتطرفتين لا تقضي على «الحافز الفردي الذي يقوم اساسا على غريزة الاقتناء» ثم يورد بعض اقتراحات لتعديل احكام الملكية الواردة بالقانون المدني تحت عنوان «الاتجاه الى الملكية الفردية كأساس في الاشتراكية » وهي اقتراحات اساسها الابقاء على القانون المدني القائم (وضع سنة ١٩٤٩ وهو امتداد للقانون المدني الاول سنة ١٨٨٣ المأخوذ من قانون نابليون ١٨٠٤) مع الغاء الحكر وشرط المنع من التصرف اطلاقا للمال في التداول لينتقل الى الايدي القادرة على استعماله ومنح المزارعين اولوية شراء الارض عند رغبة المالك في بيعها (يفيد كبار المستأجرين القادرين اساسا في الشراء) . ثم يقترح تقييد حق الاستعمال لان النزعة الفردية التي اتت بها الثورة الفرنسية كرد فعل للاقطاع تنكمش الان ويظهر ازاءها التيار الاجتماعي .

ويختم مقاله بان هذا هو تنظيم الملكية في ظل الاشتراكية العربية «تلك الاشتراكية النابعة من بيئتنا المتأثرة بعاداتنا وتقاليدنا المنبثقة من مجتمعنا التي لم تتأثر بالمبادىء المستوردة من الخارج» . وذلك برغم ان التقنين المدني المدعو اليه ذو اصل فرنسي ، ورد الينا مع الاستعمار الاقتصادي والعسكري ، ووضع على نسق قانون نابليون وصيغ بالفرنسية ثم ترجم الى العربية وبرغم ان التيار الاجتماعي في الملكية الذي يشير اليه بديلا عن النزعة الفردية المطلقة هو اساسا نظرية الفقيه الفرنسي «دوجي» .

وليس في التنظيم المقترح اشارة الى الملكية العامة ـ الملكية الشعبية التي تقود التنمية والتقدم ـ ولا الى الملكية التعاونية .

وفي كتاب «لماذا الاشتراكية العربية» **للمعي المطيعي** (١٩٦٣ ـ ١٩٦٥) يبدأ الكلام عن تعدد الاشتراكيات وتعدد الرأسماليات وان المجتمعات لم تعد حكرا على نظام او نظامين ، وأن اقتصاديو الولايات المتحدة يبشرون بأن النظام الراسمالي يغير من اشكاله واساليبه . وبعد اذ يشير الكاتب الى حركة التأميم في انجلترا وفرنسا والاساليب الاقتصادية الجديدة في المانيا الغربية يقول ان « البلدان العربية لا يمكن لها **أن تأخذ بالنظام الرأسمالي التقليدي**» . (كأنه من الممكن ان تأخذ بالتنظيمات الجديدة غير التقليدية لهذا النظام على مافعلت الدول الاستعمارية) . وأن الطبيعي أن تأخذ « بسياسة اشتراكية تتفق وطبيعتها وتقاليدها وتراثها» .

ومن هذا المدخل يتحدد اركان الاشتراكية العربية وهى اولا الاقتصاد الموجه ، وثانيا التخطيط الذى يتميز بانه «يحفظ للانسان حريته» و «يحفظ لصاحب راس المال حريته فى الانتاج والربح ولكن دون استغلال للاخرين» و «لايحول الفرد الى مجرد آلة مسلوبا من الحرية ومسلوبا منحق الاستمتاع بانتاجه» . وذلك برغم ان التخطيط الاشتراكى فى اساسه سيطرة مركزية على مقدرات الاقتصاد . ويذكر ان الاشتراكيه العربية تقوم « على الموازنة بين حق الملكية الفردية والملكية العامة » برغم ان الميثاق يؤكد على سيطرة الشعب الكاملة على وسائل الانتاج وهيمنة القطاع العام القادر على قيادة التقدم . وان « اشتراكيتنا لا تنكر **حرية** الملكية الفردية وانما تنكر التفاوت بين الطبقات » .

واذا كان الميثاق يقول بهدف تذويب الفوارق بين الطبقات ، فان المؤلف يؤكد ان «جوهر الاشتراكية وهو السعى الى عدل اجتماعى **وتقليل** الفوارق بين الطبقات » .

والذى يلاحظ بالنسبة لهذا الاتجاه :

● انه فكر يستلهم موقفه ومبرراته من المبررات التقليدية للنظام الراسمالى الذى يقرن دعاته الملكية الفردية « بالمبادرة الفردية الخلاقة» و «الحرية الانسانية والكرامة» و «غريزة الاقتناء الانسانية» . ... الخ . وفى ذلك تأكيد للقيم القديمة مما يتعارض مع اسس نظامنا . وفى بعض الكتابات يظهر اتجاه بالمطالبة بالرجوع الى الوراء افساحا للقطاع الخاص .

● يتسم هذا الفكر فى عمومه بانكار الصراع الطبقى أو حتميته بما يخالف الميثاق ، وينادى «بالسلام» بدل الحل السلمى للصراع ، وبالتغيير بدل الثورة ، وبالتعايش بين الطبقات وبتقليل الفوارق بينها بدل اذابتها .

● ان خطورة هذا الفكر تتعلق اساسا بما يشيعه بين الجماهير من أفكار لا تظهر أمامهم باعتبارها فكرا لتيار خاص فى المجتمع ، ولكن باعتبارها فكر الدولة وتعبيرا عن النظام الحاضر وذلك برفع راية الاشتراكية العربية وباستخدام منابر الدولة الرسمية فى نقله الى الجماهير . وبعض هذه الكتابات مما يدرس فى الجامعة ، وبعضها صادر عن أحد كبار رجال القطاع العام ، والكتاب الاخير مثلا حائز على جائزة وزارة الثقافة والارشاد فى اسبوع الكتاب العربى سنة ١٩٦٤، ويقدم للقراء بهذا الاعتبار .

● ان هذا الفكر قد استطاع — باسم الحرص على تمييز اشتراكيتنا وتأكيد المبادىء الخاصة بها ، ان يتسرب الى كتابات البعض فى اجهزة الثقافة ، مما يذيع انتشارها وتتقبل على انها فكر شبه رسمى .

● كان يمكن للكتابات السابقة ان تلاحظ ان الراسمالية عندما تدافع عن مصالحها ، ترفع شعار « الملكية الفردية » وتحاول تحت لوائه ان تجذب اليها الجماهير الواسعة من صغار الملاك فى الزراعة والحرف والتجارة ، لتكسب تأييدهم السياسى، ولكن نظامها اول من يحطم مصالح هؤلاء فى المنافسة غير المتكافئة بينها وبينهم . ولم ينس بعد ، ان كبار الملاك سنة ١٩٥٢ هاجموا الاصلاح الزراعى وتوزيع الارض على الفلاحين بزعم الخوف على الانتاج من تفتت الارض، وذلك برغم ان التوزيع مرتبط بالتعاون . فهم ضد الملكية الشعبية يرفعون شعار « الملكية الفردية » وضد مصالح صغار الملاك ومن اجل تصفية ملكياتهم يرفعون شعار « المشروع الكبير » .

ثانيا :

ونجد الاتجاه الثانى ، تعكسه بعض كتابات **الدكتور رفعت المحجوب** (التجربة الاشتراكية فى الجمهورية العربية المتحدة . مجلة دراسات عربية اغسطس ١٩٦٦) . وهو يحدد ان الخاصة الاولى للتحول الاشتراكى فى مصر ، هى « التوفيق بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة» وان الوجود اذ ينتهى «الى ثنائية الجماعة والفرد» فان كلا من النظامين الشيوعى والراسمالى يعتمد على احدى المصلحتين على حساب الاخرى . ولكن الاشتراكية العربية مع تقديمها المصلحة العامة تسمح بقدر كبير من المصلحة الخاصة وتعطى مجالا كبيرا للحوافز الفردية . ويتمثل ذلك بصفة اساسية فى اقرار الملكية الخاصة لادوات الانتاج فى بعض القطاعات على ان لا تكون مستغلة ، واقرار مبدا التفاوت فى الدخول تبعا للعمل وتبعا للملكية على الا تكون مستغلة » . ومن الخصائص ايضا اختلاف الحل الاشتراكى من قطاع الى قطاع ، فهو فى الزراعة توزيع الارض توسيعا لقاعدة الملكية الفردية ، وفى المبانى فرض الضرائب التصاعدية وخفض الايجارات ، وفى الصناعة والتجارة التأميم الكلى او الجزئى للمشروعات الاساسية ، وذلك مع التوسع فى ادماج العمل مع رأس المال فى القطاع الزراعى الذى يعنى « احلال الملكية الزراعية المستندة الى العمل الشخصى محل الملكية غير المستندة الى العمل الشخصى » . ويذكر أنه من الواجب — تذويبا للفوارق بين الطبقات — ان

تختفى من المجتمع الطبقة التى تملك ولا تعمل وان يسهل على الافراد الانتقال من المستويات الاجتماعية المختلفة والنزول بالملكيات الكبيرة الى المستوى الذى يلزم اصحابها على العمل. «حتى تختفى الطبقة التى تحصل على دخل بلا عمل وهى الطبقة التى تميز النظام الرأسمالى» . كما يحدد خصائص الموقف الطبقى للاشتراكية العربية بانها الاعتراف بالصراع الطبقى وضرورة حله سلميا مع تصفية امتيازات الطبقة الرجعية لا افرادها وعدم تحويل جميع الافراد الى اجراء « وانما تعمل على تحويل جميع الافراد الى عاملين سواء اكان ذلك بصفتهم اجراء او بصفتهم ملاكا فهى تترك مجالا للرأسمالية الوطنية والملكية الخاصة» .

وبصدد التفرقة بين الملكية المستغلة والملكية غير المستغلة ، لانلحظ تحديدا واضحا لمعنى الاستغلال، انمايذكر المؤلف ان «فرصة الاستغلال تكون اكبر فى حالة الملكيات الكبيرة منها فى حالة الملكيات الصغيرة» . و «ان الاستغلال يتحدد معناه ونطاقه فى ضوء النظرة الى الملكية وهل هى حق مطلق ام وظيفة اجتماعية بحيث يضيق مايعتبر استغلالا اذا ماأخذنا الملكية على انها حق مطلق ويتسع اذا ماأخذناها على انها وظيفة اجتماعية» والتخلص من الاستغلال هو فى وضع حد ادنى للاجور فى الصناعة وتحديد اثمان السلع والخدمات وايجارات الاراضى الزراعية والمبانى .

وقد ادى عدم وضوح التحديد هنا ، الى نوع من الغموض فى تحديد مدلول العمل عند الكلام عن وجوب تحويل جميع الافراد الى عاملين سواء كانوا ملاكا أو غير ملاك ، فقد ذكر بصدد الزراعة « احلال الملكية الزراعية المستندة الى العمل الشخصى .. » وذلك يعنى فى الاساس استبعاد الملكية الرأسمالية التى تعتمد على العمل المأجور ، واكد وجوب اختفاء الطبقة التى تحصل على دخل بلا عمل ، ولكنه ذكر فى النهاية ان تحويل الافراد الى عاملين مما «يترك مجالا للرأسمالية الوطنية .. »

والواضح أن الكاتب فى استعراضه للاسس قد سرد ما أنجزته تجربتنا وحاول تصنيفه ، وكان ذلك سليما . ولكن القول بان هذا هو نظرية الثورة الاشتراكية فى مصر ، يعنى القول بوجوب الا يخرج التطبيق مستقبلا — بالنسبة لاى قطاع من القطاعات — عن نوع الاجراءات التى سبق اتخاذها فى ذات القطاع من قبل . لان «النظرية» تكون على درجة من التعميم يتضمن تفسيرا لما تم ورسما لآفاق المستقبل. وليس من اسس تجربتنا

ولا مما يفيدها أن يتوجب عليها أن تلتزم بالنسبة لكل قطاع انماطا معينة من الاجراءات لا ينبغى أن تخرج عليها ، ونحن فى مرحلة التحول الاشتراكى، مرحلة الصراع مع الرجعية ، وفى مرحلة التنمية الاقتصادية والبحث الدائب عن اكثر الانماط والاجراءات والتنظيمات ملاءمة للانتصار على الرجعية وانجاح التنمية والوصول الى هدفى الكفاية والعدل. وأن الدراسة التاريخية الموضوعية لتجربتنا الثورية منذ ١٩٥٢ ، تثبت أن انواع الاجراءات الثورية كانت تتغير وتتعدل دائما حسب طبيعة المعركة وظروفها وموقف اعداء الثورة

والمهم ان هذا الفكر ، فى اقتصاره على تفصيل ماانجزته الثورة من قبل ورفع التفصيلات الى مصاف «النظرية» يعنى تقييد التجربة فى اطار الحلول التى سبق ان اهتدى بها التطبيق ، دون مايكشف عنه التطبيق مستقبلا من مواقف ومشاكل وحلول. وقد ادت هذه النظرة الى اغفال جوانب هامة من تجربتنا اشار اليها الميثاق كبعض اهداف حركة نظامنا الاشتراكى وذلك مثل الملكيات التعاونية واشتراك العاملين فى الادارة وانتقال السلطة التدريجى الى الاجهزة الشعبية. والحلول الاشتراكية فى المبانى مثلا لاتقتصر على الضرائب التصاعدية وتحديد الايجار ، فالميثاق يشير الى دور القطاع العام والاسكان التعاونى فى ذلك . ويصعب — اخذا بهذا الفكر — ان نهتدى للحلول الثورية الواجبة لتحقيق الهدفين اللذين أعلنهما قائد الثورة أخيرا بشأن تجارة الجملة ومقاولى الباطن ، كما يصعب أن نجد ما يفيد فى النقاش الدائر حول اسلوب زراعة الارض الجديدة ، أو بالنسبة للاجراءات الواجبة ازاء الرجعية فى الظروف المتغيرة ، أو بالنسبة لاعادة تنظيم المشروعات الصغيرة أن استوجبت ضرورات الانتاج .

وان تأكيد الثنائية بين المجتمع والفرد ، بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة ، يعنى فى الواقع الاقتصادى تأكيد الثنائية بين القطاع العام والقطاع الخاص ، وهو نظر تتخطاه تجربتنا ومفاهيم الميثاق التى تكرر التأكيد على سيطرة الشعب على كل وسائل الانتاج ورقابة الشعب المهيمنة عليها جميعا مع الحذر الثورى الدائم ازاء القطاع الخاص من امكانيات الاستغلال أو الانحراف أو التلاعب ، ومع خضوعه الكامل للخطة. كما أن اقران الحوافز الفردية بالمصلحة الخاصة والملكية الخاصة لا يعكس جوهر مفاهيمنا الاشتراكية. وان الجديد حقا ، الذى يستوجب التأكيد فى تجربتنا ، هو عين هذه السيطرة الشعبية والخضوع للخطة والهيمنة على جميع المقدرات الاقتصادية فى المجتمع وهو السمة الاصيلة النامية فى مجتمعنا الجديد ،

وكل ماعدا ذلك ثانوى ونابع ومشروط بها . وان هذا النظر يفترق عن الميثاق فى المنهج اساسا ، فى ان الميثاق نسيج من الخلايا الحية النامية ، وفى ان اطاره يتسع للخبرة الثورية المتحركة وفى ان الميثاق كما ذكر قائد الثورة ليس قيدا على العمل الثورى ، بل دليلا اليه .

ثالثا :

هنا نجد **الدكتور محمد علي ابو ريان** فى كتاب «النظم الاشتراكية مع دراسة مقارنة للاشتراكيه العربية» (سنة ١٩٦٥) يذكر ان الاشتراكية تبدأ بالتطبيق دون التزام بتعريف نظرى اولى ، وهى ليست وسطا بين الرأسمالية والشيوعية . وخصائصها من الناحيه الاقتصاديه ان تكون وظيفة الدولة اقتصاديا الوساطة فى نقل الثروة القومية من سيطرة الاقطاع وراس المال وتمليكها للشعب ، لهذا « يجب ان تسيطر القوى الثورية على جهاز الدولة لكى تؤمم وسائل الانتاج وتملكها للشعب» . وان الاشتراكية العربية لاتقضى على الملكية كمفهوم اقتصادى «بل ترفض الملكية كحق خاص للدولة أو للفرد وتحل محلها الملكية الجماعية لادوات الانتاج والميثاق لم يرفض الملكية عموما ولا حق الارث الشرعى بل رفض الملكيه فى صورة راس المال المستغل والاقطاع الزراعى » . وبالنسبة للارض لم يطبق نظام الملكية الجماعية بل تركت الملكية الفردية مع وضع حد اقصى لها ويذكر ان ثمة من يطالب بخفض حد الملكية الى ٢٥ فدانا وهو الحد « الذى يقترب فى حدود تصورنا للراسمالية الوطنية فى نطاق التجارة والصناعه والاستثمار العقارى» على ان الانتظار افضل حتى تتوطد دعائم الحركة التعاونية فى الريف لتخضع الملكيات الزراعية لها كبديل لتفتيت الارض . وفى مجال الصناعه والتجارة تعتبر «الملكية حقا تزاوله الجماعة» اما عن طريق القطاع العام الذى « يوسع قاعدة الملكية ويجعلها شعبيةوبذلك يدعم اساس الديمقراطيه السياسية» واما عن طريق القطاع الخاص بما «يعنى ان تكون هناك ملكية فردية فى صورة وظيفة اجتماعية يؤديها الفردفى صالح الجماعة» وبالنسبةللراسماليه غير المستغلة فقد أتاحت لها الثورة ان تلعب دورها ، ويرى ان «مجالات استثمار الراسمالية الوطنية متعددة ومتنوعة الامر الذى لايسمح — فى الوقت الحاضر — بتحويلها الى الملكية الجماعية وخصوصا قبل ان يكتمل نجاح تجربة القطاع العام على مدى الخطة الخمسية الثانية» . ويرىازاء مايدورمن نقاشحول «مشروعيهالقطاع الخاص » فى النظام الاشتراكى ، ان الاشتراكية فى صورتها الرائدة وان اعتبرت التاجر وسيطا يستولى على جزء من فائض القيمة بغير حق ، فقد عملت النظم الاشتراكية على الغاء التاجربالغاء السوق وربط المنتج بالمستهلك واحلال التعاون محل التاجر . وان هذا الاتجاه الاخير قد حقق نجاحا ملحوظا فى كثير من البلدان الاشتراكية . وأنه بالنسبة لمجتمعنا يلاحظ انه « اذا أمكن تطوير قطاعات الرأسمالية الوطنية (المهن الحرفو الفلاحين والصناعات الصغيرة والحرف) بحيث تسهم فى عملية البناء الاشتراكى، فانه يتعذر كثيرا — على مايبدو — ان ينقاد قطاع التجارة بسهولة لهذا الاتجاه » لان حافز الربح الذى يحرك الرأسمالية الوطنية يظهر بصورة مسيطرة فى قطاع التجارة ويهدد باستمرار السوق السوداء . والحل لذلك هو استمرار توسيع دائرة التعاون بحيث «لاتكتفى بربع حجم التجارة الداخلية بل تزيد من هذا القدر بالتدريج» . وبالنسبة لاستثمار الراسمالية الوطنية فى المجال العقارى فانه «اذا حللنا مشروعية هذا الاستثمار من الناحية الاشتراكية البحتة فاننا نجد فيه صورة من (صور الكسب بدون عمل) » على ان ثمة مبررات معقولة تسمح باطلاق حرية الاستثمار فى هذا المجال لتوفير المساكن .

ويشير المؤلف الى خطاب الرئيس عبد الناصر فى ١٦ اكتوبر ١٩٦١ اذ عرف الاشتراكية بقوله «المفهوم الواضح البسيط للاشتراكية فى تصورى هو انه لابد ان يكون الدخل القومى الوطنى شركة بين المواطنين ، كل بقدر جهده الحقيقى فى تحقيق هذا الدخل» .

ويذكر **الدكتور يحيى الجمل** فى كتابه «الاشتراكية العربية » (١٩٦٦) ان جوهر الاشتراكية هو الغاء استغلال الانسان للانسان ايا كانت صورة ذلك الاستغلال وذلك يعنى المشاركة فى الانتاج كشرط للحصول على العائد الانتاجى مما يحتم ان تقع ملكية وسائل الانتاج الاساسية فى نطاق الملكية العامة ، والا استحال توزيع العائد على اساس المشاركة، وتوزيع العائد على اساس الملكية ينتهى بالضرورة الى استغلال الانسان للانسان . وان موقف الاشتراكية العربية من مسالة الاستغلال اساسه رفض الاستغلال «وجوهر الاستغلال هو حرمان العامل من مقابل عمله أو من جزء من هذا المقابل أو هو من ناحية اخرى الحصول على دخل بغير عمل او بغير سبب مشروع يبرره» . وان الملكية الخاصة قد تكون سببا من اسباب الاستغلال فيجب القضاء على الاستغلال بالقضاء على سببه ، ومن ثم فان الملكية المستغلة أو التى تؤدى الى الاستغلال

واجبه المنع ، اما اذا كانت غير مستغلة وظلت غير منحرفة تجاه الاستغلال فانها تترك عاملة فى اطار التخطيط الاقتصادي العام . والملكية بكل صورها يجب ان تخضع لسيطرة الشعب . ومن الناحية التطبيقية فالحل الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة لايرفض الملكية الفردية للارض على انتكون وظيفةاجتماعية وبعيدة عنالاستغلال ولا تسمح بالاقطاع . وان سيطرة الشعب على وسائل الانتاج كان بقرارات التأميم ولم يستتبع بالضرورة الغاء الملكية الخاصة .

ويذكر **الدكتور جلال امين** فى كتابه «مقدمة الى الاشتراكية» (سنة ١٩٦٦) ، ان الاشتراكية «تقوم اساسا على فكرة فى العدالة الاجتماعية اساسها ان يصبح العمل هو معيار توزيع الدخل وتدعو من أجل تحقيق هذا الهدف الى الاخذ بنوع أو آخر من الملكية الجماعية.والنظام الاشتراكى يقوم أساسا على تحقيق الملكية العامة لوسائل الانتاج ليضمن سيطرة الدولة على الجزء الاكبر من الانتاج القومى وعلى الاخذ بنظام التخطيط والالتزام بتحقيق عدالة توزيع الدخل كهدف تسعىالدولة الىتحقيقه وتختلف الدول الاشتراكية فى مدى اقترابها منه . ويسخر من «الاشتراكى » الذى يسكره التأميم بالطبيعة « ويؤكد أن اهم خصائص تجربتنا هى احترامها للقطاع الخاص» . ويقول انه ليس صحيحا انه « اذا ابقت دولة على الملكية الخاصة لبعض وسائل الانتاج بينما اممت دولة أخرى وسائل الانتاج تأميما شاملا كان معنى ذلك بالضرورة ان للدولة الاولى نظرية فى الملكية تختلف عن نظرية الدولة الاخرى . اذ لابد لكى يكون لنظام ما نظرية متميزة فى الملكية ان يكون هذا النظام صادرا عن تحليل متميز لمعنى الاستغلال وشروط توافره ، وان يكون هذا التحليل غير مقيد بظروف دولة معينة .. ويذكر أنه لم يهتد الى العثور على مثل هذا التحليلالعربىالمتميز لمعنىالاستغلالوشروطه بل كل مايقدم ،هو تبرير لعدم التوسع فى التأميم فى القطاع الزراعى « بالنظر الى ظروف بلادنا الخاصة» .

فى الدراسة التى اعدها **الدكتور وليم سليمان** عن «الفلاح المصرى وملكية الأرض» (الطليعة يناير ١٩٦٥) يذكر أن تتبع تاريخ الملكية الزراعية فى مصريظهر انعناصر الملكيةكحق بدأت فىالظهور بمصر خلال القرن التاسع عشر وذلك بالنسبة لاراضى كبار الملاك فقط . «أما الفلاح فكان ماله على ارضه مجرد اثر لايصل الى حد تملكها» وحين تقرر للفلاحين حق الملكية فى ارضهم كانت قد نزعت منهم الى كبار الملاك . وانه لايمكن تصور ان تكون الملكية حقا مطلقا الا بالنسبة للمشاريع الزراعية الضخمة ويشير الى ماذكره الميثاق من ان الاقطاعيات الكبيرة كانت تطحن ملايين الفلاحين «ولم يتمكنوا على الاطلاق من تنظيم انفسهم داخل تعاونيات تمكنهم من المحافظة على انتاجية ارضهم» .

والملاحظ انه ـ بصرف النظر عما يكون داخل هذا الاتجاه من اوجه الخلاف حول بعض ثنايا التطبيق الاشتراكي ـ فان المفهوم الوارد عن الملكية والتفرقة بينها فى ضوء الاستغلال وتحديد كون الاستغلال هو الحصول على مايزيد عن الجهد الشخصى فى العمل ، كل ذلك فيه من الوضوح والتحديد بقدر مافيه من الانفتاح النظرى على مشاكل المجتمع والاحساس بنهج الحلول السليمة .

حول ملكية الارض الزراعية الجديدة

ويدور الصراع بين المفاهيم المختلفة للملكية فى مجال الارض الزراعية . ويتركز الهجوم على الملكية العامة اساسا فى هذا المجال ، ولاشك ان هذا التركيز يرجع الى سيادة الملكية الفردية فى الريف الان ، وضعف القطاع العام والملكية التعاونية فيه ، وان الارض الزراعية اصبحت الان أهم معاقل الرأسمالية فى مصر . كما يرجع الى حرص الرأسمالية على ان تجتذب الى فكرها القاعدة الواسعة من صغار الملاك فى الريف ، لتقف بذلك ، لا دون تأميم الارضولكن دون نمو الملكية التعاونية ، ودون اية تنظيمات يراد بها احكامهيمنة السلطةالشعبية علىالانتاجالزراعى، ودون نشأة القطاع العام فى الارض الجديدة المستصلحة .

وسبق **محمد حسنين هيكل** ان ناقش موضوع الاراضى الجديدة التى تستصلح بمياه السد العالى وهل تبقى فى اطار الملكية الاشتراكية العامة أم يجرى توزيعها على الفلاحين . وعرض الامر حسب منطقالميثاق وصدورا عن الهدفينالاصليين فيه ، هدف الكفاية والعدل . وقال « ان هذه الارض الجديدة لاينبغى تقسيمها وتوزيعها الى شظايا من خمسة افدنة أو عشرة . وانما ينبغى ان تخصص لزراعة متقدمة على نطاق واسع تصل الى أعلى درجة ممكنة منكفاية الانتاج ويكون التصدير أول اهدافها ، وذلك يستتبع ان تبقى فى

اطار الملكية العامة لاتخرج منه . ان عشرات من الشركات الزراعية تستطيع ان تقوم عليها تختص كل واحدة منها بمساحة كبيرة فيها وتتجه الى محصول معين يتركز عليه وتنمى فيه خبرة عريضة من الانتاج الى التسويق العالمى . والاشتراكية تتحقق عليها بملكية الشعب كله لها وبفرص العمل الواسعة التى تتيحها الزراعة المتخصصة بالاجور العالية ثم اشتراك عمالها فى مجالس ادارتها» . وكان من الواضح ان الاقتراح تمليه الحلول العملية لمصلحة الانتاج الزراعى والاقتصاد القومى كله بزيادة التصدير ، ويمليه الحرص على مصلحة الفلاحين العاملين فى هذا المجال بأن يشتركوا فى ادارة الارض المملوكة للشعب .

ومن خلال النقاش الواسع الذى دار حول هذا الموضوع ، ايد هذا الموقف كثيرون ، منهم **الدكتور عباس كسيبة** الذى اشار الى ان «المشكلة الزراعية ليست هى مشكلة الصراع حول الارض والملكية الفردية لها بين الفلاحين وانما هى اساسا الصراع بين الفلاحين نحو معيشة أفضل» .. وان الدليل على ذلك هجره الفلاحين من القرى الى المدن سعيا وراء المعيشة الافضل لا وراء الملكية الفردية او الارض فى ذاتها ، وان الملكية الفردية لم يعرفها الفلاح الا من عهد قريب ، ولم يعرف التاريخ لالاف السنين شيئا عن صراع الفلاح لامتلاك الارض التى كانت تملكها الدولة . وان ضيق الرقعة الزراعية مع كثافة السكان لا يجعل تملك الارض هو حل المشكلة . وطالب بتحديد الملكية بـ ٢٥ فدانا مع دعم التنظيم التعاونى . وبالنسبة للارض الجديدة ذكر أنه «من المحتم ان ينظم استغلال هذه الارض على اساس ملكية الدولة لها ضمانا للوصول الى اقصى انتاج اقتصادى ممكن اذ ان تكاليف الانتاج لهذه الارض لاتحتمل اتباع نظام الاستغلال الفردى الذى لايمكن ان يحقق أى ربح للفلاحين ، بينما يمكن للدولة بامكانياتها العلمية والمادية الواسعة من الوصول الى الحدود الاقتصادية للانتاج» .

وذكر **يونس ثابت** انه من خلال تجربة الشركة المصرية الجديدة كمشروع زراعي كبير ، يظهر انها كانت أقدر على رفع انتاجية الارض من المشروع الصغير حتى بالنسبة للحاصلات التقليدية «وان هناك من الحاصلات غير التقليدية مايمكن للشركات المتخصصة ان تتجه بنجاح اكثر من الافراد لاحتياجها الى مهارات فنية وتكنولوجية عالية تتوفر عند الشركات ولا يسهل توفرها فى غيرها» . وانه « يمكن توافرها فى الشركات بشكل أيسر من توافرها لدى الانظمة التعاونية » .

كما أيد **الدكتور زكى شبانه** بقاء الارض على ملكية الدولة وان تكون ميدانا فسيحا لتكوين مجتمع مثالى يحمل الافكار الاشتراكية ويكون مجالا للدراسات التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية الرائدة . وذكر ان هذا النوع من الاستثمارات الزراعية يحتاج الى رؤوس أموال كبيرة لاتقوى عليها الوحدات الانتاجية التقليدية حتى فى صورة التعاونيات .

وفى مواجهة هذا الاتجاه كتب **سيد مرعى** يؤيد فكرة توزيع الارض ، وصدر فى عرضه للموضوع لا عن مجرد الملاءمة الاقتصادية والسياسية، ولكن عن اثارة الحجج التقليدية التى تساق دفاعا عن المشروع الاقتصادى الخاص مع محاولة تأكيد صحتها فى الواقع . وبدأ مقالاته بالتفرقة التقليدية بين الراسمالية والشيوعية وبتعدد مستويات الاشتراكية بينهما ، وان الاشتراكية العربية تقوم على توزيع الارض مع اخضاعها للاقتصاد الموجه . واكد على الحافز الفردى كحافز مرتبط بالملكية الفردية ، وعلى ان المزرعة الفردية اكثر كفاءة من المزرعة الحكومية . وعرض لانتاجية اراضى شركة كوم أمبو التى كانت أدنى كثيرا من انتاجية ذات الارض بعد توزيعها على صغار الفلاحين ، مدللا بذلك على ان المشروع الكبير فى يد الشركات الخاصة ــ وهى حسبما قال اكثر كفاءة من المزارع الحكومية ، تكون انتاجيته اقل من انتاجية المشروع الصغير المؤيد بالتعاون ، وبالنسبة لارض شركة كوم امبو اشار السيد يونس ثابت الى انها كانت تعيش ظروفا استثنائية وان الشركة المصرية الجديدة تظهر دلالة مناقضة . ثم عرض لخطة توزيع الارض على الفلاحين وما تؤدى اليه من حفظ كرامتهم .

ودفاعا عن توزيع الارض اثار الكاتب مسألة العدالة الاجتماعية التى « لا ترضى ان تهيىء فرصا بعيدة المدى لطبقة معينة (من وزعت عليهم اراضى الاصلاح الزراعى) وتحرم منها طبقة اخرى لم يسعدها الحظ ان تنال ارضا من اراضي وطنها وما زالت تلك الطبقة الاخيرة فى اسفل السلم الزراعى» . وهاجم النظرة الضيقة التى تنادى «بأربحية الحكومة واحتكارها فائض دخل الاراضى الجديدة عن طريق حبس ملكيتها بيدها لتحصل على ارباحها دون توزيعها لخير الانسان» ، وازاء ظهور القطاع العام فى الزراعة فى هذه الاراضى ذكر « واخشى ما نخشاه فى هذه الصورة ان نواجه سوءا فى الادارة وسوء استغلال وانحراف فى المزارع الحكومية او تواجه ضغطا على اصحاب الاراضى الزراعية وعندئذ تظهر حالة من التمييز والتفرقة لاتتفق ومعايير العدالة» . واكد الكاتب

على شعار « ملكية خاصة ونظام تعاونى » يعنى التعاون تنظيم الدورات الزراعية والقيام بالتمويل والتسويق .

وقد عرض الرئيس جمال عبد الناصر لموضوع الارض الجديدة فى اجتماع الهيئة البرلمانية فى ٢٥ فبراير ١٩٦٥ . وذكر عن اراضى غرب الاسكندرية « اما حنعمل مزارع حكومية ياما حتؤجر » وذلك صدورا عن احتياجات خطة التنمية الطموح .

وايا كان الحل الامثل لزراعة هذه الاراضى ، فالمهم فى الموضوع هو اسلوب تناوله ، والمهم الا يصدر النقاش فيه او فى غيره من قضايا التطبيق عن نظرة تقيد العمل الثورى ولا تفتح امامه جميع امكانيات الانطلاق وصولا الى التنمية والتقدم لصالح الشعب . وان ينظر الى توزيع الارض باعتباره احد اساليب التنظيم الزراعى فى اطار الاقتصاد القومى فى مجموعه ، لا باعتباره هدفا فى ذاته .

وقد ذكر جمال عبد الناصر فى مباحثات الوحدة ١٩٦٣ انه من وجهة النظر الاشتراكية يمكن ان تكون هناك جملة اساليب للاستقلال الزراعى وانه «ممكن التجميع يمشى ... وممكن التقسيم يمشى ، وممكن التعاون الزراعى يمشى .. وممكن الزراعة التعاونية تمشى .. وممكن اذا كان الحال يسمح بالزراعة التعاونية ايضا يمشى ده اللى انا باتصوره بالنسبة للاشتراكية فى الزراعة .. كون احنا هنا جددنا فى الاشتراكية فى الزراعة نظرا لان الارض محدودة ونظرا للحالة الموجودة عندنا فى مصر . احنا حناخد صيغة من الصيغ اللى هى صيغة الجمعيات التعاونية التى قد تنتقل الى زراعة تعاونية بالتجميع الزراعى ونصينا عليها فى الميثاق .. ده ظرف من الظروف بييجى حد تانى بيقول لك انه ممكن انه يعمل ادارة ذاتية ويعمل ملكية جماعية .. لكن ما فيش داعى ابدا ان احنا ننفى التأميم » . ثم ذكر ان التأميم فى مصر غير وارد لان قلة الارض الزراعية لا تسمح بذلك .

وصدورا عن هذا المنطق فان التأكيد الدائم على الملكية الفردية كهدف نهائى « وسمه لصيقة لاشتراكيتنا» وترسيخ مفاهيمها فى الاذهان ، من شأنه ان يعرقل الحركة الثورية فى اختيار افضل الحلول للتطور الاشتراكى الذى يستهدف الكفاية والعدل ، والذى قد يستلزم انشاء قطاع عام — على اى نطاق — فى الارض الجديدة .

عن الملكية والاسلام

وتحاول بعض التيارات المتعلقة بالملكية ،ان تستند الى الاسلام، وهى تختلف فيما بينها اختلافا واضحا ، ولا يجمعها الا محاولة كل منها ان يدعم موقفه بالاستناد الى الاسلام، وهذا مايبرر التعرض لها فى مجال واحد .

● **ولابى الاعلى المودودى** ، امير الجماعة الاسلامية فى باكستان، دراسة عن «مسألة ملكية الارض فى الاسلام » (ان لم يكن هو مصريا فان فكره يمثل النظرة الرجعية للملكية التى تحاول الاستناد للاسلام ،وقد ظهر من محاكمات الاخوان العلاقة الفكرية بينهم) . وهو ينتهى من بحثه الى نفى التأميم «ان نظرية تأميم وسائل الانتاج تخالف الاسلام وتناقض قواعده» ، «علينا ان نضرب عرض الحائط، فى اول خطواتنا، كل مشروع قد يحتوى على نظرية التأميم من حيث المبدأ او الغاية» . والاسلام فضلا عن عدم سماحه بنزع الملكيات فان نظريته تمنع ايضا «أن تكون الارض وغيرها من وسائل الانتاج ملكا للحكومة ويعيش المجتمع كله منقادا للطائفة الحاكمة» ، «ان المجتمع الاسلامى يجب ان يكون اكثر افراده ان لم يكن كلهم احرارا فى اقتصادهم ولا بد لهذا الغرض ان تكون وسائل الانتاج فى ايدى الافراد انفسهم» . كذلك يقول ان الاسلام لا يضع حدا لما يكون عند الناس من اموال ومساكن ومصانع ولا يحدد ملكية الارض .

● والدكتور **على عبد الواحد وافى** فى كتابه «المساواة فى الاسلام» يحدد النظم الاجتماعية بخمسة انواع، النظام الشيوعى والنظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى المتطرف يسارا ، والنظام الاشتراكى المتطرف يمينا، والنظام الاشتراكى الوسط . والنظام الاسلامى من النوع الاخير لانه «وسط من وسط وخيار من خيار» فهو يقر الملكية الخاصة ويحميها «ولا يطلق العنان لراس المال» ودعائم النظام الاقتصادى للاسلام اولها اقرار الملكية الفردية وحمايتها وتنظيم دوامها، وثانيها اخراجه الاشياء التى «لا يتوقف وجودها ولا الانتفاع بها على مجهود خاص ، وتكون ضرورية لجميع الناس» لتكون ملكيتها جماعية تطبيقا للحديث الشريف «الناس شركاء فى ثلاثة، الماء والكلأ والنار » وثالثها اسس التكافل والتعاون والتحاب والتواد والتراحم بين الناس .ويذكر المؤلف ان الاسلام يجيز نزع الملكية للصالح العام وانه لا يحظر على ولى الامر ان يتخذ ما يراه ملائما لاقرار التوازن الاقتصادى بين الطبقات بما يكفل

تقليل الفروق بينها. ويذهب الى ان الميراث هو طريق توزيع الملكية. وانه يجوز اخراج المال من حيز الملكية الفردية الى الملكية الجماعية ان كان مصدر الامتلاك غير سليم كاستغلال النفوذ او الغش او الابتزاز ولقد منع الاسلام الربا وفرض الزكاة وحض على الصدقة واوجب فى حالات الشدة ان يسد القادر حاجة المحتاج .

● ويذكر الدكتور **مصطفى السباعى** فى كتاب «اشتراكية الاسلام»: ان الاسلام يعتبر العمل من اهم وسائل التملك، وانه يجيز تأميم المواد الضرورية لان الحديث الشريف «الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار » اورد اشياء لا على سبيل الحصر، وانما على اساس ما هو ضرورى لا يصح ترك تملكه للافراد « اذا كان ينشأ عن احتكارهم له استغلال حاجة الجمهور اليه» ويذكر المؤلف ان مبدأ الاسلام جواز التأميم من الناحية التشريعية وان الملكية الشخصية قد تؤدى الى «ان تحبس الاشياء عن الناس او يتحكم مالكها فى ثمنها او توزيعها» وللدولة ان تحول دون الاحتكار ، كما ان لها ان تؤمم «الارض لضرورة الدولة والمجتمع» وان اصحاب الحاجات تقضى لهم حوائجهم ولو كان فى ذلك بعض الضرر لاصحاب الثروات الكبيرة» . ويرى المؤلف انه يتحتم تأميم الكهرباء والمياه وبعض المواد الغذائية، «ولما كان مبدأ التأميم كنظرية اقتصادية محل نقاش بين علماء الاقتصاد وخاصة غير الاشتراكيين منهم. فنحن نرى ان لا تلجأ الدولة الى تأميم صناعة او مرفق من المرافق العامة الا بعد اخذ راى الخبراء الاقتصاديين والاجتماعيين عملا بقوله تعالى: «فأسألوا اهل الذكر» . وبالنسبة لملكية الارض يذكر ان سياسة الدولة الاسلامية فى الارض المفتوحة كان «اما نقل ملكيتها الى الدولة على ان يكون عمالها الزراعيون اجراء عليها واما تقسيمها الى ملكيات صغيرة بين عمالها حتى يصبحوا جميعا مالكين لها وتزول معالم الملكيات الكبيرة وآثارها المفجعة» .

ويلاحظ بالنسبة لهذه الاراء :

١ ـ ان كلا من الكتاب السابقين يعتبر ان ماذكره هو راى الاسلام وموقفه بالنسبة لمسألة الملكية . ولكن كلا منهم يختلف عن الاخرين اختلافا واسعا فى تحديد مبادىء الاسلام عن الملكية ، فالاسلام عند ابى الاعلى يحرم التأميم وتحديد الملكية اطلاقا ، وعند الدكتور السباعى يجيزها تشريعا واتباعا ويرى تطبيقهما فى نطاق محدده ، وعند الدكتور عبد الواحد يستند الى الملكية الخاصة .

ولكل من الكتاب اسلوبه فى الدفاع عن موقفه، اما عن طريق اختيار النصوص التى تؤيده اذ لم يورد ابو الاعلى كثيرا من النصوص الواردة عند الكاتبين الاخرين ، واما عن طريق تأويل النصوص وتفسيرها اذ فسر كل من الدكتورين عبد الواحد والسباعى حديث «الناس شركاء فى ثلاثة : الماء والكلأ والنار » تفسيرا مختلفا ، واما عن طريق التشكيك فى روايات بعض الاحاديث الواضحة اذ صرف ابو الاعلى جل همه للتشكيك فى رواية الاحاديث التى تمنع المزارعة والكراء بالنسبة للارض ،واما عن طريق تطبيق النصوص على الواقع الحاضر اذ يعتبر الدكتور عبد الواحد ان الميراث طريق توزيع الملكية بينما يرى الدكتور السباعى ان كانت سياسة الدولة الاسلامية اما نقل ملكية الارض المفتوحة للدولة او تقسيمها ملكيات صغيرة .

٢ ـ تستتبع هذه الملاحظة تقرير ان كلا من الاراء السابقة، لا يعدو ان يكون راى صاحبه فى الاسلام وموقف صاحبه الاجتماعى من المشاكل الحاضرة ،مع محاولة البعض الاستناد الى حكم الاسلام ليكسب حصانة الدين وقدسيته. والواجب عند مناقشة هذه الآراء النظر اليها باعتبارها آراء اصحابها فى الاسلام ومواقفهم هم من القضايا الاجتماعية .

٣ ـ ان الفكرة الاساسية على ما ورد ببعض هذه الكتابات ـ فى تأكيد ان الملكية الخاصة هى اول دعامات الاسلام، ان الاسلام اقر الملكية الخاصة اذ وجدت على عهد الرسول .وان الاسلام حماها اذ جعل السرقة جريمة واذ نظم الميراث . والحقيقة ان تجريم السرقة وتنظيم الميراث لا يدلان فى ذاتهما على نظام اجتماعى معين، وهما قائمان فى كل المجتمعات ايا كان موقفها من الملكية الخاصة

ومن جهة ثانية فان الدكتور عبد الواحد يذهب فى كتاب «قصة الملكية فى العالم» الى ان الاسلام اقر الرق، ولكنه يذهب ـ بحق ـ الى انه رغم ذلك فان موقف الاسلام الصحيح هو الغاؤه تدريجا بتضييق الروافد وتوسيع المنافذ، وذلك يعنى ان اقراره لا يعنى وجوب بقائه، بل قد يعنى الحض على الغائه. والواجب الا تستعمل ذات المقدمات للوصول الى نتائج متعارضة ، وبالنسبة لمسألة الملكية، قد سبقت الاشارة لما رآه الدكتور السباعى بالنسبة للتأميم وتحديد الملكية .

٤ ـ اورد ابو الاعلى نصوص الاحاديث الشريفة بمختلف الروايات التى نقلت بها والتى تتعلق كلها بنهى رسول الله عن كراء الارض وعن المزارعة ومنها « من كانت له ارض فليزرعها ، او

ليزرعها اخاه ،ولا يكاريها بثلث ولا بربع ولا بطعام مسمى» . نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كراء الارض» ، «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلمان يؤخذ للارض اجر او حظ » وذكر المؤلف ان البعض يذهب «الى ان الشريعة الاسلامية تريد تحديد ملكية الارض بعمل الانسان فيها بيده » وصرف همه فى نحو نصف الكتاب ليدحض الروايات الخاصة بهذه الاحاديث. وقد استند الشيخ الغزالى فى كتاب «الاسلام والمناهج الاشتراكية» الى هذه الاحاديث. كما اورد من آيات القرآن ما يؤكد ان الله جعل منازل الناس بالعمل .

وقد اورد الدكتور عبد الواحد الكثير من الاحاديث ولكن لم يستخرج منها جميع دلالاتها .

خاتمة

كانت هذه محاولة لاستطلاع الاتجاهات الفكرية الدائرة فى مجتمعنا اليوم عن «مسألة الملكية» . وهى محاولة غير كاملة ، فثمة نواح اخرى فى الموضوع تستوجب الاستطلاع ،منها المفاهيم الدائرة حول «الملكية العامة والتعاونية» وحول « الوظيفة الاجتماعية» للملكية، مما لم يتسع المجال لتفصيله. وحتى بالنسبة للملكية الخاصة فان الامر يحتاج لدراسة اوسع واشمل للافكار الدائرة فى المجتمع، ولتطور عناصر الملكية واستخراج الدلالات الموضوعية من خبرة التطبيق بالنسبة لمدى التغير وامكانياته فى هذه المؤسسة الاجتماعية، على ضوء سيطرة الشعب واشرافه على كافة المؤسسات الاجتماعية، وعلى ضوء مفهوم العدالة الاجتماعية الذى تؤكده الثورة وتسير حركة المجتمع الى تحقيقه .

واذا كان من اهداف المرحلة الحاضرة الوصول الى درجة ابعد من الوضوح الفكرى لمفاهيمنا الثورية وقيم المجتمع الجديدة، فان دراسة المفاهيم الحاضرة على اختلافها مما يسهم فى هذا الامر.

وقد يكون من المفيد فى هذا الامر ابداء بعض ملاحظات لا تتعلق بتحديد موقف من الملكية ايا كان ولكن بأسلوب تناول هذه المسألة

اولا : ان الحقيقة الاساسية ، ان تجربتنا الاشتراكية كما عبرت عن نفسها خلال السنين الماضية يتسم اساسها بالنظر الى الملكية الخاصة لا فى ذاتها ، ولكن فى ضوء نظرتها الى الاستغلال وتتخذ موقفها منها تبعا لذلك. وليس صحيحا ان دعامة التجربة الاشتراكية هى انها تحمى الملكية الخاصة، والا ما تميزت عن النظام القديم الذى كان يقوم اساسا على الملكية الخاصة . والفارق جوهرى بين ان يبقى نظامنا على الملكية الخاصة كاحدى مؤسساته الاجتماعية وبين ان تكون هى سمة النظام. وان وضع المسألة على اساس الملكية الخاصة فى ذاتها، والتأكيد على وجوب ان توجد فى ذاتها كهدف ، يطمس الحقيقة ويحرف المسألة. ان ما ينبغى التأكد عليه هو هل يبقى الاستغلال او لا يبقى وملاءمات القضاء عليه سياسيا واقتصاديا .

ومن جهة تحديد مفهوم الاستغلال، فان تجربتنا لم تقل ان قد تم القضاء على الاستغلال تماما، بل انها تعلن ان هدفها النهائى الذى تتحرك اليه هو الغاء استغلال الانسان للانسان، جوهر الاشتراكية اللصيق ، ولا شك ان الغاء الاستغلال تماما او اى نوع من انواعه. يستلزم الاقتناع الجماهيرى الواسع بكونه كذلك، وان يتحرك الشعب وسلطاته، وهذا اسلوب ديمقراطى اصيل يوثق الرباط بين العمل الثورى واصحاب المصلحة فيه ويحمى العمل ويصونه. وان صور الاستغلال تتضح للجماهير مع الوقت،ومع زوال الصور الاكثر حدة، تتكشف صور اخرى كامنة ونشيطة ، وتوعية الجماهير بأسس الاستغلال وضوابطه ومعاييره ، وتفاعل هذا الوعى بينها يكسبها الفكر الواضح اللازم لمسار حركتها،ويؤكد انتظامها المحدد المعبأ وراء الثورة واجراءاتها ، ويكسبها حصانة ضد البلبلة والانحراف ازاء ما تحاوله الرجعية من صرف مفهوم الاستغلال عن حقيقته وحقيقتها وربطه ببعض الظواهر الاجتماعية الهامشية .

ان مصدر الانتاج هو العمل، هو الجهد البشرى، والعمل مصدر الثروة القومية كلها ومصدر الدخل القومى السنوى. وعبارة ان مصر هبة المصريين صحيحة على اطلاقها. ومن ثم كان توزيع الدخل على اساس العمل الحقيقى المبذول هو الهدف النهائى، وهو مفهوم الاشتراكية الواضح البسيط، وهو ما يحقق الغاء استغلال الانسان للانسان والاستغلال هو الحصول على دخل بلا عمل او يزيد عن العمل . وقد يسمح المجتمع بالابقاء على بعض الدخول غير الاتية من العمل لفترات، حسب الملاءمات الاقتصادية والسياسية، ولكن ذلك لايخل بالهدف النهائى،وبمسار حركة الشعب،وبالمفاهيم

الجديرة بأن تسود بين الشعب . ولا شك ان الملكية الصغيرة المستندة الى العمل الشخصى بعيدة تماما عن الاستغلال .

ثانيا: والسمة الاساسية لتجربتنا ايضا، تتعلق بالسيطرة الشعبية على جميع وسائل الانتاج ، والرقابة الشعبية عليها. تلك حقيقة لايمكن المبالغة فى اصالتها ووثوق ارتباطها بنظامنا، وهى ما ينبغى التأكيد عليه وتعبئة الوعى الجماهيرى من اجلها. وترتكز هذه السيطرة اساسا على القطاع العام القوى القادر — المملوك للشعب، ولا يستثنى منها القطاع الخاص ولا الملكية الخاصة، بل هما خاضعان لسيطرة الشعب، وهما لا يستهدفان فى ذاتهما ، ولكن يتوسل بهما — فى الاطار المحدد لهما — كمؤسسات اجتماعية من اجل التنمية القومية ومن اجل تحقيق نتائج التخطيط الاقتصادى .

وما يستحق التأكيد هو عين هذه السيطرة، وهو ذات خضوع المؤسسات الخاصة لها واستمدادها مشروعيتها منها وانها محض تنظيم فى اطار الاقتصاد القومى العام الهادف الى التنمية من اجل الشعب كله .

ثالثا : ان التأكيد على فكرة الملكية الخاصة فى ذاتها، تقييم لا يصدق وصفا على تجربتنا الثورية التى هدفت وتستهدف بحق شمول السيطرة الشعبية كافة المؤسسات الاجتماعية. وكان هذا هو الجديد فيها لا انها اتت تحمى الملكية الخاصة فى ذاتها كهدف. كما ان هذا التأكيد يرسخ فى الاذهان ان الملكية الخاصة هدف فى ذاته، يورد بعض الكتاب فى تأكيده ما يحيله الى وثن يعبد ، ويحيطونه بدعاوى الحرية والكرامة والغرائز الانسانية والكفاية والاشتراكية والتراث والدين، مما يخرجه عن اطار التنظيم الاجتماعى الخاضع للشعب ويفرضه كقيمة علوية خارجة عن مجال البحث والمناقشة. ان الامر امر كفاية وعدل فحسب والاختيار يتعلق بمدى ملاءمة الانماط المختلفة للتنظيم الاجتماعى فى تحقيق هذين الهدفين، فى ظروف الزمان والمكان، مع الصدور عن خبرة شعبنا والاسترشاد بخبرة الشعوب الاخرى .

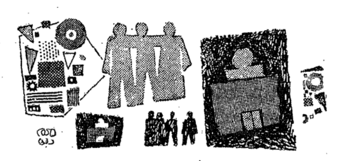
والتأكيد على فكرة الملكية الخاصة على هذا النحو، يدعم الاتجاهات الفردية المرتبطة بالمشروع الخاص، ويشيع روح العمل الفردى ، وينمى الاحساس والرغبة فى العمل المستقل المنعزل ، مما يتعارض مع قيم العمل الاشتراكى الجماعى ،ومع ما تمليه اساليب تقسيم العمل، خاصة المشروعات الكبيرة ذات الانتاج الاعلى. وان ما يستحق الدعم هو ما يطرأ على الملكية الخاصة ذاتها من تغييرات تستهدف ربطها بالوحدات الاقتصادية الاعم وخضوعها للاهداف المخططة بحيث انها لم تصبح حقا مطلقا لصاحبها ولا اصبحت فعلا علاقة بين مالك وشىء حسبما يعرفها فقهاء القانون .

وما يستحق التركيز ان مصالح العاملين من صغار الملاك مكفولة بالتأكيد .وهم جزء لصيق من قوى الثورة تستهدف فى اجراءاتها حمايتهم ورفع آثار القهر الماضى عنهم، ونقل جماهيرهم العريضة بقوتهم هم وعملهم ووعيهم الى مستويات المعيشة الارغد والدخل الاوفر . ومن اجل ذلك تنتظمهم الجمعيات التعاونية وتتبادل الدولة واياهم الرقابة والاشراف ومن أجلهم ومن أجل الشعب كله تنظم الدورات الزراعية والعمل بالالات والتجميع والزراعة التعاونية .. الخ .

وكذلك يستحق التركيز ماطرأ على حقوق العمال والمستأجرين للمساكن والاراضى من دعم وحماية واستقرار حتى لم تعد هى ذات الحقوق حسب المفهومات القديمة .

رابعا : باسم المحافظة على التراث والتقاليد ، يستهدف البعض تخليد ما ليس تراثا ولا قيما حقة من ظواهر الماضى، وان يظهر الامر كما لو كان فى حركتنا الثورية ما يشوب الحرص على المحافظة عليها. وان خبرة السنين الماضية تؤكد ان الثورة الاشتراكية بدأت من مواقع الثورة الوطنية دعما للاستقلال وتعميقا ، وادراكا للمضمون الجماهيرى له باعتباره سيادة للشعب العامل على مقدرات وطنه . والشعب خزانة القيم الحية فى تراثه . كما ان الامتداد العربى للحركة القومية فى مصر، سمة من سمات الثورة الحاضرة ، يتضمن تجسيدا حيا لقيم التراث. ولكن الفارق واضح بين التراث قيم الماضى الحية التى تدفع للامام بما يفيد فى خير الشعب ورفاهيته المستقبلة واصالة كفاحه، وبين اغلال الماضى وقيوده. وان يكون نوبار باشا مثلا، او البدراوى عاشور من تراثنا امر نأباه بكل عزتنا الوطنية .

خامسا: ان سمة هامة من سمات الحركة الثورية فى مصر، هى انفتاحها الفكرى الحق على كافة انماط الحلول لمشاكل المجتمع دون استبعاد، وصولا به الى هدفى الكفاية والعدل وانحيازا كاملا لصفوف الشعب واستهدافا نهائيا لالغاء استغلال الانسان للانسان .



الأيديولوجية الديمقراطية وصراع الطبقات فى مصر

عادل غنيم

لقد أحدثت التحولات الثورية التى شهدتها بلادنا تغيرات عميقة فى البنية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المصرى وفى علاقات القوى الطبقية ، كما أخذت تتغير مقولات المجتمع الأساسية : كالدولة والملكية ورأس المال والربح والبناء العلوى والقاعدة الاقتصادية .. الخ .

فتغيرت علاقة الدولة (البناء العلوى) بالقاعدة الاقتصادية (نتيجة للتأميمات الواسعة والاصلاح الزراعى) فلم تعد الدولة مجرد جزء من البنية العلوية للمجتمع بل أصبحت جزءا أساسيا من علاقات الانتاج اى من قاعدة المجتمع الاقتصادية ذاتها (ملكية الدولة لوسائل الانتاج الاساسية ونشأة القطاع العام) ومن ثم تغيرت طبيعة الدور الذى تلعبه الدولة فى حياة المجتمع فلم تعد تنظيما لسلطة الطبقات المالكة لوسائل الانتاج فحسب بل أصبحت أيضا عاملا جوهريا وحاسما فى عملية تكرار الانتاج الاجتماعى وهى اليوم تقوم بوظائف اقتصادية (التخطيط والتنمية الاقتصادية اى التصرف فى جانب هام من الفائض الاقتصادى) الى جانب وظائفها التقليدية (الدفاع والأمن والقضاء والخدمات الاجتماعية والتنظيمية) .

غير ان تصدى جهاز الدولة لتنظيم الانتاج الاجتماعى باسم المجتمع وباسم الشعب العامل فى المراحل الاولى للتحول الاشتراكى يخلق الاساس الموضوعى الذى يسمح باستقلال كبير نسبيا للعامل السياسى اى لجهاز الدولة عن الطبقات التى ينبغى ان يوضع فى خدمتها وهذا الاستقلال النسبى الكبير هو الذى يفسر لماذا تعد الاتجاهات البيروقراطية خطرا كبيرا وواقعيا فى المراحل الاولى من البناء الاشتراكى وخاصة فى ظروف التخلف المادى والثقافى وحيث تكون الطبقة

العاملة نفسها قليلة العدد وفى مستوى ثقافى وتكنيكى منخفض .

وفى ظروف الفراغ السياسى والتنظيمى الناشىء عن غيبة التنظيم السياسى الطليعى (الحزب الاشتراكى) فى هذه الظروف تقدمت الطبقات البرجوازية (بيروقراطية الدولة والبرجوازية الوطنية وبعض قطاعات البرجوازية الصغيرة) لتحتل بعض مواقع فلول الاقطاع والرأسمالية الكبيرة فى الاقتصاد والسياسة (مؤسسات القطاع العام ، التعاونيات ، الاتحاد الاشتراكى ، مجلس الامة ، وحدات الادارة المحلية فضلا عن تدعيم مراكزها داخل جهاز الدولة التقليدى) .

ومن الطبيعى ان تناضل تلك القوى البرجوازية نضالا مستميتا لابعاد العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين عن مواقع السلطة السياسية والاقتصادية وعن العمل السياسى ذاته ، فهى تعمل جاهدة للاحتفاظ بسيطرتها المنفردة ، وهى تدرك اليوم اكثر من اى وقت مضى المعنى الطبقى والثورى العميق لقضية بناء حزب اشتراكى حقيقى فى بلادنا يستند الى قاعدة صلبة من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ويهتدى بهدى الاشتراكية العلمية ويلتزم الميثاق برنامجا للنضال السياسى .

وتلك القوى هى التى تزيف قضية التنظيم السياسى وتشيع من حولها المفاهيم البيروقراطية والبرجوازية الصغيرة لتعزل التنظيم عن منابعه الثورية الحقيقية .

ولقد كان لتلك العمليات الاجتماعية المعقدة ولتطورات الصراع الطبقى فى بلادنا انعكاساتها على الصعيد الايديولوجي اى فى ميدان الوعى الاجتماعى وذلك بالنسبة لعديد من القضايا والمفاهيم الاساسية التى يدور حولها الصراع : كقضايا الديموقراطية والملكية والاشتراكية والقومية العربية . ومن الطبيعى فى هذه الظروف ان تحتل قضية الديموقراطية سواء فى مجال الصراع الايديولوجى او فى ميدان الممارسة العملية مكان الصدارة بين القضايا الراهنة للثورة الاشتراكية .

لقد اضحت قضية بناء صرح الديموقراطية الاشتراكية فى بلادنا اولى قضايا التحول الاشتراكى وهى تعنى فى الدرجة الاولى نقل مركز الثقل فى داخل تحالف قوى الشعب العاملة وفى سلطة الدولة من الطبقات البرجوازية الى الطبقات صاحبة المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية ، الى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين انها تعنى حرية الفكر والتعبير ، وحرية النقد والاجتماع والتجمع لتلك الطبقات . وترشح الحياة نفسها الطبقة العاملة لتحتل المركز القيادى فى بناء الديموقراطية الجديدة .

والديموقراطية الجديدة التى يتطلع اليها جميع الثوريين فى بلادنا ارحب واوسع افقا من الديموقراطية السياسية فهى تمتد الى ادارة وتنظيم الانتاج وهى لذلك ديموقراطية حقيقية وليست ديموقراطية شكلية .

ان الديموقراطية الاشتراكية هى شرط لا غنى عنه لانجاز مهام التحول الاشتراكى وهى ايضا الاطار التنظيمى الذى لا يمكن ان تتحقق التنمية الاقتصادية السريعة بدونه وفى هذا يقول شارل بتلهايم (١) :

« يجب الا ننسى فى الظروف الحالية للاقتصاد العالمى التى تجعل للدولة دورا غالبا فى البناء الاقتصادى للبلاد المتخلفة يوجد خطر معين هو خطر الوصول الى خلق نوع من راسمالية الدولة البيروقراطية لا يسير الى مدى بعيد وبالسرعة الكافية على طريق التنمية لعجزه عن تعبئة الجماهير مما يضطره الى الاعتماد على المساعدات المالية الخارجية الباهظة بسبب عدم كفاية التراكم القومى » . ذلك أن « البيروقراطية لا يمكنها ان تحصل من الجماهير على اقصى جهودها والبشر فى البلاد ذات النمو الاقتصادى البسيط أهم قوى الانتاج » . ومن هنا كانت الاهمية الفائقة للديموقراطية لبناء القاعدة الاقتصادية ذاتها فالتخطيط الاشتراكى يقتضى وجود هيكل تنظيمى يسمح للعاملين بالمشاركة الايجابية فى اعداد الخطة الاقتصادية وتنفيذها ، واذا لم يتوافر هذا الشرط لا يمكن أن يكون التخطيط عملا اجتماعيا ولا يمكن ان تتوافر له المساعدة والتأييد الفعال من قبل العاملين ويصبح بذلك عاجزا عن أن يستفيد بكل طاقات الاقتصاد » . (٢) « ومما لا يخلو من اهمية ان نشير هنا الى ان المشاركة الفعلية فى تحضير واعداد الخطة لم يتحقق حتى الان بطريقة تلقائية . لقد خضع العاملون خلال قرون عديدة لامرة من يملكون ولذلك لابد لكى نمكن الجماهير من أن تأخذ

(١) شارل بتلهايم — التخطيط والتنمية ص ٥٣ دار المعارف .
(٢) المرجع السابق ص ١٣

مقدراتها بايديها من ان تكتسب الثقة الكاملة بنفسها وأن تعى قوتها وما يضفيه عليها التنظيم من قدرة وهنا لابد من وجود طليعة نابعة من الجماهير نفسها وهنا يجب ان يجرى التسليح الفكرى للجماهير ولهذا السبب كان نشر الاشتراكية العلمية يلعب دائما دورا اساسيا فى بناء الاشتراكية » .

حول المنهج

واذا أردنا أن نحلل الصراع الايديولوجى فى مصر حول مفهوم الديموقراطية فعلينا ان نأخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية والذاتية التى اشرنا الى جانب منها تلك الظروف التى تشكل ارضية هذا الصراع وتحدد أساليبه واشكاله فبعد حل احزاب الطبقات الاقطاعية والبرجوازية وتنظيم الصحافة الرأسمالية وصدور الميثاق الوطنى واقامة الاتحاد الاشتراكى ، اتخذ الصراع الطبقى الايديولوجى اشكالا واساليب جديدة فلم يعد ذلك الصراع الصريح المكشوف الذى يعبر عن نفسه بكل وضوح وحدة فى الصحافة والمنابر الحزبية وانما أصبح يتسم بالتعقيد والتميع ، فالطبقات البرجوازية ترفع شعارات الميثاق وتنادى بالاشتراكية والديموقراطية ولكنها فى الممارسة والتطبيق تريد اشتراكية يزدهر فى ظلها المشروع الخاص وتنمو فى كنفها الرأسمالية وتريد ديموقراطية تضمن لها الانفراد بالسلطة والبروقراطية ترى الاشتراكية تأميما بلاديمقراطية ولا تمانع فى توسيع القطاع العام دون اطلاق مبادرة الجماهير وحرياتها فى النقد والتنظيم .

فى هذه الظروف لا يكفى تحليل ما يكتب وما يقال تعبيرا عن فكر الطبقات وصراع مصالحها فلابد ان نأخذ ايضا بعين الاعتبار نتائج تحليل الممارسة والتطبيق العملى سواء فى ميدان البناء السياسى او فى مجال البناء الاقتصادى لنكشف الغطاء عن الايديولوجية الحقيقية غير المعلنة التى تقف وراء الممارسة الواقعية ولنضع ايدينا على ما تعبر عنه تلك الايديولوجية من مصالح طبقية وسياسية فى المرحلة الراهنة من تطورنا .

ولعله من المفيد لتحليل الصراع الايديولوجى والعملى حول الديموقراطية فى مصر ولتحديد دلالاته الطبقية أن نتعرض لعدد من القضايا النظرية الهامة التى تشغل مكانا بارزا فى الاشتراكية العلمية وفى علم السياسة المعاصر .

● فنتناول ظاهرة رأسمالية الدولة باعتبارها احدى السمات البارزة لعصرنا عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية وما تنطوى عليه تلك الظاهرة من تغيرات هيكلية فى البنية الاقتصادية — الاجتماعية للدولة الحديثة وبالتالى فى بناء الديموقراطية المعاصرة وما ترتب على ذلك من تغيير فى مضمون الديمقراطية وفى دلالة الصراع الايديولوجى حولها .

● ثم نعالج قضية الطبيعة الطبقية للدولة وعلاقة الدولة بالطبقة او الطبقات التى تمثلها وظاهرة استقلالية الدولة .

● ونحلل الديموقراطية البرجوازية المعاصرة ، مضمونها الطبقى وكياناتها .

● والديمقراطية الاشتراكية وتناقضاتها .

رأسمالية الدولة

رأسمالية الدولة هى مجموع العلاقات الجديدة القائمة بين الدولة ورأس المال والتى تسمح للدولة بتوجيه العمليات الاقتصادية وتنسيقها وتخطيطها، ويختلف المضمون الاجتماعى لرأسمالية الدولة ودورها باختلاف طبيعة الدولة والمصالح الطبقية التى تمثلها اى باختلاف العلاقات الطبقية السائدة فى المجتمع (٣) .

ولقد عرف التاريخ المعاصر ثلاث نماذج رئيسية لرأسمالية الدولة .

● رأسمالية الدولة الاحتكارية .

● رأسمالية الدولة فى البلدان الاشتراكية .

● رأسمالية الدولة الوطنية .

رأسمالية الدولة الاحتكارية

لقد ولدت رأسمالية الدولة فى البلدان الرأسمالية

---

(٣) موريس دب — دراسات فى تطور الرأسمالية ص ٣٨٤ طبعة ١٩٦٣ روتلدج .

الصناعية المتطورة ابان الحرب العالمية الاولى كضرورة من ضرورات الحرب اى لاسباب خارجية فقد اقتضت ظروف الحرب ان تقيد الدولة راس المال الذى لم يعد علاقة انتاج مستقلة وأصبحت الدولة عاملا اقتصاديا مباشرا ولهذا اطلق اصطلاح رأسمالية الدولة فى البداية على مجموع التدابير التشريعية والادارية والتنظيمية التى اتخذتها الدولة للاشراف على الاقتصاد الحربى وتخطيطه وتنسيقه .

وما ان زالت مقتضيات الحرب حتى عادت الراسمالية فى تلك البلدان الى نفس الاسس التى كانت قائمة قبل الحرب . الى ان كانت الازمة الاقتصادية الكبرى عام ١٩٢٩ التى زعزعت قوائم النظام الراسمالى فلم تخرج البلدان الراسمالية المتطورة من تلك الازمة بنفس اسسها القديمة وانما باجراءات هيكلية غيرت من بنيتها الاقتصادية والسياسية فظهرت من جديد راسمالية الدولة فى تلك البلاد كقانون وكظاهرة نابعة هذه المرة من التناقضات الاقتصادية والطبقية للراسمالية الاحتكارية اى من نقاط ضعفها الداخلية (التناقض بين الطابع الاجتماعى لقوى الانتاج التى تتمثل فى التكنولوجيا المعاصرة وعلاقات الملكية الفردية لوسائل الانتاج وتفاقم الصراع الطبقى بين طبقات الشعب العاملة والبرجوازية الاحتكارية) لقد وجدت الراسمالية نفسها مرغمة على تكييف النظام الراسمالى بما يتفق والظروف الجديدة وذلك لضمان تكرار الانتاج الاجتماعى الموسع ولانقاذ مواقع راس المال وجوهر العلاقات الراسمالية ذاتها (الاستغلال الراسمالى) ومن هنا كانت ضرورة نقل بعض الوظائف الاقتصادية الى الدولة (نشأة القطاع المؤمم — التخطيط الراسمالى — تدخل الدولة فى علاقة الاجر — الربح — تزايد دور الدولة فى حقل الاستثمار فمثلا بلغ نصيب الدولة من الاستثمار فى بريطانيا نسبة تتراوح ما بين ٤٠ و ٥٠ ٪ من اجمالى الاستثمارات وفى اوربا الغربية يمر ثلث الدخل القومى تقريبا فى قنوات القطاع العام (٤) .

غير ان لجوء البرجوازية الاحتكارية لراسمالية الدولة وتدويلها بعض الوظائف الاقتصادية Etatisetion (التى كان يتولاها المشروع الراسمالى الخاص) كما يمكن ان يكون الجهد الاخر الذى تبذله للمحافظة على النظام الراسمالى يمكن ايضا ان يكون اول خطوة على الطريق الاشتراكى . (فرأسمالية الدولة تخلق وتهيىء وتنضج موضوعيا شروط الانتقال الى الاشتراكية) ، والامر فى النهاية رهن نتائج الصراع الطبقى .»

رأسمالية الدولة فى البلاد الاشتراكية

ان راسمالية الدولة فى مجتمع السلطة فيه لراس المال ورأسمالية الدولة فى مجتمع اشتراكى هما مفهومان متباينان كل التباين . ففى المجتمع الراسمالى تعترف البرجوازية براسمالية الدولة وتوجهها لصالحها وضد مصالح الطبقة العاملة وفى المجتمع الاشتراكى تسخر الطبقة العاملة راسمالية الدولة لصالحها وضد البرجوازية ومن اجل التغلب على مقاومتها ، ويرجع هذا الفارق الجوهرى الى اختلاف طبيعة السلطة .»

ان وجود راسمالية الدولة فى المراحل الاولى للتحول الاشتراكى يعنى استمرار وجود راس المال والاستغلال الراسمالى ، انها نمط من الاقتصاد الراسمالى تسمح به الطبقة العاملة وتستخدمه وتشرف عليه وتضيق نطاقه باستمرار باعتبارها الطبقة الحاكمة والمسيطرة فى الوقت نفسه على المواقع الاستراتيجية فى الاقتصاد الوطنى . وهو نمط من الاقتصاد الراسمالى يمارس الانتاج والاعمال التجارية وفقا لاحتياجات الدولة التى تقودها الطبقة العاملة .

وهنا يثار السؤال لماذا تسمح الطبقة العاملة براسمالية الدولة بعد أن اصبحت تملك زمام سلطة الدولة التى تقودها فى طريق الاشتراكية ؟ .»

ان ذلك يرجع فى الواقع الى سببين رئيسيين : الاول : ما يتميز به البناء الاقتصادى فى مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية من تعقيد فهو يتألف من عدة قطاعات (القطاع الاشتراكى والقطاع الراسمالى وقطاع الانتاج السلعى الصغير) والثانى : سيادة وغلبة الاقتصاد السلعى الصغير الذى يولد الراسمالية باستمرار وبصورة تلقائية وحتمية .

واذا كان من المستحيل نظريا وسياسيا منع الانتاج والتبادل السلعى الصغير والحيلولة دون نموه التلقائى المولد للراسمالية اذا كان ذلك مستحيلا

---

(٤) اتجاهات فى الراسمالية الاوربية — مجلة السلم والاشتراكية ص ١٥ عدد ١ لسنة ١٩٧٠ .

فما هو الحل اذن ؟ .. ان الحل يكمن فى ايجاد الطرق الصحيحة لتوجيه النمو التلقائى الحتمى للرأسمالية فى قنوات رأسمالية الدولة (مشروعات الاقتصاد المختلط والمؤسسات التعاونيــة) وفى ضمان تحويل رأسمالية الدولة فى المستقبل القريب الى الاشتراكية . ومعنى هذا ان رأسمالية الدولة فى البلاد الاشتراكية هي شكل اقتصادى انتقالى تستخدمه الطبقة العاملة فى مرحلة الانتقــال من الرأسماليــة الى الاشتراكيــة فى ظروف التخلف الاقتصادى .»

رأسمالية الدولة الوطنية

ويعرف التاريخ نموذجا جـديدا لرأسماليــة الدولة هو رأسمالية الدولة الوطنية وهذا النموذج الجديد من خلق الثورات الوطنية الجديدة الظافرة.

ان الشعوب التى استقلت حديثا والتى عــانت طويلا من الاســتغلال الرأسمالى الاســتعمارى ترفض طــريق التطور الرأســمالى وتتطلع الى الاشتراكية باعتبارها الطريق الوحيـد المفتــوح أمامها الى الحرية والتقدم والرخاء .

وهى تواجه نفس المشكلة التى واجهتها الثورات الاشتراكية والديموقراطية الشعبية وهى مشكلة قهر التخلف الذى يسود فيــه الانتــاج السلعى الصغير، والسيطرة على النمو التلقائى للرأسمالية.

ومن ناحية أخرى تشكل الرأسمالية الوطنية احدى قوى التخلف الوطنى المعادى للاســتعمار والاقطاع . ولذلك تلجأ تلك البلدان متأثرة بواقع تجــربتها الثورية ومستفيدة بالخــبرة التاريخية للتجارب الاشتراكية ــ الى رأسمالية الدولة .

ويتألف قطاع رأسمالية الدولة فى البلدان النامية المستقلة من القطاع العام (ويضم المشروعــات المملوكة للدولة ملكية كاملة والمشروعات المختلطة التى يشترك فيها رأس المال العام مع رأس المال الخاص) والقطاع التعاونى (فى الزراعة والتجارة والحرف حيث تتدخل الدولة من خلال التنظيم التعاونى لتطوير هذا القطاع) .

وتختلف رأسمالية الدولة الوطنية فى طبيعتها ودورها عن رأسمالية الدولة الاحتكارية من جهــة وعن رأسمالية الدولة فى ظل الاشتراكية من جهة أخرى . فرأسمالية الدولة فى البلدان التى تحررت تماما من السيطرة الاستعمارية هى نموذج من الرأسمالية المرتبــطة بالدولة الوطنيــة المستقلة المعادية للاستعمار وهى الاداة التى تمكن الشعوب المستقلة من بناء صناعاتها الوطنية وتطوير اقتصادها وتدعيم اســتقلالها الوطنى وهى لذلك ظاهــرة تقدمية . (٥)

ومن ناحية اخــرى تختلف رأسماليــة الدولة الوطنية عن رأسمالية الدولة فى البلاد الاشتراكية والديموقراطية الشعبية نظرا لاختلاف الاساس الطبقى للدولة .وينعكس هذا الاختلاف على طبيعة ودور رأسمالية الدول فى كل منهما . وكذلك يختلف المضمون السياسى والاقتصادى لرأسمالية الدولة الوطنية ذاتها باختلاف مراحل الثورة الوطنية التى يتلاحم فيها التحرر الوطنى من الاستعمار بالتحرر الاجتماعى من الاستغلال .

وتمثل رأسمالية الدولة الوطنية (القطاع العام والقطاع التعاونى) على الصعيد الاقتصادى وحده وصراع الطبقات الوطنية (العمــال والفــلاحين والرأسمالية الوطنية) وعلاقات القوى الطبقيــة ونتائج الصراع الطبقى هى التى تحدد طبيعة دور رأسمالية الدولة فى تلك البــلاد ومــا اذا كانت ستصبح اداة لتنمية الرأســمالية او طريقا الى الاشتراكية . وفى هذه الظروف التاريخية تكتسب قضية الديموقراطية فى البلدان النامية ابعادا جديدة وتصبح قضية حاســمة بالنسبة لمســار الثورة الاجتماعية ذاتها .

الطبيعة الطبقيــة
واستقلالها النسبى

الدولة هى التنظيم السياسى للطبقة المسيطرة اقتصاديا فهى مؤسسة طبقية ، ولكنها لســت اداة عمياء فى يد الطبقة التى تمثل مصالحها فهى تتمتع بنوع من الاستقلال النسبى ازاءها وتقف فى **الظاهر** فوق المجتمع. ويمكننا أن نوجز الاسباب التاريخية والموضوعية لاستقلالية الدولة فيما يلى:

(٥) موريس ضــب ــ دراسات فى تطور الراسمالية ص ٣٩٣ بومليدج طبعة ١٩٦٣

● ان بعض الامتيازات التى يتمتع بها جهاز الدولة واحتكاره للاكراه المنظم والمصالح الخاصة لبيروقراطية الدولة كل ذلك بفصل الدولة باعتبارها جهازا للسلطة العامة عن المجتمع . « ان المجتمع يخلق بعض الوظائف العامة التى لا يمكن ان يوجد بدونها ويشكل الناس الذين يؤدونها فرعا جديدا فى تقسيم العمل داخل المجتمع وهكذا تصبح لهم مصالح خاصة متميزة ايضا عن مصالح من عهدوا اليهم بالحكم ويصبح لهم استقلال ازاءهم ومن هنا تكون الدولة .. » (٦)

● تحمى الدولة مصالح الطبقة الحاكمة عن طريق النظام القانونى التى تفرضه وتكفل حمايته لا عن طريق التدخل المباشر فى كل حالة بعينها الى جانب هذا الفرد أو ذاك من افراد الطبقة المسيطرة ومن هنا يصطبغ عملها «بصبغة موضوعية » لمجرد أنه يتم فى حدود القانون وهذا يبدو واضحا عندما يكون المجتمع متطورا .

● وتتجلى استقلالية الدولة بصورة خاصة فى ظروف التوازن النسبى بين القوى الطبقية المتناحرة (الملكية المطلقة ، البونابرتية فى فرنسا ونظام بسمارك فى المانيا) .

وقد تشكلت فى عصرنا ، عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية عدة عوامل موضوعية عززت الاتجاه الموضوعى لاستقلال الدولة النسبى اهمها :

● اصابة السلطة الاجتماعية الواقعية للبرجوازية بالضعف نتيجة للازمة العامة للنظام الرأسمالى وبسبب الاتجاه الى اقامة توازن فى علاقات القوى الطبقية بين الطبقة العاملة والبرجوازية فى البلدان التى لم يطوح فيها بعد بالنظام الراسمالى وتعزيز مركز جهاز الدولة « بوصفه حكم » مستقل نسبيا .

● اصبح نشاط الدولة الاقتصادى فى البلدان الرأسمالية المتطورة عنصرا اساسيا فى آلية تكرار الانتاج الاجتماعى كما تجمع عدد ضخم من الوسائل المادية فى يد جهاز الدولة الذى اصبح يتصرف فى جانب هام من الدخل القومى .

● تكامل الحياة الاجتماعية بسرعة ويقتضى هذا التكامل وجود ادارة مركزية لعدد متزايد من الشئون الاجتماعية وبالتالى نشأة وظائف جديدة لميادين جديدة لنشاط الدولة (التعليم والبحث العلمى الصحة والمواصلات والمشاكل المتعلقة بالحياة الحديثة) .

● الاستعدادات الشاملة للحروب الشاملة واخضاع العديد من مظاهر الحياة الاجتماعية للاحتياجات العسكرية والخطط الاستراتيجية .

● انشاء التكتلات العسكرية والاقتصادية الدولية يؤدى بالضرورة الى تدعيم سيطرة الدولة ويزيد من خضوع المجتمع لسلطتها (تأثير الحرب الباردة والتنافس الاقتصادى الدولى وسباق التسلح بين الكتل) .

● تكامل الحياة الاجتماعية على الاسس الرأسمالية ونشأة المنظمات ذات البنية الهرمية كالشركات المساهمة الرأسمالية الاحتكارية والتنظيمات التعاونية والاحزاب السياسية الكبيرة والمنظمات الاخرى المشابهة وهذا كله من شأنه تعزيز الاتجاهات البيروقراطية حتى فى قطاعات الحياة الاجتماعية التى لا تخضع لسيطرة الدولة المباشرة وتجد الدولة لنفسها حلفاء خارجها ودعما اجتماعيا واسعا . (٧)

وتبرز على مسرح الحياة الاجتماعية المعاصرة ثلاثة اتجاهات رئيسية تؤثر فى مسار الاتجاه الاساسى للتقدم الاجتماعى : اتجاه رأس المال الخاص « الكلاسيكى » الى تقديم اقل قدر ممكن من التنازلات للاحتفاظ بمواقعه الاساسية واتجاه بيروقراطية الدولة الى توسيع وتأييد اشكال رأسمالية الدولة فى ادارة شئون المجتمع واتجاه الطبقة العاملة وكافة القوى الاشتراكية الى العمل على التشريك المستمر لوسائل الانتاج والى تطوير الديموقراطية الاشتراكية المباشرة لوضع حد للرأسمالية الفردية ، ولرأسمالية الدولة لحكم البرجوازية ووصاية البيروقراطية . فاذا كانت البرجوازية تقف فى وجه بيروقراطية دولتها مستندة الى القوة الاجتماعية للملكية الخاصة فان السلاح الرئيسى فى يد الطبقة العاملة للتصدى لبيروقراطية الدولة الاشتراكية هو توسيع الديموقراطية .

---

(٦) رسالة انجلز الى شميدت فى ٢٧ اكتوبر سنة ١٨٩٠ ــ المراسلات المختارة لماركس وانجلز ص ٥٠٣

(٧) مشاكل الدولة الحديثة . . موضوعات للنقاش ــ مجلة المشاكل الراهنة للاشتراكية عدد اكتوبر / ديسمبر ١٩٥٩ ص ١٦٩ .

الطبيعة الطبقية للديمقراطية

لم تخف الطبيعة الطبقية للديموقراطية على مؤسسي علم السياسة الذين عرفتهم الفلسفة اليونانية القديمة وان خفيت على الكثيرين من المفكرين البرجوازيين المعاصرين . فأرسطو يصنف النظم السياسية واشكال الدولة تصنيفا طبقيا عندما يقول :

« حينما تستمد الحكومة سلطتها من الاغنياء سواء أكانت اقلية ام اغلبية فهى حكم الاوليجارشية ، وعندما يحكم الفقراء فهى الديموقراطية . . » ووضع ارسطو يده على الحقيقة الجوهرية فى الديموقراطية القديمة عندما كانت فى أوجها وهى : المساواة الشكلية بين البشر الاحرار واستبعاد الطبقة المستغلة أى الغالبية الساحقة من الحياة العامة .

لقد كان روسو ومنتسكيو ولوك وغيرهم من منظرى الديموقراطية البرجوازية الكبار يعتقدون انهم قد اكتشفوا ــ بما أطلقوه فى عصرهم من الافكار عن الحرية والديموقراطية السيادة الشعبية ــ المبادىء الازلية لتنظيم المجتمع والتى تتفق مع الطبيعة البشرية ومع تطلعها القديم الى الحرية والمساواة . وعلى الرغم من ان تلك الافكار كانت « عامة » ومضادة لحركة التاريخ فقد كانت تعبر بأمانة عن الظروف التاريخية التى قادت فيها البرجوازية ثورتها ضد الاقطاع . لقد كانت البرجوازية فى تلك المرحلة طبقة ثورية صاعدة وكانت فى حاجة الى ايديولوجية قادرة على جذب الجماهير وتحريكها وتعبئتها تحت رايتها الخاصة فى نضالها ضد الاقطاع والامتيازات الاقطاعية ومن أجل اقامة الدولة القومية البرجوازية الموحدة فى هذه الظروف التاريخية المحددة رفعت البرجوازية عاليا علم الديموقراطية والحرية .

لقد ازدهرت الايديولوجية الديموقراطية والافكار الليبرالية البرجوازية فى مرحلة توسع الرأسمالية، فقد كانت الحكومات البرجوازية قادرة على تقديم التنازلات الاقتصادية والسياسية للجماهير العاملة « اذ ان ما تقدم عليه الحكومات وقتئذ من تنازلات لا يمس مساسا خطيرا امانى اولئك الذين يسيطرون على وسائل الانتاج ذلك أنهم يكونون حينئذ على استعداد لدفع ثمن مايقوم عليه النظام الرأسمالى من افتراضات . الا ان الامر يختلف اختلافا تاما عندما تصبح الرأسمالية فى طور انكماش ويصبح ثمن ما يتوقع ان تقوم به الديموقراطية من تنازلات مرتفعا للغاية وحينئذ تتناقض الافتراضات التى تقوم عليها الرأسمالية مع ما تتضمنه الديموقراطية من أسس ، ومن ثم يصبح من الضرورى اذا ما امتد طور الانكماش هذا ، اما ان تلغى الوسائل الديموقراطية او ان تتغير الافتراضات الاقتصادية التى يرتكز عليها المجتمع . والقول بأن هذا التحليل دقيق انما يؤكده ظهور ونمو الحركة الفاشية» (٨) .

ولهذا لاينبغى ان نبحث عن تفسير اى شكل من اشكال الديمقراطية فى مبادئها العامة ، وانما فى العلاقات الطبقية التى تقوم عليها ، وتعبر عنها .

حدود الديموقراطية البرجوازية وكيف تعمل

اذا حللنا آليات الديموقراطية فى المجتمع الرأسمالى فاننا نجد انها مبنية بطريقة تضمن تحويلها من ديموقراطية شكلية للجميع الى ديموقراطية واقعية للاقلية أى ديموقراطية للبرجوازية .

● ان هيئة الناخبين هى الدعامة الاولى لاى نظام ديموقراطى نيابى « انها الشعب صاحب السيادة الذى يعبر بالتصويت عن ارادته وهو الذى يقرر مصير القضايا الاجتماعية ، انه مصدر جميع السلطات هذا ما يعلنه ويردده الفكر السياسى البرجوازى ولكن هذا المفهوم النظرى يخضع فى الواقع لقيود طبقية لشرط النصاب المالى بالنسبة لحق الانجاب والقيود المتعلقة بالسن والجنس) .

وبصرف النظر عن تلك القيود فالمفارقة صارخة بين المكانة التى تحتلها « هيئة الناخبين » فى النظرية الدستورية والدور الذى تلعبه فعلا فى تسيير دفة الحكم . فمن الناحية الواقعية يقتصر دور الشعب « صاحب السيادة » على ممارسة حقه فى أن يختار مرة كل أربع او خمس سنوات حكومة من بين الساسة البرجوازيين المحترفين .

وهذا لا يعنى بحال من الاحوال التقليل من اهمية حق الانتخاب فهو بلا شك أهم مكسب حقيقى

(٨) هارولد لاسكى ــ الدولة فى النظرية والتطبيق ص ١١٣ ترجمة احمد غنيم وكامل زهيرى ــ دار النديم .

اتنت به الديموقراطية البرجوازية وهو فى نفس الوقت علامة على حدود تلك الديموقراطية .

والبرلمان هو الدعامة الرئيسية الثانية للديموقراطية البرجوازية وهو المؤسسة التى ينقل اليها الشعب «هيئةالناخبين» اثناء «الطقوس الانتخابية » حقه فى السيادة على حد قول رجال الفقه الدستورى البرجوازى ولكن الواقع يقول شىء آخر تماما فما ان ينتخب البرلمان حتى يصبح مستقلا عن هيئة الناخبين ، ومن هنا كان البرلمان خطوة هامة لابعاد الحكم عن منابعه الديموقراطية الشكلية . وهذه الحقيقة يسلم بها اليوم بعض مفكرى البرجوازية امثال ريمون ارون الذى يقول :

« بعد انتهاء الطقوس الانتخابية وباستثناء بعض البلاد القليلة كسويسرا التى لاتزال فيها بعض عناصر الديموقراطية المباشرة — فان الشعب صاحب السيادة يستبعد من اللعبة ان صح التعبير »

● وتعد الاحزاب السياسية فى النظام الديموقراطى البرجوازى عاملا جديدا يضيق المعنى الديموقراطى للبرلمان باعتباره هيئة نيابية منتخبة انتخابا مباشرا فالاحزاب البرجوازية الكبرى اذ تضع نفسها بين الناخبين وممثليهم تحول العلاقة بينهما الى علاقة غير مباشرة وشكلية .

وفى ظل النظام الحزبى البرجوازى تحتكر الاحزاب الكبرى النشاط السياسى وتتحول حياة البلاد السياسية الى صراع حزبى على السلطة .

وتختلف الديموقراطية البرجوازية عن غيرها من اشكال حكم البرجوازية فى انها تقرر مبدأ مسئولية السلطة التنفيذية امام البرلمان باعتباره أعلى سلطة نيابية ولكن هذه المسئولية تتحول الى مسئولية شكلية فى ظروف نمو رأسمالية الدولة وتركز سلطة الدولة الواقعية فى يد بيروقراطية الدولة البرجوازية .

هكذا تعمل آلة « الديموقراطية البرلمانية » فى ظل الرأسمالية لتدعيم السيطرة الفعلية للبرجوازية . ولهذا يمكننا ان نقول ان الديموقراطية البرجوازية هى شكل لدولة البرجوازية انها ديموقراطية للرأسمالية ودكتاتورية ضد الطبقات العاملة . ووظيفة المؤسسات الديموقراطية على اختلافها (الاحزاب السياسية والبرلمانية الخ) هى فى واقع الامر حل التناقضات بين مختلف فئات البرجوازية (اعادة توزيع فائض القيمة فيما بينها عن طريق الميزانية والضرائب وسياسة الانفاق العام والاسعار) .

الديمقراطية الاشتراكية

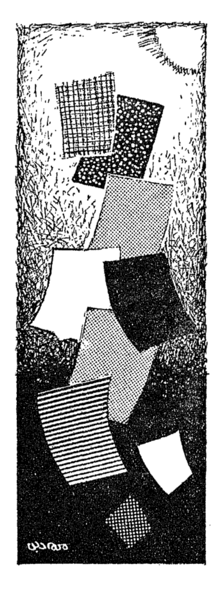
اما الديموقراطية الاشتراكية فتتميز بقاعدتها الاجتماعية العريضة التى تضم جميع قوى الشعب العاملة فهى ديموقراطية لكل قوى الشعب العاملة ولقوى الثورة الاشتراكية كلها ديموقراطية للاغلبية وهى فى نفس الوقت دكتاتورية ضد قوى الثورة المضادة ضد الاقلية المعادية لمصالح الشعب .

وفى ظل الديموقراطية الاشتراكية تتمتع الجماهير بحرية الفكر والتعبير والتنظيم بحرية الاجتماع والتجمع . والديموقراطية السياسية الواسعة فى النظام الاشتراكى هى الانماء الذى لا غنى عنه لمعالجة التناقضات فى صفوف الشعب ولتحقيق وحدته السياسية والايديولوجية فى مواجهة قوى الثورة المضادة .

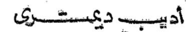
ومن ناحية اخرى يستخدم تحالف قوى الشعب العاملة سلطة الدولة (العنف المنظم) لحل التناقضات العدائية بين قوى الثورة الاشتراكية والقوى المناهضة للثورة .

وتختلف الديموقراطية الاشتراكية عن جميع صور الديموقراطية التى عرفها التاريخ فهى ليست مجرد تنظيم لسلطة الدولة السياسية يقتصر على دائرة السياسة والقرارات السياسية وانما تمتد الى صميم علاقات الانتاج ذاتها أى الى دائرة الانتاج والقرارات الاقتصادية وتتسع لتشمل جميع قطاعات الحياة الاجتماعية . وهذا هو جوهر التجديد الذى ادخلته الثورة الاشتراكية على مفهوم الديموقراطية : ولهذا فمن الطبيعى الا تقتصر الديموقراطية الاشتراكية على الالية البرلمانية للسلطة التى عرفتها النظم الرأسمالية تحت اسم « الديموقراطية البرلمانية » والا تحولت الى ديموقراطية شكلية تخفى وراءها سلطة البيروقراطية ومن هنا كانت الاهمية الحاسمة للادارة الذاتية الاجتماعية وللتيسير الذاتى العمالى .

هذه هى بعض القضايا النظرية الهامة رأينا انه قد يكون من المفيد التعرض لها قبل التصدى لتحليل الصراع الايديولوجى حول مفهوم الديموقراطية فى مصر ودلالاته الطبقية ، وهو ما سوف نتناوله فى العدد القادم .



الفكر الفلسفى وصراعنا الاجتماعى



أديب ديمترى

التيارات التى تتجاذب الفكر الفلسفى فى بلادنا فى المرحلة الراهنة ، اوسع من ان يحيط بهـا مقال ، ولكننا سنختار اكثر التيارات تعبيرا عن الصراع الدائر، ونكتفى بتحديد المعالم الرئيسية دون الدخول فى التفاصيل . ونفضل ان يكون العرض من خلال كلمات المفكر نفسه ما امكن ، لانها عادة ابلغ دلالة فى التعبير عن فكر صاحبها .

ولا شك ان المرحلة الراهنة تتميز بصراع فكرى نشط وحاد ، نحس بنبضه فى كافة ميادين الفلسفة والادب والفن . ولعل الموسم المسرحى الماضى قدم لنا نموذجا مجسما ومتحركا لهذا الصراع على خشبة المسرح ، وفى المعارك العديدة التى دارت بين الكتاب والنقاد حول المغزى الفكرى للمسرحيات التى شدت اهتمام الجمهور . والاخطر من هذا ان اجهزة النشر والاعلام ، حتى التابع منها للدولة مباشرة، اصبح يعكس بصراحة ووضوح هذا الصراع ، وليس ادل على ذلك من سيل المطبوعات التى لايضبطها ضابط ، ولا يربطها خط واضح او مفهوم .. الكتاب الاشتراكى الى جانب المعادى للاشتراكية .. المادى الى جنب المثالى والوجودى والوضعى والبراجماتى والماركسى فى صف واحد ، الى الحد الذى حدا بالدكتور **زكريا ابراهيم** ان يقرر فى عرضه لتيارات الفكر الفلسفى فى عهد الثورة فى عدد يوليو سنة ٦٤ من مجلة المجلة « اصبح فى وسعنا أن نتلمس فيما وراء شتى النزعات الوجودية والمثالية والروحية والوضعية المنطقية والمادية الجدلية وما الى ذلك .. ميولا فكرية متقاربة ، نبعت من صميم كياننا العربى ، وعملت على ايجادها ظروفنا الاجتماعية المشتركة . وليس على مؤرخ الفلسفة اليوم — سوى أن يتجاوز الافكار الفلسفية الخاصة التى يتعصب

لها انصار كل مذهب ، حتى يستشف تلك الميول الفكرية العميقة التى تجمع بين اصحاب الدعوات المختلفة » .

فهل هذا صحيح ؟ ! أصحيح ان هذه النزعات الفكرية والفلسفية المتضاربة ، المادية الجدلية والوضعية والوجودية والروحية تمثل ميولا فكرية متقاربة ؟ ! الواقع ان هذا الفهم خاطىء وضار ، فليس الصراع بين الفلسفات مجرد صراع بين مذهبيات وتعصبات يمكن تجاوزها . بل هو بالضرورة انعكاس للصراع الاجتماعى الحاد ، الذى يدور بين القوى الاجتماعية على النطاق العالمى والمحلى ، وجزء من المعركة الشديدة فى كل مكان بين قوى التقدم والرجعية . فان حدة الصراع وضراوته فى بلادنا على كافة الجبهات لم تعد تخفى على احد .

ولا شك ان مراحل التحول والانتقال تتميز بالضرورة بشدة الصراع وحيويته وتعدد المدارس الفكرية والمذاهب الادبية والفنية ، وقد يكون من الخير فى مثل هذه المراحل ان تتفتح اكثر من زهرة فى داخل اطار الفكر الثورى والطبقات الثورية ، فمن المستحيل ان تكون الطبقات الثورية التى يضمها تحالف قوى الشعب العاملة من فكر واحد ومذهب واحد ومشرب واحد . ويؤكد الميثاق هذه الظاهرة الصحية عندما يشير الى ان تجربتنا مفتوحة الابواب غير مغلقة ولا منعزلة . صحيح ان الفكر بالذات والفلسفة غير السياسة لايجوز فيه الجبهة او التحالف ، لان الحقيقة لاتتعدد ، ولا تحتمل الحلول الوفاقية ، ولا التنازلات ولا الالتقاء فى منتصف الطريق .. الحق ما طابق الواقع وغيره باطل وليس من طريق ثالث .. ولكن القوى الاجتماعية الاساسية الثورية فى تحالف قوى الشعب العاملة تتفق حول مبادىء وحقائق اساسية عن الثورة : حتمية الثورة وحتمية الحل الاشتراكى ، ومفاهيم الاستغلال والملكية ، والعلم والاشتراكية العلمية ، ومبادىء الاقتصاد الاشتراكى ، ولكنها فى حاجة دائما الى مزيد من الحوار العميق والودى لاجلاء وتحديد المزيد من الحقائق ، وبلورة ايديولوجية واضحة المعالم للثورة تخدم تقدمها واستمرارها . على ان هذا الحوار الودى شىء ، والصراع الضارى ضد الافكار والفلسفات المعادية التى تفرزها الطبقات المخلوعة شىء آخر .

ولا شك ان العديد من الفلسفات التى تروج اليوم ، برغم الرطانة الاشتراكية الزائفة ، هى فلسفات معادية يتعين كشفها ودحرها ، ومانريده اليوم اكثر من اى وقت مضى هو ان نصوغ الميزان الدقيق والمعيار الذى يميز بين الازهار والاشواك ، بين الافكار والفلسفات المتقاربة والمعادية .. ينبغى ان نملك الميزان الذى يحمى قوى الشعب العاملة من ضيق الافق والتعصب الاعمى من جانب ، وفى نفس الوقت يمنح هذه الطبقات الثورية اكبر قدر من الوضوح والوعى والادراك لمواقع عدوها .

العالمية والمحلية

والتيارات الاساسية التى سنعرض لها هى الوضعية المنطقية والبراجماتية والوجودية ودعوى الحياد الفلسفى او الواقعية الجديدة لدى ممثليها فى بلادنا على وجه الخصوص . واذا كانت هذه الفلسفات ذات اصول وجذور ودلالات عالمية فى المحل الاول ، فهذا لايمنع من ارتباطها بواقعنا ومن امتزاجها بالصراع الاجتماعى الدائر . لان معركتنا الثورية لاتنعزل عن واقع الثورة فى العالم كله ، وعن صراع الفلسفات والافكار الذى يعبر عن هذا الواقع فى اطاره العالمى او المحلى .

اين تقف هذه الفلسفات ؟

وحتى نضع ايدينا على الخط الذى يربط هذه الفلسفات ، ومركزها من الحركة الثورية عالميا ، او فى واقعنا المحلى ، سنتتبع افكار ممثليها الرئيسيين خاصة فى تطبيقاتها الاجتماعية التى تكشف عن حقيقة مواقعها وراء التجريدات والافكار والمبادىء الخلابة . وقد يفيد التنبيه هنا الى حقيقة نظنها بديهية ، منعا لاى لبس ، فعندما نناقش الفلسفات فى بلادنا ليس لنا ان نحاسب المفكرين عن نواياهم او ضمائرهم بل فقط عن افكارهم وفلسفاتهم ، ودلالاتها الاجتماعية كما نراها : اى مصالح واى طبقات اجتماعية تخدم فى واقع الامر ، واين تقف من الصراع الاجتماعى بصرف النظر عن انتماء المفكر والفيلسوف الاجتماعى او مصلحته الذاتية .

لا يمين ولا يسار ... لارجعية ولا تقدم

يتساءل الدكتور **زكى نجيب محمود** المعبر الرئيسى عن الوضعية المنطقية او كما يسميها التجريبية العلمية : هل فى الفلسفة يمين ويسار ؟ ويجيب : « اخلص من هذا كله الى نتيجة اراها محتومة حتما ، وهى ان ليس هناك فواصل فارقة فى ميدان الفلسفة بين يمين ويسار ... على انى اتصور تشكيلات من الفكر كثيرة ،

كلها جائز الحدوث ، فاتصور ان يكون الرجل اشتراكيا فى نظرته الاقتصادية والاجتماعية ، فردانيا فى أدبه وفنه ، مثاليا أو تجريبيا فى فلسفته. او ان يكون المواطن اشتراكيا فى نظرته الاولى ، ثم يحدث ان يكون مصورا تجريديا او سيرياليا او تكعيبيا او ما شئت ان يكون ، هل هناك تناقض فى ان اصحو مع الناس مشاركا اياهم فى زراعة وصناعة وفى انتاج وتوزيع ، ثم انفرد وحدى فى حلم اشطح به مع خيال مبدع خلاق » (١)

ومعنى الايكون فى الفكر الفلسفى يمين ويسار .. فلسفة تقدمية او رجعية، ان الفلسفة لا علاقة لها بالصراع الاجتماعى ، وانها مجرد شطحات او تجريدات مقطوعة الصلة بالواقع . ولاندرى كيف تستوى فلسفات الامبريالية ، وفلسفات الشعوب المناضلة ضد الامبريالية ، فلسفات المستغلين والمناضلين ضد الاستغلال ؟ ! واى مصلحة فى اخفاء مواقع الرجعية فى الفلسفة والفكر ؟ !

ولا حتمية للثورة او للتاريخ

« احدى اثنتين : اما ان التاريخ محتوم المسار، وبذلك لايكون فى خطواته جديد بيديه واما ان يكون فيه « الجديد » يظهر مرحلة بعد مرحلة وبذلك لايكون محتوم المسار .

ان الحتمية لاتتفق مع «ارادة التغيير» لانه مع الحتمية لاتكون ارادة من جانب الانسان ، اذ لايبقى لهذا الانسان ازاء تطور التاريخ . الا ان « يتفرج » على مايحدث له وللمجتمع وللطبيعة على حد سواء » (٢)

وعندما يصطدم بحتمية الحل الاشتراكى فى الميثاق يلجأ الى تفسير طريف هو ان الحتمية المقصودة هنا هى حتمية وسيلة وليست هى حتمية ممتدة على مراحل التاريخ « نشأت حتمية الوسيلة من مصادفة حرمتنا الحرية الاجتماعية، فكان لزاما علينا ان نتصدى لها ، وكان من الجائز الا يتسلل الى حياتنا المستبدون والمستغلون والمستعمرون » .

ولا مجتمع

« المصرى كلمة ليست لها فى ذاتها مدلول فيما عدا الافراد الذين هم مصريون والذين لكل منهم اسم خاص به » (٣)

وتصل الوجودية الى نفس النتيجة باعطاء الحقيقة كلها للفردية المنعزلة ، وبالتالى القضاء على المجتمع «الوجود الحقيقى هو وجود «الفردية» والفردية هى الذاتية . .وهذه الذات اذا فردية الى اقصى حدود الفردية، وهذه الفردية المطلقة اوهذا الانا،هو اذا الوجود الاصيل الذى اصدر عنه فى كل افكارى وافعالى ، وهى حينئذ فى حالة عزلة كاملة » (٤)

لا أخلاق

ليس هناك حق ولا باطل ، فضيلة ولا رذيلة « ان كلمة «حق» « وكذلك كلمة باطل » لاتدل على شىء فى عالم الواقع ولذلك فهى رمز بغير مرموز اليه ، ليس هناك كائن معين اسمه « حق » بحيث اراه أو المسه أو أحمله على كتفى » (٥) .

واذا فيستوى الحق والباطل طالما كانت هذه الالفاظ بلا مدلول وتصبح الاخلاق فردية وينتفى القانون الخلقى وعلم الاخلاق كعلم موضوعى يكشف عن القيم التى تعبر عن مصالح الطبقات المختلفة والظروف الموضوعية لنشأة القيم .

وتنهج الوجودية نفس النهج فيتساءل الدكتور **عبد الرحمن بدوى** فى كتيب صغير بعنوان « هل يمكن قيام اخلاق وجودية ؟ والجواب بالنفى القاطع «لما كانت الوجودية تقوم فى جوهرها على اساس فكرة الذات المنفردة ، المتوحدة المنعزلة ، المنفصلة فان التقويم لابد فيها ان يكون ذاتيا ، وقد راينا ان التقويم الذاتى مستحيل . اذا فالوجودية ينتفى معها التقويم الموضوعى وبالتالى لايمكن ان تقول بأخلاق » .

وتسلك البراجماتية نفس الطريق عندما تعتبر معيار القيم هو النجاح ، فما يؤدى الى

---

(١) مجلة الفكر المعاصر — مارس سنة ١٩٦٦ .
(٢) الفكر المعاصر — مايو — ١٩٦٥ .
(٣) نحو فلسفة علمية : د. زكى نجيب محمود .
(٤) دراسات فى الفلسفة الوجودية : د. عبد الرحمن بدوى .
(٥) نحو فلسفة علمية : د. زكى نجيب محمود — راجع ايضا خرافة الميتافيزيقا لنفس المؤلف .

نجاح او منفعة فهو الفضيلة والحق ، وما يؤدى الى فشل فهو الرذيلة والباطل ، وبذلك يصبح مرد القيم الخلقية هو رغبات الذات ، وينتفى كل معيار موضوعى للاخلاق .

ماذا تعنى هذه الفلسفات؟ التى ترفض حتمية التاريخ وبالتالى حتمية الحل الاشتراكى ، وهو ما يعنى رفض معالجة التاريخ كعلم ، وتلغى وجود المجتمع ووجود القيم ؟ عمن تعبر ؟ وعن اى مصلحة تتحدث ؟ وفى اى جانب تقف ؟ مع التقدم والثورة ، ام مع الطبقات ذات المصلحة فى وقف الثورة والارتداد بها ؟ علينا بملاحقتها لنجد الجواب

العالم ألفاظ ورموز

ولا يتسع المجال لتتبع مصادر الفلسفة الوضعية بشكل مستفيض فى صورتها الذرية المنطقية فى فلسفة **راسل ووتجنشتين** ، او الوضعية المنطقية فى فلسفة **دائرة فينا** فلسفة **موريس شليك وكارناب**، ونركز اساسا على ترجمتها المصرية فى فلسفة زكى نجيب محمود ويسمى مذهبه التجريبية العلمية .

والفلسفة عنده كما هى عند فلاسفة الوضعية المنطقية ليست نظرة شاملة الى الوجود والعالم، او وجهة نظر سواء كانت مادية اومثالية ،وليست منهجا فى علاج مشكلات الحياة ، ليست شيئا من هذا كله كما عرفتها الانسانية منذ اليونان القدماء ، بل هى مجرد علم للغة وظيفتها الوحيدة توضيح عبارات العلم ، واى كلام عن الكون بأسره حتى قولك ان كل شىء فى الوجود مادى ، هو ضرب من الميتافيزيقا، واى حديث عن مبدأ عام او حكم عام او معنى مجرد كلام فارغ لامعنى له ، وكل قضية لاتشير الى شىء معين نمسكه بأيدينا ونحسه بحواسنا لا تعنى شيئا ، ومن هنا تنتهى الفلسفة بمفهومها المعروف وعلى حد تعبير شلنج « لن تكتب كتب فى الفلسفة بعد اليوم » ، وينصرف البحث الفلسفى الى التحليل المنطقى للغة ، ويصبح عالم الفيلسوف هو عالم اللفظ والرمز وحده . على الفيلسوف ان يترك العلوم لاصحابها لا شأن له بأى مما يقوله العلم او بأحكامه ، وليس له ان يناقش عالم فى علمه ، واى محاولة للخروج من نتائج العلم بنظرة شاملة الى الكون والمجتمع اوبمنهج فى علاج المشكلات هو ضرب من الميتافيزيقا .. ويسمى زكى نجيب محمود هذا المذهب فى الفلسفة ثورة ! !

مشكلات الفلسفة غموض فى الالفاظ

« اننا نحن التجريبيون العلميون لعلى يقين بأن ماقد جرى العرف على تسميته بمشكلات فلسفية ان هو الا غموض فى استخدام الرموز اللفظية ، ولو استقام لهذه الرموز استخدامها لتبخرت تلك المشكلات فى الهواء وزالت » (٦)

.. ومعنى ذلك ان الصراع بين الفلسفات والمذاهب والافكار منذ القدم ، لايخرج عن كونه صراع لفظى .. الصراع بين فلسفات الاسياد والعبيد ، الاقطاعيين والاقنان ، الراسماليين والعمال مجرد صراع الفاظ ! ! وتحت نفس العنوان صراع القيم ، الصراع حول الحق والعدل والحرية والسلام لايعدو صراع الفاظ ! ! حتى لاصبح علم معانى الكلمات كما يقدمه الوضعيون مذهبا شاملا لخلاص البشرية . ففى كتاب بعنوان **« استبداد الكلمات » لستيوارت تشيز** يرى أن سوء استخدام اللغة هو المسؤول عن الشرور الاجتماعية والصراع الاجتماعى!!فالناس لايتحدثون بكلام لامعنى له فحسب، بل يقاتلون بعضهم بعضا بسبب هذا الفهم السيء للغة، من اجل الفاظ فارغة : أرض الاجداد .. الاستغلال .. الراسمالية .. الاشتراكية .. الشيوعية الخ . ولابد ان يبدأ الاصلاح الاجتماعى باصلاح اللغة ! ! اى حل سعيد تقدمه هذه الفلسفة للامبريالية الامريكية وللرجعية فى كل مكان .. الصراع بين جونسون وشعب فيتنام .. الصراع ضد الامبريالية والرجعية والتخلف ، لامعنى له .. صراع الفاظ ! !

حقيقة العالم

« هذا العالم الذى نعيش فيه قوامه حوادث، واعنى بالحوادث ما تحسه الحواس من لقطات متتابعة كلمعان الضوء ولمسات الاصابع ونبرات الصوت ، فكل شىء نقول عنه انه ذو

(٦) نحو فلسفة علمية : د. زكى نجيب محمود .

كيان واحد متصل لفترة من الزمن تطول او تقصر كهذا القلم الذى بين اصابعى ، وهذه الورقة التي اكتب عليها ، وتلك الشجرة والشمس والقمر ، كل شىء من هذه الاشياء ليس فىحقيقة امره كيانا واحدا متصلا كما تتوهم ، انما هو اذا حللت الموقف الى عناصره الاولية البسيطة ، حادثات يتبع بعضها بعضا،كلشىء من هذه الاشياء هو سلسلة حالات او قل سلسلة من الظواهر والذى يخلع عليه الواحد به هو مابين تلك الحالات من روابط وعلاقات (٧) ، وهذه الروابط والعلاقات عند الوضعيين هى فى حقيقتها لغوية .

والدكتور زكى نجيب محمود بالرغممن اعترافه بوجود الاشياء الخارجية واعتباره ان الصدق فى القضية معياره اشارة اللفظة الى شىء بعينه امعانا فى الحسية والواقعية والعلمية ، يعود ليلغى وجود الاشياء فى حقيقة الامر لان القضاء على وحدة الاشياء ، على وحدة الوجود المادى وتحويله الى فتات متناثر من احساساتنا يعنى ان وجود الاشياء اصبح فى الذهن وفى اللفظ لافى الشىء الخارجى نفسه وفى العالم الموضوعى.. وهو مايعنى الغاء حقيقة الكون الموحدة واحالتها الى الذات .. لايعود الفكر تعبيرا وانعكاسا لحقيقة مادية موضوعية ولاشياء مادية مقومة لها وحدتها وكيانها الموضوعى المنفصل عن ذواتنا ، بل مجموعة احساسات جزئية تستمد وحدتها من العقل . ومعنى ذلك ان الدكتور من حيث يريد ان يكون واقعيا شديد الواقعية يرتد الى تهشيم الواقع والغائه والسقوط من جديد فى المثالية الذاتية وهو المذهب الذى يجعل الوجود تابعا لمعرفته وشيئا من اختراع الذات وخلقها .. العالم اذا والمجتمع لاحقيقة لهما الا فى عباراتنا .. اى مصلحة تخدم هذه الافكار ، وعمن تعبر ؟ !

وجود العالم الخارجي مجرد احتمال

وهل يمكن ان يقوم دليل بعد ذلك على وجود العالم الخارجى ؟ اذا كان العالم قد تحول الى هشيم وفتات ، ولا يستمد تركيبه ووحدته الا من العقل واللغة فأى دليل على وجوده ؟ ليس من دليل الا على وجود احساساتنا ذاتها : ولماذا نصر على حتمية وجود العالم ؟! «لماذا نصر على حتمية ويقين حيث لا حتمية ولا يقين » (٨) وجود العالم امره مرجح فحسب ، مسألة محل شك !

نفى الحتمية والضرورة

واذا لم يكن ثمة يقين بوجود العالم المادى ، ولا يقين فى علمنا بالطبيعة ، فان الاضطراد وعلاقة السببية والضرورة فى الطبيعة والمجتمع ليست سوى وهم من أوهام عقولنا «فلاالزام فى الطبيعة ولا وجوب .. كل ما فى الامر اقتران بينالحوادث تضطرد أو لا تضطرد ، فان اضطردت كان قانونا والا فهو من قبيل المصادفة » (٩) وهكذا فان فيلسوفنا لم يلغ حقيقة العالم ووجوده ، بل والغى حقيقة القانون العلمى بالتبعية .

أين هذا من منطق العلم ؟ !

اذا تحول الوجودالى فتات فىالذهن ، مجموعة اضواء واصوات ولمعانات فقدت الاشياء وجودها المادى الحقيقى الموضوعى .. واذا اصبحت المعرفة ما يشير اليه هذااللفظ اوالقضيةبالاصبع، ما يدل عليه مؤشر الترمومتر أو مقياس الصوت .. وانتفت المعانى الكلية المجردة : معانى البرودة والسخونة والصلابة والمادة والانسان والمجتمع، فقد العلم كل اساس له ، واستحال وجوده ، لان العلم يعنى الوصول الى القانون والمبدأ ، الى العام والمجرد من خلال استقراء الجزئى ، والعلم بالقانون هو علم بحركة الاشياء وعلاقتها العلية الضرورية ، واذا الغيت الضرورة انهار كلاساس للعلم ، وتحولت الحقيقة الى حقيقة الالفاظ والتراكيب اللفظية كما تفعل الوضعية ، والواقع أن الفلسفات الرجعية عموما — وليستالوضعية فيها بدعا — تركز كل نيرانها على هدم الضرورة ، والدكتور زكى نجيب يوجه كل اهتمامه فى كتاباته الفلسفية والاجتماعية على وجه الخصوص لهدم مفهوم الضرورة فى العلم .

ومحصلة هذا كله .. محصلة هذه النظرة تجميد الاشياء ووقف حركتها مهما اكد فيلسوفنا ان الاشياء مجموعة حالات واحداث متعاقبة ، وان كل شىء فى تغير وصيرورة . لانه اذا كان معيار

---

(٧) نحو فلسفة علمية : د. زكى نجيبمحمود .
(٨) ، (٩) نفس المصدر

الصدق هو اشارة العبارة الى هذا الشيء او ذاك بالذات ، فقد عزلنا الاشياء وجمدناها داخل العبارات ، واصبح العلم مجموعة صيغ مجمدة وليس علما بقوانين الحركة والتغير وهو جوهر العلم .. وهذا دأب الفلسفات الرجعية دائما .. الفلسفات الرجعية عموما وفلسفات الطبقات الراسمالية الكبيرةوالاحتكارية علىوجهالخصوص في عصرنا ، والوضعية على رأسها ، تضع هدفا اساسيا لها الغساء الصيرورة والتغير وتجميد الظواهر مهما تحدثت بعكس ذلك ، والقضاء على مفاهيم الضرورة وتزييف معنى السببية لانها فلسفات تدافع عن الجمود وتعادى التغييروالثورة وتفزع من العلم بمفهومه الشامل لانه يكشف عن حقيقة نظامها الاجتماعي وتناقضاته الداخلية وفساده وحتمية زواله كنظام استغلالى .

الوضعية في التطبيق

وخصوم الوضعيةالمنطقية يأخذون علىالدكتور زكي نجيب انصرافه عن معالجة مشكلات الحياة ، وهو يرفض هذا ويؤكد انه ملتزم بمعالجةمشكلات الناس ، ولكن بطريقته هو ، طريقة المفكر والفيلسوف لا طريقة الصحفى او الاديب او العالم المتخصص ، وهو ما يعنى به الانصراف عن معالجة مشاكل الواقع الى تحليل اللغة وتراكيبها .. ونحن نتفق معه فهو في الحقيقة لا يكف في كتاباته عن معالجة مشكلاتنا ليفرض عليها منطقه . ومحور اهتمامه ليس هدم الميتافيزيقا ولا التصدى للغيبيات كما تدعي فلسفته ، بل شغله الشاغل تفنيد المادية الجدلية، والتصدى لتيار الماركسية ، وهدف نيرانه التى لا تهدأ مفهوم الضرورة والحتمية وبالاخص في المجتمع والتاريخ وهو حجر الزاوية في أي نظرية ثورية تبغى فهم قانون حركة المجتمع لتغييره وتخطيط مساره ، وهو ما تعنيه الثورة الاشتراكية على وجه التحديد . وفيلسوفنا يلغى هذا كله ليستبدله بمفاهيم الصدفة والحرية بلا حدود ولا قيود ، والعالم بلا نظام ولا قانون .. العالم كما تريده البرجوازية المنهارة لتفرض عليه قانونها ونظامها الاستغلالىتحت دعاوى الحريةوالارادةو القانون.

وفي مقال لهبعنوان (طراز من الفردية جديد) (١٠) يطبق فلسفته الذرية والتفتيتية أن صح هذا التعبير ، ويدعو الى ان نغير نظرتنا الى الانسان وسائر الكائنات «فنجعل الفرد خطا مفصلا من حوادث ، كل حادثة منها متصلة بغيرها بمجموعة من علاقات» »وفلسفة جديدة تساير العلم الجديد قوامها تذويب«الجوهر الفرد»الىاحداث سلوكية كل حدث منها لا يفهم الا وهو جزء من مجال ، مرتبط بموقف» وهكذا تصبح الشخصية خطا متصلا منحوادث وسلسلة من الاحداثالسلوكية وهذا الفهم وثيق الارتباط بالنظرة البراجماتية للانسان كما سنراها،والتى تحول سلوكالانسان الى سلسلة ردود افعال لمواقف طارئة .. انها فلسفة احلال التصرف الانتهازى محل السلوك الواعى والشخصية المتكاملة .

ومرة اخرى يردد نفس المفهوم في مقال له عن ارادةالتغيير(١١)«المهمفيارادةالتغيير أننعرف ماذا نغير في حياتنا وكيف نغيره ، والذى نريد له ان يتغير هو القيم التى نقيس بها اوجه الحياة وكيفية تغييرها هى ان نختار لكل موقف معيارا» واستطرادا لنفس الخط يدافع عن التخصص الضيق ويرفض أى نظرة فلسفية شاملة فليس للفيلسوف أن يشتغل بغير اللغة»وهل تلومالحداد على انه لا يبيع اللحم» والواقع ان السمة البارزة في كل المذاهب الوضعية هى التجزىءوالتخصيصى لانهم يخشون النظرة الشاملة والوعى الشامل بحركة الاشياء والمجتمع .

وضعية أخرى ... البراجماتية

ويقدم لنا الدكتور **فتحى الشنيطى** البراجماتية باعتبارها الفلسفة العلمية « البراجماتية تتوخى أن تدخل في الفلسفة المنهج العلمى والتجريبى الذى انعقد له النصر وثبتت صحته» . ولا ينسى أن يروج لفلسفة وليم جيمس»لو كان«جيمس»بيننا اليوم لتطلع للمستقبل ولعمل على تنمية آرائه ، فهو أول من يؤمن بالتقدم ، واول من يذهب الىان الفلسفة الحقيقية هى الفلسفة المتفتحة الفعالة التى لا تصدر حكما نهائيا قاطعا » (١٢) .

أما وليم جيمس فيقدم لنا فلسفتهفي صراحة كأى تاجر يدعو لبضاعته حتى الفاسد منها«اما البراجماتية فعلى أستعداد لأن تتناول أى شيء ، لان تتبع اما المنطق واما الحواس ، وأن تعطى وزنا وحسابا لاكثر الخبرات تواضعا وذلة واكثرها

(١٠) الفكر المعاصر — عدد فبراير سنة١٩٦٦ .
(١١) الفكر المعاصر — عدد يوليو سنة١٩٦٥ .
(١٢) وليم جيمس — وفتحى الشنيطى

شخصية . انها تعتمد الخبرات الصوفية اذا كانت لها نتائج عملية ، انها لا تتحرج من اعتبار اله يعيش فى صميم نجاسة الواقع الخاص او الحقيقة المخصوصة : اذا كان ذلك يبدو انه المكان المرجح أن نجده فيه » (١٣) .

« ان محكها الوحيد للحقيقة هو ما يؤدى وظيفته على احسن وجه فى سبيل قيادتنا والاخذ بيدنا ، وما يلائم كل جزء فى الحياة على احسن وجه » (١٤) .

« ان البراجماتية تفك جمود كل نظرياتنا وتلينها وتجيل يبسها الى طراوة وغضاضة ، وتمرس كل واحدة منها على العمل ، ولكونها ليست شيئا جديدا جوهريا ، فهى تتناغم مع كثير من الاتجاهات الفلسفية القديمة » (١٥) .

والحقيقة اننا فضلنا ان نقدم المذهب من خلال كلمات وليم جيمس نفسه وهو المؤسس الحقيقى للمذهب بعد بيرس والمعبر القدير عن مبادئه ، ان جاز أن نتحدث فى البراجماتية عن مبادىء .

ويتحدث عن مذهبه البراجماتى فيقول « انه اتجاه تحويل النظر بعيدا عن الاشياء الاولية ، المبادىء ، النواميس ، الفئات ، الحتميات المسلم بها ، وتوجيه النظر نحو الاشياء الاخيرة ، الثمرات النتائج ، الاثار ، الوقائع ، الحقائق » (١٦) .

الحقيقة

وليست الحقيقة تعبيرا عن واقع مادى موضوعى منفصل عن ذواتنا ، بل الفكرة فى نظر بيرس مؤسس المذهب لاتعنى سوى الاثار والنتائج الحسية المترتبة عليها ، هى مجرد قاعدة للعمل والتصرف ، وهى عند جون ديوى اداة ووسيلة لتحقيق الغايات ومواجهة المواقف المشكلة ، ومحك الحقيقة والصدق ليس مطابقتها للواقع بل نجاحها وقضائها للمصلحة ، ويعبر وليم جيمس عن المعنى بطريقته الصريحة « اى فكرة نستطيع ان نمتطى صهوتها ـ ان جاز هذا التعبير .. وبحيث تعمل فى أمان ، وتوفر الجهد والعمل هى فكرة صحيحة الى هذا الحد ، صحيحة بهذا القدر » (١٧) « كل شيء هنا الى حد ما مرن وعجينى » (١٨) .

الحقيقة إذا ذاتية مردها الى الفرد والذات والمنفعة رغم كل التاكيدات بالعلمية والواقعية .

تزييف العلم

والواقع ان هذا المذهب يحمل كل سمات الوضعية التجريبية الجديدة ، يبدأ من حيث يعترف بالواقع والتجربة والعلم ، ويؤكد ان كل شيء متغير ونسبى ، ويهاجم القيم والنظم المطلقة والجامدة كما تعبر عنها المثالية التقليدية ، ومن هنا تأتى جاذبيته الشديدة ومسحته العلمية الكاذبة . ولكنه سرعان مايتحول عن العلم ليعكف على تحطيم اساسه .. يلغى حقيقة العالم المادية والموضوعية ، ويحول الافكار الى مجرد ادوات لتحقيق الغرض ، لا يهمها تقصى الواقع فى شيء . همها النجاح والتوفيق باى ثمن . وتحول المواقف الى ردود افعال وحلول موفقة لمشاكل جزيية وطارئة ووسيلة للتكيف مع البيئة . وبذلك تنتفى المبادىء والقوانين العامة والنظريات ويتعذر فهم المجتمع وحركته ومساره ، يتعذر الوعى على الانسان ..

واذا كان كل شيء متغير ونسبى فى دعاوى البراجماتية ، فهذا لا يفهم بمنطق العلم بمعنى ان قانون الطبيعة والمجتمع هو الصيرورة والحركة وان العلم هو علم بقوانين هذه الحركة بل تفهمه بمعنى ان لاحقيقة لشيء ولا مبدأ ولا قانون .. كل شيء مآله الى الشك .. الى رغبات الفرد والذات .. والواقع ان هذه الفلسفات الوضعية هى فلسفات تجهيل لانها بنظرتها الذاتية تنتهى فى الحقيقة الى استحالة معرفة العالم والغاء العقل ، فهى فلسفة الطبقات الراسمالية الكبيرة التى اصبحت تعادى العقل والبراجماتية بالذات تعبير صريح ومصفى عن الراسمالية الامريكية لا تشوبه شوائب المذاهب الاوربية التى تتأثر بدرجة أو بأخرى بفلسفات الاقطاع ، وهو تعبير فج عن رغبتها فى النجاح وتحقيق السيطرة باى وسيلة لا تثقلها قيمة من القيم حتى ولو كانت اقطاعية .

والدعوة الصريحة الى هذا المذهب فى بلادنا وان لم تتعد دائرة فرانكلين وبعض المنتفعين بها ، الا ان نفوذه ووضعه يختلف عن الوضعية المنطقية المعزولة داخل اسوار الجامعات . فالبراجماتية لها تراث خطير فى بلادنا فى ميدان التربية ، حتى ليكاد يعرفها ابناؤنا وبناتنا واطفالنا فى المدارس ، فقد سيطرت سيطرة تامة منذ الحرب العالمية الثانية على النظرية التربوية ممثلة فى نظرية جون ديوى

(١٣) البراجماتية : وليم جيمس ـ ترجمة د. محمد على العريان
(١٤) ، (١٥) البراجماتية : وليم جيمس...
(١٦) ، (١٧) ، (١٨) نفس المصدر .

من خلال مدرسة اسماعيل القبانى التربوية،وبذلك حققت موقعا هاما للنفوذ الفكرى الامريكى الاستعمارى فى بلادنا منذ ذلك الحين.وقد وقفت المدرسة القبانية الى جانب الرجعية ضد كل التيارات العقلية والمتقدمة وناصرت تضييق التعليم وعزله عن ارضيته الاجتماعية وبذرت مفهومات برجوازية ورجعية فى التربية.نشرت طرقا فى التربية تضعف من قيمة العلم والمعلومات النظرية ، وتدعو الى مجرد النشاط والحركة بلا وعى ، وساهمت مساهمة كبيرة فى افساد المناهج الدراسية وخاصة القومية فى التاريخ والجغرافيا والعلوم واضعفت المستوى العلمى بدعوى تخفيف المناهج ، ولا تزال مهمة استئصال نفوذ هذه المدرسة الرجعية يواجه الثوريين .

أنا هو العالم

ونعرض الان للتيار الوجودى فى الحدود التى عرف بها فى بلادنا منذ الاربعينيات كتيار رجعى سمته البارزة معاداة الفكر الاشتراكى ونختار ممثله الكبير الدكتور عبد الرحمن بدوى الذى يستمد جذور فلسفته فى الاساس من الفلسفة الالمانية الرجعية(١٩)، ولا يعنى هذا بالطبع انكارنا للدور الرائد لاستاذنا عبدالرحمن بدوى فى خدمة الفكر الفلسفى عامة وفى نشر التراث الفلسفى الغربى على وجه الخصوص

هذه الفلسفة تجعل نقطة البدء فيها مبحث الوجود والوجود الانسانى المتفرد والمعزول ، ومحور اهتمامها تحقيق الوجود الانسانى من خلال الفعل والحرية والمسؤولية ،وترفض العقل كوسيلة للمعرفة وتدعو للحياة المتوترة والتجربة الحية من خلال معاناة الوجود ومعايشته

ونكتفى هنا بنقل صورة من مذهب الدكتور عبد الرحمن بدوى على لسانه من الخلاصة التى قدمها تحت عنوان « خلاصة مذهبنا الوجودى»

الوجود الحقيقى

انما الوجود الحقيقى هو وجود الفردية ، والفردية هى الذاتية ، والذاتية تقتضى الحرية .

الذات ... فردية الى اقصى حدود الفردية ، وهذه الفردية المطلقة ، او هذا الانا ، هو اذا الوجود الاصيل الذى اصدر عنه فى كل افكارى وافعالى . وهى حينئذ فى عزلة كاملة وحيدة مع مسؤوليتها الكاملة،شاعرة بأن لها معنى لانهائيا ، شعور يصدر اليها من كون حريتها المطلقة» (٢٠)

« الوجود الحق اذا هو هذا الوجود الذاتى ، أما الوجود الموضوعى اعنى الوجود بين الموضوعات والحياة على غرار الموضوعات فوجود زائف ، لانى لا اكون فيه مالكا لذاتى بقدر ماتكون الاشياء مالكة لى . والسقوط يأتى من الاتصال بأكبر عدد من الموضوعات فالشرف فى مرتبة الوجود يتناسب تناسبا عكسيا مع الاتصال بالغير او بالاشياء » (٢١) .

ضد العقل

ان الشعور بالوجود لايكون قويا عن طريق الفكر المجرد ، لان الفكر المجرد انتزاع للنفس من تيار الوجود الحقيقى ، انما يتم هذا الشعور فى حالة التجربة الحية التى نستطيع فيها ان نكون على اتصال مباشر فى الوجود فى توتره ، وهذا انما يتم بملكة خاصة غير العقل » (٢٢) .

اللامعقول واللاعليه

مذهبنا هو ان الوجود مكون من ذرات منفصلة تمام الانفصال،قد غلق من دونها كل باب يفتح مباشرة عن الاخرى ، ولا سبيل بعد هذا للاتصال الا عن طريق الوثبة من الواحد الى الاخرى .

ولكى نفهم كيف تتم الطفرة على هذا النحو لابد من القول بفكرتين اللامعقول .. الجبرية العلمية قد عفا عليها ، ولم تعد ثمة وسيلة لتفسير التأثير عن بعد الا بالقول بنوع من الطفرة.

لا قانون ولا أخلاق

« القانون هو الصيغة التى يتواضع الناس عليها »

---

(١٩) هذا التيار كما نعرضه فى معزل بعيد عن التطورات التى طرات على فكر سارتر والتى تقترب به من الفكر الاشتراكى ، فضلا عن مواقفه الانسانية والتقدم والنضالية الكبيرة دفاعا عن قضايا الحرية والسلام
(٢٠) دراسات فى الفلسفة الوجودية :د. عبد الرحمن بدوى .
(٢١) ، (٢٢) نفس المصدر .

« الوجودى الحق هو المتوحد الاكبر الـذى لايحرص على شيء قدر حرصه على المسافات ، على هذا الانفصال الدائم، على ان يكون استثناء، بينه وبين القاعدة عداوة مستحكمة ، فلا سبيـل مطلقا الى زوالها . اعدى اعدائه القانـون ، وكل ما يسوى بينه وبين الناس على اى نحـو كانت هذه التسوية » (٢٣) .

ونكتفى بهذا القدر لضيق المجـال ، ولا ندعى بالطبع اننا اعطينا صورة وافيـة عن المـذهب وانما قصدنا فقط الى استكمال لوحـة الفكـر الرجعى . ولا شك ان هذا المذهب فى صـورته الفردية والذاتية الصارخة ، ومعاداته الصريحة للعقل ، ولكل ماهو عام واعترافه بالجزئى وحده يسكن نفس القلعـة التى تسكنها المـذاهب الوضعية الحديثـة وان لم ينتمى اليها ، قلعـة الرأسمالية المنهارة التى تفزع من العقـل ومن القانون ومن الحقيقة فى صورتها الشاملة ، لانها تفزع من الخطر المقبل خطر الاشتراكية العلمية.

البحث عن السراب فى الفلسفة .. حياد فلسفى

وفى الازمة الطاحنة التى تأخذ بخناق الفكـر البرجوازى الرجعى عالميا ومحليا ، وتدفعه الى مسالك ودروب مسـدودة ، يطارده العلم وهو سلطان العصر بمنطقـه المادى الـذى لايغلب ومعالجته الموضوعية والجـدلية ، ويكشف عن حتمية زوال نظامه الراسـمالى الامبريالى .. ويضعف من مراكزه افتضاح الفلسفات الاقطاعية الغيبية ، والتيارات المثالية المفضوحة التى تنكر صراحة وجود العالم ، ويقف عاجـزا امام تيـار الاشتراكية العلمية الكاسح وفلسفتها الجـدلية بمنطقها العلمى وانعكاساتها الاجتماعية،والتحامها بالحركة الثورية العالمية . . تقف الفلسـفات البرجوازية الرجعية فى عصرنا امام هذا كلـه عاجزة ، تبحث عن مهرب تخفى فيـه مواقعها الرجعية .. ولا تجد لعبة سوى لعبـة الطريق الثالث ، الطريق الوسط بين المثالية والمادية .. جميعها دون استثناء ، الوضعية المنطقية بفرقها والبراجماتية والوجودية والواقعية الجديدة تدعى انها ضد المثالية وضد الماديـة ، وانها تقف فى الصراع الكبير بين المذهبين ، صراع العصر موقفا وسطا .

وتأتى مدرسة الحياد الفلسفى او الواقعيـة الجديدة لتنطق هذا كله بلغة صريحة ومباشرة.. يقدم لنا الدكتور **يحيى هويدى** فلسفة هذه ، وهو يعتقد انه يخلصنا من صراع العصر ومشاكلـه جملة ، من المادية والمثالية معا.. من الراسمالية والشيوعية كليهما ، من مشاكل الفرد والمجتمع، الحرية والضرورة ، لكل آلام العصر يقدم حلـه السعيد !!

وهو يبدأ من محاولة نقل مفهوم الحياد الايجابى فى السياسة الى نطاق الفلسفة ، ويستغل كل جاذبية هذا الشـعار ، وما اسهمت بـه هذه السياسة الثورية فى دفع حركة التحرير الوطنى وفى المحافظة على السلام .. ولـكن الغـريب الا يدرك الدكتور يحيى هويدى الفارق الجوهرى بين السياسة والفلسفة والعلم ، فاذا جـاز فى السياسة الالتقاء فى منتصف الطريق ، وقبـول الحلول الجـزئية الوفاقية ، والتنازلات فى اطار المبدأ والتعايش بين النظم ، فان هـذا فى نطاق العلم ، وفيما يتصل بالحقيقة مسـتحيل .. فى السياسة يمكن ان يجتمع رسل الوضعى وسارتر الوجودى الى جانب الشيوعيين ضـد عـدو مشترك هو الامبريالية ، ولكن هذا لايعنى بحال تعايشـا بين الافكار او توفيقا او تلفيقا بـين الفلسفات..بل الصراع بينها حتمى،حتمية الصراع بين الحقيقة والباطل .. ماذا لو تصـورنا ان العلم مدعو الى ان يقف على الحياد بين نظريتين، نظرية تقول ان الجنون علته الشياطين والاسياد واخرى تقول أن اساسه المخ والاعصاب والتكوين النفسى .. فى العلم نحن بازاء حقائق موضوعية لاتحتمل الطريق الثالث لانها اما صواب او خطأ والحقيقة لا تتعدد . ومن هنا فان دعوى الحياد فى الفلسفة مضللة تخفى حقيقة الصراع الدائر ولا تفيد سوى اخفاء مواقع العدو .

ولذلك تميزت الفلسفة التى يقدمها يحيى هويدى تحت هذا الاسم بطابع التوفيق تأخذ من الوجودية والبراجماتية والمادية ولا تصل الى شىء يقول أن فلسفته فلسفة المواقف ضد المذاهب . وفلسفة الوجود ضد المعرفة ، فلسـفة المـواقف لانها لا تتقيد بمبادىء اومذاهب او نظريات مسبقة ، وانما تبدأ من مشكلات الواقع لتتخذ فيها موقفا، والبراجمـاتية لم تدع لغير ذلك ، وزكى نجيب محمود لم يدع لغير ذلك ، والوجودية تكاد تفعل نفس الشىء فى مفهومها عن الفعل وتغرق جميعها فى انتهازية مفضـوحة بانكارها لدور النظـرية والقانون والمبدأ العام . وهو يدعو الى ان نبدأ من الوجود لا المعرفة بمعنى رفض النظـريات

(٢٣) هل يمكن قيام اخلاق وجودية :د. عبد الرحمن بدوى .

المجردة والوجودية ايضا فعلت ذلكلتلغى المعرفة والعقل جملة وتنتهى الى ضروب من التجـربة الصوفية .

والعقدةالاساسيةالتى تحرك فكر يحيى هويدى وتطارده هو الفزع « من المذهبية » التى لاتعنى فى نظره سوى الجمود والانغلاق والعبـودية ، والحقيقة انه يخضع لكل الاوهام التى اشاعتها الفلسفات الرجعية فى صراعها ضـد الجـدلية والاشتراكية ودعاواها بأن المادية تعنى سـلب الحرية والغاء ايجابيـة الانسان ونفى الـذات لحساب الموضوع وما الى ذلك ، ولا شـك ان الفزع من المذهبية والجمود له اساسه ، فلطالما اغلق الانسان نفسه داخل فلسفات شامخـة جوفاء ، ولكن هذا لا يعنى بحال ان كل مذهبية جمود .. فالاشتراكية مثلا مذهب وفلسفةوتيار، فهل يعنى هذا ان الاشتراكى بالضرورة جامد ؟ ! الامر لاشك يتوقف على نوع المذهب والفلسفة.. هل هى فلسفة علمية حقيقية ؟ اذا فهى مـع التقدم وضد الجمود والانغلاق ، ام هى معادية للعلم وبالتالى جامدة . وموقف يحيى هويدى من كل مذهبيـه شبيـه بموقف الوضعيين من رفض كل تعميم وتجريد بدعوى انه ميتافيزيقا ثم لاتلبث حتى تسقط من جديد فى الميتافيزيقا .

والواقع ان فلسفة الحياد تحمل كل قسمات فكرية البرجوازية الوطنية ومثقفى البرجوازيـة الصغيرة الخاضعين لنفوذها،فهى تمقت الاستعمار والاحتكار وتخشى الشعب ، تعادى الامبـريالية وترتعد من الاشتراكية ، فهى ضد الشرق وضد الغرب ، ضد المادية وضد المثالية ، تجرى وراء وهم الحياد ولكنها لا ترقص سـوى رقصة الطير المذبوح وتقف بفكرها هذا احتياطيا للرجعية .

ومع ذلك ففيما عدا دعوى الحياد فان العديد من الافكار التى يقدمها هويدى ، خاصة تمسكه بواقعية وموضوعية العالم الخارجى اقرب الى منطق العلم واقل معاداة للجدليـة من دعـاة الوضعيـة والبراجمـاتية والوجـودية ، ونقده الصادق للوضعية فى كتابه « ماهو علم المنطق » تعبير عن هذا الاتجاه وهـو لايرفض الضرورة والحتمية بشكل قاطع كما تفعل بقية الفلسفات الرجعية ، وفى تقديرنا انه فى تفكيره الاخير يتنبه الى خطر دعوى الحياد ويعترف ان الحياد بين الاشتراكية والرأسمالية يعنى بالضرورة المهادنة مع الرأسمالية وفلسفتها المثالية .

اين تقف كل هذه الفلسفات فى الصراع الكبير بين قوى الثورة والتقـدم وقـوى الاسـتغلال والاستبداد والامبريالية .

والعلم بطبيعته مادى يقوم على المبادىء الاتية :

● الاعتراف بوجود العالم المادى منفصـل عن ذواتنا وهو الاساس ونقطة البدء

● والوجود المادى حقيقته التغير والحركة . الحركة شكل وجود المادة .. والوجـود ليس مجموعة اشياء بل مجموعة عمليات .

● هذا التغير والحركة تجرى وفق قوانـين موضوعية وتحكمها الضرورة العلمية .. والعلم هو معرفة قوانين الحركة والتغير، علم بالضرورة فى الطبيعة والمجتمع ومن هنا تأتى قدرة العلـم على التغيير بامتلاكه لهذه الضرورة .

العلم بهذا المفهوم هو بعينه الجدليـة ، فهى لاتخرج عن كونها فلسفة العلم بهذا المضمون .. معرفة الاشياء والافكار فى ترابطها وحـركتها ونشأتها وزوالها .. وعلى نقيضها تقف المثالية.. لا تمت الى اسمهـا بصلة ، فهى ليست فلسفة للمبادىء او القيم ، بل هى الفلسفة التى تعادى العلم ، تلغى وجود العالـم المادى ، ومن ثمـة تلغى القانون العلمى والضرورة لتجعل العالم ونظامه من صنع الذات . فهى فلسفة تجهيـل وعماء لانها فلسفة طبقات تخشى حركة الواقع ، وتخشى العلم بهذا الواقع لانه يكشف عن حتمية زوالها .

الصراع بين العلم واعدائه،هو صراع العصر، وهيهات ان يفلت منه انسان او فلسفة او يعلو عليه ، مهما ادعت الفلسفات انها فوق الماديـة والمثالية .

وما هو المعيار الذى نقدمه للثورة والتقدم فى مجال الفلسفة والفكر ؟ وهو السـؤال الذى طرحناه بادىء ذى بدء .. معيارنا الوحيـد هو العلم وتياره ، وعلى قدر القرب من حقائق العلم الاساسية فى الطبيعة والمجتمـع تكون ثـورية الافكار والفلسفات وموقفها من معسكر الثورة والتقدم ، ومن الخطأ ان نتسرع فى حشر الافكار فى احدى خانتين ، والعديد من الافكار المعاصرة تتردد بشدة وتتخبط بين التيارين وتحوى عناصر متناقضة .

اين تقف فلسفاتنا من هذا الصراع ؟ السـمة البارزة لكل تيارات الفكر الفلسفى البرجوازى الرجعى فى عصرنا ، انها تبدأ من التسليم بفساد المثالية الاقطاعية التى تجمد الافكـار والنظم ، وتغرق فى ميتافيزيقيا الحقائق المطلقة والقيـم الموروثة ، لان الدفاع عن الاقطاع وفلسفاته لم يعد ممكنا .. كما تبدأ ايضا من التسليم بالعلم باعتباره حقيقة العصر لكى تقوم بمهمتها فى تخريب القلعة من الداخل ، وتزييف لكل مفهومات العلم: انكار الواقع الموضوعى والقوانين الموضـوعية والضرورة والمبادىء والقيم ، وتحويل كل شىء

الى ذرات وفئات لتحطيم النظرة الشاملة التى تعنى الوعى بقوانين حركة المجتمع وهى تخشى امتلاك الشعوب لهذا الوعى بالذات ففيه فنساء نظامها .

والظاهرة البارزة ان الفلسفات الوضعية تدعو الى العلم فى الحدود التى تفيد الطبقات الاحتكارية والرأسمالية الكبيرة ، حدود التكنولوجيا والتطبيق العمل والتخصص الضيق ،وكل مايضع منجزات العلم فى خدمة اهدافها الاستغلالية . اهداف الربح ، ولكنها تعاديه عداء الموت من حيث هو نظره شاملة وفلسفة للوجود تكشف جوهر الحقيقة فى الطبيعة والمجتمع ، وتعرى النظم الاستغلالية ، وتحرر العمل الانسانى من احكام الضرورة .

ويكمن الخطأ فى كل هذه الفلسفات انها لاتعترف بالعمل المنتج مصدرا للفكر والوعى ، فالمعرفة لاتتم خلال الادراكات الجزئية ولا الانطباعات السلبية ولا ردود الافعال المعزولة كما تدعى الفلسفات البرجوازية الرجعية ، بل من خلال العمل وهو بطبيعته اجتماعى وايجابى .. من خلال العمل والانتاج الاجتماعى يدخل البشر فى علاقات انتاج ضرورية وتقوم طبقات ونظم سياسية واجتماعية من خلالها ينبع الوعى والفهم والفكر ، ومن هنا فان التفكير بالضرورة انعكاس طبقى يعبر عن مصالح طبقية ، وسمة بارزة فى كل الفلسفات الرجعية اخفاء وطمس هذه الحقيقة الطبقية والمدلول الطبقى للفلسفات ، حتى تخفى حقيقة الافكار والقيم التى تخدم مصالحها الاستغلالية ، والتى تقف عقبة فى طريق تحرير العمل الانسانى ، تعوق المنتج من امتلاك الوعى الكفيل بتحريره .

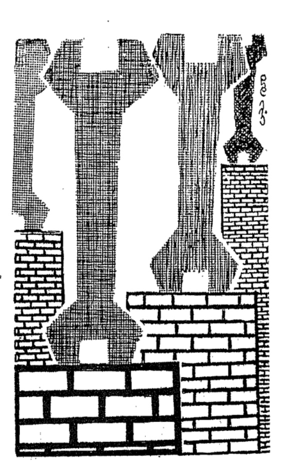
والان لماذا كل هذا العناء ، والمذاهب التى نتحدث عنها معزولة فى الاغلب لاتكاد تعبر اسوار الجامعات ، او بعض اوساط المثقفين الضيقة ؟ ! هذا صحيح ولكننا نخطىء كل الخطأ لو تصورنا اننا بمعزل عن معارك الفكر الكبرى على صعيد عالم اليوم ، ولابد لهذا الصراع ان يكون له انعكاساته المحلية . هذا بالاضافة الى حقيقة هامة هى طبيعة المرحلة الثورية التى نعبرها ، فعندما كان الاستعمار مازال جاثما فى بلادنا . كانت المعركة واضحة المعالم ، والقوى التى تخوضها واضحة ايضا بفكرياتها وفلسفاتها، كان الشعب بمجموعه فى جانب الاستعمار والاقطاع، والرأسمالية الكبيرة المتداخلة معه فى الجانب الاخر . وابعاد المعركة الفكرية ايضا كانت واضحة ومحدودة ، تنحصر فى تيارين اساسيين التيار العقلى ويمتد من اقصى اليسار .. الماركسيين والى جوارهم التيارات العقلية البرجوازية الليبرالية وبالاخص الديكارتية ، والتيار العقلى الاسلامى تيار الاحياء منذ جمال الدين الافغانى حتى لطفى السيد وطه حسين واحمد امين،وعلى الجانب الاخر فلسفة الاستعمار والاقطاع الصريح ممثلة فى فكرية الاخوان المسلمين ، وفلسفة اقسام البرجوازية المرتبطة بالاستعمار وبالفكر الغربى الرجعى ممثلا فى فكر العقاد . وفى مثل هذه المرحلة كان من المستحيل مثلا ان تنتشر فلسفة مثل الوجودية رغم ذيوعها فى اوربا حينذاك لانه كان من المستحيل ان تقنع شعبا يحمل السلاح ضد الاستعمار ويخوض المعركة بكتله العريضة ، ان الوجود الاصيل وجود الافراد وكل منا قلعة منعزلة واننا احرار بالضرورة !

كان من المستحيل ايضا ان يقتنع عاقل ان قضيته هى قضية الفاظ وتراكيب وجمل ، كانت المعركة الوطنية حاجزا منيعا ضد هذه الفلسفات .

اما وقد انقضت هذه المرحلة ودخلنا مرحلة جديدة تتميز بابعادها الاجتماعية ، اصبحت ابعاد المعركة ايضا مختلفة . اساليب الرجعية اصبحت اكثر خفاء ومقاومتها تتميز بدهاء اكبر ، ومن هنا تسقط الطبقات الوسطى خاصة ضحية سهلة للحيرة والتردد والبلبلة لانها قد لا ترى عدوها واضحا . خاصة وان هدم الاقطاع وقيمه فى بلادنا لم يقترن بتبلور كاف للايديولوجية الاشتراكية الثورية ، ومن هنا كان الانتشار السهل والكبير للقيم البرجوازية قيم الفردية والذاتية والعدمية واليأس ، وكلها تربة صالحة لانتشار الفلسفات مثل الوجودية والبراجماتية ، ليس بالضرورة بالاسم بل تحت أى أسماء . هلا نحس باتجاهات النفعية والمصلحة الذاتية ، واى فارق بينها وبين البراجماتية ؟ وباحتقار المبادىء والزعم بأن اشتراكيتنا اشتراكية مواقف لاعلاقة لها بالنظريات وكلها براجماتية صميمة. هلا نحس بضغط فلسفات العدمية والعبث واللامعقول فى الادب والمسرح ؟ وهل هذه مقطوعة السبب عن الوجودية . كما تنتشر مفهومات تكنيكية ضيقة تعزل المشاكل عن ارضيتها الاجتماعية . والجدل الشديد حول الضرورة والحتمية التاريخية ومفهوم الارادة الحرة ليس فى حقيقته سوى جدل حول قضية الحرية بمفهومها البرجوازى او الاشتراكى وابعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وغير مقطوع الصلة عن الجدل الذى يدور حول الدستور ومفهوم الحريات السياسية والحزبية الخ . كل هذه فلسفات غير معزولة عن تيارات الفكر العالمى ، ومن هنا فان بلورة فكر ثورى حقيقى وايدلوجية علمية هى مهمة الساعة بلا شك لنسد الطريق على فلسفات الرجعية وافكارها المعادية .

القاعدة النقابية ومرحلة الانجاز

د. عبد الرءوف أبو علم



عندما نتعرض لمرحلة الانجاز فاننا لايمكن ان نناقش ابعادها دون ان نتعرض للقوة الاساسية التى ستتحمل عبء انجاز هذه المرحلة، فالطبقة العاملة هى القوة التى تعتمد عليها الخطة سواء من ناحية اعدادها سياسيا وفنيا وتنظيميا ، وربما كانت مشكلة التنظيم كعنصر من عناصر الانتاج لاتقل عن باقى العناصر الاخرى ... بل ربما كانت هى الحلقة الاساسية التى تربط هذه العناصر ببعضها .

واذا ما اردنا ان نختبر مدى استعداد طبقتنا العاملة لانجاز هذه الخطة ، فمن الجدير ان نختبر استعدادها من خلال احاسيسها للوقوف على مشاكلها التى هى فى نفس الوقت مشاكل الانتاج من خلال اقوالها .

وربما كانت الدورات الثقافية العمالية والمؤتمران اللذان عقدهما الاتحاد العام للعمال يعكسان بوضوح رأى الطبقة العاملة وارتباطها بانجاز الخطة

واحساسها بما يعوقها سواء أكان من ناحية شكل التنظيم او قيادته عن الانطلاقة الكبرى .

وهذه الاراء والاقوال تدور فى مجملها عن استعداد الطبقة العاملة لتحمل هذه الاعباء ، ولكنها مثقلة الظهر بالاعباء الادارية التى تعوقها عن الانطلاق والتى تسلب السلطات الشعبية القدرة على الحركة. . . .والتى اعجزتها — وهى الممثلة لملايين العمال — عن أن تناقش مشاكل الانتاج ، وما يعترضها من معوقات وصلت الى حد سلبها اختصاصاتها الجوهرية ، وتحويلها الى اجهزة ليس لها من الصفة الشعبية الا الاسم مما يتنافى مع مانص عليه الميثاق من ان سلطة الاجهزة الشعبية يجب ان تتأكد باستمرار .

تسببت بعض الجوانب السلبية فى الخطة الاولى فى عدم تحقيق اهدافها بالكامل ، ثم احدث البلاد تستعد لخطة التنمية الثانية ، تلك الخطة الطموحة التى تعتمد على الصناعة الثقيلة وتهدف بعد انتهائها الى مضاعفة الدخل القومى وتدعيم قاعدة البلاد الاقتصادية . وقد تميز العام الماضى بأنه كان عام اعادة نظر ودراسة وتقييم ، قامت فيه الجمهورية العربية المتحدة على المستويين الرسمى والشعبى باستعراض ماقامت به الثورة ، وعلى وجه الخصوص فى مجال التنمية ، وتمهيد الطريق فى سبيل انطلاقة كبرى تنتقل فيها من مرحلة التنمية لتلحق بركب الدول الصناعية المتقدمة ، ومن هنا كان الاهتمام المتزايد بخطة التنمية الثانية ، وتسمية المرحلة القادمة بمرحلة الانجاز ، وتعيين وزارة انجاز لتحقيق هذا الهدف .

وايمانا بماهية دور العمال فى الانتاج وفى بناء الاشتراكية ، وبأهمية التنظيم النقابى بصفته المنظم للطبقة العاملة والذى يعمل فى اطار التنظيم السياسى للبلاد وفى حدود اهدافه وسياسته ، أظهرت القاعدة النقابية خلال هذا العام نشاطا لم تشهده فى تاريخها الطويل ، فازداد ضغطها على الاتحاد العام للعمال ودفعته الى عقد مؤتمرين عامين الاول لمناقشة تشريعات العمل فى اكتوبر ١٩٦٥ والثانى لمناقشة دور العمال فى الانتاج فى مارس ١٩٦٦ ، وكان يسبق كل من هذين المؤتمرين مؤتمرات مشابهة على مستوى النقابات العامة ، وفى بعض الاحيان على مستوى اللجان النقابية .

كما قامت امانة العمال بالاتحاد الاشتراكى العربى بنشاط واسع وظهر البرنامج الثقافى السياسى الى الوجود واشتركت فيه أعداد كبيرة من العمال والقيادات النقابية . وقد اعتمد هذا البرنامج على الميثاق لدراسة المرحلة التى نمر بها ودراسة التجربة الاشتراكية المصرية والقضايا العديدة التى تواجه المرحلة الحالية . ومن أبرز سمات هذا البرنامج المناقشات الحرة الصريحة التى يتيحها لاعضائه دون اى محاولة لتحديدها او فرضها عليهم او التحكم فيها. والتى تميزت بسبب هذا ، وبسبب ايمان الدارسين بمبدا النقد والنقد الذاتى كأساس ضرورى لاشتراكيتنا بظهور آراء القاعدة النقابية ومناقشتها لقضايا التنظيم النقابى بصراحة نابعة من تجربتها وحياتها اليومية ونشاطها الدائم المتجدد .

وتميز هذا العام ايضا بحركة فى مجال الثقافة العمالية ، فنشطت مؤسسة الثقافة العمالية فى دراساتها سواء على مستوى المراكز المنتشرة فى جميع انحاء الجمهورية ، او على مستوى معاهدها الاربعة بالقاهرة . كما دخلت النقابات العامة مجال الثقافة العمالية لاول مرة فى تاريخنا الحديث فانشأت بعض النقابات العامة معاهد تدريب نقابى خاصة بها أو دورات تمهد لانشاء معاهد دائمة مثل النقابة العامة لعمال الغزل والنسج ، والنقابة العامة لعمال البترول والزراعة والنقابة العامة للمصانع الحربية .

ومن حصيلة هذا النشاط القاعدى فى مؤتمرات الاتحاد العام والنقابات العامة والبرنامج السياسى لامانة العمال ، والدورات الثقافية العمالية ، تمت خلال هذا العام مناقشة جماهيرية من القاعدة العمالية للتنظيم النقابى، واظهرت المناقشات ان التنظيم النقابى فى الجمهورية قد يعوق حركته الاشتراكية السليمة الكثير من العقبات .

تطوير التنظيم النقابى

يكاد يكون هناك اجماع فى القاعدة العمالية على ضرورة تطوير التنظيم النقابى ، فالقاعدة تشعر ان تحولنا الى الاشتراكية يستلزم تطوير التنظيم النقابى على اسس اشتراكية حتى يمكنه اداء دوره الاشتراكى الجديد . ولقد وضح ذلك فى مناقشات العمال فى دورات الثقافة العمالية المختلفة ، كما وضح ايضا فى المؤتمرات العمالية، فذكر السيد رئيس الاتحاد فى كلمة افتتاح مؤتمر تشريع العمل « ان هذا المؤتمر ايضا يحدد مسئولية القاها تطورنا الاشتراكى على عاتق الحركة العمالية ... ان تشريع العمل يجب ان يتضمن الاسس اللازمة لوضع الحركة النقابية فى المجتمع الاشتراكى كحركة جماهيرية لها دورها ومسئولياتها (١) .

---

(١) كتاب المؤتمر الثقافى الاول — تشريع العمل للاتحاد العام للعمال سنة ١٩٦٥ ص ١٠ — ١١

ثم جاءت توصيات هذا المؤتمر معبرة عن ذلك فجاء فيها :

« ان تطورنا الاشتراكى اعطى الحركة النقابية وضعا خاصا فى مجتمعنا الجديد ، والقى عليها مهاما اساسية فى ادارة شئون مجتمعنا فى مجالات العمل المختلفة ، لهذا كان اهتمامنا بالتنظيم النقابى . وكان هدفنا اصدار قانون يحدد اسس هذا التنظيم على ضوء واقعنا الاشتراكى ثم يعطيه كافة الضمانات لأدارة نفسه، ويدعم الديمقراطية النقابية فى علاقة اجزاء التنظيم المختلفة بنفسها ؛ وفى علاقتها بأجهزة الدولة الاخرى الاقتصادية والسياسية والادارية وغيرها ... بما يمكن التنظيم النقابى من أن يكون قوة جماهيرية دافعة ،معبئة للملايين العمال فى معركة بناء الاشتراكية وحمايتها » (٢) .

وجاء ايضا فى الكلمة الختامية فى مؤتمر العمال والانتاج « لم يعد دور العمال فى نقاباتهم هو العمل فقط على تحسين احوالهم وانما اصبحت مسئوليتهم نحو تحسين الانتاج ووفرته هى مسئوليتهم الاولى والرئيسية باعتبارهم اصحاب المصلحة الحقيقية فى عملية الانتاج واضطراد تقدمه ، وبوصفهم يمثلون القوة الاساسية فى الاستهلاك (٣) .

وقد عبر عن هذه الرغبة فى تطوير التنظيم النقابى وفلسفته ومهامه الرئيسية العديد من النقابيين الذين اشتركوا فى المؤتمرين ، وابرز بعضهم حقيقة فلسفة النقابية السياسية التى ارسى الميثاق الوطنى اسسها ، وضرورة تطوير التنظيم النقابى على اساسها ، فذكر السيد محمد السمان ابراهيم فى مؤتمر العمال والانتاج « انه واجب علينا ان يكون دورنا السياسى لايقل اهمية عن واجبنا النقابى ، اننا ننظر حولنا فنرى ان الرجعية والراسمالية المستغلة تحاول ان تطل براسها بالتعاون مع الاستعمار وبعض الافاقين لكى ينقضوا علينا ويسلبونا هذه المكاسب ويسلبون حريتنا التى حصلنا عليها بعد مئات السنين ، فان لم نكن نحن العاملين بتشكيلاتنا النقابية حماة لهذه الثورة التى هى ثورتنا نحن ، ونحن اصحاب المصلحة الحقيقية فيها ، فمن الذى يحميها ؟ (٤) .

وذكر السيد عبد الرحمن خضر « نحن بهذا نفصل العمل السياسى عن العمل النقابى ، فى حين ان كل من يعمل عملا عاما فهو عمل سياسى ، ونحن بهذا ننسى دور النقابة ، فالمفهوم عند الناس ان النقابة دورها خيرى يتمثل فى منح الاعانات ، ولكن لو رفعنا كفايتنا الفنية والفكرية فسنجد كادرا نقابيا يحمى هذه المكاسب الثورية ويقوم بالمسئوليات الملقاة على عاتقها ، فلماذا لانوجد هذا الكادر فى النقابات وننشىء معاهد يتخرج منها مواطنون مؤمنين بالاشتراكية ... ٥)

وهناك اجماع فى القاعدة النقابية على ان تطوير التنظيم النقابى يستلزم تطوير امور كثيرة فى مقدمتها قانون العمل ،ولقد تعرض البحث الذى قدمه الاتحاد العام للعمال لمؤتمر تشريع العمل لهذه الناحية فذكر « ان التنظيم النقابى ، بمثل هذه المسئوليات الضخمة الملقاة على عاتقه لأبد وان يكون من القوة والفاعلية والتدعيم بحيث يمكنه تحمل هذه المسئوليات والوفاء بها ،والقيام بدوره التاريخى ، فالتنظيم النقابى اذ يعمل من خلال اطار تشريعى ، فانه من المتعين ان يعطى هذا الاطار للتنظيم كل مقومات الحركة والفاعلية والتدعيم ...ان الاطار التشريعى للتنظيم النقابى لابد ان يكون منبثقا من القاعدة العمالية ومعبرا تعبيرا صادقا عن رغبات واحتياجات جماهير العمال التى يمثلها ... (٦) .

العمال والانتاج

يكاد يكون هناك اجماع فى القاعدة العمالية على ان الانتاج هو مسئولية العمال الرئيسية، ويضاعف من هذه المسئولية ايمانها بأن الانتاج هو معركة الاشتراكية الاولى ، وانه بدون النجاح فيه ، وتحقيقه طبقا لخطط التنمية لا يمكن اتمام البناء الاشتراكى ، وان اعداء الاشتراكية يستخدمون مختلف الوسائل لتحطيم الانتاج منها اضعاف دور العمال ودفعهم الى السلبية واللامبالاة بشأنه . وقد كان عقد مؤتمر خاص من جانب العمال لمناقشة دورهم فى الانتاج دليل واضح على هذا الشعور ، ورغبة منهم فى تحديد طبيعة دورهم وما يمكن القيام به . وفى الجلسة الافتتاحية لهذا المؤتمر ذكر السيد رئيس الاتحاد « ان مسئولية العمال وتنظيماتهم النقابية عن

---

(٢) كتاب مؤتمر تشريع العمل ص٤٢٤ و ص ٤٣٦ .
(٣) كتاب المؤتمر الثقافى الثانى ــ العمال والانتاج ــ للاتحاد العام للعمال سنة ١٩٦٦ ص ٢٦٢ .
(٤) السيد محمد السمان ابراهيم النقابة العامة للمصانع الحربية ص٢٣٤ و ٢٣٥
(٥) السيد عبد الرحمن خضر ــ النقابة العامة لخدمات الاعمال والادارة ،مؤتمر الانتاج ص ٢٣٩ ــ ص ٢٤٠
(٦) مؤتمر تشريع العمل ص ١٤٩ وص١٥٠

زيادة الانتاج ومضاعفة الدخل القومى لمن اولى وأهم مسئولياتهم ... اذ عليهم عبء ترجمة الخطة الى واقع ملموس يحقق ارتفاع مستوى المعيشة ، ويضيف الى ثروة المجتمع الكثير والجديد منها ليتمكن من الانطلاق الى آفاق لا نهائية من التقدم والازدهار » (٧) .

ثم جاءت توصيات المؤتمر مؤيدة ذلك فجاء فيها « ان الثورة الاشتراكية فى جوهرها واستمرارها تعنى زيادة تدفق الانتاج من اجل الكفاية والتقدم لتحقيق رخاء المجتمع ورفع مستوى معيشة ابنائه ، ولذلك فان الواجب الثورى لكل عامل فى جمهوريتنا الاشتراكية ان يثبت اخلاصه وولاءه لعملية الانتاج وزيادته وتحسينه . ان سيطرة الشعب على وسائل الانتاج لاتعنى فى حد ذاتها تكامل بناء المجتمع الاشتراكى ، ذلك ان الاشتراكية لاتقوم بمجرد قيام القطاع العام وانما تبدا اولى خطواتها بانشائه وتدعيمه . ومن هنا كان اهتمام العمال الواعى ، وعملهم الجاد من اجل رفع مستوى الانتاج كما وكيفا ، والذى انبثق عنه هذه المؤتمرات التى عقدتها التنظيمات النقابية على مختلف مستوياتها والتى انتهت الى التوصيات التى اعلنتها كدليل للعمل الوطنى لهذه المرحلة الحاسمة من تاريخ ثورتنا الاشتراكية » (٨) كما جاء فى التوصية الاولى فى مجال مسئوليات التنظيم النقابى « ان تقوم التنظيمات النقابية بتنمية وتعميق المفهوم الاشتراكى والسلوك الجماعى لدى العاملين وتعبئة طاقاتهم لخدمة اهداف الانتاج ، وكذلك تنمية الاحساس لديهم بالملكية العامة لوسائل الانتاج وملاءمة سلوكهم فى العمل مع هذه الملكية العامة » (٩) .

العمال والخطة

احتل موضوع الخطة وطريقة ربط العمال بها مكانا بارزا من مناقشات القاعدة العمالية خلال هذا العام .وقد وضح ذلك فى المناقشات العديدة فى المحاضرات العمالية كما وضح ايضا فى المؤتمرات العمالية . وجاءت توصيات العمال فى مؤتمر العمال والانتاج تعبيرا عن هذه المناقشات الواسعة .

ودراسة محاضر جلسات مؤتمر الانتاج تعطى صورة حية لمناقشات القاعدة العمالية والاهتمام العمالى فى مختلف القطاعات والصناعات بدورهم فى الخطة فذكر السيد ابورواش على بدر ان اشتراك العمال فى الخطة تقليدا جديدا وفى الوقت نفسه ينقل عبئا كبيرا جدا على القيادات النقابية» (١٠) .. وفى مجال آخر راى ان يوصى المؤتمر « بضرورة التوسع فى تدريب القيادات العليا من اجل التجاوب فى متابعة الخطة وتنفيذها» (١١) وذكر السيد ابراهيم محمد البشبيشى «أنه بالنسبة لدور العامل فى وضع الخطة فمن الواجب ان يثقف تثقيفا ذاتيا بالاحداث التى نمر بها لاننا لا نستطيع الاعتماد على ماتنشره الصحف . كل هذه النواحى يجب أن نعمل على تحقيقها ونحن على علم من الامور » (١٢) .

وذكر السيد سعد عيد أنه يجب أن نتمعن فى مفهوم دور العمال فى الخطة ، وبعد أن استطرد فى شرح أسلوب الخطة ذكر أن فى رأيه « أن تشكيل مجلس الانتاج سيكون له فاعلية والواقع انه يتمشى مع الاسلوب العام ويمكن أن يكون له دور مؤثر» (١٣) وذكر السيد جاد رضوان « فى رايى ان ينزل مشروع الخطة من القمة الى القاعدة وذلك بأن تجزأ الخطة حسب قطاعات النشاط الاقتصادى المختلفة وتنزل للاتحاد العام للعمال والذى يتولى بدوره توزيع كل جزء على النقابات تبعا لقطاع النشاط الاقتصادى الذى يضم اعضائها ، ثم تقوم النقابات بتوزيع هذه الاجزاء على اللجان النقابية ، وبعد الدراسة والمناقشة يعود مشروع الخطة ثانية ابتداء من اللجان النقابية حتى يصل الى الاتحاد العام الذى يرفعه مع توصيته فى هذا الشأن الى الجهات المسئولة » (١٤) .

وذكر السيد عبد الرازق بدوى عطاالله انه فى « اعتقادى أنه لابد من الربط بين التنظيمات النقابية فى الوحدات والادارة ، وليكن ذلك بطريق تشكيل لجنة منهما تتابع تنفيذ هذه الخطة وفق برنامج زمنى » (١٥)

---

(٧) كتاب مؤتمر العمال والانتاج ص١٥
(٨) مؤتمر الانتاج ص ٢٦١
(٩) مؤتمر الإنتاج ص ٢٦٦
(١٠) و (١١) السيد ابو رواش على بدر ـ النقابة العامة للصناعات الهندسية ـ مؤتمر الانتاج ص ٤٨ و ص ٦٨
(١٢) السيد ابراهيم محمد البشبيشى ـ النقابة العامة للصناعات الغذائية مؤتمر الانتاج ص ٤٩
(١٣) السيد سعد عيد ـ النقابة العامة للصناعات الهندسية ـ مؤتمر الانتاج
(١٤) السيد جاد رضوان ـ النقابة العامة للخدمات الاجتماعية مؤتمر الانتاج ص ٥٣ ـ ٦٣
(١٥) السيد عبد الرازق بدوى عطا الله ـ النقابة العامة لعمال الزراعة مؤتمر الانتاج ص ٥١

وذكر السيد حمدى عبد الجواد الشامى « رأيى أن تأتى الخطة الى الاتحاد العام الذى يقوم بدراستها بواسطة خبرائه ويمكن أن يقوم بتجزئتها على النقابات العامة لدراستها واقتراح ما تراه ثم بعد ذلك نلتزم نحن بالتنفيذ وهذا يستدعى تشكيل مجالس انتاج فى جميع الوحدات . أما التخطيط فالدولة هى المسئولة عنه » (١٦) .

وذكر السيد عبد الكريم عميرة أن « لدينا تجربة فى بلادنا هى السد العالى . ان اى عامل يعمل هناك يعرف تماما الارقام . اننا نريد من كل عامل فى الوحدات الانتاجية أن يعرف دوره وهذا دور اللجنة النقابية فى توجيه العاملين » (١٧) وقد اشترك فى هذه المناقشة عدد كبير من النقابيين لا يتسع هذا المقال لسرد جميع آرائهم ويمكن الرجوع الى المناقشات نفسها (١٨) .

وقد تعرضت القاعدة العمالية للخطة الاولى ، واوضحت أنها نفذت بنسبة ٨١٪ وناقشت الجوانب السلبية التى كان لها تأثير فى ذلك ، واوضحت مناقشاتهم أن من أبرز الجوانب السلبية عجز التنظيم العمالى وبالتالى عدم ارتباط العمال ارتباطا مباشرا بالخطة ، وعدم مساهمتهم مساهمة ايجابية فى تنفيذها ، وفى رأى القاعدة العمالية ان عجز التنظيم النقابى يرجع أساسا الى ضعفه التنظيمى وعدم جماهيريته والى المعوقات التشريعية والادارية الكثيرة التى تحد من حريته .

ضعف التنظيم النقابى

تبلغ مجموع القوى العاملة فى الجمهورية حوالى ٨ ملايين، ومجموع العضوية النقابية حوالى ٥ر١ مليون اى أن نسبة التنظيم النقابى اقل من ٢٠٪ وهى نسبة صغيرة وتعتبر من أقل نسب التنظيم النقابى فى العالم خصوصا فى المجتمعات الاشتراكية . وهذا من شأنه أن يضعف التنظيم النقابى وبالتالى يضعف دوره فى المجتمع وفى بناء الاشتراكية . وتثير هذه الحقيقة اهتمام القاعدة النقابية ، وبدأ بعض النقابيين يتعرضون لها بالدراسة والتحليل لمعرفة أسبابها . ويكاد يثار هذا الموضوع فى جميع مناقشات الدورات الثقافية العمالية كما تعرض له البعض أيضا فى المؤتمرات العمالية الاخيرة ، فذكر السيد سعيد محمد رزق « ان هناك ٥ر٧ مليون عامل بينما نسبة المشتركين فى النقابات حوالى ٥ر١ مليون ، ولدينا فى الصناعات الهندسية لجان للدعوة لضم اعضاء جدد للنقابات، وكانت النتيجة زيادة الحصيلة من الاشتراكات بسبب وجود لجان الدعوة » كما ذكر السيد حمدى عبد الجواد الشامى فى مؤتمر الانتاج « اننى اريد اولا ان ينضم جميع العاملين الى النقابات وبهذه الوسيلة سوف تزداد مواردها وبذلك نتمكن من مواجهة هذه الالتزامات ولذلك فانى متفق مع الزميل محمود عطيتو فى وجود مناقشة موضوع الوسائل التى تمكن النقابات من القيام بهذا الدور » (١٩)

وذكر السيد عبد الفتاح حسن فى مؤتمر الانتاج « أن التنظيم النقابى مسلط عليه سيف عدم الترابط ، فليس هناك شىء يجمع بين اعضاء التنظيم فى المحافظات ، فهناك لجان أمكن لها اتخاذ مقر لها واخرى لم تجد هذا المقر ومن هنا جاء التفتيت ... » (٢٠) .

وذكر السيد محمد عزت الكريمى « لقد لاحظنا أن الاتحادات الاقليمية التى انشئت لم تتمكن من مباشرة نشاطها النقابى ، ونحن قادة ولابد أن نكون قادرين على اداء رسالتنا ، ولن يتحقق ذلك الا عن طريق التفرغ للعمل والتوجيه والتفتيش النقابى لاننا نريد أن يكون العضو النقابى هو المختص بالتفتيش ... » (٢١)

وتعرض كثير من النقابيين خصوصا فى دورات الثقافة العمالية للقيادة النقابية ونوعيتها والرأى السائد أن قيادة التنظيم النقابى لاتمثل العنصر الايجابى فى تاريخ الحركة النقابية الذى كان باستمرار على صلة وثيقة بايجابية الجماهير فى حركتها التاريخية ضد الاستعمار والاقطاع ... فالحاضر لايمكن فصله عن الماضى .. فرجال ٢٣ يوليو هم استمرار وقيادة لحركة الجماهير الايجابية فى نضالها الطويل ضد السراى والاحلاف فاذا ما برزت الى الوجود قيادة نقابية محرومة من ذلك التاريخ الايجابى ... وعاجزة عن فهم التحول الاشتراكى ... لكان امتدادا لسلبية الماضى . ليصبغ الحركة النقابية فى العهد الاشتراكى بما يحمله من سلبية وانفصام فى التاريخ

---

(١٦) السيد حمدى عبد الجواد الشامى النقابة العامة للمرافق العامة مؤتمر الانتاج ص ٥٢
(١٧) السيد عبد الكريم عميرة مندوب الاتحاد المحلى بالاسكندرية مؤتمر الانتاج ص ٥٨
(١٨) توجد المناقشات كاملة فى محاضر اللجنة الاولى بكتاب مؤتمر العمال والانتاج . وممن اشتركوا فى هذه المناقشة السادة : محمود عطيتو ـ نقابة السكة الحديدية ، حلمى فرج نقابة الاعمال والادارة ، محمد أمين هاشم نقابة الخدمات الاجتماعية، احمد فوزى نقابة السكك الحديدية ، محمد صالح البيلى نقابة التجارة ، فكرى ميخائيل يوسف نقابة المناجم والمحاجر وعبد العزيز صالح عاشور نقابة البريد والبرق وابراهيم مفتاح نقابة الصناعات الكيماوية.
(١٩) السيد سعيد محمد رزق ـ النقابة العامة للصناعات الهندسية ـ مؤتمر تشريع العمل ص ٢٠٨
(٢٠) السيد عبد الفتاح حسن ـ النقابة العامة لخدمات الاعمال والادارة ـ مؤتمر الانتاج ص ٢٣٤
(٢١) السيد محمد عزت الكريمى النقابة العامة لعمال الزراعة . مؤتمر الانتاج . ص ٢٠٠

ومما يدعم هذه السلبية ان الاتحاد العام لايمثل النقابات تمثيلا عادلا ، فنقابة مثل الزراعة تصل عضويتها الى قرابة نصف مليون تمثل بممثل واحد مثل أصغر النقابات ، وذلك بالاضافة الى أن هناك ست نقابات عامة غير ممثلة فى المجلس التنفيذى للاتحاد . وذلك الى جانب أن هذه القيادات السلبية استطاعت بما حصلت عليه من مراكز وما احتلته من مواقع عديدة أن تحول دون تقدم عناصر جديدة وتصديها لقيادة العمل .. وبذلك يفرض القديم ظله ليحول دون الجديد الذى يؤمن بالثورة .

تقييم التنظيم النقابى

تبرز المناقشات الخاصة بالتنظيم النقابى ضرورة تقييم نشاطه بصفة دائمة مستمرة واشراف القاعدة فى هذا التقييم حتى يكون هناك تجاوب دائم ومستمر بين القاعدة والتنظيم وقد أبرز السيد ابراهيم مفتاح هذا الموضوع فى مؤتمر العمل والانتاج فذكر أنه « يوجد موضوع هام وهو تقييم عمل النقابات ، ان الدولة تقيم كل الاعمال . هناك نقابات لم تقم بعمل أى شىء لا للعمال ولا للادارة . اننى أرجو أن يتم هذا التقييم كل سنة على أن نعفى اللجنة التى لم تقم بأى نشاط»(٢٢). وفى هذا الشأن أيضا أثير أكثر من مرة مصير التوصيات التى تأخذها القاعدة العمالية فى مؤتمراتها . وأوضح البعض أنه يخشى الا تنطلق آراء القاعدة العمالية الى ابعادها الواجبة ، وأن تحبس فى الادراج وقد عبر عن ذلك بعض الاعضاء فذكر السيد أحمد فكرى فى مؤتمر الانتاج « أن التوصيات التى اتخذت فى المؤتمر الاول للاتحاد العام فى أكتوبر الماضى (١٩٦٥) لم توزع على أعضاء المؤتمر ولا النقابات العامة حتى اليوم (مارس ١٩٦٦) ولم نعرف ماذا تم نحو تنفيذها رغم تكوين لجنة متابعة لتلك التوصيات . ولذلك أقترح قيام لجنة متابعة لتنفيذ هذه التوصيات على أن تجتمع هذه اللجنة بصفة دائمة كل ثلاثة أشهر مرة واحدة على الاقل وأن تذيع بيانا دوريا بما تم نحو تنفيذ التوصيات يوزع على النقابات العامة وبالتالى على اللجان النقابية » (٢٣) .

ويثار موضوع التوصيات العمالية كثيرا فى الدورات الثقافية العمالية خصوصا وان مناقشات وتوصيات المؤتمر العمالى الاول ، لم تطبع فى كتاب ولم توزع على القاعدة العمالية فى أية صورة الا بعد عقد المؤتمر الاول وضغط المؤتمرين فيه على القيادة العمالية . وقد أشار الكثيرون فى القاعدة العمالية أن هناك فريق فى القيادة يخشى هذه المؤتمرات والمناقشات التى تدور فيها ، وعندما فشل فى عدم انعقاد هذه المؤتمرات ، يحاول جهده فى أن يجعلها حبيسة الملفات والادراج ، ولذلك لم توزع كتب هذه المؤتمرات حتى اليوم على القاعدة النقابية واكتفى باعطاء كل نقابة عامة ٥٠ كتابا فقط واشترط دفع ثمن أى كتاب يزيد عن ذلك ، كذلك لم يبذل الاتحاد العام للعمال أى جهد يذكر لنشرها والدعاية لها .

ومشكلة عدم تقييم التنظيمات الشعبية وعدم تدعيم المناقشة الحرة بداخلها وحبس آرائها وتوصياتها هى فى حقيقة الامر حرمان للحكومة والقيادة الثورية من الاحساس بمشاكل جماهير العمال . ان هدف التنظيمات الشعبية هو تجميع الطاقة الخلاقة لجماهير الشعب وتقديمها باستمرار للقيادة حتى تستمر فى موقفها الطليعى ، أما حبس التوصيات ففى صميمه حبس للمعونة والمساندة الشعبية عن القيادة الثورية .

الوصاية الادارية

تعنى الوصاية الادارية سيطرة بعض الاجهزة الادارية على التنظيم النقابى أى على تنظيم شعبى . وهذا الوضع ورثناه من مجتمع ما قبل الثورة الاشتراكية الذى تعاونت فيه الرأسمالية والاقطاع على خنق الحركة النقابية ومحاولة السيطرة عليها ووضعها تحت سيطرة أجهزتها الادارية .

وقد حزم الميثاق هذا الوضع بنصوص واضحة وصريحة مؤداها عدم السماح بسيطرة أو وصاية أجهزة ادارية على التنظيمات الجماهيرية ومنها التنظيم النقابى .

وأى دراسة لموضوع علاقة الاجهزة الادارية بالتنظيم النقابى فى الوقت الحاضر توضح أننا نمر بمرحلة محاولة التخلص من السيطرة الادارية وأن القاعدة العمالية التى بدأت تشعر أن فى هذه

---

(٢٢) مؤتمر الانتاج ص ٧٩
(٢٣) السيد احمد فكرى ـ النقابة العامة للبريد والبرق ـ مؤتمر الانتاج ـ ص ٢٥٩

الوصاية سلب لحقوقها وانتقاص لسلطاتها واضعاف لتنظيمها بذات تنظم صفوفها محاولة ارجاع مهامها الرئيسية اليها. ويحتل هذا الموضوع فى الواقع أبرز مكان فى مناقشات القاعدة النقابية وتكاد لا تخلو دورة ثقافية عمالية من مناقشات واسعة فيه ولما كان من الصعب تسجيل هذه المناقشات لذلك سنقتصر كما هو الحال فى هذا المقال على ما جاء فى مؤتمرات العمال لانها مسجلة فى الكتب التى أصدرها الاتحاد العام لجميع المناقشات التى دارت .

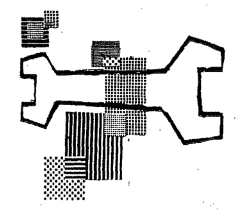
فذكر السيد لطفى كامل حسين فى مؤتمر تشريع العمل « انى أعترض كل الاعتراض على أن تقوم وزارة العمل او اى جهة تنفيذية اخرى بالتدخل فى صميم ما يتعلق بنشاط قوى العمل . ارجو ان كل القوى الاشرافية والتفتيش وكل ما يتعلق بالتفتيش والتوجيه يكون للقوى العمالية نفسها ممثلا فى الاتحاد العام او فى النقابات العامة أو اللجان النقابية » (٢٤) .

وذكر السيد شوقى غز فى معرض مناقشة مالية النقابة والتفتيش على النقابات أنه « يجب أن ينشأ جهاز فى اتحاد العمال ليقوم بأعمال وزارة العمل المتعلقة بالتفتيش المالى والحسابى الدقيق على النقابات ثم يعرض تقريره على الاتحاد العام الذى يوجه للنقابات » (٢٥) . ثم عاد فذكر « والحقيقة أن وزارة العمل لا تقوم بالرعاية الكاملة للعمال ولكنها تقوم بمراقبة تنفيذ القوانين » (٢٦) .

وقد أيد كثيرون السيد شوقى غز فذكر السيد عبد الرازق بدوى عطا الله على سبيل المثال « اننى أؤيد الاخ شوقى غز من ناحية وجود اجهزة حسابية متخصصة تلحق بالاتحاد العام للتفتيش على لجان نقابة عامة على أن تلحق بكل نقابة عامة جهاز حسابى لمراقبة اعمالها » (٢٧) .

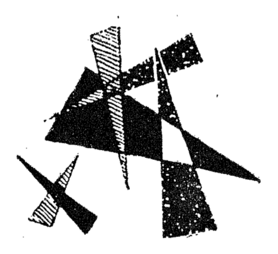
وذكر السيد عبد الحى حمام « اعتقد انه ينبغى أن يكون التفتيش المالى أولا بواسطة الاتحاد العام على النقابات العامة ثم يكون للنقابات العامة حق التفتيش على اللجان النقابية » (٢٨) . وذكر السيد محمود عطيتو « أن اروع ما تضمنته التوصية الثانية هى مسألة الوصاية الادارية على اللجنة النقابية ، وهنا اريد ان اتكلم من الناحية القانونية اذ لا بد من صدور قرارات تكميلية لهذا القانون ، من الذى يصدر هذه القرارات ؟ وزارة العمل ... ونحن نريد أن يصدرها الاتحاد العام لانه هو السلطة العليا للتشكيل النقابى ويجب ان يحل محل وزارة العمل بحكم القانون » (٢٩) .

ان المرحلة الحالية التى اوجبت تعيين وزارة انجاز يكون عملها الاساسى هو التنفيذ الامثل للخطة السبعية ، تستلزم تكتيل وتوحيد جميع القوى والمنظمات الشعبية فى سبيل بلوغ هذا الهدف ، ولا شك ان التنظيم النقابى هو أول هذه القوى بوضعه التاريخى والفلسفى ، وبما يضمه من قوى ذات مصلحة اساسية فى الاشتراكية ، الا أن وقوف التنظيم النقابى بكامل قواه خلف وزارة الانجاز يتطلب تخليصه من جميع المعوقات التى تعبر عنها دائما القاعدة النقابية والتى توضحها باستمرار جميع المؤتمرات العمالية ودراسات البرنامج السياسى الذى تعده أمانة العمال للاتحاد الاشتراكى ، ودورات الثقافة العمالية التى تنظمها المؤسسة الثقافية العمالية ، والا فاننا نعرض بذلك الخطة الثانية لبعض الاوجه السلبية التى لاقتها الخطة الاولى .



(٢٤) السيد لطفى كامل حسين ــ النقابة العامة للمرافق العامة ــ مؤتمر التشريع ص ٨٩
(٢٥) و(٢٦) السيد شوقى غز ــ النقابة العامة للخدمات الاجتماعية مؤتمر التشريع ص ٢١٤ وص ٣٣٠
(٢٧) مؤتمر تشريع العمل ٢١٥
(٢٨) السيد عبد الحى حمام النقابة العامة للصناعات الكيماوية ــ مؤتمر تشريع العمل ص ٢٢٣
(٢٩) ــ السيد محمود عطيتو ــ النقابة العامة للسكك الحديدية مؤتمر تشريع العمل صفحة ٢٢٨ .

حول تناقضات مرحلة التحول



عادل حسين

في المناقشات الدائرة حول النكسات التي أصابت بعض الدول الثورية في آسيا وافريقيا ، يكثر الحديث عن الدور الذي يلعبه الاستعمار . باعتباره أساس هذه النكسات ، ونفس الحديث سبق أن سمعناه أيام أحداث بوزنان في بولندا ، وأيام الثورة المضادة في المجر عام ١٩٥٦ .

ومع أن الاستعمار يلعب دورا هاما في كل هذه النكسات ، الا أن السبب الاساسى سيظل دائما كامنا في التناقضات القائمة في قلب هذه البلاد .

لقد تآمر الاستعمار دائما ضد التجارب الثورية والاشتراكية ، ولكنه ــ باستثناء حالات التدخل العسكرى السافر ــ كان يفشل ولا ينجح الا اذا كانت الاوضاع الداخلية مهيأة لنجاح هذه التدخلات الخارجية .

التنمية السريعة والاشتراكية

يبدأ الامر كله من الاتجاه الى التنمية السريعة فالتجارب الاشتراكية تمشى ، جنبا الى جنب ، مع تسارع البناء الاقتصادى .. مع التصنيع الواسع ومع ادخال طرق الزراعة الحديثة ، ومع تطوير العمليات المصرفية والتنظيمية والادارية .

ان الدول النامية لايمكن أن تنتقل الى الاشتراكية مرة واحدة ، وبمجرد أن تصدر قرارا بذلك ، وانما يحتاج الامر زمنا وجهدا يرسى من خلالهما الاساس المادى لهذه الاشتراكية .

ان عدم توافر الاساس المادى للاشتراكية بشكل كاف ، دفع البعض الى تصور أن الدول النامية لن تستطيع أن تنتقل الى الاشتراكية ، الا بعد فترة من التطور الرأسمالى تنشأ في ظلها وتنمو قوى الانتاج الحديثة .. ولكن هذا النوع من الجدل قد حسم ، فنشأة قوى الانتاج الحديثة وتطورها (أو بدء « مرحلة الانطلاق » حسب تعبير و.و . روستو) لايستلزم ــ بالضرورة ــ فترة من علاقات انتاج رأسمالية بل لقد ثبت أن وجود علاقات انتاج غير رأسمالية هو أنسب لنشأة وتطور قوى الانتاج الحديثة بمعدل أسرع .

وهذا أمر هام جدا .. لأن الدول النامية تعتبر التنمية السريعة مسألة حياة أو موت ، وهذا هو السبب الاساسى الذى يدفع عددا متزايدا منها الى نبذ الطريق الراسمالى ، وهو السبب الذى يجعل تقدم هذه الدول عبر طرق غير راسمالية أمرا حتميا ، يمهد لقيام النظام الاشتراكى .

الا ان علاقات الانتاج غير الراسمالية ، وان ساعدت على تحقيق «مرحلة الانطلاق» بسرعة ، الا انها لاتفعل ذلك بعصا سحرية ، ولذا ستظل مرحلة الانطلاق مرحلة بالغة الصعوبة والتعقيد وغاية ماتفعله علاقات الانتاج غير الراسمالية هو انها تضمن أن يكون بذل الجهد الشاق عملا موفور الثمر .

وصعوبات التنمية هي الاساس الذى تستند اليه قوى الثورة المضادة والاستعمار فى حربها ضد بلادنا .

التجربة السوفيتية

لاشك أن التجربة السوفيتية فتحت عهدا جديدا ، واستطاعت — بشكل عام — أن تقدم نموذجا ناجحا أمام الدول النامية .

لم يعد هناك من ينكر هذه الحقيقة ، وحتى رجل («كيوجين ستالى») الذى يقدم نظرية يعارض بها النموذج الاشتراكى ، لايستطيع الا أن يقر بأن التجربة السوفيتية استطاعت «بلا نزاع ان تدخل الثورة الصناعية بمعدل مذهل ، وان جاذبية هذه الحقيقة للمثقفين التواقين الى التجديد فى الدول المتخلفة ، هو أمر لايمكننا فى الغرب أن ننكره» (١)

ان علاقات الانتاج التى أقيمت فى الاتحاد السوفيتى ، كانت — بشكل عام — ثورية متقدمة ولولا هذا لما تقدمت قوى الانتاج «بالمعدل المذهل » الذى يتكلم عنه ستالى .

ولكن قد تكون للتجربة السوفيتية بعض الظروف الخاصة والأخطاء .. ولذا لايتصور اننا نتكلم عن النقل الحرفى من هذه التجربة ، وانما نحن نطلب أن نستفيد من أسسها العامة والايجابية .

ومفهوم انه لايكفى أن نقول — نظريا — ان علاقات الانتاج ، التى تقوم على السيطرة العامة على وسائل الانتاج ، اكفأ من تلك التى تقوم على الملكية الفردية غير المقيدة . وانما الاهم انتعرف كيف ندخل العلاقات الجديدة ، وكيف نطبقها !

وقد تعرض السوفييت فى هذا المجال الى بعض الاخطاء ، سواء فى ميادين الصناعة والمال والتجاره والنقل ، أو فى ميدان الزراعة .. فرغم كل الاعتبارات ، كان يحسن لو ان التأميمات تمت بشكل أهدأ ، وقد وصل **لينين** الى هذه النتيجة بعد فترة ، فقال انهم فى فترة «شيوعية الحرب» (١٧ — ١٩٢١) «حاولوا أنيكتسحوا الراسمالية ، وأن ينتقلوا الى الانتاج والتوزيع المقام على أسس اشتراكية بأقصر الطرق ، وأكثرها سرعة واستقامة» الا أن الخبرة دلت — كما يقول — على أن الامر لا يتم « بهجوم يقوم على المواجهة المباشرة ، وانما بالحصار الطويل ، بهذه العملية الصعبة والشاقة والكريهة» (٢) .

وقد ادى هذا الفهم الى السياسة الاقتصادية الجديدة NEP (ابتداء من ١٩٢١) والتى اعتبرها خطوة للخلفمن أجلاستجماع القوى، والاستعداد لمواصلة الطريق .

وفى الزراعة حدثت أيضا أخطاء أشد .. وخاصة أيام ستالين (٣) وكل هذا لاينبغى أن يتكرر ، والحقيقة أن التجارب الاشتراكية الجديدة استطاعت بالفعل أن تتجنب هذه الأخطاء .

الصين

فى الصين تم التحول الاشتراكى فى كافة المجالات عبر تدرج . فقد بدا القطاع الاشتراكى على حساب المواقع الامبريالية ، وأجزاء معينة من البورجوازية الصينية ، واستطاعت الدولة من خلال هذا ان تسيطر على الحياة الاقتصادية وحاصرت — بالتالى — الاجزاء الواسعة من البورجوازية التى لم يكن قد قضى عليها بالتأميم بعد ، وأمكن من خلال ذلك أن تتم التصفية لمواقع

---

(١) مستقبل البلاد النامية — اوجينستالى ص ١٦١ .
(٢) الاعمال الكاملة — لينين — الجزء٣٣ ص ٦٩ .
(٣) كتاب ستالين فى البرافدا (مارس ١٩٣٠) مقالا نقد فيه بعض الانحرافات التى صاحبت سياسة التحويل الزراعى الى الجماعية . ولكن كتابتاريخالحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى (طبعةموسكو) ، يرد على هذا المقال بأن ستالين هو المسئول عن انحرافات التطبيق . والكتاب لم يحلل الخسائر بشكل كاملولذالم يتعرض للسئوال : هل كان ضروريا — من الاصل — ان يتم التحول الىالجماعية فى الزراعة بهذه السرعة ، وبلا مراحل ؟

الرأسمالية على مراحل بلغت قمتها بنجاح فى عام ١٩٥٦ (٤) .

وفى الزراعة استطاعت التجربة الصينية أن تحقق التحول الى الجماعية بطريقة أكفأ وأسرع مما تم فى الاتحاد السوفيتى ومستفيدة أيضا بما حدث فى الاتحاد السوفيتى ، فهو لم يفرض ولم يصحبه عنف ، وانما تم بين حماس الجماهير واندفاعها .

تجربة الجمهورية العربية المتحدة

أما بالنسبة للجمهورية العربية ، فلا شك أن عمليات التحول الواسعة قد تمت عبر تدرج ناجح الى درجة كبيرة ، وعبر عدد من المراحل والأشكال الانتقالية التى نعرفها ، والتى لا نجد داعيا لتكرارها هنا .

الا ان الحديث عن التدرج المحمود فى الجمهورية العربية ، لاينبغى ان يفهم بالمعنى الذى يستخدمه الاشتراكيون الديمقراطيون ، وبعض الشيوعيين فى الغرب .. فالتدرج المشار اليه هنا ، هو تدرج بالمقارنة مع ماحدث فى الاتحاد السوفيتى خلال شهر واحد من الثورة . فحين تقدم الجمهورية العربية المتحدة على التأميمات الاشتراكية بعد تسع سنوات ، فان هذا — بمنطق التاريخ — تحول سريع جدا وثورى ، ولا يقارن بالمعنى الذى يقصده اشتراكيو الغرب ، حين يقصدون بالتدرج التغيير البطىء فى علاقات الانتاج عبر عشرات من السنين .

ان عمليات التحول السريعة فى علاقات الانتاج فى دولنا النامية ، هى عمليات من الصراع الطبقى المكشوف . عمليات التحول الاشتراكى هى صراع بين انصار الاشتراكية وخصومها . قد يكون الصراع سلميا أو دمويا ، ولكنه صراع فى كل الاحوال ، ولذا فان عمليات التحول ليست مجرد تشريعات اقتصادية ، وانما هى معارك اقتصادية وسياسية ، وهى عمل دعائى وتنظيمى .

عمليات التحول تتطلب

حكما سياسيا « قويا »

وعمليات التحول فى هذه الدول تتم — بشكل ثورى وسريع ، ولذا فان المعارك التى تصاحبها تصبح حاسمة .. وتزداد خطورة المعارك مع ضراوة المقاومة ، وردود فعلها بالنسبة للقيادة الثورية . ولعل هذا كان سببا موضوعيا لشدة القبضة الدكتاتورية فى الاتحاد السوفيتى (دون ان يكون مبررا لمداها كما سيجىء) .

وعلى أى حال فأيا كان قدر المقاومة والاخطاء فان مهمة التحويل الاجتماعى السريع تتطلب — بشكل عام — نظاما سياسيا «قويا» نظاما يخدمه استخدام السلطة بطريقة ثورية .

وفى الاتحاد السوفيتى — حتى قبل الفترة الستالينية — كان النظام السياسى دائما نظاما صارما .. صارما فى تحديد اتجاهاته ، صارما فى تحديد أصدقائه ، ولا يجد الفرصة لكى يرحم أعداءه ومعارضيه .

لقد ووجهت الثورة الروسية بمقاومة عنيفة ومسلحة .. ولذا كان لابد من ان تستخدم السلطة السوفيتية اساليب قمع شديدة مع معارضيها . كان هذا أسلوبا دفاعيا ضروريا لنجاح الثورة ، ولكن كثيرا ماأسىء شرحه وفهمه .

وعلى كل فان أسلوب الثورة الاشتراكية العنيفة ، لم يكن يهضم بسهولة فى كثير من البلاد الغربية ، حتى من كثير من الاشتراكيين حسنى النية .

ولكن — للحقيقة — كان هناك بعض من الاشتراكيين الغربيين «على استعداد لقبول فكرة أن الاسلوب البلشفى ، برغم عدم ملائمته للمجتمعات الغربية الاكثر تقدما ، قد يكون الاسلوب الوحيد الممكن تحقيقه فى روسيا ، والطريقة الوحيدة التى يمكن بها الدفاع عن الثورة الروسية الكبرى ضد أعدائها الكثيرين ، واتخاذها أساسا لبناء مجتمع اشتراكى فى بلد متخلف» (٥)

أما البلاشفة فلم يتصوروا فى ذلك الوقت امكان وجود طرق مختلفة الى الاشتراكية وتصوروا أن كل أوربا ينبغى أن تسلك نفس الطريق الروسى الى السلطة . لقد هاجم لينين وقادة الحزب الشيوعى السوفيتى مفاهيم الديمقراطية الغربية بقسوة وحسم ، وهو أمر قد تناقش مدى صحته من الناحية النظرية ، ولكنه كان ضرورة من الناحية السياسية ، فلم يكن هناك ماهو أفتك بالثورة فى تلك الايام من تلك المفاهيم

---

(٤) المؤتمر القومى الثامن للحزب الشيوعى الصينى جزء ١ ص ٢٢ — ٢٣ .
(٥) هـ.ج.كول : تاريخ الفكر الاشتراكى (الجزء الخامس) — الشيوعية والديمقراطية الاجتماعية — ترجمة عبد الكريم احمد — ص ٥ — ٦ .

فأى ليبرالية تدعو الى حرية المعارضين كانت تمثل خطرا حقيقيا على الثورة فى الاتحاد السوفيتى .

ولعل هذا هو نفس السبب الذى يدعو الحزب الصينى الان الى المحاربة العنيفة للافكار الخاصة بامكان استخدام الطريق البرلمانى للانتقال الى الاشتراكية ، فهم يرون ان هذا أمر يشير البلبلة فى داخل حزبهم وفى داخل الشعب ، خاصة وأن هناك بالفعل «من يعتقدون» كما يقول ماوتسى تونج «أن هناك حرية أكثر فى ظل نظم الديمقراطية البرلمانية الغربية ، وهم يطالبون باقتباس نظام الحزبين السائد فى الغرب حيث يتولى حزب الحكم ، ويبقى حزب آخر خارج الحكم» (٦) . ويرى ان هذا هو طريق العودة بالصين الى الرأسمالية والتفكك .

وفى عام ١٩٦٣ ، صاغ الصينيون موقفهم من الطريق البرلمانى بشكل أوضح ، فقالوا ان الكلام عن هذا الطريق «انكار واضح للاهمية العامة لطريق ثورة اكتوبر» (٧) .. وطريق ثورة اكتوبر الذى يقصده الصينيون هنا ، هو — فى أساسه — طريق السلطة ذات القيادة المركزية القوية ، السلطة التى تفرض دكتاتورية سافرة ضد اعدائها ، وتوجيها وانضباطا على انصارها .

والواقع ان الطريق البرلمانى هو أمر لا مجال للحديث عنه الا فى الدول الصناعية الغربية ، أما الترويج له فى الدول النامية فلا يخدم الا الثورة المضادة .

هل يستمر الحكم « القوى »

بعد التحــول الاشتراكى ؟

ولكن البعض يقول ان الدكتاتورية الشعبية الحاسمة مطلوبة فى أيام الثورة الاولى بشرط الا تصبح شكلا سائدا فى مرحلة تاريخية بأكملها .

ان «كول» — مثلا — يقول أنه لم يكن يتصور أن اجراءات القمع للمعارضين ستستمر فى روسيا ، فقد تصور انها اجراءات مؤقتة حتمتها سنوات الثورة الاولى وحروبها .

ولكن ثبت أن اذابة هذا الشكل من الحكم بعد سنوات قليلة من الثورة والتأميمات هو أمر مستحيل ، اذ أن الفترة التالية للتأميمات .. فترة الانطلاق ، أو فترة البناء الاشتراكى لبلد متخلف هى فترة لاتقل فى صعوبتها عن أيام الثورة ومعارك التأميم .. الصعوبات تختلف فى نوعها ولكنها من ناحية الحجم قد تكون أكبر ، وكل التجارب الاشتراكية عاصرت فى هذه الفترة أياما كثيرة خطرة .

و «لاسكى» يقدم — من وجهة نظره — صورة للموقف ، وهو يتحدث عن هذه الفترة فى الاتحاد السوفيتى ، فقد كان على الحكومة السوفيتية على حد قوله — «اما أن تستمر فى سياسة سنة ١٩٢١ الاقتصادية الجديدة NEP ، التى كان من المحتمل جدا أنها تعنى العودة الى النظام الرأسمالى على نطاق كبير ، أو أن تنبذ هذه السياسة وتشرع فى تصنيع روسيا تصنيعا شاملا على أسس حديثة ، بيد أنها اذا أرادت أن تتبع الطريق الثانى فان المنطق يتطلب منها ، فى بلاد مترامية الاطراف وغالبية سكانها من الفلاحين غير المتعلمين ، فرض نظام حديدى على السكان لاسبيل الى تحقيقه الا عن طريق الدكتاتورية . وكانت هذه الدكتاتورية أكثر حتمية حيث أن ثمن التصنيع — اذا أريد تحقيقه بدون الاعتماد على رأس المال الاجنبى — هو التحديد القاسى للبضائع الاستهلاكية والالتجاء الى الزراعة الجماعية ، اذ بدون هذه الاخيرة لايمكن الابقاء على تحديد البضائع الاستهلاكية فوجود طبقة كبيرة من ملاك الاراضى كان يقضى فى غضون عشر سنوات على سياسة التصنيع حيث انهم ماكانوا ليقبلوا القيود التى تفرضها .. وكانت هذه الضرورات يزيدها حدة من كل جانب الحاجة الى تنمية قوة دفاعية على نطاق يسمح بالاطمئنان فى مواجهة الغزو الاجنبى . وقد أدت هذه الحاجة — بدورها — الى توسيع نطاق التصنيع وزيادة سرعته . وبالاختصار كان مجهودا يرمى الى ضغط فترة من التنمية ، تطلبت حتى فى الولايات المتحدة وبمساعدة استثمار ضخم لرأس المال الاجنبى قرنا ونصف قرن ، فى جيل واحد وقد كان مجهودا بذل بين سكان غير مدربين من أجل الهدف المطلوب الى حد كبير ، سكان كان من المحتمل جدا أنهم ، خاصة الفلاحين ، ماكانوا ليقبلوا ماتقتضيه منهم من تضحية هائلة فى الحاضر فى سبيل مكسب متوقع فى المستقبل لو أن الأمر عرض عليهم ليختاروه بحرية» (٨) ..

والتحديات التى واجهت الاتحاد السوفيتى هى — بدرجات متفاوتة — نفس التحديات التى

(٦) ماوتسى تونج : معالجة التناقضات بين صفوف الشعب — ص ٣١
(٧) اصل الخلافات وتطورها بين قيادة الحزب الشيوعى السوفيتى وبيننا — بكين — ص ١٠
(٨) هارولد لاسكى : تاملات فى ثورات العصر — ترجمة عبد الكريم احمد — ص ٧٤ — ٧٥

تواجه الان الجمهورية العربية وسائر الدول النامية من جهة .. والصين من جهة اخرى .

تناقضات فترة ما بعد التأميمات

لقد رفضنا فى اول المقال الفكرة التى «تخجل» من ذكر التناقضات الداخلية ، فترمى بالمسئولية الاساسية فى مقاومة النظام الثورى على العوامل الخارجية . ولننتقل الان الى الحديث عن طبيعة التناقضات الداخلية التى تحكم فترة مابعد التأميمات فليس صحيحا ايضا ان نلقى بالمسئولية الكبرى عن تفاقم الاوضاع على عاتق الفلول الرجعية التى سحبت ممتلكاتها ، وعلى بقايا المجتمع القديم .

هذه الفلول قوى مؤثرة كقوى حليفها الاستعمار ، خاصة حين تكون عمليات التحول الاجتماعى غير كاملة ، وتترك مجالا غير قليل للنشاط الخاص .

ولكننى اود أن الفت النظر هنا الى التناقضات الشابة التى يخلقها النظام الجديد نفسه . تخلقها التأميمات والقطاع العام ، فهذه — فى رأيى — أخطر التناقضات على العملية الثورية ، وينبغى أن تواجه بوضوح وصراحة .

أولا : تناقض الجماهير العاملة مع متطلبات التنمية

علاقات الانتاج الراسمالية كانت تتسبب فى افقار الشعب ، وكان هذا يشحذ الجماهير للنضال ضدها ، ونفس الامر ينطبق أيضا على نضال الفلاحين ضد كبار الملاك . ولا شك أن التأميمات أو توزيع الارض يسهمان فى رفع مستوى المعيشة ، ولكن بشكل جزئى جدا . وبالتالى فان كل الرومانسية التى احاطت بهذه الانتصارات لاتلبث أن تذوى شيئا فشيئا ، كى تحل محلها المشاكل الواقعية .

ان حماس المعركة كان يصور للجماهير أن هذه الانتصارات ستعنى نهاية للمتاعب والفقر ولكنها تفاجأ بأن الفقر لم ينته بشكل جذرى ، وتتصور أن السبب هو انه لازالت هناك جهة ما تأخذ الفائض الذى لو وزع على الشعب لانتشر الرخاء .

وفى الحال ينشأ التناقض بين مايذهب الى العمال من أجور ، وبين ماتحدده القيادة الثورية ليذهب الى الدولة كتراكم .. كم هنا ؟ وكم هناك ؟ النظرة العادية لعمال المنشأة ، أو لفلاحى القرية ، أنهم يريدون زيادة نصيبهم على حساب نصيب الدولة ، والقيادة الثورية لاتوافقهم (طبعا لو أخذ العاملون كل نصيب الدولة لظلوا ايضا فقراء ، ولكنهم — فى العادة — لايصدقون هذا بسهولة) .

هذا التناقض لايمكن أن يحل نهائيا .. ولكن يمكن أن يوجد بشكل غير حاد .. وتنخفض الحدة اذا اتخذنا — فى حدود الممكن — سياسة مناسبة فى ميدان الاستهلاك والدخول ، من جانب ، واذا استخدمنا بمهارة «عوامل الموازنة» من جانب آخر ويأتى فى مقدمة هذه العوامل الدور الطليعى للحزب أو التنظيم السياسى الثورى المرتبط بالجماهير .

ان خفض حدة هذا التناقض امر اساسى جدا لمنع الثورة المضادة ، خاصة حين نضع فى اعتبارنا اننا نتكلم عن الملايين الواسعة ، والتى كانت دائما مع الثورة والتقدم ، وخاصة أيضا حين نتذكر أن جماهير هذه الفترة ، هى جماهير صقل وعيها الحديث المستمر عن العدالة والاشتراكية وشحذ قواها النضال الظافر ضد سيطرة الرأسماليين ومن هنا فان تزايد احساسها بالضيق يمكن أن يتحول الى اعصار مدمر (كما حدث فى المجر) .

ثانيا : التناقض بين القوى الثورية والبيروقراطية

ان فترة مابعد التأميمات تشهد انتقال ملكية عدد هائل من أدوات الانتاج الى يد الحكومة المركزية . ومع نقص الكادر الفنى والادارى ، ومع الخوف من محاولات التخريب الرجعية ، يصبح هناك اتجاه حتمى لزيادة السلطات المركزية على القطاع المؤمم ، وهذا يخلق فئة قوية تسيطر على اقتصاديات البلاد ، وهذا يهدد بالسيطرة على الدولة ، على السلطة السياسية وعلى الثورة .. ومثل هذه السيطرة — لوتمت — تكون سيطرة لفئة محدودة النظرة والمصلحة تعود بالبلاد الى الانقسام الطبقى الحاد ، وترتد بمحاولات التنمية والاشتراكية .

ان هذه الفئة بحكم موقعها ودورها تنشىء تناقضا لا يمكن أن يحل حلا نهائيا .. ولكن يمكن وينبغى أن يظل تناقضا غير حاد ..

ان الادارات مطالبة باستمرار الجهاز الانتاجى بل وبزيادة نشاطه . وهذا يعنى أنها لابد وأن

تواصل عمليات الضبط والربط ، في وقت يتصور فيه العاملون ان الخلاص من قبضة الرأسماليين يعني ارتخاء التعليمات وشيوع التساهل . لقد شهدت كل التجارب الاشتراكية — في مراحلها الاولى — هذه الظاهرة ، وقد ناقشها لينين — مثلا — في كثير من خطبه بعد الثورة .. كان أي مدير غيور على مصلحة العمل معرض للاتهام بأنه عميل للبورجوازية ، وكانت ديمقراطية الانتاج أصبحت تعني عدم الخضوع للقرارات واللوائح وقد حدث نفس الامر أيضا بدرجة أو أخرى — في الجمهورية العربية المتحدة وفي غيرها من البلاد .

الا أن تشديد النظام — من الناحية الاخرى — قد يؤدي الى التحكم المبالغ فيه من قبل المديرين خاصة والبيروقراطية في ظل التأميمات الشاملة كما قلت — تملك امكانيات هائلة على السيطرة .

ان عوامل الموازنة لسلطة ووضع البيروقراطية هامة جدا في الحد من تناقضها مع القوى الثورية وعوامل الموازنة تتلخص في :

● نوع من المشاركة القاعدية في الادارة ، والوصول الى صيغة مناسبة لهذه المشاركة أمر غير سهل ، فهو مع ضرورته لاينبغي أبدا أن يخل من الانضباط والمركزية .

● الحد من التمايز الواسع في الاجور بين البيروقراطية الادارية والفنية ، وبين الجماهير العاملة . ان الحد من التمايز يحد من الاساس المادي لسيطرة هذه الفئة ، ويحد من تناقضها مع الشعب ، وهو أيضا يقنع الشعب بأن المقتطع من دخله يذهب فعلا للاستثمار ، وأن انخفاض الدخول يرجع الى انخفاض موارد البلد وقلة الانتاج ، وليس لان هناك من يستأثر بالفائض . وأخيرا فان تقليل التمايز يجعل الجماهير تؤمن بالمعنى الذي يقال من ان التنمية قضية وطنية تستحق العمل الشاق والتضحية ، فالعمل الوطني يعني مساهمة الجميع ، والتضحية من الكبار قبل الصغار .

● تعميق الوعي الوطني والاشتراكي لدى أبناء هذه الفئة ، واعادة تربيتهم نفسيا وعقليا ، والعناصر الطليعية تلعب هنا دورا أساسيا في ربط هذه الفئة بالشعب .

ان القدوة والعمل الدءوب لربط القسم الاكبر من هذه الفئة بقوى الشعب هام جدا لتقليل التناقض ، وفي الصين يذهبون الى حد الزام كل رجال الدولة الكبار بالعمل اليدوي لفترة معينة على أساس ان هذا العمل اليدوي يعيد صياغة الناس بروح التواضع ، واحترام الجماهير ودورها .

● وعامل الموازنة الاخير والحاسم هو أن يكون هناك تمايزا واضحا بين القيادة الثورية وبين هذه الفئة ، تمايزا ايديولوجيا ومصلحيا ، وتمايزا في العلاقات العامة والاجتماعية .. والتمايز طبعا لا يعني القطيعة ، ولكن يعني ضمان منع البيروقراطية من السيطرة بمصالحها ولفكرها على السلطة .

طبيعي أن كل هذه الاجراءات الموازنة ليست سهلة وأنها تلقى مقاومة من كثير من البيروقراطيين فهم — بالحركة التلقائية — ينحون لتأليف طبقة تستأثر بكل السلطة ، ويضيقون بأي اجراءات تحد من امتيازاتهم ودخولهم ، فهم يتطلعون — دائما — الى زملائهم في الدول الغربية المتطورة ولذا فان وضع هذه الفئة داخل الحدود المطلوبة هو أمر لايتم الا بصراع متواصل ومرسوم بحكمة

ثالثا : شدة النظام السياسي

أن التحكم في التناقضين الاول والثاني يتطلب استمرار النظام السياسي الثوري ، الذي تتمتع قيادته بسلطات مركزية واسعة . وعلى القيادة المركزية ان تستخدم هذه السلطات بشجاعة ومهارة شجاعة من لايتردد في ضرب الاعداء ، ومهارة من يحسن توجيه الديمقراطية حتى لايساء استخدامها من قبل الاصدقاء تحت ضغط التناقضات .

أن ضرب الاعداء ينبغي أن يتم وسط فضح لمؤامراتهم .. وفي أحيان كثيرة يكون هذا أسهل جدا من مواجهة التناقض مع الاصدقاء . وحتى مع الاصدقاء قد تضطر السلطة الى الزجر العنيف لبعض الفئات الشعبية التي لاتقدر الظروف العامة ويتعقد الامر حين يكثر عدد هذه الفئات ، وهو الامر الذي يحدث عادة اذا تفاقمت بعض مشاكل البناء ، سواء للضغط الخارجي ، أو لقصور الامكانيات ، أو للاختناقات التي تتولد من نواقص التخطيط والتنفيذ .. وهذا متوقع كثيرا حيث أن فترة ما بعد التأميم هي الفترة التي نسعى فيها الى علاج عشرات المشاكل دفعة واحدة .

لقد شهدت التجربة العربية هذه الفترة من التوتر السياسي في العام الاخير ، على أثر بعض النواقص في سياسة التنمية والاستهلاك .

أن النظام السياسي القائم على مركزية ثورية واضحة هو ضرورة موضوعية ، ولكن لايمكن تجنب كثير من المضايقات والتناقضات التي تنشأ عن مثل هذا النظام ، وخاصة مع المثقفين الذين قد يشعرون بأن هذا النظام يحد من انطلاقهم ولايحترم ذاتيتهم بالقدر الكافي .

وعنصر الموازنة الاساسي هنا هو أن تشعر الجماهير الكادحة — بالذات — أن هذا النظام يهيىء لها ديمقراطية واحتراما أكثر من الانظمة البرلمانية على النمط الغربي(٩). وهذا أمر حادث بالفعل ، فالعمال والفلاحون — سواء عندنا أو في أي بلد اشتراكي آخر — يشتركون في وضع ومراقبة السياسة العامة والسياسات المحلية على نطاق لم يكن ممكنا — ولا في الاحلام — في ظل البرلمانية البورجوازية .

الا أن اشراك الجماهير الواسعة في متابعة السياسة العامة يفرض بدوره عددا من التعقيدات فللاسكي ملاحظة قيمة عن المجهود الذي كانوا يضطرون الى بذله في بلد كالاتحاد السوفيتي من أجل توضيح القضايا للجماهير ، وهذا المجهود هو الذي يفسر حدة الانفعال في السياسة الروسية إذ كان لابد من تبسيط كل شيء اكثر مما ينبغي ، والمغالاة في وضعه في قوالب سهلة الادراك .. ولعل هذه الملاحظة تصدق بشكل أكبر على الصينيين ، فهم بحكم — اصرارهم على ادارة مناقشات أوسع ، واشراك الجماهير على نطاق كبير ، نجدهم أساتذة في أستخدام القوالب التي يسهل حفظها مثل «سياسة السير على قدمين» (أي الاهتمام بالصناعة الى جانب الزراعة ، والصناعة الحديثة الى جانب الصناعات الصغيرة والحرفية .. الخ) . و «الاستعمار الامريكي نمر من ورق» ، و «الريح الشرقية تتغلب على الريح الغربية» وهكذا .

أن هذه القوالب — عادة — أضيق جدا من حقيقة الواقع المعقد والمليء بالالوان . وحين تحبس السياسة العامة في مثل هذه القوالب فانها تتحول الى نوع من العقيدة المقدسة التي لاتقبل التأويل ويصبح الاجتهاد نوعا من الانحراف واشاعة البلبلة .. وهذه مشاكل تزيد من تعقيد بعض المثقفين الذين ينكرون هذا التبسيط .. ولكنها على أي حال مشكلة يمكن اكتشاف بعض الحلول لها ، ولاتخلو من الفائدة الايجابية الكبيرة الناتجة عن تعبئة الملايين بالعقيدة الثورية الملهمة .

المشاكل الثلاث مترابطة

أن هذه التناقضات أو المشكلات الثلاث مترابطة وتؤثر على بعضها البعض . فالعلاقة مع الجماهير تؤثر على البيروقراطية ، والتنازلات أمام البيروقراطية تؤثر مباشرة على اندفاع الجماهير .. وشكل الاجراءات السياسية يؤثر على كل شيء .. وهكذا .

وهذا يعني — في النهاية — أننا في فترة ما بعد التأميمات نصبح مواجهين بمجتمع جديد له مشاكله وتناقضاته الخاصة : الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وينبغي أن نسيطر على هذه المشاكل كلها معا حتى لا ينفجر بنا أثناء التفاعل .

الا أن الصورة المرسومة هنا لمجموع التناقضات تجعل قيادة مثل هذا المجتمع تبدو مستحيلة ، والحياة في ظل هذا التقشف والمعاناة تبدو غير محتملة .. ولكن هذا صحيح لمن ينظر الى الصورة من بعيد ، أما حين تقترب وترى الحالة الفعلية التي تحيا فيها هذه المجتمعات فستجد أن الشعب السوفيتي — مثلا — كان يحيا وسط تهديد خارجي بالغزو المسلح . وهذا وضع يدفع الناس الى أحتمال التضحيات وقبول حديدية النظام . والشعب السوفيتي كان يؤمن بأنه حقق ثورة ظافرة قضت على قياصرة وملاك ورأسماليين .. والشعب السوفيتي كان يرى أن بلاده الواسعة تبنى فعلا ، فيشهد المصانع الجديدة في كل مكان ، وتنتفي البطالة وتزداد الفرص في التعليم الخ .. ان هذه الانتصارات كانت تلهم الشعب وتعبىء قواه ، والحق أنه لولا الايمان ، شبه الديني ، لدى الشعب السوفييتي ، بأنه يحقق رسالة عظيمة ، لما كان ممكنا أن نفهم كيف صبر في فترة الحكم الستالينية .

ونفس الامر يصدق الان عن الصين .. «أن الصين يجب أن تتحول الى دولة صناعية عظمى» هذا الهدف الذي يرفعه الحزب الشيوعي كاف لتحريك الملايين الصينية العريقة ، ويشحذ همم هذه الجماهير أن ترى النتائج تتحقق وسط تهديد من الولايات المتحدة ، و «خوف» من الاتحاد السوفيتي وحذر من الهند .. في الصين أيضا التعبئة المعنوية للجماهير تلعب دورا موازنا هاما لكل التناقضات التي ترهق المجتمع .

ولذا فان من أهم المهام الواقعة على عاتق القيادة الثورية في هذه البلاد هو أن تحرك هذه الطاقة وتستخدمها الى اقصى حد .

---

(٩) يحدث عادة ان نقارن بين النظام السياسي عندنا وبين النظم البرلمانية كما هي مطبقة حاليا في الدول الغربية ، وفي رأيي ان هذه المقارنات خاطئة لاكثر من سبب ، والاصح هو أن نقارن نظامنا السياسي الحالي بالنظام البرلماني البورجوازي كما كان مطبقا في مطلع النظام الراسمالي أيام التنمية الصعبة او نقارنه بخبرة تطبيق النظام البرلماني الغربي عندنا قبل الثورة ، او بخبرة تطبيقه في دولة نامية أخرى كالهند ، واثر ذلك على مشاركة الطبقات الكادحة في الامور السياسية .

الاتحاد السوفيتى فى مرحلة الانطلاق وبعـــد معــــركة التأميمـــات

كانت هذه من سمات الفترة التى قادها ستالين وطبقا للشرح السابق، كانت هناك أسس موضوعية للسلطات المركزية القوية المخولة لستالين، ولظاهرة عبادة الفرد .

ومنذ مطلع ١٩٢٩ ، أى مع الخطة الخمسية الاولى ومع تحويل الزراعة الى الجماعية أعلن ستالين أن «العناصر الرأسمالية تعلم أنها فى خطر مميت، وهى تزيد مقاومتها»(١٠). وقد كانت هذه العبارة أساسا للاجراءات الشديدة التى ميزت حكمه . الا أن ستالين أساء ــ بلاشك ــ استخدام سلطاته ، وتمادى فى القسوة والطغيان .

ومع ذلك فنحن مطالبون عند تقويم هذه الفترة بالانخلط بين الصواب والخطأ . وقد عبر الحزب الشيوعى الصينى عن هذا الرأى منذ نهاية المؤتمر العشرين (راجع الدراسة التى نشرتها بكين فى عام ١٩٥٧ : مزيد من الخبرة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا) . وقد ازدادت بكين تأكيدا لهذا الرأى فى السنوات الاخيرة فيقولون فى دراستهم الصادرة فى ١٩٦٣ «أن ستالين قد ارتكب فى حياته أخطاء خطيرة ، الا أن هذه الاخطاء مع مآثره العظيمة لم تكن الا شيئا ثانويا » (١١) .

والحقيقة أن **هارولد لاسكى** كان يقول نفس الشىء منذ عام ١٩٤٢ ، فهو يقدر أن الانجازات السوفيتية الكبيرة لم يكن ممكنا أن «تنفذ بوسائل ديمقراطية (بالمعنى الغربى للديمقراطية) اذ يصعب على الا أعتقد أن أية حكومة تطلب الى الناس اعادة انتخابها على أساس التضحيات التــــى اقتضاها البلاشفة ستنحى عن السلطة بأغلبية ساحقة» (ص ٧٥) .

وهو يقول أيضا أن «الدكتاتورية كانت نتيجة ضرورية للظروف التى واجهها البلاشفة، ومما لاريب فيه أنه لولاها لكانت العودة الى الرأسمالية »

كان لاسكى اذن يقـــدر ضرورة هـــذا الحـــكم المركزى وأيجابيته ، ولكنه كان يرفض فى نفس الوقت المبالغة الفظيعة التى وصل اليها ستالين .. مثلا ، ان حملات الارهاب فى عامى ١٩٣٤ و ١٩٣٦ والتى استمرت حتى نهاية ١٩٣٨، وشملت أعدادا ضخمة من كادر الحزب(١٢)لا يمكن أبدا أن تكون ضرورة للتقدم أو نتيجة للصراع العنيف ضد القوى الطبقية المناهضة .

التجربة الصينية فى نفس الفترة

الصينيون يدافعـــون بشـــدة عن الجـــوانب الايجابية فى ستالين ، لانهم يدركون أهمية الحكم المركزى ذى السلطات الواسعة فى معركة البناء وانه أساسى جدا فى الصين ، كما كان فى الاتحـــاد السوفيتى .

ويبدو أنهم استطاعوا فعلا أن يتجنبوا كثيرا من أخطاء ستالين التى انتقـــدوها ، فقد شهـــد الحزب الشيوعى الصينى فى السنوات الاولـــى بعد انتصار الثورة فى ١٩٤٩ قدرا من الديمقراطية الداخلية ، وله تراث طويل فى فن المعاملة المرنة مع كادره وحلفائه ، وهو شىء يشبه الوضـــــع الذى كان موجودا فى الحزب الشيوعى السوفيتى أيام لينين ، وأيام كانت القضايا الهامة (كمناقشة اتفاقية برست ليتوفسك والسياسة الاقتصادية الجديدة NEP) تخضع لمناقشات واسعـــة مع قواعد الحزب .

لقد حافظ الصينيون على هذه التقاليد مـــن الديمقراطية فى داخل الحزب ومع حلفائه .. بل وتمادوا فيها فى عامى ١٩٥٦ و ١٩٥٧ مع نجاحاتهم فى التحول الاشتراكى ، وتأثرا بجو المؤتمـــر العشرين .

لقد تصوروا بعد نجاحهم فى التحول الاشتراكى أن الامر قد دان واستقر فاستسهلوا المشاكل ، وبالغوا جدا فى تقدير امكانيات الثورة . فجـــاءت سياسة «القفزة الكبرى للامام» وصاحـــبتها الكوميونات فى الزراعة . تصوروا فى « القفزة » أن بوسعهم تحقيق أرقام فلكية تفوق كل تقديرات واقعية ، وفى الكوميونات تصوروا أن زراعتهم البدائية جدا قد نظمت بطريقة «تحمل البراعـــم الاولى للشيوعية » (١٣) .

وقد كبدتهم هذه السياسة خسائر كبيرة أضيفت اليها كوارث طبيعية ، وخلافاتهم مع السوفييت التى ترتب عليها انسحاب الخبـــراء السوفييت وانكماش العلاقات الاقتصادية بين البلدين .

وكان طبيعيـــا أن يدفع التـــدهور فى الجبهة الاقتصادية الى تشـــديد القبضة السياســـية ،

---

(١٠) الانحراف اليمينى فى الحزب الشيوعى للاتحاد السوفييتى ــ مشاكل اللينينية ــ موسكو ١٩٤٧ ص ٢٥٤ .
(١١) اصل الخلافات وتطورها بين قيادة الحزب الشيوعى السوفيتى وبيننا ــ بكين ــ ص٨
(١٢) من الطريف ان النقد الــذاتى الوحيد الذى قدمه ستالين فى حياته ، هو انه لم يبدأ هذه المذابح منذ فترة مبكرة .. فقد « اثبتت » محاكماته ان هـــذه العصابات (يقصد كادر الحزب) كانت فى خدمة اقلام التجسس الاجنبية ، وقامت باعمال تآمرية منذ الايام الاولى لثـــورة اكتوبر (!) « كيف فاتنا ان نلاحظ امرا خطيرا كهذا ؟ »
(١٣) تقرير عن الاهداف الرئيســـية لمخطط الاقتصاد القومى لعام ١٩٥٩ ــ بكين ــ ص ٤٩

فسحبت الشعارات المرنة،وحلت محلها تصريحات عصبية ، يشيع فيها الاحساس البالغ بالمصاعب والمخاطر .

فى عام ١٩٥٦ كان **ليوتشاوشي** يقول بثقة وحسم « ان السؤال الخاص بمن سيفوز فى الصراع بين الاشتراكيةوالرأسماليةفىبلادناقد حسم الان»(١٤) .

وفى نفس المؤتمـــر كان تنج هسياوينج يقول « ان برنامج الحزب من أجل الثورة الاشتراكية قد نفذ بشكل أساسى وبنجاح » (١٥) .

اما الان فان شواين لاى يقول «ان الرئيس ماوتسى توتج أخبرنا أن المجتمع الاشتراكى سيمتد حقبة تاريخية طويلة ، وأن التناقضات الطبقية لاتزال باقية فى المجتمع الاشتراكى ، وان النضال الطبقى لاينتهى بعد تأميم الصناعة وتجميع الزراعة والتحويل الاشتراكىفىملكية وسائل الانتاج»(١٦) .

وبينما كان ليوتشاوشى يقـــول فى عام ١٩٥٦ «أنه لاتوجد أسس للاعتقاد بأن النشاط المعادى للثورة سيشتد» (المرجع السابق ص ٨٣) وكان يقارن فى هذه العبارة — على مايبدو — بين تجربة الصين والتجربة السوفيتية ، ويعلق على كلام ستالين عن تزايد الصراع فى فترة مابعـــــــــد التأميمات .

بينما كان ليوتشاوشى يقول هذا الكلام فى عام ١٩٥٦ ، نجد أن شواين لاى يقول الان «أن ملاك الاراضى والبورجوازيين والطبقـــات المستغلة الاخرى التى تم الاطاحة بها ستبقى قوية ومتينة فى مجتمعنا الاشتراكى لفترة طويلة من الزمن ، ويجب علينا الا نهمل شأنها بأى حال من الاحوال وفى الوقت نفسه فانه ستنشأ عناصر بورجوازية جديدة ومثقفون بورجوازيون جدد ، ومســتغلون آخرونجدد فى المجتمع وفىهيئات الحزب والحكومة وفى المنظمات الاقتصادية ، وفى الادارات الثقافية والتربوية.وهذهالعناصر البورجوازية والمستغلون الاخرون الجدد سيحاولون بصورة مستديمـــة ايجاد مدافعين عنهم وعملاء لهم فى الهيئات القيادية العليا . وستتكاتف العناصر البورجوازية القديمه والحديثة والمستغلون الاخرون باستمرار فى مقاومة الاشتراكية ولتطوير الرأسمالية ، وهناك أيضا المعادون للثورة ، والعناصر السيئة ممن لم يتم اصلاحهم بشكل حسن ، أو ممن كانوا يخفــــون أنفسهم، انهم سيقومون دائما بالنشاطات التخريبية علنا أو فى الخفاء »

ان تناقضات مابعد التأميمات اشتدت فى الصين كما اشتدت فى الاتحاد السوفيتى . والمجتمـــع الصينى الان فى مرحلة حرجة غاية الحرج .

كان **لوجى تشينج** (وزير الامن العام) يقول فى المؤتمر الثامن انه «من المستحيل ، الان ، وبشكل مطلق،أنيدبر أعداءالثورة نكسة فى الصين»(١٧) .

ولكن لم يعد غريبا الان أن نسمع منشواين لاى عن الاحتمالات الحقيقية لحدوث مثل هذه النكسة، أو حدوث انقلابات ، وأنه « من الخطأ أن نقلل من خطر عودة الرأسمالية الى مجتمع اشتراكى » .

سمات خاصة لفترة ما بعد التأميمات

فى الجمهـــورية العربية المتحــــــدة

فى الجمهورية العربية لا زال للقطاع الخاص وزن كبير ، رغم أن القطاع العام له الـــــدور المسيطر من غير شك . ان النمو النسبى للقطاعين فى صالح القطاع العام ، ولكن الحجم المطـــلق للقطاع الخاص ينمو — مع ذلك — بدرجة ملحوظة ويمثل هذا مركزا لمقاومة البناء الاشتراكى،ويضاف اليه أن الانتقال السلمى أدى الى تصفية قطاعات من الاقتصاد الرأسمالى والطبقة الرأسمالية ، دون تصفية العناصر ، ويعنى هذا — كما قال الرئيس عبد الناصر فى أكثر من مناسبة — أن هناك جيشا معاديا كبيرا ينشط بين ظهرانينا .

وبعيدا عن الراسماليين (المخلوعين وغـــير المخلوعين) هناك التناقضات الاخرى التى خلقتها عندنا فترة مابعد التأميمات ، وهى التناقضـــات التى أشرت اليها .

هذه هى الصورة العامة .. الا أن هناك عددا من الظروف الموضوعية الخاصة والتى تعـــطى تناقضاتنا سمات معينة .

أولا : قوة البيروقراطية

هناك احصاء مقارن للمؤهلات العلمية للقيادات

---

(١٤) و (١٥) المؤتمر القومى الثامن جزء ١ ص ٣٧ .
(١٦) الوثائق الرئيسية للدورة الاولى للمجلس الوطنى الثالث لنواب الشعب فى جمهورية الصين الشعبية — بكين — ١٩٦٥ — ص ٢٩
(١٧) الجزء الثانى ص ١٠٠ .

الادارية ، ويتضح منه أن نسبة القادة الاداريين من خريجي الجامعة هي ٩٤٪ في الجمهورية العربية المتحدة بينما لاتزيد في الاتحاد السوفيتي الان عن ٨٠٪ (١٨). وقد يبدو هذا غريبا ، ولكن د. فؤاد شريف مدير المعهد القومي للادارة العليا يؤكد أن الامر هو نفسه في الدول الشرقية الاخرى، وهو يعزو انخفاض النسبة عندهم الى انسحاب كثير من الخبراء والاداريين بعد التحول الاشتراكي واضطرار الدولة بالتالي الى الاعتماد المباشر على «أهل الثقة» الذين كانوا في كثير من الاحوال غير جامعيين .

وقد يبدو غريبا أن النسبة في الاتحاد السوفيتي اقل من النسبة الموجودة عندنا ، بعد مايقرب من نصف قرن من الثورة ، ولكن الامر يظهر بشكل أوضح حين نذكر كيف كانت النسبة قبيل الخطة الخمسية الاولى (١٩٣٢/٢/٢٨) فقد كان ٨/٠ من المديرين من اعضاء الحزب (أي من اهل الثقة) ، ومن هذه النسبة كان هناك ٨ر٢٪ فقط تلقوا تعليما عاليا ! اما في التسع الباقي من المديرين والذى كان من غير الحزبيين ، فقد كانت نسبة المتعلمين تعليما عاليا اعلى بشكل ملحوظ ، فقد كانت النسبة ٥٨٪ (١٩) .

ان هذا الاحصاء الاخير بالذات ، يعكس حقيقة أن الانتقال السلمي والمتدرج الى الاشتراكية لم يجنبنا فقط الصدام الدموى ، وانما جنبنا ايضا المقاومة الشديدة من ابناء (الطبقة الوسطى) . فقد قبلوا جميعا ان يتعاونوا مع النظام الجديد ، ويقودوا مؤسسات الانتاج المؤممة .

هذا ظرف موضوعي لا يمكن تجاهله . وقد مكننا هذا العامل من مواصلة الانتاج ، وزيادته ، بعد عمليات التحويل الاجتماعية ، كما جنبنا اعمال التوقف والتخريب التي شهدها بلد كالاتحاد السوفيتي .

ولكنه — من ناحية أخرى — قد اورث النظام الجديد فئة قوية لاتعطف — في معظمها — على الاشتراكية .

في تجربة — كالاتحاد السوفيتي — عانوا كثيرا من نقص الاداريين والفنيين في المرحلة الاولى من الثورة ، ولكن المشاكل حلت — بعد مصاعب وأهوال — بتكوين فئة جديدة تتحكم القيادة الثورية في تشكيلها منذ البداية .

ان نشأة الفئة البيروقراطية مع التأميمات ، تمثل بالطبيعة — تناقضا لايمكن انكاره ، وواضح من ظروف التجربة المصرية ان هذه الفئة ذات قوة ملموسة ، ولا بد أن يؤثر هذا على كافة سياساتنا ، وعلى مدى الضغط الذى نستطيع أن نحدثه ضد تطلعاتها ، وعلى الطريقة التي توجه بها هذا الضغط .

ثانيا : ضعف التنظيم السياسى الثورى

التنظيم الثورى هو عنصر الموازنة الهام ضد البيروقراطية ، وثورتنا — للاسف — لازالت تشكو من ضعف هذا التنظيم ، والكادر الاشتراكي الملتزم محدود العدد حتى الان .

ان تمايز القيادات الثورية عن البيروقراطية غير كاف، وغير منتشر في معظم الانحاء، وفي مختلف المستويات .

ثالثا : الانتقال السلمى والظروف العالمية

لقد تميزت عمليات التحول الاشتراكي عندنا بأنها تحولات تتم في ظروف خارجية وداخلية مريحة نسبيا ، وهذا أمر يجعل التعرض للمزايا المكتسبة لبعض الفئات أمرا بالغ الصعوبة .

في الاتحاد السوفيتي — مثلا — دمرت حروب التدخل والحرب الاهلية ، كثيرا من المصانع والمزارع والبيوت ، أى أن الخراب كان واضحا أمام أعين الناس جميعا . ونفس الامر يقال عن دول شرق أوربا أو الصين .

هذه الظروف نسفت من الناحية العملية كل الامتيازات القديمة ، فلا مساكن كافية ولا سلع استهلاك متوافرة . الناس جميعا بعد هذه المآسي عند نقطة قريبة من الصفر . وهذا يساعد على رسم الاوضاع الجديدة وحدودها بحرية أكبر .

أما في ظل الظروف السلمية الهادئة نسبيا فان امكانية الضغط على المطالب اليومية لحساب التنمية لايمكن الا أن تكون في حدود ضيقة ، وتعديل أوضاع الفئات المقتدرة البيروقراطية لايمكن أن يكون في طفرة .

(١٨) د. احمد فؤاد شريف : تجارب جديدة في التنمية الادارية — بحث مقدم للمؤتمر العربي الثالث للعلوم الادارية — اكتوبر ١٩٦٥ .

(١٩) ليونارد شابيرو — الحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي — لندن ١٩٦٠ ص ٢١١ .

رابعا : التراث البرلمانى

مصر بلد غير حديث فى تجربته الديمقراطية ، وهو بلد كافح من أجل الدستور والبرلمان على النمط الغربى منذ منتصف القرن التاسع عشر . كافح ضد الحكام الاتراك. ثم ضد سلطات الاحتلال وحقق عديدا من الانتصارات الباهرة ، لقد مارس المصريون الديمقراطية البرلمانية ، وتعلموا معنى الاحزاب والصحافة والمعارضة والجدل السياسى بكل ما فيه من تبادل للحجج والمناورة ، لقد عشنا تجارب طويلة فى هذا المجال ، لم يشهدها — مثلا شعب كشعب الصين ، فقد ظلت الصين فى تاريخها الحديث منقسمة ، وظل الصراع السياسى فيها صراع حرب بين الجيوش .

وهذا اعتبار لا يمكن الا ان يترك اثره على شكل النظام السياسى عندنا .

خامسا : العلاقات المستمرة مع العالم الخارجى

مصر بطبيعتها وتاريخها لايمكن ان تنعزل عن العالم الخارجى ، والتحول الاشتراكى لم يفرض عليها حزاما صحيا كما حدث معالدول الاشتراكية الاخرى ، وانما زادها انفتاحا على الدول المختلفة وضاعف من تفاعلها العالمى .

فى الاتحاد السوفيتى أو الصين ، أدى الانعزال الى أن تصبح معلومات الناس عن التقدم فى العالم الخارجى محدودة .

فالمعلومات التى تسيطر الان على أغلب الصينيين هى أن أمريكا مجرد بلد الازمات والبطالة وأن غالبية الشعب لاتحيا حياة مناسبة تحت ضغط واستغلال الاحتكارات . ولا شك أن هذه المعلومات المبسطة جدا .. والغير دقيقة ، تخدم فى الهبوط بتطلعات الجماهير ، وتجعلها أكثر احتمالا لظروف التنمية ومتطلباتها .

أما نحن . . فبالاذاعةوالسينما والصحف،والوفود والمؤتمرات ، والسياحة اصبحت معلوماتنا أوفى ، والحمد لله وهذا يصعب الامر عند طلب اى تضحية سواء من الجماهير بصفة عامة ، أو من الفئة البيروقراطية بشكل خاص .

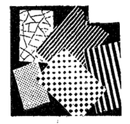
ان هذه الاعتبارات تجعل اى محاولة لتطبيق متطرف ، كالتطبيق السوفيتى او الصينى ، محاولة محكوم عليها بالفشل ، وأى محاولة من هذا القبيل هى نوع من المغامرة اليسارية العابثة .

ولكن هذا لايعنى —بطبيعة الحال— أن نستسلم وننجرف الى الاتجاه السهل ، الذى يؤدى الى تصفية الاتجاهات الاشتراكية وبوقف التنمية .

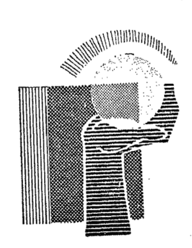
فنحن يجبأن نحارب الاتجاه اليمينى بعنف،هذا الاتجاه الذى يدعو الى التراجع المستمر امام مطالب القطاع الخاص ، أو أمام مطالب التوسع فى الاستهلاك ، وزياده الامتيازات للبيروقراطية . وقد نقر هنا أننا تراخينا فعلا فى فترة ما بعد التأميمات فى محاربة الانحرافات اليمينية . سواء فى تسامحنا معالقوى الطبقيةالمعادية، أو فىسماحنا للنشاط الخاص بتجاوز الحدود الطبيعية ، أو فى تجاوز الاستهلاك للمعدلات المقدرة ، أو فى الجو السياسى الذى شاع بعد الانتخابات البرلمانية .

وكان طبيعيا ان يؤدى هذا كله الى ارتباكات اقتصادية واجتماعية وسياسية ، وهذا هو السبب فى الاجراءات الجديدة ، التى تسعى فى كل هذه المجالات لان تعيد الامور الى نصابها . وبقى أن نحرك الى الحد الاقصى الدوافع المعنوية لشعبنا. فالتحدى الاستعمارى والاسرائيلى ، والذى وصل الى حد التهديد الذرى ، هو عامل يستفز أعمق مشاعر التحدى لدى جماهيرنا . وقضية التنمية هى أيضا قضية تحرك كل القوى حين تربط بتاريخ هذا البلد ، وبمدى التخلف الذى وصلنا اليه بالمقارنة مع العالم الحديث .

ان المعانى الوطنية حافز هام جدا فى دفع البناءالاشتراكى، وللتغلبعلىكثير منالتناقضات . . ان المعانى الوطنية سلاح هام جدا فى نضالنا من أجل تقدم الثورة ولدحر قوى الرجعية .



مسئولية القوى الشعبية
فى صياغة الإطار السياسى للدستور الدائم



أحمد نبيل الهلالى

فى خطابه الذى القاه فى عيد العمال فى اول مايو ١٩٦٦ ، قال الرئيس جمال عبد الناصر :

« مطلوب النهارده من مجلس الامة ان يبدأ فى اعداد الدستور الدائم » .

« .. يبتدوا يعملوا مناقشة مفتوحة فى كل وحدة على جميع المبادىء وجميع الفصول ، فصل فصل» . ثم اضاف «الجماهيرتدرس الدستورلان ذلك هو اساس ممارسة العمل العام وضمان الحرية وضمان الاستمرار » .

بهذه الكلمات الثورية ، حمل الرئيس عبد الناصر الشعب ومجلس الامة ، مسئولية تاريخية كبرى ، هى اعداد « الدستور الدائم » للجمهورية العربية المتحدة .

والدستور المرتقب ، لن يكون اول دستور تعرفه البلاد . ومع ذلك فأن صدوره ، يعتبر حدثا تاريخيا بالغ الاهمية ، نظرا لاختلافه كيفيا من حيث الشكل والمضمون ، عن كافة الدساتير التى سبقته .

● فالدستور الدائم ، لن يكون **منحة** ، يتفضل بها حاكم رجعى على رعيته ولن يصدر بأمر ملكى كما صدر دستور ١٩٢٣ .

● ولن يكونوليد **تعاقد او مساومة،** بين طرفى حاكم وآخر محكوم ، يعكس توازن القوى بينهما .

● ولن يكون وثيقة **تنفرد القيادة الثورية بمسئولية اصدارها** ، كالاعلانات الدستوريةالتى صدرت فى سنوات الثورة الاولى . كما لن يكون وثيقة تعدها القيادة الثورية ثم تطرحها على الشعب فى **استفتاء عام** ، ليقول كلمته فيها ، كدستور ١٩٥٦ ودستور مارس ١٩٦٤ .

● فمهمة الشعب اليوم ، لن تقتصر علىمجرد التصويت على مشروع الدستور بنعم اولا . ولاول مرة على طول تاريخ التطور السياسى فى بلادنا، سيسهم الشعببأسره ــ قيادة وقاعدة ــ فى كافة مراحل اعداد الدستور واقراره . ان جماهير الشعب مدعوة لتحديد المبادىء ولصياغة المواد قبل التصويت على مشروع الدستور . فلقد دعاها قائد الثورة « لمناقشة مفتوحة » « تتناول جميع المبادىء وجميع الفصول » ؛

حتى يصبح الدستور الدائم بحق«دستور الشعب .. يصدره الشعب .. من اجل الشعب .

ان هذه الخطوة الثورية الهامة ، تعكس مدى التقدم الذى احرزته فى بلادنا قضية تطوير الديموقراطية الاشتراكية خلال اربعة عشر عاما . كما تؤكد اخلاص القيادة الثورية فى تحقيق الهدف الثالث من اهداف «مرحلة الانطلاق العظيم» وهو :

« هدف الديموقراطية وتوسيع اطارها باستمرار وتعميق مضمونها » (١) .

ومن جهة اخرى ، سيتميز الدستور الدائم بمضمون طبقى جديد . انه لن يكون اساسا للنظام الاجتماعى والسياسى « **لتحالف الاقطاع مع رأس المال المستغل** » . كدستور ١٩٢٣ . ولن يكون دستورا « **لمرحلة الثورة الوطنية** » كما كان دستور ١٩٥٦ . بل يجب ان يكون دستورا « **لمرحلة التحول الاشتراكى** » يعكس ويقنن التغييرات الجذرية الهائلة التى طرأت وتتابعت منذ عام ١٩٢٣ ومرورا بعام ١٩٥٦ .

● كان دستور ١٩٢٣ ، دستور مصر «الملكية . الحرة .. المستقلة » ؟ ! . وكان دستور ١٩٥٦ دستور مصر « الجمهورية الديمقراطية » اما دستورنا الدائم فسيكون دستور الجمهورية العربية المتحدة«الدولة الاشتراكية الديمقراطية» .

● كان دستور ١٩٥٦ عند تحديده المقومات الاساسية للمجتمع يشير فقطالى « التضامن الاجتماعى » و «العدالة الاجتماعية» . اما دستورنا الدائم فسيضع فى مقدمة المقومات الاساسية للمجتمع «النظام الاشتراكى» .

● كان دستور ١٩٥٦ لايعرف سوى « الملكية الخاصة » اما دستورنا الدائم فسينظم ايضا الاشكال الجديدة للملكية التى ولدتها عملية التحول الاشتراكى وهى «ملكية الشعب العامة» و «الملكية التعاونية » .

● واخيرا كان دستور ١٩٥٦ ينظم العلاقات بين العمال واصحاب الاعمال على « اسس اقتصادية معمراعاة قواعد العدالة الاجتماعية » اما دستورنا الدائم فسينظم هذه العلاقاتعلى اسس اشتراكية جوهرها « القضاء على إستغلال الانسان للانسان » و « صيرورة العامل سيدا للالة بعد ان كان احد التروس فى جهاز الانتاج » و « **مسئولية العامل وتنظيماته** النقابية عن عملية الانتاج وتطويره » .

مصادر الدستور الدائم

وجماهير الشعب عندما تتصدى لمهمة وضع الدستور الدائم .. لن تبدأ من الصفر .. ولن تنطلق من فراغ .. فان لديها منابع محلية تلتزم بها .. وامامها تجارب دستورية عالمية تسترشد بها .

ويمكن ان نجمل مصادر الدستور الدائم فى الاتى :

● **اولا — الميثاق الوطنى :** اذ لم يعد الدستور فى بلادنا « ابو القوانين » انه من ناحية القوة التشريعية ادنى مرتبة من الميثاق الوطنى. ويجب ان يستمد الدستور اصوله من الميثاق الوطنى فى تطوره باعتباره المصدر الاول لكافة التشريعات .

● **ثانيا — خطب وبيانات واحاديث جمال عبد الناصر :** فالمواقف الفكرية لقائد الثورة ،يجب ان تكون المرجع الاعلى فى تفسير الميثاق .. توضح أى غموض .. وتزيل اى لبس .. وتبدد اية بلبلة . ان قائد الثورة ورئيس الاتحاد الاشتراكى هو السلطة الشرعية الوحيدة التى تملك تفسير الميثاق تفسيرا ملزما للجميع حتى انعقاد مؤتمر الاتحاد الاشتراكى .

● **ثالثا — دستور مارس ١٩٦٤ :** فرغم طبيعته المؤقتة ، يعتبر هذا الدستور من المصادر الاساسية لدستورنا المقبل ، لانه صدر بعد ان بدأت مرحلة التحول الاشتراكى واستجاب الى حد كبير لمتطلباتها .

● **رابعا التجارب الدستورية العالمية :** وفى هذا المقام يجبان نحذر من اى دعوة للاسترشاد بكافة دساتير العالم دون تمييز بحجة ان « فكرنا مفتوح لكل التجارب والافكار العالمية » فلو اننا بصدد اعداد بحث فقهى دستورى مقارن لتعين علينا بالفعل ان ندرس كافة الدساتير الرأسمالية والاشتراكية . ولكن المهمة التى تواجهنا ، أخطر شأنا واكثر تحديدا . انها وضع دستور يلائم واقعنا الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ويستجيب لمتطلبات كفاحنا الثورى .

وميثاقنا الوطنى يقول : « ان النظام السياسى « فى بلد من البلدان ، ليس الا انعكاسا مباشرا « للاوضاعالاقتصاديةالسائدة فيه وتعبيرا دقيقا « للمصالحالمتحكمة فى هذه الاوضاعالاقتصادية » .

---

(١) بيان الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس الامة فى ١٩٦٤/٣/٢٦ .

ومؤدى ذلك ان الدساتير البورجوازية ، انما تعكس الاوضاع الاقتصادية الراسمالية وتعبر عن مصالح الطبقات الاستغلالية . انها جزء من البناء العلوى للمجتمع الراسمالى . وهى تخدم القاعدة الاقتصادية الرأسمالية . اننا لن نجد فى هذه الدساتير سوى نصوص تقدس الملكية الخاصة وتحميها وتؤكد نظام الطبقات ، وتضفى الشرعية على الامتيازات الطبقية ، وتعكس على احسن الفروض مظاهر الديموقراطية البرجوازية الشكلية الزائفة . ان محتوى الدساتير البرجوازية يناقض المجتمع الاشتراكى الذى نكافح من أجل اقامته . ولذلك يجب ان تنحصر التجارب الدستورية التى نسترشد بها فى تجارب البلدان الاشتراكية ، وبلدان العالم الثالث التى اختارت طريق الاشتراكية وهجرت طريق النمو الرأسمالى .

ونحن لن نرجع الى هذه التجارب بهدف الاقتباس الحرفى ، او النقل الالى . وانما لنستخلص منها ما يتلاءم مع واقعنا ويتمشى مع خصائص « التطبيق العربى للاشتراكية » . مدخلين فى اعتبارنا اننا نضع دستورنا اليوم فى ظروف موضوعية وذاتية اكثر تقدما من الظروف التى وضعت فى ظلها الكثير من هذه الدساتير . ومستفيدين مما كشفت عنه هذه التجارب من عيوب لنتلافاها .. وما وقعت فيه من أخطاء لنتجنبها . وما عانته من انحرافات وانتكاسات لنتحاشاها .

الفارق بين الدستور والميثاق

وعند وضع الدستور الدائم يجب ان لا يغيب عن البال ، الفارق بين الميثاق والدستور :

● فالميثاق كما عرفته مقدمة دستور مارس ١٩٦٤ هو « دليل فكرى يقود خطى المستقبل » .

أما الدستور فهو تقنين للانتصارات والتغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى حققها الشعب بثورته .

● والميثاق وثيقة تحتوى على « برنامجنا فى التحول الاشتراكى حتى ١٩٧٠ «٢» » . أما الدستور فهو وثيقة تحوى الاسس القانونية العامة المستمدة من الميثاق والتى يقوم عليها النظام الاجتماعى والسياسى فى بلادنا . أى بعبارة اكثر تحديدا مجموعة القواعد الاساسية التى تحدد شكل الدولة ونظام الحكم فيها وتوضح حقوق الافراد وواجباتهم .

ويجب ان يكون واضحا تماما ، اننا لا نضع الدستور الدائم بهدف تعديل او تأييد الميثاق .. وانما نضع الدستور الدائم بهدف تأكيد الميثاق .

● فالدستور الدائم لن يستهدف تطوير الميثاق وتغييره . لان مهمة اعادة النظر فى الميثاق موكولة الى المؤتمر الوطنى الذى سينعقد فى ١٩٧٠ .

● والدستور الدائم لن يستهدف تجميد الميثاق من الباب الخلفى ، لان الميثاق كما أكد الرئيس جمال عبد الناصر « اداة فى يد تحالف قوى الشعب العاملة ولا ينبغى ان يتحول الى قيد عليها » . ولذلك يجب أن يتميز الدستور الدائم بمرونة تجعله يتسع لما قد يطرأ على الميثاق من تطوير او تغيير .

● والدستور الدائم لن يصدر لمجرد تكرار شعارات الميثاق وعباراته ، وانما يجب ان يبتكر القواعد والضمانات الكفيلة بتأكيد فكرية الميثاق ، وتجسيد مبادئه ، وتحقيق اهدافه .

دستور دائم .. لا دستور أبدى

عندما نصف دستورنا المقبل بأنه دائم .. فان هذا لا يعنى على الاطلاق انه ابدى .

فثورتنا قد اجتازت فى الماضى ، وستجتاز فى المستقبل مراحل ثورية متعددة . لكل طابعها وخصائصها واهدافها ومتطلباتها . وانجاز كل مرحلة منها يحدث تغيرات جذرية فى الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية مما ينعكس بدوره على مفاهيمنا ونظمنا الدستورية .

فمثلا ، ساد الاعتقاد فى بداية الثورة ، بان فى الامكان تحقيق مبادئها الستة فى ظل دستور ١٩٢٣ .. وتحدثت بيانات الثورة الاولى عن « حماية الدستور من العبث به» ولكن التجربة الثورية أثبتت ان العيب لم يكن فى الحكام الذين عبثوا بالدستور بقدر ما كان عيب الدستور ذاته . وتأكد للقيادة الثورية ، ان اطارا دستوريا وضع فى ظل النظام الملكى الاقطاعى والاحتلال الاجنبى ، لايمكن ان يكون سوى سدا منيعا فى وجه اى تغيير جذرى وقيدا حديديا على ارادة التغيير الثورى . وفرضت عملية بناء المجتمع الجديد تحطيم الاشكال الدستورية القديمة البالية ، واعلنت قيادة الثورة سقوط دستور ١٩٢٣ . وفى ١٩٥٦ صدر دستور مرحلة الثورة الوطنية . ولكن ركب « الثورة

(٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ١٩٦٥/٧/٢٣ .

المستمرة » لم يتوقف . واخذ يوما بعد يوم ينتقل الى مواقع الثورة الاشتراكية وآفاقها اللانهائية . واصبحت بلادنا اليوم وهي في مرحلة « الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية » في حاجة ماسة الى دستور جديد .

ويوم ينجز شعبنا مهام هذه المرحلة بنجاح ستواجهه مرحلة ثورية جديدة ، باحتياجاتها ومتطلباتها الجديدة . وسيفرض مسار الثورة اعادة النظر من جديد في دستورنا الدائم .. لذلك فان دستورنا المقبل — شأنه في ذلك شأن الميثاق الوطني — دستور مرحلي . انه بالتحديد دستور مرحلة التحول الاشتراكي .

ان تسمية دستورنا المقبل بالدستور الدائم .. لم يقصد به جعله دستورا أبديا وانما استهدفت هذه التسمية تمييزه عن الدساتير المؤقتة التي سبقته ، والتأكيد على انه يرمز الى نهاية مرحلة وبداية أخرى .

● نهاية مرحلة انتقال استثنائية ، بدأ الشعب فيها زحفه الثوري من غير تنظيم سياسي ومن غير نظرة كاملة للتغيير الثوري . مما فرض انفراد القيادة الثورية بتحمل المسئوليات . ومما ادى الى **« سيادة القرارات الادارية الثورية »** .

● وبداية مرحلة جديدة ، بدأ يتحقق فيها للشعب تنظيمه السياسي الذي اخذ يثبت وجوده يوما بعد يوم . وتبلورت فيها نظرة الشعب للتغيير الثوري في ميثاقه الوطني الذي اختار « الاشتراكية العلمية » كمنهاج للتغيير الجذري . مما افسح الطريق لسيادة الاوضاع الطبيعية والانتقال من مرحلة « سيادة القرارات الادارية الثورية » الى مرحلة « العمل السياسي الشامل » و « اشراك الجماهير المتزايد في عملية البناء السياسي والاجتماعي » .

لقد كانت الملامح الاولى لهذه المرحلة الجديدة هي اعلان الميثاق الوطني ، وتشكيل الاتحاد الاشتراكي ، واشراك العاملين في الادارة ، والغاء الاحكام العرفية في ١٩٦٤ ، والافراج عن المعتقلين والمسجونين السياسيين ، وانتخاب مجلس الامة على اسس جديدة ، ووضع الدستور المؤقت في مارس ١٩٦٤ . وها هي المرحلة الجديدة تتوج اليوم باشراك الشعب في وضع دستوره الدائم واقراره .

لقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر بجلاء عن هذا المسار الثوري عندما قال في خطابه التاريخي في افتتاح مجلس الامة في ١٩٦٤ : « ولئن كانت « مرحلة التحول العظيم قد حتمت تركيز مثل » «ما كان في يدي من السلطات لمواجهة القرارات » « الحاسمة ، فاني اقول لكم انني اليوم » « اشعر بسعادة غامرة وانا أرى هذا المجلس » « الموقر بجانبي يحمل نصيبه التاريخي من » «المسئولية ويواجه التبعات المتزايدة والمتسعة» «لمرحلة الانطلاق العظيم» «(٣)» .

وأكد الرئيس هذا المسار ايضا في حديثه في الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي في ١٩٦٥ الذي قال فيه : « ان الطريق الوحيد اللي احنا نقدر « نواجه بيه تحديات الرجعية والاستعمار ، » «الطريق الوحيد اللي نقدر نبني بيه هدفنا» « في التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية هو » «العمل السياسي مش العمل الحكومي ...» . «اعتقد ان مرحلة الوسائل الادارية الثورية انتهت» «ولابد ان نعتمد على الوعي الكامل للشعب العامل» «.. ولابد ان نعتمد على العمل السياسي» « لا العمل الاداري . ولا يمكن لهذا ان يتحقق » « الا بواسطة التنظيم السياسي ، بواسطة » « الاتحاد الاشتراكي . ويجب أن يمارس العمل » « السياسي ويجب أن نعمل على تطوير » «الديمقراطية الاشتراكية» (٤) .

السيادة للشعب العامل

ودستورنا الدائم ، مطالب بتقديم « الصيغة المصرية » ، « لدولة مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية» ، وهو مطالب ايضا بتحديد طبيعة السلطة السياسية في هذه الدولة .

لقد تضمن دستور ١٩٢٣ القاعدة التقليدية المضللة الواردة في الدساتير البرجوازية والتي تقول ان « **جميع** السلطات مصدرها **الامة** » . وكانت المادة الثانية من دستور ١٩٥٦ تقضي بأن « السيادة **للامة** » . ثم جاء دستور مارس ٦٤ ليقرر ان « السيادة **للشعب** » أما دستورنا المقبل فيجب ان يقضي بأن « السيادة للشعب **العامل** » على وجه التحديد .

ويجب ان يضع الدستور في التطبيق شعار « كل السلطة للشعب ولا سلطة لاعداء الشعب » بحرمان الطبقات والفئات المنتمية ، بحكم مصالحها الطبقية لمعسكر الثورة المضادة من حقوقها السياسية .

---

(٣) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في افتتاح مجلس الامة في ١٩٦٤/٣/٢٦
(٤) حديث الرئيس جمال عبد الناصر الى الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي العربي في ١٩٦٥/٥/١٦

وتاكيدا لشعار « كل السلطة للشعب » يجب ان يلغى الدستور ، مبدأ « **الفصل بين السلطات** » التقليدى . الذى قام على اساسه دستور ١٩٢٣، وتأثر به الى حد بعيد دستـــور ١٩٥٦ بل وحتى دستور ١٩٦٤ .

ان هذا المبدأ البرجوازى ، خدعة مكشوفة . فرغم كل الحديث عن تعدد السلطات والفصل بينها، لم يكون هناك فى ظل المجتمع القديم ، سوى سلطة وحيده هى سلطة تحالف الاقطاع ورأس المـــال المستغل . واليوم ، بعد سقوط هذا الحلف الرجعى يجب ان تقوم سلطة وحيدة ايضا ، هى سلطة تحالف قوى الشعب العامل .. **فـــلا تعـــدد فى السلطات .. ولا فصل بين سلطات متعددة .**

وطالما أن سلطة تحالف قوى الشعب العامل تتجسد فى الاتحاد الاشتراكى ، لذلك يجب أن تصبح الحكومة جهاز هذا الاتحاد « التنفيذى » لا «سلطة تنفيذية » . ويجب ان يصبح مجلس الامة « جهازه التشريعى» لا «سلطة تشريعية «ويجب أن يصبح القضاء « جهازه القضائى » لا « سلطة قضائية » .

فكما قال الرئيس جمال عبد الناصر :

« الحكومة جزء من الاتحاد الاشتراكى ومجلس »
«الامة جزء من الاتحاد الاشتراكى . ولكن كلاكما»
« ليس جزءا بغير ارادة . بالعكس كلاكما طليعة »
«مفكرة قائدة شريكة مسئولة عن سياسة واحدة»
« الحكومة بتخــــطط وتنفـــذ . والمجلس يشرع »
« ويراقب » (٥) .

ان نظرتنا الى الاجهزة الثلاثة يجب ان تتغير .

● **فالحكومة** : لا يجب النظر اليها كجهاز فوق المجتمع ، وكحكم محايد بين الطبقات المتصـــارعة فيه .انها اداة الطبقات العاملة فى صراعها الطبقى ضد الطبقـــات المستغلة . والدرع الذى يحمى الشعب العامل . والسلاح الذى يقمع أعـــداء الثورة الاشتراكية.ولذلك يجب أن يكفل الدستور للجهاز التنفيـــذى القـــدرة على مواجهة اعـــداء الشعب العامل .. فى الخارج والداخل . على أن يمارس هذا الجهاز مهامه واختصاصـــاته تحت رقابة شعبية محكمة وفعالة وواعية .

● **ومجلس الامة** : وان كان « جهازا » وليس « سلطة » تشريعية فلا يجب النظر اليه على انه مجرد ختم فى يد الحكومة . فكما حذر الرئيس عبد الناصر :

« كون المجلس يتحول الى ختم فى ايد الحكومة »
« عملية لا يمكن ان احنا نرضاها لانها بتموت »
« كلية الفكرة الديموقراطية والديموقراطيـــة »
«السليمة» (٦) .

لذلك يجب أن يحتـــوى الدستور الدائم على الضمانات الكفيلة بان يعبر مجلس الامـــة عن الشعب العامل تعبيرا صادقا وان يمثله تمثيـــلا حقيقيـــا . ويجب أن يخـــول الدســـتور المجلس الاختصاصات والصلاحيات اللازمة لتأدية دوره فى مجال التشريع والرقابة .

ومن جهة اخرى يجب ان تلغى أية قيود تحظر الجمع بين عضوية مجلس الامـــة والتـــوظف فى الحكومة او القطاع العام . ان هذا الحظر يتنافى مع المبدأ الاساسى فى اى مجتمع اشتراكى وهـــو « ان من لا يعمل لا ياكل » .

وفى المجتمع الاشتراكى الذى تكون فيه القيمة الاساسية هى « العمل » لا « الملكية الخاصة » يجب أن يكون ممثل الشعب العامل من العاملين ولا يمكن تبرير هذا الحظر بأنه ضمان ضد تعرض ممثلى الشعب لضغط القيادات فى الحكومة أو القطاع العام . فالمفروض ان الحكومة فى المجتمع الاشتراكى ليست اداة اكراه ضد الشعب وممثليه .. وكما يقول الميثاق :

« ان حرية القيادات يجب ان تستمد حقها »
« من حرية القواعد الشعبية . ولا تستطيع »
« القيادات ان تمارس عملها بالاكراه والتعصب »

وحتى لو سادت لفترة فى جهاز الدولة بعض النزعات البيروقراطية .. فان العلاج هو بازالة هذا الانحراف ، لا بالابقـــاء عليه ثم البحث عن ضمانات لحماية ممثلى الشعب منه .

ولقد تكفل الميثاق الوطنى فى الواقع بالرد على حجج دعاة حظر الجمع بين العضوية والوظيفـــة عندما اكد ان ممارسة النقد والنقد الذاتى من اهم أسس ديموقراطيتنا . وعندما قال ان :

« ممارسة النقد والنقد الذاتى يمنح العمل »
« الوطنى دائما فرصة تصحيح اوضاعه و »
« ملاءمتها دائما مع الاهداف الكبيرة للعمل »
وعندما اكد ان :
« أى محاولة لاخفاء الحقيقة او تجاهلها يدفع »
« ثمنها فى النهاية نضال الشعب وجهده للوصول »
« الى التقدم » .

وعندما اوضح انه :

« اذا سمحت القيادات الشعبية بأن يحـــدث »
« ذلك فانها لا تكون مقصرة فى حق الشعب الذى »

---

(٥) حديث الرئيس جمال عبد الناصر فى الهيئة البرلمانية للاتحـــاد الاشتراكى العربى فى ١٩٦٥/٢/٢٥ .
(٦) حديث الرئيس جمال عبدالناصر فى الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى فى ١٩٦٥/٢/٢٥ .

« صدرها للقيادة فقط وانما هى فى نفس الوقت »
«قد عزلت نفسها عن جماهيرها وفقدت اتصالها»
« بها وسلمت بعدم قدرتها على حل مشاكلها»
«وبالتالى يصبح ولا مفر امامها من ان تتنحى او»
«يسقطها الشعب ويسحب منها ما اسلمه»
« اليها من مسئولية القيادة »

واخيرا فان حظر الجمع بين العضوية والتوظف فى الحكومة او القطاع العام ، يعد خرقا لما اشترطه الميثاق من ان يكون ٥٠ ٪ على الاقل من اعضاء مجلس الامة من العمال والفلاحين . لان العضو الذى يستقيل من عمله ، لا ينعزل عن الجماهير ومشاكلها فحسب ، وانما يفقد موضوعيا صفته كعامل .

ان النتيجة النهائية لهذا الحظر ، هو ان يصبح مجلس الامة حكرا « للقطاع الخاص » ولطائفة من «محترفى السياسة» ؟ !

● **والقضاء** وان كان جهازا قضائيا للاتحاد الاشتراكى فهذا لا يعنى على الاطلاق اهدار استقلال القاضى . اذ يجب ان نفرق بين «استقلال القضاة » و « استقلال السلطة القضائية » .

ان الدستور الدائم يجب ان يكفل استقلال القضاة فى ممارستهم لاختصاصهم ، ويجب ان يحمى هذا الاستقلال من تدخل اى جهة . ولكن هذا لن يعنى ان القضاء « سلطة مستقلة » . فالقضاء الذى يصدر احكامه باسم الشعب لا يمكن ان يستقل عن سلطة الشعب . انه يجب ان ينبثق من الشعب . ولذلك فعلى الدستور الدائم ان يكفل الاحكام الملائمة لتحويل القضاء الى جهاز شعبى من اجهزة الاتحاد الاشتراكى .

ديمقراطية « اشتراكية » .. لا « ليبرالية »

ان مهمة الدستور الدائم .. هى ابتكار افضل الوسائل والاشكال والاساليب لممارسة ديموقراطيتنا الاشتراكية التى تختلف جذريا عن « الديموقراطية الليبرالية الزائفة » .

● فعلى الدستور ان ينص على الحريات العامة للمواطنين . والنص على هذه الحريات فى الدساتير الاشتراكية يختلف من حيث مغزاه ومرماه عن النص عليها فى الدساتير البرجوازية .

ففى المجتمعات الراسمالية تكافح الشعوب من اجل الاعتراف بحرياتها العامة وضمانها ، بينما يسعى الحكام لكى تصبح هذه الحريات مجرد نصوص مفرغة من المضمون .. وشعارات تستخدم للتغرير والتحذير .

اما فى المجتمعات الاشتراكية فلا تنص الدساتير على الحريات العامة ، لتستخدمها الشعوب فى نضالها ضد الدولة او لتحمى نفسها بها من عدوان الدولة . ففى ظل الاشتراكية لاعداء بين الدولة والشعب .. ولا اعتداء من الدولة على الشعب . ولكن هذه النصوص تجسد المكاسب التى ظفر بها الشعب بفضل ثورته .

ودستورنا الدائم وهو يكفل للشعب العامل حرياته العامة يجب ان يضمن ممارستها لصالح الثورة الاشتراكية لا الثورة المضادة .

● والدستور يجب ان يضمن **سيادة القانون وحرمة الاشخاص والمساكن** ، تأكيدا للمشروعية الاشتراكية . بحيث تلقى القوانين الاحترام من المواطنين والاجهزة التنفيذية على حد سواء .

ومن الخطأ الفادح ان يتصور احد ، ان احترام القوانين ، نزعة محافظة او رجعية . وان الثورية تفترض عدم تقيد ارادة التغيير الثورى باحكام القانون .

حقا ان اى ثورة فى بدايتها ، تصطدم بقوانين المجتمع الاستغلالى القديم . وهذه القوانين يجب ان تسقط بسقوط المجتمع الذى صدرت لحمايته وخدمة مصالحه . ويجب ان تستبدل بالقوانين الثورية الملائمة .

ولكن اسقاط القوانين الرجعية شىء .. واهدار سيادة القانون شىء آخر . ولذلك حذر الرئيس عبد الناصر فى حديثه لمؤتمر المبعوثين من انه .
« بالنسبة لتكسير القوانين واللوائح باعتقد »
« انه عمل خطأ جدا لان احنا اذا كسرنا القوانين »
« قد ندخل الى دوامة اخرى هى الفساد . لكن »
«الحل الصحيح ان احنا نغير هذه القوانين»
«واللوائح» (٧) .

ان احترام مبدأ الشرعية الاشتراكية هو خير عاصم ضد الاتجاهات او النزعات او الانحرافات البيروقراطية التى تخرق احكام القانون او تنحرف فى استعمال السلطة .

● والدستور يجب ان يكفل قيام كافة التنظيمات فى الدولة على اساس « المركزية الديموقراطية » و « القيادة الجماعية » .

● ويجب ان يؤكد « سلطة المجالس الشعبية

(٧) مناقشة الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر المبعوثين المنعقد بالاسكندرية فى اغسطس ١٩٦٦ .

على الجهاز التنفيذى » وقيام الحكم المحلي « بنقل سلطة الدولة الى ايدى السلطة الشعبية » فعلا لا قولا .

- ويجب ان يقرر حق الشعب فى « سحب الثقة من اعضاء كافة الهيئات المنتخبة» على ان يمارس الشعب حقه هذا بواسطة تنظيمه السياسى .

- واخيرا يجب ان يضمن الدستور للعمال والفلاحين نسبة من مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها ، تتلاءم مع الدور الذى يلعبونه فى المجتمع . واذا كان الميثاق الوطنى قد ضمن للعمال والفلاحين نصف مقاعد هذه التنظيمات على الاقل ، ليأتى تمثيلهم متمشيا مع نسبتهم العددية باعتبارهم «يكونون غالبية الشعب العامل التى طال حرمانها من حقها الاساسى فى صنع مستقبلها وتوجيهه» . فان الدستور يجب ان يضمن للعمال والفلاحين ٧٥٪ على الاقل من هذه المقاعد ، حتى يأتى تمثيلهم متلائما مع ثقلهم السياسى فى المجتمع وحتى يتأكد الدور القيادى الذى اكتسبته الطبقة العاملة . اذ كما يقول الرئيس عبد الناصر :

« الطبقة العاملة تمثل فى النظام الاشتراكى »
«المركز القيادى» (٨) .

ان زيادة نسبة المقاعد المخصصة للعمال والفلاحين ، فضلا عن مراعاة قيادة الاتحاد الاشتراكى عند الترشيح لهذه المقاعد ، اختيار العناصر الممثلة حقا للعامل او الفلاح ، من شأنه ان يتجنب عيوب ومساوىء وعواقب التعريف الفضفاض وغير العلمى الذى وضعته لجنة المائة للعامل والفلاح .

دور التنظيم السياسى

وعلى الدستور الدائم ان يحدد بوضوح دور التنظيم السياسى ومكانه بالنسبة للاجهزة المختلفة . ان عليه ان يؤكد الدور القيادى للاتحاد الاشتراكى . وعليه ان يوضح ان التنظيم السياسى ليس «سلطة رابعة » الى جوار السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية ، كما انه ليس «سلطة فوق السلطات الثلاثة» . انه وعاء سلطة الشعب العامل وهى السلطة الوحيدة فى مجتمعنا . ولذلك يجب ان يكون للتنظيم السياسى سلطة سحب الثقة من الحكومة او احد الوزراء . وسلطة حل مجلس الامة او اسقاط عضوية احد اعضائه . وذلك فى حالة الانحراف عن الخط الاشتراكى او العجز عن تطبيقه .

ويجب ان يرسم الدستور حدا فاصلا بين الاتحاد الاشتراكى وجهاز الدولة يحول دون « اختلاط » التنظيم السياسى بجهاز الدولة او « ذوبانه » فيه او « تبعيته » له .

والدستور الدائم ليس مطالبا بان يحتوى نصوصا تفصيلية تنظم طريقة تكوين الاتحاد الاشتراكى وكيفية تنظيمه ، لان ذلك كله مكانه اللائحة الداخلية للاتحاد الاشتراكى ولان الاتحاد الاشتراكى لا يستمد وجوده او شرعيته من الدستور ، وانما من الميثاق الوطنى .

الدستور والقيادات الجديدة

فى خطابه فى عيد الثورة الثالث عشر قال الرئيس جمال عبد الناصر انه : « لابد ان يتقدم جيل جديد يحمى كل منجزات الثورة ويتقدم بعدها»
«جيل لم يعش فى الاحتلال ولا القصر ولا سيطرة»
الطبقة» (٩) .

وفى خطابه فى عيد الثورة الرابع عشر اكد الرئيس مرة اخرى انه :

« يجب ايضا ان نعمل على قيام جيل جديد من »
« القيادات فى كل مجال .. يجب فعلا ان احنا »
«ندى الاجيال الجديدة والشباب مسئولياتها» (١٠)

ولترجمة اقوال الرئيس الى واقع ، يمكن الاسترشاد بما اخذت به بعض التجارب الاشتراكية الاخرى . ففى الاتحاد السوفيتى على سبيل المثال وضعت قواعد فى نوفمبر ١٩٦١ تقضى بالالتزام بمبدأ التجديد المنتظم لجميع هيئات الحزب المنتخبة من الهيئات القاعدية حتى اللجنة المركزية بما يكفل استمرار الزعامة وتحديد عدد المرات التى يمكن فيها تجديد العضوية فى هذه الهيئات ، على ان يستثنى من ذلك بعض المسئولين عن الحزب الذين يمكن انتخابهم للجنة المركزية ومجلس رئاستها لفترات اطول بسبب مركزهم المعترف به عامة وصفاتهم السياسية والتنظيمية العالية وبشرط حصولهم على ثلاثة ارباع الاصوات .

---

(٨) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس الامة فى ١٩٦٤/١١/١٢ .
(٩) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ١٩٦٥/٧/٢٢ .
(١٠) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ١٩٦٦/٧/٢٢ .

الدستور الدائم والاستغلال الطبقى

ويجب ان يحتوى الدستور الدائم على ضمانات تسد الطريق فى وجه النمو الراسمالى ، وتكفل القضاء نهائيا على الاحتكار والاستغلال والتسلط الطبقى ويعجل بتذويب الفوارق بين الطبقات ويحول دون ظهور اونمو طبقات او فئات استغلالية جديدة . ان ذلك يتطلب :

أولا — ان يرسم الدستور اطارا للملكية الخاصة ، يستوجب مشروعية **مصدرها** ، ويكفل مشروعية **استخدامها** ، ويخضعها **لرقابة الشعب وتوجيهه** ، ويعرضها **للمصادرة** ، اذا خرجت عن هذه الحدود . وبذلك نحقق ما قدره الميثاق من أن : «رأس المال الفردى فى دوره الجديد يجب» « أن يعرف انه خاضع لتوجيه السلطة الشعبية » « شأن رأس المال العام . وان هذه السلطة » « هى التى تشرع له وهى التى توجهه على ضوء » «احتياجات الشعب . وانها قادرة على مصادرة» « نشاطه اذا ما حاول ان يستغل او ينحرف » .

ثانيا — أن يقرر الدستور مبدأ وضع حد اقصى يحدده القانون للملكية الخاصة بكافة صورها ، ولدخل الافراد وان تعددت مصادره .

وفى الحدود المتقدمة على الدستور الدائم ان يصون الملكية الخاصة وان يكفل حق الارث .

متطلبات النضال التحررى

فى الظروف الحالية التى يحتدم فيها الصراع ، عربيا وعالميا ، بين قوى التحرر والتقدم وبين قوى الاستعمار القديم والجديد وعملائه من الحكام الرجعيين والطبقات المستغلة،يجب على دستورنا الدائم :

● ان يؤكد على أن شعب مصر جزء من الامة العربية . وان ثورة مصر جزء من الثورة العربية الشاملة ضد الاستعمار والرجعية .

● وان يتسع لاحتمالات وحدة القوى التقدمية والثورية المرتقبة على مستوى الشعوب والحكومات والدول .

● وان يعلن ان الجمهورية العربية المتحدة ملاذ كل ثائر تقدمى مناضل مضطهد بأن يكفل حق الالتجاء السياسى لكل من يتعرض للملاحقة والاضطهاد بسبب نضاله من اجل الاستقلال او التحرر الاقتصادى والاجتماعى او الاشتراكية .

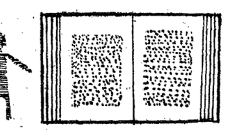
كلمة أخيرة ..

وبعد .. فان التنظيمات الشعبية مطالبة بان ترتفع الى مستوى المسئولية الملقاة على عاتقها . وعلى وحدات الاتحاد الاشتراكي والنقابات ان تضاعف من نشاطها وعلى رجال القانون بشكل خاص من محامين ورجال قضاء واساتذة الحقوق .. أن يستجيبوا الى دعوة الرئيس بشكل فعال .

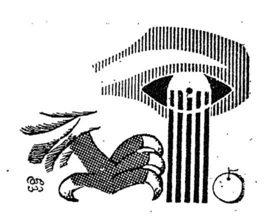
وعلى الجماهير أن تحذر فى مناقشاتها من أن تحصر نفسها فى اطار الجوانب القانونية او الفقهية او التكنيكية . فرغم التسليم باهمية هذه الجوانب الا أن وضع الدستور مهمة سياسية بالدرجة الاولى ولذلك يجب أن تتناول المناقشة الجماهيرية فى المقام الاول النواحى السياسية للدستور .

وأخيرا فان على الجماهير ، ان تتسلح فى هذه المرحلة ، باعلى درجة من اليقظة الثورية . ان وضع الدستور الدائم معركة سياسية بالغة الاهمية . وان قوى الثورة المضادة والحزب الرجعى — الذى طالما حذر قائدنا الشعب من وجوده ونبهه الى نشاطاته التخريبية — هذا الحزب غير المعلن لن يفوت الفرصة ، وسيحاول النزول الى ميدان المعركة ، بكل ثقله ، وبشتى أساليبه ، وبمختلف حيله ، طمعا فى ان يسرب الى الدستور الجديد آراء الثورة المضادة ، وفى أن يدس بين سطوره افكارها .. او طمعا على الاقل فى أن يفلح فى تجميد الثورة ، لانه يدرك جيدا أن تجميد الثورة .. معناه الانتكاس بالثورة .





الرقابة الشعبية
فى مواجهة الأشكال الجديدة للاستغلال



محمد عبد الفتاح أبو الفضل

تحدثنا عن الاستغلال الخارجى فى مقال سابق ، ورأينا — من وجهة نظرى طبعاً — أن الشكل الجديد للاستغلال الخارجى ، هو الذى يتمثل فى الاستعمار الجديد ، القائم على استغلال التفوق التكنولوجى للدول الاستعمارية المتقدمة ، فى امتصاص ثروات البلدان المتخلفة من خلال عملية التبادل التى تبدو حرة تماما ، وهى غير حرة ولا عادلة ، وانما تتم كما شرحنا وفقا لمعدل غير حقيقى وغير عادل — وغير مستقر .

وقلنا أن هذا اللون الجديد من الاستغلال ، انما يفرض على الشعوب مسئوليات جديدة فى الكفاح، أن كانت راغبة فى مواصلة كفاحها من أجل استكمال التحرر وحماية استقلالها السياسى الذى حققته فى مرحلة الكفاح ضد الامبريالية .

ويمكن أن الخص هذه المسئوليات فى كلمة واحدة هى : التنمية .. التنمية بمعدلات أكبر من الممكن ، وفوق الطاقة لابد من انجاز المستحيل ، بل لابد أن يكون انجاز المستحيل هو واجبنا اليومى ، فبغير ذلك لا أمل فى أن نقفز فوق الثغرة التى تفصل بيننا وبين عالم المتقدمين، لا أمل فى أن نخرج من هوة التخلف لنصل الى قمة الحضارة والرفاهية .

والتنمية هى سبيلنا الوحيد .. وهى أيضا هدف الاستعمار الاول، هدف جميع مؤامراته وتخريبه.

والاستغلال وحدة واحدة ولايكمل الحديث عنه الا اذا تحدثنا عن الاشكال الجديدة للاستغلال الداخلى .

وعندما نتحدث عن الاستغلال الداخلى فى ظل الاشتراكية ، فان الذهن ينصرف حتما الى اصطلاح «الطبقة الجديدة» الذى أذاعه ونشره اليوغوسلافى « جيلاس » .. ولكن الحقيقة أن هذا الاصطلاح يستخدم على نحو غير علمى ، ورغم أننا نشير الى طائفة المستغلين الجدد ، الا اننا لانستطيع القول بأنهم يشكلون طبقة بالمفهوم العلمى لهذه الكلمة .

وفى اعتقادى أن المستغلين الجدد فى ظل الاشتراكية يتحولون الى طبقة حقيقية اذا ما سيطروا على جهاز الدولة ، اذا ما اصبحت الدولة تحمى امتيازاتهم واستغلالهم . عندئذ يمكن القول بأن طبقة جديدة انفصلت عن المجتمع الاشتراكى ، وحولت علاقات الانتاج فيه الى علاقات استغلالية لصالحها ، عندئذ يصبح الحديث مقبولا حتى عن ثورة محتومة ، تسقط هذه الطبقة الاستغلالية ، وتحرر جهاز الدولة من سيطرتها ، وتنهى شكل استغلالها .

وقبل كل شيء يجب أن نؤكد هنا ان جهاز الدولة فى بلادنا جهاز ثورى ، محتفظ بثوريته مصر على استمراره الثورى ، ومن ثم فلا احتمال لتحول العناصر الاستغلالية الانتهازية الى طبقة جديدة ، بمعنى الطبقة ذات المركز الواحد بالنسبة للانتاج ، والتى تعطى استغلالها صبغة شرعية وقانونية تقوم أجهزة الدولة بحمايتها وفرضها على الجماهير المستغلة .

اننى أرى أن الطبقة هى التى تمارس امتيازاتها بشكل قانونى معترف به ، بل ويحميه النظام السياسى ، أما فى حالتنا هنا فهى لا تخرج عن كونها تحايلا على القانون ، ومراوغة للنظام السياسى .

الا أن بذور هذه الطبقة موجودة وهى تحاول التجمع ، وتحاول أن تنشر فكرا يبرر استغلالها وربما تتطلع الى أن تتسلل الى التشريع لتعطى استغلالها الصفة القانونية ، بل والاشتراكية !!

المستغلون باسم الاشتراكية

هؤلاء المستغلون الجدد يجب أن نحدد طبيعتهم ، وأن نكتشف جذورهم ، والاشكال الجديدة التى يمارسون بها استغلالهم .

وقد اخترت هذه التسمية الغريبة المتناقضة لاميزهم عن المستغلين القدامى ، فلاشك أن هناك بقايا لاشكال الاستغلال القديمة ، بقايا العلاقات الاقطاعية ، بقايا الاستغلال الرأسمالى — وهذه الاشكال لاتستوقفنا طويلا ، فهى مفضوحة مكروهة بمافيه الكفاية ، وهى سائرة الى الزوال بالاجراءات الاشتراكية التى تنتزع منها سند الملكية الاستغلالية وتلغى وجودها الاقتصادى ، فاشتراكيتنا تصفيها كطبقة ، وتتيح لها الفرصة كأفراد للاختيار بين الذوبان داخل المجتمع الجديد ، أو التحوصل والفناء .

هذه المخلفات التاريخية هى التى تحلم باعادة الملكية الفردية الاستغلالية الاقطاعية والرأسمالية وتعادى الملكية الجماعية الاشتراكية لوسائل الانتاج ، لان هذا الشكل المندثر من الملكية هو سبيلها الوحيد الى الاستغلال ، أما المستغلون الجدد فموقفهم يختلف ، انهم يؤمنون بالملكية العامة ، بل ويدافعون عن استمرار هذه الملكية بالوضع الذى يمكنهم من التربع على قمتها وادارتها لحسابهم الخاص ، أى تحويل ملكية الشعب الى أداة استغلالهم الجديد

فهم من هذه الناحية القانونية لايعادون الاشتراكية ولايعادون القطاع العام ، ولايروجون الدعايات عن تقدم القطاع الخاص وأن أثمر سلوكهم كل هذه الاثار من تشويه سمعة القطاع العام ، والتحسر على أيام القطاع الخاص ، واعطاء الحجة لبقايا الاستغلاليين القدامى فى الترويج لنشاطهم المعادى للاشتراكية .

المستغلون الجدد : ظهروا اذن مع النظام الاشتراكى ، ومن خلال القوانين الاشتراكية ، والعلاقات الاشتراكية ، والملكية الاشتراكية ، أتيحت لهم فرصة الاستغلال ، وباستمرار هذه الاوضاع والقوانين ، واستمرار الملكية الاشتراكية بوضعها الراهن ، تتاح لهم فرصة الاستمرار فى الاستغلال .

هم ليسوا ضد ما تم من اجراءات اشتراكية ، ولكنهم ضد الاستمرار الثورى ، ضد الاستمرار الاشتراكى ، هم **رجعيون** من زاويتين :

- **الزاوية الاولى :** انهم يعادون استمرار التطور الاشتراكى ، استمرار عملية تصفية أشكال الاستغلال .

- **والزاوية الاخرى :** انهم يعطون الرجعية التقليدية سلاحاقويا للتشهير بالاشتراكية والتشكيك فى منجزاتها ، بالطعن فى قضيتها الاولى ، وهى القضاء على استغلال الانسان للانسان .

ولان هؤلاء الاستغلاليون الجدد يمارسون السلوك الاستغلالى الذى كانت تمارسه الرجعية القديمة — فهم يحسون بتجاوب نفسى معها ، حتى وأن اختلف الموقف الطبقى ، وهم بعقليتهم الاستغلالية يتطلعون لكل ما كانت تعيش فيه الطبقة المستغلة القديمة ، يلهثون خلف أثاثها وتحفها ، ويملأون صالات المزادات يلتقطون بقايا الطبقة المنهارة ، يتزاحمون على أبواب ناديها ، والرجعية القديمة — بطول تمرسها — تحاول أن تندمج فى الرجعيين الجدد ، تصاهرهم ، تصادقهم ، تعلمهم فنون حياة المستغلين ، تسلحهم بمنطقها وتترك لهم مهمة صياغته بألفاظ اشتراكية وتحليته ببضع شعارات .

نماذج من المستغلين الجدد

المستغلون الجدد — كما رأيناهم — هم كائنات طفيلية ظهرت مع الملكية الاشتراكية ، لذا فهم ليسوا كالمستغلين القدامى يمكن أن نقسمهم افقيا الى طبقات استغلالية تواجهها طبقات مستغلة ، بل هم ينتشرون رأسيا فى المجتمع ، فى تحالف قوى الشعب من الرأسمالية الوطنية الى العمال ، مع كل من يحصل على جانب من ثروة المجتمع دون مجهود يساويه .

ففى الرأسمالية الوطنية :

الدور الذى تسمح به اشتراكيتنا للرسمالية

الوطنية أن تلعبه فى هذه المرحلة هو ملء الثغرات فى ميدان الانتاج والخدمات ، تلك الثغرات التى لا يمكن ان يصل اليها القطاع العام ، والثابت من استقراء تجارب الشعوب اننا فى مرحلة التنمية الحالية لايمكن أن نستغنى عن جهد راس المال الفردى ، وأن المعادلة الصعبة فى مرحلتنا هذه ، هى الوصول الى العلاقة التى يحتوى فى ظلها القطاع العام رأس المال الفردى ، لا أن يسخر راس المال الفردى القطاع العام لمصالحه .

وقد قرأت دراسة فى التجربة الصينية عن هذه المشكلة بالذات ، توضح أنهم لم يقفوا عند حد اعادة التربيةالسياسيةللراسمالية الوطنية كأفراد بلحولوا نفسنشاط الراسماليةالوطنيةالاقتصادى الىحلقة داخلدولاب الانتاجالاشتراكى، بالسيطرة علىالانتاج عندالمنبع وعندالمصب، وترك الجهود الفردية والحافز الشخصى والمهارة .. الخ تمارس مواهبها فى الانتاج نفسه ، لا فى استغلال القطاع العام والمستهلك .

فى صناعة مثل صناعة الاحذية يسلم القطاع العام الجلود والخامات الاخرى لمصانع الاحذية الفردية بسعر محدد ، ويتسلم منها كمية الاحذية المنتجة بسعر محدد يحتوىربح الراسماليةالوطنية نظير ما بذلته من جهد فى الصناعة ، ومن هنا يطوق القطاع العام الرأسمالية الوطنية ويحتويها داخله.

والراسمالية الوطنية هى احدى قوى تحالف الشعب مادامت تسهم فى تحقيق أهداف هذا التحالف .. وربح الرأسمالية الوطنية لا يعتبر استغلالا اذا كان مقابل احد مجهودين :

زيادة فى الانتاج .. أو تحقيق للخدمات .

فنحن لانعتبر الرأسمالية الوطنية مستغلة اذا كانت تحصل على ربحها من عملية الانتاج ذاتها ، وبشرط الالتزام بقوانين المجتمع الاشتراكى ، فالمنتج الذى يشترى خاماته بالسعر الرسمى ويدفع أجور عماله وفقا للتشريعات العمالية ويلتزم بالتشريعات الضريبية والتأمينات ، ثم يبيع انتاجه بالسعر الرسمى ، مثل هذا المنتج لا يعد ربحه استغلالا ، لانه أضاف الى ثروة المجتمع ، ولان مثل هذا الربح لايمكن أن يتحقق الا بمجهود حقيقى يبذله المنتج ولان التزام المنتج بالقوانين الاشتراكية سيجعل الربح مرتبطا بزيادة الكفاية الانتاجية وهو هدف يخدم الانتاج فى المجتمع كله ويساعد على تطويره وتنميته .

ومن هنا يصبح المنتج الفردى جزءا من عملية التطوير الاشتراكى ، لا عبئا عليها .

يقول الميثاق : « ان الحدود الاشتراكية التى تم رسمها بدقة فى قوانين يوليو قد قضت على آثار الاستغلال : وتركت الباب مفتوحا للاستثمار الفردى الذى يخدم المصلحة العامة لتطويره كما يخدم مصلحة اصحابه فى الربح المشروع بدون استغلال » .

ومثل هذا المنتج الذى يربح مقابل جهوده ومن خلال زيادة انتاجيته ، لايمكن أن يصبح فى عداء مع التطور الاشتراكى ، بل انه يتقبل الاجراءات الاشتراكية ، بما فيها التأميم لصنعه ، مادام ذلك يحقق انتاجية اكبر ، ومادام ذلك يكفل لهمستوى معيشة معقول ، لان الفرق بين ربحه كمنتجومرتبه كفنى فى المجتمع الاشتراكى لايمكن أن يكونفادحاء ذلك أن الربح غير المشروع النابع من العمليات الاستغلالية .. هو الربح الفاحش .

كذلك فان ربح الموزع انما هو نتيجة الخدمات التى يؤديها ، لا نتيجة اخفاء السلع أو الاتجار فى السوق السوداء ، هو ربح مشروع غير استغلالى، ربح اشتراكى ، لانه نظير مجهود يبذله ، نظير ادخاره راس المال الذى يشترى به السلع ، نظير تغلغله الى أبسط الوحدات الاستهلاكية ، وتحمله المخاطرة ، وبذله الجهد فى تسلم السلع ونقلها وتغليفها وتوصيلها للمستهلك بالكمية المناسبة وفى المكان المناسب .

يقول الميثاق : « يجب أن يكون مفهوما أنالتجارة الداخلية خدمة وتوزيع مقابل ربح معقول لايصل الى حد الاستغلال تحت أى ظرف من الظروف » .

والراسمالية الوطنية غير المستغلة التى تربح من الانتاج أو الخدمات لا تتناقض جذريا مع قوى الشعب ، بل وترتبط مصلحتها بالنمو الاشتراكى وارتفاع مستوى الجماهير ، مستوى المستهلكين لان هذا يعنى مزيدا من النشاط الاقتصادى ومزيدا من الدخل لها ..

كذلك فان هذه الفئات تعتمد على جهودها وبالتالى فان الامال غير المحدودة فى الثراء لا تراودها ، اذ أن الثراء غير المحدود لا يأتى الا عن طريق غير مشروع ، مثل هذه الفئات تؤيد التأمينات الاجتماعية ، وتفضل أن يتحمل المجتمع مسئولية تأمين مستقبلها ومستقبل أولادها على أن تعلق مستقبلها على رأس المال المكتنز أو الملكية .

اذن فضمان ثورية الرأسمالية الوطنية واستمرارها فى تحالف قوى الشعب ، هو تحريرها من الاستغلال .

ومن هنا يسهل علينا التعرف على الاشكال الجديدةللاستغلال التىيمكن أنتمارسها الراسمالية

الوطنية .. أو التى تشكل انحرافا فى سلوكها الاشتراكى .

انها الكسب من غير زيادة الانتاج أو الخدمات. مثلا ..

تاجر الجملة الذى يستغل ثروته وعلاقاته فى الحصول على أذونات المواد التى يوزعها القطاع العام ، ثم يبيع هذه الاذونات ، محققا ربحا بمجرد الشراء والبيع ، بمجرد الاتجار فى هذه الاذونات مستغلا الوضع الاشتراكى الذى جعل القطاع العام يلتزم بالبيع بسعر محدد تيسيرا على المواطنين ، وبعيدا عن استغلال الجماهير .

هذا التاجر لا يؤدى خدمة حقيقية للمجتمع . هو لا ينتج ، ولا يوزع .. بل يتحول الى طفيلى يستغل العلاقات الاشتراكية ، يستغل القطاع العام ، يحصل على ثروة من المجتمع دون مجهود يعادلها ، اى يسرق جهد مواطنين آخرين ، فهو يعرقل النمو الاشتراكى بما يسلبه من ثروة المجتمع، وبما يسببه من نقص فى الدخول الحقيقية للجمهور الذى يدفع فى النهاية تكاليف كل العمليات الطفيلية من موظف القطاع العام المرتشى ، الى تاجر الجملة الذى اشترى الاذن وباعه فى السوق السوداء ، الى المشترى فى هذه السوق الذى يعود بدوره فيبيع السلعة للجمهور مضيفا اليها أرباح السوق السوداء وارباح كل المتعاملين فيها .

نفس الشىء بالنسبة للتاجر الذى يخفى السلعة ويفتعل الازمة ، لينقل التداول فيها من السوق الاشتراكية الى السوق السوداء .

هو يستفيد من العلاقات الاشتراكية التى جعلت القطاع العام يتحمل فروق السعر ويقدم السلعة بأقل من سعرها الحقيقى تيسيرا للمواطنين ، ومن ثم يوجد اختلاف بين السعر الحقيقى والسعر الرسمى ، يمكن هذا المستغل من تحويل نفسه الى سد بين السلطة والشعب ، أو عنق زجاجة تختنق فيها احتياجات الجماهير ، والارادة الثورية فى تلبية هذه الرغبات .

هنا تخرج الرأسمالية عن دورها فى الانتاج والخدمات وتتحول الى طفيلية يتحتم استئصالها

والحل

هو تصفية هذه العمليات الاستغلالية ، هو قيام العلاقة المباشرة بين القطاع العام المنتج والمستورد ، وبين المستهلك .

ولكن القطاع العام سيستحيل عليه أن يتعامل أو أن يقدم الخدمات للمستهلك الفردى ، فلابد اذن من قيام تنظيم للمستهلكين ، لابد من قيام التعاونيات وانتشارها . واذا كان تنظيم جميع المستهلكين فى تعاونيات غير ممكن حاليا، فمن الممكن أن نبدأ بتعاونيات تتولى تجارة الجملة ، فتوزع هى على التاجر الصغير . واقول مؤمنا أن اعفاء التاجر الصغير من استغلال تاجر الجملة، سيخلص هذا التاجر من الرغبة فى الكسب غير المشروع ، فكثير من هؤلاء يبرر رفعه للسعر بأنه محاولة لتغطية ما دفعه للتاجر الكبير .

بالطبع ستبقى انحرافات فى هذه الفئة ، ولكنى أعتقد أن اتجاهها العام هو الرضا بالكسب المشروع اذا ما حررت من استغلال تاجر الجملة، وهى حاليا ، أو معظمها ، لاتكاد تفوز بالفتات مما يكسبه التاجر الكبير ، وهى وحدها التى تصطدم بالجمهور وتتحمل كل الاتهامات والسخط ، بينما لايزيد دورها عن دور الموزع وجامع الملاليم لتتحول الى جنيهات فى جيوب التاجر المستغل الكبير .

كذلك اذا ما شكلت تعاونيات تتولى وحدها توزيع مواد البناء بالاسعار المجددة على الملاك (مع وضع نظام دقيق يضمن استخدامها فى البناء فعلا وبواسطة المستلم) عندئذ تسقط حجة هؤلاء الملاك فى الخلو ، الذى يبررونه بأنه ثمن الخدمات فى بعض القطاعات وفرق السعر الذى يشترون به الاذونات ، ويساعد على تصفية الاستغلال فى قطاع البناء والتشييد لو أن تعاونيات توزيع الخامات قابلتها تعاونيات للبناء ، فتتولى الهيئات والنقابات توفير السكن الملائم لاعضائها بعيدا عن سياسة الفيلات .

الملكية الفردية

ان الاشتراكية هى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج . وهى اذا كانت تسمح فى تجربتنا باستمرار الملكية الفردية ، فقد اشترطت تخلص هذه الملكية من الاستغلال، وهى ملتزمة بتعريفها ان الاشتراكية هى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج . وليس مما يتفق مع سيطرة الشعب على وسائل الانتاج، أن تقوم حفنة من المستغلين باستغلال القطاع العام نفسه من خلال عمليات مشبوهة وغير منتجة.

ان هذا الوضع يهدد سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، بل يقلب الوضع الى سيطرة الرأسمالية المستغلة على القطاع العام وتسخيرها العلاقات الاشتراكية لصالح استغلالها ، هذه الفئات ماكان يمكن أن تجد فرص الثراء هذه لولا العلاقات الاشتراكية التى حطمت الرأسمالية الاحتكارية ودفعت المجتمع فى طريق التنمية .

والاستمرار الثورى اليوم يحتم تصفية هذا الشكل الجديد من اشكال الاستغلال ، وتحرير العلاقات الاشتراكية من انحرافه .

القطاع العام

ولاشك أن اشكالا جديدة من الاستغلال قد ظهرت فى القطاع العام . ولن اتحدث عن الرشوة والاختلاس ، فمنذ عهد يوسف ، وأموال القطاع العام تغرى بالمحاباة ، لقد أعطى سيدنا يوسف عليه السلام أهله القمح المصرى بدون مقابل ، ورد لهم الثمن الذى دفعوه فى صفقة القمح . كذلك لا أريد أن اقف طويلا عند البحث عن حل لمشكلة الرشوة والاختلاس ، فكل قوانين العالم من عهد حمورابى تعاقب السارق ، ومن ثم فهذه ليست مشكلة . واذا كانت القوانين عاجزة عن ضبط السارق ومعاقبته ، فهى قوانين لاتستحق حتى ان توصف بالرأسمالية لانه فى جدود علمى لا يباح سرقة مال الدولة فى ظل الرأسمالية .

ما أريد أن أقف عنده حقا ، هو الاستغلال الجديد ، الاستغلال باسم الاشتراكية .. الذين تاجروا فى ترخيص سيارة نصر ، والذين عرفوا ان السيارة تباع بضعف سعرها فى السوق ثم استمروا متبالهين يسلمون السيارة بنصف ثمنها على حساب أموال الشعب ، لتثرى من بيعها حفنة ماكانت تفكر فى امتلاك سيارة لولا الاشتراكية، ومنجزات الاشتراكية، وعدل الاشتراكية، فلاتكتفى بهذه النقلة التى منحتها لها الاشتراكية ، لاتكتفى بأنها قد وصلت الى مستوى من الدخل يعفيها من مأساة المواصلات التى يعانيها أبناء الشعب .
لا تكتفى بذلك ..

بل تسعى الى ربح غير مشروع ، فتتاجر فى ايصالات نصر ، وتعلن عنها فى الصحف .. هؤلاء مستغلون .

المدير الذى يفكر فى تحقيق ربح لمؤسسته أو شركته من غير رفع الكفاية الانتاجية ، يلجأ فى الغالب الى الاستغلال :

إما استغلال العمال ... بدفع أجر اقل ، أو اهدار حقهم فى المكافآت أو التوسع فى الخصومات بغير حق .

وأما استغلال المستهلك برفع الاسعار أو خفض الخامات ، أو انقاص الخدمات .

ونفس الشيء بالنسبة للمدير الذى يبيع السلع بأقل من تكلفتها ليسجل ارتفاعا فى حجم مبيعاته ، أو لمجرد الاعلان فى الصحف عن نجاحه فى تصدير بعض منتجاته .

والعنصر القيادى الذى يتملق غرائز الجماهير ، فيجرى وراء رغباتها غير الاشتراكية لكى تنتخبه عضوا باللجنة النقابية أو التنظيم السياسى مستغل لانه يبدد جهد العاملين لارضاء مطالب غير مشروعة وعلى حساب المجموع يرضى فئة منحرفة .

والحل .. ؟

هو الرقابة الشعبية ، رقابة الاتحاد الاشتراكى واللجان النقابية ، رقابة مجلس الامة ، رقابة الرأى العام بواسطة الصحف .

ان الرقابة الشعبية هى الضمانة الاولى لاشتراكية القطاع العام ، ولو ان مفهوم الرقابة يجب أن يتغير ، فهى ليست وصاية ، ولا سلطة اتهام ، ولا جهازا بوليسيا مهمته التفتيش عن الخارجين عن القانون ، فالسلطة البوليسية لا تفتش عن المواطن الصالح ، ولاتتحرك الا لمواجهة الاخلال بالقانون ، بينما مهمة الرقابة الشعبية ، فى اعتقادى ، هى أن تعيش مشاكل القطاع العام ، وأن تحمى القطاع العام من النقد الهدام ، ومن الانحرافات والاغراءات وأن تضع كل النظم والقواعد التى تسد الطريق على المنحرف ، ثم تكتشف هذا المنحرف وتستأصله .

فاهتمامها الاول هو بالنظم ، بالقواعد الثورية ، لان اكتشاف خلل فى الانتاج ووضع النظام الذى يكفل معالجته أفضل وأجدى على المجتمع من تعقب موظف وضبطه متلبسا .

يجب أن نفرق بين الرقابة البوليسية ، والرقابة الشعبية ، فلكل منها دوره الذى يحمى المجتمع والانتاج .

واذا كان دور الرقابة البوليسية هو ضبط المختلس والمرتشى ، فان دور الرقابة الشعبية هو تطهير النظم ذاتها ، واكتشاف الثغرات التى ينفذ منها المنحرفون .

المثقفون

واذا كانت الرأسمالية المستغلة تفرض استغلالها على باقى تحالف قوى الشعب ، فانها لاتنفرد وحدها بالاستغلال ، ولا تقتصر ممارسة الاستغلال على المديرين المنحرفين وحدهم ، بل توجد بين فئات المثقفين ضروب من الاستغلال يجب أن نتخلص منها .

مثــــلا ..

فى أساتذة الجامعات ، وهم ثروتنا القومية ، وعدتنا فى تخريج الاجيال من الفنيين ، ومع ذلك فهل تخلو العلاقة بين أساتذة الجامعة وطلبتها من الاستغلال ؟

لا أريد أن أذكر الامثلة احتراما لقياداتنا العلمية ، ولانها شائعة ومعروفة وهى السر فى افتقارنا الى الروح الجامعية فى اثناء الدراسة ، والى الرابطة الفكرية أو ما يسمى بالمدارس .

فالاستــــاذ الجامعى الذى ينفى عـــلاقته من الاستغلال ، ولايبدد وقته فى أكثر من جهة ، سينال جزاءه العلمى بخروج اجيال تؤمن بمنهاجه وتنتسب اليه وتعتز باجتهاداته . واذا تتبعنا الاشـــكال الجديدة للاستغلال فى قطاع المثقفين ، فلابد من كلمة للصحافة، لا عن مظاهر الانحراف التى أعتقد أن صحافتنا ستتخلص منها بمجهودها وبارتفاع الوعى الاشتراكى عند القارئين والكاتبين ، ولكن أريد أن أتوقف عند اشكال جديدة من الاستغلال تمارسها الصحافة على حسب المجتمع انها فى كلمة واحدة الاعلان .. الاعلان غير الاشتراكى. بفضل كفاح الشعب العربى بفضل انتصارات الثورة الناصرية أصبح للصحافة المصرية مكانتها العالمية والعربية . وبفضل القوانين الاشتراكية انتقلت ملكية الصحف للشعب ، واصبح للعاملين فيها حصة الاسد من أرباحها .

وكنتيجة لهذا الوضع الذى ساهمت فى صنعه جماهير الشعب كلها ، نرى الدول تتسابق على نشر اعلاناتها فى صحفنا ، ونرى الرجعية العربية تحاول أن تتسلل الى صفحات الجرائد المصرية ولو باعلان مدفوع الاجر .

فهل يمكن لصحافتنا أن تعلن من الرجعيـــة العربية ولو بالاجر .. ؟! وهل من حق محـــررى الصحف أن يفوزوا وحدهم بحصيلة هذه الاعلانات. هل حقا قدموا المجهود الذى يساويه ؟! هل اعلان دولة كبرى أو حكومة رجعية فى صحيفة من صحفنا يمكن القول بأنه يرجع لجهود محرريها ونشـــاط مندوب اعلاناتها ، ام هو ثمرة الوضع الثورى المتفوق الذى صنعته آلام الشعب وتضحياته .

وكذلك اعلانات القطاع العام . هل من حق محررى الصحف وحدهم الفوز بهـــذا الرصـــيد الضخم ؟ !

أما من سبيل لرصد قيمة الاعلانات هذه لتمويل بعض المشروعات الانتاجية لتطوير صحافتنا من الناحية الفنية لتواجه الصحافة المسمومة المدبرة فى خارج الجمهورية العربية المتحدة .

الا يكفى العاملون حاليا ما أعطتهم الدولة من ضمانات وما حققته أجورهم من ارتفاع وصـــل الى ارقام ما كان يحلم بها ائمة الصحافة منـــذ ١٥ عاما فقط ؟!

اننى اعتقـــد ان المبـــادرة ستأتى من جانب الصحفيين .

العمـــــال

هل يوجد العامل المستغل ؟.. نعم ، الذى يأخذ ما لايستحق ، الذى يقابل ما اعطته له الاشتراكية بالجحود والنكران ، الذى يظن ان الاشتراكية هى أن يأخذ ولا يعطى ، الذى يأبى أن يرتفـــع الى المستوى الذى رفعته اليه الاشتراكية .

مثلا ..

العامل النقابى الذى يستغل منصبه فى الحصول على مكاسب شخصية .

العامل الذى يستغل قانون العمل ، الذى كرمته به الثورة ، وحمته به من استغلال رأس المـــال فيحوله هو الى اداة استغلالية يخرب بها الانتاج ويتهرب من واجباته ، وسمعنا مرة عن عامل يتغيب ٩ أيام ويعمل فى اليوم العاشر ليتفادى الفصل !!

لقد كانت روح قوانين العمل فى الفترة الماضية من الثورة هى حماية العامل من استغلال صاحب العمل . وقد آن أن تصبح روح القوانين هى حماية الانتاج بعد أن تحرر العامل من صاحب العمل .

الفـــــلاحون

المجتمع فى الريف كالسمك ، كل فم أكبر مفتوح ليلتهم الاصغر منه . ولا أمل للريف الا بتعميم نظام التعاونيات وقيام نظام الزراعة على أساس الملكية الفردية المقترنة بالعمل غير الاستغلالية ، أما عمال التراحيل فلست أضعهم فى الاشـــكال الجديدة للاستغلال ولا الاشكال القديمة ، انهم نموذج مما قبل التاريخ .. من عهود العبودية .. انه وضع يشكل سبة عار فى جبين المجتمع .

مواجهة الأشكال الجديدة للاستغلال

الاشتراكية كما قلنا هى القضاء على استغلال

الانسان للانسان ، وهى عملية دائمة مستمرة فلن يكف قابيل عن اكتشاف وسيلة لاستغلال هابيل ، والحل هو الاستمرار الثورى ، هو المحافظة على اندفاعنا الثورى، والمزيدمن الاجراءات الاشتراكية.

ولاشك أن تحمل التنظيم الشعبى مسئولياته فى التطوير الاشتراكى كفيلة بأن تصفى هذه الاشكال الجديدة من الاستغلال وتستأصل كل جديد منها..

ولكن هناك ألوانا من الاستغلال يصعب الوصول اليها بالقانون ، هناك عمليات استغلالية لايتحكم فيها الا الضمير وحده ، فكيف نواجهها ؟

المدرسة المثالية تقول بالاعتمـــاد على التربية الخلقية وحدها ، ثم ترك الانسان وسط مغريات المجتمع الطبقى وانحرافاته . وهى نظرة تنفصل كثيرا عن الواقع ، ولان مثل هذا الانسان الذى يستطيع لسموه الخلقى أن يرتفع فوق الواقــع المنحرف هو انسان نادر ، بل سيبدو شاذ أمام فساد النظام الطبقى الذى يحطم كل القيم ، ويدفع الناس الى الجريمة فى سباقهم المحموم من أجل لقمة العيش .

والنظرية المادية

تقول بالوسائل المادية وحدها ، ترى سدجميع منافذ الجريمة ، ليصبح الانسان شريفا رغم أنفه وهذه النظرية تربط الأخلاق بالمصلحة . ونحن لا نقبلها .. لانها تنكر العامل الانسانى ، ولم يثبت نجاحها ، فالانسان اذا ما أراد أن يحطم القانون فان حيله لا حد لها . ومازلنا نسمع رغم مرور نصف قرن على قيام الاشتراكية ، مازلنا نسمع عن جرائم رشوة واختلاس ، واستغلال الملكية العامة للمصلحة الشخصية ، وسوق سوداء وتهريب .

الاخــلاق والنظــــم

ان وجهة نظرنا العربية هى الايمان بالاخـــلاق النابعة من القيم الروحية والاديان ، والايمان أيضا بالمناخ الاجتماعى الصالح الذى يتيح لهذه الاخلاقيات أن تزدهر .

فالانسان ليس آلة كما تشكل تروسها يتحرك، وهو أيضـــا ليس ملاكا يســـتطيع أن يحلق فوق انحرافات المجتمع .

والميثاق يقول : « ان هذا العمل العظيم تحقق بفضل عدة ضمانات تمكن النضال الشعبى من توفيرها » .. ومن هذه الضمانات يقول الميثاق « ايمان لايتزعزع بالله وبرسله وبرسالاته المقدسة التى بعثها بالحق والهدى الى الانسانية فى كل زمان ومكان » ..

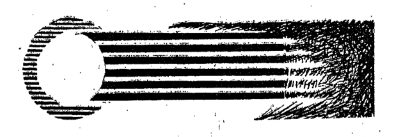
واضرب لذلك مثالا .. هو « التاجر الذى يغش فى الميزان » .. ما السبيل الى اقناعه بخطأ هذا العمل . ؟!

ان مصلحته الشخصية مرتبطة بأن يــكسب أكثر ، أما عن المصلحة العامة ، فانه من الصعب اقنـــاعه بأن نقص بعض جرامات من اللحم أو السكر من نصيب زبون سيؤثر على الانتاج ، ولكن القيم الروحية تقول له «ويل للمطففين» و «أوفوا الكيل ولاتكونوا من المخسرين» — « وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان» — « ومن غش أمتى فليس منى » ..

نحن نؤمن بتحطيم النظم التى تخلق المنـــاخ الاســـتغلالى ، نؤمن بتحطيم الدافع الاجتماعى للاستغلال .

وفى اعتقادى أننا لو طبقنا قانون من أين لك هذا، ووضعنا نظاما دقيقا للاستهلاك، لقللنا دوافع الانحراف الاجتماعية ولكننا لانقف عند حد الاصلاح الاجتماعى وحده ، بل نؤمن بالقيم الروحية وبدورها فى تهذيب النفس البشرية ، وتقويم السـلوك الانسانى .

وقيمنا الروحية ترفض الاستغلال وتحاربه .. مهما كانت أشكاله .



كان الدكتور جمال العطيفي قد قام بزيارة دراسية لتشيكوسلوفاكيا، ضمن جولة فى دول اوربا الشرقية ، التقى فيها بالمسئولين فى مجالات النشاط المختلفة . وفى هذا المقال يعرض خلاصة دراسته عن التطبيق الاشتراكى فى تشيكوسلوفاكيا

ملامح التطبيق الاشتراكى فى تشيكوسلوفاكيا

د . جمال العطيفى

لا يمكن دراسة التطبيق الاشتراكى فى اية دولة بمعزل عن تاريخهما وعن ظروفها الخاصة. ولعل المبدأ الذى أصبح مقررا من ان لكل دولة طريقها الخاص للسير نحو الاشتراكية ، يبدو اكثر وضوحا فى دراسة التطبيق الاشتراكى فى تشيكوسلوفاكيا .

واذا كان الاقتصاد المخطط والملكية الجماعية لادوات الانتاج وسيطرة الحزب الواحد طليعة الطبقة العاملة ، هى السمات المشتركة فى جميع دول الاشتراكية الماركسية ـ الا اننا سنلمس عند دراسة التطبيق الاشتراكى فى تشيكوسلوفاكيا ان بعض هذه السمات قد اتخذ شكلا خاصا وان التحول الاشتراكى مر فيها بمراحل مختلفة ليست هى بالضرورة المراحل التى مر بها التحول الاشتراكى فى الدول الاخرى . فان لتشيكوسلوفاكيا ظروفا خاصة انعكست على التطبيق فيها : تكوينها الخاص كدولة موحدة تاتلف شعبين لكل منهما تاريخه وتقاليده ومراحل نموه الشعب التشيكى والشعب السلوفاكى ، اشتراك الاحزاب الوطنية فيها مع الحزب الشيوعى فى مقاومة النازية .. ثم رسوخ الحركة التعاونية فيها منذ قبل الحرب العالمية الاولى وأهمية التجارة الخارجية باعتبارها تمثل جانبا هاما من دخلها القومى .

مراحل التحول الاشتراكى

لقد نشات دولة تشيكوسلوفاكيا الحديثة فى اعقاب الحرب العالمية الاولى من اتحاد شعبى التشيك فى بوهيميا ومورافيا مع شعب السلوفاك فى سلوفاكيا ، وذلك بعد ان نجحا فى مقاومتهما ضد امبراطورية النمسا والمجر . وظلت تشيكوسلوفاكيا الموحدة تحت سيطرة البورجوازية حتى فقدت استقلالها فى عام ١٩٣٨ حينما فرض عليها الخضوع لاتفاقية ميونيخ التى اطاحت بثلث اقليمها والتى فصلت عنها سلوفاكيا بينما وضعت الاقاليم التشيكية تحت حماية النازية . وفى هذه الاثناء كان الحزب الشيوعى يقود حركة مقاومة

مناهضة للنازية ، وقد اشتركت فى هذه الحركة العناصر الوطنية الاخرى غير الشيوعية وتكونت منهم جبهة وطنية . وبعد انتهاء الحرب عام ١٩٤٥ عادت امتى التشيك والسلوفاك الى وحدتهما السابقة . ففى ٤ ابريل ١٩٤٥ تكونت فى شرق سلوفاكيا بمدينة كوشيسني حكومة جديدة تمثل الجبهة الوطنية للتشيك والسلوفاك برياسة فيرلنجر من الحزب الاشتراكى الديمقراطى . وقد مثلت فيها على قدم المساواة جميع الاحزاب السياسية الوطنية التى لم تتعاون مع الالمان . فكانت تضم ممثلين للحزب الشيوعى وحزب الشعب الكاثوليكى والحزب الاشتراكى القومى والحزب الاشتراكى الديمقراطى والحزب الديمقراطى السلوفاكى . وعين **جوتوالد** رئيس الحزب الشيوعى وقتئذ نائبا لرئيس الوزراء . وقداعلنت هذه الحكومة برنامجها على اساس المساواة التامة بين شعبى التشيك والسلوفاك ومصادرة اموال المتعاونين مع الالمان وانتهاج سياسة اشتراكية . وحتى ذلك الحين لم يكن قد تم تحرير بوهيميا ، فنشطت حركة المقاومة وتم تحرير براغ فى ٩ مايو واعقب ذلك تحرير بقية اقاليم تشيكوسلوفاكيا .

وقد مضت الحكومة ، تحت تأثير نفوذ الحزب الشيوعى ، فى تطبيق السياسة الاشتراكية التى كانت قد اعلنتها فأممت البنوك وشركات التأمين والمناجم والصناعات الكبيرة التى يزيد عدد عمالها على خمسمائة عامل ، واصدرت قانونا للاصلاح الزراعى استولت بمقتضاه على ملكيات منتعاونوا مع النازية . ولما أجريت الانتخابات العامة فى عام ١٩٤٦ فاز الحزب الشيوعى بأغلبية تزيد عن اى حزب من الاحزاب الاخرى ، فعهد الدكتور بنش الذى كان لا يزال رئيسا للجمهورية الى جوتوالد رئيس الحزب الشيوعى بتشكيل وزارة مثلت فيها جميع الاحزاب تبعا لنسبة نجاحها فى الانتخابات

وحينما حاول الحزب الشيوعى تنفيذ برنامج التحول الاشتراكى ، بدأت العناصر اليمينية فى الحزب الاشتراكى الديموقراطى تلعب دورا تخريبيا تؤازرها فيه البورجوازية التى لم يكن قد تم استئصال نفوذها . ووقعت ازمة كادت تؤدى الى انقسام وفتنة مسلحة . وقد حلت الازمة دستوريا بتشكيل حكومة جديدة مثلت فيها ايضا جميع الاحزاب . وقد ازدادت مطالبة الشعب بتأميم المشروعات الرأسمالية التى تستخدم أكثر من خمسين عاملا وبالقيام باصلاح زراعى جديد يحدد الحد الاقصى للملكية الزراعية بخمسين هكتارا مع الاستيلاء على الملكيات الزراعية التى لا يعمل أصحابها بالزراعة تطبيقا لمبدأ الارض لمن يفلحها .

وقد وافقت الجمعية التأسيسية التى شكلت فى هذا الحين على هذه المطالب وانتهت الى اعداد دستور ٩ مايو ١٩٤٨ . وهو أول دستور لدولة تشيكوسلوفاكيا الديموقراطية الشعبية ، وقد تم بعد ذلك اندماج الحزب الاشتراكى الديموقراطى فى الحزب الشيوعى الذى اصبح طليعة للتحالف مع الاحزاب الاخرى داخل الجبهة الوطنية للسير نحو الاشتراكية . وقد سارت تشيكوسلوفاكيا بعد ذلك بخطوات سريعة نحو خلق علاقات انتاج اشتراكية . وفى عام ١٩٥٨ بدت الحاجة الى وضع دستور جديد يسجل التحول الاشتراكى .

أشكال الملكية الاشتراكية

ويعتبر دستور ١٩٦٠ الحالى تعبيرا عن المرحلة التى قطعتها تشيكوسلوفاكيا منذ ١٩٤٨ للتطور من دولة ديموقراطية شعبية الى دولة اشتراكية

فان اشكال **الملكية الاشتراكية** فى الدستور الحالى قد اصبحت شكلين . **ملكية الدولة والملكية التعاونية** . اما **الملكية الخاصة** فلم يعد الدستور ينظمها رغم انها لازالت قائمة فى نطاق محدود سواء فى الزراعة او فى الحرف الصغيرة . وكانت حجة اغفال الاشارة الى الملكية الخاصة فى الدستور ان التطور الاجتماعى سينتهى الى اختفاء هذه الملكيات . ولكن الدستور يعرف نوعا آخر من الملكية يسميه **بالملكية الشخصية** تمييزا له عن الملكية الخاصة . ويتناول الادوات التى تستعمل استعمالا شخصيا ومنزليا وبيوت الاسر والمدخرات التى تكون ثمرة للعمل . ويكفل الدستور حماية هذه الملكية وتوريثها .

واذا كان شكل الاستغلال الصناعى والتجارى هو المؤسسات الاقتصادية المملوكة للدولة ، فان الشكل الغالب فى الاستغلال الزراعى هو الجمعيات التعاونية . أما مزارع الدولة فلا تتجاوز ١٦ ٪ من مجموع الاراضى الزراعية . ذلك ان الحركة التعاونية كانت منتشرة فى اقليم التشيك كما كانت منتشرة فى اقليم السلوفاك منذ الحرب العالمية الاولى . لذلك فقد كان من اليسير اقناع الفلاحين بمزايا الانضمام تعاونيا فى الاستغلال الزراعى خصوصا بعد أن تخلصت هذه الجمعيات من سيطرة « الكولاك » وبعد ان تقرر مبدأ الاصوات المتساوية للاعضاء . فلم يعد الامر كما كان فى الجمعيات التعاونية السابقة على التحول الاشتراكى ، حيث كان عضو الجمعية يملك عددا من الاصوات بقدر ملكيته للاراضى . والتعاون فى الزراعة هو الصيغة الملائمة لخلق قطاع اشتراكى فى الزراعة يمكنه استخدام الوسائل الحديثة وتحقيق كفاية فى الانتاج دون مساس بنزعة الفلاح نحو الاحتفاظ بملكية الارض التى طال حرمانه منها ودون تعطيل الحوافز التى تدفعه الى العناية بالانتاج .

وقد تطورت التعاونيات الزراعية فى تشيكوسلوفاكيا من مجرد تعاون فى الاستغلال الزراعى ، فى بداية التحول الاشتراكى ، الى تقديم

كل عضو ما يملكه من اراض ومواش وآلات الى الجمعية التعاونية ، دون أن يفقد ملكيتها ، كما تطور توزيع دخل هذه المزارع التعاونية منتوزيع يراعى فيه ملكية ما يقدمه كل عضو ، الى توزيع يتم على اساس العمل المبذول وحده . كما ان ما يقدمه العضو من مواش وآلات يتم تقييمهوتدفع قيمته مقسطة الى العضو . ويسمح للعضو بملكية المنزل الذى يقيم فيه وباستغلال مساحة لا تزيد على نصف هكتار لسد حاجاته .

وقد شجعت الدولة بعد ذلك اندماج المزارع التعاونية فى وحدات اوسع حتى يمكن استعمال الوسائل التكنيكية الحديثة فى الزراعة واصبحت بعض التعاونيات تملك الماكينات الخاصة بها . ولم تعد فى حاجة الى الاعتماد على محطات الماكينات التى انشأتهاالدولة لخدمة التعاونيات . ومنذ اول يوليو ١٩٦٤ طبقت نظام التأمينات الاجتماعية على اعضاء هذه الجمعيات .

وان كان النظام الداخلى لهذه الجمعيات لا يختلف كثيرا عن الجمعيات التعاونية فى رومانيا والمجر ويوغوسلافيا والمانيا الشرقية من ناحية الادارة الديموقراطية ، الا أنها تتميز بوجود لجنة للرقابة الى جانب مكتب الجمعية أو مجلس ادارتها ، تتولى رقابة تنفيذ برامج الزراعة ومالية الجمعية .

وقد اسلفنا ان نظام التعاون كانت له تقاليده الراسخة فى نفوس التشيكوسلوفاك منذ قبل الحرب . لذلك لم يكن غريبا الا يقتصر التعاون على الزراعة وان يمتد الى تنظيم التجارة الداخلية . فالى جانب مخازن الدولة توجد مخازن تديرها الجمعيات التعاونية بل ان تشيكوسلوفاكيا قد سلكت طريق التعاون ايضا لحل أزمة الاسكان فشجعت اقامة الجمعيات التعاونية الاسكانية . كما أنها شجعت اندماج الحرفيين فى جمعيات تعاونية انتاجية .

النظرة الواقعية الى

وحدة التشيك والسلوفاك

اصطنع اول دستور لدولة تشيكوسلوفاكيا الحديثة وهو دستور ١٩٢٠ وحدة بين الشعبين التشيكى والسلوفاكى تقوم على الوهم لا على الواقع . فاعتبر الشعب التشيكوسلوفاكى شعبا واحدا وفرض عليه لغة واحدة . وقد أدى ذلك الى تعميق الخلافات العميقة بين الشعبين بدلا من ازالتها . ذلك أنه تجاهل ان لكل شعب تاريخه الوطنى وتطوره الاجتماعى على مدى الف عام . فانتهى الامر بسلوفاكيا الى بقائها اقليما متخلفا بينما اصبحت الصدارة للاقاليم التشيكية مما أدى الى بذر الفرقة بين الشعبين تحت شعار وحدة غير حقيقية .

وقد كانت اقامة وحدة وطنية حقيقية بين الشعبين من اهم مهام الثورة الاشتراكية بعد الحرب العالمية الثانية . وقد واجه دستور تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية علاقة التشيك والسلوفاك فى صراحة . فهو وان قرر وحدة الدولة الا انه سلم بانها تتكون من امتين شقيقتين وجعل لهما حقوقا متساوية ، ثم جعل لسلوفاكيا نظامها الخاص داخل اطار الدولة الموحدة . فالى جانب الجمعية الوطنية على مستوى الجمهورية ، أفرد لسلوفاكيا مجلسا وطنيا خاصا بها خوله اختصاصات التشريع فى المسائل ذات الطابع القومى او الاقليمى والاشتراك فى وضع خطة الدولة للتطوير الاقتصادى والثقافى لسلوفاكيا فى حدود خطة الدولة .

كما عنى الدستور بمشكلة القوميات المختلفة فى سلوفاكيا . فهناك أقليات من أصل مجرى واوكرانى . ومن ثم فقد وجه عنايته الى تطوير حياة هذه الاقليات فى روح من المساواة .

وقد ترتب على هذه النظرة الواقعية لمشكلة القوميات تطور هام فى النشاط الاقتصادى فى سلوفاكيا . فبينما كان نصيب سلوفاكيا فىمجموع الانتاج الصناعى لتشيكوسلوفاكيا لا يتجاوز ٧ ٪ تضاعف هذا الرقم فى السنوات الاخيرة ثلاث مرات وتضاعف الانتاج الصناعى فى سلوفاكيا عما كان عليه قبل الحرب بمعدل ٢١ ضعفا .

اللجان الوطنية

من أهم ما تتميز به التجربة التشيكوسلوفاكية محاولتها الربط بين الاشتراكية والديموقراطية برباط وثيق . وقد عاونت ظروف المقاومةالشعبية وخلق الجبهة الوطنية على انشاء لجان وطنية على مستوى القرية والمركز والاقليم .

وقد أدى تطور العلاقات الاجتماعية فى تشيكوسلوفاكيا الى تطوير فى مهام هذه اللجان واختصاصاتها . فانتقل جانب هام من سلطة الدولة الى هذه اللجان المنتخبة . **وأهم ما يميز هذه التجربة ان هذه اللجان هى التى تنشىء أجهزتها التنفيذية والادارية وتحدد نطاق نشاطها ومهامها . وبذلك قضت هذه التجربة علىالنظرية التقليدية القائلة بفصل الهيئات التمثيلية عن الاجهزة التنفيذية والفصل بين سلطة اصدار القرارات وسلطة تنفيذها . فهى تمارسالسلطتين**

وليست اختصاصات هذه اللجان مجرد اختصاصات محلية . فقد رسم لها الدستور طريقة ممارسة نشاطها بان توفق بين تنفيذ المهام الخاصة بالدولة ككل وبين اشباع حاجات مناطقها

ومصالح مواطنيها . وهى تهتدى بمبدأ تقـديم مصالح الشعب على مستوى الجمهورية ، على المصالح المحلية والاقليمية .

وتختص هـذه اللجان بتوجيه وتنظيم وتطوير مناطقها ، سواء فيما يتعلق بالشئون الاقتصادية أو الصحية أو الثقافية أو الخدمات الاجتماعية . وهى التى تنشىء المؤسسات اللازمة لتنفيذ ذلك . كما أنها تعمل على حماية الملكية الاشـتراكية والدفاع عن النظام الاشتراكى . وهى تشـترك فى وضع مشروع خطة الدولة وتضع فى ضـوئها خطة التطوير الخاصة بمناطقها .

وتقوم علاقة اللجان الادنى بلجان المستويات الاعلى أو بالدولة على أسـاس مبدأ المركزية الديموقراطية . فالتوجيه مركزى فى المبدأ والمسائل العامة مع منح هذه اللجان أوسع السلطات والمسئوليات فى التصرف .

بل ان قانونا قد صدر فى عام ١٩٦١ منظمـا لواجبات هذه اللجان فى حماية النظام الاشتراكى، عهد اليها بالتحقق من التزام المواطنين احـكام القانون وجعل لها الحق فى ان تتخذ قبل المخالف الاجراء المناسب اذا لم تفلح الوسائل التقويمية فى ردعه . فهى تعتبر بمثابة محكمة شعبية تملك توقيع الغرامة على المخالف .

الحزب الشيوعى والجبهة الوطنية

من المعروف ان حجر الزاوية فى التنظيم السياسى الماركسى ، هو الحزب الشيوعى ، الاداة الطليعية الممثلة لدكتاتورية البروليتاريا . ومع ذلك فان دكتاتورية البروليتاريا قد اتخذت شـكلا مختلفا فى تشيكوسلوفاكيا ، يتضح من وجود عدة أحزاب يقوم فيها الحزب الشيوعى بالدور القيـادى . وهذه الاحزاب تأتلف فى جبهة وطنية . وفى ظل هذا النظام تطورت الثورة الاشتراكية بطريقتها الخاصة السلمية .

فالجبهة الوطنية تمثل مرحلة تاريخية هامة فى تاريخ التحول الاشتراكى فى تشيكوسلوفاكيا . فقد لعبت دورا هاما فى مقاومة النازية كما اسلفنا كما أنها كانت تمثل تحالفا بين شعبى التشـيك والسلوفاك ، وكانت عاملا هاما فى تحقيق التحول سلميا نحو الاشتراكية .

وهذه الجبهة تضم فى الوقت الحاضر ، الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ، والحزب الشيوعى السلوفاكى وهو يقوم بتنفيذ سـياسة الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى فى اقليم سلوفاكيا ، والحزب الاشـتراكى التشيكوسلوفاكى وحزب الشعب التشيكوسلوفاكى . كما ان فى سلوفاكيا حزبان اخران هما حزب البعث وحزب الحرية ، ولكل من هذه الاحزاب تنظيماته والصحف الناطقة بلسـانه .

والواقع أن هـذه الاحزاب لا تعتبر احزابا معارضة ، اذ أنها تنتظم جميعا فى الجبهة الوطنية، بل ان لها ممثلين فى الجمعية الوطنية وفى الحكومة فوزير العدل ينتمى الى الحزب الاشتراكى ووزير الصحة وهو قس كاثوليكى ينتمى الى حزب الشعب كما ان هذه الاحزاب على اتفاق مع الحـزب الشيوعى فى ان الهدف هو بناء الاشـتراكية فى تشيكوسلوفاكيا . وهى تشترك فى جميع مؤتمرات الحزب الشيوعى ، وقد اشتركت فى المؤتمر الثالث عشر الذى انعقد أخيرا فى شهر يونيو . كما ان الجبهة الوطنية تقوم بدور هام فى الترشـيح للانتخابات العامة .

ويتضح من ذلك العرض ان تعـدد الاحزاب داخل الجبهة الوطنية ليس الا حقيقة تاريخية . ولكن الحزب الشـيوعى هو الذى يقوم بالدور الطليعى داخل هذه الجبهة . ووثيقة اعـلان الدستور التشيكوسلوفاكى الحالى الصادر عام ١٩٦٠ تشير الى دور الحزب الشيوعى . والدستور ذاته ينص على تحالف العمال والفلاحين والمثقفين بقيادة الطبقة العاملة وعلى ان الحزب الشيوعى هو القوة القيـادية فى المجتمع والدولة وطليعة الطبقة العاملة . ويصف الجبهة الوطنية للتشيك والسلوفاك بأنها التعبير السياسى لتحالف الشعب العامل فى المدينة والريف بقيادة الحزب الشيوعى

فما الذى يمكن أن ينتهى اليه أمر هذه الاحزاب داخل هذه الجبهة الوطنية ؟

ان هذه الاحزاب وان اتفقت مع الحزب الشيوعى فى برنامج التحول الاشتراكى ، الا ان هنـاك خلافات أيديولوجية تقوم بين هذه الاحزاب والحزب الشيوعى . فالحزب الاشتراكى مثلا ليس ماركسيا وحزب الشعب يغلب عليه الطابع الدينى ومثله حزب البعث السلوفاكى . وهذه الاحزاب وان كانت ترتبط بتطبيق المبدأ الاشتراكى ، أن من كل حسب قدرته ولكل حسب عمله ، فانها ليست مرتبطة بالسير نحو الشيوعية حيث مبدأ ان لكل حسب حاجته .

ومع ذلك ففى مناقشة لى مع سكرتير الحزب الاشـتراكى تبينت أنه يرى ان المجتمـع التشيكوسلوفاكى لا يزال بعيدا عن مرحلة التحول الشيوعى ، ومن ثم فان الخلاف الايديولوجى لا يشكل فى المرحلة الحالية عقبة فى طريق التحالف داخل الجبهة الوطنية . وهو يرى ان تطـور العلاقات الاجتماعية سيكون العامل الفاصـل فى مستقبل هذه الجبهة . ان الحزب الاشتراكى مثلا يغلب عـلى تشكيله تمثيل المثقفين والمكتبيين . والتطور الاجتماعى منته الى ازالة أى تعارض بين مصالح هذه الفئات ومصالح الطبقة العاملة وحزب الشعب كان يمثل صغار الملاك . ولكن العلاقات الاجتماعية قد تغيرت وانخرط صـغار الملاك فى التعاونيات الزراعية واصبحت مصلحتهم متفقة مع مصالح الطبقة العاملة التى يعد الحزب

الشيوعى طليعة لها . والتعارض الذى كان يحتج به دائما بين مبادىء الحزب الشيوعى وبين تعاليم الدين ، فقد كثيرا من قيمته . فالحوار قائم بين الماركسيين والكاثوليك . وبعض القساوسة التشيكوسلوفاك يقوم بدور هام فى حركة السلام العالمية . وقد كان أول زعيم قاد ثورة الاصلاح ضد الفساد والاقطاع فى بوهيميا من رجال الدين وهو **جان هوس** الذى كان استاذا بجامعة شارل الرابع ببراغ وقد قضى مجلس كنيسة كونستانز باعدامه بتهمة الزندقة ،وحرق حيا فى٦ يوليو١٤١٥ ،واعقب موته حروب دامت قرابة خمسة عشر عاما وعرفت بالحروب الهوسية . ولا يزال تمثال جان هوس يقف شامخا يعتز به المواطنون التشيك وهم فى طريقهم الى جامعة شارل الرابع . وقد علمت ان هناك مباحثات تدور حاليا مع الفاتيكان لتصدر الكنيسة قرارا برد اعتباره .

كذلك فان ثمة حقيقة هامة اخرى هى ان الجبهة الوطنية لم تعد مجرد تحالف بين الاحزاب وحدها بل ان المنظمات الشعبية تشترك فيها . فالمنظمات النقابية والتعاونية واتحادات الشباب اعضاء فيها . وقد ينته التطور الى ان يصبح الدور الرئيسى فى هذه الجبهة لهذه المنظمات التى تعبر عن تحالف قوى الشعب العاملة بقيادة الحزب الشيوعى .

والخلاصة أن هذه **الاحزاب ليست احزابا معادية ، اذ أنها تتفق مع الحزب الشيوعى فى برنامج التحول الاشتراكى ، كما أنها لا تمثل طبقة معينة . وهى ليست أحزابا معارضة ، اذ أنها تشترك فى تنفيذ برنامج التحول الاشتراكى . انها واقعة تاريخية أوجدتها ظروف تاريخية نضالية وذابت فى الجبهة الوطنية وان ظلت محتفظة بأسمها وتركيبها داخل اطار الوحدة الوطنية الاشتراكية** . وهى فى نظر التشيكوسلوفاك تتفق مع ما اذكره ماركس وانجلز عام ١٨٤٨ من ان الشيوعيين لا يكونون حزبا منفصلا عن احزاب الطبقة العاملة الاخرى معارضا لها .

الاصلاح الاقتصادى الجديد

نجح النظام الاقتصادى التشيكوسلوفاكى القائم على الملكية الجماعية لوسائل الانتاج وعلى التخطيط المركزى ، فى مرحلة التحول الاشتراكى . فزاد الدخل القومى عام ١٩٦٣ مائة وستين مرة عما كان عليه فى عام ١٩٣٧ ، وكان معدل نمو الانتاج الصناعى ١١٫٦ ٪ سنويا . فارتفع مستوى المعيشة الى حد أن الاجور فى عام ١٩٦٣ زادت ٢٢٢ ٪ عما كانت عليه قبل الحرب . وفى هذه المرحلة كانت الادارة المركزية للمشروعات الاقتصادية أمرا لازما لتحقيق نمو متكافىء فى جميع أنحاء الجمهورية ، بما فى ذلك النهوض باقليم سلوفاكيا الذى كان متخلفا صناعيا .

غير ان الادارة المركزية للاقتصاد قد تصبح عائقا لاضطراد هذا النمو ودعم كفايته ولما يقتضيه التقدم العلمى والتكنولوجى من تجديد للمصانع وتطوير انتاجها فنيا .

وتشيكوسلوفاكيا التى تقدمت فيها الصناعة ، تعوزها مع ذلك المواد الاولية من مصادرها الطبيعية فتضطر الى استيرادها . وفى نفس الوقت فان سوقها المحلى محدودة لا تستوعب الانتاج الضخم ، ومن ثم فان التجارة الخارجية تعتبر شرطا هاما لتحقيق نموها الاقتصادى .

وقد لاحظ الاقتصادى التشيكى المعروف اوتوتشيك ان ثمة اختلالا فى التوازن بين حجم الانتاج وبين حجم الطلب ، وان تشيكوسلوفاكيا تنتج سلعا تزيد على حاجة السوق ، كما انها تعانى فى نفس الوقت من قصور فى انتاج سلع يزداد الطلب عليها . وهو يرى ان نظام الادارة المركزية لم يعد قادرا على مواجهة اختلال التوازن بين الانتاج والاستهلاك . فهو يعتمد على وسائل ادارية محضة تؤدى الى تعميق الهوة بين حجم الانتاج وحجم الطلب .

فتحقيق « الكم » كهدف للمشروعات يؤدى بها الى ان تزيد من حجم انتاجها ، ويغريها بالانفاق غير الاقتصادى والى زيادة طلب استيراد المواد الاولية ، مما ينتهى فى النهاية الى الاختلال فى الميزان التجارى وفى ميزان المدفوعات . كما لاحظ ان المشروعات الصناعية أصبحت فى مركز تضطر معه الى ان تشترى ما تستورده المؤسسات الموردة سواء اكانت فى حاجة اليه ام لا .

وهذا النظام تعوزه الدوافع الى تحقيق الكفاية الفنية ، مما يلحق بالانتاج اهمالا فى « الكيف » لحساب « الكم » . فانعدام الحافز المادى لدى العاملين فى المشروعات الصناعية يؤدى الى تأخير تقدمها « التكنيكى » وكفايتها الانتاجية وترشيد الانتاج . وليس فى وسع الاجهزة المركزية ان تكشف العيب فى الوقت المناسب ، كما ان تحسين مستوى الانتاج لا يمكن ان يتم بوسائل ادارية .

ويعزو البروفسير تشيك هذا الوضع الى الفهم الخاطىء من ان نظرية السوق قاصرة على الاقتصاد الرأسمالى ، ويرى ان ذلك قد ادى الى ان الانتاج قد تخلف عن تحقيق غرضه وهو مواجهة حاجة السوق المحلى والأجنبى . وانه لم يعد فى وسع المستهلك ان يمارس اى تأثير على المنتج مما ادى الى انعدام التوازن بين الانتاج والطلب . بين العمل المبذول وبين نتائجه المتمثلة فى الاستهلاك . ومن ثم فهو ينتهى الى هذه النتيجة وهى ان الانتاج الاشتراكى يجب ان يسعى الى سد حاجة الطلب فى السوق وان يصبح تصريف المنتجات فى السوق هو المعيار المناسب لجدوى العمل المبذول فى عمليات الانتاج . فالانتاج الذى لا يسد حاجة حالة ، مثلما اذا ظلت بعض المنتجات بغير تصريف أو بيعت بخسارة ، لا يمكن ان يعتبر انتاجا لازما للمجتمع حتى ولو كان متفقا مع متطلبات الخطة .

وهذا النظر لا يعنى اغفال أهمية التخطيط «بل ان الخطة هى التى ستحقق التجانس بين الانتاج والسوق . وهى التى توزع الدخل القومى بما يتناسب مع حاجات الشعب ، وهى التى تحدد حركة الاسعار للسلع الضرورية .».

وقد نوقشت هذه الاراء ، بعد دراسة مستفيضة فى اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى يناير ١٩٦٥ ، وانتهى الرأى الى اقرار تعديلات هامة فى نظام ادارة الاقتصاد الاشتراكى .«. فالاستعانة بنظريات السوق لتحديد كمية الانتاج وزيادة كفايته ، يقتضى منح المشروعات الاقتصادية حرية أوسع فى الادارة بحيث تتعاقد مع بعضها على أساس السوق وتحدد الاسعار بمعرفتها .«. وفى هذه الحالة يتخذ الربح كمقياس لنجاح المشروع ، فالربح ليس غاية فى ذاته كما هو الامر فى النظام الرأسمالى ، ولكنه يتخذ كمؤشر على كفاية الانتاج حتى يمكن تقييم مدى نجاح المشروع

على أنه يجب ان يلاحظ ان هذا الاصلاح الاقتصادى لا يعنى ان تصبح المشروعات حرة حرية كاملة فى تحديد أسعار منتجاتها .«. فهناك سلع تتولى الدولة تسعيرها مثل المواد الاولية والوقود والقوى الكهربائية والالات والمعدات الصناعية الهامة والمواد الغذائية والاستهلاكية اللازمة ، كما ان هناك سلعا تحدد الدولة لاسعارها حدودا دنيا وحدودا قصوى . وفيما عدا ذلك يكون تحديد الاسعار وفق العرض والطلب .

كذلك يهتم هذا الاصلاح الاقتصادى بالحوافز المادية التى تدفع العاملين فى المشروعات الاقتصادية الى الكفاية والاتقان . والمعيار فى الاخذ بهذه الحوافز هو ان كل ما من شأنه ان يعود بالنفع على المجتمع بأسره ، يجب ان يكون مفيدا للعاملين فى المشروع الاقتصادى . ولا يكفى توعية العاملين الى المزايا التى تعود عليهم حينما يتحقق نجاح المشروع بل انه يجب تنبيههم ايضا الى ان حصولهم على هذه المزايا يتوقف على مدى الجهد المبذول . والاخذ بهذا النظام يقتضى تشكيل لجان للانتاج من العاملين فى المصانع والمشروعات الهامة لاقتراح تحسين كفاية الانتاج وحل ما يطرأ من مشكلات ، والاشتراك فى تنفيذ الخطة ومراقبة النتائج الاقتصادية للمشروع .

ومعيار الربح يجب الا يكون املاء فى خطة توضع سلفا للمشروع . والا فلن يكون هناك ضمان لعدم قيام المشروعات بافتعال تحقيق الاهداف المخططة لها مع هبوط مستوى الانتاج . فالعلاقة وفق هذا الاصلاح الاقتصادى ، يجب أن تظل قائمة بين معيار السوق والربح وبين التخطيط المركزى . فالخطة المركزية تحدد الاهداف والاستثمارات فى فروع الانتاج المختلفة . فكل ما يتعلق بالسياسة الاقتصادية والمشكلات الاساسية للنمو الاقتصادى يجب أن يظل مهمة السلطة المركزية .«. ذلك ان نظرة المستويات الادنى للعلاقات الاقتصادية لا يمكن أن تكون شاملة .«.

وتوجيه الاستثمارات يجب ان يتم مع مراعاة منح المشروعات استقلالا فى التصرف .«. وهذا التوجيه يمكن تحقيقه بالاستعانة بسلاح الائتمان الذى تملكه السلطة المركزية حينما تحدد سعر الفائدة بالنسبة لاستثمار معين ، كما يمكن تحقيقه بالاستعانة بضريبة الانتاج (او ضريبة رقم الاعمال) حتى يمكن التحكم فى حجم الربح الذى يترك للمشروع حرية استثماره .«.

وبالمقابلة ، فان علاقات السوق تعتبر مؤشرا يفيد التخطيط المركزى . فهى تعين على تعرف أذواق المستهلكين وحاجاتهم .«. اذ لا يكفى انتاج كمية معينة للحكم على نجاح المشروع بل ان ذلك يتوقف على اقبال المستهلكين سواء فى الداخل أو الخارج على السلعة المنتجة .«.

وقد أعيد طرح الاصلاح الاقتصادى للمناقشة فى المؤتمر الثالث عشر للحزب الذى ختم أعماله فى ٨ يونيو الماضى وانتهى الرأى فيه الى تعميم تطبيقه على جميع نواحى الاقتصاد التشيكوسلوفاكى اعتبارا من أول يناير ١٩٦٧ .«.

وقد القى البروفسير تشيك خطابا فى ختام المؤتمر رد فيه على دعايات الغرب التى تزعم ان الانتقال الى نظام الادارة الاقتصادية الجديد يعنى عدولا عن التخطيط الاشتراكى ، وان اتخاذ الربح وعلاقات السوق كمعيار لنجاح المشروع يعد تسليما بنظريات نشأت فى احضان النظام الرأسمالى . فاتخاذ الربح كمقياس للكفاية الانتاجية لا يمكن ان يؤدى الى الاثراء الفردى أو التحول الى المشروعات الخاصة . ولكنه يدعم روح المبادرة على أساس المبدأ الاشتراكى : أجر أكبر للعمل الافضل .«.

وبعد ، فان تجربة الاصلاح الاقتصادى فى تشيكوسلوفاكيا تجربة رائدة . ومع ذلك فانه يجب ان نأخذ فى الاعتبار ان تطبيق هذا النظام مرتبط بدرجة النمو الاقتصادى التى بلغتها تشيكوسلوفاكيا حيث انتهت من اقامة قاعدة عريضة للصناعات الثقيلة . فمشاكل التعرف على أذواق المستهلكين ووفرة الانتاج ومدى ملاءمته للطلب ، لا يعرفها الا اقتصاد اجتاز مرحلة النمو بنجاح واقتحم ميدان الصناعات الخفيفة والاستهلاكية ، ويريد ان يغزو الاسواق الخارجية بمنتجاته . كما ان تطبيق هذا النظام مرتبط أيضا بالمدى الذى تبلغه الدولة فى تحولها الى الاشتراكية وانهاء العلاقات القائمة على الاستغلال الفردى ، فمن المخاطرة أن تمنح المشروعات العامة حرية واسعة فى التصرف والتعاقد على أساس السوق فى وقت لا يزال فيه القطاع الخاص يلعب دوره فى التجارة الداخلية الى جانب القطاع العام ، فان ذلك قد يفتح الباب أمام القطاع الخاص الى استغلال هذه الظروف فى المضاربة والتلاعب بالاسعار .

الوعي الطبقي عند فلوبير

يعالج سارتر في مقاله السابق ومقاله الحالي العلاقة بين الغباوة والبورجوازية كما يراها فلوبير مبتدئا بالتحدث عن الغباوة على اعتبارها جوهر بركنيها من مراسيم وكلام . وبعد ان تناول بالتجريح مايعزوه فلوبير الى الناس من ترديد مشاعات معادة باستعمال جهاز الكلام استعمالا ميكانيكيا ، يبين في مقاله الحالي ما وقع فيه مؤلف « مدام بوفاري » من ترديده لتلك المشاعات الممجوجة في كتاباته ومما يتبين على الاخص من « مراسلاته » .ثم يعالج الكاتب الناقد في نهاية هذا الباب الغباوة عند فلوبير باعتبارها اسلابا .

چان بول سارتر

نبدأ أولا بتناول جانب السحر اذ ان الغباوة باعتبارها تركيب سلبي هي الامتلاءوالوجود . وهي ايضا النظام او بالاحرى نظام يفرض من الخارج ويرسف كل شيء في قيود من المراسيم والمناسك فكتب ساخرا ان معجمه سوف يربط الجمهور « بالعادات والنظام والعرف العام » . الا أن ج.ب. ريشار (١) كان محقا حين اكتشف ما وراء تلك السخرية من جدية ورغبة، فهل هناك قدر كبير من التفاوت بين الاندماج طقوسيا ونجاح الاغبياء اجتماعيا ؟ فكل مايلزم في هذا الشأن القيام بالدور على اكمل وجه كما وان من مقتضيات التفاعل اخذ الامور على محمل الجد . عندئذ يتم تفليز المجموعة أو الفرد فيشاهد فلوبير في ذهول ماخوذا ومسحورا تلك الكتلة الصماء الجامدة التى تكونت وزنة واحدة ضده ولا تزال محتفظة في تماسكها الجامد بمعان انسانية وهي تتحجر . ليست الغباوة سوى عملية سلبية تضفي قوة الاستمرار على الانسان ليجتر العصمة والعمق اللانهائي والديمومة ووجود المادة الكامل والفوري . ويشعر فلوبير في كل مرة يشهد فيها تلك العملية بأنه قد سحر وسلب في ذات الوقت . لقد وصل عمه باران رسالة عجيبة حقا من « الحجر الصحى برودس » في ٦ اكتوبر سنة ١٨٥٠ جاء فيها : « هل فكرت ايها الزميل العزيز فيما يتصف به البلهاء من صفاء ؟ الغباوة لا تقهر فلا شيء يجرؤ على مهاجمتها الا وتحطم على اقدامها فهي من طبيعة الحجر الصوان صلبة ومتينة . لقد كتب شخص يدعي طومسون

(١) الطليعة : كاتب معاصر

من مقاطعة ساندرلاند بانجلترا اسمه بارتفاع ٦ اقدام على عامود السوارى بالاسكندرية (٢) مما يجعل من العسير مشاهدة هذا العامود بدون قراءة اسم طومسون . لقد اختلط هذا الغبى وامتزج فى هذا النصب الاثرى واصبح مستديما مثله ، اليس من ضروب الفطنة والمهارة اجبار السياح على التفكير فيه والتذكر به ؟ اليس جميع الاغبياء من نوع طومسون ان قليلا او كثيرا ؟ هؤلاء الذين نلتقى بهم اعدادا متراصة فى اجمل بقاع الارض واحلى اركانها يهبطوا بنا على استمرار الى الحضيض نتيجة كثرتهم وكرهم المتواصل : حقا نلتقى بهم كثيرا فى السفريات والرحلات الا ان مرورهم العابر والسريع يضحكنا ويلهينا بعكس مايحصل فى الحياة اليومية العادية حيث يجبروننا على الشراسة (٣) .

ويتحول طومسون باستمرار فى نظر السياح الى عامود اذ يكفيهم قراءة اسمه ليستذكروا العملية الاصيلة وبمعنى آخر ليستسهلوا **الكتابة** . ولا يعرف فلوبير فى النهاية ازاء تلك الجريمة التامة التى تكون فعلا غبيا خالصا جامدا وشديدالوطأة ما اذاكان هذا العمل قد حول طومسون الى نصب اثرى او حول عامود السوارى الى طومسون ، ولا يستطيع احد الزعم بأن هذا الانجليزى كان مبدعا فى غباوته اذ تغطى الكتابات كافة النصب التذكارية فى العالم ، فليس فى سلوك طومسون ثمة خروج على الاصول المتواضع عليها . ويدل هذا السلوك من زاوية اخرى على ان طومسون سائح وبورجوازى ، فلقد فقد عامود السوارى فى نظر هذا التاجر كل دلالة ومعنى اذ ينتمى الى عصر وعالم لاتمثل فيهما الحضارة القديمة شيئا مما يستتبع — كما يقول فلوبير — سقوط هذا التاجر دون مستوى ذلك العامود . الا ان هذا السلوك يوضح ان ماهية اخلاقه وطباعه فهو نفعى لانه لايبدى اعجابا ما بالتحفة الفنية كفاية مطلقة بليجعل منالجمال وسيلة يسخرها فى خدمة دعايته الشخصية . اليس فى تلك المحاولة حقا قدرا كبيرا من الصفاء وهدوء النفس ؟ لا شك فى ذلك ، فهذا الصفاء مبنى على الجهل وفقدان الذوق وعدم الاحساس والغرور الاعمى و « الابتذال » ، الا ان هذه الرذائل ليس لها من الانتفاء الا المظهر ، فهى تمثل فى حقيقتها الوجه الاخر من الامتلاء . لقد استولى طومسون على المادة لانها قد انتصرت منذ زمن بعيد فىنفسه . فاذا ماكان طومسون واعيا بذلك لاصبح محطم لكل مقدس وسادى ومجنون وقلق ولكان من شأن الطابع العصابى الحاق الفشل به ، فنجاحه مبنى على لاشعوره (الذى له علاقة فى نظر فلوبير باللاشعورى) الذى اصبح مادة . ويعتقد فلوبير صادقا ان اتلاف تحفة فنية بكتابة الاسم عليها تدنيسا يعد نجاحا بل انتصارا ، اذ « الكلام اللاذع » الذى شنه على طومسون اقترن فى الرسالة بالتنويه فى غموض بما كان للمستشفى من علاقات بعائلة حديثة العهد (٤) ويمثل المستشفى فى نظر فلوبير « آل آشيل » (٥) ويشبه آشيل وطومسون كل منهما الاخر لان كلاهما غاصب ، فلقد اغتصب اولهما لصالحه مجد والده بينما تطفل الثانى على تحفة خالدة مغتصبا مجد الفنانين وقد اغفل التاريخ الحفاظ على أسمائهم . والامر كله يتعلق اذن بالمجد ، فكم اراد جوستاف ان يخلدنفسه الى ابد الابدينبامتزاجه فىتحفة ادبيةبما لها من مادية صلبة ، على ان جوستاف كان لايزال خلال رحلته الى الشرق سنة ١٨٥٠ يشفى من ضربة كادت تودى بحياته الادبية ، لما كان منحكم ماكسيم دى كان ولوى بوييه صديقاه وناقداه على مؤلفه « القديس أنطوان » (٦) فى طبعته الاولى قاسيا جدا ، احس بالبؤس والقلق وفقد الثقة فى نفسه معتقدا ان باب التأليف قد اغلق امامه تماما وان اسمه سوف يزول مع زواله من الوجود . حقا لقد اراد فلوبير ان يتظاهر للويز كوليه بعدم الاكتراث بالمجد مدعيا انلاتمنيات له سوى الفناء وان يتلاشى كالحلم المفزع من الوجود والا يكون لحياته القصيرة اثرا ما على الانسانية وكأنه لم يوجد ابدا ، الا ان حقيقة أمره بدات تتضح لنا ايقنا بضرورة تغيير ما ترمز اليه تصريحاته ، فأقواله تلك التى جئنا بها انما تخفى فى طياتها قلقا مفزعا ، ولا اعنى بذلك خوفه من الموت غير ان الحياة كانت عنده بمثابة تلك الفترة القصيرة من الوقت التى منحت اليه ليعد جنازتهوحفلة دفنه، فحين تظاهر فى حضرة رفيقته لويز بالسوء وعدم الاكتراث كان كتابه « القديس انطوان » لايزال **امامه** . اما فى سنة ١٨٥٠ وقد قضى على هذا الكتاب . فقد رأى فلوبير فى الحياة والموت

---

(٢) الطليعة . عام فلوبير برحلة الى بلاد الشرق الادنى مارا بكثير من بلدان تلك المنطقة (سوريا — فلسطين — اليونان — رودس) كما مر بمصر حيث قضى وقتا فى عديد من مدنها (الاسكندرية — القاهرة — الاقصر — اسنا — القصير) وقد تمت تلك الرحلة فى سنوات ١٨٤٩ — ١٨٥٠ بصحبة صديقه وناقده مكسيم دى كان . ومما يلاحظ ان فلوبير بعد فشله الذريع فىكتابه «اغراء القديس انطوان» بدا يفكر خلال تلك الرحلة وخاصة فى صعيد مصر فى تأليف كتابه الشهير «مدام دى بوفارى» كما يهمنا بهذه المناسبة الاشارة الى الكتاب الذى جمع فيه الكاتب انطوانيوست لعوان « خطابات جوستاف فلوبير عن مصر » وقد صدر عن مكتبة الوعىالعربى بالفجالة بالقاهرة .

(٣) مراسلات — الجزء الثانى — صفحة ٢٤٣ — ٢٤٤

(٤) الطليعة : يعنى مستشفى مدينة روان وكان يعمل فيه والد فلوبير كبير اطبائه .

(٥) الطليعة : شقيق فلوبير وقد سجل نجاحا واسعا فى دراساته الثانوية وتلقى الطب فى باريس واصبح طبيبا ممتازا .

(٦) الطليعة : كتاب « اغراء القديس انطوان» صدرت طبعته الاولى ١٨٤٩ والثانية ١٨٥٦ والنهائية ١٨٧٤ .

عبثا على السواء اذ تكفى الصدفة لتكون سببا للتقبيح وعندئذ لا يبقى شيء البتة عندما يستكمل التعفن ويتم تطهير العظام . ومقابل ذلك يشهد فلوبير عامود السوارى قائما يحمل اسما ، فلقد سرق طومسون تحفة شخص آخر ، سالبا المادة ومتطفلا على خلود ليس له به اية صلة . **لقد نجح طومسون** ، ولكن هل من ضروب النجاح ان يوصف الانسان بالغباوة والبلاهة الى ابد الابدين ؟ نعم ، لان الاغبياء جيش جرار ويستطيعون تكرار هذا العمل البغيض لحسابهم الخاص ومصلحتهم . ويفرض طومسون نفسه على الانسانية طالما هي غبية تماما كما فرض آل آشيل انفسهم على سكان مدينة روان . حقا لم تكن حركة الغباوة سبب اشمئزاز فلوبير وعنائه بل مصدره فيما تتقبله تلك الحركة من مشاركة الانسان والطبيعة ، فالمادة الخارجية تضفى عليها طواعية ديمومتها **الخالدة** وامتلائها **الحالى** ، كما وان المادة الداخلية التى انصهرت فى الضمير تمنحها الخلود . وندرك اذ ذاك لماذا كانت الغباوة تجعل فلوبير يترنح فى سقطة طليقة فى اعماق الخلود المادى والاجتماعى ، كما نفهم لماذا كانت الغباوة تبدو له لانهائية ، اذ ان حركة الغبى ليست سوى شيئا آليا .

الا ان مشاركة كل هذه الامور توفر للغباوة تماسكا خارقا ، فلقد اضحى طومسون لانهائى لان السائح الشاب فلوبير قد اكتشف ان ذلك الانجليزى قد نجح بضربة واحدة ماكان لايجرؤ شاب روان على الحلم به اى نجح فى تفليز الانسان ، ومن هنا يتضح ان الغبى والفنان يتساويان فى الطموح ، فلاشك من محاولة فلوبير تحقيق طموحه بوسائل اخرى ، فالمجد تفليز سامي ويعلى بالمجد الى حد تحمله المعانى. ونذكر فى هذا الصدد قول جنيه(٧) ان «تمثالا من صنع جياكوميتى يعد انتصار الفلز على نفسه» على هذا المستوى يتخيل فلوبير أعماله الادبية. أى على أنها انتصار الكلام على المادية، ومع ذلك تظل قوة الكتاب فى الاندفاع والاستمرار باقية تتناقله كالشعلة الاجيال المتعاقبة كما تظل قوة استمرار اسم الكتاب على غلافه . وعلى هذا فليس المجد سوى حجرة او بمعنى آخر هو جثتى فى أيدى الاخرين ، ومن ثمة كيف يمكن ادانة طومسون . حقا انه بربرى ولا شك انه غاصب ولكن ما الذى اقترفه سوى اختصاره الطريق ؟

سوف يبدى القديس انطوان فى طبعة لاحقة أمنية مختلفة كل الاختلاف وهى: «ان يكون المادة» مما يعنى القضاء المبرم على التحديدات الانسانية لصالح المجموع ، فهذا الناسك يدين الانسان لحقوده وقلقه وضميره بل ولحياته ذاتها ، الا انه لا يفكر اطلاقا فى الحط منه فالكائن باق فى بكارته المعصومة حتى ان انفجرت الخصوصية . وتتيح لنا تلك الامنيتان المتعارضتان اى انتصار المادة ماديا على ماديتها وتحقيق المادة لامتلائها بالغاء الحياة والفكر — ان نفهم فى ذات الوقت ما يبغض فلوبير فى الغباوة وما تسبب له تلك الغباوة من دوار .

والغباوة فى واقع الامر تحقق بين النقيضين « موقفا وسطا » بغيضا ، فهى لا تمنع تحقيق المادة فى **الفن** بل تسحرها بنفاد المعانى المنحطة فيها ، ولا تقوم على الغاء الانسان غير انها تجعل منه معنى جامدا نستطيع للان قراءته على الاجهزة التى حلت محل الفكر . وايا كان الامر فالمسلمة المزدوجة التى يطرحها فلوبير تتناسب ونوايا البله، اذ يهتم طومسون بمشاهدة اسمه باقيا على العامود ويعنى الاخر ببقائه على غلاف الكتاب ، فليس بين الحالتين من فارق كبير . وقد ايقن فلوبير ذلك لاكتشافه الغباوة قبلا ولما اتسمت به احلامه فنانا وناسكا من طابع دفاعى ، فاذا فات على الاحمق الالتحام الاحادى فى الكون الا انه قد امتزج فى الوحدة المادية لمجتمع مادى . وان هذا النصر المزيف يشكل النصر الوحيد الممكن فى عالم الواقع وليس فلوبير فى قرارة نفسه واثقا برفضه هذا النصر .

ونستطيع عندئذ أن نكشف فى فلوبير وأن نفهم فيه هذين الشعورين المتناقضين : فمن جهة يدين الاحمق بدون رحمة، وبما لليأس من قسوة، ومن جهة أخرى تسحره الغباوة وهى تلك المادة المجهولة . ويقضى فلوبير طيلة حياته ليجمع فى هوس لحوح **الافكار المتوارثة** ، وهو بذلك يجرى وراء غايتين متناقضتين ، الاولى منهما مظهرية وهى الوحيدة التى عبر عنها فى وضوح . لا احد يرى الافكار الجمعية المعادة التى يلجأ اليها من أجل التوحيد ومن أجل جذب الاهتمام ، وتمثل تلك الافكار الجمعية المعادة وسيلة الوصول ، الا انه فى اللحظة التى نلقى بتلك الافكار الى من حولنا من الناس ، يؤدى ظاهرها المألوف الى عدم الانتباه اليها ، فلا أحد قد رآها او تلمسها ، وتظل مختفية فى وضح النهار، الا أنه يكفى **الارشاد اليها** لتقشعر منها النفوس فينعقد اللسان ويكف عن النطق . لايمكن لاحد باستثناء المنبوذ القيام بهذا العرض التطهيرى ، الا أن استعراض تلك الافكار يقتضى ملاحقتها واللحاق بها **وكتابتها**. وعندئذ، أى فى اللحظة التى تجرى فيها كتابة تلك الافكار ، يتم أيضا تدعيم تماسكها لانها تحفر فى المادة ، ومعنى ذلك

---

(٧) رسالة الى لويز كوليه فى ١٧ ديسمبر سنة ١٨٥٢ – الجزء الثالث – صفحة ٦٦ .

الاشتراك فى المراسم ، وان كان الهدف التقشـاء عليها . ويخفى فلوبير فيما يعلنه من حقد على الفكرة الجمعية المعادة تلذذا غير مباشر ويجتره حين يكتب ، فاذا كان لا ينتفع بمفرده بالتوحيـد الاجتماعى ، الا انه ينتقم باكتشافه وحده ولنفسه اولا اداة هذا التوحيد ، مستشـفا خلال ذاته لانهائية المادة وتفليز المجتمع الذى لايزال غائبا عنه ، غير ان الدوار الذى يحس به عندما تبهره الجملة المكتوبة يتضمن فى **ذاته** كتركيب جوهرى بداية سقوط طليق حتى جوهر المادة . ويحلم فلوبير بتحطيم الفكرة على صخرة الكلمات، اى بان يصبح غبيا. لاادل على اختلاط موقفه وغموضه من العبارات التالية: «سأهاجم كل شىء (**فى معجم الافكار المتوارثة**) ليكون تمجيدا تاريخيا لكل ما هو متواضع عليه . سوف اضحى فى اسلوب طنان كالصاروخ بعظماء الرجال من اجل الاغبياء . ان هذا الامتداح المفرط لخسة الانسان بما تتلون به تلك الخسة فى اشكالها المختلفة ، هذا الامتداح الزاخر بالسخرية والصخب والملىء بالمأثورات والادلة (ومن ذا الذى يستطيع التدليل على خلافها) وتلك النصوص المفزعة (وهـذا متيسر) ليس الهدف منه سوى التخلص نهائيا وبلا رحمة من البشاعات كلها ايا كانت . سانفذ من هذه الزاوية الى الفكرة الديمقراطية الحديثة عن المساواة ، الى تلك الفكرة التى قالها كوربيه ومؤداها ان عظماء الرجال سيصبحون ولافائدة لهم. هذا هو فى الواقع الغرض من تأليف هـذا الكتاب (٨) .

لاشك ان فلوبير يهدف من هذا الكلام الى التهكم والسخرية ، الا ان الوسيلة عجيبة كل العجب ، اذ لا يعدو ان يكون الامر مهاجمة الغباوة عند الاخرين بغير الانقضاض عليها بل **بتحقيقها** على العكس جاعلا من نفسه **الوسيط** والضحية حتى **يظهرها** فى شخصه ، وملخص القول يحلم فلوبير بأن يحمل نفسـه كل غباوة العالم وان يصبح كبش فداء لها حتى ينقذ الاخرين منها وليتوه فيها لحظة، ليفضحها وليجرها حتى ذروة النذالة هذا « السامى الدنيوى » وايا كانت المبالغة المقصود ابرازها .. وان لم تفت على قارىء من القراء ــ فما لا شك فيه ان تلك الوسيلة تفصح ايما افصاح عن خضوع جوستاف للعائلة وللنظام الاجتماعى ، يستهل فلوبير خطبة مؤكدا انه يشعر « بحكة فظيعة تدعوه لالقاء الشتائم على البشر » وانه سوف يقوم بذلك يوما « بعد عشر سنوات » . ثم يضيف انه سيعود «انتظارا» لذلك اليوم الى فكرته القديمة بشأن **معجم الافكار المتوارثة** . ومن ثم ليس لهذا الشاب الذى تعدى الثلاثين من عمره اى قدر من الشجاعة ليشتم البورجوازى ويشعر به . فهل هو يترقب المجد ام النزوة والسلطة؟وماالذى يحدو به بتقديم اثر ذلك مباشرة « ليس من قانون يستطيع المساس بى على الرغم اننى سـوف اهاجم كل شىء (فى المعجم) » فهل رايتم مبلغ حرصه فى الكلام ، ثم السنا ازاء هجوم عجيب حقا الذى يصطبغ ظاهره بالخضوع . هذا هو فلوبير بكل ابعاده مداريا ومطيعا ، مفضلا التدليل باللامعقول وبالاهتمام الخبيث وبالاقلاع عن الحماس على ما للاوامر والنواهى الاجتماعية من قسوة الغباوة ، اى بالتنازل فى الظاهر والمبالغة خلسة ودفع الامور الى ذروتها مع التظاهر فى ذات الوقت على انه نتاج سلبى لارادة الاخرين ومع تحوله الى موضوع او محمول ليقشعر هؤلاء الاخرين من بشاعتهم . اما الهجوم الصريح والمباشر فلا مكان له البتة . الا ان الامر فى الوضع الذى نحن بصدده يستدعى الاستيلاء من البشر على ماديتهم ليجترها فى نفسه ولتنفذ فيه ، وعندئذ تصبح الغباوة عنده **اغواءه** باحثا فى طياتها عن المادية والاندماج الاجتماعى فى ذات الوقت ، وتسير الامور وكأنه يرد القول لنفسه فى بشاعة وحقد : « ماذا بعد اذا كان الرب غبيا ؟» لا مفر اذا من تقليد اشيل وطومسون ، فالانسان يفضـل ان يكون خنزيرا قنوعا على ان يكون سقراطا غير راض لان سقراط لا يعرف انه سقراط كما وان من قضوا عليه بالموت من حوله لا يعرفون انه سقراط ، فالافضل ان يكون الانسان خنزيرا يتمتع بوضعه فى زريبته .

وقد لا يكون فلوبير سوى خنزير غير راض . ويفزع فلوبير من تلك الفكرة ، فالاغواء يستحيل الى تقزز عندما يكتشف فى نفسه **الافكار الموروثة** التى كانت تبهره فى الاخرين ، اى عندما يكتشف ان الكلام قدسبق ان تكون فى الماضى فى قبول وطواعية عندئذ لاتكون الخصبة التى يتميز بها هى التحليق اعلى الغباوة بل تتمثل فى امتهانه لها . وقد لايستقر الحمق فى **سواه** ويصبح هو بقصر نظره الذى يحد افكار الاخرين بحدود ما اتسم به من قصر نظر . لانستطيع فى هـذا المجال تناسى الدور الذى لعبه أقاربه بالنسبة اليه اذ تولدت فيه السلبية من العناية الخاصة وفى غير حرارة التى كانت توفرها له والدته الحزينة ، كما وان قلق اشيل ــ كليوباس جعله يعتقد فى نفسه انه « عبيط العائلة » . واخيرا فان مركز اشيل الممتاز وضعه فى مرتبة دنيا اكدها تعليمه الركيك المستوى . لقـد اجتـر فى جنباته منـذ زمن بعيد احكام الاخرين ، فكيف يستطيع اذا الجهل بأن الغباوة ليست دوارا دائما فحسب بل وتتشكل

(٨) كان/ دستور التعليم ركيكا فى نظر كبير الجراحين (والده) .

ايضا ثقلها الخاص وان الكبرياء ليس سوى نوع من الدفاع ؟ هكذا يلتقى فلوبير بالصعاب مرة أخرى ، أى وجود الغباوة فى الداخل والخارج . ولا يمنع من اندماج فلوبير فى الغباوة البرجوازية سوى تشققا صغيرا وفارقا طفيفا ، الا ان هذا « التباعد » وليد النقمة لا ينقذه بل يقع به فى الجحيم ، بمعنى انه يتعرف على غباوته فى غباوة الاخرين رغم عجزه عن تذويبها فيها ، أما عن نفسه فهو لا يستطيع مجرد التصريح بأنه **ليس غبيا** اذ تمر « الحصيرة المتدحرجة » من خلاله . واقصى ما يشعر به **غيابه عن ذات غباوته** فهى تشغله مسخرة لسانه وقلمه لتعبر عن نفسها مع مواجهته لها بنوع من الانكار السلبى . ثم ألا تكون فرصة الاندماج فى تلك الغباوة ؟

ومع ذلك فالوقفة التى استقر فيها على مبعدة ليست كافية اذ يكفى فى هذا العدد ان نوازن بين مشروعه الكبير اى التقاط السخافات المعادة فى اوكارها وعرضها علينا وبين ما أنجزه فعلا من هذا المشروع . وجدير بالذكر ان جورج ميشيل احد الكتاب المعاصرين حقق فى روعة فائقة فى مسرحية اللعب ماكان يهدف فلوبير اليه حيث تتشكل شخصياتها بما تتأثر به من الافكار الجمعية المعادة ، الا ان هذه « الإفكار المتوارثة » لاتزال تمرح ويتم التقاطها وهى على قيد الحياة فهى غريبة عنا وتمثل فى ذات الوقت افكارنا والسبب فى ذلك أن عباراتها محددة رغم طابع تلك الافكار الاصطلاحى . فهى محددة فى الزمان لان اغلبها وليد **اليوم** مبقية على كامل حيويتها وان كان منها يرجع للماضى القريب او البعيد ، وهى محددة فى المكان الاجتماعى فالثنائى ينتمى الى نفس المكان المحدد ويؤدى من مشهد الى آخر مايمكن أن نطلق عليه عبارة المونولوج المزدوج ، فالزوج من صغار الموظفين ويعيش هذا الثنائى فى أحد المساكن الاقتصادية . وفى النهاية يحاول المؤلف جاهدا ان يبين لنا مصدر تلك الافكار الجمعية المعادة جاعلا جهاز الراديو يثرثر بلا انقطاع فى هذا المسكن باعتبار ان الراديو يصنع اغلب تلك الافكار . ونشاهد العملية باجمعها فنلاحظ ان الجمل التى تخرج من جهاز الاذاعة تنفذ الى باطن الاشخاص من خلال آذانهم وتسجل ثم تخرج ثانية من افواههم لايعتريها سوى القليل من التغيير النابع رغم كل شىء مما سيطلق عليه فيما بعد بشخصيتها . فالامور تبدو واضحة كل الوضوح اذ يجرى تحريك هؤلاء البورجوازيين الصغار وتوجه رغباتهم وافكارهم ليصبحوا مستهلكين ومواطنين صالحين . وقد يتعرف افراد آخرون من الطبقات المتوسطة على انفسهم ان قليلا او كثيرا فى هؤلاء البرجوازيين الصغار المحركين والموجهين اذ يجرى الالتصاق من فئة الى اخرى ومن بيئة الى غيرها ، وقد يكون المثقفون مثلا أشد مقاومة الا انهم يصابون به بدورهم ، فالتحديد المكانى الدقيق من شخصيات لايمنع سحر الجمهور بهم .

لاشك أن فلوبير كان سيتمتع باللذة بمشاهدته تلك المسرحية ، غير انه كان سيعجز عن كتابتها لاقتصار وسائل الاعلام فى اواسط القرن الماضى على الصحافة الكبرى المحدودة النسخ ممايصعب معه التوصل الى مصادر الافكار المسبقة وخط سيرها . الا ان وسيلة النقل شفاهة « اسمع وقل » كانت منتشرة مما جعل الافكار الجمعية المعادة تنتقل من بيئة لاخرى وتتغير بل ويتخطى بعضها الحدود لينتقل من فئة اجتماعية الى غيرها بينما يحدد بعضها الاخر جماعة بذاتها ويعرفها . ولكن جوستاف لا يعنى البتة بتحديد الافكار الجمعية المعادة التى يستعرضها ، بل نراه يضيف على **معجمه** عنوانا ثانيا يفصح عن فكره المتذبذب (٩) فلاتمثل « الاراء الطريفة » سوى قسم من الافكار المتوارثة الموجودة فى كل مكان ولايشمل التغيير فيها سوى من يتحدث بها ، بينما الاولى تشكل عبارات **راقية** يحسن استعمالها فى احاديث الفئات العليا من البرجوازية التى كثيرا ماستقت الوحى أو تزعم أنها استقت هذا الوحى من آراء منسوبة للارستقراطية ، فليست الاراء الثانية سوى جزء من الاولى .

فما هو موقف فلوبير ازاء هذا الوضع ؟ هل سيقتصر على رد ورفض مواقف المجتمع الراقى « وكلماته السحرية ؟ كلا فنحن نعثر فى الكتالوج على مختلف الافكار الجمعية المعادة ، يتولد البعض منها فى رأيه من البقالة ، والبعض الاخر ينتشر فى ذات طبقته . ولا يكترث فلوبير بالتمييز بينها بل يقدمها الينا بالترتيب الابجدى ، ونحن نعلم جميعا ما لهذا الترتيب الابجدى فى آخر الامر من طابع الالزام اذا اردنا على حد قول ديكارت « افتراض مجرد الترتيب بين (الاشياء) التى تتلاحق منطقيا » او بمقولة اخرى عندما تنعدم العلاقة الباطنية بين المضامين المادية ، فهذا التلاحق فى الظاهرية يعبر عن رفض تجميع الاراء أو استحالة هذا التجميع ، **والمعجم** فى جوهره ليس سوى خليط ولايمكن الا أن يكون هكذا . ومثال ذلك ما جاء فى هذا المعجم :

((**الزندقة** : يجب مهاجمتها بشدة)) . الا أن هذا الامر لم يكن مألوفا عند الدكتور فلوبير . ومما لاشك فيه ان تلك التقوى البرجوازية التى لا تلائم كثيرا ميوله الفلتيرية كانت « طريفة » وهى

---

(٩) كتالوج الآراء الشيك (اى الطريقة)

ليست انعكاسا للتقوى السماوية . ونفس الاتجاه نلحظه عندما يهاجم « الابتسامة البشعة » التى تميز بها فولتير فيقول ((**فولتير** : اشتهر بكشرته البغيضة . معلوماته سطحية . « فلا يعكس هذا الهجوم رأى البرجوازية الليبراليةبقدرمايعكس الرومانسية الارستقراطية. ومقال آخر : ((**فيليب اورليان ، المساواة :** مهاجمة بشدة .... اقترف كل جرائم هذا العصر السيء » فمن الذى يقول ذلك . لاشك انه ليس جمهوريا او من انصار حكومة يوليو الملكية بل هو من انصار البريون اى نبيلا او بورجوازيا « متحذلقا » . وتأتى فى المعجم على نفس النمط وفى ذات الاتجاه كلمات : المدين ، الجمهوريين ، الجيرونديين . الخ الخ .

وعلى خلاف ذلك نقرأفىهذا المعجم : ((**القضاء:** مهنة يتفتح المستقبل فيها للشباب» .... احدى الافكار الجمعية المعادة للبرجوازية الليبرالية فلا شك ان الدكتور فلوبير كان يشارك هذا الرأى. وسوفتعلن البرجوازية بعد ذلكقليلا : ((**مهندس:** ارقى مهنة للشباب » . ومع ذلك فليس فى هذا الكشف البيانى غير المتجانس أى تاريخ لتلك الافكار الجمعية المعادة (١٠) .

كما وان هذا البرجوازى الفولتيرى هو الذى قال عن القساوسة « انهم يضاجعون خادماتهم ويصفون الاطفال الذين ينجبونهم من أولئك الخادمات على انهم أولاد اشقائهم » .

يهتم جوستاف بمواجهة الافكار الجمعية المعادة بعضها بالبعض الاخر فهو اذ يحجم عن نقدها ، يهدف مع ذلك على ان تعتدى كل منها على الاخرى . فالعداء لرجال الكنيسة الذى نلمسه من تلك الملاحظة عن القساوسة بتناقض مع «الفكر السليم» المعبر عنه تحت كلمة دين . الا ان جوستاف لا يوضع لنا لكى لايفقد هذا التناقض من قوته من اية جماعة من الجماعات المتعارضة المصالح انبثق هذا الرأى او ذاك ، فكل شيء يعرض على نفس المستوى بحيث لانعرف ابدا **من** الذى يتكلم .

بل ونجهل ايضا عن اى موضوع يتكلم . فعندما يكتب : ((**مريض:** ان أردت أن ترفع معنوياته تهزأ بمرضه وآلامه تتساءل اذا كان هذا رأى «طريف» ام ضرب من الغرابات مما نلقاه فى كافة الاوساط والتى يشكو فلوبير منها لما سببت له من الالام ؟ كالاتى ((**ذاكرة**)) الشكوى من الذاكرة بل والتباهى لافتقادها ولكن الغضب بشدة اذا قيل لك انك عديم التقدير فى احكامك » ، فالذى لايلاحظ سوى المصدر الثانى (الغضب) لايعطى الكلام مضمونه الحقيقى اذ تقوم مصادر الافعال فى **المعجم** بدور الاوامر الشرطية مثل « اذا اردت ان تندمج فى بيئتك فافعل او قل .. الخ» غير انه اذا كانت الشكوى من الذاكرة ضرب من الزهو مما يجعل التوصية فى تهكم باتباع هذا المسلك اللفظى امرا ممكنا فلا مندوحة ان الغضب فى سخط رد فعل تلقائى . ويشير فلوبير فى **نفس الاشكال** الى موقف **يجب اتخاذه** والى سمة سيكلوجية ، اى الى واجب وواقع ، ثم ينتهى الامر بانتصار هذا الواقع ، فعلينا اذن أن نقرا الجملة كالاتى : « يعترف الناس طواعية انهم فاقدى الذاكرة ولكنهم يغضبون حين يقال لهم انهم مجردون من الاحكام . » واذا كان الوضع فى هذا المثال يبين قيام سلوك متوارث منذ البداية فليس الامر كذلك بما جاء فى المعجم عن كلمة **((الاكوستر))** (١١) أو المدن) انكار وجودها لاستحالة الحياة فى المياه » ، فلا شك اننا لسنا ازاء فكرة من الافكار المتوارثة ولاتعدو ان تكون حماقة من الحماقات نابعة من الجهل وليس لها اى قدر من التماسك ليكتب لها الانتشار . ونفس الشيء فيما يتعلق بـ «ضفدعة : اننى الضفدع السام» الخ ، قد **يعتقد** بعض الناس فعلافىكل هذه الامور بيد ان هذا الاعتقاد وان كان منتشرا فهو ليس قائما على فكرة جمعية معادة ولا على رأى « طريف »**من** باب أولى بل مبنى على مجرد الخطأ . ولكن جوستاف يتمادى فى هذا الاتجاه ولا يتورع عن التلاعب المبتذل بالكلمات ومن هذا القبيل: ((**أعمال** (١٢) : على المرأة تفادى التحدث عما يخصها منها » . وبعد،كيف نستطيع تبين الامور فى هذا الخلط الخليط من الافكار المتوارثة والعبارات والقفشات اللفظية والتلاعب فى ابتذال بالكلمات و « الاخطاء الفاحشة » . حقا وفى النادر قد اتسم بعض المأثورات عادات انتقلت الينا ولا تزال حية حتى اليوم ومثال ذلك : **((غلطة))** أسوأ من الجريمة فهى غلطة (تاليران) لم يعد بك سوى أن تقترف غلطة (تيير)

---

(١٠) عندما يستعرض فلوبير — وكان عمره بين ١٨ و ٢٠ سنة — كافة « المهن البرجوازية » ويرفضها لم ينطق بكلمة مهندس على الاطلاق فالبرجوازية الليبرالية التى تقوم بتقدير المهندسين على مستوى أعلى من القضاء الا بعدالانطلاقة الصناعية وبعد انتشار السيمونيةوالمذهب الوضعى .

(١١) الطليعة : لاكستريس باللاتينى. وتعنى تلك المدن التى ترجع الى ماقبل التاريخ وتشيد مساكنها ومبانيها وسط البحيرات او على ضفاتها محملة على مجموعة من الاوتاد والركائز .

(١٢) الطليعة : الكلمة بالفرنسية (affaires) تعنى الاعمال كما تعنى ايضا حيض المرأة.

يبتغى النطق فى عمق بهساتين الجملتين . » (١٣)
أما المأثورات الاخرى فليست فى غالبها سوى تفاهات مجردة من كل فكر اصيل واصبحت على مر الايام غير ذات موضوع مثل : « **زراعة :** نقص فى الايدى العاملة » ، عبارة كانت تقال فى تهكم وسخرية . حقا انه لعجيب ان يشتمل هذا الكتاب على اكثر من الف بثر ولا يشعر احد انه المقصود به .

بل هناك انسان قد استهدفه هذا الكتاب ، والعجيب أن هذا الانسان لايبدو عليه التيقن من ذلك ، هذا الانسان هو المؤلف نفسه فالافكار المتوارثة التى يتبينها فى الاخرين ليست فى الغالب سوى افكاره تلك التى تستعرضها مراسلاته فى عبارات بليغة ومنمقة . ولنبدأ اولا بتحبيذه « الذلاقة » وهو يتهكم وقد امتلأت مرسلاته بها . فمن ذا الذى كان **اشد هجوما** منه على النظم والعادات الاجتماعية والاحزاب الخ .. فيكتب « **الدكتور :** (كلمة) متبوعة دائما بوصف «الطبيب» تكل عادته وهوايته ولا يكفيه أن يقول « الدكتور الطبيب » بل يقول ايضا « هذا الجوتييه الطبيب » و « هذا الـ برانجييه الطبيب » و « الشاب ماكسيم ديكان » الخ الخ .. لقد اعتاد مبكرا ان يلحق بالاسماء وصفا من الاوصاف ، الا ان تلك اللازمة بورجوازية الاصل لان صفة الطبيب كثيرا ما اصطبغت فى الطبقات الحاكمة بلمحة تهكمية وان كانت تلك الصفة فى عبارة « الدكتور الطبيب » تنم عن الثقة والتقدير . واليكم ما هو ابلغ خطرا : « **عصر :** (عصرنا) الهجوم عليه بشدة الشكوى لافتقاده الطابع الشاعرى ، فلنسمه عصر الانتقال والاضمحلال » . والحقيقة أن فلوبير لم يفعل سوى هذا منذ طفولته حتى توارى فى التراب . « **المجد :** ليس الاسحابة صيف ويتقشع « ولنتذكر » احتضار : فالمجد الذى أهرول خلفه ليس سوى زيفا » . ثم انظروا على الاخص كلمة « **تعليم :** الشعب فى غير حاجة اليه ليحصل قوت يومه » . لقد اشرت اخيرا الى الجملة التالية التى عثرت عليها فى رسالة الى جورج ساند : « لن يتمخض عن التعليم المجانى والالزامى سوى زيادة فى عدد الاغبياء » وتلك الجملة « ليس من المهم فى شىء أن يلم بالقراءة الكثير من الفلاحين » وفلوبير يقول هذا لانه يرى ان زراعة الارض وحصدها لاتستلزم الالمام بالقراءة. ان المأثورات من هذا الطراز كثيرة وعديدة الا ان النتيجة واحدة تتساوى فى كافة الحالات مما يعنى ان فلوبير يلتقط افكار متوارثة فى **الخارج** وعند الاخرين الاراء التى يعيشها فى **الداخل** كنتاج حقيقى لتفكيره .

هل يمكن القول ان فلوبير لايعترف انه هو المقصود بما استهدفه معجمه فى عرض الافكار المتوارثة وغيرها ؟ يلاحظ دومتيل فى هذا الصدد ان فلوبير لم يأنف من عرض مقتطفات لمؤلفاته فى مدونة السخافات التى جمعها على هامش **المعجم** وقد جمع فيها « الاخطاء الفاحشة » التى فاتت على اشهر زملائه من الكتاب مما يدل على انه لم يحاول الفكاك من القاعدة العامة . ولكن مشروع مدونة السخافات — وقد يقع أعظم الرجال احيانا فى أحضان الغباوة — ليس بمشروع المعجم، مما يشير عند فلوبير الى نوع من **المغازلة** والتلطف حين يقرر: انا مثل الاخرين اقع فى أعظم الخطأ . انه لوضع يختلف تماما عن الاعتراف فى الوقت الذى تقدم فيه الفكرة المسبقة بأنها تعبير للتلقائية الخالصة : واذا كان الحسم والقطع صعبا فى هذا المجال الا ان الذى نستطيع التأكيد عليه افتقاد جوستاف الى المزيد من الوضوح عندما ضمن افكاره فى **معجم** اللافكر، غير انه مما لاشك فيه ايضا ان فلوبير يشعر ببعض القلق حين يقدم على هذا العمل. فلنتذكر تلك الجمل العارضة المحشوة مراسلاته بها مثل : كما يقول السيد برودوم الخ » . كان فلوبير فى حقيقة الامر «مجردا من الافكار واعيا بذلك أو بمقولة أخرى لايملك الوسائل اللازمة للتمييز بين الفكر باعتباره نشاطا تركيبيا وبناء وبين الكلام فى نفسه وفى الاخرين . اليكم العبارات التالية التى تضمنتها رسالة بعث بها فى ١٥ يوليو سنة ١٨٣٩ تفصح ايضا افصاح عن الطريقة التى يدرك بها عملية اصدار الاحكام فيقول :

« كنت اتمنى الا يستسلم للاحكام لكى ينشط وان يحجم عن الشفق الجميل فى نظره ليبصر النهار وقد ظنه مظلما . كفى ها انا ذا قد استسلمت للثرثرة والكلمات . ازجرنى عندما تلحظ أن الفصاحة قد ابتعتنى ... فالجملة الاخيرة التى ضمنتها كلمة **مظلما** تبدو لى قاتمة، ياإله لا أفهم ماذا أعنى ».

وبعد ، هل من خطر كبير الا يفهم الانسان نفسه؟فكثير من الاشياء التى نفهمها كان يحسن

---

(١٣) الطليعة : « تاليران » دبلوماسى فرنسى (١٧٥٤ — ١٨٣٨) عمل مع كل الحكومات والانظمة التى تعاقبت على فرنسا منذ اندلاع الثورة الفرنسية ١٧٨٩ حتى بعد ثورة يوليو ١٨٣٠ بقليل. يقول عنه تارلى المؤرخ السوفيتى — بمناسبة تلك الكلمة المأثورة التى ساقها لـه فلوبير فى معجمه — انه عديم الشرف ولايتورع عن اقتراف أبشع جرائم الابتزاز والرشوة فسلوك تاليران الخلقى بنى على اعتبار ان الغلطة بمعنى الخطأ الذى يحرج الإنسان كاشفا نواياه ومساوئه للناس أخطر من الجريمة ذاتها . تيير : سياسى ومؤرخ فرنسى ١٧٩٧ — ١٨٧٧ — ليبرالى ومن مؤسسى حكومة ثورة يوليو الملكية ١٨٣٠ . استمر يشتغل فى السياسة حتى بعد كوكولسه باريس التى قضى عليها بالحديد والنار ومن مؤلفاته : تاريخ الثورة الفرنسية — تاريخ عهد القنصلية والامبراطورية . أصبح بعد ١٨٣٠ من المعجبين بتاليران والمتلمسين عليه . وجدير بالملاحظة ان تاليران الذى اشتهر بالغدر والغش بينما تيير الذى اشتهر بالامانة والشرف يضعان كل منهما على السواء الغلطة فى مرتبة أعلى من الجريمة ذاتها كما يتبين من نص المأثورتين الا ان هذا الامر لايدعو للدهشة فهذا المفهوم عن الغلطة والجريمة هو مفهوم البرجوازية التى لاتعرف من الشرف سوى عدم اكتشاف جرائمها .

مع ذلك عدم العلم بها كمرض الجدرى مثلا »
ثم هل العالم يفهم نفسه ؟ وهل هذا من شأنه منعهم من الموت ؟ ياالله كم انا غبى قد اعتقدت أن ثمة افكارا ستحضر لى ولا شىء قد أتى .
انا غاضب الا ان هذا ليس بخطئى فلست فيلسوفامثل كوزان وبيير لرو ـ بريا ـ سافاران لاسنيير (١٤) الذى مارس كل منهم الفلسفة على طرقه الخاصة . . . فلسفة غريبة الاطوار، عميقة وموجعة ؟ اى تعاليم تلك التى كانوا يلقنون بها الاخلاق ! الخ الخ

من الواضح ان « الاسلوب » لايخرج هنا عن كونه ثرثرة اذ يستسلم جوستاف للاستعارات ولما سيطلق عليه فيما بعد عبارة « سحر الكلمة » اى يستسلم للكلمات . والكلام يطفو على فكره ويجرفه ويشعر فلوبير مرتاح البال بفكره يسرق الا انه يثق فى ذات الوقت فى تلك الكلمة الساحرة تتحدث فى نفسه بغير انتنطق . وينبىء هذا التجميع غيرالارادى للكلمات بالكتابة الاوتوماتيكية غير انه يعبر هذا الكلام عند السيرياليين عن اللاشعور فليس لنتاجه عند فلوبير سوى عمقا وبعدا لفظيا . ومع ذلكفلا تتزعزع ثقته فيه على الاطلاق:اذا ما القى على الورق بالجمل التى تحضرفىذهنه فالفكرة سوف تأتى **وينتظرها** « كانت الافكار ستحضرنى » ، غير ان تلك الافكار فى الواقع قد تأتى ولا تأتى ونراه يعترف بذلك .

يتميز فلوبير بهذا الموقف الذى يقفه اذ يترك فيشكل بقلمه فى سلبية مع يقظة نظام رمزى للكلمات بل ويساعد على هذه العملية بما يبديه من بلاغة مترقبا فى هذا الفراغ الرنان حيث تنبع المعانى من الكلمات التى تشد بعضها بعضا لحظة انبثاق الوحش اى جملة تصبح **فكرة** بنفسها مع اضطراره الى ملاحظتها فى صبر لكى يفهمها كما لو كانت شيئا والدليل على ان هذا السلوك الذهنى مألوف عنده خطاباته عن «سماره» (١٥) وما اصطحب مؤلفاته الاولى من مقدمات وتعليقات وخاصة تلك الرسالة الى كارولين (١٦) التى سنتناولهافيمابعد، حيث يضيف ـ بعدان اشاربمزيد من الاستعارات حقا ولكن فى كثير من العمق ـ الصعاب التى يكتنفها للتعرف على نفسه قائلا « ليأخذنى الشيطان اذا كنت اعرف شيئا عن سبب حضور تلك المقارنة فى ذهنى . فلقد قضيت زمنا طويلا بغير ان اسطر كلمة وانا فى حاجة من حين الى آخر لاستعمال اسلوب الكتابة « حقا ان الاسلوب هو القياس والمقارنة الا ان تلك المقارنة تتم بالتلاعب على معانى الكلمات (معان حقيقية او رمزية) غير ان العملية معكوسة فيما نعالجه اذ ينتج فلوبير فكرة الحقيقة مجردة الوضوح والنقاء غارقة فى العقاد اللفظى الذى يعبر عنها بحيث لايبصرها فلوبير كما لو نظر الى حكم يصدره بوعى بل يستشفها كما لو كانت خلفه لا انفصام بينها وبين حركة الاستعارات المشوشة . هذا مما يجعله يخلط بين امرين او يجعله على الاقل يتظاهر بهذا الخلط زاعما انه ليس هذا سوى ضربا من ضروب البلاغة واستعمال الاسلوب، أليس الترابط اذن استسلام للكلمات اى لما سيطلق عليه الترابط الحر بحضور الفكرة فى كثافة وعمق وأيا كانت الزاوية التى يتناول العملية بها ». لاحظوا كيف تتسلسل الجمل فى خطابه الى ارنست بادئا بالمقارنة التالية : الاحلام تساوى الشفقة والعمل يساوى اليوم المظلم . ثم بعد ذلك يدهش امام تلك المقارنة وهىليست سوى فكرة من الافكار المتوارثة .فهل هذا سبب حيرة فلوبير ؟ ولانه هو الذى يبغض العمل ويهيم بالخيال : ـ حقا يكتب عكس ما اعتاد القول به ؟ ويشعر فلوبير بخيبةأمل أولى اذ يفوت المعنى عليه . ولكن هل من المهم أن يفهم كل شىء ؟ ثم تأتى الجملة البلاغية التالية : نعم نعرف ما هو مرض الجدرى ولكن ماذا بعد ؟ والعالم لا يفهم نفسه ، فهل هذا يعوقه عن الحياة ؟ وتدعو كلمة الحياة الى الموت (ترابط) . فتأتى الجملة التالية : هل هذا يمنع العالم عن الموت ؟ .لا شك من غموض تلك الجملة فى نص الخطاب ولا يمكن ادراكها سوى اذا ارتبطت برغبة فلوبير العميقة فى الموت . وهنا تظهر خيبة أمل أخرى ؟ الكلام كان سيتبلور فى عبارة واحدة .. ثم لا شىء على الاطلاق . وكل شىء ـ ينهار فى عبارة واحدة مم . ثم لا شىء على الاطلاق . وكل شىء ينهار وتستعيد الكلمات حديثها . عندئذ يعلق فلوبير ساخرا بقوله : انا لست فيلسوفا ويزيد هذه السخرية حدة بما اضافه من اسماء ذكرها فى الخطاب او على الاقل ثلاث منها : بريا ـ سافاران الطاهى فيلسوف مثل كوزان المفكر المحترف » وفجأة يظهر لاسنيير : الجريمة فلسفية (لانها تعرى الشهوات وتكشف الحياة على حقيقتها وخاصة « تضرب الاخلاق على عجيزتها ») »

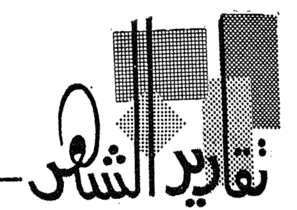
(١٤) الطليعة : كوزان : فيلسوف وسياسى (١٧٩٢ ـ ١٨٥٧) عميد المدرسة الروحية والتوفيقية .
بيبرلرو : فيلسوف وسياسى (١٧٩٧ ـ ١٨٧١) . من انصار السيمونية
بريا سافاران : تخصص فى فن الطهى (١٧٥٥ ـ ١٨٢٨) مؤلف كتاب فى فسيولوجية مذاق الطعام .
لاسنيير : مغامر (١٨٠٠ ـ ١٨٣٦)
من الواضح ان فلوبير يهزأ بتلك الفلسفات المختلفة والمتباينة بل ويسخر من اصحابها واضعا فى نفس المستوى الفيلسوف والطباخ والمغامر .
(١٥) الطليعة : من مؤلفات فلوبير وكان لايزال شابا (١٨٣٥) . عبارة عن حوار بين شخصية « ساره » وابليس
(١٦) رسالة الى شقيقته فى ١٠ يوليو ١٨٤٥ ـ مراسلات ـ الجزء الاول ص٥٠

أما باقي الرسالة التي انحرفت عن وجهتها بالحديث عن لاسنيير فقد خصصت للكلام عن البشر الذين يحفظون نوعهم وتنتهى الرسالة بالطلب الآتي : « اعطيني مؤلفات ساد ، ادفعها لك ذهبا » . ويتضح من ذلك ان لاعلاقة البتة بنقطة البدء وبالتعارض الكلاسيكي بين الحلم والعمل ، فما من منطق يربط الجمل وليست هناك سيطرة على الحديث .

واذا كان الكلام الطليق يولد الحكم العميقة التي تكون والمأثورات اسمى ما في الفكر في نظر فلوبير الا ان الالفاظ بترابطها تبعا للعادات اى تبعا للعرف الاجتماعي تولد بصورة اكبر الافكار الجمعية المعادة .كيف يستطيع جوستاف بالتالي التمييز بين الافكار الجديدة والافكار المتوارثة وهي تبدو كالمنبثقة كلها من نفس الاعماق متسلطة عليه في خلواته وهجرانه.واذا قيل ان جوستاف يستطيع بالتمييز بين هذه الافكار وتلك بما لها من مضمون فلا مفر له من الانتقاص على خموله مقارنا (فيما) بينها ومصدرا الحكم عليها ، الا انه لايقوم بتلك العملية اطلاقا مكتفيا على الغالب بمشاهدتها في استغراب وتمر أمامه الواحدة بعد الاخرى.كل ما في الامر أن الافكار الجمعية المعادة تثير في ذهنه نوعا من الذكر غامض وقلق ولا يكاد يهتم بالنظر اليها الا وقد تلاشت من أمامه،ويتضاعف فيه هذا الانطباع لما له من قدرة خارقة على ابراز تفاهاته المعادة ، فالافكار عنده لها ثقل الرصاص. لقد كان له آراء محددة في الخامسة عشرة كما سنرى فيما بعد وتصبح تلك الاراء كاملة التكوين والصنع عندما تتكرر خلال حياته، معبرا على بعد سنوات طويلة بنفس الكلمات عن ذات الموضوعات، فلم يتحرك شيئا ولم يعتر الحكمة تغييرا ما في قسمة من قسماتها . فكثيرا ما كان يجهل اذا كانت ذاكرته تعود الى نفسه او الى المنطق العام ، كما وانه عكسا لذلك ، لا يستمد في استماعه الى حديث ما ، انطباعه بالتعرف عليها ، متسائلا عن كنه هذا الشيء الذي قاله الاخر . هل هي فكرة توارثها فلوبير ام انها فكرة جاءت اليه وتفلزت فيه؟والواقع انه لايعرف شيئا اذ تسير الاشياء بسرعة فائقة ، الا ان انطباعه أنه قد خدع مثل الاخرين يظل باقيا في نفسه . اليكم ماجاء في مؤلفه «ذكريات مجنون» (١٨٣٨) موجها الكلام الى الانسان وايضا الى نفسه كما يدل على ذلك النص ، فيقول له :

« اتظن أنك حر وانت تخضع منذ المهاد . وقد استقرت فيك منذ اول يوم في حياتك بذور الرذيلة والسخافة كما تتلقى ما يجعلك تصدر من الاحكام على العالم وعلى نفسك وما يحيط بك انطلاقا في هذا المعيار .. لقد ولدت ضيق الافق تحمل معك افكار مسبقة وافكار عن الشر والخير تلقن اليك » . ثم يستطرد الكاتب مستعملا بعض العبارات ذات المضمون الباسكالي فيقول « طالما أن الحقيقة على جانب من جبال البرانى والخطأ على الجانب الاخر تصبح **الطبيعة** عادة أولى الخ » .. ويستمر الشاب اليافع في ذات الحديث يقول للانسان : « هل تخلصت من المبادىء التي سوف تتقيد سلوكك بها وهل تهيمن على تربية نفسك بنفسك؟!» ملخص القول يعي فلوبير تماما بالرغم من تمييزه في هذا النص بين الافكار النظرية والافكار المتوارثة ، ان الاخرين قد صاغوا له بالتربية التي تلقاها منهم « طبيعة كاملة تماما » ليست في الواقع سوى طبيعتهم ، مما يجعل هذا الشعور يثير على التو في نفوسنا بما يعنيه ضمنا أكثر ما يفوح به صراحة اعراض هذا الشاب اليافع وعلى الاقل الكسل آنذاك في مواجهة الافكار الجمعية المعادة بالنشاط النقدي مقتصرا على مواجهتها بعضا ببعض لتظهر تناقضاتها بنفسها وعلى امل انها سوف تقضي كل منها على الاخرى.

الا انه يتضح من الامثلة وهي عامة جدا مستعارة ومستقاة من الكتب (الزنا محظور هنا وهناك مألوف) تبين مرة اخرى ما يتسم به الوعي بالافكار الجمعية المعادة في تشويش وارتباك فتلك الافكار موجودة في كل مكان غير انها دائمة الفكاك والهروب . ومن ذلك يتضح ان **معجم الافكار المتوارثة** سيىء للغاية وبرئ له اذ لايستطيع البرجوازي فلوبير تحديد ما لطبقته من بورجوازية حقيقية كما وانه لا يستطيع التصرف بوضوح على ما لتلك الطبقة من سمات اساسية . ولا تبقى بعدئذ سوى نية فلوبير للتعرف على هذه الامور وهي نية صادقة حقا غير ان المأثورات لاتخدمها ، ولا تعينها ، فالايدولوجية البرجوازية لم تكن حتى ١٨٤٠ واضحة المعالم والتحديد وليس ادل على ذلك ان البورجوازية تشعر براحة البال والاطمئنان في ظل العهد الملكي ، تتجاور بالتالي في الضمير افكارها الخاصة ببقايا الافكار الارستقراطية : غباوتان متناقضتان تتوائم خير وئام باستثناء مايشعر به من الحسرة بعض ممثلي ذلك الجيل الجديد الذي يشكل فلوبير نموذجه الاصيل ،فهذا الشاب حقا تحسس وطأة غباوة الاخرين وتحسس وطأة غباوته وقد التصقت كل منهما بالاخرى بلا انفصام . وعبثا يحاول ان يلقي بعيدا عنه تلك الصخور التي تجثم على صدره الا انه مكيف من **الداخل** ليس بتربيته فحسب بل وايضا بسلبيته بحيث يعجز ان يكون له عنده وجهة نظر موضوعية عن نفسه او عن الاخرين فالشرك قد حبك في مهارة ولا يستطيع **جوستاف الفكاك منه** .



- تانزانيا .. خطـــوة جديدة فى طريق اللقــاءات الثنائية
- القصــبة الهوائية لبريطانيا فى قبضــة الاصــابع العربية
- تاريخنـــــــا الحــــــــديث فى جامعـــــــــة لندن
- خطـــــة التنميـــــــة ..عقيـــدة عند كل المواطـــنين
- اللغز الرئيسى والالغــاز الصــغرى فى قضــية بن بركة

الاتحاد الاشتراكى العربى

مشاكل الريف فى مؤتمر الفلاحين

فى يـــوم ٨ ســــــبتمبر ١٩٦٦ افتتح على صبرى الامين العام للاتحاد الاشــتواكى العربى مؤتمر الفلاحين ، الذى اشترك فيه أعضاء لجنة التنمية الزراعية بمجلس الامة واعضاء المكاتب التنفيذية من الفلاحين على مستوى المحافظات والمراكز والخبراء المتخصصين فى مجال الزراعة والانتاج الزراعى والتعاون الزراعى والرى وممثلو عمال الزراعة . واختتم المؤتمر أعماله فى يوم ٢٠ سبتمبر بعد أن اعدت عشر لجان فرعية دراسات فى مختلف الموضوعات التى تهم الفلاحين والتى تخطط لحل مشاكل الريف حلا ثوريا ولمشاركته مشاركة ايجابية فى انجاز الخطة الثانية .

وبعد مناقشات وبحوث طويلة ، اختتم المؤتمر أعماله بعدد كبير من التوصيات :

ففى مجال **التنظيم والبنيان التعاونى** ، أوصى المؤتمر — بحل جميع مجالس ادارة الجمعيات التعاونية الزراعية الحالية وتشكيل مجالس جديدة يختارها الاتحاد الاشتراكى العربى بالمحافظات لفترة انتقالية محددة مدتها سنتان . واشترط فى عضو مجلس ادارة الجمعية الى جانب الالمام بالقراءة وموافقة الاتحاد الاشتراكى على ترشيحه الا تتجاوز حيازته هو واسرته خمسة وعشرين فدانا وان تكون اقامته دائمة بالقرية .

وفى مجال **الاصلاح الزراعى** ، أوصى المؤتمر بالغاء نظام المزارعة واستبداله بالايجار النقدى ، واخضاع التصرفات فى الاراضى الزراعية التى تصدر من الملاك لاشراف الجمعيات التعاونية الزراعية ضمانا لشرعية وسلامة هذه التصرفات .

واعادة النظر فى الاراضى الزراعية المؤجرة بحيث يعاد تأجيرها وصولا الى مبدأ توسيع قاعدة المستأجرين ، تأجير الارض الزراعية المملوكة للاسر المقيمة خارج الجمهورية الى صغار الزراع عن طريق الجمعية التعاونية محافظة على انتاجيـــة الارض من التــــدهور باعتبــار أن ملكية الارض وظيفـــة اجتماعية تؤدى دورها فى خدمة المجتمع . كما طالب المؤتمر فى هذا المجال منع غير المقيمين فى القرية من ذوى المهن أو الوظائف المختلفة ممن يملكون أرضـــا زراعية أن يزرعونهـــا لحسابهم ســواء كان ذلك بانفسهم أو بوكلاء عنهم وان يتم تأجير هذه الاراضى عن طريق الجمعيات التعاونية بالايجار النقدى .

وفى مجال **التنمية الاقتصادية الزراعية** أصدر المؤتمر عشر توصيات منها دراسة الحوافز التي تؤدى الى تشجيع الفلاحين والعمل على مكننة العمل الزراعى واصلاح الاراضى البــور واكتشاف وسائل جديدة ومبتكرة للوصول الى مبيد ذي فاعلية كاملة فى القضــــــاء على الافات — وبيع الاراضى المملوكة للاقطاعيين الصادر بشأنهم قرارات من اللجنة العليا لتصفية الاقطاع والموضـــوعين تحت الحراسـة والمدينين لبنك التسليف ومصلحة الاموال المقررة وبنك الائتمان العقارى المصرى وغيرها من مؤسســات الدولة وذلك وفاء لهذه الديون المستحقة — واعادة النظر فى قانون الشركات والبنوك بحيث يسمح بتمليك

الفلاحين في مجالس ادارة بنوك التسليف الزراعي والتعاوني بالمحافظات مع اخوانهم العمال .

وفي مجال **الخدمات الصحية والاجتماعية** ، اوصى المؤتمر بضرورة تطبيق التأمينات الاجتماعية ضد الشيخوخة والمرض واصابات العمل على الفلاحين الحائزين لخمسة افدنة فأقل — والعمل على اتخاذ خطوات ثورية لتنفيذ مشروعات التصنيع الريفي على ضوء الدراسات الواقعية .

وفيما يتعلق بعمال **الزراعية وعمال التراحيل** اتخذ المؤتمر عددا من التوصيات الهامة — فاوصى بضرورة تحديد تعريف للعامل الزراعي وعامل التراحيل ، وتطبيق نظام التأمينات الاجتماعية ضد الوفاة والعجز والشيخوخة على عمال التراحيل والغاء وتحريم نظام مقاولي الانفار على أن يتم تشغيل هؤلاء العمال تحت اشراف اللجان النقابية .

واوصى المؤتمر بعدم الحاجة الى انشاء مؤسسة عامة لتشغيل عمال التراحيل حتى لا تتحول الى جهاز بيروقراطي للادارة والاستفادة من الاعتماد المقترح لانشائها والمقدر له حوالي ٢ر٥ مليون جنيه في تمويل وتدعيم الرعاية الاجتماعية لهؤلاء العمال .

وفي مجال **العمل السياسي والثقافي والتدريبي** ، أوصى المؤتمر بضرورة تنظيم لقاءات مع القوى الثورية العربية للتصدر للاستعمار واعوانه ولتبادل الزيارات والخبرات بين الفلاحين العرب — وأيد المؤتمر حقوق شعب فلسطين ونضال الشعب في عدن والجنوب اليمني واستنكر العدوان الأمريكي على شعب فيتنام وكل خطط الرجعية المتسترة خلف الدين .

، واوصى المؤتمر بضرورة نقل العاملين من قبل في خدمة الخاصة الملكية ودوائر اسرة محمد على او مزارع الاقطاعيين الى اعمال بعيدة من التأثير في مصالح الجماهير .

كما أوصى المؤتمر بضرورة العمل على تدريب قيادات الفلاحين تدريبا سياسيا تعاونيا ، واتخاذ الاجراءات التمهيدية لانشاء المجالس الشعبية واعتبار مشكلة محو الامية مشكلة قومية لابد أن تتضافر كل الجهود لحلها .

لقد كان مؤتمر الفلاحين خطوة هامة وايجابية في طريق الاعتماد على القاعدة الشعبية والالتحام بها للتزود بالطاقات والافكار حتى تقدم الحلول الواقعية لمشاكل الريف .

ولقد اعتبر السيد على صبري ان هذا المؤتمر وتوصياته ليست الا بداية العمل وليست آخر اللقاءات . انما هو بداية لعمل كبير ينتظر القيادات التي ترضى بحمل المسئولية حتى توفي بالدين الذي حمله لنا الميثاق للنهوض بالريف . ودعا أعضاء المؤتمر لضرورة نقل التوصيات الى القاعدة الشعبية في الحقول لمناقشتها وتحويلها الى حقيقة ملموسة .

لقد انتهى مؤتمر الفلاحين — مؤكدا أن ممارسة الطبقات الثورية في الريف لدورها الديمقراطي واجب حتمي من أجل حماية الثورة وضمان استمرارها وان موقف السلبية والجمود هو الذي يسمح للعناصر الانتهازية والمعادية للتقدم بان تتسلل لكي تحرم الفلاحين من ممارسة حقوقهم الديمقراطية كاملة ، وان الحقوق الديمقراطية للفلاحين ليست مجرد الفاظ ولكنها تعبير عن مصالحهم الحقيقية عن حقهم في حماية ثورتهم الاشتراكية وانجاز متطلبات مرحلة الانتقال وحقهم في الاستفادة القصوى من الخدمات التي تقدمها لهم الدولة وعن مبادئهم في ايجاد الحلول الذاتية لمشاكلهم — وان ممارسة الفلاحين لهذه الحقوق هي التي تؤدي الى فضح العناصر المعادية للثورة والتي تعمل على الابقاء على العلاقات الاجتماعية الاقطاعية في الريف .

■ الجمهورية العربية المتحدة

خطة التنمية .. عقيدة عند كل المواطنين

« أن الوزارة التي رأسها **السيد زكريا محيي الدين نائب رئيس الجمهورية** قامت بعمل كبير ، وان ما حققته هذه الوزارة في المرحلة السابقة سوف يمهد للمرحلة الجديدة ويخدم اهدافها .. » بهذا استهل الرئيس **جمال عبد الناصر** حديثه مع اعضاء الوزارة الجديدة برياسة **المهندس صدقي سليمان** اول اجتماع لها بعد حلف اليمين الدستورية ... »

والحقيقة ان السنة الاخيرة التي رأس فيها زكريا محيي الدين الوزارة كانت سنة حافلة بالاعمال والاجراءات الهامة . فقد كانت فترة مراجعة واعادة تقييم واستعداد في فترة تفصل ما بين خطتين من خطط التنمية الشاملة .

وكان من المحتم ان تجرى عملية التقييم لخطة السنوات الخمس الاولى تحت اشراف سياسي على اعلى مستوى بعيدا عن عمليات التنفيذ الفعلية في الخطة التي يراد تقييمها . وان تجرى عملية دراسة المشاكل التي واجهت الخطة وان توضع الحلول لها وفي ذلك الصدد صدرت بالفعل تشريعات هامة كتشريع قانون المؤسسات الذي اعطى لادارة القطاع العام ما كان مطلوبا لها من المرونة . كما انه كان من الضروري ان تجرى عملية مسح سريعة للارضية التي ينطلق منها العمل الوطني الداخلي في مرحلة تنفيذ الخطة الثانية .

وقد اضطلعت وزارة زكريا محيي الدين بهذه المهمة الخطيرة ، فاستطاعت الموازنة بين الايراد والانفاق ، وحلت مشكلة العجز في الميزان الحسابي ، ورفعت اسعار السلع الكمالية واضعة اولوية للتصدير . بل رفعت اسعار بعض السلع الضرورية للحد من الاستهلاك ، ولتحقيق فائض يمكن استخدامه في الدفع بعجلة الانتاج بمعدلات كبيرة .

وواجهت الوزارة السابقة شتى المؤامرات الخارجية والداخلية كالضغط الامريكي بامتناع امريكا عن تجديد اتفاقية القمح ، ونكث فيصل لاتفاقية جدة ومؤامرات الاخوان المسلمين وجرائم الاقطاع وما ترتب عليها من اجراءات تطهير في بعض الاجهزة الادارية .

ولقد بدا واضحا من خلال التطورات في العام الماضي .. ان ذلك « **التكليف الخاص** » من رئيس الجمهورية لاحد نوابه بتولي منصب رئيس الوزراء كان في محله تماما ومطابقا لمقتضيات سلامة فترة ما بين الخطتين ، وتمهيدا للانطلاق الى آفاق اوسع في عمليات البناء الاشتراكي . والآن ونحن على ابواب تنفيذ الخطة الثانية ظهرت الحاجة الى تشكيل وزارة « انجاز » تكون مهمتها تنفيذ تلك الخطة مسترشدة بعدة اعتبارات اشار اليها المناضل جمال عبد الناصر وهو يتحدث الى اعضاء الوزارة .

● مثل ضرورة الوصول الى الاستقلال الكامل لكل المشروعات التي بناها الشعب ووضع فيها الكثير من ماله وعمله وامله . فان من حق الشعب بعد ذلك كله ان يتأكد من ان كل قرش صرف على مشروع من المشروعات قد عاد بغلته كاملة .

● واكد عبد الناصر على مبدأ هام جديد هو ان العمل لابد ان يتجه الى ضرورة الاعتماد على النفس وان كان ذلك لا يعني العزلة عن العالم او الابتعاد عنه ، وانما معنى ذلك ان نقترب بكل جهد ممكن من الدرجة التي تصبح فيها عملية الانطلاق قادرة على ان تستمد من الداخل اكبر طاقات اندفاعها ■

● وأكد رئيس الجمهورية ان الاعتماد على النفس هدف حيوى وضرورى لحماية الامال الوطنية ولحماية الامن الوطنى فى نفس الوقت ..

● وبالنسبة للامل الوطنى فان الشعب من حقه ان يطلب ويحلم . وواجبنا ان نكون معه بالتوضيح وبرسم الطريق السليم للنضال من اجل تحقيق ما يطالب ويحلم به .

● ولفت عبد الناصر نظر الوزراء الى ان الجمهورية العربية المتحدة تتعرض لضغوط اقتصادية بالذات ، وان هذه الضغوط سوف تشتد ، وعلينا أن نكون مستعدين لها ولانكتفى بصدها وانما نتجاوز ذلك الى التمسك الكامل من حرية العمل من اجل آمالنا .

● ومن اهم ما اكد عليه المناضل عبد الناصر فى حديثه مع الوزراء هو دعوته لهم بتقبل النقد والتفاعل معه وقال ان مجلس الامة والصحافة منابر عظيمة يمكن لناجميعا ان نعمل خلالها من اجل ايصال الحقيقة للجماهير مع ادراكنا دائما ان اقتناع الجماهير هو السند الحقيقى لكل عمل .

● كما أكد على ضرورة التقدم بتنفيذ الخطة الثانيـــة باقصى سرعة وذلك يقتضى تدعيم اسس الصناعات الثقيلة وتطوير الادارة واطلاق الحوافز واعطاء الفرصة لقيـادات شابة جديدة وتعميق الديمقراطية .

وقد تم تشكيل الوزارة الجديدة فى اقل من ٤٨ ساعة .. وقد ضمت الوزارة الجـديدة ٤ نواب لرئيس الوزراء هم : **د . محمود فوزى و د. ثروت عكاشة والمهندس محمـود يونس والسيد عبد المحسن ابو النور .**

وضمـت الوزارة ٢٤ وزيرا مـن بينهم ٤ وزراء يدخلون الوزارة لاول مرة هم **شمس الدين بدران ومحمد فائق وكمال هنرى بادير والمهندس احمد توفيق البكرى .**

ومن بين الاعضاء اثنان اشتركا فى وزارات سابقة هما ثروت عكاشة وحسن عباس زكى . وفى التشكيل الجـديد تولى ٤ من أعضاء الوزارة السابقة وزارات أخرى وهم عزت سلامة وشعراوى جمعة وعزيز يس وامين هويدى .واستحدث التشكيل الجديد وزارة جديدة هى وزارة الانتاج الحربى ، وأصبح للتخطيط وزارة مستقلة وللاقتصاد والتجارة الخارجية وزارة اخرى . وظل نواب الوزراء فى الوزارة السابقة فى مناصبهم باستثناء الدكتور احمد خليفة الذى عين وزيرا للاوقاف والشئون الاجتماعية .

ومن المعالم البارزة للتشكيل الجديد هو الفصل الكامل بين الثقافة والاعلام والسياحة التى كانت دائما قطاعا واحدا ، فاصبحت كل منها مستقلة تماما وعين الدكتور ثروت عكاشة نائب رئيس الوزراء وزيرا للثقافة .

واستقبل المعلقون السياسيون اختيار صدقى سليمان رئيسا للوزراء بترحاب وتفاؤل كبير ، فان ذلك الاختيار يستخلص انجح الاختيار واعمقه فى تجربة البناء الوطنى ـ السد العالى ـ ويضعها على رأس عملية التنفيذ فى المرحلة الجديدة كلها .

ومن اهم النقاط الجديرة بالتسجيل فى اول تصريح افضى به رئيس الوزراء الجديد بعد تشكيل الوزارة باربع وعشرين ساعة .

● ان الوزارة الجديدة تقوم الان برحلة دراسية وافية لمختلف القطاعات والاجهزة بالاضافة الى دراسة معـدلات الانتاج واعداد تقرير كامل عنها للدفع بها الى الامام .

● انه سيتم وضع تخطيط جديد لدفع معدلات الانتـاج لمختلف القطاعات .

● انه تقرر سرعة استكمال التوسعات المختلفة لقطاعات الإنتاج لتحقيق زيادة الانتاج وسرعة تنفيذ برامج الخطة .

● انه سيتم وضع تنظيم جديد لمكتب الصحافة برياسـة مجلس الوزراء يسهل مهمة اجهزة الاعلام والصحافة .

والحقيقة انه كما قال بعض المعلقين ان الوزارة الجديدة ليست وزارة انجاز فقط بل وزارة حرب ضد التخلف وضـد الروتين وضد الضياع الفكرى والروحى وضد السلبية السياسية والعقائدية وضد كل العلل الكبرى فى مجتمعنا .

والخطة الخمسية الثانية هى الخطـة الحاسـمة ، فقـد كانت الخطة الاولى هى البداية ولكن الخطة الثانية هى التى سوف تحقق مرحلة القدرة الذاتية والانطلاق الكبير .

ويعتمد نجاح الخطة اولا واخيرا على عامل رئيسى واساسى هو اشتراك الناس فيها وحماس الجماهير لها . وهذه هى مهمة وزارة الانجاز الاولى بجانب التكنيك والاسـاليب الفنية العالية .

ويرى المراقبون ان الرجل الذى خلق شيئا جديدا فى حياتنا « البنائية » وهو ايمان الانسان بما يعمل ، ببناء السـد العالى ، الذى اصبح عقيدة لكل العاملين ، قادر على ان يحقق بالتعاون مع التنظيم السياسى ان تكون خطة التنمية عقيدة لدى كل المواطنين .

●

التنميـــة البشـــرية طبقا لاحتياجات الخطـة

اول هذا الشهر تفتح الجامعات ابوابها ، ومنذ اسبوعين وبضعـة ايام او على وجـه التحديد منذ ١٠ سبتمبر بدأت جميـع المدارس فتح ابوابها : المدارس الابتدائية ثم الاعدادية والثانوية فالجامعات الاربع .

ومع بداية كل عام دراسى تبدأ مشاكل تفرضها ظـروف التعليم فى اطار الامال العريضة نحو حياة افضل ومدرسـة افضل . وهذا يعنى التلاؤم بين احتياجات التنمية وصولا لمجتمع الرفاهية والعدل وبين خطة التعليم ..

وفى هذا العام بدأت أول محاولة جدية لتحقيق هـــذه المعادلة بتقرير لجنة القوى العاملة بمجلس الوزراء السابق ، ورغم ان هذا التقرير لم يقر نهائيا الا انه وضع موضـع التطبيق ، وربما من خلال التطبيق تتضح مدى فاعليته فى تحقيق التطابق المنشود بين خطة التعليم وخطط التنمية كما تكشف الثغرات الموجودة فى التقرير ، وهى الثغرات التى تحدث عنها بعض النقاد من خبراء التربية والتعليم .

وقد بدا ذلك واضحا فى سياسة القبول فى الجامعات هذا العام فلاول مرة منذ عام ١٩٥٧ بلغ الحد الادنى من خريجى القسم العلمى فى المدارس الثانوية ٥٥٫٣٪ وبالنسبة للقسم الادبى فقد بلغ الحد الادنى ٥٣٫٣٪ .

وكانت النتيجة ان الجامعات قبلت ١٨ الفا و ٦٦ طالبا من بين ٢٧ الف طالب تقدموا لمكتب التنسيق وحصلوا على اكثر من ٥٠٪ من الدرجات . واهتم المسئولون بالتوسع فى القبول فى الكليات العملية وبالذات فى كلية الهندسة حيث قبل لاول مرة فى تاريخ كليات الهندسة ثلاثة آلاف طالب وذلك يعكس احتياجات التنمية الماسة الى الفنيين ..

اما الكليات النظرية فلم تقبل الا بضع مئات .

ونظام الانتساب بدا من سياسة التعليم الجامعى هذا العام انه فى طريقه الى التصفية اذ لن يقبل فى كل كليـة نظرية اكثر من خمسين طالبا . **ومسالة الانتساب مازالت تثير مناقشات واسعة بين خبراء التربية والتعليم الذين يرون انه لا معنى للتضييق على من يريدون الاستزادة من التعليم الجامعى وهم منخرطون فى سلك العاملين .**

وضمت كليات المعلمين التى كانت معـاهد تابعـة لوزارة التعليم العالى الى الجامعات لتخريج مدرسين تربويين ومن المتوقع ان تحل بذلك مشكلة التناقض بين فئات المدرسين من

خريجي كليات المعلمين وخريجي كليات الاداب ❊

وسيكون على الجامعات ان تواجه هذا العام توجيهات القيادة السياسية العليا بان تكون منابر للتوعية بالاشتراكية. وان كان المراقبون يلاحظون انه لم تتخذ اية خطوة ايجابية فى سبيل الملاءمة بين ما يدرس فى الجامعات من مواد قومية: ثورة يوليو ❊ المجتمع العربى ❊ الاشتراكية وبين ميثاق العمل الوطنى . فالدراسات فى تلك المواد فى الجامعات مازالت تخضع لاجتهادات الاساتذة الذين استقى الكثير منهم دراساته من الجامعات الغربية التى تمجد النظام الرأسمالى الفردى . ونرى ذلك انعكاسا فى بعض الكتب التى يدرسها طلبة الجامعات عن الاشتراكية بالذات .

وكان قد قدم اقتراح فى العام الماضى ان تشترك امانة الدعوة والفكر فى الاتحاد الاشتراكى مع الجامعات فى وضع منهج محدد لتدريس المواد القومية . ولكن يلاحظ ان ذلك الاقتراح قد ركن على الرف حتى الان .

وينتظر ان يتجدد هذا العام النقاش حول تلك المسألة خاصة بعد اعلان منظمة الشباب التى تضم عددا لا بأس به من الطلبة الجامعيين الذين يدرسون فى معسكرات الشباب مواد نظرية عن تجربة التطبيق الاشتراكى فى مصر تتعارض مع كثير من الافكار الواردة فى عدد من الكتب الجامعية .

وفى هذا العام زاد عدد التلاميذ فى المدارس الابتدائية بنسبة ٦٪ عن عددهم فى العام الماضى .. فقد بلغ عددهم ثلاثة ملايين ونصف مليون تلميذ تقريبا تضمهم ٧٥١ر٧ مدرسة. بينما اصبح عدد طلبة المدارس الاعدادية ٥٧٣ الفا و ٧٨ تلميذا تضمهم ٦٤٩ر٤ ولزيادة العدد اضطرت بعض المدارس الاعدادية للعمل فترتين لاول مرة فى الصباح وفى المساء . اما عدد طلبة المدارس الثانوية فاصبح ٢٠٨ الف و ٥٨١ تلميذا تضمهم ٢٦٣ مدرسة هما نفس عدد المدارس فى العام الماضى وتلامذة الاعدادى الفنى بلغ عددهم ٥٣٠ر٢٦ تلميذا فى ٢٢ مدرسة والثانوى الفنى ٩٩ الف تلميذ و ٨٨٣ تضمهم ١٩٣ مدرسة تجارة وزراعة وثقافة نسوية وفنون طرزيةوصناعات.

وتوسعت وزارة التربية فى قبول طلبة مدارس المعلمين والمعلمات فارتفع عددهم من ٤٢ الفا فى العام الماضى الى٤٩ الفا و ٤٤٨ تلميذا وتلميذة .

وبعد ونحن نستقبل عامنا الدراسى الجديد ، فمن المتوقع ان نحقق فيه اكبر معدلات للتنمية البشرية ، اى لتعليم اكبر عدد من الطلبة على مستوى ارقى من مستويات كل الاعوام الماضية ، والامل منعقد على سرعة العمل فى عهد وزارة الانجاز الجديدة ❊

●

القصبة الهوائية لبريطانيا فى قبضة الاصابع العربية

بينما

كان المناضل **جمال عبد الناصر** فى مساء ٢٦ يوليو يقف فى الاسكندرية وسط عشرات الالاف من جماهير الشعب يعلن توجيه اكبر ضربة للمصالح الامبريالية والرأسمالية فى المنطقة — بتأميمه لقناة السويس ، كان **ايدن** يتناول العشاء فى حفل رسمى اثيم لاصدقاء بريطانيا الرئيسيين فى المنطقة الملك **فيصل** ورئيس وزرائه **نورى السعيد** — وتلقى ايدن النبأ واسرع نورى السعيد يقول لرئيس حكومة المحافظين الذى كان يصفه المحافظون فى نواديهم بأنه رجل من القش .. « اضرب ، اضرب بقوة واضرب الان » .

وتحول حفل العشاء بسرعة الى اجتماع لمجلس الوزراء البريطانى ورؤساء هيئة الاركان وبدأ الاعداد للعدوان على مصر — وقد قامت **الصنداى تيمز** أخير بنشر تحقيق عن اسرار معركة السويس قام باعداده استاذ التاريخ الحديث المشهور « **هيونوماس** » وقامت « **الاهرام** » بنشر هذا التحقيق كاملا .. والذى كشف عن حقائق مثيرة عن الصراع بين القوى الامبريالية الكبيرة وعن اتفاقها جميعا على الوقوف ضد عبد الناصر ، الذى « وضع اصبعه على قصبتهم الهوائية » بتعبير ايدن وبتعبير دالاس وهو يحاول اقناع ايدن بتأجيل العدوان حتى تنتهى الانتخابات الامريكية : « لابد من العثور على طريقة ليخرج ناصر من حلقه ما أراد أن يبلعه » . أما « **بينو** » وزير خارجية «**موليه**» الاشتراكى الفرنسى الزائف فقد كان يستعجل العدوان ليلة التأميم حين اقترح عليهم ايدن عقد مؤتمر واعتبر مسألة عقد مثل هذا المؤتمر اجراءا بطيئا ، فلقد كانت القاهرة بالنسبة « لموليه » هى القوة الحقيقية وراء ثوار الجزائر ..

وفى يوم ٢٧ يوليو ارسل ايدن **لايزنهاور** برقية قال فيها : « اننا ينبغى أن نفرض على الفور اقصى مايمكن من الضغط السياسى على مصر .. ولكن زملائى وانا مقتنعون بأننا لابد أن نكون مستعدين فى النهاية لان تستخدم القوة لاعادة ناصر الى صوابه ، ونحن من ناحيتنا مستعدون للقيام بذلك ، وقد أمرت هذا الصباح رؤساء أركاننا باعداد خطة عسكرية تنفيذا لذلك » . وبعد أن اتفقت بريطانيا مع فرنسا بعد اتصال دائم استمر ٤٨ ساعة وسعت الحكومة البريطانية نطاق أهدافها الاولية — وهكذا اصبح الهدف فى يوم الاحد ٢٩ يوليو هو تسوية الحساب مع ناصر واخراجه من مصر

ولم يبق أمام الحليفين ، وقد اتفقا على العمل المباشر ، الا العمل على اقناع الولايات المتحدة بضرورة الاشتراك معهم فى — المغامرة العسكرية — او على الاقل فعندما تواجه بريطانيا وفرنسا مصر « تعنى الولايات المتحدة نفسها بالغرب» أى تقدم مظلة نووية ضد روسيا اذا احتاج الامر . وكما قال بينو وزير الخارجية الفرنسى « لمورفى » مندوب ايزنهاور — « انه مادامت الولايات المتحدة .. مسئولة عن القرار الخاص بأسوان فينبغى ألا تخلص نفسها من عواقبه » .

ولكن الولايات المتحدة حتى هذه اللحظة كانت ترى ضرورة تأجيل استخدام القوة وكتب ايزنهاور الى ايدن فى ٣١ يوليو خطابا يطلب فيه من ايدن مراجعة القرار المتخذ باستخدام القوة ، ويخبره فيه أن فوستر دالاس فى طريقه الى لندن لتسوية هذه المسألة ..

ووصل دالاس الى لندن فى أول أغسطس ومنذ وصوله الى لندن وطيلة الاسابيع التالية كانت كل مهمة دالاس لوقف التدخل العسكرى ..

وفى هذه الفترة — تمكن دالاس من عقد اجتماع حضرته ٢٢ دولة بزعامته لانشاء هيئة **للمنتفعين بالقناة** لادارتها مع مصر وانتهى الاجتماع بموافقة ١٨ دولة على انشاء هذه الهيئة — واختار الاجتماع **منزيس** رئيس وزراء استراليا ليسافر الى مصر ليقدم لعبد الناصر خطة « هيئة المنتفعين » ، ولقد رفض دالاس الذهاب الى مصر تجنبا لتلقى الاهانة المنتظرة من الزعيم الذى تمكن من تمريغ شرف الامبراطوريات الكبيرة فى تراب المهانة.

ولكن هل كانت الولايات المتحدة حقا ضد استخدام القوة ؟ يكشف التحقيق من زيف رغبة الولايات المتحدة هذه . فلقد كتب ايدن فى أول سبتمبر رسالة مطولة لايزنهاور ختمها بعبارة: « اننى أود أن أؤكد أننا مدركون لاعباء التدخل العسكرى والاخطار المتعلقة به .. ولكنها ستكون نهاية كريهة لتاريخنا الطويل اذا قبلنا أن ننهار على درجات » .

ورد ايزنهاور على خطاب ايدن بخطاب آخر يكشف من خطة الولايات المتحدة للعمل ضد مصر .. فايزنهاور فى هذا الخطاب لايؤيد استعمال القوة ضد مصر بسبب المضاعفات الدولية والتأثيرات النفسية فى العالم العربى ومع ذلك فهو لايستبعد استعمال القوة عند اللزوم وبعد استنفاد مجموعة من الوسائل الاخرى — وهو فى هذا الخطاب يقدم وسائل اخرى للعمل ضد

مصر يجب اللجوء اليها قبل استخدام القوة ... يقول في خطابه : «ان ناصر ينجح فى اثارة الحماسة..فاذا نحن اخرجنا بعض هذه الحماسة من الموقف ، ونفسنا عنها وركزنا اهتمامنا على « تقليص » شخصيته عن طريق بعض العمليات الاكثر بطئا ولكنها محققة المفعول (مثل تركيز الضغوط الاقتصادية ، وتحريك المنافسات العربية ؛ والتهديد بمد انابيب بترول جديدة عبر تركيا ، ومزيد من البترول لاوروبا من فنزويلا ; .. فاننى أؤكد لك اننا لسنا عميا امام الحقيقة التى تقول اننا قد لانجد مفرا من استخدام القوة فى النهاية .. »

ان الولايات المتحدة الامريكية ــ كانت ترى ضرورة العمل



ليس بالقرارات الادارية وحدها

اتخذت اخيرا اجراءات حاسمة لتنظيم الدراسة فى الجامعات . بعد ان انخفض مستوى التدريس والتحصيل الى حدود لا تصدق ، فلم تتعد نسبة النجاح فى كثير من الكليات ١٥٪ انخفضت الى ٣٠ او ٤٪ فى بعض الحالات اذ حسبنا فقط عدد الناجحين دون تخلف فى مادة او مادتين . وشاعت روح ابعد ما تكون عن الروح الجامعية فى مجتمع يبنى استقلاله الاقتصادى والسياسى ،وتفشت تجارة الكتب والملازم والغش فى الامتحان.

وقد اعلن مدير جامعة القاهرة ،عن اعداد مشروع يقضى بوجوب وجـود اعضاء هيئة التدريس فى كلياتهم طوال اليوم الدراسى . وبالطبع لن يكون لهذا معنى ما لم يحترم الطلبة بدورهم هذا النظام ، ولذا تقرر حرمان من لا يحضر ٧٥٪ من المحاضرات من دخول الامتحان. وتقرر ايضا منع اصدار الكتب فى شكل ملازم ، والذى كان يرفع ثمنها مرتين ونصف قدر ثمن تكلفتها ، وان تصدر فى آخر نوفمبر على اكثر تقدير حتى لا تتكرر مسـألة توزيع الملازم على الطلبة قبل الامتحان بخمسة عشر يوما، وانتهاء العام الدراسى دون استكمال، الكتاب مع تقاضى المكتبات التى تتولى النشر ، ثمنه كاملا .

وقد كان عدد من الاساتذة فى الاونة الاخيرة ، يكثرون ((بحسن نية)) من الانتداب والعمل الخارجى مما ترتب عليه اهمال محاضراتهم فى الجامعة . وحدث تداخل كبير بين الاعمال الخارجية والاعمال الدراسية . ومع ادراكنـا لمشكلة نقص الكادر المتخصص ، مما يجعل الاساتذة مطلوبين للعمل فى اكثر من جهة ، فانه لا يمكن انكار ان هذا على حساب الطلبة فى نهاية الامر .هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان هناك الكثير من الكادر الفنى الموجود فى غير موضعه ،وحملة الاهرام ((الرجل الصحيح فى المكان الصحيح)) تبين ان هناك كثيرين يمكن استخدامهم فى التـدريس او فى الوظائف التى تختطف اساتذة الجامعات من طلبتهم . فضلا عن ان توزيع جهد الاساتذة على عديد من الاماكن والوظائف واللجان ، يحد من قيمة هذا الجهد . وبالطبع لابد من التعويض المادى الجزئى للاساتذة الذين سيقل عدد انتداباتهم وبالتالى سيفقدون جزءا اسـاسيا من دخلهم ، والذين قد يكون لدى بعضهم شيئا من العذر فى شكواه من قلة دخله من الجامعة وتصريح وزير التعليم العالى، عن بحث مطالب حملة الدكتوراه ، بادرة طيبة فى هذا الصدد .

وكل هذه الاجراءات لازمة وضرورية، وان كان الطابع الادارى والتنظيمى هو الغالب فيها . ولذا يجب استكمالها بالجانب السياسى . والا تحايلت كل الاطراف على تطبيقها تطبيقا شكليا . وان تعذر هذا فستخلق نوعا من التناقض بين الاساتذة والطلبة ، قد يتحول الى تناقض ضار يكلف الكثير . فربما يحس بعض الاساتذة ان حرمانهم من الانتدابات الخارجية وتكليفهم بالبقاء فى الجامعة طوال اليوم وتنظيم بيع الكتب ،كان بسبب هؤلاء الطلاب ، فيتعسفون فى استعمال سلطاتهم قبلهم . ومع التسليم بان هذا الاتجاه قد يكون من جانب اقلية الا انه يجب وضع الضمانات الكفيلة بمنعه. والطلاب بدورهم اعتادوا التغيب واى محاولة لفرض النظام عن طريق الاجراءات ادارية وحدها ، دون عمل سياسى مكمل، قد يخلق انواعا من التذمر وعـدم الرضا نحن فى غنى عنه .

ومع الاحترام والتقدير الكامل لوعى ونضج اساتذة الجامعة ، فلابد من قيام التنظيم السياسى بواجبه ازاءهم، يشرح طبيعة المرحلة ، وما تقتضيه من جهود وما تفرضه من واجبات ، وان الحافز المادى مع ما له من اهمية ، لا يجب ان يتحول الى هدف فى ذاته يستغرق كل الجهد ، وتتضـاءل القيم الاخـرى بجانبه . يجب ان يتحول اكبر عدد ممكن من الاساتذة الى دعاة عمليين للاشتراكية، بالمثل الذى يضربونه بسلوكهم من ناحية، وبمساهمتهم فى بحث مشاكل المجتمع وتقديم الحلول لها ، واعدادهم للكادر الفنى الذى يتولى مسئولية البناء من ناحية اخرى . يجب ان تعمل الجامعة بالسياسة بل وفى خدمـة التحـول الاشتراكى ، وهذا يقتضى اولا توحيد مقرر الاشتراكية ، وازالة الفـوضى والغموض والتعارض الذى يشـوبه ، والذى يصل احيانا الى حد العـداء للاشتراكية وان تخفى تحت اسمها ، وتمثل فى القيم التى تحبذ الفردية وتروج للمفاهيم والفلسفات الرأسماليـة فى مختلف المواد الدراسية . وطبعا لايعنى هذا انكار الجهد الزائد الذى بذلتـه فئة مؤمنة من اساتذة الجامعة ،يتسع عددها باستمرار .

وتحويل الاساتذة الى رجال سياسة، لا يعنى مجرد ترديدهم للميثـاق ، او للشـعارات ، او حتى انتظـامهم فى الاتحاد الاشتراكى على اهميته . بل لابد ان يرتبطوا بطلبتهم من ناحيـة ، وبمجتمعهم من ناحية اخرى . يرتبطوا بالطلبة عن طريق مساعدتهم على حل مشاكلهم وانشاء علاقات انسانية معهم، ومد يد العون الصادق لتكوينهم تكوينا سليما ، وغرس قيم المجتمع الجديد فى نفوسهم .وهذه المسالة الاخيرة بالتحديد هى التى تحتاج للجهد الاكبر .فمازالت اقسام عريضة من الطلاب تقف موقفا سلبيا مما يتم ، بل ويصل بعضهم الى حد عدم الفهم واعتناق قيم ومثـل المجتمعات السابقة التى ترى فى العلم طريقا لتحقيـق الثروة والرفاهيـة الشخصية . ومما لاشك فيه ان احتياج الطلاب الى التوعية السياسية ،ضرورة تفرضها احتياجات النضال بكافة جوانبه الوطنية والاجتماعيـة ، ولذا وجب اعدادهم على اكمل وجه ، والجامعـة تلعب دورا اساسيا فى هذا ، والعمل السياسى ذو اهمية فى قيامها بمهمتها .

ولا شك ان تعيين الدكتور عزت سلامة، وزيرا للتعليم العالى ، قد اثار شعورا عاما بالارتياح لدى كل الراغبين فى القضاء على مظاهر الخلل والقصور فى حياتنا، وانجازاته فى كافة الاعمال التى تولاها خير شهادة له .

كمال السيد

ضد مصر — ولتصفية الثورة التى يقودها جمال عبد الناصر ولكن بوسائل اخرى ، على الا نلجأ الى القوة الا اذا ثبت فشل هذه الوسائل ..

ومضت بريطانيا وفرنسا يستكملان عدتهما للعدوان وتشكل مجلس حرب مشترك — وتحدد لتنفيذ العمل يوم ١٥سبتمبر وكانت الخطة الاولى تهدف الى احتلال الاسكندرية ثم تغيرت لتوجيه الضربة الاولى لبورسعيد . وبالاتفاق مع **جورج بيكو** مدير هيئة قناة السويس تقرر سحب المرشدين الـ ١٦٥ ظنا منهم أن ذلك سيعطل الملاحة بالقناة تماما ، ولكن عوامل عديدة أجلت تنفيذ العمل فى ١٥ سبتمبر ، فبين صفوف المحافظين انفسهم وجد اتجاه تردد ولقد اضطر ايدن ان يعلن فى ١٢ سبتمبر أمام البرلمان قبول فكرة هيئة المنتفعين ، وكما أن حزب العمال اعلن أنه لايمكن أن تستخدم القوة الا بتأييد من الامم المتحدة .

وكسب الشعب الجولة الاولى من المعركة عندما تمكن بعد مغادرة مرشدو الشركه القديمة السويس من ادارتها بالمرشدين المصريين بنجاح .

وفى هذا الوقت تحركت اسرائيل — لتشارك فى المغامرة العسكرية ، **فبن جوريون** كان مصمما على شن حرب «وقائية» ضد مصر — ولكن ليس فى مقدوره وحده مواجهة القوةالمصرية العسكرية الصاعدة ، وفى نفس الوقت فان قادة المغامرة رأوا أنه فى الامكان استخدام اسرائيل « كبش فداء » ، فان هجوما اسرائيليا على مصر ليصلح ذريعة « لتفجير موسيكيتير » هو اسم خطة العدوان العسكرى بعد تعديلها . وطلب سادة اسرائيل أن يكون هجومها ضد مصر وليس ضد أى بلد عربى آخر .. وطلبت اسرائيل التأكد من أن السلاح الجوى المصرى سيدمر قبل أن تزحف القوات الاسرائيلية عبر سيناء ، وفرض مراقبة دولية فوق المطارات المصرية تبدأ منذ اللحظة التى تجتاز فيها القوات الاسرائيلية حدود مصر ، والبريطانيون وحدهم هم الذين يملكون الطائرات اللازمة لذلك — وعلقت اسرائيل تحركها على شرط هو ضرورة كتابة اتفاق توقعه الدول الثلاث .

.. وتحدد بدء العدوان من جانب اسرائيل يوم ٢٩ اكتوبر ، وبعده توجه بريطانيا وفرنسا انذارا للطرفين ستقبله اسرائيل وترفضه مصر وحينئذ تبدأ عملية الغزو .

وبدأ العدوان الاسرائيلى فى ٢٩ اكتوبر ، وفى ٣٠ اكتوبر وجهت بريطانيا وفرنسا انذارهما ، وفى ٣١ اكتوبر بدأت عملية الغزو ..

وبدلا من أن تسير المظاهرات فى القاهرة ضد عبد الناصر سارت المظاهرات فى لندن ضد الحرب — ووجه **بولجانين** الانذار الروسى .. واشتدت المقاومة المصرية الشعبية ، وأخذ جمال عبد الناصر ينظم ويعد قوة شعبه وجيشه لتستعد لمقاومة شاملة .

وكانت نهاية المغامرة ، هزيمة ساحقة للمغامرين اذلتهم وأنهت تحالف فرنسا — بريطانيا ، واعادت بريطانيا الى حظيرة الولايات المتحدة فى المجال الدولى ، ولم يتمكن ايدن من أن يرفع الاصابع العربية التى ضغطت على قصبةبريطانيا الهوائية ، وهزمت فرنسا فى الجزائر ، ومات دالاس وماتت معه أمنيته باستعادة القناة من حلق عبد الناصر .. وفىنفس الوقت وبعد السويس بأقل من عامين كانت جماهير الشعب العراقى تحطم فى بغداد نظام نورى السعيد الذى قال لايدن ليلة تأميم القناة وفى حفل العشاء الرسمى .. « اضرب .. اضرب بقوة واضرب الان » .

■ **الوطن العربى**

وحدة القوى التقدمية والثورية

فى لقائه الثورى مع المبعوثين العرب فى مؤتمرهم بالاسكندرية — واصل المناضل جمال عبد الناصر شرح وتعميق مفهوم الشعار الذى رفعه من قبل — وكذلك بيان الصعوبات التى تقف عقبة فى سبيل وحدة القوى التقدمية الثورية فى العالم العربى — قال المناضل **عبد الناصر** « احنا نادينا بوحدة القوى الثورية والميثاق بيقول انه يمكن نعمل مجلس أعلى للقوى والمنظمات الثورية — ولكن احنا الحقيقة امامنا مشكلة — احنا علاقتنا بكل القوى الثورية الموجودة فى العالم العربى دلوقت كويسة — وهما بينهم وبين بعض فيه تناقضات كبيرة جدا — فى الحقيقة احنا نقعد كلنا مع بعض ونبحث هذا الامر مع بعض ، ودى طبعا عايزة جهد كبير جدا لغاية ميتصفى — والحقيقة التناقضات اللى حصلت بين القوى الثورية فى العالم العربى ساعدت على أن تسير الرجعية فى المخطط اللى سارت فيه ، ولكن رغم كده اعتقد ان القوى الثورية المعتمدة على التأييد الشعبى وعلى النضال الشعبى ستستطيع انها تعدى العقبات وحتى تعدى هذه العقبات — احنا اتصالنا يكون بهم على حدة » .

ويرى المراقبون ان الاسابيع القليلة الماضية قد شهدت تطورا هاما فى العمل من أجل تحقيق شعار وحدة القوى التقدمية الثورية الذى رفعه المناضل جمال عبد الناصر — فمن ناحية اتسعت دائرة المناقشات فى الصحافة وساهم فى المناقشة عدد كبير من المسئولين ومن قادة الرأى فىالجمهورية العربية المتحدة والبلدان العربية — ومن ناحية أخرى — اتاحت فرصة الاحتفال القومى بالعيد الرابع عشر لثورة يوليو — قيام « لقاءات مثمرة فى القاهرة بين عدد من المناضلين العرب الذين يمثلون التنظيمات والحركات الثورية فى مناطق متعددة فى الوطن العربى » — كما تم فى دمشق سلسلة من اللقاءات بين وفد من جبهة التحرير الجزائرية وممثلى حزب البعث السورى لمناقشة نفس القضية .

وعلى كثرة ما نشرته الصحف من مناقشات حول قضية وحدة القوى التقدمية والثورية — يعلق المراقبون اهمية خاصة على حديث **على صبرى** الامين العام للاتحاد الاشتراكىالعربى — نظرا لما تناوله هذا الحديث من مواقف محددة فى نقاط اساسية مطروحة للنقاش .

لقد استهل حديثه حول وحدة القوى الثورية والتقدمية تحديد طبيعة وابعاد الصراع الذى يدور فى الوطن العربى — بقوله — « ان التحول الاشتراكى الذى بدأ مع قوانين يوليو ٦١ ادخل الصراع مع الرجعية العربية مرحلة جديدة لان الثورة بدأت تأخذ ابعادا اجتماعية — فبعد وضوح التحول الاشتراكى فان الرجعيه العربية بدأت تشكل تجمعا له تخطيط متكامل يتحرك بواسطة الاستعمار — تخطيط رجعى استعمارى مشترك يضم كافة القوى الرجعية فى الوطن العربى وبقايا حلف بغداد مثل شاه ايران » ويرى « انه لابد من مواجهة هذا المخطط ولابد من تجميع القوى التى تؤيد ارادة التغيير فى العالم العربى لمصلحة الشعب » .

وفى الوقت الذى نادى فيه بعض الكتاب فى المناقشة الدائرة « بان وحدة القوى التقدمية كعمل سياسى مرهونه بعملمرحلى هو مواجهة وتصفية العمل الرجعى الاستعمارى » أكد السيد على صبرى فى حديثه بأن وحدة القوى التقدمية والثورية هى معركة مصير تتم على جبهتين الاولى فى مواجهة الخطر المباشر للتكتل الرجعى الاستعمارى وهى وحدة نضال وعمل مشترك

[illegible] كل ما يمس الشعوب العربية والقضية الثانية هى الوحدة العربية التى يجب أن تعيد النظر فى أسلوب تخطيطها وفى التخطيط من أجل الوصول اليها » .

ومن الواضح أن على صبرى يستند فى تحليله الى ما جاء فى الميثاق من أن « الجمهورية العربية المتحدة مطالبة بان تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية فى العالم العربى — انها مطالبة بأن تتفاعل معها فكريا من أجل التجربة المشتركة لكنها فى نفس الوقت لا تستطيع أن تفرض عليها صيغة محددة للتقدم » — كما قدم أيضا — تحديدا موضوعيا للموقف ولاسلوب تحقيق شعار وحدة القوى الثورية والتقدمية عندما قال « اننا لا نقيس الامور بمقياس مصر حتى ولا فى الدول التى تحكمها حكومات تقدمية متحررة — ولابد من أن نقبل التعاون فى هذه الحالة مع كثيرين من القوى التى قد تختلف معنا فى المفاهيم والافكار الثورية على أساس تقدير الظروف الموضوعية لهذه القوى فى كل بلد عربى والامل انه مع الزمن يتطور تفكير كل القوى التقدمية وأن تلتقى عند مفاهيم عامة مشتركة ويضيف سيادته « ان قبول هذا الوضع يعنى قبول تناقضات واضحة تناقضات على المستوى القومى وتناقضات على مستوى الوطن الواحد » .

وفى المناقشة الدائرة اتجاه من بعض الكتاب على اعتبار تجربة الاتحاد الاشتراكى العربى اساسا ومنطلقا لبدء عملية توحيد القوى الثورية واشترطوا لتحقيق الوحدة ضرورة الانتماء للاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر وقبول قيادته — ولكن الامين العام للاتحاد الاشتراكى العربى يرى طريقا آخر يضمن وحدة القوى الثورية وبناء التنظيم الواحد فيرى « ان الحل العلمى المؤكد لوحدة القوى التقدمية والثورية هو وحدة التنظيم السياسى فى العالم العربى ولكننا لا نستطيع ان ننادى الان بتنظيم قاعدته فى القاهرة وله فروع فى مختلف ارجاء الوطن العربى — لان المناداة بذلك يؤدى الى تقليل القوى التى تتجمع فى وحدة واحدة والظروف الموضوعية الان لا تخلق ارضا صالحة لاثبات هذه الدعوة » . وفى سبيل الوصول للحل العلمى المؤكد يرى انه « ليس امامنا الا حل واحد هو التعاون مع هذه القوى كل على حدة — نتقبل ونعترف بالتناقضات القائمة ولكنها تضعها جانبا الان حتى لا تشكل سدا فى طريق اللقاء ونحن نقدر صعوبة تجميع هذه القوى الان فى تجمع واحد ، وهذا يلقى علينا مسؤولية مضاعفة لانه يدفعنا الى اللقاء مع القوى التقدمية كل على حدة — ومحاولة الوصول الى حد ادنى من التفاهم المشترك الذى يبيح فى المستقبل تجميع القوى التقدمية الثورية » .

وفى المناقشة الدائرة — دعا بعض الكتاب الى ضرورة تصفية اخطاء الماضى وآثارها قبل التقدم فى تحقيق وحدة القوى الثورية — فجاء حديث على صبرى ليؤكد « انه يجب أن نترك الماضى ولا ننبش الذكريات المؤلمة وانما نناقش الحاضر وعيوننا على الهدف الذى نبتغيه — ومع هذا فانه لا يمكن نبذ الماضى وما فيه من تجارب وخبرات — هناك فرق واسع وعميق بين طرح خلافات الماضى وشرحها على مائدة اللقاء وبين مناقشة الحاضر ونحن محصنون بتجارب السنوات السابقة » .

وفى دمشق صدر بلاغ مشترك عن نتائج محادثات وفد جبهة التحرير الجزائرية وحزب البعث السورى جاء فيه « ان هناك خلافات فى وجهات النظر بين الحركات التقدمية والثورية فى العالم العربى حول النضال القومى والاشتراكى الا ان هذا الخلاف ليس عدائيا ولا يعتبر تناقضا اساسيا واللقاء والتفاعل بين القوى التقدمية العربية يجب ان يؤدى فى النتيجة الى صهر هذه القوى وتوحيد منطلقاتها النظرية على ان يتم ذلك على أساس ديمقراطى دون فرض استراتيجية مسبقة تصدر عن أى حركة من هذه الحركات — وان فرض مثل هذه الاستراتيجية يعتبر نوعا من الوصاية يؤدى الى نسف امكانية لقاء هذه القوى التقدمية .

وفى حديث للدكتور ابراهيم ماخوس نائب رئيس وزراء سوريا ووزير خارجيتها لجريدة أخبار اليوم القاهرية اكد « ان لقاء القوى التقدمية فى نظرنا يقوم على وحدة المصير العربى وبالتالى فهو لقاء استراتيجى وليس تكتيكيا عابرا كما يحدث بين الدول العربية لظروف طارئة — واضاف « ان وحدة العمل اليومى والمواجهة المشتركة لمعركتنا مع الرجعية والاستعمار وتبادل الخبرات فى مجال التحول الاشتراكى والتنظيم الشعبى سوف يتطور من خلال المعركة الى الهدف النهائى وهو وحدة الفكر ووحدة الارادة » .

وساهم فى المناقشة الدائرة السيد احمد محمد النعمان رئيس وزراء اليمن الاسبق وعضو المجلس الجمهورى اليمنى السابق بقوله « لكى يتحقق لقاء كاملا يحقق آمال الامة العربية فى الوحدة الشاملة ويغير واقعها تغييرا شاملا وجذريا علينا ان نلتزم بهذا المنهج العلمى للتغيير الاجتماعى لواقع الامة العربية » .

أما محمد حسنين هيكل فيقترح انه : « بعد أوسع واعمق اتصالات ممكنة بكل القوى الثورية العربية ، يقوم الاتحاد الاشتراكى العربى بوضع ميثاق أو منهاج أو بيان بأهداف العمل الثورى العربى ، محدد او مفصل بالقدر الذى تسمح به ظروف المرحلة الراهنة فى النضال العربى — ميثاق يتضمن الاجابة على اسئلة تلح على الشعب العربى » ثم يقترح « قيام عملية تعارف بين كل القوى الثورية على المستوى الشخصى وعلى المستوى الفكرى وتحقيق ذلك بزيارات تتبادل ولا تنقطع . ولابد من ندوات متكررة عن مشاكل عربية عامة ، تستهدف المزيد من الاستطلاع والتحديد كمشكلة الطوائف والتركيب الطبقى لكل مجتمع عربى ، ودور الجيوش فى الحركة الوطنية عموما وفى الثورة العربية خصوصا » كما يرى أيضا انه « لابد من أن تقترب القوى الثورية العربية أكثر وأكثر من التجربة المصرية الشاملة — ان الاقتراب النظرى والعملى والنفسى من التجربة المصرية : يستطيع أن يكون ارضا خصبة لعملية تفاعل فكرى يمكن ان يحدث تغييرات حاسمة فى ميدان اللقاء العربى الثورى كله » .

ويقول عبد الفتاح أبو الفضل « ان اللقاء المنشود مهما يكن الشكل التنظيمى الذى سيتخذه بحاجة الى منبر يعبر عنه أى الى جريدة — بل ربما كانت هذه الجريدة هى بداية العمل التنظيمى وقال لنبدأ بجريدة ونشكل لها مجلس تحرير يمثل كل الحركات الثورية فى الوطن العربى وعلى صفحاتها يتم توضيح الوضع الفكرى حول القضايا الرئيسية فى الثورة العربية — كما دعا سيادته لانشاء محطة اذاعة عربية موحدة يديرها الثوار العرب » .

ومن السودان يرتفع صوت الكاتب السودانى عبد الخالق محجوب قائلا « لقد استطاعت القوى الثورية أن تكتشف الشعار الضرورى لمواجهة الصعوبات فى الشق الاخر فطرحت فى أعلى مستوياتها فى الجمهورية العربية المتحدة وعلى لسان الرئيس عبد الناصر شعار وحدة القوى الثورية والتقدمية — وهذا ليس شعارا تاكتيكيا لمجرد مواجهة الهجوم الرجعى الاستعمارى بل هو تعبير عن احتياج تاريخى ثابت للثورة العربية فى وثبتها الجديدة المتميزة بتلاحم الثورة الاجتماعية بالثورة الوطنية ، وتقدم باقتراح انشاء صحيفة على النطاق العربى بتعاون كل القوى الثورية ، مهمتها نشر أنباء نضال الثوريين واثارة قضايا التآزر معهم على نطاق شعبى

ان الفقرات المختصرة — من الافكار النضالية التى طرحها المسئولون وقادة الرأى العام والمشتغلون بالعمل الوطنى والقومى تظهر الى أى مدى يرتفع هؤلاء جميعا بمستوى المعركة فكريا وسياسيا — وتظهر الافكار المعروضة هنا مدى جدية وخصوبة وعمق المناقشة الدائرة وحرص الاطراف المختلفة باصرار وصبر ثورى — على الوصول الى نقط الالتقاء وتطويرها — بالرغم من كل العقبات والصعوبات — ولا ينتقص هذه الصورة المشرقة بالامل ولا يشوه روعتها ارتفاع بعض الاصوات الناشزة التى تقاوم فى يأس واضح الجهود المبذولة

لتقارب وتلاحم القوى الثورية وراحت تعمل جاهدة على الايقاع بين القوى الثورية وضربها ببعضها البعض .

ولعل مقال **احمد سعيد** فى اخبار اليوم خير دليل على هذا النوع من الاصوات الغريبة — فوسط هذا الاندفاع الثورى نحو وحدة القوى الثورية والتقدمية على اختلافها — يرتفع صوت أحمد سعيد ليشكك فى جدوى وحدة القوميين العراقيين مع الشيوعيين أو البعثيين — ويتساءل عن ضمانات الصدق فى بيانات الدعوة للوحدة التى تصدرها هؤلاء الاطراف ويقول « ان الجماهير وقيادتها القومية فى العراق ستبقى دائما تتشكك فى مثل هؤلاء الحلفاء وخاصة الجانب الشيوعى مهتم باختلافاتهم العقائدية مع الاشتراكيين القوميين — ويحذر القيادة الثورية القومية الاشتراكية من تحمل مسئولية رد الاعتبار الى هذه التنظيمات واضفاء الشرعية على عملها السياسى مستقلا عنها أو مندمجا معها فى جبهة أو مدعيا لذوبانه فيها وانضوائه تحت لوائها » .

●

■ **باريس**

اللغز الرئيسى والالغاز الصغرى ؟



جان فوبيه وزير العدل الفرنسى ، رسالة الى المحكمة المخصصة لمحاكمة المتهمين باختطاف زعيم المعارضة المغربى **المهدى بن بركة** اوضح فيها ، ان **جورج بومبيدو** رئيس وزراء فرنسا ، **وروجيه فراى** وزير الداخلية ، لا يمكن ان يدليا بشهادتيهما الا خارج المحكمة ، وبواسطة قاض كبير هو رئيس محكمة الاستئناف وعن طريق اسئلة مكتوبة . وكان ذلك ردا على الطلب الذى تقدمه المحامون عن اسرة بن بركة باستدعاء جورج بومبيدو وروجيه فراى للشهادة على اساس ان التدابير التى اتخذت فى الايام التالية لحادث الاختطاف كانت من « اعمال الحكومة » وان هذه التدابير هيأت لكثير من الشخصيات الضالعة فى القضية مثل الجنرال **محمد اوفقير** وزير داخلية المغرب ، الافلات من قبضة البوليس الفرنسى .

وقد كشفت اسئلة مسيو **جان بيريز** رئيس المحكمة عن عدة حقائق جديدة اذ اتضح من سؤال **مارسيل ليروا** (الكولونيل فانفيل) ان الادارة السرية لمكافحة التجسس كانت على علم بمناورات « الاقترات المقلق » من جانب عملاء اوفقير نحو شخص المهدى بن بركة وذلك منذ ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٦٥ وان فانفيل نائب رئيس ادارة مكافحة التجسس لقد وافق على استخدام اساليب غير مشروعة ضد بن بركة ، وقد اعترف المتهم **انطوان لوبيز** « الملك غير الرسمى » لمطار اورلى الفرنسى ، بذلك . كما اتضح ايضا ان لوبيز لم يكن فحسب عميلا لوكالة المخابرات الفرنسية ، وانما ايضا عميلا لوزارة الداخلية المغربية ، وفى المقام الاول كذلك عميلا لمنظمة الجيش السرى الاوروبية ، كما ان جميع معاونيه من رجال العصابات ، من اعضاء هذه المنظمة .

الا ان هناك عدة الغاز فى القضية ، لم يكشف عنها التحقيق بعد حتى كتابة هذا التقرير مثل « المسئول » الفرنسى الذى ادعى انه تكلم تليفونيا من مكتب مسيو **اوبير** مدير مكتب وزير الداخلية الفرنسية ، لا يزال مجهولا ، ولم يعرف احدا عما اذا كان هذا المتكلم الذى اعطى اشارة البدء « **للوى سوشون** » رجل البوليس الفرنسى ، هو مسيو اوبير نفسه او احدا فى مكتبه ؟ كذلك لم يعرف بعد سر مصرع **جورج فيجون** ، هل كان انتحارا ام اغتيالا ؟ ولا سر المكالمات



● **اوفقير**

التليفونية للجنرال اوفقير بين الرباط — جنيف — باريس — ثم داخل باريس بعد ان حضر فى اليوم التالى للاختطاف ، حتى غادرها فى الخامس من نوفمبر سنة ١٩٦٥ . كذلك لم يعرف بعد كيف واين هرب **بوشسيش ولونيه وباليس** اللذين كان الاولين منهما فى السيارة التى كانت تسبق السيارة التى خطف فيها بن بركة . واخطر شىء لم يعرف بعد حتى الان ، هو مصير **المهدى بن بركة** نفسه بعد اختطافه من باريس وحمله الى فيللا بوشسيش رجل العصابات وتجارة الرقيق فى باريس .

الا انه مما عمق الابعاد السياسية لهذه القضية السياسية فى منشأها ، هو توكيل لوى **تكسييه فينيانكور** المرشح لرياسة الجمهورية الفرنسية ضد الجنرال **شارل ديجول** محاميا عن المتهم **انطوان لوبيز** . فتكسييه فينيانكور ، ابرز زعماء اليمين الفرنسى المتطرف ، وكان مرشحه بتأييد قوى من منظمة الجيش السرى الاوروبية فى انتخابات رياسة جمهورية فرنسا الاخيرة فى ديسمبر ١٩٦٥ والتى لم يتمكن من الحصول خلالها سوى على ٥ ٪ من اصوات الناخبين ، وقد دافع فينيانكور من قبل عن الانقلابيين الارهابيين الذين عملوا ضد ديجول من الجزائر قبل الاستقلال ، ومن المعروف انه « محامى منظمة الجيش السرى الاوروبية » . وهناك عدة ملاحظات ، لاحظها المراقبون بالنسبة لهذا التوكيل ، هو انه تم بعد عودة فينيانكور من رحلة مفاجئة قصيرة الى المغرب ، ولذا يرجحون ان لهذه الرحلة صلة بالدفاع عن لوبيز ، كما انه ليس فى مقدور انطوان لوبيز الذى شكى للمحكمة فقره وافلاسه ان يوكل عنه فينيانكور الذى يتقاضى عن مرافعاته اجرا باهظا يبلغ قدر الاجر المادى حوالى ستة مرات . وهناك عدة آراء تتردد بين المراقبين بشأن توكيل فينيانكور ، عن لوبيز ، منها انه ليس سوى حيلة قانونية يقوم خلالها فينيانكور بالدفاع عن الجنرال اوفقير الذى لا يستطيع ان يقدم محاميا عنه ، لانه لا يستطيع المثول بين يدى المحكمة ، وان الغرض من هذا التوكيل هو حصر الاتهام فى البوليس الفرنسى وجهاز مكافحة الجاسوسية دون السلطات المغربية كلية . كما ان توكيل المغرب لفينيانكور خصم ديجول السياسى انما هو رد من جانبه على عدم استجابة الحكومة الفرنسية لوساطات شاه ايران والملك حسين التى استهدفت اعادة التحقيق لصالح المغرب بحيث يخرج اوفقير من القضية ، او على اقل تقدير ، تحويل ملف القضية بالنسبة للمتهمين المغاربة الى القضاء المغربى ليتولى هو وحده محاكمتهم . كما ان هناك رأيا يقول ان توكيل فينيانكور

البارع ، انما يستهدف وقف تدهور النفوذ لوبيز واعترافاته المتكررة ــ والتى لوحظت فى الجلسات الاخيرة ــ والتى القت ظلالا على دور كل من **اوفقير والدليمى وشتوكى** .

هذا وقد كتبت **جوزيت اليا** المبعوثة الخاصة لمجلة « النوفيل اوبزرفاتير » الفرنسية الى الرباط تقول : ان القصر الملكى هنا يقدر خطورة الموقف : لانه يعلم ان السنة القادمة ستكون قاسية ، قاسية جدا ، واقسى السنوات منذ حوالى ١٠ سنوات مضت : فمحصول القمح غير كاف ، ويلزم استيراد حوالى ٥٠ ٪ من كمية المحصول المعتاد ، كما ان المساعدة المالية الفرنسية لعام ١٩٦٦ ، لم تناقش بعد حتى الان ، والوضع يفترض وجود مخرج للـ ٦٠ ٪ من المنتجات المصدرة عادة من المغرب والتى تشتريها فرنسا . ولذا فان المشكلة صعبة ، واننا لو عملنا حسابا للموقف فان هذا الاغتيال السياسى يغدو مرتفع الثمن هذا العام . هذا وكانت الحكومة المراكشية قد ارسلت من قبل السيدين **احمد رضا جديرة** ، والسيد **محمد شرقاوى** وزير خارجية المغرب ، الى فرنسيا للتباحث مع

تعليق

التنظيم النقابى وانجاز الخطة الثانية

ان شعار المرحلة الذى يجب وان تعبأ كل قوى الشعب العامل لتحقيقه ــ هو انجاز الخطة الثانية بكفاءة وفى مدة تقل عن المدى الزمنى المحدد لها ، بكل الطاقة التى يستطيع الجهد الوطنى تحملها .

والقاعدة العريضة لانجاز هذا الشعار هى العمال فى وحداتهم الانتاجية ــ فى الوحدات الصناعية وفى وحدات الخدمات .. وليفى العمال بمسئولياتهم لانجاز هذا الشعار لابد وان ينطلقوا فى المعركة منظمين فى نقاباتهم باعتبارها المنظمات الجماهيرية الديمقراطية القادرة على تنظيم كل مراتب الجماهير العاملة ــ والتى يمكن للتنظيم السياسى ان يحقق قيادته اليومية لمعركة الانتاج بفاعلية بالاعتماد والارتكاز عليها .

ومن هنا يجب على التنظيم النقابى ان يعى دوره وواجباته حيال الخطة .. وهذا الدور يتطلب تعبئة سياسية وعلمية وفنية واجتماعية لجماهير العاملين ــ لان هذه الجماهير العاملة فى اجهزة الانتاج بمختلف مستوياتها وقطاعاتها ــ عمالا او ادارات او اجهزة فنية ــ هى التى تلمس اكثر من غيرها مدى امكانية وقدرة ادوات الانتاج التى تعمل بها على الوفاء بما هو مطلوب منها انجازه وهى التى فى امكانها ان تحدد بدقة واقعية احتياجات مشروعاتها المادية والفنية لتصل بالخطة الى ما تستهدفه .

فى خلال الخطة الخمسية الاولى لم يكن للتنظيم النقابى اى دور ملموس فى انجازها ، بل لقد كان بعيدا الى حد كبير عن عملية البناء بشقيها ــ بناء الاقتصاد وبناء الانسان .

ورغم ان قانون التنظيم النقابى الصادر فى ١٩٦٤ نص على : « انه للعمال حق تكوين نقابة عامة تعمل على رفع كفايتهم الانتاجية وعلى تمكينهم من الاسهام فى التطوير الصناعى .. » فان النقابات العامة التى انشئت بعد هذا القانون لم تقم بأى عمل يذكر فى هذا المجال .. اللهم الا بعض المؤتمرات التى اكتفت باتخاذ قرارات وتوصيات .

ان المطلوب من التنظيم النقابى اليوم ليس هو الحديث ــ مجرد الحديث ــ عن الخطة وضرورة المساهمة فى انجازها ولكن المطلوب منه هو المساهمة الايجابية بالاعمال .

وعلى التنظيم النقابى ان يعمل من اجل :

١ ــ التعاون مع ادارة الوحدات الانتاجية لتنفيذ برامج لتدريب العمال ولبحث وسائل تطوير اساليب العمل وطرقه والمشاركة فى تنظيم المناقشة الاشتراكية والتى تعتبر النقيض للنظرة الفردية الذاتية المتخلفة والتى كان ينظر بها العامل الى العمل فى ظل النظم القديمة السابقة على الاشتراكية .

٢ ــ المساهمة فى انشاء مراكز للتدريب وتعليم العمال ــ ويقتضى ذلك توجيه ميزانية النقابات لتخدم هذا الغرض ، لتكوين الكوادر الفنية والماهرة ــ وهو ما تحتاجه الخطة الثانية التى تفوق فى حجمها واعتماداتها واحتياجاتها ضعف الخطة الاولى .

٣ ــ رفع الكفاية الفكرية للعمال باعتبارها قاعدة هامة فى رفع الكفاية الفنية ويتطلب ذلك تنظيم العمل من اجل محو الامية والتى ترتفع نسبتها بين العمال والفلاحين . ان دور النقابات يجب ان يتحول الى دور لنشر نور المعرفة وللارتفاع بالمستوى الفكرى والثقافى لجماهير العاملين العريضة حتى يشاركوا مشاركة واعية فى العمل الوطنى وفى مواجهة كافة التحديات والصعاب التى تواجه عملية بناء قاعدة الاشتراكية .

٤ ــ وليتمكن التنظيم النقابى من القيام بهذا الدور المطلوب منه فى معركة انجاز الخطة الثانية ــ وليتمكن من تعبئة جماهير العمال وقيادتهم فى هذه المعركة لابد وان يهتم بالخدمات الاجتماعية ويعمل على تطويرها بالنسبة لاعضائه . الامر الذى اهملته النقابات طيلة العامين الماضيين الا فى حدود ضيقة . اننا يجب الا ننظر الى الخدمات الاجتماعية بنفس العين التى ننظر بها الى الاعمال الخيرية ، بل يجب ان تقدرها على اساس انها من العوامل الهامة والرئيسية فى رفع معنويات العاملين وتوسيع آفاقهم ومداركهم .

٥ ــ وانه لكى ننطلق بكل قوتنا فى معركة الانتاج لابد من توفير كافة عوامل الاستقرار الصناعى فى الوحدات الانتاجية ، الامر الذى يتطلب نشاطا واعيا من اجل حل المشاكل الخاصة بمطالب العاملين وحقوقهم دون مزايدات بما لها من آثار ضارة على الانتاج ، وخاصة فى الشهور القادمة التى تسبق اجراء الانتخابات للدورة النقابية الجديدة .

ان المطلوب من التنظيم النقابى ان ينهى عزلته عن عملية الانتاج ــ هذه العزلة التى تفرضها عليه العقليات والفكريات البيروقراطية والمتخلفة والتى تعتبر العمل النقابى مجرد مطالبة قانونية او كتابة عرائض او قضاء مصالح شخصية ليس الا ..

ان ذلك يوجب على الاتحاد الاشتراكى ان يولى قضية الاحياء الديمقراطى الثورى للتنظيم النقابى اهتماما خاصا وهو يخوض معركة الانتاج والبناء .. ان مهمة تقديم جيل قيادى جديد للتنظيم النقابى واع بطريق الثورة وابعاده العميقة التى رسمها ميثاق العمل الوطنى مهمة عاجلة يجب حسمها بطريقة ثورية وديمقراطية وجماهيرية .

عبد المنعم الغزالى

الحكومة الفرنسية ولتوضيح الاخطار المترتبة عن الهجمات المتكررة على جنرال اوفقير ، والتى لن تؤدى الا الى دفع الملك الى مزيد من التضامن مع وزير داخليته . الا ان دوائر باريس الرسمية تعتقد ، انه بسبب الاوضاع الاقتصادية ، ليس من الممكن قيام قطيعة مراكشية ـ فرنسية طويلة المدى .

هذا وقد اوضح مسيو موريس كلافيل على صفحات النوفيل اوبزرفاتير الفرنسية ، انه كان يجب على المسئولين الفرنسيين لصالح النظام الديجولى ، الذى يؤسس سياسته العالمية على صداقة العالم الثالث كان يجب عليهم ، اغلاق الحدود الفرنسية والقبض على القتلة المذنبين سواء كانوا شخصيات رسمية فرنسية او وزراء اجانب او مدنيين . وان عدم القيام بذلك انما يعتبر « عملا موجها ضد ديجول ، وضد انصاره ، وضدنا نحن الفرنسيين من آخرين اجانب ، باعثهم لم يكن فى الحقيقة سوى تلك الكراهية الفاشستية ازاء احد الثوار » .

وقد أثارت قضية بن بركة موضوع الاغتيالات السياسية عامة ، فقد بعث السيد ابراهيم طوبال رئيس الوفد الخارجى للمعارضة التونسية الوطنية ، بمذكرة الى النائب العام الفيدرالى فى ألمانيا الغربية ، طالب فيها بفتح ملف قضية اغتيال الشهيد صالح بن يوسف ، زعيم المعارضة التونسية والامين العام للحزب الحر الدستورى التونسى اذ اغتيل صالح ابن يوسف يوم ١٢ اغسطس سنة ١٩٦١ فى فندق رويال بفرانكفورت ، وتوصلت المعارضة التونسية نتيجة لبحث دام خمس سنوات خارج تونس وداخلها الى معلومات تكشف عن مديرى ومنفذى جريمة الاغتيال ، وهذه المعلومات مسجلة فى احاديث لبعض المسئولين التونسيين الحاليين كما انها مسجلة فى وثائق خطية .

وكان النائب العام الفيدرالى الالمانى قد أعلن حينذاك ، أن مرتكبى الحادث شخصان يحملان جوازى سفر تونسيين . وبعد أيام قليلة وبطريقة تدعو الى التشكك ، أغلق التحقيق . ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى حاول فيها عملاء الحبيب بورقيبة اغتيال صالح بن يوسف ، اذ سبق أن لاحقوه فى القاهرة ، وحاولوا اغتياله مرتين ، احداهما بوضع حقيبة مملوءة بالديناميت أمام منزله ، والاخرى باطلاق الرصاص عليه ولكنه نجا فى الحالتين .

وتضمنت المذكرة المرسلة للنائب العام الالمانى أسماء عشرة متهمين و ٢٣ شاهدا طلبتهم المعارضة للادلاء بأقوالهم فى القضية . ومن بينهم عدد من وزراء تونس الحاليين وسفرائها فى الخارج . وقد صرح ابراهيم طوبال بأن هناك ٣ من النواب الالمان وصحفيين ألمانيين يعملون الان للضغط على حكومة ايرهارد لفتح ملف القضية أسوة بموقف العدالة الفرنسية من قضية الزعيم المغربى المهدى بن بركة . وقد هدد أحدهم الحكومة الالمانية الغربية بأنه سيثير ضجة فى البرلمان ، اذا لم تتحرر العدالة الالمانية من الضغط الامريكى الذى طمس القضية فى عام ١٩٦١.

●

■ تنزانيا

خطوة جديدة فى طريق اللقاءات الثنائية

تعتبر زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لتنزانيا حلقة جديدة من سلسلة اللقاءات الثنائية التى يعقدها الرئيس عبد الناصر منذ انعقاد مؤتمر القمة الافريقى فى أكرا ١٩٦٥ وما أعقبه من زيارات لكل من غانا وغينيا ومالى ولقائه بكل من كوامى نكروما وأحمد سيكوتورى وموديبوكيتا ويعد المراقبون الافريقيون هذه اللقاءات الثنائية انسب الجهود



● نيريرى

فى هذه المرحلة من تطور الثورة الافريقية والمصاعب التى تلقاها حيث يصعب الوصول الى نتائج ايجابية فعالة لصالح الثورة الافريقية من خلال الاجتماعات الواسعة .

ولا تنبع أهمية هذا اللقاء الجديد بين أكثر القيادات ثورية فى شمال افريقيا وفى شرقها ، من مجرد ما تمثله كلا القيادتين من ثقل سياسى هام فى القارة فحسب ، وانما يكتسب هذا اللقاء أهمية خاصة لانعقاده بعد سلسلة من الاحداث الهامة التى أثرت بشكل ملحوظ فى تطورات الثورة الافريقية . فهو أول لقاء بين عبد الناصر ونيريرى يتم بعد اعلان الاقلية العنصرية البيضاء لاستقلال روديسيا من جانب واحد وما أعقب ذلك من تطورات بالغة الاهمية والتعقيد . كما أنه يتم بعد وقوع سلسلة الانقلابات العسكرية التى شهدها غرب افريقيا وبشكل خاص انقلاب غانا الذى أحدث تغيرا فى علاقات القوى بالقارة . ويتم أيضا بعد قيام أعمال الاضطراب والتوتر فى منطقة شرق افريقيا وبخاصة فى كينيا وأوغندا ، وفى وسطها كما حدث فى الكونجو برازافيل . وهو يسبق كذلك اجتماع مؤتمر القمة الافريقى المزمع عقده فى ٥ نوفمبر القادم فى أديس ابابا ، ولهذا يقدر المعلقون السياسيون أهمية مثل هذا اللقاء الذى يتوقعون تكراره مع قيادات ثورية أخرى .

ومعروف أن هناك مواقف نضالية مشتركة وموحدة تربط بين الجمهورية العربية المتحدة وتنزانيا . فقد سارعت كلا الدولتين الى تنفيذ توصيات مؤتمر وزراء خارجية دول منظمة الوحدة الافريقية بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا بسبب تواطؤها مع حكومة العنصريين فى روديسيا . كما قطعت الدولتان علاقاتهما الدبلوماسية بألمانيا الغربية لنشاطها المعادى لشعوب افريقيا والشعوب العربية . وتساند الدولتان حركات التحرر الوطنى الافريقية ماديا وسياسيا فى كفاحها من أجل استقلال بلادها . وتتخذ لجنة التحرير التابعة لمنظمة الوحدة من دار السلام (العاصمة) مقرا لها ومركزا لنشاطها .

وتنزانيا هو اسم الدولة الجديدة التى قامت فى ابريل ١٩٦٤ بين تنجانيقا (السكان : حوالى ١/٢ ١٠ مليون . الاستقلال : ديسمبر ١٩٦١ . اعلان الجمهورية ديسمبر ١٩٦٢) وزنزبار (السكان : حوالى ٣/٤ مليون ، الاستقلال : ديسمبر ١٩٦٣، الثورة ضد السلطان : يناير ١٩٦٤) وقد روعيت الخصائص الاقليمية لكل من الدولتين فرغم أن الدستور ينص على نظام الحزب الواحد الا أن حزب الاتحاد الوطنى الافريقى لتنجانيقا

(الثانو) الذى قاد كفاح شعب تنجانيقا منذ عام ١٩٥٤ وزعيمه نيريرى ما زال قائما الى جانب حزب الافروشيرازى فى زنزبار وزعيمه عبيد كرومى رئيس جمهورية زنزبار سابقا ونائب رئيس تنزانيا . وتعقد اجتماعات مشتركة لاعضاء اللجنة التنفيذية العليا للحزبين لتخطيط السياسة العامة لتنزانيا . وتشترك اللجنة العليا لكل من الحزبين فى اجتماعات المؤتمر السنوى العام للحزب الاخر دون أن يكون لها حق التصويت . وذلك عملا للدمج الكامل بين الحزبين . ويوجد فى تنزانيا برلمان ينتخب شعب تنجانيقا ١٠٧من مجموع نوابه (١٣٩) ويقوم اعضاء مجلس الثورة فى زنزبار (٣٢ عضوا) بتمثيل شعب زنزبار فى البرلمان.

وتنهج تنزانيا طريق الاشتراكية التى يردها نيريرى الى المجتمع الافريقى القديم ويستخدم كلمة ((الاوجاما)) (تعنى بلغة السواحيلى الاخوة أو المشاركة العائلية) فى التعبير عما تعنيه وهو يدين الرأسمالية والملكية الفردية للثورة ويعتبرهما أساس الاستغلال . وقد كتب فاكلاف بلوستيل فى مجلة قضايا السلم والاشتراكية يصف الاشتراكية التى يطبقها نيريرى بأنها «على الرغم من أنها تعارض الاشتراكية العلمية ايديولوجيا ، الا أنها تعمل ضد السيطرة والاستغلال الاجنبى وتتخذ بعض الاجراءات التى تتفق عمليا مع الاشتراكية العلمية » ومن المعروف ان كل الارض فى تنزانيا مؤممة وغير قابلة للبيع أو للشراء . كما أممت الدولة السكك الحديدية والسفن والخطوط الجوية والموانى ومحطات توليد القوى ولها ٥٠ ٪ من مناجم الماس و ٨٠ ٪ من الملاحات ومعظم الفنادق وتشارك بنصيب كبير فى صناعة اللحوم المحفوظة . وتقوم الحكومة بتنفيذ خطة للتنمية على مدار ١٥ عاما تهدف الى زيادة دخل الفرد فى عام ١٩٨٠ من ٢٢ر٥ جنيه استرلينى فى السنة الى ٤٥ جنيها استرلينيا وأهم حاصلات تنزانيا السيسال والقرنفل والقطن وأهم ثرواتها الماس وأهم صناعاتها اللحوم المحفوظة والمنسوجات . وتعمل تنزانيا على مكننة الزراعة وتطوير صناعاتها .

■ جنوب افريقيا

كم من الوقت سيبقى فورستر ؟

تولى بالتازار يوهانس فورستر رئاسة وزراء جنوب افريقيا فى منتصف الشهر الماضى . ويتوقع المراقبون أن تكون جنوب افريقيا فى الفترة القادمة مسرحا لكثير من أعمال الاضطراب والعنف والانفجارات الدموية ويردون هذا الاحتمال لما يمثله فورستر كواحد من ابرز اعضاء الجناح العسكرى فى الحزب الوطنى الحاكم . وكان فورستر أصلا من الاعمدة الاساسية لمنظمة أوسيفا براندفاج الفاشية التى كانت تعمل فى جنوب افريقيا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . كما انه قضى ١٨ شهرا فى معسكر للعزل بتهمة النشاط النازى . وهو واحد من زعماء منظمة البرودربوند (أى الاخوة) السرية التى تقوم بتخطيط سياسة الحكومة واختيار اعضائها ورئيسها دون أن تعلن عن وجودها وتضم ٣٠٠٠ عضو وتعقد مؤتمرا كل عام .

وقد تم اختيار فورستر ، الذى كان يشغل منصب وزير العدل فى حكومة هندريك فيرورد السابقة ، بعد اغتيال الاخير بينما يتأهب ـ وهو فى مقعد رئيس الوزراء فى البرلمان ـ لالقاء أول خطاب له فى البرلمان بعد فوز حزبه فى انتخابات مارس الماضى واعادة رئاسته للوزارة ، وحيث كان ينوى المطالبة برفع ميزانية الدفاع . وفى هذه الاثناء قام ديمتريو تسافنداكس (جاء الى جنوب افريقيا من مدة قصيرة وكان يعمل ساعيا فى البرلمان وهو من مواليد موزمبيق وعمل بها لفترة ثم رحل الى امريكا وطرد منها ثم انتقل الى البرتغال وحاول دخول اسرائيل وأقام فترة فى بريطانيا ثم استقر فى جنوب افريقيا ـ أبيض ويعرف ٨ لغات) ، باغماد سكين فى عنق فيرورد انهت حياته ، وكان فيرورد قد تولى رئاسة الوزارة منذ عام ١٩٥٨ . وطوال الحرب العالمية الثانية كان رئيسا لتحرير جريدة ((دى ترانسفالير)) ، لسان حال الحزب الوطنى ، التى كانت بوقا للنازية . وقد صدر ضد جريدته حكم فى ١٩٤٣ باغلاقها لانها ((تؤيد الدعاية النازية .. وهو يعمل كل ذلك عن عمد)) . وكانت الصحافة الغربية تصفه على انه ((مصدر اطمئنان البيض فى جنوب افريقيا)) . ويعد فيرورد ((مهندس)) سياسة العنصرية و ((الابارثيد)) (أى المجتمعات المقفولة) فقد خطط مشروع البانتوستان فى ٨ مناطق يعيش فيها الافريقيون معزولين عن البيض ولاينتقلون من منطقة الى أخرى وتقام فى كل منطقة حكومة منهم خاضعة لحكم البيض . وقد نفذ مشروعه هذا فى منطقته ترانسكى (شرق اقليم الكاب) ولم ينجح أمام مقاومة الوطنيين من تنفيذ مشروعه الا فى هذه المنطقة . كما كان يطمع فى ضم محميات باسوتولاند وسوازيلاند وبتشوانالاند لهذا المشروع .

ومن الملاحظ أن حكم فيرورد كان يلقى فى الفترة الاخيرة كثيرا من المصاعب فى الداخل حيث اشتدت مقاومة الوطنيين لاعتى النظم العنصرية فى افريقيا واحتدم صراعها مع النظام القائم . كما كان يلقى هجوما متزايدا من قبل الدول الافريقية المستقلة والمتحررة بسبب موقفه من حكومة العنصريين البيض فى روديسيا الجنوبية حيث يعد مدعمها الاول وسندها الاساسى وكان يمدها بالمعونات الاقتصادية والبضائع وشحنات البترول رغم قرار مجلس الامن بتوقيع العقوبات الاقتصادية بحكومة أيان سميث . وكان فيرورد يخطط لتحويل جنوب افريقيا بأسره الى منطقة عنصرية فى مواجهة الثورة الافريقية الزاحفة من شمال القارة مارة بوسطها . وبهذا كانت الاوضاع فى جنوب افريقيا تهدد بانفجار دموى حاد وفعلى لايستطيع أحد التنبؤ بنتائجه وان أجمع كل المراقبين السياسيين على أن هذا الانفجار المحتمل كان من الممكن أن يعصف بكل النفوذ الاقتصادى والسياسى الاجنبى . ومعروف أن فى جنوب افريقيا قوتان اقتصاديتان رئيسيتان، مؤسسات المناجم المعروفة «بامبراطورية أوبنهايمر » وتسيطر عليها رءوس أموال انجليزية وأمريكية (١٠٠٠ مليون دولار) وتحقق أرباحا قيمتها ٢٠٪ من قيمة رأس المال سنويا . وكبار ملاك الاراضى من ((الافريكانرز)) ـ من أصل هولندى ـ وتبلغ نسبة أموالهم المستثمرة نحو ١٥٠٠ مليون دولار . وكان فيرورد ـ والحزب الوطنى ـ يمثل هذه القوى من كبار الملاك المنافسة لمؤسسات المناجم اقتصاديا .

والسؤال الذى تثيره تطورات احداث جنوب افريقيا هو : لحساب من قتل تسافنداكس فيرورد ؟ وقد ردت بعض الصحف والاذاعات الحادث الى مجموعات من البيض الاكثر تطرفا من فيرورد والتى كانت تنظر اليه ـ رغم كل اساليبه البشعة ضد الافريقيين ـ باعتباره ((معتدلا)) وتذهب الى حد وصفه بأنه ((عاشق الزنوج)) . ولكن معظم المعلقين والمراقبين السياسيين رجحوا بأن للمخابرات الامريكية والانجليزية يد فى الحادث ، بعد أن وصلت الاوضاع فى جنوب افريقيا الى حد يهدد معه بانفجار حاد قد يودى بمصالح امريكا وبريطانيا . ويعتقد هؤلاء المراقبين أن مقتل فيرورد فى مقعد السلطة وأمام زملائه ورجاله ، قد قصد به تهديدهم بنفس المصير ان هم غالوا فى سياستهم العنصرية الى الحد الذى يهدد بحروب داخلية تعصف بالنظم الموالية للاستعمار فى هذه المجتمعات . كما قصد به فى نفس الوقت امتصاص بعض من الشعور العام بالسخط

لدى الافريقيين ضد النظام القائم فى جنوب افريقيا .

ويميل المراقبون السياسيون الى الاعتقاد بأن فترة من الاضطراب والتوتر ، قادمة لا محالة فى جنوب افريقيا . ويرجعون هذا الاحتمال الى السياسة التى من المتوقع أن يتبعها فورستر ومايمكن أن يترتب عليها من رد فعل فى البلاد. ورغم انهم يعتقدون بأن سياسة العنصرية ستتفاقم فى جنوب افريقيا فى الفترة القريبة المقبلة ، الا أنهم يؤمنون بأن هذه الفترة لن تطول بل على العكس ستزيد من كفاح الوطنيين الوطنيين الافريقيين وتقويه . وتقول الايكونوميست البريطانية انه « رغم عنف زملاء ورجال فيرورد الا أنهم جميعا ليسوا من قدرته وكفاءته فى الحكم أو العمل » .

ويقود الحركة الوطنية فى جنوب افريقيا ثلاثة احزاب هى : حزب المؤتمر الوطنى الافريقى والحزب الشيوعى (وهما حزبان قويان ويتمتعان بنفوذ جماهيرى كبير . ويشترك أعضاء الحزب الشيوعى فى المؤتمر الوطنى باعتباره جبهة وطنية ولهم تأثير واضح داخل الحزب) . وحزب مؤتمر الجامعة الافريقية ويعيب عليه الحزبان الاخران أنه يقوم على اساس عنصرى كرد فعل لسياسة التفرقة العنصرية من جانب البيض .

وجدير بالذكر أن الجمعية العامة للامم المتحدة ستنظر قريبا فى قضية جنوب غرب افريقيا بعد أن رفضت محكمة العدل الدولية وحكومة جنوب افريقيا فى اغسطس الماضى طلب اثيوبيا وليبيريا برفع وصاية حكومة جنوب افريقيا عن جنوب غرب افريقيا ومنحها الاستقلال . ويتوقع المراقبون أن تشهد قاعات الجمعية العامة وأروقتها هجوما عنيفا على حكومة جنوب افريقيا بسبب موقفها من قضية استقلال جنوب غرب افريقيا التى تجرأت حكومة فيرورد السابقة وحولتها بالقهر الى الاقليم الخامس لاقاليم جنوب افريقيا .

●

■ كينيا

الاغلبية لحزب « الكابو » والمقاعد لحزب « الكانو »

يحتدم الصراع فى كينيا اليوم بين الاتحاد الوطنى الافريقى « الكانو » – الحزب الحاكم – وبين حزب « اتحاد الشعب الكينى » الذى يتزعمه **اودينجا وانشينج اونيكو وبلداد كاجيا** رفاق **جومو كينياتا** السابقين فى الكفاح الوطنى لتحرير كينيا . ويحاول قادة «الكانو» ان يحرموا حزب « **الكابو** » من وضعه كحزب معارضة رسمى لانه كما يقولون لم يحصل الا على تسع مقاعد فى البرلمان الكينى فى الانتخابات التكميلية الماضية .

وبتتبع هذه الانتخابات التكميلية الاخيرة ونتائجها فى كينيا والتى دارت لشغل عشرين مقعدا فى مجلس النواب وعشرة مقاعد فى مجلس الشيوخ يمكن الحكم لصالح « الكابو » او ضده .

ففى هذه الانتخابات حصل الحزب الحاكم « الكانو » الاتحاد الوطنى الافريقى الكينى – على ٢١ مقعدا ، ثلاثة عشر فى مجلس النواب وثمانية فى مجلس الشيوخ – وحصل حزب « الكابو » على تسعة مقاعد – سبعة فى مجلس النواب ومقعدان فى مجلس الشيوخ .

ورغم ان هذا يعتبر انتصارا كبيرا للكانو بزعامة «كينياتا» و « **توم مبويا** » – فانه انتصار سطحى ، اذ ان حزب الكابو حصل على اصوات اكثر من الكانو ، مع انه لم يكن قد انقضى على تأسيسه اكثر من شهرين .

فقد حصل حزب « الكابو » فى انتخابات الشيوخ على ٧٨٫٢٨٧ صوتا مقابل ٥٧٫٨١٦ حصل عليها حزب الكانو – وفى انتخابات مجلس النواب حصل الكابو على ٨٦٫٣٣٤ صوتا مقابل ٧٢٫٥٨٤ حصل عليها الكانو . وهكذا حصل الكابو على ٢٠٫٤٧١ صوتا اكثر فى انتخابات الشيوخ وعلى ١٣٫٧٥٠ صوتا اكثر فى انتخابات النواب . ولقد علق اودينجا على ذلك بقوله : « لا يجرؤ الا كلب غبى او مجنون على التصريح بان « الكانو » حزب اكثر شعبية من « الكابو » » .

وصوتت هذه الاعداد الكبيرة لـ « الكابو » رغم ان قادة « الكانو » استخدموا كل وسائل القهر والضغط فى هذه المعركة الانتخابية الصغيرة . وشن « كينياتا » و «توم مبويا» حملة مسعورة ضد اعضاء حزب الكابو على اساس انهم شيوعيون متآمرون و « عملاء لدول اجنبية » ، وذلك لانهم يعارضون ارتباط « الكانو » بالامبرياليين الاجانب ويطالبون بتوثيق التعاون مع البلدان الاشتراكية . والمعروف انه ليس فى كينيا حزب شيوعى وليس بين قادة « الكابو » شيوعيون .

وجاء التأييد الجماهيرى العريض « للكابو » صدمة لقادة « الكانو » الذين استخدموا كافة الاجهزة الحكومية فى الدعاية ضد « اودينجا » ورفاقه وحزبه التقدمى ، فالاذاعة اقتصرت على الدعاية « للكانو » ، ولم توافق السلطات على تسجيل « الكابو » كحزب سياسى الا قبل قفل باب الترشيح بدقائق . وقبل بداية الانتخابات هددت الحكومة الموظفين ورؤسائهم الذين يؤيدون « الكابو » وفرضت العديد من القيود على اجتماعات والغت معظم اجتماعاته الانتخابية . وقبل يوم الانتخابات القت الحكومة القبض على ممثلى الحزب .

وفى خضم الانتخابات اصدرت الحكومة قرارا بتأجيل فتح صناديق الانتخابات لمجلس النواب لمدة أسبوعين حتى تفتح مع صناديق الانتخاب لمجلس الشيوخ . وهكذا حفظت صناديق الانتخاب فى مكاتب الحكومة من ١٢ يونيو حتى ٢٧ يونيو ١٩٦٦ .

رغم كل هذه الاجراءات حصل الكابو على اصوات اكثر من الكانو . ويقرر المعلقون انه لو اتيح لحزب «الكابو» ابسط الحقوق الديمقراطية لحصل على اصوات اكثر ومقاعد اكثر .

ان حزب « الكابو » قد تقدم الى جماهير الشعب الكينى بسياسة تقدمية تتعارض جذريا مع سياسة الكانو الرجعية . تطالب بالغاء كافة القيود على الحريات الديمقراطية – وهاجم استخدام « الكانو » لشعار « الاشتراكية الافريقية» كستار لاخفاء سياسته الحقيقية المتعارضة مع الافكار الاشتراكية – هذه السياسة التى ادت الى تغلغل رأس المال الاجنبى فى البلاد وسيطرته على الاقتصاد الكينى والى زيادة عدد المعدمين والعاطلين ، والى نمو الاقتصاد الرأسمالى وازدياد الهوة بين الاغنياء والفقراء اتساعا .

وبخصوص مشكلة الارض والاصلاح الزراعى – اوضح برنامج الكابو – انه من بين الـ ٨ ملايين فدان المملوكة للاوربيين استولى فقط على مليون فدان وان اكثر من نصف هذه الارض المستولى عليها بيعت للاوربيين بعد أن دفعت الحكومة ٢.٥ مليون جنيه استرلينى كتعويض للمستوطنين – الاوروبيين السابقين . ولقد طالب « الكابو » بتوزيع الارض الحرة على فقراء الفلاحين والرعاة ، والاستيلاء على كميات ارض اكبر من الاوروبيين وتشجيع اقامة المزارع التعاونية، ووضع حد اقصى لكل انواع الملكية لمنع قيام طبقة جديدة من كبار ملاك الارض .

وبينما يتحدث « توم مبويا » عن « المستقبل الوردى » فى ظل تطور الاقتصاد الرأسمالى – فان حساب الاجور والمرتبات الحالى يوضح مدى زيف هذا الادعاء – فمتوسط الاجر السنوى بالنسبة لـ ٤٧٠٠ موظف اوروبى فى الحكومة حوالى ١٥٣٢ جنيها استرلينيا وبالنسبة لـ ٨٠٠٠ آسيوى ٧٣٧٠ جنيها وبالنسبة لـ ١٦٠٫٠٠٠ افريقى ١٦٠ جنيها ، وفى

القطاع الخاص فان متوسط الاجر السنوى لعشرة آلاف اوروبى ١٥٠٠ جنيه استرلينى وبالنسبة لـ ٢٨ الف آسيوى ٥١٨ جنيها وبالنسبة لـ ١٦٥ الف افريقى ١٢٧ جنيها فقط — وحتى هذا الاجر المنخفض الذى يحصل عليه العمال الافارقة لا يحصل عليه الا اقلية منهم ، اذ ان ٩٦٪ من العمال الافارقة فى القطاع الخاص متوسط اجرهم السنوى ١٢٠ جنيها.

ويبدو ان المستقبل الوردى الذى يتحدث عنه «توم مبويا» مرتبط بمنطق الاعتماد على الاحتكارات الاجنبية — ففى ١٩٦٥ بلغ عدد الشركات الاحتكارية البريطانية المستثمرة لرؤوس اموالها فى كينيا ٦٧ شركة هذا بخلاف الشركات الامريكية والالمانية الغربية . ولقد قدر المعهد البريطانى للتطور عبر البحار نسبة الارباح المتوقع ان يحصل عليها راس المال المستثمر فى شرق افريقيا بـ ٢٠٪ بعد ثلاث سنوات .

ومن الملاحظ ان السخط يزداد فى كينيا ضد حزب «الكانو» وسياسته ، وسواء اعترفت الحكومة رسميا بحزب « الكابو » حزبا رسميا للمعارضة او لم تعترف — فقد انحازت الجماهير لصالحه فى الانتخابات التكميلية الصغيرة وبعد تأسيسه بشهرين — وهكذا ارسى « الكابو » القواعد لحركة جماهيرية لتدعيم النضال ضد الراسمالية وضد الارتباط بالامبريالية البريطانية والامريكية والالمانية الغربية.

●

■ الكومنولث

« زواج » فى لندن واستعداد « للانفصال فى سالزبورى »

يتوقع بعض المراقبين الغربيين ان تقوم حكومة الاغلبية البيضاء فى روديسيا باعلان الجمهورية . ويقول **رونالدليج** مراسل **الصانداى تايمز** البريطانية « لم يبق امام ايان سميث من مشاكل تتعلق باعلان الجمهورية سوى مشكلة الوقت »، وقد يتمكن سميث بعد ذلك من ان يترك الكومنولث » .

ويقول هؤلاء المراقبون انه من المحتمل ان تعلن الجمهورية فى ١١ نوفمبر القادم (يوم اعلان الاستقلال غير الشرعى) . ويعتبر المراقبون قرار المحكمة العليا فى روديسيا فى الشهر الماضى بمثابة تمهيد قانونى لهذا الاحتمال . فقد اعترفت المحكمة فى قرارها باجراءات الطوارىء التى اتخذتها حكومة سميث . ثم اضاف القرار ان الحكومة لن تصبح شرعية تماما حتى تقطع روابط السيادة مع بريطانيا اما برضاء بريطانيا او بتخليها عن محاولات القضاء على الحكومة وجدير بالذكر ان وزير الكومنولث والمدعى العام فى بريطانيا قد زارا روديسيا على اثر انتهاء **مؤتمر الكومنولث** الذى عقد فى لندن فى النصف الاول من الشهر الماضى ، وقاما باجراء محادثات مع ايان سميث .

لقد اتضح امام المتابعين لتطور مشكلة روديسيا ، ان بريطانيا كانت تهدف من وراء تسويفها ومناوراتها بخصوص المشكلة وتأجيل اتخاذ قرار حاسم لمعالجتها ، الى اعطاء حكومة سميث الفرصة الكافية لتثبيت اقدامها لتبدأ بريطانيا بعد ذلك بالدعوة لقبول الامر الواقع او الوصول الى حل وسط .

وقد كشفت الصحف البريطانية ان **هارولد ويلسون** كان قد ارسل واحدا من كبار المسئولين فى وزارة الكومنولث الى روديسيا ليعلمه مقدما بالانذار الذى يزمع ويلسون اذاعته من مؤتمر الكومنولث. كما ارسل بعض المسئولين البريطانيين بعد المؤتمر لروديسيا ليعرف رد فعل قرارات المؤتمر ولاجراء محادثات جديدة مع سميث حول الخطوات المقبلة التى اشيع انه سيقبل على اتخاذها .

وكان مؤتمر الكومنولث (٢٢ دولة) قد اتخذ قرارا بانذار حكومة سميث « بانهاء التمرد قبل يناير القادم ، والا فان بريطانيا ستطلب الى **الامم المتحدة** توقيع عقوبات شديدة على روديسيا . » وقد وصفت صحيفة التايمز البريطانية اجتماع مؤتمر الكومنولث بأنه « فشل فى حل مشكلة روديسيا » .

ومعروف ان مؤتمر الكومنولث كان قد شهد كثيرا من الخلافات فى وجهات النظر حول مشكلة روديسيا . فبينما كانت الدول الافريقية الاعضاء فيه تصر على ان تكون المشكلة اول اعمال المؤتمر ، كانت بريطانيا تطلب مناقشة المشاكل الدولية. وفيتنام اولا . وكان نجاح الدول الافريقية فى فرض مناقشة مشكلة روديسيا اولا ، بمثابة تأكيد لظاهرة تحول الكومنولث فى الفترة الاخيرة الى مجال لممارسة الضغط على بريطانيا واتخاذه منبرا للهجوم عليها لتواطئها مع حكومة سميث . وكان الاتفاق فيما بين الدول الافريقية التى حضرت المؤتمر ، على ان يكون الحد الادنى لمطالب الافريقيين هو « المطالبة بأن تعلن بريطانيا ان لا استقلال فى روديسيا بدون حكم » الاغلبية من الافريقيين » . وجدير بالذكر ان اجتماعا سابقا على مؤتمر الكومنولث كان قد عقد فى آخر يوليو الماضى بين **جوليوس نيريرى رئيس جمهورية تنزانيا وكينيث كواندا رئيس جمهورية زامبيا وميلتون اوبوتى رئيس جمهورية اوغندا ومورومبى نائب كينياتا فى كينيا** للاتفاق حول وجهة نظر واحدة بخصوص اسلوب العمل فى المؤتمر . وقد سعت الدول الافريقية الى توسيع عدد الدول المتعاطفة مع وجهة نظرها فاتصلت عشية انعقاد المؤتمر بوفود الدول الآسيوية ودول الكاريبى . وبلغ هذا النشاط حدا وصفته صحيفة **الصانداى تايمز** بأنه « بدى كما لو كان مؤتمرا داخل المؤتمر » .

وقد اثار خطاب ويلسون الذى قال فيه بأن حكومته ستعمل على وضع دستور جديد « موافق عليه من قبل شعب روديسيا ككل » ، ارتياب وتشكك الوفود الافريقية التى تساءلت فى كلماتها بالمؤتمر عن معنى « شعب روديسيا ككل » . وقد هدد وفد زامبيا بالانسحاب من المؤتمر اكثر من مرة ، الا انه استقر على اساس انه لو استدعى الموقف اصدار بيان منفصل، فستقبل على عمل ذلك .

وقد تقدم للمؤتمر ثلاثة مشروعات للتصويت عليها بمشروع تقدمت به زامبيا وتنزانيا وسيراليون يطالب « باستخدام القوة المسلحة لانهاء حكم الاقلية غير الشرعى فى روديسيا » . وتقدمت سكرتارية المؤتمر بمشروع لايشير الى استخدام القوة وانما يقضى بأن « تتولى الامم المتحدة الاشراف على فرض العقوبات الاقتصادية بما فى ذلك خطر ارسال البترول الى روديسيا بناء على قرار مجلس الامن » . اما بريطانيا فقد تقدمت بمشروع يطالب بأن « تتولى الامم المتحدة تنفيذ مقاطعة الدول الاعضاء لقائمة محددة من السلع » . وبعد تقديم هذه المشروعات ، التفت ويلسون الى **ليستر بيرسون** رئيس وفد كندا وقال « هل يتفضل رئيس وزراء كندا بأن يحاول ان يعقد زواجا بين المشروعات الثلاثة » . وبالفعل عقد بيرسون « الزواج » وانتهى الى قرار يقضى بانذار سميث بانهاء التمرد قبل يناير والا فان بريطانيا ستطلب الى الامم المتحدة توقيع عقوبات شديدة على روديسيا .

وفى الوقت الذى صرح فيه المسئولون فى زامبيا اكثر من مرة ، الى ان ويلسون ينهج منهاجا عنصريا فى اعمال الكومنولث ومؤتمراته بل وهاجموا الكومنولث واعيدوه

قائما على اسس عنصرية ، كان لوردسالزبورى الزعيم البريطانى المحافظ يقترح انسحاب بريطانيا من الكومنولث بعد « ان سيطر عليه الافريقيون الاسيويون » ويدعو الى « انشاء كومنولث ابيض . » ودلل هذا فى نظر المراقبين على ان الكومنولث مهدد بالتفتت والانقسام اذ لم تعد الدول الافريقية الاعضاء فيه تجد فيه ما يعبر عن مصالحها، كما انه يأت فى نفس الوقت مصدر متاعب لبريطانيا . وتطورات مشكلة روديسيا — على اية حال — ستكون محك اختبار لاستمراره او عدم استمراره . فتقول الصانداى تايمز « ان ويلسون يعلم جيدا وبدون شك ان الموافقة على منح الاقلية البيضاء الحكم فى روديسيا دون رضاء وموافقة السكان الافريقيين سوف يعنى نهاية الكومنولث » .

●

■ اندونيسيا

ماذا عن نموذج « النظام الجديد » ؟

يعتبر معظم المراقبون اليوم ، ان متابعة الشئون الاندونيسية فى الفترة الاخيرة ، قد اصبحت — بوجه من الوجوه — متابعة للعملية التدريجية « الصبورة » التى يقوم بها الجنرال **سوهارتو** قائد الجيش الاندونيسى وزملائه الجدد ، لاقصاء الرئيس **سوكارنو** واعوانه عن مراكز النفوذ .ولم تكن الطريقة التى تمت بها محاكمة **يوسف مودا دالام** محافظ البنك المركزى هناك ، لم تكن بشكل من الاشكال — سوى وسيلة للتعرض ايضا الى « التصرفات الشخصية » للرئيس **سوكارنو** والتى تمس مكانته كزعيم شعبى ، واذاعتها على اوسع نطاق ويقصد سوهارتو من وراء ذلك القضاء على الشعبية الواضحة التى لايزال الرئيس الاندونيسى يتمتع بها فى وسط وشرق جاوة وهى مناطق يسكنها جانب ضخم من جماهير الشعب الاندونيسى . وقد حفلت محاكمة مودا دالام لهذا الغرض ، بعدد من اجمل نساء اندونيسيا اللاتى حضرن للتحقيق والشهادة حيث اسفرت المحاكمة عن كشف وجوه الاتفاق التى تم خلالها بناء عدة فيلات لبعض زوجات الرئيس ، او لبعض الفنانات المحظيات ومنحهن اذون استيراد الخ :

ويحاول القادة الجدد ايضا النيل من شعبية سوكارنو ، عن طريق ربطه بالافعال السيئة ، وبالتصرفات الشخصية الخاطئة لبعض وزرائه السابقين الذين سيعد ١٤ منهم للمحاكمة . وقد بلغ تطور الاوضاع الان ، بعد قرار محاكمة **سوباندريو** النائب الاول السابق لرئيس الوزراء ، الى حد ان جبهة العمل الطلابية للدراسات العليا « **كاسى** » طلبت تقديم الرئيس سوكارنو نفسه للمحاكمة «حينما تثبت الاتهامات الموجهة ضده » . ويرى عدد من المراقبين ان المظاهرات الحالية التى اصبحت موجهة بشكل سافر ضد شخص الرئيس سوكارنو ، تكاد تعيد الى الاذهان ذكرى مظاهرات مارس الماضى التى ادت الى تجريد سوكارنو من سلطاته الحقيقية لحساب جنرال سوهارتو .

هذا ولايزال **احمد سوكارنو** مصرا على الكثير من آرائه برغم انتقال الجانب الغالب من السلطة والنفوذ الفعليين الى الجنرال سوهارتو ، واكثر ما اثار غضب انصار سوهارتو هو الهجوم العنيف لسوكارنو على الولايات المتحدة، وبخاصة فى الوقت الذى ارسلوا فيه وفدا رسميا الى واشنطون بشأن الحصول على معونات . وقد اتهم سوكارنو المخابرات الامريكية بتدبير قتله ، واعلن ذلك فى خطاب القاه فى اجتماع لمنظمة جيل ١٩٤٥ . اما الجنرال **ناسوتيون** فقد اشار الى ان « النظام الجديد » يجب الا يتأثر بالخطب التى يلقيها رجال « النظام القديم » ، وحذر من قيام الشيوعيين بالعمل من جديد من الحكومة القائمة . خاصة وقد دارت معركة اخيرا بين الكولونيل **مولجادى** احد قادة وسط جاوة وبين احد المعاقل الشيوعية هناك انتهت بسقوط المعقل فى يد القوات الحكومية والتجاء اعداد من الشيوعيين الى الادغال ، وقد اعلن مولجادى ان الجنرال **سوباردجيو** النائب السابق لرئيس القوات الاستراتيجية للجيش الاندونيسى، والمعروف بأنه احد مدبرى انقلاب ٣٠سبتمبر الماضى — يعمل ايضا فى المنطقة الجنوبية فى وسط جاوة . وحذرت وكالة انتارا الاندونيسية من ان الشيوعيين الذين يصدرون منشوراتهم فى سومطرة وجاوة ، انما يهدفون الى ضرب العسكريين بالطلبة .

ويحاول القادة الجدد حاليا ، القيام بحملة عالمية لاثارة العطف الاقتصادى والسياسى على الجمهورية الاندونيسية سواء فى الشرق او الغرب او بين الدول المستقلة حديثا . وقد اوضح **آدم مالك** وزير خارجية اندونيسيا فى حديث صحفى اخيرا ، ان اندونيسيا ستنتهج سياسة مستقلة وستستعيد دورها ومكانتها فى العالم .

وقد بدات اندونيسيا بالفعل ، الخروج ثانية الى مسرح السياسة الدولية ، عقب العزلة التى فرضتها احداثها الداخلية بعد انقلاب ٣٠ سبتمبر الماضى . ولم تكن رحلة **آدم مالك** الى الجمهورية العربية المتحدة وغيرها من الدول اخيرا ، الا جزءا من هذا المخطط . وقد اوضح مالك للرئيس **عبد الناصر** ان اندونيسيا متمسكة بسياسة عدم الانحياز كما اوضح استعداد بلاده لحضور الدورة الجديدة للامم المتحدة . ومن ناحية اخرى اكد **ل.بيلار** السفير الاندونيسى فى واشنطون للرأى العام الامريكى : « ان وقوع ثورة شيوعية فى المستقبل القريب ، امر عسير جدا ، الا انه اوضح ان الحكومة لن تنجح فى حل المشكلات الاقتصادية العاجلة دون مساعدة ، ومن ثم فان اندونيسيا فى حاجة الى مساعدة . « واعرب آدم مالك عن ان العلاقات مع الولايات المتحدة ستتحسن تدريجيا ، بالرغم من ان كلا من الحكومة الاندونيسية والرأى العام الاندونيسى يعارضان سياسة الرئيس جونسون فى فيتنام . ومن ناحية ثالثة ، استقبل الجنرال سوهارتو اخيرا مسيو **سيتمكو** السفير السوفييتى فى جاكارتا ، واكد له ان الحملة « المعادية للشيوعية » فى اندونيسيا ، لن تؤثر على العلاقات بين جاكرتا وموسكو . كما اوضح ان حل الحزب الشيوعى الاندونيسى ، لايعنى ان اندونيسيا قد اتبعت سياسة معادية تجاه الدول الشيوعية . الا ان سيتمكو قد ابلغ سوهارتو ، بأن الزعماء السوفييت لن يتمكنوا من استقبال البعثة الاندونيسية برياسة آدم مالك قبل منتصف الشهر القادم . وبذا يتيحون لانفسهم فرصة اخرى،كما راى عدد من المراقبين لمتابعة سياسة اندونيسيا فى الفترة القادمة خاصة بالنسبة لاستمرار التطرف المعادى للشيوعية .

ولقد اوضح الجنرال سوهارتو اخيرا ، انه يعمل على اعادة الامن فى البلاد والوصول الى نوع من الاستقرار السياسى . الا ان الخبراء المتصلين به يقولون : « أن هذا الاستقرار يحتاج الى جهود متصلة لمدة ٥ سنوات ، وانه ليست هناك ضمانات للنجاح » .ولذا فان عددا من المراقبين الاقتصاديين والسياسيين يتساءلون : اذا كان القادة الاندونيسيين الجدد يفخرون بأنهم سدوا الطريق على سوكارنو نحو تحويل اندونيسيا الى « ديمقراطية شعبية » ، فهل سيستطيعون هم — دون اتخاذ اجراءات جذرية ذات طابع تقدمى وثورى — ان يقوموا فى آسيا نموذجا يخلو من ازمات وتعثرات النموذج الهندى ، ويمكن أن يقف على قدميه كمنافس « للديموقراطيات الشعبية » الاسيوية التى استنكر القادة الاندونيسيون الجدد ، ان تتحول اندونيسيا الى دولة من طرازها ؟

تعليق

الاقتباس طريق الى افلاس الفيلم المصرى

الاسراف فى الاقتباس واحد من اهم المشاكل التى تواجه صناعة السينما المصرية وتتهدد مستقبلها .

وهذا الاسراف له اصول تاريخية ترجع الى الاشهر الاخيرة من الحرب العالمية الثانية حين وقع اختيار احمد سالم على فيلم « عودة الاسير » ليعيد اخراجه كما هو فى ثوب عربى تحت اسم « الماضى المجهول » دون ان يكلف نفسه عناء ادخال اى تعديل على السيناريو الخاص بالفيلم الامريكى . واذا بالمشاهد العربى يواجه باحمد سالم وهو يتحرك على الستارالفضى وكانه رونالد كولمان، وببطلة الفيلم ليلى مراد وقد تقمصتها روح جرير جارسون .

وكما نجح فيلم « عودة الاسير » فقد كتب لفيلم « الماضى المجهول » ان يلاقى نجاحا منقطع النظير . ومثل هذا النجاح كان لابد وان يؤدى فى سوق تسيطر عليه روح الجشع والاستهتار الى انتشار وباء الاقتباس .

ومهما يكن من امر انتشار هذا الوباء واستفحال خطره ، فان فئة قليلة مجاهدة من السينمائيين لم تصبها العدوى ، ومن خلال صفوف هذه الفئة لمع اسم النجمة ماجدة . ولكنها سرعان ما تترك صفوف هذه القلة المجاهدة لان طموحها يشاء لها ان تختار من بين كل قصص العالم ، ومن بين جميع افلام المشرق والمغرب قصة مارجريت ميتشل « ذهب مع الريح » والفيلم المستوحى منها ليكونا مصدر الهام لها فى اول فيلم تنهض باخراجه .

وليس من شك انه من حقها ان تستلهم ما تشاء من اعمال الاخرين الفنية . فتراث الانسانية الفنى باجمعه نبع لا ينضب من حق كل انسان ان ينهل منه . ولكن الذى ليس من حقها هو ان تعيد اخراج ذهب مع الريح معربا مع اخفاء هذه الحقيقة عن الجمهور . وان تحاول ان تقلد بلا اى تصرف فنى من جانبها انجح واشهر انتاج ضخم فى تاريخ السينما الامريكية ذلك ان مثل هذه المحاولة لابد وان تسىء الى سمعة الفيلم المصرى .

ويبدو ان اقبال المنتجة المخرجة فى استخفاف ظاهر على اتخاذ هذه الخطوة المثيرة للدهشة انما يرجع الى توهمها ان « ذهب مع الريح » عبارة عن قصة مثيرة تدور احداثها حول امراة قوية يتجاذبها حبان حبها لزوجها ، وحب آخر مستحيل ، وان مثل هذه الالوان من الحب صالحة للتناول الفنى فى اى زمان، وفى اى مكان . ولعل هذا هو السبب الذى حدا بها الى اطلاق اسم « من احب » على « ذهب مع الريح » فى صورته المصرية المشوهة .

كما يبدو انه قد غاب عن وعى المخرجة المنتجة ان جوهر « ذهب مع الريح » انما هو فى عرض الحياة السهلة التى كان يعيشها الاسياد البيض فى الجنوب الامريكى القديم ، وما لحق هذه الحياة من دمار وانهيار بفضل ملحمة الحرب الاهلية الامريكية التى عصفت بنظام العبيد وذلك من خلال صراع ابنة من بنات هؤلاء الاسياد «سكارليت اوهارا» من اجل الحفاظ على ضيعة « تارا » ارض الاباء البيض فى مواجهة اعصار ابراهام لينكولن محرر العبيد ، وهو صراع يتوج فى النهاية بمعجزة تعمير الضيعة رغم هذا الاعصار المدمر مما يرمز فى حقيقة الامر الى تفوق الرجل الابيض وقدرته الخارقة على مغالبة الصعاب مهما كانت العراقيل والعقبات التى على الطريق .

ولذلك فليس صدفة أن ينتهى الجزء الثانى والاخير من فيلم « ذهب مع الريح » بنفس مشهد القسم الذى انتهى به الجزء الاول منه اى بمشهد « سكارليت اوهارا » وهى رافعة الراس موجهة قبضة يدها الممسكة بتراب « تارا » الى السماء فى اصرار وتحد وهزم منتصر .

وغنى عن القول انه لو كان ذهب مع الريح قد جاء مفتقدا لهذا النسيج الاجتماعى والسياسى والفكرى لخرج الى العالم فى صورة اخرى جوفاء مجردة من اية قيمة فنية ، لانه من المسلم به ان قيمة هذا الفيلم الوحيدة انما تكمن فى فخامة تصويره الملحمى لفظائع الحرب الاهلية بين الشمال والجنوب الامريكى متمثلة فى موقعة « اتلانتا » وحريقها الكبير .

والواقع انه كان لامفر ، ازاء كل هذا التجاهل من جانب المنتجة المخرجة ، وكل هذه الاوهام التى اخذت بخناقها ، من ان يفشل فنيا تمصير فيلم « ذهب مع الريح » وان يكون فشله من النوع الذريع .

وكيف لا يفشل وصاحبته تستبدل بلا ادنى اكتراث حرب فلسطين بالحرب الاهلية ، وتذهب بها الظنون الى ان ليلى حفيدة مظلوم باشا « ماجدة » هى المقابل المصرى لسكارليت اوهارا«ففيان لى » .

وكيف لا يفشل اذا كانت صاحبته قد اصطنعت بلا مبالاة سياقا للاحداث يتسم بالاسراف فى الافتعال والبعد عن الواقع لتنقل فصولا باسرها من ذهب مع الريح على وجه كاريكاتورى مشوه قبيح . وليس ادل على هذا الاصطناع من اختلاقه حادث افلاس مظلوم باشا فى البورصة وانتحاره ليفاجا الجمهور بمشهد حفيدته ليلى بنت الاكابر وفى يدها الفاس تعزق به الارض وتحرثها شانها فى ذلك شان عمال التراحيل وتشاركها فى هذا العذاب نيفين زوجة الضابط طارق الذى وقع فى اسر الصهاينة بفلسطين . وغير خاف ما فى هذا الحدث من اسراف غير معقول ولا مقنع لانه ليس من طبائع بنات القصور العامرة فى مصر التوجه الى الريف لفلاحة الارض بالفئوس والمناجل مهما انحدرت بهم الايام .هذا فضلا عن ان زوجات الضباط فى غنى عن كدح الحقول اثناء وقوع ازواجهن فى الاسر لان مرتب الضابط الاسير يصرف بالكامل لزوجته طوال غيبته .

وكيف لا يفشل وحواره يفتقد الذوق فهو يستهل بلفظ الموت تعبيرا عن الحب ، ومضمونه رجعى مشحون بالحنين لحياة القصور فى العهد البائد ، فالباشا يطلق عليه اسم مظلوم وحفيدته يعود اليها قصر الجد فى ابهى حلة رياشا وتحفا . ومتى ؟ فى عهد الثورة . وتمثيل نجمته الاولى يقتصر على تقليد مواء القطط ووصف نفسها فى نرجسية ظاهرة بانها سمراء وحلوة والرقص كما كان يرقص السلق الامريكى الصالح منذ مائة عام ايام ابراهام لينكولن .

واخيرا كيف لا يفشل هذا الفيلم الغريب ومقارنته بالفيلم المقتبس منه لا فكاك منها وذلك بحكم ان ذهب مع الريح يعتبر اشهر فيلم فى تاريخ السينما العالمية .

والذى لا شك فيه ان هذه المقارنة كفيلة برجوع ماجدة الى الحق فتعتزل الاخراج اكتفاء بالانتاج ، وتتمهل فى اختيار موضوعات افلامها القادمة تجنبا لمهالك الجنوح الى طلب المستحيل الذى يؤدى عادة الى ضياع المال وذهاب المجد هباء مع الريح .

مصطفى درويش

■ فيتنام الجنوبية

تطـور الحـرب بين نتائج الانتخابات وخطاب ديجول

بينما كان آرثر **جولدبرج** مندوب امريكا فى الامم المتحدة ، يبدى استعداد حكومته لوقف ضرب فيتنام الشمالية والتلميح بموافقتها على اشراك جبهةالتحرير فى فيتنامالجنوبية فى اية مفاوضات ، اذا وافقت حكومة هانوي على شروط امريكا ، كان **روبرت مكنمارا** وزير الدفاع الامريكى يعلن ان بلاده ستزيد من انتاج المقاتلات والقاذفات التى تصلح لحرب فيتنام مقدار ٢٨٠ طائرة على الاقل (كانت الخطط السابقة تقضى بانتاج عدد يتراوح بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ طائرة فى العام القادم) . ورغم ما أعلنه **ريتشارد نيكسون** نائب رئيس الجمهورية السابق ، من أن حكومة **جونسون** قررتزيادة عدد قواتها فى فيتنام الجنوبية الى ٧٥٠ الف جندى (وصلت حاليا الى ٣١١ الفا) ، الا ان المسئولينالامريكيين العسكريين فى **سايجون وواشنطن** يعترفون بالخسائر الفادحة التى تنزلها قوات جبهة التحرير ومدفعية فيتنام الشمالية بالقوات الامريكية فقد اعترف ماكنمارا باسقاط ٣٨٣ طائرة امريكية فوق فيتنام الشمالية و ١٢٢ طائرة من فيتنام الجنوبية . وتؤكد هذه الاعترافات ماسبق اناجمع عليه المراقبون ـ بشتى اتجاهاتهم السياسية ـ من أن امريكا لن تستطيع تحقيق نصر عسكرى فى فيتنام .

ورغم كل الجهود التى تقوم بها القوى المحبة للسلام فى امريكا نفسها ، لوقف الحرب فى فيتنام ، الا أن بادرة واحدة جاءت فى هذا الاتجاه لم تقدم عليها حكومة جونسون . فقد أرسل عدد كبير من العلماء واساتذة الجامعات والطلبة ورجال الدين فى امريكا ببرقيات الى جونسون تطالب بوضع حد للحرب وبوقف حرب المواد الكيماوية والحارقة التى تلقيها الطائرات الامريكية على المناطق الاهلة بالسكان والتى تخطىء كثيرا فى اصابة اهدافها وتصيب بعض القوات الامريكية أو قوات الدول المتحالفة مع امريكا التى تعمل بعض وحدات من جيوشها فى فيتنام الجنوبية كقوات كوريا الجنوبية وتايلاند واستراليا ونيوزلندة .

وقد شهدت مشكلة فيتنام فى تطوراتها خلال الشهر الماضى ، حدثين هامين ، فقد أجرت حكومة **كاوكي** فى سايجون الانتخابات التى احالتها القوات الامريكية ـ على حد تشبيه وكالات الانباء ـ الى « ما يشبه معركة حربية » . فقد كانت تقوم مع قوات حكومة كاوكى بتفتيش المنازل لاجبار المواطنين على الادلاء بصوتهم فى الانتخابات . وتقول الانباء ان الذين ادلوا باصواتهم لم يتجاوزوا نصف العدد الذى له حق التصويت . وتكونت بذلك الجمعية الوطنية (البرلمان) التى تضم ١١٧ عضوا منهم ٢٠ من العسكريين بينهم ٨ من سلاح الطيران الذي يقوده كاوكى . وبهذا لا يحتاج كاوكي لتعطيل اى اجراء او قانون يريده البرلمان ولا يوافق عليه كاوكى ، الا لتأييد ٤٠ عضوا فقط اذ تنص لائحة البرلمان على ضرورة توفر اغلبية الثلثين (٧٨ عضوا) لاقرار اي قانون او اجراء .

وقد شن ثوار جبهة التحرير عدة هجمات على المراكز الانتخابية بعد أن حذروا الاهالى من الاقتراب منها وطالبوهم بمقاطعتها . وقد صرح المسئولون فى كل من جبهة التحرير فى فيتنام الجنوبية والمسئولون فى حكومة هانوى ، بأنهما لن يعترفا بنتائج هذه الانتخابات . ويرى المراقبون فى جنوب شرقى آسيا ان خدعة اجراء الانتخابات التى اقدم عليها كاوكى بايعاز من الحكومة الامريكية ، لم تكن تهدف فقط الى محاولة اكساب حكم كاوكى طابعا شرعيا فحسب وانما تهدف كذلك الى ايجاد مبرر قانونى امام امريكا لاستمرار سياسة الحرب بل وتوسيع نطاقها .

ومن جهة اخرى ، قام **شارل ديجول** رئيس الجمهورية الفرنسية بزيارة كمبوديا فى سبتمبر الماضى . واعلن ديجول فى خطاب له امام ١٦٠ الف شخص وعلى بعد ٥٠ ميلا فقط من القتال فى فيتنام ، انه « يجب ان توافق امريكا اولا على سحب قواتها من فيتنام قبل اجراء مفاوضات لعقد تسوية للموقف » . كما دعا بيان ديجول ـ سيهانوك المشترك الى « عقد اتفاق دولى لضمان حياد فيتنام وكل منطقة الهند الصينية » . وقد أثار خطاب ديجول كثيرا من اهتمام الدوائر السياسية فى الشرق والغرب . ووصفه المراقبون بأنه « أعنف هجوم شنه ديجول على امريكا منذ اتسعت اعمال القتال فى فيتنام » . وقالت صحيفة **بوربا** اليوغسلافية « ان اقتراح ديجول بسحب القوات الامريكية وضمان حياد الهند الصينية اقتراح واقعى يتفق مع ما يطالب به الرأى العام العالمى » . وكما رفضت الخارجية الامريكية نداء ديجول ، رفضته حكومة سايجون ووصفته بأنه « اقتراح غير عادل » . وجدير بالذكر ان ديجول كان قد اجتمع فى كمبوديا مع مندوب عن ثوار فيتنام الجنوبية . كما التقى ايضا بممثل لحكومة فيتنام الشمالية .

وفى هانوى ، تلقت حكومة فيتنام الشمالية عدة رسائل خلال الشهر الماضى لعيد الاستقلال الحادى والعشرين . ومنها رسالة من **موسكو** تقول ان الحكومة السوفيتية ستقدم كل معونة لشعب فيتنام الشمالية « تتلاءم مع المرحلة الجديدة للحرب فى فيتنام بعد أن وسعت امريكا نطاق الحرب » . وفى رسالة بكين اعلنت حكومة الصين انها قد اتخذت جميع الاستعدادات اللازمة للمحاربة الىجانب شعب فيتنام الشمالية ضد المعتدين الامريكيين » . وجدير بالذكر ان الحرس الاحمر فى الصين هدد بالتدخل فى حرب فيتنام .

●

■ يوغوسلافيا

الحزب ، والامن ، والارهاب المادى

اعلن المارشال تيتو فى محادثاته السياسية مع القادة السياسيين السلوفينيين اخيرا ، ان اجتماعا كاملا لعصبة الشيوعيين اليوغوسلاف (الحزب الحاكم) سيعقد فى نهاية سبتمبر واوائل اكتوبر ، واوضح ان « الحزب سيعاد تنظيمه من القمة الى القاعدة بهدف تحقيق ما يبرر وجوده ، تبريرا كاملا واضاف أن التنظيمات الصغيرة للحزب ، قد تجاوزتها الاحداث اليوم، ومن المناسب خلق تنظيمات اكثر اتساعا تقوم بتطبيق المفهومات المتعلقة بتطورنا الاجتماعى ، لاننا حتى اليوم اهتمامنا بعدد أعضاء العصبة أكثر من اهتمامنا بطبيعة ونوعية تكوينهم . وان الحزب لم يقم فى التطبيق بدوره التوجيهى ، وفقد كثيرا من تاثيره وقد لام المارشال تيتو العديد من أعضاء الحزب ، لانهم تركوا لبعض الفلاسفة والكتاب من خارج الحزب ، حق تحديد الدور الذى يتعين على الحزب ان يقوم به » كما اوضح اننظاما جديدا سيجرى العمل بمقتضاه داخل اللجنة المركزية للحزب وخارج اللجنة التنفيذية له . وسيكون على اللجنة المركزية بموجبه ان « تضع السياسة التى سيجرى تطبيقها بعد ذلك ، منجانب اللجنة التنفيذية » .

وقد اعتبر عديد من المتخصصين فى الشئون اليوغوسلافية، عملية اعادة تنظيم الحزب ، بمثابة محاولة للاتساق مع المهام الجديدة له ، بعد ان تقرر تحويل مهمته الرئيسية من دور « قيادى » الى دور « توجيهى ايديولوجى » . هذا وقد اشارت بعض الصحف الغربية الى ان الحكومة اليوغوسلافية تقوم الان ايضا باعادة تشكيل جهاز الامن كجهاز سياسى يخضع لرقابة شعبية كباقى الاجهزة فى الدولة ، كما ان الحكومة تنوى تقليل قوة ادارة الامن بنسبة الـ ٢/٣ والاستمرار فى تطهير العناصر السيئة داخل هذا الجهاز . واشارت بعض الصحف الاوربية الى مساوىء العديد من رجال هذا الجهاز الذى قام البعض منهم ــ حسبما تقول هذه المصادر ــ باستغلال نفوذهم لاستيراد سيارات فيات من ايطاليا بسعر ٢٠٠ دولار وبيعها فى الداخل بـ ١٢٤٠ دولار ، وقد استغل رجال جهاز الامن فى ذلك حقهم وحريتهم فى الدخول الى البلاد والخروج منها . كما عملوا من وراء اشخاص آخرين على تسيير شئون عدد من السفن التى تقل البضائع التجارية ونظموا لها علاقاتها بالتجار الاجانب ، وادار وا بعض المزارع وتعاملوا فى تجارة الاثريات والادوية مستغلين مراكزهم بالاضافة الى تقاضى عدد منهم لرشاوى لحفظ بعض القضايا والتستر على الجرائم وايقاف بعض الاحكام ولذا تنصب حركة تيتو اليوم على تطهير جهاز الامن من امثال هذه العناصر الفاسدة .

ومن الاوضاع التى استلفتت انظار المراقبين اخيرا مسألة ازدياد التوتر فى العلاقات بين بلجراد وبون عقب اغتيال سافا ميلوفانوفيتش القنصل اليوجوسلافى فى شتوتجارت بواسطة احد اللاجئين الكرواتيين . هذا بالرغم من ان العلاقات اليوغوسلافية والالمانية الغربية التى كانت سيئة منذ عدة سنوات ، قد شهدت فى الشهور الاخيرة نوعا من التحسن انعكس فى زيادة التبادل التجارى وازدياد عدد السياح الالمان الذين تدفقوا على يوغوسلافيا هذا الصيف فى الساحل الدلماشى . غير انه مما جعل للحادث الاخير حساسيته المباشرة هو انه خلال الاربع سنوات الماضية وقع ممثلين رسميين آخرين ليوغوسلافيا ، ضحايا لمحاولات اغتيال مماثلة . ويتوقع عدد من المراقبين انقطاع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بسبب هذه الحوادث وهو الامر الذى لم يحدث منذ سنة ١٩٥٧ ، ذلك أن أراضى المانيا الغربية اصبحت كما اوضحت احدى الصحف الالمانية بمثابة « تكساس » اخرى من جانب اللاجئين اليوغوسلاف ضد الفئات الوطنية المهاجرة حديثا الى هناك .

ويرى عديد من المراقبين انه اذا نحينا جانبا مسالة الاختلاف فى نظم الحكم بين يوغوسلافيا والمانيا الغربية ، وكذا مبدأ هالشتين (الذى اثارته بون فانقطعت العلاقات من قبل مع براغ ، هذا المبدأ الذى يجعل من المانيا الغربية الممثل الوحيد للشعب الالمانى كله ، اذا استبعدنا ذلك ، فان هناك مشكلتين يتدخلان باستمرار فى تشكيل العلاقات الالمانية ـ اليوغوسلافية .

- الاولى مع مشكلة التعويض عن الخسائر التى لحقت بالضحايا اليوغوسلافيين فى المعتقلات النازية ومن جراء الاحتلال النازى ، والتى قوبلت مطالب اليوغوسلافيين بشأنها بالرفض من جانب المانيا الاتحادية . هذا فى حين دفعت بون مبالغ ضخمة بسبب ذلك الى الضحايا النرويجيين والهولنديين والدانيمركيين والفرنسيين وعدد آخر من شعوب « الحلفاء » بحيث اصبح اليوغوسلافيين وحدهم هم الذين استبعدوا من هذه التعويضات .
- والمشكلة الثانية هى مشكلة المهاجرين اليوغوسلاف المعادين للنظام الاشتراكى فى يوغوسلافيا . وهؤلاء تشكلوا فى عدة فرق ارهابية ، من اخطرها واشدها اجراما جماعة « الاوبستاشى » التى تضم بعض الكرواتيين المهاجرين . والمعتقد انها مسئولة عن عدد من حوادث القتل والنسف ، مثل اطلاق الرصاص فى يونيو سنة ١٩٦٥ على اندريا كلاريتش القنصل اليوجوسلافى ، والقاء قنبلة فى نوفمبر سنة ١٩٦٢ على مقر البعثة التجارية اليوغوسلافية مما سبب فى مقتل حارس الخ . هذا وقد ارسل هؤلاء الارهابيون اخيرا ، رسائل الى اعضاء هذه البعثة تهدد باغتيالهم ، ووقعت منظمتهم على هذه الرسائل .

وهؤلاء المهاجرون المعادون يعملون ضد النظام الاشتراكى فى يوغوسلافيا ، ويرسلون بالاموال الى داخلها من اجل هذا الغرض ، كما يهربون المطبوعات المعادية ويعملون على احداث محاولات للتخريب فى داخل يوغوسلافيا . كما انهم يقومون فى المانيا نفسها بنشاط ممنهج ويخلقون جميع انواع الاضطرابات ضد اليوغوسلافيين الوطنيين كان للعديد منها نتائج محزنة . ومنظمة الاوستاشى انشأها المنفيون فى الثلاثينات وعادوا مع النازى الى يوجوسلافيا سنة ١٩٤١ وكانت لهم معسكرات اعتقال قضوا فيها على مئات الالاف من اهل الصرب واعدائهم السياسيين . وقد اوضح د. كراجو السكرتير الاول للبعثة التجارية اليوغوسلافية ، ان حكومة المانيا الغربية لاتهتم بمعاقبة هؤلاء الارهابيين اليمينيين ، فى الوقت الذى تحظر فيه السلطات الالمانية قيام الجماعات اليسارية او تعاقبها بشدة « على نقضها للقانون » ــ ويعتقد بعض المراقبين ان الجو الحالى يمكن ان يكون نذيرا بتوتر الموقف بشكل اشد بين يوغوسلافيا والمانيا الغربية ، وقد تساءلت جريدة « البوربا » اليوغوسلافية اخيرا قائلة : « لم تزل المانيا الفيدرالية ، هى البلد الوحيد فى اوربا الذى يبقى فيه الارهاب السياسى ويساند فيه هذا الارهاب » واوضحت ان الظروف التى تتيحها المانيا الفيدرالية : « قد خلقت جوا مناسبا للنشاط الارهابى ضد بلدنا وممثليه ، وهو شىء غير مسموح به فى العلاقات الدولية ، وتتحمل حكومة بون مسئوليته الكاملة » .

●

■ الصين الشعبية

« الحرس الاحمر » بين احتياجات التحدى واخطاء التطبيق

أثار نشاط « الحرس الاحمر » الصينى ، اهتماما واسع النطاق فى الاوساط السياسية العالمية ، وقد استغلت الدوائر الغربية ذلك النشاط ، لشن هجوم كبير شامل على جمهورية الصين الشعبية ، وعلى مسار الثورة الصينية نفسها . كما ادانت ذلك النشاط أيضا أغلب دول الديموقراطيات الشعبية فى شرق أوربا ما عدا رومانيا والبانيا ، واتخذت الاحزاب الشيوعية فى فرنسا وبريطانيا واسرائيل موقف الهجوم على نشاطه أيضا ، كما هاجمه اتحاد الطلبة العالمى فى براغ . ولم تتكشف الصورة كاملة ــ حتى كتابة هذا التقرير ــ عن موقف باقى دول الديموقراطيات الشعبية فى آسيا وسائر الاحزاب الشيوعية العالمية وسائر القادة الوطنيين ، وان كان من المعروف أن الاحزاب الشيوعية فى سيلان وبورما ونيوزيلندة ، تتخذ موقفا مناصرا للصين .

ويتركز معظم اعتراض تلك القوى ، على « العنف » الذى يتسم به ذلك النشاط ، وعلى « تقييده » لحرية الفكر والثقافة فى الصين .. وقد ترددت فى طول الصحافة الغربية وعرضها مسألة ابعاد الحرس الاحمر لثمانية راهبات كاثوليكيات الى هونج كونج على أساس طبعهم وتوزيعهم لنشرات معادية للثورة تحت ستار نشاطهم كبعثة تبشيرية ، كما اثيرت مسألة تدخلات الحرس الاحمر فى ملبس عديد من الشبان الصينيين

وشد الطريقة الغربية فى ارسالهم لشعورهم وشعة تسمائر « المظاهر المنحرفة » التى عارضها الحرس . ومما اثار كثيرا من التهكم والسخرية فى عدد من الاوساط الصحفية العالمية ، قيام الحرس الاحمر فى كانتون بمنع تقديم الشاى فى صالات الشاى ، باعتباره « متعة برجوازية » ، يرى الحرس الاحمر انه من الافضل تصديرها للحصول على النقد الاجنبى الشديد الضرورة لاقتصاد الصين . هذا عدا الكثير من التفصيلات الاخرى المماثلة . وقد ادان الحزب الاشتراكى الالمانى الموحد التصرفات الخشنة ازاء دبلوماسيى المانيا الديموقراطية فى بكين ، وايضا « تصرفات هذه الثورة الثقافية المزعومة التى تعترض حتى على باخ وبتهوفن » . وقد انسحبت الصين الشعبية ردا على ذلك من معرض ليبزج الدولى .

هذا وقد تسببت نشاطات الحرس الاحمر فى وقوع مصادمات بينهم وبين أعداد من العمال والفلاحين فى اكثر من منطقة ، كما اصطدم الحرس الاحمر فى مدينة « سيان » بقيادة الحزب هناك ، لانها رفضت بعض المطالب التى تقدموا بها . وقد وزعت لجنة الاشراف على نشاط الحرس الاحمر منشورات اعترفت فيها بأن شباب الحرس ارتكب بعض الاخطاء وهو بصدد تنفيذ الثورة الثقافية ، وطلبت اللجنة من الحرس أن يلجأ الى وسائل الاقناع السلمى . كما طالبت جريدة « الشعب » الصينية الناطقة بلسان الحزب من ناحية اخرى بأنه « لابد من القضاء على المنافسة بين الحرس الاحمر والسلطات المحلية فى المناطق الاقليمية » واوضحت « أنه لن يسمح لاحد باثارة العمال والفلاحين لحملهم على معارضة الطلبة » و « ان هدف حركة الطلبة الثوريين ، هو سحق الشخصيات التى تستخدم سلطاتها داخل الحزب لمحاولة اعادة البلاد الى عهود الرجعية والتخلف ، ويجب أن يؤيد العمال والفلاحون هؤلاء الطلبة ، وان كانوا يرتكبون بعض «الاخطاء» وقد عقد الرئيس ماوتسى تونج والمارشال لين بياو عدة اجتماعات بعد ذلك مع ممثلى قيادات الحرس الاحمر فى جميع انحاء الصين لبحث خطط وسياسات الحرس الاحمر ، واوضح أغلب المراقبين انها تستهدف توجيه الحرس فى الاتجاه الذى تراه الزعامة الصينية أكثر استقامة وبعدا عن الاخطاء . وترجع معظم النشاطات المذكورة للحرس الاحمر هذه ، فى الفترة السابقة على ١٥ سبتمبر الماضى . اذ اوضحت احدى الجرائد الجديدة التى ظهرت أخيرا فى بكين وتتبع الحرس ، ان الحرس الاحمر ينبغى له ان يترك بكين قبل ١٥ سبتمبر ليتسنى لسكان المدينة الاعداد لاحتفالات الثورة فى أول اكتوبر . الا أن ذلك لم يعن توقف الحركة وانما متابعتها حتى أوائل هذا الشهر على مستوى أقل اتساعا .

وقد أنذر الحرس اخيرا بنقل نشاطه الى المجال الدولى واوضح فى بيان له اخيرا : « اننا لا نشن ثورتنا الشاملة على النطاق الداخلى فحسب ، ولكننا مستعدون لخوض المجال الدولى لنقاتل حتى النهاية ، ولشن ثورة شاملة جنبا الى جنب مع الشعوب والامم المقهورة فى العالم كله » . واوضح انه « فى الوقت الحاضر يقتل المجرمون الامريكيون اخواننا الفيتناميين والشعب الفيتنامى الذى يشن حرب مقاومة بشكل شجاعة » وأعلن شباب الحرس انهم يعاهدون أنفسهم على أن « يمدوا الشعب الفيتنامى البطل بالمساندة القوية » . كما ان الحرس شن هجومه أيضا على « التحريفية السوفيتية المعاصرة » .

الا أنه مما يلقى ضوءا على طبيعة الاوضاع الداخلية هناك ، من ناحية أخرى ، ما ذكرته جريدة «الموند» الفرنسية على لسان وفد من ٢٦ فرنسيا تابعين لرابطة « اصدقاء الشرق » رجعوا حديثا من الصين الشعبية ، فقد أوضحوا أنهم « عبروا الصين بين سياجين من التصفيق » و « حضروا المظاهرات الجماهيرية فى أماكن عديدة ، واتصلوا مع السكان بحرية ، وانشأوا علاقات ودية للغاية مع السكان وشباب الحرس الاحمر ، ولم ير المسافرون أى شكل من أشكال القسوة وكان من حقهم أن يتحركوا بحرية ويصوروا بحرية » .

وقد فسر عدد من المراقبين الاستقبال الحسن للفرنسيين انه بسبب عطف الصينيين على السياسة الخارجية للرئيس شارل ديجول . وقد أوضح الصحفى الفرنسى ك.س.كارول فى مجلة النوفيل اوبزرفاتير الفرنسية بعد عودته حديثا من الصين : « ان الثورة الثقافية الكبرى فى الصين ، عمل لم يسبق له مثيل فى التاريخ ، وليس من السهل شرح ميكانيزمه » و « ان انصار ماو لايقيمون الارثوذكسية السياسية للاعضاء فى الحزب من مجرد معتقدهم النظرى ، وانما الذى يوضع فى الاعتبار الاول عندهم الان هو السلوك اليومى . فالشيوعى الصينى الطيب ، هو الذى يعيش فى تقشف كامل ، والذى يحمل فى كل الظروف اكثر الاعباء ثقلا ، وان كل موظف ومثقف يستغل نفوذه لتسهيل حياته الخاصة ، انما يكشف النقاب نورا عن « طبيعته المراجعة » . والمراجع الان اذا كان يعنى تبنى الاراء السوفيتية «التقليدية» ، فانه يعنى بمفهوم آخر «الانسان الانانى غير الصلب » . وقد اوضح أنه « ليس من الصدفة أن اول القادة الذين لحقهم التطهير ، كانوا اعضاء لجنة بكين اذ كان مستواهم المعيشى أكثر ارتفاعا وكانوا يقابلون الاجانب ويترددون معهم على النادى الدولى الفخم ، وعلى المطاعم الجيدة الفاخرة ومحلات « الترف » التى هاجم الحرس الاحمر وجودها بشدة » .

وقد قيم عدد من المعلقين السياسيين من اتجاهات متباينة ، نشاط الحرس الاحمر باعتباره ظهورا « للنيوستالينية » صينية » على أساس أن الصين الان محاصرة مثلما كان الاتحاد السوفييتى أيام ستالين ، كما أن عبادة ماو حارة مثلما كانت عبادة شخصية ستالين ، الا أن ك.س كارول حذر من أن هذه المقارنة خادعة . وحسبما أوضح ، فقد كان التطهير الستالينى عملا بوليسيا يقوم به جهاز البوليس السرى القوى جدا ، وأن المشتبه فيهم حينذاك ، كانوا يقتلون بعد محاكمات مختصرة تجرى وراء أبواب مغلقة او بدون قضايا . كما أنه لما قامت الحرب ضد النازية احيا ستالين ذكرى الابطال القيصريين القدماء ، فظهر أنصار لـ « سوفوروف » جدد وايضا « لكوتوزوف » ممن انتصروا على جيوش نابليون سنة ١٨١٢ . واعاد الاشرطة المذهبة لضباط الجيش . أما ماو فيتصرف فى نظره بطريقة مختلفة راديكاليا ، والحرس الاحمر — بناء على ندائه — انما يعالجون « المراجعين » « ليقنعوهم بالاقناع » وليس من أجل طردهم ونفيهم . وبعض أنواع العقاب تتمثل فى أساليب كتعليق اللافتات بالادانة « هؤلاء هم المثقفون المعادون للثورة » « صاحب الارض » و «جاسوس وجدت لديه أسلحة وذخائر واجهزة ارسال» الخ. وتوجيهات اللجنة المركزية فيما يتعلق باتباع أسلوب الاقناع واضحة ومحددة كما ان ماو لم يخلق « سوفوروفيين » صينيين اذ انه يدين ميراث الصين القديمة المستعبدة ويقود الحرس الاحمر فى حملة ضد الخرافات المسيطرة على عقول الجماهير ، كما ان حرسه الاحمر يدعو للمساواة الاجتماعية بروح دينية انجيلية لم توجد فى أى مكان من قبل . وقد نبه س . كارول الى « أنه قبل اصدار الاحكام السهلة والباطلة على هذه الاحداث ، يكون من الافضل بذل مجهود أكبر لمحاولة فهم الظروف الخاصة جدا والتراجيدية جدا التى اثارت هذا المنحى « اليسارى » للثورة الصينية ، لان الصين لاتزال الهدف الرئيسى للامبريالية الامريكية ، وهذه الحقيقة هى التى أوجدت بالتالى أقصى الطلائع أمامية فى مقاومة الامبريالية الامريكية » . وكانت « النيو ستيتسمان » البريطانية قد وجهت الانظار من قبل الى تلك الحقيقة الهامة وهى انه يصاب بخيبة أمل سريعة « كل من يأمل فى فهم الصين من خلال زيارات سريعة أو احاديث خاطفة ، وجميع مقاييس الغرب ، لايمكن تطبيقها دائما فى تلك البلاد . وان أهداف ومنجزات اى نظام من النظم ، يجب أن تقاس فى نطاق الاطار الخلقى والاجتماعى الذى يعمل فيه هذا النظام . ومن الخطأ الحكم على الصين

حيث يبلغ متوسط دخل الفرد سنوياً بما لايزيد على ١٢٠ دولارا ، حسب المقاييس التى تستعمل فى المجتمعات الصناعية الثرية فى اوربا » .

ويرى عدد من المراقبين السياسيين أن الحرس الاحمر لايعتبر « قوة احتياطية لجيش التحرير الصينى » نحسب كما أوضح شواين لاى ، او قوة سياسية تعمل على « تصوين » الحزب الشيوعى الصينى أكثر مما هو عليه ، وانما قوة اجتماعية أيضا تدعو لاتباع مثل التقشف فى الحياة الصينية اليومية .

تعليق

لكل الفلاحين ... وبدون مقابل

كان الحاضرون اكثر من خمسة عشر الف شخص فى اضخم ، واسرع مسرح اقيم فى تاريخ الجمهورية العربية .. المسرح لا تحيط به جدران ولا تحدده مقاعد ، ولكنه ارض فضاء واسعة ترقد امام قناطر ادفينا على شاطىء النيل ، وتحولت هذه الارض فى ساعات — بالايمان والحماس واقل التكاليف واضعف الامكانيات — الى مسرح مترامى الاطراف ، هرع اليه الفلاحون من القرى المجاورة ، وجاءوا الى قرية « مطوبس » بمحافظة كفر الشيخ ليشاهدوا اول حدث مسرحى فى حياتهم .

والمسرح المارد الذى وقف فى قلب البرارى ، كان فى شكل « مصطبة » اقيمت على براميل فارغة غطتها الواح من الخشب ، وغطيت الواح الخشب بالتراب ، واصبحت هذه « المصطبة » هى خشبة المسرح ، انتصبت من خلفها اشجار الكافور الفارعة لتصنع « ديكور » مسرحية « الزوبعة » ، ورقدت خلف « المصطبة » ثلاث خيام للممثلين يرتدون فيها ملابسهم ويقومون بعمل « المكياج » .. وعلى رأس هذا كله فرقة التمثيل التى تضم ابناء كفر الشيخ من محامين ومدرسين ومدرسات ومهندسين وطلبة وطالبات وعمال وحرفيين .

هذه هى صورة المكان المبهرة ، التى اطلت بعين الثقة على الذين حضروا ليشاهدوا تجربة رائدة فى قلب الريف .. مسرح لكل الفلاحين دون مقابل ، وبأقل التكاليف .. والتجربة لا يمكن ان تمر على المهتمين بالفنون والثقافة مرورا عابرا . فلا شك انها الشرارة الاولى التى انطلقت فى قلب ريفنا ، لتجسد فى الواقع الحى انتقال الفن والثقافة الى الريف والاقاليم ، بدلا من التخمة التى تعيش فيها القاهرة .

واننى اذكر انه منذ شهور طويلة ، ولا يزال يحتدم الجدل والنقاش حول النزول بفنوننا وثقافتنا الى الريف . وكان الفنان الشاب حسين جمعة يأمل ان يصنع شيئا فى هذا المجال ، ولا يمل الحديث عن انشاء فرقة مسرحية متجولة فى الريف .



● محمد متولى عوض المحالى وفاطمة جاد اصفر ممثلة (١٤سنة) بالاعدادية الايقاع العذب المستمر فى المسرحيه

واختفى المخرج حسين جمعة فترة ثم ظهر بعد شهور فى محافظة كفر الشيخ بعيدا عن ضجيج القاهرة وكثرة النقاش ، ليصنع تجربة رائدة ، تبدأ بمراكز المحافظة ثم تصل الى اعماق الريف .

اوفدت مؤسسة الموسيقى والمسرح حسين جمعة الى كفر الشيخ فى مايو الماضى ، وقدم له المحافظ جمال حماد كافة الامكانيات واحتضن معه الجنين . وشكلت الفرقة المسرحية التى اصبحت الان تضم اربعين ممثلا وممثلة ، بعضهم تفرغ للفرقة وتصرف له المحافظة مكافآت تشجيعية رمزية ، كما تضم الفرقة اربعين آخرين منتسبين يعدون لتكوين فرق اخرى .

ويعتبر الفنان حسين جمعة الفرقة كمركز تدريب ، بمعنى ان يقوم اعضاء الفرقة بكافة الاعمال المتعلقة بالمسرح ، ابتداء من اقامة المسرح فى الارض الفضاء ، الى جمعه بعد العرض ، وما يتطلب ذلك من اعمال النجارة والكهرباء والماكياج والديكور واكتشاف المكان الصالح للعرض ، وحتى العلاقات العامة .

ومن اجل ضمان استمرار الفرقة وتطويرها ، يفكر محافظ كفر الشيخ فى انشاء صندوق للفرقة تساهم فيه المحافظة بمساعدة مالية قدرها ثلاثة آلاف جنيه ، كماتشكل مجلس أدارةللفرقة وذلك لضمان استقلالها فى الادارة والتخطيط .. هذه هى التجربة ببساطة ودون ضجيج ، تشكيل فرقة مسرحية يمكنها بعد فترة ان تتولد منها فرق اخرى لكى تنتشر فى الريف تقدم مسرحياتها لكل الفلاحين ودون مقابل .

ان مؤشر بوصلة الثقافة والفن ينجه فى هذه المرحلة الى الريف والاقاليم .. وقد تفهم كل الذين ساهموا فى تجربة كفر الشيخ حركة البوصلة واتجاهها ، ووضعوا كل حماسهم وامكانياتهم لخلق النتائج التى ما زال النقاش فى القاهرة يحتدم حولها .

ولاشك فىان التجربة جديرة بالاحتضان واعطائها فرصة النمو ، ذلك لجدية العمل بها ، والتفهم الواعى المخلص ، وكنقطة بداية على الطريق الى قلب الريف ، وقد يكون ارسال بعض الوان الفنون — من القاهرة — فى شكل فرق الى المحافظات شكلا من اشكال انعاش الوجدان الفنى للاقاليم — ثم تنقطع الصلة بعد ذلك حتى تحين مناسبة اخرى — ولكن من الحكمة خلق حركة فنية وثقافية داخل الاقليم نفسه يمكنها ان تقيم شبكة دائمة الاتصال بقراها ومراكزها .

واننا فى هذه المرحلة ونحن نرسى القاعدة الاقتصادية السليمة باقامة الصناعة الثقيلة .. لابد ان يسير فى خط مواز لها بناء ثقافتنا الاشتراكية فى قلب الريف وفى قلب الاقاليم .. وقد تفتح برعما فى كفر الشيخ ، بصرف النظر عن نضوج العمل او عدم نضوجه ، فبرعاية وزارة الثقافة ومؤسسة المسرح ، يمكن لهذا العمل ان يصبح نموذجا لكثير من الاعمال الفنية والثقافية التى يجب ان تنطلق فى اعماق ريفنا .

ولا شك ان فى رأس وزير الثقافة الفنان ثروت عكاشة الكثير من المشروعات، وارساء نقط الانطلاق — كما عودنا — الى آفاق الثقافة والفنون الاشتراكية .. واننا نثق كل الثقة فى ان وزارة الثقافة تحتضن دائما البراعم وترعاها وتنميها لتتفتح زهور ثقافتنا وفنوننا على أرض الثورة .

عبد المنعم القصاص

■ ثقافة

تاريخنا الحديث فى جامعة لندن

ظلت جامعات العالم تهتم بتاريخنا القديم امدا طويلا ، باعتبار ان الحضارة المصرية من اقدم الحضارات فى تاريخ الانسان ، غير انه بعد الحرب العالمية الثانية بدأت بعض الجامعات فى الغرب تعير تاريخنا الحديث اهتماما واضحا بلغ ذروته فى السنوات الاخيرة ، فقد راحت بعض الجامعات الامريكية والانجليزية تبذل نشاطا ملحوظا فى محاولة الحصول على وثائق تاريخية من حياتنا السياسية الحديثة ، كما راحت تعقد المؤتمرات والندوات الدولية لمناقشة هذه الوثائق حينا او دراستها بالمقارنة الى واقعنا السياسى الراهن حينا آخر .

وكان مؤتمر جامعة لندن عن «مصر منذ ١٩٥٢» هو احدث هذه المؤتمرات ، وقد نظمته مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية التابعة للجامعة المذكورة ، وتم انعقاده فى الفترة الواقعة مابين ١٤ و ١٦ من سبتمبر ١٩٦٦ . وقد اشترك فيه بالابحاث والتعليقات من مصر السادة : خالد محيى الدين ، ولويس عوض وجلال امين ود. اسماعيل صبرى عبد الله ود. ابراهيم سعد الدين . ومن اوروبا وامريكا الاساتذة : مالكولم كير ، وبنت هانسون ، ودافيد كاون ، وبنروز وباتريك سيل .

وفى اليوم الاول من ايام المؤتمر قرأ مالكولم كير بحثه عن التطورات السياسية فى مصر منذ ١٩٥٢ وكان جوهر تحليله للسياسة المصرية انها تتصف بالذبذبة بحيث تتعارض فيها احيانا معالم الخط الثورى الذى تدعو له مصر مع بعض وجوه السياسة الخارجية مؤكدا بأن هذا هو الطابع العام للسياسة الخارجية فى مصر منذ ١٩٥٢ . والنقطة الثانية التى اثارها كير هى ان مواقف مصر فى السياسة الخارجية تلتقى مع مواقف الاتحاد السوفييتى الى حد التطابق لدرجة تضع مصر والكتلة الشيوعية فى معسكر واحد .

وقد رد عليه خالد محيى الدين قائلا ان الاستاذ كير لم يميز بين مصر الدولة ومصر الثورة . لان مصر الدولة قد تضطر بحكم العلاقات الدولية الرسمية الى اجراء بعض التنازلات والالتقاء رسميا مع دول متعارضة معها فى السياسة . ولكن مصر الثورة كانت حريصة دائما على ان تكون سياستها الخارجية سياسة ثورية . ثم قال ان كل دول العالم لديها هذا الازدواج فى السياسة ، بما فى ذلك امريكا وانجلترا وفرنسا ، حيث تضطر الحكومات للالتقاء بحكومات اخرى غير متفاهمة معها ايديولوجيا ، ولكن المهم هو الخط العام فى السياسة الخارجية : هل الطابع العام هو الثورية او مهادنة الرجعية . اما بشأن النقطة الثانية فقد قال خالد محيى الدين ان مصر لاتنسق سياستها مع الاتحاد السوفييتى ، وانما ينشأ الالتقاء فى وجهات النظر بيننا وبين السوفييت من قدرة الاتحاد السوفييتى على فهم مشاكل الدول النامية وتأييدها ، بينما نجد ان امريكا فى كثير من الاحوال ابدت عجزا عن فهم هذه المشاكل وتخلفت فى التأييد .

وبعد الظهر من اليوم الاول ألقى الدكتور لويس عوض بحثه عن التطورات الثقافية والفكرية فى مصر بعد ١٩٥٢ فقال ان مصر قد عرفت منذ اوائل القرن التاسع عشر تيارين فكريين وثقافيين ، احدهما اصيل ورئيسى والثانى فرعى وغير معروف الجذور او لم تدرس جذوره دراسة علمية بعد . والتيار الاصيل الرئيسى هو التيار العلمانى الذى كان دائما هو المحرك الاول للقوى الثورية فى مصر . اما التيار الفرعى فهو التيار الثيوقراطى الذى كان يمثل دائما الثورة المضادة . وقد حلل المحاضر الثورات الاربع الهامة فى تاريخنا الحديث منذ الثورة على الحملة الفرنسية وآل عثمان (١٨٠٥) والثورة العرابية (١٨٨٢) وثورة (١٩١٩) وثورة (١٩٥٢) .

وقد رأى ان هذا الاتجاه الرئيسى الاصيل يتسم بفكرة اقامة دولة مدنية من ناحية كما انه يتسم بالاعتدال والواقعية دون جموح الى الغيبيات او الحلم بالمدينة الفاضلة وتتسم كذلك بالتسامح والعمل فى حدود القانون واظهار قوة الشعب بالارادة الجماعية والعمل الجماعى . بينما التيار الثيوقراطى كان يلجأ دائما الى اعمال العنف . واوضح ازمة الفكر الليبرالى فى مصر وما انجلت عنه من صراع بين الاشتراكية والفاشية فى الفكر المصرى . والحل الذى وجدته مصر فى الاشتراكية المعتدلة كان متضمنا فى تكوينها الثقافى والوجدانى الذى ينفر من التطرف ومن الغيبيات ويقوم على نظرية فصل الدين عن الدولة . واوضح كيف ان ثورة يوليو ١٩٥٢ فجرت طاقات الخلق فى كتاب المسرح والشعر والفنون التشكيلية والاداب الشعبية . كذلك ازدهر النقد التطبيقى وضمر النقد النظرى ، وسجل المحاضر ان هناك تخلفا فى الفكر العام ، وتوقفا فى نمو وتطور فن القصة .

وقد تساءل بعض المشتركين فى المؤتمر عن مدى حرية الكاتب فى مصر ، وتساءل آخرون عما اذا كان يوجد خط رسمى للدولة فى الادب والفن . واجاب الدكتور لويس عوض بأن حرية النقد مكفولة للكاتب المصرى وانه لم يجد شخصيا خلال تجربته فى الخمسة عشر عاما الماضية مايمس حريته وضميره فى التعبير . واوضح الدور الذى لعبه النقاد فى نقد مؤسسات وزارة الثقافة وغيرها مما دفع الدولة الى اعادة النظر فى هذه المؤسسات وتغير من اوضاعها فعلا . وقال انه لايوجد ما يمكن تسميته بالخط الرسمى فى الادب والفن فالدولة تقف موقفا محايدا من المدارس والاتجاهات الفنية المختلفة ولا تعتبر الا الامتياز اساسا فى الحكم .

وفى اليوم الثالث قرأ الاستاذ دافيد كاون بحثه عن الادب المصرى منذ ١٩٥٢ وكان فى رأيه ان اعلام القصة فى مصر هم : يوسف السباعى واحسان عبد القدوس وامين يوسف غراب وعبد الحليم عبد الله ، مع الاحتفاظ بمكان خاص ممتاز لنجيب محفوظ . وقد نبهه الدكتور لويس عوض فى نهاية المحاضرة الى انه لم يلتفت الى شىء مما يجرى فى المسرح حاليا كأنه ليس له وجود . وكذلك اغفل الحديث عن الشعر اغفالا تاما بينما هناك ازدهار واضح فى هذين القطاعين . كذلك اعترض على قوله ان ادباء مصر لا يؤيدون الثورة بقلوبهم وانما بشفاههم فقط ، وقال انه اذا كان ذلك ينطبق على بعض الجيوب الرجعية بين المثقفين ، فان كافة الكتاب التقدميين يعتبرون الثورة ثورتهم فهم لا يؤيدونها فحسب ، بل هم يذودون عنها بكل مايملكون .

وقد سئل الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله ، ما اذا كانت الفكرة العربية فى مصر من الممكن ان تؤدى الى نوع من الاستعمار لبقية البلدان العربية المجاورة التى تقل فى مستواها الاقتصادى عن المستوى الذى بلغته الجمهورية العربية المتحدة . وقد اجاب الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله بأن التحول الاشتراكى فى مصر والاتجاه الاشتراكى فى البلاد العربية هو الضمان الذى يحول دون الانحراف بالفكرة العربية الى الطريق الاستعمارى ذلك ان المضمون الاشتراكى للاتجاه العربى هو المضمون السائد على الحركة القومية فى مصر وبقية انحاء الوطن العربى .

وقد سئل الدكتور ابراهيم سعد الدين عن تجربة الاتحاد الاشتراكى فى الحياة السياسية المصرية ، فاجاب بان الاتحاد الاشتراكى العربى هو التنظيم الشعبى الذى يضم التحالف الديمقراطى لقوى الشعب العامل . وقد اثمر التنظيم فى مختلف مراحل تطوره انجازات بالغة الاهمية فى مساندتها الفعالة للجماهير الشعبية فى مصر من حيث حريتها فى التعبير والحركة وما يزال الاتحاد الاشتراكى هو القلب النابض بالتغيرات الثورية فى مصر اذ هو يدعم رقابة الشعب المصرى على مختلف مجريات حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .





■ الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى فى الصين

■ بيكاسو
● تأليف :
بيير دييه

□ من المجلات الفكرية العالمية
● مجلة « لابانسيه » الفرنسية
● مجلة « العامل » الامريكية

الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى فى الصين

صدر أخيرا من دار النشر باللغات الاجنبية فى بكين ، ثلاثة كتيبات بعنوان « الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى فى الصين » وتحمل ارقام ١ ، ٢ ، ٣ . وتضم أحد عشر مقالا ، ثلاثة فى الكتيب الاول . واربعة فى كل من الكتيبين الاخيرين والمقالات كلها نشرت فى صحف ومجلات صينية مختلفة حرصت دارالنشر على ان توردها حسب تاريخ نشرها ، وبدأت بمقال نشر فى ١٨ ابريل سنة ١٩٦٦ كافتتاحية لجريدة جيش التحرير اليومية ، وآخر مقال فيها نشر فى ٨ يونيو سنة ١٩٦٦ فى جريدة الشعب اليومية .

والملاحظة الاولى على المقالات الاحدى عشر ان ستة منها نشرت فى صحيفة جيش التحرير اليومية ، وثلاثة فى جريدة الشعب اليومية واثنتين فى مجلات فرعية .

ومن الملاحظات العامة ايضا ان المقالات حرصت على ابراز الرفيق **ماوتسى تونج** وفكره مكررة على الدوام عبارة « فكر ماوتسى تونج » باعتباره « سلاح العمال والفلاحين الوحيد فى معركتهم الطبقية » وفى بعض الاحيان كانت المقالات تشير الى «النظرية» باعتبارها الماركسية اللينينية وفكر ماوتسى تونج وغالبا ما اشارت اليها باعتبارها فكر ماوتسى تونج دون ذكر للماركسية اللينينية . ونجد لذلك تفسيرا فى المقال العاشر فى الكتيب الثالث اذ يقول كاتبه بوضوح ان « فكر ماوتسى تونج » هو قمة الماركسية اللينينية فى العصر الحاضر . انه الماركسية اللينينية الحية فى ذروتها . ثم يستطرد فيقول :

« لقد قام الرفيق ماو — بنفحة عبقرية — وتفهم وابداع بتطوير الماركسية اللينينية » .

ولم يحدث ان اشارت المقالات الى اى قائد صينى آخر غير ماوتسى تونج سوى **لين بياو** الذى قدمته باعتباره « اول من امسك بقبضة حازمة قضية الادب والفن فى الجيش واعطانا كثيرا من التعليمات الهامة » .

وتنصب المقالات جميعها على نقد اعمال ثلاثة كتاب هم : **ووهان ، لياومو — شا وتنج تو** والاخير ينال اكبر نصيب من النقد والاتهام بحيث افرد لنقده ونقد اعماله بصفة شخصية مقالان طويلان من المقالات الاحدى عشر ، حوى احدها وهو المقال السابع تاريخ **تنج تو** نفسه فى الحزب الشيوعى الصينى ، هذا التاريخ الذى كشفته « الاستخبارات » وبينت انه « مرتد » تمكن من التسلل داخل الحزب اثناء حرب المقاومة ضد اليابان ، ونفذ كالدودة الى ثقة الحزب والشعب حتى شغل منصبا هاما فى صحيفة الشعب اليومية . وفى صيف ١٩٥٧ وقف بجانب اليمينيين البرجوازيين وكتب مقالا باسم مستعار بعنوان « ازيلوا السياسة السفطائية » نشره فى ١١ مايو سنة ١٩٥٧ فى الشعب اليومية هاجم فيه الحزب وقيادته بشدة وطالب بتسليم القيادة لليمينيين البرجوازيين كما كان « اليمين المتطرف » **لين هسى لنج** من اصدقائه المقربين الذين وصفوه « بأنه (ماركسى غير متعصب) ، غير ارثوذكسى » وهذا يعنى انه حتى اليمينيين البرجوازيين كانوا يعرفون منذ وقت طويل انه « مراجع » . ولقد اقصى عن منصبه فى الشعب اليومية بقرار من اللجنة المركزية للحزب « لقد فصل من الخدمة بواسطة الشعب » ثم شق طريقه كالدودة مرة اخرى الى لجنة الحزب المحلية ببكين وبرز مرة اخرى كعضو فى سكرتاريتها ثم اصبح مسئولا عن مجلات « الجبهة الامامية » و « بكين اليومية » و « اخبار بكين المسائية » . ثم كون « عصابة » (حانة البلطجية) من ووهان ، ولياو موشا وآخرين للهجوم على الحزب والاشتراكية باستخدام الرموز التاريخية ونشر اعمال مسرحية ومقالات تحت عنوان ملاحظات

من قرية العائلات الثلاث ، ودردشات مسائية فى ينشان واستمر ينشرها حتى بدات الجماهير اليقظة فى فضحها فتوقف محاولا التراجع المزيف ولكن محاولته كشفت وادينت .

ولقد بدأ نشاط هذه « العصابة » فى سنة ١٩٥٩ حين نشر ووهان مسرحيـة « هاى جوى يفصل من الخدمة » وقد اعيد نشرها فى مجلة بكين للادب والفن عـدد يناير سـنة ١٩٦١ وسرعان ما حياها لياو موشا معلنا « ان الجهود كلها ستبدأ فى الربيع » ثم كتب فى ١٦ فبراير داعيا الى « اقتحام الباب والاندفاع للخارج » ويستمر تبادل الخطابات المفتوحة بينهما وفى مارس سنة ١٩٦١ « يعتلى الجنرال القائد المسرح » (اى تنج تو) « ويقتحم الباب عن طريق دردشات مسـائية فى ينشان وملاحظات من قرية العائلات الثلاث » .

ويقول المقال الثالث وهو بعنوان قرية العائلات الثلاث ان هذا النشاط قد استمر وان العصابة رفضت نشر الملاحظات والنقد الذى ارسل حول المسرحية والمقالات حتى الاجتمـاع الموسع العاشر للجنة المركزية الثامنة للحزب الشيوعى الصينى فى سبتمبر سنة ١٩٦٢ . حينئـذ اعلن تنج تو فى اكتوبر عن توقفه عن كتابة دردشات مسائية فى ينشان « لانه حول اهتمامه الى اشياء اخرى فى وقت فراغه » ثم توقف عن نشر ملاحظات عن قرية العائلات الثلاث فى يوليو سنة ١٩٦٤ . وكان هـذا نتيجة الكشف الواسـع لاعمـال ووهان وبغرض التغطيـة واستخدام اسلوب « التراجع » من اجل النجاة .

ثم نشر لياو موشا نقده الذاتى عن مسرحية « هاى جوى يفصل من الخدمة » . ونشر تنج تو مقالا باسم مسـتعار ينقد فيه هذه المسرحية ويدعو صاحبها لنقد نفسه ولكن الحزب لم يقبل كلا النقدين كما لم يقبل بعد ذلك نقد مجالس تحرير المجلات الثلاث : « بكين اليومية » و « اخبار بكين المسائية » و « الجبهة الاماميـة » واعلن « ان احـدا لن يفلت من الحساب » .

ذلك هو التسلسل التاريخى للاحداث كما بينته المقالات الاحدى عشر ، ونلاحظ ان افراد العصابة كانوا فى مركز القوة « مساندين من عدد من الناس » بحيث رفضوا الاسـتماع الى النقد الموجه لاعمالهم فى البداية . وان الفترة الفاصـلة كانت هى الواقعة بين ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٦٥ حين احتجت الجبهة الامامية «وبكين اليومية» على مقال للرفيق ياووين يوان نقد فيه مسرحية « هاى جوى يفصل من الخدمة » وسـألت رفاق شنجهاى الناشرين قائلة « على اى أساس نشرتم مقال ياووينيوان ؟ لماذا لم تحيطونا بها علما مقدما ؟ اين ذهبت روحكم الحزبية ؟ » .

ولكن شيئا ما حدث ، جعل بكين اليومية تعيد نشر نفس المقال الذى احتجت عليه من قبل فى ٢٩ نوفمبر وفجأة نشرت « الجبهة الامامية » و « بكين اليومية » فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٦٥ مقالا بامضاء مستعار لتنج تو ينقد فيها نفس المسرحية كان بداية لسلسلة من مقالات النقد الذاتى الذى رفضـته قيادة الحزب وادانته بالخداع والتمويه . فما الذى حـدث فى هذه الفترة ؟

المقالات لا تذكر شيئا محددا وان قالت ان ذلك قد تم ، تحت ضغط الجماهير .

فاذا رجعنا الى المقالات كل على حدة فانها تبدأ كما ذكرنا بافتتاحيـة جريدة «جيش التحرير اليومية» يـوم ١٨ ابريل سنة ١٩٦٦ وعنوانها « فلنرفع عاليا الراية الحمراء العظيمة لفكر ماوتسى تونج ولنشـارك بنشـاط فى الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى » .

وتبدأ الافتتاحيـة بالجملة الاتية : « لقـد علمنا الرئيس ماوتسى تونج ان الطبقات والصراع الطبقى يستمر وجودهما فى المجتمع الاشتراكى » . ثم تمضى المقالة مؤكدة هذا المفهوم واحتدام الصراع الطبقى كلما انتصرت البروليتاريا وانعكاسه على الميـدان الايديولوجى والثقـافى وتعلن ان « الثقـافة البرجوازية المراجعة تخدم البرجوازية وكبار الملاك واغنيـاء الفلاحين ، والمعادين للثورة والعناصر السيئة واليمينيين وتمهد الطريق لعودة الرأسمالية » ثم تتحدث المقالة عن دور الجيش فى مؤازرة البروليتاريا فى الصراع الطبقى ، وتسرد تاريخ نضال الحزب ضد اليمين واليسار فى صراعه من اجل تسويد خطه فى الثقافة ضد البرجوازية ، ثم تذكر الافتتاحية انه منذ تأسيس جمهوريتنا الشـعبية وجد خط اسود معـاد للحزب ومعـاد للاشتراكية وفكر ماوتسى تونج فى الدوائر الفنيـة والادبية وقالت عن هذا الخط الاسود انه « خليط من افكار البرجوازية عن الادب والفن مع افكار المراجعين الجدد وما سمى بأدب وفن الثلاثينيات (فى مناطق الكومنتاج فى الصين) وانه قـد عبر عن نفسه بنظريات تسمى « الكتابة الصادقة » والطريق الواسع نحو الواقعية » .

واتهمت الافتتاحيـة اصحاب هذا الخط بأنهم « شـوهوا الحقائق التاريخية فى اعمـالهم » وانهم « خلقوا ابطالا لكى يميتوهم بطريقة تراجيدية مصطنعة » وان بعض اعمالهم « لم تقدم شخصيات بطولية بل متوسطة هى فى الواقع العملى عن اناس متخلفين وصـور كاريكاتورية للعمـال والفلاحين والجنود » .

والافتتاحية تحذر من الظن بأنه اذا ما « امكن التخلص من هذا الخط الاسود فان الصراع سينتهى بل على العكس سيظهر غيره » ، « ان هذا الصراع معقد ومتشـعبا به وطويل الامد وسيستمر عشرات السنين وربما مئات السنين » . وتعلن الافتتاحية بدء عهد جـديد فى معركة الصراع بين البروليتاريا والبرجوازية فى جبهة الثقافة منذ سبتمبر ١٩٦٢ ، موعد الاجتماع الموسع العاشر للجنة المركزية وتذكر عددا من الاعمال الادبية كدليل على استجابة الشعب للنداء الحزبى بضرورة التنبه للطبقات وصراع الطبقات . وتحدد المقالة جوهر الادب المطلوب فتقول :

« ينبغى ان نخلق بحماس صورا بطولية للعمال والفلاحين والجنود ، نخلق شـخصيات نموذجيـة ، ولا نربط انفسـنا بالاشخاص والاحداث الفعلية » .. وهذا يعنى ان كتابنا عليهم ان يلخصوا موادهم من الحياة الحقيقية المتجمعة عبر فترة طويلة ليخلقوا شـخصيات نموذجية من مختلف الانماط .. ينبغى ان نخلط الواقعية الثورية بالرومانسية الثورية .. ولا نتبنى طريقـة البرجوازية فى الواقعيـة النقـدية او الرومانسية .

وفى مجال الاسلوب تدعو الافتتاحية الى :

« يجب ان نصلح اسلوبنا فى الكتابة ونشجع كتابة مقالات شعبية قصيرة ، ونحول نقدنا الادبى والفنى الى سيوف وقنابل يدوية ونتعلم كيف نستخدمها بفعالية فى عراك متلاحم » .

وتعلن الافتتاحية انه ليس من السـهل انتاج نماذج جيدة للادب والفن البروليتارى واننا يجب « الا نستخف بهذه المهمة استراتيجيا ولكن يجب ان ناخذها مأخذ الجد تكتيكيا » . وتنتهى الافتتاحية بقولها : « لقد نهضت الثورة الثقـافية الاشتراكية الكبرى وهى تتخذ الان شكل الحركة الجماهيرية . هـذه الموجة الثورية العظمى ستغسل امامها كل أوسـاخ الافكار البرجوازية القديمة » ثم تنادى الجميع بأن نظل نرفع عاليا الراية الحمراء لفكر ماوتسى تونج .

وفيما عدا هذه المقالة الاولى التى تركزت حول المفاهيم الايديولوجية للادب والفن وقضايا الصراع الطبقى وحدته ، تتالت المقالات فيما بعد وقد تناولت الجانب السياسى ومناقشة الاعمال موضع الاتهام تفصيليا وكل ما زاد على المقال الاول هو اسماء الادباء والفنانين المتهمين بالانحراف . وازدياد حدة اللهجة المستخدمة بحيث انتهت بتحذير المعارضين بأن ايامهم اصبحت معدودة .

تقول المقالة الثانية وهى ايضا افتتاحية جريدة جيش التحرير اليومية فى ٤ مايو سنة ١٩٦٦ بعنوان « لا تنسى ابدا الصراع الطبقى » ، تقول ان النجاح فى معركة الادب والفن يحتاج من قرن الى بضعة قرون « وان حفنة العناصر المعادية للحزب والاشتراكية لها صفات جديدة » منها انهم يلوحون بأعلام حمراء فى مواجهة العلم الاحمر ، « وانهم فى معظمهم من الذين يطلق عليهم اسم المسئولين » وهم « معروفون جيدا » — مشهورين — وما زالوا مساندين من بعض الناس الذين لا يعرفون الحقائق « وان نشاطهم يأتى متناسقا مع نشاط الامبرياليين والرجعيين والمراجعين الجدد » وان صراعنا معهم هو صراع الحياة او الموت وانهم استغلوا بعض الكوارث الطبيعية التى حاقت بالصين فى سنوات ٦٠ ، ٦١ ، ١٩٦٢ وهاجموا الحزب وخططه متخيلين فشلها فى تحقيق آمال الشعب . ثم تقدم الدرس المستخلص من تجربة الاتحاد السوفيتى قائلة « انه لدرس عميق الدلالة ، ان الاتحاد السوفيتى اول دولة اشتراكية كبرى اسسها لينين وولدت فى تضحيات ثورة اكتوبر تنحدر الان فى طريق اعادة الراسمالية خلال عملية « تطور سلمية » تحت سيطرة ونشاط حفنة من المراجعين الذين استولوا على قيادة الحزب والدولة » . وتسوق المقالة ايضا درس المجر حيث كان عدد من الكتاب والفنانين والمثقفين والبرجوازيين والمراجعين الذين نظموا نادى « بتوفى » « كانوا فصيلة الصدام فى التمرد المعادى للثورة » .

ونستخلص من هذه التجارب ضرورة التمسك بفكر ماوتسى تونج والتنبه للصراع الطبقى وخوض المعركة ضد المراجعين الجدد وافكارهم .. ولكنها لم تذكر اسماء الذين تعنيهم بأنهم رجال معروفون جيدا « ومسئولون » ومساندون من بعض الناس الذين لا يعرفون الحقيقة .

ثم تأتى المقالة الثالثة وهى بقلم **ياو وين يوان** وعنوانها حول « قرية العائلات الثلاث » — الطبيعة الرجعية لدردشات مسائية فى بنشان وملاحظات من قرية العائلات الثلاث وقد نشرت فى ١٠ مايو سنة ١٩٦٦ لتضع لمعركة الصراع الفكرى والسياسى التى عكستها المقالتين الاولتين ، تضع لها جسما حيا من اشخاص واحداث واعمال ادبية وفنية وهى تبدأ بلهجة عنيفة معلقة على نقد ذاتى نشرته « بكين اليومية » ، والجبهة الامامية فى ١٦ ابريل واصفة النقد بأنه « كذبة كبرى » .

ويتهم كاتب المقال تنجتو ، ولياو موشا ووهان بأنهم شكلوا عصابة سيطرت على المجلتين السابقتين وجريدة اخرى هى اخبار بكين المسائية وجعلوا منها ادوات لمعارضة الحزب والاشتراكية واتبعوا خطا معاديا للحزب والاشتراكية انتهازيا يمينيا اى مراجعا . وخدموا كأبواق للطبقات الرجعية والانتهازيين اليمينيين فى هجومهم على الحزب . والكاتب يدين النقد الذاتى باعتباره محاولة لطمس الحقائق وتخفيف الجرائم ثم يقول « لما كانت الجبهة الامامية » و « بكين اليومية » قد اثارتا فجأة مشكلة دردشات مسائية فى بنشان . وملاحظات من قرية العائلات الثلاث ولكنها تطمس الحقيقة ، فان من واجب كل الثوريين ان يقوموا بكشف شامل للطبيعة الرجعية لهذه الكتابات ثم يبدأ الكاتب فى دراسة تفصيلية لاعمال الكتاب الثلاثة مستدلا منها ومن تواريخ نشرها على وجود اتفاق فيما بينهم على نشر أفكار معارضة للحزب وعلى التعريض بالحزب والسياسة وقادته مستخدمين فى ذلك التاريخ القديم واشخاصه وحوادثه ، ومن امثلة ذلك :

- « فصل هاى جوى » يقابل فصل اليمينيين من الحزب

- النداء من اجل تحطيم الباب والاندفاع للخارج ، نداء للخروج على الحزب وخطه وقواعده .

- الحديث عن حزب المعارضة فى عهد اسرة منج هو رغبة فى اعماق تنج تو فى المعارضة الحزبية .

- حين يطلب تنج تو فى ١٢ ابريل ١٩٦١ فى مقال بعنوان « ارشد بدلا من ان تعوق » ان « كل شىء » ينبغى ارشاده لكى نسهل تطوره يبرز الكاتب استخدامه لكلمة « كل شىء » مبينا انه لكى نبقى فى طريق الاشتراكية ينبغى ان نسد طريق الرأسمالية وان « كل شىء » هذه تشمل القوى الرأسمالية المعادية للحزب والاشتراكية .

- وحين يقول تنج تو انه ينبغى ان نكون سعداء « اذا كان صديقنا اقوى منا » فان ذلك يعنى تملق عصابة خروشوف المراجعة — حين يتساءل تنج تو عما اذا كانت الحكمة وحدها تغنى عن الاستماع الى رأى المستشارين والشعب يعد ذلك تعريضا لقيادة الحزب .

وهكذا ، مائة وخمسون مقالة مختلفة نوقشت عينات منها تمثل هذه الروح والمنهج . حتى عند ما تساءل لياو موشا عن سر عظمة كونفيشيوس واجاب بأنها ديمقراطيته واستماعه الى نقد نظرياته ، عد ذلك تعريضا بفكر ماوتسى تونج .

وحين بدأ اعضاء « العصابة » « فى التراجع » وتقدم كل منهم بنقد ذاتى وجد الكاتب فى مقالات تنج تو ، ما يشير الى انه يستخدم « التراجع » كلعبة ماهرة من اجل النصر ، ولذا رفض النقد واعتبره زيفا وخداعا للحزب والجماهير .

وتأتى المقالة الرابعة لتناقش النقد الذاتى الذى قدمته الجرائد الثلاث موضع الاتهام والذى قدمه الكتاب انفسهم ولتثبت انه نقد زائف يستهدف تحويل القضية من قضية صراع طبقى بين البروليتاريا والبرجوازية الى قضية « اكاديمية خاصة » « بنظرية وراثة القيم الادبية القديمة » متسترة على الجرائم المتعمدة التى ارتكبوها فى حق الحزب والشعب . وتنتهى المقالة الرابعة بقولها : « انه لمن سوء الادب الا تعطى بعد ان تأخذ كما يقول المثل ، ونحن لن ندع اى منكم يهرب ، سنفتح نيرانا على الخط الاسود المعادى للحزب والاشتراكية ونمضى بالثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى الى نهايتها . لن تتوقف حتى النصر النهائى .

ولا تخرج المقالة الخامسة عن الرابعة فى شىء .

وتأتى المقالة السادسة لتقدم دراسة تفصيلية لاعمال تنج تو قام بها ستة من الكتاب الحزبيين ونشرتها جريدة « جيش التحرير اليومية » و « كوانج منج اليومية » فى ٨ مايو واتبعت منهج ذكر المقالة موضع النقد ثم التعليق عليها ، بعد ان قسمت المقالات الى مجموعات ، الاولى بعنوان هجوم مسموم على حزبنا العظيم وتضمنت اربع مقالات .

والثانية بعنوان « معارضة الخط العام للبناء الاشتراكى والقفزة الكبرى الى الامام ومهاجمة ديكتاتورية البروليتاريا وتضمنت خمس مقالات » .

والثالثة بعنوان : « الشكوى من الظلم الواقع على الانتهازيين اليمينيين الذين فصلوا من الخدمة .. » وتضمنت اربع مقالات .

والرابعة بعنوان « التصايح بعجرفة لن يتوقف حزبنا عن العمل ويركن الى الراحة » وتضم مقالتين . والخامسة بعنوان : « دردشات مسائية فى بتشان تهاجم الحزب والاشتراكية بدعوى نشر المعرفة » وتضم اربعة مقالات ..

والمقالات الواردة جميعها تاريخية ، بمعنى استخدامها للرمز التاريخى وهى فى ظاهرها لا تقدم سوى مفاهيم عامة وقيم عامة مقرة ، ولكن الكتاب يربطونها بأحداث عالمية ومحلية ومصاعب اقتصادية « واتهامات المراجعين الجدد لهم » « ونشاط الامبرياليين ضد الصين » ويخرجون منها بالاتهامات الواردة فى تصنيفاتهم .

وتأتى المقالة السابعة بعنوان « حول الموقف البرجوازى لمجلة الجبهة الامامية وجريدة بكين اليومية » للرفيق شى بن يو ونشرت فى مجلة العلم الاحمر العدد السابع لسنة ١٩٦٦ ، وفى هذا المقال ذكر الكاتب تاريخ تنج تو ، ولا جديد فيها الا انها تنتهى باعلان « اننا مقتنعين ان كل هؤلاء الرفاق فى اقسام النشر « بالجبهة الامامية » و « بكين اليومية » واخبار بكين المسائية » .. سيتقدمون فى شجاعة لرفع العلم الاحمر لفكر ماوتسى تونج وينفصلوا تماما من ممثلى البرجوازية ويكشفون وينقدون بجرأة الجرائم المعادية للحزب والاشتراكية .. « فان لم تقوموا بهذا النقد ... فستقوم به الجماهير » ..

ويحتوى الكتيب الثالث على مقالات اربع تتميز بعنفها وتبدأ بالمقالة الثامنة بعنوان « فلنكتسح كل الوحوش » يتكلم عن الموجة العالية الجديدة التى تعم الثورة البروليتارية الثقافية الكبرى فى الصين الاشتراكية التى يبلغ تعداد سكانها ربع سكان العالم كله ..

وهى تستعيد قول لينين « ان البرجوازيين يلقون بانفسهم بحماس متضاعف عشر مرات فى المعركة من اجل استعادة فردوسهم المفقود » ... ثم تمضى المقالة لتعلن ان الثورة البروليتارية تستهدف « اجتثاث كل الايديولوجية القديمة والثقافة وكل العادات والتقاليد التى اقامتها الطبقات المستغلة وسممت بها عقول الشعب لالاف السنين » ، وتنتهى المقالة باعلان ان ايام المراجعين معدودة .

والمقالة التاسعة بعنوان « ثورة عظيمة تلمس ارواح الجماهير » ونشرت فى ٢ يونيو فى الشعب اليومية ، تعلن ان شعار المعركة هو « اما ان تسحقنى او اسحقك » وتشرح حتمية وجود التناقضات فى المجتمع الاشتراكى واستمرارها فى العالم « لمائة مليون سنة » وحتى بعد دمار الارض وانقراض الشمس وان الصراع الطبقى شىء موضوعى خارج ارادة الانسان .. وتعيد التذكير بمأسساة نادى بيتوفى قائلة « ان الريح المعربدة تسبق العواصف الجبلية » .

والمقال العاشر بعنوان « فكر ماوتسى تونج هو تلسكوب وميكرسكوب هدفنا الثورى » نشر فى جريدة «جيش التحرير» اليومية فى ٧ يونيو ١٩٦٦، ولا جديد فى هذا المقال عما ورد فى سابقيه الا انه يركز تركيزا خاصا على اعتبار فكر ماوتسى تونج هو الماركسية فى قمتها وهو السلاح الوحيد لينير الطريق حيث تتشابك وتتعقد الاحداث والطرق وتعلن « ان كل جملة من جمل الرئيس ماوتسى تونج هى الحقيقة ولها وزن يزيد عما لعشرات الالاف من الجمل العادية » . وان اعداء الثورة هم الذين يتهمون فكر ماوتسى تونج بأنه « سفسطائى » . « ومفرط فى التبسيط » « وبراجماتى » وتنتهى باعلان ان اولئك الذين يعارضون فكر ماوتسى تونج سيدينهم الحزب كله والامة كلها بغض النظر عن تاريخ فعلتهم او عن انهم مسئولون من اى مستوى ...

والمقال الاخير بعنوان نحن نقاد العالم الجديد وهو افتتاحية الشعب اليومية فى ٨ يونيو ١٩٦٦ يعلن « ان التطور السريع والقوى لثورة الصين الثقافية البروليتارية العظمى تهز العالم » وتتحدث المقالة عن روح الماركسية اللينينية النقادة والثورية وتطلب الاعتماد فى عملية النقد « على اوسع الكتل من الشعب على العمال والفلاحين والجنود والكادر الثورى والمثقفين الثوريين » .

وانه فى هذا العصر « نهض الـ ٧٠٠ مليون صينى ليصبحوا شعب الحكمة » .

وهكذا تنتهى المقالات الاحدى عشر التى قدمتها دار النشر باللغات الاجنبية ببكين من الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى وهى فى مجموعها دعوة لازالة كل القديم ولتصفية الاعداء مهما كانوا « مسئولين » .. دعوة اساسها الفكرى ان الصراع الطبقى يزداد حدة كلما ازدادت الاشتراكية انتصارا وانك ان لم تسحق العدو سحقك .

والمقالات تبدأ فى ١٨ ابريل وتنتهى فى ٨ يونيو وفى هذه الفترة القصيرة نسبيا (خمسون يوما) تصاعدت لهجتها عنفا واتسمت اتهاماتها للاشخاص ، بسرعة متزايدة تفسر ما نقلته الينا الانباء بعد هذا التاريخ من احداث وآراء ومواقف وربما كان فى الطريق الينا مجموعة مقالات اخرى لحلقة رابعة فى سلسلة كتيبات « الثورة الثقافية الاشتراكية العظمى للمجلس فى الصين » ..

●

بيكاسو

● تأليف : بيير دبيه

في الخامس والعشرين من شهر اكتوبر الحالى يبلغ الفنان **بيكاسو** العمر خمسة وثمانين عاما . لقد ظهرت فى الاونة الاخيرة عدة كتب تناولت الجوانب المختلفة من حياة هذا الفنان الكبير غير انه يمكن القول ان كتاب بيير ديه (٢٧٠ صفحة) هو الكتاب الوحيد الذى يتناول شخصية هذا الفنان واعماله بالتحليل العميق ويهتم بالجوانب الشخصية والانسانية فى حياته الحافلة ، كما يعنى بمتابعة اتجاهاته بالدراسة العلمية التى تقوم على الفهم الواعى لدور الفن فى تأكيد وجود الانسان وتطوره .

ومؤلف الكتاب « بيير ديه » واحد من الادباء الفرنسيين الملتزمين بالمنهج الاشتراكى العلمى ، وقد اشترك فى مقاومة الاحتلال النازى ابان الحرب العالمية الثانية . وزج به فى احد معسكرات الموت الهتلرية الى ان اندحرت المانيا النازية فأطلق سراحه ، وانتاجه الادبى لايقتصر على الاعمال الروائية فله مؤلفات نقدية فنية عديدة من اشهرها كتابه : ميلاد الشعر الفرنسى ودراسته عند ديلاكروا .

منذ مائة سنة عندما رفضت لوحة مانية « الغداء على العشب » كان مفهوم الرسم هو النقل والمشابهة ، وكان الذوق الفنى يتمثل فى التقليد والمحاكاة . لكن الروح العصرية فى الفن تجد تعريفها عند الشاعر **ابولينير** عندما ينادى فى عام ١٩١٧ : « **يجب الرجوع الى الطبيعة نفسها ولكن دون تقليدها على طريقة المصورين . يجب ان يصبح التقليد تحويرا والمطابقة اختراعا والمشابهة خلقا وابتكارا** . وفى هذا الاتجاه وجد الرسامون والشعراء انفسهم فى الطليعة.

وقد اشترك بيكاسو اكثر من اى فنان آخر فى تحطيم الفكرة التلقائية عن التشابه . انه يقدم مفهوما جديدا عندما يقول :

« ... ان الفن ليس هو الحقيقة . الفن هو الخداع . انه يتيح لنا ان نقترب من الحقيقة — على الاقل الحقيقة التى نستطيع ان نميزها » . وبيكاسو الذى يقدم هذا المفهوم يؤمن فى نفس الوقت بالمفهوم المادى للعالم والانسان والفن . وفى الواقع — كما يقول المؤلف — فانه « ليس هناك شىء يقترب من الحقيقة كأعمال بيكاسو . ان الوجوه فى رسومه تعبر عن حقيقة الالم والسعادة والحب ، ولكنها حقائق متحركة . ان الحب يولد وينتصر ويتلاشى ، والجمال يتفجر فى الفرح وينعدم فى الاسى . ان بيكاسو يحطم فكرة الطبيعة الصامتة ، فالاشياء تصرخ وتضحك وتنام ، وتكون فى سلام او حرب ، ولكنها دائما حية كنظرتنا الحية لها » .

يقول الشاعر **بول ايلوار** : « ان بيكاسو يعتبر من اعظم الرجال الذين فرضوا وجودهم ،وتركت حياتهم اثرا لايمحى . لقد أكد بطريقة جريئة جدا وعظيمة وجود الانسان والعالم » . ان قدرة بيكاسو على العمل وجلده وسرعته ودقة تعبيره تتحدى كل خيال . ان الوجود بالنسبة لبيكاسو هو ان يرسم، ان يبتكر ، ان يحول ويتحول ، ان يخلق نفسه اى ان يحيا.

وبيكاسو ليس اسبانيا بالمعنى المحدود باطار اقليم بلده وخصائصه، صحيح ان عينيه قد تفتحتا على الارض والشمس والبحر الاندلسى لكنه قد بنى حياته خارج هذه الحدود . ولقد بدأ نضجه الفنى منذ صغره ،وهو يقول عن نفسه : « عندما كنت صغيرا لم اكن استطيع ان اشترك فى رسوم الاطفال لانى فى الثانية عشر من عمرى كنت ارسم مثل رفاييل » . وفى الرابعة عشر عندما كان فى مدرسة الفنون الجميلة فى برشلونة ، انهى فى يوم واحد رسم الامتحان الذى كان مقررا له شهرا كاملا . وكان نضج ذكائه ومقدرته على الاختيار والحسم مثارا للدهشة والاعجاب . وهو لايستطيع ان يرسم الكائنات او الاشياء الا اذا تعرف على مكنونها وحقيقتها . ان التعبير عن كل شىء له اهمية اساسية بالنسبة له . ومنذ بداية عهده بالرسم لوحظ انه يبدأ رسومه من اى جانب من جوانب اللوحة لكنه ينتهى من الرسم بالعودة الى نفس النقطة التى بدأ منها وكأنه يرسم على شىء سبق تخطيطه .

وبيكاسو لايضيف شيئا عندما يعتقد انه قال كل شىء ، وهو لايرسم اى شىء الا اذا كان له اهميته فى اللوحة. ويقول سابارتس ان بيكاسو فى رسمه يجسم التعبير والحركة ويركز على الشىء المهم فى نظره ولا يضيع وقته فى التفاصيل غير المجدية او الخارجة عن موضوعه .

وفى السن السادسة عشر وحتى سن العشرين يعانى الفنان الشاب الحرمان والبؤس ، ويتأثر الفنان الشاب بالفن الاسبانى فى اقليم « قطالونيا » وهو مزيج من الفن العربى واللومباردى . ويتنقل بيكاسو بين مدن اسبانيا ، ولكنه فى عام ١٩٠٠ عند بلوغه التاسعة عشر يرحل الى باريس ويستقر فى حى مونمارتر ولكنه يعود ثانية الى مدريد وبرشلونة ، وفى هذه الفترة يرسم لوحاته على طريقة لوتريك وستيفلر وهو يكشف فى النظرات البلهاء للوجوه التى يرسمها عن ملل الحياة والشعور بالغثيان .

وتحمل الفترة التى بدأ فيها بيكاسو استقلاله الفنى ونفض يده من الرسم على طريقة الاخرين اسم « **الفترة الزرقاء** » . وفى بداية الفترة الزرقاء عام ١٩٠١ نلحظ عند بيكاسو ارادته فى الوصول الى منابع الفن ، وان ينسى كل ما اكتسبه » . ويعتقد بيكاسو ان الفن وليد الحزن والالم ، وان الحزن يدفع للتأمل ، وان الالم هو اساس الحياة . وخلال هذه « الفترة الزرقاء » يصبح اللون الازرق هو لغة بيكاسو . وفى لوحته « البائسة » يتساءل بيكاسو ويجبرنا على ان نتساءل عن معنى هذه الحياة . ان اللون الازرق يصبح طريقا للتعبير عن هذا السؤال الملح ، عن الالم الممض والاشفاق الحزين .

ويترك بيكاسو اسبانيا مرة اخرى ويرحل الى باريس وهو يكاد يختنق من افتقاده للصداقة والحرية وهو يقول لاحد اصدقائه « لو كان تيزان فى اسبانيا لما اخرجوه حيا » .

وتتميز لوحات بيكاسو فى هذه الفترة بعلمانية الموضوع . انه يضع الفقراء والبؤس الحقيقى مكان الموضوعات الروحانية التى تميز الرسم الاسبانى الكلاسيكى ، والى جانب ذلك تتصف لوحاته بالاصالة والاستقلالية فى التنفيذ بدراسة خطوط وامكانيات اللون الازرق فى التعبير عن الظل والليل، والبؤس والاسى والجوع ، وحتى الاصدقاء . وبعد ثلاثين عاما يقول بيكاسو عن اللون الازرق : « انه احسن شىء فى الوجود ، انه سيد الالوان » . ان بيكاسو يعطى للرسم قوة الافكار ، فالرسم عنده ليس تقليدا او نقلا للواقع ، انه ابتكار وخلق وتكوين ، واشارات والوان ، تعبر عن الفكرة الاساسية انه شىء مستقل عن اى تصوير للطبيعة قادر على تحريك العواطف . ان الرسم لم يعد مجرد موضوع لامتاع النظر . وهكذا يتحرر الرسم من الوضعية الطبيعية او تأثيرية ليصل الى تعبير شامل يعطى معنى لما اسماه بودلير: « التعبير المعنوى للون والخطوط المحددة » .

وفى ١٩٠٤ يحدث تغير شامل فى رسوم بيكاسو . ان الوانه تصبح اكثر دفئا وتنوعا ، ولكن اهم شىء فى هذا التغيير هو وضوح العلاقة بين الشكل والمضمون . ان اللون الواحد الازرق يعبر عن الاماكن العامة دون دفء انسانى ، بينما يحكى اللون الوردى عن البيت الخاص والعلاقات الوثيقة . ان التغيير التشكيلى يتمشى مع ظروف الحياة . ويتعرف بيكاسو بحبيبته « فرناند » وتتفتح امامه الدنيا واسعة ، فالحب يملأ حياته واعماله تلقى اهتماما . وتصبح « فرناند » نموذجه الذى يعبر عنه بطريقة حسية فى رقة وحنان ، ويهتم بيكاسو بالبحث عن منابع الفن : الفن الاغريقى القديم والمسلات الفرعونية ، ويذهب مع « فرناند » الى اسبانيا حيث يبحث عن خشونة الحياة وبساطتها فى قرية من قرى الجبال حيث القسوة وتجرد الحياة وانفصالها عن العالم .

وفى ١٩٠٧ يرسم بيكاسو لوحة الانسة دافينون التى تهز الوسط الفنى ، والشىء الذى يثير الرأى العام فى هذه اللوحة هو التغيير الذى احدثه بيكاسو فى الوجه البشرى الذى خلقه الله على صورته ، كما تقول تعاليم الدين المسيحى ، لكن علام كل هذه الضجة ؟ ان العلماء لكى يصوروا الحقيقة لابد ان يتجاهلوا المظاهر والامر المألوف . ان « هرتز » يكتشف فى الجو الموجات غير المرئية ، ولا بأس من انتهاج نفس السبيل . وفى هذا الاتجاه يبحث بيكاسو فى الفن البدائى عن دروس فى التعبير . انه لايعتبر الفنانين البدائيين جهلاء غير مهرة، بل على العكس من ذلك يقول انهم يعبرون عن افكارهم بطريقة اوضح من الفنانين الذين أتوا بعدهم . ويبدو تأثر بيكاسو بالفن البدائى واضحا فى رسمه للرؤوس والاقنعة .

وفى اعمال بيكاسو عام ١٩٠٧ — ١٩٠٨ نجد اهتماما بالبحث عن الاشكال الهندسية المكعبة والاسطوانية والكروية، ويعبر بيكاسو عن الجمال فى حقيقته بلا تمييز او اختيار للموضوعات . انه يعلمنا ان نرى الجمال فى شكل الاشياء البسيطة التى لم تكن تجذب انتباهنا من قبل .

والتجديد عند بيكاسو هو ابراز ماهو مميز وهام فى الواقع،

انه اتجاه الى الواقعية ان الواقعية هي نقد الواقع وتصميم الفنان على استخراج المعنى ، وهذا يتناقض مع الطبيعية حيث يحترم الفنان التفاصيل وعدم النظام في المظاهر الملموسة .لقد اصبح الانفصال عن فن النهضة ضرورة ملحة في القرن العشرين ، فالكهرباء والكيمياء قد غيرا تماما العلاقة بين الانسان والطبيعة.لقد فتح «براك» و «بيكاسو» الباب للصراع بين الرسم والواقع، وأصبح من الواجب اعادة النظر ليس في مضمون وطرق الرسم فحسب بل كذلك في عملية الرسم نفسها ومعناها العميق ».

وفي ١٩١٢ صحبه الجديد « مارسيل » التي يسميها حواء، يبتدع بيكاسو طريقة جديدة في الرسم . انه يلجأ الى اللصق ويرسم الاشياء البسيطة مثل طابع البريد او جزء من صحيفة او لفافة دخان » وتصبح هذه الاشياء اللغة الجديدة للفن التشكيلي . وفي نشوة الحب الجديد مع حوائه، يرسم بيكاسو لوحات تمتاز بالتوازن والشفافية،ويبدأ اتجاهه في الرسم يتعارض مع اتجاه « براك » .

وفي السنوات التالية للحرب العالمية الاولى يغير بيكاسو اسلوب رسمه » انه يترك الفن التكعيبي ليعود الى الخطوط البسيطة والبعدين ، وهو يقول بهذه المناسبة : « ان الرسم بالخطوط بعيد عن التقليد ، ان له ضوءه الخاص المبتكر ».

وفي ١٩١٦ يصيب المرض حواء بيكاسو وتموت . ويحاول الفنان ان ينسى حزنه على حبيبته فيذهب الى ايطاليا وهناك يتعرف على « اولجا » راقصة الباليه . ويشترك بيكاسو في تصميم الديكور والملابس للفرقة التي تعمل فيها «اولجا» ، ويلهب الحب الجديد مشاعره ويلهمه رسم بضعة لوحات يطلق عليها اسم « باليه » . ويهدف بيكاسو الى ان يكون رسمه شاملا. انه يعتبر الرسم سيد قادر على التعبيرعن اي شيء في الوجود : الاحداث والاسباب،الحجم والحركة واللون وحتى الذكريات » وحين يذهب بيكاسو الى ساحل فرنسا الجنوبي عام ١٩٢٠ ليستلهم مناظر الطبيعة في رسم لوحات جديدة يقول : « الطبيعة والفن شيئين مختلفين . اننا نعبر في الفن عن مفهومنا للاشياء التي لا توجد في الطبيعة ».

وفي الفترة مابين ١٩٢١ ، ١٩٢٣ تظهر الحركة السيريالية، وتعبر لوحات بيكاسو عن هذا الاتجاه الذي عرفه ابولينير بقوله : « السيريالية هي العودة الى الطبيعة ولكن دون تقليد للمظاهر » . ويقول بيكاسو في هذه الفترة : « لايوجد فن تجريدي . يجب ان نبدأ بشيء ما يمكن ان يمحوا كل مظاهر الواقع » »

ويقول ريفيردي « السيريالية هي التعبير عما يمر بالذهن بلا اي تنظيم او تحكم ، بلا اي اهتمام بضوابط جمالية او اخلاقية » .

وفي عام ١٩٣١ تظهر امرأة رابعة في حياة بيكاسو ، انها « ماري تيريز » التي يصبح وجودها في حياة الفنان باعثا ملهما لكي يرسم في سعادة وحرية » ان ماري تيريز تصبح بالنسبة له أنشودة من الالوان والتموجات ، ان لوحاته عنها تمثل حوارا يعبر عن انسجام الاجساد والنوم المتراخي في خطوط تعبر عن السعادة ، ويقول بيكاسو لاحد اصدقائه : « في الواقع لايوجد الا الحب ، مهما يكن ، ويجب ان تفقأ اعين الرسامين بالحب كما يفعلوا لبعض الطيور كي يكون تغريدها اجمل واعذب » .

ويظهر في لوحات بيكاسو شكل الحيوان الاسطوري الذي صورته الاساطير اليونانية في صورة حصان ذو رأس آدمي، غير ان هذا الحيوان لايمثل مجرد وحش اسطوري كما عبرت عنه رسوم عصر النهضة ، لكنه يعبر في رسوم بيكاسو عن الحسية العارمة العارية، عن الرجل في حالته الطبيعية قوة وضعفا ، عن الصورة الذاتية غير المباشرة للفنان نفسه ».

وفي مايو ١٩٣٦ يلتقي بيكاسو بالشاعر بول ايلوار في باريس ، ويلهم هذا اللقاء بيكاسو فيؤلف بعض الاشعار ، وبالرغم من فارق السن بين الرسام والشاعر فانهما يلتقيان عند نفس المفاهيم عن الحياة والناس .

ان النقاد يقولون عن بيكاسو انه انتزع الفن الحديث من الطبقة البرجوازية لكي يطوره ويجعله مترعا بأحلام الشعوب، وهذا صحيح . لقد عبر بيكاسو بفنه عن الحرب الاهلية التي طحنت وطنه اسبانيا . فحين ألقت قوات هتلر النازية قنابلها في ٢٨ ابريل ١٩٣٧ على جيرنيكا (وهي مدينة اسبانية على الحدود الاسبانية الفرنسية) يرسم بيكاسو لوحة «جيرنيكا» التي تعد اول لوحة تاريخية رسمت لشعب يصنع تاريخه بنفسه . انها مرآة للوحشية والفزع وهي تمثل نضال الرجال ضد جلاديهم ، ويقول بيكاسو :

« ان الحرب الاسبانية هي حرب الرجعية ضد الشعب وضد الحرية ، ان كل حياتي الفنية لم تكن الا نضالا مستمرا ضد الرجعية وموت الفن . وفي لوحتي جيرنيكا عبرت بوضوح عن الفزع من السلطة العسكرية التي اغرقت اسبانيا في بحر من الالم والموت . اننا يجب ان نساعد الناس على انقاذهم من الوحشية .. التي تنادي « الموت للفكر » .

ويقول بيكاسو ايضا : « انني كنت دائما أؤمن ومازلت أؤمن ان الفنانين .. لايجب ان يكونوا غير مبالين حين تكون اعلى قيم الانسانية والحضارة في خطر .»

وفي وسط جو الحرب الاسبانية المملوء بالالم والاسى والذي يضفي لونا قاتما على لوحات بيكاسو تظهر امرأة خامسة في حياة بيكاسو . انها « دورا مبار » الرسامة والمصورة ، ويبدو كما لو ان بيكاسو يستعيد شبابه ، انه يعبر عن دورا في لوحاته بألوان مرحة كأنها انشودة الحياة ضد ضوضاء المذابح ، تعبر عن الحيوية والسعادة الحارة ممزوجة بالاسى والقلق .

وخلال عامي ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ يهتم بيكاسو برسم ابنته « مايا » مع امها ، وهو يبرز في هذه اللوحات حنان الامومة، والحماية والالتجاء ، والود والقلق .

ان رسوم بيكاسو تنبع من التأثيرات النفسية ومشاكل الحياة الكبرى والاحداث التاريخية ، وهو يعبر عن كل ذلك تعبيرا خلاقا شاعريا .

وفي ربيع ١٩٣٨ عندما تدخل جيوش فرانكو برشلونة وتحتضر اسبانيا الجمهورية وتستسلم مدريد تظهر وجوه النساء في رسوم بيكاسو بعيون واجمة على وشك البكاء ، وهي تصرخ معبرة عن الهلع والجنون والجريمة التي تسود.»

وتصرخ الوجوه في مايو ويونيه ١٩٣٨ بالحداد والحزن والاسى في لوحات تمثل قصائد شعرية ملونة . ووسط الاحداث المقلقة ، وحزن الفنان على مصرع أصدقائه يحاول بيكاسو قهر الحزن بالرسم ».

وفي ١٧ مايو ١٩٤٠ حين يهرب الناس امام الزحف النازي، لايفكر بيكاسو في ان يترك فرنسا رغم انه يعلم ان الالمان يعتبرونه ممثلا للبلشفية في الفن ويعلم انهم لن ينسوا له لوحة « جيرنيكا » . لكنه يرفض الهرب ويبقى في القطاع المحتل لفرنسا ممثلا الصمود الشجاع امام الخطر ، وهو يقول عن الالمان : « انهم بلهاء ، كم من الجنود والدبابات والضجيج يحتاجون للوصول الى هنا . انهم يظنون انهم غزوا باريس » اما نحن فقد وصلنا الى برلين منذ زمن طويل دون ان نتحرك من هنا، واعتقد انهم لن يستطيعوا طردنا».

وتظهر شجاعة بيكاسو عندما يحضر جنازة ماكس جاكوب الشاعر الذى القاه النازيون فى معسكرات الاعتقال والذى توفى هناك عام ١٩٤٤ .

لقد كان الفن بالنسبة لبيكاسو طريقه وسلاحه للتغلب على الاهوال بالتعبير عنها وفضحها واستنكارها وكشفها امام الجميع ، ان الابعاد الانسانية لهذا الفنان العظيم تتضح اذا لاحظنا ان كل اعماله الفنية قد وجهها ضد الكذب وخداع الاخلاق وفساد المجتمع . ولوحات بيكاسو اثناء الحرب تعبر عن ثقته فى الانسان وايمانه بانتصار الحياة ضد الدمار والخراب ، وقد اصبح بيكاسو فى نظر العالم رمزا للفنان الذى ناضل ضد البربرية النازية .

وفى ٥ اكتوبر ١٩٤٤ اعلنت جريدة « الايمانيته » انتساء بيكاسو للحزب الشيوعى الفرنسى ، ويقول بيكاسو بهذه المناسبة : « لقد جئت الى الشيوعية كما يجيء الظامىء الى ينبوع.ان انتمائى للحزب الشيوعى هو النتيجة المنطقية لكل حياتى واعمالى ، لاننى افخر بأن اقول اننى لم اعتبر الرسم فن لمجرد المتعة او التسلية . لقد اردت بالرسوم وبالالوان — وهم اسلحتى — ان تكون معرفتى بالعالم والناس احسن وافضل كى نتحرر بفضل التقدم فى المعرفة كل يوم اكثر فأكثر . نعم ، اننى اشعر اننى ناضلت برسمى كثورى حقيقى ، كنت على عجل ان التقى بوطنى . لقد كنت دائما منفيا لكننى لم اعد الان كذلك .»

وفى ١٩٤٥ تظهر امرأة اخرى فى حياة بيكاسو وهى « فرانسواز جيلو » التى تصبح نموذجه الجديد وتظهر فى رسومه كالزهرة ، كالشمس ، وكآلهة للخصوبة ، ويرسم بيكاسو فى هذه الفترة لوحات تمتاز بالواقعية والاشتراكية .

وفى عام ١٩٤٩ يذهب بيكاسو الى قرية « فالبرى » وهى قرية فرنسية مشهورة بأعمال الفخار ، ويشتغل الفنان فى زخرفة وتصميم الاوانى والاطباق ويقول « ان الفنان يصبح اقرب الى الشعب اذا استعمل الشعب فى حياته اليومية اعماله الفنية » .

وفى ١٩٥٠ تنشب حرب كوريا ، ويرسم بيكاسو لوحاته التى يسميها «مذبحة كوريا» وفيها يندد الفنان بالجانب الآلى وغير الانسانى للمذبحة .

وفى ٢ مارس ١٩٥٢ عندما يموت ستالين ، يرسم بيكاسو لجريدة « ليتر فرانسيز » صورة لستالين ، غير أن هذه الصورة تثير موجة عنيفة من الهجوم على الفنان من جانب الحزب الشيوعى الفرنسى الذى يرى تحت تأثير عبادة الفرد ان الصورة تمتهن ذكرى ستالين .

وفى ربيع ٥٤ تظهر شخصية نسائية جديدة فى حياة بيكاسو وهى « جاكلين روك » التى تصبح زوجة له وتمثل فى رسومه رمزا للحب والسلام .

وعندما تندلع الثورة الجزائرية فى نوفمبر ٥٤ يرسم بيكاسو لوحته « نساء الجزائر » .

ان بيكاسو هو رسام النظرة الانسانية العميقة وهو يقول: « ان الرسم أقوى منى . انه يجعلنى انفذ مايريده » .. ان الرسم هو تأثير انسانى على الطبيعة وتنظيم انسانى للاشكال والمادة ، وفى الرسم يوجد دائما شيء يكتشف فهو محاولة. انه ذو له نفس الهدف ونفس المعنى الذى للحياة » .



اسلوب الانتاج الاسيوى

● مجلة « لابانسيه » الفرنسية

افردت مجلة لابانسيه « الفكر » مجلة الارشيدية الحديثة التى يصدرها كل شهرين عدد من كبار رجال الفكر اليسارى فى فرنسا سلسلة مقالات لمناقشة «اسلوب الانتاج الاسيوى» . ولما كانت القضية متشعبة الجوانب تحتمل أكثر من تحليل وتفسير نظرى ، مع تقديم تطبيقات لها فى مختلف بلاد العالم،فقد خصصت المجلة لمناقشتها اعدادها رقم ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، وقدمت مجموعة دراسات تشمل جدلا طويلا حول الاراء المتباينة حول هذه القضية .

فمن المعروف لكل من الم ولو بقشور الفكر الاشتراكى العلمى ان الماركسية تعتبر الاقتصاد المحرك الاساسى لتطور المجتمعات الانسانية،وان ماركس حدد بصفة عامة اربع أساليب انتاج معروفة تعاقبت على تاريخ البشرية وهى : المشاعية البدائية ، العبودية ، الاقطاع ، الراسمالية ، كما تنبأ بحتمية حلول أسلوب الانتاج الاشتراكى محل الاسلوب الراسمالى .

غير ان عددا لايستهان به من المفكرين اليساريين لاحظوا ان ماركس وانجلز تعرضا فى اكثر من مناسبة ، وبالاخص فى الخطابات المتبادلة بينهما ، لاسلوب انتاج آخر اطلقا عليه « اسلوب الانتاج الاسيوى » .

وربما كانت هذه التسمية قاصرة بعض الشيء ، خاصة اذا عرفنا ان مدلولاتها صالحة لتطبيقها لا على مجتمعات آسيا القديمة وحدها بل على المجتمعات الافريقية والاسترالية والامريكية (قبل اكتشاف امريكا) ولكنها سمحت على الاقل بفتح باب النقاش .

على ان القضية ليست جديدة تماما . فقد برزت الى الوجود فى سنوات ١٩٢٠ و ١٩٢٥ عندما تخلت الدولية الثالثة عن فكرة اولوية قيام الثورة الاشتراكية فى الدول الصناعية فى الغرب وتبنت فكرة انتقال مركز ثقل الكفاح الثورى الى العالم الشرقى المستعمر .

وعندئذ اصبحت طبيعة العلاقات الاجتماعية فى الشرق

وارتباطها بأسلوب الانتاج ، مسالة ذات اهمية تصسوى لان وضع استراتيجية ثورية حقيقية لابد وان يعتمد على تحديد سليم لموقف الطبقات المختلفة فى تلك المجتمعات التى لم تتطور وفقا للنموذج الغربى التقليدى . وبالفعل ظهرت فى هذه الفترة القصيرة دراسات عديدة فى الموضوع .

ولكن اخفاق الثورة الصينية فى سنوات ١٩٢٥ ، ١٩٢٧ ، واستئثار ستالين بمقاليد الامور فى الاتحاد السوفيتى بعد تخلصه من المعارضة ، ادى الى مرتلة تقدم البحث فى الاتجاه الجديد .وفى فبراير ١٩٣١ عقدمؤتمر بلننجراد لمناقشة « اسلوب الانتاج الاسيوى » غير ان المؤتمر كان اقرب الى المظاهرة السياسية منه الى البحث العلمى الحريص على الوصول الى الحقائق فادين المدافعون عن اسلوب الانتاج الاسيوى والصقت بهم تهمة التروتسكيه الرائجة آنذاك بالرغم من ابتعادهم عن التطرف اليسارى .

واختفى مع هذا الموقف الحاسم من جانب لينجراد ، عدد من المدافعين عن اسلوب الانتاج الاسيوى لاعتبارات سياسية بالطبع لا لمجرد خلاف نظرى بحت . وهكذا ساد بين المفكرين السوفيت المهتمين بقضايا الشرق اتجاه التجاهل التام للقضية او الاكتفاء باعتبارها مجرد حالات استثنائية محدودة لم تخف على عبقرية ماركس ولكنها لا ترقى ابدا الى مرتبة العمومية . وما كان احد منهم يستطيع ان يتحدى التقسيم النهائى الذى استخلصه ستالين من كتابات ماركس فى كتاب « المادية الجدلية والمادية التاريخية » .

ويقول الاقتصادى المجرى المعروف **يوجين فارجا** فى مقال له نشر فى عام ١٩٦٤ ، قبل وفاته باشهر قليلة : « لقد اختفى اسلوب الانتاج الاسيوى من ادبيات الماركسية ولم تعد تجرى سيرته فى كتب الاقتصاد السياسى ولا فى الدراسات الخاصة بالنظرية الماركسية اللينينية . ومع ان الانسكلوبيديا السوفيتية الضخمة تتكون من ٥١ مجلدا الا اننا لا نجد من بين مصطلحاتها « اسلوب الانتاج الاسيوى » كما لا نعثر ايضا فى اى مشروع ادنى تفسير لعدم التعرض لهذه القضية الهامة . كل مافى الامر انهم اسدلوا عليها ستارا من الصمت » .

ومع ذلك استمرت المناقشة فى الصين حتى عام ١٩٣٥ ، وكذلك ايضا فى اليابان ، بتأثير من الفكر الصينى . ولكن الاتجاه العام فى الصين منذ ١٩٤٩ وبالاخص فى السنوات الاخيرة ، حال نحو تطبيق المراحل الخمس المعروفة فى الغرب على تاريخ الصين ، بل كف الكلام عن الخصائص المميزة للعبودية او الاقطاع الصينى ، ولم تقدم اى دراسة جديدة تفسر ظهور الحكم البيروقراطى مبكرا ، وجاءت تقديرات المؤرخين الصينيين شديدة التباين نتيجة للصعوبات التى صادفتهم فى محاولة صب تاريخهم فى القالب التقليدى العام . فبعضهم يمد مرحلة العبودية حتى ظهور المسيحية ، بينما يرى البعض الاخر ان الاقطاع بدأ فى الصين مابين القرن الثامن والخامس قبل الميلاد .

وبرزت القضية للوجود مرة اخرى فى السنوات الاخيرة لمواجهة الاوضاع الجديدة التى عرفها عالم مابعد الحرب العالمية الثانية . فقد انطلقت حركات التحرر الوطنى ودخلت الامم المتحدة اغلبية الدول الافريقية والاسيوية واصبحت مشاكل التنمية الاقتصادية ملحة للغاية عند هذه الدول ، كما اثيرت مناقشات طويلة حول تحديد الطريق الغير رأسمالى ، ومضمون الصراع الطبقى قبل الاستقلال وبعده .

ومن جهة اخرى ادى التخلص من عبادة الفرد وتعدد المراكز الاشتراكية فى العالم ، واستشعار كثير من المهتمين بدراسة تاريخ المجتمعات الشرقية عامة كثير من المصاعب والحرج فى محاولة تطبيق القواعد العامة للتطور الاجتماعى على الحالات التى يعالجونها ، ادى كل ذلك الى ازدهار البحث بعيدا عن الحجر الذى فرضته سنوات الجمود على المفكرين الاشتراكيين .

وبالطبع قوبل احياء « اسلوب الانتاج الاسيوى » بهجوم مضاد من قبل انصار الجمود العقائدى . غير انه اصبح من المستحيل الان انكار الحقائق التى ظلت طى الكتمان مدة طويلة ، ولذا اتجه هؤلاء الى الاعتراف ظاهريا باسلوب الانتاج الاسيوى باعتباره « شكلا اسيويا للاقطاع » ، يعقب المجتمع العبودى التقليدى . غير ان هذا التراجع لم يأت بالطبع بأى جديد ، فمن المسلم به اصلا من الجميع ان الاقطاع فى البلدان الشرقية تميز بخصائص مختلفة عن الاقطاع الاوروبى .

لقد انتقلت المجتمعات القبلية الاوروبية السحيقة ، تدريجيا من اسلوب الانتاج المتشاعى البدائى الى اسلوب الانتاج العبودى مع ظهور الملكية الخاصة للارض ولوسائل الانتاج . اما اسلوب الانتاج الاسيوى ، فهو الشكل الاعم لتطور المجتمع المشاعى البدائى فى كثير من مناطق العالم الشرقى وبالاخص فى الحضارات الزراعية الكبيرة فى الصين ، والهند ومصر ومابين النهرين . فقد تميزت جميع هذه الحضارات بالاعتماد على نظام الرى الصناعى على شريط ضيق نوعا من الاراضى الزراعية ، وعدم وجود ملكيه خاصة للارض (عكس ماحدث فى اليونان وروما) وقيام دولة مركزية قوية ، وتوفر كمية كبيرة من اليد العاملة ، وعدم اعتماد المجتمع على العبودية المطلقة بل على حيازة الفلاحين للارض مقابل الالتزام بدفع الضريبة عن طريق جهاز الدولة البيروقراطى ، للحاكم المطلق بوصفه المالك الوحيد لكل اراضى الدولة .

ففى جميع هذه الحضارات تقوم الدولة بوظيفة حيوية وهامة للغاية ، لا غنى عنها فى عملية اعادة الانتاج ، وهى اقامة مشاريع الرى والاشراف على توزيع المياه للزراعة . ولذا تميزت هذه الدول بمركزيتها الشديدة المعروفة « بالطغيان الشرقى » وليس من قبيل المصادفة ان اللقب الاول لفرعون مصر كان « **مهندس رى البلاد** » وان من مهام الدولة تخزين احتياطى من الحبوب للسنوات العجاف ، كما ورد فى الكتب السماوية وثبت من الوثائق المصريه القديمة . ولاشك ان هذه السمات مختلفة تماما عن سمات النظامين العبودى والاقطاعى التقليديين . فالاقطاع الاوروبى ، لايعتمد على المركزية المطلقة والملك نفسه ليس الا سيدا اقطاعيا منتخبا من بين اقرانه من السادة ، لا يمتد نفوذه عادة خارج اقطاعيته اللهم الا اذا تمكن من فرض سلطانه على السادة الضعاف . ولم يكن الجيش ايضا فى ظل الاقطاع الكلاسيكى سوى مجموع جيوش السادة فلا تقوم حربا الا اذا حصل الملك على موافقة السادة الذين سيشتركون معه فى خوضها كل منهم بقواته المستقلة . وكان السيد يستأثر فى حدود اقطاعيته ، بكل وظائف الدولة الهامة : الجيش ، صيانة الامن ، اقامة العدل حتى انه كان يتمتع بحق اصدار العقوبات ومنها الحكم بالاعدام .

ومن جهة اخرى كان تقدير مساحات الارض والنظرة لليد العاملة مختلفة تماما . فمن الملاحظ بصفة عامة ان وحدات قياس الارض صغيرة فى البلدان الشرقية وان كسورها شائعة الاستخدام . اما فى دول الغرب فكانت وحدات القياس اكبر . كما ان تحديد المساحات عند انتقال ملكيتها كان يعتمد على الوصف التقريبى ، كأن يقال انها تمتد من الغابة الفلانية الى شاطىء النهر ومن سفح الجبل الى طريق معين . وكانت ثروة السادة فى روسيا القيصرية لا تقاس فقط بعدد الديسنتيمات ولكن بعدد « ارواح » الرقيق التى تعمل فى الارض ، كما انتشرت ايضا فى ظل الاقطاع الاوروبى الغارات التى يشنها السادة على جيرانهم للاستيلاء على الاتباع والماشية . وهنا يظهر الاختلاف الواضح بين ندرة اليد العاملة ،

ووفرتها التى سمحت للحضارات الشرقية باقامة منشآت هائلة مثل الاهرامات وسور الصين العظيم .

وهذه الملاحظات وغيرها ، توضح اهمية البحث عن السمات المشتركة فى تطور المجتمعات الشرقية ، وعن تشعب القضية . وقد حرصت مجلة « لابانسيه » على تقديم قائمة بالجهود التى صدرت بلغات مختلفة فى هذا المجال ومن بينها كتاب **ابراهيم عامر** « الارض والفلاح ، المسألة الزراعية فى مصر » . ونشرت سلسلة من المقالات من بينها : الجماعات القروية عند الانكا والازتيك والمايا والمؤرخون اليابانيون واسلوب الانتاج الاسيوى واسلوب الانتاج الاسيوى : مرحلة جديدة فى مناقشة اساسية واسلوب الانتاج الاسيوى فى مؤلفات ماركس وانجلز واسلوب الانتاج الاسيوى : بعض ابعاد البحث والمجتمعات التقليدية فى افريقيا ومفهوم اسلوب الانتاج الاسيوى ، وحقوق الارض فى مجتمعات مدغشقر قبل استعمارها ، وما قبل التاريخ فى حوض البحر الابيض المتوسط واسلوب الانتاج الاسيوى .

وتتجه كل هذه المقالات نحو اعتبار اسلوب الانتاج الاسيوى ، الشكل الاعم لتطور المجتمع المشاعى البدائى ، على عكس الفكرة الراسخة وهى ان المجتمع البدائى يتطور الى مجتمع عبودى مع ظهور الملكية الخاصة للارض ولادوات الانتاج .

●

اعلى معدل لاستيراد رأس المال بالنسبة للفرد فى العالم

● مجلة « العامل » الامريكية

رغم كل محاولات التعمية والتجهيل ، التى حشد لها الاستعمار اجهزة وامكانيات على درجة هائلة من التخصص والكفاءة . لاحاطة اسرائيل بهالة زائفة ، لخداع الرأى العام العالمى ، واخفاء طبيعة تلك الدولة ، والهدف من انشائها كقاعدة عدوانية استعمارية ، ورغم نجاح هذه الخطة الى حد كبير فى اثارة مشاعر الشفقة والعطف بل والتضامن مع هذه الدولة فى الغرب الاستعمارى ، حتى من قبل قطاعات واعية من المثقفين التقدميين ، فاننا لا نعدم صوتا يبحث عن الحقيقة ، يرتفع فى قلب الولايات المتحدة . ففى سلسلة من المقالات عن اسرائيل فى جريدة « الو وركر » ، جريدة الحزب الشيوعى الامريكى ، يرفع هيمان ليمر صوته بالنقد فى الولايات المتحدة ذاتها . والطليعة وان اختلفت معه فى بعض ما جاء فى المقال ، فانها تفسح صفحاتها له باعتباره صوتا امريكيا يحاول اختراق الحصار الاستعمارى . وهو بهذه الصفة يكتسب اهمية خاصة وان بدا لنا مشوبا بالبلبلة مفتقرا الى الوضوح . ولكن علينا مرة اخرى ان نقدر هذا العمل فى ضوء الفكرية السائدة هناك .

وقد رأينا ان ننشر النص الكامل للمقال بما يتيح فرصة التعرف على المنهج الفكرى لهذه الفئة من المثقفين الامريكيين . وقد صدر المقال تحت عنوان «شريط ضيق من ارض الازدهار والفقر والمشاكل » .

« اسرائيل بلد صغير . يبلغ عدد سكانه ٢ ١/٢ مليون اى اقل من عدد سكان مانهاتن ، بيد ان مآثيره وجودها على المسرح الدولى والمصالح التى تمثلها لا تتناسب مع حجمها . ومن هنا كانت الرحلة التى قمت بها الى اسرائيل هى موضوع هذه المقالات » .

ولكى نطمئن القارىء ، فاننا نعترف بأن زيارة مدتها اسبوعين لا تجعل الانسان خبيرا بالبلد . ولكن هناك بعض السمات لا يصعب على الزائر العابر ان يتبينها للوهلة الاولى .

وقبل اى شىء ، يمكن اعتبار اسرائيل ارضا للاختلافات والتناقضات الحادة . فداخل العشرة آلاف ميل المربعة ، يوجد القديم والجديد التقدمى والرجعى جنبا الى جنب ، مختلطين ومتمايزين .

واسرائيل نفسها بلد رأسمالى متقدم ذو اقتصاد صناعى حديث ، يقع فى قلب عالم عربى يتميز بالتخلف الاقتصادى والفقر المدقع . وفى داخل اسرائيل ، توجد المصانع الحديثة الى جانب بقايا حضارات الماضى ، والزراعة العالية المكثفة فى المزارع التعاونية (الكيبوتزم) الى جانب الاقتصاد الفلاحى البدائى فى القرى العربية وحياة الرعاة التى يعيشها سكان البلاد من البدو .

وتعتبر اسرائيل ايضا بلد التغيير والنمو السريع . فمنذ ١٩٤٨ هاجر اليها ما يزيد عن مليون وتضاعف سكانها ثلاث مرات تقريبا . واصطحب هذا بمعدل عال من النمو الاقتصادى .

وفى البدء كان المهاجرون من اليهود الاوروبيين اساسا ، ولكن فى الفترة الاخيرة اصبحت الغالبية من اليهود الشرقيين ، وبالذات من اليمن والعراق . كما ان جزءا من سكان اسرائيل من العرب ، ويشكلون اليوم ١٢ ٪ من مجموع السكان .

وتنعكس السرعة التى تمت بها عملية التغيير فى قيام تناقض واضح بين الاجيال القديمة والاجيال الجديدة . فالأولون اتوا من اصول قومية مختلفة ويتكلمون عدة لغات ـ لغة اليدش ، العربية البلغارية ، الرومانية ، المجرية ، البولندية ، الالمانية ، الانجليزية ، الفرنسية . ويحرصون على عاداتهم وثقافاتهم والكثيرون منهم لم يتعلموا العبرية . والواقع ، ان الحزب الشيوعى فى اسرائيل ، بالاضافة الى جريدته اليومية بالعبرية وجريدته النصف اسبوعية بالعربية ، كان عليه ان يطبع جرائد اسبوعية بالبدش والبلغارية والرومانية ، وكذلك جريدة مصورة بالمجرية .

والجيل الجديد يختلف بصورة ملحوظة . فلغته عبرية (واذا كانت هناك لغة ثانية يتعلمها فى المدرسة فهى الانجليزية او الفرنسية) ، كما ان اخلاقه ومواقفه ، وثقافته (رغم التأثير الامريكى والاوروبى الغربى) يمكن ان توصف بأنها اسرائيلية فقط . وبين هؤلاء الشبان ، اللامعين النشيطين نرى تجسيدا لاسرائيلية من المهاجرين ، ونرى فيهم مستقبل اسرائيل ـ مستقبل كله امل .

والتناقض بين ظروف معيشة اليهود والعرب ، وبين اليهود الاوروبيين واليهود الشرقيين هو احد السمات البارزة فى اسرائيل .

وفى شارع النبى فى تل ابيب ، الجو جميل للغاية وملابس الناس جيدة ، رغم ان زيهم موحد . والفاترينات ، وهى مزينة بطريقة جذابة ، مليئة بمختلف انواع البضائع . والشوارع تشبه الى حد كبير حى الاعمال فى مدينة امريكية حتى ان الانسان يتوقع ان يحدثه من يقابله بالانجليزية لا بالعربية.

واذا ابتعدنا قليلا عن القطاعات السكانية ذات الشوارع النظيفة ، والمساكن الحديثة الجذابة ، وعلى اطراف المدينة توجد مجموعات كبيرة من العمارات السكانية الجديدة ، المرتفعة الثمن والمخصصة للموسرين نسبيا .

ولكن المسافة من شارع النبى الى القطاع القديم من تل ابيب ليست كبيرة ، وشوارع هذا القطاع ضيقة ومنازله المتلاصقة التى يسكنها بصفة اساسية اليهود الشرقيين ،

الذين يعيشون في فقر مدقع (وفي هذه المنطقة ، توجد عيادة ووبين بريانين التي تساندها المنظمات اليهودية التقدمية في الولايات المتحدة والتي تقدم الرعاية الطبية للاطفال ، بسعر رمزي) .

ولا تبعد مدينة يافا كثيرا ، حيث توجد الاحياء القذرة المغلقة على معظم السكان العرب . والشوارع هنا اضيق ، والمنازل أسوأ والفقر اكثر حدة من تل ابيب .

وليست التناقضات قاصرة على تل ابيب ويافا . ففي مدينة عكا ينتقل الانسان من « المدينة الجديدة » بشوارعها العريضة وعماراتها الحديثة وسكانها الاساسيين من اليهود ، الى « المدينة القديمة » — المسورة التي غزاها الصليبيون — وهناك في متاهات الطرق والميادين المظلمة، تعيش الكتلة الاساسية من السكان العرب ، يسكن معظمهم في دغل من المساكن القذرة المبنية من انقاض العصور القديمة .

وامثال هذه التناقضات واضحة في كل مكان ، وهي ثمرة للتمييز الذي يشين حياة اسرائيل كما يشين نظام «جيم كرو» حياة بلادنا . والواقع انه مما يثير السخرية ان شعبا حارب طويلا ضد الاضطهاد الواقع عليه يصبح هو نفسه مضطهدا للاخرين .

ومما يثير السخرية ايضا ان شعبا حارب الاضطهاد الديني لعدة قرون ، يؤسس دولة اكليركية تسيطر عليها الشعائر المتزمتة للدين اليهودي . فليس هناك احتفالات زواج مدني ، ولا يتم دفن الموتى الا حسب الشعائر الدينية . وبيع الخنزير محرم الا في بعض المجتمعات المسيحية وتتوقف الحياة تماما في يوم السبت ، وهكذا .

وفي الوقت الحالي ، لا يقيم معظم الاسرائيليين الشعائر ، وهناك تذمر تام من مثل هذه الاجراءات ومن النفوذ السياسي غير المحدود للجماعات الدينية المتزمتة .

والعداء اليهودي العربي يعوق تطور البلد من عدة نواحي . فهناك الحدود ، وهي تحيط بها من كل جانب . وفي اسرائيل لا يستغرق الانسان كثيرا في الوصول اليها . والواقع ان عرض البلد في بعض الاماكن يصل الى سبعة اميال فقط . والحدود عبارة عن سور يقسم القدس الى قسمين ، وتمر الاسلاك الشائكة في قلب القرية العربية ، وتفصل المنطقة المحايدة المستعمرات الزراعية الاسرائيلية (الكيبوتز) عن الارض الزراعية في الاردن . وهي حواجز لا يمكن اختراقها ، ولا توجد بين الجانبين علاقات عادية ، اللهم الا حوادث الحدود المتوالية ، والتي يسمع عنها الانسان قصصا معادة . والانسان سرعان ما يدرك ان اسرائيل بلد معزول تماما من الناحية البرية ، وان اتصاله الوحيد بالعالم الخارجي عن طريق البحر والجو .

وتعد اسرائيل ترسانة مسلحة . والمنظر المعتاد في الشوارع والطرق هو منظر الجنود من الجنسين (تجند النساء كالرجال) ومنظرهم غريب كالمنظر الذي كنا نشاهده في الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية . وتمثل قوافل الدبابات وغيرها من المعدات العسكرية منظرا معتادا في اسرائيل .

ولاسرائيل جيش جيد التسليح يبلغ ٢٥٠ الف جندي ، ويخصص ٤٠ ٪ من الميزانية للنفقات العسكرية . والاحتفال الرئيسي بيوم استقلال اسرائيل في ٢٥ ابريل ، يتخذ شكل استعراض عسكري كبير . والاستعراض الذي شهدته هذا العام ، تم في ضواحي حيفا وشهده ما لا يقل عن ٣٥٠٠٠٠ شخص من مختلف انحاء البلاد .

والشعور الناتج من كل هذا ، بين الشعب الاسرائيلي هو انهم محاطون بأعداء الداء لن يوقفهم شيء عن الاستعداد لتدمير اسرائيل ، وان الذي يحول بينهم وبين الفناء هو استعدادهم لشن الحرب . وتقوم سياسة الحكومة الاسرائيلية على هذا الاساس ، وهي مستمرة في الارتباط بامبريالية الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية ، وترفض الاعتراف بحقوق ما يزيد عن مليون لاجيء عربي .

ولكن في نفس الوقت ، هناك شعور ديمقراطي بين الشعب الاسرائيلي ، ورغبة صادقة في السلام . وهناك معارضة قوية للحرب في فيتنام ، ورأيت على عديد من الجدران شعارا كتب بالعبرية « ايها الامريكيون ارفعوا ايديكم عن فيتنام » . وهناك ايضا معارضة لارتباط الحكومة بالدوائر الحاكمة في المانيا الغربية ، عبرت عنها في الفترة الاخيرة المظاهرات التي قامت ضد اديناور خلال رحلته الى اسرائيل .

وباختصار . فهناك اسرائيليتان ،تماما كما توجد امريكتان.

معجزة اقتصادية تكفلها الرأسمالية

واقتصاد اسرائيل اقتصاد رأسمالي . ومن الضروري ان نؤكد هذا لان به قطاع تعاوني ضخم ، مما جعل البعض ينظر اليه كاقتصاد « اشتراكي » اساسا .

وتنتج المشروعات التعاونية ما يقرب من ربع انتاج اسرائيل ويعمل بها مايزيد عن ربع العاملين . وتضم عديدا من العمليات ، الصناعة ، الانشاءات ، النقل ، التسويق ، مشروعات البنوك ، التي تملكها هيفرات اوفدييم (جمعية العمال) وهي فرع من الهستدروت — تنظيم العمال الشامل في اسرائيل .

وتضم ايضا الكيبوتز ، وهي التعاونيات الزراعية التي نظمت على اسس جماعية ، والموشافيم ، وهي الملكيات الفردية التي تتعاون في التسهيلات المتعلقة بالحصول على احتياجاتها وتسويق انتاجها . وهذه ، بالاضافة الى بعض المزارع التي تتخذ موقفا وسطا بين الشكلين السابقين تنتج حوالي ٦٠ ٪ من مجموع الانتاج الزراعي .

وتقيم بعض الكيبوتزات مشاريع صناعية خاصة بها وتستثمر اموالها في بعض الشركات بالاشتراك مع رأس المال الخاص ورأس مال الدولة ، ورغم ان الهيفرات اوفدييم لاتملك التعاونيات الزراعية ، فانها تخضعها لسيطرتها الادارية .

وهذا يوضح قليلا صورة واطار القطاع التعاوني .. بيد انه يمثل كما هو واضح ، جزءا هاما من الاقتصاد الاسرائيلي ، وان وجوده سيكون له اعمق الاثر على اسلوب وشكل التطور اللاحق للاشتراكية في اسرائيل .

وعلى كل فان الكتلة الاساسية من الاقتصاد توجد في يد القطاع الخاص ، وهي منظمة على اسس رأسمالية . بل والاكثر من ذلك انها خاضعة لسيطرة رأس المال الاجنبي ، وبوجه خاص البريطاني والامريكي ، الذي يسيطر على المشروعات الصناعية والتمويلية الهامة .

وكما يحدث في البلاد الرأسمالية ، تعارض التعاونيات الزراعية الاسعار الاحتكارية المرتفعة التي تشتري بها احتياجاتها والاسعار المنخفضة التي تبيع بها منتجاتها . ولذا كان لابد ان تغرق في الديون ، حتى تتمكن من التزود بالالات وتستطيع ان تتوسع في انتاجها .

ولقد كان التاريخ الاقتصادي لاسرائيل منذ الحرب العالمية الثانية تاريخ نمو استثنائي فبين ١٩٥٠ ، ١٩٦٤ تضاعفت

الانتاج القومى أربع مرات وبلغ متوسط معدل النمو حوالى ١١ ٪ سنويا . ونلاحظ اولا ان هذا الارتفاع الواضح ، اصطحب بزيادة ضخمة فى عدد السكان خلال هذه السنوات . ولكن هناك عامل آخر لا يقل اهمية هو ضخامة حجم الاستثمارات الاجنبية . فمنذ ١٩٤٨ ، تدفقت ٥ر٥ بليون دولار داخل هذا البلد — وبذا حققت أعلى معدل لاستيراد رأس المال بالنسبة للفرد فى العالم .

وقد وضعت هذه الاستثمارات الاساس لقيام حالة من الازدهار الطويل ، زاد فى السنوات الاخيرة نتيجة لتدفق مئات الملايين التى دفعت كتعويض من المانيا الغربية . ولكنها ايضا ادت الى تحلل الاقتصاد بطريقة خطيرة بتعريضه للصراع بين رأس المال الاجنبى والمحلى حول استخلاص اقصى ربح ممكن . وتعمل نسبة قليلة من القوى العاملة فى انتاج المعدات، ويزيد وزن الصناعة الخفيفة كثيرا عن الصناعة الثقيلة .

ويعمل عدد كبير فى التمويل ، التجارة والخدمات . وهذا ناتج من ان رأس المال الاحتكارى الاجنبى لا يهتم بقيام اقتصاد صناعى متوازن فى اسرائيل ، ولكنه يهمه الاستثمارات الاستهلاكية ، التى تعطى اعلى معدل من الارباح الفورية . ولذا فقد وجهت الاستثمارات اساسا الى البنوك ، التأمين ، المزارع الواسعة ، مضاربات الارض وما شابه ذلك .

ونتيجة لذلك كان على اسرائيل ان تعتمد كثيرا على الاستيراد ، بما فى ذلك استيراد معظم وسائل الانتاج.وادى هذا الى عجز حاد فى التجارة وفى ميزان المدفوعات . فحسب « نشرة بنك اسرائيل » (ديسمبر ١٩٦٥) ، وصلت الواردات فى ١٩٦٣ ، وهى سنة نموذجية ، الى ٦٤٨ مليون دولار والصادرات الى ٣٦٤ مليون دولار ، بعجز تجارى قدره ٢٨٤ مليون دولار .

وزاد المشكلة احتداما تضخم الانفاق على الاغراض العسكرية بما يتراوح بين ٣٠ و ٤٠ ٪ من الميزانية السنوية — اذ يجب استيراد معظم المعدات العسكرية ، ويضاف الى هذه المبالغ حجم الواردات دون ان تقابلها زيادة فى الصادرات .

وتتم تسوية العجز فى ميزان المدفوعات جزئيا باستيراد رءوس الاموال ، وجزئيا بالقروض الاجنبية . وادى هذا الى تضخم الدين القومى ، الذى يستهلك حاليا ما يزيد عن ٢٠ ٪ من الدخل القومى . وقد ادت الميزانيات الحربية الضخمة ، بالاضافة الى الاستثمارات الاجنبية غير الانتاجية ، الى تضخم حاد وارتفاع الاسعار .

وتتوقع الدوائر الرسمية — وتعبر عن هذا باستمرار — ان يؤدى معدل النمو الاقتصادى المرتفع الى الاستقلال الاقتصادى ، ولكن هذا لن يتم كما هو واضح .

ويقول كتيب حديث وزعه الهستدروت (التعاون فى اسرائيل بقلم نوح مالكوش) :

ان اسرائيل لم تحقق استقلالا اقتصاديا حتى الان . وتنفذ الخطط حاليا لتحقيق الاستقلال الاقتصادى والاكتفاء الذاتى خلال العقد الحالى ، ولكن فى نفس الوقت ما زالت البلد تعتمد الى حد كبير على المعونة والاستثمارات الاجنبية للحفاظ على مستويات المعيشة المناسبة ولتحقيق التنمية البعيدة المدى .

بيد انه ، اذا استمر الاعتماد الحالى على رأس المال البريطانى والامريكى طويلا ، فان مثل هذا الهدف يصبح املا لا جدوى من ورائه .

وهكذا « فالمعجزة الاقتصادية » فى اسرائيل تعترضها عقبات قاسية . كما ان بركات هذا الازدهار الطويل لم توزع بالعدل. فقد كانت هذه البركات ضخمة بالنسبة لرأس المال الكبير فى هذا العام . ومن ١٩٥٦ الى ١٩٦٢ ارتفعت الارباح المعلنة للمشروعات الصناعية الكبيرة بنسبة ٧٣ ٪ واظهرت أرباح البنوك الكبيرة ارتفاعا مماثلا . ومن جانب آخر ، وكما ذكر الحزب الشيوعى الاسرائيلى ، طلبت ١٠٠٠٠٠ اسرة معونة اجتماعية فى العام الاخير ، ويحصل ٤٠ ٪ من العمال المستخدمين على دخل شهرى يقل عن الحد الادنى اللازم للمعيشة وهو ١٠٠ دولار .

وأكثر السكان بؤسا هم اليهود من اصول آسيوية وافريقية ، حيث يصل متوسط دخل الواحد منهم الى نصف دخل غيرهم من العمال (تقرير بنك اسرائيل ١٩٦٤) . وكذلك يعانى العمال العرب من الدخل المنخفض والفقر الحاد .

وتدل الموجة المتنامية من الاضرابات ، وتخفيض الانتاج ، وغيرها من التحركات ، على ازدياد حدة استغلال العمال . ففى ١٩٦٠ — ١٩٦٤ كان عدد الاضرابات ضعف عددها فى الخمس سنوات السابقة . وتضاعف عدد المضربين حوالى ٥ مرات . واكثر من هذا ، فان معظم هذه الاضرابات كانت اضرابات عنيفة وقامت فى مواجهة قيادة الهستدروت . ومن خلال هذه النضالات نجح العمال فى الحصول على بعض المكاسب المادية ، ولكن من الواضح ، انهم مواجهون ، كما فى اى بلد رأسمالى آخر ، بحرب قاسية لا تنتهى .

وفى مارس ١٩٦٦ ، انتهت اقساط تعويضات المانيا الغربية ، وبهذا يتعرض الاقتصاد الى متاعب جديدة . وبدأت البطالة تزداد حدتها ، خاصة فى مناطق التنمية فى القسم الجنوبى من البلاد .

وفى عيد اول مايو قامت المظاهرات فى منطقتين .

وواجهت الحكومة الاسرائيلية المشكلة باسلوب تقليدى ، بمنح الاعانة للمستخدمين .

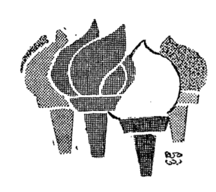
وقالت « جيروساليم بوست » فى ٤مايو ، وافقت اللجنة الوزارية امس على سلسلة من التوصيات لمواجهة البطالة فى مناطق التنمية . وتنص التوصيات على منح الاولوية فى اوامر التوريد الحكومية للمشروعات الواقعة فى مناطق التنمية ، وتحسين ربحية هذه المشروعات ومنح المساعدة للمشروعات التى توطنت فى الشريط الساحلى لتعيد انتقالها الى هذه المناطق .

وعلاوة على ذلك فقد اصبحت مشكلة ارتفاع الاسعار مشكلة حادة . فقد بدأ التزايد بالفعل فى العام الاخير . وتقول نشرة بنك اسرائيل (ديسمبر ١٩٦٥) « ان جدول اسعار المستهلك ، عدا الفواكه والخضروات ، ارتفع بنسبة ٥ر٥ ٪ بين ديسمبر ١٩٦٤ ويونيو ١٩٦٥ مقابل زيادة قدرها ٧ر٢ خلال النصف الاول من ١٩٦٤ ، ٤ر٢ ٪ فى النصف الثانى » .

وقد قوبل النمو المستمر فى معدل زيادة الاسعار هذا العام ايضا بطريقة تقليدية — بعزوه الى زيادة الاجور . ودعت وزارة الخزانة العمال الذين اخذوا علاوات على اجورهم الى قبول تجميد الاجور فى العامين القادمين ، ودعت اولئك الذين سيتسلمون مبالغ متأخرة الى التنازل عن جزء منها . وعلى كل فان جيروساليم بوست تشكو من ان «مبالغ ضئيلة فقط قد اودعها فى البنوك العاملون الاجراء » .. وهناك ايضا كلام عن « البطالة المخططة » كأسلوب لمقاومة التضخم .

والواضح ان مشاكل العمال الاسرائيليين ليست هى مشاكل العمال الذين يعيشون فى ظل الاشتراكية . وهم ايضا مرتبطين بتبعية اسرائيل الاقتصادية لامبريالية الولايات المتحدة وبريطانيا . وفقط عند ما تنتهى هذه التبعية ، وفقط عند ما تتبنى حكومة اسرائيل سياسة حيادية تتضمن اقامة علاقات اقتصادية وثيقة مع الاتحاد السوفيتى وغيره من البلاد الاشتراكية ، تتوفر اسس حل بعض هذه المشاكل » ..

وحدة كل القوى الثورية في الوطن العربي



حسنين كروم

ترفع القوى الثورية العربية شعار وحدة الثوريين العرب فى مواجهة التكتل الرجعى الاستعمارى ، ولمواجهة خطر الرجعية العربية التى تنتقل الان من الدفاع الى مرحلة تحاول فيها استئصال شأفة القوى الثورية وتصفيتها واحدة فى اثر الاخرى .. ورغم كل ما كتب وقيل حول قضية وحدة القوى الثورية . فانه لم يخرج عن دائرة ترديد البديهيات .. مثل ضرورة وحدة القوى الثورية لمواجهة الرجعية ، ووحدة القوى الثورية عملية مصيرية .. وهكذا .. وبينما البعض يرفع صوته مطالبا الصين والاتحاد السوفيتى بالاتفاق فيما بينهما ، وتسوية خلافاتهما لمصلحة النضال ضد الاستعمار ، ويذكر الدولتين بأن خلافاتهما مهما بلغت فهى خلافات ثانوية بالقياس الى معركة المصير المشترك ضد الاستعمار وضد انظمة الحكم الرجعية .. نجد ان هذا البعض ، او الفريق من الناس فى معالجته لقضية وحدة القوى الثورية العربية يتخذ موقفا مضادا ، موقفا معوقا . حين يطالب باسم واقعية زائفة عدم نسيان الماضى وعدم القفز فوق التناقضات الموجودة ، اى يطالب باستمرار الشك والخوف الذى يحكم علاقات القوى الثورية بعضها بالبعض الاخر ، ويطالب كذلك بعض القوى الثورية العربية ان تكتب اعترافات رسمية تسجل فيها اخطاءها وتدون فيها توبتها لاعلانها على الملأ ، وفريق آخر يدعو لقيام تنظيم ثورى جديد وتذويب كل التنظيمات الموجودة .

ويلاحظ ان المناقشة بهذه الطريقة وفى هذا الاتجاه تسير نحو دائرة مفرغة . وتؤدى الى احداث البلبلة والتخبط اكثر مما تؤدي الى الوضوح ، عدا كتابات نادرة جدا حاول اصحابها ان يناقشوا القضية من زاويتها العملية ، اى تحديد نقاط واضحة يمكن ان يؤدى الحوار حولها الى موقف موحد ، والى نهاية عملية .

ان اهمية هذه القضية ، وكونها قضية مصير ، تفرض بالضرورة مناقشتها بطريقة جادة ومحددة وواضحة ، فمثلا :

● ما هى القوى الثورية التى نعنيها والتى نطالبها بأن تتحد فيما بينها ؟

● ما المقصود بوحدة القوى الثورية .. اقامة جبهة ، ام اقامة حزب ثورى جديد تذوب فيه القوى الموجودة ؟

● هل وحدة القوى الثورية شعار مرحلى للرد فقط على تحركات الرجعية والاستعمار بحيث يسقط بمجرد انحسار المد الرجعى لتعود الخلافات بين القوى الثورية مرة اخرى ؟ ام ان المقصود بوحدة القوى الثورية تخطى ذلك الى ما هو ابعد واعمق واشمل ؟

اولا ــ ثلاث قوى رئيسية

« المقصود بالقوى الثورية هى تلك القوى التى لا ترتبط فى حركتها فكرا وعملا بالاستعمار ولا بالرجعية ، وتعمل على احداث تغييرات فى بنية الاقتصاد ودفعه ليكتسب طابعا اشتراكيا ، وتؤمن بضرورة الوحدة العربية وان اختلفت نظرتها فى الوحدة ، ورأيها فى توقيتها » .

وانطلاقا من هذا التعريف بامكاننا ان نقسم القوى الثورية الى اقسام ثلاثة رئيسية ومتميزة هى :

الحكومات :

وتضم القيادات التي تحكم عددا من البلاد (الجمهورية العربية المتحدة ـ سوريا ـ الجزائر ـ العراق ـ اليمن) وهم مجموعة من الافراد يسيطرون على الحكم ويرتبطون بقضايا الجماهير . ولكن يجاورهم في الحكم قوى رجعية ، وقوى اخرى انتهازية ليس لها نفس ايمانهم واخلاصهم ، ويمكن اعتبارها رصيدا لقوى الثورة المضادة . ومعظم هذه القيادات لا تستند الى تنظيمات ثورية لها وزن جماهيري فعال ، وتعتمد في تنفيذ مخططاتها على قوى سلبية او معادية لها مما يربك التطبيق العملي لبرامج هذه الحكومات ويوقعها في تناقضات مع العمال وصغار الفلاحين . وهذه الحكومات معرضة لاخطار دائمة لعدم وجود تنظيمات ثورية جماهيرية تدعمها ، وغالبا ما يأتي سقوطها من عدد كبير من الاجهزة التي تعتمد عليها في الحكم ، وثورية هذه الحكومات متفاوتة ..

الاحزاب والمنظمات :

وتنقسم الى قسمين :

● قسم يمارس نشاطا اقليميا داخل الحدود القطرية لكل بلد .

● وقسم آخر يمارس نشاطا يمتد الى معظم البلاد العربية ، اى على المستوى القومي (حزب البعث ـ الاحزاب الشيوعية ـ حركة القوميين العرب) .

وهذه الاحزاب والمنظمات الاقليمية وتلك التي تعمل على النطاق القومي تتميز بعدة سمات رئيسية :

اولا ـ تعاني من فقر ايديولوجي واضح .

ثانيا ـ البنية الاجتماعية تتركب اساسا من البرجوازية الصغيرة .

ثالثا ـ تعاني من ظاهرة تعدد الاجنحة ومن ظاهرة الشلل والولاءات الشخصية . وتمزقها الخلافات وتضعف من مركزها ومن قدرتها على اتخاذ مواقف محددة وواضحة . وهذا راجع الى سيطرة البرجوازية الصغيرة على حركتها السياسية وهذه الطبقة تتميز بانتهازيتها وانانيتها المطلقة رغم انضباطها حزبيا .

القاعدة الجماهيرية

وتتمثل في طبقتي العمال وفقراء الفلاحين والعمال الزراعيين ، وهم بعيدين تماما عن اى نشاط فعال في العمل الثوري . وغير منظمين في احزاب او منظمات ثورية تستطيع تنظيمهم وتعبئة قواهم . ان دور العمال وفقراء الفلاحين منعدما في تحديد المسار التاريخي للعمل السياسي التحرري العربي ، مما يهدد بوقوع الثورات في الوطن العربي في يد قوى الثورة المضادة . وفي استئثار الطبقة الوسطى بمكاسبها . ان طبقتي العمال وفقراء الفلاحين هما القاعدة الاصيلة والصلبة لاى عمل ثوري ، ولا يجوز ان تملك اى طبقة اخرى حق التعبير عن آمالها الثورية .

ثانيا : وحدة أم جبهة ؟

ننتقل بعد ذلك للاجابة عن السؤال الثاني وهو : هل نعني بوحدة القوى التحررية تكوين جبهة ام تنظيم ثوري جديد ؟

ان الاجابة السليمة على هذا السؤال تتطلب ان نحدد بالضبط ماذا نريد في النهاية ؟ .. ما هي تصورات القوى الثورية للمعركة مع الرجعية والى اين تنتهي ومصير الوحدة القومية ..

وكما اعتقد ، فان الهدف المرحلي للصراع ضد الرجعية ومن الدعوة الى وحدة القوى الثورية هو وقف زحف القوى الرجعية ـ الاستعمارية والحاق الهزيمة بها ، واسقاط الانظمة الرجعية ، وانتزاع السلطة منها لتسيطر عليها القوى الشعبية .

اما الهدف النهائي للمعركة فهو تحقيق الوحدة القومية الشاملة للبلاد العربية والقضاء على التجزئة وبناء نظام اشتراكي ثوري ..

وبناء على ذلك لايمكن أن نتصور امكان وجود أكثر من تنظيم سياسي في دولة واحدة . والاشتراكية لا يبنيها الا حزب ثوري واحد ولا يمكن بناؤها بواسطة احزاب متعددة . فما دام الهدف النهائي للمعركة ضد الرجعية هو تحقيق الوحدة العربية وبناء نظام اشتراكي ثوري .. فان الهدف النهائي من الدعوة الى وحدة القوى الثورية هو بناء حزب ثوري اشتراكي منظم تنظيما حديديا اى تذويب الاحزاب والتنظيمات الموجودة .. ان التخلي عن وحدة التنظيم يعني بداهة التخلي عن الوحدة العربية .

ولكن لما كانت قضية الوحدة العربية الشاملة غير مطروحة الان . فان تذويب التنظيمات والاحزاب في حزب ثوري جديد قضية غير واردة الان كذلك .. اى ما دمنا نسلم ببقاء التجزئة الان فيجب التسليم بداهة بتعدد الاحزاب والقوى السياسية التقدمية والثورية ..

ان عملية تذويب التنظيمات وحلها فورا فورا رأى متعسف غير واقعي .. ولذلك فان افضل اشكال العمل الثوري الموحد هو الجبهة المشتركة .. ولكن على ان تضع القوى العربية الثورية والتقدمية نصب اعينها ان الجبهة ليست صيغة نهائية للعمل الثوري . وانما هي افضل اسلوب في هذه المرحلة . اى عمل مرحلي . تماما كما أن التجزئة السياسية ليست هي الصيغة المثلى للعمل القومي ، حتى وان كانت البلاد العربية تحكمها انظمة ثورية وتقدمية ..

ان وحدة القوى الثورية يجب ان تبدأ بالجبهة لتنتهي بوحدة التنظيم .. قبول تعدد القوى وفي نفس الوقت العمل الدؤوب لبناء حزب ثوري اشتراكي جديد يضم هذه القوى في اطاره ..

ثالثا ـ نحو معركة ناجحة ضد الرجعية

يبقى لدينا السؤال الثالث والاخير وهو :

كيف يمكن توحيد القوى الثورية وخوض معركة ناجحة ضد الرجعية ؟

والاجابة على هذا السؤال تتطلب في البدء ان نقول ، بأن العامل الرئيسي والاساسي للخلافات الموجودة بين القوى الثورية ، هو افتقاد التجربة النضالية المشتركة .. لقد خاضت هذه القوى معاركها ضد الرجعية بمفردها ، وهي منغلقة على ذاتها لم تلتحم ببعضها البعض . بل كان يحدث في كثير من الاحيان ان تخوض القوى الثورية معارك مزدوجة .. ضد الرجعية ، وضد بعضها كذلك ، مما عمق من الهوة التي تفصل فيما بينهم .. بل وجعل درجة العداء بينهم كثيرا تفوق درجة العداء بينهم وبين الرجعية .. هذا في الوقت الذي لو فتشنا فيه عن اوجه اصيلة للخلاف تبرر عداءهم وتباعدهم بعضهم عن بعض لما وجدنا . او لوجدنا ولكن ليس بالدرجة التي توجب العداء . وتستجلب الخصام والقتال ..

والطريقة المثلى والواقعية ، هي تحقيق هذا العنصر الرئيسي اى التجربة النضالية المشتركة لانها الطريق الوحيد لتحقيق الالتحام الحقيقي بين القوى الثورية والتقدمية ولاذابة

الخلافات التى تمزقهم . ان وحدة المعركة ، وبالتالى وحدة النصر والهزيمة ستجبر الخلافات الشخصية والعقد النفسية على التراجع لتحل محلها مصلحة الثورة ومصيرها . والتجربة النضالية المشتركة فى جميع المجالات هى السبيل الوحيد للانتقال بالجبهة الى التنظيم الحزبى الواحد .. من التعدد الى التوحد .. من سيادة العنصر الشخصى فى العمل السياسى الى تقهقره وسيادة عنصر الموضوعية ، من الشك الى الثقة .. الخ ..

فكيف يمكن اذن تحقيق ذلك ؟

حين نجول ببصرنا على خريطة الوطن العربى ونحدد مكان المعارك المحتدمة بين القوى الثورية وبين القوى الرجعية نجد ان المعارك على مستويين : **مستوى اقليمى** ، اى ضد انظمة حكم رجعية كما يحدث فى الاردن والمغرب وتونس وليبيا والسعودية والسودان وفى عدد من الاماكن فى منطقة الخليج العربى .. وفى هذه البلاد تتعرض القوى الثورية الى اضطهاد الحكم الرجعى . ويلاحظ ان مستوى المعركة . اى درجة حدتها تختلف من قطر الى قطر . فهى فى الاردن والسعودية تكتسب طابعا حادا وعنيفا . بينما تخف حدة الصدام فى عدد من الاقطار ..

والمستوى الاخر : هو مستوى قومى . اى تدور فيه المعارك مستقطبة فى جانب القوى الثورية ، وفى الجانب الاخر القوى الرجعية .. كما يحدث فى اليمن .. وكما يمكن ان يحدث على الحدود الجزائرية المغربية والجزائرية التونسية . وهذه المعارك تتميز بأنها معارك مسلحة ..

ويجب على القوى الثورية منذ الان .. اذا ارادت فعلا ان تحقق وحدتها ان تدخل مشتركة فى تجربة نضالية . وهذا ما توفره الساحة الثورية فى اليمن .. ولان دخول كل القوى الثورية كطرف فى معركة اليمن انما يحمل معانى جديدة تماما وسيبرز لاول مرة قيما جديدة فى حياة العرب النضالية ، وسيؤدى الى قلب ميزان القوى بشكل واضح ومؤثر لماذا ؟ وكيف ؟ ..

لان ثورة اليمن ليست ثورة اليمنيين وحدهم ، وانما هى ثورة كل الجماهير العربية الكادحة .. والدور البطولى الفذ الذى قامت وتقوم به جيوش الجمهورية العربية المتحدة ليس الا تجسيدا جبارا لحقيقة وحدة الأمة العربية . وحدة جماهيرها الكادحة من المحيط الى الخليج .. انها معركة قومية وثورية فى آن واحد .. قومية لان طرفيها الشعب اليمنى والمصرى فى جانب ، والطرف الاخر الرجعية العربية ممثلة فى السعودية والاردن من جانب آخر .. وثورية لان جيوش الجمهورية العربية التى تناضل فى اليمن بسلاحها وبسواعدها ، تمثل نظاما اشتراكيا ثوريا . وتدعم وتساهم فى بناء نظام ثورى جديد فى بقعة غاية فى تخلفها ..

ولذا .. فانه من غير الممكن ان تظل القوى الثورية .. وبالذات الحكومات ، بعيدة عن هذه المعركة .. انها ليست معركة مصريين ضد العرش السعودى وضد الاحتلال الانجليزى .. انها معركة الثورة العربية ضد الرجعية وضد الاستعمار وضد ابشع انواع التخلف والقهر الانسانى ، ولا يمكن ان يتحمل المصريين متاعبها وحدهم . بل كل الثوريين يجب ان يتحملوا جانبا من نتائج الصدام فى الجزيرة العربية ..

والمطلوب الان هو اضفاء الطابع القومى الشامل على معركة اليمن .. وهذا يتحقق بـ :

اولا ـ ان تبادر الحكومات الثورية (العراق ـ الجزائر ـ سوريا) الى ارسال قوات عسكرية ولو رمزية للوقوف فى صف الثورة اليمنية .

ثانيا ـ فتح باب التطوع امام جميع المناضلين العرب وتكوين ميليشيا .. جيش ضخم من المتطوعين ليشارك فى الدفاع عن الثورة اليمنية ، ويجب على الاحزاب والمنظمات الثورية ان ترسل بأعداد من كوادرها الى اليمن .. ان جيش المتطوعين بجانب اشتراكه فى الدفاع عن الثورة اليمنية ضد الرجعية العربية وضد مؤامرات الاستعمار البريطانى ، سيتولى الاسهام جديا فى بناء اليمن . بناء ثوريا وقوميا فى آن واحد . وجيش المتطوعين يجب ان يكون نواة للحزب الثورى الجديد ، ويخضع لقيادة سياسية . ويتولى بناء فرع للحزب الثورى الجديد فى اليمن ، وتقوم الاحزاب والقوى التقدمية بارسال كادراتها لمدد محدودة فى اليمن .. ثم ترسل غيرها .. وهكذا .

وبهذه الطريقة يمكن تحقيق جملة نتائج :

● القفز بوعى اليمنيين . اذ ان وجود قوات عسكرية تمثل عددا من البلاد العربية . ووجود قوات من المتطوعين ، وما سيتولد عن ذلك من احتكاك فكرى وسياسى سيضع امام اليمنيين الصورة الحقيقية لثورتهم وبأنها ثورة قومية .. ويحسوا بالانتماء الى وطن اكبر ، وشعب اكبر ..

● ان الرجعية العربية ستكون فى وضع لا يمكنها من ان تناور . عليها ان تجابه الجماهير العربية ممثلة فى قوات المتطوعين . وتجابه الدول التقدمية ممثلة فى جيوشها النظامية .. ان ذلك يعنى ان المعركة معركة قومية شاملة ..

● اليمن بذلك تكون مدرسة الكادر .. معمل تفريخ للثوريين الذين ناضلوا معا دون احقاد وعقد .. كادر قومى وسط ظروف الحلف الثورى واكتسب صلابة ووعيا ثوريا وقوميا .

ان اية معركة تقوم بين احدى الدول التقدمية وبين القوى الرجعية يجب اضفاء الطابع القومى الثورى عليها بسرعة .. فاذا ما حدث عدوان رجعى من الحكم الرجعى العميل فى تونس على الثورة الجزائرية ، او حدث عدوان من جانب الحكم الرجعى العميل فى المغرب .. يجب ارسال قوات عسكرية مشتركة من الدول التقدمية .. ويجب ارسال قوات من المتطوعين كذلك .. زيادة فى الاحساس بوحدة مصير المناضلين بوحدة مصير الثورة العربية وعدم تجزئتها ..

ان المعارك المشتركة سوف تصهر عقد سنين طويلة وتطويها للابد ، وهى السبيل الامثل لتمتين الروابط بين القوى الثورية وتعميق الفهم المشترك لكل قضايا الثورة فى الوطن العربى ..

وبطبيعة الحال فان ما قلناه يحدد على الفور العلاقة بين القوى الثورية وبين القوى الرجعية واسلوب التعامل بينهما .. انها علاقة عداء . لا يمكن ان يعيش احدهما الا بفناء الاخر .. ان القوى الثورية يجب ان تنبذ تماما انصاف الحلول مع الرجعية ويجب ان تصفيها . فهذا هو السبيل الوحيد لتحقيق النجاح فى المعركة المصيرية الراهنة . وفى الانتهاء بها نحو النجاح .. فلا تعايش بين الطرفين . والارض العربية لا تسمح بتواجد نظام ثورى وآخر رجعى عميل ..

ولسنا مثاليين حين نطالب بذلك .. فهل يوجد ما يمنع من تكوين ميلشيا قوية فى اليمن ؟ هل يوجد ما يمنع من تحقيق التعاون السياسى والاقتصادى الكامل بين الدول التقدمية ؟ وهل هناك ادنى مصلحة لمهادنة الرجعية ولعدم تصفيتها ؟..

- ان الشرط الاساسى لنجاح النضال ضد الرجعية هو الهجوم المستمر عليها .. وعدم مهادنتها او التعاون معها بأى شكل من الاشكال وتحت اى ظروف ، فلا يمكن ان توجد قضـــايا مشتركة بين نظامين متناقضين يعتمد وجود احدهما على فناء الاخر ..

والعمل الثورى الاصيل يفقد ثوريته اذا التجأ الى انصاف الحلول والى عدم التحديد القاطع للمواقف ضد الرجعية ..

ذلك ليس دعوة الى تجاوز الواقع . فقد يقول البعض فى ظروف معينة قد تهادن الرجعية او نتعاون معها ، او ان حدة العداء التى تواجهنا بها الرجعيـــة العربيـــة تختلف من قطر لقطر ..

وبطبيعة الحال ، فالدعوة الى القطيعة النهائية ، واللجوء الى الاساليب الثورية لحل التناقضات الموجودة بين القوى الثورية وبين القوى الرجعية .. ليست دعوة مطلقة .. لان النضال الثورى ليكون ناجحا .. عليه ان يكون علميـــا .. ومرنا فى مواجهته للرجعية ..

فالتناقضات الموجودة بين القوى الثورية وبين الرجعية فى الاقطار العربية تختلف من قطر لقطر . تخف فى بعض الاقطار وتشتعل فى عدد آخر .. اى ان الجبهة الرجعية بها تناقضات يمكن استغلالها ، فبالتأكيد هناك انظمة رجعية ليست على استعداد لان تذهب فى عدائها وصدامها مع القوى الثورية الى المدى والمستوى الذى ذهبت اليه انظمة الحكم الرجعية فى السعودية وفى الاردن وتونس ..

ان القوى الثورية يجب ان تقيس قوتها بدقة . وان تقيس كذلك قوة الرجعية بنفس الدقة . ثم تحدد اهدافا محددة .. مثل اسقاط انظمة الحـــكم الرجعية . وأى الانظمة مهيـــأ للسقوط . او يمكن اسقاطه .. ان التخطيط للمعركة ضـــد الرجعية يجب ان يهدف لتصفيتها اساسا ونهائيا . ولا يمكن ان تكون حركات القوى الثورية عبارة عن ردود فعل ..

ان القوى الثورية يجب ان تغير من اسلوب نضـــالها .. وتنتقل الى مقاومة الرجعية باســـقاطها . وليس مقـــاومة ما يصدر عن الرجعية من افعال .. القوى الثورية يجب ان تأخذ من المبادرة ما يجبر الرجعية على اتخاذ مواقف عصبية .. ان تزداد التصاقا بالاســتعمار وباسرائيل لتنكشف على حقيقتها امام الشعوب العربية لتصبح تصفيتها عملية سهلة ..

وبهـــذه الطريقة وحدها يمـــكن للقوى الثورية ان تحقق اهدافها وليكون لنضالها معنى ، ولنلتقى فوق ارض نضـــال مشتركة لانها السبيل الوحيد لتحقيق وحدتها . ووحدة الامة العربية .

حول ظاهرة تخلف الواقع الفكرى عن الواقع المادى، يعبر المواطن عادل رمسيس ، وهو مدرس رياضيات بالقاهرة ، عن وجهة نظره بخصوص هذه الظاهرة .

وجهة نظر فى واقعنا الفكرى

عادل رمسيس

تعتبر ظاهرة تخلف الواقع الفكرى فى المجتمعات النامية — بأوجهه الفنية والادبية — عن الواقع المادى ، ظاهرة عامـــة تتفاوت حدتها تبعا لدرجة تطور المجتمع نفسه . ويمكن تلخيص الاسباب بشكل عام فى :

١ — تخلف التركيب الاجتماعى .

٢ — عدم رسوخ قيم ديمقراطية نظرا لحداثة المؤسسات الديمقراطية نفسها ونشأتها فى ظروف سيطرة الاســتعمار والتخلف ويصبح من الصعب ممارسة التجربة الديمقراطيـــة بطريقة فعالة يمكن ان تؤدى الى نتائج سياسية مبـــاشرة وسريعة .

٣ — ضعف الحركات الاجتماعية والعمالية نتيجة بطء تطور هذه المجتمعات المتخلفة ، الامر الذى يجعـــل منها حركات بلا ارضية فكرية لها تراثها .

على ان هذه السلبيات لا تمنعنا من وضع اعتبـــارات خاصة ايجابية يمكن ان توجد معها مثـــل هذه الارضيـــة الفكرية . فالنضال المرير على ارض الجزائر — مثـــلا — خلق مناخا فكريا ملائما ساهم فى ايجاد فكرية ثورية لايمكن انكارها .

ولدراسة تخلف الواقع الفكـــرى فى مصر عن الواقـــع المادى ، لابد من عودة تاريخية لفترة ماقبل الثـــورة .. ثم دراسة تفصيلية لفترة التحول الاشتراكى ١٩٥٢ — ١٩٦١ .

(والتى يطلق البعض عليها ظلما – فى رأيى – المرحلة الوطنية التى لا ابعاد اجتماعية لها) . وقد سببت هذه الفترة (١٩٥٢ – ١٩٦١) الى حد كبير المشكلة التى نعانى منها اليوم .

مصر القرن التاسع عشر

يمتاز القرن التاسع عشر فى مصر بكونه فترة نضال شعبى بالمفهوم المباشر لهذه الكلمة . فالشعب قاعدة وقيادة . قاعدة تتمثل فى الفلاحين والطوائف وقيادة تتمثل فى الازهر فى هذه الفترة . هذا الشعب الذى يئس من المماليك هو الذى خرج بنفسه لمحاربة جيوش الفرنسيين ١٧٩٨ على الضفة الشرقية للنيل عند بولاق . وهو منظم الثورات والتمردات الوطنية ضد الفرنسيين كما ينبئنا التاريخ . وهو الذى خرج مباشرة لملاقاة الانجليز فى رشيد ١٨٠٧ . وهو ايضا – بابنائه من الفلاحين والجنود – الذى خرج وراء عرابى ضد جيوش الاحتلال البريطانى وسلطة توفيق فى هذه الفترة . ثم وراء مصطفى كامل والافغانى ومحمد عبده ... الخ .

اى ان القرن التاسع عشر يتميز بما يمكن تسميته «جماعية الحركة» على اسس شعبية واضحة . والنتيجة المستخلصة من هذا الحكم ، هى جماعية الفكر والتراث الشعبى ووحدته كنتيجة طبيعية لجماعية الحركة الشعبية (مع ملاحظة ان عامل الزمن كان فى غير صالح هذه الجماعية . فالتطور اوجد منتفعين من وجود الاحتلال والسلطة سواء منتفعين طبقيين كبرجوازية حديثة او انتهازيين) . ونلمس جماعية الفكر هذه اوضح ماتكون فى الفنون التعبيرية فى القرن الماضى . وما مسرح سيد درويش الغنائى الجماعى الا مثال على هذه الجماعية (نلاحظ احتضار المسرح الغنائى عقب ثورة ١٩١٩ وبداية عصر الغناء الانفرادى) .

اما الاداب فكانت اما مرتبطة بشكل ما – كالشعر او آداب حديثة النشأة كالقصة – باللغة الفصحى . الامر الذى حال دون ارتباط هذه الاداب بمجموع الشعب بفئاته الكادحة التى لا تعرف القراءة او الكتابة .

ثورة ١٩١٩

ونستطيع القول بأن ثورة ١٩١٩ كانت عملا شعبيا جماعيا . واناشيد الثورة التى رددها المتظاهرون لسيد درويش هى مظهر لهذه الجماعية فى الفكر الوطنى . وبعد الثورة ظهرت غالبية الاحزاب المصرية – لتمارس الديمقراطية بأسلوبها ومضمونها الغربى . ونتيجة لضعف الحركة العمالية والفلاحية وضعف التنظيمات النقابية – التى كانت فى مرحلة النشأة – اصبح الفكر الليبرالى هو اكثر انواع الفكر تقدمية (*) . وسار الفكر فى هذه الفترة فى خطين متوازيين . ليبرالى غربى يتمثل فى احمد لطفى السيد . وفكرة الجامعة الاسلامية متمثلة فى الافغانى ومحمد عبده . (مع استثناء فكر سلامة موسى وآخرين) . والنتيجة الحتمية الوحيدة لارتماء السياسة فى مفاهيم الديمقراطية الغربية فى ذلك الوقت ، ان اصبح الفن والادب ليبراليين بعيدين عن اى مضمون شعبى (*)

اربعينات القرن العشرين

فشلت الاحزاب المصرية – من خلال مبادلاتها واتفاقاتها ومساوماتها على كراسى الحكم – فى حل القضية المصرية . واغرقت معها طاقة واخلاص جيل الاربعينات فى متاهات حزبية وصراعات لا نهاية لها . وبرز فى ذلك الوقت الاتجاه الرومانسى الحالم يحقق فى الخيال مايعجز الواقع المادى عن تحقيقه . اما الاتجاهات « الواقعية الاشتراكية » فهى حلول ثقافية نظرية على الورق ولا ميدان لها فى الواقع الشعبى .

اما التنظيم الوطنى الذى استطاع تحقيق الثورة – الضباط الاحرار – فلظروفه الخاصة بعد من الارتباط التنظيمى بالجماهير الشعبية الى حد ما . كما فرضت الظروف المحيطة به ان يتصدى لمشاكل سياسية واقتصادية عاجلة ومباشرة عبر عنها فى « المبادىء الستة » .

بعد ٢٣ يوليو .. مرحلة جذور الاشتراكية

ولم تكن الظروف الموضوعية المحيطة بواقع هذه المرحلة فى صالح « الوحدة الفكرية الجماعية » التى تحققت فى ثورة ١٩١٩ . فالثورة فى هذه المرحلة كانت تحقق بعض الانجازات فى صمت لتلحق بالركب العام للتطور . ودفعها اخلاصها لقضايا الشعب لان تضع قضايا الفكر فى ايدى « الخبازين الموجودين حتى لو اكلوا نصفه » . وما كان هذا الخباز سوى واحد من :

١ – جيل العشرينات الذى مارس سطوة القلم على رجالات الحكم فى شكل الديمقراطية الغربية – فبات يخاطب الناس من علياء ويجاهر بالعداء . الطريق أنهك قواه فبات عاجزا غير قادر على التجديد . فحارب الجديد فى كل صوره واشكاله (فمن يدافع عن العامية ويتخذها اسلوبا للتعبير الادبى فاسق وشيوعى ... الخ)

٢ – جيل الاربعينات مازال يناقش امور وقضايا الواقع المادى من وجهة نظر الحزب الذى الغى وجوده الرسمى ليبقى وجودا عاطفيا ونفسيا . وتعبير مثل هذا خافت لارجع صدى له مؤثر خصوصا بين فئات الشعب التى استفادت من الثورة ماديا ومعنويا . ولعجز هذا الصوت عن ايجاد رجع صدى له – ظل يجتر فى اعماله الادبية والفنية النشأة البطولية للثورة . وكان ثورة يوليو العظيمة لم تفعل شيئا سوى انها « قامت » .

٣ – وثالث بورجوازى النزعة ووطنى لاشك فى وطنيته اثارته دماء شهداء معارك الاستقلال فعبر عنها ووقف بعد ذلك عاجزا عن ادراك « الجذور الاجتماعية » لثورة يوليو العظيمة .

٤ – اما الرابع وهو اقل الموجودين من حيث الكم فقد ادرك حتمية التطور الاجتماعى فبشر به فى فنه وادبه . ونجيب محفوظ – فى رأيى – اوضح الامثلة فى هذا المجال .

مرحلة الثورة الاشتراكية المعلنة

انتصرت الارادة الحقيقية للشعب بقرارات يوليو ١٩٦١ المجيدة . واصبحت « الاشتراكية العلمية » منهجا حدده الميثاق بعد ذلك بشهور كأسلوب للعمل الوطنى ، ولكن كثيرا من القيادات الفكرية القديمة ما زالت فى مواقع متعددة من السلطة التنفيذية فى مجال الفكر . الامر الذى يحول دون تهيئة الظروف الملائمة لخلق ونمو « الفكر الجماعى الشعبى الواحد » ولكن هناك بعض التغييرات ، والتطورات التى طرأت على هذه الاجهزة التنفيذية فى صالح قضية الفكر الثورى . كما يلاحظ ان هناك خطوات جادة نحو استكمال بناء التنظيم السياسى وتعبئة الشعب حول عدد من القضايا يمكن ان تساهم فى خلق « الوحدة الفكرية الجماعية » فى الفن والادب كتطبيق مباشر لوجودها فى المجال السياسى .

بقيت نقطة اخيرة ، وهى قضية « الفن والالتزام » فى مصر . وفى هذا الصدد ، نلاحظ ان ادراك المثقفين لحتمية التطور الاجتماعى قضية سهلة على المستوى النظرى والفكرى . لكنها تبدو صعبة بعض الشىء على مستوى الواقع المادى .

ومن هنا فالمعاناة الفنية التى يمكن ان تبرز روعة عمل فنى ما ، معاناة نظرية اكثر منها ارتباطا بالواقع المادى . ومن هنا تكون الاداب والفن ، قضية نظرية بعيدة عن الواقع المادى المتطور والنامى للثورة والبناء الاشتراكى فى مصر . ولكن هذه الظاهرة غير مرضية ، باعتبار ان قطاعات الشعب العامل التى عانت الواقع المادى المتخلف قبل الثورة موجودة بل ويتزايد نفوذها وفاعليتها يوما بعد يوم فى اطار التحالف الذى حدده الميثاق . ولم يبق الا ان تنتشر الاعمال الفنية التى ترتبط بالواقع المادى والمؤمنة بالتغيير الثورى . وبشائر هذه الاعمال تظهر بيننا الان فيما ارى .(*)



صوت من القاعدة

مؤتمر للقوى التقدمية الثورية

يكتبه هـذا العدد المواطن محمـد احمـد حسـان مدرس علوم وعضـو لجنة الدعوة والفـكر بدسـوق

فى هذه الايام اخذ الكثير من المفكرين الثوريين ينادون بوجوب التقاء القوى التقدمية فى العالم العربى لوضع مخطط عمل لمحاربة القوى الرجعية والانتقال من موقف المدافع الى موقع المهاجـم ولتحقيق امل الملايين العربية فى الثورة الاجتماعية وفى تحقيق الوحدة العربيـة الشـاملة .

لقد اصبح التقاء هذه القوى ضرورة بعد ان اعلن المناضل جمال عبد الناصر رأى الجمهورية العربية فى سـياسة مؤتمرات القمة التى استغلتها الرجعية لاعادة ترتيب صفوفها لتوجيه الضربـة للقوى الثورية التقدمية آملة فى ان تكسب المعركة المصيرية بين الحق والباطل ».

ولكن كيف يكون اللقاء وأين يتم؟.

حول الاجابة على هذين السؤالين دار الكثير من النقاش . ولكى تكون الرؤية واضحة امامنا يجب ان نوضح المنـاخ السياسى السائد فى البلدان العربية الان.

فمن السهل علينا ان نجد انماطا ثلاثة لنظم الحكم .**اولها** : نظام **رجعى** ارتضى ان يسير فى ركاب الاستعمار منفـذا لمخططاته . **وثانيها** : نظام **ثورى تقدمى** اختار الطريق السليم لتحقيـق امـل الشـعوب العربية **وثالثها** : نظـام **«لا انتمائى»** ،لا هو مع القوى الثوريةولا ينضم للقوى الرجعية، لكن وقفته هـذه — فى حد ذاتها — خطر على القـوى الثورية بلا شك .

من هنا نجد ان فرص التقاء القوى الثورية قائمة .لكن المهم ان تلتقى القوى الثورية التقدمية فى كل من الدول الخاضعة للنظم الرجعية والدول التى تقوم فيها نظم «لا منتمية» . وكيف يتم هذا اللقاء؟

● يجب على القوى الثورية في كل بلد على حدة ان تتوحد قبل ان تتجه للالتقاء مع قوة ثورية من بلد آخر .

● يجب ان تضع القوى التقدمية نصب اعينها ان معركتها مع الاستعمار والرجعية توجب عليها ان تنبذ الخلافات الشخصية والتاريخية .

● على القوى التقدمية ان توثق من التحامها مع جماهير شعبها .

بعد ذلك يتم لقاء كل القوى التقدمية الشعبية في مؤتمر يدعو له التنظيم الشعبي في الجمهورية العربية المتحدة وهو الاتحاد الاشتراكي العربي .

ويجب على القوى الثورية التقدمية في العالم العربي ان لا تعنى من ذلك ان الاتحاد الاشتراكي العربي يفرض نفسه في مركز القيادة لها ولكن لان الاتحاد الاشتراكي العربي بماله من امكانيات هائلة لا تتوفر في الوقت الحاضر لاى تجمع شعبي ثوري تقدمي آخر في العالم العربي فان هذه المهمة تكون واجباعليه يجند لها كل امكانياته مؤكدا في صدق تذرته على العمل والالتحام مع القوى الثورية في العالم العربي .

وقد يقال ان لقاء كل هذه القوى من ارجاء العالم العربي يستغرق وقتا وانا مع هذا الرأي، لكن هذا لا يمنع قيام لقاءات ثنائية وثلاثية تجتمع واضعة امامها أن الهدف الاكبر هوتجميع القوى الثورية التقدمية في العالم العربي في مؤتمر كبير يعمل على ايجاد وحدة فكرية فيما بينها واضعا مخططا لمحاربة الاستعمار بنوعيه — القديم والجديد — والرجعية التي تسانده .

لائحة العاملين والانتاج

في رسالة من المواطن سليمان التونسي، مفتش بمديرية العمل وعضو لجنة الدعوة والفكر بمرسى مطروح، كتب يقول عن لائحة العاملين بالمؤسسات:

صدرت في الشهر الماضي لائحة العاملين بالمؤسسات العامة والشركات العامة، وهي بلا شك تعتبر ثورة حقيقية في مجال القوانين الخاصة بشئون العاملين ، لانها تتلاءم تماما مع طبيعة المرحلة التي نحياها ، وتتفق مع اهداف مرحلة الانطلاق في طريق الاشتراكية .

ولعل ابرز ما يتضح من احكام هذه اللائحة — نصا وروحا — انها قد وضعت زيادة الانتاج كهدف في المقام الاول وجعلته العنصر الاساسي الذي تدور حوله كل احكام اللائحة ،وذلك بما وضعته من حوافز متعددة للعاملين ،فتحت امامهم الابواب للمكافأة والارتقاء بمقدار اخلاصهم في العمل والتفاني فيه . وبما جاءت به أيضا من حوافز سلبية تتمثل فى مجازاة العامل الذي يتهاون في عمله ويتكاسل في ادائه بأى صورة من الصور .

واللائحة بهذا الشكل تحقق — تشريعيا — الدعامات التي تقوم عليها الاشتراكية وهما الكفاية والعدل وتكافؤ الفرص ويحتاج هذا الشكل التشريعي الى ترجمة تنقله من النص القانوني الى الواقع الذي تتحقق على اساسه الاهداف التي دعت الى اصدار اللائحة بهذه الصورة المشرقة ، تحتاج الى ثورة في تنفيذها بما يحقق التفاعل التام بين العامل وبين العمل الذي يؤديه، وصولا مستمرا الى زيادة الانتاج .

ويستوجب هذا من العمال اثبات تقديرهم الحقيقية على التصدى لكل التحديات المفروضة علينا في مرحلة البناء، لنثبت ان التخلف ليس قدرا مكتوبا علينا.

ويضعنا ذلك بالتالى امام مسئولية العمل على رفع كفاءتنا الانتاجية، من حيث استغلال وقت العمل استغلالا امثل بحيث لا يتسرب وقت لا نبذله في عملية الانتاج فنطرح خلفنا — مثلا — ما كنا نلجأ اليه احيانا من تغيب عن العمل او التمارض او التأخر عن مواعيد العمل .ونعمل على استغلال الالة والادوات التي نعمل بها استغلالا امثل بما يضمن عدم استهلاكها ومداومة صيانتها ، وهناك ايضا استغلال المواد الاولية استغلالا امثل بحيث لا نسمح بضياع اى قدر منها ، ويجب ان تستغل طاقتنا البشرية بأن نداوم التدريب على كل جديد في محيط عملنا. ويجب ان نعلم ان «اى انسان مهما كان عمله يستطيع ان يؤثر في المجتمع وان يغير فيه سلبا او ايجابا، ولا يقل تأثير عامل النظافة عن احد رؤساء الادارات ولا يقل تأثير كاتب بسيط او خفير يحرس المنشأة عن تأثير رجل له رتبة رسمية اعلى» . وكل عمل يبذل — مهما كان نوع هذا العمل — يخدم قضية الانتاج كمجموع ،لانه جزء من خطة كبيرة نسعى كلنا لتحقيقها. ويجب ان ندرك انه بمقدار الاثر الذي نعطيه في مجال زيادة الانتاج يتحقق لنا مقدار ما نحصل من ثواب او جزاء .

ولقد اعطت اللائحة لرئيس مجلس ادارة المؤسسة سلطات ضخمة لتسيير المرفق الذي يشرف عليه تسييرا يهدف الى زيادة انتاجيته ، ومن هذه السلطات ما اعطته له من امكانية توجيه الحوافز الايجابية والسلبية للعاملين بقدر خدمتهم لقضية الانتاج. واملنا ان توجه هذه الحوافز لخدمة اهداف الانتاج وعدالة التوزيع وتكافؤ الفرص بين العاملين، بحيث يطمئن العامل المنتج انه يحصل فعلا على ثمرة انتاجه واخلاصه في العمل وبحيث يدرك العامل المهمل، وبصورة حاسمة ان اهماله يترتب عليها حرمانه من ثمار الاجتهاد ، بل ومجازاته على اهماله ايضا .املنا الا توجه هذه الحوافز لاى غرض آخر الا لزيادة الانتاج،لان الخروج من هذا الغرض يعتبر خطأ تترتب عليه نتائج عكسية، خاصة ان كان اتجاها عاما في منشأة من المنشآت بل يعتبر انحرافا تترتب عليه مايأتي :

اولا: ان هذا الاتجاه يقضي على كل حافز لزيادة الانتاج بالصورة المطلوبة او الحد المطلوب، لانه يخلق في نفوس العاملين

شعورا بالسخط وعدم العدالة، وبذلك لن نصل ابدا لمرحلة الكفاية التى نسعى اليها .

ثانيا: لن نصل موضوعيا — فى ظل هذا الاتجاه — الى مرحلة العدل كطلب جماهيرى ملح .

ويجب — من ناحية اخرى — الا يكون هناك احجام اوتهيب من ممارسة هذه السلطات بحجة توخى الدقة الكاملة قبل اصدار القرار بالجزاء او الثواب. لئلا يكون فى ذلك تعطيل لاحكام اللائحة، بحيث تصبح هذه السلطات قدرات ثانويةلا تتحرك لمقابلة الغرض الذى شرعت من اجله، ويكون مصيرها الضياع فى متحف التشريعات .

لذلك كان لا بد من البحث عن نقطة التوازن التى يجب ان يصدر القرار على اساسها دون اسراف، ودون احجام ، ولضمان الوقوف على هذه النقطة فانه يجب ان تشترك لجنة الاتحاد الاشتراكى واللجنة النقابية بأدوار ايجابية فى معاونة مجلس الادارة والجهازالتنفيذى المختص فى عملية تقديرالعاملين بالمنشأة، يجب ان تعطى هذه الاجهزة حقها الطبيعى فى الاشتراك فى هذا العمل حتى يكون هناك ضمان لسلامة القرار الذى يصدر ومقدار ما يبذله كل عامل فى سبيل زيادته .

ان الدور الذى يمكن ان يقوم به هذين الجهازين فى عملية الانتاج دور عظيم وخطير، وعليه يتوقف الى حد كبير نجاحنا فى تنفيذ برامج التنمية. باعتبارهما الصق الاجهزة بالعاملين، فيجب والامر كذلك وتعزيزا لذات الغرض ،ان يعطى للتقييم الذى تقوم به لجان الاتحاد الاشتراكى واللجان النقابية اهميته الطبيعية .

انه وان كانت اللائحة قد اعطت الاختصاص كاملا فى توجيه حوافز الانتاج — كسلطة — الى رئيس مجلس الادارة الا ان روح التشريع تؤكد ضرورة اشراك الاجهزة الشعبية والعمالية فى هذا العمل .

●

ن أجل زيادة الانتاج

وعن زيادة الانتاج كذلك، كتب المواطن **جابر فتوح عوارة** صاحب محل شنط بطنطا، يقول :

ان مجتمعنا يمر بمرحلة التحول الاشتراكى وبناء الصناعة الثقيلة وهذه المرحلة تحتاج الى تضحيات من افراد المجتمع العاملين كى يمكننا تحقيق الرخاء والسعادة لجميع افرادالشعب فى ظل مجتمع اشتراكى ينتفى فيه استغلال الانسان لاخيه الانسان .

لذا فانه من واجب كل مواطن ان يبذل جهدا اكثر فى هذه المرحلة دون مطالبة بامتيازات تفوق طبيعة وامكانيات المرحلة الراهنة حتى نبنى مجتمعنا الاشتراكى بقيادة المناضل جمال عبد الناصر .

ويمكن تحقيق زيادة الانتاج داخل المصانع والمؤسسات الانتاجية والمكاتب الحكومية والمزارع بالخطوات الاتية :—

● بانتقاء عناصر مؤمنة بالاشتراكية واعية بمشاكل المرحلة الحالية من داخل كل وحدة انتاجيةوتكوين لجان منها تحت اشراف الاتحادالاشتراكى ، ومهمتها توعيةالعاملين بأهميةالمرحلة الحالية وصعوبتها وضرورة وبذل مجهودات مضاعفة دون المطالبة بامتيازات مادية .

● — عدم الاسراف فى استهلاك المواد الاولية والمحافظة على هذه المواد .

● العمل فى غير اوقات العمل الرسمية لو امكن ذلك صيانة الماكينات دون مقابل كتضحية للمرحلة الحالية كما فعلت بعض الشعوب التى مرت بنفس التجربة ،ويكون سبيلنا الى ذلك الوعى والدراسة والايمان بمبادئنا حتى تكون جماهير الشعب على وعى كامل بمشاكل المرحلة الحالية ومطالبها وهذا كفيل باحباط اشاعات المغرضين والمخربين والانتهازيين والرجعية والمحافظة على مكاسبنا الاشتراكية .

ويكون فى كل لجنة من اللجان المقترحة مسئول عن اعمال هذه اللجنة على الوجه التالى:

١ — **مسئول فكرى** مهمته الاشراف على المحاضرات والندوات وتنظيمها .

٢ — **مسئول انتاجى** مهمته تقديم مقترحات لتحسين الانتاج وزيادته وكيفية انهاء العمل باسرع وقت ممكن كما يتلقى هذه المقترحات من جميع العاملين .

على ان يراعى الا يكون هذا وسيلة لتهريب بعض العناصر من العمل والانتاج بحجة انهم مسئولين، بل يجب ان يكون هؤلاء الاشخاص مثالا للانتاج والمثابرة على العمل والتضحية امام زملائهم .

ويمكن عمل بعض الحوافز الانتاجية الادبية — كعمل لوحة شرف فى كل مصنع او مؤسسة او مكتب او الجمعية التعاونية الزراعية يكتب اسم احسن عامل منتج فى هذه اللوحة مع ذكر العمل الذى قام به . كما يمكن للمؤسسة او المصنع القيام ببعض الرحلات الترفيهية لهؤلاء العمال على حسابها الخاص تشجيعا منها لهم . وعمل ميداليات وتوزيعها على المتفوقين فى عملية الانتاج ومكافأة مالية توزع فى حفل دورى بواسطة احد المسئولين وليكن المحافظ وامين الاتحاد الاشتراكى

●

تعقيب على مقال « المضمون الاجتماعى لحق الملكية »

كتب المواطن **عبيد صابر المنساوى** موظف حسابات بمحلج لوين تعقيبا على مقال **المضمون الاجتماعى لحق الملكية** الذى كتبه **فؤاد الدهان** فى عدد اغسطس الماضى يقول :

.. جاء باخر مقال فؤاد الدهان انه يتمين اعادة النظر فى نظام الحقوق العينية التبعية التى تتقرر حماية لحقوق

الدائنين قبل الملاك العقاريين ، الى أن وصل الكاتب الى طلب الغاء عملية الرهن والاختصاص .»

وانا أقول أن الكاتب نسى أن القطاع العام نفسه له ديون كبيرة لدى بعض العقاريين .. صحيح ان القطاع العام لايهدف الى استغلال المالك الصغير كما جاء بالمقال ، ولكن الذى أريد ان اقوله هو ان هؤلاءالعقاريين لا يزال فى دمهم رواسب الماضى العفن ولو تمكنوا من الهروب من سداد مال القطاع العام باى اسلوب لهربوا بأسرع ما يمكن خاصة وان الوعى السياسى الناضج لم يكتمل بعد . فالمحضر المكلف بتنفيذ الحجز على اموال المدين لا يتورع ان يحرر للمدين محضرا بعدم وجود شىء فى منزله مقابل قليل من النقود . ومن ثم لا يمكن تنفيذ هذه « المثالية » فى الوقت الحاضر أو حتى الحديث فيها الا بعد التسليح بالوعى ولهذا ينبغى البحث عن طريقة يمكن بها تحصيل أموال القطاع العام الموجودة لدى العقاريين او تحصيل الضرائب المستحقة عليهم والمتأخرة من سنين مضت وتهربوا منها بنقل ملكياتهم الى زوجاتهم وأقربائهم أو تقدموا بالمجاملات الى القائمين على التنفيذ للتغاضى عنها أو تأجيل تحصيلها .»

●

الرجعية .. والاشتراكية .. والدين

يتناول المواطن رجب صابر أحمد ليسانس آداب ودبلوم فى التربية ، قضية استغلال الرجعية وتمسحها بالدين فى هجومها على الاشتراكية فيقول فى رسالته التى بعث بها :

هناك حقيقة تحاول الرجعية ان تخفيها فى حربها اليائسة ضد الاشتراكية . فالرجعية تتمسح بالدين وتحتج بأنه لا يوافق على تأميم أموال المستغلين ويتظاهرون بالغيرة على تعاليم الاسلام وبالعطف على الذين أممت أملاكهم التى اكتسبوها عن طريق الاستغلال .

والرجعية فى هذا تحاول أن تضلل جماهير شعبنا العربى وأن تزيف مفهوم الاشتراكية فى عقول الاجيال العربية القادمة . والدراسة العميقة للقرارات الاشتراكية تبين بوضوح ان اكثر من ٩٩٪ من هذه القرارات تنطبق على املاك ومؤسسات سلبت دماء الشعب المصرى تحت حكم الاستعمار والحكومات الفاسدة والملكية وبأساليب الارهاب والقمع والرشوة التى كانت هى الوسائل المشروعة لجمع الاموال خلال السنين التى سبقت قيام الثورة . واننا لنذكر جيدا الاعراض التى انتهكت والارواح التى استشهدت والدماء التى اريقت لجمع هذه الاموال

وفى تاريخ الدين دلائل واضحة على أن لولى الامر أن ينقل الملكية الفردية الى الملكية العامة لو وجد فى ذلك مصلحة عامة للمسلمين فنجد الرسول (عليه الصلاة والسلام) يجعل أرض النقيع بالمدينة لعامة المسلمين ولم يجعلها ملكا لاحد .وكذلك نجد الخليفة عمر بن الخطاب يضع أسسا واضحة للاشتراكية والانسانية فى أروع صورها فنجده يجعل أرض (الربذة) ملكية عامة . وكذلك يرفض توزيع أراضى الشام والعراق على الفاتحين ويقول للجند «كيف بمن يأتى بعد ذلك من المسلمين فيجدون الارض قد اقتسمت وورثت عن الاباء وحيزت ؟ ماهذا برأى» . أى انه رفض أن يقسمها وتركها لعامة المسلمين . ويعبر هذا الخليفة عن روح الدين الحقيقية بقوله «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لرددت فضول أموال الاغنياء على الفقراء»

يدل هذا بوضوح على أن الثورة لم تخرج عن روح الدين حين نظرت الى صالح جموع الشعب فنقلت ملكية بعض المؤسسات الخاصة للدولة .

ويكشف لنا تاريخ الدين عن ثورة انسانية اجتماعية عادلة اعادت حقوق الشعب التى اغتصبها الاغنياء الى اصحابها وهى الثورة التى قام بها عمر بن عبد العزيز . فبعد توليه الحكم ، وجد الشعب يرزح تحت نير الفقر الشديد لان جماعة الحاكمين السابقين من بنى أمية قد استبدوا بالشعب وطغى الاقوياء على الضعفاء فازداد الاغنياء غنى والفقراء فقرا وانحرف حكام المسلمين فى ذلك الوقت وابتعدوا عن روح الدين الحقيقية ، فطاردوا أبا ذر الغفارى الذى رفض الخضوع لظلمهم وأغرائهم فنفوه وعذبوه حتى مات وحيدا منبوذا فقام هذا الخليفة باعادة الحق الى نصابه فضرب على يد الظالمين ولم يخف فى الحق لومة لائم ، وجعل من نفسه القدوة فى التضحية والمحبة لامته ، فنظر الى املاكه وأملاك أسرته وبحث عن مستنداتها وتمسك بالشبهة والريبة لنزع جميع الملكيات الظنينة غير المشروعة التى نبتت من سحت أو رشوة او محسوبية أو امتيازات . وأخذها من أيدى القائمين عليها بغير حق وردها لاصحابها ثم انتقل الى اقاربه من بنى أمية ثم الى بقية الاغنياء فطبق عليهم ما طبقه على نفسه وأهله ، وبذلك أنصف عمر بن عبد العزيز الفقراء واعاد الحقوق لاهلها وجعل حقوق الامة لابناء الامة جميعهم وصحح الاوضاع الخاطئة الخارجة عن العدالة والحق .

فاذا نظرنا لما فعلته الثورة فى مصر نجد صورة طبق الاصل لما فعله الخليفة عمر بن العزيز . فلقد قامت الثورة ووجدت أن مصر قد رزحت تحت الحكم الاجنبى الغاصب أكثر من ٢٥٠٠ سنة توالت عليها ، منذ دخول قمبيز الفارسى مصر سنة ٥٢٥ قبل الميلاد حتى قيام ثورة سنة ١٩٥٢ ، ثم أنواع من الغزاة والمستعمرين الاجانب تحت أسماء واجناس مختلفة يعانى فيها أبناء الشعب صنوفا من العذاب والسلب والنهب والقتل . فكان كل حاكم ينهب ويسلب ويكدس الاموال ثم يتركها لمستعمر ومايكاد الشعب البطل ينتهى من صراعه مع غاصب الا ويفاجأ بمغتصب جديد .

فهل فعلت ثورة يوليو شيئا غير العدل وهو شريعة الحق وشريعة الله؟ وهل فى اعادة الحقوق للشعب وتصحيح الاوضاع الخاطئة منافاة للدين ؟ قطعا لا .. فما تدعيه الرجعية هو (اسلامها) المزعوم الذى جعلته ستارا لاطماعها وشهواتها ووسيلة لسلب الناس اموالهم لتكدسه من عرق العاملين ومن دماء الشعب .

فليمت الرجعيون بغيظهم فلن يخدع الشعب بعد اليوم بحيلهم وأستارهم فقد فهم الشعب الدين وجوهره .. وانه لواجب على

علماء الدين أن يخلصوا الدين من كل ما ادخلته عليه الرجعية في العصور الوسطى من مفاهيم خاطئة باسم الاجتهاد في الدين تباعده من حقيقته وجوهره .

●

القانون .. والمخترعون

يبدى المواطن حسين محمود غالب بمصلحة المساحة ، في رسالة له بعثها للطليعة ، وجهة نظره حول القوانين والتعليمات الخاصة بتسجيل براءات الاختراع . فيقول :

أن نظرة متأملة للقانون ١٣٢ لسنة ١٩٤٩ والتعليمات الخاصة بتسجيل براءات الاختراع المطبوعة لسنة ١٩٥١ ـ وقد وضعت جميعها قبل الثورة ـ توضح أنها تعرقل تقدم الاختراعات في مصر ولا تساعد على رفع مستوى الابتكار .. هذا القانون وهذه التعليمات ، مازالت لا تجد من يتناولها بالتعديل لتشجيع المخترعين من ابناء الوطن لتقدم الصناعة وازدهارها .

أن النهوض بالصناعة والتقدم العلمي ، يحتاج لبعض التضحيات من الدولة كتشجيع المخترعين والمبتكرين كما تشجع الفنانين وتفتح أمامهم سبل التقدم بفنهم . ولقد هدف القانون القديم الى محاربة المخترعين حتى تبقى البلاد دائما في حاجة الى المستعمر والاجانب ، تفرض على من يتقدم ببحث لرفع مستوى الصناعة ، نسبة من الضرائب ورسوم التمغات تعوقه عن استمرار بحوثه ودراساته .

أنه من غير المعقول أن تفرض ضرائب تزيد كل عام بواقع نصف جنيه لمجرد أن المخترع فكر في مشروع ما من شأنه تطوير صناعة من الصناعات . ماذا تصد المشرع القديم من ذلك ؟ لاشك أن هذا القانون يعمل على أحباط الهمم . فالمفروض في دفع الضرائب أن يكون صاحب الاختراع قد استفاد من اختراعه بمكسب مادى مثلا . وفي هذه الحالة يجب عليه دفع ضرائب كسب عمل . لا ضرائب كسب فكر !

وأعتقد أن الدولة لم تساهم بعد بشكل جدى وفعال في مساعدة المخترعين . فقد اخترعت جهازا للحيل السينمائية وأختبر بالمركز القومي للبحوث وكلية الفنون التطبيقية ووزارة الصناعة . ومالبثت أن قرأت في الصحف أن مؤسسة السينما عازمة على شراء آلة حيل . ورغم تصريح أحد من مديرى التصوير بالتليفزيون ان لهذا الجهاز أهميته ، الا أن المؤسسة لم تفكر في أستخدامه .

من هنا فانني أدعو الى أعادة النظر في القوانين والتعليمات الخاصة بتسجيل الاختراعات والابتكار »

نداء من لجنة السلام في الاردن

الى جميع قوى السلام والحرية والتقدم في العالم نتوجه بهذا النـداء :

ان حياة عـدد كبير من انصار السلام وغيرهم من الوطنيين الديمقراطيين والتقدميين في الاردن تتعرض في الاونة الاخيرة لخطر شديد من جراء التعذيب اللاانساني الممارس ضدهم في السجون والمعتقلات على أيدى سلطات البوليس والمباحث الاردنية وتحت اشراف «خبراء» تعذيب امريكيين وانجليز والمان غربيين . ومن اساليب التعذيب البربرية الفاشية التي يستخدمونها ضدهم الكي بأسياخ الحديد المحمى ، والتعريض للصدمات الكهربائية ، والضرب والجلد الوحشيان ، والتعليق من الارجل ساعات طويلة .

ومن بين المعتقلين الذين ساءت حالتهم الصحية للغاية وأصبحت حياتهم في خطر شديد ، المناضلون الوطنيون رشدى شاهين وخلدون عبد الحق وعربي عواد .

أما الغرض من أعمال التعذيب هذه وحملة الارهاب الاسود التي تشنها السلطات الاردنية منذ بضعة اشهر ، فهو محاولة كبت نضال القوى الوطنية وسعيها لتوحيد جهودها ضد محاولة حكام الاردن الرجعيين لزج الاردن في المشروع الاستعمارى ـ الرجعى المسمى بـ «الحلف الاسلامى» .

ومن المعروف أن هدف هذا الحلف هو توحيد القوى الرجعية في المنطقة لخنق حركة التحرر الوطني العربية وضرب التطور التقدمي في بعض البلدان العربية ، وخاصة في الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية ، وذلك بالتعاون الوثيق وتنسيق الخطط مع الامبرياليين وقاعدة الاستعمار اسرائيل . أننا نتوجه الى جميع المنظمات الدولية والوطنية العاملة من أجل السلام ، الى جميع قوى السلم والحرية والتقدم في العالم مناشدينها التضامن مع أنصار السلام الاردنيين والشعب الاردني في نضالهم ، وذلك بارسال الاحتجاجات الى ملك الاردن حسين ورئيس حكومته وصفي التل ، ورئيس مجلس النواب الاردني بعمان ، على أعمال التعذيب الممارسة ضد المعتقلين والمسجونين السياسيين ، والمطالبة بوقف هذه الاعمال ، واطلاق سراحهم واباحة الحريات الديموقراطية للشعب .

أن تضامنكم سيساهم مساهمة كبيرة في انقاذ حياة المعتقلين ، وسيساند نضال الشعب الاردني من أجل أحباط مشروع الحلف الاستعمارى ـ الرجعي الجديد الذى يهدد السلام وحريـة الشعوب في المنطقة .

لجنة السلام في الاردن

وثائق

وثائق تاريخية عن:

الثورة العرابية

٧

النصوص الكاملة لمحاضر التحقيق مع سليمان باشا أباظة ، وأحمد باشا رشيد ، ومحمود باشا الفلكى وراغب باشا رئيس الوزراء ، وسالم باشا الحكيم ، ورضوان باشا ، وخورشيد باشا طاهر ، ومحمد رضا باشا ، وعلى باشا ابراهيم ، والبرنس ابراهيم أحمد باشا ، والبرنس كامل مصطفى باشا ، والبرنس أحمد أحمد باشا .

وقد اشترك **سليمان باشا أباظة** فى وزارة محمود سامى البارودى التى سبقت الاحتلال ، كما اشترك فيها أيضا **احمد باشا رشيد** . أما **محمود باشا الفلكى** فقد اشترك فى وزارة **راغب باشا** التى حدث أثناءها احتلال البلاد . **وسالم باشا الحكيم** هو أحد الاطباء الذين استدعوا للاستجواب بشأن حقيقة اصابة احدى شخصيات الاحداث حينذاك من عدمه . **ورضوان باشا** احد الباشوات السكندريين الذين استدعوا للادلاء بمعلوماتهم حول حقيقة دور **عرابى** والقائمقام **سليمان سامى** فى حرق الاسكندرية . أما **خورشيد باشا طاهر**

فكان لواء الفرقتين ٥ جى الاى بيادة ، ٦ جى الاى بيادة المعسكرتين بالاسكندرية ، وقد اتهمت فرقته ٦ جى الاى بيادة من جانب القومسيون ، بأنها احرقت الاسكندرية ، وقد عينه عرابى قومندانا على رشيد وأبى قير بعد ضرب الاسكندرية . اما **محمد رضا باشا** فهو احد القادة العسكريين بالقاهرة ، اتهمه القومسيون بالاشتراك مع العرابيين فى اجتماع قشلاق عابدين الذى حلفوا فيه يمينا بالتضامن معا . **اما على باشا ابراهيم** فكان وزير الحقانية اثناء ضرب الاسكندرية . والبرنس **ابراهيم احمد باشا** هوأحد افرادالاسرة الخديوية الذينختموا مع العرابيينعلى العريضة التى تطالب باستمرار القتال وعدم عزل عرابى، وقد فعل مثله ايضا كل منالبرنس **كامل مصطفى فاضل باشا** ابن عم الخديوى توفيق ، والبرنس **احمد احمد باشا** من الاسرة الخديوية

●

محضر استجواب سليمان باشا أباظة

فى يوم الثلاثاء ١٠ محرم سنة ١٣٠٠
(بناء على ما تقرر بجلسة يوم ٩ محرم سنة ١٣٠٠ ، كان طلب سليمان باشا اباظة وحضر فى هذا اليوم وسئل، فأجاب كماياتى):

س : حيث انكم كنتم فى اسكندرية معباقى النظار ، فهل كنت فى طابية الديماس مذ كان فيها احمد عرابى وبعض النظار ؟

ج : ما كنت هناك .

س : لما حصلت المذاكرةفى مسألةالطوابى التى طلب تسليمها الاميرال الانكليزى، قبل بعض كلام من احمد عرابى بخصوص عدم تسليم البلاد وتخريبها وحرقها ، فهل سمعت شيئا من هذا القبيل ؟

ج : سمعت احمد عرابىيقول مرارا عديدة عند حصول المذاكرة المحكى عنها وخلافها ، انه لا يسلم البلاد ابدا ، بل يحارب الى آخر درجة ، حتى لا يبقى أحد من الاهالى .

س : هل حصل اقرار منكم أعنى النظار، بخروج العساكر ، أم خرج معهم احمد عرابى من تلقاء نفسه ؟

ج : احمد عرابى أخذ العساكر وخرج من تلقاء نفسه ، خلافا للقرار الذى صدر من المجلس الذى انعقد بحضور الخديوى ودرويش باشا ، فانه كان تقرر فيه بقاء العساكر باسكندرية .

س : ألم تر الحريق ؟

ج : لم أره ، إنما لما توجهت لباب شرقى للتكلم معأحمد عرابى بشأن الكوردون، بلغنا حصول الحريق وبلغنا انسليمان سامى هو الذى أجرى ذلك ورأيت الناس اهالى وعساكر فى الطريق عند حضورى من الرمل ومعهم منهوبات.

س : ألم تتكلموا مع أحمد عرابى فى شأن منع ذلك ؟

ج : لم نتكلم معه فى هذا الشأن ، بل تكلمنا فى شأن ما توجهنا من أجله ، أعنى مسألة الكوردون .

اذن له بعد ذلك بالانصراف .

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل أيوب

محضر استجواب احمد باشا رشيد.

فى يوم الخميس ١٢ محرم سنة ١٣٠٠
(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الاثنين ٩ محرم سنة ١٣٠٠ كان طلب حضور سعادة احمد باشا رشيد، فحضر فى هذا اليوموسئل فأجاب كما يأتى) :

س : حيث ان سعادتكم كنتم من ضمن الوزارة التى كانت أثناء يوم الضرب على طوابى اسكندرية ، وكنتم فطابية الديماس مع **أحمد عرابى وعبد الرحمن بك رشدى وطلبه باشا وشريعى باشا** **وراغب باشا** وغيرهم ، فماالذى رأيتموه أو سمعتموه ؟

ج : مذ كنا فى الطابية ، كان احمد عرابى ينظر من شباك فيها ، وحضر اليه بعض العساكر وبعض الضباط وكانوا يتكلمون معه ويعطيهم تنبيهات وبالجملة حضر ميرالاى او قايمقام الطوبجية ، ورأيت ايضا عسكريا حاضرا بهمة ونشاط ، وقال لاحمد عرابى ياسعادة الباشا نظرت رجلا

اوربيا فى منزل يعطى اشارات من السطح للمراكب واردنا ضبطهفكان الباب مغلوقا ، ولم يشأ منحه ، ثم فتح وهم على ضربنا فضربته بفاس وقضيت عليه ، وكان بملابس هذا العسكرى دم ، فقلت لاحمد عرابى انه لا يليق ولا يصح قتل الناس بهذه الكيفيه ، فلم يجاوبنى ، وانما نبه على العسكرى المذكور بعدم قتل احد بعد ذلك ، بل اذا رأى شخصا آخر يعطى اشارات للمراكب فيقتصر على ضبطه ، ثم حضر بعض عساكر وقالوا انهم رأوا ايضا اشخاصا اوروباويين يعملون اشارات ، ولما ارادوا الدخول لضبطهم ، وجدوا الباب مغلوقا ، ولم يرغب من فى المنزلفتحه ، ففتحوهبالقوة ووجدوا الاشخاص الذين بالمنزل متحصنين ، وبعد ذلك حضر بعض البوليس وضبطوهم .

س : الم يأمر احمد عرابى بضبط العسكرى الذى كانت ملابسه ملطخة بالدم او سجنه ؟

ج : لم يأمر بشي ما .

س : هلفى علم سعادتكمشيء بخصوص نهب وحرق اسكندرية ومن اجراهما ؟

ج . ان النهبوالحرق ، حصلافى الواقع يوم كنا فى اسكندرية ، والشائع ان صنف العساكر من الاعلى الى الادنى هم الذين اجروا ذلك .

س : هلخروج احمد عرابىمع العساكر من اسكندرية ، كان بأمر الوزارة ام لا ؟

ج : خروجه مع العساكر كان من تلقاء نفسه .

اذن لسعادته بعد ذلك بالانصراف

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	محمد حمدى
سعد الدين	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب محمود باشــا الفلكى

فى يوم ١٠ محرم سنة ١٣٠٠
(بناء على ما تقرر بجلسة يوم ١١ محرمسنة١٣٠٠، طلب محمود باشا الفلكى فحضر فى هذا اليوم وسئل ، فأجاب كما يأتى) :

س : حيث ان سعادتكم كنتم من ضمن الوزارة التى تشكلت تحت رئاسة راغب باشا ، ولما حصلت المذاكرة فى مسألة طلوعساكر الانكليز وقبل ذلك ايضا ، تفوه ناظر الجهادية بأقوال كثيرة منها انه لا يسلم البلاد بل يحرقها ويخربها وغير ذلك ، فهل سمعت شيئا من هذا القبيل ؟

ج : انى سمعت اشياء كثيرة من احمد عرابى المذكور، منها انه لما تكلمنا فى شأن من خرج من اسكندرية من الذوات وسافروا لاوربا ، قال ان حيدر باشا وامثاله ، يلزم ضبط اموالهم لجانب الميرى حيث انهم سافروا بدون اذن ، فناقشته فى هذه المسألة وعارضته ، وقلت له انهم خرجوا بأذن الخديوى ، وعلى ذلك لا يصح طلبهم ولا مصادرة اموالهم ، وتذاكرنا مرة اخرى فى شأن قتل بعض اناس ، فانه كانت قد وردت افادة من الياس بك مدير بنى سويف وقتئذ بخصوص جمع العساكر ، وحضر احمد عرابى وقال ان هذاالشخص وامثالهيلزم طردهم ومحاكمتهم ، وانه عند ضرب اول مدفع فى اسكندرية ، يجب قتل هذا الرجل وامثاله من الخائنين فقلت له مستهزئا ، ان هذا الراى مستحسن فانك بدلا من الالتفات لمقاتلة العدو ، تشغل العساكر بقتل من تقول عنهم من ابناء بلدك ، فاجابنى ان الذين يريد قتلهم لا يبلغ عددهم الا خمسين او ستين نفسا ، فقلت ليس ستين نفسا ، بل ستين عائلة ، ومتى شرع العساكر فى امر مثل هذا لا يكفون عنه ، فكرر جوابه المتقدم ، ثم حصلت مسألة ثالثة لم اكن متذكرا ان كانت حضور الخديوى ام لا ؟ فانى لما تكلمت معه فى محادثة خصوصية بيننا ، وقلت له لو فرضنا ان المجلس امر بعدم الحرب وصدق الخديوى على ذلك وتنبه عليك باخذ العساكر والانتقال لجهة ما ، فماذا تجرى ، فاجابنى انه لا يمكن ذلك ، فان العساكر جميعا مايلون للحرب ودبت فيهم الحماسة والحمية فقلت لهحيث انك مصممعلى الحرب سواء امر المجلس او لم يأمر ، فما فائدة المجلس ، فاجابنى انه لا يمكنه غير اجراء الحرب ، فقلت له انه لم يخرج عن كونه امير جيش ويلزم انقياده للاوامر التى تصدر اليه من المجلس والخديوى ، فكرر جوابه بعدم الامكان واضاف انه لا يمكنه اطاعة العساكر على عدم الحرب .

س : هل كنت فى طابية الديماس ؟

ج : لم اتوجه لطابية الديماس ، لا فى اول يوم الضرب ولا فى ثانى يوم .

س : الم تسمع ايضا من احمد عرابى ، انه اذا رؤى له ان احدا يتغلب على البلاد ، يحرقها ويدمرها ؟

ج : لم اسمع منه غير ماقلته .

س : لم تسمع شيئا بخصوص النهب والحرق ؟

ج : لم اسمع شيئا بهذا الشأن ، سوى ماقاله احد الذوات ، واظنه اسماعيل باشا كامل انه سمع بوبة نهب وحرق .

س : هل رايت العساكر خارجين من البلد بالمنهوبات ؟

ج : نعمرايت كثيرا منالعساكر مزدحمين فى الطرق ، ومعهم المنهوبات .

س : الم يبلغك من اجرى النهب والحرق ؟

ج : بلغنى ان الذىاجرى ذلكالعساكر التى كانت تحت رئاسة سليمان سامى .

اذن له بعد ذلك بالانصراف

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على راغب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب سعادة راغب باشا

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الجمعة الموافق غاية القعدة سنة ٩٩ ، تحرر للداخلية بطلب راغب باشا ، فحضر وسئل، فاجاب بما يأتى) :

س : هل صدر منكم هذا التلغراف ، لجميع المديريات بتاريخ ٢٥ ش سنة ١٢٩٩ !

صورة التلغراف :

حيث ابتداء الحرب بيننا وبين الانجليز ، فبمقتضى القانون ، تكون **الادارة تحت احكام العسكريين** ، ا يول رالبغال الموجوده جميعها بالمديريات والمحافظات ، ترسل لديوان الجهادية باثمان موافقة على الجهادية ، ويسرع بالمبادرة فى ارسالهم ، فالامل انه بعد اطلاعكم ايضا على اصله الموجود الان بختمكم تفيدوا .

ج . نعم صدر منى .

س : هل قبل تحريره استشرتم باقى النظار ، واعطى قرار من تحريره بهذه الكيفية او صدر من سعادتكم خاصة .؟

ج : التلغراف المذكور (انا) حررته فى طابية الديماس ، ومن كانوا موجودين هناك وقتها من النظار سمعوه عندما قراه الكاتب على ، لكنى لم انتظر اخذ رايهم ، وتحريره بهذه الكيفية تحت مسئوليتى للدر ب خصوصية عندى .

س : ماهى الملحوظات التى اوجبت سعادتكم لتحريره ، بدون قرار من النظار ؟

ج : هما ملحوظان ، الاول ان فى وقت المدافعة مأمول حصول اختلال بالبلاد ، والمديريات ولهذا كتبته لسكون الحال وعدم وقوع اختلال والثانى ان وقت المدافعة واجب ذمة على كل احد من المأمورين اجراء المساعدات الممكنة للمدافعين ومن حيث كان سبق صدور اوامر علية خديوية بجمع العساكر نمرة ١ ونمرة ٢ ونمرة ٣ وكان حاصلا من بعض المديريات نوع تراخى ولاجل حصول المساعدة فى جمعهم ، كتبت ذلك التلغراف ، ولما علم من اعلان الاميرال **سيمور** بأن مقصده من ضرب المدافع ليس هو اجراء المحاربة ، وانه مستعد لتسليم الطوابى والاسكندرية لعساكر يستأمنهم الخديوى الاعظم ، فوقتها اصدرت تلغرافا للجهات عموما ، بأن الحالة ترجع لاصلها ، ويصير الغاء ما تحرر سابقا وتمشية مصالح الحكومة كالسابق ، حيث انه فى وقت تحرير التلغراف الاول كان المعلوم عموما ان المحاربة جارية .

س : هل قبل تحرير التلغراف الاول والثانى ، لم تستأذنوا عن تحريرهما من الحضرة الخديوية ؟

ج : فى وقت تحرير التلغراف الاول ، لم يمكن المقابلة ولعلمى ان الجناب الخديوى الاعظم محب للامن والسكون كتبته عاجلا لحصول ذلك باعتقادى ان ذلك خدمة مشكورة ، وبعد توقيف المدافع حالا ، اعرضت للاعتاب بأنى كتبت ذلك التلغراف .

س : فى ثانى يوم الضرب ، انسحبت العساكر جميعها من الاسكندرية ، فهل كان ذلك بأمر سعادتكم ؟

ج : لا فانى لم آمر بذلك .

س : هل لا تعلمون ان كان خروج العساكر من الاسكندرية بأمر ناظر الجهادية ام لا ، حيث انه كان من ضمن النظار الذين تحت رئاسة سعادتكم ؟

ج : انا ما امرت احدا ، وان كان ناظر الجهادية امر بذلك ، فلا اعلم .

س : فى يوم الاربعاء ، ثانى يوم الضرب هل توجه الى منزلكم احمد عرابى وان كان توجه ، ففى اى تاريخ ؟

ج : فى يوم الثلاثاء او الاربعاء لست متذكرا ، توجهت مع احمد عرابى لمنزلى سوية وقت العصر .

اذن له بالانصراف ، وانصرف فى غاية لذ سنة ٩٩ .

(بناء على ما تقرر بجلسه يوم ١٧ لذ سنة ٩٩ ، طلب سعادة راغب باشا من السجن ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة ادناه ، فاجاب عنها كما يأتى) :

س : من اجوبة احمد عرابى علم ، انه فى يوم ضرب المراكب على طوابى الاسكندرية ، عمل مجلس من النظار بحضور الجناب الخديوى واستقر الحال ان فى ثانى يوم الموافق ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ ، يصير رفع بيارق بيض فى اعلى البيارق ، فهل هذا حقيقى ؟

ج : نعم ، حصل ذلك ، وكان هذا المجلس بحضور الجناب الخديوى ودولتلو درويش باشا ايضا .

س : قبل الضرب على طوابى الاسكندرية كان صار عقد مجلس للمداولة فيه عما يلزم اجراؤه فى طلبات الاميرال سيمور ، فما هو الرأى الذى تقرر فى ذلك ، واين يوجد محضر جلسة هذا المجلس ؟

ج : كان حصل عقد مجلس بحضور جملة من الذوات المتقاعدين وغيرهم وبحضور دولتلو درويش باشا وحضور الحضرة الخديوية ، وفى اجراء المكالمة سألت الحضرة الخديوية عن انه بعد كم مدفع يصير ضربها من المراكب ، يصير مجاوبتها من الطوابى ، وبعد المداولة استقر الرأى بالاغلبية على ان بعد ضرب ثلاثة مدافع من المراكب فالطوابى تجاوب .. اما المكاتبات التى حصلت بين الاميرال سيمور والحكومة ، وانعقد بسببها هذا المجلس ، توجد فى نظارة الخارجية ، ولا يوجد محضر جلسة لهذا المجلس

س : سبق سؤالكم عن كيفية خروج العساكر من الاسكندرية ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ ، واجبتم بعدم علمكم بمن امرهم ، لكن ذكر فى التحقيق من بعض من سئلوا ان ذلك كان بأمركم فالقصد التذكر والاجابة .

ج : انه فى يوم خروج العساكر المذكورة تقابلت مع عرابى فى باب شرقى ووجدته يجمع العساكر هناك ، وسألته عن مرغوبه ، فقال انه كان يريد ان يتخذ موضعا هناك للعساكر لكن وجده غير موافق ، ولذلك سيجرى ارسالهم الى كفر الدوار فقلت له هيا نتوجه سويا لطرف الحضرة الخديوية ونستشرها فى ذلك وانا توجهت للرمل لطرف الحضرة الخديوية ، وهو لم يتوجه معى .

س : هل عرابى توجه الى سراى الرمل فى يوم ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ ، وان كان توجه ففى اى وقت توجه ، وفى اى وقت عاد ؟

ج : اظنه توجه قبل الظهر .

س : قبل الظهر بمسافة بعيدة او قريبة ورجع فى اى وقت ؟

ج : لست متذكرا .

س : هل تتذكر ان احمد عرابى ركب معكم فى العربة فى يوم ١١ و ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ وتوجهتم الى منزلكم سوية ؟

ج : اتذكر انى ركبت معه وتوجهت لمنزلى لكننى لست متذكرا اليوم ».

س : هل كان ذلك قبل غذاء الظهر او بعده ؟

ج : كان ذلك قبل غروب الشمس ، حتى انه توضأ وصلى العصر ، وكان هناك اناس اخرون منهم سعادة الزبير باشا ».

س : حيث ان العرابى كان قبل الظهر توجيه الى الرمل ، وقبل غروب الشمس توجه لمنزلكم فالمسافة التى بين وجوده بالرمل ووجوده بمنزلكم مضاها فى اى جهة ؟

ج : لست متذكرا ويمكن انه مضاها بالرملة ».

س : تعلمون ان الاسكندرية حصل نهبها وحرقها فى ثانى يوم ضرب المدافع ، فما الذى بلغكم عمن عمل ذلك ؟

ج : النهب والحرق حصلا وبلغنا » لكن لانعلم ممن » لان بعض الناس يقول انهم عساكر ، والبعض يقول عربان والبعض يقول اهالى .

س : الا تعلم ولا تسمع من الذى امر باجراء النهب والحرق ؟

ج : لا اعلم ولا سمعت ».

س المعلوم ان احمد عرابى وطلبة وغيره كانوا دائما يتهورون فى الكلام ويقولون انهم اذا غلبوا ، يحرقون البلد ولا يتركونها للانجليز ، فما الذى تعلمه ؟

ج : لا اعلم ذلك ولا سمعته من احد ؛ وانى لما نظرت ماجرى من الحريق بالاسكندرية كنت اخشى دائما ان يحصل مثل ذلك بمصر ، وكنت اقول دائما للحضرة الخديوية ان يعمل الطرق اللازمة لحماية مصر من مثل ذلك ؟

س : ممن كنت تخشى ان يفعل مثل ذلك بمصر ؟

ج : كنت اخشى حصول ذلك غالبا من البدوية ».

س : الم تر سليمان سامى متوجها الى سراى الرمل فى مساء يوم الثلاثاء ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ؟

ج : انا لا اعرف المذكور مطلقا ».

اذن له بالانصراف ، فانصرف فى ١٧ ذى الحجة سنة ١٢٩٩

اعضاء — اعضاء

محمد مختار — مصطفى خلوصى

مصطفى راغب — محمد حمدى

سعد الدين — على غالب

محمد زكى — يوسف شهدى

سليمان يسرى

رئيس قومسيون التحقيق

اسماعيل ايوب

محضر استجواب سالم باشا الحكيم

(فى يوم الاثنين ٢٤ الحجة سنة ٩٩)

(بناء على ما تقرر بجلسة هذا اليوم ،تحرر للداخلية بالتنبيه على سالم باشا بالحضور الى القومسيون ، فحضر وسئل فاجاب كما ياتى) :

س : علم القومسيون ان سعادتكم توجهتم لطرف السيد قنديل بعد واقعة ١١ جونيو ، ورايتم ما اصيب به من المرض ، فهل حقيقى ذلك ، وهل تحقق لكم عند توجهكم انه مصاب بالمرض الذى ادعى به ؟

ج : فى يوم الجمعة التالى ليوم حصول الواقعة المذكورة ، حضر لطرفى برأس التين احد حكماء الاسكندرية المسمى سعد افندى سامح مفتش الجدرى يرجو منى التوجه لمنزل السيد قنديل كى ارى حالته ، وخصوصا الطريقة العلاجية المتبعة ان كانت فى محلها ام لا ، فتوجهت معه لطرف المذكور كما هو الواجب على كل طبيب ، وبوصولى قال لى انه معتريه خدر فى الذراع ، وتحول فى الوجه غير كاملين ، مع ضعف فى حركة الذراع والوجه المسمى ذلك عند الاطباء باعراض فالج غير تامة ، وقال لى ايضا ان هذا حصل له فجأة من منذ ايام قليلة ، وان الحكماء الجارين معالجته امروا له بتركيب العلق خلف الاذنين ، وتعاطى بعض المسهلات الملحية ونحو ذلك من المعالجات الخاصة بهذا المرض ، وحيث انى لست مندوبا رسميا حتى اتحقق من وجود هذا المرض عنده ام لا ، بل فقط للحكم على المعالجة الجارى فعلها،فامرته بالمداومة على ما امروه به الاطباء من تركيب العلق خلف الاذنين وشرب المياه المعدنية ، ولم اكتب له دواء ، ثم بعد خمسة او ايام تقريبا قابلنى الحكيم الذى دعانى اليه،وترجانى من طرف المريض بختم شهادة كانت مع الحكيم المذكور فابيت ختمها بدون الاطلاع عليها،وقلت انى لم اكشف عليه بطريقه رسمية ولم اجر البحث اللازم فى تحقيق المرض من عدمه ، ولا تاريخ الاصابة بل توجهت لمعاينة العلاج الجارى اجراؤه على قول الحكيم الذى دعانى والحكماء الاخرين ، وامرته بالاستمرار على ... .

س : الغرض الافادة من سعادتكم عما اذا ان ظهر لكم عند توجهكم لطرف السيد قنديل،أن كان مصابا بالحقيقة بالمرض الذى ادعى به أم لا ؟

ج : انى لم اجر البحث الطبى اللازم حتى اتحقق من وجود الشلل او عدمه ، كما توضح آنفا ».

اذن له بعد ذلك بالانصراف فى ٢٤ الحجة سنة ١٢٩٩

اعضاء — اعضاء

محمد مختار — مصطفى خلوصى

سليمان يسرى — مصطفى راغب

محمد حمدى — سعد الدين

محمد زكى — يوسف شهدى

على غالب

رئيس القومسيون

اسماعيل ايوب

محضر استجواب رضـــوان باشـــا

(في يوم الخميس ١٢ محرم سنة ١٣٠٠)
(بناء على ما تقرر بجلسة يوم ١١ محرم سنـــة ١٣٠٠ ، كان طلب حضور رضوان باشا ، فحضر في هذا اليوم وسئل فأجاب كما يأتي) :

س : علم للقومسيون انه في يوم ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ التي حصـل فيه نهب وحـرق اسـكندرية ، سمعتم سعادتكم سليمان سامي يأمر بحرق امــلاك ومتعلقات ومسـجد اولاد الشيخ سليمان باشا كما اخبرتموهم فهل هذا حقيقي ام لا ؟

ج : في يوم ١٢ يوليو عند خروجي من منزلي ، وتوجهي لجهة محرم بك ، سمعت الاهالي عند كشـك المنشية يقولون ان العساكر يسالوننا عـــن أملاك أولاد الشيخ سليمان باشا ، وعند عودتنا وعودة الشيخ ابراهيم باشا من المهاجرة ، اخبرته بذلك .

س : الم تقل لاولاد الشـيخ سـليمان باشا انك سمعت سليمان سامي يأمر بحرق أملاكهم ؟

ج : لم اسمع ذلك من سليمان سامي ، ولم اره ، ولم اخبر اولاد الشيخ سليمان باشا ، الا بما ذكرته انفا .

س : اين كنت في يوم ١١ جونيو سنة ١٨٨٢ التي حصلت فيه مذبحـــة اسكندرية ؟

ج : كنت داخل البلد في اسكندرية ..

س : هل تعلم بشيء في شأن هـــذه المذبحة ؟

ج : لم أعلم شيئا سوى حصول المعركة بين الاهالي والاوروباويين .

س : أين كنت في يوم ١٢ يوليو ١٨٨٢ أعني ثاني يوم الضرب على الطوابي ؟

ج : كنت في منزل قاسم باشـــا مع رؤوف باشا محافظ السويس وحسن بك القوله لي .

س : هل رأيت أو سمعت شيئا ؟

ج : سمعت ان الاهالي هاجوا وخرجوا من البلد بناء على اطلاق منادين في الحواري ينبهون على الاهالي بالخروج بناء على امر احمد عرابي ، لانه مزمع على اطلاق المدافع من طابية الديماس وكوم الناضورة على البلد لحرقها ، وكذلك اطلاق المدافع من المراكب . ولما خرجت رأيت عســـكريا من السواري اظنه من المستحفظين يمر بغاية السرعة قائلا للاهالي ، ان احمد باشا عرابي يأمركم بالخروج من البلد في مسافة نصف ساعة لانه مزمع على حرق البلد ، ومن لايخرج يبقى ذنبه في رقبته ، وتوجهت لمنزل شرين باشا ورؤوف باشا لتأكد هـــذا الخبر ، فوجدتهما هاجرا ، فهاجرت انا ايضا ولدى مروري من المنشية ، رأيت بالقرب من شارع شريف باشا الاهالي والعســـاكر مباشرين كسر الدكاكين ونهبها ، وعند وصولنا الى باب الصوري ، رأيت الحريق ملتهبا خـــارج الباب المذكور في الدكاكين والمنازل الكائنة بشارع محرم بك .

س : من الذي اشـعل الحريق الذي رأيته ؟

ج : العساكر والاهالي .

(اذن له بعد ذلك بالانصراف)

اعضـــاء	اعضـــاء
محمد مختار	محمد حمدي
سعد الدين	يوسف شهدي
علي غالب	

اسماعيل ايوب
رئيس القومسيون

محضر استجواب خورشيد باشـــا طاهـــر

(في يوم الاثنين ٢٤ محرم سنة ١٣٠٠)
(بناء على ما تقرر بجلسة هذا اليوم طلب خورشيـــد باشا طاهر من السجن ، فحضر وسئل فأجاب كما يأتي) :

س : ما اسمك ؟

ج : خورشيد باشا طاهر

س : ما كانت وظيفتك أخيرا ؟

ج : لوا ٥ جي ، و٦ جي الاي بيادة اللذين كانا في الاسكندرية .

س : هل كنت في اسكندرية يوم حصلت المذبحة في ١١ جونيو ١٨٨٢ ؟

ج : كانت محولة على مأمورية في مديرية المنوفية لتطهير الرياح .

س : هل كنت هناك في ١١ يوليـــو سنة ١٨٨٢ ؟

ج : نعم كنت هناك

س : هل كنت قومندان الثغر في ذلك الوقت ؟

ج : القومندان كان طلبه باشا ؟

س : في اي نقطة كنت في يوم الضرب على الطوابي ؟

ج : كنت في رأس التين الى غاية انقطاع الضرب ، ثم توجهت لمنزلي وبقيت فيه الى اليوم الثاني ، فذهبت الى راس التين في الصباح ولم اجد احدا فيها فعدت .

س : في اليوم الثاني حصل نهب وحرق البلد ، فلماذا لم تمنع ذلك ، بصفة كونك لوا ولاسيما ان ٦ جي الاي الذي كان تحت ادارتك هو الذي باشر النهب والحرق ؟

ج : اني وان كنت لوا ، لكن لم يكن لي نفوذ في ذلك الوقت ، ولو كنت أمرت بشيء ، ما كان احد يصغي ، وكان صاحب السطوة والامر النافذ طلبه باشا وعرابي باشا .

س : هل بقيت في اسكندرية بعـــد اخلائها ؟

ج : لم أبق فيها .

س : في أي وقت خرجت منها ، وكيفية

خرجت ؟

ج : كنت في منزلي لغاية الضحاعة ١١ من ثاني يوم ، فأتاني رجل أوربي مع عائلته المؤلفة من ١١ نسمة تقريبا ، واخبرني انه نهب وسلب ، فخرجت لانظر الجاري في البلد ، فرايت جميع الناس من اهالي وعساكر وبوليس خارجين من البلد ومعهم منهوبات ، فخرجت انا ايضا وتوجهت لباب شرقي للاستفهام عن حقيقة الامر ، فرايت اناسا خارجين من البلد ايضا وسمعت منهم ان الجناب الخديوى عزم على السفر لمصر ، فاستمريت في الطريق حتى وصلت بالقرب من وابور المياه فتقابلت مع نسيم بك واسماعيل بك صبرى ، وابراهيم افندى الصاغقول اغاسي ، فأخذتهم وتوجهنا لحجر النواتية وفي اثناء مروري ، رايت القطار المخصوص للحضرة الخديوية متوجها لمحطة سيدى جابر ، فتحقق لي ما بلغني من سفر جنابه الرفيع لمصر ، وبت في حجر النواتية ، وفي الصباح توجهت لعزبة خورشيد .

س : هل سمعت ان خروج الاهالي والعساكر ، كان بتنبيه أو اوامر او غير ذلك ؟

ج : لم اسمع شيئا ، انما رايت جميع الناس خارجين ، فخرجت معهم .

س : هل اقمت بعزبة خورشيد ؟

ج : لما وصلنا لعزبة خورشيد في الخميس التالي للضرب ، ورأينا القطار المختص بالحضرة الخديوية عائدا بالمهاجرين ، اتفقت مع نسيم بك على العودة لاسكندرية ، فبلغنا ان ٦ جى الاى حكمدارية سليمان سامى قطع الطريق ، ولذلك لم نعد . وتوجهنا في ثاني يوم الى كفر الدوار وبقيت هناك مع العساكر ، وبعد ٥ ايام تقريبا ، حضر لي امر من احمد عرابى بتعييني قومندانا على رشيد وابى قير فتوجهت لابى قير واقمت هنـاك .

س : في اثناء وجودك في ابى قير ، ارسل لك الجناب الخديوى مندوبين واوامر بالتسليم ، فلماذا لم تسلم ؟

ج : لم ار احدا ، ولم تصلني أوامر ولم يبلغني شيء من ذلك .

س : لماذا لم تتوجه للاعتاب السنية وانقدت لاوامر احمد عرابى ، مع علمك ان الجناب الخديوى عزله ، وانه عاصي ؟

ج : ما انقدت لاوامر احمد عرابى ، بل توجهت لابى قير لاجل التمكن من الفرار ، واخبرت بذلك محمد بك امين اميرالاى السواحل ، وحامد بك اميرالاى ٣ جى الاى واسماعيل افندى رسمى البكباشي وعبد الرحمن افندى رئيس اركان حرب في تلك النقطة ، واتفقت معهم على الفرار ، ولكن أردت الاتفاق مع آخرين أيضا فلم يسعنا الوقت وحصل الانهزام ومع ذلك لم أحارب ، بل كانت تحضر احيانا مراكب وتطلق قنابل على الطوابي ، ولم أجاوبها .

س : قلت انك لم تحارب ، مع انه علم من بعض التلغرافات التي نشرت في ذلك الوقت ، ان العدو حضر وحاربته وقهرته ؟

ج : انى لم احارب ، بل كنت اشيع هذه الاخبار كذبا ، كي لا يطلب مني امداد من ضمن الـ ١٥ الف عسكرى الذين كانوا تحت امرى .

س : علم للقومسيون انه لما حصلت مسألة الجراكسة ، عملت عزومة لاحمد عرابى تهنئة له على نجاته من مؤامرة الجراكسة الموهومة التي ادعى بها ، فعلم من ذلك تشيعك له .

ج : انى بالحقيقة عملت تلك العزومة ، ولكن بعد الالحاح على الزائد من الميرالايات والقائمقامات وخلافهم ، وبالجملة في منزل عمر باشا لطفى ، ومصطفى بك عبد الرحيم حتى بلغ الحاحهم انهم قالوا لي انه ان لم يوجد معى نقود للمصاريف اللازمة ، يقترضون لي ما يلزم ، فالتزمت اخيرا بالقبول ، وحصلت الوليمة ، وبعد تناول الطعام ، اخرج سليمان سامى من جيبه ورقة كان مكتوبا بها خطبة ، لم اعلم بها قبلا وتلاها وكان مؤداها مدح الحضرة الخديوية ، ولكن اخطأ في ختمها بتهنئة احمد عرابى بنجاته من المؤامرة المحكى عنها ، ولذلك لمته في ثاني يوم وبكته ، واظن انه استقر احمد عرابى المذكور بذلك ، فانه في ثاني يوم حضر لي امر بتعييني بمأمورية تطهير الزياح في مديرية المنوفية التي قلت عنها آنفا .

س : علم للقومسيون انك لما عدت من الحجاز ، احضرت هدايا لاحمد عرابى ، فهل حقيقى ذلك ام لا ؟

ج : لما عدت من الحجاز ، ربما ارسل لاحمد عرابى من منزلى سبح وبلح كالمعتاد ولا شيء في ذلك .

س : علم من التحقيق ان ضباط الجهادية حلفوا يمينا في قشلاق عابدين ، بتلقين الشيخ محمد عبده ، فهل كنت معهم ام لا ؟

ج : انى لم احلف معهم يمينا ، ولا ختمت محضرا من المحاضر التي كانوا يحررونها ولا غير ذلك .

اعيد بعد ذلك الى السجن

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	محمد حمدى
سعد الدين	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب محمد رضا باشا

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الاحد ١٨ القعدة سنة ١٢٩٩ ، الموافق أول أكتوبر سنة ١٨٨٢ ، صار احضار محمد رضا باشا من سجن الضبطية ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة أدناه ، فأجاب عنها بما يأتى) :

س : لما سألنا احمد بك عبد الغفار عن اسباب توجهه بالالاي لعابدين في واقعة يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ اجاب ، انه بناء على امر الخديوى الذى صار تبليغه اليه ، فما هى معلوماتك في ذلك ؟

ج : الذى جرى في هذه المادة ، هو انه في اوائل ذلك اليوم امرتنى الحضرة الخديوية بالتوجه لاحمد عرابى لكونه بلغها ان خفر القبة رفع ، فتوجهت ووجدته مشتغلا باعطاء تنبيهات عن تجمع العساكر وتوجههم لعابدين ، وامرنى بأن ابلغ الجناب الخديوى توجههم في ذلك اليوم لعابدين لطلب بعض طلبات ، ولما استفهمت منه

عن اسباب رفع علم الثبة ، اجاب بعدم حصول ذلك وقال لى ، انه طلب من الحضرة الخديوية ان تبادر بعدم سفر الآلاى القلعة وتشكيل مجلس الامة ورفع الوزارة ، وان لم يجب طلباتهم يتوجهون بمدافعهم وسواريهم ، فقلت له ان الوقت لا يساعد على اجابة جميع هذه الطلبات ، فيكتفى بطلب عدم سفر العساكر وباقى الطلبات تؤجل ليوم آخر ، فأجاب ان ذلك لا يمكن ابدا ، فقمت ونزلت وكنت اخشى ان يسجنونى كما فعل الآلاى السودان فى يوم واقعة ٤ فبراير سنة ١٨٨١ ، ونزل **محمد بك الزمر واسماعيل صبرى بك** وبكباشية الطوبجية ، فقال اسماعيل صبرى بك بالتركى لضباط الآليه (كيتمه) (كذا) اى لا تتوجهوا ، فأجابه **محمد الزمر** بأنه يعرف اللغة التركية وكيف يقول ذلك وان العساكر معهم فيدوسون على رقبته ويتوجهون، ثم حضرت للاسماعيلية واخبرت الجناب الخديوى بذلك بحضور النظار وبعض القناصل ، فأخبرنى باحضار ١ جى سوارى من الجيزة وتوجهت وبحثت عن امير الالاى المسمى **محمد بك خلوصى** ولم اجده ، انما وجدت السروج على الخيل ، ثم سألت عن القائمقام فوجدته فى اوضه يلبس ملابسه ، ولما اخبرته ان الجناب الخديوى الافخم طلب الالاى ، فأجابنى انهم متوجهون ، ثم وجدت اربعة ضباط سوارى من ضمنهم **عبد الله احمد** البكباشى ، فأخبرتهم ان خديوينا الافخم يطلب الالاى ، فأجاب احدهم المسمى **شرف الدين** يوزباشى بقوله ، الحمد لله على ان الخديوى طلبنا ، ولما اردت الانصراف، دعيت احمد بك عبد الغفار للركوب معى فى العربية ، فقال انى ربيت حصانى لمثل هذا اليوم ، ثم لبسنا وصلنا لعابدين استفهم منى عن كيفية وقوف الالاى ، فأخبرته ان صاغقول يكون عند مدرسة الانجال ، والصول قول عند القشلاق ، ولما وقفنا على هذه الهيئة وحضر احمد عرابى ، اخرج احمد عبد الغفار ثمانية سوارى ، واوقفهم خلف احمد عرابى ، وكان خلفه اربعة وبقوا واقفين فى محلاتهم ثم نزلت الحضرة الخديوية والقناصل وانا بالجملة ففى وسط الحوش اقبل عليه عرابى ، فأمره الجناب الخديوى بادخال السيف فى غمده ، ولما استفهم منه عما يطلبه ، اجابه بانه يرغب رفع الوزارة ، وترتيب مجلس الامة ، وعدم سفر آلاى القلعة ، فأمره بصرف العساكر ثم ينظر فى ذلك فيما بعد فامتنع وقال ان العساكر لا تنصرف الا بعد تنفيذ الطلبات ، وكان مع احمد عرابى طلبه ، وعلى فهمى ، وعبد العال ، وعبد الغفار ، ثم شرف الجناب الخديوى السراى ، وابتدأت المكالمة بواسطة القناصل حتى اجيبت طلباتهم وانصرفت العساكر بعد ذلك .

بعد اخذ جوابه المسطر اعلاه ، صار اعادته للسجن كما كان فى ١٨ القعدة سنة ١٢٩٩ .

(فى جلسة يوم الثلاثاء ٢٧ ذا سنة ١٢٩٩ ، تقرر استحضار محمد رضا باشا ، فاستحضر وسئل فاجاب كما هو موضح ادناه) :

س : مذ كان محمود باشا سامى رئيس مجلس النظار ، جمع الضباط من رتبة بكباشى فى قشلاق عابدين واحضروا مصحفا ووضعوا ايديهم عليه ، وبالجملة انت ولقنهم الشيخ محمد عبده يمينا ، فافدنا عن كيفية ذلك ؟

ج : نعم حصل ذلك ، ولكنى لم احلف معهم ، ووضعت يدى على الترابيزة لا على المصحف صورة فقط .

س : ماذا كان مضمون اليمين .

ج : اليمين كان مضمونه انجميع الموجودين يكونون عصبة واحدة ويدا واحدة ولا يخالف بعضهم بعضا ، ومن افشى سرهم ، يصير شق لسانه ، ويلقى فى البحر .

س : هل يظهر لك من هذا اليمين ، انه لو صدر امر من الحضرة الخديوية وكان غير موافق لهم ، يتبعوه ام لا ؟

ج : يظهر لى انه لو صدر امر مثل ذلك لا يتبعونه .

س : الم تعلم فى اى تاريخ حصل هذا اليمين ، وكان فى اثناء رئاسة من على مجلس النظار ؟

ج : مذ كان محمود باشا سامى رئيس مجلس النظار ، اما التاريخ بالتحقيق فلم اتذكره .

س : من كان رئيس هذه الجمعية ؟

ج : محمود باشا سامى .

بعد ذلك اعيد الى السجن فى ٢٧ ذا سنة ١٢٩٩ .

(وفى يوم الثلاثاء ١٨ الحجة سنة ١٢٩٩ ، ارسل محمد رضا باشا القومسيون محافظ السجن ، وقال انه يرغب الحضور لابداء اقوال وتقديم اوراق ، فاذن له بالحضور بعد الظهر فحضر وسئل فاجاب كما هو موضح ادناه) :

س : فى هذا الصباح ، طلبت الحضور للقومسيون لابداء بعض اقوال وتقديم اوراق ، فما هى الاقوال التى تريد ابداءها ، وماهى الاوراق التى ترغب تقديمها ؟

ج : الاوراق التى حضرت للقومسيون من طرف الجنرال ولسلى ، انا الذى كنت سلمتها اليه ، واريد معرفة ما اذا كان القومسيون اطلع عليها ام لا ، لان فيها مستندات بانى لم اتبع امر احمد عرابى بمقابلة الانكليز بالسلاح ، ثم ابدى للقومسيون انى مصاب بنزيف ومعتاد على عمل دواء لنفسى ، ولم اتمكن من ذلك فى هذا السجن الذى سجنت به ، مع انى لم اكن من زمرة العصاة ، فان وافق يصير بالاقل نقلى لسجن الضبطية .

س : قد اطلعنا على الاوراق المذكورة وسيجرى اللازم عنها ، ولا بأس من تحرير انهاء عما ترغب من الانتقال الى سجن الضبطيه ، انما كان بلغ القومسيون ، ان مرعشلى باشا امر من طرف احمد عرابى بعمل خطوط نار فى العباسية ، فهل عندك معلومات فى ذلك ؟

ج : ان مرعشلى باشا فى ليلة الخميس حضر للعباسية واخذ عدد العساكر الموجودين هناك ،وكان صحبته جملة اركان حرب من ضمنهم حسن افندى رياض البكباشى ، وبعد ترتيب العساكر عاد ، وفى ثانى يوم صباحا حضر ثانية لطرفنا وكان معى حسن باشا مظهر لوا الطوبجية واحمد عرابى ، وسأل المرعشلى حكمداريات الالايات عن عدد العساكر ، وقال لحسن افندى رياض اعط صورة التعداد لرضا باشا ثم ركب مع احمد عرابى وانصرف ، وفى استجواب حسن رياض وحسن باشا مظهر ، تتضح صحة قولى .

س : الورقة المحررة بالقلم الرصاص وقلت انها من تعريفات مرعشلى باشا بالاطلاع عليها اجاب بما يفيد انها ليست من تعريفاته ولا يعلمها ، فهل عندك ادلة تثبت ماقلته ؟

ج : الورقة المذكورة حررها اركان حرب الذين كانوا مع مرعشلى بناء على استفهامه بوجود حسن باشا مظهر وحسن افندى رياض ، وكان تحريرها الساعة ٤ صباحا فى يوم الخميس ١٤ سبتمبر .

س : هل يمكنك تقديم توضيحات للقومسيون عن مسألة حرق الاسكندرية ؟

ج : لا يمكننى ذلك بالنظر لوجودى طول المدة فى المحروسة ، انما بلغنى ان سليمان سامى هو الذى حرق الاسكندرية .

س : هل تظن ان سليمان سامى هو الذى حرق الاسكندرية من تلقاء نفسه ؟.

ج : حاشا بل لابد انه صدر اليه امر بذلك .

أعيد الى السجن فى ١٨ الحجة سنة ١٢٩٩ .

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب سعادة على باشا ابراهيم

(فى يوم ٩ محرم سنة ١٣٠٠)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم ٩ محرم سنة ١٣٠٠ ، كان طلب سعادة على باشا ابراهيم ، فحضر وسئل فأجاب كما يأتى) :

س : علم للقومسيون من الشهادات ان نهب وحرق اسكندرية ، كان بواسطة العساكر المصريين ، وحيث ان سعادتكم كنتم فى ذلك الوقت من ضمن النظار ، بصفة ناظر حقانية وكنتم موجودين فى اسكندرية ، فهل رأيتم او سمعتم شيئا يختص بهذه المادة ؟

ج : فى وقت حصول هذه المسألة كنت فى الرمل بمعية الحضرة الخديوية ، ولم ار الحرق ولا النهب ، انما سمعت ان سليمان داود جمع العساكر وتوجه للمنشية وامرهم بالنهب والحرق وحصل ذلك .

س : هل تعلم ممن سمعت ذلك .

ج : ان ما قلته كان اشاعة عمومية بين الناس ولم اسمعه من شخص مخصوص .

س : كان من ضمن الوزارة التى كنتم بها احمد عرابى ، بصفة ناظر جهادية فلم تسمعوا منه شيئا بخصوص الحرب والنهب والحرق .

ج : لما كانت تحصل مذاكرة ، كان يقول ان الطوابى والعساكر المصرية لا تقاوم الانكليز فقط ، بل جميع الدول مدة ثلاث سنين بحيث لا يمكن لاحد الدخول الى مصر .

س : الم يقل انه يفعل شيئا لو راى انه مزمع على تملك البلد .

ج : ماكان يظن ان فى الامكان تملك البلد حتى يقول شيئا .

س : هل سمعت تهديدات منه لاحد ؟

ج : لم اسمع منه تهديدات الاعن الناس الذين تركوا البلد ، وخرجوا فى وقت الحرب الى بحر برا ، فانه قال انه لا يسمح لهم بالعودة وتصير مصادرة املاكهم .

س : هل كان خروج العساكر من اسكندرية بامر من النظار ام لا ؟

ج : خروجهم كان مخالفا للامر ، فانه لما طلبوا الانكليز بعض الطوابى ، صار عقد مجلس وتقرر فيه ان لايصير تسليم طوابى ، حيث ان التصريح بذلك من خصائص الباب العالى ، وانه يجب على العساكر انيحافظوا على البلد ويمنعوا طلوع احد اليها من عساكر الانكليز ، وخلافا لهذا القرار ، اخذ احمد عرابى العساكر وخرج من البلد ، وفى وقت خروجه مع العساكر من البلد ، ارسلت له الحضرة الخديوية بحضورى واحدا من المراسلة لم اعرف اسمه بالتنبيه عليه بعدم الخروج ولم يصغ لذلك .

س : هل عند سعادتك معلومات غير ما أبديته فى شأن النهب والحرق والآمر باجرائهما ؟

ج : لم اعلم غير ماابديته ، انما اشيع بين بعض الناس ، ان الحرق والنهب حصلا بامر احمد عرابى وقيل من آخرين ان سليمان سامى اجرى ذلك من تلقاء نفسه .

اذن له بعد ذلك بالانصراف

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب دولتلو البرنس ابراهيم باشا

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٢٧ القعدة سنة ١٢٩٩ ، كان تحرر لنظارة الداخلية ، كى تدعو دولتلو البرنس ابراهيم باشا ابن المرحوم احمد باشا للحضور الى القومسيون ، وحضر فى هذا اليوم وسئل فأجاب كما يأتى) :

س : كان حصل جمعية فى الداخلية ووجدتم بها وختم فيها منكم ، فماهى الكيفية واسباب ختمكم ، وكان برضاكم واستحسانكم ام لا ؟

ج : ان افعال حزب العصاة وخصوصا ما حصل من عرابى فى حقى ، وتسبب فى خراب جفلك الزنكلون امر معلوم للجميع ، ولما انقطع الطريق لاسكندرية وبطلت المواصلة بها ، ورد لى فذات

يوم جواب من وكيل الداخلية يطلبني، وتوجهت فوجدت جمعية، وصار كتابة محضر وختمت عليه جبرا مني مداراة لهم ، وخوفا من ان يحصل لي امر منهم .

س : هل توجهت الى الجمعيتين . ربما كانت معنى تلك المحاضر .

ج : توجهت في الدفعة الاخيرة فقط ، ولا اعرف مضمون ماكتبوه ، ولاقراه، ولم يكن لي اختلاط بهم ولاتودد معهم مطلقا ، وامر معاداتهم للترك والجراكسة معلوم للجميع .

اذن له بالانصراف فانصرف

اعضاء
محمد مختار
محمد زكي
محمد حمدي
[illegible] يسري
علي غالب .

اعضاء
مصطفى راغب
مصطفى [illegible]
يوسف شهدي
[illegible] [illegible]ين

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب دولتلو البرنس كامل باشا

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٢٧ القعدة سنة ١٢٩٩ ، كان تحرر لنظارة الداخلية أن تدعو دولتلو البرنس كامل باشا بن المرحوم مصطفى فاضل باشا للحضور الى القومسيون ، فحضر في هذا اليوم ، وسئل ، فأجاب كالموضح أدناه) :

س : في مدة عصيان زمرة العسكرية اجروا عقد جمعيات بديوان الداخلية، وقرروا استمرار المحاربات وعدم عزل عرابي وعدم الاصغاء لاوامر الحضرة الخديوية، فكيف توجهتم لهذه الجمعيات، وكيف ختمتم على محاضرها . ؟

ج : ان توجهي للداخلية كان في الدفعة الاخيرة فقط، ولما توجهت، وجدت هناك جمعية حافلة وقراوا اوراقا بالعربي ، وفهمت من مضمونها ان الحضرة الخديوية عزلت عرابي ، وفي الحال وجدت عموم الموجودين قرروا عدم عزله وختموا على ذلك ، فأنا الاخر ختمت تبعا لراي العموم وهم اقرا ماكتبوه ، ولم يجبرني احد على الختم في ذلك الوقت .

س : حينئذ استحسنت ماتقرر مائلا لجهة عرابي ؟

ج : حاشا ان اكون مائلا لعرابي وكيف اميل اليه او انضم لجهته حالة كوني ابن عم الحضرة الخديوية ولايصح ولايليق ان اكون معارضا لامر يصدر منها ، وزيادة على ذلك فاني لااعرف عرابي ، ولانظرته لحد الان .

س : القصد ان تفيد صريحا ان كنت تميل للحضرة الخديوية ، اولعرابي؟

ج : انا اميل للحضرة الخديوية ومن طرفها .

س : كيف ختمت حينئذ ، مادام انه لم يحصل جبر احد في الختم ؟

ج : ختمت بسبب ماتسلط على من الافكار ، على اني لو امتنعت من الختم ، لهؤلاء العصاة يفعلون بي او بعيالي امرا مخالفا للشرف او للانسانية ، كما كانوا يفعلون بغيري .

(بعد ذلك اذن لدولته بالانصراف ، فانصرف في يوم ٢٨ القعدة سنة ٩٩)

اعضاء :	اعضاء :
محمد مختار .	**مصطفى راغب**
محمد زكي .	**مصطفى خلوصي**
محمد حمدي	**يوسف شهدي .**
سليمان يسري .	**سعد الدين .**
علي غالب .	

رئيس قومسيون التحقيق
اسماعيل ايوب

محضر استجواب البرنس أحمد باشا بن المرحوم احمد باشا

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٢٧ ذا سنة ١٢٩٩ ، كان تحرر لنظارة الداخلية أن تدعو دولتلو البرنس أحمد باشا بن المرحوم أحمد باشا للحضور للقومسيون، فحضر في هذا اليوم وسئل ، فأجاب بما يأتي) :

س : حصل جمعيات بالداخلية ، فهل توجهتم اليها وختمتم باستمرار الحرب وعدم عزل عرابي وعدم سماع اوامر الحضرة الخديوية ، فأفدنا من الكيفية وهل كان برضاك ؟

ج : توجهنا في جمعية واحدة وهي الاخيرة، وقعد في الوسط الشيخ محمد عبده محرر الوقائع ، وصار يقرا اوراقا مضمونها ان العرابي يعمل اصلاحا في البلد ، والجانب الخديوي يريد عزله وماأشبه ، وجميع الناس قالوا لاينعزل بل يبقى مستمرا ، وانا ختمت جبرا لعدم حصول امر مغاير بشخصي لانه لايخفى ماكان للحزب الجهادية من السلطة واعمال الفظائع ، حتى وان في ذلك اليوم قالوا ان الذي لا يكون موافقا على هذا الراي يرفع يده ، وما امكن لاحد ان يرفع يده قط من الخوف ، وفضلا من ذلك انهم كانوا واضعين عساكر على الابواب لاجل عدم طلوع احد قبل ان يختتم وفي يومها قام **علي الروبي** وتكلم طويلا ، حتى انه قال يايهود ، يانصارى ، وكذلك **يعقوب سامي** تكلم بكلام ماسمعته جيدا .

س : كلا منهما كان بصفة تهديد ؟

ج : ضرورة . واوضح للمجلس ان خوفي منهم كان حقيقيا ولايعقل ولايتصور ان اكون راضيا بافعالهم ، او اقبل ان اسمعها ، فانه فضلا من عداوتهم لنا ، فان املاكي جميعها التي باسكندرية حرقت ونالني من ذلك خسائر عظيمة، ولا احب ان اسمع اسم احد منهم ولولا الخوف ماكنت توجهت ايضا للداخلية .

(وبعد ذلك اذن لدولته بالانصراف فانصرف في ٢٨ ذا سنة ١٢٩٩)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	**مصطفى راغب**
محمد زكي	**مصطفى خلوصي**
محمد حمدي	**يوسف شهدي**
سليمان يسري	**سعد الدين**
علي غالب	

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب



(ندوة) افريقيا - ثورة التحرر الوطنى والاشتراكية (القاهرة : ٢٤ - ٢٩ اكتوبر ١٩٦٦)

جدول أعمال الندوة :

١ ـ الكفاح المعادى للامبريالية بافريقيا فى المرحلة الراهنة ـ (تقرير مقدم من الطليعة)

أ ـ الاستعمار الجديد فى افريقيا
ب ـ الاستثمارات الراسمالية الامبريالية فى افريقيا
ج ـ اساليب التغلغل الاستعمارى فى البلدان الافريقية
د ـ تحليل اسباب وطبيعة الانقلابات العسكرية فى افريقيا
هـ ـ حماية وتدعيم الانظمة التقدمية فى البلدان المتحررة فى افريقيا
و ـ الحاجة الى وحدة القوى الثورية فى افريقيا .
ز ـ حركة التحرر لشعوب البلدان المستعمرة فى افريقيا
ح ـ النضال ضد الانظمة العنصرية فى افريقيا
ط ـ الثورة الافريقية كجزء لا ينفصم من العملية الثورية العالمية

٢ ـ طرق وظروف التطور التقدمى للبلدان الافريقية (تقرير مقدم من قضايا السلم والاشتراكية)

أ ـ تحليل التركيب الطبقى للمجتمع الافريقى ، ودور القوى الاجتماعية المتباينة
ب ـ ديمقراطية الحياة السياسية كشرط ضرورى للتطور التقدمى
ج ـ قضايا تكوين الطليعة الثورية ووحدة القوى الوطنية
د ـ المشكلة الزراعية
هـ ـ مشاكل التصنيع
و ـ التخطيط ومصادر التراكم المالى
ز ـ مهام واحتمالات التعاون الاقتصادى بين الدول الافريقية
ح ـ اهمية التعاون بين البلدان الافريقية والدول الاشتراكية


سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا
فى تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التى كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية
سرى

الثمن ١٠ قروش

نوفمبر ١٩٦٦
السنة الثانية

١١

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

أفريقيا ـ ثورة التحرر الوطنى والاشتراكية

- تقارير عن حركة الأحداث فى :
الجمهورية العربية المتحدة
الوطن العربى .

- وثائق تاريخية : النصوص الكاملة لمحاضر
التحقيقات مع رجال الثورة العراقية



طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أمين عز الدين
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف

سكرتارية التحرير :

ميشيل كامل
عبد المنعم القصاص

الفهرس

العدد الحادى عشر ــ السنة الثانية ــ نوفمبر ١٩٦٦

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد أختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك)) .

عنوان المراسلات :

((الطليعة))

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ــ ٤٤١٤٤
الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ، ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .



رسالة من المناضل جمال عبد الناصر إلى ندوة أفريقيا ثورة التحرر الوطني والاشتراكية

نص رسالة التحية الموجهة من المناضل جمال عبد الناصر رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى ورئيس الجمهورية العربية المتحدة الى ندوة ((افريقيا ــ ثورة التحرر الوطنى والاشتراكية)) .

من دواعى سعادتى أن أوجه هذه الرسالة الى ندوة أفريقيا التى تقام فى القاهرة بدعوة من مجلتى ((الطليعة)) و ((قضايا السلم والاشتراكية)) ــ متمنيا لهذه الندوة أن تحقق أغراضها الكبيرة والمتعددة : بتوفير أرض لقاء فكرى للمناضلين الثوريين من أبناء قارتنا الباسلة وبتجديد صلات نضالية بينهم ــ وبتبادل للتجارب يغنى خبراتهم جميعا ، ويضيف الى مدى الرؤية أمامهم الوضوح .

ان الواقع الافريقى المعاصر ــ والقضايا الافريقية الراهنة والتيارات التى تهب على أفريقيا قوية وعنيفة ــ تحتاج اليوم أكثر ما تحتاج الى نظرة عميقة تلقى ببصرها على الصورة الشاملة ، وتقوم بدراستها وتقييمها بقصد أن يكون من ذلك قوة متجددة للنضال الثورى المستمر على الارض الافريقية .

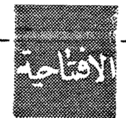
ان السنوات الاخيرة ــ خصوصا من سنة ١٩٦٠ الى الآن ــ تحتاج منا جميعا الى معاودة التفكير العميق والواعى .

ان هذه السنوات الستة ــ منذ بدأت أعلام الاستقلال ترتفع بسرعة فوق مناطق كثيرة من القارة الى اليوم ، حيث لا تزال السيطرة الاستعمارية تمسك بقبضتها شعوبا عديدة ، وحيث لا تزال الاحتكارات تعزز وتوسع مواقعها ، وحيث لا تزال التفرقة العنصرية تمارس دورها المروع واللاانسانى ــ هذه الفترة تستحق منا أن نوفر لها كل ما نستطيع من قوة التركيز الفكرى والقدرة على التحليل العلمى .. لكى نستبين بأمانة ما كان ، ونقدر بأمانة ما يجب أن يكون .

ان هذه الرسالة تصل اليكم هنا فى هذا المكان حيث تلتقى قوى التقدم فى أفريقيا ، بينما أنا فى عاصمة الهند أشارك مع أصدقاء لى ولكم فى عمل قريب مما يشغل بالكم واهتمامكم ، لكنى أتابع باهتمام ندوتكم .. راجيا لها كل التوفيق والنجاح .

مرحبا بكم جميعا على ضفاف النيل الافريقى الخالد الخلاق .

امضاء
جمال عبد الناصر



أفريقيا ـ ثورة التحرر الوطنى والاشتراكية

انعقدت بالقاهرة فى الفترة من ٢٤ـ٢٩ اكتوبر ١٩٦٦ ندوة : أفريقيا ـ ثورة التحرر الوطنى والاشتراكية . وذلك بدعوة من كل من ((الطليعة)) ومجلة قضايا الحرية والسلم والاشتراكية .

وقد رات ((الطليعة)) ان تفسح مكان الافتتاحية فى هذا العدد للكلمة التى القاها ((لطفى الخولى)) باسم هيئة تحرير الطليعة فى افتتاح الندوة مساء ٢٤ اكتوبر ١٩٦٦ بقاعة المؤتمرات بنقابة المهن التعليمية .

وستقوم الطليعة ابتداء من الاعداد التالية بنشر جميع وثائق هذه الندوة الهامة .

أيها الاصدقاء ..

انه لموضع أعزاز وتقدير من شعبنا أن اختيرت ((القاهرة)) منبرا ومقرا لهذا اللقاء التاريخى .

وانه لشرف كبير ((للطليعة)) ان زاملت ((المجلة الدولية الجديدة)) فى الدعوة لهذه الندوة الفكرية السياسية الهامة ، المفتوحة الذراعين برحابه امام جميع المناضلين فى سبيل وحدة النضال الافريقى من أجل الحرية ، والتقدم ، والاسهام الايجابى فى بناء عالم جديد .. عالم المساواة والاخاء والرفاهية والسلام . هذا العالم الذى ظل باستمرار محور افكار واحلام وكفاح الاجيال التى سبقتنا واصبح تحقيقه اليوم هو بالتحديد مسئولية جيلنا المعاصر .

ومن هنا فنحن لا يسعنا الا ان نتقدم بأعمق الشكر على اتاحة هذه الفرصة لنا للترحيب الاخوى بكم — ايها الاصدقاء المناضلين — فى حواركم المثمر على ارض ثورة يوليو العربية الافريقية .

واذا كان ثمة فضل لاجتماعنا اليوم بهذا الحجم والوزن ، وعلى هذا المستوى المسئول تنظيميا ، فهو يعود اولا واخيرا الى هذا النضج الموضوعى الذى بلغه الكفاح الباسل لشعوب قارتنا من خلال موجات المد والجذر .. الانتصارات الحاسمة والهزائم المؤقتة ، ومن خلال التنوع الكبير للتجارب الثورية بظروفها ومشاكلها المختلفة فى هذه القارة الفسيحة الارجاء التى تحتل ٣٠ مليون كيلومترا مربعا من الكرة الارضية . وبذلك تكون ثانى القارات فى عالمنا بعد قارتنا الشقيقة الكبرى آسيا ، تحتضن ٢٥٠ مليون انسان يملكون بنضالهم وتحررهم طاقات ثورية هائلة تستطيع ان تسخر فى خدمة الانسان والحضارة خمس امكانيات العالم كله من الطاقة الكهربائية ، ٩٨٪ من الماس واكثر من ٥٠٪ من الذهب ، ٧٠٪ من الكوبالت ، ٤٠٪ من الكروم ، ٣٠٪ من المنجنيز ، ٣٥٪ من الفوسفات الخام ، ٢٤٪ من النحاس فضلا عن الفحم والحديد والبترول باحتمالاتها الضخمة والمحاصيل الزراعية المتعددة دون حدود . وفوق هذا كله وقبل هذا كله نتاج عقول وسواعد ووجدان الحضارة الافريقية الدسمة الثراء .

ان هذا النضوج لحركتنا الثورية قد فتح اعيننا واغنى وعينا بما تطرحه الحياة فى واقعنا باستمرار من ظواهر وقضايا جديدة كل الجدة ، لم يسبق للانسانية ان واجهتها من قبل . الامر الذى يضع على عاتقنا مسئولية التصدى لها — بالمنهاج الثورى العلمى — فكريا وعمليا بغية الوصول الى اسلم الحلول واكثرها تفاعلا مع الواقع . وذلك دون ان نفقد الاتجاه او ننحرف عن الطريق .. طريق التحرر الكامل سياسيا واقتصاديا واعادة صياغة مجتمعاتنا من خلال علاقات انسانية ذات مضمون اشتراكى .

ان اهتداء كثير من الحركات الثورية الرائدة فى افريقيا بالقوانين العامة للاشتراكية وسعيها لتفهم حقائق العصر ، وتوجيه النضال الثورى فى ضوء أفكارها الخلاقة والسعى لاثراء هذه الافكار بمزيد من الخبرة ، يضع أمامنا مسئوليات جسيمة وتاريخية ، فمسار الثورة الافريقية التقدمية المعاصرة قد أبرز مثلا ظاهرة جديدة هامة وأعنى بها تلك التى تتجسد فى هذا الالتحام العضوى العميق بين مرحلتى التحرر الوطنى والثورة الاجتماعية بآفاقها الاشتراكية . وهذا على خلاف الصورة التقليدية فى التجارب الثورية حيث كانت تتابع فيها المراحل واحدة بعد اخرى . ماذا يعنى هذا ؟

انه يعنى فى رأينا ومن خلال تجربتنا ، ان القوانين الخاصة بكل من استراتيجية وتكتيك مرحلة التحرر الوطنى على حدة ، او استراتيجية وتكتيك مرحلة الثورة الاجتماعية ذات المضمون الاشتراكى على حدة ، ليست صالحة ثوريا للتطبيق مع قيام هذه الظاهرة الجديدة فى واقعنا الافريقى ولذلك يصبح واجبا ملحا على مناضلى هذه الثورة المزدوجة الطابع البحث عن استراتيجية وتكتيك جديدين لهذه المرحلة الثورية المزدوجة . وذلك من خلال اكتشاف قوانين الحركة الخاصة بهذا الواقع . ولن يتأتى هذا من خلال الدوران حول الشعارات والعموميات أو تجميد النظرية الثورية

فى قوالب عقائدية جامدة ، وانما من خلال الالتحام الجسور والخلاق بالواقع الافريقى وظروفه وتجاربه المختلفة والتأثيرات المتبادلة بينه وبين الواقع العالمى الجديد .
اننا محتاجون بالحاح الى دراسة عميقة وشاملة لهذا الواقع بجميع جوانبه للوصول الى الاسباب الموضوعية لهذه الظاهرة الجديدة التى تملأ علينا حياتنا وما تزخر به من تناقضات رئيسية وتناقضات ثانوية وما يتبع ذلك من تحديد جديد - واقعى ودقيق - للطبقات والفئات الاجتماعية الثورية سواء ذات القوى الضاربة الاساسية فيها او القوى الحليفة وتمييزها عن الطبقات والفئات الاجتماعية المعادية للثورة .

ولست اشك فى أننا نتفق - من ناحية المبدأ - على مسئوليتنا فى التصدى العلمى الشجاع لهذه الظاهرة وغيرها من الظواهر الجديدة دون ما جمود . فبدون ذلك نفقد القدرة على السيطرة على الواقع وتوجيه حركته نحو اهدافنا الثورية ، التى هى فى نفس الوقت اهداف الثورة الانسانية التقدمية ككل فى عصرنا الراهن .. عصر تصفية الاستعمار القديم والجديد والعنصرية والتحول الى الاشتراكية والتقدم التكنولوجى الباهر والقضاء على التخلف وكل انواع استغلال الانسان للانسان .

ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا أكدنا أن هذا النضج الذى يتسم به نضال شعوبنا اليوم قد نبع مما تجمع لدينا من حصيلة غنية بالخبرات الفكرية والعملية التى ورثناها عن التراث الانسانى التقدمى باعتبارنا الورثة الشرعيين لهذا التراث بالاضافة الى ما نحصل عليه كل يوم من خبرات جديدة خلال هذه المستويات المتعددة والميادين المتنوعة التى امتد اليها - ومايزال - كفاحنا ، ابتداء من الكفاح المسلح البطولى لتحرير المناطق التى ماتزال خاضعة خضوعا مباشرا للاحتلال الاستعمارى ، الى العمل على تدعيم الاستقلال الوليد وتطويره من استقلال سياسى الى استقلال اقتصادى فى مناطق اخرى ، الى النضال ضد الاستيطان العنصرى الاستعمارى فى مناطق ثالثة ، الى انتهاج طريق التنمية الاقتصادية عامة والصناعية خاصة فى اتجاه اشتراكى بمناطق رابعة ، الى العمل البناء للوحدة الافريقية بمستوياتها المتعددة وتطويرها باستمرار تبعا لتطور الظروف .

وانى لعلى ثقة فى اننا سنولى فى حوارنا ومناقشاتنا هذا التعدد السخى للتجارب الثورية بجميع مستوياتها وميادينها أعظم اهتماماتنا فى محاولة منا لتبادل تجاربنا بعضنا بعضا ، وتفهم ظروف كل منا للاخر تفهما أعمق ، وبالتالى تجميع وبلورة حصيلة هذا كله ليوضع فى النهاية فى خدمة الثورة الافريقية ككل .

ان حاجتنا لان نتعلم بعضنا من بعض بتواضع ودون تمييز او حساسية او استثناء هى حاجة موضوعية ، ضرورية وملحة لبناء وحدتنا النضالية ، فكريا وعمليا على السواء .

والحق ان الفضل فى النضوج الذى وصلنا اليه لا يرجع فحسب الى الانتصارات الحاسمة التى سجلتها الثورة الافريقية فى مواقع استراتيجية منها فحسب ، وانما يرجع ايضا الى ما عانيناه وما تعلمناه من دروس بعض الانتكاسات والخسائر والاخطاء التى تعثرت فيها الثورة الافريقية .

فالى جانب استقلال الجزائر بعد سبع سنوات ونصف من حرب تحريرية ضارية دفع ثمنها مليون شهيد ، وهزيمة العدوان الاستعمارى البريطانى الفرنسى الاسرائيلى عام ١٩٥٦ أمام مقاومة الشعب المصرى الذى راح يشق طريقه بحسم نحو

الاشتراكيــة بقيادته الثــورية المتمثلة في المنــاضل جمــال عبد الناصر ، واستقلال مالى وانتهاجها الطــريق بقيادة المناضل موديبوكيتا ، واستقلال غينيا وانتهاجهــا الطــريق الاشتراكي بقيــادة المنــاضل سيكوتورى ، واستقلال تانجانيقا وزنزبار ثم وحدتهما الثورية في تانزانيــا بقيــادة المناضل نيريرى ورفاقه الثوريين ، وتدعيم المواقع الثورية في الكونجو برازافيل بقيادة المناضل ماسيبا ديبا وحصول عدد متزايد باستمرار في البلاد الافريقية على استقلالها المتفــاوت الدرجات ، واشــتعال ثورات التحرير المسلحة في موزمبيق وانجولا وغينيا المسماة بالبرتغالية وغيرها من البلاد الاخرى الى جانب هــذه الانتصــارات هنــالك ايضا النكسات التى تعــرضت لهــا ثورة الكونجــو (ليوبلدفيــل) عقب الاستقلال بضرب الحكومة الوطنية التقدميــة وقتــل رئيسها شهيد افريقيا العظيم باتريس لومومبا ، واغتصــاب الاقليــة العنصرية البيضــاء لروديسيا علاوة على جنــوب أفريقيــا ، والانقلاب العســكرى الرجعى في غانا ، والنجاحات السياسية والاقتصــادية التى استطاع الاستعمار الجــديد تحقيقهــا في علاقاته مع بعض الدول الافريقية المستقلة حديثا ، واستخدام القــوى الاستعمارية والرجعية لعصابات قطاع الطرق والمرتزقة في موجة من الارهاب الفردى لتصفية عدد من المناضلين الافريقيــين كفليكس مومى (الكاميرون) وصالح بن يوسف (تونس) والمهدى بن بركة (المغرب) .

ومن هنا فان حوارنا في هــذه الندوة مطالب بأن يواجه بأقصى ما تملكه الطاقة الثورية من شجاعة أدبية ، الايجابيــات والسلبيات .. الانتصارات والهزائم معا ودون انفصال ، ان تحليلاتنا ومناقشاتنا لا يجب ان تقف عند حدود العدو الرئيسى الداخلى والخــارجى على الســواء ، او ان نزيح ببساطة كل أســباب وعــوامل السلبيات والنكسات من فوق عاتقنا ونعلقها في رقاب الامبريالية فحسب ، ان الثورية الحقيقية .. ثورية واقعية علمية ناقدة وعليها في نفس الوقت الذى تشخص وتحلل فيــه مواطن القوة والضعف في جبهة العدو ان تقوم بنفس الامر في داخل جبهتها ذاتهــا لتدعم مواطن القوة وتعالج مواطن الضعف في طاقاتها فتزيد على الدوام من فاعليتها وقوتها .

ان كشف عيوبنا ونقائصنا الذاتية هى اولا واخيرا احدى مهامنا الحيوية والمستمرة دون انقطاع .

واننا لنتطلع في هذا الاجتمــاع الفكرى النضالى ان نمارس بعمق واصالة النقد والنقد الذاتى لكفاحنا وتجاربنا جميعا دونما حساسية . ومن جانبنا فاننا نعدكم ان نسلك هنا هذا المسلك الثــورى بالنسبة لتجاربنا وتجارب غيرنا تماما كما نفعل في تنظيمنا الســياسى الاتحــاد الاشتراكي المغربى . وذلك تقديرا منا لموضوعية هذه الفرصة ولان هذا الاجتماع بصفته التنظيمية يطرح علينا هذا الواجب كمسئولية محددة تجاه شعوبنا وثورتنا الافريقية .

أيها الاصدقاء

ان ندوتنا على هذا الوضع لن ترقى الى مستوى المسئولية والنضوج النضالى لشعوبنا فحسب بل انها بحصيلتها سوف تغنى هذا النضوج ذاته بزاد عظيم وتضيف الى التراث الثورى الانسانى المشترك جديدا . وهذا من شأنه ان يسهم ولاشك في وحدة النضال

الافريقى التى هى جزء لا يتجزأ من وحـــدة النضال العالمى من اجل الحرية والســـلام والاشتراكية .

واذا كانت هذه الوحدة تتعرض اليــوم للخطر نتيجة عدة عوامل من بينها النزاع الصينى السوفيتى الذى يتسع نطاقه مع الاسف واصبح له دوليـــا منطق واسلوب التفتيت والبعثرة لا التجمع والوحدة ، فاننا نرى انه يجب ان ننأى بثورتنا الافريقيـــة ووحدة قواها ـــ بحسم ووعى ـــ عن الاثار الضارة لهذا النزاع الذى نرجو ان تلتحم جراحه باسرع وقت .

ان الثورة الافريقية فى مواجهتها المباشرة والعنيفة ، لاعتى القـــوى الاســـتعمارية قديمها وجديدها ، تمد يد الصداقة الى كل من الاتحاد السوفيتى والصـــين الشعبية وترى فى كل منهما قوة ثورية عظيمـــة فى النضال ضد الاستعمار والتخلف والاستغلال . فالمسألة فى مفهومنا وسياستنا ليست مسألة اختيار بين أى منهما لان وضع المسألة على هذا النحو هو الذى يمهد الارض ويفرخ البيئة الغير صحية لمزيد من النزاعات .

ان الاتحاد السوفيتى كان ولا يزال فى مقدمة القوى الثورية فى العالم التى مدت بصدق واخلاص عظيمين يد العون الادبى والمادى معا الى جميـــع ثورات التحـــرر الوطنى والتجارب الثورية دون ما شروط فى مواجهتها للامبريالية وضغوطها العسكرية والســـياسية والاقتصادية . وان الســـد العالى الذى يبنيه الشعب المصرى باسوان بالتعاون مع السوفييت هو تجســـيد حى للعلاقات البنـــاءة بين شـــعوب افريقيا والاتحاد السوفيتى . وكذلك فان الثورة الصينية العظيمـــة وقد اسهمت وما تزال ـــ ايجابيا ـــ فى ترجيح كفة قوى تحـــرر التقدم على كفة قوى الامبريالية والاستغلال فى الميزان الدولى المعاصر .

وانه لمن حقنا وواجبنـــا ان نطلب الى جميع اصدقائنا الثوريين فى العالم ان يعملوا على تفهم هذه الحقيقة الموضوعية النابعة عن ظروفنا وموقعنا فى الصف الاول من الجبهة الملتحمة فى صراع مباشر ويومى مع الاستعمار ولعله من حسن الحظ اننا نلمس اليوم مظاهر ايجابية بالفعل لهذا التفهم .

ايها الاصدقاء

ان عقد ندوتنا الافريقية اليوم فى القاهرة يواكب نشاطا ثوريا عظيما بين جنباتهـــا للقوى العربية الثورية من اجـــل وحـــدة نضالها ضد القوى الاستعمارية والصهيونية العنصرية والرجعية العربية .

وهو نشاط يرتبط ارتباطا عضويا بنشاط القوى الافريقية الثورية رباطا مصيريا . ان ٧٢٪ من الوطن العربى ينتسب جغرافيا وتاريخيا ومصالحا ومصيرا الى افريقيا . والواقع ان الوطن العربى بامتـــداده على تلك المساحة الجغرافية والبشرية الهامة فى كل من افريقيا وآسيا مكونا ما يطلق عليه اسم ((الشرق الاوسط)) وهو جسر الثورة الطبيعى بين القارتين الثوريتين العظيمتين آسيا وافريقيا . ومن هنا كانت وحـــدة

القوى الثورية العربية فى نضالها ضد الامبريالية وقواعدها العسكرية والعنصرية واحلافها واحتكاراتها وعملائها جزءلا يتجزأ من وحدة القوى الثورية الافريقية ونضالها . ولهذا فان ندوتنا تلقى كل الاهتمام والتجارب من شعوب الوطن العربى سواء الافريقية منها المشاركة بالفعل او الاسيوية التى يحضر ممثلوها كمراقبين . وانى لانتهز الفرصة لاحيى بكل تقدير جميع الزملاء المراقبين من جميع انحاء العالم الذين يشاركونا فى هذا اللقاء العظيم .

أيها الاصدقاء ..

ان ندوتنا هذه التى تجمع ممثلى الاحزاب والتنظيمات الشعبية الثورية فى قارتنا ، لاتستطيع ان تغفل لحظة الدماء التى تسفك بغزارة ودون انقطاع فى آسيا اليوم ، واننا لنحنى الرأس اجلالا وتقديرا للمقاومة الباسلة التى يخوضها الشعب الفيتنامى البطل — فى الجنوب والشمال — ضد جحافل العدوان الامريكى وحلفائه .

ومن قلب وحدة النضال الثورى لتحرير شعوب العالم كله من الاستعمار .. ومن الوعى العميق بان نفس القوى العدوانية فى آسيا هى التى تمارس نشاطها ضد ثورتنا الافريقية وتساند قواعد العنصرية المسلحة فى جنوب افريقيا وروديسيا واسرائيل فى مؤامراتها التخريبية ضد تجاربنا الثورية وآمالنا الانسانية المشروعة .. من هذا كله ينبع تأييدنا الكلى المعنوى والمادى لشعب الفيتنام وحقه فى تقرير مصيره بارادته الحرة دون ما تدخل اجنبى ، وذلك بعد سحب جميع الجيوش الاجنبية من أرضه ووقف العدوان فورا . واننا لنحيى هنا تلك الاصوات الشريفة الحرة التى ارتفعت بشجاعة ضد العدوان جذريا فى امريكا نفسها وفى بلاد الغرب . ونطالب كل القوى التقدمية فى العالم ان توحد من جهودها وان تضاعف مساعداتها للشعب الفيتنامى وقضيته العادلة .

أيها الاصدقاء ..

انه لمن دواعى سرورنا واهتمامنا البالغين ان وجودكم بالقاهرة سوف يجعلكم تقفون — وبقدر ما يتيحه له وقتكم — على انجازات شعبنا فى نضاله من اجل بناء مجتمعنا الجديد النامى والمتطور .. مجتمع الشعب العامل الذى يشق طريقه باصرار ووعى من خلال الاتحاد الاشتراكى وبقيادة المناضل جمال عبدالناصر نحو الاشتراكية .

وأخيرا فلست فى حاجة الى ان اؤكد لكم ان جميع ابوابنا وقلوبنا مفتوحة امامكم بلا حدود فليس بين الثوريين حجاب اوسدود ، وكلنا آذان صاغية بتقدير وحب لكلماتكم وملاحظاتكم ونقدكم ، فنحن نعلم عن يقين انها كلمات وملاحظات ونقد اخوة المصير ورفاق النضال المشترك .

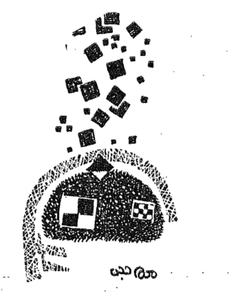
أيها المناضلون ..

مرحبا بكم فى وطنكم .

((الطليعة))

نحو موقف فلسفى أكثر نضجاً

فى الفكر العربى الثورى المعاصر



د . ابراهيم أبوعوف

تشكل « المبادىء الستة » الشهيرة مع كتيب « فلسفة الثورة » ثم وثيقة « ميثاق العمل الوطنى » ذخيرة الفكر السياسي فى مصر منذ بدء حركة ٢٣ يوليو كطليعة ثورية عسكرية تقود ثورة وطنية تحررية انعطفت بها الى ثورة اشتراكية عربية شاملة تستهدف : الحرية والاشتراكية والوحدة .

وفى البدء لم تكن تساند هذه الذخيرة السياسية والاجتماعية، ارضية فلسفية واسعة تتميز بخصائص حية اهمها تحقيق الوحدة العضوية بين النظرية والتطبيق. وبالتالى فمنذ البداية كان ينقصنا الوصول — فى الفكر الثورى العربى المعاصر — الى درجة من النضج والوضوح الفلسفى الضرورى لكل ثورة شاملة ومستمرة. وهذا النقص نفسه كان يشكل شبه فراغ ايديولوجى — امتلا على التوالى بعدد من المواقف الفكرية والفلسفية المتباينة بحيث امكن ان يتحدد اكثر من موقف فلسفى واحد حول موضوع الخلفية الفلسفية العريضة لثورة يوليو وخصائص الطريق المصرى — العربى الى الاشتراكية، تختلف درجة نضجه ودرجة وضوحه بالنسبة للواقع الفكرى والموضوعى المعاش فى كل من المجتمع المصرى والمجتمع العربى من جهة — وتختلف ايضا بالنسبة للفكر الثورى العالمى من جهة اخرى .

ومع ذلك فان تعدد المواقف الفلسفية هذا ، لم يمنع بأى حال ،نمو العمل الفكرى الايجابى من اجل الوصول الى موقف فلسفى اكثر نضجا واكثر وضوحا فى كل من الفكر العربى والفكر العالمى المعاصر. وهذا العمل الايجابى هو نفسه مهمة ثورية جليلة يحمل عبئها الطلائع الفكرية من قادة النضال الفكرى والثقافى فى مصر وفى

العالم العربي اليوم . والهدف الاساسي لهذا العمل الفكري الايجابي انما هو تحقيق المزيد من التطابق بين العمل والفكر بين الواقع والثقافة مما يحقق للقادة الثوريين من جهة وللجماهير الثورية من جهة اخرى مزيدا من النضج الثقافي ومزيدا من وضوح الرؤية ومزيدا من التماسك والتلاحم بين القيادة والجماهير يجدد شباب الثورة باستمرار ويدفعها الى الارتفاع بمعدل سرعة الانجازات الثورية في عالم متحرك تتغير صورته كل يوم .

ان السير بخطى قوية وحاسمة نحو موقف فلسفي اكثر وضوحا في الفكر الثوري العربي المعاصر — انما هو في الواقع مهمة رئيسية من مهام العمل الثوري العربي الموحد وهو في الوقت نفسه لا يتعارض بأي حال مع جوهر الحرية الانسانية التي تقوم اساسا على حرية الفكر وحرية العمل من اجل بناء الانسان لحياة اكثر عدلا، واذا كنا في شغل شاغل بخطط التنمية الاقتصادية والمادية للمجتمع الجديد فان ذلك لا يجب ان يصرفنا عن ان نسير ايضا قدما في التنمية الروحية لشعبنا وهي التنمية المعنوية التي توفر لنا الاقتناع والحماس. وعلى ذلك فان القضية: قضية السير نحو موقف فلسفي اكثر وضوحا في الفكر الثوري العربي المعاصر انما تفرض نفسها لانها القضية الجذرية ضمن الواقع الايديولوجي لثورتنا العربية الاشتراكية الشاملة . ومن المحتم علينا في جمهوريتنا العربية المتحدة كطليعة للثورة العربية أن نتقدم نحو اعادة دراسة وتقييم كل شيء تقريبا في حياتنا الثورية من حين لاخر، وما اكثر القضايا التي سوف نلقاها والتي لا تحتمل التأجيل او حتى اغضاء النظر والتي هي بحاجة ماسة لان يناقشها الاشتراكيون العرب في هذه الايام وبخاصة وقد تجمعت لديهم حصيلة من الخبرة الثورية النابعة من الواقع الموضوعي ، القومي والعالمي تتمثل وتتجسد في مجموعة من المشاكل التي تتبلور خلال العمل الثوري العربي المعاصر. وما من شك ان كل محاولة فكرية لتفهم القضايا الجديدة انما تستهدف اساسا، العثور على انجح الحلول الثورية لمشاكل الواقع بحيث تدفع بدم جديد على الدوام في شرايين الثورة وبحيث تلقي المزيد من الضوء حول المفاهيم الاشتراكية، وبحيث تشحذ اسلحة النضال الثوري وتعبئ جميع القوى الثورية في وحدة حية متفاعلة لتواجه المهام الثقيلة التي القاها على عاتقها التحدي الخطير من جانب المخطط العالمي للاستعمار الجديد ومحاولة الالتفاف والحصار التي تقوم بها التحركات الاخيرة الرجعية العربية الداخلية : ...

أولا : الاستقلال الوطني والقدرة على الاستقلال بالرأي تجاه الواقع الداخلي والخارجي

ان ما انجزته ثورة ٢٣ يوليو في الواقع السياسي والاجتماعي من انتصارات ومكاسب ليشكل في الحقيقة المادة الاساسية لكل خطوة الى الامام يريد ان يخطوها الفكر الثوري العربي المعاصر نحو المزيد من الوضوح والنضوج . ومنذ ان تحركت الطلائع الوطنية الشابة والمستنيرة في الجيش ليلة ٢٣ يوليو وهي تضيف الى الخبرة الثورية العربية زادا هائلا من المنجزات جديرا بأن يتريث عنده المفكر الثوري العربي ويتروى في دراسته ويتأنى في الاحتكاك به والتفاعل معه، ليس فقط ليصل الى مجرد «احكام مطلقة وصحيحة» وانما ليحقق الشرط الاول والضروري لكل فكر علمي وثوري صادق، شرط الالتحام بالواقع ومعايشته بحرية وفي تدفق، ليكون قادرا فيما بعد على صياغته واكتشاف حقيقته والتعبير عنه تعبيرا موازيا وتقدميا في الوقت نفسه .

ان المنجز الرئيسي لحركة ٢٣ يوليو انما هو في استمرار الثورة نفسها، وعدم وقوعها في احبولة «الثورة من اجل الحكم والحكم من اجل الحكم» التي ازهقت واجهضت ثورات عديدة من قبل ومن بعد في العالم . فأن حركة ٢٣ يوليو قد خلصت الى تأكيد حقيقة جوهرية يمكن تلخيصها فيما يلي : **«الثورة من أجل السلطة ثم السلطة من اجل الثورة»** .

ثم ان المبادىء الستة الشهيرة قد هيأت بلا شك محاور العمل الوطني الثوري وكان على العمل الثوري ان يسير على هذه المحاور بمعدلات متفاوتة السرعة وفق احتياجات التكتيك او الخطط العاجلة مستنيرا بأول استراتيجية عظيمة استكشفها القائد والمناضل جمال عبد الناصر في **«فلسفة الثورة»** وصاغها باعتبارها «مجرد داورية استطلاع او استكشاف .. لكي نعرف من نحن وما هو دورنا ... والظروف المحيطة بنا في الماضي وفي الحاضر .. ثم اهدافنا والطاقة التي يجب ان نحشدها لنحقق هذه الاهداف» .

ولما تحطم العدوان الاستعماري الثلاثي عام ١٩٥٦ على صخرة الثورة الوطنية التقدمية المرتكزة اساسا على وحدة جماهير الشعب الوطنية

المعادية للاستعمار مع الجيش الوطنى بقيادته المستنيرة المتحررة — تحقق الاستقلال الوطنى الكامل معطرا بدماء الشهداء ثم تهاوت الاربطة والقيود الاقتصادية والفنية والثقافية الاستعمارية تباعا بالتمصير والتأميم والمصادرة والطرد ايضا. وشرعت الثورة تخطط للبناء منذ البداية، لدعم الاستقلال الوطنى من جهة ومن جهة اخرى لادراك الثورة ان ثمار الاستقلال لا بد ان تعود الى الجماهير الوطنية نفسها، ومع التخطيط العلمى الهادف والمتنامى — تحول «مجلس الانتاج» الى «المؤسسة الاقتصادية» وهى نفسها التى اصبحت «القطاع العام» الركيزة الهائلة للاقتصاد القومى المستقل السائر فى طريق التحول الاشتراكى .

ثم ان تحقق الاستقلال الوطنى من خلال الحرب الوطنية الثورية فى بورسعيد التى صهرت قوى الشعب الوطنية فى وحدة كاملة مع قيادتها ،هيأ السبيل امام «العالم الثالث» عالم ما بعد السويس وعصر ما بعد السويس، لان يصبح حقيقة عالمية متجسدة ،يحسب لها كل حساب فى ميزان القوى العالمية كلها .

ولقد واكب ذلك كله مع تحقق اول تجربة مصيرية للوحدة العربية — بين مصر وسوريا — تجسيدا للقومية العربية ، كأحد الحقائق الكلية والجذرية للثورة العربية الشاملة ، واذا كانت الوحدة المصرية السورية قد تعرضت لضربة رجعية استعمارية بالانفصال الذى يتاكل الان امام التاريخ الحى، والصاعد للامة العربية، فان ذلك لم يضعف الوحدة بل زادها قوة وخبرة واستفادة من الاخطاء .

على انه قبل الانفصال وبعده صدرت الاجراءات الثورية التى حددت اول الطريق المؤدى الى الاشتراكية وتتابعت عملية التشكيل الثورى لقوى الشعب العربى العامل المكونة من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية لتنظم فى تنظيم سياسى كبير هو «الاتحاد الاشتراكى العربى» ،والذى يهتدى بأضواء الفكر الثورى العربى المبلور كدليل عمل فى الوثيقة الثورية الكبرى «ميثاق العمل الوطنى» وهو ميثاق القاهرة الشهير فى العالم كله .وبذلك يكون قد تراكم امام الفكر العربى الحديث حصيلة هائلة من المنجزات الثورية الفكرية والواقعية هى بحاجة ماسة ومستمرة الى معاودة النظر والبحث والدرس، شريطة الا يغيب عن بصيرة الفكر الثورى العربى الابعاد المترامية لواقع الثورة العربية الشاملة نفسها، فان هذه الثورة تشغل موقعا جغرافيا واجتماعيا وتاريخيا يتميز بخصيصة بارزة هى ترامى الاطراف وتشابكها » فان وقوع الامة العربية باقطارها بين ثلاث قارات هى آسيا وافريقيا واوربا جعلها تشغل اخطر رقعة فى العالم القديم والحديث معا. **العالم القديم** ،عالم البحر الابيض المتوسط بحضاراته التليدة ذات التراث الروحى والمادى والمشبع بمزيج هائل من الثقافات الباقية. **والعالم الحديث** بتكنيكه العلمى والصناعى ووسائل مواصلاته واتصالاته التى تلغى المسافات والزمن. كل هذا قد زاد من خطورة الموقف واحتمالاته امام تحركات الثورة العربية الشاملة وانفجاراتها وخاصة قد سبقتها ثورتان خطيرتان فى التاريخ العالمى الحديث هما الثورة السوفيتية فى روسيا وثورة الصين فى آسيا. ويكفى ان نأخذ فى الحساب رقعة الارض وتعداد السكان حتى ندرك على الفور مدى المسئولية التاريخية الكبرى الملقاة على عاتق الثورة العربية الشاملة، ان هذه الثورة تحمل الموت النهائى للاستعمار العالمى. وكل هذا بلا شك يفرض على الفكر الثورى العربى الطليعى مهمة النظرة الموسوعية الشاملة والمليئة بالحيوية والمرونة والاخذة فى جماع حصيلتها النهائية العديد من التفاصيل والمشكلات والتحديات البالغة التعقيد والتشابك. واذا كان من المفروض على الثورة العربية الشاملة ان تنسق بين الخطوات المرحلية والمصيرية فان التباين بين ظاهرة ثورية كثورة اليمن مثلا وظاهرة ثورية اخرى كثورة الجزائر ربما فرض على الفكر الثورى العربى — من السطح — رؤية التناقضات الثانوية قبل التناقضات الرئيسية فى الثورة العربية الشاملة مما يعرضه بلا شك للخطأ فى حين يكون من اوجب المهام عليه ان يدرك بوضوح مدى ثقل التناقضات الرئيسية امام الثورة العربية قبل التناقضات الثانوية. ذلك لان التناقضات الثانوية هى فى الحقيقة تناقضات مرحلية ،قصيرة الاجل ومع ذلك فان على الفكر الثورى العربى الطليعى ان يبحث باستمرار على السداة واللحمة فى الحلول الثورية للتناقضات الرئيسية مع التناقضات الثانوية بحيث يكون ذلك عملا يوميا للجماهير والقادة .ومن هنا كان ضروريا على الفكر الثورى الطليعى العربى ان يمسك اولا بما يربط كيان الامة العربية ويوحدها كلها قبل ان يمسك بما يفككها ويقسمها .

لقد برزت حقيقة القومية العربية بمفهومها

الثوري من خلال معارك التحرير الوطني العربي وما صاحبها من ادراك ثوري لوحدة المشاركة في الارض واللغة وطبيعة السكان ، ووحدة المشاركة في التكوين التاريخي والحضاري بجانبه الروحي والمادي وترابط وتكامل المصالح الاقتصادية المتداخلة مما خفف لدرجة محسوسة من اثر قانون عدم تساوي النمو الاجتماعي والاقتصادي بين كل مجتمع عربي على حدة. ولقد اغنى الفكر العربي العلمي الحديث عناصر الوحدة والقومية العربية بالدراسة والبحث وكشف الفكر الثوري العربي خطر الصهيونية المادي والمعنوي على الأمة العربية كلها وأدرك الابعاد الاستعمارية والعنصرية والفاشية للاغتصاب الصهيوني الانجلوامريكي .

والخلاصة هي ان الفكر الثوري العربي قد تربى وازدهر في مهاد الحركة الوطنية التحررية وكان الاستقلال القومي هو الهدف الرئيسي خلال مرحلة طويلة من الكفاح بدأت منذ الانتفاضات الاولى على الاستعمار العثماني الاقطاعي المتخلف ولم تكن هذه المرحلة الطويلة موحدة الطابع بالنسبة لكل بلد عربي بل لقد تغيرت صور النضال العربي تبعا لتغير التناقضات التي اعترضت مسار الثورة العربية الشاملة منذ ان كانت جنينا غير محدد المعالم .وكان على الفكر الثوري العربي ان يتلمس طريقه خثيثا وسط ظلام مطبق — ولم يكن غريبا ان نرى الوطن العربي وهو ينتقل من يد الاستعمار العثماني الاقطاعي الى قبضة الاستعمار الاوربي الغربي الرأسمالي — يظل مع ذلك يعاني من التمزق والتخلف والطائفية والقبلية واحط اشكال الاستغلال الداخلي والخارجي ومع ذلك كله ظل الشعب العربي يبحث بفكره وبارادته عن شخصيته العربية المفقودة ، وقد ساهم الفكر العربي الطليعي في هذه المهمة بمثابرة وثبات فأخذ يكتشف عناصر الشخصية العربية وامكانياتها بالتدريج واهمية الاستقلال بالنسبة لتكاملها ولكن الفكر العربي فوجيء بالنمو الرأسمالي الداخلي يقع تحت حماية الاستعمار ولم يتعرف خطر الاستغلال الرأسمالي الا مؤخرا — اما خطر الاقطاع الرجعي فكان ماثلا وحاضرا ومكشوفا امام الفكر الطليعي العربي — وعندئذ ادرك كيف ان الرأسمالية المستغلة تهدد الاستقلال العربي والنهوض العربي تهديدا خطيرا، ولما تحولت صورة الكفاح القومي بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، اغتنى الفكر الثوري العربي بمضامين جديدة اعطت الثورة الوطنية التحررية مفهوما وحدويا بارزا من جهة. ومن جهة ثانية اغتنى الفكر الثوري العربي بمضمون جديد هو مضمون العدالة والحرية الاجتماعية كأساس للعدالة والحرية السياسية :اذ لم يعد من المقبول ان يتحول الاستقلال الوطني الى بورصة لسماسرة رأس المال او الى وليمة ينهشها تحالف الاقطاع مع الرأسمالية .

لقد تأكدت الصفة المزدوجة للثورة العربية الشاملة باعتبارها ثورة سياسية وثورة اجتماعية ايضا، نتيجة بروز العمل الوطني في الجمهورية العربية المتحدة كطليعة متقدمة للثورة العربية كلها — واستطاعت مصر بالاستقلال ان تحقق الكثير لامكانيات الثورة العربية،فلقد هيأ الاستقلال المصري — انطلاق القوى العربية الثورية من واقعها الموضوعي واعطاها الثقة في النفس بحيث امكن الفكر الثوري العربي ان يضيف تنظيرا جديدا للثورة في القرن العشرين، ولم يكن هذا التنظير ممكنا بكل هذه الحيوية وهذا الخصب قبل استقلال مصر نفسها، وبالتالي لم يكن المهم ادراك القوى المعادية للثورة فحسب بل وايضا ادراك القوى المترددة والتي تشكل رصيدا دائما للثورة المضادة — خلال الطريق العربي الى الاشتراكية بخصائصه الذاتية المعروفة — وفي عصر انهار الاستعمار القديم والجديد على السواء . من هنا يتشكل اهم وابرز وجه للموقف الفلسفي الاكثر وضوحا في الفكر الثوري العربي المعاصر — هذا الوجه الذي يتبلور في نقطة اساسية هي الحفاظ الصارم على الاستقلال القومي العربي ومن ثم القدرة على الحركة من موقع الاستقلال القومي العربي الى موقع الاستقلال بالرأي ووجهة النظر تجاه ظاهرات العالم الاجنبي في الخارج وظاهرات العالم العربي في الداخل .

ولربما يبدو لرجال الفكر المحترفون ، ان الفكر نفسه — كقضية انسانية عالمية فردي بالمفهوم التقليدي — حيث يسهل على الفرد المنقطع او المتعالي ان يقفز بفكره وثقافته الخاصة من فوق اسوار الاستعمار وقضبان الاستغلال — متناسيا الواقع البيئي الاجتماعي والسياسي الخاص .. وكأن بالامكان ان يكون ثمة فكر ثوري في مجتمع غير ثوري — وهذا خرافة يخدع بها رجال الفكر التقليديون والمحترفون انفسهم اذ ان الصفة الانسانية والعالمية للفكر البشري مسألة صحيحة بلا شك، ولكن القدرة على الاستقلال بالرأي — أي القدرة على ممارسة الفكر الحر نفسه لا ادعائه فحسب — والتي تعني اساسا القدرة على الاستقلال بالفكر لابراز الشخصية التقدمية للامة

فى مجالها الانسانى والحضارى والعالمى هى بلا شك فى حاجة ماسة للقضاء على الاستعمار الاجنبى والاستغلال الداخلى . وهذا معناه باختصار ان الحرية السياسية والاجتماعية شرط جوهرى وضرورى لازدهار الفكر الثورى العربى المعاصر .

ثانيا : الصراع بين الفكر العربى التقليدى والفكر العربى الثورى

لقد لعبت النزعة المثالية التقدمية دورا اوليا قياديا وهاما فى بناء المراحل الاولى للفكر الثورى العربى منذ البداية، ولا تزال هذه النزعة موجودة عند غالبية المعمرين من جيل الرواد الذى اوشك ان ينهى رسالته اخيرا. ويمكننا الان ان نلحظ بسهولة ما اعتراها من تصلب وجفاف يؤذن بذبولها النهائى. ولكنها قامت بمهمة اساسية لا سبيل الى تجاهلها. اذ فتحت اول خطوات الطريق الى الاتصال بالفكر الاوربى المزدهر فى اجواء الحضارة الصناعية العالمية الحديثة مع تركيز ظاهر على الاتصال بفكر اوربا الغربية وبالذات الثقافة الانجلوسكسونية والثقافة اللاتينية وتفسير ذلك معروف بداهة. كذلك حاولت طلائع النزعة المثالية التقدمية فى الفكر العربى ان تقوم بدورها فى احياء تراث الامة العربية، مما جدد شباب اللغة العربية ورفع عنها وبالذات فى مجال الاداب والفنون الكثير من عناصر الجمود والانحطاط وهيأت للصحافة سبيلاً يوحى بمستقبل مزدهر، واقرت للتعليم والتربية والجامعة اسلوب حياة معروف .ولكن هذه النزعة المثالية التقدمية لم تصل الى اوج شبابها الا فى الفترات التى ارتفع فيها المد الثورى الوطنى المعادى للاستعمار الاجنبى أقصى مداه. وكان جوهرها من الناحية القومية ثوريا فى معظم الاحيان. ولكنه من الناحيه الاجتماعية لم يرق الى اكثر من مستوى العمل الاصلاحى الطفيف فى اطار المجتمع المتخلف،مجتمع تحالف الاقطاع والراسمالية ،وهكذا ظلت النزعة المثالية الوطنية التقدمية محصورة ضمن المفهوم البورجوازى الغربى للديمقراطيه، مع رسوخ قدم التقاليد العبودية المقننة فى الريف ، مما ترتب عليه خيبة امل عريضة لدى غالبية المثقفين والمفكرين العرب وبخاصة وهم يشهدون تتابع الكوارث الدستورية على يد الاستعمار والملوك والاقطاعيين والراسماليين الجدد .ثم ما لبثت النزعة المثالية الوطنية الديمقراطية ان اصابها اليأس وشرعت تهجر الكثير من تحرريتها ، واعترتها على الفور امراض الانتهازية واجتاح اجنحة واسعة منها وباء الفاشية. وهكذا شهدت اعيننا تعفن المثالية الوطنية فى اوكار الاحزاب بينما الوجود الاجتماعى للطبقة العاملة العربية يزداد بروزا واحتشدت المدن بالطبقة الوسطى النشيطة وبخاصة صفوفها الفقيرة والتى تعى فقرها وتدرك ان النزعة المثالية الوطنية غير قادرة على علاج ازمتها ، وسرعان ما برز على الفور تيار الواقعية الثورية جنينا يتلمس طريقه الى الحياة على مسرح الفكر العربى كنقيض للمثالية الوطنية القديمة .

واثر الحرب العالمية الثانية ومع الانتفاضات الشعبية الثورية والمسلحة للطبقات الوطنية الجديدة التى ظهرت بقوة على مسرح الكفاح الوطنى عقب هذه الحرب مباشرة، اخذت النزعة الواقعية الثورية العربية يشتد ساعدها حتى فرضت نفسها ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ على الواقع المصرى والعربى بجوانبه الاجتماعية والسياسية والتاريخية .

فما هو اذن جوهر هذه النزعة الواقعية الثورية الجديدة فى الفكر العربى المعاصر ؟

ان جوهرها هو تبنى المنهج العلمى فى التفكير وممارسة الاسلوب العلمى الموضوعى فى العمل لتحليل الظاهرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية وممارسة منطلقة متحررة بهدف اساسى هو خدمة المجتمع المتطور. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان جوهرها ايضا هو استبعاد الاسلوب الاصلاحى التهادنى وتبنى المنهاج الثورى الهادف الى اقتلاع غوائل الخيانة والتخلف من جذورها .

ونحن نشهد فى واقعنا الفكرى اليوم تقلص المثالية التقدمية القديمة امام نمو وازدهار النزعة الواقعية الثورية الجديدة، ففى الاقتصاد والسياسة والمجتمع تترسخ المدرسة الاشتراكية المصرية والعربية وتضرب بجذورها ،وفى الفنون والاداب تستقر حركة الفن للحياة واصبح الكفاح المسلح طريق حتمى للنضال القومى ضد قوات الاحتلال .

واصبح امام الفكر الواقعى الثورى العربى مهام اساسية جديدة، عليه أن يساهم جذريا فى حلها وخاصة بعد ان اصبح مطلوبا منه أن يعيد صياغة اشكال الحياة الجديدة وبالذات بعد ان

تحقق الاستقلال الوطنى لكثير من البلدان العربية، وبعد ان تحققت اول تجربة وحدوية فى العالم العربى وبعد ان شرعت مصر بالذات كطليعة ثورية تجتاز اول خطوات مرحلة التحول الى النظام الاشتراكى .

وكان من الممكن ان تكون الواقعية الثورية الجديدة فى العالم العربى مثلما كانت المثالية التقدمية القديمة، ذيلا كاملا للتراث الفكرى الاوربى، لولا ما حدث فى العالم من انقسام هائل الى معسكر اشتراكى «ماركسى لينينى» ومعسكر رأسمالى استعمارى ولولا ان الاستقلال الوطنى لمصر اكبر الدول العربية واعظمها امكانيات واخطرها موقعا، حدث بعد ان سلخت الثورة السوفيتية من حياتها حوالى ٣٥ عاما والثورة الصينية العمالية ـ الفلاحية حوالى خمسة اعوام ـ وكانت حركة السلام والتحرر الوطنى على اشدها فى افريقيا وآسيا وبالذات فى العالم العربى. وقد ادركت القيادة الثورية المصرية العربية طبيعة الثورة المعاصرة باعتبارها ثورة عربية شاملة وجديدة واصيلة تقع فى منتصف القرن العشرين،بينما تاريخ العالم يؤكد انمستقبل الشعوب المتحررة كلها، انما هو فى الاشتراكية. وكل هذه العوامل جعلت من المستحيل ان تكون الواقعية العربية الثورية ظلا شاحبا للتراث الثورى الاوربى وان كانت تتفاعل معه بحرية تفاعلا حيا وخصبا ومبدعا .

ولان الواقعية الثورية فى الفكر العربىالمعاصر ذات لباب علمى ولا تتخلى عن نظرتها الموضوعية الى خصائص واقعها المتوافقت مع ظروف عالمية معروفة فان هذا جعلها تحرص بوعى على ان تكون هى بدورها تيارا فكريا مستقلا ينسجممع موقعها الجغرافى وبيئتها الاجتماعية وتاريخها الحضارى المتكاثف ومن هنا تأكد بالتالى امام جماهيرها ـ الاهمية البالغة للاستقلال الوطنى ـ وحفظه ودغمه وتعزيزه. ومن هنا ايضا تأكد ـ مفهوم حتمية الثورة ـ باعتبارها الطريق الوحيد لتحقيق الذات العربية المستقلة ـ ومفهوم حتمية الحل الاشتراكى باعتباره الطريق الوحيد للقضاء على التخلف المتوارث والمصطنع .ومن خلال ميثاق العمل الوطنى تكشف الواقعية الثورية العربية ـ فى التجربة المصرية بالذات ـ اصالتها وحيويتها وتنفى عن نفسها شبح الذيلية، وتؤكد انعدامها فى الثورة العربية الشاملة .وكل هذا ينسجم مع السياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة المبنية على اساس الحياد الايجابى والسلام المبنى على العدل وحرية الشعوب فى اختيار مصيرها ومضمون نظامها الاجتماعى دون تدخل اجنبى، مع التسليم بضرورة التعايش السلمى بين البلدان ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة . واكدت الواقعية الثورية شخصية الجمهورية العربية المتحدة كدولة قائدة فى حركة التحرير الوطنى وكأمة رائدة فى العالم الثالث ، كذلك اكد سلوك الجمهورية العربية المتحدةدوليا قدرتها وفق واقعيتها الثورية ـ ان تضرب المثل على نموذج جديد للعلاقات بين الدول الكبيرة والصغيرة من ناحية التعاون دون تبعية والصداقة على قدم المساواة والرفض العنيف للشروط والقيود ولو ادى ذلك الى الشظف او حتى التقشف دون مساسبالكرامة او بالمبادىء .وهكذا ينفسح الطريق لنموذج الثورة العربية الشاملة امام شعوب المستعمرات واشباهها فى آسيا وافريقيا وحتى امريكا اللاتينية .

واذا كانت المثالية القديمة مع تقدميتها ترفع شعارات الحرية والاخاء والمساواة تشبها بالثورة الفرنسية ـ وتقنع نفسها بمبدا «الصالح العام» المجرد الغامض فى الدستور والتشريع والادارة فانها رغم ذلك كله لم تكن لتجرؤ على تخطى اسوار النظام الراسمالى الناشىء فىمصر ثم انها ما لبثت ان تخلت تماما عن كل تقدميتهابعد ان اقتنع الرأسماليون المصريون بطريق المساومة مع الاحتلال الاجنبى بدلا من طريق الثورة المسلحة المستمرة. كذلك لم يكن فى مقدور المثالية التقدمية القديمة ان تقف من نموذج المجتمع الراسمالى الغربى ـ لندن او باريس ـ موقف النقد الا اذا تجنى هذا النموذج على مضمون التراث الاسلامى وحسب، اما فيما عدا ذلك فاننا نجد المثالية التقدمية القديمة تقف من الفكر اللاتينى والانجلو سكسونى موقف الانبهار والتبعية الكاملة . لقد سلمت مثلا مع الثقافة البورجوازية الاوربية بان اليونان هم الذين اخترعوا «العقل» !؟! ونسيت الانجازات العلمية المبدعة التى قام بها اسلافنا العرب فى القرون الوسطى وقت ان كانت اوربا غارقة فى الظلام .كذلك كان التقدم العلمى والتقدم الصناعى وما استتبعه من انقلاب حضارى حديث فى اوربا ـ نموذجا نهائيا ومطلقا امام تيار المثالية التقدمية فى الفكر العربى لاسبيل الى الوصول اليه الا بالجلب والتقليد وما كان يخطر ببالها امكان تجاوزه بأى حال .

اما تيار الواقعية الثورية الجديدة فى الفكر العربى المعاصر فهو بخلاف ذلك تماما اذ انه يتضمن فى صميمه ارادة واعية تستهدف اكثر من اللحاق بالانقلاب الحضارى الاوربى والامريكى

والسوفيتي. انها تحلم بامكان تجاوز ذلك ايضا. ولذلك فانها تبحث فى دأب عن اصالتها فى اعماق تاريخها وتراثها الحضارى كله وهى تؤكد ارتكازها على اكثر الرؤى وضوحا لمعالم التراث الماضى وليس على مجرد عملية احياء آلية للتراث التقليدى اى كان — ومن هنا اتسمت الواقعية الثورية الجديدة فى الفكر العربى المعاصر بروح نقدية جادة ، توجه مسار البحث الى الماضى وتراثه والى الحاضر وظاهراته وتسعى الى الادراك والتحصيل والتمييز ايضا . ومن هنا كان لا بد لها ان تصعد باستمرار الى افق جديد.

ثالثا : الفكر الواقعى الثورى العربى يصعد الى مرحلة جديدة

لقد فجرت ثورة ٢٣ يوليو بداية المسيرة المصرية العربية الى « الاشتراكية » واطلقت قوى الشعب العربى المادية والروحية ، وهيأت للانسان العربى سبيل التعبير عن وجوده واعادة اكتشاف نفسه من جديد . ولذلك اتسعت آفاق الفكر الثورى العربى الى اقصى الحدود ، لقد امتزج الخيط القومى ،المحلى، مع الخيط الانسانى العالمى، امتزاجا حيا وخلاقا. وهكذانرى الفكر الواقعى الثورى العربى يصعد بنفسه الى مرحلةجديدة. مرحلةخصبة، جريئة،مليئة بالتجدى ويلح فيها الاختيار الحاحا مصرا ومتوترا ويرهص بمستقبل مثير جدا .

ولقد اهتز الطابع الرومانسى للثقافة المثالية التحررية القديمةامام الطابع العملى والموضوعى للفكر الثورى العربى الجديد. ولقد رجحت كفة العلم كل شيء تقريبا. ومع ذلك فان من كان يستمع الى كلمات المناضل جمال عبد الناصر فى باندونج ثم فى الجمعية العامة للامم المتحدة كان يحس على الفور وقع الرسالات المصرية المنبثة عن المستقبل فبينما العالم الحديث، كله يندفع بالحضارة الصناعية الهائلة لغزو الفضاء والرحيل الى الكواكب على متن الصواريخ وبينما الحشد والتخزين والتطوير الذرى الرهيب يفزع حمامات السلام، كان الرئيس العربى يشدعيون العالم كله الى الملايين الجائعة من ابناء الشعوب المحرومة وراء قضبانالاستعباد الاستعمارى،واذ به ينبه الاذهان الى معنى السلام القائم على العدل واذ به يكشف عن مقدار العرى اللااخلاقى للتقدم «العلمى» اذا لم يكن مصحوبا بارتقاء معنوى للانسان .

وعندما وضحت — فى النهاية — الصفة الاساسية للثورة العربية الشاملة من حيث كونها فى جوهرها ثورة استقلالية اشتراكية — وجزء حى من الثورة العالمية فى القرن العشرين، كان فى ذلك الدعم الاكبر للفكر الواقعى الثورى الجديد ازاء كل اشكال الفكر القديم، حتى ذلك الذى تشكل فى الاتجاه المثالى التحررى المشار اليه آنفا. وهذا هو نفسه ما دفع الفكر العربى للصعود الى مستوى ايديولوجى جديد، بحيث يمكننا ان نرى الفكر الواقعى الثورى يتشكل هو نفسه ليصبح واحدا من اغنى واخصب اتجاهات الفكر الاشتراكى العلمى فى عصرنا الراهن .ونستطيع ان نتوقع له اسهامات واضافات غاية فى الاهمية بالنسبة لواقع الفكر الثورى العالمى المعاصر. وهذا هو السبب الحقيقى فى الهزيمة المبكرة التى حاقت بالنماذج النظرية للفكر المراهق والممزق — التى اتصفت بالاستعجال والهرولة وكذلك بالنماذج النظرية المستحدثة للاتجاه المثالى القديم المتجمد، فلقد تحطمت دعوى الحياد الاكاديمى — ودعوى الذاتية الوجودية — ودعوى التعادلية — ودعوى الجوانية — ودعوى الحركة العاقلة — ودعوى الظاهراتية — ودعوى العبثية — ودعوى البعثية، ودعوى الذرائعية — واخيرا دعوى الوضعية المنطقية.. الخ فكل هذه الدعاوى المثالية الجوهر عجزت عن ان تعكس وتبلور صلابة الواقع الثورى المتحرك الذى يشكل قلب الثورة العربية الشاملة — والذى حتم على الفكر العربى نفسه ان يتحول موضوعيا من فكر مثالى تحررى الى فكر واقعى ثورى، يتنامى بحيوية وفى سرعة مذهلة الى فكر عربى اشتراكى علمى يساهم بنصيب وافر فى اخصاب الفكر الاشتراكى العالمى نفسه، ويصارع من اجل اكتشاف الحلول المبدعة لمشاكل التحول الاشتراكى فى الواقع الاجتماعى ايضا .

ويستحق الذبول العاجل ثم الموات السريع الذى لحق بكل هذه الفكريات المثالية المنوعة والتى ظهرت بسرعة وفى تتابع غريب لتقطع الطريق على الفكر العربى الواقعى الثورى من ان ينمو ويتحول هو نفسه الى فكر اشتراكى عربى علمى يتقدم واقع الثورة العربية الشاملة فى مصر وسائر البلدان العربية — يستحق — الشيء الكثير من التفكير والتحليل حتى نعرف ان سببه الحقيقى انما هو فى التصاق الفكر العربى الواقعى بالحركة الثورية العربية عموما وعدم انعزاله من واقع

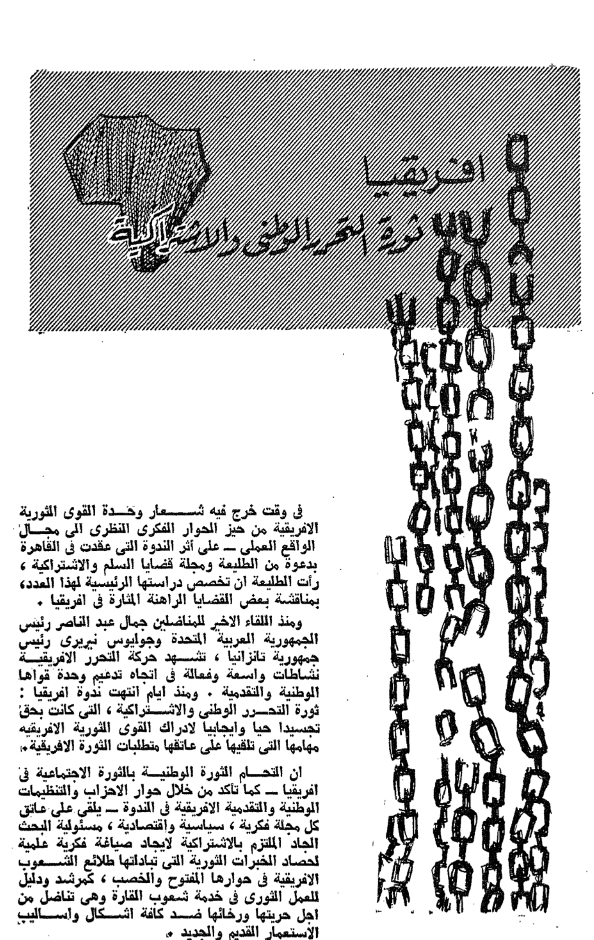
الثورة نفسها وبعده عن الانغماس في الحدس الصوفي والاستبطان الذاتي وامتناعه عن فرض الاوهام والاخيلة والتصورات المجردة على الواقع نفسه، والتزامه بالمنهج العلمي الموضوعي في ادراك الواقع وتحليله وتفسيره ،كما في ميثاق العمل الوطني.

ولهذا السبب نفسه ترجع قدرة الفكر العربي الواقعي الثوري على التحول الى فكر عربي اشتراكي علمي وصعوده بذلك الى مرحلة ايديولوجية جديدة تبشر بغنى وخصب لا حدود له .ونرى ان ظاهرة تحول الفكر العربي الثوري من مرحلة الفكر الواقعي الى مرحلة الفكر الاشتراكي العلمي انما هي القانون الاساسي الذي يشكل فعاليات النضوج الفلسفي والوضوح الفكري في كل ثقافتنا العربية المعاصرة . كما انه هو نفسه يشكل التجاوز السليم لتناقض المثالية العربية التحررية القديمة مع الواقعية الثورية العربية التي كانت الى امد قريب جديدة.

ولربما كانت المثالية العربية التقدمية القديمة ترتكز اساسا على المنطق الصوري والشكلي ثم تصعد في اعلى موجاتها تقدما الى تبني منهج الشك الديكارتي مما اضطر الواقعية العربية الثورية الى ان تتحصن — امام ذلك — في متواضعات المنهج العلمي التجريبي كمنطق «حديث» يسمو على المنطق الصوري الاستنباطي القديم — بأسلوبه الاستقرائي والاحصائي، حتى انها — اي الواقعية الثورية— وصلت في اعلى موجاتها الى حد معاداة الفلسفة والميتافيزقيا نفسها وادى بها التطرف احيانا الى طرد العلوم المعيارية كالاخلاق والجمال والتي تبحث في معنى الحرية الانسانية من ميدان العلم نهائيا .

الا ان الفكر العربي الاشتراكي العلمي الذي يمثل المرحلة الجديدة في تطور الايديولوجية العربية الثورية — يتجاوز كل هذه التناقضات ويجتاز المنطق الصوري والمنطق التجريبي الى المنطق الجدلي الذي يشملهما ويتفوق عليهما . وبذلك يتخلص الفكر العربي الثوري ليس فقط من جمود الوهم المثالي وانما ايضا من النكسات التي اصابت الاتجاه الواقعي الثوري نفسه والتي تجسدت في النزعة التلقائية العفوية او نزعة الرتابة الالية «الميكانيكية» بما فيهما من تزمت وضيق وجبرية — والتي تجسدت ايضا في النزعة البرجماتية الانتقائية الوصولية — والتي تيبست اخيرا في النزعة التجريبية العشوائية ، العمياء والمتخبطة بما فيها من تحليل لفظي سطحي وسفسطائي . وبذلك ايضا تحفظ الايديولوجية العربية الثورية قدرتها على النمو والارتقاء من اصولها الحضارية والتراثية والروحية وفي الوقت نفسه تؤكد قدرتها على مقابلة متناقضات الواقع الحياتي ومشاكله وتحدياته مقابلة سليمة، طالما هي لا تتخلى عن الاسس العامة للفكر الانساني الحركي وطالما هي لا تشك في ان الواقع الكوني موجود خارجنا ومستقل عن ذواتنا، وان كنا نحن انفسنا جزء منه يتميز بالوعي ،وطالما هي تؤكد ان الواقع الكوني نفسه سابق في الوجود على الوعي به ومنفصل عنه . وان الوعي والفكر واللغة والتراث المعنوي الانساني كله غير بعيد تماما عن الواقع للاشياء وللانسان بل هو ينشأ عنها ويتبادل معها التأثير وانه — بناء على ذلك — لا فرقة بين النظر والعمل ولا انفصام بين الراى والسلوك ولا فاصل بين النظرية والتطبيق وانما مصدر المعرفة ومعيار الصواب والخطأ انما يكون في العمل لا في النظر وفي السلوك لا في الراى وفي التطبيق لا في النظرية

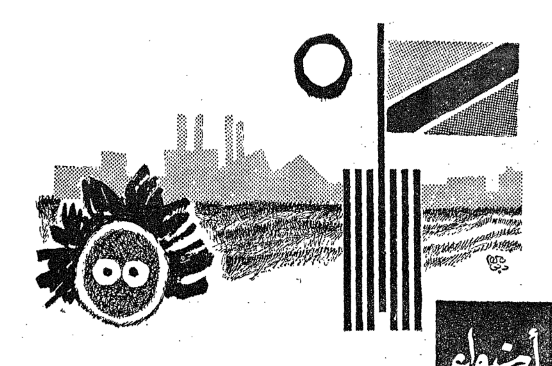
نحن اذن نسير نحو النضج في الايديولوجية العربية ونصعد الى موقف فلسفي اكثر وضوحا في الفكر الثوري العربي المعاصر واننا في مسيرتنا هذه انما نتوائم وننسجم فكريا مع واقعنا الثوري الصاعد، اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا . ان هذا الواقع المتحرك هو الذي فرض الحركة على الفكر الثوري العربي كله .وهو الذي يجعل الايديولوجية العربية الثائرة تدرك ان الحرية والتغيير والحركة والثورة والصيرورة هي الجوهر والاساس للوجود كله وان هذه الحقيقة النهائية هي التي تحتم ضرورة انجاز الاستقلال القومي والتحرر الوطني تحقيقا لكرامة ووجود الانسان العربي نفسه وهي ايضا التي تحتم الاشتراكية كحل للتخلف في الواقع العربي العبودي والاقطاعي والرأسمالي وبالتالي فهي التي تحتم ايضا الفكر الاشتراكي العلمي كحل للواقع الايديولوجي العربي الممزق وهي في النهاية التي تحتم الوحدة القومية العربية كحل ثوري لواقع الشعوب العربية التي تعيش في تمزقات مفتعلة ولكي تواجه التحديات المترابطة التي يتابعها الاستعمار العالمي وعملاؤه في الداخل الممثلين في الرجعية الاستغلالية ويتبلور خيط الوضوح الفلسفي النهائي في الفكر العربي المعاصر في انبلاج الضرورة الملحة من قلب الثورة العربية وبروزها من صميم الادراك العربي واندفاعها من اعمق وجدان الجماهير العربية المثقفة الحاحا على دلالة وحدة جميع القوى الثورية والاشتراكية والتقدمية في الشعوب العربية كعقدة جوهرية تجسد النداء الرئيسي المنبثق من شمول وفعالية الثورة العربية ومن نضج قيادتها وطليعتها في الجمهورية العربية المتحدة .



فى وقت خرج فيه شـــعار وحـدة القوى الثورية الافريقية من حيز الحوار الفكرى النظرى الى مجـال الواقع العملى ـ على أثر الندوة التى عقدت فى القاهرة بدعوة من الطليعة ومجلة قضايا السلم والاشتراكية ، رأت الطليعة ان تخصص دراستها الرئيسية لهذا العدد، بمناقشة بعض القضايا الراهنة المثارة فى افريقيا .

ومنذ اللقاء الاخير للمناضلين جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة وجوليوس نيريرى رئيس جمهورية تانزانيا ، تشـهد حركة التحرر الافريقيـة نشاطات واسعة وفعالة فى اتجاه تدعيم وحدة قواها الوطنية والتقدمية . ومنذ ايام انتهت ندوة افريقيا : ثورة التحـرر الوطنى والاشـتراكية ، التى كانت بحق تجسيدا حيا وايجابيا لادراك القوى الثورية الافريقيه مهامها التى تلقيها على عاتقها متطلبات الثورة الافريقية.

ان التحـام الثورة الوطنيـة بالثورة الاجتماعية فى افريقيا ـ كما تأكد من خلال حوار الاحزاب والتنظيمات الوطنية والتقدمية الافريقية فى الندوة ـ يلقى على عاتق كل مجلة فكرية ، سياسية واقتصادية ، مسئولية البحث الجاد الملتزم بالاشتراكية لايجاد صياغة فكرية علمية لحصاد الخبرات الثورية التى تبادلتها طلائع الشـعوب الافريقية فى حوارها المفتوح والخصب ، كمرشد ودليل للعمل الثورى فى خدمة شعوب القارة وهى تناضل من اجل حريتها ورخائها ضـد كافة اشـكال واسـاليب الاستعمار القديم والجديد .



أضواء







رافق « عبد المجيد فريد » أمين الاتحاد الاشتراكي لمحافظة القاهرة وفد الصداقة الذى رأسه المناضل جمال عبد الناصر كرئيس للاتحاد الاشتراكي ورئيس الجمهورية العربية المتحدة الى جمهورية تنزانيا خلال الشهر الماضى . وخلال هذه الزيارة الهامة تم اللقاء على المستوى التنظيم السياسى والحكومى بين البلدين فى وقت واحد .

وفى هذا المقال الذى يكتبه عبد المجيد فريد «للطليعة» يلقى الاضواء على تجربة ونشاط حزب تانو الثورى. وذلك فى اطار تبادل الخبرات بين الاحزاب والتنظيمات الثورية الافريقية والاتحاد الاشتراكي العربى .

عبد المجيد فريد

هناك مايشبه الاجماع بين الدارسين للشئون الافريقية على أن الفضل فى استقلال تنجانيقا يرجع الى حزب **«الاتحاد القومى الافريقى لتنجانيقا»** فبالرغم من قلة عدد المتعلمين فيها عن عدد المتعلمين فى بلاد افريقية أخرى ، الا أنها سبقتها الى الاستقلال التام فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٦١ بفضل حزبها الكبير الذى يرمز له عادة بحروف « تانو » .

وليس من السهل انكار الدور الهام الذى قام به يوليوس نيريرى — رئيس الحزب ، واول رئيس

للوزارة بعد الاستقلال في انشاء الحزب .. الا ان الذى لاشك فيه ان تطورات التى طرات على الموقف السياسى فى تنجانيقا بعد الاستقلال دلت على ان تنظيمات الحزب الداخلية ، والضغوط التى يتعرض لها من اسفل الى اعلا ، لها اهميتها واعتبارها فى توجيه سياسة الحزب بطريقة جماهيرية .. وانه على الرغم من دور الزعيم نيريرى من اهمية فى توحيد صفوف الحزب ، وملء دور «البطل» فى اذهان الوطنيين الافريقيين ، فقد وصل الحزب نفسه الى درجة عالية من الوعى والتنظيم وازداد عمق الرؤية السياسيه فى داخله الى درجة تنبىء بان ارتباطه بالاشخاص واعتماده عليهم ستكون فى مستقبل الايام اقل كثيرا مما هى عليه فى الوقت الحاضر ..

ان نقطة البداية التى يجب ان ننظر منها الى اى حزب فى افريقيا يجب ان تكون فى الظروف التى نشأ فيها هذا الحزب .. فقد نشات جميع الاحزاب الافريقية وليدة الظروف الاستعمارية القاسية وبهدف واحد هو « الاستقلال فورا » تعبيرا عن التمرد ضد قوى الاحتلال اكثر مما هو تنظيم لهدف سياسى او اجتماعى مرسوم ..

ولو ان الظروف بعد ذلك قد تطورت بهذه الاوضاع بعد الاستقلال فخلقت لهذه الاحزاب برامج سياسية واضحة واهدافا محددة واسلوبا ثوريا للعمل .. الا ان حزب «تانو» كان ينفرد عن الاحزاب الافريقية المحيطة به بظروف تختلف تماما عن ظروفها .. فالحقيقة الاولى ان تنجانيقا ليس بها مشكلة مستوطنين بالمعنى المفهوم ، كما هو الحال مع كينيا مثلا .. فسكانها الذين يبلغ عددهم ٦ ملايين نسمة ، يزيد عدد الوطنيين فيها عن ٩٨٪ فى المجموع .. ومن الاجانب الذين يبلغ عددهم جميعا ١٢٥ الفا ، لايزيد عدد الاوربيين عن ٢٠ الفا والباقى هنود وباكستانيون وعرب .. بل لايزيد عدد الاوربيين المقيمين فى تنجانيقا عن ٣ آلاف .

ان هذا ـيوضح اختفاء مشكلة الصراع العنصرى قبل الاستقلال ويفسر من ناحية اخرى اتجاه تانو فى مبدأ الامة الى اتباع سياسة «الحكومة المتعددة العناصر» التى تضم الاوربيين والهنود والاجناس الاخرى ..

اما الحقيقة الثانية التى بفضلها تاكدت وحدة الصف فى الحزب وساعدت على نيل تنجانيقا استقلالها فى وقت قريب ، هى تمتعها بدرجة كبيرة من الوحدة العنصرية ، بمعنى انها ليست مفتتة الى اجناس مختلفة تتكلم لغات مختلفة — كما هو الحال فى جنوب افريقيا مثلا — حيث ينفرد كل شعب بلغته وتقاليده — فان تنجانيقا تتكلم لغة واحدة هى السواحيلية **((الليبنجوا فرانكا))** — او اللغة التى يتكلمها معظم السكان مما سهل على قادة الحزب ومنظميه الاتصال بجماهير الشعب .

ان كثيرا من دول آسيا وافريقيا قد حصلت على استقلالها الحديث بفضل جهود حركات موحدة للتحرر الوطنى فى كل منها .. وكذلك فقد كانت وحدة شعب تنجانيقا فى تاييده «لاتحاد تنجانيقا الوطنى الافريقى» لها الدور الاكبر فى التعجيل بحصول البلاد على سيادتها القومية .. كما كانت وقفة شعب الجزائر صفا واحدا متحدا وراء جبهة التحرير الوطنية الجزائرية لمحاربة الاستعمار الفرنسى سبع سنوات كاملة هى التى جعلت انتصار الجزائر امرا حتميا .

وهكذا فقد اتضحت امام الامم الحديثة الحاجة الى الوحدة السياسية ووحدة الجماهير فى حركة وطنية واحدة للفوز فى حرب التحرير .. الا ان كفاح هذه الدول لم يكن ينتهى عند حصولها على الاستقلال ، كما ان الوحدة بين صفوف الشعب لم تعد امرا غير ضروريا بمجرد نزول علم الدول المستعمرة ليحل محله علم الاستقلال .. فان الكثيرين ايقنوا ان مهمة بناء دولة جديدة امر لايقل صعوبة — ان لم يكن اصعب فعلا — من التخلص من الاستعمار ومن ثم فان المحافظة على وحدة الامة امر ضرورى لمواجهة هذه المهمة .

ومن هنا فقد اعلن حزب «تانو» عقب حصول تنجانيقا على الاستقلال تصميمه على خوض الحرب ضد اعداء الشعب : التخلف والفقر والعبودية واكد الرئيس نيريرى ضرورة الحاجة الى استمرار وحدة ابناء الشعب فى النضال من اجل تحقيق المهام الجديدة .

وقال نيريرى وهو يفسر هذه المعانى .. ان امام اول حكومة حرة فى بلد استقل حديثا مهام عظمى تتمثل فى بناء اقتصاديات البلاد لرفع مستوى معيشة شعبها والقضاء على الفقر والمرض والجهل وانتشار الخرافات وانه «لايقل اهمية عن النضال ضد الاستعمار ضرورة الحاجة الى امتن وحدة ممكنة للبلد كله حيث لايوجد مجال للخلافات والانقسام اذا ماأريد لهذا البلد ان يحقق أهدافه»

ولقد ادركت تنجانيقا المستقلة حديثا والتى ولدت فى عالم متقدم من الناحية التكنولوجية .. ان عليها أن تبدأ معركة من أجل البقاء اذا أرادت ان تلحق بجيرانها من الدول الاكثر تطورا .. وان عليها ان تدرك ان الوحدة أمر حيوى للغاية ، وان عليها ان تؤمن بان افضل طريقة للمحافظة على هذه الوحدة انما هى قيام حكومة نظام الحزب الواحد .. على الا يكون الهدف من ذلك باى شكل من الاشكال قيام اى نوع من انواع الدكتاتورية .. وانما هى تفعل ذلك لايمانها بمزايا قيام حركة سياسية وطنية واحدة كوسيلة فعالة من اجل تعبئة الشعب لتحقيق هدف واحد : هو التنمية القومية .

ويختلف المؤرخون لحزب تانو في تحديد موعد نشأته او تاريخ ميلاده .. البعض يعتقد انه بدأ في سنة ١٩٢٩ ، عندما كونته مجموعة من الموظفين على هيئة جمعية للمحاضرات الافريقية باسم «الجمعية الافريقية لتنجانيقا» ثم تطورت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وزاد اهتمامها بالسياسة عندما عين يوليوس نيريري رئيسا للجمعية — او للنادي اذا شئنا — في عام ١٩٥٣ ، والذي طورها في العام التالي لذلك وحول الجمعية الى حزب سياسي في عام ١٩٥٤ .

والبعض الاخر لاياخذ هذه الفترة في الاعتبار ويذهب مباشرة الى ان الحزب تكون في عام ١٩٥٤ وان نيريري في تلك الوقت كان احد اثنين من خريجي الجامعات في تنجانيقا كلها احتلى منصب الرئاسة بلا منازع فدعم مركزه السياسي بتحويل الجمعية الى منظمة سياسية .

أهداف الحزب وطبيعته

والمهم ان الحزب منذ ذلك التاريخ بادر فحدد اهدافه في المؤتمر الافتتاحي ، فقال انه يكرس حركته «لاعداد شعب تنجانيقا للحكم الذاتي ثم الاستقلال ، مستهدفا في الوقت نفسه محاربة القبلية وكافة الاتجاهات الانفصالية ، ومقتلعا من طريقه اى اثر للعنصرية والتمييز اللوني ، وتحقيق الاغلبية الافريقية في الحكومات المحلية والحكومة المركزية ومشجعا قيام الحركات النقابية والتعاونية والوصول الى فرض التعليم المجاني اجباريا على كل طفل افريقي .. »

وقد نص دستور الحزب فيما نص وقتها على عدم تمليك الاجانب الارض وعلى الحد من هجرة الاجانب الى تنجانيقا .. حتى لاتزداد حدة الصراع والتمييز العنصري» . كما نص على معارضة اية حركة تهدف الى ادخال تنجانيقا في وحدة او اتحادات فيدرالية مع اقاليم شرق افريقيا الاخرى «**حتى يصدر طلب هذه الوحدة من اهالي هذه الاقاليم انفسهم**»

وفتح باب العضوية لاى افريقي او افريقية يبلغ او تبلغ من العمر ١٨ عاما ، يقبل اهداف الحركة ، كما فتح الباب لكافة المنظمات الشعبية الافريقية للانضمام كالنوادي الرياضية والهيئات الثقافية والقبلية والنقابية .

ويذهب البعض الى ان شخصية نيريري هي وحدها التي نجحت في ان تجمع بين صفوف حزب «تانو» مستخدما شخصيته القومية في جمع ا..ء المختلفة في تيار واحد .. فزعماء الطبقة المتوسطة ورؤساء الجمعيات التعاونية الذين يتولون عملية تسويق وبيع قطن تنجانيقا كانوا من اقطاب الحزب .. كذلك كان نيريري يجمع بعض رؤساء القبائل التقليديين الذين آمنوا معه بضرورة المطالبة بحق تقرير المصير ، وكانوا عونا كبيرا له في جمع المزيد من اصوات ابناء الشعب وتاييدهم ، بل وفي نشر رسالة الحزب ايضا .. كما كانت المنظمات العمالية تمثل قطاعا هاما من قطاعات الاتصال بين الحزب وبين عنصر هام من العناصر الشعبية ..

ومن العناصر التى ساهمت في ب.. الحزب والتى لايمكن اغفال ذكرها مطلقا عند مناقشة قوة الحزب او درجة تنظيمه ، موظفو الحزب .. او بمعنى ادق الجهاز الادارى والفنى في الحزب ... فهناك ثمة ٢٠٠٠ شخص من المؤمنين باهداف الحزب يعملون كموظفين به — ومعظمهم من المدرسين السابقين والكتبة وموظفى الحكومة وصغار التجار .. وبالرغم من ان الاضواء لاتسلط كثيرا على هذا الجهاز الادارى فانه ولاشك جهاز له وزنه السياسى ويعتبر جزء لايتجزأ من بناء الدولة نفسه كما انه قريب من الشعب .

ولعل ابلغ دليل على قوة هذا الجهاز وضح في الازمة التى جاءت عقب الاستقلال .. اذ الواقع ان هذه الازمة لم تكن بمثابة «ثورة من ثورات البلاط» قام بها بعض الوزراء الذين شعروا بقوتهم ولكنها كانت ازمة في داخل حزب تانو اولا واخيرا وكانت اهم ازمة مر بها منذ تكوينه .. اذ يبدو ان هناك جناحا في حزب تانو كان قد بدأ يناقش المشكلات على مستوى مثالى يتفق والظروف التقليدية التى تملأ اجواء مابعد الاستقلال مثل حشد كافة الجهود والامكانيات لبناء الدولة المستقلة الجديده بينما كان هناك جناح اخر معظمه من اعضاء هذا الجهاز الادارى والفنى جاءوا وفي اذهانهم عدد من المشكلات القديمة المترسبة التى لم تجد بعد حلولا لها مثل «افرقة» الوظائف والمؤسسات بقدر الامكان وضرورة حرمان كل غير افريقى من اى حقوق سياسية .. ولقد تطور هذا التيار حتى اصبح يؤيد الاشتراكية التى تضع حلولا اقتصادية حاسمة لصالح الجماهير ، وتؤيد القضايا التحررية في القارة وتحارب الاستعمار بكافة اشكاله ، حتى على مستواه البسيط مثل الخيلاء الذى يحس به غير الافريقيين من الاوروبيين والهنود وتعاليهم على الوطنيين مما تمثل في حوادث اهانة الوطنيين ومنعهم من دخول بعض الفنادق الكبرى وانتهاء الامة بطرد اصحاب هذه الفنادق وكلهم من الاوروبيين .

ولقد اتخذت هذه المناقشات شكلا حادا انتهت باعلان نيريري استقالته من رئاسه الحكومة وتفرغه للحزب ليكون قريبا من الشعب ويعايشه بعيدا عن تحلقات السياسة التقليدية .. وعين نيريري اقرب الناس اليه والى قلوب الشعب في الوقت نفسه

رشيدى كواوا (٣٢ سنة) ورئيس اتحاد العمال التابع للحزب .

ويعد اوسكار كامبونا سكرتير عام حزب تانو ممثل هذا الجهاز الادارى — وقائده الفعلى .. والقى نيريرى خطابا بمناسبة الاحتفال بالعيد الثامن لمولدحزب (تانو) فى اعقاب هذه المواقف فدعا الشعب الى التفكير فى مشاكل الاستقلال التى سيواجهها وان يعمل على الفوز بالاستقلال الاقتصادى قائلا ان الاستقلال السياسى الذى حصلت عليه البلاد لن يكون له معنى بدون استقلالها الاقتصادى .

ولم ينته الصراع الايديولوجى فى حزب تانو الا عندما تكونت لجنة رئاسية لوضع الحياة الدستورية للدولة والحياة الدستورية للحزب تنص على الاسس الرئيسية للخطوط السياسية الجديدة .

وفى الثامن والعشرين من يناير عام ١٩٦٤ اعلن الرئيس جوليوس نيريرى اسس الوحدة الفكرية بتشكيل لجنة رئاسية لبحث التغييرات التى ترى اجراءها على دستور تنجانيقا ودستور اتحاد تنجانيقا الوطنى الافريقى (تانو) والهيئات الحكومية لادخال نظام الحزب الواحد فى تنجانيقا .. وقال نيريرى ان اللجنة تمثل الان تمثيلا عادلا وانها تنسم شخصيات من المنظمات والاجهزة المختلفة مثل : اتحاد تنجانيقا الوطنى (تانو) والحركة التعاونية ، والمحاربين القدامى ، ومواطنى البلاد غير الافريقيين (وهم اساسا الهنود) ومن الجهاز الحكومى .. وضمت اللجنة بالاضافة الى ذلك المدعى العام وهو المستشار الرئيسى القانونى للحكومة . كما اعلن امكان انضمام مستشارين خبراء من غينيا ويوغوسلافيا ..وعلى وجه التحقيق فان هذه الاتجاهات تجسدت فى رشيدى كواوا نائب رئيس الجمهورية ، واوسكار كامبونا وزير الخارجية والدفاع ، والشيخ عمرى عبيدى وزير العدل ، ولوسى لاميك السكرتير البرلمانى لوزارة التعاونيات وتطوير المجتمع ، وبهوك مونانكا السكرتير البرلمانى لمكتب نائب رئيس الجمهورية ، والدكتور ل. سترلنج عضو البرلمان واحد مواطنى تنجانيقا غير الافريقيين ، والزعيم ب.أ. ماريبل احد المحاربين القدامى ورئيس اللجنة الحكومية المحلية ، وا. مصطفى احد المحامين غير الافريقيين فى تنجانيقا ، ورولاند براون المدعى العام ، وا.ج نسيكيلا السكرتير الدائم لوزارة الخارجية والدفاع وم.بومانى نائب المحامى العام ، وج.أ . ناماتا السكرتير الادارى لوزارة التنمية والتخطيط .

وعين نيريرى رشيدى كواوا رئيســــا للجنة ونسيكيلا سكرتيرا لها .. وقد استدعى قيام الوحدة بين زنزبار وتنجانيقا فى دولة متحدة هى تنزانيا فى ٢٦ ابريل ١٩٦٤ ، توسيع نطاق اللجنة لكى تضم ممثلين عن زنزبار فاصدر نيريرى مرسوما بتعيين اربعة من مواطنى زنزبار فى اللجنة .

وذكر نيريرى فى معرض تحديد المهام التى تختص بها اللجنة انه يعلم ان دولة نظام الحزب الواحد تاخذ اشكالا شتى .. وان بعض هذه الاشكال صالح والبعض الاخر ردىء ولهذا فان مهام اللجنة ان تضمن توصياتها افضل شكل لدولة الحزب الواحد تراه ملائما لتنجانيقا . واضاف انه لكى تقوم اللجنة بذلك فان عليها الا تبحث فقط فى دستور الجمهورية بل ايضا فى دستور تانو ومختلف اوجه النشاط الادارى على جميع مستويات الاجهزة الحكومية المحلية او المركزية .

واعلن نيريرى انه اصدر تعليماته للجنة بان تراعى فى دراساتها وابحاثها المبادىء التالية :

- ان تنجانيقا ستظل جمهورية على راسها رئيس تنفيذى .

- ضرورة المحــافظة على ســيادة القانون واستقلال القضاء .

- ضمان المساواة التامة بين جميع مواطنى تنجانيقا .

- كفالة الحرية المطلقة لابناء الشعب لاختيار فى نطاق حركة قومية واحدة .

- ضمان مساهمة الشعب باقصى حد ممكن فى الحكومة النابعة منه واشرافه فى المدى البعيد على جميع اجهزة الدولة على اساس الاقتراع العام .

- كفالة الحرية المطلقة لابناء الشعب لاختيار ممثلين منهم فى الهيئات التشريعية والنيابية فى نطاق القانون .

واكد نيريرى انه لايدخل فى عمل اللجنة ان تبحث فيما اذا كان على تنجانيقا ان تصبح دولة تاخذ بنظام الحزب الواحد أم لا ، لان هذا القرار قد تم اتخاذه بالفعل ، وانما يقتصر عمل اللجنة على ان تنتقى للبلاد شكل دولة الحزب الواحد فى اطار من قيمها القومية وطبقا للمبادىء التى طلب من اللجنة مراعاتها .

وذكر نيريرى فى معرض ارشاداته للجنة ان ارادة الشعب يجب ان تكون هى العليا وفوق اية ارادة اخرى لضمان قيام دولة ديمقراطية حقة .

ومن ثم فان على اللجنة ان تضع اسس العلاقة المثلى بين الحكومة والهيئة التشريعية وخصوصا فى ضمان تاييد الهيئة التشريعية للحكومةفيما تقوم به من اجراءات ضرورية .. وايضا فى اى نوع من النظام التاديبى — اذا وجد — يجب ان يكون تحت تصرف رئيس الحزب او رئيس الجمهورية فى علاقتهمعاعضاءالحكومة واعضاءالهيئةالتشريعية .

وقد بعثت اللجنة بعضوين من اعضائها احدهما الى يوغوسلافيا والاخر الى غينيا للاطلاع على النظم الدستورية المعمول بها فى هاتين الدولتين وقدما تقريرا ضافيا بعد عودتهما كانله اهميةكبيرة فى مساعدتها .

استطلاع رأى الجماهير الشعبية

واتجهت اللجنة الى الجماهير للاسترشادبرايها عملا بوصية نيريرى وشكلت لجنة للاستفتاء وضعت اسئلة وجهتها الى الشعب على اختلاف اشكاله وطوائفه ثم اخصت الاستفتاء فى نقاط :

● ان الغالبية تؤيد عدم فتح الباب على مصراعيه لعضوية «تانو» امام جميع المواطنين .. لان هؤلاء وان كانوا قد ابدوا استعدادا لقبول مبادىء الحزب الا ان فتح الباب لقبولهم جميعا يعنى تكدس خليط من الاتجاهات السياسة المختلفة قد يهدد وحدة الحزب ويصيبه بشلل فى داخله يؤدى الى انقسامات وتكون مجموعات .

● رات الاغلبيةبقاء الجمعية الوطنية (البرلمان) واللجنة التنفيذية القومية لان دور اللجنة التنفيذية هو وضع خطوط السياسة العامة للحزب بينما تقوم الجمعية الوطنية بوضع سياسة الحكومة موضع التنفيذ عن طريق التشريع كان هناك راى ضعيف يدعو الى دمج الفئتين ولكن الاجماع دعا الى ضرورة اجراء الانتخابات بطريق الاقتراع المباشر .

● رأت الاغلبية الاحتفاظ بالهيئات الحكومية مع لجان المناطق (لحزب تانو) على اساس ان وظائف كل منها مختلفةتماما عن وظائف الاخرى . وقال .. الجميع ان وظيفة الهيئات الحكومية المحلية تشمل تنفيذ القوانين وجمع الضرائب والاشراف بوجه عام على الناحية الادارية فى المنطقة، بينما تعتبر لجانالحزب فى المنطقةمسئولة عن نشر مبادىء الحزب وتثقيف الشعب بمهام بناء الامة وان تكون هذه اللجان رقيبة على الاعضاء المنتخبين محليا فى مجلس المنطقة والحيلولة دون انتشار الفساد فى المنطقة . وهكذا فان المؤسستين مختلفتانتماما فكلمنها تمارسنشاطا جوهرياولكنه متمايز عن نشاط الاخرى فى تعبئة الشعب ودفعه نحو التقدم .

● ذكرت الاغلبية العظمى من المشتركين فى الاستفتاء ضرورة ان .. يكون جميع المرشحين لانتخابات الهيئة التشريعية والهيئات الحكومية المحلية اعضاء فى «تانو» وان يدينوا للحزب بولاء غير مشكوك فيه ، وانه من المرغوب فيه ان يكون المرشحون مطلعين على مشروعات الحزب لتنمية البلاد ، وتعادل الراى فيما يختص بالسماح لاى شخص بترشيح نفسه وضرورة وضع مخطط يجرى على اساسه انتقاء هؤلاء المرشحين او تحديد عددهم .

اما بالنسبة لانتخاب رئيس الجمهورية فقد كان اجماع الراى العام على اتباع طريق الاقتراع المباشر بوصفه رمز الوحدة القومية ومسئولامام الشعب كله ومن اللازم ان يشترك كل الشعب فى انتخابه بصورة مباشرة . كما طالب البعض بان يكون انتخاب رئيس الجمهورية بطريق الاقتراع غير المباشر بالجمعية الوطنية (البرلمان) حتى ينتفى حطة قيام صراع بين الرئيس والجمعية الوطنية فى حالة انتخابه مباشرة من الشعب .

● تساوت اصوات الذين يقولون بان يكون اعضاء الجمعية التشريعية والهيئات الحكومية المحلية خاضعين للنظام والضبط الحزبيين ، وبين المنادين باعطائهم حرية غير مفيدة فى ابداء الراى ودعت الاغلبية الساحقة الى السماح لهم بالانضمام للحزب . بينما قطع الجمهور بضرورة تضحية الموظفين بمناصبهم اذا ارادوا العمل بالسياسة والا يجمعوا بين العملين ، ذلك ان عمل الموظفين هو تنفيذ سياسة الحكومة بينما عمل السياسيين هو وضع هذه السياسة .

● وتساوت اصوات الذين يقولون بضرورة عضوية الجمعية التشريعية للوزراء او تحللهم من هذا الشرط .. اذ يقول اصحاب الراى الاول بان الجمعية التشريعية هى مكان التقاء الشعب بالجهاز التنفيذى ، بينما يقول اصحاب الراى الثانى ان النص علىعضوية الجمعية التشريعية يقيد رئيس الجمهورية فى اختياره للوزراء .

الطابع الديمقـراطى للتنظيم

والعلاقة بين الحزب والحكومة

وقسمت اللجنة توصياتها النهائية الى ثلاثة موضوعات رئيسية :

أولها الحزب طبيعته ودوره ... فتنجانيقا اذا كان عليها ان يكون لها حزبا واحدا فقط بموجب الدستور فلا يجب ان يفهم معناه قيام الصفوة المختارة التى تمارس من اعلى قيادة الجماهير لانفرادها بالسلطة ، لانه مفهوم يتعارض مع المبادىء الديمقراطية كمايريدها المجتمع الافريقى ومن الضرورى ان يكون الحزب جماهيريا وان تكون عضويته متاحة للجميع على اساس قبول طالب العضوية لمبادىء الحزب التى ينص عليها دستوره ، وهى مبادىء شاملة فضفاضة خالية من اى صيغ ايدلوجية ضيقة .. وهى بهذا .. تحظى بتايد الاغلبية الساحقة من شعب تنجانيقا .. وهو بهذا المعنى يصبح حركة قومية حقيقية .

وثانيها ، العلاقة بين المؤسسات الحكومية واجهزة الحزب فى ضوء مفهوم الحزب الواحد ، بحيث انه يعنى بالضرورة القضاء على التميز الحالى بين مؤسسات كل الحزب والحكومة .. الا ان هذا لا يعنى من ناحية اخرى ان المؤسسات الحزبية فى دولة نظام الحزب الواحد ستحل بالضرورة عمل المؤسسات الحكومية او العكس .. وانما يعنى انه ينبغى النظر الى كل المؤسسات على اعتبار انها مؤسسات متكاملة ، كما هو الحال فى العلاقة بين البرلمان كسلطة تشريعية واللجنة التنفيذية القومية للحزب بوصفها منظمتين ضرورتين .. فتختص اللجنة التنفيذية بوضع الخطوط العريضة لسياسة الدولة بينما يتركز اهتمام الجمعية الوطنية (البرلمان) على سن القوانين لوضع هذه السياسة موضع التنفيذ وممارسة الاشراف الفعال على جميع الانفاق فى الحكومة ».

وثالثها ، تشكيل الجمعية الوطنية التى تضم ۱۰۷ عضوا منتخبا وعشرة معينين ، وتقترح اللجنة ان يضم اليها محافظى الاقاليم وهم فى نفس الوقت سكرتيرى الحزب الاقليميين ليتم من خلالهم الاتصال الحكومى الحزبى الشعبى ، كما يضم ١٥ عضوا اخرين يمثلون الاتحاد الوطنى لعمال تنجانيقا والحركة التعاونية واتحاد الغرف التجارية والجامعة وبعض المؤسسات الاخرى التى يختارها رئيس الجمهورية . على ان يتم ترشيح هاتين الفئتين عن طريق اللجنة التنفيذية القومية للحزب وان يقترع عليها اعضاء الجمعية الوطنية قبل اعتماد عضويتها ».

ووضعت اللجنة مواصفات لاختيار المرشحين للجمعية الوطنية بوصفهم اعضاء فى الحزب يحظون بتاييد شعبى فى دوائرهم من المعروفين بالامانة .. والشرف ، لاتقل اعمارهم عن ٢١ عاما .. واللجنة تدرك انه من الصعب وضع مقاييس موضوعية للحكم على المرشحين ولذلك فهى تقول بصعوبة اقتراح نصوص قانونية لتحديد هذه الصفات بالتالى ، ولذلك فقد وضعت اسسا عامة للاختيار .

فما ان تعلن اللجنة التنفيذية القومية قائمة المرشحين فى الدائرة حتى تتكون لجنة من ٢٥ شخصا من الناخبين فى الدائرة يصوت كل منهم لثلاثة فقط .. وتختار اللجنة التنفيذية القومية ثلاثة من القائمة دون التقيد بمجموع الاصوات مسترشدة برأى لجنة المنطقة التى عليها ان تقدم هؤلاء الثلاثة الى الناخبين فى الدائرة لاختيار واحد منهم على ان تتولى هى تنظيم الحملة الانتخابية وعقد الاجتماعات برئاسة امين الحزب فى المنطقة وفق خطة منظمة يضعها الحزب لمنع استغلال المسائل القبلية او العنصرية او الدينية من جانب المرشحين

ولاحظت اللجنة ان هناك فرقا كبيرا بين المناقشات التى تجرى فى الجمعية الوطنية ومناقشات اللجنة التنفيذية القومية وانه باستثناء مرات قليلة فقد اتسمت مناقشات الجمعية الوطنية بالروتين فى الوقت الذى تعرضت فيه جميع اوجه سياسة الحكومة لمناقشة عنيفة فى اللجنة التنفيذية القومية وكان الطابع العام لهذه المناقشات صريحا وبدون رهبة على اساس من المساواة المطلقة للاعضاء . ووصفت اللجنة هذا الاسلوب الفكرى بين اعضاء الجمعية الوطنية بانه نابع من شعورهم الضيق بالالتزام . وان على الاعضاء ان يتحرروا من اية التزامات نحو الحزب الذى اختيروا على اساس انتمائهم اليه على شرط الا تتعدى هذه الحرية المبادىء الاساسية للحزب . اما فيما عدا ذلك فتترك الحرية كاملة لمناقشات الجمعية الوطنية وان تقر الحكومة والحزب معا بحق الاعضاء فى الانتقاد والاستجواب ».

واشارت اللجنة الى ضرورة الارتباط الوثيق بين الحزب والعمال والحكومة فى بلد حديث الاستقلال تقود جماهيره حركة سياسية واحدة وتقوم بتطوير اقتصاده على اسس اشتراكية .. لذلك فان الدور الملقى على عاتق الطبقة العمالية له اهمية

بالغة من اجل تحقيق هذه المهمة . فانه لايمكن تحقيق اهداف الخطة الخمسية بدون قيام تعاون ايجابى مع العمال المنظمين فى حركة عمالية نقابية .

واللجنة توصى باستمرار التعاون الوثيق بين الحركة التعاونية والحزب والحكومة وترى اللجنة انه ولو ان هناك ارتباط حقيقى بين التعاونيات و «تانو» الا انه ليس هناك روابط تنظيمية بينها وبين الحكومة كما هو الحال مع الاتحاد الوطنى لعمال تنجانيقا .. ولو ان هذا ليس بالامر السيىء لان هناك اختلافا بين الحركة التعاونية والحركة العمالية من حيث وظيفة كل منها .. فانه يكفى حتى الان رقابة الحكومةعلى التعاونيات .. وفى النهايةفانه من المستحسن انيكون للحركةالتعاونيه حق التمثيل فى اللجنة التنفيذية القومية للحــــزب كما هو الحال بالنسبة للاتحاد الوطنى للعمال .

ومن خلال هذه المفاهيم خرج الدستور الجديد لاتحاد تنجانيقا الوطنىالافريقى او حزب «تانو» او حزب « ٧ — ٧ » كما يطلقون عليه احيانا لانه تكون فى٧ يوليو عام ١٩٥٤ .. واول كلمة فى الدستور قالت ان المنظمة اسمها اتحاد تنجانيقا الوطنى الافريقى ونص الدستور على صفة الحزب او تانو سوف تطلق على الاتحاد وان مركزها دار السلام .. واما الكلمة الثانية فى الدستور فقد رسمت الشخصية السياسية للاتحاد على اساس ان تانو يؤمن بان جميع البشر متساوون لهم الحق فى التمتع بالاحترام و[illegible] متكامل من الامة له حق المساهمة بنصيب متساو فى الحكومة سواء على المستوى المحلى او الاقليمى او القومى وله حق ممارسة حرية التعبير والحركة والعقيدة الدينية والانضـــــمام الى أى جمعية فى حدود القانون وان على المجتمع فى مقابل ذلك ان يحمى حياته وان يحافظ على ممتلكاته التى يصرح بها القانون ، لان جميع المواطنين يشتركون معا فى تملك مصادر الثروةالقومية فى بلادهم وهى امانة فى اعناقهم لاحفادهم ، وتمارس الدولة اشرافا فعالا على وسائل الانتاج الرئيسية وتتدخل بصورة فعالة فى الحياةالاقتصادية للامةمن اجل كفالةالحياة الرغيدة لجميع المواطنين ولمنع استـــغلال شخص لشخص اخر ، او جماعة لجماعة اخرى وللحيلولة دون تراكم الثروة الى الحد الذى يؤدى الى خلق طبقات فى المجتمع يستغل بعضها البعض .

ومن هذا المفهوم الاشتراكي الواضح وضع الدستور الجديد اهدافه الرئيسية فى تدعيم استقلال البلاد والمحافظة على حرية شعبها وحماية كرامته من خلال ضمان قيام حكومة ديمقراطية اشتراكية فى البلاد تنبثق عن الشعب تتعاون مع جميع الاحزاب السياسية الافريقية التى تعمل من اجل تحرير افريقيا .

ومن اجل تحقيق هذه الاهداف فعلى الحــزب ان يتأكد من قيام حكومة تستغل كل مصادر البلاد تمارس سيطرة فعالة على وسائل الانتاج الرئيسية وتسهل تحقيق الملكية الجماعية لمصادر الثروة فى البلاد وان تشترك كلما امكن بصورة مباشرة فى التنمية الاقتصادية فى البلاد وتقضى على كل اشكال الاستغلال والفسادوالرشوةولتكفلفرصا متساوية للعمل للجميعدون تمييز فىالسن او الدين اوالوضع الاجتماعى ، وتتعاون مع الدول الاخرى فى افريقيا لتحقيق الوحدة الافريقية من اجل السلام والامن العالميين عن طريق منظمة الامم المتحدة .

ونصدستور حزب تانو علىفتح ابوابالعضوية لمن يقبل هذه المبادىء ولا يقل سنه عن ١٨ سنة، فى مقابل رسم انتماء قدره شلنان على ان يدفع اشتراكا شهريا ٥٠ سنتا . وتسقط ال[illegible]وية عن العضو فى حالة الاستقالة او الطرد وفتح الدستور عضوية الارتباط امام كل المنظمات التى تقبل اهداف الحزب اذا تقدمت بطلب ذلك الى اللجنة التنفيذيه القومية عن طريق السكرتير العام لتانو .. واذا قبلت فعليهـــا ان تدفع ٢٠٠ شلنا كرسم انتمـــاء وللحزب ان يطالبها بالمساهمة فى صندوق الحزب ويرتبط بالحزب حاليا منظمات الاتحاد الوطنى لعمال تنجانيقا (نوتا) والاتحاد التعاونى لتنجانيقا (كت) وجمعية تنجانيقا الافريقية للاباء .

والخلية هى الوحدة الاساسية القاعدية لحزب تانو .. وقد رات اللجنة التنفيذية للحزب ادخال نظام الخلايا فى الحزب لدعم قيادته كما رات ان تتالف الخلية من ١٠ منازل فى الحى وزعيم لهم يسكنون جميعا فى شارع او حى سكنى .. ويجرى تشكيل خلايا الحزب على مستوى الحى او الاقليم .. وينقسم كل فرع فى الاقليم الى خلايا ، ومن ثم فعلى رئيس لجنة الفرع وسكرتيرها ولجنة الفرع التنفيذية مهمة تكوين الخلايا لمعرفتهم بجميع اعضاء الحزب فى الفرع فاذا تم تشكيل الخلية يعقد اجتماع لكل اعضائها لانتخاب رئيس لهم ويشترك فى هذا الانتخاب اعضاء الحزب .. ولايجوز ان يرشح لمنصب الرئيس عضو من غير اعضاء الحزب .. وتقوم واجبات قادة الخلايا على :

ـ شرح سياسة الحزب والحكومة للشعب .

ـ استطلاع اراء الجماهير وتوصيلها للحزب والحكومة .

ـ جمع الاشتراكات المستحقة للحزب وحث افراد الشعب للانضمام للحزب .

ـ المحافظة على السلام والامن فى البلاد عن طريق اطاعة القوانين واللوائح المتبعة .

ـ حث افراد الشعب على دفع الضرائب .

ـ العمل على قيام اقوى تعاون ممكن بين اعضاء الخلايا فى الحزب .

ـ تولى المسئولية كاملة لشئون الحزب فى الخلية ويكون مندوبا لها فى المؤتمر السنوى للفرع ويكون عضوا فى لجنة التنمية فى الفرع او الحى .

وعلى قادة الحزب فى المستويات العليا ان يطلعوا قادة الخلايا على الخطوط السياسية للحزب وان يبلغوهم اولا باول بكل مايستجد من امور .. وعلى هؤلاء ان يرفعوا تقاريرهم اسبوعيا لسكرتير الفرع او الى امناء الفروع اذا مادعت الحاجة لذلك .. ولاعضاء الخلايا قسم يعلنونه مع قادتهم « بعدم استغلال مركزه او مركز اى فرد آخر للحصول على منفعة شخصية أو مزايا خاصة » .

والمستوى التالى للخلية هو الفرع ويتكون من تشكيلين : المؤتمر السنوى واللجنة التنفيذية للفرع .. فاما المؤتمر السنوى فيتشكل من اعضاء الفرع وهم جميع رؤساء الخلايا وجميع اعضاء المجالس الحكومية فى الفرع وممثل واحد من كل امانة من امانات الحزب فى الفرع وهى امانة المراة ومنظمة الشباب وامانة الاعضاء كبار السن .. وينتخب المؤتمر السنوى رئيس الفرع والمندوبين للمؤتمر السنوى للمنطقة و٦ مندوبين للجنة التنفيذية للفرع ويناقش المسائل ذات الاهمية المحلية ونشاط الفرع حسب تقرير السكرتير ويرفع توصياته بهذا الشان للمنطقة ويجتمع مرة كل عام .

اما اللجنة التنفيذية للفرع فتتشكل من ٦ مندوبين من المؤتمر السنوى وممثل من امانات الحزب (المراة والشباب والمحاربين القدماء) .. ومسئولية اللجنة التنفيذية هى تنفيذ قرارات المؤتمر الوطنى واللجنة التنفيذية الوطنية والمؤتمر الاقليمى والمؤتمر السنوى للمنطقة والمؤتمر السنوى للفرع . كما تقوم بتنسيق نشاط الحزب فى نطاق الفرع وتعقد دورتها كل شهر .

وتتكون الامانة فى الفرع من الرئيس والسكرتير .. فاما الرئيس فينتخب من المؤتمر السنوى للفرع واما السكرتير فيعين من قبل اللجنة المركزية . ومن الجائز ان يتقاضيا مرتبات اومخصصات حسب قرار اللجنة المركزية .

وعلى نفس الشكل تتكون امانة المنطقة من المؤتمر السنوى واللجنة التنفيذية للمنطقه [illegible]انة من الرئيس والسكرتير ويزيد التشكيل الحزبى فى المنطقة لجنة اخرى تسمى اللجنه العامله . وبنفس الطريقة يتم تشكيل اللجان والامانات ولها نفس الاختصاصات والواجبات ولكن على مستوى المنطقه الا بالنسبة للجنة العاملة التى تتلخص اختصاصاتها فى الواجبات الادارية والماليه فى المنطقة وتجتمع كل اسبوعين .

وكذلك .. بنفس التشكيل يرتفع بناء التنظيم فى حزب (تانو) الى مستوى الاقليم، المؤتمر الاقليمى ثم اللجنة التنفيذية ، ثم اللجنة العاملة الاقليمية والامناء العموميون للاقليم . وتضم [illegible] الاعضاء المنصوص عليهم فى الفرع او المنطقة بزيادة اعضاء البرلمان الممثلين للدو[illegible] هذا الاقليم ومندوب عن كل منظمة مرتبطة بالحزب وتتشكل هذه اللجان بنفس الطريقة ولها نفس الاختصاصات على مستوى الاقليم .

ويرتفع البناء التنظيمى على هذا الاساس ليصل الى المستوى القومى .. وهناك فى المستوى القومى يتشكل التنظيم من المؤتمر الوطنى والمؤتمر الانتخابى واللجنة التنفيذية الوطنية واللجنة المركزية واللجنة التاديبية وهيئة رئاسية .

وبالطريقة الهرمية المتبعة يتكون المؤتمر الوطنى من :

مندوبان منتخبان من كل منطقة .. جميع اعضاء البرلمان .. جميع رؤساء المناطق فى الحزب .. جميع سكرتيرى المناطق للحزب .. اعضاء اللجنة المركزية المعينون من قبل الرئيس . [illegible]ع اعضاء اللجنة التنفيذية الوطنية .. مندوب واحد من كل منظمة مرتبطة بالحزب ..

ويعتبر المؤتمر الوطنى اعلى هيئة للحزب ويكون مسئولا عن وضع السياسة العامة للحزب ويشرف بوجه عام على نشاط جميع اجهزة الحزب ويجوز له أن يشكل لجانا .. وينتخب له رئيســا وفائيا للرئيس .. وله كل السلطات الدستورية فى الحزب من الموافقة على القرارات التى تتخذها كل اجهزة الحزب فى كل المستويات او رفضها او تعديلها .. ويجتمع المؤتمر الوطنى مرة كل عامين ورئيسه هو رئيس الحزب وينتخب منه ١٦ عضوا فى اللجنة التنفيذية الوطنية ..

اما المؤتمر الانتخابى فلا يعقد الا عند انتخاب رئيس الجمهورية ويتشكل من كل من له حق حضور المؤتمر الوطنى .. واللجنة التنفيذية الوطنية هى الجهاز التنفيذى الرئيسى المسئول مباشرة امام المؤتمر الوطنى .. وتتشكل من اعضاء اللجنة المركزية للحزب و١٦ مندوبا ينتخبهم المؤتمر الوطنى وسكرتيرى الاتحاد الوطنى للعمال واتحاد التعاونيين والاباء . وجميع رؤساء وسكرتيرى الاقاليم ومندوب منظمة الشباب ومدير عام رئاسة الجمهورية والمدعى العام ، والمحامى العام على ان يكونوا اعضــاء فى الحزب ..

وتفاصيل مهام اللجنة التنفيذية تدور حول انتخاب السكرتير العام وامين الصندوق وتعيين المحاسبين للحزب ومناقشة اسماء المرشحين للانتخابات وتقدير مصروفات الحزب السنوية وبحث المسائل المطلوب رفعها للمؤتمر الوطنى ووضع تقرير عن الافراد فى الحزب . وتجتمع اللجنة التنفيذية كل ثلاثة اشهر

وتختص اللجنة المركزية بالشئون اليومية للحزب .. وتتشكل من الرئيس ونائبه والسكرتير العام وامين الصندوق وعدد من الاشخاص المعينين من قبل الرئيس وهى مسئولة امام اللجنة التنفيذية ..

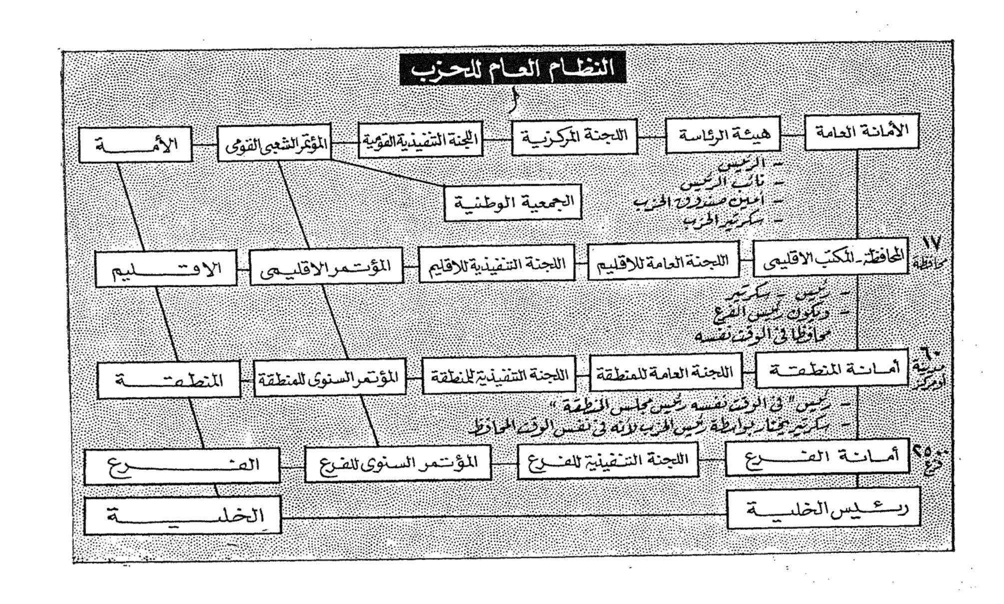
وتتكون لجنة تسمى هيئة الرئاسة فى الحزب من الرئيس ونائبه والسكرتير العام وامين الصندوق الوطنى وهى تباشر العمل فى حالة غياب كل هذه اللجان على اعلى المستويات ..

ولحزب تانو اربعة امناء وثلاثة امانات فقط .. فاما الامناء الاربعة فهم الرئيس ونائب الرئيس والسكرتير العام وامين الصندوق .. واما الامانات الاربعة فهى امانة المرأة وامانة منظمة شباب تانو .. وامانة الاعضاء كبار السن وهؤلاء هم الامناء والامانات القادرة على العمل الافقى فى حزب تانو كله ..

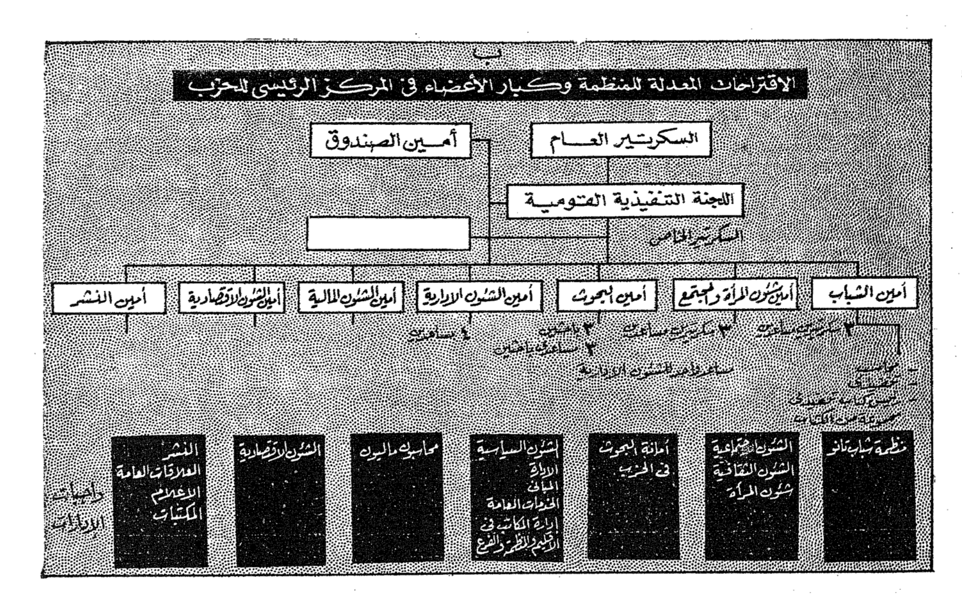
ويشكل الحزب هيئة تسمى هيئة الوصاية للاشراف على جميع ممتلكات ومنقولات الحزب .. وله الحق فى ممارسة اى نشاط يؤدى الى دعم مبادىء الحزب واهدافه واغراضه ، كما يجوز له تشكيل اى هيئة يراها ضرورية ليحقق هذا الهدف ..

امام احد امناء الحزب يصبح المواطن عضوا فى حزب (تانو) بعد ان يؤدى قسما يثبت فيه ايمانه بدوره وبان قوته تقوم على اتحاد بالاعضاء الاخرين وثباتهم .. وانه سيكون متواضعا مدفوعا لعمله السياسى بتصميمه على فعل الخير لاكبر عدد من الناس .. وانه يرغب فى اقامة حكومة عادلة وخيرة للجميع وان يلتزم بالاسس التالية :

- انه يؤمن بالاخاء العالمى للبشر وبوحدة افريقيا
- انه سوف يخدم باخلاص بلاده وشعبه .
- انه سوف يستخدم كل جهوده من اجــل القضاء على الفقر والجهل والمرض والفساد ..
- ان الفساد يضلل العدالة وانه لن يقبل رشوة او يقدمها ..
- انه لن يستخدم ابدا مركزه الحــكومى او مركز اى شخص اخر لمنفعة شخصية او فائدة خاصة .
- انه سيضع مهارته وعلمه فى خدمة شعب تنجانيقا وانه سيسعى دائما الى الاستزادة من المعرفة والمهارة ..
- انه سيشترك بفعالية فى بناء الامة ..
- انه سيقول دائما الصـــدق ولن يحمل اى ضغينة لاحد ..
- انه سيكون عضوا مخلصا لتانو ومواطنا صالحا لشعب تنزانيا وافريقيا ..
- انه سيكون مخلصا لرئيس جمهورية تنزانيا المتحدة ..



النظام العام للحزب
الأمانة العامة
هيئة الرئاسة
اللجنة المركزية
اللجنة التنفيذية القومية
المؤتمر الشعبي القومي
الأمـــة
الجمعية الوطنية
- الرئيس
- نائب الرئيس
- أمين صندوق الحزب
- سكرتير الحزب
١٧ محافظة
المحافظة - المكتب الاقليمي
اللجنة العامة للاقليم
اللجنة التنفيذية للاقليم
المؤتمر الاقليمي
الاقـــليم
- رئيس - سكرتير
- ويكون رئيس الفرع محافظا في الوقت نفسه
٦٠ مدينة أو مركز
أمانة المنطقة
اللجنة العامة للمنطقة
اللجنة التنفيذية للمنطقة
المؤتمر السنوي للمنطقة
المنطقــة
- رئيس "في الوقت نفسه رئيس مجلس المنطقة"
- سكرتير يختار بواسطة رئيس الحزب لأنه في نفس الوقت المحافظ
٢٥٠٠ فرع
أمانة الفرع
اللجنة التنفيذية للفرع
المؤتمر السنوي للفرع
الفـــرع
رئيس الخلية
الخليـــة



ب
الاقتراحات المعدلة للمنظمة وكبار الأعضاء فى المركز الرئيسى للحزب
السكرتير العام
أمين الصندوق
اللجنة التنفيذية القومية
السكرتير الخاص
أمين الشباب
أمين شئون المرأة والمجتمع
أمين البحوث
أمين الشئون الإدارية
أمين الشئون المالية
أمين الشئون الاقتصادية
أمين النشر
٣ باحثين
٤ مساعدين
منظمة شباب تانو
الشئون الاجتماعية
الشئون الثقافية
شئون المرأة
أمانة البحوث فى الحزب
الشئون السياسية
الإدارة
المبانى
الخدمات العامة
إدارة المكاتب فى الإقليم والقطر والفرع
محاسبون ماليون
الشئون الاقتصادية
النشر
العلاقات العامة
الإعلام
المكتبات
واجبات الإدارات

افريقيا
من العبودية إلى الاشتراكية



سعد زهران

اطبق الظلام على افريقيا منذ حوالى خمسة قرون .

ففى أواخر القرن الخامس عشر طاف المستكشفون البرتغاليون بشواطىء القارة . وفى أعقابهم جاء تجار أوروبا ومغامروها ومبشروها ليقيموا على أرض القارة السوداء أكبر سوق للرقيق فى التاريخ .

واستمرت السوق أربعة قرون كاملة حرمت القارة أثناءها خيرة ما أنجبت من قسوة بشرية . أختطف خلال هذه القرون حوالى مائة مليون من الادميين ، الاباء والامهات من بين أطفالهم الرضع وأهلهم الطاعنين ، والفتيان والفتيات من بين ذويهم واحبائهم ، وكلهم من الشبان القادرين ، ليساقوا مكبلين بالسلاسل،حيث الحياة الحيوانية فى حظائر البهائم ، والعمل الشاق تحت السياط ثم الموت التعس بلا استشهاد . واذ اقيمت سوق الرقيق وازدهرت، تعطلتطور المجتمعات الافريقية التى كانت قد بدأت تسير فى مدارج حضارة عريقة تشهد بها امبراطوريتا غانا ومالى القديمتان وأبقى النخاسون الاوربيون على النظم البدائية وسيدوها . ودفعوا القبائل الافريقية الكبرى — فى صراعها المستميت من أجل البقاء — الى قتال دام ضد بعضها البعض . ومزقوا القارة شر ممزق — أرضا وأهلا ، ودفعوا أصحابها الى حافة الموت — فقرا وخوفا . هذا ، بينما اغتنى تجار أوروبا ومغامروها وفرك المبشرون أكفهم فرحا باتساع مملكة الكرادلة والبابوات .

وكأنما كان تجار غرب أوروبا وقراصنتها على موعد مع عصبة عسكرية غشوم فى شرق أوروبا ففى اوائل القرن السادس عشر ، لم تكد تنتهى معركة مصر الخاسرة مع أساطيل البرتغال شرقى أفريقيا فى مياه المحيط الهندى وحول مداخل البحر الاحمر الجنوبية ، حتى كانت جحافل العثمانيين تزحف مسرعة عبر الشام ، حيث انكسرت جيوش مماليك مصر ، بعد أن كانت قوتهم قد استنزفت ، ومواردهم قد نضبت بفعل التحدى البرتغالى .

وبنضوب مواردمصر، ثم انهيار قوتها العسكرية فتحت بوابة أفريقيا الشمالية لقوى الظلام الاقطاعى فى أبشع صوره ، بعد أن ظلت مصر تذود عنها قرونا طويلة ، وتحفظ للحضارة العربية الاسلامية اتصالها وازدهارها منذ صلاح الدين .

الذى صمد للغزو الصليبى ، الى الظاهر بيبرس وخلفائه الذين صمدوا فى وجه المغول والتتر .

هكذا كان ظلام الاقطاع العثمانى فى شمال القارة العربى على موعد مع ظلام سوق الرقيق فى بقية القارة الزنجى .

وحتى الاحباش الذين تحصنوا فى ارضهم المنيعة ولاذوا بحضارتهم القديمة ، حصروا وحوصروا ، وحرموا — مع بقية شعوب القارة — من متابعة الفتوحات الباهرة للعلوم والفنون والافكار ، والتغيرات الكبيرة فى التعاليم والنظم والقيم — تلك التى تمخض عنها عصر النهضة على ارض أوروبا ، والتي فجرت فيما بعد الثورات الاوروبية البرجوازية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

استعباد شعوب القارة على أرضها

حتى اذا كان القرن التاسع عشر ، وانطلقت الثورة الصناعية من عقالها ، واخضعت الصناعة التجارة ، ثم امتزج راس المال الصناعى مع راس المال المصرفى فى راس مال مالى احتكارى قابض ، وسارت الراسمالية الاوربية المتقدمة حثيثا فى طريق الامبريالية ، تكشف الامبرياليون اساليب حديثة لاستعباد شعوب القارة على ارضها . وعندئذ لم يجد قراصنة الغرب بأسا من إيقاف تجارة الرقيق الكثيرة المتاعب الكريهة الرائحة وبخاصة أنها كانت قد استنفدت اغراضها فى انجاز عملية التراكم الراسمالي البدائى فى الغرب المتقدم . وفى مؤتمر برلين (سنة ١٨٨٥) تم تقسيم القارة بين الدول الاستعمارية الكبرى حينذاك ، حيث حظى اللصوص الكبار — من استعماريي بريطانيا وفرنسا بالنصيب الاوفى ، وحظى البلجيك والبرتغال والالمان والاسبان والطليان كل بنصيب وظل هذا التقسيم معمولا به حوالى ستين عاما (مع تعديلات طفيفة استبعدت الالمان بعد هزيمتهم فى الحرب العالمية الاولى ، ثم الطليان بعد هزيمتهم فى الحرب العالمية الثانية) .

وغنى عن الذكر ان الاقطاع العثمانى المتخلف فى شمال القارة ، وتجارة الرقيق فى بقية أجزائها أخليا السبيل للاستغلال الاستعمارى الزاحف فى نفس الحقبة التاريخية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

وبعد انَ كان التجار والمغامرون وتجار العبيد مكتفين باحتلال عدد من الموانى والمحطات التجارية والمراكز الامامية المتفرقة على شواطىء القارة ، رأينا الجيوش الامبريالية تخوض مسرعة فى دماء الافريقيين لتحتل أرض القارة كلها ولتكون فى حماية عملية الاستغلال الامبريالى القائمة اساسا على استغلال راس المال الاحتكارى فى التعدين وزراعة المحصولات التجارية ، وغيرها من الخامات اللازمة للصناعة الاوروبية ، مع تحطيم الاقتصاديات التقليدية فى القارة وتحويلها الى سوق للمنتجات الصناعية الاستهلاكية القادمة من الغرب المتقدم .

وحيث كانت علاقات الانتاج البدائية او الاقطاعية التقليدية قد بدأت تخلى السبيل لعلاقات انتاج راسمالية حديثة (كما كان الحال فى مصر) فان عملية الاستغلال الامبريالى تسللت الى المستعمرة فى يسر نسبى . اما فى معظم اجزاء القارة السوداء فان تصدير راس المال وحده لم يكن كافيا لاستغلال ثرواتها الطائلة ، وانما كان لا بد من تجنيد العمل الافريقى لاستثمار راس المال الاستعمارى فى التعدين والزراعة .

غير ان جذب الافريقيين للدخول فى دورة الانتاج الراسمالية لم يكن بالمهمة السهلة بسبب بقاء العلاقات البدائية فى كثير من ربوع أفريقيا من ناحية ، وسخاء ارضها وطبيعتها من ناحية اخرى . لذلك ، بدأت سلسلة جرائم جديدة ، لاتقل بشاعة عن جرائم سوق الرقيق ، تهدف الى دفع الافريقيين الى المجاعة لكى يجبروا على العمل الرخيص لاحتكارات التعدين ومزارع الاقليات البيضاء .

سرقة الاراضى

فى اواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن جرت عملية واسعة لتجريد الافريقيين من اراضيهم وحشرهم فى مساحات ومحلات وأماكن خاصة للاقامة ، فى «معازل» مضروب حولها نطاق صحى ومحظور عليهم ، فى أحوال كثيرة ، الا يتخطوها . ففى روديسيا الجنوبية مثلا ، اغتصبت ٤٩٪ من الاراضى المزروعة من اصحابها الافريقيين ، وقصر حق زراعتها على المستوطنين البيض . وفى جنوب افريقيا وصلت النسبة الى ٨٩٪ (!) وفى كينيا وضع ٦٠ الفا من البيض أيديهم على ١٦٫٥٠٠ ميل مربع ، هى ٣٠٪ من مجموع الاراضى الصالحة للزراعة . وطبيعى ان الاراضى المغتصبة هى اجود الاراضى ، واقربها الى الطرق الممهدة والسكك الحديدية ، وهى التى على صلة بمراكز التجارة والتسويق والموانى . بل ان التفرقة العنصرية فى هذا المجال وصلت الى حد تحديد سعرين مختلفين للمنتج الزراعى الواحد ، سعر عال لاصحاب المزارع البيض ، وسعر منخفض للزراع الافريقيين . ففى روديسيا الجنوبية — مثلا — كان السعر المحدد لكيس الذرة ، فى محصول عام ١٩٥٧ ، هو ٤٠ شلنا لاصحاب المزارع

البيض ، بينما الكيس نفسه يشترى من الزراع الافريقيين بسعر ٢٧ شلنا .

والادهى من كل ذلك ان غالبية الاراضى الخصبة التى طرد منها الافريقيون وحرمت زراعتها عليهم تركت بورا بلا زراعة ، ولا تحتل المزارع التى يملكها البيض الا نسبة ضئيلة منها . فحتى عام ١٩٥٧ لم يزرع المستوطنون البيض فى روديسيا الجنوبية الا ١ر١ مليون اكر من مجموع الاراضى الصالحة للزراعة التى يضعون أيديهم عليها والبالغ مساحتها ٤٨ مليون اكر (!!)

واذ حشر الافريقيون فى مساحات ضيقة ، وفرضت السوق الراسمالية الامبريالية عليهم حاصلات تجارية معينة ، اضطروا الى الاقلاع عن اساليب الزراعة الافريقية التقليدية التى تناسب ظروف التربة والمناخ الاقليمية ، والتى تعتمد على دورة الزراعة والرعى مع اعطاء الارض فرصة للراحة . وفرض الاوروبيون اساليب جديدة للزراعة انهكت التربة وافقرتها واصطحب ضيق المساحة التى يزرعها الافريقيون بانخفاض انتاجية الارض ، فتدهور مستوى معيشة الافريقيين المشتغلين بالزراعة الى حافة المجاعة ، بل ان المجاعة ضربت مناطق كثيرة تتفجر بأغنى الثروات الطبيعية لاول مرة فى تاريخ القارة (فى ١٩٤٦ ، مثلا ، انتشرت المجاعة فى ١٦ اقليما من أقاليم كينيا) .

الضرائب

جنبا الى جنب مع سرقة الاراضى وافقار الفلاحين الافريقيين ، فرض المستعمرون نظاما معينا للضرائب ، اهمها ضريبة الرأس ، بهدف اجبار «السكان الاصليين» على العمل فى المناجم ومزارع الاوروبيين للحصول على مبالغ نقدية يسددون منها الضرائب التى تفرضها السلطات وفى هذا الصدد لانجد أبلغ مما قاله السير برسى جيرورد ، وكان حاكما لكينيا عام ١٩١٣ ، قال : «اننا نعتبر أن الضرائب هى الوسيلة الوحيدة لاجبار سكان البلاد على ترك مناطق اقامتهم للبحث عن عمل ، انها الوسيلة الوحيدة لرفع تكاليف المعيشة عليهم ... وهذا هو الاساس الذى تقوم عليه سيطرتنا على مصادر العمل وتحديدنا لاسعاره . اذا رفعنا الاجور فان هذا من شأنه خفض مواردنا من العمل . ان زيادة الاجور سيمكن رب الاسرة او شيخ القبيلة من الحصول على ما يلزمه من ضريبة الرؤوس وضريبة الاكواخ بعدد أقل من العمال الذين يرسلهم للعمل خارج محلات اقامة الاهالى» .

وقد اجرى ب . ديرى بحثا عن بتشوانالاند فى الفترة بين ١٩٣٨ ، ١٩٤٢ ، جاء فيه أنه خلال هذه السنوات الاربع كان مجموع انفاق الاهالى ٧١٠ الف جنيه فى العام ، ولكن الدخل المباشر من العمل فى حدود المحمية لم يزد على ٢٤٣ الف جنيه ، بعجز سنوى قدره ٤٦٧ الفا . وبين ديرى أن ذلك الحد من الانفاق كان من المستحيل النزول عنه ، حيث يشكل جزء كبير منه من الضرائب المباشرة وغير المباشرة . وهكذا ، على حد قول ديرى : « لم يكن امام الافريقى الا ان يندرج فى عداد العمال لكى يوازن العجز فى ميزانية الاسرة عن طريق الاجر الذى يتقاضاه» .

وفى ٢٨ فبراير ١٩٥٩ ، كتب الباحث رونالد سيجال فى مجلة نيوستيتسمان تحت عنوان «مأساة جنوب أفريقيا» يقول : «لما كان من المستحيل على الافريقيين أن يقيموا أود ملايينهم الكثيرة على مساحات الارض المحدودة التى تركت لهم ، فانهم يضطرون الى ارسال الرجال القادرين الى العمل فى مزارع البيض ومدنهم .. واذا تحالف الحظ والاجتهاد لاعفاء البعض من هجر محلاتهم فان ضريبة الرأس (المفروضة على كل افريقى ذكر بالغ بين سن الثامنة عشر والخامسة والستين) قد رفعت فى العام الماضى بنسبة ٧٥٪ أو تزيد ، لكى تصل الى ٣٥ شلنا فى العام وهكذا تتكفل الحكومة بعمل ماعجزت مجاعة الارض عن تحقيقه» .

سخرة

كتب جاك ووديس(١) فى كتابه « جذور الثورة فى أفريقيا» يقول : «أعمل الامبرياليون سلاح الاكراه الاقتصادى لسوق الافريقيين الى العمل ، من مجاعة الارض وافقار الزراع الى فرض ضريبة الرأس وغيرها . غير أن الاكراه الاقتصادى وحده لم يكن كافيا لاشباع نهم أصحاب الاعمال الاوروبيين ، وبخاصة فى وجه المقاومة الصريحة من جانب الافريقيين . وعلى ذلك ، فان لم يسع الافريقى الى العمل عند الاوربيين بنفسه ، فلا بد من حمله قسرا على ذلك » .

وهنا أيضا نورد اعترافا صريحا على لسان أحد عتاة الاستعماريين هو الكولونيل ايوارت جروجان ، الذى كان عميدا للمستوطنين الاوروبيين فى كينيا ، كتب عام ١٩٠٢ يقول : «لقد سرقنا ارضهم ، وعلينا الان أن نسرق أيديهم وأرجلهم .. أن العمل الاجبارى هو النتيجة الطبيعية لاحتلالنا هذه البلاد» .

وقد ظلت السخرة نظاما مقرا ومعمولا به دون

(١) تعتبر كتب جاك ووديس اهم المراجع عن قارة افريقيا وقد نشرت الدار القومية اخيرا اهم واحدث هذه الكتب « افريقيا على طريق المستقبل » ترجمة احمد فؤاد بليغ .

حياء فى كل المستعمرات الافريقية حتى بعـد الاتفاق الدولى بتحريمها عام ۱۹۳۰ ، وانمـا لم يعدم الاستعماريون الاستمرار فيها تحت اقنعة قانونية مهلهلة ــ مثل الالتجاء اليها فى «حـالات الطوارىء» او « لخدمة الاغراض الحربيـة » او « لصيانة المنشآت العامة » . كذلك هنالك أشكال مقنعة من السخرة أو العمل الاجبارى مثل العمل لتسديد ضرائب متأخرة ، أو منع العمـال من ترك أماكن العمل كالمناجم والمزارع ، أو اجبار العمال على التوقيع على عقود عمل ، أو التجنيد الاجبارى الجماعى للايدى العاملة عن طريـق شركات أو مؤسسات تشرف عليها السـلطات الاستعمارية .. الخ

لنستمع الى الشكوى التى تقدمت بها رابطة شاجا الثقافية (من تنجانيقا) الى مجلس الوصاية التابع للامم المتحدة فى اكتوبر ١٩٥١ : «ان الرابطة تعترض بشدة على نشاط هيئة الانتفاع من العمل وتطالب بحلها . ان هذه الهيئة ، وهى مؤسسة حكومية ، أقرب الى سوق العبيد منها الى هيئة لتجميع القوى العاملة ان الافريقيين يجنـدون للعمل من كل انحاء البلاد بأساليب لايمكن أن توصف بأنها اختيارية . وينقل هؤلاء الافريقيون التعساء بعيدا عن قراهم مسافات تصل الى ٨٠٠ ميل فى ظروف تقشعر من هولها الابدان . ان الماشيـة تعامل معاملة افضل بكثير من هؤلاء العمال .. ان حفنة من الرجال الفاحشى الثراء امكنهم أن يكبلوا جماهير الافريقيين الفقراء بأغلال لاتفترق عـن أغلال العبودية الا قليلا» .

وفى ١٩٥٨ ، نشر مارفن هاريس ، أستـاذ الانثروبولوجى فى جامعة كولومبيا ، نشر بحثا عن المستعمرات البرتغالية فى أفريقيا جاء فيه : «ان كل الرجال فى هذه المستعمرات يعتبرون فى نظر القانون كسالى الا اذا ثبت العكس ، وكل مـن لايثبت أنه مستخدم عند أحد أصحاب الاعمال (وهم جميعا من الاوروبيين والبرتغاليين بصفة خاصة) يمكن تجنيده للعمل الاجبارى لمدة ستة أشـهر الا اذا تطوع للعمل عند أحد المقاولين . ويمكن للموظف الادارى المحلى المختص أن يصدر أمره بتجنيد أى افريقى للعمل الاجبارى» .

وحسب احصاءات الدارسين كان عـدد الافريقيين الذين يعملون تحت السياط وفقا للنظم المختلفة للعمل الاجبارى فى المستعمرات البرتغالية فى أواسط الخمسينات حوالى نصف مليون أفريقى يعملون فى ظروف لاتختلف عن العبيد .

ولعل أغرب وسائل السخرة وأشدها وحشية ووقاحة هو المتبع فى جنوب أفريقيا . فعلى الرغم من أن العمل الاجبارى ممنوع رسميا ، الا أن السلطات ــ على حد تعبير اللورد هيلى ــ «تؤجر السجناء والمذنبين الذين يقضون مدة العقوبة الى من يرغب من أصحاب المزارع» وهذه العبارة البريئة المظهر التى ترد على السنة الاستعماريين تخفى وراءها حقائق منها :

فى ١٩٥٦ تم اعتقال وسجن ١٫٧٦٠٫٢٣٧ من الافريقيين فى اتحاد جنوب أفريقيا . وغالبيـة هؤلاء جريمتهم الوحيدة هى خرق قوانين المرور ومنع التجول . وهذه القوانين العجيبة التى لا وجود لها فى أى بلد آخر هى وسيلة السلطات فى جنوب افريقيا ، ليس فقط للسيطرة على القوى العاملة، ولكنها ايضا الحجة التى تتذرع بها لاعتقال الافريقيين بالجملة ، وامـداد مزارع الاوروبيين بسيل متدفق من العمل الاجبارى الرخيص .

وحتى الرقم الذى اوردناه ، وهو يزيد على ١ ٣/٤ مليون ، لا يدل على الحقيقة كاملة . فثمة عدد غير معلوم من المقبوض عليهم يخيرون بين المثول أمام المحكمة بتهمة خرق قوانين المرور وبين قبول العمل فى مزارع البيض . واخذا لهؤلاء فى الاعتبار يمكن القول بأن عددا لايقل عن ثلث عدد الرجال الافريقيين القادرين على العمل يقبـض عليهم سنويا ، ويرحلون مكبلين فى السـلاسل للشغل تحت السياط فى مزارع البيض لقاء مبالغ تغطى مايتبلغون به من خبز السجن وحسائه .

وفى ذلك كتبت صحيفة لبراشن التى تصـدر فى جوهانسبرج بجنوب افريقيا ، فى مارس ١٩٥٩، «ان الاعتقالات الجماعية هى رد الحكومة على ثورة الافريقيين على ظروف العمل الاقـطاعية السائدة فى المزارع الكبيرة ... وهذه الاعتقالات لا تختلف اختلافا يذكر عن الغارات البربرية التى كان يشنها النخاسـون على المجتمعات البدائية لاختطاف العبيد ، كما أن الهدف واحد ، وهـو اشباع النهم الى العمل الرخيص لدى طبقة انانية حقيرة قاسية من ملاك المزارع» .

المراحل الاربعة لنضال الشعـوب الافريقيـة

وفى مواجهة الطوفان الامبريالى ، مر نضـال الشعوب الافريقية بالمراحل الاتية :

المرحلة الاولى :

مقاومة الغزو الاستعمارى : وكان الكفـاح المسلح للشعوب والقبائل الافريقية هو الطابع العام لهذه المرحلة التى صاحبت الاكتسـاح العسكرى للقارة فى أواخر القرن الماضى وأوائل

هذا القرن . وقدكتب للمستعمرين الغلبةفي المعارك غير المتكافئة التى نشبت بين الامبريالية الزاحفة وبين شعوب افريقيا . فقد كانت الامبريالية فى اوج قوتها وسيطرتها على العالم ، كما كان انفراد الامبراليين ببلاد صغيرة واجزاء متفرقة من القارة عنصرا هاما يضعف مقاومة زحف جيوش المستعمرين . كذلك لعبت الخيانة المحلية ، من كثير من رؤساء القبائل والاقطاعيين المحليين ، لعبت دورها فى التواطؤ مع الغزاة . لقد اوقع بالشعوب الافريقيه العزلاء التى احاطت بها عوامل الغدر والخديعة والخيانة . وكان الاحتلال الاستعمارى للقارة اقرب الى المذابح وعمليات القتل الجماعى منها الى المعارك الحربية .

ومن امثلة حروب المقاومه الوطنية الباسلة الحرب التى قادها الامير عبد القادر فى الجزائر — الثورة العرابية فى مصر — الثوره المهدية فى السودان — حرب ماتابيل فى رودبسيا عام ١٨٩٦ ثورة بوشيرى عام ١٨٨٩ وثورة ماجى ماجى عام ١٩٠٦فى افريقيا الشرقية الالمانية— حرب بايلوندو عام ١٩٠٢ فى انجولا — مذبحة اكاسا فى نيجيريا عام ١٨٩٥ — وعشرات الامثلة الاخرى .

المرحلة الثانية :

بعد ان استتب الامر للسيطرة الاستعمارية . دخل الافريقيون فى كل بلد **سلسلة من المعارك التى لاتتوقف ضد الاثار التى ترتبت على هذه السيطرة ، وبخاصة ضد عمليات اغتصاب الاراضى والضرائب الجائرة والسخرة** . كما برزت — فى عدد من البلاد التى اخذت تظهر فيها برجوازية تجارية وزراعية نشيطة ، الى جوار هذه الشكلات الاساسية ، ظهرت مشكلات تتعلق بحقوق التجار المحليين ازاء الشركات الاحتكارية وعملائها المباشرين ، وحق المزارعين فى زراعة الحاصلات التى يختارونها وزيادة سعرها ، وتقليل عدد الاوربيين فى الوظائف الحكومية . والمطالبة بوضع عدد من الافريقيين فى مراكز الادارة ، وكذلك المطالبة بزيادة الانفاق الحكومى على التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية .. الخ .

وفى هذه المرحلة كانت الطبقة العاملة الافريقيه قد اخذت فى الظهور ، وتخطو خطواتها الاولى فى سبيل التنظيم النقابى ، وتلعب دورا متزايدا فى النضال ضد السيطرة الاستعمارية .

واثناء الحرب العالمية الاولى نشطت حركات الاحتجاج والمقاومة لتجنيد الافريقيين ونهب ممتلكاتهم خدمة للمجهود الحربى للبلاد الاستعمارية

ولم تكن حركة الشعوب الافريقية عموما قد وصلت فى تلك المرحلة الى حد المطالبة بالاستقلال العام عن الدول الاوروبية الاستعمارية . وكانت اقصى ماتصل اليه الحركة هى مطالب عامة عن اشتراك الافريقيين — بقدر — فى ادارة شئون البلاد ، جنبا الى جنب مع السلطات الاستعمارية والمستوطنين البيض .

وغنى عن الذكر انه ، فى تلك المرحلة ، كانت مصر شذوذا على الصورة العامة ، حيث التطور الاجتماعى والسياسىفيها علىدرجة اعلى بالقياس الى غيرها ، وكانت الحركة السياسية المناهضة للمستعمرين الانجليز تنادى منذ البداية ، وبدرجات متفاوتة من الوضوح والجراة بالاستقلال وجلاء جيوش الاحتلال .

ويقدر الباحثون فى شئون افريقيا هذه المرحلة بالنسبة لغالبية بلاد القارة السوداء ، بأنها تمتد من بداية الحرب العالمية الاولى حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية .

وكانت هذه المرحلة حافلة بمحاولات دءوبة للتنظيم ليس على الاسس القبليه التقليديه . ولكن على اسس اكثر ملاءمة لروح العصر ، وان كانت غالبية التنظيمات التى كونت فى تلك الفترة اتخذت طابعا اجتماعيا وثقافيا ودينيا فى بعض الاحيان كما تتميز هذه المرحلة بمحاولات الترابط والوحدة بين مختلف اجزاء القارة وقياداتها . ففى الفترة من ١٩١٩ الى ١٩٤٥ عقدت خمس مؤتمرات افريقية ، بدات تحت قيادة الدكتور ديبوا — الاب الروحى لحركة الوحدة الافريقيه . (المؤتمر الاول فى باريس عام ١٩١٩ ، والثانى فى لندن وبروكسل عام ١٩٢١ ، والثالث فى لشبونة ولندن عام ١٩٢٣ ، والرابع فىنيويورك عام ١٩٢٧، والخامس فى باريس عام ١٩٤٥) .

وكانت هذه المؤتمرات تضم عددا من المبعوثين الافريقيين الذين يدرسون فى عواصم الغرب ، وعددا من القادة المنفيين خارج بلادهم كما تضم مندوبين عن الجماعات الزنجيه خارج افريقيا (من الولايات المتحدة ومنطقة الكاريبى) . وعلى الرغم من انهذه المؤتمراتلم تكنتمثل الحركاتالتحريرية الفعالة على ارض القارة الا انها كانت تضم طلائع المثقفين والمناضلين الذين كان لهم فيما بعد دور مشهود فى قياده الحركات التى تفجرت فى اعقاب الحرب العالميه الثانية مثل جومو كينياتا وقوامى نكروما . كما ان هذه المؤتمرات كان لها اثر مشهود فى انضاج الشخصية الافريقية وتعميق روح الوحدة والتضامن فى صفوف المناضلين الافريقيين . وجدير بالذكر ان المؤتمر الاول الذى انعقد فى باريس عام ١٩١٩ ، برئاسة الدكتور ديبوا ، اختار ان يجتمع بالقرب من مؤتمر فرساى ليحمل المؤتمرين على النظر فىمطالب القارة التى

بدأت تموج بالحركة ، وتنادي بضرورة اشراك الافريقيين في ادارة شئون بلادهم بدور متزايد لكي يصلوا الى المرحلة التي يستطيع الافريقيون أن يديروا شئون افريقيا . وهكذا رفع المؤتمر الاول للوحدة الافريقية شعار الاستقلال ، وان يكن بشكل غير مباشر ، وكمطلب بعيد الامد . ولكن المؤتمر الخامس الذي انعقد في باريس عام ١٩٤٥ أعلن وحدة الشعوب الافريقية والشعوب التي من أصل أفريقي فيكل العالم ، ونادى بحق تقرير المصير والاستقلال لكل شعوب أفريقيا وغيرها من الشعوب المقهورة ، والقضاء على كل أشكال التفرقة العنصرية .

وهكذا اكتسبت حركة التحرر الافريقيــــة وضوحا في الهدف وتصميما على المضى في النضال الى نهايته الطبيعية ، وانتقلت بذلك الى مرحلة جديدة .

المرحلة الثالثة :

وهي التي تبدأ بانتهاء الحرب العالمية الثانية وتمتد الى أوائل الستينات . وهي مرحلة حققت فيها حركة التحرر الافريقية انتصــارات تاريخية حيث حصلت أكثر من ثلاثين بلدا أفريقيا عــلى الاستقلال السياسي .

وتتميز هذه المرحلة بالاتي :

● **الوضوح والتصميم الثوري** ، الذي عـــبر عنه مؤتمر باريس التاريخي عام ١٩٤٥ . لنستمع الى جانب من البيان الذي وجهه المؤتمر الى الدول الاستعمارية : «أن جميع المندوبين يؤمنون بالسلام وكيف لا ، بعد كل أعمال العنف والعبودية التي قاسينا منها قرونا طويلة . ومع ذلك فان ظـــن الغرب مصمما على أن يتحكم في البشرية بالقوة ، فان الافريقيين سيجدون انفسهم مضطرين الى الالتجاء الى القوة للحصول على حريتهم» .

ويستطرد البيان : «... نحن لســـنا على استعداد لان نتضور جوعا أكثر من ذلك ، وأن نكد كد العبيد لكي نكفل ، بفقرنا وجهلنا ، الحياة الرغدة لارستوقراطية زائفــة وامبرياليـــة انتهى زمانها . سنسمع العالمحقيقة أحوالنا . وسنناضل بكل وسيلة من أجل الحرية والديموقراطية ورفع مستوانا الاجتماعي» .

● **روح التضامن العظيمة بين حركات التحرير** لا على نطاق القارة فحسب ، بل على نـــطاق العالم بأسره . استمع أيضا الى البيان الــذي وجهه نفس المؤتمر الى شعوب المستعمرات : «ان جميع المستعمرات يجب أن تتحـــرر من السيطرة الامبريالية الاجنبيـــة ، السياسية والاقتصـــادية على الســـواء ... ان هدف الامبرياليين هـــو الاستغلال . وان نضال شعوب البلاد المستعمرة والتابعة من أجل السلطة السياسية هو الشرط الضروري والخطوة الاولى نحو التحرر الكامل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ... ياشـــعوب البلاد المستعمرة والتابعة ، اتحدوا ! »

واثناء انعقاد المؤتمر في اكتوبر ١٩٤٥ ، أرسل المجتمعون تحياتهم وتأييدهم الى شعوب الهنــد واندونيسيا وفيتنام ، وكانت في تلك الاثناء في غمرة كفاحها الدامي ضد جيوش الاحتلال البريطانية والهولندية والفرنسية .

● **برزت الطبقة العاملة والجماهير الشعبية الى مقدمة النضال الوطني** ، وتميزت هذه الفترة بتعاظم دور التنظيمات الشعبية ، السياســـية والاقتصادية . وبرزت النقابات العمالية إلـــى المقدمة . وتكونت كثير من الاحزاب السياسيـــة الجماهيرية التي توحد القوى الوطنية في النضال ضد الاستعمار والتفرقةالعنصرية .وتميزت فترة في أعقاب الحرب **باتساع الحركات الجماهيرية التي اشترك فيها العمال بدور ايجابي طليعي** . لنستمع أولا الى جانب من ذلك البيان الصادر عن مؤتمر باريس الموجه الى العمال : «أن عمال البـــلاد المستعمرة يجب أن يكونوا في ميدان المعركة ضد الامبريالية ... واليوم لا يوجد سوى طريق واحد للنضال الفعال ـ هو تنظيم الجماهير» .

ثم هذه بعض امثلة الحـــركات الجماهـــيرية الكبرى التي اجتاحت القارة من أقصاها الى أقصاها وزعزعت الأرض تحت أقدام المستعمرين :

الهيئة الوطنية في الجزائر والتي استشـــهد فيها ٤٥ الف جزائري .

الحركة الوطنية في مدغشقر والتي استشهد فيها ٩٠ الف وطني .

الاضراب العام في نيجيريا عام١٩٤٥ تحت قيادة المجلس الوطني لنيجيريا والكمرون .

الاضرابات العامة في مصر ، في فبراير ومارس ١٩٤٦ ، تحت قيادة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة .

اضراب عمال المناجم في جنـــوب افريقيا عام ١٩٤٦ .

الاضراب العام فى ممباسا عام ١٩٤٧ تحت قيادة الاتحاد الافريقى فى كينيا .

الاضراب العام فى ساحل الذهب (غانا) عام ١٩٥٠ ، والاضراب العام فى كينيا فى نفس العام .
اضراب العمال المصريين فى القاعدة البريطانية فى منطقة القنال ، ومغادرتهم جميعا للقاعدة عام ١٩٥١ . . . . الخ الخ

● **امتداد الثورة المعادية للاستعمار الى صفوف القوات المسلحة** . ومن المعروف ان الحلفاء جندوا عددا كبيرا من شباب مستعمراتهم الافريقية ليحاربوا فى صفهم ضد قوات المحور فى مختلف الجبهات . وقد عاد هؤلاء المحاربون الى اوطانهم بعد الحرب رجالا مختلفين ، بعد ان صقلتهم المعارك والمحن ، وهزت اعماقهم الدعايات التى كانوا يسمعونها اثناء الحرب ، عاد هؤلاء ليناقشوا مستعمريهم الحساب على الوعود والشعارات التى اكثروا منها اثناء الحرب . ولم يرض غالبية هؤلاء — بعد تسريحهم — ان يعودوا الى حالة العبودية التى كانوا عليها قبل الجندية ، والتى وجدوا ان ابناء جلدتهم مازالوا يرزحون تحت وطأتها . ومن ثم انتشرت، فى اواخر الحرب العالمية الثانية واعقابها حركات العصيان والتمرد على السلطات الاستعمارية . وها هى بعض الامثلة : عصيان لولوابورج فى الكونغو عام ١٩٤٤ — تمرد الجنود المسرحين فى كينيا عام ١٩٤٦ — مظاهرات الجنود المسرحين فى اكرا عام ١٩٤٨ ، حيث سقط عدد كبير من القتلى والجرحى — تمرد القوات المسرحة فى شرق نيجيريا واستيلاؤها على مدينة اوماهيا عدة ايام عام ١٩٥١ .. الخ

وهذه الاشكال البدائية من التمرد فى كثير من البلاد الافريقية كانت تقابلها حركات ثورية منظمة ذات اهداف واضحة وقيادات قوية فى صفوف القوات المسلحة فى البلاد الاكثر تطورا . وغنى عن الذكر ان حركة الضباط الاحرار فى مصر، ونجاحها فى تفجير ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، هى اشهر مثل على ذلك .

وقبل ان ننتقل الى المرحلة الرابعة والاخيرة ننبه الى انه لاتوجد فواصل صماء بين كل مرحلة والتى تليها ، بل ان كل مرحلة لابد وان تحتوى بقايا من المرحلة السابقة وبذورا من المرحلة اللاحقة كذلك فان هذه التقسيمات الى مراحل هى بالضرورة تقسيمات تقريبية تسرى على غالبية البلاد الافريقية دون ان تستبعد وجود الاستثناء . وان كانت مصر استثناء فى كثير من المراحل السابقة ، فانما يرجع ذلك الى انها كانت مجتمعا اكثر تطورا ، وان طبقة راسمالية ناشئة ، وفئة من المثقفين الذين يمثلونها كانت قد بدأت تظهر وتلعب دورا فى الحياة العامة المصرية منذ القرن الماضى ، وهذا بخلاف معظم المجتمعات الافريقية التى لم تشهد تطورا يذكر فى هذا الاتجاه الا فى اعقاب الحرب العالمية الثانية . كذلك فان الاستثناء الذى يشهده جنوب القارة مرده الى زيادة عدد المستوطنين البيض فى اتحاد جنوب افريقيا ، وروديسيا الجنوبية ، والمستعمرات البرتغالية ، بحيث تشكل من هذا الثالوث تحالف غير مقدس للابقاء ، باى ثمن ، على الحكم العنصرى الذى هو اسوا اشكال السيطرة الاستعمارية .

وبصفة عامة ، فان تاريخ حركة التحرر فى افريقيا يشهد بان النضال كان يتزايد عنفا بازدياد عدد البيض فى المستعمرة . ففى المستعمرات الفرنسية السابقة ، مثلا ، كان نضال الشعب الجزائرى وتضحياته اكثر منها فى اية مستعمرة فرنسية اخرى . فقد كان فى الجزائر مليون ونصف مليون مستوطن فرنسى . كذلك الحال فى المستعمرات الانجليزية ، حيث يبلغ نضال الشعوب الافريقية اشد درجات العنف فى جنوب افريقيا (٣ر٥ مليون مستوطن) ، ثم روديسيا الجنوبية (٢٠٠ الف مستوطن) . وكذلك بالنسبة للمستعمرات البرتغالية انجولا (١٥٠ الف مستوطن) ، وموزمبيق (١٠٠ الف مستوطن) .

المرحلة الرابعة — وهى المرحلة الحالية — هى النضال ضد الاستعمار الجديد

والاستعمار الجديد ، فى كلمة ، هو الابقاء او السعى للابقاء، على جوهر الاستغلال الامبريالى لشعب بلد معين ، حتى بعد ان يرفع هذا البلد راية الاستقلال ، وتصبح له حكومة من ابنائه ، وعلم قومى ، ونشيد وطنى ، ومقعد فى الامم المتحدة وممثلون دبلوماسيون فى مختلف عواصم العالم . حقيقة ان هذا الشكل من السيطرة الامبريالية كان معروفا منذ زمن طويل فى كثير من البلاد التى كانت تسمى بشبه المستعمرات — كما كانت الحال فى جمهوريات امريكا اللاتينية والصين ومصر والعراق فيما بين الحربين .. الخ . غير ان هذا لم يكن الشكل الغالب للسيطرة الامبريالية ، كما كان — فى غالب الاحيان — تعبيرا عن قوة الامبرياليين ونتيجة لتناقضات محتدمة فيما بينهم . اما اليوم ، فان الاستعمار الجديد هو الشكل الاساسى للاستغلال الامبريالى ، كما انه — فى غالب الاحيان — تعبير عن ضعف الامبرياليين وانحسار نفوذهم امام قوة حركات التحرر الوطنى وتعاظم قوة الاشتراكية وانتصاراتها ، وهو كثيرا

مايكون نتيجة لتكاتف الامبرياليين وتكتلهم في مواجهة قوى التحرر والاشتراكية .

وكان لقادة حركات التحرر في أفريقيا فضل كشف النقاب عن الاساليب الامبريالية في استغلال الشعوب حديثة الاستقلال ، وهم الذين نحتوا اصطلاح «الاستعمار الجديد» للتعبير عن تلك العملية والتنبيه الى انها أصبحت الخطر الاول على البلاد النامية ، وكان ذلك في المؤتمر الثالث للشعوب الافريقية الذي انعقد فيالقاهرة في مارس ١٩٦١ ، وتعتبر قرارات هذا المؤتمر وثائق تاريخية ، ودروسا ثورية بالغة الاهمية حذرت الشعوب من الهجوم المضاد الذي بدأه الامبرياليون بعد سقوط امبراطورياتهم الاستعمارية العتيقة . ذلك أن نواقيس الخطر دقت في أفريقيا قبل أن تنتهي دقات طبول النصر . ففي عام ١٩٦٠ . وهو العام الذي استقلت فيه ١٧ بلدا أفريقيا ، وسمي — بحق — عام أفريقيا ، في نفس هذا العام تم الهجوم الغادر على الكونغو عشية استقلاله واغتيل الزعيم لومومبا ، وتحول استقلال البلد الافريقي الكبير الى مجرد طقوس شكلية يستفيد منها — الى جانب الامبرياليين والمستوطنين — حفنة عملاء من أمثال تشومبي وكازافوبو وموبوتو كذلك كانت السوق الاوروبية المشتركة قد بدأت نشاطها في القارة لتحول ثلاثة عشر بلدا من المستعمرات الفرنسية السابقة — بالاضافة الى ثلاثدولأخرى ،الىدولمنتسبة اوملحقة بالسوق، حيث تدعم مركز رأس المال الامبريالي الاوروبي تحت مظلة الجماعة الاقتصادية الاوروبية ،وخلق ستارا رقيقا من استقلال هزيل .

ومنذ مؤتمر القاهرة ، مارس ١٩٦١ ، ومناهضة الاستعمار الجديدهي النقطةالاولى فيقائمةالمهمات التي تواجه ، لاشعوب أفريقيا وحدها ، وانما شعوب القارات الثلاث جميعا .

وبعد التجارب المريرة والانتكاسات المؤلمة التي أصابت عددا من النظم المتحررة في العامين الاخيرين نتيجة للنشاط التخريبي المحموم للاستعمار الجديد ، وبخاصة في غانا واندونيسيا بالاضافة الى ما شهده العالمن تدخل عسكري دموي ضد ثورتي الكونغو والدومينيكان ، وحرب الابادة التي تشن ضد حرب فييتنام .. بعد كل ذلك يمكن أن نقول ان **الهدف الاساسي للاستعمار الجديد هو الحيلولة — بأي ثمن وبكل وسيلة — دون انتقال الثورة في البلاد حديثة الاستقلال من مرحلتها السياسية الوطنية الى مرحلتها الاجتماعية الاشتراكية**.فطالما بقيتعلاقاتالانتاج فيهذه البلاد علاقات رأسماليةفي الاساس ،وطالما ظلت جزءا من النظام الرأسمالي العالمي ، فالنتيجة البديهية هي التبعية للدول الامبريالية الكبرى .

وحتى اذا كان بعض هذه البلاد قد سار خطوات في سبيل تحقيق استقلالها الاقتصادي ، فان صرفها عن طريق الاشتراكية كفيل باعادتها — ان آجلا أو عاجلا — الى حظيرة التبعية الاقتصادية والسياسية للامبريالية العالمية .

ووسيلة الاستعمار الجديد الاساسية لتنفيذ مخططه في اي بلد هي ، على حد تعبير منظري الامبريالية ،**خلق طبقةعازلة فيالبلد المعين**.وانما تكون هذه الطبقة عازلة بين الامبرياليين وشعب ذلك البلد، وتقوم بدور الشريكالصغير للامبرياليين في اقتسام ثمرات استغلال الشعب واستنزاف ثرواته القومية ، كما تقوم هذه الطبقة بكبت الحركة الثورية المناضلة من أجل الاشتراكية في بلادها باعمال جهاز دولة موروثعن عهد السيطرة الاستعماريةمتمرس فيارهابالشعب واخضاعه.

وليس للمستعمرين الجدد شروط ومواصفات ثابتة فيما يتعلق بهذه الطبقة ، انما الامر يتوقف على درجة النضج الاجتماعي والسياسي في كل حالة على حدة . فان كانت الطبقة العازلة تشكل من الملوك والامراء ورؤساء القبائل والعشائر الذين يتلفعون بالشال أو الزعبوط او يضعون على رؤوسهم العقال او الطربوش أو الطرطور كان ذلك أفضل . ولكن لابأس ، ان دعت الضرورة من تقديم طبقة عازلة «متفرنجة» من التجار وصغار رجال الاعمال ونفر من حملة الثقافات الاستعمارية وخريجي جامعات الغرب من ذوي العقلية التي تدين بالولاء للقيم الرأسمالية وتحتقر الشعوب وتخشى الثورة ، وفئات من البيروقراطيين ومحترفي الحكم والادارة . بل لامانع — ان كانت حركة الطبقة العاملة لها وزن كبير في كفة الصراع السياسي والاجتماعي — لامانع من أن تضم الطبقة العازلة نفرا من القيادات العمالية الصفراء التي تتمتع بأوضاع مادية واجتماعية متميزة وترتبط بالاتحاد الحر لنقابات العمال (وهو الاتحاد الذي يستند الى ائتلاف النقابات البريطانية والامريكية ويعمل في خدمة الامبريالية ويضم اتحادات نقابية منعدد كبيرمن البلادالتي يمتداليها نفوذالاستعمار الجديد) . بل لامانع من جذب فئات محدودة من العمال الذين يعملون في بعض الصناعات الاستخراجية الوفيرة الربحوالاغداق عليهم دون غيرهم بهدف عزلهم عن غالبية الكادحين واستخدامهم في طعن حركة الجماهير العريضة الوفيرة الفقر الشديدة الحرمان .

والسلاح الايديولوجي الاساسي الاثير لدى المستعمرين الجدد وطبقتهم العازلة الحارسة من أجل تثبيت النظام الرأسمالي في أي بلد ، هو **تحريك شبح التخويف من الشيوعية** ، بالاستناد الى ترسانة من الاكاذيب التي اختلقها المستعمرون وروجوها في مستعمراتهم عشرات السنين ضد

الاتحاد السوفييتي وغيره من البلاد الاشتراكية . واذ تفتضح هذه الاكاذيب وتتوطد دعائم الصداقة بين الاتحاد السوفيتي وكثير من البلاد حديثة الاستقلال ، نجد عملاء المستعمرين الجدد من ملوك وارهابيين ومبشرين يلجاون — دون حياء — الى **محاولة استخدام الدين ، كسلاح فكرى فى حربهم المستميتة ضد حتمية الحل الاشتراكى .**

أما **السلاح السياسى الاساسى** الذى يستخدمه المستعمرون الجدد وعملاؤهم ، **فهو تفتيت وحدة القوى الثورية المناهضة للامبريالية** . ويتم ذلك باعمال ذلك السلاح الفكرى السام ، سلاح معاداة الشيوعية ، والدس بين البلاد الوطنية والدول الاشتراكية ، أو باعمال الخلافات والنزاعات العرقية والقبلية ، والتشبث بالحدود المفتعلة التى خلقها المستعمرون لتمزيق وحدة القارة ودفع شعوبها ضد بعضها البعض .

والسلاح الاقتصادى يتلخص فى الابقاء على اقتصاديات البلد المعين فى حاله من التخلف والتبعية وتتوقف تفاصيل تنفيذ ذلك الهدف العام على درجة النضج الاقتصادى فى كل بلد على حدة . فمن الاحتفاظ بمعظم البلاد فى مستوى مصادر المواد الخام، من المنتجات الزراعية والمعادن الى السماح ببعض الصناعات الاستهلاكية والخفيفة بل ربما دعت دواعى المنافسة مع ما يقدمه الاتحاد السوفييتى والبلاد الاشتراكية من مساعدات لبناء صناعات قومية للبلاد النامية — ربما دعا ذلك الى اسهام الامبرياليين فى عدد من المشروعات الصناعية الاساسية ، وانما يكون كل شىء فى اطار المحاولة الدءوبة للحيلولة دون انتقال البلد المعين الى الاشتراكية .

ولعل اخطر الاسلحة الاقتصادية هو سعى الاحتكارات الدولية الدائم للهبوط بأسعار منتجات البلاد النامية التى تعتمد عليها تجارتها الخارجية بالنسبة لاسعار المواد المصنوعة من منتجات البلاد الصناعية المتقدمة فى الغرب الامبريالى ، ومايترتب على ذلك من استنزاف همجى لموارد غالبية البلاد النامية واحباط مساعيها لبناء صناعتها القومية .

والخلاصة

ان المستعمرين الاوربيين اشتغلوا بتجارة الرقيق فى أفريقيا حوالى أربعة قرون ، اختطفوا أثناءها خيرة ماجادت به القارة من ثروة بشرية ،

وأن هؤلاء المستعمرين ، فى ظل الامبريالية ، واصلوا سياسة استعباد شعوب القارة ونهب ثرواتها وهى فى أوطانها ، بسرقة أراضى الافريقيين وفرض الضرائب ونظم السخرة ، تحت حراب احتلال دموى وبالاعتماد على طابور بغيض من المستوطنين البيض .

وأنهم يلجاون ، أخيرا ، الى اعمال أساليب الاستعمار الجديد لمواصلة الاستغلال الامبريالى حتى بعد ان رفعت معظم بلاد القارة أعلام الاستقلال . وهدفهم الاساسى هو الحيلولة دون انتقال الثورات الوطنية التحريرية الى مرحلتها الاجتماعية الاشتراكية ، معتمدين على طبقة عازلة من الملوك والامراء وشيوخ القبائل والاقطاعيين والبرجوازيين المتفرنجين المعادين للشعب ، والنقابيين الصفر وفئة من البيرقراطيين ومحترفى الحكم والادارة .

وأن شعوب القارة ارتبطت مقدراتها فى مصير واحد منذ سيطر الاستعماريون عن طريق الرق القديم الى محاولاتهم لاعادة السيطرة أو احكامها عن طريق الاستعمار الجديد ، وأن هذا الارتباط لم يكن أشد قوة ووضوحا مما هو اليوم .

وأن هذا التطور الهائل هو ، فى حد ذاته ، تعبير عن أن ظل السيطرة الاستعمارية ينحسر عن القارة المناضلة ، كما ينحسر عن العالم بأسره وانه كما انتهت تجارة العبيد ثم انهارت الامبراطوريات الاستعمارية القديمة — فان المستعمرين الجدد وعملائهم سيهزمون حتما تحت ضربات الشعوب المناضلة — وذلك :

— بالقضاء على بقايا السيطرة الاستعمارية المباشرة والحكم العنصرى البغيض فى جنوب القارة .

— ورفع شعار الانتقال من الثورة الوطنية التحريرية الى الثورة الاجتماعية الاشتراكية فى كل ربوعها .

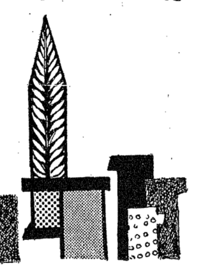
— والسير فى معركة الوحدة الافريقية جنبا الى جنب مع معركة تحريرها من الاستعمار والسير بها فى الطريق المحتوم الى الاشتراكية .

— وتوحيد كل القوى الثورية فى القارة ، المناهضة للامبريالية والاستعمار الجديد والتفرقة العنصرية .

— ودعم الجبهة العالمية المدافعة عن السلام والتحرر ، المعادية للامبريالية والحرب ، وذلك بمزيد من التضامن بين الدول المتحررة والبلاد الاشتراكية ، والحركات الثورية المعادية للاستعمار والراسمالية ، فى البلاد المقهورة والدول النامية والمتقدمة جميعا .

حول

الإمكانيات الثورية للجيوش في ثورة التحرر الوطني



زكي مراد

أن الفكرة السائدة عن دول افريقيا أنها لا تملك جيوشا بمعنى الكلمة.. وأن القوات المسلحة في اغلب هذه البلدان ليست اكثر من فصائل مسلحة شبه بوليسية .

غير ان الامر الواقع ان هذه الجيوش — على ضعفها النسبي — قد امكنها ان تؤثر في الاحداث تأثيرا كبيرا في عدد من بلاد القارة خلال العامين الاخيرين .وهذا العامل وحده قد يكفي دافعا للمناقشة .

ولكن المسألة اعمق من احداث السنتين الاخيرتين واكثر اتساعا ..ان الجمهورية العربية المتحدة، وهي المدخل الشمالي الشرقي للقارة تعيش في ظل ثورة شعبية عميقة كانت القوات المسلحة طليعة تحركها .

وزنزبار التي هي الان جزء من جمهورية تنزانيا. كان للقوات المسلحة في ثورتها الوطنية الديمقراطية دور خاص .. وفي الكونغو برازافيل رفض الجيش ان يطلق النار على المظاهرات الشعبية المحيطة بقصر الرياسة فاضطر يولو الى الاستقالة في اغسطس سنة ١٩٦٣ .

وفي ثورة اكتوبر سنة ٦٤ في السودان كان انضمام الجيش الى الشعب الثائر سببا مباشرا في استسلام نظام عبود الرجعي وانهياره .

وتجربة الثورة المصرية بالذات تطرح بقوة امام المناضلين وامام مفكري الاشتراكية العلمية مناقشة مسألة طبيعة الجيوش ودورها في الثورة الوطنية .

المفهوم التقليدي لدور الجيش

في الدولة الرأسمالية

الدولة في نظر ماركس اداة في يد الطبقة التي تملك القوة الاقتصادية والسلطة السياسية ؛ يستخدمها في قهر الطبقات الاخرى وارغامها على قبول التنظيم الاجتماعي الذي يخدم مصالح تلك الطبقة السائدة .

والجيش الدائم اكبر مؤسسات هذه الاداة . انه اليد الباطشة لهذه الاداة الكبيرة ، « جهاز القمع » الذي تعتمد عليه الدولة البرجوازية في كبت القوى الطبقية المعارضة للنظام (البروليتاريا وجماهير العاملين) .

هذا هو المفهوم الماركسي لطبيعة الجيش ودوره في المجتمع الرأسمالي .. أما في مرحلة الامبريالية فدور الجيوش يمتد ليشمل شعوب المستعمرات .. انه في الدولة الاستعمارية قوة ضاربة للفتح والضم وقهر الشعوب المتخلفة . ولقد كان هذا بالفعل شأن الجيوش الانجليزية والفرنسية والبلجيكية في القرن التاسع عشر وهو شأن الجيش الامريكي في فيتنام وكوريا مثلا في عصرنا هذا . مثل هذه الجيوش يكاد يكون اداة صماء في خدمة النظام الاستغلالي الرأسمالي والاستعماري .. وعلى حد تعبير لينين في كتاب الدولة والثورة « فصائل خاصة من رجال مسلحين (الشرطة والجيش الدائم) توضع **فوق المجتمع وتنفصل عنه)** .

وليس امام الثورة الشعبية من سبيل الا «تركيز جميع قوى الهدم» ضدها و «تحطيم هذه الاداة والقضاء عليها » .

هذا المفهوم الذي ذاع وانتشر حتى في صفوف الثوريين غير الماركسيين مفهوم سليم تماما بالنسبة للدول الرأسمالية بمعنى الكلمة، بالنسبة لتلك البلاد التي «حطمت سلطة الاقطاع» واقامت سيادة البرجوازية «صافية صفاء كلاسيكيا» على حد تعبير انجلز في مقدمة الطبعة الثالثة من كتاب « ١٨ برومير » في وصفه لفرنسا .

ولكن هل يعنى هذا ان مثل هذه الجيوش نفسها لا يستطيع الكفاح الشعبي في عصرنا الثوري الحاضر ان ينفذ الى صفوفها بتاثيره ويجذب بعض هذه الصفوف الى معارضة النظام؟ الا تشهد هذه الجيوش نفسها تمردات من بعض الصفوف كلما اشتد كفاح الشعوب التي تنتمي اليها ضد طبقاتها الحاكمة وكلما اشتد كفاح شعوب المستعمرات التي ترسل هذه الجيوش لقمعها ؟

اعتقد ان تعاظم الكفاح الثوري للشعوب قادر على ان يؤثر حتى في صفوف هذه الجيوش الاستعمارية، وبالذات في صفوف غير المرتزقة . ولكنه تأثير ضعيف ، ولا بد من قوة هائلة في الحركة الثورية ليكون تأثيرا ذا خطر .

ولقد استطاعت قوة الحركة الثورية في روسيا القيصرية - مستغلة كافة العوامل والظروف - ان تكسب غالبية الجنود الى جانبها. لقد شكل جنود الجيش الروسي القوة الثالثة في التحالف الثوري الذي اسقط النظام القيصري ثم النظام الرأسمالي كله من بعد. ان وجود الجنود مع العمال والفلاحين في التحالف الثوري الذي قاتل من أجل ثورة اكتوبر كان عاملا حاسما في نجاح الثورة الاشتراكية .

لذلك لم يكن غريبا أن يرى لينين ان اية منظمة ثورية لا تنشط وسط الجيش والفلاحين بالذات تفقد صفتها كمنظمة اشتراكية ثورية .

ومع ذلك فان القاعدة بالنسبة للدول الرأسمالية الاستعمارية، على العموم، ان الجيوش ما تزال اداة قمع، «فصائل خاصة من رجال مسلحين توضع **فوق المجتمع وتنفصل عنه)** .

السيد عمر مكرم

هو نقيب الاشراف ، وزعيم اول حركة قومية شعبية تفجرت في تاريخ مصر الحديث ، تعلن حق هذه الأمة في تقرير مصيرها بارادتها الحرة. كان زعيما ثوريا اصيلا تجسدت فيه روح الشعب المصري خالصة من كل شوائب ورواسب العهود الاستبدادية السابقة ..

ولقد قاوم بقوة الشعب وماله وسلاحه الفرنسيين حتى تركوا البلاد في عام ١٨٠١ .

ثم قاوم في طليعة المصريين عودة حكم المماليك حتى هزموا .. ثم قاد مع زملائه الزعماء البارزين امثال السيد السادات والشيخ الشرقاوي والشيخ محمد الامير نضالا شعبيا رائعا لخلع الوالي التركي وتنصيب محمد على واليا بارادة الشعب ، ومع تقييده بشرط العدل ومشورة قادة الراي في البلاد في ١٣ مايو سنة ١٨٠٥ ..

وكان ذلك القيد جنين اول نظام دستوري في تاريخ مصر الحديثة .

اما فى المستعمرات واشباه المستعمرات والبلاد التابعة والمتخلفة عموما فالوضع شديد الاختلاف.

جيوش المستعمرات والبلاد التابعة

تعبير « جيوش المستعمرات » تعبير يثير التساؤل .. ان عددا كبيرا من المستعمرات لم يكن لديه جيوش بالمرة.. وهذه المستعمرات احتلتها القوات الاستعمارية بعد مقاومة من الاهالي انفسهم فى شكل تشكيلات مسلحة قبلية او قومية لا يمكن ان نسميها جيوشا بالمعنى المعروف .ولكن هناك قسما آخر من البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة كانت لديه جيوش منظمة ولو انها ضعيفة اذا قورنت بالجيوش الحديثة فى الدول الرأسمالية .هذه الجيوش قاومت الغزو بكل قوتها فى طليعة شعوبها، ولم يتمكن الجيش النازى من بلادها الا بعد ان هزمها هزيمة تامة .

جيوش المستعمرات اذن نوع آخر. انها نقيض مباشر للجيوش الاستعمارية .لقد رفعت هذه الجيوش راية قوميتها وناضلت حتى الهزيمة المطلقة مع شعبها فى محاولة لمنع القهر الاستعمارى الأجنبى النازى . فكيف يمكن النظر اليها على أنها من نفس طينة الجهاز الذى قاومته حتى النهاية ؟

جيوش كهذه لا يمكن اعتبارها اجهزة كبت وقهر طبقى منفصلة عن المجتمع الذى تنشأ فيه. انها بحكم الوضع العام للمجتمع الذى نشأت فيه وبحكم تركيبها الاجتماعى تشكيلات وطنية معادية للاستعمار الاجنبى .صحيح ان تأسيس هذه الجيوش كان محاولة من جانب الفئات الحاكمة لتثبيت مراكزها. ولكن هذه المحاولة كانت تفشل دائما ازاء التهديد العام الذى مثله ظهور الامبريالية للامم المتخلفة عموما. ويبدأ الاستعمار منذ استقراره فى احتلال البلاد. عملية منظمة لتحويل هذه الجيوش الى اداة قمع لصالحه ولصالح الطبقات الرجعية المتحالفة معه من داخل الامة المقهورة. .لكن هذه الخطة ايضا كانت غير مضمونة النجاح فى اغلب الاحوال.

ولقد يستطيع الاستعمار أن يشترى القيادة العليا بوسائله المختلفة، وقد يستطيع ان يفرض اساليب معينة فى التدريب والتسليح. ولكنه لا يستطيع ابدا أن يكسب قلوب الجنود والضباط . ان هؤلاء الاخيرين، ليسوا سوى بعض ابناء الوطن المقهور والشعب المغلوب على امره.. عواطفهم وآلامهم وآمالهم جزء من عواطف وآلام وآمال البيوت التى نشأوا فيها والاسر التى ينتسبون اليها . وايديولوجيتهم عموما لا تتشكل من داخل الثكنات فحسب .

هذه هى الحقيقة التى يؤكدها دور الضباط والجنود البرازيليين فى ثورة شعبهم، هذا الدور الذى تشيد به كتابات **((كارلوس برستس))** ، ثم تؤكدها المظاهرات التي انطلقت فى مدن الهند اثر الحرب العالمية الثانية واستشهد فيها عشرات من البحارة الهنود الى جانب الطلبة والعمال .. ثم تؤكدها تجربة الضباط والجنود المصريين فى صفوف الثورة الوطنية، كما سيتضح خلال العرض.

والمثل الذى ابدا منه هذا البحث ومادته الاساسية هو الجيش المصرى ، نشوؤه وتكوينه ودوره التاريخى فى ثورة التحرر الوطنى المصرية .

لذلك اسمح لنفسى ان اتناول ببعض الاسهاب موضوع الجيش المصرى .

الفلاح المصرى والسلاح

لقد ظل الفلاح المصرى عرضة للفتك الاجنبى قرونا طويلة. فمنذ هزم **((قمبيز))** جيش مصر هزيمة نهائية(٥٢٥ ق.م)، والسلاح والتشكيل العسكرى شيئان محرمان على الفلاح المصرى .منذ ذلك التاريخ ابعد المصريون تماما عن السلاح والسلطة السياسية معا. ان امور الحكم اشياء خاصة بالذين يملكون السلاح والتشكيل العسكرى.. وتوالت الفتوح ،قوة اجنبية تطرد قوة اجنبية اخرى وتتربع على عرش مصر .

حتى الدولة الاقطاعية الطويلة العمر فى مصر (دولة المماليك التى حكمت اكثر من خمسة قرون ولم تكف عن الحياة الا فى الاعوام الاولى من القرن التاسع عشر) ،لم تكن تهتم باحتكار الارض بقدر اهتمامها باحتكار السلاح والعمل العسكرى .

فى دولة المماليك كان مسموحا للمصرى باستثمار الارض، مساحات كبيرة او صغيرة. .ولكن شيئا واحدا كان احتكارا مطلقا للمماليك ،ذلك هو السلاح، وبالتالى حق القتال !. فهو من مخصصات الحكام الوافدين ولا يجوز للمصريين ان يقربوه او حتى يحلموا به.. الجنود من المماليك، والضباط من المماليك، والفروسية بالنسبة للمصرى «عمل فخيم» يمكنه أن يتفرج عليه من بعيد ! . ولقد بلغ الامر بالمصريين درجة فقدان الثقة بالنفس فى كل ما يتصل بالسيادة السياسية والسلطة العامة . ولعل فى هذا ما يفسر اتجاه **عمر مكرم** وزملائه من قادة الحركة القومية المصرية الاولى الى الابتعاد التام عن السلطة ومبايعه (**القائد العسكرى**) محمد على واليا على مصر فى مطلع القرن التاسع عشر (*)

محمد على يخاطر ويؤسس جيشا من المصريين

كانت خطة محمد على بعد ان نادى به المصريون واليا على البلاد خطة ذات شعبتين :

الاولى: التخلص الكامل من المماليك الموجودين بمذبحة القلعة الشهيرة .

والثانية: تأسيس جيش يستغنى فيه نهائيا عن الفرسان والجنود الاتراك والارناءوط والمماليك (باستثناء مماليكه الخصوصيين طبعا) .كان يرى في هذا الجزء الثانى من الخطة، التأمين الحقيقى لحكمه المستقل عن الباب العالى والتخلص من كل خطر للمماليك في نفس الوقت. ولكن الامر لم يكن يخلو من مخاطرة كبيرة. ان يوضع السلاح فى يد الفلاح المصرى لاول مرة منذ قرون طويلة، وان يتشكل منه جندى حديث قادر على فنون القتال، باسم مصر وتحت علم مصر (؟!) كان مخاطرة حقيقة .

ولقد تردد محمد على طويلا ازاء هذه المخاطرة بل حاول ان يجد لها بديلا، ولكنه لم يجد البديل. يقول الامير **عمر طوسون** فى كتابه « صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على» نقلا عن مانجين : «اتجهت انظار الوالى الى تأليف الجيش النظامى وكان كلما فكر فى ان يكون هذا الجيش من الاتراك أو الارناءوط أعترض له ما صدر من هؤلاء من الثورة ضد النظام العسكرى مرارا فراى ان يؤلف الجيش الجديد من جنس آخر، **غير أنه بقى مترددا فى اختيار هذا الجنس وكان يرى فى اختيار المصريين لهذا الامر مخاطرة كبيرة**، فعمد الى الوسيلة الاخيرة التى لم يكن امامه غيرها، الا وهى تأليف الجيش من اهل السودان، فجلب منهم ثلاثين الفا الى منفلوط ، وفشلت هذه التجربة لانه « قد فشا الموتان فى السودانيين لعدم ملاءمة البيئة لهم من جهة وضعفهم عن تحمل الخدمة العسكرية من جهة اخرى» .

« غير أن هذا الاخفاق لم يكن ليرجع محمد على عن عزيمته بل ازدادت هذه العزيمة رسوخا فى نفسه وحاول مرة اخرى اخراج هذا الجيش المنظم الذى رأى انه فى اشد الحاجة اليه الى حيز الوجود **فعمد الى المخاطرة التى كان يتهيبها من قبل، وانفذ بجسارة الفكرة التى حسب يخامره ولا يجرؤ عليها**، فأصدر امره بجمع انفار الجيش الجديد من المصريين، ولكن هؤلاء عدوا هذا الامر خطبا جللا ، فثارت خواطرهم لمجرد سماعه وتمردوا بعض التمرد، الا أن تمردهم قمع قبل استفحاله، ولم تمر عليهم مدة طويلة حتى مالوا الى المعيشة العسكرية لما الفوا فيها من رغد فى المأكل وجمال فى الملبس لم يكونا فى حسبانهم (نظرة امير الى الفلاحين !) . وانتهى بهم الامر الى ان يعتادوا الخدمة العسكرية التى **لم يمارسوها قط**» .

ثم يستطرد الامير: «وفى يناير سنة ١٨٢٣ م تم تكوين ستة آلايات واصبح المماليك (مماليك محمد على) الذين تدربوا فى أسوان على النظام ضباطا لهذه الآلايات الستة» . ويتناول حديث الامير وظائف الضباط هذه فينقل عن المارشال «مارمون» ما يلى: «كانت وظائف الضباط مقصورة على الاتراك والمماليك **لان الباشا لم يكن يريد ان يجعل نفسه فى متناول يد الشعب المصرى (!)** . ولكن لما توطدت سلطنه ادخل المصريين فى وظائف الضباط الصغيرة (صف الضباط) فأظهر هؤلاء الصف ضباط ذكاء فائق الحد ونشاطا عظيما حتى **ان الضباط الذين انتخبوا من بينهم صاروا بعد وقت يسير احسن وافضل من الاتراك**، والان ليس امامهم اى عائق يمنعهم من التقدم واشغال الوظائف العليا، وكان فى هذه الخطة المثلى الحكمة والمهارة والدهاء والتبصر» .

وهكذا نشأ الجيش المصرى على يد حاكم وافد، يقيمه راغما وتحت ضغط عوامل تاريخية قاهرة، ثم يظل الفلاح فيه محل شك وحذر شديدين .

قمبيز

قمبيز بن قورش الملك الفارسى المحارب الذى غزا مصر فى عام ٥٢٥ ق.م.

ولقد اخضع قمبيز دويلات آسيا الصغرى وبعض الجزر اليونانية ، ثم جمع فى آسيا جيشا جرارا لمهاجمة مصر

وبعد أن فتح قمبيز مصر زحف الى النوبة، فاخفقت حملته ولم ينجح فى فتحها . ثم جهز حملة على سيوة فاخفقت . فعاد الى فارس بعد ثلاثة اعوام ، معتزما العودة الى مصر .. ولكنه مات فى الطريق ، ويقال انه انتحر من شدة الشعور بالاخفاق فى الحملتين على النوبة وسيوه . ولكنه كان قد أنهك قوى الجيش المصرى بحيث سهل على ابنه وخليفته بعد ذلك تحطيم المقاومة المصرية نهائيا .

كانت حقا مخاطرة كبيرة، كما اثبت التاريخ فيما بعد سنة ١٨٢٢ وقبل ان ينقضى القرن على اليوم الذى حمل فيه الفلاح المصرى السلاح لاول مرة منذ عصر «قمبيز» .

الجيش المصرى

قوة وطنية منذ البدء

تمت المخاطرة، وظهر الى الوجود جيش الفلاحين فكانت هذه بداية كبرى للتاريخ القومى الحديث للامة المصرية. واذا كنت اسميها البداية الكبرى، فهذا لا ينفى انها ثمرة مباشرة للنشاط السياسى القومى الاصيل الذى قاده **(عمر مكرم)** وزملاؤه من التجار الوطنيين والمثقفين المصريين ، والذى ادى الى تولية رئيس دولة يختاره قادة المصريين انفسهم لاول مرة فى التاريخ !

لذلك لم يكن مجرد رغبة فى التحكم من جانب انجلترا الاستعمارية العريقة ان تجعل همها الرئيسى فى اتفاقية لندن عام ١٨٤٠ ، ان تضرب قوة الجيش المصرى، وتحصر هذه القوة نوعيا وعدديا فى اضيق نطاق ممكن (من ٢٧٦٫٦١٦ جنديا حسب احصاء سنة ١٨٣٩ الى ١٨ الفا) . كان ذلك ادراكا خبيثا منها لخطر هذا الجيش وللنذر التاريخية التى تنتظر القوى الاستعمارية من تطوره .

وتحت تأثير الضغط الاجنبى من ناحية، وسيطرة الشراكسة من ناحية اخرى كان دور المصريين فى الجيش ضئيلا برغم عددهم الكبير، حتى تمكن عدد من الضباط المصريين المترقين من تحت السلاح ومن ابناء القادرين على تعليم ابنائهم أن يصلوا الى مناصب قيادية ينافسون من مراكزها الضباط الاتراك والشراكسة من اتباع الاسرة العلوية .

وفى هذه المنافسة ، وهذا الصراع على قيادة الجيش، ومن خلال السخط العام على جرائم اسماعيل نبتت نواة الحزب الوطنى والحركة العرابية عامة. وظلت هذه النواة تنمو وتتطور حتى جاءت لحظة تاريخية يقف فيها فلاح مصرى مسلح على صهوة جواده، وعلى رأس تشكيل عسكرى مصرى عظيم ليقول للخديو : « كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا» . وكانت الثورة المصرية التى قادها «احمد عرابى» وصحبه والتى انتظمت الجيش والشعب جميعا وتصدرتها طليعة من المثقفين المدنيين والعسكريين .

وحين نتامل الثورة العرابية اليوم باعين الجيل الذى عاش احداث ثورتنا الحالية نشعر وكأنما الاولى كانت «تجربة ضرورية» للثانية .

الجيش فى الثورة العرابية

فى الوقت الذى عم فيه السخط على الخديوى اسماعيل وعلى التدخل الاجنبى، وبدأت تتضح بشائر حركة قومية مصرية اصيلة، نما نفوذ الضباط الوطنيين فى الجيش حتى أصبح **المنظمة الوحيدة** التى تحمل آمال الوطنيين المصريين جميعا .

وهذا هو السر فى ان المنظمة السياسية للثورة (الحزب الوطنى) نبعت من داخل الجيش بصورة سرية . وهكذا اصبح الجيش وعاء القيادة السياسية والقيادة العسكرية معا. اصبح هو الطليعة الثورية للشعب سياسيا وعسكريا، وتجسدت فى شخص « احمد عرابى » الرياسة الحزبية السياسية والرياسة العسكرية معا خلال احداث الثورة كلها.

هذا الجيش هو الذى قاوم اتوقراطية الاسرة العلوية حتى فرض الدستور والبرلمان والحكومة الرشيدة ومشروع تعميم التعليم بحيث لا يبقى فى مصر كلها امى واحد بعد عشرة اعوام (لو تركت مصر لتطورها الطبيعى على يد أبنائها لنفذ المشروع الذى اقره مجلس نواب الثورة العرابية بانشاء مدرسة فى كل قرية ولخلت مصر من الاميين منذ اواخر القرن التاسع عشر جلسة الاحد ١٢ مارس سنة ١٨٨٢) . وهذا الجيش هو الذى قاوم من بعد، جيش الغزو الاستعمارى، محاطا بالصحوة الوطنية الكبرى لامة الفلاحين المصريين .

لذلك كان طبيعيا ان يهتم الغزاة الاستعماريون بتمزيقه وتحطيم قواه قبل كل شىء ، حتى يؤمنوا سيطرتهم المعتدية على البلاد اطول وقت ممكن .

عمر طوسون

هو الامير المصرى الذى الف عددا من الكتب فى التاريخ وفى تاريخ الاسرة العلوية فى مصر بصفة خاصة . وتعتبر كتبه مرجعا جيدا فى بحث عصر محمد على وعاهل هذه الاسرة . وتنضح كتبه بروح الاقطاع وتفخيم الاسرة العلوية ، ولو انه يزعم الايمان بالوطنية المصرية

الاستعمار والجيش المصرى

فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ تمكن الانجليز من احتلال القاهرة . ومنذ اللحظة الاولى بـدات الاعتقالات بالجملة ولضباط الجيش وجنوده بصفة خاصة (٣٠ الف معتقل) . ولم تمض خمسة ايام حتى كان الخديو توفيق (والانجليز من ورائه طبعا) قد وقع مرسوما من اغرب المراسيم فى التاريخ . يقضى هذا المرسوم الذى صدر فى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٨٢ «بالغاء الجيش المصرى» لمشايعته العصيان . وبعد هذا المرسوم بدات محاكمات قادة الجيش وضباطه جميعا الا من استطاع ان يختفى فى طول البلاد وعرضها فى صفـوف الفلاحين .

ولقد عرف التاريخ السياسى قوانين الغاء الاحزاب السياسية والمنظمات الثورية . اما الغاء الجيوش النظامية بقوة القانون ، فشىء لم يحدث فيما إعلم الا فى مصر ! ذلك ان الاستعماريين الانجليز لم يكونوا يعاملون الجيش المصرى كتشكيل عسكرى بقدر ماراوا فيه منظمة سياسية قوية للثـورة التحريرية المصرية .

ومرة اخرى لم يعد لمصر جيش ، ولكن الفلاح المصرى قد عرف السلاح وخبره وأدرك مدى ما يستطيع ان يفعل اذا تسلح وانتظم . واصبح للحركة الوطنية المصرية مطلب جديد هو حق مصر فى ان يكون لها جيشها الوطنى .

واذا كان جيش عرابى قد حطم تماما ، فلقد ترك اثارا عميقة فى روح الشعب كله .. اثارا ظلت تطارد الاستعمار وتؤرق مضجعه طوال المراحل التالية حتى كتب لمصر أن تثأر لجيشهـا الاول اشد الثار وتنتقم له اروع الانتقام فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩٥٦ وما بعده .

الجيش فى مرحلة الجذر الثورى والسيطرة الاستعمـارية المطلقة

قضت مصر بعد هزيمة الثورة ربع قرن حزين تحكم فيه اعداء الوطن والثورة من الاستعماريين والرجعيين فى مصائر البلاد والرقاب .

بيد ان الجذوة كانت ماتزال هناك .. تحت الرماد الثقيل .. ومع فاتحة القرن العشرين كانت الجذوة قد بدات تلمع امام الاعين البصيرة .. حركة مصطفى كامل والحزب الوطنى ومن بعده محمد فريد ونشاطه الثورى العنيد ، ثم النضال الهامس فى بدايته والمرتفع الصوت فى النهاية ضد تحكم السلطة الانجليزية اثناء الحرب وجرائمها البشعة ثم التاهب للانتفاضة التى تتفجر كالبركان فى ثورة سنة ١٩١٩ تحت قيادة سعد زغلول .

فماذا كان شان الجيش فى هذه الفترة الطويلة ؟!

حينما الغى الاستعمار والسراى جيش مصر الوطنى شرعوا على مهل شديد فى تاسيس جيش جديد ، او بتعبير ادق ، فرقة من الجند الجدد تحت قيادة ضباط انجليز من اقل الرتب الى اعلاها ويراسه «سردار انجليزى» ، حتى البوليس وضـع تحت امرة قومندان بريطانى .

وبذلك اصبح هناك مايمكن ان يسمى ، دوليا ورسميا ، بالجيش المصرى والبـوليس المصرى ولكنهما فى الواقع فصـائل مسلحـة تحت امرة استعمارية مباشرة .

بيد ان هذا كله لم يمنع الاستعماريين من الريب والمخاوف حتى من هذه الفصائل التى لايدخلها المصريون الا جنودا .. فظل اكبر عدد بلغه ستة آلاف جندى منهم عـدد كبير فى السودان . وشن الاستعماريون والرجعيون حملة منظمة لاثارة كراهية الشعب للعسكرية ، فصوروها فى صورة أحط الاعمال ، وابتدعوا نظام «قوانين البدلية» . (دفع مقابل مالى زهيد للاعفاء من الجندية) ، واعفوا الذين يتعلمون فى المدارس .. وهكذا يبدو من يرسل ابنه الى الجيش كانه اعجز من أن يدفع بضعة جنيهات ، وتبدو العسكرية كمهنة مخصصة لافقر الفقراء واجهل الجهلاء ، وليس كشرف وطنى . ولقد اتخذ الاستعماريون الانجليز كل

كارلوس برستس

هو الضابط الوطنى البرازيلى الذى قـاد طابور المقاتلين الشهير ولقب بفارس الامل .

ولقد اعتنق خلال نضاله الوطنى ، مبادىء الماركسية اللينينية وانضـم الى الحـزب الشيوعى البرازيلى .

وخلال فترة قصيرة انتخب «برستس» سكرتيرا عاما للحزب . وهو شخصية سياسية بارزة على نطاق امريكا اللاتينية كلها .

الاجراءات الممكنة لمنع المصريين من مراكز الضباط من ناحية ، ومنع اى تأثر لهذه الفصائل بحــركة الشعب واحاسيسه .

بيد انه ، مع حركة الزمن كان لابد ان يترقى بعض المصريين الى مراكز الضباط ، ومع نمو المد الثورى واتساع حركةالشعب الوطنية كان لابد انيصل الىالجنود والضباطالمصريين والسودانيين القلائل اثر هذه الحركة .

تمرد عسكري جديد

وهكذا فوجيء الاستعماريون بتمرد عسكرى جديد على اثر اغتيال السردار فى مصر سنة ١٩٢٤ هذا التمرد العسكرى العنيف تضامن فيه ضباط مصريون وسودانيون ونظمته جمعية « اللواء الابيض » فى الخرطوم ، وراح ضحيته ضباط أعزاء على شعبهم . لقد ثارت ثائرة الاستعمار فشدد قبضته بصورة اكثر بشاعة عن ذى قبل ، على هذا الجيش «المزعج» .

ولكن تقدم الحركة الوطنية المصرية ، والمكاسب الجزئية التى حققتها بثورتها الشعبية كان لابد ان يهيىء ظروفا افضل للعدد القليل من الضباط المصريين داخل الجيش .. ولقد امكن بعد معاهدة سنة ١٩٣٦ ان يرشح للجيش قائد مصرى ،مع وجود بعثة عسكرية انجليزية على راس هذا الجيش .

وهكذا شهد الجيش تعيين اول قائد مصرى بعد هزيمة الثورة العرابية ، هو الفريق «عزيز المصرى» ،وهو وطنى مصرى عظيم . ولكن كيف يمكن حل هذا التناقض الدائم الشديد بين قيادة البعثة العسكرية الانجليزية الجاثمة على صدر الجيش وبين القيادة المصرية الوطنية . عاش الوطنيون من رجال الجيش صراعا داخليا حادا (سافرا تارة ومستترا تارة اخرى) ضد البعثة العسكرية الانجليزية . وكانما شاءت الظروف ان يتجسم الاستعمار امام ضباط جيشنا فى داخل ثكناتهم ، فى هذه البعثة العسكرية المقيتة ، فيحفز فيهم روح النضال الوطنى ويلح عليهم أن يكونوا على صلة وثيقة بصفوف الحركة الوطنية فى البلاد .

وقصة النضال داخل الجيش من بعد ، هذا النضال الذى ادى الى تشكيل «حركة الضباط الاحرار» ،واندماج الضباط الوطنين ، سرا دائما وعلانية احيانا ، فى صفوف الثورة الوطنية ، قصة معروفة وذائعة الصيت .

ومع ذلك فان من اللازم فى موضوعنا ان نقدم عرضا سريعا وشديد الايجاز للملامح الاساسية لدور الضباط والجنود المصريين فى الحركة الوطنية الرائعة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية .

ملامح أساسية لدور الضباط والجنود بعد الحــرب الثانية

أولا : يخطىء من يظن ان الجيش كان مؤسسة مغلقة او منفصلة عن شعبها . فقد كان الجيش فى هذه الفترة مطبعا من مطابع الحركة الوطنية الحديثة فى مصر بعد الحرب العالمية الثانية ، تماما كالجامعة والمعاهد والمناطق العمالية .

وكماامدت المناطقالعمالية والجامعات والمعاهد الحركة الثورية بعناصر شابة شديدة الحماس ، امد الجيش هذه الحركة بعناصر ثورية من جنوده وضباطه .

كان شباب الحركة الوطنية الثورية بعد الحرب الثانية موزعا اساسا بين الاتجاهات الاشتراكية الماركسية والاتجاهات الارهابية (جمعيات اغتيال الانجليز والخونة) ، والجمعيات السياسية الدينية المتعصبة شبه الفاشية ، وحزب الوفد . وقد كان شبابالجيش ممثلافى **كل** هذهالحركاتوالاتجاهات وقد كانت كلها فى نظر الشباب فى ذلك الوقت أدوات تحرر وطنى.وكذلك الشأن فى كافةالمنظمات والحركات العلنية والسرية التى انتظمت الشباب الوطنى فى ذلك الوقت .

ثانيا : برغم اطمئنـــان السراى الى القيـــادة العامة للجيش بل وسيطرتها على هذه القيادة الرسمية ، فى تلك الفترة ، ظلت تخشى الاعتماد على الجيش فى كبت التحركات الشعبية للطلبة والعمال . ان الذين شهدوا يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ « يوم الجلاء » الذى نظمته اللجنة الوطنية للطلبة والعمال) ليذكرون كيف انطلق بعض جنود الجيش المصرى وضباطه يهتفون مع المتظاهرين ويحملون علىالاعناق،وكيف أسهم عدد منالضباط والجنود فى الرد على عدوان القوات البريطانية على تلك المظاهرة السلمية . والاستعمـــاريون والرجعيون الذين عرفوا جيدا حقيقة مشاعرالجنود والضباط ازاء الحركة الوطنية المشتعلة منذ انتهاء الحرب الثانية ، قرروا ألا يعتمـــدو عليه فى كبت الشعب ، واكتفوا بتسخيــر البوليس لهذه المهمة (كان فى قيادة البوليس اذ ذاك فيتزباتريك الانجليزى وعملاؤه) . وفى المرات القليلة التى لجأ فيها اعداء الشعب الى الجيش كان الجيش يكتفى باثبات

وجوده ، وهو يستمع الى هتافات الشعب بتحيته (الجيش ابن الشعب ، الجيش جيش الشعب) .

ثالثا : بعد عامى حرب فلسطين المليئين بالتجارب والدروس ، زاد اندماج الضباط والجنود فى صفوف الحركة الوطنية ، وبدأ يتخذ مظاهر سافرة العداء للاستعمار والسراى (قضية الاسلحة الفاسدة) . ثم كانت معركة نادى الضباط الشهيرة ضد انتخاب عميل السراى **(حسين سرى عامر)** التى كشفت للراى العام حقيقة الصراع الدائر بين السراى وضباط الجيش وجنوده .

رابعا : بدأ تنظيم الضباط الاحرار يتخذ شكل حركة سياسية نشطة منذ اواخر سنة ١٩٥٠ ويتسع عدديا ويعمق اثره فى جماهير الضباط وصف الضباط والجنود . وهكذا استطاع هذا التنظيم بعد انتصار الشعب فى الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ واعلان الكفاح المسلح ضد القوات البريطانية المعتدية ، استطاع أن ينظم اسهاما نشطا ومنتظما من ضباط الجيش وجنوده فى المعركة ، برغم كل العوائق التى وضعتها السراى دون هذا الاسهام .

خامسا : حينما أحرق الاستعمار والسراى القاهرة ليتخذوا الحريق ذريعة لضرب كافة منظمات الحركة الثورية من الفدائيين وانصار السلام والجماعات الماركسية والحزب الوطنى والشباب الوفدى والشباب الاشتراكى ، كانت حركة الضباط الاحرار هى التنظيم الوطنى الوحيد الذى امكن ان يحتفظ بقواه بعيدا عن قبضة الرجعية والاستعمار ، ومستمرا فى نفس الوقت فى النضال السرى ضد النظام .

وقد كان شعور اعضاء حركة الضباط الاحرار بهذا التفرد فى الميدان ، دافعا لهم الى زيادة التماسك والوحدة والاستعداد لتحمل المسئولية باسم القوى الشعبية الاسيرة كلها . وهذه هى الفترة التى ذاع فيها برنامج الضباط الاحرار بين صفوف الثوريين .. لقد كان هذا البرنامج وطنيا تقدميا متأثرا بالطابع العام لعصرنا الثورى ، ويكفى ان نشير الى ان الاهداف الستة المشهورة التى أعلنها الرئيس جمال بعد الثورة كانت جزءا من هذا البرنامج بالاضافة الى موقف صريح من الاستعمار الامريكى والاحلاف الاستعمارية التى يدعو اليها والى برنامج اصلاحى محدد فى مجال الجيش يتضمن مطالب الجنود والضباط (راجع برنامج الضباط الاحرار) .

ولقد بلغت الجراة بتنظيم الضباط الاحرار ، فى تلك الفترة اعلى درجاتها ، فاصدر باسم «القوات المسلحة للشعب المصرى» نداء رائعا الى كافة المحافل الدولية يدين استخدام الامريكيين لحرب الجراثيم ضد الشعب الكورى .

ثم كانت المعركة السافرة ضد السراى بعد ان اغتال عملاؤها الضابط الشهيد «عبد القادر طه» هذه المعركة التى انقسمت فيها هيئات شعبية كثيرة وفرضت نفسها على صفحات الصحف المكبلة اذ ذاك بالرقابة العرفية .

هذا عرض شديد الاختصار ، الى درجة الاخلال لدور الضباط والجنود المصريين عقب الحرب الثانية . وهو دور منطقى تماما فى جيش ظل امتدادا لجيش الثورة العرابية . برغم كل ما اتخذه الاستعماريون والرجعيون من اجراءات تقطع صلته بذلك التاريخ الثورى القومى الاصيل .

الضباط الاحرار

وثورة ٢٣ يوليو الوطنية

فى ظروف كبت التنظيمات السياسية الشعبية كلها ، واحتجاز مناضليها خلف جدران السجون والمعتقلات ، وفى الوقت الذى بدأ فيه الهمس الشعبى ضد النظام يتخذ انغاما اكثر ارتفاعا ، واستحكمت ازمة النظام الى درجة الارتباك الكامل فى صفوف الاعداء . واشتد التطلع الشعبى العام الى اقتلاع حكم الاستعمار والسراى المطلق ، تقدم تنظيم الضباط الاحرار ليكون طليعة الزحف الثورى لقلب ذلك النظام .

ولعل كلمات **الميثاق** البالغة الدلالة ، تلخص لنا موقف القوات المسلحة فى هذا اليوم احسن تلخيص «ان اعظم ما فى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ان القوات التى خرجت من الجيش لتنفيذها ، لم تكن هى صانعة الثورة وانما كانت اداة شعبية لها . لقد كانت المهمة الكبرى للطلائع الثورية التى تحركت فى الجيش تلك الليلة الخالدة ، هى انها استولت على الامور فيه ، واختارت له المكان الذى لا مكان له غيره ، وهو جانب النضال الشعبى انها قامت بعملية تصحيح للاوضاع بالغة الاهمية والخطر ، فى تلك الظروف متحدية بذلك ارادة كل القوى الحاكمة التى ارادت عزل الجيش عن النضال الشعبى . ان الثورة تفجرت تلك الليلة العظيمة من انضمام الجيش تحت قيادة الشعب وفى خدمة امانيه . ان الجيش فى تلك الليلة اعلن ولاءه للنضال الشعبى ، ومن ثم فتح الطريق امام ارادة التغيير » .

وبقية القصة معروفة فى تطور ثورة ٢٣ يوليو سنة ٥٢ فى طريق التحرر الوطنى الكامل ثم الانتقال بالثورة الى مرحلتها الاشتراكية .

هذه ، فى ايجاز شديد ، تجربة الجيش المصرى فى الثورة المصرية للتحرر الوطنى . وما اظن كثيرا من ملامح هذه التجربة الا سمات مشتركة فى علاقة جيوش اخرى فى بلاد مستعمرة او تابعة بثورات بلادها الوطنية ، كما سبق ان اشرت بالنسبة الى البرازيل وحديث «كارلوس برستس» عن دور الجنود والضباط فى ثورتها .

الخلاصة النظرية

١ — ان من الخطأ الجسيم ، بل من الجمود المدمر ، بالنسبة للثوريين فى البلاد التى تناضل الاستعمار او التبعية ، ان يكتفوا باجترار المفهوم الماركسى التقليدى عن الجيوش دون غوص الى الحقائق الواقعية فى ظروف بلادهم واستخلاص المفهوم النظرى المنسجم مع هذه الحقائق والنابع من داخلها . ولعل تجربة الماركسيين المصريين مع ثورة يوليو سنة ٥٢ فى انطلاقتها الاولى تكون ذات مغزى هام فى هـــذا الصـــدد . والواقع أن الحركة الماركسية العالمية كلها ، قـــد وقعت فى خطأ التمسك بالمفهوم التقليدى وتفسير الاحداث فى بلادنا على ضوئه ، فكان لذلك اثر ضاغط شديد على الماركسيين المصريين — وهكذا كان طبيعيا ومؤسفا ايضا ، ان تطلق صفات « العسكريه » و «الفاشية» على دور وطنى وثورى عظيم للضباط والجنود المصريين، فى ظل سيادة الجمود الفكرى .

٢ — ان نظرية «الجيش جهاز قهر طبقى فى المجتمع الطبقى» كماقدمتها الماركسيةنظرية سليمة تماما فى المجتمعات الراسمالية التقليدية (السيادة الراسمالية الصافية صفاء كلاسيكيا) . اما فى المستعمرات والبلاد التابعة والبلاد المتخلفة عموما فى مراحل التطور ، فان الامر يتطلب دراسة أدق . ذلك ان الانقسام الطبقى فى المستعمرات يحكمه فى الاســاس تناقض رئيسى كبير بين الطبقـــة البرجوازية الاجنبية القاهرة ، ومجموع طبقات الامة المقهورة بما فيها البرجوازية المحلية . ان القهر الذى تمارسه البورجوازية الاجنبية هنا هو قهر وطنى ، قهر امة بكاملها (حتى لو استعانت ببعض عناصرها) . . الجيش الذى يريده الاستعمار اداة قهر وطنى لامته قلما ينجح فى تحقيقه ، بغير الاعتماد على المرتزقة والعملاء السافرين .

٣ — ان ثمة امكانيات ثورية عظيمة اسفر عنها تطور الثورات الوطنية فى صفوف القوات المسلحة ، امكانيات ثورية تتفاوت عمقا واتساعا من مستوى التحالف مع الحركة الوطنية الى مستوى القيام بدور طليعى فى هذه الحركة . وفى هذه الظروف الاخيرة تجرى فى حركة تطور القوات المسلحة نفس التحولات التى تجرى فى فكر الثورة الوطنيـــة وايديولوجيتها ، وهى تزداد عمقـــا فى اتجاه التحول الى ثورة اشتراكية .

٤ — ان فى العالم اليوم جيوشا اشتراكية عظيمة لها تقاليدها ونظمها وسمعتها العالمية العالية ، مما يخلق ظرفا مواتيا للتاثير الثورى التقدمى فى صفوف القوات المسلحة فى الامم الفتية .

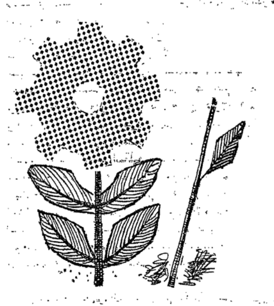
٥ — ثمة جيوش جديدة نشات وتطورت على يد الثورة الوطنية نفسها ، وكدرعلها مثل جيش التحرير الجزائرى وجيش التحرير الفيتنامى ، وجيش التحرير الانجولى .. الخ . هذه الجيوش لم اتناولها بالبحث ، ولكن المؤكد انها قوى ثورية خالصة يمكن ويجب ان تتطور فى اتجاه قوة ثورية اشتراكية مع تطور الثورات الوطنية التى انشاتها الى ثورات اشتراكية .

الاهمية العملية لهذه الافكار

لانقول هذا الكلام للمتعة النظرية او بحثا وراء جديد فى مجال الفكر .. ان الاثر العملى للفكرة النظرية هو الذى يحدد مدى خطرها . فالذين يحملون المفهوم التقليدى عن الجيوش ويجمدون عنده ، يعزفون بالتالي عن كل نشاط فى صفوف القوات المسلحة او لايعيرون النشاط وسطها ادنى اهتمام . وباسم الاعتماد على جماهير العمال والفلاحين يتجاهلون كتلة هامة من هؤلاء العمال والفلاحين وابنائهم لمجرد انهم فى ثياب عسكرية واكثر نظاما وتدريبا عسكريا . اما الذين ينبذون الجمود عند المفهوم التقليدى ، ويملكون نظرة مرنة وواقعية للامور ، فسيقيمون وزنا لمثل هذه القوة الهامة فى بلادهم ، ولن يتركوها فريسة فى ايدى اعداء الثورة . ومن هنا تنبع الاهمية العملية لصياغة مفهوم نظرى علمى وواقعى فى نفس الوقت ، لطبيعة ودور القوات المسلحة فى البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة والتابعة .

انسيادة المفهوم السليم تعنىتكتيكا علميا ثوريا يبنى على هذا المفهوم . ان الجيوش تشكيلات مسلحة تتميز بالنظام والتنظيم ويرتبط افرادها بأحدث اشكال التقدم الآلى من خلال احدث الاسلحة (فى عصرنا الحالى يستثمر التقدم الآلى فى السلاح قبل كل شىء اخر) . ومهما بلغت تدبيرات القوى السائدة فانها (الجيوش) تظل نابعة من طبقات المجتمع الموجودة بالفعل والمشـــتبكة فى الصراع الوطنى بدرجات مختلفة ، الا اذا كانت جيشا من المرتزقة كما هو الحال بالفعل فى بعض البلاد . واهمال القوات المسلحة فى بلادنا الفتية التى ما زالت تناضل الاستعمار والاستعمار الجديد يعنى اهمال اجزاء من طبقات المجتمع ، وجدت لها ظروف مواتية لشحذ وعيها وتوسيع مداركها . ولقد راينا كيف كان السهم الاول للاستعمار الانجليزى بعد دخول قواته الاراضى المصرية ، هو حل الجيش المصرى وتمزيق اوصاله .

القطاع العام بين الرأسمالية والاشتراكية والتجربة المصرية



د. اسماعيل صبري عبدالله

في الوقت الذي تظهرفيه خطة التنمية الثانية تشتد العناية بمشكلات القطاع العام . وهذا امر طبيعي يتم عن ادراك حقيقة ان تنفيذهذه الخطة الجديدة يتوقف الى حد بعيد على فعالية القطاع العام الذي يقع عليه العبء الاكبر من التنفيذ . وكان صدور « قانون المؤسسات العامة وشركات القطاع العام» مناسبة طرحت فيها بشكل مركز قضايا كثيرة وهامة . ولكن المناقشة لم تنته بصدور القانون المذكور فمازالت مشكلات الرقابة الشعبية ومشاركة العمال في مجالس الادارة ودور النقابات والتنظيم السياسي .. الخ محل بحث وجدل . وفي هذا المقال يحاول الكاتب تحديد المعالم المميزة للقطاع العام في بلادنا بشكل ييسر المقارنة بالبلدان الاخرى ويوضح الاختلاف في الطبيعة الذي يحول دون استلهام ما يجرى في البلدان الرأسمالية في هذا الصدد .

«انّ الحكومة المدنية ، من حيث انها نشأت لتامين الملكية ، تقوم في الواقع من اجل حماية الغني من الفقير ، والدفاع عمن يملكون ضد من لايملكون» .

ليس قائل هذه الجملة اشتراكيا متطرفا ، ولا فوضويا معاديا لفكرة الدولة من أساسها ، وانما هو آدم سميث ابو الاقتصاد السياسي الراسمالي والذي ظل مؤلفه الشهير «ثروة الامم» انجيلا اقتصاديا للرأسمالية لاكثر من قرن الزمان (١)

(١) «ثروة الامم» الجزء الثاني ، ص ٢٢٣ (طبعة سكوت الصادرة سنة ١٩٢٥)

وبمثل هذا الفهم لدور الدولة لم يكن من المتصور في نظر سميث واتباعه العديدين ان تقترف الدولة الاثم الذى ماوجدت الا لمحاربته ، لم يكن متصورا ان تعتدى الدولة على الملكية ، والا فقدت مبرر وجودها واحلت الناس من واجب الطاعة لها وحق اسقاطها بالثورة عليها . لم يكن التأميم متصورا كمفهوم . بل ان الكلمة نفسها لم تدخل معاجم اللغة الا في القــرن العشرين (٢) . بــل ان الاقتصاديين الكلاسيكيين كانوا يرفضون رفضا باتا ان تمارس الدولة ولو بغير طريق التاميم ملكية وسائل الانتاج ، لان مثل هذه الملكية تعنى ان الدولة حصلت من الضرائب اكثر مما يلزم لها لاداء وظائفها الادارية وهذا عدوان على حقوق المواطنين فضلاعن اخلاله بمبدأ الحرية الاقتصادية وقد اخذت نظريات سميث واقرانه واتباعه موقعها الفكرى من تعبيرها الاصيل عن الواقع كما ساهمت في تشكيل هذا الواقع . وبالفعل كان يندر في منتصف القرن الماضى مثلا ان نجد حكومة تملك اى مشروع اقتصادى . ولكن صورة الراسمالية اليوم تختلف جد الاختلاف . **فلا يوجد بلد راسمالي واحد لايوجد فيه قطاع عام** . حتى الولايات المتحدة التى تجعل الدفاع عن المشروعات الفردية اساس سياستها ومن الحرية الاقتصادية عنوان «حضارة الغرب» التى تزهى بها ، ومن « العالم الحر » اسم المعسكر الذى تتزعمه توجد بها مشروعات مملوكة للدولة ، بعضها على قدر كبير من الاهمية مثل بنك الاستيراد والتصدير . وهناك بلدان راسمالية يتسع فيها نطاق القطاع العام الى حد كبير مثل ايطاليا التى توجد بها عدة مؤسسات عامة ضخمة تسيطر على مئات الشركات . وهكذا أصبح القطاع العام ظاهرة مألوفة في كل البلاد(٣)

ومن ناحية اخرى كثر الحديث في السنوات الاخيرة عن «تطورات هامة» في البلاد الاشتراكية تدور كلها حول ادخال مفهوم الربح في الاقتصاد الاشتراكي واحترام « نظام السوق » وقوانين العرض والطلب والحوافز الشخصية المادية وغير ذلك من الامور التى تحكم الاقتصاد الراسمالي والتى زعم المخططون طويلا امكان تجاهلها .

وبهذا غدا من السهل ان يزعم البعض ان الصراع بين الاشتراكية والراسمالية قد اصبح غــير ذى موضــوع . فالراسمالية قــد خطت خطوتين الى الامام ، والاشتراكية قد خطت خطوة الى الخلف فضاقت شقة الخلاف واصبح العالم كله يتجه نحو نظام اقتصادى واحد «وكفى الله المؤمنين القتال» . ولكن مثل هذا الحديث يصدر في معظم الاحوال عن نظرة سطحية ليس لها من عذر الا حسن نية اصحابها . وهو يصدر في بعض الاحوال عن سوء قصد ويهدف تعمية الامور وبلبلة الافكار وطمس الحقائق . وليس يكشف عن ابعاد الصراع بين الراسمالية والاشتراكية مثل فهم حقيقة دور القطاع العام في كل منهما .

اولا : القطاع العام وراسمالية الدولة الاحتكارية

١ ــ من « الاقتصاد الحر » الى رأسمالية الدولة الاحتكارية .

مابعد صوره الراسمالية اليوم عن تلك التى تصــورها ورسمها الاقتصــاديون الكلاسيكيون ! لقد ظن اولئك الاقتصاديون وهم يشــهدون مولد الراسمالية الصناعية من احشاء الراسمالية التجارية انهم وجدوا المفتاح السحرى ليس لآلام المخاض تلك وحدها وانما لالام البشر جميعهــا الا وهو شعار **« الحرية الاقتصادية »** . وكانت فلسفتهم فردية ونفعية تدور حول محور اساسى وهو الايمان بان المحرك الاول لكل فرد هو مصلحته الذاتية فكما يقول بتنام تتحدد حركة كل فرد بما يحققه منها من متعة أو يتجنبه من الم (وبلغة الاقتصاديين مايحققه من منفعة او يتجنبــه من خسارة) اما المصلحة العامة فانها تحقق تلقائيا من خلال صراع الافراد كل من اجل مصلحته الفردية ، هذا الصراع الذى يشبه ذلك الذى قال داروين انه يحكم الطبيعة واسماه «الصراع من اجل البقاء» من حيث ان كلا منهمــا يحقق في النهاية البقاء للاصلح ، للاقدر على البقاء ، وهكذا تتطور الكائنات الحية وتتقدم المجتمعات من خلال هذا الصراع الذى لايعرف هوادة . واى تدخل خارجى في هذا الصراع ضار لانه يعطل انتصار الاصلح ، اى يعطل التقدم . فكما ان تمسك الانسان بسلالة معينة من نبات او حيوان يعطل تغلب السلالات الاقوى ويعوق بالتالي تحسين النوع كله، كذلك تدخل الجماعات المختلفة (النقابات الاتحادات ، ... او الدولة) لحماية بعض الاطراف في عمليات الانتاج والتوزيع يقف عقبة في سبيل التقدم الاقتصادى ، ومن ثم فالحرية الاقتصادية تعنى ان يترك الافراد وشأنهم يتصارعون كاعنف مايكون الصراع والا جمد المجتمع وهبط معدل التقدم الاقتصادى . والمبرر الوحيد لوجود الدولة هو ضمان حرية هذا الصراع . فكما قال روسو

---

(٢) ولم تدخل اللغة العربية الا غداة الحرب العالمية الثانية

(٣) من الغريب إن تنشر عندنا كتب من الاشتراكية في بريطانيا لمجرد ان حزب العمال قد اجرى تامينات محدودة ، ولا يتحدث احد عن الاشتراكية في ايطاليا ، مع ان حجم القطاع العام فيها اضعاف حجمه في بلاد الانجليز ..

كان الافراد احرارا حرية كاملة لايخضعون لاى سلطة وكانوا سعداء بحريتهم تلك ، وهم لم يتنازلوا عن جزء منها للدولة الا لتضمن امرا واحدا هو الا يمارس احد حريته بشكل يصادر بهحريات الاخرين . ولذلك فان وظيفة الدولة الاساسيه — بل والوحيدة — هى ان تقوم بدور الحارس لهذه الحرية . فهى تمنع ان تنشأ نقابة للعمال تحد من حرية العامل فى أن يعمل بأى أجر يرتضيه، وهى تصدر القوانين وتنشىء المحاكم لتضمن تنفيذ كل فرد لما ارتضاه من التزامات تعاقدية وفقا لنظرية حرية التعاقد . وهى قبل ذلك وبعد ذلك تحمى الملكية الفردية . فهذه الملكية فى نظر أولئك الكتاب مظهر أساسى من مظاهر الحرية الفردية وميثاق حقوق الانسان الذى اصدرته الثورة الفرنسية بعد ان نص على ان الناس يولدون احرارا ثنى مباشرة بان الملكية مصونة لاتمس ، وحق مقدس . وفى هذا الاطار يكون تملك الدولة لبعض وسائل الانتاج عدوانا على الحرية وخرقا للعقدالاجتماعى الذى قامت عليه الدولة وليس مجرد خروج على السياسة الاقتصادية الاسلم .

وكان الاقتصاديون الكلاسيكيون لايتصورون اى تقييد للحرية الاقتصادية لا يستند الى ارادة الدولة . فالصورة الوحيدة للاحتكار القائمة فى اذهانهم هى صورة احتكار استيرادسلعة معينة او الاتجار مع مستعمرة معينة او انتاج سلعة معينة الذى كان يمنحه الملوك لبعض التجار او لشركات المستعمرات (كشركة الهند الشرقيــة الشهيرة) او لبعض المصانع التى يساهمون فيها (كالمصانع الملكية للسجاد فى فرنســا) او الذى كانت توفره النظم الاقطاعية فى ظل نظام الطوائف من انفراد اعضاء كل طائفة بانتاج السلعة التى يختصون بها دون غيرهم . ولذلك كان الهدف الثورى الراسمالى هو الغاء كل هذه القيود . وكان اقتصاديو النصف الاخير من القرن الثامن عشر يعتقدون انه بعد زوالها لابد ان تعود المنافسة الحرة . لانه حتى اذا وجد احتكار ما فى البداية فان مايحققه الاحتكارى من ارباح طائلة من شانه ان يجذب غيره من الراسماليين للاشتغال بنفس النوع من الانتاج ، ومتى انعدمت القيود على مثل هذا الاتجاه لابد ان ينتهى الوضع الاحتكارى . والمنافسة الحرة تؤدى بذلك الى زيادة الانتاج وتخفيض الاسعار نظرا لزيادة عدد المنتجين ولتنافسهم على البيع . ويظل هذا الاتجاه سائدا حتى يختفى الربح تماما . وعندئذ يتحول الفائض من راس المال الى مجال اخر يستطيع ان يحقق فيه الربح . وهكذا تنتشر حركة الانتاج الحديث فى ارجاء الاقتصاد القومى حتى يتــم استخدام كافة الموارد الطبيعية والبشرية ، اى حتى تتم التنمية . بل ان الاقتصاد الراسمالى لابد ان يعيش فى تطور مستمر . فبعد استنفاد كل مجالات الاستثمار يركز الراسماليون عنايتهم على التطوير التكنيكى لوسائل الانتاج بهدف تخفيض تكاليف الانتاج وزيادة كميته . والمنافسة بينهم من اجل الحصول على اقصى ربح ممكن هى الدافع القوى الى كل ذلك .

وعبثا حاول الاقتصــاديون الاشــتراكيون أن يوضحوا لزملائهم من الاقتصاديين ان «المنافسة تقتل المنافسة» . فقد ظل هؤلاء متمسكين بالصورة المثالية التى بذلوا قرابة قرن فى صياغتها اجمل صياغة . ومع ذلك اثبت الواقع ان المنافسة تعنى التهام المشروع القوى للمشروعات الضعيفة لان المنافسة لايمكن ان تكون متكافئة حيث يحقق المشروع الـكبير «وفورات» لاتتسنى للمشروع الصغير . وكانت الازمات الدورية التى تعرضت لها الراسمالية عاملا هاما فى التعجيل بظاهرة التركز تلك . فكل منها كانت تعصف بالاف من المشروعات الصغيرة فى حين تدعم المشروعات الكبرى مراكزها . وساعد كذلك التقدم التكنيكى على التركز . فكل تطوير للالات كان يعنى مزيدا من الاستثمارات التى لايستطيع ان ينهض بها الا كبار الراسماليين . وهـكذا اشتدت حاجـة الصناعة الى البنوك وزاد الترابط بين راس

الراسمــــالية التجــــارية والراسمــــالية الصنـــاعية

يطــلق المؤرخــون الاقتصــاديون اســم «الراسمالية التجارية» على الفترة من تاريخ اوروبا الغربية التى تمتد من بداية القــرن السادس عشر حتى النصف الثانى من القرن الثامن عشر والتى تميزت بالدور الضخم الذى لعبته طبقة التجار التى اثرت خلال الحــروب الصليبية ثم بعد الاكتشافات البحرية الضخمة بحيث نجحت فى السيطرة على الصناعة الحرفية وتحالفت مع الملوك للحد من عبث الاقطاعيين ومحاولة اقامة دول موحدة على أساس قومى .

وكانت رؤوس الاموال التى تجمعت لــدى هؤلاء التجار والاسواق الضخمة التى تجحوا فى السيطرة عليها هى المحرك الاول «للثورة الصناعية» التى تمثلت فى سلسلة من الاختراعات الهامة وترتب عليها تحويل صنــاعة الغــزل والنسيج اولا ثم غيرها من الصناعات الــى صناعات آلية . غير أن نمو الصناعة اثــر استخدام الالات جعل كفتها ترجح كفة التجارة وأصبحت هى الاساس ، وانحصر دور التجارة فى تصريف انتاجها وعلا شان رجال الصــناعة على حساب التجار فدخلت أوربا الغربيــة عصر «الراسمالية الصناعية»

المال المصرفى وراس المال الصناعى الكبير حتى امتزجا وتولد عنهما «راس المال المالى» الذى يتمثل فى جماعات مالية محدودة العدد تسيطر على البنوك الضخمة والمشروعات الصناعية الكبرى .

وكما قتلت المنافسة المنافسة ، قضت الحرية الاقتصادية على نفسها . فامتناع الدولة عن التدخل فى الحياة الاقتصادية بساعد على نشأة الاحتكارات الكبرى . وهذه الاحتكارات بدورها حققت من السيطرة على مجالات الحياة الاقتصادية الاساسية ماجعل فى امكانها ان توجه النشاط الاقتصادى كله . فسياسة الانتاج والتسويق والاسعار ترسمها الشركات الكبرى وتحقق من ورائها اعظم الارباح . لقد انتفت الحرية الاقتصادية بانتفاء اساسها الفلسفى الا وهو استحالة ان يفرض فرد (او مجموعة من الافراد) ارادته على الجميع . ومنذ البداية كان واضحا ان الملكية الفردية تخل بهذا الاساس . فارادة من يملك وسائل الانتاج لا تستوى مع ارادة من لا يملك شيئا الا قوة عمله . ولكن التقارب فى الثروات وسيادة المشروعات الصغيرة والمتوسطة فى بداية عصر الراسمالية الصناعية كان يجعل للحرية الاقتصادية معنى على الاقل بالنسبة للراسماليين معنى يشبه معنى الديمقراطية فى اثينا القديمة حيث كانت حقوق المواطنين قصرا على الاحرار (وهم اقلية ضئيلة) دون العبيد (وهم الاغلبية الساحقة) . وقد قضت سيطرة الاحتكارات على الحرية الاقتصادية حتى بهذا المعنى الضيق فقد غير التركز الهائل فى الانتاج والثروات كل اثر للتكافؤ حتى بين الراسماليين انفسهم . **وهكذا تم باسم الحرية الاقتصادية تحقيق سيطرة كبار الراسماليين على صغارهم ومتوسطيهم وتوجيه الاقتصادالقومى عن طريق الجماعات الاحتكارية وباسم مصالحها وجدها .**

وفى مواجهة هذا الصراع داخل الراسمالية ذاتها ، كان المجتمع يشهد صراعا طبقيا مريرا بين اصحاب راس المال والعمال . فقد بدأ اولئك بابشع انواع الاستغلال (يوم العمل ١٤ ساعة) ظروف عمل قاتلة ، اجور تافهة .. الخ ، وواجههم هؤلاء بمقاومة اخذت اشكالا متعددة من تحطيم الالات وتخريب الانتاج ، الى الاضراب الى الثورات المسلحة . وهكذا اصبح المجتمع الراسمالى مهددا فى وجوده ذاته .

وتحت ضغط هذه الصراعات المتعددة اخذ دور الدولة يتعدل شيئا فشيئا . فاخذت تتدخل فى الحياة الاقتصادية تدخلا متزايدا . فهى تتدخل لضمان حقوق معينة للطبقات المستقلة لكن لا يودى الصراع الطبقى بالمجتمع كله . فالدولة رغم انها فى الاساس اداة قهر طبقى لصالح الطبقة الاجتماعية السائدة ، تعمل على الا ينهار المجتمع من اساسه اذا اطلق العنان للصراع الطبقى ، ومن ثم تلجأ الى الاجراءات الاصلاحية التى لاتغير طبيعة المجتمع ولكنها تخفف حدة الصراع . وهى تتدخل كذلك فى الصراع القائم بين الجماعات الاحتكارية المختلفة لتضمن مصالح الطبقة فى مجموعها من أن يضر بها جشع هذه المجموعة الاحتكارية او تلك او قصر نظرها . وهى تتدخل بشكل اساسى لمحاولة حماية الطبقة الراسمالية من آثار الازمات الاقتصادية .

ولتدخل الدولة اليوم فى اشكال متعددة يمكن ان نجمعها فى بابين : اجراءات توجيه وتنظيم النشاط الاقتصادى من ناحية ، وممارسة الانتاج عن طريق الملكية العامة او المختلطة من ناحية اخرى .

والباب الاول يشمل تشريع العمل وقوانين النقد والائتمان وقوانين تنظيم الانتاج والتخطيط التاشيرى والتدخل فى السوق النقدية (سعر الخصم) والسوق المالية واسواق السلع المختلفة ...

والباب الثانى هو القطاع العام . وبسبب كل هذه الاشكال من اشكال تدخل الدولة انتفت تماما الصورة القديمة «للاقتصاد الحر» ولم يعد الاقتصاد الراسمالى اقتصادا فرديا رغم ان اساسه مازال الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، لقد اصبح تدخل الدولة هو السمة المميزة للاقتصاد الراسمالى المعاصر ، من ثم اطلق عليه اسم «راسمالية الدولة» ولما كانت هذه الدولة دولة الاحتكارات الكبرى توجه النشاط الاقتصادى كله لمصلحة الاحتكاريين ووفقا لاساليبهم فان النظام الاحتكارى السائد فى الدول الراسمالية الكبرى هو اليوم **«نظام راسمالية الدولة الاحتكارية»** .

٢ ــ قطاع عام احتكارى

لم يكن هناك مفر من الاستطراد السابق لتفهم طبيعة القطاع العام فى الدول الاستعمارية فذلك القطاع وليد راسمالية الدولة الاحتكارية وهو جزء لايتجزأ منها يخضع للقوانين الاقتصادية التى تحكمها . ويتاكد هذا المعنى اذا ماتاملنا ظروف نشأته واهدافه ، ونطاقه ، واسلوب ادارته وطبيعة علاقات الانتاج السائدة فيه .

واستقراء **ظروف نشأة القطاع العام** فى الدول الراسمالية الكبرى يظهر انه تكون تاريخيا فى فترات تتميز باحد امرين : اما ازمة اقتصادية طاحنة واما ازمة سياسية حادة . **فالازمة الاقتصادية الكبرى** (١٩٢٩ ــ ١٩٣٤) كانت سببا لنشأة العديد من المشروعات المملوكة للحكومة ولو جزئيا . ففى ظل النازية اشترت الحكومة عددا كبيرا من المصانع المفلسة او التى هددتها الازمة بالافلاس كما عهدت الى التوسع فى الصناعات الحربية لاستيعاب البطالة والاعداد للعدوان . وفى ايطاليا انشأ موسولينى مؤسسة «اعادة التعمير الصناعى» (ايرى) لتشترى المشروعات المتعثرة او المفلسة

وتعمل على تنشيطها حتى اذا ماازدهرت امكن ان تبيع كل اسهمها للقطاع الخاص او بعض تلك الاسهم على الاقل . وفى الولايات المتحدة كان ضمن برنامج روزفلت قيام الحكومة الاتحادية ببعض المشروعات الضخمة بقصد استيعاب البطالة وكان فى مقدمتها مشروع «وادى التينيسي» وقد قدم الاقتصادى الانجليزى الكبير لورد **كينز** فى كتابه الشهير « النظرية العامة » الاساس النظرى لهذه السياسة فاكد ان العمالة الكاملة لاتتحقق تلقائيا كما كان يظن الاقتصاديون الكلاسيكيون ومن ثم لابد ان تتدخل الدولة فى فترات الكساد لتنفق على نطاق واسع فى مشروعات عامة . وان كان كينز يفضل المشروعات التى لاتؤدى مباشرة الى انتاج مزيد من السلع حتى لايزيد الانتاج فى نفس الوقت الذى تزيد فيه الدخول الموزعة ولهذا فهو يدعو الى الانفاق فى مشروعات الطرق والمبانى العامة .. ويمكن أن نضيف اليها الانتاج الحربى ومشروعات غزو الفضاء . وواضح ان الهدف المشترك فى جميع هذه الاحوال هو اسداء خدمة للراسماليين اما بشراء مشروعاتهم المفلسة او بشراء منتجاتهم عن طريق الانفاق الحكومى . اما الازمات السياسية فنعنى بها تلك الفترات التى يشتد فيها الصراع الطبقى وتنجح الطبقة العاملة والطبقات الشعبية فى فرض شعار التاميم بسبب ماتعانيه البورجوازية من ضعف إثر ازمات اقتصادية او اثر خيانة بعض اقطابها كما حدث فى فرنسا من تعاون بعض كبار الراسماليين مع المحتلين الالمان . ويمكن ان نسوق مثلا على ذلك التاميمات التى تلت الحرب العالمية الثانية فى كل من انجلترا وفرنسا . وقد اتجهت هذه التاميمات نحو مراكز القوى المالية (البنوك وشركات التامين) والقوى المحركة (مناجم الفحم ، إنتاج الكهرباء) وبعض الصناعات الاساسية (كالصلب مثلا) ثم المرافق العامة (السكك الحديدية ، النقل المشترك) . وكان تاكتيك الراسمالية فى هذه المعركة مزدوجا : مقاومة التاميم للحد من نطاقه ثم ضمان ان تبقى المشروعات المؤممة فى خدمة الاحتكارات عن طريق ادارتها واسلوب انتاجها . وهكذا نرى انه حتى فى الحالات التى ترجع فيها نشاة القطاع العام الى مبادرة شعبية تنجح الاحتكارات فى تسيير المشروعات المؤممة لصالحها . فتاميم البنوك الكبرى كان يقصد به كما يقال تحطيم «حائط النقود» الذى يصد كل مبادرة ديمقراطية من جانب البرلمان او الحكومة (التى يمكن ان تضم احزابا شعبية) كما يحطم تطلعات البورجوازية الصغيرة والمتوسطة . وكان الامر يقتضى لذلك ان تتغير سياسة البنوك الائتمانية لتوفر الاموال اللازمة للمشروعات الصغيرة والمتوسطة كما تيسر تمويل الاجراءات الاجتماعية . ولكن البنوك المؤممة استمرت تحابى الاحتكارات وتخصها بالجزء الاكبر من مواردها بحجة اتباع القواعد المصرفية السليمة التى تجعل حجم الائتمان متناسبا مع درجة ملاءمة المقترض . وتاميم مصادر القوة المحركة ادى الى ان تتحمل الدولة (اى مجموع المواطنين الذين يدفعون الضرائب المباشرة وغير المباشرة) استثمارات ضخمة لتوفير الطاقة اللازمة للتوسع الصناعى ، ثم تبيع هذه الطاقة للاحتكارات بابخس الاثمان بحجة تخفيض تكاليف انتاجها من السلع ليصبح من الممكن ان تباع باسعار تنافس الصناعات الاجنبية فى الاسواق الخارجية .. ويمكن ان نعدد الامثلة . ومن اهم مايميز ظروف نشاة القطاع العام فى ظل الراسمالية الاحتكارية انه حين ينشا عن طريق التاميم (وتلك ليست الحال دائما) **يكون التاميم بتعويض كبير** .

فالراسمالية اياكانت الظروف لاتقبل مبدا نزع الملكية دون تعويض ، فذلك الغاء لجوهر الملكية ذاته . اما نزع الملكية بتعويض فهو نقل لمحل الملكية من شىء (مصنع مثلا) الى شىء اخر (كمية من النقود ، سندات .... الخ) . ولذلك فالتأميم فى ظل الراسمالية تأميم بتعويض دائما(٤) . بل ان التعويض كثيرا مايكون اكبر من القيمة الفعلية للمنشات المؤممة . فمن المعروف مثلا إنه عند تاميم السكك الحديدية فى بريطانيا كانت قيمة السندات الموزعة على المساهمين اعلى بكثير من قيمة اسهمهم لو حاولوا بيعها فى البورصة . هذا فضلا عن انه فى حالة المشروعات المفلسة او المتعثرة يكون التأميم انقاذا لراس المال من الضياع .

فاذا انتقلنا الى **نطاق القطاع العام** فى ظل راسمالية الدولة الاحتكارية نجد انه بالضرورة نطاق ضيق ومحدود . فالاصل هنا هو الملكية الراسمالية لوسائل الانتاج وتملك الدولة لبعض تلك الوسائل استثناء املته الضرورات التى اشرنا اليها ويجب ان يظل محدودا بحدود تلك الضرورات . وبالتالى فان المشروعات التى تسيطر عليها الدولة لاتمثل الا جزءا بسيطا من الناتج القومى ولاتستخدم الا نسبة محدودة من اليد العاملة . وهذه المشروعات من ناحية اخرى لها مجالات لاينبغى ان تتعداها هى الصناعات التى تعمل فى ظروف لاتسمح لها بتحقيق ارباح محترمة (مثل مناجم الفحم فى انجلترا) او التى لايمكن تطويرها الا باستثمارات ضخمة لايقبل

(٤) وذلك باستثناء بعض الحالات البالغة الندرة التى تم فيها التاميم فى شكل مصادرة مثل مصانع رينو فى فرنسا . وهنا كانت المصادرة عقوبة جنائية (وليست اجراء اقتصاديا) فرضت على اصحاب تلك المصانع لانهم وضعوها تحت تصرف الانتاج الحربى الالمانى .

عائدا كبيرا (الفحم والكهرباء في فرنسا) او التي تدير مرافق عامة تجعل اسعارها محل صراع مستمر مع المستهلكين (التليفون ، التلغراف ، السكك الحديدية ، النقل المشترك) واخيرا بعض المؤسسات المالية (البنك المركزي بصفة عامة وبعض البنوك التجارية الكبرى وشركات التامين على الحياة) . كذلك يتم الحد من نطاق القطاع العام عن طريق نظام « الشركات المختلطة » اى مشاركة راس المال الخاص للدولة اما بان يكون التأميم من الاصل جزئيا ، واما بأن تبيع الدولة بعد استقرار الشركة وازدهارها جزءا من اسهمها . وهذا هو الوضع السائد في كل شركات مؤسسة ايرى الايطالية . واخيرا يمكن ان يحد من نطاق القطاع العام زمنيا ، بمعنى انهاء التاميم بعد تخطى الازمة كماحدث فى ايطاليا بالنسبة لشركات النسيج التى باعتها مؤسسة «ايرى» من جديد للقطاع الخاص وفى انجلترا بالنسبة لصناعة الصلب التى الغت حكومة المحافظين تأميمها سنة ١٩٥١ ، ويترتب على تحديد القطاع العام بهذه الطرق المختلفة خضوعه تماما للقطاع الخاص . فعندما ينشأ قطاع عام فى اى اقتصاد قومى ينشب بينه وبين القطاع الخاص صراع حول موارد التمويل وموارد المواد الخام وحول الاسواق .. الخ . وهذا الصراع لابد ان يحسم فى احد اتجاهين : أما التوسع المستمر للقطاع العام وهذا ماتاباه حتى ايدولوجية القائمين عليه فى ظل نظام راسمالى احتكارى ، واما ان يضمر الى مستوى اداة من ادوات خدمة القطاع الاحتكاري الخاص الذى تبقى له السيادة بلا منازع وهذا ما ينتهى اليه القطاع العام فى ظل راسمالية الدولة الاحتكارية حيث الصراع محسوم سلفا (*) .

وينعكس هذا الوضع على **اسلوب الادارة** . فباستقراء اشكال الادارة فى شركات القطاع العام فى الدول الراسمالية الكبرى نجد ان الاتجاه الغالب ان تعين الحكومة مجالس ادارة من «رجال الاعمال» بصفتهم من اهل الخبرة وقد تضيف اليهم بعض موظفى الحكومة او بعض رجال السياسة من انصارها . وواضح ان كل هؤلاء عناصر راسمالية مرتبطة بالاحتكارات مشبعة بايديولوجيتها حريصة على خدمتها . وفى بعض البلدان نجحت الحركة الشعبية عند التاميم فى النص على تمثيل العاملين فى الشركة ، وفى المشروعات المستغلة بالمرافق العامة على وجه الخصوص اقر مبدأ تمثيل المستهلكين . ولكن يكون تعيين هؤلاء الممثلين فى جميع الاحوال بقرار من الحكومة وحتى بالنسبة لممثلى العمال يكتفى التشريع باشتراط استطلاع الحكومة لراى النقابات دون ان يكون هذا الراى ملزما لها . كذلك يجرى العمل على التوسع فى مفهوم المستهلكين بحيث يشمل عناصر راسمالية . فكبار الاحتكاريين يعتبرون مستهلكين فى السكك الحديدية باعتبار انها تنقل انتاج مصانعهم . وهكذا تكون دائما الاغلبية فى مجالس الادارة بيد ممثلى الحكومة والعناصر الاحتكارية المعينة لتمثيل المستهلكين ، كما ان الاقلية التى تمثل العاملين يتم اختيارها عادة من العناصر غير الثورية التى يمكن ان تسير فى ركاب الراسمالية الكبيرة . واخيرا يكون للوزير المختص سلطة «الوصاية» على قرارات هذه الشركات بحيث يضمن فى النهاية خدمتها للمصالح الطبقية التى تمثلها الدولة . وهكذا لايؤدى التاميم فى هذه الاحوال الى خروج المشروعات المؤممة عن نطاق الادارة الاحتكارية باى حال من الاحوال . وينتهى التاميم الى ان تصبح الدولة مجرد «صاحب عمل» يتصرف كباقى اصحاب الاعمال ، بل ربما يكون اعنت منهم ، اذ ان الدولة تملك سلطة القهر مباشرة ولها بالتالى من امكانيات فرض ارادتها مالايملكه الراسمالى الفرد .

ولايترتب على وجود القطاع العام فى هذه الاوضاع اى تغيير فى علاقات الانتاج . فالشركة المؤممة مشروع راسمالى مستغل كباقى المشروعات عمالها يخضعون لعقود العمل الجماعية السائدة فى الصناعة التى تشتغل بها ولا يحصلون على اى مزايا خاصة . بل كثيرا ماتتخلف المشروعات المؤممة فى اقرار المزايا التى ينتهى اصحاب الاعمال الى ضرورة التسليم بها للعمال لضمان سير الانتاج . والشركات المؤممة تعمل فى الاصل

جيرمى بنتام
(١٧٤٨ — ١٨٣٢)

فيلسوف وقانونى واقتصادى انجليزى يعد مؤسس مذهب «المنفعية» الذى صاغه فى مؤلفه الشهير «مدخل الى مبادىء الاخلاق والتشريع» الذى ظهر فى ١٧٨٩ (عام اندلاع الثورة الفرنسية الكبرى) . وفيه يقول ان البشرية يحكمها مبدآن اساسيان : مبدأ اللذة ومبدأ الالم ، وان هدف اية قاعدة اخلاقيه اوقانونية يجب ان يكون «أكبر قدر من السعادة لاكبر عدد من الناس» . كما يقول ان المنفعة «خاصية فى الشىء تجعله يحدث لذة وسعادة واثرا طيبا او يمنع حدوث الالم والشقاء لمن يعنيه الامر» .

وليس ادل من صدق تعبير «المنفعية» عن روح الرأسمالية من النجاح الذى لاقاه بنتام حينما انتصرت الرأسمالية فقد كانت له كلمة مسموعة فى الولايات المتحدة وبعض الدول الاوربية كما منحته فرنسا صفة المواطن فى ١٧٩٢ فى الوقت الذى كانت تحارب فيه ضد انجلترا .

على اساس تحقيق اكبر ربح ممكن . ولايحد من ارباحها الا حرص الراسماليين الذين يشترون انتاجها على الحصول عليه بسعر منخفض . فاذا كانت سكك الحديد الفرنسية مثلا تحقق خسارة مستمرة ، فلان تعريفة نقل البضائع التى تمارسها منخفضة جدابشكل لايعوضه زيادةتعريفة نقل الاشخاص . واذا كان ربح مناجم الفحم محددا فلانها تبيع الفحم للمصانع بسعر منخفض فى الوقت الذى تجرى فيه استثمارات طائلة والتحليل الاقتصادى لانخفاض ربح بعض المشروعات المؤممة يثبتان حقيقة الامر ليست التخلى عن مبدأ الحصول على اكبر ربح ممكن ولكنها التخلى عن جـزء من القيمة المتحققة من استغلال العمال للشركات الاحتكارية فى شكل تخفيض ثمن البيع اليها .

ومرد هذه السمات جميعا هو **طبيعة الدولة** التى تملك القطاع العام . فالدولة لايمكن ان تكون جهازا محايدا فوق الطبقات يلعب دور الحكم فى الصراع الطبقى . وانما هى فى الاساس جهاز قهر تستخدمه الطبقة او الطبقات المسيطرة لحماية مصالحها وفرض ارادتها على الطبقات الاخرى . وفى البلدان الراسمالية التى تسيطر عليها الاحتكارات تكون الدولة بيد الراسمالية الاحتكارية . وتستفيد الاحتكارات فى هذا الوضع ليس فقط من حيث قهر الطبقات الشعبية وتامين استغلالها وانما من حيث نصيبها من خدمات الدولة . فما يعود على الدولة من ارباح المشروعات المؤممة يستخدم — كسائر مواردها — لصالح الراسمالية الاحتكارية ويكفى لادراك مدى هذه الاستفادة ان نقارن الميزانية العسكرية للدول الاستعمارية بميزانية الصحة او التعليم . والنفقات العسكرية يذهب معظمها الى جيوب الاحتكاريين اصحاب مصانع الاسلحة وموردى كافة ماتحتاجه القوات المسلحة فضلا عن ان الحرب من وسائل الراسمالية فى العدوان والسيطرة والتغلب على الازمات الاقتصادية وليس لشعوب تلك البلدان اى مصلحة فيها . ويمكن ان نضيف فى هذا الصدد ان ميزانية الخدمات تغطى عادة من حصيلة الضرائب التى يتحمل عبئها جماهير الشعب . اما نفقات التسليح واستثمارات الدولة التى تخدم الاحتكارات فهى تلتهم جزءا من حصيلة الضرائب فضلا عن ارباح القطاع العام وماتجمعه الدولة من مدخرات المواطنين قسرا او اختيارا . ومنذ ان تعاظم دور الدولة فى الحياة الاقتصادية زاد الترابط العضوى بين اجهزتها العليا والجماعات الاحتكارية . فلم تعد الاحتكارات تكتفى بتوجيه رجال السياسة والتاثير فيهم ماديا وفكريا وانما اخذت تعين رجالها فى مناصب الحكم مباشرة . فوزير دفاع حكومة ايزنهاور كان رئيسا لمجلس ادارة جنرال موتورز، وومبيدو وزير ديجول الاول من رجال بنك روتشيلد ورينيه ماير رئيس جماعة الفحم والصلب الاوروبية كان مديرا لبنك لازار ... ويمكن ان نسوق العديد من الامثلة ...

ثانيا : القطاع العام فى ظل الاشتراكية

١ — الملكية الجماعية

واذا اردنا تعريفا بسيطا للاشتراكية كنظام متناقض مع الراسمالية تناقضا اصيلا لامكن ان نقول ان الاشتراكية هى النظام الاقتصادى الذى يقوم على الملكية الجماعية لوسائل الانتاج . والاشتراكية بهذا المعنى وليدة التطور الاقتصادى ذاته قبل ان تكون ثمرة للفكر البشرى المناضل . فقد احدثت الراسمالية ثورة كبرى فى اساليب الانتاج تفضى بالضرورة الى الاشتراكية . فقبل الراسمالية كان الشكل السائد فى الانتاج هو الانتاج الصغير. فى الزراعة انتاج الفلاح الذى يعمل هو واسرته لاشباع حاجاته ولدفع فائض يعيش منه سادة الاقطاع ، وفى الصناعة انتاج الصانع الحرفى الذى يصنع بيديه وبمعاونة « صبيانه » سلعة كاملة. وكانت الملكية الفردية فى هذا الاطار واضحة ومفهومة . فوسائل الانتاج — فيما عدا الارض — بسيطة ومحدودة القيمة من السهل ان يحصل عليها معظم الناس ، والمنتجات من عمل افراد معينين يمتلكونها لانهم انتجوها ، اى ملكية تستند الى العمل . اما فى ظل الراسمالية فقد ظهرت الالات ونشأت المصانع الضخمة التى تضم آلاف العمال يقوم كل منهم — وفقا لمبدا تقسيم العمل — بجزء محدود جدا من مئات العمليات اللازمة لانتاج السلعة الواحدة. وبذلك لم يعد فى وسع اى عامل ان يزعم انه صنع السلعة كلها. لقد تحول الانتاج الى عملية جماعية يشارك فيها الالوف ، والنتيجة المنطقية لهذا الانتاج الجماعى ان تكون المنتجات ملكا لمجموع المنتجين، اى ملكية جماعية . ومن ناحية اخرى اصبح هذا الانتاج الكبير يعتمد على وسائل انتاج ضخمة مرتفعة القيمة لا يمكن ان يحصل عليها الا من يملك راس مال طائلا. وادت منافسة وحدات الانتاج الكبرى الى خراب صغار المنتجين وتحولهم الى عمال واصبح انقسام المجتمع الى ملاك وغير ملاك انقساما حادا واضح المعالم، وغدا فى حكم المستحيل ان ينتقل العامل الى صفوف الراسماليين . واستخدم الراسماليون ملكيتهم لوسائل الانتاج فى فرض ابشع صنوف الاستغلال على العمال . وقد دفعت هذه الاوضاع عددا من الاشتراكيين الخياليين الى القول بان التقدم فى انتاج الثروات الذى حققته الراسمالية تم على حساب العدالة الاجتماعية، وان هذا

التناقض بين التقدم والعدالة يجب ان يحل لصالح العدالة بتحديد الملكية وحجم المشروعات ، اى بالعودة الى ماقبل الراسمالية .

وكان فضل الاشتراكية العلمية هو انها كشفت عن ان التناقض بين التقدم والعدالة تناقض زائف وانه يمكن ان نحقق كليهما فى وقت واحد اذا قضينا على التناقض الحقيقى القائم بين الانتاج الجماعى والملكية الفردية، واذا اصبحت ملكية المشروعات الراسمالية جماعية، كما اوضح الاشتراكيون العلميون ان الملكية الرأسمالية قد لعبت بالفعل دوراً ثوريا فى تطوير الانتاج ولكن هذا التطور ذاته قد جعل الملكية الرأسمالية لوسائل الانتاج عقبة فى سبيل المزيد من التطور .فليس صحيحا ما زعمه الاقتصاديون الكلاسيكيون من ان النشاط الرأسمالى الحر يحقق استخدام كل الموارد الطبيعية والبشرية وتخفيض الاسعار وزيادة الانتاج بشكل مستمر. بل ان ظروف الانتاج الرأسمالى نفسه تقضى بضرورة وجود بطالة حتى لا يرتفع أجر العمال تطبيقاً لقانون العرض والطلب. كما تترك مجالات اقتصادية كاملة دون استثمار لضآلة ما تحققه من ربح، كما تقضى اخيرا الى نشأة احتكارات تحد من زيادة الانتاج لترفع الاسعار . هذا بالاضافة الى ان فوضى الانتاج الرأسمالى تخلق الازمات الدورية والحروب وما يتبعها من خسائر واتلاف للثروات الطبيعية والبشرية. وعلى المستوى الفلسفى يقول الاشتراكيون العلميون ان ما يميز الانسان هو وعيه المتزايد بمصيره وحرصه على توجيه نشاطه، ولهذا فان سعى المجتمع سعيا واعيا لاستخدام موارده على افضل صورة عن طريق التخطيط المركزى اسلم قطعا من التسليم الغيبى بتحقق مصالح المجتمع تلقائيا من خلال الصراع المحموم للمصالح الفردية .

ومن ناحية اخرى اصبح واضحا ان التنمية الشوهاء التى احدثتها الرأسمالية فيما مضى قد غدت مستحيلة بالنسبة للدول المتخلفة، لانها تمت على حساب شعوب البلاد الرأسمالية وشعوب المستعمرات وليس بوسع اى بلد اليوم ان يفرض على شعبه ما تحمله الشعب الانجليزى ابان التصنيع ولا ما فرضته انجلترا على ثلاثة ارباع المعمورة من استغلال ونهب .

مثل هذه الاسباب تقوم الاشتراكية على اساس الملكية الجماعية بشكلها: ملكية الدولة «القطاع العام» وملكية الجماعات «القطاع التعاونى» .

٢ — قطاع الدولة

واذا تركنا جانبا القطاع التعاونى (الى حين الحديث عن التعاون)فانه يتعين ان نلتمس السمات المميزة للقطاع العام (او قطاع الدولة) فى ظل الاشتراكية من خلال استعراض لنفس النقاط التى عرضنا لها عند تحديد طبيعة القطاع العام فى ظل رأسمالية الدولة الاحتكارية .

فمن حيث **النشأة** نجد ان القطاع العام الاشتراكى ليس وليد ازمة فى النظام الاشتراكى، وليس حلا ترقيعيا لوضع اجتماعى مناقض له ، بل هو على العكس الصورة الطبيعية للنظام والشكل الاساسى للنشاط الانتاجى فيه .فالنظام الاشتراكى يضم قطاعا تعاونيا، ويمكن ان يضم فى احوال معينة قطاعا خاصا او قطاعا مختلطا تشترك الدولة والافراد فى ملكيته. ولكن الاساس يظل قطاع الدولة الذى يهيمن على فروع النشاط الاقتصادى الاساسية .فالملكية العامة لوسائل الانتاج هى الاصل فى ظل الاشتراكية كما ان الملكية الفردية لوسائل الانتاج هى الاصل فى الراسمالية. ومن ثم فنشأة القطاع العام الاشتراكى مرتبطة بالرغبة فى توفير شكل من اشكال الملكية ارقى من الملكية الرأسمالية. ويرتبط بهذه النشأة ان الاصل العام هو ان يولد قطاع الدولة **من تأميم المشروعات الرأسمالية الكبيرة دون تعويض .** فهدف التأميم هذا هو احلال شكل ملكية محل شكل آخر وليس احلال موضوع للملكية محل موضوع آخر. حقا ان قاعدة نزع الملكية بدون تعويض ليست مطلقة. وفى كل التطبيقات الاشتراكية يراعى صغار المساهمين ويحصلون على تعويض .بل يحدث احيانا ان تخص الثورة الاشتراكية العناصر الرأسمالية الوطنية بمعاملة ممتازة اذا اضطرت الى تأميم بعض ممتلكاتها لضرورات اقتصادية فتلجأ الى مشاركتها دون التأميم الكامل، او تؤمم بتعويض. . . . الخ .ولكن كل هذا لا ينفى ان الاصل هو التأميم بلا تعويض لانه وحده الذى يضع تحت يد الدولة الموارد اللازمة لتطوير الاقتصاد القومى، وهو وحده الذى يسمح بتصفية الاستغلال. فلو استمرت الدولة فى دفع تعويضات لاصبح من الممكن تكوين رؤوس اموال كثيرة من جديد. ومن ناحية اخرى فان التعويضات ستقتطع من عائد الانتاج، من ناتج العمل، وتشكل بالتالى شكلا من اشكال الاستغلال الذى لا يفسره اى نشاط انتاجى لمن يحصل على التعويض. ولكن ينبغى ان نذكر بأنه اذا كان التأميم هو المصدر التاريخى للقطاع العام الاشتراكى فانه بعض بضع عشرة سنوات تصبح المشروعات المؤسسة جزءا بسيطا من قطاع الدولة، لان الجزء الاعظم يتكون بالتدريج من الاستثمارات الجديدة التى تجريها الدولة . واهمية التأميم بدون تعويض هو بالدقة اتاحة الفرصة لمثل هذه الاستثمارات .

وذلك لان **هدف القطاع العام الاشتراكى** ليس مجرد تحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق اعادة

توزيع الدخل القومي على أساس الغاء عوائد التملك التي كان يحصل عليها كبار الراسماليين . وانما الملكية العامة تفتح السبيل امام انتاج رشيد مخطط متناسق يتم بمعدلات مرتفعة . فالهدف الاخير هو الزيادة المستمرة في الانتاج لتحقيق الارتفاع المستمر في مستوى معيشة المواطنين. والمحك الاخير لتقييم اي نظام اقتصادي هو ما ينجح في احداثه من ارتفاع في مستوى المعيشة. وليس صدفة ان جعل الاتحاد السوفيتي هدف المنافسة السلمية بين الاشتراكية والراسمالية هو ان يحصل المواطن السوفيتي سنة ١٩٨٠ على نصيب من الزبد واللبن والبيض يفوق ما يحصل عليه المواطن الامريكي .

ومهما يكن من امر فانه بعد تحقيق الملكية العامة للمشروعات الاساسية تثور مشكلة **ادارة المشروعات المؤممة**. وقد شغلت هذه القضية الفكر الاشتراكي منذ كتابات الاشتراكيين الخياليين في النصف الاول من القرن الماضي . وتراوحت الحلول التي اقترحها الكتاب بين تطبيق المركزية المطلقة التي نادى بها سان سيمون ، واللامركزية المطلقة التي دعا اليها جوزيف برودون . فقد تصور الاول الدولة الاشتراكية ذات سلطة مركزية مطلقة تمارسها هيئة محدودة العدد من العلماء ورجال الصناعة (او التكنوقراطيين كما يسمون الان) . اما الثاني فقد تخيل انتهاء الدولة وايلولة كل السلطات (من ادارة اقتصادية وحكومة سياسية) الى جماعات من المواطنين منظمين في شكل « كوميونات » بحيث تتحول البلدان الكبرى كفرنسا مثلا الى مجرد اتحاد فيدرالي بين كوميونات تكاد تكون مستقلة عن بعضها البعض استقلالا تاما. والواقع ان الملكية العامة في ظل الاشتراكية يجب ان تكون ملكية الشعب. والشعب هنا ممثل على مستويين مختلفين ، فهو من ناحية العاملون في المشروع القائمون بالانتاج فعلا والذين يجب ان يمارسوا على الإنتاج ادارتهم وان يستفيدوا منه قبل غيرهم، ولكن الشعب من ناحية اخرى هو مجموع المواطنين العاملين الذين قاموا بالثورة واجروا التأميم والذين لهم مصالح عليا مشتركة يجب ان يتحرك في اطارها كل مشروع مؤمم ، كما ان سير كل مشروع يتوقف الى حد كبير على نشاط العديد من المشروعات الاخرى. ومن ثم فان التطبيقات الاشتراكية تسعى دائما للتوفيق بين هذين الاعتبارين: دور العاملين في المشروع نفسه من ناحية، ومصالح الشعب العامة من ناحية اخرى. ولهذا تتضمن كل **اشكال الادارة مساهمة من العاملين بالمشروع وتدخلا من الدولة**. وفي الاتحاد السوفيتي تعين الدولة مدير المشروع وتمنحه سلطات واسعة وهو في عمله كسائر موظفي الدولة خاضع لرقابة واشراف الحزب والشعب، ويعاون المدير لجنة المصنع التي تضم ممثلي العاملين فيه . وفي يوغوسلافيا الاصل هو الادارة الذاتية بمعنى ان يدير العمال مصنعهم، ولكن هذه الادارة تخضع في حدود معينة لتدخل السلطة المركزية. والمهم هو أن الادارة في جميع الاحوال للشعب وليس لعناصر راسمالية ، وكل الاجتهاد في التطبيق هو سعي لتحقيق أعلى شكل ممكن من هذه الادارة الشعبية.

وسواء زاد دور الدولة ام تضاءل فان هذا لا يغير شيئا من **علاقات الانتاج** السائدة في القطاع الاشتراكي. فهذا القطاع لا يعمل بقصد توفير اقصى ربح ممكن وانما يستهدف زيادة الانتاج واشباع الحاجات. وما يحققه من فائض يذهب اما للعاملين مباشرة واما للدولة ولا يذهب بحال لطبقة راسمالية كبيرة لسبب بسيط وهو أن تلك الطبقة غير موجودة أصلا في النظام الاشتراكي ، وبهذا المعنى المحدد ينتفي الاستغلال في القطاع العام. وقبل أن نستطرد في موضوع طبيعة الدولة الاشتراكية لا بد ان نقف قليلا لتوضيح ما اثير اخيرا عن «ادخال الربح في الاقتصاد الاشتراكي» والواقع ان ما تسوقه الصحافة الغربية في هذا الصدد حديث ينطوي على خلط متعمد بين الربح الاستغلالي الذي يحققه الراسمالي وبين العائد الذي يحققه مشروع اشتراكي. ولتقريب الصورة الى القارئ يمكن أن نضرب مثلا بجمعية تعاونية انتاجية لصناعة الاثاث. ولنفترض كما تقضي بذلك روح التعاون ان كل عمال الجمعية اعضاء فيها. فاذا حققت الجمعية في نهاية السنة المالية فائضا بعد تغطية التكاليف والاستهلاكات والاحتياطي فان هذا الفائض يوزع على اعضائها بنسبة ما قدمكل منهم من عمل ويسمى « العائد » وواضح انه يختلف جذريا عن الربح الذي يحصل عليه الراسمالي الذي يملك مصنعا مماثلا من حيث أن العائد يرتبط بالعمل والربح مرده ملكية رأس المال .وتظهر اهمية هذا العائد في انه يسمح الى حد ما بالحكم على الظروف الاقتصادية التي تعمل فيها الجمعية التعاونية وهل هي ظروف سليمة ام لا . وهذا هو المراد بالحديث عن « الربح » في البلدان الاشتراكية. ومع ذلك فاستخدام الربح كمقياس لنجاح المشروع الاشتراكي يختلف تماما عن دور الربح في الانتاج الراسمالي .فليس المقصود هنا ترك مصير المشروعات الاشتراكية لتلقائية السوق العمياء تفضي ببعضها الى الافلاس وتدفع بالبعض الاخر الى النمو على غير ما اساس ليس المقصود الارتداد الى فوضى الانتاج الراسمالي ومثل هذا الارتداد مستحيل الا اذا الغينا دور الدولة والتخطيط المركزي تماما. لانه ما دام هناك تخطيط مركزي فدلالة الربح محدودة اذ ان المشروعات ليست مطلقة الحرية في البيع بأى سعر تريد ولا في شراء المواد الاولية والالات بأي سعر تريد ، فهذه وتلك لها حدود ترسمها الخطة. ولذلك فان الهدف الحقيقي للتجارب الجديدة في هذا الشأن هو ان التخطيط يراعي

حصول كل مشروع على مستلزمات الانتاج بقيمتها الحقيقية وبيعه لمنتجاته بصفة عامة على حساب قيمتها الفعلية ، بحيث يكون لكل مشروع حسابات اقتصادية سليمة وليس مجرد محاسبة مالية سليمة. لانه عندئذ يصبح من الممكن ان نحدد على وجه الدقة اى المشروعات يحقق عائدا وما مقدار هذا العائد. وهذا التحديد يفتح المجال امام امرين: الكشف عن المشروعات التى تعمل فى ظروف غير اقتصادية ومحاولة معالجة وضعها الا اذا كانت السياسة العليا تقضى ببيع منتجاتها للمواطنين بأقل من التكلفة ، وزيادة الحافز المادى لدى عمال كل مشروع حيث انهم يحصلون على نسبة من العائد فاذا نجحوا فى زيادته استفادوا من هذه الزيادة. وهكذا نرى انه حتى اذا استخدم الاقتصاديون الاشتراكيون تعبير « ربح » فانهم فى الواقع يعنون شيئا مختلفا جذريا عن الربح الراسمالى .تماما كما ان فى الدول الاشتراكية «بنوكا» و «نقودا» ولكن دورها لا علاقة له اطلاقا بتكوين رؤوس أموال نقدية ولا تشكيل جماعات مالية احتكارية تسيطر على الاقتصاد القومى .

ويبلغ التضليل ذروته حين يشبه بعض الاقتصاديين نصيب الدولة من عائد القطاع العام بالربح الذى يحصل عليه الراسماليون بحجة ان هذا النصيب يستفيد منه «البيروقراطيون والتكنوقراطيون» . **فطبيعة الدولة الاشتراكية** أنها دولة الشعب . وما تجمع تحت يدها من موارد يستخدم لصالح الشعب ، فى شكل خدمات (ثقافة ، صحة ، تأمين اجتماعى ، نفقات دفاعية لحماية المجتمع الاشتراكى ... الخ) واستثمارات انتاجية بقصد زيادة الانتاج القومى ورفع مستوى المعيشة . وهى دولة الشعب ليس كفكرة مجردة وانما كواقع من انتخاب الهيئات الحاكمة على كافة المستويات ومن خضوع تلك الهيئات لرقابة الحزب والشعب . وموظفو الدولة الاشتراكية ليسوا طبقة ممتازة تمارس ملكية وسائل الانتاج ، وانما هم اجراء يحصلون أجورهم وفقا لقاعدة «كل بحسب عمله» وليست أجورهم أعلى الاجور .

ثالثا : القطاع العام فى الدول النامية

١ — القطاع العام والتنمية

لم يعد أحد يجادل فى أنه لاتنمية بدون قطاع عام . لقد قام الراسماليون فى الدول الاستعمارية بأهم مايلزم للتنمية ، بنوا السكك الحديدية ومدوا شبكات التليفون كما أقاموا مصانع الصلب ومحطات توليد الكهرباء واستصلحوا الاراضى

ولكن الرأسمالية فى البلاد النامية رأسمالية مستضعفة مهيضة الجناح نشأت فى كنف الاستعمار وعاشت فى خشية منه . لاتملك رؤوس الاموال اللازمة للمشروعات الضخمة وتفتقد روح المبادرة او المغامرة التى تميز بها «قادة الصناعة» فى الغرب . وهى تنشط فى عصر مالت فيه شمس النظام الرأسمالى نحو الافول . ولذلك فهى لاتتجه الا الى الربح السريع ولا تضارب على المستقبل وتعرض عن المشروعات الاساسية للتنمية . ولهذا يسلم الخبراء الامريكيون انفسهم بضرورة أن تتصدى الدولة للمشروعات التى يجفل أمامها رأس المال الخاص . وبالفعل لاتوجد دولة مستقلة حديثا ليس بها قطاع عام ، من الهند الى كوبا . ومن تونس الى غانا ، بل ان الملك الحسن نفسه قد لجأ أخيرا الى تأميم بعض شركات التصدير ...! ولما كانت الشعوب تتطلع الى الاشتراكية متأثرة بماعانته من الاستغلال الاستعمارى وما تراه من منجزات ضخمة حققتها الاشتراكية على النطاق العالمى فان قادة البلدان الحديثة الاستقلال يؤكدون جميعا انهم اشتراكيون. فالحبيب بورقيبة يتحدث عن « الاشتراكية الدستورية» وليوبولد سنجور عن «الاشتراكية الافريقية» وحزب المؤتمر عن «الاشتراكية الهندية» وهكذا يبدو «العالم الثالث» كله وكأنه يبنى الاشتراكية . ولكن الواقع غير ذلك . ولابد فى هذا المجال أيضا من تحديد واضح لحالات اختيار الطريق الاشتراكى وتمييزها عن الحالات التى مازالت فى اطار الرأسمالية بالرغم من وجود قطاع عام بها . فبدون هذا التحديد تختلط الامور ويضيع معنى النضال من اجل الاشتراكية . فالبلاد النامية أمام اختيار حاسم بين الرأسمالية والاشتراكية ، ومستقبل كل بلد يتوقف على هذا الاختيار . ولا بد لكل اختيار جاد من أن تتحقق أعلى درجة من الوضوح فى قطبى الاختيار .

واذا تركنا جانبا عددا قليلا من الدول التى مازالت خاضعة للاستعمار رغم استقلالها الرسمى والتى يكاد القطاع العام فيها أن يكون امتدادا للقطاع العام فى الدول الاستعمارية يستخدم بشكل أساسى فى تحقيقه الثراء للجماعات الحاكمة نظير خضوعها لارادة المستعمرين ، فاننا نجد فى الدول النامية طرازين اقتصاديين : رأسمالية الدولة الوطنية من ناحية ، وبناء الاشتراكية من ناحية أخرى . ولا بد من التمييز بين الطرازين .

٢ — رأسمالية الدول الوطنية والطريق الاشتراكى

ولكى ندرك الفرق بين الطرازين لا بد من اجراء مقارنة بين سمات القطاع العام فى كل منهما. ولنأخذ مثلا أساسيا للمقارنة الهند من ناحية والجمهورية العربية المتحدة من ناحية .

فمن حيث **نشأة القطاع العام** نجد انه فى الهند يتكون من **مشروعات جديدة** ، انشأتها الدولة ولم يعتمد على اى تأميم . وفى بلاد اخرى جرت بعض تأميمات ولكنها فى العادة تكون قاصرة **على المصالح الاجنبية** . واذا امتدت استثناء الى مشروع محلى فان التأميم يكون **بتعويض سخى** . وفى بلادنا نجد ان التأميم قد شمل الى جانب كل المصالح الاستعمارية كبار الملاك العقاريين والراسمالية الكبيرة المحلية ، وان التعويضات قصرت على حدود متواضعة . ومن حيث **الهدف** نجده فى الهند القيام بالمشروعات التى رفض راس المال الخاص القيام بها . فى حين أن التأميم فى بلادنا لم يكن ثمرة ضرورات اقتصادية فحسب بل نتيجة اختيار لطريق النمو الاشتراكى كذلك .

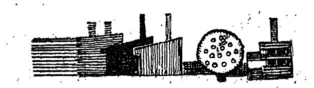
ويظهر اثر هذا الفارق فى **نطاق القطاع العام** فهو فى الهند محدود ، ولا توجد مجالات مقصورة عليه بشكل مطلق . اما عندنا فقد اصبح القطاع العام هو الاساسى فى كل مجالات الانتاج فيما عدا الزراعة . والواقع انه بمجرد نشأة القطاع العام كما سبق ان ذكرنا ينشب صراع حاد بينه وبين القطاع الخاص . وقد شهدت بلادنا هذا الصراع الذى حسمته القيادة الثورية باستمرار لصالح القطاع العام مما كفل له فى النهاية السيطرة التى لا تنازع ، وجاء الميثاق فنص صراحة على مجالات كاملة لايجوز أن يعمل فيها الا القطاع العام كالبنوك والتأمين والصناعة الثقيلة ... الخ .

اما من حيث **الادارة** ، فمشروعات القطاع العام فى الهند تديرها مجالس مكونة من موظفين حكوميين ومن «رجال أعمال» باعتبارهم من ذوى الخبرة . أما التأميم عندنا فقد اصطحب بمبدأ مشاركة العمال فى الادارة باعتبار المشروعات المؤممة ملكا للشعب .

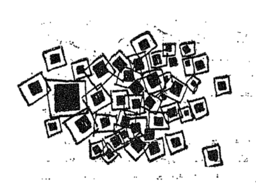
وفى مجال **علاقات الانتاج** لا يملك القطاع العام فى الهند بحكم نطاقه المحدد الا أن يلعب دورا تكميليا لنشاط القطاع الخاص الذى يظل بحكم الاقتصاد القومى فى مجموعه ، فى حين ان سيطرة الملكية العامة عندنا على مجالات الانتاج الرئيسية خلقت فرصا عظيمة لتطوير علاقات الانتاج تطويرا جذريا ، ولا ينفى هذه الحقيقة بعض مظاهر التخلف الناشئة عن افتقاد الكادر السياسى او عن عدم ادراك الكادر الفنى للابعاد الاجتماعية للتأميم .

واخيرا فان عائد القطاع العام فى الهند يعود الى **دولة تسيطر عليها البورجوازية** . فحزب المؤتمر الحاكم فى الهند هو حزب البورجوازية ، تسيطر عليه اعلى فئاتها ، وبالتالى فان نشاط الدولة الهندية محكوم فى التحليل الاخير بمصالح هذه الفئات . وعندما ينص الميثاق على ان السلطة يجب ان تكون بيد تحالف قوى الشعب العامل (الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والراسمالية الوطنية) ممثلا فى الاتحاد الاشتراكى العربى . وهنا فى الواقع بيت القصيد . فكما قال جمال عبد الناصر فى افتتاح دوره مجلس الامة فى نوفمبر ١٩٦٤ «ليست الاشتراكية مجرد تأميم المصانع ، وانما هى انتزاع السلطة السياسية لصالح الشعب العامل» . فطبيعة الدولة هى التى تحدد فى النهاية طبيعة القطاع العام . وفى العالم الثالث دول اختارت طريق الاشتراكية ، وانعكس هذا الاختيار على القطاع العام فيها رغم كل المصاعب والمشكلات والاخطاء . وهناك دول مازالت السلطة السياسية فيها بيد البورجوازية الوطنية وحدها . وفى هذه البلدان يوجد قطاع عام ويوجد تخطيط وتوجه الدولة عملية التنمية . ولكن أساس النظام الاقتصادى مازال ملكية الراسماليين للجزء الاعظم من وسائل الانتاج . ولهذا فنحن هنا بصدد **«رأسمالية دولة»** ولكن رأسمالية الدولة فى تلك البلدان تلعب دورا ضخما فى تنمية الاقتصاد وتحريره من التخلف والتبعية . ولذلك فهى ظاهرة تقدمية ينبغى تشجيعها ومساندتها ويجب على أية حال تمييزها عن رأسمالية الدولة الاحتكارية وأن تصطحب بصفة تبين حقيقة دورها الوطنى .

ولكن مهما يكن من أمر الدور التقدمى **لراسمالية** الدولة الوطنية فانه يختلف جذريا عن اختيار الطريق الاشتراكى وما يفتحه هذا الاختيار من آفاق عريضة . ولعل اكبر فائدة تحققها رأسمالية الدولة الوطنية هى أنها تسهل مهمة الطبقات الشعبية اذا مارجحت كفتها وعلت كلمتها فى السلطة السياسية وفرضت الطريق الاشتراكى .



نشأة وتطور التأمينات الاجتماعية



د. رضا فرج

تحتل التأمينات الاجتماعية ، فى عصرنا الحديث ، مكان الصدارة بالنسبة للخدمات الاجتماعية . وقد اقترن تطور التأمينات الاجتماعية — منذ القرن التاسع عشر — بتطور كفاح الطبقات العاملة المتعطشة الى تأمين حياتها ضد ما يتهددها من أخطار فى ظروف الاستغلال الرأسمالى .

ان تعلق الجماهير الواسعة من العمال بالتأمينات الاجتماعية وسعيها المتواصل من أجل تحقيق هذا الهدف ليعتبر بحق احدى الظواهر المميزة للقرن العشرين .

ومنذ عهد ليس بالبعيد شرعت بلادنا فى الاخذ بنظام التأمينات الاجتماعية . وصدرت أول قوانين هذا النظام خلال السنوات الاولى لثورة ٢٣ يوليو . فمازلنا حديثى عهد بهذا النظام ومازالت تشريعاتنا موضع التعديل والاصلاح . وفى السنوات القليلة الماضية ، ومنذ عام ١٩٥٨ تطورت قوانين التأمينات الاجتماعية تطورا شاملا . فمنذ هذا التاريخ صدرت قوانين سنة ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٤ وكلها تسعى لاستكمال النقص فى هذا النظام وجعله وسيلة فعالة من وسائل حماية الجماهير العاملة ضد الاخطار التى تواجهها .

وكان الميثاق حريصا على ابراز أهمية التأمينات الاجتماعية ، ولذلك نراه يقول : « ان التأمينات الاجتماعية ضد الشيخوخة وضد المرض لابد من توسيع نطاقها بحيث تصبح مظلة واقية للذين أدوا دورهم فى النضال الوطنى ، وجاء الوقت الذى يجب أن يضمنوا فيه حقهم فى الراحة المكفولة بالضمان » . كما نصت المادة ٢٠ من الدستور الصادر فى عام ١٩٦٤ على ان تكفل الدولة خدمات التأمين الاجتماعى ، وللمصريين الحق فى المعونة فى حالة الشيخوخة وفى حالة المرض او العجز عن العمل او البطالة .

لذلك فهناك حاجة ماسة للتعرف على نظام التأمينات الاجتماعية ، نشأته وتطوره وتنوعه من بلد لاخر تبعا للاساس الاقتصادى للمجتمع وتبعا لدرجة نمو ووعى الطبقات العاملة فى البلاد المختلفة .

وسوف نبدأ بحثنا هذا بالتمييز بين الضمان الاجتماعى والتأمينات الاجتماعية ، ثم نعرض

بايجاز لنشأة نظم الحماية الاجتماعية ومقارنة بعض هذه النظم فى الدول الرأسمالية والاشتراكية ، كما سنتناول أيضا دراسة العقبات التى تقف امام نمو هذا النظام فى البلدان النامية اقتصاديا . ثم نتتبع التشريعات المصرية فى هذا المجال حتى صدور القانون الاخير عام ١٩٦٤ . وننتهى من هذا البحث ببيان ما نراه ضروريا لاستكمال بناء هذا النظام وربطه بمرحلة البناء الاشتراكى التى تجتازها بلادنا .

الضمان الاجتماعى والتأمينات الاجتماعية

يسعى الانسان — لمواجهة الاخطار الاجتماعية التى تواجهه من امراض وحوادث وبطالة وشيخوخة وعجز وموت للبحث عن الوسائل الكفيلة بحمايته واسرته . فهو يحتاج الى تأمين نفسه ضد ما يترتب على هذه الاخطار التى تؤدى فى النهاية الى خطر واحد وهو حالة الحاجة والعوز ، الحاجة الى مقومات حياته المادية التى يفتقدها فى حالة تعطله عن العمل لمرض اقعده أو لعجز اصابه او لشيخوخة سلبته القدرة على العمل ، أو اخيرا لعدم توفر عمل له .

ان هذه الاخطار تولدت فى المجتمعات الرأسمالية القائمة على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . فهى اخطار كامنة فيها وهى ثمرة من ثمار الاستغلال الرأسمالى الذى يبعث الى ساحة الفقر والعوز فئات عديدة من القائمين على الانتاج تتزايد وتتسع كلما ازدادت وطأة الاستغلال واتسعت الهوة بين المنتجين وبين من يملكون وسائل الانتاج .

لذلك ظهرت أساليب عديدة منذ نشأة النظام الرأسمالى لمواجهة الاخطار المترتبة على هذا النظام . فتدخلت الدولة باصدار تشريعات لتوفير بعض الدخول بقصد التخفيف من حدة الفقر وهى دخول تمثل الحد الادنى اللازم للمعيشة لضحايا نظام الاستغلال . وهى تهدف من وراء ذلك الى المحافظة على مستوى مناسب من الصحة والكفاية الانتاجية للعاملين والى ضمان بقاء الفئات الفقيرة حتى لا يصاب المجتمع بالشلل بسبب تعطل انتاجه .

ان مجموع هذه الاساليب هو ما يطلق عليه اسم الضمان الاجتماعى الذى يرتكز اساسا على محاربة الفقر وحالة العوز مما يبرر الاعانة الاجتماعية التى تقدمها الدولة الى المحتاجين فعلا بغض النظر عن صفتهم فى المجتمع عاملين كانوا أو غير عاملين . فالضمان الاجتماعى يهدف الى ضمانه مجرد البقاء لفئات عديدة من جماهير الشعب . لذلك كانت الاعانة التى تقدمها الدولة تمثل الحد الادنى اللازم للمعيشة ، ولا يدفع المستفيدون من هذه الاعانة اية اشتراكات .

أما التأمينات الاجتماعية فهى تمثل احدى الاساليب المستعملة فى الضمان الاجتماعى لدرء الاخطار التى ولدتها ظروف العمل فى الانتاج بالنسبة للطبقة العاملة . فالتأمينات الاجتماعية ترتكز على العمل وتهدف الى ضمان الكفاية الانتاجية لضمان مستوى للعمل يرتفع عن الحد الادنى اللازم للمعيشة . والغرض من التأمينات هو تمكين العامل من مواصلة عمله . وتتكون اموال التأمينات الاجتماعية أساسا من الاشتراكات التى يدفعها العمال وارباب العمل .

يتميز الضمان الاجتماعى عن التأمينات الاجتماعية اذن فى انه أوسع معنى ويقصد به ضمان البقاء للفقراء والمحتاجين الذين ليست لهم موارد اخرى . ان الحاجة والعوز يبرران الضمان الاجتماعى الذى تموله الدولة . أما التأمينات الاجتماعية فهى وسيلة من وسائل الضمان الاجتماعى يبررها العمل ، فهى قاصرة على العمال الذين يشتركون مع ارباب العمل فى تمويل هذا النظام .

على ان هذا التمييز يفقد اهميته عندما تتولى الدولة الانفاق على نظم الحماية الاجتماعية للعمال وللمحتاجين بصفة عامة باعتبارها من الخدمات العامة .

التكوين التاريخى لمفاهيم ونظم الحماية الاجتماعية

لقد اختلفت الاساليب للوصول الى تحقيق حماية اجتماعية ضد المخاطر التى تهدد الافراد فى المجتمع من دولة لاخرى . ويرجع هذا الاختلاف الى اسباب متعددة اهمها : التكوين التدريجى عبر التاريخ للانظمة الوطنية لوسائل الحماية ، اختلاف الاسس الاقتصادية والايديولوجية لكل دولة واخيرا الى تفاوت وعى ونمو الطبقات العاملة فى الدول المختلفة .

فبينما كان **ادموند بيرك** يكتب فى نهاية القرن الثامن عشر « يجب علينا ان نرفض بشدة الفكرة القائلة بأنه ينبغى على الحكومة او حتى على الاغنياء ان يقدموا للفقراء الضروريات التى شاءت العناية الالهية ان تحرمهم منها بعض الوقت — يجب علينا ان ندرك انه ليس بمخالفتنا لقوانين التجارة التى هى قوانين الطبيعة وبالتالى فهى قوانين الهية ، نستطيع ان نأمل فى تخفيف غضب الله وحمله على التفريج عن النكبات التى نتاسى منها او التى تهددنا » .

وهو قول يمكن ان نكمله بقول **باتريك كولكيهون** فى بداية القرن التاسع عشر . « الفقر هو حالة

الفرد الذي ليس له احتياطي من فائض العمل او بعبارة اخرى الذي ليست له ملكية او وسائل البقاء في الحياة الا تلك التي يستمدها من عمله الدائم في النشاطات المختلفة في الحياة . فالفقر اذن هو اكثر العناصر الضرورية والتي لا يمكن الاستغناء عنها في المجتمع . وبدونه لن تستطيع الامم والجماعات أن تحتفظ بحضارتها » .

وفي نفس هذا العصر يكتب **أرثر يونج** . « كل امرئ عدا المعتوه يعرف أنه يجب ان تظل الطبقات الدنيا فقيرة » .

لقدكانت هذهكتابات انصار المدرسة الحرة التي صاحبت نشأة النظم الراسمالية في أوربا والقائمة على الحرية التجارية والتي سادت الافكار والنظم الاقتصادية والقانونية آنذاك . فكان انصار هذه المدرسة يرون ان مبادىء الحرية التجارية تستوجب على الدولة الا تتدخل لاعانة من لم يساعدهم النظام الاقتصادي نفسه . وعلى حد قول **مالتس** « ليس لرجل حق في الحياة اذا لم يستطع عمله ان يشتريها له بحرية » .

لهذه الظروف اقتصرت وسائل الحماية قديما على اساليب تعتمد اساسا على الافراد مع تدخل بسيط من الدولة ، هذا التدخل الذي اثاركما رأينا انصار مدرسة الحرية التجارية .

ومن هذه الوسائل التي لجأ اليها الافراد ما يلي :

● لجأوا أولا الى الاعانة التي تصدر عن الاحسان وفعل الخير لمن ألمت بهم ظروف منعتهم من المكسب وحرمتهم من سبل العيش وقد بدأت الاعانة كعمل فردي يتوقفعلى الصدقةوالاحسان ثم انتهت الى ان تأخذ بها الدول الرأسمالية منذ القرن السادس عشر لاغاثة الفقراء . وكان هذا بداية نشأة الضمان الاجتماعي في بلجيكا وانجلترا .

● لجأ الافراد ايضا الى الادخار الفردي وهو تجميد بعض أموالهم لمواجهة المخاطر المحتملة التي قد يتعرضون لها . ولكن هذه الوسيلة لم تكن في متناول يد الجميع اذ انها تستلزم دخولا مرتفعة تكفي لسد احتياجات الاسرة وادخار ما يزيد . كما ان من عيوب الادخار تجميد مبالغ كبيرة يكون لها في العادة الحد الادنى من الفعالية عند ازدياد الاعباء العائلية او عند وقوع كارثة .

● كما لجأ الافراد ايضا الى الادخار الجماعي وهو يمتاز عن الادخار الفردي بأنه يستطيع أن يقدم امكانيات أكثر فعالية في حالات الضرورة . ولكنه يستلزم ، كالادخار الفردي ،وعيا اجتماعيا متقدما كما يستلزم توفر امكانيات الادخار . وهو ما لا تستطيع العائلات ذات الدخول المحدودة الاقدام عليه .

على أن أهم هذه النظم جميعا كان هو التامين الخاص وهو الذي تولدت عنه التأمينات الاجتماعية .

فالتأمين الخاص أسلوب اكثر تطورا وفعالية من الادخار الفردي او الجماعي . فالمؤمن لديه يضمن للمستفيد من التأمين تغطية الاخطار المؤمن ضدها عن طريق التعويض الذي يلتزم بدفعه مقابل ما يدفعه المستفيد من اقساط .

على أن هذا الاسلوب من أساليب الحماية لا يمكن أن نتوقع منه ضمانا فعالا لدرء الاخطار الاجتماعية التي تهدد الفرد . ذلك لان المؤمن لديه وطبقا لعمليات حسابية واحصائية لا يقبل ان يغطي الاخطار الكثيرة الوقوع ولا الاخطار المؤكدة الوقوع ، كما لا يقبل تغطية الاعباء العائلية الباهظة .

ففي نظام التأمين الخاص ترتبط قيمة الضمان التي تغطي الاخطار المؤمن ضدها بمقدار الاقساط التي يدفعها المستفيد من التأمين . ومن جهة اخرى ترتبط قيمة الضمان باحتمالات وقوع الاخطار وبسعر تكلفةالتأمين وبالربح الذي يسعى اليه المؤمن لديه .

لقد تولدت التأمينات الاجتماعية من فكرة التأمين الخاص الا انها قطعت نهائيا كل صلة بين الاشتراكات التي يدفعها المستفيدون وبين التعويضات التي يتلقونها عند وقوع الاخطار التي تغطيها التأمينات . كما أنها أقامت بين المستفيدين المؤمن عليهم مساواة تامة فيما يتعلق بقيمة الاشتراكات فتغلبت بذلك على التفاوت الكبيرين المؤمن عليهم من حيث امكانياتهم المالية في دفع الاقساط .

● واخيرا لجأ الافراد الى الحيل القانونية بعد ان ازدادت الاخطار المترتبة على تطور الصناعة وبصفة خاصة تلك الاخطار الناجمة من اصابات العمل والامراض المهنية . وذلك عن طريق دعوى المسئولية التقصيرية ضد صاحب العمل طبقا لاحكام القانون المدني .ولم يكن للعامل المصاب الحق في الدعوى الا اذا توافرت اركانها. فكان عليه ان يثبت اولا الضرر الذي لحق به . وثانيا الخطأ المنسوب الى صاحب العمل ،وثالثا علاقة السببية بين الضرر والخطأ .

غير ان التجارب قد اثبتت عدم جدوى هذه الدعوى التي قلما نجح احد العمال في الحصول على تعويض عن طريقها . وذلك لتعذر اثبات خطأ رب العمل وبصفة خاصة بعد ظهور الصناعات الكبيرة حيث لا يمكن نسبة الحادث الى خطأ شخص معين ــ مثل حالة القوة القاهرة

كانفجار خزان او انقطاع سير الماكينة — كما يحدث احيانا ان تكون سبب الاصابة راجعا الى عدم حرص العامل فتنتفى مسئولية رب العمل.
وقد كان لعدم كفاية دعوى المسئولية التقصيرية

ان لجأ الفقه وبصفة خاصة فى فرنسا الى محاولة تفسير نصوص المسئولية فى القانون المدنى تفسيرا يمكن العمال من الحصول على التعويض فى حالات الاصابة . لذلك ظهرت نظرية المسئولية التعاقدية ونظرية المسئولية الشيئية .

تقرر النظرية الاولى ان التزام رب العمل بتعويض العامل عن اصابات العمل ينشأ من العلاقة التعاقدية بينهما . اذ ان رب العمل لا يلتزم فقط طبقا للعقد بدفع الاجر ولكن بالمحافظة على سلامة العامل . فاذا اصيب العامل يكون رب العمل قد أخل بالتزامه التعاقدى ويلتزم بتعويض العامل . ولكن القضاء فى فرنسا وفى مصر أيضا رفض الاخذ بهذه النظرية باعتبار ان مناط تفسير العقد هو نية اطرافه التي لم تنصرف الى انشاء مثل هذا الالتزام .

أما النظرية الثانية — نظرية المسئولية الشيئية — فتستند الى نص المادة ١٣٨٤ من القانون المدنى الفرنسى التى تقرر مسئولية الاشخاص عن الضرر الناشىء عن الاشياء التى تحت رعايتهم . فأساس المسئولية هنا هو ملكية الشىء أو حيازته . فمالك الشىء يجب أن يتحمل الاضرار التى يلحقها بالغير . وقياسا على ذلك فان رب العمل وهو مالك الالات والادوات التى يعمل عليها العامل يلتزم بدفع التعويض عن الحوادث التى تلحق بالعامل الذى يعمل على هذه الالات . ولكى يتخلص من المسئولية عليه ان يثبت خطأ العامل أو خطأ شخص ثالث أو قوة قاهرة .

لم تكفل هذه النظرية ايضا أية حماية للعامل ، اذ ان غالبية الحوادث تنتج بسبب قوة قاهرة او بسبب عدم حرص العامل أو نتيجة خطأ ولو طفيف من ناحيته نتيجة الارهاق الذى يصيبه اثناء عمله . كما ان هذه النظرية لم يأخذ بها القضاء المصرى لعدم وجود نص فى القانون المدنى المصرى القديم خاص بالمسئولية الشيئية .

لقد فشلت الحيل القانونية ايضا فى خلق وسيلة حماية فعالة ضد الاخطار الشائع وقوعها بالنسبة للعمال الا وهى اخطار اصابات العمل والامراض المهنية .

ظهور الاشكال الحديثة للحماية الاجتماعية

على ان الظروف الاقتصادية التى صاحبت نشأة النظام الرأسمالى قد تغيرت عندما انتقل النظام الرأسمالى الى نظام الاحتكارات واتسعت سلطات الدولة وتطورت وظيفتها . فقد تحدد بالفعل هدف وسائل الحماية الاجتماعية . فاصبحت هذه الوسائل تهدف الى كفالة الامن الاجتماعى للفئات الفقيرة التى وقعت صرعى مخاطر النظام الرأسمالى . فهى تهدف الى تحرير الفرد من الحاجة المترتبة على عدم المساواة الاجتماعية او على المرض او الشيخوخة او العجز أو البطالة وذلك بتوفير ايراد يكون فى العادة تعويضا ماليا او دخلا نقديا . وفى الخطاب الشهير الذى القاه روزفلت فى الكونجرس عام ١٩٤١ بعنوان « رسالة حول الحريات الاربع » أورد التحرير من الحاجة ضمن الحريات الأربع الاساسية التى يجب ان تبنى عليها الدول الحديثة .

كما جاء فى وثيقة حقوق الانسان العالمية بباريس عام ١٩٤٨ وبالمادة ٢٢ ما يأتى « لكل فرد باعتباره عضوا فى المجتمع الحق فى الضمان الاجتماعى . فله الحق فى الحصول على اشباع حاجته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى لا غنى لكرامته عنها وللتطور الحر لشخصيته ، وذلك بفضل المجهود الوطنى .. » .

والمادة ٢٣ تقول : «لكل فرد الحق فى أن يعيش فى مستوى يكفل له ولاسرته الصحة والرفاهية ، وبصفة خاصة يضمن له الغذاء والكساء والمسكن والرعاية الطبية والخدمات الاجتماعية الضرورية ، وله الحق فى الضمان فى حالة مرضه وعجزه وترمله وشيخوخته وفى الحالات الاخرى التى يفقد فيها وسائل معيشته لاسباب خارجة عن ارادته .

لقد حدث هذا التطور الايديولوجينى للاسباب الاتية :

أولا : انتقال النظام الرأسمالى الى مرحلته الاحتكارية مما ادى الى اتساع سلطات الدولة وتطور وظيفتها .

ثانيا : ظهور النظريات الاشتراكية وتطور مفاهيمها منذ نهاية القرن التاسع عشر والقرن الحالى مما ادى الى ظهور الاحزاب الاشتراكية وازدياد قوتها وتطور العمل النقابى بين الجماهير العاملة التى طالبت بحمايتها من الاخطار التى تتهددها فى ظل النظام الرأسمالى .

ثالثا : نمو عدد السكان فى دول اوربا خلال القرن الماضى مما أدى الى ضرورة ايجاد حل سريع لتطوير وسائل الحماية الاجتماعية .

رابعا : عمق الازمات الاقتصادية التى صادفتها الدول الرأسمالية وازدياد سوء الحالة الاجتماعية للطبقات العاملة منذ بداية هذا القرن .

خامسا : لقد اثبتت التجربة عدم كفاية الاساليب القديمة للوقوف امام المخاطر المتزايدة التي ترتب على التطور الصناعي وازدياد وطاة الاستغلال الراسمالي . فقد راينا ان الاعانة بالاضافة الى انها لا تمثل الا الحد الادنى اللازم للمعيشة لا تتمكن من تغطية المخاطر العديدة التي تولدت عن التطور الصناعي . والادخار فرديا كان ام جماعيا يستلزم توفر امكانيات الادخار وهي الامكانيات التي تفتقدها الطبقات العاملة الفقيرة . والتامين الفردي كما راينا لا يقبل انه يغطي الاخطار الكثيرة الوقوع ولا الاخطار الشائعة كما لا يقبل تغطية الاعباء العائلية الباهظة ، كذلك فشلت الحيل القانونية ونظريات الفقهاء في خلق وسيلة قانونية فعالة لحماية العمال وتعويضهم عن اكثر الاخطار وقوعا وهي اصابات العمل والامراض المهنية .

ولكل هذه الاسباب ظهرت منذ اعقاب الحرب العالمية الاولى الاساليب الحديثة للحماية الاجتماعية واهمها التأمينات الاجتماعية .

التأمينات الاجتماعية

وبالرغم من ان التأمينات الاجتماعية قد اشتقت من التأمين الخاص القائم على الربح الا انها قطعت نهائيا كل صلة بين الاشتراكات التي يدفعها المستفيدون وبين التعويضات التي يتلقونها . وهي تتميز عن التأمين الفردي بالمميزات الاتية :

- قامت التأمينات الاجتماعية فعلا وقانونا لمصلحة العاملين . فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالعمل وبالاجر .

- يلتزم العمال وارباب العمل بالاشتراك في التأمينات الاجتماعية .

- لا يدفع العمال وهم المستفيدون من التعويضات المدفوعة من التأمينات الا جزءا من الاشتراكات ويلتزم ارباب العمل بدفع الجزء الاخر .

هذه هي الصفات التي ميزت التأمينات الاجتماعية عن التأمين الخاص القائم على الربح ثم بتأثير التطور الحادث في وسائل الحماية وتحت تأثير انتشار الايديولوجية الاشتراكية وكفاح الطبقة العاملة قبيل الحرب العالمية الثانية وبعدها وعمل الاحزاب الاشتراكية انفصلت فكرة التأمينات الاجتماعية عن التأمين الخاص في المضمون كما في التكنيك لتصبح وسيلة من وسائل الحماية الاجتماعية .

على ان انظمة التأمينات الاجتماعية قد اختلفت من دولة لاخرى كما سبق واشرنا وذلك تبعا للتكوين التدريجي للانظمة الوطنية لوسائل الحماية . واختلاف درجة درجة نمو الاقتصاد في كل دولة والى اختلاف الاسس الاقتصادية التي يرتكز عليها المجتمع اى باختلاف طرق الانتاج . فيختلف نظام التأمينات في العالم الراسمالي من دولة لاخرى : اختلافات في التنظيم والوسائل والتكنيك وكذلك يختلف اختلافا جذريا في الدول الاشتراكية عنه في الدول الراسمالية . وسوف نعرض بايجاز لاهم نظم الحماية في انجلترا وفرنسا ثم ننتهي الى عرض سريع لنظام التأمينات الاجتماعية في الاتحاد السوفييتي .

النظام الانجليزي

يدرس النظام الانجليزي عادة باعتباره وليد افكار لجنة **بيفيردج** . وبالرغم من ان تقرير هذه اللجنة قد اثر اثرا كبيرا على النظام الانجليزي ـ الا انه لم يكن نقطة الانطلاق لنظم الحماية الاجتماعية في انجلترا . فكان التشريع الانجليزي يشتمل منذ قبل الحرب العالمية الاخيرة ، على مجموعات متعددة من انظمة الحماية شملت حالات كثيرة من المخاطر .

فكان اول تشريع صدر هو قانون الفقراء عام ١٦٠١ ، وفي عام ١٨٠٧ صدر تشريع آخر القى بمسئولية التعويض عن حوادث العمل على عاتق رب العمل . وفي عام ١٩٠٨ صدر تشريع لمساعدة المسنين الذين جاوزوا السبعين عاما والذين حرموا من موارد اخرى للدخل .

وفي عام ١٩١١ نشأ التأمين الصحي الاجباري الذي كان قاصرا على العمال دون عائلاتهم . كما انشأ هذا القانون نظام التأمين ضد البطالة .

ويعتبر هذا القانون اول قانون من نوعه في العالم للتأمين ضد البطالة . وان كان ذلك يرجع في الواقع الى الظروف القاسية التي عاشتها الطبقة العاملة الانجليزية خلال القرن التاسع عشر وتعرضها ، اكثر من غيرها من الطبقات العاملة في اوربا لمخاطر البطالة كما يرجع ذلك ايضا الى تطور العمل النقابي وكفاح الطبقة العاملة .

وفي عام ١٩٢٥ صدر قانون يعدل من احكام قانون سنة ١٩٠٨ فأحل المعاش محل المعونة وعدل سن المعاش من ٧٠ الى ٦٥ سنة .

وفي سنة ١٩٤١ ، ١٩٤٢ قدمت اللجنة الوزارية برئاسة بيفيردج والمكلفة بتعديل نظام التأمينات الاجتماعية ، تقريرها الذي كشفت فيه

عن عيوب النظام المطبق فعلا ، فلم يكن هذا النظام يغطى الاعباء العائلية ، وكان التأمين الصحى قاصرا على العامل دون عائلته . كما كانت المعونة التى تدفع فى حالة البطالة ضئيلة للغاية . كما انتقد التقرير ايضا التأمين ضد اصابات العمل . فقد كان النظام القديم يلزم العمال بالقيام باجراءات قضائية طويلة ومكلفة للحصول على التعويض .

صدر التشريع الانجليزى الحديث وقد تأثر كثيرا بهذا التقرير . فامتاز بعموميته ووحدة احكامه ، وامتدت وسائل الحماية الى كل السكان عاملين وغير عاملين . غير ان التعويضات الخاصة باصابات العمل والبطالة لا تصرف بطبيعة الحال الا للعاملين . اما الاخطار التى عمل التشريع الجديد على تغطيتها بالنسبة لكل السكان فتشمل اخطار الشيخوخة والعجز والمرض والوفاة والبطالة . كما عهد النظام الجديد بالعلاج الطبى الى ادارة الصحة الوطنية والعلاج الشامل بالمجانى لكل السكان .

لخصنا فى هذه السطور الصفات المميزة للنظام الانجليزى الذى يرجع الفضل فى وضع خطوطه الرئيسية الى تقرير بيفيردج .

اما من ناحية ادارة نظام التأمينات فهى ادارة مركزية تتولاها عدة وزارات . فوزارة التأمينات الاجتماعية تدير مكاتب التأمينات الاقليمية والمحلية التى تتولى منح المعونات العينية . اما المعونة النقدية فيتسلمها اصحابها من مكاتب البريد . وبجانب الادارة المركزية توجد لجان استشارية تتكون من مندوبين من العمال ومن اصحاب الاعمال ولها سلطات استشارية .

اما وزارة العمل فهى المسئولة عن تشغيل اليد العاملة وتتولى الرقابة على صرف تعويضات البطالة . وتتولى وزارة الصحة الاشراف على ادارة الصحة الوطنية . وهكذا يرتبط نظام الحماية الاجتماعية بالبناء الاقتصادى للدولة . وتشترك الدولة فى تمويل نظام التأمينات بحوالى ٥٩٪ من نفقاته وتتكفل اشتراكات العمال وارباب العمل بتغطية الباقى . وتنفق ادارة الصحة الوطنية التى تشرف عليها وتمولها وزارة الصحة وادارة التأمينات الاجتماعية حوالى ٣٪ من الدخل القومى فى تقديم الخدمات الصحية والعلاج والدواء لجميع فئات الشعب . كما تتحمل الدولة المعونات العائلية التى تقدم للاسر .

يمتاز النظام الانجليزى ببساطة فيما يتعلق بتقدير التعويضات والمنح والمعاشات :

فبالنسبة للتأمينات الاجتماعية التى تغطى سبعة مخاطر هناك حد ادنى للتعويض ، وهو محدد وواحد بالنسبة للتامين ضد البطالة الذى يصرف لمدة ثلاثين اسبوعا ، وللتامين الصحى والمعونات التى تصرف للام خلال فترة الرضاعة ، ومعونة الترمل والتيتم ، ومعاش الشيخوخة ، فى سن الخامسة والستين . والحد الادنى المقرر فى هذه الحالات الست هو ٦٧ شلنا ، ٦ بنسات اسبوعيا (قانون ٧ مارس سنة ١٩٦٣) .

اما بالنسبة للتأمين ضد اصابات العمل فيختلف التعويض حسب درجة العجز بدون اى ارتباط بين قيمة التعويض والاجر السابق على الاصابة . فبالنسبة للعجز الجزئى المستديم حتى العجز الكامل المستديم اى من درجة العجز ٢٠ الى ١٠٠٪ يتراوح المعاش الاسبوعى بين ٢٣ شلنا و ١١٥ شلنا ، ويرتفع هذا المعاش فى حالة وجود اشخاص او اطفال يعولهم المصاب .

اما المساعدات والمعونات العائلية فتمنح ابتداء من الطفل الثانى وتبلغ ٨ شلنات اسبوعيا وعشرة شلنات للطفل الثالث . وتدفع هذه المعونة للام عاملة كانت أم غير عاملة .

نظم التأمين المهنية

غرضنا بايجاز نظام التأمينات الاجتماعية العام ، وتبين لنا عمومية هذا النظام ووحدته . فهو مطبق على كل السكان عاملين وغير عاملين كما ان نظام التأمينات الاجتماعية العام لا يعتمد اساسا على اشتراكات العمال وارباب العمل الا فيما يتعلق بالتأمين الصحى حيث يبلغ اشتراك الدولة فيه ٥٩٪ من نفقاته بينما تغطى اشتراكات العمال وارباب العمل الباقى ، وذلك منذ سنوات ١٩٥١ ، ١٩٥٢ وازدادت حصة الاشتراكات فى تمويل التأمين الصحى منذ عام ١٩٦١ .

على انه بالاضافة الى هذا النظام العام الذى تنظمه الدولة والذى لا يمنح الا الحد الادنى اللازم للمعيشة (بصفة خاصة فى معاش الشيخوخة والتأمين ضد البطالة والعجز) بالاضافة الى هذا النظام توجد انظمة تأمين مهنية أخرى .

وقد تطورت هذه الانظمة خاصة فيما يتعلق بالتأمين ضد البطالة ، فقدمت هذه الانظمة تعويضات للعمال تضاف الى التعويضات التى تدفعها تأمينات الدولة والتى سبق أن ذكرنا انها مبالغ موحدة ثابتة لكل فئات العمال .

وتغطى الانظمة المهنية أخطار الامراض وتدفع

للعامل اثناء مرضه تعويضات تصل في بعض الاحيان الى مستوى اجره . كما تغطى هذه الانظمة ايضا تأمين الشيخوخة فتصرف للمشتركين فيها معاشا يمكن الجمع بينه وبين المعاش المحدد الذى يمنحه نظام التأمينات الاجتماعية .

وقد وجه نقد شديد الى نظام تأمين الدولة وبصفة خاصة الى التعويضات والمعاشات المحددة سلفا والتى لا تأخذ بعين الاعتبار لمدة الخدمة السابقة او لاجر العامل السابق على استحقاقه للمعاش او التعويض ، والتى تمثل الحد الادنى اللازم للمعيشة .

وقد هاجم حزب العمال منذ ١٩٥٥ نظام تأمين الدولة ، ولم يكن هذا النقد ليغضب حكومة المحافظين التى كان من مصلحتها ان تظهر ان نظام الدولة للتأمينات ليس هو اصلح النظم وانه يمكن الالتجاء الى الانظمة المهنية التى تعتمد فى تمويلها على اشتراكات العمال وارباب العمل .

وصدر بتاريخ ٧ يوليو سنة ١٩٥٦ قانون جديد للمعاشات بالنسبة للعمال الذين لايستفيدون من الانظمة المهنية . وقد عمل به منذ اول ابريل ١٩٦١ . وقد ربط المعاش بمقدار الاجر الذى سدد على اساسه اشتراكات العمال . فهو معاش يتناسب مع الاجر .

النظام الفرنسى

يطلق اسم الضمان الاجتماعى فى فرنسا على مجموعة الاساليب المستعملة لضمان المخاطر التى يواجهها الانسان فى المجتمع .

فالضمان الاجتماعى الفرنسى يشتمل على نوعين من الاساليب :

● **التأمينات الاجتماعية** : وهى تنظم وسائل الحماية من الاخطار التى تهدد العمال وتشتمل على التأمين الصحى وتأمين اصابات العمل الى غير ذلك من التأمينات العمالية .

ومن الناحية العملية فان مزايا التأمينات الاجتماعية ليست قاصرة على العمال فقط وانما تستفيد منها عائلاتهم ايضا .

● **المنح والمعونات العائلية** : وهى وسائل الحماية ضد الاخطار الاجتماعية الاخرى وبصفة خاصة الاعباء العائلية . ولا يمكن وضع حدود فاصلة بين هذين النوعين من الاساليب فالواقع ان الجماهير العاملة تستفيد من كليهما بصفة مباشرة او غير مباشرة . كما يستفيد مجموع السكان من كلا النظامين .

لقد ورثت الجمهورية الرابعة بعض الانظمة المعقده والمبعثرة فى مسائل الضمان الاجتماعى من الجمهورية الثالثة وحكومة فيش .

وعلى اثر تحرير فرنسا وقيام الجمهورية الرابعة صدر فى ٤ اكتوبر سنة ١٩٤٥ امر بتنظيم جديد للضمان الاجتماعى . ولقد تأثر هذا الامر الجمهورى بالعوامل الاتية : اولا بالمطالب التى تضمنها برنامج المجلس الوطنى للمقاومة الذى كان يتزعم حركة المقاومة ضد الاحتلال النازى لفرنسا والذى كان يضم ممثلين عن الطبقة العاملة التى لعبت دورا اساسيا فى حركة المقاومة .كما تأثر ثانيا بالدراسات التى قامت بها القيادات السياسية للطبقة العاملة بعد التحرير واللجان الفنية التى شكلتها الحكومة الائتلافية . وكان من الطبيعى ان تتجه انظار هذه اللجان الى الضفة الاخرى للمانش حيث اصبح تقرير بيفيردج يمثل اساس التأمينات الاجتماعية الحديثة .

كانت الخطة الرئيسية للنظام الذى انشأه الامر الصادر فى سنة ١٩٤٥ يمثل مفهوما جديدا لنظم الحماية فهو يهدف الى جعله نظاما موحدا وعاما . ولكن منذ ذلك التاريخ وقد اعترضت الخطة الرئيسية التى املتها انتصارات الطبقة العاملة عقبات حالت دون تحقيقها . فلم يتم توحيد نظم التأمينات ، كما كانت تهدف الخطة الرئيسية . كما ان تعميم الحماية على كل السكان لم تتحقق الا بطريقة جزئية . كما لم تتحقق وحدة الادارة . فظل هناك جهازان للادارة والدفع . اداره وصندوق الضمان الاجتماعى الخاص بالتأمينات الاجتماعية وحوادث العمل ، وادارة وصندوق المساعدات العائلية الخاص بالمعونات العائلية .

وفى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٤٥ صدر امر وسع من تطبيق التشريعات الخاصة بالتأمينات ضد المرض والعجز والشيخوخة والوفاة وتعويضات الامومة .

وفى ٢٢ اغسطس سنة ١٩٤٦ صدر قانون جديد لتعميم نظام المعونات العائلية على كل السكان .

وفى ٢٢ مايو سنة ١٩٤٦ صدر قانون يقضى بتطبيق احكام نظم الحماية الاجتماعية على كل السكان عمال او غير عمال . وكان اول تأمين طبق على الجميع هو تأمين الشيخوخة . على ان هذا القانون قد اثار اعتراض جبهة تمثل احزاب الطبقات الوسطى واوساط المزارعين الذين اعترضوا على تعميم نظم الحماية على كل السكان عمال او غير عمال . وكان اول تأمين مزايا التأمينات الاجتماعية ولكنهم اعترضوا على

اشتراكهم فى نظام واحد مع الطبقة العاملة وذلك من شأنه ان يضعهم على قدم المساواة مع العمال فيحكمهم نفس التنظيم الادارى الذى يحكم العمال، كما اعترضوا على دفع اقساط الاشتراك فى التأمينات .

كانت هذه الاعتراضات تعرض وحدة نظم الحماية لخطر كبير — هذه الوحدة التى امتاز بها النظام الفرنسى . على ان مشرع قانون ٢٢ مايو سنة ١٩٤٦ الذى وضع مبدأ التعميم ، اخضع تنفيذ هذا القانون لشرطين : أولهما : ان يدفع غير العاملين الاشتراك وثانيهما : ازدياد معدل الانتاج الصناعى بالنسبة لسنة ١٩٣٨ .

وفى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٦ اصدرت الجمعية التأسيسية الثانية قانونا ، يقضى بالتطبيق العاجل لقانون ٢٢ مايو فيما يتعلق بتأمين الشيخوخة . كما نص هذا القانون على منح الشيوخ والمسنين ذوى الدخول الاقتصادية الضعيفة منحا مؤقته لحين توفر مدة الاشتراك الموجبة للمعاش التى يتطلبها القانون ، وتتحمل الدولة من ميزانيتها هذه المنح المؤقتة .

لم تستطع الادارة تطبيق هذا القانون بعد موجة الاعتراضات التى اثارتها جبهة الوسط فلم يتقدم احد لدفع الاشتراكات من اول يناير سنة ١٩٤٧ كما نص القانون .

وبعد مفاوضات قامت بها الحكومة مع التنظيمات التى تمثل فئات المجتمع الاخرى غير العاملة للوصول الى تحقيق نظام واحد خاص بتأمين الشيخوخة ينطبق على غير العاملين ، صدر قانون ١٧ يناير سنة ١٩٤٨ ليحل محل قانون ١٣ سبتمبر سنة ١٩٤٦ . وانشأ هذا القانون نظاما جديدا للمعاشات لغير العاملين . وقد ادرج هذا القانون فى الكتاب الثامن من مجموعة قانون الضمان الاجتماعى الفرنسى . وقد جمع هذا القانون ارباب المهن الحرة والفئات الاخرى والمزارعين والذين لا ينطبق عليهم وصف عمال اجراء فى تنظيمات مستقلة .

وانتظمت فى هذه التنظيمات فئة الزراع وفئة رجال الصناعة والتجار وفئة الحرفيين وفئة ارباب المهن الحرة . وبذلك نشأت عدة نظم مختلفة للحماية الاجتماعية .

فقد تكونت لهذه الفئات تنظيمات مستقلة وصناديق مستقلة . وتولت هذه الفئات ادارة نظمها المستقلة . بينما تباشر الدولة نوعا من الرقابة على هذه الاجهزة الخاصة . وقد اعطى القانون لهذه الاجهزة نفس الوسائل التى تستعملها ادارة الضمان الاجتماعى كما اعطى لحقوقها نفس الامتيازات . ورقابة الدولة يباشرها وزير العمل والضمان الاجتماعى وبعض الادارات المالية للدولة وسوف نقصر دراستنا على النظام العام للتأمينات الاجتماعية الذى يطبق على الجماهير الواسعة من العمال فى فرنسا وسوف نتناول اهم التأمينات .

فالتأمينات الاجتماعية تطبق مبدئيا على الاجراء ويعرف القانون الفرنسى الاجير بانه كل من يتقاضى اجرا نظير عمل يقوم به لدى الغير . وقد انشأ القضاء الفرنسى معيارا لهذا التعريف وهو خضوع من يعمل لسلطة غيره اثناء قيامه بالعمل ، واستحقاقة اجرا نظير القيام به . وقد شمل هذا التعريف من يعملون فى منازلهم لحساب الغير ، والمندوبين التجاريين ومندوبى شركات التأمين واعضاء جمعيات الانتاج التعاونية .

التأمين الصحى

ويشمل التأمين ضد الامراض وتأمين الامومة ويسمح هذا التأمين للمؤمن عليهم بالحصول على الرعاية الطبية التى تستلزمها حالة المرض او حالة الحمل والولادة والرضاعة .

وهناك نوعان من التعويضات بالنسبة لهذا التأمين :

● التعويضات العينية ويستفيد منها المؤمن عليه وعائلته ، وتشتمل التعويضات على نفقات العلاج عند الطبيب الذى يختاره المريض ممارسا عاما او اخصائيا ، ومصاريف المستشفى والاقامة بها والادوية التى تصرف والتحاليل الطبية وغير ذلك ، ولا يتحمل المريض من هذه المصروفات الا ٢٠٪ منها فقط .

● اما التعويضات النقدية فهى تهدف الى تأمين الدخل العادى للمريض المؤمن عليه اثناء فترة مرضه . وبداهة لا يستفيد من هذا التأمين الا المؤمن عليه فقط دون افراد عائلته . ويتراوح هذا التعويض من ٥٠ الى ٧٥٪ من الاجر اليومى ويختلف بحسب الاعباء العائلية الخاصة لكل عامل (عدد الاشخاص الذين يعولهم) . ويشترط القانون لاستحقاق المؤمن عليه أو عائلته للتعويضات الخاصة بهذا التأمين ان يكون المؤمن عليه قد عمل على الاقل ٦٠ ساعة فى بحر الثلاثة اشهر السابقة على مرضه .

واذا زاد عجز العامل عن ستة اشهر ، فيشترط لاستمرار صرف التعويض النقدى له أن يكون

قد مضى على تسجيله في التأمينات الاجتماعية مدة لا تقل عن ١٢ شهرا قبل مرضه وان يثبت انه زاول عمله خلال هذا العام مدة لا تقل عن ٤٨٠ ساعة منها ١٢٠ ساعة في الثلاثة أشهر الاولى ، او يثبت رسميا وجوده في حالة بطالة خلال هذه الفترة . ويستمر صرف التعويض النقدي لمدة لا تزيد عن ثلاث سنوات . فبعد هذه المدة يصبح في حالة عجز ويصرف له معاش العجز الكلي او الجزئي .

اما تأمين الامومة فتستفيد من تعويضه العيني المرأة العاملة وابنة المؤمن عليه وزوجته ويشمل هذا التعويض مصاريف الولادة والاقامة بالمستشفى والرعاية الطبية للطفل . اما التعويض النقدي فلا تستفيد منه الا المرأة العاملة . فيصرف لها التعويض النقدي خلال فترة اجازة الوضع التي تبلغ ١٤ اسبوعا ستةاسابيع قبل الوضع وثمانية بعده .

تأمين اصابة العمل

تعويض العجز المؤقت : التعويض العيني : يختار المصاب الطبيب المعالج والمستشفى وتدفع صناديق التأمينات جميع مصروفات العلاج مباشرة والخدمات التأهيلية اذا احتاج اليها المصاب .

التعويض النقدي : يتقاضى المصاب الاجر الحقيقي الذي كان يتقاضاه فعلا . ويستحق هذا التعويض من اليوم التالي لاصابته . ويستمر صرف التعويض النقدي حتى يثبت عجزه الدائم .

تعويض العجز الدائم : وللمصاب كما في الحالة السابقة الحق في التعويضات العينية . اما التعويض النقدي (المعاش) فهو يختلف باختلاف نسبة العجز المختلف من الاصابة ويصل الى ١٠٠٪ من دخله في العام الذي سبق الاصابة .

تأمين العجز والشيخوخة

- **العجزة :** وهم الذين لا يرجع سبب عجزهم الى الحرب ولا الى اصابات العمل . وانما يرجع عجزهم لاسباب اخرى سلبتهم ثلثي قدرتهم على العمل .

ويتقاضى المؤمن عليه ـ عند استفادته من التعويض العيني ـ معاشا يختلف بانتمائه الى احد هذه الفئات :

الفئة الاولى الذين يستطيعون بالرغم من عجزهم مباشرة عمل ما ويبلغ المعاش السنوى لهذه الفئة ٣٠٪ من الاجر السنوى .

الفئة الثانية : الذين لا يستطيعون مزاولة اى عمل من الاعمال ويبلغ معاشهم ٥٠٪ من الاجر السنوى .

الفئة الثالثة : وهى فئة الذين لا يستطيعون مزاولة اى عمل ويحتاجون الى مساعدة شخص آخر لهم في قضاء حاجاتهم الاعتيادية ـ ويتقاضون ٥٠٪ من الاجر السنوى مضافا اليه ٤٠٪ .

معاش الشيخوخة

يشترط لاستحقاق هذا المعاش بلوغ سن الستين كما يشترط ان يكون المؤمن عليه قد سدد الاشتراكات مدة لا تقل عن ١٥ سنة (وهذا هو التأمين الوحيد الذي يشترط فيه شرط خاص بمدة الاشتراك) . ولا يحصل على المعاش الكامل الا اذا امضى ثلاثين سنة في دفع الاشتراكات . وتحتسب فترات المرض او العجز او البطالة او اصابات العمل كذلك مدة الخدمة العسكرية من ضمن مدة الاشتراكات الموجبة للمعاش .

كما ان عامل السن يؤثر في تحديد المعاش . فاذا طلب المؤمن عليه المعاش في سن الستين فيكون المعاش ٢٠٪ من متوسط الاجر السنوى خلال العشرة سنوات السابقة على طلبه . على ان هذه النسبة تزداد بمعدل ١٪ عن كل ثلاثة شهور يقضيها المؤمن عليه في العمل بعد بلوغه سن الستين . ففي سن ٦٢ سنة يكون المعاش اذن ٢٨٪ وفي سن ٦٥ يصل المعاش الى ٤٠٪ ويزداد ١٠٪ اذا كان المؤمن عليه قد انجب ثلاثة اطفال .

اما اذا كانت مدة الاشتراك تزيد عن خمس سنوات وتقل عن ١٥ سنة فيحسب المعاش على اساس ١٠٪ من مجموع الاشتراكات المدفوعة على شرط ان يبلغ المؤمن عليه سن ٦٥ سنة . واذا قلت مدة الاشتراك عن خمس سنوات فليس للمؤمن عليه الا الحق في استرداد الاشتراكات التي دفعها .

وبالاضافة الى المعاشات تمنح التأمينات الاجتماعية الفرنسية معونة للمسنين من العمال بصرف النظر عن مدة الاشتراك . ولكن يشترط لاستحقاق هذه المعونة ان يبلغ العامل سن ٦٥ سنة وان يكون قد قضى ٢٥ سنة في عمل . كما يشترط انه لا يكون له دخل آخر يزيد عن ٣١٠٠ فرنك في السنة اذا كان يعيش بمفرده (حوالى

٢٢٥ جنيها او ٤٧٠٠ فرنك فى السنة اذا كانت له عائلة (حوالى ٣٣٥ جنيها) والمعونة ثابتة لا تتغير.

وقد اصبحت ابتداء من اول يناير سنة ١٩٦٤ ٩٠٠ فرنك سنويا (٦٥ جنيها) وتزداد بنسبة ١٠٪ اذا كان للعامل المسن ٣ اطفال او اكثر.

وبالاضافة الى ماسبق ان ذكرناه فهناك نظم اخرى لحماية المسنين المحدودى الدخل تعمل على رفع مستوى المعاشات.

الاشتراكات : يمتاز النظام الفرنسى بوحدة اشتراكاته. فقد سبق ان ذكرنا بأن هناك جهازان لادارة موارد الضمان الاجتماعى : ادارة وصندوق التأمينات الاجتماعية واصابات العمل ، وادارة وصندوق المساعدات العائلية.

التامينات الاجتماعية : تبلغ اشتراكات التأمينات الاجتماعية ٢٥ر٢٠٪ من الاجور منها ٦٪ يتحمله العامل ، ٢٥ر١٤٪ يتحمله رب العمل وذلك منذ اول يناير سنة ١٩٦٢.

اصابات العمل : تختلف قيمة الاشتراكات من مهنة الى اخرى ويبلغ متوسطها ٦ر٣٪ من اجر العامل وتصل احيانا الى ٣٥٪ فى المهن الخطرة ، ويتحمل رب العمل هذه الاشتراكات ولا يدفع العمال اية اشتراكات.

المساعدات العائلية : وتبلغ قيمة اشتراكاتها ٥ر١٣٪ من اجور العمال ويتحملها رب العمل.

نقد النظام الفرنسى

لقد كانت سنوات ٤٥ ـ ٤٧ هى الفترة التى وضعت فيها اسس النظام الفرنسى الحديث وتلت هذه الفترة فترة ركود طويلة (حتى سنة ١٩٥٨) لم يحدث فيها تغيير يذكر. ثم جاءت الجمهورية الخامسة حيث صدرت عدة تشريعات عدلت الكثير من النصوص القديمة.

لقد تميزت الفترة التى تلت ١٩٤٧ بمجهودات تشريعية لاعادة النظر فى التنظيم الادارى للضمان الاجتماعى. كانت هذه المجهودات تهدف الى اقصاء نفوذ النقابات العمالية من ادارة صناديق الضمان والى انشاء نوع من الوصاية تحت غطاء توحيد الانظمة المختلفة للتأمينات الاجتماعية.

فلم يعد الموقف السياسى كما كان فى سنوات ٤٥ ـ ٤٧ وهى السنوات التى تلت تحرير فرنسا فمن جهة اعادت احزاب الوسط اتفاقها مع احزاب اليمين وقطعت نهائيا وحدتها مع اليسار. وكان لهذا التغيير فى الموقف السياسى اثره فى وقف تطور نظم التأمينات بل لقد جعلت تطور هذه النظم فى حكم المستحيل.

لقد راينا كيف وقفت احزاب الوسط ضد تعميم نظم التأمينات على كافة طبقات الشعب مخافة ان يؤدى ذلك الى اشتراك الطبقات الوسطى من الحرفيين واصحاب المهن الحرة مع الطبقة العاملة فى نظام واحد تشرف عليه النقابات العمالية ، والواقع ان قيادات احزاب الوسط كانت تعمل على قطع علاقاتها باليسار الذى اشترك معها بالفعل فى حكومة ائتلافية بعد التحرير، وذلك عن طريق اثارة روح الكراهية بين الطبقة الوسطى وبين الجماهير العاملة لتفصل نهائيا الروابط التى نشأت بين هذه الطبقات خلال الكفاح المشترك ضد الاحتلال الهتلرى ، وذلك حتى يتسنى لها ازاحة اليسار من الحكومة والاتفاق مع اليمين والوقوف ضد التطور السلمى الى الاشتراكية والاعداد للحرب الاستعمارية فى الهند الصينية وفى الجزائر فيما بعد.

التأمينات الاجتماعية فى الاتحاد السوفيتى

ان تطور نظم التأمينات الاجتماعية فى الاتحاد السوفيتى لا يعتبر فقط استجابة من السلطة الاشتراكية القائمة الى تحقيق مطالب الجماهير العاملة ، ولكنه يعتبر ايضا تطبيقا للنظرية الاشتراكية التى تدعو لحل جماعى لمشكلة اصابات العمل ولكل المشاكل الاجتماعية.

وقبل الثورة الاشتراكية اصدرت الحكومة القيصرية فى ١٩١٢ قانونا للتأمينات الاجتماعية لعمال الصناعة هاجمه مؤسس الدولة السوفييتية فى منفاه وذلك لان الطبقة العاملة كما يقول لا تريد نظاما للتأمين يؤسس على نفس المبادىء التى تقوم عليها التأمينات الخاصة والتى يدفع فيها العامل اقساطا من اجره. وقد دعا الى اعادة النظر فى مسألة التأمينات الاجتماعية من زاوية مختلفة.

وصدر اول تشريع سوفييتى ينظم التأمينات بعد عام واحد من الثورة وهو مرسوم ١٣ اكتوبر سنة ١٩١٨. ومنذ هذا القانون نظمت الحكومة شبكة هائلة من القوانين واللوائح لتطوير التأمينات الاجتماعية وجعلها اداة فعالة فى حماية جماهير الشعب العاملة ضد اخطار العمل واعباء الحياة ـ وفى ٦ فبراير سنة ١٩٢٥ صدر القانون الخاص بانشاء تنظيم فيدرالى بتنسيق سياسة الحماية الاجتماعية فى الجمهوريات المختلفة. وفى ٢٦

فبراير سنة ١٩٢٥ صدر المرسوم الذى وحد فئات التعويضات على ان اهم قواعد تنظيم التأمينات قد صدر بها قانون ١٣ فبراير سنة ١٩٣٠ ، وقانون ٢٩ فبراير سنة ١٩٣٢ .

وسوف نقصر دراستنا على اهم قوانين التأمين التى نظمتها التشريعات السوفيتية ، وبصفة خاصة على تأمين اصابات العمل الذى يعتبر من اهم انظمة التأمينات واكثرها اتساعا فى نظم الحماية الاجتماعية فى الاتحاد السوفيتى .

تأمين اصابات العمل

طبقا للقانون السوفييتى فان التأمينات لا تغطى فقط الاصابات التى تحدث للعامل اثناء عمله او بسببه حسب المعيار التقليدى لاصابات العمل فى البلاد الغربية ، ولكنها تغطى ايضا الاصابات والامراض التى قد يتعرض لها العامل والتى ليست لها علاقة بالعمل . فالعامل الذى يصاب بكسر فى ساقه ويصبح فى حالة عجز مؤقت عن تأدية عمله يتقاضى تعويضا يتراوح بين ٥٠ الى ١٠٠٪ من اجره يوميا دون البحث عن سبب حدوث هذا الكسر . ولكن التفرقة بين اصابات العمل والاصابات الاخرى لا تؤخذ بعين الاعتبار الا فى حساب التعويض عن العجز .

فالقانون السوفييتى يدخل فى دائرة مخاطر العمل : اصابات العمل والامراض المهنية والاصابات والامراض من اى نوع كانت وحمل العاملة وولادتها او الاستشفاء فى دور النقاهة ومنازل الراحة . ويطلق على هذه الفترة ، وهى فترة تخلف العامل عن العمل لسبب من هذه الاسباب فترة العجز المؤقت عن العمل .

ويخضع لهذا التأمين كل عمال الصناعة والعمال الزراعيون اى كل من ينطبق عليه وصف الاجير وقد وسع قانون ٢٨ يناير سنة ١٩٣٢ دائرة المستفيدين من تأمين اصابات العمل فشمل هذا التأمين فئات من العمال لا تعمل بصفة منتظمة وهم العمال الذين تركوا اعمالهم مؤقتا للالتحاق بالمدارس المهنية ، كما شمل أيضا فئات لا ينطبق عليها وصف الاجراء وهم المحامون ، والفنيون الذين يعملون فى التنقيب عن المعادن ، ومندوبو جمعيات التأمين والصيادون .

ويستثنى من تطبيق قانون التأمين الصحى : أعضاء المزارع الجماعية الذين يخضعون لنظام تأمينات مستقل (قانون ١٧ فبراير سنة ١٩٣٠) كما لا ينطبق على فئات الفلاحين التى تعمل فى المزارع الجماعية بادواتها وآلاتها الخاصة عندما تزيد قيمة هذه الالات عن ضعف قيمة المنتجات ، وكذلك المقاولون الذين يعملون بدون عقد ولمدة قصيرة فى اصلاح الالات الخاصة بالمزارع الجماعية .

ولتسهيل تطبيق تأمين اصابات العمل — يميز القانون بين فترتين :

الفترة الاولى : تبدأ من اليوم الاول الذى يتغيب فيه العامل عن عمله ، فهناك احتمال شفائه وعودته . ويطلق على هذه الفترة فترة العجز المؤقت . وتلعب النقابة دورا هاما خلال هذه الفترة فهى تكون التنظيم المختص بتطبيق قانون التأمينات خلال هذه الفترة ، فتأمر بصرف التعويضات الى العامل .

الفترة الثانية : تبدأ من اليوم الذى يحدده قرار اللجنة الطبية المختصة بأن العامل لن يستطيع العودة نهائيا الى عمله . ويطلق على هذه الفترة فترة العجز الدائم . وفى هذه الحالة لا تدفع التعويضات من صندوق المؤسسة التى يعمل بها العامل ولكن من المكتب المحلى لوزارة التأمينات الاجتماعية .

التعويضات : نعرض بايجاز لاهم أحكام قانون ١٤ يوليو سنة ١٩٥٦ الذى اعاد تنظيم تعويضات التأمينات الاجتماعية .

يستمر العامل ، خلال الفترة الاولى وهى فترة العجز المؤقت وحتى لحظة تقرير عجزه الدائم فى قبض مرتبه كاملا . اى يحصل على تعويض يساوى ١٠٠٪ من مجموع اجره . وذلك فى حالة العجز الناجم عن اصابة عمل او مرض مهنى وبدون اى شرط يتعلق بقدمه فى الخدمة او بانتمائه الى نقابة . ويشتمل مجموع اجر العامل على كل مايتقاضاه بصفة منتظمة والذى يعتبر دخلا له باستثناء المدفوعات غير الدورية مثل ساعات العمل الاضافية — واذا كان العامل يؤدى بالاضافة الى عمله عملا اداريا ويتقاضى اجرا منتظما عن هذا العمل فتحسب له جميع هذه الاجور بشرط ان لاتزيد عن ضعف مايتقاضاه كعامل .

اما اذا كان العجز المؤقت لاسباب اخرى غير اصابات العمل او الامراض المهنية فيتراوح التعويض بين ٥٠ الى ٩٠٪ من اجر العامل تبعا لمدة خدمته ولانتمائه الى النقابة . فالعامل الذى له خدمة اكثر من ١٢ عاما فى نفس المؤسسة له الحق فى تعويض يساوى ٩٠٪ من اجره يوميا . وتنخفض قيمة التعويض كلما قلت مدة الخدمة — ولا يجوز

ان تقل بحال عن ٥٠٪ من أجسره . وبالنسبة للعاملين الذين هم دون الثامنة عشرة فهم يتقاضون ٦٠٪ من اجورهم بدون اى شرط يتعلق بالقدم فى الخدمة او بالانتماء الى النقابة .

أما تعويضات العجز الدائم فهى تختلف بحسب ما اذا كان العجز ناجما عن اصابة عمل او لاسباب اخرى . ففى الحالة الاولى يمنح المصاب معاشا كاملا بدون اية شروط خاصة باقدمية فى الخدمة . وتختلف قيمة المعاش بحسب درجة العجز وبحسب طبيعة العمل الذى كان يعمله المصاب . فيرتفع المعاش بالنسبة لعمال المناجم والمحاجر والاشغال الخطرة بدون شرط اقدمية فى الخدمة .

اما اذا كان العجز ناجما عن اصابات اوامراض اخرى غير اصابات العمل والامراض المهنية ، فى هذه الحالة تختلف قيمة المعاش بحسب أقدمية العامل فى الخدمة . ولكن لا يؤخذ بشرط مدة الاقدمية فى حالة ما اذا كان المصاب يعول اشخاصا غير قادرين على الكسب .

١ ـ حمل ووضع المرأة العاملة : تمنح المرأة العاملة اجازة وضع تبلغ ١٦ اسبوعا (١١٢ يوما) منها ثمانية اسابيع قبل الوضع وثمانية اسابيع بعده . وتعتبر العاملة فى حالة عجز مؤقت عن العمل وتطبق عليها القواعد الخاصة باصابات العمل فتمنح مرتبها كاملا خلال هذه الاجازة . ولكن يشترط ان تكون قد قضت ثلاث سنوات تدريب فى مهنتها وسنتان اقدمية فى العمل كما يشترط ان تكون منتمية الى النقابة . واذا لم تتوفر احدى هذه الشروط تنخفض قيمة التعويض النقدى ولا تقل عن ٦٠٪ من الاجر اليومى . هذا بالاضافة الى منح الولادة والرضاعة التى تصرف لها من صندوق اتحاد النقابات . وهى منح ثابتة تصرف للعاملة كما تصرف لغير العاملة بدون اية شروط .

٢ ـ معاش الشيخوخة : يمنح معاش الشيخوخة الكامل للرجال الذين بلغوا سن الستين وامضوا فى العمل ٢٥ سنة على الاقل . اوسن الخمسين بالنسبة لعمال المناجم والصناعات الضارة بالصحة والذين امضوا عشرين عاما فى عملهم .

كما تمنح المرأة معاشا كاملا فى سن ٥٥ على ان تكون قد قضت ٢٠ سنة فى العمل . وفى سن ٤٥ وخدمة ١٥ سنة بالنسبة للاعمال الشاقة او الصناعات الضارة بالصحة . وعند بلوغ السن القانونية يستحق المعاش بقوة القانون دون النظر الى قابلية العامل او العاملة للعمل بعد هذه السن . ويتراوح معاش الشيخوخة من ٥٠ الى ١٠٠٪ من متوسط اجر العامل او الموظف . ويرجع هذا الاختلاف الى اختلاف مدد التدريب المهنى التى قضاها العامل او الموظف ، كما تختلف تبعا لعدد الافراد الذين يعولهم العامل او الموظف عند بلوغه السن القانونية .

وقد رفع قانون ١٤ يوليو ١٩٥٦ المعاشات فى كل الحالات بنسبة ٩٠٪ فى المتوسط .

٣ ـ المعاش الخاص بفقد العائل (معاش الوفاة) : يستفيد من هذا المعاش الاشخاص غير القادرين على الكسب والذين فقدوا عائلهم عاملا او موظفا . وتشتمل هذه الطائفة على ابنائه واخوته واخواته دون السادسة عشرة او دون الثامنة عشرة اذا كانوا يتلقون دراستهم او الزوجة او الزوج على قيد الحياة ، والاحفاد ، والوالدين . وتختلف قيمة المعاش بحسب عدد الافراد الذين يعولهم المتوفى وبحسب الاجر الذى كان يتقاضاه وبحسب طبيعة العمل الذى كان يمارسه .

٤ ـ التأمين الصحى : يطبق التأمين الصحى على كل سكان جمهوريات الاتحاد السوفييتى ويخضع لهذا الجهاز مجموعة ضخمة من المستشفيات والمصحات ودور النقاهة . فهناك ٢٠ طبيبا لكل ٩٠ سريرا فى المستشفيات . كما تضم الخدمة الصحية حوالى نصف مليون طبيب بنسبة طبيب لكل ٥٠٠ فرد . وتشتمل الخدمة الصحية على مؤسسات العلاج الوقائى والمستشفيات وغيرها . وتتكفل ميزانية الدولة بجميع نفقات هذا الجهاز . والعلاج مجانى لكل فئات الشعب وطوائفه داخل المستشفيات . من دواء وعمليات جراحية وتحاليل طبية وخدمات تأهيلية الى آخره .

نظام التأمينات الخاص باعضاء الكولخوزات:
يتمتع اعضاء الكولخوزات وهم من الملاك الصغار الذين اشتركوا فى الجمعيات التعاونية الزراعية ، يتمتع هؤلاء الاعضاء بنظام تأمينات خاص تتكون موارده من اشتراكات الاعضاء . وتبلغ هذه الموارد ٢٪ من قيمة انتاج الجمعية التعاونية . وتختص كل جمعية بوضع قواعد نظامها فى التعويضات . وهناك اتجاه لتوحيد نظم التأمينات فى الجمعيات .

وقد اصدر مجلس السوفييت الاعلى قانونا فى يوليو سنة ١٩٦٤ خاصا بتطبيق نظام المعاشات الذى تكفله الدولة على اعضاء المزارع الجماعية والاخصائيين الزراعيين والفنيين على ان يبدأ تنفيذه فى أول يناير سنة ١٩٦٥ . وبذلك توحد نظام المعاشات بالنسبة لكل سكان الاتحاد السوفييتى .

المنح والمساعدات الاخرى : بالاضـافة الى المعاشات والتعويضات التى ذكرنا اهمها ، فان التأمينات الاجتماعية تقدم منحا للولادة والرضاعة، ومنحا للعمال الذين يتدربون على مهن جديدة ، كما تقوم التأمينات الاجتماعية بتمويل وتنظيم معسكرات الشباب والخدمات المدرسية واقامة دور النقاهة والاستشفاء وغير ذلك من الخدمات.

موارد التأمينـات الاجتماعيـة فى الاتحـاد السوفييتى : تتكون موارد التأمينات من الاشتراكات التى تدفعها المنشآت والمؤسسات التى يعمل بها موظفون وعمال . وتدفع ادارة هذه المنشآت نسبة معينة من اجور الموظفين والعمال .

اما العمال والموظفون فلا يساهمـون بأى نصيب فى اموال التأمينات الاجتماعية . ولايعنى تخلف المنشآت عن دفع قيمة الاشتراكات حرمان عمالها وموظفيها من حقوقهم فى التأمينات . فهذه الاشتراكات تحصل قانونا من ادارة كل منشأة وتدخل فى باب النفقـات العامـة لها . ومن الطبيعى ان تزداد نفقات الدولة على التأمينات كلما تطور الاقتصاد . ففى عام ٦٤ زادت نفقات التأمينات اربعة اضعاف ما كانت عليه عـام ١٩٥٤ .

ادارة التأمينات الاجتماعية السـوفييتيـة : تشرف النقابات العمالية على ادارة التأمينـات الاجتماعية . فتتكون لجان للتأمينات فى كل نقابة ويرأس كل لجنة رئيس النقابة . وتتمتـع هذه اللجان بسلطات واسعة فى ادارة التأمينات .فهى تشرف على مـواردها كما تشرف على تقـديم الخدمات . فتقوم لجان التأمينات بالاشراف على تسديد حصص المؤسسات والمنشآت لصندوق التأمينات . وفى حالة تأخر هـذه الجهات عن سداد حصتها فى المواعيد المحددة تستقطع اللجان المبالغ اللازمة . فهى تصـدر قرارات ملـزمة لادارة المنشآت فيما يتعلق بالوفاء بالنفقات التى تتحملها فى ميزانية التأمينات .

وتشرف اللجان ايضا على الخـدمات التى تقدمها التأمينات الاجتماعية . فتقوم بتوجيـه الخدمات الصحية،وهى التى تقرر منح تعويضات العجز المؤقت . وهى التى تصرف منح الولادة والرضاعة . كما لها الحـق فى تقرير الاقامـة بالمصحات ودور النقاهة مع صرف التعويضات والمساعدات اللازمة . كما تشترك فى لجـان تحديد المعاشات وتشرف على تطوير المؤسسات الصحية ومؤسسات رعاية الاطفال ــ كما انها تنفق على معسكرات الشباب واطفال المدارس وعلى الخدمات الاجتماعية فى المدارس.

وتعتمد هذه اللجان فى القيام بمسئولياتها على اعضائها المتطوعين والذين يبلغ عـددهم اربعة ملايين . فهم يساهمون فى مختلف المجالات بدون أجر وفى أوقات فراغهم . ويمثل هؤلاء المتطوعون نوعا من الرقابة الجماهيرية على سير العمـل بالخدمات الاجتماعية .

اما اجهزة الدولة فهى تختص بالرقابة على تمويل التأمينات ووضع ميزانية الخدمات المتعددة التى تقوم بها التأمينات .ويقوم مجلس السوفييت الاعلى باقرار الميزانية العامة للتأمينات مع بيان حصص كل فروع الصناعة فى التمـويل حسب مقتضيات الخطة الاقتصادية . وهو الذى يحدد بالتالى نصيب التأمينات من مجمـوع الدخـل القومى .

المميزات الرئيسية للنظام السوفيتى

نستخلص مما تقـدم بأن للنظام السـوفييتى مميزات خاصة تميزه عن نظم الدول الغربية :

١ ــ فنظام التأمينات السوفييتى تموله الدولة وتنشىء له ميزانية خاصة . وليست هنـاك حاجة الى استقطاع اشتراكات من اجور العمال او من مدخراتهم الشخصية لتأمين حياتهم ضد الاخطار من اى نوع كانت .

٢ ــ تكون ميزانية التأمينات جزءا من ميزانية الدولة ــ وبالتالى تزداد هذه الميزانية كلما نما الاقتصاد القومى ــ فبينما كانت ميزانية التأمينات عام ٥١ تبلغ ٢ مليار و ٥٧٠ مليون روبل اصبحت فى عام ١٩٦٥ ١٠مليارات و ٦٠٠ مليون روبل اى قد ازدادت اكثر من اربعة اضعاف ماكانت عليـه منذ عشرة سنوات .

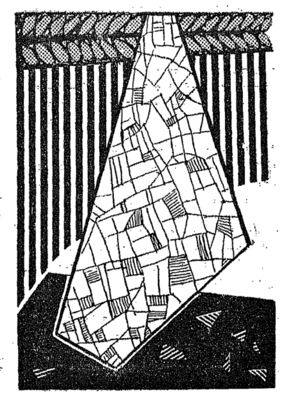
٣ ــ يمتاز نظام التأمينات السوفييتى بوحدته وعموميته ــ فهو نظام واحد يشمل جميع سكان الجمهوريات وخصوصا بعد تطبيقه على المزارع الجماعية .

٤ ــ تلعب التنظيمات العمالية دورا فعـالا فى ادارة التأمينات مما يكفل عدالـة توزيعها ووضعها فى خدمة جماهير الشـعب وضـمان الرقابة الجماهيرية على سير العمل بها .

٥ ــ يربط نظام التأمينات السوفييتى بين مدة التدريب التى قضـاها العامـل وبين تقـدير التعويضات والمعاشات .ويرجع ذلك الى طبيعة النظرة الى التأمينات الاجتماعية . فهى تعتبر كأداة لتطوير الانتاج الذى يكون الشرط الاساسى للرخاء الاقتصادى والذى يسعى اليه المجتمـع الاشتراكى . واشتراط مدة تدريب معينة فى تقدير التعويضات والمعاشات تشجع العمـال على الالتحاق بالمعاهد المهنية مما يـؤدى الى زيادة الكفاية الانتاجية لدى العاملين .

التغييرات التى طرأت على هيكل رأسمالية ما بعد الحرب

توريك أوريبان



عشرون عاما مضت على الحرب العالمية الثانية وهى فترة متساوية للفترة التى فصلت ما بين الحربين العالميتين . وهذا يدعو بطبيعة الحال الى محاولة اجراء بعض المقارنات بين التطور الاقتصادى للرأسمالية فى فترة ما بعد الحرب وتطورها فى فترة ما بين الحربين . وتدل المقارنة السريعة بالعشرينات وعلى الاخص بسنوات الركود الاقتصادى العشر التى سبقت نشوب الحرب العالمية الثانية — على ان الفترة التى أعقبت الحرب قد اتسمت باستقرار كبير وتظهر على الفور بعض الاختلافات الأساسية :

أولا : كانت معدلات النمو الاقتصادى لفترة ما بعد الحرب اكثر ارتفاعا وكان نمو الانتاج بالنسبة لكل نسمة فى البلدان المتطورة فى الخمسينيات ضعف معدل ما بعد الحرب بالرغم من انفصال المستعمرات ، مؤخرة النظام الامبريالى . فقد كان لنمو العلاقات الاقتصادية الخارجية — وخاصة فيما بين البلدان المتطورة — اثر كبير فى تنشيط التقدم الاقتصادى . وبعبارة اخرى كان السبب الكامن وراء النمو هو اتساع اسواقها الخارجية ،

واحرز التقدم التكنولوجي — الذي نشطته الحرب العالمية الثانية وسباق التسلح — تقدما ملحوظا وان كانت الثورة التكنولوجية قد سارت قدما الى الامام حتى بعد ان هبط الانفاق الحربي نسبيا .

ثانيا : خفت الى درجة كبيرة حدة التقلبات الدورية في فترة ما بعد الحرب . لقد كان اعظم كساد في نشاط الاعمال هو ما سجلته الولايات المتحدة الامريكية وان كان الانخفاض الذي اصاب الانتاج بسيطا اذا ما قورن بازمة الثلاثينيات حيثما انخفض الناتج الاجمالي في الولايات المتحدة الى النصف تقريبا . وفي البلدان الراسمالية المتطورة الاخرى كانت التقلبات الدورية طفيفة .

ثالثا : تحققت زيادة جوهرية في العمالة ، ولقد استنفدت بعض بلدان اوروبا الغربية بالفعل احتياطياتها المحلية من القوى البشرية . صحيح انه لازالت هناك بطالة يعتد بها في الولايات المتحدة وعدد العاطلين فيها يصل الى ٤ — ٥ ملايين ، ومع هذا فلا ينبغي أن يغيب عن الاذهان ان نسبة البطالة كانت اعلى بكثير بعد الازمة في اوائل الثلاثينيات وان البلاد تعاني في الوقت الحاضر من النقص في قوة العمل بالنسبة لمهارات معينة . وبنمو العمالة في البلدان الراسمالية المتطورة تنشأ الظروف المواتية لزيادة حجم الاستهلاك الشخصي زيادة كبيرة .

ولقد جذبت التغيرات العميقة — نسبيا — التي انتابت الهيكل الاقتصادي للراسمالية منذ الحرب — اهتمام الاقتصاديين في البلاد الراسمالية والاشتراكية على السواء . واثارت المناقشات الحية في صفوف الاقتصاديين الماركسيين ، وكذلك بين الماركسيين وغير الماركسيين . والواقع انه لمن الاهمية بمكان التوصل الى فهم عميق لتلك التغيرات واصلها وطبيعتها واتجاهها العام وأثرها على التطور اللاحق للراسمالية وآفاق الاشتراكية .

ويستغل غير الماركسيين — عموما — جسامة التغيرات التي حدثت في التطور الاقتصادي الراسمالي ليؤكد بعضهم على ما اصاب توزيع الدخل القومي من تغيير ، بينما يؤكد البعض الاخر على التغيرات التي انتابت البنيان الطبقي للمجتمع ويبرز معظمهم دور الدولة باعتبارها هيئة مركزية تتدخل ايجابيا في الحياة الاقتصادية ، والاقتصاديون الغربيون متفقون بصفة عامة على ان راسمالية ما بعد الحرب قد تمكنت من تحرير نفسها من القيود التي كانت تعوق حركتها في فترة ما قبل الحرب ، وانتشرت النظريات القائلة « بتحول » الراسمالية التي تزعم ان الراسمالية قد غيرت كثيرا من ملامحها السابقة .

ولقد حدث تطور هام في آراء الماركسيين حول التطور الاقتصادي للراسمالية في فترة ما بعد الحرب ، وبالرغم من ان الاقتصاد السياسي الماركسي لم يفكر في اى وقت من الاوقات ان الراسمالية قد اكتسبت بعض السمات الجديدة المتعلقة بدور الدولة الاقتصادي والتغيرات التي حدثت في الدوره (الاقتصادية) والتقدم التكنولوجي وما الى ذلك . الا ان الاتجاه الذي ساد لفترة من الزمن كان اساسا يفسر تلك التغيرات بالعوامل الخارجية غير الاقتصادية كتاثير الحرب العالمية الثانية وسباق التسلح . ومن ثم كان يعتبرها تغيرات وقتية بطبيعتها وقصيرة الاجل . والى حد ما كان لهذه النظرة ما يبررها . فلا شك ان الحرب قد اضافت حافزا جديدا لبعض العمليات الاقتصادية والتي كان من المحتمل ان تتباطأ بدونها . ومن ناحية اخرى كانت تلك النظرة تعكس في تفكيرنا الاقتصادي الميل الى تكييف العمليات الجديدة لكي تلائم نمطا جاهزا مستمدا من تعميم غير سائغ للسمات الخاصة بالثلاثينيات . وينبغي ان نتذكر أن تلك الفترة التي شهدت فيها كثير من البلدان ازمتين وكسادا طويلا ، وبطالة جماهيرية ، ومستوى منخفض للتراكم وغياب اى بادرة تنبئ عن اتجاه حقيقي الى الانتعاش — انما كانت فترة قصيرة نسبيا . ومع هذا فقد بقيت — النتائج التي استخلصها الاقتصاديون الماركسيون من تحليل تلك الفترة القصيرة والتي اصبح مسلما بها فيما بعد — قصيرة ولفترة طويلة النتائج الصحيحة الوحيدة . ومن هنا كان رواج الرأى القائل — حتى في اواخر الثلاثينيات — بأن الراسمالية قد استنفدت امكانيات نموها الداخلية وان التقدم الاقتصادي والتكنولوجي لا يمكن ان يتحقق الا بتأثير العوامل الخارجية كالحرب وتكديس السلاح . وان الراسمالية عاجزة عن تحقيق اى انتعاش حقيقي وان مستقبلها سوف يحمل المزيد والمزيد من الازمات الحادة . والنتيجة المستخلصة من هذا هي ان الراسمالية سوف تلفظ النفس الاخير نتيجة لركود طويل اقتصادي وتكنولوجي . وفضلا عن ذلك فقد ساد الاعتقاد بأنه ليس في وسع الناطقين بلسان الراسمالية الحديثة ان يعمقوا من فهمهم لطريقة عمل آليات الاقتصاد في البلدان الراسمالية المتطورة ما دام الفكر الراسمالي النظري في حالة ازمة عميقة .

وبعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي فقط بدات المعالجة الخلاقة تسود تدريجيا تقييم التطور الاقتصادي والراسمالية الحديثة في فترة ما بعد الحرب . وسجلت النظرية الاقتصادية الماركسية منذ ذلك الحين تقدما ملحوظا .

وفيما يتعلق بتطورات ما بعد الحرب (وخاصة النمو السريع والثورة التكنولوجية ومستوى العمالة المرتفع وغيبة الازمات الحادة) اخذت تتضح طبيعة التغيرات وانها ليست تغيرات عرضية ولا يمكن ارجاعها الى نتائج الحرب العالمية الثانية وحدها او الى تاثير العوامل الخارجية بصفة عامة . صحيح ان آثار الحرب بقيت

ملموسة فى اقتصاد بعض بلاد اوروبا الغربية فى اوائل الخمسينيات ، وصحيح ايضا ان الحرب قد عجلت باحداث بعض التعديلات فى الهيكل الاقتصادى للرأسمالية (كالتنظيم والتوزيع المركزى للموارد) والتى لولا الحرب لسارت ببطء اكبر . ولكن على الرغم من ان راسمالية ما بعد الحرب اصبحت اقل لجوءا الى اشكال التدخل الحكومى التى املتها مقتضيات الحرب الا ان التغيرات الاساسية التى حدثت فى بنيانها لا يمكن ان تكون بحال من الاحوال تغيرات وقتية . بل على العكس ، يمكن القول بأن تلك التغيرات هى ذات طبيعة اكثر دواما واشد وطأة على الاليات الاقتصادية الجوهرية للنظام الرأسمالى ، وفضلا عن هذا فان السلطات التى تمارسها تلك الهيئات المركزية فى تشكيل السياسة الاقتصادية — وان اختلفت باختلاف البلدان — فمن الواضح انها تستند الى مقدمات نظرية مشتركة طورها الفكر الاقتصادى البرجوازى المعاصر . ولا شك فى ان الاقتصاد السياسى الرأسمالى قد حقق بعض التقدم فى فهم كيفية عمل آليات الاقتصاد الرأسمالى فى ظل الظروف الراهنة . وفى هذا المجال قدم الكينزيون المساهمة الرئيسية فى النظرية الاقتصادية غير الماركسية .

وبينما كان تنظيم الجهاز الاقتصادى للرأسمالية ثمرة لمعالجة المنظرين البرجوازيين للموضوع بصورة اعمق . فقد كان الحافز على التقدم فى هذا الطريق هو تلك الاتجاهات الاقتصادية غير المواتية التى هددت المواقع الاقتصادية والسياسية للرأسمالية الاحتكارية وخاصة فى الثلاثينيات . والان يسلم معظم الكتاب الغربيون بأن الثلاثينيات قد شهدت اضطرابات بلغت حدا من الخطورة ، وضع موضع الشك قدرة الرأسمالية على البقاء اذا ما نشبت ازمة جديدة ما لم تغير هيكلها . ومن هنا ظهرت الحاجة الى تحليل اقتصادى اعمق ، والى الاسراع بالبحث عن طرائق ووسائل جديدة للتغلب على عناصر الركود والازمة العميقة والبطالة الجماهيرية ، ولقد جاءت الحرب العالمية الثانية ، وخاصة الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية بحوافز جديدة لهذا المسعى الشاق .

غير ان تقديرنا للنظرية الاقتصادية البرجوازية يكون تقديرا مبالغا فيه ، ما لم نبين ان تطور الرأسمالية الاحتكارية قد مهد الطريق فعلا للتغيرات التى طرأت على بنيانها الاقتصادى الداخلى . فجميع صور التدخل الحكومى تصبح غير مجدية ما لم تتوفر الشروط الموضوعية الاولية التى تتلخص فى بلوغ مستوى مرتفع للغاية من التشريك الرأسمالى Capitalist socialisation (1) نتيجة للتركز المتزايد فى الصناعة والمال .

ولنبحث العوامل التى اثرت الى حد كبير فى النمو الاقتصادى الرأسمالى فى فترة ما بعد الحرب .

مستوى مرتفع للاستثمار

تدل مقارنة سنوات ما بعد الحرب لسنوات ما بين الحربين على ان النظام الرأسمالى قد نجح فى تحقيق زيادة جوهرية فى نصيب الاستثمار من الناتج الاجمالى وفى الاحتفاظ بمستوى مرتفع تماما للنشاط الاستثمارى . ويبدو الفارق مذهلا بنوع خاص عند المقارنة بالثلاثينيات ، حينما كان يقترن المعدل المنخفض للتراكم بوجود رأس مال فائض (اما فى صورة نقود او فى صورة طاقة غير مستخدمة) . وهذا يوحى بأن البلدان المتطورة قد تعلمت من دروس سنوات ما قبل الحرب .

ويرى الاقتصاديون الرأسماليون الابعد نظرا (كثير بصفة خاصة) ان ترك الحبل على الغارب للاقتصاد الراسمالى سوف يشحنه بأخطار الركود والاضطرابات فى التوازن الاقتصادى . وفقدان الثقة فى قدرة النظام الاقتصادى الرأسمالى على الحياة . اخذ ينتصر الرأى القائل بأنه لا يمكن للاليات التى تعمل تلقائيا ان تؤمن الاستخدام الكامل لعوامل الانتاج الموضوعية والذاتية وانه لابد من تكملتها بتدابير مركزية . وثمة نتيجة اخرى وهى انه لما كان الاستثمار هو الذى يلعب الدور الرئيسى فى النمو الاقتصادى فلابد ان يكون التدخل موجها بالدرجة الاولى الى المحافظة على النشاط فى هذا المجال .

لقد حدثت كما رأينا — تغيرات فى البنيان الداخلى للنظام الرأسمالى ، فى علاقات التوزيع — الغت او شلت جزئيا بعض العوامل التى كانت تعوق تراكم رأس المال ، وسارت تلك التغيرات فى اتجاهين :

الاول — اتخذت اجراءات لتنشيط الاستثمار .

الثانى اصبحت الدولة مستثمرا وهى غالبا ما تستثمر فى المجالات التى لا تجذب اصحاب الاستثمارات الخاصة . وكلا الامرين دليل على ان ثمة تعديلات عميقة نسبيا قد طرأت على تكوين القرارات الخاصة بالاستثمار . وبهذا لم يعد الاستثمار الى حد كبير مجرد شأن خاص فحسب .

واستخدمت الضغط بصوره المختلفة لتنشيط الاستثمار وخاصة عن طريق الاساليب الضرائبية وفى مقدمتها الضريبة على الربح . وبهذا تم تحويل جانب كبير من فائض القيمة المتولد الى خزانة الدولة (حوالى ٤٠ — ٥٠ ٪) التى تعيده بدورها الى التداول . والشىء الهام ان هذا يضع تحت تصرف الدولة اموالا طائلة . وكان الارجح انها ستبقى فى الحسابات الخاصة دون استخدام .

---

(1) التشريك قياسا على الانتاج وسيرا على قواعد اشتقاق العربى المعروفة .. والكاتب يعنى ظاهرة : تمركز ملكية وسائل الانتاج التى تمكن الدولة من الاشراف والتخطيط ، او التوسع فى الخدمات فى اطار الملكية الرأسمالية والانتاج .

ويشكل هذا الامتصاص لرأس المال الزائد عن طريق الضرائب واعادة توزيعه عن طريق الهيئات المركزية — احد التغيرات الكبرى في الهيكل الاقتصادي لرأسمالية ما بعد الحرب . واصبح مسلما بأن ما يجري عليه العمل في هذا الخصوص انما يساعد على احباط الركود وتأمين معدلات للنمو الاقتصادي ليست في متناول رأس المال الخاص .

وغالبا ما يستخدم الضغط الاقتصادي لاقناع اصحاب الاعمال باعادة استثمار اكبر قدر من فائض القيمة الذي يتبقى في ايديهم . وهذا يحد الى درجة ما من الميل الى توزيع الارباح وتحويلها اساسا الى الاستثمار . ويتأثر مستوى الاستثمار ايضا بنشاط الاعمال الحكومية المباشرة . ولا يتوقف الوزن الاقتصادي للقطاع المؤمم كثيرا على حجم قوة العمل بقدر ما يتوقف على نصيب الدولة من الاستثمار الاجمالي ، الذي بلغ في اواخر الخمسينيات ٣٤ ٪ في فرنسا و ٤٠ ٪ في ايطاليا و ٤١ ٪ في بريطانيا . ويرجع نمو استثمار الدولة الى حقيقة ان معدل الربح ليست كقاعدة — هو مقياس الاستثمار في المشروعات المؤممة .

ونحن لا ننوي ان نبحث بالتفصيل جميع الاجراءات التي اتخذت لازالة العقبات من طريق الاستثمار ولتشجيع المستثمرين ومع هذا فلابد من الاشارة الى ان الدولة تسيطر الآن سيطرة مباشرة على ٤٠ — ٦٠ ٪ من مجموع النشاط الاستثماري في اوروبا الغربية وحوالي ٣٠ ٪ في الولايات المتحدة وكندا . وتكشف مقارنة هذه الصورة بسنوات ما بين الحربين الاساليب التي مكنت الرأسماليين الاحتكاريين من القضاء على بعض معوقات النمو الاقتصادي التي كانت قائمة في الماضي ومن جعل هذا النمو اكثر استقرارا وهي تؤيد الرأي القائل بأن التغيرات التي طرأت على الهيكل الاقتصادي للرأسمالية بعد الحرب هي تغيرات عميقة ، وانها ذات طبيعة طويلة الامد على ما يبدو .

ومع هذا فقد نشأت في نفس الوقت صعوبات جديدة ، فاذا كانت المشكلة الاساسية في الماضي هي التغلب على اتجاهات الركود وتحريك رؤوس الاموال الضخمة غير المستخدمة فان المهمة المطروحة الان تختلف تماما ، انها تنظيم النمو الاقتصادي لكي لا يتجاوز المعدلات المثلى اذ ان النمو الزائد المقترن بمستوى مرتفع للطلب والعمالة من شأنه ان يدفع بالاسعار الى الارتفاع والتضخم ، وبعبارة اخرى اصبح تأخير النمو التضخمي للاسعار احد المهام الملحة للسياسة الاقتصادية بعد الحرب . فلتضخم الاسعار اثر ضار على ميزان المدفوعات بنوع خاص .

وحيثما يكون التنظيم غير كاف لتحقيق التوازن بين حركة الاسعار والنمو الاقتصادي ، فلابد من وقف هذا النمو الاقتصادي مؤقتا ، ويتوقف استقرار معدل النمو الى حد كبير على مدى تحقيق هذا التوازن .

الثورة التكنولوجية

كانت الحرب العالمية الثانية نقطة تحول في التقدم التكنولوجي وكان سباق التسلح بعد الحرب حافزا هاما آخر .

وقد دفعت الحرب العالمية الثانية عجلة البحث الذي اسفر عن اكتشافات واختراعات استخدمت فيما بعد في الاغراض المدنية (الطاقة النووية والالكترونيات والمواد الصناعية والمضادات الحيوية والتسيير الالي) .

وكذلك كانت الظروف الاقتصادية في فترة مابعد الحرب مواتية للتقدم التكنولوجي الكثيف ولتطبيق المكتشفات العلمية ، وساعدت على انخفاض القيمة المضطردة (Acceleratid Depreciationo) والاعانات الحكومية والاعفاءات الضريبية التي تمنح لتشجيع التحسينات التكنولوجية ، ساعد ذلك كله على التغلب على كثير من العقبات التي كانت قائمة في الماضي ومهد السبيل لاستخدام امكانيات التكنولوجيا الحديثة على نحو اكمل واوفى .

وهنا ايضا يمكننا ان نلاحظ — كما هو الحال في مجال الاستثمار — وقوع تغيرات جذرية ذات طبيعة هيكلية ، اذ تتحمل الدولة جانبا هاما من نفقات الابحاث الاساسية ، وامكن تخطي العقبات جزئيا عن طريق قيام الحكومة لتمويل الابحاث التي لا تأتي بعائد محقق او التي لا تجذب اصحاب المشروعات الخاصة . ويخضع البحث شأنه في ذلك شأن الاستثمار — للتشريك الرأسمالي .. (Capitalist socialisation) بصورة متزايدة كما هو مشاهد في مثال الولايات المتحدة الامريكية حيث تغطي الدولة اكثر من ثلثي الانفاق الاجمالي على الابحاث والتطوير .

ويدل التحويل المركزي لجانب هام من البحث العلمي — وان لعب سباق التسلح دور الحافز المباشر — على ان هذا الميدان ايضا قد تخطى الاطار الذي كان فيه المشروع الخاص يشكل ضمانا كافيا للتقدم الاقتصادي .

ان التقدم التكنولوجي يقتضي اعادة تنسيق الفروع المكونة لهيكل الاقتصاد الرأسمالي . ولقد احتلت فروع جديدة مكان الصدارة في الصناعة وعلى الاخص الصناعات الكيماوية والالكترونية وصناعة استخراج وتصنيع المعادن الخفيفة ،

وحدثت ايضا تغيرات جوهرية فى صناعة الوقود فهبط نصيب الفحم ، وفى الوقت الحاضر تلعب مصادر الوقودالاخرى دورا اكبر ، واقترب الهيكل الاقتصادى لاوروبا الغربية ـ بصورة عامة ـ من الهيكل الامريكى وتدفقت الثروة التكنولوجية من الصناعة الى الزراعة . والزراعة الراسمالية الان هى مشروع كبير وعصرى . وتمت نتيجة لذلك انتاجية العمل فى الزراعة بسرعة اكبر منها فى الصناعة . فى معظم البلدان .

وثمة عامل هام آخر هو تدخل الدولة فى الاقتصاد بصورة منتظمة .

تدخل الدولة

ترتبط جميع التغيرات التى طرأت على هيكل الراسمالية المعاصرة بدرجة او بأخرى بالدور الايجابى الذى تلعبه الدولة الان فى الحياة الاقتصادية . وفى الوقت الحاضر يدرك عدد كبير من قادة العالم الغربى ان الاليات الفوضوية للاقتصاد الراسمالى لا يمكن ان تضمن الاستقرار والاستخدام الكامل لعوامل الانتاج وان تحقق النمو المطرد وان هذه الوظيفة يجب ان تخول لهيئة مركزية هى الدولة . ولا حاجة الى القول بأن تدخل الدولة كما يرونه ـ ينبغى ان لا يترك ليؤثر فى الطبيعة الراسمالية للبنيان الاقتصادى، بل يجب ان يخدم تامين اداء النظام لوظيفته فى سهولة ويسر . هذه هى العقيدة التى يؤمن بها الان معظم الاقتصاديين الراسماليين المنظريين وهى التى تحكم السياسة الاقتصادية بصفة عامة .

لقد نجم عن تدخل الدولة وقوع تغيرات بعيدة المدى فى بنيان الراسمالية ، فأخرج التاميم من فلك القطاع الخاص مشروعات متفرقة وفروعا بأكملها من الصناعة وساعد هذا التركز لعدد كبير من المشروعات فى يد الدولة على التغلب على بعض العقبات التى تقف فى طريق التقدم الاقتصادى ، وتخلت بعض الفروع والتأخر التكنولوجى) والتى لم يكن فى وسع اصحاب الملكية الخاصة التغلب عليها .

ويلعب التوزيع المركزى للاعتمادات المالية ـ التى زادت مواردها زيادة كبيرة نتيجة للسياسة الضرائبية ـ دورا كبيرا حتى من ناحية التغيرات التى طرأت على البنيان الاقتصادى واثرها على النمو عموما . واذا كانت الميزانيات فى الثلاثينيات لا تمتص الا قدرا لا يذكر من الدخل القومى فان الهيئات المركزية تجد الان تحت تصرفها من ٣٠ الى ٤٠ ٪ من الدخل القومى . ومن الطبيعى ان يطبع النظام الراسمالى بطابعه الخاص طريقة استخدام تلك الاعتمادات التى يذهب معظمها الى تغطية الانفاق الحكومى على الاغراض العسكرية ، والباقى وهو اقل كثيرا فيستخدم فى الاغراض الانتاجية وفى اشباع الاحتياجات الاجتماعية .

ولا يمكن للنمو الاقتصادى ان يسير وفقا للنمط الكلاسيكى للدورة حينما تهيمن الهيئات المركزية على مايقرب من نصف الاستثمارات وتؤثر فيها تأثيرا مباشرا وحينما تنصرف فى أكثر من ثلث الدخل القومى مما يجعلها قادرة على التأثير فى مستوى وحركة الطلب الفعلى بل ويمكن القول بأن التقلبات الدورية سوف تقل فى المستقبل ولفترة طويلة ويحتمل أن تساعد التغيرات التى طرأت على الهيكل الاقتصادى لراسمالية مابعد الحرب على تحقيق استقرار أكبر ، غير أن هذا على ما هو واضح لن يقضى على الطبيعة الدورية .

واتخذ تدخل الدولة من أجل تنظيم الحركة العمياء للقوى الاقتصادية صورة التخطيط الطويل الاجل والبرمجة . وبالطبع لا ينبغى أن يغيب عن الاذهان ان التخطيط فى ظل الراسمالية لا يمكن ان يلبى مصالح واحتياجات المجتمع كله . وفى الوقت نفسه كان الماركسيون يرون من وقت طويل أنه لم يعد من الممكن اعتبار الراسمالية بانتقالها الى الاحتكارية .. ميدانا للفوضى المطلقة العنان ، وان التلقائية لا بد وان تسلم للتخطيط ، وأشار انجلز فعلا الى هذا فى نهاية القرن الماضى وذكرنا به لينين مرة أخرى عند الحرب العالمية الاولى .

وقد اكدت السنوات الخمسون الماضية آراء انجلز ولنين كل التأكيد ، فقد سارت الاتجاهات الى التخطيط ـ وبالدرجة الاولى على المستوى المركزى ـ قدما الى الامام فى فترة مابعد الحرب وفى البداية كانت اجراءات قصيرة الاجل وفى الاساس اجراءات مضادة للدورة ، ولكن تم أخيرا الانتقال الى برامج اكثر شمولا ووضعت فى عدد من البلدان خطط طويلة الاجل ، لاربع او خمس أو عشر سنوات مقدما ، وقد صاحب ذلك انشاء هيئات للتخطيط المركزى (كما هو الحال فى فرنسا وهولندا مثلا) .وليست الخطط الراسمالية بالطبع توجيهات ملزمة وانما هى الى حد كبير أقرب الى الخطوط التوجيهية الطويلة الاجل والتى تعتمد كقاعدة على التحليل العميق للنشاط الاقتصادى بصفة عامة وعلى تحليل السياسة الاستثمارية لكل من المشروعات الخاصة ومشروعات الدولة بنوع خاص .

ومنشأ هذا الاتجاه الى التنظيم المخطط ـ موضوعيا ـ عن المستوى المرتفع للتشريك الراسمالى اذ يحتاج الانتاج الذى يتطلب استثمارا كبيرا (كما هو الحال فى الصناعات الحديثة مثلا) الى توافر ظروف مستقرة لتأمين عائدات كافية ، ومع قيام قطاع كبير للدولة تنشأ الحاجة الى أن

تحدد بقدرنا اكفأ الطرق لاستخدام الاعتمادات المركزية »، وهذه العوامل وغيرها تتجه الى الحد من عنصر التلقائية والى اعلاء شأن عامل التخطيط وبالرغم من ان العملية محدودة فى ظل النظام الرأسمالى فأن الاتجاه الى التخطيط لابد وان ينمو عمقا واتساعا ومع ذلك فلا يمكن ان يتطور ليصبح التنظيم الاقتصادى المطلوب لتلبية احتياجات المجتمع كله ».

التأثير المتزايد للطبقة العاملة والنظام الاشتراكى العالمى

تؤثر الطبقة العاملة الان فى العمليات السياسية والاقتصادية فى البلدان الرأسمالية تأثيرا اكبر مما كانت تفعل فى سنوات مابين الحربين . وهذا يرجع بالدرجة الاولى الى نتائج الحرب العالمية الثانية . فقد تمخضت باعتبارها حربا ضد الفاشية عن ظفر القوى التقدمية بعدد من المطالب الديمقراطية وبالرغم من ان تلك المكاسب قد بهتت منذ ذلك الحين الا أن الرجعية لم تتمكن من اعادة الوضع الذى كان قائما قبل الحرب . كما تعززت مواقع الطبقة العاملة بفضل الرواج الذى استمر طويلا بعد الحرب ونتيجة للمستوى المرتفع للعمالة حينما أصبح النقص فى القوى البشرية شيئا ملموسا فى بعض الاعمال ، وهذا جعل النضال من اجل رفع الاجور ومن اجل المطالب الاخرى — ايسر واسهل وزاد استهلاك العمال وخاصة فى البنود التى كانت تلعب دورا تافها فى الماضى (الاثاث المنزلى والسلع المعمرة ووسائل النقل والاجازات التى تقضى فى الخارج) ».

ونحن وان كنا لا ننوى اجراء مسح شامل لاحوال عمال الصناعة وغيرهم من قطاعات الشعب العامل فى ظل النظام الرأسمالى الا انه لا بد من الاشارة الى أن الضغط الذى مارسته الطبقة العاملة كان حافزا هاما للنمو الاقتصادى فى فترة مابعد الحرب وساعد فى المحافظة على المستوى المرتفع نسبيا للطلب الاستهلاكى .

وينبغى تقدير الدور الذى لعبه وجود العالم الاشتراكى فى احداث التغيرات التى اصابت الاقتصاد الرأسمالى بعد الحرب — تقديرا واقعيا فنحن نعرف ان البلدان الاشتراكية قد بدأت بامكانيات اقتصادية اصغر وعانت من الحرب اكثر من غيرهما وكان عليها ان تركز كل مواردها — ولفترة طويلة من الزمن — من اجل حل المهام الملحة لبناء الاشتراكية . وهذا وغيره قد حد من تأثيرها فى البلدان الاخرى . ومن ناحية اخرى وجدت البلدان الرسمالية فيما حدث من تغيير فى بنيانها الاقتصادى حافزا داخليا كافيا لنموها ».

لقد اصبح للتقدم الاقتصادى للعالم الاشتراكى وقع ملموس حينما اصبح واضحا ان الاشتراكية لا يمكن ان تهزم بقوة السلاح وعندما اضحت نتائج النمو الاقتصادي والتقدم العلمي والتكنولوجي للاتحاد السوفييتي واضحة للجميع . واخيرا اقتراب الطاقة الاقتصادية للاتحاد السوفييتي تدريجيا من طاقة الولايات المتحدة يثير فى الغرب الذعر والشك فى نتيجة المنافسة الاقتصادية ، وهذا يعطى حافزا جديدا لدراسة مشاكل النمو الاقتصادى فى البلدان الرأسمالية المتطورة ومع هذا فارجاع اهتمام الغرب بتلك المشاكل الى وجود النظامين العالميين وحسب هو اغراق فى التبسيط . وهذا الاهتمام (وكذلك الاتجاه الى مزيد من التخطيط) انما يتولد من الاحتياجات الداخلية للاقتصاد الرأسمالى، ولا شك فى أن التعايش السلمى يصنع مشاكل النمو الاقتصادى بصيغة سياسية واضحة المعالم ».

التغيرات الهيكلية التى طرأت على الرأسمالية ومصيرها المحتوم

وتدل مقارنة فترة مابعد الحرب بالعشرينات او بالثلاثينات على ان الرأسمالية قد خلقت بما ادخلته من تغيرات على هيكلها الاقتصادى الداخلى — الظروف التى تمكنها من تحقيق معدلات نمو أكثر ارتفاعا وبالتالى أصبح وقوع أزمة اقتصادية حادة أقل احتمالا وخاصة على الصعيد العالمى ».

ويتجلى التطور الهيكلى فى النمط المتغير لتوزيع الدخل القومى ، وبالرغم من ان التوزيع الرأسمالى بقى على طبيعته المتناقضة دون تغيير الا أن حق بعض الرأسماليين المباشر فى التصرف فى رءوس أموالهم كيفما شاءوا أصبح مقيدا ، وهذا يعنى بلاشك الحد من السلطات الاقتصادية للملاك الفرديين الذين يسعون وراء مصالحهم المباشرة ، ونقل تلك السلطات الى هيئات مركزية يسيطر عليها رأس المال الكبير وتوجيهها المصالح والاحتياجات الاوسع للبرجوازية كطبقة . والعملية لا تسير — طبعا — فى سهولة وبغير احتكاك فهى قد تنعكس فى بعض الاحيان ما دامت تنطوى على تصارع فى مصالح الافراد والجماعات والطبقات .

ان خلق ظروف افضل للنمو الاقتصادى يقتضى التخلى عن الهيكل الكلاسيكى للرأسمالية ، فالرأسمالى الفرد غالبا مايجد نفسه عاجزا عن تلبية الاحتياجات الاقتصادية الاساسية وفى مقدمتها الاستثمار والتغلب على الاختناقات الاقتصادية ، والان تثبت آليات المشروع الخاص التلقائية وعدم كفايتها بالمرة بعد ان كانت لها الهيمنة الكاملة فى

الماضي وبعد أن كانت تؤمن السير المنتظم للنظام ان سير النظام بلا قيادة ودون توجيه لا يتعارض مع مصالح القطاعات الواسعة من السكان فحسب وانما تتعارض ايضا مع المصالح الطبقية للبرجوازية . ان التركز المتزايد في السلطات الاقتصادية يعني ان الرأسماليين الاحتكاريين قد اصبحوا مضطرين الى التسليم بالطابع الاجتماعي لقوى الانتاج المعاصرة . وهذا يؤكد رأى لنين القائل بأن الرأسمالية الاحتكارية « تطوى الرأسماليين — شاءوا أم أبو وسواء ادركوا هذا او لم يدركوه — فى نظام اجتماعي جديد يمثل الانتقال من حرية المنافسة الكاملة الى التشريك الكامل .

لقد اوجد التغيير الذى طرأ على الهيكل الاقتصادي لرأسمالية مابعد الحرب مجموعة من السمات المتناقضة التي تحدد طابع مرحلة الانتقال الى التشريك الاشتراكي الكامل ، فسمات الحرية الرأسماليه توجد جنبا الى جنب مع سمات اخرى تنفيها وتفضي الى فنائها . والتلقائية مقيدة والتخطيط مطبق وان كانت اسس الانتاج السلعي الخاص باقية لم تمس ، وتخضع المصالح الرأسمالية الفرديه للقيود الان التدخل الاقتصادى من جانب الدولة لا يخدم مصالح المجتمع كله بل مصالح الطبقة الممتازة .

وكان لنين عندما تكلم عن هلاك الرأسمالية يقصد ما يتراكم داخل بنيانها الاقتصادى من عناصر هى — على نطاق متزايد — نقيض الرأسمالية « القديمة » القائمة على المشروع الخاص الذى لا يعرف القيود . وكان يرى هذا الهلاك — لا فى الركود الاقتصادى أو فى انهيار المجتمع والاقتصاد — وانما فى ظهور حدود وافاق الهيكل الاقتصادى للمجتمع الاشتراكى المقبل من خلال التغلب على عناصر « الرأسمالية القديمة » فهذا هو السياق الذى تحدث فيه لينين عن حقيقة الاشتراكية وعن قربها وحتميتها . ومن الواضح ان التغيرات الهيكلية فى فترة مابعد الحرب قد دفعت النظام الرأسمالى دفعا فى اتجاه التشريك الكامل ، نحو التمهيد الكامل للارضية المادية للاشتراكية .

ان حقيقة ان بعض حدود الهيكل الاقتصادى للمجتمع المقبل قد اخذت تتشكل داخل اطار النظام الرأسمالى الحديث لا يعنى ان التشريك الاشتراكى الكامل سوف يتم تلقائيا . فطالما ان التشريك التام يصدم بالجماعات الممتازة فلن يتحقق الا بالتغلب على مقاومتها عن طريق الضغط الجماهيرى للقوى الاجتماعية تحت قيادة الطبقة العاملة .

ومن جهة اخرى تطرح تطورات ما بعد الحرب قصة تأثير التغيرات الهيكلية على عملية القضاء على النظام الرأسمالى ثوريا ويدل البحث على ان التغيرات التى حدثت منذ الحرب كانت حتمية ،

فلم يكن من الممكن ان يتحقق اى تقدم اقتصادى بدون التغيرات الهيكلية الداخلية المستمرة ولا يستطيع الرأسماليون الاحتكاريون انفسهم ابتكار هذه الحقيقة . ويدل التطور الذى وقع بعد الحرب بجلاء على انه لايمكن تأمين الظروف الملائمة للنمو الاقتصادى بغير التدخل الى ابعد الحدود فى توزيع الدخل القومي ويستحيل التغلب على العقبات التى تقف فى طريق التقدم الاقتصادى بدون قطاع الدولة وانه بغير الحد من الانحراف وبدون التخطيط لا يمكن ضمان قدر اكبر من الاستقرار للتنمية ولكن هذه التغيرات وان كانت ضرورية الان مضمونها الاجتماعي ومن ثم انجاحها يتوقف على ميزان القوى الاجتماعية وعلى الضغوط التى تمارسها مختلف الجماعات الاجتماعية .

فالتغيرات الهيكلية اذن اما ان تلبى احتياجات الطبقة الرسمالية واما ان تصبح جزءا من عملية الغاء الرأسمالية ثوريا . واعادة توزيع الدخل القومى اللازم لتوفير الاستقرار للنمو الاقتصادى يمكن ان يتحقق ايضا بهدف كبح جماح الاحتكار (عن طريق الضرائب مثلا) واخراج بعض الاعمال من فلك النشاط الخاص يساعد على تحقيق النمو المتكافىء لا بالنسبة للمشروعات المتخلفة فحسب ، وانما ايضا فى جميع ميادين الاقتصاد ، وحتمية التخطيط لا تعنى ان البرمجة لابد وان تخدم مصالح رأس المال الاحتكارى فالتنظيم المركزى ضرورة جوهرية لاى اقتصاد متطور . والسؤال الهام هو من أجل أى المصالح وضع هذا التنظيم .

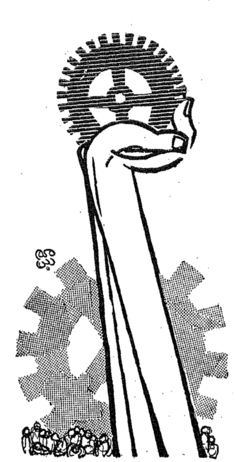
ولقد اثار ادراك حتمية التغيير فى الهيكل الاقتصادى البحث فى فترة ما بعد الحرب — عن طرق ثورية جديدة للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . ويرجع الفضل الى الماركسية الخلاقة ، اذ بينت أن الضغوط المؤدية للتغيرات الهيكلية فى الاقتصاد الرأسمالى — اذا ما اقترنت بالنضال من اجل الديمقراطية السياسية ومن اجل الظفر بالسيطرة على جهاز السلطة — فانه يمكن لتلك التغيرات أن تكتسب طابعا معاديا للاحتكار والرأسمالية ولابد لكى يتحقق هذا من ربط نضال الطبقة العاملة فى سبيل المطالب الاقتصادية بالجهود الواسعة التى تستهدف الحد تدريجيا من سلطه رأس المال الاحتكارى ، ومن نفوذ الناطقين بلسانه ولا بد من تعزيز مواقع القوى التقدمية ، ان هذه التغيرات السياسية والاقتصادية تساعد فى القضاء على الرأسمالية بالطرق السلمية نسبيا والتى هى ايضا ومع ذلك طرق ثورية . ان بحث التغيرات التى طرأت على الهيكل الاقتصادى للنظام الرأسمالى يشير الى أن الطريق السلمى — نسبيا — الى الاشتراكية طريق ممكن وله ما يبرره »

الثورة التكنولوجية..
وانعكاساتها على الحركة الاجتماعية المعاصرة

محمد سيد أحمد

لقد شهدت البشرية فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ثورة بعيدة المدى فى مجال العلم والتكنولوجيا ،يصعب على الانسان ادراك كل ابعادها والامكانيات المشرقة المتفتحة امام البشرية بفضلها. لقد ادخلت هذه الثورة تغييرات جذرية على قدرات الانسان الانتاجية ،وحولت أحلامه الازلية التى كانت تبدو مجرد خيال الى حقائق ثابتة تتحقق الواحدة بعد الاخرى .

لقد شهدت قوى الانتاج طفرات لم يسبق لها مثيل من زاوية الكم والكيف معا . فمن حيث الكم ، زاد الانتاج الاجمالى فى البلدان الرأسمالية من ١٩٣٧ الى ١٩٦٣ بمقدار ١٩٠٪ ، بينما لم تتجاوز الزيادة بين ١٩١٣ و١٩٣٧ غير ٥٣٪ . وفى البلدان الاشتراكية ، ارتفع الانتاج الاجمالى بين ١٩٥٠ و ١٩٦٣ بمقدار ٤٣٠٪ .وليس هناك



مجال للمقارنة بالفترة السابقة ، اذ ان معسكر الاشتراكية لم يكتسب ملامحه الجغرافية الراهنة الا بعد انتصار ثورة الصين فى ١٩٤٩ . اما بالنسبة للاتحاد السوفيتى ، فاذا استبعدنا سنوات الحرب وسنوات اعادة بناء الاقتصاد القومى بعد الثورة مباشرة وفى اعقاب الحرب ، بلغ متوسط الزيادة السنوية فى حجم الانتاج على امتداد ٢٢ عاما ١٦ر٢٪ .

اما من حيث **الكيف** ، فقد اتسمت التغيرات التى طرأت على قوى الانتاج بملامح مختلفة . **لقد اتسع الحيز من الكون الذى استطاع الانسان بفضل الثورة التكنولوجية المعاصرة ان يسيطر عليه** . وامتدت هذه السيطرة نحو **المتناهى الكبير** بتطوير تكنولوجيا الفضاء وبلوغ الكواكب المجاورة ، كما امتدت فى اتجاه عكسى نحو **المتناهى الصغير** بالتحكم فى عالم الذرة ، بل وفى عالم نواة الذرة وما دونها من الجزئيات الاولية . كما يتفتح للانسان بين هذين النقيضين ، وبفضل امتداد سيطرته اليهما ، قدرات متنوعة للسيطرة على نواح مختلفة من الحياة فوق كوكبنا ، تلفت الى اليوم من هذه السيطرة .

وجاءت هذه المنجزات نتيجة منجزات خارقة هى الاخرى فى العلم الحديث والتكنولوجيا المعاصرة — لقد نشأ عدد من العلوم الجديدة — مثل السيبرناتيتا — تعكس قدرات الانسان المتنامية فى تطوير قواه الانتاجية **كيفيا** ، وزيادة دقة وحساسية الالات التى ينتجها . لقد اصبح من الممكن بفضل الالكترونيات وتكنيك الترانزيستور وأشباه الموصلات ان نصنع آلات حاسبة تنجز عمليات رياضية وغيرها بسرعة تفوق سرعة تفكير الانسان ١٠٠ الف مرة — ويصمم الان اجهزة تقفز بهذه السرعة الى مليون ضعف سرعة العقل البشرى — وليست هذه المنجزات مجرد تغيرات فى كم العمليات المنجزة ، بل تعبر عن طفرة خطيرة من حيث **الكيف** كذلك ، **وتنتقل بالانسان لارتياد آفاق مجهولة تجتاز العالم الحسى المحيط به مباشرة ، الى عوالم غريبة تفتحت امكانيات السيطرة عليها ، ولا يمكن للانسان ادراك ملامحها ومميزاتها الا من خلال منجزات عقله فى مجال الرياضيات ، وغيرها من العلوم المعاصرة** .

وقد انعكست هذه الاوضاع على **احتياجات الانتاج المتطور المعاصر** . فيعمل الان فى مختلف انحاء العالم **مليونا عالم** ، ويمثل هذا العدد تسعة اعشار عدد العلماء الذين وجدوا فى اى وقت من الاوقات . ويصدر الان فى المتوسط **٣ ملايين بحث علمى جديد سنويا** . ولم يعد من الممكن لاى عالم — ايا كانت عبقريته — ان يعمل منفردا ، بل تحول البحث العلمى المنتج — بصفة نهائية — الى عمل جماعى ، واصبح يحتاج الى اجهزة معمل لم يعد فى مقدور اى انسان ، مهما بلغت ثروته ، امتلاكها — لقد اصبحت اكثر العلوم المجردة بعدا من واقع الحياة اليومية وثيقة الارتباط بتطور التكنولوجيا وانجازاتها ، ولم يعد اى اساس يسند القول الذى تفوه به منذ اقل من قرن عالم الرياضيات الشهير الفرنسى ، **هيلبير** ، بأنه ليست هناك ثمة علاقة بين العلم والتكنيك ! .. وتفترض هذه التغييرات بالبداهة ابتكار وتنمية وسائل جديدة لتربية علماء من الاجيال الناشئة بالجملة ، وتطويرهم كما وكيفا مع زيادة تنوع اتجاهات التخصص ، كما تفترض انماطا جديدة من العاملين المهرة القادرين على تحريك الالات الحديثة المعقدة ، والتى اصبحت — بفضل الاجهزة الآلية (الاتوماشن) — تنقل مركز الثقل فى العمل من الجهد العضلى الى الجهد العصبى ، والتى ضمنت ارتفاعا مذهلا فى انتاجية العمل ، فضلا عن زيادة الانتاج كما وكيفا .

ان كل هذه التحولات — بفضل الثورة التكنولوجية الحديثة — لابد وان يكون لها انعكاساتها العميقة على وعى ووجدان وسلوك الانسان المعاصر ، كما لابد وان تنعكس بدورها ، انعكاسا عميقا ، على علاقات الانتاج ، والاتجاهات المختلفة فى الحركة الاجتماعية والاقتصادية العصرية .

ولكن قبل بحث هذه الانعكاسات باستفاضة ، وتناولها من زواياها المختلفة ، هناك سؤال يتبادر الى الذهن ولا سبيل لتجاهله ، وهو : **بماذا يفسر حدوث هذه الثورة التكنولوجية فى عصرنا هذا على وجه التحديد ؟ كيف — ولماذا أمكن للانسان فى ظروف عالم اليوم تحقيق امكانيات لا حدود لها لسيطرة الانسان سيطرة متعاظمة على الطبيعة ، وهى امكانيات اذا ما استخدمت لاغراض التدمير ، فهى قادرة على ابادة البشرية بيد البشرية نفسها — لاول مرة فى تاريخها — ابادة تامة ؟ ما هو منطق التاريخ فى هذه المفارقة الملفتة للانظار ؟**

نخصص هذا المقال لمحاولة الاجابة على هذا السؤال — على ان نعالج مستقبلا انعكاسات الثورة التكنولوجية المعاصرة — تفصيلا — على عالم رأس المال — وعالم الاشتراكية ، وعالم البلدان النامية ، والتأثيرات المتبادلة بين هذه العوالم الثلاثة فى ضوء هذه الثورة .

من المعلوم بشكل عام ان اية انطلاقة فى **قوى الانتاج** تفترض توافر **علاقات انتاج** مواتية لهذه الانطلاقة . والا كانت علاقات الانتاج قيدا على هذه الانطلاقة ، وتحول دون حدوثها .

وقد اثبت التاريخ دائما ان قوتى الانتاج حققت

انطلاقاتها الرئيسية في المراحل التاريخية التي عاقت فيها علاقات الانتاج نمو القوى الانتاجية، وكانت هي العلاقات الانتاجية الملائمة لمقدار تقدمها — واستمرت قوى الانتاج تتطور في ظل علاقات اجتماعية معينة ، حتى بلغت درجة من التطور اصبحت هذه العلاقات الانتاجية عتيقة بالنسبة لها — وترتب على ذلك ضرورة حدوث **ثورات اجتماعية** للقضاء على العلاقات الاجتماعية القديمة ، واستبدالها بعلاقات اجتماعية جديدة، اكثر تعبيرا في مقتضيات التغيير الذى لحق بقوى الانتاج . وبمجرد توفير هذا الشرط ، انطلقت القوى الانتاجية مرة اخرى ، وحققت مستويات أعلى من التطور والتقدم . وقد رأينا في عصر الاقطاع مثلا كيف ان التطور البطيء للانتاج الحرفى في المدن افضى الى قيام علاقات رأسمالية اخذت تتعارض تعارضا متزايدا مع القيود التى كان يفرضها المجتمع الاقطاعى على اطراد نموها ، حتى قامت الثورات البرجوازية للاطاحة بسيطرة الاقطاع في اوربا ، واقامة المجتمع الرأسمالى ، ووقتئذ ،ووقتئذ فقط ،انجزت **قوى الانتاج طفرات** خارقة ، وتحقق ماعرف فيما بعد بالثورة الصناعية الاولى .

الجديد — والغريب — في الثورة الصناعية المعاصرة ، هو انها لا تنجز في البلدان التى حققت ثورات اجتماعية ، لاقامة علاقات انتاج اجتماعية اكثر مواءمة لمقتضيات قوى الانتاج المعاصرة فحسب ، بل انجزت على حد سواء في البلدان الرأسمالية المتطورة والبلدان الاشتراكية المتطورة .. وكأن حدوث هذه الثورة امر لا يرتبط ارتباطا لا ينفصم بطبيعة النظام الاجتماعى والاقتصادى بل بمجرد بلوغ درجة معينة من التقدم الفنى والتكنولوجى في هذا النظام اذ ذاك..

ويحق لنا ان نتساءل : ماهو الذى أنعش الرأسمالية المعاصرة هذا الانعاش الذى سمح لها بزيادة انتاجها بعد الحرب العالمية الثانية بمعدلات بلغت ٤ اضعاف معدلاتها قبل الحرب تقريبا ؟ وكيف يحدث ، لاول مرة في التاريخ ، أن النظامين العالميين المتواجدين — الرأسمالية والاشتراكية — في أكثر بلدانهما تقدما وتطويرا ، يتسابقان في مجال غزو الفضاء وتحقيق اعظم المنجزات العلمية والتكنولوجية ،بينما كان التاريخ يتسم عادة بأن هناك نظام نام هو القادر على تطوير القوى الانتاجية الى أبعد ما يمكن الوصول اليه ، ونظام بسبيله الى الانقراض يعجز عن ملاحقة النظام النامى في انجازاته .. ذلك هو الذى حدث في التصارع بين الاقطاع والرأسمالية، وفي كافة النظم السابقة ..

هل تعتبر هذه الظاهرة نفيا للقانون العام، أم ظاهرة محكومة باعتبارات خاصة تتعلق بطبيعة النظام الرأسمالى ، وقدراته الذاتية على التكيف والتطوير في وجه التحديات التى تواجهه كنظام ، وتفرض عليه التطوير تحت تهديد الزوال ؟ **بعبارة أخرى ، هل نحن بصدد ظاهرة جديدة تستدعى اعادة النظر في القانون العام ، ام بشأن ظاهرة تحكمها ظروف خاصة بما لا يتنافى مع القانون العام بل بما يؤكده في ظروف جديدة ؟**

هذا سؤال هام لا يمكن طرحه جانبا بدون اجابة شافية ..

الواقع ان علاقات الانتاج الرأسمالية قد اختلفت عن جميع علاقات الانتاج الاجتماعية السابقة عليها في انها قد حققت معدلات لتطوير قوى الانتاج بصورة لم يسبق للتاريخ ان شهد مايماثلها .. لقد استطاعت ان تنتقل من مرحلة «التنافس الحر» الى مرحلة «الاحكار» و «الاستعمار» في فترة زمنية وجيزة بحيث ان الدول الرأسمالية المتقدمة اصبحت تخضع العالم اجمع لسيطرتها قبل ان يتوافر لبقية أنحاء العالم فرصة اللحاق بها في انجاز اولى خطواتها المستقلة في طريق الرأسمالية . وهكذا سيطرت البلدان الرأسمالية الاستعمارية المتقدمة في عقود معدودة على كافة انحاء المعمورة . لقد اثبتت علاقات الانتاج الرأسمالية قدرة فائقة على تطوير القوى الانتاجية، ولكن تحقق ذلك في المقام الاول باستغلال فئات تتسع باطراد من العاملين داخل البلدان الرأسمالية نفسها ،ثم بفرض استغلال مضاعف على شعوب المستعمرات . وتبقى هذه الحقيقة صارخة الى اليوم . فبالقدر الذى تستطيع فيه الدول الرأسمالية المتقدمة تحقيق منجزات تكنولوجية وفنية أكثر تقدما ، بنفس القدر تفرض على الشعوب الاخرى الخاضعة لسيطرتها البقاء في حالة فقر وتخلف مزمن . **وشرط تنمية القوى الانتاجية في البلدان الرأسمالية المتطورة هو استبقاء التخلف مميزا لقوى الانتاج في مختلف ارجاء العالم التابعة لتحكمها** — وللاستدلال على ذلك ، يكفى ان نذكر انه في عام ١٩٦٥ كان نصيب ٦٨٫٤٪ من سكان العالم غير الاشتراكى الذين يقطنون ثلثى مساحة هذا العالم غير الاشتراكى هو ١٣٪ فقط من الانتاج الرأسمالى العالمى . بينما انتج الـ ٣١٫٦٪ الاخرى ٨٧٪ من هذا الانتاج . وتنتج الولايات المتحدة وحدها ٤٤٪ من انتاج العالم الرأسمالى كله . لذلك لم يكن صدفة أن نصيب الفرد من الدخل القومى في أمريكا يفوق ٢٠ مرة نصيب الفرد من الدخل القومى في افريقيا و ٢٣ مرة في آسيا .

ثم يبقى التسليم بان الولايات المتحدة قد أفسحت لها فرصة الانطلاق رأسماليا منذ قرنين من الزمان في ارض بكر لا تقيد انطلاقات النمو قيودا اقطاعية سابقة كما كان الوضع في اوربا،

وفى أرض غنية للغاية بمواردها الطبيعية وانعزالها النسبى عن مؤثرات العالم الخارجى . وقد بقيت الولايات المتحدة بمعزل عن الاثار الضارة والمدمرة لحربين عالميتين ــ بل على العكس ، فقد شكلت هاتان الحربان ، وبخاصة الحرب العالمية الثانية ، فرصة ذهبية لمزيد من النمو والتقدم فى وجه عالم تأثر كله ــ بقطاعيه الرأسمالى والاشتراكى على السواء بآثار الحرب المدمرة ــ كانت الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة فى العالم التى دعمت خلال الحرب قدراتها الانتاجية ، وتغلبت على الازمات الاقتصادية التى كان ينطوى عليها هذا النمو المتضخم فى القدرات الانتاجية بتأكيد سيطرتها الاقتصادية والعسكرية بعد الحرب على كافة انحاء العالم غير الاشتراكى ، وباحلالها محل الدول الرأسمالية التقليدية التى اصيبت فى اقتصادياتها أثناء الحرب بجراح خطيرة .. **لقد خلقت هذه الظروف الخاصة ، المميزة للولايات المتحدة على وجه التحديد ، ظروفا موانية للرأسمالية كنظام ، فى وجه التحدى المتعاظم الذى أصبحت الاشتراكية تتمثله على نطق العالم** . لقد اوجدت هذه الظروف الخاصة رصيدا للرأسمالية عالميا استطاعت أن تستثمره الى أبعد الحدود .

ثم ينبغى ان نلاحظ أخيرا أن هذه « الصحوة الانتاجية » فى عالم رأس المال ــ كما وكيفا ــ والثورة التكنولوجية التى تمخضت عنها ، لم تأت فى اى ظرف وفى أى زمن . **من المشاهد ان هذه الثورة التكنولوجية تتم فى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، فى ظروف انهيار النظام الاستعمارى بصوره التقليدية فى المستعمرات ، فى عصر تحول الاشتراكية الى القوة المتفوقة عالميا .**

ان هذه « الصحوة الانتاجية » لم تنطلق بمجرد **تواجد** النظامين الاجتماعيين عالميا ، فى اعقاب ثورة أكتوبر الاشتراكية مباشرة ، وقيام الاتحاد السوفيتى فى سدس العالم ، اذ أن الاشتراكية فى هذه المرحلة لم تكن تمثل للرأسمالية العالمية وتفوقها فى الانتاج العالمى سوى خطر كامن ، وكانت الامال لا تزال معقودة على ازالة هذا الخطر من الوجود قبل ان يصبح **خطرا حقيقيا** يهدد الرأسمالية العالمية كنظام **اجتماعى** فى كل مكان **فعلا** . لقد اتسمت هذه المرحلة **بمحاصرة الرأسمالية للاشتراكية** ، رغم قدرة الاشتراكية على فرض حقها فى الوجود ، وانطبع ذلك العصر بسمات اساسية تنبع من السمات المميزة للرأسمالية ــ لا الاشتراكية ــ بحكم تفوق الرأسمالية عالميا كقوة انتاجية قائمة فعلا ، رغم كل العيوب التى كانت تعتريها ، ورغم الامكانيات الكامنة التى تنطوى عليها الاشتراكية **ضمنا** .

لقد اصبحت هذه « الصحوة الانتاجية » **ضرورية** بعد ان عجزت الرأسمالية عن ان تقضى على الاشتراكية كنظام اجتماعى **بالحرب** ، نتيجة للملابسات التى احاطت بالحرب العالمية الثانية ، واستحالة انجاز وحدة الدول الاستعمارية بهدف التطويق بدولة الاشتراكية والقضاء عليها قضاء تاما وقتذاك ــ بل على العكس ، افضت الحرب العالمية الثانية الى انتهاج عدد من الدول الاخرى فى اوروبا وآسيا طريق الاشتراكية ، ورغم الدمار الذى أصاب دولة الاشتراكية اثناء الحرب ، خرجت منها اقوى مما كانت عليه من قبل . اذا ماقورنت نسبيا بمختلف دول العالم « القوية » وقتذاك . ورغم ان الولايات المتحدة قد سبقت الاتحاد السوفيتى فى ترويض قوة الذرة ، واستطاعت ان تنتج اول قنبلة ذرية ، أستطاع الاتحاد السوفيتى أن يلحق بها فى هذا المجال وأن يتفوق عليها فى صنع الصواريخ واسلحة الدمار بالجملة فى عدد معدود من السنوات ــ لقد أصبحت الاشتراكية **خطرا حقيقيا** اضحى يهدد الرأسمالية فعلا كنظام اجتماعى عالمى وأصبح من الضرورى مواجهة هذا التحدى بادخال اقصى ما يمكن من تطويرات فى القدرات الانتاجية ــ كما وكيفا ، وأيا كان الثمن . وتطورت **الرأسمالية الاحتكارية فى البلدان الاستعمارية سريعا الى رأسمالية الدولة الاحتكارية** لمواجهة الاخطار التى اصبحت تتهددها تهديدا جادا .

وقد كانت هذه « الصحوة الانتاجية » **ممكنة** بفضل طبيعة علاقات الانتاج الرأسمالية ، وبخاصة فى مرحلة الاحتكار المتطورة ، والخبرات التى اكتسبتها الرأسمالية المعاصرة فى ادخال عدد من التطويرات الاقتصادية الفنية على الاقتصاديات الرأسمالية بهدف المحافظة على جوهر الرأسمالية وضمان أستمرار تطورها فى ظروف معاكسة .

وهكذا يتضح ان التصارع بين النظامين لعب دورا فعالا فى انجاز الثورة التكنولوجية المعاصرة ، وتسابق النظامان العالميان فى انجاز نتائج اكثر تفوقا فى هذه الثورة ــ لقد اكتسبت ابعادها بعد ان تحولت علاقات الانتاج الاشتراكية الى القوة القادرة على تحقيق النظام العالمى الاكثر تفوقا من الوجهة المادية ، وبعد ان عجزت قوى الرأسمالية المتطورة ، فالفضل فى ذلك يعود الى قبل ان تصل الى هذا المركز .

ومن هنا فحتى اذا سلمنا بأن الثورة التكنولوجية المعاصرة لم تنجز فقط فى البلدان الاشتراكية المتطورة ، بل انجزت كذلك فى عدد من البلدان الرأسمالية المتطورة ، فالفضل فى ذلك يعود الى بروز الاشتراكية بوصفها النظام العالمى الذى أصبح يتحكم أساسا فى مجريات الامور العالمية .

ان انطلاق هذه الثورة التكنولوجية مظهـر من مظاهر تفوق الاشتراكية عالميا — هو بديل عالمي لانطلاق قوى الانتاج في طريق التدمير الشامل والحرب الشاملة — وهي حرب مدمرة لم يعد من الممكن اطلاقها بيسر بسبب انفلات السيطرة من قبضة الاستعماريين ، واحلال قطب حريص بحكم طبيعته ومصالحه الاساسية على توطيد اركان السلام العالمي بحلها . ذلك على الرغم من كل الجهود التي مازالت تبذلها قوى الاستعمار في مختلف انحاء العالم لزيادة التوتر وانتهاك السلام بامل توجيه العالم مرة اخرى نحو هاوية الحـرب .

وباختصار يمكن ان يقال ان الثورة التكنولوجية المعاصرة التي عمت البلدان الاشتراكية المتطورة والبلدان الرأسمالية المتطورة على السواء ، هي مظهر من مظاهر **قدرة الاشتراكية المعاصرة على ان تنعكس ببعض سماتها المميزة حتى على عالم رأس المال** — شأن هـذا المظهر شـأن قـدرة الاشتراكية المتفوقة عالميا على فرض السـلام العالمي ، ومنع اندلاع حـرب نووية حرارية ، وانجاز التحول الى الاشتراكية بالطرق السلمية ، ومنع التوتر الدولي واقامة التعايش السلمي الخ ... ان كل هذه السمات التي أصبح من الممكن تحقيقها في عالمنا المعاصر لا تنبع من **طبيعة** الرأسمالية الاستعمارية اذ ان الاستعمار **عدواني** بطبيعته .. ويحمل في طياته الحرب .. وقمـع الثورة التحريرية بالقوة والعنف .. الخ .. ان الاشتراكية المتفوقة عالميا تفرض على عالم رأس المال تحقيق منجزات خارقـة في تطـوير قـواه الانتاجية كما تنعكس عليه باجباره على الالتجاء الى بعض اشكال **التخطيط** ومظاهر اخرى من التنظيم الاقتصادي لضمان زيادة كفاية الانتـاج وبشرط الا تمس هذه « المقتبسات » من عالم الاشتراكية ، المصالح الجوهرية لدوائر الاحتكار وسيطرتها الاساسية على مجريات الاقتصـاد الرأسمالي .

ولكن هذه « التحويرات الاجبارية » المفروضة على الرأسمالية الاحتكارية المعاصرة لملاحقـة المنجزات الفعلية والممكنة في عالم الاشتراكيـة لابد وان تؤدي الى « اختلالات » متنوعة ، وان تصيبها باهتزازات عنيفة .. فاذا اثبتت الاحتكارية المعاصرة قدرتها على ملاحقة هذه التطورات ، وان تنجزها بكفاءة ملحوظة ، الا انها تتعرض في الوقت ذاته لتعاظم التناقضـات داخلها ويبرز داخلها ظواهر تفاقم من ازمتها .. فمن الملحوظ مثلا ان البلدان الاحتـكارية قد اسـتطاعت في السنوات الاخيرة ان ترفع انتاجها ، ولكن اتسم هذا الارتفاع بخط شديد الاضطراب يحمـل في طياته عناصر قلق مزمن . ذلك بخلاف البلدان الاشتراكية التي يتسم معدل زيادة الانتاج فيها بخط يكاد يكون متصلا كما يتضح من الارقام الاتية ولا تعتريه غير تموجات طفيفة حكمتها ظـروف خاصة منها القحط الزراعي في الاتحاد السوفيتي في عام ٦٣ — ٦٤ :

الانتاج الصناعي الاجمالي
الزيادة المئوية بالنسبة للسنوات السابقة

السنة	الاتحاد السوفيتي	الولايات المتحدة	بريطانيا	المانيا الغربية	فرنسا	ايطاليا	اليابان
١٩٥٨	١٠ر٣	-٧	٣	٤	٤	صفر	٢٤
١٩٥٩	١١ر٤	١٣	٥	٧	١	١١	٢٦
١٩٦٠	٩ر٥	٣	٦	١١	٩	١٥	١٩
١٩٦١	٩ر١	١	٢	٥	٥	١١	٨
١٩٦٢	٩ر٧	٨	١	٥	٦	١٠	٨
١٩٦٣	٨ر١	٦	٤	٤	٥	٩	٩
١٩٦٤	٧ر١	٦	٣	٩	٧	صفر	١٧
١٩٦٥	٩ر٣	—	٢ر٩	٧ر٤	—	٤ر٠	٦ر٢

ومن مظاهر زيادة الاضطراب الاجتماعي تفاقم ظاهرة **البطالة** الناجمـة عن الالتجـاء الى **الاتوماشن** والانتاج الالي الحديث ، وهي ظاهرة لا وجود لها في البلدان الاشتراكية ، اذ هناك تنظيم مخطط لتوفير العمل لجميع العـاملين واستثمار امكانياتهم الى اقصى الحدود . اننا لن نتعرض هنا تفصيلا لهذه الظاهرة ومجموعة من الظواهر الاخـرى الناجمـة عن الثـورة التكنولوجيـة وانعكاساتها على البلدان الاحتكارية ، ولكن نكتفي هنا بذكر بعض ارقام التي تبرز زيادة التفـاوت الاجتماعي وتفاقم التناقضات الاجتماعية من جراء الانجازات المبتكرة في وسـائل الانتـاج . ومن الظـواهر الملفتة للانظـار ان تلك الانجـازات التقدمية من الوجهة الموضوعية والفنية تصطحبها دائما في ظل الرأسمالية اجراءات **رجعيـة** من الوجهة الاجتماعيـة . وها هي بعـض الارقام الرسمية عن البطـالة في البلدان الرأسـمالية المتطورة :

العاطلون بالالاف

السنة	الولايات المتحدة	بريطانيا	المانيا الغربية	فرنسا	ايطاليا	اليابان
١٩٦٢	٤٫٠٠٧	٥٠٠	١٤٢	١٠١	٦١١	١٫١٧٠
١٩٦٣	٤٫١٦٦	٦١٢	١٧٥	٩٧	٤٠٠	١٫١٩٧
١٩٦٤	٣٫٨٧٦	٤١٣	١٥٨	٩٧	٣٧٠	١٫٢٠٤

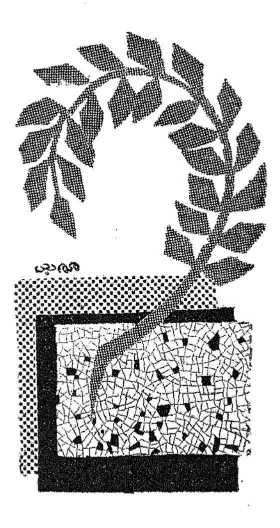
وقد اعلن بيان اصدرته « اللجنة الخاصة للثورة الثلاثية » وهى عبارة عن مجموعة من كبار الاقتصاديين الامريكيين وبعض الشخصيات المرموقة فى مجال العلم وتضم شخصيات مثل لينوس بارلنج الحائز على جائزة نوبل ومايكل هارنجتون مؤلف كتاب « امريكا الاخرى » والاقتصادى روبرت ثيوبالد ، اعلن هذا البيان ان الارقام الرسمية اذا ما اعلنت ان عدد العاطلين لايتجاوز ٤ ملايين ، وهذا الرقم يشكل ٥٥٪ من مجموع العاملين ، فالواقع اسوأ من ذلك بكثير . فهناك ٨ ملايين شخص فى حالة بطالة كاملة . وحسب تقديرات اتحاد العمال الامريكى Afl-Cio سوف يبلغ عدد العاطلين فى ١٩٧٠ اذا ما استمرت الثورة التكنولوجية والسيبرناتيتية الحالية ما لا يقل عن ٢١ مليونا . واذا اضفنا ١٢ مليون شاب متوقع خروجه الى مجالات العمل حتى هذا التاريخ ، يبلغ بذلك مجموع العاطلين وقتذاك ٣٣ مليونا !! ..

ومن الملحوظ ان الفئات الفقيرة فى الولايات المتحدة تزداد فقرا رغم كل الامكانيات التى تتفتح أمام المجتمع بفضل الثورة التكنولوجية . ففى عام ١٩٦٣ كان ٢٠٪ من الارثليت يحصلون على ٤٫٧٪ من مجموع الدخل القومى . بينما فى ١٩٤٤ ، كان هذا الـ ٢٠٪ يحصل على ٤٫٩٪ من مجموع الدخل القومى .

ان هذه الظواهر تعبير عن انعكاسات التحويرات التى ادخلت على اقتصاديات البلدان الراسمالية المتقدمة بسبب اجبارها على الانطلاق فى طريق الثورة التكنولوجية . وهى مؤشرات تبرز مدى تفاقم التناقضات **بسبب تطور المجتمع فنيا تطورا يتنافى مع طبيعته ، وقدراته الحقيقيه .** وهى ظواهر من شأنها زياده عوامل الاضطراب الاجتماعى تفجرا ، رغم كل الجهود التى تبذل لطمسها او التخفيف من شأنها ..

وهكذا يتضح ان الراسمالية الاحتكارية ، « بصحوتها الاساجية » الاخيرة ، لم تشذ عن القانون العام — بل عبرت عن ظاهرة مميزة لعالمنا بما لا يتنافى مع هذا القانون العام .ظاهرة انتقال العالم من الراسمالية الى الاشتراكية من خلال التعايش السلمى ،واذا استطاعت انتطيل من حياتها فى مواجهة الاشتراكية المتعاظمة الشأن عالميا باقتباس بعض الاشكال المستمدة منها ، وبملاحقتها تكنولوجيا وفنيا بما يتجاوز حتى قدراتها الاجتماعية والاقتصادية و «الطبيعية»، فالثمن المدفوع للاقدام على هذه الخطوة الضرورية فى وجه التحديات المتفاقمة ، هو المزيد من الاضطراب الاجتماعى، والمزيد من تفاقم التناقضات .





حركة التاريخ

د. مراد وهبه

ما التاريخ

وكيف يتحرك ؟

قد يقال ان التاريخ جملة وقائع ماضية

ونسأل : ما الواقعة ؟

قول مأثور عن أصحاب المذهب التجريبي « أن الواقعة مادة أولية متمايزة » ومن ثم فهي حقيقة موضوعية .

غير أن الواقعة ، في ذاتها ، لا تعني شيئا .

اذن نص بلا معنى . ومع ذلك فلكل واقعة معنى .

ونسأل : اذا لم يكن المعنى من الواقعة فمن أين يأتي ؟

من الانسان ليس الا ،اذهو الكائن الوحيد الذى « يدرك » الوقائع ، والوقائع كثيرة بلا حدود .

انتقاء الوقائع اذن مسألة لا مفر منها ، والا فان البحث ممتنع ومحال .

والنتيجة أن التاريخ جملة وقائع منتقاة .والذى ينتقى هو الانسان المؤرخ .

ولكن هل معني ذلك أن التاريخ لا يصلح أن يكون علما ، وفي عبارة أوضح نقول : هل ذاتية المؤرخ تخلو من الموضوعية ؟

جوابنا بالسلب وليس بالايجاب ، لان المؤرخ ليس في عزلة عن الوسط الذى يحيا فيه . فالمؤرخ من حيث هو انسان فهو « كائن اجتماعي » على حد تعريف أرسطو المأثور . وهكذا نحن نقول في غير ما تردد ولا احجام

الموضوعية اذن ممكنة .

ولكن أية موضوعية ؟

ان الموضوعية تفيد التطابق التام بين الذات المدركة بكسر الراء وبين الموضوع المدرك بفتح الراء والموضوع المدرك هو الوسط ، والوسط متحرك بحكم أنه متطور .

الموضوعية اذن ينبغي ان تكون متحركة بالضرورة ، اي أن تحرك الموضوعية من تحرك الوسط .

ونسأل : كيف يتحرك الوسط ؟

ان الحركة على انواع ، نذكر منها الحركة الدائرية ، والحركة اللولبية .

الحركة الدائرية ممتنعة على الوسط لان هذه الحركة تحصيل حاصل ، فنقطة البداية هي نقطة النهاية . فليس اذن ثمة ماض أو مستقبل ، وليس ثمة خلق أو ابداع . وفي هذا كله انكار للزمان . والزمان حقيقة نفسية نحياها جميعا بلا استثناء .

أما الحركة اللولبية فميزتها أنها تجمع بين الخط المستقيم والدائرة . الخط المستقيم يوحي بالتقدم الى الامام ، والدائرة توحي بالحركة ، واللولبية توحي بأن الحركة حركتان : حركة أمامية وحركة ورائية .

وقد تبدو الحركتان ، بفضل خداع البصر ، أنهما حركتان . وحقيقة الامر أنهما حركة واحدة . فالرجعة الى الوراء قليلا انما هي من أجل التقدم الى أمام .

وقد يصاب المؤرخ بهذا الخداع ، خداع البصر ، فيلتفت الى الحركة الورائية ويتحوصل حولها فيكون مؤرخا « رجعيا » . وقد لا يصاب فيلتفت الى الحركة الورائية باعتبار أنها مقدمة وارهاص لقفزة جديدة الى الامام ، وبذلك يكون المؤرخ « تقدميا »

ونسأل : ما الذي يحدد «اتجاه» هذا الالتفات .

نجيب بأنها الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها المؤرخ أو يريد أن ينتمي . والطبقة الاجتماعية قد تكون صاعدة أو هابطة . فالذي ينتمي الى طبقة اجتماعية صاعدة فانه يتحرك « **مع** » التاريخ ، والذي ينتمي الى طبقة هابطة فانه يتحرك «**ضد**» التاريخ .

والحركة « **مع** » أو « **ضد** » تفيد أن لها اتجاها

ونسأل : ما الذي يحدد اتجاه هذه الحركة ؟

انه الصراع بين الطبقات الاجتماعية .

وماذا يفيد الصراع ؟

يفيد أن هناك ظلما : طبقة ظالمة وطبقة مظلومة .

شعار الطبقة الظالمة : انا اظلم اذن فانا موجود .

وشعار الطبقة المظلومة : انا مظلوم اذن فانا موجود .

ومعنى ذلك أن الصراع يدور على الحرية .

اذن الحرية هي المحرك للتاريخ .

تفصيل ذلك : ماذا تعني الملكية الزراعية في النظام الاقطاعي ؟ انها ليست الا تحقيق الحرية لمن يملكون ، وغياب هذا التحقيق عن الذين لا يملكون

وماذا تعني هذه العبارة « دعه يعمل ، دعه يمر » التي شاعت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ؟ تعني امكانية تحقيق الحرية للطبقة الصاعدة الطبقة البورجوازية .

وماذا تعني الملكية العامة في النظام الاشتراكي ؟ تعني تحرير الفرد من الاستغلال الرأسمالي .

والنتيجة أن المضمون واحد في جميع النظم الاجتماعية : انه الحرية . أما الشكل فهو الذي يتغير . ولفظ «الشكل» كما نستخدمه هنا لا يشير الى التكنيك وانما يشير الى الايديولوجية . ومن ثم فان تعدد الاشكال يفيد تعدد الايديولوجيات .

والشكل متغير بالضرورة ، لان عدم التغير ثبات ، والثبات تحجر ، والتحجر انغلاق ، والانغلاق ينفي الحرية لان الحرية تفتح وانطلاق . ولهذا فان الذي يقف ضد الحرية انما يقف مع الشكل عندما يتحجر . وهذا هو الطاغية .

ماذا فعل طاغية مثل هتلر ؟

انه حافظ على تحجر « الشكل » .

والشكل كيف يتحجر ؟

انه يتحول الى « مطلق » . فالقومية الالمانية ، في رأي الحزب النازي الذي كان يتزعمه هتلر ، قومية مطلقة بمعنى أنها قومية تتجاوز الاطار الزمكاني (أي الزماني والمكاني) ، وأنها تتجاوز أية عقيدة على غير نمطها . كان هتلر يقول « اما أن تكون ألمانيا واما ان تكون مسيحيا »

وقد مهد أهل الفكر من الالمان لهذه العقيدة النازية . فلسفة هيجل (١٧٧٠ — ١٨٣١) تذهب الى أن الدولة هي تجسيد لله ، وأن وجودها دليل « سير الله على الارض » فيجب احترامها كما يحترم اله أرضي . والزعيم هو تجسيد لهذه الدولة : انه العقل اللاشخصي ، وقد صار عقلا واعيا ، وانه الارادة الكلية وقد صارت ارادة شخصية . سلطة

الزعيم اذن مطلقة ، وحكمة الله تؤيده . وبذلك تنتهى فلسفة هيجل الى تبرير الاستبداد .

غير أن تبرير الاستبداد يلزم منه أن تكون الارادة الالهية أو الكلية « عمياء » . والى هذه النتيجة انتهى فيلسوف المانى آخر هو شوبنهور (١٧٨٨/١٨٦٠) . وأكد هذه النتيجة « بيولوجيا » العالم الانجليزى « دارون » ، اذ أنه انتهى الى ان الحياة « صراع فى سبيل البقاء » وأن القانون اللازم من هذا الصراع هو قانون الانتخاب الطبيعى أو بقاء الاصلح .

والنتيجه ان الاراده العمياء ، عند شوبنهور ، فى ضوء نظرية دارون ، ينبغى ان تكون ارادة حرب وهذا ماكان يدعو اليه الفيلسوف الالمانى نيتشه (١٨٤٤ — ١٩٠٠)

وقد تبنى الحزب النازى هذه الايديولوجية والظروف الاجتماعية مواتية . الاقتصاد الالمانى الرأسمالى فى أزمة ،وطبقة العمال تحاول أن تطفو على السطح . فينادى الحزب بالاشتراكية ولكن من أجل انقاذ الرأسمالية ثم هو يحتضن الرأسمالية من أجل تقديمها ذبيحة للدولة المؤلهة ، للدولة المطلقة .

والخلاصة توقف « الشكل » عن التطور ، ومن ثم انفصاله عن المضمون ، أى عن الحرية .

وماذا يفعل متحرر مثل عبد الناصر ؟

انه يسير مع تغير « الشكل » بحكم التزامه بمضمون التاريخ ، أى بالحرية . فهو لم يقف عند شكل معين .

فأول اشكال الحرية فى ثورة ٢٣ يوليو « هيئة التحرير » وكانت تعنى فى حقيقة أمرها ان الحرية ليست لضباط الجيش وحسب وانما هى ايضا للجماهير الشعبية . ولهذا كان شعارها « كلنا أعضاء فى هيئة التحرير » . غير ان هذا الشعار ينطوى على تناقض .ذلك أن تأسيس هذه الهيئة لازمة كضرورة حل الاحزاب السياسية .ولم يكن فى امكان القيادات الحزبية ان تكون على وعى بهذا اللزوم .

لماذا ؟

لان الحزب يتكون أساسا كتعبير عن وضع اقتصادى معين . ولهذا فان حل الحزب ليس يكفى بل لابد ان يمتد هذا الحل الى الوضع الاقتصادى الذى يرتبط به الحزب . والاحزاب وقتئذ كانت سندا للاقطاع ورأس المال المستغل .

والنتيجة المحتومة تغيير « الشكل » أى تغيير هيئة التحرير

بماذا ؟

باتحاد قومى

لماذا ؟

لكى يتجنس الحزبى « بالقومية » فتزول عنه سمة الحزبية ومايلازمها من سمات طبقية ومن ثم فانه يتحرر .

الاحساس بالقومية اذن من شأنه ان يزيل الفوارق بين الطبقات الاجتماعية . غير ان ماحدث لم يكن متفقا مع هذه النتيجة .

لماذا ؟

لان الاحساس بالقومية انما ينشأ من خلال أوضاع اجتماعية واقتصادية . ولهذا لم يكن فى امكان أصحاب الوضع الاقتصادى المنهار من اقطاعيين ورأسماليين ان يقبلوا ازالة الفوارق الطبقية .

القومية اذن مغلفة بغلاف اجتماعى . وهذا الغلاف ماذا يكون ؟

انه قوى الشعب العاملة . غير ان هذه القوى ليس فى قدرتها ان تكون كذلك الا اذا سيطرت على وسائل الانتاج . وهذه السيطرة تعنى « الاشتراكية » .

من أجل ذلك تحول الاتحاد القومى الى اتحاد قوى الشعب العاملة اى الى اتحاد اشتراكى بمعنى اسقاط الاقطاعيين والرأسماليين عن عضوية هذا الاتحاد .

غير ان قوى الشعب العاملة لابد لها من قيادات واعية . ويلزم من ذلك ضرورة تكوين تنظيم سياسى يقود ويطور حتى لا يتحول الشكل الى عقيدة متحجرة . وهذا معنى عبارة المناضل جمال عبد الناصر فى الاجتماع الموسع للهيئة البرلمانية فى ١٦ مايو ١٩٦٥ « ان التنظيم السياسى ينبغى ان يكون قادرا على النظر فى الميثاق » وهذه القدرة يمتنع معها ضياع الاحساس بالحرية .

والنتيجة أن الاحساس بالحرية يلازمه تغيير الشكل « بالضرورة » . وهذه الضرورة تشير الى امكانية تأسيس القانون .

الحرية اذن لها قانون يحكمها

وقد يبدو هذا القول غريبا . غير ان الغرابة

تزول عندما ندرك ان العلاقة بين الاضداد يحكمها الديالكتيك .

وماذا يعنى الديالكتيك ؟

يعنى ان القانون يكشف عن الشروط « الضرورية » ولكنه لا يستطيع ان يكشف عن الشروط « الكافية » ذلك ان من شأن الكشف عن الشروط الكافية عدم امكانية التغيير .

ونسال : ما السبب فى غياب الشروط الكافية ؟

جواب : هو تمايز الظاهرة . وهذا التمايز لا يفيد عزل الظاهرة وانما يفيد ان لها فاعلية . والفاعلية تعنى التشابك . والتشابك هو الذى يكون الكليات .

الكلى اذن ليس بمعزل عن الجزئى ، بل ان الجزئى له الفضل فى تكوين الكلى . ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نفسر الكلى بالجزئى . ومن ثم ينشأ توتر بين الكلى والجزئى . الكلى يريد ان يتجاوز الجزئى ، والجزئى يطمع فى استيعاب الكلى . وهذا التوتر رمز على الحرية . ومعنى ذلك ان اللحظة التى يتوهم فيها الانسان تحقيق الاستيعاب أو تحقيق التجاوز هى لحظة « غياب الحرية »

مثال ذلك : قد يقال قانونا ان الثورة تغيير جذرى . ومع ذلك فالثورات ليست متشابهة أو متجانسة . ان لكل منها خصوصيتها . وغياب هذه « الخصوصية » من شأنه ان يحير اهل الفكر فى تفسير ثورة ما . وهذا ماحدث بالنسبة للثورات التى اشتعلت فى بعض دول العالم الثالث . فقد تصور بعض اهل الفكر ان هذه الثورات اما ان تكون على غرار ثورات مضت واما انها ليست ثورات على الاطلاق . والمنطق الذى يحكم هذا التصور هو « منطق الثوابت » : اما كذا واما كذا . والواجب ان يحكمه « منطق المتغيرات أو منطق الديالكتيك » بمعنى أن الثورات الجديدة ليست رجع الصدى لثورات مضت غير انها كذلك ليست بمعزل عن ثورات خلت

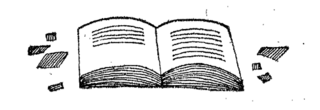
ولهذا فان السؤال الجوهرى بالنسبة للثورات الجديدة هو على الوجه الاتى :

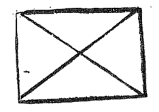
ماذا « يمكن » ان تكون ؟

التاريخ اذن لا يتحدد فقط بما « كان » من وقائع أو بما هو « كائن » بل أيضا بما هو « ممكن » من وقائع .

والممكن رمز على الحرية . غير ان هذا الممكن لابد ان يتحول الى ما كان والى ماهو كائن .

التاريخ اذن يتحرك ابتداء من وقائع ممكنة وليس من وقائع ماضية أو حاضرة .





خطـــاب مفتـــوح إلى بـيريــز

سيدى القاضى الجليل بيريز :

أسمح لنفسى بعـــد أن عدت الى أرض الوطن من باريس أن أوجه اليكم هذا الخطاب المفتوح .. أحسست به واجبا وحقا ، أفقد الاحترام مع نفسى لو كتمته عنك وعن النـــــاس من قومى وقومك .. ولماذا قومى وقومك ؟ بل عن الناس فى عصرنا الذين كان المهدى بن بركة واحـــدا من خيارهم .

لقـــد اتيح لى - ياسيدى - حضور الجلسات الاولى للمحاكمـــــة التى تديرونها منذ الخامس من شهر سبتمبر الماضى للمتهمين الستة الـــذين امـــكن احضارهم أمام منصتكم العالية . وذلك بعد أن هرب سبعة من كبارهم ،واختطف الموت - فى صورة بدت كما لوكانت على غير ارادة المـــوت نفسه - ثامنا هـــو « فيجوتهم » . ومع ذلك فانى شعرت لدرجة اليقين - ولست وحدى فى هذا الشعور ، اؤكد لك - ان ثمة آخـــرين مابرحوا يتنفسون بحرية كالابرياء فى ظلمة المجهول مع مصير بن بركه .

واشهد انى احترمت احتراما عميقا دراستك الدقيقة لملف القضية كما حقق وكما قدم اليك . واشـــهد انى تابعت باعجاب عظيم تجسيدكم البارع للاحداث والوقائع فى صور حركية مترابطـــة من خلال استجوابكم الصبور للمتهمين الستة .

واشهد أيضا أنك عمدت بكل ماتتحلى به من وقار العدالة والاصالة الفرنسية ان تدفع عن وطنك فرنســـا - كأمـــة وكدولة - تهمة الاشتراك او التستر على هذه الجريمة البشعة ، التى ارتكبهـــا المجرمون على الارض الفرنسية وبمساعدة بعض من عناصر أجهزة الامن الفرنسية .

سيدى .. هذا حقك .. وهو حق أيضا فى نفس الوقت .

فليست فرنسا هى اول بلد فى العالم يخون فيه نفر قليل من اعضاء أجهزتها مسئولياتهم وواجباتهم ويشاركون قطـــاع طرق وعصـــابات الارهاب السياسية ، ارتكاب جريمة ما . ولا يمكن - بالعقل والمنطق - أخذ الوطن كأمة ودولة بجريرة هذا النفر الشاذ المارق الذى اســـاء استخدام وظيفته وسلطاته حين يتحول رجل امن الى قاطع طريق ، ومن عضو بجهاز البوليس الى عضو فى مؤامرة اختطاف انسان ! ..

ونحن نعى تماما هذه الحقيقة الموضوعية ونؤكدها اليوم كما اكدناها باســـتمرار نحن الشعوب العربية التى ينتمى بن بركه اليها خلال علاقاتنا التاريخية العميقة مع فرنسا العظيمة . فليس « سوشون » أو « فواتو » او « فانفيـــل » بممثلين لفرنسا عندما شاركوا فى ارتكاب جريمة ٢٩ اكتوبر ١٩٦٥ فى قلب باريس ،تماما كما ان « جى موليه » لم يكن يمثل فرنسا عندما شارك « ايدن » « وبن جوريون » فى ارتكاب جريمة العدوان على مصر فى ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ .

لقـــد ميزنا بعمق بين فرنسا التى ظللنا على حبها وتقديرها وبين عصابة

فى موليه ، ونهز اليوم أيضا تميزنقش العمق بين فرنسا التى ··ل على حبها وتقديرها وبين عصابة فانفيل وسوشون وفواتو ولوبيز وبوشيسش وغيرهم ..

ولقد قدرنا — هنا فى الوطن العربى والافريقى — بالغ التقدير الموقف الشجاع والحاسم الذى اتخذه الجنرال ديجول كرئيس للجمهورية الخامسة من هذه الجريمة ومرتكبيها منذ اللحظة الاولى ورغم الضغوط والوساطات التى تعرضت لها حكومته ، كما قدرنا بالغ التقدير ذلك الاحتضان الشعبى الواسع النطاق لقضية بن بركه ومصيره الانسانى ، حتى ليحس المرء حقا بأن القضية غدت قضية كرامة وشرف كل مواطن ومواطنة فرنسية ..

وهكذا فلا يعيب فرنسا اساسا — فى مفهومنا نحن اهل الضحية — خيانة عدد من الموظفين لواجباتهم ومسئولياتهم . العيب ليس هنا ياسيدى القاضى . وانما العيب يتجسد اليوم — وهذا هو الخطير فى الامر — عندما نرى من وقفوا أمام منصتك شاهدين من كبار رجال ···ن والممثلين لقياداته مثل السيد «بابون» وغيره يبدون عاجزين — بكل ما لديهم من امكانيات وسلطات وضعتها الدولة تحت تصرفهم .. عن الكشف عن كل المجرمين الذين اشتركوا فى الجريمة ، بوضوح وتحديد ، وعن القاء الضوء على المصير الذى انتهى اليه بن بركه حيا أو ميتا ، هذا العجز الذى يبدو غير معقول وغير منطقى .. بل وغير مقبول لكل ذى ادراك عادى وبسيط .. هذا العجز الذى يتخذ فى بعض حالات من الشهادات صور التبرير المصطنع ، ومحاولة القاء اللوم على عبد القادر بن بركه شقيق المجنى عليه ومحمد الطاهرى صديقه وزميله لانهم لم يتقدموا ببلاغاتهم فى وقت مناسب! وكأن ماثبت توافره من معلومات مسبقة لدى ادارة مكافحة الجاسوسية واجهزة البوليس عن المؤامرة قبل وقوعها لا وزن ولا حساب لها .. وكأن تحركات اوفقير واعوانه فى باريس لم تكن على الاقل موضع ملاحظة ولا نقول مراقبة من هذه الاجهزة ..

وليس هناك اليوم من يملك — ياسيدى القاضى — حق وامكانية التحقيق الدقيق والشامل للوصول الى الحقيقة فى هذا الموضوع وارواء عطش العدالة منها ، الا أنت ، وأنت وحدك ، فى مكانك المهيب هذا على المنصة العالية مع زميليك الجليلين ومن يجالسكم من المحلفين التسعة .

ولست اسوق هذه الملاحظة ، تدخلا فى سياق المحاكمة ··· حاشاى ! فهذا ما اعرفه تماما أنى لا أملكه ، ولكنى اسوقها بدافع مما اعتقد انى املكه وهو حبى العميق لفرنسا : شعبا وتراثا وحضارة .

سيدى القاضى الجليل ..

أريد دون اى محاولة منى لاستعادة كلمات كبيرة ذات رنين ، ان اؤكد لك ولزميليك الجليلين والمحلفين من حولكم انه اذا كان يجلس اليوم فى مدرج اليمين من منصتكم العاليه السيدة غيثة بن بركه حرم المجنى عليه والسيد عبد القادر بن بركة شقيقه كمدعيين بالحق المدنى فهما فى الواقع لا يمثلان بحضورهما عائلة بن بركه الصغيرة أمه العجوز وأولاده الاربعة الصغار ، وانما يمثلان عائلته الكبيرة التى تتسع لتضم مئات من اصدقاء بن بركه الشخصيين وآلافا من زملاء نضاله وملايين وملايين من شعبه وشعوب القارات الثلاث افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية التى رأت فى بن بركه دائما مناضلا صادقا وشجاعا من رواد حركتها التاريخية نحو الحرية والتقدم الاجتماعى وبناء عالم من السلام والمحبة بين جميع البشر دون ماتفرقة أو تعصب . ومن هنا فالجريمة لاتقف بآثارها وآثامها عند حدود عائلته الصغيرة أو وطنه الصغير (المغرب) وانما هى تصيب بجروح بالغة هذه العائلة الكبيرة التى اصطلح على تسميتها بالعالم الثالث .

ولقد شاءت الظروف بل لعلها — وهذا هو الارجح — قد رسمت وخططت عن عمد بحيث ··ع الجريمة فى باريس عاصمة اقرب دولة فى العالم الغربى اليوم الى هذا العالم الثالث بمسيرته التاريخية التى كان بن بركه واحدا من أبرز قادتها . وذلك كى تفتعل أزمة نفسية بين فرنسا وبين العالم الثالث من ناحية ، وكى يقال لنا هذه هى عاصمة الدولة الاوربية الكبيرة التى تميزونها عن بقية الدول الغربية لايستطيع فيها رجالكم ان يطمئنوا فيها على حياتهم .

هذه هى بالدقة — ياسيدى القاضى — وبمقياس الواقع الموضوعى ابعاد المؤامرة ووزن الجريمة وانعكاساتها . من اجل هذا كان اضاءة كل الانوار ، وفتح كل الابواب ، وانزال العقاب بكل المجرمين ومعرفة مصير بن بركة ، ملحا وضروريا بالمستوى الفرنسى والمغربى والعالمى على السواء .

سيدى القاضى الجليل ..

لست اجهل مدى وعورة وظلمة القضية التى تواجهونها اليوم .

ولكنى أعلم فى نفس الوقت مدى خطورتها ومساسها المباشر بانسانية الانسان وحقه المقدس فى الحياة فى النصف الثانى من القرن العشرين . ان عدم الاهتداء الى الحقيقة كاملة وناصعة البياض من خلال هذه المحاكمة التاريخية التى تجرى امام منصتكم العالية بين الانسان واللاانسان .. بين القانون الحضارى وشريعة الغاب .. بين استخدام القوة والسلطان فى خدمة الحياة واستخدامها للتخريب وسفك الدماء ..

اقول ان عدم الاهتداء الى الحقيقة كاملة وناصعة البياض من خلال هذه المحاكمة التاريخية من شأنه ان يلحق بالانسان نكسة فى مقاومتها الباسلة لكافة الشرور المعاصرة ابتداء من حروب الابادة فى فيتنام والجنوب العربى الى التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا وروديسيا .. الى استمرار استخدام الطاقة النووية فى اسلحة الدمار .. الى اسدال ستار الظلام البهيم على مقتل « كيندى » فى امريكا ، والزعيم التونسى « صالح بن يوسف » فى المانيا الغربية ، والزعيم الافريقى « لومومبا » فى الكونجو ، والمناضل الكاميرونى « فيلكس مومى » فى سويسرا ، والزعيم البرتغالى «دلجادو» على الحدود الاسبانية البرتغالية ، واخيرا اختطاف « الزعيم المهدى بن بركه » من قلب باريس الى مصير مجهول .

سيدى القاضى الجليل ..

انك بقيامك برئاسة هذه المحاكمة التاريخية ، تتولى فى الواقع — نيابة عن الضمير الفرنسى والضمير الانسانى عامة — مسئولية اعادة الثقة فى قدرة القانون الحضارى على تصفية شريعة الغاب ، ومسئولية تأكيد قدرة العدالة الانسانية على انزال الضوء الكاشف والعقاب الصارم بكل معتد على حق الانسان فى الحياة والتعبير الحر عن آرائه وأفكاره أيا كان المركز الاجتماعى الذى يتحصن به المعتدى .

سيدى القاضى الجليل ..

من كل قلبى وبكل مشاعرى اتمنى لك التوفيق الذى يرشحه سجلك القضائى المشر··، وانت العارف عن يقين بأنك حين تجلس اليوم على منصتك قاضيا فى جريمة العصر فان التاريخ فى النهاية هو قاضى .. القضاة .

وتقبل احترامى وتقديرى

الإصلاحية فى أمريكا اللاتينية
خط دفاع استعمارى

كمال السيد

عقب انتخاب **بلاجوير** رئيسا لجمهورية الدومنكان، أصدر الحزب الاشتراكى الثورى المسيحى بيانا أعلن فيه أن دماء رفاقه الذين استشهدوا قد ضاعت هدرا. والحزب محق فى دعواه فبعد مايقرب من ستة أعوام من الاطاحة **بتروجيللو** ، الدكتاتور الذى سام مواطنيه أقسى أنواع العذاب لمدة ثلاثين عاما، تمكنت الولايات المتحدة رغما عن النضال البطولى الذى خاضته القوى الثورية خلال هذه الاعوام الستة لاقامة حكم ديمقراطى مستقل ، من تنصيب الرجل الذى كان تروجيللو قد عينه رئيسا لجمهوريته ، واستطاع بمعاونة الولايات المتحدة أن يحتفظ بهذا المنصب حتى بعد الاطاحة بالدكتاتور . ولما اجبرته القوى الشعبية على الفرار هرب الى أمريكا وبقى بها الى أن قررت هذا العام حمله الى الرئاسة وكان لها ما أرادت رغم الدماء التى أهدرت فى ثورة أبريل من العام الماضى وبعدها

وما حدث فى الدومنكان هو الطابع العام لمصير الحركة الثورية فى امريكا اللاتينية . ففيما عدا كوبا لاتصل الثورات هناك عادة الى نهاياتها ، فهى أما أن تتوقف عند مرحلة وسط ، وبعدها تنتكس بفضل سياسة القوى الاصلاحية أو تتمكن الولايات المتحدة من اجهاضها واغراقها فى حمامات من الدم. فرغم أن القارة قد عرفت طريقها الى الثورات مبكرا ، وتعددت خبراتها فى الصراع الوطنى والاجتماعى سواء فى مواجهة الاستعمار القديم أو الجديد وعملاء كل منهما من الحكام والطبقات المحلية ، الا أنها لم تحقق نتائجها كاملة الا فى حالات قليلة ولفترات محدودة. وقد ساهمت عوامل عديدة فى أحكام تلك الدائرة المفرغة التى تدور فيها الحركة الثورية ، رغم ضخامة قواتها وازدهارها النسبى عن غيرها من الحركات الثورية فى القارات الاخرى والتى قد تشهد لسبب أو لاخر فترات طويلة نسبيا من الخمود والركود . ومن أهم هذه العوامل:

● **السيطرة المباشرة للولايات المتحدة :** فأمريكا اللاتينية تعد الدائرة الاولى لنفوذ الولايات المتحدة سواء من حيث اسبقيتها من الناحية التاريخية عن غيرها من مناطق النفوذ الامريكى ، (بدأت الولايات المتحدة تسلطها عليها فى أوائل القرن الماضى) أو من حيث ضخامة الاستثمارات الامريكية بها (٩مليار دولار يكسب الدولار منها أحيانا دولارين أو ثلاثة سنويا)

فمنذ أن أصدرت أمريكا مبدأ مونرو الذى يحرم على الدول الاوربية التدخل فى شئون القارة ،استخدمت كل الطرق لفرض سيطرتها ، سواء بالتدخل المسلح (كوبا فى ١٨٩٨ ، ونيكارجوا فى ١٩٠٠ على سبيل المثال لا الحصر) ، اوبالسيطرة الاقتصادية، فرغم ثراء الولايات المتحدة فانها تحصل من امريكا اللاتينية على كثير من احتياجاتها من الخامات الصناعية وموارد الطاقة والمواد الاستراتيجية .

● **العزلة النسبية للقارة عن الحركة الثورية العالمية** : فتطرفها فى أقصى الغرب ، وسعى الولايات المتحدة لاحكام سيطرتها عليها اضعف من حركة التضامن بين الحركة الثورية العالمية وبين القارة ولم تتحطم هذه العزلة الا مؤخرا

● **تفتت الحركة الثورية** : لم تمكث الجمهورية التى تكونت فى امريكا الوسطى نتيجة للثورة التى قادها **بوليفار** ، الا قليلا وانقسمت الجمهورية الوليدة الى خمس دول ، على راس كل منها حكم دكتاتورى وصدقت نبوءة بوليفار «سيقف فوق قبرى عديد من الطغاه» وتفتت القارة الى ٢٠ بلدا علاقة بعضها بالدول الاوروبية أوثق من علاقاتها بجاراتها ، ونجح حكام هذه الدول ، فى عزل الحركة الثورية فى بلادهم عن الالتحام بغيرها من حركات البلاد المجاورة . ومن باب أولى عن حركة الثورة العالمية . ومن جانب آخر انقسمت القوى الثورية فى كل بلد على حدة ، على نفسها وانشغلت فى كثير من الاحيان بالصراع فيما بينها واستنفدت جهودها وطاقاتها فى صراعات عقيمة فيما بينها ، ويذكى هذا الاتجاه ويشجعه التآمر الاستعمارى والعزلة التى تؤجج الصراعات الداخلية .

بلاجوير

رئيس جمهورية سان دومنجو الحالى ، شغل عدة مناصب هامة اثناء حكم تروجللو الدكتاتور السابق الذى حكم البلاد ثلاثين عاما . وعين رئيسا للجمهورية فى اواخر ايام تروجللو وبعد اغتيال هذا الاخير ، ظل بلاجوير فى منصبه بعد ان نقد نفسه فىكلمات باكية ، ولكن حركة ١٤ يونيو اطاحت به فى ١٩٦٣ فهرب الى الولايات المتحدة . وكون هناك حزبا سياسيا، ساعدته فيه المخابرات الامريكية وبعد الثورة التى نشبت فى العام الماضى وتدخل الولايات المتحدة ، قررت حمله الى كرسى الرئاسة فى الانتخابات التى جرت منذ ثلاثة شهور . وكان لها ما ارادت بعمليات من التزوير والتهديد والرشوة .

● **الدور الخاص للجيوش** : يعتمد الاستعمار والرجعية المحلية على تلك الفئة من العسكريين المحترفين التى نشأت وتدعمت خلال حروب الاستقلال الاولى . ووضعت نفسها بعد الاستقلال فى خدمة الطبقات المالكة، وتحولت قطاعات هامة منها الى ملاك زراعيين اقطاعيين وموظفين بالاحتكارات الامريكية، مماخلق فئةمغامرة، اصبحت تنقل ولاءها من سيد لاخر وتؤجر خدماتها لمن يدفع اكثر ومن يبذل لها المزيد من الامتيازات سواء كان المشترى رجعيا محليا او استعماريا اجنبيا

● **دور القومية** : لم تلعب القومية نفس الدور الذى لعبته فى القارات الاخرى بسبب تعدد الاصول العرقية للسكان وعدم ذوبانها تماما فى واقع الامة الواحدة والصراع فيما بينها (هنود محليون ، آسيويون ، أفريقيون ، أوربيون) خاصة وأن الاستعمار نجح فى أبقاء هذه البلاد فى اوضاع شبهاقطاعية وكانمن مصلحته تقسيم الوطنيين الى فئات متضاربة ومن ناحية اخرى بسبب كون دول القارة مستقلة من الناحية الرسمية منذ قرنونصف من الزمان . وكثيرا ما استخدمت شعارات القومية للدفاع عن مصالح رجعية اذ استغلها الاقطاعيون فى الدفاع عن اراضيهم ، كذلك أثار الالمان قبل وأثناء الحرب العالمية حركة سياسية موالية ذات اتجاهات فاشية تتستر وراء واجهات قومية

● **دور الصراع المسلح** : منذ البدء اتخذ الصراع الطبقى شكلا مسلحا فعلى طول المرحلة الممتدة من بدء نضال الفلاحين فى سبيل الارض (ثورة زاباتا فى المكسيك هلك فيها ٢٥٠ الفا) الى ثورة يوليو المسلحة فى كوبا ، دارت معارك دامية كان السلاح فيها هو الحكم بين المتصارعين وعادة ما تتمكن الطبقات القديمة من اغراق اى هبة فى بحار من الدماء ويؤدى فشل الهبات المسلحة الى يأس اقسام عريضة من القوى الاجتماعية وانسحابها من ميدان المعركة وفقدانها الثقة فى الجماعات الثورية بل وفى الافكار الثورية ويجعلها تأخذ موقفا سلبيا ، مما يفتح الباب على مصراعيه امامالافكار والجماعاتالاصلاحية. وترجعالاسباب الرئيسية لفشل النضال المسلح فى اغلب الاحيان الى :

١ — الفشل فى ربط النضال المسلح بالنضال السياسى العام لغالبية السكان ، وعدم اعتماده على حركة جماهيرية تكفل له التجدد والحماية فى مواجهة الرجعية المتفوقة . وفى أحيان كثيرة يبدأ الصراع المسلح فى وقت غير مناسب ، وفى مكان غير مناسب كرد فعل لاستفزاز مباشر وبصورة تلقائية غير منظمة أو واعية ، وعلى أيدى رجال غير اكفاء للقيادة الفعالة بجوانبها السياسية والعسكرية .

٢ — اعتبار الكفاح المسلح طريقا وحيدا

النضال وشكلا مفردا لابد من اتباعه في كل الحالات فتكررت محاولات تطبيق الاسلوب الكوبى اوغيره دون اعتبار للظروف المحلية، وكثيرا مايحدث الانقسام فى الجبهات الوطنية والتنظيمات الحزبية حول اسلوب النضال وهل يعتمد بالدرجة الاولى على الكفاح المسلح اوعلى النشاط السياسى وهو ماحدث فى الحزب الشيوعى فى فنزويلا على سبيل المثال وادى الى ادانة غالبية لجنته المركزية لاسلوب الحرب المسلحة ولقائده ، زميلهم عضو اللجنة المركزية للحزب مما أضعف الحركة الثورية بوجه عام وكافة اشكال نضالها

كل تلك العوامل وكثير غيرها ، أدت الى نتيجة تدعو الى الدهشة وهى قصور الحركة الثورية رغم ضخامة قواتها ، وتعدد خبراتها ، واستمرار نضالها ، وعجزها عن تحقيق نتائج ايجابية ، وفشل القوى الثورية فى تسلم قيادة الثورة ، أو حتى اذا ماتحققت أية نتائج على يدها فسرعان ماتنجح القيادات الاصلاحية فى السيطرة على كل ما تحقق واستيعاد الثوار . ويرجع هذا بصفة أساسية الى :

١ — عدم وجود صياغة نظرية للثورة تعكس احتياجاتها ، وظروفها الخاصة ، وتحدد بطريقة سليمة الاساليب الكفيلة بتحقيق هذه الاحتياجات فى ضوء تلك الظروف . صحيح أن الاشتراكية العلمية ، تمثل بمبادئها العامة أفضل منهاج لمواجهة مطالب الثورة ، الا أنها لاتقدم حلولا جاهزة لكافة المشاكل ، ويتوقف الامر على مهارة من يستخدمونها لمواجهة واقعهم وفهم ظروفهم الخاصة ، ويتوقف نجاح الثورة على حسن فهمهم ، وحسن تطبيقهم لهذا المنهاج فى فهم المشاكل المحددة للثورة ، وأى محاولة لنقل صياغات جاهزة أو تجارب أخرى لن يؤدى الا الى العزلة والفشل وهذا ما أصاب بعضا من انصار كاسترو الذين تحمسوا للتجربة الكوبية بطريقة جعلتهم لايرون الخصائص المحلية ، وانحصر جل همهم فى المناداة بنقل النموذج الكوبى ، على عكس ذلك الفريق الذى أستلهم المنهج الكوبى فى رؤية واقعه الذاتى

٢ — الوضع المتميز للبرجوازية القومية وسيادة الفكر الاصلاحى فرغم حرص الاستعمار على تدمير الصناعة الوطنية وسد الطريق امام نشوء ونمو البرجوازية القومية فانه بتصديره لراس المال الى المستعمرات يعجل بنمو الراسمالية فى البلـــدان المصدر اليها ، اذ أنه يضطر بشكل أو بآخر الى الاعتماد على بعض الفئات المحلية التى تسهل له عملية الاستغلال ، وتشترك معه بدرجة أو بأخرى ، كما تستهوى الارباح الرأسمالية العــالمية بعض الفئات القديمة فتغير من أساليب ومجالات استثمارها وازدهار المهن الحرة والاعمال التجارية ونشوء بعض فروع الصناعة (خاصة فى فترات الحروب وانقطاع الاستيراد كما حدث فى الارجنتين) ، كل ذلك يؤدى الى نشوء برجوازية محلية ، يتبع معها الاستعمار ما يطلق عليـــه الصحفى الفـــرنسى **هنرى أيدم ((الاحتفاظ بالسمكة محبوسة))** فالاستعمار يفضل الاعتماد على تلك الطبقات المحلية ويحكم سيطرته عليها ، بتحكمه فى أسعار المواد التى تنتجها ، وبالاموال والخبرة الفنية اللازمة لاستثماراتها ، وفضلا عن ذلك قد يصدر الاستعمارات بعضا من صناعاته التى تخطاها التطور التكنيكى قبل أن تستهلك الاستثمارات المدفوعة فيها الى هذه البلاد ومن جانب آخر يؤدى خوف هذه الطبقات مــــن الاشتراكية وادراكها لان مصالحها مرتبطـــــة بالاستعمار وايمانها بعدم جدوى مقاومة الولايات المتحدة الى جعلها ترضى بدور التابع والشريك ، وبفضـــل سيطرة هذه الطبقة على اقتصـــاديات البلاد كوكيل للاجنبى واحتكارها للعلم والثقافة ، والخبرات الادارية والحكومية ، وضعف الطبقات المواجهة لها نجحت فى فرض سيطرتها السياسية ووصايتها الفكرية ، وأسلوبها فى العمل . فانتشر الفكر الاصلاحى واتفقت مصالح عدة طبقات وفئات اجتماعية متباينة ، فى الدعوة له والترويج لمقولاته ومنهجه فى السياسة والحكم والاجتماع والاقتصاد بحيث أصبحت الاصلاحية فى أمريكا اللاتينية هى العائق الخطير ، والذى ينبغى مواجهته بجدية .

ما هى الاصلاحية ؟

تعكس الاصلاحية أحتدام التناقضات الأجتماعية دون أن تكون لطبقة ما القدرة على حسمهـــا

ســيمون بوليفــار

محرر دول امريكا الوسطى . ولد فى كاركاس فى ١٧٨٣ من اصول اقطاعية ، تلقى تعليما راقيا فى اوروبا وتاثر بافكار التحرر فيها وعند عودته الى فنزويلا صدمه مارآه . فدعا الى تكوين حكومة محلية وعمل ضابطا فى جيش الجمهورية التى اعلنت فى فنزويلا . وبعــد هزيمة الجمهورية هاجر الى كولومبيا المستقلة ومنها كون جيشا دخل به فنزويلا ولكن الاسبان تغلبوا مرة اخرى . فهرب الى هايتى ومنها اعلن انه سيحرر العبيد اذا دخل فنزويلا . وبعد دخوله اليها اتجه الى بيرو واكوادور والتقى بحركة سان مارتان التى قامت فى شيلى . كون جمهورية فى امريكا الوسطى تفتتت بعــد وفاته الى كوستاريكا ، جواتيمالا ، نيكاراجوا ، هندوراس حاول توحيد كل امريكا وعقد لذلك مؤتمرا فى ١٨٣٦ ولكنه فشل ، سميت بوليفيا باسمه اعترافا بفضله فى تحرير القارة .

لمصالحها نهائيا وبشكل محدد وهي تمثل ايديولوجية البرجوازية الصغيرة في تخطي العقبات الموجودة دون تغير الاوضاع تغييرا جذريا ، وفي اطار من ملاءمة الاوضاع القائمة للحفاظ على المقومات الاساسية له . وتتميز باغفال القوانين الموضوعية التي تحكم مسيرة المجتمع وتطوره ، وتنكر المنهج العلمي ووجود قوانين عامة وتقلل من دور الجماهير فتنادي بالوصول الى السلطة اما بمساومة واتفاق او بعمل جريء ومغامر ، أما الارتباط بالجماهير فيكون بعد الوصول الى السلطة لاقبلها . والبرجوازية الصغيرة لايمكن أن تحقق نظاما اقتصاديا خاصا بها ، ورأس المال لا تتغير طبيعته سواء كان صغيرا أمكبيرا مادام يعتمد على فائض القيمة فسواء قل حجمه أم كبر فانه «يولد كل يوم بل وكل ساعة رأسمال جديد» . ولذا فان هذا النظام بفرض تحققه لن ينتهي الا بالوقوع بين أيدي رأس المال الكبير بحكم خضوع البرجوازية الصغيرة في تكوينها الايدلوجي لافكار وأوهام الملكية . وبالطبع لايقتصر خطر الوقوع في أسار الاصلاحية على الهيئات والفئات البرجوازية ، بل قد تقع في حبائلها اقسام عريضة من الطبقة العاملة بل وممثليها السياسيين الواعين . وفي امريكا اللاتينية توفرت عدة ظروف موضوعية ساعدت على تفشي الاصلاحية وانتشارها ، مثل :

■ **اخطاء اليسار :** نتيجة لعدم واقعية اليسار في تحليل الوضع السياسي المتحرك وعدم ادراكه كافة جوانب الواقع المحلي ، فلم تلتق الاشتراكية العلمية بالواقع المحلي في كثير من بلاد القارة بطريقة خلاقة . صحيح أن الثوار الوطنيين (كارلوس برستوس وكاسترو وغيرهما) قد بحثوا عن أفضل منهاج يخدم عملهم الوطني والاجتماعي ولم يجدوا خيرا من منهاج الاشتراكية العلمية ، ولكن أولهما لم ينجح في الربط بينها وبين الواقع المحلي بطريقة صحيحة فكان نصيبه الفشل، بينما نجح الثاني في ذلك ، فتمكن من انجاز أهداف بلاده الوطنية والاجتماعية .

■ **سيادة أسلوب الانتاج الصغير :** وانتماء غالبية السكان الى البرجوازية الصغيرة ، ممايخلق أرضية مناسبة لانتشار الافكار والمناهج الاصلاحية وكافة أوهام الملكية والمصالحة الطبقية . ومن جانب آخر نجح الاستعمار في ربط الاقتصاد هناك بمصالحه وبالتالي سيطر على فئات اجتماعية عريضة ، تزيد كثيرا عن دائرة العملاء التقليديين واشاع بينهم فكرة عدم جدوى مقاومته

■ **الاصول البرجوازية الصغيرة لغالبية العمال :** وارتباطهم ماديا وفكريا بالريف ومثله وخضوعهم فكريا وسياسيا للبرجوازية التي تمكنت بفضل حسن تنظيمها من السيطرة عليهم . كذلك يلعب الاصل البرجوازي الصغير لمعظم قادة ومفكري القارة وتخبطهم الفكري يمينا ويسارا ، دوره كاملا في انتشار النهج الاصلاحي .

■ **تعدد التيارات والاتجاهات الاشتراكية :** تناحر الفرق اليسارية فيما بينها وعدم استفادتها من التجربة المشتركة لمختلف بلدان القارة ، لضعف الاتصال فيما بينها . وفي هذه القارة يظهر الخلاف الصيني السوفيتي ابشع نتائجه ، اذ يستهلك أصحاب هذه المناهج المتباينة ، جهدهم الاساسي في الصراع ضد بعضهم البعض ، وتبادل الاتهام كما يترتب على ذلك سلسلة من ردود الافعال المتبادلة التي تزيد التباعد وتؤدي الى الشطط والخطأ وضعف الفعالية السياسية لكلا الطرفين .

■ انفراد **الملاك بمعظم أجهزة الدولة وعدم وجود أي تأثير للجماهير عليها :** مما أدى الى وجود اقتناع تام وعام بأن الطريق الى السلطة هو طريق الانقلاب العسكري ، والتآمر او المساومة مما ادى الى التقليل من شان الحركة الجماهيرية .

■ **انتشار الامية :** وتتراوح نسبتها بين ٤٠٪ ، و ٦٠٪ من السكان وتسبب نقصا في وعي الجماهير وصعوبة في عمليات التوعية الثورية وانتشار كافة أنواع الاوهام والافكار غير العلمية .

■ **تأييد المستعمرة** للنظم والافكار الاصلاحية عندما تحتدم التناقضات الاجتماعية ويلوح خطر الحل الاشتراكي الاصيل، فعندما بدأ العمل الثوري يتسع نطاقه ، كما تقول جريدة التمبو البرازيلية « كبقعة من الزيت فوق سطح الماء » ونمت

زاباتا

ثائر مكسيكي ، اقوى قائد لحركة الفلاحين عرفته دول امريكا اللاتينية . كانت محاولات اعطاء الارض للفلاحين في المكسيك قد بدأت مبكرا ، ففي ١٨١٠ قامت حركة الاب هيدالجو ، وفي ١٨٥٠ هبت حركة بنيتو جواريز ولكنها فشلت . وفي ١٩١٠ انتخب لرياسة الجمهورية فرانسسكو ماديرو ، وهو احد المثقفين الذين يتعاطفون لحد ما مع آمال الجماهير ، ولكنه فشل في ادراك تعطش الفلاحين الهنود للارض . فاعلن زاباتا خيانته ونادى بالثورة وبأن على الفلاحين ان يستولوا على الارض ويدافعوا عنها بالسلاح . فنشبت ثورة هائلة عمت كل انحاء البلاد . ولكن الحكومة العسكرية التي تكونت لمقاومتها شنت ضدها حرب ابادة قتل فيها ٢٥٠ الف فلاح . وان كان الدستور الذي صدر في اعقاب الثورة قد حوى موادا هامة عن حق الفلاحين في الارض ، وحق الامة في ثروتها وحقها في التاميم .

الحركة الوطنية والاجتماعية واجتذبت اليهاقطاعات متزايده من السكان ، وقلت فرص اقامة دكتاتورية عسكرية سـافره ، حبذ الاستعمار اقامة انظمة تنادى بشعارات اصلاحية ، تتضاءل عند التنفيذ ولاتعادى المصالح الاستعمارية فى محاولة منه لقطع الطريق على العمل الثورى وامتصاصه

نماذج من الحكومات الاصلاحية

من ابرز النظم الاصـلاحية ، حكم ((**بيرون**)) فى الارجنتين ونظريته «العدلية» التى تقول بتحرير البلاد من الراسمالية دون الوقوع فى براثن الجماعية وقد حاول بيرون رشوة بعض طوائف العمال حتى دون ان تسمح الامكانيات بذلك فلم يتم وضع مخطط اقتصـادى يستهدف زيادة الانتاج ، وفى نفس الوقت ترك الحبل على الغارب للراسمالية المحلية والاجنبية وبذلك لم يرض احدا ولم يعرف على اى الطبقات تعتمد العدالة الاجتماعية الحقيقيةوكانت البيرونية كما يقول جويفارا فى ندوته فى الطليعة «نتاج لخطة معينة فى امريكا اللاتينية احتدم فيها الصراع بين رؤوس اموال المحور ورؤوس اموال الحلفاء ، وتدفقت الاستثمارات ، مما طور البلاد فى اتجاه التصنيع ونشا كفاح البروليتاريا ضد الراسمالية المحلية وحاول بيرون ان يمسك العصا من الوسط بين الراسماليين والعمال . واصبحت القوى الرجعية تعارضه أكثر فأكثر متواطئة مع الجيش والبحـرية والامريكيين» وكداب القـادة الاصلاحيين الذين يحسون بأن الارض تميد من تحت اقدامهم عندما يواجهون تحديا حقيقيا ،اضطر بيرون الى الرضوخ وأعلن أن «البلاد لايمكن ان تظل فى حالة ثورة الى الابد» ومع ذلك لم يرض الاستعمار بأقل من طرده . وتم ذلك فعلا رغم ان الحركة البيرونية بدأت مسيطرة على اقسام عريضة من الطبقة العاملة وعلى شباب الضباط فى الجيش ولكنها لم تجر اى تحولات اجتماعية عميقة فى البلاد ولم تحافظ على استقلالها الاقتصادى وعزلـت نفسها عن الشعب شيئا فشيئا بأعتمادها المتزايد على اجهزة الحكم والادارة ، التى كان ولاؤها لكبار الملاك بحكم تكوينها وتاريخها وبعد ضربها والاطاحة بنظامها لجأت البيرونية الى كل الطرق لاستعادة فعاليتها وسيطرتها ، وآخر اعمالها فى هـذا الصدد ، هو محاولتها التشدق برطانة يسارية لقطع الطريق على الاشتراكية التى يكن انصار بيرون لممثليها عداء كلفهم الكثير ويحاول «الثعلب العجوز من مدريد ان يبدل جلده وأن يرتدى زيا يساريا يظهر ذلك من رسالته الى ماوتسى تونج التى نشرتها جريدة ليموند الفرنسية فى يناير ١٩٦٦ التى يقول فيها :

«ان استعماريى الشمال ، وحلفائهم ، ومـن بينهم القادة الحاليين للاتحاد السوفيتى يخدعون أنفسهم عندما يعتقدون انه تحت ستار التعايش السلمى الزائف يستطيعون ان يوقفوا مسـيرة الجماهير المنطلقة للعدل ، بعد الاستقلال . . ولقد منعنا العمل الانقلابى الذى دبرته الامبريالية ، وتم بمعاونة الطبقات الخائنة ، منعنا من اكمال مرحلة الثورة الديمقراطية التى تعد الطبقة العاملـة لتحقيق الثورة الاشتراكية » ويطالب بـيرون الشباب فى رسالة وجهها اليهم بان «يكون خطهم معاديا للامبريالية ، معاديا للرأسمالية ، معـاديا للاوليجاركية واصحاب الاقطاعيات » .

تروجيللو

دكتاتور ورئيس وزراء سان دومنجو . وثب الى السلطه فى الثلاثينيات وحكم البلاد لمدة تزيد عن ثلاثين عاما . جمع خلالها بين يديه كافة السلطات والصلاحيات . كما نهب ثروة البلاد ووزعها على اقاربه واصدقائه . وبلغت ثروته الشخصية مايزيد على ٥٠٠ مليون دولار كان يعين رئيسا للجمهورية يخضع كل الخضوع لارادته . استخدم ابشـع انواع الارهاب والقتل الجماعى والتعذيب حتى صـار مضرب الامثال اغتيل فى ١٩٦١ وهو يقود سيارته . وبعده استاصلت الحركة الثورية الى حد كبير شافة اسرته واصدقائه .

وفى داخل البيرونية ينمو اتجاه لاستبعاد الزعيم المنفى ، الذى استمرا حيـاة الرغد والتعطل فى اسبانيا مع الابقاء على اسمه «بيرونية بدون بيرون» وهذا يعنى كما تقول جريدة لوند « تحرير الشغينة من الوصاية التى يمارسها الرئيس القـديم من مدريد » . وفى المؤتمر الذى عقـدته المنظمـات البيرونية اخيرا انتصر القادة النقابيون ذوى الميول الاشتراكية» وهم فى الواقع حلفـاء للبرجوازية الصناعية الوطنية على القادة السياسيين ذوى «الميـول البرجوازية» واذا تخلصت البـيرونية من اخطائها وتسلحت ببرنامج اجتماعى حقيقى ، وانجزت نوعا من وحدة العمل مع اليسار امكنها ان تلعب دورا فى تغيير الاوضـاع فى الارجنتين وكل ذلك رهن بالتخلص من النظريات الاصلاحية أولا وتغيير القيادة ثانيا . أما تدبير الانقلابات فالاستعمار اسرع منهم فى ذلك وهذا ما تم مع حكومة ايليا الذى زادخطر البيرونية فى عهده ممادفع الاستعمار الى التعجيل باحداث انقلاب عسكرى

وحكومة ((**ادوارفراى**)) ، الذى يسـمونه « كيندى جمهورية شيلى » مثال آخـر للحكومات الاصلاحية ويعدها البعض املا للولايات المتحدة ولليسار الامريكى . وقد اضطرت هذه الحكومة

تحت ضغط حركة التحرر ونمو افكار الطريق غير الرأسمالي لاتخاذ بعض الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية آخرها انهاء احتكار شركات النحاس الامريكية لمناجم النحاس بزيادة المساهمة الوطنية الى ٥١٪ . وأعلن فراى أن « مهمة الحزب هي قيادة الحركة التاريخية للكتل الشعبية التي تتخطى اهدافها حدود المجتمع الحديث القائم على مبادىء الحرية الفردية» . وفي المجال الدولي ينادي فراى بتكوين مثلث من الولايات المتحدة وأوروبا وأمريكا اللاتينية بهدف موازنة نفوذ امريكا الشمالية وخلق صراع بينها وبين أوربا للاستفادة منه ، وتجد هذه الخطة استجابة لها في سياسة ديجول الذي زار دول أمريكا اللاتينية ورد له الزيارة بعض قادتها ووقع بينهم عدة اتفاقيات للتعاون آخرها منح شيلي ٥٠ مليونا من الدولارات .

ومثال آخر للاصلاحيين هو هايادي لاتور مؤسس حزب « الحلف الشعبي الثوري الامريكي » في « بيرو » فقد طالب الرجل في البدء برجوع الارض الى اصحابها الهنود وضرورة وضع برنامج للتنمية الاقتصادية ومحو الامية ووضع تشريع تقدمي للعمل . وعندما وصل الى الحكم لم ينفذ شيئا ذا بال ومع ذلك أطاح به اليمينيون وهرب دي لاتور الى سفارة كولومبيا وتمتع بالاقامة فيها ٥ سنوات كاملة ، دبر فيها اموره ، ويبدو أنه تمت له عملية غسيل مخ ، اذ انه اعلن فجأة ودون سابق انذار بل ودون مناسبة ، أعلن عداءه للاشتراكية وترحيبه برأس المال الاجنبي بوجه عام والامريكي بوجه خاص . فسمح له بدخول الانتخابات ولم يكن الرجل ناكرا للفضل الاستعماري عليه فنظم فرائد نظرية حقق بها فتحا وتجديدا في الفكر «الثوري» ، فمن نظرياته «ان الامبريالية في امريكا هي أدنى مراحل الرأسمالية وان «الاستعمار يدفع التطور الاقتصادي والنضال ضده ليس عملية هدم وانما عملية بناء ، باستئصال الجانب السلبي والابقاء على الجوانب الايجابية »

وهذا هو طريق الاصلاحيين، يتشدقون بشعارات وبرامج طنانة عندما يكونون في المعارضة ولكنهم عندما يتسلمون الحكم يعجزون عن التغيير فيزدادون انهزامية واصلاحية وينتهون بالارتماء في احضان الاستعمار

مبدأ مونرو

اصدره الرئيس الامريكي مونرو في ١٨٢٣ ، بتشجيع من بريطانيا التي حاولت ابعاد الدول الاوربية الاخرى من القارة وأهم ما جاء فيه .

١ — ان الولايات المتحدة لاتتدخل في شئون أوربا .

٢ — انها تحترم وجود المستعمرات الاوربية ولا تتدخل فيها .

٣ — ان دول امريكا اللاتينية المستقلة لن تكون محلا لاي استعمار اوربي ، وان اي محاولة للتدخل في شئونها بقصد السيطرة عليها يعد تهديدا لامن وسلامة الولايات المتحدة وهذا البند هو أشهر جزء في مبدأ مونرو .

مصير الاصلاحية

رغم كل ماتوفر للاصلاحية من عوامل النجاح ورغم مساندة طبقات وفئات اجتماعية متعددة لها ، بعضها عن اقتناع وايمان ، والبعض الاخر لاعتبارات عارضة الا انها تحمل بداخلها بذور فنائها واضمحلالها فمنذ مايزيد عن نصف قرن أكد أحد رواد الاشتراكية الاول ، أنه «في المعارك الحاسمة للثورة العالمية ستتحول حركة اغلبية سكان العالم والتي تهدف اصلا الى التحرر الوطني ، الى حركة ضد الراسمالية والامبريالية وقد تلعب دورا اهم ممانتوقع» وهذا مالم يفهمه الاصلاحيون الذين عجزوا عن ادراك أن الراسمالية نظام قد ولى زمانه ، وانها لاتجر سوى الحروب والكوارث والفقر فضلا عن عجزها عن تحقيق أي تنمية حقيقية وأي تحسين جاد في مستوى معيشة الجماهير . ومحاولة الاصلاحيون ملاءمة الرأسمالية ، مع الابقاء على جوهرها محاولة فاشلة فابطاء وتقييد عمل القوانين الراسمالية لايقضي على مفعولها لانها ستنتصر اخيرا مادامت علاقات الانتاج باقية على ماهي عليه ، اذ يستحيل وضع حدود محكمة تتحرك في اطارها ، كما لايمكن التوقف بالثورة عند مرحلة وسط فاما اندفاع متواصل و « ثورة حية مستمرة » وأما العودة الى أوضاع قد تفوق في سوئها نقطة البدء .

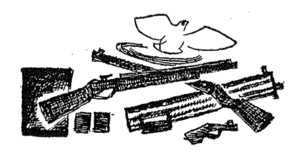
وفشل الاصلاحيون في ادراك أن الثورات الجديدة تختلف عن سابقاتها لاتساع دائرة القوى الاجتماعية المشتركة فيها وتعدد الاهداف التي تواجهها . ولعب الفكر الاشتراكي دوره في فضح الاصلاحية وفض الجماهير من حولها . ففي أمريكا اللاتينية لعبت التجربة الكوبية دورا هائلا في كشف النظم والافكار الاصلاحية واثبتت عجزها عن تقديم حلول لمشاكل الفلاحين ، القوة الاساسية في القارة ، فالثورة هناك ثورة زراعية معادية للاستعمار والاقطاع بالدرجة الاولى ، مما يحتم وجود برنامج عمل اجتماعي لمصلحة الفلاحين ، لا يهدف التنمية الراسمالية للريف لحساب برجوازية

المدينة ولحساب المستعمرين ، كما تفعل البرامج الاصلاحية

ومن جانب آخر تؤدى طريقة الاصلاحيين فى الوصول الى الحكم ، والتى تعتمد على كل شيء الاالمساندة الجماهيرية الىقصر مدة بقائهمفى الحكم واعتمادهم على الجيش ، وهو أمر غير مضمون فكثيرا ما يقلب الجيش لهم ظهر المجن كما حدث مع فارجاس وبيرون . كما أن اعتمادهم على جهاز الدولة الذى جرى تشكيله خلال المجتمعات السابقة وعمل لخدمتها وتربى على افكارها ، يحدد حركة هؤلاء القادة . وهناك عامل آخر يعجل بانهيار الاصلاحية ، وهو سخط اليمين لانها لاتخدمه بشكل كامل ، كذلك يقاومها اليسار ، وبذلك تفشل فى ارضاء أى طبقة اجتماعية . فجوهر سياستها هو اللعب على التناقضات كما انها تفتقر الى الوسائل الضرورية المادية (ممثلة فى برنامج تنمية حقيقية ، الارصدة اللازمة لذلك) ، والاجهزة التنفيذية (ممثلة فى جهاز دولة قادر وثورى ، وارتباط جماهيرى حقيقى) لتحقيق أى تغيير حقيقى ، واعتمادها على الاجهزة القائمة (البيروقراطية ، الجيش ، الهيكل الاقتصادى القائم) مما يدفع بهانحو المزيد من اليمين ويفرغ شعاراتها الطنانة من اى مضمون بما يفتح فرصا واسعة امام الافكار الاشتراكية . ولكن هذا يتوقف بالدرجة الاولى على كفاءة المنادين بها وسلامة تطبيقهم لمنهجها فى مواجهة المشكلات . واستكمالا للدائرة المفرغة التى تدور فيها الحركة الثورية يؤدى فشل الاصلاحية وعجزها عن تحقيق أى تغيير جدى الى يأس الجماهير من استخلاص حقوقها بطرق سلمية ، وتتضاءل افكار الديمقراطية والكفاح الحزبى والبرلمانى والنقابى ، ولا تجد القوى الاجتماعية المقهورة امامها الا السلاح تحتكم اليه فى محاولة يائسة لانقاذ احوالها المتدهورة ، بغض النظر عما اذا كانت الظروف ملائمة لذلك ام لا مما يزيد من احتمالات الفشل ، ويفتح الباب مرة أخرى للفكر الاصلاحى ، ولكن فرصته تقل بالتأكيد فى المرة الجديدة . مما يجعل الاستعماروالرجعية يتخليان عنهذا الخط الدفاعى المؤقت، ويلجآن الى اقامةحكمهما المباشروالمكشوف وانقلابات البرازيل وبرجواى وكولومبيا وبيرو والارجنتين الاخيرة خير مصداق لهذا . مما يؤذن بمغيب شمس الاصلاحية ويضع القوى المتصارعة فى مواجهة بعضها البعض ، دون عازل يخفف حدة الصدام الاجتماعى .

لويس كارلوس برستوس

ثائر وطنى برازيلى . قاد جيشا من الثوريين فى سلسلة من الاعمال الثورية ضد الاقطاع المحلى والبرجوازية المرتبطة بالاستعمار واخترق بمجموعته الكبيرة « طابور برستوس » البلاد من اقصاها الى ادناها فى ثلاث سنوات من ١٩٢٤ الى ١٩٢٧ . محققا ما يعتبر من الناحية العسكرية نموذجا يدرس ، فى مقاومة العدو وانهاكه . ومع استمرار المطاردة اضطر الى الهروب بطابوره خارج البلاد ، حيث عملوا فى احدى الشركات وضربوا مثالارائعا فى القدرة على تحقيق معدلات مرتفعة . ولم يطمئن برستوس الا بعد ان ادخل الى البرازيل آخر ثائر فى طابوره . وانطلق يبحث عن اجابة للاسئلة الملحة فى ذهنه ، وعن سر فشل الطابور والتقى بقائد نقابى ماركسى من الذين تمتلىء بهم القارة ، واقتنع بأن الثورة ليست تمردا تقوم به مجموعة من الثائرين ، بل هى عمل جماهيرى ، وحركة فلاحية واسعة ،لابد لها من طليعة سياسية تقودها ، فاسس الحزب الشيوعى . وعاد الى البلاد ونذر الفاشية تخيم على سماء البلاد وعمل على تكوين الجبهة الشعبية ، وطالبت الجماهير بقيادته لها كضمان لحسن سيرها ، ولكن الحكومة ألقت القبض عليه وعرضته لاشد انواع التعذيب والتنكيل ، ومع ذلك اضطرت للافراج عنه بعد هياج الرأى العالمى ، واضطر الى الهرب خارج البلاد . وبعد هزيمة الفاشية العالمية رجع الى بلاده فى ١٩٤٥ وانتخب عضوا بمجلس الشيوخ ولكن الاستعمار والرجعية وجهت ضربات ساحقة له ولحزبه مما دفعه الى الخروج مرة اخرى ، للعمل سرا فى المنطقة .



الوعى الطبقى عند فلوبير

جان بول سارتر

لا سبيلَ للتغلب على الافكار الجمعية المعادة سوى باستخدامها وتسخيرها كوسيلة للتفكير ، كما أوضح ذلك بولهان فى « زهور تارب » (١)

أما فلوبير فلن يتوصل يوما الى هذا المستوى مكتفيا بالخط من الافكار المتوارثة بمواجهة بعضها بالبعض الاخر ، مقتصرا على نهج هذا الاسلوب وحده حتى آخر ايامه فى «بوفار وبيكوشيه» مؤلفه الضخم والممل . ولئن شده الاغراء يوما لتزويد تلك المادة التى تتراكم فى اعماق ذهنه بالقاء محلول قارص عليها ، اى باعمال التحليل بالطريقة التى تعلمها من والده الطبيب الفيلسوف ، الا انه ينبغى التمييز بين غباوة « البقال » التى لايؤثر فيها هذا الحامض وبين تلك الغباوة الرجعية التى يستطيع اللحاق بها وهى عبارة عن لمامة من التركيبات المزيفة ومن التصورات الخيالية التى تزعم أن الايدولوجية الارستقراطية قد نزلت اليها بوحيها . ان الامر يكون مختلفا لو تلاشت تلك الاكاذيب ولو امكن العودة الى الاصول الاولى من حاجيات ونوازع انانية وزهو لتلك المشاعر الكبرى والافكار النبيلة التى تتلاءم مع تلك الاكاذيب ولو أمكن أن تتكون بين احضان غباوة واحدة موحدة لا يعتريها اى تناقض داخلى . نرى فلوبير يحلم من حين لاخر بالاقدام على تلك المحاولة التى لاتعنى فى النهاية سوى تخليص الايدولوجية البرجوازية من البقايا الاقطاعية التى تحوم حولها وتمزقها اربا .

لقد شن فلوبير « هجوما شديدا » على لامارتين بمناسبة قصة جرازيلا (٢) يتهمه بأنه كتب فيها «المتواضع عليه والزيف» «لكى تقراها السيدات اكاذيب واكاذيب ! يا لك من غباء ! » ثم يستطرد انه كان من الممكن «أن تكون تلك القصة موضوع كتاب جميل الا «أن هذا الامر كان يستدعى من الفكر المستقل الذى يفتقده لامارتين وكان يستدعى

(١) الطليعة : كاتب وناقد معاصر . ومن مؤلفاته «زهور تارب» (١٩٤١) و «مقدمة فى النقد» (١٩٥١) . اهتم فى مؤلفاته بكشف حيل الكلام وبفضح التخيلات الفكرية ليعود الى ادب مبنى على الحقيقة .
(٢) قصة نثرية — ١٨٥٢ من وضع لامارتين لا ترقى الى مستوى مؤلفاته الشعرية .

النظر الى الحياة بنظرة طبية فاحصة اى النظرة الى الحقيقة » (٣)

ويبين فلوبير ان تلك النظرة الطبيـة كان من شأنها جعل هـذا الشاب من عـائلة راقيـة يضاجع «مصادفة» بنت الصياد «ملقيا بها فى عرض الطريق» ولن تلقى الفتاة من يحبها بـل ستجد من يواسيها . هذا ما هو اقرب الى المألوف وما هو اشـد ألما . انهـا لعودة الى الفـكر الليبرالى للناس البسطاء والشهوات الرخيصـة والمصالح الخسيسة . ويستند فلوبير الى فولتير ليهاجم لامارتين به معلنا «انها نهاية كانديد ... لتدل على عبقرية من طراز كبير لما اصطبغت نبشة الاسد فى تلك النهاية الهادئة مما للحياة من غباوة» يستغيث فلوبير بنظرة الاب لمواجهة غباوة الاخرين ولمواجهة غباوته على وجه خاص وسوف تقضى النظرة الطبية على «شاعرية الواقع» .

ان المؤسف بغـض فلـوبير للتحليـل وهو الذى كان يتلوى خجلا وغيظا من «النظرة الطبية» التى كان يفحصه بها أشيل ــ كلبوفاس وهــو الذى حاول أكثر من مرة التخلص من عالم العلوم المعاصرة حقا كان الدكتور فلوبير فولتيريا «يهشم الاكاذيب اربا» على اقدام الكاذب . الا ان هذا الرفض يجعل الغباوة وقد لفظها الفكرة تستقر فى « الحياة » وتنكشف خسة البرجوازية لتجريد الواقع من الشاعرية « لما تتسم به الدعـــــوة لزراعة حديقتنا من طابع بورجوازى عميق .... يستحسنها فلوبير عندما تستدعي الامور الهجوم على لامارتين بينما تبدو له بشعة اذا مااضطـر لاتباعها فى حياته الخاصة . والدليل على ذلك مهاجمته هذا السلوك فى قصر القلوب . (٤)

الكاهن الاكبر

أيها المواطنون ، أيها البورجوازيون ، ايـها المتخلفون ! نحن مجتمعون هنا فى هذا اليوم العظيم لنعبد الطعام المقدس ثلاثا وهو رمز المصالح المادية وبعبارة اخرى رمز أعز المصالح واغلاها !.
أيها البورجوازيون ، لم يخالف أحدكم واجباته . فلقد انزويتم هادئين فى بيوتكم لا هم لكن سوى مشاغلكم وسوى أنفسكم .... سيروا على بركة الله فى سبيلكم الذى سوف يضمن لكم الراحـة والثراء والاعتبار . لا تكفوا عن الحقد على كل ما هو خارق أو شجاع .... واقلعوا بوجه خاص عن كل حمـاقة لا تفيـد فى الامور شيئا .. فلا مكان للسعادة الفردية والعامة سوى بركانـــه العقل وثبات العادات واستقرارها وفى غطنطة الطعام . أيها السادة العلماء ، استمروا كما كنتم فى أبحاثكم البسيطة البذيئة التى لاتولد الاضطراب»

ان فلوبير يعرف تلك الاخلاق البورجوازيـة خير معرفة اذ هى اخلاقه ، وهى تلك التى يجد الانسان نفسه مجبرا على ابتداعها من جديد اذا ماأراد العناية بحديقته فى كرواسيه (٦) أو اذا ترك بستانى عديم الشرف يتولى زراعتها ، وهى تلك الاخلاق التى تعترض كل تغيير يتصل على السواء بالاقتراع العام او الاشتراكية مع وصفـه بأنه ضرب من ضروب الخيال ، وهى تلك الاخلاق وقد تأكدت «بعدم تأثر الكائنات وافتراقها» التى استبدلت علاقات الكرم «يتعرض صديق للموت من أجلى» بعلاقات سلبية (الشرف يعنى عدم المساس بأى شىء» وتعنى الصداقة تفادى المضايقة ورفض التدخل والابتعاد عن كل اقلاق) ، وهى الاخلاق المركزة على المصالح الفردية وتقول بالعيش حياة تترابط الاشياء فيها ميكانيكيا كأنها عـزلة جماعية . تقمص فلوبير فى مواجهة تلك الاخلاق منذ شبابه شخصية شاترتون (٧) وقـد اتخـذ ايضا وجهه نظر تلك الشخصية بعد ذلك فى قصر القلوب . فمن يستطيع غير شاترتون ازدراء هذا «الاعتبار» وذلك «الثراء» وقد افتقدهما جوستاف تماما ، ومن يقدر سوى الارستقراطى على الدفاع بتلك الحماسة الملتهبة عن البسالة التى لايعتقد فلوبير فيها فى مواجهة الخسة النفعية ؟ يقع فلوبير مرة أخرى وهو يحاول التحليق فوق طبقته فى الفكر الارستقراطى الذى كان طابع الشـعراء الخائبى الامل . حقا لقد استند الى فولتير لمهاجمة لامارتين الا انه يلقى بفولتير الى موسيه وفينيه . بتحطم الفكر اللاهوتى بالعلم الذى تلقاه والده . وقد عنى فلوبير بفضحه عندما عالج غباوة الدرجة الاولى سواء اتخذ هذا الفكر صورة العادات المجردة المعنى (رأس السنة) أو التأمـلات الشاعرية « تعتقد أن فؤادهن فى فرجهن » او كان على صورة المراسم الكاثوليكية (يغتاظ فلوبير أشـد الغيظ من المواكب على وجه الخصوص) أو على صورة الخرافات . الا أن هذا الفـكر الحر ــ حالة اعتقاده بالانتصار ــ يجد نفسه فجأة فى مسار الايدولوجية التى قضى عليها ، اذ تتحول تلك الايدولوجية بدورها فى صورتها السلبية

---

(٣) مراسلات ــ الجزء ٢ ــ ص ٣٩٨ .
(٤) الطليعة ــ مسرحية تاليف فلوبير .
(٥) فلوبير ــ مسرح ــ صفحة ٢٦٣ ــ اللوحة السادسة «مملكة الطعام» .
(٦) ابعـادية ملك فلوبير .
(٧) الطليعة : شخصية تحكى فى القصة التى بهذا الاسم (١٨٢٥) حياة الشاعر المنبوذ الذى يلتمس ليتخلص من البؤس والعوز .

باعتبارها قلق وعدم قناعة وباعتبارها رفض مزن للغانية وانطلاقة يائسة للافاق المجردة الى تفى النفس ، وبالتالى تفضح الليبرالية باعتبارها ثناء كامل للفكرة المتوارثة على أنها غباوة من الدرجة الثانية ، اذ تنتقل بلاهة الاغبياء الى المفكر الحر على قدر تقبله الركاكة التي يكتشفها . ليست تلك الغباوة من نوع غباوة البقال أو من نوع غباوة البيروقراطى بل هى تلك التى يتميزبها البورجوازيون المثقفـــون حيث يعثر عليهـــا فلوبير فى بيته ومن حوله من الفولتيريين ولاتعدو أن تكون تلك الغباوة سوى الذكاء . لقد استطاع ان يقدم لنا فى **مدام بوفاري العقل** التحليلى على أنه خسة فى النفس وبلاهة خارقه وان تقبله مبادئه ونتائجه على انها حقائق وتمثلت عبقريته فى جعل السيد هـــومبه يتقمص هذا العقل التحليلى .

اعتبر السيد هومية لفترة طويلة أنه غبى ولا شك ان فلوبير كان يجد ما يلذه فى هذا الحكم ، غير أن تيبودية (٨) استطاع التنبه لهده المصيده ملاحظا أن الصيدلى كان ولاشك **ذكيا** وماهو اهم ان هومبه تمكن فى تلك القصة المبدعة من الفوز وحده وعلى طول الخط ، يحذق فى المناورة ويتحكم فى قريته لما يتفوق به على موظفى الصحة فيها . وتدل معلوماته العلمية على قصورها بما يتوافر فيه من علم . ويشبه من هم من فصيلة هومية آل فلوبير فى ارتقائهم وصعودهم اذ يصبح الابن طبيبـــا وسوف يقول الحفيد «نحن عائلة» . لا شـــك ان فلوبير كان من وراء ذلك يرمى الى وصـــف مفكر حر هزء ، غير أنه أراد فى ذات الوقت **اعتباره محقا** . الم تخلق شخصية بونزيان خصيصـــا لتبرر هجوم هوميه وشتائمه ؟ أذ ماالذى كان يعوق المؤلف عن اظهار هذا القسيس على قدر اقـــل من البشاعة التىكان عليهاهذا الاب المادى الجهول الذى يتناول قدر اربعة امثال من الطعام ، الجاهل بكل شيء عن النفوس ، والذى تدفع الحماقة به الى عدم التسامح ، يالهمن غموض . فلوبير يكشف لنا ما يتسم بهالمعادى للكنيسة من غباوة مقيتة كما يبين لنا فى نفس الكتاب غباوة القيسيس البشعة التى تبرر حقا العداء للكنيسة هازئا من ذات أفكاره فى شخصيـــة هوميـــه . اليس هو الذى كتب الى ميشيليه (٩) فى ٦ يونيو ١٨٦١ تلك الجملة التى كان يمكن للصيدلى تبينها : «كان فولتير العظيم يختم كل خطاباته بالحروف التالية : ا ع ر . (١٠) « أشد على أيديك لحقدك على المعادى للطبيعة » وعلى العكس من ذلك ، ماالذى يجعل فلوبـــير يشمئز من العقيدة الدينية التى يلصقها بهومية ؟

ولنعود الى مايقوله هذا الاخير : «لى دين ... واعتقد فى الكائن الاعلى ... الذه أوجدنا على هذه الارض الدنيا لنقوم بواجباتنا كمواطنـــين وكمسئوليين عن عائلاتنا ... غير انا لست فى حاجة للذهاب الى الكنيسة .... ولا استسيغ (المعتقدات المسيحية) الغبيه فى ذاتها والمعادية تماما لكافة قوانين الطبيعة ، مما يؤكد لنا الجهـل المطبق الذى يغط القساوسة فيه (١١) . ان فلوبير مقتنع فى الواقع بما عليه القساوسة من جهل كما يلاحظ ان المعتقدات الجامدة التى لامزيد عليها من السخافة تملاء الاديان **كلها** ، وهو فى الحقيقة لايألو جهدا طيلة حياته فى أتكيد تفـوق الفكر العلمى على الفكر الدينى . بل ولا تصل تنازلاته الى ما وصل اليه هوميه الذى ينتمى الى دين ويؤمن بالكائن الاعلى بينما فلوبير يحـــاول عبثا الاعتقاد والايمان . اما الجانب الهادىء فيكمن فى القناعة البلهاء التى تطيع الصيدلى اذ لايلومه فلوبير لقضائه **بالعلم** على المعتقدات المسيحيـــة بل يأخذ عليه مايضعه فى العلم من ثقه غير مشروطة وتتضح غباوة هوميه من العبارة التالية «تناقض كل قوانين الطبيعة ، مما يدل ... تلك العبارة التى تفصح عن مدى الغرور ومدى الايمان الذى لايقل عن الايمان الاخر ، فكل مافى الامر انتقـــال المطلق من السماء حيث كان الدين يكمن فيه الى العقل البشرى حيث تضعه الفلسفة العلميـــة الليبرالية ، كما وان هذا الكائن الاعلى الذى يزعم هوميه الاعتقاد فيه جعل فلوبير يتذكر ذلك الدين الثورى الذى كان قد أسسه روبسبير (البغيض) ، فليس لهذا التجريد من هدف سوى التاكيد عـــلى الطابع العقلى للعالم والتأكيد على الاخلاقيات البرجاوازية ، اذ ليس رب هوميه تفيض الإنسان بل يؤلهه واضعا نفسه فى خدمته ... هنا يتضح فى جلاء الفارق بين فلوبير وهوميه ، الاول يكفره القدرى يلاحظ فى يأس غياب الرب وغبـــاوة الاساطير وجهل القساوسه المطبق وماديتهم بينما الثانى خليفة الالهية الثورية يجرى فى صـــفاء ذات الملاحظات بل ويبنى راحته النفسية عليها .

وعندما يرد الصيدلى على المعتقدات الكاثوليكية مستندا الى الطبيعة لا يجد فلوبير كلمة يعقب بها عليه وهو الذى كثيرا ماقال فى كتاباته «ابغض المعادى للطبيعة» غير أن تده لتلك الشخصية التى خلقها لا تقل شأنا وقدرا . آخذا على هوميه استمتـــاعه تحطيم القضايا الـــكبرى التى تقلق الانسانية على مذبحة مجموعةمن الحقائق البسيطة

---

(٨) الطليعة : ناقد ادبى (١٨٧٤ ــ ١٩٣٦) نتميز احكامه بمستوى من المنطق الرفيع ومتخلصة من الجمود . يعد أحسن ناقد فى عصـــره .

(٩) الطليعة : مؤرخ (١٧٩٨ــ١٨٧٤) ويتميز بارائه الليبرالية وقد ادت عرتان الى منعه من القاء المحاضرات . ومن مؤلفاته التاريخية (تاريخ فرنسا) و «تاريخ الثورة الفرنسية» ومن مؤلفاته الادبية «الجيل» و «العصفورة»

(١٠) الحروف الاولى للعبـــارة التـــالية «اقضوا على الرذيلة» .

(١١) قصة مدام بوفارى ــ الناشر ادواركونراد ــ ص ١٠٦ و ١٠٧ .

الدقيقة والقاطعة . ويقتضينا اكتشافه بشاعة تلك الغباوة الظفرة التي لاتقهر والتي تنجح على الدوام مشاريعها المنظمة في مهارة، موضحة في النهاية كل الواقع كما يستلزمنا للاحاطة بما تتسم به من غرور بغيض ومن مادية ضيقة الافق أن نضع أنفسنا في زاوية ما كان يجب أن يكون ولم يكن، أي من زاوية الغياب والعدم والفراغ تمنياتنا العابثة وهجراننا.

أما تلك الفكرة الكاريكاتورية التي اسكنها فلوبير في هوميه فهي في بساطة العقلانية التجريبية التي من طابع الدكتور فلوبير ، اى العلم باسره منحطا حتى مستوى البلاهة ، وعندما يهزأ فلوبير بالصيلي هذا العالم الناقص، هذا المغرور الذي يقوم بالدعاية ضد الدين مستندا الى قوانين الطبيعة ، فهو يعلم خير علم أن الحركة العلمية في مجموعها تتناقض مع الايدولوجية المسيحية . هذا هو سبب بغضة له . لقد كتب في **ذكرياته** وكان عمره ١٩ سنة « قد يأتي يوما ينهار فيه العلم الحديث كله ويسخر منا . كم أتمنى ذلك اليوم (١٢) بل كثيرا ماهجم بعد ذلك عصر **النور** باسم لاعقلانية لاتفصح عن اسمها الحقيقي فيقول : «التعصب الديني هو الدين ولقد قضى فلاسفة القرن الثامن عشر على الدين بهجومهم على التعصب الديني» . التعصب الديني هو الايمان بذاته ، الايمان المشتعل الذي يبني وينشط . ان الدين مفهوم متغير ابتدعه الانسان وهو فكرة تعكس التعصب الديني فهو شعور . فالمعتقدات هي التي تغيرت على وجه الارض وليست التعاويذ وحنفيات السبيل المقدسة ... والبراهمة والدراويش التي طرأ عليها التغيير اى لم يطرأ التغيير على الايمان فيما يعلو على الحياة وفي الحاجة لحماية تلك القوة (١٣)

وأيا كان الامر فالتفكير التحليلي يتسلط عليه في ذات الوقت ما يدين فيه فكر « انفلاسفة » التحليل وتبقى في ذهنه تلك المادة المحللة بالوضع الذي كانت عليه منذ طفولته وتتفكك الفكرة بمجرد لمسها من تلك المادة المحللة . هل بامكانه التخلي عن هذه النظرة الطبية التي ورثها عن ابيه ؟ الا يكون ذلك تخليا عن التراث بأسره لصالح أخيه اشيل وهو يريد على العكس أن يأخذ منه النظرة الفاحصة التي تشخص وتحلل الضمائر . ان فلوبير لايكف بالتأكيد في مراسلاته على قدراته السيكولوجية ويقول عن نفسه انه ملك التحليل .

الا أن امتعاضه من هذا التحليل شديد بحيث لايجريه أبدا ويقدمه على أنه **قد تم بالفعل** بل عارضا نتائجه على صورة من الحكم والمأثورات مستهدفا تسجيل انطباعاته تسجيلا سلبيا وفي ذات الوقت اجراء تفكيكها الجراجي ـــ ان فلوبير الذي يفتقد لاية تجارب قد أخفى تحت ستار هذه الكلمة مغزا التحليل الذي يقطع الطابع المنهجي عنه ، ان طرح للذات وفصل عن التطبيق العملي ليصبح نظرية متضمنة قبليا النفعية والترابطية والتجريدية الخ ... فلا يقتضينا الامر عندئذ اجراء فحص ما أو القيام باية تجربة أو تأدية اى تحليل اذ نعلم مسبقا انه ينبغي تحليل كل عمل مهما اتسم بالكرم الى دوافع انانية ونعرف ان المثل الاعلى عند النساء ينبع من « الجنس » الخ فليست تلك المعلومات المزعومة قبليا سوى مصادرة مجردة في غلاف من الاسلوب والبلاغة ، وينتهي الامر بشانها لان «التحليل قد تم مبتسرا على الدوام» . فكل شيء بالتالي قد أدرك قبلا ومعروف قبلا ، أي أن خبرة فلوبير تقف خلفه ومبادؤه قد وضعت بالفعل وانه قد تم البحث عن **الحقيقة** واكتشافها . ولا يفصح فلوبير عن الماضي الذي يعنيه اذا كان ماضيه ، ماضي طبقته او ماضي الانسانية تاركا تلك القبلية تحضر فيه بفعل سلبيته ذاتها **كمعرفة غريبة** عليه، ويدور الصراع فيه بين العلم والايمان بغير مشاركة منه ، فما بين الغباوتين من النفاق متفاعل كاف ليفكك ويحلل كل منهما الاخر . لن يحرك فلوبير ساكنا ويطالب ويرفض كل منهما على السواء فما يتمناه هو ان يقضي كل من المتصارعين على الاخر معا ، اذ ليست الغباوة التحليلية سوى طفيلية اى أنها لاتعدو أن تكون سلب الغباوة الاساسية التى تمتلك بمفردها ما للمادة من كثافة موضوعية . فليس هناك بالتالي مايمنع تلك الغباوة التحليلية بتذويبها الغباوة الاساسية من فقدان كل سند ومن انغمارها في الليسية .

الا أن ذلك أمل كاذب **فالفكرة** المتوارثة تطل براسها فور الغائها مجددة **التحليل** الذي ينهشها ويضطر فلوبير منهوكا بذلك الصراع غير المتكافىء والمتجدد على الدوام بالانزواء في الشك ويقول «من الحماقة أن نستنتج» ممتنعا عن تكوين الافكار بنفسه مستطردا «لاتوجد أفكار سليمة وافكار خاطئة اذ تتم الموافقة على الامور ابتداء ثم يدور التفكير ويحصل الشك وتقف الامور عند هذا الحد (١٤) ومع كل يؤثر هذا الشك على التحليل عندما يريد ذلك التحليل ظافرا تأكيد وجوده كالمعرفة والحقيقة في القناعة البلهاء . تظل تلك المنازعة سلبية فلن نلمس في مراسلات فلوبير بطولها وعرضها اى حكم صادر منه او نستشف اى تحليل عقلي او بحث نقدي ولن نعثر على فكرة في مهدها او على عرض جديد او على نظرة فريدة . لايشكل الفكر شيئا ولا يقيم أبدا أية علاقة ، فلا تمييز بينه

---

(١٢) ذكريات صفحة ١٠٩ .

(١٣) مراسلات ـــ الجزء الثالث ـــ ص١٤٨ ـــ ١٤٩ . قارن بالفكرة التالية التي فرضها في ١٨٣٨ ـــ ١٨٣٩ اى قبل ذلك بفترة طويلة في ذكريات : لم يفهم القرن الثامن عشر اى شيء عن الشعر ومن مشاعر الانسان ولكنه أدرك كل شيء يتعلق بالذكاء .

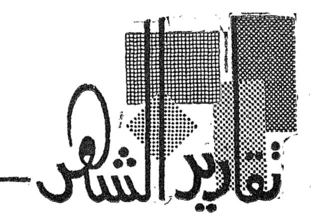
(١٤) ذكريات ـــ صفحة ٩٦ ـــ كتب هذا النص آخر يناير ١٨٤١ .

وبين حركة الحياة ذاتها فليس هذا الفكر كونه نشاطا سلبيا تجره أغوار الماضي سوى الصورة اللفظية من التأثير على النفس ، ويذكرنا تسلسل الجمل تارة بمرور الغيوم فى الاحلام وتارة اخرى بالارتباطات اللفظية التى ينساب اليها المريض عند الطبيب النفسانى . وتعود بلا انقطـاع فى هذا المونولوج الذى لاينتهى وحيث تحل الروابط البلاقية فيه محل الروابط العقلية [illegible] المرارة والنقمة مستترة تحت أشكال مختلفة وتخفى الجمل البلاغية المنمقة خلفهـا هروب الفـكرة الدائم أو اذا اردت الدقة الهروب **أمام الفكرة** : ويحـس البرجوازى الذى يطالبه بالانغماس كلاما فى الحقد والضغينة فلا يستطيع رؤية طبقته ونسيانها لانه باعتبارها بيئة عائلية موضوع رغبته بقدر ما هى موضوع احتقاره ، فهو يقبل نفسه بقدر ما يرفض ، ويرفض نفسه بقدر مطالبته بأن يقبل ، يدين فى تشامخ حماقة الاخرين اى تلك التبعيـة الاصطلاحية بنظرتها الضيقـة التى تحقـد على خصوصيته كما تحقـد تلك الخصـوصية التى تعـوق ذوبانه فى الجمـاعة البرجـوازية ، أنه بالاختصار بقيه العباوه فلقد جعلها تستـقر فى نفسه بكل مالها [illegible]ن تناقضات تدور حول ذاتها فتنهش فى نفسها وتنهش فيه . تستنزف اللدغات منه دما ويجبر نفسه مع ذلك على الجمود وعدم التحرك ، يتزايد على سلبيته الاليمة ويرفـض كافة اشكال الفكر لما لا تعكس اية فكرة فيه سوى ما للافكار الجمعية المعاده من طابع مادى أو سوى مادى . شاهدا ــ مشاهدا . ويلقى فلوبير فى حيرة «لست ماديا أو روحيا فان كنت شيئا [illegible]لست سوى مادى . شاهدا ــ مشاهدا . ويلقى فلوبير جاش وسكون ويسـالة نظره ازدراء على "الحصـيره المتدحرجة العالية مستمعا فى غير امعان الثرثرة المتواضع عليها وهى لا تعدو ان تكون مونولوجه الداخلى فهو ليس اكثر من شاهد .

ومع ذلك فهو يعيش وليس بمقدوره سـوى ان يعيش وان تتشكل فى نفسه كل لحظة ودقيقة أفكار غامضة تكاد تكون حيوانيه [illegible]ن العبث محاولة العثور على منطق تحليلى فى تلك المعانى العميقة التى لاتكاد تبثق من الادراك والانفعال والحلم فهى مستترة ومنكمشة ولا تقبل التفكيك . ولا تشابه ايضا بين تلك الافـكار الغامضة وبين الافكار المتوارثة اذ تتكون بغير مشاركة مـن الكلام . انها أفكار «رخوة» ومائعة تجرى على سطح الحياة وعلى سطح المادة وكثيرا ماتتداخل كما يحدث فى الاحلام اذ يمكن أن نرى فيها الطبيعة بغير البشر لغياب الانسان عنها متقلص فى السلبية وفى الارادة على الغياب . وايا كان الحال تعبر تلك الافكار عن عزلة على اشد مستوى أى عزلة الدابة وهى التى سيثرى بها كتاب مدام بوفارى ثراء لامزيد عليه . ويعود **السبب** فى وجودهـا بشكل دقيق الى ما اتسم به طابع فلوبير من سلب وامتناع أى الى علاقته المعقدة بطبقته ، وهو من هذه الزاوية ينتج تلك الافكار بنفس الطريقـة التى يجعل بها من نفسه بورجوازيا مع رفضه أن يكون بورجوازيا ويتمخض عن هذا الجهاز المحصور فى السلبية الاطار الذى يؤهل تكاثر تلك الافكار على غير قاعدة وقانون ، فاذا تخطى جوستاف الافكار الجمعية المعادة والتفكك التحليلى فى عمل ذهنى يقوم به لتلاشت تلك الافكار او لفقدت رخوتها ولحل النظام محل حركتها ولادى استغلالها المنظم الى حرفها يجعل مسيرتها منتظمة الا ان الايدولوجية المعاصرة لاتقدم لفلوبير الاداة التى يطالب بها وهذا هو بيت القصيد ، فهو يحس فى شعور غامض بافتقاده الى مفهوم عملى عن التركيب (١٥) يجدها فى الخرافات ويرفضها ، يبحث عنها عبثا فى العقلانية العلمية ، وفى نهاية المطاف ينتهى بان الغباوة هى العقل بلا رأس وهى العملية الذهنية محرومة من وحدتها أو بمعنى آخر من قدرتها على التوحيد . ومن ذلك نرى أن الامتناعية عند فلوبير لا تعدو ان تكون وعيه الطبقى ممـا يتيح ازدياد الفكر المتوحش فيه ، الا ان تلك الفكرة المتوحشة من زاوية اخرى تفلت بمضمونها من التحديدات الاجتماعية . وليس مرد ذلك أنها تعلو الخصوصيات الاجتماعية الى مستوى انسانية شاملة اذ لا وجود لتلك الانسانية ، ولا يعبأ فلوبير بابتداعها وعلى العكس فتلك المعانى الغامضة تؤثر فينا تاثيرا عميقا بقدر تعبيرها فى الانسـان عن شمولية الحيوانية . ومع كل ، علينا أن ندقق فى الامور اذ ليست الحاجة أو قوة الجسد وشدته التى تنعكس فى تلك المعانى الغامضـة بل هى بالاحرى تعبير عن « مجرد الملل من الحياة» الذى يبدو على أنه من نصيب الحيوانات الاليفة على الاخص . ان هذا التكاثر على ماهو عليه وليد غياب يشكل عند فلوبير الصورة الوحيدة الممكنة من التلقـائية ولنحـترس من الظن انه نوع من الذاتية الفورية العنيدة فالموضوع موجود وحاضر فى كل المستويات وسانطلق على التزايد الخبيث الوعى الحيوانى للعالم .

الا أن هذا الموقف لايمكن أن يستمر فنرى فلوبير يتصرف فى الفترة بين ١٨٣٧ و ١٨٤٤ للهـروب والفكاك من وضعه . هنا يكمن السبب الاساسى لتلك الازمة الحادة التى تهزه طيلة سبع سنوات والتى كانت نهايتها كارثة بون ليفيك نهايتها .

(١٥) قارن ذكريات صفحة ١٠٧.



- « أجتماع بين الاصدقاء » فى نيودلهى
- الاسلام يحارب الطبقية والعنصرية
- تزايد وحدة القوى الثورية
- تطورات داخلية واجتماع لتبادل الخبرات
- السينما بين « الهمبكة » .. والفن الملتزم

■ الجمهورية العربية المتحدة

خطة عاجلة لمواجهة الموقف الاقتصادى

فى الشهر الماضى انتهت الوزارة من وضع خطة العمل الجديدة وعقدت اجتماعات حضرها الرئيس جمال عبد الناصر ونواب رئيس الجمهورية لدراسة تلك الخطة الجديدة وما تتناوله من ابعاد تتعلق بالموقف الاقتصادى والمالى للبلاد والصناعة والزراعة والتموين .

وفى تلك الاجتماعات درس تقرير اعده المهندس صدقى سليمان رئيس الوزراء يتضمن خطة عمل للوزارة : خطة قصيرة المدى وخطة طويلة المدى .

والخطة العاجلة تتناول معالجة الموقف الاقتصادى والمالى بوسيلتين :

الاولى : ان يظل الانفاق العام داخل حدود مرسومة .
والثانية : ان يجرى العمل على زيادة الانتاج باقصى طاقة ممكنة .

وقد تبين انه من الممكن زيادة الانتاج الصناعى فى السنة الجديدة مائة وعشرين مليون جنيه وزيادة الانتاج الزراعى خمسين مليون جنيه .

ولتحقيق ذلك من ناحية الانتاج الصناعى وضعت عدة اسس منها وضع اولويات للمشروعات يراعى فيها انجاز المشروعات التى قاربت الانتهاء وتشغيلها على الفور وحل مشكلة قطع الغيار فى بعض المصانع وتشغيل كل الطاقات فى الصناعة بما يستتبع ذلك من ربط الاجر والزيادة فيه بالانتاج وقيام المصانع بالعمل طول السنة بدلا من ٣٠٠ يوم فى العام وتنظيم علاقات السلطات الادارية بالمنظمات الشعبية والنقابية وتشجيع الحوافز والحد من القيود التى توضع تحت اسم الرقابة .

وبالنسبة لسياسة التصدير فان الوزارة رأت انه من المحتم ان تخدم الصناعة السوق المحلية خدمة كاملة مع الاهتمام

بالتصدير الى اقصى حد . وبناء على هذه النظرة تقرر مد جديد البيع بالتقسيط بالنسبة لاجهزة التليفزيونات والثلاجات وافران البوتاجاز والدراجات ، خصوصا بعد ان لوحظ ان طاقة المصانع المصرية تستطيع سد احتياجات الاستهلاك المحلي الى جانب التصدير ، فقد تبين ان هنالك رصيدا من اجهزة التليفزيون يبلغ ٢٠ الف جهاز ومن الثلاجات ٣٣٦١ ثلاجة ومن الغسالات ٥٨١٣ غسالة .

وبالنسبة للانتاج الزراعي فان الخمسين مليون جنيه المستهدف زيادتها للسنة الجديدة تعتمد على استزراع الاراضى التى تم استصلاحها .

ولقد تبع الخطة الجديدة لمواجهة الموقف الاقتصادى مراجعة الاستثمارات فى الميزانية الحالية وهى تبلغ ٣٦٥ مليون جنيه ، وهى الميزانية التى اقرها مجلس الامة فى دورته الماضية وايضا تحديد ميزانية للخدمات توضح الموارد والاستخدامات .

وستتم المراجعة وفقا للاولويات التى حددها مجلس الوزراء ووفقا للمبالغ التى خصصت من العملات الاجنبية لهذه الاستثمارات .

وسيراعى عند التغيير فى شكل الميزانيه ومراجعة الاستثمارات فيها الا تحدث تعديلات فيما اقره مجلس الامة اذ ان المجلس قد وافق على حدود قصوى للصرف على المشروعات المختلفة الواردة فى الميزانية وترك المرونة الكاملة للحكومة فى طريقة الصرف على هذه المشروعات طبقا للاولويات التى تراها مفيدة ومؤثرة فى الاقتصاد القومى .

ومن اهم المسائل التى درست فى اجتماعات الوزارة هى كيفية تعبئة كل الموارد المادية والانسانية لتحقيق اهداف مرحلة الانجاز الجديدة التى قدرت بثلاث سنوات لتنفيذ خطة سريعة كجزء من الخطة السبعية الشاملة .

وهذا يعنى بحث سير العمل فى وحدات الانتاج .

وقد بحث رئيس الوزراء مع قيادات الاتحاد الاشتراكى فى الجزء الذى يتصل بها كيفية تحقيق تلك التعبئة فى وحدات الانتاج .

ووضعت اسس لتحقيق هذا الهدف :

منها مثلا ان تكون القيادة فى العمل الانتاجى هى نفسها قيادة العمل السياسى فى المؤسسات والشركات لتلافى الحساسيات وما ينتج عنها من معوقات ومعنى ذلك ان يكون رئيس مجلس الادارة فى كل وحدة انتاجية هو قائد العمل السياسى فيها . وان يقوم الاتحاد الاشتراكى بالترشيح لمراكز القيادات المنتخبة فى وحدات الانتاج سواء على مستوى مجلس الادارة او لجان العشرين او اللجان النقابية .

وعملية تنظيم الحافز فى كل وحدة انتاجية تستتبع بالضرورة حصول كل وحدة انتاجية على نصيب محدد من الزيادة التى تحققها فى الانتاج ، وان تشكل فى كل وحدة لجنة خاصة تكون مهمتها تلقى المقترحات الجديدة فى موضوعات تتصل بتخفيض تكلفة الانتاج مثلا او الانتفاع بالمخلفات او زيادة الطاقة الانتاجية وان يكون من اختصاص هذه اللجنة ان توصى بصرف مكافآت سخية لاصحاب المقترحات المقبولة .

ولابد ايضا من وضع نظام يكفل ترقية المجدين ويساعد على اكتشاف قيادات جديدة . وايضا يتحتم اعادة النظر فى اوضاع اجهزة الرقابة التى بلغت حتى الان ستة عشر جهازا .

ومن المفهوم ان تلك الاسس يمكن ان تضاف الى قانون المؤسسات الذى صدر اخيرا ومن ثم يمكن ان يتحقق بالفعل اطلاق قوى الانتاج وتدعيم اهداف مرحلة الانجاز كما هو مأمول .

وفد القوى التقدمية السودانية

في يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٦ نظمت القوى التقدمية السودانية — حزب الشعب الديمقراطى والقوى الاشتراكية الديمقراطية واتحاد نقابات العمال ونقابة المحامين ومنظمات الطلاب الاشتراكيين والمعلمين الاشتراكيين وتنظيم وحدة المزارعين الاشتراكيين والموظفين الاشتراكيين — زحفا شعبيا سار فى مدينة الخرطوم وعطبره ومدنى وبور سودان والابيض اشترك فيه عشرات الالوف من ابناء السودان وفى مسيرة الخرطوم وحدها اشترك أكثر من ٨٠ الف سودانى .

وكانت شعارات الزحف — عاش الكفاح المشترك بين مصر والسودان — عاش جمال قائد النضال — عاش الشعب العربى المناضل جبهة قوية ضد الرجعية — يسقط حلف الملوك الخمسة — لاأحلاف باسم الدين — لاتضليل باسم الدين — يسقط الاخوان المسلمين . واتخذت المسيرة قرارا بارسال وفد يمثل القوى التقدمية فى السودان الى القاهرة لتأكيد العلاقات النضالية الوثيقة بين الشعبين المصرى والسودانى وللاسهام فى شعار وحدة القوى الثورية فى العالم العربى وللاتصال بالاتحاد الاشتراكى العربى لدراسة السبل لفتح آفاق النضال المشترك بين القوى الثورية فى مصر والسودان ولمقابلة القائد جمال عبد الناصر والتعرف على منجزات تجربة التطبيق الاشتراكى فى مصر .

وفى النصف الاول من الشهر الماضى ، كان وفد القوى التقدمية السودانية ضيفا على الاتحاد الاشتراكى العربى — وقام الوفد بزيارات عديدة للمشروعات الانتاجية الكبرى وشاهد واقع التغيرات الاجتماعية التى تحدث فى البلاد — والتقى الوفد قبل ختام زيارته بالرئيس جمال عبد الناصر لمدة ساعة ونصف .

وفى ختام الزيارة اذاع الوفد بيانا من زيارته للجمهورية العربية المتحدة — اعلن فيه — أنه خلال مقابلته للرئيس جمال عبد الناصر وللمسئولين فى القاهرة استطاع أن يتعرف على تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى واساليبه فى العمل السياسى والتنظيمى والتثقيفى ، كما تعرف على دور الاتحاد الاشتراكى البناء فى عملية التحول الاشتراكى . وادان الوفد فى بيانه محاولات الرجعيه العربيه لتصفية قضية فلسطين ولاقامه صلح مع اسرائيل — كما أعلن البيان ان وفد القوى التقدميه السودانية يرى أن حركة الاخوان المسلمين قد وضعت نفسها فى خدمة الحلف الاسلامى كما أنها أصبحت اليوم احدى الادوات الرئيسية للاستعمار والرجعية فى العالم العربى ، واكد الوفد ان تصفية هذه الحركة تعتبر من المهمات الرئيسية للقوى الثورية والتحررية العربية .

واعلن الوفد تأييده الكامل للدعوة القائمة لوحدة القوى الثورية فى العالم العربى بوصفها حجر الزاوية فى صد واحباط مؤامرات الاستعمار وعملائه من الرجعيين فى المنطقة العربيه — ولقد اعلن الوفد — ان الرجعية فى العالم العربى تتحرك وتجمع صفوفها بعد ان أفزعها اتساع قاعدة العمل العربى الثورى الذى تقف فى طليعته الجمهورية العربية المتحدة مما يستوجب على جميع القوى التحررية والثورية أن تتجمع فى جبهة قوية متماسكة لتحرير الوطن العربى من الاستعمار والعصابة الصهيونية ومن جميع النظم العميلة المعادية للاشتراكية والتقدم . ودعا الوفد جميع الشعوب العربية للوقوف مع الشعب السورى الشقيق ضد المؤامرات الاستعمارية والصهيونية والسعودية الاردنية التى تريد وقف عملية التقدم العربى .

لقد كانت زيارة وفد القوى التقدمية السودانية للجمهورية العربية المتحدة خطوة هامة فى توحيد القوى الثورية فى العالم

العربى — ولقد عبر عن ذلك السيد **على عبد الرحمن** رئيس حزب الشعب الديمقراطى فى كلمة أدلى بها الى مندوب الطليعة جاء فيها :

« الاستعمار والقوى الرجعية والصهيونية متحالفة فى جبهة متحدة على مستوى الوطن العربى الكبير — تحيط بالحركات الثورية وتحاول تصفيتها فاذا تصدى كل بلد عربى لمقاومة هذه القوى متجمعة فان العناصر التقدمية تلاقى مشقة وجهدا ومع أنها لا بد أن تنتصر فى النهاية الا أن المعركة غير متكافئة وسيكون الطريق طويلا وشاقا والصراع عنيفا ومؤلما لذلك لابد ان تتكتل القوى التقدمية فى كل الوطن العربى فى تنظيم مشترك توحد اهدافها وتتحد فى اسلوبها وتقابل هذه التحديات وحدة متماسكة ويدا متشابكة وهذا مادعى بالقوى التقدمية فى السودان ان تتجمع وان تبعث بهذا الوفد لايجاد صلة مبدئية مع الاتحاد الاشتراكى باعتباره التنظيم الشعبى الرائد » .

« ودور السودان فى هذه المواقف دور رئيسى فان موقعه يجعله فى مركز استراتيجى هام فهو كالقنطـرة التى تعبر عنها الافكار التحررية والمبادىء الحرة الى قلب افريقيا والى شرقها وغربها كما أنه من وجهة نظر المستعمرين الجسر الذى يريدون منه ايقاف هذه التيارات حتى لاتنحدر الى قلب القارة — فنحن فى السودان بمثابة الحراس على هذا الجسر لنفسح الطريق لاشعة النور وطلائع الثورة لتتغلغل فى احشاء القارة وواجبنا تجاه التخطيط الاستعمارى ان نهدم مايريدون بناءه من السور الذى يخلق عقبة امام التيارات الحرة .

« وهانحن نقوم بواجب يتناسب مع هذه الظروف التى تحيط بالوطن العربى ففى الوقت الذى تعلن فيه تونس قطع العلاقات مع مركز الاشعاع وقاعدة النضال العربى وفى الوقت الذى يستغل فيه الدين لحبك المؤامرات ضد هذه القلعة وفى الوقت الذى تتحالف فيه القوى الاستعمارية فى العالم الاسلامى فى ايران وفى تركيا وفى الاردن وفى تونس وفى السعودية تتحرك القوى التقدمية وطلائع الثورة الاشتراكية فى السودان باعلانها الوقوف بصلابة مع جميع القوى التقدمية فى المنطقة وعلى الاخص مع الجمهورية العربية المتحدة حاملة اللواء » .

الاسلام يحارب الطبقية والعنصرية

فى الحادى عشر من اكتوبر اعلن مؤتمر علماء المسلمين توصيات الفترة الاولى من دورة انعقاده الثالثة . وانطلقت صحف السعودية تزعم ان هذه القرارات تؤيد دعوة الملك فيصل للتضامن الاسلامى والحلف الاسلامى واعمال المؤتمر والمناقشات التى جرت فى جلساته ، وكلمات رؤساء وفوده ونتائج اجتماعاته ليس فيها من قريب او من بعيد مايؤيد دعوة الملك فيصل . ففى كلمة **الشيخ على عبد الرحمن** رئيس حزب الشعب الديمقراطى بالسودان ، قال «ان الاسلام بطبيعته حلف شرعى اصيل من صنع الله يوحد بين جميع المسلمين ، ولايحتاج الى اى حلف سياسى دخيل ، كما انه دين اشتراكى يحارب الطبقية والعنصرية ولايسمح بقيام طبقة تستغل الناس وطبقة اخرى تستغلها الطبقة الاولى ، وان حملة الرئيس جمال عبد الناصر ضد الاستعمار حملة اسلامية صحيحة تستوجب تاييد جميع المسلمين» .

وقال مفتى طرسوس فى سورية «لا اتصور ان تدعو دولة تسير فى ركاب الاستعمار الى حلف اسلامى ، والحقيقة انها دعوة الى تفرقة المسلمين لا الى تعاونهم » . وقال الشيخ **نجم الدين الواعظ** مفتى العراق ورئيس وفد بلاده «ينبغى ان يحارب الاسلام هذا الحلف » وعلق الشيخ **ضياء الدين خان** مفتى آسيا الوسطى ورئيس وفد الاتحاد السوفيتى على الحلف بقوله ان الاسلام ليس فى حاجة الى حلف اسلامى يخدم السياسة الاستعمارية . وقال السيد تمانو رئيس وفد الفلبين اننى ارى ان السياسة تساعد الاسلام وليس الاسلام هو الذى يخدم السياسة ، وهذا الحلف فى رايى ، مخالف لما يجب ان يكون عليه الدين الاسلامى وتلا الشيخ **حسن مامون** شيخ الجامع الازهر قرارات مجمع البحوث فى ٢٣ مارس الماضى والتى جاء فيها :

اولا : يستنكر مجمع البحوث الاسلامية ماتنطوى عليه الدعوة لهذا الحلف من فكرة سياسية واستعمارية ويدعو الدول الاسلامية الى ان تاخذ حذرها من خداع اساليب السياسة الاستعمارية .

ثانيا : يؤيد المجلس البيان الذى اصدره شيخ الازهر بشان هذا الحلف ويعتبره معبرا عن موقف المجمع من الدعوة له (كان شيخ الازهر قد اصدر بيانا بادانته) .

اما قرارات المؤتمر فقد جاء بها فى الفقرة الخاصة بفلسطين والتى نص فيها على ان العمل الجدى الدائب على انقاذ فلسطين من ايدى الصهيونية فرض على كل مسلم ، جاء فيها ان المؤتمر يحذر من الذين يتعاملون مع اولئك الذين يظاهرون اسرائيل فى تشريدهم للعرب ، وعلاقة السعودية وحسين وبورقيبة ابطال الحلف الاسلامى لاتخفى بامريكا وانجلترا ، وتهليل اسرائيل للحلف ليس بدون مقابل .

وليس ادل على سخف الصحف السعودية ، التى كانت قد هاجمت المؤتمر فى اول انعقاده ، وزيف دعواها بان المؤتمر يؤيد ماتنادى به ، من تلك الكلمات التى عبرت بها وفود كثيرة عن رايها فى البيان الاجتماعى للدول المسلمة ، والتى تعد هجوما مباشرا على النظام القائم فى السعودية وانصاره من الرجعيين والعملاء . فقد قال الشيخ سوار الذهب قاضى قضاة السودان السابق وعضو المؤتمر «ان الاصل هو ان الارض كلها لله خلقها لينتفع بها الناس وينتفعون بخيراتها ، ومن غرس الارض فهو اولى بالانتفاع بثمرته . اما الاقطاعى المستغل فلا يجوز له احتكار الارض ليشقى فيها غيره دون ان يعطيه مايكفى احتياجاته» . وذكر رئيس وفد الهند ، ان تحديد الملكية كان امرا لابد منه شرعا لكرامة المواطن المسلم وغير المسلم . وصرح رئيس وفد جزر القمر فى تنزانيا بان تحديد الملكية المستغلة يعد من اكبر المشروعات الاشتراكية الاسلامية . وقال عميد كلية الشريعة فى الهند ، ان تحديد الملكية جائز شرعا اذا سلك صاحب المال مسلكا يؤدى الى الاستغلال ويجب على ولى الامر ان ينقل ماله الى الملكية العامة ليمنع الضرر .

وقالت قرارات المؤتمر ان على الحكومات الاسلامية ان تعمل على توجيه الحياة العامة والخاصة وجهة اسلامية صحيحة ، وعليها ايضا تهيئة اسباب التقدم الفردى والاجتماعى والسياسى ، وهذا يتفق وماتقوم به الجمهورية العربية ، التى استهدفت فى اعمالها كما قال **حسين الشافعى** «ان تلبى الاحتياجات الاولية الانسانية التى تضمن لكل فرد ان يعيش حرا كريما آمنا وهى المقومات الاساسية فى الدين ، وقد عنيت الدولة باقامة نظام يمتنع فيه اى نوع من الاستغلال وصقلت المعاملات الزراعية والتجارية والانتاج الصناعى فى قالب صفيت منه عوامل التحكم والتسلط والطرد والفصل التعسفى والغش وحل محلها الانتاج الوفير وشرف التعامل وحرية العلم وحق العمل وحرية النقد وحماية الكلمة المكتوبة» .

والمعرف ان هذا المؤتمر يعقد سنويا بمبادرة المجلس الاعلى للبحوث الاسلامية ، اعلى هيئة دينية فى البلاد بمقتضى قانون تطوير الازهر . وقد عقد المؤتمر الاول فى مارس ١٩٦٤ وقدم فيه ١٩ بحثا اهمها بحوث من الملكية الفردية فى الاسلام ، والعلاقات الدولية ، والموارد المالية فى الاسلام ، وحق الفقراء فى اموال الاغنياء وشهده ٨٥ عالما يمثلون ٤٠ دولة .

اما المؤتمر الثانى فقد عقد فى مايو ١٩٦٥ وحضره ثمانون عالما جاءوا من ٢٨بلدا، وطرحت فيه قضية فلسطين، المعاملات المصرفية . اما المؤتمر الحالى فيحضره ٨١ عالما يمثلون ٢٨ بلدا ، وتستغرق مدة انعقاده شهرا ، تتم على فترتين . وخلاله زارت الوفود غزة والتقت بمنتفعى الاصلاح الزراعى وشاهدت النهضةالتى حققتهاالجمهورية العربيةالمتحدة.وفىخلال الدورة الاولى بحثت مسائل دينية على جانب كبير من الاهمية وقد صرح الشيخ حسن مامون ، شيخ الازهر ان واجب المسلمين «ان يمسحوا الارض الاسلامية مسحا دقيقا يطهرها من كل دخيل غاصب او عميل مسلط وعلى علماء المسلمين توعية اخوانهم فى الدين حتى يكون الجميع على بصيرة من راى الاسلام فى كل تكتل ظاهره اسلام وباطنه استسلام » .

●

تطهير القطاع العام

لجنة تصفية الاقطاع على ابواب مرحلة جديدة من عملها .. ففى الشهور الماضية كانت مهمة اللجنة هى تصفية مراكز الاقطاع والاقطاعيين على نطاق الجمهورية كلها ببحث الحالات التى تقدم اليها دون ترتيب معين بعد ان واجهت اللجنة سيلا من الشكاوى والتقارير من المواطنين والجهات المسئولة عن مراكز اقطاعية اخذت اللجنة تحققها دون اعتبار للمناطق التى صدرت منها .

واصدرت اللجنة قراراتها بتصفية ما يقرب من ثلاثمائة مركز اقطاعى فى الريف منذ تشكيلها حتى الان ، واضطرت ظروف العمل وكثرة الحالات التى تواجهها الى تقسيم نشاطها فى الفترة الاخيرة حسب المحافظات .

فمنذ جلسة ٤ اكتوبر الماضى تقرر بحث حالات الاقطاع وتهريب الارض فى كل محافظة ـ على حدة بحيث تنتهى اللجنة من بحث حالة كل محافظة مرة واحدة . وكان من المفروض ان تنتهى اللجنة فى الشهر الماضى من تنفيذ تلك الخطة لكن يبدو ان كثرة العمل وتشعب الحالات قد جعلت تحقيق ذلك امرا متعذرا ويرجح ان يتأخر اسابيع قليلة .

وبانتهاء اللجنة من اتخاذ قرارات بالنسبة للاقطاع فى المحافظات المختلفة يرجح انها ستبدأ فى نفس الشهر فى بدء مهمتها الجديدة **وهى دراسة الانحرافات الموجودة فى القطاع العام واتخاذ الاجراءات اللازمة لتطهيره من المنحرفين واتخاذ اية اجراءات ملائمة تجاههم .**

ويعكف **المشير عبد الحكيم عامر** النائب الاول لرئيس الجمهورية ورئيس لجنة تصفية الاقطاع على وضع مجموع القواعد التى تسترشد اللجنة بها فى المرحلة الجديدة من عملها . وهى مرحلة تختلف بطبيعة الحال عن المرحلة السابقة .

فالعمل فى القطاع العام له تشابكات وعلاقات عديدة مع جهات مختلفة من اهمها القطاع الخاص . وقد تبين مما نشرته الصحف فى السنوات الاخيرة ومما صدر على السنة المسئولين ان تلك العلاقات بين بعض العاملين فى القطاع العام وبين رأسماليين النشاط الخاص يكتنفها الانحراف الذى اضر فى جميع الاحوال بمصالح الشعب وبسمعة القطاع العام نفسه .



● عبد الحكيم عامر

لذلك فان عمل لجنة تصفية الاقطاع فى المرحلة القادمة سيشمل دائرة اوسع وستكون له آثار بعيدة المدى بين الرأى العام والعاملين من حيث التوعية والاحساس بالمسئولية والدفع بعجلة الانتاج الى الامام فى مرحلة تعبأ فيها كل القوى المادية والبشرية والمعنوية لتنفيذ خطة التنمية .

ومن القواعد التى اتفق عليها ان الوزراء الذين تقع فى اختصاصاتهم مجالات عمل اى مسئول فى القطاع العام يجرى بحث امره ، سوف يحضرون اجتماعات اللجنة للاسترشاد بوجهة نظرهم ، كما ان هناك اتجاها الى سماع آراء بعض الخبراء اذا اقتضت الضرورة ذلك بغية توفير حد اقصى من الضمان وهو الامر الذى حرصت اللجنة عليه باستمرار .

وسيكون امام اللجنة ـ التقارير التى اعدتها ثلاث لجان وزارية لمناقشة مشاكل القطاع العام التى تتمثل فى مشاكل الادارة والشئون المالية ومشاكل الرقابة للاستفادة بهما فى دراسة الحالات المعروضة .

وكانت لجنة تصفية الاقطاع قد شكلت فى اعقاب التحدى الاقطاعى من عائلة الفقى فى كمشيش الذى تمثل فى اغتيال الشهيد صلاح حسين الذى حمل لواء النضال باسم الاتحاد الاشتراكى ضد استغلال ونفوذ تلك العائلة فى قريته .

وفتحت تلك الحادثة الاذهان على خطورة النفوذ الاقطاعى فى الريف وحجبه للثورة عن ان تصل بكل فعاليتها الى ملايين الفلاحين واحتمالات تجرؤه على اتخاذ اجراءات تعتبر مهما صغر حجمها من اعمال الثورة المضادة او على الاقل من ارهاصاتها .

وقد عمدت اللجنة الى اتخاذ معايير موضوعية واجراءات تحقيقات دقيقة وبعثت بالرسل والمندوبين لتقصى الحقائق على الطبيعة . كما المت اللجنة بأطراف النفوذ الاقطاعى كله لتحاصرها ، فلم يعد الامر فى نظرها مجرد عمليات تهريب للارض بل امتد الى ما يسمى بالاقطاع الاجرامى الذى يعنى ارهاب الفلاحين وتعذيبهم والتنكيل بهم وبمن يتصدى للدفاع عن مصالحهم مثل حالة ذلك الاقطاعى الذى دفن محاميا مدافعا عن الفلاحين فى مقبرة وهو حى ، ومثل ذلك الارهابى الذى امتد

ارهابه للفلاحين حتى التسلط على ذوى قرباه ومنهم اسرة زوجته وهكذا ..

وطهرت اللجنة كثيرا من القرى من ادوات النفوذ الاقطاعى من المنحرفين سواء من رجال الادارة والعمد واعضاء الجمعيات التعاونية ولجان الاتحاد الاشتراكى العربى .

وقد كانت قرارات اللجنة بابعاد الاقطاعيين الذين اتخذت ضدهم اجراءات فرض الحراسة عملية حكيمة جدا لتأكيد اثر تلك القرارات فى اجتثاث نفوذ تلك العائلات من جذوره . فقد اثبتت الخبرة ان وجود هذه العناصر بما لها من تاريخ طويل وخبرة وعلاقات متشابكة فى الريف يمكنها من افساد اثر اية قرارات ثورية بل وافساد اقسام متخلفة من الفلاحين انفسهم .

وقدصدرقرار انتقال نشاط لجنةتصفيةالاقطاع الى القطاع العام فى شهر اغسطس الماضى عندما اثار بعض المندوبين فى مؤتمر المبعوثين الذى كان منعقدا حينذاك الموضوع فأعلن المناضل جمال عبد الناصر ان اللجنة ستتجه الى القطاع العام بعد فراغها من مهمتها الاولى وهى تصفية الاقطاع .

ومن المعروف ان مجال نشاط اللجنة الجديد فى القطاع العام لايعنى انتهاء مهمتهافيما يتعلق بقضايا تهريب الارض والاجرام فى المحافظات وانما يعنى ان ما لدى اللجنة فى الوقت الحاضر من حالات قد تم استيفاؤها . ولكنها مستعدة بنص قرار تكليفها الذى جعل منها لجنة دائمة الى العودة لبحث اية حالات اقطاعية اذا تلقت فيها ما يستحق البحث خصوصا انه من المتوقع ان تنتهى اللجنة من عملها فى القطاع العام خلال شهرين . ويعكف الجهاز الادارى للجنة تصفية الاقطاع الان باشراف عبد المجيد شديد السكرتير العام للجنة على اعداد الوثائق والاجراءات اللازمة لبدء مهمتها الثورية الجديدة .

●

مؤتمر التنمية الاجتماعية وتوطين البدو

ظلت الصحارى المصرية زمنا طويلا منعزلة عن التطور الاقتصادى والاجتماعى الحادث بالوادى رغم انها تشكل ٩٧ ٪ من اراضى ج . ع . م وقد حالت طبيعتها القاسية ومساحتها المترامية وجفافها بينها وبين ان تمتد اليها يد التغيير . ولكن كان طبيعيا ان تمتد يد الثورة الى تلك المناطق الاكثر معاناة للحرمان والتخلف فى نفس الوقت الذى تشكل فيه المنطلق الطبيعى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للتوسع السكانى فى البلاد بما تؤكده احتمالات المستقبل من وجود ثروات طبيعية هائلة مدفونة فى باطنها علاوة على امكانيات استصلاح الصحراء نفسها .

وقد دخل الحكم المحلى تلك الصحراوات : الصحراء الغربية والشرقية وسيناء منذ عام ١٩٦١ بعد ان كانت تلك المناطق التى عزلها الانجليز تابعة لسلاح الحدود تماما ما عدا سيناء التى ظلت تابعة للسلاح لمتاخمة حدودها لاسرائيل .

وقد قام الحكم المحلى بنشاطات كبيرة لتطوير الحياة فى تلك المناطق ، كما قامت مؤسسات عامة بنفس المهمة مثل مؤسسة تعمير الصحارى فى الصحراء الغربية والوادى الجديد وسيناء والتى يقع على عاتقها عبء التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها . وتتلخص كل خطط العمل فى تطوير الصحراء فى الوصول الى توطين البدو واستقرارهم فى شبه قرى صحراوية . ويبلغ عدد البدو حسب آخر احصاء حوالى ٣٥١ الف نسمة من بينهم مائة الف من البدو الرحل الذين يعتمدون على المرعى ويهيمون فى الصحراء من مكان لاخر وراء العشب والمياه .. ويقيم هذا العدد الضئيل فى ٩٧ ٪ من مساحة الجمهورية كلها .

وفى الشهر الماضى انعقد اول مؤتمر من نوعه فى الجمهورية العربية المتحدة «مؤتمر التنمية الاجتماعية للبيئات الصحراوية» الذى دعت اليه وزارة الشئون الاجتماعية . وعقد فى مرسى مطروح ما بين ١٤ و ١٨ اكتوبر وحضره د . احمد خليفة وزير الشئون ومحافظو المحافظات الصحراوية والمسئولون فى مؤسسة تعمير الصحارى واعضاء مجلس الامة والمكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكى وعدد من الخبراء واساتذة الجامعات المهتمين بالصحراء والذين ساهموا بأبحاث هامة فى المؤتمر مثل : النباتات الصحراوية المصرية واهميتها فى التنمية الاقتصادية للدكتورين كمال البتانونى وزكريا فؤاد .

والمقومات الاقتصادية للتنمية الزراعية فى المجتمعات الصحراوية للدكتور زكى محمود شبانه . وابحاث اخرى من التعاون واستزراع الصحراء والتعليم للدكاترة محمد محيى الدين نصرت وعثمان الخولى وابراهيم عصمت مطاوع .

وقد تبين من مناقشات المؤتمر ودراساته ان سكان الصحراء فى مصر يعمل منهم ٢٦ ٪ فى الزراعة والصيد و٧ ٪ فى المناجم والمحاجر والصناعات التحويلية و ٤ر٨ ٪ فى مرافق الخدمات و ٤ر٢ ٪ فى التجارة . والباقون اى النسبة الكبرى لايعملون ولا يبحثون عن عمل .. سوى هيمان بعضهم فى الصحراء وراء العشب .. ويتركز النشاط الزراعى بالذات فى الصحراء الغربية وخاصة فى الوادى الجديد ومطروح بينما لا توجد زراعة من اى نوع فى الصحراء الشرقية حيث تتركز المحاجر والمناجم . وفى سيناء توجد بعض المشاريع الزراعية المحدودة المتوقع توسعها بعد تنفيذ مشروع مؤسسة الصحارى بتوصيل مياه النيل الى الصحراء فى مواسير تحت قناة السويس .

ونسبة الامية مرتفعة فى الصحراء اذ تبلغ ٢ر٧٢ ٪ من السكان الذين جمعت عنهم معلومات تفصيلية و ١ر٣ ٪ فقط يحملون مؤهلات من الاعدادية الى ما فوق .

واغلب المقيمين فى محافظة البحر الاحمر (٦ر٥٨ ٪) من الوافدين اليها بينما ٦٦ ٪ من سكان الصحراء الغربية من مواليد نفس المنطقة .

وفى هذه المساحة الهائلة من ارض الجمهورية (١٥٠ مليون فدان) يوجد فقط ٧٩ الف فدان يزرع اقل من نصفها بمحاصيل وخضر و ١٣ ٪ اشجار فاكهة و ٤١ ٪ مراعى .

ويمتلك هذه المساحة من الارض ٨٦٠٠ مالك فقط من بين الثلث مليون الذين يعيشون فى الصحراء .

واهم ثروات الصحراء فى الحقيقة هى قطعان الاغنام . ففى عام ١٩٦١ كان فى الجمهورية كلها مليون وستمائة الف رأس منها ٤٥٠ الف رأس فى الصحراء فقط ! . كما يوجد ١٢ الف جمل وثلاثين الف بقرة معظمها فى الوادى الجديد ومطروح .

ومنذ ست سنوات تبذل الجهود لزيادة الرقعة الزراعية فى الصحراء .. وحتى الان امكن استصلاح مساحة توازى تقريبا مساحة الارض الموجودة اصلا تكلفت حوالى ٣٢ مليون جنيه منها ١٥ مليون جنيه للوادى الجديد وحده الذى لم يستصلح فيه الا حوالى ٢٢ الف فدان استصلاحا كاملا .

وقد اوشك العمل على الانتهاء من تنفيذ مشروع كبير لاستصلاح ٨٠ الف فدان — مشروع كنج مريوط — ويجرى العمل الان فى مشروع جديد يعمل فيه عدد من الخبراء السوفيت يقضى بشق ترعة تنقل مياه النيل والصرف تصل الى الضبعة على بعد ١٤٠ كيلو غرب الاسكندرية لرى خمسين الف فدان ريا متوسطا يمكن من زراعة الشعير والخضروات بانتظام كل عام بدلا من الاعتماد على مياه الامطار غير المضمونة . وفى

الواقع تشكل حاليا فى المناطق الصحراوية التى تستصلح على مياه النيل مجتمعات جديدة اقرب ما تكون الى البيئة الاصلية على ضفاف النيل ولا تختلف عنها الا فى انها بيئة جديدة ومجتمع جديد مما يتيح فرصة رسم السياسة اللازمة لتوطين سكانها وكذلك تخطيط اساليب التنمية الاخرى اللازمة على اسس واضحة تتميز بعنصر الثبات والاستقرار الذى يتميز به هذا المجتمع حيث تقام الان ثلاثة انواع من مراكز الاستقرار والخدمة وهى القرى الحديثة والقرى المركزية والمراكز الرئيسية ، ويصبح من الممكن توزيع الخدمات على المستويات الثلاثة وفقا للحاجة .

ولكن المشكلة الحقيقية هى فى تنمية المجتمعات الصحراوية فى المناطق التى تعتمد على المطر اى مجتمعات البداوة التى ليس لها مصدر ثابت للعيش فالناس فيها اما يزرعون الشعير اذا سقط المطر او يرعون الغنم فى مناطق الاعشاب وفى هذه المجتمعات تسود العلاقات القبلية ويضعف الشعور بالانتماء لغير الصحراء سواء كانت فى مصر او ليبيا او السودان .

وهذا يستتبع خلق مراكز انتاج وخدمات فى تلك المناطق لجذب تجمعات البدو حولها واستقرارها . « فليس البدو براغبين فى الحل والترحال من اجل الحل والترحال » على حد تعبير **فؤاد الهداوى محافظ الصحراء الغربية .**

وقد قدم الحكم المحلى فى تلك المحافظات خدمات كبيرة .

فمثلا فى محافظة مطروح ارتفع عدد التلاميذ فى التعليم الابتدائى من ٦٧١٨ عام ٦١/٦٢ الى ١١٥٦٥ عام ٦٥/٦٦ وعدد تلاميذ الثانوى من ٦٥ تلميذا فقط الى ٢٩٨ فى نفس الفترة .

وفى البحر الاحمر ارتفع العدد من ٣٤٨٩ الى ٥٦٣٤ فى التعليم الابتدائى والثانوى من ١٥٩ الى ٥١٥ .

وبالنسبة للخدمات الطبية شهدت الصحراء لاول مرة الوحدات الصحية فى ارجائها : ٢٥ وحدة فى مطروح و ٢٨ وحدة فى سيناء .

وبعد ان كان لكل ٢١ الف من السكان فى الصحراء الغربية طبيب واحد .. اصبح لكل ثلاثة الاف .

ولكن اذا كانت الخدمات قد تقدمت فى الصحراء فان تطور اقامة المراكز الاقتصادية للانتاج لا يتوازى مع التقدم فى تلك الناحية ، وهذا يشكل عقبة كبيرة فى تحقيق استقرار البدو فى تجمعات قروية .

وأكثر المناطق التى تحقق فيها تغير اجتماعى هى الوادى الجديد الذى كان يمثل منطقة « طرد للسكان » الذين كانوا يهاجرون الى الوادى فأصبح لا يجتذب سكانه الاصليين فقط بل تهجر اليه عائلات من الوادى فى مناطق التمليك الجديدة .

ومن ناحية اخرى أمكن فى الصحراء الغربية جذب آلاف من البدو للاستقرار حول آبار المياه بعد ان زودوا بمراوح (١٠٤٦ مروحة) ترفع المياه وبعد تزويدهم بعلف لرؤوس الاغنام يكفى بعض شهور الجفاف ومعونة من الاطعمة تساهم بها هيئة الاغذية بالامم المتحدة . ولكن هذا وحده لا يكفى لتحقيق تنمية انتاجية او اجتماعية فى الصحراء الغربية التى يتركز فيها اكبر عدد من سكان الصحراء (١٢٠ الف) .

ويمكن التخلص من ذلك المأزق بالاعتماد اساسا على تنمية موارد الثروة الحيوانية فى تلك المناطق حيث يتركز نصف مليون رأس من الاغنام تمثل ثروة لا تقل عن ثمانية ملايين من الجنيهات يمكن ان تقوم على اساسها نشاطات اقتصادية هامة مثل تربية اللحوم وجز الاصواف واقامة صناعات نسيج صوفية كبيرة وصغيرة بيئية .

ومثل تلك النشاطات يمكن ان تلعب دورا لا فى استقرار البدو فقط حول صناعات ترفع مستواهم المادى فحسب بل تفتت الروح القبلية المتخلفة والمسيطرة الى حد كبير على مقدرات وسلوك الاعراب هناك . ولهذا اشاد **د . خليفة وزير الشئون الاجتماعية فى خطابه فى المؤتمر عندما تحدث عن اهمية الصناعة فى تطوير الحياة الصحراوية تكمن فى انها تترك طابعا عقليا وشخصية جديدة فى الفرد كما ان تحويل المادة الخام عن طريق الصناعات البيئية كفيل بخلق العقلية الصناعية فى الانسان البدوى .**

ومن ناحية اخرى ان اقامة مثل تلك الصناعات تخفف الى حد كبير من نشاطات التهريب الواسعة سواء تهريب المخدرات فى الصحراء الشرقية او تهريب الاغنام الى ليبيا مقابل السلع الكمالية المهربة التى تقدر بستة ملايين جنيه تتسرب كل عام من الاقتصاد المصرى .

وكان على مؤتمر التنمية الاجتماعية للبيئات الصحراوية ان يبحث كل تلك المشاكل ومشاكل العاملين فى الصحراء ايضا مستعينا بسبعة عشر بحثا قدمتها الجهات المختلفة والخبراء ، من بينها بحث عن خبرة الاتحاد السوفيتى فى حل مشكلة البدو الرحل فى المناطق النائية هناك . وكان على المؤتمر ان يصدر التوصيات بشأنها .

ومن اهم التوصيات التى اصدرها المؤتمر تشكيل هيئة عليا لتنمية الصحراء وضرورة التخلص من كثير من القيود والروتين الادارية لمعالجة مشاكل الصحراء .

ومن اهم النقاط التى أكد عليها المؤتمر هى مسألة اختيار العاملين فى المناطق الصحراوية اذ لوحظ انها مجال للمغضوب عليهم او غير الاكفاء بينما ان الواجب هو اختيار من لهم خبرة وكفاءة فى العمل الاجتماعى حتى تكون **لتلك العناصر القدرة على البت فى الامور والمبادرة والابتكار نظرا لصعوبة الرجوع الى الجهات المسئولة فى كل امر .**

وذلك يستتبع تسهيل معيشة رواد الصحراء هؤلاء وتشجيع الحوافز لديهم والغاء الفروق المصطنعة الموجودة بين العاملين لاختلاف المؤسسات او الوزارات التابعين لها .

واخذ المؤتمر باقتراح محافظ مطروح بأن تتبع ذلك المؤتمر العام مؤتمرات محلية اقليمية فى كل **محافظة لايجاد حلول ذاتية بالاعتماد على اوسع قاعدة شعبية ممكنة لتنفيذ التوصيات والقرارات التى اتخذت .**

●

■ سوريا

تزايد وحدة القوى الثورية

فضحت

اعترافات العقيد السورى **طلال ابو عسلى** التى حملها رسول من القاهرة الى دمشق ، تعاون الرجعية العربية فى الاردن والسعودية مع الاستعمار والصهيونية .

وقد قسمت الادوار بين المتآمرين ، بحيث تقوم اسرائيل بحشد قواتها على الحدود السورية ، وتقوم امريكا باستعراض للقوة بأسطولها السادس ، وتعمل الرجعية الاردنية على استغلال فرصة انشغال سوريا فى معركتها مع اسرائيل للتحرك ضد سوريا ، اما الرجعية السعودية فتحدد دورها فى التمويل السخى للمتآمرين ، الذى صرح **الدكتور يوسف زعين** رئيس الوزراء السورى ، بأن الولايات المتحدة الامريكية والسعودية قد خصصتا له مبلغ ٢٥٠ مليون دولار

وبالرغم من الكشف الواضح لدور الاردن في الضلوع بهذه المؤامرة ، لاحظ المراقبون العسكريون زيادة حركة الحشود الاردنية على الحدود السورية ، كما وصل الى عمان اخيرا ، الكولونيل البريطاني برومييدج الذى كان يقود الجيش السعودى ، واقرب مساعدى الجنرال جلوب الذى طرد من الاردن منذ ٩ سنوات ، وبدأ يمارس صلاحيات واسعة لفتت انظار الدوائر الدبلوماسية في عمان . وقد لاحظت هذه الدوائر ان رجال المخابرات الاجنبية يتدفقون على عمان حاليا ، بصورة تؤكد بشكل قاطع استمرار العمل التآمرى الاردني ضد الجمهورية السورية . اما في اسرائيل ، فقد ارتفعت اصوات كثيرة داخل الحكومة وخارجها ، تدعو الى تطبيق « فلسفة **بن جوريون** » التى تدعو « للحرب الوقائية » . وقد اعلن **سيمون بيريز** النائب السابق لوزير الدفاع الاسرائيلى فى اجتماع عام : « ان الهدوء لن يعود الى منطقة خط الهدنة بين سوريا واسرائيل ، الا اذا سددت اسرائيل ضربة قوية بالقدر الكافى لاقناع السوريين بأنه لا جدوى من « اثارتنا » ؟ وقد لفت نبأ اكتشاف اسلحة مهربة من الاردن الى العراق ، انظار المراقبين الى ان العراق ليس بعيدا ايضا عن اهداف المتآمرين . وان المؤامرة التى تحاول الرجعية العربية تنفيذها فى الشرق الاوسط بالتعاون مع الاستعمار والصهيونية ؛ لا تستهدف ضرب سوريا فحسب ، وانما هى موجهة ضد كل الانظمة العربية المتحررة ».

والحقيقة التى يلاحظ المراقبون السياسيون اضطرادها بجلاء ، هى ان المحاولات المتزايدة للضغط والتآمر الرجعى الاستعمارى على الجمهورية السورية ، انما تؤدى بشكل متتالى الى مزيد من تعبئة القوى الوطنية والشعبية لا داخل سوريا فحسب ، وانما داخل الدول العربية المتحررة . وقد تشكلت فى سوريا لجان دفاع شعبية للتصدى للمؤامرات » وقد اوضح السيد **خالد الجندى** رئيس اتحاد عمال سوريا ، « ان القوة المتآمرة ستواجه بالقوة فى كل مكان من الوطن العربى ، وذلك مثلما حدث ايام العدوان الثلاثى على مصر » ، كما اكد ايمان سوريا بضرورة التعاون والتنسيق واللقاء المستمر على كافة المستويات بين القوى التقدمية فى العالم العربى . وقد اشار الدكتور **ابراهيم ماخوس** نائب رئيس الوزراء ووزير خارجية سوريا الى انه « من المنتظر ان يتم قريبا جدا ، لقاء سياسى وعسكرى مع القاهرة ، يفتح مجالات جديدة للعمل المشترك على المستويات الشعبية » . كما زار وفد عسكرى من الجمهورية العربية المتحدة برئاسة اللواء **سعدى نجيب** مواقع الجبهة السورية الامامية المواجهة لاسرائيل ، وعدد من المناطق العسكرية الاخرى كبداية للقاء العسكرى بين القاهرة ودمشق . وقد اتى اعلان العراق على لسان متحدث رسمى باسم وزارة خارجيته بمساندته المطلقة للجمهورية السورية ضد كافة الضغوط والاستفزازات ليؤكد مزيدا من تراص القوى العربية تجاه المؤامرة . كما اعلن الفريق اول **عبد المحسن كامل مرتجى** قائد القوات البرية لجيش الجمهورية العربية المتحدة ، استعداد القوات المسلحة العربية الكامل لرد اى اعتداء على سوريا ، وذلك فى كلمة القاها فى احد القطاعات العسكرية العربية فى سيناء . كما يجرى ايضا تنسيق الاستراتيجية العسكرية بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ضد اسرائيل ».

وفى اطار اثارة المشكلة فى مجلس الامن ، فضح مندوب الجمهورية العربية المتحدة المناورات الاسرائيلية فى المجلس ، واوضح ان اسرائيل تحاول « خلق المعاذير لتدبير عدوان ، كما تمهد السبيل لهجوم تشنه فى محاولة لاسقاط حكومة سوريا » . هذا فى حين امتدحت امريكا وبريطانيا تصرف اسرائيل الخاص بعرض « الامر » على مجلس الامن ، وان كانت فرنسا قد سايرتهم فى ذلك بشكل اقل ، وطالبت بدعم لجنة الهدنة الاسرائيلية السورية المشتركة . ومما هو جدير بالذكر ان دكتور **فيدورينكو** المندوب السوفيتى بالمجلس قد فضح هو ايضا الاهداف الاسرائيلية من عرض القضية على المجلس ، واوضح « ان الشكوى المستعجلة من جانب اسرائيل لمجلس الامن ، ليست سوى مناورة تكتيكية ، هدفها تحويل الانظار عن مصادر التوتر الحقيقية فى الشرق الاوسط ، واخفاء النوايا العسكرية للدوائر المتطرفة فى اسرائيل ضد سوريا ، وان زيارات الاسطول السادس تتفق فى توقيتها مع النشاط الاستعمارى » كما ان اسرائيل تستعد لشن هجوم جوى على سوريا » ومن واجب مجلس الامن ان يصدر تحذيرا لهؤلاء الذين لديهم مخططات استعمارية » . وقد اعلن **فلاديمير سيميونوف** نائب وزير الخارجية السوفيتية الذى زار دمشق اخيرا فى تصريح آخر ، اوضح فيه مساندة الاتحاد السوفيتى لسوريا وأكد : « ان الاتحاد السوفيتى قد حذر الغرب من انه يقف بكل حزم مع سوريا ضد التهديدات الخارجية ، وفى حالة وقوع عدوان على سوريا فان سوريا لن تقف وحدها » .

الا ان الدوائر الدبلوماسية تتوقع على كل حال ، ان تستمر المناقشات حول ما يسمى « بشكوى » اسرائيل لفترة قادمة ، دون ان تتمكن دول الغرب من النجاح فى الحصول على موافقة المجلس على اى مشروع قرار تقدمه ، ذلك ان الاتحاد السوفيتى قرر استخدام حق الفيتو ضد اى قرار بادانة سوريا .

ومما يلقى ضوءا على اتجاه الرأى العام السورى حاليا ، ما كتبه الصحفى الفرنسى **اريك رولو** الذى زار سوريا اخيرا ، اذ اوضح : « ان ثمة ملاحظة مذهلة تبرز بالنظر الى الاوضاع فى سوريا خلال عام ١٩٦٦ ، فرغم كل شىء ظل السوريون فى اغلبيتهم وحدويين ، كما كانوا وحدويين فى عام ١٩٥٨ .. وان شخصية الرئيس عبد الناصر التى اكدت شعبيتها بعد الانفصال ، لها مكانة رفيعة فى مختلف الاوساط فى سوريا ، وان هذه الظاهرة تبرز بشدة فى اوساط الفلاحين والطلبة والعمال » .



د . ابراهيم ماخوس

■ لبنــــان

درس في الاقتصـــاد الحــر

قبيل انفجار الازمة المالية فى لبنان ، كتبت جريدة الفاينانشيال تايمس ، كبرى الصحف الاقتصادية للاحتكارية الانجليزية تقول : « ان اتباع الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق لسياسة اشتراكية لم يجعل للبنان منافسا رأسماليا فى المنطقة ، وساعد على ذلك فتح ابوابها امام رأس المال الاجنبى ، واتساع استثمارات البترول فى المنطقة العربية » ■

وقبل ذلك بحوالى عامين ، فى ١٩٦٤ ، ومن نفس وجهة النظر هذه ، نشرت ما يسمى بالمنظمة الدولية للاحصاء فى بيانها السنوى تقول : « ان لبنان احتل المرتبة الرابعة بين دول العالم من حيث الازدهار المالى والاقتصادى ■ وتحولت بيروت فى السنوات الثلاث الاخيرة الى مصرف ضخم ، واصبحت هدفا للرساميل والنشاط المصرفى الواسع ، تؤمها المؤسسات المصرفية من جميع انحاء العالم بفضل التنظيم السياسي الذى جعل من لبنان بلدا للحرية وللنظام الاقتصادى الحر » .

فما هو رأى الشعب اللبنانى ؟ وكيف ترى الامين الحريصة على مصلحته وليس على مصالح المصارف والمضاربين الاجانب، حقيقة الاوضاع الاقتصادية فى لبنان قبل انفجار ازمته المالية الاخيرة ؟

ان جبهة الاحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية والتقدمية فى لبنان حذرت طويلا من خطورة المشكلات الاقتصادية ، ونبهت الاذهان الى حقيقة « الازدهار » فى ظل « الاقتصاد الحر » الذى يتحدث عنه الاحتكاريون الاجانب وعملاؤهم فى لبنان . وهذه الحقيقة تتلخص فى الاتى :

اولا : ان المستفيد من الازدهار الذى يتحدثون عنه هم قلة تافهة من السكان . فقد نشر اخيرا احصاء عن الحالة الاجتماعية للسكان يبين ان ٩٪ من السكان معدمون كلية، ٤٠٪ فقراء ، ٣٠٪ رقيقو الحال ، بينما يسيطر ٤٪ من مجموع السكان فقط على ثلث الدخل القومى . والتفاوت الاجتماعى مذهل بين القلة المالية المتعاونة مع الرساميل الاجنبية واغلبية السكان . وتتحدث الاوساط الاجتماعية عن المليونير نجيب صالحة (٢٨ مليون ليرة فى العام) الذى زوج ابنته فى جو من الترف المذهل ، ونثر على المدعوين عشرة آلاف من الجنيهات الذهبية ■

ويلاحظ ان لبنان هو ثانى بلاد العالم من ناحية ارتفاع تكاليف المعيشة . فمن عام ١٩٣٨ حتى الان زادت الاسعار ٢٠ مرة بينما لم تزد الاجور فى احسن الاحوال الا عشر مرات، مما يزيد من عبء الحياة على الشعب العامل ■

ثانيا : ان الازدهار الذى طالما تحدثوا عنه ليس الا ازدهارا مفتعلا من اساسه . فالاقتصاد اللبنانى لا يعتمد على وجود قطاعات منتجة ، بل على الخدمات التى يقوم بتقديمها اما الى افواج السياح او الى البلاد المجاورة مثل تجارة الترانزيت ■ ثم قيام جانب من الراسمالية اللبنانية الكبيرة بدور

الضيق للبيوت المالية والبنوك الغربية فى المنطقة ■ وتحت ضغط هذه القلة المستفيدة ، وتحت ضغوط خارجية تسهم فيها الاحتكارات الغربية وامراء البترول وشيوخه وملوكه فى الجزيرة العربية ، اضطرت الدولة اللبنانية الى منح البيوت المالية الاجنبية تسهيلات لا حدود لها ، وسرية فى التعامل ، وحرية فى الحركة — مما جعلها دولة داخل الدولة ، وجعل لبنان يستحق الثناء من دعاة الرأسمالية بوصفها جنة « الاقتصاد الحر » .

وكان طبيعيا ان تؤدى هذه « الحرية الاقتصادية » الى نتيجتها الطبيعية التى انتهت اليها ■

فما ان زادت اسعار الفائدة فى بعض البنوك الامريكية والاوروبية واليابانية ، سارع عدد من امراء البترول وشيوخه الى سحب ملايينهم ، فانفجرت الالغام الكامنة تحت الاساس الاقتصادى . يضاف الى هذا طبعا عناصر الضغط السياسى التى يحاول فيصل ومريدوه ان يفرضوه على القطر الشقيق كجزء من مخططهم لاخضاع المنطقة بأسرها دون شروط لامريكا والغرب عموما ■

وبعد انهيار بنك انترا وما اعقبه من ارتباك مالى ، فان المراقبين يرون امام القطر الشقيق احد طريقين :

اما ان ينتهج الطريق الذى طالما اشارت اليه القوى التقدمية — وهو اعادة بناء الاقتصاد اللبنانى على اساس وطنى تقدمى ، يعتمد على تنمية الانتاج والتخطيط ويخرج من دائرة نفوذ الاحتكارات الاجنبية ، ويحد من نفوذ الراسماليين المحليين الكبار ، ويزيد ارتباطه وتعاونه مع النظم الاقتصادية المتحررة والتى تسير فى طريق الاشتراكية فى العالم العربى ■

والا ، فان البنوك الامريكية متربصة ، وهى تحاول ان تنتهز فرصة الازمة لتصل الى النهاية الطبيعية التى ينتهى اليها « الاقتصاد الحر » فى بلد مثل لبنان ، وهى محاولة تحويله الى مستعمرة اقتصادية امريكية خالصة ، والدخول كحلقة فى سلسلة اعمال التآمر على حرية الشعوب العربية وتقدمها .

بيد ان المراقبين يؤكدون ان شعب لبنان قادر على ان يسير ببلده عبر طريق الحرية والتقدم والرخاء ، رغم كل الازمات والمؤامرات ■

●

■ الجـــزائر

تطـــورات داخليـــة واجتمـــاع لتبـادل الخبرة

أصدرت رياسة حكومة الجزائر بيانا أعلنت فيه : أن الرئيس **هوارى بومدين** ، كان قد أعفى السيد **بشير بو معزة** وزير الاعلام السابق من منصبه ، قبل سفر الرئيس بومدين الى يوغوسلافيا .

وقد تولى السيد **احمد مدغرى** وزير الداخلية ، اعمال وزير الاعلام بصفة مؤقتة . هذا ولم تنشر وكالات الانباء — حتى كتابة هذا التقرير — اسبابا تفصيلية عن اعفاء وزير الاعلام الجزائرى ، وان كانت بعض هذه الوكالات قد اشارت



● هـــوارى بومدين

الى ان المجلس الثورى الجزائرى ، قد اصبح بعد اقالة بومعزة ، قائما على العناصر القيادية لجيش التحرير الوطنى وضباط وقادة الفدائيين خلال حرب التحرير .

ولم يعرف حقيقة مانيتويه بومعزة بعد اختفائه ، وان كان قد اعلن هو فى بروكسل انه سيساند «التنظيم السرى للثورة الجزائرية» المؤسس فى لوكسمبورج له وهو تنظيم معارض لحكومة الرئيس هوارى بومدين ، كما اعلن فى باريس ايضا «انه غادر الجزائر للعمل على الاعداد لاصلاح النظام الجمهورى» وقد اشارت بعض وكالات الانباء من ناحية الى ان السيد بشير بومعزة يقترب فى اتجاهه من الوزيرين الاخرين اللذين سبق وان تركا الحكومة الجزائرية وهما حاج سماعين وزير الاسكان والتعمير السابق وعلى محساس وزير الزراعة السابق فى حين يتخذ السيد شريف بلقاسم ، والسيد قائد احمد وزير المالية ، والسيد احمد مدغرى وزير الداخلية اتجاها اخر متقاربا .

وقد عمل السيد بشير بومعزة فى سنة ١٩٦٣ وزيرا للشئون الاجتماعية والعمل ، وفى سنة ١٩٦٤ وزيرا للصناعة والطاقة ثم وزيرا للاقتصاد القومى ، وقد عين عضوا بمجلس الثورة الجزائرى فى يوليو سنة ١٩٦٥ بعد اقصاء الرئيس احمد بن بلا.

وقد عقب عدد من المعلقين السياسيين على زيارة الرئيس بومدين ليوغوسلافيا ، بانها ستتيح له ان يدرس عن قرب عملية اصلاح الاقتصاد اليوغوسلافى التى تجرى حاليا ، خاصة فى الوقت الذى تعلن فيه الحكومة الجزائرية انها بصدد مزيد من اصلاح مبدأ وتطبيق التسيير الذاتى فى الجزائر ، وفى الوقت الدى تجرى فيه كذلك ، تجربة نظام جديد للتعاونيات فى الجزائر. كما اعلن هؤلاء ايضا ان الرئيس بومدين سيناقش مع الرئيس تيتو عددا من المشروعات الاقتصادية المتنوعة التى تسهم فيها يوغوسلافيا ، مثل استغلال وادى الصمام ، ومد انابيب البترول التى ستسمح بشحن جزء من الوقود الجزائرى الى عدد من البلاد الاخرى فى شرق اوربا .

وقد اتخذت حكومة الرئيس بومدين اخيرا ، عددا من الاجراءات لصالح صغار الفلاحين فى الجزائر ، وقد اعلن السيد على يحيى وزير الزراعة أن الحكومة قد قررت ان تجزىء الديون المستحقة عليهم والتى تبلغ ٢٠٠ مليون دينار ، على عدة سنوات . كما ستقدم لهم قروضا تبلغ ١٠٠ مليون دينار فى هذا الخريف وحوالى ٣٠ مليون دينار لشراء البذور كما قررت الحكومة فيما يتعلق بالتسيير الذاتى ، السير فى الاتجاه اللامركزى بالنسبة للجان التسيير ومنحها حسابا خاصا ايضا .»

●

■ بتســوانا

الاستقلال : الســاعة ٥



الخامسة من مساء ٣٠ سبتمبر ١٩٦٦ ، حصلت محمية بتشوانالاند البريطانية على استقلالها السياسى تحت اسم بتسوانا . وأصبحت العضو ١٢٠ فى الامم المتحدة والعضو ٣٨ فى منظمة الوحدة الافريقية والعضو ٢٣ فى الكومنولث . وذلك بعد ٨١ عاما من حكم الاستعمار البريطانى .

وتقع بتسوانا فى جنوب القارة الافريقية . وعلى حدودها الجنوبية والجنوبية الشرقية تقع جمهورية جنوب افريقيا . وعلى حدودها الغربية والجنوب الغربى تقع جنوب غرب افريقيا وعلى شمالها الشرقى تقع روديسيا وفى شمالها تقع زامبيا . وتبلغ من المساحة ٥٧٥ ألف كيلو مترمربع (أكثر من ضعف مساحة بريطانيا) . ويبلغ سكانها ٥٤٠ الف نسمة (تعداد ١٩٦٤) منهم ٣٥٠٠ أوربى وعدد من المستوطنين الاسيويين . وقبائلها الرئيسية : بامانجواتو ، باكونا ، باكجاتلا ، بانجواكيت ، باتاوانا . والانجليزية لغتها الرسمية وتسوانا هى اللغة المحلية المنتشرة . ويدين ١٠٪ من سكانها بالمسيحية اما الباقى فوثنيون. وتبلغ عدد اقاليمها ١٢ اقليما. وجابيرونز هى العاصمة

وبتسوانا بلد زراعى متخلف . رعى الاغنام هى الحرفة الرئيسية لسكانها حيث يوجد بها ١ر٥ مليون راس من الماشية التى يشتريها البيض بابخس الاسعار ويسيطرون على عمليات تصديرها . وتبلغ مساحة الاراضى القابلة للزراعة فيها ٨ ملايين فدان يزرع منها فعلا ٤٠٠ الف فدان فقط تنتج الذرة والدخان وحب العزيز . ويوجد فى بتسوانا عدد من مصانع الصابون واللحوم المحفوظة يملكها الاوربيون . وأهم ثروات البلاد : الاسبستوس والمنجنيز والذهب والفضة تستخرجها شركات بريطانية وأخرى تابعة لحكومة جنوب افريقيا . وتشير الدراسات الجيولوجية الى الاحتمالات الكبيرة لوجود خام النحاس والفحم والنيكل وان لم تكتشف بعد . وتشتهر بتسوانا بطرقها شديدة الوعورة مما يصعب من عمليات استغلال ثرواتها بشكل كامل. ويبلغ طول الخط الحديدى الوحيد ٦٤٠ كيلو متر ويمتد فى جنوب شرق البلاد ليربط مابين جمهورية جنوب افريقيا وروديسيا وتملكه حكومة روديسيا .

وتسيطر حكومة جنوب افريقيا على تجارة بتسوانا الخارجية اذ تستورد مايزيد على ٥٠٪ من صادرات بتسوانا وتصدر لها مايزيد على ٧٠٪ من وارداتها . وتسيطر بريطانيا وروديسيا على النسبة الباقية من الصادرات والواردات . وتبلغ صادرات

بتسوانا السنوية حوالى ٣ ملايين جنيه استرليني وتزيد وارداتها على ذلك بقليل . وكانت ميزانيتها لعام ٦٤ – ١٩٦٥ مقسمة كالاتى:الايرادات ٢٣٢٩٠٠٠ جنيه استرلينى والانفاق ٤٢١٧٠٠٠ جنيه استرلينى . وليس لبتسوانا عملة خاصة بها فالراند (عملة جنوب افريقيا) هو العملة المتداولة فى البلاد ، مما يجعل اقتصادها تابع لجنوب افريقيا . ويعمل عدد كبير من مواطنى بتسوانا فى مناجم جنوب افريقيا وروديسيا . ومعظم سكانها اميون ويبلغ كل عدد الاطباء فيها ٢٠ طبيبا .

وقد تزايد الكفاح الوطنى فى بتسوانا عام ١٩٦٠ . وقام بها فى عام ١٩٦٣ فى فرانسستاون اضراب اقتصـادى واسـع انقلب لاضراب سياسى شمل البلاد ولاول مرة طـالب فيه الافريقيون بالاستقلال .

وأكبر الاحزاب السياسية فى بتسوانا واكثرها نفوذا الحزب الديمقراطى (تأسس عام ١٩٦٠) ويتزعمه سيريتس خاما الذى يراس أكبر قبيلة (بامانجواتو) ويسانده بقية رؤساء القبائل . ويشكل الاوربيون نسبة كبيرة من اعضائه . وهو حزب رجعى يدين بالولاء لجنوب افريقيا . ويوجد فى بتسوانا حزبان وطنيان احدهما حزب الشعب الذى تأسس عام ١٩٦١ ويقوده فيليب ماتانت ويضم الافريقيون فقط وخاصة العمال وصغار الموظفين وبعض رؤساء القبائل الفقيرة . والحزب الاخر التقدمى هـو حزب استقلال بتسوانا وهو انقسام خرج من حزب الشعب عام ١٩٦٤ ويتزعمه م . مفو وله نفوذ واسع داخل صـفوف العمال والفلاحين . وينادى هذا الحزب بوحدة القبائل فى الصراع ضد السيطرة الاجنبية من أجل «قيام دولة مسـتقلة ديمقراطية» . ويتعاون هذا الحزب مع اتحاد عمال بتشوانالاند الذى بلغ عدد أعضائه ١٠ آلاف عضو فى عام ١٩٦٣ .

وقد حصلت بتسوانا على حكمها الذاتى فى نوفمبر ١٩٦٠ . وفى عام ١٩٦٥ عقدت أول انتخابات عامة وتشكلت حـكومة افريقية برئاسة سيريتس خاما . وبقيت شئون الدفاع والاقتصاد فى يد بريطانيا . وتشكلت الجمعية التشريعية (البرلمان) من ٢٨ مقعدا للحزب الديمقراطى و ٣ مقاعد لحزب الشعب .

ومن اهم المشاكل التى تواجهها بتسوانا مشكلة اطمـاع حكومة جنوب افريقيا وحكومة روديسيا فى الضغط على الدولة الجديدة بالاضافة الى مشاكل التخلف والتبعية الاقتصـادية لاقتصاد جنوب افريقيا . ومهما تكن الصعوبات فان المراقبين السياسيين يرون أن قيام دولة مستقلة فى جنوب افريقيا – معقل العنصرية – سيكون بمثابة خطوة هامة تعطى القـوى الوطنية فرصا أوسع للعمل والحركة .

ليســـــوتو

فى « جيب » جنـوب أفريقيــا

فى ٤ اكتوبر الماضى ، حصلت محمية باسوتولاند التى كانت تخضع للاستعمار البريطانى منذ عام ١٨٨٤ ، على استقلالها السياسى تحت اسم ليسوتو لتصبح العضو ١٢١ فى الامم المتحدة والعضو ٣٩ فى منظمة الوحدة الافريقية والعضو ٢٤ فى الكومنولث .

وتقع ليسوتو فى الجزء الغربى من جمهورية جنوب افريقيا التى تحيط بكل حدودها ولايوجد اى منفذ على الساحل مما دفع بعض المراقبين لتسميتها بالدولة المخنوقة . وتبلغ مساحتها ١١ الف ميل مربع . وينتمى معظم سكانها الذين يبلغون حوالى ٩٠٠ الف نسمة الى قبيلة البانتو ويعمل ١١٧ الفا منهم فى مناجم جنوب افريقيا اى مايمثل – كما تقول احصاءات الامم المتحدة – من ٥٠ ٪ الى ٦٠ ٪ من العاملين الاصحاء فيها . وتلك مشكلة من اهم مشاكل ليسوتو التى تعد فى نظر حكومة جنوب افريقيا (التى تطمع فى ضم ليسوتو) مستودعا للعمل الرخيص ويبلغ عدد الاوربيون فى ليسوتو ٢٥٠٠ اوربى .

ويعتمد سكان ليسوتو فى حياتهم على الزراعة ورعى الاغنام حتى ان ٧٤٪ من صادراتها من الصوف والموهير المشهورة بانتاجه وتسيطر جنوب افريقيا على هذه الصادرات . واهم ثرواتها المعدنية الماس ويستخرج منه يوميا ماقيمته ٣ آلاف جنيه استرلينى كما صرح بذلك الكولونيل جاك ستوك احد مديرى الاتحاد العام للتعدين والتمويل فى جنوب افريقيا . كما تنتج ليسوتو الحديد . ويقوم الاتحاد العام للتعدين والتمويل باستثمار الاموال فى مناجم الماس والحديد مع شركة برمودا التـابعة لاحتكار دى بيرز الانجلو امريكى الذى يراسه ويديره المليونير هارى اوبنهايمر . وتقوم جنوب افريقيا بتصدير ٥٦٪ من الارز الذى تحتاجه ليسوتو حيث يعد الغذاء الرئيسى لاهلها . ولقد كان فيرفورد رئيس وزراء جنوب افريقيا الذى اغتيل اخيرا يفكر فى ضم ليسوتو على ان يخصصها لاقامة كل الافريقيين من مواطنى جنوب افريقيا .

ويراس الحكومة الحالية فى ليسوتو ليابوا جوناثان الذى ينادى بضرورة التعاون مع حكومة جنوب افريقيا ، وبضرورة احتفاظ شيوخ القبائل بالسلطة . ولقد ساعدت حكومة جنوب افريقيا جوناثان الذى يتزعم الحزب الوطنى بالاموال والدعاية فى الانتخابات التى اجريت فى عام ١٩٦٥ مما أدى الى نجاح الحزب وتاليفه للحكومة .

ومن اهم الاحزاب الوطنية فى ليسوتو حزب المؤتمر الذى بدأ تكوينه فى ١٩٢٥ زعيمه الحالى نيتسو موخيهلى الذى حصل على درجة الماجستير فى العلوم من جامعة فورت هير بجنوب افريقيا مع درجة «التخصص التربوية الجامعية» . ويطالبه حزب المؤتمر بضرورة تطبيق الاشتراكية فى ليسوتو كما ينادى بالوحدة الافريقية . وجدير بالذكر ان حزب المؤتمر قاطع مؤتمر لندن الذى حضره مع ممثلين من احزاب ليسوتو لمناقشة قضية بلادهم ، بعد ان رفضت بريطانيا ضرورة اجراء انتخابات عامة جديدة قبل الاستقلال . فانسحب الحزب واتهم بريطانيا بانها تتآمر لضم ليسوتو الى جنوب افريقيا .

وهناك فى ليسوتو منظمتان سياسيتان ، الجمعية التقدمية وهى اول منظمة وجدت فى البلاد (تكونت ١٩٠٧) وكان معظم اعضائها من رجال الاعمال الليبراليين الذين يطالبون بادخال تعديلات على القوانين وخاصة القانون التجارى . وقد منيت هذه المنظمة المحافظة بفشل ساحق فى الانتخابات التى اجريت عام ١٩٦٠ . اما المنظمة الاخرى فهى « ليكهوتا – لا – بافو » اى منظمة رجال الشعب وقد تكونت عام ١٩١٧ وكان معظم مؤسسيها من الشيوخ الذين يهتمون المحافظة على ثقافة الباسوتو وانسحاب جميع الاوربيين وانهاء العلاقة مع بريطانيا . ويتزعمها جوزيل ليفيلا الذى قضى معظم حياته فى السجن لوطنيته .

■ الكونجو كنشاسا

صراع بين الاستعمار القديم والاستعمار الجديد

في مساء ١٨ سبتمبر الماضي ، حاصر مائة من رجال البوليس الفرنسي احدى الفيللات في جنوب فرنسا اتخذت كمعسكر سرى للتدريب العسكرى . وجاء في تقرير قدم للسلطات الفرنسية أن الفيللا واراضيها المحيطة بها اتخذت موقعا لتدريب رجال من المرتزقة يعملون لحساب مويس تشومبى . وعرف ان فيرى دى بونييه — الميجور السابق في سلاح الطيران الفرنسى — يتولى اعمال التدريب »

وفي ٢٠ سبتمبر صرح جوزيف موبوتو رئيس جمهورية الكونجو كنشاسا وقائد الانقلاب العسكرى في نوفمبر الماضى ، بأنه سيقدم تشومبى غيابيا للمحاكمة بتهمة « الخيانة العظمى » فقد تبين أن المرتزقة الذين يدربهم تقوم السلطات البرتغالية في انجولا المجاورة لحدود الكونجو ، بتهريبهم للوصول الى لوبومباشى (اليزابث فيل) تمهيدا للزحف الى كيسانجانى (ستانلى فيل) حيث يقيم عدة آلاف من رجال الجندرمة والمرتزقة الذين كانوا يعملون لحساب تشومبى عندما كان حاكما للكونجو (يونيو ٦٤ — اغسطس ١٩٦٥) . وذلك في محاولة لمساندة قوات اقليم كاتنجا (الذى كان تشومبى حاكما له عام ١٩٦٠) في تمردها المخطط له لفصل كاتنجا عن الكونجو واعلانه دوله مستقلة ، والعمل على الاطاحة بحكومة موبوتو اذا كان ذلك ممكنا .

وعلى الفور — بمجرد اذاعة تصريحات موبوتو — تمردت قوات كاتنجا المحلية والمرتزقة في كيسانجانى ، وسارع موبوتو بارسال قوات الحكومة المركزية الى الاقليمين حيث اشتبكت مع القوات المتمردة في معارك عنيفة استسلم خلالها جنود المتمردين . وقد ربط المعلقون السياسيون بين هذه الاحداث وبين المعركة التى وقعت في اوائل اغسطس الماضى عندما تمردت من قبل قوات المرتزقة والجندرمة في كيسانجانى وقامت حكومة موبوتو بضرب هذا التمرد بسرعة . وسرعان ما ذكرت هذه الاحداث كذلك بالمؤامرة التى اعلن موبوتو عن اكتشافها في النصف الاول من العام الحالى ، لقلب حكومته واتهم فيها « الامبرياليون » وهاجم « الاستعمار الاجنبى » و« بلجيكا » وفرنسا والمانيا الغربية والبرتغال وامريكا » . وقد قام موبوتو وقتها على الفور باعدام زعماء محاولة الانقلاب — وعلى راسهم ايفارست كيمبا — رئيس الوزراء السابق على انقلاب موبوتو علانية وامام حشد جماهيرى كبير ، كما سارع باجراء تغييرات كبيرة في مناصب الاقاليم في الكونجو والغى عددا من هذه الاقاليم لتركيزها واحكام سيطرة حكومته العسكرية على اراضى الكونجو . وقد فسر المراقبون الاجانب تصريحات موبوتو ضد « الامبريالية العالمية » .. الخ على انها محاولة للتمسح بثوب وطنى زائف امام شعب الكونجو وشعوب افريقيا هذا من جهة ، ومن جهة اخرى لتكون هذه التصريحات بمثابة « انذار او تهديد » لاى من القوى الذى حددها في هجومه كى تعمل من وراء ظهره ودون علمه في البلاد او الا تأخذ رأيه فيما تستعد للقيام به .

واخطار انفصال كاتنجا ، ماثلة دائما للوقوع في الكونجو منذ استقلاله في عام ١٩٦٠ . فقد حاول تشومبى من قبل اتخاذ هذه الخطوة — ونفذها فعلا — ولكن موقف الامم المتحدة والراى العام العالمى أفشل خطته وقتها . كما أن امريكا كانت تطمح للسيطرة على الكونجو ككل ولذلك ساندت الاتجاه لعدم انفصال كاتنجا ووقفت وراء كل من سيرييل أدولا رئيس الوزراء السابق (٦٢ — ١٩٦٤) وجوزيف موبوتو ، رجليها المفضلين والموثوق فيهما . أما بلجيكا فقد كانت تقف بشكل اساسى وراء تشومبى ومحاولاته لفصل كاتنجا . ولهذا ينظر الى تشومبى باعتباره رجل بلجيكا « المدلل » »

ويرى المراقبون الافريقيون أن معرفة نسبة انتاج مناجم الكونجو من الثروات المعدنية بالنسبة لانتاج القارة الافريقية ككل من نفس المعادن ، كافية لمعرفة اسباب الصراع فيما بين تشومبى — اى بلجيكا — من جهة وبين موبوتو — اى امريكا — من جهة اخرى . فمن الانتاج الافريقى كله ، ينتج الكونجو ٦٤٪ من الماس و٨٦٪ من الكوبالت الذى تصنع منه المحركات النفاثة وسبائك الصواريخ ، و٥١٪ من الفضة ، ٣٤٪ من النحاس و٦٠٪ من القصدير و ٥٣٪ من خام التونجستين والزنك . أما بالنسبة لانتاج الغرب كله فينتج الكونجو وحده ٨٪ من انتاج النحاس ، ٦٩٪ من الكوبالت ، ٧٥٪ من الماس الصناعى . ومعروف أن الكونجو — وخاصة اقليم كاتنجا — ينتج كمية ضخمة من اليورانيوم . ومن الجدير بالذكر ان اليورانيوم الذى استخدم لانتاج القنبلة الذرية الامريكية التى القيت فوق هيروشيما وناجازاكى في اواخر الحرب العالمية الثانية ، كان من انتاج مناجم كاتنجا . فقد كانت امريكا قد وقعت اتفاقا سريا مع الشركة العامة البلجيكية (أضخم احتكار اجنبى في الكونجو) خلال الحرب العالمية الثانية تشترى امريكا بمقتضاه « كل خام اليورانيوم الذى يمكن ان تنتجه مناجم كاتنجا » »



● جوزيف موبوتو

واقليم كاتنجا ذو اهمية متميزة من بقية اقاليم الكونجو . اذ به وحده ، ٥٠٠ كيلو متر من الخطوط الحديدية المكهربة (الخطوط المكهربة الوحيدة فى الكونجو كله) ، ومحطات لتوليد الكهرباء تنتج ٢٢٠٠ مليون كيلووات ساعة ، مركز المواصلات البرية والسكك الحديدية عبر وسط افريقيا كله ، ٢٢٪ من الالات المستخدمة فى الكونجو ، ٧٧٪ من انتاج الكونجو الذى يصدر ، ٦١٪ من انتاج الكونجو للدخان ، ٣٨٪ من انتاجه للحوم ، ٣٥٪ من منتجاته الكيميائية ، ٤٠٪ من الانسجة الصناعية التى ينتجها ا ٣٢٪ من الادوات الكهربائية التى تستخدم فيه ، ٤٢٪ من المواد التى تدخل فى صناعة المتفجرات ، ٢٦٪ من انتاجه للورق . ومن المعروف ان عددا من الاحتكارات الامريكية الضخمة (روكفلر بشكل خاص) تسيطر على نسبة كبيرة من اسهم الشركات الاجنبية العاملة فى الكونجو .

ومن المعروف أن موبوتو كان قد اتخذ خلال الشهور القليلة الماضية عددا من الاجراءات التى ابدت حكومة بلجيكا ازاءها مشاعر القلق وعدم الرضا . فقد قرر موبوتو ان تكون كينشاسا (العاصمة) مقرا للشركة العامة البلجيكية لابروكسل وطالب بضرورة متابعة حكومة الكونجو لاعمال ادارة الشركة . كما قرر اخذ عائد اكبر من ارباح الشركة العامة لحكومته . واستبدل عددا كبيرا من الخبراء البلجيك بعدد من الخبراء الاجانب غيرهم . ووصل هذا الصراع قمته عندما رفض موبوتو مواصلة دفع مايسمى « بدين مستعمرة الكونجو » لبلجيكا ، قائلا انه لايعترف بهذا الدين الذى « سحبه الحكام البلجيك الكونجو وبددوه بانفسهم » ويهاجم موبوتو باستمرار حكومة بلجيكا لانها تحمى تشومبى وتفتح له اراضيها للاقامة والاعداد للعودة مرة ثانية الى الكونجو ، وكان واحد من رجال الاعمال البلجيك قد صرح بقوله فى حديث عن الشركة العامة البلجيكية : « اذا مست الشركة العامة فانك توقع نفسك فى متاعب لاحد لها » .

●

■ نيودلهى

« اجتماع بين الاصدقاء »

تناول البيان المشترك الذى صدر عن محادثات الاقطاب الثلاثة: **جمال عبد الناصر وجوزيب بروز تيتو وانديرا غاندى** ، رأيهم فى الموقف الدولى بشكل عام والمشاكل الملحة التى تهدد السلام العالمى .

وقد اعلن الرؤساء الثلاثة فى بيانهم أن التقدم الاقتصادى والسريع للدول النامية امر ضرورى للحفاظ على استقلالها . ولكنهم لاحظوا أن معدل هذا النمو لم يصل حتى الى الهدف المتواضع الذى حددته الامم المتحدة . ولذا يرون ان الهوة مازالت تتسع بين الدول النامية والدول المتقدمة مما يؤدى الى زيادة التوتر الاجتماعى والسياسى . ويرى الرؤساء الثلاثة فى بيانهم ان العقبة الرئيسية امام التقدم الاقتصادى للدول النامية هى مصادر التمويل اذ أن الدول المتقدمة لم تصل بمعوناتها المالية الى نسبة ١٪ التى حددتها الامم المتحدة. كما ان الشروط التى تضعها الدول المتقدمة على هذه المساعدات تشكل اعباء اضافية على الامكانيات المحدودة للدول النامية. ودعا الرؤساء الى « ضرورة العمل على تهيئة ظروف افضل للتنمية الاقتصادية » ثم طالبوا بأن تعمل الدول النامية على تنسيق جهودها وأن تجد وسائل جديدة لمواجهة هذا التحدى المتمثل فى انخفاض معدل النمو الاقتصادى .

ولقد عبر الرؤساء الثلاثة عن قلقهم البالغ للموقف الخطير فى فيتنام وخاصة بعد تصعيد العمليات الحربية . وحددوا نقاطا اربعة للحل هى : ١ ـ التأكيد من جديد بضرورة وقف الغارات الجوية على فيتنام الشمالية فورا وبدون شرط . ٢ ـ اتخاذ اتفاقية جنيف لعام ١٩٥٤ اساسا للبحث عن اية تسوية ٣ ـ سحب كل القوات الاجنبية من فيتنام وتمكين شعبها من تقرير مستقبله فى حرية كاملة . ٤ ـ اشراك جبهة التحرير الوطنية فى اى محاولات من اجل السلام .

كما اعلن الرؤساء فى بيانهم عن مقاومتهم لكافة صور الاستعمار والاستعمار الجديد واكدوا تأييدهم لكفاح شعوب أفريقيا من أجل استقلالها وضد العنصرية . وأبدى الرؤساء ثقتهم من حتمية الحاق الهزيمة بهذه القوى . كما أكدوا تأييدهم لكفاح الشعوب فى عدن والمحميات وكفاح شعب فلسطين العربى فى سبيل حقوقه المشروعة لتحقيق امانيه .

ودعا الرؤساء الثلاثة الى ضرورة عقد مؤتمر لنزع السلاح تشترك فيه كل دول العالم لعقد اتفاقية لنزع السلاح العام والشامل . وطالبوا بالاسراع فى عقد معاهدة لمنع انتشار الاسلحة النووية .

وقد اكد الرؤساء ايمانهم بالدور الحيوى الذى تستطيع أن تقوم به الامم المتحدة وطالبوا بزيادة فعاليتها وتحقيق مبدأ عالميتها بحصول الصين الشعبية على حقوقها فى المنظمة الدولية .

لقد دعت كل التغييرات التى طرأت على علاقات القوى الدولية وماتعرض له مفهوم عدم الانحياز نتيجة لهذه التغييرات ، لان يلتقى قادة هذه السياسة فى محاولة لجعلها تؤدى دورها الذى مازالت الظروف الموضوعية تتطلبه وتحتاج اليه خاصة فى الفترة الاخيرة التى زاد فيها المد الاستعمارى ، وتعددت اعتداء المستعمرين ، الذين استغلوا التفكك الذى اصاب صفوف دول عدم الانحياز ، نتيجة لقيام بعض الصدامات بين فريق منها ، واحتدام المشاكل الداخلية فى جزء آخر ، وتعرض قسم ثالث لتغييرات عنيفة اقل مايقال عنها انها نالت من دورها الدولى .

وكان من الطبيعى أن يسارع الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس تيتو والسيدة انديرا غاندى لعقد اجتماع بينهم لتبادل الرأى والمشورة ، بحكم تقاربهم فى عديد من المجالات واحساسهم بمسئوليتهم الدولية ، لخدمة القضايا التى تهم شعوب العالم على ضوء من المبادىء السامية التى اخلصت لها الشعوب ايمانا ونضالا كما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى ارض مطار « بالام » عند استقباله فى الهند

وقد اكد الرئيس جمال عبد الناصر « ان المبادىء التى وقفنا تحت راياتها فى مؤتمرات باندونج وبلجراد والقاهرة مازالت قادرة على ان تكون مرشدا لنا فى هذه الظروف التى تحوطها الاخطار المتعددة سواء كان مصدرها الاستعمار التقليدى او الاستعمار الجديد او التفرقة العنصرية سواء نبعت من سياسة ممارسة القوة العسكرية او الضغوط الاقتصادية والسياسية والنفسية وان المبادىء هى التى تستطيع ان توفر لشعوبنا جميعا مواجهة اكبر خطر يواجه الانسانية الان وهو خطر التخلف واتساع الفوارق بين مستويات الشعوب فى عصر تلاشت فيه المسافات بين اوطانها »

والواقع ان المؤتمر ينعقد فى ظروف تفاقمت فيها المشاكل الدولية بشكل يهدد السلام العالمى ، ويعيق التقدم الاقتصادى والاجتماعى للدول المستقلة حديثا . فكلمة السلام كما يقول الرئيس عبد الناصر « هى اقرب الكلمات الى الشعوب ، لكن حقيقة السلام مازال مع الاسف ، ابعد ماتكون عن عالمنا ، ولايتحقق السلام بالتمنى وانما يتحقق









● جمال عبد الناصر ● انديرا غـــاندى ● تيتو

بالحق والعدل ، سياسيا واقتصاديا » • ولذا كان من اهم اهدافهذا المؤتمر كما قال الرئيس تيتو «تبادل وجهات النظر حول المشكلات التى تواجه العالم فى الوقت الحـاضر • فنحن بطبيعة الحال مهتمون الى اقصى حد بصيانة السلام والمساهمة فى حفظه على قدر ما نستطيع وانا مقتنع بأن اجتماعنا هذا سيكون مفيدا ومثمرا الى حد كبير •ان الموقف الراهن فى العالم يسبب القلق لشعوب العالم ونحن الدول النامية ، مهتمون بأن نتمكن من بناء بلادنا فى ظل السلاموان نحقق مستقبلا افضل لشعوبنا وللعالم على اساس مبادىء التعايش السلمى » • والعمل فى سبيل السلام كما اكـد الرئيس رادا كريشـنان رئيس جمهوريـة الهند « الذى حمل الرئيسين على القدوم الى الهند ، فالحرب اصـبحت كوسيلة ووحشية وعملا غير انسانى واذا لم نستطع تفادى مايحدث فان العالم كله سيتعرض لكارثة هائلـة • ان الفاشية مازالت حية فى عقول الكثيرين وعلينا ان نمحو من عقولنا روح الكراهية والعنف والتمييز العنصرى » •

وبالطبع فرضت مشكلة فيتنام نفسها كما هى العادة فى كل المؤتمرات الدولية المحبة للسلام والحرية ، ولم يجر بحثها لتقديم مشروعات معينة ، وانما كان الهدف من مناقشتهابحث قضية خطيرة تهدد السلام العالمى • واعلن مسـستر جها السكرتير الخاص للسيدة انديرا غانـدى ان بحث قضـية فيتنام اكد اتفاق الرؤساء الثلاثة على ضرورة ان يترك لشعب فيتنام حرية تقرير مصيره ، وبينت المناقشات انه لايوجـد خلاف جوهرى فى الرأى بينهم » •

وكانت النقطة الثانية التى لقيت عناية من الرؤساء الثلاثة هى الاوضاع الاقتصادية الدوليـة والمشكـلات التى تواجهها الدول النامية بالذات فى معركة بناء اقتصادها المتخلف ، واستعرض الرؤساء تقارير شاملة عن المشكلات الاقتصادية والتنمية فى كل دولة على حدة وكذلك المشكلات الاقتصادية الدولية • وقد اعلن الرئيس جمال عبد النـــاصر انه من المرغوب فيه ان تقوم الجمهورية العربية المتحدة والهند ويوغسلافيا باجراء تقسيم معين للعمل فيما بينها ، لانه على سبيل المثال لاينبغى ان تنتج الدول الثلاث نفس الطراز من اجهزة التليفزيون والسيارات والواقع ان المشكلات الاقتصادية هى السبب فى معظم المنازعات السياسية ،وهى التى اصبحت تهدد السلام والاستقرار الدولى فالحرية السياسية للدول النامية لايمكن ان تكون كاملة الا اذاحققت استقلالا اقتصاديا • وقد تحملت هذه الدول عبئا ضخما من الديون ، وهى تواجه صعوبات فى سبيل الحصول على المساعدات المالية اللازمة للتنمية الاقتصادية ، التى غالبا ماتقدم مشروطـة بشروط سياســية ، وتفـرض القيـود على تجارتها • وقد اذاعت وكالة « تانيوج » اليوغسلافية ان الرؤساء الثلاثة قرروا بعد تبادل وجهات النظر علاج المشكلات الاقتصادية بالوسائل الاتية :

١ ـ ينبغى على الدول الثلاث انتضاعف جهودها الخاصة لتحقيق تقدمها الاقتصادى •

٢ ـ العمل على زيادة التعاون الفنى والاقتصادى بين الجمهورية العربيةالمتحدة ويوجوسلافيا والهند منجانب وجميع الدول النامية من جانب آخر •

٣ ـ تعمل الدول النامية على تنسيق وجهات نظرها ومجالات نشاطها على النطاق العالمى مع الدول المتقدمة •

٤ ـ عقد اجتماع لوزراء الاقتصاد فى الدول الثلاث فى وقت لاحق لبحث امكانيات توثيق الروابط الاقتصادية بين الجمهورية العربية المتحدة ويوغسلافيا والهند •

ويتابع العالم كله ، وخصوصا دول العالم الثالث هذا المؤتمر باهتمام شديد ، وتعول عليه كثيرا فى ازالة الغموض الذى شاب مفهوم عدم الانحياز ، بسبب التطورات العالمية، وان يكون مايطرحه المؤتمر من افكار ومناقشات منهاجا تهتدى به دول عدم الانحياز ، فى سعيها لاستعادة فعاليتها بعد ان اكدت لها كل الاحداث سواء الداخلية والخارجية ، ضرورة التمسك بهذا المفهوم ، وقدرته على حل كثير من المشاكل التى تحتدم فى عالم مازال التناقض الاساسى الذى يحكمه هو التناقض بين الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد وبين الشعوب المناضلة فى سبيل حريتها السياسية والاجتماعية •

■ فيتنـــــام

الامريكيون يرسلون مدافع نووية ..

لاحظ أغلب المراقبين السياسيين ، ان المباحثات السياسية الامريكية ــ الســـوفيتية ، والامريكية الفرنسية التى سعت الولايات المتحدة لاجرائها أخيرا ، لم تسفر عن شىء قدر ماأسفرت عن مزيد من كشف المسار « العملى » للسياسة الامريكية تجاه فيتنام والمعســكر الاشتراكى من ناحية ، وكذلك عن تأكيد التباين الواضح بين النظرتين الامريكية والفرنسية للمشكلة الفيتنامية من ناحية أخرى .

فقد اجتمع الرئيس الامريكى **ليندون جونسون** ، **باندريه جروميكو** وزير الخارجية السوفيتية فى البيت الابيض ، لبحث مقترحات جونسون حول مااسماه « بتحسين العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، ومايمكن ان تبذله روسـيـا من تعاون فى الخطوات التى تتخذ لاعادة السلام الى فيتنام » .

وهو أول اجتماع لجونسون مع مسئول سوفيتى منذ عـام ١٩٦٤ . كما عينت واشنطون سفيرا جديدا لها فى موســكو هو **لويللين تومسون** ، وذلك ليقنع الاتحاد السوفيتى بأن يلعب دورا «مهدئا لهانوى» ! ، حسبما اشار عديد من المراقبين الغربيين . ولويللين تومسون هو الذى تولى سفارة الولايات المتحدة فى موسكو لمدة ٦ سنوات من ١٩٥٧ الى ١٩٦٢ وهى مدة لم يقض مثلها اى سفير آخر لامريكا فى موسكو ، وربما يعتبر اكبر متخصص فى العلاقات «العملية» مع موسكو ، فى مواجهة الخبراء « النظريين » « الكرملينولوجيين » . وقد اوجز المعلقين السياسيين رد الفعل السوفيتى ، بأن السوفيت يرون انه لا يكفى تغيير رجل او تغيير العبارات الدبلوماسية لحدوث تقارب سوفيتى ــ امريكى ، وانما ينبغى تغيير السياسة الامريكية . وانه لا يوجد شىء فى الواقع ، يدل على تطور السياسة الامريكية . ويستند السوفييت فى رايهم عــلى المعلومات الواردة عن واشنطون بشأن زيادة الجهد الامريكى المبذول للحرب الفيتنامية . اذ صدر اخيرا قرار بمد خدمة ٣٦٠٠ ضابط امريكى هناك من سنة الى سنتين . كذلك اشـــار **هانسون بولدوين** المراسل الحربى « للنيويورك تايمز » الى انه يعلم جيدا « بان توسيعا جديدا لحرب فيتنام ، كان موضع دراسة فى واشنطون » ، وان ٧٥٫٠٠٠ من الجنود والضباط الامريكيين سيرسلون لتدعيم القوات فى فيتنام قبل الربيع القادم، مما سيزيد عدد الامريكيين هناك الى ٤٠٠٫٠٠٠ رجل . ليس ذلك فحسب ، بل ان وكالة الاسوشييتدبريس اشارت الى ان « مصادر حربية رسمية » قد توصل الى علمها بان «للولايات المتحدة فى فيتنام الجنوبية سلاحين ارضيين لهما قدرة نووية ، ولكن لم ترسل اى راس ذرية الى هناك » . وقد اعلنت وزارة الدفاع الامريكية بعدها انه يوجد لديها هناك بالفعل مدافع قادرة على اطلاق قذائف نووية . كذلك تقوم مزايدة لها أثرها بين عدد من كبار العسكريين الامريكيين الســابقين امثال **جنرال باور** القائد السابق للقوة الاستراتيجية الجوية ، وجنرال **كورتيس ليماى** الذى تلاه فى ذلك المنصب ، وجنرال **توينتج** رئيس لجنة رؤساء الاركان من (١٩٥٧ ــ ١٩٥٩) حول استخدام مزيد من العنف والبطش فى فيتنام ، وقد وصف ليماى المسلك الامريكى هناك ، بانه «منتهى العمى العسكرى» ودعا الى توسيع نطاق الحرب حتى لو ادى الى جر الصين لها واوضح ان القوة العسكرية الامريكية قادرة على ارغام الصين على ان « تجثو على ركبتيها » . كذلك فان المتوقع لدى المراقبين العسكريين ان تسفر مداولات مكنمارا وزير الدفاع الامريكى فى سايجون عن زيادة نفقات الحرب فى ميزانية العام القادم . ومن ناحية أخرى ، فان السوفييت يعتبرون ان مؤتمر مانيلا الذى سيحضره ليندون جونسون بنفســه ، لن يكون احدى الوسائل لتحقيق « سلام مشرف » فى فيتنام كما ادعى جونسون ، وانما سيكون فى الحقيقة «مجلس حرب» يجمع المعتدين والحلفاء الاسيويين للولايات المتحدة . ولذا فنتيجة تقدير السوفييت للموقف على هذا النحو أقدموا اخيرا على توقيع برنامج جديد لمساعدة جمهورية فيتنـــام الديمقراطية ومدها بقروض جديدة .

أما فيما يتعلق بالمباحثات الامريكية الفرنسية التى تمت بين ليندون جونسون ، **وكوف دى مورفيل** وزير الخــارجية الفرنسية فى واشنطون ، فانها لم تسفر عن اى تغيير فى موقف كلا الحكومتين من المشكلة . فالموقف الفرنسى بالنســبة للمشكلة الفيتنامية ، لا يزال يختلف عن الموقف الامريكى من ناحية اصوله ، وطبيعته ، والنظرة للمخاطر التى تهدد سلام العالم ، ومن ناحية الحلول التى تقترحها فرنسا .وما دار فى محادثات جونسون ــ دى مورفيل فى البيت الابيض هو كما أشارت جريدة « الموند » الفرنسية ان « سياستين بل وحتى فلسفتين تاريخيتين أيضا ، لم تكفا عن مواجهة بعضهما » . هذا وقد قدم **جورج براون** وزير خارجية بريطانيا برنامجا من ٦ نقط فى مؤتمر حزب العمال فى برايتون ، يقوم على عقــد مؤتمر تشترك فيه جميع الحكومات المعنية بالامر ، بما فيها جبهة التحرير لحل المشكلة . الا أن براون قد أكد كذلك على وجهة النظر البريطانية التى تعتبر هانوى هى العقبة الرئيسية للمفاوضات بشأن فيتنام ، وقد رفضت هــانوى من جانبها المقترحات البريطانية .

هذا وقد بادر الفاتيكان اخيرا بارسال بعثة بابوية الى فيتنام ، قبل أن يهمتها حصر الخلاف بين الكاثوليك والبوذيين، حسبما صرح رئيس البعثة المونسنيور **سرجيو بيجندولى** الممثل البابوى فى كندا . وتعتبر هذه البعثة تدخلا مباشرا من جانب الفاتيكان فى المشاكل الفيتنامية وبشكل اكبر مما كان يحدث فى الماضى من اصدار للنداءات أو اقامة للصلوات . ويرى عديد من المراقبين السياسيين ان اهم ماسيقوله المونسنيور بيجندولى للكاثوليك الفيتناميين ، انما يتعلق بدورهم فى الحياة السياسية للبلاد . فقد جاء المونسنيور اليها ومعه دعوة من البابا للكاثوليك « بألا يكونوا مجموعة منعزلة ، وانما ينضموا الى الاخرين بحثا عن الخير العام » ، خاصة وان العــداء بينهم وبين القوة الكبرى الاخرى فى فيتنام وهم البوذيون ،كان قد استمر فى السنوات الاخيرة بسبب معاملة الكاثوليك معاملة



● جونســون

افصل من جانب الرئيس السابق ديم ، ومع تعاليه التنظيمات الامريكية الكاثوليكية المعروفة . وقد لوحظ في الشهور الاخيرة ، انه كان من بين زوار البابا الفيتناميين : رهبان بوذيين ، ودبلوماسيين ، وقساوسة ، واعضاء في حكومة سايجون .

ويميل عديد من المراقبين الى التأكيد على أن اختيار بيجندولي له مغزاه ، فهو ممثل البابا في كندا ، وكندا احدى الدول الثلاث الممثلة في لجنة المراقبة الدولية بفيتنام والتي قررتها اتفاقات جنيف سنة ١٩٥٤ . الا انه على الرغم من ان البابا يبدو حريصا على الظهور بمظهر الحياد الكامل ، كما ان جهوده السلامية تضمنت رسائل الى هانوى وبكين ، وقد تجنب ايضا اظهار أى تمييزا بين شطرى فيتنام ، الا ان عددا من المراقبين يخشون ان تعمد واشنطون الى استغلال نوايا الطيبين في الفاتيكان لخدمة اهدافها الخاصة في فيتنام . هذا وقد وجه قداسة البابا كيرلس السادس بطريرك الاقبـــــاط الارثوذكس في الجمهورية العربية المتحدة نداء الى جميـــع كنائس العالم ، طالبه فيه بان تعلن الكنائس المسيحية على اختلاف مذاهبها ، استنكارها التام للاعتداء الوحشى عـلى السلام العالمي الذى تمارسه قوات العدوان الاستعمارى على أرض فيتنام ، ودعا الى المطالبة بحل المشكلة سلميا مع الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفيتنامي .

اما فيما يتعلق بالموقعة في الجبهة ، فيقوم الامريكيـــون بعمليتين هامتين في الفترة الاخيرة ، وهما عملية **المراعى** ، وعملية **ارفنج** . وقد بدأت عملية المراعى منذ شهرين واحرز الامريكيون فيها بعض التقدم وان لم يكن ثابتا ، وجرح فيها جنرال **لويس والت** قائد البحرية الامريكية في فيتنام . اما عملية ارفنج فبدأت في ٢٣ سبتمبر في وسط فيتنام شمال شرق سايجون بـ ٤٠٠ كم ويشترك فيها الامريكيون والفيتناميون الجنوبيون وفرقة « النمور » الكورية الجنوبية . وقد شن الثوار هجوما عنيفا على مركزا تفتيش للبوليس في قلب سايجون قبل وصول مكتمارا بدقائق واستمر القتال بين الجانبين ١/٢ ساعة . كما ان معنويات الناس في سايجون ليست حسنة حسبما اشارت بعض الصحف الغربية . اما في الولايات المتحدة نفسها فقد اضرب ١٤٠٠٠ عامل في شركة جنرال الكتريك التى تنتج اسلحة لفيتنام ، وهدد ١٠٠٠٠٠ آخرين من زملائهم بالانضمام للاضراب ، اذا لم تزد اجورهم . وقد تدخل الرئيس الامريكي بنفسه وعمد عدة من وزرائه في محاولات لفض هذا الاضراب الذى يؤثر على سير الحرب في فيتنام . وفيما يتعلق بارسال السلاح النووى الى الميدان ، اشارت « المصـــادر الحربية الرسمية » التى سبق التنويه بها الى ان ارســال مثل هذه الرؤوس الذرية ، اذا بدا ضروريا سيكون في غاية السرعة . الا ان النتائج السياسية المترتبة عن استخدامها ، ستكون اكثر اضرارا وخطرا مما يمكن ان تأتى به من انتصارات عسكرية . وعلى اى الاحوال فبرغم صعوبة الموقف عامة على هذا النحو ، قام مندوبو الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وكمبوديا بالاتصال بيوثانت السكرتير العام للامم المتحـــدة لمحاولة انهاء الركود الذى اصاب المساعى الخاصة باجراء محادثات السلام ولوضع حد للقتال الدائر .

●



● جروميكــو

■ الامم المتحدة

تأجلت الازمـــة . . . مؤقتـــا



افتتاح الدورة الجديدة للامم المتحدة في ٢٠ سبتمبر ، هدأت مؤقتا الازمة التى اثارها يوثانت باعلانه عن عزمه على الاستقالة في نهاية مدة رياسته في ٣ نوفمبر القادم . فقد عاد واعلن قبل افتتاح هـذه الدورة بيوم واحد انه مستعد للبقاء في منصبه حتى نهاية الدورة الحالية ، اذا كلفه مجلس الامن بذلك ، واذا لم يتم الاتفـــاق حول من يخلفه .

ويعتبر المراقبون ، ان هذا الحل المؤقت ليس دليلا على انتهاء الازمة ، او حتى توفر الفرصة لذلك . فالمشـكلة في نظرهم ، لا تكمن فيمن يخلف يوثانت ، رغم تعقد هذه المسألة بدورها . بل يكمن السبب في طبيعة تركيب هيئـة الامم ، والصراعات داخلها ومدى فاعلية قراراتها . فمما لا شك فيه ان حرمان الصين من عضوية هذه المنظمة ، كما عبر عن ذلك يوثانت نفسه ، ينال من فعاليتهـا . كما ان تكوين مجلس الامن ، وحق الفيتو ، يجعل لمجموعة بعينها القدرة على التحكم في قراراته ، ولا ينفى هذا استخدام الاتحاد السوفيتى لهـذا الحق لمصلحة الشـعوب الصغيرة ، ولمنع اتخـاذ قرارات جائرة . هذا عن التركيب ، اما عن جدية القرارات فيكفى في نظر المراقبين ، تأمل ما يحـدث في فيتنام ، وتحـدى الدول العنصرية لقرارات الامم المتحـدة الخاصـة بالغـاء التمييز العنصرى ، بل واستخدام علم الامم المتحدة في كوريا والكنغو لستر اهداف استعمارية ، يكفى هذا لبيان ما تتمتع به هـذه القرارات من احترام . وهذا ما دفع **نيريرى** ، رئيس جمهورية تانزانيا الى التعليق على استقالة يوثانت بقوله « انه على حق في استقالته ، واولئك الذين يطالبونه باعادة النظر في قراره مخطئون ، الا لو كانوا على اسـتعداد الان لاعادة النظر في قراراتهم » .

هذا هو جوهر المشكلة ، فالمسألة ليست قدرات خاصة يتمتع بها يوثانت بحيث تجعل العالم يبكى ذهابه ، بقـدر ما يتعلق الامر بطريقة عمل هذه المنظمة التى تجعل « الحـذاء يؤلم القدم في اكثر من موضع » كما قال يوثانت نفسه .

والمسألة الحاسمة والتى جعلت يوثانت يحس بعجزه هى الحرب في فيتنام ، وفشل كل الجهود التى بذلها هو شخصيا ،



● يوثانت

وبذلتها كلّ البلاد المحبة للسلام لحلّ هذه المشكلة ». وجعلته يقدم ثلاثة اسباب لاستقالته ، تعبر بصدق عن حقيقة وضع الهيئة الدولية ، وهى على حد قوله :

١ ـ فشل المنظمة وعجزها عن المساعدة فى تسوية مشكلة فيتنام ».

٢ ـ ضغط الاحداث التى تقود العالم ـ بغير ضمير ـ نحو حرب كبرى ، بينما تتخلف الجهود التى تبذل لمنع هذا الاتجاه تخلفا يصل الى مستوى الكارثة ».

٣ ـ الخطأ الرهيب الذى يحدث بالاعتماد على القوة وعلى الوسائل العسكرية خلال السعى الخادع نحو السلام .

ما المسألة الثانية ، والتى جعلت يوثانت يبادر باستقالته فيعبر عنها فى خطابه فى جامعة ساوباولو فى البرازيل عند ما يقول « ان التقسيم الحالى للعالم الى دول غنية ودول فقيرة سيصبح فى النهاية اكثر خطورة من تقسيم العالم الى دول شيوعية ودول رأسمالية » فالدولة النامية « كانت تتأخر باطراد فى ميدان التجارة العالمية طوال السنوات العشر الماضية او اكثر ، والامم المتحدة لا يمكن ان تستريح الى موقف يتعرض فيه نمو الدول الصاعدة لضغط مستمر نتيجة للصعوبات التى تواجهها فى اسواق التصدير » . وقد كان يوثانت قد اعلن انه سيقدم مشروعا لمضاعفة الدخل فى العالم ، ولكنه عاد فأعلن عن خيبة امله فى استعداد الدول الصناعية والمتقدمة فى تقديم العون للبلاد المتخلفة ، ويأسه من تحقيق تجارة دولية عادلة ».

يضاف الى كل ذلك ، مسالة التفرقة العنصرية ، وفشل الامم المتحدة فى مواجهتها . فالتفرقة العنصرية على حد قوله « قد تصبح كالوحش المدمر بحيث تجعل الخلافات الدينية والفكرية التى حدثت فى الماضى كالمناقشة العائلية البسيطة ». ومسألة الخطر الذرى « الذى ما زال شبحه يحلق فوق البشرية من كل جانب » . كل هذا جعله يحس انه « لا يستطيع ارضاء كل الدول الاعضاء فى الامم المتحدة » وجعل الامم المتحدة ، فى رأيه « تقف على مفترق الطرق ، والخطر يتهدد مستقبلها كصانعة للسلام ودعامة له » . وجعل « حالات الفشل وخيبة الامل تفوق المكاسب المتواضعة التى حققتها الامم المتحدة فى العام الماضى ، فالدول الكبرى لم تستطع ان ترتفع فوق شكوكها المتبادلة ، والدول الغنية لم تستطع ان ترتفع فوق أنانيتها على المحافظة على ثرائها ، والدول الفقيرة لم تستطع أن ترتفع فوق فقرها وتركيباتها الاجتماعية المتناقضة » .

وسواء صح او لم يصح ما يردده المشككون من ان اعلان الاستقالة ، لم يكن سوى تهديد لحصول على صلاحيات اكبر ، فان العمل فى حد ذاته يعتبر تحذيرا لكل القوى المحبة للسلام ، لكى تبحث بجدية اكثر الوضع الحالى للمنظمة ولا يقلل من ذلك ان اندونيسيا رجعت اليها فى هدوء ، بعد اعلانها يأسها منها . فالامر المؤكد انه لو استمر الحال كذلك ليئس آخرون . والوضع يستدعى مبادرة واحساسا بالمسئولية ، من دول عدم الانحياز والدول الاشتراكية بالدرجة الاولى . وكما يقترح البعض يمكن ان يطرح اقتراح ضم الصين الشعبية للتصويت عليه لتبين ما اذا كانت الدول الاعضاء تنوى الارتفاع الى مستوى المسئولية تجاه السلام العالمى ، وتقدم المجتمع البشرى . اما يوثانت فقد نقلت رويتر انه ابقى الباب مفتوحا لسحب استقالته . ومما لا شك فيه ان دور دول عدم الانحياز ، كان له اثره على تأجيل الاستقالة . فقد ارادت هذه الدول منع تعرض الهيئة لهزة عنيفة واثارة خلاف حول من يخلف يوثانت ».

والسؤال المطروح الان هو : هل تنجح المنظمة فى الخروج من دائرة التحكم وتسهم فى التغلب على التركة الصعبة من المشاكل والمتاعب التى تعترض طريق قيام المنظمة بدورها؟

يسارع البعض بالقفز الى النتائج استدلالا بحادثة الاعتداء على مقر الوفد السورى من قبل الجماعات الصهيونية ، ووقوف جهاز الامن الامريكية موقف المتفرج وعدم تدخلهم الا بعد ان عاث الصهيونيون فسادا . وقد تعددت حوادث الاعتداء والاهانة وبالذات بالنسبة للوفود الملونة ، دليل على ان علاقات القوى القائمة فى المنظمة لن تشهد تغييرا كيفيا فى هذه الدورة . كما ان المشاكل المتراكمة لن تشهد حلا جذريا ، رغم تنامى دور دول العالم الثالث وايمان كل الاطراف بقيمته المنظمة ، مهما كانت اغراضهم .

●

■ اليونان

قضية اليسار .. وقضية اليمين

أشار عدد من المعلقين السياسيين الى ان قضيتى منظمة « اسبيرا » اليسارية السرية التى تدعى السلطات الملكية فى اليونان انها كانت تهدف الى قلب نظام الحكم ، وقضية اغتيال جريجوريس لامبراكيس النائب التقدمى والعضو البارز لحركة السلام اليونانية ، انما تعكسان ازمة النظام الملكى اليونانى . ففى حين يوجه اليمين الملكى وانصاره ، الاتهام فى قضية اسبيرا . يوجه اليسار المتمثل فى حزب (ايدا) التجمع الديمقراطى اليسارى ، الذى يؤيد **باباندريو** وحزبه (اتحاد الوسط) يوجهان الاتهام باغتيال لامبراكيس الى انصار اليمين الملكى .

وقد اذيع قرار الاتهام ضد ٢٨ من ضباط الجيش اليونانى وعدد من المدنيين بينهم **اندرياس باباندريو** ابن **جورج باباندريو** رئيس الحكومة السابق . وقد تقررت محاكمتهم امام محكمة

عسكرية بتهمة « التمرد » و« الخيانة العظمى » ، وهناك ٤ ضباط آخرين لم توجه ضدهم اتهامات كافية لمحاكمتهم ، لذا سيمثلون امام مجلس عسكرى سيحدد مصيرهم . وقد رفض مسيو باباندريو كلية فى تصريح نشر اخيرا ، الاتهام الموجه ضده وضد ابنه ، و ٣ من اعضاء حكومته السابقة والـ ٢٨ ضابطا .ويرى العديد من المعلقين السياسيين ان الاسلوب الذى ختم به باباندريو تصريحه ، انما يكشف عن الدرجة فى القوة والتأييد اللتين يتمتع بهما فى الفترة الحالية : « من اليوم فصاعدا ، لن نصبح نحن المتهمين ، بل موجهى الاتهام اننا نريد ان تطرح القضية علنا امام العدالة ، لكى يثبت اننا لسنا نحن المذنبون ، وانما القوى المضادة للتقدم التى خلقت الحكومة الحالية ، التى ستكون مصدرا لمصائب كبرى فى المستقبل » . هذا ومن الاتهامات المنسوبة الى منظمة اسبيرا انها كانت تعمل من اجل خلق جمهورية محايدة تحت رئاسة باباندريو والى الانسحاب من الحلف الغربى . وحسب التقرير الذى اعده قاضى التحقيق والذى اشارت اليه مجلة الاكسبريس الفرنسية ، فان المتهمين فى « اسبيرا » كانوا يحاولون قلب نظام الملكية الدستورية واقامة نظام ثورى وصف بأنه « على الطراز الناصرى » .

وتحاول الحكومة اليونانية عن طريق اثارة قضية «اسبيرا» على اوسع نطاق ، النيل لاكبر قدر ممكن من جماهيرية باباندريو وحزب اتحاد الوسط ، وذلك قبل اجراء الانتخابات القادمة . خاصة وقد تقدم موعد هذه الانتخابات التى كان من المفروض قبلا ان تجرى فى فبراير سنة ١٩٦٨ . ويرجع ذلك الى النزاع الذى دب فى الائتلاف الحكومى بين حزبى « اتحاد الوسط الليبرالى » الذى يتزعمه ستيفانوس ستيفانوبولوس رئيس الوزراء والذى انشق على حزب باباندريو (اتحاد الوسط) ، وبين حزب « الاتحاد الراديكالى » . وقد لجأ الاتحاد الراديكالى الى سحب احد وزرائه من الحكومة فى يونيو الماضى ، احتجاجا على عدم قيام ستيفانوبولوس باستشارة الحزب الراديكالى بخصوص الاتجاه لاجراء مفاوضات بين اليونان وتركيا بشأن ازمة قبرص . ولما كانت حكومة ستيفانوبولوس تستمد فى السلطة بسبب ائتلاف هذين الحزبين اللذين يحققان معا اغلبية برلمانية ضئيلة هى ١٥٢ مقعدا من ٣٠٠ مقعد فى البرلمان . فان انفصام هذا الائتلاف الذى يمكن ان يتوقع فى جو التوتر الحالى بين الحزبين ، سيؤدى تلقائيا الى سقوط حكومة ستيفانوبولوس التى لن يؤيدها عندئذ فى البرلمان سوى نوابها وعددهم ٩٩ نائبا فقط وهم غير كافين لتحقيق اية اغلبية برلمانية .

والهدف الذى يرى عدد من المعلقين السياسيين ان القوى الملكية تعمد الى تحقيقه ، هو اجراء الانتخابات القادمة فى ظل الاتهامات الموجهة الى « اسبيرا » بالانقلاب والتآمر . وهو ما يعتقد اليمين انه سيضعف من تضافر الناخبين حول باباندريو واتحاد الوسط ، هذا بينما ترى القوى المضادة ، سواء من انصار باباندريو ، او حزب التجمع الديمقراطى اليسارى ، او غيرهم من القوى ، ان الكشف عن المجرمين الحقيقيين فى قضية اغتيال النائب الجماهيرى جريجوريس لامبراكيس يمكن ان يؤثر على الناخبين مرة اخرى لصالح اتحاد الوسط ، كما اثرت عليهم عملية الاغتيال نفسها لصالح هذا الحزب ايضا فى نوفمبر سنة ١٩٦٣ .

سينما

السينما بين « الهمبكة » والفن الملتزم

فى النصف الاول من الشهر الماضى وفى صالة العرض باستديو مصر ، اجتمع الدكتور ثروت عكاشه نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة ، بثمانمائة من العاملين فى ميدان السينما . وقد وصف النقاد الفنيون هذا الاجتماع بانه اول بادرة جادة ومخلصة تسعى الى التعرف على الواقع الحقيقى للسينما فى بلادنا بعد ان وصلت الى مرحلة من العجز الفكرى والفنى يشبه «المأزق» بتعبير الدكتور عكاشه .

وقد برز بوضوح فى هذه الاجتماعات ان السينما المصرية تقاعست عن التعبير الصادق عن الاحداث الوطنية والتقدم الاجتماعى فى بلادنا فى مرحلة التطبيق الاشتراكى . ويجمع نقاد السينما وبعض العاملين فيها على ان التركة امام الجهود الجديدة الواعية فى هذا المجال ، تركة مثقلة .

ورغم ان المراقبين كانوا يتوقعون ان تبرز فى هذه الاجتماعات بعض الاتجاهات غير الاشتراكية للهجوم على القطاع العام والتشكيك فى قدراته فى مجال السينما ، الا أن احدا منهم لم يكن يتوقع ان تصل الجرأة بهذه الاتجاهات الى حد المطالبة العلنية والمباشرة بتسليم السينما للقطاع الخاص وتصفية القطاع العام فيها . ويفسر بعض المراقبين ذلك بانه طبيعى ان تكشف مثل هذه الاجتماعات المفتوحة عن عناصر متربصة بالقطاع العام لتواصل استغلالها ، حيث يعد المجال السينمائى واحدا من المجالات الاساسية الباقية التى « تعشش » فيها الفكريات والقيم الرجعية لاهمية السينما الخاصة كوسيلة للتأثير على الجماهير . ومن ثم تحرص القوى الرجعية على ان تحول دون اجراء تغيير جذرى فى اوضاع السينما لتظل تسيطر عليها فتفسد فكر وقيم الجماهير ، ولكن اوساط النقاد التقدميين والدوائر الثقافية تعول كثيرا على قيادة وزارة الثقافة وتبدى تفاؤلها الكبير كما تتنبأ بمعالجة ثورية لهذا العجز الفكرى والفنى الواضح فى السينما المصرية .

وكشفت المناقشات التى دارت فى هذا الاجتماع الهام، عن الاتجاه المتخلف القديم الذى مازال ينظر الى السينما باعتبارها « هبكه » واستخفافى بعقلية الجماهير . كما كشفت كذلك عن اتجاه آخر وطنى وتقدمى ينظر الى السينما باعتبارها صناعة مادتها الاصلية الفكر وهدفها الاول هو ان ترتبط بالقيم الاشتراكية لتعمقها فى نفس الجماهير وترفع من مستوى تذوقها الجمالى برفع مستواها الفنى والتكنيكى.

وقد اتخذ الاتجاه الاول المتخلف عدة صور للتعبير عن نفسه تحددت كلها فى اطار الدفاع عن القطاع الخاص تحت شعار « تنشيط القطاع الخاص » بأن تقدم الدولة له الاموال والامكانيات . وقد تصدى للدفاع عن هذا الاتجاه بشكل اساسى عدلى المولد وماجدة وحسن الامام وكمال الشناوى. ويتساءل المراقبون الفنيون : اذا كانت الدولة سترصد الاموال والامكانيات للارتفاع بمستوى السينما ، فلماذا يظن هؤلاء انها ستقدم هذه الامكانيات للقطاع الخاص وليس للقطاع العام ؟ ومن الصور الاخرى التى اتخذها اتجاه الدفاع عن القطاع الخاص والهجوم على القطاع العام ،

الدعوة لايجـاد « بنك السينما » يقرض المنتجين الاموال ليسددوها بعد عرض افلامهم . وعلق المراقبون الفنيون بقولهم : اذا كان العاملون فى القطاع الخاص يقولون انهم لا يربحون بل يخسرون فمن اين سيسددون قروضهم ؟ واذا كانوا يربحون فلماذا لا تقدم القروض للقطاع العام بدلا منهم ؟ وقد دعا بعض المنتجين (قطاع خاص) الى منح المنتج ميزانية الفيلم والقاء مسئولية العمل عليه ! مما دفع النقاد الى التساؤل : واذا كانت الشكوى عامة من منتجى القطاع الخاص الذين وصل بهم الامر الى حد ان احدهم قبض اجره (٢٠٠٠ جنيه) عن فيلم اخرج فعلا بينما كان هو فى لبنان ، فكيف نعطى الميزانية له ؟ ان ذلك يعنى ان الدولة تكافىء المسيىء بدلا من ان تحاسبه وتعاقبه »

ومن اهم المشاكل التى تعرض لها الاجتماع ، مشـكلة التوزيع . اذ تقول الاحصائيات انه فى عام ١٩٥٨ عرض بالجمهورية العربية المتحـدة ٣٥١ فيلما منهـا ٢٤٥ فيلما امريكيا و ١٩ فيلما ايطاليا و ١٥ فيلما سوفيتيا و ١٥ فيلما من جنسيات مختلفة و ٥٧ فيلما عربيا » اى ان نسـبة الافلام العربية التى عرضت لم تبلغ اكثر من ١٦٪ بينما بلغت نسبة الافلام الامريكية ٧٠٪ . وتقول نفس الاحصائيات انه فى عام ١٩٦١ انخفضت نسبة الافلام العربية الى ١٢٪ . كما تبين ان فيلما امريكيا جديدا يعرض كل يوم تقريبـا فى القاهرة حيث يزيد عدد الافلام الامريكية التى تعرض سنويا على ٣٢٠ فيلما . ولقد بدا غريبا ومثيرا للدهشة والتساؤل ان يعارض كثير من اصحاب القطاع الخاص — وفى مقدمتهم ماجدة — فكرة الحد من عرض الافلام الامريكية . وقد خلص الذين حضروا الاجتماع الى ان التوزيع مهما كان ناجحـا لا يمكن ان يروج لفيلم ضعيف وفاشل »

اما الاتجاه الداعى الى سينما جديدة مرتبطة بواقع تقدم بلادنا ، فقد تصدى للدفاع عنه بشكل اساسى صلاح التهامى وصلاح ابو سيف وعبد المنعم الصاوى وصـلاح جاهين ومحمود السعدنى وجمال الليثى . فقد كشفت المناقشـات عن فضائح كثيرة فى ميدان السينمائيين تبين ان افلاما كثيرة تكلفت مئات الالوف من الجنيهات لم تعرض وان بعضهـا اشتريت بعشرات الالوف من الجنيهات وركنت مما دفع النقاد الى القول بأن السينما حاليا اشبه بمريض استبد به الداء وفى حاجة الى مهارة عالم جرىء . ويرى هـذا الاتجاه ان هدف دخول القطاع العام ميدان السينما يجب ان يحقق غرضين الاول : ارتبـاط صـناعة السـينما بالقيم الاشتراكية التى يرتبط بها مجتمعنا والتعبير عنها وتعميقها فى نفوس الجماهير والثانى : الارتفاع بالمستوى الفنى والتكنيكى للصناعة كما يرى هذا الاتجاه انه يقدر اهمية تنمية الامكانيات المادية والالية للفيلم » يجب ان يكون التركيز الاساسى على تنمية مضمون الفيلم والارتفاع به . كما طالب المدافعون عن هذا الاتجاه بتكوين لجان على مستوى فكرى وفنى تقوم باختيار الافلام التى تناسب بلادنا من مختلف بلاد العالم ومنع عرض الافلام التى تمثل تهديدا مباشرا للشعوب المكافحة من اجـل حريتها . وبخصوص مشكلة اجور الفنانين طالب هذا الاتجاه التقدمى بضرورة اعادة النظر فى اجور الفنانين حتى تتفق مع الحد الاعلى لمستويات الاجور فى بلادنا وحتى لا تمثل عبئا كبيرا على ميزانية الفيلم فتبلغ ٦٠٪ بينما لا تزيد فى الفيلم الاجنبى عن ٢٥٪ »

وقد شهدت هذه الاجتماعات هجوما واضحا على الافلام المشتركة التى سبق اخراجها وقامت شركة « كوبرو فيلم » بانتاجها مع بعض الشركات الاجنبية ووصفت هـذه الارقـام المشتركة بانها خاوية من اى مضمون للفكر الوطنى وتسىء الينا بدليل ان الرقابة منعت بعضها من العرض بينما يدور البعض الاخر فى اطار الجريمة والجنس . واجمع الحاضرون على ان هذه الافلام لا تتيح فرص عمل او مراكز لائقة للمخرجين او الفنانين المصريين »

وتتوقع الاوساط الثقافية المتفائلة بتولى الدكتور ثروت عكاشة مهام نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة ، ان تجد هذه المشاكل فى ميدان السينما علاجا جذريا يحقق ما يجب ان تقوم به السينما من دور ايجابى فى مرحلة نضال شعبنا من اجل بناء الاشتراكية »

■ رسـالة من السودان

اتحـاد نقـابات عمـال السـودان

زار

القاهرة فى الشهر الماضى الشفيع احمد الشيخ السكرتير العام لاتحاد نقابات عمال السودان منذ تأسيسه فى الاربعينيات ، ضمن وفد القوى التقدمية السودانية ، بعد المسيرة الكبرى التى سيرتها القوى التقدمية السودانية ضد الرجعية وضد الحلف الاسلامى وضد المتاجرين باسم الدين . واتحاد نقابات عمال السودان الذى يعتبر من ركائز العمل الثورى فى السودان له تاريخ طويل ملىء بالعمل الجاد الدؤوب من اجل سودان حر ديمقراطى اشتراكى »

ففى عام ١٩٣٧ شهد السودان اول اضراب عمالى قـام به العمال فى شركة النور والمياه وهى شركة انجليزية مطالبين « بمنحة » اسوة بالعمـال والمهندسـين الاجانب واستمر الاضراب لمدة ثلاثة ايام . وخلال الحرب العالمية الثانية اضرب العطشجية عام ١٩٤٢ مطالبين بتحسين الاجور وسـاعات العمل ، ولقد كان هذا الاضراب الثانى هو البداية للتفكير فى خلق التنظيم النقابى فى السودان ، ولقد ارتبط ذلك بنمـو الحركة الوطنية السودانية فى الاربعينيات ، ومنـذ نشـأة مؤتمر الخريجين والارتباط وثيق بين القوى الوطنية والحركة العمالية السودانية حتى قبل تنظيمها . وهكذا اخذت الحركة

العمالية السودانية تخوض المعارك العديدة ضد رأس المال الاجنبي وظهرت زعامات نقابية عمالية مبكرة مثل قاسم امين والشفيع احمد الشيخ والحاج عبد الرحمن ولقد نظم الثلاثة اضراب طلاب مدرسة الصنايع ـ وهي مدرسة تخرج عمالا صناعيين . ولكن اهم حركة اضرابية كبيرة قام بها العمال السودانيون كانت في ١٩٤٦ و ١٩٤٧ للمطالبة بحق العمال في التنظيم النقابي ـ وكان على رأس هذه الحركة الشفيع احمد الشيخ وزملاؤه الاخرين الذين بدأوا في تشكيل تنظيمات وتشكيلات عمالية بين عمال السكك الحديدية بصفة رئيسية . وفي ١٩٤٦ اضرب عمال السكك الحديدية ٣٣ يوما ، ولقد اشترك عمال الري المصري في هذا الاضراب لمدة خمسة ايام ، ولقد ارغم هذا الاضراب السلطات الاستعمارية على الموافقة على وجود التنظيم النقابي على ان يسمى هيئة شئون العمال . وفي ١٩٤٧ اعلن اضراب كبير لمدة ثلاثة ايام احتجاجا على القانون الذي وضعه « نيومن » مدير مصلحة العمل ومبعوث النقابات البريطانية للعمل في السودان والذي عمل بعد ذلك لتنفيذ المخطط الاستعماري للاتحاد الدولي للنقابات الحرة بالسودان . وكانت جميع نصوص قانون « نيومن » تضع قيودا عديدة على الحريات النقابية ، ولقد تمكنت الحركة العمالية الناشئة من قبر القانون قبل اقراره .

وفي ١٩٤٨ صدر قانون نقابي جديد اعترف بقيام نقابات العمال ولم يعد اسمها « هيئة شئون العمال » . وبموجب هذه القانون تكونت نقابات عديدة ونصت في دساتيرها على ضرورة قيام اتحاد للنقابات ، ولقد وضع العمال هذه الدساتير بمساعدة المثقفين الوطنيين .

وفي هذه الفترة شاركت الحركة العمالية في الحركة الوطنية السودانية المعادية للاستعمار مشاركة طليعية ـ وخرجت الحركة العمالية السودانية بفضل قياداتها الواعية والثورية من اطارات النضال المطلبي والمعارك الاقتصادية الى اطار الكفاح السياسي الرحب من اجل التحرر الوطني والثورة الاجتماعية . ووقف اتحاد نقابات العمال منذ تأسيسه في ١٩٤٨ الى جانب كافة القوى والفئات الاخرى في نضالها ضد الاستعمار البريطاني والرجعية السودانية ـ وعندما فصلت السلطات الاستعمارية ٤١٩ طالبا من مدرسة خورطقت اعتبر اتحاد النقابات ان هذه قضية وطنية فأعلن الاضراب العام احتجاجا على السلطات الاستعمارية وطالب بعودة الطلبة الوطنيين الى معهدهم .

والحركة العمالية السودانية منذ مشاركتها الفعالة والطليعية في الحركة الوطنية ـ كانت وثيقة الصلة بالحركة العمالية والوطنية المصرية ـ وعندما اضرب عمال السكك الحديدية في ١٩٤٨ ارسل العمال المصريون وفدا نقابيا مصريا للتضامن مع عمال السودان وجمع العمال المصريون التبرعات للعمال المضربين وقدموا اليهم كافة انواع المساعدات .

وكانت الحركة العمالية في مقدمة القوى الجماهيرية العريضة التي قاومت ببسالة الجمعية التشريعية باعتبارها جهازا من اجهزة الاستعمار لحكم السودان بقوة رجعية سودانية ، كما وقفوا وقفتهم الصلبة المشهورة ضد قانون النشاط الهدام فخاضوا اضراب الحريات المشهور في ابريل ١٩٥٢ .

واتحاد نقابات عمال السودان منذ تأسيسه وهو يناضل من اجل التحرر الوطني والثورة الاجتماعية ـ ولقد ارتكز نضاله الطويل على العمل من اجل :

١ ـ اجور افضل ٢ ـ وحدة الحركة النقابية ٣ ـ تحقيق الحريات النقابية ٤ ـ النضال من اجل الاستقلال الوطني الحقيقي ٥ ـ النضال من اجل تحقيق تحرر اقتصادي كامل وديمقراطية اقتصادية ٦ ـ العمل من اجل تغيير اجتماعي جذري ٧ ـ النضال من اجل السلام العالمي .

ودخل معارك عديدة كجزء طليعي من مجموع الحركة الثورية في السودان وفي العالم العربي والافريقي من تحقيق هذه الاهداف :

فأولا : خاض اتحاد نقابات عمال السودان معارك عديدة منذ ايامه الاولى من اجل تغيير نظم الاجور ـ واساسا ضد قانون ويكفيلد والذي يقسم السودان الى مناطق متعددة ويقرر تحديد الاجور على اساس قانون العرض والطلب ـ ونضال اتحاد عمال السودان من اجل نظم اجرية افضل قائمة على اساس دفع اجور متساوية داخل السودان وعلى اساس الاجر المتساوي للعمل المتساوي لا فرق بين جنوبي وشمالي ولا فرق بين رجل وامرأة ـ انما هو في نفس الوقت نضال ضد سيطرة وتحكم رأس المال الاجنبي ونضال ضد قوانين اللجان الاستعمارية كقانون ويكفيلد وملز ولجنة طومسون . ومن هنا تصبح كل الاضرابات التاريخية التي خاضها عمال السودان من اجل مطالب يومية واقتصادية اضرابات ذات وجه وطني ، وهكذا ارتبط النضال من اجل نظام اجري أفضل بالنضال من اجل الحريات الديمقراطية للجماهير العاملة ـ وكما جاء في قرار المؤتمر الخامس لاتحاد نقابات عمال السودان عن الحريات العامة والنقابية :

« ان النضال من اجل الحريات هو على صلة وثيقة بالدفاع عن مصالح الجماهير العاملة وتحسين ظروف معيشتها وقد ظل اتحاد نقابات عمال السودان يرفع راية النضال عاليا ويقود المعركة تلو المعركة ويستنفر كل القوى الوطنية والديمقراطية منذ نشوء الحركة النقابية دفاعا عن الحقوق والحريات النقابية » .

واتحاد نقابات عمال السودان في كل المعارك التي خاضها ويخوضها من اجل الحريات النقابية منذ عهد الاستعمار كان يعتبر ان الحريات النقابية لا يمكن ان تتحقق بمعزل عن الحريات الديمقراطية العامة بكل جماهير الشعب السوداني باعتبارها شرطا اساسيا وضروريا لها في نضالها ضد الاستعمار وضد القوى الرجعية . ولذلك خاض الاتحاد معركة الخمسينيات دفاعا عن الحريات وضد قانون النشاط الهدام ـ وكان اضراب الحريات المشهور في عام ١٩٥٢ والذي سجنت بمقتضاه كل اللجنة التنفيذية لاتحاد نقابات عمال السودان . وبمبادرة من الاتحاد تأسست هيئة الدفاع من الحريات العامة في السودان ، ولقد كان الاتحاد منذ الانقلاب الرجعي في نوفمبر ١٩٥٨ في مقدمة صفوف الشعب دفاعا عن الحرية وعن حقوق العمل حتى انتصرت ثورة اكتوبر ١٩٦٤ ـ وبعد انتكاس هذه الثورة الديمقراطية الوطنية عاد الاتحاد الى تنظيم الصفوف دفاعا عن الحريات النقابية والحريات العامة .

ونضال اتحاد نقابات عمال السودان من اجل « نظام اجري افضل » ومن اجل « حريات نقابية وعامة » ارتبط منذ نشأة الاتحاد بقضية وحدة الجماهير العاملة ـ واعتبر هذه القضية هي حجر الزاوية في كل نضال يخوضه الاتحاد ، فسار على سياسة تدعيم الوحدة بين صفوف العمال في النقابات وفي كل اعمال الاتحاد وتبنى الفهم الصحيح لمعنى

النقابة باعتبارها جبهة تضم كل العمال بغض النظر عن اختلاف آرائهم وعقائدهم . والمهم هنا — هو ان هذه القضية اصبحت قضية جماهير العمال السودانيين تفهموها من خلال العمل الفكرى الجماهيرى للاتحاد ومن خلال المعارك العملية التى خاضوها طيلة السنين الماضية قبل الاستقلال وبعده . واذ استشعر الاستعماريون والرجعيون خطر وحدة العمال داخل مركز واحد فقد عملوا منذ البداية لتقسيم صفوف الحركة النقابية السودانية واستمروا فى شن هجوم متواصل على اتحاد نقابات عمال السودان ولجأت الاتجاهات الانتهازية والرجعية والاستعمارية داخل الحركة النقابية السودانية الى رفع شعارات مختلفة تغيرت من مرحلة لمرحلة ولكن جوهرها واحد هو احداث الانقسام فى صفوف العمال منذ الاربعينيات — ورفعت هذه الشعارات الانقسامية ابان الحكم الاستعمارى وخلال حكم الحكومات المختلفة التى جاءت بعد الاستقلال وتركزت هذه الشعارات فى ابعاد العمال عن الاشتراك فى السياسة ، وشعارات العمل النقابى البحت وشعارات تحرير لا تعمير ..

ولقد كانت الاتحادات النقابية الدولية العاملة فى خدمة الاستعمار الجديد وفى مقدمتها الاتحاد الدولى للنقابات الحرة فى مقدمة القوى الاجنبية العاملة من اجل احداث هذه الانقسامات .. ولذلك فان نضال اتحاد نقابات عمال السودان من أجل الوحدة يرتبط اليوم بشكل جوهرى بالنضال ضد الاستعمار الجديد واساليبه فى السودان .

ثانيا : كان اتحاد نقابات عمال السودان منذ نشأته فى مقدمة القوى الاجتماعية العاملة من اجل التحرر الوطنى ، فخاض المعارك من اجل الاستقلال ومعارك الكفاح المشترك مع الشعب المصرى ضد الاحتلال البريطانى — النضال ضد مشروعات السودنة وضد ربط السودان باحلاف افريقية ، وضد كل محاولة استعمارية او رجعية لعزل الشعب السودانى عن الشعب المصرى ، ففى ١٩٥٦ قاد الاتحاد الجماهير الكادحة السودانية فى حركة شاملة للدفاع عن مصر باعتبار ذلك دفاعا عن السودان وعن كل قوى التحرر الوطنى فى القارة — فكان اضراب الخطوط الجوية السودانية واغلاق المطارات فى وجه الطائرات الانجليزية والفرنسية والامريكية ، وفتحت مكاتب التطوع للفدائيين وسيرت المواكب والمظاهرات وشارك الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب المعركة يوما بيوم ، وبعد العدوان وقف الاتحاد ضد مشروع ايزنهاور وتصدى لزيارة نيكسون للسودان فباءت بفشل ذريع ..

ان اتحاد نقابات عمال السودان — بعد الاستقلال اشترك قياديا فى معركة تطوير الاستقلال وتدعيمه فخاض المعارك العديدة ضد كل محاولات الرجعية لربط السودان بالاحلاف والاتفاقيات الاقتصادية المشروطة مع الغرب ، وضد اتفاقية النقطة الرابعة وضد سيادة العلاقات شبه الاقطاعية واستمرار سيطرة الاحتكارات الاجنبية ، ولذلك فانه يرى ان تدعيم الاستقلال والمحافظة عليه فى وجه الاستعمار الجديد يتطلب الكفاح من اجل تحقيق الديمقراطية الاقتصادية ، بتحرير الاقتصاد السودانى من نفوذ الاحتكارات الاجنبية وعملائها من الرأسماليين المحليين ونفوذ شبه الاقطاع وتخطيط الاقتصاد على اساس وضع قطاعاته الاساسية تحت يد دولة ديمقراطية واشاعة نظام التعاون — والتطور بالبلاد نحو آفاق بناء اشتراكى — باعتباره الحل الحاسم لمشاكل التحرر ومشاكل الجماهير . وباعتبار ان تحقيق الديمقراطية الاقتصادية والتحرير الكامل للاقتصاد من سيطرة الاجانب والرجعيين هو عنصر هام من عناصر التطور الاشتراكى .

ويرى اتحاد نقابات عمال السودان — ان قضية التحرير الاقتصادى الكامل انما ترتبط ارتباطا وثيقا بتصفية العلاقات الانتاجية البالية فى السودان — الاقطاعية والقبلية والرأسمالية ... وعلى هذا فقد اصبح قوة من القوى الرائدة فى مجال العمل من اجل ثورة اجتماعية متلاحمة مع ثورة التحرر الوطنى ، واصبح قوة من القوى الرئيسية العاملة من اجل وحدة القوى الاشتراكية والتقدمية فى السودان وفى العالم العربى .

والاتحاد فى نضاله من اجل تدعيم الاستقلال وتطويره يضع فى مقدمة اهدافه النضال من اجل حل ديمقراطى تقدمى لمشكلة الجنوب — ولذلك جاء فى قرار مؤتمره الخامس — اكتوبر ١٩٦٤ — عن الجنوب :

« نحن نؤمن بان السودان قطر واحد متعدد القوميات وان حل قضية الجنوب لابد ان ينبع من هذا الايمان ، ونؤمن ايضا بأن العدو الرئيسى لشعبنا فى الشمال والجنوب هو الاستعمار قديمه وحديثه وان اى حل يعرض الجنوب لتسلل الاستعمار يجب مقاومته ورفضه ، ونؤمن بان الشرط الرئيسى لوضع حلول عملية وواقعية يجب ان يسبقه احلال السلام والهدوء فى المديريات الجنوبية وتسليم المتمردين لاسلحتهم ولذلك يجب ان يتجه حل مشكلة الجنوب نحو الاهداف الرئيسية التالية :

١ — حماية اهل الجنوب من اى استغلال او اضطهاد يقع عليهم من اى جهة كانت .

٢ — خلق الظروف الملائمة لتطوير الجنوب اقتصاديا عن طريق وضع القطاعات الهامة فى التجارة فى يد الدولة وتشجيع التعاونيات لتمكين الجنوبيين من تطوير اقتصادياتهم .

٣ — تطوير اللغات واللهجات والمظاهر والسمات القومية للجنوبيين .

٤ — اقامة حكم ذاتى اقليمى للسودان فى نطاق الدولة السودانية الموحدة » .

ويعتبر اتحاد نقابات عمال السودان كذلك ان النضال من اجل تدعيم الاستقلال وتطويره يتطلب النضال من اجل السلام العالمى ، ووقف الحروب الاستعمارية . وانه فى المجال العربى ضرورة العمل لحماية قلعة التحرر الوطنى الاجتماعية الجمهورية العربية المتحدة التى تسير بخطى ثابتة الى « قيم الاشتراكية الوضاءة » . ولقد اكد الاتحاد ذلك فى الرسالة التى وجهها الى **الرئيس جمال عبد الناصر** فى يوليو ١٩٦٦ .*

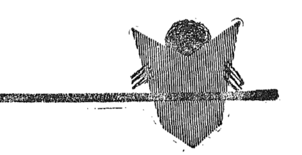
ثالثا : واتحاد نقابات عمال السودان بفضل نضاليته ووضوح الرؤية امامه — له مكانة عالية ، فهو يشارك مشاركة قيادية فى الاتحاد العالمى للنقابات — ولقد كان عضوا فعالا فى الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب منذ تأسيسه ، اشترك بفعالية كبيرة فى كل المعارك التى خاضها هذا الاتحاد .. مع مصر ضد العدوان ، مع الجزائر قبل التحرير ، مع كسب الرأى العام العالمى لقضية شعب فلسطين ، وضد مشروع ايزنهاور .. الخ وهو يشارك اليوم فى اتحاد نقابات كل افريقيا .. ويخوض بوعى معركة النضال ضد نشاط الاستعمار الجديد فى القارة بواسطة « الاتحاد الدولى للنقابات الحرة » و « الاتحاد الدولى للنقابات المسيحية » — ولذلك فهو يواجه نشاطا معاديا من قبل هذه الدوائر .

ان اتحاد نقابات عمال السودان يجسد اليوم — بفضل تاريخه الطويل قوة رئيسية من بين القوى الثورية فى السودان والعالم العربى وافريقيا — وهو يخوض اليوم معركة النضال ضد الحلف الاسلامى والقوى الرجعية المعادية للتطور الديمقراطى والاشتراكى .

عبد المنعم الغزالى

---

* نشرت رسالة اتحاد نقابات عمال السودان فى عدد اغسطس ١٩٦٦ من الطليعة





■ ادب المقاومة فى ارض فلسطين المحتلة ● تأليف : غســـان كنفـــانى

■ فى الاشتراكية الافريقية ● ليـوبولد سنغـــــور

□ من المجلات الفكرية العالمية ● مجلة «الاقتصاد والسياسة»

ادب المقاومة فى ارض فلسطين المحتلة

● تأليف : غســـــان كنفـــانى

تقترن

مأساة فلسطين فى الادب العربى الحديث بمجموعة الاعمال الادبية التى ظهـرت فى الوطن العربى منذ ان تمت الكارثة فى ١٩٤٨ الى الان . ويذكر القارىء بغير شك الاعمال الطليعية للكاتب الفلسطينى التقدمى غسان كنفانى ، كروايته الرائدة «رجال فى الشمس» ومسرحيته « الباب » وعشرات القصص القصيرة التى جمع بعضها فى كتاب « ارض البرتقال الحزين » . والى جانب هذه الجهود النضالية كان غسان كنفانى المتابع شبه الوحيد للادب الصهيونى الذى يكتبه الشباب اليهودى فى اوروبا وامريكا بمختلف اللغات ، وتموله اما اسرائيل مباشرة ، او اجهزة العدوان الامبريالية ومؤسساته التى تتخذ من الثقافة واجهات مضللة للاهداف الاستعمارية .

اما المجهود الجديد الذى يقوم به غسان كنفانى فهو «جمع» التراث النضالى للشباب العربى المقيم فى ارض فلسطين المحتله وقد آثرت ان استخدم لفظة « الجمع » فى التعريف بالعمل الجديد لغسان كنفانى ، لان هذه الصفة بالذات هى التى تعطى هذا العمل قيمته الاولى فما احوج قرائنا الى التعرف على النتاج العربى فى ارض العذاب . ولقد اضاف غسان الى هذا المجهود « التجميعى » الشاق دراســة علمية جادة تحيط بالظروف الموضوعية لنشأة هذا الادب وتطوره ، ولكن يبقى للمجهود الاول فى اكتشاف المادة الخام وحصرها وتصنيفها وتبويبها ، هذا المجهود الاكاديمى البحت ، الاهمية الاولى ذات الدلالة .

ويشير غسان كنفانى فى مقدمة دراسته القيمة الى انه اكثر من ثلاثة ارباع الـ ٢٠٠ الف عـربى الذين بقوا يومذاك فى فلسطين بعد الاحتلال الصهيونى كانـوا من سـكان القرى . اما سكان المدن فقد هجرت الغالبية الساحقة منهم فلسطين ابان حرب الـ ١٩٤٨ او بعدها بقليل ، واحدث هذا الواقع اهتزازا صاخبا فى جوهر المجتمع العربى هناك ، ذلك ان المدن لم تكن فقط مركز القيادة السياسية ولكن ايضا ، كما فى معظم الاحوال ، مركز القيادة الفكرية الاساسى .

وقد خيم الصمت بعد النكبة مباشرة ، كانما هو نتيجة الذهول ثم انفجر شعر حماسى صاخب متجاوبا مع الضمير الشعبى الذى ، اذ صحا من الذهول ، لجأ الى عدم التصديق « ولكن هذا الادب الذى كان يكتب فى المنفى لم يكن يخضع لهذا النوع من التأثير فقط ـ نعنى التأثر بالضمير الشعبى ـ ولكنه كان يخضع ايضا للتيارات الادبية العربية والاجنبية التى كانت تفعل فعلها العميق والسريع فى طبيعة حياتنا الادبية ـ ونتيجة لهذا التأثر المزدوج خضع ادب المنفى لتغير نوعى ، فى المضمون والشكل : فرضت التيارات الحديثة شخصيتها على التكتيك الادبى ، وفرضت المرحلة التى اجتازها الضمير الشعبى نفسها على المضمون : فبعد الشعر الحماسى الصاخب الذى شهدته اوائل الخمسـينات حطم شـعراء المنفى ـ على الاخص ـ العمود التقليدى من حيث الشكل ، وغادروا الحماس الذى وجدوا فيه لمرحلة من المراحل ، تكذيبا شخصيا للكارثة الى نوع فريد من الحزن العميق » .

على ان الذى حدث للادب العربى فى فلسطين المحتلة كان شيئا مختلفا . فحين سقطت فلسطين فى يد العدو لم يكن قد تبقى تقريبا اى محور ثقافى عربى يمكن ان يشكل نواة لنوع جديد من البعث الادبى ، وكان جيل كامل من المثقفين،او بالاحرى اجيال من المثقفين قد غادرت فلسطين الى المنفى — ولم يبق هناك الا مجتمع عربى قروى فى غالبيته الساحقة ، يخضع لحصار سياسى واجتماعى يندر وجود ما يماثله فى العالم ».

فى هذا الجو من الحصار يجب ان نتوقع ان يكون الشعر هو السباق فى توجيه نداء المقاومة ، ذلك انه يستطيع ان ينتشر دون ان يطبع ، وان ينتقل من لسان الى لسان .. وقد فرضت هذه الضرورة ماهو اكثر اهمية من انتاج الشعر فقط ، فرضت اسلوبا معينا فى هذا الانتاج هو الالتزام بالعمود التقليدى الذى يحمل استعدادا اكثر لسهولة التداول من ناحية ، ولتلبية الحرارة العاطفية المطلوبة من ناحية اخرى « والى جانب الشعر الفصيح الذى قدم نفسه ملتزما بالصيغ التقليدية ، ظل الشعر الشعبى قلعة المقاومة التى لا تهدم » ».

ولكن اذا كان الشعر الشعبى يفرخ فى البرارى والبيوت والاعراس والمآتم ، ويكون فى غالب الاحيان انتاجا جماعيا يتطور كلما انتقل من لسان الى آخر ، ويشكل ظاهرة ليس بالوسع مهما اعتمدت وسائل الارهاب والبطش وقفها ، وليس من الممكن العودة بها الى مصدر واحد ليحل به العقاب ويفرض عليه السكوت — اذا كان الحال هكذا مع الشعر الشعبى ، فانه ليس كذلك مع الانتاج الادبى الفصيح ».

وتقدر السلطات الاسرائيلية عدد الذين يكتبون بالعربية ، من شعراء وكتاب فى الارض المحتلة ٢٨ شاعرا وكاتبا بينهم ٨ من اليهود الشرقيين . ولكن الذى صدر وطبع من الكتب العربية فى الارض المحتلة بعد ١٩٤٨ لا يتعدى١٥ ديوانا شعريا وحوالى ٥ روايات ، لاداعى للحكم هنا على اكثرها — مادامت قد حصلت قبل ذهابها للسوق على اذن الرقيب ».

ان الذى حدث داخل الارض المحتلة لم يكن فى الواقع الا الوجه الاخر لما حدث بين شعراء المنفى الفلسطينيين : « ففى حوالى تلك الفترة كان شعر المنفى قد بدأ يتحول ، بالتدريج من الحماس الصاخب الى الحماس الحزين ولكن الاكثر املا ، كانت مرحلة (عدم التصديق) قد انتهت نهاية مريرة حين صار الواقع اكبر حجما من ان يغطى بالتجاهل .. وقد حدث الشىء ذاته — مع حفظ الفروق التى تفرضها الظروف — بين الادباء العرب فى الارض المحتلة : لقدانتهت وصلة عدم التصديق التى تمثل شعر الغزل فى تغطية ضخامتها ووجد الشعراء العرب انفسهم — على وجه الخصوص — يواجهون مابات يصطلح الان على تسميته بـ (القضية) .. ولكنهم واجهوها من الطرف المقابل لذاك الذى اختاره ادب المنفى فاختاروا التحدى » ».

لقد واجه عرب الارض المحتلة ، فور التمزق الذى جاء مع الهزيمة ، انفصاما مباشرا فى علاقاتهم الصغيرة : تركت الغالبية من العرب ارض فلسطين ، فبدا الموقف للقلة التى بقيت نوعا من « **الهجران** » اصابها فى صميم علاقاتها اليومية اكثر بكثير مما اصاب النازحين ، وكانت « **القضية** » تكمن فى كل مأساويتها وضخامتها وراء ذلك الهجران .. لقد احتاج عرب الارض المحتلة الى خمس سنوات ليكتشفوا انهم لم يخسروا اهلهم واحبابهم فقط ولكن وطنهم ايضا ، وان « **التمزق** » كان يبدو فى ظاهره اكثر فجيعة لانه اصاب الاحاسيس الفردية اولا ولانهم — فى نهاية المطاف — لم « يتركوا » وطنهم ».

ولعله من اروع النماذج التى سجلها غسان فى كتابه الهام ، كانت **للشاعر محمود درويش الذى يردد فى « قصائد عن حب قديم » :**

« على الانقاض وردتنا
ووجهانا على الرمل
اذا مرت رياح الصيف
اشرعنا المناديلا
على مهل .. على مهل
وغبنا طى اغنيتين كالاسرى
نراوغ قطرة الطل
تعالى مرة فى البال
يا أختاه !
ان اواخر الليل
تعرينى من الالوان والظل
وتحمينى من الظل
وفى عينيك ، ياقمرى القديم
يشدنى اصلى
الى اغفاءة زرقاء
تحت الشمس .. والنخل
بعيدا عن دجى المنفى
قريبا فى حمى اهلى »

بهذا النبض الواثق ، وهذا الحزن العظيم ، يحيا الشاعر الفلسطينى فى الارض المحتلة ، مناضلا بالكلمة فى اعتى القلاع الاستعمارية الحديثة ».

ومرة اخرى ، يبقى لغسان كنفانى فضل الريادة فى الاهتمام بهذه الكلمات المخبوءة تحت الرمال البيضاء ».

●

فى الاشــــتراكية الافريقيــــة

● ليـــوبولد سنغـــــور

ربما كانت الفسكرة العابرة التى يلم بها القارىء العربى عن السنغال من واقع الترجمات المتوفرة ان ذلك البلد الواقع فى غرب افريقيا والذى حصل على استقلاله السياسى فى عام ١٩٦٠ ، قد اعلن الاشتراكية نظاما له ، وان ليوبولد سنغور رئيس جمهوريته هو احد رواد الفكر الاشتراكى بين قادة افريقيا المتحررين . واكثر من هذا فان ذلك القائد الافريقى كثيرا مايوضع جنبا الى جنب مع سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا، حيث يوصف الزعيمان بأنهما ماركسيان يريدان تطبيق نظرية ماركس وانجلز بعد تعديلها ونبذ جوانبها التى لا تتلاءم وواقع المجتمع الافريقى ».

لهذا فان كتاب سنغور « **فى الاشتراكية الافريقية** » الذى صدر فى عام ١٩٦٤يمثل اهمية خاصة لتوضيح مفاهيم الرجل الحقيقية والمركز الفعلى الذى يحتله فى الحركة الاشتراكية على النطاقين العالمى والافريقى ، ولقد تمت كتابة اجزاء الكتاب على مراحل متعددة . فهو يمثل ثلاث تقارير كتبها سنغور فيتقدم الاول تحت عنوان « القومية — تقرير حول نظرية وبرنامج حزب الاتحاد الافريقى » الى مؤتمر الحزب التأسيسى فى عام ١٩٥٩ » اما التقرير الثانى فهو محاضرة

بعنوان «الطريق الافريقي الى الاشتراكية» القاها في الندوة الاولى لشباب الحزب في عام ١٩٦٠ . ثم تأتي المحاضرة الثالثة في عام ١٩٦٢ والتي القاها في ندوة « الاتحاد السنغالي التقدمي » بعنوان : « الاشتراكية السنغالية في النظرية والتطبيق » .

وقد يتراءى للقارىء احتمال حدوث تغير في الافكار التي اوردها سنغور نظرا لتقادم العهد بها نسبيا في ظل التطورات السريعة التي شهدتها القارة الافريقية عبر السنوات الاخيرة غير انه على العكس من ذلك فان الكاتب يقدم للكتاب عند صدوره في عام ١٩٦٤ مؤكدا افكاره السابقة . « ففضلا عن اهميتها التاريخية فانها تعالج قضايا القومية والاشتراكية الافريقية » ... وهي قضايا يتعين على الدول الافريقية اليوم ان « تجد لها حلا اذا ما أرادت الحياة والنمو » .

فاذا ماعدنا الى اتجاه كتاب الغرب في تقديم سنغور كماركسي افريقي مثله مثل سيكوتوري ، فان الكتاب موضع البحث يلقي بعض الضوء على هذا الاتجاه ، حيث يكاد المؤلف ان يكرر في كل صفحة ايمانه ببعض الجوانب الاساسية من نظرية ماركس وانجلز.بل واكثر من ذلك فانه يدعو الى تمثل تلك الجوانب الصحيحة لتصبح جزءا من مكونات « الاشتراكية الافريقية » . فهو يقول « اننا سوف نبتدأ من ماركس وانجلز . فأيا كانت التحديدات او القصور او الاخطاء لديهما ، فان ماركس وانجلز قد جعلا من الفكر الاقتصادي والسياسي في القرن التاسع عشر فكرا ثوريا . ولا تزال آثار تلك الثورة ملموسة في القرن العشرين . »

ازاء هذا يسعى القارىء جاهدا وسط خضم المناقشات النقدية لافكار ماركس وانجلز حتى يكتشف حدود الجوانب النظرية في الفكر الماركسي والتي يمكن للمجتمع الافريقي ان يتقبلها من وجهة نظر المؤلف . هذه الجوانب انما تتحدد في جملة سنغور المحددة : « دعونا نلخص مساهمات ماركس الايجابية ، انها فلسفة الايمان بالانسان والنظرية الاقتصادية والمنهج الديالكتيكي » .

ولكن هل يؤمن سنغور بالنظرية الاقتصادية لدى ماركس وانجلز ؟ .

ان سنغور يميل الى اهمال الجانب الاقتصادي لا في نظرية ماركس فحسب ، بل في افكاره الخاصة التي يقدمها. « تمثل فلسفة الايمان بالانسان اكثر من الاقتصاد ،القسمة الاساسية والمساهمة الايجابية في الفكر الماركسي . »

ويزيد الامر وضوحا عندما يتعرف المرء على نظرة سنغور الى العلاقة بين قضايا الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي في البلدان المتخلفة وهو ماسنستعرضه فيما بعد . غير انه في الوقت الحالي فان معرفة القارىء بالجزء الاخير من الكتاب تحت عنوان « الاشتراكية السنغالية » سوف يفيده في تلمس موقف سنغور من قضايا الاقتصاد الماركسي . ففي هذا الجزء يستعرض المؤلف شارحا في استطالة مختلف جوانب الفكر الماركسي ، ثم يتلو ذلك بتقديم النقد ولكنه لايقدم فكرا خاصا به ، بل يتبنى نظرية بديلة تلائم القرن العشرين تتمثل في افكار « الاب تيلهارد دى تشاردين » . (من الجزويت) ، والتي عرضها اساسا في كتابه « ظاهرة الانسان . » وتقوم تلك الافكار على دراسة تاريخ الانسانية من فترة ماقبل الحياة حتى مايطلق عليه « الاوميجا » او النهاية (الله) . ومن هنا ينقسم تاريخ الانسانية الى مراحل ، غير ان هذه المراحل لا ترتبط بالتطور الاقتصادي للمجتمعات البشرية ، ولكنها ترتبط بوعي الانسان ووجوده على ضوء دراسة « تشاردين » لعلوم الطبيعة والاجتماع وغيرها وبتعبير آخر بعيدا من علم الاقتصاد ونشاط الانسان الاقتصادي لاشباع حاجاته المادية .

ويترك سنغور كل هذا فيقول « ان موضوع الاشتراكية ليس الاقتصاد كما يعتقد كثير جدا من الماركسيين اليوم ، ولكنه الانسان الحي في مجموعه .. جسدا وروحا » . «واذا كان ماركس وانجلز قد ركزا على اهمية الاقتصاد فقد كان ذلك لاسباب عملية .... الخ . »

ماذا يتبقى من «مساهمات ماركس الايجابية» بعد ذلك ... سوى « فلسفة الايمان بالانسان ومنهجه الديالكتيكي » .

وفي هذا المجال يعود سنغور الى القول : بينما تقدم ماركس في كتابة رأس المال راح يزيد من التأكيد على اهمية المادية والحتمية، والوسائل والاساليب العملية على حساب الاخلاقيات والمنهج الجدلي — وفي كلمة واحدة على حساب الانسان وحريته . ولن اقول مرة اخرى كما قلت في تقريري على حساب الفكر الفلسفي ، ذلك ان ماركس بنبذه لروح اعماله الفلسفية لجأ الى الخداع وناقض نفسه عندما اعاد تقديم النظرة الميتافيزيقية في استنتاجاته النهائية . غير انها ميتافيزيقا رهيبة غير انسانية ، ميتافيزيقا الحادية ، يضحى فيها بالعقل لصالح المادة وبالحرية لصالح الحتمية وبالانسان لصالح الاشياء . »

وهكذا فرغم ان سنغور يبدأ حديثه عن « فلسفة الايمان بالانسان » لدى ماركس فانه سرعان مايصفها في النهاية بانها « فلسفة الايمان بالانسان التي جردت من انسانيتها . »

ويواجه القارىء نفس الموقف بالنسبة للمنهج الديالكتيكي ، فهو يسقط تماما جانبه « المادي » ، ثم يتحدث عن منهج جديد هو « منهج القرن العشرين » الذي « ولدته الثورات العلمية الجديدة » . وهذا المنهج الاوروبي الجديد يتفق مع المعرفة الزنجية الافريقية التي لاتقوم على عكس الماركسية على عمليات التجريد، بل على « المواجهة وبصيرة النفس » ومعرفة الظاهرة عن طريق « الحياة داخلها وخارجها » .

وفي هذا يلخص سنغور الموقف بقوله : « لقد حاولت ان ابين كيف يتعين علينا ان نسمو على المادية الجدلية لنستمد الهامنا من المنهج الاوروبي المعاصر ، ومن المنهج الزنجي الافريقي الخاص بكل العصور . ان هذين المنهجين بضربة عجيبة من الحظ يتطابقان تماما » .

غير ان سنغور يؤكد على الدوام ان هذا المنهج الاوروبي الجديد لا يتناقض كلية مع افكار الاشتراكية الطوباوية والماركسية ، بل هو يمثل امتدادهما في القرن العشرين اخذا في الاعتبار التطورات العلمية الحديثة والظروف المختلفة لعصر ماركس وانجلز . ومع ذلك فان القارىء يجد صعوبة بالغة في ان يجد ظلا من الحقيقة لذلك الترابط المزعوم وذلك من واقع العرض الذي يقدمه المؤلف لما سماه بمنهج اوروبا الجديد . ان « المساهمات الايجابية للماركسية » التي يتحدث عنها سنغور لاتتفق مع أفكار « منهج القرن العشرين » بل أنهما على طرفي نقيض. ومن هنا لايستطيع القارىء العربي ان يوافق على تحليل غالبية كتاب الغرب ، او على تلك الصيغة التي لا يمل سنغور من تكرارها بأنه « يبدأ من ماركس وانجلز » . انه لايبدأ من هذين المفكرين الاشتراكيين الا من زاوية المناقشة البحته حتى ينتهي بهدم افكارهما في النهاية. وفي هذا يذكرنا بفريق « الاشتراكيين الديمقراطيين » في الغرب (وقد ارتبط بهم سنغور ابان الفترة الاولى من حياته السياسية) الذين يعلنون زيفا انتسابهم للماركسية .

والحق ان التطبيق العملي والسياسة الواقعية سرعان ما توضح لنا الافكار التي يؤمن بها قادة الدول المختلفة . ان السنغال دولة متخلفة عانت طويلا من القهر الاستعماري

الفرنسى ، وحتى بحصولها على الاستقلال السياسى لن تستطيع التقدم الا فى ظل سياسة معادية للاستعمار ، القديم والجديد ، حتى تجتث كل الجذور الاستعمارية التى سببت لها التخلف . ولكن سنغور لا يرى فى الاستعمار السبب الجوهرى فى التخلف . فهو يدعونا لاعادة دراسة الاستعمارية ووضعها فى مكانها الحقيقى فى العملية التاريخية لتوحيد اوروبا وافريقيا . انه يدعونا « الى التوقف عن اتهام الاستعمار واوروبا وعن ايعاز كل عللنا لهما » . ان سنغور يرى اهمية الوعى بضرورة الاستعمار كمرحلة حتمية حتى يغير الافريقيون من موقفهم فينظرون الى اسهامات الاستعمار الايجابية اكثر مما ينظرون الى الاضرار التى الحقها بالقارة، وبذلك يدعو الى اتباع « سياسة ليست هى سياسة «الحياد ولكنها سياسة عدم الانحياز مع التعاون الصادق مع المستعمر السابق » .

ويشير سنغور الى اهمية رأس المال من اجل تقدم السنغال الاقتصادى ولكنه لايرى مصادر تمويله الا فى الغرب وبصورة خاصة فى فرنسا : مستبعدا تماما الدول الاشتراكية . ومن هذه القاعدة ينطلق القائد السنغالى ليرفض التأميم بوصفه قسمة لاتميز التطور الاقتصادى فى السنغال : لان التأميم لرأس المال الاجنبى سوف يجعل البلاد تخسر اصدقائها وتمويلهم ، ولان التأميم سوف يؤدى الى « قتل الاوزة التى تضع البيض الذهبى » .

والحق ان الفكرة الاساسية التى تربط آراء سنغور ازاء المشاكل المختلفة هى نظرته لقضايا الثقافة والاقتصاد . انه يدفع على الدوام بالعوامل الاقتصادية الى الخلف حيث تسمو « الفكرة على المادة » . ففى مجال الاستقلال يرى سنغور ان « استقلال الروح اى الاستقلال الثقافى هو الشرط الضرورى السابق على كل اشكال الاستقلال الاخرى مثل الاستقلال السياسى والاقتصادى والاجتماعى » .

وهذا هو ما يلقى التفسير على موقفه من الاستعمار ومن فرنسا بوصفها الدولة المستعمرة من قبل . « ان تطور الجماعة الفرنسية انما هو فى مصلحة فرنسا كذلك . فعلى المستوى الاقتصادى تستطيع فرنسا ان تمضى بدون افريقيا السوداء ولكنها لن تستطيع التقدم بدوننا على المستوى السياسى والثقافى » .

وهكذا يسقط سنغور الجوهر الحقيقى للاستعمار ، الا وهو الاستغلال الاقتصادى ، ويطمس ابعاد التخلف الحقيقية والتى تنبع من عملية التشويه الاستعمارى لاقتصاد المستعمرات السابقة . وبذلك يتحول التخلف والتقدم على ايدى القائد السنغالى الى مجرد اختلاف فى الثروة بين الامم الفقيرة والامم الغنية بغض النظر عن النظم الاجتماعية والسياسية السائدة فيها ، واضعا بذلك البلدان الاشتراكية وشعوب البلدان الرأسمالية فى صف واحد مع رأس المال العالمى .

ويواصل سنغور بسط فكرته عن العوامل الثقافية والاقتصادية ليطبقها على قضايا اغتراب الانسان المعاصر والصراع الطبقى . ونجد ذلك واضحا فى النتائج التى يستخلصها . فالمجتمع الافريقى لايعرف الصراع الطبقى حيث لاتوجد الطبقات بل « جماعات تتصارع من اجل السلطة والنفوذ» وحيث يعبر تقسيم المجتمع السنغالى الى عمال وفلاحين ومثقفين وتجار وموظفين بالحكومة عن « تقسيم مهنى » . وهكذا ينبع اغتراب الانسان الزنجى الافريقى المعاصر لا من مجتمعه اللاطبقى بل هو اغتراب دخيل نتج من السيطرة الاجنبية ، وحتى هذه السيطرة الدولية يجردها سنغور من مضمونها الاقتصادى : « ان اغتراب الانسان الزنجى لاينبع من الراسمالية الزنجية ولا من الراسمالية الاوروبية » كما انها لاتنبع من الصراع الطبقى . ان الاغتراب ينبع من سيطرة دولة على اخرى ، او بصورة ادق سيطرة جماعة عرقية على جماعة اخرى . وهنا تمتزج السيطرة السياسية والثقافية وتبدو صبغتهما العنصرية بالسيطرة الاقتصادية » » .

ان سنغور ينتزع من كل شىء جوهره الاقتصادى والطبقى، وربما كان منطقيا ان يؤدى ذلك به فى النهاية الى الدعوة بعدم اعطاء الاولوية فى التقدم للصناعة بل اسنادها للزراعة كطريق يميز التنمية الاقتصادية فى السنغال : وهى الخطة التى تسير عليها البلاد بالفعل والتى تحافظ على الهيكل الاقتصادى الذى خلفه الاستعمار .

ومما لاشك فيه ان عشرات الافكار التى يزخر بها الكتاب تستحق العرض دون ان يتسع المجال . ولكن قضية الوحدة بين الدول الافريقية تفرض نفسها فى المقدمة ، خاصة اذا ماعرفنا ان التقرير الاول ، ومن بعده محاضرة « الطريق الافريقى الى الاشتراكية » قد كتبا او القيا فى مخاطبة رعايا « اتحاد مالى الفيدرالى » . من هنا اشتمل تقرير سنغور عن « القومية » على مناقشة اهمية الاتحاد الفيدرالى الذى ارتبط قيامه عندئذ بمعارضة القوى الاستعمارية وخاصة فرنسا . وقد ظهر ذلك بوضوح عقب الاعلان الاول عن اتحاد مالى الفيدرالى الذى ضم السنغال والسودان (الفرنسى سابقا) وفولتا العليا وداهومى ، عندما انسحبت الدولتان الاخيرتان وكونتا مع جمهورية النيجر وجمهورية ساحل العاج حلفا باسم «مجلس الوفاق» .

فى ذلك الوقت كان سنغور يدافع عن « اتحاد مالى الفيدرالى » ، ويدعو فرنسا الى التخلى عن معارضتها . « ان دفع داهومى وفولتا العليا بمساعدة بعض السياسيين فى باريس الى الانسحاب من « اتحاد مالى الفيدرالى » لتأسيس مجموعة جديدة معارضة له لن يقدم من قضية الوحدة الافريقية » . ويسعى سنغور جاهدا الى اقناع الفرنسيين بأهمية الاتحاد فى ظل الجماعة الفرنسية فيقول :

« ان فرنسا سيدة عظيمة تحتاج الى نشر تأثيرها على عائلة كبيرة فاذا ماحصرت فرنسا نفسها داخل حدودها الاوروبية فانها ستفشل فى رسالتها التى تحملها للعالم ، فى ان تدافع عن الانسان . ان فرنسا ستفقد روحها واسباب وجودها » .

غير ان القائد السنغالى لايرى فى الوحدة الافريقية المحدودة بالمستعمرات الفرنسية السابقة غير شكلها الفيدرالى فحسب . وهو لايحبذ الفيدرالية لاسباب عملية ترتبط بالاوضاع التاريخية التى تمر بها البلاد الافريقية . ولكنه يساند الفيدرالية من مبدأ عام ولانه يرفض فى اصالة الدولة المركزية . « ان اقوى دول العالم اليوم هى دول فيدرالية مثل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى والصين والهند وكندا والبرازيل » « وربما كان ضعف فرنسا ينبع من مركزيتها التى تزيد عن حدها » . « وسوف نظل نذكر على الدوام الحقيقة التى طالما عبر عنها الاب تيلهارد دى تشاردين : ان الاجناس ليست متساوية ولكنها تكمل بعضها وهذا هو شكل ارقى للمساواة » . وفضلا عن ذلك فان سنغور يرى طريقا واحدا للحد من طغيان الدولة ، وهو طريق الفيدرالية الذى اقترحه « برودون » فى مواجهة مركزة الدولة وتمركز مؤسساتها السياسية والاقتصادية .

ولم تمض الا سنوات قليلة حتى انفض « اتحاد مالى الفيدرالى » .. ومن هنا تعين على سنغور ان يتناول هذا الموقف فى تقديمه للكتاب حيث اعترف بخطئه ، وهو يحصر الخطأ فى قيام « اتحاد مالى الفيدرالى » مع استمرار فكرته المطلقة عن الفيدرالية » « لقد نسينا ان نحلل وان نفهم

الاختلافات الاجتماعية فيما بين الاقاليم التى كانت تشكل فيما مضى افريقيا الغربية الفرنسيه تلك الاختلافات التى تونها الادارة الاستعمارية » *.

ومع ذلك يرى سنغور رايا آخر : « ان انفصال اتحاد مالى الفيدرالى يمكن ان يكون مفيدا بالقدر الذى يسمح به بقيام اتحاد اوسع يتكون من اثنى عشر دولة افريقية مستقلة، ترتبط بروابط الثقافة والجوار » *

وهكذا يضع القائد السنغالى اتفاق « دول مجموعة برازافيل » فى مواجهة « اتحاد مالى الفيدرالى » وهو ما يلقى ضوءا على السبب الحقيقى للانفصال اذا ما قارنا السياسة التحررية التى اتبعتها « جمهورية مالى » تحت قيادة موديبوكيتا بالسياسة التى تسير فى فلك الفرنسى التى اتبعتها السنغال فى اطار التحالف الجديد .

والخلاصة ان كتاب الرئيس ليوبولدسنغور عن « الاشتراكية الافريقية » يمثل فى جوهره نقدا للماركسية وبحثا فى اتحاد اوروبا القرن العشرين عن منهج جديد يتفق ومفاهيم الزنجية التى يتقدم للتعبير عنها ، وفى عام ١٩٦٢ قدم سنغور تعريفا للزنجية قال فيه : « ان الزنجية فى بساطة هى جماع القيم الحضارية للعالم الزنجى . انها ليست عنصرية ولكنها ثقافة .. الخ » *

ومن المفهوم ان يقدم ليوبولدسنغور بوصفه شاعرا واديبا للزنجية العوامل الثقافية على كل ما عداها ، ولكن الغريب حقا ان يتعرف الشاعر والاديب على جوهر الثقافة الزنجية خارج بلاده . ففى ٢ ابريل عام ١٩٦١ صرح الرئيس سنغور قائلا : « لو ان باريس ليست اعظم متحف للفن الزنجى الافريقى ، لما وجد مكان آخر يجد فيه الفن الزنجى مثل هذا الفهم والتفسير والتمجيد والتمثل . لقد كشفت لى باريس عن قيم حضارة اسلافى فدفعتنى لتبنيها ورعايتها حتى تزدهر . ان هذا لم يحدث لى بمفردى ، بل حدث لجيل كامل من الطلبة الزنوج سواء من جزر الهند الغربية او من افريقيا » *



مجلة الاقتصاد والسياسة

تصدر مجلة « الاقتصاد والسياسة » شهرية فى فرنسا ، وهى تهتم كما هو واضح من اسمها ، بالقضايا الاقتصادية فى ارتباطها الوثيق بالسياسة .

وقد تعرضت المجلة فى عددها ١٤٠ لسلسلة من الموضوعات منها بالاخص ابعاد السوق المشتركة والمشكلة الزراعية فى فرنسا وصناعة الطيران والملاحة الفضائية الفرنسية . على ان هذه المجلة التى تولى عناية خاصة بمشاكل الاقتصاد الفرنسى تحرص دائما على ان تتضمن صفحاتها مقالا او اكثر عن التطبيقات والتجارب الاقتصادية فى الدول الاشتراكية والنامية . وفى هذا العدد مقال بعنوان : **« اساليب جديدة فى ادارة الاقتصاد التشيكوسلوفاكى »** يتعرض للنظم الجديدة التى بدأت تطبقها *

يقول المقال ان النموذج الاقتصادى الجديد فى تشيكوسلوفاكيا نبع اصلا من خلال المناقشات التى اثارتها المصاعب المتزايدة التى صادفتها البلاد ، وايضا من خلال البحث النظرى فى اطار الجهود الجادة المبذولة من اجل الخلاص من المواقف الجامدة التى سادت سنوات طوال . غير ان الحلول الجديدة لا تمس بالطبع فكرة الاعتماد على خطة مركزية او على النظام الاشتراكى فى الانتاج . بل ترمى الى ايجاد وصقل اداة جديدة تساعد على تطوير الاقتصاد القومى فى تناسق مع احتياجات المجتمع وان اقتضى ذلك اللجوء الى نظام السوق *

وقد بدا تطبيق النظام القائم فيما بين ١٩٥٠ و ١٩٦٠ ، ثم ادخلت عليه بعض التحسينات لم تغير فى المبادىء الاساسية التى يقوم عليها . وهذه المبادىء منقولة عمليا عن نظام التخطيط السوفيتى بوصفه النموذج الوحيد المعروف حتى ذلك الوقت ، مع ملاءمتها بالضرورة مع اقتصاد نابع من ظروف مختلفة *

ويمكننا ان نقول اذا اردنا ان نلخص المبادىء الاساسية لهذا النظام ، انه يتمثل فى وجود عدد من الوحدات الانتاجية الاشتراكية تقيم فيما بينها علاقات قائمة على توزيع العمل عن طريق جهاز مركزى يتولى تنظيم الانتاج وتبادله بتكليف كل وحدة بالمهام الملقاة على عاتقها . ويقرر هذا الجهاز الاستثمارات الجديدة ويساهم بالنصيب الاكبر فى تمويلها أيا كانت الربحية التى تحققها المنشاة المستفيدة منها كما ويرسم ايضا الخطوط العامة لتبادل المنتجات بين الوحدات المختلفة عن طريق التوزيع المباشر بحيث لا يستخدم النقد الا كوسيلة للمحاسبة والرقابة . وهكذا تحرم المنشاة فى هذا الاطار من اختصاصات كثيرة كان من الممكن ان تسمح لها بحرية التصرف . وتقتصر حدود حريتها فى تقديم انتاج يزيد عن الاهداف المقررة لها . اى ان مقياس حسن ادارة المنشاة هو احترام الخطة وتجاوزها فيما يتعلق بالاهداف الكمية *

ولا مجال هنا لتقديم تحليل لاوضاع الاقتصاد

التشيكوسلوفاكى فى عام ١٩٦٠ ، غير اننا يجب ان نأخذ فى اعتبارنا ان المصاعب التى واجهها هذا الاقتصاد كانت تعبر عن سلسلة من التناقضات الداخليـة للنظام المعمول به ، راحت تتفاقم مع محاولات التطبيق الحازم للقواعد السارية .

وتحرص الشركات على ان يسند اليها اهداف يسهل تحقيقها والتفوق عليها كما تهتم الاجهزة المشرفة عليها بقدر اكبر من الموارد تزيد عن احتياجاتها الحقيقية . اما الاجهزة القيادية للاقتصاد فتحاول من ناحيتها زيادة الاهداف والحد من الموارد الممنوحة . ولذا تمثلت الوسيلة الوحيدة للتغلب على ذلك التناقض فى تدعيم سلطات المركز الممثل لمصلحة المجتمع كله .

وهكذا يؤدى منطق هذا النظام الى تدعيمه وينتج عن عـدم الاعتراف بالمصالح الخاصة للمنشآت الى مزيد من المركزية ، مع انها المصدر الاصلى لتلك التناقضات .

ولنا ان نتساءل بالطبع : الم يكن من الممكن معالجة العيوب باجراء تحسين جذرى فى نوعية الخطط بحيث تعتمد اسـاسـا على المعرفة الصحيحة للكفاءة الحقيقية للمنشآت ولاحتياجات كل منها ولاحتياجات المستهلكين ؟ الواقع ان التجربة اثبتت انه من العسير ان تتمكن الاجهزة المركزية للتخطيط من التعرف على كل تفاصيل الظروف الواقعيـة التى يتم فيها الانتـاج والتسويق . كما اثبتت ايضا ان المصـالح المـادية لجموع العاملين فى الشركات تلعب دورا حاسما فى برنامج نشاطها لان المصلحة المادية هى بلا منازع الحافز الاساسى الذى يوجه قرارات مجموعات المنتجين .

السمات المميزة للنظام الجديد

هناك بعض المبادىء المميزة لنظام التخطيط والتسيير الجديد وهى :

- التوسع بشكل كبير فى مسـئوليات وحقوق الشركات التابعة للدولة التى غدت صاحبة المصلحة الاولى فى زيادة غلتها .

- خطة مركزية لا تحدد سوى الخطوط العريضة للتنمية الاقتصادية :

- التـدخل الواعى ، من جانب المركز (الدولة ، هيئة التخطيط ، الوزارة) فى الانتاج بأساليب غير مباشرة ، اى ان تحل محل التعليمات المطلوب تنفيذها سلسلة من المقـاييس والمعايير توجه نشاط الشركات فى الاتجاه المطلوب وتخلق الظروف المناسبة لدفع قيادات الشركات الى التصرف فى تناسق مع اهداف الخطة .

وهكذا لن تتخذ الخطط الخمسـية التقـديرية او الخطط السنوية شكل التوجيهات الالزامية سواء فى اهدافها الكمية او الكيفية ، بل يقتصر الطابع الالزامى على وسائل تطبيقها ، اى على القواعد المنظمة للحياة الاقتصادية بأسرها مثل النظام الضريبى المطبق على المنشآت وتحديد بعض الاسعار وتنظيم الاجور وشروط الائتمان المصرفى .. الخ .

وهكذا لا يتقيد نشاط المنشـأة بشكل وثيق بالتوجيهات المحددة فى الخطة السنوية الاقتصادية والفنية والمالية التى تضعها الوزارة (او اى جهاز آخر يشرف عليها) بل تنظم برنامجها وفقا للطلبات التى تحصل عليها من المنشآت الاخرى لتحقق الحد الاقصى من الايرادات .

وتعتبر ايرادات البيع ((القيمة المضافة)) التى تحققها المنشأة بعد خصم النفقات المادية مثل شراء المواد الاوليـة والمنتجات النصف مصنعة والطاقات ، واحتياطى استهلاك المعدات ، وبعد تجنيب اجور العاملين ومساهمة المنشـأة فى الادخار الوطنى بصوره واشكاله المختلفة . وتسمى هذه الايرادات الصافية من النفقات المادية « الدخل الاجمـالى للمنشأة » .

وبمجرد ان تصبح الاجور الفردية ، وبالاخص اجور الكادر المسئول وايضـا بعض الاجور الجماعية (مثل الخـدمات الاجتمـاعية فى المنشأة) متوقفـة على الدخل الاجمـالى ، فستسعى المنشأة الى تحقيق اكبر قدر ممكن من الدخل بضغط نفقاتها وبمحاولة ارضاء عملائها وباتباع سياسة اقتراض من البنوك تعود عليها بالنفع .

نظام الاستثمار

تقوم النظم المالية بدور اساسى فى اطار النظام الجديد، فلا يمكن ان تتحقق القيادة الفعلية للاقتصاد القومى اذا كانت القرارات الخاصة بالتوسع فى امـكانيات الانتـاج وادخال استحداثات عليها من اختصاص عدة مراكز متميزة عن بعضها لا تحركها سوى مصالح المنشأة وحدها . غير انه توجد عدة طرق ممكنة لتنظيم الاستثمارات الجديدة .

ويمكننا ان نلخص فيما يأتى النظام الجديد : فالقرارات الخاصة بالاستثمارات الجديدة تتخذها الجهة الاقدر على تقدير الحاجة الى هذه الاستثمارات ومدى فعاليتها الاقتصادية . ومن ناحية اخرى فان الجهة التى تحصل على مخصـصات سواء على شكل امداد من الميزانية او بجهودها (قروض ، تمويل ذاتى) مسئولة عن هذه الاموال ايا كان المسـتوى الذى يقرر صرف هـذه الاموال لها (الدولة ، الوزارة ، اتحادات المنشآت ، المنشأة نفسها) .

وهناك استثمارات اساسية (مدرجة فى جدول خاص) وهى تؤثر بشكل حاسم على حجم القدرات الانتاجية لفرع من الفروع فتؤثر على تركيب الصناعة نفسها .

وكانت فكرة الاستثمارات الاساسية موجودة من قبل ولكنها كانت مقيدة بمعايير محددة (حجم الانتـاج المتوقع ، تكلفة المقايسات) . وقد استبعدت هذه المعايير واصبحت الاجهزة المركزية (لجنة الخطة ولجنة الاستثمارات) هى التى تقـدر فى كل حالة ، بالتعاون مع الجهة صاحبة المصلحة ، ما اذا كانت الاعمال المطلوبة تسـتدعى تمويلها عن طريق ميزانية الدولة .

وتندرج تحت الاستثمارات المعروفة (باستثمارات الفروع) الاعمال اللازمة لتطوير انتاج المنتجات المستحدثة التى تلقى اقبالا ، ولتحسين معدات الانتاج وظروف العمل ولمواصـلة الابحاث والتجارب . وبصفة عامة تهتم اتحادات المنشـآت (المؤسسات) بشكل خاص بالاستحداثات التى تسمح بتقليل حجم الايدى العاملة اللازمة لكل وحدة انتاجية ، اى بعبـارة اخرى ، تهتم بزيادة الانتاجية .

وتتمتع المؤسسات فى هذا المجال بحرية واسعة ولا تتعرض لاحتمالات الرفض سوى المشاريع التى تتطلب كفاءتها الانتاجية تشغيل ٢٠٠٠ عامل فأكثر .

اما الانواع الاخرى من الاستثمار فتقررها اتحادات المنشآت او المنشآت نفسها بالرغم من انها تتبع فى مجموعها الخطة العامة ، وهى تتعلق اساسا بتجديد المعدات وباعمال الصيانة العامة وباجراءات ترشيد العمل . ويفترض هذا التقسيم المرن للاستثمارات ان معايير توزيعها قد تختلف من سنة الى اخرى ومن فرع انتاج الى فرع انتاج آخر ».

مصادر التمويل

وهناك مصادر تمويل مختلفة تقابل انواع الاستثمار الثلاثة . فالاستثمارات المركزية (الاساسية) تمولها مخصصات مدرجة فى الميزانية العامة للدولة . اما الانواع الاخرى ، وبالاخص الاستثمارات المتعلقة بفروع الانتاج فتمول اساسا من طريق الائتمان ، وجزئيا عن طريق الموارد الداخلية للمنشآت ».

وهكذا يصبح الائتمان المصرفى احد الادوات الاساسية فى تنفيذ الخطط . وتقدم فروع الانتاج طلبات الحصول على قروض الى المصرف الذى يتولى فحص مدى جدية الطلب . ويعتمد تقديره اساسا على مدى امكانية المنشأة فى التسديد وعلى آجال الدفع .

ومن الواضح ان جوهر النظام الجديد يتجه نحو الاعتماد اكثر فاكثر على الائتمان . فهناك امتيازات ضرائبية جديدة تقدم منذ الان للمنشآت التى تلجأ الى تمويل استثماراتها من طريق المصارف او عن طريق التمويل الذاتى ».

نظام ضريبى جديد للمنشآت

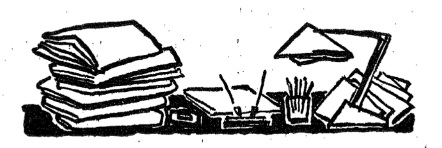
حل هذا النظام محل الاستقطاع القديم من الارباح «استقطاعا نسبيا من اجمالى دخل المنشأة حسب معدل تحدده السلطات المركزية . كما تلتزم كل منشأة بدفع قسط سنوى يخصم من اجمالى الدخل يتناسب مع قيمة رؤوس الاموال المنتجة الثابتة او المتداولة التى تمتلكها المنشأة ، بغض النظر عن مبلغ الايرادات التى حققتها ومبلغ الدخل الاجمالى (القيمة المضافة) . وتستقطع ايضا من الدخل الاجمالى ، المبالغ اللازمة لتسديد القروض المصرفية ولدفع الفوائد المطلوبة .

ويرى رجال الاقتصاد التشيك ان هذا النظام الجديد له على الاقل ميزتان اولهما التبسيط . فالواقع ان « **اجمالى الدخل** » رقم يسهل التحرى عنه ، ومن جهة اخرى (وهذا هو الجديد والمفيد) فان حجم اجمالى الدخل يبين القيمة التى اضافها العمل داخل المنشأة . ولما كانت اجور العاملين ومرتبات الكادر ستتناسب مع الدخل الذى حققته المنشأة فهى لن تحاول ان تخفى مدخراتها الحقيقية من النفقات المادية ومنها بالاخص المواد المستخدمة فى الانتاج لكى تطالب بمواد لا تحتاجها فى الواقع . ومن جهة اخرى فان الاقتصاد فى النفقات على حساب مستوى الانتاج لن يؤدى الى زيادة الدخل لان المنشآت التى تشترى المنتجات تستطيع ان ترفض استلام السلع التى تشوبها عيوب عرضية او السلع التى لا تتطابق مع المواصفات المنصوص عليها فى العقد ».

ويؤدى احلال معيار اجمالى الدخل محل معيار تنفيذ اهداف الانتاج وتجاوزها وايجاد اتصال مباشر بين المنشآت (او بين المنشآت والمستهلكين من الافراد) الى قيام السوق بدور حاسم ، وذلك لان الاجور ستتوقف هنا على تصريف السلعة ، اى على ارضاء العميل سواء اكان فردا او منشأة مشترية . اما اتخاذ حجم الانتاج معيارا فكان يحطم هذه العلاقة لان حجم الانتاج يشمل المخزون من السلع دون ان يدرى احد هل ستباع هذه السلع ام لا . ومن جهة اخرى فان انجاز خطة الانتاج يمنح قيادة المنشأة اوتوماتيكيا الحق فى استخدام مبلغ معين محدد مقدما وهو « **ميزانية الاجور** » ايا كانت نوعية الانتاج او مصيره . وهذا المبلغ المحدد (ميزانية الاجور) الذى لا تستطيع ان تتجاوزه المنشأة الا فى صور ضيقة للغاية وبشروط قاسية ، يصبح معرقلا للابتكارات التى قد تستدعى زيادة ولو مؤقتة فى نفقات الايدى العاملة (وينطبق ذلك ايضا على سعر التكلفة الذى يجعل من الصعب انتاج وتسويق سلع ارقى فى مستواها قد يقبل عليها المشترين حتى ولو كان سعرها اعلى) ».

اما مبدأ اجمالى الدخل كمصدر للاجور وللالتزامات قبل الدولة (وايضا بعض الاحتياطيات) ، فهو من الحوافز القومية التى تشجع على الاستخدام الارشد لموارد المنشأة سواء فى اليد العاملة او فى المعدات او فى المواد الخام . كما ان التسديد السنوى النسبى لقيمة راس المال المنشأة يستدعى الاستخدام الفعلى لهذه الاموال فكثيرا ما يلجأ مديرو المصانع فى ظل النظام القائم الى الاحتفاظ باحتياطى من الكفاءة الانتاجية بترك بعض المعدات او المخزون من المواد ليواجهوا الزيادة فى اهداف المنشأة او لخوفهم من شحة الامدادات التى تصلهم . اما فى النظام الجديد فليس من مصلحتهم الاحتفاظ بمثل هذا « الفائض » بل العمل بكل كفاءتهم الانتاجية لكى يكون بيع المنتجات وسيلة للحصول على الاموال التى تسمح لهم بمواجهة الاعباء المالية ».

وتعترف مجلة الاقتصاد والسياسة بان هذا العرض المختصر لا يقدم اجابة شافية على عدد من الاسئلة ومنها بالاخص تلك المتعلقة بالمشاكل الرئيسية مثل تحديد الاسعار ومعايير توزيع الاستثمارات والعلاقة بين اهداف الخطة واحتياجات السوق . على ان المشاكل المثارة التى ادت الى اعادة النظر الشاملة فى النظام القائم سواء فى تشيكوسلوفاكيا او غيرها من الدول الاشتراكية ، يدعو الى القيام بمزيد من الدراسات والبحوث ».



كتابات جديدة

ظاهرة عمال التراحيل واقعها وتطوراتها

المواطن العامل عطية الصيرفى يعمل ناظرا بشركة اتوبيس وسط الدلتا منطقة المنوفية . وهو يناقش فى هذا المقال الظروف المحيطة بقطاع عمال التراحيل .. هذه الظروف التى تؤثر بلاشك فى عملية الانتاج ككل .

عطية الصيرفى

ان تواجد عمال التراحيل يمثل ظاهرة راسمالية خالصة لم تظهر فى العهد الاقطاعى الذى لاتوجد فيه حرية للعمل لوجود نظام القنانة وعبيد الارض. ولن تظهر ايضا فى النظام الاشتراكى الذى لايعرف البطالة بجميع اشكالها وصورها بفضل التخطيط الاشتراكى الذى يغطى كل نواحى المجتمع بما فى ذلك القوى البشرية .

وانتساب ظاهرة عمال التراحيل الى النظام الراسمالى يعتبر انتسابا قويا لانها تولدت من ظاهرة البطالة التى تمثل قسمة اساسية من قسمات هذا النظام (والتى تمثل ايضا سمة اساسية من سماته) وخاصه فى المجال الزراعى .. حيث تعانى سوق العمل فى هذا المجال كثافة دائمة فى العرض وركودا دائما فى الطلب نتيجه لزيادة السكان زيادة تفوق زيادة الرقعة الزراعيه . ومن خلال عدم التناسب المستمر بين حالات العرض والطلب فى هذه السوق تنمو البطالة التى تغطى حياة الريف والتى تعنى مولد الوجود الحقيقى لظاهرة عمال التراحيل الذين يعملون للافلات من الجوع والبطالة الكامنة بالكد فى البحث عن بيع قوة عملهم بأى ثمن بعيدا عن قراهم واوطانهم فى بعض الاحيان .

وفى مصر تواجد عمال التراحيل من خلال سوق العمل الزراعى الذى ظهرت بدايته الاولى فى عهد محمد على الذى قام بتنظيم عمليات الرى والصرف بانشاء الترع والمصارف والقناطر خدمة لزراعة القطن الحديثة — كما قام بانشاء الطرق الممهدة لاول مرة حتى تستفيد البلاد من وسائل النقل على العجلات التى لم تشاهدها مصر منذ عهد الفراعنة بسبب عدم وجود طرق صالحة غير المدقات التى كان يعرفها الحمارة وكانت هذه السوق الجديدة هى المصدر الاساسى لتغذية هذه المشاريع بالايدى العاملة من ابناء الريف . كما انها تدمت كافة احتياجات الصناعات الحديثة التى اقامها الوالى والتى استوعبت ٤٠ الف عامل اغلبهم من الريف ونتيجة لهذا الطلب المتزايد ظهرت ازمة فى الايدى العاملة الزراعية لدرجة ان الوالى اصدر امرا الى عمد ومشايخ البلاد يقضى بزواج شبان الريف بالقوة وبالنسبه لعدم القادرين منهم يقدم له الصداق المناسب. وكان الغرض من ذلك زيادة عدد سكان الريف وربطهم بقراهم وزوجاتهم حتى تتزايد الايدى العاملة الريفية التى كانت تهددها ايضا الهجرة الداخلية الى المدن حتى ان محمد على اصدر امرا آخر الى عمد ومشايخ البلاد بذهابهم الى القاهرة والاسكندرية مرة كل عام للبحث عن الهاربين من الريف .

وبعد محمد على توقفت اغلب الصناعات التى انشأها . ولكن انشاءات الرى والصرف والطرق لم تتوقف بسبب تواقد رءوس الاموال الاجنبية التى كانت تستهدف العمل والنشاط فى الريف طمعا فى ارباح زراعة القطن .وبسبب قيام العديد من العزب والوسايا قبل صدور اللائحة السعيدية وبعدها — وقد ترتب على زيادة المشاريع الانشائية ظهور صناعة جديدة تعتمد عليها هذه المشاريع. وهى صناعة الحفر والردم التى امتصت عن طريق السخرة فى اغلب الاحوال ٦٠ الف عامل وفلاح فى حفر قناة السويس و١٠٠ الف عامل فى حفر

ترعة الابراهيمية لمدة ستة سنوات و١١٥ الف عامل فى تطهير وتوسيع ترعة المحمودية و٢٤ الف عامل فى انشاء خط سكة حديد مصر الأسكندرية لمدة ثلاث سنوات عدا الالاف من العمال واشباه العمال الذين حفروا ١١٢ ترعة اطوالها ٨٤٠٠ ميل اى اكثر من عشرة آلاف كيلو متر والذين انشأوا مئات الطرق والزراعيات. وقد تم هذا رغم حداثة سوق العمل التى اصبحت سوقا للعمل بالمعنى العلمى الصحيح بعد ان اصدر الوالى سعيد باشا امرا باعفاء الفلاحين الذين يعملون فى الابعديات، وعهد كبار الملاك من السخرة . ورغم قلة عدد السكان حيث كان عددهم فى عام ١٨٧٢ — ٠٠٠و٢٥٠و٥نسمة، ورغم العمليات المستمرة لتغذية الحملات العسكرية بشبان الريف . ولهذا كله فقد ظهرت للمرة الثانية ازمة فى الايدى العاملة الزراعية، حتى ان كبار الملاك من الاجانب والمتمصرين قد عملوا على احضار عمال زراعيين من اوربا ومن افريقيا السوداء بقصد تخصصهم فى العمل الزراعى وابعاد العمال والفلاحين المصريين عن العمل فى صناعة الحفر والردم كما حدث فى روديسيا وجنوب افريقيا .

ومن خلال اعمال الانشاءات الواسعة وجدت فئات مهنية من العمال واشباه العمال من فقراء الفلاحين الذين يملكون او يؤجرون القراريط القليلة من الارض — تخصصت واحترفت صناعة الحفر والردم وكان هذا يعنى ظهور الوجود المهنى لعمال التراحيل فى مصر الذين قد تزايدوا على مر الايام بسبب زيادة السكان زيادة فاقت بكثير زيادة الارض الجديدة ففى عام ١٨٢١ كان عدد السكان مليونين و٥٣٦ الف نسمة وكانت الارض الزراعية مليونين و٣٢ الف فدان وبذلك كان نصيب الفرد من الملكية ٢٠ قيراطا وفى عام ١٩٦٠ — اصبح عدد السكان ٢٦ مليونا، واصبحت الارض ٥ ملايين و٩١٨ الف فدان فانخفض نصيب الفرد من الارض الى النصف واصبح عشرة قراريط اى اقل من نصف فدان وهذه الارقام تدل على ان عدد السكان زاد عشرة مرات فى ١٤٠ سنة بينما لم تزد الارض عن ثلاثة امثال فقط .

وكذلك فقد كان سوء الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى الريف عاملا على زيادة عدد عمال التراحيل حيث كان يوجد حتى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ الفى شخص من مجتمع النصف فى المائة يمتلكون وحدهم مليونا و١٧٧ الف فدان .وكان ٣ آلاف شخص يمتلكون ٤٣٧ الف فدان و٦ آلاف شخص كانوا يمتلكون ٤٢٠ الف فدان و٢٢ الف شخص كانوا يمتلكون ٦٥٤ الف فدان وان ٤٧ الف شخص كانوا يمتلكون ٦٣٨ الف شخص وان ٧٩ الف شخص كانوا يمتلكون ٥٢٦ الف فدان ثم نجد ان مليونين و٦٤٢ الف شخص يمتلكون مليونين و١٣٢ الف فدان. ومعنى هذه الارقام ان ١٥٩ الف شخص يمتلكون ٦٥ ٪ من الارض تقريبا وان مليونين و٦٤ الف شخص يمتلكون ٣٥٪ من الارض وان متوسط ملكية هؤلاء تقل كثيرا عن الفدان وان الغنى منهم لا تزيد ملكيته على خمسة افدنة، بينما تهبط هذه القيمة لتصل الى قراريط قليلة بالنسبة للذين يطلق عليهم فقراء الفلاحين او اشباه العمال لاعتمادهم اساسا على بيع قوة عملهم من اجل الحصول على ارزاقهم وهؤلاء يزيد عددهم على مليونى شخص ثم يأتى بعد فقراء الفلاحين مليونى شخص من المعدمين الذين لا يمتلك الواحد منهم «كعب قصبة» على حد التعبير الريفى. وطبعا فقد كانت هذه الملايين المعدمة والفقيرة هى المصدر الاساسى لتغذية سوق العمالة فى الريف تغذية فاقت حد الشبع بكثير .

وبوجود هذه السوق التى صاحبت قيام صناعة الحفر والردم والانشاءات برزت ظاهرة استغلالية جديدة تمثلت فى مقاولات الانفار التى استأثرت بها جماعة من كبار الماليين المصريين والمتمصريين امثال صيدناوى وزلعوم واخنوخ وانيس سراج الدين — وقد قامت هذه الشخصيات المالية بتجنيد الكثير من الاتباع والعملاء من ذوى النفوذ فى الريف للعمل فى مقاولات الانفار من الباطن نظير عمولة سخية وعلى اثر ذلك ظهرت تصنيفة من مقاولى الانفار تبدأ بالسواق او العهدة، ثم المقاول الصغير فالمتوسط فالكبير الذى يقيم بالقاهرة — وكل هذه الفئات الاستغلالية مارست علاقة غير تعاقدية مع عمال التراحيل لعدم وجود قانون او عرف يحدد ذلك وليست حتى علاقة تبعية لان مثل هذه العلاقة تتضمن منفعة شخصية للتابع ولكنها علاقة شاذة يتمثل فيها القهر والخضوع والسرقة حيث الاجور الهزيلة التى تمتصها تكاليف الزوادة والسلفيات القديمة وساعات العمل التى تزيد على ١٢ ساعة فى الطين والوحل وحيث المأوى والمبيت فى الهواء الطلق فوق برارى الدلتا وحيث الضرب والاهانة والاعتداء على النفس هذا بخلاف عمليات النقل والسفر غير الانسانية بواسطة السيارات اللورى والجرارات التى تقذف بحياة العشرات منهم الى العالم الاخر .

وقد ظلت هذه العلاقة تمارس ضدهم فترة زمنية طويلة حتى شاهدها الجد والابن والحفيد من عمال التراحيل الذين قد انفردت بهم عصابات المقاولين التى استغلت عزلتهم بعيدا عن الحياة والمجتمع وذلك بسبب ان التشريعات لم تمس حياتهم حتى قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .كما ان الحركة الوطنية والنقابية لم تلتفت اليهم، فترتب على ذلك انهم تعرضوا لعدد من الامراض الصحية والاجتماعية الخطيرة من جراء هذه العلاقة الشاذة ومن أخطر هذه الامراض التى تعرضوا لها مرض الغربة الاجتماعى الذى سكن فى نفوسهم ووجدانهم حتى اصبحوا يعيشوا بمشاعر جماعات الغجر والعرب الرحل .

وبعد قيام ثورة يوليو ظهر اهتمام ملموس بتحسن احوال عمال الزراعة والتراحيل باعتبارهم قوة عمالية منتجة. وقد تمثل هذا الاهتمام فى نصوص قانون الاصلاح الزراعى الاول رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ الذى ينص على تحديد ساعات عملهم بثمانى ساعات وبمقتضاه حددت اللجنة العليا للاصلاح الزراعى الحد الادنى لاجورهم بمبلغ ١٨ قرشا وعشرة قروش بالنسبة للاحداث والنساء بينما كان الحد الادنى لاجور عمال الصناعة والتجارة والخدمات ٢٥و١ قرشا بما فى ذلك علاوة غلاء المعيشة وقد نص هذا القانون ايضا على حق عمال الزراعة والتراحيل فى انشاء النقابات والانضمام اليها لاول مرة ولقد تأكد هذا الحق بصدور القانون رقم ٣١٩ لسنة ١٩٥٢ بشأن نقابات العمال .

ورغم الاعتراف القانونى بحق الوجود النقابى لهم فلم يتكون غير ٥٠ نقابة عدد صغير منها ينتشر فى بعض القرى واكثرها نقابات مؤسسات فى المصالح والشركات والمعاهد الزراعية . ولقد انضمت ٣٦ نقابة من هذه النقابات الى الاتحاد المهنى لعمال الزراعة الذى انشىء بعد عام ١٩٥٤ — وكانت هذه النقابات الزراعية الجديدة تعانى خمولا شديدا فى عضويتها لدرجة ان النقابات المهنية التى شكلت ببعض القرى اغلقت ابوابها بعد تكوينها مباشرة ولدرجة ان عدد عضوية النقابات المشتركة فى الاتحاد المهنى لعمال الزراعة لم يتجاوز ثلاثة آلاف عضو علما بأن عمال الزراعة والتراحيل فى مصر يزيدون على ٣ ملايين عامل .وحتى بعد صدور قانون العمل الموحد رقم ٩١ لسنة ١٩٥٩ لم تنشط هذه العضوية ولم تزد من العدد السابق بسبب ظروف عمال الزراعة والتراحيل التى اشرت لبعضها وبسبب عدم قيام الاتحاد المهنى لعمال الزراعة — الذى سيطر على قيادته عدد من موظفى وزارة الزراعة وكلية الزراعة — بأى دور فى خدمة العمال وفى تخفيف حدة استغلال المقاولين لهم حتى يدركوا قيمة الوحدة واهمية التنظيم .

وفى ظل قانون النقابات الجديد رقم ٦٢ لسنة ١٩٦٤ الذى يعتبر اكثر تقدما من القوانين السابقة لم تنشط عضوية هذه النقابات الزراعية النشاط الذى تطلبه مرحلة التحول الاشتراكى فى بلادنا رغم النشاط المظهرى والدفترى لهذه العضوية والتى يسجله قيام ٤٢٠٠ لجنة نقابية زراعية طفرة واحدة وبسرعة مذهلة وبواسطة الاجهزة الادارية فى اغلب الاحوال . ولهذا فقد تسرب الكثير من المقاولين واتباعهم الى قيادة هذه اللجان ، ولم تعمل شيئا فى سبيل تحسين ظروف عمال الزراعة والتراحيل التى قال عنها الميثاق «وكذلك مئات الملايين من العمال الزراعيين عاشوا فى ظروف اقرب ما تكون الى السخرة تحت مستوى من الاجور بهبط كثيرا ليقرب من حد الجوع .كما ان عملهم كان يجرى من غير اى ضمان للمستقبل ولم يكن فى طاقتهم الا ان يعيشوا سنى حياتهم خلال بؤس الساعات وقسوتها الرهيبة» .

ولقد اتضح أن النقابات الزراعية لا تستطيع وحدها حل مشاكل سوق العمالة فى الريف لضعفها وحداثتها ـ وكان هذا يعنى ان النشاط النقابى وحده غير قادر على مواجهة العمل الشاق فى هده المرحلة من تحولنا الاشتراكى الديمقرطى بضرورة القضاء على ظاهرة مقاولى الانفار وتصفيه ظاهرة وجود عمال التراحيل بامتصاصهم رويدا رويدا فى اشغال انتاجيه ثابتة حسب توجيهات التخطيط الاشتراكى الذى يرفض بقاء جماعات من السريحة والباعة المتجولين يبيعون « ويدللون » على قوة عملهم. ولذلك برز العمل السياسى ليأخذ على عاتقه مسئولية مواجهة عمليات الاستغلال والسخرة بالريف وقد استهله المناضل عبد الناصر بقوله «هل نعرفون كيف يعيش عامل الترحيلة انه يعيش على البتاو والبصل بأبخس اجر ، هذا ظلم اجتماعى ضد الدين وضد طبيعة البشر» .

وانطلاقا من هذا الاستهلال الثورى بدات اجهزة الاعلام توالى عرض قضايا عمال التراحيل وراحت تكشف جرائـــم استغلال مقاولى الانفار، وبدأت وزارة العمل تلتفت اليهم ونظم الاتحاد الاشتراكى عددا من مؤتمرات عمال التراحيل لاول مرة مثل مؤتمرات سوهاج واتميدة وبحر البقر عام١٩٦٦ لمناقشة مشاكلهم وفتحت لهم وزارة الشباب معسكراتها لكى تشدهم بعيدا عن غربتهم ـ وتكررت زيارات الشخصيـات المسئولة لمناطق عملهم. حيث زارهم الرئيس عبد الناصر فى معسكر وادى النطرون وحيث زارهم الســــيد على صبرى فى منطقة عملهم بحفير شهاب الدين وناقشهم فى جميـــع مشاكلهم .

كما ظهرت عدة تجارب ومشاريع تستهدف تشغيل عمـــال التراحيل بطريقة انسانية وتعاونية بعيدا عن مقاولى الانفار وذلك مثل تجربتى الدقهلية والبحيرة ومشروعى وزارة العمل والنقابة العامة لعمال الزراعة ومع ان هذه الاعمال كانت تمثل فى جملتها وعموميتها شيئا متقدما الا انه قد لازمها عدد من العيوب مثل :

● اعتماد بعض التجارب على عدد من مقاولى الانفار الصغار واعتمادها كذلك على الاجهزة الادارية البيروقراطيه التى لا تحمل اى ولاء لهذه التجارب والتى عملت على تخريبها من الداخل كما تم فى تجربة الدقهلية .

● عدم اشراك العمال فى الاعمال القيادية والتنفيذية لهذه التجارب .

● لم تهتم بعض هذه التجارب والمشروعات بمحاربـــة تشغيل الاحداث حتى السادسة عشرة حتى يمكن وقف نمو زيادة عمال التراحيل ولم تهتم ايضا بانشاء مراكز للتدريب المهنى لتعليم الشبان من هؤلاء العمال الصناعات الحديثة لابعادهم عن اعمال التراحيل .

● ان هذه التجارب والمشروعات لم توضع فى اتجاه تصفية وجود عمال التراحيل باعتبار ان هذا الوجود يمثل ظاهرة رأسمالية يجب ان تتلاشى فى النظام الاشتراكى .

● لقد تم وضع هذه التجارب والمشروعات على اساس انها دائمة علما بأن الظاهرة التى قامت من اجلها ليست دائمة وليست مستمرة .

ورغم هده السلبيات فقد استطاع العمل السياسى ومـــا تضمنه من اعمال وتجارب أن يحقق بعض النجاح فى اضعاف نفوذ مقاولى الانفار رغم متانة مركزهم فى الريف وفى حل عدد من مشاكل تشغيل عمال التراحيل حيث وصلت اجورهم الى ١٨ قرشا ثم الى ٣٠ قرشا، وبدلا من ١٢ ساعة عمل حددت ساعات عملهم بسبع ساعات ومن يعمل اكثر يحصل على اجر اضافى حتى وصل دخل بعض اسر عمال التراحيل الى ٢٤ جنيها فى الشهر . ونتيجة لهذا زادت انتاجيتهم ١٠٠٪ كما قالت مجلة الاشتراكى الصادرة فى ٢٥ يونية عام١٩٦٦ . ولقد اهتم المؤتمر التعاونى الاخير بقضايا عمال التراحيل حيث نصت توصياته على الغاء مقاولى الانفار وتشغيل العمال عن طريق لجانهم النقابيه. هذه اللجان التى طالبت توصيات المؤتمر بحلها لانها تشكلت فى ١٥ يوما فقط وتسلل اليها المقاولون وصبيانهم كما قال عبد الحميد غازى امين شئون الفلاحين .وطالبت التوصيات ايضا بتاجيل انتخابات اللجان النقابية المقبلة فى يناير عام ١٩٦٧ حتى يتم ابعاد العاملين بالمؤسسات الزراعية من ذوى الاجور الثابتة من عضوية هذه اللجان التى يجب فقط ان تضم العامل الزراعى المعدم الذى يعمل بالزراعة باجر سواء فى قريته أو خارجها .وتكون مهنته الاساسيه الزراعة وليست له حيازة وقد ساد هدا المؤتمر جو من التفهم لمشاكل عمال التراحيل تمثل فى مناقشة قضاياهم باهتمام وجديه وتمثل فى تصريح الدكتور شفيـــق الخشن وزير الزراعة الذى قال فيه «لا بد ان ندفع الضريبة لعمال التراحيل لانهم المنتجون الحقيقيون لمحاصيلنا »

ان كل هذا الاهتمام قد تم بفضل العمل الســـياسى الذى لعب دورا كبيرا فى اختفاء عبارات الاهانة والسخرية بعمال التراحيل ولذلك بدأوا يستعيدوا شخصيتهم التى اضاعتها ظروفهم الاجتماعية القاسية وراحوا يتوجهون بثقة صوب المجتمع الجديد الذى يقدرهم كما جاء على لسان حسن عبد السلام عامل الترحيلة فى المؤتمر السياسى لعمال التراحيل فى منطقة بحر البقر بالشرقية «الحقيقة ان عمرنا لازم يتحسب بعد الثورة لاننا قبل كدة ماكناش عايشين ولا كان لنا وجود ولا كناية ولا قيمة. وكان المقاول ياخذ نص عرقنا ويقاسمنافوت عيالنا ودلوقتى اصبحنا ناخد حقنا بالكامل دلوقتى بناخد اجرنا مرتين بناخد اجر وهاناخد ارض » .

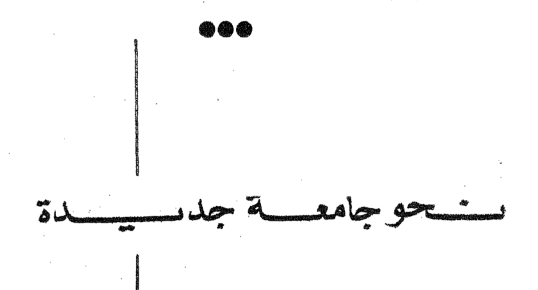
ومع هذا كله نمازال العمل السياسى مدعوا لتصفية ظاهرة عمال التراحيل تصفية نهائية من خلال تلاحمه بالعمل النقابى حيث يمكن امتصاص الالاف من عمال التراحيل شيئا فشيئا فى الاعمال الثابتة فى الانشاءات والقطاع العام بالزراعـــة والارض الجديدة التى يجب ان تصبح مزارع دولة او مزارع تعاونية تضم العديد من هؤلاء العمال فى الورش والمصانع التى سوف تقام عليها. ويستطيع العمل السياسى والنقابى معا ان يعملا ايضا للاستفادة من القوى البشرية المعطلة لعمال التراحيل وكبديل للالات التى تعمل فى تمهيد الطرق وفى عمليات الحفر والتطهير واستصلاح الارض هذه الالات التى يكلفنا شراؤها الكثير من العملات الصعبة التى تحتاجها الصناعات

الثقيلة والحديثة ، وحتى يحل الوقت الذى يمكن فيــه ادخال العمل الالى فى كل المجالات ، كما يمكننا ايضا اقامة عدد من مراكز التدريب المهنى لشد الاحداث والشبان من هؤلاء العمال الى الصناعات الحديثة .

وحتى نضمن نجاح هذا العمل فلا بد من دفع عمال الزراعة والتراحيل الى الحياة العامة اكثر فأكثر عن طريق دعوتهم الى حضور دورات معاهد التدريب السياسى مع عمال الصناعات الاخرى حتى يوجد لديهم تجاوبا اخويا وفكريا وكفاحيا عن طريق مشاركتهم فى عضوية مجالس القرى ومشاركتهم ايضا فى مجالس الجمعيات التعاونية الزراعية باعتبارهم احد طرفى العمل والانتاج فى الزراعة واسوة بزملائهم عمال الصناعات الاخرى الذين قد اشتركوا فى مجالس ادارة الشركات .

وبجانب هذا لا بد من تدعيم النقابات الزراعية بتغيير شكلها التنظيمى الذى لا يتفق وحداثتها ولا يتفق ايضا مع ظروف عمال الزراعة والتراحيل — هذا الشكل التنظيمى السائد فى نقابات الصناعات الاخرى التى قد تجاوز عمر بعضها ٦٠ سنة. والذى يتضمن عمليا مستويين اثنين فقط يتمثلان فى اللجنة النقابية بالقرية والنقابة العامة بعيدا هناك بالقاهرة التى لم يرها غالبية عمال التراحيل ، ولذلك يجب تعديل هذا الشكل بحيث يتلاءم وظروف هؤلاء العمال ويساعدهم على التربية التنظيمية والممارسة النقابية رويدا رويدا بحيث يتضمن اربعة مستويات بالقرية والمركز والمحافظة والجمهورية وعلى ان تطعم هذه المستويات بعدد من النقابيين المتفرغين من الصناعات الاخرى كمنظمين ودعاة ثوريين على ان يكونوا من الكوادر الملتزمة بالاشتراكية فكرا وعملا وعلى ان يقوموا بنقل الخبرة التنظيمية والنضالية الى عمال الزراعة والتراحيل وان يزرعوا فى نفوسهم ووجدانهم عواطف الزمالة والاخوة والحب نحو جميع العمال والفلاحين والمثقفين خدمة للتضامن الاكيد بين قوة الشعب العامل فى بلادنا .

●●●



نحو جامعة جديدة

المواطن ممدوح البدوى ، طالب من الجامعة . وهو هنا يتعرض لقضية ارتباط الجامعة بالمجتمع ، كواحدة من اهم مؤسساته الثقافية والعلمية .

ممدوح البدوى

جرت مناقشات حول قضايا الجامعة والمجتمع، وكثرت الاراء وتعددت وجرى الحديث ساعة من التوجيه الايديولوجى للجامعات ومداه ، والارتباط بحجم العمالة ، وتخلف الجامعات فكريا وسياسيا . ورغم ان كثرة الاراء وتضاربها واختلافها الى حد بعيد قد جعلت الحديث ينحو تارة نحو تفاصيل وجزئيات ، وتارة اخرى نحو تعميم السمل يهمل بعض خصائص القضايا التى طرحت ، الا ان هذا كان يمثل فى النهاية علامة صحة فى طريق تطوير الجامعات . ؟

والسبب الرئيسى فى عزلة الجامعة وابتعادها ومن ثم انفصالها عمليا — وبوعى تام — عن النضال الجماهيرى وقضايا البناء الوطنى والفكر الاشتراكى العلمى ينبع فى الاساس من ظاهرة عامة تجد تعبيرا لها فى الوقت الراهن فى دوائر المثقفين ، ونعنى بها الاتجاهات اليمينية والانتهازية للبعض منهم الذين يلهثون وراء امتيازات اكثر وتطلعات ذاتية غير عابئين بالتفكير فى تحسين احوال المجتمع ككل .

واذا كنا قد بسطنا المدخل الطبيعى للحديث عن عزلة الجامعة والصعوبات التى توجد فى طريق تطويرها، فان معالجتنا هنا سوف تهتم بنقاط ثلاث رئيسية:

اولا : عن البحث العلمى والتدريس والمناهج

ثانيا: المواد القومية .

ثالثا: العمل السياسى داخل الجامعة

وعندما نتكلم عن جمود أو توقف البحوث العلمية في الجامعات ترتفع اصوات كثيرة ترجع الاسباب الى نقص المراجع والدوريات وقلة المكتبات. على انه وان كانت تلك العوامل تمثل بالفعل صعوبات في طريق تطوير البحث العلمي وتأكيد اهميته، الا ان هذه مشكلات جزئية يهتم البعض بتضخيمها لاخفاء الاتجاهات التي تؤكد عمليا سيادة مبدأ التلقين والالزام لمفهومات محددة لا تنمى او تدعم اية بوادر خلاقة في الطلاب، وتدعم في النهاية عمليات الطرد والتخريج التلقائي للطلاب بعد الاجتياز الميكانيكي لاختبارات مدرسية هي بالطبع اسلوب وطرق الامتحانات داخل الجامعة .

ويبدو ان البعض من اعضاء هيئة التدريس متذمرا وشاكيا من نقص اعضاء هيئة التدريس في الوقت الذي يمارس فيه عمليا — ومن جانب اكثريتهم — الاقلال من تعيين المعيدين وتضييق فرص التدريس امام الحاصلين منهم على ما يجيز قيامهم بالتدريس او معاونة اساتذتهم في الشرح والتوضيح .

ثم تأتي المناهج والمقررات والحديث هنا ذو شجون . في الاقتصاد مثلا تبدو ترفيهات «كنز» للاقتصاد الرأسمالي اكثر اهمية من تخطيط «بيتلهايم» و «اوسكار لانجة» الاشتراكي. كذلك في الادارة فان اساليب تايلور في الانتاج والطرق التي اتبعت في مصانع فورد لتكثيف العمل اكثر جاذبية من المبادرة العمالية الستاخانوفية في ظل النظام الاشتراكي .

ان دراسة طرق تجميل الاسنان — قياسا على ما سبق — تبدو اكثر اهمية وفائدة من الاهتمام والتوسع في دراسة طب اسنان الاطفال والاهتمام بعلاج الحيوان لخدمة مصالح الفرد اساسا، هي — بنفس القياس السابق — اكثر فائدة للمجتمع من الاهتمام بطرق ووسائل زيادة الثروة الحيوانية في كليات الطب البيطري .والامثلة في هذا لا تقف عند حد .

والعلاج هو القول المتحفي (الاثرى) الشهير « اعادة النظر في المناهج والمقررات » **ولكن كيف ؟ في تصورى ان العناصر المخلصة والثورية من اعضاء هيئة التدريس (رغم ندرتها) تكون اقدر من غيرها على طرح هذه القضايا وحلولها المقترحة من خلال القواعد الجماهيرية ،وتقديم مبادرات ايجابية وحاسمة في تلك القضية والنضال من اجل تحقيقها على كافة المستويات .**

ثانيا: ان مسألة تدريس المواد القومية من الحساسية والخطورة التي ينبغي معها في تصورنا ان يكون **انجاز تلك المهمة وقصرها فكرا وتدريسا على اساتذة وخريجي المعهد العالي للدراسات الاشتراكية.** والحل الذي ينادى بتشكيل لجان وخلافه للدراسة كي تضع حلولا لمسألة المواد القومية غير عملى على الاطلاق ،فان لتشكيل اللجان واجتماعاتها وقراراتها قصص وذكريات تنتهي عمليا في سلال المهملات .

ثالثا: ويأتي الحديث عن اكثر المسائل اهمية والحاحا وهى العمل السياسي داخل الجامعة وما دمنا قد سلمنا مقدما بالسبب الحقيقي للازمة الراهنة في تطوير الجامعات وكونه تعبيرا عن الاتجاهات اليمينية للمثقفين وسيادة تلك الاتجاهات داخل الجامعة ،واذا كنا في مرحلتنا هذه نؤكد على اسبقية الحلول السياسية على الادارية منها فان الجامعة تبدو في هذا المجال :

١ — مفتقرة الى الجو الديموقراطي

٢ — تعدد المنظمات والتشكيلات التي تعمل داخلها وتشتتها في فهم دورها الحقيقي واهدافها

٣ — الفشل في اتباع اسلوب واع ومنظم للعمل السياسي

ولقد عملت العناصر الانتهازية واليمينية — حفاظا على مصالحها واستمرار حصولها على امتيازاتها — على تدعيم وتأييد المناخ اللاديمقراطي وتعميمه في كافة ارجاء الجامعة بدءا بالجهاز الادارى واجهزة التدريس، يدعم هذا من ناحية اخرى سيادة مبدأ التمركز الوظيفي والاستفحال البيروقراطي الذى توفره وتقره اللوائح التنظيمية للعمل بمنتهى اليسر والرضى . وكان طبيعيا ان ينعكس هذا بالضرورة على مجال العمل السياسي .

ويبدو هنا ان الضمان الوحيد للافراز المستمر للقيم الجديدة هو المقرطة التامة للعمل واساليبه في كافة المناحي وعلى كافة المستويات وبالنسبة لكل القطاعات داخل الجامعة. ان انفتاحا ديموقراطيا هو السبيل الوحيد لتصفية الافكار والاتجاهات المختلفة والرجعية والانتهازية وتأكيد القيم والافكار الجديدة التي تعظم دور الجماهير ونضالها وتدعم مبادىء القيادة الجماعية .

ان هذا سيتيح الفرصة من جانب آخر للعناصر المخلصة حقيقة والاكثر ثورية ان تتقدم وتتسلم مواقع القيادة من العناصر الانتهازية او الرجعية او الاقل ثورية التي ستنفضح تلقائيا من خلال الجو الديموقراطي .اما عن المنظمات والتشكيلات سواء اكانت اتحادات للطلاب او وحدات الاتحاد الاشتراكي (التي جمدت حاليا لتشكيل المكاتب التنفيذية لاعضاء هيئة التدريس) وبعض الاسر والجماعات المختلفة ،فرغم ان بعض هذه التشكيلات قد قدم بعض الانجازات الطيبة كذا وجود بعض المبادرات الطليعية لبعض جماعات وتيارات فردية (طلابية بالاساس) ، الا ان كل هذه التجمعات في النهاية — **لعدم استنادها الى ارضية فكرية واضحة ،وافتقادها لبرامج محددة مرتبطة بتخطيط طويل المدى لاتجاهات حركتها ونشاطها ، وعجز اللوائح المنظمة لتلك التشكيلات عن اعطائها حرية الحركة — لم تضف جديدا يذكر للعمل السياسي او حتى النشاط الثقافي والاجتماعي داخل الجامعة** فيما عدا بعض الوان من النشاط العام المدرسي (بعض المجلات والنشرات والحفلات والرحلات .. الخ)

ومن ناحية اخرى نقد عممت تلك التنظيمات والجماعات والقيادات والتشكيلات بتعددها وتضاربها كجماعات وكأفراد

ـ فى بعض الاحيان ـ الاتجاهات الانقسامية والشللية. وانشغلت بعض تلك الجماعات فى جدل او نشاط نكرى سيطرت عليه تولية نظرية بعيدة عن المشاكل الملحة للقواعد. وكل هذا اسهم فى النهاية فى انفصال تلك التشكيلات عن قواعدها الجماهيرية .

وبتشكيل المكاتب التنفيذية واعلان منظمة الشباب (وان كانت المجموعات القاعدية لم تتشكل حتى الان) **يبدو هناك امكانية فعلية للقيام بعمل سياسى منظم وواع داخل الجامعة يهدف الى تحريك قطاعاتها وتجميعها نحو اهداف المرحلة فى الاساس فما هو اسلوب العمل المقترح ؟؟**

فى تصورى ان **الجماعة القيادية هى الشكل التنظيمى الاساسى الذى تتجمع حوله قيادات المكتب التنفيذى ومنظمة الشباب واتحادات الطلاب وغيرها، ومع الحفاظ على ارتباطاتها العضوية بتنظيماتها والتزاماتها التنظيمية. الا انه يمكن الاتفاق على برنامج موحد للعمل يتم من خلاله تحرك كافة هذه التنظيمات فى تناسق متكامل** .والسؤال الاول الذى ينبغى الاجابة عليه مبدئيا فى برنامج العمل الموحد هو كيف يمكن جذب القطاعات العريضة من طلاب واداريين واساتذة للتجمع حول الاشكال التنظيمية القائمة ، بمعنى آخر **كيف يمكن كسب ثقة الجماهير عن طريق طرح المشاكل اليومية الملحة التى تقابل هذه القطاعات ومشاركة هذه القطاعات عمليا وديمقراطيا ـ وبكافة الوسائل الممكنة فى وضعها للحلول** (مشروع الكتاب الجامعى وامكانية حل الاتحاد الطلابى لتلك المشكلة ؟)

والقياس الموضوعى الاساسى لنجاح هذه التنظيمات هو مدى اكتسابها لثقة الجماهير ومن ثم مدى التفاف الجماهير حولها وتنفيذهم لها

ويبدو ونحن فى هذا المجال ان من المفيد موضوعيا ان نطالب بعقد مؤتمر للجامعيين (اساتذة واداريين وطلبة) يهتم اساسا ببحث النقاط التالية :

١ ـ توفير الجو الديمقراطى وضماناته داخل الجامعة.

٢ ـ تأكيد ضرورة **الحلول الذاتية** لكل كلية فى مواجهة مشاكل التدريس والبحث العلمى والمناهج .

٣ ـ اساليب وطرق توحيد العمل السياسى للقطاعات المختلفة داخل الجامعة .

٤ ـ كيف يمكن عمليا ـ الارتباط بالقرية والمصنع وامكانيات تقديم الحلول ـ فنيا وسياسيا ـ للمشاكل التى تقابلها .

ان كل النقاط التى اثيرت هنا من الممكن ان تكون مثار خلاف فى الرأى وسوف يكون الجدل حول تلك النقاط علامة صحة اخرى فى طريق تطوير الجامعات قد تثرى فى النهاية الحلول التى تقـدم من اجل بعث الجـامعة الجـديدة « الجامعة الاشتراكية » .





صوت من القاعدة

الجماعات القيادية واستراتيجية المرحلة

يكتبه هذا العدد المواطن
شمس الدين موسى ابراهيم
ادارة المركبات

تفرض الظروف الموضوعية على العاملين فى الميدان السياسى ان يتدارسوا الواقع، حتى يكتسبوا المقدرة على الالمام بجميع دقائقه وجزئياته .

وعندما نبدأ اولى خطواتنا فى دراستنا لهذا الواقع، لابد ان تواجهنا مشكلة كبيرة الاهمية تطرح علينا سؤال يحتاج الى اجابة تحدد الاسلوب الذى نتبعه فى منهج الدراسة والسؤال لا يخرج مضمونه عن الآتى : هل نقوم بدراسة الواقع من خلال دراستنا لكل قطاع من قطاعاته المختلفة والتناقضات الموجودة بداخله بصفة خاصة ؟. ام نقوم بدراسته كجزء واحد بجميع تناقضاته — وفى اعتقادى اننا كى نكون فى مستوى الصراع القائم بين قوى التقدم والقوى المعوقة لا بد ان نختار الطريق الاول دون الثانى . اى دراسة الواقع من خلال دراستنا لكل قطاع كوحدة منفردة بجميع مشاكلها، وتناقضاتها، وبذلك نستطيع فى النهاية ان نلاحظ بنظرة شاملة السمات البارزة والخطوط العريضة التى تشكل الملامح الرئيسية لهذا الواقع عن غيره .

وعلى هذا الاساس سأتناول قطاعا هاما من القطاعات الجماهيرية الا وهو قطاع « ادارة المركبات » . وجدير بالذكر ان هذا القطاع به بضعة آلاف من العاملين ومقسم الى وحدات عديدة، لكل وحدة من هذه الوحدات شخصية ذاتية فى اطار التنظيم المركزى للادارة بشكل عام، مما يؤدى الى عدم وجود احتكاك بين جماهير العمال بشكل عام للظروف التى ذكرتها من حيث ضخامة العدد وتعدد الوحدات وتوزيعها .

فكان من الضرورى قبل ان القى الضوء على هذا القطاع ومشاكله، ان القى نظرة الى الوراء كى تكون الصورة واضحة وشاملة عن دور التنظيم السياسى فى المرحلة المقبلة على ضوء الاخطاء التى حدثت من قبل .

فالسمة الملحوظة والبارزة فى هذا القطاع هى وجود تناقضات واضحة بين الفئات المختلفة، وهذه التناقضات تأخذ اشكالا مختلفة تعكس صورا متعددة من القيم والمفاهيم السائدة فى المجتمع المصرى فى مراحل تطوره المختلفة . فهذا القطاع الذى نحاول ان نتناوله بالشرح والدراسة ليس منعزلا عن المجتمع ككل . ولهذا اتعرض الآن لبعض حالات التناقض الموجودة بين الجماهير فى اثناء رحلتها الانتاجية اليومية فى هذا القطاع .

اولا : التناقض بين العمال والموظفين

هذا التناقض واضح جدا فى جميع المستويات، ومما يساعد على تنميته ان الغالبية الساحقة من العمال والاقلية من الموظفين .وكان نتيجة حتمية لوجود التركة الضخمة من القيم البالية التى توارثناها عن الاستعمار والتخلف، ان يكون الموظف فى مرتبة ارفع من العامل المنتج. وهذه الظاهرة تعتبر احدى الخواص الرئيسية التى تميز مجتمعا متخلفا يحقر من العمل اليدوى. وجدير بالذكر ان هذا التناقض لم يعمل فى الفراغ بل كان هناك ما يعمل على تنميته باستمرار من العوامل الموضوعية التى تأخذ سندها من قانون العاملين القديم — وذلك من عدة نواحى :

١ — **الاجازات** : كانت الاجازة العادية شهرا والمرضية ثلاثة أشهر ، والعرضية سبعة ايام بالنسبة للموظفين اما بالنسبة للعمال فقد كانت ٢١ يوما اجازة عادية ومرضية .

٢ — **المواعيد** : الموظفون يبداون العمل فى موعد متأخر عن العمال — وفى نفس الوقت ينتهون من عملهم فى مواعيد مبكرة. كما يتمتع الموظف بركوب سيارة تنقله من مكان عمله الى اماكن قريبة من مسكنه فى الحضور والانصراف ، ولا يزال هذا قائما حتى الوقت الحالى بعد تطبيق القانون الجديد.

٣ — **الروادع والحوافز**: كان نصيب العامل من الحوافز المادية غير ملحوظ اما الروادع كانت تطبق على العامل دون ان تصل الى الموظف الذى دائما ماتقف بجواره اللوائح الحكومية .ومازال معمولا بهذا للآن بعد تطبيق القانون ٤٦ لسنة ١٩٦٤ .

٤ — **الترقية**: ومدتها للعامل لا تقل عن ست سنوات وفى النادر غير الملحوظ ان تكون ست سنوات ، اذ غالبا ماتزيد على عشر سنوات . اما الموظف فلا تتعدى ترقيته مدة اربعة سنوات .

وما زال يعمل بهذا للآن بعد تطبيق القانون المذكور سالفا .

وتلك عوامل سائدة تعمل على وجود هذا التناقض واستمراره . وجدير بالذكر ان هذا التناقض بين الموظفين والعمال المنتجين قد خفت حدته قليلا بعد تطبيق قانون العاملين رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٤. ولا اقول ان التناقض قد زال تماما، بل هو مازال قائما لان القانون المذكور كان قاصرا على حسم التناقضات التى كانت موجودة فى ظل القانون القديم وما كان يشيعه من تفرقة .

ثانيا : التناقض بين خريجى مراكز التدريب المهنى والعمال

عندما عينت الدفعات الاولى من خريجى مراكز التدريب المهنى من حملة الثانوية العامة والاعدادية وذلك فى عام ١٩٦١ — بدأ يبرز الى الوجود تناقض جديد بين عمال الخبرة القدامى والعمال الجدد المؤهلين — فقد كان هؤلاء الخريجون على مستوى لا بأس به من الاتقان المهنى— ولكن تعيينهم كان مربوطا على كادر العمال بالقانون القديم. ولهذا لا يوجد لهذا التناقض ما يسانده من نصوص القانون او اللوائح .الا انه كان يأخذ شكلا سافرا فى معظم الاحيان بالرغم من ان حدته لم تكن بعيدة المدى وذلك لعدم مساعدة اللوائح الداخلية على تعميق هذا التناقض .

ولهذا نجد ان هذا التناقض الذى ليس له اثر فى القانون، قد ظهر من خلال الممارسة اليومية للعمل الانتاجى بداخل الوحدات بين العمال القدامى والمؤهلين .

ثالثا : التناقض بين الموظفين والعمال المؤهلين

هذا التناقض ايضا لم ينشأ فى الواقع بطريقة عفوية — بل كان له ما يبرره. فعندما وجد العمال المؤهلون بداخل الوحدات وكنتيجة لاحتكاكهم بالموظفين ، نشأ هذا التناقض بسبب التفرقة فى المعاملة بينهم وبين الموظفين وهم مؤهلون مثل الموظفين ولكن وقوع قرار تعيينهم تحت وطأة كادر العمال القديم جعل من المحتم ان يطبق عليهم ما يطبق على العمال من حيث الاجازات والترقية والمواعيد ...الخ .

ظلت تعمل تلك التناقضات وتزداد نموا بين العاملين ومما كان يغذى نموها يوما بعد يوم الفراغ السياسى الموجود بين الافراد عموما، وكامتداد طبيعى للفراغ السياسى ،واضافة الى ذلك العامل الهام يوجد عامل آخر كان يعمل على نمو هذا التناقض، وهو عدم وجود نقابة تضم العاملين تحت لوائها وبذلك فقد ايضا جانب كبير كان يمكن ان يقوم بتغطية الوعى العمالى ولو على المستوى النقابى مثلما هو موجود بالمؤسسات والهيئات الاخرى.

ولكن الملحوظ انه بجانب جميع العوامل السابقة التى ذكرتها وبالرغم من وجودها كعوائق موضوعية للعمل الثورى والسياسى بين العاملين، الا انه ظهرت من بين صفوف العمال قيادات وذلك فى تلك الفترة التى تتسم بالفراغ السياسى. وكان من اعمال هذه القيادات اقامة رابطة تضم الغالبية العظمى من العاملين تحت لوائها وبالطبع لم يكن منتظرا من رابطة يقتصر نشاطها على اعطاء سلفة او اعانة لمن يموت ابنه او ابيه ، اكثر مما تعطى فى تلك الفترة، فهى شكل اولى لم تستطع ان تفرض نفسها فى الواقع وتطور نفسها الى مرتبة نقابة — ومما يلفت النظر ان هذه القيادات التى تصدت بجهودها لانشاء الرابطة وجدت ان العمال قد وضعوا ثقتهم بهم فى اى عمل رغم العيوب والمساوىء التى ظهرت بعد ذلك ، وجدير بالذكر انه نتيجة لممارسة العمل بين العاملين لتلك القيادات ان توجد اخطاء يطرحها الواقع عانى منها العاملين على المستوى الشخصى مما جعلها تهتز فى موضعها من نفوس الجماهير. ولكن الظروف الموضوعية المحددة على مستوى الجمهورية وعدم الممارسة العملية للسياسة ونشر الوعى الثورى لم توجد قيادات بديلة تستطيع ان تقوم بعملها بين الجماهير .

وهذه الظروف والعوامل ادت الى وجود معظم تلك القيادات فى لجنة الاتحاد الاشتراكى عند تكوينها «لجنة العشرين» وذلك لتصديهم للعمل السياسى بلا ادراك منهم او معرفة لطبيعة العمل المطلوب منهم فى تلك الفترة، او اعداد حتى مجرد المستلزمات الاولية للعمل الثورى بل اقول بلا عقيدة ثورية تحركهم سوى محاولة خدمة العاملين بالنسبة للمخلصين او البحث عن المركز او المنصب .ولكن هذه الطفولة الثورية ادت الى الاخطاء الكثيرة التى حسبتها عليهم الجماهير كأعضاء لجنة العشرين. وهم لا يحملون فى رؤوسهم من افكار ومبادىء سوى الحماس الوقتى وهو ما اشار اليه الامين العام للاتحاد الاشتراكى اذ يقول «لقد بدا النشاط والحماس فى بداية العمل السياسى، داخل الاتحاد الاشتراكى وعلى جميع مستوياته لكنه بعد فترة الحماس الاولى عاد يأخذ صورة التراخى فى بعض الوحدات والاقسام والمراكز والمحافظات.. على ان هذا البعض كان دون شك معوقا للعمل السياسى الاصلى، والعناصر المعوقة حسبت ان الاختيار الذى اوصلها الى موقع قيادى فى اى مستوى من تشكيلات الاتحاد الاشتراكى انما هو المؤهل الذى يعطيها مركزا وظيفيا فى السلطة السياسية تستطيع منه ان تحصل على امتياز ونفع شخصى ، ولم يدرك هذا البعض ان عضوية الاتحاد الاشتراكى على اى مستوى وفى اى موقع، شرف لا يحتفظ به ولا يناله الا من يستطيع خدمة الجماهير ، والالتحام بها وتلمس مشاكلها.. ومحاولة حل هذه المشاكل.. ودراسة احاسيس الشعب وليس بالتعالى او الانعزال ومضاعفة مشاكل الجماهير ».

ولا استطيع ان اجد وصفا للجنتنا ادق من وصف الامين العام فقد اتسمت بالانعزال والتعالى وعدم الممارسة العملية للتوعية بين الجماهير. بل انكمشت على نفسها باحدى الوحدات ولم تقم بواجباتها التى يلقيها على عاتقها التنظيم السياسى بالعمل على الاتصال بالجماهير فى بقية الوحدات او محاولة اكتشاف العناصر القادرة

على الحركة والتأثر والتأثير من بين صفوف العمال مما سيوقعها فى اخطاء اخرى سنتكلم عنها فى حينها . بل كثيرا ماكانوا ينحازون الى جانب العمل الوظيفى حرصا منهم على مراكزهم الوظيفية مع رضا الرؤساء ضاربين بمصالح الجماهير عرض الحائط. وقد اشار الامين العام ايضا الى هذا الخطأ الذى وقعت فيه لجان كثيرة من لجان الاتحاد الاشتراكى فى كلمتــــه المشار اليها قائلا: « وحين كانت تتعارض مصلحة الجماهير مع المصلحة الوظيفية فى العمل التنفيذى فى جهة ما، حتى ولو كان العاملون فيه على غير صواب، فان عضو لجنة الاتحاد الاشتراكى كثيرا ما كان ينحاز الى العمل الوظيفى حرصا منه على الاحتفاظ بمصدر رزقه وعمله ورضى رؤسائه» .

ولكن ما العمل ؟

هل يكون العمل السياسى فى ذلك القطاع سائرا كما هو بذلك الاسلوب المريض والذى يتنافى مع ثورية الاتحاد الاشتراكى وخاصة فى المرحلة الراهنة، والتى يتربص فيها الاعداء بنا فى كل مكان، فالرجعية الداخلية لا تتوانى اذا وجدت الفرصــــة سانحة ان تثب محطمـــة جميع مكاسبنا ومنجزاتنا متحالفة مع الرجعية فى الخارج والاستعمار وعملائه فى المنطقة العربية.

كان لابد من ميلاد جديد للاتحاد الاشتراكى فى جميع الوحدات الجماهيرية، فطبيعـــة المرحلة الراهنة تتطلب ذلك.. تتطلب مقاومة الدعايات ـ ومحاربة الاكاذيب .. تتطلب العمل على دفع الثورة الاشتراكيه فى نفوس المواطنين، بزرع القيم الاشتراكيه والديمقراطية فى العقول واجتثاث القيم الموروثة عـــن المجتمعـــات الاقطاعيـــة والبرجـــوازية والرواسب التى مـــازالت موجودة كمعوق لمسيرتنا فى بناء الاشتراكية، وبهـــذا نتجت فـــكرة الجماعات القيادية وخرجت الى حيز الوجود .

والواقع ان التكوين الجديد للجماعات القيادية ليس هدفا فى حد ذاته وانما هو وسيلة ، وعلى هـــذا لابد مـــن التدقيق والعناية فى عملية اختيار العناصر القيادية سواء فى القطاع الذى نمارس عملنا فيه او بقية القطاعات الاخرى التى وصمتها الاخطاء السابقة التى اشار اليها الامين العام ووجـــدنا انها منطبقة على لجنتنا بادارة المركبات وعملنـــا على الاشارة اليها حتى تكون اخطاءنا امام اعيننا فى المرحلة الجديدة ، فـــلا بد أن يمكون الافراد المختارون من المناضلين الشرفاء الباذلين جهودهم فى سبيل الجماهير، وعلى هذا نجد الفرصة امامنا بتكوين الجماعة القيادية حتى نستطيع ان نقوم بواجبنا فى النضال الدائم الذى تتطلبه منا ظروف المعركة.. ولهذا فالمطلوب ان تكـــون العناصر الجديدة التى عملت بهذا القطاع الهام فى الفترة السابقة هذه ـــ وهى عناصر شابة ولا ينقصها الثقافة الثورية ان تتمثل فى الجماعة القيادية ـــ على ان نعمل الجماعة على دراسة الظروف التى جعلت العمل السياسى عائقا امام لجنة الاتحاد الاشتراكى وذلك كخطوة اولى لرفع جميع العقبات من الطريق قبل السير للامام ، كما عليها ان تتدارس التناقضات الموجودة بين العاملين ، ومحاولة العمل على اذابتها وحلها بالاساليب الممكنـــة والعمل السياسى المستمر بين الجماهير فهو خير ضمان لحل جميع المشكلات، فبواسطته نستطيع ان نرفع المعدلات الانتاجية ـــ وليكن هدفنا فى المرحلة القادمة العمل على جعل كل عامل رجلا سياسيا وليس عاملا فقط حتى نستطيع ان نخلق نموذجا للعامل الاشتراكى مثلما هـــو موجـــود بالبلدان التى اخذت طريق الاشتراكية حلا لمشكلاتها .

تعليق على ((حركة واتجاهات الصراع الطبقى فى الريف المصـــرى)) ورد ..

من التقارير التى نشرتها الطليعة فى عددها التــــاسع (سبتمبر) ، تقريرا سياسيا بعنوان **(حول حركة واتجاهات الصراع الطبقى فى الريف المصرى)** **لميشيل كامل** . وقد بعث المواطن **عمر الفاروق عثمان من المركز القومى للبحوث** ،برسالة للطليعة يعلق فيها على التقرير فيقول :

لقد اعجبت كثيرا بمقال **ميشيل كامل** «حول حركة واتجاهات الصراع الطبقى فى الريف المصرى» المنشور بعدد الطليعة سبتمبر ١٩٦٦ . ولقد استوقفنى المقال فى فقرتين : الاولى فى صفحة ٥٧ وجاء بها « لقد كان مقررا لخطة السنـــوات العشر لمضاعفة الدخل القومى ان يرتفع دخل المشتغلين بالزراعة من ١٢٣ جنيها الى ١٤١ جنيها ـ حوالى ١٥٪ ـ بينما يرتفع متوسط دخل المشتغلين بالصناعة من ٤٣٢ جنيها فى سنة الاساس الى ٧٩٧ جنيها عام ٦٩ ـ ٧٠ ـ حوالى ٨٥٪ ـ وميكنة الزراعة هى الحل الجذرى لتلافى الخلل فى توزيع الدخول بين المدينة والريف وتجنب تفاقم هذه الحالة»

وانا فى الحقيقة اتساءل عن دقة هذه الاحصائية الخطيره ودلالتها اذا ثبت دقتها . اذ ان متوسط دخل العاملين بالصناعة فى سنة الاساس يعتبر مرتفعا جدا بالنسبة لمتوسط دخل الفرد فى الجمهورية . وفى صناعة ناشئة تكون نسبة كبيرة من العمال من غير ذوى المهارة العالية او عديمى الخبرة وبالتالى يتقاضون تقريبا الحد الادنى للاجور (حوالى ٩١ جنيها سنويا) ، ونسبة الفنيين والخبراء لايمكن ان تساهم فى دفع الحد المتوسط لمثل هذا المستوى المرتفع خصوصا وان غالبيتهم من خريجى الجامعات حديثى التخرج ويبلغ متوسط دخلهم فى العام حوالى ١٨٠ جنيها (فى سنة الاساس) . وعلى هذا يكون السبب الاغلب لرفع متوسط الدخل هو زيادة عدد الوظائف الادارية ذات الدخل الكبير الى حد غير مرغوب فيه وهو الذى يتسبب فى رفع متوسط الدخل الى هذا الحد وتزداد خطورة هذا الوضع من صورة الرقم المحدد لمتوسط الدخل فى عام ٦٩ ـ ٧٠ . اذ يقارب متوسط الدخل الشهرى للعاملين بالصناعة ٧٠ جنيها شهريا وهو مستوى يبدو خياليا خصوصا اذا ماقدرنا كمية الزيادة فى مرتب فئة متوسطة من العاملين بالصناعة وهم الفنيون خريجى الجامعات اذ لاتتجاوز الزيادة خمسة عشر جنيها تقريبا وبالتالى يصبح متوسط دخل الفرد من هذه الفئة حوالى ٣٠ جنيها شـــهريا وهو ادنى بكثير من المتوسط المقدر لدخل الفرد العـــامل بالصناعة (حوالى ٥ر٦٦ جنيها شهريا) وهذا يوحى بالزيادة التضخمية الخطيرة فى الوظائف الادارية ذات الدخل المرتفع عن الحد المطلوب .

والفقرة الثانية وهى الاخطر فى مقالك بصفحة ٥٨ « ومن الشكايات التى تقدم بها الفلاحون والجديرة بالبحث ، الشكوى من «ثبات سعر القطن منذ عام ١٩٥٢ حتى اليوم بالرغم من الزيا المستمرة فى تكاليف الرش والمبيدات» وذلك لان رفع سعر المحاصيل الزراعية ومن ثم مستوى معيشة الفلاحين كفيل بالتاثير على اساليب ومستوى الانتاج» . ووجهة النظر هذه خطيرة وتستحق التفكير والنقد . اذ ان رفع سعر الحاصلات الزراعية ليس هو الطريق (فى نظرى) لرفع مستوى معيشة الفلاحين ولاهو الطريق لزيادة دخلهم . اذ ان رفع سعر الحاصلات الزراعية ومن ضمنها القطن سيؤدى الى تضخم لانها زيادة فى الاجر لم يقابلها زيادة فى الانتاج وسيؤدى الى ارتفاع عام فى الاسعار ومستمر باستمرار رفع سعر الحاصلات الزراعية وهو الى جانب انه لن يفيد الفلاح لان زيادة اسعار المنتجات ستمتص هذه الزيادة من ثمن الحاصلات فيبقى مستوى معيشة الفلاح فى نفس المستوى ان لم يكن اقل ، الى جانب انه يحرم الدولة من فرصتها على المنافسة فى تصدير المنتجات الزراعية والصناعية .

وبغض النظر عن سبب ارتفاع تكاليف الرش والمبيدات وحتمية او عدم حتمية هذا الارتفاع فان رفع الاسعار (خصوصا المنتجات الزراعية) ليس فى رايى هو السبيل لرفع مستوى

معيشة الفلاح ، وانما التزام العلم وتسخيره فى خدمة المجتمع هو اكثر السبل املا فى رفع مستوى معيشة الشعب عماله وفلاحيه . ان زيادة انتاجية الارض مثلا هى زيادة مباشرة للفلاح غير ذات اثر تضخمى . كذلك فان مقاومة الآفات ومن ضمنها السوس ، واعادة تصنيف التربة ، ودراسة مقننات الماء والسماد المناسبة للمحاصيل المختلفة ، والوصول الى سلالات ذات مقاومة بيولوجية عالية وانتاج اعلى ذو مواصفات وخصائص احسن ، واستغلال كل فضلات المزرعة لاطعام حيوانات المزرعة واستخدام نفاياتها كسماد واجزائها المختلفة وبقاياها بعد الذبح كالجلد والريش والامعاء والدماء وتصنيعها ، سيؤدى الى دخل مباشر للفلاح يساهم فى ارتفاع مستوى معيشته وامتصاص بعض الايدى المتعطلة او شبه المتعطلة . ولعل مشروع استخراج الالياف من حطب القطن ومايمثله من زيادة دخل الفلاح من بقايا كانت غير ذات قيمة الا فى الوقود ، ومن حله لاحدى مشاكل الانتاج القومى وهى مشكلة العبوات يوضح الى حد كبير هذا الراى . ان تسخير العلم لخدمة المجتمع وزيادة تطوره ورفاهيته تمثل فى نظرى اكثر الطرق املا فى تحقيق الزيادة الراسية فى الانتاج الزراعى كما تمثل ايضا فى نظرى السبيل «الوحيد» للزيادة الافقية فى الانتاج الزراعى بالتغلب على مشكلة رى الصحارى وتوفير المياه العذبة والطاقة بسعر اقتصادى وذلك بالنجاح فى استغلال مصادر الطاقة المتوفرة فى بلادنا مثل الطاقة الشمسية (او الذرية اذا تحقق وجود مخزون من المواد الخام المشعة يكفل تموين مفاعلات القوى المستخدمة فى مثل هذه الاغراض) وكذلك التغلب على مشكلة ازالة ملوحة مياه البحار التى تحيط بصحارينا من كل جانب .

الطليعة : مصدر الاحصائية هو نشرة بنك الاسكندرية عن الخطة فى يونيو ١٩٦١ : وهذه الفروق الاقتصادية — التى تعكس بالضرورة فروقا اجتماعية ايضا — بين المدينة والريف ، هى التى تدفع بالفعل الى المناداة بضرورة تقارب الفوارق وتذويبها بين المدينة والريف . فمن المعروف مثلا ان الفرق بين الحد الادنى للاجور — التى يقوم اغلبها فى الريف — وبين الحد الاعلى للدخل — ويقوم اغلبه فى المدينة — يصل الى ٥٠ ضعفا وهى فوارق ضخمة بالفعل . ومعروف ايضا ان السلك الادارى والاعمال غير المنتجة متضخمة جدا فى بلادنا التى تعد نسبة الوظائف فيها من اعلى النسب الموجودة فى العالم كله .

اما قول كاتب التقرير بضرورة رفع سعر المحاصيل الزراعية فينبع من حقيقة ضرورة رفع مستوى معيشة الفلاح من جهة وتحقيق مبدأ عدالة التوزيع بين الفلاح فى القرية وبين سكان المدن والعاملين فيها . وردا على ملحوظتك ، فمن المعروف ان امكانيات الزيادة الراسية فى الانتاج الزراعى محدودة بشكل عام . فمهما زادت هذه الانتاجية فهى لن تتعدى ٣٠٪ تقريبا ولكن هذا لايعنى بالتالى ضرورة تثبيت دخول الفلاحين فى حدود هذه النسبة . ففى مقابل هذه الحقيقة الخاصة بانتاجية الارض فالانتاج القومى قابل للزيادة فى حدود واسعة للغاية تبعا لامكانيات زيادة الانتاج الصناعى القائمة بمعدلاتها المرتفعة ، هذه الزيادة التى تؤدى بدورها الى زيادة الاجور فى المدن ومن ثم لزيادة الاسعار ، وبذلك فان رفع اسعار المحاصيل الزراعية ، تواجهها زيادة فى الانتاج القومى عامة والواقع ان زيادة الاسعار سببها الضغط العكسى اى زيادة الاجور فى المدينة والانخفاض النسبى للانتاج الزراعى والاعتراف بهذه الحقيقة مع المطالبة بتثبيت دخول الفلاحين تقريبا تتناقض تماما مع مبداين هامين : احدهما اقتصادى يقول بأن زيادة الانتاج القومى الصناعى يقتضى ضرورة ايجاد سوق داخلى واسع لاستيعابه . والمدن وحدها (التى لاتشكل غالبية السكان) غير قادرة على امتصاص هذه الزيادة . ومن ثم يصبح رفع مستوى معيشة الريف الى الحد الذى يستوعب نسبة من هذه الزيادة وتحوله الى سوق ، ضرورة اقتصادية هامة يعوقها تثبيت دخل الفلاح ، كما ان استهلاك الفلاح — بعد زيادة دخله برفع اسعار المحاصيل الزراعية لن يزيد كثيرا من حجم المواد الاستهلاكية الضرورية اذ يزيد الضغط على السلع الغذائية وحدها (فهو يستهلكها بالفعل) وانما سيزيد من حجم الاستهلاك فى السلع المصنعة (ملابس .. ادوات .. الخ) . اما المبدأ الثانى الهام ايضا فمبدأ اجتماعى اساسى هو مبدأ عدالة التوزيع بين ساكن الريف وساكن المدينة وتذويب الفوارق فيما بينهما كجزء هام واساسى من اهداف الاشتراكية التى يساهم الفلاحون ببناء جزء كبير من دعائمها .

تعليق على « شهادة » بنى هلال .. ورد ..

فى العدد التاسع (سبتمبر) ، نشرت الطليعة « شهادة واقعية » عن قرية **بنى هلال** . وقد ارسل **فوزى شاشى** عضو مجلس الامة عن الدائرة بتعليق تنشره الطليعة عملا بحرية الراى محتفظة لنفسها بحق الرد . يقول فوزى شاشى :

نشرت مجلة الطليعة فى عدد سبتمبر سنة ١٩٦٦ تحت عنوان شهادات وتقارير عن الريف المصرى — دراسة عن قرية بنى هلال محافظة الشرقية . وقد جاء فيها عدة ملاحظات بنيت على وقائع يعوزها الدقة العلمية والنفاذ الى الحقيقة التى هى هدف كل باحث .

وقد تضمن البحث مقدمة تفيد بأن بالبلدة اربع ملاك يملكون ثلث الارض وقدرها ٦٠٠ فدان . وهذه الواقعة غير صحيحة اذ ان الملكية فى البلد تتجاوز الـ٦٠٠ فدان ثلاث مرات فضلا من انه لايوجد اربعة اشخاص يملكون ٢٠٠ فدان . وفيما يتعلق بالعائلة التى منها عضو مجلس الامة ومنها ايضا رئيس مجلس القرية وامين وحدة الاتحاد الاشتراكى والعمدة (وهذه الوظائف الثلاث يشغلها شخص واحد) فلا يوجد فيها من تصل ملكيته الى خمسين فدانا على الاطلاق بل ان اكبر مالك فيها لايملك الا ٣٩ فدانا وباقى ملكيات العائلة دون ذلك بكثير .

اما عن الملاحظة الثانية وهى الخاصة بقانون الايجارات وما جاء فى البحث من انه نشأت علاقات ايجارية تعتبر تهربا من القانون وهى الايجار بالمزارعة او الايجار بالخمس او المخامسة . فهو قول تنقصه اصالة الفهم للواقع فى الريف فالمعلوم ان نظام المزارعة هو نظام تاجير للارض اساسه ان يتحمل المزارع نصف التكاليف ويتقاسم مع المالك نصف المحصول . اما نظام المخامسة فهو ليس نظام تأجير للارض وانما نظام استخدام للعامل الزراعى باجرة عينية هى ١٠٪ قيمة المحصول الناتج من القطن وفى هذا النظام لايتحمل العامل الزراعى شيئا من مصاريف الزراعة على الاطلاق بل لايقدم الا مجهوده اليدوى فقط وهذا المجهود محدد بالممارسة بعدد معلوم من الايام . وبالحساب عنها يصل الاجر الى ضعف الاجر العادى الامر الذى يدعو عمال الزراعة الى التنافس على هذا العمل — علما بان المصاريف التى ينفقها المالك فى تهيئة الارض وتسميد ورى وثمن آفات يصل الى ٢٪ محصول القطن حسب ماهو مقرر فنيا طبقا لاحصائيات وزارة الزراعة فلا يبقى من حصيلة بعد ذلك الا ٢٪ يتقاسمها المالك والعامل الزراعى .

فهل يجوز مع ثبوت هذه الحقائق القول بان هناك تهربا من قانون الايجارات ؟

اما الاتجاه الى زراعة حدائق وفواكه او تاجير الارض زراعة واحدة فكلها اوضاع يقرها القانون ولا غبار عليها وهى اوضاع حتمية تنشأ نتيجة لسعى كل مالك الى حسن استغلال ارضه حتى تدر عليه اكبر عائد .

اما الملاحظة الثالثة وهي الخاصة بالمقارنة بين الجمعية التعاونية في بنى هلال والجمعية التعاونية في تلبانة فبالرغم من عدم لياقة هذه المقارنة لما تثيره من روح غير طيبة بين البلدتين المتجاورتين فان ماورد فيها يتنافى مع الواقع ذلك ان شعور الفلاحين بفاعلية العمل السياسى في بنى هلال امر قد اخذ دوره من اكثر من عشر سنوات وترتب عليه مساهمة الاهالى في الاكتتاب في اعمال كثيرة تحقق وجودها في الطبيعة بما لا يحتاج لبيان ، وليس ادل على ذلك من الاكتتاب في بناء الوحدة المجمعة حيث جمع الاهالى الفين من الجنيهات وقدموها للدولة الامر الذى راى معه الرئيس جمال عبد الناصر ان يضع الحجر الاساسى لهذه الوحدة تقديرا لهذا التفاعل السياسى الذى تحقق وجوده منذ اكثر من عشر سنوات وترتب عليه قيام اجهزة الخدمات التى تعتبر مفخرة للبلدة بالمقارنة الى غيرها من البلاد ، فاذا قامت تلبانة بهذا الدور الان على منوال بنى هلال فلا يمكن ان يفسر هذا التفاعل الذى يتم الان في تلبانة بانه دليل على فاعلية العمل السياسى فيها دون بنى هلال ولايمكن ان يبرر ماذهب اليه البحث من ان هناك مساواة في الحقوق في تلبانة دون بنى هلال ومن ان هناك ديموقراطية في الاولى دون الاخرى مثل هذا القول يغفل الحقيقة وهو ما يجب ان يتنزه البحث عنه .

الطليعة : من المهم ان نتفق – باديء ذى بدء – على نقطتين اساسيتين :

الاولى : ان زاوية الرؤيا التى يجب ان ننظر منها ونحن نحاول جميعا التصدى لعلاج واقع الريف في بلادنا ، ينبغى ان يكون اطارها محددا بالحرص على تاكيد حقيقة التغيير الذى تشهده بلادنا من اجل بناء الاشتراكية . واهمية هذه النقطة تبدو ضرورية ازاء مانزعم ان خلطا قد جاء في التعقيب بين بناء الوحدة المجمعة ودلالته – في مرحلة تطور وطنى (١٩٥٤) مثلا – وبين بناء الجمعية التعاونية ودلالته – في مرحلة تطور اجتماعى ابتداء من ١٩٦١ . وماورد في «الشهادة الواقعية» التى نشرتها الطليعة تدور حول هذه النقطة بالتحديد . ولقد كانت الاشارة الى الجمعية التعاونية – كما عبر عنها الفلاحون في القرية بانفسهم ونشرت كباقى – جزء من الاشارة الى وضعية ونشاط عدد اخر من المؤسسات في القرية وفى مقدمتها وحدة الاتحاد الاشتراكى التى تقوم بدورها – كما عبر الفلاحون – في قرية تلبانة . بينما لم تقم بدورها – كما عبر الفلاحون ايضا – في قرية بنى هلال ووضحوا الاسباب في ان امينها هو نفسه رئيس مجلس القرية والعمدة وواحد من احدى الاسر ذات الملكيات الكبيرة في القرية وهى اسرة شاش . الاشارة كانت بالتحديد حول .. الى جانب من تقف وحدة الاتحاد الاشتراكى وهى تقوم بدورها ؟ الى جانب قوى الشعب العاملة ؟ ام الى جانب كبار الملاك ؟ يؤكد ذلك ماذكره الفلاحون وما انطبع في ذهن كاتبة الشهادة – عن الحلول الذاتية التى قامت بها وحدة الاتحاد الاشتراكى في تلبانة (شراء محطة كهرباء – رصف طريق ٦ كيلومتر .. الخ) بينما لم يذكروا شيئا مماثلا عن وحدة بنى هلال .

والنقطة الثانية : اننا نمر بمرحلة يعاد فيها صياغة وتشكيل العلاقات الاجتماعية القائمة حاليا – باعتبارها رواسب منعكسة عن اوضاع اقتصادية وسياسية قديمة ومستغلة – عاملين على اقامة وتسويد علاقات اجتماعية جديدة تتفق وواقعنا الاجتماعى المتقدم والمتغير في نفس الوقت الى مواقع اكثر تقدما تقتضى – كما اكد قائد الثورة – ضرورة اعادة صياغة القوانين العاملة الاقتصادية والاجتماعية . ومن هنا نقول «الشهادة الواقعية» بان نظام المخامسة – مثلا – يعد نوع من انواع التهرب من القانون ، باعتبار النظرة الى الواقع – المتغير – من زاوية مدى اتفاق هذه العلاقة الايجارية مع ضرورة الدفع والتقدم المطلوبين في تغيير العلاقات الاجتماعية في المجال الزراعى . فهذه العلاقة الايجارية – كما عبر عنها الفلاحون وتركته من انطباع في ذهن كاتبة الشهادة – لاتساعد على تغيير العلاقات الاجتماعية القديمة القائمة الى علاقات جديدة اشتراكية ، وانما تعنى تجميد هذه العلاقات والابقاء عليها كمائق في سبيل نجاح عملية البناء الاشتراكى .

اما الملاحظة الخاصة بالاتجاه الى زراعة حدائق وفواكه فان كاتبة «الشهادة الواقعية» لم تقل بعدم قانونية هذا الاتجاه او عدم شرعيته بل ان احدا لاينكر اهمية هذه الزراعة التى تدعم الاقتصاد القومى بما تؤثر به على حجم التصدير وعوائده من العملة الصعبة . ولكن كاتبة التقرير نقلت فقط ماعبر عنه الفلاحون من ان حجم العائد على المالك من هذه الزراعة ، لايتفق وحجم الضريبة التى يدفعها والتى تماثل مايدفعه الفلاح الصغير الذى لايزرع سوى محصولات حقلية لاتوفر له مثل ذلك العائد الكبير . والفارق هنا ان الاول يملك مايمكنه من هذه الزراعة التى تعود له بعائد كبير بينما الثانى لايستطيع ذلك لانه لايملك مايمكنه من هذه الزراعة . ومن هنا كان تعبير الفلاحين في الشهادة عن ضرورة اختلاف حجم الضريبة تبعا لاختلاف الاستغلال الزراعى . ومن هنا ايضا جاء تعبير كاتبة الشهادة عن «ان الدولة الى الان لم تاخذ بنظام ضرائب الاستغلال الزراعى» .

جاءنا من سعد محمد احمد رئيس النقابة العامة ردا على تعليق عبد المنعم الغزالى في عدد سبتمبر الماضى ننشر المقتطفات الرئيسية منه ، مع تعقيب كاتب التعليق على رأى رئيس النقابة .

النقابية الادارية

أخذنا نفس العنوان الذى أختاره السيد – عبد المنعم الغزالى (النقابية الادارية) حيث انه هناك فعلا الجانب الادارى في التنظيم النقابى والذى لايجب قطعا أغفاله أو الاقلال من شأنه لارتباطه الوثيق بالنشاط النقابى بوجه عام وذلك باعتباره ركيزة وقاعدة ينطلق منها النشاط ولايمكن أن نتصور نقابة عامة تضم مائتين وخمسين لجنة نقابية – تمثل مائة الف عضو – ولايكون لها النظام الادارى الذى يمكن لها من الاشراف الدقيق المنظم على العلاقات الادارية بينها وبين هذه اللجان – **وفى سبيل تحقيق ذلك عنيت النقابة العامة لعمال الصناعات الغذائية فور تشكيلها بوضع واعتماد اللوائح المنظمة للمسائل والاوضاع المالية والادارية بينها وبين لجانها النقابية مستهدفة تحقيق الاشراف وتأكيد المساواة وتطبيق الاشتراكية الحقة في اهم نوع من المصروفات – الادارية – والتى شاء السيد – المعلق أن يتجاوز بها حدودها فاطلقها على النقابة بصفة عامة**

وقد ورد بالتعليق ان ايرادات النقابة العامة حتى ٣١/٥/١٩٦٦ مبلغ ٧٥٦٢٥٫٣٠٠ جنيها ، وحقيقة الامر ان جملة الاشتراكات المحصلة في ١/٧/٦٥ الى ٣١/٥/١٩٦٦ هى ٧٦٢٥١٫١٦٦ جنيها .

وورد ايضا انه بلغت جملة المصروفات حتى هذا التاريخ ٦٤٨٢٣٫٥٨١ جنيها ، وحقيقة الامر ان جملة المصروفات عن المدة المذكورة بلغت ٦٤٧٦٤٫٣٠١ من الجنيهات .

وورد بالتعليق بيان بالمصروفات كالاتى :

١ – ان المصروفات الاجتماعية ٢٧٣٫٧٩٠ جنيها ، وحقيقة الامر ان المصروفات الخاصة بالمركز الرئيسى وحده ٦٣٠٫٠١٥ جنيها ، وهى تمثل اعلانات ونشرات واعانات ونشاط ترفيهى .

٢ – ان المصروفات المتنوعة ١٦٠٥٫٤٩٣ جنيها ، وحقيقة الامر ان المصروفات المنوعة ١٦٥٠٫٥٠٨ جنيها ، وهى تمثل

اصولا للنقابة العامة (مدينون — متلقيات — وعهد تحت التسوية — وتأمينات لدى الغير واثاث) .

٣ — ان المصروفات المركزية ٥٨٤٦٫٣٣٧ جنيها ، وحقيقة الامر ان المصروفات المركزية ٥٩٤٨٫١٩٧ جنيهـا ، وهي مصروفات خصصت للخدمات الاجتماعية والثقافية والصحية والمهنية المشتركة وتمثل (مجلة الصناعات الغذائية — مصروفات المصيف — اتعاب المحاماة — المصاريف القضائية — اتعاب مراقب الحسابات — شاملة النقابة العامة ولجانها النقابية) .

٤ — ان المصروفات الادارية بلغت ٣٤٢٢٤٫٠٤٤ جنيها ، وحقيقة الامر ان المصروفات الادارية للمركز الرئيسي للنقابة العامة ولجانها النقابية هى مبلغ ٢٣١٥٠٫٢١٥ جنيها ، ويتولى المركز الرئيسي للنقابة العامة وحده الصرف علىهذه المصروفات الادارية له ولجميع تشكيلاته من المركز الرئيسي وطبقا للوائح موحدة معتمدة فى هذا الشأن ونسبة هذا المبلغ الى جملة الاشتراكات الواجب تحصيلها حتى ١٩٦٦/٥/٣١ وقدرها ٨٥٢٥٥٫٢٧٨ جنيها ، تمثل ٢٧ ٪ تقريبا اى انها لم تتجاوز النسبة المقررة قانونا وقدرها ٣٠ ٪ ولا تتعدى النسب المحددة قانونا بحوالى ١٠٠ ٪ كما هو وارد بالتعليق (وللعلم فان نسبة المصروفات الادارية بصفة عامة عن الفترة من ٦٥/٧/١ الى ٦٦/٦/٣٠ قد بلغت ٢٦ ٪ طبقا للحساب الختامى المعتمد) كما انه لا يجوز الخلط بين المصروفات الادارية ومصروفات الخدمات المركزية لان كلا منها مخصص لغرض معين ولاهداف محددة .

٥ — ان حصص اللجان ٣٠ ٪ بلغت ١٩٨٧٩٫٤١١ جنيها ، وحقيقة الامر انهما بلغت ٢٦٥٠٩٫٧٤٨ جنيها ، وهي تمثل مصروفات اجتماعية محولة من المركز الرئيسي للنقابة العامة لجميع تشكيلاتها النقابية طبقا للمادة ١٦٥ — ٦٢ — ٦٤ وهذا المبلغ المحول لا يتضمن اطلاقا ١٠ ٪ مصاريف ادارية للجان او أي نسب اخرى كما هو وارد بالتعليق لان النقابة العامة طبقا لنظمها كما سبق ان بينا تتولى الانفاق من المركز الرئيسي وحده على المصروفات الادارية الخاصة باللجان النقابية والمركز الرئيسي ومن الحصيلة المخصصة لذلك .

٦ — بلغت جملة المبالغ التى دفعت للجان فى الارصدة (٥٠ ٪) ٢٦٦٤٫٥٠٦ جنيها ، وحقيقة الامر انهـا بلغت ٣٠٧٧٫٤٤٩ جنيها ، وهى تمثل ٥٠ ٪ مرتدة للجان من ارصدتها السابقة وفقا لقرار مجلس ادارة النقابة العامة فى ١٩٦٥/٦/٣٠ وهذه المبالغ وجهت ايضا للمصاريف الاجتماعية بمعرفة اللجان (نشاط ثقافى — ترفيهى — اعانات) .

٧ — بلغت جملة المبالغ المدفوعة للاتحاد العـام ١٠ ٪ ٣٨٨٣٫٦٥٤ جنيها ، وهى تخص العام السابق ، وجملة المبالغ المستحقة للاتحاد العام ١٠ ٪ فى ١٩٦٦/٥/٣١ مبلغا قدره ٧٦٣٥٫١١٦ جنيها .

٨ — بلغت جملة المبالغ المحتفظ بها احتياطيا قانونيا ٥ ٪ طبقا للقانون وطبقا للاشتراكات المتحصلة من المدة مبلغ ٣٨١٢٫٥٥٨ جنيها .

وأما بشأن ما استخلصه السيد / المعلق — ببساطة من ان الاتجاه الادارى البحت لهذه القيادة هو **(نشاط قمة)** **فنعتقد بعد هذا الايضاح انه نشاط قمة فعلا ولكن النقابة — فعلا — فى حاجة اليه نظرا لضخامتها ورغبة فى وضع الاسس المنظمة له بما يتيح لها فرصة الرقابة والمتابعة تأكيدا لمسئوليتها فى هذا المجال** . كما نعتقد أيضا أن أيراد الارقام الصحيحة قد نفى عن النقابة مخالفتها للقانون .

وأما بشأن مخالفة ميثاق العمل الوطنى — فنحن نوافق السيد المعلق على أنها الاخطر فعلا — ولكن بشرط حدوثها — وكنا نرغب أن يتناول تعليق سيادته الجانب الاخر الخاص بالنشاط العام للنقابة والوارد أيضا بنفس مجلة العمل وعلى لسان الزميلين — رئيس النقابة ونائبه — حيث تناولا باختصار بعض ما قامت به النقابة — وما صادفها من عقبات وكانت أيجابية فى تصرفها فقدمت ما تراه من أقتراحات فى سبيل القضاء على هذه العقبات — وكذلك قالت رأيها فى قانون التنظيم النقابى — وكان هذا كله من واقع تجربة عملية نابعة من الممارسة الميدانية للعمل النقابى على الطبيعة وعن طريق الالتحام المباشر بالقاعدة العمالية العريضة للنقابة العامة — وقطعا لم يكن الجانب الادارى وادارة وتوجيه القيادة من المكاتب هووسيلتها الى ذلك والا لما كان لديها هذه الحصيلة من العمل تقدمها فى مجال تقييم النقابات بصفة عامة — ولاشفقت على نفسها — أن لم تكن صادقة — من أن تصيبها هزة تذهب بالقدامى والمحدثين من أعضائها — خصوصا وأن مجلة العمل يتمتداولها بين جميع عمال الجمهورية فضلا عن العاملين بالصناعات الغذائية أعضاء النقابة .

وبالرغم من صعوبة الجانب الادارى الذى واجهته النقابة خلال هذه الدورة التأسيسية لها من تأثيث اللجان وأيجار المقر لها وتزويدها بكل مقوماتها الادارية — والتى يبلغ عددها ٢٥٠ لجنة على مستوى الجمهورية الا أنها على طريق النشاط العام واجهت :

أ — حل المشاكل الجماعية والفردية وبالطريق السلمى سواء فى القطاع العام أو الخاص وعلى مستوى جميع الصناعات الممثلة فيها وبوعى وادراك سليم لطبيعة المرحلة التى تلابس التحول والتطبيق الاشتراكى .

ب — العمل على تطوير المفهوم النقابى فى ظل المجتمع الاشتراكى وتحويل النظرة الى النقابة من اداة صراع وجمعية خيرية الى وسيلة توعية والى خدمة جماعية اسرية تحفظ للعامل كرامته .

ج — العمل على تغطية أحتياجات أسر الاعضاء فى مجال الخدمات الاجتماعية — والتخطيط لذلك بتكوين الرصيد المالى من الحصيلة المركزية لمواجهة مشروعات النقابة فى هذا المجال

د — تم فعلا أبرام ثمانية عشر أتفاقية جماعية وثلاث عقود عمل مشتركة خلال الدورة الحالية بهدف رفع المستوى وتحسين ظروف العمل فى مصانع القطاع الخاص .

هـ — الالتقاء الدورى المنظم والالتحام المباشر بالقاعدة العمالية لها — وتكاد تكون النقابة الوحيدة بين النقابات الزميلة التى حرصت على حضور الجمعيات العمومية العادية لجميع لجانها النقابية وعقدت الجمعية العمومية العادية لها فى موعدها وواجهت قاعدتها العمالية عن أيمان وثقة — أيمان بالعمل وثقة بالقاعدة — ولقد صادف ذلك فترة التحديات الاقتصادية التى واجهها الوطن وحركة تشجيع الادخار والحد من الاسراف وكان واجبنا نحو ذلك من أهم الموضوعات التى تناولها الاجتماعات واللقاءات .

و — تنشيط العضوية حيث تجاوزت العضوية العدد الذى بدأت به النقابة بما يقرب من أربعين الف عضو (وليس هذا فى حاجة الى تعليق)

ولنا أن نتساءل ماهو المنهج والاسلوب الادارى لنشر الوعى والذى تقابله القاعدة بالاستخفاف ؟ هل يجب أن تكون النقابة فوضى مثلا حتى تقبل توعية القائمين عليها — وهل لايمكن للنقابى

المنظم اداريا أن يواجه القاعدة ويتفاعل معها ؟ بل اننا نعتقد أن النظام والتخطيط وحسن الادارة — كل ذلك يشكل ركيزة للقاء المعنوى المثمر مع القاعدة النقابية .

وليس أدل على ثورية الجهاز القيادى بالنقابة من نجاحها الى حد كبير فى اذابة الفوارق النقابية التى كانت سائدة قبل تشكيلها فى النقابات التسعة العامة التى ادمجت فيها ونجحت أيضا فى توحيد التشكيل بالرغم من الاختلاف البين فى طبيعة وظروف العمل بكل صناعة ونقابة وأستفادت من قوة التنظيم ماديا ومعنويا ولم تكن لتستطيع بحال من الاحوال تحقيق هذه الاستفادة وهى قابعة بادارتها — غير ملتحمة بالجماهير وكذلك أيضا دون أن يكون هناك النظام الادارى بكل أحتياجاته المكتبية والدفترية والبشرية ليكون قاعدة أنطلاقها الثورى الى تحقيق أغراضها .

وأما الهزة التى يراها السيد / المعلق لازمة لاحداث تأثيرها الثورى فى بعض القيادات النقابية لمقابلة الحقوق الثورية والقضاء على البيروقراطية واكتشاف القيادات التى صنعتها الاجراءات الثورية لثورة ٢٣ يوليو — فكل هذا معقول وحاصل فعلا على مستوى النقابة العامة لعمال الصناعات الغذائية مضافا اليه حقيقة هامة — وهى انتفاء الصراع حول القدامى من القياديين والحداثى منهم حيث التقدير كله للوعى والولاء والثورية مهما كان صاحبها قديما او جديدا »

تعقيب على الرد ..

عندما كتبت تعليقى فى عدد سبتمبر ١٩٦٦ من الطليعة عن «النقابية الادارية» كنت اثير قضية عامة تهم الثورة وهى قضية دور التنظيم النقابى فى بلادنا فى مرحلة التحول الى الاشتراكية — «والنقابية الادارية» مرض من الممكن ان يصيب اى تنظيم نقابى — وتتعرض له دائما النقابات الكبيرة اكثر من غيرها — واسباب الاصابة به عديدة، ففى المجتمعات الرأسمالية غالبا ما يكون السبب هو ارتباط القيادات النقابية الوثيق بالنظام الراسمالى واصحابه، كما هو حادث فى اغلب النقابات الامريكية . وفى اولى مراحل النظام الاشتراكى تتعدد الاسباب ويكون من بينها قلة الخبرة والمراهقة الفكريـة او سيادة الفكرية النقابية البحتة او التطلع الطبقى لدى عدد من القيادات التى ظهرت لاول مرة ، واى دارس مخلص للتنظيم النقابى فى بلادنا يستهدى بروح الميثاق وبالخطوط السياسية والفكرية والعملية التى يضعها القائد جمال عبد الناصر فى خطبه وتوجيهاته لا يمكن ان يتجاهل وجود هذا المرض فى تنظيمنا النقابى — هذا المرض الذى يشل فعالية التنظيم النقابى الى حد كبير ويمنعه من ممارسة دوره الطليعى فى بناء الوطن ماديا وروحيا وانسانيا .

ولقد اصر السيد رئيس النقابة العامة للاغذية فى رده على الدفاع عن « النقابية الادارية » وذلك عندما قال : « واما بشأن ما استخلصه السيد المعلق ببسـاطة من ان الاتجاه الادارى البحت لهذه القيادة هو (نشاط قمة) فنعتقد بعد هذا الايضاح انه نشاط قمة فعلا ولكن النقابة — فعلا — فى حاجه اليه ..الخ »

و «النشاط القمة» هذا ما زال فى حدود رد السيد رئيس النقابة العامة للصناعات الغذائية محصورا فى النشاط الادارى حتى بنفس الارقام التى اوردها فى رده — فمـا زال رغم المصروفات الادارية وفق تقديره يفوق المصروفات الاجتماعية حيث جاء فى رده ان الرقم الصحيح للمصروفات الادارية هو ٢٣١٥٠٫١١٥ جنيها ، والمصروفات الاجتماعية هو ٦٣٠٫٠١٥ جنيها اى ان المصروفات الاجتماعية ما زالت ٢٫٧ ٪ تقريبا من مجموع المصروفات الادارية وفق تقديره . هذا ومن ناحية اخرى فان رئيس النقابة لم يوضح لنا الماهية الحقيقيـة للمصروفات المتنوعة والمركزية وغيرها والتى يغلب عليها — ان لم تكن جميعها — الطابع الادارى .

أمر آخر — هو ان السيد رئيس النقابة العامة هذه ذكر فى رده ان الاشتراكات المقدر تحصيلها حتى ١٩٦٦/٥/٣١ يبلغ قدرها ٨٥٢٥٥٫٠٧٨ جنيها ، وان الاشتراكات المحصلة فعلا حتى هذا التاريخ هى ٧٦٢٥١٫١١٦ جنيها ، ويعنى ذلك ببساطة ان الجهاز الادارى الذى انفق عليه عشرات الالوف ليس كفؤا لتحصيل الاشتراكات المقدر تحصيلها فعلا اذ ان الفرق من الرقمين كبير يقرب من التسعة آلاف جنيه — وهكذا يتضح ان الجهاز الادارى لم يتمكن من تنشيط العضوية كما جاء فى الرد او يعنى ان النقابة العامة فقدت بعض اعضـائها وهذا «البعض» كبير بالنسبة للتسعة آلاف جنيه، الامر الذى يجعلنا نطالب السيد رئيس النقابة العامة للصناعات الغذائية ان يراجع الموقف مراجعة صادقة وله ولكل القادة المتصدين للعمل النقابى ملجأ يلجأون اليه وهو ممارسة النقد والنقد الذاتى امام الجماهير وامام قواعدهم وامام التنظيم السياسى .

اما من مخالفة ميثاق العمل الوطنى — وهو ما اعتبرته فى تعليقى الامر الاخطر والاهم — فلقد عدد صاحب الرد بعضا من نشاطات قامت بها النقابة العامة — وهذه النشاطات فى مجموعها نشاطات نقابية بحتة وهى مهمة حقبا — ولكن ما قصدته هو : ما هو الدور السياسى لهذه النقابة العامة او غيرها فى عملية انجاز خطة التنمية — وبكلمات الميثاق الاكثر دقة وتحديدا هل مارست مسئوليتها القيادية من طريـق الاسهام الجدى فى رفع الكفاية الفكرية والفنية ومن ثم رفع الكفاية الانتاجية للعمال ؟اى هل عملت على ان تكون «قاعدة طليعية فى عملية التطوير» ؟

ان المسألة الرئيسيه اليوم ونحن نفرق بين واجب النقابة قبل الثورة الاشتراكية وبعدها — هو ان واجب النقابـة السياسى قبل الثورة الاشتراكية كان هو الكفاح الايجابى المباشر ضد النظام الرأسمالى وللقضاء على اسسه ، اما واجبها السياسى اليوم فهو المشاركة الطليعية فى عملية البنـاء الاقتصادى لاحداث التطوير الاجتماعى المطلوب فى مرحلـة الانتقال.. ولذلك فان السؤال الذى سيستمر مطروحا لفترة من الزمن هو ماذا قدمت هذه النقابة العامة او غيرها من اعمال محددة للمشاركة الايجابية فى خطة التنمية الاولى وماذا ستقدم للخطة الثانية — تلك هى القضية التى تهم الثورة فى بلادنا اليوم .

واخيرا — احب ان اوضح لهذه النقابة العامة وغيرها، انه ليس عيبا ان ينتقد المناضلون انفسهم بل ان نقول اننا لم نخطىء وان كل شىء على ما يرام واننا نتبع الطريـق السليم عندما ننفق عشرات الالوف على نشاط « القمة » ومئات الجنيهات على النشاط الاجتماعى وغيره من الانشطة التى تهم عشرات الالوف من الناس البسطاء .

العمدة والقرية فى مجتمعنا الجديد

وكتب المواطن **محمد عبد رب النبى** تعليقا على مؤتمر الفلاحين جاء به :

انتهى مؤتمر الفلاحين الذى عقد فى سبتمبر الماضى الى عدة توصيات هامة الا ان الشىء الذى يلفت النظر هو أن المؤتمر لم يتعرض لنظام العمد القائم فى الوقت الحالى مع ماله من أثر كبير فى حياة القرية وعلى الرغم من كثرة الحديث عنه فى الاونة الاخيرة واختلاف الاراء فيه حتى وصل البعض الى المناداة بضرورة الغائه نهائيا بحجة أن مساوئه أكثر من نفعه .

ولو بحثنا فى بلاد العالم كلها لوجدنا ان نظام العمد معمول به فى جميعها ، هذا بالاضافة الى انه يحصل على منصبه عن طريق ديموقراطى بالانتخاب المباشر . وفى تقديرى أن العيب الذى نشكو منه لايكمن فى وجود العمدة فى حد ذاته وانما يكمن فى مهام وظيفته وواجباتها التى رسمت معالمها وحددتها عوامل تاريخية واجتماعية فوضعت العمدة فى اطار معين ورسمت له الصورة القبيحة التى يرفضها مجتمعنا الجديد .

فتاريخيا كانت مصر قبل قيام الثورة وجلاء جيش الاحتلال البريطانى مرتين فى سنة واحدة ترزح تحت عبء الاحتلال والحكم الاجنبى . والحاكم الدخيل لاتعنيه رفاهية الشعب المغلوب على أمره وانما يهتم فى الدرجة الاولى باستتباب الامن فى البلد الذى يحكمه ، فليس بغريب أن يضع الحاكم الاجنبى نظاما خاصا لحكم البلاد يكفل له تحقيق أغراضه .

ويتميز حكم الاحتلال عن الحكم الوطنى بأنه حكم بوليسى يعمل بكل جهده ويحرص على أن يظل الشعب المحتل مستكينا بالارهاب ، وجميع الحكومات التى تمارس عملها فى ظل الاحتلال تركز اهتمامها على الامن وتنفذ سياسة جيش الاحتلال ، وقد حرص الاحتلال البريطانى فى مصر على جعل وظيفة العمدة امتدادا لوظائف جهاز الشرطة وآخر حلقه فيها بغرض السيطرة على الشعب عن طريقه مع مافى ذلك من غرابة نظرا الى أن العمدة لم يكن يتقاضى مرتبا من الدولة ، ولم تكن وظيفته مدرجة بين وظائف جهاز الامن .

وهكذا أصبح العمدة فى القرية ممثل الشرطة فيها يرأسه مباشرة مأمور المركز وهو بدوره يرأس جهاز الشرطة فى القرية المكون من شيخ الخفراء والخفراء بالاضافة الى أن الحكومات عملت على تزويده بتليفون حكومى متصل رأسا بالمركز موجود فى حجرة خاصة يستخدمها العمدة عند اللزوم سجنا للقرية ، ويمكننا بعد ذلك أن نشبه وظيفة العمدة فى جهاز الشرطة المتشعب فى جميع أنحاء مصر وعلى امتداد رقعة الريف فى ٤٥٠٠ قرية بنهاية الاعصاب الموجودة فى أطراف الجسم التى تأتمر بالرأس وتنفذ سياسته ، ولذلك فقد حرص الاحتلال البريطانى لمصر على احاطة العمدة بكل مظاهر القوة والبطش لتمكينه من تنفيذ أغراضه .

ومن الناحية الاجتماعية فقد وضع نظام العمد الحالى فى ظل نظام رأسمالى مستغل بما فيه من مساوىء كاحاطة وظيفة العمدة بمظاهر الثراء والوجاهة والجبروت ، ولان العمدة لم يكن يتقاضى مرتبا فقد ترك وشأنه يعمل مايشاء فى القرية لجمع ثروة من أى طريق مادام الامن مستتبا فى القرية ، ولا تزال رواسب الماضى فى النفوس تؤثر عليها وتتأثر بها وتعكس أثرها ليس فحسب على تصرف العمدة وانما أيضا على تصرف أهل القرية معه .

والغريب أنه على الرغم من أن الشرطة بعد الثورة استبعدت نهائيا وسائل العنف والارهاب فى عملها وعملت على عدم الانفصال عن الشعب واتخذت لنفسها شعارا جديدا هو « الشرطة فى خدمة الشعب » فان العمد لم يتأثروا الى الان بالشعار الجديد وظلوا يقومون بدورهم القديم فى المجتمع الجديد .

ونتيجة للعوامل التاريخية والاجتماعية ظلت صورة العمدة فى القرية هى نفس الصورة التى كانت عليها فى المجتمع القديم .

وليس معنى ذلك أن منصب العمدة أصبح لاضرورة له ، فالعمدة بحكم مولده فى القرية ونشأته بين أهلها ولعبه فى طرقها وازقتها طفلا ودخوله كل منزل فيها صبيا ثم عمله وهو شاب بالزراعة قبل حصوله على المنصب . كل تلك العوامل تجعله من أكثر الناس معرفة بمشاكل القرية وحياة كل فرد فيها وبمطالب الجماهير وتجعل منه ضرورة لمجتمع القرية الذى يمثل قاعدة الهرم والعمدة قمته .

اذن فوجود العمدة فى القرية ليس شرا كما يتصوره البعض وانما الشر يكمن فى الصورة القديمة ذاتها والاطار البالى الموجود فيه الان ، ولا يمكن فى — تصورى — الاستغناء عن العمدة فى القرية ولكن من الضرورى تطوير وظيفته بحيث تتلاءم مع المجتمع الجديد .

ويجب فى تقديرى لتطوير وظيفته أن نعمل على فصلها نهائيا عن جهاز الامن ، وان تعدل مهام وظيفته وواجباتها بحيث تصبح وظيفة اجتماعية وان توكل اليه رئاسة المجلس القروى بمرتبها وهو الوضع الطبيعى المستساغ بدلا من اسناد رئاسة المجالس القرية الى موظفين منتدبين من جهات حكومية مختلفة وهو الوضع القائم الان ، وهكذا يصبح العمدة تابعا لوزارة الادارة المحلية بدلا من وزارة الداخلية .

ويجب فى هذه الحالة أن تجرى انتخابات جديدة لمنصب العمدية فى جميع القرى وبشرط الا يفوز أحد بالمنصب بالتزكية

أما أعمال الشرطة فى القرية فيمكن أن توكل فى الوقت الحالى الى شيخ الخفراء بشرط أن يجيد القراءة والكتابة ومع ذلك فان هذا الشرط ليس ضروريا اذ يوجد عامل يجيد القراءة والكتابة لكل تليفون حكومى بالقرية الى أن تتوفر الامكانيات لاقامة نقطة شرطة فى كل قرية .

بهذه الاجراءات يمكننا أن نحول وظيفة العمدة من وظيفة بوليسية انتهى عهدها الى وظيفة اجتماعية تلائم المجتمع الجديد وبمفهوم جديد شعاره « العمدة فى خدمة القرية وليس سيدا لها » ▣

حوار مفتوح حول

مقالات العدد الماضى

تجمع لدى « الطليعة » عدد من التعليقات التى يدير اصحابها حوارا مع مقـالى « انعكاسـات الصراع الاجتماعى فى الفكر الاشتراكى » للدكتور فؤاد مرسى ، « القاعدة النقابية فى مرحلة الانجـاز » للدكتور عبد الرؤوف ابو علم .. اللذين نشرا فى العدد الماضى (اكتوبر ١٩٦٦) .

وقد رات « الطليعة » التزاما بخطتها التى حرصت عليها منذ العدد الاول فتح أبواب الحوار الجاد بحرية أمام الجميع ، ان تخصص فى هـذا العدد حيزا خاصا لهذه التعليقات ، وذلك لانها تتناول موضوعين محددين ومن وجهات نظر مختلفة ، وبالتالى يصبـح من الانسب ان توضع تحت اعين القراء فى صورة مجمعة .

والباب مفتوح باستمرار لكل تعليق . وليس من شك فى ان هـذا هو التجسيد العملى لمبادىء الميثاق فى حرية التعبير والصراع الفكرى الخلاق فى أطار الالتزام بالاشتراكية وطـريقها العلمى فى التطبيق بواقعنا المصرى العربى الافريقى المتميز .

الحركة النقابية وحتميات حركتها والعوامل المعوقة لها

عوض طه عبد القادر عضو المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال ورئيس النقابة العامة لخدمات الاعمال والادارة

يقود العمل الوطنى بجميع جوانبه فى جمهوريتنا تحالف قوى الشعب العامل الذى يضم العمال والفـلاحين والمثقفين الثـوريين والجنود والراسمالية الوطنية ووطننـا بقيادة هذا التحالف ، تبنى الاشتراكيـة التى تقضى على شتى انواع الاستغلال ، وبذلك تقيم فى المجتمع علاقات جديدة تختلف جذريا عن العلاقات التى كانت تسود مجتمع ما قبل الثورة ، والمفروض ان العلاقات الاشتراكية الجديدة تحدد موقفا جديدا للطبقة العاملة نابعا من تغيير موقفهم القديم كمجرد اجراء ينظر اليهم على اساس انهم احد عوامل الانتاج التى يحركها الراسمالى بالاسلوب الذى يحقق له أكبر عـائد ممكن ، وضعهم فى ذلك وضع الالات والمبانى ، وهذا التغيير قد وضع الطبقة العاملة فى وضع المشاركين فى ملكية وسائل الانتاج التى يعملون عليها مع بقية الفئات من الشعب العامل وبالتالى كان من المحتم ان تتحرك الطبقة العاملة من موقفها الجديد لتساهم فى اطلاق الانتاج وزيادته وتدعيمه حيث ترتبط زيادة الانتاج ووفـرته بمصالح العمال وآمالهم فى تحقيق حياة كريمة تسمح لهم بالعيش فى مستوى انسانى لائق وبفهم واع يتميز بالعمـل وقد وقف قائد الثورة ليعلن فى مجلس الامة انه على العمـال والفلاحين ان يقوموا بدور طليعى فى قيـادة تحـالف قـوى الشعب العامل ، ان هذا الاعلان الواعى يقرر حتمية موضوعية وتاريخية يقرر انه من المحتم ان تقوم اضخم القوى الشعبية واكثرها ارتباطا باهداف التحول الاشتراكى . يجب ان نقرر هنا ان مصالح العمال ترتبط ارتباطا عميقا بابعد اهـداف التحول الاشتراكى ويترتب على ذلك القاء مسئولية حماية الثورة الاشتراكيـة ودفعها فى طـريق النجـاح على عاتق الطبقة العاملة (*)

ان ذلك يتطلب من الطبقة العاملة ان تكون منظمة تنظيما ...يا يسمح لها بتجديد طاقاتها وابراز قياداتها من اخلص ...ناصرها . ان الممارسة العملية لقيادة تطور مجتمعنا فى ...ريق الاشتراكية يقتضى وجود قيادة عمالية صلبة على درجة ...يرة من الوعى والقدرة السياسية وان طبقتنا العاملة غنية ...هذه القيادات والدليل على ذلك مواقفها الوطنية الرائعة ...لتى سجلتها منذ ثورة ١٩١٩ . حتى حركة الطلبة والعمال ...م ١٩٤٦ التى مهدت السبيل لانتصار ثورة الثالث العشرين من يوليو .

ان تاريخ القهر الطويل الذى واجهته الطبقة العاملة فى ...وطننا قد حرمها من تكوين تنظيم سياسى معلن يربط كفاحها اليومى بكفاحها الاكبر فى سبيل تحررها من الاستغلال ولكنه لم يحرمها من القدرة على خلق وتربية قيادات عمالية سياسية . والمد الثورى الاشتراكى قد دفع بالحركة النقابية بتكوينها الحالى ونتيجة للظروف التاريخية التى حكمت نموها الى صدارة الحركة السياسية .

لقد كان من المحتم على قيادة الحركة العمالية فى وطننا ان تحتل مكانها الذى وصلت اليه نتيجة للثورة الاشتراكية التى حكمت نموها واندفاعها فى ظل الظروف المحلية والعالمية ومن خلال البناء الاجتماعى لجمهوريتنا ، وضمن لها النجاح بسبب عمق وعى قيادتنا الوطنية التقدمية ذات الادراك العلمى العميق والايمان الراسخ بحق جماهير الشعب فى الحياة الحرة الكريمة .

والتنظيم النقابى مطالب بممارسة القيادة السياسية التى تستهدف ايجابية الطبقة العاملة باجمعها ومشاركتها فى رسم وتنفيذ كل مخطط العمل الوطنى ولكنه بتركيبه الحالى واسلوب حركته المقيد بالروتين المكتبى والمكبل باغلال التوجيه الادارى لا يسمح بالاحساس بوجوده فى داخل الطبقة العاملة ذاتها وبالتالى لا يمكن ان يدفع بقية الفئات المكونة لتحالف قوى الشعب العاملة الى التسليم بدور العمال القيادى فى داخل هذا التحالف .

وعجز التنظيم النقابى عن ملء مكانه فى الحركة السياسية فى جمهوريتنا يظهر واضحا فى اضطرار الدولة الى الان لمعالجة مشاكل الانتاج اداريا وفى غياب حركة جماهيرية عمالية واعية تحتضن قضية الانتاج . وفى نظرى ان اسباب ذلك العجز تتلخص فى :

١ - الوصاية الادارية الموروثة من المجتمع القديم ، فانه مهما خلصت نية القائمين على اجهزة الادارة المشرفة على الحركة النقابية فان الاشراف الادارى فى حد ذاته يلغى مفهوم الحركة السياسية لجماهير العمال ولا يمكن ان يظهرها من الانحيازات الشخصية والمصلحية .

٢ - نتيجة لهذا الوضع صدر القانون النقابى والقرارات الوزارية المكملة له منظما بناء هيكل التنظيم النقابى على اساس تحيزى فئوى دعم سيطرة الجناح التقليدى ذو المفاهيم المجافية للمفاهيم الاشتراكية وانعكس ذلك فى معاداة و... وتنفيذ لائحة داخلية تنظم حركة اتحاد عام العمال وميل القيادة النقابية الى الحركة العلوية دون الحركة الجماهيرية .

٣ - ونظرا لان ظروف حركة الثورة حتمت بروز القيادة النقابية على مسرح القيادة السياسية والادارية فان كثيرا من العناصر قد طفت فى هذين المجالين بحكم مراكزها النقابية لا بحكم تاريخها النضالى او قدرتها النضالية على تمثيل مفاهيم الطبقة العاملة .

٤ - لقد حذر المناضل جمال عبد الناصر من بروز طبقة جديدة تحلم بان ترث سلطات الطبقات القديمة التى ازاحتها الثورة وتقف عازلا بين احلام الجماهير وقدرتها على الاندفاع بالثورة فى طريق اتمام بناء الاشتراكية وهنا تبرز الحقيقة التى اشار اليها الميثاق حول الصراع الطبقى ، وبفهم واع يجب ان ندرك انه فى غياب حق تملك وسائل الانتاج بالاسلوب الرأسمالى فان ارتفاع الدخول بدرجة كبيرة يسمح بتراكمات مالية تدفع حائزها الى الانحياز ناحية احلام الرأسمالية وتعزله عن مسار الاشتراكية ويصبح قوة معوقة فى طريق الاشتراكية بوضعه الجديد الذى يربط احلامه بخط معاد للتطور الاشتراكى . وبالتالى اذا نظرنا الى كثير من القيادات النقابية التى تحتل اكثر من مركز ودون تفرغ وبالتالى تحصل على اكثر من دخل يسمح لها فى النهاية بالحصول على مجموع ايراد يصل الى ارقام خيالية بالنسبة للطبقة العاملة الامر الذى يترتب عليه انحيازها فى اتجاه انعزالى بالنسبة للطبقة العاملة خاصة اذا كانت حديثة العهد بالفكر الاشتراكى ولم يرتبط نضالها تاريخيا بالكفاح فى سبيل بناء الاشتراكية .

ان الحل الامثل والوحيد هو اتاحة الفرصة كاملة لمعركة نقد ونقد ذاتى بناء بين كافة الجماهير العمالية وذوى الفكر الاشتراكى المهتمين بالحركة العمالية وذلك فى اطار الاتحاد الاشتراكى والالتزام الواعى بالميثاق .

وخلال هذا النقد الذاتى يمكن تقييم تجربة الدورة النقابية السابقة لكشف الاسود وطرحه جانبا وابراز التجارب الناجحة وتعميمها ، كذلك دعم العناصر القيادية النامية من القاعدة وتضييق الخناق على الانتهازيين والمتسللين .

عاش كفاح العمال فى سبيل الاشتراكية .

● ● ●

واجبات القاعدة النقابية

حلمى فرج رئيس اللجنة النقابية للعاملين بوزارة التخطيط وعضو مجلس ادارة النقابة العامة لخدمات الاعمال والادارة

ربما

كان الطريق الذى مرت به ثورتنا ، مختلفا تمام الاختلاف عن طريق الثورات الاخرى ، فلقد اندلعت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فى وقت كانت فيه الحركة الشعبية مضروبة فى صميمها وبعد ان شتت قياداتها فى السجون والمعتقلات ، وفى وسط الظلام الذى يلف شعبنا

انطلقت الثورة من الجيش ، باعتباره الميدان الوحيد الذى لم تنجح الرجعية والاستعمار فى القضاء على قيادته الوطنية المتمثلة فى جمال عبد الناصر وضباط الاحرار .

وليس معنى ذلك ان ثورة الجيش كانت بمنأى عن نضال الحركة الشعبية العمالية ، بل كانت تتحرك فى نفس الاطار الفكرى القائم على طرد الاستعمار وتصفية الاقطاع والاحتلال

الخ واشترك الجيش مع الشعب فى نضاله فى منطقة القنال فى عام ٥١ ، ٥٢ وفى مقاومة الاحلاف وكانت مجلة الضباط الاحرار انعكاسا حقيقيا لامال الحركة الشعبية .

وبعد يوليو كانت الثورة تتحسس الطريق لتوحيد قوى الشعب ونجحت الى حد كبير فى ذلك الميدان ، ويوما بعد يوم اخذت الثورة تسعى لخلق عملية الالتحام التاريخى بين تاريخ ابنائها وتاريخ الحركة الوطنية فى الاربعينيات ، وهو اتجاه يهدف الى تثبيت الجذور التاريخية لثورة ٢٣ يوليو ، فهى لم تكن حركة تلقائية وليدة الصدفة ، وانما تضرب بجذورها التاريخية فى ميدان نضال الشعب فى الاربعينات فى شبرا وفى كرموز وفى المحلة وفى انتفاضات عمال الزراعة والفلاحين فى بهوت وكفور نجم .

واذا ما عدنا الى الحركة النقابية فى فترة الاربعينيات وجدنا انها كانت ملتحمة تمام الالتحام بالحركة الوطنية ، وتمضى فى طريقها الى الامام تحت شعارات الفكر التقدمى ، ومن هنا كانت السجون التى تضم الوطنيين هى نفس السجون التى تضم النقابيين .

واذا ما نظرنا الى قيادة الحركة النقابية الان لوجدنا ان بعضها منقطع الصلة بذلك التاريخ تمام الانقطاع رغم ان اعمارهم فى هذه الفترة كانت تفرض عليهم ضريبة الجهاد والوطنية ، وغالبا ما يحس بعضهم بذلك النقص فيضع لنفسه تاريخا حتى لا يكون وضعه نشاذا فى ظل حكومة ثورية لم تتنكر لتاريخنا فى يوم من الايام .

ومن هنا كان بعض النقابيين يشعرون دائما انهم اغتصبوا اماكن ليست من حقهم وان حاضرهم يقوم على خواء فكرى وتاريخى ، فالثورة ليست رغبة بل هى حركة التاريخ الشاملة بما فيها من معرفة الجديد ، والتضحية والاصرار على الاستمرار .

وقد اردت ان امس هذه النقطة بالذات ، وخاصة ونحن فى مجال تدعيم ثورتنا الاشتراكية حتى لا تطفو على السطح عناصر تحول دون ذلك التدعيم . لاسيما وان هناك الكثير من العناصر التى فشلت فى الحاضر كما فشلت عناصر فى الماضى ومازالت تدعى انها قيادة عمالية وهى ابعد ماتكون معرفة بدورهم والتزامهم النقابى .

وبنفس القدر الذى تحس فيه هذه القيادة عدم الالتحام بالتاريخ القديم ، ترتعد خوفا امام العناصر الجديدة ، التى تفتحت عيناها على الثورة ، وتشربت الفكر الاشتراكى وولدت مع النظام ، ووصلتها المعرفة كاملة عن طريق الثقافة العمالية وعن طريق الاتحاد الاشتراكى وهيئاته ، فبدأ بعضها يعمل علانية وفى الخفاء على ضرب القيادات العمالية المؤمنة .

وهكذا تجد الحركة النقابية نفسها حبيسة . لان كثيرا من القيادات النقابية الحالية لم تسهم فى تاريخنا النضالى نقابيا او سياسيا ، واعجز من ان تتجاوب مع الفكر الجديد ، ولا تقبل ان تفسح الطريق للعناصر الشابة لتأخذ مكانها فى المعركة .

واذا فرضنا الدقة فان جزءا من قيادة الحركة النقابية حاليا تمثل ارستقراطية عمالية فى وسط الطبقة العاملة ، بحكم ما استفادت به ماليا واجتماعيا من مراكزها . وبذلك انقطعت صلة هؤلاء بالقاعدة فكريا وسياسيا وعاطفيا .

فماذا كان اثر ذلك على الحركة النقابية والانتاج ؟

لم تأخذ بعض التنظيمات العمالية شكلا جماهيريا يدعم الفكر الاشتراكى بل انقطعت صلتهم بقواعدهم العمالية او بالحركة العمالية عموما ، كما لم تتمكن من فرض رقابة شعبية على اعداء الثورة ، فالاستعمار مازال يتآمر على الثورة ومن ورائه الرجعية وقد كشفت مؤامرات الاخوان والاقطاعيين ذلك وبكل اسف لم تسهم القيادات النقابية فى كشف فضح هذه المؤامرات

وبذلك اصبحت اجزاء من هذه القيادات عبئا على الثورة ، والسكوت عليها مساهمة فى عملية تغطية تخفى الحقائق ، بحيث حولت كل الافكار الثورية الى اطارات مفرغة المضمون ، واصبحت بموقفها العاجز تحارب ضد الجديد بجهد اكبر مما تبذله ضد القديم المتخلف .

تلك صورة مبسطة لما يجرى عليه العمل الان .. لا برنامج ولا خطة عمل ، ولا نشرات ولا كتيبات ولا مساهمة فى الاحداث ، وانما صراع يدور حول الحصول على المراكز القيادية باى ثمن وبأى صورة .

واذا كنا فى فترة التحول الاشتراكى ، نتكلم عن حكم الشعب العامل ، فليس معنى ذلك ان هذه الفترة ممتدة الى مالانهاية .. وانما هى مرحلة تؤهلنا للدخول فى مرحلة الاشتراكية ، باستيعاد عناصر وفئات جديدة يمكن ان تستوعبها هذه المرحلة ، ولكنها لا يمكن ان تأخذ القيادة اذا مادخلنا مرحلة البناء الاشتراكى . فاذا كانت مرحلة التحرر الوطنى لها قياداتها وشعاراتها التى تستهدف طرد الاستعمار وتمصير رؤوس الاموال ، ولمرحلة التحول الاشتراكى شعاراتها التى تتلخص فى تصفية بقايا الرأسمالية المستغلة وبقايا الاقطاع وبناء الصناعة الثقيلة ، فان لمرحلة البناء الاشتراكى شعاراتها التى تستهدف تصفية الفكر العمالى من اثار الثقافات القديمة وتدعيم الحركة العمالية جماهيريا وفكريا . ولكن بعض القيادات التى عاشت المراحل السابقة ، ارتبطت بحكم علاقاتها الاجتماعية وحكم اسلوب معيشتها بالفئات التى اصبحت غير متجاوبة مع وثبات الثورة وطموح قادتها . فهناك قيادات اخرى تسير مع الثورة وعلى طريقها ، فالفكر لا تكونه مجرد القراءة او الثقافة ، وانما هو وليد العلاقات الاجتماعية والبيئية التى يعيشها الانسان .. فاذا كانت هناك فئات اثرت فى فترات التحول الاشتراكى . فمهما كان ماضيها فى الوطنية لا يمكن ان يظل موضعه فى اطار قوى الشعب العاملة ، واذا كانت هناك قيادات نقابية اصبحت تمثل ارستقراطية فى داخل الطبقة العاملة ، فلا يمكن ان تمثل افكارها او طموحها ، وانما ترتبط شيئا فشيئا بالفكر القديم ، واذا حافظت على مواقعها القيادية ليس لخدمة الحركة النقابية والفكر الاشتراكى ولكن لان هذه فى الواقع اعطتها امتيازات اجتماعية وشيئا فشيئا تتحول هذه الامتيازات الى فكر محافظ مرتبط ببقايا الرأسمالية ان لم يكن معاديا للاشتراكية .

واذا كان لابد من كلمة نقولها فى هذه المرحلة بالذات فهى ان النضال يجب ان يدور حول المزج الكامل بين الفكر النقابى والفكر الاشتراكى وفتح الطريق امام العناصر الجديدة التى نالت قسطها من الثقافات الاشتراكية والارتباط ببرنامج يتفق وانجاز الخطة .. وتنفيذ مبدأ الرجل الواحد للمركز الواحد واطلاق الحركة النقابية وتخليصها من سيطرة الاجهزة الادارية . والقضاء على العناصر التى تعمل فى الخفاء والعلانية من اجل الوصول لاغراضها الشخصية تحت ستار العمل النقابى او من اجل خدمة جماهير العاملين الكادحين .

ابراهيم لطفي سكرتير مساعد النقابة العامة للمصانع الحربية

تتابع في القاعدة العمالية باهتمام بالغ المقالات التي تنشرها الطليعة بخصوص الطبقة العاملة والتنظيم النقابي ، وعلى وجه الخصوص مقالات الدكتور عبد الرءوف أبو علم .

ولقد كان مقاله في عدد يونيه ثم في عدد اكتوبر مثار مناقشة عمالية جماهيرية واسعة على مستوى العمال في وحدات الانتاج اشتركت في الكثير منها ، كما وانني حضرت عددا من الدورات الثقافية العمالية التي اشار اليها سيادته في مقاله الاخير ، منها دورة في معهد التدريب النقابي بالدقي ، ودورة متخصصة في العلاقات الدولية ، وفي هذه الدورات كان يثار بصفة دائمة موضوع التنظيم النقابي ومدى قدرته على تحمل مسئوليات المرحلة الحالية ، وما هي ابرز عيوبه والمقترحات لتدعيمه ، وفي هذا الشأن أود ان اوضح الاتي :

أولا : هناك اتفاق في القاعدة العمالية على ان التنظيم النقابي الحالي عاجز من القيام بدوره في مرحلة تحولنا الى الاشتراكية ، وانه تسبب بعجزه في عزل جماهير العمال من المشاكل الرئيسية التي تواجهها البلاد وفي مقدمتها مشكلة الانتاج والتحول الاشتراكي بصفة عامة .

ثانيا : ان قيادة التنظيم النقابي ، قيادة علوية منعزلة تماما من جماهير العمال ومن مشاكلهم اليومية ، وان العمال لهذا لا يحسون بالتنظيم النقابي حتى كاد يصبح اشبه بناد خاص لطائفة تستخدمه لمصالحها الشخصية ، وهذا يفسر بعد ٨٠ ٪ من مجموع الطبقة العاملة منه ، وعدم اهتمام اعضائه به الى حد ان الاغلبية الكبرى لا تعرف حتى اين مقر الاتحاد العام للعمال ، ودائما يساء مقابلة من يذهب اليه ممن يعرف المقر ، إذا كان صاحب شكوى أو استفسار ، حتى اصبح الاتحاد العام عديم القيمة بالنسبة للعمال وقضاياهم ومشاكلهم .

ثالثا : تدور مناقشات القاعدة العمالية حول عدم جماهيرية التنظيم النقابي ، وتتفق جميعها في ان الجزء الاكبر من القيادة عاجز عن تفهم الاشتراكية وتفهم متطلبات المرحلة الحالية ، ودفع التنظيم للقيام بمسئولياته بصفة المنظم للطبقة العاملة صاحبة المصلحة الاساسية في التحول الاشتراكي .

رابعا : ويضعف املنا في هذه القيادة انها لاتستجيب لمحاولات الإصلاح ، إذ كنا نطمع ان تثير مناقشات الطليعة الحرة اهتمامهم ، وتدفعهم الى محاولة اصلاح التنظيم ، لكن يبدو انهم يخشونها اكثر مما يرحبون بها ، وانهم بعيدون كل البعد عن مفهوم الميثاق في اهمية النقد والنقد الذاتي . ومما يثير الدهشة اكثر ان الدكتور ابو علم كان يقدم الكثير من التوصيات والاقتراحات بوصفه مستشارا فنيا للاتحاد العام للعمال ، وفي آخر تقرير له قدمه في مايو الماضي ووزعه على جميع اعضاء المجلس التنفيذي أوضح اهمية وضع نشاط الاتحاد على اساس من التخطيط العلمي ، واقترح ان يضع المجلس التنفيذي للاتحاد العام خطة لمدة عامين في الشهر الاول من انتخابه بواسطة المؤتمر العام ، على ان ترتكز على الخطوط الرئيسية التي يقرها المؤتمر العام للاتحاد ، واقترح ان يبدأ الاتحاد العام فورا بتنفيذ بعض التوصيات خلال هذه الفترة ولحين موعد الانتخابات النقابية القادمة ، منها تدعيم الجهاز الفني والاداري للاتحاد ، واصدار لائحة للعاملين به ، واصدار مجلة شهرية مع عمل مخطط لها من الان للتحول بها الى مجلة اسبوعية ثم الى جريدة يومية ، وانشاء مكتبة بالاتحاد ، واصدار بعض المطبوعات ، وعقد بعض المؤتمرات ، ووضع سياسة عمالية للمؤسسات والهيئات التي للعمال تمثيل فيها ، وتدعيم التوعية الاشتراكية والنقابية السياسية ، وتدعيم جماهيرية التنظيم النقابي ، والسرعة في اجراءات تكوين الاتحادات العمالية ، وتقييم النشاط النقابي للدورة الحالية ووضع مخطط نقابي دولي ، واقامة معهد افريقي للدراسات العمالية .

والعجيب ان المجلس التنفيذي لم يكلف نفسه مشقة مناقشة تقرير مستشاره الفني ، وبذلك اثبت المجلس انه يعيش فعلا بعيدا عن الواقع العمالي ، فالحقيقة ان عددا من اعضاء المجلس التنفيذي ليس لديهم الوقت لقراءة مثل هذا التقرير ، فهم مشغولون بالعديد من المناصب والمهام النقابية والسياسية والادارية والتشريعية . ووصل الامر ان بعضهم يخالف نصوص قانون العمل صراحة ومازال يحتل مركزا نقابيا في اكثر من تشكيلين نقابيين .. واجهزة وزارة العمل المسئولة عن اصلاح هذه المخالفات تعلم هذا ولا تحرك ساكنا بل تؤيده وتدعمه .

ان الوعي النقابي السياسي الذي نتج بسبب النشاط السياسي خلال العامين الاخيرين كفيل بكشف عيوب التنظيم النقابي ، واصلاح هذه العيوب . ولا شك ان الطليعة قد ساهمت مساهمة ايجابية فعالة في ذلك ، ونأمل ان تستمر في نضالها من اجل الطبقة العاملة ، وان يتسع صدرها لنشر تعليقات القاعدة العمالية على ماتنشره من مقالات رئيسية

●●●

عبد الرازق بدوى عطا الله رئيس اللجنة النقابية للعاملين بالهيئة العامة للاصلاح الزراعي

اطلعت في الطليعة ـ يونيو ، اكتوبر على المقالات التي تعالج التنظيم النقابي . وقد سرنا في القاعدة النقابية اهتمام الطليعة بهذا الموضوع نظرا لاهمية دور الطبقة العاملة في بناء الاشتراكية ومعركة الانتاج بصفة خاصة .

وقد كان لي شرف حضور مؤتمر تشريع العمل ومؤتمر الانتاج المشار اليهما في مقال اكتوبر ، كما وانني اشتركت في الكثير من الدورات الثقافية العمالية ، واشرفت على تنفيذ ست دورات ثقافية خاصة بالتوعية الاشتراكية بين العاملين بالاصلاح الزراعي هذا العام تخرج منها حوالى ٣٥٠ من القادة العاملين في مجال التوعية الاشتراكية وزيادة الانتاج . والملاحظ في كل هذا النشاط العمالي ان موضوع التنظيم النقابي يحتل مكانا رئيسيا في المناقشات والندوات العامة .

ولما كان اسمي قد ذكر في مقال اكتوبر مقرونا بالوصاية الادارية على التنظيم النقابي فيهمني ان أوضح ان القاعدة النقابية على مستوى اللجان النقابية تشعر فعلا بهذه الوصاية الادارية وترى فيها سلبا لاختصاصات التنظيم النقابي ، الامر الذي ينتهي بتجميده وبالحد من حرية حركته ، ولا اريد ان ادخل فيما نص عليه الميثاق من اهمية التنظيمات الشعبية وعلاقتها بالاجهزة الادارية ، وبخطب السيد رئيس الجمهورية التي تنادي باستمرار بضرورة اعطاء السلطة للاجهزة الشعبية المنتخبة الا ان الملاحظ ان التنظيم النقابي وهو تنظيم شعبي يضم عمال الجمهورية ولوائحها يخضع لسلطان وزارة العمل وهي جهة ادارية تنفيذية .

ولهذا كان من الضرورى تعديل قانون العمل تعديلا جذريا يساير التطور الاشتراكى الحالى ويوضع على الاسس التى ارساها الميثاق والتى تحرر التنظيم النقابى من القيود الادارية وتعطيه حرية الحركة والنشاط ، كما ان على التنظيم النقابى بعد ذلك ان يحرر نفسه من المعوقات الاخرى واهمها سيطرة بعض القيادات التقليدية عليه وافساح المجال للعناصر القيادية الاشتراكية ، حتى تتمكن من قيادة العمال والفلاحين فى معركة الانتاج الرئيسية ، وحتى يمكنه من تأدية دوره فى مرحلة الانجاز والوقوف بجانب وزارة الانجاز فى هذه الفترة .»



عائشـــــــة عبد الهـــــــادى
عضو بمجلس ادارة النقابة العـــامة لعمـــال الصـــناعات الـــكيماوية

تتبعت وتتبعت معى جميع القيـادات النقـابية والسياسية المهتمين بالحـركة العمـالية باهتمام زائد للمقالات الرائعة والصراحة الواضحة البناءة للسيد الدكتور عبدالرءوف أبو علم — النابعة عن الايمان بالحـركة العمالية واهميتها بالنسبة لمرحلة التحول التى نمر بها والتى تستوجب الاعداد الكامل والتجاوب التام من جميع أفراد الشعب وخصوصا الطبقة العاملة التى يعتمد عليها أساسا فى مرحلة التحول للاشتراكية باعتبار أن الانتاج والعمل هما ثروتنا الوحيدة لبناء هذا الوطن .

وانى اود هنا يااستاذنا الفاضل ان أؤكد ان ما قـاله الكاتب فى هذا الموضوع قليل بالنسبة لما يقال فى القاعـدة العمالية وخصوصا القيادات النقابية فى المستويات الادنـى (كاللجان النقابية والنقابات العامة) . ان ماجاء فى مقالة الدكتور عبد الرؤوف انما هو تعبير صادق عما يدور فى القاعدة النقابية العريضة والتى تشعر بالانفصام الحقيقى بين القاعدة والقيادة واننى اذكر أنه فى عدة مناسبات ولقاءات تمت بـين مجموعات قيادية فى أماكن تجمعات مختلفة مثل الثقافة العماليه والتدريب السياسى كان يثار موقف القيادات العليا فى التنظيم النقابى والسلبية الواضحة تجاه الحركة العمالية وكان الدكتور عبد الرؤوف ابو علم يقوم بالقاء المحاضرات فى هذه التجمعات ويحاول بقدر الامكان ابداء عذر القيادة النقابية فى الاتحاد العام من كثرة المشاغل ..... الخ ، الا انه كان يواجه ثورة من الموجودين من انه يجب فى حالة عدم مقدرة هذه القيادة على مواصلة العمل فى هذا التنظيم لكثرة المشاغل فانه يجب تمشيا مع مبدأ القيادة الجماعية وانكار الذات وفتح الفرصة امام القيادات الجديدة للتصدى والظهور والانتفاع بهذه الطاقات أن يتنحوا عن هذه الاماكن وترك الفرصة لمن يتقدم لتحمل المسئولية والمضى بالتنظيم وبالحركة الى مانصبوا اليه جميعا وهو زيادة الانتاج عملا لاكلاما .

ان المجلس التنفيذى بالاتحاد العام لايؤمن بمبدأ النقد والنقد الذاتى الذى ينص عليه الميثاق بدليل اهماله لاراء القاعـدة العمالية وكان من الاولى بهم ان يستفيدوا من نقدها البناء ويحاولون تنفيذ الاقتراحات التى ترددها ، وفى هذا الخصـوص قدم الدكتور عبد الرؤوف ابو علم تقريرا للاتحاد العام للعمال فى مايو سنة ١٩٦٦ به الكثير من الاقتراحات البناءة التى تخدم التنظيم ولم يناقشه الاتحاد العام .

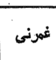
وهذا يشدنا الى اسلوب العمل المنظم الهادف الذى تقوم به امانة العمال من حيث تنفيذ برامج التدريب السياسى الذى ظهر أثره على الانتاج بالرغم من انه لم يمض على تنفيذ البرنامج سوى سبعة أشهر فقط وذلك يرجع الى النظرة الواقعية التى ينظرها المسئولون عن امانة العمال بالاتحاد الاشتراكى العربى من انه لابد من اعداد قيادات سياسية مدربة واعية لظروف المجتمع الذى نعيش فيه مؤمنة بالقيادة وبالوطن ليس لها مصلحة شخصية أو استفادة شخصية وان الغرض أولا واخيرا هو تخريج القيادات الصالحة المؤمنة بالعمل السياسى وسط الجماهير واعتقد ان هذه القيادات المؤمنة سوف تزيح الستار عن كثير من الهازل الموجودة وسوف تكشف عن العناصر الانتهازية التى سلكت الى التنظيمات الشعبية المختلفة .

وأخيرا وأن كنت قد تعرضت لمثل هذا الموضوع لايمانى بان ماكتب فى المجلة الرائدة (الطليعة) عن الحركة النقابية انما هو تعبير صحيح لما جاء فى الميثاق من ان النقد والنقد الذاتى من أهم الضمانات للحرية وأن ممارسة النقد والنقد الذاتى يمنح العمل الوطنى دائما فرصة تصحيح أوضاعه وملاءمتها دائما مع الاهداف الكبيرة .

ان أى محاولة لاخفاء الحقيقة أو تجاهلها يدفع ثمنها فى النهاية نضال الشعب وجهده للوصول الى التقدم .



ابراهيم البشبيشى — النقـــابة العامة للصنـــاعات الغـــذائية



شعور بالاطمئنان عندما اطلعت على ماجاء بمقال « القاعدة النقابية ومرحلة الانجاز » المنشـور بالعـدد العـاشر — اكتوبر سنة ١٩٦٦ . وكم تمنيت أن أرى مجلة الطليعة تتناول باستمرار ضمن موضوعاتها الكيان النقابى ودوره السياسى الخلاق فى قطاعات العمل النقابى من الاتحاد العام الى اللجنة النقابية وقاعدتها حتى يصل المفهوم الحقيقى للنقابات فى هذه المرحلة الى الشباب الطليعى الذى بدأ يحتل مكانه الحقيقى فى مجتمع العمل الثورى .

ولقد لفت نظرى فى المقال ماقرأته مكتوبا عن لسانى فى مؤتمر الانتاج المنعقد فى مارس سنة ١٩٦٦ وما جاء من آراء باللجنة المختصة بالانتاج والخطة والتى كنت أحد أعضائها ، كما واننى حضرت كثيرا من الدورات العمالية الثقافية آخرها دورة العلاقات العمالية الدولية فى الشهر الماضى ، وفى المؤتمر وفى الدورات نوقش ضعف التنظيم النقابى ووسائل تنشيطه وتدعيم جماهيريته .

وكم تمنيت ان ارى للتنظيم النقابى تخطيطا لاعداد الكوادر السياسية التى تقود العمل النقابى فى معركة الانتاج وتنفيذ الخطة ، وارى توصيات الاتحاد العام تتناولها اللجـــان المتخصصة لتضع خطة عمل واضحة

وكم تمنيت أن ارى العمل النقابى يحمل طابع العمل الثورى الملتزم وخاصة بعد أن كرم الميثاق النقابات واعترف بقدرتها على تنمية الانتاج وتطويره . وارى الاتحاد العام للعمال يسارع بتكوين لجان للانتاج بالمصانع تقوم بدورها الطليعى فى واجبات تحقيق أهداف الخطة .

وكم تمنيت أن ارى السلبية النقابية وقد تلاشت بعد ان أصبحنا أحرارا نحمل حق النقد الذاتى البناء .

ان مناقشات القاعدة النقابية تبرز دائما امورا كثيرة ، وعلى ضوئها انطلع دائما الى :

اولا : ان ارى لجانا نشطة قمتها المجلس التنفيذى للاتحاد وعضويتها العناصر النشطة من القاعدة النقابية وموجهيها من المثقفين المتخصصين .

ثانيا : أن يقيم النقابى خلال عمله لتحديد القوى الايجابية من القوى السلبية لامكان الوقوف على حقيقة مسئولية التنظيم النقابى ومايسند اليه من عمل وطنى

ثالثا: تكوين الكوادر النقابية القادرة على قيادة وتحريك العاملين فى الصعيد الداخلى نحو العمل والانتاج وفى الصعيد الخارجى حيث النقابات الافريقية وتحركاتها السياسية ودورنا منها أمام القوى التقدمية والقوى الرجعية وكم تمنيت عند لقاء عبد الناصر برئيس حكومة وزعماء تنزانيا أن أرى تلاقيا سياسيا بين النقابات فى جمهوريتنا ونقابات تنزانيا .

رابعا : الا نشعر بالعزلة التامة بيننا نحن النقابيين وبين اتحادنا العام

خامسا : عقد مؤتمرات محلية على مستوى المحافظات يقيمها الاتحاد العام بعد اعداد الكوادر النقابية واختيارها لامكان تنفيذ قرارات المؤتمر ودراسة تطبيق توصياته .

سادسا : وضع برنامج قابل التنفيذ يحقق تلاحم القيادات النقابية من أعلى مستوياتها باللجان النقابية وقواعدها الشعبية التابعة لها .

سابعا : الا نشعر بالانعزال الذى نحن عليه اليوم بيننا وبين ماتقوم به النقابات والاتحادات العامة بقارتنا « افريقيا » مع ضرورة أن نضع فى الاعتبار دور أجهزة الاعلام فى هذه الناحية بجانب ضرورة عمل جريدة ناطقة بلسان الاتحاد العام تكون همزة الوصل بين الاتحاد ومايتبعه من تنظيمات .

ثامنا : ان يعطى للعمل النقابى قيمته السياسية بألا يكون بين صفوفه العناصر السلبية التى تعرقل سير العمل وتعوق تقدمه وتجمد نشاطه *



■ حــــول مقــــال « انعــــكاس الصراع الاجتمــــاعى فى الفــــكر الاشــــتراكى »

الالتزام الشكلى بالنظرية الثورية .. لايحل المشكلات

ان الحل الاشتراكى لمشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر وصول ثورى الى التقدم ، لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختيارى ، وانما كان الحل الاشتراكى حتمية تاريخية فرضهـا الواقع وفرضـتها الامـال العريضة للجماهير كما فرضـــتها الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين *
« الميثاق »

مصــطفى طيبــة

مقال

الدكتور فؤاد مرسى فى العدد الماضى من الطليعة ، يثير عددا من القضايا الهامة ، ويتطلب أكثر من مجرد القراءة العـابرة السريعة . فهو يتعرض للتيارات الفكرية فى بلادنا ، ويتناول مايراه من انحرافات داخل هذه التيارات ، وينتهى الى احكام حاسمة بصددهـا . ولان بلادنا الان تجتاز فترة انتقال هامة فى حياتها تصطرع بداخلها عديد من الافكار والاتجاهات ، فان الرؤية الصحيحة لواقع هذه المرحلة بمختلف جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، تحتاج الى تعقيب على هذا المقال بهدف المزيد من الوضوح .

ان المشكلة الدائمة التى تحدد الصواب والخطأ فى كل فكر ، هى مشكلة المنهج . والملاحظات الاساسية على الدكتور فؤاد مرسى تتعلق بهذه المشكلة . فمصير كل بناء فكرى ، ومصير كل تحليل لظاهرة او اخرى ، يتوقف بالدرجة الاولى على منهج البحث نفسه .

أسس المنهج العلمى

لقد تعرض الدكتور فؤاد مرسى لقضية كبيرة فى بلادنا هى التشويه المتعمد للاشتراكية باسم الاشتراكية . وفى المقال فقرات لمست بعض الظواهر الهامة فى حياتنا الفكرية . غير انه ـ ربما لضيق المساحة ـ لم يحدد الجذور الحقيقية لهذه الظواهر . لكن الظاهرة الاساسية التى طفت على كل ما هو سليم فى هذا المقال ، رغم الجهد الملحوظ فى اخفائها ، هى ظاهرة التمسك شكلا بالمنهج العلمى فى البحث ، بينما طابع البناء الفكرى يحكمه ـ فى رأيى ـ الغموض بل والتناقض . هنا يلزم التعرض لبعض النقاط الهامة قبل المناقشة :

● ان علمية أو لا علمية منهج محدد فى التفكير ، تحددها النتائج الموضوعية التى ينتهى اليها . فالمنهج العلمى لا يتقرر وفقا لاصرار هذا الباحث او ذاك فى اثبات علميته .

● ان المنهج العلمى فى التفكير يفترض البحث والتحليل لا الجلوس على « منصة الحكم » . فكل مشكلة اعترضت مسيرة الفكر الانسانى ، لم يتم حلها بواسطة اصدار احكام عامة ولكن فى البحث الدؤوب ، المستمر ، القائم على محاولة اكتشاف طريقة افضل تستطيع الوصول الى الحقيقة .

● ان المنهج العلمى فى البحث ، قوامه اكتشاف حركـة

العلاقات المترابطة فى شتى الظواهر، واكتشافة تناقضات هذه الحركة ، ثم معرفة الجديد الذى سينبثق نتيجة لهذه الحركة وهذا الصراع. وهذا الجديد ليس اضافة كمية لما سبقه، وليس تكرارا آليا فى شكل جديد. ان هذا الجديد هو تعبير عن قفزة نوعية، تعبير من تخطى المرحلة السابقة كيفا، مع الارتكاز فى نفس الوقت عليها. ومثل هذا النوع من التطور يحتاج الى جهد كبير لفهمه وتطبيقه. انه يحتاج الى اكثر من مجرد «التكرار الاكاديمى» لبعض المفاهيم، والبعد عن تمثل الحقيقة كما هى، ملتصقة بالحياة .

● ان طريق البحث العلمى الجاد يفترض استبعاد اسلوب انتزاع النصوص بتعسف .فالمناقشة الجادة، تعتمد على مواجهة فكر متكامل، بفكر آخر متكامل، وليس مواجهة «جملة» من فكرة والرد عليها ،مع التجاهل الكامل للفكرة نفسها .

هذا الاسلوب الذى اختاره الدكتور فؤاد مرسى فى المناقشة سوف استبعده تماما، وسأكتفى بمناقشة افكار مقاله .

معنى الحتمية

ان الحتمية عند الدكتور فؤاد مرسى تتخذ صورة واحدة لا تتغير.

فحتمية الاشتراكية فى بلد بلغ نموه الرأسمالى اعلى مراحله، كأمريكا او انجلترا، او فرنسا مثلا، هى نفس الحتمية التى حكمت اختيار بعض البلدان النامية لهذا الطريق. وبالتالى فالقوانين التى تحكم هذه الحتمية واحدة فى نظره. ودون الرجوع لكثير من العبارات، يمكن ان نتبين فكرة اساسية فى المقال خلاصتها :

● ان حتمية الاشتراكية فى البلدان النامية تحكمها نفس القوانين القائمة فى البلدان العالية التطور الرأسمالى .وبمعنى آخر ان الظروف التى يتم فيها انتقال الولايات المتحدة مثلا الى الاشتراكية، هى نفسها ظروف بلد، مثل الجزائر، اوغينيا او ماليزيا.. الخ . ففى اكثر من مكان فى مقال الدكتور فؤاد ،نراه يرفض فكرة اختلاف هذه الحتمية وفقا للظروف الموضوعية .انه يؤكد فقط، وفى كل مناسبة ،وفى مواجهة كل فكرة ،على الحتمية التاريخية للاشتراكية .

ان الحتمية التاريخية للاشتراكية قد صارت اليوم حقيقة لا تحتاج الى تكرار، ومجرد ترديدها ،او حتى تأكيدها، لم يعد وحده كافيا. انالجوهرى والمهم، هو الجديد فى اسباب وقوانين هذه الحتمية التاريخية. فهل تتحقق هذه الحتمية كنتاج لتفاقم التناقض الاجتماعى بين قوى الانتاج العالية التطور، وعلاقات الانتاج المهددة بتدمير هذه القوى؟ ام تتحقق هذه الحتمية التاريخية كضرورة لتطوير قوى الانتاج المتخلفة ،وباعتبارها السبيل الوحيد لضمان هذا التطور؟ هذه احدى المشكلات الهامة للفكر الاشتراكى المعاصر .

وحين لم يتم الدكتور فؤاد مرسى بادراك هذه الحتمية الجديدة، والمنبثقة من ظروف البلدان النامية، اخذ يكيل الانتقادات لكل من يطرق هذه الحقيقة الجديدة. والواقع ان هذه القضية بالذات تحتاج الى ايضاح، والى الكثير من الدراسات. وهى قضية مطروحة ،ورفضها وحده لا يكفى فكم من قضايا رفضت قبل ذلك.. ثم قبلت .

ان اختيار الطريق الاشتراكى للبلدان النامية، تفرضه مجموعة من العوامل المترابطة :

● فهذا الطريق الاشتراكى اولا ، ينبثق من خلال النضال الوطنى ضد الاستعمار بالدرجة الاولى، ويعبر عن ضرورة الحفاظ على ثمرات هذا النضال. وليس من خلال النضال الطبقى ضد الرأسمالية المحلية وحدها .

● وهذا الطريق الاشتراكى ثانيا ، يعبر عن الاحتياجات الموضوعية للقضاء على التخلف الاقتصادى، وعن الطموح الشروع فى تعويض هذا التخلف فى اقصر وقت ممكن .وليس محاولة مسايرة التقدم الفائق فى قوى الانتاج من خلال تحقيق علاقات انتاج تساير هذا النوع من العلاقات .

● وهذا الطريق الاشتراكى ثالثا ، تجسيد لظاهرة القيادات الوطنية الثورية الجديدة، والتى استطاعت استيعاب حقائق العصر وقوانينه ، والتى التحمت عضويا بآمال شعوبها : تلك الشعوب التى تحمل عداءا شديدا لكافة نظم الاستغلال ومن ثم فهو ليس تحقيقا لوجود قيادة اشتراكية تاريخية سلفا ، تستطيع حل التناقض بين قوى الانتاج المتقدمة، وعلاقات الانتاج من خلال الثورة الاجتماعية .

● وهذا الطريق الاشتراكى رابعا ، يؤكد معنى التحام الثورة الوطنية بالاشتراكية فى عصر انهيار الرأسمالية، واستحالة الفصل بينهما. وهذه الحقيقة تتجسد محليا فى ارقى اشكالها الاجتماعية بالاختيار الاشتراكى . وهذا يختلف جوهريا من الاستنتاج القديم لحتمية الاشتراكية ووسيلتها الرئيسية حركة الطبقة العاملة المتطورة، وكتعبير عن تفوق قوى الانتاج على علاقات الانتاج .

هذه العوامل مجتمعة ،تميز عن مقومات هذه الحتمية ، وتميز جذورها عن صورها الاخرى فى البلدان الرأسمالية العالية التطور .

فى عددى مجلة الكاتب « ٥٤ ، ٥٨ » ، كتب الدكتور فؤاد مرسى مقالين. المقال الاول تحت عنوان «الحل الاشتراكى عملية عفوية ام حتمية تاريخية ؟ » جاء فيه « ان الاشتراكية تعيد اليوم صنع التاريخ» .والمقال الثانى تحت عنوان «الحل الاشتراكى قدر محتوم ام غاية واعية؟» جاء فيها «ان وعى الانسان هو ايضا يصنع الانسان » .

هنا ،لابد من طرح مسألة هامة، تبدو غير واضحة عند الدكتور فؤاد مرسى، هى مسألة العام والخاص .

يقول الدكتور فؤاد «ومع ذلك تغير العالم عام ١٩١٧ . فى بداية القرن كانت الثورة الاشتراكية واقامة دكتاتورية البروليتاريا هما المقدمتان الضروريتان لبدء الفترة الانتقالية فى روسيا الى الاشتراكية ،وبعد الحرب العالمية الثانية اضافت التجربة الثورية كثيرا من الملامح والخصائص الجديدة على كيفية بناء الاشتراكية. وكان اهمها ان الثورة التى حدثت كانت ثورة ديمقراطية شعبية، لا ثورة اشتراكية، وان اشكالا عديدة للدولة اقيمت قبل دكتاتورية البروليتاريا » .

هذه الاشكال العديدة لدولة الديمقراطية الشعبية، الم تكن فى جوهرها ،دولة دكتاتورية البروليتاريا؟ وتلك الثورات الديموقراطية الشعبية ،الم تكن بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الماركسى اللينى ؟

صحيح ان النظم الاجتماعية التى اقيمت فى بلدان اوربا الشرقية وآسيا، لم يطلق عليها اسم «الاشتراكية» فى السنوات التى اعقبت الحرب مباشرة، وانما سميت «بالديموقراطيات الشعبية» وكانت هذه التسمية تعود الى طبيعة الشكل الخاص الذى اتخذته دكتاتورية البروليتاريا ، بلا تغيير فى الجوهر نفسه .ولم يكن ينفى هذا ان السلطة كانت مستقرة بصفة جوهرية فى ايدى الطبقة العاملة، وحزبها الماركسى اللينى، وان دولة الديمقراطية الشعبية اعتبرت شكلا من اشكال دكتاتورية البروليتاريا، وان تلك الدولة كانت تلتزم بمبادىء الاممية البروليتارية . لقد توفرت امام تلك الثورات كل الشروط المعروفة فى ادبيات الماركسية اللينية لبناء الاشتراكية اقامة دكتاتورية البروليتاريا، وتحقيق الحلف الثورى القيادى بين الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء، وتأميم وسائل الانتاج والتمويل الرئيسية، وسيطرة الحزب الماركسى اللينى، حزب الطبقة العاملة على السلطة، والالتزام بمبادىء الاممية البروليتارية .

فهل يمكن التحدث عن التجربة الثورية فى بلادنا، وفى بعض البلدان النامية، باعتبارها تعبيرا عن تحقيق هذه الشروط؟

يقول الدكتور فؤاد «واليوم تجرى تجربة اشتراكية جديدة تماما، ففي بعض البلدان المستقلة حديثا، وبعد النصر في المعركة الوطنية ، وانطلاقا من تأميم مواقع رأس المال الاستعماري في البنوك والتأمين والتجارة الخارجية والنقل والصناعة ،تبدأ هذه البلدان في التحول من الثورة الوطنية الى الاشتراكية بغير اقامة دكتاتورية البروليتاريا، ولكن باتخاذ اشكال جديدة لسلطة الشعب العامل» .لكنه قال قبل ذلك وفي نفس المقال «فدكتاتورية البروليتاريا هي في النهاية، سيطرة البروليتاريا على البورجوازية، **وهذا ضروري لانجاز التحول الى الاشتراكية »** .

ماذا نستطيع ان نفهم من هذه العبارات المتناقضة؟ وما الذي يجري في بلادنا الان ،التي يسلم الدكتور فؤاد انها تتحول من الرأسمالية الى الاشتراكية ؟

هنا لا بد ان نطرح بعض الاسئلة الهامة، مرتفعين بالبحث العلمي فوق اى حساسيات خاصة. هل هناك شكل خاص من اشكال دكتاتورية البروليتاريا في بلادنا؟ واذا لم يكن هذا الشكل الخاص موجودا، فكيف يتم تحولنا ـ او انتقالنا الى الاشتراكية ـ دون هذا الشرط ؟

شيء واحد يجيب على هذه الاسئلة . المزيد من البحث الجاد للظروف الجديدة لحركة وقوانين عالمنا المعاصر، وهذا ما يتجاهله الدكتور فؤاد مرسي فهو حائر بين امرين:ـ التمسك ببعض المفاهيم التي يعتبرها علمية ومقدسة، والتسليم الواقعي ايضا بالمجرى الواضح لتطور بلادنا. وبين هذين الامرين تبدو الحيرة واضحة في كتاباته، محاولا وبطريقة مستحيلة التوفيق بينهما .

وفي النهاية تبرز الجذور الحقيقية للمشكلة . فهو لا يعترف بحقيقة ان عالمنا المعاصر يعيش مرحلة نوعية جديدة، وانها بالتالي تفرز خصائص، وسمات نوعية لثوراتها المعاصرة. ان الفارق الجوهري بين ظروف الثورات القديمة، والثورات المعاصرة يكمن بصورة اساسية في واقع ان النوع الاول، كان يجري في عالم تسوده الرأسمالية الامبريالية، في حين تنطلق الثورات الجديدة في عالم بدأت فيه الاشتراكية تتحول شيئا فشيئا الى قوة تحاصر الرأسمالية، وتشدد طوق هذا الحصار على اعناقها ولقد سبق ان قلت «ان محاولتنا الدائمة لاستخلاص القوانين والسمات الخاصة بثورتنا ، ، انما تهدف في التحليل الاخير ، الى تحديدخط نضالنا(1) لتأمين الثورة وانتصارها الكامل، مستفيدين من خبرة الثورات السابقة، ومسترشدين بالمنهج العلمي للاشتراكية » .

ان الخلاف حول شعار التعايش السلمي ، وامكانية تجنب الحرب ، والانتقال السلمي الى الاشتراكية ... الخ هذه الافكار وغيرها ، والتي يدور حولها أخطر صراع عرفته الانسانية في كل تاريخها بين قوى تقدمية ، ترمز الى هذه المرحلة الجديدة .

ان التسليم بامكانية تفادي الحرب ، وامكانية فرض التعايش السلمي . ، وامكانية انجاز الثورة الاجتماعية بدون اللجوء حتما الى العنف .. الخ ـ والدكتور فؤاد مرسي يسلم بذلك كله ـ يعني التسليم بهذه المرحلة الجديدة . واذا صح ذلك ، فان الفكر الاشتراكي مطالب باكتشاف أبعاد هذه المرحلة الجديدة ، والارتقاء الى المستوى الذي يتطلبه الواقع الثوري في تطوره .

حقيقة بسيطة لا تحتاج الى تأمل طويل ، حقيقة ان الالتزام الشكلي بالنظرية الثورية مهما بلغ حماسه لا يكفي وحده لحل المشكلات . ان الجهد الفكري الحقيقي للثوريين ، يجب أن يرتكز على قاعدتين راسختين : **أولهما** ، التمسك بالمنهج الثوري في علاج قضايا الاشتراكية ومشكلاتها المعاصرة . **وثانيهما** ، القدرة على فهم الحركة الخاصة لتطور هذا البلد أو ذاك ، من خلال البحث الجاد وراء مختلف الظواهر والعلاقات ، لينتهي بعد ذلك الى اكتشاف قانون حركتها وتطورها .»

الضرورة والحرية

وعند قضية الضرورة والحرية نصل الى جوهر الخلاف مع الدكتور فؤاد مرسي .

فهو يقول في تعريفه لعلمية الاشتراكية «وهي تعني ثالثا تمجيد الانسان وقدرته على المشاركة بوعي في الاحداث،ورفض أن يكون تحت رحمتها ، بل امكانية السيطرة عليها وتطويرها » لكنه في نفس المقال ، يعود فيرى في هذا المعنى ، خيالية وابتعاد عن العلم « وصيغة لابد ان تسخر منها كثيرا جميع قوى الاشتراكية في غرب أوروبا ، ولربما لم تجد لها نصيرا الا في أعماق الصين » ، الى آخر الصفات التي أطلقها حين تعرضت للفكرة التي قدمتها عن هذه القضية .

واحتراما لاهمية هذه القضايا ، وحفاظا على موضوعية المناقشة ، سأحاول حصر هذه المسألة في بعض الجوانب الجوهرية لها . فلا أستطيع في مقال قصير دراسة قضية الوعي والحرية بصورة كاملة . وكل ماأريده الان هو ايضاح بعض النقاط الاساسية علها تنجح في القاء مزيد من الضوء على هذه القضية .

الخلط بين القوانين الطبيعية والقوانين الاجتماعية

يقول الدكتور فؤاد «صحيح أن البشرية التقدمية تحرز انتصارات هائلة على الاستغلال الاجتماعي وعلى أسرار الطبيعة ولكن هذا لايعني انتهاء عصر القوانين الاجتماعية أو القوانين الطبيعية ، بل يعني ازدهار عصرها» . ان الخلط بين القوانين الطبيعية والقوانين الاجتماعية ، بين الحتمية الطبيعية العمياء والحتمية التاريخية المرتبطة بارادة البشر ، هذا الخلط يجد صداه عند كثير من الكتاب ، وليس عند الدكتور فؤاد مرسي فقط .

ان كلا من الطبيعة والمجتمع له تاريخ . ولهذا التاريخ قوانين تحكمه ، وتحكم حركته وتطوره . هذه حقيقة لاخلاف عليها. انما يبدأ الخلاف من معرفة الطبيعة النوعية لكل من هذين النوعين من القوانين ، ومن مجموع المكونات التي تحدد مسرى كل منهما . مثلا ، قوانين الجاذبية ، قوانين الحرارة ، قوانين الضوء ... الخ ، كلها تعمل بصورة مستقلة عن ارادة البشر . ودور الانسان حيال هذه القوانين ، وبالتالي حريته ، تتوقف على معرفته لها ، ثم النضال من اجل السيطرة عليها . والسؤال ، هل يمكن مقارنة هذه القوانين بقوانين المجتمع ، وبالتالي الخروج بالنتيجة الغريبة التي انتهى اليها الدكتور فؤاد مرسي ، حيث يقول « ليست علمية بالمرة ، دعوة الانسان أن لايكون عبدا للقوانين الاجتماعية» ؟ . هل

---

(1) الطليعة : عدد مارس « المرحلة الانسانية من المعرفة بالحياة حتى الوعي الاشتراكي » .

نستطيع أن نساوي مثلا ، بين قانون الجاذبية في الطبيعة ، وقانون المنافسة الحرة في المجتمع الرأسمالي (٢) » .

الجدلية والثبات

وامتدادا لتفكير الدكتور فؤاد ، وكنهاية حتمية له في نفس الوقت ، تضيع الفروق بين الجدلية الرحبة الآفاق ، والقدرية الآلية المحدودة . فالعلاقة بين الانسان والطبيعة ، أو المجتمع والعلاقة بين فكر هذا الانسان ووجوده ، والعلاقة بين القوانين الاجتماعية ودور الوعي حيالها ، هذه النماذج وغيرها من العلاقات ، ليست ثابتة ، لا تتغير !.
ليست هناك عبودية ابدية للانسان حيال قوانين المجتمع ، بل وحتى قوانين الطبيعة !.

ان الدكتور يخطىء خطأ كبيرا حين يرى في فكرتي ابتعادا عن العلم ، وخياليه .. الخ هـذه الصفات . ان الانسان يصنع تاريخه ، وبالتالي فهو يشارك في صنع قوانين هـذا المجتمع . وهذه المشاركة تتفاوت قيمتها وفقا لدرجة الوعي ومدى تطوره . انها ليست علاقة رياضية ، آلية ثابتة » !

الوعي والوجود

وحتى تتضح معالم هذه العملية ، نعود من جـديد الى السؤال المتكرر دائما ، ماهو الوعي ؟ وما هي عـلاقته بالوجود ؟ البعض يجيب على هذا السؤال بالجملة التقليدية المعروفة «ان الوعي ، أو الفكر ، هو الموجود الاول ، وهو صانع كل شيء» ومثل هذه الاجابة — الغير علمية — تنكر وجود العالم أولا ، ثم وجود الوعي بهذا العالم ثانيا .

ولكن هناك أجابات اخرى — غير علمية أيضا — تستخلص من وجود أسبقية العالم على الفكر ، نتيجة غريبة — قوامها ثبات العلاقة بين الاثنين ، بل وخضوع وعبودية هذا الوعي لقوانين هذا الوجود الى الابد . وتكمن خطورة هذه الإجابة الاخيرة ، في ان اصحابها يرتدون مسوح العلمية ، ويحاولون تجميد حركة الوعي حيال هذا الوجود باسم هذا العلم الغريب ! وليس لدينا سوى التطور الموضوعي لنسبية هذه العلاقة ، ردا على أصحاب هذا الفكر ، ومحاولة في نفس الوقت لمزيد من العمق في فهم حقيقة المنهج العلمي .

● ان علاقة الانسانية بالوجود بشتى مظاهره الطبيعية أو الاجتماعية ، و «الداخلية» ليست مسألة جامدة أبدية ، انها علاقة تتصف بالحركة والتغير المستمر في مركز وثقل كل من هذين القطبين على حدة فعندما واجه الانســـان هذا الوجود في ادنى مستويات تطوره ، كان مجردا من كل قدرة أو حرية بالنسبة لهذا العالم الذي يواجهه . لقد كان عبدا كاملا لمختلف الظواهر الطبيعية ، عاجزا عن فهمها أو تفسيرها ، ومن ثم كان عاجزا عن التحكم فيها .

لقد كان الانسان البدائي الذي لايملك سوى أدوات واسلحة بدائية ، خاضعا خضوعا تاما لقوى الطبيعة . وحين كان لايستطيع أن يفسر الطبيعة — ولا أن يتغلب عليها ، فقد كان يؤلهها . والنار التي منحت الانسان أول سلطة حاسمة على الطبيعة مكنته من حماية نفسه من الحيوانات المتوحشة ، وانشاء الحرف الاولى ، بدت له بمثابة تمرد هائل ورائع على القوى الجبارة التي أتاحت له مجابهتها .

● ومع بدء تكوين جماعات انسانية متعاونة فيما بينها ، وظهور أول تقسيم للعمل داخل هذه الجماعات ، انبعثت أولى اشعاعات الوعي تحاول استكشاف ما يحيط بها من ظواهر وتبدأ البشرية في طرق هذه الكلمة الجديدة .. لماذا ؟

لقد تطور وعي الانسان الذي بدأ بكلمة لماذا ؟ ومضى من أعماق العبودية ، أول مسيرته الظافرة نحو «الحرية» . لقد اختلط منذ البداية تاريخ الحرية بتاريخ الاضطهاد الطبقي وكان يتحكم به تاريخ صراع الانسان مع الطبيعة . لقد صار كل تقدم تحققه الحضارة ، باعطائه للانسان سلطة اكبر على الطبيعة ، تشكل في نفس الوقت تقدما للحرية .

● ومع أن القيمة الفائضة ، في كل مرحلة خلال تـطور الاقطاعية ، كان يأخذها الاقطاعي من عمل القن بجشع ، فقد كان الانتقال الى الاتاوة بالنقود يشكل تقدما . فقد كانت تمنح الفلاح بعض الاستقلال الاقتصادي ، وتربطه بمنتجين آخرين في السوق . كما كانت علامة من علامات تفكك النظام الاقطاعي .

● وأصبح الانتقال من النظام الاقطاعي الى النظام الراسمالي ضروريا حين أصبحت سيطرة الانسان على الطبيعة كبيرة ، بحيث لايتيح التنظيم الاجتماعي القديم للاقطاعية أن تسيطر على التقدم . ولعب صعود الرأسمالية دورا محررا بالنسبة للعلاقات الاقطاعية . لكن التحرر من القهر الاقطاعي ، لم يلغ الاستغلال . فلقد سار النظام الرأسمالي في نفس الطريق فقدرة الانسان المتنامية على الطبيعة لم يسايرها تحرير حقيقي لاستغلال الانسان للانسان » .

● وكان ميلاد الفكر العالمي للاشتراكية يعني شيئا جديدا في العلاقة بين الانسانية والوجود . فالعبودية والخضـوع كانا امران ضروريان في مرحلة سيطرة الطبيعة على الانسان ، وابتداء من ومضات المعرفة ، تصبح الحرية شيئا ممكنا ، وليس حلما خياليا . فهي تستند ولاول مرة على الادراك الموضوعي للعالم ، وعلى القدرة المتعاظمة على السيطرة على هذا العالم » .

● واذا كانت الانسانية ، وبعد مراحل عديدة من التطور ظلت حتى النظام الرأسمالي خاضعة لقوانينه ، فان الاشتراكية أطلقت وعيا جديدا . فلم يعد الناس يشاركون في التغيير الثوري التاريخي كمجرد وقود ، بلا وعي كامل لما يمكن أن ينتهي اليه هذا التطور . الناس الان يصنعون الثورة الاشتراكية بوعي بل ويعرفون قوانين المجتمع الجديد قبل تحقيقه ، وهذا اكثر مما يمكن أن نسميه جديدا في العلاقة بين الانسان والطبيعة ، وبصفة خاصة بين الانسان والمجتمع والتاريخ .

● وعلى هذا ، فاذا كنا نعيش عصر الانتقال مـــن الرأسمالية الى الاشتراكية ، فانه يعني في نفس الوقت ، الانتقال من عصر الضرورة العمياء الى عصر الحرية ...

فهل نستطيع أن نصف هذه الصيغة ، بالخيالية ، والبعد عن العلم ؟

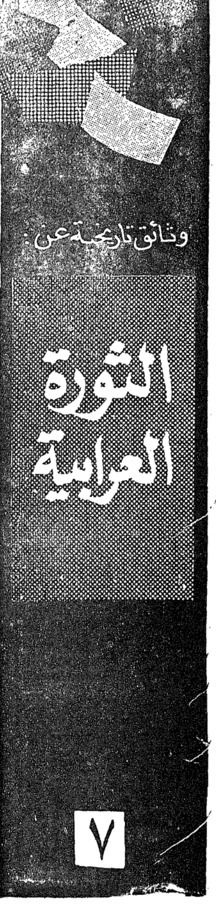
مرة أخرى ، نجيب بان **التطور الموضوعي لعلاقة الوعي بالضرورة** ، هي وحدها التي تحسم هذه القضية . فالذين يرون في هذه العلاقة ، قضية جامدة ، ثابتة ، قدرية ، لاتتغير ، من حقهم أن يصفوا الذين يدركون التغير المستمر في مركز هذين القطبين ، بالمثالية ، والخيالية ، والغير علمية الخ .

ومنذ مايقرب من قرن مضى ، قال «انجلز» جملة هامة جديرة بالتأمل ، «ان الحرية تتألف من السيطرة على أنفسنا وعلى الطبيعة الخارجية المؤسسة على معرفة الضرورات الطبيعية . وهكذا فهي بالضرورة نتاج التطور التاريخي» .

---

(٢) من المعروف ان القـــوانين الرأسمالية ، لوتركت لتلقائية مفعولها ، فان المنافسة الحرة تقود الى الاحتكار فالاستعمار . ولقد استطاعت البلدان الحديثة التطور الرإسمالي ، ليس فقط وقف مفعول هذا القانون ، بل وتحطيمه في صورة اختيار الطريق الاشتراكي مقوالمنه الحديدة

وثائق



محاضر التحقيقات مع الشيخ محمد عبده وأحمد "بك" رفعت

تواصل الطليعة نشر النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابية . وتقدم فى هذا العدد نصوص محاضر التحقيقات مع كل من الشيخ محمد عبده ، واحمد بك رفعت . والشيخ محمد عبده ، هو احد المفكرين المجددين فى مصر ، ورائد من رواد النهضة الفكرية الحديثة فيها وفى العالم العربى عامة ، تتلمذ على الشيخ جمال الدين الافغانى ، وعمل محررا للوقائع فى مجلة الوقائع المصرية الرسمية والتى كانت تصدرها الحكومة الخديوية حينذاك ، ثم رئيسا لقلم المطبوعات . وقد استدعاه القومسيون للتحقيق بشأن ما تردد اثناء الاستجوابات من انه قام بقيادة الضباط المتجمعين فى ((قشلاق عابدين)) لحلف يمين الاخلاص الوطنى والتضامن معا ، وهو اليمين الذى اعتبره الخديوى والعناصر المناصرة له ، بمثابة يمين التعاهد على الثورة .

أما أحمد بك رفعت فقد عمل كاتبا لمجلس النظار اثناء وزارة محمود سامى البارودى . كما انه عين بعد ذلك عضوا فى المجلس العرفى ، الذى اتخذ من القاهرة مقرا له ، وكان يتولى ادارة شئون البلاد اثناء تفاقم حوادث الثورة . واعتبر بمثابة الحكومة المؤيدة من جانب العرابيين . وقد ضم المجلس العرفى المديرين والعلماء و ((الاعيان)) وبعض امراء الاسرة الخديوية والرؤساء الروحانيين ونواب الاهالى .

محضر استجواب الشيخ محمد عبده

فى يوم الاثنين ٢٦ القعدة سنة ٩٩
(بناء على ما تقرر بجلسة هذا اليوم ،طلب الشيخ محمد عبده ، ووجه اليه سعادة الرئيس ، الاسئلة المحررة ادناه ، فأجاب عنها بمايأتى) :

س : اين كنت مستخدما ؟

ج : فى الوقائع المصرية بوظيفة محرر الوقائع ورئيس قلم ادارة المطبوعات العربية .

س : قد طلبناك الان لاستشهادك عما يأتى ، وهو انه فى يوم من الايام فى اثناء وزارة محمود سامى ، دعاشخص يسمى عمر رشدى من اركان حرب جملة اناس الى منزله ، هل حضرت؟

ج : لم احضر .

س : عقب الدعوى ، تجمع ضباط العساكر لحد رتبة بكباشى فى قشلاق عابدين وتحالفوا وطلبوك ، واعطوك المصحف وكلفوك بتلقين اليمين ، فبين لنا صورة اليمين ، ومن حضر ؟

ج : لم اتوجه لدعوة عمر رشدى أما مسألة اليمين ، فهى انمحمود سامى دعانى فى منزلهفى يوم الجمعة غروبا ، وقال انه اصل من بعض صغار ضباط العساكر هياج ويريدون أعمال خلل بالبلد ، والغرض اجتماع الك.ار منهم وتحليفهم يمينا على المصحف لعدم اعمال خلل فى البلد، انما حيث انهم لم يعلموا كيفية حلف اليمين فتول انت ذلك ، فقلت لامانع، وفى الواقع توجهوا لقشلاق عابدين فى أوضة علىباشافهمى وكان محمود سامى حاضرا ، وحلفوا يمينا على مصحف أحضروه ووضعوه على الترابيزة ووضعوا ايديهمعليه،وهاهو مضمون اليمين ، والله العظيم ثلاث مرات قاهر السموات والارض ، المتسلط على القوى والقدر ، وحق ما فى كتاب الله تعالى اننى وانا فلان لا اخون وطنى ، ولا اخون نفسى، ولا اغش احدا من اهل بلادى ، وأحافظ على عرضى وعلى دينى،وعلى عرض اهالى بلادى ، ما دمت قادرا على منعه ، واننى احافظ علىالنظام وعلى القانون العسكرىبكلمايمكننى، وبقدر استطاعتى ، واذا حنثتبيمينى هذا ، فأكون مستحقا لقطع الرقبة وشق الصدر وان أكون محروما من مزايا الانسانية والاداب

س : علم من التحقيق انه ذكر فى اليمين ان يكون الضباط يدا واحدة وعصبة واحدة ولا يسمعوا اوامر من احد ما الا اذا اتفقوا عليها ؟

ج : لم يحصل ذلك

س : هل حصل ذلك فى دفعة اخرى؟.

ج : لم يحصل ماذكر الا فى الدفعة التى كنتحاضرا فيها ، وكان الغرض من اليمين الذى بينته ، المحافظةعلى القانون العسكرى وعدم الاخلال به كما افهمنى محمود باشا سامى ، وسبب ذلك هو ان محمد عبيد كان يريد محاصرة سراى الاسماعيلية ، فلمنع ذلك اراد محمود سامى باشا جمع الضباط وتحليفهم هذا اليمين لمنع الخلل .

س : من هم رؤساء العسكرية الذين كانوا حاضرين ؟

ج : عرابى ، وعبد العال ، وطلبة ، ويعقوبسامى،وعلىالروبى،وعلىفهمى ومحمد عبيد ، وعبد الغفار ، والزمر وحسن جاد ، وعلى يوسف ، ومحمود فهمى ، ولم يحضراحد من النظار غير من ذكروا ، ومحمود سامى الذىحلف معهم أيضا .

س : هل تتذكر التاريخ ؟

ج : لم اتذكره .

س : حيث ان اليمين كان قاصرا على العساكر لعدم حدوث خلل فلماذا حلف محمود سامى ؟

ج : حلف معهم كى اذا ارادوا فعلشىء يشاورونه فيه كما أنه يشاورهم .

س : هل حلف مثلهم او كان يمينهقاصرا على ماذكرته فى جوابك ؟

ج : جميعهم حلفوا بصوت واحد .

س : هل حلفت معهم ؟

ج : لم احلف معهم بل كنت ملقنا لهم الصفة ، ولم اجر ذلك الا لانه اخبرنى ان الغرض منع الخلل .

س : انت فى قلم الوقائع وهذا الامر مخ‍ ن بالازهر ،لماذا انتخبك محمود سامى ؟

ج : لكونى معه فى الديوان ويعلم انى من اهل العلم واقرب الناس لسماع اوامره لكونه رئيسا .

س : هل حصل حلف يمين مثل ذلك فى منزل احمد عرابى بين الضباط ومشايخ العرب وهل كنت حاضرا فى هذا الحلف أيضا ؟

ج : ماكنت حاضرا .

س : هل كان موجودا السيد قنديل عند حلف اليمين بقشلاق عابدين ؟

ج : لم يكن موجودا .

(اعيد بعد ذلك الى السجن)

اعضاء	اعضاء
مصطفى خلوصى	محمد مختار
مصطفى راغب	سليمان يسرى
سعد الدين	محمد حمدى
يوسف شهدى	محمد زكى
	على غالب

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

محضر استجواب أحمد بك رفعت

(بناء على ما تقرر بجلسة ٢٤ ذا سنة ١٢٩٩ الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٨٨٣ صار استحضار أحمد بك رفعت من السجن ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة الاتية فأجاب عنها كما يأتى) :

س : لم نطلبك الان لاستجوابك عنامور مختصة بشخصك ، بل لاستشهادك مما يخص غيرك فقل لنا مما جرى بالجمعيات التى عقدت بمنزلمحمود سامى ؟

ج : يمكن اثبات عدم حضورى بهذه الجمعيات حتى قبل تعيينى كاتب سر مجلس النظار .

س : وبعد تعيينك فى مجلس النظار ؟

ج : كنت احضر بجلسات المجلس بحضور الاعضاء ، ولما حصلت مسألة الجراكسة عقدوا عدة جلسات ثم احضر فيها الا فى يوم من الايام طلبونى وأملوا على محضرا ولما اشتد الخلاف اجتمعوا فى منزل محمود سامى وطلبونى ، ولما توجهت وجدت الجهادية مجتمعين هناك ، وسألنى عن بعض اسئلة ليست ذات اهمية مثل أفكار العالم ، ثم حضر طلبه واخذه وتكلما بمفردهما ، ولما استفهمت من عبد الرحمن بك وكيله عن سبب طلبه لى، فقال لم اعلم ، فقلت له حيث انه لم يخبرنى بسبب طلبى ، فأنا متوجه لمنزلى حيث انى مريض ، فتوجهت لمنزلى وبقيت مشتغل البال حتى عاد خادمى الذى تركته هناك واخبرنى، بانتهاء الجمعية .

س : حصلت جمعيات غير ذلك ؟

ج : نعم حصلت بطرف مقبل بك وصار القاء مقالات مهيجة وكنت مع حسين باشا الدرملى واحمد باشا الدرملى ومحمود باشا سامى وقلنا ان هذا الكلام لايصح .

س : الم يحصل شىء من محمود سامى؟

ج : لم يحصل .

س : هل كان له صفة ؟

ج : نعم ، وكيل الجمعية

س : حيث انك قلت انه صار القاء مقالات مهيجة فى تلك الجمعية ، فبين لنا معناها ؟ .

ج : كلام تحريض وتهييج مثل قومى ايتها الامة المصرية فقد فتحت لك ابواب الحرية ، وزال نفوذ الاوروباويين وغير ذلك .

س : الم تحصل جمعيات فى غير منزل مقبل بك وصار القاء مقالات مهيجة فيها مثل المقالات التى قلت عنها ، وهل كانت تستحسن تلك المقالات ام لا ؟

ج : لم يكن لى علاقات معه قبل تعيينى بمجلس النظار ولما تعينت حصلت جمعية فى شهر فبراير بمنزل محمد الصدر وصار القاء مقالة مهيجة فيها من عبد الله نديم وكنت معه ولكن لعدم وجود تلك العلاقات ، لم اتحاور معه ، ولم ابحث عن افكاره ، انما رأيت انه لما القى شاب يسمى مصطفى ماهر مقالة فيها اقوال شنيعة ضد الاوروباويين اشار لعبد الله نديم اشارة عدم استحسان .

س : قيل فى مقالة صار القاؤها فى منزل شخص يسمى طاهر ، انه يلزم قتل المسيحيين والاتراك ، والقاء عظامهم بالبحر حتى لا تتلوث

بها ارض مصر ، فهل سمعت ذلك ؟

ج : انى لم اسمع هذه الالفاظ صراحة ولكن هذا كان دائما بمعنى اقوالهم .

س : معلوم انه عقدت جمعيات من الضباط فى منزل محمود سامى وحصلت المذاكرة فيها بشأن مسائل سياسية ، فهل كنت حاضرا وماذا سمعت ؟

ج : لم احضر جمعيات كما عرضت انما انا وجميع الناس نعلم ان الجهادية كانوا يجتمعون فى كل ليلة بمنزله فان عربياتهم وخيولهم كانت تبقى امام الباب .

س : الم تسمع احمد عرابى يقول انه اذا تداخلت الاجانب فى امورنا وأرادوا جبرنا على قبول لائحة النواب ، يلقى فى البحر من يحضر منهم ، واذا انهزمنا نحرق ونخرب البلد ونقتل من فيها ؟

ج : لما حضر بورللى بك اراه المشاكل التى تنشأ من مسألة لائحة النواب وكنت مترجما وضع يده على السيف فاجاب ، انه اذا تداخل احد لازم نموت لاخرنا ونفنى كل شىء ، ولكنى لم اسمع لفظة الحرق .

س : متى كان ذلك ؟

ج : فى اول يوم تشكيل وزارة محمود سامى فى منزل محمود سامى .

س : ومحمود سامى هل كان موجودا؟

ج : نعم كان موجودا هو وباقى النظار .

س : الم تسمع احمد عرابى يقول هذه الالفاظ فى احوال اخرى او فى مجلس النظار ؟

ج : لا يعقل ذكر الفاظ صريحة مثل هذه فى مجلس النظار ولكنى سمعته يقول الفاظا اخرى تهديدية مثل « الممات افضل من الحياة على هذه الحالة » ، وبعد حرق الاسكندرية كنت متوقعا حصول مثل ذلك فى مصر حتى انى اتفقت مع على باشا شريف على الالتجاء بطرفه بحريمى واولادى من باب الابتون ، اذا رأيت انه مزمع وقوع شىء من هذا القبيل .

س : قيل من محمود سامى ان جميع ما اجراه خوفا ، وحيث انك كنت معه فتعلم افكاره ، فكيف تعبر قوله ان اجراءاته كانت خوفا .

ج : لا اعلم افكاره ، ولكن لما حضرت النوته من الدول تكلمت مع محمود سامى لتسكين الامور فاجابنى انه ربما لو اذعنا لها يخشى ان يصير الاخلال بالتأمينات بعد ذلك ، اعنى ان يصير الاضرار بهم فينا بعد ، واخيرا قال انا اقتنعت ، ولكن الجهادية لم تقتنع ، فقلت له اقنعهم، فقال لا يمكننى فاننا متخالفون مع

بعض وظهر لى ان عنده خوفا منهم .

س : قيل من الجميع ان ما اجروه كان خوفا ، فلا يخفى ان هذا الخوف لابد ان يكون من اشخاص ، فمن هم ؟ ولاجل وجود هذا الخوف لابد من معرفة ما يجريه من كان منهم الخوف ، ولابد ان يكون حصل تهديد منهم بالحرق والقتل ، فهل سمعت ذلك ؟

ج : المعلوم ان اولهم احمد عرابى ، واتضح لى لما كنت فى حبس الضبطية ، ان احمد عرابى كان خائفا من حسن جادو ومحمد عبيد وممن كان معهم طلبه ويعقوب سامى ومحمود فهمى ، اما نحن فكان خوفنا من القوة التى كانت تحت يدهم ولانهم كانوا متهورين .

اما فى المدة الاخيرة فقال يعقوب باشا سامى بحضور بطرس باشا وحسين باشا الدرملى ، ان لم تكن الملكية واحدة مع الجهادية فنأخذ البوليس والمستحفظين ونتوجه لمحل المحاربة ونترككم بدون من يحرسكم، واذا كان الملكيون اعداء لنا من خلفنا والعدو الاخر من امامنا فنهلك العدو الداخلى قبل الخارجى .

س : فى اى وقت قال ذلك ؟

ج : لما نبه على وكيل الداخلية بطلب اناسا مخصوصين لتشكيل المجلس العرفى قال ذلك فى اوائل الجلسات .

س : هل محمود سامى كان مشتركا مع زمرة العسكرية فى التخويف ؟

ج : حيث انهم كانوا متحالفين جميعا .

س : قلت لنا ما سمعته انت بنفسك من تهديدات الزمرة العسكرية ، فهل بلغك من غيرك انهم سمعوا التهديدات منها ؟

ج : اعرف اشخاصا قليلين نحو اثنين او ثلاثة سمعوا ايضا بذلك .

س : قل لنا ما حصل فى الجلسة التى انعقدت بناء على صدور امر الخديوى فى مسألة الجراكسة ، واستمرت عشر ساعات وقرار الرأى فيها على جمع النواب مع بيان هيئة كل منهم وما وقع منه ؟

ج : لم احضر بالجلسات التى انعقدت لما وقع الخلاف بشأن مسألة الجراكسة ، انما هذه الجلسة حضرت فيها ، ولكنى لم اعلم انها عقدت بناء على امر الخديوى حتى انه لما استفهم المراقبان عن انعقاد جلسة من عدمه ، اجابوهما ان الجلسة المعقودة جلسة خصوصية ، وبعد انعقادها بمدة طلبونى ، وعند دخولى ، امرونى باحضار ورقة وقلم واملوا على الثلاث محاضر ، والدليل

على عدم حضورى فيها انه لم يذكر اسمى بها كالعادة ويظهر من المحضر ان عبد الله باشا فكرى عارض فى جمع النواب ووافقه على ذلك على باشا صادق ، ومصطفى باشا فهمى ، وقال ان فى الاحوال الغير اعتيادية بصرف النظر عن القواعد والاصول ، فان الضرورات تبيح المحظورات واراد ادراج هذه اللفظة بالمحضر ووافقه على ذلك احمد عرابى وباقى النظار .

س : قال محمود سامى ان الخديوى لازم انه باخديد شسنطته ويتوجه للوكاندة شبت فانه عزل ، فهل بلغك ذلك ؟

ج : نعم بلغنى .

س : ماذا جرى بعد تحرير المحاضر ؟

ج : بعد تحرير المحاضر ، طلب محمود سامى حسين الدرملى ونبه عليه بالتوجه للمعية والاخبار بانه طلب اجتماع مجلس النواب وقال له ، ان قيل لك شىء قل ان هذا امر تقرر ثم طلب حسين صقر اطن ونبه عليه بتحرير التلغرافات وتكلموا بعد ذلك فيما يختص بالامن .

س : حيث انه ذكر صراحة ، ان جمع النواب كان لاجل الحكم فى الخلاف الحاصل بين الحضرة الخديوية والنظار ، فلم يكن غرض النظار وقتئذ عزل الجناب الخديوى ، وغرضهم من حضور النواب هو لاجل الموافقة منهم على ذلك ؟

ج : لم اسمع شيئا رسميا من ذلك بالمجلس ، لوجود بعض النظار المعارضين فى جمع النواب بدون امر من الحضرة الخديوية ، ولكن اشيع هذا الامر كثيرا .

س : هل حضر فى ذلك اليوم طلبه باشا للديوان ودخل المجلس ؟

ج : لم اره ، ولكن ربما يكون حضر فى الخارج وجلس مع احد النظار بالخزنة .

س : ان موسيو فوكلين ارسل الى الاسكندرية لاجل قفل جريدة الاجبسيان لتكلمها فى حق العصاة ثم تبين ان الموسيو المذكور كلف بمأمورية سرية غير ما ذكر ، وهى المقابلة مع احمد عرابى بالاسكندرية فما كانت هذه المأمورية ؟

ج : لم يكلف بمأمورية سريه .

س : هل اعطى نقودا ؟

ج : نعم فى اثناء وزارة محمود سامى اعطى مبلغ ستة جنيهات من نقود الخزنة وتقيدت من المصاريف السرية مقابلة تحرير نبذة بخصوص مصر .

س : قال محمود سامى ان هذا المبلغ اعطى لفوكلين من نقوده الخصوصية ، فهل يمكنك اثبات عدم صحة كلامه ؟

ج : النقود لم تعط من طرف محمود سامى بل من الخزينة اما اثبات عدم قوله فلا يتيسر لى .

س : هل اعطيت له فى الاوقات الاخيرة نقود ؟

ج : لم يعط اليه شىء غير ما ذكر .

(بعد ان اجاب بذلك اعيد الى السجن فى ٢٤ ذا سنة ٩٩)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الاثنين ٢٦ القعدة سنة ١٢٩٩ الموافق ١٥ اكتوبر سنة ١٨٨٣ صار استحضار احمد بك رفعت من السجن ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة الاتية ، فاجاب عنها كما يأتى) :

س : اخبرتنا فى اجوبتك السابقة ، عن محاضر جلسات مجلس النظار فاين هى ؟

ج : كانت بطرفى وبلغنى انه حصل التفتيش بمنزلى فلم اعلم ان كان صار ضبطها ام لا .

س : اين كانت فى المنزل ؟

ج : فى الدولاب .

س : هل متحقق انها كانت بمنزلك ؟

ج : نعم .

س : الم تتحرر المحاضر المذكور بمنزل محمود سامى فى اوضة مخصوصة بحضورك وحضور الشيخ محمد عبده وموسيو فوكلين ؟

ج : تحررت فى الجلسة الوحيدة التى حضرت فيها ، وكان تحريرها بان محمود باشا كان يمليها على تارة ، وعرابى تارة اخرى .

س : الم يحصل اجتماع كتاب السكرتارية فى منزل محمود سامى ؟

ج : دعينا لمنزل محمود سامى يوم اجتماع النواب هناك ، وسمعناه يبين لهم اسباب الخلاف الذى كان حاصلا بينهم وبين الخديوى .

س : تحررت هذه المحاضر كما ذكرت ، وبعد الصفح من الحضرة الخديوية عن احمد عرابى تغيرت ، فكيف تغيرت ؟

ج : نعم تغيرت ثلاث مرات تقريبا ولكن ذلك كان قبل حصول الصفح .

س : الم يطلب منك الجناب الخديوى هذه المحاضر بحضور اناس ، وامتنعت عن اعطائها اليه بعد استشارة عرابى ؟

ج : طلبها منى محمود بك خليل وقلت له ان هذه المحاضر مسلمة لعهدتى وعرابى نبه على بعدم اعطائها فاسألوا ان رغب اعطاءها كان به ، والا فهو يكون مسئولا لدى الجناب الخديوى حيث انه ناظر الجهادية ، فلما توجهت وسألت احمد عرابى ، نبه على بعدم اعطائها وحفظها بطرفى وهددنى .

(بعد ذلك اعيد الى السجن فى ٢٦ ذا سنة ٩٩) .

(صار استحضاره ثانية وسئل فاجاب بما يأتى) :

س : قيل لنا ان المحاضر تحررت اولا ، وبعد ذلك اعطيت لشخص يسمى زكى ، وكان عليها ثلاثة اختام فقط تقريبا ثم تغيرت ، فهل المحاضر التى حضرت من منزلك هى التى قر الرأى عليها اولا ، ام المحاضر التى تغيرت ؟

ج : النسخة الاولى كان عليها ختم ناظر المالية وختم محمود سامى وختم ناظر ثالث لم اتذكر اسمه ، ثم تغيرت وقيل لى فى ذلك الوقت من محمد جوهر انه يلزم حفظ النسخة الاصلية كى لا تعود على مسئولية ، ولكن لم يتغير من تلك النسخة الا مقالة احمد عرابى فانها كانت مكتوبة فى النسخة الاولى بالتطويل واختصرت فى النسخة الثانية ، وسبب ذلك ان المقالة المذكورة كانت عبارتها صعبة جدا ، وكذلك تغيرت مرة ثانية لاجل تلطيف عبارة المقالة المحكى عنها .

س : هل الصورة الموجودة الان هى الصورة التى قر الرأى عليها اخيرا ام لا ؟

ج : نعم وقد طلبها منى محمود باشا سامى فيما بعد ولم اعط له منها الا صورة كما يعلم محمد جوهر بذلك .

س : ما كانت هيئة احمد عرابى بالمجلس المحرر عنه المحضر المتقدم ذكره ، وما هى الاقوال التى قالها فيه ؟

ج : الجملة المختصرة المذكورة فى ذلك المحضر ، اصلها عبارة مطولة مقتضاها الشرح عما حصل فى مدة الخديوى السابق اسماعيل باشا مثل قتل سلطان هرر وخلافه ، مستدلا بذلك ان ما حصل منه فى حق الجراكسة هو امر واه بالنسبة لما ذكر ، وقد تداخلت الدولة العلية فى مسألة الجراكسة ، ولم تتداخل فى مسألة سلطان هرر ، مع انها اهم بكثير ، وما يماثل ذلك من التهور .

س : قد سئلتك في استجوابك في الدفعة الاولى اذا كنت سمعت ام لا احمد عرابي او رؤساء العسكرية، يتكلمون فى عزل الحضرة الخديوية وفى شأن حرق البلد واعدامها اولى من اعطائها لاحد فاكرر هذا السؤال هل سمعت شيئا من هذا القبيل ام لا ؟

ج : لم اسمع شيئا من هذا القبيل فى مجلس النظار ولكن الشماع انه حصل كلام مثل ذلك فى منزل سلطان باشا منذ كان ضباط العسكرية به ليلا، وفى تلك الليلة بعد خروجهم من منزل سلطان باشا دعانى محمود سامى للحضور لمنزله ، وعند توجهى اليه كما اخبرت اول امس وجدتهم هناك، وسمعتهم يتفوهون بهذا الكلام قائلين بانه اذا لم ترفض النوتة ولم يعد احمد عرابى لوظيفته ، فيعزل الجناب الخديوى وهذا هو السبب الذى دعانى للانصراف ولم اسمع قوله مختصا بحرق »

(بعد ذلك اعيد الى السجن فى ٢٦ ذا سنة ٩٩) .

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الخميس ٥ محرم سنة ١٣٠٠ ، طلب احمد رفعت من السجن وحضر ومعه موسيو برودلى الافوكاتو الموكل عنه ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة ادناه فاجاب عنها كما يأتى) :

س : نشر فصل فى جريدة الحسان الفرنساوية وعليه امضاك ، فهل تعترف انه صدر منك ؟

ج : اعترف ان هذا الفصل صدر منى بناء على اوامر المجلس العرفى الذى كان مشكلا بقصر النيل ، ومن ضمن اعضائه على حسب ما اعلم ، سعادة اسماعيل باشا ايوب واسماعيل باشا ابو جبل وجعفر باشا وجميع وكلاء الدواوين ، والافكار المشتمل عليها ذلك الفصل هى افكار الجميع وموافقة للاحوال ، وهذا التلغراف وخلافه كان يتحرر بمعرفتنا بناء على استصواب المجلس ، وخصوصا بناء على تنبيه رئيسه يعقوب باشا سامى ، وكلنا كنا مشتركين ، حتى ان التلغراف الذى صدر بالعربى للاستانة بتبليغ قرار المجلس العمومى الذى انعقد ٥ مرات فى الداخلية بتقرير عرابى باشا فى مسنده ، صار تحريره بمعرفة بطرس باشا »

س : الفصل المذكور صدر من افكارك ، وليس عن افكار المجلس العرفى كما يتضح من عبارته الصريحة ، وادعائك بوجودى من ضمن اعضاء المجلس العرفى فلا صحة له ، فانى لم احضر فى هذا المجلس ، ولم توجد محاضر ولا قرارات عليها امضائى »

ج : المعلوم ان التلغرافات التى تصدر عن الحوادث والوقوعات ، ترسل عادة بدون امضاء ، وكانت تلغرافات حوادث الحرب ترسل بهذه الصفة ، فلما وجدنا التلغرافات المرسلة مندرجة بجرائد اوروبا ، بصفة كونها صادرة من احد اعضاء حزب عرابى ، وتليت على يعقوب باشا سامى ، وافقنى على ان اكذب كونى احد المتحزبين ، وان ارى ان ليس هناك حزب ولا متحزبين ، بل الاحوال تغيرت وصارت عمومية ملية بناء على اعلان الحرب بأمر الحضرة الخديوية ، وحررت اذا هيئة التلغراف ، ومن تأمل فى فحواه ، يجد ان ليس بيان افكارى الخصوصية الذاتية بل بيان الحالة التى كانت عليها البلاد ، واكرر ان ما قلته من تلك الحالة هو عين الواقع وقتها ، واما من خصوص عضوية سعادة افندم الباشا فوان يكن لا يمكننى الادعاء بأن لسعادته اختاما على المحاضر ام لا ، انما كنت اعرف ان سعادته كان عضوا فى المجلس العرفى مثل باقى الذوات العظام حتى انه فى يوم الجمعة ٣ شوال سنة ٩٩ الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ توجه سعادته معنا ومع سعادة رءوف باشا ، وسعادة عثمان باشا فوزى ، وسعادة اسماعيل باشا محمد وسعادة حسين باشا الدرملى بوابور مخصوص لكفر الدوار للتبريك لعرابى بالعيد ، وعند وصولنا هناك توجهنا جميعا لآخر خط الاستحكامات ووجدناها مستوفية حتى عند وجودنا ظهر وابور من جهة الملاحة وكان يظن انه جاء لمناوشة فأردنا جميعا الحضور فى ذلك ، ولم نترك الاستحكامات فى فجر اليوم الثانى الا بناء على اصرار طلبة باشا ، فكل هذا كان يؤيد لى ان سعادة اسماعيل باشا ايوب كان من اعضاء المجلس العرفى .

س : الجواب الذى قلته لم يكن موافقا للسؤال ، فأفد صراحة هل كتبت الفصل الذى نحن بصدده عن افكارك خاصة او بناء على تكليفك بتحريره من احد ؟

ج : عرضت ان ذلك افكارى وافكار الجميع فى ذلك الوقت ، وتحريره كان بعلم يعقوب باشا سامى اذ قال لى ان ابين الحالة كالظاهر ندى ، وجميع ما احتواه الفصل المذكور هو افكارى ومعتقدى »

س : حيث انك كنت رئيس قلم المطبوعات ومن وظائفك ملاحظة الجرائد الجارى نشرها ، فنشر فى جريدة الطائف وجريدة المفيد عبارات قدح وذم فى حق الحضرة الخديوية ، وقد تلى عليك جملتان مندرجتان بعددين من جريدة الطائف احداهما معنونة (فعل الخديوى) والاخرى معنونة (تسليم وبشارة تقلا وتوفيق باشا) ويوجد كثير غير هذين العددين ، فلماذا سمحت بذلك ولم تراع واجبات وظيفتك ؟

ج : اجاوب بنوع خصوصى عما صار تلاوته وما شابه ذلك ، وبنوع عمومى عن كيفية قيامى بوظائفى ، فمن جهة النوع الخصوصى اقول ، ان كل ما حرره الطائف وغيره من الجرائد كان نتيجة هيجان الافكار ضد الحضرة الخديوية ، وتأييد هذا الهيجان بالمجلس العمومى المنعقد فى الداخلية ، وتقرر فيه توقيف اوامر سموها لحين صدور الامر من الاستانة ، وهذه الافكار كانت حاصلة عند جميع الاهالى ، حتى الاطفال فى الطرق ، وليست خاصة بجريدة او جريدتين فقط ، واما النوع العمومى ، فأقول انى من بعد صدور تلغراف سعادة راغب باشا بأن الحرب انتشبت بين الدولة الانكليزية والمصريين ، وان القطر صار تحت حكم القانون العسكرى ، وبعد ورود افادة من الجهادية مقيدة فى دفاتر الداخلية ، بأن لا يدرج شىء بالجرائد الا بعد الاطلاع عليه فيها ، فكنت اؤدى وظيفتى كالواجب ، واعرض على المجلس العرفى اولا فأولا ما كنت ارى فيه اهمية وكان مطمح الانظار ، وعدم تحرير شىء يهيج التعصب الدينى او الطعن الشخصى الغير سياسى فقط ، حتى لما رأيت فى احد الايام حسن افندى الشمسى حرر مقالة ادرج فيها عبارات تعصبية وطعنا شخصيا وبخته رسميا امام المجلس ، وانفصل من بعد ذلك من المفيد ثم جريدة الفسطاط ، حررت مرة اخرى مقالة تحتوى على تعصب دينى محض ، فبحضور سعادة بطرس باشا وعريان بك وجميع اعضاء المجلس ، تقرر قفلها بناء على ما اعرضته ، وبذلك اظن انى لم اقصر فى اداء واجبات مأموريتى »

س : حيث انك قلت انه لما ادرج حسن افندى الشمسى فى جريدة المفيد مقالة مخالفة وبخته وكدرته رسميا ، وكذلك لما تعدت جريدة الفسطاط حدودها ، تقرر قفلها بناء على ما عرضته ، اما ما نشر فى جريدة الطائف وخصوصا فى العددين اللذين تليا عليك ، فقلت ان هذا موافق لافكار العامة حتى الاطفال ، فيعلم من ذلك انك استحسنت انت ايضا عبارات الجريدة المذكورة ؟

ج : عرضت ان المجلس العام المنعقد

بالداخلية الذى كان يحتوى على جميع وجهاء واعاظم العلمساء والذوات ورؤساء المذاهب المختلفة والبرنسات قرر توقيف اوامر الحضرة الخديوية، وقال فى المحضر السابق ختمه من الجميسع ، بأن الحضرة الخسديوية خسالفت الشرع الشريف والقسانون المنيف ، وحيث انى احد ابناء هسذا القطر فكيف كان يمكننى ان اخالف الجميع ، حتى اخالف افكارى ، وما انا مشاهده واجازى الطائف .

س : يعسلم اذا ان الذى تحرر ونشر بجريدة الطسائف وقع عندك سوقع القبول لا

ج : حيث لمْ يمكنى فهم المراد من وقوع ذلك عندى موقع القبسول ، فأرجو اقالتى من الاجابة من ذلك ، لان ما قلته فيه الكفاية .

س : لماسئلت اولاعن محاضر بعض جلسات مجلس النظسار التى طلبهسا منك الجنساب الخسديوى ، امتنعت عن اعطائها اليه ، قلت ان احمد عرابى نبه عليك بعدم اعطائها وتسليمها فكيف مع وجود الحضرة الخديوية ، ومع كون احمد عرابى ناظر جهادية فقط ، تحتج بهذه الحجة ، وتمتنع عن الاذعسسسان لاوامسر الحضرة الخديوية ؟

ج : سأجاوب عن سؤال سسعادتكم ، انمسا ارجو ان يسسسمح لى بابداء ملحوظات تراءت لى عند اطلاعى على محضر استجوابى فى يومى ٧ ، ٩ من الشهور المساضى حيث وجدت به بعض تحريفات ناشئة لابد عن عدم تفهيمى كما ينبغى او عن غلط حصل فى التبييض وهذه الملحوظات هى ..

س : جاوب عن السؤال الذى سسئلت عنه ولا تخرج عن موضوعه ؟

ج : لمسا اطلعت على صسسورة محضر استجوابى فى يومى ٧ ، ٩ الشسهر الماضى وجدت ان السؤال المذكور فيه تحريف ، لانه لما سسألنى وقتها **بورلى بك** بعلم واذن سسعادتكم ، جاوبته ان الحضرة الخديوية لمسا طلبت منى ان اسلم **لمحمود بك خليل** المحساضر المذكورة وذلك بحضسور موسيو **امبروا سنادينو وسالا باشا** لم امتنع ، بل امتثلت كل الامتثال ، انما حيث وظيفتى كاتب سر مجلس النظار ، ولا يمكننى اذن ان اجرى شيئا بدون اخبارهم او اخبار احد منهم ، وبما ان عرابى باشا الذى تتعلق به تلك المحاضر كان فى ذلك الوقت ناظر جهادية وبحرية الحضرة الخديوية ، فتوجهت ومعى المحساضر قصسد اخباره فقط وبعدها اقسدم المحاضر ، فلما اخبرته منعنى بقوله انى اكون مسسئولا شسخصيا ان

تسلمت فيها ؟ حيث انها لازمة لوقت تحقيق واذننى ان اقدم صسسورها فقط ، وحينئذ حررت مكتوبا بالحالة **لمحمود بك خليل** لاجل عرض ما حصل على الاعتاب السنية واخبارى بما يصدر به النطق الكريم نحو تقديم صور مصسدق عليها منا بمطابقتها للاصل كما هو جار حتى فيما يتعلق بالمحساضر الرسسمية . هسذه هى الحقيقة وورد لى جواب منه شفاهي بأنه لا لزوم للصور .

س : فى احد الايام كنت موجودا باوضة **حسسسين باشسسا الدرملى** بديوان الداخلية وجالسا امامه على كرسى ، وكان حسن باشا يقول لك بلغه انه مندرج بجريدة افرنكية صورة تلغراف وارد للحضرة السلطانية من جنساب البرنس بسمارك يهنئه بوجود قوتين يصسادم بهما من عاداه احداهما تركية والاخرى مصرية وان العساكر المصرية منصورون ، والانكليز دواما مقهقرين ، وان الانكليز استحضروا وابوروا مشحونا كلابا ، وانه بلغه ان الجناب الخديوى قدم ، ومن كثرة الافكار صار ضعيفا جدا ، فجاوبته قائلا (لا قدر الله) لو عاد الجنسساب الخسديوى لمصر فيقابل العالم بأى وجه ، ولو فرشنا المستحيل وحضر ، فهل يجد محلا او اوضة يجلس فيها ، فهل حصل ذلك حقيقة ؟

ج : لم اكن متذكرا .

س : موجود هنا رسالة مكتوب عليها فى اولها (الجنة تحت ظلال السيوف) ومطبوعة بالحجر ونشرت ، فحيث انك كنت رئيس قلم المطبوعات فهل تعلم بها بصفتك المذكورة وهل ضبطت بالبوسطة او بخلافها ام لا ؟

ج : لم اعلم شيئا بخصسوص هسذه الرسالة بصفتى مدير قلم المطبوعات انما بلغنى ان نظارة الجهسسادية كانت اجرت ضبطها من البوستة ، ذلك مايسأل عنه **يعقوب باشا سامى** ؟

س : هل تعلم من اين حضرت هسسذه الرسالة ؟

ج : لم اعلم .

س : فى احد اجوبتك السابقة قلت ان التهسديدات التى كانت حاصلة من الزمرة العسسسكرية ، سسمع بها شخصان او ثلاثة تعرفهم ولم تبين اسماءهم فمن هم ؟

ج : لم اتذكر اسماءهم انما اعلم انه فى احد الايام حضرت امرأة الى الحريم لم اكن متذكرا اسمها ايضا ، وقالت انه مزمع اطلاق المدافع باكر على مصر ، وفى جوابى السابق لم اقل انى اعرفهم شخصيا .

(أعيد بعد ذلك الى السجن)

(بناء على ما تقرر بجلسسة يوم السبت ٧ محرم سنة ١٣٠٠ طلب احمد بك رفعت من السجن وحضر ومعه موسسيو برودلى الافوكاتو الموكل عنه وسسسئل فاجاب كما يأتى) :

س : حيث انه معلوم ان لك معرفة تامة باللغة التركية وقد ضسبطت اوراق بالجهادية محررة بهسذه اللغه ومن ضمنها ورقة بعنوان **بسيم بك** ولم يكن عليها امضسساء ، فها هى اطلع عليهسا وقل هل انت الذى حررتها ام لا ؟

ج : هذه الورقة هى صورة افادة كانت تحررت بمعرفتنسا من التلغسرافات المذكورة فيها ، وبناء على تفهيمات سعادة **يعقوب باشسا سامى** رئيس المجلس العرفى وباطلاع سسسعادة **بطرس باشا واحمد باشا نشسات** وخلافهما ، لم اكن متذكرا اسماءهم الان ، وبعد ذلك تليت رسميا على اعضاء المجلس بما فيهم سسعادات **جعفر باشا واسماعيل باشا ابو جبل** **وسسعادة رءوف باشا** وكل من كان حاضرا وقتها ، وبعسد اجراء بعض تصحيحات فيها ، تصدق عليها منهم ، وصسار التوقيع عليها لا اتذكر من وكلاء الدواوين جميعسا ، او من رئيس المجسلس فقط ، وبعسد ذلك اعطيت للتلغرافجى لارسالها ، ولكنى اظن انها لم ترسل .

س : حيث أن هسذه الورقة مسسسودة واعترفت بانك حررتها فوقع عليهسا امضاك ؟

ج : قد وقعت عليها .

س : قد اعترفت بانشاء الورقة المذكورة فقل لنا هل هى مكتوبة بخطك او بخط غيرك ؟

ج : لم تكن مكتوبة بخطى ولا اعلم بخط من .

س : موجود ورقة ثالثة موقع عليهسا بختمك واختام اعضاء المجلس العرفى ومحررة بعنوان بسيم بك ، فاطلع عليها وقل لنا هل انت الذى انشأت عبارتها ام لا ؟

ج : نعم هذه الورقة انشأت عبسارتها ايضا بناء على استصسواب اوامر المجلس العرفى ، واتذكر ان اغلب الاعضاء وخصوصا سعادة **اسماعيل باشا ابو جبل** وسعادة **جعفر باشا** وسعادة **مرعشلى باشا** وسسعادة **احمد باشا نشات** وسسسعادة **احمد باشا حسين** كانوا ممن يرون لزوم اخبار الاستانة اولا فاولا عما هو حاصل .

س : موجود ورقة رابعة موقع عليهسا

ختمك واختام اعضاء المجلس العرفى، ومحررة بعنوان باش وكيل الدولة العلية فاطلع عليها ، وقل لنا هل انت الذى حررتها ايضا ؟

ج : هذه الورقة هى نسخة ثانية من الورقة المختوم عليها منى ومن بعض اعضاء المجلس ومعنونة باسم بسيم بك وجاوبت عنها بالجواب المتقدم .

س : هنا ورقتان اخريان احداهما بعنوان باش وكيل الدولة العلية ، والثانية بعنوان بسيم بك ومختومتان منك ومن بعض اعضاء المجلس العرفى ، فاطلع عليهما وقل لنا ان كنت حررتهما ايضا ام لا ؟

ج : هذان التلغرافان يشتملان على تفصيل واقعة كفر الدوار وكتبتهما ترجمة من التلغرافات التى وردت من ذلك من **عرابى باشا** ، ومختوم عليها من سعادة **موعشلى باشا** ، **وبطرس باشا** ، **وسامى باشا** ، **وابراهيم بك فوزى** مأمور الضبطية سابقا ، **واحمد منير منير** ، **وحافظ بك** باش كاتب الدائرة السنية ، **واحمد بك شكرى** وكيل الدائرة وغيرهم وارسلا للاستانة .

س : موجود ايضا ورقتان باللغة التركية بعنوان بسيم بك ومختومتان منك ومن بعض اعضاء المجلس العرفى ومؤرختان ٢ اغسطس سنة ٨٢ ، فاطلع عليهما وافد عما اذا كانتا من انشائك ومكتوبتان بخطك ام لا ؟

ج : الورقة الاولى مختوم عليها من جميع اعضاء المجلس العرفى ما عدا اثنان او ثلاثة ، وتشتمل على استعجال ورود خبر وصول قرارات المجلسين العموميين السابق انعقادهما بالداخلية ، وعرض عنها قبلا ، والورقة المذكورة هى من انشائى ومكتوبة بخطى ، والورقة الثانية هى ترجمة التلغرافات التى وردت فى شأن اخذ البوليس ، ومكتوبة بخطى ايضا .

س : حيث انك اعترفت ان الاوراق التى صار اطلاعك عليها انشئت عبارتها بمعرفتك وبعضها مكتوب بخطك ومختوم على جميعها منك ما عدا الصور ، فهل ما ذكر فيهما هو اعتقادك وافكارك ، ام مخالف لارائك الشخصية ، وتكلفت فقط بالتحرير والختم عليها بالجبر او بدونه ؟

ج : عرضت ان تحرير وارسال تلك التلغرافات كان بناء على قرار ، واستصواب المجلس العرفى اى اعاظم ذوات ورجال الحكومة المصرية من عهد المرحوم **محمد على باشا** ومن الذوات الكرام المستجدين ، وازيد على ذلك **تولى** ، ان لزوم التجهيزات مع الاستانة تقرر بالمجلسين العموميين اللذين انعقدا فى الداخلية ، وانه بالمجلس الاول الذى انعقد للنظر فيما يتعلق بلزوم دوام التجهيزات ، تكلم **بطريرك الارمن** وسعادة **عبد اللطيف باشا** فى شأن لزوم المخابرة مع الاستانة ، واما تعيينى عضوا فى المجلس العرفى فكان بناء على تحريرات رسمية وردت لى من وكيل الداخلية الذى هو رئيسى الرسمى فلهذه الاسباب وبهذه الصفات ختمت انا ايضا ولم اجبر لا على ختمها ولا على تحريرها ، بل كانت مطابقة وموافقة لافكارى .

س : من ضمن ما ذكر بهذه الاوراق ان المجلس العرفى قر رأيه على سد القنال ، فهل كان هذا مطابقا لافكارك ايضا ؟

ج : نعم كان ذلك موافقا لافكارى ، وكان من مقتضيات الحرب ، ولكنى كنت متأسفا على هذه الضرورة ؟

س : ذكر ايضا فى احد الاوراق المحررة للمابين الهمايونى ان العساكر الانجليز هم الذين احرقوا الاسكندرية واتهموا العساكر المصرية بذلك ، فهل كنت تعلم حقيقة ان العساكر الانجليز هم الذين احرقوا الاسكندرية ، والم تزل معتقدا ذلك ام لا ؟

ج : ما كنت اعلم ان العساكر الانجليز هم الذين احرقوا حقيقة الاسكندرية وعددت نفسى سعيدا مذ علمت ان ما نسب للعساكر المذكورين غير حقيقى ولا اظن ايضا ان العساكر المصرية هم الذين ارتكبوا هذا الفعل الشنيع .

س : حيث انك ما كنت تعلم ان العساكر الانجليز هم الذين احرقوا الاسكندرية ، فكيف اخبرت بذلك المابين الهمايونى ؟

ج : عرضت ان الاخبار كان بناء على قرار من المجلس العرفى ، وكان المشاع كذا فى ذلك الوقت .

س : الاشعار الذى ارسل من المجلس الى المابين الهمايونى بما نسب للانجليز ، كان بناء على اشاعة او بناء على التلغرافات ؟

ج : يسأل عن ذلك رئيس المجلس العرفى ، اما انا فما كنت اعلم هذه المسألة الا بناء على الاشاعة .

س : حرق الاسكندرية معلوم ومشهور ، وقلت فى احد اجوبتك السابقة انك علمت ان الانجليز لم يحرقوا ولا تظن ان العساكر المصريين فعلوا هذا الامر ، فمن اذن الذى حرقها مع انك كنت عضوا فى المجلس العرفى الذى تولى ادارة البلد زمنا مديدا ؟

ج : المجلس العرفى كان مستقره القاهرة ، والمواصلات كانت منقطعة بين الاسكندرية وبين مصر وبصفتى الشخصية لم اعلم ان الانجليز لم يحرقوا البلد الا بعد دخول الجيش وتحققت ذلك خاصة من المدعو **بلال اغا** تابع حرمنا بالاسكندرية ، الذى كان هناك فى وقت الواقعة وليس من خصائصى البحث عمن حرق الاسكندرية او معرفته .

س : حيث انك قلت ان الاغا التابع لحرمك الذى كان بالاسكندرية اخبرك بعد عودته ان الانجليز لم يحرقوا الاسكندرية ، فطبعا علمت ايضا منه ان خلافه فاعل هذا الامر ؟

ج : لم ار الاغا المذكور انما تحققت نفى ما اسند للانجليز من جهة حرق الاسكندرية ، مما بلغنى مذ كنت بالضبطية .

س : ممن بلغك ذلك ؟

ج : بلغنى من خادمى الذى كان يحضر بطرفى هناك .

س : الم يخبرك ايضا من الذى حرق الاسكندرية ؟

ج : لم اسأله عن ذلك ولم يخبرنى كما ان معرفتى بما قلته آنفا كان صدفة، وليس بناء على استفهام منى .

س : مذكور فى احدى الاوراق التى اطلعت عليها واعترفت بها ، ان المجلس العرفى نبه على محافظ السويس باخبار الاميرال الانجليزى الذى كان هناك ، ان الحكومة موجودة فى مصر ، فكيف مع وجود الحضرة الخديوية التى لم توجد بالمجلس المذكور تنبهون على المحافظ المشار اليه بأخبار الاميرال الانجليزى الذى حضر بأمر الخديوى ، ان الحكومة الرسمية هى الحكومة الموجودة فى مصر ؟

ج : عرضت اول امس ان اوامر الحضرة الخديوية كان صادر توقيعها بمقتضى قرار عمومى صادر من اعاظم العلماء والوجهاء وجميع المديرين ونواب الاهالى والبرنسسات والرؤساء الروحانيين ، فبناء على ذلك كانت الهيئة المسيرة اعنى بالمجلس العرفى هى بالفعل الحكومة الرسمية المؤيدة برضاء جميع الامة المصرية التى كانت تبذل الارواح والاموال دون مراعاة الاختلاف فى الجنس والدين للمحاماة عن الوطن ، فبناء على هذه الاسباب كان حرر المجلس العرفى وبالجملة انا من ضمنه ، التلغراف المذكور . واما التنبيه على وكيل محافظة السويس فصدر من طرف رئيس المجلس مباشرة .

س : هل ختمت على القرار الصادر من الجمعية التى ذكرتها فى جوابك السابق بايقاف اوامر الحضرة الخديوية او لم تختم ، وفى حالة الايجاب هل ختمت برغبتك ورضاك ، او بالجبر ؟

ج : القرار كان باتحاد الاراء وباختيار الجميع حتى ومن ضمنهم سعادة **يعقوب باشا صبرى** المعلوم انتسابه للحضرة الفخيمة الخديوية **وبابا احمد باشا** وختمت برضاى بدون جبر، وحصلت محادثة بينى وبين يعقوب باشا المشار اليه فى هذا الشأن ؟؟

(اعيد بعد ذلك الى السجن)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الاثنين ٩ محرم سنة ١٣٠٠ طلب احمد رفعت من السجن وحضر ومعه موسيو برودلى الافوكاتو الموكل عنه وسئل فاجاب كما ياتى) :

س : علم من اجوبتك السابقة التى ابديتها فى وقت استجوابك فى اول دفعة ان التهديدات التى سمعتها والاحوال التى شاهدتها نحو حرق الاسكندرية وغير ذلك اثرت عليك حتى توقعت حصول امور فى مصر من مثل ما وقع فى الاسكندرية ، واتفقت مع على باشا شريف على الالتجاء بطرفه مع حريمك واولادك من باب الابتون ، وقلت انك كنت خائفا من القوة التى كانت تحت يد الزمرة العسكرية لتهورهم ، وايدت قولك بما سمعته من **يعقوب باشا سامى** بحضور اناس من تهديده اياكم بأخذ البوليس من مصر والمستحفظين والتوجه بهم لمحل المحاربة وترككم بدون حارس لسكم ان لم تكونوا (اعنى معشر الملكية) يدا واحدة مع الجهادية ، ولا سيما قوله لكم انه اذا كانوا الملكية اعداد للجهادية من خلف والعدو الاخر من امام فيهلك هو وباقى رؤساء العصبة العدو الداخلى قبل الخارجى ، سئلت اخيرا علم من اجوبتك ان الاقوال التى نشرت بالطائف بالقدح والذم فى حق الحضرة الخديوية والعبارات التى اندرجت بها لتهييج الافكار كانت موافقة لارائك ، وكذلك التوقيع منك على محاضر الجمعيات التى انعقدت بالداخلية كان برغبتك ورضاك ، ووصفت ذلك المجلس العرفى الذى قيل عنه انه كان آلة فى يد الجهادية ، انه هو بالفعل الحكومة الرسمية فما سبب هذا التناقض . هل كانت افعال الجهادية تروعك مرة وتطمئنك مرة اخرى ؟

ج : لما سئلت يوم الخميس عن مسألة المحاضر التى طلب تسليمها منى ، كنت عرضت ان لى تصحيحات وكلاما يختص بصورة محضر استجوابى فى يومى ٧ ، ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٢ الذى صار وقتها بغير حضور موسيو **برودلى** المحامى عنى ، وما عرضت ذلك فى يوم الخميس الا بالنظر لكون مسألة المحاضر كانت من المسائل التى سئلت عنها فى اليومين المذكورين ، فسعادتكم امرتم وقتها بأن الكلام على وجه العموم فى استجوابى هو خارج عن الموضوع الذى سئلت عنه ، وانه ليس لى الحق الا فى التكلم عن المسألة الخصوصية التى وجهت الى ، اعنى مسألة المحاضر وبما ان السؤال الموضح اعلاه هو مستنبط من جميع اجوبتى المندرجة فى المحضر المذكور الذى لى فيه كلام طويل مؤيد بأدلة واثباتات ولى تصحيحات سأبينها على حقيقتها ، وهذا بالتطبيق على ما اجبت عنه فى يومى الخميس والسبت بحضور جناب موسيو **برودلى** ، فأرجو من سعادتكم اما ان تسمحوا لى ان ابدى ملحوظاتى وابين تصحيحاتى فيما يتعلق بالصورة المحكى عنها ، وبعدها ان كان سعادتكم تصرون على توجيه السؤال المذكور اعلاه فانا مستعد للاجابة عنه بكمال الصدق والحرية ، واما سعادتكم فتفضلوا بسؤالى عن امر معلوم مادة فمادة وعند الاجابة عنها ابدى تصحيحاتى اولا فاولا ؟؟

س : السؤال الذى وجهته لك صريح جدا ، سئلت عن التناقض الموجود بين اجوبتك السابقة المقول فيهما انك كنت خائفا من زمرة العسكرية ، وبين اجوبتك الاخيرة المقول فيهما انك اجريت ما اجريته برغبتك ورضاك فافد عن هذا السؤال ؟

ج : عرضت فى جوابى السابق ان تصحيحاتى واقوالى ستكون مثبوتة بحقائق ، فلو رخصتم لى سعادتكم ان ابديها كما جرت به العادة من اعطاء الرخصة لكل مسئول ان يبدى ملحوظاته ويتكلم بالحرية ، بشرط عدم خروجه عن الموضوع فبوقتها يعلم لسعادتكم من تصحيحاتى ومن كلامى الذى سيكون متعلقا بحقائق ليست منكرة انه ليس هناك تناقض ، فارجو من سعادتكم ان تعطونى هذا الحق ، الذى لم يحرم منه ادنى شخص مسئول فى ادنى قضية ، وهذا بالنسبة لاهمية المسألة المسئول فيها ، ولزوم معرفة الحقائق .

س : لم يمنع احد من المسئولين من ابداء اقواله بشرط عدم خروجه عن السؤال الموجه اليه ، فقل ما ترغبه فى شأن ما سئلت عنه ، بحيث لا تخرج عن حد السؤال الموجه اليك ؟

ج : لما صار نقلنا من حبس الضبطية الذى استشهد على حالتنا به بحضرة الكولونيل ويلسون ، وحضرنا فى هذا المحل ، وضعونا كل واحد فى محل مخصوص منفردا ، وعليه خفير ، ولم يسمح له بمقابلة احد من الخارج ، وذلك بعد ما صار اهانتنا بواسطة ضابط عسكرى علمت فيما بعد ان **احمد افندى كمال** الصاغقول اغاسى هو المأمور فى حبس الدائرة السنية ، وتلك الاهانة هى انه لما طلبنا للنزول فى حوش الضبطية صار اخبارنا انه يلزم ان ننزل حالا ولو بقفاطين النوم ، ثم لما لبسنا وتكررت المراسلة فى اثناء ذلك وحصلت ايضا الاهانة المذكورة **لحسين باشا الدرملى** وكيل الداخلية سابقا ، نزلنا فوجدنا الافندى المذكور مسكنا من ذراعنا وقال (دة من دة) فأجيب بانه **احمد رفعت** فعندها امر الجاويشية بغاية العنف وقال خذوا « ده » وحطوه هناك واشير على الصف الاول . هذه هى الاهانة التى لا تعد شيئا يذكر بالنسبة لما حصل فيما بعد . وبعد ذلك بقيت اتفكر فيما اخبرنى عنه **ابراهيم بك فوزى** مأمور الضبطية اذ ذاك فى اول يوم حبسى ، حيث كان أتى حضرته من منزل سلطان باشا مرعوبا ومصفر الوجه ، وقال اننا لا نتعشم فى اجراء ادنى تحقيق ، بل حتى اذا حصل فيكون تحقيقا ظاهريا يحجر علينا فيه عن التكلم بالحرية ، وان الموت هو واحد سواء كان الان او فيما بعد ، وبعدها **محمود باشا سامى** قال له انى نفتكر فى قطع عرق من ذراعه نيموت بسهولة ، فقال له **ابراهيم بك فوزى** انت والحالة هذه خسرت الدنيا ، فلا تخسر الاخرة حتى انه فى يوم الخميس الموافق ٥ اكتوبر صار فتح باب اوضتى بشدة لم تسبق فى الايام التى اقمتها قبل ذلك التاريخ ، وصار هجوم جماعة داخل الاوضة والباقى بقى خارج الباب وفى مقدمتهم **احمد افندى كمال** المذكور فزعق على بقوله قم قم فعند قيامى لم ادر لماذا يطلب ذلك وكان بجانبه القواسة الترك واحد

ياوران الحضرة الخديوية وخلافه تتنجى لم اعرف اسمه انما لو رأيته اعرفه فابتدأ يمسكني بيديه الاثنين من ذراعى ويحسس بغلظة ونزل لحد صدرى ومن بعده لاخر اقدامى وبعد التفتيشات والتنبيه بقفل الشبابيك والاعتراض على وجود فرش خرجوا ، بعد ذلك دخل احد المعاونين الجراكسة عندى وهيئته دلتنى على انه يبكى على ويقول مقدر عليك ويلزمك ان تتجلد ، واظن ... ى ثانى يوم او فى اليوم نفسه صار الابتداء بتسمير احدى درفات ابواب اوضتنا والشبابيك ووضع تحصينات حديدية عليها ففى يوم السبت التالى لهذه الواقعة صار استحضارى امام القومسيون ، فأجابتى وقتها كانت تحت تأثير ما رأيته وما سمعته وما كنت أظن حصوله ونسيت ان اذكر فى ليلة طلبنا من المنزل فى الساعة الثامنة والنصف عربى ليلاً كان فراش الضبطية يبكى بحضور خادمى مذ كان يوقد الشمعة ، فاذا كانت حالتى هكذا فى وقت استجوابى فى يومى ٧ ، ٩ اكتوبر سنة ٨٢ ، فهل ترون سعادتكم مع كل ذلك ان تعتبروا قانونا وشرعا ان اجابتى يعول عليها ام لا ؟

س : هل ترغب بواسطة الاجابة المتقدمة رفض اجابتك السابقة التى اعطيتها قبل حضور الافوكاتو المحامى عنك ؟

ج : اظن ان سعادتكم تصدقون على ان لى الحق فى ذلك ، خصوصا انى كما عرضت ، وجدت فى محضر اليومين السابق ذكرهما الذى سئلت فيهما تارة من طرف سعادتكم ، وبالفرنساوى من طرف جنيباب بورللى بك ، ان بعض سؤالات البك المومأ اليه ، لم تكن غير مندرجة فى المحضر المذكور ، ووجدت تحريفات وتغييرات طلبت من سعادتكم التصريح لى ببيان تصحيحاتى عنهما ، لو اعتبرتم الاجابة المحكى عنها شرعية .

(بعد ذلك اعيد الى السجن)

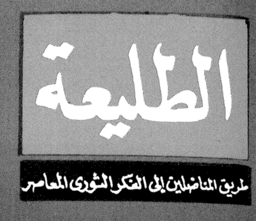
اعضاء	اعضاء
محمد مختار	مصطفى خلوصى
سليمان يسرى	مصطفى راغب
محمد حمدى	سعد الدين
محمد زكى	يوسف شهدى
على غالب	

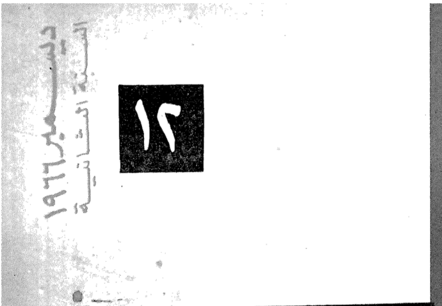
رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

تواصل « الطليعة » نشر محاضر جلسات محاكمة رجال الثورة العرابية فى العدد القادم



سياستنا..
الاعتماد على أنفسنا
فى تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا..
يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التى كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل .. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية







■ الحركة السياسية والاجتماعية للثورة الافريقية

■ ملاحظات .. حول الصراع الفكرى فى مجتمعنا

● تيارات الفكر المسيحى فى الواقع المصرى

● وثائق تاريخية : النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابية



طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أمين عز الدين
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف

سكرتارية التحرير :

ميشيل كامل
عبد المنعم القصاص

الفهرس

العدد الثانى عشر — السنة الثانية — ديسمبر ١٩٦٦

عنوان المراسلات :

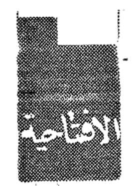
« الطليعة »

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٤٤١٤٤

الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى : ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد أختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .



ملاحظات .. حول الصراع الفكري في مجتمعنا

— ١ —

غدت « الطليعة » — بما تعرضه وتثيره من دراسات وقضايا — محورا للجدل والنقاش ، تأييدا ونقدا ، على نطاق واسع . ومصدرا من مصادر حركة حية لتصارع الاراء والافكار حول عديد من قضايا مجتمعنا — المحلى والعربى — وقضايا الانسانية المعاصرة على السواء .. وهى جميعا تستحوذ على اهتمام تحالف قوى شعبنا العامل فى مسيرته نحو الاشتراكية .

وليس من شك فى ان هذه ظاهرة صحية من نبت المناخ الديمقراطي الذى يتنفسه مجتمعنا اليوم . ومــن هنــا كان احتفاء « الطليعة » بهذه الظاهرة احتفاء بالغا . واذا كان من الواجب الاشــادة بكل مــن يسهمون بجهدهم وعقولهم — من نتفق معهم فى الراى ومن نختلف واياهم سواء — فى هذه الحركة الحية من الصراع الفكرى ، فان « الطليعة » تعتز بالدور الذى قامت به — ومازال — فى هذا المجال . وترى فى هذا وفاء منها لاحد اهدافها الرئيسية فى التطبيق العملى .

« فالطليعة » عندما صكت ، منذ لحظة ميلادها فى يناير ١٩٦٥ : « طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر » .. شعارالها ، لم يكن هذا اختيارا ذاتيا . وانما كان — ولايزال — اختيارا موضوعيا .. كيف ؟

نحن ابناء واقع معين ومحدد ، هو الواقع المصرى المعاصر بابعاده ومسئولياته وآفاقه العربية والافريقية والانسانية . هذا الواقع الذى يتحرك بقوة تحالف محدد اجتماعيا من الفــلاحين والعمـــال والجنـــود والمثقفين والراسمالية الوطنية ، نحو تدعيم وحماية

الاســـتقلال الوطنى ونحــو بناء المجتمــع الاشتراكى . فى **نفس الوقت** مع الاسهام الايجابى فى الجهود الجمــاعيـــة لتصــفية الاستعمار القديم والجديد من حولنا فى الوطن العربى وافريقيا وكل مكان من عالمنا . في **نفس الوقت** مع النضال الموحد لشــعوبنا العربية من أجل الوحدة القومية الشاملة ذات المضمون الاشتراكى . فى **نفس الوقت** مع العمل المشترك لشعوب الانسانية من أجل الاخاء والحرية والمساواة بمفهوم النصف الثانى من القرن العشرين حيث القضاء على كل انواع الاســتغلال واســباب الحــرب والعدوان . ومن هنا فان حــركة الواقع المصرى ــ فى مفهوم الطليعة ــ جزء طليعى ولا يتجزأ من حركة الثورة العربية ، وحركة الثورة الافريقية ، وحركة الثورة الانسانية التقدمية ككل .

وواقعنا ــ بعد ذلك ــ لا يتحرك تلقائيا او فى فراغ . انه يتحرك فى هدى دليل عمل فكرى نضالى هو الميثاق الوطنى . هــذا الميثاق الذى يقدم بجانب الاستراتيجية العامة الطويلة المدى للثورة ، استراتيجية قصيرة المدى تغطى مرحلة محــددة ، هى مرحلة السنوات المنتهية عند ١٩٧٠ . وهو ايضا يتحرك من خلال تنظيم سياسى موحد الكيان ولكنه ثنائى فى تكوينه : جماهيرى (الاتحاد الاشتراكى العربى) وطليعى (الجهاز السياسى العامل داخل الاتحاد) ، وبقيادة ثورية نابعة من أعماق الشعب وكفاحه ومنتخبة منه ، يمثلها المناضل جمال عبــد الناصر . وهو اخيرا يتحرك خلال مجتمع يتحول جذريا من التخلف الى التقدم .. من الزراعــة الى الصناعة واحدث وسائل التكنولوجيا الحديثة .. من الاستغلال الرأسمالى وبقايا النظام الاقطاعى الى الاشتراكية .. ومن التجزئة الاقليمية الى الوحدة القومية التقدمية للوطن العربى .

من حقل هذا الواقع وحركته ، تخلقت « الطليعة » كثمرة طبيعية وحتمية له . لتكون اداة نضال فكرى لجميع أولئك الذين يناضلون ضد معوقات هذه الحركة الثورية لواقعهم بجميع ابعادها وآفاقها من جانب . ولتسهم مع غيرها من الادوات الثورية فى الدعوة للقيم الجديدة والمبادىء الاشــتراكية وتطبيقاتها الخلاقة من جانب آخر . وهى لا تستطيع ان تؤدى هذا الدور المنوط بها الا اذا جعلت من نفسها اول ما تجعل طريقا مفتوحا لجميع المناضلين نحو الفكر الثورى الذى يواكب ويتفاعل ويتأثر ويؤثر فى حركة هذا الواقع ــ بكل ابعاده ــ نحو اهدافه . ولكى تصبح هذا الطريق المفتوح بالفعل فانها تجد نفسها ملزمة بأن تفتح صفحاتها امام كل المناضلين والمفكرين الاشتراكيين فى بلادنا وفى الوطن العربى وافريقيا والعالم كله .. يقول كل منهم بوضوح كلمته ، او يجــادل علميــا وبشجاعة موضوعية كلمة الاخر .

ونظرة فاحصة الى اعداد الطليعة منذ اول عدد صدر منها فى يناير ١٩٦٥ حتى العدد الحالى تؤكد ان الطليعة قــد حرصت كل الحرص على الوفاء بهذا الالتزام ازاء الجميع دون استثناء .

بيد أن هذا لا يكفى . فالطليعة مطالبة كمنبر اشتراكى ملتزم يعى بمسئوليته ، أن تسهم مع غيرها من ادوات ومؤســســـات شـعبنا النضــالية فى الصراع ضــد القيم والافكار والفلسفات والتقــاليد الرجعية ، وكذلك مع تلك التى تنتمى فعلا الى الفكر التقدمى وتختلف معها فى هذا او ذاك من القضايا والمشاكل التفصيلية . **لماذا ؟**

ان هذه « المسألة » ليست قضية ترفيه وليست استعراضا ثقافيا مجردا لاجدوى منه ، وانما هى « مسألة حيوية » . فالتجربة الانسانية تعلمنا **اولا** ــ ان «الافكار» تتحول الى قوة مادية فعــالة ومؤثرة فى الحركة الاجتماعية والسياسية اذا ما احتضــنتها عقول وقلوب ووجدان الجماهير . وبالتالى فنوعية الافكار التى تعتنقها الجمــاهير فى مجتمع ما هى احدى قضايا الثورة الجوهرية فى هذا المجتمع ، ومن هنا يصبح واجبا على مجتمع يتحول من الرأسمالية الى الاشتراكية ان يعمل بكل جهد دؤوب على تغيير نوعية افكار الجماهير ، من نوعية تخدم النظام الرأسمالى وقيمه وعلاقاته الى نوعية تخدم

عملية بناء النظام الاشتراكي وقيمه وعلاقاته . وعملية تغيير الافكار هي في جوهرها عملية صراع .

ولعل هذا ما يفسر اصرار المناضل جمال عبد الناصر على التأكيد بضرورة تمكين المبادىء والافكار والقيم الاشتراكية من ان تنمو وترسخ في مجتمعنا .

والتجربة الانسانية تعلمنا — **ثانيا** — انه نتيجة اختلاف المنابع الاجتماعية والتكوينات الفكرية ودرجات الرؤيا ومستويات المسئولية وحدود المواقف الاجتماعية بين المناضلين من أجل الاشتراكية في مجتمع معين تختلف بالضرورة مناهجهم ووجهات نظرهم بالنسبة لعدد من القضايا ، وذلك كله في اطار «الفكر التقدمي العام لهذا المجتمع » ، ولا سبيل الى حل هذه الاختلافات داخل هذا الاطار ، وصولا طبيعيا وصحيا الى الوحدة الفكرية التقدمية الا بالصراع أي تبادل وجهات النظر المختلفة بروح نقدية ومسئولة ، تؤدي بدورها هنا وهناك الى عمليات نقد ذاتي شجاع بالنسبة لمن يقتنع بخطأ رأي سابق له او موقف فكري معين .

— ٢ —

وهكذا فان المناضل يواجه دائما خلال تفاعله المسئول مع حركة مجتمعه الثورية بثلاثة انواع متميزة من الصراع الفكري . **واحد** منه عدائي ، **والاثنان الاخران** غير عدائيين .

أما العدائي فهو هذا الصدام الذي يقع باستمرار وفي كل مجال وعلى صور واشكال متعددة ، خفية وظاهرة ، بين الفكريات والمبادىء والقيم الرجعية التي تخدم الاقطاع او الاستغلال الرأسمالي ، وبين الفكريات والمبادىء والقيم الاشتراكية . مثال ذلك الصراع بين الاتجاه الاصلاحي والاتجاه الثوري في معالجة القضايا الاجتماعية ، وبين فلسفة تفسير الواقع واضفاء المشروعية والثبات عليه لصالح الطبقة او الطبقات المسيطرة اقتصاديا وسياسيا ، وبين فلسفة تغيير الواقع وكشف القوانين العلمية لهذا التغيير لصالح الطبقات العاملة المقهورة والمستغلة . بين الترويج لفكرة ابدية وقدسية الفروق الطبقية الجائرة وبين فكرة تذويب الفوارق بين الطبقات والغاء النظام الطبقي .

وهو صراع فكري عدائي لانه لا يمكن ان ينتهي الا بتصفية فكريات ومبادىء وقيم اتجاه معين ، تصفية جذرية لصالح فكريات ومبادىء وقيم الاتجاه الاخر .

وهذا النوع من الصراع مايزال قائما ودائرا في مجتمعنا ومن الخطورة ان نتجاهله او نغمض العين عنه ، لان الطرف الاخر في الصراع واعني به القوة الاقطاعية والرأسمالية الكبيرة والرأسمالية الطفيلية عامة ، مهما كانت الضربات الثورية التي اصابته ، يظل يديره بلا هوادة . ويستخدم « خندق » الفكر والقيم والتقاليد التي رسبها في المجتمع طوال عهود سيطرته ، كخط دفاع اخير له بعدما فقد اسلحة السلطة السياسية والاقتصادية .

ولكن لماذا يظل هذا الصراع قائما في مجتمعنا رغم كل الخطوات والانجازات الثورية التي تحققت ؟

السبب بسيط وهو اننا مازلنا نعيش مرحلة الانتقال الى الاشتراكية . ومرحلة الانتقال تعني ان المجتمع لم يتخلص بعد تخلصا كاملا ونهائيا من رواسب الاقطاع والرأسمالية الكبيرة المستغلة والرأسمالية الطفيلية . صحيح انها في حالة انهيار امام صعود ونمو الاوضاع والقوى الشعبية التقدمية الجديدة . ولكنها مازالت تتنفس وتعيش وتتحرك بدرجات نسبية جنبا الى جنب مع القوى الثورية . وبالتالي تتواجد فكرياتها وقيمها وتقاليدها بجانب الفكريات والقيم والتقاليد الجديدة الوليدة . بل ان الملاحظ تاريخيا ان اكثر واخطر المواقع المضادة للثورة تكمن في النسيج الفكري العام للمجتمع وهو في مرحلة الانتقال . هذا المجتمع الذي انفردت القوى المعادية

ومفكريها زمنا طويلا بتشكيل وصياغة نفوس وعقول ووجدان الناس بمختلف الطرق والوسائل من تعليم وكتب وفنون ودعاية واعلام الخ . . . بحيث اصبحت الجماهير تعتاد على مناهج هذه القوى في التفكير وترتاح اليها رغم تناقض المصالح . ولازلت اذكر مناقشة دارت يوما بيني وبين بعض «موظفي وتابعي» عدد من «الاقطاعيين الزراعيين» الذين صودرت اراضيهم او وضعوا تحت الحراسة ، فرغم ان الثورة ضمنت لهؤلاء الموظفين متابعة حقوقهم ومعاشهم ، ومنهم من التحقوا موظفين وعمالا ببعض المصانع الجديدة — وتحولوا من مجرد تابعين الى عمال — الا انهم كانوا يعتبرون الاجراءات الثورية «حرام» لانها تمس « ملكا حلالا » !

والملاحظ ايضا ان تغيير هذا النسيج الفكرى القديم بنسيج فكرى جديد للمجتمع يستلزم وقتا غير يسير ، وهو دائما اطول نسبيا من الوقت الذى تستغرقه الانجازات المادية الثورية فى مجال الاقتصاد او نظم الحكم . ذلك انه فى مجال الفكر تتعامل الحركة الثورية مع اوضاع وتقاليد وقيم غير محسوسة . فى حين انه فى مجال المادة تتعامل مع اوضاع وكيانات محسوسة وملموسة ، ويمكن بالتالى التحكم فى الزمن اللازم لتغييرها وتقصيره الى الحد الادنى . ومن هنا كانت معركة الافكار فى الثورة ، هى من اصعب واطول المعارك واعقدها وتتطلب بالتالى يقظة مستمرة وجهودا مضاعفة وصبرا حكيما .

وهذا هو ما تعيه الطليعة بعمق وتحاول دائما ممارسته على صفحاتها باشكال مختلفة وفى ميادين متنوعة . وهى تجند طاقاتها لرصد وتحليل الاتجاهات الفكرية الرجعية واساليبها وطرقها المتنوعة والتى تستخدمها اليوم القوى المعادية . وسوف ننشر فى المستقبل تباعا الابحاث النظرية والدراسات الميدانية التى سنتوصل اليها فى هذا الصدد .

هذا عن الصراع العدائى . اما الصراعان غير العدائيين ، فهما :

اولا : الصراع الذى يدور داخل اطار تحالف اجتماعى محدد القوى لاهداف اجتماعية محددة فى ظروف تاريخية محددة . وذلك بقصد الوصول الى اسلم المواقف الفكرية والحلول النظرية واكثرها تفاعلا مع الواقع وحركته بالنسبة للقضايا والمشاكل المشتركة التى تواجه هذا التحالف . ولكن كيف يتفق قيام هذا الصراع مع الوحدة المطلوبة لهذا التحالف ؟ الواقع انه بدون هذا الصراع لا تتعمق الوحدة للتحالف وتظل مجرد وحدة شكلية لا تلبث ان تتحطم نتيجة المناورات التحتية التى تقوم بها كل قوة من قوى التحالف وراء ظهر الاخريات سعيا وراء مكاسب ذاتية او طائفية . ان توفير المناخ الصحى للصراع داخل اطار التحالف هو الذى يسد الثغرات امام المناورات ، ويضع جميع القوى المتحالفة وجها لوجه فى وضح النهار والرأى العام الشعبى وتحت رقابة متبادلة من بعضها البعض ازاء المشاكل بصورة موضوعية ، لتتخذ فيها خطا فكريا جماعيا وبالتالى موقفا موضوعيا ، لا ذاتيا او طائفيا .

والصراع الفكرى ضرورى ايضا لوحدة التحالف من زاوية انه من خلاله تتعرف كل قوة فى التحالف تعرفا اقرب ومستمر على نقط الاتفاق ونقط الاختلاف بين كل منها والقوى الاخريات ، الامر الذى يمكن قيادة التحالف وقواعده من تعميق نقط الاتفاق وحصر نقط الخلاف ومعالجتها اولا بأول حتى لا تتأزم وتسبب تصدعا للتحالف او تنحرف به عن اهدافه الاصيلة .

والصراع الفكرى يساعد كذلك وبصورة ديناميكية طبيعية وخلاقة على تقريب المسافات الفكرية والعملية بين القوى المتحالفة بعضها وبعض — دون مساومات — فيزداد الالتحام بينها يوما بعد يوم . فمن خلال الصراع تتهيأ الفرصة الموضوعية لكل قوة من قوى التحالف ان تزن نفسها فكريا وعمليا بالنسبة للقوى الاخرى ، وان تتعرف على ما لديها ولدى الاخريات من جوانب ايجابية ومن جوانب سلبية . فتحاول التخلص

من سلبياتها فى نفس الوقت الذى تنقد فيه سلبيات الاخريات ، والا كان نقدها لا معنى ولا صدى له .

واذا نظرنا مثلا الى قوى شعبنا المتحالفة اليوم نستطيع ان نتبين بجانب ما تتمتع به كل منها من ايجابيات ، بعض السلبيات . فاذا كانت الراسمالية الوطنية اليوم تقوم بدورها الانتاجى الضرورى فى قطاعات معينة من المجتمع بقيادة القطاع العام وتوجيهه فانها ما برحت تعمل من اجل الربح السريع وباكبر معدل ممكن . كذلك الحال بالنسبة للطبقة العاملة فعلى الرغم من ايجابياتها الغير محدودة فى حماية وتدعيم ونمو عملية البناء الاشتراكى فانها تنظيميا فى بعض قطاعاتها مابرحت متأثرة بالمفهوم الاقتصادى الضيق فى النضال الذى ينحو نحو تغليب المطالب الاقتصادية والنقابية العاجلة والمباشرة على العمل الثورى لتغيير المجتمع ككل بأسرع وقت واقل تضحيات ممكنة الى الاشتراكية . اقصد من هذا كله الى القول ان النظرة الفئوية الضيقة لكل قوة من قوى التحالف تظل سائدة على النظرة السياسية العامة الشاملة للمجتمع ككل ما لم نستخدم بذكاء وحيوية اسلوب الصراع الفكرى بين هذه القوى المتحالفة لتتخلص كل منها فى مواجهة الاخريات من نظرياتها ومواقفها الفئوية الضيقة المغلقة لتمضى جميعا بعد ذلك فى كيان واحد وفكر سياسى شامل موحد بالنسبة لاهداف التحالف .

وليس من شك فى ان الخفوت الذى اصاب النظريات الفئوية الضيقة نسبيا فى تحالف قوى شعبنا العاملة هو نتيجة طبيعية للصراع الفكرى الذى دار داخل التحالف سواء عن قصد منا جميعا او غير قصد .

والصراع داخل التحالف له فائدة هامة اخرى وهى تطهير التحالف نفسه من القوى المعادية التى تكون قد اندست فيه بهدف التخريب من الداخل متمتعة بحماية عضويته فلا مفر فى كل تجربة من تجارب التحالف الشعبى التقدمى فى اى بلد من بلاد العالم من ان تنجح بعض الفئات المعادية من تغيير جلودها القديمة والظهور شكليا بمظهر القوى الثورية وبالتالى الدخول كقوة مشاركة فى التحالف ، او ان تنحرف من الداخل بعض الفئات الثورية القديمة لتصبح فى حكم المعادية ويصبح الخطر المهدد للتحالف هو فى استمرار هذه القوى المعادية متمتعة بعضوية التحالف وجنى مواقع للسلطة فيه تستطيع من خلالها تقويض التحالف من داخله او على الاقل تمييع قوته وافقاده لثوريته وثقة الجماهير به . والسبيل الطبيعى والثورى لكشف هذه القوى المعادية التى تشكل **«طابورا خامسا»** داخل التحالف هو الصراع . فالصراع هنا يقوم بدور المصفاة المستمرة لها مما يؤدى الى التطهير الدائم للتحالف من كل ما يسبب له ضعفا او وهنا او انحرافا . فمن خلال الصراع والنقد المتبادل بين القوى المتحالفة تتبلور المواقف الفكرية والعملية لكل قوة بالنسبة لخط العمل الثورى الموحد واتجاهه ، وتتفوقع شيئا فشيئا فى «وضع نشاذ» القوى المعادية فتنكشف حقيقتها ويسهل بعد ذلك اقتلاعها واخراجها من التحالف .

ولنا فى مصر تجربة اخيرة هامة . فمن خلال الصراع الذى دار داخل تحالف قوى شعبنا العاملة امكن كشف الراسمالية الطفيلية المعادية للتطور الاشتراكى التى استطاعت ان تتسلل بعد تغيير جلودها الى التحالف وتنظيمه السياسى بالاتحاد الاشتراكى . وكان طبيعيا وحتميا ان تتخذ القيادة الثورية بعد ذلك الاجراءات لتطهير التحالف وتنظيمه السياسى منها والعمل على تصفية اوكارها ونفوذها فى الريف وقطاعى تجارة الجملة والمقاولات من الباطن .

ويحق لنا بالتالى ان نعتبر ذلك الجهاز الثورى الجديد الذى كسبته القوى الشعبية فى بلادنا تحت اسم « اللجنة العليا لتصفية الاقطاع » ثمرة عظيمة وناضجة للصراع الخلاق داخل تحالف قوى شعبنا العاملة .

وأخيرا فان الصراع الفكرى الغير عدائى داخل تحالف قوى الشعب العاملة وتوفير

الجو المناسب له وتنظيمه وادارته بوعي في اتجاه تحقيق اهداف التحالف المتفق عليها ، يمثل في الواقع العملي شرطا من شروط سلمية الصراع الاجتماعي بين الطبقات التي يجمعها التحالف . فمن خلال الصراع الذي ينتظمه الاطار العام للتحالف ويضمن حريته، تعمد كل قوة الى محاولة اقناع القوى الاخرى بفكرها ومواقفها بالنسبة للقضايا المثارة . ومن خلال الصراع الحر المفتوح والملتزم باهداف التحالف يتم الوصول بصبر واناة الى رأي موحد ، يتفق والظروف التاريخية وعلاقات القوى القائمة ، وطبيعة القيادة المسئولة في التحالف . وهذا هو البديل الوحيد والممكن واقعيا للصراع العنيف الدموي ، الذي يأتي كنتيجة لغلق جميع ابواب الصراع الفكري وتحطيم جسور تبادل الاراء والنقد بين قوى التحالف فتعمد كل منها الى التصرف العنيف حماية لمصالحها الاجتماعية الخاصة ضد المصالح الاخرى ، الامر الذي يؤدي في النهاية الى تفكك عرى التحالف وانهياره .

ومن هنا تكمن الضرورة الموضوعية للصراع كطريق سلمي للتطور واساس من أسس وحدة التحالف ذاتها .

- اما الصراع الفكري الغير عدائي الثاني فهو ذلك الصراع الذي يدور دائما أبدا مع النفس او الذات ، سواء اكانت هذه النفس او الذات طبيعية (الانســان) او اعتبارية (التنظيم السياسي . . . هيئة تحرير مجلة الخ . . .)

وهذا الصراع هو الدافع للانسان اوللتنظيم السياسي او لهيئة تحرير مجلة فكرية الى الحركة والتطور ، واكتشاف الجديد ، والتكيف مع ما تطرحه الحياة باستمرار من ظواهر لم تكن مألوفة من قبل ، والعدول عن آراء وافكار سابقة ثبت خطؤها او عدم سلامتها ، وفوق هذا وذاك زيادة الحصيلة من المعرفة والخبرة والوعي .

- فالانسان المصري الذي كان يعتقد مثلا في ان بريطانيا او السويد اشتراكية لمجرد وجود قطاع عام وقطاع تعاوني في كل منهما ويطالب بان ننحو في نظامنا الاشتراكي مثلهما مع بقاء الفوارق الطبقية على مـا هي عليه وبالتالي العلاقات الاجتماعية ذات الطابع الرأسمالي . . هذا الانسان من خلال التجربة والاطلاع والنقاش والنقد قـد يصـل الى الاقتناع العلمي بالاشتراكية فيغير من آرائه ويطور من اعتقاداته السابقة متخذا موقفا فكريا واجتماعيا جديدا وهـو ان قضـية الاشتراكية لا تقف فحسب عند حدود وجود قطاع عام او قطاع تعاوني وانما هي ترتبط ارتباطا اساسيا بالغاء الاستغلال جذريا من المجتمع ومنع امكانية قيام طبقة مستغلة ممتازة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا واذابة الفوارق بين الطبقات ، والوصول الى وضع اجتماعي وسياسي ينتهي فيه كل اثر لاستغلال الانسان للانسان ، حيث تسيطر قوى الشعب العاملة سيطرة فعلية على كل ادوات الانتاج والسلطة السياسية . ان هذا التطور في فكر الانسان ينتج عن عدة عوامل من بينها ذلك الصراع الذي نشب بينه وبين نفسه في واقعه الاجتماعي .

والانسان يبلغ درجة عالية من الشجاعة الادبية اذا اعلن هذا التغيير الذي اصابه وبدل من مواقفـه الفكرية والاجتمـاعية السابقة . وهذا هو بالدقـة ما يسـمى « بالنقد الذاتي » . وهو الشكل الذي يتخذه الصراع الذي يقوم داخل الانسان بينه وبين ذاته . وهو يقابل الشكل الاخر الذي يتخذه الصراع داخل تحـالف قوى الشـعب ونعني به « النقد » .

ونفس الامر بالنسبة للتنظيم السياسي او هيئة تحرير مجلة . . اذ ايا منهما قـد يتخذ في ظروف معينة خطا فكريا ، ولكن تتوالى احداث ويزداد الوعي وتتضح الرؤيا بشكل أعمق واوسع ، ومن هنا فهو يعدل من خطه الفكري السابق وينتقل الى خط

جديد قد يكون مناقضا للاول . وهذا امرطبيعي ووارد باستمرار طالما ان الحياة متجددة والخبرة والوعي والمعرفة لا حدودنهائية لها .

ومن طبيعة التنظيمات السياسية الثورية واى ادوات ثورية اخرى ان تعلن عن هذا التغيير واسبابه فى شكل « نقد ذاتى » . وقد دلت التجربة على ان هذا الاسلوب مفيد فى حسم البلبلة الفكرية داخل التنظيم وفى توعية اعضائه عن طريق الاستفادة من عرض الاخطاء والتجارب ، الامر الذى يقوى فى النهاية من وزن التنظيم وقدرته ويعمق الثقة به جماهيريا .

يبقى بعد ذلك ان نتساءل : **ما هى وسيلة الصراع الفكرى فى هذه المجالات الثلاث ، العدائية وغير العدائية ؟**

الوسيلة الوحيدة طبعا هى ((**الحوار**)) .. الحوار بالكلمة والرأى ومواجهة الفكرة بالفكرة . وهى وسيلة تنبع من طبيعة الفكرنفسه . فالفكر ذو طبيعة خاصة . انه من الاشياء المعنوية . وليس له من سبيل الى « عقل » الانسان الا الاقتناع الذى تتفاوت درجاته حتى تصل الى الايمان واليقين . ولن يتأتى الاقتناع بفكر معين الا اذا وضح وحلل وقورن مع غيره من الافكار الاخرى واختبر فى الحياة . ولا طريق لهذا كله غير الحوار والجدل والنقاش فى حرية آمنة .

ومن هنا فالصراع الفكرى الصحى يعادى استخدام الجبر او القوة او الاجراءات الادارية فى فرض فكر معين او تغيير الاقتناع بفكر آخر . ولقد اثبتت التجارب الانسانية انه فى كل مرة استخدمت اساليب القهر والاجراءات الادارية فى مجال الفكر لم تفتح شيئا غير الجمود والقحط او الاقتناع الشكلى السطحى لمدة معينة ما يلبث بعدها ان يعود الصراع الفكرى بوسيلته الطبيعية «الحوار» الى الانطلاق من جديد . وذلك بعد ان يكون قد ضاع وقتا ثمينا من عمر التطور والانسان . بل ان الملاحظ ايضا انه فى الحالات التى استخدمت فيها اجراءات القمع لما يظن انه ضد الافكار الرجعية ولصالح الافكار التقدمية كما حدث خلال مرحلة الستالينية والزدانوفية فى الاتحاد السوفييتى — استطاعت الافكار الرجعية ان تحمى نفسها بردداءات واغطية جديدة وزائفة وان تواصل تغلغلها باقنعة خفية ، فى حين انصبت الضربات فى الواقع على الفكر التقدمى ومحاولات تطويره واغنائه . وتأكد بذلك صحة قانون ان العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق ، فى مجال الفكر ، اذا ما وقع تحت الضغط والارهاب الاداريين . ولعل هذا هو سر فزع اصحاب الفكر الرجعى فى كل مجتمع من عملية ادارة الصراع الديمقراطى الحر مع الفكر التقدمى ، وتراهم كظاهرة عامة فى كل المجتمعات يستعدون السلطة للتدخل الادارى ويفتعلون من اجل ذلك قائمة طويلة بالاتهامات .

واذن فالفكرة — فى المفهوم العلمى للصراع — لا يقلها الا فكرة مضادة ، والرأى لا يجادله الا رأيا آخر يناقضه . ومن خلال هذا الصراع يحدث الاحتكاك الخلاق الذى يولد شرارات النور والمعرفة التى لا حدود لها .

وهكذا . فسواء بالنسبة للصراع العدائى او غير العدائى ، فان وسيلة الصراع التى نقصدها هى «الحوار» . الحوار الحر المتكافىء الفرص .. بيد اننا فى «حوار» الصراع العدائى نستهدف كشف وفضح وادانة الفكريات الرجعية جذريا امام الجماهير . ولن يتأتى ذلك الا بالاجابة العلمية الواقعية على سؤال **لماذا هذا الفكر رجعى ؟** وعلينا فى الاجابة ان لا نقدم الاسباب النظرية فحسب بل ان نبين من خلال امتحان هذا

الفكر بالواقع والتاريخ الاجتماعي والانساني كيف انه يخدم مصالح الطبقات الرجعية ويعادي مصالح الطبقات الشعبية وسعيها نحو بناء حياتها الجديدة المشروعة .

اما « حوارنا » في الصراع الغير عدائي داخل تحالف قوى الشعب العاملة فيستهدف النقد المسئول الذي يكشف في نفس الوقت عن الايجابيات والسلبيات معا ودون انفصال . وذلك بالنسبة لرؤية القوى المتحالفة بعضها لبعض . والغرض الاساسي هنا هو استخدام الايجابيات في زيادة التحام اواصر الوحدة بين القوى المتحالفة ، وفي معالجة سلبيات كل قوة بالطاقات البناءة لايجابياتها ذاتها وايجابيات القوى الاخرى المتحالفة معها . بمعنى ان يتحول التحالف فكريا وعمليا الى مدرسة شاملة للجميع يتعلمون فيها بتواضع ودون حساسية بعضهم من بعض .

اما الحوار في الصراع الغير عدائي بين الانسان وذاته او بين التنظيم ونفسه ، فيستهدف اتاحة الفرصة الموضوعية ومن خلال الالتحام بحركة الواقع ان يكون كل منهما المعلم الاول لنفسه . وان يعيد على الدوام مراجعة آرائه ومواقفه الفكرية من خلال امتحانها مع الظروف والاحداث المتغيرة . وأن يدرب نفسه على التسلح بالشجاعة الادبية التي تتيح له ان يعترف باخطائه ويتحرر منها جذريا باعلانها في نقد ذاتي ، يكسبه احتراما وثقة مع نفسه ومع واقعه الاجتماعي سواء بسواء .

— ٣ —

ولكن الصراع الفكري في النهاية ليس شيئا مجردا ، او لعبة رياضية يستعرض فيها كل طرف مهارته او لياقته الثقافية ومعلوماته وقدراته اللغوية في الكتابة او الحديث او الخطابة . وانما هو ظاهرة من ظواهر الحركة الاجتماعية ، بمعنى انه يتصل اتصال الوجود والعدم بالحياة وصراعات القوى الاجتماعية فيها . فكما ان لكل قوة مصالح اجتماعية لها كذلك لها فكرها الذي يبلور ويدافع ويفلسف ويعبر عن هذه المصالح . فليس هناك في التاريخ الانساني فكر محايد او ثقافة محايدة او فلسفة محايدة . وانما هناك دائما فكر طبقة معينة وثقافة قوة او فئة اجتماعية خاصة ، وفلسفة تخدم في الواقع مصالح اجتماعية محددة . ويسعى كل فكر او ثقافة او فلسفة خلال عملية الصراع الاجتماعي — بوعي او بغير وعي — الى ان يهزم الافكار والثقافات والفلسفات الاخرى المنافسة له في عقول الناس ووجدان المجتمع ليصبح هو في النهاية فكر كل المجتمع والثقافة والفلسفة السائدة فيه .

ومن هنا يأتي الارتباط العضوي العميق بين الماديات والمعنويات ، بين الواقع والفكر بين المصالح الاجتماعية والتيارات الفلسفية . وينبع الصراع الفكري بالتالي من قلب الواقع الاجتماعي نفسه بغير انفصال ، ويصبح علامة على مدى ونوعية الحركة واتجاهها داخل المجتمع .

ان الفلسفة التي تقول مثلا ان كل شيء في الحياة ثابت ودائم ولا يتغير في جوهره ، ليست فلسفة محايدة مهما بدت بصيغها المختلفة في مجتمع رأسمالي حيث تتربع فوق قمته طبقة رأسمالية مسيطرة اقتصاديا وسياسيا تستغل الجماهير الشعبية العاملة . لماذا ؟ لانها تخدم في الحقيقة مصالح هذه الطبقة الممتازة ضد مصالح الجماهير العاملة المقهورة ؟ كيف ؟ انها تشيع في المجتمع كله بما في ذلك الجماهير العاملة نفسها الاعتقاد بأن الفروق الطبقية وامتيازاتها اوضاع ثابتة دائمة ولا جدوى من محاولة النضال الشعبي لتغييرها . وبالتالي مشروعية الاوضاع والنظم الرأسمالية وعدم مشروعية الثورة الشعبية ضدها . وهكذا تشيع هذه الفلسفة قيم التواكل والجمود والرضاء بالامر الواقع لانه لا فائدة من التحرك للتغيير . وبقدر ما تخدم هذه الفلسفة — فكريا ومعنويا

وماديا ــ مصالح الطبقة الراسمالية بقدرما تعادي وتحارب مصالح الطبقات الشعبية المستغلة .

والصراع الفكرى فى المجتمع ليس صراعا بين المثقفين فحسب . وانما هو صراع عام شامل لجميع الطبقات والقوى والفئات المختلفة فى المجتمع بما فى ذلك الفلاحين والعمال والتجار وأرباب العمل والموظفين الخ ..ربما يكون الجانب الاكثر ظهورا فى الصراع هو هذا الجانب الذى تدور فيه معارك الكلمات المكتوبة والمنطوقة والمرئية بين المثقفين ، وربما يكون هو ايضا الجانب الاكثر وعيا بحكم ما يتمتع به المتصارعين من وعى ومستوى ثقافى . ولكن هذا لايعنى عدم وجود الجوانب الاخرى حيث يزاول الصراع فيه فلاحون وعمال وتجار وأرباب عمل خلال الحياة اليومية والذى قد يبدو بشكل واع أو غير واع .

ان ايثار عامل لصحيفة معينة بالنسبة لصحف اخرى هو نوع من الصراع الفكرى الاجتماعى ، لانه بهذا الايثار يعبر عن تجاوبه مع آراء واتجاهات هذه الصحيفة ضد آراء واتجاهات الصحف الاخرى .. وهو فى النهاية تجاوب مع فلسفة معينة ضد فلسفة اخرى .

والمهم دائما ان يعمد المثقفون التقدميون من خلال الصراع الفكرى الى كسب عقول ووجدان الجماهير العريضة من الفلاحين والعمال ، وتحويلهم من مجرد فلاحين وعمال الى فلاحين مثقفين وعمال مثقفين يشاركون بوعى فى عملية الصراع .وهذا يستلزم ادارة الصراع فى قلب الواقع الاجتماعى الحى والقضايا اليومية للجماهير وترجمة النظريات والفلسفات الى الحتميات المنظورة فى الحياة . وبذلك تتبلور الوحدة الثورية لقوى الشعب العاملة .

وهكذا فالطريق السليم الى وحدة حقيقية وقادرة لفكر وعمل تحالف قوى الشعب العاملة هو الصراع .. فلا وحدة اجتماعية حية الا من خلال الصراع . وليس فى هذا اى تناقض فكرى او عملى ــ بالمفهوم العلمى ــ كما يبدو من خلال التفسير اللغوى البحت لكلمتى « الوحدة » و « الصراع » مثلما يفعل ــ عن قصد أو غير قصد ــ عدد من كتابنا ومفكرينا اليوم كالزميل الاستاذ عبد المغنى سعيد عندما كتب فى مجلة العمل (العدد ٤٢ نوفمبر ١٩٦٦) معلقا وناقدا الدراسات « الطليعة » عن « التيارات الفكرية فى الواقع المصرى » يقول : « .. وقد ثبت الآن انهم ليسوا بدعاة وحدة بل دعاة صراع ! ولكن هيهات ان يوقفوا سير القافلة باستفزازنا الى مايتمشدقون به من صراع ! »

والزميل « عبد المغنى سعيد » على حق ، فيما يظن انه يرمينا به من اتهام ، بأننا « دعاة صراع » . ولكنه على غير حق عندما يتهمنا بأننا لسنا « دعاة وحدة » . ولو انه صحح اتهامه الى اننا « دعاة وحدة من خلال الصراع » او « دعاة صراع من اجل الوحدة » لكان اتهامه اقرب الى الواقع ، ولكنا اول المعترفين بصدقه . وذلك مع ملاحظة بسيطة وهى اننا نعتقد معه فعلا بأن القافلة ستستمر دائما فى السير ولن تتوقف على الرغم من الصراع . هذا حق ، ولكنه ناقص مالم نضف اليه ان القافلة تسير بفعل الطاقة المتولدة عن الصراع . والصراع فى النهاية ليس كما يعتقد من خلقنا ، كما انه ليس من خلقه وانما هو من خلق الحياة نفسها ، وهو ونحن والجميع اطراف فى هذا الصراع شئنا ذلك او لم نشأ ، طالما كنا احياء .

والواقع ان هذه ليست الملاحظة الوحيدة على المقالات النقدية التى استقبل بها بعض من الاساتذة والزملاء (**الاساتذة الدكتور زكى نجيب محمود ، الدكتور محمد فتحى الشنيطى ، الدكتور يحيى الجمل ، عبد الكريم احمد ، عبد المغنى سعيد**) فى مجلات « الفكر المعاصر » و « الكاتب » و « العمل » مجموعة المقالات التى نشرتها الطليعة (عدد اكتوبر ١٩٦٦) ضمن دراستها ــ التى لم تكتمل بعد ــ عن « التيارات الفكرية فى الواقع المصرى » .

ونود فى هذا المجال ان نسجل تقديرنا وترحيبنا بكل الكلمات الناقدة والمعلقة من كل الاتجاهات ونحن نضعها فى موضعها من الصراع الفكرى الصحى والضرورى لحركة التطور فى مجتمعنا الساعية نحو الاشتراكية

واذا كان المقام هنا لا يتسع للعرض التفصيلى لكل مالدينا من ملاحظات فاننا سنقتصر الحديث اليوم على ما نعتقد انه الملاحظات الرئيسية بوجه اجمالى .

— ٤ —

اولى هذه الملاحظات يتعلق بنوعية وطبيعة الوحدة التى تتبلور اليوم بمجتمعنا فى اطار تحالف قوى الشعب العاملة الملتزمة بالميثاق . ويتصل بهذه القضية قضية اخرى وهى تلك التى تحدث عنها الميثاق فى مجال الضمانات اللازمة للنضال الشعبى : **«فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية ، يأخذمنها ويعطيها ، لا يصدها عنه بالتعصب ولا يصد نفسه عنها بالنقد»** .

والقضية ليست فى اننا جميعا ندعو الى الوحدة والى الانفتاح على التجارب الاخرى . ولكن القضية تتركز — وهذا هو جوهر الخلاف والصراع — فى أى وحدة نستهدف ؟ والى أى اتجاهات ننفتح عليها ؟

ان « **عبد المغنى سعيد** » يتحدث مثلا بتجريد عن « دعاة الوحدة ودعاة الصراع » **والدكتور محمد فتحى الشنيطى** يتحدث فى الفكر المعاصر (عدد نوفمبر ١٩٦٦ — مقال دفاع عن فكرنا الفلسفى) عن موضوع الانفتاح على التجارب الاخرى بتجريد خطير يصل الى حد القول « فكيف بالله تتفتح اكثر من زهرة اذا لم تكن هنالك أمامنا أفكار عديدة ومذاهب شتى تدير الحوار حولها فى حرية كفلها لنا الميثاق وننتقصاها فى مصادرها ونصحب الفلاسفه كلهم دون ما استثناء على اختلاف عصورهم وتعدد آرائهم ! » ويخرج من ذلك بموقف فكرى محدد « ومن هنا لا تستطيع ان تصم تفكيرا فلسفيا بالرجعية او تسميه بالتقدمية . »

وهذا هو بالدقة موضع الخلاف ومنبع الصراع .

ان « التجريد » فى هذه القضايا لايفيد بل ضار لانه تحت شعار الوحدة المجردة يمكن ان تندرج سواء بسواء وحدة الرجعيين ووحدة التقدميين ووحدة الرجعيين مع التقدميين معا أيضا . وباسم التجريد ايضا تصبح كل الفلسفات ، مايخدم منها الطبقات الاقطاعية وما يخدم منها الطبقات الرأسمالية وما يخدم منها الطبقات الشعبية سواء بسواء .. وتنمحى بينها الفروق ويفتقد الانسان فكرا وعملا حق الاختيار وحق الالتزام .

ان الوحدة — فى مفهومنا — ليست شيئا مجردا وانما هى تحالف طبقات وفئات اجتماعية محددة ذات مصالح مشتركة محددة فى مجتمع يتجه بقيادة محددة نحو هدف محدد فى ظروف محلية وعالمية محددة .

ووحدتنا التى نبنيها فى بلادنا اليوم هى على وجه التحديد وحدة التحالف بين الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ، دون غيرهم من الاقطاعيين والرأسمالية الكبيرة ، تحت قيادة ثورية اشتراكية فى مجتمع اختار الطريق الاشتراكى ويعمل جاهدا بكل طاقاته للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية .

وهى — لذلك — ليست بالوحدة الوطنية التقليدية ، مركز الثقل فيها البرجوازية : فكرا وعملا ونفوذا وقيادة وانما هى وحدة وطنية ثورية من نوع جديد مركز الثقل فيها هم الفلاحون والعمال فكرا وعملا ونفوذا وقيادة تمثلهم . ومن اجل ذلك حرص الميثاق

من عمد بأن يضمن للفلاحين والعمال في هذه الوحدة بجميع مستوياتها واجهزتها نصف مقاعد السلطة على الاقل . **ماذا يعني هذا ؟** انه يعني بأن هذه الوحدة يجب أن تتم وتنمو في اطار سيادة الافكار والفلسفات المعبرة والسائدة لمصالح الفلاحين والعمال باعتبارهم اصحاب المصلحة الحقيقية والدائمة في اتمام عملية التحول الاشتراكي والغاء كل مظاهر واوضاع استغلال الانسان للانسان . وهذا لا يتأتى الا بكشف وقهر الافكار والفلسفات المعادية لهذه المصالح بدرجات متفاوتة سواء بصفة جذرية او بصفة المساومة . ولا سبيل الى ذلك الا الصراع في اطار الوحدة وحركتها نحو الاشتراكية .

كذلك اذا كان الميثاق قد تحدث عن الانفتاح على التجارب والافكار الاخرى ، فان هذا الانفتاح محكوم بنوعية وطبيعة الميثاق نفسه كدليل فكري ثوري اشتراكي . ومن هنا فمن غير المتصور ان تنفتح على الافكار والفلسفات والتجارب الغير اشتراكية والمعادية للافكار والفلسفات الاشتراكية ، وذلك تحت شعار اننا كما يقول الدكتور الشنيطي «لا نستطيع أن نصم تفكيرا فلسفيا بالرجعية او نسميه بالتقدمية » . فليس الكل سواء في مجتمع اختار الاشتراكية وادان الرأسمالية : نظاما وعلاقات وفلسفات وافكارا وقيما .

ليس معنى ذلك اننا لا ندرس الافكار والفلسفات التي ابدعها العقل الانساني في احتكاكه مع الحياة منذ سقراط وافلاطون الى راسل وديوي وسارتر ، فهذا ضروري ولازم لتاريخ المعرفة الانسانية . ولكن بشرط ان نميز دائما وبوضوح حاسم بينها جميعا ، وبين الافكار والفلسفات الاشتراكية وخاصة العلمية منها والا وقعنا صرعى البلبلة الفكرية والفوضى الاجتماعية وافتقدنا الاتجاه في حركتنا الاجتماعية الاشتراكية .

— ٥ —

والملاحظة الثانية تدور من حول الميثاق والالتزام به . ان ثمة نغمة مشتركة — تتراوح بين التلميح والتصريح — تتردد في تعليقات ونقد كتاب الفكر المعاصر والكاتب والعمل «للطليعة» مؤداها انهم في الوقت الذي يلتزمون هم فيه بالميثاق ، لا نلتزم نحن .

يقول **((الدكتور الشنيطي))** (الفكر المعاصر — نوفمبر ١٩٦٦ — دفاع عن فكرنا الفلسفي) : « وانطلاقا من هذه الاستراتيجية والسياسية للمذهبية المادية» وطبقا «للتكتيك المرحلي» ينبغي ان يكون هنالك التزام بالميثاق درءا للشبهة وحتى لا ينكشف المستور . وربما سمح لنا ان نفترض بناء على ما تقدم ان ثمة « تعايشا سلميا » مع الميثاق .. وقد يعزز هذا الفرض ما نراه من حرص عند من يكتبون على هذا النمط على تذكيرنا دائما ابدا بمرونة الميثاق . . . »

ويذهب ((**عبد الكريم احمد**)) (الكاتب — نوفمبر ١٩٦٦ — حديث المراحل) الى التفرقة بين ثلاث اتجاهات : « اتجاه يرى الالتزام بالميثاق وحده ويعمل ويفكر داخل اطار هذا الالتزام بوصفه تعاقدا يمثل ارادة الشعب العامل بمختلف فئاته التقدمية .. وان كل تغيير فيه (أى الميثاق) يجب ان يتم باتفاق هذه الفئات جميعا وفي ضوء نمو الوعي الاجتماعي التقدمي » .

« واتجاه ثان ذهب الى ان الالتزام الحقيقي « الوحيد » في الاشتراكية العلمية هو الالتزام الماركسي اللينيني » .

«وهناك اتجاه ثالث اختط لنفسه طريقا اوسع افقا — واقل دوجماسية — من السابق ، رأى الالتزام بالماركسية اللينينية وما تمخضت عنه من تطورات اخيرة هو

الالتزام الاصيل فى الاشتراكية العلميـــة ، ولكنه ينبثق منه التزام « مرحلى » بالميثاق فى ظل تحالف قوى الشعب العاملة .. »

والواقع ان قيام كل اتجـــاه او قوة فى تحالف قوى الشـــعب العاملـــة « بادعاء احتكار التفسير الصحيح للميثاق » أصبح يشكل ظاهرة عامة وشاملة فى مجتمعنا . وليس هذا بغريب او شـــــاذ . لانه من الطبيعى والمنطقى ان يرى كل اتجاه اوقوة من قوى التحالف ، الميثـــاق ، من الزاوية الخاصة به والتى تتفق مع مواقفه الفكرية والاجتماعية والحدود المقبولة لديه للتطور والحركة واسلوبهما . وبالتالى فمن الطبيعى والمنطقى أن تتعدد زوايا الرؤية وتتعدد معها التفسيرات ويثور بينهما جميعا التنـــافس حول ايهما اقرب الى الصحة والسلامة . ولا ينفرد « الميثـــاق » بخاصـــية تعـــدد التفسيرات له . فالملاحظ تاريخيـــا — فى جميع العصور والمجتمعـــات — أن هـــذه الخاصية سمة مميزة لكل وثيقة نظرية أو فكرية ســـواء أكانت وثائق دينية كالـــكتب المقدسة أو وثائق من ابداع الفكر الانسانى كالنصوص الفلسفية . وهذا هو السر فى اننا نجد تفسيرات مختلفة ومتعددة للكتب المقدســـة نفســـها ولنصـــوص النظريات الفلسفية . وهى تختلف وتتعدد لا باختلاف الزمان والمكان فحسب بل فى ذات المـــكان الواحد والزمان الواحـــد . ان المذاهب الاربعة فى الاســـلام مثلا ظاهرة محـــددة وواضـــحة لذلك . والصراع المذهبى فى العالم الشيوعى اليوم من حول تفسيرات الماركسية اللينينية ، ومن قبلهـــا حـــول الماركسية ظاهرة واضحة ومحددة كذلك .

واذا كان من حق كل اتجـــــاه او قوة اجتماعية فى تحالف قوى الشعب العاملة أن يزعم أن تفسيره للميثاق هو التفســـير الأصح ، الا أنه ليس من حقه أن يصادر تفسيرات الاتجاهات والقوى الاجتماعيـــة الاخرى التى تشـــاركه فى التحالف . ولن يستطيع اتجاه او قوة أن تفرض تفسيرها بالجبر على بقية القوى ، وانما من خلال الصراع وامتحان هذه التفسيرات كلها فى الواقع التاريجى وحـــركة تطوره ستختار الحياة نفسها باستمرار وبعملية انتقاء ديناميكية التفسير الذى يتفاعل ويتكيف مع أوضاعها وظروفها التاريخية باعتباره أسلم التفسيرات وتغلبه على غيرها عمليا . وسوف تستمر عملية الاختيار والانتقاء ما دامت الحيـــاة مســـتمرة فى تطورها ، بحيث نلاحظ على الدوام ومع قطع أشواط فى اذابة الفوارق بين الطبقـــات وازدياد الوعى الفـــكرى والاجتماعى تحجر واضمحلال تفســـيرات ونمو وصعود تفسيرات أخرى .

وهناك نقطة اخرى بالنســـبة للميثاق يثيرها حديث « عبد الكريم احمد » عنـــه عندما يقيمه بأنه « عقد اجتماعى » .

ولا نريد أن ندخل فى مناقشة حول «عدم علميـــة » هذا التقييم ومنـــافاته للفـــكر الاشتراكى . وانما الذى يهمنا هنـــا أن الميثاق تاريخيا واسلوبا ومضمونا وأصدارا ليس عقدا اجتماعيا وانما هو دليل فكرى ثورى لمرحلة هامه من مراحل انتقال المجتمع من التخلف الراســـــمالية الى التقـــدم والاشتراكية ، تقدمت به القيادة الثـــورية التى تمثل فى الاساس القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة فى الاشـــتراكية لتحالف شعبى يقوم من حول هذه القوى يوضـــح بجانب الاستراتيجية العامة البعيدة المدى لبنـــاء المجتمع الاشـــتراكى ، استراتيجية وتكتيك لمرحلة محددة من مراحل التطـــور والانتقال الى الاشتراكية تنتهى عنـــد عام ۱۹۷۰ . والقول بأن هذا الميثاق يمثل عقدا اجتماعيا على نحو الفكر المثالى والخيالى الذى بشر به جان جاك روسو قبيل الثورة الفرنسية عام ۱۷۸۹ فى «عقده الاجتماعى» يجمد الميثاق عند حدود فكر ليبرالى تخطاه الزمن وأثبت التاريخ الانســـانى فســـاده وعقمه . فالعقد الاجتماعى يرى المجتمع فى حالة ثبات وينظر الى الطبقات الاجتماعية المستغلة والمستغلة سواء بسواء دون تفريق ويصادر الصراع فيما بينها محافظـــا على اوضاع كل منها وامتيازاتها ويعقد فيمـــا

بينها عقدا اجتماعيا وهميا للمصالحة والتعاون بين المستغل ومن يقع عليه الاستغلال (ولعل هذا هو مصدر فكرة التعاون الطبقي الغير علمية عند عبدالكريم احمد) وتنصيب حكام محايدين اجتماعيا فوق الطبقات التى يربطها عقد لا تستطيع واحدة منها تغييره الا برضاء كل الطبقات الاخرى المتعاقدة .

هل هذا هو حقيقة وضع الميثاق ووضع مجتمعنا ووضع تحالفنا ووضع قيادتنا ؟ ان الميثاق ليس عقدا بل اعلان فكرى ثورى لاختيار الاشتراكية طريقا للتطور، وهو لا يضع الطبقات الاجتماعية على مستوى واحد فهو من ناحية قد صفى الطبقات الاقطاعية والراسمالية الكبيرة واقام تحالفا للقوى الاجتماعية صاحبة المصلحة فى بناء الاشتراكية وتلك التى ارتضت الطريق الاشتراكى وهو داخل التحالف لا يساوى أيضا بين وزن الطبقات كما وكيفا بدليل أنه يخص الفلاحين والعمال بنسبة الـ ٥٠ ٪ . وهو يخرج من اطار التحالف كل قوة او فئة تعرقل او تخرب سير عملية الانتقال للاشتراكية (لجنة تصفية الاقطاع) والقيادة الثورية بعد ذلك ليست قيادة محايدة فوق الطبقات وانما هى قد اختارت بحسم ووضوح طريق الاشتراكية وهى تتفاعل مع كل تطور جديد فى هذا الاتجاه تكشف الظروف عن نضوجه وامكانية تحقيقه . والوسيلة لذلك هو الصراع الاجتماعى السلمى الذى يضمنه الاطار السياسى والاجتماعى للتحالف .

ومع ذلك فنحن لا ننكر حق عبد الكريم احمد فى تفسير الميثاق على انه « عقد اجتماعى » ولا نرى فى أن التزامه به التزام مرحلى كما يفعل هو معنا . ان هذا نابع عن الزاوية الفكرية والاجتماعية التى يصدر عنها من داخل تحالف قوى الشعب العاملة ومن حقنا ايضا فى نفس الوقت ان نعارضه من زاوية رؤيتنا من داخل تحالف قوى الشعب العاملة هذا الراى الذى نعتبره غير علمى وغير واقعى ولا يتفق والمفهوم الاشتراكى للميثاق من وجهة نظرنا .

ثم ماهو المعيار الذى يستخدمه « عبد الكريم احمد » او « الدكتور الشنيطى » فى معرفة أن هذا الاتجاه أو ذاك يلتزم التزاما اصيلا او التزاما مرحليا او تكتيكيا بالميثاق؟

ان مقالتيهما لاتقدم لنا اى معيار موضوعي وانما كل منهما مجرد حكم ذاتي خاص لصاحبه .

وفى رأينا أن المعيار الموضوعي للتفرقة بين من يلتزمون بالميثاق التزاما كليا اصيلا ومن يتخذونه كتكتيك ليس فيه التزام حقيقى ، يتجسد فى الالتزام بالخطوط الاستراتيجية البعيدة المدى للميثاق مثل صياغة التطور طبقا لمبادىء الاشتراكية العلمية ومثل الاتجاه المستمر نحو تذويب الفوارق بين الطبقات ومثل عدم انكار او مصادرة الصراع الطبقي والعمل على توفير كل الظروف الموضوعية كي يكون سلميا ، وبناء الوحدة العربية بمضمونها الاشتراكى . وكذلك فى الالتزام بالخطوط الاستراتيجية القصيرة المدى والمطلوب تحقيق اهدافها المحددة بدقة كاملة عند نهاية عام ١٩٧٠ فى جميع المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية .

ولا يعنى الالتزام بالميثاق بعد ذلك ، الحجر على الفكر وصراعاته . ولا يعنى التجمد عند تحقيق أهداف الاستراتيجية القريبة المدى واعتبار عام ١٩٧٠ خاتمة مسيرة التطور نحو الاشتراكية ، وانما يعنى تطويره واغناؤه باستمرار وتعديله — على ضوء الخبرات المكتسبة من التجارب وبأسلوب الديمقراطية الاشتراكية — بحيث تتحدد له أهداف استراتيجية مرحلية جديدة واكثر تقدما بعد تحقيق اهداف

مرحلته الاولى . لا لان هذه هى رغبة شخصية أو فكرية بعض الاتجاهات وانما لان هذا أولا وأخيرا سنة التطور وارادة الحياة نفسها .

ومن هنا فهناك فى واقع الامر نوعان متميزان من الالتزام بالميثاق داخل تحالف قوى الشعب العاملة . التزام به فى اتجاه التجميد وعدم الانطلاق به ومنه الى آفاق جديدة وهذا ما نختلف معه ونتصارع واياه . والتزام به فى اتجاه التطوير الدائم والحركة التقدمية المستمرة على الطريق الاشتراكى وفى ضوء العمل على تحقيق اهداف استراتيجية البعيدة المدى .. وهذا هو التزامنا الذى نمارسه ونصارع — على أساسه — فكريا واجتماعيا الالتزام الاخر سلميا وداخل تحالف قوى الشعب العاملة من أجل ان يسود التزام التطوير فكريات قوى التحالف .

— ٦ —

اما الملاحظة الثالثة فتتعلق بما يتردد حول ما يراه البعض من تعارض بين الصراع الفكرى وممارسته ، وبين الالتزام بالتنظيم السياسى وعضويته . وبالتالى التشكيك فى ولاء من يدعون ويمارسون للصراع الفكرى ، للتنظيم ووحدته الفكرية والتنظيمية والعملية . فهم يرون أن الصراع الفكرى بين أعضاء التنظيم بعضهم وبعض يضعف ويخل بوحدة التنظيم . وفى رأينا أن هذا «فهم ميكانيكى» لمعنى الالتزام التنظيمى وللصراع الفكرى معا . أو على الاقل فهم لغوى مجرد من المضمون الاجتماعى والسياسى لكل من الالتزام والصراع . وهذا الفهم ينبع من وضع الوحدة كمقابل ومناقض للصراع على المستوى الاجتماعى والسياسى — كما يفعل عبدالمغنى سعيد — تماما كما تضعانهما القواميس اللغوية أو كما تضعهما مثلا فلسفة الوضعية المنطقية أو التجريبية العلمية التى يتزعمها فى مجتمعنا **أستاذنا الدكتور زكى نجيب محمود** عندما تصب جهودها فى محاولات استنباط تركيبات ورموز لغوية ، لتجاريب ذاتية وجزئية ، لا تقدم مفهوما شاملا للحياة وللمجتمع فى حركتهما ولا تلتزم بمبادىء وقوانين وقيما عامة ، وذلك بحجة « ان المشكلة تزول اذا ما استقامت الالفاظ التى تدخل فى صياغتها ... وانه بالوضوح اللفظى نتبين أين الصواب واين الخطأ فتزول المشكلة » (الفكر المعاصر — عدد نوفمبر ١٩٦٦ — درس فى التحليل)

ان الاصطلاح أو الكلمة فى القواميس اللغوية غيرها فى الواقع الاجتماعى . وهى عندما تخرج من القاموس الى حركة الحياة تتخذ ابعادا اجتماعية وسياسية معينة ، تختلف باختلاف المجتمع ودرجة تطوره وطبيعة نظامه ، كما تختلف أيضا طبقيا باختلاف المصالح الاجتماعية لكل طبقة .

ونسأل هل «للديمقراطية» أو «للعدالة الاجتماعية» أو «للاستغلال» نفس المعانى والمفاهيم فى كل عصور التاريخ ، وفى كل المجتمعات ، وبالنسبة لجميع الطبقات .. وهل هذه المعانى والمفاهيم فى أبعادها التاريخية والاجتماعية والطبقية هى نفس معانيها اللغوية المثبوتة بالقواميس ؟

ان المعنى اللغوى للديمقراطية مثلا هو حكم الشعب . ولكن اذا خرجنا بالديمقراطية من طيات القاموس اللغوى الى عصر الرومان نجد أن الديمقراطية قد اكتسبت وموريست بمفاهيم وأبعاد اجتماعية محددة مغايرة للمفهوم اللغوى العام والمجرد . فديمقراطية الرومان سمحت بوجود العبيد وشرعية استرقاقهم واستغلالهم لانها قصرت الشعب — اجتماعيا وسياسيا — على طبقتى النبلاء وما اسمتهم بالمواطنين فحسب دون جمهرة أهل الرومان الذين كبلتهم بالقيود . وبالتالى كانت الديمقراطية فى المفهوم الرومانى تعترف بالحرية لفئة ممتازة فى الوقت الذى تعترف فيه بالعبودية للجماهير الساحقة من الشعب .

ومع تطور الحياة وتبدل العصور تغير مفهوم الديمقراطية واكتسب ابعادا

اجتماعية وسياسية جديدة ،حتى لقد وصل الامر — بعد الثورة الصناعية التي صاحبتها الثورة البرجوازية في أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر في اوربا — الى تحطيم قيود النظم العبودية والاقطاعية . وأصبح الشعب ديمقراطيا يشمل كل مواطن بغض النظر عن طبقته يؤدى كما معينا من الضرائب ثم تطور الى أن اصبح يشمل كل مواطن بغض النظر عما يدفعه او لا يدفعه من ضرائب يصل عمره الى حد معين الخ ...

كذلك فان الابعاد الاجتماعية والسياسية لمفهوم الديمقراطية يختلف اختلافا جوهريا في مجتمع رأسمالي عنه في مجتمع اشتراكي . فهو في المجتمع الرأسمالي ديمقراطية الطبقة الرأسمالية الحاكمة والمسيطرة التى تمارس دكتاتورية مقنعة او سافرة ضد الطبقات الشعبية والعاملة . في حين هي في المجتمع الاشتراكي ديمقراطية الطبقات الشعبية والعاملة من جانب ودكتاتورية واضحة ضد الطبقة الرأسمالية المستغلة المنهارة .

ومن هنا ايضا نجد ان الديمقراطية وابعادها الاجتماعية والسياسية يختلف مفهومها بين شخص ينتمى للطبقة الرأسمالية وشخص اخر ينتمى للطبقة العاملة في نفس المجتمع . ان مفهوم الديمقراطية في مجتمع ما قبل ثورة يوليو مثلا لا يمكن ان يكون واحدا بالنسبة « لعبود » والعامل الاجير في مصنع السكر الذى كان يملكه في كوم امبو ، وكذلك لا يمكن ان يتساوى معنى الديمقراطية ويطابق لغة القاموس بالنسبة لكل من البدراوى عاشور والفلاح او العامل الاجير في ارضه الشاسعة ببهوت .

كذلك الحال في مجتمع ما بعد الثورة وفي اطار تحالف قوى الشعب العاملة ستظل هناك اختلافات — وان كانت غير عميقة وجذرية بالدرجة التي كانت اليها قبل الثورة وانتهاج الطريق الاشتراكي — بين مفهوم كل قوة للديمقراطية . وكلها مفاهيم تختلف عن المفهوم اللغوى بقدر ما تكسبه من ابعاد ومصالح واهداف اجتماعية وسياسية .

ونحن نصل الى نفس النتائج — فكريا واجتماعيا وسياسيا — لو عالجنا « العدالة الاجتماعية » و « الاستغلال » ، في حين ان الاعتماد على مجرد « الوضوح اللفظي واستقامة الالفاظ » دون الابعاد الاجتماعية والسياسية والتطور التاريخي الانساني يؤدى بنا الى القول ان مفهوم « العدالة الاجتماعية » في مصر اليوم هو نفس مفهومها في مصر عام ١٩٤٠ او عام ١٩٥٠ او حتى عام ١٩٦٠ قبل الاختيار الحاسم للاشتراكية في يوليو ١٩٦١ . او ان « الاستغلال » في نظام المملكة السعودية الراهن له نفس المعنى والمدلول في نظام الجمهورية العربية المتحدة المعاصر ، لمجرد ان القاموس اللغوى العربى المشترك يعطى معنى موحدا ومجردا للكلمة .

كذلك الالتزام التنظيمى يكتسب ابعادا اجتماعية وسياسية اعمق واعقد من مجرد المعنى اللغوى الذى يقف عند حدود التعلق « وعدم المفارقة » وهو يزداد عمقا وتعقيدا اذا ما اتصل الالتزام بتنظيم ثورى يقود ويعبىء الجماهير الشعبية من أجل بناء الاشتراكية .

ان الالتزام هنا يعنى اول ما يعنى قيام علاقة عضوية منضبطة بين العضو والتنظيم وذلك على اساس من المصلحة الاجتماعية التي يستهدف التنظيم التعبير والدفاع عنها وتجسيدها واقعيا . ومن خلال عملية الاقتناع الحر للعضو بفكر وخط التنظيم الجماعيين . وهذه العملية تفادى الفرض والامر وتستخدم اساسا الحوار المفتوح والمنظم كوسيلة ديمقراطية يتم من خلالها احتكاك الاراء وتصارعها بعضها ببعض وصولا الى الفكر الموحد للتنظيم .

ولقد اثبتت التجارب ان عملية الصراع الفكرى بين اعضاء التنظيم ومن خلال الحوار

الحر والدائم بين جميع المستويات هى جوهر الحياة والنمو للتنظيم . انها بعبارة تصويرية تشبه عملية الدورة الدموية فى جسد الانسان لاحياة له بدونها ، ولا صحة له بدون انتظامها . ومن هنا يصبح واجبا على التنظيم ككل وعلى كل عضو من اعضائه ان يعملوا على تحريك الدورة الدموية الفكرية للتنظيم وانتظام حركتها من أعلى لاسفل ومن أسفل لاعلى بحيث تشمل جميع الاجهزة التنظيمية وجميع المستويات . وبحيث يتم من خلال الصراع فى اطار دورته الفكرية تنقيح وتصحيح الافكار والاراء بعضها لبعض وصولا الى موقف فكرى جماعى للتنظيم ككل بالنسبة للقضايا والمشاكل التى يواجهها سواء داخل او خارج التنظيم طبقا للظروف والامكانيات .

فاذا اعتمد التنظيم ـ بأغلبيته ـ هذا الموقف الفكرى المحدد وترجمه الى اجراءات محددة أصبح هذا الموقف الفكرى واجراءاته العملية ملزمة لجميع الاعضاء فى علاقاتهم ونشاطهم وواجبه النفاذ حتى بالنسبة للقلة من الاعضاء الذين كانت آرائهم وافكارهم خلال عملية الصراع مختلفة عن هذا الموقف . وذلك كله اعمالا للمبادىء التنظيمية فى خضوع رأى الاقلية لرأى الاغلبية والمستويات الدنيا للمستويات العليا والمركزية الديمقراطية .

والالتزام بهذا الخط الفكرى العام واجراءاته العملية المتخذة من جانب التنظيم ، لا يصادر حق كل عضو فى ان يثير من جديد داخل التنظيم فحسب لا خارجه وبالاساليب التنظيمية المقررة آراؤه المعارضة لهذا الخط او ما تسفر عنه التجربة من ملاحظات ونقد طالبا اعادة النظر فى هذا الخط العام واجراءاته . وحق العضو هنا ليس ضمانا ديمقراطيا له فحسب وانما هو ضمان للتنظيم نفسه ضد الجمود .

وقد اثبتت بعض التجارب ، وخاصة فى البلاد ذات التنظيم السياسى الثورى الواحد ، ان هذا الضمان وحده غير كاف لحماية التنظيم من الجمود . ولذلك نشهد اليوم اتجاهات جديدة لتوسيع نطاق هذا الضمان وتعميقه عن طريق قيام رقابة ادبية غير ملزمة من الجماهير الشعبية على عملية الصراع الفكرى داخل التنظيم نفسه . فنرى فى يوجوسلافيا وغينيا ومالى اليوم ان وحدات وخلايا الاحزاب والتنظيمات الثورية فى هذه البلاد تعقد كل اجتماعاتها او بعضا منها على الاقل بطريقة مفتوحة تحضرها الجماهير الشعبية الغير اعضاء فى التنظيم كمراقبة . وذلك لتشجيع الاعضاء على الحوار من ناحية ، ولنقل كل وجهات النظر المتصارعة فى الحوار التنظيمى بطريقة مباشرة وحية الى الجماهير الشعبية لتبدى بطرقها المتعددة آرائها فيها ، فيسهل على التنظيم التعرف عليها قبل ان يقرر خطه الملزم بشأنها .

كذلك نشهد فى هذه التجارب وغيرها انشاء منابر صحفية وفكرية علنية وجماهيرية لادارة الصراع على صفحاتها بحرية جنبا الى جنب مع الحوار التنظيمى وذلك للاستفادة بكل الخبرات التى لم تتمتع بعضوية التنظيم بعد او تلك التى تتمتع بالعضوية فعلا ولكن لم تتمكن لاسباب مختلفة من ابداء وجهة نظرها .

ومادام الالتزام التنظيمى لا يمنع الصراع الفكرى فمن الطبيعى اذن ان توجد داخل التنظيم تيارات واتجاهات فكرية متصارعة يدور بينها الحوار . وهذا امر لا يوجب الخشية او الحذر بل هو علامة صحة ومناعة ضد الجمود . وهذا وضع يجب ان يميز بدقة وحرص عن وضع مرضى يلزم ان يعالج ويقاوم ونعنى به تكون الشلل والانقسامات التنظيمية داخل التنظيم . فالشلل والانقسامات هى الميكروب المفتت لكيان التنظيم والمضعف لفاعليته والمحطم لوحدته . ومعيار التمييز بين الشلل والانقسامات من ناحية والتيارات والاتجاهات الفكرية من ناحية اخرى ، هو ان الاولى تتكون من حول مصالح شخصية تبغى الحصول على النفوذ داخل التنظيم وتوجيهه لخدمتها ضد شلل منافسة او ما تعتقد انه شلل منافسة ، دون اى اعتبار لفكر او اتجاه او اختيار اجتماعى ولا مراعاة للوحدة التنظيمية ككل . فى حين ان الثانية تتبلور من حول افكار واختيارات اجتماعية بغض النظر عن الاشخاص ، وتستهدف اقناع التنظيم بها من خلال الصراع مع الافكار والتيارات الاخرى .

والملاحظة الرابعة تتصل بما يمكن ان نطلق عليه تقاليد او ادبيات الصراع الفكرى .

ولعل فى مقدمة هذه التقاليد والادبيات الترفع عن استخدام الحيل والاسلحة غير المشروعة فى النقاش والحوار . وذلك مثل الانطلاق دائما فى مناقشة الاخرين من موقف ذاتى لا من موقف موضوعى ، معتبرين الموضوع فى النهاية موضوع خصومة شخصية او محاولة لازاحة شخص من مكانه والحلول محله ووراثة مناصبه .. ومثل محاولة التحصن داخل ما حصل عليه الشخص من شهادات ودرجات ، والظهور امام الغير دائما بمظهر الاستاذ والمعلم الذى لا يناقش من ينقد أرائه ، وانما هو فقط يتنازل من عليائه ليصحح اخطاء « التلاميذ » الذى تجراوا على ان يقولوا كلمة مستقلة . ومثل الانحراف عن الجدل الموضوعى حول الاراء والافكار المعروضة الى تدبيج قائمة بالاتهامات وارتكاب المنكرات لمن نختلف واياهم فى الراى ، ونتحول بذلك من رجال فكر واصحاب رأى الى ضباط بوليس ووكلاء نيابة يجهدون النصوص لضبط جريمة .

ونحن نلاحظ — مع الاسف — استخدام غالبية من تعرضوا للطليعة بالنقد المعارض — وهذا حقهم — لعدد من هذه الاسلحة غير المشروعة للصراع الفكرى .

ان استاذنا زكى نجيب محمود نفسه تورط فى استخدام وضعه كأستاذ فلسفة ليصادر حق « اديب ديمترى » فى مناقشة ونقد آرائه ومدرسته الفلسفية . فنراه مرة يعمد الى تصويره على انه « كاتب عابر سبيل » ومرة اخرى يؤكد على معنى انه كان يوما من التلاميذ الدراسين للمشكلات الفلسفية التى يدرسها الدكتور زكى نجيب محمود فى الجامعة (الفكر المعاصر — نوفمبر ١٩٦٦ — درس فى التحليل) . وهو يصدر هذا كله بقوله :

« كتب عابر سبيل من الكتاب ، مقاله عابرة عن الفكر الفلسفى فى بلادنا ، وعلاقته فيما يرى بصراعنا الاجتماعى ، تعرض فيها النفر من رجال الفلسفة فى جامعاتنا ، كلهم قد افنى من عمره دهرا ، يتعلم ويعلم ، تعرض فيها لهؤلاء — وهو عابر السبيل فى ميدانهم — لا ليناقشهم الرأى مناقشة الند للند وحسبه فى ذلك ان يجتمع من لا يعلمون على صعيد واحد .. لا ، والله .. »

والدكتور زكى نجيب محمود يستهدف بذلك ان يترك انطباعا محددا عند القارىء انه لا يواجه عملية حوار او صراع فكرى وانما هو يواجه عملية « تطاول » تلميذ على أستاذ ، وان التلميذ لا يعرف من علم الاستاذ شيئا مذكورا . وهو حين يشرع من وجهة نظره فى مناقشة آراء وافكار اديب ديمترى فى مقاله بالطليعة (عدد اكتوبر ١٩٦٦) عن الفكر الفلسفى وصراعنا الاجتماعى ، لا يواصل المناقشة وانما يقطعها ليقول بالحرف الواحد :

. « هل اصارحك القول يا سيد اديب ديمترى ؟ اننى حين بلغت هذا القدر من هذا المقال ضاقت نفسى بما اصنعه ، وامسكت عن المضى فيما كنت قد اعتزمت المضى فيه من تحليل لبعض ما ورد فى مقالك ، لانه اذا كان التهافت الفكرى — وكدت اقول التفاهة — قد بلغ بصاحبه هذا المدى فما كان ينبغى ان القى اليه بالا ، ولولا ان هنالك جمهورا يقرأ ، له علينا واجب نؤديه » وبهذا ينهى الدكتور زكى نجيب محمود مقاله الذى اختار له عنوانا محددا هو « درس فى التحليل » .

ونحن لم ننكر قط ان الدكتور زكى نجيب محمود استاذ جليل تعلمنا منه كثيرا ولكن هذا لا يمنع من ان نختلف مع آرائه ايضا كثيرا .. هذه قضية وتلك قضية اخرى . وليس الدكتور زكى نجيب محمود هو الاستاذ الوحيد الذى نختلف معه رغم كل الاجلال

والاحترام ولسنا نحن وحدنا « التلاميذ » الذين يختلفون مع آراء اساتذتهم . هذا امر طبيعى ووارد دائما وشامل فى كل العصور وفى كل المجتمعات . وزكى نجيب محمود نفسه كان بدوره تلميذا واختلف مع اساتذته ولو صادرنا حق الاختلاف والجدل بين الاساتذة والتلاميذ اجيالا وراء اجيال لكان معنى ذلك ان توقف وتجمد الفكر البشرى والابداع الانسانى عند اول معلم ظهر فى تاريخ الانسانية . وليس هنالك فى تاريخ البشرية استاذ فقط او تلميذ فقط .. كل انسان مهما كانت درجة ثقافته ووعيه بل كلما ارتفعت درجة ثقافته ووعيه هو استاذ وتلميذ فى نفس الوقت بل هو تلميذ اكثر منه استاذا ، لان كنوز الحياة والفكر والتقدم لا نهاية لها ولم تتكشف الاستار الا عن اجزاء منها فحسب . ولهذا كان الثوريون الاشتراكيون يعتبرون انفسهم تلاميذ بصورة دائمة للحياة والفكر الانسانى

ومن هنا فان كل محاولة لمصادرة النقاش بحجة عدم شرعية وعدم قدرة « التلاميذ » على مناقشة افكار اساتذتهم ، فوق انه مصادر حق الجدل العلمى الذى يجب ان يدافع عنه اول ما يدافع الاساتذة ... واساتذة الجامعات بوجه خاص ، تستتر من خارج موضوع المناقشة والحوار بمناصب ودرجات الاستاذية كأسلحة ضد معارضيهم فى الرأى ولذلك كانت اسلحة غير مشروعة .

ونحن نلحظ ايضا فى حديث استاذنا الدكتور زكى نجيب محمود وفى حديث الدكتور الشنيطى (الفكر المعاصر — نوفمبر ١٩٦٦ — دفاع عن فكرنا الفلسفى) اتجاها غريبا الى التقوقع المنهى والتماسك الفئوى الضيق فى اضفاء « قداسة معينة » على اساتذة الجامعات واعتبار من يتجرأ على مناقشة أيا منهم عقوقا وجريمة لا تغتفر .. فهم جميعا — ايا كانت افكارهم واتجاهاتهم الاجتماعية — على صواب دائما ، وكلمتهم وحدها هى كلمة الحق . وهذا وضع يؤدى بنا الى نتيجة شاذة ومناقضة لجوهر رسالة الجامعة نفسها فى تربية القدرات على التفكير والابداع وفى حساسية حرية الفكر والجدل العلميين . والحق ان هذا تيار غريب على الجامعة أخذ يشيع فى السنوات الاخيرة محاولا عزلها داخل أسوارها . ومن حسن الحظ ان هنك عدد من الاساتذة يقاومونه بشجاعة ادبية عظيمة اليوم .

وليس هذا هو السلاح الغير مشروع الوحيد وانما هنالك — وبالذات فى مجتمعنا اليوم — من يشيع استخدام سلاح آخر غير مشروع ، هو الاتهام « بالالحاد » . تصريحا او تلميحا .

ففى كل مرة ينطلق فى المجتمع فكر جديد واتجاهات جديدة تعبر وتتفاعل مع مسيرة التطور التاريخى يواجه برد فعل مضاد يمتد الى محاصرته ومحاولة قتله فى مهده دون مناقشة او حوار وذلك باتهامه بالالحاد . والهدف هنا هو ان يتحول الفكر الجديد من مواقع الهجوم على الافكار المناقضة له والقيم القديمة الى مواقع الدفاع واستنفاد طاقته فى اثبات براءته من الاتهام ، بدلا من ان يتجه بالحوار نحو كشف تناقض الافكار الاخرى مع الواقع والحياة وحركة التطور .

ولم يسلم دعاة اية حركة اصلاحية ذات اثر ، او ثورية تقدمية من هذا الاتهام . لقد ووجه به من قبل جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده وقاسم امين وطه حسين وغيرهم . واليوم يسلط الاتهام على الفكر الاشتراكى العلمى فى مجتمعنا .

والملاحظ ان هذا الاتهام لا ينشط الا فى مواجهة الحركات والافكار التى يثبت التاريخ فيما بعد صلاحيتها وتقدمها فى عصرها ومناخها الاجتماعى . ولم يحدث ان ارتفع هذا الاتهام قط فى وجه الحركات والافكار المعادية للتقدم الاجتماعى وتحقيق المصالح الشعبية . ولعل هذا ما يفسر ان « نغمة الالحاد » مثلا لم تعزف فى مجتمع ما قبل الثورة فى وجه الملك وطبقتى الاقطاع والرأسمالية ومفكريها وانما راحت تعزف بعد الثورة حينما راح

الشعب بقيادته الثورية يسقط الملكية والاقطاع والرأسمالية الكبيرة ، ويتجه — فكرا وعملا — نحو بناء المجتمع الاشتراكي .

وهذا يؤكد ان « الاتهام بالالحاد » لا يصدر في الحقيقة عن نوازع دينية خالصة ، وانما هو — اولا واخيرا — سلاح سياسي ذو طبيعة معادية للتقدم .

واذا كان متصورا ان تستخدم الرجعية ومفكروها هذا السلاح ، كما يحدث اليوم مثلا في مجال الوطن العربي من جانب الملك فيصل والملك حسين والكتاب والمثقفين المرتبطة مصالحهم بهما وبنظاميهما — فمن غير المتصور والمقبول ان يستخدم كتاب ومفكرين من ابناء تحالف قوى الشعب العاملة ضد اشقاء لهم في نفس التحالف ولكن يختلفون عنهم في النظرة الفكرية والاجتماعية للقضايا والمشاكل ..

بيد انه مع الاسف يتورط عدد من الكتاب والمفكرين في التحالف في استخدام هذا السلاح ويضعون بذلك انفسهم واقعيا في نفس الصف مع القوى الرجعية ومفكريها .

ان الدكتور محمد فتحي الشنيطي مثلا (الفكر المعاصر — نوفمبر ١٩٦٦ — دفاع عن فكرنا الفلسفي) يعزف بشدة على نغمة الالحاد خلال ما تصوره ردا على الطليعة . فهو لم يناقش مناقشة موضوعية شيئا ، وانما راح يطلق الاتهامات المتكررة بالالحاد ، وحتى عندما اصطدم بأن « الطليعة » تؤكد على الدور التقدمي للدين ، وفاعلية القيم الروحية في التطور الاجتماعي للجماهير نحو الاشتراكية ، تبرع سيادته بتفسير ذلك قائلا :

« .. فمادام المجتمع يتشبث بالقيم الروحية ، ومادام الميثاق يعتز برسالات الاديان فلا بأس « سياسيا » و « مرحليا » بالتسليم بالجانب الديني ، والحرص في كل ما يكتب عن « الاشتراكية العلمية » على التنويه في عبارة او عبارتين بهذا . وهي حيلة من الحيل « التكتيكية » البارعة لا تنطلي على كل ذي فطنة ؟ »

ولا يقف الدكتور الشنيطي عند هذا الحد ، بل يكشف عن خيبة أمله — اذا صح هذا التعبير — لان « كاتب الطليعة » لم يهاجم التراث الروحي فيكتب قائلا :

« واننا لنتساءل لم لا يكون الكاتب صريحا مع نفسه ومع قرائه فيهاجم ايضا التراث الروحي (وهو يكتفي بما يشبه الغمز) مادام يتنافى تماما مع علمية الاشتراكية في مفهومه » .

ونفس النغمة يرددها — باسلوب آخر — عبد المغني سعيد (العمل — نوفمبر ١٩٦٦ — أهذا هو الطريق الى وحدة الفكر) حينما « يجد ان حملة الطليعة ليست بالموجهة الى الرجعيين والبرجوازيين بقدر ما هي موجهة الى المفكرين الاشتراكيين العرب غير المؤمنين بالفلسفة المادية الالحادية والمرتبطين بالواقع والتراث ! ؟ »

ومع ذلك لم يستطع اي من الزميلين او غيرهما ان يسند اتهامه بدليل محدد ، وان يضع اصبعه وعينه على فكرة او نص في مقالات الطليعة تشي بالالحاد من قريب او بعيد .. ولن يستطيعوا . لماذا ؟

لا ادري هل يسعدهم ام يسوءهم اذ قلت لهم اننا نؤمن بالقيم الروحية وبدور الدين وتراثه الاصيل في مجتمعنا كقوة دافعة وبناءة للشعب في نضاله من أجل التحرر والتقدم الاجتماعي . وايماننا هذا لا ينبع فحسب عن موقف روحي وانما ايضا عن تحليل علمي لدور التراث الديني وقيمه الروحية في التاريخ الاجتماعي . فان هذا التراث وقيمه بتغلغلهما العميق في نفوس ووجدان جماهيرنا الشعبية المؤمنة التي ظلت

قرونا عديدة مقهورة ومستغلة ، ومع ذلك لم تفقد ايمانها يوما بان « الله » سينصرها مادامت تناضل من أجل تغيير اوضاعها واسقاط اعدائها وبناء مجتمع العدالة حيث يقضى على استغلال الانسان للانسان .. نقول ان هذا التراث قد اكسب الجماهير الشعبية ـ روحيا ـ طاقة لا تنفد على النضال وحول هذه القيم الروحية من خلال الايمان الجماهيرى بها الى قوة مادية فعالة فى حركة التطور .

ثم كيف يمكن ان نحكم على انسان بانه ملحد ؟ لا سبيل الى هذا الا الكشف عن دخيلة نفسه ، وهذا غير ممكن للغير ـ أو ضبط موقف له معاد للدين وهذا طبعا ممكن للغير . فما هو الموقف الذى يضبطه علينا الدكتور الشنيطى او عبد المغنى سعيد فى هذا المجال ، بعد ان منحا انفسهما سلطة محاكم التفتيش فى العصور الوسطى لاصدار شهادات التدين وشهادات الالحاد على من يشاء !..

والحق ان القضية المطروحة اليوم ليست الالحاد من عدمه ، وانما هى فى جوهرها قضية استخدام القوى المضادة للاشتراكية وفكرها العلمى وثورتها للدين ستارا لحركاتهم وافكارهم المعادية . ان الصراع من اجل الاشتراكية لم ولن يكن ابدا مع السماء والدين وانما هو دائما وابدا على الارض فى المجتمع ضد المستغلين وافكارهم وقيمهم ونظمهم ...

ومن هنا تأتى عدم مشروعية استخدام سلاح الالحاد فى الصراع الفكرى لان اصحابه اذ يخشون من الحوار والجدل العلميين حول القضايا والمشاكل الجوهرية ، يحرفون المناقشة عن موضوعها الى متاهات من صنعهم .

وثمة سلاح ثالث غير مشروع وهو الصراخ فى وجه كل فكر تقدمى بانه شيوعيه حتى وان لم يكن كذلك .

وقائمة الاتهام بالشيوعية قائمة مرنة وواسعة بدرجة مهولة ـ كظاهرة عامة ـ فى المجتمعات التى كافحت ومازال شعوبها ضد الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والتخلف والاقطاع والاستغلال الراسمالى وهذا طبيعى ، لان الهدف هو عزل كل القوى الوطنية والتقدمية عن الجماهير والتخويف من الاتصال والتفاعل معها .

ان قائمة الشيوعية فى مجتمعنا مثلا ضمت فيمن ضمت المرحوم محمد خطاب عضو مجلس الشيوخ قبل الثورة الذى نادى بتحديد الملكية الزراعية رغم انه كان عضوا بارزا فى الحزب السعدى .. حزب الراسمالية المصرية ، والمرحوم الدكتور محمد مندور رغم انه من المتأثرين بفلسفة وافكار سان سيمون التى تعاديها الشيوعية ، ومازال تضم الدكتور لويس عوض على الرغم من انه اشتراكى ديمقراطى والشيخ خالد محمد خالد والشيخ الدكتور سعاد جلال والدكتور حافظ امين رغم انه من اتباع الوضعية المنطقية وهى المدرسة الفلسفية التى يتزعمها فى بلادنا استاذنا الدكتور زكى نجيب محمود .

ولقد آن الاوان لان نتعرض لهذه القضية بصراحة موضوعية ، بحيث لا تظل على الوضع الذى اقامتها فيه القوى الاستعمارية والرجعية فى بلادنا « كخيال المآته » .

واذا كان المقام هنا لا يتسع للتعرض التفصيلى لهذه القضية فلا بأس من ان نحدد هنا فى مجالنا بعض النقاط :

● ليس بخاف على احد انه تكونت فى بلادنا قبل الثورة عدة تنظيمات شيوعية محدودة العدد معظم اعضائها من المثقفين الوطنيين الذين آمنوا بالاشتراكية طريقا للتطور الاجتماعى .

ويجب هنا ان نتصدى موضوعيا للاجابةعلى سؤال : في أي حزب او هيئة من الاحزاب القائمة قبل الثورة كان يمكن انينضم المواطنون الذين آمنوا بالاشتراكية طريقا للتطور الاجتماعي ... للاخوان المسلمين .. للسعديين .. للاحرار الدستوريين .. للوفد الخ ... ؟ بالقطع لا فهذه كلها كانت احزابا معادية للاشتراكية بحكم تكوينها ومصالحها الطبقية وطبيعةقياداتها وذلك بدرجات متفاوتة . باختصار لم تكن هذه الاحزاب ثورية وكان اقصاهاتقدما لا يستهدف الا الاصلاحات الجزئية في إطار النظام الشبه اقطاعي الشبه رأسمالي القديم .. ولهذا كان طبيعيا وحتميا ان يلجأ اولئك بتضحيات كبيرة — الى تكوين منظماتهم الشيوعية المستقلة ...

● وبعد الثورة استمرت التنظيمات الشيوعية بكياناتها التي اندمجت وانشطرت عدة مرات بنشاط سري . ووقع بينها وبين الثورة صدامات نتيجة عدم الوضوح الفكري وتعقد الظروف الاجتماعية والسياسيةمحليا وعالميا ، فاذا ما توفر الوضوح الفكري نتيجة التجارب الهائلة والعميقة التي خاضتهاالثورة بقيادتها الوطنية والتقدمية الاشتراكية حيث تم التحرر الكامل واتخذت الاجراءاتالتاريخية للتحول نحو الاشتراكية في يوليو ١٩٦١ ، واعلن الميثاق الوطني كدليل للعملالثوري عام ١٩٦٢ ، وبدىء في تكوين الاتحاد الاشتراكي كتنظيم سياسي ثوري واحدلتحالف قوى الشعب العاملة .. اقدمت هذه التنظيمات باختيارها وباقتناعها الحرعلى حل كياناتها التنظيمية والغاء وجودها المستقل وتقدم اعضاؤها السابقون كافرادللاتحاد الاشتراكي .. ملتزمين بالميثاق وبالاتحاد الاشتراكي كتنظيم سياسي واحدوبقيادة جمال عبد الناصر وذلك في مارس وابريل ١٩٦٥ .

ولم يقتصر قرارهم على الحل بل قدموانقدا ذاتيا لاخطائهم السابقة معترفين بأنهم « قصروا عن تحويل افكارهم ومواقفهم السياسية الى قوة مادية فعالة تجري التحولات الثورية المتطلبه ... وهذا راجع الى سببين رئيسيين :

الاول : عدم الارتباط العميق والعضوي بالجماهير الواسعة والعزلة النسبية خصوصا عن اعرض اقسامها وهم الفلاحون .

والثاني : الانقسامات المزمنة التي فتتت الحركة الشيوعية المصرية .

وبالاضافة الى هذين السببين الرئيسيين ثمة اسباب اخرى بعضها ذاتي والآخر موضوعي في مقدمتها افتقار التنظيمات الشيوعية المصرية الى القيادات الشعبية النابعة من صفوف العمال والفلاحين وغلبة نفوذ مناهج البرجوازية الصغيرة في صفوفهم . ومن هذه الاسباب ايضا الجمود العقائدي الذي ساد فترة طويلة في الحركة الشيوعية المصرية . ان هذا الجمود في جوهره يتمثل — بالدقة — في عدم ادراك التغييرات الجذرية التي حدثت على الصعيد الدولي بانتصار نظام الاشتراكية في العالم . ومن هنا درجت المنظمات الشيوعية المصرية على التقليل من دور القيادات الوطنية والثورية الاخرى التي بدات توالى الظهور على المسرح السياسي ، ونخص منها بالذكر قيادة الضباط الاحرار التي نظمت وقادت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ... »

● ومنذ هذا التاريخ لم يعد هناك — علميا وعمليا — مايمكن ان نسميه بالتنظيمات الشيوعية او بالشيوعيين في بلادنا . لان الشيوعي هو من ينتظم في عضوية جزبه او تنظيم شيوعي ويلتزم بالولاء له دون غيره ويستهدف بنشاطه الاستيلاء على السلطة . وهذا لم يعد موجودا ، وكل محاولة لاعادة التنظيم الشيوعي او تكوين تنظيم جديد خروج عن الالتزام يجب ان يدان لانه يصبح تآمرا ضد قضية بناء الاشتراكية في مجتمعنا بالطريق الذي اختطه الميثاق وتحالف قوى الشعب العاملة بقيادته الثورية ...

وبالتالي فالكلام عن الشيوعيين في مجتمعنا اليوم هو كلام عن شيء غير قائم وغير موجود . ان ما في مجتمعنا اليوم لا يعدو ان يكون بضعة مئات من مواطنين ماركسيين فحسب . والماركسية في النهاية ليست مذهبا او عقيدة ذات حلول مسبقة جاهزة وانما هي مجرد منهاج للتفكير والتحليل فحسب . والمواطنون الماركسيون الفكر مثلهم مثل المواطنين الاشتراكيين الديمقراطيين ، والمواطنين الذين ينتمون فكريا للوضعية المنطقية .. وغيرها من المناهج التي يحتضنها تحالف قوى الشعب العاملة ، لكل منهم طريقته واسلوبه في التفكير ولكنهم في النهاية ينطلقون من قاعدة الالتزام بالميثاق كدليل لا بديل له للعمل الثوري وبوحدة التنظيم السياسي الواحد .. الاتحاد الاشتراكي العربي .

ومن هنا فان محاولة اقحام البعض للاتهام بالشيوعية في مجال الصراع الفكري هو استخدام لسلاح غير مشروع لانه مناقض للواقع الذي لم يعد فيه وجود - سرا او علانية - لاي تنظيم شيوعي ، وحرف الحوار الى متاهات لاجدوى منها

— ٨ —

وهناك اخيرا **ملاحظة خامسة** وهي ضرورة ان يرتفع حوارنا وصراعنا الفكري الى مستوى المسئولية التي نحملها ، وهي التصدي العلمي الخلاق والجسور للظواهر الجديدة التي تقدمها الحياة في حركتها باستمرار وخاصة في تجربتنا المتميزة ، والتي لم يسبق للمناهج الفكرية العلمية ولا للتجارب الاشتراكية السابقة في التاريخ الانساني ان واجهتها من قبل .

مثل ظاهرة التحام ثورة التحرر الوطني بالثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية .
ومثل ظاهرة بناء التحالف الاجتماعي الثوري من طبقات وفئات اجتماعية وليس من احزاب وتنظيمات في شكل الجبهة التقليدية .
ومثل ظاهرة التحول السلمي نحو الاشتراكية في مجتمع يخوض معركة عميقة وجذرية من اجل التنمية الاقتصادية .

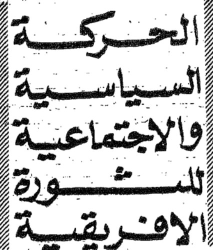
ومثل ظاهرة البناء الاشتراكي في جزء من وطن تتجه شعوبه واجزائه الاخرى نحو الوحدة القومية والتخلص من النفوذ الاستعماري في نفس الوقت .

اننا نطالب بأن يلتحم الصراع الفكري بقضايا الوطن الفكرية والعملية المحلية والقومية في اتجاه محدد الاهداف هو القضاء على كل اشكال ونفوذ الاستعمار في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتحول للاشتراكية والوحدة القومية بمضمونها التقدمي . وهذا يستلزم عدم حرفه الى متاهات بيزنطية لا جدوى من ورائها الا اشاعة الضباب والبلبلة .

و « الطليعة » في هذا المجال تتقدم باقتراح بعقد ندوة في رحاب الاتحاد الاشتراكي بين جميع الكتاب والمثقفين ابناء التحالف على اختلاف مناهجهم ومواقفهم الفكرية لرصد وتحديد نقط الاتفاق ونقط الاختلاف بينهم ، وادارة حوار منظم ومسئول حول النقاط الخلافية ، بهدف تقريب المسافات الفكرية بين ابناء التحالف - دون مساومات - من اجل تدعيم واشاعة واغناء الفكر الاشتراكي العلمي في مجتمعنا وربطه بالعمل الثوري للتحول نحو الاشتراكية بأقصر وقت وبأقل التضحيات .

لطفي الخولي





الحركة السياسية والاجتماعية للثورة الافريقية

ضمت ندوة افريقيا – حركة التحرر الوطنى والاشتراكية ٢٥ منظمة وحزبا افريقيا فى اول لقاء لها على ارض القارة الثائرة ، راحت تتصدى بالعرض والتحليل والحوار البناء لتجارب الحركة النضالية الافريقية المعاصرة . وقد نجحت المناقشات بكل حيويتها وواقعيتها فى اجلاء كثير من القضايا الغامضة وامدت القيادات الافريقية بذخيرة من الخبرة المكتسبة من التجارب النضالية الافريقية فى ظروفها المتباينة من التطور ابتداء من النضال المسلح فى بلاد تحتلها قوى الاستعمار القديم الى كفاح ضد الاستعمار الجديد وحتى شعوب تبنى مجتمعاتها على اسس اشتراكية علمية

ومن اهم ما ميز الندوة واكسبها مقومات النجاح ان النشاط العملى والواقع الموضوعى كانا رائدى كل متحدث ساهم فيها ، ونقطة البدء التى تنطلق على ارضيتها كل المناقشات ، اذ لم يكن من المتصور ان تغرق فى تجريدات وتصميمات حركات ثورية مرتبطة بواقعها تشن حروبا تحريرية مسلحة ونضالا صلبا ضد حكومات رجعية وتبنى الاشتراكية فى ظروف قاسية . وهكذا طفت نقاط اللقاء على كل الخلافات . وكلما استبقت قاعدة جديدة بادر الجميع الى تقييمها ثم تأكيدها من واقع الممارسة الثورية والخبرة العملية .

وتقدم الطليعة فى هذا الصدد التقريران الرئيسيان للندوة بجانب تقييم لاعمالها – باعتبارها اولى ندواتها – آملة ان تعمل فى المستقبل على عقد ندوات اخرى لتسهم فى تجميع القوى الثورية فى ظل ثورتنا المجيدة وتحت قيادة الاتحاد الاشتراكى العربى .

الاحزاب والتنظيمات السياسية أعضاء ندوة أفريقيا ثورة التحرر الوطنى والاشتراكية

شارك فى اعمال الندوة ٢٥ حزبا وتنظيما سياسيا من ٢٢ بلدا افريقيا :

١ – انجولا
- الحركة الشعبية لتحرير انجولا .

٢ – تانزانيا
- المنظمة الافريقية الوطنية لتنجانيقا (تانو)

٣ – الجزائر
- حزب جبهة التحرير الوطنى الجزائرى

٤ – الجمهورية العربية المتحدة
- الاتحاد الاشتراكى العربى

٥ – جنوب افريقيا
- حزب المؤتمر الافريقى
- الحزب الشيوعى

٦ – جنوب غرب افريقيا
- المنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا (سوابو)

٧ – زيمبابوى
- المنظمة الشعبية الافريقية لزيمبابوى (زابو)

٨ – ساحل الصومال
- جبهة تحرير ساحل الصومال

٩ – السنغال
- حزب الاستقلال الافريقى

١٠ – السودان
- حزب الشعب الديمقراطى
- الحزب الشيوعى

١١ – الصومال
- الاتحاد الديمقراطى للصومال

١٢ – غينيا
- الحزب الديمقراطى الغينى

١٣ – غينيا المسماة بالبرتغالية
- حزب الاستقلال الافريقى بغينيا المسماة بالبرتغالية وحزب الرأس الاخضر

١٤ – الكميرون
- اتحاد شعوب الكميرون

١٥ – الكونجو (كينشاشا)
- المجلس الاعلى لقيادة الثورة الكونجولية

١٦ – كينيا
- اتحاد شعوب كينيا

١٧ – ليسوتو
- حزب المؤتمر
- الحزب الشيوعى

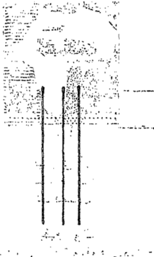
١٨ – مالى
- الاتحاد السودانى

١٩ – مدغشقر
- حزب مؤتمر الاستقلال

٢٠ – موزامبيق
- جبهة تحرير موزامبيق (فريليمو)

٢١ – المغرب
- الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية
- الحزب الشيوعى المغربى

٢٢ – النيجر
- حزب سوابو



مشاكل التقدم الاجتماعى فى افريقيا

د. الكسندر سوبوليف

١ — مقدمة

تمضى القارة الافريقية قدما فى الطريق العظيم .. طريق التطور التقدمى . ونشهد فى كل مكان تفتح جديد ، ومواد ونمو ودعم الاشكال التقدمية للتنظيم الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للمجتمع . ونتبين نموا مستمرا — وأوانه نمو بطىء — للقوى الانتاجية ، بينما تنمو الثقافة والتعليم .

والآن وقد بلغت معظم الشعوب الافريقية منعطفا جديدا فى تطورها فانها تشعر أكثر فأكثر بضرورة القيام بتعميم أعمق الطريق الذى قطعته ، ووضع مفهوم محدد للنمو الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والثقافى الذى يتلو ذلك ، يعكس فى نفس الوقت الاهداف الاستراتيجية للحركة فى مجموعها والواجبات التاكتيكية فى المرحلة الحالية للكفاح . ان الشعوب الافريقية تسعى للتطور



تطوراً كبيراً فى وضع الافكار الاساسية البناءة للتقدم الاجتماعى الافريقى ، وتعيين الطرق المحددة الملائمة لكل بلد ، والاشكال والمناهج اللازمة لبناء الحياة الجديدة فيه .

اسمحوا لى ان أعرض بعض الافكار بشأن المشاكل التى تتناولها هذه الندوة. واود ان اشير الى ان كلمتى هذه لا تمثل بأى حال من الاحوال تقريرا ، والعرض الذى اريد تقديمه ليس له اى طابع نهائى أوقاطع . وماهذه الكلمة الامجردآراء شخصية يبديها صاحبها، وما ابعدنى ان اظن اننى نجحت فى العثور على حلول مطلقة للمشاكل التى تشغل بال افريقيا اليوم .

وما المسائل المطروحة هنا سوى موضوع للمناقشة، وسوف اعترف بجميل زملائى فى هذه الندوة لو انهم ابدوا آراءهم حول جميع هذه المشاكل بروح صريحة مبدعة .

ومجلتنا «السلم والاشتراكية» مجلة عدد كبير من الاحزاب الشيوعية والعمالية من جميع ارجاء العالم ولهم وجهات نظرهم الخاصة بهم بشأن المشاكل المطروحة هنا ،وسوف يعبرون عن آرائهم اثناء هذه الندوة :

ولقد اتضحت اليوم كل الاتضاح المصاعب التى تعرقل القيام بهذه المهمة.فلهذه المصاعب اسباب كثيرة بعضها مستمر وبعضها وقتى. وهناك اولا عدم التساوى فى نمو البلاد الافريقية الى اقصى حد ،سواء اكان ذلك بالنسبة لمستوى القوى الانتاجية ام بالنسبة لمستوى التنظيم السياسى للمجتمع والثقافة ،الخ ..هذا الى ان الاتجاه الذى يسير فيه النمو الاقتصادى ليس واحدا هو الاخر. ومن ثم فان المشاكل الجديدة تواجه مختلف البلاد باشكال متباينة .

وتفاقمت تفاقما خطيرا التناقضات التى تؤثر فى اسس الواقع الافريقى نفسه والاوجه العميقة للثورة الافريقية .وبين هذه التناقضات تناقض رئيسى بين الامبريالية والاستعمار الجديد من جهة وبين المجتمع الافريقى من جهة اخرى .

ويتفاقم هذا التناقض فى الوقت الحالى نظرا لان الامبريالية اذ تستخدم مناهج تقليدية ومناهج استعمارية جديدة تسعى الى دعم توسعها فى افريقيا ونجحت فى بعض الاحيان فى الانتقال الى الهجوم المضاد .وامام هذا النشاط الذى تبديه القوى الامبريالية تنمو جميع التناقضات الاخرى فى القارة

بين المستغلين الافريقيين والعمال الافريقيين ، وبين بؤس الجماهير وثراء الصفوة المختارة، وبين الاشكال العتيقة للعلاقات الاجتماعية والمطالب التى يقتضيها نمو القوى الانتاجية، وبين سرعة زيادة السكان وبطء معدلات الانتاج .وتظل العلاقات القائمة على اساس السلالات محتفظة بطابعها الحاد،وتبقى العداوات القبلية، بينما تختلط التناقضات العنصرية اختلاطا متزايدا مع الكفاح الطبقى. وبعد الحصول على الاستقلال تظهر بشكل أوضح المشاكل الاجتماعية والمصاعب الاقتصادية الموروثة عن الاستعمار. وتدل الاعوام الاخيرة على ان الغون القائم لا يتضاءل بين الدول الراسمالية المتقدمة والقارة الافريقية فى مجموعها وكذلك بين هذه الدول الراسمالية المتقدمة وبين كل بلد افريقى على حدة، فيما يتعلق بمستوى الانتاج والدخل القومى. ولوحظ ان هناك أخطاء فى التقديرات ارتكبت بشأن التخطيط والتصنيع. والتجارب الاولى بشأن التعاون فى الانتاج الزراعى لم تكن موفقة فى جميع الاحوال. وظهرت مشاعر تنم عن تشاؤم اقتصادى وتردد: لن نستطيع بأى حال من الاحوال ان نلحق بالكتلة الامبريالية .

وهكذا نواجه مسألة اساسية ملحة لا تحتمل اهمالا وهى: ماهى الاشكال الاجتماعية الكفيلة بحل هذه التناقضات والتغلب على هذه الصعوبات والمضى بأفريقيا قدما فى الطريق العظيم للتقدم ؟

اسمحوا لى ان ابدى بعض الاراء بشأن هذه المسائل. ويهمنى ان اوجه الانظار الى ان التحليل الذى اقدمه يسرى بصفة خاصة على بلاد افريقيا المدارية، ومن ثم فلا يمكن ان تطبق على البلاد العربية فى هذه القارة سوى بعض الاراء التى يتعرض لها التقرير .

٢ ـ السمات الخاصة بافريقيا والقوانين العامة للتطور التاريخى

تتطلب دراسة آفاق التقدم الاجتماعى حلا عمليا لمشاكل جديدة كثيرة نظرية وسياسية تنبعث من السمات الخاصة للتطور التاريخى لافريقيا ، والقسمات المميزة للمجتمع الافريقى ، والوضع الاجتماعى والاقتصادى الراهن فى القارة .

ويجب ان تضع فى اعتبارنا بادىء ذى بدء ان شعوب افريقيا كانت فى عصر الراسمالية ولازمان طويلة مجالا لتجارة الرقيق .واتخذت السيطرة الاستعمارية فى افريقيا اشكالا من عمليات النهب المخزى غاية فى الوحشية والقسوة. كان هناك فى الهيكل الاقتصادى قطاعان متوازيان دون اية روابط بينهما: القطاع الاستعمارى (او التجارى) والقطاع التقليدى (او الابوى) . واستغـل الاستعمار الى اقصى حد التركيب الاقتصادى المحلى ليعرقل نموه زمنا طويلا .ومن خصائص افريقيافى المجال الاقتصادى والاجتماعى ان اقتصادها يقوم اساسا على الانتاج الطبيعى ذى التجارة الصغيرة الجنينية التى تستند الى علاقات قبلية .ولا تعرف معظم الشعوب مشكلة عدم وجود ارض زراعية بينمايمارس الاستغلال بمناهج قائمةعلى القهروغير اقتصادية على وجه اخص .

وتتسم العلاقات الطبقية فى البلاد الافريقيةبصفة خاصة بالبقاء الى اقصى حد، وبالركود فى تطور العملية الاجتماعية ،وببطءالتمايز فى المجتمع الافريقى، وبعدم وجود حدود واضحة بين الطبقات ،وبانتشار جماعات من الطبقات التى تقف بين الطبقتـــين الرئيسيتين ،وبعدم تساوى نمو هذه الجماعات وتداخلها المتبادل فيما بين بعضها البعض. واليكم مثلاماورد فى ميثاق الحركةالوطنية الثوريةلجمهورية الكونغو (برازافيل) بشأن السمة المميزة للوضع الطبقى فى المجتمع الافريقى. ويستخلص الميثاق فى هذا البلد الطبقات والفئات الاتية: ملاك الاراضى الاقطاعيون ، والملاك المستوطنون أو المستوطنون الزراعيون ، والكنائس التى تمتلك الاراضى،واغنياء الفلاحين ، والفلاحون المتوسطون ، والفلاحـون الفقراء، والعمال الزراعيون (البروليتاريا الريفية) والبورجـوازية الكومبرادورية والبيروقراطية ، والبورجوازية الوطنية ، والبورجوازية الصغيرة، والمثقفون وصغار المستخدمين ، والبروليتاريا ، وحثالة البروليتاريا .

وخاصية اخرى هامة من خصائص العلاقات الطبقية فى المجتمع الافريقى هى تأثير العلاقات القبلية الباقية على مختلف المستويات فى جميع بلاد افريقيا المدارية . ويرى كثيرون من المختصين ان القبليةاداةفعالة فى يد الرجعية .والقبيلةمجموعة من السكان تجمع افرادها وحدة اللغة والعادات وتخضع لقيادة رئيس او رئيسين ،ويعيش افراد هذه المجموعات فى تجمعات يظللها النظام الابوى.

وتوجد فى افريقيا سياسات كثيرة تدافع عن القبلية كتعبير عن تفرد اسلوب الحياة الافريقى، وعلى اعتبار انها مكاسب ثمينة تاريخيا حققتهـا الحضارة الافريقية، وتنتقد هذه السياسات بشكل عنيف انصار الاشتراكية العلمية لموقفهم السلمى ازاء هذه المخلفات الباقية من التجمعات التى نشأت فى الماضى .

انهم يريدون دون شك ان يشوهوا وجهة النظر الماركسية بشأن القبلية .ان الماركسيين متهمون بأنهم اعداء التقاليد الافريقية واعداء ثقافة افريقيا والخصائص المميزة لعاداتها. وانه لتشويه صريح. ان الماركسيين يناصرون كل ما هو افضل بين تقاليد وثقافة شعوب القارة الافريقية، ويعارضون فى نفس الوقت الرواسب والتقاليد الرجعية كمـا يعارضون عناصر الركود الاجتماعى. ان العلاقات القبلية تموت لا نتيجة لتآكل منبعث من النقـد الماركسى، وانما بسبب الروح البرجوازية النهمة التى تجرى وراء الارباح والتى تغذيها السياسة الاستعمارية. ان الذين غرسوا الثقافات المعدة للتصدير هم الذين ينظرون الى تلك التجمعات نظرة ازدراء ، ذلك لان هذه الثقافات لا تستخدم لغـير الشعوب الافريقية وانما لقهرها واســـتعبادها ولاستغلالها ابشع استغلال .ان الثقافة القائمة على عبادة العجل الذهبى هى العدو الحقيقى لكل ما هو رائع فى قسمات التقاليد الافريقية، وهى التى تقضى على ما فيها من تفرد جذاب وعلى الاسس الاخلاقية للروح الجماعية والمساعدة المتبادلة .

وكثيرا ما فسد ويفسد رؤساء القبائل فيتحولون الى طبقة من المستغلين، ويصبح هؤلاء الرؤساء والشيوخ نتيجةلنزوات المستعمرين اداريين ينفذون فى عبودية وضيعة ارادة اسيادهم، ويمارســون اساليب استغلال شبه اقطاعية فى بعض الاحيان وشبه بورجوازية فى احيان اخرى .

الماركسيون متهمون بأنهم يدعون الى تأجيج اوار التناقضات الطبقية فى المجتمع الافريقى وتحطيم وحدته. وهذا لا يتفق مع الواقع. فما هو اساس النظرة الماركسية الى العلاقات القبلية ؟

اذا كان الماركسيون يبرزون العمليات الحقيقية لتمايز الطبقةالبورجوازية فى المجتمع فأنهم لايفعلون ذلك استجابة لاهتمام عقائدى لمجرد الاهتمـام العقائدى،وانمايقومون بذلك ابتغاء الحقيقة،وبأسمها وفى رأيهم انه من الضرورى ومن الممكن ايقاف انقسام القبيلة الى طبقات متضادة ، لانه اذا لم يتيسر ذلك فسوف يستمر المجتمع الافريقى فى انقسامه ممايؤدى فى نهاية الامر الى تصادمات دموية. ولكـن الماركسيين يرون الطابع الحتمى والتقدمى تاريخيا

لتمايز القبيلة. وفي اعتقادهم ان ذلك يمكن ان يتم على اساس آخر، اي على اساس ديمقراطي، بأن يتحول اعضاء القبيلة الى طبقات عـاملة. والظروف الموضوعية لذلك موجودة، وما يهم ان نحطم الشيطان الكامن في القبيلة والمتمثل في القبيلة نفسها. وفي استطاعتنا ان نتصور معظم افراد القبيلة وهم يعملون في تعاونيات. وسوف يرغب بعضهم في ان يصبحوا فلاحين مستقلين، وقد يقبلوا هم انفسهم على التعاونيات عندما يرون النتائج الرائعة التي يحققها العمل الجماعي. وسوف يقطع البعض الاخر منهم الوشائج التي تربطهم بالقبيلة ويسعون في طلب الرزق في مكان آخر ومن ثم ينضمون صفوف البروليتاريا. ويتجه كثيرون من بينهم الى حرفة يمتهنونها. ويفتح التعليم امامهم افاقا واسعة للاسهام في الانتاج.

وهناك شيء لاجدال فيه وهو ان تحطيم العلاقات البدائية القبلية قد بلغ مرحلة النضوج منذ زمن طويل وهو يشكل شرطا جوهريا لا بد منه لنمو القوى الانتاجية في الزراعة والصناعة.

ان غالبية سكان البلاد الافريقية واساس المجتمع فيها تتكون من فلاحين عاملين (يتراوح عددهم بين ٨٠ و ٩٠٪ من السكان). بيد انه يوجد بين هؤلاء الناس فلاحون موسرون. وكقاعدة عامة فان معظم هؤلاء الناس فلاحين فقراء او عمالا زراعيين يعيشون في بؤس شديد. وبدلا من أن يتضاءل البؤس في الريف نراه يستشري ليصبح من اشد الاضرار التي يعانيها عصرنا لانه يعوق نمو الانتاج. وفي داخل المجتمع الذي يوجد به نوع من الالتزامات التضامنية والمساعدات المتبادلة يتخذ استهلاك جانب من اعضاء هذا المجتمع طابعا طفيليا، مما يحطم كل امكانية للتراكم لاسيما فيما يتعلق بالاموال المكتسبة. فكل ما يكتسبه عضو القبيلة من اشياء او اموال سوف يلتهمها الاستهلاك غير الانتاجي الذي يسود القبيلة. لان هذا الاستهلاك لا يأبه بتراكم الاموال الانتاجية ولا بادخال الاساليب العصرية على الانتاج. ومن جهة اخرى فان المرابي يجرد الفلاحين والعمال الزراعيين عن طريق الوسيط وتاجر القرية. وتفرض قروض على افراد القبيلة بأرباح ربوية فاحشة. وتنوء كل قبيلة تحت وطأة ضرائب تفرض عليها بواقع عدد افرادها. ومن ثم لا يمكن ان تتيح فلاحة الارض رزقا لمن يقوم بها ويضطر الفلاح الى الهجرة الى المدن باحثا عن رزقه يفتش عن العمل في المناجم او السكك الحديدية او الموانى، وهنا يسقط ضحية للاستغلال الاستعماري. ومع ذلك لايقطع صلته بالقبيلة التي ينتمي اليها، هذا المجتمع الذي لا يمتلك فيه دخله كله حتى لو كان هذا الدخل شخصيا، وانما يمتلكه معه افراد قبيلته.

ان الحقائق التي ذكرناها تفرض نتيجتين هامتين هما:

١ — ان الفلاحين في افريقيا المدارية، والحديث هنـا عن فلاحين لا يمارسـون الاقتصاد التجاري المستقل ... اقول أن هؤلاء الفـلاحين بعلاقاتهم مع الملكيـة، وبوضعهم بالنسبة للانتاج، وبالطرق التي تتبع معهم لنقدهم الأجور التي يستحقونها وقيمة هذه الاجور، وبالعقلية السائدة في رؤوس معظم أفرادهم ... أن الاغلبيـة الساحقة من هؤلاء الفلاحين لا تشـكل بورجوازية صغيرة. وما هم الا فلاحـون فقراء وعمال زراعيون. وفي قرى افريقيا المدارية فان الفئة التقليدية من البورجوازية الصغيرة ضئيلة كل الضآلة، وهي معدومة تماما في بعض المناطق. وبتعبير آخر فان امتداد البورجوازية الصغيرة في بلاد افريقيا المدارية محدود في المجال الاجتماعي.

٢ — نظرا لتفشي الروح المحافظـة في تنظيم الانتاج ولقيام نظام للتوزيع عفا عليه الزمان، يحرم المجتمع القبلي من الدينامكية او القوة الدافعة، فليست هناك حوافز ولا مصادر داخلية لنمو القوى الانتاجية ولامتداد الانتاج ولتنظيم انتاج عصري. ولا يمكن للمجتمع القبلي أن يكون مصدرا للاشتراكية وهو لا ييسر كما يتوهم بعض الناس سيرنا نحو الاشتراكية وانما يعوقه. ومن الخطأ أن تثير موضوع القضاء على المجتمع القبلي مجرد القضاء، سواء اكان ذلك عن طريق تفتيت هذا المجتمع او عن طريق تطـوير تلقائي للعلاقات التجارية النقدية. وهناك وسيلة اخرى لحل هذه المشكلة. وقد يكون الحل على الارجح أن يتحول المجتمع القبلي، مع الاحتفاظ بعناصر المفرطة والجماعيـة فيه، ... يتحول الى وحدة انتاجية تتألف من اعضاء متساوين في الحقوق مع التزام الجميع بالعمل على أن يطبق تدريجيا نظام المكافآت طبقـا للعمل، مع وضع سلسلة متزايدة من الدوافع العادية فردية وجماعية تحفز للاهتمام بتنمية الانتاج. ومثـل هذا المجتمع القبلي، وقد تجدد وتحول، يمكنه أن يكفل اعادة الانتاج على نطاق واسع كما سيكون شكلا يقدم امكانيات اكبر لتنميـة القوى الانتاجية في الزراعة والحرفية.

ولا مراء في ان ذلك لا يمكن ان يتم بواسطة قانون اداري، ليس بسبب الروح المحافظة الغالبة على الشكل القبلي فحسب، وانما لان عشرات من مشاكل الانتاج (وسائل الانتاج، والنقل، واسواق التصريف، الخ ..) لم تحل بعد.

ان المصاعب واضحة، ولكن اذا لم تحل هذه المشكلة فلا يمكن ان نتوقع تحقيق تقدم اجتماعي في افريقيا المدارية. وخلال تحول من هذا القبيل تجري عملية تجديد لسكان الريف ، ولا يعود الفلاح عبدا للتقاليد القبلية والصعوبات الاقتصادية والبيروقراطيين السياسيين ، ويصبح قوة كبرى انتاجية وسياسية في المجتمع .

ومما يذكر ان عملية تكوين البروليتاريا الافريقية ونموها عملية فريدة في بابها الى حد كبير . ان البروليتاريا تتشكل في اطار من غزو الرأسمال الاجنبي وتواجه بصفة جوهرية لا البورجوازية الوطنية فحسب، وانما تواجه ايضا المستغلين الاجانب ،وتتميز هذه البروليتاريا بطابع ينزع الى الهجرة الا انها تحتفظ بارتباطاتها بالقبيلة .

ويحاول الاستعماريون وهم يغرسون بطريقة منهجية في نفوس البروليتاريا الافريقية — التي يتزايد عددها يوما بعد يوم — الميكروبات الثلاثة: **عدم الاستقرار والهجرة وانعدام المؤهلات لديها.** يحاولون اقامة تطور تنظيمها وعرقلة وعيها الطبقي وهم يريدون ان يحدوا بطريقة مصطنعة دورها السياسي، ويمنعونها من الاضطلاع بمهمتها التاريخية كمبدعة لنظام اجتماعي جديد .

بيد ان التاريخ يفرض نفسه. وعبثا يحاول الاستعماريون ايقاف عجلة التاريخ. ولقد وجدت البروليتاريا الافريقية الاشكال الضرورية للتغلب على هذه العيوب، ومن ثم استطاعت القضاء على الاثار الوبيلة التي نجمت عن تلك التعاليم الميكروبية.

لقد بزغت في افريقيا على الرغم من كل شيء **بروليتاريا عصرية دائمة،** ولو انها قليلة العدد . وهذه الفئة البروليتارية هي اكثر العناصر تقدما في المجتمع الافريقي، وهي الامل وهي القاعدة الاجتماعية وهي الموعودة ببناء اشتراكية متطورة الى حد رفيع. لقد بزغت في المجال السياسي الافريقي قوة اجتماعية جديدة لها المستقبل .

واليكم بعض قسمات اخرى يتميز بها الهيكل الاجتماعي الافريقي المتعدد الالوان والاشكال .

هناك شخصيات افريقية كثيرة تبرز ما في الحياة الاجتماعية والفكرية بالقارة من عناصر خاصة تتميز بها — ولا يمكن لاحد ان يماري في اهمية هذه العناصر — وتروج بناء على ذلك لفكرة تقوم على تفرد الشعوب الافريقية كل التفرد ،ومن ثم فان مصائرها التاريخية تختلف اختلافا اساسيا عن مصائر بقية البشرية. وكان وضع هذه الخصائص بشكل مطلق مصدرا واساسا ايديولوجيا لمختلف النظريات (الوطنية الافريقية بما تتضمنه في ثناياها من فكرة الزنجية) . و «الزنجية» كما يقولون هي «مجموع القيم الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي انجبتها الحضارة الافريقية ،والتي تعين الشعوب السوداء، او بتعبير ادق العالم الزنجي.. الافريقي » ..

وانصار هذه الافكار يتخذون موقفا سلبيا ازاء طريق التنمية الرأسمالي، ولكنهم ينكرون في نفس الوقت ان طريق الاشتراكية العلمية يصلح لافريقيا. هناك شخصيات افريقية كثيرة تنادي بطريق خاص، طريق ثالث: افريقي ..انها تنادي بفكرة الاشتراكية الافريقية .

توم مبويا مثلا يقول انه عندما يفكر في الاشتراكية الافريقية فانه يتصور المثل العليا التقليدية ومسيرة الافكار التي قادت سلوك الافريقيين في طريق التطور الاجتماعي. ويستطرد قائلا « انني ارى انه يجب ان نبرز ان هذه المثل العليا وتلك الافكار ذات طابع محلي وانها انبثقت من خبرة شعبنا هنا في افريقيا، بل هنا في كينيا » .

وهكذا يراد تأكيد ان افريقيا تعيش على هامش التاريخ وهو يتدفق تدفق سيل مشترك، وان الخبرة التي تراكمت لخير البشرية خلال آلاف السنين وان امجد الانجازات النظرية والعلمية التي حققتها لا تصلح لافريقيا .

وامام الشعوب الافريقية ،شأنها في ذلك شأن اي شعب من شعوب العالم ، تطرح الحياة هذا السؤال: ما هو الارتباط المتبادل الديالكتيكي بين التاريخي (الذي تحكمه قوانين التاريخ) وبين الوطني، والعمل السياسي ووضع المفهومات والطرق والاشكال التي يتطلبها تنظيم الحياة لا يمكن ان يكونا مثمرين — كما تؤيد التجربة ذلك — الا بتطبيق القوانين التاريخية العامة على كل حالة على حدة، والا بعد مرورها وتأثرها بالخصائص القومية المتميزة لكل بلد، والا اذا رفضنا ان نقر صلاحية القوانين الاجتماعية في حالة وعدم صلاحيتها في حالة اخرى مراعين كل المراعاة ان اكتشاف هذه القوانين اكتشافا عميقا لا يتأتى الا عن طريق امتحانها عبر

التنوع اللانهائى لكل ماهو خاص ولكل سمة وطنية متميزة. ولكن هناك منذ زمن طويل مفهوم لتطور المجتمع هو الماركسية اللينينية ،ويدعى بعض القادة الافريقيين ان الماركسية عجزت عن تحقيق وجهة نظرها او ان الزمان قد عفا عليها. ولكنهم لم يقدموا اى دليل يؤيد هذا الراى حتى لو كان واهى الاساس. لقد بذلت مئات المحاولات لاثبات افلاس الماركسية، ولكن جميع هذه المحاولات تبددت فى زوايا النسيان، وبقى التاريخ يتطور مصداقا لما رآه كارل ماركس .

ان الماركسية ،وبتعبير ادق الشيوعية العلمية قدقدمت للبشرية اعمق الادلة على القسمات الجوهرية لعملية التغيير الثورى. ولقد قادت هذه النظرية شعوب روسيا الى الانتصار فى ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى. ان افكار الماركسية قادت الثورة والبناء الاشتراكى فى عدد كبير من بلاد اوروبا وآسيا وفى كوبا. وتحت لواء الماركسية تنمو العملية الثورية العالمية والكفاح الطبقى فى اوروبا وآسيا وامريكا وافريقيا. ولقد سلحت نظرية الشيوعية العلمية الانسان بسلاح معرفة قوانين الانتقال الى الاشتراكية. والشعب السوفيتى ، وشعوب البلاد الاخرى التى انتزعت نفسها انتزاعا من براثن الراسمالية تستخدم هذه النظرية فى المعارك التى تخوضها ،وتقوم بتطويرها، وتطبقها مراعية الظروف القومية ،ولقد اقامت هذه الشعوب الاشتراكية وخلقت نموذجا لمجتمع جديد له اهميته، التى ليست قومية فحسب ،وانما دولية ايضا .

والواقع ان الصحافة الغربية تريد ان تحصر هذا النموذج فى اطار قومى، وان تجعل منه ظاهرة خاصة، وان تبرهن بناء على ذلك ان تجربة الاتحاد السوفيتى لا يمكن ان تكون ذات فائدة يعتد بها بالنسبة للبلاد الاخرى .

ولم يقل احد بان التجربة التى يمر بها بلد ما يمكن ان تطبق كما هى على بلد آخر، حتى لو كنا بصدد بلاد بمثابة التوائم من الوجهة الاجتماعيــة والاقتصادية لان ذلك لن يكون ابداعا تاريخيا ثوريا، وانما سيكون مجرد نقل ميكانيكى يجرى دون تفكير وبلا مبالاة، وذلك امر من خصائص الانسان الميكانيكى.

ان الخبرة التاريخية تقوم بالتعليم والارشاد ولكنها لا تصدر الاوامر ،وانها تثرى وتعمق معارفنا بالعمليات الاجتماعية، ولكنها ليست مطبعة تطبع الافكار الثورية، وهى لا تدعى لنفسها انها قادرة على اقامة هياكل اقتصادية اجتماعية تتشابه مع بعضها البعض وكانها صورة تنعكس على سطح مرآة. ان الخبرة التاريخية تجسد استمرار العمليات الاجتماعية وحركتها طبقا لخط صاعد. ومن ثم تقدم قاعدة نظرية وعملية للابداع الثورى .

ولــكى نقف موقفا معقولا ومبــدعا من الخبرة التاريخية يجب علينا ان ننظر اليها على اعتبار انها عملية مستمرة لا على اعتبار انها نتيجة نهائية، كما يجب ان تكون نظرتنا لها شاملة نلم بها فى مجموعها ولا تقتصر على وجوهها الخاصة. وكثيرا ما نسمع من يقولون ان التجربة السوفيتية لبناء الاشتراكية لا تصلح للتطبيق فى افريقيا، لان الاتحاد السوفيتى بدا عملية البناء عن طريق التصنيع، معطيا اولوية التنمية للصناعة الثقيلة. ولقد تحققت الجماعية بسرعة عن طريق اقامة مزارع جماعية للانتاج ، وهو امر لا يمكن تحقيقه فى افريقيا .

انهم يريدون ان يقولوا انهم لا يقدرون فى الوقت الراهن سوى جانب من التجربة، وبما ان الجانب الاخر يتعلق بالمرحلة النهائية للانتقال الى الاشتراكية. والواقع ان الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى خاض اثر نهاية الحرب الاهلية معركة من اجل الاشتراكية، وهو يقوم بتنمية التجارة والزراعة عن طريق تشجيع العلاقات التجارية النقدية. وما ان ازدهرت الزراعة، ونهض الاقتصاد الوطنى من كبوته ، وتراكمت القوى حتى بدات عملية التصنيع وبعد ان مرت اكثر من عشرة اعوام على الوصول الى السلطان بدات عملية الزراعة الجماعية .ولقد كانت هذه المدد الوجيزة بمثابة املاء فرضته ضرورة خلق قوى عسكرية واقتصادية قادرة فى مواجهة التهديد بهجوم من جانب الامبرياليين. واثبت التاريخ الضرورة الحيوية التى املت امثال تلك الاجراءات.

وتثير نفس الاهتمام مسالة مناهج البناء الاشتراكى ولقد دلت تجربة الاتحاد السوفيتى على انه توجد مناهج مختلفة. فهناك منهج القضاء بشكل قاطع عنيف على العلاقات الاجتماعية والاقتصادية التى عفا عليها الزمان، وتحطيم الهياكل التى لم تعد ملائمة لروح العصر باساليب غير اقتصادية لتنمية الانتاج تنمية سريعة، وخلق اشكال جديدة من الحياة ،ولو اقتضى الامر انتهاك بعض الاحكام الحتمية التى تنص عليها القوانين الاقتصادية ، اذا تطلبت الظروف السياسية ذلك .

ولكن هناك منهج آخر هو اقامة تنافس بين تكوينات مختلفة تنتصر خلاله التكوينات التقدمية الصاعدة وتنهزم فيه التكوينات المحافظة المنهارة. وهذا هو منهج استخدام القوانين الاقتصادية الى

اقصى حد بغية الاستكشاف العميق للطابع التقدمى للتكوينات التى تولد والقضاء قضاء نهائيا على التكوينات المريضة. انه منهج تنمية العلاقات التجارية والنقدية تحت رقابة المجتمع للوصول الى تراكم تدريجى للموارد. ويفترض هذا المنهج عملية لاعادة البناء تدريجيا ،وتغييرات اجتماعية طويلة الامد متسمة بالاناة لتفادى آثار الانتقال الاليمة الى اقصى حد.

ولقد استخدم المنهجان فى الاتحاد السوفيتى ، ولكن الظروف التاريخية اجبرتنا على الا نسرف فى استخدام المنهج الثانى .

ولقد كتب لينين وهو يوضح الفارق بين المنهجين:
«اذا قارنا هذا الحل بالوضع السابق الثورى ادركنا انه حل اصلاحى (ان الثورة هى انقلاب يحطم النظام القديم فى جوهره واساسه ،بدلا من القيام بذلك بتحفظ وبطء وعلى خطوات فى محاولة لتحطيم اقل ما يمكن تحطيمه) »

ويضيف لينين :

«.. بالنسبة للثورى الحقيقى ،فان اكبر الخطر وان لم يكن الخطر الوحيد هو المزايدة ونسيان الحدود والظروف التى لا بد منها لتطبيق فعال للعمليات الثورية يأتى فى اوانه وكثيرا ما تتهشم رؤوس الثوريين الحقيقيين عندما يأخذون فى ترديد كلمة «الثورة» ويجعلون من «الثورة» هدفا يكادون يعتبرونه قدس الاقداس ،وتدور رؤوسهم، ويفقدون القدرة على التفكير بأقصى مايمكن من هدوء الاعصاب والذكاء، كما يفقدون القدرة على وزن وتقدير الاوقات والظروف ومجالات العمل التى يتعين عليهم فيها ان يتصرفوا كثوريين، والتمييز بينها وبين الاوقات والظروف ومجالات العمل التى يتعين عليهم فيها الانتقال الى العمل الاصلاحى. ان الثوريين الحقيقيين لن يهلكوا (لا بمعنى هزيمة تصيبهم من الخارج وانما بمعنى افلاس ينتاب قضيتهم) الا فى الحالة التى سوف يفقدون فيها ــ وهنا سوف يكون هلاكهم محتما ــ ذكاءهم ويتصورون ان الثورة «العظمى والعالمية والمظفرة» يمكن ويجب حتما ان تحل بالطريق الثورى جميع المشاكل ،مهما كانت الظروف وفى جميع مجالات العمل» . اعمال لينين الجزء ٣٣ صفحتا ١٠٥ ــ ١٠٦ ،دار المطبوعات الاجتماعية، ١٩٦٣ باللغة الفرنسية) .

كيف تريد الشعوب الافريقية ان تبنى حياتها الجديدة؟ وما هى المناهج التى تريد اتباعها؟ مما لا جدال فيه ان هذه الشعوب هى صاحبة الحق الوحيد فى تقرير ذلك. وتتيح لها دراسة الخبرات ان ترى بوضوح الجوانب الحسنة والسيئة للاشكال والمناهج التى اقرتها ممارسة عمليات بناء الحياة الجديدة، مما يتيح لهذه الشعوب ان تتقدم بأقل قدر ممكن من الاخطاء والتكاليف، وان تعثر فى اقصر وقت ممكن على الوسائل الفعالة الخاصة بها للنهوض بواجباتها الاشتراكية .

وتثبت الملاحظات الاولى للعمليات الاقتصادية ــ الاجتماعية التى تجرى على ارض القارة ان البلاد الافريقية فى كفاحها من اجل التقدم الاجتماعى والازدهار الاقتصادى مهما تنوعت خصائص المهام الملقاة على عاتق كل من هذه البلاد، تواجه مشاكل كثيرة مشابهة للمشاكل التى يتعين على الشعوب التى تبنى الاشتراكية ان تجد لها حلا .

الثورة الافريقية العظيمة ، طبيعتها ، اصالتها ، القوى المحركة لها ، ومراحلها

من النادر ان نجد اليوم فى افريقيا احد المشتغلين بالسياسة او بالمسائل الايديولوجية لا يعلن انتماءه الى الاشتراكية. هذا الى اننا نسمع ،على نحو يتكرر باطراد، ان افريقيا قد اختارت طريقها التاريخى وان هذا الطريق هو طريق الاشتراكية. ولكن الوقائع تشهد بان كلمة «الاشتراكية» فى هذا المجال، كلمة شاملة تنضوى تحتها الاهداف السياسية والآراء الايديولوجية المتباينة اشد التباين .

ففى مجال الصراع الفكرى نلاحظ ان افكار الاشتراكية العلمية فى افريقيا تكتسب المزيد من الارض، سواء فى مجموعها الكلى ،او فيما يتعلق بالجوانب الجوهرية منها، وتبذل الان جهود خلاقة وهى جهود تتميز بالتنوع والاصرار، على نحو مطرد لتطبيق افكار الاشتراكية العلمية فى سبيل حل مشاكل الواقع الافريقى، وهى مشاكل اصيلة ، جديدة فى الغالب، وشاقة، ولكنها حيوية .

فاذا قام المرء بتحليل الموقف الدولى، فى مجموعه ونشاط القوى الداخلية للقارة الافريقية، استطعنا ان نؤكد تأكيدا قاطعا ان ثمة صراعا مريرا يدور فى افريقيا حول مشكلة طرق التطور التى ينبغى انتهاجها فى السنوات القادمة .وليس هناك، بالاجمال ،الا امكانيتان اثنتان من امكانيات الاختيار: الطريق الراسمالى ،او الطريق الاشتراكى .

ويجب التسليم بأن الدول الامبريالية لم تعد تعتمد الان على النمو الطبيعى والتلقائى للعلاقات الراسمالية ،وذلك نتيجة لتفكك النظام الطائفى ،



وتضخم البورجوازية البيروقراطية، والنمو المحدود للبورجوازية الوطنية، ولكنها تهتم، بصفة خاصة، بفرس الراسمالية وادخالها الى افريقيا .

ان الامبرياليين يودون ان يحتفظوا بأفريقيا فى داخل نطاق تقسيم العمل الراسمالى العالمى، وهم يريدون انيحولوا دونها واختيار الطريق الاشتراكى وان يبقوا على وضعها كمورد للمواد الاولية للبلاد الراسمالية المتقدمة ،وان يدخلوا الاشكال البدائية للراسمالية ،بحيث تكون فى خدمة مصالح السرطان الاحتكارى. وفىهذا الطريق للتطور ،تصبح المشاكل الشاقة الخطيرة التى تمزق القارة الان، أكثر عسرا ومشقة .

ان هناك طريقا آخر ــ هو طريق الاشتراكية، وهو ليس بالطريق السهل ، ولكنه فى نهاية الامر يحل كل المشاكل الخاصة التى تواجه القارة الافريقية،ويلبىالمصالح الاساسيةللشعوب وامانيها ويكفل الاستقرار الاقتصادى والتقدم الحقيقى. ان الشعوب، وكل القوى التقدمية، تناضل من اجل انتهاجهذا الطريق. ولكنالنضال المصمم،والنشاط الخلاق للجماهير ،بقيادة طليعة ثورية، هى وحدها القادرة على اتباع هذا الطريق .

وفى الطريق الذى يفضى بالقارة الافريقية نحو الاشتراكية، يقف ثلاثة اعداء اقوياء، ثلاث قوى شيطانية من الماضى :

ا ــ الامبريالية ، نظام الاستعمار الجديد، بأسره ، الذى يمسك بخيوط عديدة فىالمجتمع الافريقى ، ويسعى الى القضاء على كل مراكز التقدم .

ب ــ القوى الرجعية المحلية ، وهى قليلة العدد ، من الناحية المطلقة ، ولكننا اذا نظرنا الى وضعها فى جهاز الدولة وفى الجهاز الاقتصادى، وارتباطاتهابالامبريالية، وموقعها فى المنظمات السياسية والاجتماعية ، وفى الجيش ، فعلينا أن نسلم بأنها خصم لدود وخطر للشعوب الافريقية .

جـ ــ التخلف فى التركيب الاقتصادى ــ الاجتماعى للدول الافريقية ، وانخفاض مستوى تنمية الانتاج الصناعى والزراعى ، والبؤس الذى تعانيه الجماهير ، والتخلف الثقافى لملايين من الناس .

ان القضاء على هذه القوى الشيطانية الثلاث وتحطيم الامبريالية والاستعمار الجديد فى القارة الافريقية ،وتحقيق الاستقلال الاقتصادى الحقيقى، ودحر القوى الرجعية الداخلية فى الميدان السياسى والاقتصادى ،واقامةالسيادةالسياسيةوالاقتصادية الحقيقية لكل الشعوب فى بلادها، وضمان اكبرقدر من الديمقراطية ،والاشتراك الحقيقى للشعب فى حل المشاكل الاقتصادية والسياسية، والتغلب على اشكال التخلف، وتدعيم التقدم الاجتماعى الاصيل، وخلق مجتمع نام، على الصعيد العالمى ،فى الميدان الاقتصادى ،وكفالة ازدهار كل جوانب الاقتصاد والغاء الاستغلال ،وضمانمستوى مرتفعللشعب ووضع نظام للعدالة الاجتماعية ،وكفالة المساواة الحقيقية بين كل الامم، وكل القبائل، وبين الرجال والنساء فى الحياة الاجتماعية ،وتحقيق انطلاققوى للثقافة قدما الى الامام، ذلك كله هو محتوى الثورة الاجتماعية العظيمة التى تخوضها بلاد القارة الافريقية ،الواحدة بعد الاخرى .

ان هذه الثورة، فى المرحلة الحالية ،تتصف بأنها وطنية ديمقراطية. ولكن هذا التحديد لا يحيط حقيقة بجوانبها الجوهرية. وفى وسعنا ان نؤكد ان الثورة فى أفريقيا، فى بعض جوانبها، قد اكتسبت قسمات لم تكن تتصف بها اية ثورة سابقة .ولكن احب ان أؤكد ان الاعتراف بهذه الخاصية انما يشهد بأصالة العمليات التاريخية والثورية ، لا بانعزالها عن الطريق العالمى العظيم الذى تنتهجه الانسانية .

أن من الخصائص الهامة للعملية الثورية فى أفريقيا ، أولوية مهام الخلق والابداع على مهام التدمير ، بعد الاطاحة بالسيطرة الاستعمارية وحصول القوى الوطنية القومية الديمقراطية على السلطة .

وقد قيل بالفعل ان الاقطاع ، بوصفه نظاما اجتماعيا ، لم يوجد قط ولايوجد ، فى معظم البلاد الافريقية ، ومن ثم فان مهمة القضاء على العلاقات الاقطاعية وعلاقات القنانة ليست موضع بحث ، والراسمالية لاتوجد ، ولم توجد ، فى أفريقيا ، بوصفها نظاما اجتماعيا متقدما . ومن ثم تختفى ضرورة القضاء عليها . ولكن هذه المهام ، على وجه الدقة ، قد حلت بدرجات متفاوتة فى كل الثورات السابقة . ان العمل الخلاق فى بناءمجتمع جديد لم يكن ليتم الا بعد القضاء أولا على المخلفات التى تركها التاريخ وراءه أو فى أثناء عملية هدم النظام الاجتماعى والاقتصادى الذى كان سائدا فى الماضى .

أن اصالة المرحلة الديمقراطية للثورة الاجتماعية

فى افريقيا ، فى الاغلبية الساحقة من هذه البلاد ، تكمن فى أن هناك امكانية حقيقية لتفادى المواجهة المسلحة بين الطبقات المتعادية ، وان الاشكال السلمية للعمل الثورى ، تأتى — على نحومطرد — قبل الاشكال غير السلمية المسلحة ، فى داخل البلاد ، ومن وجهة نظر العلاقات بين الطبقات والقوى . ان النضال ضد الاقطاعية وضد الرأسمالية ، كما يشهد بذلك التاريخ ، يقترن بأشكال متباينة عن الصراعات المسلحة التى تصبح فى بعض الاحيان حروبا أهلية دامية . والتجربة الافريقية تدل على أن الصراعات المسلحة من الممكن أن تظهر ، بل هى تظهر بالفعل فى البلاد الافريقية ولكنها تتصف ، كقاعدة عامة ، بسمة سطحية ، وهى فى الغالب تعبير عن الصراع فى سبيل الحكم بين مجموعات من السياسيين والعشائر . **وتظهر فى افريقيا ، من حيث المبدأ ، امكانية خوض كفاح واسع النطاق** فى سبيل عزل عناصر الطبقات المعادية ، عزلا سياسيا وأيديولوجيا ، وإخضاعها لإرادة الاغلبية الديمقراطية ، وذلك باستخدام الوسائل السياسية والاقتصادية السلمية ، وعلى أساس الوحدة الشعبية . ومدار الامر هنا ، كما هو واضح ، ليس هو علاقة الشعوب الافريقية بالامبرياليين ، اذ أن النضال يدور ضد هؤلاء الامبرياليين باستخدام كل الوسائل ، بما فيها الوسائل العسكرية .

ان الخاصية التاريخية المميزة للثورة الاجتماعية الافريقية هى فى استمرارها . وفى الديناميكية المتزايدة التى تسير بها حركتها وتطورها ، وفى الانتقال التدريجى مع تراكم القوى ، ونمو العلاقات الاجتماعية ، من تسوية مشكلة الى حل مشكلة أخرى .

ان الامبريالية والاستعمار الجديد ، وعملاءهما فى داخل البلاد يحاولون سحق الثورة ، وقطع خط استمرارها وفرض الانحرافات عليها وايقاف التنمية الاجتماعية . ولكن ذلك الاتجاه التاريخى ، الذى أشرنا اليه يشق طريقه ، ويتوقف تدعيمه بعد ذلك على نشاط الجماهير ووعيها ، وعلى الجهود التى تبذلها القوى الوطنية الثورية . **ان الاصلاحات — فى الظروف التى تمر بها افريقيا ، تصبح أشكالا لتنمية الثورة ، ومناهج لحل المتناقضات المعادية ، وقوة محركة للتغير الكيفى من حالة الى حالة أخرى فى المجتمع . ولكن تنفيذ اجراءات مثل اقامة هيكل اقتصادى واجتماعى جديد ، ومثل التصنيع ، وتنظيم التعاونيات ، كل ذلك يمكن كفالته لابمناهج الانفصام الفجائية وهى مناهج عنيفة ، لاتستغرق الا زمنا وجيزا ولكنها جادة ، بل يمكن أن تتم بالتدريج** . أن الفكرة الماركسية عن الاصلاح باعتباره منهجا لحل المتناقضات تنفى تأكيدات بعض أصحاب النظريات ومفسريها الذين يزعمون أن المادية التاريخية — فيما يتعلق بنمو المجتمع — لاتعترف الا بالطفرات وتعترض على التقدم عن طريق التطور .

ونستطيع أن نلاحظ أن السمة التدريجية للثورة الافريقية ، واستخدام مناهج الاصلاح استخداما واسع النطاق ، تكسب هذه الثورة مظهرا متميزا خاصا بها . لقد اضطر اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية الى تأميم الصناعة فى أقصر فترة زمنية ممكنة ، ثم الى القيام بوثبة صناعية ، ووثبة أخرى فى ميدان الاشكال الجماعية للانتاج الزراعى ، وذلك بعد أن نجح فى حشد القوى اللازمة لذلك . ولم يتم ذلك ، كما قلنا ذلك من قبل ، نتيجة لمجرد الولاء للاراء النظرية ، بل بقوة الضرورة التاريخية التى كانت تقضى برد العدوان الامبريالى . وأعتقد أنه لولا أن نهض بذلك الشعب السوفييتى ، والحزب الشيوعى السوفييتى لما توفرت اليوم امكانية اللقاء بيننا ، ولكن الشعوب الافريقية — بفضل نجاح البلاد الاشتراكية على وجه الدقة — تتوفر لها امكانية بناء الحياة الجديدة دون الاخلال بمقتضيات القوانين الاقتصادية الموضوعية .

ولما كان نفوذ الاستعمار الجديد مازال كبيرا وواسعا فى أفريقيا ، فان الثورات الديمقراطية سوف تحتفظ — لفترة طويلة — بسمتها المعادية للاستعمار . ولكن سوف يكون من الصعب — فى هذا الصعيد — أن تتمايز عن الثورات المناهضة للاستعمار والمناهضة للامبريالية فى بلاد أخرى من العالم .

٢ — طرق التنمية فى المرحلة الديمقراطية للثورة الاجتماعية

ان الشعوب الافريقية بحاجة ملحة الى القضاء على مخلفات الاشكال الاجتماعية العتيقة البالية (الاشكال العشائرية — القبلية ، وشبه العبودية وشبه الاقطاعية والاقطاعية) والى ارساء أسس انتاج حديث ، وعلى كفالة حد أدنى من الديمقراطية والثقافة للجماهير ، وحل المشاكل الاجتماعية العاجلة .

هذه هى المهام الديمقراطية بشكل عام . وينبغى ، من الناحية التاريخية ، أن تقوم الرأسمالية بحل هذه المشاكل . ولكن هيكل الرأسمالية نفسه



لم يتكون بعد ، اذ حال الاستعمار دون تشكله .

ان المهام الديمقراطية ، بشكل عام ، لايمكن ان تتحقق اليوم فى افريقيا — كما ثبت من تجربة عدد من البلاد الافريقيه — فى اطار الراسمالية وعن طريق مناهجها . ومن الممكن ان تحل كل هذه المشاكل فى اطار المرحله الانتقاليه للتطور التى يطلق عليها اسم **((الطريق اللاراسمالى ، او المرحله اللاراسمالية))** للتطور ، اى المرحلة التى تتحقق فيها اساسا المهام الديمقراطية بشكل عام .

والمرحلة اللاراسمالية ، **اولا : هى الثـــورة المضغوطة تاريخيا فى الزمن** . ومصيرها ان تقطع فى بضع عشرات من السنين ، طريقا كان قد اقتضى عدة قرون من بعض البلاد حتى قطعته . ان للقارة الافريقية تاريخا غنيا عظيم الغنى . وقد بلغت بلاد افريقيا الاستوائيه بصفة خاصة ، مستوى مرتفعا من النمو فى الماضى . وقامت فيها ، فى العصور الوسطى ، دولة قويه مزدهرة ، مثل زيمبابوى ، وغانا ، ومالى . ولكن تجارة الرقيق ببغيها وطغيانها ، والاستعمار الذى تلاها ، حطمت العملية التاريخية الموضوعية ، وردت شعوب افريقيا مئات من السنوات الى الوراء ، وحافظت على وضع اقيم بشكل مصطنع . وقــد حطمت شعوب افريقيا اليوم هذه القوقعة المصطنعة ، واخذت تمضى صعدا ، وبسرعة متزايدة ، فى طريقها التاريخى ، نحو قمم التقدم .

ثانيا : ان المهام التاريخية — الاجتماعية التى انجزتها مجتمعات عديدة فى اطار الاقطاعية ، وفى اطار الراسمالية ومن خلال مناهجها ، سوف تتحقق فى الفترة التى تسبق الاشتراكية ، فى اطار التطور اللاراسمالى ، باعتبارها مهاما ديمقراطيه عامه . وسوف تتحقق من خلال مناهج ثورية ديمقراطيه اشتراكية . ان البرنامج الاقتصادى للمرحلـــة اللاراسمالية يتضمن اذن اجراءات جديدة من الناحية الكيفية تفتح السبيل امام العملية الثورية فيما وراء حدود التغيرات الثورية - الديمقراطية العادية ، دون ان تفضى بالبلاد مع ذلك ، فى مراحلها الاولى ، الى الاشتراكية مباشرة .

ثالثا : ان الطريق اللاراسمالى يتيح القيام بوثبة تاريخية عظيمه من العلاقات البدائية ، المتخلفة ، شبه العبودية ، شبه الاقطاعية ، شبه الراسمالية — ومع تفادى الراسماليه المتقدمة — الى مجتمع على درجة عالية من "التنظيم" ، ومن ثم الى الاشتراكية تتويجا لهذه العملية .

رابعا : ان المرحلة اللاراسمالية بجوهرهـــا الاجتماعى والاقتصادى مرحلة انتقال ، والمجتمع الذى يتكون فى هذه المرحلة مجتمع انتقال يتضمن علاقات انتقالية للانتاج . وهذا الطابع الانتقالى له وجوه كثيرة . فأولا تتسم الصورة الاقتصادية — الاجتماعية لهذه المرحلة بتعدد التكوينات ، يجسد بعضها الماضى (الراسمالية) بينما يجسد بعضها الاخر المستقبل (الاشتراكية) ولكن توجد تكوينات تجمع فى وحدة متضادة بين قسمات الماضى وقسمات المستقبل بما انها بهذا الوضع ذاته تكوينات انتقالية .

وبشكل محدد فان هذه الصورة المكونة مـــن وحدات عديدة متباينة لعلاقات الانتاج ، تبدو على النحو التالى :

١ — القطاع العام : جنين الاشـــتراكية المقبلة . وهو فى بعض البلاد ما زال طفلا يحبو وفى بعض البلاد الاخرى يكبر وتتفاوت درجات نموه . وخلال الصراع يحتل مركزا مسيطرا .

٢ — القطاع المختلط : والحديث هنا عن المشروعات ، التى هى ملكية مشتركة بين الدولة من جانب وبين شركات راســمالية اجنبية أو راسماليين محليين . ولهذا التكوين طابع انتقالى .

٣ — القطاع الراسمالى الاجنبى : هو تكوين استعمارى راسمالى صرف يجســد جميع الجوانب السلبية للامبريالية العصرية .

٤ — القطاع الراســمالى الخــاص : والحديث هنا أيضا عن تكوين راســمالى صرف ، ولو انه فى افريقيا ذو قسمات خاصة . وفى معظم البلاد لم يتم هذا الشكل نموا كبيرا كما ان آفاقه المتنوعة طبقا للاوضاع المحددة لا تبدو بصفة عامة واسعة جدا . ومع ذلك فمن غير المستبعد ان يستطيع هذا الشكل فى بعض الظروف دعم أوضاعه .

٥ — القطاع التعاونى : وهو فى نمــو دیناميكى فعلا . ونظرا لعدم وجود قطاع عام ناضج ، فان الاشكال البدائية للتعاون لم يكن لها فى بعض الاحيان طابع اشتراكى ، بل كانت تخفى — وهــذا ادهى وأمر — استغلال الفلاحين العاملين بواسطة أعيان القبيلة . ولكن كلما اكتسب هــذا القطاع فئات جديدة ذات نضج اكبر ، تأكدت داخله عناصر الاشتراكية ، وباشتراك هذا القطاع

التعاونى مع القطاع العام يتكون اساس علاقات الانتاج فى المجتمع الاشتراكى المقبل.

٦ — قطاع التجارة الصغيرة ، اى الاقتصاد الطبيعى : فى البلاد الافريقية يختلف قطاع التجارة الصغيرة اختلافا كبيرا عن القطاع المماثل له فى البلاد الرأسمالية . حقا قد يكون متفقين فيما يتعلق بالمبدأ التجارى والنقدى ، ولكن الانتاج فى قطاع التجارة الصغير بالبلاد الافريقية لا يقوم على أساس الملكية الخاصة للارض ، فثنائية هذا القطاع ليست واضحة كل الاتضاح . وهذا السبب فى أنه يمكن ان يختلط مع الاستغلال الطبيعى ، نتيجة لظروف الانتاج أو نتيجة لوضعه الحقيقى فى نظام العلاقات الاجتماعية . وفى الوقت الراهن يسود هذا القطاع الزراعة فى معظم البلاد الافريقية . وهو يتجه فى معظمه نحو الاشتراكية . وفى ارتباط متبادل مع القطاع العام ، واذ مدته الدولة بمساعدتها ، ينزع قطاع التجارة الصغير الى التحول متخذا أشكالا مختلفة من التعاون ، ومن ثم يخلق اتجاها اشتراكيا .

هذه هى اللوحة المعقدة المتنوعة للعلاقات الاجتماعية التى تتكون فى عملية التطور اللارأسمالى فى المجتمع الانتقالى . ويجب أن نبرز أن وزن كل من هذه القطاعات وأهمية كل منها فى الحياة الاقتصادية لبلد ما ، ليسا متساويين فى مختلف البلاد . أن الطريق اللارأسمالى للتطور هو محصلة التأثيرات المتبادلة لجميع هذه القطاعات والصراع المتبادل القائم بينها .

فى عملية الصراع تنهزم التكوينات الموروثة عن الماضى وتغادر المسرح بينما تنتصر التكوينات الاشتراكية وتصبح صاحبة السيطرة . ولايجرى الصراع بين التكوينات فى دائرة الاقتصاد فحسب وانما يجرى أيضا فى محيط السياسة .

أن الطريق اللارأسمالى يتفق مع التركيب القومى لنموذج الدولة الديمقراطية الوطنية . وجدير بنا أن نشير الى أن مثل هذا التعريف له طابع عام الى حد كبير . فأشكال والوان الدول ومابينها من فوارق مرهفة يمكن أن تتعدد بتعدد التنوع الذى يتسم به النمو التاريخى الموضوعى للبلاد الافريقية . ومايهم بهذا الصدد وبالدرجة الاولى هو دور الجماهير الشعبية ، ومستوى وقوة اشتراكها فى توجيه الحياة العامة ، ودرجة الديمقراطية وأمكانية التأثير الشعبى الحقيقى على العمليات الموضوعية . أما مسائل هل هو حزب واحد ام عدة أحزاب ، والنظام الانتخابى ، وطابع الحزب (هل هو منظمة جماهيرية أم طليعة؟) ، والعلاقات بين الاحزاب ، وأجهزة الدولة والنقابات ، ومنظمات الفلاحين ، فهى مسائل كثيرة ليست فى هذا المجال موضوعا للمناقشة .

وهو مقياس يتيح لنا أن نقرر ما اذا كانت التركيبات الفوقية صالحة لعمليات التنمية اللارأسمالية ام غير صالحة . وهذا المقياس انعكاس حقيقى لصالح الجماهير فى مجموع سياسة الدولة وفى قيام وضع يستحيل فيه على مجموعة من أصحاب الامتيازات — عسكريين أو تكنوقراطيين أو بيروقراطيين حزبيين — ان تحتل مركزا مسيطرا أو تقبض على زمام السلطة المطلقة عن طريق ابعاد الجماهير عن الحياة السياسية .

وبهذه النظرة لايمكننا أن نقبل بأى حال من الاحوال الادعاء الذى يؤكد أن السلطان وحده يجب أن يكون مصدر الاشتراكية . فالماركسيون يرون أن المصدر الاساسى للاشتراكية يجب أن يكون احكام الانتاج والمصالح الشعبية ، اذ أن الشعب هو صانع الاشتراكية .

٣ — نمو الثورة الديمقراطية وآفاق تحولها الى ثورة اشتراكية

ان الطريق اللارأسمالى الذى هو تطور الثورة الديمقراطية فى دائرة العلاقات الاقتصادية — الاجتماعية له هدف نهائى هو ضمان تحويل هذه الثورة الى ثورة اشتراكية ، والوصول بالمجتمع الى وضع يستطيع بعده هذا المجتمع أن ينادى : الى الامام صوب الاشتراكية . ومما لاشك فيه أنه يستحيل تحقيق هذه الاهداف كلها مرة واحدة .

أن الطريق اللارأسمالى يعبر مراحل مختلفة فى كل بلد ، ويستغرق فى عبوره لهذه المراحل أوقاتا تتفاوت فى مددها . ولايوجد بالنسبة لهذه المراحل نظام تتوالى فيه بشكل محكم ملزم . بيد أن هناك لحظات تاريخية حرجة يتميز بها استمرار نضوج العلاقات الاجتماعية فى عملية التطور اللارأسمالى

وبالنسبة لكثير من البلاد الافريقية قد تكون المرحلة الاولى وأكثر المراحل طولا هى مرحلة خلق الظروف المادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التى تتيح التقدم فعلا فى الطريق اللارأسمالى .



فهناك في أفريقيا بلاد تكاد توجد بها صناعة عصرية، أو لا توجد بها صناعة عصرية على الاطلاق، ولاتوجد بها قواعد اقتصاديه أوليه . بينما الزراعة فيها ذات طابع مشوه . ولحل مهام التنمية اللارأسمالية بنجاح يجب أن يتوفر قبل كل شيء — كما تدل التجربة — حد أدنى من القوى الاقتصادية والثقافية .

وبالنسبة لهذه البلاد فان مجموعة القطاعات الاقتصادية — الاجتماعية التي تحدثنا عنها لاتنطبق كل الانطباق . والواقع أن هناك قطاعا واحدا يسيطر فيها ، وهو غالبا ما يكون القطاع الطبيعي أو القطاع التجاري الصغير مع عناصر ضعيفة للقطاع الرأسمالي الذي يحتفظ الرأسمال الاجنبي بقبضته عليه فيشتري الانتاج الزراعي ويقوم بتصديره .

وتفرض تجربة هذه البلاد علينا أن نستخلص النتيجة الاتية وهي أن المهمة الاقتصادية — الاجتماعية الجوهرية للمرحلة الاولى للتنمية اللارأسمالية تنحصر في خلق قطاع عام كجنين للاشتراكية وقطاع تعاوني كعامل توجيهي لاستدراج الجماهير العريضة من الفلاحين الى الاشكال التقدمية للحياة الاجتماعية .

وفي مجال الانتاج تخلق في هذه المرحلة اشكال جنينية صناعية (تصنيع المحصولات الزراعية ، وانتاج مواد استهلاكية ، واصلاح الادوات ، الخ) وفي مجال الزراعة ، وخلال نمو الاسلوب التعاوني تصبح عملية ميكنة الزراعة ورفع مستوى انتاجيتها واستخدام أدوات أكثر عصرية وأسمدة كيماوية ، الخ . . مشاكل عاجلة . وبما ان القواعد الاقتصادية الأولية ليست موجودة ، يصبح خلق هذه القواعد الشغل الشاغل للمجتمع . وبشكل عام يجري الكفاح من أجل الانتقال من الانتاج البسيط الى الانتاج المتزايد الواسع .

وفي هذه المرحلة نواجه مشكلتين : ما هو الموقف بالنسبة لاتجاهات ظهور تكوينات رأسمالية خاصة، وبالنسبة للقطاع الاستعماري ولقد دار جدل طويل حول هاتين المشكلتين . وكثيرا مانودي بمنع ظهور القطاع الرأسمالي ، وبمنع نموه من باب أولى . ان نوع الحياة الذي يجري في كل بلد والاسلوب العملي المطبق فيها هما وحدهما اللذين يستطيعان البت في هذا الموضوع . وكل شيء متوقف على الظروف المجددة ، ولكني لاأظن أنه في استطاعة أحد أن ينكر دائما وبشكل قاطع ضرورة استخدام المبادرات التي يقوم بها المشروع الخاص تحت رقابة المجتمع .

واذا كانت السلطة في يد الشعب ، واذا كان نشاط العاملين كبيرا ، واذا كانت هناك روابط وثيقة قائمة مع العالم الاشتراكي ، فقد يكون من الممكن السماح الى حد معين بقيام مشروعات رأسمالية خاصة . لانه يجب علينا أن نضع في اعتبارنا ان نمو الاستغلال التجاري الصغير والاستغلال الطبيعي لايمكن توجيهه صوب الانتاج التعاوني وحده . وعملية التمايز التي تجري في المجتمع القبلي تنجب بشكل تلقائي ومستمر علاقات تجارية ونقدية تعمل على أظهار وتنمية عناصر رأسمالية .

وفي جميع الاحوال لايمكن السماح بقيام المشروعات الرأسمالية الخاصة سواء اكانت متناثرة أم كانت بنسبة ضخمة ، الا اذا ظلت باستمرار تحت رقابة جميع الاجهزة الاقتصادية والسياسية للدولة الشعبية .

كما يثير الموقف تجاه القطاع الاجنبي والروابط مع الرأسمالية مشكلة أكثر تعقيدا . ومما لاشك فيه أن فعالية وحقيقة الطريق اللارأسمالي من وجهة النظر التاريخية والموضوعية والدولية مكفولة عن طريق المساعدات المباشرة وغير المباشرة التي يقدمها النظام الاشتراكي نتيجة لقيام مختلف العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية مع البلاد الاشتراكية . ولكن من الصعب أن نتصور كيف يمكن للبلاد الافريقية ، وهي تشق الطريق الى التقدم الاجتماعي، أن تعزل نفسها عن العالم الرأسمالي . ومن الممكن أن نتصور قيام العلاقات التقليدية الاقتصادية أو الثقافية في خلال فترة من الزمن قد تطول أو تقصر . وفي نطاق الوضع الدولي الراهن ونظرا لوجود النظام الاشتراكي ، فان علاقات اقتصادية جديدة . وعلاقات التجارة والائتمان ، والمعونة التكنيكية ، ستقوم بين الدول الآخذة في النمو والرأسمالية ، بل هي تقوم بالفعل . ومن الواضح ، كما يرى القادة الافريقيون التقدميون أن الوضع الامثل هو أن تمر كل هذه الاشكال من العلاقات المتبادلة من خلال ملكية الدولة أو الملكية المختلطة . اذ أن هذا الوضع يكفل توفر قدر من رؤوس الاموال ، وعدد من الخبراء ، كما يكفل أسواق التصدير ، بينما تظل سيادة الدولة والاستقلال الاقتصادي سليمة لا تسومها شائبة .

ومن الممكن أن نعتبر مهام المرحلة الاولى للتنمية اللارأسمالية متحققة عندما تنشأ وتنمو القطاعات الجوهرية : القطاع العام والقطاع التعاوني ، وقطاع التجارة الصغيرة ، وعندما توضع أسس الانتاج في محيط الصناعة الخفيفة ، وعندما يتم قيام القواعد

الاقتصادية ، وتوجد العلاقات التجارية مع العالم الخارجي ، وعندما يبدأ الاخذ بالاساليب الحديثة في الزراعة وتصل الى مستوى المعدلات المتوسطةفي القارة الافريقية .

ثم يبدأ بعد ذلك مستوى جديد في تطور المجتمع في الطريق اللاراسمالي ، مستوى تغيرات ماقبل الاشتراكية . والهدف الرئيسي لهذه المرحلة هو انشاء صناعة خفيفة نامية ، ووضع اسس صناعة أدوات الانتاج ، وزراعة تبلغ درجة عاليـــة من الانتاجية .

وفي هذه الفترة ، ومع نضج الظروف الموضوعية يتم وينفذ تأميم أدوات الانتاج الرئيسية ، جزئيا أو كليا . الا أن بعض البلاد ، تحت ضغط الضرورة الملحة ، قد بدأت التأميمات في فترات سابقة على هذه الفترة .

وفي هذه الفترة يمثل قطاعان من القطاعات التي سبق ذكرها ، مواقع السيطرة : القطاع العام والقطاع التعاوني وهما يكونان اساس الحياة في المجتمع الجديد . ويلغى الانتاج الطبيعي الغاء تاما ويسمح ببقاء الانتاج التجاري الصغير في حدود معينة في الزراعة ، والصناعات الحرفيـــة ، والخدمات المختلفة . وتدل تجربة الكثير من البلاد على أن التقدم الاجتماعي لايعني على الاطلاق ، التضييق المصطنع والمفروض فرضا على الانتاج التجاري الصغير . وتتكون السيطرة الاجتماعية من الحيلولة دون انطلاق جماح عنصر التجـــارة الصغيرة وتولد الراسمالية في داخلها . وفيما عدا ذلك فان للمنتج الصغير حرية التصرف طالما كان ذلك مفيدا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية .

أما القطاع الراسمالي الخاص (حيثما كــــان موجودا) فيسمح ببقائه في اول الطريق ، وان كان يجري القضاء عليه ، منهجيا ، بالوسائل الاقتصادية ويتناقص وزنه باستمرار في اقتصاد البلاد . ومن الممكن أن يسمح بوجود مشروعات اقتصادية أجنبية على شريطة أن يمثــل المجتمع مواقع السيطرة الاقتصادية .

وفي هذه المرحلة يتكون مجتمع ناضج نسبيا فيه تشكيلات متعددة حيث توجد عدة مبـــادىء يؤثر بعضها على البعض تأثيرا متبادلا ، وتتســـاوق العلاقات بينها ، ويقوم بينها التنافس والصراع ، وهي : القطاع العام الخاضع للمبدأ الاشتراكي والقطاع التعاوني الخاضع للمبـــدأ الاشتراكي ، واقتصاد التجارة الصغيرة . وتنمو الصناعـــة والزراعة نموا كبيرا .

واخيرا تأتي المرحلة الثالثة ، وهي المرحلة التي ننتقل فيها مباشرة الى بناء الاشتراكية . وعندئذ يقضى كلية على العناصر الراسمالية وعلى كل اشكال الملكية الاجنبية ، وتقام ، في أثناء عملية التطور ، الصناعات الخفيفة والثقيلة ، ويرتفع بالزراعة الى المستوى الحديث ، ويتم التغلب تماما على بؤس جماهير الشعب ، ويعمم التعليم ويلغى استغلال الانسان للانسان . ويتم الوصول الى المساواة : القومية ، والثقافية والاجتماعية ، بين المرأة والرجل . ان تجمع هذه الظروف يشير الى نقطة البدء في بناء مجتمع اشتراكي ناضج .

وعلى هذا النحو تتحول الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، وينتهي الطريق اللاراســمالي بالانتقال الى الطريق الاشتراكي . وفي الوقت نفسه تجري تعديلات في الهياكل العلوية للمجتمع . وتتحول دولة المرحلة الانتقالية الى دولة اشتراكية . ومن المستحيل ، في الواقع ، ان نتنبأ بالاشكال المحددة التي تتخذها الدولة الاشتراكية . فان الحيـــاة نفسها هي التي سوف تقول في ذلك كلمتها .

٤ ــ العلاقات بين السياسة والاقتصاد في المراحل المختلفة للثورة الافريقية

ان السياسة ، اي العامل الذاتي ، في كل حركة ثورية ، هي قوة دافعة تضفي الحياة على النضال . ودور السياسة في الثورة الافريقية أهم من ذلك، وتتزايد اهمية هذا الدور من حيث العمق على الاخص، ان لم يكن من حيث الاتساع ، وتؤثر السياسة تأثيرا متزايدا على كل الجوانب الجوهرية للعلاقات الاجتماعية .

لقد كانت السياسة هي الروح الدافع الخلاق المسيطر على العملية التاريخية في خلال سنوات النضال من أجل الحرية القومية ، عندما لم تكن للفئات الاجتماعية كلها الا عدو قوي واحد خبيث : الاستعمار . أما عدم تساوق المصالح الاقتصادية والحاجات الاجتماعية ، أما التناقضات الطبقية ، فقد كانت كلها تأتي في الدرجة الثانية من الاهمية ، مؤقتا ، ولم يكن من الممكن أن تتصف بدلالة حاسمة في الوقت الذي كانت فيه الامبريالية تقف على عتبة كل بيت ، حرفيا . وكان العمل الذي تقوم به كل المنظمات مترتبا وموجها لهدف واحد هو الحصول على الاستقلال . وكانت الحياة الاجتماعية كلها تتبع أحكام الصراع السياسي . كانت السياسة تجب الاقتصاد .



وعلى هذا الاساس قامت وحدة الكفاح بين قوى عريضة مناهضة للاستعمار ، وسار النضال السياسي حتى كلل بالنجاح المرموق كما نعرف . وليس من الممكن القول ، اليوم بان مشاكل الحصول على الاستقلال السياسي قد حلت حلا كاملا ، هذا صحيح ، فليس الاستعمار الجديد قائما فحسب ، بل ان الجذور الاولية السياسية للسيطرة الاستعمارية مازالت كثيرة العدد .

لقد كانت كل فئات المجتمع متواصلة مشتركة في اراده الحصول على الاستقلال الوطني ، ولما كانت التناقضات الاجتماعية وراء قناع ، فقد ظهرت بين جماهير الشعب اوهام عن طبيعة الوحدة الوطنية ، مما اتاح الفرصة احيانا امام قوى اليمين في داخل حركة التحرر الوطني ان تستولي على قيادة الحياة السياسية في عدد من البلاد .

ويجب ان نؤكد ان عمل القوى اليمينية كان مؤيدا من الاوساط الاستعمارية ، ونحن نرى اليوم أن الصورة السياسية للقارة الافريقية متباينة الخطوط اشد التباين . ففي عدد كبير من البلاد تسيطر القوى اليمينية الرجعية ، وتسعى الى ابقاء هذه البلاد في دائرة النفوذ الاستعماري ، اذ تسحق كل حركة ثورية طليعية ، وتضيق الخناق على حريات الجماهير .

وفي المرحلة الجديدة لتنمية الثورة ، عندما ينتقل مركز الثقل الى ميدان التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، فان دور القيادة السياسية يزداد ، وترى جوانب كيفية جديدة تظهر في نشاط الدولة ويفسر ذلك كله بعدد من الظروف التاريخية :

١ ـ ضخامة هدف الثورة نفسه : البناء المتزايد السرعة للاشتراكية ، على مستوى المهام المطروحة ، وخلق صناعة قوية وزراعة نامية ، على اساس من الفراغ ، ورفع مستوى معيشة الشعب وثقافته على وجه السرعة ، والسمة الجديدة للحياة ـ ان احدا لم يقطع طريق التنمية اللارأسمالية في مثل الظروف الموجوده في افريقيا ، وذلك يتطلب من هذه الشعوب ان ترسم بنفسها هذا الطريق . ويعني ذلك انه من الضروري ان تراقب هذه الشعوب باستمرار الاجراءات التي تتخذها وان تقدر الموقف الحقيقي تقديرا دقيقا مهندية بالمسافة المتبقية للوصول الى الهدف المشترك ، مثلما يفعل البحار في عرض البحار . ان هذا البحار هو الدولة .

٢ ـ حجم المهام التي يجب القيام بها والمصاعب التي يجب التغلب عليها ، الامر الذي يتطلب جهدا خارقا وارادة لا تتزعزع من قبل الشعب ومن قبل الدولة اللذين يجب الا يكفا عن التقدم . وهى مشكلة تواجه المجتمع الافريقي ، تتناقض في منطقها الجدلي (الدياليكتيكي) : ان معدلات بناء الحياة الجديدة يجب أن تمضي بسرعة لا تتوقف ، كما يجب التقدم باستخدام القوى الى اقصى حد من التوتر ، لكن يجب في نفس الوقت عدم تجاوز الحد الاقصى للتوتر المقرر سياسيا ، والمتعارف عليه اقتصاديا بوجه خاص . ان القيادة السياسية هى وحدها التي تستطيع ان تجد حلا لهذا التناقض .

٣ ـ الموقف الدولي ومهام الكفاح ضد الاستعمار الجديد الذى يستخدم قوى قهر يزداد تسترها يوما بعد يوم .

٤ ـ السمة الفريدة للوضع الافريقي ولنمو الثورة الافريقية . ففي افريقيا المدارية لا يوجد من الوجهة العملية الاساس الاقتصادي والاجتماعي للاشتراكية . وعلى ذلك يتعين خلق هذا الاساس ، وللقيام بهذه المهمة تبرز الاهمية الكبرى لارادة الشعب وجهوده .

ومن ثم يتخذ الدور الذى تقوم به السياسة وجها جديدا . وتصبح السياسة كما عرفها لينين : التعبير المركز للاقتصاد . وهذا المفهوم السياسي يعبر بنظريات واعمال سياسة وباقصى مايمكن من الافاضة والعمق عن حاجات التنمية الاقتصادية ويتكفل بايجاد الاحتياطي والموارد الضرورية لاشباع حاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ومن هنا طرحت مشكلة صياغة سياسة اقتصادية للدولة الاخذة في النمو وتحدد هذه السياسة بالاجمال كما قلنا من قبل ، مضمون المرحلة الجديدة للثورة الوطنية الديمقراطية واتجاهها ومبادئها . وفي هذه الظروف تصبح الدولة قوة اقتصادية جوهرية . أن الدولة تبحث عن الوسائل الكفيلة بتسوية مسائل من طراز التخطيط والتوازن المتوافق بين الانتاج والاستهلاك ، وبين الصناعة التي تعمل للاستهلاك والصناعة التي تنتج وسائل الانتاج ، وبين الصناعة والزراعة ، كما تبحث عن الوسائل الكفيلة بتطبيق سياسة مالية وضرائبية سوية تتفق مع مصالح الثورة ، وبمحاربة الفساد دون رحمة وجميع اشكال تبديد الاموال العامة ، مستخدمة جميع الوسائل الاقتصادية وبتشجيع نمو قطاعات الاقتصاد المتطورة التي تبشر بالخير ، وبحل مشكلة التراكمات ، وبتنظيم تكوين الكادرات ، وبتوفير علاقات اقتصادية عادلة مع البلاد الاشتراكية ، وبتجنيد الموارد الداخلية ضد النير الاستعماري الجديد الخ ..

ان الدولة تمارس رقابتها على مختلف القطاعات الخاصة للاقتصاد : الراسمالي والتجاري الصغير والاستعماري .

ونستخلص من ذلك بعض النتائج الهامة :

من أجل تنمية تؤدى الى انتصار حقيقي للثورة الوطنية الديمقراطية ، يجب ان يقبض الشعب وممثلوه ـ المنظمات الثورية الوطنية ـ بقوة على زمام الدولة .

وعلى الدولة أن تضع مخططات اقتصادية وسياسية قائمة على أسس علمية ، محددة أهداف استراتيجية واضحة، مقدمةمناهج تاكتيكيةصحيحة كي يمكن الوصول اليها في الاوقات التى حددت لبلوغها .

ومن المعروف أنه حدثت اخطاء كثيرة في التقدير في مجال البناء الاقتصادى . وكان من الواجب التغلب على عدد كبير من الصعوبات والعقبات . وفى بعض الحالات تبين أن التخطيط غير فعال او سطحى ، وان قيادة القطاع العام لم تكن لها باستمرار الاهلية المطلوبة ، ولذلك كانت تعمل المشروعات الصناعية بخسارة ولاترتفع انتاجية العمل بينما كان الانتاج من جهة الكيف متخلفا . ولقد ارتكبت اخطاء جسيمة في اقامة التعاونيات . واتضح أن عددا كبيرا منها غير فعال ، وأنه ادى الى انخفاض الانتاج والمحصولات الزراعية . وسرت نتيجة لذلك أقوال يائسة متشائمة بشأن صحة مبدأالتعاونيات نفسه بالنسبةللقارةالافريقية

لقد نشأت صعوبات لان المهام الاقتصادية المحددة لم تتم صياغتها بالدقة المطلوبة ، ولان المخططات كانت مفتقرة الى اساس اقتصادى ، ولانه كانت هناك استهانة بتقدير دور رقابة الدولة ولانه حدث تراخ بشأن مكافحة عمليات التبديد والتخريب والفساد . وكل هذا يعنى أنه بالنسبة لبلد يتقدم في الطريق اللاراسمالى ، فان السياسة الاقتصادية ، وعملية ادارة الاقتصاد في مجراها اليومى ، هما في الوقت الحالى المضمون الرئيسى لنشاط هذا البلد .

تلك بعض المشاكل الاساسية للثورة الافريقية في المرحلة الحالية .

ولقد الح المفسرون النظريون للماركسية كما الح لينين العظيم باستمرار بشأن ضرورة تنوع اشكال الانتقال الى الاشتراكية . وعندما قام لينين بتقييم الثمار الاولى التى انجبتهاتجربة الاتحاد السوفييتى قال أن الشعوب سوف تنتقل في المستقبل الى الاشتراكية وهي ترتاد طريقا أسهل واكثر انسانية . وسوف تتكون الاشتراكية العالمية من خبرات وخصائص كل بلد . ومن ثم تقدم إسهاما ثمينا الى كنوز الحضارة الاشتراكية . ويسرنا أن نقرر ان الشعوب الافريقية ، ولاسيما هذا الشعب: شعب الجمهورية العربية المتحدة ، تقدم اسهامها الخاص في خبرة عملية البناء الاشتراكى .

أن العاملين في الجمهورية العربية المتحدة قد حققوا فعلا انتصارات عظيمة في بناء دولة مستقلة وطنية ديمقراطية ، وقطعوا طريقا طويلا فيسبيلهم نحو الاشتراكية ، وهم يقومون الان بوضع أشكال وطنية خاصة لتنظيم الحياة الجديدة .

ان النظام الاشتراكى العالمى هو حصن النمو التقدمى للبشرية بأسرها . وله تأثير مباشر وتأثير غير مباشر لايقل في اهميته على جميع العلاقات الاجتماعية والسياسية والايديولوجية في أفريقيا . وبفضل وجود النظام الاشتراكي العالمي وجدت الامكانية لحل مشاكل هامة كثيرة بطريقة فريدة ، ومن أمثال هذه المشاكل : قيادة الثورة بواسطةقوى تقدمية غير بروليتارية ، واساليب خاصة لتنظيم الحياة السياسية للمجتمع ، ومسألة ديكتاتورية البروليتاريا ، ودور الطليعة الثورية ، وطرق نشر أفكار الاشتراكية العلمية الخ . .

أن النظام الاشتراكى هو اصدق واثبت حليف للشعوب الافريقية في الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار الجديد . ويقدم العالم الاشتراكى وسوف يقدم مساعدات مباشرة وغير مباشرة ، سياسية وديبلوماسية ، ومساعدات عسكرية اذا اقتضى الامر ذلك للشعوب الافريقية التى تخوض كفاحا باسلا من اجل الاستقلال الحقيقى والتقدم الاجتماعى .

أن البلاد الاشتراكية تقدم لشعوب افريقيا مساعدات اقتصادية وفنية وعلمية من جميع الانواع وتسهم في عمليات التنمية الصناعية والزراعية التى تجرى في هذه البلاد . وعن طريق هذا النشاط الذى تقوم به البلاد الاشتراكية بل عن طريق وجود هذه البلاد في حد ذاته، فانها تؤثر الى حدما على سياسة البلاد الراسمالية وترغمها على تقديم امتيازات الى البلاد النامية .

ان البلاد الاشتراكية تقف الى جانب العاملين الافريقيين ، وهى على استعداد للمضى معها في الطريق لتحقيق انتصار الاشتراكية .

لقد اردنا ان نبين الانتصارات الضخمة التى حققتها الشعوب الافريقية ، وان نثير المشاكل الصعبة والمعقدة ، ولكن اذا تعين علينا ان نرسم لوحة شاملة لعمليات التنمية الجارية في القارة الافريقية ، فاننا نقول أن أفريقيا قد قدمت نصيبها فعلا الى التاريخ العالمى ، وأنها سوف تسهم كثيرا بكل ماهو شامخ وفريد وثمين ورائع . إن القارة الافريقية في حالة غليان ، وأنها لتتحفز كى تلعب دورها منفضة عن كاهلها رتابة الماضى وسيطرة الاستعمار ، وسوف تمضى الى الامام شاقة طرقا جديدة . ولاتوجد قوة تستطيع ان توقف الحركة المظفرة للشعوب الافريقيه صوب الحرية الحقيقية . . صوب السعادة . . نحو الديمقراطية ، ونحو ازدهار جميع قيمها الروحية .

الكفاح المعادى للامبريالية بأفريقيا فى المرحلة الراهنة

لطفى الخولى

الموضوع المحدد لهذا التقرير العام (١) هو « الكفاح المعادى للامبريالية بافريقيا فى المرحلة الراهنة » .

ومعنى هذا اننا مطالبون بان نعرض للرصيد الحالى من المكاسب والخسائر لهذه المعركة التاريخية المستمرة على مستويات مختلفة ومن خلال ظروف متنوعة الطبيعة بين "قوى الثورية الافريقية وبين القوى الامبريالية وقواعدها فى افريقيا . وذلك من أجل التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى .

ومن الواضح أن هذا العرض ليس مطلوبا لذاته أو فى صورة تجريدية ، وانما يهدف الى المساهمة فى بلورة حصيلة الخبرات الثورية العامة وتدعيم مواقعها ومكاسبها من ناحية ، والقاء الضوء من ناحية أخرى على الاسباب الموضوعية والذاتية لخسائرنا اساسا وكشف نواحى القصور والاخطاء ثم المشاركة الجماعية فى علاجها بقصد تعميق وزيادة فاعلية الثورة الافريقية .

ومادام الوقت المحدد للتقرير لايتسع للاسهاب



والتفصيل فاننا مضطرون الى التركيز الشديد على النقاط الاساسية ، واثقين من أن التقارير الفرعية والدراسات المقدمة عن المسائل التفصيلية الواردة بجدول أعمال الندوة والمتصلة بموضوع هذا التقرير العام ، سوف تغطى بعمق واستفاضة جميع الجوانب .

(٢) ان ميدان المعركة هو افريقيا . وافريقيا اليوم لم تعد القارة المظلمة المنعزلة عن العالم . لقد حطمت شعوبها بقيادة طلائعها ذلك الستار الحديدى الذى شيدته القوى الامبريالية من حولها باحكام منذ أواخر القرن التاسع عشر .

لقد اصبحت بحركتها الثورية مفتوحة الابواب والنوافذ وذات تمثيل يتزايد فى الامم المتحدة ودول عدم الانحياز وامتدت بينها وبين معظم دول العالم بما فيها الدول الاشتراكية قنوات دبلوماسية واقتصادية وثقافية ، وغدا صوتها مسموعا ومميزا دوليا . ومن هنا صارت ثورتها المعاصرة — وزنا وحركة — جزءا لايتجزأ من الثورة العالمية التى تناضل جذريا ضد الاستعمار القديم والجديد بقواعدهما العسكرية والاحتكارية والعنصرية فى نفس الوقت الذى تناضل فيه ضد التخلف والتفتت القومى والاستغلال .

وهكذا فان الثورة الافريقية المعاصرة فى خطها العام الصاعد جزء من حركة مسار التاريخ الذى يمضى فى طريقه نحو القضاء على الامبريالية والنظم الاقطاعية والرأسمالية ، والحروب ، واقامة مجتمعات متحررة ذات اقتصاد قومى متطور ويستخدم أحدث وسائل التكنولوجيا الحديثة يضعها على مشارف طريق الاشتراكية .. ارقى ما وصل اليه انسان العصر اجتماعيا وفكريا . وبالتالى ، فان أى فصل بين الثورة المعاصرة وبين حركة الانسانية التقدمية باتجاهاتها الاشتراكية هو فصل متعسف وشاذ يتناقض مع الواقع ومسار حركة التاريخ الانسانى ، ويعادى مصالح الشعوب الافريقية ونضالها .

والواقع أن هذا الفصل — الذى تحاول بعض القوى فرضه بأساليب وحجج مختلفة — ليس فى جوهره الا خطة استعمارية رجعية بقصد استزراع بيئة غير صحية ذات مناخ ملائم لتفريغ الاتجاهات الاصلاحية بديلا عن الاتجاهات الثورية . واستبدال الاستعمار القديم المكشوف بالاستعمار الجديد والمقنع الخفية . ومقاومة الاشتراكية ذات الاسس العلمية باشتراكيات خيالية زائفة . وباختصار حرف النضال الافريقى عن اتجاهاته التاريخية الاصيلة كى تظل افريقيا رصيدا احتياطيا للقوى الامبريالية ونظمها الاحتكارية، ولكن بصيغ وعلاقات تبعية جديدة تتفق وظروف العصر الراهن .. عصر النصف الثانى من القرن العشرين .

(٣) واذا كان هذا هو الاطار العام « للكفاح المعادى للامبريالية بافريقيا فى الوقت الراهن » فهناك فى نفس الوقت ثمة اطار خاص يتوحد فيه النضال الافريقى الثورى مع نضال شعوب كل من قارتى آسيا وامريكا اللاتينية ضد نفس الاعداء ومن أجل ذات الاهداف .

ولم يكن صدفة ان تلتقى موضوعيا شعوب هذه القارات الثلاث حيث تتركز على ارضها المواقع القوية والمباشرة للاستعمار القديم والجديد وبعنف بين دروبها الى اقصى حد التحدى للتخلف الاقتصادى والاجتماعى — فى وحدات نضالية مشتركة ومتتابعة وعلى مستويات مختلفة بدأت بمؤتمر باندونج عام ١٩٥٥، ومؤتمر تضامن شعوب آسيا وافريقيا الذى افتتح أول دوراته بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٥٧ واخيرا مؤتمر شعوب القارات الثلاث فى كوبا عام ١٩٦٦ .

والرجل العادى فى افريقيا ليس فى حاجة الى فطنة خاصة كى يدرك أن العدوان الامريكى مثلا على فيتنام فى آسيا هو نفس العدوان الذى تعرض له ومايزال كل من شعوب الكونغو ليوبلدفيل فى افريقيا وكوبا والدومينكان فى أمريكا اللاتينية .

او أن حرب التحرير المجيدة فى كل من انجولا وموزمبيق وغينيا المسماة بالبرتغالية فى افريقيا تتصف بنفس الطبيعة والظروف التى تتصف بها حرب التحرير بالجنوب العربى فى آسيا . أو أن نفس القوى الاستعمارية التى عمدت — بمعاونة القوى الرجعية المحلية على تصدير الثورة المضادة فى الكونغو ليوبلدفيل ٦٠ — ١٩٦١ والى غانا فى فبراير ١٩٦٥ ، هى نفسها التى تعمل اليوم بدأب محموم — وبمعاونة قوى رجعية محلية من نفس النوع على تصدير الثورة المضادة الى الجمهورية اليمنية منذ ثورتها عام ١٩٦٢ والى سوريا منذ انتهاجها الطريق التحررى التقدمى عام ١٩٦٦ ، والى كمبوديا منذ انتهاجها طريق الحياد الايجابى وعدم الانحياز ورفضها ان تكون قاعدة عدوان ضد شعب الفيتنام .



أو أن ذات القوى الاستعمارية والاحتكارية والعنصرية التي خططت لاقامة قواعد عنصرية مسلحة في شكل دول على حساب الشعوب الافريقية في كل من جنوب افريقيا عام ١٩١٠ وروديسيا عام ١٩٦٥ ، هي ايضا التي اقامت اسرائيل في آسيا عام ١٩٤٨ وذلك كله بهدف ايجاد امتداد ذي شكل دستوري دولي مصطنع لقوى الغرب الاستعمارية في قلب افريقيا وآسيا واتخاذها كوسائل وادوات لخدمة الاستعمار الجديد أساسا في عمليات التسلل التخريبي .

وعلاوة على هذا وذاك فان الرقعة الجغرافية والقوى البشرية التي تمتد في ترابط تاريخي مصيري على قارتي آسيا وافريقيا لتكون مايسمى في الجغرافية السياسية على صعيد عام » بالشرق الاوسط » وعلى صعيد خاص «بالوطن العربي» هي لحمة النضال والجسر الثوري بين شعوب آسيا وافريقيا .

غير أنه من الملاحظ أن الثورة في آسيا استطاعت بعد الانتصار العظيم للشعب الصيني عام ١٩٤٩ واستقلال كل من الهند وباكستان وسيلان واندونيسيا وبورما وفيتنام الشمالية وغيرها من البلاد الاسيوية العديدة وفشل العدوان على كوريا الشمالية ، ان تحاصر القوى الامبريالية هناك في اضيق الحدود والقواعد نسبيا وخاصة في السنوات العشر التالية للحرب العالمية الثانية ولا يؤثر في صحة هذه الملاحظة العدوان الراهن على شعب الفيتنام ، بل ان هذا العدوان الذي لم يستطع ان يسجل نصرا عسكريا أو سياسيا حتى الان ، بل والمؤكد فشله وانهياره في النهاية نتيجة مقاومة الشعب الفيتنامي الباسلة والتأييد المعنوي والمادي الذي يحظى به عالميا من جميع القوى المحبة للحرية والسلام قد جعل الوجود الاستعماري ككل في آسيا وشيك الانهيار التام في المستقبل القريب .

اما بالنسبة لامريكا اللاتينية التي تواجه شعوبها في الاساس ظاهرة الاستعمار الجديد لا القديم ، فانه على الرغم من قيام كوبا المتحررة الاشتراكية وصمودها رغم كل المؤامرات واندلاع حركات مقاومة ضد النظم العميلة في اكثر من مكان مثل فنزويلا وكولومبيا وغيرها فان هذه الحركات لن تصل بعد — لاسباب لامجال لذكرها هنا — الى درجة الشمول العام الذي نلمسه بوضوح وعمق في قارتنا الافريقية .

كذلك فان امريكا اللاتينية تكاد تكون بيتا امريكيا مغلقا تحتل فيه الولايات المتحدة مكانة «السيد الامبريالي» المطلق السلطات ، أما افريقيا فهي مفتوحة على مصراعيها امام جميع القوى الامبريالية التقليدية مضافا اليها الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، الامر الذي يخلق فيما بينها منافسات ضارية على النفوذ السياسي والاقتصادي والعسكري في القارة ويؤدي الى عدم الاستقرار النسبي حتى بالنسبة للنظم العميلة والمحافظة .

ولعل الانقلابات العسكرية الاخيرة التي وقعت في كل من الكونغو ليوبلدفيل وداهومي وفولتا العليا وافريقيا الوسطى ونيجيريا خلال فترة قصيرة لم تتجاوز الثلاثة أشهر (نوفمبر ١٩٦٥ — فبراير ١٩٦٦) دليل على ذلك . وفي الوقت نفسه انكمشت رقعة الاستغلال امام الاحتكارات الامبريالية باستمرار نتيجة الثورات الاشتراكية منذ ثورة أكتوبر ١٩١٧ في روسيا القيصرية ، وثورات التحرر الوطني التقدمية منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر .. هذه الثورات التي اخذت تتجه بطاقات متزايدة نحو التصنيع الثقيل والخفيف والسيطرة على مواردها بدرجات متفاوتة من ناحية والتعامل التجاري والاقتصادي مع مجموعة الدول الاشتراكية التي بلغت انتاجيتها بالفعل اليوم أكثر من ٣٠٪ من الانتاج العالمي ، وتزيد بمعدل أكثر وأسرع من الدول الامبريالية . ففي مجال الانتاج الصناعي مثلا زاد انتاج الدول الاشتراكية ٢ر١ مرة في الفترة من ١٩٥٦—١٩٦٢ بينما لم يزد في الدول الامبريالية في نفس الفترة عن ٣٥٪ فحسب أي حوالي الثلث وازاء هذا الانكماش والمنافسة الاقتصادية القوية عمدت القوى الامبريالية في سعار محموم بالضرورة الى تركيز كل اجهزتها في القارة الافريقية لاستغلال طاقاتها ومواردها وخبراتها الفنية الى آخر رمق حيث تتوفر مع الايدي العاملة الرخيصة والاراضي الزراعية الخصبة والغابات الشاسعة ١/٥ امكانيات العالم كله من الطاقة الكهربائية ، ٩٨٪ من الماس ، وأكثر من ٥٠٪ من الذهب و ٧٠٪ من الكوبالت ، ٤٠٪ من الكروم و ٣٠٪ من المنجنيز و ٣٥٪ من الفوسفات الخام ، و ٢٤٪ من النحاس فضلا عن الفحم والحديد والبترول والغاز بكميات اقتصادية وفيرة فعلية ومحتملة معا .

ومن هنا غدت قارتنا الافريقية في واقع الحال الميدان الرئيسي الراهن للصدام المباشر والعنيف بين القوى الوطنية الثورية والقوى الامبريالية في العالم المعاصر .

ولعل هذا مايفسر ضراوة المعركة في افريقيا وتعقدها وتعدد الاساليب والادوات والاسلحة

المستعملة فى وقت واحد . فنحن نواجه الاستعمار القديم جنبا الى جنب مع الاستعمار الجديد . ونواجه النظم العميلة والمحافظة جنبا الى جنب مع النظم العنصرية والقواعد والاحتلال العسكرى . ونواجه بشاعة سياسة التمييز العنصرى ، جنبا الى جنب مع تجنيد المرتزقة البيض ضد الحكومات الوطنية والتقدمية ، وممارسة الضغوط الاقتصادية وتصدير الثورات المضادة والمحاصرة بالاحلاف والقواعد العسكرية والمعاهدات غير المتكافئة والمعونات المشروطة . ونواجه بعثات التبشير المخربة للروح المعنوية والتراث القومى مستترة وراء الرايات الدينية جنبا الى جنب مع ظاهرة العدوان الجماعى للدول الامبريالية — رغم التناقضات الثانوية فيما بينها — باسم الامم المتحدة تارة وبدون اسمها تارة اخرى ، وقد تجسد ذلك بوضوح فى مأساة الكونجوليوبلدفيل . ونواجه عمليات بتر متعسف للقبائل مع اذكاء نيران الحقد والطائفية بين بعضها البعض داخل الامة الواحدة منعا للتوحيد القومى جنبا الى جنب مع اثارة حروب الحدود الاقليمية التى برعت القوى الاستعمارية فى تخطيطها ورسمها . وهو يفسر ايضا وفى نفس الوقت ذلك التنوع الكبير الذى نشهده على صعيد الجبهة الثورية العامة بالقارة فى اساليب وادوات وطرق النضال التى تمارسها الشعوب الافريقية . فمن الواقع الخاص لكل شعب ، ووفقا لدرجة تطوره والطبيعة الخاصة للعدو الرئيسى فى هذا الواقع تنبثق الاداة والاسلوب والطريق .

وهكذا تتزامل على ذات الجبهة الافريقية العريضة حركات التحرير المسلحة وحركات المقاومة العنيفة والسلمية للقوى العنصرية مع العمل الثورى المتعدد الدرجات لبناء الوحدات القومية وتصفية الاحتكارات ، وادارة الصراع الاجتماعى سلميا أو بالعنف — فى اتجاه التطور نحو الاشتراكية وتنسيق وحدة عمل ثورية مشتركة بين عدد من الدول المتحررة التقدمية جنبا الى جنب مع بناء وحدة العمل الافريقى على نطاق القارة كلها ، والتى تجسدت اخيرا فى منظمة الوحدة الافريقية التى انشئت فى مؤتمر اديس أبابا عام ١٩٦٣ » .

ومن هنا تتميز افريقيا — موضوعيا — بأنها اكثر ميادين المعركة ضد الاستعمار القديم والجديد التهابا فى القارات الثلاث وأكثرها تعددا فى أساليب وطرق ومستويات النضال » .

(٤) **ولقد بدأت الثورة الافريقية تتفتح عن آفاق رحبة منذ الخمسينات وبلغت أوجها منذ الستينات حتى لقد اصطلح دوليا على اعتبار عام ١٩٦٠ « عام افريقيا » . ففى نهاية ذلك العام سجل التاريخ الافريقى أن ٧٥٪ من سكان القارة قد أصبحوا يعيشون فى ٢٧ دولة مستقلة ، بغض النظر عن درجات هذا الاستقلال ونوعيته .**

ويعاصر هذا المد الثورى العام ميلاد أربعة ظواهر هامة ذات دلالات تاريخية تطبع عصر مابعد الحرب العالمية بطابع جديد ومميز لانها تعكس أهم التغييرات الجذرية فى علاقات القوى العالمية لصالح التطوير البشرى : انسانا وشعوبا .

ولم تكن مجرد صدفة أن وعت الثورات الافريقية بعمق هذه الظواهر الجديدة ويمكن أن نلمس مثالا واضحا لهذا الوعى فيما جاء بالميثاق الوطنى دليل العمل الثورى فى الجمهورية العربية المتحدة الذى اقره الشعب فى مؤتمر قواه الوطنية عام ١٩٦٢ ، خلال حديثه عن ضرورة الثورة فى الباب الثانى منه :

« ان أبرز التغييرات التى طرأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يمكن تلخيصها فيما يلى :

أولا — تعاظم قوة الحركات الوطنية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

ثانيا — ظهور المعسكر الشيوعى كقوة كبيرة بتزايد وزنها المادى والمعنوى يوما بعد يوم فى مواجهة المعسكر الرأسمالى .

ثالثا — التقدم العلمى الهائل الذى حقق طفرة فى وسائل الانتاج فتحت آفاقا غير محدودة أمام محاولات التطور .

رابعا — زيادة تاثير القوى المعنوية فى العالم كالامم المتحدة والدول غير المنحازة وقوى الرأى العام العالمى » .

وتتفجر الثورة الافريقية فى اطار هذه التغييرات الجذرية فى واقع متخلف بصورة عامة . فما يزال يعيش على الزراعة اساسا ٩٠٪ من مجموع سكان افريقيا ورغم ان افريقيا تقدم اليوم ١/٢ الانتاج العالمى من المواد الخام ، فان انتاجها



الصناعى لايزيد عن ١٫٠٪ من الانتاج الصناعي العالمى ، ولا يمثل الا ١٤٪ فقط من الدخل القومى . ومن هنا كان متوسط الدخل السنوى للفرد فى افريقيا هو ٨٩ دولارا بصفة عامة مقابل ١٥٤١ فى امريكا ، ويزيد الامر سوءا نتيجة لسيطرة الاحتكارات الاستعمارية على السوق العالمى والتجارة الدولية الامر الذى يؤدى الى افقار مستمر لافريقيا لصالح هذه الاحتكارات،ويتركز ذلك بصفة خاصة فى التدهور المتوالى لاسعار المواد الخام التى تتشكل غالبيه صادرات افريقيا مقابل الارتفاع المستمر للمنتجات الصناعية وبصفة خاصة الالات والمعدات الصناعيه التى تحتاجهاافريقياللتنمية وتشكل معظم وارداتها . ففى المدة من ١٩٥١ الى ١٩٦١ ، انخفض مستوى اسعار المواد الخام (فيما عدا البترول) بنسبة ٦ر٣٣٪ بينما ارتفعت اسعار المواد المصنعة بنسبة ٥ر٣٪ والالات والمعدات بنسبة ٣ر٣١٪ .

وهكذا تواجه الثورة الافريقية بعنف هذا الواقع للمتخلف فى عالم متغير ومتطور بمعدل سرعة لم يسبق له مثيل . وهى فى محاولتها تطوير اقتصادياتها الوطنيه وتنمية مواردها بمعدل سرعة العصر تجد نفسها موضوعيا امام اختيار تاريخى بين طريق التطور الراسمالى "البطىء" وطريق التطور المعادى للرأسمالية والمتجه نحو الاشتراكية .

وتفرض الظروف والتجربة — ورغم كل المقاومات والضغوط — حتمية اختيار الطريق الثانى لانه أسرع وأقدر من ناحية الامكانيات على أحدث التراكم المالى القومى واستخدامه بكفاءة وعدل فى عمليات التنمية . فضلا عن استجابته لمطالب الجماهير المطحونة التى طال قهرها واستغلالها وذلك فى مواجهة الطريق الاول البطىء فى حركته وافتقاره الى الامكانيات نتيجة ضعف الطبقة البرجوازية من ناحية ، وافتقارها فى هذا العصر من ناحية — اخرى — لما كانت تتصف به فى مرحلة الثورة الوطنية التقليدية من ثورية وذلك نتيجه نضج الصراع الطبقى بمستوياته المختلفة عالميا ومحليا ، وكون الاشتراكية قد أصبحت تمتلك قوة جذب شديدة لمختلف الطبقات الشعبية بل وفئات من المتوسطة لا الطبقة العاملة فحسب . ومن هنا تتبع ظاهرة ازدواج الثورة الوطنية التحررية والثورة الاجتماعية بآفاقها الاشتراكية فى افريقيا .

(٥) ومن هذه الارضية العامة ((للكفاح المعادى للامبريالية بافريقيا فى المرحلة الراهنة)) يمكننا أن نستخلص مانسميه بالمعايير الواقعية الثورية لحركة هذا الكفاح .. هذه المعايير التى يمكن أن نجملها فى الاربعة نقاط التالية :

أولا — ان المعركة فى افريقيا اليوم هى الميدان الرئيسى الملتهب للصراع بين القوى الثورية والقوى الامبريالية . ومن هنا فهى معركة حياة او موت بالنسبة لكليهما .ويصبح بالتالى كل استقلال توصلت اليه دول افريقيا مهددا — مهما كانت درجته ونوعيته — طالما لم يتم تطهير كل القارة من الاستعمار القديم والجديد معا .

ثانيا — ان هذه المعركة ذات مستويات وطرق واساليب متعددة ومختلفة ، نتيجة الاختلاف فى الظروف وفى مواقع كل من القوى الثورية والامبريالية فى مناطق عنها فى مناطق اخرى . بيد ان هذا الإختلاف لا يخل بوحدة القوى والحركة بالنسبة لطرفى المعركة على السواء . فمن الجانب الثورى نلاحظ الاتجاه الى «وحدة العمل» المتدرجة من منظمة الوحدة الافريقية حتى الوحدة النابعة عن التنسيق بين الدول والقوى الثورية . ومن الجانب الامبريالى نلاحظ أيضا الاتجاه إلى وحدة العمل ابتداء من ظاهرة الإستعمار والعدوان الجماعى حتى التنسيق المباشر ، العلنى والخفى بين دولتين أو أكثر من الدول الاستعمارية .

ثالثا — ان طريقة الثوره الافريقية ضد الامبريالية تتميز بطابع جديد هو ذلك التلاحم الموضوعى الذى تفرضه الظروف الواقعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين مهام واهداف الثورة الوطنية التحريرية والثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية فى مرحلة ذات نسيج واحد .

رابعا — ان الثورة الافريقيه تتم فى مناخ اصبحت فيه الاشتراكية ظاهرة عالمية وموضع جذب شديد لطبقات شعبية أخرى بالاضافة الى الطبقة العاملة . وغدت ثورة التحرر الوطنى ذات شمول عالمى عام فى آسيا وأمريكا اللاتينية علاوة على افريقيا ، وصارت البشرية على وعى عميق باخطار اندلاع حرب نووية . ولهذا كانت الثورة الافريقية جزءا لايتجزأ من مسار الثورة الانسانية التقدمية ضد الامبريالية والتخلف واستغلال الانسان للانسان والحرب .

(٦) فى هذا الضوء يمكننا أن نتتبع مراحل التطور المتعاقبة للثورة الافريقية المعادية للامبريالية بايجابياتها وسلبياتها معا . ومدى ما أحدثته وما تزال تحدثه من تغيير لخريطة القارة .

ففى عام ١٩٥٠ كانت المساحة المستقلة ــ عدا جنوب افريقيا بوضعها العنصرى والخاص ــ تتألف من ثلاث دول فقط هى مصر واثيوبيا .ليبيريا والواقع أن ليبيريا كانت مستعمرة امريكية ومصر مستعمرة بريطانية يحتلها ٨٠ الف جندى بريطانى واثيوبيا ذات صلات وثيقة ببوادر الاستعمار الجديد .

اما فى عام ١٩٦٠ الذى يعد بحق عام افريقيا فقد استقلت ١٧ دولة جديدة تمثل ٤٢٪ من مساحة القارة . وفى عام ١٩٦٦ انحصر النفوذ الاستعمارى المباشر فى ٢١ وحدة سياسية مجموع مساحتها ٣٫٥ مليون ميلا مربعا (٣٠٪ من مساحة القارة) وسكانها ٥٩مليون نسمة (٢٤٪ من مجموع السكان) .

اما فى العام الحالى (١٩٦٦) وبعد استقلال باسوتولاند وبتشوانالاند ، فقد انكمش الوجود الاستعمارى الى ١١ وحدة خاضعة للاستعمار المباشر معظمها بالغ الضآلة مثل سبته ومليله ، افنى ، ربومونى ، كابندا ، الصومال الفرنسى ، والمجموع الكلى لمساحتها يبلغ نحو مليون ميل مربع (١٤٪ من مساحة القارة) وجملة سكانها ١٥ مليون نسمة تمثل ٦٪ من أهل القارة .

ومن الملاحظات الجديرة بالتسجيل ان اقوى الدول الاستعمارية كانت فى مقدمة تلك التى غيرت من اساليبها لتطبيق شكل الاستعمار الجديد وأساليبه .

ففرنسا التى كانت تسيطر على اكبر مساحة من المستعمرات الافريقية اصبحت لها مستعمرة واحدة بصورة مباشرة هى الصومال الفرنسى الذى تبلغ مساحته ٩٫٠٠٠ ميل مربع يقطنها ٧٠ الف نسمة ، وهى اليوم تموج بحركة وطنية شاملة للاستقلال .

وبريطانيا التى كانت تستعمر اكبر نسبة من سكان القارة لم يبق لها مستعمرات ــ مباشرة داخل حدود القارة (بعد ان خرجت روديسيا نتيجة تواطؤ الاقليه العنصرية مع القوى الاستعمارية التقليدية من نفوذها المباشر) بينما يحتفظ الاستعمار البرتغالى بثلاث مستعمرات مساحتها .. ٧٩٣٫ ميل مربع يقطنها نحو عشرة ملايين افريقى ، اما الاستعمار الاسبانى فيتحكم حتى اليوم فى خمس مستعمرات مساحتها ١٣٠٫٠٠٠ ميل مربع ، يقطنها ٢٣٨ الف نسمة .

بيد أن حصول ٣٩ بلدا افريقيا على استقلالها السياسى ، لم يحرر افريقيا من الاستغلال الاستعمارى بل ازداد ضراوة . قد حلت الاستثمارات الاحتكارية والمعونات ذات القيود الثقيلة محل جيوش الاحتلال واستخدم الاستعمار الجديد وسائله الاحتكارية لنهب ثروات القارة واستغلال قواها العاملة حتى بلغت رؤوس أمواله المستثمرة بافريقيا عام ١٩٦٣ نحو ٢٢ الف مليون دولار درت عليها ارباحا بلغت ٢٠٠٠ مليون دولار فى نفس العام .

وعن طريق السيطرة على السوق العالمى فرض الاستعمار باحتكاراته الاسعار التى تحقق له أرباحا خيالية ، تحرم شعوبنا من فرص تراكم يسمح لها بتنمية مواردها وتنزل التخفيض المستمر فى اسعار المحاصيل والمواد الاولية فى نفس الوقت الذى ترفع فيه أسعار السلع المصنعة والالات . فضلا عن ان الاحتكارات الغربية ما برحت تتحكم فى نحو ٨٠٪ من حجم العمليات التجارية لافريقيا .

وتلعب الولايات المتحدة الامريكية دورا متزايد الاهمية فى هذا المجال . فقد ارتفعت استثماراتها فى افريقيا من ٢٨٧ مليون دولار عام ١٩٥٠ الى ٩٢٥ مليون دولار عام ١٩٦٠ ثم قفزت الى ١٧٠٠ مليون دولار عام ١٩٦٤ وارتفعت قيمة صادراتها لافريقيا من ٤٩٤ مليون دولار الى ٩١٦ مليون دولار ، ووارداتها من ٣٦٢ مليون دولار الى ١٢١١ مليون دولار وذلك فى الفترة مابين ١٩٥٠ الى ١٩٦٤ .

وصحب التوسع فى الاستثمارات الغربية انتشار القواعد العسكرية العدوانية حتى اصبحت امريكا تملك اكبر عدد من القواعد البحرية والجوية فى القارة كما هو الحال فى المغرب وليبيا وتونس وليبيريا واثيوبيا .

كما بدا التدخل السافر من جانب الاستعمار الامريكى ضد التحرر الوطنى والذى بلغ قمته فى العدوان على شعب الكونغو ليوبلدفيل فضلا عن تدبير الانقلابات الرجعية وتصدير الثورات المضادة ضد النظم المتحررة .

(٧) والواقع أن افريقيا قد عرفت أبشع صور النهب الاستعمارى فطوال عدة قرون ركزت الدول الغربية جهودها فى نهب أثمن الثروات الطبيعية الافريقية . القوى البشرية .

وكانت تجارة الرقيق بالتالى هى العامل الذى حكم



كل الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في افريقيا جنوب الصحراء لمدى طويل ، مازالت قارتنا تعاني من آثاره حتى اليوم .

وكانت تجارة الرقيق على يد الاوربيين تختلف جذريا عن تجارة الرقيق القديمة . فقديما كان النخاسين يختطفون اعدادامن الصبية والفتيات يبيعونهم في بلاد الشرق الادنى أو الشمال الافريقي للخدمة المنزلية واحيانا للجندية ، وليس للاستخدام في الانتاج . ولذلك لم يتسع نطاق تلك التجارة . اما النخاسون الاوربيون فكانوا يريدون لامريكا الشمالية والجنوبية قوة عمل تستخدم في مزارعها الشاسعة . ولذلك أخذت تجارتهم طابع «الانتاج الراسمالي الكبير» واستنزفت من افريقيا أعدادا ضخمة تقدر بعشرات الملايين . ولما كانت ظروف «صيد» الافريقيين ونقلهم من أسوأ مايتصور الانسان فان عددا ضخما منهم كان يموت قبل ان يصل الى العالم الجديد ، وهذا كان يعني ضرورة اصطياد اضعاف العدد المطلوب توريده . ومن جهة اخرى كانت بغية النخاسين هي العناصر القادرة على العمل ولذلك ادت تجارتهم المشئومة الى حرمان افريقيا من أجيال كاملة من شبابها ، اى من اكثر فئات السكان حيوية ونشاطا وقدرة على الانتاج . وباستنزاف «اثمن رأس مال» حكم الاستعمار على النمو الذاتي للشعوب الافريقية بالعدم . بل يمكن أن نؤكد باطمئنان ان تجارة الرقيق لم تقض فقط على كل تقدم في المجتمعات الافريقية ، بل دفعت بها خلفا في طريق التدهور ، وقد حرص النخاسون على محاولة استخدام عملاء افريقيين في تجارتهم مستغلين المنازعات القبلية مما أورث افريقيا الوانا من الحقد القبلي مازالت تعاني آثارها حتى اليوم .

وقد صاحب تجارة الرقيق اهمال الاوربيين الى حد بعيد للثروات الطبيعية في افريقيا . فلم تجذب اهتمامهم لعدة قرون الا المعادن النفيسة وبخاصة الماس والذهب . وحتى السنوات الاخيرة انحصر نشاطهم في بعض مناطق التعدين الهامة وعدد محدود من «المزارع» . وهكذا لم تشهد افريقيا حتى ذلك القدر الادنى من التنمية التي لامفر من أن يحدث عندما يحرص الاستعمار على استغلال موارد البلاد ، وما يترتب عليه من نمو الطبقة العاملة ، ونمو بورجوازية محلية في بعض القطاعات وانتشار التعليم في حدود معينة وتكوين عدد من الكوادر الادارية والفنية المتوسطة . وعلى العكس حرص الاستعمار على أن يحرم الافريقيين من كل وسيلة للتقدم ، وحيث لم يكن بوسعه الاكتفاء بالعناصر الاوربية كان يفتح الباب أمام عناصر غير افريقية لتقوم بالاعمال المساعدة لاحكام سيطرته كتجارة التجزئة والوظائف الكتابية .

(٨) وامعانا في محاصرة البلاد الافريقية التي سادت فيها تجارة الرقيق ، حرص الاستعمار على عزل بلاد الشمال الافريقي عزلا كاملا عن جنوب الصحراء .

وحارب الفكرة الافريقية في شمال الصحراء عاملا على تغذية الاتجاهات العنصرية شمالا وجنوبا . وكان لهذا الوضع اسوأ الاثر على حركة التحرر الوطني في افريقيا كلها . ان الصحراء لم تكن قديما حائلا دون الاتصال بين الشمال والجنوب بل لقد عبرتها دائما قوافل التجارة وتيارات الحضارة ولكن ارادة المستعمر ومصالحه هي التي عزلت الجنوب عن الشمال عزلا تاما .

وقد ساعد على كل ذلك تحطيم الاستعمار الغربي للدول الافريقية التي كانت قائمة قبل الغزو، وتمزيق ارض افريقيا – جنوب الصحراء – على هوى المستعمرين وعلى ضوء منازعاتهم وسباقهم العنيف على تملك ارض افريقيا ، وفي رغبة محمومة لتفتيت كل الروابط الطبيعية بين الشعوب التي كان من شأنها ان تدعم مقاومتها وان تمهد السبيل لظهور القوميات . وباقتسام الدول الاستعمارية للاراضي الافريقية ، أخذت كل منها تقسم نصيبها منها تقسيما اداريا روعى فيه تمزيق كل الروابط البشرية والجغرافية بحيث يحتوى كل قسم على ابناء قبائل مختلفة يمكن ان يعمل الحاكم الاجنبي فيها سياسة «فرق تسد» . وقد ورثت الدول الافريقية المستقلة هذه الاوضاع ومازالت تتحمل آثارها في شكل خصومات داخلية تهدد وحدة عدد كبير منها أو منازعات حدود تهدد سياسة الوحدة الافريقية كلها .

(٩) وحرص الاستعمار في اطار تقسيماته الادارية على الابقاء على أكثر اشكال الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية تخلفا .

ولعل أعظم مايروع في نتائج السيطرة الاستعمارية على افريقيا هو حرمان الافريقيين من التعليم والعمل على بقائهم نهبا لسيطرة زعماء القبائل والمشعوذين ، ومقاومة أي تطوير للانتاج في خارج المناجم والمزارع الاستعمارية . وقد يسر مهمة الاستعمار في هذا الشأن – كما سبق ان ذكرنا اهماله

لموارد القارة الطبيعية امدا كبيرا واستغناؤه بالتالى عن الاستعانة بأى كادر محلى . وكان الاستعماريون يستندون الى هذه الاوضاع التى خلقوها بأنفسهم فى دعواهم بأن الافريقيين عاجزون عن حكم نفسهم بنفسهم . وعلى أية حال مازال عدد من الدول الافريقية التى استقلت فى السنوات الاخيرة تعانى الى أبعد الحدود من نفس الكادر السياسى والفنى والادارى وضعف جهاز الدولة المنظم .

واذا كان الاستغلال الاستعمارى قد اتخذ اساسا شكل نهب القوى البشرية فان المستعمرين حاولوا مع ذلك تطبيق اشكال أخرى من الاستغلال وكان فى مقدمة تلك الاشكال «الاستيطان» كلما كانت ظروف المناخ مناسبة للاوروبيين . وقد بدأ الاستيطان فى جنوب افريقيا ومنها امتد فيما بعد الى روديسيا ثم كينيا . وفى الشمال الافريقى شهدت الجزائر اكبر عملية استيطان وتمت محاولات على نطاق اضيق فى مراكش وتونس وليبيا . ومما يكشف عن الارتباط التاريخى بين الصهيونية والاستعمار وتعاونهما على استغلال افريقيا ، ان أول مشروع لانشاء «وطن قومى لليهود» كان المفروض أن ينفذ فى شرق افريقيا .

ومن كل هذه السمات يتضح الطابع العنصرى المميز لسياسة الاستعمار فى افريقيا فالاستعمار الغربى كان يعامل الافريقيين لاباعتبارهم بشرا وانما كما لو كانوا سائمة لا تصلح الا للتصدير فى أسواق العمل الخارجية . وحصاد تلك النظرة العنصرية المقيتة يتمثل اليوم فى النظم العنصرية فى افريقيا الجنوبية وروديسيا ، كما أنه يقف فى خلفية سياسة الاستعمار الجديد .

(١٠) كان لهزيمة الفاشية فى الحرب العالمية الثانية ولدور الاتحاد السوفييتى الحاسم فيها ولمشاركة الشعوب الافريقية فى المجهود الحربى للحلفاء أثرها البعيد فى تجدد حركة التحرر الوطنى فى افريقيا غداة النصر .

فمنذ السنوات التالية مباشرة للحرب شهدت الجزائر هبة «سطيف» التى راح ضحيتها ٤٥ ألف مواطن ، كما عرفت «مدغشقر» انطلاقا رائعا لحركة الاحياء الملاجاشى حيث قدم ٩٠ الف مواطن أرواحهم . وتكون فى البلاد الافريقية الخاضعة لفرنسا «التجميع الافريقى الديمقراطى» وتفجرت الانتفاضات الشعبية فى مصر وغانا . الخ . وعلى نهاية الاربعينات انتصرت الثورة الشعبية فى الصين ثم أخفق الاستعمار فى القضاء على كوريا الديموقراطية وعجز الاستعمار الفرنسى عن فرض ارادته فى فيتنام . وأذنت شمس الاستعمار القديم فى آسيا على الغروب . وبدأ الاستعمار الاوربى ينظر الى افريقيا وثرواتها الكامنة نظرته الى ارض الميعاد بعد تقلص نفوذه . وظهر الاستعمار الامريكى على مسرح السياسة الافريقية بشكل مباشر وعن طريق هيمنته على دول مجموعة الاطلنطى . وأخذ الاستعماريون يعدون الخطط لاستغلال مشترك لافريقيا مصدقين الاوهام التى طالما رددوها عن عجز الافريقيين عن النضال من أجل الاستقلال نضالا جديا .

ولكن الخمسينات من هذا القرن ـ كما سبق وأوضحنا ـ سجلت انتصارات تاريخية لحركة التحرر الوطنى فى افريقيا بددت أوهام المستعمرين واجبرتهم على تغيير خططهم . وكان أول تلك الانتصارات هو نجاح ثورة ٢٣ يوليو فى مصر وما ترتب عليها من نتائج بعيدة فى البلاد العربية والافريقية على السواء ـ ثم كان الصدام المسلح فى سنة ١٩٥٦ بين مصر الثائرة ، بقيادتها الوطنية التقدمية المتمثلة فى المناضل جمال عبد الناصر التى اممت قناة السويس ، وبين اعرق دولتين استعماريتين بريطانيا وفرنسا وأحدث دولة صنعها الاستعمار اسرائيل . ولاول مرة شهدت الارض الافريقية هزيمة العدوان الاستعمارى وانتصار شعب افريقى مصر على أن يأخذ مصيره بيده وأخذت حكومة الثورة فى مصر تمد يد المعاونة الاخوية لحركات التحرر الافريقية .

وفى افريقيا الغربية نجح الشعب الغانى بقيادة كوامى نكروما فى نضاله البطولى من أجل الاستقلال . وهكذا اصبحت مستعمرة ساحل الذهب القديمة فى سنة ١٩٥٧ أول دولة افريقية سوداء مستقلة تحمل اسم دولة غانا التاريخية . وفى السنة التالية مباشرة أعلن شعب غينيا بقيادة سيكوتورى استقلاله عن فرنسا مقاوما كل الضغوط ومواجها كل الصعوبات التى ترتبت على انسحاب فرنسا المفاجىء من غينيا .

وفى شرقى افريقيا تفجرت حركة مقاومة الاستعمار فى كينيا ثم فى اوغندا وتنجانيقا وتفتحت اتحاد وسط افريقيا الاستعمارى وطالبت الشعوب هناك باستقلالها .

وفى نهاية الخمسينات اصبح انتصار الشعب الجزائرى امرا مؤكدا ولم يكن الشعب الجزائرى يناضل ضد جيش احتلال فحسب بل كان يناضل

كذلك ضد مئات الالوف من المستوطنين الاجانب الذين قاتلوا قتالا مريرا فى سبيل الابقاء على سيطرته على الجزائر . وكان أعظم درس قدمته الجزائر لحركة التحرر الوطنى فى افريقيا هو أن الشعب الذى يصر على انتزاع حريته لابد ان يفوز بها بغض النظر عن تفوق الجيش الاستعمارى فى العدة والسلاح . وأن حرب التحرير يمكن ان تطول ، كما ان التضحيات يمكن ان تعظم ولكن النصر معقود لمن يحارب من أجل تحرير وطنه .

(١١) أمام هذا المد الثورى الذى لم يكن الاستعمار ينتظره بهذا الاتساع وتلك القوة ، كان لابد أن يغير الاستعمار من اساليبه .

وكان أمام المستعمرين فى هذا الصدد خبرة الولايات المتحدة الامريكية فى امريكا اللاتينية والتى تتمثل فى فرض الاستغلال الاستعمارى أو شبه الاستعمارى على دول تتمتع من الناحية الرسمية باستقلالها السياسى ، حيث أن دول أمريكا اللاتينية «دول بيضاء» .ولكن ظروف عالم اليوم جعلت الاستعماريين يتبلون — ولو على مضض — أن يعاملوا الملونين على اساس أنهم يمثلون حكومات مستقلة من الناحية الشكلية على الاقل . وكانت بريطانيا قد بدأت تحل هذه المشكلة عن طريق توسيع نطاق الكومنولث ليشمل «دولاغيربيضاء» كالهند وباكستان . فأخذت تتوسع فى التجربة وتفتح المجال لدول افريقية كاعضاء فى الكومنولث ولكن أجرأ خطوة اتخذت فى سبيل تغيير اساليب الاستعمار التقليدية كانت تلك التى اقدمت عليها سنة ١٩٦٠ حكومة فرنسا . ولم يكن ذلك صدفة فقد عانت فرنسا من حربين استعماريتين فى فيتنام والجزائر استمرت الاولى منهما تسع سنوات والثانية سبع سنوات ونصف السنة، وانتهت كل منهما بهزيمة فرنسا فضلا عما تحمله اقتصادها من أعباء اضعفت مركزها فى المنافسة مع المانيا الغربية وزادت من تبعيتها للولايات المتحدة الامريكية .

وجوهر الاستعمار الجديد هو المحافظة الشكلية على الاستقلال السياسى مع تأكيد التبعية الفعلية للامبريالية ، وبصفة خاصة التبعية الاقتصادية . ويحقق الاستعمار الجديد هذه التبعية بمجموعة ضخمة من الاساليب والوسائل الاقتصادية والسياسية والعسكرية والايديولوجية .

وتقوم تلك الاساليب والوسائل جميعا على اساس من الروابط الاقتصادية التى تتمثل فى : العلاقات الاقتصادية الخاصة ، والمعونات والاستثمارات .

وتتمثل العلاقات الاقتصادية الخاصة فى ارتباط البلد الافريقى بمنطقة نفوذ معينة ، وباتحادجمركى أو انتمائه الى «سوق مشتركة» تسيطر عليها الامبريالية . وكثيرا مايتجمع عدد من تلك العوامل فى وقتواحد . فالنظام النقدى لمعظم دول غرب ووسط افريقيا المرتبطة بفرنسا خاضع لبنكى اصدار فرنسيين «بنك غرب افريقيا» وبنك «وسط افريقيا» . «ومجلس النقد» الذى يصدر شلن شرقى افريقيا يهيمن عليه البريطانيون ومازال عدد ضخم من الدول الافريقية المستقلة فى منطقة الاسترلينى أو منطقة الفرنك . ومازال بالتالى نظام «تفضيل الكومنولث يحكم التجارة الخارجية لفريق من تلك الدول بينما ينتمى العدد الاكبر للسوق الاوروبية المشتركة حيث يتحمل قيودها دون ان يشترك فى ادارتها أو توجيهها ، بدعوى انه يستفيد من تصريف انتاجه فى داخلها ويحصل منها على المعونات والاستثمارات .

ولعل خير تعبير عن «العلاقات الاقتصادية الخاصة» هو ماتعكسه التجارة الخارجية لعدد كبير من الدول الافريقية . فنصيب بريطانيا والولايات المتحدة والمانيا الغربية فى واردات دول الكومنولث الافريقية يزيد عادة عن ٥٠٪ ونصيب فرنسا فى واردات دول الافرو ملجاش كانت فى سنة ١٩٦٣ بين ٣٣٪ (توجو) و ٧٤٪ (مدغشقر) وهذا الوضع يبين الى أى حد ترتبط اقتصاديات الدول الافريقية المذكورة باقتصاديات الدول الاستعمارية وتعتمد عليها .

ولعل أخبث حيلة يستخدمها الاستعمار الجديد فى هذا الصدد هى زعم الدول الاستعمارية انها تشترى منتجات الدول الافريقية (وبصفة خاصة المواد الاولية الزراعية) بسعر أعلى من سعر السوق العالمية . ووجه الخديعة هنا هو أن سعر السوق العالمية المزعوم من صنع تلك الدول الاستعمارية ذاتها . كما ان السعر المرتفع الذى تدفعه انما يستخدم كله فى تمويل حركة الاستيراد منها — وهو لايكفى . بحيث نجد معظم الدول الافريقية تحقق عجزا فى ميزان المدفوعات لاتستطيع تغطيته الا بالالتجاء الى المعونات والقروض من الدول الاستعمارية . وهكذا تسوق العلاقات الاقتصادية الخاصة «الدول الافريقية الى بنك المعونات » .

(١٢) ولكن العجز فى ميزان المدفوعات ليس هو العامل الوحيد الذى يدفع الى السعى وراء المعونات .

بل هناك ايضا العجز فى ميزانية الدولة الذى تغطيه عن طريق معونة تقدمها لها الدولة أو الدول الاستعمارية . كذلك تتخذ المعونة الاستعمارية أحيانا شكل معونة عسكرية لتسليح وتدريب الجيش المحلى . واخيرا تستخدم المعونات فى أحوال معينة لتمويل «المعونات الفنية» .

وأول مايلفت النظر فى المعونات الاستعمارية ان حاجة البلاد الافريقية اليها تنشأ من فعل الاستعمار نفسه . فالسيطرة الاستعمارية قد حالت دون تطوير الاقتصاد القومى للبلاد الافريقية بحيث ظلت باستمرار لاتنتج الا المواد الاولية . وقد نجحت الدول الاستعمارية باستمرار فى جعل «نسب التبادل» فى التجارة الدولية تتطور فى صالحها . ووفقا لتقرير هيئة الامم المتحده فى سنة ١٩٤٩ بلغت نسبة الانخفاض فى اسعار المواد الاولية منذ بداية القرن الحالى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية حوالى ٤٠٪ وفى الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٦٠ انخفض الرقم القياسى لاسعار الصادرات من المواد الاولية بنسبة ٢٦٪ . ومنذ سنة ١٩٦٠ زاد معدل التدهور باستثناء سنة ١٩٦٤ . والواقع ان الامر ليس مجرد «تدهور طبيعى» تمليه ظروف السوق فى نسب التبادل بين المواد الاولية والمنتجات الصناعية . فمن الملاحظ أن المواد التى تنتجها دول استعمارية كبرى تحافظ نسبيا على اسعارها بعكس تلك التى تنتجها الدول المستقلة حديثا . ولعل خير مثل على ذلك ان القطن الامريكى لم يهبط سعره فى الفترة من ١٩٥٥ الى ١٩٦٥ الا بنسبة ١٢٪ فى حين سعر القطن المصرى قد هبط بنسبة ٣٠٪ بالرغم من ان القطن المصرى أجود صنفا وأقل كمية بكثير من القطن الامريكى . كما يلاحظ من جهة أخرى ان الدول النامية حين تنشىء صناعة حديثة لاتنجح فى تصريف منتجاتها الصناعية الا باعانات تصدير ، أى بثمن مثيلاتها فى الدول الغربية . وهكذا يتضح أن جوهر المشكلة هو العلاقة الاستغلالية التى يفرضها الاستعمار الجديد على الدول المستقلة حديثا عن طريق التجارة غير المتكافئة . وان مايضيع على الدول الافريقية نتيجة هذا الاستغلال لهو اضعاف أضعاف ماتحصل عليه من معونات .

واخطر مافى المعونات الاستعمارية هو تأثيرها «المخدر» . فاعتماد الحكومات الافريقية عليها لايجعلها تبذل الجهد الكافى لتطوير اقتصادها واصلاح حال ميزان مدفوعاتها . وهكذا يستمر الاعتماد على الدول الاستعمارية وتتفاقم التبعية لها . ويبدو هذا بنوع خاص حين تغطى المعونات الاجنبية العجز فى الميزانية فاى استقلال جدى يمكن ان تتمتع به حكومة أخرى من معونات فى دفع مرتبات موظفيها ؟ أما المعونات العسكرية فهدفها الاساسى هو تربية القوات المسلحة الناشئة فى احضان الجيوش الاستعمارية واشباعها بأفكارها وروحها الرجعية وعزلها عن جماهير الشعب ليمكن استخدامها ضد الحركة الثورية فى دور القمع الذى كانت تقوم به قديما الجيوش الاستعمارية ذاتها والفرق المحلية الملحقة بها .

وهناك معونات أخرى تقدمها الدول الاستعمارية مربوطة بوجه صرف معين وهنا يبدو اهتمام الدوائر الاستعمارية باجراء مايلزم لها من مصروفات ضرورية لتيسير استغلال المواد الطبيعية للبلاد الافريقية فى شكل معونات تدفعها الحكومات الاستعمارية من اموال دافعى الضرائب بدل ان تدفعها الاحتكارات فى نفقاتها الاستثمارية . ويكفى مثالا على ذلك ان دول السوق الاوروبية المشتركة قد قدمت فى الفترة من ١٩٥٩ الى ١٩٦٥ الى البلاد المرتبطة بها فى العالم الثالث معونات وقروض حكومية بلغ مجموعها ٤٩٠ر٤ مليون جنيه ذهب منها ٢٣٤ر٥ مليون (اى حوالى ٥٠٪ لتمويل مشروعات طرق وموانى ومواصلات سلكية ولاسلكية وابحاث ودراسات جيولوجية .

اما المعونات الفنية التى تقدمها الدول الاستعمارية فهدفها الاساسى هو ارسال خبراء لجرد موارد البلاد الافريقية واعداد المشروعات التى تفيد الاحتكارات وبذل النصح والمشورة المضللين بهدف ضمان بقاء هذه البلاد فى اطار النظام الراسمالى والحيلولة دون اعتماد البلاد الافريقية على خبراء من البلاد النامية والبلاد الاشتراكية . وتلعب اسرائيل فى هذا المجال دورا بالغ الاهمية ، فهى تقدم المعونة الفنية التى تخدم السياسة الاستعمارية دون أن تتخذ فى نظر الجماهير الافريقية شكل عودة الموظفين الاستعماريين ، وهى فى نفس الوقت تحصل على مقابل هذه الخدمة من الدول الاستعمارية ذاتها .

اما المعونات الفنية التى تقدمها الهيئات الدوليه فيلاحظ اولا انها تقتفى دائما اثر السياسة الغربية وموقف البنك الدولى من مشروع السد العالى شهيد فى هذا الشأن فهى لاتذهب الا مكملة للمعونات الغربية . ويلاحظ من ناحية أخرى ان العدد الاكبر من خبراء الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة



مكونة من أشخاص هاربين من الدول الاشتراكية لعدائهم للنظام الاشتراكي ومن موظفي المستعمرات السابقين الذين تعودوا على مرتبات عالية دون أن تؤهلهم لها في بلادهم كفاءه خاصة فينتقل عبئهم الى الهيئات الدولية . ويكفي للمرء ان يتصور نوع المشورة ودرجة الاخلاص التي يمكن ان تتمثل في موظف بريطاني سابق في حكومه الهند أو مدير سابق لاحد البنوك المؤممة في المجر .

واخيرا فان أدق مايمكن ان يقال عن المعونات الاستعمارية هو ماقاله وزير فرنسي ردا على بعض النواب الذين كانوا يعترضون على المعونات المقدمة للمستعمرات الفرنسية السابقة حين أكد انها أقل بكثير من نفقات الاحتلال .. وبالطبع اقل بكثير من نفقات الحرب ضد ثورات التحرر الوطني فقد كانت حرب فيتنام تكلف فرنسا مليار فرنك قديم في اليوم الواحد .

(١٣) **اما أكبرخديعة لجأ اليها الاستعمار الجديد فهي الحديث عن الاستثمارات الغربية التي تمول عمليات التنمية في البلاد الافريقية .**

فالواقع ان الاستثمارات التيتجريها الاحتكارات العالمية في ظل الاستعمار الجديد لم يتغير جوهرها عن تلك التي كانت تجريها قبل استقلال بلاد العالم الثالث . فهي موجهة أساسا لاستغلال عمل شعوب تلك البلدان واستنزاف مواردها الطبيعية . ولكن الملحوظ ان الاستثمارات الاحتكارية قد تضاعفت في افريقيا عقب استقلال دولها . وترجع هذه الظاهرة في الاساس الى الوضع التاريخي لافريقيا ، واهمال الاستعمار لمواردها الطبيعية امدا طويلا ، ثم اقباله عليه بعد تصفية معظم مواقعه في آسيا . كما يفسرها ايضا دخول الاستعمار الامريكي باحتكاراته العملاقة ارض افريقيا ، وكذلك فتح حدود المستعمرات الفرنسية والبريطانية السابقة أمام رؤوس الاموال الوافدة من الدول الغربية الاخرى وبصفة خاصة المانيا الغربية . والطابع الغالب للاستثمارات الامبريالية هو تركيزها في الصناعات الاستراتيجية وما يرتبط بها،ومن المعروف ان مثل هذهالصناعات موجودة في بعض الدول الافريقية منذ عهد بعيد دون أن يحدث فيها اي تنمية ، بل كانت شركات التعدين الضخمة هي التي تسيطر على البلاد التي تعمل فيها . فأرباح مناجم كاتنجا لم تجعل الكونغو يخطو اي خطوة تذكر في طريق التنمية حتى الان . ولكن الاستثمارات الغربية تتجه جزئيا الى بعض الصناعات الخفيفة والاستهلاكية وهي هنا تحاول الاستفادة من امكانيات السوق المحلية لتقدم سلعا للطبقات البورجوازية والصغيرة التي تعمل على تدعيم مركزها (مثل صناعة البيرة) كما تستهدف احيانا ربط العناصر البورجوازية الناشئة بالمصالح الامبريالية عن طريق التوكيلات والمناصب في الفروع المحلية للشركات الاستعمارية بل وأحيانا بالمساهمة معها في شركات محلية . وفي احيان اخرى يساعد راس المال الغربي على قيام صناعات استهلاكية للتصدير ليعطي لبعض البلدان مايرضيها من «حركة تصنيع» حيث اصبح شعار التصنيع في اذهان الجماهير مرادفا للتنمية والاستقلال الاقتصادي . والمثل الرئيسي في هذا الشأن هو صناعة غزل ونسج القطن التي انتشرت في كل الدول الافريقية مستندة الى رؤوس اموال غربية ، والواقع ان التحليل الدقيق لهذه العمليه يثبت ان نفط الاستغلال الاستعماري قد انتقلت دون ان يختفي الاستغلال فقديما كانت الدول الغربية تستورد القطن بثمن بخس وتبيع المنسوجات بثمن باهظ . وكان ذلك هو شكل الاستغلال . اما اليوم فهي تستورد المنسوجات القطنية بثمن رخيص يساعد عليه توافر المادة الاولية ورخص الايدي العاملة وتصدر الالات وقطع الغيار والخبرة الفنيةورؤوس الاموال بسعر باهظ.

ولا بد في هذا المجال من التنويه بدور اسرائيل مرة اخرى . فهي تقوم باستثمارات بالاشتراك مع رؤوس اموال غربيه أو حتى عند اللزوم تظهر الاستثمارات للوهلة الاولى في انها اسرائيلية خالصة ، ولكن الشركة الاسرائيلية الام تكون ملكا للاحتكارات العالمية .

(١٤) **وفي المستوى الاجتماعي كان الاستعمار القديميعتمدعلىطبقة زعماء القبائل وحدهم ، أما الاستعمار الجديد فيبذل كل جهده في كسب البورجوازية الصغيرة المتعلمة عن طريق المناصب في جهاز الدولة (الذي يعتمد على المعونات الاستعمارية) وفي الشركات الاحتكارية ، ساعيا بذلك لعزلها عن جماهير الشعب العامل وخلق مركز طبقي ممتاز تدين به للاستعمار .**

كما يعمل الاستعمار في نفس الوقت على خلق بورجوازيةمحلية عنطريق تشجيعالفساد والرشوة كوسيلة لتكوين ثروات فردية ، وعن طريق أعمال «الكومبرادور» فالاستعمار يعرف تماما انه لايمكن الاخذ بطريق الرأسمالية بدونوجود طبقةرأسمالية

تتمسك به وتدعو له ولذلك فهو يخلق هذه الطبقة خلقا بوسائل نهب طفيلية وبعيدا عن كل نشاط انتاجي حقيقي . وهذه البرجوازية المعتمدة على النهب والرشوة واعمال الوكالة التجارية تقبل على الاستهلاك الترفي وتفاقم من أزمة ميزان المدفوعات

واقصى مايمكن ان تطمح اليه هو ان تشارك الاستعمار في بعض الصناعات الاستهلاكية او ان ترث بعض مزارعه الواسعة . ولكنها لا تقوم بأى مجهود جدى مثلا لتطوير الزراعة رغم الموارد الزراعيه الهائله المعطلة في معظم الدول الافريقية . وغنى عن الذكر أنها لاتفكر مطلقا في بناء صناعة وطنية مستقلة عن رأس المال الاحتكاري الاجنبي .

(١٥) وفي المستوى السياسي يعتمد الاستعمار الجديد على الحكومات **الموالية والتي لاتملك فكاكا من التبعية نظرا لشكل الروابط الاقتصادية** والسياسية والفكرية التي تربطها بعجلة الاستعمار .

وقد افلح الاستعمار الجديد بالفعل في ان يجتذب اليه عددا من السياسيين كانوا في وقت من الاوقات في صفوف النضال الوطني . واستفاد بالتالي من شعبيتهم السابقة في تدعيم سلطته . ولضمان الخضوع الكامل من قبيل هؤلاء الحكام يعمل الاستعمار الجديد على اذكاء الضغائن القبلية ليحول دون انصهار شعب كل دولة في وحدة وطنية كاملة . كما يثير الخصومات والمنازعات على مناطق الحدود ليجعل الدول الافريقية تقف ضد بعضها البعض كما كانت دول امريكا اللاتينية فيما مضى تحارب بعضها البعض على هوى الشركات الامريكية بدل ان تتحد لتتحرر من نفوذ تلك الشركات .

وقد حاول الاستعمار الجديد في أول الامر ان يقيم في الدول الخاضعة لنفوذه واجهة شكلية من الديموقراطية البورجوازية ليتمكن من مهاجمة النظم الثورية بدعوى معاداتها للديموقراطية ، ولكن تلك الواجهة كانت بالغة الضعف . وفي معظم الاحوال لم تكن الاحزاب السياسية الا مجرد اسماء جديدة لتجمعات قبلية او عنصرية . وكان التزوير في الانتخابات والفساد السياسي والرشوة وتصادم المصالح الاستعمارية سرعان ماتكشف عن حقيقتها وعن مدى عجزها عن الصمود امام حركة الجماهير . وعندئذ لجأ الاستعمار الجديد الى تزييف فكرة الحزب الثوري الواحد التي ظهرت في بعض الدول التقدمية كوسيلة لخوض القوى الثورية في النضال ضد الاستعمار والرجعية ومن اجل التقدم الاجتماعي . وفرض الحزب الواحد الرجعي تضليلا للجماهير وستارا شفافا لحكم رجعي ديكتاتوري ولكن هذه التجربة الجديدة يبدو انها لن تعيش طويلا . فامام اشتداد الصراع الوطني والطبقي عمد الاستعمار في عديد من الدول (بالاتفاق مع حكامها في بعض الاحوال) الى تسليم السلطة لعدد من قادة الجيش الذين سبق ان خدموا وتربوا في الجيوش الاستعمارية ولم يحتلوا مراكزهم القيادية نتيجة لتمرد او ثورة من جانبهم ولكن لمجرد ان بلادهم استقلت وانهم كانوا وحدهم ذوو الخبرة العسكرية .

(١٦) ويتميز الكفاح ضد الامبريالية بافريقيا في الوضع الراهن بميزة رئيسية هو ذلك الاتجاه المتعاظم نحو الوحدة .

لقد اصبح شعار الوحدة الافريقية ـ بحق ـ احد الشعارات الرئيسية للثورة المعادية للامبريالية والاستعمار الجديد في افريقيا . ان هذا الشعار يحرك الشعوب الافريقية ويلهمها الى تشديد النضال من اجل التحرر الوطني والدفاع عن الاستقلال والسيادة القومية والعمل من اجل تحقيق التقدم الاجتماعي .

على ان هذا الشعار لم يتجسد في الواقع ولم يتحول الى قضية عملية الا في ظروف عالمية ومحلية محددة . وانه ليمكن القول ـ بوجه عام ـ انه قبل عام ١٩٤٥ ولفترة تزيد عن نصف قرن لم يخرج شعار الوحدة الافريقية الذى عرف احيانا تحت اسم «الجامعة الافريقية Pan Africanism» عن كونه مجموعة من الاراء الطوباوية وردود الفعل السطحية احيانا والرجعية احيانا اخرى ضد الاضطهاد العنصري . ففى تلك الفترة كانت علاقات القوى على النطاق العالمي في مصلحة قوى الامبريالية العالمية التي شرعت تمزق القارة ، وتقمع الشعوب بكل وحشية وتقيم الحواجز الصناعية وتحكم اسوار العزلة بين الشعوب الافريقية . ولقد ساعد على هذا سيادة النظم القبلية والطائفية والاقطاعية في المجتمعات الافريقية ، هذه المجتمعات التى كانت بحكم تكوينها مغلقة ومنعزلة تغلب فيها روح القبيلة والعصبية على النزعة القومية .

ولكن بعد الحرب العالمية الثانية والتغيرات الجذرية التى اعقبتها على الصعيد العالمي ونمو الاتجاه الى تغليب المصالح القومية على المصالح القبلية والاقليمية الضيقة . هنا طرحت الشعوب الافريقية شعار الوحدة بمضمون جديد . لقد اصبحت الوحدة الافريقية تعنى منذ عام ١٩٤٥ وحدة المصير

بين شعوب القارة : وحدة النضال المشترك ضد العدو المشترك من اجل كسب الاستقلال وتحقيق السيادة الوطنية . وبالفعل وفى اقل من ١٥ عاما اخذ يتزايد بسرعة عدد الدول الافريقية مستقلة ثم ما تميزت به الخمسينات من هجوم حاسم من قبل الشعوب على نظام الحكم الاستعمارى فبدات قضايا الوحدة الافريقية تطرح على الصعيد العملى . وقد تم ذلك فى سلسلة من المؤتمرات بدات عام ١٩٥٨ : عقد بعضها ممثلو الشعوب الافريقية ، وعقد بعضها الاخر ممثلو الدول المستقلة .

(١٧) ان شعار الوحدة بعد كسب الاستقلال لم يقف عند حدود النضال التحريرى . بل اصبح يعنى التعاون لصيانة الاستقلال ، ولحل المشكلات الاقتصادية والسياسية التى لا تستطيع دولة افريقية بجهودها الفردية ان تحلها .

والواقع انه فى خلال اللقاءات التى اتخذت شكل مؤتمرات للشعوب والدول الافريقية وضعت مجموعة من الشعارات تصلح «برنامجا» للنضال من اجل الوحدة الافريقية . ولقد اعلن هذا « البرنامج » ان المصالح الوطنية والاعتبارات الاقتصادية والجغرافية هى الاساس فى لقاء الشعوب وليست التجمعات القائمة على اساس اللون او الجنس او الدين . وقد حدد البرنامج افاق التعاون بين الشعوب والدول الافريقية المستقلة متخذا كنقطة بدء النضال المشترك ضد الاستعمار الجديد ، والالتزام بتحرير الاراضى الافريقية التى لم تتحرر بعد من ايدى السيطرة الاستعمارية وطالب باستخدام الثروات استخداما يستجيب لمصالح اوسع الجماهير . وطالب بدعم الوحدة الثقافية بين الشعوب الافريقية وبقيام تعاون اقتصادى متعدد المستويات ، وواسع النطاق وعلى هذا الاساس :

ا — اصبح للوحدة الافريقية مضمون تحررى وثورى عميق وسع نطاق المعركة ضد الاستعمار ليشمل الاستعمار الجديد .

ب — اصبح للوحدة مضمون اجتماعى يتمثل فى الوعى بضرورة التعاون من اجل حماية الاستقلال عن طريق القضاء على التخلف الاقتصادى والاجتماعى والثقافى .

جـ — اصبحت قضية الوحدة بهذا المفهوم مطلب الجماهير الشعبية فى البلدان الافريقية وهدفا يكافح من اجله العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون .

ان قضية الوحدة الافريقية بهذه الابعاد الجديدة التى طرحت بها كان لابد وان تتبلور فى ظروف تعاظم النضال الوطنى والتحريرى واصرار الشعوب على ان تختط طريق التطور المستقل — كان لا بد وان تتبلور فى شكل تنظيمى يعد فى حد ذاته ضمانا واداة للنضال من اجل الوحدة . هكذا وفى اوائل الستينات كانت الغالبية العظمى من البلدان الافريقية قد كسبت استقلالها . وفى ١٩٦٣ قامت منظمة الوحدة الافريقية .

ان مولد هذه المنظمة يعتبر احد الانجازات الكبرى التى حققتها الشعوب الافريقية . ولقد جاء ميثاقها — بحق — وثيقة تقدمية ذات محتوى مناهض للامبريالية وللاستعمار الجديد .

ان قيام منظمة الوحدة الافريقية برهن على تعلق الشعوب الافريقية بمثل الوحدة ومكن الشعوب الافريقية والدول من ان توسع — ولو الى درجة محدودة — نطاق تعاونها فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية . ومكن عددا متزايدا من الدول الاعضاء فى المنظمة من ان تتخذ بعض المواقف المشتركة فى الدفاع عن قضايا السلام العالمى بل وفى الدفاع داخل المنظمات الدولية عن قضايا التحرر فى القارة الافريقية ذاتها .

على ان نواقص هذه المنظمة انما تمثل اساسا فى هذه الواقعة وهى ان وسائلها وكفاءتها فى تنفيذ قراراتها لم تكن تتناسب لا مع الاهداف الطموحة المعلنة فى ميثاقها ولا مع متطلبات الوضع الثورى الراهن لحركة التحرر الوطنى فى القارة . بيد ان المنظمة هى فى نهاية الامر محصلة الصراع المحتوم بين حركة التحرر الوطنى وبين الاستعمار القديم والجديد — من ناحية — ومحصلة الوحدة والصراع بين الدول الافريقية المستقلة بعضها والبعض من ناحية اخرى — وبين القوى الاجتماعية المختلفة داخل المجتمعات الافريقية ذاتها ، وذلك بكل ما فى هذه الصراعات من ايجابيات وسلبيات .

وتواجه المنظمة صعوبات موضوعية هى نفسها الصعوبات التى تواجه العمل من اجل بناء الوحدة الافريقية . فى مقدمة هذه الصعوبات :

ا — النشاط الهدام لقوى الاستعمار الجديد .

ب — مواقف الدول التى تميل فى سياستها الداخلية والخارجية الى خيط التبعية للاستعمار الجديد .

جـ ـ التباين والتفاوت فى التكوين السياسى والاقتصادى وفى مستوى التطور الاجتماعى بين البلدان الافريقية .

د ـ الصعوبات او المشاكل النظرية او الايديولوجية المتعلقة بقضية الوحدة الافريقية ذاتها .

هذه الصعوبات جميعها انما تتحرك وتتفاعل على ارض الواقع الافريقى المعقدة : ارض النزاعات القبلية والطائفية والعنصرية ، ارض الحواجز اللغوية ، أرض القوميات العديدة ، الارض التى زرع فيها الاستعمار بوحشية الجهل والفوضى والتخلف زمنا طويلا .

(١٨) ومع ذلك وبالرغم من كل هذه العوائق فان الرغبة فى تحقيق الوحدة الافريقية اقوى من اى شيء لسبب بسيط ، هى انها رغبة القوى الثورية العاملة على ارض القارة .

ان هذه القوى تدرك انها لاتزال تواجه ـ بعد ان عبرت جسر الاستقلال ـ عدوها القديم الاستعمار بشكليه القديم والجديد . وهى تدرك ان دفاعها عن حريتها منوط فى ـ المحل الاول ـ بالتزام طريق التطور المستقل : طريق تحرير اقتصادها القومى لتتمكن من تنمية الصناعة والزراعة لمصلحة الجماهير الشعبية . لكن متطلبات التنمية فى ظروف الغالبية العظمى من البلدان الافريقية انما تفرض عليها فرضا ان توسع من نطاق تعاونها الاقتصادى على جميع المستويات : من مجرد زيادة التبادل التجارى الى التكامل الاقتصادى وتنسيق التخطيط لاقامة الصناعات القومية والاستفادة بالموارد الطبيعية .

من هنا تتحدد مهام كل القوى صاحبة المصلحة فى النضال من اجل الوحدة الافريقية . ان هذه القوى هى : الدول الافريقية المتحررة ، والاحزاب والمنظمات السياسية الوطنية والتقدمية والمنظمات النقابية والاجتماعية .

وتتحدد مهام الدول الافريقية المتحررة فى الدفاع عن منظمة الوحدة الافريقية بحيث يبقى لهذه المنظمة قوامها المعادى للامبريالية والاستعمار الجديد .

كما انها مطالبة باتباع سياسة واقعية ـ مبدئية فى الوقت ذاته ـ عند معالجة قضايا الوحدة الافريقية وذلك بالكيفية التى تمنع قيام تكتلات وانقسامات جديدة فى جبهة الدول الافريقية . وفى الوقت ذاته فان عليها ان تركز على اثارة تلك المشاكل التى تضمن اوسع تعبئة بين شعوب القارة ، وان تناضل من اجل ان تضع قرارات التعاون والوحدة الاقتصادية لمنظمة الوحدة الافريقية موضع التطبيق .

وحيثما تعذر على الدول والحكومات ان تقوم بعمل من الاعمال لدعم الوحدة الافريقية فان الكفاح الافريقى الموحد للعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين هو الذى يفتح الطريق امام تقدم العمل من اجل الوحدة الافريقية .

وهكذا فان الاحزاب والمنظمات السياسية الوطنية والتقدمية داخل كل بلد افريقى مطالبة بان تقيم الحلف المتين بين كل القوى المناهضة للامبريالية والاستعمار الجديد والتى تتفق مصالحها مع متطلبات التطور المستقل . وعلى نطاق القارة يقع على عاتق هذه الاحزاب والمنظمات تحديد المهام العاجلة لحركة التحرر الوطنى الافريقية وبالتالى تحديد نوع المواقف والاعمال المشتركة التى ينبغى ان تتوحد حولها الجهود .

ولقد دلت الخبرة الكفاحية والتاريخية لشعوب القارة على ان لنقابات العمال دورا مجيدا فى النضال ضد الاستعمار والاستعمار الجديد ومن اجل بناء وحدة نقابية جبارة على نطاق القارة وذلك فى مواجهة النشاط الانقسامى لعملاء المستعمرين القدامى والجدد داخل الحركة النقابية . ان اللقاءات بين المنظمات النقابية وانهاض الحركة الفلاحية وتنظيمها والتمهيد للقاءات بين الطلائع الفلاحية والمثقفين الثوريين ـ على نطاق القارة ـ كل هذا سوف يضع ركائز قوية فى بناء الوحدة الافريقية .

(١٩) واخيرا فمن الثابت ان البلدان الافريقية التى اختارت الطريق الاشتراكي هي مواقع امامية للدفاع عن الوحدة الافريقية .

وتدل خبرة الشعوب على ان القوى السياسية التى تناضل من اجل اهداف التقدم الاجتماعى هى اكثر القوى تعلقا بمثل الوحدة الافريقية واشدها صلابة فى النضال من اجلها . من هنا تقع على عاتق الاحزاب والتنظيمات الثورية فى البلدان الافريقية التى اختارت الطريق الاشتراكى ، حماية الوحدة الداخلية فى بلادها باعتبار ان تحقيق الوحدة بين العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين هو الشرط المسبق لانجاز مهام التحول الاشتراكى . وفى هذه المرحلة التى تتميز بالهجوم المسعور لقوى الاستعمار الجديد فى القارة تواجه الاحزاب والتنظيمات



الثورية في البلدان التي اختارت الطريق الاشتراكي مهمة الكفاح على الصعيد الايديولوجي بهدف تطهير مجتمعاتها من الافكار المعادية للاشتراكية العلمية وبهدف تبادل الخبرات لحل القضايا النظرية المعقدة التي يطرحها بالضرورة التحام الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية .

والحق انه اذا نظرنا الى حركة الوحدة الافريقية في اطارها التاريخي من ناحية ومن ناحية اخرى في اطار الاوضاع السياسية والاجتماعية الراهنة في القارة الافريقية امكننا ان نقول ان هذه الحركة هي المحصلة الايجابية لنضال الشعوب الافريقيه ضد الامبريالية وضد الاستعمار القديم والاستعمار الجديد ومن اجل التطور المستقل ومن اجل بناء الاشتراكية. ومن هنا يصبح لحركة الوحدة الافريقية مضمون تحرري وتقدمي اصيل، يدفع بدوره نضال الشعوب الى مواقع أكثر تقدما . ومن هنا ايضا تصبح حركة الوحدة الافريقية محكومة بصفة عامة بالقوانين التي تحكم الحركة الثورية العامة في العالم اجمع .

ان التمسك بالمضمون الثوري للوحدة الافريقية يعد في الواقع الشرط المسبق الذي بدونه يتعذر على الشعوب الافريقية وعلى الدول المتحررة فيها أن تحل القضايا المتعلقة سواء بشكل الوحدة الافريقية على نطاق القارة ام بالاشكال التي تتخذها الوحدة بين هذا البلد او ذاك او بين هذه المجموعة الاقليمية او تلك

فاذا كانت الاعتبارات الجغرافية والتاريخية والنفسية مواتية للاسراع باقامة الوحدة بين بعض البلدان الافريقية فان حل القضايا الخاصة بالشكل او الصيغة التي تتخذها الوحدة (وهل هي اندماج او اتحاد فدرالي .. الخ) لن يكون عقبة يصعب تخطيها على الشعوب الافريقية .

(٣٠) لقد ظل النضال الوطني التحرري يتعاظم في القاره الافريقية . وتنوعت أساليب الكفاح واشكال التنظيم فيه . وشهدت القارة — ومازال — حروب التحرير وحروب العصابات والاضرابات والمظاهرات وصور المقاطعة السلبيه المختلفة . وعبأت الجماهير الافريقية قواها من خلال تنظيماتها واحزابها الوطنية والتقدمية ومن خلال نقاباتها العمالية ومنظمات الفلاحين والمثقفين والنساء .

ولذلك لم يكن من قبيل الصدفة ان تستقل الغالبيه العظمى من البلدان الافريقية في غضون فترة زمنية بسيطة لاتتجاوز الخمسة عشر عاما .

لكن الثورة الافريقية لم تتوقف اطلاقا عند حدود تحقيق الاستقلال السياسية بل حددت اهدافا اكثر طموحا واشد جراة ، كما راينا . فبعد كسب الاستقلال السياسي شنت الشعوب في عدد من البلدان الافريقية وبقياداتها الثورية هجوما قويا وموفقا لاقتلاع مواقع الاحتكارات الاجنبية من الاقتصاد القومي وسلكت هذه البلدان طريق التطور المستقل واختارت الطريق الاشتراكي .

ان هذا النضال الثوري المتعدد المستويات في افريقيا انما يدمر المواقع الباقية للامبريالية ويهز اعمدة الاستعمار الجديد هزا عنيفا . وباختصار فان جوهر العملية الثورية الواسعة النطاق التي تجري اليوم في افريقيا لايندرج تحت باب التطورات البطيئة التقليدية في التاريخ الانساني بل يدخل في باب القفزات الثورية والتحولات العميقة ذات المعدل الغير عادي في سرعته . ومن هنا لاندهش عندما تكون التغييرات التي تقع في اكثر من مكان من القارة تغييرات مباغتة وحاسمة، وفي بعض الاحيان جذرية وعنيفة .

لقد ظل مرجل الثورة يغلي في قاع المجتمعات الافريقية مئات السنين ويعاني من ضغوط استعمارية ثقيلة ارتبط فيها الاحتلال بتجارة الرقيق بالاستغلال البشع بجرائم الاستيطان العنصرية ، في الوقت الذي راح فيه العالم الفسيح يصغر نتيجة تطور اساليب المواصلات والتقدم العلمي واخذت فيه اصداء الافكار الثورية والتغييرات الجذرية التي تثبت من موازين قواه تحدد بقوة في افريقيا وخاصة بعد ان غدت الاشتراكية ظاهرة عالمية ذات تجسيدات قوية . ومن هنا كان الانفجار عنيفا وشاملا وسريعا خاصة ولم يكن لدى الجماهير الساحقة من الافريقيين الكادحين مايخافون على فقدانه غير قيودهم .

وقد جاء هذا الانفجار في ظروف عالمية مواتية استطاعت فيه الثورة الافريقية في اكثر من مجال ان تجد سندا عظيما لها في التطور العالمي الثوري العام وفي مجموعة الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفييتي الذي قدم دون شروط المساعدات المعنوية والمادية ابتداء من السلاح الى الاعتراف الدبلوماسي السريع للدول الجديدة عشية استقلالها الى انذار المعتدين في مغامرتهم كما حدث بالنسبة لحرب السويس عام ١٩٥٦ ، الى القروض ذات الفائدة البسيطة (٥ر٢٪) والمعونات الفنية في عمليات التنمية الاقتصادية وخاصة في المجال

الصناعي وبلغت مجموعها في عام ١٩٦٣ ، ٤٠٠ مليون دولار للدول النامية خص الصناعة منها حوالي ٧٠٪ وقد اسهمت هذه المساعدات ايجابيا في تمكين عدد من البلدان الافريقية من كسب معركة الاستقلال الاقتصادي .

بيد ان هذا التاريخ النضالي العظيم (٢١) لقارتنا قد تلازم فيه الجذر مع المد ، وبجانب الانتصارات هناك بعض الخسائر والظروف الخاصة ذات الاثار السلبية مع مايصاحبها من نواقص في جبهتنا الثورية .

وواجبنا اليوم ان نسلط الضوء عليها بكل ما نملكه من وعي وباقصى مالدينا من شجاعة بهدف الوصول الى علاج علمي وحلول ثورية واقعية فالثوريون اعداء الداء لرؤية الصورة من جانبها المشرق فحسب وهم يفقدون ثوريتهم اذا اتبعوا اسلوب وسياسة النعامة التي تدفن راسها في الرمال حتى لاترى الواقع بكل جوانبه .

فنحن نخدع انفسنا اول مانخدع اذا ماصدقنا تلك الصورة البراقة التي تكشف عنها خريطة قارتنا اليوم حين ترسم اعلام الاستقلال الوطني ترفرف على كل انحاء افريقيا (٣٨ دولة مستقلة) فيماعدا ١١ وحدة اقليمية ماتزال خاضعة مباشرة للاستعمار لاتزيد مساحتها عن مليون ميل مربع اى ١٤٪ من مساحة القارة وجملة سكانها ١٥ مليون نسمة اى ٦٪ فقط من ابناء افريقيا .

في حين ان الواقع الموضوعي يؤكد انه باستثناء بعض من الدول لايصل عددها الى عدد اصابع اليدين ، استطاعت بدرجات متفاوتة ان تحقق استقلالا فعليا من خلال تحرير اقتصادها القومي والعمل على تنميته ، فان البقية الباقية وهي الاغلبية الساحقة لم تصل في الحقيقة الى اكثر من الاستقلال الشكلي . فما تزال شعوبها تئن تحت وطاة القواعد العسكرية ومابرح اقتصادها مقيدا وتابعا للاحتكارات الاجنبية وتقع بالتالي في منطقة نفوذ الاستعمار الجديد اساسا .

ومن هنا يصبح جوهر النضال الافريقي اليوم هو في الواقع التحرر الاقتصادي وبناء الاقتصاد القومي المستقل النامي والمتطور . بيد ان عملية التحرر الاقتصادي وما يتبعها من عمليات تنمية تصطدم في الوقت نفسه بظروف سلبية معقدة . ففضلا عن التخلف الموروث وضعف بل وانعدام التراكم المالي القومي اللازم للتنمية والفقر المدقع في الكادرات الفنية اللازمة ، فان عوامل التجزئة الاستعمارية للقارة قد فتتتها الى وحدات صغيرة .

فهناك ثلاث بلاد فقط يبلغ عدد سكان كل منها اكثر من ٢٠ مليون نسمة ، ٢٥ بلدا يقل عدد سكان كل منها عن ٥ ملايين نسمة ، ١٣ بلدا يقل عدد السكان في كل منها عن مليون نسمة . ومعنى هذا افتقاد القدرة الذاتية على التطوير في معظم البلدان الافريقية على حدة وضيق السوق القومي بدرجة خطيرة ومانعة لاى تقدم جدى وفعال .

ومن هنا يرتبط النضال من اجل التحرر الاقتصادي ارتباطا مصيريا بقضية الوحدة الافريقية في صيغها المختلفة والممكنة ابتداء من التنسيق والتخطيط الاقتصاديين بين عدد من الدول الى بناء وحدات اكبر من خلال التوحيد بين عدة دول طبقا لظروفها الى العمل على وضع الاسس المادية لاقامة سوق افريقي مشترك من خلال نسج اقوى الروابط والعلاقات المتبادلة بين مجموعة الدول الافريقية ككل .

والنضال من اجل التحرر الاقتصادي في ارتباطه المصيري بقضية الوحدة لايمكن ان يحقق اهدافه الجذرية وبالسرعة المطلوبة اذا ماتم عن غير الطريق الاشتراكي ، الذي يتيح عن طريق التخطيط تعبئة كل الموارد البشرية والفنية والمادية في عمليات تنمية قومية لصالح الجماهير الشعبية ورفع مستوى معيشتها ككل لا لصالح فئة تنمو طفيليا وتستولى على عرق الشعب وتتبلور كطبقة برجوازية ترتبط بحكم مصالحها وطبيعتها بالاحتكارات الاجنبية والاستعمار الجديد .

وهذا ماتؤكده التجارب الثورية في افريقيا بالفعل كخط جوهري عام . فحتى في البلاد التي نمت فيها خلال الحكم الاستعماري نسبيا طبقة من الراسماليين المحليين اثبتت التجربة — كما في مصر — انها اضعف من ان تتحمل عبء التنمية الضخم وبالدرجة المطلوبة في الاطار الراسمالي التقليدي . فضلا عن انها بحكم مناخ العصر حيث غدت الاشتراكية موضع جذب شديد لطبقات وفئات شعبية عديدة غير الطبقة العاملة وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية قد اصبحت معادية في الاساس لحركة التحرر الوطني نتيجة سيادة الاتجاهات الاشتراكية وسط جماهير الثورة الوطنية بقيادتها المتطلعة الى حياة افضل ماديا ومعنويا وبالتالي تفاعل ثورة التحرر الوطني في جذورها بالثورة الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية . وامام هذا التفاعل المصيري الذي اصبح يشكل ظاهرة عامة ، فقدت مثل هذه الطبقة

البرجوازية المحلية وخاصة الكبيرة منها ماكانت تتصف به من ثوريه تقليدية خلال حركات التحرر الوطنى فيما بين الحربين العالميتين ، حينما كانت تتصارع مع الاستعمار القديم واحتكاراته حول السوق القومى ومشاركته فى السلطة والاستقلال .

هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى فان الاستعمار الجديد اليوم لم يعد يعادى — كما كان الحال مع الاستعمار القديم — مصالح هذه الطبقة البرجوازية وطموحها السياسى والاقتصادى والاجتماعى وانما اصبح مستعدا لقبول مشاركتها بل وتدعيم مواقعها على اساس ان تغدو قوة مضادة للثورة الوطنية التقدمية الجديدة فى اتجاهها نحو الاشتراكية ، وبشرط ان تنحصر عمليات التنمية الاقتصادية فى اطار ضيق مرتبطة ومحكومة بمصالح الاستعمار الجديد . فان مايميز الاستعمار الجديد عن الاستعمار القديم فى المقام الاول هو ان الجديد اصبح على عكس القديم مستعدا لقبول الاستقلال السياسى وعمليات التنمية المحدودة وذلك بشرطين اساسيين :

اولهما — ان لاتتعدى التنمية كحد اقصى حدود الصناعات الاستخراجية والتحويلية فلا تقفز الى الصناعات الثقيلة اساس التطور الجذرى لاى اقتصاد وطنى والضمان الجوهرى لاستقلاله .

وثانيهما — ان تصفى الثورة الوطنية من مضمونها الاجتماعى بآفاقه الاشتراكية .

ولهذا فان خطة الاستعمار الجديد الواضحة كل الوضوح اليوم فى افريقيا تتبلور فى انه يعمد الى تكوين نواة لبرجوازية محلية فى البلاد التى انعدمت فيه مثل هذه الطبقة الاجتماعية وهو يفعل ذلك سواء عن طريق بيروقراطى باحلالها محل عناصره فى اجهزة الدولة بعد الاستقلال او بمنحها اعانات وقروض خاصة لاقامة مشروعات خاصة مشتركة ومرتبطة المصالح مع الاحتكارات الاجنبية وخاصة فى مجالات التجارة والصناعات التحويلية وهذا ماحاوله الاستعمار الفرنسى الجديد خلال الثورة الجزائرية عن طريق مشروع قسطنطينة عام ١٩٥٨ يهدف بناء ماأسماه «بالقوة الثالثة» او بتربية واعداد كادر موال له يسيطر على اجهزة الدولة ويستولى على اكبر حجم من الدخل القومى كما هو الحال فى «داهومى» حيث يذهب ٦٠٪ من الدخل القومى الى جيوب العناصر البيروقراطية فى اجهزة الدولة .

ومن هنا يفرض الواقع الموضوعى على الثورة الافريقية بطبيعتها المزدوجة (التحررية والاجتماعية) ان تبنى — استراتيجيا — وحدة قواها خلال المعركة وبعد الحصول على الاستقلال من حول وبقيادة الطبقات الشعبية الثورية ذات المصلحة فى انجاز الاستقلال القومى كاملا وفى تطوير المجتمع نحو الاشتراكية . وتتجسد هذه الطبقات والفئات الشعبية الثورية من الفلاحين والعمال ملتحمين بالمثقفين الثوريين وذلك كبديل للوحدة الوطنية التقليدية التى عرفتها حركات التحرير الوطنية فيما بين الحربين العالميتين ، والتى كانت تبنى من حول وبقيادة الطبقة البرجوازية ومثقفيها اساسا .

ولقد اكدت التجارب القاسية المريرة ان اى تهاون مع البرجوازية وخاصة الكبير منها وعدم تصفيتها من كل المواقع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية فى المجتمع الافريقى اليوم يؤدى الى تمكين قوى الثورة المضادة من التحرك بمساندة الاستعمار ، ضد الثورة وجماهيرها الشعبية ونظمها التقدمية واستلاب مكاسبها التى قدمت من اجلها افدح واغلى التضحيات ، او الانحراف بمجرى الثورة الى طريق المهادنات والمساومات مع الاستعمار الجديد واحتكاراته .

ونحن ايضا نخدع انفسنا اول ما نخدع
(٢٢) اذا توقع كل شعب افريقى حصل على استقلاله داخل حدوده بحجة التفرغ لعملية البناء والتطوير لمجتمعه الذى خربه الاستعمار ونهبته الاحتكارات .

ان من المهم والضرورى حقا ان يمارس الشعب عملية البناء والتطوير بكل طاقاته ولكنه من المهم والضرورى فى نفس الوقت الا ينعزل لحظة عن حركة التحرر فى اى مكان من القارة وان يتفاعل بعمق معها ويمد لها كل مايمكنه من العون الادبى والمادى . ذلك ان استقلال كل بلد افريقى مازال مهددا الى اقصى درجة طالما ظل للقوى الاستعمارية وجود او نفوذ من اى نوع فى اى مكان من القارة . فمناطق نفوذه الحالية فى الواقع ليست الا قواعد للانقضاض على الدول المستقلة .

ومن هنا فان مساعدة البلدان الافريقية المستقلة لحركات التحرر الوطنية فى القارة ليس واجبا تفرضه اعتبارات الاخوة النضالية والمبادىء الثورية فحسب وانما هو فى فنس الوقت واجب تفرضه اعتبارات حماية الاستقلال الذى تم الحصول عليه وعمليات التنمية والتطور الجارية ، انه باختصار نوع من الدفاع والهجوم المزدوج ضد القواعد الاستعمارية المعادية والتى تستخدم اساسا فى الانقضاض على البلدان المستقلة وخاصة الثورية منها . وذلك مثل ماحدث ضد حكومة الكونجو الوطنية برئاسة

الشهيد باتريس لومومبا ، وحكومة غانا التقدمية برئاسة الرئيس كوامى نكروما . وكذلك التهديد التى تمثله اليوم بشدة القاعدة العنصرية الاستعمارية فى روديسيا ضد زامبيا بصفة مباشرة .

ويجب هنا ان نعترف ان هذا الواجب نحو النفس ونحو الشقيق معا ، لم يمارس بالفاعلية المطلوبة من جانب عدد غير يسير من البلدان المستقلة واصبح الامر يتطلب بصورة ملحة وضع مقررات منظمة الوحدة الافريقية فيما يختص بمساعدة حركات التحرر الوطنى موضع التنفيذ الفعلى جنبا الى جنب مع ممارسة ثورية اشد لهذا الواجب من جانب النظم الثورية التقدمية بصفة خاصة وذلك بحكم ماتتحمله من مسئوليات تاريخية اليوم ازاء مصير ومستقبل القارة ككل .

(٢٣) ونحن نخدع انفسنا كذلك اول ما نخدع اذا تصورنا ان وحدتنا الثورية فى افريقيا بلغت المستوى الذى تتطلبه ضراوة المعركة ونوعيتها .

ان ثمة دلائل وتجارب واقعية مريرة وذات ثمن فادح تؤكد ذلك . ويكفى فى هذا الصدد ان نذكر ما اصاب الثورة الافريقية من خسائر وهزائم ــ ولو اننا على يقين من انها مؤقتة ــ فى الكونغو ليوبولدفيل وفى روديسيا وفى غانا اخيرا .

بل اننا نشهد افتقاد هذه الوحدة فى صفوف الجهات التى تقاتل بالسلاح ضد جحافل الاستعمار القديم وقواعد الاستعمار الجديد . واننا لنشيد فى هذه المناسبة بذلك الاتفاق الذى تم اخيرا فى القاهرة بين الثوريين فى انجولا وتوحيد صفوفهم فى خطة عمل مشتركة وموحدة ، الامر الذى سوف يضاعف بلا شك من طاقات الثورة الباسلة فى انجولا . ونامل بكل اخلاص ان يكون فاتحة جديدة نحو توحيد شامل لقوانا الضاربة اليوم فى افريقيا .

وليس من شك فى ان تفاوت التطور الاجتماعى لدول وشعوب القارة تفاوتا كبيرا . بوجوهها الايجابية والسلبية معا ، واختلاف الاسس الاجتماعية والفكرية للاحزاب السياسية والانقسامات التى تعانيها الطبقة العاملة وتنظيماتها النقابية . كل هذه عوامل موضوعية افريقية تفرخ اسباب التفتت لوحدة القوى الثورية فى افريقيا .

وبجانب هذا يوجد عامل مساعد مضاد موضوعيا لوحدة القوى الثورية ونقصد به ذلك النزاع الناشب داخل الحركة الشيوعية العالمية وما يعكسه من اثار سلبية على الحركات الوطنية والتقدمية والنقابية فى افريقيا . وبالتالى على وضع وتطور الثورة الافريقية ككل ، حيث اصبحت لاتستطيع ان تركز جهودها ضد العدو الرئيسى المتجسد فى الاستعمار واليمين الرجعى طالما انه ينشط فى قلبها ومؤخرتها انعكاسات ذلك النزاع .

ولم تكن صدفة ان القوى الاستعمارية انتهزت بشكل جماعى بين ماانتهزته من ظروف ، فرصة ذلك النزاع فاقدمت على تصدير ثوراتها المضادة الى الكونغو ليوبولدفيل عام ٦ ــ ١٩٦١ ، وغانا عام ١٩٦٦ وذلك بعد ان كانت فى حالة تراجع متصل امام زحف قوى الثورة الافريقية وخاصة منذ معركة السويس التاريخية عام ١٩٥٦ .

ان واجب قوى الثورة الافريقية ان تتصدى بحسم وبسرعة لهذا التفتت فتعالجه علميا وبضمير ثورى . وهو اذا كان امر شاق لكنه ليس بالعسير خاصة وان هدف المرحلة المعاصرة للثورة المعاصرة واضح ومتفق عليه وهو التحرر الوطنى الكامل والتطور فى الاتجاه الاشتراكى . وبالتالى فهى تملك فى الحقيقة المعيار الموضوعى الذى تستطيع به ان تميز ــ بالقول والفعل ــ القوى الثورية من القوى الرجعية مهمــا استترت تحت اقنعــة زائفة . وفى الوقت الذى يجب ان نحد الى اقصى درجة من اثار الصراع فى الحركة الشيوعية على واقعنا الافريقى ، احتراما واستفادة من التجارب القاسية ، فان على القوى الافريقية الوطنية الثورية ان تنبذ نظريا وعمليا سياسة المعاداة للشيوعية وذلك فى نفس الوقت الذى يجب فيه على القوى الشيوعية ان تنبذ الجمود العقائدى امام ماتطرحه الحياة فى افريقيا من ظواهر جديدة . ونحن جميعا مطالبون بان ننسج معا وحدتنا الثورية من خلال الرؤية العلمية للواقع والمساهمة فى رسم خطة موحدة للعمل الافريقى الثورى آخذين فى الاعتبار الظروف الخاصة والامكانيات المميزة لكل مجتمع من مجتمعاتنا .

(٢٤) واخيــرا وليس اخرا فنحن نخدع انفسنا اول مانخدع اذا نظرنا الى الانقلاب الاستعمارى الرجعى فى غانا فى فبراير ١٩٦٦ ضد حكومة الرئيس نكروما التقدمية ، على انه حادث عابر فى تاريخ الثورة الافريقية . او ان مسبباته الرئيسية من صنع القوى الاستعمارية وحدها ، واغفلنا مافى صفوفنا وواقعنا من عوامل سلبية ساعدت على نجاح الضربة الاستعمارية الرجعية .



ومن هنا فان الثورة الافريقية المعاصرة التى افتقدت فى غانا احدى قواعدها مطالبة بان تقف طويلا امام هذه النكسة ونحن على ثقة بان القوى الثورية فى افريقيا ستتغلب عليها — لنستخلص الدروس القاسية والمفيدة فى نفس الوقت وذلك فى إطار من النقد والنقد الذاتى . مع كل مانحمله من تقدير واعزاز لنضال شعب غانا العظيم وقيادته الثورية المتمثلة فى الرئيس كوامى نكروما .

وهناك ثمانى ملاحظات اساسية خاصة بانقلاب غانا :

اولها : انه الثورة المضادة الثانية التى امكن تصديرها فى مجتمع افريقى ذى قيادة وطنية ثورية وذلك بعد الثورة المضادة الاولى فى الكونغو ليوبولدفيل عام ٦٠ — ١٩٦١ .

وثانيها : ان القوى الاستعمارية والرجعية الغانية ، اعلنتا بجراة وتعمد انهما صانعتا هذا الانقلاب وذلك على عكس التقليد الذى كان متبعا من قبل وهو الانكار والتخفى ، ومعنى هذا ان الاستعمار والرجعية الافريقية فى هذه المرحلة تستهدف استعراض القوة لخلق جو من الارهاب الفعلى لجميع القوى التحررية الثورية ودولها الجديدة ، وتحطيم معنوياتها من الداخل ليسهل بعد ذلك ممارسة الضغط عليها من اجل تفكيك وحدة نضالها واجبارها على السعى — فرادى — للمساومة مع الاستعمار القديم والجديد والعودة الى مناطق النفوذ الاستعمارى من جديد . ولعل هذا السلوك الاستعمارى العدوانى السافر والصريح ليس خاصا بأفريقيا وانما هو يشكل اليوم ظاهرة عامة نلمسها فى آسيا (فيتنام وعدن واليمن وفلسطين) وامريكا اللاتينية (كوبا والدومينكان) .

وثالثها : ان انقلاب غانا قد وقع عشية سلسلة من الانقلابات العسكرية الداخلية فى عدد من البلدان الافريقية المجاورة (الكونغو — فولتا العليا ، جمهورية افريقيا الوسطى ، داهومى ، نيجيريا) وهى انقلابات لم تغير من طبيعة انظمة الحكم فى هذه البلاد المعادية او على الاقل المحافظة بالنسبة لاهداف الثورة الافريقية المزدوجة الطابع وانما كان القصد منها تشديد قبضة السلطة فى هذه البلاد بانظمة عسكرية فتكون قواعد قوية نسبيا للانقضاض على الانظمة التقدمية ، ولم يكن انقلاب غانا الا عمليتها الاولى .

ورابعها : ان الانقلاب وقع بعد نحو ثلاثة شهور فقط من اغتصاب العنصرية البيضاء لروديسيا مساندة الاستعمار فى ١١ نوفمبر ١٩٦٥ . وذلك على الرغم من التهديدات الجماعية التى صدرت عن الدول الافريقية المستقلة بمقاومة هذا الاغتصاب بالقوة . وهو ما لم يتم بل ان عددا من هذه الدول نكس عن وعده فى منظمة الوحدة الافريقية بقطع العلاقات مع بريطانيا اذا ماتم هذا الاغتصاب دون ان تتدخل بريطانيا بالسلاح لاسقاط نظام حكمه العنصرى . وعلى العكس ضرب نظام الحكم التقدمى فى غانا الذى تمرد على عضوية الكومنولث وقطع علاقاته معها بسبب روديسيا وكان على القوى الاستعمارية والرجعية الافريقية ان تبذر اليأس فى شعوب الثورة الافريقية التى لم تستطع ان تفعل شيئا لشعب روديسيا فى حين اطيح بنظام الحكم الثورى فى غانا .

وخامسها : ان من الواضح ان الانقلاب فاجا اول مافاجا القوى الثورية فى غانا وقيادتها ذاتها بدليل ان الرئيس نكروما غادر اكرا مطمئنا فى رحلته الى فيتنام الشمالية ولم تمض اربعة ايام على سفره حتى وقع الانقلاب. وكشف رجال الانقلاب عن انهم سبق ان فكروا فى القيام بحركتهم قبل ذلك ولكنهم عدلوا عن ذلك وارجاوا التنفيذ حتى يسافر نكروما ومعنى ذلك ان الاعداد للحركة الانقلابية ظل يجرى فى خفية تماما عن القوى الثورية وحزبها وقيادته . بل ان الحزب بعد ذلك لم يستطع ان يقود حركة مقاومة منظمة على الفور . لماذا ؟ هذا سؤال لايجب ان نخجل لحظة من طرحه على انفسنا بصراحة ووضوح والا كنا على غير مستوى المسئولية .

فى اعتقادنا ان ذلك راجع فى الغالب الى ان الحزب اغتر بقوته الشكلية التى يحس بها من خلال وجوده فى مواقع السلطة وليس من خلال تنظيمه وكوادره وثقله فى الجماهير الشعبية مصدر القوة الحقيقية . فظل فى الواقع مركبا عائما على سطح المجتمع يضم مجموعة من المثقفين الثوريين واهل المدن على الاغلب ولم يستطع ان يمد جذوره وقنواته الى الاعماق الشعبية فى الريف .. يرعى ويكسب ويجند الجماهير العريضة صاحبة المصلحة فى الثورة واستمرارها والدفاع عنها . وظل اهم نشاط له هو العمل الثقافى المرصع بالشعارات الثورية والمناقشات النظرية المذهبية داخل اربعة جدران ، لا العمل السياسى النضالى الذى يلتحم بالجماهير عن طريق ترجمة وبلورة مصالحها وارائها ومشاكلها وقضاياها الحياتية فى خطط سياسية واقعية قابلة للتنفيذ وتعبئة القوى الشعبية من حولها وخلالها بقوى تنظيمية قادرة على الحركة الفعلية .

والواقع الذى يجب ان نواجهه هو ان عددا من احزابنا الثورية مازال اقرب ماتكون الى نوادى للمثقفين الثوريين يحبون الاستماع الى اصواتهم والحوار مع انفسهم حيث يستعرضون فى تنافس معلوماتهم النظرية عن الهياكل الشكلية والاجراءات النظامية وغير ذلك من بديهيات اساليب التنظيم الثورية مثل المركزية الديمقراطية والقيادة الجماعية وخضوع المستويات الدنيا للمستويات العليا الخ .. ولكنهم لايبذلون جهدا كافيا للالتحام التنظيمى بجماهير واقعهم وظروف مجتمعهم الخاصة . كل مايريدونه هو حزب على نمط الاحزاب الثورية فى البلاد الاشتراكية ومن هنا ياتى فى النهاية بناء باهرا ثوريا من الخارج ولكنه فارغ المضمون والفاعلية من الداخل مقطوع الصلة بالواقع ومنعزل عن الجماهير الشعبية حتى اذا ماواجه امتحانا عمليا خارت قواه وتفكك الى اشلاء .

ان قضية بناء حزب ثورى هى فى الدرجة الاولى وقبل كل القضايا الاخرى قضية قومية واقعة فى الاساس بمعنى انه لايكفى وضع القواعد والاجراءات التنظيمية الثورية وانما يكون ذلك كله مصاغا بروح قومية قادرة على الالتحام بالواقع والجماهير دون ماسدود او استسهال استخدام الاساليب الادارية . نعم ان المركزية الديمقراطية وغيرها من القواعد الحزبية الثورية ضرورية فعلا ولكن ماهو ضرورى ايضا وبدرجة اشد فى تنظيم حزبى ثورى فى مجتمع افريقى ان يراعى الظروف القبلية المفتتة لوحدة الشعب نفسه وكيف يمكن ان يبتكر اساليب فى البناء والتنظيمات تكون قادرة واقعيا وبصبر ثورى على معالجة الانقسامات القبلية والنفاذ فيها من اجل التوحيد القومى وعزل النفوذ الاستعمارى والرجعى عنها . واذا كان الحزب الثورى فى البلاد المتقدمة نسبيا يبنى بأجهزة وتكتيكات واستراتيجيات الانتقال بالمجتمع من النظام الراسمالى الى النظام الاشتراكى ، فان الحزب الثورى فى معظم البلاد الافريقية الحديثة الاستقلال يجب ان يبنى باجهزة وتكتيكات واستراتيجيات مختلفة نابعة عن واقعه لان هدفه هنا هو الانتقال بقفزة سريعة وخطيرة ـــ لم يسبق تجربتها فى التاريخ الانسانى من قبل ـــ من القبلية عابرا مراحل الاقطاعية والراسمالية الى الاشتراكية راسا وفى مواجهة كل من الاستعمار القديم والاستعمار الجديد معا .

وسادسها : مسايرة جهاز الدولة بجميع موظفيه وخاصة الكبار منهم ذوى المسئوليات ، للانقلاب من اول لحظة . ابتداء من «ساكى» وزير الخارجية الى السفراء الى مديرى الاجهزة الرئيسية وذلك تحت شعار «انهم فى النهاية موظفون يطيعون اوامر حكومتهم ايا كانت» . ويعنى هذا ان اجهزة الدولة ظلت على الرغم من ثورية السلطة السياسية فى غانا ، فى ايدى القوى الرجعية والكادرات العملية التى كونها الاستعمار لتحل محل عناصره بعد الاستقلال . وبالتالى ظل النفوذ الاستعمارى والرجعى متغلغلا بطريقة سرطانية فى جهاز الدولة ـــ الذى يمثل فى العادة مركز الثقل فى الحركة داخل المجتمع النامى الجديد ـــ يلجم ويشل سيطرة ونفوذ القوى الثورية الجديدة وحزبها ، على هذا الجهاز اللهم الا فى الظاهر فحسب .

وسابعها : ان الاداة الرئيسية للانقلاب كانت الجيش . والجيش فى غانا ـــ كما هو الحال فى عدد كبير من البلاد الافريقية التى استقلت حديثا ـــ مزيج من العناصر العسكرية التقليدية التى كانت تخدم وتدافع عن النظام الاستعمارى من قبل ثم ورثتها الثورة بعد الاستقلال ، ومن عناصر وطنية جديدة دخلت الجيش بعد الثورة ، ولكن لما كانت الاقدمية والخبرة الفنية النسبية تتوفر فى العناصر الاولى اكثر من توافرها فى العناصر الثانية . فقد جرت عادة حكومة الاستقلال ـــ من باب الاستسهال وتحت الحاح المطالب العاجلة دون اى اعتبار جدى لخاطر المستقبل وصراعاته ـــ الاعتماد على العناصر القديمة ذات الارتباط التاريخى بالاستعمار وتسلمها بالتالى قيادة الجيش وتنظيمه . بل حدث فى كثير من الاحيان ـــ كما وقع فى غانا نفسها ـــ ان ظل الجيش بعناصره الجديدة محكوما وموجها بقواد اجانب مباشرة معادين للثورة واتجاهاتها التحررية والاشتراكية ، او محكوما بخبراء عسكريين اجانب فضلا عن تلقى الضباط الجدد تدريبهم فى البلاد الغربية الاستعمارية وبالتالى يصاغ فكرهم صياغة معادية لحركة التطور التقدمية فى بلادهم ، وفى غانا بالذات استمر الضباط البريطانيون يعملون ويدربون جيش غانا الى مابعد عام ١٩٦١ . فى حين ان ٢٠٪ من مجموع هيئة الضباط تلقوا تعليمهم العسكرى فى كلية ساندهرست فى بريطانيا .

ومعنى هذا ان الجيش الغانى ظل محكوما بقيادة رجعية واستعمارية معادية للثورة وقيادتها . ولم يستطع التنظيم الحزبى الثورى ان يحتويه سياسيا ويربط حركته ومصير جنوده وضباطه بمصير الثورة نفسها . ومن هنا كان الانفصال الاجتماعى والسياسى بينهما بحيث اصبح الجيش رصيدا للرجعيه والقوى الاستعمارية بدلا من ان يتحول اجتماعيا الى جيش شعبى ويصبح قوة فعالة من قوى الثورة ذاتها . ولسنا فى حاجة الى التنويه بان كلا من الاستعمار القديم والجديد يركز جهوده اليوم على النفاذ الى

اجهزة الجيش اساسا ، ولعل مظهر ذلك يتجسد بوضوح فى ان نسبة تتراوح من ٤٠٪ الى ٧٠٪ من المعونات الامريكية والغربية ومايصاحبها من الخبراء الى البلدان الافريقية الحديثة الاستقلال تنصب فى جيوشها .

وثامنها : ان الانقلاب واجه انقساما فى المواقف بين مجموعة الدول الافريقية وكذلك الدول الاشتراكية فمنها ما اعترف بالانقلاب او اضطر للاعتراف تحت ضغط سياسة الامر الواقع ومنها ماشجبه . وهذا يعنى عدم وجود وحدة فى الموقف وتقديره ازاء حدث بالغ الاهمية والخطورة كهذا الحدث بين الدول الافريقية ككل والدول الاشتراكية ككل — الامر الذى احدث بلبلة فى صفوف الثورة الافريقية ومن ثم الثورة العالمية ضد الاستعمار .

(٢٥) ان دروس انقلاب غانا مع غيرها من دروس النكسات الاخرى توضح لنا ان الثورة الافريقية تواجه فى المرحلة الراهنة الصورة التالية :

القوى الاستعمارية — قديمها وجديدها يركز قواه اليوم فى معركة حياة او موت فى افريقيا . وانها تبادر بالهجوم على القوى الثورية ودولها بصراحة مكشوفة وذلك بقصد الارهاب العلنى وتحطيم المعونات منتهزة فرصة تفكك الوحدة الثورية الافريقية سواء على مستوى البلد الواحد او مستوى القارة معا من ناحية ، والصراعات بين مجموعات الدول الاشتراكية من ناحية اخرى . ومستفيدة من كل السلبيات فى واقع الثورة الافريقية .

وبالتالى فان الثورة الافريقية تواجه اليوم فى الواقع بالنسبة لكل قوة من قواها الاختيار بين ثلاث طرق :

اما التقوقع والعزلة داخل ذواتنا والحدود الاقليمية لكل منها . ومعنى ذلك انها تتخلى فى الواقع لا عن مبادئها التحررية والثورية التى اكتسبت بممارستها وزنا وقيمة مرهوبتين ماديا وادبيا على كل المستويات بل وايضا عن خطوط دفاعها الاساسية ضد الاستعمار والرجعية .

واما ان تسلك طريق المساومة مع الاستعمار الجديد والرجعية المحلية ، ومعنى ذلك ان تشرع فى التفريط باستقلالها والتنازل عن مكاسبها التاريخية المادية والمعنوية ضد الاحتكار والاقطاع والراسمالية والتخلف لتعود من جديد شيئا فشيئا الى حظيرة الاستعمار والاستغلال بحركة الخطوة البطيئة .

واما ان تؤثر طريق مواصلة الثورة باقصى قدراتها وبترتيب جديد لقواها وبامهر ماتجمع لديها من خبرات ضد الاستعمار والرجعية وهذا وحده هو طريق التاريخ والامل والحياة .. وهو طريق شاق طبعا ولكن لابديل له الا الانتحار او الموت البطيء . وهو فى نفس الوقت طريق ممكن بفضل المناخ الدولى الراهن والتغيرات الجذرية التى اصابت العالم لمصلحة الشعوب وثورتها من اجل الحرية والسلام والاشتراكية كما سبق ان اوضحنا فى صدر هذا التقرير .

وليس من شك فى ان الثورة الافريقية قد اختارت باستمرارها الحى هذا الطريق الاخير . وندوتنا اليوم من دلائل هذا الاختيار .

(٣٦) بيد انه لتامين السير على هذا الطريق فى المرحلة الراهنة يلزم فى — راينا — مراعاة اعتبار فى غاية الاهمية والخطورة .

ويتضح هذا الاعتبار من ملاحظة انه فى الوقت الذى وجهت فيه القوى الاستعمارية اعمالها العدوانية الاخيرة على مناطق استراتيجية محدودة فى افريقيا ركزت فيها كل قواها وقصرت خطوطها الى اقصى حد مستطاع فتمكنت بذلك من الحصول على نتائج ايجابية وسريعة ، راحت القوى التقدمية الثورية توسع من نطاق عملها تحت شعار محاصرة القوى الاستعمارية بجبهة عريضة وعلى اوسع نطاق لا تحتملها امكانياتها الفعلية من ناحية وتجذب الى صفوفها من ناحية اخرى قوى مترددة ومتميعة لمجرد انها تحررت شكليا من التبعية الاستعمارية الامر الذى اطال خطوطها فوق ماتحتمله طاقاتها الفعلية وادخل فى صفوفها نوعا من «الطابور الخامس» للعدو او على الاقل قيد حركتها فى العمل الثورى . وذلك حفاظا على الوحدة الشكلية والكمية مع حلفائها .

ونسارع فنقول انه لايمكن التقليل — نظريا وعمليا — من اهمية العمل المشترك وفوائده النسبية على نطاق الجبهة العريضة . ولكن يجب النظر بوعى الى هذا النوع من العمل على انه عمل مساعد فحسب وليس العمل الجوهرى والاساسى للقوى الثورية . ونقصد بالعمل الجوهرى ذلك الذى يتبلور فى المقاومة الصلبة والمنظمة اقتصاديا وعسكريا باقصى قدرة ممكنة ومركزة للعنف الاستعمارى باساليبه الاقتصادية والعسكرية معا . وبالتالى فان صياغة الجبهة العريضة

الافريقية لا يجب ان يحول دون صياغة لوحدات ثورية مركزة ومحددة وقادرة على الحركة الفعالة والسريعة وذلك من مجموع القوى والنظم الثورة.

فليبق اذن العمل الموحد المشترك لمنظمة الوحدة الافريقية فى حدودها النسبية ولكن بشرط ان يتكون داخلها عامود فقرى صلب من اقصى النظم والطاقات الافريقية ثورية .

ولكى يستطيع هذا العمود الفقرى الثورى مواجهة مسئولياته على نحو فعال فان الامر يستلزم :

اولا — درء اخطار الصراعات بين مجموعة الدول الاشتراكية عن الثورة الافريقيه بل ان الوضع يستلزم ممارسة ضغط واقعى وفعال على اطراف هذه الصراعات بحيث تلتزم عمليا وفى مواجهة العدو الرئيسى المشترك بمواقف موضوعية موحدة .

ثانيا — عدم الانزلاق فى مغامرات تطيل دون مداء خطوط المعركة فلا تتحملها الامكانيات الفعلية لقوى الثورة الافريقية وحلفائها .

ثالثا — بناء النظم الثورية لوحدة عمل ضاربة ومدافعة على صورة ونسق موحدين .

رابعا — ممارسة التعايش السلمى — الذى هو قانون العصر الموضوعى — على نحو واقعى وجدلى من شانه ان يحول دون الحرب النووية الشاملة وفى نفس الوقت يردعلى العنف الاستعمارى وتصدير الثورات المضادة بعنف مضاعف .

خامسا — تنظيم البيت الداخلى للقوى والنظم الثورية — سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا وعسكريا — بحيث يتطهر جذريا من كل الجيوب والرواسب الرجعية والعملية التى تشكل رصيدا احتياطيا داخليا للقوى الاستعمارية .

سادسا — قيام مجموعة الدول الاشتراكيـــة بتركيز معوناتها الاقتصادية الغير مشروطة بجرعات اقوى للنظم الافريقية الثورية اساسا دون بعثرتها بغير طائل فى الدروب الواسعة للجبهة العريضة حيث تكمن النظم المترددة والمساوية . فقــد ثبت ان ذلك يقوى من وزنها داخل الجبهة ازاء القوى الثورية الحقيقية وجهودها من اجل التنمية الاقتصادية فى الاتجاه الاشتراكى .

والحق ان هذا هو الرد المقابل على قيام الاستعمار الجديد بتركيز معوناته الاقتصادية على عدد من الدول والنظم الافريقية وغير الافريقية المرتبطة به . فمن الملاحظ أن الولايات المتحدة قد اوقفت منذ بداية عام ١٩٦٦ منح معونات الى ٢٦ دولة افريقية وغير افريقية ، وهى الدول التى اصرت على انتهاج سياسة ثورية او مستقلة وغير منحازة فى الميدان الدولى. واذا كانت اليوم تقدم معونات الى ٧٦ دولة فان ثمانية دول منها فقط تستولى على ٧٤٪ من مجموع المعونات . وفى العام القادم من المتوقع — كما تدل على ذلك التصريحات الرسمية ان تختص ٩ دول فقط بـ ٨٦٪ من المعونات من بينها دولة افريقية واحدة وهى نيجيريا ، اما الدول الثمانى الاخرى فهى شيلى وكولومبيا وتركيا واسرائيل وكوريا الجنوبية ثم الهنــد وباكستان لاعتبارات خاصة .

وهو ايضا احد الاسلحة لمقاومة استخدام القوى الاستعمارية لسيطرتها على السوق الراسمالى العالمى، وبالتالى تحكمها فى اسعار المواد الخام التى تشكل معظم صادرات الدول الافريقية فتعمل على خفضها باستمرار ، بهدف خنق امكانيات التطور الاقتصادى والاجتماعى لافريقيا ، كما حدث بالنسبة لغانا عندما اخذت تهوى بسعر الكاكاو الذى يمثل اكثر من ٥٠٪ من صـــادراتها من ٥٨ سنت للرطل عـــام ١٩٥٤ حتى وصل الى ١٦٫٣ سنت فقط عام ١٩٦٤ قبيل الانقلاب .

(٢٧) **وبعد . ان الثورة الافريقية بطاقاتها الهائله تواجه تحديات هائلة ومن هنا كانت معركتها ضارية وانتصاراتها بالتالى ذات اثر حاسم فى تاريخ التطور الانسانى نحو حياة افضل . وهى اذ تواكب عصرا يتفتح عن امكانيات مادية ومعنوية للانسان لم يسبق لها مثيل ويكاد من خلالها ان يلمس اصابعه سطح القمر، فقد اصبح من مسئولياتها ان تشيع بنضالها وعلى ارضها المقدسة الى القبر والى الابد الاستعمار بكل قواعده واحتكاراته القديم منه والجديد على السواء .**

أضواء على ندوة أفريقيا

"الجزء الأول"

محمد سيد أحمد



يجمع المراقبون على أن ندوة افريقيا ((ثورة التحرر الوطني والاشتراكية)) التي دعت لها مجلة ((الطليعة)) ، بالاشتراك مع مجلة ((السلم والاشتراكية)) ، والتي شهدت لقاء عريضا لما يقرب من ثلاثين حزبا وتنظيما ثوريا افريقيا ، أسهمت بدور فعال في تحديد ملامح الواقع الافريقي المعاصر ، وبلورة الاهداف الكفيلة باطلاق حركة الثورة الافريقية مستقبلا .

فلا يختلف الكثيرون في ان الحركة الثورية في افريقيا قد انتابتها خلال السنوات الاخيرة موجة من التشاؤم عقب سلسلة من الانتكاسات ، بدات بمصرع لومومبا ، وانتشرت في ارجاء القارة على اثر الانقلاب الرجعي في غانا ، واستئثار الاقلية البيضاء بالحكم العنصري في روديسيا ، مارة بسلسلة الانقلابات العسكرية التي شملت ٨دول افريقية حديثة الاستقلال في بضعة شهور . ذلك بعد موجة التفاؤل التي بلغت أوجها عام ١٩٦٠ هذا العام الذي اطلق عليه بحق «عام افريقيا» والذي شهد تحولا خطيرا في تاريخ افريقيا بحصول

سبعة عشر من الدول الافريقية على استقلالها السياسى .

والافراط فى التشاؤم ، مثل الافراط فى التفاؤل مظهران مقابلان ، يكمل كل منهما الاخر ، فى التعبير عن حقيقة واحدة .. وهى فقدان ثوار افريقيا وضوح الرؤية ، والادراك المحدد للقوانين الحقيقية التى تحكم حركة تحرر القارة ، ولادوات النضال الملائمة التى تكفل السيطرة علىمجرياتها المتدفقة ..

ان مثل هذه المشاكل لايحل بالتمادى فىالتجريب ولايترك الامور لعشوانية الاحداث ، وانما يستدعى — بالحاح — التقاء الثوريين لتبادل التجارب واستجماع الخبرات ، وتوحيد النظرة وضم الصفوف ، توطئة للتحرك الموحد الفعال فى وجه مخططات العدو الاستعمارى .. من هـذه الزاوية كانت ندوة القاهرة حدثا بالغ الاهمية ، واول جهدايجابى من اجل توحيد القوى الثورية الافريقية ،وتحديدهامعا معالمالطريق للمستقبل.

وقد انعقدت الندوة بالفعل فى ظروف لم يعد من الممكن فيها استمرار اغفال الحاجه الموضوعية الملحة الى توحيـد القوى الثورية الافريقيـة . فقد اثبت مؤتمر القمة الافريقى الاخير خطورة العمل فى داخل هذا الاطار وحده والصعـاب العديدة التى تواجه العمل الفعلى من اجل حل مشاكل القارة على مستوى رؤساء الدول داخل اطارمنظمة الوحدة الافريقية. فقد اصبحالاستعمار يتحرك بنشاط لافساد عمليات الوحدة على كافة المستويات واصبحت الوحدة فى مختلف صورها رهن فى المقام الاول بوحدة الثوريين والمناضلين الطليعيين من اجل تحرر القارة ، وانطلاقهـا فى طريق الحرية والتقدم .

ومن الادلة الواضحـه على ان الندوة قـد انعقدت فى ظرف موات تماما ، هو ماحيطت به من اهتمام بالغ محليا وعالميا . فقد حضرها مراقبون من مختلف انحاء العالم ، وتتبعتها الصحافةالمحلية والعالمية بعناية . وبعث **الرئيس عبـد الناصر** اليها وهو فى نيودلهى برسالة تضمنت تمنياته لها بان تحقق اغراضـها الكبيرة والمتعـددة ، وان توفر أرض لقاء فكرى للمناضـلين الثوريين من ابناء القارة الافريقية الباسلة ، وتجدد صـلات النضال بينهم — كما تلقت الندوة رسائل تحية من الرئيس نكروما ، ومن الفيلسوف البريطانى برتراند راسل ، ومن احمد الشقيرى من منظمة تحرير فلسطين .. وكانت موضع اهتمام ملحوظ من وكالات الانباء فى الغرب والشرق على السواء ومن عديد من المجلات النظرية والهيئات العلمية ومن الاحزاب والتنظيمات السياسية فى مختلف انحاء العالم . وقد اثبتت جلستها الختاميةباجماع اراء الوفود انها وفقت توفيقا باهرا فى انجاز المهام التى رسمتها لنفسها .

اطـــار النـــدوة

ولكن قبل التعرض لتحليل وتقييم اعمالالندوة ينبغى تحديد الاطار الذى انعقدت فيه . فالندوة كما هو معلوم دعت لهامجلتان ،مجلة «الطليعة» ومجلة «السلم والاشتراكية» . ومجلة «الطليعة» مجلة نظرية تقدمية تصدر للاشتراكيين العرب . وهى بالجمهـوريـة العربيـة المتحدة ملتزمة بخط تنظيم الاتحاد الاشتراكى وبالميثاق باعتباره دليل العمل الثورى . ومجلة «السلموالاشتراكية» مجلة دولية تصدر فى براغ وتعبر عن وجهة نظر الاحزاب العماليةوالشيوعية ،وتصدر بـ٣٢لغة. وتتسم المجلتان بطابع البحث النظـرى ، المرتبط ارتباطا وثيقا بالتطبيق الثورى والنضال العملى ومن هنا ، كان امرا طبيعيـا الا تتسم اعمـال الندوة بطابع البحث النظرى المجرد والاكاديمى ولابمجرد تسجيل الواقع النضالى بدون ترجمة الخبرات المكتسبة الى دروس نظرية تفيد فى تطوير وتوسيع آفاق الكفاح .

وحاولت الندوة ان تضـم ممثلين من جميـع الاحزاب والتنظيمات الثورية ، المنبثقة من نضال شعوب افريقيا من اجل التحرر الوطنىوالاجتماعى **حاولت ان تعبر تعبيرا صادقا عن واقع النضال الافريقى فى وضعه الراهن ممثـلا فى الاحـزاب والتنظيمات التى تخوض هـذا النضال عمـلا .** وقد استجابت لدعوة المجلتين الغالبية العظمى من هذه التنظيمات ، واشترك فى الندوة بالفعل ممثلون من ٢٩ حزبا وتنظيما فى ٢٥ دولة افريقية غير المراقبين الذين وفدوا من مختلف انحاء العالم وكان التمثيل فى مستوى **اعلى قيادات معظم هذه الاحزاب** . فحضر مثلاعن مالى « ادريسا ديرا » امين الاتحاد السودانى بجمهورية مالى ونائب الرئيسموديبوكيتاوماديراكيتا عضواللجنةالمركزية ووزير العـدل ، وعن غينيـا ،، فيض الله كيتا ، عضو المكتب السياسى بالحـزب الديموقراطى الغينى ونائب الرئيس سيـكوتورى . ودعى الرئيس نكروما للندوة ، وارسل اليها بحثا هاما عنوانه «عود الى الاشتراكية الافريقية» ،يطرح

ندوة
افريقيا . ثورة التحرر الوطنى والاشتراكية

فيها بعض الزوايا الجديدة التى طرحتها الحياة فى السمات التى تميز مشاكل الاشتراكية فى افريقيا . ولكن لم يستطع ان يحضر الندوة لاسباب تتعلق بصعوبه انتقاله الى القاهرة . وقد اعترضت المشاكل العملية حضور عدد من الشخصيات الافريقية المرموقه ، بعد ان قبلت الدعوة ، مثل جيزنجا عن الكونغو ، واوجنجا اودنجا عن كينيا ، واميلكار كابرال عن غينيا المسماة بالبرتغاليه .

وبوجه عام ، يمكن ان يقال ان الصعاب المادية التى اعترضت حضور عدد من الشخصيات الافريقية امر يرتبط ارتباطا عضويا بظروف النضال الثورى الراهن داخل القارة ، كما ان التشتيت الراهن فى بعض قوى الثورة ، انعكاس آخر للتوازن الحالى بين قوى التقدم والاستعمار على نطاق العالم والاختلاف فى تحديد سبل النضال فى مواجهة هجوم الاستعمار فى المرحلة الاخيرة . **الا ان كل هذه المشاكل لم تنل من الندوه بوصفها لقاء ضم اكثر قوى القارة الافريقية نشاطا وفاعلية فى النضال ضد الاستعمار والتفرقة العنصريه والاستعمار الجديد** . وتوافرت الظروف بالفعل لحوار متمر استطاع ان يطرح بحرية القضايا الحيوية التى تواجه شعوب افريقيا ، وان يخرج بنتائج بالغة الاهمية فى تطوير قوى الثوره واطلاق طاقاتها الكامنة .

● ورغم تباين الاصول الفكرية للتنظيمات والاحزاب التى اشتركت فى الندوة ، وانتساب البعض الى الماركسية ، والبعض الاخر الى مختلف الحركات الوطنيه والديموقراطية فى بلدان افريقيه عديدة ، اجمع اعضاء الندوة على اسس عامة للحوار ، كان الاخذ بها ينطوى على استبعاد للارضيات المولدة للافراط فى التفاؤل والتشاؤم على حد سواء ، كما هيأت جوا ملائما للالتزام بمنهج واقعى فى بحث احتمالات تطوير الحركة الثورية . **وقد نهضت جميع الابحاث على ارضية تدين النظريات القائلة بان افريقيا لاتخضع للقوانين العامه التى تحكم تطور المجتمعات مع تاكيدها فى الوقت ذاته ان الثورة الافريقية لها سماتها وملامحها الخاصة التى تميزها عن بقيه الثورات فى العالم** .

● وفى ادانة النظريات القائلة بشذوذ المجتمع الافريقى عن قوانين سائر مجتمعات العالم الاخرى تمسك **بالمنهج العلمى** فى علاج قضايا الثورة الافريقية ، وجهد ايجابى فى التغلب على **النظريات المتشائمة** الناجمة عن تلاحق عدد من الهزائم فى بعض انحاء القارة خلال السنوات الاخيرة .

● وفى تاكيد السمات الخاصة لظروف المجتمع الافريقى ، ضرب **للجمود العقائدى ، وللتبسيطات المتفائلة** التى تفترض مسارا محددا للثورة لاتحيد عنه ، بغض النظر عن تنوع الواقع وتعقيده ، كما يتضمن هذا التاكيد اعلانا بضرورة تخطى مرحلة الشعارات العامة الجوفاء ، الى مرحلة البحث المتمعن للتجربة الواقعية بجوانبها الايجابية والسلبية على السواء .

وقد اسهمت هذه الاسس العامة التى اجمع عليها اعضاء الندوة ، فى تذويب الفواصل الفكرية وتوفير ظروف ملائمة لتفاعل مثمر وخلاق ، رغم تباين الاصول ، واختلاف طبيعة الحركة الثورية فى ارجاء القارة المختلفة .

تقريرا الافتتاح

وقد افتتحت الندوة اعمالها بتقرير من لطفى الخولى عن «الطليعة» وبحث لسوبوليف الامين التنفيذى لمجلة «السلم والاشتراكية» نشرتا بنصهما الكامل فى هذا العدد . وتجدر العودة اليهما قبل متابعة الابحاث الاخرى . نظرا لتناولهما بالعرض والتحليل اهم القضايا التى نواجه ((**الكفاح المعادى للاستعمار فى افريقيا فى المرحلة الراهنة**)) (لطفى الخولى) و ((**مشاكل التقدم الاجتماعى فى افريقيا**)) (سوبوليف) .

الاستثمارات الاستعمارية فى أفريقيا

وبعد تلاوة التقريرين الرئيسيين اسهمت الندوة بصور مختلفة وبجهد جماعى فى تسليط الاضواء على **حقيقه الاستثمارات الراسمالية والاستعماريه فى افريقيا** . ساهم فى هذا الجهد محمد سيد احمد عن الطليعة (الاستثمارات الراسمالية والاستعمارية فى افريقيا) ومايكل هارمل عن الحزب الشيوعى فى جنوب افريقيا (بعض مظاهر الاستثمار الاستعمارى فى افريقيا) ومندوب منظمة سوابو عن جنوب غرب افريقيا (طرق التسلل الاستعمارى الى افريقيا) وفاسكو كابرال عن غينيا المسماة بالبرتغالية (المصالح الراسماليه الاجنبية فى غينيا المسماة بالبرتغالية) كما خصص عدد من الابحاث لقضية تحويل مصادر الاستثمار والتراكم الممكنة لصالح عمليات

التنمية فى افريقيا والصعاب المختلفة التى تواجه هذا التحول . اشترك فى هذه الابحاث ، الدكتور محمد دويدار عن الطليعة وشعيب الرفاعى عن الحزب الشيوعى المغربى (التخطيط ومصادر التراكم) والدكتور عبد الرازق حسن عن الطليعة ايضا (مشاكل التصنيع فى افريقيا) .

وقد اثبتت هذه الابحاث بصفة قاطعة ان استغلال الاستعمار لثروات القارة الافريقية وطاقاتها زاد ولم ينقص بعد نيل معظم البلدان الافريقية استقلالها السياسى فى بداية الستينات، وان تعاظم حركة التحرر لم يعقبه تقلص لنفوذ الاستعمار ، بل العكس هو الاقرب الى الصحة .

وقد ابرزت الابحاث وكلمات بعض المندوبين ان هذه الظاهرة التى تبدو غريبة ومتناقضة فى اول وهلة انما ترتبط ارتباطا عميقا **بالخصائص التى ميزت علاقة الاستعمار بالقارة الافريقية .** فكانت افريقيا اكثر قارات العالم المتخلف تخلفا . وكانت من الوجهة الاجتماعية اكثرها « بعدا » عن البلدان الاستعمارية التى اقدمت على غزو مختلف انحاء القارة فى نهاية القرن الماضى ــ لم يكن المجتمع الافريقى وقتذاك ينهض على القدر من التطور الاقتصادى الذى يسمح بارساء اسس الاستغلال الراسمالى ، وتنشيطه بصورة المعروفة ــ **كان استنزاف الاستعمار لثروات افريقيا اقرب الى ((النهب)) منه الى ((الاستغلال الراسمالى))** . اعاد الاستعمار تشكيل ملامح القارة بالقدر الذى ييسر عمليات النهب ، باكبر كفاءة ممكنة . رحل الى القارة « نقاط ارتكاز » لعمليات النهب : اقليات بيضاء تسيطر على المناطق الغنية بالمعادن النفيسة ، وصناعات تعدينية تعمل«كمضخة» لاستخراج الموادالخام. وصدر الاستعمار خارج القارة عمليات الاستغلال لاباستنزاف ثروات افريقيا الطبيعية فحسب ، وتصنيعها خارج القارة ، بل باستنزاف ثروات القارة البشرية كذلك (تجارة الرقيق) وتوطين هذه الايدى العاملة الرخيصة فى مراكز الصناعة والزراعة المتقدمة فى البلدان الاستعمارية .

وكانت عمليات النهب لاتستند الى تفاعل منتج وكفء للقدرات الانتاجية الكامنة ، ولم تكن تسمح باستثمارها الا فى حدود معينة .

ولكن التحولات التى طرات على القارة بعد استقلال معظم بلادها ، ورغبة الشعوب الافريقية فى تنمية اقتصادياتها ومقاومة الاستعمار لكل اتجاه لابتعاد هذه البلدان عن ارتباطاتها بالاقتصاد الراسمالى العالمى ، ان كل هذه العوامل قد شجعت الاستعمار على تعويض مراكزه السياسية المفقودة بترحيل عمليات الاستغلال الاقتصادى الى داخل القارة (زيادة الاستثمارات ــ تطوير بعض الصناعات الخفيفة ..) وبديهى ان استبدال بعض خطط النهب السابقة بسبل الاستغلال الراسمالى الحديثة من شانه ان يخلق ظروفا اكثر مواتاة لزيادة استنزاف ثروات القارة ، واستثمار امكانياتها الكامنة بطرق اكثر كفاءة . وهذا يفسر هذا التلازم الغريب بين ازدهارحركةالتحرر، وتفاقم الاستغلالالاستعمارى عمقا وتنوعا والتجائه الى اساليب مبتكرة اكثر خبثا والتواء،تعرف بأساليب «الاستعمارالجديد».

وابرزت الابحاث دور الاستعمار الامريكى والمانيا الغربية فى احلاله محل الاستعمار القديم وبعض ملامح سياسة فرنسا الجديدة ، ودور الاقليات العنصرية البيضاء واسرائيل فى تنفيذ المخططات الاستعمارية الجديدة ، وشروط التجارة الدولية واجحافها لحقوق البلدان النامية . كما كشفت حقيقة «المعونات» المزعومة التى تقدمها امريكا وبعض البلدان الاستعمارية الاخرى للقارة الافريقية . وانها ليست فى حقيقة الامر غير احدى السبل المبتكرة لكسب نقاط ارتكاز داخل القارة لامتصاص ثرواتها. وطالب مايكل هارمل بضرورة عدم الاكتفاء بدراسة حركة الاموال التى يوفدها الاستعمار الىداخل القارة الافريقية ، بل يقع على عاتق القوى الثورية فى افريقيا كشف حركة الاموال التى يرحلها الاستعمار فى اتجاه عكسى الى خارج القارة (فى صورة ارباح واقساط وفوائد للديون الخ ..) وهى تفوق بكثير حركة الاموال الاولى . ومن الملاحظ ان الارقام الخاصة بمجموعة ارباح البلاد الاستعمارية ، يحرص الاستعمار على عدم نشرها ابدا .

وقد ابرزت الابحاث الخاصة بتخليص افريقيا من سيطرة الاستعمار اقتصاديا وتوفير التراكم الضرورى لاطلاق عمليات التنمية ، ابرزت هذه الابحاث الصعاب العديدة التى تواجه هذه المشكلة . فمصادر التراكم محدودة ، نتيجةلتخلف اقتصاديات افريقيا ونهوض معظم بلادها على الانتاج الزراعى ، وعدم مرونة السلع المنتجة . اكدت الابحاث ان اطلاق عمليات التنمية لايمكن ان تترك لتلقائية الاقتصاد الراسمالى ، بل تستدعى حتما الاخذ بتخطيط دقيق لاستثمار الامكانيات المتاحة فى افضل الصور الممكنة . وهذا بدوره يستدعى الاسترشاد بمبادىء الاشتراكية . قدم الدكتور محمد دويدار بحثا فيما عن الاسس



النظرية والمنهجية التى تحكم اطار وحدود حل هذه المشكلة . واوضح شعيب الرفاعي اسباب فشل التخطيط فى المغرب واستحالة انجاز عمليات التراكم بدون ادخال تغييرات جذرية على تركيب المجتمع ، تكفل استيعاب فائض الانتاج الذى يستحوذ عليه كبار ملاك الارض والوسطاء والمرابون والشركات الاجنبية والبرجوازيه البيروقراطيه وتطلق الامكانيات الكامنة لاستحداث سبل تراكم اضافية بفضل انجاز هذه التغييرات الجذرية . وابرز الدكتور عبد الرازق حسن ان هذه المشكلة لن تحل جذريا الا بالنضال من اجل اقرار عدد من المبادىء الهامة دوليا . منها ان تتقدم الدول الاكثر تقدما للبلدان الافريقية بمعونات غير مشروطة بنسبة طيبة منها غير قابلة للسداد، ومنها ضرورة رقابة الدول الافريقيه على مايفوم فيها من مشروعات اجنبية ومنها تعديل شروط التجارة الدولية ومفهوم راس المال فاذا كان تضخم ثروات الدول الصناعية قد جاء اساسا على حساب الدول المستغلة ومنها افريقيا ، فمن حقها ان تشارك فى رؤوس اموال وارباح الشركات الاجنبية العاملة فيها ، وليكن نصيبها فى الربح نصف ماتحصل عليه من ربحها فى التعامل مع افريقيا .

الاستعمار الجديد

وكان امرا بديهيا ان تطرح الندوة قضية تناقم الاستغلال الاستعماري للقارة الافريقية ، مع تعاظم حركة التحرير ، وضرورة بحث وتعريف هذا المظهر الجديد من نشاط الاستعمار .

والواقع ان مصطلح « **الاستعمار الجديد** » قد ابتدع أصلا لوصف استمرار سيطرة الاستعمار على مناطق واسعة من القارة ، رغم نيل معظم البلدان الافريقية استقلالها السياسي — ولكن ربما طرح لاول مرة فى الندوة ضرورة الوصول الى تعريف علمى محدد لهذه الظاهرة .

لقد ابرزت الندوة ان حصول معظم البلدان الافريقية على استقلالها السياسي لم يؤد الى تقسيم القارة الى مجموعتين اساسيتين : مجموعة البلدان **المستقلة** ، ومجموعة البلدان التى مازالت تخضع لسيطرة الاستعمار ، بل الى ٣ **مجموعات اساسية :**

● **اقلية من البلاد ، تحررت حقيقة من سيطرة الاستعمار ، وهي الان تشق طريقها المستقل** ، وهي على وجه التحديد : الجمهورية العربية المتحدة ، والجزائر ، ومالى ، وغينيا ، وتانزانيا ، والكونغو برازافيل . وقد شخص سوبوليف هذه البلدان بأنها تنتهج طريق «التطور غير الراسمالى » باستثناء الجمهورية العربية المتحدة ، فهى الوحيدة بين هذه الدول ، وصفها بانها تنتهج طريق «التنمية الاشتراكية» .

● **أقلية أخرى مازالت تخضع لسيطرة الاستعمار** ، سواء كان ذلك فى صورة **المستعمرات التقليدية** ، او بلاد تخضع **لاقليات عنصرية بيضاء .**

● **اغلبية من البلدان لم تنل من الاستقلال غير الاسم ، ولكنها تخضع فى الحقيقة للاستعمار الجديد .**

وقد تناولت قضية الاستعمار الجديد فى افريقيا عدة ابحاث : بحث الدكتور فؤاد شبل عن الاتحاد الاشتراكي العربى — وبحث عبدالفتاح ابوالفضل عضو الامانة العامة بالاتحاد الاشتراكي وبحثا سعد زهران والدكتور وليم سليمان عن الطليعة ، وبحث على يعطه الامين العام للحزب الشيوعي المغربى، وبحث وفد الكاميرون ، ووفد الكونغو ليوبولدفيل .

وقد ابرزت الابحاث المختلفة ان الاستعمار الجديد ليس مجرد استعمار خفى لايظهر على خريطة افريقيا السياسية ، ولا هو مجرد احلال روابط التبعية الملتوية محل الاحتلال العسكرى السافر ، **بل يكمن جوهره فى ربط اقتصاديات البلدان النامية بالاقتصاد الاستعماري ، وضمان بقائها داخل اطار الرأسمالية العالمية، والحيلولة دون تلاحم الثورة الوطنية بالثورة الاشتراكية وتحولها الى طريق الاشتراكية .** قال سعد زهران ان « الهدف الاساسى للاستعمار الجديد هو الحيلولة ، بأى ثمن وبكل وسيلة ، دون انتقال الثورة فى البلاد الحديثة الاستقلال من مرحلتها الوطنية الى مرحلتها الاجتماعية الاشتراكية » ووسيلة الاستعمار الجديد الرئيسية هى خلق **طبقة عازلة** فى البلد المعين ، تقوم بدور الشريك الصغير للاستعماريين فى اقتسام ثمرات استغلال الشعب واستنزاف ثرواته القومية وكبت الحركة الثورية — وتختلف هذه الطبقة حسب الاحوال قد تشكل من الملوك والامراء ورؤساء القبائل ، أو طبقة «متفرنجة» من التجار وصغار رجال الاعمال وخريجى جامعات الغرب ، أو فئات من البيروقراطيين ومحترفى الحكم والادارة ، أو حتى بعض القيادات العمالية الصفراء . والسلاح

الايديولوجي الاساسي للاستعمار الجديد هو تحريك شبح التخويف من الشيوعية ، وسلاحه السياسي تفتيت وحدة القوى الثورية . وتناول الدكتور وليم سليمان بالتفصيل أساليب الاستعمار الجديد في المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي والعسكري ، واستخدامه للدين لمحاولة مناهضة التحول الثوري (الحلف الاسلامي ــ دور الارسليات ، في افريقيا الخ ــ) . وقد أكد ابراهيم صقر عن الاتحاد الاشتراكي العربي انه من المفيد الوصول الى تعريف يكفل ضم فئات اجتماعية أوسع في مواجهة الاستعمار الجديد ــ واكد علي يعطة أن الاستعمار الجديد ظاهرة لاينبغي التقليل من أهميتها ، وليس هو مجرد « رد فعل» لحركة التحرر ، بل يشكل هجوما مضادا من جانب قوى الاستعمار . كما أكد أن مظهره الرئيسي هو اللجوء الى الاساليب الاقتصادية في التغلغل والسيطرة ، بدلا من الطرق العسكرية المألوفة . وقد تضمن بحث سوميالو عن الكونغو مفهوما ينطوي على عدم أيجاد فرق جوهري بين الاستعمار الجديد والقديم . وليس هو سوى استمرار للاستعمار القديم في صورة جديدة . واشار تيبرنو آمات عن مجلة السلم والاشتراكية في المناقشة الى أن تحقيق الاشتراكية في معظم المجتمعات الافريقية المتخلفة ، مازال هدفا بعيد المنال ــ وليس مطروحا في جدول اعمال معظم الثورات الافريقية كهدف مباشر ، وينبغي وضع هذه الحقيقة موضع الاعتبار عند بحث الصراع الدائر بين قوى الثورة وقوى الاستعمار . وأكدت جيزيل رابيساهال عن مالاجاش أهمية التزام الواقعية في تحليل حركة المجتمع الافريقي . وربط عبد الفتاح ابو الفضل وفؤاد شبل ظاهرة الاستعمار الجديد باتساع الهوة بين البلدان النامية والبلدان المتطورة ، الامر الذي يخلق ظروفا أكثر مواتاة للاستغلال الاستعماري الحديث ، مستغلا ظروف التجارة الدولية ، وغيرها من الاساليب الاقتصادية لاستنزاف موارد وثروات القارة .

نظم التفرقة العنصرية والمستعمرات

البرتغالية أبرز صور الاستعمار القديم

وتتركز مواقع الاستعمار [illegible] في [illegible] القارة الافريقية ، وبخاصة في المستعمرات البرتغالية انجولا وموزمبيق وغينيا المسماة بالبرتغالية ، وسنده الرئيسي هو : **النظم العنصرية القائمة في جمهورية جنوب افريقيا وفي روديسيا** . وقد خصصت الندوة عددا من الابحاث للنضال ضد النظم العنصرية في افريقيا (ستيفن تكومو عن الاتحاد الافريقي لشعب زمبابوي ــ وج [illegible] ب ماركس عن المؤتمر الوطني الافريقي بجنوب افريقيا ــ ومولندا عن «سوابو» بجنوب غرب افريقيا ــ وكمال السيد عن الطليعة) .

وأجمعت جميع الابحاث على أنه ليس هناك من سبيل للتخلص من سيطرة الاستعمار القديم ومن نظم التفرقة العنصرية غير ممارسة النضال المسلح ضد المستعمرين ونظم الاقليات البيضاء . وان الأزمة الراهنة في روديسيا تشكل بلا شك أبرز مشكلة تواجه تحرير افريقيا في الوقت الراهن .

وفي افتتاح الندوة ، تحدث باولو جورج عن انجولا وفاسكو كابرال عن غينيا المسماة بالبرتغالية ومحمد خان عن موزمبيق ، وأبرزوا جميعا انجازات شعوبهم في النضال ضد المستعمر البرتغالي . أشار ممثل أنجولا الى تدعيم وحدة القوى الثورية في انجولا لاحباط كل محاولات الدس والتفرقة التي يغذيها العدو . قال فاسكو كابرال ان الثوار وهم يواصلون الحرب المسلحة في بعض المناطق قد بدأوا عمليات بناء الحياة الجديدة في المناطق المحررة ، باقامة المدارس والوحدات الصحية والمحلات العامة لتوفير السلع الضرورية للشعب (*)

● وقدم كمال السيد عرضا مستفيضا للسمات التي تميز نظم التفرقة العنصرية في افريقيا . أوضح كيف تنهض التفرقة العنصرية على ايديولوجية شاملة ، تسندها القوانين والتشريعات ، والنظام السياسي والاداري والتعليم والتدريب . وأنها تقوم على منع تكوين طبقات مالكة افريقية ، حتى اذا أستدعى الأمر الاستعانة بأسيويين لمنع نشوء برجوازية محلية ، وضمان ايد عاملة رخيصة والحيلولة دون منافسة الافريقيين . وقد نجحت الى حد ما في تضليل وافساد السـ[illegible] العاملة البيضاء مكتسبة بذلك طابع الصراع بين اثنتين ، أمة الاقلية البيضاء ضد أمة الاغلبية السوداء . وبذلك تتشابك القضية الوطنية مع القضية الاجتماعية تشابكا معقدا أكثر من أى مكان آخر . وتتسم هذه النظم بطابع « الاقتصاد المنقول » ، المفروض من الاستعمار والمتداخل المصالح معه بشكل لايمكن الفصل بينهما . وان التفرقة العنصرية تمتد حتى داخل الاقلية البيضاء نفسها ــ وابرز كمال السيد **التشابه الملفت للانظار بين نظم التفرقة العنصرية في افريقيا وبين اسرائيل** ، فهي تنهض جميعا على الانطلاق من فكرة عنصرية ، وتهجير اجناس غريبة وطرد أصحاب البلاد من اراضيهم واستخدام العنف والارهاب في الاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها ، ولذلك فليس من باب الصدفة أن اتحاد جنوب افريقيا كانت من أوائل الدول التي

اعترفت باسرائيل، وان الماس المستخرج من جنوب افريقيا يتم تصنيعه فى اسرائيل ، وهو يمثل ٢٥٪ من صادرات اسرائيل الصناعية ، وان روديسيا واسرائيل وجنوب افريقيا من المراكز الاساسية لتغذية جيوش المرتزقة فى الكونغو وانجولا — وقد ادان ستيفن نكومو مندوب زمبابوى فى كلمته اسرائيل كدولة عنصرية غير شرعية اقامها الاستعمار لمناهضة حركة التحرر العربية .

● وقد ابرز نكومو فى بحثه مدى تشابك وارتباط نظام ايان سميث فى روديسيا بالاحتكارات البريطانية والامريكية ، بحيث أن مزاعم ويلسون عن اصراره على سحق نظام ايان سميث بالعقوبات الاقتصادية لايمكن الا ان يعتبر تهريجا !.. فلم تفشل العقوبات كما يعتقد البعض ، ولكن الحقيقة ان هذه العقوبات لم تطبق ابدا ولا يمكن فرضها بل أن بريطانيا بأزمتها الراهنة فى ميزان مدفوعاتها لايمكن أن تقدم على خطوة تزيد من المصاعب أمام صناعاتها . واشار نكومو الى مراحل صراع شعب زمبابوى من أجل انهاء حكم الاقلية البيضاء فى روديسيا اكد ان هذا الصراع قائم على ضرورة مواجهة العنف بالعنف ، وبحرب تحريرية وطنية شاملة . واذا اجتاز هذا الصراع مرحلة اولى تميزت بحملة استراتيجية من اجل تعبئة جماهيرية ومرحلة ثانية شهدت مصادرة الحريات المدنية ووضع حوالى مائة الف من القادة السياسيين وممثلى العمال والفلاحين وغيرهم من الوطنيين فى السجون ومعسكرات الاعتقال ، وانتهت باعلان أيان سميث استقلال روديسيا فى ١١ نوفمبر ١٩٦٥ فقد اعقب ذلك مرحلة ثالثة : تعتبر تحضيرا لهجوم استراتيجى مضاد ، والاطوار الاولى لحرب تحرير وطنية شاملة .

● وتحدث **ماركس** عن الكفاح ضد التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا . قال أن البلدان الافريقية المستقلة حققت استقلالها الرسمى بدون النضال المسلح ماعدا كينيا والجزائر ولكن هناك جزءا من افريقيا ربما شكل أشد المشاكل صعوبة وهذا الجزء هو القسم الجنوبى من القارة الذى يحكمه البيض ، وهو اشد مناطق افريقيا حقدا ومعاداة للثورة ضد شعوب افريقيا ، كما انها منطقة اقتصادية وثيقة الاتصال ببعضها وتتركز فيها مصالح الاحتكارات البريطانية والامريكية والفرنسية والالمانية الغربية واليابانية حيث تقدر الاستثمارات بأكثر من الفين مليون جنيه استرلينى ، وهى تزيد على الاستثمارات فى بقية القارة كلها ونصيب اتحاد جنوب افريقيا وحده ١٥٠٠ مليون جنيه وفى روديسيا تصل استثمارات راس المال الاجنبى الى ٣٧٥ مليون جنيه منها ٢٠٠ مليون لبريطانيا و١٧٥ لجنوب أفريقيا . ولبريطانيا شريكة الاستعمار البرتغالى مصالح متنوعة فى انجولا وموزمبيق — وبذلك فلا يمكن تحقيق استقلال حقيقى لجنوب القارة (مالاوى — ليسوتو — بوتسوانا ، سوازيلاند — زمبابوى موزمبيق — انجولا — زامبيا — جنوب غرب افريقيا — جنوب افريقيا) بدون التخلص من نظم التفرقة العنصرية وكافة آثار الاستعمار القديم والجديد . وأن الحاجة ماسة الى قدر اعظم من الالتزام ، والتنسيق والتخطيط بالتشاور مع زعماء الحركة الوطنية فى كل هذه البلاد — وان معارك الكفاح المنعزلة التى خاضتها شعوبها قد منيت بالهزيمة طالما لم تلتزم بهذا التنسيق والتخطيط وأكد ماركس أن شعب جنوب افريقيا سوف يواصل الكفاح حتى يحقق حريته — وليس هناك من سبيل لتحقيق هذه الحرية الا بالنضال المسلح ولكنه قال فى الوقت ذاته ان حزبه ليس على استعداد لمناشدة شعبه ان يكافح بالعصى والحجارة كما فعل عشرات السنوات، مما كلفه آلاف الضحايا ضد عدو مسلح تسليحا خطيرا ، وقال انه ليس بالكثير أن يتوقع من اصدقائه فى افريقيا وفى كل أنحاء العالم ان يضمنوا على الاقل لشعوب افريقيا الجنوبية ان تحصل الالاف منها على التدريب العسكرى وتتسلح بسلاح كامل ، ومناهضة النشاط المعادى للثورة ، بالثورة المسلحة .

مواطن تباين فى أوجه النظر

ومن الملفت للانظار فى مداولات الندوة ان الحوار لم يحتدم بين المنتسبين الى مختلف المدارس الفكرية ، ونقصد بوجه خاص بين الماركسيين وغير الماركسيين ، ولكنه بلغ أقصى حيويته فى بعض المناقشات التى كشفت عن تباين زاوية الرؤية بين بعض ممثلى التنظيمات الحاكمة فى البلدان الافريقية المتحررة ، وبعض وفود الاحزاب المعارضة فى بلدان افريقية تخضع للاستعمار الجديد .

ولم يكن ذلك بغريب ، اذ ليس هناك خلاف حول وجوب الوقوف بكل قوة بجانب حركات المقاومة المسلحة فى البلدان الافريقية التى مازالت تخضع مباشرة للسيطرة الاستعمارية ، فى انجولا والموزمبيق وغينيا المسماة بالبرتغالية مثلا ، أو وجوب معارضة النظم العنصرية فى روديسيا وجنوب افريقيا . ولكن هناك مجال عريض لتباين أوجه

النظر فيما يتعلق بالمهام والمسئوليات الملقاة على عاتق بلدان افريقيا المتحررة : فالى اى حد تركز جهودها .. على تطوير انجازاتها ، وتدعيم وحدتها ، كوسيلة للتعجيل بالعملية الثورية على اتساع القارة ككل ، أم عليها أن تخصص قدرا أعظم من جهدها فى المساندة المادية والمعنوية لقوى المعارضة التى تناهض الاستعمار الجديد فى بلدان افريقية اخرى ؟ ثم ماهو الموقف من قادة هذه البلدان الاخرى ، وهل ينظر اليهم على أنهم يمثلون **فعلا وموضوعيا** مصالح الاستعمار الجديد . أم تطلق التناقضات الاستعمارية وظروف تلك البلدان ظواهر تكسب بعض هؤلاء القادة نوعا من الاستقلالية فى التحرك ينبغى الاستفادة منه ؟ كان هذا النقاش فى واقع الامر ترجمة عملية للتكتيك الواجب استخلاصه من المناقشات النظرية والعامة حول طبقة الاستعمار الجديد ودلالته واساليبه وسبل مواجهته .. لقد نشب نقاش فى هذا الشأن بين سومياليو ، رئيس وفد الكونغو ليوبولدفيل ، وبين التيجانى ، احد اعضاء وفد مجلة «السلم والاشتراكية» حول تقييم موقف موبوتو ــ وقف سومياليو يؤكد أن موبوتو عميل أستعمارى ليس الا ..ولكن ابرز التيجانى أن موبوتو، وهو المعروف بدوره فى خدمة الاستعمار وفى اغتيال لومومبا ، وقد استولى على الحكم بانقلاب ضد شعب الكونغو ، الا أنه فى خدمة قوى استعمارية ضد قوى استعمارية أخرى . «تورط» فى تأميمات خدمت الشعب موضوعيا . وهذه اجراءات لا يمكن ادانتها أيا كان مبعثها .. وقد التزم سومياليو خطا يعبر عن هذا التباين فى الرأى طوال الندوة ، ولكنه ابدى فى الجلسة الاخيرة مايدل على استفادته من المناقشات التى جرت ، وتفهمه لخط غالبية الوفود ..

وعلى نقيض موقف سومياليو فى هذه القضية وقف وفد السنغال ، وهو وفد يمثل المعارضة ضد سنغور ، ومع ذلك أكد ضرورة بذل كل جهد ممكن من أجل الوحدة الوطنية فى السنغال، وتصفية الخلافات الداخلية ، باعتبار ذلك السبيل الوحيد الفعال لتدعيم وتوسيع جبهة المعارضة لهجوم الاستعمار الجديد . وهو موقف ينهض على تقدير لموقف القادة فى معظم البلدان الخاضعة للاستعمار الجديد ، وأن موقفهم لايتطابق مع موقف الاستعمار وأن التكتيك السياسى لقوى المعارضة قابل فى ظروف محددة لان يدخل تعديلات هامة على موقفهم ، وتتفاوت الامكانيات فى هذا الشأن باختلاف الظروف وطبيعة حركة المعارضة ، من بلد الى آخر .. طبعا مثل هذا الخط لايمكن تعميمه على اطلاقه ، وهو غير قابل للتطبيق فى بعض الظروف . (مثلا : الكاميرون) .

التركيب الطبقى للمجتمع الافريقى

ربما كانت الابحاث والمناقشات التى دارت فى الندوة حول المشاكل التى تتعلق بالتركيب الطبقى وما ينطوى عليه من صفات مميزة خاصة فى المجتمع الافريقى هى من اغنى ماقدم للندوة ، وتكشف عن جهود خلاقة ، انطلقت من تجارب وخبرات منبثقة من واقع النضال خلال السنوات الاخيرة وتستهدف اكتشاف حلول للمشاكل مستمدة لامن الشعارات العامة ، ولكن من ظروف افريقيا الحية وحقائق «مابعد الاستقلال»

ويندرج تحت هذا العنوان العام بحث **ثروت الياس** عن الطليعة حول «التركيب الطبقى للمجتمع الافريقى ودور القوى التقدمية» وبحث **ادريسا ديرا** عن مشكلة « حزب الطليعة والحزب الجماهيرى فى البلدان المتحررة من الاستعمار والتى تتجه الى بناء الاشتراكية تحت قيادة حزب واحد» ، وبحث **كوتى عبدالله** حول «مشاكل الطليعة الثورية فى الكاميرون ووحدة القوى الوطنية» وبحث **مجلة السلم والاشتراكية** ، حول «دور المثقفين فى أفريقيا الاستوائية» ، وبحث **وفد السنغال** عن «حالة الطبقة العاملة وظروف تطورها فى السنغال» .

● وينتقد **ثروت الياس** فى بحثه بعض الافكار المنتشرة فى افريقيا والقائلة بأن المجتمع الافريقى خال من الطبقة، وان فكرة انقسام المجتمع الافريقى الى طبقات فكرة غريبة ودخيلة وحتى فى حالة اقرار بعض القادة بوجود درجة من التمايز الاجتماعى فيعزون ذلك الى دور الاستعمار . وسرعان ما ستختفى بمجرد الحصول على الاستقلال ــ وفى هذه الافكار تكمن جذور الادعاءات القائلة بأن «الاشتراكية الافريقية ، لها اصولها «الطبيعية» وهى لاتمت بصلة الى بقية الوان الاشتراكية فى العالم .

ولكن السنوات الاخيرة قد اثبتت أن عملية التمايز الطبقى لم تتوقف بانهيار الحكم الاستعمارى بل قد سارت بخطى واسعة لم تشهدها من قبل وأن هذه الظاهرة قد حكمت تطور البلدان الافريقية رغم تفاوت مستويات نموها وتبنيها طرقا مختلفة للتنمية .

ندوة
أفريقيا - ثورة التحرر الوطنى والاشتراكية

واذا سلم أن هذا التمايز الطبقى حتمى فى ظل التطور الرأسمالى ، فهل ينسحب ذلك أيضا على التطور غير الرأسمالى ؟ وهل يمكن للتنميه غير الرأسمالية ألا تؤدى الى تزايد ونمو الفئات الاجتماعية المالكة على حساب الفئات والطبقات التى لاتملك؟ ان هذه القضية تشكل قضية أساسية فى جدول أعمال الثوريين الافريقيين فى قيادتهم اليوم لحركة التحرير ودخولها مرحلة التحـول الاجتماعى .

يبرز ثروت الياس ان بداية التمايز الطبقى فى المجتمع الافريقى قد ظهرت قبل عهد الاستعمار ونشأت ممالك اقطاعية فى غرب ووسط افريقيا وان لم تتخذ شكل الاقطاع فى اوربا . كما ظهرت الارستقراطية القبلية معبرة عن مرحلة انتقال من المجتمع البدائى الى المجتمع الطبقى . وبذلك كان النظام المشاعى فى طريقه الى الزوال . وعمـل الاستعمار على الاسراع بهذه العملية ، ولو فى حدود معينة . ولذلك يمكن القول انه يوجد داخل مجتمعات افريقيا الاستوائية المعاصرة أسـاس كامن لسرعة انتشار الملكية الفر ية للارض ، وهو يمثل قوة دافعة للرأسمالية ، مما يسرع من بروز التمايز الاجتماعى فى الريف ، كما أخـذت الطبقة العاملة الافريقية [illegible] مع تنمية الصـناعات الاستخراجية وغيرها . وان كانت البرجوازيه الوطنية فى أفريقيا الاستـوائية لم تتطور لاعاقة الاستعمار نمو الصناعة الافريقية الخاصة. ونمت فقط برجـوازية بيروقراطية من كبار الموظفـين السابقين وبعض المثقفين ، وكذلك بعض فئـات التجار .

ويخلص ثروت الياس من هذه الظواهر أن انتهاج طريق التطور غير الرأسمالى لا يتأتى بانكار ظاهرة التمايز الطبقى الذى زاد تأكدا خـلال السنوات الاخيرة، ولكن بالانطلاق من هذه الحقيقة لمناهضته بتخطيط واع فان [illegible] غير الرأسمالى **لن يوقف من سير عمليات التمايز الاجتماعى غير أن تأكيد سيادة القوى الواعية على عوامل التطور التلقائى سوف تغير على الدوام من علاقات القوى الطبقية الجديدة التى يقذف بهـا نحـو التقسيم الاجتماعى للعمل لصالح الطبقات الشعبية ذات المصلحة فى تأسيس المجتمع الاشتراكى .**

● **وتناول ادريسا ديرا — رئيس وفد مالى — فى بحث نظرى قيم قضية حزب الطليعة والحزب الجماهيرى فى مرحلة البناء التى تتلو الاستقلال .** وحزب الطليعة هو الحزب الذى يمثل طبقة واحدة محددة فتقود عملية التحول الثورى . أما الحزب الجماهيرى فهو الذى لا ينهض على أساس تمثيل طبقة واحدة ، وانما يمثل مجموع القوى الثورية فى مرحلة محددة .

وتعرض ادريسا ديرا قبل تناول قضية الحزب لمشكلة الطريق الذى تنتهجه بلدان افريقيا المستقلة بعد تحقيق الاستقلال — أبدى ادريسا ديرا شكه فى أن هناك خلاف جوهرى بين «الطريق غير الرأسمالى» وطريق «البنا الاشتراكى» . وأنه ليس فى نهـاية الامر غير طريقين . طريق الرأسمالية وطريق الاشتراكية ، ولا سبيل لابتداع مصطلح آخر من شأنه أن يثير الاضطراب وأن يموه اتجاه التحول .

قال أن جميع التجارب السابقة فى بناء الاشتراكية نهضت على أساس الاعتماد على حزب طليعة حزب الطبقة العامله، فى الاتحاد السو [illegible] وتجارب أوربا الشرقية ، **ولكن هل يعد م ذلك حقيقة أن بناء الاشتراكيه لايمكن أن ينهض الا على حـزب طليعة ؟** وهل معنى ذلك أنه من الواجب تحويل الحزب الجماهيرى الذى قاد المراحل الاولى من الثورة ، ذات الطابع الوطنى الديموقراطى الى حزب طليعة لمواجهة مهام تحول الثورة الوطنية الى ثورة أشتراكية ، فى مراحلها الاكثر تقدما ؟ ألا يعنى ذلك افتعال عمليات بترء ليس هناك مايبررها ومن شأنها زيادة الاضطراب فى صفوف الثوريين وانتهاج خط انعزالى يغذى صفوف الثورة المضادة؟ صحيح أن البلدان التى حققت استقـلالا شكليا ومازالت السلطة فى ايدى قوى تتبع الاستعمار الجديد ، انما تواجه من تعاظم التطور فى طريق الرأسمالية ، تمايزا طبقيا متعاظم الشأن ويصبح من الطبيعى فى مثل هذه الظروف ان عملية التخلص من سلطة الاستعمار الجديد لايمكن أن يتحقق الا على أساس حزب طبقى ، حزب طليعة ، ولكن الامر يختلف فى البلدان التى انجزت تغييرا فى طبيعة السلطة فى لحظة تحقيق الاستقلال .. **فى مثل هذه الظروف يجب مواصلة عمليات التحول نحو الاشتراكية بالحزب الجماهيرى الذى قاد معارك الاسـتقلال ، وعدم أدخال تعـديلات فى طبيعته كحزب جماهيرى ، ولكن فقط فى نوع القوى الطبقية المنضوية تحت رايته بالشكل الذى يكفل تطهيره من العناصر المعادية لمواصلة العملية الثورية ، والتى لاتشترك الجهد العام فى اتجاه التحـول الاشتراكى .**

● وكان بحث **كونى عبدالله** من الـكاميرون سردا لتطور الحركة الثورية فى الكاميرون، والمشاكل المتميزة التى واجهتها ، وقد نهضت حركة التحرر فى الكاميرون على **حزب جماهيرى هو الآخر** ، ومازال هناك امكانية مواصلة النضال على أرضية

حزب من هـذا النمط ، نظرا لان السلطة الممثلة للاستعمار الجديد فى الكاميرون لطة تتسم بسامع أقـرب الى الفاشستية ، والى اجـراءات قمع ضد كافةالقوى المعارضة، ممايقوى روابط النضال على جبهة عريضة .

● ولعل من أبرز الابحاث التى قدمت للندوة بحث مندوب السنغال عن ((الطبقة العاملة **فى السنغال**)) . وهذا البحث منقسم الى جزئين الجزء الاول احصائى ، يدرس السمات الواقعية المميزة للطبقة العامله السنغاليه . والجزء الثانى تحليلى . والجزء التحليلى يخرج بنتائج هامة ، **وباكتشافات نظرية تحاول حصر بمزيد من الدقة وضع الطبقة العاملة فى البلدان الافريقية التى بدأت فيها عمليات التمايز الطبقى ، ولكن لم تتبلور فيها الطبقات بصفاتها المعروفة فى الغـرب بعـد .** ويستخدم البحث لتناول هذه القضية مصطلحات مبتكرة ، ويوضح الاسس النظرية التى دعت حزب المعارضة فى السنغال الى تغيير الخط القائم على مناهضة نظام سنغور والبحث عن سـبل اقامةجبهة واسعةتضم كافة القوى الكفيلة باخراج السنغال من مخطط التبعيةالتى يفرضهاالاستعمار الفرنسى الجديد .

● والبحث الذى قـدمته مجـلة **((السـلم والاشتراكية))** عن حـركة المثقفـين فى افريقيـا الاستوائية يتناول مخطط الاستعمار فى قصر حركة الثقافة على فئة محدودة من أبناء الارستقراطية القبلية وغيرها من العناصر المتجاوبة مع مخططات الاستعمار — ولكن هذا لاينفى أن حركة المثقفين فى الظروف الثورية العالمية الراهنةلايمكن أن يقتصر نشاطها على التحرك فى الحدود التى تفرضها هذه الدائرة الضيقة ، وأن عددا متعاظما من المثقفين الافريقيين يتجاوبون حتما مع حركة الثورة ، بل ولحركة المثقفين دور هام فى تنمية وتطوير أبعاد الحركة الثورية فى افريقيا .

قضـية الديمقراطية

وناقشت الندوة ، قضية **((الديموقراطية كشرط أساسى للتطرر التقدمى ى البلدان الافـريقيه))** قدم ٣ أبحاث فى هذا الموضوع ، بحث من الدكتور **جمال العطيفى** عن الطليعة ، وبحث عن تجربة السودان قدمه وفد القوى التقدميه فى السودان وبحث عن تجربة الصومال قدمه **عثمان يوسـف سمنتر** . نـاقش الدكتـور العطيفى الخـطوط العريضةللقضية — ابرز ارتباطقضية الديموقراطيه فى أفريقيا يخلق اكثر الظروف مواتاة لانطلاق التحرر الوطنى والاجتماعى . ولا يمكن فصـل هذه القضية عن مشاكل تطوير المجتمع الافريقى وتعبئة الجماهير من أجل انجاز عمليات التنمية — فند الحجج القـائلة باستحـالة تخطى مرحلة الرأسمالية فى أفريقيا ، وبضرورة التزام أشـكال الديموقراطية الغربية . قال ان الاشتراكية هى اقصر الطرق لتحقيق الاستقلال الاقتصادى ، وان جـوهر الديمقراطية هو تحقيق سـلطة قـوى الشعب العامل، وان أشكال الديموقراطية الاشتراكية تتنوع حسب مقدار تطور المجتمع فى ارجاء افريقيا المختلفة، ومقدار بلورته طبقيا وحسب طبيعة السلطة طبعا فى ضوء هذا المفهوم النظام الحزبى فى أفريقيا . قال الدكتور العطيفى أن وجود الحزب الواحد أو تعدد الاحزاب ليس بذاته معيارا للحكم على ديموقراطية النظام السياسى، فقد تسيطر على الحزب الواحد قوى مناهضة للثورة الاشتراكية (تونس) وقد يكون تعدد الاحزاب امرا ضروريا لنمو الصراع الطبقى والسير نحو الاشتراكية (السنغال) ، ولكن من الخطأ فى تقييم تجربة الديموقراطية فى افريقيا ، نلتزم المفهوم التقليدى الغربى لتعدد الاحـزاب وأن تعدد الاحزاب يصبح مجردا من اى مضمون ديموقراطى اذا كانت هذه الاحزاب المتعددة تمثل مصالح الطبقات المستغلة — ويمكن للحزب الواحد أن يكون أصلح تعبير عن تحالف القوى ... (ج ع م) — وتناول الدكتور العطيفى فى بحـثه أهمية تجنب خطأ بعض الاحزاب الافريقية فى فتح باب الانضمام الى الحزب على مصراعيه ، وأهمية التمييز بين عبـادة الفرد ودور البطل واهميـة الديموقراطية فى مراكز الانتاج (تجـربة التسيير الذاتى فى الجزائر) ، وقضية الشرعية الاشتراكية وضرورة احترام سيادة القانون .

وكان بحث **الوفد السودانى** عن تجربة السودان فى قضية الديموقراطية نموذجا ساطعا عن فساد الالتزام بنواميس الديموقراطية الغربية وتحويلها الى مطلقات فى المجتمعات الافريقية — قال أن الاحزاب البرجوازية فى السودان باطلاقها شعار أن هذه «فترة تحرير لا تعمير» فشلت تماما فى ادراك المحتوى الاجتماعى للثورة الوطنية — وفى أواخر ١٩٥٨ ، بلغت أزمة الحكم والديموقراطيه فى السودان ذروتها مما أفضى الى الانقلاب العسكرى فى ١٧ نوفمبر الذى صادر كل مظهر من مظاهر الديموقراطيه واكد ذلك عدم أصالة الديموقراطية البرجـوازية المستمدة من نواميس الغرب ، وأن قوى الاستعمار والرجعية لاتسمح بها الا فى الحدود التى تسمح

ندوة
افريقيا - ثورة التحرر الوطني والاشتراكية

لها بمصالحها وسيطرتها . وفي اللحظة التى تشعر فيها أن الجماهير تستطيع أن تحقق لنفسها في ظل هذه الديموقراطية مكتسبات اساسية وجوهرية، فهي تسارع بالتنكر للديموقراطية ومصادرتها . و... كان الانقلاب أقوى امتحان لقوى الديموقراطية الحقة وانطلقت قوى الشعب بعد ثورة ٢١ أكتوبر مستفيدة من هذه التجربة ، ووضعت الديموقراطية موضعها الصحيح لاول مرة في تاريخ السودان ولكن مرة أخرى تحركت قوى الرجعية عندما شعرت أن انطلاق الشعب ينبىء بتحولات اجتماعية بعيدة المدى ، وبلغ الصراع الاجتماعى داخل السودان بين قوى التقدم والرجعية حدا لم يشهده السودان مثيلا — لجأت الرجعية الى معاداة الشيوعية ، وتزييف الانتخابات ، وأساليب العنف، وأقدمت على انقلاب دستورى مستندة الى مقاييس الديموقراطية الشكلية. واختتم مندوب السودان بحثه بقوله ان الديموقراطية في المرحلة الراهنة من مراحل تطور حركة النضال الافريقى أصبحت مرتبطة ارتباطا مصيريا لا فكاك منه بحركة التحول الاجتماعي وبدون هذا الارتباط فانها تصبح الفاظا خالية من الجوهر محبوسة في شكليات ومظاهر الديموقراطية البرجوازية .

وفى ضوء هذه الابحاث ، اكدت الندوة اهمية اكتشاف المؤسسات الديموقراطية على تنوعها التى تلائم المجتمع الافريقى ، والتى قد تختلف كثيرا عن الانماط التقليدية المعروفة في الغرب وقد أثارت هذه القضية حوارا مثمرا مع مايكل هارمل مندوب اتحاد جنوب افريقيا .

لقد ابرز أن النضال من أجل ارساء بعض قواعد الديموقراطية البرجوازية يحتفظ فى بعض الظروف بمضمون ثورى حقيقى ، وضرب كمثل لذلك نضال شعب جنوب افريقيا من أجل وضع شعار «الصوت الواحد للرجل الواحد» موضع التطبيق وهو شعار ينطوى على التزام الحقوق المتساوية للبيض والسود واقرار هذا الشعار قضية حيوية لمواطنى جنوب افريقيا وضربة فى الصميم للتمييز العنصرى .

" الجزء الثانى "

وحدة القوى الثورية الافريقية

وكان من البديهي ان يكرس عدد من الابحاث لهذه القضية تناولها **أبو سيف يوسف** من الزاوية التاريخية عن الطليعة (الحاجة الى وحدة القوى الثورية الافريقية) **وخالد محى الدين** من وجهة نظر المهام النضالية (حول ضرورة وحدة القوى الثورية الافريقية) **وجمال الدين خيارى** عن وفد الجزائر (نضال الشعوب الافريقية من أجل الحرية ووحدة افريقيا) **وريشارد اندريا منجانو** عن وفد ملاجاس (ضرورة وحدة القوى الثورية في افريقيا) .

● ابرز **أبو سيف يوسف** أن الانجازات في قضية الوحدة الافريقية شديدة الارتباط بميزان القوى على نطاق العالم ، والقارة الافريقية ، وداخل البلاد الافريقية . وأن قضية **الوحدة الافريقية** قد مرت في الواقع بمرحلتين :

● **مرحلة أولى** بدأت في منتصف القرن التاسع عشر وانتهت بنهاية الحرب العالمية الثانية ، ونشأت الحركة في الاصل بين الزنوج في الولايات المتحدة وتمخضت عنها حركة « الجامعة الافريقية » ، وتطورت الى شعار « افريقيا للافريقيين » في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، وانطلقت في واقع الامر كفكرة تنهض هي الاخرى كرد فعل ، على العنصرية ، وعلى التمييز بين البيض والسود ، مما اضفى عليها طابعا رجعيا في بعض الاحوال ولم تمتزج امتزاجا عضويا . بواقع نضال الشعوب الافريقية ، لان ميزان القوى الدولى لم يكن سانحا وقتذاك لانطلاق حركة تحرر افريقيا وكان الاستعمار لايزال يتحكم أساسا في مقدرات الشعوب .

● **مرحلة ثانية** ، تغير فيها ميزان القوى لصالح قوى التقدم والاشتراكية . وظهرت قوى جديدة من قلب أفريقيا تدعو للفكرة مثل نكروما وجومو كينياتا (مؤتمر مانشستر سنة ٤٥) وخلصت مع انطلاق حركة تحرر افريقيا — مفهوم «الوحدة الافريقية» من محتواه العرقى واللونى واكسبته مضمونا جديدا هو وحدة المصير والكفاح بين شعوب افريقيا للتحرر من الاستعمار ... وبدأت سلسلة المؤتمرات التى طرحت القضية (أكرا في ١٩٥٨ — تونس في ١٩٦٠ — أديس أبابا في ١٩٦٠، الدار البيضاء في ١٩٦١) وتوجت هذه الاعمال بتأسيس منظمة الوحدة الافريقية في اديس ابابا في ١٩٦٣ . وحدد ميثاق المنظمة أهدافا عامة تدعم اخوة الشعوب الافريقية وتؤكد وحدتها ، والمجالات العملية للتعاون بين البلدان الافريقية .

وتناول أبو سيف يوسف تقييما عاما لاعمال

المنظمة ، انجازاتها والصعوبات التى عترضت عملها ، واثبت أنها تخطت بالفعل عددا من العقبات (حل مشاكل حدود ، صندوق لمساعدة حركات التحرير تنسيق المساعدات العملية لهذه الحركات قرار مقاطعة بريطانيا فى حالة تسليم السلطة فى روديسيا للاقلية البيضاء ، ادانة التدخل الامريكى البلجيكى فى الكونغو ــ اندماج مجموعة دول الدار البيضاء ومجموعة دول موتروفيا)الا ان القرارات التى امكن اتخاذها وتنفيذها لاتتناسب مع الاهداف والبرامج الطموحة التى نص عليها ميثاق المنظمة وواجهتها بالفعل صعوبات متعددة (نشاط الاستعمار الهدام ــ مواقف الدول الافريقية المرتبطة بالغرب . تباين مستويات تطور البلاد الافريقية ...) ، ولكن هذه الصعاب لاتقلل من ضرورة الوحدة ولا تعنى أنها غير ممكنة بل أن الحياة نفسها (مشاكل التصنيع والتوسيق وغيرها) تبرهن على أن البلاد الافريقية مطالبة فى هذه المرحلة بأن تطرح القضايا العملية الخاصة بتحقيق التعاون والوحدة بينها .

● **وركز خالد محيى الدين** عرضه على الجوانب **النضالية** فى وحدة القوى الثورية الافريقية والمشاكل الموضوعية والذاتية التى تعترض هذه الوحدة حاليا وكيفية التغلب عليها .. أورد عدة صعوبات فى هذا الشأن (تفاوت مقدار التطور الاجتماعى ــ بداية التكوينات الطبقية فى افريقيا وتأثير النظم القبلية . اختلاف الاساس الذى ينهض عليه العمل الحزبى . تأثير الدين ــ دور الحركة التعاونية سلبا وايجابا) .. تعرض لقضية الحزب الواحد ومدى صلاحيته كأساس لتجميع كل القوى الثورية فى التجارب المختلفة ــ **ابرز بوجه خاص التناقض بين القوى التقدمية غير الماركسية التى تسعى الى تحقيق نمط خاص من الاشتراكية الافريقية ، وبين القوى الاشتراكية الماركسية التى قد تتفق مع الاولى فى ضرورة خلق طريق افريقى خاص لكنها تختلف معها قليلا أو كثيرا حول الاساليب والوسائل** وقال أن هذا التناقض من الممكن حله ثوريا وأبرز دور الدعايات الاستعمارية فى التخويف من التعاون مع الشيوعيين .. وحساسية بعض قادة افريقيا مما يسمونه « الافكار المستوردة » وقال ان هزيمة شعار العداء للشيوعية ضرورة لابد منها لتصفية هذا التناقض الضار اشد الضرر بوحدة الحركة الثورية **والماركسيون الافريقيون مطالبون باعادة النظر فى تقييمهم لبعض الاحداث والتجارب والحكومات وان يبذلوا جهدا اكثر من أجل تصفية الخلافات الفكرية والعملية بينهم وبين الاشتراكيين غير الماركسيين كما أنه يقع على عاتق الاشتراكيين غير الماركسيين واجب التلخص الشجاع من كافة الاثار التى غرستها سياسة العداء للشيوعية ، فان الاساس الحقيقى لوحدة الثوريين الافريقيين هو وحدة الاشتراكيين الافريقيين**

تحدث كذلك عن الخلاف حول قضية **الدين** وقال انه يمثل فى بعض مناطق افريقيا تراثا ثوريا وحافزا للنضال وقال أن على الماركسيين الافريقيين أن يدرسوا هذه المسألة وأن يتخذوا منها موقفا صريحا وان يستفيدوا بوجه خاص من موقف الماركسيين السودانيين فى هذا الشأن ودعوتهم لتكوين حزب جماهيرى موحد بينهم وبين القوى الاشتراكية غير الماركسية .

تحدث أيضا عن التأثير الضار للخلاف داخل الحركة الشيوعية العالمية وعليها أن تكف عن أن يكون لها اصداء فى افريقيا . واقترح وضع **ميثاق للعمل الثورى الافريقى** يكفل تجميع كل القوى الثورية الوطنية الافريقية تحت لوائه .

تدعيم النظم التقدمية فى أفريقيا

وسلم جميع المتحدثين فى الندوة بأن أساس وحدة القوى الثورية فى افريقيا هو تدعيم الترابط بين النظم التقدمية القائمة فى البلدان المتحررة الافريقية ، وتثبيت دعائم هذه النظم وافرد ميشيل كامل عن الطليعة بحثا مستفيضا لهذه القضية ، مؤكدا بوجه خاص أوجه القصور التى ينبغى التغلب عليها لانطلاق هذه النظم وبلوغها هذا الحد من الاستقرار والثبات الذى يكفل لها القيام بدورها الثورى الطليعى بنجاح تام ، ويفسد كافة محاولات الاستعمار الجديد والثورة المضادة للنيل منها .

وأوضح أن النظم التقدمية تواجه مشاكل متعددة ومتشعبة ، الا أن هناك مهمتين رئيسيتين يتوقف على انجازهما نجاح القيادة الثورية فى حماية النظام وتدعيمه وتحصينه ضد القوى المعادية :

١ ــ تتويج استقلالها السياسى **بالتحرر الاقتصادى من السيطرة الاستعمارية** ، ثم تنمية مواردها الاقتصادية **لمصلحة قوى الشعب العاملة** .

٢ ــ **الديموقراطية** الشعبية السليمة بجناحيها الاجتماعى والسياسى .

ويندرج تحت المهمة الاولى كيفية محابهة مشكلات **التخلف** وليس هناك غير انتهاج طريق

الاشتراكية ، ودور **القطاع العام** ، والتصنيع ، والتصنيع الثقيل ، الذى يشكل القاعدة المادية لحماية النظام التقدمى ، ثم تعرض لشروط الاقدام فعلا على تخطيط الاقتصاد القومى ،وكيفية مواجهة الضغوط الاستعمارية والتاثيرات الهدامةلسيطرة الاستعمار على السوق العالمى . ثم تعرض لقضية توزيع المكاسب الوطنية واعباء التقشف وشروط الاقدام عليه لانجاز عمليات التنمية ، واهمية تدعيم الثقة فى النظام الثورى بالعمل السياسى والدعائى ــ وأهمية التمييز بين الحوافز والميزات الطبقية .

وفى قضية الديموقراطية والصراع الطبقى ، ابرز اهمية تحديد قوى الثورة الرئيسية والثانوية فى كل مرحلة ، والقوى المعادية للثورة ، ثم ابرز الخصائص المميزة للراسمالية الجديدة فى ظروف عالم اليوم وعدم قدرتهاعلى تصنيع البلاد أوتنمية مواردها أو الاسهام الفعال فى معركة الانتاج ــ ثم تعرض لدور المثقفين ، ومحاولة الاستعمار تجنيدهم بالبعثات واساليب التربية والدعاية ولكن هذالايعنى ادانة المثقفين الافريقيين،فالظروف الموضوعية لعالمنا وواقع البلاد الافريقية يهىء كل الفرص لكسبهم بشرط التنبه لعمل الاستعمار التخريبى فى هذا المجال . وانتقل ميشيل كامل بعد ذلك الى موقف **الفلاحين والعمال** . قال ان الفلاحين هم القوة الرئيسية للثورة الوطنية والعمال هم القوة الرئيسية فى عملية التحول الاشتراكى ، وربما كان تداخل المهام الوطنية مع المهام الاشتراكية هو المسئول عن اللبس فى تحديد دورهاتين الطبقتين ويفترض ذلك جهدا اكبر فى التعرف الى قوى الثورة واشكال التحالف ونوع الارتباط بالقوى المختلفة .

وتعرض **ميشيل كامل** بعد ذلك بتفصيل كبير لقضية **الديموقراطية** والقيادة الحزبية للاجهزة التنفيذيةوالقوات المسلحة، والمؤسسات السياسية ومشاكل التعبئة الجماهيرية ، والاهمية الحيوية لنواة ثورية للتضامن الافريقى لمواجهة كافة الأعمال التخريبية الانقلابية .

دور القوات المسلحة فى أفريقيا

وقد كشفت تجارب الثورة الافريقية ان للجيوش دور هام ومتميز يحتاج الى دراسة وتحليل فقد جرت الابحاث النظرية التى تنهض على ارضية الفكر الماركسى ،والمستمدة من تجارب دور الجيش فى البلدان الاستعمارية ،ان الجيش جزء من اداة الدولة. وان الدولة سلاح فى يد الطبقة المستغلة ،لكبت وقمع الطبقات المستغلة. وبالتالى تدخل الجيش فى السياسة وقيامه بانقلابات عسكرية يتسم دائما بطابع رجعى ، للمحافظة على اسس النظام القائم فى مواجهة قوى الثورةعندما تفشل جميع الطرق ((الديمقراطية)) و ((المدنية)) الاخرى . وقد اثبتت بعض التجارب الافريقية، وبوجه خاص دور الجيش المصرى فى ثورة ٢٣ يوليو، ان هذه النظرةلا يمكن الاخذ بها على اطلاقها ،وهىلا تطابقظروف الثورة فى بعض البلدان التى عانت بدرجة او بأخرى من كبت الاستعمار .

ومن الامور التى ابرزت اهمية علاج هذه القضية بصفة ملحة ولاسباب عملية، قيام سلسلة من الانقلابات العسكرية فى بلدان افريقية عديدة خلال السنوات الاخيرة ، وضرورة الوصول الى تقييم نظرى لدلالة هذه الظاهرة .

وقد قدمت عدة ابحاث فى الندوة تعرضت بالتفصيل لهذه القضية . اسهم فى هذا الجهد ــ من الطليعة ــ **الدكتور عبد الملك عودة** ببحثه «القوات المسلحة والثورات الافريقية» والدكتور **اسماعيل صبرى عبد الله** «تحليل اسباب وطبيعة الانقلابات العسكرية فى افريقيا» **وزكى مراد** (حول الامكانيات الثورية للجيوش فى ثورة التحرر الوطنى) والتيجانى عن مجلة السلم والاشتراكية ببحثه: «الانقلابات العسكرية فى افريقيا» ..

● واتسم بحث الدكتور عودة بطابع الدراسة الاكاديمية التفصيلية لدور المؤسسات العسكرية فى المجتمع الحديث بوجه عام وعلاقاتها بالمؤسسات المدنية، ودور المؤسسات العسكرية فى البلدان النامية بوجه خاص .ثم ركز على المؤسسات العسكرية فى بلدان افريقيا (الفرنسية والبلجيكية والانجليزية) ، والمشاكل التى تعترض اعادة بناء هذه المؤسسات بعد تحقيق الاستقلال ،ودورها بين الثورة والثورة المضادة ،وهل يتسم تدخلها فى السياسة بطابع الانقلاب العسكرى ،مركزا بوجه خاص الى تجربة الثورة المصرية . ابرزا الفروق الانقلاب الاخير فى غانا ضد الرئيس نكروما .

● وقد تعرض كل من الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزكى مراد للقضية النظريةمن دور الجيش فى البلدان النامية بشكل عام وفى افريقيا بصفة خاصة. واستند كل منهما بشكل خاص الى تجربة الثورة المصرية. ابرز الفروق الاساسية بين تركيب الجيوش وفكريتهافى البلدان الراسمالية المتقدمة والاستعمارية ، وبين هذا التركيب فى البلدان النامية. ابرز الدكتور اسماعيل صبرى ان الجيش عندما ثار على السلطةالاقطاعية الخاضعة للاستعمار فى مصر، لم يكن تدخله لحمايتها ،بل ليحل محلها سلطة اكثر تقدما. ومن هنا كان المضمون الثورى لتحرك الجيش ليلة ٢٣ يوليو برغم ان هذا التحرك اتخذ من ناحية

الشكل صورة انقلاب عسكرى. وامكن للجيش القيام بهذا الدور لاسباب هامة اختلف بسببها اختلافا جذريا عن الجيوش الاستعمارية منها التكوين الطبقى للجيش وتجربة الجيش المصرى السابقة لم تكن تجربة غزو وفتح ونضج الظروف الموضوعية للثورة، ووجود تنظيم الضباط الاحرار الباسل الذى ربط العسكريين باهداف الثورة العامة والفصل الكامل بين دور الجيش كجيش وبين الاجهزة السياسية والاقتصادية للدولة .

واستخلص الدكتور اسماعيل صبرى من ذلك أن بعض عناصر نجاح التجربة المصرية يمكن ان يتوافر فى هذا البلد الافريقى او ذاك، بشرطين اساسيين: **تنضوج الظروف الموضوعية للثورة** ، أى تفاقم التناقضات الاجتماعية داخل النظام الحاكم بحيث يصيبه التفسخ ،والتحلل ،ويفتح الطريق أمام حركات معادية حتى داخل الاجهزة التى قام بالاستناد اليها او التى يفترض فيها الدفاع عنه، **ووجود تنظيم سياسى،** داخل الجيش او خارجه، ليربط العسكريين الثوريين باهداف الثورة ويجمع بين الجيش والشعب فى حركة واحدة .

وقد اهتم زكى مراد بابراز **الملابسات التاريخية** التى احاطت بالجيش المصرى ،والظروف التى اتاحت له ان يختزن طاقاته الثورية التى انفجرت فى ليلة ٢٣ يوليو . واكد فى الوقت ذاته ان هذه الملابسات لا تنسحب على الجيش المصرى وحده بل عرضه لان تمتد الى تجارب افريقية اخرى ومن هنا خرج زكى مراد بالخلاصة النظرية انه من الخطأ الجسيم ،بل من الجمود المدمر ،بالنسبة للثوريين فى البلاد التى تناضل الاستعمار والتبعية ان يكتفوا بتكرار المفهوم الماركسى التقليدى عن الجيوش دون غوص الى الحقائق الواقعية فى ظروف بلادهم واستخلاص المفهوم النظرى المنسجم مع هذه الحقائق ،والنابع من داخلها وقد ترتب على عدم ادراك الامكانيات الثورية للقوات المسلحة فى تطور الثورات الوطنية آثارا من شأنها ان تسيء الى حركة الثورة عمليا، **ومن هنا تنبع الحاجة الملحة للدعوة الى صياغة نظرية سليمة لدور الجيوش فى المستعمرات واشباه المستعمرات والبلاد التابعة، فان ذلك كسب حقيقى للعمل الثورى فى حركة التحرر الوطنى عموما، والافريقى بالذات .**

● وقد تعرض التيجانى للخبرة العامة المستمدة من مجموعة الانقلابات العسكرية فى افريقيا، وقال انها جميعا تعبير عن احتدام الصراع الطبقى ، وينبغى التميز بين الجيل القديم من ضباط الجيش الذى تلقوا تربيتهم فى البلدان الاستعمارية والجيل الجديد الذى لا يمكن الا يتجاوب مع حركة الثورة الافريقية بصورة او بأخرى .كما ادان بشدة نظرية « حياد » الجيش الذى يبثه الاستعمار وقال ان هناك تجربتين لقيام الجيش بدور فاصل فى تطور العملية الثورية وهما على طرفى النقيض تجربة ٢٣ يوليو فى مصر التى افسحت المجال لانطلاق الثورة التحررية فى مصر. وتجربة انقلاب الجيش فى السودان فى ١٩٥٨ التى وقفت فى وجه المد الثورى وعملت على كبته بكافة الصور الممكنة اما الانقلابات الاخرى فى افريقيا، فأختلفت حسب الظروف .ففى جمهورية افريقيا الوسطى وداهومى وفولتاالعليا، احلتنظام عسكرىمناصر للاستعمار محل نظام مدنى مناصر للاستعمار. وفى الكونغو قام انقلاب موبوتو بعدد من الاجراءات .ايا كان تعبيرها عن بعض المصالح الاستعمارية، الا انها ضربت مصالح استعمارية اخرى، ولايجوز التخفيف من شأنها موضوعيا فى خدمة شعب الكونغو. وانقلاب نيجيريا ما زال غامضا من حيث دلالته . ولا يشك احد فى دلالة انقلاب غانا كانقلاب رجعى معاد للثورة الافريقية . وان وجدت ظروف معينة اسهمت فى تفسير نجاحه (الموقف الذى ورثته الجماهير من الدولة فى عهد الاستعمار علاقة الجماهير العريضةبالثورة .اوجه القصور فى الحزب الخ..) واما بشأن الجزائر ، فقال التيجانى ان الانقلاب ضد نظام بن بللا ما زال محاطا بشيء من الغموض وهو يتوقع من وفد الجزائر الموجودبالندوة انه سوفيقوم بالايضاحات اللازمة . وقد ترتب على اثارة هذه النقطة أن طرحت قضية توحيد القوى الثورية فى الجزائر وان تشتيتها الراهن لا يليق بثورة المليون شهيد تدخل مندوب الجزائر بقوله ان المقصود من هذه الحملةموقف ثورة الجزائر منبعض العناصر الرجعية ولكن اوضح عدد من المندوبين انه ليس ذلك هو المقصود من الدعوة. واكد لطفى الخولى ان ثورة الجزائر ما زالت متمسكة بأهدافها .ولكن هذا لا يقلل من اهمية بذل المزيد من الجهد لرأب الصدع فى صفوف الثوريين .

المشكلة الزراعية

وربما كانت المشكلة الزراعية هى من اقل المشاكل التى حازت اهتمام الندوة فلم يقدم فيها غير بحث متخصص واحد، هو بحث **عادل غنيم** عن الطليعة . استعرض ارتباط هذهالمشكلة بحركة الثورة الافريقية وسماتها الخاصه — قال انجوهر المسألة الزراعية هى تحرير الفلاحين من علاقات الانتاج شبه الاقطاعية والرأسمالية وهذا يفترض احداث ثورة كاملة فى اسلوب الانتاج الزراعى ، اى قطاع الملكية والحيازة الزراعية ، وفى قوى الانتاج ذاتها بالانتقال من الزراعة القائمة على الانتاج الصغير المتخلف الى زراعه اشتراكية



متقدمة قائمة على تعاونيات الانتاج القادرة على استخدام آخر مبتكرات العلم والتكنيك الزراعي

وركز عادل غنيم بحثه على دراسة نموذجين رئيسيين للمشكلة الزراعية في افريقيا :

● **نموذج دول غرب افريقيا** (غانا ،غينيا ، مالي — السنغال — الكاميرون) متناولا صور الملكية العقارية والتركيب الطبقي للريف ،وظاهرة تفتت الانتاج الزراعي والحركة التعاونية كوسيلة لتطوير الزراعة .

● **التجربة المصرية** قبل وبعد ثورة يوليو — (الاصلاح الزراعي — التعاون الزراعي التسويق التعاوني — التجميع الزراعي والتنظيم الزراعي، التوسع الافقي عن طريق استصلاح الاراضي البور والصحراوية) .

الثورة الافريقية داخل اطار الثورة العالمية

وقد اسهمت **مجلة السلم والاشتراكية وخالد محيي الدين** ببحثين قيمين عن ابعاد وامكانيات وضرورة التعاون بين البلدان الافريقية والبلدان الاشتراكية كوسيلة لمواجهة مخططات الاستعمار والاستعمار الجديد ،وكسبيل للتغلب على التخلف وانجاز عمليات التصنيع، والتغلب على مشاكل التجارة الدولية ،ومواجهة اتساع الهوة مابين البلدان المتقدمة والبلدان النامية ، ولاجبار المستعمرين على الحد من شأن المساعدات المشروطة ، ولمواجهة النفوذ السياسي والثقافي والفكري الغربي وللاسهام في تحقيق أمنيات الجماهير في التقدم والرفاهية والاطاحة بمختلف اشكال التبعية .

ومن مجموع ما سبق، يتضح ان ندوة افريقيا قد نجحت على الاقل في **طرح أهم القضايا** التي تواجه ثورة افريقيا في ظروفها الراهنة، وفي **تعميم الخبرة** المستمدة من حركة الثورة الواقعية خلال السنوات الاخيرة بايجابياتها وسلبياتها وفي **تسجيل الانجازات والانتصارات** وايضا **في تحديد** أوجه القصور والتخلف، بشكل **يفسح المجال** لتداركها والتغلب عليها — ولا شك أن عملا من هذا المستوى كفيل بأن ينعكس على حركة الثورة مستقبلا ،بما **يفسح لها فرصا عريضة** للتقدم والانطلاق .

وربما تمثلت انجازات الندوة الافريقية في النقاط الاتية:

١ — اتاحت لاول مرة فرصة اللقاء وتبادل الخبرات لقادة ابرز احزاب وتنظيمات افريقيا نشاطا وفاعلية في انجاز تحرر القارة .

٢ — افسحت مزيدا من الفرص للقضاء على الفواصل التي من شأنها الحد من وحدة القوى الثورية الافريقية ،وفي هذا المجال اوضحت القوى التقدمية الوطنية غير الماركسية أهمية تصفية آثار سياسة العداء للشيوعية بوصفها سلاحا رئيسيا للاستعمار الجديد . واكدت ابحاث « الطليعة » ان التجربة المصرية ليست تجربة شيوعية، ولكنها في الوقت ذاته لا تنهج سياسة العداء للشيوعية

٣ — اسهمت الندوة بشكل ايجابي في تحديد **الخطوط العريضة لاستراتيجية ثورية أفريقية** قابلة لان تحوز موافقة جميع القوى الثورية الافريقية على اختلاف اصولها، وباختلاف ظروف نضالها واسهمت بوجه خاص في تبديد بعض التباين في أوجه النظر حول هذه القضية بين الاحزاب الحاكمة في بلدان افريقيا المتحررة وبعض الاحزاب المعارضة في انحاء اخرى من القارة ما زالت تعاني سيطرة الاستعمار الجديد .

٤ — ابرزت ضرورة تضامن القارة بكل قوة للتخلص من التخلف في افريقيا التي ما زالت تخضع لسيطرة الاستعمار المباشر او للتفرقة العنصرية، واجمعت الوفود على ان النضال المسلح هو السبيل الوحيد لتحقيق هذا الهدف .

٥ — اسهمت الندوة في تحديد ملامح الاستعمار الجديد، اشكاله، واساليبه وفي القاء اضواء على تطور التركيب الطبقي للمجتمعات الافريقية ،وفي ابراز السمات المميزة للثورة الافريقية، وبالذات المشاكل التي تواجه مؤسساتها العسكرية والديمقراطية والحزبية، ولا شك ان اعمال الندوة في هذا الشأن ستشكل ذخيرة قوية في ايدي ثوار افريقيا لاحراز المزيد من الانتصارات في نضالهم العملي .

٦ — واجمعت الوفود على ان ندوة افريقيا **ينبغي أن تعتبر الطلقة الاولى في منطلق طويل** . وتقدم وفد السودان باقتراح انشاء مجلة سياسية نظرية خاصة بالحركة الثورية الافريقية، تنشأ في احدى عواصم افريقيا المستقلة، وتحول تدريجيا الى مؤسسة واسعة يلتقي عندها **ثوار افريقيا**، وتدعم الوحدة بينهم ،ويرصد لها اعتمادات مالية لتنظيم تبادل الوفود بين مختلف حركات التحرير الافريقية. وقد اكدت « الطليعة» في كلمتها **الختامية ، اقرار مبدأ دورية هذه الندوة كل سنتين** واجراء الدراسة العملية اللازمة لتنفيذ اقتراح وفد السودان باصدار مجلة افريقية ثورية **مشتركة،وتنظيم تبادل سائر المجلات والمطبوعات** والدراسات السياسية الاقتصادية بشأن افريقيا **وتبادل الزيارات وتنظيم اللقاءات الثنائية والمتعددة الاطراف** وتكوين مجموعات البحث والدراسة الميدانية للتجارب الافريقية الثورية .

ولا شك ان وضع **هذه الاقتراحات موضع** التنفيذ كفيل باطلاق دفعة قوية لحركة **الثورة في افريقيا** .

تيارات الفكر المسيحى في الواقع المصرى

د. وليم سليمان

عاش **المسيح فقيرا** — وعند موته لم يجد جنود الرومان فى « تركته » سوى ثيابه ، فأخذوها « وجعلوها أربعة أقسام — لكل عسكرى قسما . واخذوا القميص أيضا . وكان القميص بغير خياطة منسوجا كله من فوق . فقال بعضهم للبعض الاخر : لا نشقه بل نقترع عليه » (١) ومن تحدده القرعة يحصل على القميص .

وحين بعث هذا المعلم العظيم رسله اوصاهم : «لاتقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا .. ولا ثوبين ... » (٢)

وفى الايام الاولى للكنيسة المسيحية تخلى المؤمنون بارادتهم عن كل مايملكون ، يقول المؤرخ المعاصر لتلك الفترة : «وجميع الذين آمنوا كانوا معا . وكان عندهم كل شىء مشتركا . والاملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج .. (و) لم يكن فيهم أحد محتاجا — لان كل الذين كانوا أصحاب حقول

(١) انجيل متى ٣٥:٢٧ — انجيل مرقس ٢٤:١٥ — انجيل لوقا ٣٤:٢٣ — انجيل يوحنا ١٩ ٢٣:١٩ و٢٤
(٢) انجيل متى ١٠ ٩:١٠ و١٠ — انجيل مرقس ٨:٦ — انجيل لوقا ٣:٩ و ٤:١٠

او بيوت كانوا يبيعونها ، ويأتون بأثمان المبيعات فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج(٣).

« قيصر » و « الله »

وظلت المسيحية محظورة فى الامبراطورية الرومانية خلال القرون الثلاثة الاولى عاش فيها المسيحيون تحت وطأة اضطهاد متواصل شرس . ولقدجعل الاقباط مسيحيو مصربدء تقويمهم الوطنى عام ٢٨٤ للميلاد وهو تاريخ تولى الامبراطور ديوكلسيان (دقلديانوس) العرش ، وهو الذى قاسى منه مسيحيو مصرأعنفحملةاضطهاد استشهد منهم فيها عشرات الالوف .

ثم ملك قسطنطين عام ٣٠٧ م . واصدر مرسوم ميلانسنة٣١٢م معترفافيهبالدين المسيحى وأمر فوضعت الشارات المسيحية على أعلام جيشه ودروع جنوده . « وأرسل الامبراطور رسائل شخصية الى الاساقفة مع امتيازات وهدايا مالية » (٤) . وصارت المسيحية دينا رسميا للدولة الرومانية عام ٣٨١ فى عهد ثاود وسيوس الكبير ومنذ ذلك الوقت نشأ ارتباط وثيق بين «قيصر» وبين «الله» — فى حين ان وصية السيد المسيح لاتباعه كانت واضحة صريحة «اعطوا مالقيصر لقيصر ، وما لله لله » (٥) . وبهذا بدأت صفحة جديدة من تاريخ المسيحية لم تكن قط ضمن قصد مؤسسها وتقاليد رسله .

ما مكان مصر وكنيستها

فى هذا التطور الخطير ؟

منذ البداية — رفضت الكنيسة القبطية ربط السلطة الزمنية بالدين . ولقد حفظ لنا تراث البطريرك المصرى اثناسيوس المعاصر لهذه الحقبة (تولى البطريركية من ٣٢٨—٣٧٣ م) حديثا موجها الى الامبراطور :«لا تقحم نفسك فى المسائل الكنسية ولا تصدر الينا امرا بشأن هذه المسائل .. لقد أعطاك الله الملكة وعهد الينا بأمور الكنيسة .. فليس مسموحا لنا بان نمارس حكما ارضيا ، وليس لك سلطان ان تقوم بعمل كنسى » (٦)

ولقد كانت مصر مستعمرة تستغلها الدولة الرومانية — ولهذا لم تطل المدة التى انقضت خلالها بهذا السلام بين الدين والدولة . وحتى فى هذه الفترة ، كانت الامتيازات الجديدة ممنوحةفىمصر لكنيسة اقليم مستعمر(بفتح الميم)،يعيش فيه شعب مقهور،على أن عهد السلام قد انقضى تماما ونهائيا عام ٤٥١ م فى مجمع خلقدونية الذى تحالفت فيه روما وبيزنطة ضد الاسكندرية وأخرجتاها من حظيرة الرعاية التى تسبغها الدولة على الكنيسة. وعاشت كنيسة مصر وشعبها من جديد — وبعد حوالى مائة عام فقط من سلام قسطنطين (٧) — تحت وطأة اضطهاد عنيف متواصل ، تنظمه دولة تصف نفسها بأنها مسيحية ، ويشترك فيه وينفذه الاساقفة المعينون منقبلالامبراطور البيزنطى(٨)— ويفوق ما كان يصنعه الامبراطرة الوثنيون الذين جاءوا قبل قسطنطين . واستمر الوضع على هذا النحو الى أن دخل الاسلام مصر عام ٦٤٠ م .

بعد ان أورد استاذنا الدكتور حسين فوزى نصا للبابا اثناسيوس يصف فيه واقعة من الاحداث الكثيرة التى جرت فى ولايته حين حاصر آلاف الجنود البيزنطيون كنيسة العذراء بالاسكندرية وقت الغروب ، يتساءل : «فهل كان أولئك الجند الروم من الوثنيين ؟ » ثم يجيب : «كلا بل هم جنود الامبراطور البيزنطى المسيحى ، فى العام السادس والخمسين بعد الثلاثمائة للميلاد ! والذى لايعرفه الا قلة من المصريين — وما أقل المصريين معرفة بتاريخهم ! — هو ان اجدادهم القبط تعذبوا واضطهدوا على يد حكام بيزنطة المسيحيين ، اشد بكثير مما عرفوا من مهانة وتقتيل واستشهاد امام الامبراطرةالوثنيينساويرس ودقيوسودقلديانوس لا لسبب الا لأنهم حرصوا على عقيدتهم المسيحية التى أقرها أعظم المجامع المسكونية ، وأولاها بالاحترام ، وهو المجمع المسيحى الاول ، المنعقد بمدينة نيقيا ، فى آسيا الصغرى عام ٣٢٥ م» (٩).

ولم تنس كنيسة مصر هذه الحقبة من تاريخها قط . وهى تذكر أبناءها أثناء اجتماعات الصلاة

---

(٣) اعمال الرسل ٤٤:٢ — ٤٥ و ٣٢:٤— ٣٧

(٤) يوسابيوس القيصرى(٢٦٤ — ٣٤٠م)تاريخ الكنيسة — ترجمة القس مرقسداود ، ص ٤٤٠

(٥) انجيل متى ٢١:٢٢ — انجيل مرقس١٢ : ١٧

(6) dans Nicene and Post - Nicene Fathers. 2nd series, Vol IV, P 286.

(٧) الحقيقة انها ليست مائة عام كاملة.لان قسطنطين نفسه رغم اعلانه مرسوماسلام ورغم عقده مجمع نيقيه الذى اقر اقوال اثناسيوس — رغم ذلك كله لم يكنمننصيباثناسيوسالبطريرك المصرى أنينعموكنيسته بهذا السلام فى عهد قسطنطين بل تلك الاوامر تصدر بنفيه من بلاده مرة بعداخرى ويستمر نفيه فى كلمرة شهوراطويلةقد تستمر سنوات فى حكم قسطنطين نفسه او فى عهد خلفائه ، ففى عام ٣٦٥م اى بعدحوالى اربعين عاما من مرسوم السلامصدر قرار بطرد اثناسيوس من الاسكندرية.

(٨) اطلق على هؤلاء الاساقفة لقب«البطاركةالملكانيون» نسبة الى الملك الذىكان يرسلهم مؤيدين بالقوةالعسكرية لاخضاع شعب مصر وكنيستها ومن هؤلاء البطاركةقيرش المقوقس المعاصر للفتح العربى .

(٩) سندباد مصرى ، ص ١٢٨

الدورية بما لاقاه آباؤهم على يد الملكانيين — الذين باسم المسيحية ساموهم أشد انواع العـذاب . ولا يكاد يمضى شهر الا وفيه ذكرى أحد شهداء هذه الفترة . ولنسمع نموذجا مما تردده الكنيسه بالنسبة لاحد بطاركتها (١٠) الذين اضطهدوا من البيزانطيين . « وقد نفى مرتين — الاولى لما ملك يوستنيانوس . (اذ) كتب (هذا الامبراطور) الى نوابه قائلالهم : ان كان (البطريرك) موافقـا لعقيدة المجمع الخلقدونى نجعله بطريركا وواليا معا . واذا لم يوافق فليخرج من المدينة . فلما سمع البطريرك هذا . .خرج من المدينةومضى الى الصعيد أما نفيه للمرة الثانية فكان هكذا : لما ملك المـــلك يوستنيانوس وكان اشد تعصبا من سلفه عزم على أن يستأصل (عقيدة الاقباط) ويفتك بمعتنقيها ، جاعلا اعتقاد خلقدونية — الذى لقبوه بالمعتقد الملكى نظرا لان الملوك امدوه بسطوتهم — اعتقادا عاما فى سائر أنحاء المملكة . متهـددا كل من يقر بخلافه بالقصاص المريع ... فلما قاوم الاب تاودوسيوس واساقفته ارادة الملك غضب عليهم وحبسهم ونفى هذا الاب . واقام بدله انسانا اسمه ابو ليناروس وارسله بفرقة من الجند آمرا قائدها أن يسلم البطريركية والكنائس لهذا الدخيل بالقوة ان ابى نصارى مصر الامتثال لامره ولـم يخضعوا للبطريرك الدخيل . فلما جاء بجنده الى الاسكندرية وقرأ أمر الملك ، أظهر الشعب حماسا وغيرة شديدة ، رافضين طاعة الدخيل ومقاومين ارادة الملك ومخالفين أمره ... فاكتنفهم الجنود من كل جانب مجردين سيوفهم وقتلوا كل من ادركوه حتى سالت دماء الشعب فى طرقات المدينة وأزقتها وشتتوا شمل من لم يدركوه . وبهذه الوسـيلة استولى الدخيل علىالبطريركية والكنائس»(١١).

وهكذا لم ينس القبط ان الدين يمكن أن يستخدم ستارا لاشد أنواع الاستغلال والقهر . وسنرى فيما يلى كيف أثمرت هذه الحقبة لدى شعب مصر وضوح رؤية استطاعت به الجماهير جيلا بعـد جيل أن تميز القيم الروحية الاصيلة وسط دعاوى الخداع والتزييف

وثمة أمر لابد من ايضاحه — ليست المسيحية دينا غربيا ، حين يراد معرفة أصوله والتيارات الفكرية التى تتردد داخله يتجه الذهن قبل كل شىء الى أوربا وأمريكا . والمسألة ليست تفاخرا وطنيا أو عنصريا — بل هى حقائق موضوعيـة مؤكدة ، فمن الثابت أن الظروف التى عاش فيها الفـكر المسيحى الغـربى تخالف الظروف التى عاش فيها الفكر المسيحى المصرى مثلا ، **وفى مقدمة الظروف الموضوعية المتغايرة أن المسيحية فى مصر لم ترتبط بطبقة سائدة فى المجتمع، ولم تغير الكنيسه فى تعليمها على ممر العصور لتصنع الايديولوجية التى تبرر علاقات الاستغلال القائمة فى المجتمع .**
واذن فلا بد أن نعرف كيف يفهم المسيحى الغربى مسيحيته ، وكيف يفهمها المصرى المرتبط بكنيسـة تقليدية حافظت على أصـالة التعليـم المسيحى خصوصا وأن النشـاط الغربى امتـد الى بلادنا مضاعفا جهوده منذ القرن الماضى ، كما أن هـذا النشاط يركز جهوده حاليا حـول كنائس العالم الثالث .

ومن الثابت أن كنيسة بلادنا كان لها رأيـها المتميز، وموقفها الواضح المحدد — ليس فى القرون المسيحية الاولى وحسب ، بل فى مواجهة النشاط الغربى خلال القرن الماضى واليوم .

واذن فلا بد لمعرفة التيارات الفكرية المسيحية أن نربط الفكر بالواقع — فى الغرب وفى بلادنا .

ومن خلال هذا البحث يظل السؤال الملح فى طلب الاجابة عليه هو عن الاصالة المسيحية الحقة التى تستطيع أن تصمـد وسط تغيرات الواقع وتطوراته

اننا حين نعرض لهـذه التيارات الفـكرية فى المسيحية بين الغرب والشرق نبدأ بالحـروب الصليبية ، ثم عصر الارساليات متابعين تطورات النشاط التبشيرى خلال الحركة المسكونية لنصل الى عصر الاستعمار الجديد .

الحروب الصليبية

لم ينس ابناء مصر قط الدرس الذى تلقوه من الامبراطورية الرومانية المسيحية . وحين جاءت جحافل الغرب تحمل شعار الصليب رأى فيهـم مسيحيو مصر كتائب جديدة من الجند المسيحيين الذين عرفوهم جيدا منذ القرن الرابع والذين خاضت خيولهم فى دماء أجدادهم حتى الركب . كان الصليبيون صورة جديدة للارتباط بين الدين والسياسة والاستعمار . وهم التجسيد المادى للنظرة الغربية السائدة فى عهدهم من نحو الدين .

ذلك أنه لم يمض ربع قرن على الانفصال بين

---

(١٠) هو البطريرك تاودوسيوس الثالثوالثلاثون،تولى البطريرك من ٥٢٨ — ٥٥٩م
(١١) كتاب الصادق الامين فى أخبـار القديسين المستعمل بكنائس الكرازة المرقسيةفى ايام وآحاد السنة القبطية (السنكسار) يوم ٢٨ بؤونه ، الجزء الثانى ص ٢١٣ ،وفى يوم ٢٣ مسرى تحتفل الكنيسة المصريهبذكرى استشهادثلاثين الف شخص بالاسكندرية عند دخول بروتوريوس البطريرك الملكانى المعين من قبل مجمع خلقدونيه بعد نفى ديوسقورس المصرى، المرجع السابق ص ٣٠٨

كنيسة روما وكنيسة بيزنطة ـ الا وكان الامبراطور البيزنطى ميخائيل السابع يقاتل فى جبهتين : ضد النورمان وضد الاتراك . فكتب طالبا النجدة من غريم بلاده بابا روما . وبذلك قدمت نكبة بيزنطة فرصة نادرة لروما كى تبسط سلطانها على المنشقين الاغريق . ومن ناحية أخرى فان الاستجابة لهذا النداء كانت تفتح للبابا ميدانا يمكنه فيه ان يصرف طاقة القتال المتزايدة التى كانت تملأ كيان النورمان والفرنك والجرمان الذين انضموا للمسيحية . وهكذا بدأت الدعوة لحرب دينية ــ حرب الصليب ضد الاتراك مغتصبى اورشليم ــ تكون فى نفس الوقت هدنة للحروب الناشبة بين المسيحيين فى أوربا (١٢) وكان هناك العامل الاقتصادى ــ كانت المدن الثلاثة التجارية الكبرى ــ بيزا والبندقية وجنوا وهى التى أسهمت فى الحروب الصليبية بدور ملحوظ بارز ، كانت هذه المدن الثلاثة « تجرى وراء مصالحها الاقتصادية وتسعى لتحقيق مكاسبها ليس على حساب المسلمين فى الشرق وحسب بل وعلى حساب البابوية والكنيسة والصليبيين جميعا . ويشهد تاريخ الحروب الصليبية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر على أن القوى الايطالية التجارية لم تشارك فى تلك الحروب بدافع التقوى والشعور الدينى . وانها لم تتورع فى أصعب الاوقات حرجا بالنسبة للصليبيين عن اثارة الفتن بين القوى الصليبية بعضها وبعض فى سبيل تحقيق مكاسبها الخاصة » (١٣) .

أما أمراء غرب أوربا وفرسانها فقد اندفعوا للاشتراك فى هذه الحروب طمعا فى تحقيق جاه دنيوى أو نفوذ سياسى لا يجدونه فى بلادهم لعجزهم عن مواصلة تكوين الامارات لانفسهم .

تبقى جماهير الشعب المطحونة تحت سطوة النظام الاقطاعى ــ لقد تحمست للاشتراك فى الحروب الصليبية فرارا من الاستغلال الظالم الذى كانت تعانيه . ان المخاطر التى يتعرضون لها فى طريقهم الى الشام ، ومستوى الحياة التى سيحيونها فى الشرق ، هذا كله لا يمكن أن يكون أسوأ من مستوى حياتهم فى ظل الاقطاع الاوربى (١٤) .

ومضى بطرس الناسك حاملا صليبا ضخما يتنقل به فى شوارع المانيا وفرنسا وفى أسواقها وكنائسها يثير مشاعر الجماهير بما يقصه من الفظائع التى يوقعها الاتراك بالحجاج وهم فى طريقهم الى القبر المقدس ، ويستفزهم مجسما مايراه من عار فى وقوع القبر المقدس تحت سيطرة غير المسيحيين . ولقد كانت الاستجابة حماسا طاغيا شمل جماهير الشعوب الاوربية . ويقول هـ.ج. ويلز ان الدعوة للحملة الصليبية الاولى كانت أول تحريك جماعى لجماهير الشعب فى التاريخ الاوربى (١٥) . ولكن هذه الكتل التى تكونت منها الحملة الصليبية لم تكن منظمة فكانت النتيجة أن انتهت بهزيمة رهيبة راح ضحيتها الالوف من عامة الشعب فى أوربا .

ونحن نعلم أن الحملات الصليبية التالية كانت اكثر تنظيما وأشد انضباطا ــ كانت جيوشا منظمة لها قواد عسكريون متمرسون . وفى قمة الهرم شخص البابا ذى النفوذ الحاسم ــ الذى استخدمه ليس فى تعليم شعوب أوربا روح المحبة والهام ضمائرهم وتوجيه ارادتهم نحو الخير والحق ، بل استخدم نفوذه فى اثارة روح التعصب والحقد والقتال . لم يدرك البابا أن قوة كنيسته الحقيقية كائنة فقط فى ضمير الفرد المسيحى وارادته الحرة . لم يكن أعداء الدين يأتونه من خارج ، كان هدمه يتم فى نفوس المتدينين بعمل قادته ومعلميه أنفسهم . كان تصور الكنيسة الغربية للمسيحية نظاما اجتماعيا وكانت تقوم بعملها بين البشر من خلال القانون والدولة . واختلط لديها التعليم الروحى الذى يوجه الفرد ويطهر نفسه ويلهم ارادته بأشرف الدوافع وأنبل العواطف من نحو البشر ــ بالنظام الاجتماعى والسلطة الزمنية التى ينفذ أوامرها القاضى فى المحكمة والجندى بالسوط والسيف .

موقف أقباط مصر من الحملات الصليبية

ماذا كان موقف المسيحيين فى بلادنا ــ أقباط مصر من حملة الصليب والسيف الوافدين من الغرب وماذا كان موقف الصليبيين من المؤمنين بالمسيح على ضفاف النيل ..

قلنا ان أبناء مصر لم ينسوا قط الدرس الذى تلقوه ــ فى الدين وفى السياسة ــ من الامبراطورية المسيحية ابتداء من القرن الرابع الميلادى . ولهذا أعرض الاقباط تماما عن النظر الى الغزاة على أنهم مسيحيون يربطهم بهم ايمان واحد . «وحاول الصليبيون أخذ مصر ولكنهم فشلوا . ولشدة غيظهم من عدم مساعدة الاقباط لهم أصدروا

(12) H. G. Wells, A Short History of the World, Pelican, P 192.

(١٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، أضواء جديدة على الحروب الصليبية ، المكتبة الثقافية ، ص ١١ بل كان بعض التجار الاوربيين اثناء اشتعال الحرب يوردون الى المصريين عتاد الحرب الذى كان يستخدم ضد الصليبيين ، جاك تاجر ، أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى الى عام ١٩٢٢ ، القاهرة ١٩٥١ ص ١٧٢ هامش ١ .

(١٤) عاشور ، المرجع السابق ص ١٢

(١٥) المرجع السابق ص ١٩٣

قانونا بمنع اقباط مصر من زيارة القبر المقدس»(١٦). يقول جاك تاجر انه «لما احتل الصليبيون القدس منعوا النصارى المصريين من الحج الى هذه المدينة بدعوى انهم ملحدون . وكتب أحد المؤرخين الاقباط يشكو من هذه المعاملة قائلا : «لم يكن حزن الاقباط بأقل من حزن المسلمين » (١٧) . يقول الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق فى كتابه عن « الناصر محمد بن قلاوون» المنشور عام ١٩٦٤ : «اننا كنا فى حرب ضد الصليبيين ، أو بعبارة أوضح ضد مسيحيى أوربا الذين اتخذوا الصليب شعارا لهم ، والدين المسيحى ستارا استتروا به فى اندفاعهم الى الشرق لتخليص بيت المقدس من أيدى المسلمين . فى هذه الحرب التى كان ظاهرها الدين وباطنها الدنيا والرغبة فى السيطرة ــ لم يتحرك من اجلها الاقباط فى مصر » (١٨) .

والواقع انه لما دخل الصليبيون دمياط أساءوا الى الاقباط وانكروا عليهم حقوقهم ، وعينوا مطرانا لدمياط من قبل كنيسة روما اللاتينية ــ كما أنهم قتلوا كثيرين وأخذوا الاطفال من أحضان امهاتهم . وفى سنة ١٢٠٤ م فى أيام الملك العادل فاجأ الافرنج مصر من جهة رشيد وتقدموا الى فوة وتحصنوا فيها . وكان فيها أقباط كثيرون ولها اسقف مخصوص فقتلوا كثيرين وطردوا غيرهم وسبوا البعض والبعض الاخر لم يسعه الا الهرب . «... ولما انهزم الصليبيون ابتهج الاقباط .. ولما رأى الملك الكامل منهم ذلك ركن اليهم وقربهم ورفع مقامهم ، وعمل على ما فيه راحتهم . يدل على ذلك أن بعض الامراء قبض على بعض الرهبان وسلبهم مبلغا من المال بحجة أنهم تأخروا فى دفع الجزية السنوية . وكان هذا المبلغ هو كل ما يملكه الرهبان فشكوه للملك الكامل ، فنظر فى دعواهم وأمر بارجاع المال اليهم » (١٩) .

فى هذا المناخ الوطنى الصحى كانت جذور الوحدة الوطنية تتأكد بالثقة المتبادلة بين مختلف المواطنين ــ ومن المعروف أن القومية المصرية فى صورتها الواضحة الشاملة تبلورت وعبر عنها بعد ذلك ــ ولكن الحقيقة أن هذه الصورة النهائية للقومية ، ماكان يمكن ان تجيء لولا التاريخ العريق لهذا الشعب الموحد منذ آلاف السنين ، وقبل مجيء الاديان السماوية ــ وبعدها . ان الحياة المخلصة بين جماهير الشعب لم تنقطع قط فى مصر (٢٠). ويقول أحد مؤرخى الاقباط ان هؤلاء فى عهد الملك الكامل واثناء الحروب الصليبية «قاموا بما عهد اليهم من الخدم احسن قيام ، وبما توجبه عليهم الذمة والوطنية . وبهذه الحالة حفظوا لانفسهم مركزا مهما فى الوطن » (٢١) .

ومن هنا نفهم السخط الذى تمتلىء به كتابات الغربيين على أقباط مصر وكنيستهم اذ يسجلون على الاقباط هذه المواقف ويعيرونهم بانهم كانوا محل رعاية خاصة من صلاح الدين وانه استعان بهم فى حملاته (٢٢) .

وهكذا فانه فى مواجهة التيار الدينى المتعصب الوافد من أوربا نجد فى بلادنا فهما اعمق للمسيحية وللحياة الاجتماعية : كان المسيحيون المصريون يمارسون مسيحيتهم ويخدمون وطنهم . وعلى النقيض من ربط الكنيسة فى الغرب بين الدين والتنظيم الاجتماعى ، واصلت كنيسة مصر فى أمانة تطبيق وصية المسيح : « اعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (٢٣) .

---

(١٦) كتاب تاريخ الكنيسة القبطية للشماس منسى القمص ، الطبعة الاولى ١٩٢٤ ، ص ٥٤٢
(١٧) المرجع السابق ص ١٦٢
(١٨) ص ١٣
(١٩) كتاب تاريخ الامة القبطية جمعه الفقير اليه تعالى يعقوب نخلة روفيلة ، ١٨٩٨ ص ١٧٨ وما بعدها : وانظر منسى القمص ص ٥٧١
(٢٠) وتسجل كتب التاريخ القبطى تبرأ الكنيسة المصرية من الشخص الذى ينحرف عن هذا التقليد العريق . فمثلا بالنسبة للجنرال يعقوب الذى عاش ايام الحملة الفرنسية نقرأ فى «كتاب تاريخ الامة القبطية» الذى طبعه عام ١٨٩٨ نخلة روفيلة ان يعقوب هذا سار «فى خطة تخالف ماكان عليه ابناء جنسه .. فانه فضلا عن مخالفته لهم فى الزى والحركات اتخذ له امرأة من غير جنسه بطريقة غير شرعية . كما ان رجال الدين ولاسيما البطريرك لم يكونوا راضين عن تصرفاته واحواله . وسمعت من بعض شيوخ الاقباط المسنين أن البطريرك نصحه المرات العديدة بالعدول عن هذه الخطة .. فلم يقبل . وعاوده بالنصيحة مرة أخرى فجاوبه جوابا عنيفا فسخط عليه : وسمعت من آخر .. أن ما كان بينه وبين البطريرك من المنازعة والمشاحنة دفعه الى التجرؤ على الدخول فى الكنيسة مرة راكبا جواده ورافعا سلاحه ...» (ص ٢٨٩ و ٢٩٠) يقف البطريرك والكنيسة هذا الموقف من يعقوب فى وقت لم تكن القومية بالمعنى الحديث ظهرت فى مصر وفى ظل حكم المماليك ومؤامراتهم المتواصلة للتفرقة بين جماهير الشعب تمكينا لسلطانهم ومع وجود الحملة الفرنسية فى البلاد التى استمالت الكثيرين ومن بينهم بعض رجال الازهر وواضح أن هذا كله لايمس القيمة التى اثبتها الدارسون لمشروع الاستقلال الذى تبناه يعقوب وصحبه ، أنظر شفيق غربال الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ، سنة ١٩٣٢ . ولويس عوض ، المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث ، المبحث الثانى ، ١٩٦٣ ص ٥٢ ومابعدها ــ وحسنى عبد السيد رمضان ، حركة التاريخ المصرى من اعلان وثيقة الانسان ١٧٩٥ حتى ثورة عرابى ١٨٨١ ــ الطليعة فبراير ١٩٦٦ ص ٨٧
(٢١) روفيله ، المرجع السابق ، ص ١٨٢
(٢٢) أنظر على سبيل المثال :

Coptic Church, dans, A Dictionary of Chisti an Biography... etc, by Smith & Wace, ed. by J. Murray. Vol I, 1877. P 74.

(٢٣) يقول جاك تاجر ان الشعوب المسيحية فى ارمينيا وآسيا الصغرى وسوريا رحبت بالصليبيين وكان الارمن أول من ساعدهم وحذا اللبنانيون حذوهم (ص ١٦٠) انظر « حكاية لبنان » الاهرام ٣ فبراير ١٩٦١ حيث اورد محمد حسنين هيكل نص خطابى لويس التاسع ولويس الرابع عشر الى الموارنة فى لبنان يمنحانهم الحماية الفرنسية .

هذا ويبدو ــ كما لاحظ ذلك هـ . ج . ويلز ــ ان الروح الصليبية متأصلة فى الفكر الدينى الغربى بسبب ارتباطه ارتباطا وثيقا بالعوامل السياسية والاقتصادية . ولهذا نجد فى الكتابات الغربية الدينية والسياسية معا الاشادة بعمل الصليبيين . ان حملة اللنبى على القدس اثناء الحرب العالمية الاولى تسمى فى الكتابات الغربية بالحملة الصليبية الثامنة أو الاخيرة . يقول بترسن سمث فى كتابه عن حياة المسيح الشعبية : «باءت الحروب الصليبية بالفشل .. ولكن حادثا خطيرا حدث بعد ذلك .. بعثت انكلترا بحملتها الصليبية الثامنة وفازت انكلترا فى هذه المرة » ! (انظر الترجمة العربية لهذا الكتاب التى نشرها حبيب سعيد بعنوان حياة يسوع ص ١١٢) وانظر ايضا

Major Vivian Gilbert, the Romance of the Last Crusade, With Allenby to Jerusalem, Newyork. 1939,

وحين نستعرض التيارات الفكرية التى تموج بها المسيحية اليوم لانستطيع ان نغفل تأثير النشاط التبشيرى الذى صدر عن أوربا وامريكا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين . فالتفكير المسيحى اليوم يؤثر فيه تراث هذه الحقبة — أنه يطور هذا التراث ليتفق مع الظروف العالمية الجديدة المعاصرة . فمن المؤكد اليوم باعتراف خلفاء المبشرين أنه من حيث المبدأ وكنتيجة للحرب العالمية الثانية تهاوى كل بناء الارساليات . وطبقا لما يقوله هنريك كرايمر مدير المعهد المسكونى بجنيف ان الارساليات فشلت لان الاستعمار الغربى قد انتهى ، وكنتيجة لذلك فان عصر الارساليات الذى صاحب عصر الاستعمار وعكس كل الاتجاهات الرئيسية للبناء الاستعمارى قد انتهى أيضا (٢٤) .

ولكن ارتباط الارساليات بالاستعمار يمثل وجها واحدا من الايديولوجية التى صدرت عنها — اما الوجه الاخر فهو أن الارساليات فى أهدافها ووسائلها قد انفصلت عن المنهج الذى وضعه السيد المسيح للدعوة الى دينه . ولو رجعنا الى المفاهيم الاصيلة التى نادت بها المسيحية الاولى لوجدنا المسيح يرفض ان يكون الايمان بدينه ثمرة التهديد أو الرشوة . فالمبشر الذى يملأ كيسه مالا أو يحتمى بعلم الكتائب العسكرية المنتصرة — هذا المبشر فى نظر المسيحية الاصيلة يعطل عمل المسيح . ومن باب أولى ذاك الذى يستغل تبشيره بالمسيحية لتحقيق المنفعة واستغلال الشعوب

ونحن نقرأ فى الكتب التى الفت فى القرن الماضى للدعاية للارساليات مثل هذه الحجج : «ان ازدهار التجارة عامل يؤدى الى انتشار الانجيل . وفى نفس الوقت يترتب على انتشار الانجيل تحقيق المنافع التجارية ... ان كل الادلة تثبت أن تبشير الوثنيين يدفع التجارة الى الامام . ان البرابرة صاروا بتأثير الارساليات المسيحية زبائن لبضائع تنتجها مانشستر وبرمنجهام وبرادفورد . لقد استورد سكان البحار الجنوبية فى خلال ثمان وعشرين سنة بعد تقبلهم المسيحية من انجلترا وأمريكا واستراليا بضائع قيمتها السنوية ٣٥٠٠٠٠ من الجنيهات » ويواصل الكاتب حديثه فيقول : «لابد أن تمتلىء قلوبنا امتنانا لان جهود المبشرين المس... يين تبعتها زيادة الطلب على المصنوعات المعدنية والقطنية واذن فليسافر تجارنا ومبشرونا معا فان هناك رابطة مقدسة بين الفريقين .. لقد ميز الله بين شعوب الارض انجلترا لتكون وطنه المتخصص فى التبشير » (٢٥) .

وان صفحات التاريخ لتمتلىء بهذا الاستغلال الشائن للدين . فى الهند وافريقيا والصين ونيوزلندا .. والقصة طويلة ممضة . جاء فى تقرير جمعية التبشير الانجليزية عام ١٨٤١ : «هل من الممكن ان ينكر احد ان هذه الجمعية قد ساهمت بصورة رئيسية فى ضم أروع اقليم الى تاج ملكة بريطانيا» وتواصل الجمعية تقريرها فتقول «الحقيقة اننا هنا امام واحد من أعظم مشاهد الامبراطورية البريطانية الاستعمارية — لان وجود مستعمرة نيوزلندا المزدهرة يرجع الفضل فيه الى شجاعة صموئيل مارسدن وايمانه حين القى بنفسه وسط قبائل الماورى هناك . فالارسالية التى اسسها سنة ١٨١٤ روضت الجنس ، وبعد ذلك تدفق المستعمرون ... ! (٢٦) .

ولكن مناصرة الارساليات للاستعمار لاتقتصر فقط على هذه الجهود التى تبذل لتأييد الدولة المغتصبة صراحة وبشكل ظاهر . بل ان الادارة الداخلية للجماعات التى تكونها الارساليات تعمل على تأكيد روح الخضوع للمستعمر والتبعية الدائمة له . ولقد كشف هذا المخطط بدقة واحد من هؤلاء المرسلين — رولاند آلان — وكتب ذلك فى مؤلفين بالغى الاهمية (٢٧) .

فعن طريق الاستئثار بالرتب الكهنوتية وجعلها قاصرة على المبشرين الاجانب ، وبابقاء الكنائس فى حالة تبعية مالية دائمة للكنائس الام يحتفظ المرسلون بالسلطان النهائى فى الكنيسة الوليدة وهم فى هذا السبيل يعمدون الى بناء المنشآت والتوسع فى ذلك بحيث يصبح المواطنون أمام مشاريع يقفون ازاءها موقف العجز الكامل . وهذا مايريد المبشرون تأكيده فى نفوسهم كى يظلوا على الدوام متطلعين الى البلاد البعيدة التى تستطيع وحدها

وفى كتابات الاشخاص المتأثرين بالروح الغربية نقرأ حتى فى قصص الاطفال مثل هذه العبارة : « .. وذكر القصص الجميلة التى قصتها له ولاخته امهما عن الملك الجندى الشجاع وعن حروبه العظيمة ضد صلاح الدين السلطان المسلم الكبير وعن انتصاراته المجيدة » (عشر دقائق مع الاحداث تاليف . لبيب مشرقى الطبعة الثانية ص ٥٠)
ولقد اختار تشارلز وطسن المبشر الامريكى واول مدير للجامعة الامريكية بالقاهرة للكتاب الذى الفه عام ١٩٠٧ عن تاريخ الارسالية الامريكية فى مصر العنوان الاتى Egypt and the Christian Crusade.
هذا — ويقول الدكتور محمد مصطفى زيادة فى كتابه « حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ١٩٦١ » — ص ٤٦٢ ان جماعة من الكتاب الاوربيين المسيحيين تصدوا فى اواخر القرن الثالث عشر الميلادى لتحليل اسباب انهزام الحملات الصليبية ولاسيما هزيمة الملك لويس التاسع فى مصر وكتبوا آراءهم فى مقالات رفعوها للكرسى البابوى وقد تضمنها كتاب حديث فى نقد الحروب الصليبية .
Throop, Criticism of the Crusades, 1940.

(24) Hendrik Kraemer, The Missionary Implications of the End of Western Colonialism and the Collapse of Western Christendom, dans, The Student World, 1960 — nos 1 — 2, P 201.

(25) W. Pierce, The Dominion of Christ, The Claims of Foreign Missions in the Light of Modern Religious Thought and a Century of Experience, London, 1895, P 31 — 42, 165.

(26) Eugene Stock, The History of the Church Missionary Society : Its environment, Its Men and Its Work, London, 1899 — 1916, Vol I, P 209, 417.

(27) Roland Allen, Missionary Methods : St. Paul's or Ours ? London, 1912. The Spontaneous Expansion of the Church, London, 2 nd ed., 1949.

أن تغطي النفقات المطلوبة لاتمام العمل » . بل ويؤدى هذا الشعور بالعجز الى رفض اتباع الارسالية من الوطنيين أن يرأسها — عند خلو المركز — وطني مثلهم، لان الرئيس الاجنبى هو وحده القادر على التعامل مع الجهة التى أوفدته ، ومنها يستطيع أن يجلب المزيد من المال . ولقد كان الوطنيون يجفلون من استقلال كنيستهم بسبب الاعباء المالية التى يتعين عليهم بعد الاستقلال النهوض بها ».

ويخبرنا « آلن » بان تأسيس كنيسة وطنية مستقلة فى مدغشقر ولها رعاتها الوطنيون كان أشد ما يخشاه الفرنسيون (٢٨) .

ويضيف الى ذلك ان الارساليات كانت تخشى النمو الذاتى للوجدان الوطنى — ولو كانت النتيجة هى انتشار الدين الذى يدعون أنهم يخدمونه . لان نجاح الوطنيين فى العمل الدينى سيخلق من بينهم القيادات الوطنية التى يلتف حولها الشعب ويوحد مشاعرهم ، ويعلمهم الاعتماد على أنفسهم ويدربهم على التعاون والترابط . وهذه كلها أمور يقاومها الاجانب — مستعمرين ومبشرين ، بل كانوا يصممون على اشاعة شعور عام فى البلاد بالعجز عن اتمام أى عمل بنجاح فى أى مجال دون الاعتماد على الاجانب الوافدين . وتمتلىء الصفحات التى كتبها «آلان» بأمثلة صارخة لهذه السياسة .

الارساليات فى مصر

ولكن متى جاءت الارساليات الى مصر ؟ وفى أى الظروف ؟ وماذا كان موقف المصريين منها ؟ هذه اسئلة هامة لابد أن نعرف — بدقة وتفصيل — الاجابة عنها . لان الموقف الذى تبدى تلقائيا من شعبنا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين هو استمرار لتاريخه العريق وتأكيد لما يتمتع به من وضوح فى الرؤية ، واصرار على الوحدة .

عرفت مصر عدة موجات من الارساليات البروتستانتية خلال القرن الماضى ، نعرض لاهم اثنتين منها . **الاولى** جاءت من انجلترا بعد سقوط نابليون ولم تستطع الاستمرار فخرجت لتعود ثانية فى أعقاب الاحتلال البريطاني وتحت اعلامه . **والثانية** جاءت من أمريكا عن طريق بلاد الشام .

ولقد واجهت كل من الارساليتين كنيسة مسيحية قديمة فى البلاد . واتخذت كل منهما ازاءها موقفا مغايرا لموقف الاخرى . كان رأى الامريكيون هو القضاء التام على هذه الكنيسة وضم فلول ابنائها فى كنيسة بروتستانتية جديدة ، أما الانجليز فكانوا يريدون الابقاء على كنيسة مصر مع العمل على التدخل فى أمورها وبالذات من أجل السيطرة على تعليم الكهنة فيها . وفى نظرهم أن هذا هو الطريق لجعل هذه الكنيسة تتجه الى تحقيق نفس اهداف المبشرين ، وتسير طبقا للمخطط الذى يضعونه .

ولكن مصر كلها وقفت فى مواجهة هاتين الموجتين واستطاعت أن تخرج من غمارهما .

بعد هزيمة نابليون

لقد جاء اول اتصال بين الارسالية الانجليزية ومصر بعد هزيمة نابليون . يقول تقرير هذه الجمعية عن السنوات الاولى من القرن التاسع عشر أنه بعد سقوط نابليون أصبح البحر الابيض المتوسط مفتوحا للنشاط التبشيرى . وخلال أقل من ثلاثة شهور بعد معركة **(ووترلو)** كان القس «جوييت» فى طريقه الى مالطة ليزور قادة الكنائس اليونانية والارمنية والقبطية والمارونية ... الخ بقصد نشر التعليم وتداول الكتاب المقدس . ويقول التقرير انه كان مطلوبا من جوييت أن يكون بمثابة «ادارة مخابرات الجيش» . وفى سنة ١٨٢٥ وصل الى مصر خمسة مرسلين (٢٩) . وكتب سكرتير الجمعية أنه ليس المقصود تكوين جماعات داخل هذه الكنائس تسير على نظام كنيسة انجلترا . بل الهدف هو انهاض هذه الكنائس واجراء التعديلات الداخلية فيها بواسطة رؤسائها أنفسهم مع اعادة تعليم الاكليروس . وعن هذا الطريق تتغير مفاهيم الشعب (٣٠) .

واستمر المرسلون الانجليز يبذلون جهودهم فى بلادنا . وفى سنة ١٨٤٢ — ١٨٤٣ انشأوا معهدا لا هوتيا لتعليم كهنة الاقباط . الا أن تقارير المرسلين سنة بعد أخرى كانت توضح أن جهودهم لم يكن لها نصيب من النجاح ، فأغلقت المدرسة سنة ١٨٤٧ ، وظل نشاط الارسالية يتناقص الى أن تلاشى تماما واغلقت الارسالية رسميا سنة ١٨٦٢ ، ولن نراها مرة ثانية الا وهى تدخل تحت أعلام جيش الاحتلال وفى أعقاب جنوده .

---

(٢٨) يقول آلن :«لو اننى كنت هنديا اوصينيا او افريقيا لقاومت باستماته محاولة اقامة الايمان فى بلدى بواسطة اناس يعتبرون انه من الامور المسلم بها والتى لا تقبل المناقشة ضرورة تحكمهم فى حياتنا الروحية وتوجيهها . كنت اناضل بلا هوادة ضد سيطرة الاساقفة الاجانب ومساعديهم من المرسلين الوافدين . كنت انادى : لقد علمونا أن الرتب الكهنوتية ضرورية فى الكنيسة ، وان الاساقفة لازمون لمنح هذه الرتب — ولكنهم يصرون على اننا لم نتعلم بعد بما يكفى ليكون البعض منا أساقفة، ونادرا مايقيمون واحدا من مواطنينا فى هذه الرتبة ، وفى جميع الاحوال امتنعوا تماما عن ان يجعلوا فى أيدينا سلطان تعيين اساقفتنا . وهكذا احتفظوا فى ايديهم بكل السلطان الروحى . ولكن لماذا يحتكرون هم هذا السلطان ؟ انهم لايستطيعون ان يدعوا انهم يتبعون الرسل فى هذا ، ولا يمكنهم ان يقولوا أنهم ينفذون امرا صدر من السيد المسيح » الامتداد الذاتى ص ١-٤

(29) Andrew Watson, The American Mission in Egypt 1854 — 1896, Pittsburgh, 1904, P 31.

(٣٠) ستوك ، المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ١٤٤

أما وصول المرسلين الامريكيين فقد بدأ سنة ١٨٥٤، أثناء حكم سعيد باشا ، وأثناء احتدام المنازعات الطائفية في الشام . يقول اندرو واطسن « تولى سعيد باشا الحكم سنة ١٨٥٤ وهي نفس السنة التي دخل فيها مكاج وبارنت مصر وبدأ عمل الارسالية .. كان أميرا طيبا مستنيرا .. ولم يأت وقت منذ ١٢٠٠ عام أكثر مناسبة لبدء العمل التبشيري في البلاد .. » (٣١) ويصف واطسن هذا الوالي بأنه « القديس الحامي للارسالية الامريكية » (٣٢) ويقول : « ان الاجانب مدينون بالكثير لحكم سعيد باشا . ولقد وضعت الارساليات أثناء عهده أسس عملها — تلك الاسس التي لم يكن من المستطاع بعد ذلك هدمها بواسطة أشد المقاومات عنفا من جانب الحكام المدنيين والدينيين مجتمعين » (٣٣). ويقرر واضع تاريخ الارسالية خلال مائة عام — ايرل الدر — أنه منذ البداية كانت الارسالية مدينة بالكثير لرجال الاعمال وأصحاب المهن الاجانب بسبب ماكانوا يزودونها به من مشورات ونصائح. وفي نفس الوقت تأكد هؤلاء من قيمة برنامج الارسالية. وقد اقترح واحد منهم أن تتقدم الارسالية بطلب للخديو ليمنحها منزلا أو قطعة أرض تشيد عليها مكانا دائما لها (٣٤) . وبالفعل أهدى لهم سعيد باشا في سنة ١٨٦٢ بناء على تدخل من القنصل الامريكي مبنى كبيرا في أول شارع الموسكي الذي كان وقتئذ الشارع الرئيسي بالقاهرة . ثم باعته الارسالية للخديو اسماعيل مقابل سبعة آلاف جنيه ذهبي (٣٥) .

أما تفاصيل مجيء المبشرين الامريكيين الاوائل الى مصر فغامضة أشد الغموض . والمرجع الرئيسي هنا هو كتاب أندرو واطسن .

لقد حضر المرسلون الاوائل من دمشق بسوريا الى مصر عام ١٨٥٤ . ويسوق الكاتب المذكور عدة أسباب لذلك من بينها الاضطرابات السياسية التي كثرت في الشام الامر الذي يجعل من مصر نوعا من الملجأ أثناء هذه الازمات المتلاحقة (٣٦). ومن المعروف أن الاحوال السياسية في سوريا كانت مضطربة أشد الاضطراب خلال الاعوام التالية لسنة ١٨٤٠، وانتهى الامر بقيام فتنة سنة ١٨٦٠ ذات الطابع الديني بين النصارى والمسلمين ، والتي أدت الى تمكين السيادة الغربية في هذه البلاد (٣٧). ونجد في كتابات المرسلين اعترافا بالنتائج التي ترتبت لصالحهم نتيجة هذه الفتنة . ويقرر يوجين ستوك مؤرخ الارسالية الانجليزية أن وزارة الخارجية الانجليزية كلفت هذه الارسالية سنة ١٨٥٠ بناء على طلب القنصل العام الانجليزي في سوريا بفتح ارسالية للكنيسة الانجليزية في لبنان (٣٨) .

وهكذا يثور سؤال هام — هل أريد لمصر أن تكون ميدانا جديدا لاحداث مشابهة لتلك التي حدثت في الشام ؟ لقد حضر المرسلون الامريكيون من سوريا ومعهم طائفة من الشوام تحكمت في حياة الجماعات المصرية المحلية التي كانت الارسالية تحاول تكوينها في مختلف مدن مصر . وكانت هذه الطائفة الى فترة طويلة من بدء عمل الارسالية ترفض أن يشاركها مراكزها في العمل واحد من المصريين (٣٩). ولقد جاء هؤلاء الشوام من أعوان الارساليات محملين بكل الطاقات والمشاعر التي ولدتها في نفوسهم الفتن المتلاحقة التي كانت بلادهم مسرحا لها. وحتى بعد مجيئهم الى مصر كانت رحلاتهم متصلة بين مصر وسوريا من حين لاخر . وبالفعل أحدث واحد من هؤلاء الوافدين — فارس حكيم — فتنة كبيرة في مدينة اسيوط ، في اثنائها جاءت الاوامر من سلطات الولايات المتحدة في واشنطن الى الخديو لتعزيز مركز المبشرين واعوانهم . ويصف واطسن التأثير الذي اعقب ذلك فيقول ان الشعب عرف النفوذ المتزايد للبروتستانتية (٤٠) . وتمتليء كتب الارساليات بذكر المناسبات التي كان يلجأ فيها المرسلون الى قناصل الدول — أمريكا وانجلترا على الخصوص . ويقرر واطسن أن هذه المواقف ولدت في نفوس مختلف الجهات شعورا بأن المرسلين انما جاءوا لنشر نفوذ السلطات الاجنبية في وادي النيل .

ونحن نقرأ في كتاب تشارلز واطسن (٤١) أول

(٣١) اندرووواطسن ، ص ٣٦ و٣٧

(32) « The Patron Saint of the American Mission » P 333.

(٣٣) ص ١٠٦ و ١٠٧

(34) Earl E. Elder, Vindicating a Vision, The Story of the American Mission in Egypt 1854 — 1954, Philadelphia, 1958, P 28.

(٣٥) اندرووواطسن ،ص ١٢٨و٢٨٧ — ٢٩١

(٣٦) اندرووواطسن ، ص ٦١ — ٦٤

(٣٧) انظر أقوال المرسلين بخصوص هذه الفتنة التي أوردها مصطفى الخالدي وعمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٤، ص ١٣٥ — ١٤٣

(٣٨) الجزء الثاني ، ص ١٤٣

(٣٩) هذا التحكم في الحياة الدينية البروتستانتية داخل المجتمع المصري يسير في خط مواز تماما للتحكم الذي اخذ المتمصرون يمارسونه في الحياة الاقتصادية داخل بلادنا والذي ظهر بوضوح من قوائم مالكي الاسهم والسندات في الشركات المؤممة

(٤٠) اندرو واطسون ص ١٢٧—١٣٦و٣٣٢

(41) Charles Watson, In the Valley of the Nile, A Survey of the Missionary Movement in Egypt, N. york, 1908. P 207 — 211.

مدير للجامعة الامريكية بالقاهرة - نقدا للاستعمار الانجليزى بدعوى أنه يحابى الاسلام والمسلمين ثم يقول ان الموقف فى مصر يكاد يشبه الحال فى الهند قبل الفتنة . ففى هذه البلاد - الهند - كان من نتيجة سياسة الملاينة التى انتهجتها الحكومة البريطانية ازاء الاديان الهندية أن ثارت الشكوك لدى المتدينين .. واحتاج الامر فى الهند الى فتنة السيبوى لاصلاح هذه الاخطاء ولدفع بريطانيا الى أن تعلن جهارا أنها حكومة مسيحية . ثم يتساءل الرجل فى جرأة عجيبة : «فهل يحتاج الامر - فى مصر - الى سلوك هذا السبيل .. كى تضطر بريطانيا أن تظهر الى النور صراحة معتقداتها ..»

لقد أعلن أحد حكام الهند السابقين فى مجلس اللوردات - اللورد الينبرو - ان سبب الثورة الهندية عام ١٨٥٧ - فتنة السيبوى - يرجع الى وجود الارساليات فى تلك البلاد (٤٢) . وكانت نتيجتها ضم الهند عام ١٨٥٨ الى التاج البريطانى وتوقف شركة الهند الشرقية عن الوجود . وطلبت الارسالية من الملكة أن تأمر حكام الهند بأن يعلنوا انحيازهم للمبشرين

ولقد كان هذا هو هدف المبشرين الامريكيين فى مصر - باعترافهم نفسه .

عودة الارسالية الانجليزية

نعود الى الارسالية الانجليزية وهى تدخل البلاد مرة ثانية فى أعقاب جنود الاحتلال ، وفى هذه المرة أيضا لم تتغير سياستهم ، ونحن نقرأ فى تاريخ حياة واحد من أهم المبشرين فى تاريخ هذه الارسالية - دوجلاس ثورنتون - قوله أن النجاح فى استخدام الكنيسة القبطية يكفى ليكون الهدف الوحيد لمجيئه الى مصر (٤٣) . وهذا أيضا هو الامل الذى كان يصبو اليه زميله وخليفته تمبل جاردنر (٤٤) .

وعلى عكس ما كان عليه الحال قبل الاحتلال - نجد نشاط رجال هذه الارسالية محاطا بالتأييد من سلطات الاحتلال . وقد حفظ لنا كاتب سيرة ثورنتون مواقف طريفة فى هذا الصدد . ففى مقابل العزلة التى كان يحياها المرسلون قبل الاحتلال والاعراض الذى كان يحيط بهم - نجد ثورنتون يقوم برحلات متعددة فى الصعيد فيزور فى كل مديرية المدير والمطران ويرسل الدعوات الى كبار الاعيان . بل ويدخل الى كل غرفة بديوان المديرية ومركز البوليس والمحاكم .. يدعو الموظفين لسماع محاضرته عن المسيحية . وفعلا كان المدير والمشايخ المسلمون والقسوس الاقباط والقضاة والمحامون والضباط والموظفون يحضرون ويسمعون . ويقول الرجل مفتخرا أن المسلمين الحاضرين طلبوا اليه أن يعود ثانية - ويذكر أنهم كانوا أكثر رغبة فى معرفة رسالته من المسيحيين ، واشترك المدير فى المجلة التى كان المرسلون يصدرونها (٤٥) .

ونسى «الخواجه» أن الاقباط والمسلمين جميعا كانوا لا يتعاملون معه الا وامام عيونهم دار المندوب السامى وقائد جيش الاحتلال . أن المصرى وحده هو الذى يستطيع أن يفهم مواقف مواطنيه فى مثل هذه الظروف . الواقع أنه - على حسب تعبير نجيب محفوظ فى بين القصرين - لم يكن أحد يرفع رأسه فى مصر وقتذاك .

أما المرسلون فكانوا يعتبرون أنهم فى خدمة بلادهم أثناء عملهم التبشيرى . ويقرر كاتب سيرة يوجين ستوك سكرتير جمعية الارسالية الانجليزية من ١٨٣٦ - ١٩٢٨ أن حركة الارساليات الحديثة تميزت بازدياد وترابط نشاطها بالحكومات . ولهذا فانها تحتاج بالذات الى رجال يمكنهم أن يكون لهم دور فى المسائل العامة (٤٦) . كان ستوك يعمل فى لندن وراء مسرح الاحداث يربط الحكومة برجال الارساليات فى أماكن عملهم بمختلف أنحاء العالم . كان مع زملائه مثل خدام التاج المدنيين الدائمين الذين يقترحون سرا الخطط السياسية التى يتبناها صراحة رجال الحكم ، أو يضعون أصول المعاهدات التى يوقعها الوزراء (٤٧) .

ولقد وقف المرسلون جميعا - الامريكيون قبل الانجليز - فى الصف المعادى للثورة الوطنية . كان الانجليز يعقدون الاجتماعات مع المثقفين من المصريين - الافندية والشيوخ وطلبة الازهر . يتناقشون معهم حول الاهداف الوطنية - على غرار ما كان يحدث فى الهند (٤٨) .

اما الامريكيون فان كتبهم مليئة بالفرح لضرب الاسطول الانجليزى مدينة الاسكندرية فى يوليو

---

(42) Latourette, Kenneth Scott, A History of the Expansion of Christianity, N. york, 1937 — 1945, Vol VI, P 130 — 132.
(43) W. H. T. Gairdner, D.M. Thornton. A Study in Missionary Ideals and Methods, London, 1909, P 272.
(44) Constance Padwic, Temple Gairdner of Cairo, London, 1928, P 220, 264, 267.
(٤٥) حياة ثورنتون ، المرجع السابق ص ٢٥٥ - ٢٧٣
(46) Georgina Gollock, Eugene Stock : A Biographical Study 1836 — 1928, London, 1929, P 69.
(٤٧) المرجع السابق ص ٨٠
(٤٨) حياة ثورنتون ص ١٨٩ ومابعدها

١٨٨٢(٤٩) . ويتضاعف هذا الفرح حين يصف واطسن دخول الانجليز القاهرة وسيرهم فى شوارعها . وكان الرجل يؤمن بضرورة الاحتلال البريطانى لمصر ولم يوافق على آراء اللوردد وفرين التى تقول أن مصر طفل يحتاج الى المساعدة — بل كان يرى هذا البلد رجلا مكتملا يعرف جيدا الخير من الشر ، ولكنه أعتاد على عمل الشر حتى أحبه وصمم على مواصلة ارتكابه (٥٠) .

ولقد صدم الرجل وزملاؤه من المقاومة الشديدة التى لاقاها فى البلاد . وبالذات من الكنيسة القبطية رئاسة وجمهورا .

يصف المبشر « يوحنا هوج » مقابلة جرت بينه وبين البطريرك بحضور القنصل الامريكى حاول فيها القنصل أن يقنع البطريرك بالعدول عن مقاطعة الارسالية . وقال له : « ان هؤلاء المرسلين الامريكان لا يعلمون الناس الا الانجيل الطاهر ، فكان ينتظر أن تكون غبطتكم شاكرا أفضالهم لاجل الخير الذى يفعلونه لاولاد الاقباط وغيرهم » .

أجاب البطريرك فى حدة ، والرواية هنا أثبتتها ابنة هوج وكاتبة سيرته : « الانجيل الطاهر ! وهل الامريكان وحدهم هم الذين عندهم الانجيل ؟ ولماذا لايعلمونه لعبيدهم (الزنوج) اذا كان عندهم الانجيل ؟ لماذا يذهب الاخ الى الحرب ضد أخيه ؟ (كانت الحرب الاهلية الامريكية على اشدها وقتئذ) ان الانجيل عندنا قبلما تولد أمريكا فى الوجود .. » (٥١) .

وتمتلىء صفحات كتب المرسلين بوصف الجهود التى بذلتها الكنيسة القبطية لتجميد نشاطهم فى وادى النيل كله . اذ قام البطريرك فى سنة ١٨٦٧ برحلة فى الوجه القبلى لمواجهة نشاط الارسالية (٥٢) . وتكتل شعب الكنيسة كله لمواجهة عمل الوافدين .

ولم يكن موقف الاقباط من الارسالية الانجليزية مختلفا رغم علمهم بأن السلطة الحاكمة فى البلاد معها ، لقد رفضوا منذ أول مقابلة مع ثورنتون السير فى مخططه . وأصبح من رأى رجال الارسالية ان تكوين كنيسة من المسلمين المتنصرين هو السبيل الى انهاض الكنائس الشرقية — ومن بينها الكنيسة القبطية — وليس العكس (٥٣) .

لقد كانت مقاومة الارساليات عملا شعبيا ، تمثلت فيه روح الكنيسة القبطية وطابعها الشعبى الاصيل حدث فى احدى البلاد أن دعا كاهن الكنيسة أحد المرسلين الانجليز — ولسن كاش — للوعظ . فماذا كانت النتيجة — يقول كاش : « ان الشعب قاوم الكاهن وأجبره على عدم العودة الى مثل هذا التصرف » (٥٤) .

ولم يكن موقف الكنيسة القبطية من هذا النشاط الدخيل قاصرا على مجرد المقاومة — بل عمدت هذه الكنيسة الوطنية الى بذل الجهود الجبارة لتحقيق الاحياء الذاتى والنهوض الداخلى . والحقيقة أنه منذ أيام كيرلس الرابع كانت الجهود تبذل لانشاء مدارس البنين والبنات وأحضار آلات الطباعة ونشر الثقافة العلمية فى البلاد . ولقد واصلت الكنيسة هذه الجهود وضاعفتها . وانشئت مدرسة قبطية لاهوتية لتعليم رجال الدين (٥٥) . وزادت اجتماعات التعليم داخل الكنائس . ونظمت جهود الشباب لتثقيف النشء دينيا ، وعمت البلاد موجة عارمة لانهاض الكنيسة الوطنية وتثبيت تعاليمها فى نفوس أبنائها . وفى عام ١٩٤٨ — وبعد أكثر من مائة عام على بدء نشاط المبشرين الانجليز فى مصر — عقدت الكنيسة الانجليزية مؤتمرها فى لامبث ، وتردد فى قرارات المؤتمر شعور الاسى بسبب الفشل فى أقناع الكنيسة المصرية ... يكون للانجليكان صلة بتعليم رجال الاكليروس الاقباط وتدريبهم (٥٦) .

شعبية الكنيسة القبطية

حافظت الكنيسة القبطية على أحترام الشخصية الانسانية — تراث المسيحية الاصيل . فلم تتحول الحياة الكنسية فيها الى حلقة كهنوتية مغلقة ، يكون فيها رجال الاكليروس أصحاب الكلمة الاولى والاخيرة ، ويهدر راى الشعب لان السلطان الكنسى محصور فى رجال الكهنوت .

على العكس من ذلك تماما ، يثبت التراث القبطى كله — فى القانون الكنسى ، وفى التطبيق المتواتر بل وفى طقوس الصلاة نفسها — أن للجمهور سلطانا أصيلا لايمكن تجاوزه أو أهماله .

ان انتخاب البطريرك والاسقف وجميع رجال الكهنوت عمل شعبى من اختصاص جمهور

(٤٩) الدرو واطسون ، ص ٣٤٨ ومابعدها
(٥٠) ص ٤٠٠ و ٤٠١
(٥١) الاستاذ الجليل الدكتور هوج تاليف ابنته السيدة رينا ، ص ٩٥
(٥٢) الدرو واطسون ص ١٩٩ ومابعدها
(٥٣) سلا ثورنتون ، المرجع السابق ص ١٠٧ و ١٥١ و ٢٠٥ وحياة جاردنر ، ص ٢٦٢
(54) Blessed be Egypt, Vol VII, January 1906, No 26 P 26.
(٥٥) المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر ١٨٩٣ — ١٩٣٨ ص ١١ ومابعدها
(56) Lambeth Conference 1948, P. 72 (part II) .

المسيحيين . هكذا رسم الرسل في قوانينهم . وقد حفظت الكنيسة المصرية هذا التقليد ، وطبقا له لا يرسم أسقف الا اذا تم اختياره بواسطة الشعب كله (٥٧). واستخلص الفقيه الكنسي «ابو البركات ابن كبر» قسيس الكنيسة المعلقة الذي عاش في القرن الثالث عشر من هذا التقليد أنه ليس للاساقفة الا التكريز وأما التعيين فانه لاهالي الاقليم. ويقول ان الاسقف يقام بعد اختيار الناس « دون الاساقفة والمطارنة الذين ليس لهم رأى ولا حديث في ذلك بل لهم تقدمته ووضع اليد عليه » (٥٨) . والمتتبع لتاريخ اقامة البطاركة يجد دائما ان الاختيار كان أساسه شعبيا وليس بواسطة جماعة كهنوتية محدودة .

بل ان هذا الحق المقرر للاقباط في انتخاب رعاتهم كان يتأكد في كل مرة يقام أسقف أو بطريرك على غير ارادتهم ، فلقد جاء في تاريخ البابا تيودوسيوس الثاني البطريرك ٧٩ (١٢٩٣ — ١٣٠٠م) ، ان جماعة القبط لم تكن مؤتلفة معه لان ارتقاءه الكرسي كان على خلاف الناموس والشريعة اذ أقيم من غير اختيارهم بل فرض عليهم فرضا . وقد أقام الشعب مدة لا يذكرون اسمه بل يعتبرون منصبه شاغرا (٥٩) . ومن قبل ذلك بحوالي الف سنة امتنع الشعب القبطي عن الاعتراف ببطريرك فرض عليهم بعد عزل البابا أثناسيوس . وحين كان أسقف يعترف بالبطريرك الدخيل المقام بواسطة السلطات الاجنبية البيزنطية عوضا عن اثناسيوس كان الشعب ينفض عنه نهائيا (٦٠) وثمة حادثة مماثلة أخرى حدثت في عهد البطريرك شنوده الخامس والستين (١٠٣٢—١٠٤٦م) (٦١). تقول كتب القوانين ان من يتبع الراعي الشرير فموته ظاهر أمامه (٦٢) .

بل ان الصلاة نفسها في الكنيسة القبطية عمل شعبي، فطبقا للاصول المعمول بها، تكون «الصلوات بالكنائس مشتركة بين ثلاثة لا يمكن الاستغناء عن حضور أحدهم وهم الكاهن والشماس والشعب » (٦٣) . ولقد أثبت الدارسون أنه على خلاف الوضع في الكنيسة الكاثوليكية حيث الصلاة الكنسية عمل أرستقراطي كهنوتي — فان الصلاة داخل الكنيسة القبطية يشترك فيها الشعب منذ البداية الى النهاية — بصورة تفوق كل مشاركة شعبية في أي كنيسة شرقية أخرى (٦٤) .

هذا الطابع الشعبي الاصيل داخل كنيسة بلادنا منع وجود طبقة منفصلة ذات سلطان لايقهر، تتحكم في حياة الشعب وفي مستقبله. وربط مصير الكنيسة بمصير الجماهير (٦٥) . ومن هنا لم تخل الحياة في الكنيسة على ممر العصور من عنصر الصراع حين تجد الجماهير أن تصرفا ما اتخذ على خلاف القانون أو المصلحة العامة . ان الجمهور من حقه بل من واجبه ان يتدخل لتصحيح الوضع ورد الامور الى مجراها السليم .

ولقد كان هذا الطابع يثمر في أحيان كثيرة مواقف وتصرفات لصالح الجماهير الكادحة ، كان في الاسكندرية ايام البطريرك شنوده الخامس والخمسين (٨٥٩ — ٨٨٠م) موضع يأوى اليه المساكين والمنقطعون . وكان الماء الذي عندهم مالحا مرا ، ويجري بعيدا عنهم . فكانوا ينقلونه اليهم بتعب شديد ويشربونه مالحا لعدم الماء الحلو، ففكر هذا الاب وحفر لهم مجرى يوصل اليهم الماء العذب من الخليج الذي حفره المتوكل على الله جعفر فدخل الماء الى الاسكندرية وصار الماء الذي يشربه أولئك القوم حلوا طيبا . وفي مكان آخر عمل «فسقية» كبيرة للضعفاء الصعاليك واقام انسانا يملاها بآلة عملها ليشربوا منها. وبنى في مريوط بئرا لان سكانها ماكانوا يحصلون على الماء الا بمشقة لبعده عنهم(٦٦). وفي القرن الماضي بمدينة المنيا — وقت أن كانت الاطيان التي لاتزرع تضم للدائرة السنية — كان المطران ياكوبوس يقوم بزراعة الاراضي التي يكشفها الفيضان ويحضر لها البذور اللازمة حتى أمكن ربطها على المزارعين عام ١٨٥٦ م (٦٧) .

ونحن لانتردد في القول بأن هذا الطابع الشعبي الراسخ كان الاساس الاول الذي حفظ التعليم المسيحي في مصر أصيلا ، وكان العامل الرئيسي لبناء الوحدة الوطنية داخل مصر منذ أقدم العصور . فالجماهير الشعبية — بصرف النظر عن الدين — تضمها مصلحة مشتركة . وكفاحها

(57) Les 127 Canons des Apôtres, Patr. Or., t. VIII. F. 4, P 590.
Hippolite de Rome, La Tradition Apostolique, Sources Chétiennes, P. 26.

(٥٨) مصباح الظلمة وايضاح الخدمة مخطوط ٢٧٥ لاهوت بالمتحف القبطي ص٢٤٧

(٥٩) سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسي الاسكندري جمع الشماس كامل صالح نخلة ، مطبوعات دير السيدة العذراء السريان الحلقة الثانية ص ٢٣

(60) Prolegomena to the Vol. IV of the N. and Post N. Fathers, P Iiii.

(٦١) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة لساويرس بن المقفع اسقف الاشمونين مطبوعات جمعية الاثار القبطية — المجلد الثاني — الجزء الثاني ص ١٥٤ .

(٦٢) تعاليم الرسل (الدسقولية) طبعة حافظ داود ، ص ٤٨

(٦٣) الخولاجي المقدس الذي جمعه القمص عبد المسيح صليب المسعودي طبعة ١٩٠٢ ، ص ١٦

(64) Irénée — Henri Dalmais, Les Liturgies D'Orient, Paris, 1959, P 47, 49.

(٦٥) ولهذا فاننا نعتقد ان اللائحة الاخيرة التي وضعت لانتخاب البطريرك لا تتفق مع التراث القبطي الصحيح وهي تحول بين الشعب وابداء رأيه في انتخاب راعيه لانها تقصر جمعية الناخبين على عدد محدود جدا من الاشخاص يعين جزءا كبيرا منهم المطارنة والاساقفة . هذا فضلا عن تكريسها لمبدأ الصدفة في الاختيار اذ تجعل الكلمة الاخيرة في ذلك للقرعة (!)

(٦٦) تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المرجع السابق ، المجلد الثاني الجزء الاول ص ١٨

(٦٧) تاريخ القديس الانبا يوحنس القصير تاليف القمص ميصائيل بحر ص١٢٥

الطبقى موحد . ولم تكن الكنيسة لتقف حائلا دون هذا الكفاح بل كانت تشجعه وتباركه ، لان الكنيسة ليست سوى هذه الجماهير الكادحة ـ الفلاحين الذين يكونون الاغلبية الساحقة من أبناء الكنيسة القبطية ومن الشعب المصرى ويتعرضون لاجراءات الظلم المتعاقبة التى يجربها الولاة والحكام والخديويون على ارضهم . وهم الذين كانوا يقفون صفا واحدا ضد كل مستعمر وافد . ذكر « ريبو » أحد مؤرخى الحملة الفرنسية أنه كان فى امبابة اثنا عشر الفا من الفلاحين معهم أربعون مدفعا وكان منهم كثير من العرب والاقباط ، ونجد المسيحيين يسجنون فى القلعة مع المسلمين (٦٨) .

وكل من تعرض للحديث عن الحياة اليومية للشعب المصرى على مر العصور يصف مظاهر الوحدة التى تجمع جماهير المصريين دون تفريق تقول الدكتورة سيدة أسماعيل الكاشف أن الشعب فى مصر الاخشيدية كان يحتفل بأعياد المسلمين واعياد النصارى . ومن الاعياد التى كان المصريون يقبلون على الاحتفال بها عيد الغطاس . واوردت ماكتبه المسعودى عن احد احتفالات هذا العيد ـ حضر النيل فيه الالوف من الناس المسلمين والنصارى فى الزوارق وفى الدور الدانية من النيل وعلى الشطوط لايتناكرون . ويحضرون كل مايمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس والعزف والقصف . وهى احسن ليلة بمصر واشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب (٦٩)

هذه الوحدة الشعبية الجماهيرية كانت الاساس المكين الذى من خلاله حافظ الشعب المصرى على روح الالفة والتسامح المتبادل . كتب الاب «برنا اليسوعى » الى «الابفلبريو» عام ١٧١١ ميقول : «مصر هى البلد الوحيد فى الامبراطورية الاسلامية الذى تقام فيه شعائر الدين المسيحى بحرية أكثر من اى بلد آخر . ولهذا السبب ، فان عددا كبيرا من نصارى البلاد الاخرى يلجأون اليها .. » (٧٠) .

ولقد سجل القنصل الفرنسى «دى مايية» انه فى شهر سبتمبر ١٦٩٩ تلقى امرا من ملك فرنسا باختيار ثلاثة من اولاد الاقباط لارسالهم الى فرنسا وتربيتهم هناك على النحو الذى كان يربى عليه أولاد بعض الامم الشرقية . ولكن عائلة واحدة لم توافق على ذلك مهما كان عدد اولادها . وعمد بعض الاباء والامهات الى سحب أولادهم من مدارس الارساليات والتضحية بالمساعدات المالية التى كانت تعطى اليهم على الرغم من شدة حاجتهم اليها . ويعلق على ذلك دى مايية قائلا : «يعتقد الاقباط ان بلادهم لا مثيل لها وهم فى ذلك على حق » (٧١) . وكتبت اللادى لوسى دف جوردون تقول : « ان أهالى ببا ومعظمهم من المسلمين انتخبوا جرجس القبطى عمدة لهذه البلدة .. ومما اثار اعجابى ، روح التسامح التى اجدها فى كل مكان ، فالمسلمون والاقباط على وئام تام . ويوجد فى ببا ثلاث عشرة اسرة قبطية مقابل عدد كبير جدا من المسلمين ، ومع ذلك انتخب الاهالى جرجس عمدة لهم» (٧٢)

ومن هنا سخط المستعمرين على الاقباط وتحاملهم الشديد عليهم ، بعد ان خرج اللورد كرومر من مصر سنة ١٩٠٧ ، أصدر كتابه «مصر الحديثة» وعرض فيه لموقف شعب مصر تجاه الانجليز . ويتعجب الرجل من الاقباط الذين كانوا يواجهون المستعمر بمشاعر خالية من الصداقة ، ولم يجد كرومر أى فارق بين سلوك الاقباط والمسلمين فى الامور العامة . ويقول: «ان الفارق الوحيد بين القبطى والمسلم هو أن الاول مصرى يعبد فى كنيسة مسيحية والاخر مصرى يعبد فى مسجد مسلم » . ولهذا نجد كرومر ينهال على الاقباط نقدا وتجريحا ويبرىء منهم المسيحية (٧٣) .

ولقد تبنى المبشرون الامريكيون هذا الاتجاه وتضمنت كتاباتهم أقوى تعبير عنه . وفى رأيهم أن حاجة الاقباط الى التبشير المسيحى ليست بأقل من حاجة المسلمين (٧٤) . فأولئك ليسوا اقل بعدا عن المسيحية من هؤلاء . بل هم اكثر انحرافا . وفى سنة ١٨٦٩ م نشر أحد المنضمين للبروتستانت كتيبا بالعنوان الاتى : «لماذا صرت انجيليا ـ انى كنت أعمى والان أبصر .. رسالة الى أحد اخوانى الاقباط فى مدينة أسيوط ردا على سؤاله المتقدم » يقول الكاتب : « .. أن الكنيسة القبطية سقطت بالفعل .. فأنا لا اريد أن أدفن تحت خرابها .. فطلبا لخلاص نفسى من القصاص المزمع أن يقع على الضلين والمضلين قد نويت بنعمة الله الانفراد عن الكنيسة القبطية الساقطة » ويكتب المبشر الامريكى اندرو واطسن عام ١٨٩٨م يصف كنيستنا بأنها «مسيحية فى الاسم ، مسيحية فى الشكل ـ أنها تشبه تماما جسما أنسانيا محنطا خارجا من القبور . فمن الخارج جسم كامل ، ولكن بلا عقل فى الرأس ، ولا حركة فى الاعضاء ولا حياة فى القلب» (٧٥) .

---

(٦٨) محمود الشرقاوى ، الجبرتى وكفاح الشعب ، ص ٦١ و١٧٠
(٦٩) مصر فى عهد الاخشيديين، ١٩٥٠ ص ٢٥١
(٧٠) جاك تاجر ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢
(٧١) المرجع السابق ص ٢٠٤
(٧٢) المرجع السابق ص ٢٤٢
(73) Modern Egypt, 1908, P 205 — 213.
(74) World Wide Sunday School, Conference Held in Zurich, 1913, P 806.
(٧٥) المرجع السابق : ص ٥٨ ، ١١٩

ويواصل ابنة تشارلز واطسن — وهو كما سبق القول أول مدير للجامعة الامريكية بالقاهرة — التهجم على كنيسة بلادنا فيقول أن الحركة التبشيرية الحديثة حين جاءت الى وادى النيل واجهت شكلا فاسدا ومنحطا للمسيحية هو الكنيسة القبطية . والحل هو التفتيت الكامل لهذه الكنيسة العتيقة (٧٦) .

والحقيقة أن الاقباط فى مصر لم ينسوا قط الدرس الذى تلقنوه من حياتهم فى ظل الامبراطورية البيزنطية المسيحية . ولقد ظلت الكنيسة طوال تاريخها تردد على مسامع شعبها هذا الدرس من خلال سير الشهداء والمجاهدين أثناء هذه الاضطهادات وهى السير التى تلقى أثناء الصلاة التى تتكرر أكثر من مرة خلال الأسبوع .

ولقد أدى حرص الاقباط على عقيدتهم وأيمان كنيستهم الى رفضهم كل دعوة للانضمام تحت أى لواء أجنبى دينى أو سياسى وجعلهم احد الاركان الوطيدة فى مقاومة السيطرة الاستعمارية الدخيلة . كتب الرحالة سونينى الايطالى يقول : «أن اسم «افرنجى» مكروه من أبناء الصعيد . . . كانوا يتألمون من قدوم بعض المرسلين من ايطاليا خصيصا لنقد مذهبهم واتهامهم بالالحاد . . » (٧٧) . وأشار نييور الى هذا الشعور فكتب: «يكره الاقباط كنيسة روما كرها لا يمكن القضاء عليه . . ويخبىء القساوسة بعناية الكتب المحررة باللغة القبطية اذ يخشون — كما يدعون — أن يستولى عليها الكاثوليك ويطبعوها فى أوربا بعد تزوير نصوصها » (٧٨) .

وكان المبشرون يندهشون حقا حين يجدون أن الاقباط يفضلون عليهم مواطنيهم المسلمين وينفرون من اولئك الافرنج الغرباء الوافدين (٧٩) .

وضوح الرؤية

الاقباط اى المسيحيون المصريون الذين يكونون الكنيسة التى انفصلت عن بيزنطة منذ عام ٤٥١ م لم يمكن خداعهم يوما تحت ستار الدين، فلقد اكتسبوا من الخبرة تحت حكم الدولة الرومانية المسيحية ما يجعل خداعهم بالمسيحية أمرا مستحيلا . لم يخدعهم ملق الانجليز (٧٩ مكرر) المدعم بقوات الاحتلال ، ولم يرهبهم عدوان الامريكان وتعصبهم . وعلى خلاف الكنائس التى أسستها الارساليات خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، كان وضوح الرؤية لدى الاقباط مبكرا ومنذ بداية التدخل الاجنبى — ذلك لان الوصاية الدينية التى مارسها المبشرون على الكنائس الوطنية الوليدة كانت منعدمة فى الكنيسة القبطية . كما أن هذه — على خلاف الكنيسة القديمة التقليدية فى الهند مثلا — رفضت تدخل المبشرين أو اشرافهم على تعليم رجال الدين فيها (٨٠) .

ولقد اتحدت العقيدة الدينية لدى الاقباط بالوطنية فكان شرط دخول واحد منهم تحت حماية دولة أجنبية أن يغير عقيدته وأيمانه ، وحينئذ يكف عن أن يكون قبطيا . التنكر للوطنية كان يتضمن فى نفس اللحظة التنكر للكنيسة فلا يعود يعتبر من ابنائها قط

لهذا أمكن للاقباط ان يجتازوا أعنف الاختبارات الدينية والوطنية، وليس من شك فى أن اياما عصيبة مرت بهم قاسوا فيها من هدم الكنائس وسفك الدماء . ولكن هذه الايام لم تكن طارئة مع ولاة القرون الوسطى . لقد عاشوها تحت حكم البيزنطيين المسيحيين . ومن ناحية أخرى كانت هذه المظالم عامة تشمل جماهير الكادحين بلا تفريق بين مسلم ومسيحى . كان الاستبداد السياسى قاسيا والاستغلال الاقتصادى بشعا . كانت النفوس ملأى بالمرارة والثورة المكبوتة . وحين لم تكن هذه الطاقة المدمرة تجد متنفسا ضد المستبد المستغل ، كانت تنطلق هوجاء — حتى ضد نفسها وكان الحاكم الظالم يشجع الانحراف ، وينمى التعصب ، كي لا يلتفت الشعب الى مظالمه بل ينطلق دون وعى الى التخريب والنهب والقتل .

ولا يمكن هنا اغفال المظالم التى كان اعوان الحاكم المستبد — مسلمين ومسيحيين — يرتكبونها ضد الجماهير الكادحة ، المسلمة والمسيحية . كان أولئك الاعوان يسومون الشعب كله باسم الحاكم العسف والظلم ، كان المسيحيون يقاسون من اعوان الحاكم المسيحيين (٨١) .

---

(76) In the Valley of the Nile P 221

(٧٧) جاك تاجر ، ص ٢٨٠ . وكتب القنصل دى ماييه يقول ان كراهية هذا الشعب لنا شديدة الى درجة انه عندما يريد احدهم ان يقسو على انسان ينعته بانه « افرنجى » ص ٢٨٣

(٧٨) المرجع السابق ص ٢٨١

(79) Harlan Beach, Geography and Atlas of the Protestant Missions, Vol I, 1901, P 447.

(٧٩ مكرر) يصف اسقف لندن الكنيسة القبطية بانها « الشقيقة الكبرى للكنيسة الانجليكانية » انظر : الى الراى العام بيان ثم احتكام للقمص ابراهيم لوقا ص ١٥

(٨٠) والواقع ان من الآثار التاريخية الهامة لهذا الموقف الصلب من الارساليات ان الكنيسة القبطية بقيت متماسكة. يروى مؤرخ الارساليات ستيفن نيل انه حين وافقت الكنيسة الهندية القديمة على ان يتولى المبشرون الانجليز تعليم كهنتها — تكونت داخل هذه الكنيسة طائفة امتلأت سخطا وثورة على كنيستها . واصر الانجليز على ان تظل هذه الخميرة داخل كنيستهم دون انفصال عنها ، ولكن النتيجة الحتمية جاءت وحدث انشقاق كبير قسم الكنيسة شطرين سنة ١٨٨٩ .
Stephen Neill, A History of Christian Missions, Pelican Books, 1964, P 270.

(٨١) لما تولى الملك العادل الملكة (١٢٣٨ م) امر بتكملة سور المدينة من ناحية البحر . وكان رجل من اهل طنبدى وكيلا للبطريرك ومشرفا على العمال النصارى . وكان شديدا على النصارى اذ كان يؤلب عليهم الولاة حتى يقطع اجورهم ليأخذها له . وظل الشعب القبطى يستغيث ولا من يجيب . لان المباشرين وارباب الجاه من القبط ما كان احد يتعرض لهم لقدرتهم المالية . كما ان المروءة خلت من قلوبهم فلم يقم احد منهم ليواسى هؤلاء المساكين. (سلسلة تاريخ البابوات بطاركة الكرسى الاسكندرى ، البابا كيرلس الثالث (١٢٣٥—١٢٤٢ م) ص ٩٧) .

ولقد كانت الثورة ضد أعوان الحاكم هى فى حقيقة الامر ثورة ضد الحاكم نفسه ، الذى كانت مطالبه المالية لا تنتهى ، ورغبته فى استنزاف الشعب لا تفتر — ومن اجل هذا كله يقيم الاعوان لتنفيذ سياسته وتحقيق اهدافه .

وثمة حقيقة مؤكدة فى تاريخ مصر — ان الدين لم يكن مؤهلا أو مانعا لتولى وظيفة عامة الا بعد دخول الانجليز . يقرر هذه الحقيقة بصراحة تامة الكاتب الانجليزى «س. هـ. ليدر» فى كتابه الذى اتمه قبل الحرب العالمية الاولى ونشره بعدها . يقول ان اصدقاءه من بين كبار المسلمين ذكروا له ان فكرة التمييز اوحى اليهم بها من الانجليز انفسهم، وقد اقر هؤلاء الاصدقاء بأنه ليس فى السوابق التاريخية للبلاد وجود لهذا المبدأ . وذكر ليدر ان الشيخ على يوسف ذكر ان الاشارة جاءته من السير ايلدون غورست للقيام بحملة الفرقة الدينية ثم اورد ليدر شهادة استاذ انجليزى جامعى « الاستاذ سايس » زار مصر قبل الاحتلال وقال انه لم يجد اى تفرقة بين المسلمين والنصارى — الجميع كانوا مصريين . وشهد ليدر بأنه رأى كنائس بناها المسلمون ومساجد بناها الاقباط (٨٢) .

وعلى العموم فان المسيحيين المصريين الذين واجهوا الصليبيين ، والمسلمين المصريين الذين واجهوا العثمانيين — هؤلاء جميعا وقفوا صفا واحدا ضد المستعمر الانجليزى . وفشل هذا فى مصر — فى حين أنه نجح فى الهند وقبرص . والسبب تراث الوحدة العريق الذى اكتمل على ضفاف النيل . أن مابدأته مدرسة الاسكندرية اللاهوتية فى المحافظة على مصير الوطن ، واصله الازهر ، ويكاد الانسان يبصر تحت ثياب شيوخ الازهر الذين تصدوا للفرنسيين رغم ادعاء نابليون باعتناق الاسلام — شخص بنيامين البطريرك القبطى ومعاونه ثم خليفته أغاثو وهما يقفان فى مواجهة قيرش المندوب الدينى والمدنى الموفد من الامبراطور البيزنطى المسيحى لاذلال الشعب المصرى . لقد حفظ بطاركة الكنيسة القبطية ورهبانها وجماهيرها الوديعة وشاركهم فى حفظها بعد ذلك شيوخ الازهر كى يواصل الجميع — مسيحين ومسلمين — المهمة الوطنية المقدسة .

لقد تعلم الشعب المصرى كله فى المدرسة التى امتدت منذ عام ٤٥١ (تاريخ انشقاق كنيسة مصر عن بيزنطة) . الى دخول عمرو بن العاص مصر عام ٦٤٠م) ان ابناء هؤلاء المصريين الذين اكتسبوا الخبرة طوال قرنين فى كشف استغلال الدين ضد طبيعته هم الذين بعد الاسلام وقفوا ضد كل عملية خداع باسم الدين الجديد . يقول محمود الشرقاوى : «أن هذا الشعب العريق الصابر المكافح لم ينخدع بكلمة «الاسلام» حين ارادنابليون ان يخادعه بها ويلهيه ويلبس عليه بأنه عدو المسيحية .. وأن هذا الشعب الصابر المكافح لم تخدعه نسبة الاسلام حين كان الاتراك المسلمون بالاسم .. يزعمون أن سلطانهم هو خليفة المسلمين وحاميهم وصاحب الامر فيهم وظل الله على الارض .. » (٨٣) .

وكان من الطبيعى أن تكون الثورة الوطنية المصرية شاملة لجميع جماهير الشعب دون تفريق . وادت الكنيسة القبطية دورها فى هذه الثورة كاملا . واثمر طابعها الشعبى نتيجته الحتمية، فكانت الوحدة الشعبية الوطنية الثورية التى ادهشت العالم. **كتب الدكتور محمد صبرى** يقول : «كان الاقباط حسب اعتراف جريدة المورننج بوست الصادرة بتاريخ ٩ ابريل سنة ١٩١٩ اكثر حماسا من المتحمسين. لقد كانوا من أشد الناس تحمسا للدفاع عن الفكرة الوطنية، وكانوا اول ضحايا الاستقلال. وكان القساوسة يحضون على حب الوطن من فوق المنابر وفى المساجد وفى الازهر، وكان المشايخ والعلماء من جانبهم يخطبون فى الكنائس . وكان اشد المشاهد تأثيرا ظهور الاعلام وقد رسم عليها الهلال كأنه يعانق الصليب. ان هذا الحدث ما هو الا ثورة سياسية ودينية» (٨٤)

وحين عين الانجليز يوسف باشا وهبة لرئاسة الوزارة قاصدين بذلك «ضرب الحركة الوطنية فى اقوى مراكزها الا وهى وحدة عنصرى الامة — تلك الوحدة التى تعتبر من اروع انجازات ثورة ١٩١٩، وحركة الوفد المصرى» — عقد الاقباط اجتماعا كبيرا فى الكنيسة المرقسية الكبرى أعلنوا فيه سخطهم على وهبة باشا وعلى قبوله تأليف الوزارة وفى نفس الوقت رد الوفد على الانجليز بتعيين مرقس حنا وكيلا للجنة المركزية ورئيسا بالنيابة وكتب عبد الرحمن فهمى الى سعد زغلول يقول أن القصد من هذا التعيين هو رد «كيد المتسلطين الى نحرهم ولنثبت لهم أن هذه السفاسف اصبحت بعيدة عن افكارنا وان مبادئنا وطلباتنا القومية لا يمكن ان يقف امامها اى عائق» (٨٥)

ولقد كانت الثمرة الطبيعية لهذا التاريخ الطويل وحدة وطنية اصبحت من اعظم الامثلة التقليدية فى هذا المجال . ولعل ادق تعبير عنها هو ما قاله المناضل **جمال عبد الناصر** فى حديث له مع الصحفى

---

(82) S. H. Leeder, Modern Sons of the Pharos, P 331.

(83) الجبرتى وكفاح الشعب ، ص ١٧٤

(84) La Révolution Egyptienne, I, P 88.

(85) محمد انيس ، دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ، الجزء الاول ، ص ٥٠

الهندى كارانجيا . قال الرئيس ان بلادنا واجهت كل انواع الهجمات المعادية للثورة ابتداء من التهديد الاقتصادى الى العدوان المسلح. ثم اوضح العوامل التى ساعدتنا على هزيمة العدو — واولها :

« هناك فرق اساسى بين الامة والدولة. ونحن دولة وامة ايضا . وبمعنى آخر امة واحدة ودولة واحدة. شعب واحد متحد وغير منقسم» (٨٦)

ولقد اصبحت هذه الوحدة من المسلمات فى تاريخنا القومى ، وصار الحديث عنها أمرا عاديا متواترا .

كتب **(محمد حسنين هيكل)** فى معرض الحديث عن محاولة الاستعمار الاوربى استعمال الدين ضد الحركة القومية فى العالم العربى: «فى مصر جرب الاستعمار الاوربى وفشل فى خلق مشكلة طائفية لان وعى الاقباط والمسلمين معا افسد عليه المحاولة وواجهه بوحدة وطنية تماسك فيها الصليب مع الهلال ورفرفا معا فى علم واحد رفعته الثورة الوطنية سنة ١٩١٩ على رأسها» (٨٧)

وبمناسبة وفاة القمص « مرقس سرجيوس » كتب **((لطفى الخولى))** فى الاهرام يقول « انتزع الموت فى الاسبوع الماضى من قلب مصر حياة مناضل شجاع من المناضلين الرواد لحركتنا القومية .. القمص مرقس سرجيوس . ان تاريخ حياة سرجيوس جزء لا يتجزأ من تاريخ نضال الشعب المصرى بكل آلامه وآماله نحو غد افضل .. كانت مصر كلها هى كنيسته الحقيقية التى وهبها حياته ونضاله وعلمه وفكره... والحق انه اذا كانت ثورة عرابى قد انجبت نموذجا تقدميا من رجال الدين تجسد فى «الامام الشيخ محمد عبده» فان ثورة ١٩١٩ قد انجبت ايضا نموذجها التقدمى « القمص مرقس سرجيوس» ويوم ارتفع صوت سرجيوس ذات صباح مجيد من عام ١٩١٩ من فوق منبر الازهر بشعار «وحدة الهلال والصليب» ترددت اصداؤه من فوق جميع مآذن المساجد ودقت مبايعة أجراس جميع الكنائس . فسددت بذلك كل الثغرات فى حركتنا الشعبية أمام مؤامرات الاستعمار والرجعية» (٨٨)

وفى عيد اول السنة القبطية ١٦٧٧ للشهداء (١١ سبتمبر ١٩٦٠ م) تكلم **((الانبا لوكاس))** مطران منفلوط الاسبق فى احتفال اقيم بالقاهرة لهذه المناسبة فقال ان الحملات التى جاءت من الغرب لا يجوز نسبتها الى الصليب . «فالدول التى اطلق التاريخ عليهم اسم «الصليبيين» انما اشهروا حروبهم للاستعمار الذى فى نطاقه حاربوا واعتدوا على الامنين فى ديارهم وغنموا اسلابا طالما اختلفوا فيما بينهم بسببها . وكان اختلافهم — وهو رحمة — دليلا على ان قلوبهم كانت مجردة من مبادىء الصليب وهم يحاربون حروبهم المنسوبة ظلما وافتراء الى الصليب ... ذلك ان مبادىء الصليب هى المحبة والصفح والغفران والتنزه عن الاعتداء والسلب والاغتصاب .. »

وتحدث المطران بعد ذلك عن معانى الاستشهاد فى الحياة اليومية، وضرب لذلك مثلا : « المواطن الذى يعانى من اخيه المواطن او من اخوته المواطنين ويحتملهم بصبر ومحبة واخلاص عميق هو شهيد بدون سفك دم وهو سعيد بذلك . . وكلما تسامى الانسان بهذا الاستشهاد الاجتماعى ازدادت وطنيته سموا وازدهرت ولمعت شخصيته الوطنية كنموذج للمواطن الصالح المثالى »

ثم تكلم الانبا لوكاس عن الوحدة العربية فقال ان الدم القبطى فى صميم الدم العربى ذلك ان اسماعيل أبا العرب — أمه هى هاجر المصرية أخت رمسيس (٨٩) (فرمسيس) المصرى هو خال اسماعيل العربى. فالقرابة وصلة الدم تجمع الاثنين .

واشار الى مظاهر الوحدة الوطنية اثناء ثورة ١٩١٩ «التى كانت امتدادا للثورة العرابية» ثم قال «ان جنين الثورة ظل بعد ذلك كامنا تعمل الاحداث المتنوعة على تنميته الى ان كمل نضجه فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فأنفجر عن الثورة المباركة الماحقة لكل انحلال قومى» (٩٠)

تطور الارساليات : الحركة المسكونية

Eeumenical Mouvement

وليس من شك فى ان الفكر الدينى المسيحى الذى يحيط به هذا الواقع الذى عاشت فيه كنيسة مصر، لا بد ان يكون شيئا مغايرا لفكر دينى مسيحى يصاحب ويؤازر النفوذ الغربى فى امتداده أو تراجعه.

واذا كنا قد شهدنا النشاط الدينى الغربى وهو يمتد مع النفوذ الاستعمارى خلال القرن التاسع عشر، فان تطورات هامة بدات فى الظهور مع مطلع القرن العشرين فى العلاقات بين الغرب — اوربا وامريكا — وبين القارات القديمة فى الشرق .

(٨٦) الاهرام ٩ مايو ١٩٦٦
(٨٧) الاهرام ، بصراحة ، ١٣ مايو ١٩٦٦
(٨٨) الاهرام ، ٢٤ سبتمبر ١٩٦٤
(٨٩) كرمز للشعب المصرى
(٩٠) جريدة مصر ، ١٥ سبتمبر ١٩٦٠

وهنا ايضا ستجد الموجة الفكرية الغربية تواجهها تيارات فكرية مغايرة — تصدر عن واقع تعيشه الكنائس التقليدية ويهمنا منها هنا كنيسة بلادنا ..

وكما قلنا فى البداية اننا نحاول البحث عن مكان الاصالة فى النشاط الدينى — هل هى موجودة وكيف يمكن ان تظهر خلال تغيرات الواقع وتطوراته؟

فى سنة ١٩١٠ عقد اول مؤتمر عالمى — مسكونى — للارساليات، اجتمع فيه مندوبون عن جميع المنظمات والكنائس التى تقوم بالنشاط التبشيرى فى كل انحاء المسكونة . ولقد قررت رئاسة المؤتمر ان تضع مؤلفا يشرح هدف المؤتمر وظروف انعقاده والقرارات التى اتخذت فيه. واختير من اجل القيام بهذه المهمة «تمبل جاردنر» وكان وقتئذ يستعد للحضور الى القاهرة مرسلا من قبل جمعية التبشير الانجليزية ليعمل فى مصر فأخذ من رئاسته اجازة ليتفرغ لهذه المهمة العاجلة. وهكذا صدر كتاب « ادنبرة — ١٩١٠ » . عرض وتفسير لمؤتمر الارساليات العالمى» (٩١)

فما هى الظروف التى من اجلها عقد هذا المؤتمر المسكونى الذى يعتبره جميع الدارسين بداية ما يسمونه بالحركة المسكونية ؟ فى الصفحات الاولى من المؤلف المذكور نقرأ : «ان الدور الذى يقوم به مشروع الارساليات العالمى فى تشكيل العالم هو دور عظيم وسيزداد يوما بعد يوم — فهذا التداخل بين تاريخ العالم وتبشير العالم يكون ظاهرة لابد وان تجبر رجل الدولة وكل من يهتم بمجرى الحياة فى العالم على دراستها (٩٢) . الا ان هناك ناحية اخرى — فاذا كانت الارساليات تساهم فى صنع التاريخ فان احداث التاريخ بدورها تؤثر فى حركة الارساليات موجهة مجرى جهودها، محددة لاهدافها ومعدلة لاساليبها. وحين يقع واحد من تلك الاحداث النادرة التى مثل صدمة الزلزال تؤثر فى كل مرصد سياسى فى كل انحاء الارض فانه يتبع ذلك حتما ان كل مشروع الارساليات العالمية يحس بأكمله بالهزة ويعترف بأنه مطالب بمواجهة طارىء جديد وموقف متغير »

ويواصل جاردنر حديثه : «وان ما حدث اخيرا فى الشرق الاقصى يقدم مثالا لهذه الاحداث الخطيرة التى افتتحت القرن العشرين — فحتى هذا الوقت ومنذ اقدم الايام التى بدأت فيها تجارة الاوربيين مع الشرق ،وفيما عدا الفترة القصيرة التى ساد فيها العرب والترك، نعم منذ ايام الاسكندر الاكبر نفسه — كان مد التسلط والسيادة السياسية والعسكرية يجرى من الغرب الى الشرق. فالهند يرفرف فوقها علم غربى ،والصين وشعبها الذى يكون ربع الجنس البشرى كانت مشرفة على الانحلال. والامر بالنسبة لها كان يتراوح بين اعتبارها تركيا الشرق الاقصى — رجل آسيا المريض او ان يجرى تقسيمها بين قوى الغرب. والمحيط الهادى كان بحرا غربيا كالاطلنطى تماما .فمع وجود امريكا سائدة على شاطئه الشرقى وروسيا وباقى قوى الغرب على شاطئه الغربى — كان يبدو ان سيادة الغرب على العالم قد اكتملت »

ويستطرد المؤلف : «ثم — سقطت بورت آرثر (التى انتصرت فيها اليابان الاسيوية على روسيا الدولة الاوربية) وتغيرت صورة الاشياء تماما . لقد قلبت الافكار المستقرة بناء على ما جرت به الاحداث طوال عشرات القرون : ان مد التقدم والسيادة الغربيين الذى بدا كما لو انه ظاهرة من ظواهر الطبيعة التى لا يمسها تغيير اكثر من كونه نتيجة لاعمال البشر والدول — هذا المد بدأ فجأة يتقهقر. اما بالنسبة للرجل الشرقى، فقد فسر الحدث على انه متفق مع المنطق تماما. فكما ان تحول المد هو علامة تدفق الفيضان العائد هادرا — فان ذلك الحدث الحاسم ليس بدوره الا علامة على ان مد النفوذ العربى والسيادة التجارية والتسلط السياسى قد بدأ يتحول منذ ذلك الوقت متخذا مساره — كما كان قبل موقعة الماراثون — من الشرق الى الغرب!

« ومن بلاد الشرق انتقلت الهزة الكهربائية التى ولدتها مثل هذه الافكار محركة الامال والتطلعات الوطنية حيث لم يكن شىء من ذلك فكل حديث حول تقسيم الصين توقف فجأة .ووقف العالم مذهولا وهو يتطلع الى العملاق النائم يوقظ نفسه ويقوم منتصبا على قدميه ..! واحست كوريا ومنشوريا ومالاييزيا وسيلان بالهزة — كل بطريقتها الخاصة. بل وبدا ان ثمة فكرا جديدا اخذ يعطى شعورا بالوحدة للهند نفسها المقسمة عنصريا ودينيا . قد يكون الحديث الذى دار بهذا الخصوص فى اسواق المدن الهندية وحتى فى قراها غامضا ومليئا بالجهل ولكن

(91) W.H.T. Gairdner, Edinburgh 1910. An Account and Interpretation of the World Missionary Conference, 1910.

(٩٢) الواقع ان الانسان مضطر الى التسليم بهذا الذى يقوله جاردنر . ولقد وايد فيما سبق الدور الذى كان يقوم به يوجين ستوك وزملاؤه من اعضاء جمعية التبشير الانجليزية ، فى النشاط الاستعمارى الانجليزى فى العالم كله .

ونحن نقرأ فى التاريخ الذى وضعه ستوك لجمعيته انه فى سنة ١٨٣٩ كانت سوريا مضطربة بسبب انتصارات محمد على ثم تدخلت الدول الاوربية وارجعت محمد على بالقوة . ولقد كان اللورد آشلى نائب رئيس الجمعية — طبقا لما جاء فى كلام يوجين ستوك نفسه — احد العناصر التى دفعت بالمرستون الى اتخاذ هذا الموقف من محمد على . لان آشلى كان يامل انه بهذا التصرف يخلى الطريق كى يستقر اليهود فى الارض المقدسة . (ستوك أ ص ٤١٩) ، لقد رحب اشلى بانتصار العثمانيين على المصريين فى الشام لان هذا يسهل تنفيذ الاتفاقات الانجليزية العثمانية على اقامة دولة اليهود . انظر فى هذا الصدد ما كتبه محمد حسنين هيكل بصراحة ، الاهرام ٢٩ يوليو ١٩٦٦

دلالته لا يمكن ان يتجاهلها احد . نفس الحديث كان يمكن سماعه في كابول وطهران وفي مقاهي القسطنطينية والقاهرة — والله وحده هو الذي يعلم مادا كان يتردد اكثر من هذا في الغرب والجنوب . وليس من محض الصدفة ان الخمس سنوات التي تلت ذلك الحدث شهدت تقدم الوطنية السريع في مصر والانقلابات في فارس وتركيا . وفي اوربا نفسها كان رد الفعل شديدا في روسيا نفسها التي كانت اداة هذه الثورة الشاملة . وفي افريقيا بدا الشعور الافريقي القومي يحس بفاعليته — سواء جاءت هذه القومية من الجنوب او الشمال .. »

« كان واضحا ان الشرق قد استيقظ — ليس بسبب هدير الجحافل الغربية الذي ظل مئات المرات يزعج السبات الذي كان يطويه ، بل لان الشرق كان لاول مرة يستجيب لنداء اليقظة الذي كان ينبعث من اعماق طبيعته » ! (٩٣)

وفي حقيقة الامر — لقد بدات بوادر اليقظة الشرقية في الظهور قبيل مطلع القرن العشرين ، كما ان رد الفعل بدا يظهر قبل انعقاد مؤتمر سنة ١٩١٠ . وكانت الولايات المتحدة الامريكية هي المحرك الرئيسي للنشاط الغربي في هذه الحقبة . ولقد عقد في نيويورك خلال المدة من ٢١ ابريل — اول مايو ١٩٠٠ مؤتمر عالمي للارساليات نقرا في اعماله الاحساس بخطورة المرحلة القادمة ، وبضرورة العمل العاجل للاحتفاظ بمواقع النفوذ الغربية الحالية وباكتساب المزيد منها . وقد راس الجلسة الافتتاحية للمؤتمر ((**بنيامين هاريسون**)) الرئيس السابق للولايات المتحدة ، الذي القى كلمة قال فيها ان العالم لا يعرف حاليا الحروب التي تهدف لمجرد السيطرة السياسية « ان موقع كل بلد تتحدد اهميته قبل كل شيء على اساس قيمته التجارية . والمستعمرات تمثل محلات البيع في اركان السوق العالمي .. ولم يكن تاثير القوة التجارية على سلطات الحكم في مختلف البلدان بمثل هذه القوة التي نشهدها الان . ان معركة الاسواق على اشدها والمطلب الاول للدول هو : المستهلكون » (٩٤)

وفي كلمة القاها احد اعضاء المؤتمر يوم ٢٥ ابريل — اوضح المتكلم علاقة الارساليات بالتجارة ، قال : « كل مبشر حتى لاكثر الشعوب بدائية يهتم بالتجارة . وكل تاجر هو جمعية تبشير مركزة . ان المبشر يقدم للتجارة الفرصة والتوجيه ، انه يمنحها ميادين جديدة ويساعدها بالمبادىء والخبرة التي بهما تستطيع ان تكون مفيدة ومستمرة .. ففي اعقاب المرسلين جاء التجار والمستعمرون .. » (٩٥)

العصر الذهبي للولايات المتحدة الامريكية

في هذا الوقت بالذات كانت الولايات المتحدة في عصرها الذهبي . فبعد ان انتهت الحرب الاهلية بين الشمال والجنوب ازدهر الاقتصاد الامريكي ازدهارا لم يعرف له مثيل من قبل . تضاعف انتاج الفحم خمس مرات ، زاد انتاج الصلب مائة مرة .. القمح ، المعادن الثمينة ، الانتاج الصناعي كل شيء ازداد وتضاعف . قبل عام ١٨٧٦ لم تكن صادرات البلاد اكبر من وارداتها الا في ثلاث سنوات (١٨٥٧ و ١٨٦٢ و ١٨٧٤) اما ابتداء من ١٨٧٦ ، فانه لم تحدث زيادة في الواردات على الصادرات الا في ثلاث سنوات فقط (١٨٨٨ و ١٨٨٩ و ١٨٩٠) وارتفعت الودائع في البنوك ست مرات . (٩٦) ولقد بلغت ثروة اعضاء الكونجرس الامريكي خلال رئاسة بنيامين هاريسون (١٨٨٨ — ١٨٩١) ما قيمته بليون دولار . وحين ندد الديمقراطيون بكونجرس البليون دولار الامريكي ، كانت الاجابة : ولكننا امة البليون دولار . ولقد سجل احصاء عام ١٨٩٠ ، ازدهارا مذهلا للولايات المتحدة فسكانها ٦٢ر٥٠٠ر٠٠٠ نسمة ، وثروة البلاد ٦٥ بليون دولار (٩٧)

وواضح ان مثل هذه الثروة الضخمة في ظل الاوضاع الراسمالية السائدة ، تحتاج الى العالم كله سوقا لها ، بل ان فتح العالم للتجارة الامريكية اصبح ضرورة عاجلة اذا اخذنا في الاعتبار انه على الشاطيء الاخر من المحيط الهادي كان بلد ناشيء يبني نفسه سياسيا وصناعيا . ولقد تردد في مؤتمر نيويورك السالف ذكره عن اليابان ان الزائر الاجنبي لها يمتلىء دهشة واعجابا بالتقدم الذي يتحقق فيها ، والسهولة التي تتم بها هذه النهضة . فالسادة الاقطاعيون يتنازلون عن امتيازاتهم لسلطة الدولة المركزية والى جانب ذلك فان تجارة البلاد تزدهر وارتفعت قيمتها خلال الاثنى عشر عاما الماضية من ٦٦ مليون دولار الى ١٩٢ مليون دولار (٩٨) . بل ان الخوف كان يملأ نفوس القوم من ان تحذو بلاد اخرى حذو اليابان . وفي سنة ١٩١٠ قال احد الحاضرين في مؤتمر الارساليات : « ان شعب الصين ينفض الان مخلفات ماضيه الا انهم لم يمسكوا بعد بالحضارة الحديثة . ان اذهان الصينيين فارغة الان وهذه هي الصورة التي على الغرب اغتنامها . اما اذا انتظرتم اربع سنوات او خمس او حتى ثلاث سنوات فانكم ستجدون في الصين تغيرا نتيجة اعراض الصينيين تماما عنكم . انني ارجوكم ان تقدموا على خطوات عاجلة — ففي خلال خمس

(٩٣) جاردنر ، المرجع السابق ، ص ٩٠ وما بعدها

(94) Ecumenical Missionary Conference, N. York, 1900, Vol I, P27.

(٩٥) المرجع السابق ص ٣٢٦

(96) David Saville Muzzy. An American His tory, N. York, 1917, P 520.

(٩٧) المرجع السابق ص ٥٤٧

(98) Ec. Miss. Conf. 1900, I, P 525.

سنوات سيكون الوقت متأخرا جدا . . لا تنتظروا حتى يفوت الوقت كما حدث بالنسبة لليابان . تقدموا فورا » (٩٩)

هذه هي الظروف التي نشأت فيها الحركة المسكونية . وقد قام مخططها على اساسين : السرعة والتنسيق .

ولعل الشعار الذي تبنته منظمات الشبان والطلبة في امريكا خلال السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر ونقلته الى اوربا لتندفع وراءه جموع الطلبة في انجلترا على الخصوص — لعل هذا الشعار الذي يدعو الى «**ضرورة تبشير العالم كله في هذا الجيل**» يعبر اصدق التعبير عن الرغبة القوية في سرعة المواجهة لليقظة الشرقية دون اي ابطاء

اما الامريكي الذي نحت هذا الشعار ونشره فهو «**جون رالي موط**» الذي لم يكن من رجال الدين، واسس الاتحاد المسيحي العالمي للطلبة عام ١٨٩٥ . ويعتبر هذا الرجل هو رائد الحركة المسكونية، وقد جال بين مختلف القارات وحضر الى مصر يدعو لشعاره . كما رأس مؤتمر الارساليات سنة ١٩١٠، ورأس مجلس الارساليات العالمي الذي تأسس عام ١٩٢١ ومؤتمريه اللذين انعقدا في القدس عام ١٩٢٨ وتامبرام بالهند عام ١٩٣٨ ورأس مؤتمر اكسفورد عام ١٩٣٧ ، ولما تأسس مجلس الكنائس العالمي اختير موط ليكون رئيسه الفخري . هذا العرض لتاريخ الرجل يوضح لنا مدى النفوذ الامريكي في هذه المرحلة من تاريخ الارساليات في العالم كله . ان «ستيفن نيل» مؤرخ الارساليات يطلق على هذا القرن «القرن الامريكي» ويقول ان سيادة الولايات المتحدة المتزايدة في الميدان السياسي العالمي ترددت صورتها في اندفاع الكنائس الامريكية وكرمها ومشروعاتها المتسعة في ميدان التبشير . ومن بين ٤٣٫٠٠٠ مبشر بروتستانتي يعملون في انحاء العالم كله طبقا لاحصاء ١٩٥٨ كان هناك ٢٧٫٧٣٣ من الولايات المتحدة (١٠٠)

ولقد الف جون موط كتابا اعطى له عنوان شعاره : «تبشير العالم في هذا الجيل» (١٠١) — تحمل صفاته الطابع الامريكي الذي يجعل الدولار اساس النجاح في كل عمل . فهو يوضح مدى الثروة الهائلة التي لدى الكنائس البروتستانتية في اوربا وامريكا، والتي يمكن مضاعفتها . ويردد الفوارق بين الكنيسة الضعيفة ايام "رسل" والكنيسة القوية حاليا (١٠٢) . وفي كتابات الرجل الاخرى يكشف عن ممالأته للاستعمار وعدم تقديره للاهداف الوطنية التي تحرك الشعوب المستعمرة (١٠٣) .

هذا عن السرعة .

اما التنسيق ، فاننا نفهم ضرورته من حديث «للقمص مكاري السرياني» يقول : «ان الحركة المسكونية قد بدأت تحقيقا لرغبة بعض الكنائس وهي تكافح لمواجهة مشاكلها الخاصة . والشائع انها بدأت بالمؤتمر الذي انعقد في ادنبرة عام ١٩١٠، لان موجة من القلق والاضطراب النفسي كانت تجتاح العالم آنذاك . ففي ميدان التبشير انتشرت الفوضى نتيجة الانقسامات العديدة بين الكنائس الغربية والتي سرت منها الى الكنائس الحديثة التي تأسست حيثما ذهب هؤلاء الغربيون .. واحس كل مجتمع ان القطيعة القائمة في القرية وفي المدينة والناتجة عن المنافسة الحادة بين المذاهب هي العقبة التي تعترض السبيل الى حل مشاكل العصر الجديد . وهي المشاكل الناتجة عن التصنيع وعن الهجرة من الريف الى المدينة وعن تقدم العلوم .. » (١٠٤)

فنشأة الحركة المسكونية اذن مرتبطة بالاحداث الداخلية في البلاد التي نشط الغرب داخلها . تلك الاحداث التي تتمثل قبل كل شيء في محاولة الشعوب الشرقية النهوض والتقدم واستخدام مواردها ونشر التصنيع داخلها . وكان لا بد من انهاء المنافسة الحادة بين المذاهب الوافدة من الغرب ليمكن التكتل ورسم سياسة موحدة لمواجهة هذه اليقظة الجديدة — كي تظل للغرب سيطرته ويبقى الشرق عملاقا غارقا في السبات .

والواقع ان هذه المواجهة الجماعية من جانب الغرب ليقظة الشرق لم تكن فقط في ميدان الارساليات بل ان هذه الصفة الجماعية تبدت في ميدان الاستعمار نفسه منذ اواخر القرن التاسع عشر . اذ بدأت دول الاستعمار الاوربي تنظم علاقاتها نحو مستعمراتها . ففي سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ عقد مؤتمر برلين لتنظيم تقسيم قارة افريقيا بين دول الاستعمار الاوربي . وفي هذا المؤتمر لفت بسمارك النظر الى مسئولية هذه الدول نحو تشجيع الارساليات وغيرها من المنظمات التي تهتم

---

(٩٩) جاردنر ، المرجع السابق ، ص٧٧

(١٠٠) ستيفن نيل ، تاريخ الارساليات المسيحية ، المرجع السابق ص ٤٥٨

(101) John R. Mott, The Evangelization of the World in this Generation, N. York 1900.

(١٠٢) ص ١١٦ — ١٢٠ و١٣١

(١٠٣) في مقابلة بين موط وغاندي اعترض الاول على مطالبة الزعيم الهندي بالاستقلال وذكر له ان كندا لم تصل الى وضعها الا بعد ان جلست اجيالا تحت اقدام (ام البرلمانات) تتعلم منها
Mott, The Present Day Summons of the World Mission of Christianity, Nachville, 1931, P 15.

(١٠٤) جريدة مصر ، ٦ فبراير سنة ١٩٦٢

بنشر المعرفة المفيدة (١٠٤ مكرر) وتحن نجد مثل هذا التنسيق بين دول الاستعمار فى الاتفاق الودى الذى عقد بين انجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ وبمقتضاه اطلقت يد انجلترا فى مصر ويد فرنسا فى مراكش. وعقد اتفاق مماثل بين فرنسا وايطاليا بخصوص تونس وليبيا ».

من خلال هذا التكتل بين منظمات الارساليات الغربية الذى نشأ من خلال الاحداث الدولية خلال الاعوام الاولى من القرن العشرين نشأت فكرة الوحدة المسيحية . وتتابعت المنظمات التى تحاول ان تخدم هذه الفكرة ».

وتردد صدى الحركة المسكونية فى مصر .
وفى حلوان عقد مؤتمر خلال المدة من ١٧ — ١٩ اكتوبر ١٩٢١ مثلت فيه الكنائس الغربية والشرقية وذلك ضمن الجهود العالمية التى ترمى الى اعادة الاتحاد بين الكنائس . وقد عقد بناء على دعوة خاصة من الاسقف « جوين » الانجليكانى وتحت رئاسته . وتردد فى هذا المؤتمر وجهتا نظر متعارضتان — احداهما من الارثوذكس تصر على ضرورة الوحدة العقائدية والاخرى من رئيس المؤتمر تجعل الوحدة اساسا فى مجال العمل أى من أجل تبشير غير المسيحين .

ومما يذكر انه كان من بين الحاضرين رئيس قساوسة الجنود الانجليز بمصر . (!)

اما الكنيسة القبطية فلم يكن حاضرا عنها سوى كاهن وعلمانى ،وسط مندوبين عن الكنائس الاخرى عددهم كبير ورتبهم الكنسية اعلى، حتى ان احد الحاضرين لاحظ ان اى جهد لتحقيق الوحدة المسيحية فى مصر دون مشاركة جدية من الكنيسة القبطية يكون بلا جدوى (١٠٥)

هذا ومن الواضح ان الوحدة المسيحية الحقيقية لا يمكن ان تتم فى ظل الاحتلال الاستعمارى وبرعايته وبحضور كبير قساوسة جنوده. ولعل الواقعة التالية التى أثبتها «منسى القمص» فى تاريخه للكنيسة القبطية تكشف عن مدى اخلاص هذه الجهود .

كان البابا كيرلس الرابع يجتهد لتحقيق الوحدة بين الكنائس الارثوذكسية. وقد وقعت لهذا البابا مأساة محزنة دبرها له دهاة ساسة الانجليز الذين كانوا ناقمين لانه طرد مرسليهم من بلاد الحبشة واشتد غيظهم عليه عندما علموا عزمه على توحيد الكنائس الارثوذكسية. وقد انتهز قنصل الانجليز «جنرال مرى ودس» الى « سعيد باشا » بأن كيرلس انما يسعى لجعل الكنائس الارثوذكسية تحت رئاسته وان هذا خطر عظيم يهدد الولاية المصرية. وكان ان توفى هذا البابا مسموما فى ظروف مريبة تقطع بوجود التآمر ضد حياته (١٠٦)

ولقد اصبح التعليم التقليدى فى الكنيسة القبطية هو رفض كل عمل من اجل الوحدة على اساس النزوع العاطفى، او على اساس النزوع الى التكتل ضد قوى اخرى (١٠٧) . بل الوحدة المسيحية اساسا هى الوحدة فى الايمان، اى على اساس العقيدة المستقيمة (١٠٨) . ولقد دافعت الجماهير الشعبية عن هذا المبدأ خلال الثلاثينات من هذا القرن، ونجحت فى تجميد نشاط جميع الذين كانوا يروجون للحركة المسكونية فى بلادنا، ولم تمكنهم من تحقيق اى هدف من اهدافهم .

عصر ما بعد الاستعمار التقليدى

ثم نصل الى ما بعد الحرب العالمية الثانية — وهنا نجد التيارات الفكرية التى تحرك النشاط الدينى الغربى وتسود الحركة المسكونية تتطور تطورات عميقة، وتتخذ لتحقيق اهدافها اشكالا ووسائل عملية تتناسب والعلاقات الدولية فى منتصف القرن العشرين .ولكى نعرف مدى عمق هذه التطورات نقارن الوضع قبل الحرب الاخيرة، بما حدث بعدها.

قبل الحرب، كان النظام المطبق فى عمل الارساليات من حيث المبدأ هو تسلط المبشرين الاجانب تسلطا تاما على النشاط الدينى داخل البلاد التى يعملون فيها يصاحب ذلك منع للكنائس من التدخل فى الحياة السياسية والاقتصادية لتلك البلاد.

اما **بعد الحرب** فقد اصبح المبدأ هو منح الاستقلال «للكنائس الصغرى» وضمها فى مجالس اقليمية وعالمية، مع تحريضها على ابداء الرأى فى الشئون السياسية والاقتصادية داخل بلادها ووضع الاساس الايديولوجى اللاهوتى لهذا التدخل وتحديد المبادىء التى تدافع تلك الكنائس عنها .

فلقد رأينا «رولاند آلان» يكشف عن الادارة الداخلية للجماعات الدينية التى تكونها الارساليات

(١٠٤ مكرر) ستيفن نيل ، تاريخ الارساليات ، ص ٤٣٦
(105) Report of the Conference on Church Reunion Held at Helwan near Cairo October 1921.
(١٠٦) منسى القمص ، المرجع السابق، ص ٦٧٠
(١٠٧) الاب متى المسكين ، الوحدة المسيحية ، ١٩٦٥
(١٠٨) نظير جيد ، رأينا فى اتحاد الكنائس ، مجلة مدارس الاحد ، ابريل ١٩٥١ ، ص ١
الانبا شنوده اسقف المعاهد الدينية ، وحدة ... لكن فى الايمان ، مجلة الكرازة، ابريل ١٩٦٥

وكيف تحكموا فيها عن طريق الدرجات الكهنوتية التى منعوها عن الوطنيين وبجعل الكنائس الوليدة تعتمد اعتمادا كليا على مصادر التمويل التى تتبع الارساليات. وحتى حين كان الوطنيون من الافريقيين او الاسيويين يمنحون درجات كهنوتية — فان دور هؤلاء لم يكن يتعدى المعاونة — كان الافريقى اوالاسيوى مجرد ذراع المبشر الغربى الذى يأتمر بأمره دون اية معارضة. وكان اغلب المبشرين فى القرن التاسع يعتقدون ان بقاءهم فى افريقيا وآسيا مسلم به، وانهم سيظلون هناك الى الابد. وكان لهم كما يقول مؤرخ الارساليات ستيفن نيل ، نفس مفاهيم المستعمرين :الرجل الغربى الابيض هو وحده الرجل الكامل، الحكيم الطيب (١٠٩) ولقد رأينا من قبل رأى «واطسن» المبشر الامريكى فى الشعب المصرى. اما بالنسبة للمدرسة الانجليزيه التى كانت تدعو الى منح الاستقلال للكنائس مع الاشراف عليها — وهى نفس السياسة الانجليزيه الاستعمارية حيال مناطق نفوذها كما حدث فى مصر والعراق — فانه قد حدث ان طبقت هذه المبادىء فى مستعمرة سيراليون عام ١٨٨٠ وفى احدى مقاطعات الهند عام ١٨٨٠ ،فانسحب المبشرون من الجزيره وتركت الكنيسة يديرها الوطنيون . والنتيجة هى الوقوع فى الفوضى الشاملة التى ادت الى عودة الغربيين وتسلطهم من جديد (١١٠) .

انها «البروفة» الاولى لما حدث اخيرا ى المستعمرات الافريقية، وبالذات للكونجو البلجيكى.

وعلى العموم — فانه مع المد الوطنى ،ومع تهاوى النظام الاستعمارى كان من المحتم — كما يقول هنريك كرايمر الذى اشرنا الى كلامه فيما سبق — ان ينتهى عصر الارساليات نهائيا. ولكن هذا لا يعنى نهاية النفوذ الغربى، بل كما حدث بالنسبة للاستعمار القديم لا بد من تحول فى صور التسلط تخفى الوجه الابيض السافر مع استبقاء السيطرة الغربية الحقيقية .

يقول الدكتور ((بول ابرخت)) رئيس قسم الكنيسة والمجتمع بمجلس الكنائس العالمى ان مركز الكنائس الغربية داخل افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينيه حدثت له ظاهرة مشابهة لما حدث للاستعمار السياسى هناك .فكما ان الاستعمار الغربى اخلى الطريق للدولة المستقلة، هكذا تخلى الارنساليه مكانها لتأخذه الكنيسة الوطنية الوليدة. والقائد الوطنى للكنيسة الاهلية اصبح يحتل مكان المبشر الابيض الوافد من الغرب . وعوض مجالس الارساليات تظهر مجالس الكنائس. وكما ان التغير السياسى جعل وزارة المستعمرات وضعا متخلفا احتاج لان يسلم سلطاته الى منظمة علاقات مشتركة — كومنولث — او الى وزارة الخارجية — هكذا يتعين على الكنائس الغربية ان تعيد صياغة علاقاتها مع الكنائس الصغرى المستقلة حديثا (١١١) .

فاذا انتقلنا الى علاقة الارساليات بالحياة السياسية فى البلاد الافريقية والاسيوية — رأينا ان الارتباط الوثيق بين السلطات الاستعمارية والسلطات التبشيرية ادى الى ان المبشرين الغربيين كانوا فى الحقيقة حماة النظام الاستعمارى. ومن هنا اصرارهم على ان يبعدوا اهالى الكنيسة الوطنيين بل والحياة الدينية عموما عن كل مشاركة فى الحياة السياسية للبلاد (١١٢) .

على ان الفصل بين السياسة والدين كان هو التيار الغالب قبل الحرب العالمية الثانية ،حتى فى بلاد الغرب نفسها . ففى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن كانت الدول الغربية تموج بالتيارات المطالبة بالتغيير الاجتماعى والاقتصادى. وايدت الكنائس هذا الاتجاه التقدمى وصدرت عنها النداءات لاجراء هذا التغيير. ويقول احد الدارسين ان «مودة» العصر داخل الجماعات والهيئات الكنسية كانت اصدار قرارات اجتماعية تقدمية . (١١٣) وهكذا تبدت خطورة هذا الاتجاه على النظام الاقتصادى السائد فى الغرب، وبدأت الهجمات المضادة توجه اليه لحصره فى اضيق نطاق. يضاف الى ذلك ان سياسة الملايين من الدول الغربية نحو النظام النازى الذى استقر فى المانيا، والذى بدات بعض المؤتمرات الكنسية تتخذ منه مواقف محددة علنية (١١٤) — ادت الى ضرورة التدخل فى هذه المؤتمرات ومنع الكنائس من اتخاذ القرارات التى تتعارض وسياسة دولها .

ولعل مؤتمر اكسفورد سنة ١٩٣٧ الذى كان موضوعه «الكنيسة والمجتمع والدولة» هو الذى طوع الكنائس لسياسة دولها، وكان التيار السائد فيه هو قمع نشاط الكنيسة خارج النطاق الدينى، وتضمنت الدراسات التى اعدت للمؤتمر والقرارات التى صدرت منه المبررات الدينية والعملية لهذا الاتجاه (١١٥) .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية، وفى أعقابها تكون

---

(١٠٩) تاريخ الارساليات ، ص ٢٥٩
(١١٠) المرجع السابق
(111) Paul Abrecht, The Churches and Rapid Social Change, N. York, 1961, P 65, 111.
(١١٢) المرجع السابق ص ٨٧
(113) Ernest Johnson, The Church and Society, N. York, 1935, P 25
(114) G.K.A.Bell, The Kingship of Christ, Penguin Book, 1954, P 30.
(١١٥) وانظر على سبيل المثال :
Oldham and Vissert't Hooft, The Church and its Function in Society, London. 1937.

مجلس الكنائس العالمي. وعقد اول مؤتمراته في هولندا عام ١٩٤٨، ثم عقد مؤتمره الثاني في الولايات المتحدة عام ١٩٥٤، وكان الثالث في نيودلهي عام ١٩٦١. وخلال ذلك قام فريق من العاملين بهذا المجلس بدراسة خاصة للتغير السياسي والاقتصادي والاجتماعي داخل الدول المستقلة حديثا في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية — وهي المناطق التي اطلق عليها اسم بلاد التغير الاجتماعي السريع. وعقدت من اجل ذلك المؤتمرات ولجان البحث، وصدرت القرارات والنشرات والكتب التي تحدد اتجاهات المجلس من نحو حركات الاستقلال الوطني، والتصنيع، والتحول نحو الاشتراكية (١١٦).

وعلى عكس ما كان يحدث قبل الحرب وفي اثناء قيام الارساليات، نجد دعوة المجلس تتجه في صراحة تامة الى ضرورة تدخل الكنائس داخل البلاد المستقلة حديثا في سياسة بلادها. وابتدع لاهوتيو المجلس لتبرير هذا الاتجاه نظرية لاهوتية تقول بأن نشاط الدولة في كل نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو تحت سلطان الله، ولابد للكنائس من أن تبدي رأيها في هذا النشاط بل وتعمل على توجيهه الوجهة التي تتفق وارادة الله. وفي هذا السبيل لا بد من اقامة المعاهد التابعة للكنيسة لدراسة الحياة الحكومية والنشاط السياسي في البلد، وتشكيل تنظيم يضم رجال اللاهوت وخبراء السياسة والاقتصاد لتحديد اتجاه الكنيسة. وهنا لا بد من الاستعانة بخبرة الكنائس الغربية، حتى يكون اتجاه الكنيسة داخل الدولة المستقلة حديثا متفقا مع اتجاه الكنائس المسيحية في العالم كله (١١٧) ويصل التناسق بين اتجاهات المجلس والاتجاه الغربي في السياسة الدولية الى حد ان احد الكتب التي اصدرها المجلس تضمن نظرية اجتماعية دينية تدعو الى ضرورة اجراء الصلح بين العرب واسرائيل ليتكون من الجميع مجتمع متناسق يحيا في سلام داخل منطقة الشرق الاوسط (١١٨).

ونحن نجد اصداء لاتجاهات المجلس الخاصة بالعلاقة بين الكنيسة والسياسة والاقتصاد في بعض الكتابات التي صدرت داخل بلادنا. وغالبا مايكون الدفاع عن هذه الاتجاهات مقترنا بالدفاع عن عمل الارساليات في الماضي.

فابتداء من عام ١٩٦١ بدأ الدكتور زاهر رياض يؤلف الكتب وينشر المقالات في بعض الصحف والمجلات للاشادة بجهود الارساليات في افريقيا. ولديه ان العامل الاكبر في حركة التحرر الوطني داخل هذه القارة كان التعليم — ولم تبدأ الجهود من اجل القيام بهذه المهمة الا حين قدم المبشرون الاوربيون في بداية الاربعين الاولى للقرن التاسع عشر (١١٩).

وحين يصل الدكتور زاهر رياض الى مشاكل مابعد الاستقلال نجده يعرض صورة قاسية للحياة في الدول الافريقية بعد ان غادرها المستعمرون والمبشرون: «الوطنيون مازالوا يتسكعون في شوارع المدن الافريقية الصناعية بحثا عن عمل، والجوع القاتل يطاردهم مما يهدد المجتمع شر التهديد — بل يهدد ايضا عواطفهم الوطنية. فهم يقرنون عهد الاستعمار بالعمل ذي الاجر وان كان منخفضا كما يقرنون عهد الاستقلال بالبطالة ومايقاسونه وماتقاسيه معهم عائلاتهم من جوع وفقر ومسغبة» (١٢٠).

كيف اذن يكون الخروج من هذا التخلف؟ يقول الكاتب ان التنمية الاقتصادية بالنسبة لافريقيا تعتبر ضرورة حتمية، «ولكننا نعرف ايضا في نفس الوقت ان الاتجاه الى التصنيع وخاصة اذا كان تصنيعا سريعا يؤدي الى انهيار المثل الانسانية» (١٢١). ثم يصل الكاتب الى نتيجة يصعب وضعها في اطار التفكير العلمي في النصف الثاني من القرن العشرين. يقول: «نستطيع ان نستخلص من هذا العرض السريع انه انما اريد ان يكون الاتجاه الى التنمية مثمرا، لابد ان يكون سريعا وان يكون في قدر كبير وكذلك لايرمى الى الربح الفاحش بل الى ربح يسير. فاين هي هذه الجهة التي تستطيع ان تضحي بالمال من اجل اسعاد البشر دون ان يرنو بصرها الى الربح الفاحش: الحق انه لايوجد من ينتظر منه القيام بهذه الخدمة الا الكنيسة» (١٢٢).

ولكن اذا سايرنا الكاتب قليلا في هذا المنطق يثور التساؤل، ومن اين المال والخبراء للكنيسه كي تقوم بتنمية اقتصادية سريعة وكبيرة دون تحقيق ربح ... نجد الاجابة لديه كالاتي: الكنيسة الوطنية التي كونتها الارساليات «تحدوها الثقة المتبادلة بينها وبين امها الكنيسة التابعة لها لا تتردد في الاستعانة بالفنيين الاجانب ..»

وهكذا يظل الارتباط بين النشاط الديني الغربي

---

(١١٦) انظر في هذا الصدد كتاب ايرخت المشار اليه ص ٢١٢
(١١٧) ايرخت، الفصل السادس ص ٨٣ وما بعدها
(118) Egbert De Vries, Man in Rapid Social Change, London, 1961, P 219 — 224.
(١١٩) اثر الكنيسة القبطية في بعث القومية الافريقية، مجلة مدارس الاحد السنة ١٧، ١، ص ٢٣ — ٢ ص ٦٧، جريدة مصر ٥ مايو ١٩٦٤
(١٢٠) مشاكل افريقية، مجلة مدارس الاحد، السنة ١٩، ١ ص ٣٦
(١٢١) التخلف الاقتصادي، مجلة مدارس الاحد، السنة ١٩، ٩ و١٠، ص ٥٠
(١٢٢) المرجع السابق ص ٥١

والمستعمرات السابقة . ولكن في صورة جديدة تتفق والمرحلة الحالية من الاســـــتعمار الذى اصطلح على تسميتها بالاستعمار الجديد .

وثمة كاتب اخر يردد نفس اتجاهات مجلس الكنائس العالمى . ففى كتاب «الكنيسة فى مجتمع متطور» للقس **صموئيل حبيب** نقرأ ان «الفلاح الذى يلقى البذرة فى الارض يرفع نظره الى السماء مصليا ان يسكب الله عليه رضاه وان ينبت له ثمرا متكاثرا وفيرا ... اما الصانع فهو يضغط على الالة فتنحرك الماكينات بطاقة هائلة مدهشة .. انه لايرى الله وراء الالة .. ويزيد ايمانه بالهه الجديد «الالة» فيتعبد لها باعتبارها مصدر رزقه» ويستطرد الكاتب فيقول ان «من اخطار التكنولوجيا والتصـــنيع ان الالة تصبح ســـيدة الانسان ، وان الدولة تضع كل القيم للالة ، ولا تهتم باليد العاملة التى تدير الاله . انا معرضون مع الثورات الاقتصادية والاجتماعية ان نطيح بالقيم والمثل الخطيرة ، ونضرب عرض الحائط بكرامة الانسان وعزته وحريته .. » ولذلك فان « آلية الزراعة والصناعة لها خطرها وآثارها فى العلاقات الانسانية والنظم المعنوية» (١٢٣) .

وهكذا يواصل الكاتب فى صفحات كتابه الذى صدر عام ١٩٦٥ فى اطار هذا التفكير الشاذ الرجعى دراسة اثار التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى . وهو فى الحقيقـــة يردد الافكار التى تضمنتها قرارات ودراسات مجلس الكنائس العالمى ، وقد اثبت الكاتب فى نهاية دراسته وضمن المراجع التى استند اليها ماأصدره المجلس من كتب فى هذا الصدد .

أزمة الفكر الدينى المسيحى المعـــــاصرة فى الغـــرب

والواقع ان المتتبع للنشاط الدينى فى الغرب يحس يقينا ان الغرب يجتاز ازمة روحية عميقة الغور . فمنذ ايام الحروب الصليبية ، بل منذ قسطنطين — ارتبطت الكنيسة فى الغرب بالطبقة السائدة سياسيا واقتصاديا وعسكريا . وسخرت الدين لخدمة النفوذ الغربى ؛ وحين كان هذا النفوذ يتزايد ركب الدين الموجة ، بل دفع الموجة وساهم فى مضاعفة قوتها . وكانت السيطرة الغربية دليلا على قدرة الله وبرهانا على ان المسيحيـــة هى الدين الحـــق وهى النور الذى يواجه الظلمة .

فلما انحسرت الموجة ، سقط الدليل وتلاشى البرهان ، وبدأ الغربى يشك صحة دينه .

ومن هنا احتدمت الازمة مع انهيار الاستعمار

يقول مؤرخ الارساليات (ستيفن نيل) بعـــد ان عدد صور علاقات التواطؤ التى قامت بين الارساليات وسلطات الاستعمار ، ان ثمن هذا التواطؤ جاء باهظا جزاء وفاقا لاعتماد الدين على سند اخر غير طاعة الله . ثم يستطرد مكررا ان اول علامات تغير علاقات القوى جاء مع الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا وانتهت عام ١٩٠٥ بهزيمة الدولة الاوربية روسيا من اليابان . وهكذا لاول مرة صدر عن آسيا رد ناجح . «وما بدأ فى ١٩٠٤ — ١٩٠٥ أتمته الفترة من ١٩١٤—١٩١٨، ان البلاد الاوربية — بكل اصواتها المرتفعة التى تدعى احتكار المسيحية والحضارة قد اندفعت اندفاعا اعمى ودون تعقل فى حرب اهلية كانت نتيجتها الفقر الاقتصادى وفقدان الفضيلة . وعلى عكس حرب البوير التى كان ثمة اتفاق ضمنى بين اطرافها على ان تكون حربا بين البيض وحدهم — على عكس ذلك اشتركت فى الحرب العالمية الاولى الفرق الهندية والافريقية واليابانية وابلت البلاء العظيم ضد شعوب بيضاء . . كانوا يتبعون حكامهم مخلصين ، ولكن كان واضحا ان الهنود والافريقيين قد ورطوا فى منازعات لا تخصهم . اما الحرب العالمية الثانية فقد توجت ماكانت الحرب الاولى قد انهته . ان مزاعم الغرب الاخلاقية ظهرت انها مزيفة . ووضح ان «العالم المسيحى» ليس اكثر من خرافة » .

ويواصل الاسقف ستيفن نيل حديثه : «وقد تكون اليقظة على الواقع عملية مؤلمة .. ثم كان نجاح الثورة الروسية عام ١٩١٧ عاملا جديدا محيرا . وحين انتهت ردود الفعل الاولى بدأت محاولة تساؤل ذاتى مازالت مستمرة الى اليوم ..

«حين عقد مؤتمر ادنبره ســـنة ١٩١٠ لم تكن هناك سوى مناقشات قليلة فى اللاهوت ، وبدا ان ليس هناك حاجة الى هذه المناقشات طالما ان الجميع متفقون على الحقائق الاساسية . الا انه بعد ذلك وفى سنوات المد التبشيرى التالية كان تعليم اخر ياخذ فى النمو داخل المجتمع الامريكى ، وبدأ ميل الى اعتناق فكرة اكثر انصافا للاديان الاخرى واتجاه الى خلق نوع من التوافق والتركيب بين الاديان المختلفة . اما العدو المشترك فهو العلمانية Secularism وعلى اتباع الاديان العظمى ان يقفوا معا دفاعا عن الحقيقة الروحية لحياة الانسان »

(١٢٣) ص ٤٦ وما بعدها

وقد ظهر هذا الاتجاه بوضوح فى مؤتمر الارساليات الثانى الذى عقد فى القدس عام ١٩٢٨ . وان العجب ليأخذ المتتبع لمجرى التاريخ حين يقارن اللهجة الواثقة التى تبدت فى قرارات ادنبره بالافكار المترددة المهتزة التى صدرت عن مؤتمر القدس . كان واضحا ان تغييرا شاملا يحدث فى المناخ اللاهوتى وفى المواقف التى تتخذ من نحو الاديان الاخرى وفى فهم مهمة الارساليات . وجاء اقوى تعبير عن وجهة النظر الجديدة فى التقرير الامريكى الذى انتهت اليه لجنة من اعضاء ليسوا من رجال الدين برئاسة الفيلسوف الامريكى **((و. ارنست هوكنج))** قاموا برحلات واسعة فى آسيا وافريقيا لحساب جمعيات الارساليات الامريكية (١٢٤) . وتختلف الافكار التى تضمنها التقرير عن افكار العصور السابقة اختلافا يفوق كل تصور . فمهمة المبشر اليوم كما جاء فى التقرير هى ان يرى احسن ما فى الاديان الاخرى وان يساعد اتباع هذه الاديان على ان يكتشفوا او يعيدوا اكتشاف احسن ما فى تراثهم الخاص ، وان يتعاون مع اكثر العناصر فاعلية ونشاطا فى هذه الاديان للعمل على تحقيق الاصلاح الاجتماعى وترقية مظاهر التدين المختلفة . ولقد اثار هذا التقرير اعتراضات كثيرة خصوصا فى اوربا . ولكن التقرير اثبت — كما يقول نيل انه «من المستحيل العودة الى وجهة النظر المبكرة . وان الدعاية التى كانت مقبولة فى القرن التاسع عشر لصالح الارساليات لاتجد الان الا استجابة ضئيلة فى الاوساط المثقفة وبين رجال الفكر داخل الكنائس فى الغرب» . ويستطرد ستيفن نيل «لقد تيقن الرجل الغربى ان سجله الاستعمارى ملىء باشياء تحيطه بالعار . ولقد اصبح اقل ثقة مما كان فى وحدانية الانجيل المسيحى ونهائيته وفى حقه — اى حق الرجل الغربى — فى ان يفرض على ورثة الاديان العظيمة الاخرى شيئا قد يثبت فى النهاية انه ليس اكثر من خرافة غربية» (١٢٥) .
a western myth

وبدأ فى اوساط رجال اللاهوت هجوم سريع على الالوهية بكل مظاهرها فى المسيحية . وانتشر تيار فكرى يجعل نقطة بدايته « موت الاله » وينادى بمسيحية لادين فيها . ويردد هذه الافكار بونهوفر ويلتمان وتليتش والاسقف الانجليزى جون روبنسون (١٢٦) . ويخيل للمراقب من بعيد أن القوم يثورون على «الاله» لانه تخلى عنهم وساعد اعداءهم . لقد قدموا دليلا على وجوده وعظمته نظامهم الاستعمارى بكل جبروته ، ولن يكون سقوط هذا النظام الا دليلا على عدم وجود الاله كشخص كائن حقيقى . واذا كانوا هم قد صدروا المسيحية والهها — فى نظرهم — اثناء امتداد نفوذهم واستندوا اليهما فى تمكين سلطانهم فانهم اليوم وبعد استقلال دول العالم الثالث يقطعون على هذه الشعوب الطريق للاستناد الى الطاقات الروحية النابعة من الايمان بالله . اسطورة بروموثيوس تتكرر ، ولابد من اطفاء النار الخالدة قبل ان تستضىء بها الشعوب التى تبحث عن النور النقى الاصيل . والحقيقة ان الانسان لايستطيع ان يفهم سر تحمس المنظمات الدينية الغربية لاقحام الدين فى السياسة الا من خلال هذا المناخ العام الذى يسود الغرب اليوم . فالدين — فى نظرهم — لم تعد له قيمة فى ذاته . انه شىء يمكن الاستفادة به لتحقيق الاهداف الدنيوية التى يسعى الغرب الى تحقيقها فى مختلف انحاء العالم .

واليوم تموج الاوساط الدينية فى الغرب بالقلق الشديد ، لان المجتمع الدولى لم يعد كما كان مجتمعا محوره الدول الغربية « المسيحية » . كتب الدكتور بول ابرخت بمناسبة مؤتمر الكنيسة والمجتمع الذى عقده مجلس الكنائس العالمى بجنيف فى يوليو ١٩٦٦ ، يقول ان تنظيم الجماعة الدولية لم يعد امرا يتحكم فيه الغرب المسيحى ، بعد ان كانت الدول الغربية ولزمن طويل هى المركز الاقتصادى والسياسى والدينى فى العالم . ان الثورة الاجتماعية العالمية قد غيرت النظرة ذات الطابع الغربى الى الجماعة الدولية وظهر عالم جديد اساسه احساس بالكرامة والمساواة بين جميع الشعوب — ولن يكون المفهوم الغربى هو السائد فيه . وتتعرض الشعوب الغربية لخطر كبير اذ انه نتيجة للمطالب المتزايدة من جانب الدول الجديدة ليكون لها نصيب اكبر فى السلطة العالمية ستكون الشعوب الغربية فى موقف الدفاع والتشكك والتراجع . وفى مجال التقدم الاقتصادى على الخصوص فان الغرب «المسيحى» يحتاج لان يفكر فى طريقة التصرف «المسيحى» (!) لمواجهة تحدى التقدم الاقتصادى العالمى . ويقول ابرخت ان هذه مسألة يمكن ان يقول فيها البروتستانت شيئا مشتركا مع اصدقائهم الكاثوليك . ويجب ان تبذل المحاولات لاصدار قرارات مشتركة فى هذه الناحية كما فى غيرها من المسائل الاجتماعية (١٢٧) » .

---

(124) Re — Thinking Missions, A Laymen's. Inquiry after One Hundred Years, by, The Commission of Appraisal, W.E. Hocking Chairman, N. York, 1932.

(١٢٥) تاريخ الارساليات ص ٤٥٠ — ٤٥٦

(١٢٦) انظر على سبيل المثال كتاب روبنسون Honest To God الذى طبع منه فى مارس ١٩٦٣ اربع طبعات ، وفى ابريل ١٩٦٣ طبعتان ، وفى كل من مايو ويوليو وسبتمبر من نفس العام طبعة وكانت الطبعة العاشرة فى سبتمبر ١٩٦٤ . وقارب عدد النسخ المطبوعة مليون نسخة ولقد خصصت المجلات الامريكية العالمية صفحات عديدة لعرض هذه الاتجاهات انظر على سبيل المثال مجلة تيم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٤ ص ٣٣ و ٨ ابريل ١٩٦٦ ص ٥٠ ومجلة نيوزويك ١١ ابريل ١٩٦٦ ص ٣٩

(127) Major Issues in Christian Social Thoug-ht and Action, Bulletin — Division of Studies W.C.C., Spring 1964.

وبعد — فما ابعد النهاية عن نقطة البداية

عاش المسيح فقيرا ، ولم يوجد فى تركته سوى ثيابه . وحين بعث رسله اوصاهم : لاتقتنوا ذهبا ولافضة . وفى الايام الاولى للمسيحية تخلى المؤمنون بها عن املاكهم ووزعوا ثروتهم المشتركة كما يكون لكل واحد احتياج .

ثم ارتبطت الكنيسة فى الغرب بالطبقة السائدة واغتصبت الصليب والتبشير والوحدة المسيحية — لتكون اسلحة فى يدها وهى تتقدم لغزو العالم واستعماره واستغلال شعوبه . وقد رأينــا ذلك كله على التعاقب فى الحروب الصليبية ثم فى الحركة التبشيرية واخيرا فى الحركة المسكونية بكل تنظيماتها التى مازالت مراحلها الاخيــرة فى اوج نشاطها داخل العالم الثالث هذه الايام مدعمة بالمعونات المالية والخبره العلمية والفنية محتمية بكل اساليب الاستعمار الجديد فى التخفى والعمل من داخل الشعوب وبواسطة عملاء من ابنائها .

ولعل هذا العرض يكفى للتدليل على ماقلناه فى البداية من ان الظروف الموضوعية التى احاطت بالتفكير المسيحى فى الغرب تخالف تماما الظروف التى عاشت فيها الكنيسة المسيحية فى بلاد اخرى مصر مثلا . ان الكنيسة القبطية لم ترتبط بطبقة سائدة ، ولم تغيــر تعليمها فى اى عصر لتصنــع منه ايديولوجية تبرر علاقات الاستغلال فى المجتمع . على العكس من ذلك لقد احتفظت كنيسة بلادنا بالتراث الذى يشجب الاستغلال ويطرد المستغلين من حظيرتها .

يقضى القانون الكنسى القبطى بان لايقبل عطاء الا من انسان يكسب دخله من عمله . بعرقه الحقيقى على حسب التعبير الاصلى للنص . وهى تنهى الاسقف عن ان يأخذ مالا من الغاصب والسارق والمضلين بالميزان والدين يحيلون بالغش . والذين يضيقون على الارامل ويتغلبون على اليتيم ويملاون السجون من الرجال بلا تهمة . بل ومن الذين يعملون الشر لعبيدهم بالمجاعه والشتم والعبودية الشريرة . والكنيسة تمنع الاسقف من اخذ العطاء من الوالى الذى يجاهد بالظلم ، وممن يهدم الاعمال الحسنة ويوقع بالناس . ومن السكير ومن ياخذ الربا . ومن كل شرير يقاوم ارادة الله (١٢٨) .

هذا الحظر يتضمن شـــجبا لجميع علاقات الاستغلال فى المجتمع ، وحين يطبق فانه لابد ان يؤدى الى نتيجة من اثنتين ، فاما ان يعدل الشخص المستغل من اسلوب كسب عيشه ، واما ان يطرد من عضوية الكنيسة . فالنصوص تعلن ان الذى يقبل من هؤلاء الاشرار والمستغلين ويعول الارامل والايتام يكون تحت الحكم قدام الله » .

ويستمر تعليم الكنيسة هكذا : ان الخبز الذى يعطى للارامل من اتعاب الصديقين يجب ان يقبل لانه اذا كان قليلا فهو افضل مما يعطى للمساكين والمحتاجين من الظلم والاختطاف وان كان كثيرا وعظيما .

وياتى التساؤل بعدذلك : ان الكنيسة لو لم تاخذ من الاغنياء — وغالبا مايكون كسبهم بالظلم والاستغلال — فمن اين تجد المال لتنفق على احتياجاتها .. والاجابة ان الكنيسة حين تمد يدها للاشرار لتاخذ من اموالهم التى كسبوها بالاختطاف انما تهين "الله وتحتقره وتذل ابناءها لانها تسجل ان اعداء الله هــم الذين ينفقون عليهــا . وفى الواقع «ينبغى ان الواحد يهلك بالجــوع افضل من ان يأخذ من اعداء الله هوانا باصحابه (١٢٩)» .

هكذا تعلن الكنيسة ليس فقط عدم ارتباطها بالطبقة المستغلة السائدة اقتصــاديا ، بل انها تشجب جميع علاقاتها الظالمة . وتدمغ كسبها كله بالحرام رافضة ان تقبل منه للانفاق على احتياجاتها . وفى نفس الوقت تجعل «العمل» هو المصدر الشرعى للكسب الذى منه يمكن ان يقبل العطاء للكنيسة . «اتعب فى عمل اليد ، واستمر عليه بتعب . وقدم للرب ماتصل اليه قدرتك» (١٣٠) « أكرم الرب من تعبــك الحقيقى » (١٣١) « ومن تعب المؤمن الحقيقى استروا المعوزين وعولوهم » (١٣٢) » .

ويضيف التعليم الكنسى الى ذلك رفضا حاسما لاكتناز المال وعدم استخدامه لمنفعة الاخرين » . «الذى له فضة ولايعطى لاخرين ولايستعملها ايضا لحاجته . لايؤمن بالله بل بماله من الذهب ويحسبه انه اله ويتكل عليه . وهو جبان وخائف وضعيف » . وعدو نفسه ولايصادق احدا . اموال هذا الانسان تهلك ويأكلها الغرباء وهو حى » (١٣٣) » .

على العكس من ذلك ، فان قصد الله هو ان

---

(١٢٨) تعاليم الرسل (الدسقولية) طبعة حافظ داود ، الباب الرابع عشر ، مخطوط الفاتيكان المشـــار اليه الباب التاسع عشر

(١٢٩) المرجع السابق

(١٣٠) المرجع السابق ، الباب السابع

(١٣١) المخطوط المشـار اليه الفصــل الخامس والثلاثون

(١٣٢) تعاليم الرسل النسخة المطبوعة الباب الخامس عشر

(١٣٣) المرجع السابق الباب الثالث عشر

يتشارك الناس جميعاً فى خيرات هذا العالم دون ان يدعى واحد ان ماله ذاتى له ومقصور عليه . يقول النص : «صادق اخاك فى كل شيء ولاتقل ان مالى ذاتى لى — فلقد اعد الاشتراك فى كل شيء من قبل الله ، ليكون الناس كلهم بصداقة (١٣٤)

وهذا التعليم الذى احتفظت به الكنيسة القبطية فى كل اجيالها دون ان تغير منه لتمالىء طبقة اجتماعية سائدة اقتصاديا — هو الذى يتفق مع اقوال المسيح ورسله فى العهد الجديد . يقول السيد المسيح : « يعسر ان يدخل غنى الى ملكوت السموات . واقول لكم ايضا ان مرور جمل من ثقب ابرة ايسر من ان يدخل غنى الى ملكوت الله» (١٣٥) ويقرر يعقوب الرسول ان ثروة الاغنياء مستمدة من الاجر البخس الذى يعطونه لاجرائهم . وبذلك يغتصبون الفائض المستحق اصلا للعاملين : «هلم الان ايها الاغنياء ابكوا .. على شقائكم المقبل .. قد كنزتم . هوذا اجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم — تلك الاجرة التى بخستموها ، تصرخ . وصياح الحصادين قد دخل الى اذنى رب الجنود » (١٣٦) .

وفى ديسمبر ١٩٦١ نشر احد رهبان الكنيسة القبطية — **الاب متى المسكين** — سلسلة مقالات بعنوان : الاشتراكية من وجهة نظر مسيحية . قال فيها انه ليس للمسيحية اتجاه معين فى نظام الحكم ، **ولكنها تزكى دائما الانتقال من نظام حكم الى نظام حكم افضل . والاشتراكية تهيىء حكماً افضل مما عاشه الانسان تحت عهود الاقطاع والراسمالية .**

ويواجه الكاتب موجة التشاؤم من المستقبل فيقول :

«ان الانشغال النظرى فى مستقبل الاعمال والانظمة الاشتراكية يضعف كثيرا من واقعها الحى — لان مستقبل الاشتراكية . يعتمد على مقدار ما استوعبه الشعب فعلا من هذه الانظمة .. لذلك كان من المستحيل على الانسان اذا تعذر عليه قبول خطوة ما فى الحياة الاشتراكية ان ينتقل الى ما بعدها انتقالا حرا واعيا .. وعندما يتوقف المواطن ليسأل : وماذا سيكون بعد هذه الانظمة والقوانين — كان ذلك بادرة خطرة تدل فى غير لبس وابهام على ان هذا الشخص بدأ فى التخلف واخفق فى اللحاق بالتطور الاشتراكى .. **فسر مستقبل الاشتراكية لا يعرفه الا الذى يعيش حاضرها ..** » (١٣٧) .

ويواصل هذا المفكر المسيحى دراسته فيعرض لمفهوم الحرية ، وللاخلاق ، والتوجيه الخلقى ، والديمقراطية والاخلاق ، واخيرا يتحدث عن القيمة الروحية . والواقع ان هذه المقالات فى مجموعها تتضمن اجتهادا طيبا ومساهمة جدية فى التفكير **الاشتراكى ببلادنا (١٣٨) .**

ولقد ادرك الدارسون الدور الفعال الذى قامت به تعاليم الكنيسة القبطية فى المحافظة على الاصالة المسيحية — ولهذا فان الدوائر الرجعية العالمية التى تريد استخدام الدين لتحقيق اغراضها تصب سخطها الشديد على هذا التعليم الذى لم يتغير من عصر الى اخر ليكون سنداً للطبقة السائدة والتى كانت دائما فى تاريخ مصر اما الاستعمار الغربى سافرا او الطبقات المرتبطة به . فنحن نقرأ فى احدث كتاب وضع عن الاقباط ان تاثير هذا التعليم يشبه تاثير الحشيش (١٣٩) لماذا ؟ لانه يمنع التحرك . **ولكن فى اى اتجاه ؟**

ان المؤلف يريد الكنيسة ان تغير تعليمها لتجعله يشمل النظريات السياسية والاقتصادية (١٤٠) . وهكذا يستطيع المتدينون ان ينشطوا سياسيا — ولكن مدفوعين بتعاليم دينهم الذى تمت مراجعته وتعديله . وغنى عن البيان ان هذه النظريات السياسية معدة مقدما عن طريق المنظمات الدينية المسكونية .

ولكن تاريخ كنيسة بلادنا يشجب هذا الاقحام للدين «فيما لقيصر» . ان الاقباط يتحركون سياسيا واجتماعيا — ولكن فى اطار الوحدة الوطنية . وعملهم هنا لا يمكن اضفاء صفة دينية عليه — ولكنه فى المحل الاول عمل وطنى يشتركون فيه مع باقى المواطنين ويطبقون نفس المبادىء لتحقيق ذات الاهداف .

ومن هنا لم تكن الكنيسة القبطية محتاجة الى مراجعة تعليمها دوريا كما يحدث حاليا بالنسبة لكنائس الغرب ، التى نظرا لارتباطها السابق بطبقات سائدة ولانها صاغت تعليمها ليتفق مع مصالح هذه الطبقات — فانها مع زوال سيادة هذه الاخيرة تضطر لتعديل تعاليمها ليتفق والاوضاع الجديدة . شاهد على ذلك مؤتمر الفاتيكان الاخير ، ومؤتمر مجلس الكنائس العالمى الذى عقد بجنيف فى يوليو من هذا العام (١٩٦٦) — فلقد كتب الدكتور بول ابرخت رئيس قسم الكنيسة والمجتمع بذلك المجلس ، يقول — فى مجال التمهيد للمؤتمر —

---

(١٣٤) المخطوط السابق الباب الخامس والثلاثون
(١٣٥) انجيل متى ١٩ : ٢٣ و٢٤ — انجيل مرقس ١٠ : ٢٤ و٢٥ — انجيل لوقا ١٨ : ٢٤ و٢٥
(١٣٦) رسالة يعقوب الاصحاح الخامس
(١٣٧) جريدة وطنى ٣ ديسمبر ١٩٦١
(١٣٨) وطنى ١٩٦١/١٢/٣ — ١٩٦٢/١/١٤ وللاب متى مؤلف آخر « الكنيسة والدولة » يفصل فيه تعنى الفصل بين قيصر وبين الله
(139) Edward Wakin, A Lonely Minority, N. York, 1963, P. 121, 122.
(١٤٠) المرجع السابق ص ١٢٩

أن القرارات التي صدرت من قبل في مؤتمر إكسيفورد سنة ١٩٣٧ أصبحت متخلفة لأنها كانت تردد المفاهيم الاقتصادية والاجتماعية السائدة وقتئذ : الرأسمالية الليبرالية : المشروع الخاص ، الاشتراكية الديمقراطية . ثم يقول ان كل هذه الايديولوجيات قد انتهى زمانها . ولابد من اصدار قرارات جديدة تناسب العصر . ومن اجل هذا كانت ضرورة مؤتمر جنيف سنة ١٩٦٦ (١٤١) .

فاذا اردنا الان ان نحدد مكان المسيحية والمسيحي وسط هذا الخضم من التطورات التي تهز الحياة الفردية والاجتماعية بكل نواحيها — فماذا نجد ؟

المبدأ الاول والوحيد في الحياة المسيحية هو الحب: «أحبب قريبك كنفسك» (١٤٢) وفي نص مسيحي قديم « أحبب اخاك اكثر من نفسك» (١٤٣) .
هذا المبدأ يجعل المسيحي الحق مع التقدم ابدا .

فعلاقة المحبة ترفض ان يكون لواحد مال — مهما قل — يحتجزه لنفسه وبجواره انسان محتاج اليه . ومن هنا صنيع المسيحيين الاوائل حين وزعوا ثرواتهم لكل حسب احتياجه . وفي هذا المجال يتبدى كل اجراء اجتماعي لاعادة توزيع الثروة في المجتمع قاصرا عن اللحاق بالمثل الاعلى المسيحي .

والدليل الذي يقدمه التدين المسيحي برهانا على صدق مسيحيته ليس حجة عقلية او دليلا فلسفيا . ولكنه التصرف العملي . ففي رسالة من التراث المسيحي ترجع للقرن الثاني يتحدث الكاتب عن المسيحيين وسر حياتهم فيقول انهم لايتميزون عن غيرهم من الناس سواء من ناحية اللغة او العادات . بل يحترمون العادات المرعية في مجتمعهم وخلال ذلك يبينون الطريقة الممتازة لمعيشتهم .. **«كمواطنين يتشاركون مع الاخرين كل الامور .. يخضعون لقوانين البلاد ، ولكنهم في سلوكهم يسمون على القوانين» (١٤٤) .**

فاذا كان القانون يامر بواجب نحو الاخرين ، لايكتفي المسيحي بادائه كما نص عليه القانون . بل يضاعفه ، يسمو على القانون .. امر السيد المسيح تابعه — اذا ماطلب منه واحد ان يسير معه ميلا — بأن يسير ميلين (١٤٥) .« من سألك فأعطه . ومن اخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك ايضا» (١٤٦)

ويشرح المسيح هذا التجاوز لقوانين الحياة الاجتماعية فيقول : « ان احببتم الذين يحبونكم فاي فضل لكم .. وان اقرضتم الذين ترجون ان تستردوا منهم فاي فضل لكم .. بل احبوا اعداءكم واحسنوا واقرضوا وانتم لاترجون شيئا . فيكون اجركم عظيما وتكونوا بني العلي .. فكونوا رحماء كما ان اباكم رحيم » (١٤٧) .

ولكن الحياة ليست علاقة بين فردين تتبدى فيها وصية الحب ارادة حرة ، وعطاء اختياريا .

ماذا عن الحياة الاجتماعية — علاقة الفرد بالجماعة ؟

هنا نجد وصية المسيح المشهورة : « اعطوا مالقيصر لقيصر » .

وقيصر هنا رمز للسلطة في الجماعة (١٤٨) . هذه السلطة تتحدد في كل جيل طبقا للقوانين العلمية في تطور المجتمع . وحين يستبين المسيحي ان صاحب السلطة الحقيقية في المجتمع هو الشعب — وليس حاكما فرديا او طبقة مستغلة ، فان المسيح يأمره : اعط لقيصر — للشعب — حقوقه . ويأتي وقت يكون حق الشعب غير ممكن اداؤه الا بالثورة . هنا يظل امر المسيح: اعط قيصر حقه — أي الثورة (١٤٩) . للانتقال من نظام حكم الى نظام حكم افضل على حسب تعبير الاب متى المسكين . ومنطق الوصية نفسه يجعلها عملا يقوم به الخاضعون لقيصر جميعا بلا تفريق . الوصية ينفذها المسيحيون مع جميع الخاضعين لقيصر .

وهنا يصدق القول الذي اوردناه فيما سبق من انه ليس ثمة مايميز المسيحيين في الحياة الاجتماعية بل «كمواطنين يتشاركون مع الاخرين كل الامور »

وهكذا نجد انه ليس في المسيحية قط ما يقف في طريق القوانين العلمية للتطور الاجتماعي . بل اننا نجد مفكرا مثل **« نيقولا بردابيف »** يقرر في نهاية كتابه عن «اصل الشيوعية الروسية» ان نظام (الاشتراكية) الاجتماعي «يمتلك نصيبا كبيرا من الحقيقة يمكن ان يتصالح تماما مع المسيحية باكثر مما يستطيع **النظام الراسمالي الذي يناهض**

---

(١٤١) مقاله المشار اليه المنشور في Bulletin, 1964, p6
(١٤٢) انجيل متى ٢٢ : ٣٩ ، انجيل مرقس ١٢ : ٣١ ، انجيل لوقا ١٠ : ٢٧
(143) The Teaching of the Twelve Apostles, II, 7. Ante — N. Fathers Vol VII P 378. The Epistle of Barnabas, xIx, The Ante N.F., Vol I, P 148.
(144) The Epistle of Mathetes to Diognetes, Chap. V, dans The Ante — Nicene Fathers, Vol. I, P 26. — A Diognete, Sources Chrétiennes, 1951, P 63 et S.
(١٤٥) انجيل متى ٥ : ٤١
(١٤٦) انجيل متى ٥ : ٣٩ — ٤٢ — انجيل لوقا ٦ : ٢٩ و٣٠
(١٤٧) انجيل متى ٥ : ٤٣ — ٤٨ ، انجيل لوقا ٦ : ٢٧ — ٣٦
(١٤٨) انظر في هذا الصدد تفسير القديس يوحنا فم الذهب لرسالة الرسول بولس الى اهل رومية ، الموعظة ٢٣ .
(149) Nicolas Berdiaeff, Royaume de L'Espxrit et Royaune de César, Paris, 1951, P 72.

المسيحية مناهضة شديدة . (فالاشتراكية) على حق من حيث هى ضد الراسمالية .. والنظام الراسمالى بالذات هو الذى يحطم "شخصية" ويجرد الانسانية من انسانيتها ويحيل الانسان الى « شيء » والى سلعة للمساومة . وقد كان العصر الصناعى الراسمالى هو الذى اخضع الانسان لسلطان الاقتصاد والمال ، ولا يليق باتباعه ان يعلموا الشيوعيين تلك الحقيقة الواردة فى الانجيل وهى انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ..» (١٥٠)

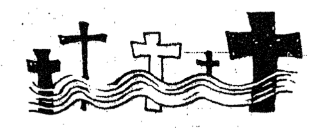
بعد ان اتم «شارل جينيبر» الاستاذ بالسربون دراسته لتاريخ المسيحية الغربية فى العصور الاولى خلص فى نهاية كتابه الى انه يبدو ان الغرب لم يفهم المسيحية قط (١٥١) وان دراسة تاريخ النشاط الدينى الغربى فى القرنين التاسع عشر والعشرين سواء على صعيد الفكر او العمل – لتؤكد هذه النتيجة القاسية .

ان العالم المسيحى الغربى محتاج اليوم الى اعادة تبشيره بالمسيحية (١٥٢) فلقد ظل طوال تاريخه يربط بين دينه وبين اطماعه الدنيوية . ولن يستطيع احد ان يذكر الغرب بالمسيحية الاصيلة الا قوم لم يربطوا مسيحيتهم يوما بطبقة مستغلة سائدة ، ولم يغيروا فى تعاليم دينهم لتكون مبررا لسيطرة هذه الطبقة ومدعما لنفوذها .

هؤلاء المسيحيون الذين يمارسون الحب فى علاقاتهم اليومية ، ويمنحون قيصر حقوقه – حتى الثورة ، ويكونون – شعبيا – كنيستهم فلا تصبح مع وجودهم فى صفوفها طبقة كهنوتية مغلقة لها الامر النهائى فى شئون الدين (والدنيا ؟) .

وليس من شك فى انه يوجد فى كل مكان – بل وفى داخل كنائس الغرب نفسها ممثلون للفكر المسيحى الاصيل . عليهم ان ينهضوا برسالتهم ، وان يعلنوا رايهم صريحا واضحا .

هذه المسيحية التى يحفظها هؤلاء المسيحيون – يحتاج الغرب اليوم ان يسمع شهادتها وهو فى خضم المتاهة التى القى بنفسه فيها ، ومازالت مؤتمراته ومجامعه تجتمع وتنفض للخروج منها دون جدوى . لان نقطة البداية فى كل هذا النشاط المعاصر هى محاولة الابقاء على السيطرة الدنيوية التقليدية لتلك الشعوب الطامحة ابدا فى مال الاخرين – ولكن فى ثياب دينية تتفق مع واقع النصف الثانى من القرن العشرين .



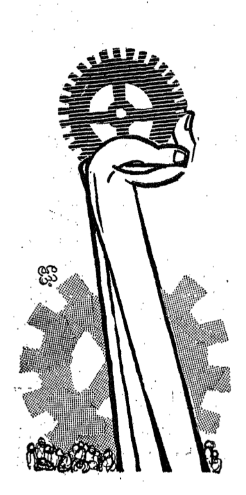
---

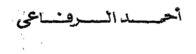
(١٥٠) ترجمة فؤاد كامل ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٠٣

(151) Charles Guignebert, Le Christianisme Antique, Paris, 1921, P 261.

(١٥٢) كتبت احدى الجرائد الوطنية فى نيجيريا فى ١٩٤٥ تقول ان الاوربيين جاءوا الى افريقيا بالمسيح والانجيل ، ويبدو انهم فى عودتهم تركوا الاثنين ، لهذا يجب ان يحمل الانجيل ثانية الى اوربا ، يجب ان يعاد تعليم الغرب ما هى المسيحية ان اوربا تحتاج الى المبشرين من افريقيا اوردها : James Coleman, Nigeria, 1963, P 107.

الانتخابات النقابية ودورها فى دعم الإنتاج والديمقراطية





تجرى خلال الشهر القادم الانتخابات النقابية ، على نطاق الجمهورية العربية المتحدة من القاعدة حتى القمة ، أى أن هناك انتخابات ستجرى لاختيار ستة آلاف لجنة نقابية ، لا يقل عدد اعضائها عن سبعين الف عضو ، يشترك فى اختيارهم ما لايقل عن ٣ مليون ناخب .

وهو حدث كبير فى بلد يشق طريقه فى مرحلة التحول الاشتراكى ، وأصبح للنقابات فيه شأن كبير وفلسفة جديدة ، فبعد أن كا "الانتخابات النقابية فى مجتمع ماقبل الثورة تستهدف أنجاح اصلب المدافعين عن حقوق العمال فى مواجهة الادارات الرأسمالية ، من أجل استخلاص مزيد من الحقوق المغتصبة ، أصبحت الانتخابات تستهدف انجاح أبرز القياديين القادرين على اثبات وجود الطبقة العاملة فى معركة زيادة الانتاج ، وقدرتها على

خلق الوفاق والتواؤم بين العاملين والادارة فى اطار تحقيق وحدة الشعب العامل .

وبالتالى فالفلسفة النقابية التى كانت مقياسا للحكم على نجاح القادة النقابيين لم تعد هى المعيار الذي يمكن ان يقاس به النجاح فى ظل حكومة تمثل الشعب العامل ، وتنعطف باستمرار نحو الطبقة العاملة ، وتدفع بها فى مقدمة الجماهير ، الامر الذى يقتضى ان يعاد على أساسه صياغة الفكر النقابى من جديد .

وعملية الصياغة الفكرية ، ليست عملية قرارات تتخذ ، أو أفكار تحفظ وتعاد وانما هى عملية صراع ضخمة تتم كل يوم فى داخل المجتمع ، سواء أكان ذلك فى أسلوب الفكر أو العلاقات او الاداء . فالافكار الاجتماعية وليدة التكوين الاجتماعى بما يحويه من طبقات وفئات وأيديولوجيات مختلفة . وليس من السليم ان نتصور ان هذه الافكار تندثر وتنمحى بمجرد اسقاط تحالف رأس المال والاقطاع فهذه الافكار لازالت باقية فى مجتمعنا ، بل وستظل باقية مدة طويلة ، فعملية التكوين التاريخى التى تمت فى عشرات السنين لاتنتهى بين يوم وليلة ، ولاتختفى باختفاء الطبقة صاحبة هذا الفكر ؛ فالافكار السائدة فى مجتمعنا ليست وليدة الاشتراكية فحسب ، وانما أيضا وليدة التعبئة التاريخية الطويلة التى مارستها الرأسمالية والاقطاع ، اذ لم يكن الارهاب وحده هو سلاحها فى الحكم ، وانما كانت الثقافة أيضا قاعدتها لترسب قيمها ومقاييسها فى المجتمع .

واذا كنا بصدد موضوع الانتخابات النقابية ، فليس يكفى أن نتحدث عن الشعارات الاشتراكية ، والغاء الاستغلال ، واذابة الفوارق الطبقية ، فهذه المبادىء جميعها تفقد مضمونها اذا ما اقيمت وأسست على فلسفة رجعية ، ولذلك فمن المهم ونحن نتحدث عن الجديد أن نكشف عن بصمات القديم وهى تحاول أن تتسلل أو تتأقلم مع الحركة النقابية

وأذا كان بناء الاشتراكية ، يعتمد على اطلاق الطاقات الخلاقة للعاملين ، وتحرير الطبقة العاملة من كل مايقعد بها من دخول معركة التحديات فى الانتاج ، فان الطموح الذى تستهدفه خطة التنمية لايمكن أن يتحقق الا بتحقيق دور التنظيمات الشعبية الذى نص عليه الميثاق ((**ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب أن تتأكد باستمرار فوق سلطة أجهزة الدولة التنفيذية فذلك هو الوضع الطبيعى الذى ينظم سيادة الشعب ، ثم هو يكفل بأن يظل الشعب دائما قائد العمل الوطنى الذى يحمى قوة الاندفاع الثورى من أن تتجمد فى تعقيدات الاجهزة الادارية بفعل الاهمال أو الانحراف**)) . ومن هنا تتضح أهمية الانتخابات القادمة فى اخراجها لتنظيم قادر على أن يأخذ مكانه الذى نص عليه الميثاق ، متخلصا من كل العوامل التى تعوق تحقيق هذه الغاية ، وعلى هدى من ذلك الطموح ، وذلك الفكر يلزم أن نتعرض لبعض الامراض التى لاحقت التنظيمات النقابية متتبعين اسبابها ، متعمقين المفاهيم التى تكمن وراءها والتى يمكن تلخيصها فيما يلى :

عدم المساهمة الجدية فى الانتاج

فاذا كان دور التنظيم النقابى يتركز فى مرحلة التحول الاشتراكى فى العمل على زيادة الانتاج ، واثبات جدارة هذه الطبقة على تملك وسائل الانتاج لوجدنا أن النقابات العامة وعددها **٢٧ نقابة** لم تكن على مستوى الاحداث فى معركة الانتاج ، والتى هى المعركة الحقيقية للتحدى فى بلد يبنى اقتصاده على تركة مخربة ورثها من الرأسمالية والاستعمار اللهم اذا ما استثنينا التصريحات الرسمية التى يدلى بها بعض المسئولين فى قيادة الاتحاد العام فى اثر تحرك السلطة التنفيذية ، الوضع الذى كان يجب أن يبدأ بتحرك القيادة النقابية ، بصفتها تنظيم شعبى ، وهو وضع لم يفهم الحكمة التى أبرزها الميثاق بالنسبة للسلطات الشعبية ، ووضعها فى المقدمة كعامل عليه أن يطور السلطة التنفيذية ، ولكن الذى حصل هو العكس ، تبدأ السلطة التنفيذية ، تحس خطورة الاوضاع وتلهث خلفها القيادات العمالية ، حتى تغطى نفسها وبذلك تحولت قيادة الحركة النقابية الى عبء على أكتاف الدولة ، لاعاملا مساعدا بدفع أجهزة السلطة التنفيذية الى الامام .

ونظرة بسيطة الى الماضى القريب تؤكد ذلك ؛ فبينما ظلت بلادنا تعانى من وضع حلول للمعادلة الصعبة بين زيادة الانتاج وزيادة عدد السكان ، لم تتقدم القيادة النقابية بأى اقتراح أو مساهمة فى حل هذه المعادلة ، ولكن عندما أخذت السلطات التنفيذية تتحدث عن الانتاج وضرورته فى دعم الاستقلال وانجاز مرحلة التحول الاشتراكى ، حتى انطلقت القيادات النقابية تقيم المؤتمرات ، وتستجدى بعض الابحاث عن الانتاج ، وتأخذ التوصيات بخصوص الانتاج ، ولكن لتنام عليها بعد ذلك بدون بذل أى محاولة لتتبعها ، وكأنه يكفيها انها قد ادت واجبها أمام المسئولين ، وبذلك تتصرف بعقلية الموظف البيروقراطى الذى يهمه أن يكون كل شىء سليما على الاوراق بدون نظر الى انجاز العمل فى مضمونه ، وبذلك يفلت من الحساب .

الارستقراطية العمالية

والارستقراطية العمالية ، مرض كثيرا مايصيب القادة النقابيون ، ليس فى بلدنا فحسب ، وانما على نطاق الحركة العمالية الدولية ، فالطبقة العاملة ليست طبقة منعزلة عن باقى الطبقات ، وانما تعيش معها وتتأثر بأفكارها ، فاذا مانظرنا الى كثير من القادة النقابيين فى العالم لوجدنا بعضا منهم بدأوا مناضلين حقيقيين ولهم مفاهيم ثورية محددة ولكن شيئا فشيئا مع النجاح النسبى والانعزال عن القاعدة والدخول فى علاقات اجتماعية مع الطبقات الاخرى ، نجدهم يتخلون عن تقاليد طبقتهم وأسلوب معيشتها وشيئا فشيئا يحملون أيديولوجيات الطبقات .

واذا ماتعمقنا الفكر الذى يعيش فيه مجتمعنا ، لوجدنا أن الفكر الاشتراكى لم يستطع حتى الان أن يجتث أفكار الطبقات القديمة ، فلازال الطموح والتطلعات الطبقية تأخذ صورا مختلفة وذلك الطموح يصيب الانسان كلما انعزل عن طبقته ، وتبنى أسلوبا معيشيا مغايرا لاسلوبها .

ونظرة الى قيادة الحركة النقابية وبالذات الاجزاء العليا منها توضح أن جزءا منهم بدأ يمثل الارستقراطية العمالية ، وأخذ كل مافى الطبقة الوسطى من ليبرالية وقدرة على تمييع الشعارات وتجويفها من مضمونها ولهم فى ذلك نتاج للاوضاع الاجتماعية التى يعيشونها والتى فرضت عليهم ارتباطات اجتماعية معينة ، واذا مانظرنا الى عدد المراكز التى يحتلها بعض هؤلاء القادة — وقد تتجاوز العشرة عند بعضهم — تؤكد أنهم لايؤدون دورهم فى أى مركز من هذه المراكز ، وانما هى عملية تشريف اجتماعى لهم ، ومنع لعناصر أخرى من أن تحتل هذه المراكز . وذلك بالاضافة الى الدخول الكبيرة التى عند بعضهم والامتيازات العينية الممنوحة لهم ، والتى تفصلهم تمام الانفصال عن الطبقة العاملة ، وأسلوب تفكيرها وتحجب عنهم الرؤيا الثورية ، وتوحد بين مصالحهم ومصالح الفئات المعادية للاشتراكية . وبالتالى تحولت هذه القيادات الى ارستقراطية عمالية لايربطها بالطبقة العاملة الا تاريخ مضى وانتهى ، ومركز تحتله ، اما الوضع الاجتماعى والارتباط الفكرى فهو مع الاجنحة اليمينية من قوى الشعب العاملة .

السلبية

وشيئا فشيئا انعزلت القيادة النقابية عن قاعدتها وفقدت الاحساس بنبض القاعدة ، وبالجديد الذى يشق طريقه فى أوساط العمال والتطور الذى نشأ بين عناصر الطبقة العاملة ، نتيجة تخريج أعداد كبيرة من مؤسسة الثقافة العمالية ، وتداول الفكر الاشتراكى . وأمام ذلك وجدت القيادة نفسها فى عجز عن التطورات الجديدة مما جعلها فى موقف معاد للتطور التاريخى خوفا على مراكزها ، وأحساس بالعجز عن تفهم المشاكل التى تعترض المجتمع ، وبالتالى فقدان للقدرة على تقديم الحلول ، ولم يعد لهم سوى مراكزهم يعتصمون بها ويستخدمونها لحل مشاكل بعض الافراد ، وأسكات بعض التذمرات ليربطوا أصحاب هذه المشاكل بهم شخصيا وبصورة تآمرية ، اما تدعيم الفكر العمالى والمساهمة فى معركة الانتاج والتوعية الاشتراكية وتدعيم سلطة الاجهزة الشعبية ، فلا تعدوا أن تتحول شيئا فشيئا الى شعارات يلوكونها ولا يستطيعون ممارستها وكانت الحصيلة فى ختام الدورة الانتخابية :

أتحاد للعمال معزول عن قاعدته ويمضى بلا لائحة يمكن محاسبة اعضائه عليها

أنكماش فى حجم العضو بحيث لاتتعدى ٢٠٪ من الطبقة العاملة

لاخطة للعمل تلزمه طيلة الدورة الانتخابية

لاكتيبات ولا نشرات على الاطلاق

لامؤتمرات ثقافية أو توعية على نطاق النقابات واللجان النقابية

الوصاية الادارية

ومع ذلك الانعزال والخوف من القاعدة ، أخذت هذه القيادات تخشى انطلاق القاعدة ، وتتجافى مع روح الميثاق التى ابرزت سلطات الاجهزة الشعبية ، وضرورة انطلاقها ، أخذت تخشى التوسع فى الديمقراطية ، اذ أن التوسع فى الديمقراطية يعنى التوسع فى القاعدة النقابية ، ومايتبع ذلك من انطلاقات وأبتكارات ، الوضع الذى أصبحت تخشاه ولا تجد عاصما منه الا فى السكوت على التوسع فى الوصاية الادارية ، التى تباشرها وزارة العمل متجاهلة تمام التجاهل توصيات المؤتمرات التى اقامها العمال .

فلقد اتخذ مؤتمر الاتحاد العام الذى أقيم لتعديل تشريع العمل توصية نصها الاتى :

((أن يكون من بين الاغراض التى تؤديها النقابات القيام بالوظائف التى تؤديها بعض الاجهزة الادارية والفنية بوزارة العمل وأن يتم ذلك تدريجيا))

ولكن هذه التوصية التي فرضت على قيادة الحركة النقابية من القاعدة ، تتنافى مع الوصاية الادارية التي يرتضيها قادة الاتحاد ، اذ أنهم يجدون في الوصاية الادارية سندا لهم يحميهم من ذلك المارد الذي أطلقته الثورة من القمقم .

والذي يعنينا هنا هو تحويل المعركة الانتخابية القادمة الى معركة جماهيرية واسعة تسهم فيها جماهير العمال بأفكارها ومبتكراتها واقتراحاتها لتتحول نتيجة المعركة الى حصيلة فكرية تكون ارضا يقوم عليها التنظيم النقابي الجديد، بعيدا عن العلاقات الشخصية والارتباطات التاريخية على أساس موضوعي لاتدخله المجاملات أو الوفاء بالجميل لاشخاص معينين

الانتخابات والخطة

واذا كانت الثورة قد انطلقت بالمفهوم النقابي من مرحلة المطالبة بالحقوق للعمال ، واشتركتهم في مجالس الادارات ومجلس الامة ، ووفرت لهم التأمينات الاجتماعية ، فلم يعد أمام العمال الا أن يفكروا في تدعيم هذه المكاسب والمحافظة عليها ، واثبات جدارتهم بالمكانة التي احتلوها، وعلى أساس من هذا الفهم يجب ان تكون البرامج الانتخابية مرتبطة تمام الارتباط بانجاز الخطة ، ليس في شكل شعارات أو مناقشات وانما في صورة دراسات عميقة لمرحلة الانجاز ومعوقات الانتاج والمقترحات اللازمة لحلها ، على أن تعرض هذه الدراسات على القاعدة الانتخابية ، حتى تأخذ المعركه شكلا موضوعيا ودافعا للانتاج الى الامام ، وبدون ذلك تتحول المعركة الى غنم لبعض الاشخاص على حساب مصلحة الانتاج ، ويبرز دور المجاملة الشخصية في كسب الاصوات ..

المحاسبة على الدورة المنتهية

وعندما تجرى الانتخابات فليس الهدف هو احلال عناصر جديدة محل العناصر القديمة فحسب ، والا كانت عملية شخصية بحتة تدور حول الكراسي القيادية ، وبذلك فعلى القاعدة النقابية أن تطلب الى الاشخاص الذين يريدون أن يعاد انتخابهم ان يتقدموا لها بكشف حساب عن الدورة المنتهية ، وعلى أساس النجاح أو الفشل يكون تقييمهم ، فعملية النقد عملية أساسية تشعر القاعدة باستمرار أنها سيدة الموقف، وأن القيادة النقابية لاتملك الا الرجوع اليها في النهاية ، وبذلك تظل الرقابة الشعبية قائمة على القيادة فعملية النقد هذه ليست مقيدة للعناصر القديمة فقط ، بل وللعناصر الجديدة التي تريد أن تتقدم للترشيح ، حتى لاتتقدم عليه الا اذا تأكدت من قدرتها على ممارسة هذه المهام ، وأنها مستفيدة من أخطاء القيادات التي سبقتها

وان كان ذلك يتم بالنسبة للقيادات القديمة ، فان طلب ترشيح القيادة الجديدة يجب أن يكون موقعا عليه من عدد من العاملين ، على أن تكون هذه التزكية متضمنة الاسس التي على أساسها تقديم ذلك العنصر وماهي المزايا التي يحملها وماهو مسلكه في الماضي ، وماهو موقفه من الانتاج ومدى مساهمته في حل مشاكل المنشأة التي يعمل بها

احتضان توصيات المؤتمرات السابقة

وليس معنى الانتخابات أن تنقطع الصلة بين الدورة الجديدة ، وأعمال الدورة الماضية ، وانما على العناصر الجديدة أن تحتضن توصيات القاعدة العمالية في مؤتمراتها السابقة وتضمنها برامجها الانتخابية ، فهذه التوصيات لم توضع حتى الان موضع التنفيذ ، ولم تبذل القيادات الحالية جهودا في متابعتها ، فلقد نجحت القاعدة العمالية في اتخاذ توصيات عديدة في تعديل تشريع العمل على ملاءمته مع مرحلة التطور الاشتراكي ، كما اتخذت توصيات هامة بخصوص العمل على زيادة الانتاج في المؤتمر الثاني الذي اقامه الاتحاد ونسوق هنا بعضها على سبيل المثال :

- تشكيل مجالس انتاج مشتركة بالمنشآت والوحدات الانتاجية من بين التنظيمات الشعبية الموجودة بها والادارة ، تحدد مسئولياتها في دراسة أرقام الانتاج وتنظيم العمل والربط بين المحقق من الخطة والمستهدف منها .

- انشاء هيئة عليا لرسم سياسة التدريب المهني تمثل فيها الوزارات والهيئات المعنية والاتحاد العام للعمال تنبثق منها هيئات فرعية على المستوى المحلي ومستوى الصناعة تمثل فيها التنظيمات النقابية .

- تنظيم عمليات المقاولات في جميع القطاعات لسد مافيها من ثغرات في التهرب من دفع الالتزامات سواء للعاملين أو للدولة .

- أن تتعاون التنظيمات النقابية مع الادارة في تنفيذ سياسة الدولة الاشتراكية وقوانين وقرارات العمل بصورة سليمة .

رفع الوصاية الادارية

لقد حررت الثورة الحركة النقابية من الوصاية الادارية التي كانت مفروضة عليها في الماضي حتى

تكون تنظيمات شعبية قادرة على النهوض بمهامها وحتي تعطي الحركة العمالية القدرة على ممارسة دورها في الانتاج وحماية مكاسب الثورة .

ولكن هذه الوصاية أخذت تتسرب من جديد ، عن طريق وزارة العمل ، حتى سلبت او كادت انسلب الحركة النقابية مضمونها وقدرتها على الحركةفهى التى تتولى التفتيش على [illegible]ابات وتصنيف المهن والصناعات التى تدخل فى نقابة واحدة ، وقيام لجان نقابية فى بعض المنشآت من عدمه وتحديد الاشخاص الذين يحضرون المؤتمرات الدولية الخ

واذا تأملنا ماتبقى للنقابات من مهام لوجدنا انها اعمال فى معظمها مشروطة بموافقة وزارة العمل وبذلك أصبحت اجهزة عاجزة عن النهوض بالمهام التى يفترض أن تقوم بها ؛ فالادارات التى تتكون منها وزارة العمل وهى :

— ادارة القوى العاملة والتدريب المهني والاجور

— ادارة النقابات والثقافة العمالية والتشريع والتفتيش العمالى وعلاقات العمل .

— ادارة العلاقات الخارجية .

تستوعب فى مجموعها نشاط [illegible]ة النقابية ، وأصبح الامر يقتضي تدريب القيادات النقابية واعداد التنظيمات لتسلم هذه المهام شيئا فشيئا ، فوزارة العمل ظاهـرة انتقالية لن تتعايش طويلا مع التطور الاشتراكي .

الديمقراطية والتنظيم النقابي

والتنظيم النقابي يجب أن يتلاءم مع الهدف منه وهو تعبئة جماهير العمال خلف خطة التنمية ، وبالتالى فاللجان النقابية يجب أن تكون ممثلة لمجالاتها تمام التمثيل ، وهذه هى الخطوة الاولى فى طريق الديمقراطية ، حتى يمكن خنق التآمرات التى تتم فى الاجهزة العلوية فى الحركة النقابية . فلجنة المنشأة لم يشترط القانون أن تكون واحدة فى المنشأة الواحدة اذا كان لها فروع يضم كل منها خمسين عاملا ، وذلك ضمانا لحسن الاختيار ولدقة التمثيل ، وليس القانون وحده هو الذى حتم ذلك بل أن أحكام القضاء نفسها دعمت ذلك الاتجاه قبل ذلك بكثير

ففتوى مجلس الدولة بتاريخ ١٩ — ١١ — ١٩٥٣ ردا على كتاب مصلحة العمل رقم ١٢ — ٥ — ٣٠ بتاريخ ١ — ١ — ١٩٥٣ تبرز الاتى :

المبدأ : أن عبارة المنشأة الواحدة كما تنصرف الى المؤسسات الرئيسية نفسها فانها تنصرف أيضا الى كل فرع من فروع المنشأة له كيان ذاتى خاص به .

المبدأ : الفرع الذى يكون له الصفة الاستقلالية عن المركز الرئيسى للمؤسسة يكون لعماله الحق فى تكوين نقابة خاصة بهم مستقلة عن نقابة الفرع الاخر ولامانع بعد ذلك من تكوين أتحاد بين هذه النقابات

الفتوى : أن عبارة المنشأة الواحدة كما تنصرف الى المؤسسات الرئيسية نفسها فانها تنصرف كذلك الى كل فرع من فروع المنشأة له كيان [illegible]تى بحيث يكون له طابع الاستقلال عن المركز الرئيسى بحيث لايرجع الى المركز الرئيسى فى مسائلـه التفصيلية التى تعرض له بل يقتصر هذا الرجوع على المسائل الاساسية المتعلقة بكيانه أو بالسياسة العامة للمؤسسة وعلى ذلك ففرع شركة معينة فى السويس يعتبر منشأة كما أن فرعها فى بورسعيد يعتبر منشأة وهكذا . وبذلك يكون لعمال كل فرع من هذه الفروع حق تكوين نقابة عمال خاصة بهم مستقلة عن نقابة عمال الفرع الاخر ، ولامانع بعد ذلك توحيدا لسياسة النقابات المتعـددة ومصالحها أن ينشأ أتحاد بينهما .

تلك هى الخطوة الاولى حتى يستطيع العمال أن ينتخبوا ممثليهم احسن تمثيل ، وحتى لايترك المجال لبعض العناصر ذات المراكز الرئيسية فى الحركة النقابية للتأثير فى اللجان الموجودة فى العاصمة . فبنك مصر مثلا يجب أن تكون له لجان نقابية فى كل فروعه ، أما أن تكون لجنة فى القاهرة ممثلة لفروعه فى العريش وأسوان فهـذا حجب للقاعدة العمالية ومنع لها من ممارسة حقها .

التنظيم والانتـاج

ويجب الاتترك انتخابات اللجان النقابية عامة ، بل يجب أن يمثل فى مجلس ادارتها كل فروع الانتاج بحيث يكون مجلس ادارتها معبرا فى حد ذاته عن جميع فروع الانتاج فى المنشأة ، فمهمة اللجنة [illegible]ية الاساسية هى الاهتمام بالانتاج ، ومناقشة مشاكل المنشأة او الفرع ، ولن يتسنى ذلك الا اذا مثلت

كل الفروع وبذلك يقضى على الصورة التقليدية الحالية لمفهوم النقابة ، وللصراع الذى يدوربشكل خفى بين الاجهزة المختلفة من اداريين ومهندسين وماليين وعمال الخ

التنظيم وتطوير المهنــة

والى جوار النقابات العامة ، يجب أن توجد نقابة خاصة بكل مهنة أو صناعة اذ النقابات العامة تضم صناعات متماثلة وأحيانا متباعدة، حتى يمكن لكل نقابة من هذه النقابات بحث مشاكل مهنتها ، فمثلا نقابة السجاير موجودة فى نقابة صناعـــــة الاغذية وربما تكون ممثلة بعضو واحد، بينما شركات السجاير لها لجانها النقابية المتعددة والغير مرتبطة ببعضها ، فيجب أن يكون لها نقابة مهنية واحدة تجمع هذه اللجان النقابية وذلك الى جوار النقابة العامة التى عادة ماتكون ضــيقة النظرة وهى تناقش مشاكل مهنة أخرى غير ممثلة الا بعدد قليل .

التصــنيف النقـــابى

ومن المعارك الفكرية التى يجب أن تبرزها الانتخابات القادمة ، مراجعة التصنيف الذى وضعته وزارة العمل للمهن والصناعات المتماثلة والذى يهدف فى أساسه الى عدم أخراج نقابات ضعيفة لاتستطيع النهوض بمهامها ، فلاشك أن ذلك التعدد ليس فى صالح الانتاج فهناك نقابات عامة يجب أن تدمج فى بعضها مثل نقابة البترول ونقابة الصناعات الكيماوية وكذلك نقابة العاملين بالصناعات الحربية ونقابة العاملين بالصناعات الكهربائية والهندسية لوحدة العمل والانتاج فى هذه الصناعات .

المديرون والتمثيل النقابى

واذا كانت القوانين قد استثنت المديرين الذين يملكون حق توقيع الجزاء من الترشيح للقيادة النقابية ، ضمانا لحرية القاعدة النقابية وقدرتها على التعبير ، فان ذلك الاستثناء يجب الايتحول الى ناحية شكلية ، بتغيير اسماء بعض المناصب ، مما أدى الى وجود عدد من المديرين فى قمة التنظيم النقابى بعد أن غيرت أسماء وظائفهم .

نسب التمثيل

يجب اطلاق الحد الاقصى فى التمثيل للنقابات حتى لاتظلم بعض القطاعات العريضة من العمال ، وحتى لا يسوى بين صناعات يتجاوز عدد العاملين منها بضعة آلاف بصناعات يتجاوز العـــاملون فيها المليون .

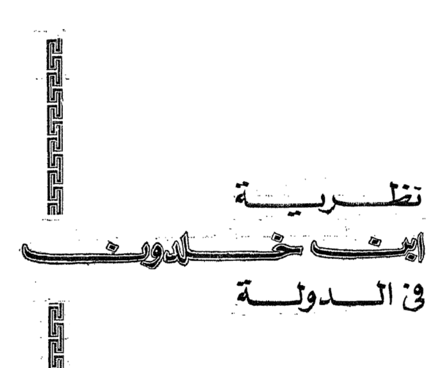
الاتحاد حق لكل القيادات النقابية

واذا كان القانون قد حدد عدد النقابات بسبع وعشرين نقابة ، تعبر عن جميع العاملين فى المهن المختلفة ، فان المنطق يقتضى تمثيل هذه النقابات السبع والعشرين فى الاتحاد العام حتى يكون فى حد ذاته تعبيرا صادقا عن القاعدة العمالية ، أما أن يمثل من هذه النقابات واحد وعشرون نقابة فقط وتستبعد ست نقابات ، فهو منطق فيه مجافاة للديمقراطية النقابية ، وبذلك أصبح الاتحاد العام بصورته الحالية قاصرا عن تمثيل القاعدة العمالية، ليس كيفيا فقط وانما أيضا من الناحية الكمية .

واذا أدرنا الدقة فالاتحاد العام بوضعه الحالى لايعدو أن يكون لجنة تنفيذية مطلقة التصرف بدون مجلس تمثله ، فلا يعقل ان يمثل ٢١ شخصا جماهير تضم ستة ملايين عامل ، اذ ان ذلك يحمل فى طياته خطورة انحراف ذلك العدد القليل طيلة سنتين كاملتين .

وعلى ذلك فيجب أن يوجد بجوار هذه الهيئة مجلس عام لايقل عدد اعضائه عن ١٥٠ عضوا يجتمع مرة كل ستة شهور ، حتى يمكن محاسبة أعضاء الاتحــاد وتقويم الانحــراف بدلا من أن يترك لمدة سنتين ، وبذلك يأخذ الاتحاد شكله الطبيعى من انه جهاز تنفيذى لمجلس عام تمثل فيه كل قطاعات العمال .

أن بناء الاشتراكية فى جوهره يعتمد على أنجاز خطة التنمية وتدعيم الوعى الاشتراكى وتوحيد الفكر العمالى ، ولعل معركة الانتخاب تكون طريقنا الى حصيلة فكرية ضخمة تثرى الطبقة العاملة بمفهومات جية ومتطورة .



نظرية ابن خلدون في الدولة

الدكتور عبد الرازق مسلم الواجدي ــ كاتب هذا المقال ــ مفكر عراقي تقدمي تخصص في دراسة آثار وأعمال المفكر والفيلسوف العربي العظيم « ابن خلدون » ..

د. عبد الرازق مسلم الواجدي

منذ ستين عديدة خلت كتب **«آرنست رينان»** في تثمينه للفكر «الشرقي» قائلا « لايتأتى علينا أن نبحث عند العنصر السامي عن دروس في الفلسفة ، ومن عجائب القدر ان هذا العنصر الذي استطاع أن يضفي على ما ابتدعه من الاديان طابعا من القوة عاليا ، لم يقدم لنا اى بحث فلسفي خاص به » (١) .

وعلى غرار **«رينان»** اكد **«دي بور»** بأنه لم يكن من اليسير على الشرقيين أن يبحثوا بحثا مستقلا في أمور لم يطرقها احد قبلهم ، لان الشرقي يرى أن من لا شيخ له فشيخه الشيطان » (٢) .

وكان هذان الكاتبان يعبران بأقوالهما الآنفة الذكر عن عقلية الاستعمار الغربي الهادف الى تخليد سيطرته على شعوب الشرق باستخدام مختلف الاساليب الخبيثة ويضمنها أسلوب الايحاء بالعجز الفكري كي تبقى عقلية هذه الشعوب حبيسة اوهام القرون الوسطى .

ومرت فترة سكتت فيها مثل هذه الادعاءات بشكلها الصريح حتى خيل للبعض من باحثينا ان مفكري الاستعمار قد اقروا بالحقيقة الواقعة وبداوا ينظرون الى تراثنا الفكري بغير العين التي نظر اليه بها «رينان» و «دي بور» ، وربما خدع هذا البعض بالاسلوب الملتوي الذي يحسن الاستعمار اتباعه .

بيد ان الجنوح من التصريح الى التلميح لم يستمر طويلا، بل وما كان له ان يستمر، فالضربات التي واجهها الاستعمار من حركة الشعوب التحررية والسقوط الذي آلت اليه فلسفته ، اجبرت مفكريه رغم ارادتهم على العودة الى تبني نفس الدعوات الصريحة السابقة في تزييف الحقائق وتسفيه تراث

(١) رينان ، ابن رشد ومذهبه ، ص ٨
(٢) دي بور ــ تاريخ الفلسفة في الاسلام ، الترجمة العربية ــ القاهرة ١٩٥٧ الصفحة ٤٩

الشعوب التى تحررت من ربقته ، ملتقطين ماسبق ان لاكته السن اسلافهم .

وهذا ماقام به بالفعل قبل اعوام قليلة كل من **ف.مولمان** الامريكى **وليوبولدفون فيزا** الالمانى الغربيعندما اعلنا بانالحضارةالشرقية ميتافيزيقية عميقة التصوف — وبأنالانسان عند الشرقيينأداة وليس صانعا خلاقا ، وبأن اخضاع قوى الطبيعة والوصول الى الاهداف النافعة عن طريق العقل هى صفات أوربية أمريكية وليست آسيوية (٣) .

على انه لم يفت هؤلاء ومن لف لفهم من الكتاب ان يمتدحوا احيانا ، وبدون قصد نزيه طبعا ،ماحققه الشرقيون فى حقل الروحانيات ، ليسلبوا منهم بالمقابل صفة العقلية ويغلقوا امامهم ميادين العلم والفلسفة باعتبارهاوقفا علىمجموعة منالشعوب مختارة .. ويختطف البعض عندنا من افواه هؤلاء الكتاب مضمون هذه الافكار ويتمسكون بها بقوة ولكنهم يعيدون صبها فىقالب جديد اكثرملاءمة لمقتضى الحال وعما يسمى بخطر « الافكار المستوردة » التى يثقل اصحابها فى مناطق عديدة من بلادنا العربية بضرائب باهظة تصل احيانا الى حد الاطاحة بالرءوس ، حماية «للفكر المحلى » .

وسواء ادرك هؤلاء ام لم يدركوا بان الفكر التقدمى هو ملك للبشرية جمعاء ، اينما نبع ، لان صانعيه تجمعهم الانسانية قبل ان تفرقهم الحدود الاقليمية والقومية ، فهم على كل حال ليسوا ضد افكار كيركجورد وبيرس وديوى مثلا على الرغم من العلامة التى تحملها ..

ان المعركة السياسية والاقتصادية التى تخوضها شعوبنا اليوم مع الاستعمار والرجعية تضفى على الكفاح الفكرى ضد مفاهيمهما اهمية استثنائية اكثر من اى وقت مضى ، وتجعل مهمة بعث تراثنا القديم وابراز جوانبه التقدمية مسالة اكثر الحاحا وحيوية . ونحن اليوم بهذه المقالة القصيرةنلتفت عدة قرون الى الوراء لنترك ابن خلدون يتحدث معمنتقصي الفكرالشرقى ومع الملوحينبخطر الافكار المستوردة على حد سواء ، ففى حديثه رد مفحم على كلا الفريقين .

قبل أن أبدأ بتلخيص آراء ابن خلدون فىالدولة، اود ان اعيد الى الاذهان بان هذا المفكر العظيم كان من اوائل الاخذين بمذهب الحقبة التاريخية واول من طرح بجراة مسالة قانونية التطور التاريخى للمجتمع ، فى عصر كان فيه التفكير المنطقى يتعرض الى الوان من الضغط والتعطيل ومابحث الدولة الذى يشغل حوالى ثلث المقدمة الشهيرة الادليل على هذه المهمة التى اضطلع بها ابن خلدون فى تاريخ الفكر الاجتماعى .

ونحن اذا اردنا ان نحدد الجذر الطبقى لهذه الاراء ، قلنا ان ابن خلدون كان معبرا عن مزاج الفئة المثقفة « المتعقلة » داخل الطبقة الاقطاعية السائدة ، التى دفعها احساسها بالخطر الذى كان يتهدد كيان المجتمع الاقطاعى جراء السياسة الرعناء التى كانت تمارسها الفئة البيروقراطية الحاكمة فى مغرب ومصر القرون الوسطى ، الى طرح برنامج سياسى ياخذ بالحسبان مصالح فئات المجتمع الاخرى ، وذلك فى محاولة منها لتلطيف التناقضات الطبقية ، ومن هنا ياتى الطابع الانسانى الديمقراطى الذى يطبع افكار ابن خلدون على وجه الاجمال .

ففى الوقت الذى كان يوحى للجمهور ان سلطة الحكام شيء مفروض من الله لايجوز تحديها او مقاومتها ، ركز ابن خلدون اهتمامه على مسالة كيفية نشوء الدولة ، وكان تركيزه هذا دليلا على نظرته التاريخية اليها باعتبارها ظاهرة اجتماعية يسرى عليها مايسرى على غيرها من ظواهر الكون والمجتمع .

فالدولة — كما يحدثنا المفكر الكبير — لم تكن موجودة منذ الازل ، ولافرضت على المجتمع من خارجه ، بل نشات بحكم الضرورة من حاجة المجتمع اليها فى مرحلة تاريخية معينة من مراحل تطوره .

وابن خلدون بتحديده هذا يكون اول من نظر الى الدولة «باعين انسانية وحاول ان يستنبط قوانينها من العقل والتجربة» قبل ان يفعل ذلك «ميكيافللى» و «هوبز» و «سبينوزا» وغيرهم بقرون عدة . استمع اليه يقول :

« ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم ، فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما فى طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم .. فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لايصل احد الى غيره بعدوان ، وهذا هو معنى الملك ، ... وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلى ، وانها خاصة طبيعية للانسان فيقررون هذا البرهان الى غاية وانه لابد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك ، وذلك الحكم يكون

(٣) انظر The British Journal Of Socology, Vol. Xi No 1 1961

بشرع مفروض من عند الله ياتي به واحد من البشر وانه لابد ان يكون متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولاتزييف ، وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراه ، اذ الوجود وحياة البشر قد تتم دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه أو بالعصبية التى يقتدر بها على قهرهم وحملهم على جادته ، فأهل الكتاب والمتبعون للانبياء قليلون بالنسبة الى المجوس الذين ليس لهم كتاب ، فانهم اكثر أهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والاثار فضلا عن الحياة» (٤) .

والمحاكمة التي يجريها ابن خلدون في هذا النص محاكمة عقلية طبعا ولكن منطلقها على اى حال منطلق مثالى ، اذ لم يستطع المفكر وماكان له ان يستطيع ، وهو ابن عصره وطبقته ان يفهم ان انقسام المجتمع الى مستغلين ومستغلين هو الذى حتم قيام الدولة ، بل راى فى الفوضى التى تنجم عما يسميه بالعدوان المتاصل بالطبيعة الانسانية الدافع الذى استوجب نشوءها .

بيد ان ابن خلدون لايلبث ان يشعر قارئه فى فقرات اخرى من المقدمة انه كان يحس بالطبيعة الطبقية للدولة ، وذلك باشارته الى التفاعل القائم بين السلطة السياسية والسيطرة الاقتصادية فى المجتمع (مهمة الاولى ضمان استمرار الثانية) وبتقسيمه السكان الى فئات متفاوتة فى المركز الاجتماعى تبعا لملكيتها الاقتصادية ، وذلك على الرغم من محاولة اضفاء صفة الشرعية على انعدام المساواة الاجتماعية .

« ثم ان الجاه متوزع فى الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة ينتهى فى العلو الى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية وفى السفل الى من لايملك ضرا او نفعا بين ابناء جنسه وبين ذلك طبقات متعددة حكمة الله فى خلقه بما ينتظم معاشهم ويتيسر مصالحهم ويتم بقاءهم ، لان النوع الانسانى لايتم وجوده الا بالتعاون وانه وان ندر فقد ذلك فى صورة مفروضة لا يصح بقاؤه ، ثم ان هذا التعاون لا يحصل الا بالاكراه عليه لجهلهم فى الاكثر بمصالح النوع ولما جعل لهم من الاختيار وان افعالهم انما تصدر بالفكر والروية لابالطبع ، وقد يمتنع عن المعاونة فيتعين حمله عليها ، فلابد من حامل يكره ابناء النوع على مصالحهم لتتم الحكمة الالهية فى بقاء هذا النوع وهذا معنى قوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ، فقد تبين ان الجاه هو القدرة الحاملة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالاذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة ليحملهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم » (٥) .

وانها لملاحظة فى غاية الدقة من قبل ابن خلدون تحديده لمهمة الدولة الاساسية بالقهر والاكراه ، وتفريقه تبعا لذلك بين شكلين من اشكال السلطة : شكل قائم على الاحترام الطوعى للرئيس فى المجتمع العشيرى ، وشكل قائم على القسر فى ظل الدولة . وبهذا يقترب المفكر من اكتشاف الفرق الجوهرى بين السلطة فى المجتمع الطبقى وبينها فى المجتمع البدائى: **«قدمنا ان الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون فى كل اجتماع الى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية والا لم تتم قدرته على ذلك ، وهذا التغلب هو الملك وهو امر زائد على الرئاسة ، لان الرئاسة انما هى سؤدد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر فى احكامه واما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر » (٦) .**

ومادامت الدولة فى نظر ابن خلدون — اداة للقهر اصبح لزاما ان تستند الى القوة لتقيم اساسها وتوطد اركانها ، وهذه القوة هى مايطلق عليه صاحب المقدمة « العصبية » . والعصبية احدى المصطلحات التى ضمنها ابن خلدون فى المقدمة محتوى اجتماعيا يفوق معناها القاموسى ، فهى تعنى اولا شعور التضامن الناشىء على اساس رابطة القربى الذى تستلزمه جملة من الاسباب ذات الطابع المادى ، وتعنى ثانيا الجماعة او بكلمة ادق الحزب .

والعصبية تكتسب معناها الاول من فكرة ابن خلدون الشهيرة القائلة : ان تقاليد الناس وعاداتهم وأعراضهم تنشأ وتتطور بفعل ظروف حياتهم المادية التى يعيشون فى كنفها ، ولهذا تكون العصبية صفة ملازمة لسكان الصحراء والارياف نظرا لما تتطلبه شروط المعيشة فى هذه البقاع. فالبدو على العموم فقراء بائسون وهم نتيجة لفقرهم يتمسكون باشد العادات قساوة ، فحياة الشظف والشعور بالخطر المحدق من كل صوب وانعدام المؤسسات الحكومية طور عندهم شعور التضامن الذى يجد انعكاسه فى اخلاص البدوى المطلق لقبيلته واستعداده الدائم للتضحية فى سبيلها (٧) .

ولاتقتصر العصبية عند ابن خلدون على

---

(٤) ابن خلدون — المقدمة — طبعة بيروت سنة ١٩٠٠ ص ٤٢
(٥) المقدمة ص ٣٩٠ ، كذلك انظر ص ٣٨٩
(٦) نفس المصدر ص ١٣٩
(٧) انظر المقدمة ص ١٢٨

الاقـربـاء وذوى الارحام بل وتتعـدى ذلك حتى تشمل الموالي والارقاء والحلفاء من القبائل الاخرى — اى انها تكتسب محتوى طبقيا وهو ماعبر عنه المفكردون انيكونقد فهمهجيدا — بقوله: **((العصبية كالمزاج من العناصر ، وهذا المزاج لايحصل اذا تكافأت عناصره ، بل وجب أن يـكون لاحدهمـا الغلب)) (٨)** .

وهذا المعنى الذى احس به ابن خلدون يصبح واضحا جدا ، اذا نظرنا الى العلاقات الاجتماعية التى كانت سائدة اثناء تأليف المقدمة وهى على كل حال علاقات اقطاعية حلت محل العلاقات القبلية البدائية مع احتفاظه بمظاهر الاخيرة واستغلالها فى سبيل تطمين مصالح الارستقراطية المتحكمة(٩) . ومن هنا بالذات كانت اشارة ابن خلدون الى **ان الهدف الذى تجرى اليه العصبية هو الملك (١٠)**

ولاينتهى دور العصبية عند ابن خلدون بتاسيس الدولة فحسب ، بل ان هذا الدور يزداد اهمية اثناء التطور اللاحق لها ، فكلما كانت العصبية اقوى وتلاحمها امتن كان الحكم اكثر استقرارا واطول بقاء ، والعكس صحيح ، فان الضعف الذى ينتاب العصبية يؤدى حتما الى اضطراب الحكم وبالتالى الى سقوط السلالة الحاكمة .

وليست الدعوة السياسـيـة وحدها هى التى تحتاج الى العصبية ، بل ان كل حركة اجتماعية بما فيها الحركات الدينية لايمكن ان يكتب لها النجاح دون الاستناد الى قوة العصبية ، ولاجل دعم رايه هذا يورد صاحب المقدمة الحديث النبوى **((ما بعث الله نبيا الا فى منعة من قومه))**وفى فصل : **((ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم)) (١١)**.

ولااريد هنا ان اطيل فى بحث موضوع العصبية لان ذلك يحتاج الى صفحات عديدة ، ولكننى أود ان اشير الى نتيجة اساسية يمكن لدارس المقدمة ان يخرج بها من هذا الباب وهى ان ابن خلدون بتاكيده الفائق على دور العصبية فى الاحداث التاريخية قد قلل الى حد كبير من دور «الابطال الافذاذ صانعى التاريخ » وبذلك خالف جمهـرة المؤرخين الذين سبقوه وعاصروه والذين لم يروا فى التاريخ الا قصة تروى عن مآثر هذا وذاك من الملوك والسلاطين . ومن هنا بالذات جاء النقد اللاذع الذى وجهه ابن خلدون الى اسلافه المؤرخين ومن هنا كانت معارضته لتدوينهم التاريخ بالمنهج الذى نشاهده فى « العبر » حيث رتبت المادة التاريخية فيه بشكل لم يكن مالوفا من قبل وهو الترتيب حسب السلالات لا السنين . ان هذا الترتيب جاء مطابقا كل المطابقة لفكرة ابن خلدون الاساسية فى ان السلالة كتنظيم سياسى عماده العصبية تنشأ وتتطور ثم تسقط بفعل قوانين اجتماعية خاصة (١٢) .

هذا واذا كانت العصبية الاساس الذى ترتكز عليه الدولة ، فان الدين عامل هام من عوامل توطيد الامبراطوريات الواسـعـة . وابن خلدون باعتبـاره الدين عاملا سياسيا ذا دور حاسـم فى فترة نشوء وصيرورة الدولة — كما سبق وان اشار الى ذلك اللورد كرومر ، كان قد عبر عن حقيقة تاريخية قدمتها تجربة الامبراطورية العربية . فالاسلام بدعوته الى التوحيد وبشعاره عن ضرورة تآخى المسـلمين بغض النظـر عن انحدارهم القبلى كان قد تحول الى سـلاح فكرى فعالوحد القبائل العربية ودفعها الىاقامة الخلافة المترامية الاطراف .

ولم يحظ باهتمام ابن خلدون فى المقدمة غير شكل واحد من اشكال الدول ، الشكل التقليدى الذى كان سائدا فى البلدان الاسـلامية آنذاك ، واعنى الملكية المطلقة . الا ان المفكر الى جانب ذلك كان قد فرق بين شكلين من اشكال الحكم تبعا لما يضمنه هذا الشكل او ذاك من المصالح فاطلق على الشكل الذى تراعى فيه مصالح جماعة المسلمين عموما **بالخلافة الشرعية** وسمى النوع الذى تخضع فيه مصلحة العموم لمصلحة افراد قلائل **بالملك** — اى الملكية الوراثية .

والحاكم فى الشكل الاول يجمع بينيديه السلطتين الدينية والزمنية — مع تغلب اداء واجبات الاولى على الثانية — ويتمتع باحترام الكافة لان توليه انما يتم عن طريق الشورى . واحسن مثال لهذا شكل واحد من اشكال الدول ، الشكل التقليدى — خلافة الراشدين (١٣) .

بيد ان مدة هذا الشكل قصيرة جدا ، اذ يتحتم انقلابها الى الملكية الوراثية بفعل القـانون الذى تخضع اليه العصبية والذى سبق ان اشرنا اليه **((ان الهدف الذى تجرى اليه العصبية هو الملك))** . على انه ينبغى الاشارة هنا الى ان ابن خلدون لم يكن ضد الملكية الوراثية مطلقا — وان كان قد اعتبرها شكلا غير عادل للحكم على العموم — ولكنه كان ضد الملكية الوراثية التى تخضع المصالح العامة لمصلحة الفرد : **((فالملك اذا حصل وفرضنا ان الواحدانفرد بهوصرفه فىمذاهب الحق ووجوهه لم يكن فى ذلك نكير عليه ، ولقد انفرد سـليمان وأبوه داود صلوات الله عليهما بملك بنى اسرائيل**

---

(٨) المقدمة ص ١٦٦ ، انظر كذلك صفحات ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٨٤ من المصـدر المذكور .
(٩) للمتؤرخ الفرنسى ايف لاكوست تحليل للعصبية دقيق فى مؤلفـه : ابن خلدون واضع علم ومقرر استقلال الترجمة العربية — بيروت ١٩٥٤ .
(١٠) المقدمة ص ١٣٩ .
(١١) نفس المصدر ص ١٥٧
(١٢) المقدمة ص ٥ ، ٦ ، ١٨٣
(١٣) المقدمة ص ٣٦٨ .

لما اقتضته طبيعة الملك من الانفراد به وكانوا ما علمت من النبوة والحق» (١٤) .

ولما كان ابن خلدون قد قرر بان العصبية تكون الشرط الاساسى فى الحفاظ على كيان الدولة فانه توصل الى استنتاج مفاده أن أمثل أشكال الحكم هو الذى تفرضه عصبية الحاكم ــ وعلى هذا النحو برر صاحب المقدمة دعوة «معاوية» «ليزيد» من بعده بالخلافة بان ذلك ماكانت تتطلبه عصبية الامويين ، ولو لم يرضخ معاوية لهذا الطلب لتصدعت عصبيته (١٥) .

وتستاثر مسالة الانقلابات الحكومية وسقوط السلالات بانتباه من ابن خلدون كبير ، ولعل المؤرخ كان يجد بذلك تجربة عاشها وشارك فيها . فابن خلدون ــ كما هو معلوم ــ كان قد عمل فى فترة أزمة حكم ، انعدم فيها الاستقرار فى شمالى افريقيا انعداما تاما ، فترة كانت الانقلابات والهزات لاتنفك تعصف بعروش الامراء والسلاطين باستمرار (١٦) .

وخلاصة الفكرة التى تدور حولها نظرية ابن خلدون عن سقوط الدول والسلالات هى ان المجتمع اثناء تطوره يحمل بين طياته عوامل هدمه ، فهو ينشا بدويا غايته تطمين ماهو ضرورى للحياة لكنه مايلبث ان ينتقل ضرورة الى مرحلة اعلى هى مرحلة المدينة (الحضارة كما يسميها ابن خلدون) مولدا بذلك تناقضات جديدة تؤدى فى النهاية الى تفسخ المجتمع وسقوط الدولة ، وهذا الاخير يتم على يد جيل يظهر من البادية قوى يقيم حكمه على انقاض اسلافه ، وهكذا يتجدد التاريخ .

وهذه الفكرة من حيث الجوهر هى نفس الفكرة التى توصل اليها فيما بعد المؤرخ الايطالى **فيكو** والتى عرفت باسم نظرية الدورات او الحلقات التاريخية . وهى وان كانت باطلة من الناحية العلمية لكنها كانت تعكس فى المقدمة حقيقة الاوضاع فى شمالى أفريقيا فى القرون الوسطى . الحقيقة التى اشار اليها ف. انجلز فى مؤلفه عن تاريخ المسيحية المبكرة حيث قال : « ... ان كل هذه الحركات كانت حركات نابعة من اسباب اقتصادية على الرغم مما ارتدته من رداء دينى ، ولكنها حتى بعد انتصارها كانت تبقى الظروف الاقتصادية السابقة على حالها دون ان تمسها ولهذا فكل شىء يظل كما كان والتصادم يصبح دوريا » (١٧) .

لقد فهم ابن خلدون جيدا ان وراء كل انتفاضة يقوم بها الجمهور ميلا الى تحسين الاوضاع المعاشية واحتجاجا على سياسة الاضطهاد الاقتصادية ، ولذلك شدد المفكر فى ادانة التعسف الذى كانت تمارسه السلطات آنذاك والاعتداء الذى كانت تقوم به على ممتلكات الناس ، فالظلم ــ كما يقول ابن خلدون ــ مؤذن بخراب العمران وان واجب السلطة ليس فى اعاقة الانتاج ولكن فى تهيئة الظروف الطبيعية له : **«اعلم ان مصلحة الرعية فى السلطان ليست فى ذاته وجسمه وحسن شكله او ملاحة وجهه او عظم جثمانه او اتساع علمه أو جودة خطه أو ثقوب ذهنه وانما مصلحتهم فيه من حيث اضافته اليهم .. واما توابع حسن الملكة فهى النعمة عليهم والمدافعة عنهم ، فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك ، واما النعمة عليهم والاحسان لهم فمن جملة الرفق بهم والنظر لهم فى معاشهم وهى أصل كبير من التحبب الى الرعية» (١٨) .**

وعدا العامل الاقتصادى المذكور اعلاه يدرج ابن خلدون عاملا آخر لسقوط السلالات وهو العامل السياسى ، الناجم عن الصراع على السلطة . فسعى حاكم معين الى السيطرة المطلقة والتحكم يستوجب بالضرورة سحق حتى الاتباع الذين ساهموا فى اقامة الحكم وتصفية الخصوم ، مما يؤدى الى تأجيج الصراع بين صفوف الفئة الحاكمة ، ولكى يحتفظ الفرد بسلطته المطلقة يعمد الى اصطناع الاجراء والانصار باذلالهم ما فى خزائن الدولة دون رحمة ، فتزداد النفقات على حساب المدخولات وبه تشتد حالة الجمهور سوءا . وهكذا يتظافر العاملان السياسى والاقتصادى على اضعاف الحكم : **«اعلم ان مبنى الملك على اساسين لابد منهما ، فالاول الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجند ، والثانى المال الذى هو قوام اولئك الجند واقامة مايحتاج اليه الملك من الاحوال ، والخلل اذا طرق الدولة طرقها فى هذين الاساسين» (١٩)**

على ان ابن خلدون الذى طالما قدم النصائح للحاكمين للتخفيف من غلوائهم يعلم علم اليقين بان السياسة التى يمارسونها ليست وليدة نزواتهم الشريرة ولكنها تجرى وفقا لقوانين موضوعية تفعل فعلها رغم ارادتهم «فطبيعة الملك نفسها تقتضى الانفراد بالمجد ، وهى كذلك تقتضى الترف» (٢٠) وفى هذا الفهم بالذات تقوم مأثرة ابن خلدون الخالدة .

---

(١٤) نفس المصدر ص ٢٠٦ .
(١٥) انظر المقدمة ص ٢٥ .
(١٦) مما هو جدير بالذكر ان ابن خلدون نفسه كان قد شارك فى الانقلابات الحكومية عدة مرات ، كما قام بنفسه وبتكليف من احد سلاطين المغرب باخماد تمرد احدى القبائل البربرية ، انظر التعريف بابن خلدون ورحلته « شرقا وغربا » طبع مصر سنة ١٩٥١
(١٧) ك. ماركس وف. انجلز المؤلفات : الطبعة الروسية الجزء السادس عشر القسم الثانى ص ٤١٠
(١٨) المقدمة ص ١٨٩
(١٩) نفس المصدر ص ٢٩٤
(٢٠) نفس المصدر ص ١٦٨

واجب القوى الثورية في حماية وتدعيم النظم التقدمية في أفريقيا

معاوية ابراهيم

كاتب هذا المقال مناضل ومفكر سوداني تقدمي ، اشترك في عضوية كل من وفد القوى التقدمية السودانية الى الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية، وفي الوفد السوداني الموحد الى ندوة افريقيا التي انعقدت بالقاهرة في اكتوبر الماضي بدعوة من كل من مجلتي الطليعة والسلم والاشتراكية

ومعاوية ابراهيم في هذا المقال يلقي بعض الاضواء على موضوع حماية وتدعيم النظم التقدمية في افريقيا ، وهو موضوع استأثر بجانب كبير من اهتمام المشاركين في الندوة .

قبل عشر سنوات لم يكن لمثل هذا الموضوع مكان في جدول أعمال الحركات الثورية فمعظم بلدان القارة كانت ترزح تحت نير الاستعمار المباشر .

وكانت القضية المباشرة التي يجب مساندتها هي قضية التحرر من الاستعمار ،وقد أحرزت حركة التحرير خلال الفترة بين ١٩٥٦ــ١٩٦٦ انتصارات كبيرة . وقامت على أنقاض المستعمرات القديمة ٣٨ دولة مستقلة في أفريقيا .

هذا الوضع طرح قضايا جديدة أمام شعوب تلك البلدان وأمام الشعوب الاخرى أيضا . صحيح انه قد امكن التوصل الى عموميات حول مهام التطور اللاحق للبلدان المستقلة ساعدت كثيرا في تطوير الحركات الثورية ومكنتها في بعض البلدان من انجاز تحولات ثورية كبيرة . ولكننا ــ ومن خلال التجارب التي نعيشها ــ نلاحظ كثيرا من المشاكل الناجمة عن عدم الوضوح النظري الكافي ، الامر الذي يلقي على عاتق القوى الثورية واجب البحث والدراسة العميقة لقضايا تطور تلك البلدان في ارتباطها الوثيق مع التحولات الثورية التي تجري في العالم ومن هنا كانت الاهمية الاستثنائية لندوة أفريقيا المنعقدة في عاصمة الجمهورية العربية المتحدة خلال

شهر اكتوبر الماضي بدعوة من مجلتي « الطليعة » و « السلم والاشتراكية » .

وتبدو الاهمية العظمى لهذا الامر عند استقراء التجارب التي مرت بها كثير من الحركات الثورية في الفترة الاخيرة ويظهر منها بوضوح حدة نظر الاستعماريين في تمييز المظاهر الثورية للحركات التحررية ومبادرتهم الى قمعها قبل انطلاقها وتطورها . وبذلك تبدو أهمية تقييم المظاهر الايجابية لا في حيز العموميات ولكن في أدق التطورات التي تولدها باستمرار الحركة الثورية خلال نضالها ، ومما يساعد في تعزيز التضامن الثوري معها وكشف واحباط جميع اشكال التدخل الاستعماري لوقف تطورها ، تلك الاشكال التي كثيرا ما تكون ماكرة ومخاتلة ، مما يجعل الرؤية عسيرة بالنسبة لبعض الحركات الثورية .

فمثلا بينما كانت الحركات الثورية في أفريقيا تو الى انتصاراتها ، يبدو وكأنها تسير مطمئنة في طريقها الثوري اذا بالاستعمار يفاجئها بضربات في أكثر من مكان ، فشهدت الكنغو وغانا مؤخرا انتكاسات وحوادث دامية ، وواجهت الجمهورية العربية المتحدة مؤامرة كبيرة لقلب نظام الحكم بأسلوب فاشستي رهيب (مؤامرة الاخوان)

أن الاستعماريين وهم يعيشون مرحلة انهيار نظام حكمهم الاستعماري يلجأون الى جميع الوسائل للحفاظ على سيطرتهم على تلك البلدان ، فبجانب اشكال الاستعمار الحديث التي ابتكروها وعرفتها الشعوب حتى الان ، يلجأ الاستعمار أيضا الى وسائل التدخل المباشر وتصدير الثورة المعادية . وهذه سمة واضحة في الفترة الاخيرة ، وتشهد على ذلك الحرب العدوانية على شعب الفيتنام والدومينيكان وغيرها من البلدان في أمريكا اللاتينية والانقلابات العسكرية في أفريقيا الخ .

كل ذلك لايدعو الى اليأس والتشكك في صحة القاعدة النظرية القائلة بأن السمة الرئيسية والمحتوى الرئيسي لهذا العصر هو انهيار الاستعمار والحكم الاستعماري وانتصار الاشتراكية على النطاق العالمي ، بقدر ما يحفز الى رفع مستوى اليقظة الثورية ووضع واجب تعزيز القوى الثورية في الدفاع عن مكتسباتها في المكان الاول ، واهم هذه المكتسبات هي الانظمة التقدمية في عدد من البلدان الافريقية الحديثة كالجمهورية العربية المتحدة والجزائر ومالي وغينيا وتانزانيا والكونجو برازافيل التي تقف منارات للتحرر والتقدم . ان واجب الدفاع عن هذه الانظمة ليس مقصورا على القوى الثورية داخلها وحدها ، ولكنه واجب يفرض نفسه على القوى الثورية في القارة الافريقية كلها وذلك لان هذه البلدان تشق طريقا جديدا للشعوب الافريقية وتسهم في دفع حركة التحرر والتقدم الاجتماعي اسهاما فعالا بأشكال عديدة . ومن ذلك :

● مساعدتها المباشرة لحركات التحرر في المستعمرات الفرنسية والبرتغالية بالسلاح وتدريب الثوار ، فمصر والجزائر وتانزانيا هي عماد لتحرير المستعمرات التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية — ومساعدات مصر للصومال والسودان وغيرها بالمعاهد التعليمية — والدفاع المستمر من جانب هذه البلدان عن سيادة البلدان الافريقية وحقها في التحرر والتقدم هو عامل ذو أهمية كبرى لحمايتها

● **بمثلها الاقتصادي : فقد اتسم التطور** الاقتصادي في هذه البلدان بالاتساع والوثبات السريعة خصوصا في مجال الصناعة وادخال الوسائل الحديثة في الزراعة واتساع التعليم والصحة لجماهير العمال والمزارعين . ان التطور الذي يجري في هذه البلدان يضع المثل الطموح والقوة الجاذبة لشعوب البلدان المجاورة وفي المنطقة ، وأنها بتجاربها تدحض النظرية الاستعمارية القائلة بأن سلوك التطور غير الرأسمالي يصحبه بالضرورة انخفاض في مستوى معيشة الجماهير العاملة ، هذا في ظروفنا الحالية حيث تلعب مساعدات النظام الاشتراكي دورا هاما في تطور البلدان الحديثة فان هذه الفكرة تنهار من أساسها .

وأن التطبيق الاشتراكي في مصر ليعطينا مثلا حيا على ذلك فنجد طبقا للخطة العشرية الموضوعة (من عام ١٩٦٠ الى ١٩٧٠) أن الخطة الخمسية الاولى قد ارتفع فيها المبلغ المستثمر سنويا من ١٧١ مليونا من الجنيهات لسنة ٥٩ — ٦٠ الى ٣٠٣ مليونا لعام ٦٤ — ٦٥ . وبعد بناء السد العالي ستزيد الارض المزروعة بحوالي ٢٥٪ ويزداد الدخل القومي بمقدار ٦٣ مليون جنيها سنويا كما تتحسن زراعة الارز ويزداد العائد منها بمقدار ٥٦ مليونا من الجنيهات سنويا ، وستزداد الطاقة الكهربائية ١٠ مليار كيلووات ساعة بما يكفل زيادة الدخل القومي سنويا بمقدار ٢٣٤ مليونا من الجنيهات .

● **بمواقفها الواضحة من الاستعمار والاستعمار الحديث** ، وتصفية جيوبه وعملائه في الداخل وفي الخارج بالنضال ضد سياسة الحرب والعدوان ومن أجل تعزيز السلم العالمي .

ان هذه المواقف الايجابية التي عرضناها انما تعكس في الواقع تحولات جذرية كبيرة حدثت في تلك البلدان ، تميزها عن البلدان التي مازالت تخضع للتبعية الاستعمارية بشكل أو آخر ، وتقيم الدليل العملي ليس فقط على امكانية التحول غير الرأسمالي نحو الاشتراكية بل وحتميته كالحل الوحيد لمشاكل التطور أمام البلدان حديثة الاستقلال . وانه لمن غافلة القول أن نذكر حقيقة أن هذه البلدان قد اسهمت بدور عظيم في اكساب قضية الاشتراكية في المنطقة شعبية ونفوذا .

الترابط بين القوانين العامة والخصائص المحلية

أن الاشكال المتعددة فى النضال بين التبعيـــة الاستعمارية وفى التطبيق الاشتراكى لتحمل تأكيدا قاطعا على مايلى :

أولا : ان الحل الاشتراكى ليس حلا مفروضا من أحد ولا شيئا مستوردا — كما تقول بذلك الدعايات الإستعمارية المضللة — وإنما أحتياج موضوعى وضرورة حتمية للتطور .

ثانيا : أهمية التجــربة الاشتراكية العامة أى تجربة الحركة الاشتراكية التى بدأت بارتباط الفكر الاشتراكى العلمى بحركة الطبقة العاملة الصناعية فى النضال ضد الرأسمالية

وبعد أنتصار الثورات الاشتراكية فى روسيابعد الحرب العالمية الاولى وفى عددمن بلدان أوربا وآسيا بعد الحرب العالمية الثانية . . وفى ظروف اليوم حين يصبح أنقسام العالم الى النظامين الاشــتراكى والرأسمالى والصراع بينهما هو السمة المميزة للعصر والدافعة لحركة تطوره تتشابك القضايا المحلية فى كل مكان بالقضايا العالمية وتصبح التجربة الخاصة فى بناء الاشتراكية فى بلد معين هى جزء من التجربة العامة تغنيها وتغتنى بها ولايمكن الفصل بينهما بشكل ميكانيكى ، وهذا طبيعى لانه طالما كان الهدف الاشتراكى واحــدا فى كل مكان (نحو الاســتقلال وتحقيق الوفــرة والعــدالة) فلا بد أن تكون القوانين الاشتراكية العامة مشتركة ، ويمكن التدليل على ذلك بأمثلة حية مأخــوذة من البلدان التى استقلت حديثا وحاولت أن تتحسس طريقها فى البناء الاشتراكى منطلقة من واقعهـــا الخاص :

لقد أمضت تلك البلدان فترة طويلة فى محاولات مضنية لصياغة نظريات اشتراكية ذات طابع ((**اقليمى صرف**)) ودخلت وفق تلك النظريات فى تطبيقات معزولة عن مجموع القوى الثورية الراغبة فى تحولات جذرية حقيقية مثلا الحديث عن اشتراكية أفريقية أوقبلية أو تعاونية ، اشتراكية ترفض الصراع الطبقى رفضا مطلقا ولاترى أنه اذ لم يكن موجودا وحادا فلابد من اتخاذ أجراءات واعية لمنع نشوئه ، اشتراكية تعادى فى بعض البلدان بعض أقسام الحركة الثورية ذات الطابع الحديث « المنظمة الماركسية والعمالية — الخ » وتحاول تصفيتها باجراءات ادارية الخ . ولكن الواقع كان أقوى من تلك النظريات الذاتية . وقد استطاع بعض قادة تلك الاتجاهات المعبرين عن رغبــات شعوبهم أن يتبينوا الواقع ويصححوا الكثير من الاخطاء ويتبينوا القوانين العــامة التى تعبر عن محتوى الصراع الاجتماعى وتطبقها على ظروفها الخاصة محرزة نتائج ايجابية بارزة الاثر .

من هذا الامثلة نؤكد مرة أخرى الفكرة التى قلناها بأنه لايمكن الفصل بين جانبى المسألة : القوانين العامة للاشتراكية ، الخصائص المحلية بــكل بلد . فهــذا الجانبان مترابطان ترابطـــا دايلكتيكيا عميقا . وعلى العكس بقدر الاستناد الى هذه الفكرة يمكن الوصول الى تلخيصات نظرية هامة حول قضايا التطور فى مختلف البلدان وابتداع أشكال عديدة وفريدة فى النضال والتطبيق الاشتراكى . وهكذا يتطور الفكر الاشتراكى العلمى فى مجموعة ويسهم فى دفع عملية التطور التاريخية الى الامام .

واذا قبلنا هذه الفكرة من الناحية النظرية فلننظر اليها من الجانب العملى :

منذ أنهيار قلاع الحكم الاستعمارى المباشر فى معظم بلدان القارة ومواجهة تلك البلدان لقضايا التطور مضت فترة زمنية انعكست فيها على صورة أفريقيا معالم جديدة :

● بعض البلدان عجزت عن شق طريق التطور وظلت فى الناحية الاقتصادية والاجتماعية فى أطار الصورة القديمة . رغم أن العملية الثورية فى أفريقيا والعالم لها انعكاسات قوية فى داخلها مما يولد أزمات سياسية حادة أمام الطبقات الحاكمة الجديدة هذه البلدان رغم بقائها تحت التبعية الاستعمارية الا أنها من حيث أمكانياتها الثورية الكامنة تمثل حلقة ضعيفة يمكن كسرها وفتح باب التطور أمامها . السودان يقيم مثلا لهذا النمط . وقد تطلعت الحركة الثورية أكثر من مرة الى السلطة واستطاعت أن تنتزعها فى أكتوبر ١٩٦٤ . ورغم الانتكاسة الرجعية المؤقتة فان توازن القوى هنا يجعل من هذا البلد أحتياطيا هاما للحركة الثورية فى أفريقيا . وهو يختلف عن تلك البلدان التى تمثل حلقة قوية فى سلسلة البلدان التابعة للاستعمار الجديد مثل ساحل العاج والتى نضعها فى مجموعة ثانية نشير اليها فى الفترة التالية .

● ومجموعة ثانية استطاعت قوى الرجعية الحاكمة بسند الاستعمار ان تخضعها الى التبعية الاستعمارية بأشكال حديثة (أشكال الاستعمار الجديد) . ذلك اساسا يدفعها فى طريق التطور الراسمالى ويتم هذا بتطوير بعض فروع الصناعة والزراعة على أسس حديثة مع ابقــاء علاقات الاستغلال . صحيح أن اى ادخال للتكنيك فى الانتاج يؤدى الى رفع الدخــل القومى ومستوى بعض الفئات العاملة ، ويعطى البلد مسحة من التطور . ويسر الاستعماريون والرجعيون أن يتحدثوا عن ذلك « التطور » بشىء من الاعتزاز وأن يعقــدوا المقارنة مع بعض البلدان التى تسلك سبيل التطور الاشتراكى والتى بحسب ظروفها السابقة لم تبلغ درجة تلك البلدان من حيث التطور الاقتصادى .

ان مثل هذه المقارنة محكوم عليها بالفشل حتى ولو كانت ذات تأثير مؤقت على بعض الفئات من السكان او حتى المفكرين والسياسيين . اذ انه **اولا** بحكم وجود علاقات الاستغلال الرأسمالي وبحكم استمرار فعل القوانين الرأسمالية فان هذا سيؤدى الى تراكم رأس المال بأيدى الطبقات المتميزة واملاق فئات متزايدة من العاملين . **ثانيا** وباستمرار اشكال الاستغلال الاستعمارى الاجنبى يقع العاملون تحت نير استغلال مزدوج مما يزيد بؤسهم . **ثالثا :** لان آفاق ذلك التطور الرأسمالى نفسها محدودة . اذ لا تؤمل بلد افريقى فى ان تصل الى مستوى امريكا او انجلترا طالما كانت العلاقة علاقة تبعية . فالمصير الوحيد هى ان تظل «تتطور» فى اطار انها تابعة، انها مصدر للمواد الخام، وقوة العمل الرخيصة للرأسمالى المستورد وسوقا للسلع الرأسمالية .

هذا بالاضافة الى ان اجراءات قمع الديمقراطية التى تستخدم فى محاربة الحركة الثورية التى تتطلع الى تحولات جذرية فى حياتها، وعزل تلك البلدان عن حركة التحرر الافريقية واستخدامها قلاع هجوم عليها يعطى تلك البلدان وظيفة المستعمرات السابقة ، الامر الذى ترفضه وتقاومه شعوبها . وبهذا المعنى تصبح تلك البلدان ايضا احتياطيا للحركة الثورية فى افريقيا وعلينا مساعدتها للاطاحة بالانظمة الرجعية فيها وكسبها الى صف التقدم .

● والمجموعة الثالثة هى مجموعة تلك البلدان ذات الانظمة التقدمية ، التى نجحت فيها الحركة الثورية فى انتزاع سيادتها الوطنية واستخدامها كسلاح فى تصفية النفوذ الاقتصادى الاستعمارى عليها واعادة بناء اقتصادها القومى على اسس اشتراكية .

هذه البلدان تقف فى المواقع الامامية فى جملة القوى الثورية المناضلة ضد الاستعمار ،وتخوض تجارب رائدة فى تبديل حياة شعوبها على اسس حديثة. انه بمدى نجاحها او فشلها يتأثر بشكل مباشر مصير ثورة التحرر والتقدم الافريقية .ومن هنا يقوم الواجب التاريخى امام كل الثوريين فى افريقيا فى الدفاع عنها وحمايتها. ان القعود عن هذا الواجب او التقليل من شأنه بأى شكل من الاشكال لا يعرض تلك البلدان الى خطر الانتكاس الاستعمارى الرجعى بل ويعرض مجموع الحركة الثورية فى افريقيا الى خطر الغفلة والسلبية وفقدان مكتسباتها الثورية سواء فى مقدمة الجبهة او مؤخرتها .

واشكال الدفاع من تلك الانظمة كثيرة واهمها :

التقييم السليم غير الجامد لتلك الانظمة والرؤى السليمة لطابعها التقدمى الثورى. لم يعد النقاش النظرى المعزول المتأثر بالنظريات الكلاسيكية فى التطور يفيد. ان الذى يفيد حقا هو تقييم هذا التحول بنتائجه العملية والانطلاق من السؤال : **هل ما يجرى فى تلك البلدان يعكس موقفا نضاليا واضحا ضد الاستعمار والرأسمالية ام لا؟ هل ما يجرى فيها يبدل كل يوم من العلاقات الاجتماعية ويحدث تقدما فى المستوى المادى والمعنوى والفكرى للعاملين ام لا ؟هل ما يجرى يضعف ويمزق من قوى الطبقات الرجعية ويعزز من الوجود المادى والسياسى للعاملين ام لا ؟** هذه هى المقاييس الحقيقية للسير فى هذا الطريق ام ذلك . والذى يبدأ نقطة مفترق الطريق الرأسمالى والاشتراكى. ولا يمكن فى تلك النقطة ان نجد صورة كاملة للرأسمالية والاشتراكية والا لاصبحت قضية الثورة قضية محلولة من تلقاء نفسها ولا تحتاج الى اجهاد فكرى وعصبى . اننا نجد مجرد معالم او حتى معلمين وعلينا ان نميز بين الطريق السليم والخاطىء .

والمعالم البارزة والمميزة التى تركتها لنا تجربة التطبيق الاشتراكى فى افريقيا حتى الان :

ديمقراطية جديدة على أسس

● وضع السلطة بيد العاملين .

● تصفية جهاز الحكم القديم من البيروقراطيين القوانين الرجعية الى آخره وتصفيه الى بناء متخلف على أسس تمكين نفوذ العاملين عليه .

● خلق التنظيمات السياسيه الشعبية التى تسند النظام الجديد .

● الدور الاقتصادى للدولة : القطاع العام فى الصناعة والزراعة والتجارة والنقد .

● اشراك العاملين فى ادارة المؤسسات الانتاجية .

● المواقف الحازمة الدائمة ضد الاستعمار وحلفائه الرجعيين والعملاء

● التضامن مع قوى التحرر والاشتراكية فى العالم .

هذه هى المعالم البارزة فى الطريق الثورى الجديد

فى الجانب السياسى

التركيز على كشف ابعاد المخطط الاستعمارى الرامى الى عزل تلك الانظمة التقدمية والذى يعتمد على اشكال كثيرة منها : تكتيل جبهة رجعية فى المنطقة فى المحيطين الرسمى والشعبى آخر نمط لها ما يسمى بالحلف الاسلامى ، اللجوء الى اسلوب التآمر والعنف وخلق المنظمات الفاشستية لهذا الغرض كمنظمات الاخوان المسلمين وغيرها تحت ستار التعصب الدينى او القومى او العنصرى ــ الخ تزايد النشاط التجسسى وخاصة الامريكى ، الالمانى الغربى ، والاسرائيلى ، استغلال بعض جوانب الضعف من عدم حزم فى محاربة الرجعية والعملاء أو الميل أحيانا الى مصادرة نشاط اقسام من القوى الثورية الحليفة لخلق ثغرات لنسف تلك الانظمة من الداخل كما حدث فى غانا .

المهم هنا هو رفع الحساسية ازاء مؤامرات الاستعمار وتعميق اهمية التضامن الثورى بين الحركات الثورية فى كافة بلدان المنطقة والانظمة التقدمية فيها .

ان الدفاع عن الانظمة التقدمية ذو اثر ليس فى المعنى العريض ولكن فى المعنى المحدد ايضا . مثلا عندما خرجت القوى الاشتراكية فى السودان تأييدا لموقف الجمهورية العربية المتحدة فى موقفها الحازم ضد مؤامرة جماعة الاخوان المسلمين الفاشيين ، افاد هذا فى انعاش الحركة الجماهيرية وتوسيع المد الثورى ضد الحلف الاسلامى ، ذلك المخطط الاستعمارى الرجعى الموجه لخنق الحركات الثورية فى المنطقة والاطاحة بمكتسباتها .

وأخيرا فى النطاق العملى

توحيد القوى الثورية من ممثلى الفئات الكادحة كواجب رئيسى فى تغليب الجو الثورى فى المنطقة يعيد الهجوم الرجعى ، وتوفير الشروط اللازمة لاجراء تحولات عميقة تفتح آفاق التطور الاشتراكى .

وكما ان هذا هو الواجب الاساسى نرى من المفيد فى النهاية ان نشير الى بعض الظروف الموضوعية الداخلية والخارجية المساعدة وبعض المعوقات امام هذا الواجب وبعض القضايا العملية المتعلقة به .

ان شعار تعزيز القوى الثورية فى حد ذاته يعكس التحولات الثورية الكبيرة فى المنطقة والتى هى جزء من العملية الثورية التاريخية العالمية ، عملية ضعف الاستعمار ، انهيار نظام الحكم الاستعمارى ونهوض النظام الاشتراكى وتوطيده ومساعداته الحيوية والضرورية التى تفتح أمام حركة التحرر الوطنى طريق التطور المستقل واعادة بنائها الاجتماعى على أساس الاشتراكية . هذا التأثير الايجابى يدفع حركة التحرر فى الطريق الثورى ويوسع قاعدة العمل الثورى داخلها .

عامل آخر مساعد : التحولات الثورية التى تتم فى بعض البلدان سواء فى القاعدة الاقتصادية او فى البناء القومى اى التحولات التى تتم فى جهاز الدولة لمصلحة العاملين اى اشاعة الديمقراطية فيه وتطهيره من العناصر البيروقراطية الفاسدة والقوانين الرجعية الموروثة عن الاستعمار ــ الخ يخلق مناخا ثوريا يساعد على احراز نتائج ايجابية فى توحيد القوى الثورية ، ومن خلال النشاط العملى . ويمكن الاستفاده من هذه الظروف استفادة قصوى اذا عالجنا بعض المعوقات الناشئة بسبب عوامل ذاتية ومنها على سبيل المثال :

● وضع الماركسيين لنقاط الخلاف خاصة فى الجانب الفلسفى بدلا عن تقديم نقاط الوحدة اولا . وهناك عدة تجارب تشير الى انه حين وضعت المسألة وضعها السليم امكن الوصول بين القوى الثورية الى مستوى عال من الوحدة السياسية والتنظيمية سوف يمهد بالتأكيد الى التقارب والاتحاد فيما بعد حول القضايا الايدولوجية .

● ثانى تلك المعوقات انزلاق التقدميين غير الماركسيين فى خطر معاداة الشيوعيه بسبب خلافات معينة بينهم وبين الماركسيين : مثل هذا الموقف سيضر بقضية التقدم بالتأكيد لماذا ؟

لانه مهما كان اختلاف الوطنيين التقدميين مع الايدولوجية الشيوعية الا انهم لا يستطيعون أن ينكروا ان تعكس الايدولوجية ثمارها الكبيرة فى عالم اليوم : النظام الاشتراكى المناهض للاستعمار والذى يقدم العون الادبى والمادى لحركة التحرر وللبلدان المتحررة ــ الخ فمثل ذلك الموقف يؤدى بهم الى الوقوع فى تناقض واضح يربك مواقفهم سواء فى المجال العالمى او الداخلى . وقد يؤدى به هذا الارتباك اذا اتخذ طابع الاستمرار الى العزلة عن قوى التحرر والوقوع فى شباك الاستعمار .

وتجدر الملاحظة ان القوى الثورية بتجربتها (فى كثير من البلدان) بدأت تعطى اعتبارا كافيا لهذه المعوقات وتتغلب عليها وقد افاد هذا فى تقديم انماط جديدة فى الوحدة بين القوى الثورية .

ففى مصر : اقدم الشيوعيون المصريون (بتقدير دقيق لوضعية الحالة الثورية فى بلادهم) على انهاء تنظيماتهم المستقلة ليصبحوا جزءا من التنظيم السياسى الثورى الواحد وحركته الثورية بقيادته المتمثلة فى الرئيس جمال عبد الناصر . لقد حلوا بذلك تناقضا معينا فى وقت مناسب ومع ذلك بقيت تناقضات لابد من حلها ويعتمد ذلك على مدى الدور الذى يمكن ان يلعبوه فى اشاعة الفكر الثورى من الداخل وتقريب القوى التقدمية الاخرى الى مواقعه ، لا سيما وأن الاساس المادى لذلك موجود وهو التطبيق الاشتراكى الذى يقوده الرئيس جمال عبد الناصر والذى يولد يوميا علاقات اشتراكية ، وطبقة عاملة جديدة ، ونظرة ايدولوجية واجتماعية اشتراكية . لقد ادى هذا كله الى حسر موجة

العداء للشيوعية وخلق مناخا مناسبا لتحقيق وحدة امتن بين فصائل الحركة الثورية المختلفة .

فى مالى وغينيا : تتجه الاحزاب التقدمية الجماهيرية الحاكمة كل يوم الى الفكر الاشتراكى العلمى لتلخيص لذلك الفكر وتنص عليها فى برامجها وتفتح المدارس لتعليمها. ان نتائج كل ذلك واضحة فى النضوج الفكرى الذى يتمتع به قادة تلك البلدان ووضوحهم حول طريق تطور بلدانهم. وتقدم ايضا المغرب والسودان امثلة فى مستوى آخر. حيث توجد احزاب شيوعية وبجانب قوى ثورية اصيلة فى نضالها من اجل الاشتراكية . ان وضع تلك الاحزاب لنقاط الوحدة التى تجمع بين القوى الثورية فى البداية يساعدها فى حل نقاط الخلاف فى النهاية. ويساعد على الاسراع بهذه العملية الواقع السياسى الذى يثبت فشل الطريق الراسمالى فى حل مشاكل الحياة وبالتالى فشل الايدولوجية البرجوازية وارتفاع قدر الايدولوجية الاشتراكية فى نظر العاملين والاهتداء بها كمرشد فى النضال العملى. وهنا يحل الحوار الهادى محل النزاع الحاد كالاسلوب المقبول لتحقيق التلاحم الايدولوجى بين القوى الثورية ..

ونحن نتأمل عوامل تعزيز وحدة القوى الثورية يجب الا نغفل الدروس المريرة للتجربة الغانية . ان سقوط النظام هناك هز القوى الثورية فى كل مكان اذ لم تكن تتوقع ان تنجح ضعمه عسكرية مغامرة فى الاطاحة بنظام يسنده حزب جماهيرى دون مقاومة تذكر. ان هذه التجربة المريرة يجب ان تفتح الاذهان على الجوانب السلبية فى الاحزاب الجماهيرية التى تتطور وتتفاقم وتشكل خطرا عليها. اهم تلك الجوانب :

مسألة جماهيرية الحزب: لا يجب ان تقاس بعدديته خاصة اذا كان مثل ذلك الحزب فى الحكم فان اعدادا ضخمة من الوصوليين والنفعيين ستشق طريقها داخله. بل يجب ان تقاس بدور الحزب السياسى بين الجماهير، مقدرته فى التعبير عن تطلعاتها فى سياسته وبرامجه الانشائيـــة والاصلاحية ولكن تلك السياسة مشروحة ومقبولة لديها. وهذا يتطلب ان يكون الحزب طليعة سياسية ذات نفوذ على كافة اشكال المنظمات الشعبية الاخرى وليس شكلا تنظيميا رخوا فضفاضا وان يضم بين صفوفه خيرة العناصر السياسية ويؤهلها بالتدريب النظرى والعملى لتلعب دورها القيادى بين الجماهير .

مسألة القيادة الجماعية : من القاعدة حتى القمة يتم تأمينها ببعث الحيوية فى التنظيم الحزبى واحترام القواعد الحزبية فى الحياة الداخلية وسيادة مبدأ النقد والنقد الذاتى مع احترام حق الاقلية والتقيد الصارم بمواقف الهيئات والالتزام نحوها .

الديمقراطية الحزبية: تتحقق بقبـــول الصراع الداخلى كشرط لانعاش الحياة الحزبية وخلق المناخ المناسب للخلق والابتكار الثورى ورفع مستوى اليقظة السياسية. ان الديمقراطية الحزبية ترفض المنهج الفردى فى اتخاذ القرارات دون اللجوء الى الهيئات الحزبية .

الخلاصة التى يمكن ان نختتم بها هى :

ان احساسا قويا بالوحدة بين القوى الثورية فى كل بلد وعلى نطاق القارة اصبح ظاهرة مميزة فى الفترة الحالية من النضال فى البلدان الافريقية. وهذا الاحساس يعكس وينبع من حقيقة ان الحركة التحررية تدخل مرحلة جديده هى مرحلة تشابك الثورة التحررية بالثورة الاجتماعية او بكلمات اخرى ارتباط قضية التحرر الوطنى بقضية الاشتراكية او اتحاد الثورة الوطنية طابعا ومحتوى اشتراكيين. وعليه فلا بد من النظر فى اشكال الوحدة القديمة التى ظهرت لتعبر عن الرغبة من التحـــرر من الاستعمار وتحقيق الاستقلال الوطنى على ضوء الاحتياجات الجديدة النضال ضد اشكال الاستعمار الحديث والسير فى طريق التطور غير الراسمالى .

وفى المستوى الرسمى

لم يعد من الممكن الوقوف فى مستوى منظمة الوحدة الافريقية .ففى داخل تلك المنظمه ظهرت تكتلات سياسية ذات مواقف مختلفة من قضايا النضـــال التحررى والثورى. فكان لابد من التمييز بين تلك المواقف ودعم وتعزيز الثورية منها وكشف مواقف التردد ازاء الاستعمار او التواطؤ معه .

وفى المستوى الشعبى

كان ايضا لا بد من ظهور الحاجة الملحة لتعزيز اواصر الوحدة بشكل مباشر بين كافة القوى الثورية فى القارة وعلى مستوى كل بلد على حدة . اذ أنه بمدى ارتفاع مستوى تلك الوحدة وتوطدها يتعزز وحدة القوى الثورية على النطاق العام . على عـــكس ما يردده اخـــواننا المتـــأثرين بدعايات استعمارية ماكرة من ان وحـــدة القوى الثورية تحمل مضمونا انقساميا يضر بوحدة قوى التحرر. وهذا لا يحتاج الى جهد كبير للتدليل عليه اذ ان اول لقاء لهذه القوى « ندوة افريقيا » تصـــدى لكافة قضايا التحرر والتقـــدم فى جميع المنطقـــة والعوامل المساعدة على تعزيز الوحدة بين جميع المناضلين فى سبيـــل الحـــرية .. الديمقراطية والاشتراكية

مشاكل اليسار الفرنسي

يكتب هذا المقال « للطليعة » الكاتب والسياسى الفرنسى الاشتراكى « كلود استيه » الذى يساهم اليوم من خلال عضويته فى اللجنة التنفيذية للتجمع الاشتراكى فى فرنسا دورا ايجابيا فى وحدة اليسار الفرنسى

كلود استيه

أن المناقشات التى تدور حاليا فى أوساط اليسار الفرنسى لاتبدو فى معظم الاحوال يسيرة الفهم فى نظر من يتابعها من الخارج وعن بعد .

ان الانقسامات التى يعانيها هذا اليسار ، كانت دائما احد اسباب [illegible]عفه الرئيسية . ولقد ادرك عدد من رجال السياسة ان اعادة توحيد اليسار ، هى وحدها ضمان انتصاره ولهذا بذلوا جهدهم منذ وقت غير قصير للعمل على توفير شروط هذه الوحدة . وفى العام الماضى كانت انتخابات رئاسة الجمهورية مناسبة ، حصل فيها اليسار على اول نتيجة مشجعة . ولقد اذهل انصار الجنرال ديجول ان نجح اليسار كله فى سبتمبر ١٩٦٥ فى الاتفاق على مرشح واحد هو **فرانسوا متيران** . وخلال اشهر ثلاثة شهدت فرنسا كلها حملة انتخابية نشيطة ، عمل فى قلبها جنبا الى جنب ، لاول مرة منذ وقت طويل الشيوعيون والاشتراكيون واعضاء النوادى السياسية ★ والجمهوريون غير المنتمين لاى تنظيم ، الذين جذبتهم الوحدة التى تحققت حول رجل واحد ، وحول عدد من الاختيارات السياسية الواضحة فيما يتعلق بنظام الحكم وبالحريات وبالغاء القوة الذرية الفرنسية ، وبالسياسة الخارجية ، وبالسياسة الاقتصادية والاجتماعية ، ومشكلات التعليم .

وكان من المنتظر بعد هذه النتائج التى فاقت الامال (فقد حصل متيران على ٣٢٪ من الاصوات ثم على ٤٥٪ عند الاعادة) ، كان من المنتظر ان تتدعم الوحدة وان تتطور . وقد سارت الامور بالفعل فى هذا الاتجاه لبضعة اسابيع . ومازلت اذكر ذلك المؤتمر الشعبى الضخم ، الذى انعقد ذات مساء فى فبراير ١٩٦٦ وشارك فيه ، فى مكان الصدارة ، كل قادة اليسار بلا استثناء للاحتجاج على موقف الحكومة الفرنسية فى حادث اختطاف صديقنا **مهدى بن بركة** .

★ النوادى السياسية تجمعات من المثقفين والنقابيين ، تعددت فى فرنسا منذ ١٩٦٠ ، لا تلعب دور الاحزاب السياسية ولا تعتمد على الساسة المحترفين ، وتحاول عن طريق الحوار الشفوى والمكتوب مناقشة القضايا العامة ، واستخلاص الحلول الموضوعية لها ، مثل نادى مواطنى ١٩٦٠ ، ونادى خان مولان ، الخ . ولهذه النوادى تجمع يسمى « مؤتمر المؤسسات الجمهورية » .

ولكن للاسف ، بدات الامور تتعقد من جديد خلال الشهور التالية . فالحزب الشيوعي الذى قبل دون مناقشة النقاط السبع الرئيسية التى حددها فرانسوا متيران فى سبتمبر ١٩٦٥ ، عاد يؤكدانه فيما يتعلق بالانتخابات العامة التى ستجرى فى مارس ١٩٦٧ ، لايمكن ان يتم اتفاق الا على اساس برنامج مشترك تناقشه معا كل التنظيمات اليسارية . وقد رد اليسار غير الشيوعي المتجمع اساسا فى اتحاد اليسار الديمقراطى والاشتراكى الذى يراسه فرانسوا متيران، انه يتعين عليه اولا ان يعد برنامجه الخاص قبل اى مناقشة محتملة للبرنامج المشترك . وقداعد الاتحاد بالفعل برنامجه فى مستهل الصيف ، ونشره فى ذلك اليوم التاريخى يوم ١٤ يوليو . ولاشك ان هذا البرنامج لايتضمن شيئا ثوريا ، ولكنه مع ذلك يتضمن فى جانبه الاقتصادى والمالى بعض الاصلاحات الجريئة (مثل فرض ضريبة عقارية على ارض البناء ، وفرض ضريبة على راس المال ، وانشاء بنك للاستثمار مملوك للدولة) . وهو يتضمن فيما يتعلق بالسياسة الخارجية وجهة نظر اكثر واقعية فيما يتعلق بتحلل فرنسا من الالتزام بالسياسة الامريكية . وقد لاقى هذا البرنامج ترحيبا نسبيا من كل التنظيمات اليسارية ومن الحزب الشيوعي ، الذى اقر بجوانبه الايجابية وان كان قد وجه اليه عددا من الانتقادات .

ومع ذلك فقد بقيت المشكلة دون حل ، وذلك لانه بالرغم من الرغبة التى ابدتها النوادى السياسية التى تشكل احد التيارات الثلاثة المتجمعة فى الاتحاد ظل الاتحاد يرفض كل مناقشة مع الحزب الشيوعي خشية ان تستمر هذه المناقشة اسابيع طويلة ، وان تضيع فى خضم التفاصيل .

وقد حال هذا الموقف ، حتى الان ، دون الوصول الى اتفاق فيما يتعلق بالتكتيك الانتخابى . والمشكلات فى هذا الشان ليست هينة . فثمة نظريتان متعارضتان فى هذا الصدد . فالحزب الشيوعي يرى ضرورة تحقيق اتفاق بين قوى اليسار وحدها ، اى بين الحزب الشيوعي واتحاد اليسار ، والحزب الاشتراكى الموحد (وهو حزب صغير يلعب فيه **بيير منديس فرانس** الان دورا قياديا) ولكن التجربة قد اثبتت ان مثل هذا التحالف اليسارى الخالص ، لن يحوز اغلبية الاصوات . لقد حصل فى انتخابات الرياسة فى ٥ ديسمبر ١٩٦٥ على ٣٢٪ من الاصوات ، وليس ثمة مايدعو الى الامل فى ان يحصل على اكثر من ذلك بكثير فى انتخابات مارس ١٩٦٧ . ولهذا فان عددا من قادة اتحاد اليسار ، ومن بينهم متيران نفسه ، يرون — مع اعتبار التحالف مع الحزب الشيوعي امرا مفضلا — ضرورة توسيع نطاق التحالف ليشمل عددا من الجمهوريين الذين ينتمون الى الجناح اليسارى فى الوسط ، ولكنهم يعارضون نظام حكم ديجول . وكان الشيوعيون انفسهم قد قبلوا هذا التكتيك فى انتخابات ١٩٦٢ ولكنه من الواضح اليوم ان الجوانب الايجابية فى السياسة الخارجية للجنرال ديجول تلعب فى نظرهم دورا حاسما . ولهذا فانهم لايرحبون بان ينتخب فى مواجهة مرشح ديجولى ، رجل متهم فى نظرهم باتجاهات اطلنطية .

ولابد من ان نقر بان ثمة مشكلة حقيقية ، ولكننى ارى شخصيا انه لاينبغى ان نبالغ فى تقدير المضمون الحقيقى لسياسة الجنرال ديجول الخارجية . فلاشك ان ديجول قد كسب عطفا كبيرا فى فرنسا وفى بلاد كثيرة لتقاربه مع الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية ولادانته العدوان الامريكى فى فيتنام ، ولانفتاحه على مشاكل بلدان العالم الثالث . ولكن الاشتراكى المنطقى مع نفسه لايمكن ان يغفل ان هذه السياسة ليست فى الجوهر الا انعكاسا للتناقضات داخل المعسكر الراسمالى العالمى . ان نظام حكم الجنرال ديجول يستند الى الاحتكارات التى تصطدم مصالحها حاليا مع الاحتكارات الامريكية . وهذا لايعنى بحال ان تلك الاحتكارات مستعدة لقلب احلافها راسا على عقب . وفى المواقف الحرجة — كما حدث فى ازمة كوبا فى اكتوبر ١٩٦٢ — وقف الجنرال ديجول بالرغم من كل شىء الى جانب الامريكيين . وهو اذا كان يدين اليوم عدوانهم على فيتنام ، فذلك يرجع ايضا الى ان هذه الادانة هى موقف الاغلبية العظمى للشعب الفرنسى .

اما فيما يتعلق بسياسة ديجول ازاء العالم الثالث ، فان لها حدودها ، فالمعونة الفرنسية لبلاد افريقيا مثلا ، هى بلا نزاع نموذج للاستعمار الجديد . واذا كان تحسن العلاقات بين فرنسا والجمهورية العربية المتحدة — وهو امر نحمده — قد اقترن بخطب رنانة ، فان اصدقاءنا المصريين لاشك قد لمسوا ان الاجراءات الواقعية من الجانب الفرنسى مازالت نادرة . ولهذا كله ، لاينبغى ان تشكل سياسة ديجول عقدة لليسار فى هذا المجال . بل على العكس انه يتعين على اليسار ابتداء من هذا المناخ الجديد الذى خلقه ديجول ان يحدد سياسة ايجابية للتعايش السلمى وللتعاون مع البلدان النامية . وثمة بعض النقاط المسلم بها فى هذا المجال يمكن ان يجمع عليها اليسار كله . واذا نجح اليسار فى ذلك يكون قد حقق نصرا ضخما على مشاكله ، واكتسب مكانة عالية فى الخارج .

الـــوعى الطـبـقى عنـد فلوبـير

چان پول سـارتر

أصيب فلوبير بين سنة ١٨٣٨ فى حادث (بون ليفيك) بأزمة شديدة أنهكته تماما . وسأطلق على هذه الازمة عبـارة مرض نفسى .. عضوى لقصورى الان عن تقديم تعريف أكثر دقة .

ويروى كثير من الكتاب أن جوستاف تعـرض فى تلك الفترة لاضطرابات غامضة أقلقت عائلته غير أن هؤلاء الكتاب يعتقدون أن تلك الاضطرابات ليست سوى مظاهر متقطة تتخللها « سـنوات عادية » . وأننا سنعمـل من ناحيتنا للتدليل على ان تلك الاضطرابات تمثل عملية واحدة وعنيدة لاتلين عن تنظيم واثراء نفسها وعن التضخم العميق جاعلة من انفجار يناير سنة ١٨٤٤ امرا لافكاك منه ، بل تبدو تلك الازمة التى لاتترك لجوستاف سببا من الراحة انها جهاز زمنى ، اى حركة موجهة لا تألوا عن احتضان تناقضات فلوبير وعن الاستمرار فى تكرار تلك التناقضات الى أن يكشف لنا فلوبير راكعا على قدميه أمام والده ، كما يكتشف لنفسه الفرصة الجوهرية لمرضه العصابى . سـأعمل أيضا لابين أن هذا الوهن ليس فقط مفروضا على فلوبير ، بل يمثل اختياره السلبى . كما أن هـذا الشاب المؤلف يشكل نفسه بقدر ماتصوغه الاوضاع والاحداث له .

فى هذا الكيان الوظيفى الموحد التى تتأكـد غايته على مر الايام بأنه «نظام صالح لشـخص واحد» أخذا بتعبير لاحق أطلقه فلوبير عليه ، سنميز فى هذا الكيان بين فترتين حتى نفهم الامور على النجو الصحيح. الفترة الاولى تبدأ من الشهور الاخيرة لسنة ٣٧ حتى ربيع سنة ٤٢ ، وتمتـد الفترة الثانية حتى يناير سنة ٤٤ . لاشك أن هذا الفاصل وهمى ومجرد لان كافة المعطيات موجودة وحاضرة منذ البداية الا أن « اختبـار الوضع » و «خيبة الامل الادبية» لاتسيران على معدل واحد من التطور والنضوج لان «اختيار الوضع» سيتخذ نحوه الكامل فى اطار «خيبة الامل الادبية» بعد شتاء سنة ٤٢ .

نستطيع عندئذ التأكيد على أن هذا الفاصل وقد أقمناه لمقتضيات العرض الواضح ، ليس فاصلا تعسفيا اذا مانظرنا اليه فى علاقته بالقضية المطروحة ، ومع أخذنا فى الاعتبار ماتتسم بـه العملية بأسرها من وحدة لا تنفصم حجما واتجاها ومسيرة .

الباب الأول

١٨٣٧ — ١٨٤٢ : خيبة الأمل الادبية

اذا عالجنا هذه السنوات مستندين الى أقوال فلوبير وما قام به خلالها من انتاج أدبى عددا وطبيعة ، والى الاحداث التى تواكب هذا الانتاج لاستولت علينا الدهشة من تطابق الخارج بالداخل بمعنى قيام «ارتباطات» واضحة فيما بينهما ، ومن توافق ماتمثله كل منهما من كفاية خفية ، تماما كما لو كان الامر ليس الا واقعا واحدا فى التكوين معبرا عن نفسه فى ذات الوقت بلغة مختلفة . سأحاول استعادة تلك «الكلمات» قبل البحث عن معناها الضمنى والجوهرى .

أولا : أقوال فلوبير : من هذه الاقوال مايستذكر الازمة ، ومنها ما اصطحبها ، غير أنها جميعا متوافقة .

كتب فلوبير فى خطابه الى لويز فى ١٧ سبتمبر سنة ١٨٣٦ يقول :

«كنت فى الخامسة عشرة أكثر خيالا مما أنا عليه الان . أفتقد وحى الخيال وأفتقد الابتكار مع تقدم سنى بقدر ما قد أحصل عليه من قوة فى النقد والذوق . أخشى الا اجرؤ يوما على الكتابة فالحماس لنيل الكمال يجعل الانسان يبغض حتى ماهو قريب من الكمال» .

فاذا تذكرنا أن فلوبير كان عمره خمسة عشرة سنة فى ديسمبر سنة ٣٦ ادركنا أن التحول الذى طرأ عليه قد بدأ يرسم خطاه منذ سنة ٣٨ . وعندما أصبح فى السابعة عشرة (٢٤ فبراير سنة ٣٩) أسر « الى (شفالييه) أنه لا ريب فى أنه لن يكتب بعدئذ ولن ينشر كتاباته ، ثم يقول فى هذا الخطاب « يساورنى شعور غامض أن شيئا مايتحرك فى نفسى فأنا أمر الان بمرحلة انتقالية وتستبد الرغبة بى لمعرفة الحصيلة الختامية وكيف سأخرج من هذا الوضع» . ورغم أن « الذكريات » التى نشرت أخيرا خالية من التواريخ المحددة غير أنه من المعروف أن الكاتب قد بدأ كتابتها فى سنة ٣٨ ، فنجد فى صفحاتها الاولى العبارات التالية : «لا يكفى أن يكون للانسان ذوقا ، بل يجب أن يكون ذواقا . لقد امتلك (بوالو) حاسة الذوق ، غير أن (راسيين) كان ذواقا» . أما الصفحات التالية فهى تحمل تواريخ محددة ، وجاء فى احداها : »٢٨ فبراير سنة ١٨٤٠ : أعدت قراءة تلك الكراسة فأشفقت على نفسى » . فيمكن بالتالى الافتراض أن فلوبير كان قد أحجم عن الكتابة فى الكراسة فترة من الزمن ، ومن ثم ينبغى ارجاع ملاحظته عن «الذوق» الفنى الى مابين آخر سنة ٣٨ وآخر سنة ٣٩ . ولا يكف فلوبير منذ ذلك الوقت عن القلق وتعذيب النفس ، فيكتب فى ٨ فبراير سنة ٤١ وكان عمره أنذاك ١٩ سنة ، العبارة التالية : «أكثر ماافتقده هو الذوق ، أى كل شىء» .

وتنطبق التواريخ كل مع الاخرى على وجه التقريب . فى سنة ٤٦ يترك فلوبير الفنان لذاكرته مبسطة الامور كما هى القاعدة فى مثل تلك الحالة . أما فى سنة ٣٩ فهو يتكلم فى الحاضر غير أنه ينوه عن «تبدل» وهو بالبداهة عملية تأخذ مجراها الطبيعى ، كما أنه قد ألم «بها ولا شك قبل أن يحدث صديقه عنها ، فمن حقنا بالتالى أن نحدد عموما موضع وعيه بـ «الذوق» بين السادسة عشرة والسابعة عشرة باعتبار هذا الذوق من المستلزمات الجديدة والجوهرية . ولانستطيع الادعاء بوجود تناقض بين شكاواه التى عبر بها سنة ٤١ وبين أقواله وتصريحاته التى أفاض بها فى سنة ٤٦ ، فالحقيقة أن تلك التصريحات انما هى تأكيد للشكاوى ، وكل من هذه وتلك تقول لنا أن تلقائية جوستاف الخلاقة قد عرقلت فور اجتيازه سن اليفاعة بمفهوم جديد عن الادب . ويشعر فلوبير بالالم بين سنة ٣٨ وسنة ٤١ لانه يكتب أقل من ذى قبل ، وهى نفس الملاحظة التى يبديها بموضوعية شديدة سنة ٤٦ .

وعلى الرغم من تحليل علاقته بالعمل الفنى بطريقة ايجابية عندما يتكلم عما للذوق من قوة سلبية ، الا أن قدرته على المعارضة الداخلية وعلى تحريم نفسه واضحة كل الوضوح . فهذا الكاتب يلاحظ غير مبال أنه فقد جزءا من وحيه الخلاق ومن ابتكاره وخياله منوها — كما فعل سنة ٣٨ — عن احتمال عدم عودته الى التأليف . واذا أردنا اكتشاف مايختبىء من قلق ومرارة خلف تلك اللامبالاة المظهرية، يكفينا استعادة ماكتبه فى خطاب سابق الى(لوى بوييه)فى ٤ سبتمبر سنة ١٨٣٠ حيث قال : « هناك يا صديقى شىء يطوح بنا ، شىء سخيف يعرقلنا : «الذوق» أى الذوق السليم . فنحن غارقون فيه الى أذنينا . « أعنى أنه يشغل فكرنا بأكثر مما يجب، فالرهبة من الشىء السىء تجثم على نفوسنا كالضباب .... بحيث نقف جامدين فى مكاننا خوفا من التقدم . الا نلمس كم أصبحنا ناقدين . اننا فى حاجة الى الجسارة وينبغى الا نقلق كثيرا من النتائج » .

يجدر بنا قراءة تلك العبارة على مستويات مختلفة ، فلقد كتبها فلوبير من دمشق وهو يئن من اليأس مصوبا نيرانه على الذوق الذى استند اليه (لوى) و (ماكسيم) لمهاجمته به وقد اشتد به الالم من فشله فى الطبعة الاولى من كتابه «القديس انطوان» مهتبلا فرصة اصابة صديقه بفتور عرضى لينقد فيه الموقف الحاد قائلا له : «لو كنت أقسل

ذوقا واشد جسارة لاصبحت اخف بؤسا» . الا ان فلوبير لايستطيع فى الوقت ذاته عدم التعرض لموقفه الخاص ، فهو الذى قبل باسم الذوق الخضوع لحكم صديقيه . وهذا مانلمسه خاصة فى تلك العبارات التى تمثل بالنسبة لخطاب سنة ٤٦ انقلابا فى الرؤية ، تلك العبارات التى تشهدنا ماكانت عليه كثيرا مشاعر فلوبير فى فترات اليأس الذى كان يلم به ، فيصف «الذوق» على انـه ديكتاتورية عقيمة تحول دون التقدم بالمقارنة الى التلقائية الشجاعة المولدة للعبقرية التى يحتمل ان (لوى) و (ماكسيم) وجوستاف قد افتقدوها . اليس هذا التناقض بين التلقائى والعقل الواعى نشهده منذ سنة ٣٨ فى كاتب «الذكريات» الشاب؟ الم نقرأ فى هذا الكتاب على مسيرة بضعة اشهر ان الذوق فى العمل الادبى يمثل كل شىء ؟ والم يوجه فلوبير هجوما عنيفا ضد النقد الادبى باعتباره شيئا فى غاية السخف سـواء كان سـلبيا او باطلا » .

وملخص القول ان تلك النصوص تؤيد كل منها الاخرى . ونرى فلوبير يتفهم الادب فى آخـر سنة ٣٧ وقد اثرت الرومانسية فيه مقترنة بميوله الخاصة على انه نتاج الالهام ،فيكتب الى (ارنست) فى سنة ٣٧ قائلا : «كم استحسن الشعر الخالص وصرخات الروح والاندفاعات التلقائية ثم التنهدات العميقة واصوات الضمير ونداء القلب» .ويستمر فلوبير فى التأكيد على هذا المفهوم فى اولى صفحات «الذكريات» معبرا بالكلمات التالية:«افضل الارتجال على التفكير وأفضل الشعور على العقل» ، على ان مفهوما جديدا للفن متخذا شكل الارهاب يقضى على التو على ميـول فلوبير السابقة . لقد كان فلوبير فى يفاعته كاتبا شاعريا غير أنه كون لنفسه فجأة بين السادسة عشرة والسابعة عشرة مفهوما عقليا ونقديا عن الادب ، غير ان هذه الفكرة التى يصوغها فلوبير لنفسه تبدو كالطامة التى تنزل عليه اكثر مما تكون اثراء له ، فالحرب تبدأ لتستمر سجالا طيلة عشرين سنة بين وحى البلاغة وبين الرقابة الصارمة ، حرب تتميز مرحلتها الاولـى بهزيمة الوحى .

يقتضينا الامر اذن ان نطرح قضية جوهرية فى هذا المجال اذ كيف ان فلوبير ــ وهو غير القادر على **رؤية نفسه** ، وغير القادر على تحليل نتاج بلاغته الحارة ــ قد أصيب فجأة بمرض جديد وهو فى أوج الرومانسيـة ، كيف استسلم لمفهومه عن الجمال باعتباره نتاج فن متعقل . حقا يتردد فلوبير قليلا بادىء الامر ، فليس الذوق عنده مثله كمثل العبقرية ، سوى موهبة من المواهب ، معلنا أن «راسين كان ذواقا» ، غير ان الرقابة الواعية تتخذ مكانها خطوة بعد خطوة مما يعنى أن ماتصوره الكاتب عن أعماله لايتميز عن تصوره لنفسه . والحقيقة ان واقع القرن التاسع عشر التاريخى والاجتماعى يشهد بوضوح مواكبة عجز المبدع بعهد « الشعر الناقد » . لقد تلى فكتور هوجو الذى لاينضب كل من (بودلير) و (مالارميه) . سنبحث فيما بعد عن الاسباب العامة التى تمخضت تلك الظواهر عنها ، غير أنه يحسن بنا الان ملاحظة ان التحول فى الادب قد تم عند فلوبير قبلا فى وقت كان يفتقد هذا الشاب فيه ادوات التفكير الـتى ستتيح له فيما بعد ادراك الادب ، كما كانت تعوزه وقتئذ ايضا الوسائل الجمالية الذى يقتضيه هذا الادب . فالموضوع اذن هو تحديد الاسـباب الخاصة التى جعلت اقل الناس تعقلا ينتقل فى سن السادسة عشرة الى موقف التعقل مع تحديد نتائج هذا السلوك بالنسبة له وبالنسبة لمؤلفاته .

ثانيا : التحول الموضوعى فى كتابات المـؤلف بين سـنتى ٣٧ و ٤٢

يتضح هذا الانقلاب الداخلى من كتاباته فى هذه الفترة سواء من ناحية مضمونها الموضوعى أو من ناحية عددها .

سنعالج اولا نوع تلك الكتابات ولااعنى على الاطلاق **قيمتها** ، بل كل مااقصده ، هو أن الكاتب يهجر او يكاد يهجر تماما بعض الاشكال الفنية ليخوض بتجربته فى غيرها . الم يقل : « كنت فى الخامسة عشرة اكثر خيالا مما أنا عليه الان » ، والحقيقة ان خياله لم يطرا عليه ثمة تغيير وهو فى سن الثلاثين من عمره . ونحن نعرف مصادر مؤلفاته الاولى اذ كان فلوبير فى السنوات من ٣٥ الى٣٨مقلدا بقدر ما هو مبتدعا،وتكمن اصالته ــ على وجه التحديد ــ فى طريقة معالجته مضمونا مستعارا ، على ان اروع ما كتبه فى « سماره » يعود الى «الصور» التى يزخر به هذا الكتاب ، كما كان الامر فيمابعد بشأن الطبعة الاولى من «القديس انطوان» .

ليس الخيال ملكة من ملكات الروح او ينبوعا لا ينضب ، فالخيال موقف معقد فى مواجهة الواقع ولايعترى هذا الخيال اى تغيير عند فلوبير طيلة حياته بالقدر الذى يجعل هذا الطفل بخياله بين

---

(١) « الذكريات » صفحة ٩٧ .

٣٥ و ٣٧ ينتقل الى الرجل بخياله الذى تكون بعد ٤٤ ، الا أن عدد مؤلفاته خاصة الخيال (قصص ــ روايات الخ .) صار يقل يوما بعد الاخر . وتفصيل ذلك أن فلوبير لم يكتب منذ ١٠ ديسمبر سنة ١٨٣٧ حيث كان قد أتم كتابه « الهوى والفضيلة »حتى سنة ٤٢سوى «قصتين صغيرتين» وهما «ثمل وميت» فى يونيو سنة ٣٨ و«جنازة الدكتور ماتوران» فى اغسطس . ١ ٢ ، ومع هذا فقد أخضع التركيب الروائى فى تلك القصة خضوعا تاماللفكرة العامة ذات المستوى الفلسفى الواعي . وبينما لا يكتب فلوبير سوى قصتين قصيرتين خلال تلك السنوات الخمس ، نجده يؤلف دراما ومقولات تاريخية («لويس الحادى عشر» فى مارس ٣٨ و«روما والقيصر» فى اغسطس ٣٩) وبعض الانتقادات العابرة (رابلييه ــ مدموازيل راشيل) و «خواطر من الشك» (احتضارات فى ابريل ٣٨) والاستعارات (رقصة الاموات فى مايو ٣٨) وقصة ميتافيزيقية روحية كطريقة أخرى للتعبير عن الفكر (سماره فى أبريل ٣٩) وترجمات ذاتية للفنان (مذكرات مجنون التى تمت بلاشك قبل خريف ٣٨ ــ « ذكريات » وملاحظات وأفكار خاصة» من ٣٨ الى ٤١ التى يدل وجودها على ما كان يعتري جوستاف من قلق داخلى وعلى نيته المبيتة ليكتشف ذاته أو على أية حال لتحديد موضعه) . ويدل بداهة هذا الكشف البيانى على أن الموضوع الادبى أصبح شيئا **آخر** فى نظره .

العدد . يكفى للتأكد بأن هذا التحول كان سبب تلك الازمة العميقة ونتيجتها ان نتناول كتابات جوستاف من حيث العدد . كان حجم أنتاجه قبل ٣٧ مذهلا بمعدل قصة كل شهر تقريبا ، واذا كانت مؤلفاته قصيرة حقا غير أنها كاملة بشكل عام .

ولايقدم جوستاف أنتاجا ما لمدة أربع سنوات ونصف ابتداء من أبريل ٣٨ (وقد أتم كتاب «سماره») حتى سبتمبر ٤٢ باستثناء «جنازة الدكتور ماتوران» وكذلك محاولتان قصيرتان وقصة رحلة الى كورسيكا وفى النهاية بعض الملاحظات التى اضافها على عجل الى كراسة «الذكريات» . ولا يرجع توقفه عن الانتاج الى عدم الرغبة فى الكتابة ، وليس أدل على ذلك من العبارة التالية الواردة فى (اختصارات) سنة ٣٧ : «هل اظل طيلة حياتي كالابكم الذى يرغب فى الكلام ويتلوى غيظا» وهى نفس العبارة التى يسطرها قلمه فى ٢١ مايو ٤١ حين يقول « .. أنا فى حاجة الى الكتابة والترويح عن النفس ولا أعرف ماذا أكتب وفيما أفكر . أليس هذا مايحصل دائما ازاء الغرائز الغامضة ، فأنا أبكم وأريد ان اتكلم» .

الا أن فلوبير يعتقد تارة ــ كما هو الشأن فى (احتضارات) ــ ان فى حقيبته المزيد من الكلام مؤكدا صعوبة الانتقال الى مستوى التعبير ، ويحدثنا تارة أخرى بشأن هذا النص فى « الذكريات » عن حاجته المجردة للترويح عن النفس ، فلا شيء ينقصه سوى الفكر . سنرى باستمراضنا تلك التغيرات أنها لاتخرج عن كونها جوانب تكميلية لهذا الارهاب الذى يملؤه «ضبابا» ، هذا الارهاب الذى يحيط (بوبيه) به علما فيما بعد . ويأتى ذلك فى الوقت الذى كان ينبغى فيه على الموقف المتعقل القاء بعض الضوء على «غرائزه الغامضة»

ثالثا : تأثير الماضى

يداخل فلوبير شعور عميق بأن هذا الانقلاب الذى طرأ عليه فى مفهوماته الادبية وما ينتج عنه من شبه عجز ، أنما يمثل كارثته الخاصة . لقد لمسنا كيف انه منذ ٣٧ ينظر كارها الى عمله تاركا قصصا على حالتها البدائية دون مساس بها ، وينهى الينا فى السنة ذاتها فى مؤلفه «أيوم» انه يكتب فى «تقزز» ثم يحجم عن الكتابة تماما بعد بضعة صفحات . سوف نلاحظ عندما نستعيد «**الخاتمة**» التى أضافها على «سمارة» فى ٤٠ أنه يسدى النصح الى نفسه بعدم الاستمرار فى الكتابة اطلاقا . ومنذئذ يخيم الصمت واليأس على فلوبير بوصفهما على حد تعبيره ، كسلا وخمولا وهو ما يطلق عليهما فى ٤١ عبارة «المرض المعنوى المتقطع» . ولا شك أن كلمة «مرض» لم تلق منه على عواهنه مما يتضح بجلاء من العبارات التالية التى وردت فى «الذكريات» فى بدء تلك السنة . لقد مضى يا اله وقت طويل على ما كتبته وكان ذلك ذات مساء يوم من أيام الاحد فى ساعة من الملل والغضب حيث ألقيت بالقلم وخرجت وأنا أتضجر من العقاقير والمرض على السواء . ليس فى أسلوب تلك العبارة مايدل على أن فلوبير كان يعانى مجرد وعكة طارئة وان اعترى النص الذى وردت تلك العبارة به بعض الانتقاص حسبما يجرى الامر عندما يخاطب الانسان نفسه ، الا أن ذلك الدليل على أن جوستاف حين يذكر «مرضه» يعتبره شيئا عاديا وأنه داء خاص به ، داء يفرض نفسه منذ أمد بعيد وفى تطفل حتى يضيق به فلوبير ويتبرم . لاشك عندنا أنه يترك نفسه منسابا الى هذا الداء بل ويستقر فيه استقرارا الا أنه يثور عليه من وقت لاخر .

ومع هذا فليست حالة جوستاف على درجة من

(٢) باستثناء (الساعة الاخيرة) يد من حديد واختصارات ، وذلك لاسباب ستتضح فيما بعد .

الخطورة تعوقه عن هجران غرفته أو تمنعه من العدو فى شوارع المدينة ، وبعبارة أخرى اذا كان فلوبير قد قضى على نفسه مختارا بالعزلة والانفراد غير انه ليس فى حاجة لايواء فراشه ، بيد ان تنويهه عن « العقاقير » انما يؤكد اصابته باضطرابات عضوية سنحاول تحديدها فيما بعد استنادا الى بعض الافتراضات . ان الامر الجدير بالاهتمام حقا هى تلك الواجهة المزدوجة التى يتم بها هذا «المرض» الذى يقتضى المعالجة الجسمانية فى الوقت الذى يعتبر أيضا «مرضا معنويا» . اليس هذا على وجه الدقة ما يطلق عليه المرض «النفسى — العضوى» ؟

قد يكون فى تقديمنا هذا الافتراض جراة منا ، غير ان السبيل الوحيد الذى يصلح لتفسير بعض الوقائع التى كثيرا ما تذكر بغير تعليق أهمية عليها .

فعندما يلتحق جوستاف بالسنة النهائيــــة فى مدرسة كان قد مضى وقت طويل على رحيل ارنست والفريد الى باريس وهو ينتوى اللحاق بهما فى السنة التالية بعد اجتيازه بنجاح امتحان البكالوريا ولكن فلوبير لايذهب الى باريس الا فى يونيو ٤٢ أى بعد مضى سنتين من حصوله على البكالوريا سنة ٤٠ . لن نكتفى بالقول ان فلوبير توقف تماما عن الكتابة خلال هاتين السنتين ، بل هو لايؤدى او لا يكاد يؤدى عملا ما ، معترفا فى (مراسلاته) أنه لم يتصفح كتب القانون قبل مارس ٤٢ . فهل من المنطق ان يكون الدكتور فلوبير قد سمح لابنه لو كان سليم الصحة والعافية بالبقاء فى مدينة (روان) سنتين دون ثمة عمل . والحقيقة ان (أشيل — كليوفاس) عبر أكثر من مرة عن القلق الذى يساورة وهو ما اشار اليه بعض مؤرخى حياة الكاتب . لماذا اخرج هذا الوالد ابنه سنة ١٨٣٨ من النظام الداخلى بالمدرسة وما علاقة هذا القرار (المنوه منه فى خطاب الى ارنست فى ١١ — ١٠ — ٣٨) بالتوعك الذى يحدثنا جوستاف عنه فى ٢٨ أكتوبر من نفس السنة حين يقول : «ها أنذا اقف على قدمى وأباشر العمل على مكتبى وقد اضطررت الى هجره فترة من الزمن .. الا تعلم انى لم اخسر شيئا سوى الوقت . أقسم لك أننى سوف أنتقم من سخرية القدر الذى جعلنى مغفلا على هذا النحو

لماذا قبل الدكتور فلوبير فى غير تردد أن يستمر ابنه وقد فصل من المدرسة سنة ٣٩ — للقيام بمفرده وفى احضان عائلته للاستعداد لاجتياز امتحاناته المدرسية ؟ هل (برونو) على حق فى هذا الصدد حين يقرر ان رحلة جوستاف الى كورسيكا انما جاءت مكافأة له على نجاحه فى البكالوريا أم ان تلك الرحلة لم تكن كما يعتقد (دومنيل) وكما اميل اليه أنا سوى محاولة طبية من اجل الوقاية او العلاج من مرض مجهول لدينا . وعلى الرغم من الترفيه الذى لاقاه جوستاف فى كورسيكا ، الا أنه يعود من تلك الرحلة فى أشد حالات الاكتئاب والضجر . ثم لم لايبعث الدكتور فلوبير بابنه الى باريس ؟ وفى النهاية بماذا يمكن ان نؤول تلك النكتة التى ساقها لنا فلوبير نفسه فيما بعد حين يقول أنه عندما كان يقلد فى سنوات ٤١ و ٤٢ شحاذا مصابا بالصرع فاذا بوالده يأمره فى قلق وغضب بالنهى عن ... فورا . سنحاول فيما بعد الاجابة على بعض تلك الاسئلة مكتفين الان بطرحها . لقد أردنا ان نقتصر الان على التدليل على علم والد جوستاف بمرض هذا الاخير مما يعنى ان مأساته وان كانت مظاهرها تتخلل أزمة الوحى الخلاق الا انها تتخطى هذا الوحى الى آماد بعيدة ، فهذا المؤلف الشاب اصبح غير مالك لنفسه تماما ، مثيرا دهشة من حوله بما تتسم به «اضطراباته العصبية» من عنف . جدير بنا اذن أن ندرك أن فلوبير كان يعيش فى دائه على كافة المستويات فى نفس الوقت .

ولذلك ، ومع استعاده تحليلنا منذ البداية ، سنبحث عن تفسير لتلك العملية النفسيـــــة — العضوية مع محاولة رسم خطاها .

---

(٣) « السخرية » لان فلوبير كان مريضا (او زاد المرض عليه) حين حدد ارنست زيارته له فى (روان) قبل أن يعود الى باريس .

تقارير الشهر

- نوفتسنى وكيفوستويكا .. فى القاهرة
- ذكرى الفاتح من نوفمبر والانتصار على الاستعمار والتخلف
- بداية الموسم المسرحى فى القاهرة

■ **الجمهورية العربية المتحدة**

■ **مجلس الامة**

حديث المبدأ .. وضرورة اليقظة والعمل العلمى وتقنين الثورة .

انطلاقا

من مفهوم القيادة الثورية بأن « وضوح اى مشكلة أمام الجماهير هو نصف الطريق الى حلها » وايمانا بقدرة هذه الجماهير الابداعية والتزاما بمصالحها وامانيها ، وقف **جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ورئيس الاتحاد الاشتراكى العربى، فى ٢٥ نوفمبر** الماضى وفى الجلسة الافتتاحية للدورة الرابعة **لمجلس الامة** ، يصارح جماهير الشعب العربى ويكاشفها بتصور القيادة الثورية لحقائق الموقف داخليا وعربيا ودوليا .

وقد بدأ الرئيس عبد الناصر خطابه محددا ان هناك امرين ـ منذ انتهاء الدورة الثالثة لمجلس الامة فى يونيو الماضى وحتى الان ـ يلفتان النظر فى السياسة الداخلية للجمهورية العربية المتحدة وفى السياسة العربية القومية . وقد ركز على هاتين القضيتين موضحا صورة العمل الوطنى فى الداخل فى هذه المرحلة ، والظروف المحيطة بها ، ووسائل المواجهة

وفى مجال العمل الوطنى على أرض الواقع فى مد قال عبد الناصر « لقد تكشفت صورة واتضحت ظروف استوجبت اعادة تقييم العمل الوطنى واعادة توصيفه وكانت نتيجة ذلك من حيث الشكل الخارجى للحوادث ان انتقلت المسئولية التنفيذية من الوزارة التى راسها صديقى واخى **زكريا محيى الدين** الذى قام بالجهد الممتاز فى عملية اعادة التقييم والتوصيف الى الوزارة التى يراسها **صدقى سليمان** الذى اقترن اسمه باعظم مشروعات الانجاز فى التاريخ المصرى كله » .

وعرض الرئيس لاهم ملامح هذه الصورة التى كشفتها عملية اعادة التقييم ، فحدد الملامح التالية : ١ ـ نجاح الخطة الخمسية الاولى للتنمية . وقد كان لهذا النجاح تكاليفه وخاصة فى حجم المديونية الخارجية (وصلت الى ٤١٦ مليون جنيه داخل استثمارات اجمالية أنفقت لتنفيذ الخطة بلغت ١٥١٣ مليون جنيه) . وفى زيادة حجم العمالة (وصلت الى ٧٫٣٣٢٫٤٠٠ مشتغل بزيادة ١٫٣٢٧٫٤٠٠ مشتغل عن قبل تنفيذ الخطة) الامر الذى بدأ يشكل ضغطا على سوق الاستهلاك » . ٢ ـ كانت هناك ثغرات فى التنفيذ تستوجب امانة ومسئولية الاستمرار بالثورة ، ضرورة الربط بين المواقع المختلفة وقيام عمليات التعزيز والتدعيم والتنسيق ٣ ـ مواصلة تنفيذ الخطة الثانية للتنمية تقتضى وضع اولويات حازمة لابد من الالتزام بها .

بعد هذا ، شرح المناضل عبد الناصر الظروف المحيطة بهذه الصورة وابعادها . وقد ساعدت هذه الظروف على « تجسيم مشكلة الانتقال من الخطة الاولى الى الخطة الثانية » .. وهى:

١ ـ زيادة عدد السكان بمعدل ٣/٤ مليون نسمة كل سنة .

٢ ـ هدف العمالة الكاملة الذى يسعى اليه مجتمعنا . ونتج عن ذلك ان تضاعفت قوة العمل فى سنوات الثورة « بنفس مقدار ماكان التطور المصرى السابق عليها كله قد أتاح لمواطنينا من فرص العمل » . ٣ ـ زيادة الاستهلاك بقدر يستوجب معه استيفائها بمعدلات اكبر للنمو . ٤ ـ زيادة الانفاق الحربى الى ٢٠٠ مليون جنيه فى السنة بسبب ضرورات الدفاع وتطوير الاسلحة . ٥ ـ ان شعبنا يدفع مع كل ما نستورده اعباء زيادة الاسعار فى العالم كله . ٦ ـ ان شعبنا يواجه مشكلة الضغط الشديد على اسعار المواد الخام (وبينها القطن الذى هبطت اسعاره العالمية الى النصف فى الخمسة عشر عاما الاخيرة) فى حين ارتفعت بنفس النسبة اسعار السلع المصنعة . ٧ ـ اننا نعانى فى الفترة الاخيرة ـ بالرغم منا ـ نصيبا من ازمة الراسمالية العالمية (كالخلل فى ميزان المدفوعات الامريكى والارتفاع الخيالى فى اسعار الفائدة الخ) فما زال نصف تجارتنا الخارجية مع الغرب . ٨ ـ وجهت الينا ضغوط اقتصادية لابد ان نسلم بأثرها الموضوعى وان كنا نرفض الاستسلام لها .

يخلص الرئيس عبد الناصر من هذا ، الى الموقف الذى يواجهه الان شعبنا وقيادتنا والذى « يحتاج منا الى أشد الاهتمام واليقظة والقدرة على الاستجابة السريعة للظروف المتغيرة » . ثم يطرح الرئيس السؤال التالى : « ما هو واجبنا فى هذه المرحلة ؟ » . واجاب « العمل . والعمل الجاد . والعمل المنظم أو بتعبير آخر العمل العلمى » . ويتطلب هذا « ان نحطم تحطيما كل العوائق والعقبات التى تعترض طريق مقدرة عملنا وتمنعه او تعطله » . والمفتاح الاصيل هو

« اطلاق مقدرة الانتاج الى غير ما حد » . ثم تحدث الرئيس الى تشكيل الوزارة الجديدة « الانجاز » والى اجتماعاته بها والنتيجة التى انتهت اليها هذه الاجتماعات وهى تتلخص فى سياسة تقضى بالاندفاع الى زيادة الانتاج وضبط الاستهلاك . ثم شرح الرئيس تصوره لعمل المرحلة وتحديد خطواتها على النحو التالى : **أولا** : ضرورة الوصول بكل المشروعات بما فيها **السد العالى** — الى كامل طاقاتها الانتاجية . **ثانيا** : ضرورة أن تبدأ السير بخطى ثابتة نحو هدف الاعتماد على النفس كضرورة للامل الوطنى . والامن الوطنى . **ثالثا** : ان مرحلة التدعيم هى تمهيد لانطلاق اسرع فى الخطة الجديدة على أساس بناء الصناعات الثقيلة وتطوير الادارة وخلق جيل جديد يقود الانتاج، والتفكير فى اشكال جديدة للحوافز .

وحدد عبد الناصر الضمانات التى يراها أساسا لنجاح هذه المهام وانجازها فى حدود اربعة : ١ — بذل جهود اكبر من اجل تنظيم الاسرة . ٢ — تحقيق مزيد من الوعى السياسى . وهو لا يتحقق بالتلقين وانما بالمناقشة الديمقراطية مع تصميمنا الدائم على ان ينبع تطورنا من حريتنا الفكرية ومن استلهام واقعنا . ٣ — لابد لمجتمعنا ان يؤكد ثقته فى الجامعة بتوفير كل الامكانيات المادية لها وتحصين حريتها الفكرية . ٤ — ان تقنين الثورة حصانة اكيدة للتطور الدستورى السليم « ليظل القانون دائما اكبر من مراكز القوة واعلى من ارادات الافراد » .

ثم انتقل الرئيس بعد ذلك الى القضايا العربية ، فشرح بالتفصيل الاسباب التى دعته الى توجيه الدعوة لعقد مؤتمرات القمة والاسباب التى اضطرته الى المطالبة بتأجيل المؤتمر الرابع وبينها ان الرجعية واصلت التواطؤ — بفعل مصالح الاستغلال المشترك — مع حلف الاستعمار واسرائيل . وكشف عن حقيقة واهداف الدعوة الى أحلاف جديدة ، وكيف استمر العداء للثورة **فى اليمن** ، وفى كل مكان ، ثم خروج بورقيبة بدعوته الى الصلح مع **اسرائيل** ، وكيف عقدت **السعودية** صفقة اسلحة مع امريكا لم تكن لها من قيمة الا انها اتخذت مبررا لهدايا جديدة من السلاح الامريكى لاسرائيل . ثم تحدث الرئيس عبد الناصر عن وحدة القوى الثورية العربية والاتفاق المشترك للدفاع بين القاهرة ودمشق .

كما أبرز الرئيس ملامح السياسة العربية للجمهورية العربية المتحدة وهى : **أولا** : انها تطلب الحرية السياسية والاجتماعية لكل شعب عربى . وتقف معه ضد الاستعمار والاستغلال . وتؤيد حقه فى اختيار طريقه الى النمو الاقتصادى والفكرى . **ثانيا** : تحرير **فلسطين** كهدف . وهو ضمان للحرية العربية والوحدة العربية . ولهذا تضع الجمهورية العربية المتحدة وراء شعب فلسطين « رأس الحربة على طريق العودة » كل امكانياتها . **ثالثا** : تحتفظ الجمهورية العربية المتحدة بحرية العمل من أجل العودة التى طريقها « طويل وشاق » . وذلك بالتنسيق والتعاون مع القوى الثورية التى تحتفظ لها بالقرار النهائى بالنسبة لزمان اى معركة ومكانها . **رابعا** : تصميم الجمهورية العربية المتحدة على ضرب قواعد العدوان اذا تحركت ضد اليمن .

وفى المجال العربى ايضا ، تعرض الرئيس بالحديث الى الغارة الاسرائيلية على منطقة **الخليل** على حدود **الاردن** . وأوضح انه اذا اردنا ان نحتفظ بحرية العمل فلابد ان تكون جبهاتنا مع العدو فى أى نقطة منها قادرة على ان تتلقى وترد فى نفس الوقت اى صدمة مفاجئة فى شكلها المحدود فان اتسع ميدان القتال تغير الوضع . ويقتضى هذا بالنسبة لجبهة الاردن ضرورة تسليح سكان القرى الامامية . وقد حيا الرئيس شجاعة رجال الجيش الاردنى الباسلة .

وكان أبرز ماقاله الرئيس فى السياسة الخارجية هو تأكيد موقف الجمهورية العربية المتحدة بالنسبة لما يجرى **فى فيتنام** وهو « ضرورة انهاء الغارات على **فيتنام الشمالية فورا** ، وجلاء القوات الاجنبية عن اراضى الشعب الفيتنامى ، وتمكين هذا الشعب من أن يقرر مستقبله بوحى ضميره الوطنى»

نوفتنى وتشيكوسلوفاكيا .. فى القاهرة

فى ١٤ نوفمبر الماضى انتهت زيارة انطونين نوفتنى رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا للجمهورية العربية المتحدة . وكانت الزيارة قد بدأت يوم ٩ نوفمبر تلبية للدعوة التى وجهها اليه الرئيس جمال عبد الناصر واستمرت خمسة أيام دارت فيها مباحثات على جانب من الاهمية بين وفدى البلدين كما زار عددا من المؤسسات الصناعية والاماكن التاريخية .

وقد اشترك فى المباحثات من جانب الجمهورية العربية المتحدة **المشير عبد الحكيم عامر النائب الاول لرئيس الجمهورية وزكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية وعلى صبرى الامين العام للاتحاد الاشتراكى وصدقى سليمان رئيس الوزراء والدكتور محمود فوزى نائب رئيس الوزراء ومحمود رياض، وزير الخارجية وأنور سلامة وزير العمل ومجدى حسنين سفيرنا فى براغ .**

والعلاقة بين تشيكوسلوفاكيا والجمهورية العربية المتحدة توثقت اول ماتوثقت منذ صفقة الاسلحة التشيكية عام ١٩٥٥ التى « لم تكن مجرد اقامة ترسانة يتكدس فيها السلاح وانما كانت بداية توفير الامن العربى وذلك من طريق الامتلاك الشرعى لمقدرة الدفاع عن النفس ازاء عدو يجد كل العون والتعزيز من كل أعداء الحرية والراغبين فى السيطرة على قدرات الامة العربية » كما قال المناضل عبد الناصر فى خطاب استقباله للرئيس نوفتنى .

ومن ثم فان تشيكوسلوفاكيا وشعبها قاما بدور هام فى كسر احتكار السلاح وتأييد الشعب المصرى فى بناء قواته المسلحة لحماية انجازاته الثورية ولمقاومة العدوان الاستعمارى والاستغلال الاقتصادى

ولم يقتصر دور تشيكوسلوفاكيا على مساندة الجمهورية العربية فى هذا المجال فحسب بل اننا فى معركتنا من اجل البناء والتحرر الاقتصادى قدمت حكومة تشيكوسلوفاكيا القروض والالات والخبراء لبلادنا مما عمق جهود الشعب المصرى فى ذلك المجال .

وهذا الموقف من جانب تشيكوسلوفاكيا يتفق مع واقع تطورها الاشتراكى منذ حدثت عملية « الانقلاب السلمى » الذى قادته الطبقة العاملة التشيكية بزعامة جوتوالد سكرتير عام الحزب الشيوعى التشيكى ورئيس الوزراء حينذاك فى صيف عام ١٩٤٨

وفى ظل الاشتراكية تضاعفت القدرة الصناعية فى تشيكوسلوفاكيا خمس مرات بالنسبة لما كانت عليه قبل الحرب .

وتشيكوسلوفاكيا هى البلد الاشتراكى الوحيد فى العالم من بين ثلاثة عشر دولة اشتراكية التى كانت متقدمة صناعيا قبل عملية التحول الاشتراكى . وقد سهلت تلك الميزة عملية تطوير مستوى المعيشة للسكان فى تشيكوسلوفاكيا اكثر من اى بلد اشتراكى آخر . اذ تضاعف استهلاك الفرد بعد ان زاد الدخل القومى مرتين ونصف كما حققت التنمية فى التعليم والرعاية الصحية والمزايا الثقافية والاجتماعية والعمالية مستوى عاليا فى الكم والكيف .

وفى البيان المشترك الذى اذيع فى ١٤ نوفمبر الماضى .. بين وفدى البلدين .. اكد رئيس الجمهورية العربية المتحدة تقديره لسياسة تشيكوسلوفاكيا فى تأييد نضال الشعوب وفى تأييد مطالب الدول النامية فى جهودها لتحقيق علاقات اقتصادية دولية عادلة والاسراع فى عملية التنمية ولرفع مستوى شعوبها الاقتصادى والاجتماعى » .

كما عبر الرئيس نوفوتنى بدوره عن تقدير بلاده لسياسة ج.ع.م. « التى تساند كفاح الشعوب ضد قوى الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد التى تهدد السلام العالمى

وتشكل المصدر الرئيسى للتوتر فى العلاقات الدولية » كما عبر عن « تقديره للدور الذى تقدمه ج.ع.م للشعوب المناضلة من اجل حريتها واستقلالها السياسى والاقتصادى » ..

وقد تضمن ذلك البيان اتفاقا بين وجهة نظر البلدين فيما يتعلق:

● باعتبار التدخل الاستعمارى المتزايد والتمادى فى استخدام القوة ، وممارسة الضغوط من جانب بعض الدول ضد الدول حديثة الاستقلال وغيرها من البلاد النامية، هما السبب فى التوتر الراهن .

● ضرورة تقنين مبادىء التعايش السلمى واصدار اعلان دولى فى الامم المتحدة يتضمن هذه المبادىء .

يطالبان بوقف الغارات الجوية ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية فورا وبدون قيد او شرط . وهما يؤمنان بحق شعب فيتنام فى تقرير مستقبله دون اى تدخل اجنبى .

● واكد الجانبان انهما يؤمنان بأن الوصول الى تسوية سلمية للمشكلة الالمانية تشكل خطو رئيسية نحو ضمان الامن الاوربى

● كما اعرب الجانبان عن أهمية دور منظمة الوحدة الافريقية فى التعجيل بتصفية الاستعمار فى القارة الافريقية وصيانة استقلال الدول الافريقية وتنمية التعاون بينهما .

● ومن ابرز نقط الاتفاق بين الطرفين تأييدهما تأييداتاما الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربى ويؤيدان نضاله وامانيه القومية طبقا لميثاق الامم المتحدة .

وقد انتهى البيان بتأكيد ضرورة زيادة العلاقات التجارية والاقتصادية والثقافية بين البلدين كما اعلن الرئيس عبد الناصر عن عزمه على تلبية دعوة الرئيس نوفوتنى لزيارة تشيكوسلوفاكيا .

والحقيقة ان زيارة نوفوتنى .. وزيارة رئيس جمهورية رومانيا التى بدأت فى ٢٠ نوفمبر الماضى .. تحدث فى فترة هامة تجتازها الجمهورية العربية المتحدة وتعمل فيها على تدعيم وحدة القوى الوطنية والتقدمية فى العالم العربى وفى افريقيا والمجال الدولى ككل لمواجهة الضغط الاستعمارى

وقد اعرب الجانب الرومانى فى البيان المشترك لمحادثات الرئيسين **عبد الناصر وكيفوستويكا** عن تقديره لسياسة القاهرة التى تعمل على دعم السلام العالمى ومقاومة الاستعمار والاستعمار الجديد ، كما اعرب الطرفان عن تأييدهما تأييدا كاملا لنضال شعب فلسطين من أجل الحصول على حقوقه المشروعة طبقا لميثاق الامم المتحدة . وطالبا بوقف ضرب فيتنام فورا وأكدا ايمانهما بحق شعب فيتنام فى ممارسة حقه فى صنع مستقبله دون اى تدخل خارجى . ونددا بعدوان قوى الاستعمار والعنصرية ضد شعوب جنوب أفريقيا وجنوب غرب افريقيا وروديسيا الجنوبية وانجولا وموزمبيق وغينيا المسماة بالبرتغالية وعدن والمحميات وعمان . وقد عبر الجانب الرومانى عن تضامنه التام مع آمال شعوب افريقيا، واكد دور منظمة الوحدة الافريقية فى تنمية التعاون بين دول أفريقيا وفى تعبئة جهودها دفاعا عن استقلالها .

وقد عبر الجانبان أيضا عن ادراكهما ، للاهمية البالغة للعمل على رفع مستوى شعوب الدول النامية اقتصاديا واجتماعيا والعمل على التطبيق الكامل لقرارات مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية ، كما أكدا أهمية التعاون بين كافة الدول التقدمة والنامية لتحقيق هذا الهدف ، وايمانهما بأن العالم لايمكنه ان ينعم بالسلام والتقدم ، طالما تزداد الهوة بين الدول المتقدمة والدول النامية

الاستثناء ... يصبح القاعدة فى معركة « خلو الرجل »

جاء وقت كان فيه خلو الرجل اشبه بالقاعدة او الشرط الرسمى لتأجير شقة .وبدا واضحا ان القانون الذى سنته الدولة لمحاربة خلو الرجل لم يكتسب اية صفة رادعة ، ولم يطبق ذلك القانون الا فى ثلاث او اربع حالات استلزمت شروطا معقدة مثل وجود جهاز تسجيل او نقود معروفة الارقام مسلسلة .. الخ .. والجماهير تئن من استغلال اصحاب البيوت والعمارات وتمادت هذه الفئة فى جشعها الى الدرجة التى جعلت مالكا يتقاضى ١١ الف جنيه خلو عن عمارته علاوة على تأمين يوازى شهرين يضاف اليه ثمانية جنيهات تأمين لعداد المياه من كل ساكن ! .. وآخر يبنى عمارة ويحولها كلها الى شقق مفروشة ليهرب من لجان تقدير الايجار او اى قانون آخر ينظم العلاقة بين المالك والمستأجر .

وجاء **سعد زايد** محافظ القاهرة فاتخذ بعض الاجراءات الثورية التى كفلت تنفيذ القانون والقضاء على ظاهرة خلو الرجل . والذى فعله سعد زايد هو انه اشعر ملاك العقارات ان الدولة ممثلة فى سلطاتها التنفيذية جادة فى تنفيذ القانون واوضح فى غير ما غموض لكل مالك انه اذا ما رفض تنفيذ القانون فسيحال الى لجنة تصفية الاقطاع

وبدأت التجربة بحالتين او ثلاثة .. ولكن سرعان ما بلغ عدد شكاوى السكان الذين تقدموا يشكون اصحاب البيوت من اقتضائهم خلو رجل منهم مقابل استئجار شقة ستة آلاف شكوى حتى منتصف الشهر الماضى واصبح هناك عدة مكاتب فى محافظة القاهرة لبحث تلك الحالات وشرطة مخصصة للتحريات . وبعد ان كانت المحافظة تبحث حالات الخلو الحاصلة فى عام ١٩٦٦ امتد البحث الى حالات الخلو من عام ١٩٥٤ عندما ظهرت بوادر تلك الظاهرة .

وفى البداية ترددت بعض المحافظات فى الاخذ بمنهج محافظة القاهرة الثورى ،حتى ان محافظة الشرقية مثلا احالت الشكاوى التى قدمت لها فى البداية الى النيابة العامة وطالب حمدى عاشور محافظ الاسكندرية بتعديل القانون . ولكن الموجة سرعان ما جرفت الجميع الى التيار بعد ان لقيت العملية اقبالا وحماسا جماعيا منقطع النظير .

ويقدر ما رد الى سكان القاهرة بمليون جنيه عن طريق المحافظة ومليون آخر بتراجع ذاتى من الملاك وتسوياتهم الودية مع السكان . وفى الاسكندرية رد اربعة ملاك فقط مبلغ ٢٤ الف جنيه للسكان ! .. وفى اسيوط رد الملاك اربعة آلاف جنيه فى اسبوع .. وهكذا ..

وقررت محافظة بورسعيد خصم ١٠ ٪ من الخلو المردود تخصص للخدمات الاجتماعية فى المدينة . وفى كل يوم كانت تستنبط قواعد جديدة للعمل من خلال التجربة مع اصحاب العمارات الذين لم يكف بعضهم عن التلاعب والتحايل

وخلو الرجل يرد للسكان جميعا فى اية عمارة حتى ولو لم يتقدموا بالشكوى ما دام تقدم واحد وثبت ان المالك تقاضى الخلو من الجميع . كما تقرر الاستيلاء على الشقق الخالية التى احجم الملاك عن تأجيرها .وعندما عمد اصحاب العمارات فى محاولاتهم الخبيثة لاستمرار قبض خلو الرجل الى دعوة الراغبين فى السكن الى استكمال بناء عماراتهم على حسابهم مقابل السكن فى الشقة ، تدخل المحافظون على الفور قاطعين الطريق على الملاك فتقرر اعتبار مساهمة الساكن فى استكمال العمارة قرضا يخصم من قيمة الايجار .

وعندما عمد الملاك الى اقتضاء خلو الرجل وستره باستكتاب المستأجر قائمة بعفش وهمى بيع له . عمدت

السلطات الى التحقق من وجود هذا العقش وتحديد قيمته الحقيقية .. حتى عندما عمد مالك الى اقتضاء الخلو فى شكل سيارة مرسيدس من احد السكان . استطاع محافظ القاهرة رد الخلو لصاحبه .

وفى نفس الوقت تمضى الجهود من اجل حل ازمة الاسكان .. فالاعلان يتم كل يوم من تقديم تسهيلات فى مواد البناء لكل راغب فى بناء المساكن .. واعلن سعيد زايد فى مؤتمر الخدمات المشترك ان القوات المسلحة بدأت فى بناء ٢٠٠ مسكن جديد من غرفة واحدة فى منطقة عين الصيرة كتجربة اولى فى بناء مساكن من الخشب .. وسيكون ثمن كل مسكن ٢٩٠ جنيها . يباع للمواطنين مقابل عشرين جنيها دفعة اولى ثم يقسط الباقى على ١٥ سنة بقسط شهرى ١٥٠ قرشا فقط بما فيها قيمة الكهرباء والماء ..

●

الدلتا تعوم فوق بحيرة بترول
((غاز طبيعى من أنقى الانواع))

أكد التقرير الذى ارسلته معامل التحليل فى روما ان الغاز الطبيعى المكتشف بمنطقة الناصرية ((الخادمية سابقا)) فى محافظة كفر الشيخ من انقى الانواع المعروفة فى العالم . وان طاقته الحرارية عالية جدا . وهذا الغاز لا تقل قيمته من البترول اذ يستخدم كمصدر للطاقة وكمادة صناعية ، فيدخل فى انتاج الاسمدة والدواء والبتروكيماويات ، ويستخدم كوقود للسيارات وفى ادارة آلات المصانع وماكينات الرى وتوليد الكهرباء ..

والاكتشاف الاخير يمثل جزءا من نشاط واسع بدأته المؤسسة المصرية العامة ، التى انشئت عام ١٩٦٢ ضمن التنظيم النوعى للقطاع العام ، لمسح اراضى الجمهورية مسحا كاملا شاملا ، والكشف عن ثرواتها البترولية . وبدأت المؤسسة عمليات التنقيب فى الصحراء الشرقية والصحراء الغربية وفى الدلتا ، والوادى على السواء . ولما كانت عمليات التنقيب تتطلب اموالا طائلة وتستدعى خبرة فنية متخصصة ، فقد استعانت المؤسسة بالشركات الاجنبية مع وضع الشروط والضمانات التى تكفل حماية الحق المصرى ووضع هذه الشركات تحت الرقابة الحازمة . والشروط التى وضعتها المؤسسة من حيث مدة الامتياز (٣٠ عاما قد تمد ١٥ عاما اخرى) او من حيث عائد الحكومة ، والتزام الشركات باستثمار مبالغ محددة وتحملها المخاطرة لوحدها ، وقبولها لمبدأ الاستيلاء فى حالة الضرورة الوطنية ، هذه الشروط قد احدثت تطويرا جذريا فى شروط الامتياز فى المنطقة . مما جعل الامانة العامة لجامعة الدول العربية تعد مشروعا موحدا بخصوص استثمار البترول العربى ينص على :

- ● ان تكون فترة الامتياز لاقصر مدة ممكنة .
- ● ضمان حق الدولة العربية المنتجة .
- ● ان يكون مجلس الادارة قائما فى البلاد العربية وليس فى الخارج .
- ● تمثيل الدول العربية فى هذه المجالس .
- ● تكوين نسبة من البترول المستخرج محليا ، هذه النسبة تزيد من حاجة الاستهلاك المحلى ، ولا تقل عن ٣٠ ٪ من مجموع الناتج .
- ● الا تقل الاتاوة المدفوعة للحكومات العربية عن ٢٠ ٪
- ● ان العقود المبرمة مع الشركات الاجنبية تعتبر عقودا ادارية ولذلك فان القضاء الوطنى هو جهة الاختصاص الوحيدة فى اى نزاع ينشب بشأنها .

ولم تقصر المؤسسة تعاونها على شركات بعينها ، اذا كان المحك هو قبول الشروط التى تضعها المؤسسة ، مما جعل التعاون يتسع نطاقه فيشمل الشركة الدولية للزيت المصرى ، وشركة فيلبس ، وشركة بان اميركان وهى شركات امريكية ، وشركة جيوسيبنى (مكتشفة الغاز) وهى ايطالية ، قد وقعت عقودا مع فرنسا والمانيا الشرقية . اما العقد الذى احدث انقلابا جذريا فى مجال استثمار البترول ، فهو العقد السوفيتى والذى ينص على انفاق ٢٠ مليون جنيه من القرض الذى كان قد عقد مع الاتحاد السوفيتى ، على عمليات التنقيب عن البترول واستخراجه ، بمعاونة الخبرة والالات السوفيتية ، وفى حالة اكتشاف البترول لا يحصل السوفيت منه على شىء ويتركونه كاملا للجمهورية العربية ، ولايتقاضون سوى قرضهم وفوائده . ومن المعروف ان هناك عدة ابحاث ونظريات تؤكد وجود البترول بوفرة فى الاراضى المصرية . منها الرأى القائل بأن دالات الانهار تعوم فوق بحيرة من البترول ، فبترول العراق وليبيا يوجد فى مناطق كانت بها انهار وجفت ، كما وجد البترول تحت نهر البو فى ايطاليا ، والمسيسبى فى الولايات المتحدة، والنيجر فى نيجيريا . كما يعتبر البعض ان الصحراء الغربية تعد امتدادا طبيعيا للاراضى الليبية وان الثروات فيهما متشابهة ، كذلك الامر بين السعودية وصحرائنا الشرقية .

والواقع ان جهود مؤسسة البترول والهيئات التى تبعتها قد آتت ثمارها ، فبينما كان عدد حقول الزيت فى ١٩٥٢ اربعة حقول ، ارتفع فى ١٩٦٥ الى ١٦ حقلا ، وبينما لم يزد الاحتياطى فى نفس التاريخ عن ٢٥ مليون متر مكعب ارتفع فى ١٩٦٥ الى ١٥٠ مليون متر مكعب ، وعلى التوالى ارتفع انتاج الزيت الخام من ٢ر٦ مليون متر مكعب الى ٧ ملايين ، وزاد البترول المكرر من ٢ر٥ مليون طن الى ٨ ملايين ، وزاد عدد العمال من ١٣ الفا الى ٢٧ الف عامل . اما رأس المال الوطنى المستخدم فى صناعة البترول فقد كان يمثل ٢ر٤ ٪ فقط من ١٩٥٢ ارتفع الى ٣٣ ٪ ، ١٩٦٠ ، الى ٨٨ ٪ فى ١٩٦٥ وتسيطر الدولة سيطرة كاملة على عمليات الاستخراج والتكرير والتوزيع ، عن طريق الشركات التابعة للمؤسسة ، والتى يشمل نشاطها كل فروع صناعة البترول على النحو التالى :

- ● فى مجال الكشف والانتاج : الشركة الشرقية للبترول (٧ حقول) ، الشركة العامة للبترول (٨ حقول) .
- ● فى مجال التكرير والتصنيع : شركة النصر للبترول شركة السويس لتصنيع البترول ، شركة الاسكندرية للبترول .
- ● فى مجال النقل والتوزيع : شركة انابيب البترول ، الجمعية التعاونية للبترول ، شركة مصر للبترول .

وتوالى المؤسسة والهيئات العلمية عمليات البحث عن البترول ، ويكفى ان نعلم ان اعمال التنقيب الاخيرة تكلفت ٩٤ر٥ مليون جنيه حتى الان ، وذلك لان البترول عماد الصناعة الحديثة ، فضلا عن ان توفيره محليا يمنع تحكم الاحتكارات البترولية المسيطرة على تجارته ، ويفتح مجالا للعمل والانتاج امام بلادنا ، بل ومن الممكن ان نتحول الى بلد مصدر للبترول اذا صحت التوقعات المطروحة ، ونحن بالفعل نقوم بتصدير جانب من منتجاتنا البترولية تصل قيمتها الى ٢.٥ مليون جنيه ، وان كنا نستورد غيرها من الاصناف الاخرى . وهذا ما حدا بالمهندس صدقى سليمان فى زيارته لكفر الشيخ ، ان يوجه نداءه الى قوى الشعب العامل وقيادات الاتحاد الاشتراكى فى كل مواقع العمل والى النقابات المهنية ، لكى تعلن التعبئة من اجل زيادة الانتاج وخفض تكاليفه ومكافحة جميع ظواهر الاسراف والتبذير .. كما طالب باعتبار معركة الانتاج معركة مقدسة وواجبا قوميا . وفى معركة انتاج البترول شهد الخبراء الاجانب بكفاءة العاملين المصريين ، وسرعة تمثلهم لاخر منجزات العلم والتكنيك فى هذا الميدان ..

■ الوطن العربى

النزاع العربى الاسرائيلى

تل أبيب : اعتداءات وشكايات .
عمان : مظاهرات واعتقالات ومنع تجول
دمشق : استعداد شعبى وحكومى ودفاع مشترك مع القاهرة .



الصفحات الاولى من الصحف اليومية فى معظم العواصم العربية والعالمية بأخبار الاعتداءات الاسرائيلية على حدود البلاد العربية المجاورة ، وماتبع ذلك ، وسبق ذلك أيضا ، من نشاط سياسى فى تلك العواصم .

وفى أروقة الامم المتحدة وكواليسها ، بل وفى شوارع الخليل ونابلس وغيرهما من مدن الضفة الغربية للاردن ، وفى القرى والبلاد الاردنية الصغيرة المتاخمة لحدود اسرائيل ، وفى مئات من مراكز التطوع والتدريب على حمل السلاح التى أفتتحت أخيرا فى سوريا .

وآخر عهدنا بالموضوع هو أن اسرائيل كانت قد ذهبت الى مجلس الامن فى الاسبوع الثاني من شهر أكتوبر الماضى تؤيدها أمريكا وبريطانيا فى الهيئة الدولية ، تتهم سوريا بتحريض الفدائيين الفلسطينيين ضدها ، وتطالب باستصدار قرار يدين سوريا ، واتخاذ اجراء ضدها بصفتها بلدا معتديا (؟!)

وفى ذلك قال مندوب سوريا فى مجلس الامن : «كيف تتهم سوريا بالتحريض ضد اسرائيل بينما الفلسطينيون يعيشون على مرمى البصر من أرضهم وقراهم التى اغتصبتها العصابات الصهيونية .. أن بيانات المناضلين الفلسطينيين التى يذيعها راديو دمشق تذيعها جميع الاذاعات العربية .. أن الحكومة السورية ليست ملزمة بحماية اسرائيل من ثورة الفلسطينيين المطرودين من أراضيهم .. أن سوريا لاعلاقة لها بالنشاط الفدائيين الفلسطينيين ، وكل مافى الامر هو أن اسرائيل تستغل هذه الحوادث كذريعة للقيام بأعمال عدوانية جديدة ضد سوريا . واذا لجأت اسرائيل الى أى عمل عدوانى ضد سوريا فان سوريا مصممة على الدفاع عن سلامة أراضيها بكل الوسائل الموجودة تحت تصرفها »

وفى نفس الوقت قال المندوب السوفييتى : «أن شكوى اسرائيل قصد بها تغطية الاعداد لهجوم يدبر لاسقاط الحكومة السورية»

وقد استمر نظر شكوى اسرائيل فى مجلس الامن الى ٤ نوفمبر . وفى تلك الأثناء قامت المنظمات . الصهيونية فى نيويورك بتدبير حادث اعتداء همجى على مقر الوفد السورى فى الأمم المتحدة ، وتركوا وراءهم منشورات كتب فيها أن كلا من الضفة الغربية والضفة الشرقية لنهر الاردن أرض اسرائيلية وستعود الى اسرائيل حتما بينما مندوب اسرائيل يقول أمام المجلس أن اسرائيل ليست لديها أطماع فى أراضى البلاد العربية المجاورة . وقد سلم **محمد عوض القونى** ، مندوب الجمهورية العربية المتحدة الى رئيس مجلس الامن (وهو الامريكى **جولدبرج** الذى لايخفى أتجاهه الصهيونى) مذكرة أحتجاج على عدوان العصابات الصهيونية على مقر الوفد السورى موقعة من ٦٢ من مندوبى الدول الاعضاء فى هيئة الامم المتحدة .

وفى تلك الاثناء كانت قطع من الاسطول السادس الامريكى فى زيارة لميناء بيروت أستمرت ٨ أيام وانتهت يوم ٢ نوفمبر وهو يوم ذكرى وعد بلفور . وفى ذلك اليوم احتفلت العواصم العربية بالذكرى ، منبهة الشعب العربى الى أن يوم الخلاص قريب ، وأن أسترداد أرض فلسطين السليبة آت لاريب فيه . وخطب **نور الدين الاتاسى** رئيس الدولة السورية فى مظاهرات حاشدة فى دمشق فهاجم أمريكا والدول الاستعمارية الاخرى ، وقال عن دور الدول الاستعمارية فى مجلس الامن : «أنهم يقيمون الدنيا ويقعدونها لبضعة أنفجارات فى اسرائيل بينما يقفون مكتوفى الايدى أمام حرب الابادة فى فيتنام »

وفى اول نوفمبر كان مندوبو أمريكا وبريطانيا واسرائيل يجسون نبض وفود الدول فى مجلس الامن لاستصدار قرار بادانة سوريا بالعدوان ، غير أن نتائج الاتصالات كانت فاشلة مما جعلهم يعدلون خطتهم ويتركون لعدد آخر من الدول الموالية لهما (الارجنتين ، اليابان ، هولندا ، نيوزيلاند ، نيجيريا ، أوغندا) تقديم مشروع قرار آخر يتضمن تنبيه سوريا الى « اتخاذ الاجراءات التى تقلل الأعمال غير المشروعة على الحدود مع اسرائيل» ، ووافق على المشروع عند التصويت أمريكا وبريطانيا وفرنسا وأورجواى . وفاز ذلك المشروع بالاغلبية المطلوبة لولا أن الاتحاد السوفييتى أستخدم حق الفيتو لاحباطه . وأعترض على المشروع ايضا من الاعضاء غير الدائمين فى المجلس الاردن ومالى وبلغاريا ، بينما أمتنع مندوب فرموزا عن التصويت كالعادة

ولم يكن احباط المشروع الامريكى البريطانى الاسرائيلى فى مجلس الامن هو الشيء الوحيد الهام الذى حدث فى الاسبوع الاول من نوفمبر ، فقد شهدت القاهرة ماهو اهم . كان يوسف زعين ، رئيس وزراء سوريا ، على رأس وفد سياسى عسكرى يزور القاهرة ويجرى مباحثات على أعلى مستوى مع الرئيس **جمال عبد الناصر** وكبار رجال الدولة فى الجمهورية العربية المتحدة . وانتهت المباحثات الى أعلان أتفاقية الدفاع المشترك بين البلدين .

ونقطع تسلسل الاحداث هنا لنشير الى طرف هام من حديث ادلى به **ابا ايبان** ، وزير خارجية اسرائيل ، الى رئيس تحرير جريدة **الجارديان البريطانية** بتاريخ ١٨ نوفمبر ، حيث يقول أن هناك ٣ مبادىء تتبعها اسرائيل فى الفترة الاخيرة :

- توسيع نطاق الدفاع داخل اسرائيل
- الاعتماد على التأثيرات السياسية .
- الالتجاء الى مظاهرات القوة .

وتطبيقا للمبدأ الاول مددت حكومة اسرائيل الى مد مدة الخدمة الاجبارية الى ٣٠ شهرا . وتغافل الوزير الاسرائيلى أن يذكر أن هذا الاجراء أشد ارتباطا بالازمة الاقتصادية داخل اسرائيل وزيادة عدد العاطلين ، من ارتباطه بأى عنصر آخر . ولايصدق ايبان الا عندما يرتقى بما أسماه «الالتجاء الى مظاهرات القوة» الى مستوى المبادىء التى تقوم عليها سياسة الدولة الصهيونية .

وجاءت مظاهرة القوة التالية لاعتداءات الشهر الماضى على سوريا ، ضد الأردن ، فى ١٣ نوفمبر وكان توجيهها ضد الاردن أمرا غير متوقع ، حتى بالنسبة لمدبرى العدوان انفسهم .

وفى ذلك تقول وكالة الانباء الفرنسية : «أن المسئولين فى اسرائيل لم يقرروا الغارة على الاردن وهم سعداء ، اذ أنهم



● الملك حسين ● وصفى التل

يرون أن السلطات السورية ، وليست الاردنية ، هى التىتشجع التسلل ضد اسرائيل »

كانت جميع المقدمات والدلائل والتوقعات تشير الى ان «مظاهرة القوة» ستوجه ضد سوريا ، غير أنها بعد أن وقعت على الاردن ، كاد يجمع المراقبون على أن توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين سوريا والجمهورية العربية المتحدة كانت من أهم العوامل التى جعلت حكام تل أبيب يوجهون الضربة الى الاردن ونشير هنا الى المقال الاسبوعى **لمحمد حسنين هيكل** ، فى الاهرام عقب العدوان ، حيث أبرز الحقائق التالية :

اولا : أن «اتفاقية الدفاع المشترك لاتعنى تدخل الجيش المصرى فورا ضد اية غارة على المواقع السورية .. ومع عدو يضرب فى مركز واحد ، ويضرب بسرعة ثم ينسحب على الفور ، فان المسئولية المحدودة يجب قبولها محليا .

« لكن أتفاقية الدفاع المشترك ــ فضلا عن أنها تواجه ماهو اوسع من مجرد الغارات المحدودة ــ لها فائدتها الكبرى حتى فى مواجهة هذه الغارات المحدودة من حقيقة أنها تجعل الجبهة التى تتعرض لاى غارة أقدر على الرد وعلى الردع بدون خوف من الاحتمالات المتداعية ومن المضاعفات التى قد تنجم عن ذلك حتى وأن أتجهت العمليات العسكرية الى التصاعد .

ثانيا : «أنه على الجبهة السورية لايمكن أطلاقا أن يقال بالتفريق ما بين السلطات ، ومابين الجماهير أو السكان المحليين كما يسميهم ليفى اشكول ، رئيس وزراء اسرائيل . على الجبهة

تعليق

رقابة جماهيرية وديمقراطيــة على الانتــــاج

أصــدرت اللجنة المشــكلة لدراســة اجراءات الرقابة على شركات القطـــاع العام ، عدة توصيات غاية فى الاهمية . وخاصة التوصية التى تطالب بانشـــاء ادارات للرقابة يختار افرادها من بين العاملين فى الوحدات الانتاجية انفسهم حتى تكون الرقابة ذاتية معبرة عن واقع العمل واحتيــاجاته من ناحية ، وقادرة على الكشف عن اى انحراف وتصحيحه فى الوقت المناسب من ناحية اخرى .

وكل الاعتبارات التى يجب توافرها فى قيام رقابة علمية وفعالة تتحقق فى هذا الاتجــاه الذى اوصت به اللجنــة .. فالرقابة الســليمة تســتدعى نوعا من التخطيط ووضع اهداف محددة مقدما ، ثم مراقبــة التنفيــذ الفعلى بالخطــة التقديرية ، والقائمين على الانتاج هم خير من يستطيعوا ان يقدموا معلومات لوضع خطة الانتاج بوحدتهم ، على ضوء معرفتهم الواقعيــة بظروف العمــل وآفاقه وامكانياته ، وهم من جانب آخر افضــل من يستطيعوا الكشف عن اى انحراف وتصحيحه فى الحال ، فللرقابة جانبهــا الفنى المتخصص وهم اقدر النـــاس على القيام به . ورقابة العاملين انفسهم تجعل فى الامكان وضع نظام للرقابة يعكس طبيعة اوجه النشاط المختلفة وحاجاتها الفعلية التى قد تتنوع من وحدة الى اخرى وبالتالى تتطلب اختلافا فى مقاييس الرقابة واجراءاتهــا لان التعميم المبالغ فيه قد يضر كما ان هــذا يكفل مرونة الرقابة وضمان الاستجابة للتغييرات التى تتم فى العمل نفسه . وتمكن من سرعة اتخاذ الاجراءات اللازمة لمواجهة اى تعديل ضرورى تقتضيه مصلحة العمل . ومن جانب آخر تتميز رقابة العــاملين بانها رقابة اقتصادية وغير مكلفة وغير معطلة ، فهى لن تستدعى تفريغ عدد كبير لشئونها ، بل يمكن تحويل كل عامل الى رقيب على سير العمل فى وحدته وذلك هو الجانب السياسى فى الموضوع ، اذ عليه ان ينشر روح الحفاظ على اموال القطاع العام ، والمفى رفع الانتــاج مع خفض تكاليفه ، وان يجعلها قيمــة جديدة سائدة فى صــفوف العــاملين . ورقابة العاملين الذاتية ، سيكون هدفها التمكين من التصرف الصحيح ســـواء بمعاقبة المنحرف عن عمد او بتصحيح الخطأ غير المقصود ونشر هذا ، مما يقوى روح المسئولية والحفاظ على انتظــام العمل وتحقيق الاهداف المحددة باحسن الطرق واقل التكاليف .

وهذا النوع من الرقابة الجماهيرية ، لا يعتبر زيادة فى عدد اجهزة الرقابة لانه يمثل نوعا مختلفــا كلية ، كما انه من جانب آخر لا يمنع قيام اجهزة الرقابة الاخرى من اداء واجبها ومتابعة ســير العمــل وتنفيــذ الاهداف . والفــائدة الاساسية التى تتحقق من هذا الاسلوب هو جعل العاملين يحسون بانهم مسئولين عن مصير العمل فى وحدتهم ، وان الكلمة العليا لهم ، ويطلق طاقاتهم ومبادراتهم ، ويزيح كابوس الســلبية الرهيب الذى يجثم على صــدور بعــض الطـــاقات والكفاءات ، التى يجعلها عدم الاستجابة لاقتراحاتها بل وشكواها تنزوى بعيــدا عن اية مشاركة جدية . وهى من جانب آخر تمثــل خطوة ديمقراطيــة غاية فى الاهمية ، لانها تنقل جزءا من وظـــائف الهيئات التنفيــذية ومؤســسات الحكم والادارة الى العاملين انفسهم . وتحقق خطوة كبيرة ، لو طبقت بطريقة صحيحة، على طريق كسر احتكار وظائف الحــكم والادارة وتحويلها الى عمل شــعبى ، تشارك فيه اوسع الجماهير ، وتحويلها الى اعمال بسيطة يكون فى مقدور الرجل العادى القيام بها .

والطريقة الصحيحة لكى تؤتى هــذه التوصيات ثمارها ، هى ان تطبق بطريقة ديمقراطية ، اى ان هيئة الرقابة المحلية يتم اختيارها من قبل العاملين انفســهم وتحت ســـيطرة واشراف الاتحـــاد الاشتراكى ، كما تمنح الصلاحيات الكافية لمحاسبة اى مسئول عن تقصيره ومكافاة ذوى الكفاية الممتازة دون ان يكون فى الامكان عرقلة عملها او عقاب افرادها ، وان تمكن من اتخاذ الاجراءات اللازمة لضمان انتظــام العمل وزيادة كفاءته وطــاقته ، فى اطـــار الاهداف والخطة العامة . كما ان هذه اللجان لابد وان تكون مسئولة امام جمهور العـــاملين فى الوحدة ، فضلا عن مسئوليتها امام رئيس مجلس ادارتها ، وعليها ان تقدم كشــفا بعملها للعــاملين وان تســمع اقتراحاتهم ولابد ان يكون لها صوت فى تقدير المجد وعقاب المقصر ، وفى تقرير الحوافز المادية والمعنوية . وعليها ان تعمل فى ارتباط وثيق مع الجهاز السياسى فى الوحدة .

وبهــذا نضمن تنســيق وتوجيه كل الجهود الانتاجية ، والفنية والســياسية لتحقيق الاهداف والامال القومية بطريقة ديمقراطية . ونكفل اتفاق العمليـــات الانتاجية والتصرفات الفردية والجماعية مع الخطط المرســومة . وغرس القيم الجديدة فى صفوف العاملين . وتنـــاسق نظام الحوافز بشــقيه المادى والمعنوى مع العمل الســـياسى من ناحية ، ومع الرقابة الجماهيرية من ناحية اخرى . وهو نظام الحوافز ، بل يجب اســتكماله بنظام ديمقراطى فعال للرقابة ، يكشف الانحراف ويقوم الاخطاء ويشرك العاملين فى ادارة امور وحدتهم الانتاجية ، ويرتقى فلا يكفى وضع نظام لمكافاة المجدين بوعيهم وبمسئولياتهم .

كمال السيد

السورية ، وفي مواجهة اسرائيل ، هناك وحدة تامة وانسجام كامل مابين السلطة وبين الجماهير .

«وينتج عن ذلك أن توجيه ضربة الى الشعب العربي في الاردن ، قد يكون مخاطرة محسوبة قررها (حكام تل أبيب) وهم غير سعداء ، على اساس أنه مهما كانت المقاومة من هؤلاء السكان العزل ، ومن الجيش الاردني المقيد ، فان الحساب يبقى داخل تكاليف معينة »

هكذا جاءت الغارة الاسرائيلية أقرب الى أعمال الغدر الخسيس منها الى مظاهرات القوة التي قال بها أبااييان . فما هي القوة في تسيير لواء كامل ، وثلاثين دبابة امريكية من طراز باتون ، تؤيدها المدفعية والطائرات أين القوة في تسيير هذه الجحافل ضد سكان قرية السموع العزلاء وهدم ٤٠٠ بيت من بيوتها ، وقتل عشرات من سكانها ، من بينهم نساء واطفال وشيوخ ؟ أين القوة في هدم عيادة طبية ومدرسة ومسجدوتدمير عربة للاسعاف ؟

ولكن ، يحق لحكام تل أبيب أن يكونوا غير سعداء بما قرروا وما فعلوا .

فقد ارتفعت أصوات الادانة والاستنكار من جميع انحاء العالم ، عدا المنابر والدوائر الاستعمارية في امريكا وبريطانيا ، تلك التي تأخذ على عاتقها دفع الاوضاع الى حافة الهاوية . وفي هذا الصدد أصدر السفراء العرب في لندن بيانا يكشفون فيه حقيقة ماتضمنته الصحافة البريطانية من تشويه للحقائق وانحياز للعدوان كذلك قال محمد الفرا ، مندوب الاردن في مجلس الامن : «من المؤسف أن أمريكا سعت ، بدلا من أن تدين هذا العمل الحربي العدواني — الى ايجاد تبرير له »

كذلك يحق لحكام تل أبيب أن يكونوا غير سعداء بالمرة لما تسببت عنه «مظاهرة القوة» من تفجر وتتابع سريع للاحداث في الاردن .

رفض سكان قرى الحدود والمناطق المعتدى عليها المساعدات التي ارسلت اليهم من عمان ، وطالبوا بدلا من ذلك بالسلاح لكي يذودوا عن انفسهم وعن بلادهم خطر تجدد أعمال العصابات الصهيونية .

ووجه أحمد الشقيري في ١٦ نوفمبر على موجات الاثير ، نداء الى الملك حسين يدعوه الى تعاون جيش التحرير الفلسطيني مع الجيش الاردني ، من حماية المواطنين في القرى الامامية وعلى خطوط الهدنة .

وفي ١٧ نوفمبر ، بدأت المظاهرات في الخليل مطالبة بالسلاح تبعتها مظاهرات في كافة أنحاء قرى ومدن الضفة الغربية .

وفي اليوم التالي ١٨ نوفمبر نشرت صحف لندن انباء المظاهرات وقالت أن مظاهرات الخليل كانت خطيرة بصفة خاصة حيث كانت تردد شعارات معادية للحكومة .

وفي نفس اليوم نشرت النيويورك تايمز مقالا جاء فيه : «ان الامر الذي يثير قلق الدول الغربية الان هو المظاهرات التي يقوم بها الفلسطينيون في الضفة الغربية للاردن في طلب السلاح»

وكان استجابة حكومة عمان لهذا القلق الغربي سريعا .

ففي اليوم التالي (١٩ نوفمبر) أذاع راديو عمان رسالتين متبادلتين بين الملك حسين ورئيس وزرائه ، وصفي التل . وهاجمت رسالة الملك منظمة التحرير الفلسطينية ووصفت الدعوة التي وجهها اليه رئيسها على موجات الاثير بأنها تهدف الى التخريب . وقال الملك : « اذا ظهر فينا من تسول له نفسه الانحراف عن شرف الدفاع الى الفوضى والتخريب فليعاقب دون أدنى هوادة »

وقال وصفي التل في رسالته : « .. سأشرع في تدارس توجيهات جلالتكم مع المسئولين لوضعها موضع التنفيذ الفوري»

والحق أن وضع توجيهات الملك موضع التنفيذ كانت أكثر من فورية . فقد نشرت الاهرام ، في ٢١ نوفمبر ، نقلا من وكالة أنباء اليونايتدبرس تقول : «يبدو أن الاجراءات كانت تتخذ بالفعل ضد عدد كبير من الاردنيين حتى قبل أن تذاع الرسالتان بين الملك والتل من راديو عمان .. فقد ذكرت المصادر المطلعة في الضفة الغربية من الاردن أن اعتقالات ضخمة جرت وكانت أكثر تركيزا في منطقتي الخليل ونابلس ، كبرى مدن الضفة الغربية ، كما تركزت الاعتقالات بين القوى الوطنية والطلبة .. وكانت المظاهرات قد تجددت بعد صمت الحكومة الاردنية على مطالبة سكان القرى الامامية بالسلاح وباتخاذ اجراءات خاصة لمواجهة أي احتمال »

وحتى كتابة هذه السطور ماتزال الانباء تترى بوقوع اصطدامات بين قوات البوليس والمتظاهرين من مدن الضفة الغربية ، بل أن عددا من رجال الجيش والبوليس انضم الى المظاهرات ، وأن قوات البادية قد استدعيت وفتحت النيران على المتظاهرين ، وأن عددا كبيرا من القتلى والجرحى قد سقط تحت وابل النيران ، وأخيرا فان حظر التجول الجزئي فرض في مدينة نابلس بعد انفجار الموقف فيها .

وعلى الرغم من أن أحداث الاسابيع الاخيرة في الشرق العربي يمكن أن تملأ مجلدات كاملة ، الا أن المراقبين يرون أن عناصر التوتر ماتزال في دور التجمع . واذا كان التدخل الاستعماري والعدوان الصهيوني والتواطؤ الرجعي هي مصادر القلق والاضطراب المتفاقم في المنطقة ، بهدف أن يتمكن المستعمرون وعملاؤهم من الصيد في الماء العكر ، فان اليقظة وارادة التوحيد هي سمة القوى الثورية في العالم العربي في هذه الظروف الدقيقة .

●

■ لبنان

أزمة بنك «أنترا»

مازالت ازمة بنك « انترا » تسيطر على المسرح السياسي في بيروت . وليس في هذا مايدهش فالعاملون في البنك وشركاته يقارب عددهم الخمسين الفا ، يمثلون هم واسرهم عشر سكان لبنان . واصول البنك اكبر من ميزانية الدولة . وحجم الودائع فيه يقارب ٦٠٪ من اجمالي الودائع لدى البنوك اللبنانية . وهو الذي يسيطر على أهم مرافق الحياة العامة : شركة طيران الشرق الاوسط ، ميناء بيروت ، المواصلات اللاسلكية ، صناعة الاسمنت ، كازينو لبنان ، أهم الفنادق الكبرى .. فضلا عن اربعة بنوك لبنانية اخرى ، وقد ترتب على توقفه عن الدفع اغلاق جميع البنوك لمدة ثلاثة ايام . وبعد اعادة فتحها سحب منها المودعون اكثر من مائة مليون ليرة ، هو مايمثل حوالي ٢٥٪ من اجمالي ودائعها (غير ودائع « انترا ») واخذت الودائع المسحوبة طريقها الى الخزائن الخاصة ، اي الى فروع البنوك الاجنبية . وادى كل ذلك الى زعزعة الثقة في الجهاز المصرفي . واصبح الكثيرون يرفضون قبول الشيكات ايا كان البنك الذي يصدرها ويصرون على الدفع نقدا . وترتب على انكماش الائتمان بهذه الصورة نقص كبير في المعاملات وركود في التجارة . ولعل خير تعبير عن هذه الحالة المثل الذي ساقته مجلة « تايم » الامريكية حين قالت ان بعض اصحاب المطاعم الكبرى في بيروت اخبر مراسلها ان حجم معاملاته قد انخفض الى النصف .. !

ولا شك ان يوسف بيدس وزملاءه اعضاء مجلس ادارة البنك يتحملون نصيبا اساسيا من الازمة . فقد اندفع البنك في استثمارات ثابتة ضخمة طامعا في ان يصبح شركة قابضة دولية . وقد نجح بالفعل في السيطرة على خمس وثلاثين شركة في أوروبا وامريكا الشمالية والجنوبية وافريقيا . كما اشتغل بالمضاربات على نطاق واسع . ويبدو ان حساباته لم تكن يوما منتظمة ، بل كانت باستمرار تظهر في صورة ازهى من الواقع بكثير . ولذلك فما كادت المسحوبات منه تزيد قليلا عن المعتاد حتى بدأ يواجه الصعوبات ولجأ الى البنك المركزي الذي قدم

له خمسة عشر مليون ليرة . ولكن الخبر سرعان ما انتشر في سوق بيروت ففزع مزيد من المودعين وزادت طلبات السحب ورفض البنك المركزي ان يمنح « انترا » اي قرض جديد لان ادارة « انترا » لم تكن تسمح للبنك المركزي بأية رقابة جدية على عملياته . وهكذا انفجرت الازمة .

ولكن الاقتصاد اللبناني القائم على الحرية المطلقة بلا ضابط ولا رابط يتحمل مسئوليته في الازمة . فبنك «انترا» لم يفعل شيئا يختلف جذريا عما يفعله غيره من البنوك ورجال المال في بيروت من الاعتماد على المضاربة واهمال القواعد المصرفية التقليدية المحترمة . ان بيروت كانت تعيش حتى الآن على اجتذاب رأس المال من البلاد العربية الاخرى ولا سيما من ملوك وامراء البترول . وكانت تظن ان هذا التدفق لن يتوقف . وعمل رجال المال فيها الى اسرع الوسائل لتحقيق الثروات الضخمة عن طريق عمليات المضاربة والعمليات العقارية وبناء الفنادق والملاهي بكافة انواعها . وضاع في هذا الجو من الرخاء الزائف كل اهتمام بتنمية الاقتصاد اللبناني . فلم تنشأ اي صناعة تستحق الذكر ولم يتم تطوير التجارة ، ولكن تدفق رأس المال مرهون باعتبارات كثيرة ، مدى الثقة في الجهاز المصرفي اللبناني ، تعود من بيدهم اموال البترول على التعامل مباشرة مع البنوك الاوروبية والامريكية ، سعر الفائدة في الاسواق المالية الاخرى ..الخ . كما ان ارتباط الاقتصاد اللبناني الوثيق بالنظام الرأسمالي العالمي يجعله يتحمل آثار كل ما ينال هذا النظام من ازمات . ومن المعروف ان الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية واليابان قد اضطرت الى اتخاذ اجراءات جادة لمواجهة التضخم . وكان طبيعيا ان تنعكس ازمة السيولة العالمية على اضعف حلقة في النظام الرأسمالي العالمي الا وهي لبنان .

كما ان الاحتكارات العالمية جريا على عادتها ، لاتهب لمساعدة العملاق الذي يسقط على ركبتيه . وما كان اسهل انقاذ بنك «انترا» لو ارادت البنوك العالمية الكبرى ، فهو ليس في حاجة الى اكثر من ثلاثين مليون دولار ، وموجوداته تعد بما يزيد على ٢٣٠ مليون دولار . ولكن الاحتكارات العالمية بدلا من ان تعاونه تتنافس على الاستيلاء على اشلائه . فهذا بنك امريكي يريد شراءه ، وذلك عملاق النقل البحري الامريكي لودفيج يتقنع بطلب شراء اسهم البنك في شركة طيران الشرق الاوسط وتلك مجموعة من البنوك الاوروبية تحاول السيطرة عليه . ان من يقبل قانون الرأسمالية ليس له ان يتجاهل انه لا يعدو ان يكون شريعة الغاب .

●

■ الجزائر

ذكرى الفاتح من نوفمبر والانتصار على الاستعمار والتخلف

بيدي

المراقبون العرب ، اهتمامهم ، بالزيارة التي قام بها الرئيس الجزائري **هواري بومدين** للجمهورية العربية المتحدة ، بوصفه رئيسا لمجلس الثورة ورئيسا لمجلس وزراء الجمهورية الجزائرية . وقد بدأت الزيارة في ٢٨ نوفمبر وتمتد الى ديسمبر الحالي .

وجدير بالذكر ان الرئيس بومدين وجه الدعوة الى الاشتراكيين العرب الى « مناقشة مفتوحة وحرة في الجزائر في الربيع القادم تدور حول الاشتراكية والانتقاد الحر والمواجهة الصريحة . فانه من الاهمية البالغة لقاء وتجميع القوى الثورية لمواجهة الصراع السافر في اكثر الاحيان ، والخفي في بعض الاحيان ، بين قوى التقدم وقوى الرجعية » .

وقد وجه الرئيس بومدين هذه الدعوة في خطابه الذي القاه بمناسبة احتفال الشعب الجزائري بعيد ثورته « الفاتح » من نوفمبر .

ومنذ انتصار ثورة « الفاتح من نوفمبر » والثورة الجزائرية تبذل كل جهد لتغيير وجه الماضي تغييرا جذريا ـ ففي المجال الاقتصادي اتجهت الثورة اولا لتطبيق الاصلاح الزراعي ، حيث كانت غالبية الارض الزراعية مستغلة لصالح الاجانب المستوطنين ، فالادارة الاستعمارية كانت تمتلك ١١ مليون هكتار من اجود الاراضي الزراعية بينما كان يملك الجزائريون ٧ ملايين هكتار .. وكان قطاع الارض المملوك للاجانب يوجه ويدار لخدمة المصالح الرأسمالية الفرنسية ، كما وجه الانتاج لصالح السوق الرأسمالية الفرنسية والاوروبية بانتاج المحاصيل القابلة للتصنيع في اوروبا . وفي هذا الوضع هبط مستوى معيشة الفلاح والشعب الجزائري الى ادنى المستويات ـ وعاش الفلاحون الجزائريون مأساة عهد الاستعمار الاقتصادية التي حولت غالبيتهم الى عمال زراعيين وجاءت الثورة بعد اعلان الاستقلال لتواجه في المجال الزراعي الى جانب التخلف والفقر والاستغلال الرأسمالي والاقطاعي ـ مؤامرة المستعمرين والجيش السري لتحطيم الاقتصاد الجزائري ، وقد اعتمدت هذه المؤامرة على عدد من العناصر :

١ ـ هجرة جميع الاوروبيين وتخريب المعدات والالات بالمزارع ، ٢ ـ توقف كل الانتاج في اغلب القطاع الزراعي الجزائري خلال حرب التحرير . وبذلك يشكل خروج الاوروبيين خطرا داهما على الحياة الاقتصادية . ٣ ـ قلة خبرة الجزائريين في ميادين التكنيك الزراعي واساليب الانتاج الحديثة . وجاء الرد على مؤامرة المستعمرين من جانب الثورة الجزائرية بمبادرة الفلاحين في خريف ١٩٦٢ بحرثهم الارض بوسائلهم التقليدية وباختيارهم لطريق التسيير الذاتي وبقرارات مارس ١٩٦٣ بتأميم الارض الشاغرة وتنظيم العمل في المزارع المسيرة ذاتيا وتنظيم توزيع عوائدها .. وبذلك بدات الثورة الجزائرية في شق طريقها الصعب للتغلب على الاوضاع الاقتصادية .

والثورة الجزائرية بعد الاستقلال وبعد اختيارها طريق الاشتراكية ما زالت مواجهة في مجال الاصلاح الزراعي باحداث تغييرات هامة ـ فانه رغم الخطوات الكبيرة التي تحققت منذ الاختيار الشعبي للتسيير الذاتي في الزراعة فان صورة الملكية الزراعية في الريف الجزائري مازالت تبرز استمرار مظاهر التخلف وزيادة الاستغلال من جانب القطاع الخاص ـ فمازال ٦٠٢٦٥٣ مزارع يملكون ٤٥٦٤٫٢٠٠ هكتار (بمعدل ٧ هكتارات للفرد) ، بينما ٢٥٠٧٩ مالك يملكون ٢٫٧٨٤٫٩٠٠ هكتار



● بومدين

بمعدل ١١١ هكتارا للفرد ، ومعظمهم من الملاك المتغيبين . وفى نفس الوقت ما زال هناك ٤٠٠ر٠٠٠را عامل لا يملكون ارضا ويعملون بشكل موسمى . ولقد علق على هذا الوضع الكاتب الجزائرى **الاخضر ضربانى** فى « المجاهد » الجزائرية بقوله : « لقد انعكس هذا التناقض على المستوى المعيشى والصحى والثقافى فكان تعبيرا واضحا عن الحرمان الذى تقاسيه الاغلبية فى الوقت الذى اصبحنا فيه سادة انفسنا ونملك حرية رسم معالم مستقبلنا . لذلك فان الاصلاح الزراعى المرتقب يهدف الى تحديد الملكية لقاء تعويض عادل واعادة الارض الى من يعمل فيها ، ووضع اسس جديدة لاستصلاحها واستغلالها » .

ومنذ انتصار ثورة الفاتح من نوفمبر — والثورة الجزائرية تسعى لتصنيع الجزائر — معتمدة فى المقام الاول على مبادرة العمال والكادحين الجزائريين الذين بداوا من تلقاء انفسهم بتسيير المصانع والاعمال المعطلة بسبب ترك الاوروبيين لها — وكان ذلك بداية وجود القطاع الاشتراكى فى الاقتصاد الجزائرى بقسميه ، الاول وهو المؤسسات الصناعية المسيرة ذاتيا من قبل العمال بواسطة لجان التسيير المنتخبة والمؤسسات التى تديرها وزارة الطاقة والتصنيع وهو القطاع الرئيسى ، والى جانبه يوجد قطاعان آخران وهما القطاع الخاص والذى ما زال يضم صناعات هامة ويتمتع بامتيازات كبيرة فى مستوى الخبرات الفنية والادارية وفى مستوى التمويل ، وما زال اغلبها مشروعات فرنسية ، والقطاع الاخر هو القطاع المختلط تشترك فيه الحكومة مع رؤوس اموال اجنبية . ولقد ارتبط الاتجاه لتصنيع الجزائر والاتجاه للتصنيع الثقيل — مصنع الحديد والصلب فى عنابة ومصنع المواد الازوتية والاموتياك .. الخ بالعمل على تأميم القطاعات الاساسية فى الاقتصاد القومى كما حدث فى مايو الماضى بتأميم جميع المناجم الوطنية حيث رفعت يد السيطرة الاجنبية عن اهم قاعدة اقتصادية للصناعة الجزائرية الناشئة .

لقد احتفلت الجزائر بذكرى ثورة الفاتح من نوفمبر وهى مصممة على الاستمرار فى طريق بناء الاشتراكية — وهو طريق صعب فى حاجة الى تحقيق وحدة ثورية تجمع كل القوى المناضلة من اجل اجتيازه — كما اعلن **هوارى بومدين** فى ندوة لكادر الحزب بوهران : « ان الوحدة الثورية هى تلك التى تجمع فى صفوفها مجموع المناضلين حيثما وجدوا فى الحزب او الادارة او الجيش تلك الوحدة التى تجمع العمال والفلاحين والطلبة والنساء . هذه هى الوحدة الثورية التى تنبنى على اساس عقائدى ، وهو كما تعلمون ، هى الاشتراكية . وعندما نتكلم عن الاشتراكية والثوريين اريد ان اقول بأن الاشتراكية يجب ان تتحقق من طرف المناضلين الثوريين الذين يؤمنون بالعقيدة قبل ان يؤمنوا بجماعة معينة او جهة معينة ينتمون اليها » .

●

■ منظمة الوحدة الافريقية

... فى مفترق الطرق

لم تلق القرارات التى صدرت عن مؤتمر القمة الافريقى الرابع الذى انعقد فى اديس أبابا فى أوائل الشهر الماضى ، نفس الاهتمام من جانب الرأى العام العالمى الذى بقيته الظروف التى احاطت بانعقاد المؤتمر . وكان ذلك انعكاسا دقيقا لقيمة هذه القرارات التى كان من الممكن ان تصدر عن أى هيئة افريقية محدودة لا من اكبر منظمة فى القارة بأسرها .

فلقد قرر المؤتمر مطالبة **بريطانيا** باستخدام القوة لانهاء الوضع غير الشرعى فى **روديسيا** . كما دعا **فرنسا** الى ضمان حرية الاستفتاء المقترح اجراؤه فى **الصومال الفرنسى** فى العام القادم . وطالب ايضا بتعاون الدول الافريقية التام فى الامم **المتحدة** لمتابعة تنفيذ الاجراءات التى تهدف الى انهاء سيطرة حكومة **جنوب افريقيا** العنصرية على **جنوب غرب افريقيا** . ووصف القرار وجود حكومة جنوب افريقيا هذا بأنه « احتلال عسكرى غير مشروع » . واستنكر التفرقة العنصرية ، ودعا الدول التى تتعامل تجاريا مع حكومة جنوب افريقيا الى قطع علاقاتها معها واستنكر كذلك موقف « الدول التى لا تزال تبعث بالاسلحة لجنوب افريقيا » . وقد أيد المؤتمر قرار **الامم المتحدة** باعتبار يوم ٢١ مارس (ذكرى مذبحة **شاربفيل** فى جنوب افريقيا) يوما دوليا للقضاء على التفرقة العنصرية . أما القرار الايجابى الهام الذى صدر عن المؤتمر فقد وافق على ميزانية **لجنة التحرير** كما هى بعد ان هدد **جوليوس نيريرى** بالانسحاب من المؤتمر اذا مست الميزانية . لهذا كله لم يكن غريبا ان تصف الصحافة الغربية نفسها هذه القرارات بأنها « قد اتسمت بنوع واضح من الاعتدال » .

ان اتسام قرارات المؤتمر بالاعتدال ، ترجمة دقيقة لتطورات الأحداث المحيطة بانعقاد المؤتمر ذاته . فمنذ مؤتمر القمة الثالث الذى عقد فى أكرا فى اكتوبر ١٩٦٥ ، والقارة الافريقية تشهد عديدا من أعمال التخريب والتآمر ضد حركة التحرر الوطنى فيها وبات واضحا ان تقويض منظمة الوحدة الافريقية اصبح هدفا ثابتا تسعى الدوائر الاستعمارية والرجعية لتحقيقه .

لقد أجمع المراقبون السياسيون على أن أزمة اعتقال وفد غينيا لاجتماع وزراء خارجية المنظمة لم يكن السبب الرئيسى فى ظاهرة الانقسام البادية بين الدول الافريقية فى الوقت الحاضر . تقول **السكوتسمان** البريطانية « ان هذا النزاع ليس السبب فى سوء التفاهم والانقسام ، بقدر ما هو علامة على وجود هذه الحالة » .

وقد تفجرت أزمة منظمة الوحدة وكشفت عن تناقضاتها ، بشكل واضح وحاد ، عندما قامت السلطات الغانية فى **أكرا** بالقاء القبض على وفد غينيا (١٩ شخص) برئاسة **لانسانا فوجى** وزير الخارجية بينما كانوا على ظهر احدى طائرات شركة **بان امريكان** فى طريقهم لحضور اجتماع وزراء خارجية دول افريقيا فى **اديس أبابا** تمهيدا لاجتماع القمة . ومن المثير للتساؤل انه لم يكن مقررا للطائرة ان تهبط فى اكرا ، مما دفع **احمد سيكوتورى** رئيس جمهورية غينيا ومعظم المراقبين الدوليين الى اتهام **الولايات المتحدة الامريكية** فى اجتماع جماهيرى فى **كوناكرى** ، بأنها وراء حادث الاعتقال هذا . وعلى الفور انذرت حكومة غينيا « باتخاذ اجراء حاسم » . كما طالبت بأن تضمن امريكا التزام شركة طيران بان امريكا بتوصيل الوفد الغينى الى أديس أبابا قبل بدء المؤتمر . ولما لم يصل هذا الضمان هددت غينيا بتحديد اقامة السفير الامريكى فى كوناكرى وطالبت بسحب **فرق السلام الامريكية** (٣٧ شخص مع عائلاتهم) .. وقد اعلنت وزارة الخارجية الامريكية انها ستسحب هذه الفرق ، كما اعلنت الدوائر المطلعة فى أمريكا « ان برنامج المعونة التى تقدمها امريكا لغينيا هو الآن موضع اعادة نظر » ومعروف ان أمريكا كانت قد امدت غينيا منذ عام ١٩٦٢ حتى الآن بمعونة تقدر بنحو ٧٠ مليون دولار نصفها من فائض الاغذية .

وقرر وزراء خارجية المنظمة ، ارسال بعثة ثلاثية الى اكرا تضم عضوا من **كينيا والكونجو كينشاسا وسيراليون** ، مهمتها التوسط لدى حكومة الانقلاب فى أكرا للافراج عن وفد غينيا ، ثم تزور كوناكرى لمقابلة الغانيين المقيمين فى غينيا وتسهل رحيل أى منهم يبدى رغبته فى العودة الى غانا . ولكن لم تنجح البعثة فى مهمة التوسط للافراج عن وفد غينيا ، بينما سهلت لها حكومة سيكوتورى مقابلة الغانيين وسؤالهم بل ووضعت طائرة فى المطار لنقل كل من يرغب من الغانيين فى ترك كوناكرى كما سلمت البعثة جوازات سفر كل الغانيين كتسهيل لمهمتها ، ولكن احدا منهم لم يبد رغبته للبعثة فى ترك غينيا ، كما صرح بذلك

جوزيف موريبي نائب جمهورية كينيا ورئيس البعثة .

وفي ظروف تعاني فيها حركة التحرر الافريقية من تفكك وتراجع نسبي ، أوشك المؤتمر الرابع للقمة الافريقي ان يتم وظل اكبر حملة من التشكك شنتها الصحافة ووكالات الانباء والدوائر السياسية الغربية والرجعية ، حول مستقبل منظمة الوحدة الافريقية والمؤتمر الرابع . فانطلقت اشاعات تشكك في وصول رؤساء دول افريقيا الى أديس أبابا ، وخاصة الرؤساء **جمال عبد الناصر** رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، **وجوليوس نيريري** رئيس جمهورية تنزانيا **وهواري بومدين** رئيس **الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية** . وبالاضافة الى هذه الحملات التخريبية ، سبق اجتماع القمة الذي حضره كل الرؤساء الافريقيين (فيما عدا سيكوتوري) عدد من اعمال التخريب والمناورة لا تقل في خطورتها عن حادث الاعتقال . فبينما تقدم وفد **السودان** باقتراح لتشكيل حكومة لاحرار **روديسيا** في المنفى ، عارضت **تونس ومالاوى** هذا الاقتراح بل طالبا بحل لجنة **تحرير افريقيا** (التابعة لمنظمة الوحدة) وانهاء أعمالها في مساندة حركات التحرير المسلحة . أما وفد مالاوى فقد اشيعان بين اعضائه ، عضوان من مجلس نواب **جنوب افريقيا** مما استفز الدوائر الوطنية والتقدمية داخل المنظمة . كما حاول وفد **مدغشقر** عرقلة افتتاح المؤتمر بمطالبته بدعوة سفير اسرائيل لحضور جلسة الافتتاح . وقد انعكست خطورة المصاعب التي يواجهها المؤتمر الرابع ومنظمة الوحدة ، في تصريحات بعض الرؤساء الثوريين اذ قال **موديبو كيتا** رئيس جمهورية **مالي** « ان المصاعب التي تواجه افريقيا الان تتطلب مزيدا من النضج والعمل ، واننا سنصادف في المستقبل عقبات اكثر » . وقال نيريري « لقد ثبت من خلال اجتماعات المنظمة ان فرنسا وبريطانيا لهما نفوذ في المنظمة اكثر مما لمعظم الدول الافريقية »

وفوق قمة ترتفع على الهضبة الاثيوبية بـ ٤٠٠٠ قدم ، عقدت جلسة الافتتاح ، والقى الامبراطور **هيلاسلاسي** خطاب الافتتاح ، ثم عقدت جلسة سرية بين رؤساء الدول الافريقية ، اوصى فيه المجتمعون بتكليف الرئيس **جمال عبد الناصر** والامبراطور **هيلاسلاسي** والرئيس **وليم توبمان** رئيس جمهورية **ليبريا** ببذل جهودهم - باسم المنظمة - لحل أزمة اعتقال وفد غينيا . وبمقابلة الرؤساء الثلاثة **لانكراه** رئيس حكومة الانقلاب في غانا تقرر الافراج عن وفد غينيا المعتقل مقابل وعد باعطاء الفرصة للغانيين المقيمين في غينيا لتسهيل عودة كل من يرغب في الرحيل

الانتخابات الامريكية وموقف الحزبين من فيتنام واسرائيل

اتفق الحزبان الكبيران ، الديمقراطي والجمهوري اتفاقا ضمنيا على تمييع المعركة الانتخابية الاخيرة . ذلك ان اهم ما يشغل الناخب الامريكي في هذه الايام هي مشكلة الحرب الفيتنامية . هناك ثلث مليون جندي امريكي في فيتنام قد يصل عددهم الى نصف مليون او مليون في المستقبل القريب ، ولا يبدو لتلك الحرب نهاية منظورة او مضمونة (من وجهة النظر الامريكية) . والحرب الفيتنامية تسببت في موجة من التضخم وارتفاع الاسعار ، كما اضافت وقودا جديدا الى مشكلة التفرقة العنصرية ، حيث يتحقق للزنوج ، بين الجنود المرسلين الى الجبهة ، نسبة اكبر من نسبتهم في مجموع السكان ، (وهو « امتياز » لا يتحقق لهم في اي مجال آخر) .

وبينما تحتل مشكلة الحرب الفيتنامية مكان الصدارة في اهتمامات الناخبين الامريكيين ، وتشتد رغبة هؤلاء في انهائها ، نجد المرشحين من الحزبين يعتبرون هذا الموضوع من « المسائل القومية » التي لا يجوز اقحامها في المنافسات الحزبية . وبعبارة اكثر صراحة يرى قادة الحزبين ان عليهم أن يتكاتفوا جميعا للاستمرار في الحرب ولو كره الناخبون .

وعلى الرغم من مؤامرة الصمت التي دبرها الحزبان على كبرى مشكلات امريكا ، الا ان نتائج الانتخابات كانت تعبيرا عن ان هذه المؤامرة لم تصرف الناخبين عن التفكير فيها . ذلك ان حزب جونسون (الديمقراطي) أصيب بخسائر كبيرة . وهذا راى ضمني للناخبين الامريكيين في سياسة جونسون ، وفيتنام هي اهم عناصر هذه السياسة .

والملاحظ ايضا ان الحزب الجمهوري المنافس لم يرشح لجميع الدوائر التي كان مفروضا ان يخوضها لو كان يرغب في الحصول على اغلبية . ومعنى هذا ان الجمهوريين فضلوا ان يكونوا في مركز قوي خارج الحكومة وكأقلية في مجلسي النواب والشيوخ ، على ان يكونوا اغلبية في المجلسين ، يتحملون مسئولية أكبر في سياسة يعلمون كم هي مقلقة ومؤرقة للشعب الامريكي . وليس ادل على ان نتائج الانتخابات لا تعبر عن حقيقة الرأى العام من ان « معهد جالوب » اجرى استفتاء حول شعبية جونسون قبيل الانتخابات ، اتضح منه ان نسبة مؤيدي سياسته في فيتنام انخفضت من ٦٥ ٪ الى ٤٢ ٪ ، اي انخفضت بحوالي الثلث ، وهي نسبة اكبر بكثير مما تدل عليها نتائج الانتخابات .

بقي شيء آخر يهمنا بصفة خاصة ، ذلك ان المراقبين يرون ان الحمى الصهيونية ترتفع حرارتها بصفة خاصة في مواسم الانتخابات الامريكية ، وذلك لكي يتمكن قادة الصهيونية العالمية من انتزاع اكبر وعود وتأييد ممكن من قادة الحزبين اللذين يتناوبان الحكم ، وذلك اعتمادا على اصوات « اليهود الامريكيين » . وفي اواخر اكتوبر ، اي في قمة المعركة الانتخابية ، عقد المجلس الصهيوني العالمي مؤتمرا في نيويورك (ولم يكن التوقيت صدفة طبعا) . وفي هذا الاجتماع خطب عدد من اعضاء الكونجرس وعدد من مرشحي الحزبين يضاربون على الاصوات المنشودة ، ويؤكدون حظ الدولة الامريكية في مساندة اسرائيل . وفي هذا المحفل ، تليت رسالة من السناتور روبرت كيندي ، شقيق الرئيس الراحل جون كيندي ، يقول فيها السناتور ان من وصايا الرئيس الراحل ان تكون صداقة امريكا لاسرائيل من القضايا القومية التي لا يجب ان تدور حولها صراعات بين الحزبين الامريكيين . والمعروف ان المراقبين يضعون روبرت كيندي على رأس المرشحين لانتخابات الرئاسة في المستقبل .

هكذا تكشف الانتخابات الامريكية ، او بالاحرى تؤكد ، الاسس التي تقوم عليها السياسة العالمية للدوائر الامريكية الحاكمة وترقى الى مستوى « المسائل القومية » التي لا يختلف عليها الحزبان اللذان يمثلان دوائر المال والاعمال ، سواء في جنوب شرقي آسيا ، وبخاصة تجاه فيتنام ، او في الشرق الاوسط ، وبخاصة تجاه اسرائيل ، قاعدة الاستعمار والعدوان في المنطقة العربية .

سعد زهران

الى غانا ، وقد اكد مصورمبى رئيس البعثة انه وزميلاه عضوا البعثة قد اجتمعوا بكل واحد من الفانيين فى غينيا على حدة « وتأكدنا من انهم لا يريدون مغادرة غينيا » ثم اضاف « ولست اعتقد ان هؤلاء يشكلون اى تهديد خطير لغانا » . وبذلك تبددت مزاعم حكومة الانقلاب فى غانا .

لقد نجحت القوى الثورية داخل المنظمة من انتزاع المبادرة الهجومية من الاستعمار والرجعية لتحطيم المنظمة ، واستطاعت أن تتخطى العقبات وان تحبط المناورات التخريبية . وقد اعد المراقبون هذا ، كسبا وانتصارا لمنظمة الوحدة التى أصبحت اليوم فى مفترق الطرق ويتطلب من القوى الثورية اعادة التفكير فى خطط عملها .

■ الشرق الاقصى

هل حققت رحلة الاربعين ألف كيلو شيئا ؟

فى استفتاء أجرته مجلة «النيوزويك» لاستطلاع رأى المواطنين الامريكيين حول شعبية وشخصية جونسون ، وردت آراء غاية فى الطرافة :

فقد قال احد المواطنين عنه «ان الناس يعانون من صغر عقله وانطفاء روحه» واضاف مواطن آخر قائلا «ان جونسون يتحدث الى الناس عن طريق الاذاعة وكأنهم قطيع من الغنم» وهذه الاراء وغيرها تؤكد الاحصاءات التى اجرتها عدة هيئات متخصصة لقياس شعبية جونسون، واثبتت فيها ان عدد المؤيدين لسياسته وسياسة حزبه يقل باستمرار . فمنذ عام مثلا كانت نسبة المؤيدين لسياسته فى فيتنام ٦٥٪ انخفضت الان الى ٤٢٪ . والحزب الديمقراطى الذى يتزعمه جونسون يفقد انصاره بسرعة كما تؤكد جريدة واشنطن بوست، وكما اتضح من نتائج الانتخابات الاخيرة التى منى فيها بخسائر كبيرة.

والواقع ان المشاكل الثلاث الاساسية التى تواجه حكومة جونسون وهى العنصرية والتضخم والحرب فى فيتنام- والاخيرتان مرتبطتان — هى السبب الاساسى فى ازدياد حدة السخط حول شخص جونسون، . ولما كان جونسون عاجزا عن ايجاد حل لاى من هذه الازمات الداخلية الثلاث لتفاقمة بحكم المصالح التى يمثلها وطبيعة النظام القائم، وادراكا منه لاتساع الحركة المعادية للحرب العدوانية فى فيتنام، تقرر ان يقوم برحلة الى ست من حليفاته الاسيويات ولعقد مؤتمر مانيلا للدول التى تحارب فى فيتنام — تحت ستار انه مؤتمر «للاغراض الداخلية» كما تقول النيويورك تايمز — فى محاولة للتغلب على العزلة التى اصيبت بها الولايات المتحدة من جراء الحرب الفيتنامية، ولمحاولة اضفاء طابع جماعى ودولى على هذه الحرب، والدفع بسياسة سوق الاسيويين الى محاربة الاسيويين .والتخفى وراء ستار عقد مؤتمر «سلام مشرف» .

والواقع ان عقد هذا المؤتمر دليل على عزلة الولايات المتحدة فقد علق المراقبون على انعقاده بان البلاد المشتركة فيه لا تمثل اكثر من ٥٪ من مجموع سكان آسيا من ناحية ، فضلا عن انها حكومات عميلة ومنبوذة من ناحية اخرى .فالشعب الفيتنامى، كما يقول روبرت كيندى، لا يريد المارشال كى،ورئيس الفلبين له قصته المشهور فى الفساد والتآمر الذى وصل الى حد قتل خصومه السياسيين، ويؤكد معارضوه انه اتفق مع الولايات المتحدة على بيع ٢٠٠٠ جندى للحرب فى فيتنام مقابل ٥٥ مليون دولار، اما الطغمة الحاكمة فى تايلاند فهى تسير على هدى الجنرال سارى الرئيس السابق لبلاد، والذى اكتشف انه منح كل زوجة من زوجاته الستين عربة تاونس وقصرا فاخرا، وانه كان يتقاضى عمولة شخصية عن كل شىء .

وكان مقررا ان توجه الدعوة بعقد المؤتمر من جانب كوريا الجنوبية، الا ان تاريخ حكامها وماضيهم المرتبط بالعدوان، جعل المدبرون يكلفون ماركوس رئيس الفلبين بتوجيه الدعوة . والامريكيون انفسهم يدركون حقيقة هؤلاء المؤتمرين، فقد صرح السناتور **فولبرايت** بأن «كل هؤلاء المؤتمرين متفقين مقدما وكلهم صبياننا، وهم ليسوا سوى مجموعة من المخادعين» ، فالمؤتمر ليس سوى مسرح لاعلان قرارات امريكيه . تنفذ بالفعل بعد اعطائها طابعا آسيويا .

وانتهى «مؤتمر المتدينين» — كما وصفه الامير **سيهانوك** — دونما شىء جدى، ولم تنجح حملات الدعاية الضخمة ، التى جند لها حوالى الف صحفى، صحب مائتان منهم جونسون من الولايات المتحدة .

وقد بلغ عدد المتظاهرين ضد جونسون فى استراليا ٢٠٠٠، شخص قذفوه بالطماطم والاصباغ ووصفوه بأنه هتلر جديد ، وبلغ عددهم فى مانيلا ذاتها (رغم حراسه ٣٥٠٠ جندى ثلاثة آلاف متظاهر .ونفس المصير لاقاه جونسون فى نيوزلندة وفى كوريا الجنوبية، بل وحياه ثوار فيتنام بتسعة عشر هجوم فى ليلة افتتاح مؤتمره .

والواقع ان اهم ما جاء فى البيان الختامى ،هو العرض الذى هللت له اجهزة الاعلام الغربية والخاص باستعداد القوات الامريكية للانسحاب بعد ستة اشهر من توقف اعمال «التسلل والتخريب والعنف القادمة من الشمال وسحب القوات الشمالية» وفضلا عن ان الاقتراح غير جديد، فهو يمثل قلبا خطيرا للواقع بتصوير العدوان وكأنه قادم من الشمال .اما باقى فقرات البيان عن التعاون والتساند وما اليه فهو كلام مكرر ومعاد .ويتفق الجميع على ان المؤتمر فشل، سواء فى الوصول الى اتفاقات جديدة ،او فى خداع الرأى العام العالمى، يؤكد هذا قول السناتور الديمقراطى البرت جور انه يرجو «الا يترتب على فشل مؤتمر مانيلا اقدام الرئيس جونسون على توسيع العمليات العسكرية فى فيتنام» .ولكن امنية السناتور لم تتحقق فسرعان ما ارسل جونسون مكنمارا الى فيتنام فى ثامن رحلة له ، والمعروف ان عقب كل رحلة له « تتصاعد » العمليات العسكرية. وقد اعلن بالفعل ان عدد القوات الامريكية سيرتفع الى نصف مليون جندى .وبذا فان رحلة الاربعين الف كيلو لم تتقدم خطوة واحدة فى سبيل السلم .

■ المانيا الغربية

مستشار جديد أقل ((أطلنطية))

يجمع عدد كبير من المراقبين السياسيين على أنه مهما قيل بشأن تمثيل كل من **كورت كيسينجر** المرشح الحالى للمستشارية ، وسلفه **ايرهارد** لنفس السياسة الاساسية للحزب الديموقراطى المسيحى ، الا أنهم يرون أن لمجىء كيسينجر المتوقع سيحمل معه على كل حال ، بعض التغيير فى السياسة الالمانية عامة ، وفى العلاقات الالمانية — الامريكية والالمانية الاوربية على نحو خاص .

ويعتقد هؤلاء المراقبون ، ان هناك اسبابا مباشرة وأخرى غير مباشرة لهذا التغيير فى شخص المستشار الالمانى . ومن أهم الاسباب المباشرة للتغيير ، هو الخلاف بين ايرهارد وممثلى الحزب الديموقراطى الحر فى الائتلاف الحاكم ، حول اسلوب مواجهة ايرهارد للعجز فى ميزانية عام ١٩٦٧ ، وهو الخلاف الذى ادى الى انسحاب ممثلى الديموقراطى الحر من الائتلاف وفقدان ايرهارد للاغلبية المطلوبة وسقوطه . اذ بينما كان يرى ايرهارد مواجهة العجز (ويبلغ حوالى ٤ مليار مارك) عن طريق زيادة معدلات الضرائب على السجائر ، والزيوت المعدنية ، والاجور، ومبيعات وارباح الشركات، كان الحزب الديموقراطى ،كممثل لكبار رجال الاعمال وجانب من الراسمال العاجل فى الصناعة الالمانية — يرى ، ان من غير صالحه زيادة الضرائب على ارباح ومبيعات الشركات ، وبالتالى يرى هذا العجز عن طريق

ضغط النفقات الاجتماعية والاعانات وضغط ميزانية الدفاع . والحقيقة ان المسئولية الاساسية في احداث هذا العجز تقع على عاتق ايرهارد والذي رضخ للمطالب الامريكية التي توجب على المانيا ضرورة شراء اسلحة امريكية بحوالي ٥١٠٠ مليون دولار كتعويض لتكاليف اقامة القوات الامريكية داخل الاراضي الالمانية .

الا ان هؤلاء المراقبين يرون بالرغم من ذلك ، ان عجزا يبلغ ٤ مليار مارك ، من ميزانية تبلغ ١٥٠ مليار مارك (وهي ميزانية الاتحاد والولايات) ، انما هو عجز غير ضخم على كل حال ، ولا يمكن ان يفسر وحده سقوط ايرهارد ، ويرون ان اسبابا أخرى وغير مباشرة تجمعت معا وادت الى اقصائه ، مثل اشتداد حدة التضخم وارتفاع الاسعار وهبوط الانتاج وتجميد أجور العمال ، وزيادة الضرائب ، بالاضافة الى اشتداد المظاهرات العمالية المطالبة بزيادة الاجور ، وتزايد السخط على قانون الطوارىء الذى تحركت ضده ٦ اتحادات عمالية تضم غالبية عمال المانيا الغربية ، بالاضافة الى الفضائح المالية بين كبار موظفي وزارة الدفاع (وبلغت الرشـــوة في احداها ١٢٨ مليون مارك) ، وتكرار حوادث طائرات «ستار فايتر » المشتراة من الولايات المتحدة (سقوط ٦٣ طائرة منها ومصرع ٣٤ طيار الماني) ، كل ذلك مع الفشل في العــلاقات مع فرنسا وتزايدها سوءا باستمرار ، وكذلك الفشل في العلاقات العربية ، ومع السوفييت ، مع عدم احراز ايرهارد اى تقدم فيما يتعلق بالهدف الاكبر بالنسبة لجميع الالمان ، وهو وحدة شطري المانيا ، كل ذلك مجتمعا هو الذى ادى الى نهايـــة ايرهارد .

الا ان المراقبين يضعون فشل التعاون الالماني — الامريكى في موضع خاص بالنسبة لهذه المشاكل جميعا والتي أودت بايرهارد ففشل هذا التعاون في تحقيق الامال التي كان الرأى العـــام الالماني يعول عليها بالنسبة للقوة النووية المتعددة الاطراف ، التي كانت ستتيح لبون ان تضع يدها على «الزناد» النووى ، وتتيح لها امكانية التحول لدولة نووية ، هذا الفشل كان له أثر كبير على الرأى العام الالماني ، وما لوحظ أخيرا هو حدوث ما اعتبره بعض المراقبين « تقاربا » بين موسكو وواشنطون في الابحاث السرية القائمة لمنع تسرب وانتشار الاسلحة الذرية وأبرام اتفاق بين البلدين بهذا الشأن ، سيقضي — لو تم — على امل الالمان في امتلاك السلاح النووى ، ولذا فقد طرح ذلك على عدد من الساسة الالمان ، مسألة العودة الى الصداقة مع باريس ثم مع موسكو ونبذ سياسة ايرهارد — شرويدر الاطلنطية التي حطمت التعاون الالماني — الفرنسي لصالح التعاون الالماني الامريكي . هذا ويلمح المراقبون داخل المانيا ، بروز مشاعر قومية تضع مصالح المانيا أولا ، ثم مصالح أوربا ، وتشبه المشاعر القومية في سياسة ديجول الفرنسية . وهذه المشاعر لاتوجـــد فحسب بين الاتجاه المسمى «بالديجولي» في الحزب المسيحى الديموقراطى والذى يتزعمه فرانز شتراوس في بافاريا وهو الاتجاه الذى لعب الدور الاساسي في ايصال كيسنجر الى المستشارية وانما هي توجد أيضا داخل حزب المعارضة الاشتراكي الديموقراطى

والمعروف عن كيسنجر المرشح الجديد للمستشارية انه لم يحاول يوما اخفاء اتجاهاته القومية ، أو ارائه عن أن التعاون الالماني مع الولايات المتحدة على حساب فرنسا ، لم يعد بأية فائدة على المانيا أو على قضاياها . وقد صرح كارل فون هازي المتحدث الرسمي باسم حكومة المانيا الغربية : «ان الذين يعرفون مافعله كيسنجر من أجل العلاقات الفرنسية الالمانية ، ومن أجل العالم العربي ، لن يتأثروا بالمبالغات التي تثار حول ماضيه (عضوية الحزب النازى) . هذا وبالرغم مما يتردد عن ميل كيسنجر لبعث الصداقة من جديد مع فرنسا ، الا ان آراءه لا تتطابق بالضرورة مع فرانز شتراوس زعيم من يسمون « بالجيوليست » الالمان ، فقد رفض كيسنجر مثلا الالتزام بتأييد اقتراح شتراوس القائل بأنه ينبغي على اوربا الغربية الموحدة ان تمتلك قوتهـــا الذرية الخاصة بها ، وهو الاقتراح الذى لايلقى ترحيب واشنطون . هذا ويرى ايرهارد الجمهورية في قيام ائتلاف كبير بين الديموقراطيين المسحيين والاشتراكيين الديموقراطيين ، وهو الائتلاف الذى يمكن ان يسد الطريق على الاحزاب الصغيرة ، كالحـــزب الديموقراطى الوطنى (الذى يوصف بالنازية) والذى نال ١٥ مقعدا في بفاريا أخيرا غير ان الحزب الاشتراكي قد أعلن شروطه للدخول في مثل هذا الائتلاف وهى : التخلى عن رغبة المانيا في الاشتراك في التسلح النووى ، ايجاد اتصالات مع المسئولين في المانيا الشرقية ، العمل على انشاء علاقات دبلوماسية مع دول أوربا الشرقية

أما فيما يتعلق بالمشكلة الصهيونية ، فقد أصدر كيسنجر عدة تصريحات اعلن فيها ، « انه كان نازيا بالاسم فقط » ، و «انه كان يعارض اضطهاد اليهود» ، و «انه يؤيد توثيق العلاقات مع اسرائيل» ، الا أن اسرائيل والمنظمات الصهيونية شنت هجوما عنيفا عليه : اولا لان نجاحه حطم آمالهم التي تعلقت براينر بارزل زعيم الاغلبية في البرلمان ومرشحهم للمستشارية والذى لم ينل غير ٢٦ صوتا مقابل ١٣٧ لكيسنجر . وثانيا لان الدوائر الصهيونية ترغب بهجومها ، الى عمل نوع من الضغط النفسي على كيسنجر لكى يصبح مهيئا في حالة نجاحه ، الى الخضوع لمطالب اسرائيل والصهيونية العـــالمية ،

الا انه أيا كانت تطورات الوضع ، فأن ماتعتقده واشنطون اليوم ، هو أن كيسنجر لن يسير في نفس الاتجاه الذى سار فيه سلفه ايرهارد ، وأنه سيبتعد بحذر من الخطر الامريكي متجها الى اقامة علاقات افضل مع الجنرال ديجول .

●

■ **اليـــونان**

ســـــؤال عن البرلمـــــانيـــة
كـــيف تجيب عليـــه اليـــونان ؟

بيرى

عديد من المعلقين السياسيين ، ان تقديم اعضاء المنظمة « اسبيدا » اليسارية الى المحاكمة ، انما هو حلقة من حلقات العمل الملكى ضد حزب اتحاد الوسط وزعيمه جورج باباندريو خاصة ، وضد اليســـار اليوناني عامة . وحزب اتحاد الوسط هو القوة الحقيقية التي كانت تواجه الملك واليمينيين المتطرفين ، بأغلبيتها البرلمانيـــة التي كانت عند بداية الازمة ١٧٣ مقعدا من ٣٠٠ ، وكانت بالتالي قادرة على اسقاط اى حكومة يختار الملك رئيسها .

وكانت القوى اليمينية والملكية قد رسمت خطتها منذ بداية الازمة على أساس تفتيت وتحطيم حزب اتحاد الوسط ، واضعاف زعامة باباندريو الشعبية . ولم يكن تكليف الملك لجورج نوفاس وهو من أقطاب اتحاد الوسط بتأليف وزارة جديدة ، عقب استقالة باباندريو ، الا الخطوة الاولى في هذه الخطة ، وقد اسفر هذا التكليف عن احداث تشتت في صفوف اتحاد الوسط ، ترتب عليه تأييد ٤٢ نائبا من نوابه ، لنوفاس وانسلاخهم عن باباندريو ، وكان ذلك نجاحا مؤقتا للملك حينذاك ، الا أن اتحاد الوسط الذى كان لا يزال يتمتع بالاغلبية البرلمانية ، استطاع اسقاط جورج نوفاس .

وكانت الخطوة الثانية هى تكليف الملك لستيفانوس ستيفانوبولوس وهو ايضا من اقطاب اتحاد الوسط ، بتأليف وزارة جديدة . ولكنه رفض تشكيلها لامتناع اغلبية نواب اتحاد الوسط عن تأييده والتفافها حول باباندريو ، الا ان عمليـــة تكليفه اسفرت على كل حال ، عن تشتت جديد في اتحاد الوسط ، التف فيه ٢٦ نائبا جديدا من الحزب حول ستيفانوبولوس . وبذا خسر اتحاد الوسط في الخطوتين ، ٤٧ نائبا وفقد بالتالى اغلبية المطلقة في البرلمان . الا أن اتحاد الوسط الذى تبقى له ١٢٦ نائبا ظل هو اكبر كتلة في البرلمان ، وتلاه مباشرة حزب الاتحاد الراديكالى اليمينى وكان له حينذاك ١٠٥ نائبا ، وكان الحزب التقدمي اليمينى برياسة ماركزينيس ١٠ نواب .

وقد جاء تكليف الملك لالياس تسيريموكوس وهو من اقطاب

اتحاد الوسط ايضا بتأليف الوزارة الجديدة ، كحلقة اخرى في سلسلة الخطة اليمينية ، وتصادف في ذلك الوقت ان اعلن **سافاس بابا بوليتيس** زعيم احدى شعب اتحاد الوسط قطع صلته بباباندريو ، فزاد ذلك من الاضرار التي لحقت بوضع اتحاد الوسط . على انه اذا كانت وزارة تسيريموكوس التي جاء بها ائتلاف المنشقين على باباندريو مع المعارضة اليمينية لم تستطع ان تستمر اكثر من اسبوعين ، بسبب معارضة نواب الحزب التقدمي اليميني (الذين أصبحوا ٨ حينذاك) لهاء لذا كلف الملك ستيفانوبولوس ثانية بتأليف وزارة جديدة ، وتكونت من ائتلاف المنشقين والقوى اليمينية الاخرى باغلبية ضئيلة للغاية (صوت واحد فقط) .

وعلى الرغم من ان تلك العملية قد اضرت في حصيلتها النهائية ، بالوضع البرلماني لاتحاد الوسط ، الا ان التوعية التي صحبت الصراع قد حققت له من ناحية أخرى ، قبوة جماهيرية متزايدة وسط الشعب اليوناني ، كما زادت من قوة الحركة الجماهيرية اليونانية نفسها واحساسها بالعداء للملكية ومساوئها ، لدرجة اشار فيها بعض المعلقين حينذاك الى اختفاء اليمين الذي يميل للملكية من المدن الصغرى وقرى الاقاليم، وتحول الارهاب السيكولوجي في القرى ضد اليمين ، بعد أن كان منذ عامين ضد اليسار ، بالاضافة الى اهتمام الجنود بالمعركة السياسية لدرجة نصح فيها الضباط الحكومة بعدم التدخل عسكريا لعدم ضمان ولاء الجند . كذلك فضحت عمليات التوعية المصاحبة للحملة ، الطابع « الاقطاعى » للملكية اليونانية التي لا تزال تعتبر البلاد ملكية فردية خاصة بها ، ودورها في عرقلة تطور الاقتصاد اليوناني في اتجاه حديث ، وتكديسها الاموال في البنوك الاجنبية ودعمها العديد من الاحتكارات العاملة في الاقتصاد اليوناني .

وتكشف التصريحات الاخيرة للبروفيسور **اندرياس باباندريو** ابن جورج باباندريو زعيم اتحاد الوسط ، عن مدى ثقة حزب اتحاد الوسط في قوته ، بالرغم من عمليات التفتت السابقة ، وايمان الحزب بامكانية انتصاره في الانتخابات البرلمانية القادمة اذ أوضح اندرياس باباندريو : « ان القصر والحكومة يحاولان ابعادنا عن الحكم ، ولكننا سنحصل على أغلبية ٦٠٪ في الانتخابات المقبلة في ظل ايةطريقة او قواعد يضعونها لاجراء هذه الانتخابات ، وسنحصل على الاغلبية وسنعود الى الحكم مرة ثانية » ، هذا بالرغم من ان كتلة اتحاد الوسط البرلمانية اصبحت تتكون الان من ١٢٠ نائبا فقط . ويرجع مصدر تلك الثقة في نظر العديد من المراقبين السياسيين الى أن القوى الديموقراطية والتقدمية في اليونان ، قد زاد عددها خلال العام الماضي . كما ان اتحاد الوسط كحزب ، تطور مع جماهير نفسها واصبحت مبادئه الايديولوجية ، اكثر عمقا وقوة عن الفترة الماضية . ومما له مغزاه ان اتجاهات عامة جديدة ظهرت تطالب بالسماح بعلنية تكوين الحزب الشيوعي اليوناني . ويدعو اندرياس باباندريو وزملاؤه من العناصر النشطة في اتحاد الوسط ، الى اتباع اليونان لسياسة مستقلة ، تعتمد على جيش وطني حقيقي في الداخل ، لا يخضع لتأثير القصر الملكي أو القوى الاجنبية ، وتقوم على اعتبار الملك « يملك ولا يحكم » وعلى أساس توجيه الاقتصاد لصالح جماهير الشعب اليوناني وليس عن طريق الاوليجاركسية اليونانية «الممتازة» التي تضم الرأسمالية الكبيرة والقوى الاجنبية .

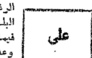
ويرى عدد من المراقبين ، انه ربما لم يستهدف ببدء المحاكمة في ذلك الوقت ، مجرد عقاب المشتركين في « اسبيدا » او محاولة النيل من شعبية باباندريو وحزبه ، ونفوذ اليسار اليوناني فحسب ، وانما استهدف منها ايضا محاولة توحيد اليمين اليوناني المؤتلف في حكومة ستيفانوبولوس . خاصة وقد دب الانقسام في صفوف هذا اليمين اخيرا لدرجة دفعت الحزب الراديكالي اليميني (وله في البرلمان حاليا ٩٩ نائبا) الى سحب ممثله في الحكومة ، كما تفاقم الانقسام بعد ذلك لدرجة طلب فيها رئيس الحكومة من وزرائه ، اعداد استقالاتهم تمهيدا لتغيير وزاري جديد ، وذلك قبل اعلان بدء المحاكمة بثلاثة ايام .

على أن التطور الذي لاحظه أغلب المراقبين هو أن هذه المحاكمة لم تحقق الاهداف التي علقتها عليها الملكية اليونانية واليمين عامة ، اذ أنها ادت على عكس ما استهدفوه ، الى مزيد من تعاطف الحركة الجماهيرية مع المتهمين وباباندريو واتحاد الوسط . والمسألة التي تشغل بال المراقبين التقدميين بالرغم من ذلك ، وتعطي للمسألة اليونانية اهمية نظرية خاصة في الوقت الراهن ، هي : هل ستسمح الملكية واليمين اليوناني ، لباباندريو وغيره من القوى المتقدمة الاخرى في اليونان ان يهزموهم عن طريق العمل البرلماني ، ام انهم سيقطعون هذا الطريق بأى وسيلة كانت ، شرعية او غير شرعية ؟ ، لانه من واقع الاجابة على هذا السؤال ، يمكن ان يصدر حكم جديد، من تجربة جديدة لصالح فكرة الديمقراطية البرلمانية التقليدية ، او ضدها ، وذلك هو ما يعطى لتطور الاحداث في اليونان خلال العام القادم أهميته السياسية غير العادية .

●

بلغاريا

مصير مؤتمر القمة الشيوعي



الرغم من ان المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي البلغاري ، قد اتخذ قرارات ذات اهمية ، فيما يتعلق بمعدلات التطور الاقتصادي للبلاد وعديدا من القرارات المختلفة الاخرى ، الا ان اقتراح السيد **تودور جيفكوف** السكرتير الاول للحزب البلغاري بشأن عقد مؤتمر شيوعي عالمي لبحث الوسائل الكفيلة بتحقيق الوحدة ورأب الصدع الصيني – السوفيتي قد اثار عددا اكبر من التعليقات في الاوساط السياسية والصحفية العالمية .

وقد حضر هذا المؤتمر ، ممثلون لما يزيد عن ٧٠ حزبا شيوعيا وعماليا ، ومندوبين عن المنظمات الديموقراطية من كافة انحاء العالم . وبسبب زيادة عدد اعضاء الحزب البلغاري الى ٦١١ر٧٤٤ عضوا في اول اكتوبر سنة ١٩٦٦ وبسبب تحسن نسبة التمثيل في المؤتمر (لكل ٤٠٠ عضو حزبى ، مندوب) ، فاق عدد المندوبين الحزبيين الذين شهدوا هذا المؤتمر ، عددهم في كل المؤتمرات السابقة التي عقدت منذ تأسيس الحزب الشيوعي البلغاري من ٧٥ عاما .

وقد حدد المؤتمر الانتصارات التي حققها الحزب والجمهورية البلغارية في السنوات الاربع الماضية التي تلت المؤتمر الثاني ، وحدد المهام المقبلة للبناء الاشتراكي في الفترة القادمة حتى سنة ١٩٧٠ ، كما قام بانتخاب الهيئات المركزية للحزب الشيوعي . وقد القى السكرتير الاول **تودور جيفكوف** ، تقرير اللجنة المركزية للحزب ، وقدم السيد **تودور براهوف** تقرير لجنة المتابعة المركزية . وفي الجلسة الختامية انتخب المؤتمر الهيئة الموسعة للجنة المركزية للحزب ، التي انتخبت بدورها الاعضاء الاصليين والاحتياطيين للمكتب السياسي للجنة المركزية والسكرتارية ، واعيد انتخاب تودور جيفكوف سكرتيرا اولا للجنة المركزية للحزب .

وقد اوضح تقرير السكرتير الاول للحزب ، ان بلغاريا قد حققت واحداً من أعلى معدلات النمو في المعسكر الاشتراكي وفي العالم . بلغ متوسطه سنويا ٧ ٪ للدخل القومي ، ٧ر١١ ٪ للانتاج الصناعي ، ٥ر١٤ ٪ للتجارة الخارجية . كما حدثت تغييرات هامة في هيكل سياسة التصنيع ، فاصبحت الصناعة الثقيلة تساهم باكثر من الثلث في الانتاج الصناعي العام ، كما ان ثمن الالات والادوات المصدرة اصبح يتجاوز الان ، ثمن المنتجات الزراعية المصدرة والتي كانت المواد التقليدية في صادرات البلاد . وكما اوضح جيفكوف ، فقد اعيد فحص تقييم الاهداف المحددة للخطة الخمسية (سنة ١٩٦٦ – ١٩٧٠) بطريقة تؤدي الى ان تصبح بلغاريا في سنة ١٩٧٠ بلدا متقدما اقتصاديا ، ومنتعا . وهكذا فمن

المنتظر زيادة الدخل القومى بنسبة ٥٠ ٪ خلال الـ ٥ سنوات القادمة ، فى مقابل ٣٨ ٪ بين سنة ١٩٦٠ — ١٩٦٥ ، وتضاعف انتاج الكهرباء ، وتضاعف انتاج الصلب ٤ مرات (من ٦٠٠٫٠٠٠ طن الى ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ طن) ، والغاز الطبيعى بنسبة ١٠ مرات . اما التطور الذى يبدو اكثر جراة ، ففى ميدان الانتاج الزراعى الذى تحدد وجوب زيادته فى الفترة القادمة بنسبة ٦ ٪ مقابل ٢ر٣ ٪ فى الخطة الماضية .

وقد اوضح مندوبو الحزب فى المؤتمر ان البلاد ستغطى فى سنة ١٩٧٠ ١/٢ احتياجاتها من الصلب فى مقابل تغطيتها لـ ٣٠ ٪ من هذه الاحتياجات الان ، كما ستغطى ايضا ١/٢ احتياجاتها من الالات . ولهذين القرارين اهمية كبيرة فى نظر المراقبين الاقتصاديين ، من ناحية دلالاتهما على المعدلات المتقدمة التى وضعها الحزب الشيوعى البلغارى نصب عينيه . هذا وستستمر بلغاريا فى استيراد البترول السوفيتى الضرورى لصناعاتها ، وان كانت ستواجه ايضا مسألة زيادة ما يمكن استخراجه محليا من البترول فى المستقبل بحيث يصل الى مليون طن خلال ٥ سنوات . الا ان الملاحظ ان ما قيل بشأن اصلاح الادارة ، لم يحوى قرارات جديدة ، وقد اشار جيفكوف الى ان المشروعات التى استخدمت فيها انظمة الادارة المرنة ، ازدادت الانتاجية فيها الى ٣ر١٥ ٪ فى الشهور التسعة الاولى من سنة ١٩٦٦ مقابل ٣ر٦ ٪ فى المشروعات الاخرى . ومما هو جدير بالذكر ان جيفكوف قد اشار الى ان دخل السكان قد زاد بنسبة ٢٥ ٪ خلال الخطة الخمسية الرابعة ، الا ان مشكلة الاسكان لم تحل كلية ، كما تجرى عملية تقريب الفوارق بين المدينة والريف .

وبالنسبة للعلاقات الخارجية ، اوضح التقرير ان تقوية التعاون بين بلغاريا ورومانيا ويوجوسلافيا ، وتحسين العلاقات مع اليونان وتركيا ، كان لها تأثير مناسب على المناخ السياسى العام فى الطبقات ، كما اشار الى ان بلغاريا ، قد اتخذت من جانبها ، عدة اجراءات لجعل العلاقات طبيعية بينها وبين دولة البانيا ، واشار ايضا الى الصداقة التقليدية بين الشعبين البلغارى والفرنسى والتى تقوت اخيرا بشكل كبير ، ووجدت تعبيرا عنها فى تشابه مقترحات البلدين ، بشأن عدد من المسائل الدولية وبخاصة تلك المتعلقة بالامن الاوربى .

والحقيقة ان من اهم ما اثار انتباه المراقبين السياسيين الى مؤتمر الحزب البلغارى هذه المرة ، هو تباين موقف الاحزاب الشيوعية وحتى المعروفة بصداقتها للحزب السوفيتى من اقتراح جيفكوف بعقد المؤتمر الشيوعى العالمى . وقد اشار مايتون ممثل حزب المانيا الديمقراطية الى «ان الوقت قد حان لاتخاذ خطوات عملية » لارساء وحدة الحركة الشيوعية ، دون ان يحدد هذه الخطوات . كذلك فان السيد **سترزيليتسكى** المندوب البولندى ، مع انه انتقد موقف الصينيين فيما يتعلق برفضهم وحدة العمل بالنسبة لفيتنام ، الا انه التزم الصمت فيما يتعلق بالاقتراح البلغارى ، كما التزم الصمت ايضا ، السيد **نجوين زوى تران** ممثل فيتنام الشمالية وعضو المكتب السياسى الذى حمل رسالة من الرئيس **هوشى منه** تضمنت توجيه التحية « للاتحاد السوفيتى ، والصين ، والبلاد الاشتراكية الشقيقة الاخرى ، للمساعدة التى يقدمونها لبلاده فى كفاحها » كما شكر المندوب الفيتنامى الشمالى لبلغاريا مساعداتها .

هذا وقد كان **نيكولاى شاوسيشكو** سكرتير الحزب الشيوعى الرومانى من اكثر المصممين على الاتجاه المعارض لعقد تجمع يمكن ان يؤدى الى عزل الحزب الشيوعى الصينى عن الحركة الشيوعية العالمية ، وقد اوضح : « انه لا يجب الاقدام على شىء يعمق الخلافات ويزيد خطر الانقسام » . وربما اعتبر بعض المراقبين ان مندوب الحزب الشيوعى الايطالى السيد **ناتا** قد تجاوز الموقف الرومانى فى اصراره على هذا الاتجاه ، ووفق رأيه فان الحاجة لتبادل الرأى بين الاحزاب ، هى شىء مفهوم تماما ، ولكننا « نعتقد انه لكى يصبح المؤتمر العالمى نافعا ، من الضرورى فى المحل الاول ، ان نقرر ما هى آراء جميع الاحزاب ، وان نضع فى حسابنا الموقف المحدد الذى يمارس فيه كل حزب نشاطه » . وقد اعتبرت هذه اشارة لاخذ رأى الاحزاب غير الممثلة فى مؤتمر صوفيا ، أى الحزبين الشيوعيين الصينى الالبانى . ويرى بعض المراقبين ان هذه النظرة تتطابق من الناحية الاساسية مع ما اعتبره ممثلو الـ ١٩ حزبا المجتمعين فى موسكو فى مارس ١٩٦٥ ، ضروريا . اما المندوب اليوجوسلافى **فيسيلنوف** فاستخدم لغة مختلفة عن الشيوعيين الرومانيين والايطاليين ، واكد على مسألة حق الاحزاب فى رسم خط سيرها بكل استقلالية ، وقرر مقاومة اى محاولة « للقادة الصينيين او غيرهم » لفرض سياسة معينة .

ويوجه عام لم يكن هناك اجماع حول الاقتراح البلغارى . وبعض المراقبين لايعزون ذلك لاعتبارات سياسية ، بل انه ربما لم يصل هذا الاقتراح الى علم بعض الاحزاب الشيوعية فى وقت كاف يسمح لها باعطاء تعليمات متصلة به الى مندوبيها ، مما اضطرهم الى التزام الصمت فى المؤتمر . غير ان البعض الاخر يفسرها على اساس انه تعبير عن احساس متزايد بالمسئولية ازاء اخطار هذا الانقسام ، جاء نتيجة تزايد اشعاع مواقف الاحزاب الشيوعية التى تسمى « بالمحايدة » والتى لا تنحاز لفريق معين ، ولا تدين بحزم الفريق الاخر . وعلى كل ، فايا ما كانت صحة هذه التفسيرات يرى كثير من المراقبين ان انعقاد مؤتمر الحزب المجرى يمكن ان يضع النقط فوق الحروف بالنسبة لهذه المواقف .

ومما هو جدير بالذكر ان السيد **حسين ذو الفقار صبرى** قد رأس وفد الاتحاد الاشتراكى العربى الى المؤتمر ، والذى اشترك فيه الدكتور **ابراهيم سعد الدين** امين المعهد الاشتراكى العالى . وقد القى السيد ذو الفقار صبرى خطابا فى المؤتمر اشار فيه الى ازدياد توثق العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وبلغاريا على اساس مبدأى السلام والحرية . كما حيا المؤتمر التاسع للحزب البلغارى بعاصفة حماسية من التصفيق ، رسالة التحية التى وجهها له الرئيس **جمال عبد الناصر** .

●

■ **مسرح**

بداية الموسم المسرحى فى القاهرة

ابتدأ الموسم المسرحى هذا العام فى النصف الثانى من الشهر الماضى بفرقة **مسرح الحكيم** التى قدمت مسرحية « الراجل اللى ضحك على الابالسة » ، وعنوانها الاصلى « الراجل اللى ضحك على الملايكة » وقد اصرت الرقابة على تغيير كلمة « ملائكة » بكلمة « ابالسة » رغم عدم تمشى تلك الكلمة الاخيرة مع شخصيات المسرحية او مضمونها، ورغم ان المسرحية لاتحتوى على اى معنى دينى ولا تحمل اى اشارات دينية على الاطلاق وقد استغرقت قضية الرقابة مع ذلك العمل المسرحى الاول فى الموسم كله فترة طويلة من الوقت ضاعت فى مناقشات حول المدى الذى ينبغى ان تصل اليه الرقابة على الاعمال الفنية فى فرض سلطانها على مايكتبه الكتاب انتهت بادانة الرقابة ادانة تامة حيث تبين اليوم — مثلما تبين من قبل — انه ليس ثمة قانون يحكم تلك العملية وينظمها وانما المسألة كلها مرهونة بعقلية الرقباء كافراد مما يجعل من الاعمال المجازة فى مكان ما غير مصرح بها فى مكان آخر تبعا لاختلاف شخصية الرقيب . وهذا بالطبع قد أثار ضرورة المناداة بوضع دستور واضح ومتفق عليه ، يمكن ان نقاس به عملية التصريح بعرض الاعمال الفنية على الناس .

ومسرحية الموسم الاولى التى عرضها مسرح الحكيم من تأليف على سالم ، وهو كاتب جديد شاب ، يقدم بهذا
من تأليف على سالم،وهو كاتب جديد شاب،يقدم العمل مسرحيته

رقم ٣ » ، وكلها من نوع السكوميديا ذات الطابع النقدى الاجتماعى ، وقد اعترف له النقاد فى اعماله السابقة بموهبة كوميدية مبشرة تحتاج الى صقل وخبرة . واخيرا اعترفوا له ايضا بأنه استطاع ان يحقق نوعا من التقدم والنجاح فى عمله الثالث الاخير الذى افتتح به الموسم ، وان انكر عليه البعض هذا التقدم ، متعللين بأن المسرحية ان هى الا بعض افكار اجتماعية مباشرة لم تنصهر فى تجربة حية عضوية انصهارا كاملا يجعلها فى مستوى العمل الدرامى المؤثر . وكما هى العادة جاءت الاراء النقدية شبه متناقضة وبلغت فى بعض الاحيان حد التعارض الشديد ، ولكنها فى مجموعها الكلى كانت فى صف المؤلف والمسرحية الى حد كبير ، مما يؤكد لصاحب النظرة الموضوعية ان هذا العمل يتسم بالنجاح والنضج وان شابه قليل من العيوب الفنية .

والمسرحية تحكى قصة « عبد الرحمن المهلب » وكيل مؤسسة شحن الملح ، وهى قصة الانتهازى العريق الذى يخطف حبيبة احد الموظفين الشرفاء ، ويزيف وقفا كبيرا يضم اليه كل من يستطيع ان يدفع له . وعندما ينشب الصراع بينه وبين بهجت رمز الشباب المكافح النظيف ويضربه هذا الاخير على رأسه فيفقده وعيه ينقلنا المؤلف الى فصلين تاليين من الفانتازيا نراهما فى حلم عبد الرحمن المهلب الذى فقد وعيه ، ونراه حتى فى هذه المرحلة ايضا يمارس طبيعته الانتهازية ممارسة شرسة ، فيما يفترض انه الاخر ، حيث انه لايريد ان يتصور امكان عدم نفاذ وسائله فى ظل اى ظروف ، ولكنه اذ يواجه باليقظة والتنبه والقدرة على فضح اساليبه وبالتالى على عقابه يقرر ان يتوب ويضرع الى الملائكة ان تعيده الى الحياة لمدة يوم واحد حتى يكفر عن كل اخطائه ، وما ان يسمح له بذلك اليوم حيث لم يكن فى واقع الامر ميتا ولا فى العالم الاخر بل كان تحت تأثير غيبوبة من جراء الضربة التى تلقاها على رأسه ، حتى يستيقظ ويعود الى مكتبه . وفى النهاية نراه يبدأ من جديد فى ممارسة اساليبه العادية وحياته العادية ومؤامراته العادية

وقد اخرج المسرحية نجيب سرور الذى استخدم فى البداية الراويين للربط بين احداثها وبين وعى الجمهور ، واستخدم موسيقى البيانولا للتأكيد على انهما يقصان حكاية لها مراحل مختلفة وذات طابع شعبى ، وكان الاخراج ناجحا فى مجمله ،

تعليق

المسرح الاسود وحرية الحركة

خلال الشهر الماضى قدمت فرقة المسرح الاسود التشيكوسلوفاكية ، عروضها على مسرح القاهرة للعرائس ، بعد برنامج رحلات حافل طافت فيه بلدان اوروبا الشرقية والغربية .. والولايات المتحدة وبلدان آسيا .. حتى استراليا .

والمسرح الاسود يستمد اسمه من الاسلوب الخاص الذى يقدم به عروضه ، وهو اسلوب مستحدث فى تشيكوسلوفاكيا ، يستفيد من اصل صينى قديم ، شهدت القاهرة طرف منه فى احدى زيارات فرق الباليه الصينى .

فى العرض الصينى تتضح معالم هذا الاسلوب فى لوحة التنين ، حيث يظهر على المسرح تنين ضخم يشغل فراغه ، ويتلوى فى حركاته الثعبانية على صوت الموسيقى وتبرق من داخل جدرانه الشفافة الانوار العديدة المثبتة على طول التنين . والملفت فى هذا العرض ان الحيوان الخرافى الضخم يتحرك دون ان تظهر للجمهور وسيلة تحريكه ، فيتضاعف تاثيره وايهامه الفنى . وعندما تنتهى هذه اللوحة ، تضاء انوار المسرح ويظهر تحت جسم التنين عشرات الممثلين والراقصين فى ملابسهم السوداء الكاملة وقد حملوا التنين الضخم بواسطة قطع صغيرة من الخشب مثبتة فى جسمه .

نفس هذه الفكرة ، استفاد منها الفنان التشيكى يرجى سيرنتس فى تقديم عروضه . استفاد منها كاسلوب تكنيكى . فعروضه فى طبيعتها مجموعة من المنوعات القصيرة ، ذات طابع شاعرى حينا وتهكمى ساخر احيانا . ويعتمد فى افكار منوعاته على خدعة الاشياء التى تتحرك فى فراغ المسرح دون ان يظهر من يحركها ، ويقابل بين هذه الاشياء وبين ابطاله الذين يظهرون على المسرح ، ومن هذه المقابلة يتولد المعنى الشاعرى او الكوميدى وفقا لطبيعة المنوعة .

ولم يكن هذا هو العرض الاول الذى اشاهده بهذا الاسلوب ، فقد اتيح لى فى احدى زياراتى لبراغ ان اشاهد عروض مسرح لامكوفا الاسود والذى يتبع نفس الاسلوب ونفس طبيعة العروض . لذلك لم تبهرنى جدة الاسلوب وجوه الغريب ، واحسست ان البرنامج الذى قدمته الفرقة بالقاهرة ، اقل تنويعا من حيث افكاره من البرنامج الذى شاهدته فى براغ ، واكثر اعتمادا على خدعة الاشياء المتحركة من نظيره .. وقد اعجب جمهور القاهرة بعروض المسرح الاسود التشيكى ، واقبلوا عليها اقبالا حماسيا ، الا ان بعض النقاد انتبهوا الى نقط الضعف فى هذا البرنامج . ورأوا ان تتابع المنوعات المعتمدة على نفس الخدعة يفقد المتفرج حماسه والتصاقه بالعرض .

ولا شك ان هذه الخدعة الضوئية او الاسلوب التكنيكى الخاص لا يمكن ان يقيم اود العمل الفنى ، انما هى وسيلة من وسائل العرض .. من الممكن الاستفادة منها فى اعمال متنوعة طويلة وقصيرة .

واستخدام فكرة المسرح الاسود شائعة فى مسارح العرائس ، اما باستخدام طريقة توجيه الضوء توجيها خاصا او باستخدام مصابيح الاضاءة الفوق بنفسجية . وقد استخدم مسرح القاهرة للعرائس كلا الطريقتين ، فاستخدم الطريقة الاولى فى برنامج « مدينة الاحلام » الذى قدمه منذ سنتين .. ثم استخدم الطريقة الثانية فى برنامج « الفيل النونو الغلباوى » الذى قدمه المسرح فى الموسم الماضى .

وفى مهرجان العرائس العالمى الاخير الذى اقيم فى العام الماضى فى مدينة بوخارست تنوعت اساليب استخدام تكنيك المسرح الاسود وظهرت فى ابعاد متباينة .

ويبدو ان هذا الاسلوب جاء ليحرر فنان العرائس ويتيح له نطاقا اوسع للحركة ، فالمشكلة فى مسارح العرائس هى اخفاء اللاعب الذى يحرك العروسة ، من اعلى فى حالة الماريونيت ، ومن اسفل فى حالة عرائس القفاز او العصى .. وفى كلتا الحالتين تتحدد حركة العروسة بوضع من يحركها .. وباستخدام فكرة المسرح الاسود اتيح لفنان العرائس ان يحرك عناصره فى ابعاد المسرح الكاملة دون التقيد بالخيوط او بالستائر الحاجبة

واذا كانت زيارة المسرح الاسود التشيكى وسيلة للحديث عن الاسلوب الخاص الذى يتبعه ، فهى يجب ان تكون مناسبة للحديث عن برامج المنوعات المسرحية ، وهو نوع من الانتاج المسرحى والموسيقى يكاد يختفى من مسارحنا ، رغم ما فيه من قدرة على جذب الجماهير بتنوع تفاصيل العرض وحيويته ، ورغم كونه وسيلة فعالة للنقد الاجتماعى الساخر . ولعل زيارة هذا المسرح تكون دافعا الى محاولة تقديم عروض شبيهة تسد هذا الفراغ فى حياتنا الفنية .

راجى عنايت

بالاضافة الى جودة الاداء التمثيلى الذى قام به كل من احمد الجزيرى وتهانى راشد وعبد العزيز ابو الليل وعز الدين اسلام ورشوان توفيق ومحمود العراقى وجلال عبد القادر وحسين خضر وجورج سيدهم والضيف احمد ثم عصمت عباس وفاروق نجيب فى دورى الراويين ».

● وبعد اسبوع واحد من افتتاح مسرح الحكيم افتتح **المسرح الكوميدى** — فى عهده الجديد — عرضه الاول بمسرحية « عسكر وحرامية » من تأليف الفريد فرج واخراج سعد اردش » وهذه المسرحية بالذات سبق ان قدمت فى العام الماضى » وقبيل هذا نشرت مسلسلة فى مجلة الكواكب . وحينذاك قال الفريد فرج موضحا مصادر الهامه وملقيا الضوء على افكاره الاساسية التى سيطرت عليه وهو يؤلف تلك الكوميديا : « معفن الريحانى — مرحلته الاجتماعية الاخيرة — ضحكت جماهير واسعة ضحكات تتخللها الدموع » وارتبك عديد من النقاد ، اذ انهم لم يجدوا اصولا واضحة للكوميديا الريحانية فى مدارس الفن التى بعث بها فى اوروبا رغم ان الريحانى اقتبس كل رواياته من اوروبا . ذلك ان الريحانى — مرحلته الاجتماعية الاخيرة — لم يكن الا تلميذا للريحانى كشكش بيه ، وذلك اللون المسرحى الساذج والشعبى الذى اشتهر به الكسار والجزايرلى الكبير . ماهو ؟ ومن اين استقاه ؟ » انه خليط لم يتوازن الا نادرا ... من فن اسكتشات السيرك المرتجلة بين الحاذق والمغفل ، او الزوج والعاشق ... » ومن فن القودفيل الزاعق وافتراضاته غير المعقولة ، وبقايا من جلسات ريفية وحضرية عامرة بالقافية والقفشات ، ومحاكاة العمدة وغيره السذاج ... وما الى ذلك » خليط ثبتت اقدامه بقوة واجتذب الجماهير رغم انه لم يستمد اصوله من مصادر الفن التى بعث بها ومن التعسف ان ننكر عليه لذلك السبب مشروعيته وخصاله الفنية » ذلك ان الفنيين مهما كان المصدر الذى يستمد منه فنه يستطيع ان يطوع المادة الهشة والتكتيك الساذج لقوة عقله ويصنع من اضعف الادوات فنا له قيمته . والريحانى دليل ماثل على ذلك » ان الريحانى انطلق من ارض هشة وغير ثابتة ولكنه استطاع بحدس الفنان وقوة موهبته ان يؤسس عناصر فنيه حقيقية لهذا الفن الكوميدى الملفق . ومن ثم اجتذب له الجماهير بمختلف مستوياتها . وبراعة الريحانى تكمن اولا فى استخدامه ادوات هذا الفن الساذجة من اثارة واعية وعميقة للمفارقات الاجتماعية وقضايا الطبقات الفقيرة » وتكمن ثانيا فى انه اخضع الافتراضات غير المعقولة لمنطق الكاريكاتور المعقول ، فأصبح المدرس الغلبان جدا والبنت الدلوعة جدا ، والباشا اللص جدا ، والعجوز المتصابية جدا ... رغم المبالغة الشديدة والتكرار الملحوح ، مقبولة لدى الجمهور كما يقبل الجمهور ويهوى الشخصيات الكاريكاتورية فى الصحف » وزاد من ثباتها فى ميدان الفن ما تفجر به هذه الشخصيات من نقد اجتماعى اصيل . ورغم اننا ننظر للريحانى اليوم — من بعيد — على انه صاحب تأليف ضعيف وركيك الا انه ملهم » . فان كثيرا من كتابنا يحتذونه قليلا وبحذر ، ولا ينكرون عليه براعته النادرة فى مجال بناء الشخصية الكاريكاتورية » وقد شعرت وانا اشرع فى كتابة هذه المسرحية ، ذات الموضوع الاجتماعى الهزلى الشعبى ، انى لن افلت من اسار الريحانى .. وذلك دعانى ان افكر مليا فى فنه الذى لم تتح لى طبيعة دراستى ولا اتجاه كتابتى الادبية تأمله من قبل » ولمحت فيه اصوله الساذجة وبراعته فى تثبيتها فوق المنصة ، فلم اجد حرجا فى ان احتذيه فى ثلاثة اشياء : الكاريكاتور الاجتماعى الصارخ ، وبساطة التنقلات ، والتوسل بمفارقات الكوميديا والميلودراما الشعبيتين الساذجتين المستلهمتين من فن بهلوان السيرك والهزليات الشعبية الدارجة » »

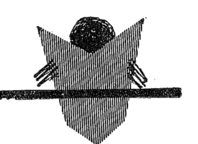
هذا ما شرح به الفريد فرج طبيعة موقفه الدرامى امام مسرحية « عسكر وحرامية » التى حدثت بظهورها مرحلة جديدة فى فنه تحمل نوعا جديدا من المسرح لم يسبق له ان تعرض له . وهذا ما لاحظه النقاد وكادوا ان يتفقوا عليه تقريبا فيما عدا قلة نادرة تناولت العمل من وجهة نظر القواعد التقليدية للدراما ، وللنوع الكوميدى بشكل خاص . ولكن ما اكد فهم المؤلف نفسه وسار معه خطوة بخطوة هو فن المخرج سعد اردش الذى حول حركة الممثلين والشخصيات الى نوع من « الاراجوز » الشعبى . فاعطى للعمل طابعة الفنى المتميز . و «عسكر وحرامية » ذات فكرة اجتماعية مباشرة وهدف اجتماعى وسياسى واضح . انها تقول بصراحة : لا مناص لكى تنجح عملية البناء الاشتراكى التى شرع فى خوضها شعبنا الا باحكام الرقابة الشعبية على كل وحدات الانتاج والعمل فى بلادنا . والاتحاد الاشتراكى — كتنظيم سياسى فعال — هو الامل الوحيد فى القضاء على اساليب الانتهازية والانحراف . وهى تقول ذلك من خلال احدى الجمعيات التعاونية الاستهلاكية التى يختلط فيها الانتهازيون بالشرفاء وتتناقض المصلحة العامة مع المطامع الخاصة :

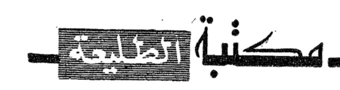
وقد ادى شخصيات هذا العمل اداء تمثيليا موفقا محمد رضا وعبد المنعم ابراهيم وانور محمد ورجاء حسين وميمى جمال وعدلى كاسب وسلامة الياس وابراهيم سعفان .

ثم كان افتتاح **المسرح القومى** — فرقة الدولة الرسمية الاولى — منذ اسبوعين بمسرحية شهرزاد التى كتبها الاستاذ توفيق الحكيم عام ١٩٣٤ ولم يقدر لها ان تصعد على خشبة المسرح على الاطلاق شأن معظم اعمال الاستاذ توفيق الحكيم الاولى . وقد قام بمغامرة اخراجها للمرة الاولى فى بداية هذا الموسم كرم مطاوع الذى حاول ان يرى فيها معانى جديدة اذ صرح لبعض النقاد قائلا ان هذه المسرحية : « تعبير عن ازمة الفنان فى طموحه الى المطلق والاسمى ورغبته فى التحليق بعيدا عن دناءات المادة والغريزة الا انه عندما يبتعد عنها ويقتلع قدميه من وحلها حتى يحس بانه قد فقد ذاتيته ولم يعد فنانا ، بل لم يعد شيئا على الاطلاق فلا يلبث ان يعود اليها صاغرا مرة اخرى فى حلقة مفرغة لا تنتهى حتى تبدأ من جديد» ومن هذا التصور شكل المخرج جزئيات العرض ببراعة حيث بدأ بمقدمة تعبيرية صارخة اذ نرى شهريار يدور بالقرص الدائرى على خشبة المسرح دورانا مجنونا لعدة مرات ثم يعود لاهثا ويرتمى عند النقطة التى بدأ منها ، وهذه الدورة نفسها حاول المخرج ان يرددها فى الحركة المسرحية بعد ذلك ، وفى طريقة الاداء التمثيلى البطىء .

ولكن العرض مع ذلك لم ينجح جماهيريا ، وحتى صفوة محبى المسرح اعتبروه — فى معظمهم — مليئا بالاجزاء المملة والتطويلات التى يحتملها المشاهد بصعوبة . وقد ارجع النقاد هذا الفشل لاسباب رئيسية اهمها ان المخرج قد اثقل النص البسيط الواضح بنوع من البهرج الشكلى طمس معالمه ، وانه استخدم ديكورا « وحشيا » وموسيقى مرتفعة وحركة صاخبة لمعالجة نص كان ينبغى ان يقدم بنعومة شديدة وببساطة اشد » اى ان نقطة ضعف المخرج — رغم مهارته التى لا تنكر — هى عدم قدرته على احداث التوازن بين طبيعة النص وبين طبيعة الاخراج » والنقطة الثانية التى اثيرت ايضا هى انه لم يوفق على الاطلاق فى اختيار الممثلين لاداء الشخصيات الرئيسية ، وهؤلاء الممثلون هم نجوم المسرح القومى — سناء جميل ، محمد السبع ، سامى طوم ، عبد الرحمن ابو زهرة » والنقطة الثالثة هى ان النقاد رأوا فى شهرزاد معانى مخالفة لما ذهب اليه المخرج ، وان التفسير الذى رآه هو تفسير ثانوى — يمكن ان نسلم بوجوده — بالقياس الى رؤية توفيق الحكيم الاساسية لمن يتتبع فلسفته وتطور تفكيره وهى **نظرته الى المرأة** .

ومع ذلك فقد اجمعت الاراء على براعة المخرج حتى ان ناقدا قال « انها مسرحية كتبها استاذ واخرجها استاذ ومثلها اساتذة . » » وهو يؤكد ان اعمال توفيق الحكيم — على عكس ما شاع عنها — قابلة للعرض المسرحى





الاعلام والتحول الاشتراكى

● تأليف الدكتور مختار التهامى

الكتب

الجامعية التى وضعت من زاوية اشتراكية علمية نادرة . وكتاب الدكتور مختار التهامى « الاعلام والتحول الاشتراكى » واحد من هذه الكتب الاصيلة ، التى لا تكتفى بوضع عنوان اشتراكى لكتاب كل ما فيه دعاية للقيم والفلسفات الراسمالية كما جرت عادة الكثيرين فى الفترة الاخيرة .

فكتاب الدكتور التهامى فيه رأى واجتهاد ، لاتعدو الحقيقة ان قلنا أنه أول ماكتب عن الموضوع من هذه الزاوية فى المكتبة العربية ، فضلا عن سلاسته فى العرض وطرافة ماورد به من معلومات وبيانات .

والكتاب ينقسم الى خمسة أقسام ، تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة ، اما المقدمة التى عنونها المؤلف بالعنوان التالى : «مقدمة فى نظريات الاعلام والتخطيط الاعلامى فى مرحلة التحول الاشتراكى» فهى من أهم اجزاء الكتاب ، وتعد تمهيدا نظريا وسياسيا ينم عن فهم موضوعى لطبيعة المرحلة ، وبالتالى لمقتضياتها . فالتعجيل بالتحول الاشتراكى فى بلادنا ، كما يقول المؤلف ، يقتضى توفر عاملين اساسيين :

ثورة مادية ، تتمثل فى زيادة الانتاج ، وثورة فكرية تتمثل فى التحول عن المثل والقيم والتطلعات البرجوازية الفردية والطبقية المتسمة بالانانية الى المثل والقيم الاشتراكية . وفى اعتقاد المؤلف أن تحقيق الثورة الثانية كفيل بتحقيق اهداف الثورة الاولى ، وان التخطيط لهذه الثورة الفكرية ، يقوم على اسس جوهرية ثلاثة هى : استكمال الاتحاد الاشتراكى وكوادره وبروزه كقوة سياسية جماهيرية مؤثرة وفعالة فى مجرى الاحداث ، وذلك يقتضى مزيدا من العمل والمعارك مع فلول الرجعية والانتهازية وأعوان الاستعمار والمنحرفين والتخطيط التعليمى ، والتخطيط الاعلامى

وفى حديثه عن التخطيط الاعلامى ونظريات الاعلام ، يشرح الدكتور التهامى ، النظريات الاربعة الموجودة فى هذا الصدد ويضيف اليها نظرية خامسة من عنده . وأولى هذه النظريات هى نظرية السلطة التى ترتبط بنظم الحكم الاستبدادية التى لاتؤمن بالديمقراطية ولا بالحريات العامة ، وتتمثل فى فكرة الحق الالهى المقدس ، وهى ترتبط فى القرن الحالى بالنظم الفاشية والدكتاتورية . أما النظرية الثانية فهى نظرية الحرية ، سواء فى الاقتصاد أو الاعلام ، وتسود فى البلدان الرأسمالية . وحيث أن الحرية الاقتصادية تطورت الى الاحتكار فى هذه البلدان ، فان مفهوم الحرية فى الميدان الاعلامى تطور من حماية الحقوق الديمقراطية الى حماية المكاسب الاحتكارية . والواقع ان التطور الاقتصادى فى صناعة الصحافة قد خدم اهداف الاحتكارات : فقد اصبحت الصحافة صناعة ضخمة تحتاج الى تركيز رءوس الاموال الكبيرة مما ادى الى انفصالها تدريجيا عن قضايا الرأى والشعوب واتجاهها الى تحقيق اكبر قدر ممكن من الربح كمشروع تجارى ، بجانب استغلالها كسلاح ايديولوجى خطير مسخر فى خدمة الاهداف الاحتكارية . وثالث النظريات الاعلامية هى نظرية المسئولية الجماعية ، التى برزت بعد الحرب العالمية الثانية كرد فعل لاندحار وانحلال مايسمى الصحافة الحرة ، وهى نظرية اصلاحية تربط العاملين فى اجهزة الاعلام بنواة ومواثيق خلقية خالصة ، ولا تتعرض لاى قيم ايجابية كالدعوة

الى محاربة الاحتكارات ومقاومة الاستغلال مثلا . أما النظرية الاشتراكية فتقوم على دعائم اساسية : ملكية الشعب للصحافة . ربط الصحافة واجهزة الاعلام بالمجتمع . وتحديد دور ايجابي يلتزم بجميع العاملين في الميدان الاعلامي، ويورد المؤلف نصا للينين نشرته البرافدا في ١٩٢١ ، قد يوضح مهمة الجريدة . اذ يقول لينين فيه «لابد للجريدة ان تكون جهازا من أجهزة الكفاح والجهاد ، بحيث لاتمد القارىء بأخبار منظمة وصادقة عن اقتصادنا فحسب ، بل نقصد كذلك الى تحليل هذه الاخبار ودراستها دراسة عقلية ، لكي تصل آخر الامر الى نتائج صحيحة فيما يختص بالحركة العمالية ، وعليها كذلك ان تحث عمال الجبهة الاقتصادية على العمل وأن تجتهد في نشر تقارير دقيقة عن كل ذلك ، وعليها ان تقدر العمل الجيد بتمدحه وتفضح أمام الرأى العام جميع العمال غير الصالحين والمهملين ...» .

والنظرية الخامسة هي نظرية المسئولية العالمية ، وهي من اقتراح المؤلف الشخصي وقد اوردها كاملة مفصلة في كتابه «الصحافة والسلام العالمي» وتستهدف ربط اجهزة الاعلام بمسئوليات محددة مستقاة من واقع المجتمع الدولي الحديث لتحقيق مساهمة اجهزة الاعلام في معركة الوجود الانساني . اما عن الصحافة في بلادنا فيرى المؤلف انها ترتبط بالنظرية الاشتراكية . الا أن هناك بعض الانحرافات التي ترجع في رأيه الى :

١ — سيطرة عقلية المدرسة الصحفية الامريكية التي نقلتها الينا دار اخبار اليوم

٢ — سيطرة المفهوم الغربي للحرية

٣ — الادعاء بان الالتزام الذي تفرضه النظرية الاشتراكية مقيد ومعرقل

٤ — وجود فئة قيادية رجعية تختفي وراء مفهوم محاربة الشيوعية . وهذا يحتم مراعاة الاسس التالية في التخطيط الاعلامي في بلادنا .

أولا : ابعاد فلول القيادات الرجعية

ثانيا : الالتزام بالنظرية الاشتراكية .

ثالثا : التحام الاجهزة الاعلامية بجماهير الشعب

رابعا : رفع المستوى السياسي والمهني للعاملين بالصحافة .

وبعد هذه المقدمة ينتقل الدكتور التهامي الى القسم الاول من الكتاب وهو عن الصحافة ووكالات الانباء والصحافة في رأيه هي واضعة جدول المناقشات اليومية للجماهير ، وهي بفضل هذا وبفضل اختيارها لما ينشر ومالاينشر سلاح فعال في تكوين الرأى العام وتوجيهه . ويستعرض المؤلف تاريخ ظهور الصحافة وتطورها فالشعوب البدائية كانت تعرف الاخبار مشافهة . في الاماكن العامة في روما واثينا . اما مصر القديمة فكانت الاخبار تدون على الالواح والاحجار وتوضع في مداخل المعابد . وفي مصر الاسلامية حل المسجد محل كل هذا . ثم ظهرت كراسات الاخبار المنسوخة باليد في مدن ايطاليا في القرن الخامس عشر . ورغم ان الطباعة اخترعت في هذا القرن ، فالصحف المطبوعة لم تظهر الا في القرن السابع عشر ، في انجلترا في ١٦٢٢ ، اذ ظهرت صحيفة الاخبار الاسبوعية ومع مقدم القرن التاسع عشر اصبحت الصحافة منافسا خطيرا للبرلمانات نفسها ، وسميت السلطة الرابعة في الدولة .

محتويات الصحيفة وتأثيرها على الرأى العام ترتبط بالنظام الاجتماعي القائم . فهي اداة دعاية في النظام الفاشي . وجهاز للاعلام ونشر الوعي المستنير المبني على التقدير السليم للامور عن طريق نشر الحقائق وافساح المجال للنقد والنقد الذاتي في النظام الاشتراكي . اما في الدول الرأسمالية فهي مسلك للمصالح الاحتكارية . اما الصحافة الصفراء التي ظهرت في القرن التاسع عشر ، بعد تقدم فن الطباعة ورخص تكلفتها فان مايحكمها هو التوزيع والربح ، والتضحية بجميع القيم الاخلاقية والاجتماعية ، وتتميز باهمال المقال والاهتمام بالخبر والرسم والتصوير . وقد اتخذت اسمها (الصحافة الصفراء) من رسم لشخصية هزلية كانت تظهر دائما ملونة باللون الاصفر في صحف جوزيف بلتزر ابي الصحافة الصفراء في امريكا ، حوالي عام ١٨٩٧

وحتى تتمكن الصحف من اداء رسالتها يجب تخليصها من ربقة رأس المال الخاص بابعاد الرأسماليين عن ميدان الصناعة الصحفية ، وارتباط العاملين فيها بعهد شرف مهني يراعي المسئولية الاجتماعية والعالمية للصحافة .

ويطالب المؤلف بالا يظل اصدار الصحف في مصر احتكارا لطائفة من المثقفين القابعين في مكاتبهم بالقاهرة والذين يتباعدون تدريجيا عن حياة الجماهير الشعبية العريقة ويقول : بأن مهمة الصحافة في مرحلة التحول ، هي تدعيم الرقابة الشعبية على اجهزة الادارة والانتاج . ويستدعى ذلك تحرير الصحف من سيطرة الاعلان ، واخضاعها جميعا للاتحاد الاشتراكي ، حتى تتمكن الصحافة من اداء مهمتها المتمثلة في نشر القيم والافكار الاشتراكية وتنمية الشعور بالمسئولية الفردية والجماعية وبالهدف المشترك والمصلحة الواحدة ، وابراز الانجازات الثورية والحفاظ عليها وتنميتها ، والممارسة الواعية للنقد والنقد الذاتي . وفي ختام الجزء المخصص للصحافة ينادي المؤلف بتدعيمها بالعناصر الاشتراكية الواعية المخلصة

ويستعرض المؤلف اهمية وكالات الانباء وتاريخها ، ويقول ان هناك ست وكالات عالمية هي تاس السوفيتية وتنقل وحدها الاخبار الى مايزيد عن ٧٤٥ مليون نسمة . وخمس وكالات غربية هي اجنس فرانس برس الفرنسية ، رويتر الانجليزيه ، وثلاث امريكية هي اسوشيتدبرس، يونيتدبرس، انترناشونال نيوزسرفس وهذه الوكالات الخمسة تنقل الاخبار الى ٦٦١ مليون نسمة . ووكالات الانباء تعمل في خدمة اهداف اصحابها ، فالوكالات الاستعماريه مثلا ، تطلق لفظ الارهابيين على الوطنيين المناضلين وتبالغ في تصوير بدائية الشعوب المستعمرة ، وتذكي نار الحرب الباردة ، وتتجاهل الاخبار التي تساعد على الحل السلمي ، وتهمل نقل اخبار الامم المتحدة ، وتمهد للانقلابات الرجعية . ويرى المؤلف انشاء وكالة تابعة للامم المتحدة ، ولما كان ذلك متعذرا ، فهو يرى أن تقوم دول عدم الانحياز بذلك .

والقسم الثاني يتناول فيه المؤلف الاذاعة وأهميتها في تكوين الرأى العام المحلي ، واهميتها بالنسبة لانصاف المتعلمين والاطفال والشيوخ والنساء ويعتبرها اداة توفق تغيير فهم الشعب السياسية والاقتصادية والخلقية ثم يتعرض للاذاعة والرأى العام العالمي ، والدعاية الاذاعية لكلا المعسكرين ، فالمعسكر الاشتراكي يذيع برامج اسبوعية تستغرق اكثر من اربعة آلاف ساعة بثلاث وسبعين لغة مختلفة منها الاسبرانتو . ويستعرض المحطات السرية التي تديرها الهيئات الاستعمارية واعتماد المخابرات الامريكية عليها، ودورها في فتنة المجر ، والتحريض على التخريب في كوبا . وكيف ان الجمهورية العربية واجهت سبع محطات سرية ، بل ومحطة الشرق الادنى البريطانية ، وقضت عليها بتوفير قدر كاف من الاعلام الصحيح ، عن طريق صوت العرب وغيره . والاذاعة العربية من القاهرة ثاني الاذاعات من حيث عدد اللغات (٣٣ لغة) والخامسة من حيث عدد ساعات الارسال (٥٠ ساعة يوميا) . وينتقد المؤلف اذاعة الشرق الاوسط ، التي تنافس صوت العرب والبرنامج العام ، بجذب المستمعين ببرامجها الترفيهية عن البرامج الجادة ، والاعلان لسلع اجنبية والترويج لها

وعن السينما يقول المؤلف ان عدد المترددين اسبوعيا على الافلام يبلغ ٢١٥ مليون متفرج ، والسينما بدورها ترتبط بالنظام القائم . فالسينما الامريكية تستهدف التسلية والربح ، لا الدعاية والتعليم وهي تعتمد على نظام النجوم واحاطتهم بهالة ضخمة من الاضواء والدعاية . وهي تعطي الجمهور ساعات من

المتعة المتسمة بطابع الهروب من الواقع ، وتعتمد على اشباع الغرائز البدائية الشائعة . وأثرها كبير فى افساد الشباب وتزيين الانحراف : وغرس القيم الرأسمالية عند الاطفال . ويعرض المؤلف نشاط لجان التحقيق الامريكية التى اضطهدت الفنانين الذين حاولوا مناقشة قضايا انسانية عامة . بل وادانت الهجوم على النازية . أو عرض الحياة فى المجتمع السوفيتى دون مهاجمتها وتجريحها . اما السينما السوفيتية فيحكمها قول لينين فى ١٩٠٧ «عندما تستحوذ الجماهير على الفيلم ويصبح فى ايدى الدعاية الحقيقيين للثقافة الاشتراكية فانه سيصبح وسيلة من اقوى الوسائل لتعليم الجماهير . وتصدر الافلام السوفيتية عن الواقعية الاشتراكية ، «اى الفن الذى تبنت جذوره من حياة المجتمع والذىيبدع لصالحه» مستهدفا تفسير الحقيقة فى الماضى والحاضر فى ضوء الايديولوجية الاشتراكية والواقعية الاشتراكية تستبعد الانانيةفى كل مظاهرها ، ولكنها تشجع فردية التعبير الفنى ، وهى ليست تعصبا اعمى ، فعناصرها تتطور وتتغير مع المجتمع الذى نعيش فيه » .

وينقد المؤلف اخطاء السينما السوفيتية التى تمثلت فى انتاج افلام دعائية فجة.والسينما المصرية القديمة كانتتسيطر عليها كما يقول جورج سادول البنوك ورقابة فاروق مما ابعدها عن الواقع المصرىالشديد البؤس، ثم يتحدثالمؤلفعن التطورات التى حدثت بعد الثورة وضرورة اعادة تشكيل اذواق الجماهير التى افسدها الفيلم الامريكى . ونقده للسينما المصريـــة المعاصرة يتسم باختصار شديد

اما التليفزيون، الذىيقدر عدد مشاهديه المنتظمين بحوالى ٣٠٠ أو ٤٠٠ مليون يوميا ، فتتحدد سياسته بدوره حسب النظام الاجتماعى . فالتلفزيون الامريكى ، الذى تمتلكه شركات الاعلان ، يستهدف تملق الجماهير وجذبها بارخص الطـــرق والاساليب على عكس التلفزيون البريطانى الذى يساهم فى نشر الثقافة

واهم مايستخدم فيه التلفزيون هو الدعاية السياسية ، وبالطبع لايقدر على استخدامه الا الاحتكارات وممثليها . ففى انتخابات الرياسة الامريكية فى ١٩٦٠ صرف عليه ١٥ مليون دولار . وتتركز جهود التلفزيون الامريكى فى خدمة الاعلان ، وتجنب البرامج الثقافية . والتلفزيون الامريكى مسئول عـــن زيادة عدد جرائم الاحداث وفى هذا يقول احد الاطباء النفسيين الامريكيين «اذا كانالسجن هوكلية لدراسة الاجرام، فالتلفزيون هو المدرسة الاعدادية للانحراف» وفى خلال اسبوع شـــاهد الاطفال فى المائة ساعة المخصصة لهم ، ١١٤ جريمة ، وهذا الاتجاه لتقديس البطل ، سواء كان طيبا أم شريرا، تمهيدا لسيادة المثل الفاشية.اماالتليفزيونالعربى فينقد المؤلف اعتماده على المعلبات الامريكية واهتمامه بالكم دون الكيف ، وتعدد قنواته وكثرة ساعاته يؤدى الى هبوط المستوى ، واهمال الريف ، والقيم الاشتراكية ، وسيطرة عقلية الطبقـــة المتوسطة ، وانعدام التناسق بين مختلف البرامج ، احتكار طائفة من الفنانين للعمل ، عدم متابعة الانجازات الثورية اهمال الشباب . والنقد الذى يورده المؤلف بالنسبة للتلفزيون وللصحافة يمتاز بالجديد والمسئولية .

وبعد ذلك يستعرض المؤلف نشأة المسرح، وأهميته بالنسبة للرأى العام والعلاقة بين فن الكوميديا والصحافة. وارتباط النهضة المسرحية بالنهضة القومية ، كما حدث فى اليونانفى عهد بركليس بعد هزيمة الفرس ، اذ ظهر عمالقة التراجيديا الثلاث اسخيلوس وسوفوكليس ويوربيدس ، ونهضة المسرح الانجليزى بعد تدمير الارمادا ، وانعكاس ذلك فى مسرح شكسبير ونهضة المسرح الفرنسى ، وظهور مسرح موليرايام لويس الرابع عشر . وقد ساهم المسرح فى عمليات التمهيد الفكرى للتغيير الاجتماعى والسياسى . ولذا كان موضع عناية انظمة الحكم المختلفة . فهو فى النظم الاشتراكية يساهم فى البناء الاشتراكى ويروج للقيم الانسانية الجديدة ، ويشيع العزم والتفاؤل فى النفوس ، بينما نرى المسرح الاوربى والامريكى يتخبط فى متاهة اليأس والحيرة والغضب والضياع

وفى ختام كتابه ، يعرض المؤلف لمسئولية اجهزة الاعلام ، ويلخص فى هذا الجزء كافة أوجه النقد والتوصيات التى أوردها خلال الكتاب كله وبعد ذلك يورد فصلا ممتعا من كتابه «الصحافة والسلام العالمى» وفيه يعرض «مشروع عهد الشرف الدولى للصحفيين» وفيهيطالبهم بتدعيم فكرةالتعايش السلمى، ومحاربة فكرة حتمية الحرب والتنبيه لاخطار الحروب،وفضح القوى الاستعمارية والاحتكارية ، وخطورة فكرة الحصول على اكبر ربح ممكن ، واحترام قدسية الخبر ، ويطالبهم بأن يزيدوا ثقافتهم وان يقدروا الجهــود الفردية والدولية التى تســاعد على تقدم البشرية ، وان يشجعوا القوى الصاعدة ، وان ينمو الشعور بالمسئولية وان يروجوا لمبادىء الامم المتحدة .

وختاما فانهذا التلخيص السريع لايغنى باىحال عن الرجوع الى ذلك الكتاب القيم ، والذى تحس بعد قراءته أنك استفدت شيئا جديدا ، واكتسبت القدرة على النظر الى مشاكل الاعلام من زاوية جديدة ، اشتراكية وعلمية .

●

مـــذكرات الامير عبد الله
أو التبيان عن الحادثة الـــكائنة
بدولة بنى زيرى فى غرناطة
بسلسلة ذخائر العرب

هذا مصنف من كتب التراث العربى فريد من نوعه ، معروف لدى كل من درس تاريخ الاندلس ، وعلى الاخص العهد المسمى بعهد ملوك الطوائف (القرن الحادى عشر الميلادى) .

وقد نشرت هذا الكتاب دار المعارف فى سلسلة «ذخائـــر العرب» بتحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال استاذ الحضـــارة العربية بالسربون ومدير معهد الدراسات العربية والاسلامية بجامعة باريسوالاستاذ الزائر بالجامعات المصرية .وهو جدير بأن يعاد طبعه بعد ان نفدت نسخه من المكتبات .

يقول الاستاذ ليفى بروفنسال انه ليس من المألوف ان نجد فى تاريخ العالم العربى ملوكا او شخصيات رفيعة اعتنوا بتسطير حيـــاتهم فـكتبوا مذكراتهم الخاصة لفائدة معاصريهم او للاجيال القادمة. وهذه الملاحظة تصدق على الغربالاسلامى واكثر منها على الشرق. فاذا وجد فى الغرب الاسلامى بعض من يترجم لنفسه من الشخصيات الهامة مثل ابن خلدون وابن الخطيب (القرن الرابع عشر الميلادى) فلا يعرف من هذا النوع التاريخى الا مصنف واحد يذكر وهو كتاب البيدق صاحب المهدى بن تومرت مؤسس الدولة الموحـــدية فى المغرب الذى عثر الاستاذ بروفنسال على مخطوط له منذ حوالى اربعينعاما فى مكتبة الاسكوريال فى اسبانيا .

اما مذكرات الامير عبد الله، التى ثبت من عدة اشارات لها وردت فى مصنفات اخرى، ان عنوانها الاصلى **«التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرىفىغرناطة»** فقد عثر المحقق عليها كاملة (فيما عدا الصفحتين الاولتين) فى كراريس صغيرة مبعثرة بين مجموعة كثيفة من المخطوطات المهملة منذ ستة قرون على الاقل فى جناح تابع لمسجد القرويين بمدينة فاس.

ولكن من هو الامير عبد الله وما قيمة مؤلفه هذا ؟ تقول دائرة المعارف الاسلامية انه عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيرى الملك الثالث والاخير لمملكة غرناطة التى اسسها فرعمنحدر من عائلة بنىزيرىالبربرية الصنهاجية بعد سقوط

الخلافة الاموية بقرطبة . اما اخوه تميم المعز فقد أصبح أميرا مستقلا على مالقة . وكانت دولة عبد الله بن بلقين سلسلة طويلة من الاضطرابات فى داخل مملكته والاصطدامات المسلحة مع جيرانه من الامراء المسلمين والمواطئات مع «الازفونش» (الفونس السادس ملك قشتالة) . وقد تعاون الامير عبدالله مع جيوش المرابطين الوافدة من المغرب شأنه شأن بقية ملوك الطوائف ، ضد المسيحيين . ولكنه فى خضم خلافاته ومنافساته مع اقرانه من اصحاب الدويلات تعاقد ضدهم مع الملك الفونس فأدت سياسته هذه الى ضياع عرشه على يد الامير المرابطى يوسف بن تاشفين الذى جاء لمحاصرته فى غرناطه فى عام ١٠٩٠ فأرغمه على التسليم دون قيد او شرط وعزله من مملكته وارسله المنفى بمدينة آغمات فى جنوب المغرب الاقصى حيث انتهت حياته .

وقد دون الامير عبد الله مذكراته هذه اثناء اقامته الاجبارية فى آغمات وهى من اهم الوثائق فى تاريخ ملوك الطوائف واقلها تحويرا بالرغم من الاستطرادات الطويلة التى حاول بها صاحبها تبرير موقفه السياسى امام الاخطار التى كانت تهدد مملكته . فمن الواضح ان الغرض الاساسى من كتابه هذا الدفاع عن نفسه وسط جو عام معاد له ولتصرفه ، حتى ان لسان الدين ابن الخطيب السلمانى قال فى وصفه نقلا عن ابن الصيرفى «كان جبانا ، مغمد السيف ، قلقا ، لا يثبت على الظهر ، عزهاه ، لا ارب له فى النساء ، هيابة ، مفرط الجزع ، يخلد الى الراحات ويستوزر الاغمار» .

على ان المؤلف يقدم تفسيرا لهذا الاسراف فى ايراد التفاصيل وهو يتكلم عن المنهج الذى اتبعه فى كتابة مذكراته فيقول ان تناوله الاجمالى لاحوال الاندلس المشهورة يرجع الى اختلاف الروايات بينما الحق لا يكون الا فى طرف واحد ، ولذا فقد اكتفى بذكر ما يتمشى مع المنطق واستبعد كل ما هو مشكوك فيه لانه لم يعاصر هذه الاحداث بالمعاينة او المشاهدة بل بالخبر الشائع . اما احداث دولته التى استشاعت اخبارها وزيد عليها الكثير فقد افاض فى ذكر تفاصيلها ليبرر موقفه ويبرىء نفسه من تهمة التواطؤ مع الفونس السادس ضد امير المؤمنين ، يشرح دوافع تقديمه الفداء للملك المسيحى والتعاقد معه .

وتعتبر مذكرات الامير عبد الله وثيقة سيكولوجية من الطراز الاول تفصح عن حالة الانحلال الاجتماعى والسياسى التى تردت فيها الاندلس من جراء انقسام الحكم العربى فى اسبانيا الى دويلات متطاحنة تكيد وتتربص ببعضها وهى عامرة بالمفاهيم والقيم الاقطاعية وخير معبر عن عقلية هؤلاء الامراء فى شكل نصائح وتجارب يسوقها للاجيال التالية من رجال الحكم . وقد اخترنا هنا بعض فقرات من الكتاب حول موضوعين يتناول اولهما تورط عبد الله فى التعاقد مع الفونس ويقدم الثانى صورة للتدابير المعقدة الفاشلة التى اتخذها بشأن زواج اختين له .

يقول عبد الله بعد ان تكلم بافاضة عن مشاركته مع غيره من الامراء فى تأييد جيوش الخليفة المرابطى فى موقعة الزلاقة ومحاصرة حصن لييط التى انتهت بفك الحصار وعودة امير المؤمنين الى مراكش : «كلمنا امير المسلمين فى عسكر يتركه عندنا بالاندلس خوفا من الرومى (يقصد الفونس) ان يقلب عليها ويطالبنا بثأر تلك السفرة وغيرها فلا يكون عندنا بمن ندافع فقال «اصلحوا نياتكم تكفوا عدوكم» ولم يعطنا عسكرا فأيقنا ان الرومى لا يدعنا على هذه الفرصة دون طلب . كالذى كان . فلم يلبث ان احتفل واتى طالبا للمال متجنيا على من خالفه ان يفسد بلاده ، وها قد صاحب سرقسطة ومن يليه من الشرق قد دافعوا شره ودفعوا اليه ماسلف له عندهم» .

ويتساءل عبد الله بعد ان ارسل له البرهانس وكيل الملك الفونس وزعيم جهات غرناطة والرين ينذره بالغزو او الفداء : «ومع من اتق رأيه ؟ اى مقدرة بنا على مدافعته الا عسكر ترك لنا ندافع به» فاجتمع رأينا على ارضائه بالسير مع معاقدته الا يقرب لنا بلدا بعد اخذه هذه الدفعة فارتبط» .

ويستطرد الامير عبد الله فيصف تأهب الفونس السادس الى الحركة وارساله من يطالبه بجزية ثلاث اعوام وهو يعانى من حالة الاضطراب داخل مملكته : «فرويت الامر فى نفسى ورأيت ان التعاطى حماقة لا تفيد وقلت «ان اخذت هذه من الرعية ضجت وشكت ويكون مقدمتها بمروكش (اى مراكش) شاكين يقولون «اخذ اموالنا واعطاها للنصارى ! » ولكن لهذا الوقت يحتاج الانسان ما ادخر ليصون به بلده وعرضه وانا جدير ان اعطى ذلك من بيت مالى بحيث يسلم البلد وبحيث تشكر الرعية بمدافعة عدوها دون تكليفها شيئا ولا تقع الشنيعة ! » ففعلت ذلك وارسلت اليه ثلاثين الفا لم ارزأ احدا فيها درهما» .

ووجه عبد الله خطابا لامير المسلمين يخطره بما اقدم عليه بوصفه اجراء وقائيا لحين الاستعداد للقتال . وكان يتوقع على حد قوله ان يكون الجواب شكرا خاصا وان الفداء كان من حر ماله .. لم يكلف فيه مسلما درهما واحدا . غير انه تلقى تهديدا سببه فى رأيه دس اعدائه من الامراء المنافسين له الذين صوروا الامور للخليفة المرابطى على غير حقيقته وافهموه انه متحالف مع الفونس ضد الخلافة الاسلامية .

وعبر امير المؤمنين المعبر المائى ووصل بقواته الى قرطبة فوجه له الامير عبد الله رسولين قال لهما الخليفة «بالله انى غزوته كما نغزو الفونس والذى يقدر عليه فليصنع ! » واتانى بعض الفرسان الناهضين مع الرسل على اسوأ حالة ، مضروبين ملهوفين » .

ولم تمنع هذه الاهانة عبد الله من السعى مرة اخرى الى الخليفة المتوعد « وارسلت آخرين من الفقهاء الى امير المسلمين بمال ويعلمونه انى ابنه وغير مخالف له .. فأرسل الينا الفقيه ابن سعدون يقول لنا «لا طاعة ولا صلح الا بالخروج اليه» وهذا امانة : كتاب بخط يده يتضمن الامان فى النفس والاهل دون المال » .

واحس الامير عبد الله بأنه لامخرج له من ورطته الا بالتسليم الكامل . وقد اجاد فى وصف تقديره للموقف : فالجند من البربر متأهبون للخروج على طاعته والتبرؤ منه . والتجار واهل البلد «لا طاقة لهم بالحرب ولا هم اهله واكثرهم خرج من البلد يقول «لاى وجه نحتمل الحصار لاتاجر هنا وصانع كما فى غيرها» اما الرعية «فذلك ما كانت تبغى طمعا منها فى الحرية وانها لا يلزمها غير الزكاة والعشر» وحتى العبيد والخدم من النساء والخصيان انقلبوا عليه بعد ان وردت عليهم كتب امير المسلمين تعدهم بالمراتب العالية اذا اسلموا له .

ويدلل عبد الله هنا على حسن مقصده انه كان بوسعه «الاحتماء بالرومى» يسلم له فينجو بنفسه وحشمه وذخائره بدلا من التسليم دون قيد او شرط لامير المسلمين ولكنه لا يفعل حتى لا يلعنه الناس اجمعين ولان الفونس اشترط تسليم المدينة نفسها حتى لاتقع فى ايدى المرابطين «ولا خير فى اثرة الدنيا على الاخرة ! » وهكذا استقر رأيه على الخضوع لشروط يوسف ابن تاشفين «لذا خرجنا الى الرجل كأنما نساق الى الموت لا ندرى ما نلقى الا كالمخاطر بنفسه متوكلين على القدر » .

ويروى هنا تفاصيل تسليمه لكل ما تحتويه خزائنه لقرور مندوب امير المسلمين ، ونصائحه المتوالية لوالدته الا تخفى شيئا عند احد او تدفن فى الارض كنوزا حتى لا تكون سببا فى هلاكه . فالذين اسرعوا يعرضون عليه ايداع بعض ثرواته عندهم «يطلبون ما يتزودون به وليس ذلك شفقة منهم على» وهم «اما فاسق يستأثر به دونى .. واما متبشمل ببعضه يحمله الى الامير ليتهنى به ما يبقى له» ومند ذلك نفتضح عنده ولا يقبل لى صرفا ولا عدلا وربما يحنق على فيؤذينى بعد الامان» .

زواج الاميرتين أختى عبد الله

قرر عبد الله تزويج اختيه . ودولته فى محنة حتى لا يفاجأ وهن فى غير عصمة ولا كفيل «فتخيرنا لهما من بنى عمهما شاكلة منهم

سعد بن يحيى الذي كان عليه من النجابة والعقل والمحبة؛ قصدنا عن ذلك اهل دولتنا وقالوا نصيحة وحسدا » « ان انت تصاهرت البربنى عمك حملتهم دالة القرابة مع المصاهرة على الظهور عليك وفساد حالك بصلاحهم فاياك ! وعليك بمن سو دون قيمتك فيرعى احسانك ويرى هذا منك كثيرا ويرى عياله بعين مولاه » .

وقد اخذ الاميرعبد الله بهذه النصيحة «حذرا على الدولة» ووافق على اختيار من يدعى يوسف بن حجاج زوجا لواحدة من الاختين بعد ان حضه على ذلك بعض خدمه لعلمه بأخلاق يوسف مدة صحبته له ووصفه له : بأن «فى الرجل انقباضة واستيحاشا من الناس، وبذلك تأمن من اجماعه عليك» وفيه شيء كثير لا يخرج خيره من منزله وفيه غيره شديدة قوافق معاشرة العيال وبه حرج ونزق لا تصح به ولاية وهو من نقصان البيان وعى اللسان ما لا يطبى بذلك الناس لغالب.. والرجل من اوساط الناس وممن لا ينتمى الى ملك ولا تحدثه نفسه بما لا اصل له فيه فهو بين يديك كالكمأة التى ان شئت قلعتها ولم يتعذر عليك من اصلها » !

غير ان الأمير عبد الله السيء الحظ والتدابير كان غير موفق فى سياسته ، بل وفى اختيار هذا الزوج فان والد حجاج هذا مع ما به من «حرج ونزق لا تصح به ولاية» اشرهت نفسه الى وزارة الدولة» بعد أن وصل الى منزلة الصهر فحق عليه قول ابن الصيرفى عنه انه يستوز الاشمار ! ●



● مجلـــــة أوربـــــا

التليفزيون والثقـافـة

تصدر مجلة « أوروبا » شهرية منذ عام ١٩٢٣، وتتكون لجنة تحريرها من أدباء ومفكرين فرنسيين معروفين، ومن بينهم الكاتب **رومان رولان** والشاعر **بول ايلوار** حتى وفاتهما . وهى تضم حاليا **اراجون والساتريولين وايمانويل داستيه وبيير جامارا** .

ولهذه المجلة طابعها الخاص المتميز فجميع اعدادها اقربه الى الاعداد الخاصة التى تصدرها الدوريات احيانا . فهى تعالج موضوعا واحدا فى سلسلة مقالات لعدد من المتخصصين يقيمون ادبيا معينا او ادب شعب معين . ويسمح هذا الاسلوب المتميز للمجلة بان تستمر فى الاعلان عن اعدادها السابقة القابلة للشراء او التى نفدت كما لا يحول دون اعادة طبع العدد مرة اخرى بعد سنوات من صدوره وهذا ماحدث مثلا بالنسبة لاعدادها عن ديدروه وايلوار وبرخت .

وقد صدر اخيرا العدد (٤٤٤ ـــ ٤٤٥) من اوروبا بعنوان «هل يخدم التليفزيون الثقافة ؟» تعرض لمدى مساهمة هذه الاداة الجديدة فى نشر الثقافة ومستقبلها من النواحى الفنية والتكنيكية وعلاقتها بالسينما والصحافة والتعليم وتربية النشء وانتشار الجريمة .. الخ

وينبهنا رئيس التحرير فى المقدمة ان هذا العدد لن يكون قائمة تعدد مساوىء التليفزيون . فالصحافة تفيض فى هجومها المبدئى عليه بوصفه «قاتل الوقت» الى جانب هجوم مختلف الاوساط والفئات التى تعارض فى الاسراف فى برامج معينة على حساب برامج اخرى تعتبرها هذه الاوساط اهم وانفع .

وواقع الامر ان التليفزيون يخاطب كل طبقات المجتمع وكل الاعمار والمهن والطباع البشرية ولذا فهو لن يحقق ابدا رغبات الجميع مما يدفع الى التفكير فى الاكثار فى عدد القنوات لتصبح كل منها متخصصة .

وقد يتصور البعض أن اغلب المواظبين على مشاهدة برامج التليفزيون ينتمون الى فئة اصحاب الدخول المتوسطة والكبيرة وان نسبة المتفرجين تهبط مع انخفاض الاجر، ولكن واقع الاحصائيات يكذب هذا التصور ويثبت ان الوقت المكرس للتليفزيون يتزايد بشكل مضطرد مع انخفاض المستوى المادى والثقافى للاسرة .

وبصفة عامة فان طبقة المديرين ورجال الاعمال والمثقفين تولى ظهرها للتليفزيون لاسباب عديدة منها الارتباط بمواعيد (حفلات ، محاضرات ، اجتماعات) والاقتناع بان التليفزيون وسيلة ترفيه شعبية ضعيفة فى مستواها . والواقع أن هذه الفئات تاخذ على التليفزيون ماكانت تعيبه على السينما فى عهدها الاول قبل ان تتحول الى اداة فى خدمة الفن الرفيع .

ولكن لاشك ان التليفزيون منافس خطير للعمل الذهنى الليلى خاصة وان ظروف المثقف لاتسمح له عادة بتوفير عدد كبير من الغرف حتى يتحاشى الصورة المتحركة التى اقتحمت عليه هدوء المنزل . فالراديو لايضايق الاغلبية بل ان الموسيقى قد تشجع على العمل اما الصورة فتستأثر بالانتباه ولاتقبل عادة التعايش مع شكل اخر من اشكال النشاط الذهنى .

ورغم ذلك ينتشر التليفزيون بسرعة مذهلة ويتوغل شيئا فشيئا فى الاوساط التى كانت تلفظه .

ويجب ان نعترف اولا بان المكسب الثقافى الاول للصورة المنقولة على موجات الاثير يتحقق بشكل لاارادى . فمجرد قيام احداث الفيلم فى الجبال او على شاطىء البحر يسمح للطفل بمشاهدة اماكن لم يرها ، وقد لايراها ابدا فى حياته . ولناخذ مثلا ابسط : يقدم التليفزيون عادة مع النشرة الجوية اوغيرها خريطة للبلاد او للعالم فتستقر فى ذهن الطفل لانها تصله كل يوم بشكل لاارادى وبدون هدف تعليمى مباشر .

ولاشك ان اهم ماادخله التليفزيون هو القدرة على النقل الفورى للاحداث . وهو ينفرد بهذه الميزة على وسائل الاعلام الاخرى مثل السينما والراديو والجريدة . ولعل من اهم اسباب نجاحه فى نقل المباريات ان نتائجها لاتكون معروفة من قبل

يشارك المتفرجون جمهور الكرة في انفعالاته عندما يسجل هدفا او يضيعه او عندما يصاب لاعب . ولذا تتجه اغلب التحسينات التكنيكية في التليفزيون نحو ابتكار وسائل تصوير ونقل الاحداث بسرعة وسهولة .

كان التليفزيون في البداية مجرد امتداد للسينما في المنزل مع تفادي مشقة وتكاليف الانتقال اليها ، فانخفضت ايرادات السينما. ولكن سرعان ماحدثت ظاهرة عكسية اوتكميلية بالاحرى كالتصوير الزيتي اصعب من التصوير الفوتوغرافي ولكنه اجمل ولاشك كما هو واضح الان بعد فترة الانهاء الاولى باكتشاف الصورة الشمسية . لقد تبين للمتفرجين ان التليفزيون لايحقق لهم كل مايحصلون عليه من السينما . فهل حدثت هذه الظاهرة بايعاز من السينما ودفاعا بها عن نفسها او ان السينما اكتفت باستغلال الظاهرة ؟ لاشك ان لكل من العاملين دوره . فقد سارعت السينما بالتركيز على الجانب الاستعراضي الذي يعجز عنه التليفزيون فابتكرت البارونما والسينماسكوب والتكنيراما واحتمت بالانتاج الضخم والافلام الفنية . غير انه من الصعب الفصل بين ماينتج عن تطور مفهومات مشاهد التليفزيون ومايرتبط بالتطور المنطقي لصناعة السينما . وعلى اي حال فمن الملاحظ بوضوح ان التليفزيون جعل الفرد لايذهب للسينما ولكن يذهب لمشاهدة فيلم .

التليفزيون والفراغ الثقافي

ويقول جي جوتييه في مقال له تحت عنوان «التليفزيون والفراغ الثقافي» ان العيب الاساسي في التليفزيون هو السيطرة الغير واعية التي يمارسها . فهو يريد ان يشمل على اوجه النشاط الانساني فيقرر بذلك اسلوب تربية اذواق المتفرجين . وقد تحول الى مستودع للمعلومات من جميع انواعها بما في ذلك اخبار المجتمع ووصفات اعداد اصناف الطعام حتى لاتضيع منه اي فرصة للاستئثار بالمتفرجين . واصبح الاطفال يتكلمون عن التليفزيون اكثر مما يتكلمون عن ذكرياتهم او تجاربهم الشخصية . وغدت الزرافة حيوانا مألوفا لهم . اما احاديثهم والأمثلة التي يعوتونها فغدت تشمل العالم كله. ولاشك ان الكثيرين سيقولون ان هذا رائع حقا ولكن التليفزيون يجب ان يكون وسيلة اتصال لا اداة سيطرة . فكثير من المسئولين يعتقدون انه وسيلة قادرة على نقل كل شيء حتى انه لم تعد هناك حاجة الى الاهتمام برفع مستوى الثقافة الشعبية عن طريق آخر غيره . اما الذين يحتقرون التليفزيون فهم مخطئون في الواقع لان هذه الاداة لم تمس الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها وحدهم فلا يوجد مايحول دون ارتيادهم للمسارح والمتاحف والمعارض الفنية وقاعات الموسيقى .

ولكن هناك قضية اخرى يثيرها التليفزيون بالنسبة للفنان. كان المؤلف يرى في الماضي جمهور المتفرجين فيفسر صمته او حماسه، ويأخذ هذه الانفعالات في اعتباره ولكن ما العمل الان مع التليفزيون ؟ لاشك ان افتقار الحوار بين الفنان والمتفرج سيظل احد المصاعب الرئيسية . فالمؤلفون يثنون بالطبع على مؤلفات بعضهم بالتبادل . وفي وسعهم التعرف على اراء النقاد غير ان هؤلاء يرون البرامج وحدهم او في محيط العائلة ولذا فهم لايستطيعون ان يتحدثوا الا عن انفسهم ، في حين ان الناقد السينمائي الجاد يرى الفيلم في قاعة عادية مع الجمهور ويتأثر بالانفعالات المحيطة به . وقد يسأل المخرج التليفزيوني اقاربه او جيرانه ولكن سحر التليفزيون ونفوذه وصل الى حد جعل اي تفكير في النقد يتوارى خجلا امام التباهي بالسكنى في طابق واحد مع شخصية تعمل في التليفزيون .

كانت هناك اندية للتليفزيون قبل انتشار اجهزته في المنازل وكان بوسع المتفرجين التعبير عن ارائهم علنا وبحضور المخرج احيانا كما يحدث حتى الان في اندية السينما . ولكن اندية التليفزيون اخذت تتلاشى مع سهولة حصول كل اسرة على جهاز خاص سواء بالشراء او بالايجار .

وهكذا يتقبل المتفرج كل مايقدمه له التليفزيون دون ان تتعدى احكامه على البرامج اطار جمهور العائلة المحدود. واعتقد ان هذه الظاهرة هي ماجدر ان يسمى بالسلبية . ومع ذلك فمتفرج التليفزيون يتمتع بحرية اكبر من اي متفرج اخر وهو يستطيع ان يلقي نظرة من آن الى اخر على الصورة المتحركة امامه ويستأنف في نفس الوقت حديثه مع الجالسين معه او يأكل او يقوم بعمل جانبي . هذا بالطبع الى جانب ابسط وسيلة متاحة له وهي اغلاق الجهاز او التحول الى قناة اخرى بمجرد تحريك زر .

ولايعني هذا بالطبع ان المتفرج حر فهو اسير عدد ضئيل من القنوات تفرض نفسها عليه والواقع ان الامكانيات الحقيقية للتليفزيون لازالت كامنة وسيتحول بالفعل الى اداة لنقل الثقافة الى المنزل مع حرية الاختيار عندما يظهر الجهاز الذي ينتقل بالمتفرج من نيويورك الى موسكو او الى هافانا او الان باتور ، وتتعدد القنوات المتخصصة لتصبح مثل الجرائد والمجلات التي تخاطب اهتمامات مختلفة .

البرامج التعليمية

ويحتل التليفزيون اليوم مكانه الى جانب السينما والاذاعة بوصفه احد وسائل التعليم السمعي البصري . غير ان كثير من رجال التعليم يحتجون على استخدامه في المدارس بل ولا يبدون حماسا حتى للبرامج التعليمية بوصفها منا[illegible] لهم. والواقع ان الوسائل الاخرى مثل الاذاعة والسينما لاتهدد وضع المدرس او مركزه فهو يختار بنفسه الفيلم ويحدد ما[illegible]بة عرضه ويعلق عليه برايه . اما التليفزيون فسواء اكان مدرسيا او غير مدرسي فهو يقحم نفسه ويطغى بشخصيته على المدرس خاصة وانه يخلق جوا عائليا يسمح بصدور التعليقات من جانب الطلبة المتفرجين على عكس السينما التي تعمل في الظلام وتستلزم الانتباه الكامل والصمت من جانب المشاهدين . والواقع ان هذه الميزة الخاصة ستكون مفيدة اذا احسن است[illegible]ما

ومن جهة اخرى يعتبر بعض رجال التعليم هذه الالة الجديدة مؤامرة من جانب التكنوقراطيين للتخلص من مد[illegible] النقص في هيئة التدريس على حساب المدرسين وعلى حساب مستوى معيشتهم ولتفادي القلاقل الاجتماعية الناتجة عن مطالبهم .

وهناك ثلاثة اشكال اساسية لبرامج التعليم وهي :

١ — البرامج المخصصة للكبار خارج ساعات العمل. ويحرص منتجو هذه البرامج على عدم ارهاق المتفرج مراعاة لظروفه وحتى لاتجذبه البرامج الترفيهية . ويجب ان تتفادى هذه البرامج لهجة الاستاذية التي قد تجرح المتفرج الناضج ذهنيا واللهجة العائلية التي قد لا تروق الراغبين في الحصول على معلومات جادة.

ب — التليفزيون المدرسي بمعنى الكلمة وهو مخصص لتلاميذ صغار يكرسون كل وقتهم للدراسة . وهو موجه بشكل خاص للطلبة المرضى وايضا للمدرسين والطلبة الذين يريدون الاستفادة من هذه الوسيلة . غير ان عيب هذه البرامج هو تقيدها بمواعيد محددة وتواليها بشكل منتظم مع انعزال الطالب وحده دون ان يخضع لاي رقابة او يجد اي مساعدة قد يحتاجها

ج — الدائرة التليفزيونية المغلقة : وهي تسمح بايجاد الات التصوير واجهزة الاستقبال في المعهد الدراسي او الكلية فيقوم استاذ كبير بتجربة هامة او عملية دقيقة تسجلها اجهزة تصوير من زوايا مختلفة وتشاهدها في نفس الوقت جموع كبيرة من الطلبة في القاعات المجاورة . وهذا النوع من البرامج يحتاج في الوقت الحالي لامكانيات مالية ومادية كبيرة ولكنه يسمح بالمشاركة الايجابية من جانب الطلبة لانهم :

١ — يستطيعون تغيير الاستقبال لمشاهدة التجربة من زوايا اخرى .

٢ ــ يستطيعون الاتصال باستاذهم وتوجيه الاسئلة له ۰

٣ ــ يستطيعون الاتصال باستاذ اخر مشرف لايقوم بالتجربة ولكنه يتابعها معهم ۰

وهذا النوع من التعليم التليفزيوني يؤكد قيمة المدرس ولايحل محله وهو الاجدر بالتعميم ۰

الطفل والعالم الخارجي

واختتمت المجلة هذه السلسلة من الدراسات بمقال عن تاثير التليفزيون على الاطفال ، يميل الى التفاؤل الشديد ويدفع عنه كثيرا من التهم الموجهة له اعتمادا على احصائيات ودراسات لباحثين مختلفين من بولندا وانجلترا وفرنسا وعلى تقارير اليونسكو بهذا الصدد ۰ تقول ماري لويز كورديه كاتبة المقال ان الجنس البشري يدرك منذ الاف السنوات مدى التاثيرات التي يتعرض لها الجيل التالي له ۰ وكان الطفل يكتشف العالم حتى الربع الاول من هذا القرن بنفس الطرق التي كان يكتشفه بها الطفل الافريقي في عهد بريكليس ۰ فهو يتعلم قبل كل شيء استخدام حواسه في الاطار العائلي المباشر ۰ وكان كل ارتقاء تحققه هذه الحواس وسيلة للحصول على مزيد من المعرفة من العالم المحيط بنا ۰

وبالطبع يتسع شيئا فشيئا مجال المكتسبات التي ينقلها الإنسان لخلفه غير ان ايقاعها كان حتى عهد قريب بطيئا يسمح بصفة عامة باستيعابها ۰ اما الطفل الذي يولد اليوم ولدى عائلته جهاز تليفزيوني فيعين عليه او يكتشف في آن واحد جدران الغرفة التي يعيش فيها ومناظرا تشمل القطبين الشمالي والجنوبي ۰ بل انه سيشاهد رواد الفضاء يتحركون وهم في حالة انعدام الوزن في نفس الوقت الذي يتعلم فيه المحافظة على توازنه او استخدام يديه وقدميه ۰

لم يعد من الممكن ايقاف تغلغل التليفزيون فأجهزته تنتشر بسرعة لم يعهدها اي اختراع آخر بالرغم من اللعنات المنصبة عليه ۰

وهناك تهم عديدة توجه للتليفزيون بعضها لاتستند الى ادلة دامغة : فالتليفزيون يؤخر موعد نوم الاطفال ويقلل بالتالي عدد ساعات النوم بعض الشيء وان كان تاخير النوم عند الاطفال يساعدهم على النوم بسرعة ۰ غير ان التوتر الناتج عن برنامج معين قد يؤدي الى اصابة الطفل بالارق كما ان بعض الاطفال ينامون اثناء حصص الدراسة بسبب السهر امام التليفزيون ۰ ومع كل ذلك لم تسفر حتى الان اي ابحاث عن ان التليفزيون يسبب الارهاق وتترتب عليه اثارا عضوية خاصة كما ان موعد النوم يتوقف اساسا على النظام العائلي اكثر مما يتوقف على التليفزيون ۰ ومن جهة اخرى لايتاثر نظر الطفل حتى من الافراط في مشاهدة التليفزيون مادام يستخدم بشكل سليم (المسافة بين المتفرج والشاشة ، الاضاءة .. الخ) ويرى كثير من الاخصائيين ان التليفزيون لايتعب النظر اكثر من القراءة بل يعتبره بعضهم وسيلة ناجحة «لتدريب قوة الابصار» ۰

ولكن الاهم من كل ذلك هو بالطبع تكوين شخصية الطفل بعد ان اصبح نهبا «لاحتكار» التليفزيون الذي يؤدي الى الاقلال من امكانيات تدريب وسائل اتصاله بالعالم المحيط به او اكتشافه ۰

ويقدم موجهو الاتهام حججا جادة ولكن هل هم غير متجنين دائما ؟ [هـ]ل التليفزيون يمنع ممارسة النشاطات الاخرى ؟ الواقع ان الاجابة تختلف من حالة الى اخرى ولكن المعروف ان اغلبية الاطفال لايجدون في الواقع وسائل ترفيه معقولة لان اهاليهم يجهلونها ۰ فلا مجال للكلام اذن من تفضيل التليفزيون على غيره من اوجه النشاط الغير متاحة ، كان نقول انه يشجع على تفضيل مشاهدة المباريات الرياضية على ممارستها اذا كانت هذه الممارسة مفتقدة اصلا ۰

ويخشى رجال التربية بشكل خاص من حلول التليفزيون محل القراءة ، وما يترتب على ذلك من نقص في التكوين الذهني وفي الحصول على الثقافة الجادة ۰ لاشك بالطبع ان الطفل الذي يقضي ثلاث ساعات متوالية كل يوم لكي يستقبل صورا جاهزة خلقها اخرون لتوصيل فكرة معينة اليه سيجد ان هذه الوسيلة أسهل من استخدام الكلمات في اكتشاف الفكرة عن طريق التصور الشخصي لها مع التعرض لعدم فهم مايقصده الكاتب اصلا ۰ ولكن هناك دراسات كثيرة اثبتت ان الاطفال الذين توجد في بيوتهم اجهزة تليفزيون لايقلون عددا عن غيرهم من الاطفال الذين يستعيرون من المكتبات بل ان اجابات التلاميذ والاهالي تؤكد ان من يملكون اجهزة تليفزيون يقرأون اكثر من غيرهم ممن يتساوون معهم في السن ولايمتلكون اجهزة تحت تصرفهم ۰

وتختلف العلاقة بين القراءة والتليفزيون باختلاف نوع الاسرة فأبناء الاسر « العصرية » يقرأون اكثر بالرغم من ان ساعات مشاهدة التليفزيون تكون مرتفعة ۰ اما الاسر « المفككة » فتعاني من الظاهرة العكسية ، بينما الاسر « التقليدية » لم تشهد اي تغير في مدى الاهتمام بالقراءة ۰

ولكن هل يؤثر التليفزيون على نوع القراءة ؟ لم يثبت حتى الان اي اختلاف في هذا الصدد ۰ فالاطفال الذين يشاهدون التليفزيون او لا يشاهدونه يقرأون نفس الكتب والمجلات ۰ وهناك بالطبع تغير في نظام الحياة وفي المكتبات التي يحصل عليها الطفل ولكنها مختلفة عما نتصور في الوهلة الاولى ۰ لقد اثر التليفزيون على انواع اللهو عند الاطفال فحل محل النشاطات التي يوفرها لهم بفعالية اقل (مثل السينما والمجلات المصورة والراديو) ۰ اما قراءة الجرائد والمؤلفات الغير روائية فلم تتأثر لانها انواع من النشاط تلبي احتياجات اخرى ۰ وبالطبع لايؤثر الاقلال من ارتياد السينما على الصغار لان التليفزيون يعتبر بالنسبة لهم ، بديلا كافيا اما من تخطوا هذا السن ، فالسينما بمثابة تجربة اجتماعية بالنسبة لهم ۰ وبصفة عامة تترك النشاطات الجانبية الغير منظمة ، مكانها للتليفزيون ۰

وهناك مسالة اخرى حساسة وهي علاقة التليفزيون بالنشاط التعليمي وقد اولى اليونسكو هذه القضية عناية خاصة لاهميتها القصوى ۰ لاتوجد في الواقع سوى شواهد موضوعية قليلة تدل على ان التليفزيون يساعد الاطفال على احراز نتائج افضل وان كانت مشاهدته لاتؤدي على مايبدو ، الى التخلف عن الدراسة ۰ ولاشك ان قضاء ساعات طويلة امام الشاشة الزرقاء (كما يسميها السوفييت) يقابله الحصول على درجات رديئة ولكن عدم السماح للطفل بمشاهدة التليفزيون لايعني اطلاقا انه سيخصص هذا الوقت للدراسة بل سيقضيه في اغلب الاحوال في نشاطات اخرى ۰ وقد لوحظ بصفة عامة ، من واقع الدراسات ، ان اكثر الاطفال التجاء للتليفزيون يعانون في اغلب الاحوال من مشاعر الحرمان ، كما ان التليفزيون يضر الاطفال الذين كانوا اصلا تلاميذ غير مجدين ۰

ولكن هل هذا «الاصطدام» المستمر بالمعرفة عن طريق التليفزيون لايهز الاطفال ؟ والى اي حد ستتعرض غرائزهم لجاذبية العدوانية عندما ترد عليهم هذه العدوانية من الخارج ؟ في هذا المجال توجد الاتهامات للتليفزيون كما توجد ايضا للسينما والاذاعة والروايات البوليسية ۰ ومع ان اغلب الاطفال يشاهدون جرائم السرقة بالسلاح الا انه نادرا ما يطبق احدهم ذلك ما لم يكن ميالا اصلا الى الانحراف او واقعا تحت تأثير عصابة ۰

ولكن التليفزيون بالنسبة للاغلبية تجربة ممتعة ووسيلة للترفيه وفي نفس الوقت مصدر بلبلة للذين لايمكنهم التفرقة بين عالم الخيال وعالم الواقع ۰ والبرنامج الواحد لايؤثر بنفس الشكل على كل الاطفال ، كما ان مجموع البرامج لا يؤثر بطريقة واحدة على نفس الطفل ۰

ولكن هناك عنصر هام فى العلاقة بين الطفل والبرنامج وهو مدى تأثر الطفل به ومدى استعداده لتقمص الشخصيات المعروضة عليه ومحاكاتها فى تصرفاتها ومواقفها .

يرى الباحث البولندى **كومورووسكى** ان صغار المنحرفين يشاهدون التليفزيون اقل من غيرهم وان النموذج المثالى للمجرم لايخرج من الشاشة بل من الاوساط الاجرامية نفسها وان كان التليفزيون يرشد المنحرف الى اساليب تجنب الوقوع فى ايدى السلطات ، وهذا الدرس فى حد ذاته ليس امرا هينا .

اما بخصوص البرامج نفسها فقد ثار السؤال التالى : هل يشاهد الاطفال ما يحبون ام يحبون ما يشاهدون ؟ فهل هم مولعون بمشاهدة العنف لعدم وجود اى برامج اخرى ممتعة ام لان هذه البرامج العنيفة تحتل نصيب الاسد فى الارسال ؟ لم يجد هذا السؤال اجابة حاسمة بعد وان كان بعض الباحثين فى انجلترا يلاحظون انه فى حالة عدم وجود برنامج واحد فقط ، يفضل الاطفال مشاهدته عن اغلاق الجهاز . وسرعان مايألفون البرنامج الجديد فيتسع مجال تذوقهم ويتحسن فى مجموعه . اما امكانية الاختيار فتدفع الاطفال الى تفضيل البرنامج الذى اعجبهم من قبل مما يؤدى الى بلورة اذواقهم بسرعة والى تضييق نطاقها .

وجميع هذه القضايا وغيرها من المشاكل التفصيلية العديدة لاتسمح حتى الان باستخلاص استنتاجات قاطعة ونهائية . وعلى اى حال فنحن بصدد عالم يجب ان نكتشف ابعاده لنحسن استخدام امكانياته ونسيطر عليها بدلا من ان تفرض نفسها علينا . ومن طبيعة البشرية نفسها ان تواجه تحديات كبيرة وتحقق انتصارات تلو الانتصارات . فهل هناك مايدعو الى التشكك فى التغلب على المصاعب التى يثيرها التليفزيون بالذات وفى امكانية ايجاد حلول لها ؟

●

■ مجلة اليسار الجديد

الى أين تتجه روديسيا ؟

نشرت مجلة « **اليسار الجديد** » فى عددها التاسع والثلاثين مجموعة من الدراسات الهامة الاقتصادية والسياسية والفلسفية — ومن بينها مقال **لريتشارد بريك** عن السياسة الاقتصادية لقيادة حزب العمال البريطانى وتعبيرها عن مصالح الرأسمالية البريطانية .

ومقال **لجورج ليوكاكس** عن بوخارين ، وهو دراسة نقدية لافكار بوخارين الى جانب عدد من الدراسات الاخرى من اهمها دراسة الدكتور جيوفانى اريجى عن « الاقتصاد السياسى لروديسيا » . وهو واحد من المحاضرين التسعة الذين طردوا من جامعة روديسيا وابعدوا من البلاد فى يوليو الماضى . وهو فى هذا المقال يتتبع تطور الاقتصاد الروديسى موضحا العلاقة بين القاعدة الاقتصادية والبناء العلوى وتطور هذه العلاقة معطيا التفسير للاحداث السياسية الاخيرة فى روديسيا .

منذ نهاية القرن التاسع عشر وفى الفترة الممتدة بين الحربين تكون فى روديسيا بناء طبقى واجتماعى تميز بوجود خمس طبقات فى روديسيا . ا — البورجوازية الريفية البيضاء المشتغلة فى التعدين والزراعة ، وكانت هذه البورجوازية هى الاساس فى القطاع الراسمالى فى الاقتصاد الروديسى ولقد كان ثلث الاوروبيين الموجودين فى روديسيا ينتمون الى البورجوازية الريفية وكانت هذه الطبقة قوية بحيث اصبح كل موظف مدنى وصاحب حرفة .. الخ يامل فى اعتزال الخدمة والحصول على قطعة ارض . ب — راسمالية دولية كبيرة تسيطر على النقل (السكك الحديدية) ومصادر القوة (الفحم) ومنتجة لمحاصيل زراعية .. ومسيطرة على غالبية انتاج الذهب — وكان يمثلها « الشركة البريطانية لجنوب افريقيا » جـ — عمال بيض ماجورين وقد تكونت هذه الطبقة من الحرفيين والعمال شبه المهرة والاسطوات والعمال الكتابيين والموظفين الاداريين ومن الملاحظ ان وجود هذه الطبقة كان نتيجة للتطور الراسمالى فى البلاد ولم يسبقه على عكس ماحدث فى الجزائر وجنوب افريقيا . د — البورجوازية الصغيرة البيضاء المشتغلة فى كل فروع الاقتصاد . ولكن بصفة خاصة فى التجارة ، وتعتمد هذه الطبقة فى نشاطها على البورجوازية الريفية وعلى راس المال الدولى الكبير — واساسا الشركة البريطانية لجنوب افريقيا . هـ — الافارقة ، والذين كانوا يكونون اساسا طبقة من المزارعين المكتفين ذاتيا ، والعمال الافارقة العاملون باجر ، والافارقة المتوسطون وهؤلاء لم يكونوا طبقات مستقلة بل كانوا طبقات تابعة للفلاحين . وكانت الارض غير قابلة للبيع ولكن كان لكل افريقى بالغ الحق فى استخدامها . وكانت الروابط العائلية قوية ، فان الفلاح عندما كان يذهب للبحث عن عمل باجر ويترك عائلته خلفه فانه يبقى على علاقات وثيقة مع الفلاحين الذين ينتمى اليهم حيث سيعود اليهم حتى ولو تغيب سنين طويلة . وهكذا فان عدد الممتلكات القابلة للزراعة فى المناطق الافريقية كان يكبر او يصغر بضيق او يتسع طبقا لهجرة العمال الماجورين من بلادهم او عودتهم اليها — ومن هنا فانه حتى ازمة عام ١٩٣٠ لم تكن قد وجدت بعد فى روديسيا « بروليتاريا » افريقية .

وكانت ملكية الافارقة ضئيلة بالنسبة لملكية الاوروبيين فانه حتى عام ١٩٣٠ وقبل صدور قانون تقسيم الارض كانت ملكية الافارقة حوالى ٥ر٤ الف فدان بينما كان للاوروبيين حوالى ٣١ مليون فدان .

ولقد ادى هذا التركيب الطبقى الى اتحاد الطبقات البيضاء (البورجوازية الريفية — العمال الماجورين — البيض — البورجوازية الصغيرة) حيث اتفقت مصالحهم والتقت فى ذلك الوقت فى معارضة الراسمالية الدولية ، ويمكن تبين مرحلتين من مراحل التطور السياسى :

اولا — التقاء مصالح الشركة صاحبة الامتياز والبورجوازية الريفية وتجسد هذا اللقاء فى برنامج طموح للاستثمارات وفى التشريع للحصول على العمل من السكان المحليين .

ثانيا — وتضمنت المرحلة الثانية العمل على : ا — تجريد الفلاحين الافارقة من ارضهم وفى نفس الوقت تشجيعهم للبقاء فى الارض كمستاجرين ، الايجار مقابل عملهم . ب — فرض ضريبة الاكواخ والتى ارغمت البالغ الافريقى ان يقضى بين شهر وثلاثة شهور فى العام للعمل باجر . جـ — قانون المرور لتوجيه العمل الى الاماكن المطلوب فيها لتطوير « العمل » فى ثلاث اتجاهات : ا — خلال نظام للعمل الجبرى (السخرة) ب — بالتحكم فى تكلفة انتاج الفلاح بتقليل انتاجيته . جـ — باستخدام وسائل تحويل الفلاحين الى بروليتاريا .

ولقد انتهى الاتحاد بين الطبقات البيضاء — البورجوازية والعمال البيض — ضد الراسمالية الدولية — اى الشركة

البريطانية لجنوب افريقيا الى العمل من اجل قيام حكومة مسئولة .

وكان قيام حكومة مسئولة يعنى مشاركة الطبقات البيضاء فى السلطة بدرجة اكبر . واذ ارضى قيام هذه الحكومة المسئولة طموح هذه الطبقات، الا ان اعتماد الاقتصاد على راس المال الاجنبى ارغم حكومة المستوطنين على تبنى سياسة وسطية للتوفيق بين مصالح البورجوازية الوطنية والعمال البيض من ناحية وبين مصالح راس المال الدولى من ناحية اخرى . وادى قيام هذه الحكومة الى ايجاد الاطار التشريعى المعبر عن مصالح الطبقات الوطنية البيضاء ، ولقد انعكس ذلك على التشريعات التى صدرت قبل الحرب العالمية الثانية — لتنظيم توريد العمل — المحافظة على الانتاج للسوق ... الخ كما نما اتجاه نحو انتهاج سياسة لتصنيع البلاد .

ومن اهم القوانين التى صدرت فى ذلك الوقت قانون «تقسيم الارض» . والذى صدر بهدف تحديد موارد اوسع للعمل ، ولتقسيم الاقتصاد الى مجموعات عنصرية غير متنافسة وذلك للتقليل من الاخطار المحتملة لقيام البورجوازية السوداء بمنافسة البورجوازية البيضاء .

وهكذا فان البناء الاقتصادى التحتى الذى تحقق خلال هذه الفترة قد انعكس فى وجود بناء فوقى بايدولوجية تعتمد على نظرية «النمو المتوازى» او «سياسة الهرمية» والتى وقتها تمنع المنافسة العنصرية الداخلية .

ولقد انتج هذا الوضع ظروفا موضوعية ، وتناقضات فى الحركة الاقتصادية ادت الى نمو الحاجة الى وجود صناعة تغطى الطلب المحلى وطموحه لغزو السوق الخارجى وهكذا فان حركة الاستثمار الراسمالى تطورت بدرجات كبيرة خلال الحرب الثانية وبعدها . وزادت استثمارات راس المال الاجنبى فى البلاد ، فبينما كانت فى ١٩٤٧ ٣ر١٣ مليون جنيه استرلينى زادت الى اكثر من الضعف فى ١٩٤٩ واصبحت ٧ر٥٠ مليون فى ١٩٥١ . وادى ذلك الى وجود طبقة بورجوازية صناعية متعارضة مع الطبقة الراسمالية الريفية .

ولقد شهدت هذه الفترة تغيرات كبيرة فى التركيب الاقتصادى والاجتماعى — ورغم ان التغيرات الرئيسية كانت تتمثل فى ظهور البروليتاريا والراسمالية الصناعية فان تغيرات هامة حدثت داخل الراسمالية الزراعية والتعدينية ، كالهبوط النسبى وازدياد التركز فى صناعة التعدين، القوة الاقتصادية للبورجوازية الزراعية ، التحول من التركيز على السوق المحلى الى السوق الخارجى لتوزيع المنتجات الزراعية (التحول من زراعة الذرة الى زراعة الدخان) .

وفى نفس الوقت حدثت تغييرات بارزة فى العلاقة بين البورجوازية الوطنية والراسمالية الدولية فى روديسيا . فقبل الحرب العالمية الثانية كانت المصالح الاجنبية الرئيسية مركزة فى تقدير قيمة الارض ، حقوق التعدين والسكك الحديدية . ولقد انتقلت حقوق التعدين الى الحكومة فى ١٩٣٣ وحقوق السكك الحديدية فى ١٩٤٩ . وهذا من ناحية ومن ناحية اخرى فانه بعد الحرب اخذت مصالح الراسمالية الدولية تشمل كل قطاعات الاقتصاد الروديسى وبصفة خاصة الصناعات غير الزراعية . ومن راس المال الاجنبى كانت هناك ثلاث مصالح رئيسية :

ا — المصالح المرتبطة « بالانجلو — امريكان كوربريشن » معبرة عن ارتباط مصالح الاحتكارات الكبيرة — امتياز تنجانيقا ودى بيرز والشركة البريطانية لجنوب افريقيا والانجلو — امريكان كوربريشن .

ب — ومجموعة الشركات الكبيرة الاخرى المشتغلة فى الانتاج المنتجات الاولية بنفوذ امريكى وبريطانى اساسا .

جـ — مجموعة مصالح الشركات الصناعية والبيوت الصناعية البريطانية الكبرى مصالح مباشرة فيها ويلى نفوذ راس المال البريطانى فيها راس مال جنوب افريقيا . وهكذا ادت التطورات الى سيادة راس المال الدولى على الاقتصاد الروديسى ، وفى نفس الوقت فان ازدياد تركز الملكية على التعدين والصناعة ادى الى القضاء على اصحاب الحرف والمهن وصغار العمال مما تسبب فى تحول مركز الثقل من البورجوازية الصغيرة الى العمال البيض الماجورين (وهم من اعلى الطبقات العاملة اجرا فى العالم) .

وفى نفس الوقت حرمت الطبقات الافريقية من الحصول على اى مكاسب، فالقيود كانت تفرض اكثر على العمل الافريقى الماهر ورغم ان التحول الى زراعة الدخان قلل من مقاومة المزارعين الاوروبيين للافارقة فى السوق المحلى فان الوطنيين حرموا من محصولات التصدير .

وادت هذه التغيرات فى البناء الطبقى الى : ١ — ظهور بروليتاريا افريقية كبيرة وازدياد الوعى السياسى بين السكان الافريقيين زيادة كبيرة . ٢ — وادى ذلك الى بروز الراسمالية الصناعية والتى كان يشل نموها الهبوط فى انتاجية الفلاح الافريقى ٣ — ان البورجوازية الزراعية البيضاء بتحولها من انتاج الذرة الى انتاج الدخان ولم يعد لها مصلحة فى التصنيع استمرت فى طلب موارد اكثر من العامل المهاجر غير الماهر ، ولقد عمق ذلك من الصراع بين مصالح الراسمالية الصناعية البيضاء والراسمالية الزراعية البيضاء . ٤ — وجدت انواع واشكال عديدة لتدخل راس المال الدولى فى روديسيا الجنوبية .

ولقد ادت هذه التغيرات فى البناء الطبقى الى تغير فى البناء الفوقى ، فاخذت ايدولوجية «هرمان» تتحول الى «المشاركة العنصرية» .

وفى هذا الوقت زاد اعتماد البورجوازية الاوروبية على الطبقة الوسطى والبورجوازية الافريقية . فمنذ اضرابات الافارقة فى ١٩٤٨ اخذت البورجوازية الصناعية تتجه الى احتضان البورجوازية الافريقية فى روديسيا بل والى خلقها لتكون قوة لصد تطور ونمو حركة جماهير الافارقة وللوقوف ضد الوطنية الافريقية النامية .

واتجهت الحكومات المتعاقبة من ١٩٥٠ — هيجنز وتود وهويتهيد — لانتهاج سياسة اصلاحية وقدمت بعض الاصلاحات

كالاعتراف بالنقابات الافريقية وتوسيع التعليم الافريقي وبعض الاصلاحات لزيادة المنافسة بين الزراعة الاوروبية والافريقية ولكن هذه الحكومات الاصلاحية والتى كانت تمثل الحزب الحاكم «الحزب الفيدرالى المتحد» سريعا ماتوقفت وفقد هذا الحزب انتخابات ١٩٦٢ — وتحت ضغوط من مختلف الطبقات البيضاء وراس المال الدولى تحقق وفاق طبقى بين مصالح الراسمالية الصناعية والزراعية — ولقد ادى ذلك الى تزايد قوة الحركة الوطنية الافريقية وبداية انضمام البورجوازية الافريقية والطبقة المتوسطة الافريقية الىالحركة الوطنية . ومنذ ١٩٦٢ تجمع العمال البيض والبورجوازية الصغيرة الزراعية حول حزب جبهة روديسياالرجعى والذى نجح فى انتخابات ١٩٦٢ .

ولتفهم الوضع الحالى فى روديسيالابد من الاجابة على ثلاثة اسئلة :

أولها : هل يمكن تحقيق حل استعمارى — جديد فى روديسيا؟

ثانيها : كيف يمكن شرح المحاولة الخرقاء لتحقيق الاستقلال من جانب واحد ؟

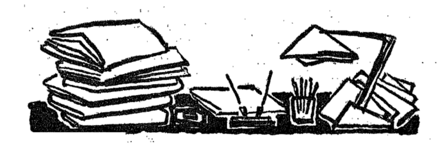
ثالثها : الى اين تتجه روديسيا ؟

اولا : الافاق امامحل استعمارىجديد فى روديسيا ، والمقصود بالحل الاستعمارى الجديد هوتطوير طبقة متوسطة افريقية وهو الوضع الذى سمحت به الظروف الموضوعية لبلدان افريقية اخرى — اما الوضع فى روديسيا فيختلف اذ ان البورجوازية الروديسية الكبيرة والصغيرة (البيضاء) والعمال الروديسيين البيض تمكنوا منذ ١٩٦٢ من تدعيم سلطتهم السياسية والاقتصادية ومن ثم تمكنوا من فرض حكومة بيضاء لاتسمح بظهور طبقة متوسطة افريقية تشاركها الحكم — ومن ١٩٦٢ حتى ١٩٦٥مرت الحكومة بفترة انتقال تمكن خلالها الحزب الرجعى من تدعيم قواه حتى ان الاصلاحيين السابقين انفسهم تراجعوا عن سياستهم (كما اتضح من نتيجة الاستفتاء على الاستقلال ١٩٦٤ والانتخابات العامة (مايو ١٩٦٥) ، ولقد انتهت فترة الانتقال تلك فى ابريل ١٩٦٤ عندما اصبح سميث رئيسا للوزارة، فسادتالايدولوجية السابقة لحكم الفيدراليين ووجهت الحكومة ضرباتها العنيفة للحركة الوطنية وتنظيماتها . والحزب الحاكم فى روديسيا اليوم يقاوم كل محاولة منجانب الراسمالية الدولية لتحقيق تحالفمع الطبقة الوسطى والبورجوازية الصغيرة الافريقية .

ثانيا : بعض الاستنتاجات عنحركة اعلان الاستقلال المنفرد، من الصعب حاليا تقديم اسباب مدروسة ومقنعة تماما عن اعلان الاستقلال المنفرد وكل مايمكن عمله الان — فى مرحلة جمع المستندات — هو القيام بمحاولة لتعداد بعض العوامل؟ فاولا — لقد اسرع الحكام البيض باعلان الاستقلال خوفا من تطور نمو حركات الافارقة وخاصة فى المناطق الريفية. ثانيا — السبب الثانى هو ان قيام حركة اعلان الاستقلال المنفرد يعتبر عاملا مساعدا على تحقيق التضامن الطبقى (بين الطبقات البيضاء) وكسلاح للضغط : ولقد اعتبر بعض القادة الافريقيين قيامه حيلة لصرف الانظار عن القضايا الاكثر اهمية . ثالثا — ان العلاقة بين القاعدة الاقتصادية والبناء الفوقى هى عامل من العوامل المؤثرة دائما — ان البناء الفوقى من الممكن ان يؤثر فى القاعدة الاقتصادية بتوجيهه لسلوك مختلف افراد الطبقات المختلفة . ومن هنا فاناعلان الاستقلال المنفرد تمكن من اقنــاع قوى حزب الجبهة الروديسـية ومختلف الطبقات البيضاء بان قيامه ليس لتحقيق التضامن الطبقى بين الطبقات البيضاء او كسلاح للضغط وانما قيامه ضرورة لحل التناقضات داخل المجتمع الروديسى .

ثالثا : الى اين تتجه روديسيا ؟ ان ما تريده بريطانيا — وهو مافعلته فى مستعمراتها هو تدعيم طبقة وسطى افريقية ونقل السلطة اليها تدريجيا — وهو حل مرفوض من قبل السلطة السياسية الحاكمة فى روديسيا . وهى السلطة التى تدعم كل يوم نظامها اكثر فى اتجاه نظام للتفرقة العنصرية — كجنوب افريقيا — وان التدخل العسكرى المباشر من قبل بريطانيا اصبح فى حكم المرفوض من قبل بريطانيا — وتسعى بريطانيا بواسطة استمرار الضغط الاقتصادى منها ومن زامبيا للوصول الى حلول وسط . وتصر السلطة السياسية فى روديسيا على تثبيت الوضع املا فى انها لو استمرت رغم كل الصعوبات الاقتصادية لمدة عامين فانها يمكنها ان تحقق بالتحالف مع حكومة جنوب افريقيا نوعا من النظام المشابه للنظم العنصرية فى الاتحاد .

ويختم د. جيوفانى اريجهى بحثه القيم بفصل من «آفاق ثورة افريقيا» وفى هذا الفصل يستبعد قيام ثورة افريقية مباشرة عن طريق التطور البرلمانى او قيام حرب عصابات لاسباب خاصة بجغرافية روديسيا ولكنه يرى ان ماسيقوم (ويقوم) فى روديسيــا اعمال ارهابية وهو يفرق بين حرب العصابات والارهاب بان الاولى تقوم على اساس انها حرب موجهة ضدقوات منظمة، بينما الاخيرة موجهة أساسا ضدالسكان المدنيين . ويخلص الى ان هذه الاعمال الارهابية بالاضافة الى المصاعب الاقتصادية من الممكن ان تؤدى الى ازدياد هجرة البيض من روديسيا وهى عملية اما ان تنتهى بتدخل من الجنوب او من الشمال ، او من بريطانيا ومن قوات هيئة الامم .. او تنتهى بلا تدخل على الاطلاق .



كتابات جديدة

مشكلات تطوير التعليم والمجتمع

تطوير التعليم ، دعامة أساسية من دعامات انجاح التخطيط الاقتصادى ودفع عجلة الانتاج ، كما وكيفا . وفى هذا المقال يناقش واصف عزيز ، عضو بعثة التربية والتعليم بمعهدالتربية بجامعة لندن ، قضية تطوير التعليم من هذه الزاوية.

واصف عزيز

أصبح من حق كل فرد اليوم فى الدول المتقدمة ان ينال قدرا من التعليم يصل به الى نهاية التعليم الثانوى او الجزء الاكبر منه. وهذا يعنى أن جميع التلاميذ قد قضوا فترة الالزام بالمدارس .

وينال ٧٠٪ من الشباب الامريكى على سبيل المثال تعليما ثانويا، و ٣٥٪ ينال تعليما عاليا .وفى الاتحاد السوفيتى تصل مدة الالزام الى نهاية المرحلة الاعدادية. وفى انجلترا يصل مستوى المناهج بالثانوية العامة السنة الثانية من التعليم الجامعى عندنا ! اما الاختبارات التى تعدها الجامعات والتى على اساسها تقدم المنح فانها تفوق ذلك المستوى بكثير .

رغبة الناس فى التعليم

ولعل من احسن المعايير التى تطمئننا على سلامة نمونا رغبة الناس فى التعليم وما حققته الثورة من ارتفاع فى عدد التلاميذ من ١/٢ مليون الى ٤ ملايين تلميذ . وينبغى الا ننسى ان معاركنا الكبرى من سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية اساسها التعليم فى الواقع. فما كان الاستعمار العثمانى ولا الانجليزى ليبقى كل هذه القرون لو كان التعليم العام والعالى منتشرا .وما كان من الممكن ان توجد مثل هذه التركيبات الاجتماعية الراكدة غير المتحررة والاستبدادية بالريف المصرى لو كان التعليم العام والعالى منتشرا خلال تلك العصور المنسية .

وفى مجتمعنا الاشتراكى تتولى الدولة العبء كله فى التعليم لتحقيق العدالة . والعائد من التعليم يفوق كل تقدير بالطبع والمسئولية عندئذ اكبر. غير ان رغبة الناس فى التعليم والتوسع فيه لم تلق للاسف الحماس الكافى من لجنة التعبئة لتطوير التعليم. فقد ذكرت مجلة بناء الوطن انه «بدا للجنة ان التوسع فى التعليم سار على نفس القاعدة القديمة فى اتجاه كمى دون الاهتمام بالاحتياجات الفعليه» وانه « بدا لها ان نسبة توزيع تلاميذ الاعدادى كانت تتجه للثانوى العام«٤٣٪» مما ادى الى نتائج مذهلة .. » وذكرت ان النتيجة كانت ان خريجى الحقوق والاداب والعلوم اكثر من الحاجة. ورأت اللجنة ان المفروض ان يستمر جميع تلاميذ الابتدائى حتى نهاية التعليم الثانوى.. وان لم يمكن فليكن الاعدادى. والوفر يتم بالاقتصاد فى النفقات غير الضرورية دون المساس بحق الناس فى التعليم وميزانية التعليم رغم القفزات الهائلة لاتزال بحاجة الى زيادة .ان حل مشكلات النمو الاجتماعى والاقتصادى — ومشكلة الاقطاع اكبر دليل — يقوم اساسا على مدى التوسع فى التعليم .

مدة الالزام وفرص التعليم العام والجامعى

وامام اقبال الناس على التعليم الثانوى من جهة وللوفر من جهة ثانية فقد اقترحت اللجنة جعل مدة الالزام ٥ سنوات بدلا من ٦، يضاف اليها سنة سادسة للذين يلحقون بالمرحلة الاعدادية ، وحددت نسبتهم بـ ٣٠٪ فقط من مجموع تلاميذ السنة الخامسة . كما حددت نسبة من يدخل التعليم الثانوى بـ ٢٠٪ فقط من خريجى المدرسة الاعدادية (اى ٢٠٪ من الـ ٣٠٪) ، اما بقية التلاميذ فيدخلون برامج مهنية قصيرة او طويلة او لا يدخلون. الا يعنى هذا الحد من التعليم على كافة مستوياته ؟

أقل حد من التعليم

وينبغى ان نذكر ان ٦ سنوات اقل حد من التعليم لاى

مواطن. والالزام فى كثير من الدول النامية (٦) اما فى الدول المتقدمة فانه يصل الى سن ١٦، اى ٩ سنوات يتعلمها كل مواطن. علاوة على من يستمر فى التعليم بعدها ونسبتهم كبيرة. بل ان هناك اتفاقات دولية ارتبطنا بها تنص على الا تقل مدة التعليم الالزامى عن ٦ سنوات. كما ان دستور ١٩٥٦ وما قبله ينص على ان التعليم فى المرحلة الاولى اجبارى.

وتستوعب المدارس الابتدائية حاليا ٨٠٪ من الاطفال، وهو ما لم تحلم به الاجيال الماضية، ونأمل ان تستوعب كل الاطفال عام ١٩٧٠، وعندئذ يرتفع الالزام الى سن ١٥ لا ينخفض الى سن ١١.

طبقية التعليم

ان ٧٠٪ من تلاميذ المدرسة الابتدائية حسب المشروع سيخرجون بعد الصف الخامس — مهما كان مستواهم بالطبع. ولن تكمل الاغلبية تعليمها مع الفئة القليلة المحظوظة. وهذا سيدى الى طبقية خطيرة. لانه من الذى سيقطع تعليمه؟ انه من ينتمى الى طبقات اجتماعية دنيا لا تستطيع ابقاء ابنها بدون عمل او لا تهتم بتعليمه او سوف ينتهى به الحال الى هذه الطبقات. ولن يكون بالضرورة اقل ذكاء من غيره حتى يستحيل تعليمه، وتوصد امامه ابواب التعليم فى المستقبل الى الابد.

ان نتيجة هذه الثنائية غير العادلة ليست اجتماعية فقط وانما ثقافية وسياسية وعسكرية واقتصادية ايضا. وقد سار التعليم المصرى زهاء قرن ونصف يحارب الطبقية الناشئة من وجود عدة انماط من التعليم تفتت الشعب الى فئات مختلفة متصارعة حتى امكن عام ١٩٥١ توحيد المدرسة الابتدائية لجميع ابناء الشعب. ثم امكن اخيرا توحيد المدرسة الاعدادية ايضا عندما تبين ان توجيه الطفل بعد الابتدائى الى برامج مهنية لا يجدى، وانه من الافضل توحيد الاساس الثقافى لجميع الشعب. وهذا من اعظم انتصارات التعليم عندنا. بل انه يفوق بعض النظم الاوربية التقليدية. وهذه الوحدة موجودة فى النظم الحديثة نسبيا كالنظام السوفيتى والامريكى.

الحكم المبكر خطأ

ومن الخطأ الحكم على مستقبل الانسان فى سن مبكرة — سن ١١. وقد نبذت كل النظم الحديثة هذا التقليد العتيق. ان المراحل المغلقة التى لا يمكن للانسان ان يستمر فى تعليمه بعدها خطأ ثقافى جسيم. ولا يمكن ان تكتمل قدرات الطفل ولا تظهر ميوله فى هذا السن ولا بعده بسنوات.

ان استمرار ملايين الشعب فى التعليم العام تعنى طاقة هائلة للنمو، وزيادة قدرة الدولة الاقتصادية والعسكرية والسياسية، كما تعنى تحرير المجتمع الريفى من قيوده المزمنة، وبالتالى مضاعفة طاقة الدولة اضعاف ما هى عليه. وهناك دول كثيرة وهيئات لا تنوى لنا خيرا مستعدة لدفع ملايين الجنيهات والدولارات — لا الالوف — لوقف هذا المد الثورى لذا ينبغى ان نعرف مكامن قوتنا.

حكاية الكيف والكم والاقتصاد

ولا يعنى تقليل مدة التعليم الارتفاع بمستواه، وهو الاعتقاد الشائع ليس عندنا فقط وانما بين كثير من المربين انفسهم فى العالم. فالمدرس الضعيف سيظل ضعيفا مهما نقص عدد التلاميذ والمدرس الجيد فى فصل به ٥٠ احسن من مدرس ضعيف فى فصل به ٥ فقط والكتاب الجيد سيظل جيدا زاد عدد قرائه او نقصوا — ولا تأثير لعدد الصفحات على مستواه او على مستوى المناهج بالطبع. ولا ننسى ان هناك عددا كبيرا من التلاميذ يصل الى الصف الرابع. ولايعرف كتابة اسمه. ولا يعنى تخفيض مدة الالزام او حتى زيادتها امرا فى هذه المشكلات الضخمة التى لا شك ترجع لاسباب اجتماعية، ولا يمكن القاء العبء كله على رجال التعليم. ونسبة المدرس الى التلاميذ عندنا تساوى تقريبا مثيلتها فى اغلب دول العالم. شىء واحد يبقى. وهو ان خروج التلاميذ مبكرا سوف يزيد من اعباء الاجور دون اية زيادة حقيقية فى العمل او الانتاج.

تخطيط التعليم وحرية الاختيار

ان تخطيط التعليم ليس مثل تخطيط صناعة الاسمنت مثلا. فافتراض دخول ٣٠٪ من خريجى الاعدادى مراكز تدريب قصيرة واعمال بيئية، يعنى اجبار ثلث مجموع الاطفال دخول انواع دراسة معينة قد لا يرغبون فيها. ناهيك من احتمال نجاحها مقدما. وهو مشكوك فيه. كما يعنى الحكم بغلق باب التعليم الى الابد امام هؤلاء الناس كما اشرنا. وكل الدراسات المهنية سواء بعد الاعدادى او الثانوى تؤدى الى استحالة الاستمرار فى التعليم بعدها. ولذلك فان كثيرين لا يقبلون عليها. ومن الضرورى بحث مدى نفعها فعليا قبل ان نقرر عدد من يدخلها.

ارتفاع تكلفة البرامج الفنية

ان من اهداف التخطيط الاقتصاد فى النفقات مع زيادة الكفاية. ولكن اليست البرامج المهنية المبكرة والمدارس الفنية ذات الثلاث والخمس سنوات باهظة التكاليف؟ ان تكلفة مدرسة فنية واحدة اضعاف اى مدرسة عامة. وبدل بناء مدرسة فنية واحدة يمكن بناء اثنتين او ثلاث عامة. كما ان وجود مدرسة فنية واحدة يعنى ضرورة ملئها باطفال المدينة او الحى كله. لان فى تعطلها خسارة. وقد نتجاوز عن التكاليف اذا كان التخصص المهنى المبكر نافع. ولكن هذا غير حقيقى كما يبين الواقع والاراء التربوية الحديثة.

التخصص الفنى المبكر خطأ

ان انعزال الطفل مبكرا واتجاهه الى برامج مهنية اولية لن يؤدى فقط الى الطبقية وعرقلة نمو المجتمع، وانما الى ايجاد افراد غير اكفاء للعمل حتى للعمل الفنى المؤهلين له ذاته. فالقول بأن هناك من يصلح للتعليم العام وهناك من يصلح للتعليم الفنى خطأ. فمن يصلح لهذا يصلح لذاك. اللهم الا اذا كان التعليم المهنى بدائيا وللاقل ذكاء. وهذا ليس التقدير المتوقع للعمل اليوم. والدراسات العامة ضرورية للجميع. وليس العامل الفنى من يضع مسمارا فى آلة، لان الالة غدا تتعدل. ويستغنى الانتاج الالى عن العمال غير المهرة. وهذا تبرز اهمية الدراسات العامة التى تؤهل العامل لقراءة التعليمات ومتابعة التطورات فى الدنيا والتكيف للحياة. لذلك كنا نجد خريج المدرسة الاعدادية الفنية — عندما كانت موجودة — لا يفضل بالمدرسة الثانوية العامة. بل ولا الثانوية الفنية ذاتها. وكانت تنحل الاسباب وقتها. واين كان يذهب تلميذ الاعدادية الفنية؟ كان يعمل كاتبا. وحاليا تفضل معاهد التدريب المهنى خريج الثانوية العامة على الفنية. لان الاول اكثر مرونة واستيعابا للدراسة كما قال لى بعض المسئولين عن مراكز التدريب المهنى بوزارة الصناعة.

التخصص المهنى المبكر اذن فاسد تربويا، واجتماعيا، ومكلف اقتصاديا. وكلما طالت فترة التعليم العام الموحد كلما تخرج مواطنون اكثر نفعا. وما زلنا ننتظر مدرسة ثانوية موحدة.

معلم الابتدائي ومستقبله

ان مدرس الابتدائي يعد لمدة ٥ سنوات بعد الاعدادي او سنتين بعد الثانوي، وجزء كبير من دراسة الطالب خلال السنوات الخمس تعادل الى حدما فترة التعليم الثانوي. والهدف من خمس سنوات اذن ليس رفع المستوى، وانما لان خريج الثانوية العامة لا يرغب في مهنة التعليم، وان افضل وسيلة للاحتفاظ بالطالب ادخاله مبكرا معاهد المعلمين .ولو ادى ذلك الى استحالة استمراره في التعليم الى الابد. وهكذا يقضى عليه فكريا ونفسيا واجتماعيا واقتصاديا، وليس هكذا اعداد المعلم.

لابد من علاج مهنة التعليم بصورة ثورية جديدة كلية بتقريب الفروق بين المعلم وغيره من العاملين من حيث المستوى الاقتصادي والعلمي. ويكون الحد الادنى حصوله على الثانوية العامة، وفتح جميع الابواب امامه للنمو العلمي (في ميدان تخصصه) وفي الترقي، وفي جعل المهنة ارحب من حيث شروط النقل والسكن وترك المهنة .

ونخشى ان يكون السبب نفسه وراء فكرة انشاء مدارس فنية مدتها ٥ سنوات. ومن الافضل ان يكون التدريب المهني قصيرا مركزا بعد تعليم عام موحد كاف. واذا زاد الطلب على الفنيين او المعلمين يمكن قبول خريج الثانوية العامة مباشرة في المهن وتدريبه اثناء الخدمة، مع ضمان مرتب لائق يحفزه على العمل مباشرة .

كيف تحسب الاحتياجات الفعلية ؟

ان الاعتقاد بوجود علميين زيادة عن حاجة البلاد او مهندسين بعدد كاف ليس معناه ان النمو بلغ حد الثبات. وانما معناه القصور عن استخدام اثمن ما لدينا من خبرة وخبراء .

وهناك التوصية بضرورة توجيه الطلاب منذ السنوات الاولى الى التخصصات التي تحتاجها البلاد بالفعل حتى لا يكون هناك فائض في تخصصات وعجز في غيرها .ولكن الم يكن من الضروري بحث ما هي هذه التخصصات واقتراح غيرها او تعديلها او الابقاء عليها؟ ان اللجنة لم تتناول بالبحث هذا السؤال الصعب، وهو لب المشكلة .

ان امامنا شوطا كبيرا في العلوم والصناعة لا بد من قطعه بسرعة، لاننا امام ظروف دولية ليست هينة ،وسباق علمي رهيب. ومع ذلك اذا كانت هناك زيادة فهل قدرنا حاجة الدول العربية والافريقية والاسيوية؟ فالواقع انه لا حدود لتصدير الخبرة، وربحها كبير ــ لهذه الدول ولنا .

ولكن اشك في الاعتقاد بأن عدد المهندسين كاف او ان العلميين زيادة عن الحاجة.فان امريكا وانجلترا والمانيا تشكو بشدة من النقص الخطير في العلميين، والمتوقع انه سيزداد في المستقبل. وقد بدأت انجلترا تبحث انشاء «جامعة الهواء» حيث يتعلم الناس برامج الجامعة من طريق التليفزيون . واذا كان الحال كذلك في الدول الصناعية الكبرى التي لديها جامعات تخرج علماء ومهندسين من عصور قديمة ولديها رصيد كبير منهم، فكم تكون الحاجة عندنا ونحن في بداية الطريق؟

ان تحديد الاحتياجات بعبارة «متخصصين في الرياضيات والكيميا والفيزيا والجيولوجيا ونبات وحيوان» لا يكفي .فهل تبين عبارة «التخصص في الحيوان » العلوم العديدة والصناعات ومستقبلها التي يضمها هذا الميدان ؟

والخلاصة

١ ــ ان الحاجة الى خريجي كليات الهندسة والعلوم والطب والصيدلة والزراعة ماسة للغاية لاى تقدم حالي ومستقبل .ولا يجوز وضع حد لعدد الخريجين فيها .

٢ ــ اذا كان هناك فائض عن الحاجة ــ وهذا غير صحيح ــ فهو دليل القصور عن تشغيلهم بالقدر المثمر .

٣ ــ ولو كانت هناك زيادة مع ذلك فينبغي تصديرها، وينبغي ان تنظم هذه العملية وتتسع لاهميتها .

٤ ــ اهمية تصدير الخبرة :

أ ــ تعاون مع الدول الصديقة .

ب ــ تأكيد استقلالها السياسي والاقتصادي وبالتالي سلامتنا .

جـ ــ معاونتها في زيادة انتاجها الزراعي حيثما يوجد لضرورته البالغة حاليا ومستقبلا لكافة الدول النامية .

د ــ دخل من العملات الصعبة ــ خاصة من الاجور .

تحويل كليات العلوم والاداب الى كليات معلمين

ان الاقتراح بتخصيص كلية واحدة لتخريج متخصصين في العلوم البحتة وتخصيص باقي كليات العلوم لتخريج المعلمين ويكون القبول ٥٠٠ طالب في كلية العلوم البحتة و١٧٠٠ في باقي الكليات . اقتراح متسرع وغريب .ان معناه نهاية كليات العلوم ــ درة كل جامعة ــ اساتذة وطلابا وضربة قاصمة للبحث العلمي قد يستعصى علاجها لعشرات السنين ان امكن اقامتها من رقدتها ثانية .علاوة على ما يدل من عدم تقدير كافة احتياجاتنا وظروفنا واستغلال ثروتنا العلمية .وهو نفس مشروع وزارة التعليم العالي السابق بانشاء شهادة متوسطة في الجامعة، والذي لو كان نفذ لاودى بالجامعة في تقديري .

أزمة المعلمين

ان وراء تحويل كليات العلوم والاداب الى كليات معلمين اسباب، اهمها الحاجة الى معلمين. وهذه الازمة موجودة في الدنيا كلها .وينبغي التفكير في اسبابها بدل التغيير الجذري في الجامعة. ان ظروف المعلم في العالم ليست مشجعة اذا قورنت بغيرها من المهن. وليس من السهل تغييرها بسرعة لان المعلمين نسبة كبيرة من قطاع العاملين .

وكيف يمكن ان يتم تحويل كليات العلوم والاداب ؟ هل سيتحول الطالب الحالي بعد السنة الثانية الى اقسام تربوية ــ كالمشروع السابق؟ سيرفض بالطبع. اللهم الا اذا اضطررناه .وهل اذا حولنا اغلب كليات الاداب والعلوم الى كليات معلمين ولم نبق الا على واحدة من كل، سنجد نفس العدد من الطلبة يدخلها ليصبحوا معلمين ؟ غير محتمل . لانهم لو شاءوا لدخلوها قبل التحويل .وهو ما لم يحدث ولن يحدث طالما لم تتغير ظروف المهنة .ونجمل التغير المرغوب فيما يلي :

١ ــ المستوى الاقتصادي من مرتبات وبدلات وترقي .

٢ ــ تيسير ظروف الخدمة من انتقال وسكن وترك الخدمة لغيرها متى شاء .

٣ ــ النمو العلمي في ميدان التخصص ذاته .

٤ ــ ربط المعلم بالكليات الجامعية التي تخرج منها لاستمرار نموه العلمي والفكري .

٥ ــ اصدار مجلات علمية نشيطة للمعلمين في تخصصاتهم تجدد معلوماتهم باستمرار .

٦ ـ التوسع فى استخدام المعينات ووسائل الايضاح التى تيسر التدريس وتزيد كفايته .

المعلم العالم لهذا العصر

ان التطور العلمى المعاصر يحتاج الى معلم جامعى، ولو امكن له دراسات عليا فى تخصصه . ان الحاق كليات المعلمين بالجامعة خطوة هامة، لكنها لا تكفى. لان تطور العلوم يقتضى تدريس موضوعات جديدة بالمدارس . وقد حاولنا ادخال التفاضل والتكامل بالمدارس ولم تنجح التجربة. والسبب المعلم . ويدرس التفاضل والتكامل فى انجلترا لتلاميذ الثانوية العامة المستوى الاعتيادى فى سن ١٦ .

واى قراءة لكتب العلوم فى امريكا وانجلترا او فرنسا ولا شك فى غيرها ، تجعل المرء يصدم بشدة. فمستوى الثانوية العامة فى الخارج مرتفع جدا، ويصل الى السنة الثانية من الجامعة عندنا ان لم يفقها فى بعض الموضوعات. وهذا يعنى ان خريج العلوم والاداب بالجامعة اقدر على ملاحقة التطورات الحالية وتدريسها .

تبقى حكاية الاعداد التربوى لمهنة التدريس. وهنا نجد مشكلة ان خريجى الجامعة لا يرغبون دخول كلية التربية. وينبغى عندئذ ان نبحث السبب بصراحة وموضوعية بدل البحث فى اغلاق كلية التربية ـ الكلية الوحيدة التى تعد خريجى الجامعة لمهنة التدريس وبها تجرى البحوث فى مشاكلنا التربوية ويمكن قبول خريجى الجامعة مباشرة فى مهنة التعليم . ثم اعداد برامج ضرورة سريعة لهم اثناء الخدمة. ولا توجد اية بحوث على حد علمنا تثبت ان الدراسات التربوية لكليات المعلمين ـ التى تتم على حساب الاعداد العلمى للمعلم ـ تجعل المعلم اقدر على تدريس العلوم وملاحقة تطوراتها من المعلم خريج كليات العلوم او الاداب الذى اعد اعدادا تربويا سريعا او طويلا ـ او حتى لم يعد تربويا .

ان هذه النقطة بالذات موضع مناقشات كثيرة وقلق فى الولايات المتحدة وانجلترا حاليا، خاصة بعد اطلاق الروس اول قمر صناعى وبداية الصراع فى عصر الفضاء. وقد هاجم العلماء الامريكيون بشدة نظم التعليم التى تسرف فى التدريبات التربويه والمهارات المهنية للمعلم على حساب اعداده العلمى. والتى تقلل من اهمية الجانب العلمى للتلميذ .

وينبغى ان تكون الصلة وثيقه بين المعلمين والعلماء، حتى يمكن للمعلم ان ينمو علميا، وليس بالقطيعة بينه وبين العلم كما يحدث مع معلمينا للاسف مدة الثلاثين او اربعين عاما اثناء الخدمة. واذا كان هناك تدريب فاذا به للادارة المدرسية او ما شابه ذلك من مهارات مهنية لا تفيد تقدم المعلم والاالتعليم وان كانت ضرورية .

لذلك فان توصية لجنة التعبئة بايجاد مجلس اعلى للتعليم من الجامعة ووزارات التربية والتعليم العالى والمختصين خطوة اساسية يمكن ان تضمن ارتفاع مستوى التعليم واستجابته للتطورات . لكن ينبغى ان تستكمل بكافة الاعتبارات السابق الاشارة اليها .

ان معالجة مشكلة اعداد المعلمين فى اية دولة ليست سهلة فان وراءها فئات كثيرة ممن تخرجت بهذه الطريقة او تلك. وهذه تتحول الى فئات متصارعة ذات مصالح. وتصل المشكلة فى امريكا الى قضية اقتصادية وسياسية كبرى. لكن الذى يهمنا بمستوى المعلم وصلته بالتقدم العلمى .

الغرض من الجامعة

ان الاجابة على هذا السؤال تحدد طريقة معالجتنا لكل المشكلة التربوية. والذى يتابع نشاة الجامعة المصرية فى اوائل هذا القرن وصراع الشعب ومساهمته فى اقامتها يرى الامال الكبيرة التى علقها عليها للخلاص من مآسيه السياسية والاجتماعية .

هل هدف الجامعة تخريج موظفين؟ اذا كانت كذلك فانها تصبح مركز تدريب مهنى ، لا يعد الطالب لاى تطور علمى مستقل وهل اذا شاء موظف ادارى ان يدرس التاريخ القديم نرفضه لان ارقام الخطة تحدد عدد الاثريين بمصلحة الاثار فى السنوات القادمة؟ مستحيل. الخطة تحدد ادنى رقم للمتعلمين وليس اقصى رقم. وهل اذا درس ذلك الموظف التاريخ القديم ينبغى ان يصبح اثريا؟ او اذا درس الادب يصبح بالضرورة شاعرا.

ليس هدف الجامعة تخريج موظفين مباشرة. بالطبع تعد الناس للعمل بعدها. ولكن ليس بهذه الصورة التطبيقية الضيقة التى بها نحدد عدد من يدخل بعض الكليات. ونوع العمل فى المجتمع هو الذى يحدد اقبال الناس على نوع التعليم. فمثلا بعد ان بدات الصناعة تنهض فى بلادنا وبدأت الصناعات الحربية ومراكز البحوث فى النمو وجدنا اقبال التلاميذ فى الثانوية العامة يتجه الى شعبة العلوم حتى وصل ٨٠٪ او ما يزيد دون اى تحديد او توجيه .

الهدف من الجامعة هو التدريب على البحث فى ميادين علمية واسعة تتعدل من يوم الى يوم . ويكون هدف الدراسة عندئذ المعرفة لذاتها. وهذا احسن ضمان للنمو العلمى السليم . ولا يمكن ان نتصور ان المعرفة البشرية منفصلة عن المصالح البشرية. وكثيرون من الموظفين الاداريين فى الخارج يحملون شهادات جامعية فى ميادين تختلف عن عملهم. وفتح باب التعليم الجامعى على مصراعيه بكافة الوسائل بما فيها الانتساب يزيد ـ فى رأيى ـ من كفاية العمل والعاملين .

الخلاصة

- ابقاء مدة التعليم الابتدائى الالزامى ٦ سنوات . ترتفع الى ٩ عام ١٩٧٠ كما كان مقدرا ، لتضخم التعليم الاعدادى الموحد. ونسبة استيعاب المدارس حاليا (٨٠٪) تسمح بذلك النمو .
- التخصص المهنى المبكر يؤدى الى طبقية، ويحرم الناس من الاستمرار فى التعليم .
- تقليل مدة التعليم الفنى ما امكن، وزيادة مدة التعليم العام الموحد وعدد من يتعلم به للاسباب الاتية : ا ـ التكاليف الباهظة للمدارس الفنية ب ـ توحيد الاساس الثقافى للشعب جـ ـ خريج التعليم العام اقدر على متابعة التعليم وعلى العمل الفنى ذاته والتكيف للحياة .
- العمل على توحيد المدرسة الثانوية. وذلك بالتقليل من التخصص سواء اكان فنيا ام اعداد معلمين بدل زيادته . فلا تنشأ مدارس فنية او اعداد معلمين ذات ٥ سنوات .
- اعداد معلمى الابتدائى يكون بعد الثانوية العامة لا قبلها لمدة سنة او سنتين ـ او حتى خلال الخدمة بسبب الحاجة الى معلمين .
- من الافضل ان يكون معلم الثانوى من خريجى كليات العلوم والاداب لقدرته على ملاحقة التطور العلمى السريع وتدريس العلوم الحديثة، ويدرب مدة عام بعد التخرج او خلال المهنة .
- بحث تكليف خريجى الجامعة من العلوم والاداب وغيرها بالتدريس مع تحديد مدة التكليف بعامين مثلا .

● دراسة مشكلات مهنة التعليم بسبب كل المشكلات بموضوعية وصراحة ومحاولة تحسين ظروف الخدمة بقدر ما تسمح به الامكانيات .

● لا تحول كليات العلوم ولا الآداب الى كليات معلمين مطلقا . حفظا على الجامعة والبحث العلمى ، وللحاجة الماسة الى العلميين والمثقفين امام ظروفنا الاجتماعية والاقتصادية والدولية .

● الابقاء على كلية التربية جامعة عين شمس — الكلية الوحيدة التى تعد خريجى الجامعة للتدريس وتعد البحوث فى مشكلات التعليم وتطورها ومقارنتها بالنظم فى الخارج . ويعد ضم كليات المعلمين الى الجامعة خطوة هامة لا ينفى وجود كليات تربية كما هو الحال فى انجلترا مثلا .

● بحث ارسال العلماء والمهندسين والزراعيين للعمل بالخارج بصورة منظمة على اوسع نطاق للتعاون الاقتصادى وخاصة الزراعى ولادخال عملات اجنبية .

● المجلس الاعلى للتعليم المقترح من الجامعة ووزارة التربية والمختصين خطوة تاريخية تستحق التقدير ، وبذلك يزداد اشتراك الجامعة فى الاشراف على مستوى التعليم العام .

●●●

نحو حياة ثقافية وفنية جديدة

يناقش المواطن عنتر عبد السلام مخيمر من القاهرة ، من وجهة نظره ، قضية الواقع الثقافى والفنى الراهن فى بلادنا .

عنتر عبد السلام مخيمر

حقيقة

تثير فى النفس لواعج الاسى ، وتطلق بسببها فى الاعماق مرارة الالم . هذه الحقيقية هى تخلف ثقافتنا وفنوننا عن واقع حياتنا المادى المتطور نحو الاشتراكية . اما عن الواقع المادى فأمام اعيننا هذه الحقائق :

● اصبح الانتاج فى مجتمعنا موجها لصالح الشعب اقتصاديا واجتماعيا ، كما امكن التغلب على الكثير من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التى كانت تعوق النمو الاقتصادى وذلك بفضل سيطرة الشعب على وسائل الانتاج .

● اصبح الدخل القومى فى مجموعه حقا لكافة افراد المجتمع نتيجة لتوزيع الناتج القومى على اساس من مشاركة العاملين فى الانتاج . وبمعنى آخر على اساس العمل .

● التخطيط الشامل للنشاط الاقتصادى ، وهذا سبيل تحقيق اقصى اشباع لحاجات الناس .

هذه الحقائق الرائعة ليست كل مايمكن ان يقال عن الواقع المادى لحياتنا . ولابد ان نتأمل الحياة من حولنا .

ففى اسوان يقام السد العالى الذى سنفرغ من بنائه بعد سنتين أو ثلاث سنوات . وثمار هذا المشروع الجبار لايجهلها

أحد .. الكهرباء .. زيادة الاراضى الزراعية.. زيادة الثروة السمكية .. الخ .

كذلك نشأت فى بلادنا صناعات ثقيلة ، واخرى خفيفة .مئات المصانع قد شيدت ، وتداعت خرافة ان مصر بلد زراعى فحسب كما تم من الانجازات .فىمجالات الخدمات والثقافة والفنون

هذا عن الواقع المادى..فماذا عنحياتنا الثقافية والفنية؟ لنعرف أولا .. ماالفن ؟ وماهى الثقافة ؟

فالفن هو التفسير الوجدانى للكون وللحياة وهو لايكون الا وفاء بحاجة نفسية واجتماعية للمجتمع (١) كما أنه فى نفس الوقت اداةالانسانية لتأململامحها ومعرفةنفسها وهذامادفعها الى التفكير والتطور (٢)

والثقافة هى الادراك الواعى لقضايا العصر واحوالالمجتمع انهاوعينا المتطورباستمرار لانفسنا وللعالم الذىنعيش فيه(٣)

واقع حياتنا الفنية

بصراحة وبلا مغالاة ، الفنون فى بلدنا تغط فى نوم عميق فهى لاتواكب مرحلة التطور التى نعيشها .. مرحلة التحول الاشتراكى .كما انها لاتفى بحاجة المجتمعاليوم النفسية او الاجتماعية.فالاغنية لاتزالمجرد بكاء ونواح،او عباراترخيصة ومضمون مبتذل . والفيلم السينمائى لايعكس صورة صادقة لحياتنا ولايؤكد أو يدعم أو يدعو الى قيم مجتمعنا الجديد . أما الادب ، فان معظم كتابات أدبائنا ليس لها صلة حقيقية بالمرحلة التى نعيشها فهى لاتفى أو تعكس حاجة اجتماعية للمجتمع . ولااريد ان امضى فى الحديث عن بقية الفنون ، فما أهمية الافاضة والاسهاب فى حديث لايجهله أحد

واقع حياتنا الثقافية

قلت أن الثقافة هى الادراك الواعى لقضايا العصرواحوال المجتمع . ومن تفهموتأمل هذه الحقيقة يتضح لنا ان مجتمعنا يقاسى من أزمة ثقافية رهيبة . المثقفون فى مجتمعنا قلة قليلة والشىء الذى يثير الاسى حقا هو أن الكثيرين من خريجى الجامعات والمعاهد العليا ليسوا من بين المثقفين . كذلك فان هذه القلة من المثقفين لاتقوم بواجبها لانها منعزلة عن الجماهير فى حين ان واجب المثقف فى المجتمع الاشتراكى هو نقل الفكر الاشتراكى الى الشعب والتصدى للافكار الرجعية التى تشكك فى الثورة واصالتها ، وفى التغيير الجذرى الذى تحدثه فى المجتمع لصالح قوى الشعب العاملة .

الطريق الى حياة ثقافية وفنية جديدة

دور الدولة

من الطبيعى ان نقول أن دور الدولة الثورية فى تطويروتنمية حياتنا الثقافية والفنية ، دور هام وبالغ الخطورة ، ويتمثل هذا الدور فى عدة واجبات ومسئوليات هى :

● توجيه خدمات التعليم والثقافة الى جماهير العمال والفلاحين لانها الكفيلة بتكوين ارض صالحة لزرع قيم الثورة ومبادئها (٤)

● اعادة النظر فى المناهج الدراسية بحيث لاتتعارض مع أسس ودعائم وقيم المجتمع الاشتراكى وميثاق العمل الوطنى

● زيادة اهتمام أجهزة الثقافة والاعلام ببلورة الفكر الاشتراكى ونقله الى الشعب . وتتضح أهمية برامج الاذاعة والتليفزيون اذا عرفنا ان مصدر الثقافة الوحيد لاغلبية شعبنا هو هذه البرامج (٥)

● الاكثار من تنظيم المسابقات الثقافية والادبية ، ويمكن أن تسهم هذه المسابقات فى تعميق وتأصيل المفاهيم والقيم الاشتراكية لدى المثقفين والفنانين . اذ ان هذه المسابقات ستدفعهم الى تفهم مجتمعهم ودراسة الفكر الاشتراكى . كذلك فان هذه المسابقات ستسهم فى اثراء الفكر الاشتراكى العربى.

● الاكثار من الجوائز التقديرية والتشجيعية (مالية وادبية) للاعمال الفنية النابضة بروح المجتمع الاشتراكى ، المؤكدة والمدعمة والداعية الى قيم مجتمعنا الاشتراكى — مثل : منع الاستغلال ، قيمة العمل ، التعاون ، عدالة التوزيع .. الخ

● التوسع فى اقامة المعاهد الاشتراكية بمستوياتهاالمختلفة وخاصة معاهد الشباب .

● تنظيم زيارات — وخاصة لاهل الفكر والفن — الى السد العالى وغيره من مشروعات ومنجزات الثورة، فالابداع الادبى والفنى يكون دائما ثمرة معاناة وانفعال . ومن الطبيعى أن هذه الزيارات هى سبيل المعاناة والانفعال .

دور أهل الفكر والفن والثقافة

● على كل فنان او أديب او مثقف اشتراكى أن يعمل على اضافة دراسات اشتراكية عربية أصيلة وأن يعملعلى توضيح الاشتراكية وغيرها من مفاهيم مجتمعنا الجديد للجماهير . وأن يتصدى للقوى الرجعية ، فليس أخطر من انعزال المثقف عن الجماهير وعلى الاديب الفنان ان يلتزما بقضايا المجتمع ونصرة قضية الجماهير ودعمها بشرط أن يكون التزاما حرا وحقيقيا (٦)

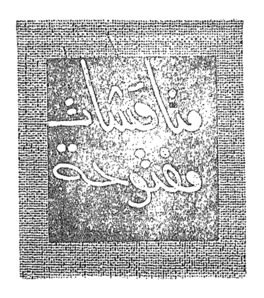
● على الادباء أن ينزلوا الى الجماهير فى أماكن عملها ومعايشتها فى حياتها حتى يكتبوا عنها بصدق ، ولان هذه هى الطريقة المثلى للابداع الادبى (٧)

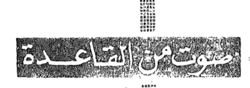
واجب الجماهير

أن تتزود بقدر وافر من الثقافة ، ومصادر الثقافة كثيرة وموفورةكالاذاعة والتليفزيون والصحف والمجلاتوالكتب المختلفة والسينما .. الخ . فالثقافة هى التى تمكن الانسان منالادراك الواعى لقضايا العصر وأحوال المجتمع ، ومن ثم أتخاذ موقف ايجابى منها ، بل ان الثقافة فى رأى علماء الاخلاق شرط أساسى فى تكوين المواطن .

---

(١) امين الخولى .
(٢) توفيق الحكيم .
(٣) جان بول سارتر .
(٤) د. لطيفة الزيات (ندوه رسالة الادبوالفن — الاشتراكى ١٩ فبراير سنة ١٩٦٦)
(٥) د. يوسف ادريس (ندوة رسالة الادبوالفن — الاشتراكى ١٩ فبراير سنة ١٩٦٦)
(٦) كمال رفعت (ندوة رسالة الادب والفن— الاشتراكى ١٩ فبراير سنة ١٩٦٦) .
(٧) د. لطيفة الزيات (ندوة رسالة الادبوالفن — الاشتراكى ١٩ فبراير سنة ١٩٦٦)





نحو وحدة الاشتراكيين فكرًا وعملًا فى مجتمعنا

يكتبه هذا العدد
المواطن صلاح زكى
سيد أحمد مدرسة أحمد
عرابى الثانوية بالزقازيق

لقد اختار شعبنا الاشتراكية باعتبارها الصيغة الوحيدة الملائمة للتقدم والتطور وبانتقال ملكية معظم أدوات ووسائل الانتاج الى الشعب العامل ، حققت البلاد تقدما اقتصاديا رائعا يرتكز على قاعدة مادية صلبة .

ماذا يبقى اذن كى نضمن سلامة تطبيقنا للاشتراكية ؟ ان الجواب واضح وعى الجماهير وفهمها الواضح للاشتراكية لتحميها وتدافع عن مكاسبها . فالجماهير بدون وعى يؤيد التطبيق ويعرف مكامن النجاح والخطأ ، ظاهرة تشكل خطرا على مكاسب الثورة واستمرار تطورها ولقد جاء الميثاق الوطنى دليلا للعمل الثورى ، يفسر ويشرح ماهيتها وكيف نطبقها . وقد صيغ الميثاق ليكون نظرية الاشتراكية بقوانينها العملية للواقع المصرى .

ان واقعنا الفكرى متخلف فى جميع جبهات حياتنا أو اغلبها على الاقل . وهذه حقيقة . فالوضوح الفكرى لم يصل بعد الى الحد الذى يتطلبه مستوى المعركة ضد الفكر الرجعى والاستعمارى . اذ مازالت الجماهير فى حاجة للوضوح الفكرى الاشتراكى . واذا قلنا ان الميثاق قد تضمن نظرتنا الاشتراكية ولا حاجة لنا لتوضيحها وتعميق مفاهيمها ، فاننا نقع بذلك فى أشد الاخطاء وأخطرها . لقد وضح الميثاق نظرتنا الاشتراكية بالفعل ولكن جماهير شعبنا فى حاجة ماسة الى الشرح والتفسير المستمر المتجدد . والا فكيف تلتزم الجماهير به وتطوره وتضيف اليه ؟ اننا ان لم نبادر الى تحقيق هذا عاملين على خلق وحدة فكرية ، نفتح بذلك ثغرة كبيرة لتسرب الفكر الرجعى . اذ يخرج بعض اساتذة الجامعة علينا بين يوم وآخر بافكار مشوشة مضطربة عن الاشتراكية . وهذا الفكر الذى يروجون له انما هو فى الحقيقة يسىء الى ماجاء فى الميثاق عن الاشتراكية وكيفية تطبيقها فى المجتمع المصرى .

اننا لم نقم بهذه التوعية الفكرية المطلوبة، فسوف نجد أنفسنا تائهين فى غياهب أزمة فكرية معقدة سببها بعض اساتذة الجامعة وغيرهم الذين يكتبون عن الاشتراكية بينما يعيشون فى قصورهم العاجية بعيدا عن الشعب العامل الذى يزحزح الجبل فى اسوان ويصهر الصلب فى حلوان ويزرع الارض فى الحقول ويبنى المصانع ويحرس الوطن . ان بعضا من اساتذة الجامعات يكتبون عن الاشتراكية ويخوضون فيها كما لو كانت قضية خاصة

بحياتهم الشخصية فقط ، وليست قضية الاشتراكية التى يتحدثون عنها هى قضية الشعب العامل . ان كثيرا من التيارات الفكرية فى مجتمعنا ، ليست سوى تيارات مضادة للاشتراكية بل ووصلت الى حد التطيمة بالميثاق والابتعاد عما جاء فيه لقد خرجت كثير من الافكار الرأسمالية والاقطاعية الرجعية على ايدى بعض هؤلاء الاساتذة الذين يتشدقون — هم انفسهم — اليوم بالاشتراكية ويتخفون فى ثوب اشتراكى ووراء عنـــاوين اشتراكية .

ومن أمثلة الاساتذة الذين ينشـــون الاشتراكية بمفهومها العلمى وتطبيقها العربى الدكتور حسين فوزى النجـار الذى ينكر الاشتراكية العلمية وينفيها من أساسها ولايضع لها أى اعتبار فى كتاباته كذلك الدكتور صـلاح مخيمر اذ يقـول «نحن حين ننظر الى ميثاق العمل الوطنى لنستخلص منه هنا وهناك ماعساه أن تكون نظريتنا العلمية فى التطور وموقفنا من الحتمية المطلقة والنسبية الاجتماعية فاننا نجد انفسنا فى البداية موزعين مابين الحتمية والنسبية . مابين العلمية الواحدة الاتجاه والعلمية الشبكية بتأثيراتها المتبادلة وتفاعلاتها النسبية» . أنه يريد أن يقول ان اشتراكية الميثاق العلمية قاصرة من ناحية الحتمية المطلقة والنسبية الاجتماعية . ويعلل ذلك بأننا نجـــد أنفسنا مشتتين مابين الحتمية والنسبية العلمية الواحدة الاتجاه والعلمية الشبكية

وعلاوة على ذلك وفوته فان الاشتراكية ليست علم العلماء ولكنها قضية الشعب فماذا يفهم العامل او الفلاح من العلمية الواحدة الاتجاه والعلمية الشبكية ، من البنية الفوقية والبنية التحتية ، من النسبية المطلقة والنسبية المقيدة ؟ هل هذه الالفاظ المعقدة تخدم قضية توعية الجماهير هل تضيف حلا ثوريا جديدا للفكر الاشتراكى ؟ بالطبع لا . لكنها تخدم متصنعى الفكر والفلسفة . تخدم ذلك النفر من المثقفين المتعالين الذين لا تؤرقهم آلام الكادحين ومعاناة المناضلين .

وتصل الفلسفة غير المرتبطة بواقع شعبنا وطموحه الى حد طعن الفـــكر الاشتراكى نفسه وطعن حتمية الثورة وارادة التغيير . فالعالم ماهو الا الفاظ ورموز والاعتداءات الامبريالية عـــلى الشعوب ماهى الا مشكلات فى الفلسفة وغموض فى الالفاظ . تلك هى فلسفة **د . زكى نجيب محمود المعبر الاول من** الوضعية المنطقية أو كما يسميها هو التجريبية العلمية .

ويرد المناضل جمال عبد الناصر على كل هذا السيل الجارف بلغة المعلم القائد فاهما آمال الجماهير ومعاناتها ، فيقول «ان الاشتراكية بدون تعقيد ، هى عدم استغلال الانسان لاخيه الانسان» . وأن الاشتراكية واحدة فى كل الدنيا بهـذا المعنى ولكنها تختلف فى التطبيق من بلد لاخر .

وانى لاقترح انشاء **«مجلس أعـلى للدراسات والبحوث الاشتراكية » يتبع أمانة الدعوة والفكر** بالاتحاد الاشتراكى يشرف بنفســـه على الدراســـات والمـــواد التى تدرس عن الاشتـــراكية فى مختلف هيئات ومجالات التعليم ، ليحمى فكر شعبنا وأبناء شعبنا من الضياع فى متاهات ليس لها آخر . اننا بحاجة الى ثورة فكرية يدعو بعدها شعبنا كل الثوريين الاشتراكيين المخلصين ليقول لهم «أيها المخلصون الشرفاء .. تجمعوا والتقوا ووحدوا صفوفكم واندفعوا فى طريـــق آمالكم ، فان فجركم هذا الذى يشرق وليس فجر غيركم» .

المحالج .. والمقاول .. والاستغلال

ومن المواطن عبيد صابر الطنساوى ، موظف حسابات بمحلج بوش ، يقول فى رسالة له :

اعتادت محالج القطن بالجمهورية العربية المتحدة ان توكل عملية توريد العمال الذين يعملون بها مدة موسم الحليج ، الى مقاول يدفع تأمينا ويتولى توريد العمال القيام بالعمل مقابل مبلغ معين يرضاه المقاول ويتقاضاه من المحلج عن كل قنطار قطن يحلج اى : « عدد القناطير المحلوجة فى اليوم × فئة القنطار = اجر المقاول يوميا » .

ويقوم المقاول من جانبه بتوزيع الاجور على العمال . فمثلا عمال الدواليب لهم فئة وعمال المكبس لهم فئة وعمال التضريبة لهم فئة .. الخ .

لقد حدد القانون حدا ادنى لاجر العامل ٢٥٠ مليما يوميا ، ولكن المقاولون بالمحالج لايدفعون العمال هذا الحد الادنى للاجر ، فقد كان المقاولون يتقاضون أجرة حليج عن كل قنطار قبل مايو سنة ١٩٦٢ (تاريخ رفع الحد الادنى للاجر الى ٢٥٠ مليم) مبلغا يتراوح مابين ٥٠ مليما الى ١٠٠ مليم بمحالج الجمهورية . وقد ارتفعت اجرة حليج القنطار بعد مايو سنة ١٩٦٢ الى مبلغ يتراوح ما بين ١٢٠ مليما الى ١٦٠ مليما بحجة ان الحد الادنى لاجر العامل اصبح ٢٥٠ مليما فى حين ان العامل المسكين لايزال يتقاضى اجرا من المقاول ١٢٠ مليما عن كل ١٦ ساعة عمل بين الاتربة وغبار القطن الذى أشار اليه الطب صراحة ، واستحضار العمال للعمل لا يعد مهنة لان بكل محلج صفارة تنطلق صباحا لجلب العمال من منازلهم وعلى المقاول أن يقف أمام باب المحلج لكى يأمر بدخول من يرغبه للعمل ويمنع مايريد أن يمنعه خاصة الذين يقولون [illegible] مكتب العمل اثناء مروره اننا نتقاضى ١٢٠ مليما .

اما الذين يقولون اننا نتقاضى ٢٥٠ مليما يوميـا ويظلمون انفسهم هم الذين يدخلون للعمل ويرحب بهم سيادة المقاول .

ان الاشتراكية تمنع الوسيط وتضرب على يد الانسان الذى يستغل الانسان . وانى اقترح الاتى لضرب هذا الاستغلال وتصفيته :

أن تقوم ادارة كل محلج بتشغيل المحلج بمعرفتها وهى التى تقوم بصرف الاجور للعمال بمعرفتها وبهذه الطريقة يأخذ العمال حقوقهم كاملة وتصل الى هيئة التأمينات الاجتماعية حقوقها كاملة أيضا وهى ال ٨٪ تأمين وادخار ، ٣٪ تأمين اصابات عمل ولا ننسى أن المقاول لايقوم بالتأمين على العدد الموجود لديه فى العمل فعلا بل يؤمن على جزء قليل منه . وبهذه الطريقة أيضا يرفع الوسيط وتسير الاشتراكية فى مجراها الحتمى ويعود ربح المقاول الى القطاع العام .

ولا ننسى أن بكل محلج بالجمهورية وحدة جماهيرية للاتحاد الاشتراكى العربى . ومن ثم فهو مطالب فى هذه المجالات للتصدى لاشكال الاستغلال هذه ومنعها .

أقتراحات ... لقطاع التأمين

وكتبت المواطنة **حميدة راقم** ، من أسوان ، تقول فى رسالة لها :

.. ومن اجل تطوير قوى الانتاج فى قطاع التأمين ، اتقدم بعدد من الاقتراحات فى ضوء الاعتبارات الاتية :

أولا : دور قطاع التأمين فى مرحلة التحول حيث يعتبر أحـد المرافق الادخارية التى تعمل من خلال عوامل ترغيب نفسانية والتى توظف مدخراتها فى خطة التنمية والارتفاع بنسبة المدخرات الفردية فى مرحلة التحول الاشتراكى يعنى أنخفاض نســبة التحديات المحلية والعالمية التى تقابل بها خطة التنمية .

ثانيا : لابد وأن نحدد نوعية القوى المطلوب تطويرها مـن أجل تحقيق أرتفاع فى نسبة المدخرات عن طريق قطاع التأمين . اذ تتمثل قوى الانتاج عموما فى اى قطاع فى عنصرين اساسين هما العاملين وأدوات الانتاج . غير أن قطاع التأمين مـن القطاعات التى تتمثل قوى الانتاج فيها فى عامل واحد أساسى هو العاملين . اذ أن العمل اساسا يعتمد على الطاقات البشرية

وليس على أدوات أنتاج . وأى تطوير لقوى الانتاج فى هـذا القطاع لابد وأن يبدأ أولا بالعاملين ، وبتطوير أفكارهم ، وتنظيم عملهم وعلاقاتهم .

وكى يحقق قطاع التأمين دوره فى مستوى مهامه أطرح النقاط التالية للمناقشة :

١ ـ مع عوامل الصحة الاجتماعية المنبثقة من التشريعات الاشتراكية والتى تنعكس على المواطنين ق عديد من التصرفات الاجتماعية المختلفة التى يصطلح على تسميتها كثرة الاستهلاك أو الاسراف الا ان أساسها شعور المواطن بالاطمئنان لان المجتمع يغطى مستقبله فى حالات الشيخوخة والمرض والبطالة الخ . لهذا أصبح أسلوب العمل التأمينى التقليدى المبنى على ترغيب المواطن فى التأمين بهدف التغطية الفردية غير ملائم للواقع الاجتماعى . ويجب استبداله عن طريق رفع العمل التأمينى الى المستوى السياسى بحيث تعرض وثائق التأمين مصحوبة بتوعية سياسية .

٢ ـ شركات التأمين ، مرحلة التحول محتاجة الى مديرين من الكوادر السياسية الاشتراكية القادرة على استيعاب دور المدخرات الفردية فى هذه المرحلة والقادرة على رفع العمل الى المستوى السياسى .

٣ ـ أن عدد المديرين الكبير بشركات التأمين لايمكن أن يعكس خطة عمل سليمة . ولذلك من الضرورى ضغط هذا العدد مع الاستغناء نهائيا عن المديرين المتخلفين فكريا والمرتبطين عريضيا وعاطفيا بالرأسمالية الاستغلالية . لان انخفاض نسبة المدخرات الفردية عن طريق التأمين منذ تأميم الشركات الى اليوم يؤكد أن فئة المتخلفين فكريا غير قادرة على استيعاب دور القطاع فى مرحلة التحول .

٤ ـ أن العاملين هم قوى الانتاج الاساسية ويجب تحويلهم الى قوى ايجابية واعية تفهم علاقة التأمين بالمجتمع الاشتراكى ودور المدخرات فى مرحلة التنمية . والسبيل الى تحقيق هذا هو أن يلعب الاتحاد الاشتراكى العربى فى المناطق التى تتبعها شركات التأمين دوره فى القيام بتطوير قوى الانتاج البشرية بهذا القطاع فكريا .

٥ ـ ان أغلب الاكتواريين « الفنيين فى عملية التأمين » درسوا هذا العلم بمفهوم رأسمالى وفى ظل نظم مختلفة عن نظامنا وهم محتاجون الى ربط مادرسوه بواقع مجتمعنا الجديد حتى يتمكنوا من وضع تعريفات تأمينية « أى أنواع من الوثائق » جديدة لان التعريفات المعمول بها حاليا وضعت فى ظل المجتمع الراسمالى وللطبقة التى كان لديها دائما فائضا وهى لاتلائم فى الغالب المرحلة الحالية والتعريفات الجديدة المطلوبة يجب أن تلائم ظروف مرحلة التحول أجتماعيا على ألا تضر بالاقتصاد القومى فى المدى الطويل .

٦ ـ مازالت الى اليوم حصيلة المدخرات عن طريق التأمين تعتمد أساسا على سكان المدن وتهمل نهائيا أوسع طبقة من الشعب الا وهى طبقة الفلاحين رغم التغير الاجتماعى الذى حول جزء واسع من هذه الطبقة الى ملاك . ولذلك على العاملين بشركات التأمين الاهتمام بهذا النوع من التأمينات الفلاحية والذى يشمل فى الغالب المحاصيل والمواشى والحريق .

٧ ـ التأمين على الحريق والسرقة فى المدن يجب فرضه اجباريا على الملاك على أساس ، ان يخصص له نسبة من القيمة التقديرية للعقار بالنسبة للمالك ونسبة من القيمة الايجارية للعقار بالنسبة للساكن .

٨ ـ من الملاحظ أنه بعد تأميم شركات التأمين ضغطت هذه الشركات فروعها الخارجية رغم أنه بامكان قطاع التأمين أن يكون مصدرا من مصادر العملة الصعبة فى بعض البلاد العربية والافريقية والاسيوية كذلك بالاضافة الى أنه مظهرا من مظاهر الاخاء بالنسبة لشعوب هذه البلاد ولذلك يجب أن نفسح للتأمين مجالا فى اتفاقياتنا الاقتصادية على أن يتم هذا بعد دراسة وتخطيط للعمل التأمينى فى [illegible] الخارجية .

٩ ـ لا اجد مبررا [illegible] المتأمين فى مجتمع اشتراكى لحوالى ١٠٠٠ [illegible] الشركات فى مرحلة [illegible] التحول تعتبر عبئا اداريا على [illegible] التأمين اليوم يؤديها الاقتصاد [illegible] ثقته فى أقتصاد [illegible] أصبح واجبا وطنيا وفى [illegible] المؤسسة العامة للاسكان عقارات [illegible] عن الاسكان ورفعا لمستوى [illegible] لعملها الاساسى فى مجال تنمية المدخرات .

بعد ماتقدم عرضه فى سبيل انطلاقة جديدة لقطاع التأمين فى مرحلة التحول من الضرورى مناقشة دور المؤسسة المصرية للتأمين ومناقشة فاعلية وجودها بالنسبة للقطاع ، وهل يشكل هذا الوجود عائقا فى سبيل انطلاقة القطاع وسرعة حركته .

ان الواقع الراهن يؤكد على الاقل ان المؤسسة تعتبر عبئا اداريا على القطاع حيث أن عدد العاملين بها محدود ولا يستدعى توسيع أجهزة الادارة والاشراف ولا يحتمل انفصالا اداريا بين المؤسسة والشركات . وفى هذا الصدد اقترح دمج الشركات الثلاث مصر للتأمين والشرق للتأمين والتأمين الاهلية المصرية فى شركة واحدة تمشيا للوصول بتوحيد الجهود ، ويهدف الحد الفعلى من الاستهلاك حيث ستوحد ادارات الشركات الثلاثة بالقاهرة والاسكندرية فى ادارة واحدة ، كما وستنخفض عدد الفروع الداخلية الى النصف تقريبا ، ذلك على أن يتم هذا الدمج بعد ايجاد الادارة القادرة على رفع العمل التأمينى الى المستوى السياسى والقادرة على ربط المدخرات الفردية بعجلة التقدم الدائرة دون توقف فى سبيل انجاح مرحلة التحول الاشتراكى .

الجمعية التعاونية وتطوير القرية

وفى رسالة من المواطن على محمد حسانين ، مهندس زراعى ـ المنشاه ـ سوهاج ، يناقش قضية الجمعيات التعاونية فى القرى . وبعد ان يعرض لتطورات نتائج المؤتمر العام للتعاونيين وتوصياته ، يقدم عددا من الاقتراحات لتنشيط الجمعيات التعاونية والقيام بدورها المطلوب فى تطوير القرية :

كى تمارس الجمعية التعاونية دورها فى النهوض بالقرية يستلزم ذلك ضرورة أن تكون على معرفة شاملة بظروف [illegible] ومشاكلها ومتطلباتها . ولهذا يجب على مجلس ادارة [illegible] التعاونية أن يقوم بدراسة القرية تشتمل على :

- معرفة عدد السكان بالقرية أو القر[illegible] الجمعية التعاونية ودراسة أحوالهم [illegible] فئات أربع : ا ـ زراع ملاك وحدهم [illegible] مستأجرون . حـ ـ عمال زراعي[illegible] ء ـ أصحاب حرف (تجارة [illegible] ريفية)
- معرفة حالة [illegible] ونسبتهم . ب ـ الا[illegible]
- معرفة حالة [illegible] عدد العاطلين عن [illegible] عن العمل لكبر [illegible]
- دراسة [illegible] وكذلك حالة ال[illegible]
- دراسة [illegible]

مقارنا بالقرى الاخرى لمعرفة اسباب الضعف أو القوة فى الانتاج والعمل على تحسينه بتوفير الوسائل المؤدية الى ذلك .

● دراسة ملكيات الزراع من الانتاج الحيوانى : ا ـ عدد الحيوانات الزراعية لدى كل مزارع . ب ـ حالة الحيوانات الانتاجية . حـ ـ حالة الحيوانات الصحية بمعرفة الطبيب البيطرى الذى يجب أن يشترك بدوره فى الدراسة التى تقوم بها الجمعية التعاونية أثناء فترة الانتقال .

● دراسة الاحوال المعيشية للاسرة بالقرية ووسائل النهوض بها ومستوى دخل كل أسرة ومعرفته .

● دراسة امكانيات القرية المادية التى تساعد على امكان قيام المشروعات التى تنشئها الجمعية للنهوض بها وتشمل هذه الامكانيات .

ا ـ الالات الزراعية الحديثة لدى الزراع بالقرية . ب ـ امكانيات مواد البناء المحلية المتوفرة بالقرية والتى تساعد على امكان استخدامها فى بناء منازل خدمة للفلاحين . حـ ـ الاشجار وامكان استخدامها كثروة خشبية تساعد فى انشاء الصناعات الريفية . ء ـ امكان الاستفادة من الفضلات الزراعية والمواد التى يعتبرها الفلاحون مواد لافائدة منها كالقش والحطب وغيره .

● دراسة امكان انشاء منازل ريفية حديثة للزراع وادخال التحسينات اللازمة على المنازل القائمة وامكانيات ذلك المتوفرة بالقرية .

● دراسة امكانيات انشاء صناعات ريفية بالقرية ـ السجاد ـ الفخار ـ الاكلمة ـ الاقفاص ـ وغيرها .

● دراسة حالة المرأة الريفية وأوجه نشاطها فى القرية وامكان الاستفادة من هذا النشاط وتوجيهه . تربية الدواجن ـ الصناعات المنزلية الريفية ـ التدبير المنزلى .

بعد توافر مثل هذه الدراسات توضع برامج تنفيذية للنهوض بالقرية على أسس علمية صحيحة .

وبهذه الدراسة يمكن تبادل المعلومات والخبرة بين الجمعيات ...اونية بالقرى فى المركز الواحد وبالتالى بين المراكز المختلفة ...ة .

...ة القرى المكتظة بالعاطلين موسميا وتوجيههم ...لتوفر بها العمل الحرفى . ويمكن لمجلس ... القرية من ناحية الانتاج الحيوانى معرفة ... تشترك فيها أكثر من جمعية تعاونية ...نة ، مع تسهيل طرق المواصلات ...ية بالقرية تنشئها الجمعية ...افظة على ملكية كل ...ائر محتوية لعدد ...سة عشر حيوانا ...بطرى .

ادارة الجمعية ...اصرة مهمتها ...صبح الجمعية ... التى تؤدى ...نهم مهمسا ... بالانتاج .

الزراعى بتوفير الالات وانشاء المشروعات الانتاجية للصناعات الريفية التى تستخدم فعلا الامكانيات الذاتية للقرية وبقواها الفعلية المتوفرة بها .

غير أن ذلك يتأتى فعلا من قبل مجلس ادارة على درجة كافية بالوعى التعاونى الزراعى . وعلى درجة كافية من الوعى بأهمية الجمعية التعاونية وقدرتها على النهوض بالقرية .

على أنه يجب أن توضع كل امكانيات التوعية لدى الجمعية التعاونية ولدى مجلس الادارة وذلك لشن حملة توعية على نطاق واسع ويتبعها حملات خلال سنتى الانتقال حتى تنتهى فترة الانتقال والزراع على درجة كبيرة من الوعى بدور الجمعية التعاونية فى حياتهم وأهميتها لهم وكذلك حتى يتغير مفهوم مجلس الادارة لدى الزراع وينتخبون هؤلاء الاعضاء على أسس جديدة تنظر الى المصلحة العامة لا لأسس أسرية أو تعصبية . وكذلك حتى يكون الزراع على دراية بواجباتهم ويعاونون مجالس الادارة فى مشروعات الجمعية التى تضعها للنهوض بالانتاج فى القرية .

●

الجماعات القيادية فى قطاع المركبات

نشرت الطليعة فى عدد نوفمبر نقدا لنشاط الجماعات القيادية فى قطاع المركبات . وقد جاءنا من حسين حسن عبد الله أمين وحدة سلاح المركبات الرد التالى على النقد الموجه من شمس الدين مرسى :

كتب الزميل (شمس الدين موسى ابراهيم) مقالا بعنوان الجماعات القيادية واستراتيجية المرحلة ـ وقد تعرض فيه للتناقضات الموجودة فى قطاع المركبات « ادارة المركبات » وحاول ابرازها والقاء الضوء على جذورها ثم تحدث عن الفراغ السياسى الموجود بين الافراد وانتهى الى الحديث عن رابطة العمال ولجنة العشرين .

ومع ادراكنا للجهد الذى بذل فى هذا المقال ، وما ينطوى عليه المقال من تحليل وبحث ، الا اننا نأخذ على الزميل اشياء كثيرة نلخصها فيما يلى اقرارا للواقع والحقيقة :

اولا ـ نود أن نبرز ان التناقضات بين الموظفين والعمال فى ادارة المركبات هى انعكاس لقوانين عامة كانت سائدة فى الدولة ، وهى انعكاس لتفكير عام انحدر الينا خلال عهود طويلة من الظلم والاستعمار والتخلف ، وقد اشار الزميل الى ذلك صراحة فى مقاله .

ثانيا ـ مع اتفاقنا مع الزميل فى منشأ هذا التناقض ، الا اننا نختلف معه فى تقديره لحدته فالتناقض بين العمال والموظفين وخاصة فى ادارة المركبات ليس بالصورة الحادة التى صورها فى مقاله لسبب بسيط جاء فى مقاله ايضا ، وهو ان عدد العمال فى وحدات ادارة المركبات كبير جدا بالنسبة لعدد الموظفين ، مما جعل للعمال كيانا ضخما تضاءل امامه كيان الموظفين ، وظهر ذلك جليا فى انتخابات لجنة العشرين حيث كانت الاغلبية الساحقة للعمال ، كما يظهر ذلك ايضا فى ان للعمال رابطة تضم آلاف العمال ، بينما الموظفون يفتقرون الى مثل هذا الترابط . واذا كان هناك

نفر من الموظفين يتظاهرون بالتعالى ، فتلك حالات فردية تعكس ضعفا نفسيا لشخصياتهم اكثر مما تعكس اتجاها عاما للموظفين

ثالثا — العوامل الموضوعية التى تعرض لها الزميل والتى قال انها تغذى التناقض ، انهار معظمها بصدور قانون العاملين بالدولة رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٤ ، فالمواعيد والاجازات والعلاوات تتم جميعها طبقا لنصوص هذا القانون وتطبق على الجميع دون أى تفرقة ، والفارق الوحيد بين من كانوا موظفين ومن كانوا عمالا قبل صدور هذا القانون ، يتمثل فى جزاءات التأخير الصباحية وسيتلاشى هذا الفارق بصدور لائحة الجزاءات الموحدة التى يتم اعدادها حاليا على مستوى الوزارة . اما التناقض بين خريجى مراكز التدريب المهنى والعمال — او بينهم وبين الموظفين انما يرجع الى مشاعر وافكار اكثر مما يرجع الى اوضاع موضوعية .

ونعتقد ان نمو الفكر الاشتراكى وشيوعه ، وكذا شيوع القيم الاشتراكية سيقضى على تلك المشاعر والافكار وسيرسب فى الاذهان المساواة الانسانية بين الجميع ، واذا كان لابد ان يكون هناك بعض التفاوت بين الافراد ، فمرده الى العمل — والعمل وحده ، وفيما عدا ذلك فنحن جميعا اخوة متساوون فى الحقوق والواجبات .

رابعا — اعترف الزميل فى مقاله ، انه رغم كل المعوقات ورغم الفراغ السياسى ، ظهرت بين صفوف العمال قيادات كان من اعمالها اقامة رابطة تضم الغالبية العظمى من العاملين ولكنه يعيب على تلك الرابطة انها لم تطور نفسها الى نقابة، ويرجع السبب الى قيادات تلك الرابطة ، ولكن وضعا للحق فى نصابه نقول :

● ان القيادات التى تظهر رغم الفراغ والمعوقات لابد انها قيادات تتميز بالصلابة والاصالة والا لما استطاعت ان تشق طريقها وسط ظروف غير مواتية .

● ان هذه القيادات لا يمكن ان تنطوى على حماس فقط ، والا لما صمدت سنين طويلة قائمة باعبائها المضنية . ان هذه القيادات تثقف نفسها بالدراسة والاطلاع المستمرين مما عاد على الطبقة العاملة بفوائد ادبية واجتماعية لا حصر لها ، فقد قامت هذه القيادات بانشاء الرابطة حوالى عام ١٩٥٢ فى اثر ميلاد ثورة يوليو الخالدة ، وبدأت ببضع مئات من الاعضاء المشتركين ، فأصبحت الان تضم بين جوانحها عدة الاف من العاملين وتملك العقارات والاسهم والسندات وارصدة مالية بالبنوك تقدر بعشرات الالاف من الجنيهات بالاضافة الى التحسينات التى ادخلتها هذه القيادات على الامتيازات كما قامت هذه القيادات ايضا بانشاء جمعية تعاونية منزلية تؤدى خدماتها لجميع العاملين فى ادارة المركبات وتطور نفسها باستمرار، وذلك لتخفيف العبء المالى والاعباء الاجتماعية عن كاهل الغالبية العظمى من العاملين حتى يتفرغوا لتحسين مستوى الانتاج ورفع معدلاته .

● ان عدم تطوير الرابطة الى نقابة لا يرجع الى القيادات ولكن يرجع الى ظروف العمل بالقوات المسلحة التى لا تسمح اوضاعها الدقيقة بتكوين النقابات .

ولما جاءت انتخابات الاتحاد الاشتراكى العربى (لجنة العشرين) فى اوائل عام ١٩٦٣ تطلعت الجماهير العاملة بالمركبات فلم يجدوا امامهم من هو جدير بثقتهم الا هؤلاء الذين اختبروهم فى المجال الاجتماعى فوجدوا منهم كل خدمة وتعاون

خامسا — والجماعة القيادية بسلاح المركبات تتشكل من هذه القيادات الشعبية الثورية التى لها تاريخها النضالى فى كافة مراحل التجربة السياسية الثورية ابتداء من هيئة التحرير ثم الاتحاد القومى والمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ، والاتحاد الاشتراكى العربى من مرحلة ميلاده ، حتى مرحلته المتطورة حاليا .. أى ان هذه القيادات المتصدية للعمل السياسى قد مارست العمل السياسى طوال مسيرته الثورية من يوليو سنة ١٩٥٢ حتى الان بكل طاقاتها متسلحة بالعقيدة الثورية المستخلصة من الدروس المستقاة من المسيرة النضالية لمعلمنا وقائدنا العظيم المناضل جمال عبد الناصر ومبادئه البناءة التى تضمنتها المبادىء الستة وميثاق العمل الوطنى .

والجماعة القيادية بالمركبات لا تدخر وسعا فى توسيع رقعة القاعدة الثقافية للعمال فشكلت لجنة ثقافية تنظم دورات فى الثقافة العمالية للاعضاء . وتوجد دورة ثقافية معقودة حاليا لخمسين عضوا بمؤسسة الثقافة العمالية لتلقى هذه الدراسات وتشرف عليها الجماعة .

أما من ناحية التجنى على القادة بأنهم انكمشوا باحدى الوحدات — كما يزعم كاتب المقال — فان هذا الزعم تفنده وتنفيه حقيقة انهم موزعون بحكم عملهم فى جميع الوحدات الانتاجية ، وقد روعى ذلك عند تشكيل الجماعة القيادية .

واما ما جاء بالمقال من عدم الممارسة العملية للتوعية بين الجماهير ،فان ذلك دليل اخر يدفع كاتب المقال بعدم دراسة الواقع. فقد قامت لجنة العشرين بعمل دورات توعية خلال الفترة من سنة ١٩٦٤ حتى تشكيل الجماعة القيادية فى اكتوبر سنة ١٩٦٦ غطت جميع الوحدات الانتاجية بالمناطق (شرقية — شمالية — مركزية) وضمنها وحدة المذكور — ثم صدرت توجيهات القيادة السياسية بتعديل اسلوب التوعية الى اللقاءات المنبثقة من الالتحام بالجماهير اثناء الرحلات الصيفية التى تنظمها وحدة المركبات للعاملين ، وآخرها رحلة معسكرات الشباب الى جمصه فى اغسطس سنة ١٩٦٦ . ومن الالتحام الوظيفى اثناء العمل لتحسس مشاكلهم اليومية والعمل على حلها ذاتيا بالتعاون مع جهة الادارة .

سادسا — قامت وحدة الاتحاد الاشتراكى العربى بالمركبات بعدة اعمال اجتماعية وسياسية اهمها :

● التوعية بالحقوق والوجبات — محاربة الاسراف — تحديد النسل — الادخار — المكاتب الاشتراكية — بهدف حث العاملين على العمل لرفع الانتاج .

● تدعيم الجمعية التعاونية المنزلية للعاملين حتى تؤدى رسالتها المطلوبة .

● العمل على تحسين العلاج للعاملين بالاشتراك فى تطوير مكتب الخدمات الاجتماعية لوزارة الحربية وتدعيمه .

● التعاون مع جهة الادارة فى انجاز التسويات — وتوصيف الوظائف والعلاوات الدورية وتطبيق القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٤ — وترقيات العمال .. وقد تم نتيجة لذلك ترقية حوالى ٣٠٠٠ ثلاثة الاف عامل فى خلال عامين تقريبا .

● العمل على القضاء على مشكلة نقل العاملين الى مقار عملهم .

● تنظيم رحلات صيفية للعاملين بالمركبات ، بالتعاون مع جهة الادارة ، للاستفادة من الاجازات فى تجديد النشاط ليعود اثر ذلك على الانتاج ، مع ممارسة العمل السياسى من خلال هذه الرحلات .

سابعا — ان الجماعة القيادية بسلاح المركبات حرصت على ان تضم اليها عناصر مختلفة ، تمثل اتجاهات متباينة . لتكون الجماعة القيادية هى البوتقة التى تصهر فيها كل الاتجاهات وتتحول الى اتجاه واحد — وهو الاتجاه الثورى الاشتراكى .

وان الجماعة القيادية تحرص على ان تكون التجربة والممارسة هما اساس الاختيار ، وهى على استعداد دائم ان تغير من افرادها ، بالضم او بالاستبعاد ، فى ضوء ما يظهره هؤلاء الافراد من ايجابية او سلبية فى خدمة الجماهير

وثائق

النص الكامل لمحضر التحقيق مع حسن موسى العقاد

٧

السيد حسن موسى العقاد الذى تنشر الطليعة محضر التحقيق الكامل معه فى هذا العدد ، هو تاجر مصرى ، رافق القائمقام سليمان سامى — الذى اتهم بحرق الاسكندرية من قبيل السراى وقوات الاحتلال — وصحبه فى الهروب من ((مصر)) ((القاهرة)) . وكان وجوده من قبل بالاسكندرية صباح حادثة قتل المالطى فى ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ مثاراً للتحقيق معه حول هذه الحادثة . وقد جرى معه التحقيق ايضا بشأن الاتصالات التى اجراها والتوقيعات التى جمعها ، تأييدا لعزل الخديوى محمد توفيق وتمهيدا لتعيين الامير حليم باشا محله .

(محضر استجواب حسن موسى العقاد)

فى يوم الاربعاء ٤ محـــرم سنة ١٣٠٠ ،بناء على ماتقـرر بجلسة هذا اليوم ، طلب حسن موسى العقاد من السجن ، وسئل فاجاب كما يأتى :

س ماأسمك ؟

ج حسن موسى العقاد .

س حيث انك من تجار البلد فما اسباب هروبك ؟

ج عند دخول الانجليز الى مصر صار سجن كثير من العلماء والاعيان والذوات وقبل ذلك رأينا فى جريدة الطائف ان عند دخول الانجليز الى اسكندرية رموا بعض الناس بالرصاص ، وهذه هى الاسباب التى دعتنا للهرب .

س فى اى يوم هربت ؟

ج هربت فى يوم ٣ القعدة سنة ٩٩ على حسب ماأتذكر الان .

س اين كنت بعد خروجك من مصر ؟

ج كنت فى الفلاة داخل القطار .

س من جوابك الاول يعلم انك مصر على عدم اظهار الحقيقة فقل لنا صراحة

الم تخبر سليمان سامى منذ كان مرافقا لك فى الهرب ، باسباب فرارك ؟

ج لم اخبره بشيء سوى ماقلته آنفا .

س حيث انك خفت من السجن كما قلت ، فلابد من وجود اسباب اوجدت عندك هذا الخوف ؟

ج لم توجد عندى اسباب للخوف ، انما فى ذلك الوقت كان وقت فتنة وخشيت من ان يوشى فى حقى احد ما .

س الم تخبر سليمان سامى ان سبب فرارك هو تداخلك فى مقتلة اسكندرية وسعيك فى عزل الحضرة الخديوية وتنصيب حليم باشا ؟

ج لم اقل له هذا الكلام ، انما اذا كان حصل منى فطبعا يثبت ، فضلا عن ان اقوال سليمان سامى لم تكن حجة على .

س ألم تتوجه لاسكندرية قبل حصول حادثه ١١ يونيو سنة ٨٢ بيوم ؟

ج لم اتوجه لاسكندرية قبل حصول تلك الواقعة بيوم ، بل فى صباح يوم وقوعها

س ماهى اسباب توجهك وماهى المدة التى اقمتها ؟

ج وصلت الى الاسكندرية فى الساعة ستة وثلث عربى ، ووجدت من وكلاء الشركة المالية التجارية المصرية اثنين بنكيارية ينتظران فى المحطة ، احدهما يسمى كارلو بونفانتى والثانى يسمى بيانكى ، فركبت معهما فى العربة واوصلانى لغاية منزل أولاد الشيخ سليمان باشا ، فدخلت عندهم فوجدتهم ووجدت بعض اناس لم أعرفهم واقمت معهم لغاية الساعة ٩ من النهار ، وبعد ذلك ركبت عربتهم وتوجهت لمنزل حماد بك احد اعضاء محكمة الاستئناف باسكندرية لاجل الاستفهام منه عن قضية بينى وبين مصلحة السكة الحديدية ولما لم أجده هناك انتظرته حتى حضر بعد صلاة العصر ، وبمجرد دخوله اخبرنى انه حصل حركة فى البلد ، فخرجت وعدت لمنزل أولاد الشيخ سليمان باشا واقمت معهم امام منزلهم وساعدتهم على منع الناس مما كانوا يجرونه حتى اخذت احد معارفهم وتوجهت لمحطة السكة الحديدية وحضرت لمصر .

س لم يعلم من جوابك المتقدم اسباب توجهك لاسكندرية فأفد عنها ؟

ج اسباب توجهى هى الاستفهام من حماد بك عما تم فى القضية التى بينى وبين السكة الحديدية .

س ماالسبب الذى اوجب الاثنين بنكيارية اللذين اخبرت عنهما لان ينتظرانك فى المحطة ؟

ج كان بينى وبين الاثنين بنكيارية المذكورين اشغال .

س ماهى هذه الاشغال ؟

ج معاملات تجارية مثل شراء او بيع اوراق من اوراق الديون العمومية .

س هل كان معهما خبر من قبل توجهك لاسكندرية ؟

ج نعم ارسل لهما محلهما فى مصر تلغرافا بتوجهى فانتظرانى فى المحطة .

س لما حضر درويش باشا لمصر ، ألم تجمع اناسا من الرعاع واعطيتهم نقودا كى يحتاطوا بعربة الباشا وينادون بعبارات مخصوصة ؟

ج حاشا وكلا لم يحصل منى ذلك ، فقط توجهت للمحطة لمقابلته كباقى الناس .

س الم تدع بعض التجار للتوجه لطرف درويش باشا وامتنع بعضهم لعدم وجود صفة لك فى هذه الدعوى ؟

ج نعم دعيت بعض الناس للتوجه لمقابلة الباشا المشار اليه كعادة الناس .

س ماذا قالوا لك الناس الذين دعيتهم لذلك ؟

ج استصوبوا ان يكون توجهنا برفقة محمود بك العطار وذهبت لطرف البك المذكور وتكلمت معه فى هذا الشأن فأجابنى ان بعض التجار لا يرغب التوجه برفقتى فامتنعت من التوجه بالكلية

س عند حضور درويش باشا اشتريت ازهارا والقيتها تحت اقدامه فما اسباب ذلك حالة كونك من افراد الاهالى ؟

ج على فرض حصول ذلك منى ، فاكرام رجل مثل درويش باشا لا يترتب عليه مسئوليتى .

س قل لنا صراحة هل حصل ذلك منك ام لا ؟

ج نعم حصل ذلك منى .

س موجود هنا رسالة ضبط فيها نسخ عديدة من منزلك فبعد تلاوتها عليك قل لنا ماهى هذه الرسالة ؟

ج الرسالة المذكورة التى تليت على حضرت بالبوسته وضبطت فيها واظن ان الذى بعث بها هو ابراهيم المويلحى وارسل لى جمله نسخ منها فبالاستفهام من ديوان الجهادية ومن قلم المطبوعات يعلم من ارسلها ، لأن ضبطها كان بمعرفه الجهتين المذكورتين .

س فى اى وقت ارسلت اليك النسخ المذكورة ، ومن الذى بعث بها اليك ، وما عدد النسخ التى ارسلت اليك وما اسباب ارسالها ؟

ج أرسلت الى فى شهر رمضان تقريبا ، واظن انها ارسلت من طرف وكيل الجهادية ، اما العدد وسبب الارسال فلم اكن متذكرهما وعند ورود هيئة النسخ بقيت بمنزلى .

س هل أعطيت شيئا منها لأحد ؟
ج لم اكن متذكرا انى اعطيت منها شيئا لاحد

س من اخبرك ان نسخ هذه الرسالة ضبطت بالبوسته ، وان المظنون ان ورودها للبوستة كان من طرف ابراهيم المويلحى ؟

ج كان المسموع كذا ، فليستفهم من ديوان الجهادية وقلم المطبوعات حيث انهما هما اللذان كانا يضبطان الواردات .

س اذا كان ديوان الجهادية هو الذى ضبط نسخ هذه الرسالة كما تدعى ، فيكون ذلك لمنع نشرها ، فلماذا يرسل اليك نسخا منها ؟

ج الذى يسأل عن ذلك هو ديوان الجهادية

س لم تثبت لنا ان ديوان الجهادية هو الذى ضبط نسخ هذه الرسالة وارسل لك جزءا منها حتى تسأله ، فان لم تثبت ذلك بعبارة صريحة وادلة قاطعة يعلم انك انت الذى حررتها لتشويش الافكار وتهييجها ؟

ج انا لم احررها والحقيقة هي التى اوضحتها ، وعلى القومسيون التحرى عن هذه المسألة .

س موجود هنا تلغراف وارد اليك من شخص يسمى ابراهيم من الاستانه بتاريخ ١٢ اغسطس سنة ٨٢ ردا على ماحررته اليه ، فاطلع على أصله وهاهى صورته .

التلغراف وصل نحن ناس تجار **ماهو من شغلنا السياسى وتغير الظروف اوجب تاخيرنا الان .**

امضاء
ابراهيم دن سعادة

وقل هل ورد اليك ام لا وما الذى حررته حتى جاوبك به ابراهيم المذكور

ج حيث انه معترينى صداع الان وعندى الم فى الدماغ ، فأجاوب عن ذلك غدا .

(بناء على ذلك اذن له بالعودة للسجن)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الخميس طلب حسن موسى من السجن وسئل فأجاب كما يأتى) .

س لما سئلت أمس تاريخه عن التلغراف الذى ورد اليك من طرف شخص يسمى ابراهيم من الاستانة وتلى عليك وسئل عما حررته للمذكور حتى جاوبك به ، قلت انه معتريك صداع وانك تجاوب عن السؤال فى الغد واذن لك بذلك وصار طلبك الان ، فجاوب عما سئلت فيه ؟

ج الصداع لم يزل معترينى واطلب تعيين افوكاتية انكليز بمعرفة قنصل جنرال دولة انكلترة للمدافعه عنى ، وذلك رحمة من الدولة المذكورة سواء كان مجانا او باجرة من طرفى .

س حيث ان تعيين الافوكاتية لا يكون الا بعد اتمام التحقيق الابتدائى وظهور صحة التهمة كما جرى مع غيرك ، فأفدعما سئلت عنه بدون محاولة ؟

ج التلغراف الذى سئلت عنه ان كان ورد لى فيكون وروده غلط ، ولم اكن متذكرا انى حررت شيئا للشخص الوارد منه .

س ان ادعاءك بورود هذا التلغراف عن غلط لايعقل ، ويعلم منه زيادة المحاولة فانه معلوم ان التلغرافات لا تسلم عادة للاشخاص الواردة اليهم الا بمقتضى وصولات منهم وطبعا اعطيت به وصلا فى وقت وروده ، وعنوان هذا باسمك وفيه اسم البلد والحارة فلا يوجد اذن وجه للغلط .

ج لم اكن متذكرا ورود هذا التلغراف لى

س هل تعرف الشخص المذكور اسمه فى التلغراف المحكى عنه ؟

ج يوجد اناس كثيرون اسمهم ابراهيم واعرف شخصا فى الاستانة من التجار يسمى **ابراهيم على الصبان .**

س التلغراف الذى كررنا لك الاسئلة فى شأنه ولم تجاوب عنه بعبارة صريحة ، ورد جوابا على تلغراف آخر منك كالواضح جليا من عبارته ، فهل تعترف بأنك أرسلت تلغرافا لمن حرر لك هذا الرد ام لا ؟

ج لم اكن متذكرا انى حررت تلغرافا كما قيل .

س هل كاتبت عثمان باشا فوزى ام لا ؟

ج نعم حصلت مكاتبات بينى وبينه .

س فى اى شأن كانت هذه المكاتبات ، وهل كتبت بخطك او بخط كاتب مستخدم بطرفك ؟

ج المكاتبات التى كانت بينى وبينه ، كانت تتضمن السلام والمودة وبعض الاخبار التى كانت تشاع ، وتحريرها كان تارة بخطى وختمى ، وتارة بخط الكاتب المستخدم بطرفى المسمى **امام بدوى** واضع عليها ختمى .

س موجود هنا جواب تاريخه ١٧ رمضان عليه امضاؤك ، فاطلع عليه ، وقل لنا هل هو بخطك وامضائك ام لا ، ولمن حررته ؟

وهاهى صورته

افندم

اذا ورد لسعادتكم تلغرافات من الاستانة ، فلا تطلعوا عليها احدا قبلى ، بل لابد فى الاول من مقابلتنا مع سعادتكم للمداولة فى شأنه حيث ذلك ضرورى افندم فى ١٧ رمضان .

حسن موسى العقاد

ج هذا الجواب صدر منى ومكتوب بخط الكاتب المستخدم بطرفى ومحرر الى عثمان باشا فوزى .

س ممن كانت ترد التلغرافات التى ذكرتها فى جوابك المذكور ؟

ج قال لى عثمان باشا ان هذه التلغرافات ترد اليه من اناس مراسلين له فى الاستانة ، فليسأل عن ذلك .

س حيث انك تحذره فى هذا الجواب بعدم اطلاع احد على التلغرافات قبلك فطبعا يكون لك معرفة بمن يرد منهم هذه التلغرافات فأفد صراحة .

ج لم يصرح لى عثمان باشا باسم مخصوص .

س قيل ايضا فى جوابك المذكور ان غرضك من الاطلاع على التلغرافات قبل غيرك هو المداولة ، فيعلم من ذلك اهمية التلغرافات المحكى عنها واطلاعك على بعضها ومعرفة اسم المرسل لها ؟

ج انى مع كونى حررت له هذا الجواب لم يطلعنى على تلغرافات واردة اليه

س قلت له فى جوابك ان يطلعك على التلغرافات التى ترد من الاستانة ، فغرضك الاطلاع على التلغرافات التى ترد ممن ؟

ج اخبرنى عثمان باشا انه يرد له التلغرافات من بعض اصحابه بالاستانة فطلبت منه اطلاعى عليها .

س حيث انك طلبت من عثمان باشا اطلاعك على التلغرافات التى ترد له من الاستانة ، فلابد ان تعلم فى اى شىء ترد له هذه التلغرافات ، فأفد عن موضوعها ؟

ج التلغرافات المذكورة كانت ترد له عن اخبار مصر .

س موجود جواب آخر تاريخه ١٥ رمضان سنة ٩٩ عليه امضاؤك ، فاطلع عليه وقل لنا هل هو بخطك وامضائك ام لا وهل حررته ايضا لعثمان باشا او لغيره ؟

وهاهى صورته

افندم

بلغنى انه حضر لسعادتكم تلغراف من الاستانة غير الجواب الاخير ، فاذا كان ذلك صحيحا ، فنرجو ارسال التلغراف المذكور او صورته الينا عن يد رافعه للاطلاع عليه ، وبعدها نرسله لسعادتكم بالثانى افندم ١٥ ن سنة ٩٩

ولدكم
حسن موسى العقاد

ج هذا الجواب بخطى والامضاء الذى عليه بخطى ايضا وحررته لعثمان باشا .

س يعلم من هذا الجواب انك اطلعت على جواب وارد من الاستانة ، وانه سبق اطلاعك على تلغرافات اخرى كثيرة فحد عن الانكار اذ لا فائدة فيه وجاوب صراحة عما سئلت عنه قبلا فى شأن التلغرافات المذكورة ، وعمن وردت منه ، وعن الجواب والتلغراف المحكى عنهما فى هذا الخطاب ؟

ج الجواب المقول عنه فى خطابى المذكور لم اطلع عليه ، بل اخبرنى عثمان باشا بمضمونه ، وهو ان المؤتمر المنعقد بالاستانة مشتغل بالنظر فى المسألة المصرية ، والنتيجة لم تعلم بعد ، واما التلغراف فلم يرسله الى لانه اتضح عدم ورود تلغرافات .

س ممن كان الجواب الذى قلت مضمونه ؟

ج لم اعلم فانى لم اطلع عليه ، ولم يخبرنى ممن ، ومع ذلك لو فرضنا ان هذا الجواب مرسل من طرف السلطان او حليم باشا او غيره ، فلا يكون باسمه بل بواسطة آخر .

س ماهى الواسطة التى ذكرتها ؟

ج انى لم أتكلم عن الواسطة بالجزم بل مثالا .

س موجود ورقة ثالثة موقع عليها بلفظة ولدكم مفهوم ، فاطلع عليها وقل لنا هل هى بخطك او بخط الكاتب ، وهل كانت لعثمان باشا ام لغيره ؟
وهاهى صورتها

افندم

تشرفنا برقيم السيادة وتجاوب بان عبد العال باشا كان موجودا بمنزله امس تاريخه ، فاذا كان الامر كما ذكر فمتى سافر ومتى حضر يوم تاريخه . سمعنا ان الاميرال الانكليزى اعلن الحكومة بتنفيذ اللائحة القديمة فى برهة ٢٤ ساعة ، وكذا بلغنا ان الحضرة الشاهانية رفضت ماقرره المؤتمر ولذلك ارادت دولة الانكليز ان تفعل بنفسها ، بلغنا انه منع التوجه من مصر الى الاسكندرية والى مصر منعا لنقل الاخبار ، بلغنا انه صار طلب عساكر بكثرة من جهة المديريات فياافندم هذه هى الاخبار التى سمعناها فى هذا اليوم ولابد ان يكون بعضها صحيحا والبعض نقولات لزم الاخطار افندم .

ولدكم
مفهوم

ج الورقة المذكورة لم تكن بخطى بل بخط الكاتب ، وكانت محررة لعثمان باشا .

س ماهو الرقيم الذى قلت انه ورد لك من عثمان باشا ، وماتاريخ تحرير الورقة المذكورة اعلاه ؟

ج الرقيم المذكور ورد لى من عثمان باشا بالاستفهام منى عن سفر عبد العال باشا ، اما التاريخ فلم اكن متذكره .

س موجود ورقة رابعة ضبطت من منزلك وهى مسودة جواب لشخص يسمى خليل افندى فى ٢٢ رمضان سنة ٩٩ فاطلع عليها وقل لنا هل هى بخطك او بخط الكاتب المستخدم بطرفك ، ومن هو خليل افندى المحرر اليه ؟
وهاهى صورتها

جناب الاجل الاكرم حضرة خليل افندى

بعد اهداء مزيد السلام والسؤال عن عزيز الخاطر الفاخر ، تقدم خلافه فى هذا الشهر وبه الكفاية ثم انه لايخفى ان اسعار البضائع تعالت هنا لداع عدم تواردها بسبب الحرب ، ولوكنا نعلم ذلك لطلبنا من قبل بضاعة من طرفكم لحساب الشركة ، والان كان حصل منها مكسب عظيم ، واما من خصوص احوال السياسة بهذا الطرف فانه بعد توقيف اوامر توفيق ونظاره لمخالفتها الشرع والقانون من عموم الامة من برنسات وذوات وعلماء وعمد واعيان ورؤساء ملتى النصارى واليهود ، فقد سقط بطبيعته ، ومن المعلوم ان المسألة صارت غير مختصة بذات عرابى باشا كما يقال ، بل صارت مسألة عمومية بحيث لم يكن موجودا بالقطر من هو راض عن توفيق لمناسبة انضمامه للانكليز وجلب حزبهم على المصريين (فخديوتة الهيلبة صارت فى خبر كان) ، ثم ان الشائع انه سيأتى عساكر عثمانيين الى مصر ومعها البرنس حليم باشا على أن المتراءى بانه اذا كان المقصود حضورهم لاجل رحيل الانكليز من مياه اسكندرية وغيرها ، وتوصيل البرنس الى مستقره فلا بأس . وان كان المقصود نفى عرابى باشا واخوانه من مصر حسب رغبة الانكليز ، فلا يمكن التسليم بذلك بالسهولة حيث ان عرابى واخوانه لم يقع منهم شىء مخل ، وانما الانكليز هم الباغون وعلى اى حال لابد من تسوية هذه المسألة هذا وأنه حصل اشاعة جسيمة هنا اوائل هذا الشهر من جهة السيد حسن موسى العقاد مفادها ان الحضرة الشاهانية وباقى الدول استقر رأيهم على تولية البرنس حليم باشا ، وانما الانكليز متوقفون لبعض شروطه وقريبا يصير اقناعهم على اى وجه ، وبعدها يحضر لمصر ، فهذه الاشاعة واقعة عند الناس موقع القبول والصدق وتراهم منتظرون حصولها من وقت الى اخر وذلك لاجل سرعة حل الاشكال الحاصل ومما اوجب زيادة اطمئنان المصريين ان السيد حسن المومأ اليه شارع فى التجهيزات اللازمة لعمل الزينة لقدوم البرنس المشار اليه بصفته خديوى مصر وقد فهمنا من التلغراف سبب التأخير ، وان شاء الله يحصل بالمؤتمر مايحل المشكل على احسن وجه وان المقصود معرفة يوم القيام لاجل الاستعداد فيما هو لازم .

٢٢ رمضان سنة ١٢٩٩

ج : الورقة المذكورة مكتوبة بخط الكاتب المستخدم بطرفى وهى صورة اخذها من جواب محرر من مصطفى بك صدقى بن رستم بك بجهة شبرا . أما خليل افندى فلم اعرفه ويعرفه مصطفى بك المذكور

س : مذكور بتلك الورقة جملة اشاعات منسندة اليك فما هى الحقيقة ؟

ج : لم يحصل منى شىء مما اسند الى

س : حيث انه لم يحصل منك شيء مما اسند اليك فى هذه الورقة ، فلماذا اخذت صورة منها حالة كونها مشتملة على عبارات لاتليق بمقام الحضرة الخديوية ؟

ج : الغرض من اخذ الصورة المذكورة كان معرفة مافيها ولعدم وجود حكومة منتظمة لم يحصل التداعى مع محررها بشأنها

س هل مصطفى بك صدقى حرر هذه الورقة بمنزلك او بمحل آخر وارسل لك نسخة منها ، او كيف تحصلت على صورتها ؟

ج : مصطفى بك كان حضر لمنزلى ومعه صورة هذه الورقة واطلعنى عليها ، فأخذت صورتها بخطى ثم اعطيتها للكاتب رنسخها .

س : الم يخبرك من هو خليل افندى الذى حرر اليه هذ الورقة ؟

ج : اخبرنى فقط ان هذا الشخص من الاستانة ، ولم يقل لى وظيفته ولا لقبه ، ومتى سئل عن ذلك فطبعا يعلم القومسيون من هو هذا المذكور

س : موجود ورقة خامسة ضبطت فى منزلك فاطلع عليها وقل لنا بخط من كتبت ، ومن أين حضرت اليك ؟

وهاهى صورتها

جناب الاجل الاكرم حضرة السيد دام

بعد وفور الاشواق وسؤال عزيز الخاطر الفاخر نعرفكم ان الشغل انتهى من هنا على مايرام وبقينا على هم الحضور لطرفكم فابشروا بالخير وبلغوا الاحباب واخوانكم وهنئوهم بذلك

١٩ يوليو سنة ٨٣ ؟

ج : كنت فى الداخلية فى اليوم الذى انعقدت فيه الجمعية هناك ، فاعطانى عثمان باشا هذا الجواب وقال لى انه حضر لى من ضمن ظرف ورد له من طرف زينب هانم ، وباطلاعى عليه وجدت العنوان بغير اسمى ومع ذلك لما اخبرنى انه لى اخذته .

س : ماذا فهمت من هذا الجواب ، وما هو الشغل الذى انتهى ، ومن هو الذى تأهب للحضور ؟

ج : الذى فهمته ان الشغل الذى انتهى هو شغل البرنس حليم باشا اخو زينب هانم الحاضر من طرفها هذا الجواب ، وانهما هما اللذان تأهبا للحضور .

س : خط من هذا الجواب ، وباسم من عنوانه ، ومن هو الموقع عليه ؟

ج : لم اعلم خط من ، واما العنوان واسم الموقع فلم اعرفهما لانى استلمت الجواب بالحالة التى هو بها . اعنى حالة كون العنوان والامضاء مشطوبين

س : لا يعقل ان هذا الجواب تسلم لك بالحالة التى هو بها كما تدعى ، فانه لو اراد من كتبه عدم وضع العنوان والاسم لما كتبهما ثم شطبهما ، ولو فرضنا انه كتبهما سهوا ثم شطبهما فلا يكون الجواب مطولا حتى يتأخر عن نسخه مرة اخرى فاذ عن الحقيقة ؟

ج : عثمان باشا سلم لى هذا الجواب بالحالة التى هو بها ، وعلى فرض ان الشطب الذى حصل لم يقع ممن كتب بالاستانة ، فيكون وقع من الباشا المشار اليه ، ومع ذلك فان الكتابة ظاهرة وان كان مضروبا عليها .

(اعيد بعد ذلك الى السجن)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الاربعاء ١١ محرم طلب حسن موسى العقاد من السجن وسئل فأجاب كما يأتى) :

س : لما سئلت اولا عن التلغراف الذى ورد اليك من شخص يسمى ابراهيم بالاستانة ردا على ماتحرر منك اليه ، وطلبت منك الافادة عما حررته للمذكور وعما اذا كان ورد اليك ذلك التلغراف ام لا ، اجبت انك لم تكن متذكرا انك حررت شيئا لذلك الشخص ، وان التلغراف الذى ورد اليك ربما يكون غلطا ، والان وجد أصل التلغراف الذى حررته للشخص المذكور فى تاريخ ٢٩ يوليو سنة ٨٢ ، فاطلع عليه ، وقل لنا هل صدر منك حقيقة ام لا ؟

وهاهى صورته

الى ابراهيم بكير بالاستانة باسما التى فى ٢٩ يوليو سنة ٨٢ البرنسات وعموم الامراء قرروا بقاء ناظر الجهادية عليها ، وعدم اعتبار جميع اوامر الخديوى لاسباب ، وسيعرض للاعتاب تلغرافيا وعرفونا متى حضوركم لزيادة المسرورية فى ١٣ ان سنة ٩٩

مختوم
حسن موسى

ج نعم صدر منى .

س قيل فى التلغراف المذكور الصادر منك ان البرنسات وعموم الامراء قرروا بقاء ناظر الجهادية وعدم اعتبار اوامر الخديوى لاسباب وانه سيعرض للاعتاب تلغرافيا وطلبت من ابراهيم بكير المحرر اليه التلغراف تعريفك عن تاريخ حضوره ، فما هى الاعتاب القائل عنها ، ومن هو ابراهيم بكير الذى حررت اليه التلغراف ، وما أسباب استفهامك عن حضوره ، وما أسباب تحرير هذا التلغراف اليه ؟

ج المقصود بالاعتاب ، اعتاب الحضرة السلطانية كما تقرر بالقرار الصادر بالجمعية التى انعقدت بالداخلية . أما ابراهيم بكير فهو من تجار الاستانة واستفهمت منه عن تاريخ حضوره لانه ورد لى خطاب منه بانه عازم على الحضور وحررت هذا التلغراف لانه طلب منى بذلك اخباره بالاحوال السياسية فى مصر لاجل اشغال تجارته .

س : فى جوابك السابق تدعى أن ابراهيم المذكور طلب منك اخباره بالاحوال السياسية فى مصر لاجل اشغال تجارته مع انه يعلم من الرد الذى ارسله اليك انه لم يطلب منك ذلك فضلا عن أنه اخبرك ان السياسة لم تكن من خصائصه فهذا تناقض كلى يظهر منه تلفيق جوابك المذكور ؟

ج لا يعقل انى احرر لاحد تلغرافا بالمعنى الذى حررت به ذلك التلغراف على غير غرض المرسل اليه ، انما يظهر انه فى وصول تلغرافى اليه ، طرق امر فى الاستانة يوجبه عدم التكلم فى الامور السياسية ، فحرر لى الرد الذى ارسله تمحلا . ومع ذلك يظهر من تلغرافه انه لا اهمية لما حررته اليه .

س هل ختمت على القرار الذى صدر من الجمعية التى انعقدت بالداخلية ببقاء احمد عرابى فى مسنده وتوقيف اوامر الخديوى أم لا ؟

ج مادام ان القاضى والمفتى وشيخ الاسلام والعلماء جميعا وذوات الجهادية والملكية والعمد والتجار اقروا على ما فى القرار المذكور وختموا فانا ختمت ايضا بالجملة .

س هلْ ختمت برغبتك ورضاك أو بالجبر والتهديد ؟

ج في الجمعية التي انعقدت وصدر فيها ذلك القرار التي على باشا الروبي خطبة حرض فيها العالم على اصدار هذا القرار وحيث أن جميع الحاضرين وافقوا عليه فأنا بالجملة ختمت خلفهم .

س الجواب الذي ابديته لم يكن موافقا للسؤال الذي وجه اليك فانه لايؤخذ منه ان كنت ختمت بالرضا والرغبة أو بالجبر فأفد بعبارة صريحة ؟

ج تسلط العنصر العسكري وقتهـا كان يستوجب اضطراري على الختم على أي حال .

س يعلم من ذلك انك ختمت بغير رضاك بل خوفا من تسلط العنصر العسكري الذي قلت عنه ؟

ج نعم ختمت خوفا من ذلك العنصر فان الذي حصل لمن خالفهم معلوم مثل الذين حبسوا بالطبخانة ، والذين اخذت أملاكهم واعدت لاقامة المهاجرين وغير ذلك .

س هل كان بينك وبين ابي ستيت مخاطبة ؟

ج نعم .

س في اي شأن ؟

ج كان يكلفني بشراء اشياء وتوريدها للجهادية تبرعا منه .

س موجود جواب محرر لابي ستيب المذكور بتاريخ ٩ رجب سنة ٩٩ ، فاطلع عليه وقل لنا هل هو بخطك ، أو بخط الكاتب المستخدم طرفك ؟

وهاهي صورته

عزتلو حضرة حميد بك ستيت دامت معاليه ، بعد اهداء تسليمات زكية وتحيات عاطرة بهية انه قد توجهتم من طرفنا وتركتمونا في بحر الاشتياق الى مشاهدة عزتكم ، فنسأله تعالى ان يمن بسرعة اللقاء ، هذا وانه قد بلغنا خبر سرى بانه قد صار التعدى من هذا الطرف الى الاستانة بالكيفية المعلومة ، فنسأل الله عز وجل ان يتفضل علينا وعلى سعادتكم باجل المرغوب ثم غاية رجاءنا ابلاغ اشواقنا لحضرات الاخ والانجال الكرام ، ولا تعجل على محمد فان الامر صار قريبا جدا ، وبعد انتهائه سنعرف عزتكم بالتلغراف كما الاتفاق لاجل تشريفكم لطرفنا افندم

في ٩ رجب سنة ٩٩ م

ج نعم هذا الجواب محرر بخط الكاتب المستخدم بطرفي ، ولكنه لم يكن صادرا مني

س موجود جواب آخر الى حميد بك ستيت بتاريخ ٢٣ شعبان سنة ٩٩ ، فاطلع عليه ، وقل لنا هل هو بخطك ، أو بخط الكاتب السابق ذكره ، وهل الامضاء الموقعة عليه امضاؤك اولا

وها هي صورته

عزتلو حضرة حميد بك ستيت دامت معاليه ، بعد اهداء وافر الشوق . قد وصلتني مشرفاتكم وفهمتمابها ، والحال ان ما اجريتموه عزتكم في هذه الدفعة على غير مرامنا من كل وجه . الاول انه مع توصيتنا لحضرتكم بلزوم مسايرة محمد ولدكم الان ففعلتم بالضد ، الثاني مادام ارسلتم لنا جوابا بخصوص قنماء شغلكم هنا فما كان الموجب لارسال ولدكم السيد عبدالرحيم لمصر ، وكلما أردنا التكلم مع ارباب الدواوين او غيرهم ، فكانوا يجاوبوننا أن عبدالرحيم وعطيوه حضرا لطرفهم وتكلما معهم في هذا الخصوص ، فعند ذلك كان يحصل لنا غاية الخجل ومع كل ذلك ماكان يثمر سعيهم بأدنى شيء كما هو معلوم لحضرتكم . الثالث انه بالتأمل في صورة العرض المقدم من عزتكم للداخلية ، وجد ليس له اهمية حيث يتضمن حصول بعض امور وقعت قبل الان وليس مذكورا به مايقضى باستمرار معاكستكم من جهة المدير . الرابع أن الديون المطلوبين تحصيلها ليس الاجراء فيها من خصائص المدير ، الا اذا كان مغرضا لجهتكم ، فكان طبعا يجرى اللازم فيها بطريقة اخرى غير المعمول بها الان ، لانه لايخفى ان مسألة الديون هي من المواد الحقوقية التي هي الان من خصائص المجالس المحلية ، دون سواها ، الخامس انه صار من كل معلوم أن مجلس النظار اصدر قرارات وعليها تصديقات بأوامر من الحضرة الخديوية ، مقتضاها العفو العمومي عن كل من اشترك في مسألة المحاضر وما يماثلها ، وانه لايمكن اجراء حبس او نفي شخص مطلقا بدون صدور مضابط انتهائية من المجالس ، وما دام الامر كما ذكر ، فلا يكون لحضرتكم فكر من جهة المدير في شيء ما ، وبالطبع انه رجع عن تعرضه الاصلي ، ولو كان بالفرض صار عمل محاضر بطرفكم او غيره ، فان العفو صار ، وان لم يكن لاحد دعوى على عزتكم بمسألة جنائية وعلى ذلك يلزم صرف النظر عما تقدم جميعه وسماع نصائحنا لعزتكم الصادرة عن المودة والاخلاص من صميم الفؤاد ، واذا حدث اى امر جديد عرفونا عنه ونحن بفضل الله تقوم بقضائه على احسن حال بدون لزوم لارسال احد من طرفكم بدون فائدة كما هو مشاهد ، واعلموا ان ذلك القول لا يكون مبينا على اى سبب سوى بواظ الشغل ممن ترسلونهم بدون ثمرة ، اذ ان الاشغال هي تقضى الخواطر المرعية ليس لمطاق شخص افدم

في ٢٣ ش سنة ١٢٩٩

امضاء

حسن موسى العقاد

ج هذا الجواب مكتوب بخط الكاتب المستخدم بطرفي والامضاء الموقعة عليه امضائي

س موجود جواب ثالث تاريخه ٥ ن سنة ٩٩ محررا الى حميد بك ستيت ، فاطلع عليه وقل لنا هل هو بخطك أو بخط كاتبك والامضاء الموقعة عليه امضاؤك أم لا ؟

وهاهي صورته

عزتلو افندم حضرة حميد بك ستيت دامت معاليه ، بعد اهداء تسليمات زكية وتحيات عاطرة بهية انه لما حضر طرفنا ولدكم السيد عبد الرحيم واطلعنا على تلغراف عزتكم الوارد اليه بتوريد خمسمائة ثوب بفتة للجهادية ، فحالا اخذناهم من السيد على مسعود ودفعنا اليه الثمن بحضور السيد عبد الرحيم وبعد ذلك بيومين ورد لنا تلغراف عزتكم باخذ البفتة المذكورة من السيد على وتوريدها للجهادية ، فحالا اخذناكم بالتلغراف عن الاخذ والتوريد للجهادية حسب أمركم ، ومما احيط سعادتكم به علما ان بوجودى في كل جمعية ، تكون من ذوات جهادية أو ملكية أو علماء أو أعيان أو عمد مديريات فنذكر مقدار الاعانة التى قدمتموها للجهادية من بفتة وقمح وتقول هكذا تكون الاعانة ، وهكذا تكون الهمم ، حيث أن قيمة الصنفين تساوى الفجنيه فجميع من يسمع هذا القول يشكر لسعادتكم ويدعو الله بعمار

جهتكم ، فوالله كان يحصل لى السرور الزائد كان التشكرات والدعوات لجهة نفسى خاصة . وفى الواقع لا هناك فرق بيننا ثم ان الاحوال بهذا الطرف هى أن جميع الدول خطأوا الانجليز فى ضربهم على اسكندرية وحصل زعل منهم عليها ، والحضرة السلطانية أقامت الحجة على الانجليز بلزوم سرعة سفرهم من جهة اسكندرية ، وحاصلة المداولة فى ذلك وكان منذ يومين تقدمت ثلاثة مراكب انجليزية على طوابى أبى قير فالطوبجية الذين كانوا بها اخفوا انفسهم حتى أن جانبا من العساكر الانجليز خرجوا الى البر وجانبا فى الفلوكه وبعدها الطوبجية المصرية ضربوا عليهم ، فاتلفوا العساكر التى خرجت على البر واغرقوا الفلوكه بالعساكر ، واتلفوا شيئا كثيرا من الثلاثة مراكب ، فنسأل الله دوام النصر ، ثم انه قد علم ان المؤتمر الذى كان معقودا فى الاستانة قرر ثلاثة أشياء . الاول حفظ امتيازات مصر (أعنى فرمانات محمد على) الثانى أن مصر هى تعلق السلطان دون غيره . الثالث أن عساكر السلطان تحضر الى الاسكندرية لاجل ترتيب الاحوال فياسيدى متضح ان ماحكم به المؤتمر موافق لبلادنا جدا ، ونتيجته أن ستحضر عساكر شاهانية مع الغازى عثمان باشا ويعطى للجيش المصرى والاهالى راحتهم حسب ماكانوا طلبوا فى الاول كما هو معلوم لعزتكم ، وعلى ذلك ينتهى الاشكال ، ولا تصدق ان السلطان يحارب أهل مصر لاجل بقاء توفيق باشا واليا عليهم ، بل لابد أن يراعى خاطرهم كما هى عوائده الملوكية الفخمة ، وهذا شىء جرت به العادة مرارا فى جميع الولايات اعنى عندما الاهالى يتطلبون رفع الوالى الذى عليهم ويقدم محضر للحضرة الشاهانية ، فحالا يحصل رفعه ، ولولا توسط الانجليز لتوفيق باشا لما بقى لحد الان ، لكن لله الحمد قد انتهى توسطها بسبب قرار المؤتمر التى هى أمضت عليه أيضا ، ولا يخفى ان ذلك القرار صدر بعد ضرب اسكندرية ، هذا وانى قد أوضحت التفاصيل لسيادتكم لاجل الاطمئنان ، وقريبا نبشركم بالتلغراف بما يسر الخاطر

افندم فى ٥ ن سنة ٩٩ .

امضاء

حسن موسى العقاد

ج الجواب المذكور والامضاء الموقعة عليه بخط الكاتب المستخدم طرفى وأنا الذى أذنته بكتابته وما ذكر فيه كان على حسب مارأينا فى جريدة الطائف وغيرها .

س موجود جواب رابع محرر بختمك الى حميد ستيت بتاريخ ٢١ ن سنة ٩٩ فاطلع عليه وقل لنا هل هو بخطك أو بخط كاتبك والختم الذى عليه ختمك أم لا ؟

وهاهى صورته

عزتلو افندم حضرة حميد بك ستيت دام محترم ، بعد اهداء تسليمات زكية وتحيات عاطرة بهية ، قد وصلتنى مشرفاتكم رقم ١٠ و١٣ الحاضر وفهمنا مابها ، ومن خصوص الهدايا قد وزعها ولدكم السيد عبد الرحيم كما أمرتموه فشكروا جميعا الفضل ، وأما هو فقد سافر من مدة يومين لطرفكم وأرسلنا معه لسيادتكم زوجين تراكيب كهرمان بذاه الماس ، واثنين وسبعين هنداسة قماش حرير افرنكى ثلاث قطع ، فنرجو التفضل بقبولهم ، ثم ان المعلم على عبد الله أظهر ان ليس عنده الان نقدية حتى يدفع لنا مبلغ الحوالة ، وقد ورد لنا تلغراف من طرفكم بتوريد الف ثوب خام الى ديوان الجهادية باسم عزتكم على وجه التبرع ، فعلى حسب أمركم أجرينا توريد القدر المذكور وتحرر جواب الوصول والتشكر من الديوان المشار اليه لسعادتكم ، ومرسول طيه انما لمناسبة قطع الوارد عن القطر من البفته وكثرة طلب الجهادية قد تعالت أسعار القماش حتى أن الثوب صار بخمسة واربعين قرشا صاغا ، فيكون قيمة الالف ثوب مبلغ خمسة وأربعين ألف قرش صاغ قيدناهم على عزتكم بطرفنا مع العشرين الف قرش ثمن الخمسمائة ثوب السابقة ، ومما احيط به علم عزتكم اننا دائما نذكر مااقتضته همتكم العالية فى مساعدة الجهادية حتى صار يضرب بكم المثل خصوصا من ذوات الجهادية ، الى عمد وجه بحرى وخلافه ، وقد اتفق انه كان معزوما عندنا سعادة باشا اغا بسراى دولتلو افندم انجه هانم حرم المرحوم افندينا سعيد باشا وكان حاضرا ولدكم ووضحنا ماقدمتموه من الاعانات وخصوصا الالفى نفر المتطوعين فحصل عند سعادته مزيد السرور واخبر بذلك فى جميع السرايات وعلى ذلك صارت الرجال بل والحريمات يعلمون ماتفضلتم به من الاعانات فى سبيل الله تعالى وحاصل التشكر العمومى فهنيئا لكم . ثم ان فى هذه الليلة كان معزوما عندنا سعادة الباشاوات ضباط الجهادية الكرام وسعادة الوكيل ، وتذاكرنا فيما قدمتموه من الاعانات المتنوعة ، فالجميع شكروا الفضل واثنوا الثناء الجميل على سعادتكم خصوصا فى اعانة الالف ثوب خام الاخيرة . فان الديوان كان مضطرا اليها جدا ، وأما افندينا حليم باشا فقد عينه حضرة السلطان خديويا على مصر ، ووافقت على ذلك جميع الدول . فقط ان المعارضين هم الانكليز لطلبهم بعض شروط ، وجزما لابد من النهو فى هذا الشهر ، وبعدها يشرف الى القطر وعند تحريك ركابه العالى من الاستانه نرسل لعزتكم تلغرافا بالحضور لاجل التشريف حسب الاتفاق ، وان شاء الله تبلغون مقصودكم على وجه مايرام قريبا . وقد أرسلنا لسعادتكم صحبة السيد عبد الرحيم صورة الجواب الذى كان ورد لنا من افندينا المشار اليه فى أوائل هذا الشهر واطلع عليه ديوان الجهادية والداخلية وخلافهما ولله الحمد فقد تحقق رسميا حتى ذكره جرنال الطائف المرسول لعزتكم بهذه البوسته ، وبهذا لزم الاحاطة افندم ٢١ رمضان سنة ٩٩ مختوم

امضاء

حسن مرسى العقاد

ج هذا الجواب مكتوب بخط الكاتب والختم الذى عليه ختمى ، وليكن معلوما ان ماذكرناه فيه مسند لجريدة الطائف على حسب مارأيناه فيها ، وكانت العادة فى ذلك الوقت بين الناس أن يخبر بعضهم بعضا بالحوادث .

س ذكر فى ذلك الجواب انك ارسلت لحميد ستيت صورة الجواب الذى ورد اليك من حليم باشا واطلعت عليه الجهادية ، فما هو هذا الجواب وماذا كان يحتوى وكيف حضر اليك ؟

ج الجواب الذى ارسلت صورته هو الذى اخذته من عثمان باشا فى ديوان الداخلية ومؤرخ فى ١٩ يوليو سنة ٨٣ وسبق أوضحت عنه للقومسيون ، ومن جهة ما احتواه وكيفية حضوره ، فسبق الايضاح عنهما ايضا .

س الامضاء الموقعة على الجواب المذكور

المؤرخ فى ١٩ يوليو سنة ٨٣ لم تكن ظاهرة ، فكيف انت علمت انه من حليم باشا واخبرت بذلك حميد ابا ستيت فيما حررته اليه كما قلت آنفا ؟

ج من جهة الامضاء لم تكن معلومة بالنسبة للشطب ، وانما الذى فهمته من **عثمان باشا** ان هذا الجواب من جهة زينب هانم كما اوضحت سابقا ، واما من جهة تحريرى **لحميد ابى ستيت** فى ٣١ رمضان سنة ٩٩ انه وردلى جواب من حليم باشا فهو من قبيل التادب فى حق الست، ولذلك لم اذكر اسمها فى جوابى ، وحيث ان معنى الجواب عائدة على الباشا المشار اليه منتسبه الجواب اليه كنسبته الى اخته .

س اذا كان الجواب المذكور ورد من زينب هانم كما قلت ، فعبارته لاتسند الى حليم باشا كما اولته ، فعلىماذا بنيت هذا التأويل ؟

ج لو صار التأمل فى الجواب يرى انه مبهم من كل وجه الما اولته بما اولته به بناء على تفسير وتفهيم عثمان باشا .

س هل حضرت لك جوابات من زينب هانم او من حليم باشا غير ذلك الجواب سواء كان بواسطة **عثمان باشا** او غيره ؟

ج لم تردلى جوابات قط من حليم باشا ولست متذكرا ورود جوابات الى من زينب هانم .

س علم من اقوال عثمان باشا فى التحقيق انه سلمك نحو اربعة مظاريف داخلها جوابات وردت لك من طرف حليم باشا ، فهل تعترف بذلك ام لا .

ج لم يصلنى شيء .

س هل حضرت اليك جوابات من احد على لسان حليم باشا ؟

ج لم تحضرلى جوابات من احد عن لسان الباشا المشار اليه .

(اعيد بعد ذلك الى السجن)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الاربعاء ١٨ محرم سنة ١٣٠٠ طلب حسن موسى من السجن ، وسئل فأجاب كما يأتى) :

س موجود ورقة بالقومسيون مكتوبة بعبارة غير مفهومة فاطلع عليها وقل لنا المقصود منها ؟

وهاهى صورتها

محبنا العزيزطنطا رسائلقطن نقص النهار من اول حارة الروم لاخر سنار بقاية ضبطية تسالوا عن النهار من طرف الشيخ حسن ، والاجرة المطلوبة جوخ الماس دفع العملة المصرى افتخار بنى سويف عملية بيومى وعبد البارى المطلوب حضوره جارى على فهم حسن العقاد المقرب العملة المصرى بيت محمودالحنو بقاية ستة الاف كيس عنهما يضاف راجعة جرنال من بنى سويف لاخرسنار افتخار القلق ضبطين سوال حسن العقاد للمراكب للعملة المصرى فشمهما الشيخ احمد العزب كسمح المراكب على بحرى عمايةحسبه على سنار مائة الف خزينة ضبطه سوال الشيخ حسن للشيخ احمد النهار زائد مائة الف خزينة عنها يضاف التجار بنى سويف قطن زاد النهار الشيخ فهمه بيت سليمان انما نرجوا به فاورقه فاوريقات بولاق زادت عنده فى الذهب الف صندوق .

ج موجود شخص مجذوب يسمى الشيخ **احمد منصور** ويقعد غالبا فى قهوة الجمالية ويملى اوراقا مثل هذه لا معنى لها .

س موجود ورقة اخرى من الشيخ حسن العدوى لشخص يسمى**السيد على** ، ووجدت من ضمن الاوراق التى ضبطت فى منزلك ، فاطلع عليها وقل لنا ما المقصود منها ومن هو السيد على

وهاهى صورتها

عزيزنا السيد على

املى تنجيز الوعد ويكفى جفا من صاحبنا وكنا نظن انلايخطر بالبال ، وامس ازدحم المحل فلم يمكن التوجه وارسلنا عبد الله لكم سابقا ووعدتم بالجبروماكان هذا من الامل

امضاء

حسن العدوى

ج المقصود منها طلب سلفة منى ، والسيد على كان واسطة فى ذلك ، ويمكن الاستدلال عليه من الشيخ العدوى .

س موجود ورقة ثالثة من الشيخ حسن العدوى فاطلع عليها وقل لنا هل هى لك ، وما المقصود منها ؟

وهاهى صورتها

حضرة ولدنا السيد

ان تكرار المخاطبة منااوجب الجفا وتغير القلوب زيادة ،حيث عدم الالتفات من صاحبكم امر غريب وكان القسم ان من غير شك بعد ثمانية ايام يتم الامر، ونحن فى رحاب ولى نعمتنا الحسن ، ومع ذلك لا يعجز عن الف جنيه لو ارادها،فان تيسر ولو ثمانية جنيهات منهااويعطى حضرتكم الورق المأخوذ على البنك ، ويكون تحت يحضرتكم وكيلا عن الجانبين ومع ذلك فالرجا فى جانب الله ببركة اهل البيت النجاح ولا لوم علينا ازوم الافادة سريعا من غير اشعار احد غيركم .

الامضاء

حسن

ج هذه الورقة لم تكن لى ولم افهم المقصود منها

س لا يعقل انك لا تعرف ممن كانت تلك الورقة ولا المقصود منها ، حيث انها وجدت ضمن اوراقك وفى منزلك ؟

ج لو كنت متذكرا تلك الورقة اوفهمت مضمونها لقلت للقومسيون ما اعلمه عنها .

س وجدت ظروف فى منزلك عليهاعنوان موسيو دبرفيو البنكير بباريس فما هى معاملاتك ومخاطباتك مع المذكور ؟

ج ان هذه الظروف وجدت بفرق من زمن مديد وكنت اكاتب المذكور بخصوص اشغال تجارة مثل بيع وشراء اوراق من اوراق الديون العمومية وغير ذلك .

س وجدت ظروف اخرى بمنزلك عليها العنوان الاتى وهو (سون التيس اوبرنس) اعنى « الىدولتلو افندم البرنس » فمن هو البرنس المذكور ؟

ج انى لم اعرف هذه الظروف ولااعرف من هو البرنس المقول عنه .

س وجد ظرف ايضا عليه عنوان شخص يسمى **حمدان امين** المرابط بالجزائر، فمن هو هذا الشخص ؟

ج الشخص المذكور عميلى بالجزائر .

س لما سئلت عن الظروف التى عليها عنوان موسيو رفيو **وحمدان امين** المرابط اعترفت بها ،وبالاستفهام منك عن الظروف التى عليها عنوان (سون التيس لوبرنس) انكرتها وقلت انك لا تعرفها وهذا لا يعقل حيث ان جميع هذه الظروف وجدت بمنزلك معا فأفد عن الحقيقة ؟

ج الظروف التى عليها عنوان (سون التيس لوبرنس) لم اعرفها ، ولوكان لى علم بهالاوضحت عنها كمااوضحت عن غيرها .

س موجود جوابان من **عبد الرحيم حميد ستيت** لوالده احدهما بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ٩٩ والثانى فى ٣ ن سنة ٩٩ ومسند فيهما لك بعض عبارات ، فهل ما اسند اليك فيهما حقيقى ام لا ؟

ج غير حقيقى .

س الجوابان اللذان قلت أن ما اسند اليك فيهما غير حقيقى مكتوبان بخط كاتبك ، فلو كان ما قلت بحق ، لما كتبهما الكاتب المذكور ؟

ج انى ما كنت حاضرا فى كتابة هذين الجوابين . ويحتمل انه فى وقت غيابى كلف عبدالرحمن حميد المذكور الكاتب بكتابة الجوابين المذكورين، ومع ذلك لم يكن فيهما امر ذو اهمية .

س موجود كشف .... هدايا من **حميد ابى ستيت لاحمد عرابى** ومحمد عبيد وغيرهما ، وبالجملة لك، فهل تعلم بهذا الكشف ام لا ؟

ج هذا الكشف لم اعلمه خصوصا انه قيل بالقومسيون انه ضبط بمنزل ابى ستيت .

س الم يكن توزيع تلك الهدايا على يدك؟

ج لم يحصل التوزيع على يدى انما بالنظر للمودة التى كانت بينى وبين ابى ستيت كان يرسل لى هدايا وكذلك ارسل اليه ، وقد وصلنى المسلى المقول عنه انه لى من الهدايا التى ارسلتها اليه مذكورة بالجوابات المحررة منى اليه ، وموجودة فى القومسيون واطلعت عليها .

س من الجوابات الصادرة منك وموجودة بالقومسيون ، ومن اجوبة **عثمان باشا فوزى** ، ومن المظروفات التى اطلعت عليها الان وانكرتها ؛ علم انه كان بينك وبين البرنس **حليم باشا** بالاستانه مواصلات ومكاتبات ، فما كانت هذه المكاتبات والمواصلات مع عدم وجود مناسبة بينكما ؟

ج لم يوجد لغاية الان اوراق منى او لى تثبت انه كان بينى وبين حليم باشا مكاتبات ، واذا كان عثمان باشا اتهمنى بشىء من ذلك فلا اصدق عليه .

س هل تنكر سعيك فى مصر فى تختيم محاضر بعزل الحضرة الخديوية وتنصيب حليم باشا ؟

ج قبل المجاوبة منى عن هذا السؤال اقول : انه فى اخر رجب او فى اوائل شعبان صدر عفو من الحضرة الخديوية عن مثل هذه الامور ، والمعلوم انه لا يصح الرجوع عن هذا العفو ، فكيف اسأل عن امور حصلت قبل تاريخ صدوره وشموله به .

س افد عن السؤال الذى صار توجيهه اليك بالسلب او بالايجاب ؟

ج لم يحصل منى شىء فيما اذكر .

س هل ختمت على محاضر من هذا القبيل ام لا ؟

ج لم اختم على محاضر بعزل الخديوى وتنصيب حليم باشا ، انما فى يوم من الايام كان احضرنا **احمد عرابى** فى منزله مع جميع العلماء والاعيان ، ووجدناه ابتدا فى تختيم الناس على عرضحال للحضرة السلطانية بطلب استبدال الحضرة الخديوية بدون تعيين اسم البدل ، وانا ختمت بالجملة بعد اناس كثيرين كما يتضح من ذات العرضحال ، وقد اجبت عن هذا السؤال امثال القومسيون ، والان متمسك بالعفو الذى صدر عن هذه الامور .

(اعيد بعد ذلك الى السجن)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الخميس ١٩ محرم سنة ١٣٠٠ ، طلب حسن موسى من السجن ، فحضر وسئل فأجاب كما يأتى) :

س لما سئلت أولا عن الجواب المؤرخ فى ١٩ يوليو سنة ٨٢ ومشطوب عنوانه والامضاء الموقعة عليه قلت ان **عثمان باشا فوزى** سلمه اليك فى ديوان الداخلية ، وبالاستفهام منه عن ذلك اجاب انه لم يعطك الجوابات المذكورة، بل اعطاك ورقة اخرى فأفد عن الحقيقة ؟

ج لم يعطنى عثمان باشا فى ديوان الداخلية جوابات او اوراقا غير الجواب المذكور .

(بناء على هذا الجواب استصوب طلب عثمان باشا لمواجهته بحسن موسى فحضر ، فسئل فأجاب كما يأتى) :

س لما كررنا الاستفهام من حسن موسى عن الجواب الذى سئلت عنه امس ، وقال انك اعطيته اليه وانكرت انت ذلك ، اجاب انك اعطيته الجواب المذكور بديوان الداخلية ولم تعطه اوراقا اخرى فماذا تقول ؟

ج انى لم اعط السيد حسن موسى فى ديوان الداخلية جوابات كما قال بل مذ كنت فى ديوان الداخلية فى يوم انعقاد الجمعية فيه ، ناداني يعقوب باشا وقال لى بشرى . فاستفهمت منه عن ذلك فاجابنى انهما قدما محضرين للباب العالى وقبل طلبهما ، وسيحضر حليم باشا ، واعطانى ورقة مضمونها انه قد تم الامر ومزمع الحضور وعما قريب ، فبشروا الاخوان ، ثم تركته ومشيت فرايت السيد حسن موسى فى موضع يقرا الورقة المؤرخة فى ٥ يونيو سنة ١٨٨٢ السابق اطلاعى عليها فاخذتها منه وبقيت فى طرفى .

س (الى السيد حسن) سمعت ماقاله عثمان باشا بحضورك فماذا تقول ؟

ج لا يوجد عندى اقوال غير التى ابديتها وهى ان عثمان باشا سلمنى فى ديوان الداخلية الجواب المذكور ، واما الورقة التى قال انه اخذها منى فما كانت معى ولا اعطيتها له .

س (الى عثمان باشا) قلت قبل الان انه ورد اليك من الاستانه اربعة مظاريف باسم السيد حسن وارسلتها اليه ، وبالاستفهام منه عن ذلك اجاب انه لم يستلم منك جوابات فماذا تقول ؟

ج ان المظاريف التى حضرت لى من الاستانه باسم السيد حسن . كنت ارسلتها اليه تارة برفقة قواس الدائرة وتارة برفقة الاوسطى **يوسف العربجى**

س (الى السيد حسن) سمعت ماقاله عثمان باشا انه اوسل اليك مظاريف حضرت له من الاستانه باسمك فماذا تقول ؟

ج لم يصلنى شىء لامن يده ولا من يد اتباعه .

س موجود اربعة خطابات موضوع عليها نمرة ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ مؤرخة ٣ مايو سنة ٨٢ ، ٣ ابريل سنة ٨٢ ، ٧ يونيو سنة ٨٢ ، ١٠ ابريل سنة ٨٢ وبالاستفهام من عثمان باشا عن اسم كاتب هذه الخطابات ، اجاب انه علم منك انها مكتوبة بخط **محمد افندى** كاتب **حليم باشا** ، فاطلع عليها وقل لنا هل هى حقيقة مكتوبة بخط المذكور ام بخط غيره ؟

ج انى لم اخبر عثمان باشا بما اسنده الى ، ولا اعرف كاتبا موجودا بطرف حليم باشا يسمى محمد افندى .

س ان الجوابات التى تبديها عن السؤالات الجارى توجيهها اليك جميعها محاولة ، ومما يثبت ذلك انك زعمت ان عثمان باشا لم يسلمك جوابات ولم يرسل اليك مظاريف حضرت من الاستانه ، مع انه موجود بالقومسيون خطابات منك للباشا المشار اليه تطلب بها منه تارة عدم اطلاع احد على التلغرافات التى ترد من الاستانه ، وتارة تستفهم منه عن ورود تلغرافات غير الجوابات السابق ورودها ، فاترك المحاولة وافد صراحة؟

ج حقيقة الحال هى التى اخبرت عنها قبلا ، ومن جهة الجوابين المحررين منى الى عثمان باشا المقول عنهما بالسؤال ، فلا يقتضيان معرفتى بمراسلة الباشا المومأ اليه ، وانما سعادته اخبرنى ان له صاحبا فى الاستانه يكاتبه ، واما تشديدى عليه فى شان عدم اطلاع احد على مايرد له من التلغرافات ، فهذا

خشية ان يكون به شيء يشوش الاذهان وفى ذلك كفاية .

س (الى عثمان باشا) سمعت ماقاله السيد حسن فهل انت مصدق عليه ام لا . ومن هو صاحبك الذى قال منه ؟

ج كلام السيد حسن غير حقيقى ولو لم يخبرنى ان الجوابات التى كانت ترد من الاستانه هى بخط محمد افندى كاتب حليم باشا ، لما كنت قبلتهما وتوسطت فى تسليمها اليه .

(اعيد بعد ذلك عثمان باشا للسجن وسئل حسن موسى كما ياتى) :

س لما سئل الشيخ حسن العدوى عن الجوابين الصادرين منه ووجدا بمنزلك ، وسئلت عنهما وقلت عن احدهما انه مختص بطلب سلفة ،وعن الثانى انك لم تفهم المقصود منه ،قال ان احدهما مختص بالحقيقة بالسلفة، والثانى فيه تلميح عن مبلغ مائتى جنيه وعدته باعطائه له بصفة مكافأة فماذا تقول وفى نظير اى شيء وعدته بتلك المكافأة ؟

ج ان حقيقة الحال هى ان الشيخ حسن العدوى كان طلب سلفة منى ، والجواب الثانى المطول وان كنت لم اطلع عليه الا فى القومسيون لكن يفهم منمضمونه انه استعجالللجواب الاول ، وحيث ان الشيخ وافق على ما اجبت به اولا ، بأن المقصود من جوابه الاول استقراض مبلغ،فيتضح اذن ان المقصود هو طلب سلفة لا غير .

س قال الشيخ حسن العدوى انك وعدته بمكافأة قدرها مائتا جنيه فهل تعترف بذلك وتبين للقومسيون الموجب لاعطاء تلك المكافأة او تستمر على المحاولة والتمحل ؟

ج ان كان متضحا من اجابة الشيخ انه لم يصله شيء منى ، فمازلت اقول انى لم اعده بمكافأة عن شيء اطلاقا .

س سنتلو عليك اجابة الشيخ وبعد سماعها افد صراحة عن الحقيقة ؟

ج سمعت ما اجاب به الشيخ حسن العدوى واقول انى لم اعده بشيء كما قال ولو فرضنا انى وعدته بشيء لقراءته البخارى والتضرع لله سبحانه وتعالى بنصرة الاسلام فهذا لا يكون فيه بأس ، حيث انه من وقت وجود الاسلام على وجه الكرة لغاية الان معتاد تلاوة الدعاء بنصرة الاسلام على المنابر فى كل يوم جمعه .

س افد صراحة هل وعدت الشيخ حسن بما ذكر ام لا بدون التمحل بقولك لو فرضنا ؟

ج لم اكن متذكرا وان تذكرت بعد ذلك ماذكر اخبر به القومسيون واقول له ولو امام جهة المحاكمة .

(اعيد بعد ذلك للسجن لحلول وقت الظهر)

(طلب ثانيا حسن موسى من السجن فى الساعة ٣ بعد الظهر من يوم الخميس ١٩ محرم سنة ١٣٠٠ ، وسئل فأجاب كما يأتى) :

س موجود بالقومسيون ورقة فيها خطاب منك لمدير البنك العثمانى باسكندرية بارسال حوالة بمبلغ ١٢٣٤٥ فرنكا على بروسبير شماع بباريس لتوقيع القبول عليهاوحفظها تحت اذنك ، وعلى تلك الورقة ايضا وصل من البنك بانه استلم منك اوراقا بمبلغ ١٠٠٠٠ ليرة وابقاها بطرفه تحت طلبك ، فما سبب التحويل على باريس ومن اين حضر لك مبلغ العشرة الاف ليرة وهل باقى لغاية الان بالبنك ام لا ؟

ج الحوالة التى على شماع اصلها ثمن ريش مطلوب لى منه ، وحولت به البنك ، اما مبلغ العشرة الاف جنيه فهو من مالى ولم تزل الكمبيالات محررة به بما فيه بالبنك باسمى واخذت بها وصلا تركته فى منزلىقبل سفرى من ضمن اوراقى .

س لماذا وضعت مبلغ العشرة الافجنيه بالبنك العثمانى ، واخذت بهاكمبيالات على لوندرة ؟

ج كان غرضى مشترى اوراق بونات من لوندرة بواسطة محل البنك هناك .

س هل دفعت مبلغ العشرة الاف جنيه للبنك المذكور نقدا او غير ذلك ؟

ج نعم دفعته اليه نقدا

س هل لك فى البنك العثمانى او فى غيره نقودا او كمبيالات غير الكمبيالات السابق ذكرها ؟

ج لم يكن لى نقودا او كمبيالات فى البنك المذكور غير الكمبيالات التى بمبلغ العشرة آلاف جنيه اماقىبنوكهالاخرى فلى نقدية .

س ماهى البنوك الاخرى الموجود لك نقدية فيها ، وما مقدار النقدية التى تقول عن وجودها لك ؟

ج انى لم اكن مكلفا بالمجاوبة عمايختص بأموالى الا بعد معرفتى ان ذلك له تعلق بالدعوى التى نحن بصددها .

س سبب السؤال منك عن اموالك هو انك متهم بأنه حضرت اليك نقود من الخارج ، لبث المفاسد فى اذهان اهالى القطر المصرى ضد الحضرة الخديوية، فلاجل الوقوف على حقيقة ماأسند اليك تراءى القومسيون البحث فى هذا الامر فاجب عما سئلت عنه ؟

ج لم ترد لى نقود من الخارج لاعمال مفاسد ضد الحضرة الخديوية .

س جاوب عن السؤال السابق توجيهه اليك فى شأن النقود الموجودة لك فى البنوك الاخرى ؟

ج لم اكن مكلفا ببيان أموالى ولا ببيان محلات وجودها حيث انه لم توجد على دعوى متعلقة بذلك .

س قد اخبرت بالدعوى المتهم بها وهى انه حضرت اليك نقود من الخارج لاستعمالها فى بث المفاسد فجاوب صراحة ؟

ج ان كنت متهما بدعوى منقبيل ماذكر، فمتى اطلعنى القومسيون على الاوراق المتعلقة بها اجاوب .

(اعيد بعد ذلك الى السجن)

(بناء على ما تقرر بجلسة هذا اليوم وهو ٢٤ محرم سنة ١٣٠٠ طلب حسن موسى من السجن فحضر وسئل فأجاب كما ياتى) :

س ألم يحول اليك حليم باشا نقودا ؟

ج لم يحول لى شيئا .

س ولا زينب هانم ؟

ج ولا زينب هانم

س هل حول لك عثمان باشا فوزى كمبيالات ؟

ج نعم كان عنده كمبيالات بمبلغ عشرة آلاف جنيه على لوندرة واشتريتهامنه

س هل دفعت له القيمة نقدية ؟

ج نعم دفعت الثمن نقدية اليه

س ماذا اجريت فى الكمبيالات المذكورة؟

ج ارسلتها الى لوندرة الى الخواجة هامرو وولده بقبض قيمتها وشراء اوراق السندات العمومية

س هل استوليت على المبلغ المرقوم من لوندرة واشتريت به أوراقا ؟

ج اوضحت قبل الان مافيه الكفاية فى هذا الشأن ، ولكن حيث ان القومسيون كرر لى السؤال فى هذا الموضوع فأقول ان تداخله فى اشغالى الخصوصية خارج عن موضوع الدعوى ، ووجود مبالغ كلية مثلهذه عند مثلى لم يكن امرا يستغرب منه أو يستوجب الاشتباه ، فان غنى عائلتنا معلوم من قديم الزمنولاسيما انى وضعت يدى من منذ ستة عشر سنة على تركة المرحوم مرسى بك

المقدار الذي بلغ مقدارها ماينيف عن مائة الف جنيه غير الاملاك والاطيان وايراداتها بموجب دفتر حصر على يد بيت المال وموجود فيه . فلايكون اذن وجود النقود بطرفي مستوجبا لاتهامي بأي وجه من الوجوه ، واما اذا كان مبوتا بالقومسيون انه وردت لي نقدية من الخارج كماروي فعليه أن يبين لنا ذلك مع الادلة القاطعة حتى أجاوب بما فيه الاقناع

(اعيد بعد ذلك للسجن)

(بناء على ماتقرر بجلسة يوم الاربعاء ٢٥ محرم سنة ١٣٠٠ طلب حسن موسى من السجن فحضر وسئل فاجاب كما يأتي) :

س طلبت امس من القومسيون أن يبين لك الادلة القاطعة التي تثبت ورود نقدية لك من الخارج لاستعمالها في بث المفاسد، فمن ضمن الادلة المذكورة ان الكمبيالات التي زعمت انك اشتريتها من عثمان باشا فوزي لم تعط اليك بـ[illegible] بل هذه الكمبيالات ارسلت من طرف زينب هانم بالاستانة للباشا المشار اليه وهو حولها اليك بدون مقابل كما اعترف بذلك ؟

ج ان هذه الكمبيالات لم يكن لزينب هانم اسم فيها ولم تكن مرسلة الى من طرفها ولم استلمها من عثمان باشا بالكيفية التي ذكرها بل اخذتها بصفة شراء ودفعت اليه القيمة فهذه هي الحقيقة ولا يستنتج منها ادنى شبهة

س باستجواب عثمان باشا عن هذه الكمبيالات ، قال انك احضرت اليه مظروفا عليه عنوان باللغة الافرنجية وبفضه وجد فيه عشر كمبيالات بمبلغ عشرة آلاف جنيه ثم ابرزت له جوابا قلت له انه من حليم باشا ومطلوب به أن يحول اليك الكمبيالات المذكورة ويسلمها لك فهل انت لم تزل مصرا على قولك انك لم تأخذ تلك الكمبيالات الا بصفة شراء ؟

ج يتضح من قول عثمان باشا مخالفة الحقيقة ؛ لانه اذا كانت الكمبيالات وردت لي ولم ترد اليه مباشرة كان يلزم ارسالها باسمي لا باسمه ثم يحولها لي . اما من جهة الجواب فسبق قال عثمان باشا للقومسيون، أن الجوابات التي حضرت لي من الاستانة كانت بواسطته فلا يعقل ان الطريقة تنعكس في هذه الدفعة .

س عثمان باشا قال ايضا انه لما سلم اليك الكمبيالات المحكي عنها ، اخذ منك وصلا باستلامها فلوكنت اخذتها منه شراء ودفعت اليه قيمتها نقدية لما كان يوجد وجه لاعطاء وصل ؟

ج لم اكن متذكرا اعطاء وصولات فان كان موجودا وصل اطلب اطلاعي عليه للمجاوبة عنه

س من اين علم لك وجود كمبيالات بطرف عثمان باشا على لوندرة حتى انك اشتريتها منه كما تدعى ؟

ج علمت ذلك من اخباره لي .

(بناء على هذا الجواب استصوب طلب عثمان باشا من السجن ، لمواجهته بحسن موسى فحضر وسئل فاجاب كما يأتي) :

س لما سئلت اولا عن الكمبيالات التي حضرت اليك من الاستانة بمبلغ عشرة آلاف جنيه ، قلت انه احضرها اليك حسن موسى داخل مظروف عليه عنوانك ، وانه اراك جوابا قال انه من حليم باشا يطلب تسليم تلك الكمبيالات اليه بعد تحويلها باسمه، وباحضار حسن موسى الان امامك وباستجوابه عن ذلك قال انه لم يحضر اليك الكمبيالات المذكورة ، بل انت الذي اخبرته بوجودها بطرفك واشتراها منك ودفع اليك القيمة نقدية ولم يرك جوابات لا من حليم باشا ولا من غيره فماذا تقول ؟

ج لايوجد عندي اقوال لابدائها غير ما ابديته بالمعنى الذي يدل عليه السؤال .

س (الى حسن موسى) سمعت ماقاله عثمان باشا بحضورك فماذا تقول ؟

ج اكرر ماقلته آنفا . واما قول عثمان باشا فهو ادعاء غير ثابت .

س فضلا عن قول عثمان باشا بانه حول اليك الكمبيالات المذكورة بدون مقابل واخذ منك وصلا ، لما احضرنا مدير البنك العثماني واستفهمنا منه عن هذه المسألة أجاب أن الكمبيالات المذكورة حضرت من الاستانة باسم عثمان باشا وهو حولها اليك ويعلم من ذلك ان هذا التحويل بدون مقابل ولم يحصل لا بيع ولا شراء ؟

ج اني وان كنت اجبت بمافيه الكفاية للرد عن هذا السؤال لكن اقول مع ذلك انه لا علم لي بحضور هذه الكمبيالات من طرف زينب هانم ، فقط عثمان باشا حولها الي بالصفة التي اوضحت عنها وهذا لايستلزم معرفتي لمرسل الكمبيالات اليه ، ولا يستلزم ايضا عدم وصول القيمة اليه .

س بصرف النظر عن حضور الكمبيالات المذكورة من طرف زينب هانم اوغيرها، قلت انك دفعت الى عثمان باشا القيمة نقدية ، مع ان الباشا المشار اليه قال الان بحضورك انك لم تدفع اليه قيمة بل حولها اليك بدون مقابل فجاوب بعبارة صريحة بدون محاولة؟

ج ان ما اجبت به في هذه الخصوص هو الحقيقة ، ولا محاولة فيه ويشهد لي بذلك مدير البنك العثماني ، اذ قال أن تلك الكمبيالات حضرت تحت اذن عثمان باشا ، وهو حولها الي وهذا مطابق لقولي . واما قيمة الكمبيالات فأديتها للباشا المشار اليه، وأما دعواه بعدم تأدية القيمة اليه فهذه دعوى خصوصية بيني وبينه لا دخل للقومسيون فيها .

س (سؤال الى عثمان باشا) سمعت حسن موسى يقول انه ادى اليك قيمة الكمبيالات المذكورة فقل بحضوره هل حقيقة أدى اليك ذلك القيمة أم لا ؟

ج لم يصلني منه شيء بل سلمت اليه تلك الكمبيالات بدون مقابل ، واخذت منه وصلا فان ترخص لي بالذهاب لمنزلي او للدائرة للبحث عنه احضره للقومسيون .

(اعيد بعد ذلك عثمان باشا الى السجن ثم حسن موسى)

اعضاء	اعضاء
محمد مختار	محمد حمدي
مصطفى راغب	يوسف شهدي
محمد زكي	سليمان يسري
مصطفى خلوصي	سعد الدين
محمد حمدي	علي غالب

رئيس قومسيون التحقيق
اسماعيل ايوب

تواصل ((الطليعة)) نشر محاضر جلسات محاكمة رجال الثورة العرابية في العدد القادم



الطليعة عام ١٩٦٦

فهرس كامل بما نشر من مقالات وتقارير ووثائق

(يناير - ديسمبر ١٩٦٦)

■ الجمهورية العربيــة المتحــدة :

سياسة عامة

تنظيم سياسي

قضايا فكرية وايديولوجية

العدد الصفحة

قضايا اجتماعية

تاريــخ

اقتصاد

الوطن العربى

سياسة دولية

ثقافة — أدب — فن — علوم

مكتبة الطليعة

من المجلات الفكرية العالمية

تقارير

الجمهورية العربية المتحدة

سياسى — عام :

■ آسيا :

■ أفريقيا :

■ العالم الغربى :

■ العالم الشيوعي :

■ أمريكا اللاتينية :

■ دولي

ثقافة ـ ادب ـ فن ـ علوم

وثائق



سياستنا..
الاعتماد على أنفسنا
في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا..
يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل .. لجميع المحاصيل
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
كيما
بأسوان
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية


Bibliotheca Alexandrina
0535784